أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تفسير ابن عطيّة

المحرّر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمّد عبد الحقّ بن عطيّة الأندلسيّ

تحقيق
مجموعة من الباحثين

بإشراف
إدارة الشّؤون الإسلاميّة

الجزء الأوّل
مقدّمات التّحقيق
وتفسير الفاتحة حتّى الآية ٢١٤ من البقرة

إصدارات
وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة
إدارة الشّؤون الإسلاميّة
بتمويل الإدارة العامّة للأوقاف
دولة قطر

تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّة

المحرر الوجيز

فِي تَفْسِيرِ الكِتَابِ العَزِيزِ

لِلإِمَامِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الحَقِّ بْنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيِّ

□ **تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**
تأليف : الإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي
تحقيق : مجموعة من الباحثين - بإشراف إدارة الشؤون الإسلامية
الطبعة المحققة الأولى : ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

قياس القطع : ١٧ × ٢٤

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر
ص.ب ٤٢٢ الدوحة
البريد الإلكتروني : turathuna@islam.gov.qa

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

دولة قطر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد، فإن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر ـ وقد وفقها الله لأن تضرب بسهم في نشر الكتب النافعة للأمة ـ لَتحمد الله سبحانه وتعالى على أن ما أصدرته قد نال الرضا والقبول من أهل العلم.

والمتابع لحركة النشر العلمي لا يخفى عليه جهود دولة قطر في خدمة العلوم الشرعية ورفد المكتبة الإسلامية بنفائس الكتب القديمة والمعاصرة، وذلك منذ تسعة عقود، عندما وجه **الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني** حاكم قطر آنذاك بطباعة كتابي (**الفروع**) و(**تصحيح الفروع**)، سنة **١٣٤٥**هـ، وكان **المؤسس الشيخ جاسم بن محمد آل ثاني** رحمه الله تعالى قد سن تلك السنة من قبل.

وقد جاء مشروع إحياء التراث الإسلامي والنشر العلمي الذي بدأته الوزارة في السنوات الأخيرة امتداداً لتلك الجهود وسيراً على تلك المحجة التي عُرفت بها دولة قطر.

ومنذ انطلاقة هذا المشروع المبارك يسَّر الله جلَّ وعلا للوزارة إخراج مجموعة

من أمهات كتب العلم والدراسات المعاصرة المتميزة في فنون مختلفة، **تُطبع لأول مرة**، نذكر منها:

• في التفسير وعلوم القرآن:

أصدرت الوزارة عدة كتب منها: **(فتح الرحمن في تفسير القرآن)** للعُليمي، و**(المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)** لابن عطية في طبعته الثانية.

وفي علم رسم المصحف أصدرت الوزارة: كتاب **(مرسوم المصحف)** للعُقيلي، و**(الدرة الصقيلة في شرح أبيات العقيلة)** لأبي بكر اللبيب.

وفي علم القراءات أصدرت الوزارة كتاب: **(البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة)** لأبي حفص النشار، و**(معاني الأحرف السبعة)** لأبي الفضل الرازي.

• وفي السنة النبوية وشروحها:

أصدرت الوزارة عدة كتب، منها: **(التقاسيم والأنواع)** لابن حبان، و**(مطالع الأنوار)** لابن قرقول، و**(التوضيح شرح الجامع الصحيح)** لابن الملقن، و**(حاشية مسند الإمام أحمد)** للسندي، و**شرحان لموطأ الإمام مالك**؛ لكُلٍّ من (القنازعي)، و(البوني)، و**(المخلصيات)** لأبي طاهر المخلص، و**(شرح مسند الإمام الشافعي)** للرافعي، و**(نخب الأفكار شرح معاني الآثار)** للعيني، و**(مصابيح الجامع)** للدَّمَاميني.

ومما تشرفت الوزارة بإصداره في تحقيق جديد متقن: **(صحيح ابن خزيمة)**، و**(السنن الكبرى)** للإمام النَّسائي المحقَّق على عدة نسخ خطية، و**(جامع الأصول في أحاديث الرسول)**، و**(النهاية في غريب الحديث)** لابن الأثير.

• وفي الفقه وما يتصل به:

أصدرت الوزارة عدة كتب في المذاهب الأربعة، منها: كتاب: **(الأصل)** لمحمد ابن الحسن الشيباني (ت١٨٩هـ) كاملاً محققاً على أصول عدة، و**(التبصرة)** للَّخمي، و**(نهاية المطلب في دراية المذهب)** للإمام الجويني بتحقيقه المتقن للأستاذ الدكتور

عبدالعظيم الديب رحمه الله تعالى عضو لجنة إحياء التراث الإسلامي، و(**حاشية الخلوتي**)، كما أصدرت الوزارة: (**الأوسط من السنن والإجماع والاختلاف**) للإمام ابن المنذر بمراجعة دقيقة للشيخ الدكتور عبد الله الفقيه عضو لجنة إحياء التراث الإسلامي، و(**بغية المتتبع لحل ألفاظ روض المربع**) للعوفي الصالحي، و(**منحة السلوك في شرح تحفة الملوك**) للعيني.

• وفي السيرة النبوية:

أصدرت الوزارة الموسوعة الإسنادية: (**جامع الآثار في السير ومولد المختار**) لابن ناصر الدين الدمشقي، وغيرها.

• وفي العقيدة والتوحيد:

أصدرت الوزارة كتاباً نفيساً لطيفاً هو: (**الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد**) لابن العطار تلميذ الإمام النووي رحمهما الله تعالى، كما أعادت نشر كتاب (**الرد على الجهمية**) للإمام أحمد رحمه الله تعالى، وغيرها من كتب عقيدة أهل السنة والجماعة.

• وفي مجال الدراسات المعاصرة المتميزة:

أصدرت: (**القيمة الاقتصادية للزمن**)، و(**نوازل الإنجاب**)، و(**مجموعة القره داغي الاقتصادية**)، و(**التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي**)، و(**صكوك الإجارة**)، و(**الأحكام الفقهية المتعلقة بالتدخين**)، و(**التورق المصرفي**)، و(**حاجة العلوم الإسلامية إلى اللغة العربية**)، و(**روايات الجامع الصحيح ونسخه دراسة نظرية تطبيقية**)، وغيرها.

كما قامت الوزارة بشراء وتوزيع بعض الكتب المطبوعة لما لها من أهمية منها: (**مسند الإمام أحمد**)، و(**صحيح الإمام مسلم**)، و(**الجامع لأحكام القرآن**) للقرطبي، و(**الجامع لشعب الإيمان**) للبيهقي، و(**تاريخ الخلفاء**) للسيوطي، و(**التاريخ الأندلسي**) لعبد الرحمن علي الحجي، و(**الإقناع في مسائل الإجماع**) لابن القطان الفاسي، و(**شرح**

العقيدة الطحاوية) لابن أبي العز الحنفي، و(**قواعد الأحكام في إصلاح الأنام)** للعز ابن عبد السلام، و(**ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين)** لأبي الحسن الندوي، وغيرها.

ويَسُرنا اليوم أن نقدم للقراء الكرام تفسير (**المحرر الوجيز**) للقاضي عبد الحق ابن عطية رحمه الله، وهو كتاب قيم أوعب فيه وحرر، وأوجز فيه وقرر، يجد فيه صاحب علوم القرآن بغيته من شاذ القراءة ومتواترها، ومنسوخ الآيات وناسخها، وطالب علوم الحديث طلبته من كل سبب نزول، وتفسير عن السلف منقول، أما الفقيه واللغوي والنحوي فهو محط رحله وربع عزته، فقد أولى رحمه الله إعراب القرآن واستنباط أحكامه عناية خاصة.

ونظراً لأهمية هذا الكتاب فقد سبق للوزارة أن أصدرت أول طبعة منه سنة (**١٩٩١**م)، ثم قامت بإعادة إخراجه في طبعة ثانية سنة (**٢٠٠٧**م)، وها هي اليوم تصدر الطبعة الثالثة التي تتميز بتصحيح النص، ومقابلته على مخطوطات نادرة، تم انتقاؤها من مختلف المكتبات العالمية، مع توثيق الأقوال والأشعار وتخريج الأحاديث والآثار، وغير ذلك من الميزات التي سيقف عليها القارئ عند مطالعته لها.

والحمد لله على توفيقه، ونسأله المزيد من فضله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إدارة الشؤون الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد فإن كتاب الله تعالى هو أجلُّ ما صرفت الأوقات في قراءته وتدبره، وأهم ما وجهت الجهود والأموال إلى خدمته، فهو كتاب كريم تنزيل من حكيم حميد، أنزله الله تعالى لهداية البشرية، نوراً مبيناً وشفاءً لما في الصدور.

وكما أمر الله تعالى بتلاوة كتابه وجعلها من أفضل العبادات التي يتقرب بها المسلم في صلواته وخلواته بربه، فقد جعل فهم القرآن وتدبر معانيه وامتثال أوامره ونواهيه هو المقصد الأسمى والهدف الأعلى؛ ليكون القرآن دستوراً للمسلم في مختلف نواحي حياته اليومية.

لذلك اهتم علماء المسلمين ببيان معاني القرآن وتفسير ألفاظه حسب اختلاف مناهجهم وتعدد مشاربهم في ذلك، فيفسر اللغوي مفرداته، ويبين النحوي معرباته، ويغوص الفقيه في أحكامه الشرعية، وصاحب البيان في نكته البلاغية، فمنهم المُؤْثر للإيجاز في ذلك والمفضل للطول، ومنهم المقتصر على المأثور والمائل إلى المعقول.

ومن أوائل المفسرين الذين حاولوا جمع شتات أكثر ذلك الإمام القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن عطية الأندلسي (٥٤٢هـ) رحمه الله، صاحب هذا التفسير النفيس المسمى «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، وهو من أعلى كتب التفاسير رتبةً وأغلاها، وأرفعها منزلة وأسماها؛ لجمعه بين المأثور المنقول

والمعقول المقبول، مع ذكر أسباب النزول وعنايته باللغة والنحو والإعراب، واهتمامه بالقراءات ونقائه من الإسرائيليات.

ولأجل ما يتمتع به هذا الكتاب من قيمة علمية كبيرة، وضمن جهودها المتميزة المتواصلة في خدمة كتاب الله تعالى، فقد كانت دولة قطر ممثلة برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية سبَّاقة إلى إصدار أول طبعة ترى النور من هذا الكتاب سنة (**١٩٩١**م)، استمر العمل فيها حوالي **١٤** سنة، بتحقيق وتعليق: الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال السيد إبراهيم، وتوالت بعد ذلك الطبعات والدراسات المختلفة حول هذا الكتاب النفيس، لتنكشف مع ذلك حاجته إلى المزيد من العناية.

ثم قامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية بإعادة إخراج الكتاب في طبعة ثانية سنة (**٢٠٠٧**م)، تم فيها تدارك بعض الأخطاء، وتقليص حجم الكتاب من (**١٥**) إلى (**٨**) مجلدات، وذلك تماشياً مع خطتها الاستراتيجية في تحديث وتطوير مطبوعاتها، موازاة مع ما تصدره من مطبوعات جديدة تنشر لأول مرة.

واستمراراً لنفس النهج، وبعد أن نفدت تلك الطبعة الثانية، قررت إدارة الشؤون الإسلامية إصدار طبعة جديدة من الكتاب، هي التي نقدم لها اليوم، بعد أن استمر عملنا فيها ثلاث سنوات، والجديد في هذه الطبعة أمران، هما:

أولاً: بذل المزيد من الجهد من أجل تصحيح النص، وتحقيقاً لذلك الهدف كثفنا الجهود للبحث عن مخطوطات الكتاب المتناثرة في مختلف المكتبات في المغرب وتركيا ومصر والشام وغيرها، وتم تشكيل لجان متعددة لمقابلة المتن على النسخ المختارة منها.

ثانياً: توثيق الأقوال وتخريج الأحاديث، ولتنفيذ ذلك تم تشكيل عدة لجان أخرى عهد إليها بتتبع جميع ما ورد في الكتاب من الأحاديث والآثار والأشعار والقراءات وأقوال أهل العلم من قراء ومفسرين، ونحاة ولغويين، وفقهاء وأصوليين؛ للبحث عنها في مظانها وإحالتها إلى مصادرها، وقد وُفقنا والحمد لله تعالى في الوصول إلى

الكثير من تلك النقول، وكان لذلك أثر كبير في إقامة النص، وبقيت مواضع غير قليلة لم نتمكن من الوصول لها، إما لأنها منقولة بالمعنى، أو من مصادر لم تطبع بعد، أو أن استخراجها ما زال يتطلب المزيد من الجهد والبحث، وقد تم التنبيه عليها في أماكنها.

وقد قدمنا بين يدي الكتاب بمقدمات تشمل أربعة مباحث هي:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف، ويشمل:

اسمه، نسبه، مولده، طلبه للعلم، شيوخه، حياته، مناصبه، مذهبه، مواقفه، مؤلفاته، تلاميذه، وفاته.

المبحث الثاني: التعريف بالكتاب:

اسمه، وثناء العلماء عليه، منهج المؤلف فيه ومصادره، أثره في الكتب التي بعده، وما كتب حوله، طبعاته.

المبحث الثالث: منهج توثيق الأقوال:

أقوال المفسرين، مسائل القراءات، تخريج الأحاديث والآثار، الآراء الفقهية والأصولية، المسائل اللغوية والأشعار.

المبحث الرابع: منهج المقابلة:

تصحيح المتن بالمقابلة، النسخ المتوفرة، طريقة المقابلة وإثبات الفروق، نماذج من النسخ الخطية.

كما ألحقنا بالكتاب جرداً بالمصادر، وكشافاً للفهارس العلمية الضرورية ويشمل:

الآيات القرآنية، الأحاديث والآثار، الشعر، الحكم والأمثال، الأعلام، إضافة إلى فهرس الموضوعات.

* * *

المبحث الأول
التعريف بالمؤلف

وسيتم التعرض له من خلال عدة نقاط هي:

اسمه ونسبه ومولده.

طلبه للعلم وشيوخه.

نشأته وحياته.

ثناء العلماء عليه.

جهاده وقضاؤه.

مذهبه وعقيدته.

مؤلفاته وآثاره.

تلاميذه.

وفاته.

وسنحاول اختصار ذلك نظراً لكثرة ما كتب حوله في الطبعات السابقة، والدراسات المتعددة التي حظي بها هذا الكتاب، فضلاً عما كتب عنه في كتب التاريخ والطبقات[1]، فنقول:

---

(١) للتوسع في ترجمة ابن عطية انظر الكتب التالية: الصلة لابن بشكوال (٢/ ٣٨٦، ٣٨٧)، رقم ٨٣٠، وبغية الملتمس للضبي (ص: ٣٧٦)، والمعجم لابن الأبار (٢٥٠-٢٦٢) رقم ٣٤٠، وصلة الصلة لابن الزبير (٢، ٣)، وتاريخ قضاة الأندلس للنباهي (١٠٩)، وخريدة القصر (قسم المغرب ٣/ ٤٩٠-٤٩٧)، والمغرب(٢/ ١١٧)، وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٨٧، ٥٨٨)، و(٢٠/ ١٣٣)، =

أولاً: اسمه ونسبه ومولده:

هو الإِمام القاضي، والفقيه الحافظ، أَبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن غالب بن تمَّام بن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمَّام بن عطية ـ الداخل إلى الأَندلس ـ ابن خالد بن خُفاف المُحاربي.

ولقد اختلف المؤرخون في سلسلة نسبه، وأرجع بعض الباحثين السبب في هذا الاختلاف إلى ميل بعضهم إلى الاختصار، وميل آخرين إلى الإطالة والتفصيل، حسب مقتضى الحال، ولا شك أن أصح ذلك هو ما أثبته ابن عطية نفسه في ترجمته لوالده في أول ترجمة من (**فهرسة شيوخه**)، فقد ساق نسبه كاملاً فقال: «غَالب بن عبد الرَّحْمَن بن غَالب ابن عبد الرؤوف بن تمَّام بن عبد الله بن تمَّام بن عَطِيَّة بْن خَالِد بن عَطِيَّة ـ وعطية هذا هو الدَّاخِل إلى الأندلس وَقت الْفَتْح ـ وَهُوَ عَطِيَّة بن خَالِد بْن خفاف بن أسلم بن مكرم من ولد زيد بن مُحَارب بن خَصَفة بن قيس عَيْلاَن بن مُضر» اهـ[1]، ويمكن الإطلاع على نماذج من ذلك الاختلاف في مصادر ترجمته المختلفة[2].

وجاءَ في بعض النسخ الخطية من التفسير: قال الشيخ الفقيه، الإمام الأَجلُّ، الحافظ الأَكمل، القاضي الأَعدل، أَبو محمد عبد الحق، ابن الفقيه الحافظ أَبي بكر غالب ابن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤُوف بن تمام بن خالد بن عطية ـ وهو الداخل إلى الأَندلس ـ ابن خالد بن خُفاف بن أَسلم بن مكرم المحاربي، من ولد

= والديباج المذهب (٢/ ٥٧-٥٩)، والوفيات لابن قنفذ (ص: ٢٦٣، وص: ٢٧٩)، بغية الوعاة (٢/ ٧٣، ٧٤)، وطبقات المفسرين للسيوطي (١٦)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٦٠)، ونفح الطيب (١/ ٦٧٩)، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة (١١٨، ١١٩)، وفوات الوفيات (٢/ ٢٥٦)، والوافي بالوفيات (١٨/ ٦٦، ٦٧)، وكشف الظنون (٤٣٩ و١٦١٣)، وهدية العارفين (ص: ٥٠٢).

(١) فهرس ابن عطية (ص: ٥٩-٦٠).

(٢) انظر: البحر المحيط في التفسير (١/ ٢١)، الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٤١٢)، الديباج المذهب (ص: ١٧٥)، فوات الوفيات (٢/ ٢٥٦)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٠١)، بغية الوعاة (٢/ ٧٣)، بغية الملتمس (ص: ٣٨٩)، معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ص: ٢٦٣).

زيد بن محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان، من أَهل غرناطة. إلا أن النسخ الخطية تختلف أيضاً في إثبات النسب كاملاً وفي ذكر بعض الأجداد، كما سننبه عليه في مقدمة الكتاب، لكن غالب الظن أن ذلك راجع إلى النساخ، والله تعالى أعلم.

ويتحصل من هذا أَن سبب الاختلاف هو التكرار الواقع في بعض الأسماء كغالب وتمام وخالد وعطية، والتشابه بين عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرؤوف، وتحولها إلى عبد الرحيم وعبد الملك عند بعضهم.

كما يتخلص من ذلك كله أن ابن عطية عربي الأَصل، وأنه من قبيلة عدنان، ثم من بني قيس عيلان وهو ابن مضر بن نزار بن مَعَدِّ بن عدنان، وأَن أُسرته كانت ذات مكانة ملحوظة في غرناطة.

يقول ابن الأَبَّـار: وبيته عريق في العلم، لجده قاسم بن تمام بن عطية رواية عن أبي عمر المُغامي وطبقته، ولغالب بن عبد الرؤوف بن تمام رحلة لقي فيها أبا القاسم ابن الجلَّاب الفقيه وحمل عنه كتابه «التفريع»، وابنه عبد الرحمن بن غالب يروي عن أبيه، وروى عنه ابنه غالب والد عبد الحق، وسمع هو من أبيه ومن أبوي علي الغساني والصَّدَفي[(١)].

أما مولده فقد أَجمع المؤرخون على أَنه كان سنة (٤٨١هـ/ ١٠٨٨م)، نص على ذاك أبو حيان والسيوطي وغير واحد[(٢)].

ثانياً: طلبه للعلم وشيوخه:

ولد ابن عطية رحمه الله في بيت علم وقضاء، لذلك فإن أول شيوخه هو والده الإمام الحافظ، الناقد المجود، أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن

---

(١) معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ص: ٢٦٣).

(٢) انظر المصادر السابقة.

عطية المحاربي الأندلسي، الغَرْناطي المالكي، روى عن أبيه، والحسن بن عبيد الله الحضرمي، ومحمد ابن حارث، ومحمد بن أبي غالب القروي، ورأى ابن عبد البَـرِّ، وحج سنة تسع وستين وأربع مئة، فسمع عيسى بن أبي ذر، والحسين بن علي الطبري، وأبا الفضل الجوهري، ومحمد بن معاذ التميمي المَهْدَوي، وروى عنه ولده صاحب التفسير الكبير، قال ابن بَشْكُوال: كان حافظاً للحديث وطرقه وعلله، عارفاً بالرجال، ذاكراً لمتونه ومعانيه، قرأت بخط بعض أصحابنا أنه سمعه يذكر أنه كرر على «صحيح البخاري» سبع مئة مرة، قال: وكان أديباً شاعراً لغويّاً، ديِّناً فاضلاً، أكثر الناس عنه، وكف بصره في آخر عمره، وكتب إلينا بإجازة ما رواه، مولده سنة (**٤٤١هـ**)، وتوفي في جمادى الآخرة سنة (**٥١٨هـ**)، رحمه الله[(١)].

وذكر ابن الأَبَّـار أن ابن عطية سمع من أبيه ومن أبوي علي الغساني والصدفي لقيه بمُرْسية وقرأ عليه جامع الترمذي، وكان قد أجاز له قبل ذلك مع أبي عبد الله بن فرج وأبي الحسن العبسي وأبي المطرِّف الشعبي وأبي عبد الله بن خليفة وأبي بكر بن برال وأبي القاسم الهَوْزني وله سماع من ابن عتَّاب وأبي بحر وغيرهما واختصاص بأبي الحسن بن الباذش وإكثاره إنما هو عن أبيه غالب وأبي علي الغساني لقيه بغرناطة ناهضاً إلى حَمَّة المَرِيَّة، للتداوي بمائها من علته الفالجية، في ذي القعدة سنة (**٤٥٩**) هجرية، فاستجازه وسمع منه ألفاظاً من اللغة وأبياتاً من الشعر قيدها عنه وانحفز لوجهته، ثم صدر بعد شهر ونصف فأقام عندهم لتوالي المطر نحواً من شهر، وفي أثنائه اتصل أخذه عنه[(٢)].

ومن شيوخ ابن عطية أيضاً:

أَبو محمد عبد الجبار بن سليمان، الفقيه أَبو محمد القيرواني، أَبو جعفر بن القليعي، أبو عبد الله محمد بن فرج مولى الطَّلَّاع، أبو المطرِّف الشعبي، أبو العباس

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٠١).

(٢) معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ص: **٢٦٣**).

أحمد بن عثمان بن مكحول، أبو القاسم الحسن بن عمر الهوزني، أبو بكر عبد الباقي ابن محمد الحجاري، أبو الحسين بن البيّان، أبو القاسم بن الحصّار المُقري، أبو محمد عبد الواحد بن عيسى الهمداني، وغيرهم من الجلة كثير تركناهم اختصاراً[(١)].

ثالثاً: نشأته وحياته:

لما كان والد المصنف بالدرجة التي أشرنا لها قبل قليل، وفي رعاية ذلك العالم الفقيه نشأَ الوليد عبد الحق، فلا غرابة أَن يشبه الفرع أَصله، وأَن يكون الابن مثل أَبيه فضلاً وعلماً.

بِـأَبِـهِ اقتدى عـديٌّ في الكرم   ومَـنْ يُـشَـابِـهْ أَبَـه فما ظَلَمْ

فقد كان الناس يَفِدون إِلى رحاب والده، فيتعلمون، والوليد الصغير يرى ذلك كله فيتأَثر به، وينمو وجوُّ العلم وطلابه يحيط به، فيتعلق بهذه الحياة العلمية، ويدفعه إِليها طموح فطر عليه، ويعينه على تحقيق رغباته رعاية واسعة من الوالد الفاضل، الذي اختار له الأَساتذة، وساعده حتى في تأْليف تفسيره.

فهو فرع في شجرة مورقة، امتدت غصونها، وكثرت أَوراقها، ونضجت ثمارها، فأَوى إِلى ظلها كثيرون، ونعم بخيراتها طلاب العلم في أَماكن كثيرة.

وكان رحمه الله غاية في الذكاءِ والدهاءِ، شغوفاً بالتقييد واقتناءِ الكتب، مولعاً باكتساب العلوم والمعارف، ولهذا رحل إِلى كل عواصم الأَندلس وحواضرها، يلتقي بالعلماءِ، ويأْخذ عن الشيوخ، ويراسلهم في كل مكان إِذا عجز عن الالتقاءِ بهم، وكان يسأَلهم الإِجازة العلمية، حتى كوَّن نفسه أَحسن تكوين.

هذه النشأَة الأَصيلة، وهذه الرغبة القوية في التحصيل والتفوق، كانتا سبباً من

---

(١) انظر تسمية أكثر هؤلاء الشيوخ في الديباج المذهب (ص: ١٧٥)، الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٤١٢)، ولتراجم هؤلاء يمكن الرجوع لفهرس ابن عطية، فقد ترجم فيه لأكثر شيوخه.

أَسباب نبوغه وشهرته، واحتلاله مكانة عالية، حتى عرفه القاصي والداني، وأَثنى عليه كل من عرفه أَو اطلع على مؤلفاته وآثاره[١].

رابعاً: ثناء العلماء عليه:

كان ابن عطية رحمه الله تعالى صاحب مكانة علمية مرموقة في عصره، وبعد عصره، ولا نجد إِجماعاً بين العلماءِ والشيوخ كإِجماعهم على تقديمه، وكلهم يعترفون بفضله، ويجعلونه صاحب مدرسة في التفسير، وهذه هي بعض الآراءِ التي قيلت فيه، ننقلها كما ذكرها أَصحابها:

فيقول عنه السيوطي: هو صاحب التفسير، الإمام أبو محمد الحافظ القاضي، قال ابن الزبير: كان فقيهاً جليلاً، عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير، نحويّاً لغويّاً أديباً، بارعاً شاعراً مفيداً، ضابطاً سنيّاً، فاضلاً من بيت علم وجلالة، غايةً في توقد الذهن وحسن الفهم وجلالة التصرف، وذكره في «قلائد العقيان»، ووصفه بالبراعة في الأدب، والنظم والنثر[٢].

وقال عنه في كتاب آخر: كان فقيهاً، عارفاً بالأحكام، والحديث، والتفسير، بارع الأدب، بصيراً بلسان العرب، واسع المعرفة، له يد في الإنشاء والنظم والنثر، وكان يتوقد ذكاء، له التفسير المشهور، ولي قضاء المَرِيَّة[٣].

وقال ابن الخطيب: كان فقيهاً، عالماً بالتفسير والأحكام والحديث والفقه، والنحو والأدب واللغة، مقيِّداً حسن التّقييد، له نظم ونثر، ولي القضاء بمدينة المريّة في المحرم سنة تسع وعشرين وخمس مئة، وكان غاية في الدّهاء والذكاء، والتَّهمُّم بالعلم، سريَّ الهمَّة في اقتناء الكتب، توخَّى الحق، وعدل في الحكم، وأعزَّ الخطَّة[٤].

(١) منقول من مقدمة الطبعة الثانية.

(٢) بغية الوعاة (٢/ ٧٣).

(٣) طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ٦١).

(٤) الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٤١٢).

وترجم له ابن فرحون في «طبقات المالكية» بمثل ذلك[١].

وقال عنه الإمام الذهبي: كان إماماً في الفقه، وفي التفسير، وفي العربية، قوي المشاركة، ذكيّاً فطناً مدركاً، من أوعية العلم[٢].

ويقول ابن شاكر: هو الإمام الكبير قدوة المفسرين، أبو محمد ابن الحافظ الناقد الحجة أبي بكر المحاربي الغرناطي القاضي، وكان فقيهاً عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير بارعاً في الأدب، ذا ضبط وتقييد وتجويد وذهن سيال، ولو لم يكن له إلا التفسير لكفى[٣].

ويقول المالقي: هو أحد القضاة بالبلاد الأندلسية، وصدور رجالها، وبيته بيت علم، وفضل، وكرم، ونبل، وكان فقيهاً، نبيهاً، عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير، أديباً بارعاً، شاعراً، لغويّاً ضابطاً، مقيِّداً، ولي القضاء بمدينة المَرِيَّة في شهر المحرم عام (**٥٢٩هـ**)[٤].

ويقول الداودي: كان فقيهاً عالماً بالتفسير والأحكام والحديث والفقه، والنحو واللغة والأدب، مفيداً، حسنَ التقييد[٥].

ويقول ابن بشكوال: كان واسع المعرفة قوي الأدب، متفنناً في العلوم، أخذ الناس عنه[٦].

أما معاصره الفتح بن خاقان فقد وصفه بأنه الوزير الفقيه الحافظ القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية وفقه الله، نبعة دوح العلاء، ومُحرز ملابس الثناء، فذُّ الجلالة،

---

(١) الديباج المذهب (ص: ١٧٥).

(٢) سير أعلام النبلاء ط الحديث (١٤/ ٤٠١).

(٣) فوات الوفيات (٢/ ٢٥٦).

(٤) تاريخ قضاة الأندلس (ص: ١٠٩).

(٥) طبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٦٦).

(٦) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (ص: ٣٦٨).

وواحد العصر والأصالة، وقارٌ كما رسا الهضب، وأدب كما اطَّرد السلسل العذب، وشيم تتضاءل لها قطع الرياض، ويبادر به الظن إلى شريف الأغراض، سابق الأمجاد فاستولى على الأمد بعلائه، ولم ينض ثوب شبابه، أدمن التعب في السؤدد جاهداً، حتى تناول الكواكب قاعداً، وما اتَّكل على أوائله، ولا سكن إلى راحات بكره وأصائله، آثاره في كل معرفة علم في رأسه نار، وطوالعه في آفاقها صبح أو نهار، وقد أثبتُّ من نظمه المستبدَع ونثره المستبرع، ما ينفح عبيراً، وينضح منيراً، ويسيح نميراً[١].

خامساً: جهاده وقضاؤه:

إن الدارس لحياة ابن عطية لا بد أن يجد فيها أَنواعاً مختلفة من الجهاد، فقد جاهد في سبيل العلم حتى وصل فيه إِلى أَعلى مكانة، وجاهد في ميدان القتال ضد أَعداءِ الإسلام، لأَن أَيام المرابطين كانت أَيام معارك وحروب دامية، وكان ابن عطية ممَّنْ حملوا السيف، واشتركوا في كثير من الغزوات.

وكان يُكْثِر الغزوات في جيوش الملثمين، ويطيل من التَّغَيُّب عن أَهله وبلده، وكان والده قد كبر في السن، وكُفَّ بصره، وقد طال غياب وَلَدِهِ «عبد الحق» عنه في إِحدى الغزوات، مما أَثار في نفس الشيخ الضرير نوازع الحنين والشوق، وحرك في قلبه عواطف الأُبوة؛ فكتب إِليه أَبياتاً كلُّها رقة وشوق وحنان، ولمَّحَ له فيها إِلى حاجته إِلى رعايته، قال:

يا نازحَ الدار لم تحفِلْ بِمَنْ نَزَحَتْ ... دموعَه طارقاتُ الهمِّ والفِكَرِ
غيبّتَ شخصك عن عيني فما أَلِفَتْ ... من بعد مرآك غيْرَ الدمع والسهر
قد كان أَولى جهادٌ في مواصلتي ... لا سيَّما عند ضعف الجسم والكبر
اعتلَّ سمعي وجال الضُّرُّ في بصري ... بالله كن أَنت لي سمعي وكن بصري[٢]

---

(١) قلائد العقيان (ص: ٢٠٨).

(٢) معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ص: ٢٦٣).

ومع هذه العواطف الجياشة، وأَمام هذا النداءِ الأَبوي كان ابن عطية يتحمل كل شيءٍ في سبيل أَداءِ واجبه الديني، وكان يتحمل في سبيل عقيدته، لأَن الحروب كانت ضد أَعداءِ الإِسلام والمسلمين، الذين تكالبوا على الأَندلس في فترة خطيرة من فترات العدوان على الإِسلام.

وإِلى جانب ذلك، جاهد بقلمه، وكتب رسائل إِلى بعض الأُمراءِ يحثهم فيها على نجدة البلاد التي احتلها الأَعداءُ، ويُهيب بهم أَن ينقذوا الأَبرياءَ من الناس من ظلم الغزاة، وقسوة المعتدين، وكان دائماً يحث على الجهاد المقدس، ويلهب الحماس في النفوس بما يُضَمِّنُهُ رسائلَهُ من أَشعار حماسية يترنم فيها بالبطولات[(١)].

بكل هذا الذي أَشرنا إِليه من بحث عن العلم وسعي إِليه، ومن حب للمعرفة واقتناءِ الكتب، ومن جهاد في سبيل دينه بقلمه وسيفه ودمه، استطاع ابن عطية أَن يصل إِلى مكانة كبيرة في مجتمعه، وانتهى به الأَمر إِلى تولي القضاءِ، وللقضاءِ آنذاك منزلة عالية، ولم يكن يتولاه إِلا من هو أَهل له علماً وفضلاً وخلقاً.

وقد ولي ابن عطية القضاء بمدينة المَرِيَّة في شهر المحرم عام (**٥٢٩هـ**)[(٢)]، قال ابن الخطيب وابن فَرْحون: ولما ولي القضاء بمدينة المَرِيَّة توخى الحق وعدل في الحكم وأعز الخطة[(٣)].

ويقول ابن الأبَّـار: إنه ولي القضاء بالمرية للملثمين في آخر دولتهم وكان في شبيبته قد نالته منهم إهانة لإفراط حدته ومنافسته الحكام وغرِّب أبوه غالب آنذاك إلى السوس ثم أعيد إلى وطنه وحَسُن رأيهم فيهما.

---

(١) انظر هذه الرسائل في قلائد العقيان (ص: ٢١٠)، وسنعرض بعضها في آثاره.

(٢) تاريخ قضاة الأندلس (ص: ١٠٩)، الإحاطة (٣/ ٤١٢).

(٣) الديباج المذهب (ص: ١٧٥)، نفح الطيب (٢/ ٥٢٦).

قال: ومما يُرْوَى عنه أَنه لما خوطب بتقلد هذه الخطة واللحاق بالمرية، دخل داره وعيناه تدمعان وجداً لمفارقة الأهل والوطن، ورأَته ابنته أُم الهناءِ على هذه الصورة فأَنشدت متمثلة:

يا عين صار الدَّمْعُ عندك عادةً   تبكين في فرحٍ وفي أَحزانِ

وهذا يدل على أَنه أَثَّـر في أَهل بيته، وحملهم على حب الشعر، والاستشهاد به(١).

ولم يُعْرَف عن ابن عطية أَنه تولى قضاءَ مدينة أُخرى غير المرية، إِلا أَنه فيما رُوي قصد مُرْسِيَةَ ليتولى قضاءَها فَصُدَّ عنها إِلى لُوْرَقة، وفي «نفح الطِّيب»: أنه قصد مَيُورْقة ليتولى قضاءها فصدّ عن دخولها وصرف منها إلى لُوْرَقة اعتداء عليه(٢).

وقد ظن بعضهم أَنه تولى قضاءَ غَرْناطة، ولعل ذلك خطأٌ، فالواضح أَن الذي تولى قضاءَها هو والده، أَما هو فقد توفي بعد أَن صدّ عن مُرْسيَة بوقت قليل، فلم تكن أَمامه فرصة لأَن يتولى قضاءً آخر.

سادساً: مذهبه وعقيدته:

كان ابن عطية رحمه الله مالكي المذهب سنِّي المشرب أندلسيّاً أشعريّاً، عاضّاً على مذهب الجادة لم يؤثَر عنه شيء يخالف ذلك.

وقد صرح ابن تيمية بتفضيله على الزمخشري، وأنه أَتبع للسنة والجماعة، وأَسلم من البدعة(٣).

ورغم ذلك فقد أَثار بعض الباحثين جدلاً حول مذهب ابن عطية، وادعوا أَنه يميل أحياناً إلى مذهب المعتزلة، وقد يختاره على مذهب أَهل السنة ولو في بعض الأُمور.

---

(١) انظر هذه القصة في معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ص: ٢٦٣).

(٢) نفح الطيب (٢/ ٥٢٧).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦١).

والحق أَن ابن عطية كان على مذهب أَهل السنة والجماعة، ولكن عن اقتناع لا عن تقليد، وعن فهم لا عن تسليم، فقد كان رحمه الله تعالى سني الاعتقاد بعيداً عن الاعتزال، ولولا ذلك لما نال كتابه كل هذه الأهمية وحظي بكل هذه العناية، إلا أننا وللأمانة والإنصاف لا بد أن نتلمس بعض الثغرات التي قد يكون ابن عطية أتي من قبلها، فنقول: إن التهمة المشار لها تتألف من شقين، أولهما: ما يوهم عزوفه عن مذهب أهل السنة، والثاني: ما يوهم ميوله للمعتزلة.

أما الثغرة الأولى فتتعلق بآيات الصفات، فمذهب أهل السنة والجماعة وجمهور السلف أن نؤمن بها كما جاءت دون تمثيل ولا تعطيل، وقد جرى المؤلف على ذلك في غير موضع، إلا أنه صرح في أكثر المواضع بترجيح مذهب أهل التأويل، ويصفهم أحياناً بالمحققين والحذاق، وقد سمى منهم ابن فُورك والباقلاني وإمام الحرمين أبا المعالي ابن الجويني، بل إنه في بعض الأحيان يقتصر على التأويل دون أن يشير إلى القول الآخر.

فهو يثبت صفة الحياة والرؤية على مذهب السلف، ويثبت صفة الكلام لكنه يصفه بأنه نفسي قديم، ويؤوِّل بعض الصفات: كالاستواء، والمجيء، واليد، والوجه.

وعذره رحمه الله تعالى في ذلك أن هذا مذهب أكثر المتأخرين من الأشاعرة، وهو السائد في عصره، ولعل مما زاده جرأة على ذلك قوة عارضته، وحرصه على إرجاع ألفاظ القرآن إلى معانيها اللغوية الأصلية كما يتضح من منهجه في التفسير.

وفي مسألة القدر وحرية الإرادة الإنسانية، يقول بما قال به أبو الحسن الأشعري، وهي نظرية الكسب، لكنه لا يقول بوجوب الأصلح على الله تعالى كما هو مذهب المعتزلة، وكذلك في مسألة التحسين والتقبيح.

وأما مسألة الوعد والوعيد ومرتكب الكبيرة، فإن ابن عطية يذهب فيها مذهب أهل السنة بأن الله يفعل ما يشاء، وأن مرتكب الكبيرة هو مؤمن عاص في مشيئة الله، إن

شاء عذبه وإن شاء غفر له، وكذلك يقر بالشفاعة للأنبياء والصالحين ـ وهو مذهب أهل السنة ـ لأن الأحاديث صريحة في هذه المسألة.

ولا يسعنا في هذه العجالة بحث تلك المسائل بالتفصيل، ولسنا بصدد عرض أدلتها لأنها مبسوطة في أماكنها.

وقد علقنا على كثير من هذه المواضع من التفسير، ونكتفي عن باقيها بالتنبيه عليها هنا.

أما الثغرة الثانية المتعلقة بمذهب المعتزلة، فابن عطية رحمه الله بريء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب، بل إنه كان أشد عليهم من كثير من المفسرين، وقد تصدى للرد عليهم في أكثر من خمسين موضعاً من تفسيره، وبيَّن فساد أدلتهم، ومن أمثلة ذلك:

١ـ قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥]: وثبت بنص هذه الآية أن القوة لله، بخلاف قول المعتزلة في نفيهم معاني الصفات القديمة.

٢ـ وقوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]: وفي قوله تعالى: «أُعِدَّتْ» ردٌّ على من قال: إن النار لم تخلق حتى الآن، وهو القول الذي سقط فيه منذر بن سعيد. فتأمل قوله: «سقط فيه» لتعلم مقدار نفوره من مذهب منذر بن سعيد هذا، وهو واضح الاعتزال.

٣ـ وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، قال: وفي قوله: «مني» إشارة إلى أن أفعال العباد خلق لله تعالى.

٤ـ وعند تفسير آية الكرسي يثبت صفة الحياة لله على مذهب أهل السنة والجماعة، ثم يقول: وذكر الطبري عن قوم أنهم قالوا: الله حيٌّ لا بحياة وَيُعَقِّبُ على ذلك بقوله: وهذا قول المعتزلة، وهو قول مرغوب عنه.

٥ـ وعند تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، يذكر رأْي أَهل السنة فيقول: أَجمع أَهل السنة على أَن الله عز وجل يُرى يوم القيامة.... إلخ.

ثم يمضي في هدم رأْي المعتزلة فيقول: ثم ورد الشرع بذلك، وهو قوله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]: وتعدية النظر بإلى إنما هو في كلام العرب لمعنى الرؤية لا لمعنى الانتظار على ما ذهبت إليه المعتزلة، ومنه قول النبي ﷺ فيما صحَّ عنه وتواتر وكثر نقله: «إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر».

والذي نراه أن ابن عطية إنما أُتي من قِبَل كتب المعتزلة، فهو يهتم باللغة أكثر من غيرها، وأكثر المفسرين اللغويين الذين اعتمد عليهم كانوا معتزلة، فمنهم من كان ابن عطية يعلم ذلك عنه كأبي علي الفارسي، فيحذِّر منه بقوله: «وهذه نزعة اعتزالية» وهي عبارة تكررت فيه كثيراً[(١)].

ومنهم من لم يكن يعلم باعتزاله كالزجَّاج فقد قال في رده على قول المعتزلة «الذين يرون أن الله لا يخلق أَفعال العباد إنه قول سوءٍ لأَهل البِدَع، ووقع فيه الزجاج رحمة الله عليه من غير قصد»[(٢)]، لكن أبا حيان نبَّه على أن الاعتذار عنه في غير محله لأنه كان معتزليّاً.

فخفاء مثل هذا من الزجاج على ابن عطية واعتذاره عنه يوحي بأنه لم يكن يتحفظ منه تحفُّظَه من أبي علي، وربما كان الحال كذلك بالنسبة للأخفش وابن جني وغيرهما.

وكما رد ابن عطية رحمه الله على المعتزلة، فقد سلط سيفه على غيرهم من أهل الإلحاد وغلاة المتصوفة، فقد ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، أن هذه الآية يعطي ظاهرها أَن من آمن واتقى فهو داخل في أَولياءِ الله، وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الوليّ، قال: وإنما

---

(١) انظر ـ على سبيل المثال ـ الآية (٦٠) من سورة المائدة، وتفسير الآية (٦٧) من سورة مريم.

(٢) انظر تفسير الآية (٩) من سورة النحل.

نبّهنا هذا التنبيه حذراً من مذهب الصوفية وبعض الملحدين في الوليّ.

ويقول في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]: «وما ذكره الغزالي في هذه الآية وهذا المعنى في كتابه الذي سمَّاه بـ«الاقتصاد» إِلْحادٌ عندي، وتَطرُّقٌ خبيث إلى تشويش عقيدة المسلمين في ختم محمد ﷺ النُّـبُوَّة، فالحذَرَ الحذَرَ منه، والله الهادي برحمته».

ويقول في مسأَلة التوكل إنها متشعبة للناس فيها خوضات، «والذي أَقول: إن التوكل الذي أُمر به هو مقترن بتسبب جميل على مقتضى الشرع، وهو الذي في قوله ﷺ: «قَيِّدها وتَوَكَّلْ»، فقد جعله متوكلاً مع التقييد، والنبي ﷺ رأْس المتوكلين، وقد تسبَّب عمره كله، وكذلك السلف كله، فإِن شذَّ متوكل فترك التسبب جملة فهي رتبة رفيعة ما لم يُسرف بها إِلى حد قتل نفسه وإِهلاكها، كمن يدخل غاراً خفيّاً يتوكل فيه، فهذا أَو نحوه مكروه عند جماعة من العلماءِ، وما رُوي من إِقدام عامر بن قيس على الأَسد ونحو ذلك كله ضعيف، وللصحيح منه قرائن تسهله، وللمسلمين أَجمعين قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وقول النبي ﷺ في مدح السبعين أَلفاً من أُمته: «وعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، ليس فيه أَنهم يتركون التَّسَبُّب جملة واحدة، ولا حفظ عن عكاشة أَنه ترك التَّسبب، بل كان يغزو ويأْخذ سهمه»(١).

وعلق في موضع آخر على قصة لبعض الصالحين في الخوف لا تخلو من بعض الغلو بقوله: «فهذه نهاية الخوف، وخير الأمور أوساطها، وليس علماء الأمة ـ الذين هم الحجة ـ على هذا المنهاج، وقراءة علم كتاب الله ومعاني سنة رسول الله ﷺ لمن يفهم ويرجى نفعه أفضل من هذا»(٢).

ومثل هذا كثير في كتابه رحمه الله، ومن تأمله علم ما كان عليه من اتباع للحق وعض على السنة.

(١) انظر تفسير الآية (٨٦) من سورة يونس.

(٢) انظر تفسير الآية (١٩٢) من سورة آل عمران.

سابعاً: مؤلفاته وآثاره:

أهم مؤلفات ابن عطية التي وقفنا عليها كتابان هما:

١ ـ كتابه العظيم في تفسير القرآن الكريم، وهو الذي عرف بين الناس باسم: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، وقد أفردنا له فصلاً خاصاً نوضح فيه منهجه وميزاته.

٢ ـ كتاب صغير اسمه (الفهرس) حققه محمد أبو الأجفان، ومحمد الزاهي، ونشرته دار الغرب الإسلامي بيروت/ لبنان، (١٩٨٣)، وتقع الطبعة الثانية منه في مجلد واحد، وهي متوفرة في الموسوعات العلمية كالشاملة وغيرها، أوله: قال الفقيه المشاور الحافظ القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي رضي الله عنه: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله أجمعين وسلم، هذه تسمية من لقيته من الشيوخ حملة العلم وذكْرُ ما رويته عنهم ومن أجازني، منهم أبي رضي الله عنه....[١].

وينسب بعض الباحثين له مؤلفات أُخرى، منها كتاب كبير في الأَنساب انتقد فيه كتاباً لبعض المعاصرين، ذكر ذلك ابن الأَبَّـار في كتابه (المعجم)[٢].

وعلى كلٍّ فمؤلفاته قليلة، ولعل بقيتها قد ضاعت بفعل الزمن، وبسبب الأَحداث التي توالت على بلاد الأَندلس.

ومن آثاره أشعار جيدة، ورسائل لا تقل عنها جودة، فشعره يدل على تمكن، وعلى قدرة لغوية، مكنته من التعبير عن المشاعر الجياشة في عبارات عذبة رقيقة سلسة، ومع هذا فحسبه أَنه برز في ميادين اللغة والأَدب، والقراءَات والفقه، وأضاف إِليها القضاءَ ومكانته.

---

(١) فهرس ابن عطية (ص: ٥٩).

(٢) معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ص: ٢١٨).

وعن أدبه الشعري والنثري يقول الفتح بن خاقان: وقد أثبتُّ من نظمه المستبدَع ونثره المستبرع، ما ينفح عبيراً، وينضح منيراً، ويسيح نميراً، فمن ذلك قوله من قصيدة:

وليلةٍ جُبْتُ فيها الجزع مرتدياً بالسيف أسحب أذيالاً من الظُّلَمِ
والنجمُ حيرانُ في بحر الدجا غَرِقٌ والبرق فوق رداء الليل كالعَلَمِ
كأنّما الليل زِنجيٌّ بكاهله جرحٌ فيَثْعَب أحياناً له بدمِ

وله يتخلق بأخلاق الشيب، ويندب الشباب وهو منه في ريعان قشيب، ويتوجع لحمامته التي عُوض بها من غُرابه، وصَفَتْ مسراته من شوائبه، وهو يركض للَّهو بطرف جامح، وينظر للمنى بطَرْف طامح:

سقياً لعهد شباب ظَلْتُ أمرح في ريعانه وليالي العيش أسحارُ
أيّام روض الصبا لم تذوِ أَغصنُه ورونق العمر غضٌّ والهوى جارُ
والنفس تركض في تضمير شرَّتها طرفاً له في رهان اللهو إحضارُ
عهداً كريماً لبسنا منه أردية كانت عيوناً ومحَّت فهْي آثارُ
مضى وأبقى بقلبي منه نارَ أسى كوني سلاماً وبرداً فيه يا نارُ
أبعْدَ أن نَبُهَتْ نفسي وأصبح في ليل الشباب لصبح الشيب إسفارُ
وقارعتني الليالي فانثنت كِسَراً عن ضيغم ما له ناب وأظفارُ
إلا سلاحُ خِلال أُخلصت فلها في منهل المجد إيرادٌ وإصدارُ
أصبو إلى خفض عيش دوحُه خضل أو ينثني بي عن العلياء إقصارُ
إذاً فعطَّلتُ كفِّي من شبا قلم آثاره في رياض العلم أزهارُ
همّي من العيش ودٌّ طاب مورده ولم يشُبْ صفوه للنقص إكدارُ
ومن سناكم أبا إسحاق طالعني منه هلال له في النفس إبدارُ
ألظّ بالقلب يسري منه في أفق هالاته فيه إجلال وإكبارُ
نور ألمّ به من بعدكم حَلَكٌ كالراح حفَّ بها في دنّها القارُ

لئـن تمطَّـى بجـورٍ ليـلُ فرقتنـا　　لقد أنـارت به للكتْب أقمارُ
وإن عدانـا بعـادٌ عـن تزاورنـا　　فـإنَّـني ببنـات الفكـر زَوَّارُ

وله قطعة يوجهها إلى الأمير عبد الله بن مزدلي وقد خرج في إحدى غزواته، فوثق بظفره، وكريم صَدَره، وأقر القطعة عند كاتبه الوزير أبي جعفر بن مسعدة ليرفعها إليه منصَرَفَه فوفى بما كلفه وتقدم إلى رفعها عقب الغزاة وابتدر، وجاء بها على قَدَر، والقطعة المذكورة هي:

ضـاءت بنور إيَـابـك الأيّـامُ　　واعتزَّ تحت لوائك الإسـلامُ
أمَّـا الجميع ففي أعـمِّ مسرَّة　　لمَّا انجلى بظهورك الإظلامُ
بادرْتَ أجرك في الصيام مجاهداً　　مـا ضـاع عنـدك للثغـور ذمامُ
وصمدْتَ معتزماً وسعدُك منهضٌ　　نحـو العـدا ودليـلـك الإقـدام
كم صدمة لك فيهمُ مشهورةٍ　　غـصَّ العـراق بذكرهـا والشـامُ
في مارق فيه الأسنة والظُّبى　　بـرق ونقع العاديات غمامُ
والضرب قد صبغ النصول كأنَّما　　يجري على ماء الـحديد ضـرامُ
والطعن يبـعثـه النجـيـم كأنَّما　　ينشق عن زهر الشقيق كمامُ
فـاهـنـأ مـزيّـة ظـافـر متأيِّد　　جفـّت برفـعة شـأنـه الأقــلام
وإليك ودِّي واختصاصي سابق　　يجلوه من دُرِّ الكـلام نظـامُ
إنّي وإن خُلِّفت عنك فلم تزل　　مـنّـي إلـيـك تحيَّة وسـلامُ

وله يصف فحماً:

جعلوا القرى للقَرِّ فحماً حالكاً　　قـدح الـزنـاد به فـأورى نارا
فبدا دبيب السقط في جنباته　　كالبرق في جنح الظلام أنارا
ثـمّ انـبـرى لهباً وثـار كأنَّه　　في الحرق ذو حَرَقٍ يطالب ثارا
وكـأنـه لـيـل تـفـجَّـر فجره　　نَهراً فكان على المقام نهارا

وله وقد ودع بعض إخوانه:

أستودع الله من ودَّعته ويدي على فؤادي خوفاً من تصدُّعه
بدر من الودِّ حازتـه مغـاربه فالنفس قد أشخصتْ طرْفاً لمطلعهِ
أتبعتُـه بعـد توديعـي لـه نظـراً إنسـانه غَـرِقٌ فـي بحـر أدمعـهِ
ما أوجع البَين في قلب الكريم غدا يفارق القلبَ في ثوبَيْ مودَّعه
يذيبـه البيـن تعذيبـاً ويمنعـه من أن يطير شعاعاً أسرُ أضلعه
يسطو به البين مغلوباً فليس سوى تململ في فراش من توجُّعهِ

وله يصف الزمان وأهله:

داءُ الـزمـان وأهـلِـه داء يـعـزُّ لـه الـعـلاجُ
أطـلـعـتُ فـي ظلمائه ودًّا كما سطع الـسـراجُ
لـصـحـابـة أعـيـا ثِـقَـا في مـن قناتهمُ اعـوجـاجُ
أخـلاقـهـم مـاء صـفـا مـرأًى ومطعَمُهـم أُجـاجُ
كـالـدُّرِّ مـا لـم تَختبِر فـإذا اختـبرتَ فهم زجـاجُ

وكتب إلى الفقيه القاضي أبي سعيد خلوف بن خلف ـ أعزه الله ـ من حضرة بلنسية، وقد نهض في صحبة الأمير الأجلِّ عبد الله بن مزدلي عند منهضه إلى سرقسطة ـ أعادها الله ـ ملبياً لمناديها، ومعبِّياً لمدافعة العدو المخيم بواديها، وأقام الفقيه أبو محمد خلاف العسكر هناك لغرض اعترضه، وعاق منهضه:

أستوهب الله الفقيه الأجلَّ قاضي الجماعة سيدي وعمادي شمول نعمه وأياديه، واتصال روائح عز الطاعة وغواديه، واتصال خواتم الأعمال بمباديه، والتئام عواجز السعد بهواديه، ولا زال منهلَّ سحابِ العدل، ممتد أطناب الظل، منحضر جوانب الفضل، لا يقرع باب أمل إلا ولجه، ولا يعنُّ لما تكره النفوس من أمر إلا فرجه، بعزة الله كتبته ـ أدام الله بالطاعة عزك ـ من حضرة بلنسية حرسها الله يوم كذا، عن منبر ودك الذي لا تخبو لدي

ناره، ولا تأفل عندي شموسه وأقماره، ونظيرِ عهدكَ الذي لا يخلع لبسة الكرم، ولا يزداد إلا طيباً على القدم، وعطر حمدك الذي به أحاور وأحاضر، وبمحاسنه أباهي وأفاخر، والله تعالى يملأ بمحامدك أسماعاً ويطلق ألسناً، ويبقيك للفضل غيثاً كريماً وأثراً حسناً، ويديم ما بيننا في ذاته زكي الفروع ثابت الأصول، حصين الشِّكة مرهف النصول، بمنه.

بعد أن ورد كتابك الكريم روضة الحزن غِبَّ المزن، وحديقةُ الزهر تبسمت لوفد المطر، تتجارى إلى محاسنه العين والنفس، ويترقرق من خلاله الأنس، وانتهيت منه إلى ما يقتضي رضى وتسليماً، ويسر كما سمي اللديغ سليماً، وأما ما ذهبت إليه ـ دام عزك ـ من تعرُّف الأنباء، واجتلاء الأنحاء، فإن ابن رذمير قد جعل بناء سَرَقُسْطة لكلكله عطناً، واتخذ ذلك الحريم وطناً، وذلك أنه ندب لهذه السفرة من أهل ملته ما ندب، وأجلب من خيلهم ورَجِلهم ما أجلب، وهو أن بمنازلته سرقسطة ستفتح عليها أبواب حروب، وأنه قد وطئ غيلاً غير مغلوب، فلما رأى أن حمامتها ليست بضربة لازب، وأبصر حبلها على الغارب، نبهت المطامع حرصه، ففعل فعل الضعيفة أصابت فرصة، فلازم ملازمة الغريم، وصرف إليها وجوه الهم والهموم، مع أن غراب الرحيل ينعب كل يوم في عرصاته ويُفصح، وطوائف الإفرنج ـ دمرهم الله ـ كل ليلة تمسي ولا تصبح، لأن نبتهم ونواهم نزوح، من دون أفواجهم مهامِهُ فِيْح.

وأيضاً فإن الأمير الأجلَّ أبا محمد عبد الله بن مزدلي ـ أيده الله ـ قد أضاق بضبط الطرق وقطع المتصرفين ذرعهم، وعجَّز بنصب حبائل الخيل لمن شد أوفر وسعهم، فإنه ـ دام أمره ـ أطل عليهم إطلال الفجر على الظلام، وأخذ هناك بضَبْع الإسلام، وأقام مرة كالحية النضناض، وطوراً كالأسد القضقاض، يسرِّب إلى محلتهم من يضرم نار الحرب في أكنافها، ويأتي أرضهم ينقصها من أطرافها، ولولاه ما علا هنالك للإسلام اسم، ولا عاد للمدافعة رسم، ولا لاح للمكافحة وسم، ولا عنَّ لتلك العلل المُجْهِزة على تلك الأقطار جسم، ولكنه ركب صعب الأهوال، وصدْقَ الصيال، وهي ـ أعزك الله ـ أقطار إن

لم تُقِم القوةُ منها ميلاً وجنفاً، ويَسْتعمِلِ الجدُّ لها نظراً أُنفاً، وإلا فعقدها بمدرج نثار، وهي في طريق انتكاث وعثار، والله يكفي المسلمين فيها، وينعم عليهم بتلافيها، بعزته، والسلام الجزيل عليك يا عمادي ورحمة الله وبركاته[١].

ثامناً: تلاميذه:

أَما تلاميذه، فهم صفوة من العلماءِ والشيوخ، ولقد انتفع بعلمه خلق كثير، وكان مَقْصداً يَفِدُ إِليه الطلاب، ومن أَشهر تلاميذه:

الإمام أَبو القاسم عبد الرحمن بن حُبيش.

الإمام أَبو بكر محمد بن أَبي حمزة المُرْسي.

الإمام أَبو جعفر أحمد بن مضاءٍ اللَّخمي.

الإمام أَبو بكر محمد بن خير الإشبيلي.

الفيلسوف أَبو بكر بن طُفيل القيسي، صاحب رسالة (حي بن يقظان) المشهورة.

أَبو محمد عبيد الله[٢].

وللحقيقة وحدها نقول: إِن ابن عطية كان نابغة بمقاييس النبوغ في عصره؛ لأَنه أَحاط بأكثر العلوم المعروفة في زمانه، وكان على جانب كبير من الثقافة وتنوع المعارف، وقد أَهَّلَهُ ذلك لسُمْعَة علمية ظلت باقية على الزمن، حتى وصلت إِلينا مع آثاره وعلى يد تلاميذه.

وهكذا كان ابن عطية عَلَماً في حياته، وعَلَماً بعد وفاته.

---

(١) انظر: هذه النصوص كلها في قلائد العقيان (ص: ٢٠٨)، وما بعدها، الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٤١٤)، وما بعدها.

(٢) انظر: تسمية بعض هؤلاء في الديباج المذهب (ص: ١٧٥).

تاسعاً: وفاته:

اختلف المؤرخون في تاريخ وفاة ابن عطية على ثلاثة أقوال:

القول الأول وهو أقواها: أنه توفي في الخامس والعشرين من رمضان سنة إِحدى وأَربعين وخمس مئة، قال أَبو حيان: هكذا ذكره القاضي ابن أَبي حمزة، وحكاه ابن الأبار عن ابن حميد، وابن عيَّاد، وصححه، إلا أنه أرخه بمنتصف رمضان[1].

والقول الثاني: أَنه توفي سنة (**٥٤٢هـ**)، صدر به في بغية الملتمس ومثله للزركلي، في كتابه الأَعلام[2]، وحكاه ابن الأَبَّار عن ابن بَشْكُوال وابن خير.

والقول الثالث: أنه توفي سنة (**٥٤٦هـ**) حكاه الزركلي أيضاً بصيغة تمريض.

---

(١) انظر: مقدمة البحر المحيط، معجم الصدفي، وانظر هذا القول أيضاً في تاريخ قضاة الأندلس (ص: ١٠٩).

(٢) انظر: بغية الملتمس (ص: ٣٧٦)، الأعلام (٤/ ٥٣).

المبحث الثاني

التعريف بالكتاب

وسنتعرض في هذا القسم للمحاور التالية:

نسبة الكتاب للمؤلف وتسميته.

منهجه فيه ومصادره.

آراء العلماء فيه.

أثره في الكتب التي بعده.

ما كتب حوله.

طبعاته.

أولاً: نسبة الكتاب للمؤلف وتسميته:

درج الباحثون والمحققون على التعرُّض لاسم الكتاب والتحقق من نسبته لمؤلفه، وهو أمر خلت منه الطبعات السابقة من هذا الكتاب، لذلك أردنا أن نتوقف عنده هنا قليلاً:

أما نسبة الكتاب للمؤلف فلم أجد من تعرض لها أصلاً، لأنها أمر مسلَّم، لم نجد من شكك فيه قديماً ولا حديثاً، وقد وجدنا اسم المؤلف مثبتاً على جميع طبعات الكتاب ونسخه الخطية، كما أن الكتب التي استمدت منه أو ألفت حوله حافلة بالنقل منه، ومطابقةُ ما نَقلتْ عنه لما في هذا الكتاب تفيد العلم اليقيني أنه هو.

ويوجد مفسر آخر اسمه عبد الله بن عطية، وهو متقدم على صاحبنا بمدة طويلة، وتفسيره غير متوفر، أشار له الشوكاني وعرفه بأنه ابن عطية (المتقدّم): عبد الله بن عطية بن عبد الله بن حبيب، أبو محمد، عالم بالتفسير، مقرئ، من أهل دمشق، كان يحفظ خمسين ألف بيت للاستشهاد على معاني القرآن، له «تفسير ابن عطية» مخطوط ـ توفي سنة **٣٨٣**هـ[١].

وبعض الباحثين يصف هذا بالمتقدم ويصف عبد الحق بالمتأخر للتفريق بينهما[٢].

وأما تسمية الكتاب فمما لا شك فيه أن المصنف رحمه الله لم يضع لكتابه اسماً محدداً، وكذلك أكثر التفاسير التي استقت منه كالقرطبي وأبي حيان وابن جزي والثعالبي لم يسموه إلا: تفسير ابن عطية.

وقد أطلقت على الكتاب أربع تسميات متقاربة نتعرض لها فيما يلي حسب الأقدمية:

أولاً: «**الوجيز**» وهي التسمية الأقدم، وهي الموجودة في أكثر كتب التراجم، فقد ذكر ابن الخطيب أنه «ألّف كتابه المسمى بـ«الوجيز في التفسير» فأحسن فيه وأبدع»[٣].

ويقول المالَقي: «ألف كتابه المسمى بـ«الوجيز في التفسير»؛ فجاء من أحسن تأليف وأبدع تصنيف»[٤]، وهذه التسمية هي المثبتة على نسخة أحمد**٣**، وهي من أقدم النسخ، ومقابَلةٌ على نسخة المؤلف.

ثانياً: «**المحرر الوجيز**» وهي التسمية الأكثر شهرة وتداولاً، وهي المعتمدة في جميع طبعات الكتاب، ومثبتة على غلاف نسخة جار الله، وفي نهاية النسخة المغربية (الأصل)، وقد وردت هذه التسمية في «طبقات المفسرين» للأدنه وي، وفي «كشف الظنون»، الذي يرى الدكتور عبد الوهاب فائد أنه أول من أطلق تلك التسمية عليه،

(١) فتح القدير للشوكاني (١/ ١٢).
(٢) انظر مثلاً كشف الظنون (١/ ٤٣٩)، فتح القدير للشوكاني (١/ ١٢).
(٣) الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٤١٢).
(٤) تاريخ قضاة الأندلس (ص: ١٠٩)، وانظر: أيضاً الديباج لابن فرحون.

وأشار لذلك أيضاً ابن عاشور في كتابه «التفسير ورجاله»[(١)].

ثالثاً: «**الجامع المحرر الوجيز**»، وهي التسمية المثبتة على الجزءين الأولين من مخطوطة فيض الله، وهما أعتق النسخ التي عندنا، وكذا السليمانية.

وهذه التسميات الثلاث مأخوذة من قول المصنف في مقدمته: «وقصدت أن يكون جامعاً وجيزاً محرراً»، وإن كانت لفظة محرراً سقطت من المطبوع.

رابعا: «**الجامع المحرر الصحيح الوجيز**»، وهي التسمية التي أطلق عليه رضا كحالة في «معجم المؤلفين»[(٢)]، وقد نقلها عنه الأستاذ محمد محمود عطية بلفظ: «المحرر الصحيح الوجيز» واستغربها، فلعله لم ينتبه لكلمة «الجامع»، ولو كان نقلها عن غيره لكانت تسمية خامسة.

والخلاصة أن هذه التسميات متقاربة جدّاً وأن الخطب فيها سهل ما دامت لم يؤْثَر منها شيء عن المؤلف، وأن التسمية الأُولى كانت هي الأَولى، لولا أن الثانية أصبحت عَلماً عليه، ولو بمجرد الشهرة والغلبة.

ثانياً: منهج المؤلف فيه ومصادره:

هذا التفسير الذي نعتز بتقديمه اليوم إِلى الباحثين والدارسين والراغبين في المعرفة من أَبناءِ الناطقين بالضاد تفسير عظيم القدر جليل المنزلة.

ولقد ظل حبيساً في مخطوطاته قرابة أَلف عام إِلا قليلاً، وظل الناس يتشوقون إِليه بعد أَن عرفوه من خلال دراساتهم لكتب التفسير المختلفة، حتى شاءَ الله أَن تجتمع الهمم وأَن تتضافر الجهود ليخرج إِلى الوجود في هذا الثوب الرائع المشرق إِن شاءَ الله.

---

(١) انظر: طبقات المفسرين للأَدْنه وي (ص: ١٧٦)، كشف الظنون (١/ ٤٣٩)، منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم (ص: ٨٣)، التفسير ورجاله لابن عاشور (ص: ٦٣-٦٤).

(٢) معجم المؤلفين (٥/ ٩٣).

والحديث عن التفسير والمفسرين حديث طويل، يمكن فيه أَن نتتبع مناهج البحث وطرق العرض والتأْويل عند الكثيرين، لكن هذا يخرج بنا عن الغاية التي قصدنا إِليها في هذا التعريف، فنحن نريد أَن نوضح المنهج الذي وضعه ابن عطية لنفسه حين وجهها لهذا العمل الجليل، ونريد أَن نبين مدى التزامه بهذا المنهج طوال عمله الذي استغرق منه صفوة عمره كما يقول، وبعد ذلك نتحدث عن منزلة هذا التفسير وقيمته في مجال خدمة القرآن، وآراءِ العلماءِ والباحثين فيه، وما كان له من أَثر في المفسرين وأَصحاب علوم القرآن من بعده.

والحقيقة أَن ابن عطية قد وضع لنفسه منذ البداية منهجاً كاملاً، ورسم لها طريقاً واضح المعالم، وحاول دائماً أَن يكون ملتزماً، وأَن يسير في حدود هذا الطريق، ولم يخرج ـ فيما رأَينا ـ عن منهجه إِلا في مواقف نادرة، وهي ـ لندرتها ـ لا تعتبر إِخلالاً منه بمنهجه، ولكنها طبيعة البحث الذي يمتد مع صاحبه سنوات طويلة، تتغير فيها الظروف والملابسات، وربما حمل الباحث على الخروج بعض الشيءِ عن الخطوط التي رسمها لنفسه، وهذا أَمر مقبول في عصرٍ كان البحث العلمي فيه يعتمد على مجرد جهد فردي، وذاكرة واعية، وحافظة لاقطة، وكان التدوين يستند إِلى قدرة فردية ناضجة، ولكنها مهما كانت ليست كافية لتحديد المعالم، والتزام المنهج.

ونحن اليوم نعتمد على أُصول ومدونات ومخطوطات مصورة، وموسوعات إلكترونية، ومواقع علمية، ومراجع لا حصر لها، وأَشرطة وأَفلام مسجلة، نعتمد على ذلك وعلى أَكثر منه عند القيام بالبحوث العلمية، ويضاف إِليه تعاون ومشاركة بين كثير من الجهود، ومع ذلك يَنِدُّ بنا القلم أَحياناً أَو يضل، ويعزب عن الفكر ما هو في حاجة إِليه من التدقيق، فما بالنا بهؤلاءِ العلماءِ الذين اعتمدوا على أَنفسهم، وعلى بعض مخطوطات من الكتب القليلة؟ الحق أَن جهودهم تستحق كل تقدير وإِعجاب.

وميزة ابن عطية لا تقف عند وضع منهج كامل أَو تخطيط دقيق لعمله عندما أَقبل على تفسير القرآن الكريم، بل ميزته في أَنه إِلى جانب ذلك كان رائداً في هذا المجال،

رسم للمفسرين من بعده طريقة مثلى، ووضع لهم خطة منهجية دقيقة، وجعل من التفسير عِلْماً يستند إِلى قواعد ومبادئ قائمة على الدقة والاستقصاءِ والترتيب وحسن العرض[١].

أسس المنهج:

ونحن لا نتكلف حين نحاول توضيح منهج ابن عطية في تفسيره؛ لأَن الرجل حدثنا بنفسه عن منهجه هذا في مقدمة تفسيره، وهذه هي أَهم الخطوط والأُسس التي رأَينا أَن نشير إِليها في هذا المجال:

أولاً: بدأَ بالاستعداد لهذا العمل الكبير، فهو يرى أَنه يجب على كل من يريد أن يدخل ميدان التفسير أَن يأْخذ من العلوم كلها، وأَن يُعد نفسه إِعداداً علميّاً كاملاً، حتى يكون أَهلاً لهذه المهمة الجليلة، لأَنها فوق طاقة الإِنسان العادي، يقول: «إِني لما رأَيت العلوم فنوناً، وحديث المعارف شجوناً، وسلكت فإِذا هي أَودية، وفي كلٍّ للسلف مقاماتٌ حسان وأَندية، رأَيت أَن الوجه لمن تشزَّن للتحصيل وعزم على الوصول أَن يأْخذ من كل علم طرفاً خياراً»، ثم يقول: إِنه حرم نفسه النوم والراحة، حتى يرتقي هذا النجد، ويبلغ هذا المجد، ثم جرى في هذا المضمار حتى تصبب عرقاً، وحاز من العلوم ما قسم له.

فقضيته الأُولى هي كثرة المعارف، ولهذا توزع الناس فنال كل واحد نصيباً، وعلى الباحث أَن يأْخذ من كل طرف بمقدار، وقد أَنفق هو صدر عمره في ذلك حتى وصل إِلى ما يريد، وكانت هذه هي الخطوة الأُولى.

أَما خطوته الثانية فكانت اختيار علم واحد من علوم الشرع، يستنفد فيه كل طاقاته، ويُحَصِّل فيه كل ما يستطيع، حتى يضبط أُصوله، ويُحكم فصوله، ويلخص ما هو منه أَو يَؤول إِليه، ويفي بدفع الاعتراضات عليه، وحتى يكون لأَهل ذلك العلم كالحصن المشيد، والذخر العتيد، يستندون فيه إِلى أَقواله، ويحتذون على مثاله.

---

(١) من مقدمة الطبعة الثانية.

وقد رأَى أَن يختار علم كتاب الله، لأَنه «هو العلم الذي جعل للشرع قواماً، واستعمل سائر المعارف خداماً، وهو عنصرها النمير، وسراجها الوهاج، وقمرها المنير».

وهكذا، استعد ابن عطية لعمله، وتزود من العلوم كلها بزاد، ثم تفرغ لعلم واحد منها هو تفسير كتاب الله، وتفرغ له طول عمره، قائلاً: «فثنيتُ إِليه عنان النظر، وأَقطعتُه جانب الفِكَر، وجعلتُه فائدة العمر».

لكنه حين مضى في الشوط طويلاً، رأَى أَن ما فيه من معارف ونكت وفوائد تغلب قوة حفظه، وأَنه عاجز عن أَن يحتفظ بها في ذهنه، ففرغ إِلى كتابة ما يصطفيه من الآراءِ ويختاره[١].

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى أنه اعتمد على كثير من المصادر في أهم العلوم التي رأى أَن تكون موضع اهتمامه وعنايته في تفسيره، ومنها:

تفسير الإِمام أَبي جعفر محمد بن جرير الطبري المسمى: جامع البيان في تفسير القرآن.

تفسير أَبي بكر محمد بن الحسن النقاش المسمى: شفاء الصدور.

تفسير أَبي العباس أَحمد بن عمار المهدوي المسمى: بالتحصيل.

تفسير أَبي محمد مكي بن أَبي طالب، وهو المسمى بالهداية.

ومن كتب القراءات:

السبعة لابن مجاهد.

كتاب أبي حاتم وهو ما زال مفقوداً.

كتاب أَبي عمرو الداني في الشواذ، ولعله المسمى بالمحتوى وهو ما زال مفقوداً.

كتاب الحجة لأَبي علي الفارسي.

كتاب المحتسب لأبي الفتح بن جني.

---

(١) من مقدمة الطبعة الثانية.

ومن كتب اللغة والنحو: مؤلفات الخليل بن أَحمد، وسيبويه، وأَبي عبيدة معمر بن المثنى، وأَبي علي الفارسي، والفراءِ، والزجاج، والمبرد، وثعلب، والنحاس، وأبي الفرج الأصفهاني، والجاحظ، وابن السكيت، وابن فارس، وابن سيده.

وإِلى جانب ذلك اعتمد على كتب كثيرة في الحديث، مثل صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود والترمذي والنسائي، ومصنف عبد الرزاق ومسند عبد ابن حميد وغيرهم.

وفي الفقه: اعتمد على الموطأ للإِمام مالك بن أَنس، وعلى غيره من كتب فقه المالكية، كالمدونة، والعتبية، والمختصر لابن عبد الحكم، والواضحة لابن حبيب، والتفريع لابن الجلَّاب، وبعض كتب الخلاف العالي كمؤلفات ابن المنذر وابن عبد البر، وكتاب اللطيف للطبري.

وفي التوحيد: رجع إِلى كتب القاضي أَبي بكر الباقلاني، وكتب الأَشعري والجويني.

وهكذا رجع ابن عطية في كل علم إِلى أَهم مصادره الأَصيلة، على أَن اعتماده على هذه الكتب لم يكن اعتماد الناقل فقط، وإِنما كان يذكر آراءَ المؤلفين والعلماءِ، وينسب الرأْي لصاحبه في أَكثر الأَحيان، وقد يذكر الرأْي ولا ينسبه في بعض الأَحيان، ثم يناقش الآراءَ إِذا لم يكن موافقاً عليها، ويُثْبِتُ ما يراه فيها من قوة وصحة، أَو من ضعف وشذوذ. فشخصيته واضحة في كل ما نقله أَو علق عليه.

ثانياً: الأَساس الثاني في منهج ابن عطية، أَنه جعل من تفسيره كتاباً «جامعاً لكل العلوم» وقد أَراد بهذا أَن يجعل التفسير في المقام الأَول بين علوم العربية، فهو ليس علماً مثل غيره، بل هو قمتها، وفيه كل ما فيها.

ففيه ـ إِلى جانب المعاني ـ اللغةُ والنحو، والقراءَات والفقه، والأَحاديث وعلم الكلام، وكأَنما كان يهدف إِلى «التفسير الجامع»، مع الدقة والتركيز، فإذا كان بعض

المفسرين قد اهتموا باللغة، وبعضهم قد اهتم بالأَحكام، وبعض ثالث قد أَكثر من مسائل الفلسفة وعلوم الكلام، إِلى غير هذا من الاتجاهات؛ فإِن ابن عطية قد جمع كل ذلك في تفسيره.

ولقد تنبه لهذه الحقيقة صاحب كشف الظنون حين تحدث عن المفسرين قبل ابن عطية فقال: ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في شيء من العلوم، ومنهم من ملأَ كتابه بما غلب عليه طبعه من الفن، ويضرب الأَمثلة لذلك حين يقول:

فالنحوي تراه ليس له إلا الإعراب، وتكثير الأَوجه المحتملة فيه وإن كانت بعيدة، وينقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته، كالزجَّاج والواحدي في البسيط، وأَبي حيان في البحر والنهر.

والإخباري ليس له شغل إلا القصص، والإخبار عمن سلف، سواء كانت صحيحة أَو باطلة.

والفقيه يكاد يسرد الفقه جميعاً، وربما استطرد إلى إقامة أَدلة الفروع الفقهية التي لا تَعَلُّق لها بالآية أَصلاً، والجواب عن الأَدلة للمخالفين كالقرطبي.

وصاحب العلوم العقلية ـ خصوصاً الإمام الرازي ـ قد ملأَ تفسيره بأَقوال الحكماء والفلاسفة[1].

وهو ينتقد هؤلاء جميعاً، قائلاً: كأَن القرآن أُنزل لأَجل هذا العلم لا غير، مع أَن فيه تبيان كل شيء.

ولم يكن صاحب كشف الظنون وحده هو الذي تنبه إلى ذلك في أَساليب المفسرين، لكنه كان أوضح من غيره في ذكر ما أَراد، وهذه الحقيقة يراها كل من له صلة بعلم التفسير.

وفضلاً عما ذكره من أَن في القرآن تبيان كل شيءٍ، فإن الباحث عن تأْويل آية

(١) كشف الظنون (١/ ٢٢٨).

يحتاج إلى أَن يرجع إلى أَكثر من تفسير حتى يستطيع أَن يعرف الحقائق كلها من قراءَات ولغة وحكم وفقه... إلخ.

من هذا تتضح لنا القيمة الكبرى لمنهج ابن عطية، الذي جمع في تفسيره كل شيءٍ، دون أَن يطغى جانب على جانب، ودون أَن يُطيل إطالة مملة، وبهذا أَجاد وأَفاد.

ثالثاً: رأى ابن عطية أَن يسقط القصص التي ملأَت كتب المفسرين قبله. وهذه نقطة جديرة بالنظر والتقدير، فلقد امتلأَت كتب التفسير بأَقاصيص لا سند لها، ولا داعي إليها؛ لأَن فهم الآيات لا يتوقف عليها. والقضية هنا قضية كبيرة، هي قضية الإسرائيليات التي تعتمد على الأَساطير المتناقضة والخرافات الزائفة، والتي تسربت إلى كتب التفسير لأَسباب شتى، ليس هنا مجال الحديث عنها.

وابن عطية صاحب فضل كبير في هذه القضية؛ لأَنه أعرض عن ذكر أكثر هذه القصص، بل لقد عاب على المفسرين قبله عنايتهم بها، وبخاصة ابن جرير الطبري، وإذا ذكر ابن عطية واحدة من هذه القصص فإنه يرويها بصيغة التضعيف، أَو يقول: ومن قصص هذه الآيات. وقد يُظهر ما فيها من زيف، وهو عادة لا يذكرها إلا عند الضرورة، إذ قد تحتاج الآية إليها في نظره، وكثيراً ما تراه يقول: «وهناك قصص أُخرى أَعرضتُ عن ذكرها لضعفها»، وقد وَضَّحَ هو مذهبه في هذا فقال: «وأذكر من القصص ما لا تَنْفَكُّ الآية إلا به»، والأَمثلة على ذلك كثيرة ستجدها في التفسير متكررة بصورة تدل على نفور الرجل من الإسرائيليات في وقت كانت فيه مسيطرة على فكر المفسرين.

وقد عرف العلماءُ لابن عطية هذا الفضل وقدروه حق قدره، وأَولهم العلامة ابن خلدون، قال في نهاية حديث له عن الإسرائيليات: «وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملؤوا كتب التفسير بهذه المنقولات، وأصلها ـ كما قلناه ـ عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلا أنهم بَعُدَ صيتهم وعظمت أقدارهم؛ لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة، فتُلُقيت بالقبول،

فلما رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص، وجاءَ أَبو محمد بن عطية من المتأَخرين بالمغرب، فلخَّص تلك التفاسير كلها، وتحرى ما هو أَقرب إلى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب مُتَداول بين أَهل المغرب والأَندلس، حسن المنحى»[١].

فابن عطية ـ بهذا ـ باحث علمي بمعنى الكلمة، يحقق ويدقق، ويختار صحيح الروايات، ويترك ضعيف الأَسانيد البعيدة عن العقل والدين، وعمله في زمنه عمل جدير بكل الإعجاب والتقدير.

رابعاً: يتَّصل بما سبق من ميله إلى الدقة والتحقيق أَنه كان يقف من آراءِ العلماء في المعاني موقف الناقد، فهو لا يثبت من أَقوالهم هذه إلا ما نُسب إليهم على الأُصول التي تَلَقَّى بها السلف الصالح كتاب الله تعالى، وهي أَصول بريئة من إلحاد أَهل القول بالرموز، نقية من كلام أَهل القول بعلم الباطن، قال: «وأَثبتُّ أَقوال العلماء في المعاني منسوبة إليهم على ما تَلَقَّى السلف الصالح ـ رضوانُ الله عليهم ـ كتاب الله تعالى من مقاصده العربية، السليمة من إلحاد أَهل القول بالرموز واللغز، وأَهل القول بعلم الباطن، وغيرهم، فمتى وقع لأَحد من العلماء الذين قد حازوا حسن الظن بهم لفظ ينحو إلى شيءٍ من أَغراض الملحدين، نَبَّهتُ عليه».

وهذا خير ما يمكن أَن يَصْنعه باحث في كتابه، بل هو من أَهم صور التحقيق والتمحيص العلمي، وكم رأَينا علماءَ أَجلاءَ يُفسرون كتاب الله، ولا يتورعون عن نقل كل كلام يعرض لهم دون تمحيص أَو تحقيق، أَما ابن عطية، فمبدؤه الأَول أَن ينقل الآراءَ ـ حين ينقل ـ منسوبة إلى العلماء على الأصول السليمة، إيماناً منه بأَن كتاب الله لا بد أَن يبقى في معانيه صافياً نقيّاً.

ويزيد من دقته وأَمانته حين يقول: إنه إذا وقع له رأي منسوب إلى واحد من العلماء الذين يُحسن الظنَّ بهم، أَو ثبتت ثقته بهم، وليس عليهم مطعن في عقيدة،

(١) تاريخ ابن خلدون (١/ ٥٥٥).

وكان في هذا الرأْي شيءٌ من أَغراض الملحدين، ذكره ونَبَّه عليه، فهي الأَمانة العلمية الكاملة، وضعها ابن عطية هدفاً ثابتاً له، والتزمه في تفسيره.

إننا حين نريد أَن نعرف رأْي ابن عطية في إخراج أَلفاظ القرآن عن ظاهرها، والالتجاء إلى الرموز والمعنى الباطني؛ يحسن أَن نرجع إلى عبارته، لنراه يصف هذا العمل بأَنه إلحاد، والقرآن عنده كتاب بيان واضح، فليس فيه رموز ولا باطن، الأَلفاظ فيه على المعنى الظاهر، إذ الهدى والإِرشاد لا يُبْنَيَانِ على إلغاز وإبهام، وإنما لجأ إلى هذا من يقصدون إلى أهداف بعيدة قد تضر بالدين، بل هي في الحقيقة تعمل على هدم العقيدة الإسلامية التي امتازت بما فيها من وضوح وصدق، والتقاءٍ مع الفطرة، ويكفي أَن من أسماءِ القرآن الكريم «الفرقان» لأَنه يفرق بين الحق والباطل، وهذه التفرقة لا تأتي مع اللبس والإلغاز والإبهام.

خامساً: ثم يأْتي الأَساس الذي يُعد صُلب المنهج وجوهره، وقد حدده في قوله: وسردت التفسير في هذا التعليق بحسب رتبة أَلفاظ الآية، من: حكم، أَو نحو، أَو لغة، أَو معنى، أَو قراءة.

وفي هذا الأَساس عدة نقاط تحتاج إلى توضيح وبيان:

١ ـ إنه عندما يتعرض لتفسير آيات الكتاب الكريم، يذكر كل ما يتعلق بالألفاظ على حسب ترتيبها، ولا ينتقل من أَمر إلى غيره إلا بعد أن يستقصي ما فيه من آراءٍ، ويذكر رأْيه إِن شاءَ، فهو حريص كل الحرص على أَن يسير مع الألفاظ بالترتيب الذي وردت به في الآيات، حتى لا يقع فيما وقع فيه غيره من المفسرين الذين لا يتتبعون الأَلفاظ، بل يتنقلون بينها بدون ترتيب، فإن هذا في نظره: «مُفَرِّق للنظر، مُشَعِّبٌ للفِكر».

٢ ـ ومن هذا يتضح أَنه كان صاحب قدرة على التنظيم والتنسيق وحسن العرض، فهو لا يخلط بين نقاط البحث، بل تراه ينشط للقول في المعنى، حتى إذا انتهى مما يريد، ووفَّى النقطة حقها من البحث، انتقل إلى الإعراب، فإذا ما فرغ منه تكلم عن

القراءَات، ولا نقول: إنه يلتزم الترتيب الذي ذكرناه، بل نقول: إنه كان يراعي الترتيب والتنسيق، فلا تجد في كلامه اضطراباً، بل هو النظام، وحسن العرض، وتوفية كل نقطة حقها قبل الانتقال إلى غيرها، مما نراه نادراً في كلام المؤلفين في عصره.

٣ ـ قلنا: إنه جمع بين مختلف الفنون والعلوم، ولكنه ميَّز بين هذه العلوم، فلم يعطها قدراً واحداً من العناية، بل نراه قد عُني بالنحو واللغة أَشد العناية، وأَصبح تفسيره بهذا حجة في هذا الميدان. والحق أَن أَهم الأَركان التي يجب أَن تنال عناية المفسرين هي اللغة العربية بما فيها من إعراب للكلمات، وبيان لمواقعها، وتوضيح للاتصال بينها، وتصريف للمشتقات منها، وكل من قصد إلى تفسير القرآن بغير هذا السلاح، فهو بعيد عن التحقيق والدقة والفهم السليم.

ولهذا ترى ابن عطية يخصص في مقدمته باباً عنوانه: «باب في فضل تفسير القرآن، والكلام على لغته، والنظر في إعرابه ودقائق معانيه»، وقال في هذا الباب: «إعراب القرآن أَصل في الشريعة، لأَن بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع»، وهو يؤكد أَن الإعراب هو الفهم الدقيق، ويَرْوي في ذلك الأَحاديث والآثار، ومن ذلك ما رواه من قوله ﷺ: «أَعربوا القرآن، والتمسوا غرائبه، فإن الله يحب أَن يُعرب»[1]، وابن عطية يرى أَن الصلة وثيقة بين الفهم للقرآن، وبين الإدراك الصحيح لأَشعار العرب، ولهذا يروي كثيراً جدّاً من الشواهد العربية ليدلل بها على فهمه للمعاني، وعلى إعرابه للمفردات، وعلى بيان ما يرى من اشتقاق وتصريف، ويَروي عن ابن عباس أَن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: أَيُّ علم القرآن أفضل؟ فقال النبي عليه السلام: «عربيته، فالتمسوها في الشعر».

وقد أَجاد ابن عطية في هذا الميدان، ودلل على باع طويل في العربية، وأَمامك التفسير وستجد فيه من العناية بالنحو ووجوه الإعراب ما يؤكد كلامنا.

(١) سيأتي تخريج هذا الحديث والحديث الذي بعده في موضعهما من الكتاب إن شاء الله مع بيان ما فيهما من ضعف واختلاف في الروايات.

غير أننا نلاحظ هنا أنه دائماً يُفَضلُ آراءَ سيبويه، فتراه بعد أَن يعرض الآراءَ يقول: «والصحيح قول سيبويه»[١].

٤ ـ والنقطة الرابعة: أَنه يهتم جدّاً بذكر القراءات، ويورد منها الصحيح والشاذ، وقد كان ابن عطية واضحاً جدّاً في هذا المجال حين قال في مقدمته: «وقصدت إيراد جميع القراءات، مستعملها وشاذها، واعتمدت تبيين المعاني، وجميع محتملات الأَلفاظ».

فهو يذكر القراءَات الصحيحة، ويذكر القراءَات الشاذة، لكنه دائماً ينبه على شذوذها، ولقد زاد من توضيح الأَمر حين بَيَّنَ الفرق بين القراءَة الصحيحة والقراءَة الشاذة بقوله: «ومضت الأَعصار والأَمصار على قراءَة السبعة، وبها يُصَلَّى، لأَنها ثبتت بالإجماع، وأَما شاذُّ القراءَات فلا يُصلَّى به، لأَنه لم يُجْمِع الناس عليه».

فالفرق عنده هو الإجماع وعدمه.

ثم يبين لنا السبب في روايته للقراءَة الشاذة فيقول: وإنما أَذكره في هذا الكتاب لئلا يُجْهَل.

والمهم أَنه لم يقف عند حدود الإِشارة إلى القراءَة الشاذة أَو تضعيفها، بل نراه في كثير من الأَحيان يعلل وينقد، ويستند في رده لها إلى قواعد اللغة، أَو قواعد النحو، غير مُكْتَفٍ بعدم الإجماع، والأَمثلة على ذلك كثيرة، وستراها في الكتاب، فلا حاجة إلى التمثيل هنا.

٥ ـ النقطة الخامسة هي مذهبه الفقهي، وابن عطية كان مالكي المذهب، ولكنه كان غير متعصب لمذهبه، بل كان يتحرى الحقيقة، ويخضع للدليل عند ذكر الأحكام الفقهية، وهو يتعرض لذكر الخلاف القائم بين أَئمة المذاهب في المسأَلة، ويذكر أحياناً آراءَ أَبي حنيفة والشافعي، ويَردُّ الرأْي الذي لا يرتضي حجته، أَو لا يقبل دليله، وبخاصة

---

(١) انظر تفسير الآية (١٠٠) من سورة البقرة.

مذهب داود الظاهري الذي ساد في الأَندلس فترة من الزمن، ومع هذا فابن عطية لا يُكثر من ذكر الأحكام الفقهية، ولا يناقشها إلا في مواقف قليلة.

٦ ـ الأساس السادس في منهج ابن عطية هو وضوح شخصيته في تفسيره، ولقد كان له أثر بارز، وله رأيه الذي يثبته بوضوح وقوة.

نعم هو ينقل آراءَ السابقين، ويعتمد على المأْثور في التفسير، وأَول الآثار التي ينقلها هي: الأَحاديث النبوية، ثم أقوال الصحابة والتابعين، وكبار العلماء المعروفين، كعلي بن أبي طالب، وابن عباس، وعبد الله بن مسعود، وأُبي بن كعب، وسعيد بن جبير، والضحاك، وعكرمة، وقتادة، وأَبي العالية، والسدّي، والحسن بن أَبي الحسن، ومجاهد بن جبر، وغيرهم، لكنه لا يذكر الأَسانيد، قصداً إلى عدم الإطالة، تحقيقاً لمبدئه في «محرره الوجيز»، وإذا كثرت الآراءُ اختار ورجَّح.

وكان دائماً يقف عند الأَحاديث وكلِّ ما يُنقَل عن الرسول ﷺ، فلا يأْخذ برأي مع قول رسول ﷺ، وهناك عبارة تكررت منه كثيراً لا بد من التنبيه عليها، وهي أنه «لا نظر مع الحديث»، فنجده مثلاً بعد تفسيره للبيت العتيق بأنه القديم، وأن هذا ما يعضده النظر، يورد «عن ابن الزبير أنه قال: سُمِّي عتيقاً لأَن الله تعالى أَعتقه من الجبابرة بمنعه إِياه منهم، وأنه روى في هذا حديثاً عن النبي ﷺ، «ولا نظر مع الحديث»[1]، ويقول عند ذكر القولين في أول مسجد أسس على التقوى: «ويليق القول الأول بالقصة، إلا أن القول الثاني روي عن رسول الله ﷺ، ولا نظر مع الحديث»[2].

ويظهر أنه كان ينقل هذه الأَحاديث الشريفة عن كتب التفسير السابقة، ولهذا نراه في بعض المواقف ينقل أَحاديث ضعيفة، أَو موضوعة، دون تحقيق منه أَو تعليق عليها.

---

(١) انظر تفسير الآية (**٢٩**) من سورة الحج.

(٢) انظر تفسير الآية (١٠٨) من سورة التوبة.

لكن هذا كله لم يقلل من دوره في الكتاب، فهو واضح الشخصية كما قلنا، وهو يبدي رأْيه في كثير من المواقف معتمداً على جهده: «كل ذلك بحسب جهدي، وما انتهى إليه علمي»، وجهده وعلمه في الاختيار أَو الترجيح أَو التوفيق بين الآراءِ المختلفة، يظهران في اعتماده على اللغة، أَو المنطق والعقل، أَو الأَحاديث النبوية كما قلنا.

ثم يظهر علمه وجهده في الرأْي الجديد الذي يخرج به مخالفاً للمفسرين قبله، وأَكثر آرائه الجديدة لها وجاهتها ودقتها ووقعها في النفوس والعقول، وسترى ذلك في مواضع كثيرة من هذا التفسير العظيم.

وابن عطية يميل إلى تضييق مجال المجاز في القرآن، ويحرص على التزام الحقيقة، وكل لفظة يمكن حملها على الحقيقة لا داعي عنده إلى إخراجها عن ذلك إلى ميدان التجوُّز.

كذلك نلاحظ أَنه قليل الميل إلى سرد آراءِ الفلاسفة والحكماءِ، وإنما يأْخذ منها بطرف، وعندما ينقل عن علماء الكلام فإنه يكون واضحاً محدداً، لا ينقل الآراءَ بأسلوب يخل بجوهرها، بل يحرص على الاحتفاظ بالصورة الأَصلية للرأْي، ويقدمها في دقة.

وكان واضح الالتزام بمذهب أَهل السنة، لكنه ـ في بعض الأَحيان ـ كان يذكر رأْي غيرهم، أَو على الأَقل يضع الرأْي المخالف موضع التقدير، ولقد قيل عنه: إنه يميل إلى المعتزلة، ويأْخذ بآرائهم، وهذا قول مردود، ناقشناه في موضعه من هذا التقديم، وبينَّا رأْينا فيه.

٧ـ لعله من الملائم هنا أَن نثبت حقيقة وضحت لنا في أَثناء عملنا بهذا التفسير، وهي أَن ابن عطية عندما يتعرض لنقطة لا يتركها حتى يوفيها حقها من البحث والاستقصاء، ومهما كان البحث الذي يتعرض له فهو دائماً عالم مطَّلع ملمٌّ بالآراءِ المختلفة.

وكان كلما ذكر نحواً من هذه الأَنحاء استشهد عليه من كتاب الله تعالى، ومن كلام الرسول ﷺ، ومن أَشعار العرب وآثارهم، وكثيراً ما ساق على المعنى الواحد أكثر من شاهد، وعلَّق على الشواهد، وأَبان عن موضع الاستشهاد، وكثيراً ما ينسب الأَشعار والآثار لأَصحابها، مع حرص على التنسيق والتتابع.

وبعد ذلك كله تراه يختار المعنى المناسب، ويدلل على اختياره، فهو يذكر احتمالات اللفظ في اللغة، ويدلل على كل احتمال، ويستشهد له في استقصاء يدل على تبحر في العلم، وعلى اطلاع واسع، حتى لربما ظن بعض القارئين لتفسيره أَنه يحاول أَن يثبت قدراته في مجالات العلوم المختلفة، فهو نوع من استعراض العضلات، إن صح هذا التعبير عن رجل يتعرض لعمل عظيم هو تفسير كتاب الله تعالى.

غير أَن الإنصاف يقتضي أَن ننفي هذا الظن، وأَن نقول: إن الرجل يعطي القارئ فوائد في العلوم المختلفة، وإن الطريق لم يضل به أبداً.

لقد كان ابن عطية دائماً مفهوماً، محدد الخطوات، واضح العبارات، جامعاً كل قول إلى رفيقه، فاصلاً بين الآراءِ بما يوضح حدود كل رأْي، وحسبك منه هذا إلى جانب علمه، لتعترف له بما هو جدير به من العلم والدقة والتنسيق والاستقصاء في البحث.

وابن عطية يميل إلى تفسير القرآن بالقرآن، أَو على الأَقل يختار الرأْي الذي يؤيده القرآن، فيدلل على اختياره بكتاب الله تعالى، ويَقرن الدليل بالدليل، ويُتْبع الحجة بحجة أخرى. ولذلك أمثلة كثيرة تتضح في مواضعها.

٨ ـ ومما يذكر لابن عطية أَنه كان يفسر آيات الجهاد تفسير البطل الذي خبر الحروب وذاق قسوة المعارك، وقد عرفنا من حياته أَنه واحد من العلماء المجاهدين، جمع بين فضيلتي الجهاد بالقلم، والجهاد بالسيف في الميدان[١].

(١) تم تلخيص هذا الفصل من مقدمة الطبعة الثانية، مع تعديلات بسيطة وذكر المصادر.

ثالثاً: آراء العلماء فيه:

يرى كثير من العلماء أَن تفسير ابن عطية فريد بين التفاسير المختلفة، فلذلك أَقروا بفضله، واعترفوا بعلمه، مع أن هؤلاء العلماء يمثلون مذاهب مختلفة، وعقليات متباينة، والحق دائماً واضح منير.

وهذه بعض الآراء ننقلها لك عن أصحابها حتى تتأكد من صحة ما ذهبنا إليه:

فقد أَثنى عليه أبو حيان وقال: «هو أَجلُّ مَن صنف في علم التفسير، وأَفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير»، ثم قارن بينه وبين الكشاف للزمخشري فقال: «وكتاب ابن عطية أنقل وأَجمع وأَخلص، وكتاب الزمخشري أَلخص وأَغوص»[١].

ومن العجيب أَنك حين ترجع إلى تفسير أبي حيان تجده دائماً يتتبع أقوال ابن عطية في الإعراب واللغة، ويعلق عليها بالنقد، لكنه ـ مع ذلك ـ لم يقل إلا الحق الذي يمليه عليه ضميره، والذي حمله على استخدام كلمتي: «أَجلُّ ـ وأَفضل».

وقال صاحب بغية الملتمس بعد أن ذكر اسمه ونسبه: «أَلَّفَ في التفسير كتاباً ضخماً، أربى فيه على كل متقدم، أخبرني به عنه شيخي القاضي أبو القاسم عبد الرحمن ابن محمد، قرأ عليه جميعه بالمَرِيَّة»[٢].

وقال ابن خلدون في مقدمته: «وجاء أبو محمد عبد الحق بن عطية من المتأخرين بالمغرب، فلخص تلك التفاسير كلها، وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأَندلس، حسن المنحى»[٣].

ويعقد ابن تَيْمية رحمه الله مقارنة بين تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشري في فتاويه

---

(١) مقدمة تفسير البحر المحيط.

(٢) بغية الملتمس (ص: ٣٧٦).

(٣) تاريخ ابن خلدون (١/ ٥٥٥).

فيقول: «وتفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري، وأَصح نقلاً، وبحثاً، وأَبعد عن البدع، وإِن اشتمل على بعضها، بل هو خير منه بكثير، بل لعله أَرجح هذه التفاسير»[١].

ويقول عنه السيوطي: «وألف تفسير القرآن العظيم، وهو أصدق شاهد له بإمامته في العربية وغيرها»[٢].

ويقول المالقي: «ألف كتابه المسمى بالوجيز في التفسير؛ فجاء من أحسن تأليف وأبدع تصنيف، ذكره الأستاذ أبو جعفر بن الزبير في كتابه، وأثنى عليه»[٣].

ويقول ابن فرحون: «ألف كتابه المسمى بالوجيز في التفسير وأحسن فيه وأبدع وطار بحسن نيته كل مطار»[٤].

ويقول ابن شاكر: «ولو لم يكن له إلا التفسير لكفى»[٥].

ويقول ابن جزيٍّ: «أما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التآليف وأعدلها، فإنه اطلع على تآليف من كان قبله فهذبها ولخصها، وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدّد النظر، محافظ على السنة»[٦].

ويقول الدكتور الذهبي: «والحق أن ابن عطية أحسن في هذا التفسير وأبدع، حتى طار صيته كل مطار، وصار أصدق شاهد لمؤلفه بإمامته في العربية وغيرها من النواحي العلمية المختلفة، ومع هذه الشهرة الواسعة لهذا الكتاب فإنه لا يزال مخطوطاً إلى اليوم، وهو يقع في عشر مجلدات كبار، ويوجد منه في دار الكتب المصرية أربعة أجزاء فقط: الجزء الثالث، والخامس، والثامن، والعاشر. وقد رجعتُ إلى هذه الأجزاء

---

(١) فتاوى ابن تيمية (٢/ ١٩٤).
(٢) بغية الوعاة (٢/ ٧٣).
(٣) تاريخ قضاة الأندلس (ص: ١٠٩).
(٤) الديباج المذهب (ص: ١٧٥).
(٥) فوات الوفيات (٢/ ٢٥٦).
(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٢٠).

وقرأتُ منها ما شاء الله أن أقرأ، فوجدتُ المؤلف يذكر الآية ثم يفسِّرها بعبارة عذبة سهلة، ويورد من التفسير المأثور ويختار منه في غير إكثار، وينقل عن ابن جرير الطبري كثيراً، ويناقش المنقول عنه أحياناً، كما يناقش ما ينقله عن غير ابن جرير ويرد عليه. وهو كثير الاستشهاد بالشعر العربي، مَعْنِيٌّ بالشواهد الأدبية للعبارات، كما أنه يحتكم إلى اللغة العربية عندما يُوجه بعض المعاني، وهو كثير الاهتمام بالصناعة النحوية، كما أنه يتعرض كثيراً للقراءات ويُنزل عليها المعاني المختلفة»[1].

رابعاً: أثره في الكتب التي بعده.

تأَثر بتفسير ابن عطية الكثير من العلماء، وانطلقوا منه كمصدر لهم بين مختصِر ومعتمد عليه، ومقارن بينه وبين غيره، نذكر منهم:

أ ـ أَبو عبد الله محمد بن أَحمد الأَنصاري القرطبي المتوفى سنة (٦٧١هـ). فقد ظهر تأَثره بابن عطية واضحاً في كتابه: الجامع لأَحكام القرآن، فالمتتبع لهذا التفسير الجليل يرى أَنه يكاد يسير في خط ابن عطية، بمعنى أَنه التزم نفس المنهج الذي وضع أُسسه ابن عطية، بل قد ينقل عبارة ابن عطية بلفظها.

قال الإمام ابن خلدون رحمه الله في المقدمة: وقد تتبع القرطبي في تفسيره ابن عطية، وسار على منهجه وطريقته.

والقرطبي نفسه يضع لنفسه خطوطاً في مقدمة تفسيره ترينا أَنه سلك طريق ابن عطية، ولم نجد اختلافاً بين الرجلين إلا في عناية القرطبي بتخريج الأَحاديث النبوية، وتفصيل الأحكام الفقهية، لكنه إلى جانب هذه الميزة أَكثر من الإسرائيليات على عكس ابن عطية.

ب ـ أَبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي المتوفى سنة (٧٤٥هـ) فقد تأثر كثيراً

---

(١) التفسير والمفسرون (١/ ١٧٢).

بابن عطية في تفسيره المسمى البحر المحيط، وأَبو حيان يعترف في مقدمة تفسيره بأَنه اعتمد على إمامين كبيرين من أَئمة التفسير، هما الزمخشري وابن عطية، وقال عنهما: «إنهما أَجل من صنف في علم التفسير، وأَفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير». والمنهج الذي سلكه أبو حيان يكاد يشابه منهج ابن عطية، ولكنه عني عناية كبيرة بنقل آراءِ ابن عطية والتعقيب عليها، فلا تكاد تمر مسألة في اللغة والنحو أَو في القراءَات إلا وينقل رأْي ابن عطية فيها، لكنه يتتبعه في أَكثر النقاط بالتعليق وبالنقد، وله في ذلك نكات لطيفة، ونظرات صائبة، لكنه في بعض الأحيان يكون متجنياً، ويبدو وكأَن جُل همه هو إظهار نواحي الخطأ في كلام ابن عطية، ولم نر لإثقال حواشي الكتاب بذكر ذلك فائدة.

ج ـ الشيخ العارف بالله أَبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري المتوفى سنة (٨٧٥هـ). فقد اختصر تفسير ابن عطية في كتاب له سماه: «الجواهر الحسان في تفسير القرآن»، وهذا واضح صريح في كتابه هذا، في المقدمة، وفي الخاتمة.

قال في المقدمة: فإني قد جمعت لنفسي ولك في هذا المختصر ما أرجو أَن يُقِرَّ الله به عيني وعينك، فقد ضمَّنْتُه ـ بحمد الله ـ المهمَّ مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية، وزدته فوائد جمة من غيره من كتب الأئمة، وثقات أعلام هذه الأُمة.

ثم قال في الخاتمة: وقد استوعبت بحمد الله مهمات ابن عطية، وأَسقطت كثيراً من التكرار، وما كان من الشواذ في غاية الوهي، وزدت من غيره جواهر ونفائس لا يستغنى عنها.

وهذا الكلام يوضح نقطتين:

الأولى: أَن الثعالبي اعتمد كثيراً على تفسير ابن عطية.

الثانية: أَنه زاد عليه بالتعليق، ونقل آراءَ أُخرى لأئمة العلماء في مختلف العلوم والفنون. لكن الرجل كان منصفاً إذ دافع عن ابن عطية في كثير من الآراءِ.

وقد صرح بذلك كله الشيخ أَحمد بابا السوداني في «نيل الابتهاج» في ترجمة الثعالبي نقلاً عن شيخه السخاوي وغيره.

د ـ ولقد عني بعض العلماء بجمع آراءِ أبي حيان التي عقب فيها على أقوال ابن عطية والزمخشري في كتب خاصة، ومن أشهرها كتاب: المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري»، ليحيى بن محمد الشاوي الجزائري (ت١٠٩٦)، وقد طبع في مجلدين.

هـ ـ وذكر شمس الدين الداودي في «طبقات المفسرين» في ترجمة عبد الكبير ابن محمد بن عيسى أَبي محمد الغافقي المرسي أَنه صنَّف تفسيراً جمع فيه تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشري[1].

و ـ وممن ألف حول ابن عطية أيضاً: أبو فارس عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد القرشي التميمي التونسي شُهِر بابن بزيزة، ولد بتونس يوم الاثنين رابع عشر محرم عام ستة عشر وست مئة، وتوفي ليلة الأحد أربع ربيع أَول سنة اثنين وستين وست مئة فقد جمع بين تفسيري ابن عطية والزمخشري[2].

ز ـ وقد أكثر السمين الحلبي في تفسيره الدر المصون وابن عادل الحنبلي في اللباب من النقل عن ابن عطية، وكذلك ابن جزي وابن عرفة ونحوهما من المفسرين المالكيين.

خامساً: ما كتب حوله:

إنه خلال بحثي عما كُتب وجُمع عن الإمام عبد الحق بن عطية رحمه الله وتفسيره المحرر الوجيز وقفت على دراسات كثيرة مختلفة حوله، منها ما هو عام ومنها ما هو خاص، ومنها ما اطلعت عليه، ومنها ما قرأت عنه فقط، وسأتعرض هنا لذكر بعض منها إتماماً للفائدة، وبياناً للأهمية التي نالها هذا الكتاب الجليل، فمن ذلك:

• **منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم** للباحث عبد الوهاب عبد الوهاب فايد، بحث مقدَّم لنيل درجة الدكتوراه جامعة الأزهر.

---

(١) انظر: طبقات المفسرين (١/ ٣٣٧).

(٢) التقييد الكبير للبسيلي (ص: ٢٠٤).

• **منهج الإمام ابن عطية الأندلسي في عرض القراءات وأثر ذلك في تفسيره،** للأستاذ فيصل بن جميل بن حسن غزاوي (١٤٢٣ هـ) رسالة دكتوراه.

• **المنهج اللغوي في تفسير ابن عطية الأندلسي** للدكتور ياسين جاسم المحيمد أستاذ النحو والصرف وعلوم القرآن المشارك بجامعة الإيمان، صنعاء.

• **الاستنباط عند الإمام ابن عطية في تفسيره تحقيق ودراسة** بحث مقدّم لنيل درجة الدكتوراه/ جامعة الأزهر، للباحث أبو سريع محمد أبو سريع.

• **المقارنة بين ابن عطية وابن كثير في تفسيرهما** للباحث أحمد بن عبده بن الهادي، بحث مقدّم لنيل درجة الدكتوراه، بجامعة محمد الخامس.

• **التفسير الفقهي عند ابن عطية** للباحث عبد السلام محمد، بحث مقدّم لنيل درجة الدكتوراه/ جامعة محمد الخامس.

• **علوم القرآن في تفسير ابن عطية** للباحثة سناء حلواني، بحث مقدّم لنيل درجة الدكتوراه بجامعة أم القرى بمكة.

• **منهج ابن عطية في أصول الاعتقاد عرض ودراسة** للباحث: علي القرعاوي، بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير جامعة الإمام محمد بن سعود.

• **فتح العزيز في تقريب تفسير المحرر الوجيز** للأستاذ محمد بن محمود بن إبراهيم ابن عطية، رأيت مقدمته ولا أدري أين وصل فيه، واللائحة طويلة.

سادساً: طبعاته:

حقِّقت أجزاء كثيرة من هذا الكتاب في رسائل علمية بجامعة الأزهر، وأصدر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية منه جزأين، كما طبعت منه أجزاء بتحقيق المجلس العلمي بفاس(١).

---

(١) انظر: مقدمة فتح العزيز (ص: ١١)، مجلة البيان العدد (٤١، ص: ٢٩)، مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث (ص: ٥٦).

إلا أن الطبعة القطرية الأولى التي صدرت سنة (١٩٩١) تعتبر أول طبعة للكتاب، وقد أشار المحققون في مقدمتهم إلى نوع من التعاون كان بين دولة قطر والمملكة المغربية، والرغبة المشتركة في إصدار الكتاب، نجد ذلك في الفقرة التالية من المقدمة:

«التقت الرغبتان في ميدان العلم والشرف على إِخراج هذا الكتاب، وتقديمه هدية إلى أَبناءِ الأُمة الإِسلامية، هدية غالية بهيَّة الرُّواءِ، سنيَّة الإِشراق، وتَذْكِرَةً لِفِكْرٍ من تراث الأَندلس العظيم، والتقت في رعايتهما وبتأْييدهما نخبة من رجال العلم في المغرب العربي وفي المشرق العربي لتحقيق هذه الرغبة السامية، خدمة للأُمة الإِسلامية في حاضرها، ومستقبلها، وخدمةً للقرآن العزيز الذي كان ولازال مرشدَها، وهاديها، ومجدد شبابها على مَرِّ الأَيام، ونتيجة لهذه الرغبة السامية، ولهذا اللقاءِ الأَخوي بين علماءِ المغربِ والمشرق في الأُمة العربية الناهضة؛ كان هذا السِّفر الذي نقدمه بكل فخر واعتزاز، آملين من ورائه أَن يكون لنا عند الله ذخراً، وأَن يكون لأُمتنا زاداً من المعرفة والخير.

وقد اشترك في تحقيق هذا التفسير والتعليق عليه، وإخراجه في هذه الصورة المشرقة:

من المغرب العربي من المملكة المغربية:

الأستاذ: الرحالي الفاروق، رئيس المجمع العلمي بمراكش.

ومن المشرق العربي من دولة قطر:

الشيخ: عبد الله إبراهيم الأنصاري، مدير الشؤون الدينية بوزارة التربية والتعليم.

الأستاذ: السيد عبد العال السيد إبراهيم، رئيس التوجيه التربوي بوزارة التربية والتعليم.

الأستاذ: محمد الشافعي صادق، مدير شؤون القرى بوزارة التربية والتعليم»[١].

---

(١) مقدمة الطبعة الثانية.

وقد صدرت ثاني طبعة من هذا الكتاب سنة (١٩٩٢) بالمغرب، بتحقيق المجلس العلمي، وفي مقدمتها ترجمة مختصرة للمؤلف موقعة باسم عميد كلية الشريعة رئيس المجلس العلمي بفاس، إمضاء عبد الواحد العلوي.

وورد في خاتمة تلك المقدمة أن «مقدمات الكتاب (المحرر الوجيز) كانت قد طبعت مع مقدمة كتاب المباني المجهول المؤلف بتصحيح الأستاذ المستشرق الدكتور آرثر جفري، إلا أنها لا تخلو من بعض الأخطاء وقفنا عليها بالمقابلة بين النسخ المتعددة التي بين أيدينا»[(١)].

إلا أن النسخ المتعددة المذكورة لم يَرِدْ لها أي بيان في المقدمة، كما أن هوامش الكتاب تكاد تكون خالية من الإشارة إلى فوارق النسخ، إلا في مواضع قليلة جدّاً كتب فيها عبارة: «في نسخة» دون تحديد لمصدرها.

وقد كان انتشار هذه الطبعة محدوداً جداً لم تصل المكتبات العالمية، كما أنها غير مصورة إلكترونيّاً حتى الآن حسب علمنا.

والظاهر أن هذه الطبعة لا علاقة بينها وبين الطبعة القطرية السابقة، لاختلافهما في كثير من المواضع، واختلاف طريقة الهوامش فيهما، وإن كان كلام السيد محمد محمود عطية يوهم أن محققي الطبعة المغربية هم المذكورون في الطبعة القطرية.

أما الطبعة الثالثة للكتاب فهي طبعة دار الكتب العلمية، وقد صدرت سنة (٢٠٠٧م)، وهي بتحقيق السيد عبد السلام عبد الشافي محمد، وعلى غلاف أجزائها أنها محققة عن نسخة أياصوفياء استانبول، رقم (١١٩)، المحفوظة صورتها في مكتبة مرعشي نجفي ـ قم.

وقد تم تصوير الصفحتين الأولى من الكتاب والأخيرة من سورة البقرة في أول

---

(١) مقدمة الطبعة المغربية (ص:ج).

الكتاب، مع مقدمة عن علم التفسير عموماً وتفسير ابن عطية خاصة.

وبالرجوع لمكتبة أيا صوفيا التركية تبين أن المخطوطة رقم (١١٩) لا تشمل إلا سورة البقرة خاصة، لذلك لم نتمكن من تحديد النسخ التي اعتمدوا عليها في بقية الكتاب، كما أنه خال من الهوامش تماماً، ولا يوجد به أي تعليق أو إثبات لفوارق النسخ، ولا أثر للتحقيق المشار له.

وقد زوِّدت هذه الطبعة بفهارس كاملة شغلت الجزء السادس من الكتاب، شملت القراءات القرآنية والأحاديث والشعر وبعض الأعلام.

وقد انتشرت هذه الطبعة بسرعة باعتبارها أول طبعة تجارية للكتاب، وتم تصويرها ونشرها على الموسوعة الشاملة مما سهل الاعتماد عليها لكثير من الباحثين.

وقد تبين لنا بعد المقابلة شبه كبير بين هذه الطبعة والنسخة المغربية التي اعتمدناها أصلاً، مما يوحي بأنها قد تكون طبعت عليها، إلا أن هناك بعض الأخطاء والسقط لم نلتزم التنبيه عليه لأنها ليست من ضمن النسخ المعتمدة لدينا.

الطبعة الرابعة: الطبعة القطرية الثانية، وقد صدرت كذلك سنة (٢٠٠٧).

وهي إعادة إخراج للطبعة الأولى مع تغيير في حجم الكتاب من (١٥) مجلداً إلى ثمان مجلدات، تحمل أسماء نفس المحققين السابقين، وقد حصل فيها تغيير طفيف لبعض الهوامش، وتصحيح للكثير من الأخطاء.

وقد انتشرت هذه الطبعة أكثر من الطبعة الأولى بسبب صغر حجمها ومجانية توزيعها، ولذلك اعتمد عليها كثير من الباحثين الذين كتبوا حول ابن عطية.

وقد اعتمدنا هذه الطبعة أساساً واستفدنا من مقدماتها وبعض تعليقاتها كما سنبين ذلك في المنهجية.

الطبعة الخامسة: طبعة دار ابن حزم، وهي في مجلد واحد، وليس فيها أي ذكر للنسخة المعتمدة، ولا هوامش تحقيق ولا فروق للنسخ.

وقد طبعت نسخة من الكتاب بتحقيق أحمد صادق الملاح لكن لم نقف عليها ولا على أي معلومات عنها.

المبحث الثالث

منهج التحقيق

سنبين في هذا الفصل منهجنا في تحقيق الكتاب وتوثيق الأقوال الواردة فيه.

وسنقسم الكلام في هذا الفصل إلى سبعة عناوين، حسب المجالات المتعلقة به، ونبين في كل منها منهج المؤلف أولاً ومصادره في ذلك المجال، ثم العنايةَ التي حظي بها في الطبعات أو الدراسات السابقة، ثم نبين الجديد في عملنا هذا.

وهذه المجالات هي:

أقوال المفسرين.

القراءات.

الأحاديث والآثار.

الآراء الفقهية والأصولية والعقدية.

الأشعار والمسائل اللغوية والنحوية.

تراجم الأعلام.

الفهارس.

ولإنجاز هذا العمل قامت إدارة الشؤون الإسلامية بتشكيل عدة لجان أنيطت مهمة الإشراف عليها ووضع خطوطها العريضة للشيخ الدكتور سعيد محمد البديوي (مدير الإدارة سابقاً)، ومهمة التنسيق بينها للأستاذ محمد حامد الباحث بالشعبة العلمية، وسنذكر في كل مجال أسماء أبرز الباحثين الذين قاموا بإنجازه.

أولاً: عرض أقوال المفسرين:

منهج المؤلف في هذا المجال أنه عندما يذكر الآية يبدأ بأقوال المفسرين فيها، فإن كان هنالك سبب نزول أو تفسير مأثور مرفوع أو موقوف بدأ به، وهذا سيأتي بيانه في الكلام على الأحاديث والآثار.

ثم يبدأ بعد ذلك بذكر أقوال التابعين: مجاهد وقتادة وابن زيد وعطاء وعكرمة وأمثالهم، يشير أولا إلى أن الآية أو الموضوع مختلف فيه، ثم يسرد الأقوال: فقال فلان كذا، وقال فلان كذا، وربما أبهم القائل فيكتفي بأنه قول فرقة أو قوم.

ولا يهتم ابن عطية رحمه الله غالباً بذكر مصدره في إسناد تلك الأقوال إلى أصحابها، لكنه يصرح به في بعض الأحيان، فيقول: وقال مجاهد في كتاب الثعلبي، مثلاً، ولا يخلو ذلك من نكتة قد تظهر عند التأمل.

أما المفسرون المتأخرون عن القرون الأولى، وهم المؤلفون في التفسير كالطبري والنقَّاش والثعلبي ومكي والمهدوي والنحاس والزجَّاج مثلاً فلا يلجأ إليهم غالباً مع وجود أقوالِ مَن قبلهم، لكنه يختصر كلامهم ويلخصه دون نسبة، فإذا صرح بالنقل عن أحد منهم فإنما يكون ذلك غالباً للتنبيه على خطأ، أو لإبداء ملاحظة خاصة بذلك الكتاب.

ومنهجنا في تتبع هذه الأقوال أننا حاولنا قدر الإمكان أن لا نهمل أي قول معزوٍّ لصاحبه دون تعليق، فإن كان من المؤلفين المشار إلى بعضهم أخيراً تتم الإحالة إلى المصدر إن كان متوفراً، أو إلى من نقله عنه إن كان مفقوداً.

وربما تعذر علينا الاهتداء إلى ما ينقله عن بعضهم، فننبه إلى أنه ليس في محله من الطبعة المتوفرة لدينا من ذلك الكتاب، فإما أن يكون في بعض كتبه الأخرى أو في نسخة أخرى منه، ويتجلى ذلك في تفسير الثعلبي فقد أكثر المؤلف من النقل عنه في النصف الثاني من الكتاب، ونقل عنه أشياء لم نجدها في الطبعة المتوفرة.

وهناك مسائل قليلة لم نجدها في طبعة الطبري التي اعتمدنا وهي طبعة شاكر، لكن وجدناها في بعض الطبعات الأخرى.

وأما أقوال التابعين وتابعيهم فقد اعتمدنا في توثيق أكثرها على الكتب المتقدمة على المؤلف، التي هي من مصادره أو مظان ذلك، كتفسير الطبري، وابن أبي حاتم، ويحيى بن سلام، والنحاس، وابن أبي زَمَنين، والماوردي، ومكي، كما رجعنا لبعض المؤلفين القريبين من عهد المؤلف كالسمعاني والزمخشري وابن الجوزي.

أما الكتب المتأخرة عن المؤلف فلم نعتبرها توثيقاً لاحتمال نقلها عنه، لكننا نستأنس بها باعتبار أن موافقتها لما في الكتاب يزيد الاطمئنان والثقة، كما استأنسنا بها أيضاً في الأقوال المنقولة عن الكتب المفقودة كالنقاش والزهراوي ومنذر بن سعيد ونحوهم.

وقد اتبعنا في كتابة الهوامش أكثر ما يمكن من الاختصار، فالهدف ليس وضعَ حاشية جديدة أو شرح للكتاب، وإنما هو إشارة تطمئن بها النفس ويستعين بها الباحث، لذلك فإننا نكتفي غالباً بذكر مصدر أو مصدرين أو ثلاثة للقول، دون الدخول في شرح القول أو التعليق عليه إلا إذا كان هناك ما يقتضي ذلك، وربما وثقنا أكثر من قول بإحالة واحدة إذا كان مصدرها واحداً، أو كانت متقاربة.

وقد لاحظنا أن ابن عطية يعتمد كثيراً على النقل بالمعنى، بل ربما كان ينقل من حفظه، فإذا كان القول المشار له موجوداً بمعناه في المصدر لم نحتج إلى إيضاح ذلك، أما إذا كان محتملاً أو فيه بعدٌ أو تصرف بيّن فإننا نشير لذلك، أو ننقل عبارة المصدر.

وهذه المنهجية تنطبق على المجالات الآتية أيضاً في عمومها.

وقد قام بإنجاز أكثر العمل في هذا المجال:

الشيخ عماد عبد الرحمن البكش (إمام وخطيب بوزارة الأوقاف القطرية).

كما شارك فيه كل من:

الشيخ الدكتور محمد محمد تامر (إمام وخطيب بوزارة الأوقاف القطرية).

الأستاذ سعدنا أحمد حمينا (باحث)، وغيرهما.

وشارك في مراجعته منسق الفريق.

ثانياً: القراءات:

يعتبر موضوع القراءات نقطة الضعف الوحيدة في هذا التفسير، فالمؤلف رحمه الله تعالى لم يكن من أهل هذا الفن، ولكنه أقحم نفسه فيه دون تروٍّ، ولم يعتمد في ذلك على طريقة واحدة ولا مصدر واحد، بل ينقل في كل موضع مما يتيسر له أو من حفظه دون مقارنته بالمصادر الأخرى أو حتى بما يتقدم له في كتابه.

وقد ذكر المصنف في مقدمته أنه قصد إيراد جميع القراءات مستعمَلها وشاذِّها، ثم عقد فصلاً خاصّاً للكلام على حديث نزول القرآن على سبعة أحرف، وذكر أقوال العلماء فيه، ثم ختمه بمزيد من الإيضاح في عرض القراءات قائلاً:

«ثم إن القراء في الأمصار تتبعوا ما روي لهم من اختلافات لا سيما فيما وافق خط المصحف المتخير، فقرؤوا بذلك حسب اجتهاداتهم، فلذلك ترتب أمر القراء السبعة وغيرهم، رحمهم الله، ومضت الأعصار والأمصار على قراءة السبعة، وبها يصلى؛ لأنها ثبتت بالإجماع، وأمَّا شاذُّ القراءات فلا يصلى به، وذلك لأنه لم يُجمِعِ الناس عليه، أمَا إن المروي منه عن الصحابة رضي الله عنهم وعن علماء التابعين لا يعتقد فيه إلا أنهم رووه، وأمّا ما يُؤثر عن أبي السَّمَّال ومن قاربه فلا يوثق به، وإنما أذكره في هذا الكتاب لئلا يُجهل».

ويستفاد من هذا أن المؤلف كغيره قسم القراءات إلى قسمين:

القراءات السبعية، ويعبر عنها تارة بالمستعملة، أو المجمع عليها، ويبدو من صنيع المصنف أنه يتمنى أن يوردها جميعاً معزوة لأصحابها، ويخصها بمزيد من

العناية، ومما يدل على ذلك أنه غالباً ما يقول: «قرأ حمزة وحده وأبو عبد الرحمن» مثلاً، فكلمة «وحده» مع عزو القراءة لغيره تدل على أنه حصر قراءات السبعة، وله عبارات أخرى تدل على ذلك أيضاً.

ويؤخذ على المصنف في عرضه للقراءات السبع عدة أمور منها:

أولاً: اعتماده في أول الكتاب على كتاب السبعة لابن مجاهد، دون الرجوع لكتب الداني ومكي والمهدوي ونظرائهم ممن حرروا ذلك بعده وأتقنوه.

ثانياً: اعتماده في أكثر الكتاب على أبي حاتم، وهو وإن كان إماماً في الفن كذلك لكنه خلط بين القراءات الشاذة والمتواترة، وعزا لبعض القراء السبعة ما ليس معروفاً عنهم، كما أن العلماء حذروا من بعض اختياراته وردِّه لبعض القراءات المتواترة.

ثالثاً: إدراجه لبعض الخلافات المتعلقة بالأصول دون إتقان، مع أن أكثر المفسرين إنما يهتمون بالفرش لأنه هو الذي يتوقف عليه معنى الآية.

رابعاً: كثرة التكرار وإعادة الكلمات التي سبق له أن ذكر الخلاف فيها، وغالباً ما يكون ذلك مع اختلاف في العزو، مع أن الطريقة المتعارفة هي الاقتصار على الحرف عند أول ورود له.

وقد ترتب على هذه الأمور مأخذان: أحدهما أسهل؛ وهو إهمال بعض القراءات السبعية، أو إسقاط بعض أصحابها، ويكون ذلك أصعب إذا عزيت السبعية لغير السبعة.

أما المأخذ الثاني وهو أشد، فهو أن تعزى القراءة لغير من هي له، فإذا كانت منقولة عنه في الشاذ كان ذلك أخفَّ.

أما القراءات الشاذة فقد أكثر المصنف منها، بل كان يتمنى أن يستوفيها لكن ذلك غير ممكن، وأهم مصدر له فيها هو كتاب المحتسب لابن جني، ثم أبو حاتم ثم

النحاس والثعلبي ونحوهما من المفسرين، وقد نقل بعض المواضع عن الداني فلعلها من كتابه «المحتوى» الذي ما يزال مفقوداً.

وعرضه لهذه القراءات الشاذة لا يخلو أيضاً من بعض المآخذ منها:

كثرة التكرار مع اختلاف العزو في بعض الأحيان.

ذكر بعض الأوجه الغريبة في الحرف، مع إهمال الأوجه المنقولة في أغلب الكتب، وهذا يدل على وقوع خطأ في ذلك.

تركيزه على بعض القراءات التي لا علاقة لها بمعنى الآية، ولا يتوقف على توجيهها فائدة.

انفراده ببعض القراءات الغريبة التي لم نجد له فيها سلفاً ولا خلفاً.

والطريقة التي اتبعنا في التعامل مع هذا المجال هي:

إذا كانت القراءة سبعية بينا ذلك، فإن كان فيها للسبعة وجهان فأكثر اكتفينا بتعليق واحد نبين فيه أنها سبعية، ثم إن كان عزو المؤلف مطابقاً لما في التيسير اكتفينا بالإحالة له أو للنشر أو لسبعة ابن مجاهد ولم يحتج ذلك لتعليق، وإذا كان العزو لبعض السبعة دون بعض أو لغيرهم أكملنا ذلك غالباً، أما إذا كان موافقاً لما في السبعة أو غيرها وليس من طرق التيسير أو النشر، أو لم يكن موافقاً لشيء من مصادرنا، فإننا نبين ذلك بالتفصيل.

وأما القراءات الشاذة، فقد نبهنا على شذوذها، واعتمدنا فيها على كتاب المختصر لابن خالويه والشواذ للكرماني إضافة إلى مصادر المؤلف المتوفرة، ثم على البحر المحيط إذا لم نجد ذلك لغيره، فما كان من ذلك كله واضحاً اكتفينا فيه بمجرد الإحالة، وإذا وجدناها لبعض من ذكر دون بعض، أو لغير من ذكر، بينا ذلك بالتفصيل، أما إذا لم نجد للقراءة ذكراً عند غير المؤلف فإن اتضح لنا وجه في التماس المخرج لها ذكرناه، وإلا اكتفينا بأنا لم نجدها لغيره.

وقد حظي مجال القراءات في ابن عطية ببعض الدراسات المعاصرة، وقفنا على بعضها، لكنها عبارة عن فهرس أو جرد للقراءات الواردة في الكتاب دون تحقيق علمي يذكر، لذلك لم نستفد منها شيئاً.

أما هوامش الطبعات السابقة فقد كانت خالية من هذا المجال، باستثناء ما في الطبعة القطرية من التنبيه على بعض المواضع التي عزا فيها المؤلف لعاصم خلاف ما هو معروف عن حفص، فيتم التأول له جزافاً؛ تارة بأنها رواية شعبة عنه، وتارة بأنه عاصم الجحدري.

لذلك كانت عنايتنا بهذا المجال كبيرة لما له من الأهمية.

ولم نكتف بما أثبتناه في الحواشي بل ميَّزنا القراءات في متن التفسير في هذه الطبعة وفق المنهج الآتي:

١ـ القراءة المتواترة:

أ ـ وُضع ما وافق قراءة حفص عن عاصم بين قوسين مزهرتين ﴿ ﴾ برسم مصحف المدينة.

ب ـ ما كان موافقاً لقراءة متواترة من القراءات العشر وضع بين قوسين مزهرتين ﴿ ﴾ مكتوباً بخطّ عاديٍّ.

٢ـ الكلمات المفسَّرة:

أ ـ الكلمة الكاملة الموافقة لقراءة حفص عن عاصم تُوضع بين مزهرتين ﴿ ﴾ برسم مصحف المدينة.

ب ـ الكلمة غير الكاملة تُوضع بين قوسين هلاليتين ( ).

٣ـ القراءاتُ الشاذة تُوضَعُ بين قوسين هلاليتين ( ).

وقد قام بإنجاز أكثر العمل في هذا المجال:

الدكتور سيد محمد محمد محفوظ (باحث).

كما شارك فيه أيضاً:

الدكتور محمد تقي الله (باحث).

الشيخ عبد الرحمن الحسن (من قسم الفتوى بالشبكة الإسلامية).

وشارك في مراجعته منسق الفريق.

ثالثاً: تخريج الأحاديث والآثار:

يتلخص منهجنا في التعليق على الأحاديث والآثار في النقاط التالية:

أولاً: تخريج الأحاديث:

١ ـ قمنا بتخريج جميع الأحاديث المرفوعة التي ذكرها المصنف بلفظها أو معناها أو أشار إليها، وذلك بحسب الإمكان والطاقة وما تيسَّر لنا الوقوفُ عليه، أما الآثار فاقتصرنا على تخريج الموقوفات على الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وأما أقوال التابعين ومن دونهم فاكتفينا بالعزو إلى مصادرها ما أمكن، دون الكلام على أسانيدها.

٢ ـ إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفينا بالعزو إليهما أو إلى أحدهما للتدليل على صحته.

٣ ـ إن لم يكن الحديث في أحد الصحيحين اكتفينا في ذكر مصادر التخريج بأمهات المراجع؛ كالموطأ ومسند أحمد والسنن الأربعة، وصحيحي ابن خزيمة وابن حبان، ومستدرك الحاكم وغيرها، دون المصادر النازلة التي تروي أحاديث الأمهات بأسانيدها، إلا إذا لم نجد الحديث في تلك المراجع، فننزل ونشرق ونغرب للوصول إلى المراد.

٤ ـ سعينا إلى جمع طرق الحديث والنظر في وجوه الخلاف في الإسناد والمتن إن وُجد، لتهيئة الحكم عليه.

٥ ـ أوردنا كُلَّ ما وقفنا عليه من كلام أئمة هذا الشأن فيما يتعلق بقبول الحديث أو ردِّه، سواءٌ كان كلاماً صريحاً أو تلميحاً، أو مقتضى صنيع البعض، أو ما شابه ذلك مما يَعرفه الممارس، وقد شرحنا ما غمض من ذلك.

٦ ـ استقصينا البحث في كتب العلل والتواريخ والسؤالات والمراسيل وكتب شروح الحديث وغيرها مما يُعنى ببيان حال الحديث، وإيراد ما وقفنا عليه من ذلك.

٧ ـ ما لم نجد فيه كلاماً تطمئنُّ النفسُ إليه، فإننا تجشَّمنا دراسةَ إسناده ومتنه، وأَعْملنا فيه قواعدَ هذا الفنِّ بحسب ما تهيَّأَ لنا، ولخَّصْنا ما بدا لنا من ذلك بعبارة مختصرة، وراءها بحثٌ طويلٌ في أحوال رواة الإسناد وطبقاتهم وسماعهم من بعض، وإجراءات الجمع والترجيح بين ما اختلف من تلك الروايات، و كذا ما قد يوجد من تفردات الرواة ممن لا يَحتمِل حالُه ذلك.

٨ ـ لم نُعَوِّل على بعض التصحيحات والتحسينات التي يشوبها التساهلُ وإحسانُ الظَنِّ بظواهر الأسانيد أحياناً.

٩ ـ قمنا بتصدير التخريج غالباً بالحكم الذي أسفرت عنه دراسةُ الحديث.

ثانياً: تخريج الآثار:

١٠ ـ إذا لم يوجد الأثر في أمهات المراجع التي أشرنا إليها سابقاً، فإننا اكتفينا غالباً في العزو بالإحالة على تفسير الطبري، وأحياناً ابن أبي حاتم، بعد التأكد أنه ليس عند غيرهما فرقٌ في الإسناد أو المتن، وذلك لأن من الواضح اعتماد ابن عطية على الطبري بشكل كبير، و لانفراد الطبري بكثير من الآثار التي ليس لها إلا إسناد واحد فيما نعلم.

١١ ـ بالنسبة لأسانيد التفسير الخاصة بالآثار، فقد اشتهر عند أصحاب كتب التفسير إيراد كثير من الروايات التي يُطلق عليها: **النُّسَخ التفسيرية**، وهي التي يروي بها بعضُهم نسخةً بإسناده إلى صحابي ما أو عن الصحابي مباشرة.

ومن أشهر هذه النسخ:

• نسخة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وهي منقطعة.

• نسخة بِشر بن عُمارة عن أبي رَوْق عن الضحاك عن ابن عباس. وهي ضعيفة الإسناد.

• نسخة أسباط، عن السُّدِّي، فيما ذكر عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس. (ارتاب الطبري نفسه في هذا الإسناد ونفى صحته[١] مع أنه أخرجه في مواضع عديدة).

• نسخة محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، وهو مجهول، وقد شك فقال: عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

• نسخة جُويبر بن سعيد عن الضحاك عن غير واحد من الصحابة.

وجويبر متروك الحديث، وقال ابن كثير: إن هذا الإسناد يروي به السدي أشياء فيها غرابة، وقد أكثر الطبري من هذا الإسناد في التفسير.

• نسخة أبي صفية ثابت بن أبي صفية الثمالي عن ابن عباس.

• نسخة أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أُبي بن كعب.

• نسخة عمرو بن عبيد عن الحسن البصري.

• نسخة قتادة عن الحسن عن غير واحد من الصحابة. (ولا يثبت السماع في جميعها).

• نسخة عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه.

وهذه الأسانيدُ جميعاً ضعيفةٌ عند أهل العلم بالحديث، لضعفِ رواتها، أو انقطاع واضح في بعضها.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ٣٥٤).

وتفصيلُ الكلامِ المأثور عن العلماء في كل إسنادٍ بخصوصه معروفٌ منتشرٌ، لا يُنكره أحدٌ، حتى من يختلف معنا في منهج التعامل مع تلك الأسانيد، فلا داعي للإطالة بسرد ذلك.

ونكتفي هنا بتلخيص أهمِّ القواعد التي انبنى عليها منهجُنا في الحكم على أسانيد هذه النُّسَخ:

• الإسناد الذي يُضعفه أهلُ العلم بالحديث لن يكون صحيحاً أو حسناً إذا كان فرداً، مهما كانت الروايةُ في عقيدةٍ أو حُكمٍ أو تفسيرٍ أو غيرها.

• هذا الضَّعفُ لا يقتضي بالضرورة الحُكمَ على الرواية بالبطلان أو النكارة، إلا إذا كان في متنها ما يوجب ذلك.

• تجوُّز العلماء وتساهلهم في رواية وإيراد الروايات الضعيفة في التفسير والمغازي والرقاق ونحوها لا يعني التصحيحَ أو القبولَ، ولكن يعني: الاعتبار والاستشهاد والاستئناس ونحوها من المعاني، لاسيما إذا كان المنقولُ في التفسير مثلاً مما تشهد له لغاتُ العرب أو يكون تفسيراً بالمعقول أو الاستنباط من آيات أخرى أو نصوص من السنة ونحو ذلك مما لا يخالف معلوماً ضرورياً أو ثابتاً أصحَّ منه، فهذا مما يجوز إيرادُه دون بيان ضعفه على الاحتمال والاستئناس كما سبق.

• دَعْوَى تصحيح النسخ التفسيرية مطلقاً بغض النظر عن حال أسانيدها؛ لأنها «نُسَخ» «مضمونة» لا يدخلها الخطأ؛ لأن صاحبها لا يعتمد على حفظه ولكن يعتمد على نسخةٍ أو كتابٍ يؤديه: دَعْوى عاريةٌ في مُجملها عن التحقيق والموضوعية؛ وهو قولُ مَنْ لم يطَّلِع على أخطاء الرواة الذين يحدثون من كتب بلا حفظ؛ فالأوهام كما تدخل في الروايات العامة فكذلك تدخلُ في النُّسخ، لاسيما وأكثر هذه النُّسَخ لا يكون مسموعاً لراويها أو بعض رواتها، بل تكون «وجادات» أو «مناولات»، فيقع التساهلُ في روايتها

بلا سماع، ويأتي في هذا من مداخل الخلل ما هو معلومٌ لمن مارس علم العلل، مِنْ أوهامِ التصحيف، والتحريف، وانتقال البصر، ودخول حديث في حديث، وغير ذلك.

بالإضافة إلى أن الراوي مع كونه يروي نسخةً، إلا أنه لا يمكن التأكد والاطمئنان إلى أنه يحدث بكل ما فيها قراءةً منها وليس من حفظه، و جُلُّ بل كُلُّ من أسلفنا ذِكرَهم من رواة النُّسخ فإنَّ حفظَهم لا يُعتمد عليه كما يُعلم من تراجمهم، وثقاتُ الرواةِ الذين صحَّحَ الأئمةُ كُتُبَهم إذا حدَّثوا من حفظهم ربما وهموا وثبتت مخالفتهم لما في كتبهم، فكيف بأولئك.

• أهلُ الحديث لا يُصحِّحُون إلا ما توفَّرت فيه الشروط المعتبرة المعروفة للقَبول، وما فَقد شرطاً أو أكثر من تلك الشروط فإنهم لا يقولون بصحته؛ إذ القولُ بالتصحيح يقتضي رجحانَ صحة نِسْبة الكلام إلى من نُقل عنه، وعدمُ التصحيح يقتضي انعدامَ ذلك الرجحان، ولا يعني هذا بالضرورة الحُكْمَ على المنقول بأنه كأن لم يكن، وإنما تُجرى عليه قواعدُ نقدِ المتن المعروفة، فإن خالفَ لغةً صحيحةً أو أصلاً شرعيّاً أو مقصداً من مقاصد الدين، فإنه يُحكم عليه حينئذٍ بحسبه، وإن لم يخالف شيئاً من ذلك وكان له محملٌ صحيحٌ حسنٌ، فإنه لا يمتنع ذكرُه في سياقِ شرحٍ أو بيانٍ أو توجيهِ معنًى وغير ذلك دون الجزم بنسبته إلى من نُقل عنه، بل يُذكر على سبيل الاحتمال مع بيانِ ضعفه مع ذلك أو ذِكرِه ممَرَّضاً، أو الاكتفاء بالإشارة إلى إسناده إذا كان يتكرر؛ خشيةَ الملال بإعادة الكلام عليه، وهذا ما دَرَجْنا عليه هنا.

• أهلُ التفسير الذين صنَّفوا فيه إنما أوردوا كُلَّ أو جُلَّ ما وقفوا عليه مسنداً أو غير مسند لهذه المقاصد الصحيحة السابقة، يضاف إليه بالنسبة للمسند: أن من أسند لك فقد أحالك وبرئت عهدتُه في الجملة، ودَعْوى أنهم إنما أوردوا تلك النُّسخ التفسيرية لأنهم يرون صحة الاحتجاج بها لأنها «نُسخ»: دَعْوى ليس عليها شِبْهُ دليلٍ.

وبَعْدُ، فهذا ما أردنا التنبيه عليه ليكون على ذُكرٍ أثناء مطالعة هذا السِّفر الكبير،

ولْيُتَنَبَّهْ إلى أن الكتابَ يحتوي على عدد ضخم من الأحاديث، بلغت حسب فهرس الأطراف حوالي (١٣٠٠) حديث، فضلاً عن عدد كبير من الأحاديث التي لا يذكرها المصنف بأطرافها بل بالمعنى أو الإشارة، فيقترب إجمالي عدد الأحاديث المرفوعة التي قمنا بالعمل على تحقيقها من (٢٠٠٠) حديث.

وأما الآثار فهي أكثر من ذلك بكثير.

وقد استفرغْنا الوُسْعَ في الحكم على هذه الأحاديث والآثار بما نراه موافقاً لأصول النقد والصناعة الحديثية عند أئمة هذا الشأن فيما ظهر لنا صوابُه، وما لم يترجحْ لنا فيه وجهُ الصوابِ، فإننا لم نجزم فيه بشيءٍ، واكتفينا بعرض ما تيسَّر لنا من البحث.

ومما يحسن التنبيه إليه أنه قد صادفتنا بعضُ المعوقات أثناء العمل في التخريج، من أهمها:

١ ـ سَوْق المصنِّف بعض الأحاديث بالمعنى، فيتعسَّر الوصولُ إلى الحديث إلا بعد جهد ومشقة، وربما لا نستطيع الجزم بمراده، فنذكر أقربَ ما وقفنا عليه.

٢ ـ ينقل المصنف كثيراً عن بعض كتب التفسير ـ كتفسير الثعلبي ـ التي لم تعتن بتوثيق الروايات فيذكرون أحاديثَ لم نجدها، وقد أجهدنا البحث في محاولة الوقوف على مصدر مسند أو معتبر، فلم نجده أحياناً.

وبَعْدُ، فما وافقَ الحقَّ مما سطرناه فهو بفضل الله وتوفيقه وإعانته، وما خالف الصوابَ فمِن تقصيرنا أُوتينا، ونلتمس العذرَ ممن وقف على شيءٍ من ذلك، فإن هذا الدربَ وعْرٌ والعملَ ضخمٌ، ونسأل الله القبول.

وقد قام بإنجاز العمل في هذا المجال فريقٌ من الباحثين هم:

الشيخ خليل محمد العربي (إمام وخطيب بوزارة الأوقاف).

الشيخ محمد السعيد عبده الخولاني (إمام بوزارة الأوقاف وباحث بوحدة التدقيق).

الشيخ إبراهيم سعيد أبو أنس الصبيحي (باحث بوحدة التدقيق).

وقام الشيخ إبراهيم الصبيحي أيضاً بمراجعة وصياغة تخريج جميع الأحاديث والآثار، وكتابة منهجية التخريج هذه.

رابعاً: الأقوال الفقهية والأصولية والعقدية:

أشرنا فيما سبق إلى مذهب المؤلف وأنه كان مالكيّاً أشعريّاً، ونبهنا على ما قيل في معتقده، وأن الملاحظ عليه أساساً اتِّباعه لمنهج المتأخرين في مسألة تأويل الصفات خلافاً لما كان عليه جمهور السلف، وما قلناه في المقدمة حول هذا الموضوع يغني عن تتبع مسائله بالتعليق لأنها كثيرة، لكننا مع ذلك نبهنا على مواضع منها لحاجة خاصة بها.

وبالنسبة للأقوال الأصولية فالمؤلف يعتمد فيها غالباً على إمام الحرمين الجويني والباقلاني، وقد أحلنا كلامهما إلى المتوفر من مؤلفاتهما، وما لم نجده فيها اكتفينا بإحالته لمن نقله عنهم كالقرطبي ونحوه، وهناك مسائل أصولية تعرض لها المؤلف دون نقل عن معين فأحلناها إلى الكتب المعتمدة في هذا المجال.

أما المسائل الفقهية فقد أكثر منها المؤلف، لكنه لم يصل لدرجة التفاسير الخاصة بالأحكام كابن العربي، وينقل المؤلف هذه الأقوال إما من مؤلفات أصحابها كالمدوَّنة والعُتبية والتفريع مثلاً، وإما من الكتب المهتمة بالخلاف العالي كمؤلفات أبي عمر بن عبد البر وابن المنذر، وقد اتبعنا في ذلك نفس المنهجية السابقة، فحيث وجدنا القول لصاحبه في مؤلفاته أو في المصدر الذي نقله عنه اكتفينا بالإحالة، وإلا نبهنا على ذلك، وقد حرصنا على أن تكون أقوال كل مذهب محالة إلى مؤلفات علماء ذلك المذهب.

وقد قام بإنجاز أكثر العمل في هذا المجال:

الشيخ عبد الله الشيخ محمد (باحث بوحدة التدقيق).

وشاركه في مراجعته منسق الفريق.

خامساً: المسائل اللغوية والنحوية:

يعتبر هذا المجال هو الأقرب إلى اختصاص المؤلف، فقد برع فيه غاية البراعة وأبدع، وصار كل من بعده عيالاً عليه فيه، وقد نبهنا فيما قبل إلى أن هذا التفسير جامع، لكن لو أردنا أن نصنفه كما صنفت التفاسير قبله، فهو تفسير لغوي نحوي بلا نزاع.

فقد اعتنى رحمه الله بالمفردات القرآنية، وذكر معانيها وشواهدها من الشعر والحديث، وإذا كان في الآية قراءات فإنه يعتني بإعرابها وتوجيهها، وأكثر اعتماده في ذلك على سيبويه والخليل والكسائي والمبرد والفراء والأخفش وأبي عبيدة، ثم على الزجاج والنحاس والفارسي وابن جني، ثم على مكي والمهدوي، ثم على شيوخه المباشرين.

وله مع الطبري مناقشات، ولأبي حيان وغيره مع المؤلف مناقشات أخرى، لكننا لم نر للتطويل بذلك فائدة، بل اكتفينا بإحالة كل قول إلى صاحبه إما في مؤلفاته وإما في المصادر التي نقلت عنه، وإذا كان ثمت ما يحتاج للبيان بيناه.

وقد عزا المؤلف في بعض المواضع أقوالاً لسيبويه والأخفش والفراء وغيرهم دون أن نجد لهم قولاً في تلك الآية بعينها لكن تبين أن ذلك مبني على مذهبهم في تلك المسألة، فنبهنا على ذلك في بعض مواضعه.

وقد اعتنينا بالأَبيات الشعرية فضبطناها بالشكل، ونسبناها إلى قائليها من مصادرها الأصلية، ككتب أبي عبيدة وابن قتيبة والجاحظ والأصمعي والحماسة والمفضليات والأغاني ونحو ذلك دون الرجوع إلى الدواوين المطبوعة ـ لضعف الثقة بها ـ إلا عند الضرورة.

وفي هوامش الطبعة القطرية عناية فائقة بموضوع الشواهد الشعرية، والتعريف بشعرائها، وذكر الأبيات السابقة أو اللاحقة للبيت المستشهد به، وشرح غريبها، لكن ذلك كله غير موثق، أما نحن فقد رأينا عدم إثقال الكتاب بمثل ذلك، وحاولنا أن لا يزيد التعليق في الغالب على سطرين فيهما كفاية وإحالة للمصادر الأصلية لمن أراد التوسع.

وقد عُنينا بضبط بعض الكلمات التي نراها مَظِنَّةً للتحريف أَو الخطأ عند النطق، وشرح بعض الغريب منها، وهدفنا من هذا أَن نساعد القارئ على نطق العبارة في صورتها الصحيحة من أَول الأَمر، وراعينا أَن نساعد القارئ على ذلك بالفواصل، وعلامات الترقيم، والرجوع من أَول السطر، والفصل بين العبارات والجمل المنقولة، والآراءِ المنسوبة لأَصحابها، بحيث يستقل كل كلام عن غيره، وبحيث يعرف القارئُ كلام ابن عطية من كلام العلماءِ الذين ينقل عنهم.

وفي هذا المجال كنا نضع هذه العبارة «قال القاضي أَبو محمد» دائماً في أَول السطر؛ لندل على أَن الكلام التابع لها إنما هو من كلام ابن عطية الذي يريد به التعليق أَو النقد أَو أَي شيءٍ آخر.

وقد قام بإنجاز أكثر العمل في هذا المجال:

الأستاذ عبدالله محمد (باحث).

الشيخ مختار ممو (باحث بوحدة التدقيق).

الشيخ خالد باكير (إمام بوزارة الأوقاف، وباحث بوحدة التدقيق).

وشارك في مراجعته منسق الفريق.

سادساً: تراجم الأعلام:

هناك بعض الأعلام لا يحتاجون إلى تعريف لشهرتهم، ومن ذلك مشاهير الصحابة رضي الله عنهم، وأصحاب المذاهب الأربعة، والقراء السبعة وأشهر رواتهم، ومشاهير أئمة النحو واللغة، وأصحاب المعلقات ونحوهم.

وبعض الأعلام وردت في الكتاب بصيغة مبهمة يصعب معها تحديد الشخص المعني، ومثل هؤلاء لا تمكن ترجمتهم كذلك، ويدخل في ذلك أيضاً أسماء بعض اليهود والأمم السابقة وبعض أهل الجاهلية.

ولا شك أن تحديد درجة الشهرة التي تغني عن التعريف نسبي يختلف النظر فيه من باحث لآخر، لكننا بذلنا في ذلك وسعنا، مع أن الأمر سهل، والحمد لله.

أما ما عدا ذلك فقد حاولنا أن نترجم لكل علم عند أول ورود له في الكتاب، وقد بينَّا محل ذلك في الفهرس ليسهل الرجوع له، ولم نقصد بالتراجم أن تكون شاملة، وإنما قصدنا فيها إلى الإيجاز بحيث لا تزيد في الغالب على سطرين فيهما اسمه الكامل وبعض شيوخه أو تلاميذه، وشهرته الخاصة به إن كانت له شهرة، مع ذكر مصدر المعلومات المذكورة، وقد رجعنا في أكثر تراجم الصحابة لكتابي الإصابة والاستيعاب، وفي تراجم القراء لغاية ابن الجزري، وفي الفقهاء والنحاة للطبقات الخاصة بهم، وأكثر اعتمادنا في ذلك كله على كتاب تاريخ الإسلام للإمام الذهبي، فهو كتاب جامع في هذا الباب.

سابعاً: الفهارس:

ألحقنا في آخر الكتاب جرداً بالمصادر التي اعتمدنا عليها في التحقيق، وكشافاً بالفهارس العلمية الضرورية للكتاب، وتشمل ما يلي:

فهرس الآيات القرآنية، وقد استثنينا منها الآيات التي هي قيد التفسير، واقتصرنا على الآيات الواردة في غير محلها استشهادًا أو نحو ذلك.

فهرس الأحاديث النبوية، وقد اقتصرنا فيها على أطراف الأحاديث القولية أو المصدَّرة بلفظ «كان» أو «نهى» أو نحو ذلك، مع ذكر الصحابيّ إن أورده ابن عطية، فإن لم يورده يُؤخذ من الحاشية ويميّز بوضعه بين قوسين، وقد راعينا فيها اللفظ الذي يورده المؤلف، فإذا أورد الحديث بلفظين مختلفين في البداية أوردناه في كل موضع منهما، أما إذا كان الاختلاف في غير الألفاظ الأولى منه فإننا نكتفي بذكره مرة واحدة، ونشير للمواضع الأخرى التي ورد فيها.

فهرس أسباب النزول، ورتبناه بحسب ترتيب السور في الآيات، بذِكر طرف الآية التي يذكر ابن عطية سبب نزولها، وموضع ورود ذلك في هذه الطبعة.

فهرس الأعلام، وقد رتبناها ترتيباً أبجديّاً، وجمعناها في فهرس واحد يجمع أعلام النساء والرجال، دون النظر إلى (أب، أم، ابن، «الـ») أو كنيةٍ، أو مشهوراً بنسبة معينة، فإننا نذكره كذلك في حرفه ونحيل إلى اسمه الأصلي، وهناك نذكر الصحيفة التي تمت ترجمته فيها، بتمييز موضع الترجمة بوضع رقمه بين قوسين.

فهرس الأشعار، وقد رتبناها على حرف الروي مقدمين المضموم، ثم المفتوح ثم المكسور، ثم الساكن مع ذكر البحر الشعري مراعين في الترتيب:

أ ـ الأبيات الشعرية الكاملة.

ب ـ الأرجاز.

جـ ـ صدور الأبيات الكاملة.

د ـ صدور الأبيات غير الكاملة وذلك على أوائل الحروف فيها.

هـ ـ أعجاز الأبيات مرتبة على الروي.

و ـ الأعجاز غير الكاملة مرتبة على أوائلها إن ذُكرت، فإن كان المذكور أواخرُ الأعجاز رُتبت على حروف الروي.

لكن إذا كان المؤلف اقتصر على الشطر الأول فإننا نذكر الكلمة الأخيرة من الشطر الثاني لبيان قافيته، وإذا تكرر البيت فإننا نشير إلى المواضع التي ورد فيها، مع العلم أن التعليق إنما يكون عادة في الموضع الأول منها، مع الإحالة إليه في المواضع الأخرى بالسورة ورقم الآية.

فهرس الكتب، بذكر اسم الكتاب مع اسم صاحبه كما يذكره ابن عطية، فإن تعددت أسماء الكتاب الواحد ذُكرت في مواضعها بحسب ترتيبها في الفهرس وتُجمع الأرقام في مكان واحد مع الإحالة في المواضع الأخرى.

فهرس المواضيع، ويشمل جميع عناوين الكتاب.

المبحث الرابع
المنهجية المتبعة في تصحيح المتن بالمقابلة

سنعرض في هذا الفصل لبيان المنهجية التي اتبعناها في هذا العمل، مع التنبيه على ما يتعلق في كلِّ موضوع منها بمنهج ابن عطية نفسه، وبالطبعات السابقة والدراسات التي وقفنا عليها.

وقبل أن نبدأ بمنهجيتنا، لا بد أن نتوقف هنا عند نقطتين مهمتين، نصوغهما في شكل سؤالين؛ أحدهما: هل أَلَّف ابن عطية كتابه بإخراجة واحدة[1]، أم أن هناك احتمالاً لتعدد إخراجات الكتاب؟ والثاني: لماذا لا يكون في مقابلة الطبعات السابقة غنًى عن إعادة طباعة الكتاب وتصحيحه؟.

ولمناقشة السؤال الأول، نقول: إننا لم نقف في شيء من المصادر على ما يدل على تعدد إخراجات الكتاب، ولا شك أن ذلك لم يكن معهوداً في تلك الفترات.

لكن افتراض ذلك يبقى قائماً ـ وإن كان ضعيفاً ـ للقرائن التالية:

١ ـ وجود فروق بين النسخ في بسط العبارة واختصارها، وقد لاحظنا أن أكثر النسخ اختصاراً هي نسخة أحمد**٣** مع أنها مقابلة على نسخة المؤلف، وأكثر ما يكون ذلك في عرض القراءات؛ فنجد القراءة الثانية فيها غالباً مصوغة بعبارة مختصرة، وكذلك في بعض الأقوال والاحتمالات التي يذكرها المؤلف، وهذا النوع من التصرف

---

(١) المقصود بالإخراجة هي أن يصدر المؤلف نسخة من الكتاب، ثم يعدل فيها ويصدرها مرة أخرى بعد أن تكون النسخة الأولى خرجت من يده.

غير معهود بين النساخ، خاصة عندما تكون النسخة المختصرة أكثر قرباً للمؤلف، فمن المستبعد أن يقوم الناسخ ببسطها من عنده، ولو كان العكس لكان أسهل.

ومن أمثلة ذلك في أول سورة البقرة قوله ـ في أكثر النسخ ـ: «فكان ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي يهمزون: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ وما أشبهه»، وفي أحمد٣ بدل تسمية المذكورين: «فكان ما عدى السوسي وورش يهمزون» إلخ.

وبعده بقليل: «فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: يخادعون، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: يخدعون»، وجاءت القراءة الثانية في أحمد٣ هكذا: وقرأ الباقون: يخدعون.

وبعده بقليل أيضاً في الكلام على «قيل، وغيض، وسيء، وسيئت، وحيل، وسيق، وجيء»: «وكان ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة يكسرون أوائل هذه الحروف كلها»، وفي أحمد٣: وكان الباقون يكسرون... إلخ.

٢ ـ سرعة انتشار الكتاب في عصر المؤلف، رغم طول المدة التي قضاها في تأليفه، وليس هذا أيضاً برهاناً يطمأن إليه، وإن كان طول مدة التأليف يؤخذ من عبارات المصنف في المقدمة، وانتشاره يؤخذ من ذكر معاصريه له.

ويفترض في هذه الحالة أن يكون المؤلف أملى بعض أجزاء الكتاب أو نسخت منه، ثم نقحها بعد ذلك في المسودة النهائية.

ويمكن أن يستدل أيضاً على طول مدة التأليف بالتكرار الواقع في بعض المواضع، وتارة يكون هذا التكرار حرفيّاً، أو متفقاً في المعنى مع سابقه، وهو الأكثر، مع أن المؤلف ينبه أحياناً على أن المسألة تقدمت.

ومن ذلك أنه استشهد على معنى كلمة: «ذات» بالمثل المعروف: «الذئب مغبوط بذي بطنه»، حوالي عشر مرات، واستشهد عليه أيضاً بقول أبي بكر: «ذو بطن بنت خارجة» سبع مرات.

وتارة يكون مختلفاً كما في عزو بعض الأقوال أو القراءات أو الأشعار إلى غير من عزاها له في أول الكتاب، أو صياغتها باختلاف في الأسلوب يؤثر على المعنى، وربما باختلاف في المنهجية والمصادر أيضاً.

فمن أمثلة اختلاف العزو: أنه نقل عن الأعمش في سورة آل عمران أنه قرأ: «رضوان» بكسر الراء وضم الضاد، ثم نقل عنه في التوبة أنه قرأ بضمهما.

ومن ذلك أنه عزا فتح الغين من «الغرور» في آل عمران لعبد الله بن عمير، وعزاه لسماك بن حرب وأبي حَيْوَة، مكرراً في الحديد وفاطر.

ومن ذلك أنه عزا البيت: «ولقد طعنت أبا عيينة... إلخ» في سورة هود لجرير، وفي غافر لأبي أسماء بن الضريبة وهو الصواب.

وعلى كلٍّ فإن المسألة تبقى مجرد فرضية ضعيفة إلى أن يعثر على ما يؤكدها أو ينفيها.

أما السؤال الثاني المتعلق بمقابلة الطبعات السابقة، فقد تقدم بعض الكلام عنه في طبعات الكتاب، لكن نتوقف هنا عند كل طبعة بمفردها فنقول:

بالنسبة للطبعة المغربية فإننا لم نجد فيها ذكراً للمخطوطات التي اعتمدوا عليها، وليس في هوامشها أيُّ إشارة إلى فروق النسخ، إلا في مواضع يسيرة جدّاً بعبارة: «وفي نسخة:..»، كما تقدم في التعريف بالكتاب.

وبالنسبة لطبعة دار الكتب العلمية فليس فيها كذلك إثبات للفروق، ولا في مقدمتها توصيف للنسخة المعتمدة، لكن على الغلاف الخارجي لأجزائها أنها محققة عن نسخة أيا صوفيا استانبول، ورقم (١١٩)، (وهذا الرقم خاص بملف سورة البقرة كما أسلفنا)، وفي آخر المقدمة صورة لصفحتين منها هما: الصفحة الأولى من الكتاب، والأخيرة من سورة البقرة، ولكنها خالية من الهوامش، لا يوجد فيها تعليق ولا فروق نسخ، ولا غير ذلك، وكذلك الحال بالنسبة لطبعة ابن حزم، ليس فيها ذكر المخطوطات ولا هوامش المقابلة ولا غيرها.

أما الطبعة القطرية فقد ورد في مقدمتها أنه: «حين بدأ العمل في تحقيق هذا التفسير الجليل، كان الهدف الأَول هو البحث عن النسخ الخطية التي يمكن الرجوع إليها، وقد أُتيحت لنا فرصة الاعتماد على بعض النسخ المخطوطة، لكنها كلها تعرضت لأَضرار، كثيرةٍ أَو قليلة، واحتاجت منا إلى جهود واضحة حتى نصل إلى الأصل الذي لا نشك في أَنه عمل ابن عطية».

ومن خلال توصيف «أهم النسخ التي اعتُمد عليها في تصحيحها» نجد أنها ست نسخ، منها واحدة كاملة وهي النسخة التونسية، وخمس هي: الناصرية نسختان، واليوسفية والملكية والعرائش، ولم يوصف من كل منها إلا الجزء الأول فقط، وهو ينتهي في الملكية بنهاية الأنعام، وفي الناصرية الأولى أثناء سورة آل عمران، وفي الثانية بنهاية النساء، وفي الباقيتين بنهاية سورة البقرة، وهذا يوهم أن أكثر من ثلاثة أرباع الكتاب لم تكن عندهم منه إلا نسخة واحدة، لكن وجود فوارق النسخ في هوامش باقي الكتاب ينافي ذلك.

قال المحققون: «والنسخة التي جُعلت أَساساً للإخراج، وكان الاعتماد الأَول عليها، هي النسخة الناصرية التي تنتمي للأَوقاف، لأَنها مع ما أَصابها من أَضرار كانت أقرب النسخ إلى السلامة، أَما بقية النسخ فقد كانت مساعِدة ومُعِينة عند البحث».

والظاهر أن المقصود بهذه النسخة الناصريةُ الأولى التي ينتهي جزؤها الأول عند الآية (٩٦) من آل عمران ورقمه (٨٨٠)، أما الناصرية الثانية ذات الرقم (١٨٦)، فهي التي اعتمدناها نحن أصلاً، وتوجد فروق بيِّنة بينها وبين المطبوع، يَبعُد معه احتمال أن تكون مقابلة عليها، فلعل الجزء الذي تمت الاستعانة به منها لم يكن واضحاً.

ومن خلال المقابلة على النسخ التي حصلنا عليها لاحظنا تبايناً بين أجزاء المطبوع، في الاهتمام بفروق النسخ أكثر في بعضها منه في بعض، كما أن قرب بعض المخطوطات من المطبوع يختلف حسب أجزائه، كما سيتضح ذلك في هوامش فروق النسخ.

ثم قالوا في المقدمة: «وقد قصدنا في منهج عملنا أَن نحقق ما يأتي:

أولاً: الوصول بقدر الإمكان إلى الأصل الذي نطمئن إليه، والذي نثق أَنه كلام ابن عطية، والخطة الغالبة في هذا أَنه إذا اختلفت النسخ، وكانت كلها تمس الموضوع، أَن نشير إلى ما فيها من كلمات بلفظ (وفي بعض النسخ) من دون أَن تضاف، ولا أَن توصف بصفات، وأَن يعتبر ما زيد فيها من العبارات، ويتجاوز عما كان من النقص».

والخلاصة التي نخرج بها من هذا العرض، أن المطبوع صُحح على بعض النسخ، خصوصاً في الطبعة الثانية، إلا أن هذه النسخ التي «تعرضت كلها لأضرار كثيرة أو قليلة» لم تبيَّن بالقدر الكافي كما أن فروق النسخ المثبتة لم تذكر فيها أسماء النسخ.

وقد لاحظنا أنه تم التصرف في النص في بعض المواضع، فقد أثبتت كلمات وعلق عليها في الهامش بأنها أضيفت لأن السياق يقتضيها، وعدلت كلمات أو فقرات وتم التعليق على ذلك بأن مصدره هو كلام القرطبي أو أبي حيان الذي نقل نص كلام المؤلف.

والأغرب من ذلك أن يتم وضع نقاط بدل بعض الأقوال أو حتى الأحاديث، ويعلل ذلك بأنها تنافي جلال هذا الكتاب![١]

لذلك كله كان الجهد الأكثر في هذه الطبعة الجديدة منصبّاً على البحث عن النسخ المخطوطة وتصحيح الكتاب عليها، وسنبين في هذا الفصل مصادر النسخ التي حصلنا عليها، والمنهج الذي اتبعناه في المقابلة.

أولاً: توصيف النسخ المتوفرة:

يمكن تقسيم النسخ التي توفرت لدينا من تفسير ابن عطية إلى ما يلي:

أولاً: النسخ الكاملة:

هما اثنتان: نسخة مكتبة الزاوية الناصرية المغربية من مخطوطات الأوقاف بالخزانة العامة بالرباط، ونسخة نور عثمانية.

---

(١) انظر مثلًا تفسير سورة الفلق.

١ ـ نسخة مكتبة الزاوية الناصرية بالمغرب:

وهي خمسة أجزاء، خطها مغربي واضح، عليها أمارات المقابلة والعناية، ففيها إلحاقات مصحح عليها بنفس خط الناسخ، وعليها حواشٍ يرمز إليها بالرمز: «خـ» إشارة إلى نسخة، وتعليقات يرمز إليها بالرمز «ط»، أيضاً توجد تعليقات كتب أعلاها «ففــــ» بدون نقط، جميعاً بخط مغاير.

لكنها نسخة متأخرة، ففي آخر الجزء الثاني أنه قد نجز **نسخه** بتاريخ: **(١١٠٣هـ)**، وفي آخر الجزء الخامس أنه كمل في **(١١٠٥هـ)**، وفي آخر الجزء الأول **وقف** بتاريخ: **(١١٩٣هـ)**.

٢ ـ نسخة نور عثمانية رقم (١٨٦) بتركيا:

وهي جزء واحد يتكون من (٨١٥) ورقة، يحتوي على التفسير كله، خطه نسخي جميل جدّاً، كُتبت بعناية، الصفحة الأولى من التفسير بها زخرفة، وجميع اللوحات محاطة بمحدِّد، وبعض العناوين والكلمات كتبت باللون الأحمر، ووضع خط فوق الآيات عند بداية تفسيرها، وهي تشبه النسخ الخزائنية، وعليها وقف للسلطان بن السلطان أبي المحاسن والمكارم عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان، هذا الوقف كتبه: الحاج إبراهيم حنيف المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين، وعليها ختمه.

والسلطان عثمان هذا توفي عام (١١٧١هـ).

وعلى النسخة أمارات المقابلة والعناية، ففيها إلحاقات مصحح عليها، وعليها شرح للغريب من «النهاية» وغيرها بنفس خط الناسخ. لكنها نسخة متأخرة أيضاً.

وعلى النسخة نفس الختم الموجود على بعض أجزاء نسخة أحمد الثالث الآتي ذكرها.

تنبيه عام:

قد لا تكون كل أجزاء النسخة فيما يأتي مشتملة على الوصف المشار إليه، ولا

كل الأجزاء التي مصدرها واحد تمثل نسخة واحدة متصلة، فأبدأ بالمعني به، ثم أعرِّج على بقية الأجزاء، ليكون وصف النسخة كاملاً في مكان واحد.

ثانياً: النسخ الأقدم:

١ ـ نسخة فيض الله بتركيا:

وهي خمسة أجزاء، خطوطها مختلفة، كتب على الأول أنه نسخ سنة **٧٠٢هـ**، وعلى الثاني (**٧١٩هـ**)، ولم يكتب على الباقي تاريخ للنسخ، وعليها جميعاً خاتم فيض الله، فالأقدم هما الأول والثاني، ولكن سنكمل وصف الجميع هنا للمناسبة.

تفصيل وصف الأجزاء:

الجزء الأول: يبدأ من أول التفسير إلى آخر سورة آل عمران، عدد أوراقه: (**٢٤٨**) ورقة، والورقة لوحتان.

ناسخه: إسماعيل بن محمد بن أحمد بن يوسف بن إسماعيل التنوخي، بمدينة قوص، من الصعيد الأعلى.

تاريخ نسخه: (**٧٠٢هـ**).

خطه نسخي معتاد، وتوجد إلحاقات مصحح عليها.

وعليه تملك بتاريخ (**٩٨٩هـ**).

ووقف بتاريخ (**١١١٣هـ**) داخل ختم، لفظه: وقف شيخ الإسلام السند فيض الله أفندي غفر الله له ولوالديه، بشرط أن لا يخرج من المدرسة التي أنشأ بالقسطنطينية سنة **١١١٣هـ**.

وعلى لوحة العنوان: نظر في هذا التفسير المبارك عمر بن محمد الشافعي، غفر الله له ولوالديه.

الجزء الثاني: يبدأ من أول سورة النساء إلى آخر الآية رقم **٤٠** من سورة الأنفال، عدد أوراقه (**٢١٧**) ورقة.

ناسخه: إبراهيم بن سليمان بن عبد الصمد المغربي المالكي.

تاريخ نسخه: (**٧١٩هـ**).

عليه تملك بتاريخ (٨٠٨هـ).

خطه أقرب للرقعة، واضح ومشكول في معظمه.

في آخره: بلغ مقابلة على الأصل في مجالس متفرقة آخرها الثالث عشر من جمادى الآخر من شهور سنة تسع عشرة وسبع مئة بالقاهرة المحروسة بمدرسة..

بقية أجزاء نسخة فيض الله:

الجزء الرابع: يبدأ من أول سورة الفرقان إلى آخر سورة ص، عدد أوراقه (**٢٢٧**)ورقة.

خطه نسخي جميل، وبه بعض الشكل، وليس عليه اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.وفي آخره: طالعه أحمد بن الحسين...عفا الله عنه.

الجزء الرابع من نسخة أخرى خزائنية: يبدأ من أول سورة يس إلى آخر المصحف، لكنه ينتهي عند أول سورة الناس ولم تكمل، عدد أوراقه(**٢٤٣**) ورقة.

خطه نسخي متقن، يشتمل على لونين: الأسود والأحمر، وليس عليه اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، فالصفحة الأخيرة غير موجودة.

كتب على لوحة العنوان: برسم الخزانة العالية المولوية الأميرية الكبيرية الأجلِّية السيفية طقتم الخزندار الملكي الناصري. وعليها تذهيب على لوحة العنوان.

الجزء السادس: يبدأ من الآية رقم (**٨٤**) من سورة هود، وينتهي بالآية رقم (**٧٩**) من سورة الإسراء.

عدد أوراقه (**١٩٥**) ورقة.

وليس عليه اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

كتب الناسخ في آخر الجزء: كمل السفر السادس من التفسير، يتلوه في أول السابع: وقل رب...

لكن كُتب على لوحة العنوان وموضعين آخرين عقبها: الجزء الثالث، وما جاء بخط الناسخ هو الأصح الأوثق.

خطها مغربي واضح، لكن لا تحتوي على مقابلات أو بلاغات أو تعليقات.

٢ ـ نسخة آيا صوفيا:

وهي جزءان، الأول والرابع، ووجد معهما جزء آخر هو الجزء الخامس، لكن هذا تبين أنه من نسخة أحمد الثالث، كما سيأتي.

الجزء الأول:

رقم (**١١٩**) يبدأ من أول التفسير إلى آخر سورة البقرة، عدد أوراقه (**٢٢٨**) ورقة.

خطه نسخي متقن، وبه عناوين باللون الأحمر، وبه إلحاقات مصحح عليها.

تاريخ نسخه (**٧١٩هـ**) وكتب في آخره: تم الجزء الأول من التفسير للشيخ الفقيه الإمام العالم القاضي أبو [كذا] محمد عبد الحق ابن الفقيه الحافظ الإمام أبي بكر بن عطية أحد شيوخ المرية رضي الله عنهم أجمعين، والحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى سائر النبيين وآل كلٍّ وسائر الصالحين. وكان الفراغ من تعليقه اليوم السابع من شعبان المكرم سنة تسع عشرة وسبع مئة للهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، يتلوه في الجزء الثاني: سورة آل عمران، وكاتبه: محمد بن أحمد بن علي، عفا الله عنه ولطف به آمين.اهـ.

وعلى لوحة العنوان: قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان بن السلطان القاري: محمود خان وقفاً صحيحاً شرعيّاً...

وعلى اللوحة ختم كُتب عليه: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله. وكتب أسفل الختم وقف لم أتبين منه إلا لفظة: محمد، ومعه فورمة. وهذا الختم هو الموجود أيضاً على أجزاء نسخة أحمد الثالث الآتية.

الجزء الرابع:

رقم (**١٢٠**) يبدأ من أول تفسير سورة الأنفال، وينتهي بآخر سورة الرعد، **عدد** أوراقه (**٢٥٢**).

نفس خط الجزء الأول ووقفه وختمه ووصفه، وكتب في آخره: تم الجزء... (طمس) من كتاب تفسير القرآن العظيم لابن عطية بحمد الله تعالى وعونه ومنِّه وكرمه في اليوم الخامس من شهر جمادى الآخر سنة... وسبع مئة.اهـ، ولم يتضح لي كسر السنين قبل السبع مئة، لكن الذي يظهر أنه قريب من سنة تسع عشرة التي كتب فيها الجزء الأول.

٣ ـ نسخة أحمد الثالث:

وهي أربعة أجزاء، وينقصها جزءان. وجميعها عليه نفس الختم الذي سبق وصفه في نسخة آيا صوفيا.

الجزء الأول:

وهو أوثقها وأعلاها لمقابلته على نسخة المصنف كما سيأتي.

يبدأ من أول التفسير وينتهي بآخر سورة آل عمران، عدد أوراقه **٢٨١** ورقة، خطه نسخي معتاد.

تاريخ نسخه: (**٧٤٢هـ**) هكذا كتب على لوحة التعريف بالنسخة، وفي آخر النسخة: وافق الفراغ منه يوم الخميس تاسع عشر المحرم سنة.. وأربعين وسبع مئة غفر الله لمالكه وكاتبه وجميع المسلمين برحمة منه إنه أرحم الراحمين.اهـ.

ورقم الآحاد في سنة النسخ ليس تام الوضوح ولكنه الأقرب إلى: اثنتين.

وكتب بجوار هذا الفراغ: **بلغ المقابلة حسب الطاقة على نسخة المصنف** ولله الحمد. اهـ.

وتوجد بلاغات عديدة للمقابلة أثناء النسخة، مع إلحاقات مصحح عليها، وأحياناً يكتب فوق الكلمة في الحاشية: أصل، كما توجد بعض الحواشي كتب بجوارها: (حـ)، إشارة إلى نسخة، وتوجد أجزاء من بعض الصفحات بها طمس.

الجزء الثالث:

يبدأ من أول تفسير سورة الأنفال، وينتهي بآخر سورة النحل، عدد أوراقه **(٢٨٧)** ورقة.

خطه نسخي كالسابق.

تاريخ نسخه: (٧٤١ هـ) كتب في آخره: وقع الفراغ منه يوم الثلاثاء خامس عشر جمادى الأول سنة إحدى وأربعين وسبع مئة.اهـ وكتب بجواره: بلغ مقابلة.

توجد إلحاقات مصحح عليها، كما توجد بعض الحواشي كتب بجوارها: (حـ)، وأحياناً (نخـ) بدون نقط، إشارة إلى نسخة.

الجزء الخامس:

يبدأ من أول تفسير سورة الإسراء وينتهي في أثناء الآية **(٢٣)** من سورة الأحزاب، عدد أوراقه **(٢٦١)** ورقة. وقد كتب على لوحة العنوان: المجلد الثالث، وكتب أيضاً: الجزء الرابع، لكن ضرب عليه وكتب فوقه: الخامس، وهو الصواب الذي جاء بخط الناسخ كما سيأتي.

خطه كالخط السابق، وتاريخ نسخه: **(٧٤٣هـ)**، كتب في آخره: يتلوه في الجزء السادس قوله: «ومنهم من ينتظر» كمل الجزء الخامس ولله الحمد والمنة في يوم

الأربعاء ثالث شعبان سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة على يد الفقير إلى ربه المستغفر من ذنبه: **محمد ابن أحمد** غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين.اهـ.

توجد بلاغات للمقابلة، وإلحاقات وحواش قليلة، وعلى الكتابة ظلٌّ لكن الكلام واضح.

كتب على هذا الجزء: آيا صوفيا، وجاءنا ضمن أجزاء نسخة آيا صوفيا، لكنه من أجزاء نسخة أحمد الثالث لاستواء الناسخ والخط وترتيب المحتوى مع الجزء السادس الآتي.

الجزء السادس:

يبدأ من قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ الآية رقم **(٢٣)** من سورة الأحزاب، وهو تكملة للجزء السابق، وينتهي بآخر القرآن. عدد أوراقه **(٣١٠)** ورقة.

خطه نسخي معتاد كالسابق، وتاريخ نسخه **(٧٤٤هـ)**، كتب في آخره: وقع الفراغ من نسخه بحمد الله وكرمه يوم الجمعة ثالث صفر سنة أربع وأربعين وسبع مئة على يد الفقير إلى ربه المستغفر من ذنبه: **محمد بن أحمد بن محمد** غفر الله له ولوالديه ولمالكه ولجميع المسلمين برحمته آمين.اهـ.

عليه آثار المقابلة التي سبق وصفها.

٤ ـ نسخة دار الكتب المصرية:

وهي عبارة عن تسعة أجزاء، يُكمل بعضها بعضاً بخطوط مختلفة، لكنها أيضاً غير كاملة.

الأقدم من هذه الأجزاء، هي الخامس والثامن والعاشر، ثلاثتها بنفس الخط والوصف، وعليها وقف بتاريخ **(٧٥٥هـ)**. والأول عليه تملك بتاريخ **(٨١٩هـ)**، والباقي إما متأخر عن هذا وإما لا يوجد عليه أيُّ تواريخ، ونبدأ بوصف هذه الأربع.

الجزء الخامس:

يبدأ من الآية رقم (١٩) من سورة الأنفال، وينتهي بالآية رقم (٨٣) من سورة هود، عدد أوراقه (٢٣٦) ورقة.

عليه وقف باسم أبي المحاسن الحسن بن محمد بن عبد الله على طلبة العلم وقفاً صحيحاً شرعيّاً لا يباع ولا يوهب ولا يورث... وذلك في يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخر سنة خمس وخمسين وسبع مئة.

خطه نسخي جميل وواضح، لكن لا توجد أيُّ مقابلات أو حواش أو تعليقات.

وفي آخره: تم وكمل بحمد الله وعونه وحسن توفيقه...(طمس) من تفسير القرآن العظيم والآيات والذكر للفقيه القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية رحمه الله والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم يا من حلمه جاري اغفر للكاتب والقاري.اهـ

الجزء الثامن:

يبدأ من الآية رقم (١٢) من سورة النور، وينتهي بالآية رقم (٤) من سورة الأحزاب، عدد أوراقه (١٩٠) ورقة.

نفس البيانات السابقة.

الجزء العاشر:

يبدأ من الآية رقم (١٢) من سورة الحديد، وينتهي بآخر التفسير، عدد أوراقه (٢٤٠).

نفس البيانات السابقة.

الجزء الأول:

هو ضمن النسخة الأسدية، ولكنه مصور عن نسخة دار الكتب المصرية.

ويوجد مثله ضمن نسخة الخزانة العامة بالرباط، ملف رقم **(٤٠٥٣)** مكرر، ولكن هذه النسخة أوضح.

يبدأ من أثناء سورة الفاتحة وينتهي بالآية رقم **(٢٦٠)** من سورة البقرة، عدد أوراقه **(٢٠٧)** ورقة.

خطه نسخي جميل جدّاً مشكول، وعليه كأنه تملك بتاريخ **(٨١٩هـ)**.

بها إلحاقات مصحح عليها، ويوجد بعض الطمس على بعض الصفحات.

بقية أجزاء نسخة دار الكتب:

الجزء الثاني:

رقم **(٢٢٧)** يبدأ بما قبل الآية رقم **(١٠)** من سورة النساء وينتهي بالآية رقم **(٤٢)** من السورة نفسها، عدد أوراقه **(٢٨)**.

خطه نسخي جميل مشكول، هو نفس خط الجزء الثالث الآتي، وهو تتمته.

في آخر النسخة: كمل السفر الثاني من الكتاب الجامع المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز تأليف الإمام الفقيه القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية رحمه الله والحمد لله على ذلك كثيراً، يتلوه في السفر الثالث تفسير قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]....اهـ.

الجزء الثاني: عن النسخة الأسدية.

رقم **(٢٥٠٣٢ب)** المحفوظة بدار الكتب المصرية، يبدأ من أول سورة آل عمران وينتهي بالآية رقم **(١٤٧)** من سورة النساء، عدد أوراقه **(٢٠٤)** ورقة.

خطه مغربي، به طمس في العديد من الصفحات، وهي غير واضحة ولا يمكن الاستعانة بها.

تاريخ نسخه متأخر جدّاً، سنة **(١٠٨٧هـ)**.

ناسخه: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الرياجي ـ أو كذا قرأتها ـ وكتب في آخر النسخة: تم السفر الثاني من كتاب ابن عطية من عمل اثنا ـ كذا ـ عشر سفراً..

الجزء الثالث:

رقم (**٢٢٦**) هو تكملة للجزء السابق، يبدأ من الآية رقم (**٤٣**) من سورة النساء وينتهي بالآية رقم (**١٤٠**) من سورة الأنعام.

عليه وقف للمدرسة الحنفية المجاورة بجامع طولون، لكن ليس عليه تاريخ هذا الوقف.

خطه نسخي جميل مشكول، به إلحاقات مصحح عليها.

في آخر النسخة: كمل الجزء الثالث... ويتلوه الجزء الرابع إن شاء الله...

وهذا الرابع من هذه النسخة غير موجود ضمن نسخة دار الكتب.

الجزء الخامس:

يبدأ من أول تفسير سورة يونس، وينتهي بآخر تفسير سورة النحل، عدد أوراقه (**٢٦١**) ورقة.

عليه نفس الوقف السابق للمدرسة في الجزء الثالث.

نفس الخط النسخي المشكول، وفي آخر النسخة: كمل تفسير سورة النحل وبكماله كمل السفر الخامس فضلاً من الله ونعمة...

الجزء السادس من نسخة أخرى:

يبدأ بأول تفسير سورة النحل وينتهي بآخر سورة الكهف، عدد أوراقه (**١٨٢**) ورقة.

خطوطه مختلفة، آخرها خط مغربي، وبالنسخة طمس كثير، وعليها تملك باسم محمد بن محمد بن عبد الله.. الحنفي، لكن ليس بها أيُّ تواريخ.

٥ ـ نسخة الجار الله:

عبارة عن خمسة أجزاء.

الجزء الأول:

رقم (**٥٧**) يبدأ من أول التفسير وينتهي بالآية رقم (**٩١**) من سورة آل عمران، عدد أوراقه (**٣٠٠**) ورقة.

خطه نسخي جميل واضح، به عناوين بالأحمر.

توجد إلحاقات مصحح عليها، وحواشي فروق نسخ بالرمز (خـ)، وللجار الله واقف النسخة تعليقات عليها توقيعه.

عليها تملكات، أقدمها تاريخاً سنة (**٨١٩ هـ**)، ثم (**٩٧٣هـ**)، ثم (**٩٨٥هـ**)، ثم (**١١٣٣هـ**) للجار الله.

في آخر النسخة: تم الجزء الأول من المحرر الوجيز...وذلك بمدينة دمشق المحروسة...يتلوه في الثاني إن شاء الله قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: **٩٢**] اهـ.

كتب الجار الله على لوحة العنوان ما نصّه: وقد أثنى أبو حيان على المحرر الوجيز لابن عطية وقال: هو أجل من صنف في علم التفسير وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير، وقيل كتاب ابن عطية..وأجمع وأخلص وألخص وأغوص.

الجزء الأول من نسخة أخرى:

رقم (**٥٨**) يبدأ من أول التفسير وينتهي بالآية رقم (**٢٥٢**) من سورة البقرة، عدد أوراقه (**٢٢١**) ورقة.

خطه أقدم من السابق، وبه تظليل خفيف، وليس به لون أحمر، ولا حواشٍ وتعليقات. وعليه وقف الجار الله أيضاً بتاريخ (**١١٣٥هـ**).

كتب في الصفحة قبل الأخيرة بيتين من الشعر:ثم قال...تم بحمد الله وكتب في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وسبع مئة ٧٨٧هـ.

وكتب في آخره: تم الجزء الأول بحمد الله وحسن توفيقه يتلوه..قوله عز وجل: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

بقية أجزاء نسخة الجار الله:

الجزء الرابع:

رقم (٦٠) يبدأ من آية (١٤٦) من سورة الأعراف وينتهي أوائل يوسف آية (٢٥)، عدد أوراقه (٢٥٠) ورقة.

خطه نسخي جميل واضح، به عناوين بالأحمر، توجد إلحاقات مصحح عليها، وفروق نسخ، وبلاغات للمقابلة، وعليه وقف للجار الله بتاريخ (١١٣٨هـ).

وفي آخره: آخر الجزء الرابع والحمد لله وحده...يتلوه الجزء الخامس إن شاء الله تعالى تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ..﴾ [يوسف: ٢٦] الآية، أحسن الله العاقبة.اهـ.

وما جاء على لوحة العنوان أنه الجزء الثالث خطأ.

وأمام ما سبق كتب: كمل مقابلة بالمسجد الأقصى الشريف في شوال سنة ثمانين اهـ. ولم أتمكن من قراءة بقية التاريخ.

وهو نفس خط الجزء الثالث والسابع من النسخة السليمانية وستأتي.

الجزء الثاني:

رقم (٦١) يبدأ من آخر سورة آل عمران وأول النساء، وهو مبتور من أوله، وينتهي بالآية (٥٠) من سورة المائدة، عدد أوراقه (١٤٦) ورقة.

خطه نسخي جميل واضح، لكنه متأخر، به بعض الإلحاقات المصحح عليها،

في آخرها: نجز الجزء الأول بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، يتلوه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ...﴾ [المائدة: ٥١] في الجزء الثالث.

الجزء السادس:

رقم (٦٤) يبدأ من أول سورة الشعراء وينتهي بآخر سورة محمد، عدد أوراقه (٢٣٩).

خطه نسخي جميل واضح متأخر، به بعض الإلحاقات المصحح عليها، وبه عناوين جانبية بخط مختلف لبعض الموضوعات المهمة تبدأ بكلمة: مطلب، ووضعت خطوط حمراء فوق بداية سرد الآيات التي ستفسر.

عليه وقف للجار الله بتاريخ (١١٣٨هـ) ولا يوجد كولوفون.

٦ ـ نسخة قفوش:

هي عبارة عن ثلاثة أجزاء، كتب على لوحة التعريف بجزئين منها: أن تاريخ النسخ هو القرن الثامن، وثالثها القرن العاشر.

الجزء التاسع:

جزء من نسخة رقم (٥٨٢) يبدأ من أول تفسير سورة الحشر وينتهي بأول تفسير سورة التكاثر، عدد أوراقه (١٩٥) ناقص الآخر.

خطه نسخي واضح، ولا توجد بلاغات ولا آثار مقابلات أو تعليقات.

كتب على لوحة التعريف بالنسخة: تاريخ النسخ: القرن التاسع.

جزء آخر:

رقم (٥٨٢) يبدأ من أول سورة لقمان وينتهي بآخر سورة السجدة، عدد أوراقه (٢١٩).

نفس الخط الموصوف سابقاً، وبه أرضة في أغلب الصفحات. والظاهر أنه بنفس تاريخ النسخ.

الجزء الأول:

رقم (**٥٨١**) يبدأ من أول التفسير وينتهي أثناء تفسير الآية رقم (**٢٣**) من سورة المائدة، عدد أوراقه (**٤١٢**).

خطه مغربي غير تام الوضوح، ولا توجد بلاغات ولا آثار مقابلات أو تعليقات.

كتب على لوحة التعريف بالنسخة: تاريخ النسخ: القرن العاشر.

٧ ـ النسخة الأزهرية:

هي عبارة عن ثلاثة أجزاء، إحداها وهو الجزء **الأول** جاء على اللوحة أنه بخط جمال الدين الأميوطي، وهذا قد توفي سنة (**٧٩٠هـ**)، وكتب على لوحة التعريف بالجزء **الثاني**: تاريخ النسخ: حوالي القرن التاسع.

الجزء الأول:

يبدأ من أول القرآن وينتهي بالآية رقم (**٩٧**) من سورة البقرة، عدد أوراقه (**٩٧**) ورقة.

خطه نسخي جميل، به أسود وأحمر، عليه تعليقات علمية كثيرة، الظاهر أنها بقلم الناسخ نفسه، وهو أديب من فقهاء الشافعية كما سيأتي.

في أول النسخة وآخرها أن هذا الجزء بخط الشيخ العالم جمال الدين الأميوطي. نسبة إلى بلدة من قرى القاهرة بالغربية تسمى: أميوط.

وجمال الدين الأميوطي هذا الظاهرُ أنه هو الشيخ: إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن يحيى بن أبي المجد اللخمي المحدِّث المسنِد الشافعي الأميوطي

المصري ثم المكي، المولود سنة (٧١٥هـ) والمتوفى سنة (٧٩٠هـ)[١].

وعليه فتاريخ نسخ هذا الجزء قبل سنة وفاة الأميوطي، وهي سنة (٧٩٠هـ).

الجزء الثاني:

رقم (٦٨) ٨٩٩، يبدأ من أول القرآن وينتهي بآخر سورة النساء، عدد أوراقه (٢٨٣) ورقة بأسطر مختلفة.

كتب على لوحة التعريف بالنسخة: تاريخ النسخ: حوالي القرن التاسع.

خطه نسخي معتاد، ولا توجد بلاغات أو تعليقات أو حواشٍ.

عليه وقف باسم الشيخ أحمد بن المرحوم الشيخ أبي زيد... الشافعي الأزهري، وجعل مقره برواق السادة الأكراد المجاورين بالجامع الأزهر، تحريراً في ثامن عشر من شهر شعبان سنة إحدى وعشرين ومئة وألف (١١٢١هـ).

في آخره: تم الجزء الثاني من التفسير بحمد الله تعالى وعونه على يد الفقير.. محمد.. الحنفي.

الجزء الرابع:

يبدأ من أول سورة الأنعام وينتهي بكمال سورة الأعراف، عدد أوراقه (١٧٨) ورقة.

خطه قديم كما كتب على لوحة التعريف بالنسخة، لكن اللوحة الأخيرة من الجزء ـ والتي بها الكولوفون ـ، مقلوبة، لم أتبين منها إلا قوله في أولها: كمل تفسير سورة الأعراف.

على النسخة أثر المقابلة، وفيها طمس كثير.

(١) انظر ترجمته في إنباء الغمر بأنباء العمر في التاريخ للحافظ ابن حجر (٢/ ٢٩٤) والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي (١/ ٢٨) وبغية الوعاة للسيوطي (١/ ٤٢٧) والأعلام للزركلي (١/ ٦٤) ومعجم المؤلفين (١/ ٩٨).

ثالثا: النسخ المشتملة على بلاغات ومقابلات وفروق نسخ أو تعليقات وحواش سوى ما تقدم.

١ ـ النسخة السليمانية بتركيا:

عبارة عن أربعة أجزاء: عليها **جميعاً** وقفٌ داخل ختم كُتب فيه: وقف المرحوم مصطفى أفندي المشتهر بحاجي زاده[١] (يسر) الله له الحسنى وزيادة.

ومصطفى هذا الظاهر أنه مصلح الدين مصطفى بن يوسف بن صالح خواجه زاده البروسوي الرومي الحنفي، المشتهر بـ: حاجي زاده، المتوفى سنة (**٨٩٣هـ**) وعليه يكون تاريخ نسخ هذه النسخة قبل هذا التاريخ.

له تواليف، منها كتاب (التهافت ـ ط) في المحاكمة بين تهافت الفلاسفة للغزالي وتهافت الحكماء لأبي الوليد بن رشد، صنفه بأمر السلطان محمد الفاتح العثماني. وله (حاشية على شرح المواقف) ألفها بأمر السلطان بايزيد، ولم يتمها، وحواش وشروح في الحكمة وغيرها[٢].

قال الشوكاني: عالم الروم المشهور بالتحقيق، وجودة التصور، والذكاء المفرط، وإفحام من يناظره.

الجزء الأول:

رقم (**٦٣**) يبدأ من أول القرآن وينتهي بالآية رقم (**٢٧٣**) من سورة البقرة، عدد أوراقه (**٢٥١**) ورقة.

خطه واضح به أسود وأحمر، وتوجد تعليقات وحواش بخط مغاير أكثرها

---

(١) تنظر ترجمة مصطفى أفندي في البدر الطالع للشوكاني (**٢/ ٢٩٩**) وشذرات الذهب لابن العماد (**٧/ ٣٥٣**).

(٢) ينظر كشف الظنون (١/ ٥٠٩) لحاجي خليفة، والأعلام للزركلي (٧/ ٢٤٧).

تخريج حديث، وواضح أنه تخريج نفيس، وفي التعليقات نقولات نفيسة عن أهل العلم في تفسير الحديث، وفيها شرحُ غريبٍ منقولٌ عن الصحاح وغيره، وفيها ضبط بعض الأسماء والبلدان. الذي يظهر أنها جميعاً بقلم حاجي زادة صاحب وقف هذه النسخة.

في آخره: نجز الجزء الأول من المحرر الوجيز... يتلوه في الجزء الثاني إن شاء الله تعالى تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ..﴾ [البقرة: ٢٧٤].

الجزء الثاني:

رقم (٦٤) هو تكملة للجزء السابق، يبدأ من الآية رقم (٢٧٤) من سورة البقرة وينتهي بالآية رقم (١٤٧) من سورة النساء، عدد أوراقه (٢١٠) ورقة.

نفس النسخة السابقة، ونفس الختم، لكن لا توجد التعليقات المذكورة إلا نادراً جدّاً.

في آخره: نجز الجزء الثاني من كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، يتلوه الجزء الثالث إن شاء الله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨].

الجزء الثالث:

رقم (٦٥) وهو تكملة للجزء السابق، يبدأ من الآية رقم (١٤٨) من سورة النساء وينتهي بالآية رقم (١٤٥) من سورة الأعراف، عدد أوراقه (٢٤٢) ورقة.

نفس الخط السابق، ونفس الختم، وبه إلحاقات مصحح عليها، وبه حواشٍ عليها (نخـ) ـ بدون نقط ـ وبه بعض التعليقات عليها (حـ) وجميع ذلك بخطٍّ كُتب به في آخر النسخة: كمل مقابلة بحسب الطاقة بحمد الله في شوال سنة ثمانين اهـ. ولم أتبين ما كتب في هذا الموضع، وهذا الخط ونفسُ الرسم هو الذي كُتب به نحو هذه العبارة في آخر الجزء الرابع والسابع من نسخة الجار الله، وقد سبقت الإشارة إليها.

وفي آخر هذا الجزء: تم الجزء الثالث من التفسير المحرر الوجيز للكتاب العزيز،

يتلوه إن شاء الله تعالى تفسير قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ١٤٦] الآية.

الجزء السابع:

رقم (٦٦) يبدأ من الآية رقم (٣٦) من سورة الروم وينتهي بآخر سورة الفتح، عدد أوراقه (٢٦٦) ورقة.

نفس النسخة التي سبق وصف أجزائها الثلاثة السابقة، وعليها نفس الوقف، وتوجد المقابلات والإلحاقات والحواشي برموزها، وفي آخرها أيضاً: كمل مقابلة هذا الجزء بحمد الله القوي بتاريخ عشر ذي الحجة سنة ثماني اهـ، وسبق أني لم أتبين هذا التاريخ.

وآخره أيضاً: آخر الجزء السابع، والحمد لله حقَّ حمده، وصلواته على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم، يتلوه الجزء الثامن إن شاء الله تعالى تفسير سورة الحجرات.اهـ.

٢ ـ نسخة لا له لي بتركيا:

عبارة عن أربعة أجزاء، **الأول هو المراد هنا**، وعليه وعلى الثاني ختم كتب عليه: هذا وقف سلطان الزمان الغازي سليم خان ابن السلطان مصطفى خان عفا عنهما الرحمن.

وصاحب الوقف مولود في (١١٧٥هـ) ومتوفًّى في (١٢٢٣هـ) وكان من أفضل ملوك دولتِهِ، دمث الأخلاق مغرماً بالآداب[١].

الجزء الأول:

رقم (١١٩) يبدأ من أول القرآن وينتهي بآخر سورة آل عمران مع بعض من آخر سورة النساء حتى الورقة رقم (٢١٠)، ثم أواخر سورة الأنفال حتى ورقة رقم (٢٢٧)، ثم أوائل سورة التوبة إلى آخر الجزء، عدد أوراقه (٢٦١) ورقة.

---

(١) ترجمته في «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» لعبد الرزاق البيطار (١/ ٣٠٥) وفي «تاريخ الدولة العلية العثمانية» لمحمد فريد بك، طبعة دار النفائس (ص: ٣٦٣)، وغيرهما.

تاريخ نسخه: في (ص: ١٢٢) يمين كتب: الحمد لله حمداً كبيراً، كمل الجزء الأول من تفسير الإمام العالم العامل محيي السنة أبي محمد بن عطية.. في غرة شهر محرم الحرام افتتاح سنة اثنتين وخمسين وألف (١٠٥٢هـ).

خطه نسخي جميل جدّاً متقن، به بدايات بعض الفقرات وعناوين ونحو ذلك باللون الأحمر، وكذلك بعض الشكل والفواصل بالأحمر.

وتوجد عناوين جانبية بعضها بالأحمر للفوائد الموجودة في النص.

وتوجد إلحاقات مصحح عليها، واختلاف نسخ عليها الحرف (خ)، كما توجد بلاغات للمقابلة بلفظ: بلغت مع الأصل.

وتوجد تعليقات نفيسة على مواضع من النص عليها توقيع كأنه: «منه رحمه الله» كتبها بطريق الفورمة، ولا أدري من المقصود بكاتب هذه التعليقات.

وتوجد تعليقات ونقولات عن بعض الكتب بدون توقيع.

الجزء الثاني:

رقم (١٢١) يبدأ من الآية رقم (٢٤) من سورة النساء وينتهي بآخر سورة الأعراف، عدد أوراقه (٢٦٠) ورقة. وقد كتب على لوحة العنوان: من سورة طه، وهو خطأ.

نفس الخط واللونين والإلحاقات والبلاغات وفروق النسخ، ومشكول شكلاً كاملاً، لكن ليس فيه التعليقات المشار إليها في الجزء الأول. وعليه نفس الختم.

آخره: كملت السورة والحمد لله كما هو أهله وصلى الله على من عمت الأنام بركته وفضله.

الجزء السادس:

رقم(١٢٠) يبدأ من أثناء الآية رقم (٨٢) من سورة مريم، وينتهي بآخر سورة الروم، عدد أوراقه (٢٦٢).

في آخره: تم الجزء السادس من المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز مما عني بشرحه الإمام الحافظ أبو محمد عبد الحق بن عطية رحمه الله وعفا عنا وعنه بمنه وكرمه، يتلوه في الجزء السابع أول سورة لقمان إن شاء الله تعالى...

عليه نفس الختم.

وخطه كالسابقَين لكن ليس فيه إلحاقات ولا بلاغات ولا فروق النسخ ولا تعليقات.

الجزء السادس أخرى:

رقم (**١٢٢**) مبتور الأول من سورة لقمان، وينتهي أثناء آية رقم (**٢٣**) من سورة الزخرف، عدد أوراقه (**٢٤٨**) ورقة.

خطه مختلف عن السابقِين، وهو خالٍ عن الوصف الذي سبق في الأول، لكن عليه نفس الختم.

٣ ـ نسخة الحمزاوية:

عبارة عن أحد عشر جزءاً، ينقصها الجزء السادس فقط، وهو من الآية رقم (**٥**) من سورة إبراهيم حتى الآية (**١٧**) من سورة الإسراء، وبقية الأجزاء تستوعب سائر القرآن.

جميعها خطها نسخي جميل، أغلبها مشكول شكلاً كاملاً، سوى الجزء السابع فليس به شكل.

والمقصود هنا هو **الجزء الثاني**، نبدأ به ثم نكمل الباقي.

الجزء الثاني:

يبدأ من الآية رقم (**٢٦٧**) من سورة البقرة وينتهي بالآية رقم (**٤٠**) من سورة النساء، عدد أوراقه (**١٤٢**) ورقة.

خطه مشرقي جميل، مشكول.

في آخره: بلغ مقابلة، وبالنسخة إلحاقات مصحح عليها.

آخره: تم الجزء الثاني من تفسير القرآن العظيم لابن عطية بحمد الله ويتلوه في الثالث: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١]... وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

الجزء الأول:

يبدأ من أول القرآن وينتهي بالآية رقم (٢٦٦) من سورة البقرة، عدد أوراقه (٢٤٤).

خطه نسخي جميل، به بعض الشكل.

الجزء الثالث:

يبدأ من الآية رقم (٤١) من سورة النساء وينتهي بالآية رقم (٥٠) من سورة الأنعام، عدد أوراقه (٢٤٧) ورقة.

مشكول، وهو أشبه بالجزء الثاني، عليه آثار المقابلة.

الجزء الرابع:

يبدأ من الآية رقم (٥١) من سورة الأنعام وينتهي بالآية رقم (٦١) من سورة الأنفال، عدد أوراقه (٢٤٧) ورقة.

الجزء الخامس:

يبدأ من قبل الآية رقم (٥٩) من سورة الأنفال وينتهي بالآية رقم (٤) من سورة إبراهيم، عدد أوراقه (٢٤٤).

النسخة مبتورة الأول، بأولها قيد تملك باسم محمد بن عبد الله المطهري.

الجزء السابع:

يبدأ من الآية رقم (١٨) من سورة الإسراء وينتهي بآخر سورة المؤمنين، عدد أوراقه (٢٠١).

ليس به شكل.

الجزء الثامن:

يبدأ من أول سورة النور وينتهي بالآية رقم (٤٩) من سورة الأحزاب، عدد أوراقه (٢٥١).

الجزء التاسع:

يبدأ من الآية رقم (٥٠) من سورة الأحزاب، وينتهي بالآية رقم (٣٩) من سورة الزخرف، عدد أوراقه (٢٤٦).

الجزء العاشر:

يبدأ من الآية رقم (٤٠) من سورة الزخرف وينتهي بآخر سورة الممتحنة، عدد أوراقه (١٩٤) ورقة.

الجزء الحادي عشر:

يبدأ من أول سورة الصف وينتهي بآخر القرآن، عدد أوراقه (٢٢٠) ورقة.

النسخة تامة مشكولة سليمة، أُبرزت فيها أسماء السور ونصوص الآيات بخط غليظ أسود.

سائر النسخ:

١ ـ نسخة الخزانة العامة بالرباط:

هي عبارة عن أربعة أجزاء:

الجزء الأول:

فيلم رقم (٣١٤٣)، يبدأ من أول الكتاب وينتهي بآخر سورة البقرة، عدد أوراقه (٣٩١) ورقة.

خطه مغربي واضح، ولا توجد تعليقات أو حواشٍ، وفي آخره وقف أو تملك بتاريخ: ثامن عشر من رمضان المعظم عام واحد وخمسين ومئة وألف (١١٥١هـ).

الجزء الثاني:

فيلم رقم (**٣١٥٤**) يبدأ من أول سورة المائدة وينتهي بآخر سورة يوسف، **عدد** أوراقه (**١٥٢**) ورقة.

خطه مغربي غير تام الوضوح، وتوجد حواشٍ وإلحاقاتٌ مصحح عليها.

في آخره: هنا انتهى الجزء الثاني من المحرر الوجيز تأليف الإمام المجمع على تقديمه على غيره من التفاسير أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الغرناطي رحمه الله تعالى...على يد عُبيد الله وأحوجهم إلى عفو الله ومغفرته: محمد بن أحمد بن سليمان... الأندلسي الأصل...وكان الفراغ منه عشية يوم الأربعاء السادس والعشرين من ربيع الثاني عام سبعة وخمسين وألف (١٠٥٧هـ).

توجد في آخر الجزء عبارة: بلغت المقابلة.

الربع الثالث:

فيلم رقم (**٣١٥٥**) يبدأ من أول سورة مريم وينتهي بآخر سورة الصافات، **عدد** أوراقه (**١٦٢**) ورقة.

خطه مغربي واضح، به تعليقات وحواشٍ ومقابلات.

في آخره: نجز الربع الثالث من تفسير ابن عطية يتلوه الربع الرابع... على يد كاتبه لنفسه ولمن شاء الله بعده من أبناء جنسه: عمر بن الحاج الناصر...ثم الورثاجي... كان الله له ولوالديه... وكان الفراغ منه يوم السبت عند الزوال ثامن شعبان المبارك من عام واحد ومائتين وألف (١٢٠١هـ).

تكملة الجزء السابق:

فيلم رقم (**٣١٥٥**) أيضاً، يبدأ من أول سورة ﴿صٓ﴾، عدد أوراقه (**١٧٩**) ورقة.

فيه طمس كثير وشديد ولا يمكن الاعتماد عليها.

٢ ـ نسخة نجيبويه:

عبارة عن أربعة أجزاء.

١ ـ الجزء الثاني:

أوله سورة النساء وينتهي بآخر سورة الأعراف، عدد أوراقه (**٣٢٦**) ورقة.

خطه مغربي واضح ويحتوي على عدة ألوان.

في آخره: قد تم بحمد الله تفسير سورة الأعراف وهو تمام السفر الثاني من تأليف الشيخ الجليل الفقيه القدوة النبيل واسطة عقد المفسرين والمقدم على غيره عند جميع المحققين القاضي أبي محمد عبد الحق بن الفقيه العالم أبي بكر غالب بن عبد الوهاب ابن عبد الرحمن بن عطية الغرناطي الأندلسي رحمه الله.

ووافق الفراغ منه.. يوم الجمعة الرابع والعشرين من شهر الله المعظم رمضان سنة تسع وعشرين ومائتين وألف (**١٢٢٩هـ**).

٢ ـ الجزء الثالث:

أوله سورة الأنفال، ولم أتبين آخرها لأن به صفحات من آخره كثيرة لا تفتح.

نفس خط الجزء السابق.

الجزء الرابع:

يبدأ من سورة الكهف وينتهي بآخر سورة الصافات، عدد أوراقه (**٢٨٦**) ورقة.

نفس الخط السابق.

الجزء الخامس:

يبدأ من سورة ﴿صٓ﴾ وينتهي بآخر القرآن، عدد أوراقه (**٢٩٨**) ورقة.

نفس الخط السابق.

٣ ـ نسخة شيستربيتي:

عبارة عن الجزء الأول فقط، يبدأ من أول الكتاب، عدد أوراقه **(١٢٩)** خطه نسخي معتاد، وبه إلحاقات مصحح عليها، وعليه تملك باسم الفقير خليل بن الشيخ محمد... إمام الجامع الأموي في سنة (١٠٩٨هـ).

لكن أغلب الملف لم يفتح فلم أتمكن من الاطلاع على معظم النسخة لا سيما آخرها.

٤ ـ النسخة الأسدية:

عبارة عن خمسة أجزاء:

الجزء الأول والخامس:

مصوران عن دار الكتب المصرية، ولذا فقد وضعتهما هناك.

الجزء الثاني:

يبدأ من أول سورة آل عمران وينتهي بالآية رقم (١٤٧) من سورة النساء، عدد أوراقه **(٢٠٤)** ورقة.

خطه مغربي، غير تام الوضوح في عدة صفحات، وبه طمس في صفحات أخرى، وليست النسخة بالجيدة، وهي مصورة أيضاً عن النسخة المحفوظة بدار الكتب القومية تحت رقم **(٢٥٠٣٢)**.

في آخره: تم السفر الثاني من كتاب ابن عطية من عمل اثنا عشر سفراً بحمد الله تعالى وحسن عونه... على يد كاتبه: الراجي رحمة ربه محمد بن محمد بن أحمد الرياجي لطف به آمين، وكان الفراغ منه اليوم الأول من شعبان المبارك سبعة وثمانين وألف (١٠٨٧هـ).

الجزء الأخير:

مبتور من الأول، لا توجد لوحة للعنوان، يبدأ من آخر سورة الحاقة وأول سورة

المعارج، وينتهي بآخر القرآن، خطه مغربي دقيق، يوجد كولوفون بآخر ورقة به، اسم ناسخه: محمد بن عبد الرحمن.. ولم أتبين بقية اسمه، توجد إلحاقات بنفس خط الناسخ كأنه أمارة المقابلة. لا توجد أي تواريخ على النسخة.

جزء آخر جيد:

يبدأ من قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [فصلت: ٤٧]، وينتهي بأواخر تفسير سورة الناس، (٢٨٢) ورقة، ناقص الورقة الأخيرة، لا توجد لوحة العنوان ولا صفحة الكولوفون.

خطه نسخي معتاد، به حواشي فروق نسخ، وإلحاقات مصحح عليها، وكثير من التعليقات بخط مغاير، وتوجد عناوين جانبية مصدَّرة بكلمة: مطلب، كالعناوين لبعض الفوائد والمهمات.

عليها أمارات العناية.

جاءت مع النسخة ورقة لا يدرى هل هي تبع لها أم لا، لأنه كان معها مصورات أخرى، عليها ختم دار الكتب الظاهرية الأهلية، وفي أسفل الصفحة كلمة: المشتري، وأسفل منها تاريخ، لعله (٨٧١هـ).

٥ ـ نسخ الإمارات:

عبارة عن خمس عشرة نسخة، كتب عليها جميعاً: [MSDCF١٠١] وهذا اختصار لـ: أوستن نينادا للحفاظ وترقيم التاريخ فيما أظن، وأغلبها لا يمكن الاعتماد عليها بسبب الطمس والرطوبة.

ملف رقم (٥٨١٧٦):

مبتور الأول والآخر، يبدأ من أثناء سورة لقمان وينتهي أثناء سورة التكوير، ولا يظهر أن النسخة متصلة، فقبل الآخر تفسير سورة الفجر والشرح، وبالنسخة تآكلٌ من

الأطراف في أولها، ولا يوجد كولوفون ولا أي معلومات عن النسخة.

ملف رقم (٨٢٢٥٨):

لا يمكن الاعتماد عليها، كثيرة الطمس والرطوبة والتآكل، عليها ختم: وزارة التهذيب الوطني، مكتبة ابن يوسف بمراكش، بالمغرب.

به تاريخ لم أتبينه، وهو يشتمل على تفسير سورة النساء.

ملف رقم (٨٨٢٦١):

مبتور الأول والآخر، به من تفسير سورة سبأ إلى أول سورة الصافات.

الخط مغربي واضح، يوجد بعض الطمس، وترقيم الصفحات غير واضح.

ملف رقم (١٤٣٤٣٧):

نفس الخط المغربي، والنسخة كأنها قطع متفرقة، فيها من أول التفسير وآخره.

في آخره: كمل السفر الخامس من تفسير القرآن العظيم.. يتلوه من أول السادس تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام.

وفيه: وقيد في سادس عشر ربيع النبوي خمسة وأربعين ومئة وألف (**١١٤٥هـ**).

ملف رقم (١٥١٤٦٨):

السفر السادس يبدأ من أثناء سورة الفرقان وينتهي بآخر سورة يس.

عليه نفس ختم وزارة التهذيب الوطني بمراكش.

به طمس كثير ولا يمكن الاعتماد عليه.

ملف رقم (١٦٢٤٧١):

السفر الأول من الكتاب، من أوله إلى آخر البقرة.

لا يمكن الاعتماد عليه، إلا استئناساً في بعض المواضع التي تُشْكِل في سائر النسخ.

عليه وقف بتاريخ ثمانية وسبعين وتسع مئة فيما يظهر (**٩٧٨هـ**).

ملف رقم (١٦٧٤٩٣):

مبتور الأول والآخر، يبدأ من أثناء سورة الأنفال إلى أثناء سورة الحجر.

كسابقه لا يمكن الاعتماد عليه إلا استئناساً.

ملف رقم (٢٠٣٦٣٣):

يبدأ من أول القرآن وينتهي بآخر سورة البقرة. كسابقه.

ملف رقم (٢٠٨٦٣١):

يبدأ من أول سورة الكهف وينتهي بآخر سورة القصص.

عليه نفس ختم وزارة التهذيب الوطني بمراكش المغرب.

وعليه نفس الوقف والتحبيس الذي سبق في الملف رقم (١٦٢٤٧١) لكن بتاريخ تسع وسبعين وتسع مئة (٩٧٩هـ).

ملف رقم (٢١٤٦٥٣):

مبتور الأول والآخر، يبدأ من أواخر سورة إبراهيم وينتهي بأواخر سورة الأنبياء.

عليه نفس الختم السابق.

نفس الخط وسوء النسخة.

ملف رقم (٢١٩٦٥٦):

يشتمل على تفسير سورة آل عمران، لكنها غير كاملة.

نفس الخط لكن الطمس قليل.

ملف رقم (٢٢٢٦٨٣):

يبدأ من أول سورة الأنفال وينتهي بآخر سورة يوسف.

عليه نفس الختم السابق، وهو بنفس الخط، والطمسُ كثير جدّاً.

ملف رقم (٦٤١٧):

يبدأ من أول القرآن، وهو مبتور الآخر، آخره أثناء الآية قبل الأخيرة من سورة البقرة.

نفس الخط وهو واضح، وبالنسخة بعض آثار أرضة.

عليه ختم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مصورة عن دار الثقافة بالمغرب.

ملف رقم (٦٤١٨):

الجزء الثاني مبتور الأول يبدأ أثناء قصة قابيل وهابيل من سورة المائدة وينتهي بآخر سورة هود.

خط مغربي بقلم محمد بن موسى البرنوجي النسب الشبشاريني الدار والمنشأ صبيحة السبت واحد وعشرين من صفر عام خمسة وأربعين وألف (**١٠٤٥هـ**).

في آخره: كملت سورة هود والحمد لله رب العالمين، هنا انتهى الجزء الثاني من المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.

النسخة جيدة وعليها تعليقات نفيسة.

عليه ختم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مصورة عن دار الثقافة بالمغرب.

ملف رقم (٨٩٢٢):

الجزء الأخير، ناقص الأول والآخر، وهو غير متصل، يبدأ من أثناء الآية **٢٣** من سورة العنكبوت، وفي آخره تفسير سورة الماعون، عدد أوراقه (**٣٨٠**) ورقة.

خطه نسخي معتاد، عليه آثار المقابلة.

عليه ختم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مصورة عن دار الثقافة بالمغرب.

ملكه عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، إهداء من مكتبة العسافي.

تنبيه:

سبق أن بعض النسخ لم أستطع قراءة التاريخ الموجود عليها، وأظن أن الأولين كتبا بالتركية.

وهي:

١ ـ النسخة السليمانية الجزء الثالث والسابع.

٢ ـ نسخة الجار الله الجزء الرابع.

٣ ـ نسخة الإمارات ملف رقم (**٨٢٢٥٨**).

وقد قام بكتابة هذا التوصيف الشيخ إبراهيم سعيد الصبيحي الباحث بوحدة التدقيق.

ثانياً: النسخ التي وقع الاختيار عليها للمقابلة:

وبعد الاطلاع على جميع النسخ السابقة، والتي وصل عدد ملفاتها **٨٣** ملفّاً، قمنا بتحديد عدد سبع نسخ، تم اختيارها حسب أقدمية التاريخ وجودة الخط، وآثار التصحيح والمقابلة، ومن هذه النسخ اثنتان كاملتان، وثلاث شبه كاملة لا ينقص كلّاً منها إلا ملف واحد، ونسختان ملفقتان، ونبين ذلك في العرض التالي:

أولاً النسخ الكاملة:

النسخة الأولى: نسخة مكتبة الزاوية الناصرية بالمغرب: **١٠٠**٪.

وقد تمت الإشارة إليها في الهوامش بعبارة «الأصل»، وذلك باعتبارها أول نسخة كاملة حصلنا عليها.

النسخة الثانية: نسخة نور عثمانية رقم (**١٨٦**) بتركيا: **١٠٠**٪.

النسخ شبه الكاملة:

النسخة الثالثة: نسخة الحمزوية: **٩٥**٪.

عبارة عن أحد عشر جزءاً، ينقصها الجزء السادس فقط، وهو من الآية رقم (**٥**)

من سورة إبراهيم حتى الآية (١٧) من سورة الإسراء، وبقية الأجزاء تستوعب سائر القرآن، وقد تم تعويض ذلك النقص من النسخة الإماراتية، لتصبح النسخة كاملة.

النسخة الرابعة: نسخة نجيبويه: **٨٨٪**.

عبارة عن خمسة أجزاء ينقصها الجزء الأول فقط وهو من أول الكتاب إلى نهاية آل عمران، والمتوفر منها أربعة أجزاء من أول سورة النساء إلى آخر الكتاب، وقد حصلنا عليها من طرف الشيخ الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب حفظه الله، صاحب مكتب نجيبويه لخدمة التراث.

النسخة الخامسة: نسخة أحمد الثالث: **٨٥٪**.

وتقع في ستة أجزاء (أو خمسة) ينقصها الجزء الثاني من أول النساء إلى نهاية الأعراف، وسائرها متوفر، وهي أوثق النسخ وأعلاها، لمقابلتها على نسخة المصنف كما تقدم.

وقد تم تعويض الناقص من هاتين النسختين وهو من أول القرآن إلى آخر الأعراف من الملفين الأولين المهمين من نسخة فيض الله بتركيا:

كتب على الأول أنه نسخ سنة (**٧٠٢هـ**)، وهو أقدم تاريخ في النسخ كلها، وعلى الثاني (**٧١٩هـ**)، وهو الذي يليه، وبذلك تصبح النسختان كاملتين أيضاً.

النسخة السادسة: (ملفقة).

تم اختيار قسمين منها من النسخة الأسدية يمثلان **٤٥٪**.

القسم الأول: يبدأ من أوائل الأنفال إلى بداية مريم.

القسم الثاني: يبدأ من قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [فصلت: ٤٧] ، وينتهي بأواخر تفسير سورة الناس.

ويتبقى من هذه النسخة من الكتاب قسمان:

القسم الأول: من أول القرآن إلى أواخر سورة الأعراف، وقد تم تعويضه من الأجزاء الثلاثة الأولى من النسخة السليمانية، الأول ينتهي عند الآية رقم (**٢٧٤**) من سورة البقرة، والثاني: تكملة له، وينتهي بالآية رقم (**١٤٧**) من سورة النساء، والثالث: تكملة لهما أيضاً.

القسم الثاني: من أول سورة مريم إلى أواخر سورة فصلت، وقد تم تعويض بعضها من الجزء السادس من نسخة لا له لي الذي يبدأ أثناء الآية رقم (**٨٢**) من سورة مريم، وينتهي في آخر سورة الروم، وجزء آخر منها يبدأ من سورة لقمان وينتهي أثناء الآية رقم (**٢٣**) من سورة الزخرف.

النسخة السابعة: (ملفقة أيضاً).

تم اختيار قسمين منها من المصرية والأسدية يمثلان **٢٩**٪.

القسم الأول: من الجزء الخامس من دار الكتب المصرية: من أول يونس إلى نهاية الكهف

يبدأ من أول تفسير سورة يونس، وينتهي بآخر تفسير سورة النحل، والجزء السادس من نسخة أخرى منها يبدأ بأول تفسير سورة النحل وينتهي بآخر سورة الكهف، عدد أوراقه (١٨٢) ورقة.

القسم الثاني: من الجزء الأخير من الأسدية (أخرى)، يبدأ من أول الذاريات، وينتهي بآخر القرآن.

ويتبقى من هذه النسخة أيضاً قسمان:

القسم الأول: من أول التفسير إلى نهاية سورة التوبة.

وقد تم تعويض جزء منه من أول الكتاب إلى أثناء آل عمران من الجزء الأول من نسخة جار الله، وهو يبدأ من أول التفسير وينتهي بالآية رقم (**٩١**) من سورة آل عمران.

وتعويض جزء آخر منه من الجزء الثاني من نسخة لا له لي يبدأ من الآية رقم (٢٤) من سورة النساء وينتهي بآخر سورة الأعراف.

وتعويض باقيه من الجزء الرابع من جار الله، رقم (٦٠) يبدأ من آية (١٤٦) من سورة الأعراف وينتهي أوائل يوسف آية (٢٥).

القسم الثاني: من أول مريم إلى نهاية ق.

وتم تعويض جزء منه من النسخة الإماراتية من أول مريم إلى نهاية النور، وجزء آخر من نسخة فيض الله يبدأ من سورة الفرقان.

وهناك بعض النسخ التي تم الاستئناس بها دون أن تعتمد للمقابلة، وتمت الإشارة إلى المواضع التي استفدنا منها فيها في الهامش، منها:

نسخة أيا صوفيا التركية، النسخة الأزهرية المصرية، الخزائنية، نسخة شستربيتي، إضافة إلى الأجزاء التي لم يقابل عليها من فيض الله والإماراتية والسليمانية وجار الله ولاله ليه.

ثالثاً: منهج إثبات فروق النسخ

نظراً لتعدد المناهج والطرق المتبعة في مطابقة المطبوع لمخطوطاته الأصلية، فقد وضعنا بعض المعايير والضوابط لتوحيد عمل اللجان المختلفة العاملة في المقابلة، حتى يسير العمل بمنهجية موحدة ما أمكن، ومنها:

- كتابة أسماء النسخ مختصرة دون الرمز لها بحروف أو أرقام.
- تسمية النسخة المغربية بالأصل.
- إضافة أرقام صفحاتها عند بداياتها بين معكوفتين [/] مع ذكر رقم مجلد المخطوط أولاً ثم رقم الصفحة بعد الخط المائل.

• إثبات المسائل التالية من الأصل فقط دون الإشارة إلى اختلاف النسخ بينها إلا لسبب خاص، وهي:

١ـ ألفاظ الصلاة النبوية والترضي والترحم ونحو ذلك.

٢ ـ عبارة «قال القاضي أبو محمد» وما في معناها.

٣ـ تحديد بدايات المقاطع القرآنية.

• استبعاد الخلافات الشكلية من النسخ الثانوية، والمقصود بها ما لا يحتمل أن يكون مقصوداً للمؤلف، إذا كان خطأً واضحاً ومخالفاً للنسخ الأخرى.

• الرجوع للنسخ الاستئناسية في الحالات التالية:

١ـ عدم وضوح المعنى في النسخ المعتمدة للمقابلة.

٢ـ اختلاف المثبت في النص مع ما في مصادره الأصلية.

• مراعاة المعنى عند قراءة النص في المقابلة.

• في حالة وجود اختلاف بين النسخ في كلمة واحدة نضع الهامش بعدها دون معكوفات ونثبت الفرق، وفي حالة وجود سقط أو زيادة نميز النص محل الخلاف بالمعكوفتين ونضع الهامش بعده.

• الخلاف المتعلق بالنصوص الشعرية نضعه بعد التعليق على البيت في الهامش دون وضع رقم له بين كلمات البيت.

رابعاً: نماذج من صور بعض المخطوطات المشار إليها سابقاً:

الصفحتان الأولى والأخيرة من نسخة نور العثمانية

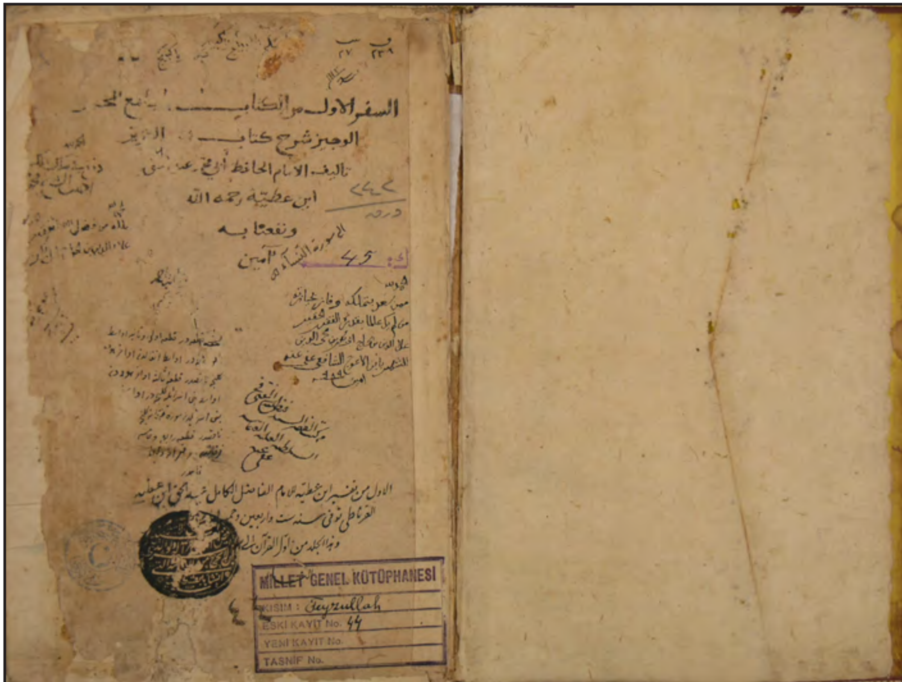

صفحتان من نسخة فيض الله الجزء الأول والثاني

السفر الثاني من الكتاب الجامع المحرر
الوجيز في شرح كتاب الله العزيز
تأليف الإمام الحافظ أبي محمد عبد الحق بن
عطية رحمه الله ونفعنا به
آمين

صفحتان من نسخة فيض الله الجزء الرابع

صفحتان من نسخة لاله ليه

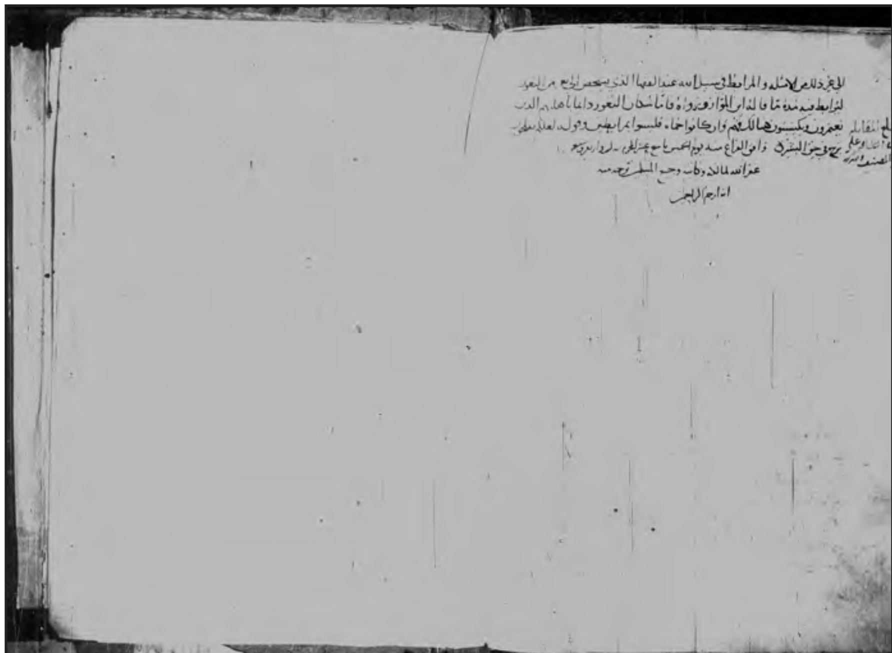

الورقة الأولى والورقة الأخيرة من نسخة أحمد٣ الجزء الأول

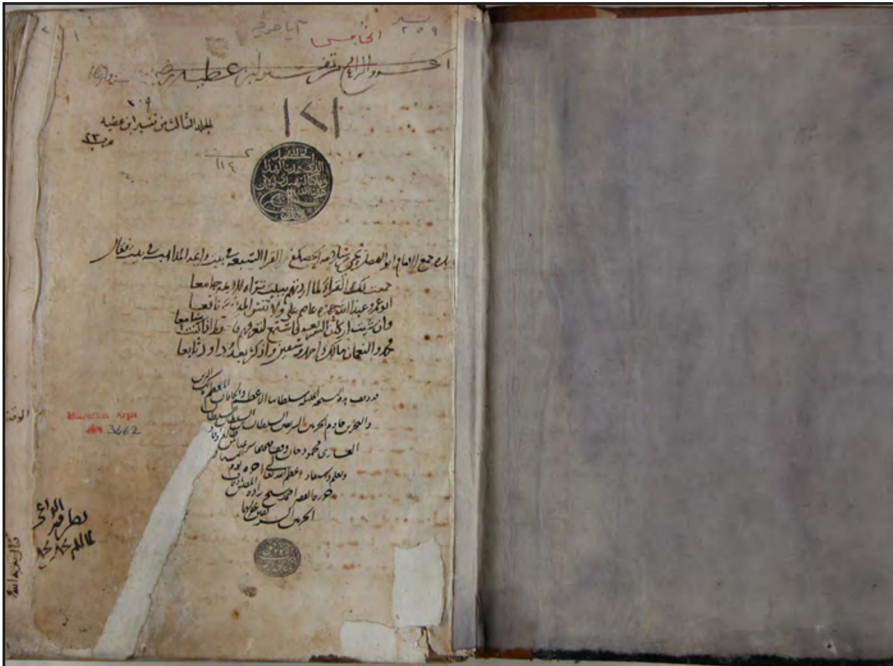

الورقة الأولى من الجزء الخامس والأخيرة من الجزء السادس من نسخة أحمد٣

الجزء الأول من المحرر الوجيز
في تفسير كتاب الله العزيز
تأليف الفقيه الإمام الحافظ أبي محمد عبد الحق
بن الفقيه الإمام الحافظ المحدث أبي بكر بن عطية
رضي الله عنهما ورحمهما وغفر لهما
بمنه وكرمه

الورقة الأولى والورقة الأخيرة من الجزء الأول من جار الله

الورقة الأولى والورقة الأخيرة من الجزء الأول من السليمانية

بسم الله الرحمن الرحيم رب سهل وتمم

قوله عز وجل:

أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن
كان في ضلال مبين فإما نذهبن بك فإنا
منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم
فإنا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذي
أوحي إليك إنك على صراط مستقيم وإنه لذكر
لك ولقومك وسوف تسألون واسأل من أرسلنا
قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون

لما ذكر الله تعالى حالة الكفار في الآخرة وما يقال لهم وهم في العذاب اقتضى ذلك أن تشفق النفوس وأن ينظر كل سامع لنفسه ويسعى في خلاصها فلما كانت قريش مع هذا الذي سمعت لم تزل عن عتوها وإعراضها عن أمر الله رجعت المخاطبة إلى محمد صلى الله عليه وسلم على جهة التسلية له عنهم وشبههم بالصم العمي إذ كانت حواسهم لا تفيد شيئا. وقوله ومن هو في ضلال مبين يريد بذلك قريشا بأنفسهم ولذلك لم يقل أو من كان بل جاء بالواو العاطفة كأنه يقول وهؤلاء ويبين ذلك أيضا عود الضمير عليهم في قوله فإنا منهم ولم يجر لهم ذكر إلا في قوله ومن كان وقوله تعالى فإما نذهبن بك الآية يتضمن وعيدا واقعا. وذهب جمهور العلماء إلى أن

الورقة الأولى من الجزء العاشر من الحمزوية

11
220 ب

وقوله الخناس معناه الراجع على غفلة المستتر احيانا وذلك في الشيطان
ممكن اذا ذكر العبد الله تعالى وتعوذ كما قال الله تعالى إن
الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا الله فاذا هم مبصرون
واذا فرضنا ذلك في الشهوات والغضب ونحوها فهو يخنس بذكر النفس
اللوامة وبلمة الملك وبان الحيا يردع والايمان يردع بقوة فيخنس تلك
العوارض المتحركة ويقع عند من اعين بتوفيق وقد اندرج هذان
المعنيان من الوسواس في قوله تعالى من الجنة والناس اي من الشياطين
ونفس الانسان ويظهر ايضا ان يكون قوله والناس يراد به
من يوسوس بخدعه من البشر ويدعوا الى الباطل فهو في ذلك كالشيطن
وكلهم والناس عرضا له ٥ وروى الدوري عن الكسائي انه امال
النون من الناس في حال الخفض ولا يميل في الرفع والنصب ٥ وقالت
عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوى
الى فراشه جمع كفيه ونفث فيهما وقرا قل هو الله احد والمعوذتين
ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدا براسه ووجهه وما اقبل من جسده
يفعل ذلك ثلثا ٥ وقال قتادة رحمه الله ان من الناس
شياطين ومن الجن شياطين فتعوذوا بالله من شياطين الجن والانس
تم تفسير المعوذة الثانية ٥
وتمامها كمل التفسير المبارك
والحمد لله كما هو اهله ومستحقه وصلواته على محمد واله وصحبه وسلم

الورقة الأخيرة من الحمزوية

الورقة الأولى من النسخة المغربية الناصرية (الأصل)

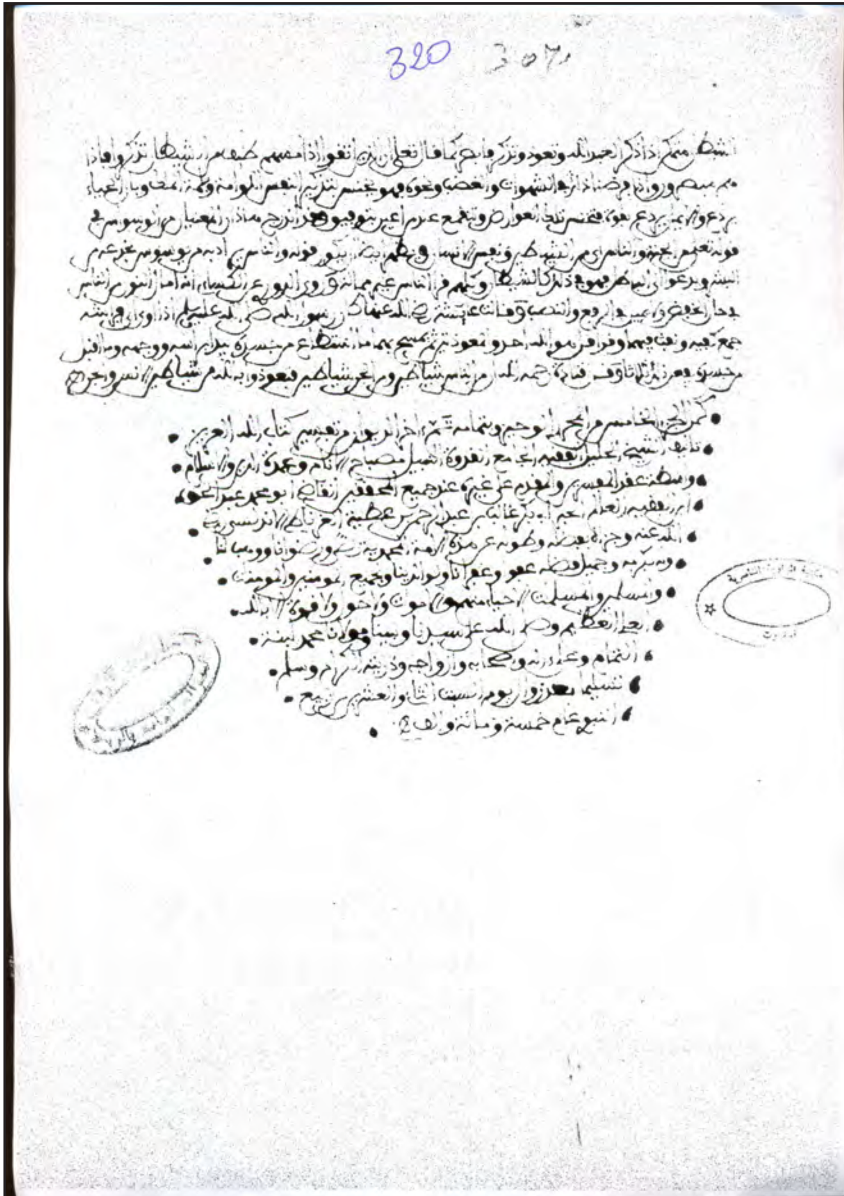

صورة الورقة الأخيرة من النسخة المغربية (الأصل)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين... وهو حسبنا ونعم الوكيل.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١)

الحمدُ لله الذي برأ النَّسَم(٢)، وأفاض النعم، ومنح القِسَم(٣)، وَسَنَّى(٤) من توحيده وعبادته العِصَم(٥)، ذي العزة القاهرة، والقدرة الباهرة، والآلاء المتظاهرة، الذي أوجدنا بعد العدم، وجعلنا الخيار الوسط في الأمم، وخَوَّلَنا(٦) عَوارِفَ لا تحصى، وهدانا شرعة رمت بنا من رضوانه إلى الغرض الأقصى.

---

(١) جاء بين البسملة ومقدمة المؤلف في النسخ نسبة القول إليه، وهو من فعل النساخ كما هو معلوم، وقد اختلفت النسخ في ذكر اسمه بين التطويل والاختصار، وأطول ذلك ما جاء في نسخة الأصل، حيث ورد فيها ما يلي: «قال الشيخ الإمام الفقيه الأجل الحافظ الأكمل القاضي الأعدل، أبو محمد عبد الحق ابن الفقيه الإمام الحافظ أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرءوف بن تمام بن عبد الله ابن تمام بن عطية بن خالد بن عطية ـ وهو الداخل إلى الأندلس ـ بن خالد بن خفاف بن أسلم ابن مكرم المحاربي من ولد زيد بن محارب بن خصفة بن قيس عيلان من أهل غرناطة رحمه الله ونفعه والمسلمين بما دوَّن».

(٢) بَـرَأ كجعل، أي: خلق، والنَّسَم بفتحتين، أي: نَفَسُ الروح، أو جمع نَسَمة، فالمراد: أي الذي خلق جنس النفَس ـ بفتح الفاء ـ أو الذي خلق الأنفاس، انظر: القاموس المحيط، ط/ مؤسسة الرسالة، وتاج العروس ط/ دار الهداية مادتي: (برأ، ونسم).

(٣) القِسَمُ ـ بكسر القاف وفتح السين ـ جمع قسمة بكسر القاف وسكون السين، وهي: الحظُّ والنَّصيبُ من الخير، انظر: القاموس المحيط مادة: (قسم).

(٤) سنى بتشديد النون، أي: فتح وسهل، قال في القاموس المحيط مادة: (سنى): «وسناه تسنية: سهله وفتحه».

(٥) العصم كعنب: جمع عصمة بالكسر ويضم، أي: ما يعتصم به، انظر: القاموس المحيط، وتاج العروس مادة: (عصم).

(٦) خوَّلنا، أي: أعطانا، انظر: القاموس المحيط مادة: (خول).

أنزل إلينا القرآن العزيز، وَعَدَ فيه وبشَّر، وأوْعَدَ وحذَّر، ونهى وأمر، وأكمل فيه الدين، وجعله الوسيلة النَّاجِحَة[١]، والحبل المتين، ويسره للذكر، وخلَّده غابرَ الدهر، عصمةً للمعتصمين، ونوراً صادعاً في مشكلات المختصمين، وحجةً قائمةً على العالم، ودعوةً شاملةً لفرق بني آدم، كلامه الذي أعجز الفصحاء، وأخرس البلغاء، وشرف العلماء، له الحمد دائِباً، والشكر واصِباً[٢]، لا إله إلا هو رب العرش العظيم.

وأفضل الصَّلاةِ والتَّسليم، على محمدٍ رسولِهِ الكريمِ، صفوته من العباد، وشفيع الخلائق في المعاد[٣]، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، الناهض بأعباء الرسالة والتبليغ الأعصم، والمخصوص بشرف السعاية في الصلاح الأعظم، صلى الله عليه وعلى آله صلاةً مستمرَّةَ الدَّوام، جديدةً على مرِّ الليالي والأيام، وبعد:

أرشدني اللهُ وإيَّاك، فإني لما رأيتُ العلومَ فنوناً، وحديث المعارف شجوناً، وسلكت فإذا هي أودية، وفي كلٍّ للسلف مقامات حسان وأندية، رأيت أنَّ الوجه لمن تَشَزَّنَ[٤] للتحصيل، وعزم على الوصول، أن يأخذ من كلِّ علم طرفاً خياراً، ولن يذوق النوم مع ذلك إلا غِراراً[٥]، ولن يرتقي هذا النَّجْد[٦]، ويبلغ هذا المجد، حتى يُنْضي مطايا الاجتهاد، ويصل التَّأْوِيبَ بالإسآد[٧]، ويَطْعَم الصَّبِر[٨] ويكتحل بالسُّهاد[٩].

---

(١) في المطبوع: «الناجعة».

(٢) أي: دائماً، انظر: القاموس المحيط، مادة: (الوصب).

(٣) في نور العثمانية: الميعاد.

(٤) في أحمد٣: تشرف، وفي المطبوع: تشوق، وفي القاموس مادة (شزن): تشزَّن؛ أي: انتصب له في الخُصُومة وغيرها».

(٥) الغرار بكسر الغين: القليل من النوم، انظر: القاموس المحيط مادة (غرر).

(٦) النجد ـ كما في القاموس ـ: ما أشرف من الأرض، والمقصود به هنا: شَرَفُ العلم ورِفْعَتُه.

(٧) التأويب: الرجوع، والإسْآد: سَيْرُ الليل بلا تعْرِيسٍ، والتعريس: نزول آخر الليل للاستراحة، انظر: القاموس المحيط، مادة: (أوب)، و(سأد)، و(عرس).

(٨) قال في القاموس المحيط: «والصبر ككتف ولا يسكن إلا في ضرورة الشعر: عصارة شجر مر».

(٩) السُّهاد: هو الأرق، انظر: تاج العروس مادة: (السهد).

فجريت في هذا المضمار صدر العمر طَلَقاً[١]، وأدْمَنْتُ[٢] حتى تفسَّخْتُ[٣] أيْناً[٤]، وتصببت عرقاً، إلى أن ابتهج[٥] بفضل اللهِ عملي، وحزت من ذلك ما قسم لي، ثم رأيت أن من الواجب على من احْتَبَى[٦]، وتخيَّر في العلوم واجتبى، أن يعتمد على علم من علوم الشرع، يستنفد فيه غاية الوسع، يجوب آفاقه، ويتتبع أعماقه، ويضبط أصوله، ويُحكم فصوله، ويلخص ما هو[٧] منه، أو يؤول إليه، ويُعنى[٨] بدفع الاعتراضات عليه، حتى يكون لأهل ذلك العلم كالحصن المَشِيد، والذخر العَتِيد[٩]، يستندون فيه إلى أقواله، ويحتذون على مثاله.

فلما أردتُ أن أختار لنفسي، وأنظر في علم أُعِدُّ أنواره لظلم رَمْسِي[١٠]، سبرتها بالتنويع والتقسيم، وعلمت أن شرف العلم على قدْر شرف المعلوم فوجدت أمتنها

---

(١) أي: شوطاً، فقد جاء في حاشية المغربية: «القاموس: الطَّلَق ـ بالتَّحْريك ـ: سَيْر الليل لِوُرُودِ الغِبِّ»، وليس ذلك مراد المؤلف، وإنما أراد تشبيه نفسه بالمتسابق الذي سار في المضمار شوطاً، إذ الطلق بالتحريك ـ أي: بفتح الطاء واللام ـ يطلق على شوط السباق، يقال عدا الفرس طلقاً أو طلقين، ضبطه بالتحريك جماعة من أهل اللغة، انظر: لسان العرب، وتاج العروس وغيرهما من كتب اللغة، مادة: (طلق).

(٢) في الحمزوية: «وأدميت»، وفي المطبوع: «وذهبت».

(٣) أي: ضعفت، يقال: تفسخ الرُّبَعُ ـ وهو الفصيل ـ تحت الحمل الثقيل، أي: ضعف وعجز، انظر: القاموس المحيط، مادة: (فسخ).

(٤) الأيْن: هو الإعياء، انظر: القاموس المحيط، مادة، (أين).

(٥) في نور العثمانية إشارة إلى نسخة فيها: انتهج.

(٦) قال في القاموس ـ مادة (حبا) ـ: «احتبى بالثوب: اشتمل، أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها»، ومراد المؤلف: احتبى في مجالس العلم، وذلك كناية عن تعبه في طلب العلم لدرجة أنه اضطر إلى الاحتباء فيها.

(٧) «هو»: سقطت من السليمانية.

(٨) في أحمد٣ والسليمانية وجار الله: «يفي».

(٩) الذُّخر بالذال المضمومة: ما ادخر بالدال، انظر: القاموس المحيط مادة: (ذخر)، والعتيد: المهيأ، انظر: القاموس المحيط مادة: (عتد).

(١٠) الرَّمْس: هو القبر، انظر: القاموس المحيط، مادة: (رمس).

حبالاً، وأرْسَخَها جِبَالاً، وأجملها آثاراً، وأسطعها أنواراً، علمَ كتاب اللهِ جلَّت قدرته، وتقدَّست أسماؤه، الذي[(١)] ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، الذي يستقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض، هو العلم الذي جعل للشرع قِواماً، واستعمل سائر المعارف خدَّاماً، منه تأخذ مبادئها، وبه تعتبر نواشئها، فما وافقه منها نصع، وما خالفه رفض ودفع، فهو عنصرها النمير وسراجها الوهاج، وقمرها المنير [وبحرها العجاج][(٢)].

وأيقنت أنه أعظم العلوم تقريباً إلى الله تعالى، وتخليصاً للنيات، ونهياً عن الباطل، وحضّاً على الصالحات، إذ ليس من علوم الدنيا فيَخْتِلَ[(٣)] حاملُه من منازلها صيداً، ويمشي في التلطف لها رويداً.

ورجوت أنَّ اللهَ تعالى يحرِّم على النار فكراً عمَرتْهُ ـ أكثر عمره ـ معانيه، ولساناً مرن على آياته ومثانيه، ونفساً ميزت براعة رصفه ومبانيه، وجالت سومها[(٤)] في
[١/ ٢] ميادينه/ ومغانيه، فثنيت إليه عنان النظر، وأقطعته جانب الفكر، وجعلته فائدة العمر، وما ونيت ـ عَلِم الله ـ إلا عن ضرورة بحسب ما يُلِمُّ في هذه الدار من شُغُوبٍ[(٥)]، ويمس من لُغُوب، أو بحسب تعهد نصيب من سائر المعارف.

---

(١) «الذي»: زيادة من نور العثمانية.

(٢) زيادة من نور العثمانية.

(٣) يقال: ختل الذئب الصيد: إذا تخفى له، انظر: القاموس المحيط، مادة: (ختل).

(٤) كذا في أكثر النسخ، والسوم بفتح فسكون يطلق على الرعي، وفي الحاشية إشارة إلى أنها في نسخة أخرى سوامها بالألف، وهي جمع سائمة، ويطلق السوام على النشاط، والله تعالى أعلم، ووقع في المطبوع: صوامها، انظر: المحيط في اللغة، مادة: (السوم).

(٥) كذا ذكره المؤلف: «شغوب»، بضم المثلثة والمعجمة على أنه مصدر شغب، أي هَيَّجَ الشر، كما في القاموس المحيط مادة: (شغب)، والقياس في مصدره: شَغْب، بفتح فسكون، لأنه ثلاثي متعدٍّ، إلا أن المؤلف بنى منه مصدراً على وزن فُعُول مراعاة للسجع، وقد قال الفراء وهو من أئمة العربية ـ كما في كتاب الأفعال لابن القطاع ط/ عالم الكتب (١/ ١٠) ـ: «كلُّ مَا كَانَ متعدِّياً مِنَ الأفعالِ الثُّلاثِية فَإنَّ الفَعْلَ والفُعولَ جَائِزَان في مَصْدَرِهِ»، والله تعالى أعلم.

فلما سلكت سُبُلَه[(١)] بفضل الله ذللا، وبلغت من اطراد الفهم فيه أملا، رأيت أن نكته وفوائده تغلب قوة الحفظ وتَفْدَح[(٢)]، وتَسْنَح[(٣)] لمن يروم تقييدها في فكره وتَبْـرَح، وأنها قد أخذت بحظها من الثقل، فهي تتفصى من الصدر تفصِّي الإبل من العُقُل.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[المزمل: ٥] قال المفسرون: أي: علم معانيه والعمل بها، وقد قال النبي ﷺ: «قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ»[(٤)].

ففزعت إلى تعليق ما يُتَنَخَّلُ[(٥)] لي في المناظرة من علم التفسير، وترتيب المعاني.

---

(١) في المطبوع: «سبيله».

(٢) في نور العثمانية: «تفرح».

(٣) أي: تَعْرِض، انظر: القاموس المحيط مادة (سنح).

(٤) لا يصح مرفوعاً، وإنما يصح موقوفاً على أنس: فقد روي هذا الحديث عن النبي ﷺ من عدة طرق إلا أنه لا يصح منها شيء، وأفضلها حالاً رواية هذا الحديث عن أنس بن مالك، ولا يصح عنه مرفوعاً، والصواب كونه موقوفاً عليه، والمرفوع له عنه طريقان: الطريق الأول: ما أخرجه لوين في جزئه (ص: ٦٧) وغيره بسند فيه عبد الحميد بن سليمان، وهو ضعيفٌ، انظر: تهذيب التهذيب (٦/ ١١٦)، وقد خالفه جماعةٌ فوقفوا الحديث على أنس، ولذلك حكم غير واحد من الأئمة بأن الصواب الموقوف، منهم لوين كما في جزئه (ص: ٦٧) وموسى بن هارون كما في تقييد العلم للخطيب (ص: ٩٧) والدارقطني كما في العلل (١٢/ ٤٣) والحاكم كما في المستدرك (١/ ١٨٧-١٨٨)، والبيهقي كما في المدخل إلى السنن الكبرى ـ ط/ دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ـ (ص: ٤١٧)، وغيرهم، والطريق الثاني: ما أخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ١٩٨) والقضاعي في مسند الشهاب ـ مؤسسة الرسالة بيروت ـ (١/ ٣٧٠) من طريقين عن إسماعيل بن أبي أويس بسنده عن أنس مرفوعاً، ولا يصح؛ لأن رواية أبي نعيم من طريق عبد الله بن سعد بن معاذ الأنصاري الرقي، وهو «كذاب يضع الحديث» كما في تاريخ دمشق ـ دار الفكر ـ (٢٩/ ٤٨) ورواية القضاعي من طريق عبد الله بن الحسين بن جابر، وقد كان يسرق الأخبار كما في تاريخ دمشق (٢٧/ ٤٠٤)، كما خالفهما من هو أوثق منهما وهو أحمد ابن يوسف السلمي المعروف بحمدان وهو أحد الثقات، انظر: تهذيب التهذيب (١/ ٩١) فروى هذا الأثر كما في تقييد العلم للخطيب (ص: ٩٢) عن إسماعيل بن أبي أويس بسند موقوف على عبد الله ابن عباس.

(٥) ضبط في المطبوع بفتح الياء، والوجه الضم، لأنه متعدٍ، وفاعل التنخل في الحقيقة هو الإمام ابن عطية نفسه، وياء المضارعة لا يتناسب فتحها مع هذا المعنى، بخلاف الضم فإنه وإن كان مبنياً للمفعول إلا =

وقصدت فيه أن يكون جامعاً وجيزاً محرَّراً(١)، لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآيةُ إلا به، وأثبتُّ أقوال العلماء في المعاني منسوبةً إليهم على ما تلقى السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ كتاب الله من مقاصده العربية(٢) السليمة من إلحاد أهل القول بالرموز، وأهل القول بعلم الباطن، وغيرهم.

فمتى وقع لأحدٍ من العلماء الذين قد حازوا حسنَ الظنِّ بهم لفظ ينحو إلى شيء من أغراض الملحدين، نبهت عليه.

وسردت التَّفسير في هذا التعليق بحسب رتبة ألفاظ الآية: من حكم، أو نحو، أو لغة، أو معنى، أو قراءة، وقصدت تتبع الألفاظ حتى لا يقع طفر(٣) كما في كثير من كتب المفسرين.

ورأيت أن تصنيف التفسير كما صنع المهْدَوِيُّ(٤) رحمه اللهُ مفرِّق للنظر، مُشَعِّب(٥) للفكر، وقصدت إيراد جميع القراءات: مستعمَلها وشاذِّها، واعتمدت تبيين المعاني وجميع محتملات الألفاظ، كل ذلك بحسب جهدي، وما انتهى [إلي عِلْمُه](٦)، وعلى غايتي من الإيجاز وحذف فضول القول.

= أن فيه ما يدل على أنَّ التنخلَ قد حصل من قبله، وإنما ألجأه إلى هذا التعبير المبالغة في التواضع فراراً من مشاهدة حظِّ النفس، والله تعالى أعلم.

(١) كلمة «محررا» ليست في المطبوع.

(٢) في نور العثمانية: «القريبة».

(٣) الطفر: الوثب، انظر: القاموس والتاج مادة: (طفر)، والمراد هنا: حتى لا يقع وثب، أي: ترك لشيء من الألفاظ لم يفسر.

(٤) هو أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي، أصله من المهدية من بلاد إفريقية، وتفصيله وتفسيره يُسَمَّى ـ (التفصيل الجامع لعلوم التنزيل)، اختصره وسَمَّاه (التحصيل) وهو مطبوع بوازرة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، توفِّي نحو سنة (٤٤٠)هـ؛ انظر ترجمته في بغية الوعاة (١/ ٢٦٥)، ومعرفة القراء للذهبي (١/ ٣٩٩).

(٥) في المطبوع وجار الله: «مُشَعِّب»، وكتبت في نور العثمانية بمهملات.

(٦) في المطبوع: «إليه علمي».

وأنا أسأل الله جلت قدرته، أن يجعل ذلك كله لوجهه، وأن يبارك فيه وينفع به، وأنا وإن كنت من المقصرين فقد ذكرت في هذا الكتاب كثيراً من علم التفسير، وحملت خواطري فيه على التعب الخطير، وعمرت به زمني، واستفرغت فيه مُنَنِي[(١)]، إذ كتاب الله تعالى لا يتفسر إلا بتصريف[(٢)] جميع العلوم فيه، وجعلته ثمرة وجودي، ونخبة مجهودي، فليُستصوَب للمرء اجتهاده، وليعذر في تقصيره وخطئه، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ولنقدم بين يدي القول في التفسير أشياء قد قدم أكثرها المفسرون، وأشياء ينبغي أن تكون راسخة في حفظ الناظر [في هذا العلم][(٣)] مجتمعة لذهنه.

(١) الْمُنن، جمع مُنَّةٍ بضم الميم وهي القوة، يقال: ذهب بمنته، أي: قوته، والمعنى: استفرغت في ذلك قواي، انظر: القاموس المحيط مادة (منَّ).

(٢) في نور العثمانية ملحقا فوقها: «بتعريف»، وعليها علامة كأنها «صح».

(٣) ساقط من السليمانية.

باب ما ورد عن النبي ﷺ، وعن الصحابة، ونبهاء العلماء في فضل القرآن المجيد وصورة الاعتصام به

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ ستكون فتنٌ كقِطَعِ اللَّيلِ المُظلِم»، قِيلَ: فمَا النَّجَاةُ مِنْهَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «كِتَابُ الله [تبارك وتعالى][١] فِيهِ نَبَأُ مَنْ قَبْلَكُمْ، وخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وهُوَ الْفَصْلُ ولَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ [مِنْ جَبَّارٍ][٢] قَصَمَهُ اللهُ، ومَنِ ابْتَغَى الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، هُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، ونُورُهُ الْمبِينُ، والذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، ولَا تَتَشَعَّبُ مَعَهُ الْآرَاءُ، ولَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، ولَا يَمَلُّهُ الْأَتْقِياءُ، مَن عَلِمَ عِلْمَهُ سَبَقَ، ومَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، ومَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، ومَنِ اعْتَصَمَ بِهِ [فَقَدْ][٣] هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[٤].

وقال أنس بن مالك[٥] في [تفسير][٦] قوله: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]؛ قال: «هي القرآن»[٧].

---

(١) من أحمد٣ والسليمانية، ونور العثمانية.

(٢) أشار في حاشية جار الله أن في نسخة أخرى: تجبرا.

(٣) ليست في المطبوع، ولا في الكتب التي نقلته عن ابن عطية.

(٤) ضعيف: هو حديث مشهور على الألسنة، أخرجه أحمد (١/ ٩١)، والترمذي ح (٢٩٠٦) وغيرهما باختلاف يسير، من حديث علي، وضعفه غير واحد من أهل العلم منهم الترمذي، وابن عدي في الكامل (٤/ ٤)، وفي سنده الحارث الأعور، وأكثر الأئمة على عدم الاحتجاج بحديث الحارث.

(٥) هو أنس بن مالك بن النضر، الأنصاري النجاري، خادم رسول الله ﷺ أمه أم سليم، لا يترجم لمثله.

(٦) ليست في الحمزوية.

(٧) حسن: فقد أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٤٨٥) من طريق مغيرة بنت حسان عن أنس =

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَرَادَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ والْآخِرِينَ فلْيُثَوِّرِ(١) الْقُرْآنَ»(٢).

وقال عليه السلام: «اتْلُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَإِنَّ اللهَ يَأْجُرُكُمْ بالْحَرْفِ منه عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنِ الْألِفُ حَرْفٌ، وَاللَّامُ حَرْفٌ، وَالْمِيمُ حَرْفٌ»(٣).

وروي عنه عليه السلام أَنَّهُ قالَ في آخر خطبة خطبها وهو مريض: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ، إِنَّه لَنْ تَعْمَى أَبْصَارُكُمْ، ولَنْ تَضِلَّ قُلُوبُكُمْ، ولَنْ تَزِلَّ أَقْدَامُكُم، وَلَنْ تُقصِّرَ أَيْدِيكُمْ، كِتَابُ اللهِ سَبَبٌ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ، طَرَفُهُ بيَدِهِ، وطَرَفُهُ بأَيْدِيكُمْ، فَاعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ، وَآمِنُوا بمُتَشَابِهِهِ، وَأَحِلُّوا حَلَالَهُ، وَحَرِّمُوا حَرَامَه، [أَلَا

= رضي الله عنه، ومغيرة هذه غير معروفة، لكن لم يتكلم فيها أحدٌ، بل ذكرها ابن حبان في كتاب الثقات (٥/ ٤٦٦)، وأخرج لها أبو داود في سننه ح (٤١٩٩) حديثاً يرويه أخوها حجاج عنها، وتبويبه على الحديث وسكوته عليه، يدل على احتجاجه به، كما أن هذا الأثر في باب الفضائل، والله تعالى أعلم.

(١) قال في القاموس مادة (ثور): «وثور القرآن: بحث عن علمه»، وقال شمر كما في تهذيب اللغة للأزهري، مادة: (ثار): «تثوير القرآن: قِراءته ومُفاتشة العلماء به في تفسيره ومعانيه»، وانظر: النهاية في غريب الأثر (١/ ٢٢٩).

(٢) لم أقف عليه مرفوعاً: إلا ما ذكره صاحب كنز العمال (١/ ٥٤٨) من أن الديلمي رواه عن أنس، والمشهور أنه أثر موقوف على عبد الله بن مسعود، أخرجه مسدد في مسنده كما في المطالب العالية (١٣/ ١٧) وابن المبارك في الزهد (ص: ٢٨٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٤٨٥) وعبد الله ابن أحمد في زوائده على الزهد (ص: ١٥٧)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٣٦)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ١٩٦) وغيرهم بإسناد صحيح عن ابن مسعود قوله.
وقد يقول قائل: إن هذا الحديث له حكم الرفع، لأنَّ إثبات كون تلاوة الحرف من القرآن بعشر حسنات لا يقال بالرأي، وفي القضية بحث، يُتأنى في الجزم بها هنا، فإن كون الحسنة بعشر أمثالها مما صحت به الأحاديث، وجَعْلُ الحرف بحسنة لا يُستبعدُ تصوُّرُه من مثل ابن مسعود مع عظيم فضل الله تعالى، والله تعالى أعلم.

(٣) أخرجه بنحوه الترمذي (٢٩١٠) من حديث عبد الله بن مسعود.

وَعِتْرَتِي وَأَهْلُ بَيْتِي](١)، هُوَ الثَّقَلُ(٢) الْآخَرُ، فلا تَسبَعُوهُمْ(٣) فَتَهْلَكُوا»(٤).

وقيل لجعفر بن محمد الصادق(٥): «لِمَ صَارَ الشِّعْرُ وَالْخُطَبُ يُمَلُّ مَا أُعِيدَ مِنْهَا، وَالْقُرْآنُ لا يُمَلُّ؟ فَقَالَ: لِأَنَّ الْقُرْآنَ حُجَّةٌ عَلَى أَهْلِ الدَّهْرِ الثَّانِي، كَمَا هُوَ(٦) حُجَّةٌ عَلَى أَهْلِ الدَّهْرِ الْأَوَّلِ»(٧).

فكلُّ طائفةٍ تتلقاه غضّاً جديداً؛ ولأنَّ كلَّ امْرِئٍ في نفسه / متى أعاده وفكَّر فيه تلقى منه في كلِّ مرةٍ علوماً غضَّةً، وليس هذا كله في الشِّعر والخطب. [١/ ٣]

(١) في الحمزوية والسليمانية وجار الله: «ألا وَأَهْلُ بَيْتِي وَعِتْرَتِي».

(٢) في الحمزوية: «ثقل».

(٣) لا تسبعوهم، أي: لا تعيبوهم، قال في تهذيب اللغة مادة: (سبع): «ويقال: سبع فلان فلاناً: إذا قصبه واقترضه، أي: عابه واغتابه»، وفي حاشية (الأصل) إشارة إلى ورود هذا المعنى في النهاية لابن الأثير، انظر: مادة: (سبع)، وفي أحمد٣: تسبوهم، وفي جار الله: تشتموهم، وفي نور العثمانية: تسبقوهم.

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وبعضه صحيح، وكأنه لفظ مجموع من عدة أحاديث، فقد ورد معنى ذلك مفرقاً في عدة روايات، إلا أن أقرب الألفاظ لما ذكره المؤلف حديثان: أحدهما: ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٦٦، ٥/ ١٦٦) عن زيد بن أرقم، وذكر حديثاً طويلاً فيه بعضُ ما ذكر في حديث المصنف، مع بعض الألفاظ الغريبة، وفي سنده حكيمُ بن جبير وهو ضعيفٌ، ولكن تابعه على بعضه حبيب بن أبي ثابت، أخرجه النسائي في الكبرى (٥/ ٤٥) وغيره بسند صحيح، والثاني: ما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٤٨١) وغيره بإسناد لا بأس به عن أبي شريح الخزاعي وذكر حديثاً فيه بعض ما ذكر في حديث المصنف، لكن أعله أبو حاتم الرازي بالإرسال. العلل (١٦٥٣).

(٥) هو جعفر الصادق ابن محمد بن علي بن الحسين بن على بن أبي طالب، الإمام العلم أبو عبد الله الهاشمي العلوي الحسيني المدني، يقال: مولده في سنة ثمانين، والظاهر أنه رأى سهل بن سعد وغيره من الصحابة، يروي عن جده لأمه القاسم بن محمد، حدث عنه أبو حنيفة وابن جريج وشعبة وغيرهم، توفي في سنة ثمان وأربعين ومئة. تاريخ الإسلام للذهبي (٩/ ٨٨ - ٩٣).

(٦) في المطبوع: «كما أنه».

(٧) لم أقف عليه لغير ابن عطية، ولم يتبين لي أين هي نهاية كلام جعفر الصادق، إلا أني رأيت ما بعد جملة: «كما هو حجة على أهل الدهر الأول» أشبه بكلام ابن عطية منه بكلام جعفر الصادق، والله تعالى أعلم.

وقيل لحميد بن سعيد[١]: «مَا هَذَا التَّرْدِيدُ لِلْقَصَصِ فِي الْقُرْآنِ؟ فَقَالَ: لِيَكُونَ لِمنْ قَرَأ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ حَظٌّ فِي الِاعْتِبَارِ»[٢].

وَرُوِي عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَرَأى أنَّ أحَداً أُوتِيَ أفْضَلَ مِمَّا أُوتِيَ، فَقَدِ اسْتَصْغَرَ مَا عَظَّمَ اللهُ»[٣].

وقال عليه السلام: «مَا مِنْ شَفِيعٍ أفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنَ الْقُرْآنِ، لَا نَبِيٌّ وَلَا مَلك»[٤].

وقال عليه السلام: «أفْضَلُ عِبَادَةِ أُمَّتِي الْقُرْآنُ»[٥].

---

(١) كذا في جميع المخطوطات «حميد»، وفي المطبوع: «محمد بن سعيد»، وكذا في طبعتين من تاريخ قضاة الأندلس (ص: ١٧٨)، لابن الحسن النباهي المالقي نقلاً عن ابن عطية، ولم أجده لغيره، ولم نجد في الرواة المشهورين أحداً باسم حميد بن سعيد.

(٢) لم أقف عليه لمن قبل ابن عطية، وقد أورده المالقي في تاريخ قضاة الأندلس (ص: ١٧٨) نقلًا عن ابن عطية.

(٣) روي مرفوعاً إلا أن الصواب كونه موقوفاً على عبد الله بن عمرو: فقد أخرجه ابن نصر في قيام الليل (١٥)، وغيره عن إسماعيل بن رافع، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٤٦٧) وغيره عن إسماعيل بن رافع به موقوفاً، وإسماعيل بن رافع مختلف فيه، وأكثر الأئمة على تضعيفه، انظر تهذيب التهذيب (١/ ٢٩٥)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥٢٢) بسند صحيح إلى أبي رجاء محرز بن عبد الله الجزري الشامي عن إسماعيل بن عبيد الله به موقوفاً، وهذا إسناد جيد، وظني أن إسماعيل بن رافع قد أخذ الحديث عن أبي رجاء ثم رفعه توهماً، والذي يبين أن رواية إسماعيل بن رافع راجعة إلى رواية أبي رجاء أن ابن عساكر قد أخرج الحديث في تاريخ دمشق (٦٨/ ٢٢٥) من طريق عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن إسماعيل بن رافع عن رجل من أهل دمشق عن إسماعيل بن عبيد الله عن عبد الله بن عمرو موقوفاً، والله تعالى أعلم.

(٤) ضعيف: فقد قال الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٢١): «رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلاً»، وللطبراني من حديث ابن مسعود: «القرآن شافع مشفع»، ولمسلم من حديث أبي أمامة: «اقرءوا القرآن فإنه يجيء يوم القيامة شفيعاً لصاحبه».

(٥) ضعيف: فقد أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ٣٥٤)، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٢٤٦)، كلاهما من طريق مسكين بن بكير، عن عباد بن كثير، عن محمد بن جحادة، عن سلمة بن كهيل، عن حجية بن عدي، عن النعمان بن بشير مرفوعاً به، وعباد بن كثير، هو الرملي فيما يظهر وهو ضعيف، =

وقال عبد الله بن عمرو بن العاصي: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَقَدْ أُدْرِجَتِ النُّبُوَّةُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُوحَى إِلَيْهِ»(١).

وحدث أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ مِئَةَ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَرَأَ مِائَتَيْ آيَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، ومَنْ قَرَأَ ثَلَاثَ مِئَةِ آيَةٍ لَمْ يُحَاجَّهُ الْقُرْآنُ»(٢).

= انظر: تهذيب التهذيب (٥/ ١٠٠)، لكن له شاهد أخرجه ابن قانع في معجم الصحابة (١/ ٥٦) عن أسير ابن جابر مرفوعاً، وفي إسناده شعيب بن بيان الصفار وأبو ظلال وهما ضعيفان انظر ترجمتهما في تهذيب التهذيب (٤/ ٣٤٩)، و(١١/ ٨٥)، وقد ذكر العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٢١) أن الحديث أخرجه أبو نعيم في فضائل القرآن من حديث النعمان بن بشير وأنس، ثم قال: «وإسنادهما ضعيف».

(١) صحيح: وقد تقدم تخريج بعضه عند قول ابن عطية: «وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قرأ القرآن فرأى أن أحداً أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظم الله»»، وهذا اللفظ الذي ذكره المصنف هنا هو لفظ رواية ابن المبارك في الزهد (ص: ٢٧٥)، وهو بعض لفظ الحديث، ذكر ابن عطية فيما تقدم لفظ بعض الرواة مرفوعاً، وذكر هنا لفظ بعضهم موقوفاً، والحديث روي مرفوعاً وموقوفاً والأرجح الموقوف كما تقدَّم، ومما لم أذكره من التخريج فيما تقدم لعدم وجود اللفظ المتقدم فيه ما أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ١١٣) والآجري في أخلاق حملة القرآن (ص: ١٦) من طريق ثعلبة بن أبي الكنود عن عبد الله بن عمرو موقوفاً وثعلبة لم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقد أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٣٨) من هذا الطريق مرفوعاً وصححه، والذي رفعه فيه كلام، بينما وقفه ثقتان، فقولهما أرجح، وهذا الطريق يعزز الطريق المتقدم ذكره، ويصح به الأثر عن عبد الله ابن عمرو، والله تعالى أعلم.

(٢) ضعيف جدّاً، بهذا اللفظ: فقد أخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ٧٥-٧٦) عن أنس، في ترجمة شيخه أبي سعيد الحسن بن علي بن صالح العدوي، وهو من أكذب الكذابين، انظر ترجمته في الكامل والمغني في الضعفاء للذهبي (١/ ١٦٤)، لكن صح في هذا الباب بعض الأخبار، فقد روي في هذا المعنى أشياء مرفوعة وموقوفة، وأصح شيء روي في هذا الباب مرفوعاً ما أخرجه أبو داود ح (١٣٩٨) وابن خزيمة (٢/ ١٨١) وابن حبان (٦/ ٣١٠) وغيرهم من طرق عن ابن وهب أخبرنا عمرو أن أبا سوية حدثه أنه سمع ابن حجيرة يخبر عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال: رسول الله ﷺ: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمئة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين»، قال ابن خزيمة في تبويبه على الحديث: «إن =

وروى ابن عباس عن النبيّ ﷺ أنه قال: «أَشْرَفُ[١] أُمَّتِي حَمَلَةُ الْقُرْآنِ»[٢].

وروي عن عمر بن الخطاب أنه قرأ هذه الآية: «﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية [فاطر: ٣٢]، فقال: سَابِقكم سابقٌ، ومقتصدكم ناجٍ، وظالمكم لنفسه[٣] مغفورٌ له»[٤].

وقال رسول الله ﷺ: «أَلَا إِنَّ أَصْفَرَ الْبُيُوتِ بَيْتٌ صِفْرٌ[٥] مِنْ كِتَابِ الله»[٦].

= صحَّ الخبر فإني لا أعرف أبا سوية بعدالة ولا جرح»، لكن أثنى على أبي سوية ـ واسمه: عبيد ابن سوية ـ جماعة من أهل العلم كالدارقطني في المؤتلف والمختلف (٣/ ١٣٠٦)، وابن يونس وغيره كما في تهذيب التهذيب (٧/ ٦٦-٦٧)، أمَّا الموقوفات فيصح في هذا الباب منها عدة آثار، انظر: مصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ٥٠٦-٥٠٨) وسنن الدارمي (٢/ ٥٥٤-٥٥٨).

(١) في جار الله: «أشراف».

(٢) ضعيف جدّاً: فقد أخرجه ابن أبي الدنيا في التهجد وقيام الليل (ص: ١٠٧) والطبراني في الكبير (١٢/ ١٢٥)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٣٥٨، ٧/ ٥٧)، وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنه، وفي إسناده أبو عبد الله نهشل بن سعيد بن وردان القرشي، وهو مجمع على ضعفه، وقد كذبه أبو داود الطيالسي وابن راهويه، انظر تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٧٩).

(٣) لنفسه، زيادة من أحمد٣.

(٤) هذا الأثر بلفظ: «سابقكم سابق» لم أقف عليه عند غير ابن عطية: والمروي في ذلك إنما هو بلفظ: «سابقنا سابق»، مرفوعاً وموقوفاً على عمر، وقد ذكره ابن عطية مرفوعاً بلفظ: «سابقنا سابق» عند تفسير الآية في سورة فاطر، واللفظ الموقوف على عمر أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ١٥١) بسند منقطع، وفيه فرج بن فضالة، وهو ضعيفٌ، انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٢٦٠)، وأخرج البيهقي في البعث والنشور المرفوع (١/ ٦٣) ثم قال: «وروي من وجهٍ آخر غير قوي عن عمر موقوفاً عليه»، ثم أخرجه من طريق سعيد بن منصور، وأمَّا الرواية المرفوعة فسيأتي تخريجها بإذن الله تعالى عند تفسير الآية.

(٥) الصفر بكسر الصاد والسكون: هو الخالي، قال الفيومي في المصباح المنير، مادة: (صفر): «يقال: بيت (صِفْرٌ) وزان حِمْل، أي: خال من المتاع»، وكذا ضبطه بالكسر والسكون في هذا الحديث غير واحد من أهل اللغة.

(٦) لا يصح مرفوعاً: فقد أخرجه بهذا اللفظ ابن المبارك في الزهد (ص: ٢٧٣) عن الحسن مرسلًا، ويشهد له ما أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٣٧٩) عن كلثوم بن محمد بن أبي سدرة عن =

وروى أنس[١] أن رسول الله ﷺ قال: «الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشفَّعٌ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ نَجَا، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَبَّهُ اللهُ لِوَجْهِهِ فِي النَّارِ[٢]، وَأَحَقُّ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ أَهْلُهُ وَحَمَلَتُهُ، وَأَوْلَى مَنْ مَحَلَ بِهِ مَنْ عَدَلَ عَنْهُ وَضَيَّعَهُ»[٣].

وقال ﷺ: «إِنَّ الَّذِي يَتَعَاهَد هذا القرآن ويشْتَدُّ عَلَيْهُ، لَهُ أَجْرَانِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ[٤] وَهُوَ خَفِيفٌ عَلَيْهِ، مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ»[٥].

= عطاء بن أبي مسلم الخراساني عن أبي هريرة مرفوعاً، بلفظ: «البيت الصفر» أي: بأل التعريف، وكلثوم قال فيه أبو حاتم الرازي كما في الجرح والتعديل (٧/ ١٦٤): «كان جنديّاً بخراسان لا يصح حديثه»، وعطاء لم يسمع من أبي هريرة كما في جامع التحصيل (ص: ٢٣٨)، كما يشهد له ما روي عن ابن مسعود بلفظ: «وإن أصفر البيوت الجوف الصفر من كتاب الله عز وجل»، مرفوعاً وموقوفاً، مع أن الصواب الموقوف، انظر: سنن النسائي الكبرى (٦/ ٢٤٠)، ومصنف عبد الرزاق (٣/ ٣٦٨)، ومصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٨٦) ومعجم الطبراني الكبير (٩/ ١٢٩)، وفضائل القرآن للفريابي ح (٣٨).

(١) في المطبوع: أنس بن مالك.

(٢) قال أبو بكر الأنباري في الزاهر (١/ ١٠): «سمعت أبا العباس يقول: المحال مأخوذ من قول العرب: قد محل فلان بفلان، إذا سعى به إلى السلطان وعرَّضه لأمر يوبقه ويهلكه فيه،...، ومن ذلك قول النبيﷺ: «القرآن شافع مشفع وماحل مصدق فمن شفع له القرآن يوم القيامة نجا ومن محل به القرآن كبه الله على وجهه في النار»، فمعناه: ومن شهد عليه القرآن بالتضييع والتقصير.

(٣) ضعيف: فقد أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٨٢) ومحمد بن نصر المروزي كما في مختصر قيام الليل ح (١٨٧) عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً بنحوه، دون قوله: «وأحق من شفع له القرآن أهله...» إلخ، وهو منقطعٌ، وقد روي نحو ذلك مرفوعاً من حديث ابن مسعود وجابر ومعقل بن يسار، ولا يصح منها شيء، والصحيح عن ابن مسعود موقوفاً عليه وقد ذكر بعض ذلك أبو حاتم الرازي في علل الحديث (٤/ ٦١٩-٦٢٠) والدارقطني في العلل (٥/ ١٠٢).

(٤) في المطبوع: يقرأ القرآن.

(٥) متفق عليه: فقد أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (١٨٦٢) من حديث عائشة رضي الله عنها، وأخرجه أبو بكر الفريابي في فضائل القرآن (٤) واللفظ له، من طرق عن قتادة قال: سمعت زرارة ابن أوفى يحدث عن سعد ابن هشام عن عائشة فذكرت الحديث، تنبيه: وقع في رواية الفريابي سقط حيث جُعِلَ السند هكذا: عبد الله بن المبارك عن سعد بن هشام، وذلك لأن عبد الله بن المبارك لم يدرك سعد بن هشام، وإنما يروي عن أصحاب قتادة، كشعبة وهمام وغيرهما، والله تعالى أعلم.

وقال ابن مسعود: «مَلَّ أَصْحَابُ النَّبيِّ ﷺ مَلَّةً، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ حَدِّثْنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ تعالَى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ الآية [الزمر: ٢٣]، ثُمَّ مَلُّوا مَلَّةً أُخْرَى، فَقَالَوا: قُصَّ عَلَيْنَا يَا رَسُولَ الله فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يوسف: ٣]»(١).

وروى عثمان بن عفان رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «أَفْضَلُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(٢).

وقال عبد الله بن مسعود: «إنَّ كُـلَّ مؤدبٍ يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى أَدَبُهُ، وَإِنَّ أَدَبَ الله الْقُرْآنُ»(٣)، وَمَرَّ أَعْرَابيٌّ عَلَى عَبْد اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، فَقَالَ مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ: «يَقْتَسِمُونَ مِيرَاثَ مُحَمَّدٍ ﷺ»(٤).

وَمَرَّتِ امْرَأَةٌ عَلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عليه السلام، فَقَالَتْ: «طُوبَى لِبَطْنٍ حَمَلَكَ،

---

(١) والخبر لم أجده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هكذا، وإنما يروى عن بعض التابعين مرسلاً من رواية عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي، انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (ص: ٥٣) وتفسير الطبري (١٥/ ٥٥٢) وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٠) وغيرهم، لكن روي نحو ذلك من حديث سعد بن أبي وقاص بسند ظاهره الصحة، وهو ما أخرجه ابن راهويه في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٦/ ٢٢٢)، والبخاري في التاريخ الكبير (٦/ ٣٧٥)، وأبو يعلى (٢/ ٨٧)، والبزار (٣/ ٣٥٢)، والطبري (١٥/ ٥٥٣)، وغيرهم من طريق عمرو بن محمد العنقزي عن خلاد ابن مسلم الصفار عن عمرو بن قيس الملائي عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن أبيه به مرفوعاً.

(٢) أخرجه البخاري ح (٥٠٢٧، ٥٠٢٨).

(٣) ضعيف: فقد أخرجه أحمد في الزهد (ص: ١٦٣) والدار مي في سننه (٢/ ٥٢٥) وأبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٥٠، ١١١) والحارث المحاسبي في فهم القران (ص: ٢٨٩)، عن ابن مسعود موقوفاً بسند فيه انقطاع.

(٤) ضعيف: فقد أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: ٥١)، من حديث الأعمش قال: مرَّ أعرابيٌّ بعبد الله بن مسعود رضي الله عنه... فذكره، والأعمش لم يدرك ابن مسعود، كما هو معلومٌ.

وَلِلْذَيْنِ رَضَعْتَ مِنْهُمَا»، فَقَالَ عِيسَى: «طُوبَى لِمَنْ قَرَأ كِتَابَ الله وَاتَّبَعَ مَا فِيهِ»(١).

وقال محمَّد بن كعبٍ القرظيُّ(٢) في قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: ١٩٣] قال: «هُوَ الْقُرْآنُ، لَيْسَ كُلُّهُمْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ»(٣).

وقال بعضُ العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ﴾ [يونس: ٥٨] قال: «الْإِسْلَامُ وَالْقُرْآنُ»(٤).

وقيل لعبد الله بن مسعود: «إنك لتُقِلُّ الصومَ؟»فقال: «إنه يشغلني عن قراءة القرآن، وقراءةُ القرآن أحبُّ إليَّ منه»(٥).

وقال قومٌ من الأنصار للنبي ﷺ: أَلَمْ تَرَ يَا رَسُولَ الله ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ لَمْ تَزَلْ دَارُهُ

---

(١) ثابت عن أربعة من التابعين من قولهم، وهم:

١- خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي، أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٨٥، ١١/٥٤٨، ١٣/ ١٩٣) بسند صحيح إليه.

٢- أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٥٨) بسند صحيح إليه.

٣- ثابت البناني، أخرجه أحمد في الزهد (ص: ٩١-٩٢) بسند صحيح إليه.

٤- يزيد بن نعامة الضبي، أخرجه أحمد في الزهد (ص: ٥٧) بسند صحيح إليه.

(٢) هو محمد بن كعب بن حيان بن سليم، ولد في حياة النبي ﷺ فيما قيل، روى عن علي، وابن مسعود، وأبي الدرداء وغيرهم، وعنه: محمد بن المنكدر، وزيد بن أسلم، وخلق، كان ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً، توفي سنة (١٠٨هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٢٥٠).

(٣) أخرجه الطبري (٧/ ٤٨٠) وغيره.

(٤) هذا القول صح عن جماعة من أهل العلم: أجلهم حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنه، وقد أخرج ذلك عنه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٣١٧) والطبري في تفسيره (١٥/ ١٠٧) وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٥٩) من طريقين عن ابن عباس وهو صحيح عنه.

(٥) صحيح: فقد أخرجه أبو عبيد في فضائل القران (ص: ٦٢) والطبري في تهذيب الآثار (١/ ٣٢٤) وغيرهما بإسناد صحيح عن أبي وائل شقيق بن سلمة وهو ثقة عن عبد الله بن مسعود فذكره، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٤/ ٣١٠) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ١٥٥) وغيرهما بإسناد صحيح عن عبد الرحمن بن يزيد وهو ثقة عن ابن مسعود، لكن جعل مكان القرآن الصلاة.

البَارِحَةَ يُزْهرُ(١) فِيهَا، وَحَوْلَها أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ، فَقَالَ لَهُمْ: «فلَعَلَّهُ قَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ»، فَسُئِلَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، فَقَالَ: نَعَمْ قَرَأْتُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ(٢).

وفي هذا المعنى حديثٌ صحيحٌ عن أسيد بن حضير(٣) في تنـزُّلِ الملائكة في الظُّلَّة(٤) لصوته بقراءة سورة البقرة(٥)، [خرجه البخاري](٦)، وذكر أبو عمرو الداني(٧) عن علي الأثرم(٨)، قال: «كنت أتكلم في الكِسائي وأقع فيه، فرأيته(٩) في النوم وعليه ثـياب بياض(١٠) ووجهه كالقمر، فقلت: يا أبا الحسن ما فعل الله بك؟ فقال: غـفر لي بالقرآن»(١١).

وقال عقبة بن عامر(١٢): «عهد إلينا رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ»(١٣).

---

(١) في المطبوع: «تزهر».

(٢) ضعيف مرسل: فقد أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٦٥، ٢٢٩)، بإسناد قال عنه ابنُ كثير في تفسيره (١/ ١٥٢): «هذا إسنادٌ جيدٌ إلا أنَّ فيه إبهاماً، ثم هو مُرْسَل».

(٣) هو أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي، يكنى أبا يحيى، من السابقين إلى الإسلام، وهو أحد النقباء ليلة العقبة، وكان إسلامه على يد مصعب ابن عمير قبل سعد بن معاذ، توفي سنة (٢٠هـ) الإصابة (١/ ٢٣٤).

(٤) في جار الله: «الظلمة».

(٥) أخرجه مسلم ح (١٨٩٥)، وذكره البخاري في صحيحه ح (٥٠١٨)، تعليقاً.

(٦) زيادة من نور العثمانية.

(٧) هو إمام القراءات عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني المتوفى: (٤٤٤هـ)، لا يترجم لمثله.

(٨) في جار الله: «علي بن الأثرم»، وهو أبو الحسن علي بن المغيرة الأثرم، صاحب لغة، انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ١٠٧).

(٩) في جار الله: «حتى رأيته» مع الإشارة للنسخة الأخرى.

(١٠) في نسخة الأزهرية: «بيض».

(١١) هذه القصة لم أقف عليها من رواية الداني ولا الأثرم، وقد ذكر نحوها الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١١/ ٤١٠، ٤١٤).

(١٢) هو عقبة بن عامر بن عبس الجهنيّ، روى عن النبيّ ﷺ، وعنه جماعة من الصحابة والتابعين، وكان هو البريد إلى عمر بفتح دمشق، أمّره معاوية على مصر، توفي سنة (٥٨هـ). الإصابة لابن حجر (٤/ ٤٢٩).

(١٣) صَحَّ معناه: لكنه ليس من رواية عقبة بن عامر، وإنما هو من رواية مالك بن عبادة الغافقي، =

وقال عبد الله بن عمرو بن العاصي: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُبْسَطَ الْقَوْلُ وَيُخْزَنَ الْفِعْلُ، ويُرْفَعَ الأَشْرَارُ ويُوضَعَ الأَخْيَارُ، وأَنْ تُقْرَأَ المثنَّاةُ عَلَى رُءوسِ النَّاسِ لَا تُغَيَّرُ، قِيلَ: ومَا المثنَّاةُ؟ قَالَ: مَا اسْتُكْتِبَ مِنْ غَيْرِ كِتَابِ الله، قيل له: فكَيْفَ بِمَا جَاءَ مِن حَدِيثِ رسولِ الله ﷺ؟ فَقَالَ: مَا أَخَذْتُمُوهُ عَمَّنْ تَأْمَنُونَهُ عَلَى نَفْسِهِ ودِينِهِ فاعْقِلُوهُ، وعَلَيْكُمْ بالْقُرْآنِ فتَعَلَّمُوهُ وعَلِّمُوهُ أَبْنَاءَكُم فإِنَّكُمْ عَنْهُ تُسْأَلُونَ، وبِهِ تُجْزَوْنَ، وكَفَى بِهِ وَاعِظاً لِمَنْ كَانَ يَعْقِلُ»(١).

وقال رجلٌ لأبي الدرداء: إنَّ إخواناً لك من أهل الكوفة يقرئونك السَّلام، ويأمرونك أن توصيهم. فقال: «أَقْرِئْهُمُ السَّلامَ، وَمُرْهُمْ فليعطوا القرآنَ بخزائِمِهم(٢)، فإنه يحملهم على القصد/ والسهولة، ويجنبهم الجور والحُزونة»(٣). [٤/١]

وقال رجلٌ لعبد الله بن مسعود: أوصني، فقال: «إذا سمعت اللهَ تعالى يقول:

= أخرجه أبو عبيد في فضائل القران (ص: ٦٧) والبخاري التاريخ الكبير (٧/ ٣٠٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ٣٦٦)، والدولابي في الكنى (١/ ١٧٠)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٢٩٦) وابن عدي في الكامل (١/ ١٢) وغيرهم من طريق عمرو بن الحارث، عن يحيى بن ميمون: أن وداعة الحمدي (أو: الجَمَدي) حدثه أنه كان بجنب مالك بن عبادة الغافقي وعقبة بن عامر يقص، فقال مالك: «إن صاحبكم هذا غافل وهالك، إن رسول الله ﷺ عهد إلينا في حجة الوداع فقال: «عليكم بالقرآن...»» الحديث، وفيه وداعة الحمدي لم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً، لكن يشهد له حديث جابر الطويل في حجة الوداع الذي أخرجه مسلم ح (١٢١٨) وفيه: «فخطب الناس، وقال: «... وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله»».

(١) صحيح، فقد أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٧١) والدارمي في السنن (١/ ١٣٤) والطبراني في مسند الشاميين (١/ ٢٧٦) بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو.

(٢) جمع خزامة، وهي حلقة من شعر تُجعل في إحدى جانبي المنخر من البعير، انظر: لسان العرب، وتاج العروس، مادة: (خزم)، وفي أحمد٣: عزائمهم، وفي نور العثمانية: عزائمه.

(٣) لا يثبت اتصاله: فقد أخرجه عبد الرزاق (٣/ ٣٦٨)، وابن أبي شيبة (١٥/ ٥١٨)، والدارمي (٢/ ٥٢٦)، من طريق أبي قلابة: أن رجلاً قال لأبي الدرداء...فذكره، وهذا سندٌ منقطع، أبو قلابة لم يدرك أبا الدرداء، وفي نور العثمانية: الحروبة بدل الحزونة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فأرعِها سمعكَ، فإنه خيرٌ يأمرُ به أو شرٌّ ينهى عنه»[١].

وروى أبو هريرة أنَّ رسول الله ﷺ سُئِل عن أحسن النَّاس قراءةً ـ أو صوتاً ـ بالقرآن[٢]، فقال: «الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ رَأَيْتَهُ[٣] يَخْشَى اللهَ تَعَالَى»[٤].

وقال عليه السلام: «اقْرَؤوا الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقَامُ الْقِدْحُ ويُضَيِّعُونَ مَعَانِيَهُ، يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ، ولَا يَتَأَجَّلُونَهُ»[٥].

---

(١) منقطع: فقد أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٦)، وأحمد في الزهد (٢٣١) (٨٦٤)، والقاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: ٧٤) وغيرهم من طرق عن مسعر عن معن قال: قال عبد الله بن مسعود، وفي بعض الطرق: قال مسعر: حدثني معن وعون، أو أحدهما، وهذا إسناد منقطع، سواء قلنا: إن الرواية عن معن أو عن عون، فمعن بن عبد الرحمن يروي عن ابن مسعود بواسطة. انظر: تهذيب الكمال (٢٨/ ٣٣٣)، وعون بن عبد الله ذكر الترمذي، والدارقطني أن روايته عن ابن مسعود مرسلة. انظر: تهذيب الكمال (٢٢/ ٤٥٦).

(٢) في المطبوع: «بالقراءة».

(٣) في نور العثمانية: «أو رأيته»، بزيادة «أو»، أو لعلها: «أريته».

(٤) لا يصح مرفوعاً، والمحفوظ فيه الإرسال: لم أقف عليه من حديث أبي هريرة إلا ما عزاه الزبيدي في الإتحاف (٤/ ٢٢٥) للسجزي في الإبانة من طريق طاوس عن أبي هريرة، والمشهور عن طاوس روايته للحديث مرسلاً، وهو أصح ما في هذا الباب، أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/ ٤٨٨) وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٥٢٢، ١٠/ ٤٦٤) والدارمي في سننه (٢/ ٥٦٣)، والقاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: ١٦٥) من طرق عنه مرسلاً، وقد روي معنى هذا الحديث عن عدد من الصحابة، إلا أن معظمها أغلاطٌ من الرواة مردها إلى الرواية عن طاوس لا نريد إطالة التخريج بذكرها، ولذلك حكم غير واحد من النقاد بأن الإرسال هو المحفوظ، منهم الدارقطني في العلل (١٢/ ٣٨٤)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٢٧٨) وغيرهما، وأمثل ما يروى في هذا الباب ثلاثة أحاديث؛ أولها: مرسل طاووس هذا، وثانيها: مرسل عن الزهري بسند صحيح عند ابن المبارك في الزهد (ص: ٣٧-٣٨) وثالثها مسند عن جابر عند ابن ماجه في سننه ح (١٣٣٩) إلا أنه ضعيفٌ، في إسناده عبد الله بن جعفر والد علي بن المديني وإبراهيم بن إسماعيل بن مجمع وهما ضعيفان، انظر تقريب التهذيب رقم (٣٢٥٥)، ورقم (١٤٨).

(٥) الصحيح مرسل، هذا الحديث له مخرجان؛ أحدهما: ما أخرجه أحمد (٣/ ٣٩٧، ٣٥٧)، وأبو داود ح (٨٣٠)، وغيرهما من طريق حميد الأعرج، ومن طريق أسامة الليثي، كلاهما عن محمد بن المنكدر، =

ويروى أنَّ أهل اليمن لما قدموا أيَّام أبي بكر الصديق رضي الله عنه سمعوا القرآن فجعلوا يبكون، فقال أبو بكر: «هكذا كنَّا، ثم قستِ القلوبُ»(١).

وروي: «أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ رضي الله عنه قرأ مرةً: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۞ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧ - ٨]، فأنَّ أنّةً(٢) عِيدَ منها عشرين يوماً»(٣).

= عن جابر، بنحوه مرفوعاً، وهذا سند ظاهره الصحة إلا أنه خالفهما ابن عيينة عند سعيد بن منصور في سننه (١/ ١٥٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٣٨٢)، والثوري عند ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٤٨٠) فروياه عن ابن المنكدر مرسلا، وروايتهما أصح، لحفظهما وكون الرواية المسندة توافق الجادة، فقد قال أحمد كما في شرح علل الترمذي لابن رجب (١/ ٢٦٢): «أهل المدينة إذا كان الحديث غلطاً يقولون: ابن المنكدر عن جابر»، الثاني: ما أخرجه أحمد (٥/ ٣٣٨) أبو داود ح (٨٣١) وابن المبارك في الزهد (ص: ٢٨٠) وعبد بن حميد في المنتخب (ص: ١٧١) وابن حبان (٣/ ٣٦، ١٥/ ١٢٠) والطبراني في الكبير (٦/ ٢٠٦، ٢٠٧) وغيرهم، من طريقين ضعيفين عن سهل بن سعد بنحوه مرفوعاً، وقد جعل البيهقي أحد الطريقين شاهداً للآخر في شعب الإيمان (٤/ ٢٠٦-٢٠٧)، والله أعلم.

(١) منقطع: فقد أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٥)، والقاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: ١٣٥)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٣- ٣٤) بسند صحيح عن أبي صالح، قال: لما قدم أهل اليمن زمان أبي بكر، فذكر نحوه، وأبو صالح السمان عن أبي بكر الصديق منقطع. انظر: المراسيل لابن أبي حاتم (ص: ٥٧).

(٢) كذا ذكره ابن عطية، والذي في مصادر التخريج الآتية (فربا منها ربوة).

(٣) أرسله عن عمر: الشعبي والحسن البصري: أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: ١٣٦) من طريق الحسن البصري عنه نحوه، والحسن لم يدرك عمر رضي الله عنه، انظر: المراسيل لابن أبي حاتم (ص: ٣١)، وأخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (ص: ٩٣-٩٤) من طريق الشعبي عن عمر بنحوه، وليس فيه أنهم عادوه، والشعبي عن عمر منقطع، انظر: المراسيل لابن أبي حاتم (ص: ١٦٠)، وله طريق آخر أخرجه ابن أبي الدنيا كما في تفسير ابن كثير (٧/ ٤٣٠) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤/ ٣٠٨) من طريق صالح المري عن جعفر بن زيد العبدي عن عمر نحوه، وصالح ضعيف، والعبدي تابعي لا أراه أدرك عمر.

وقال الحسن بن أبي الحسن البصري[(١)]: «إنَّكم اتَّخذتم قراءةَ القرآنِ[(٢)] مراحلَ، وجعلتم الليلَ جملاً تركبونَه، فتقطعونَ به المراحلَ، وإنَّ من كان قبلكم رأوه رسائلَ إليهم من ربِّهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها بالنَّهار»[(٣)].

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «أنزل عليهم القرآن ليعملوا به فاتَّخذوا درسَه عملاً إنَّ أحدَهم ليتلو القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً، وقد أسقط العملَ به»[(٤)].

قال القاضي أبو محمد: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[المزمل: ٥] أي: عِلْمُ معانيه والعملُ به والقيامُ بحقوقه ثقيل، فمال الناس إلى الميسَّر، وتركوا الثقيل، وهو المطلوب منهم.

وقيل ليوسف بن أسباط[(٥)]: بأيِّ شيءٍ تدعو إذا قرأتَ القرآنَ؟ قال: «أستغفرُ اللهَ من تِلَاوتي، لأنِّي إذا ختمتُه وتَذكرتُ مَا فيه مِنَ الأعمالِ خَشِيتُ المقتَ، فَأَعْدل إلى الاستغفارِ والتَّسبيحِ»[(٦)].

---

(١) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري أبو سعيد، مولى الأنصار، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر وكان فصيحاً، رأى عليّاً وعائشة وروى عن بعض الصحابة، وعنه حميد الطويل وغيره، كان عالماً حافظاً ثقة، توفي سنة ١١٠هـ تهذيب التهذيب (٢/ ٢٦٣).

(٢) في المطبوع: «اتخذتم القرآن»، بدون لفظة «قراءة».

(٣) لم أجده مسنداً، لكن ذكره قبله بلديُّه مكي بن أبي طالب القيسي في قوت القلوب (ص: ١٠٧)، وظني أن ابن عطية نقله عنه، بدليل أن صاحب قوت القلوب قد ذكر بعده الأثر الآتي عن ابن مسعود مباشرة كما فعل ابن عطية.

(٤) هذا الأثر كالذي قبله، انظر: المصدر السابق.

(٥) يوسف بن أسباط الزاهد أحد مشايخ القوم، له مواعظ وحكم، روى عن: محل بن خليفة، وسفيان الثوري، وزائدة، وطائفة سواهم، روى عنه: المسيب بن وضاح، وعبد الله بن خبيق الأنطاكي، وغيرهما، وثقه يحيى بن معين، وقال أبو حاتم : لا يحتج به، وقال البخاري : كان قد دفن كتبه، فكان لا يجيء حديثه كما ينبغي، تاريخ الإسلام للذهبي (١٣/ ٤٨٣).

(٦) هذا الأثر كالأثرين قبله، انظر: المصدر السابق.

وقرأ رجلٌ القُرْآنَ على بعضِ العلماء، قال: فلما ختمتُهُ أَرَدْتُ الرُّجُوعَ مِن أوَّلِهِ، فقال لي: «اتَّخذتَ القِراءةَ عليَّ عَمَلاً، اذْهَبْ فَاقْرَأه على الله تعالى في ليلِكَ، وانْظُرْ مَاذَا يُفهمُكَ مِنْه فاعْمَلْ بِهِ».

باب في فضل تفسير القرآن
والكلام علىٰ لغته والنظر في إعرابه ودقائق معانيه

وروى ابن عباس: «أنَّ رجلاً سَألَ النبيَّ ﷺ فقال: أيُّ علم القرآن أفضلُ؟ فقال النبيُّ ﷺ: «عَرَبِيَّتُهُ، فالْتَمِسُوهَا فِي الشِّعْرِ»[١].

وقال أيضاً ﷺ: «أعْـرِبُوا الْقُـرْآنَ[٢]، وَالْتَـمِسُوا غَـرَائِـبَهُ، فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ أنْ يُعْرَبَ»[٣].

قال القاضي أبو محمد: إعرابُ القرآنِ أصْلٌ في الشَّريعة؛ لأنَّ بذلك تقومُ معانيه التي هي الشَّرعُ.

---

(١) الأصح موقوف: ذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٧) قال: وقد روى أبو حاضر، عن ابن عباس، فذكره، ووقع فيه: «غريبه» بدلا من «عربيته»، واحتمال التصحيف في مثل هذا قريب جدّاً، فإن صح الإسناد إلى أبي حاضر فهو صحيح، إلا أن المشهور عن ابن عباس في هذا المعنى ما روي من طريق أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس، موقوفاً، أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤٢) وصححه، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٤١) ورواه سماك عن عكرمة فرفعه، أخرجه البيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٤١) وقال عن الموقوف: «هذا هو الصحيحُ».

(٢) قال السيوطي في الإتقان (٢/ ٤٦٥): «معنى هذه الآثار عندي إرادة البيان والتفسير لأن إطلاق الإعراب على الحكم النحوي اصطلاح حادث»، وفي مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٤١): «أي: بينوا معانيه وأظهروها، والإعراب الإبانة والإفصاح».

(٣) ضعيف جدّاً: فقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٤٥٦)، والخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ٧٧)، من طريق عبد الله بن سعيد المقبري، عن أبيه عن أبي هريرة، وصححه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٩)، وتعقبه الذهبي، وفيه عبد الله المقبري متروك، كما في التقريب رقم (٣٣٥٦).

وقال أبو العالية[١] في تفسير قوله عزَّ وجل: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة: ٢٦٩]، قال: «الحكمة: [الفهمُ في القرآنِ»[٢].

وقال قتادة[٣]: «الحكمة: القرآنُ والفقهُ[٤] فيه»[٥]، وقال غيره: «الحكمة][٦]: تفسير القرآن»[٧].

وذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه جابر بن عبد الله فوصفه بالعلم، فقال له رجل: جعلت فداك، تصف جابراً بالعلم وأنت أنت؟ فقال: «إنَّه كان يعرف تفسيرَ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[القصص: ٨٥]»[٨].

---

(١) اسمه رفيع بن مهران، وكان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع، حي من تميم، أحد علماء البصرة وأئمتها،، أسلم في إمرة الصديق ودخل عليه، وقرأ القرآن على أبي بن كعب، وروى عن: عمر، وعلي، وابن مسعود، روى عنه القراءة شعيب بن الحبحاب، والأعمش، والربيع بن أنس، وجماعة، وحدث عنه: قتادة، وأبو خلدة، وغيرهما، توفي سنة: (٩٠هـ) أو بعدها بقليل. تاريخ الإسلام (٦/ ٥٢٩).

(٢) صحيح: فقد أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٥٧٦-٥٧٧) بسند صحيح عنه.

(٣) قتادة بن دعامة السدوسي البصري الأعمى الحافظ، أحد الأئمة الأعلام، والحفاظ، ربما دلس، روى عن عبد الله بن سرجس، وأنس بن مالك، وأبي الطفيل، وغيرهم، قال عنه ابن سيرين: قتادة أحفظ الناس، توفي قتادة سنة: (١١٧هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٤٥٣).

(٤) في نور العثمانية تحتها: «والفهم»، وعليها علامة تصحيح.

(٥) صحيح: فقد أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٥٧٦) بسند صحيح عنه.

(٦) سقط من الأصل، وأثبتناه من النسخ الأخرى.

(٧) هذا القول ذكره ابن عطية بالمعنى، وهو صحيح عن ابن عباس: فقد أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٥٧٦) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنها: «المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله».

(٨) الأثر لم أقف عليه مسنداً، وظني أنه من مختلقات غلاة الرافضة، وأن بعض أهل السنة تلقفه عنهم، فإنهم يعتقدون رجعة علي بن أبي طالب، ويستدلون على ذلك بهذه الآية، فلا يستبعد أن يضعوا لها أسانيد من عند أنفسهم، والمعروف في مثل هذه الآية عندهم ما يذكرونه في كتبهم عن أبي جعفر محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أنه ذكر عنده جابر وهو الجعفي فقال: «رحم الله جابراً، لقد بلغ من علمه أنه كان يعرف تأويل هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾، =

وقال الشَّعبيُّ[١]: «رَحَلَ مَسْرُوقٌ[٢] إِلَى البَصْرَةِ في تفسيرِ آيةٍ، فقِيلَ لَه: إنَّ الَّذي يفسرُها رحل إلى الشَّام، فتجهَّزَ ورحل إليه حتَّى علم تفسيرها»[٣].

وقال إياس بْنُ معاويةَ[٤]: «مَثَلُ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وهُمْ لا يَعْلَمُونَ[٥] تَفْسِيرَهُ، كمَثَلِ قَوْمٍ جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ مَلِكِهِمْ لَيْلاً ولَيْسَ عِنْدَهُمْ مِصْبَاحٌ، فتَدَاخَلَتْهُم رَوْعَةٌ وَلَا يَدْرُونَ مَا فِي الْكِتَابِ، ومَثَلُ الَّذِي يَعْرِفُ التَّفْسِيرَ كمَثَلِ رَجُلٍ جَاءَهُم بمِصْبَاحٍ فقَرَءُوا مَا فِي الكتَابِ»[٦].

وقال ابن عباس: «الَّذي يقرأُ ولا يفسّرُ كالأعرابيِّ الَّذي يهُذُّ الشِّعْرَ»[٧].

= يعني: الرجعة»، فلعله حدث تصحيف فيما نقله ابن عطية، وهذا النقل عن أبي جعفر لا يصح، بل قد صحَّ خلافه، انظر: إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري (٦/ ٢٥١) ومجمع الزوائد للهيثمي (٧/ ٢٠٢).

(١) عامر بن شراحيل الشعبي، أبو عمرو، علامة أهل الكوفة، ولد في وسط خلافة عمر، روى عن علي يسيرا، وعن المغيرة بن شعبة، وعمران بن حصين، وعنه إسماعيل بن أبي خالد، وداود بن أبي هند، والأعمش، توفي سنة (١٠٤هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ١٢٤).

(٢) مسروق بن الأجدع واسمه عبد الرحمن بن مالك بن أمية، أبو عائشة الهمداني، ثم الوادعي الكوفي، سمع: أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليّاً، وشهد الحكمين، ثقة كبير، توفي سنة (٦٢هـ). تاريخ الإسلام (٥/ ٢٣٥).

(٣) صحيح: فقد أخرجه ابن أبي خيثمة في تاريخه رقم (٤٠٤٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٩٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٧/ ٣٩٧)، ومن طريق ابن أبي خيثمة الخليلي في الإرشاد (٢/ ٥٣٣-٥٣٤) بسند صحيح.

(٤) إياس بن معاوية بن قرة أبو واثلة المزني البصري، روى عن أبيه وأنس بن مالك وسعيد بن المسيب وعدة، وعنه خالد الحذاء وشعبة وحماد، وغيرهم، وثقه ابن معين روى له مسلم في مقدمته وعلق له البخاري، توفي سنة (١٢١هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٨/ ٤١).

(٥) في المطبوع: لا يعرفون.

(٦) أخرجه بنحوه الحكيم الترمذي في الأمثال ص (٤٥-٤٦)، ولم يذكر إسناده، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤).

(٧) أورده أبو جعفر النحاس في معاني القرآن (١/ ٤٢) قائلًا: وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال، فذكره.

وقال مجاهد[١]: «أحبُّ الخلقِ إلى الله أعلمُهُم بما أَنْزَلَ»[٢].

وقال الحسن: «والله مَا أنزل اللهُ آيةً إلَّا أحب أن يُعْلَم فيما[٣] أنزلت وما يُعنى بها»[٤].

وقال النبي ﷺ: «لَا يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى يَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهاً كَثِيرَةً»[٥].

وقال الحسن: «أهلكتْهُم العُجمةُ، يقرأُ أحدُهُم الآيةَ فيَعْيَى بوجوهِها حتَّى يفتَرِي على الله فيها»[٦].

وكان ابنُ عباس يبدأُ في مجلسه بالقرآن ثمَّ بالتَّفسير ثمَّ بالحديث[٧].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «مَا مِنْ شَيْءٍ إلَّا وَعِلْمُهُ فِي الْقُرْآنِ، وَلَكِنْ رأي الرجل[٨] يعجز عنه»[٩].

---

(١) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي المقرئ المفسر، أحد الأعلام، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، ولد في خلافة عمر، وسمع سعد بن أبي وقاص، وعائشة، وعنه: عكرمة، وطاوس، وقتادة، وثقه ابن معين. توفي سنة (١٠٣هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٢٣٥).

(٢) نقله جماعة من المفسرين بعده كالقرطبي (١/ ٢٦)، ولم أقف على أحد نقله قبله.

(٣) في الحمزوية وأحمد٣ ونور العثمانية والسليمانية وجار الله: «فيمن».

(٤) نقله جماعة من المفسرين بعده كالقرطبي (١/ ٢٦)،ولم أقف على أحد نقله قبله.

(٥) ضعيف: فقد أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠١) ثم قال: «وهذا حديث لا يصح مرفوعاً، وإنما الصحيح فيه إنما هو من قول أبي الدرداء»، ثم أورده من طريق أبي قلابة، عن أبي الدرداء من قوله، أخرجه أحمد في الزهد (ص١٣٤) وعبد الرزاق في المصنف (١١/ ٢٥٥) وابن أبي شيبة كذلك (١٠/ ٥٢٧) وغيرهم، لكن أبو قلابة لم يدرك أبا الدرداء، والله تعالى أعلم.

(٦) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٥/ ٩٣)، (٦/ ٨٤)، بسند صحيح إلى عبيدة بن زيد النميري جد عمر بن شبة عن الحسن البصري قوله، وعبيدة هذا لم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً، لكن جزم البخاري في خلق أفعال العباد في موضعين ص (٧٥، ١٠٦) بنسبة الأثر إلى الحسن البصري.

(٧) ذكره ابن عطية بالمعنى، وهو أثر طويل فيه أن ابن عباس اجتمع الناس عند بابه لطلب العلم، فأدخل أولاً أهل القرآن، ثم أهل التفسير، ثم أهل الفقه، والفقه والحديث واحد، أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٢٠-٣٢١)، وفي سنده أبو حمزة الثمالي، وهو ضعيفٌ كما في تقريب التهذيب رقم (٨١٨).

(٨) في أحمد٣ والسليمانية: «الرجال».

(٩) أورده السيوطي في مفتاح الجنة (١/ ٦٦) نقلًا من كتاب الحجة على تارك المحجة للشيخ نصر المقدسي.

بابُ مَا قيل في الكلامِ
في تفسير القرآن والجرأة عليه ومراتب المفسرين(١)

روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما كان رسول الله ﷺ يُفسِّرُ من كِتابِ الله إلَّا آياً بعددٍ علَّمه إيَّاهُنّ جِبريلُ»(٢).

قال القاضي أبو محمد: ومعنى هذا الحديث في مغيَّبَات/ القرآن، وتفسير مجمله، ونحوهذا مما لا سبيلَ إليه إلا بتوقيفٍ من الله تعالى، ومن جملة مغيباته ما لم يُعلِمِ الله به كوقتِ قيام الساعة ونحوها، ومنها ما يُستقرأ من ألفاظه كعدد النفخات في الصور، وكرتبة خلق السماوات والأرض(٣). [١/ ٥]

وروي أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ، فقَدْ أَخْطَأَ»(٤).

قال القاضي أبو محمد: ومعنى هذا أن يسأل الرجل عن معنى في كتاب الله فيتَسَوّر

---

(١) انظر لمراتب المفسرين النوع الثمانين من كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٤/ ٢٣٣).

(٢) ضعيف: فقد أخرجه أبو يعلى في مسنده (٨/ ٢٣) والبزار في مسنده كما في مجمع الزوائد (٧/ ٩) وابن جرير في تفسيره (١/ ٨٤) وضعفه في (١/ ٨٩)، وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤): «حديث منكر غريب»، وفي سنده جعفر بن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام القرشي الزبيري، وهو ضعيفٌ، انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٤١٦)، واللسان (٢/ ١٢٤).

(٣) وبنحو ذلك فسر ابن جرير هذا الحديث على فرض صحته، انظر: تفسيره (١/ ٨٧-٨٨).

(٤) ضعيف: فقد أخرجه أبو داود ح (٣٦٥٢)، والترمذي ح (٣١٨٣)، والنسائي في الكبرى (٨٠٨٦) من طريق سهيل بن أبي حزم القطعي، عن أبي عمران الجوني، عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً به، قال الترمذي: «هذا حديثٌ غريبٌ، وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل»، وقال أبو حاتم كما في علل ابنه (٤/ ٦١٨): «أحسب أن ذلك خطأ»، وصحح كونه بلفظٍ ومعنًى آخر من قول عمر رضي الله عنه.

عليه برأيه دون نظر فيما قال العلماء، أو اقتضته قوانينُ العلوم كالنحو والأصول، وليس يدخل في هذا الحديث أن يفسر اللغويون لغته، والنحويون نحوه، والفقهاء معانيَه، ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علمٍ ونظرٍ، فإن هذا القائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرد رأيه[١].

وكان جلةٌ من السَّلف كسعيد بن المسيب[٢]، وعامر الشعبي، وغيرهما، يعظمون تفسيرَ القرآن، ويتوقفون عنه تورعاً واحتياطاً لأنفسهم، مع إدراكهم وتقدمهم[٣].

وكان جلة من السلف كثير عددُهُم يفسرونه، وهم أبقوا على المسلمين في ذلك رضي الله عنهم[٤].

فأمَّا صدرُ المفسرين والمؤيَّد فيهم فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويتلوه عبد الله بن العباس رضي الله عنه، وهو تجرَّدَ للأمر وكمَّلَه وتتبَّعَهُ، وتبِعهُ العلماءُ عليه، كمجاهد، وسعيد بن جبير، وغيرهما، والمحفوظ عنه في ذلك أكثر من المحفوظ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقال ابن عباس: «مَا أَخَذْتُ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ فعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ».

وكان علي بن أبي طالب يثني على تفسير ابنِ عباس ويحض على الأخذ عنه[٥].

(١) وقد ذكر نحو ذلك البيهقي رحمه الله، فقال في شعب الإيمان (٣/ ٥٤٠): «وهذا إن صح، فإنما أراد ـ والله أعلم ـ الرأي الذي يغلب على القلب من غير دليل قام عليه، فمثل هذا الذي لا يجوز الحكم به في النوازل، فكذلك لا يجوز تفسير القرآن به، وأمَّا الرأي الذي يشده برهان فالحكم به في النوازل جائز، وكذلك تفسير القرآن به جائز».

(٢) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي المدني عالم أهل المدينة بلا مدافعة، ولد في خلافة عمر، وسمع: عثمان، وعليا، وزيد بن ثابت، قال ابن المديني: «هو عندي أجل التابعين»، توفي سنة (٩٤هـ) وقيل غير ذلك. تاريخ الإسلام للذهبي (٦/ ٣٧١).

(٣) انظر الآثار عنهم في تفسير الطبري (١/ ٨٥-٨٧).

(٤) أي أنهم أشفقوا علينا بفعلهم ذلك ورحمونا، من قولهم: أبقيت على فلان، بمعنى: أشفقت عليه ورحمته، انظر مادة: (بقي) في المحكم.

(٥) لم أقف على هذين الأثرين.

وكان عبد الله بن مسعود يقول: «نِعْمَ تُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ»[١].

وهو الَّذي يقول فيه رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وعلمه التأويل»[٢]، وحسبك بهذه الدعوة.

وقال عنه علي بن أبي طالب: «ابْنُ عَبَّاسٍ كأَنَّمَا[٣] يَنْظُرُ إِلَى الْغَيْبِ مِنْ سِتْرٍ رَقِيقٍ»[٤].

ويتلوه عبد الله بن مسعود، وأُبيُّ بن كعب، وزيد بن ثابت[٥]، وعبد الله بن عمرو ابن العاصي، وكل ما أخذ عن الصحابة فحسنٌ متقدمٌ.

ومن المبرِّزين في التابعين: الحسنُ بنُ أبي الحسن، ومجاهدٌ، وسعيدُ بنُ جبير[٦]، وعلقمة[٧].

---

(١) صحيح: فقد أخرجه ابن أبي شيبة (١٧/ ١٨٦)، وابن جرير (١/ ٩٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣١٦) وغيرهم، من طريق جعفر بن عون، عن الأعمش، عن مسلم بن صبيح، عن ابن مسعود به، وصححه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦١٨)، وابن كثير في تفسيره (١/ ٨).

(٢) متفق عليه: فقد أخرجه البخاري ح (١٤٣)، ومسلم ح (٢٤٧٧) من حديث ابن عباس، ولفظ مسلم: «اللهم فقهه»، فحسب.

(٣) في أحمد٣: «كان».

(٤) موضوع: فقد أخرجه الدينوري في المجالسة (٥٩٩)، بإسناد فيه أبو جعفر عبد الله بن المسور المدائني، وهو وضاع، انظر: لسان الميزان (٣/ ٣٦٠).

(٥) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، أحد أجلة الصحابة وعلمائهم، كان يكتب الوحي للنبي ﷺ، وتولّى قسم غنائم اليرموك، وهو الذي تولى جمع القرآن في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، توفي سنة (٤٢هـ) وقيل غير ذلك. الإصابة لابن حجر (٢/ ٤٩٠).

(٦) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي مولاهم أبو عبد الله، الكوفي، أحد الأئمة الأعلام، سمع: ابن عباس، وابن عمر، وغيرهما، روى عنه: جعفر بن المغيرة، وجعفر بن أبي وحشية، وأيوب السختياني، وخلق، قتله الحجاج سنة (٩٥هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٣٦٦).

(٧) علقمة بن قيس ابن عبد الله بن مالك، أبو شبل النخعي الكوفي، الفقيه المشهور، خال إبراهيم النخعي، وشيخه، أدرك الجاهلية، وسمع: عمر، وعثمان، وعلياً، وكان فقيهاً إماماً مقرئاً، طيب الصوت بالقرآن، ثبتاً حجة، توفي سنة (٦١هـ). تاريخ الإسلام (٥/ ١٩٠).

قرأ مجاهد على ابن عباس قراءةَ تفهُّمٍ ووقوفٍ عند كلِّ آيةٍ[١].

ويتلوهم عكرمةُ[٢]، والضَّحاكُ بْنُ مزاحم[٣]، وإن كان لم يلق ابنَ عباس، وإنما أخذ عن ابنِ جبير[٤].

وأما السُّدي[٥] رحمه الله فكان عامرٌ الشعبيُّ يطعن عليه[٦] وعلى أبي صالح[٧]؛ لأنه كان يراهما مقصرين في النظر.

---

(١) هذا الكلام صحيح: فقد أخرج ذلك ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٥٤) والدارمي (١/ ٢٧٣) وابن جرير (١/ ٩٠) وغيرهم بسند صحيح عن مجاهد من قوله، وأخرج معناه أيضاً ابن جرير بسند صحيح عن ابن أبي مُليكة قال: «رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحُه، فيقول له ابن عباس: اكتب، قال: حتى سأله عن التفسير كلِّه».

(٢) هو عكرمة البربري ثم المدني، أبو عبد الله مولى ابن عباس، أحد العلماء الربانيين، روى عن ابن عباس، وعائشة، وعلي وأبي هريرة، وعنه: أيوب السختياني، وثور بن يزيد، وثور بن زيد الديلي، توفي سنة (١٠٥هـ). وقيل: بعدها، تاريخ الإسلام (٧/ ١٧٤).

(٣) الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني أبو محمد، صاحب التفسير، حدث عن: ابن عباس، وابن عمر، وثقه أحمد بن حنبل، وابن معين، وضعفه يحيى القطان وغيره، واحتج به النسائي وغيره، وكان مدلساً، توفي (١٠٢هـ) وقيل غيرها. تاريخ الإسلام (٧/ ١١٢).

(٤) انظر: المراسيل لابن أبي حاتم (ص: ٩٥)، وتفسير الطبري (١/ ٩١).

(٥) السدي الكبير، إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي مليكة، الإمام أبو محمد، الحجازي ثم الكوفي، المفسر مولى قريش، روى عن أنس بن مالك وابن عباس، قال النسائي: صالح، وقال يحيى القطان: لا بأس به، وضعفه ابن معين، توفي سنة (١٢٧هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٣٧).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١/ ٩١).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١/ ٩١)، وأبو صالح باذام ـ ويقال: باذان ـ مولى أم هانئ، روى عن مولاته وأخيها علي بن أبي طالب، وأبي هريرة، وعنه: أبو قلابة، والأعمش، ومحمد بن السائب الكلبي، وغيرهم، قال ابن معين : ليس به بأس، وإذا حدث عنه الكلبي فليس بشيء، وقال يحيى القطان: لم أر أحداً من أصحابنا تركه، وقال النسائي: ليس بثقة، توفي سنة (١٢٠هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٣٢٥).

ثم حمل تفسير كتاب الله تعالى عدولُ كلِّ[١] خَلَفٍ، وألَّف الناسُ فيه كعبد الرزاق[٢]، والمفضَّل[٣]، وعلي بن أبي طلحة[٤]، والبخاري، وغيرهم.

ثم إنَّ محمدَ بْنَ جرير الطبريَّ[٥] رحمه الله جمع على النَّاس أشتاتَ[٦] التفسير، وقرّب البعيدَ منها، وشفى في الإسناد.

ومن المبرِّزين في المتأخرين أبو إسحاق الزجاج[٧]، وأبو علي الفارسيُّ[٨]،

---

(١) في أحمد٣: «عن».

(٢) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم، الصنعاني، صاحب المصنف، أحد الأعلام، روى عن أبيه والأوزاعي والسفيانين ومالك، وغيرهم، وعنه: شيخه سفيان بن عيينة، وابن معين، وخلق، صنف: «التفسير» و«السنن»، قال الذهبي: «وهو صدوق في نفسه، وحديثه محتج به في الصحاح، ولكن ما هو ممن إذا تفرد بشيء عد صحيحاً»، توفي سنة (٢١١هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (١٥/ ٢٦٠).

(٣) هو المفضل بن سلمة الضبي، لغوي له تصانيف في معاني القرآن كما في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٢)، وليس هو المفضل بن محمد المقرئ صاحب عاصم، وقد أوردهما المصنف مهملين في كتابه، إلا أن الفرق بينهما أن الأول يورد عنه المعاني، والثاني يورد عنه القراءة.

(٤) علي بن أبي طلحة سالم بن مخارق مولى العباس، نزيل حمص، روى عن مجاهد وغيره، وعنه الثوري وطائفة، قال أحمد بن حنبل: روى التفسير عن ابن عباس ولم يره، وقال الحاكم: ليس ممن يعتمد على تفسيره، توفي سنة (١٤٣هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٩/ ٢٢٦).

(٥) الإمام الكبير محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف المفيدة، منها تفسيره وتاريخه المشهوران، وغيرهما، روى عنه: أبو شعيب الحراني، وهو أكبر منه سناً وسنداً، ومخلد الباقرحي، والطبراني، توفي سنة (١١٠هـ). تاريخ الإسلام (٢٣/ ٢٧٩).

(٦) في نور العثمانية: «أسباب».

(٧) إبراهيم بن السَّرِي بن سهل، أبو إسحاق الزجاج النحوي المشهور، لزم المبرد وأخذ عنه، له كتاب: «معاني القرآن»، و«مختصر في النحو»، و: «العروض والقوافي» وغيرها، توفي رحمه الله سنة (٣١١هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٢٣/ ٤٠٧).

(٨) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو علي الفارسي الفسوي النحوي، أخذ عن علماء بغداد مثل الزجاج، والسراج، وله تصانيف كثيرة منها: الحجة في القراءات وكتاب: ما أغفله الزجاج في معاني القرآن، اتهم بالاعتزال، توفي سنة (٣٧٧هـ). تاريخ الإسلام (٢٦/ ٦٠٨).

فإن كلامهما منخولٌ، وأما أبو بكر النقاش[١] وأبو جعفر النحاس[٢] فكثيراً ما استدرك الناس عليهما، وعلى سَنَنِهما مكيُّ بْنُ أبي طالب رضي الله عنه[٣]، وأبو العباس المهدوي رحمه الله متقنُ التأليف.

وكلهم مجتهدٌ مأجورٌ، [رحمهم الله، ونضَّر وجوههم][٤].

(١) محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي ثم البغدادي أبو بكر النقاش المقرئ المفسر، كان إمام أهل العراق في القراءات والتفسير، صنف في التفسير والقراءات، وعلوم القرآن، قال الذهبي: متروك، مع جلالة قدره. توفي سنة (٣٥١هـ). تاريخ الإسلام (٢٦/ ٦١).

(٢) أحمد بن محمد بن إسماعيل، أبو جعفر بن النحاس المصري النحوي اللغوي، أخذ عن الزجاج، وروى عن الأخفش الصغير، له كتاب: «إعراب القرآن» وكتاب: «المعاني»، وغيرهما، توفي رحمه الله سنة (٣٣٨هـ). تاريخ الإسلام (٢٥/ ١٥٥).

(٣) هو مكي بن أبي طالب حموش بن محمد، القيسي القيرواني، ثم القرطبي المقرئ، شيخ الأندلس، برع في القراءات وعلوم القرآن، أخذ عن أحمد بن ابراهيم المروزي، وأبي الطيب بن غلبون، وابن أبي زيد القيرواني، توفي سنة (٤٨٧هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٢٩/ ٤٥٢).

(٤) ساقط من جار الله.

باب معنى قول النبيّ ﷺ:
«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ»(١)

اختلف الناس في معنى هذا الحديث اختلافاً شديداً:

فذهب فريق من العلماء إلى أن تلك الحروف السبعة هي فيما يتفق أن يقال على سبعة أوجه فما دونها، كـ(تعال، وأقبل، وإليّ، ونحوي، وقصدي، واقرب، وجئ)، وكاللغات التي في (أفٍّ)، وكالحروف التي في كتاب الله فيها قراءات كثيرة، وهذا قولٌ ضعيفٌ.

قال ابن شهاب في كتاب مسلم: «بَلَغَنِي أَنَّ تِلْكَ السَّبْعَةَ الأَحْرُفَ إِنَّمَا هِيَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يَكُونُ وَاحِداً لَا يَخْتَلِفُ فِي حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ»(٢).

قال القاضي أبو محمد: وهذا كلامٌ محتملٌ(٣).

وقال فريق من العلماء: «إن المراد بالسبعة الأحرف(٤) معاني كتاب الله تعالى،

---

(١) متفق عليه: فقد أخرجه البخاري ح (٢٤١٩) وغير موضع، ومسلم ح (٨١٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم ح (٨١٩).

(٣) يعني فيما يظهر: أن كلام ابن شهاب ليس في تحديد معنى الأحرف السبعة، بل يحتمل وجوهاً من المعاني، منها ما استشهد به عليه وهو أن المراد التعبير عن المعنى بأوجه من الألفاظ المختلفة كتعال وهلم وأقبل ونحو ذلك، ومنها ما سيأتي الحديث عنه، كالذي حكاه صاحب الدلائل، وغير ذلك، نعم كلام ابن شهاب يرد قول من قال: إن الأحرف السبعة هي أمر ونهي ووعد ووعيد ونحو ذلك من الأقوال.

(٤) في المطبوع: «أحرف».

وهي: أمرٌ، ونهيٌ، ووعدٌ، ووعيدٌ، وقصصٌ، ومجادلةٌ، وأمثالٌ»، وهذا أيضاً ضعيفٌ؛ لأنَّ هذه لا تسمَّى أحرُفاً(١).

وأيضاً؛ فالإجماع أنَّ التوسعةَ لم تقع في تحريمِ حلالٍ، ولا في تحليلِ حرامٍ، ولا في تغييرِ شيءٍ من المعاني المذكورة(٢).

وحكى صاحبُ الدلائلِ(٣) عن بعض العلماء(٤) ـ وقد حكى نحوه القاضي أبو بكر بن الطيب(٥) ـ قال: «تدبرتُ وجوهَ الاختلافِ في القراءة فوجدتُها سبعةً، منها ما تتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته،/ مثل: ﴿هُنَّ أَطۡهَرُ﴾، و(أَطْهَرَ)، ومنها ما [١/ ٦]
لا تتغير صورته، ويتغير معناه [بالإعراب](٦)، مثل: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدۡ﴾، و﴿بَاعَدَ﴾، ومنها ما تبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف، مثل: ﴿نُنشِرُهَا﴾، و﴿نُنشِزُهَا﴾، ومنها ما تتغير صورته ويبقى معناه كقوله: ﴿كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾[القارعة: ٥]، و(كالصوف

(١) ذكر هذا القول ابن عطية ولم ينسبه لأحد تبعاً لأبي بكر الباقلاني في الانتصار (١/ ٣٦٧-٣٦٨)، ولا يظهر أنه صرَّح بهذا القول أحد من أهل العلم على أنه المراد بالحروف السبعة، وإنما ذكر ابن جرير هذا القول في معرض رد على احتمال معارضة له، حيث ذكر أنه نقل عن جماعة من السلف أحاديث وأقوال في ذلك، وأن مرادهم بالأحرف السبعة تلك غير الأحرف السبعة التي يجوز بها القراءة، ثم بين مرادهم وأنها أوجه من المعاني نزل بها القرآن للعمل بها، انظر: تفسير الطبري (١/ ٤٦-٤٧، ٥٥، ٦٨-٦٩)، وظني أن الباقلاني تلقف ذلك من كلام الطبري، ثم رجح بعد ذلك التفسير الذي ذكره الطبري لمعنى ما روي من الآحاديث والأقوال، والله تعالى أعلم.

(٢) نقل الإجماع الباقلاني في الانتصار في غير ما موضع. انظر (١/ ٣٦٧، ٣٨٠)، وهو قول لم يقل به أحد، إذ إن فساده أبين من أن يقال به، أو يرد عليه بادعاء إجماع على خلافه.

(٣) كتاب الدلائل في شرح غريب حديث رسول الله ﷺ مما ليس في كتاب أبي عبيد ولا ابن قتيبة، لقاسم ابن ثابت بن حزم السرقسطي ت (٣٠٢) شرع في تأليف هذا الكتاب ومات قبل إكماله، فأكمله أبوه ثابت بعده، ويقال: إن ثابتاً وابنه قاسماً ألفاه جميعاً، انظر: فهرس ابن عطية (ص: ١٣٩-١٤٠)، وتاريخ علماء الأندلس (١/ ٣٨)، وفهرسة ابن خير الإشبيلي (١/ ١٦٢).

(٤) هو ابن قتيبة، فقد نقل كلامه هذا بعينه ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر (١/ ٣٩).

(٥) هو الباقلاني.

(٦) ليست في المطبوع.

المنفوش)، ومنها ما تتغير صورته ومعناه، مثل: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾[الواقعة: ٢٩]، و(طلع منضود)، ومنها بالتقديم والتأخير، كقوله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾[قٓ: ١٩]، و(سكرة الحق بالموت)، ومنها بالزيادة والنقصان، كقوله: (تسع وتسعون نعجة أنثى)[١].

وذكر القاضي أبو بكر بن الطيب[٢] في معنى هذه السبعة الأحرف حديثاً عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ سَبَعَةِ أَبْوَابٍ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ: نَهْيٍ وأمْرٍ، وحَلَالٍ وحَرَامٍ، ومُحْكَمٍ ومُتَشَابِهٍ، وأَمْثَالٍ، فأَحِلُّوا حَلَالَهُ، وحَرمُوا حَرَامَهُ، وائْتَمِرُوا بأَوَامِرِهِ، وانْتَهُوا بِنَوَاهِيهِ[٣]، واعْتَبِرُوا بمُحْكَمِهِ، وآمِنُوا بمُتَشَابِهِهِ»[٤].

فهذا تفسيرٌ منه ﷺ للأحرفِ السَّبعةِ[٥]، ولكن ليست هذه التي أجاز لهم القراءة بها على اختلافها، وإنما الحرف في هذه بمعنى الجهة والطريقة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١] أي على وجهٍ وطريقةٍ، هي ريبٌ وشكٌّ، فكذلك معنى هذا الحديث: على سبع طرائق، من تحليل، وتحريم، وغير ذلك.

---

(١) المطبوع من كتاب الدلائل ليس فيه ما يتعلق بالأحرف السبعة، وقد نقله بلفظ قريب من هذا ابن عبد البر في التمهيد (٨/ ٢٩٥) والاستذكار (٢/ ٤٨٣-٤٨٤)، وقد ذكر هذه الوجوه الباقلاني في الانتصار (١/ ٣٨٥-٣٨٨)، وابن الجزري في النشر (١/ ٣٩).

(٢) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني، صاحب التصانيف في علم الكلام، روى عنه: أبو ذر الهروي، والحسين بن حاتم، من مؤلفاته: الانتصار، إعجاز القرآن، وغيرهما، توفي سنة (٤٠٣هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٢٨/ ٨٨).

(٣) «بنواهيه»، و«بأوامره»: سقطتا من السليمانية وأحمد٣ وجار الله.

(٤) الأشبه موقوف: نقله ابن عطية بالمعنى من كتاب الانتصار للباقلاني، وقد ذكره الباقلاني في غير ما موضع منها (١/ ٣٦٧)، والحديث أخرجه ابن جرير (١/ ٦٨) من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن ابن مسعود، رضي الله عنه مرفوعاً به، وهو إسناد منقطع، فإن أبا سلمة بن عبد الرحمن لم يدرك ابن مسعود، وقال ابن عبد البر في التمهيد (٨/ ٢٧٥): «وهذا حديث عند أهل العلم لا يثبت»، ورواه ابن جرير (١/ ٦٩)، موقوفاً على ابن مسعود، رضي الله عنه، وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٤١): «وهو أشبه».

(٥) كذا قال ابن عطية، وإنما تبع في ذلك الباقلاني في الانتصار (١/ ٣٦٧)، والأقرب أن ذلك تفسير للأبواب السبعة لا للأحرف السبعة، وقد ذهب إلى ذلك الطبري وبينه أحسن بيان، انظر: تفسيره (١/ ٤٧، ٦٨-٧٢).

وذكر القاضي أيضاً[١]: «أنَّ أبيّاً رضي الله عنه روى عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «يَا أبيُّ إنِّي أُقْرِئْتُ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ أوْ حَرْفَيْنِ، ثُمَّ زَادَنِي الملَكُ حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أحْرُفٍ لَيْسَ مِنْهَا إلَّا شَافٍ كَافٍ، إنْ قُلْتَ: غَفُورٌ رَحِيمٌ، سَمِيعٌ عَلِيمٌ، أوْ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، وكَذلِكَ مَا لَمْ تَخْتِمْ عَذاباً بِرَحْمَةٍ، أوْ رَحْمَةً بعَذَابٍ»[٢].

قال القاضي أبو محمد عبد الحق: وقد أسند ثابتُ بْنُ قاسم[٣] نحو هذا الحديث عن أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ[٤]، وذكر من كلام ابن مسعود نحوه[٥].

---

(١) انظر: الانتصار للقاضي الباقلاني (١/ ٣٦٩).

(٢) محفوظ في الجملة عن أُبي: فإن له طرقاً عن أبي أقربها لفظاً ما أخرجه أحمد (٥/ ١٢٤) وأبو داود ح (١٤٧٧) وغيرهما من طريق همام بن يحيى عن قتادة عن يحيى بن يعمر عن سليمان بن صرد الخزاعي عن أبي بن كعب نحوه، قال الضياء في المختارة (٣/ ٣٧٨ - ٣٧٩): «إسناده صحيح»، ولهذا الإسناد متابعات وشواهد، وهو في صحيح مسلم ح (٨٢٠) من طريق آخر عن أبي، قال ابن كثير في التفسير (١/ ٤٠): «فهذا الحديث محفوظ من حيث الجملة عن أبي بن كعب».

(٣) هو ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم السرقسطي ت (٣٥٢) سمع من أبيه، ومن جده حدث بكتاب أبيه المسمى بالدلائل، انظر: تاريخ علماء الأندلس (١/ ٣٨)، وفهرسة ابن خير الإشبيلي (١/ ١٦٢)، وجذوة المقتبس (١/ ٦٧).

(٤) لا يصح مرفوعاً إلا بذكر السبعة أحرف، فقد أخرجه أحمد (١٤/ ١٢٠)، وغيره من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف حكيماً عليماً غفوراً رحيماً»، وأخرجه النسائي في الكبرى (٨٠٣٩) وغيره من طريق أبي حازم عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف المراء في القرآن كفر»، قال ابن حبان (٣/ ١٨): «قول محمد بن عمرو أدرجه في الخبر والخبر إلى سبعة أحرف فقط»، ومحمد بن عمرو له أوهام معروفة بهذا الإسناد، وللحديث طريق آخر عن أبي هريرة أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٤٥-٤٦) والطحاوي في مشكل الآثار (٧/ ٢١٦) وغيرهما من طريق محمد بن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، فاقرءوا ولا حرج غير أن لا تجمعوا بين ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة». وابن عجلان فيه لين، لاسيما في هذا الإسناد.

(٥) الرواية عن ابن مسعود في نزول القرآن على سبعة أحرف ثابتة، وورد عنه تفسير ذلك، إلا أن التفسير بالمعنى الذي أحال المصنف إسناده لثابت بن قاسم ـ وهو المعنى المروي عن أبي وأبي هريرة ـ لم أجده مسنداً من كلام ابن مسعود، والله تعالى أعلم.

قال القاضي ابن الطيب: وهذه أيضاً سبعةٌ غيرُ السبعة التي هي وجوه وطرائق، وغير السبعة التي هي قراءات ووسّع فيها، وإنما هي سبعةُ أوجه من أسماء الله تعالى.

وإذا ثبتت هذه الرواية حمل على أن هذا كان مطلقاً ثم نسخ، فلا يجوز للناس أن يبدلوا اسماً لله[١] في موضع بغيره مما يوافق معناه أو يخالفه[٢].

قال القاضي أبو بكر: «وزعم قومٌ أنَّ كلَّ كلمةٍ تختلف القراءة فيها فإنها على سبعة أوجهٍ، وإلا بطل معنى الحديث، قالوا: ونعرف بعضَ الوجوه بمجيء الخبر به، ولا نعرف بعضها إذا لم يأت به خبرٌ».

قال: «وقال قوم: ظاهر الحديث يوجب أن يوجد في القرآن كلمة أو كلمتان تقرءان على سبعةِ أوجهٍ، فإذا حصل ذلك تمَّ معنى الحديث»[٣].

قال القاضي أبو بكر بن الطيب[٤]: وقد زعم قوم أن معنى الحديث أنه أنزل على سبع لغات مختلفات، وهذا باطلٌ[٥]، إلا أن يريد الوجوه المختلفة التي تستعمل في القصة الواحدة، والدليل على ذلك أنَّ لغة عمر بن الخطاب، وأبي بن كعب، وهشام ابن حكيم[٦]، وابن مسعود، واحدةٌ وقراءتهم مختلفةٌ، وخرجوا فيها إلى المناكرة[٧]، فأمَّا الأحرف السبعة التي صوَّب رسول الله ﷺ القراءة بجميعها ـ وهي التي راجع فيها

(١) في المطبوع: «أسماء الله».

(٢) هذا القول نقله ابن عطية بالمعنى وليس هو نصَّ كلامه، انظر: الانتصار (١/ ٣٦٩-٣٧٠، ٣٧١-٣٧٢).

(٣) الانتصار (١/ ٣٧٨).

(٤) ما نقله ابن عطية هنا ليس منقولًا من موضع واحد، وإنما جمعه من مواضع ولخصه، لذا سأحيل كل قول إلى موضعه دون أقواس.

(٥) وقد رده أيضاً الطحاوي ودلل على رده كما في مشكل الآثار (٨/ ١١٥).

(٦) هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد، الأسدي القرشي، هو وأبوه صحابيان، استشهد بأجنادين. الإصابة (٦/ ٤٢٢).

(٧) انظر: الانتصار (١/ ٣٧٩).

فزاده وسهل عليه لعلمه تعالى بما هم عليه من اختلافهم في اللغات ـ، فإنها سبعةُ أوجهٍ، وسبع قراءات مختلفات[١]، وطرائق يقرأ بها على اختلافها في جميع القرآن ومعظمه، حسبَما تقتضيه العبارة في قوله: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ» فإنما يريد به الجميع أو المعظم، فجائزٌ أن يقرأ بهذه الوجوه على اختلافها، ويدلُّ على ذلك قول الناس: حرفُ أبيّ، وحرف ابنِ مسعود[٢]. ونقول في الجملة: إن القرآن منَـزَّلٌ على سبعة أحرف من اللغات، والإعراب، وتغيير الأسماء والصور، وإن ذلك يفترق[٣] في كتاب الله، ليس بموجود في حرف واحد، وسورة واحدة، يقطع على اجتماع ذلك فيها[٤].

قال القاضي أبو محمد: انتهى ما جمعت من كلام القاضي أبي بكر رضي الله عنه، وإطلاقه البطلان على القول الذي حكاه فيه نظرٌ، لأنَّ المذهبَ الصحيحَ الَّذي قرَّره آخِراً من قوله: ونقول في الجملة، إنما صحَّ وترتب من جهة اختلاف لغات العرب الذين نزل القرآنُ بلسانهم، وهو اختلاف ليس بشديد التباين حتى يجهل بعضُهُم ما عند بعض في الأكثر، وإنما هو أنَّ قريشاً استعملت في عبارتها[٥] شيئاً، واستعملت هذيل في ذلك المعنى شيئاً غيره، وسعد[٦] بن بكر غيره، والجميع كلامهم في الجملة ولغتهم.

[٧] واستدلال القاضي رضي الله عنه بأنَّ لغةَ عمر وَأُبيٍّ وهشام وابن مسعود / واحدةٌ فيه نظرٌ؛ لأنَّ ما استعملته قريشٌ [في عبارتها][٧] ومنهم عمر وهشام، وما استعملته الأنصار ومنهم أبيّ، وما استعملته هذيل ومنهم ابن مسعود، قد يختلف،

---

(١) انظر: الانتصار (١/ ٣٧٢، ٣٧٥، ٣٧٩).
(٢) المصدر السابق (١/ ٣٧٨).
(٣) في الأزهرية والحمزوية والمطبوع: «مفترق»، ويرجحه أنه أقرب إلى ما في الانتصار ففيه (١/ ٣٨٤): «متفرق» بتقديم التاء.
(٤) انظر: الانتصار (١/ ٣٨٤).
(٥) في المطبوع: «عباراتها».
(٦) في جار الله: «واستعملت سعد».
(٧) ليس في المطبوع.

ومن ذلك النحو من الاختلاف هو الاختلاف في كتاب الله سبحانه، فليست لغتهم واحدة [في كل شيء، وأيضاً فلو كانت لغتهم واحدة بأن][١] نفرضهم جميعاً من قبيلة واحدة، لما كان اختلافهم حجة على من قال: إن القرآن أنزل على سبع لغات؛ لأن مناكرتهم لم تكن لأن المنكِر سمع ما ليس في لغته فأنكره، وإنما كانت لأنه سمع خلاف ما أقرأه النبي ﷺ، وعساه قد أقرأه ما ليس من لغته واستعمال قبيلته.

فكأن القاضي ـ رحمه الله ـ إنما أبطل أن يكون النبي ﷺ قصد في قوله: «عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» عدَّ اللغات التي تختلف بجملتها، وأن تكون سبعاً متباينة لسبع قبائل، تقرأ كل قبيلة القرآن كله بحرفها ولا تدخل عليها لغة غيرها، بل قصد النبي عليه السلام عنده عدَّ الوجوه والطرائق المختلفة في كتاب الله مرة من جهة لغة، ومرة من جهة إعراب، وغير ذلك، ولا مريةَ أن هذه الوجوه والطرائق إنما اختلفت لاختلاف في العبارات بين الجملة التي نزل القرآن بلسانها، وذلك يقال فيه اختلاف لغات.

وصحيح أن يقصد عليه السلام عدَّ الأنحاء والوجوه التي اختلفت في القرآن بسبب اختلاف عبارات اللغات.

وصحيح أن يقصد عدَّ الجماهير والرءوس من الجملة التي نزل القرآن بلسانها، وهي قبائل مضر فجعلها سبعةً، وهذا القول أكثر توسعة للنبي عليه السلام؛ لأنَّ الأنحاء تبقى غير محصورة، فعسى أن الملك قد أقرأه بأكثر من سبع[٢] طرائق ووجوه.

قال القاضي رضي الله عنه في كلامه المتقدم: «فجائزٌ أن يقرأ بهذه الوجوه على اختلافها».

قال القاضي أبو محمد: والشَّرط الذي يصح به هذا القول هو أن تروى عن النبي عليه السلام.

(١) في أحمد٣ بدلا منه: «بل».

(٢) في المطبوع: «سبعة».

ومال كثيرٌ من أهل العلم كأبي عبيد[١]، وغيره[٢]، إلى أن معنى الحديث المذكور أنه أنزل على سبع لغات لسبع قبائل انبثَّ فيه من كل لغة منها، وهذا القول هو المتقرِّر من كلام القاضي رضي الله عنه، وقد ذكر بعضهم قبائل من العرب رَوْماً منهم أن يعيِّنوا السبع التي يحسن أن تكون مراده عليه السلام، نظروا في ذلك بحسب القطر ومن جاور منشأ النبي عليه السلام، واختلفوا في التسمية وأكثروا، وأنا ألخص الغرض[٣] جهدي بحول الله: فأصل ذلك وقاعدته قريش، ثم بنو سعد بن بكر، لأنَّ النبيَّ عليه السلام قرشي، واسترضع في بني سعد، ونشأ فيهم، ثم ترعرع وعقت تمائمه[٤] وهو يخالط في اللسان كنانةَ، وهذيلاً، وثقيفاً، وخزاعةَ، وأسداً، وضبةَ وألفافها؛ لقربهم من مكة، وتكرارهم عليها، ثم بعد هذه تميماً وقيساً ومنِ انضاف إليهم وسط جزيرة العرب، فلما بعثه الله تعالى إليهم ويسر عليه أمر الأحرف أنزل عليه القرآن بلغة هذه الجملة المذكورة، وهي التي قسمها على سبعة لها السبعة الأحرف، وهي اختلافاتها في العبارات حسبما تقدم.

قال ثابت بن قاسم: لو قلنا: من هذه الأحرف لقريش، ومنها لكنانة، ومنها لأسد، ومنها لهذيل، ومنها لتميم، ومنها لضبة وألفافها، ومنها لقيس، لكان قد أتى على قبائل مضر في مراتب سبعة تستوعي[٥] اللغات التي نزل بها القرآن.

قال القاضي أبو محمد: وهذا نحو ما ذكرناه، وهذه الجملة هي التي انتهت إليها الفصاحة، وسلمت لغاتها من الدَّخَل ويسرها الله لذلك؛ ليظهر آية نبيه بعجزها عن

---

(١) انظر: غريب الحديث (٣/ ١٥٩) وفضائل القرآن (ص: ٣٣٩)، وهو القاسم بن سلام البغداديّ الفقيه الأديب، صاحب المصنَّفات الكثيرة في القراءات والفقه واللُّغات والشِّعر، قال أبو داود: ثقة مأمون، توفي سنة (٢٢٤هـ). تاريخ الإسلام (١٦/ ٣٢١).

(٢) كالطبري في تفسيره (١/ ٤٦-٤٧)، والآجري في الشريعة (١/ ٤٧٠) وغيرهما.

(٣) سقطت من جار الله.

(٤) أي: قطعت، وإنما تعلق التميمة في الصبي ما دام صغيراً فإذا كبر قطعت عنه، والمعنى أنه نشأ فيهم حتى شب وقوي.

(٥) أي: تجمع اللغات وتستوعبها، انظر مادة: (وعى) في لسان العرب وغيره، وفي المطبوع: «تستوفي».

معارضة ما أنزل عليه، وسبب سلامتها أنها في وسط جزيرة العرب في الحجاز ونجد وتهامة فلم تطرقها الأمم، فأمَّا اليمن وهو جنوبي الجزيرة فأفسدت كلام عربه خلطة الحبشة والهنود، على أنَّ أبا عبيد القاسم بن سلَّام، وأبا العباس المبرد(١) قد ذكرا أنَّ عربَ اليمن من القبائل التي نزل القرآن بلسانها(٢).

قال القاضي أبو محمد عبد الحق: وذلك عندي إنما هو فيما استعملته عرب الحجاز من لغة اليمن(٣) كالعَرِم والفتَّاح، فأمَّا ما انفردوا به كالزَّخِيخ(٤)، والقِلّوب(٥)، ونحوه، فليس في كتاب الله منه شيء.

وأمَّا ما والى العراق من جزيرة العرب، وهي بلاد ربيعة، وشرقيِّ الجزيرة، فأفسدت لغتها مخالطة الفرس، والنَّـبَط، ونصارى الحيرة (٦)، وغير ذلك.

وأما الذي يلي الشام وهو شمالي الجزيرة وهي بلاد آل جَفْنَة، وابن الرافلة(٧)، وغيرهم، فأفسدها(٨) مخالطة الروم/ ، وكثيرٍ من بني إسرائيل. [٨/١]

---

(١) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد الأزدي البصري،، إمام العربية ببغداد، أخذ عن المازني، وغيره، وعنه: إبراهيم الصفار، ونفطويه، كان ثقة إخبارياً علامة، تصانيفه مشهورة كثيرة منها: الكامل، والمقتضب، توفي سنة: (٢٨٥هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٢١/ ٢٩٩).

(٢) انظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية لابن فارس (ص: ٣٢)، وفي أحمد٣ والسليمانية: «ولغاتها».

(٣) في جار الله: «العرب».

(٤) الزخيخ: النار بلغة أهل اليمن، أو بريق الجمر، انظر مادة: (زخخ) في المحكم (٤/ ٥٠٢)، وجمهرة اللغة (١/ ١٠٥).

(٥) القلوب: قال في القاموس المحيط مادة (قلب): «والقليب كسِكِّيتٍ، وتَنُّورٍ، وسِنَّوْرٍ، وقَبُولٍ، وكِتابٍ: الذئب»، وهي لغة يمانية. انظر: الاشتقاق لابن دريد (ص: ٢٠٦)، وغيره.

(٦) في جار الله: «الجزيرة».

(٧) هو مالك بن رافلة، رجل من بَلي، كان قائد القبائل العربية المستعربة من لخم وجذام وبلقين وبلي، التي قاتلت المسلمين يوم مؤتة مع الروم، وهو الذي قتل زيد بن حارثة رضي الله عنه، وقتله قائد ميسرة المسلمين قطبة بن قتادة رضي الله عنه. تاريخ الطبري (٣/ ٣٧).

(٨) في المطبوع وجار الله: «فأفسدتها».

وأمَّا غربي الجزيرة فهي جبال تسكن بعضها هذيل وغيرهم، وأكثرها غير معمور.

فبقيت القبائل المذكورة سليمة اللغات لم تكدر صفو كلامها أمة من العجم[١].

ويقوي هذا المنزع أنه لما اتّسع نطاق الإسلام وداخلت الأمم العرب وتجرد أهل المصرين: البصرة، والكوفة، لحفظ لسان العرب، وكتب لغتها، لم يأخذوا إلا عن هذه القبائل الوسيطة المذكورة، ومن كان معها، وتجنبوا اليمن والعراق والشام، فلم يكتب عنهم حرف واحد.

كذلك تجنبوا حواضر الحجاز: مكة، والمدينة، والطائف؛ لأنَّ السبي والتجار من الأمم كثروا فيها فأفسدوا اللغة. وكانت هذه الحواضر في مدة النبي ﷺ سليمة لقلة المخالطة.

فمعنى قوله ﷺ: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» أي: فيه عبارات سبع قبائل، بلغة جملتها نزل القرآن، فيعبر عن المعنى فيه بعبارة قريش مرة[٢]، ومرة بعبارة هذيل، ومرة بغير ذلك، بحسب الأفصح والأوجز في اللفظة، ألا ترى أن (فَطَرَ) معناها عند غير قريش: ابتدأ [خلق الشيء][٣] وعَمَلَه، فجاءت في القرآن فلم تتجه لابن عباس حتى اختصم إليه أعرابيان في بئرٍ، فقال أحدُهُما: أنا فطرتُها، قال ابنُ عبَّاسٍ: «ففهمتُ حينئذٍ موقعَ قولِهِ تعالى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١]»[٤].

---

(١) في المطبوع: «أمة العجم»، وفي السليمانية: «لغة من العجم».

(٢) زيادة من أحمد٣.

(٣) في جار الله: «خلق السماوات والأرض» مع الإشارة إلى النسخة الأخرى.

(٤) لا بأس به يُحتمل: ذكره ابن عطية هنا بالمعنى، وذكره في مواضع أخر بلفظه، وقد أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث (٤/ ٣٧٣) وفضائل القرآن (ص: ٣٤٥) والطبري في تفسيره (١١/ ٢٨٣)، والدولابي في الكنى (٢/ ٢٥١) وغيرهم من طريق إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس نحوه، وإبراهيم بن مهاجر مختلف فيه، انظر: تهذيب التهذيب (١/ ١٦٧)، فمثله يحسن =

وقال أيضاً: «ما كنتُ أدري معنى قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ [الأعراف: ٨٩] حتى سمعتُ بنتَ ذي يزن[١] تقول لزوجها: تعال أفاتحْك؛ أي: أحاكِمْك»[٢].

وكذلك قال عمر بن الخطاب، وكان لا يفهم معنى قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾[النحل: ٤٧] «فوقف به فتىً فقال: إنَّ أبي يتخوفني حقي، فقال عمر: الله أكبر، ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ أي: على تنقص لهم»[٣].

وكذلك اتفق لقُطْبَةَ بن مالك[٤]؛ إذ سمع النبي ﷺ يقرأ في الصلاة: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾[قٓ: ١٠]، ذكره مسلم في باب القراءة في صلاة الفجر[٥]، إلى غير هذا من الأمثلة.

فأباح الله تعالى لنبيه هذه الحروف السبعة، وعارضه بها جبريلُ في عرضاته

= منه مثل هذا الأثر، لا سيما وقد أخرجه البيهقي عن ابن عباس من طريق آخر ضعيف في الأسماء والصفات (١/ ٧٨)، كما أن كثيراً من أهل العلم احتج به في معنى (فاطر).

(١) ذي يزن بالياء المثناة التحتية، وبالزاي، وفي الأصل والأزهرية والتركية وأحمد٣: «بنت ذي جدن» بالجيم والدال، والتصويب من نسخة شستربتي والسليمانية ونور العثمانية وجار الله، وهي كذلك في مصادر التخريج، وتفسير القرطبي (١/ ٤٤)، والبحر المحيط (٥/ ١١٥)، والمرأة لم أجد من سماها، وقد ذكر في الصحابة رجلٌ من أهل اليمن يقال له: ذو يزن، واسمه مالك بن مرارة، فلعلها ابنته.انظر: الإصابة في معرفة الصحابة (٢/ ٣٥٠)، وقد ذكر أهل الأنساب أن يزن بطن من حمير، فالله أعلم، انظر: الأنساب للسمعاني (١٣/ ٤٩٧).

(٢) منقطع: فقد أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٥٢٩، ١٠/ ٤٧٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٧٩٠)، والطبري في تفسيره (١٢/ ٥٦٤، ٥٦٥) وغيرهم من طريق مسعر، عن قتادة، عن ابن عباس نحوه، وقتادة لم يسمع من غير أنس من الصحابة، انظر: جامع التحصيل (ص: ٢٥٤-٢٥٥).

(٣) لم أجده: وقد أخرج الطبري في تفسيره (١٧/ ٢١٤) عند تفسير هذه الآية أثراً آخر عن عمر بن الخطاب بإسناد فيه مبهم.

(٤) قطبة بن مالك الثعلبي، له صحبة، روى عن رسول الله ﷺ، وعن زيد بن أرقم، وروى عنه ثلاثة فقط، وهم: ابن أخيه زياد، والحجاج بن أيوب مولى أبي ثعلبة، وعبد الملك بن عمير، وهو ممن أخرج لهم مسلم في الصحابة. الإصابة (٥/ ٣٤٠).

(٥) أخرجه مسلم ح (٤٥٧) وغيره.

على الوجه الذي فيه الإعجاز وجودةُ الوصف، ولم تقع الإباحة في قوله عليه السلام: «فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ»[١] بأن يكون كلُّ واحدٍ من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه.

ولو كان هذا لذهب إعجاز القرآن، وكان معرَّضاً أن يبدِّل هذا وهذا حتى يكون غير الذي نزل من عند الله، وإنما وقعت الإباحة في الحروف السبعة للنبي عليه السلام ليوسع بها على أمته، فقرأ مرة لأبيٍّ بما عارضه به جبريل صلوات الله عليهما، ومرة لابن مسعود بما عارضه به أيضاً.

وفي «صحيح البخاري» عن النبي ﷺ قال: «أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ، فَرَاجَعْتُهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ ويَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»[٢].

وعلى هذا تجيء قراءة عمر بن الخطاب لسورة الفرقان وقراءة هشام بن حكيم لها، وإلا فكيف يستقيم أن يقول النبي ﷺ في قراءة كلٍّ منهما وقد اختلفتا: «هَكَذَا أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ»، هل ذلك إلا لأنه أقرأه بهذه مرة وبهذه مرة.

وعلى هذا[٣] يحمل قول أنس بن مالك حين قرأ: (إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأصوب قيلاً)، فقيل له: إنما تُقرأ[٤]: ﴿وَأَقْوَمُ﴾، فقال أنس: «أصوب وأقوم وأهيأ واحد»[٥]، فإنما معنى هذا أنها مروية عن النبي ﷺ، وإلا فلو كان هذا لأحد من الناس أن يضعه لبطل معنى قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر: ٩].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) متفق عليه: فقد أخرجه البخاري ح (٤٩٩١، ٣٢١٩) ومسلم ح (٨١٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً.

(٣) في أحمد٣: «أن».

(٤) في المطبوع: «نقرأ»، وفي نور العثمانية والسليمانية: «يقرأ».

(٥) منقطع: فقد أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٣/ ٦٨٥)، وأبو يعلى (٧/ ٨٨) وغيرهما، من طريق الأعمش عن أنس، والأعمش لم يسمع من أنس، انظر: جامع التحصيل (ص: ١٨٨).

ثم إن هذه الروايات الكثيرة لما انتشرت عن رسول الله ﷺ، وافترق الصحابة في البلدان، وجاء الخلف، وقرأ القرآن كثير من غير[١] العرب، وقع بين أهل الشام والعراق ما ذكر[٢] حذيفة بن اليمان رضي الله عنه[٣]، وذلك أنهم لما اجتمعوا في غزوة إرْمِينية، فقرأت كل طائفة بما روي لها، فاختلفوا وتنازعوا حتى قال بعضهم لبعض: أنا كافر بما تقرأ به؛ فأشفق حذيفة مما رأى منهم.

فلما قدم حذيفة المدينة ـ فيما ذكر البخاري وغيره ـ دخل إلى عثمان بن عفان قبل أن يدخل بيته، فقال: «أدرك هذه الأمة قبل أن تهلك»، قال: في ما ذا؟ قال: «في كتاب الله، إني حضرت هذه الغزوة وجمعت ناساً من العراق، ومن الشام، ومن الحجاز»، فوصف له ما تقدم وقال: «إني أخشى عليهم أن يختلفوا في كتابهم كما اختلفت اليهود والنصارى»، قال عثمان رضي الله عنه: «أفعلُ»[٤].

فتجرد للأمر، واستناب الكفاةَ[٥] العلماء الفصحاء في أن يكتبوا القرآن، ويجعلوا ما اختلفت القراءة فيه على أشهر الروايات عن رسول الله ﷺ وأفصح اللغات، وقال لهم: «إذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلغة قريش»[٦].

---

(١) سقطت من جار الله.

(٢) في المطبوع: «ذكره».

(٣) حذيفة بن اليمان العبسي، من كبار الصحابة، ومشاهيرهم، روى عن رسول الله ﷺ الكثير، وكان صاحب سره، وعن عمر، وروى عنه: جابر، وجندب، وآخرون، استعمله عمر على المدائن، ولم يزل بها حتى مات سنة: (٣٦هـ). الإصابة (٢/ ٣٩).

(٤) أخرجه بمعناه البخاري ح (٤٩٨٧) والترمذي ح (٣١٠٤) وغيرهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) الكُفاة جمع كافٍ، وهو جمع مطرد في كل اسم فاعل معتل اللام، كرامٍ ورماة، وغازٍ وغزاة، وقاضٍ وقضاة، والكافي هو الذي إذا قام بالأمر كفى فيه بحيث لا يكون بعده مستزاد، انظر مادة (كفى): في مقاييس اللغة وتهذيب اللغة، وغيرهما من كتب اللغة، والمعنى أن هؤلاء العلماء هم الكافون لغيرهم تكلُّفَ عناء هذا الأمر.

(٦) أخرجه بمعناه البخاري ح (٣٥٠٦، ٤٩٨٤، ٤٩٨٧)، وفيه: «بلسان قريش».

فمعنى هذا: إذا اختلفتم فيما روي، وإلا فمحال أن يحيلهم على اختلافٍ من قِبَلِهم، لأنه وضْعُ قرآن، فكتبوا في القرآن من كل اللغات السبع، / مرة من هذه، ومرة [١/ ٩] من هذه، وذلك مقيدٌ بأنَّ الجميعَ مما روي عن النبي ـ ﷺ ـ وقرئ عليه، واستمر الناس على هذا المصحف المتخير، وترك ما خرج عنه مما كان كتب [كقراءة عمر بن الخطاب: (فامضوا إلى ذكر الله)، ونحوها][(١)]، سدّاً للذريعة وتغليباً لمصلحة الألفة، وهي المصاحف التي أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه أن تحرق أو تخرق.

فأمَّا ابن مسعود فأبى أن يُزال مصحفه فتُرك، ولكن أبى العلماء قراءته سدّاً للذريعة، ولأنه روي أنه كتب فيه [أشياء][(٢)] على جهة التفسير، فظنها قوم من التلاوة فتخلط الأمر فيه، ولم يُسْقط فيما تُرك معنًى من معاني القرآن؛ لأن المعنى جزء من الشريعة، وإنما تركت ألفاظٌ معانيها موجودةٌ في الذي أثبت.

ثم إن القراء في الأمصار تتبعوا ما روي لهم من اختلافات لا سيما فيما وافق خط المصحف المتخير[(٣)]، فقرءوا بذلك حسب اجتهاداتهم، فلذلك ترتب أمر القراء السبعة وغيرهم، رحمهم الله، ومضت الأعصار والأمصار على قراءة السبعة، وبها يصلى؛ لأنها ثبتت بالإجماع.

وأمَّا شاذُّ القراءات فلا يصلى به، وذلك لأنه لم يُجمِعِ الناس عليه[(٤)]، أمَا إن المروي منه عن الصحابة رضي الله عنهم وعن علماء التابعين لا يعتقد فيه إلا أنهم رووه.

---

(١) سقط من نسخة الأصل ونسخة شستربتي والمطبوع والسليمانية، والمثبت من الأزهرية والتركية والحمزوية وأحمد٣ وجار الله، وسيأتي الكلام على هذه القراءة عند تفسير سورة الجمعة.

(٢) في الأصل (أسماء)، وهو تصحيف، والله أعلم، والتصحيح من النسخ الأخرى.

(٣) سقطت من السليمانية.

(٤) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٨/ ٢٩٢-٢٩٣).

وأمّا ما يُؤثر عن أبي السَّمَّال[١] ومن قاربه فلا يوثق به، وإنما أذكره في هذا الكتاب لئلا يُجهل، والله المستعان.

وكان المصحف غير مشكول ولا منقوط، وقد وقع لبعض الناس خلاف في بعض ما ذكرته في هذا الباب، ومنازعات اختصرت ذلك كراهة التطويل، وعولت على الأسلوب الواضح الصحيح[٢]، والله المرشد للصواب برحمته.

(١) بالسين المهملة والميم المشددة وآخره لام، مشهور بكنيته، واسمه قعنب بن أبي قعنب هلال العدوي، من القراء والنحاة بالبصرة، وله اختيار شاذٌّ في القراءة، لا يعتمد على نقله ولا يوثق به، انظر: ميزان الاعتدال (٤/ ٥٣٤)، غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٢٧).

(٢) سقطت من أحمد٣ والسليمانية وجار الله.

باب ذكر جمع القرآن
وشكله ونقطه وتحزيبه وتعشيره

كان القرآن في مدة رسول الله ـ ﷺ ـ متـفرقاً في صدور الرجال، وقد كتب الناس منه في صحف[١]، وفي جريد[٢]، وفي لخاف[٣] وظرر[٤]، وفي خزف[٥] وغير ذلك[٦]، فلما استحرّ القتل بالقراء يوم اليمامة أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن[٧]، مخافة أن يموت أشياخ القراءة كأبيٍّ وزيد وابن مسعود فيذهب، فندبا إلى ذلك زيدَ بنَ ثابت، فجمعه غيرَ مرتب السور بعد تعب شديد منه، رضي الله عنه.

---

(١) جمع صحيفة، وهي قطعة من أدم أو رق يكتب فيها، انظر مادة: (صحف) في كتب اللغة كجمهرة اللغة ولسان العرب وغيرهما.

(٢) الجريد جمع جريدة، وهي السَّعْفة من النخل يكتب عليها قديماً، انظر مادة: (جرد) في كتب غريب الحديث واللغة.

(٣) بكسر اللام والخاء المعجمة، آخرها فاء، جمع، واحدتها: لخفة، وهي حجارة بيض رقاق كان يكتب عليها، انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (٤/ ١٥٦)، وغيره من كتب غريب الحديث والمعاجم مادة (لخف).

(٤) الظُّرَرُ كصرد هو الحجر أو المدور منه، انظر مادة: (ظرر) في كتب اللغة كالمحكم والمحيط الأعظم والصحاح وتهذيب اللغة وغيرها.

(٥) قال في القاموس مادة: (خزف): «الخزف محركة: الجر، وكل ما عمل من طين وشوي بالنار حتى يكون فخاراً».

(٦) قال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (ص: ٤٤٠): «إنَّ الصحف في عصر رسول الله ﷺ أعلى ما كتب به القرآن لأنهم كانوا يكتبونه في الجريد والحجارة والخزف وأشباه هذا».

(٧) أخرجه البخاري ح (٤٦٧٩) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

وروي أن في هذا الجمع سَقَطَتْهُ[١] الآية من آخر براءة، حتى وجدها عند خزيمة ابن ثابت[٢]، وحكى الطبري أنه إنما سقطت له في الجمع الأخير[٣]، والأول أصحُّ، وهو الذي حكى البخاري، إلا أنه قال فيه: مع أبي خزيمة الأنصاري[٤].

وقال: «إنَّ في الجمع الثاني فقد زيد آية من سورة الأحزاب: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ [الأحزاب: ٣٣] فوجدها مع خزيمة بن ثابت»[٥].

وبقيت الصحف عند أبي بكر، ثم عند عمر بن الخطاب بعده، ثم عند حفصة بنته في خلافة عثمان، وانتشرت في خلال ذلك صحف في الآفاق كتبت عن الصحابة كمصحف ابن مسعود، وما كتب عن الصحابة بالشام، ومصحف أبيٍّ، وغير ذلك، وكان في ذلك اختلاف حسب السبعة الأحرف التي أنزل القرآن عليها.

فلما قدم حذيفة من غزوة إرمينية حسبما قد ذكرناه انتدب عثمان لجمع المصحف، وأمر زيد بن ثابت بجمعه، وقرن بزيد فيما ذكر البخاري ثلاثة من قريش: سعيد بن العاص[٦]،

---

(١) في جار الله وفيض الله ونور العثمانية، وأحمد٣: «سقطت»، والمثبت من النسخ الأخرى، ويبدو أنَّ ابن عطية قاله توسعاً في اللغة على سبيل التضمين ونحوه، والتضمين باب قياسي عند كثير من النحاة، والمعنى: أن الآية فاتته في ذلك الجمع، أي: سقطت منه، أو نحو ذلك.

(٢) خزيمة بن ثابت بن الفاكه الأنصاري الأوسي، من السابقين الأولين، وهو الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين، قاتل مع علي رضي الله عنه يوم صفين، واستشهد بها. الإصابة (٢/ ٢٣٩).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٦١).

(٤) انظر: صحيح البخاري ح (٤٩٨٦، ٤٩٨٩، ٧٤٢٥)، وقد أخرج البخاري الحديث أيضاً في مواضع أخرى فيها تسميته خزيمة بن ثابت، كما سيرد لاحقاً، وفي ح (٧١٩١) بالشك: «مع خزيمة أو أبي خزيمة».

(٥) انظر: صحيح البخاري ح (٢٨٠٧، ٤٠٤٩، ٤٧٨٤، ٤٩٨٨).

(٦) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، صحابي جليل، أدرك من حياة النبي ﷺ تسع سنين، روى عن عثمان بن عفان وعائشة، اختاره عثمان في الذين جمعوا القرآن، واستعمله على الكوفة، وتوفي بها سنة (٨٧هـ). الإصابة (٣/ ٢٣٥).

وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[١]، وعبد الله بن الزبير[٢]، وكذلك ذكر الترمذي وغيرهما[٣].

وقال الطبريُّ فيما روى: إنه قرن بزيد أبان بن سعيد بن العاص[٤] وحده[٥]، وهذا ضعيف، وقال الطبري أيضاً: «إن الصحف التي كانت عند حفصة جعلت إماماً في هذا الجمع الأخير»[٦].

وروي أن عثمان رضي الله عنه قال لهم: «إذا اختلفتم في شيءٍ فاجعلوه بلغة قريش»، فاختلفوا في التابوه والتابوت، قرأه زيد بن ثابت بالهاء، وقرأه القرشيون بالتاء، فأثبته بالتاء[٧].

---

(١) أبو محمد، عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي، كان صغيرا عند وفاة النبيّ ﷺ، روى عن أبيه، وعن عمر، وعثمان، وغيرهم، وروى عنه أولاده: أبو بكر، وعكرمة، والمغيرة، وغيرهم، توفي سنة (٤٣هـ). الإصابة (٥/ ٢٣).

(٢) عبد الله بن الزّبير بن العوام القرشي الأسديّ، أحد العبادلة، حفظ عن النبيّ ﷺ وهو صغير، وحدّث عنه، وعن أبيه، وجده أبي بكر، وغيرهم، بويع بالخلافة عقب موت يزيد بن معاوية، وقتل رضي الله عنه في قتال الحجاج بن يوسف بمكة سنة (٧٣هـ). الإصابة (٤/ ٧٨).

(٣) انظر: صحيح البخاري (٤٧٠٢)، وسنن الترمذي (٣١٠٤).

(٤) أبان بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي، له صحبة، أسلم يوم الحديبية، والراجح أنه قتل رضي الله عنه يوم أجنادين سنة (١٣هـ)، وقد ضعف ابن حجر القول بأن عثمان رضي الله عنه أمره بجمع المصحف، وقال: المعروف أن المأمور بذلك ابن أخيه سعيد بن العاص. الإصابة (١/ ١٦٨).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٦١) وهو حديث معروف، إلا أن الراوي عند الطبري وهو عمارة ابن خزيمة قد خولف في مواضع من روايته، فبين ذلك الدارقطني في علله (١/ ١٨٧)، والخطيب في المدرج (١/ ٣٩٩).

(٦) تفسير الطبري (١/ ٦١).

(٧) مرسل، فقد أخرجه الترمذي ح (٣١٠٤) وغيره بإسناد صحيح إلى الزهري مرسلًا، والزهري يروي حديث جمع القرآن، فإذا وصل إلى الاختلاف في التابوت والتابوه أرسله ولم يسنده عن أحد، فجاء بعض الرواة وأدرجه في روايته لحديث الجمع، فبين ذلك الأئمة، انظر: الفصل للوصل المدرج في النقل للخطيب البغدادي (١/ ٤٠٤).

وكُتب المصحفُ على ما هو عليه غابر الدهر، ونسخ عثمان منه نسخاً ووجه بها إلى الآفاق، وأمر بما سواها من المصاحف أن تحرق أو تخرق[١]، تروى بالحاء غير منقوطة وتروى بالخاء على معنى: ثم تدفن، ورواية الحاء غير منقوطة أحسن.

قال القاضي أبو بكر بن الطيب: «وترتيب السور اليوم هو من تلقاء زيد ومن كان معه، مع مشاركة من عثمان رضي الله عنه في ذلك»[٢]، وقد ذكر ذلك مكي رحمه الله في تفسير سورة براءة، وذكر أن ترتيب الآيات في السور ووضع البسملة في الأوائل هو من النبي ﷺ، ولما لم يأمر بذلك في أول سورة براءة تُركت بلا بسملة[٣]، هذا أحد[٤] ما قيل في براءة / ، وذلك مستقصى في موضعه موفى إن شاء الله تعالى. [١/ ١٠]

وظاهر الآثار أن السبع الطوال والحواميم والمفصل كان مرتباً في زمن النبي عليه السلام، وكان في السور ما لم يرتب، فذلك هو الذي رتب ﷺ وقت الكَتْب.

وأما شكل المصحف ونقطه فروي أن عبد الملك بن مروان[٥] أمر به وعمله، فتجرد لذلك الحجاج[٦] بواسط وجدَّ فيه وزاد تحزيبه، وأمر ـ وهو والي العراق ـ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٩٨٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) نقل ابن عطية كلام الباقلاني ملخصاً بالمعنى، انظر: الانتصار (١/ ٣٧٩) وما بعدها.

(٣) الهداية لمكي (٤/ ٢٩٠٦)، ونقل السيوطي الإجماع على ذلك عن غير واحد من أهل العلم، انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢١١).

(٤) في فيض الله: «آخر».

(٥) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، ولد سنة (٢٦هـ)، وبويع بعهد من أبيه في خلافة ابن الزبير، سمع عثمان، وأبا هريرة، وأبا سعيد، وغيرهم، روى عنه: عروة، وخالد بن معدان، وآخرون، توفي سنة (٨٦هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٦/ ١٣٥).

(٦) الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، أمير العراق، أبو محمد، روى عن: ابن عباس، وسمرة بن جندب، وعنه: ثابت البناني، وقتيبة بن مسلم، وكان فصيحاً خطيباً، قال النسائي: ليس بثقة ولا مأمون، توفي سنة (٩٥هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٣١٤).

الحسن ويحيى بن يعمر[١] بذلك، وأُلِّفَ إثر ذلك بواسط كتاب في القراءات، جمع فيه ما روي من اختلاف الناس فيما وافق الخط، ومشى الناس على ذلك زماناً طويلاً، إلى أن ألَّف ابن مجاهد[٢] كتابه في القراءات.

وأسند الزبيدي[٣] في كتاب «الطبقات» إلى المبرد أن أول من نقط المصحف أبو الأسود[٤] الدؤلي[٥]، وذكر أيضاً أن ابن سيرين[٦] كان له مصحف نقطه له يحيى بن يَعْمَر[٧]، [وذكر أبو الفرج[٨] أن زياد بن أبي سفيان أمر أبا الأسود بنقط المصاحف[٩].

---

(١) يحيى بن يعمر العدواني البصري أبو سليمان ويقال: قاضي مرو أيام قتيبة بن مسلم، روى عن: أبي ذر، وعمار بن ياسر، وعائشة، وعنه: قتادة، وطائفة، قيل: إنه أول من نقط المصحف، وكان أحد الفصحاء، توفي سنة (٨٩هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٦/ ٥٠٢).

(٢) أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، أبو بكر البغدادي، شيخ القراء في عصره، مؤلف كتاب: «السبعة»، سمع: الرمادي، وسعدان بن نصر، وآخرين، وقرأ عليه خلق كثير، قال الذهبي: «كان ثقة مأموناً». توفي سنة (٣٢٤هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٢٤/ ١٤٤).

(٣) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله الزبيدي الإشبيلي النحوي، كان واحد عصره في علم النحو، وحفظ اللغة، صنف طبقات النحويين وغيره، وتوفي سنة (٣٧٧ أو ٣٧٩) هـ، انظر: بغية الوعاة (١/ ٨٤).

(٤) أبو الأسود الدؤلي قاضي البصرة، اسمه ظالم بن عمرو على الأشهر، أول من وضع علم النحو، روى عن: عمر، وعلي، وأبي، وغيرهم، وعنه: ابنه أبو حرب، ويحيى بن يعمر، وعبد الله بن بريدة، وآخررون، توفي سنة (٦٩هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ٦٦).

(٥) انظر: المصاحف لابن أبي داود (١/ ١٦٠).

(٦) محمد بن سيرين أبو بكر الأنصاري البصري، مولى أنس بن مالك، من أجلة التابعين، سمع: أبا هريرة، وعمران بن حصين، وابن عباس، وغيرهم، وعنه: قتادة، وأيوب، ويونس بن عبيد، وجماعة، توفي رحمه الله سنة (١١٠هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٢٣٩).

(٧) انظر : المصاحف لابن أبي داود (١/ ١٦٠).

(٨) علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم الأموي، أبو الفرج الأصبهاني، الكاتب، مصنف كتاب الأغاني، وغيره توفي سنة (٣٥٦هـ). تاريخ الإسلام (٢٦/ ١٤٣).

(٩) انظر: الأغاني (١٢/ ٣٤٧).

وذكر الجاحظ[١] في كتاب «الأمصار» أن نصر بن عاصم [٢] أول من نقط المصاحف، وكان يقال له: نصر الحروف][٣].

وأمَّا وضع الأعشار[٤] فيه فمرَّ بي في بعض التواريخ أنَّ المأمون العباسي[٥] أمر بذلك، وقيل: إن الحجاج فعل ذلك[٦]، وذكر أبو عمرو الداني عن قتادة أنه قال: بدءوا فنقطوا ثم خمَّسوا ثم عشَّروا[٧]، وهذا كالإنكار.

(١) عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان الجاحظ، البصري المعتزلي، صاحب التصانيف المشهورة، أخذ عن: أبي إسحاق النظام، وغيره، وحدث عن أبي يوسف القاضي، وعنه: أبو العيناء، ويموت ابن المزرع، وغيرهما، توفي سنة (٢٥٥هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (١٨/ ٣٧٢).

(٢) نصر بن عاصم الليثي البصري، يقال: إنه أول من وضع العربية، قرأ القرآن على أبي الأسود الدؤلي، وحدث عن: مالك بن الحويرث، وأبي بكرة الثقفي، وثقه النسائي، وقال أبو داود: كان من الخوارج. توفي قبل سنة (١٠٠هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٢١٠).

(٣) انظر: نقط المصاحف للداني (ص: ٦-٧)، وما بين المعكوفتين ساقط من جار الله.

(٤) الأعشار والعشور علامة توضع في آخر كل عشر آيات، انظر: مفردات القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٥٦٧)، وانظر: العين للخليل (١/ ٢٤٨)، والبيان في عد آي القرآن للداني (ص: ١٢٩)، ونقط المصاحف له (ص: ١٤).

(٥) هو الخليفة العباسي عبد الله بن المأمون بن هارون الرشيد، انظر أخباره في تاريخ الخلفاء (ص: ٢٢٥).

(٦) نقله القرطبي عن ابن عطية في أحكام القرآن (١/ ٦٣)، ونقل مثله دون نسبته لابن عطية الزركشي في البرهان (١/ ٢٥١).

(٧) انظر: كتاب التبيان في عدِّ آي القرآن للداني (ص: ١٣٠)، ونقط المصاحف له (ص: ٢، ١٥).

باب في ذكر الألفاظ
التي في كتاب الله وللغات العجم بها تعلق

اختلف الناس في هذه المسألة:

فقال أبو عبيدة[١] وغيره: «إن في كتاب الله تعالى من كل لغة»[٢].

وذهب الطبريُّ وغيره إلى أن القرآن ليس فيه لفظة إلا وهي عربية صحيحة[٣] صريحة، وأنَّ الأمثلةَ والحروف التي تنسب إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تواردت

---

(١) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري النحوي، روى عن: هشام بن عروة، وأبي عمرو بن العلاء، وعنه: أبو عبيد القاسم بن سلام، وابن المديني، وآخرون، من تصانيفه: «مجاز القرآن» و«غريب الحديث»، توفي سنة (٢١٠هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (١٤/ ٣٩٧).

(٢) هكذا جرى في جميع النسخ، نسبة هذا القول إلى أبي عبيدة، والمعروف عن أبي عبيدة معمر بن المثنى إنكاره لوجود لغة غير العربية في القرآن، نقل ذلك عنه غير واحد كالزركشي في البرهان (١/ ٢٨٧)، والسيوطي في الإتقان (١/ ٣٩٣)، وهو الذي ذكره في كتابه مجاز القرآن (١/ ١٧) حيث قال: «نزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول... وقد يوافق اللفظ اللفظ ويقاربه ومعناهما واحد، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها»، وظني أنه تصحيف وقع في نسخ كتاب ابن عطية قديماً، وأن الصواب كونه قول التابعي الجليل أبي ميسرة الذي نقل قوله الطبري في تفسيره (١/ ١٤) بسند صحيح، ومعلوم تقارب اللفظين في المخطوطات لا سيما في العصر القديم، فالميم قريبة من العين والراء قريبة من الدال، وما بينهما متقاربان أيضاً، وإنما قلت بأن التصحيف قد وقع قديماً لتتابع النسخ عليه، ولنقل الثعالبي له كذلك كما في تفسيره (١/ ١٤٩)، وأمَّا قول ابن عطية: «وغيره» فالمقصود به فيما يظهر سعيد بن جبير، فقد نقل ذلك عنه الطبري في المصدر المشار إليه، والله تعالى أعلم.

(٣) من جار الله.

اللغتان فتكلمت بها العرب والفرس أو الحبشة بلفظ واحد(١).

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ [المزمل: ٦]، قال ابن عباس: نشأ بلغة الحبشة قام من الليل(٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨]، قال أبو موسى الأشعري(٣): «كفلان: ضعفان من الأجر بلسان الحبشة»(٤).

وكذلك قال ابن عباس في القسورة: إنها الأسد بلغة الحبشة(٥)، إلى غير هذا من الأمثلة.

قال القاضي أبو محمد: والذي أقوله: إن القاعدة والعقيدة هي أن القرآن بلسان

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ١١- ١٢، ١٤-٢٠).

(٢) صحيح: فقد علقه البخاري في صحيحه بصيغة الجزم في باب قيام النبي ﷺ بالليل قبل ح (١١٤١)، قال الحافظ في فتح الباري (٣/ ٢٣): «وهذا التعليق وصله عبد بن حميد بإسناد صحيح عن سعيد ابن جبير عنه، قال: إن ناشئة الليل هو كلام الحبشة، نشأ: قام»، والأثر أخرجه الطبري (١/ ١٣، ٢٣/ ٦٨٢) والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٠) من طريقين عن أبي إسحاق عن سعيد ابن جُبير عن ابن عباس بنحوه، وعزا السيوطي في الدر (١٥/ ٤٥) روايته إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن نصر وابن المنذر والبيهقي.

(٣) عبد الله بن قيس بن سليم، أبو موسى الأشعري، صاحب رسول الله ﷺ، روى عنه وعن الخلفاء الأربعة، ومعاذ، وغيرهم، وروى عنه أولاده: موسى، وإبراهيم، وأبو بردة، وأبو بكر، وغيرهم، توفي رضي الله عنه سنة (٤٢هـ) وقيل غير ذلك. الإصابة (٤/ ١٨١).

(٤) صحيح: فقد علقه البخاري في صحيحه بصيغة الجزم في باب قوله تعالى: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾ [النساء: ٨٥] قبل ح (٦٠٢٨)، والأثر أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٤٧١)، والطبري في تفسيره (١/ ١٣، ٢٣/ ٢١٠) وابن حجر في تغليق التعليق (٥/ ٩٢) من طرق عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن أبي موسى نحوه، وهذا إسناد صحيح.

(٥) ضعيف: فقد أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٤، ٢٤/ ٤٢) والثعلبي في تفسيره (١٠/ ٧٩) وغيرهما، من طريق علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس نحوه، قال ابن حجر في تغليق التعليق (٤/ ٣٥٢): «وفي إسناده علي بن زيد وهو ابن جدعان ضعيف الحديث»، وفي تفسير الطبري (٢٤/ ٤٠) وغيره بسند صحيح إنكار عكرمة كونه الأسد بلسان الحبشة وقال: «اسم الأسد بلسان الحبشة عنبسة».

عربي مبين، فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب فلا تفهمها إلا من لسان آخر.

فأما هذه الألفاظ وما جرى مجراها فإنه قد كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارات وبرحلتي قريش، وكسفر مسافر بن أبي عمرو(١) إلى الشام، وسفر عمر بن الخطاب، وكسفر عمرو بن العاصي(٢) وعمارة بن الوليد(٣) إلى أرض الحبشة، وكسفر الأعشى(٤) إلى الحيرة، وصحبته لنصاراها مع كونه حجة في اللغة، فَعَلِقَتِ العربُ بهذا كله ألفاظاً أعجمية، غيرت بعضها بالنقص من حروفها، وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها، حتى جرت مجرى العربي الصريح، ووقع بها البيان، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن، فإن جهلها عربي ما فكجهله الصريح مما في لغة غيره، كما لم يعرف ابن عباس معنى فاطر إلى غير ذلك.

فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية، لكن استعملتها العرب وعربتها، فهي عربية بهذا الوجه، وما ذهب إليه الطبريُّ من أن اللغتين اتفقتا في لفظةٍ لفظةٍ فذلك بعيد، بل إحداهما أصل والأخرى فرعٌ في الأكثر، لأنا لا ندفع أيضاً جواز الاتفاق قليلاً شاذّاً.

---

(١) مسافر بن أبي عمرو ابن أمية بن عبد شمس، أحد فتيان قريش وشعرائها، وهو أحد الثلاثة الذين كنوا بـ«أزواد الركب» لأنهم كانوا إذا سافروا في ركب تولوا الزاد عن أهله، مات بالشام سنة (١٠) قبل الهجرة، ورثاه أبو طالب. أنساب الأشراف للبلاذري (٩/ ٣٣٩).

(٢) صحابي مشهور أسلم في السنة السادسة من الهجرة، ومثله لا يترجم له.

(٣) هو عمارة بن الوليد بن المغيرة، أخو خالد، خرج إلى أرض الحبشة مع عمرو بن العاص بعد مبعث النبي ﷺ، فأمر النجاشي بسحره لما تعرض لامرأته، فصار يفر من الآدمي ويعيش مع البهائم، حتى مات كافراً، انظر: سيرة ابن إسحاق (ص: ١٦٧).

(٤) هو أبو بصير ميمون بن قيس، شاعر جاهلي وكان نصرانيّاً، وكانت العرب تسميه صناجة العرب، وأدرك أيام الرسول ﷺ، ومدحه، وهمَّ بالإسلام لكنه مات قبل أن يسلم، وقصصه وأشعاره مشهورة. انظر: الأغاني (٩/ ١٢٧)، وما بعدها.

نبذة مما قال العلماء في إعجاز القرآن

اختلف الناس في إعجاز القرآن بم هو؟:

فقال قوم: إن التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات، وإن العرب كلفت في ذلك ما لا يطاق، وفيه وقع عجزها.

وقال قوم: إن التحدي وقع بما في كتاب الله تعالى من الأنباء الصادقة، والغيوب المسرودة.

وهذان القولان إنما يَرى العجزَ فيهما مَن قد تقررت الشريعة ونبوة محمد ﷺ في نفسه، وأما من هو في ظلمة كفره فإنما يتحدى فيما يتبين له بينه وبين نفسه عجزه عنه، وأن البشر لا يأتي بمثله، ويتحقق مجيئه من قبل التحدي.

وكفار العرب لم يمكنهم قط أن ينكروا أنَّ رصف القرآن ونظمه وفصاحته متلقى من قبل محمد ﷺ، فإذا تُحُدِّيَتْ إلى ذلك وعجزتْ فيه عَلِمَ كل / فصيح ضرورة أن هذا [١/ ١١]
نبي، يأتي بما ليس في قدرة البشر الإتيان به، إلا أن يخص الله تعالى من يشاء من عباده.

وهذا هو القول الذي عليه الجمهور والحذاق، وهو الصحيح في نفسه: أن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه(١).

ووجه إعجازه أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً، وأحاط بالكلام كله علماً، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن عَلِم بإحاطته أيَّ لفظة تصلح أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجهل، والنسيان، والذهول، ومعلوم ضرورةً أن بشراً لم يكن قط محيطاً.

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٩٧)، والإتقان في علوم القرآن (٤/ ٣).

فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، وبهذا النظر يبطل قول من قال: إن العرب كانت في قدرتها أن تأتي بمثل القرآن، فلما جاء محمد ﷺ صرفوا عن ذلك وعُجِّزوا[(١)] عنه[(٢)].

والصحيح أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يصنع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقحها حولاً كاملاً، ثم تعطى لآخر نظيره فيأخذها بقريحة جامة[(٣)]، فيبدل فيها وينقح، ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل، وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد.

ونحن تبين لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع، لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وميز الكلام، ألا ترى ميزَ الجارية نفَس الأعشى وميز الفرزدق[(٤)] نفس جرير[(٥)] من نفَس ذي الرُّمَّة[(٦)]، ونظر

---

(١) في الحمزوية: «وحجزوا».

(٢) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ٣٧٣)، والمواقف لعضد الدين الإيجي (٣/ ٣٧٨، ٣٩٢، ٦٦٣).

(٣) في أحمد٣: «جامدة».

(٤) أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي البصري، مقدم الشعراء في عصره، روى عن علي بن أبي طالب، وأبي هريرة، والطرماح، وغيرهم، وعنه: الكميت، ومروان الأصغر، وآخرون. توفي سنة (١١٠هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٢١١).

(٥) هو جرير بن عطية بن حذيفة بن بدر بن سلمة، أبو حزرة التميمي البصري الشاعر المشهور، مدح يزيد بن معاوية ومن بعده من الأمويين، وكانت له معارضات مشهورة مع الفرزدق، توفي سنة (١١٠هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٤٠).

(٦) هو غيلان بن عقبة بن بهيش صاحب مية، يكنى أبا الحارث، وهو من بنى صعب بن ملكان بن عديّ ابن عبد مناة، انظر خبره في الشعر والشعراء (١/ ٥١٥)، ويشير المؤلف إلى ما جاء في الأغاني لأبي الفرج (٨/ ٦٣، ١٨/ ٢٥) والأمالي في لغة العرب لأبي علي (٢/ ١٤٢) أن الفرزدق مر بذي الرمة ينشد قصيدة في ضمنها أبيات أعانه بها جرير، فقال الفرزدق: «تالله لقد علكهن أشد لحيين منك».

الأعرابي في قوله: «عز فحكم فقطع»[١]. إلى كثير من الأمثلة اكتفيت بالإشارة إليها اختصاراً.

فصورة[٢] قيام الحجة بالقرآن على العرب: أنه لما جاء محمد ﷺ به وقال: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] قال كل فصيح في نفسه: وما بال هذا الكلام حتى لا آتي بمثله؟ فلما تأمله وتدبره، ميَّز منه ما ميز الوليد بن المغيرة[٣] حين قال: والله ما هو بالشعر ولا هو بالكهانة ولا بالجنون[٤].

وعرف كل فصيح بينه وبين نفسه أنه لا يقدر بشر على مثله، فصح عنده أنه من عند الله تعالى.

فمنهم من آمن وأذعن، ومنهم من حسد كأبي جهل وغيره، ففر إلى القتال، ورضي بسفك الدم عجزاً عن المعارضة، حتى أظهر الله دينه، ودخل جميعهم فيه، ولم يمت رسول الله ﷺ وفي الأرض قبيل من العرب يعلن كفره.

وقامت الحجة على العالم بالعرب إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة، كما قامت الحجة في معجزة عيسى بالأطباء، وفي معجزة موسى بالسحرة، فإن الله

---

(١) انظر: زاد المسير (٢/ ٣٥٤)، والتفسير الوسيط للواحدي (٢/ ١٨٥).

(٢) في المطبوع: «فصور».

(٣) هو الوليد بن المغيرة المخزومي والد الصحابي الجليل خالد بن الوليد، كان من أشد أعداء رسول الله ﷺ، وفيه نزل قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾، مات بمكة كافراً، في السنة الأولى للهجرة. تاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٤٠).

(٤) له طرق ومراسيل تَشُدُّه: فقد أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٤/ ٢٤-٢٥) من طرق متعددة بعضها عن ابن عباس وبعضها عن بعض التابعين، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥٠) وصححه من طريق معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس نحوه، ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة ثم قال: «هكذا حدثناه موصولاً، وفي حديث حماد بن زيد، عن أيوب، عن عكرمة» يعني مرسلاً، ثم ذكر طرقاً أخرى مراسيل ثم قال: «وكل ذلك يؤكد بعضه بعضاً».

تعالى إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير [أبرع][١] ما يكون في زمان النبي الذي أراد إظهاره، فكان السحر في مدة موسى قد انتهى إلى غايته، وكذلك الطبُّ في زمن عيسى، والفصاحة في مدة محمد عليهم الصلاة والسلام.

(١) في الحمزوية: «أبدع»، وفي السليمانية: «أبلغ».

باب في الألفاظ
التي يقتضي الإيجاز استعمالها في تفسير كتاب الله تعالى

اعلم أنَّ القصدَ إلى إيجاز العبارة قد يسوق المتكلم في التفسير إلى أن يقول: خاطب الله بهذه الآية المؤمنين، وشرَّف الله بالذكر الرجل المؤمن من آل فرعون، وحكى الله تعالى عن أم موسى أنها قالت: ﴿قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١]، ووقَفَ الله ذرية آدم على ربوبيته بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[الأعراف: ١٧٢] ونحو هذا من إسناد أفعال إلى الله تعالى لم يأت إسنادها بتوقيف من الشرع.

وقد استعمل هذه الطريقة المفسرون والمحدثون والفقهاء، واستعملها أبو المعالي[١] في «الإرشاد»، وذكر بعض الأصوليين أنه لا يجوز أن يقال: حكى الله، ولا ما جرى مجراه.

قال القاضي أبو محمد: وهذا[٢] على تقرير هذه الصفة له وثبوتها مستعملة كسائر أوصافه تبارك وتعالى، وأما إذا استعمل ذلك في سياق الكلام والمراد منه حكت الآية أو اللفظ، فذلك استعمالٌ عربيٌّ شائعٌ، وعليه مشى الناس، وأنا أتحفظ منه في هذا التعليق جهدي، ولكني قدمت هذا الباب لِمَا عسى أن أقع فيه نادراً، واعتذاراً عما وقع فيه المفسرون من ذلك.

---

(١) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله، إمام الحرمين أبو المعالي ابن الإمام أبي محمد الجويني، الفقيه رئيس الشافعية بنيسابور، قال أبو سعد السمعاني: كان إمام الأئمة على الإطلاق، المجتمع على إمامته شرقاً وغرباً، توفي سنة (٤٧٨هـ). تاريخ الإسلام (٣٢/ ٢٣٠).

(٢) أي: ما حكاه بعض الأصوليين من عدم الجواز.

وقد استعملت العرب أشياء في ذكر الله تعالى فيحمل على مجاز كلامها، فمن ذلك قول عامر[(١)] يرتجز بالنبي ﷺ:

[الرجز] فَاغْفِـرْ فِـدَاءً لَـكَ مَـا اقْتَفَيْنَـا[(٢)] ....

وقول أم سلمة: «فعزم الله لي» في الحديث في موت أبي سلمة وإبدال الله لها منه رسول الله[(٣)].

ومن ذلك قولهم: الله يدري كذا وكذا، والدراية إنما هي[(٤)] التأتِّي للعلم بالشيء حتى يتيسر ذلك، قال أبو علي: «واحتج/ بعض أهل النظر على جواز هذا الإطلاق بقول الشاعر: [١/ ١٢]

[الرجز] لاهُـمَّ لا أَدْرِي وَأَنْـتَ الـدَّارِي»[(٥)] ....

قال أبو علي: «وهذا لا ثبت فيه؛ لأنه يجوز أن يكون من غلط الأعرابيِّ»[(٦)].

قال القاضي أبو محمد: وكذلك أقول: إنَّ الطريقةَ كلَّها عربيةٌ، لا يثبت للنظر المنخول شيء منها، وقد أنشد بعض البغداديين:

---

(١) في جميع النسخ الخطية المتوفرة: «أبي عامر» والتصويب من المطبوع، فالأبيات لعامر بن الأكوع كما سيأتي في التخريج.

(٢) هذا البيت من أبيات كان يرتجز بها عامر بن الأكوع، والخبر مشهور متفق عليه أخرجه البخاري (٥٧٩٦)، ومسلم (١٨٠٢).

(٣) أخرجه مسلم (٩١٨) وغيره، ضمن حديث بلفظ: «عزم اللهُ لي».

(٤) في جار الله زيادة: «من»، وفي فيض الله والسليمانية وأحمد٣: «في».

(٥) البيت للعجاج كما في لسان العرب (١٢/ ٥٥٥)، وهو بلا نسبة في الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٢٦١)، وغرائب التفسير للكرماني (١/ ٤٧٥)، والصحاح للجوهري (٥/ ٢٠٣٧)، والفروق اللغوية للعسكري (ص: ٩٢)، والممتع لابن عصفور (ص: ٣٢).

(٦) الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٢٦١)، وقد ذكر ابن سيده في المخصص (١/ ٢٦٠) احتجاج بعض أهل النظر بذلك ثم قال: «وهذا لا يثبت فيه؛ لأنه يجوز أن يكون من غلط الأعراب»، وقال الراغب في مفردات غريب القرآن (ص: ٣١٣): «والدراية لا تستعمل في الله تعالى»، ورأى أن البيت «من تعجرف أجلاف العرب».

لاهُـمَّ إنْ كُنْتَ الَّـذِي بِعَهْدِي وَلَـمْ تُغَيِّـرْكَ الْأُمُـورُ بَعْـدِي[١] [الرجز]

وقد قال العجَّاج[٢]:

فَارْتَاحَ رَبِّي وَأَرَادَ رَحمتِي[٣] [الرجز]

وقال الآخر:

قَدْ يُصْبِحُ اللهُ أَمَامَ السَّارِي[٤] [الرجز]

وقال الآخر:

يَـا فَقْعَسِيُّ لِـمْ أَكَلْتَـهُ لِمَهْ لَوْ خَـافَكَ اللهُ عَلَيْهِ حَرَّمَـه[٥] [الرجز]

وقال أوس:

أَبَـنِـي لُـبَيْـنَـى لا أُحِـبُّـكُـمُ وَجَـدَ الإلـهُ بِكُـمْ كَمَـا أَجِـدُ[٦] [الكامل]

وقال الآخر:

وَإِنَّ اللهَ ذَاقَ عُـقُـولَ تَيْـمٍ فَلَـمَّا رَاءَ خِـفَّـتَـهَا قَـلاهَا[٧] [الوافر]

---

(١) البيت غير منسوب في غرائب التفسير للكرماني (١/ ٤٧٦)، والحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٢٦١)، والمخصص (١/ ٢٤٤)، وذكر أنه من جفاء الأعراب.

(٢) العجاج والد رؤبة، أبو الشعثاء عبد الله بن رؤبة بن صخر التميمي، صاحب الرجز، سمي العجاج ببيت قاله، روى عن أبي هريرة، وعنه: ابنه رؤبة. توفي سنة (٩٠هـ) في خلافة الوليد بن عبد الملك. تاريخ الإسلام للذهبي (٦/ ٤٢٣).

(٣) البيت للعجاج، كما في الحجة للفارسي (١/ ٢٦١)، ومجمل اللغة (ص: ٤٠٨)، والمخصص (١/ ٢٤٤)، ونسبه الأزهري في تهذيب اللغة (٥/ ١٤٢) لرؤبة، قائلاً: «قاله بأعرابيته ونحن نستوحش من مثل هذا اللفظ في صفته لأن الله إنما يوصف بما وصف به نفسه».

(٤) البيت في البيان والتبيين (٣/ ١٨٥)، وعيون الأخبار (١/ ٢٣١)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٢٠٢)، والتمهيد (٦/ ٢١٤)، بلا نسبة.

(٥) البيت لسالم بن دارة الغطفاني كما في الحيوان (١/ ١٧٦) ولسان العرب (٢/ ٤٦١).

(٦) البيت لأوس بن حجر، كما في الحجة للفارسي (١/ ٢٦١)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٨٠).

(٧) البيت ليزيد بن الصقع، كما في الحيوان (٥/ ١٥)، وهو غير منسوب في تأويل مشكل القرآن =

ومن هذا الاستعمال الذي يُبنى البابُ عليه قول سعد بن معاذ[١]: «عرَّقَ اللهُ وَجْهَكَ في النَّار»، يقول هذا للرامي الذي رماه، وقال: «خُذْهَا وأنا ابنُ العَرِقَة»[٢].

وفي هذه الأمثلة كفايةٌ فيما نحوناه، إذ النظير لذلك كثيرٌ موجودٌ، وإن خُرِّجَ شيءٌ من هذه على حذفِ مضاف فذلك متوجِّهٌ في الاستعمال الذي قصدنا الاعتذار عنه، واللهُ المستعان[٣].

= (ص: ١٠٥)، وزاد المسير (١/ ٤٣٧)، والنكت في القرآن الكريم (ص: ٢٨٧)، وجمهرة الأمثال (١/ ٢٤)، والرواية عندهم جميعاً: حلوم قيس، بدل عقول تيم، وفي جار الله وأحمد٣: «رأى»، ولا يستقيم بها الوزن، والصواب: «راء» وهي بمعنى: رأى، قاله العسكري في جمهرة الأمثال (١/ ٢٤) عند ذكر هذا البيت.

(١) هو سعد بن معاذ سيد الأوس، بل سيد الأنصار، صحابي مشهور لا يترجم لمثله.

(٢) صحيح: أصله في الصحيحين، واللفظ المستشهد به في مستخرج أبي عوانة (٤/ ٢٦٢) بسند الصحيحين، وله طرق أخرى كما في مسند إسحاق بن راهويه (٢/ ٥٤٤) وغيره.

(٣) ما ذكره ابن عطية من التساهل في الحكاية عن الله على الاتساع في المجاز موجود في كلام الصحابة وغيرهم من الأئمة، إلا أن بعض ما ذكره من الأبيات لا يصلح الاستشهاد به على ما أراده، وإنما يحمل في الحقيقة على ما عهد عن الأعراب من الجفاء وسوء الأدب، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى بذلك عنهم كما في سورة التوبة، وقد نبهنا على ذلك في تخريج بعض الأبيات أنها مما يحمل على جفاء الأعراب، وعلى ذلك سار كثير من أهل العلم، قال الشاطبي رحمة الله عليه في الاعتصام (ص: ٤٧٣-٤٧٤) في كلام له عن الدعاء: «وقد كان من العرب من يجهل قدر الربوبية فيقول: رب العباد ما لنا وما لك ❊ أنزل علينا الغيث لا أبا لك، ونحوه، وهي ألفاظ يفتقر أصحابها إلى التعليم، وكانوا أقرب عهد بجاهلية تعامل الأصنام معاملة الرب الواحد سبحانه، ولا تنزهه كما يليق بجلاله». وانظر بدائع الفوائد (١/ ١٦١).

باب في تفسير
أسماء القرآن وذكر السورة والآية

هو القرآن، وهو الكتاب، وهو الفرقان، وهو الذكر، فالقرآن مصدر من قولك: قرأ الرجل: إذا تلا، يقرأ قرآناً وقراءة، وحكى أبو زيد الأنصاري(١): وقرْءاً(٢).

وقال قتادة: القرآن معناه: التأليف، قرأ الرجل: إذا جمع وألف قولاً، وبهذا فسَّر قتادة قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[القيامة: ١٧] أي: تأليفه(٣)، وهذا نحو قول الشاعر:

ذِرَاعَيْ بَكْرَةٍ أَدْمَاءَ بَكْرٍ ... هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا(٤) [الوافر]

أي: لم تجمع في بطنها ولداً فهو أَفْرَهُ لها، والقول الأول أقوى: أنَّ(٥) القرآنَ

---

(١) هو سعيد بن أوس بن ثابت، أبو زيد الأنصاري النحوي الإمام، صاحب التصنيفات اللغوية والأدبية، اشتهر بكنيته، أخذ عن ابن عوف، ورؤبة بن العجاج، وآخرين، وعنه: خلفٌ البزار وقرأ عليه القرآن، توفي سنة (٢١٥هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (١٥/ ١٦٤).

(٢) لم أجد من نقله عنه، وقد جاء في الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٢١٢)، والاستذكار (٦/ ١٤٧): قال أبو زيد الأنصاري: «سمعت أبا عمرو بن العلاء، يقول: العرب تسمي الطهر قرءاً، وتسمي الحيض قرءاً، وتسمي الطهر مع الحيض جميعاً قرءاً».

(٣) هذا القول صحيح عن قتادة، فقد أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٩٦)، بإسناد صحيح عنه.

(٤) البيت لعمرو بن كلثوم، من معلقته المشهورة، كما في مجاز القرآن (١/ ٢)، والجمهرة لابن دريد (١/ ٢٨٤)، وتفسير الطبري (١/ ٩٥)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢٧٧)، وتهذيب اللغة (٢/ ٩٨)، وفي بعض المصادر: «ذراعي عيطل»، وهي نسخة أشار لها في هامش جار الله.

(٥) في المطبوع: «أي».

مصدر من قرأ إذا تلا، ومنه قول حسان بن ثابت[1] يرثي عثمان بن عفان رضي الله عنه:

[البسيط] ضَحَّوْا بِأَشْـمَطَ عُنْوَانُ السُّـجُودِ بِه يُقَطِّـعُ اللَّيْـلَ تَسْـبِيحاً وَقُرْآنـا[2]

أي: قراءة.

وأمَّا الكتابُ فهو مصدر من كتب إذا جمع، ومنه قيل: كتيبة؛ لاجتماعها، ومنه قولُ الشَّاعر:

[البسيط] .... وَاكْتُبْهَـا بِأَسْـيَارِ[3]

أي: اجمعها، وأما الفرقان فهو أيضاً مصدر؛ لأنه فرق بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر، فرقاً وفرقاناً.

وأمَّا الذكر فسمي به لأنه ذكَّر به الناس آخرتهم وإلههم، وما كانوا في غفلة عنه، فهو ذكر لهم، وقيل: سمي بذلك لأن فيه ذكر الأمم الماضية والأنبياء، وقيل: سمي بذلك؛ لأنه ذكر وشرف لمحمد ﷺ وقومه وسائر العلماء به.

وأمَّا السورة فإنَّ قريشاً كلَّها ومن جاورها من قبائل العرب كهذيل، وسعد ابن بكر، وكنانة، يقولون: سورة، بغير همز، وتميم كلها وغيرهم أيضاً يهمزون [فيقولون:سؤر وسؤرة][4].

---

(١) حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام، الأنصاري الخزرجي، شاعر رسول الله ﷺ، روى أحاديث عن النبي ﷺ، وعنه: سعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وعروة بن الزبير، وآخرون، توفي سنة: (٥٤هـ) وقيل غيرها. الإصابة (٢/ ٥٥).

(٢) انظر عزوه له في العقد الفريد (٣/ ٢٣٨)، وتهذيب اللغة (١/ ٨٢)، وأدب الكتاب للصولي (ص: ١٤٣)، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه (١/ ٢٧٦).

(٣) جزء من بيت لسالم بن دارة، وتمامه: لا تأمنن فزاريا مررت به على قلوصك واكتبها بأسيار، انظر عزوه له في تهذيب اللغة (١١/ ١٤٣)، والشعر والشعراء (١/ ٣٨٩)، والمعاني الكبير (١/ ٥٧٩)، والكامل في اللغة والأدب (٣/ ٦٥)، وجمهرة الأمثال (٢/ ٢٨٨)، والإمتاع والمؤانسة (ص: ٣٨٢)، والحماسة البصرية (٢/ ٢٩٧)، ونسبه الصولي في أدب الكتاب (ص: ١١٣) للفرزدق، ولعله خطأ.

(٤) ساقط من جار الله، وكلمة «سؤر» لم ترد إلا في الأصل فقط.

فأمَّا من همز فهي عنده كالبقية من الشيء والقطعة منه، التي هي سؤر وسؤرة من أسأر: إذا أبقى، ومنه سؤر الشراب، ومنه قول الأعشى وهو ميمون بن قيس:

فَبَانَـتْ وَقَـدْ أسـأرَتْ فـي الْفُـؤَا   دِ صَدْعـاً عَلَـىٰ نَأْيِهَـا مُسْـتَطِيرَا[١]   [المتقارب]

أي: أبقت فيه.

وأمَّا من لا يهمز فمنهم من يراها من المعنى المتقدم، إلا أنها سهِّلت همزتها، ومنهم من يراها مشبَّهة بسورة البناء، أي: القطعة منه، لأنَّ كُلَّ بناء فإنما يبنى قطعة بعد قطعة، [وكل قطعة][٢] منها سورة، وجمع سورة القرآن: سور بفتح الواو، وجمع سورة البناء: سور بسكونها، قال أبو عبيدة: إنما اختلفا في هذا، فكأن سور القرآن هي قطعة بعد قطعة حتى كمل منها القرآن[٣].

ويقال أيضاً للرتبة الرفيعة من المجد والملك: سُورة، ومنه قول النابغة الذبياني[٤] للنعمان بن المنذر[٥]:

أَلَـمْ تَـرَ أنَّ اللهَ أعْـطَـاكَ سُـورَةً   تَـرَىٰ كُلَّ مَلْـكٍ دُونَهَـا يَتَذَبْـذَبُ[٦]   [الطويل]

فكأن الرتبة انبنت حتى كملت.

---

(١) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١/ ١٠٥)، وشمس العلوم لنشوان (٥/ ٣٣١٣)، والجليس الصالح الكافي (ص: ٣٥٨).

(٢) ساقط من جار الله.

(٣) انظر كلامه في مجاز القرآن (١/ ٥).

(٤) أحد فحول الشعراء الجاهليين، واسمه: زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة، كانت تضرب له خيمة في سوق عكاظ، ويأتيه الشعراء يعرضون عليه أشعارهم، مات سنة (١٨) قبل الهجرة. تاريخ دمشق لابن عساكر (١٩/ ٢٢٣).

(٥) النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس، ملك الحيرة، يكنى أبا قابوس، كان له يومان يوم بؤس ويوم نعيم، قتله كسرى أبرويز سنة: ١٤ قبل الهجرة، تقريبا، واختلف في كيفية قتله. المعارف لابن قتيبة (ص: ٦٤٩).

(٦) مجاز القرآن (١/ ٤)، وهو منقول بالمعنى، وانظر عزو البيت للنابغة أيضاً في تفسير الطبري =

وأمَّا الآيةُ فهي العلامة في كلام العرب، ومنه قول الأسير الموصي إلى قومه باللَّغز: «بآية ما أكلت معكم حيساً»[١]، فلما كانت الجملة التامة من القرآن علامة على صدق الآتي بها وعلى عجز المتحدى بها سمّيت آية.

هذا قول بعضهم، وقيل: سميت آية لما كانت جملة، وجماعةَ كلام، كما تقول العرب: «جئنا بآيتنا» أي: بجماعتنا، وقيل: «لما كانت علامةً للفصل بين ما قبلها وما بعدها سميت آية».

ووزن آية عند سيبويه: فَعَلة بفتح العين، أصلها: أَيَيَة، تحركت الياء الأولى، وما قبلها مفتوح، فجاءت آية، وقال الكسائي[٢]: أصل آية: آيِيَة على وزن فاعلة، حذفت الياء الأولى مخافة أن يلتزم فيها من الإدغام ما لزم في دابة، وقال مكي في تعليل هذا الوجه: سكّنت الأولى وأدغمت فجاءت آيَّة على وزن دابة، ثم سهلت الياء المثقلة[٣]،
[١٣] وقيل: أصلها: أَيَّة على وزن فَعلة بسكون العين، أبدلت الياء الساكنة ألفاً / استثقالاً للتضعيف، قاله الفراء[٤]، وحكاه أبو علي عن سيبويه في ترجمة: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾ [آل عمران: ١٤٦][٥].

= (١/ ١٠٥)، وجمهرة اللغة (١/ ١٧٤)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٧٥)، وتهذيب اللغة (١٣/ ٣٦)، والحيوان (٣/ ٤٨)، والعقد الفريد (٢/ ٣٧)، وديوان المعاني (١/ ١٥).

(١) انظر قصة الأسير في الأمالي لأبي علي القالي (١/ ٥)، والعقد الفريد (٦/ ٤٥).

(٢) علي بن حمزة بن عبد الله، أبو الحسن الأسدي الكوفي الكسائي، شيخ القراء والنحاة، نزل بغداد وأدب الرشيد، ثم ولده الأمين، قرأ القرآن على حمزة، وغيره، روى عنه: أبو عبيد القاسم بن سلام، ويحيى الفراء، توفي سنة: (١٨٩هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (١٢/ ٢٩٩).

(٣) انظر هذه الأقوال في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٩٠-٢٩١) ومشكل إعراب القرآن (١/ ٣٧٩-٣٨٠).

(٤) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي مولاهم، الكوفي النحوي، صاحب التصانيف، حدث عن: قيس بن الربيع، وغيره، وعنه: مسلمة بن عاصم، ومحمد بن الجهم السمري، وغيرهما. توفي سنة (٢٠٧هـ). تاريخ الإسلام (١٤/ ٢٩٣)، وانظر نقل هذا عنه في الحجة لابن خالويه (ص: ١٩٣)، والهداية لمكي (١/ ٢٩١)، والبيان في عد آي القرآن للداني (ص: ١٢٥).

(٥) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٨١).

وقال بعض الكوفيين: أصلها أيية على وزن فعِلة بكسر العين أبدلت الياء الأولى ألفاً؛ لثقل الكسر عليها وانفتاح ما قبلها[١].

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٢٩١).

باب القول في الاستعاذة

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨].

معناه: إذا أردت أن تقرأ وشرعت، فأوقَعَ الماضي موقع المستقبل لثبوته.

وأجمع العلماء على أن قول القارئ: «أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم» ليس بآية من كتاب الله(١).

وأجمعوا على استحسان ذلك والتزامه في كلِّ قراءةٍ في غير صلاة(٢)، واختلفوا في التعوذ في الصلاة:

فابنُ سيرين وإبراهيم النخعي وقوم يتعوذون في الصلاة في كلّ ركعة(٣)، ويمتثلون أمر الله بالاستعاذة على العموم في كلِّ قراءةٍ.

وأبو حنيفة والشَّافعي يتعوذان في الركعة الأولى من الصلاة(٤)، ويريان أنَّ قراءة الصلاة كلَّها كقراءة واحدةٍ.

ومالك رضي الله عنه لا يرى التعوذَ في الصلاة المفروضة، ويراه في قيام رمضان(٥)، ولم يحفظ عن النبي ﷺ أنه تعوَّذ في صلاة(٦).

---

(١) نصَّ عليه أبو العباس المهدوي، انظر: التحصيل (١/ ٨).

(٢) انظر: المجموع (٣/ ٣٢٥).

(٣) المصدر السابق (٣/ ٣٢٦).

(٤) انظر: المبسوط للسرخسي (١/ ١٣)، والمجموع شرح المهذب (٣/ ٣٢٥).

(٥) انظر: المدونة (١/ ١٦٢).

(٦) في الحمزوية: «ولم يرو» بدل «ولم يحفظ»، ومما جاء في ذلك ما أخرج الترمذي (**٢٤٣**) وغيره من حديث أبي سعيد الخدري أنه ﷺ كان يقول في صلاة الليل: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان =

وحكى الزهراوي[١] عن الحسن أنه قال: «نزلت الآية في الصلاة، وندبنا إلى الاستعاذة في غير الصلاة وليس بفرض»، وقال غيره: «كانت فرضاً على النبي ﷺ وحده، ثم تأسَّينا به»[٢].

وأمَّا لفظُ الاستعاذة فالذي عليه جمهور الناس هو لفظ كتاب الله تعالى: «أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم»[٣].

وروي عن ابن عباس أنه قال: «أَوَّلُ مَا نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلى مُحَمَّدٍ ﷺ قَالَ لَهُ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: أَسْتَعِيذُ بالله السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ قَالَ: قُلْ[٤]: «بسم الله الرحمن الرحيم»[٥].

وروى سليمان بن سالم[٦] عن ابن القاسم رحمه الله[٧]: أنَّ الاستعاذةَ: «أعوذ بالله العظيم من الشَّيطان الرَّجيم، إنَّ الله هو السميع العليم بسم الله الرّحمن الرّحيم»[٨].

= الرجيم من همزه ونفخه ونفثه»، قال: وفي الباب عن علي وعائشة وعبد الله بن مسعود وجابر وجبير ابن مطعم وابن عمر، قال: وقد تُكُلم في إسناد حديث أبي سعيد، كان يحيى بن سعيد يتكلم في علي ابن علي الرفاعي، وقال أحمد: لا يصح هذا الحديث.

(١) هو الإمام العالم الحافظ المجود محدث الأندلس مع ابن عبد البر أبو حفص؛ عمر بن عبيد الله بن يوسف بن حامد الذهلي القرطبي الزهراوي، كان معتنياً بنقل الحديث وجمعه وسماعه، توفي في صفر سنة (٤٥٤هـ): سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٩٠).

(٢) انظر قول الزهراوي وغيره في القرطبي (١/ ٨٨).

(٣) نسبه الداني في التيسير (١/ ١٦) للحذاق من أهل الأداء.

(٤) سقطت من جار الله، وسقطت «قال» من السليمانية.

(٥) ضعيف: فقد أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١١٣) بسند ضعيف، قال: ابن كثير في التفسير (١/ ٣٠): «وهذا الأثر غريب! وإنما ذكرناه ليعرف، فإن في إسناده ضعفاً وانقطاعاً».

(٦) هو القاضي أبو الربيع المعروف بابن الكحالة، من أصحاب سحنون، توفي سنة (٢٨١ هـ). انظر: الديباج (١/ ٣٤٧).

(٧) هو عبد الرحمن بن القاسم العتقي المصري، راوي مالك، وصاحب مذهبه في مصر والمغرب والأندلس، مشهور.

(٨) نقله عنه القرطبي (١/ ٨٧)، ورواه الهذلي في «الكامل» (ص: ٤٧٢) عن الزينبي عن ابن كثير، وليس فيه ذكر الشيطان.

وأمَّا المقرئون فأكثروا في هذا من تبديل الصفة في اسم الله تعالى وفي الجهة الأخرى، كقول بعضهم: «أعوذ بالله المجيد من الشيطان [الرجيم][(١)] المريد»، ونحو هذا مما لا أقول فيه: نعمت البدعة، ولا أقول: إنه لا يجوز.

ومعنى الاستعاذة: الاستجارة، [والتحيز][(٢)] إلى الشيء على معنى الامتناع به من المكروه، والكلام على المكتوبة[(٣)] يجيء في (بسم الله) فذلك الموضع أولى به.

وأمَّا (الشَّيطان) فاختلف الناس في اشتقاقه:

فقال الحذَّاقُ: هو فَيْعَال من شَطَنَ إذَا بَعُدَ؛ لأنَّه بَعُدَ عَنِ الخيرِ ورحمةِ اللهِ[(٤)]، ومن اللفظة قولهم: نوًى شَطُون، أي: بعيدة، قال الأعشى:

نَـأتْ بِسُـعَادَ عَنْـكَ نَـوًى شَـطُونُ فَبَانَـتْ، والْفُـؤَادُ بِهَـا رَهِيـنُ[(٥)] [الوافر]

ومنه قيل للحبل: شَطَنٌ؛ لبعد طرفيه وامتداده.

وقال قومٌ: إنَّ شيطاناً مأخوذٌ من شَاطَ يَشِيطُ: إذَا هَاجَ وأحْرَقَ ونحوه، إذ هذه أفعاله، فهو فَعْلَانُ[(٦)].

قال القاضي أبو محمد: ويرد على هذه الفرقة أنَّ سيبويه حكى أنَّ العربَ تقول:

(١) من الحمزوية.

(٢) وفي الحمزوية: «والالتجاء».

(٣) يعني بالمكتوبة لفظ الجلالة، وقد تكرر منه ذلك كثيراً كما سيأتي.

(٤) ورد هذا القول في الكتاب لسيبويه (٤/ ٢٦٠)، والحجة لأبي علي (٢/ ٢٢)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٣).

(٥) كذا نسبه ابن عطية للأعشى، وكأنه سبق قلم، فإن البيت مشهور للنابغة الذبياني، كما في تفسير الطبري (١/ ١١٢)، والصحاح للجوهري (٥/ ٢١٤٤)، ومقاييس اللغة (٣/ ١٨٣)، وشمس العلوم لنشوان (٤/ ٢٦٥٥)، وسمط اللآلي (١/ ٥٨)، وذكر أبياتاً من القصيدة منها: وحلّت في بني القين ابن جسر * فقد نبغت لنا منهم شؤون، قال: وبهذا البيت سمي النابغة.

(٦) ورد هذا القول في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ١٦٤)، وتهذيب اللغة (١١/ ٢١٤).

تشيطن فلانٌ[١] إذا فعل أفاعيل الشيطان، فهذا بيِّن أنه تفيعل من شطن، ولو كان من شاط لقالوا تشيط، ويرد أيضاً عليهم بيت أمية بن أبي الصلت:

[الخفيف] أَيُّمَا شَاطِنٍ عَصَاهُ عَكَاهُ ... ثُمَّ يُلْقَى فِي السِّجْنِ وَالأَكْبَالِ[٢]

فهذا شَاطِنٌ من شطن، لا شكَّ فيه.

وأمَّا الرَّجيمُ: فهو فَعِيلٌ بمعنى مَفْعُولٍ، كقتيل وجريح ونحوه، ومعناه: أنه رجم باللعنة، والمقت، وعدم الرحمة.

قال المهدوي رحمه الله: أجمع القراء على إظهار الاستعاذة في أول قراءة سورة الحمد إلا حمزة[٣] فإنه أسرها، وروى المسيَّبي[٤] عن أهل المدينة أنهم كانوا يفتتحون القراءة بالبسملة[٥].

(١) قول سيبويه إنما نقله ابن عطية بالمعنى، والذي في الكتاب له (٤/ ٣٢١) قوله وهو يتحدث عن النون في عدد من الكلمات: «فأما الدهقان والشيطان فلا تجعلهما زائدتين فيهما لأنهما ليس عليهما ثبت، ألا ترى أنك تقول: تشيطن وتدهقن، وتصرفهما».

(٢) البيت لأمية كما في تفسير الطبري (١/ ١١٢)، والحجة للقراء السبعة للفارسي (٢/ ٢٢)، والجيم (٢/ ٢٩٢)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٤٧)، والصحاح للجوهري (٥/ ٢١٤٥)، ومقاييس اللغة (٣/ ١٨٥)، ومعنى عكاه، أي: شدَّه في الحديد، والأكبال جمع كبل، وهو القيد.

(٣) هو حمزة بن حبيب الزيات، الإمام العلم أبو عمارة التيمي الكوفي الزيات، أحد السبعة القراء، قرأ على حمران بن أعين والأعمش وجماعة، وعنه سليم بن عيسى الحنفي والكسائي وآخرون. توفي سنة (١٥٦هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٩/ ٣٨٣).

(٤) إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المسيب، أبو محمد المسيبي المدني المقرئ، صاحب نافع، كان إماما في القراءة، قرأ عليه: ولده محمد بن إسحاق، وغيره، وروى له أبو داود. توفي سنة (٢٠٦هـ). غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ١٥٧).

(٥) انظر: التحصيل للمهدوي (١/ ١٣)، وانظر رواية المسيبي في التيسير فى القراءات السبع للداني (١/ ١٤).

القول في تفسير ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

روي عن جعفر بن محمد الصَّادق رضي الله عنه أنه قال: «البسملة تيجان السور»(١).

وروي أنَّ رجلاً قال بحضرة النبي ﷺ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَقُلْ ذَلِكَ، فإِنَّهُ يَتَعَاظَمُ عِنْدَهُ، ولَكِنْ قُلْ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فإِنَّهُ يَصْغُرُ حَتَّى يَصِيرَ أَقَلَّ مِنْ ذُبَابٍ»(٢).

وقال علي بن الحسين رضي الله عنه(٣) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٦]، قال: «معناه: إذا قلت: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾»(٤).

---

(١) نقله تفسير القرطبي (١/ ٩٢).

(٢) في إسناده اختلاف، وجوَّد إسناده ابن كثير وقوَّاه: فقد أخرجه أبو داود (٤٩٨٤) والنسائي في الكبرى (١٠٣٨٨) من طريق خالد الحذاء عن أبي تـميمة عن أبي المليح عن رجل ردف النبي ﷺ نحوه، وقد اختلف في إسناده بإثبات أبي المليح وإسقاطه، وانظر: مسند أحمد (٥/ ٥٩، ٧١، ٣٦٥) والذي أسقطه روي الحديث عنه مرة أخرى بإثبات واسطة دون تسمية، فالراجح فيما يظهر رواية من قال عن أبي المليح، وعلى كل فقد صححه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢٤-٣٢٥) وقال ابن كثير في التفسير (٨/ ٥٣٩): «إسناده جيد قوي»، وانظر: علل الدار قطني (١٣/ ٢٨٥-٢٨٦).

(٣) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، زين العابدين، أبو الحسن، روى عن: أبيه، وعمه الحسن، وابن عباس، وغيرهم، روى عنه: بنوه محمد الباقر، وزيد، وعمر، وآخرون. توفي سنة (٩٤هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٦/ ٤٣١).

(٤) لم أجد من نقله عنه.

وروي عن جابر بن عبد الله أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال له: «كَيْفَ تَفْتَتِحُ الصَّلاةَ يَا جَابِرُ؟» قُلْتُ: بـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قَالَ: «قُلْ/ : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾»(١). [١/ ١٤]

وروى أبو هريرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «أتَانِي جِبْرِيلُ فعَلَّمَنِي الصَّلاَةَ فقَرَأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يَجْهَرُ بِهَا»(٢).

قال القاضي أبو محمد: وهذان الحديثان يقتضيان أنها آية من الحمد، ويردُّ ذلك حديث أبي بن كعب الصحيح إذ قال له النَّبيُّ ﷺ: «هَلْ لَكَ ألّا تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى تَعْلَمَ سُورَةً مَا أُنْزِلَ فِي التَّوراةِ ولا فِي الإنْجِيلِ ولا فِي الفُرْقَانِ مِثْلُهَا»، قَالَ: فجَعَلْتُ أُبْطِئُ فِي الْمَشْي رَجاءَ ذَلِكَ، فقَالَ لِي: «كَيْفَ تَقْرَأُ إذَا افْتَتَحْتَ الصَّلاةَ؟» قَالَ: فقَرَأْتُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا»(٣).

ويرده الحديث الصحيح بقوله عز وجل: «قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وبَيْنَ عَبْدِي نصفين(٤)، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾»(٥).

---

(١) ضعيف: فقد أخرجه الدار قطني في السنن (١١٧٦)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٤٣٦)، من طريق فيه الجهم ابن عثمان أو يحيى بن أبي أنيسة، قال الدارقطني في العلل (١٣/ ٣٢٤ - ٣٢٥): «وكلاهما ضعيفٌ».

(٢) ضعيف جدّاً: فقد أخرجه الدارقطني في سننه (١١٧٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بإسناد فيه خالد بن إياس، ويقال: إلياس، وهو متروك الحديث، كما في تقريب التهذيب رقم (١٦١٧).

(٣) الأشبه مرسل كما رواه مالك في الموطأ، ويُغني عنه حديث أبي سعيد بن المعلى في الصحيحين: وحديث أبيٍّ أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٧، ٤١٢) والترمذي ح (٢٨٧٥، ٣١٢٥) والنسائي (٢/ ١٣٩) وغيرهم من طرق عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، فذكر خبر أُبَي مع النبي ﷺ في ذلك، وفي بعض الطرق عن أبي هريرة عن أبي بن كعب، وأخرجه مالك في الموطأ (ص: ٧٣) عن العلاء عن أبي سعيد مولى ابن كريز مرسلاً، قال الدارقطني في العلل (٩/ ١٦): «ويشبه أن يكون الحديث عند العلاء على الوجهين»، قلت: وحديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة جادةٌ مطروقةٌ، والمرسل أشبه أن يكون هو المحفوظ، والله أعلم، وقد وقع لأبي سعيد بن المعلى مع النبي ﷺ مثل ما وقع لأبي بن كعب معه، انظر: صحيح البخاري ح (٤٤٧٤، ٤٦٤٧، ٤٧٠٣، ٥٠٠٦).

(٤) من جار الله وأحمد٣ والسليمانية، وكذا في نور العثمانية، وفيها: «عبيدي» بدل «عبدي».

(٥) أخرجه مسلم ح (٣٩٥) وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ويرده أنه لم يحفظ عن النبي ﷺ، ولا عن أبي بكر، ولا عن عمر، ولا عن عثمان، رضوان الله عليهم أنهم قرؤوا [قط][١] في صلاتهم: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾[٢].

ويرده عدد آيات السورة؛ لأنَّ الإجماعَ أنها سبعُ آياتٍ[٣]، إلا ما روي عن حسين الجعفي[٤] أنها ستُّ آياتٍ، وهذا شاذٌّ لا يُعوَّل عليه، وكذلك روي عن عمرو بن عبيد[٥] أنه جعل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] آية، فهي على عَدِّه ثماني آيات، وهذا أيضاً شاذٌّ.

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧] هو الفصلُ في ذلك.

والشَّافعي رحمه الله يَعدُّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ آية من الحمد، وكثير من قراء مكة والكوفة لا يَعدُّون ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ومالك رحمه الله، وأبو حنيفة، وجمهور الفقهاء والقراء، لا يَعدُّون البسملة آية[٦].

والذي يحتمله عندي حديث جابر وأبي هريرة ـ إذا صحّا ـ أنَّ النَّبيَّ ﷺ رأى قراءة جابر وحكايته أمرَ الصلاة، قراءةً في غير صلاة على جهة التعلُّم، فأمره بالبسملة لهذا، لا لأنها آيةٌ.

---

(١) سقطت من الأصل والمطبوع.

(٢) ورد في ذلك حديث متفق عليه، فقد أخرجه البخاري ح (٧٤٣)، ومسلم ح (٩١٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) انظر هذا الإجماع في الأوسط لابن المنذر (٣/ ١٢٢)، والاستذكار لابن عبد البر (١/ ٤٥٣)، والتحصيل للمهدوي (١/ ٢٠).

(٤) الحسين بن علي بن الوليد الجعفي مولاهم الكوفي المقرئ الزاهد، أبو عبد الله، سمع وروى عن جماعة منهم: حمزة الزيات، وأبو عمرو بن العلاء، والثوري، وجماعة، وعنه: أحمد، وإسحاق، وابن معين، وغيرهم. توفي سنة (٢٠٣هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (١٤/ ١٠٩).

(٥) هو عمرو بن عبيد الزاهد، العابد، القدري، كبير المعتزلة وأولهم، أبو عثمان البصري، روى عن أبي العالية، وأبي قلابة، والحسن البصري، قال النسائي: ليس بثقة، وقال ابن المبارك: دعا إلى القدر فتركوه. مات سنة (١٤٤هـ). سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦٠).

(٦) انظر مذهب الشافعي في: شرح النووي على مسلم (٤/ ١٠٤)، ومذهب مالك في: حاشية الدسوقي على شرح الدردير (١/ ٢٥١)، ومذهب أبي حنيفة في: نخب الأفكار (٣/ ٥٧٠)، وانظر نسبة القول لجمهور الفقهاء في: المغني لابن قدامة (٢/ ٣٤٢)، والتحصيل للمهدوي (١/ ٨).

وكذلك في حديث أبي هريرة رآها قراءة تعليم، ولم يفعل ذلك مع أُبَيّ؛ لأنَّه قصد تخصيص السورة، ووسمها من الفضل بما لها، فلم يُدخل معها ما ليس منها، وليس هذا القصد في حديث جابر وأبي هريرة، والله أعلم.

وقال ابن المبارك(١): «إنَّ البسملةَ آيةٌ [في أول](٢) كل سورة، وهذا قولٌ شاذٌّ ردَّ الناسُ عليه»(٣).

وروى الشَّعبيُّ والأعمش(٤): «أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يكتب: باسمك اللهم، حتَّى أُمر أن يكتب بسم الله، فكتبها، فلما نزلت: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] كتب: بسم الله الرَّحمن، فلما نزلت: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] كتبها»(٥).

---

(١) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم، التركي ثم المروزي الحافظ، فريد الزمان وشيخ الإسلام، روى عن: سليمان التميمي، وعاصم الأحول، وآخرين، وعنه: معمر، والثوري، وأبو إسحاق الفزاري، توفي سنة: (١٨١هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (١٢/ ٢٢٠).

(٢) في أحمد٣ بدلا منه: «من»، وفي السليمانية: «في».

(٣) قول ابن المبارك نقله ابن عطية بالمعنى، وقد ذكره ابن المنذر في الأوسط (٣/ ١٢٢) قال: «قال ابن المبارك: من ترك بسم الله الرحمن الرحيم من القراءة فقد ترك مئة آية وثلاثة عشر آية»، يعني بعدد سور القرآن غير الفاتحة، ومما يرد به عليه الإجماع، فقد قال ابن المنذر في الأوسط (٣/ ١٢٢): «وقال آخر: لو كانت بسم الله الرحمن الرحيم آية في كل سورة لعدت في آي السور، فقد كتب الناس المصاحف، وكتبوا عدد آي كل سورة فلم يعدوها في عدد آي السور، فمن ذلك أنهم كتبوا سورة الكوثر ثلاث آيات، ولو عدوا بسم الله الرحمن الرحيم منها لكتبوا عددها أربع آيات، وكذلك جميع السور لا اختلاف بينهم في شيء منها إلا في فاتحة الكتاب».

(٤) سليمان بن مهران الأعمش الإمام أبو محمد الأسدي مولاهم الكاهلي الكوفي الحافظ المقرئ أحد الأئمة الأعلام، رأى أنس بن مالك، وروى عن عبد الله بن أبي أوفى وخلق، وحدث عنه أمم لا يحصون، توفي سنة (١٤٨هـ). تاريخ الإسلام (٩/ ١٦١).

(٥) مرسل، فقد أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٨١) وابن أبي شيبة في مصنفه (١٤/ ١٠٥) وأبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: ٢١٦) وابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٢٦٣-٢٦٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (١١٧٣٩) وغيرهم من طرق عن الشعبي به، والشعبي تابعي كما هو معلوم، فحديثه مرسل.

وروى عمرو بن شرحبيل(١): «أنَّ جبريلَ أول ما جاء النبيَّ عليه السلام قال له: قُلْ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾»(٢).

وروي عن ابن عباس: «أنَّ أوَّل مَا نزل به جبريلُ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾»(٣).

وفي بعض طرق حديث خديجة وحملها رسول الله ﷺ إلى ورقة: أنَّ جبريلَ قال للنبيِّ عليهما السَّلام: قُلْ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فقالها، فقال: اقْرأ، قال: ما أنا بقارئ... الحديث(٤).

والبسملة تسعة عشر حرفاً، فقال بعضُ الناس: إنَّ روايةً بلغتهم أنَّ ملائكةَ النار الذين قال الله فيهم: ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠]، إنما ترتب عددهم على حروف

---

(١) عمرو بن شرحبيل، أبو ميسرة الهمداني الكوفي، أحد فضلاء التابعين وصلحائهم، روى عن: عمر، وعلي، وابن مسعود، وعنه: أبو وائل، والشعبي، والقاسم بن مخيمرة، وأبو إسحاق السبيعي، توفي في ولاية عبيد الله بن زياد بالكوفة. تاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ٢٠٠).

(٢) هذه الرواية سيأتي ذكر تخريجها بعد رواية ابن عباس، فقد كررها المؤلف، والموضع الثاني أليق بالتخريج.

(٣) ضعيف: فقد أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١١٣، ١١٥، ١١٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٥، ٢٦) من طريق بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس بنحوه، قال ابن كثير (١/ ١١٣): «وهذا الأثر غريب، وإنما ذكرناه ليعرف، فإن في إسناده ضعفاً وانقطاعاً»، وقال ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب (١/ ٢٢٣): «والراوي له عن أبي روق ضعيف فلا ينبغي أن يحتج به»، وقال في فتح الباري (٨/ ٧١٩): «في إسناده ضعف وانقطاع».

(٤) مرسل، وذكر الفاتحة في هذا الحديث غير محفوظ: وقد ذكره ابن عطية بالمعنى، وفيه قصة ذهاب النبي ﷺ إلى ورقة، وفيه ألفاظ تخالف ما في الصحيحين منها أنه ذكر نزول الفاتحة في ذلك الوقت، والحديث أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٢٤٤) والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٥٩) وقال: «هذا منقطع، فإن كان محفوظا فيحتمل أن يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت عليه ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾، والله أعلم»، وقال ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٧١٩): «هو مرسل وإن كان رجاله ثقات، والمحفوظ أن أول ما نزل: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ وأن نزول الفاتحة كان بعد ذلك»، وقد أخرجه غيرهما لكن ليس فيه ذكر البسملة وهو محل الشاهد.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، لكلِّ حرفٍ ملكٌ، وهم يقولون في كل أفعالهم: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فمن هنالك هي قوَّتُهم، وباسم الله استَضْلَعوا[1].

قال القاضي أبو محمد: وهذه من مُلَحِ التَّفسير، وليست من متين العلم، وهي نظيرُ قولهم في ليلة القدر: إنها ليلة سبع وعشرين، مراعاة للفظة ﴿هِيَ﴾[القدر: ٥]، في كلمات سورة: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾، ونظير قولهم في عدد الملائكة الذين ابتدروا قول القائل: ربنا ولك الحمدُ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فإنها بضعةٌ وثلاثون حرفاً، قالوا: فلذلك قال النَّبيُّ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُ بِضْعَةً وثَلَاثِينَ مَلَكاً يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ»[2].

والباء في: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ متعلقةٌ عند نحاة البصرة باسم تقديره: ابتدائي مستقر أو ثابت بسم الله، وعند نحاة الكوفة بفعل تقديره: ابتدأت بسم الله، فـ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ في موضع رفع على مذهب البصريين، وفي موضع نصب على مذهب الكوفيين، كذا أطلق القول قوم[3].

والظَّاهر من مذهب سيبويه أنَّ الباء متعلقة باسمٍ كما تقدم، و﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ في موضع نصب تعلقاً بـ«ثابتٌ» أو «مستقرٌّ»، بمنزلة: «في الدار» من قولك: «زيد في الدار».

وكسرت باء الجر ليناسب لفظها عملها، أو لكونها لا تدخل إلا على الأسماء فخصت بالخفض الذي لا يكون إلا في الأسماء، أو ليفرق بينها وبين ما قد يكون من الحروف اسماً نحو الكاف في قول الأعشى:

[البسيط] أَتَنْتَهُونَ ولَنْ يَنْهَىٰ ذَوِي شَطَطٍ كالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيْتُ والْفُتُلُ[4]

---

(١) هذه الرواية أخرج معناها وكيع كما في الدر المنثور (١/ ٢٦)، ومن طريقه الثعلبي في تفسيره (١/ ٩١) بسند صحيح إلى ابن مسعود، ولفظه: «من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم» فإنها تسعة عشر حرفاً، ليجعل الله له بكل حرف منها جُنة من كل واحد».

(٢) أخرجه البخاري ح (٧٩٩) وغيره من حديث رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه.

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٦٦)، والهداية له (١/ ٩١)، والتحصيل للمهدوي (١/ ١٦).

(٤) انظر عزوه للأعشى ميمون بن قيس في سيرة ابن هشام (١/ ٣٠٤)، والأصول في النحو (١/ ٤٣٩)، والمعاني الكبير (٢/ ٩٢٠)، والحيوان (٣/ ٢٢٣)، والمعنى: لا ينهى ذوي الشطط شيء مثل الطعن الشديد الواسع الذي يغيب في جرحه الزيت والفتائل إذا ضمّد.

وحذفت الألف من ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ في الخطِّ اختصاراً وتخفيفاً لكثرة الاستعمال.

واختلف النحاة إذا كتب: باسم الرَّحمن، وباسم القاهر:

فقال الكسائي، وسعيد الأخفش[١]: تحذف الألف، وقال يحيى/ بن زياد[٢]: لا تحذف إلا مع ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ [فقط، لأنَّ الاستعمال إنما كثر فيه. [١/١٥]

قال القاضي أبو محمد: فأمَّا في غير اسم الله تعالى][٣] فلا خلاف في ثبوت الألف.

و(اسم): أصله سِمْوٌ بكسر السين أو سُمْوٌ بضمها، وهو عند البصريين مشتق من السمو[٤]، يقال: سما يسمو، فعلى هذا تضم السين في قولك: سُمْوٌ، ويقال: سَمِي يَسْمَى، فعلى هذا تكسر السين[٥]، وحذفت الواو من سمو، وكسرت السين من سم، كما قال الشاعر:

بِسْمِ الَّذِي فِي كُلِّ سُورَةٍ سِمُهْ[٦] .... [الرجز]

وسكنت السين من ﴿بِسْمِ﴾ اعتلالاً على غير قياس، وإنما استدلَّ على هذا الأصل الذي ذكرناه بقولهم في التصغير: سُميٌّ، وفي الجمع: أسماء، وفي جمع الجمع: أسامي.

---

(١) سعيد بن مسعدة، مولى بني مجاشع، يعرف بالأخفش النحوي، برع في علم اللغة والكلام، أخذ عن الخليل، ولزم سيبويه حتى برع، وكان أسن من سيبويه، ولقي الكسائي وأدب ولده، له تصانيف كثيرة، توفي سنة (٢١١هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (١٥/ ١٧٢).

(٢) هو الفراء، انظر قوله في معاني القرآن له (١/ ٢)، وقول الأخفش في معاني القرآن له (١/ ٢).

(٣) ساقط من أحمد٣.

(٤) حكاه مكي في الهداية (١/ ٨٦)، وانظر: الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري (١/ ٦).

(٥) سقطت من أحمد٣.

(٦) نسبه الخفاجي في حاشيته على البيضاوي (١/ ٤٣) إلى رؤبة بن العجاج، واستشهد به بلا نسبة الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٩)، والكرماني في غرائب التفسير (١/ ٨٩)، والنحاس في إعراب القرآن (١/ ١٤)، والمبرد في المقتضب (١/ ٢٢٩)، وغيرهم.

وقال الكوفيون: أصل اسم: وسْمٌ من السمة[١]، وهي العلامة؛ لأنَّ الاسمَ علامةٌ لمن وُضع له، وحذفت فاؤُه اعتلالاً على غير قياس.

والتصغير والجمع المذكوران يردان هذا المذهب الكوفي، وأمَّا المعنى فيه فجيد لولا ما يلزمهم من أن يقال في التصغير: وُسَيْمٌ، وفي الجمع: أوسام؛ لأنَّ التصغير والجمعَ يردان الأشياء إلى أصولها.

وقد ذكر بعضُ المفسرين في هذا الموضع الاسم والمسمى هل هما واحد؟، وقال الطبري رحمه الله: إنه ليس بموضع للمسألة، وأنحى في خطبته على المتكلمين في هذه المسألة ونحوها[٢].

ولكن بحسب ما قد تُدُوول[٣] القول فيها، فلنقل إن الاسم كزيد وأسد وفرس قد يرد في الكلام ويراد به الذات، كقولك: زيد قائم، والأسد شجاع، وقد يراد به التسمية ذاتها، كقولك: أسد ثلاثة أحرف، ففي الأول يقال: الاسم هو المسمى، بمعنى: يراد به المسمى، وفي الثاني لا يراد به المسمى. [ومن الورود الأول قولك: يا رحمن اغفر لي، وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الرحمن: ١-٢]][٤]، ومن الورود الثاني قولك: الرحمن وصف لله تعالى.

وأمَّا «اسمٌ» الذي هو ألف وسين وميم، فقد يجري في لغة العرب مجرى الذات. يقال: ذات، ونفس، واسم، وعين، بمعنًى.

وعلى هذا حمل أكثر أهل العلم قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨] وقوله تعالى: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن

---

(١) حكاه مكي في الهداية (١/ ٨٦)، وانظر: الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري (١/ ٦).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ١١٨).
(٣) في أحمد٣: «تدون».
(٤) ساقط من جار الله.

دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم ﴾ [يوسف: ٤٠]، وعضدوا ذلك بقول لبيد[(١)]:

إِلىٰ الْحَوْلِ ثم اسْـمُ السَّلامِ عَلَيْكُمَا ... وَمَنْ يَبْكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدِ اعْتَذَرْ[(٢)] [الطويل]

وقالوا: إنَّ لبيداً أراد التحية.

وقد يجري «اسم» في اللغة مجرى ذات العبارة، وهو الأكثر من استعمالها، فمنه قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١]، على أشهر التأويلات فيه، ومنه قول النبي عليه السلام: «إنَّ لله تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْماً، مِئَةً إلَّا وَاحِداً، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّـةَ»[(٣)].

وعلى هذا النحو استعمل النحويون الاسم في تصريف أقوالهم.

فالَّذي يتنخل من هذا: أن الأسماء قد تجيء يراد بها ذوات المسميات، وفي هذا يقال: الاسم هو المسمى، وقد تجيء يراد بها ذواتها نفسُها لا مسمياتها.

[ومرَّ بي][(٤)] أن مالكاً رحمه الله سئل عن الاسم: أهو المسمى؟ فقال: ليس به ولا هو غيره، يريد: دائماً في كل موضع، وهذا موافق لما قلناه.

والمكتوبة التي لفظها «الله» هي أبهر أسماء الله تعالى وأكثرها استعمالاً، وهو المتقدم لسائرها في الأغلب، وإنما تجيء الأُخَرُ أوصافاً.

---

(١) لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة، الشاعر المشهور، من فحول الشعر في الجاهلية، واعتزل الشعر لما أسلم، وقيل: إنه لم يقل إلا بيتاً واحداً في الإسلام، توفي رضي الله عنه سنة (٤١ هـ). الإصابة لابن حجر (٥/ ٥٠٠).

(٢) انظر عزو البيت للبيد في مجاز القرآن (١/ ١٦)، وتفسير الطبري (١/ ١١٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٢٤٢)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٨٤)، والصحاح للجوهري (٢/ ٧٣٨)، والعقد الفريد (٢/ ٣٧٠)، والوحشيات لأبي تمام (ص: ١٥٤)، والأغاني (١٥/ ٣٦٨).

(٣) متفق عليه: فقد أخرجه البخاري (٢٧٣٦) (٧٣٩٢)، ومسلم (٢٦٧٧) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في أحمد٣: «ويروى».

واختلف الناس في اشتقاقه:

فقالت فرقةٌ من أهل العلم: هو اسم مرتجل، لا اشتقاق له من فعل، وإنما هو اسم موضوع له تبارك وتعالى، والألف واللام لازمة له لا لتعريف ولا لغيره، بل هكذا وضع الاسم.

وذهب كثير من أهل العلم إلى أنَّه مشتقٌّ من ألَه الرجل إذا عبد، وتألَّه إذا تنسك[(١)]، ومن ذلك قول رؤبة بن العجَّاج[(٢)]:

[الرجز] لِـلّـهِ دَرُّ الْغَانِـيَـاتِ الْـمُـدَّهِ سَـبَّحْنَ واسْـتَرْجَعْنَ مِـنْ تَألُّهِي[(٣)]

ومن ذلك قول الله تعالى: «ويذرك وإلاهتك»[(٤)] على هذه القراءة[(٥)]، فإن ابن عباس وغيره قال: «وعبادتك»[(٦)]، قالوا: فـ«الله» مشتقٌّ من هذا الفعل، لأنَّه الَّذي يَأْلهه كل خلق[(٧)] ويعبده[(٨)]، حكاه النقاش في صدر سورة آل عمران فـ«إلاه» فعال من هذا.

---

(١) انظر هذا الخلاف في تفسير الطبري (١/ ١٢٢-١٢٣).

(٢) رؤبة بن العجاج التميمي، من أعراب البصرة، كان علامة لغويّاً، سمع أباه والنسابة البكري، وعنه النضر بن شميل ويحيى القطان وأبو عبيدة معمر بن المثنى، وغيرهم، توفي سنة (٢٤٥هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٩/ ١٣٣).

(٣) هذا البيت لرؤبة كما في تفسير الطبري (١/ ١٢٣)، والحجة للفارسي (٥/ ٢٥)، والكامل للمبرد (٣/ ١٠٨)، وأمالي القالي (٢/ ٩٧)، وجمهرة اللغة (١/ ٤٣)، والمدَّه: المادحات، يقال: مده كمدح وزناً ومعنى، والماده: المادح، والجمع مدَّه، وتألهي: أي تعبُّدي.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

(٥) ذكر هذه القراءة عن ابن عباس رضي الله عنه، الطبري وردها، انظر: تفسيره (١/ ١٢٣).

(٦) صحيح، وهو مبني على القراءة المنقولة عن ابن عباس، فقد أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ١٥١) وأبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٣٠٠) والطبري في تفسيره (١/ ١٢٣، ١٢٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٣٨) وغيرهم من طرق عن ابن عباس.

(٧) في المطبوع: «مخلوق».

(٨) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٢٢-١٢٣).

واختلف كيف تَعلَّل «إله» حتى جاء «الله»:

فقيل: حذفت الهمزة [حذفاً][1] على غير قياس، ودخلت الألف واللام للتعظيم على «لاه»، وقيل: بل دخلتا على «إله» ثم نقلت حركة الهمزة إلى اللام فجاء «الِّلاه» ثم أدغمت اللام في اللام، وقيل: إنَّ أصل الكلمة «لاه»، وعليه دخلت الألف واللام، والأول أقوى[2].

وروي عن الخليل[3] أن أصل «إله»: «وِلاه» وأن الهمزة مبدلة من واو كما هي في: إشاح ووشاح، وإسادة ووسادة[4].

وقيل: إنَّ أصل الكلمة «ولاه» ـ كما قال الخليل ـ إلا أنها مأخوذةٌ من: «وله الرجل إذا تحيَّر»؛ لأنَّه تعالى تتحير الألباب في حقائق صفاته، والفكر في المعرفة به، وحذفت الألف الأخيرة من «الله» لئلا يشتكل بخط «اللات».

وقيل: طرحت تخفيفاً، وقيل: هي لغة فاستعملت في الخطِّ[5]. ومنها قول الشاعر/ : [١٦/١]

أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهْ   يَحْرِدُ حَرْدَ الْجَنَّةِ الْمُغِلَّهْ[6]   [الرجز]

---

(١) ليست في المطبوع.

(٢) انظر: اللامات لأبي القاسم الزجاجي (ص: ٤٨)، والمخصص لابن سيده (٥/ ٢٢٠)، ورجح الأول.

(٣) الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن، الفراهيدي، البصري. صاحب العربية والعروض، أحد الأعلام، روى عن: أيوب، وعاصم الأحول، وطائفة، أخذ عنه: سيبويه، والأصمعي، وغيرهما، صنف في العروض، واللغة. توفي سنة (١٧٠هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (١٠/ ١٧٤).

(٤) انظر: مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٦٧) ومفردات القرآن للراغب (ص: ٨٣).

(٥) انظر: مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٦٦).

(٦) البيت بلا نسبة في تفسير الطبري (٢٣/ ٥٤٩)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٧٦)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٦٦)، العين (٣/ ١٨١)، وجمهرة اللغة (١/ ١٦٠)، والكامل للمبرد (١/ ٤٨)، أمالي القالي (١/ ٧)، والحجة لأبي علي (٥/ ٧)، وفي المزهر للسيوطي (١/ ١٤٤): قال أبو إسحاق البطليوسي في شرحه: يقال: إن هذا الرجز لحنظلة بن مطيح، ويقال: إنه مصنوع صنعه قطرب، وفي الحمزوية: «حرد النخلة».

و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ صفة مبالغة من الرحمة، ومعناها: أنه انتهى إلى غاية الرحمة كما يدل على الانتهاء سكران وغضبان، وهي صفة تختص بالله ولا تطلق على البشر، وهي أبلغ من فعيل، وفعيل أبلغ من فاعل؛ لأنَّ راحماً يقال لمن رحم ولو مرة واحدة، ورحيماً يقال لمن كثر منه ذلك، والرحمن: النهاية في الرحمة.

وقال بعض الناس: «الرحمن والرحيم بمعنًى واحد، كالندمان والنديم»، وزعم[1] أنهما من فعلٍ واحدٍ، ولكن أحدهما أبلغ من الآخر.

وأمَّا المفسرون فعبروا عن ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ بعبارات، فمنها أنَّ العرزمي[2] قال: معناه: الرحمن بجميع خلقه في الأمطار، ونِعَم الحواس، والنعم العامة، الرحيم بالمؤمنين في الهداية لهم، واللطف بهم[3].

ومنها أنَّ أبا سعيد الخدريَّ[4] وابنَ مسعود رويا: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الرَّحْمَـٰنُ رَحْمَـٰنُ الدُّنْيَا والْآخِرَةِ، والرَّحِيمُ رَحِيمُ الآخِرَةِ»[5].

---

(١) في الحمزوية، والمطبوع وجار الله وفيض الله: «نعم».

(٢) هو الإمام، الحافظ، أبو محمد عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي الكوفي، حدث عن: أنس ابن مالك، وسعيد بن جبير، وعطاء، وعنه: الثوري، وزائدة، وابن المبارك، وليس بالمكثر، وكان يوصف بالحفظ، مات سنة (١٤٥هـ). سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦٢).

(٣) رواه عنه الطبري مختصراً (١/ ١٢٦).

(٤) هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد الخدري، اشتهر بكنيته، من المكثرين في الحديث، روى عن النبي ﷺ الكثير، وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وروى عنه من الصحابة: ابن عبّاس وابن عمر، توفي سنة: (٧٤هـ). الإصابة (٣/ ٥٢).

(٥) لا يصح: فقد أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٢١)، وابن عدي في كامله (١/ ٣٠٣ - ٣٠٤)، وابن حبان في المجروحين (١/ ١٢٦)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٠٤)، من حديث ابن مسعود وأبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنهما ـ بإسناد فيه إسماعيل بن يحيى، وهو ابن عبيد الله التيمي المدني، كذبه غير واحد من أهل العلم، ومع ذلك فقد قال ابن كثير في تفسيره (١/ ١١٩): «وهذا غريب جدّاً، وقد يكون صحيحا إلى من دون رسول الله ﷺ، ويكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات، والله أعلم، وقد روى جويبر عن الضحاك نحوه من قبله».

وقال أبو علي الفارسيُّ: «الرَّحمن: اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله، والرحيم: إنما هو في جهة المؤمنين كما قال: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾»(١). وهذه كلها أقوال [تتعاضد](٢).

وقال عطاء الخراساني(٣): «كان الرحمن فلما اختزل وسمي به مسيلمة الكذاب قال الله لنفسه: الرحمن الرحيم فهذا الاقتران بين الصفتين ليس لأحد إلا لله تعالى»(٤)، وهذا قولٌ ضعيفٌ، لأنَّ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ كان قبل أن ينجم أمر مسيلمة، وأيضاً فتسمي مسيلمة بهذا لم يكن مما تأصل وثبت.

وقال قوم: «إن العرب كانت لا تعرف لفظة الرحمن، ولا كانت في لغتها»، واستدلوا على ذلك بقول العرب: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾(٥)، وهذا القول ضعيف، وإنما وقفت العرب على تعيين الإله الذي أمروا بالسجود له، لا على نفس اللفظة.

واختلف في وصل ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بـ﴿ٱلْحَمْدُ﴾:

فروي عن أم سلمة عن النَّبيِّ ﷺ: «الرَّحِيمْ الْحَمْدُ»(٦)، تسكن الميم ويوقف

---

(١) الأحزاب: ٤٣، نقله ابن كثير في تفسيره (١/ ١٢٥).

(٢) في الحمزوية: «متعاضدة».

(٣) عطاء بن أبي مسلم الخراساني أحد الكبار، نزل دمشق والقدس، وحديثه عن أبي الدرداء وجماعة مرسل، وروى عن سعيد بن المسيب وعروة وجماعة، وعنه شعبة ومعمر ومالك والثوري، وثقه ابن معين. توفي رحمه الله سنة: (١٣٥هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٨/ ٤٩٠).

(٤) انظر تفسير الطبري (١/ ١٣٠).

(٥) ذكر ابن كثير (١/ ١٢٦) من أدلة هذا القول أيضاً ما جاء في حديث البخاري في الحديبية، وفيه: لا نعرف الرحمن ولا الرحيم.

(٦) ضعيف جدّاً: فقد أخرجه أبو أحمد الحاكم في شعار أصحاب الحديث (ص: ٤١)، من حديث أم سلمة رضي الله عنها، بلفظ: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين» حتى عدَّ سبع آيات عدد الإعراب، وفي إسناده: عمر بن هارون، وهو البلخي، متروك الحديث، وقد اتهم بالكذب.

عليها ويبتدأ بألف مقطوعة، وقرأ به قوم من الكوفيين[١].

وقرأ جمهور الناس: «﴿ٱلرَّحِيمِ ٱلْحَمْدُ﴾» يعرب ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بالخفض، وتوصل الألف من ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ [ومن يشأ][٢] أن يقدر أنه أسكن الميم ثم [لما وصل حركها][٣] للالتقاء ولم يعتد بألف الوصل [فذلك سائغ][٤]، والأول أخصر.

وحكى الكسائي عن بعض العرب أنها تقرأ: «الرحيمَ الحمد» بفتح الميم وصلة الألف، كأنها سكنت الميم وقطعت الألف، ثم أُلقيت حركتها على الميم وحذفت، ولم ترو هذه قراءةً عن أحد فيما علمت، وهذا هو نظر يحيى بن زياد في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ * ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١- ٢][٥].

(١) تفسير البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٣٢).

(٢) في الحمزوية: «ومنشأه»، وفي فيض الله وجار الله وأحمد٣ والسليمانية: «ومن شاء».

(٣) في المطبوع: لما وصل الألف حركتها.

(٤) في الحمزوية: «وذلك شائع».

(٥) وانظر: كتاب معاني القرآن ليحيى بن زياد الفراء (١/ ٥).

سورة الفاتحة

تفسير فاتحة الكتاب بحول الله تعالىٰ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣
مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ
ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾.

قال ابن عباس(١)، وموسى بن جعفر(٢) عن أبيه، وعلي بن الحسين، وقتادة وأبو العالية ومحمد بن يحيى بن حبان(٣): إنها مكية.

ويؤيد هذا أنَّ في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، والحجر مكية بإجماع(٤)، وفي حديث أبي بن كعب أنها السبع المثاني(٥)، والسبع الطُّوَل نزلت بعد الحجر [بمُدد](٦)، ولا خلاف أنَّ فرضَ الصلاة كان بمكة،

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٣ - ١٤٤).

(٢) هو الإمام أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب العلوي الحسيني، والد علي الرضا، روى عن أبيه وغيره، وكان صالحاً، عالماً، عابداً، ثقة إماماً، توفي سنة (١٨٣هـ). تاريخ الإسلام (١٢/ ٤١٧).

(٣) هو محمد بن يحيى بن حبان بن منقذ، أبو عبد الله الأنصاري البخاري المازني المدني الفقيه، روى عن رافع بن خديج وعبد الله بن عمر وأنس، وعنه ربيعة الرأي ومالك والليث وخلق، وهو مجمع على ثقته، توفي سنة (١٢١هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٢٦٣).

(٤) تفسير الثعلبي (١/ ٩٠).

(٥) صحيح: وقد تقدَّم تخريجه عند ذكر القول في تفسير البسملة.

(٦) وفي المطبوعة ونور العثمانية: «بمدة».

وما حفظ أنه كانت قط في الإسلام صلاة بغير ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وروي عن عطاء بن يسار(١)، وسوادة بن زياد(٢)، والزهري محمد بن مسلم(٣)، وعبد الله بن عبيد(٤) بن عمير أنَّ سورة الحمد مدنية(٥).

وأمَّا أسماؤها فلا خلافَ أنها يقال لها: فاتحة الكتاب؛ لأنَّ [موضعها](٦) يعطي ذلك، واختلف هل يقال لها: أم الكتاب؟:

فكره الحسن بن أبي الحسن ذلك، وقال: «أُمُّ الكتَابِ الحلَالُ وَالْحَرَامُ»(٧)، قال الله تعالى: ﴿ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٥].

وقال ابن عباس وغيره: يقال لها: أمُّ الكتاب، وقال البخاري: «سُمِّيت أم الكتاب لأنَّها يُبدأ بكتابتِها في المصحف وبقراءتها في الصلاة»(٨).

---

(١) هو أبو محمد عطاء بن يسار المدني الفقيه، مولى ميمونة أم المؤمنين، كان قاصا واعظا ثقة جليل القدر، حدث عن أبي أيوب، وزيد بن ثابت، وعائشة، وأبي هريرة، وطائفة، وعنه: زيد بن أسلم، وغيره، وكان ثقة، توفي سنة (١٠٣هـ) تقريباً. تاريخ الإسلام (٧/ ١٧١).

(٢) هو سوادة بن زياد البرحي الحمصي، حدث عن خالد بن معدان، حدث عنه إسماعيل بن عياش توضيح المشتبه (١/ ٤٢٣).

(٣) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب، الإمام القرشي الزهري المدني، أحد الأئمة الأعلام وحافظ زمانه، طلب العلم في أواخر عصر الصحابة، فروى عن بعضهم، وعنه الأوزاعي ومالك وغيرهما، توفي سنة (١٢٤هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٢٢٧).

(٤) في أحمد٣: «بن عبيد الله»، وهو أبو هاشم عبد الله بن عبيد بن عمير بن قتادة الليثي الجندعي، المكي، روى عن أبيه، وعائشة، وابن عباس، وعنه ابن جريج، والأوزاعي، كان من أفصح أهل مكة، وثقه أبو حاتم، توفي سنة (١١٣هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٤٠٣).

(٥) اشتهر هذا القول عن مجاهد، وخطأه فيه بعضهم، ونقله ابن كثير (١/ ١٠١) عنه وعن أبي هريرة وعطاء بن يسار والزهري، والسيوطي في الإتقان (١/ ٤٦) عن ابن عطية عن المذكورين.

(٦) في الحمزوية: «موضوعها».

(٧) تفسير الطبري (١٦/ ٤٩٠).

(٨) صحيح البخاري كتاب التفسير باب ما جاء في فاتحة الكتاب، وفيه: المصاحف بالجمع.

وفي تسميتها بأمِّ الكتاب حديثٌ رواه أبو هريرة[١]، واختلف هل يقال لها: أم القرآن؟ فكره ذلك ابن سيرين، وجوَّزه جمهور العلماء[٢].

قال يحيى بن يعمر: «أمُّ القرى مكةُ، وأمُّ خراسان مروُ، وأمُّ القرآنِ سورةُ الحمدِ»[٣].

وقال الحسن بن أبي الحسن: اسمها أمُّ القرآن[٤].

وأمَّا المثاني فقيل: سميت بذلك لأنها تثنى في كل ركعة.

وقيل: سميت بذلك لأنها استثنيت لهذه الأمة فلم تنزل على أحد قبلها ذخراً لها[٥].

وأمَّا فضل هذه السورة فقد قال رسول الله ﷺ في حديث أبي بن كعب: «إِنَّهَا لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا»[٦].

ويروى أنها «تَعْدِلُ ثُلُثَي الْقُرْآنِ»[٧]، وهذا العدل إما أن يكون في المعاني، وإمَّا أن يكون تفضيلاً من الله تعالى لا يعلل، وكذلك يجيء عَدْلُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وعدل ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ [الزلزلة: ١]، وغيره.

وروى أنس بن مالك أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فَضْلُ ثَلَاثِينَ حَسَنَةً عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ».

---

(١) صحيح: فقد أخرجه الإمام أحمد (١٥/ ٤٩١)، وأبو داود (١٤٥٩)، والترمذي (٣٣٧٤) وصححه، وغيرهم بسند صحيح عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه - مرفوعاً: «الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني»، وأخرجه البخاري ح (٤٧٠٤) بالسند نفسه لكن دون قوله: «أم الكتاب»، والله أعلم.

(٢) قول ابن سيرين أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن عن أيوب عنه، كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١/ ١١).

(٣) نقله القرطبي (١/ ١١٢).

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٤٩٠).

(٥) القرطبي (١/ ١١٢).

(٦) هو جزء من الحديث السابق ذكره.

(٧) ضعيف جدّاً: فقد أخرجه ابن عدي (٧/ ١٢٧)، والخطيب في تاريخه (٣/ ٨٥) من حديث أبي بن كعب، وفيه سلام بن سليم المدائني، وهو متروك الحديث، انظر: تقريب التهذيب رقم (٢٧٠٢).

وورد حديث آخر أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كُتِبَتْ لَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً، / ومَنْ قَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً»[1]. [١٧]

وهذا الحديث هو [في الذي يقولها][2] من المؤمنين مؤتجراً طالبَ ثواب؛ لأنَّ قولَه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ في ضمنها التوحيد الذي هو معنى لا إله إلا الله، ففي قوله توحيد وحمد، وفي قول: لا إله إلا الله توحيد فقط.

فأمَّا إذا [أخذا بموضعهما][3] من شرع الملة ومحلِّهما من [دفع][4] الكفر والإشراك فلا إله إلا الله أفضل، والحاكم بذلك قول النبيّ ﷺ: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا والنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلي لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[5].

﴿ٱلْحَمْدُ﴾: معناه: الثناء الكامل، والألف واللام فيه لاستغراق الجنس من المحامد، وهو أعمُّ من الشكر، لأنَّ الشكرَ إنما يكون على فعل جميل يسدى إلى الشاكر، وشكره حمدٌ مّا، والحمد المجرد هو ثناء بصفات المحمود من غير أن يسدي شيئاً، فالحامد من الناس قسمان: الشاكر، والمُثْني بالصفات.

---

(١) إسناده جيد، لكن روي عن كعب الأحبار من قوله، وقيل: هو أصح: فقد أخرجه أحمد (٢/ ٣١٠) والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٢١٠) وغيرهما من طريق إسرائيل عن أبي سنان عن أبي صالح الحنفي عن أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعاً، لكن قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ٢١): «وقد روي هذا عن كعب من قوله، وقيل: إنه أصح من المرفوع» فالله أعلم.

(٢) ساقط من فيض الله.

(٣) في الحمزوية: «أخذنا بموضوعها». وفي المطبوع والسليمانية وأحمد٣: «أخذ بموضعهما».

(٤) في الأصل: «رفع».

(٥) لا بأس به في الفضائل، فقد أخرجه بنحوه مالك في الموطأ (١/ ٢١٤، ٤٢٢) من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلاً، وأخرجه الترمذي ح (٣٩٠٢) من طريق حماد بن أبي حميد عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده، وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه وحماد بن أبي حميد هو محمد بن أبي حميد وهو أبو إبراهيم الأنصاري المديني وليس بالقوي عند أهل الحديث»، وذكر ابن عبد البر هذين الطريقين وغيرهما وذكر أنّ فيها من لا يحتج به، ثم قال في التمهيد (٦/ ٣٩): «وأحاديث الفضائل لا يحتاج فيها إلى من يحتج به».

وذهب الطبريُّ إلى أنَّ الشكرَ والحمدَ بمعنًى واحد[١]، [وإليه ذهب أيضا المبرد][٢] وذلك غير مرضي، وحكي عن بعض الناس أنَّه قال: «الشكر ثناء على الله [بأفعاله][٣] وإنعامه، والحمد ثناء بأوصافه».

قال القاضي أبو محمد: وهذا أصحُّ معنًى من أنهما بمعنى واحد.

واستدلَّ الطبريُّ على أنهما بمعنى [واحد][٤] بصحة قولك: الحمد لله شكراً[٥]، وهو في الحقيقة دليلٌ على خلاف ما ذهب إليه، لأنَّ قولك: شكراً، إنما خصصت به الحمد أنه على نعمة من [النعم][٦]؛ [لأنه أتى بالأخص بعد الأعم][٧].

وأجمع السبعة وجمهور الناس على رفع الدال من: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[٨].

وروي عن سفيان بن عيينة[٩] ورؤبة بن العجَّاج: (الحمدَ لله) بفتح الدال وهذا على إضمار فعل، وروي عن الحسن بن أبي الحسن وزيد بن علي[١٠]: (الحمدِ لله)، بكسر الدال على إتباع الأول الثانيَ[١١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٣٨).

(٢) زيادة من أحمد٣.

(٣) وفي المطبوع والسليمانية: «بأفضاله».

(٤) من الحمزوية ونور العثمانية.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٣٨) وما بعدها.

(٦) وفي الحمزوية: «المنعم».

(٧) من أحمد٣.

(٨) قال الفراء في معاني القرآن (١/ ٣): «اجتمع القرّاء على رفع الحمد».

(٩) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران أبو محمد الكوفي ثم المكي، الإمام شيخ الإسلام، طلب الحديث وهو غلام، لقي الكبار، وسمع من الزهري، وعمرو بن دينار، وزياد بن علاقة، وخلق كثير، ورحل إليه من الآفاق، توفي سنة (١٩٨هـ). تاريخ الإسلام (١٣/ ١٨٩).

(١٠) هو أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي المدني، روى عن أبيه وأخيه الباقر وعروة، وعنه ابن أخيه جعفر بن محمد وشعبة وآخرون، وكان أحد العلماء الصلحاء، بدت منه هفوة فقتل سنة (١٢٢هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ١٠٥).

(١١) القراءتان شاذتان. انظر: المحتسب لابن جني (١/ ٣٧).

وروي عن ابن أبي عبلة[1]: (الحمدُ لُله)، بضم الدال واللام، على إتباع الثاني الأول[2].

قال الطبري: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثناء أثنى به على نفسه، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا به عليه، فكأنه قال: قولوا: الحمد لله، وعلى هذا يجيء قولوا: إياك، وقال: وهذا من حذف العرب ما يدل ظاهر الكلام عليه»[3]، كما قال الشاعر:

[الوافر]
وأعْلَمُ أَنَّنِي سَأكُونُ رَمْساً   إذَا سَارَ النَّوَاعِجُ لا يَسِيرُ
فقَالَ السَّائِلُونَ: لِمَنْ حَفَرْتُمْ   فقَالَ الْقَائِلُونَ لَهُمْ: وَزِيرُ[4]

المعنى: المحفور له وزير، فحذف لدلالة ظاهر الكلام عليه، وهذا كثير.

وقرأت طائفة: (رَبَّ) بالنصب[5]، فقال بعضهم: «هو نصب على المدح»، وقال بعضهم: «هو على النداء»، وعليه يجيء ﴿إِيَّاكَ﴾.

والرب في اللغة: المعبود، والسيد المالك، والقائم بالأمور المصلح لما يفسد منها، والملك، تأتي اللفظة لهذه المعاني، فمما جاء بمعنى المعبود قول الشاعر:

[الطويل]
أَرَبٌّ يَبُولُ الثُّعْلُبَانُ بِرَأْسِهِ   لَقَد هَانَ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ[6]

---

(١) هو إبراهيم بن أبي عبلة، واسمه شمر بن يقظان الشامي الدمشقي، ثقة كبير تابعي، له حروف في القراءات واختيار خالف فيه العامة في صحة إسنادها إليه نظر، توفي سنة إحدى ـ وقيل: سنة اثنتين، وقيل: سنة ثلاث ـ وخمسين ومئة. غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ١٩).
(٢) المحتسب لابن جني (١/ ٣٧)، وهي قراءة شاذة.
(٣) تفسير الطبري (١/ ١٣٨) عن كعب الأحبار.
(٤) البيتان للوزيري كما في البيان والتبيين (٣/ ١٢٧)، بلفظ: «من المسجى»، وفي معاني القراءات للأزهري (٢/ ١٩٤) عن الفراء أنهما لبعض العامريين، والنواعج: الإبل السراع، وفي الحمزوية: «السائرون» بدل «السائلون»، وفي المطبوع: «المخبرون» بدل «القائلون».
(٥) قرأ بها زيد بن علي، انظر: تفسير الثعلبي (١/ ١٠٩)، وهي قراءة شاذة.
(٦) البيت لراشد بن عبد ربه كما في الطبقات الكبرى (١/ ٢٣٤)، وسماه في لسان العرب (١/ ٢٣٧): =

ومما جاء بمعنى السيد المالك قولهم: «رب العبيد والمماليك»، ومما جاء بمعنى القائم بالأمور الرئيس فيها قول لبيد:

وأَهْلَكْـنَ يَوْمـاً رَبَّ كِنْـدَةَ وابْنَـهُ   ورَبَّ مَعَـدٍّ بَيْـنَ خَبـتٍ وعَرْعَـرِ[١] [الطويل]

ومما جاء بمعنى الملك قول النابغة:

تَخُـبُّ إِلَـىٰ النُّعْمَـانِ حَتَّـىٰ تَنَالَـهُ   فِدًى لَكَ مِنْ رَبٍّ طَرِيفِي وتَالِدِي[٢] [الطويل]

ومن معنى الإصلاح قولهم: أديم مربوب، أي: مصلح[٣]، قال الشاعر:

كَانُـوا كسَـالِئَةٍ حَمْقَـاءَ إذْ حَقَنَـتْ   سِـلَاءَهَا فِـي أَدِيـمٍ غَيْـرِ مَرْبُوبِ[٤] [البسيط]

ومن معنى الملك قول صفوان بن أمية يوم حنين لأخيه: لَأَنْ يَرُبَّني رجل من قريش خير من أن يربني [رجل من هوازن[٥]][٦].

ومنه قول ابن عباس في شأن عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان: «وإن كان

= غاوي بن ظالم السلمي، وهذا كان قبل إسلامه، ثم قال: وقيل: هو لأبي ذر الغفاري، وقيل هو لعباس ابن مرداس السلمي، رضي الله عنهم.

(١) تفسير الطبري (١/ ١٤١)، والمخصص (٥/ ٢٢٧)، والحيوان (١/ ٢١٧)، ونسبه الثعلبي (١/ ١٠٩) للأعشى، ولعله خطأ.

(٢) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١/ ١٤١)، والشعر والشعراء (١/ ١٦٧).

(٣) بعدها في الحمزوية: «للإصلاح».

(٤) البيت للفرزدق كما في تفسير الطبري (١/ ١٤١)، والزاهر لابن الأنباري (١/ ٤٦٧)، والصحاح للجوهري (١/ ٥٥).

(٥) حسن: فقد أخرجه أبو يعلى في مسنده (٣/ ٣٨٨)، والطحاوي في مشكل الآثار (٦/ ١٦٩)، وابن حبان في صحيحه (١١/ ٩٥) من طريق ابن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر قال، فذكر أثراً فيه قول صفوان المستشهد به، وإسناده حسن، وقد حصل في المطبوع من صحيح ابن حبان تصحيف لهذه الكلمة ـ وهي قوله: «يربني» ـ إلى: «يليني»، وهي في المطبوع من موارد الظمآن (١/ ٤١٧) على الصواب.

(٦) في أحمد٣ والسليمانية بدلًا منه: «غيره».

لا بدَّ، لأن يربني رجلٌ من بني عمي أحبُّ إليَّ من أن يربني غيرهم»، ذكره البخاريُّ في تفسير سورة براءة[١]، ومن ذلك قول الشاعر:

[الطويل] فكُنْـتُ امْـرَأً أفْضَـتْ إلَيْـكَ رِبَابَتِي وَمِـنْ قَبْلُ رَبَّتْني فضِعْـتُ رُبُوبُ[٢]

وهذه الاستعمالات قد تتداخل، فالرب على الإطلاق الذي هو رب الأرباب على كل جهة هو الله تعالى.

والْعالَمون جمع عالَم، وهو كل موجود سوى الله تعالى، يقال لجملته عالم، ولأجزائه من الجن والإنس وغير ذلك: عالَم، عالم، وبحسب ذلك يجمع على العالمين، ومن حيث عالم الزمان متبدل في زمان آخر حَسُن جمعها، ولفظة العالم جمع لا واحد له من لفظه، وهو مأخوذ من العلم والعلامة؛ لأنه يدلُّ على مُوجده، كذا قال الزجاج[٣].

وقد تقدَّم القول في: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

واختلف القراء في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾:

فقرأ عاصم والكسائي: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[٤] قال الفارسي: «وكذلك قرأها قتادة والأعمش»[٥].

قال مكي: «وروى الزهري أنَّ رسول الله ﷺ قرأها كذلك بالألف، وكذلك قرأها أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وطلحة والزبير»[٦].

---

(١) صحيح البخاري ح (٤٣٨٩).
(٢) البيت لعلقمة الفحل كما في تفسير الطبري (١/ ١٤٢)، والزاهر لابن الأنباري (١/ ١٨٦)، والجمهرة (١/ ٦٧) ومقاييس اللغة (٢/ ٣٨٣)، والصحاح للجوهري (١/ ١٣٣)، والمخصص (٥/ ٢٢٧)، والمفضليات (ص: ٣٩٤)، وفي المطبوع: «قبلك» بدل: «من قبل».
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٦).
(٤) التيسير في القراءات السبع للداني (ص١٨)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص١٠٤).
(٥) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١/ ١٢).
(٦) الكشف لمكي ابن أبي طالب (١/ ٣٢).

وقرأ بقية السبعة ﴿مَلِك يوم الدين﴾، وأبو عمرو منهم يسكن اللام فيقرأ: (ملْك يوم الدين)، هذه رواية عبد الوارث[١] عنه[٢].

وروي عن نافع إشباع الكسرة من الكاف في ﴿مَلِك﴾ فيقرأ: (مَلِكي)[٣]، وهي لغة للعرب[٤] ذكرها المهدوي[٥].

وقرأ أبو حَيوةَ[٦]: (ملِكَ) بفتح الكاف وكسر اللام[٧].

وقرأ ابن السَّمَيْفَع[٨]، وعمر بن عبد العزيز، والأعمش، وأبو صالح السمان، وأبو / عبد الملك الشامي[٩]: (مالكَ) بفتح الكاف[١٠]. [١٨]

(١) هو أبو عبيدة عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التنوري البصري، إمام حافظ مقرئ ثقة، عرض القرآن على أبي عمرو، وروى عنه ابنه عبد الصمد وغيره، كان موصوفاً بالعبادة والفصاحة والبلاغة ولكنه اتهم بالقدر، توفي سنة (١٨٠هـ). غاية النهاية (١/ ٤٧٨).

(٢) كما في السبعة في القراءات لابن مجاهد (١/ ١٠٤) لكن الذي في النشر،والشاطبية،والتيسير لأبي عمرو الكسر فقط.

(٣) عزاها الغرناطي في تحفة الأقران (ص: ١٤٦) لرواية أبي أحمد بن صالح عن ورش عن نافع، وهي قراءة شاذة.

(٤) في أحمد**٣**: «العرب».

(٥) انظر: التحصيل للمهدوي (١/ ١٢٥).

(٦) هو أبو حيوة شريح بن يزيد الحضرمي الحمصي، صاحب القراءة الشاذة ومقرئ الشام، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وهو والد حيوة بن شريح الحافظ، وله اختيار في القراءة، روى عن أبي البرهسم وعن الكسائي، مات سنة (٢٠٣هـ). غاية النهاية (١/ ٣٢٥).

(٧) مختصر الشواذ (ص: ٩)، وهي قراءة شاذة.

(٨) محمد بن عبد الرحمن بن السميفع -بفتح السين- أبو عبد الله اليماني، له اختيار في القراءة ينسب إليه شذ فيه، وقيل: إنه قرأ على نافع، وقرأ أيضاً على طاوس بن كيسان عن ابن عباس. انظر غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ١٦١)، ولم أقف على تاريخ وفاته.

(٩) قال في غاية النهاية (١/ ٦١٨): هو أبو عبد الملك الشامي قاضي الجند، عرض على يحيى الذماري، وروى عنه أيوب بن تميم.

(١٠) انظر عزوها لعمر بن عبد العزيز في مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٩)، ولابن السميفع والأعمش وأبي عبد الملك قاضي الجند، في تفسير الثعلبي (١/ ١١٤)، ولهم وللسمان في البحر المحيط (١/ ٣٦).

وهذان على النداء؛ ليكون ذلك توطئة لقوله: ﴿إِيَّاكَ﴾.

وَرَدَّ الطَّبريُّ على هذا، وقال: «إنَّ معنى السورة: قولوا: الحمد لله»، وعلى ذلك يجيء ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ و﴿ٱهْدِنَا﴾، وذكر أيضاً أنَّ مِن فصيحِ كلامِ العربِ الخروج من الغيبة إلى الخطاب[١]، وبالعكس»[٢]، كقول أبي كبير الهذلي[٣] [:

[الكامل] يَـا وَيْـحَ نَفْسِـي كَانَ جِلْـدَةُ خَالِـدٍ وبَيَاضُ وَجْهِكَ لِلْتُّـرَابِ الأعْفَرِ[٤]

وكما قال لبيد:][٥]

[البسيط] بَاتَتْ تَشَـكَّى إلَـيَّ النَّفْسُ مُجْهِشَـةً وقَـدْ حَمَلْتُكِ سَـبْعاً بَعْدَ سَـبْعِينَا[٦]

وكقول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢].

وقرأ يحيى بن يَعْمَرَ[٧]، والحسن بن أبي الحسن، وعلي بن أبي طالب: (ملَكَ يومَ الدِّين)، على أنه فعل ماض[٨].

وقرأ أبو هريرة: (مَليكِ) بالياء وكسر الكاف[٩].

---

(١) وفي الحمزوية: «الحضرة».

(٢) تفسير الطبري (١/ ١٥٥).

(٣) هو عامر بن الحليس، شاعر جاهلي مشهور، انظر ترجمته في الشعر والشعراء (٢/ ٦٥٩).

(٤) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١/ ١٥٤)، ومجاز القرآن (١/ ٢٤)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١٧٧)، والصاحبي في فقه اللغة العربية (ص: ١٦٤)، والمستقصى في أمثال العرب (١/ ٦٧)، والجليس الصالح الكافي (ص: ٥٣٣).

(٥) ساقط من جار الله.

(٦) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١/ ١٥٤)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ٦٠)، والعين (٣/ ٣٨٣)، والصحاح للجوهري (٣/ ٩٩٩)، ومجمل اللغة لابن فارس (ص: ٢٠١)، وجمهرة اللغة (١/ ٤٧٩)، والأغاني (١٥/ ٣٥١)، وفي الحمزوية: «مجهدة» بدل: «مجهشة»، وفي نور العثمانية: «مجشمة».

(٧) في جار الله: معمر.

(٨) عزاها لهم إلا علياً الثعلبي (١/ ١١٤)، وزاد أبا حنيفة، وهي قراءة شاذة.

(٩) تفسير البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٣٦)، وذكرها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٩) بلا نسبة، وهي قراءة شاذة.

قال أبو علي: «ولم يُمِل أحدٌ من القراء ألف: ﴿مَٰلِكِ﴾، وذلك جائزٌ، إلا أنَّه لا يقرأ بما يجوز، إلا أن يأتي بذلك أثر مستفيض»[(١)].

والمُلك[(٢)] والمِلك بضم الميم وكسرها وما تصرَّف منهما راجع كله إلى مَلَكَ بمعنى شد وضبط، ثم يختص كل تصريف من اللفظة بنوع من المعنى، يدلك على الأصل في مَلَكَ قول الشاعر:

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فأنْهَرْتُ فَتْقَهَا[(٣)] .... [الطويل]

وهذا يصف طعنة فأراد: شددت، ومن ذلك قول أوس بن حُجْرٍ[(٤)]:

فمَلَّك باللَّيطِ الذي تَحْتَ قِشرِهَا كغِرْقِئ بَيْضٍ كنَّه القيض مِنْ عَلُ[(٥)] [الطويل]

أراد: شدد، وهذا يصف صانع قوس ترك من قشرها ما يحفظ قلب القوس، و«الذي» مفعول وليس بصفة لـ«ليط»، ومن ذلك قولهم: إملاك المرأة، وإملاك فلان، إنما هو ربط النكاح، كما قالوا: عقدة النكاح، إذ النكاح موضع شد وربط، فالمالك للشيء شادٌّ عليه ضابط له، وكذلك المَلِك.

---

(١) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١/ ٤٠).

(٢) سقطت من السليمانية.

(٣) تتمته: يَرى قائم من دونها ما وراءها، وهو لقيس بن الخطيم: كما في المعاني الكبير (٢/ ٩٧٨)، والصحاح للجوهري (٢/ ٨٤٠)، وعيار الشعر (ص: ٧٨)، والأغاني (٣/ ٤)، والموشح للمرزباني (ص: ٩٨)، وديوان المعاني (٢/ ٥١)، والحماسة بشرح التبريزي (١/ ٥٣).

(٤) هو أوس بن حجر بن عتّاب، قال ابن العلاء: كان فحل مضر، حتّى نشأ النابغة وزهير فأخملاه، وكان أوس عاقلاً في شعره، كثير الوصف لمكارم الأخلاق، وهو من أوصفهم للخمر والسلاح، ولا سيّما للقوس، انظر ترجمته في الشعر والشعراء (١/ ١٩٨).

(٥) انظر عزوه له في المعاني الكبير (٢/ ١٠٦١)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٦)، وتهذيب اللغة (١٤/ ١٩)، والمحكم والمحيط الأعظم (٧/ ٥٧)، والخصائص (٣/ ١٧٥)، واللَّيط: قشر كل شيء فيه صلابة ومتانة، والغرقئ: القشرة الملتصقة ببياض البيض، والقيض: القشرة العليا اليابسة على البيضة، وكنَّه: ستره.

واحتجَّ مَنْ قرأ: ﴿ملك﴾ بالقصر[١] بأنَّ لفظة: ﴿ملك﴾ أعمُّ من لفظة: ﴿مَـٰلِكِ﴾، إذ كلُّ ملكٍ مالكٌ، وليس كلُّ مالكٍ ملكاً[٢]، والمَلِك الذي يدبر المالك في ملكه حتى لا يتصرف إلا عن تدبير الملك.

وتتابع المفسرون على سرد هذه الحجة، وهي عندي غير لازمة؛ لأنهم أخذوا اللفظتين مطلقتين لا بنسبة إلى ما هو المملوك وفيه الملك، فأمَّا إذا كانت نسبة الملك هي نسبة المالك فالمالك أبلغ، مثال ذلك: أن نقدر مدينةً آهلةً عظيمةً، ثم نقدر لها رجلاً يملكها أجمع، أو رجلاً هو مَلِكها فقط إنما يملك التدبير والإحكام، فلا شكَّ أنَّ المالك أبلغُ تصرفاً وأعظم، إذ إليه إجراء قوانين الشرع فيها، كما يقضي[٣] لكلِّ أحدٍ في [ماله][٤]، ثم عنده زيادة التملك، وملك الله تعالى ليوم الدين هو على هذا الحد، فهو مالكه وملكه، والقراءتان حسنتان.

وحكى أبو علي في حجة مَنْ قرأ: ﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ «أنَّ أوَّلَ مَنْ قَرَأ: ﴿ملك يوم الدين﴾ مروانُ بنُ الحكم[٥]، وأنه قد يدخل في المالك ما لا يدخل في الملك فيقال: مالك الدنانير والدراهم والطير والبهائم، ولا يقال: ملكها، ومالك في صفة الله تعالى يعم مِلك أعيان الأشياء ومِلك الحكم فيها، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ﴾ [آل عمران: ٢٦].

---

(١) من أحمد٣.

(٢) انظر: الكشف عن وجوه القراءات (١/ ٢٦).

(٣) من أحمد٣، وفي نور العثمانية: «كان».

(٤) في المطبوع وفيض الله: «ملكه».

(٥) الحجة (١/ ١٦)، وأصله في سنن أبي داود (٤/ ٣٧) مرسلًا، وهو مروان بن الحكم ابن أبي العاص ابن أمية، أبو عبد الملك القرشي، ولد بعد الهجرة بسنتين، قال ابن حجر: لكن لم أر من جزم بصحبته، وأرسل عن النبيّ ﷺ، وروى عن غير واحد من الصّحابة، منهم: عمر، وعثمان، وكان يعدّ في الفقهاء، ومات سنة (٦٥هـ). الإصابة (٦/ ٢٠٣).

قال أبو بكر[١]: الأخبار الواردة تبطل أنَّ أوَّل مَنْ قرأ: ﴿ملك يوم الدين﴾ مروانُ بنُ الحكم، بل القراءة بذلك أوسع، ولعلَّ قائل ذلك أراد أنه أول من قرأ في ذلك العصر أو البلد ونحوه»[٢].

قال القاضي أبو محمد: وفي الترمذي: «أنَّ النَّبيَّ ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما قرؤوا: ﴿ملك يوم الدين﴾ بغير ألف»[٣].

وفيه أيضاً: «أنهم قرؤوا: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ بألف»[٤].

قال أبو بكر: «والاختيار عندي: ﴿ملك يوم الدين﴾؛ لأنّ المُلك والمِلك يجمعهما معنًى واحد وهو الشد والرّبط، كما قالوا: مَلَكتُ العجين؛ أي: شددته، إلى غير ذلك من الأمثلة، والمُلك أفخم وأدخل في المدح، والآية إنما نزلت بالثناء والمدح لله سبحانه، فالمعنى: أنه مَلِك الملوك في ذلك اليوم، لا مُلك لغيره».

قال: «والوجه لمن قرأ: ﴿مَٰلِكِ﴾ أن يقول: إنَّ المعنى: أنَّ الله تعالى يملك ذلك اليوم أن يأتي به كما يملك سائر الأيام، لكن خصَّصه بالذكر لعظمه في جمعه وحوادثه»[٥].

قال أبو الحسن الأخفش: «يقال: ملك بيِّنُ الملك، بضم الميم، ومالك بيِّن

---

(١) هو أبو بكر محمد بن السري السراج النحوي.

(٢) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١/ ١٦).

(٣) ضعيف: فقد أخرجه الترمذي (٢٩٢٧) وضعفه لانقطاع إسناده وغرابته.

(٤) حديث صحيح من مراسيل ابن المسيب، فقد أخرجه الترمذي ح (٢٩٢٨) من طريق أيوب بن سويد الرملي عن يونس بن يزيد عن الزهري عن أنس: «أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر ـ وأراه قال: وعثمان ـ كانوا يقرءون: ملك يوم الدين»، قال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث الزهري عن أنس بن مالك إلا من حديث هذا الشيخ أيوب بن سويد الرملي» ثم ذكر أن بعض أصحاب الزهري رواه عنه مرسلاً دون ذكر عثمان، ثم ذكر أن معمراً ويونس روياه عن الزهري عن سعيد بن المسيب مرسلاً دون ذكر عثمان، ومراسيل سعيد بن المسيب مقبولة.

(٥) نقله عنه الفارسي في الحجة للقراء السبعة (١/ ١٣)، ومنه نقله ابن عطية.

المَلك والمِلك بفتح الميم وكسرها، وزعموا أنَّ ضمَّ الميم لغة في هذا المعنى، وروى بعض البغداديين: لي في هذا الوادي مِلك ومُلك ومَلك بمعنى واحد»[١].

قال [أبو علي][٢] : «حكى أبو بكر بن السَّراج[٣] عن بعض من اختار القراءة بـ﴿ملك﴾ أن الله سبحانه قد وصف نفسه بأنه مالك كل شيء بقوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ فلا فائدة في قراءة من قرأ: ﴿ مَـٰلِكِ ﴾ لأنها [تكرير][٤]»[٥].

قال [أبو علي][٦] : «ولا حجة في هذا؛ لأن في التنزيل أشياء على هذه الصورة، تقدُّم العامِّ ثم ذكر الخاص، كقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر: ٢٤] فـ﴿ٱلْخَـٰلِقُ﴾ يعمُّ [الكل][٧]، وذكر ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ لما في ذلك من التنبيهِ على الصنعة ووجوه الحكمة، وكما قال تعالى: ﴿وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ بعد قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٤]، والغيب يعم الآخرة وغيرها، ولكن ذكرها لعظمها، والتنبيه/ على وجوب [١٩]
اعتقادها، والرد على الكفرة الجاحدين لها.

وكما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، فذكر ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ الذي هو عام، وذكر ﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾ بعده لتخصيص المؤمنين به في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾»[٨].

---

(١) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١/ ١٦).

(٢) في أحمد٣: «أبو بكر»، ولعلها سبق قلم.

(٣) هو أبو بكر محمد بن السريّ المعروف بابن السراج النحويّ، كان أحد العلماء المذكورين بالأدب والعربية، صحب أبا العباس المبرّد وأخذ عنه، روى عنه الزّجاجي والسّيرافي والرمانيّ، وكان ثقة، وله كتب فى النحو مفيدة، توفي سنة (٣١٦هـ). إنباه الرواة (٣/ ١٤٥).

(٤) وفي الحمزوية: «نكرة».

(٥) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١/ ١٨).

(٦) في أحمد٣: «أبو محمد»، على أنه من تعقب ابن عطية، والأظهر أنه من تعقب الفارسي على ابن السراج.

(٧) من الحمزوية.

(٨) الأحزاب: ٤٣، وانظر: الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١/ ١٨).

قال القاضي أبو محمد: وأيضاً فإنَّ الرَّبَّ يتصرف في كلام العرب بمعنى الملك كقوله:

.... ومِنْ قَبْـلُ رَبَّتْنِي فضِعْـتُ رُبُوبُ[١] [الطويل]

وغير ذلك من الشواهد، فتنعكس الحجة على من قرأ: ﴿ملك يوم الدين﴾.

والجر في: ﴿مَلِك﴾، أو ﴿مَـٰلِكِ﴾ على كلتا[٢] القراءتين هو على الصفة للاسم المجرور قبله، والصفات تجري على موصوفيها إذا لم تقطع عنهم لذم أو مدح.

والإضافة إلى ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ في كلتي القراءتين من باب:

يَـا سَـارِقَ اللَّيلَـةِ أهْـلَ الـدَّارِ[٣] .... [الرجز]

اتُّسع في الظرف فنُصب نصبَ المفعول به، ثم وقعت الإضافة إليه على هذا الحد، وليس هذا كإضافة قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٨٥]؛ لأن ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾ مفعول بها على الحقيقة، أي: إنه يعلم الساعة وحقيقتها، فليس أمرها على ما الكفار عليه من إنكارها.

وأمَّا على المعنى الذي قاله ابن السراج أن معنى ﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ أنه يملك مجيئه ووقوعه، فإن الإضافة إلى اليوم كإضافة المصدر إلى الساعة؛ لأن اليوم على قوله مفعول به على الحقيقة، وليس ظرفاً اتُّسع فيه.

قال أبو علي: «ومن قرأ: ﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ فأضاف اسم الفاعل إلى الظرف المتسع فيه فإنه حذف المفعول من الكلام للدلالة عليه، تقديره: مالك يوم الدين

---

(١) سبق ذكره في المقطع السابق.

(٢) كتبت في جميع النسخ في الموضعين «كلتي»، مع أن كلا وكلتا لا يجران بالياء إلا إذا أضيفا لمضمر إلا لغة كنانة كما في توضيح المقاصد والمسالك للمرادي (١/ ٣٢٦)، ويحتمل أن تكون كتبت بالياء غير المنقوطة على جهة القصر، وهو أيضاً خطأ إملائي.

(٣) ورد في معاني القرآن للفراء (٢/ ٨٠) مسبوقاً بلفظ: وقال آخر، على أنه شعر غير منسوب، واستشهد به سيبويه في الكتاب (١/ ١٧٦).

الأحكامَ، ومثل هذه الآية في حذف المفعول به مع الظرف قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] فنصب ﴿ٱلشَّهْرَ﴾ على أنه ظرف، والتقدير: فمن شهد منكم المصر في الشهر، ولو كان الشهر مفعولاً للزم الصوم للمسافر؛ لأنَّ شهادته للشهر كشهادة المقيم، و﴿شَهِدَ﴾ يتعدى إلى مفعول، يدلك على ذلك قول الشاعر:

[الطويل] ويَوْماً شَهِدْنَاهُ سُلَيْماً وعَامِراً[1] ....

و«الدين» لفظ يجيء في كلام العرب على أنحاء، منها:

الملة: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] إلى كثير من الشواهد في هذا المعنى، وسمي حظ الرجل منها في أقواله وأعماله واعتقاداته ديناً، فيقال: فلانٌ حسنُ الدين، ومنه قول النبي ﷺ في رؤياه في قميص عمر الذي رآه يجره، قيل: «فَمَا أَوّلتَه يَا رَسُولَ الله؟» قَالَ: «الدِّينُ»[2].

وقال علي بن أبي طالب: «مَحَبَّةُ الْعُلَماءِ دِينٌ يُدانُ بِهِ»[3].

ومن أنحاء اللفظة: الدِّين بمعنى العادة، فمنه قول العرب في الريح: «عَادَتْ هَيْفٌ لأدْيَانِها»[4].

---

(١) إلى هنا انتهى كلام أبي علي السابق، وهذا صدر بيت عجزه: قَلِيلًا سِوَى الطَّعْنِ النِّهَالِ نَوَافِلُهْ، نسبه سيبويه في الكتاب (١/ ١٧٨) لرجل من بني عامر، الرواية فيه وفي أكثر المصادر: «ويومٍ»، والبيت يعزى لابن ميادة.

(٢) متفق عليه: فقد أخرجه البخاري ح (٢٣، ٣٦٩١، ٧٠٠٨، ٧٠٠٩) ومسلم ح (٢٣٩٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) ضعيف: فقد أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٧٩-٨٠) والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ١٨٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٠/ ٢٥٠) وأبو الحسين الصيرفي الحنبلي في الطيوريات (٢/ ٦٠٩) في أثناء نصيحة علي لِكُميل بن زياد، قال الذهبي في تذكرة الحفاظ (١/ ١٥): «إسناده لين».

(٤) قال ابن سلام في الأمثال (١/ ٢٨١): يعني عادتها، قال: وأصل الهيف السَّموم، وعادتها أنها تجفف كل شيء وتوبسه.

ومنه قول امرئ القيس:

كدِينِكَ مِنْ أُمِّ الْحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا[(١)] .... [الطويل]

البيت، ومنه قول الشاعر:

.... أهَــذَا دِيــــنُــهُ أبَــداً ودِيــنِــي[(٢)] [الوافر]

إلى غير ذلك من الشواهد، يقال: دين ودينة؛ أي: عادة.

ومن أنحاء اللفظة: الدين: سيرة الملك وملكته، ومنه قول زهير:

لَئِـنَ حَلَلْـتَ بجَـوٍّ فِـي بَنِـي أَسَـدٍ فِي دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتْ بَيْنَنا فَدَكُ[(٣)] [البسيط]

أراد: في موضع طاعة عمرو وسيرته.

وهذه الأنحاء الثلاثة لا يفسر بها قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.

ومن أنحاء اللفظة: الدين: الجزاء، فمن ذلك قول الفِنْد الزِّمَّاني[(٤)]:

ولَـــمْ يَـبْـقَ سِـــوَىٰ الــعُـدْوَا نِ دِنَّـــاهُـــمْ كَـمَــا دَانُـــــوا[(٥)] [مجزوء الوافر]

---

(١) عزاه له بهذا اللفظ ابن الأنباري في الزاهر (١/ ٢٧٩)، وابن دريد في جمهرة اللغة (٢/ ٦٨٨)، والقالي في الأمالي (٢/ ٢٩٥)، وعجزه: وَجَارتها أم الرباب بِمَأسَلِ، وهو من معلقته المشهورة، ورواية الطبري (٦/ ٢٢٥): كدأبك وعليه فلا شاهد فيه.

(٢) البيت للمثقب العبدي، وصدره: تقولُ إذا دَرَأْتُ لها وَضينِي، وهو معزو له في تفسير الثعلبي (١/ ١١٦)، ومجاز القرآن (١/ ٢٤٧)، والأمالي للقالي (٢/ ٢٩٥) والمفضليات (١/ ٢٩٢)، وغيرها.

(٣) البيت لزهير كما في مجاز القرآن (١/ ٢٥٥)، والجيم (١/ ٢٦٧)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٦)، والكامل في اللغة والأدب (١/ ٢٥٩)، وتفسير الطبري (١٤/ ١٩٨)، وأمالي القالي (٢/ ٢٩٥)، وفدك قرية.

(٤) اسمه شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمان من بكر بن وائل، الفند لقب غلب عليه، شبه بالفند وهو القطعة العظيمة من الجبل، وكان أحد فرسان ربيعة المشهورين وشهد حرب بكر وتغلب وقد قارب المئة السنة فأبلى بلاء حسناً في يوم التحالق. الأغاني (٢٤/ ٨٥).

(٥) انظر عزوه له في ديوان الحماسة بشرح التبريزي، (١/ ٦)، والأغاني (٢٤/ ٨٣)، والأمالي للقالي (١/ ٢٦٠).

أي: جازيناهم، ومنه قول كعب بن جُعيلٍ[(١)]:

[المتقارب] إِذَا مَـا رَمَـوْنَـا رَمَـيْـنَـاهُـم ودِنَّاهُـمُ مِثْـلَ مـا يُقْرِضُونَـا[(٢)]

ومنه قول الآخر:

[الكامل] واعْلَـمْ يَقِيناً أنَّ مُلْكَكَ زَائـلٌ واعْلَـمْ بَـأنَّ كَمَـا تَدِيـنُ تُـدَانُ[(٣)]

وهذا النحو من المعنى هو الذي يصلح لتفسير قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: يوم الجزاء على الأعمال والحساب بها، كذلك قال ابن عباس، وابن مسعود، وابن جريج[(٤)]، وقتادة، وغيرهم[(٥)].

قال أبو علي: «يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ﴾ [غافر: ١٧]، و﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[الجاثية: ٢٨]»[(٦)]، وحكى أهل اللغة: «دنته بفعله دَيناً ـ بفتح الدال ـ وديناً بكسرها: جزيته، وقيل: الدَّين المصدر، والدين بكسر الدال الاسم»[(٧)].

---

(١) هو كعب بن جعيل بن عجرة من تغلب، شاعر إسلامي مفلق في أول الإسلام، وهو أقدم من الأخطل والقطامي وقد لحقا به وكانا معه وهو شاعر معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام شهد معهم صفين، معجم الشعراء (ص: ٣٤٤).

(٢) عزاه له تفسير الطبري (١/ ١٥٥)، والكامل في اللغة والأدب (١/ ٢٥٨)، والمخصص لابن سيده (٥/ ٢٢٨).

(٣) عزاه في مجاز القرآن (١/ ٢٣) لابن نُفيل، وسماه في جمهرة اللغة (٢/ ٦٨٨)، وجمهرة الأمثال (٢/ ١٦٨): يزيد بن الصعق الكلابي، في قصة مشهورة، وجاء اسمه في لسان العرب (١٣/ ١٦٩) وتاج العروس (٣٥/ ٥٢): خويلد بن نوفل الكلابي.

(٤) ابن جريج: هو أبو الوليد: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، الأموي مولاهم المكي، وأول مَن دوَّن العلم بمكة. روى عن عطاء، وروى عنه الأوزاعي والليث ويحيى بن سعيد الانصاري (ت ١٥٠هـ). سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٢٥)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٤٠٢).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٩).

(٦) الحجة (١/ ٣٩).

(٧) من المحكم لابن سيده (٩/ ٣٩٩).

وقال مجاهد: «﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، أي: يوم الحساب، مدينين: محاسبين»[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا عندي يرجع إلى معنى الجزاء.

ومن أنحاء اللفظة: الدين: الذل، والمَدين: العبد، والمَدينة: الأمَة، ومنه قول الأخطل[٢]:

رَبَتْ وَرَبَا فِي حِجْرِهَا ابنُ مَدِينَةٍ ... تَرَاهُ عَلَى مِسْحَاتِهِ يَتَرَكَّلُ[٣] [الطويل]

أي: ابن أمة، وقيل: بل أراد ابن مدينة من المدن، الميم أصلية، ونسبه إليها كما يقال: ابن ماء، وغيره، وهذا البيت في صفة كرمة، فأراد أن أهل المدن أعلم بفلاحة الكرم من أهل بادية العرب.

ومن أنحاء اللفظة: الدين: السياسة، والديَّان: السائس، ومنه قول ذي الأصبع[٤]:

لاهِ ابنُ عَمِّكَ لا أَفْضَلْتَ في حَسَبٍ ... يوماً ولا أنتَ دَيّاني فتَخْزُوني[٥] [البسيط]

تسوسُني[٦].

ومن أنحاء اللفظة: الدين: الحال.

---

(١) نقله عنه مكي في الهداية (١/ ١٠٤)، والجزء الأخير منه في تفسير مجاهد (ص: ٦٤٦)، وتفسير الطبري (٢٣/ ١٥٧).

(٢) هو غياث بن غوث التغلبي ويكنى أبا مالك، وكان يشبّه (من شعراء الجاهلية) بالنابغة الذّبيانيّ. الشعر والشعراء (١/ ٤٧٣).

(٣) نسبه له الخليل في العين (٥/ ٣٥٣)، وأبو عبيدة في مجاز القرآن (٢/ ٢٥٢)، وابن قتيبة في المعاني الكبير (١/ ٤٧٢)، وابن سيده في المخصص (٤/ ١٣١)، والجوهري في الصحاح (٤/ ١٧١٣)، ويتركل على مسحاته: أي: يضربها برجله لتغيب في الأرض.

(٤) هو حرثان بن محرّث العدواني، وكان جاهليّاً، وسمِّي ذا الإصبع لأنَّ حيّة نهشته فى إصبعه فقطعها. الشعر والشعراء (٢/ ٦٩٧).

(٥) انظر عزوه له في الأزمنة لقطرب (ص: ٣٢)، وأمالي القالي (١/ ٢٥٥)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٦٣)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٩٦)، والمفضليات (ص: ١٦٠)، وأدب الكاتب (ص: ٥١٢)، والأغاني (٣/ ١٠٠).

(٦) من جار الله.

[٢٠] قال النضر بن شميل[١]: / «سألتُ أعرابيّاً عن شيءٍ فقال لي: لو لقيتني على دينٍ غيرِ هذه لأخبرتُكَ»[٢].

ومن أنحاء اللفظة: الدين: الداء، عن اللحياني[٣]، وأنشد:

[البسيط] يَا دِينَ قَلْبِكَ مِنْ سَـلْمَىٰ وَقَدْ دِينَا[٤] ....

قال القاضي أبو محمد: أمَّا هذا الشاهد فقد يتأول على غير هذا النحو، فلم يبق إلا قول اللحياني.

وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ نُطقُ المؤمن به إقرار بالربوبية، وتذلل وتحقيق لعبادة الله، إذ سائر الناس يعبدون سواه من أصنام وغير ذلك، وقدَّم المفعول على الفعل اهتماماً، وشأن العرب تقديم الأهم.

ويذكر أن أعرابيّاً سبَّ آخر، فأعرض المسبوب عنه، فقال له السابُّ: «إياك أعني» [فقال الآخر][٥] : «وعنك أُعرض»[٦]، فقدَّما الأهم.

---

(١) هو النضر بن شميل بن خرشة، أبو الحسن المازني البصري النحوي اللغوي الحافظ، روى عن: حميد الطويل، وهشام بن عروة، وطائفة كبيرة، وعنه: يحيى بن يحيى، وإسحاق بن راهويه، وخلق، وثقه غير واحد توفي سنة (٢٠٤هـ). تاريخ الإسلام (١٤/ ٤١١).

(٢) أمالي القالي (٢/ ٢٩٥).

(٣) هو علي بن حازم، وقيل: علي بن المبارك اللّحياني، لغويٌّ مذكور، وأخذ عنه العلماء، عاصر الفرّاء وتصدّر في أيامه، ولِلّحيانيّ كتاب في النوادر حسن جليل، وأخذ عنه القاسم بن سلّام. إنباه الرواة على أنباه النحاة (٢/ ٢٥٥).

(٤) البيت في العين (٨/ ٧٣)، والمخصص لابن سيده (٣/ ٣٢٦)، ومقاييس اللغة (٢/ ٣١٩)، كلهم بلا نسبة، ويقرب منه قول الآخر: ألا يا دين قلبك من سليمى كما قد دين قلبك من سعادا، نسبه في الأغاني (٩/ ٣٠٧)، والمؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء (ص: ٣٨) لأشهب بن رميلة، قالا: وقيل: لابن أبي رميلة الضبي.

(٥) وفي الحمزوية: «فقال له المسبوب».

(٦) انظر القصة في الكامل للمبرد (٣/ ٦١).

وقرأ الفضل الرَّقَاشي[١]: (أَيَّاكَ) بفتح الهمزة، وهي لغة مشهورة، وقرأ عمرو ابن فائد[٢]: (إِيَاكَ) بكسر الهمزة وتخفيف الياء[٣]، وذلك أنه كره تضعيف الياء لثقلها وكون الكسرة قبلها، وهذا كتخفيف «رُبَّ» و«إنَّ»، وقرأ أبو السَّوَّار الغَنَوي[٤]: (هَيَّاكَ نَعْبُدُ وهِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) بالهاء[٥]، وهي لغة.

واختلف النحويون في ﴿إِيَّاكَ﴾:

فقال الخليل: «إيّا: اسم مضمر أضيف إلى ما بعده للبيان لا للتعريف، وحَكَى عن العرب: إِذَا بَلَغَ الرَّجلُ السِّتِينَ فإِيَّاهُ وإِيَّا الشَّوابِّ»[٦].

وقال المبرد: «إيّا: اسم مبهم أضيف للتخصيص لا للتعريف»[٧]، وحكى ابن كيسان[٨] عن بعض الكوفيين أنّ ﴿إِيَّاكَ﴾ بكماله اسمٌ مضمر، ولا يعرف اسم مضمر يتغير آخره غيره.

---

(١) هو أبو عيسى الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي البصري الواعظ، روى عن أنس بن مالك وابن المنكدر، وعنه سفيان وحماد بن زيد ومعتمر بن سليمان وغيرهم، ضعفه أحمد، وقال ابن معين: رجل سوء قدري، توفي سنة (٩٥هـ). تاريخ الإسلام (٩/ ٢٥١).

(٢) هو عمرو بن فائد أبو علي الأسواري البصري، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، روى عنه الحروف حسان بن محمد الضرير وبكر بن نصر العطار غاية النهاية (١/ ٦٠٢).

(٣) انظر القراءتين في المحتسب لابن جني (١/ ٤٠)، وكلاهما شاذة.

(٤) هو أبو سوّار الغنويّ أعرابيٌّ فصيح، أخذ عنه أبو عبيدة فمن دونه، وله مجلس مع محمد بن حبيب وأبي عثمان المازنيّ. إنباه الرواة (٤/ ١٢٨).

(٥) انظر عزوها له في الإبانة لمكي (ص: ١٢٤)، وهي قراءة شاذة، وفي الحمزوية: «أبو السماك».

(٦) نقله سيبويه في الكتاب (١/ ٢٧٩)، ومكي في الهداية (١/ ١٠٥) عن الخليل، وانظر: الإنصاف في مسائل الخلاف (٢/ ٦٩٥).

(٧) عبارة ابن الأنباري في الإنصاف (٢/ ٦٩٥): وذهب المبرد إلى أنه اسم مبهم أضيف للتخصيص، ولا يعلم اسم مبهم أضيف غيره.

(٨) هو محمد بن أحمد بن كيسان أبو الحسن النحوي، أحد المذكورين بالعلم الموصوفين بالفهم، وكان يحفظ مذهب البصريين في النحو والكوفيين؛ لأنه أخذ عن المبرّد وثعلب. وله مصنفات مشهورة في اللغة والنحو، توفي سنة (٢٩٩هـ). إنباه الرواة (٣/ ٥٧).

وحكي عن بعضهم أنه قال: «الكاف والهاء والياء هي الاسم المضمر، لكنها لا تقوم بأنفسها ولا تكون إلا متصلات، فإذا تقدمت الأفعال جعل «إيّا» عماداً لها، فيقال: إياك وإياه وإيّاي، وإذا تأخرت اتصلت بالأفعال واستغني عن إيا».

وحكي عن بعضهم أنَّ «إيا» اسم مبهم يكنى به عن المنصوب، وزيدت الكاف والهاء [والياء][1] تفرقة بين المخاطب والغائب والمتكلم، ولا موضع لها من الإعراب، فهي كالكاف في «ذلك» وفي: أرايتك زيداً ما فعل[2].

و﴿نَعۡبُدُ﴾ معناه: نقيم الشرع والأوامر مع تذلل واستكانة، والطريق المذلل يقال له: معبد، وكذلك البعير، وقال طرفة:

[الطويل] تُبَارِي عِتَاقَ النَّاجياتِ وأتْبَعت ... وَظِيفاً وظيفاً فوق مَوْرٍ مُعَبَّدِ[3]

وتكررت ﴿إِيَّاكَ﴾ بحسب اختلاف الفعلين، فاحتاج كل واحد منهما إلى تأكيد واهتمام.

و﴿نَسۡتَعِينُ﴾ معناه: نطلب العون منك في جميع أمورنا، وهذا كله تبرؤ من الأصنام.

وقرأ الأعمش وابن وثاب والنخعي[4]: (نِسْتَعِينُ) بكسر النون[5]، وهي لغة

---

(١) ليست في المطبوع.

(٢) انظر كلام ابن كيسان وما بعده في المحكم لابن سيده (١٠/ ٥٩٦)، وانظر أيضاً: إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٧٣).

(٣) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١/ ١٦١)، وجمهرة أشعار العرب (ص٣٠٩)، والمخصص لابن سيده (٤/ ٦٢)، وهو من معلقته، وفي المطبوع: «عتاقا ناجيات» بالتنوين، وهي الرواية في أكثر المصادر، والمور: الطريق، والناجيات: السراع.

(٤) هو أبو عمران: إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، من مذحج، من أكابر التابعين صلاحاً وصدق رواية وحفظاً للحديث، فقيه العراق، كان إماماً مجتهداً له مذهب، ثقة إلا أنه يرسل كثيراً توفي سنة (٩٦ هـ). تقريب التهذيب (١/ ١١٨).

(٥) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لابن وثاب والأعمش في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٠)، ولم أجدها للنخعي.

لبعض قريش في النون والتاء والهمزة، ولا يقولونها في ياء الغائب، وإنما ذلك في كل فعل سمي فاعله فيه زوائد أو فيما يأتي من الثلاثي على فَعِلَ يَفْعَلُ بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل نحو: علم وشرب، وكذلك فيما جاء معتلَّ العين نحو: خال يخال، فإنهم يقولون: تِخال وإخال.

و﴿نَسْتَعِينُ﴾ أصله: نَسْتَعْوِنُ، نقلت حركة الواو إلى العين وقلبت ياءً لانكسار ما قبلها، والمصدر: استعانة، أصله: استعواناً، نقلت حركة الواو إلى العين، فلما انفتح ما قبلها وهي في نية الحركة انقلبت ألفاً، فوجب حذف أحد الألفين الساكنين، فقيل: حذفت الأولى؛ لأن الثانيةَ مجلوبة لمعنى، فهي أولى بالبقاء، وقيل: حذفت الثانية؛ لأنَّ الأولى أصليةٌ فهي أولى بالبقاء، ثم لزمت الهاء عوضاً من المحذوف.

وقوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ﴾ رغبةٌ لأنها من المربوب إلى الرب، وهكذا صيغة الأمر كلها، فإذا كانت من الأعلى فهي أمر، والهداية في اللغة: الإرشاد، لكنها تتصرف على وجوه يعبر عنها المفسرون بغير لفظ الإرشاد، وكلها إذا تؤملت رجعت إلى الإرشاد.

فالهدى يجيء بمعنى خلق الإيمان في القلب، ومنه قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾[البقرة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[القصص: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾[الأنعام: ١٢٥]، قال أبو المعالي: «فهذه آيات لا يتجه حملها إلا على خلق الإيمان في القلب، وهو محض الإرشاد»[١].

قال القاضي أبو محمد: وقد جاء الهدى بمعنى الدعاء، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، أي: داع، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وهذا أيضاً يبين فيه الإرشاد؛ لأنه ابتداء إرشاد، أجاب المدعو أو لم يجب.

---

(١) نقله الثعالبي (١/ ٢٤).

وقد جاء الهدى بمعنى الإلهام، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، قال المفسرون: «معناه: ألهم الحيوانات كلها إلى منافعها»، وهذا أيضاً يبين فيه معنى الإرشاد، وقد جاء الهدى بمعنى: البيان، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فصلت: ١٧]، قال المفسرون: معناه: بينا لهم.

قال أبو المعالي: «معناه: دعوناهم»(١)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [الليل: ١٢]، أي: إن علينا أن نبين، وفي هذا كله معنى الإرشاد.

قال أبو المعالي: «وقد تَرِدُ الهداية والمراد بها إرشاد المؤمنين إلى مسالك(٢) الجنان والطرق المفضية إليها»(٣)، من ذلك قوله تعالى في صفة المجاهدين: / ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٤-٥]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾[الصافات: ٢٣]، معناه: فاسلكوهم إليها. [٢١]

قال القاضي أبو محمد: وهذه الهداية بعينها هي التي [تقال](٤) في طرق الدنيا، وهي ضد الضلال، وهي الواقعة في قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ على صحيح التأويل، وذلك بيِّن من لفظ الصِّراط.

و«الهدى» لفظ مؤنث، وقال اللحياني: «هو مذكر»(٥) قال ابن سيده(٦):

---

(١) نقله عنه الثعالبي (١/ ١٦٧)، وهو قول سفيان الثوري كما في تفسيره (ص٢٦٥)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٧٥)، وتفسير ابن كثير (٧/ ١٦٩)، وقول مجاهد ـ أيضاً ـ كما في تفسير البغوي (٤/ ١٢٩)، وتفسير ابن الجوزي (٤/ ٤٨).

(٢) كتبت في السليمانية: «مسلة».

(٣) نقله عنه القرطبي (١/ ١٦٠).

(٤) وفي الحمزوية: «تنال».

(٥) المحكم والمحيط الأعظم (٤/ ٣٧٠).

(٦) هو أبو الحسن المرسي اللغوي، المعروف بابن سيده، مصنف المحكم في اللغة، والمخصص، وغيرهما، وقال الحميدي: كان إماما في اللغة والعربية، حافظاً لهما، على أنه كان ضريراً، وله في الشعر حظ وتصرف، توفي سنة (٤٥٨هـ). تاريخ الإسلام (٣٠/ ٤٤٨).

«والهدى: اسم من أسماء النهار»[(١)]، قال ابن مُقْبل[(٢)]:

حتّىٰ استبَنْتُ الهُدىٰ والبِيدُ هاجمةٌ يخشَعْن في الآل غُلْفاً أو يُصلِّينا[(٣)] [البسيط]

و﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ في اللغة: الطريق الواضح، فمن ذلك قول جرير:

أَمِيرُ الْـمُؤْمِـنِـينَ عَـلَـىٰ صِـرَاطٍ إِذَا اعْوَجَّ الْـمَوَارِدُ مُـسْـتَـقِـيمِ[(٤)] [الوافر]

ومنه قول الآخر:

.... فَصُدَّ عَنْ نَهْجِ الصِّـراطِ القَاصِدِ[(٥)] [الرجز]

وحكى النقاش [أن][(٦)] الصراط: الطريق بلغة الروم[(٧)]، وهذا ضعيفٌ جدّاً.

واختلف القُرَّاءُ في ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾:

فقرأ ابن كثير وجماعة من العلماء: ﴿السِّرَاطَ﴾ بالسين، وهذا هو أصلُ اللفظة، قال الفارسي: «ورويت عن ابن كثير بالصاد»[(٨)].

---

(١) المحكم (٤/ ٣٧٢).

(٢) هو تميم بن أُبي بن مقبل، من بني العجلان ثم من بني عامر بن صعصعة، شاعر مجيد مغلب غلب عليه النجاشي الشاعر، انظر ترجمته في الشعر والشعراء (١/ ٤٤٦)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ١٥٠)، والإصابة (١/ ٤٩٦).

(٣) انظر عزوه له في الحجة للفارسي (١/ ١٨٦)، وسمط اللآلي (٢/ ٩٧)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٦٨٦)، والمخصص (٣/ ٧٤)، وفي الحمزوية: «استبان» بدل «استبنت».

(٤) انظر عزوه له في الطبري (١/ ١٧٠)، وأساس البلاغة (١/ ٦٧١)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٦٨)، ومجاز القرآن (١/ ٢٤).

(٥) البيت بلا نسبة في مجاز القرآن (١/ ٢٤)، وتفسير الطبري (١/ ١٢١)، وتفسير الماوردي (١/ ٥٨)، وفي نور العثمانية: «نهج الطريق»، وهي كذلك في اللباب في علوم الكتاب (١/ ٢٠٥)، ولعلها خطأ، إذ لا شاهد في البيت حينئذ.

(٦) من الحمزوية.

(٧) نقله السيوطي في الإتقان في علوم القرآن (٢/ ١٣٥) عنه وعن ابن الجوزي، قال: «ثم رأيته في كتاب الزينة لأبي حاتم».

(٨) الحجة لأبي علي الفارسي (١/ ٤٩)، والروايتان صحيحتان عن ابن كثير: السين لقنبل، والصاد للبزي، كما في التيسير (ص: ١٨).

وقرأ باقي السبعة غير حمزة بصاد خالصة، وهذا بَدَلُ السين بالصاد لتناسُبها مع الطاء في الإطباق فيحسنان في السمع، وحكاها سيبويه لغة[١].

قال أبو علي: «روي عن أبي عمرو السين والصاد، والمضارعة بين الصاد والزاي، رواه عنه العريان بن أبي سفيان[٢]، وروى الأصمعي[٣] عن أبي عمرو أنه قرأها بزاي خالصة»[٤].

قال بعض اللغويين: «ما حكاه الأصمعي من هذه القراءة خطأ منه، إنما سمع أبا عمرو يقرأ بالمضارعة فتوهمها زاياً، ولم يكن الأصمعي نحويّاً فيؤمنَ على هذا»[٥].

قال القاضي أبو محمد: وحكى هذا الكلام أبو علي عن أبي بكر بن مجاهد[٦].

وقرأ حمزة بين الصاد والزاي، وروي أيضاً عنه أنه إنما يلتزم ذلك في المعرفة دون النكرة[٧].

قال ابن مجاهد: «وهذه القراءة تكلُّفُ حرف بين حرفين، [وذلك][٨] أصعب

(١) انظر: المخصص لابن سيده (٣/ ٣٠٦).

(٢) العريان بن أبي سفيان بن العلاء المازني البصري، روى عن عمه أبي عمرو، وكان أبوه ثقة روى الناس عنه. إنباه الرواة (٤/ ١٣٢).

(٣) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الباهلي الأصمعي البصري، صاحب اللغة، كان إمام زمانه في علم اللسان، روى عن: أبي عمرو بن العلاء، وقرة بن خالد، وعنه خلق، وله مؤلفات مشهورة، توفي سنة (٢١٦هـ). تاريخ الإسلام (١٥/ ٢٧٤).

(٤) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١/ ٤٩)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٠٦).

(٥) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١/ ٥١).

(٦) وهو في السبعة لابن مجاهد (ص: ١٠٥).

(٧) الروايتان في السبعة لابن مجاهد (١/ ١٠٦)، ونقل في التيسير (ص: ١٨) الإشمام عن خلف مطلقاً، وعن خلاد في «الصراط» هنا.

(٨) في أحمد٣ بدلًا منه: «وهذه القراءة».

على اللسان، وليس بحرف يبنى عليه الكلام ولا هو من حروف المعجم، ولست أدفع أنه من كلام فصحاء العرب، إلا أن الصاد أفصح وأوسع»[١].

وقرأ الحسن، والضحاك: (اهدنا صراطاً مستقيماً) دون تعريف[٢].

وقرأ جعفر بن محمد الصادق: (اهدنا صراطَ المستقيم) بالإضافة[٣].

وقرأ ثابت البناني[٤]: (بصِّرْنا الصراط)[٥].

واختلف المفسرون في المعنى الذي استعير له ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ في هذا الموضع، وما المراد به؟:

فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «الصِّراط الْمُسْتَقِيم هنا: القرآن»[٦].

وقال جابر: «هو الإسلام، يعني: الحنيفية»، وقال: «سعته ما بين السماء والأرض»[٧].

---

(١) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١/ ٥١).

(٢) انظر قراءة الحسن في المحتسب (١/ ٤١)، وإتحاف فضلاء البشر (١/ ١٦٤)، وقراءة الضحاك في الشواذ للكرماني (ص: ٤٤).

(٣) الإبانة عن معاني القراءات لمكي (ص: ١٢٥).

(٤) هو أبو محمد ثابت بن أسلم البناني أحد أئمة التابعين بالبصرة، روى عن ابن عمر وأنس بن مالك وطائفة، وعنه حميد الطويل وخلائق، وكان رأسا في العلم والعمل ثقة ثبتاً رفيعاً، ومناقبه كثيرة. مات ثابت سنة (١٢٣هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٥٤).

(٥) الإبانة عن معاني القراءات (ص: ١٢٥)، وليس هذا قرآناً، وإنما هو تفسير.

(٦) ضعيف: فقد أخرجه أحمد (١/ ٩١)، والترمذي ح (٢٩٠٦)، والطبري في تفسيره (١٧٢)، وغيرهم من حديث علي، واختلف في رفعه ووقفه، وقد ضعفه غير واحد من أهل العلم منهم الترمذي، وابن عدي في الكامل (٤/ ٥)، وفي سنده الحارث الأعور، وأكثر الأئمة على عدم الاحتجاج بحديث الحارث، انظر: تهذيب التهذيب (٢/ ١٤٥).

(٧) إسناده يُحتمل منه مثل هذا: فقد أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨٤) من طريق: الحسن بن صالح ابن حي عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر نحوه، وابن عقيل فيه كلام، إلا أن مثل هذا الأثر يقبل من مثله، والله تعالى أعلم، انظر: تهذيب التهذيب (٦/ ١٣-١٤).

وقال محمد بن الحنفية[(١)]: «هو دينُ اللهِ الَّذي لا يقبل من العباد غيره»، وقال أبو العالية: «هو رسولُ اللهِ ﷺ وصاحباه أبو بكر وعمر»، وذكر ذلك للحسن بن أبي الحسن، فقال: «صدق أبو العالية ونصح»[(٢)].

قال القاضي أبو محمد عبد الحق: ويجتمع من هذه الأقوال كلها أنَّ الدعوةَ إنما هي في أن يكون الداعي على سنن المنعم عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، في معتقداته، وفي التزامه لأحكام شرعه، وذلك هو مقتضى القرآن والإسلام، وهو حال رسول الله ﷺ وصاحبيه، وهذا الدعاء إنما أمر به المؤمنون وعندهم المعتقدات وعند كل واحد بعض الأعمال، فمعنى قولهم: ﴿ ٱهْدِنَا ﴾ فيما هو حاصل عندهم: طلبُ التثبيت والدوام، وفيما ليس بحاصل ـ إما من جهة الجهل به أو التقصير في المحافظة عليه ـ: طلب الإرشاد إليه.

وأقول: إن كل داع به فإنما يريد الصِّراطَ بكماله في أقواله وأفعاله ومعتقداته، فيحسُن على هذا أن يدعو في الصراط على الكمال من عنده بعضه.

ولا يتجه أن يراد بـ﴿ ٱهْدِنَا ﴾ في هذه الآية: اخلق الإيمان في قلوبنا؛ لأنها هدايةٌ مقيدةٌ إلى صراط، ولا أن يراد بها ادعنا، وسائر وجوه الهداية يتجه.

و﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ نصب على المفعول الثاني، و﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ الذي لا عوج فيه ولا انحراف، والمراد أنه استقام على الحق وإلى غاية الفلاح، ودخول الجنة، وإعلال مستقيم أن أصله مُستَقْوِم نقلت الحركة إلى القاف وانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، و﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ ﴾ بدل من الأول.

---

(١) هو محمد بن علي بن أبي طالب، أبو القاسم الهاشمي، ابن الحنفية، واسمها خولة بنت جعفر، ولد في صدر خلافة عمر، وروى عن: أبيه، وعثمان، وعمار بن ياسر، وعنه: بنوه الحسن، وعبد الله، وعمر، وجماعة. توفي سنة (٨١هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ١٨١).

(٢) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١/ ١٧٥).

وقرأ عمر بن الخطاب، وابن الزبير: (صراطَ مَن أنعمتَ عليهم)(١).

و﴿الَّذِينَ﴾ جمع الذي، وأصله: لذٍ، حذفت منه الياء للتنوين كما تحذف من عَمٍ، وقاضٍ، فلما دخلته الألف واللام ثبتت الياء.

و«الذي»: اسم مبهم ناقص محتاج إلى صلة وعائد، وهو مبني في إفراده وجمعه معرب في تثنيته، ومن العرب من يعرب جمعه، فيقول في الرفع: اللذون، وكتب الذي بلام واحدة في الإفراد والجمع تخفيفاً لكثرة الاستعمال.

واختلف الناس في المشار إليهم بأنه أنعم عليهم:

فقال ابن عباس وجمهور من المفسرين: «إنه أراد صراط النبيين والصديقين والشهداء والصالحين»(٢)، وانتزعوا ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ
[٢٢] بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا / * وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا * وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٦-٦٩]، فالآية تقتضي أن هؤلاء على صراط مستقيم، وهو المطلوب في آية الحمد.

وقال ابن عباس أيضاً: «المنعم عليهم: هم المؤمنون»(٣).

وقال الحسن بن أبي الحسن: «المنعم عليهم: أصحاب محمد ﷺ»(٤).

---

(١) تفسير الثعلبي (١/ ١٢٢)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٥٩)، و(ص: ٢٠٧)، وهي قراءة شاذة مخالفة للمصحف.

(٢) هذا الأثر عن ابن عباس ضعيف: فقد أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٧٨) وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣١) من طريق: بشر بن عُمَارة عن أبي روق عن الضحاك، عن ابن عباس، وبشر ضعيف، وفيه انقطاع بين الضحاك وابن عباس، كما تقدم.

(٣) منقطع: فقد أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٧٨) من طريق حجاج عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس. وهو منقطع.

(٤) انظره في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ١١٢).

وحكى مكي وغيره عن فرقة من المفسرين «أنَّ المنعم عليهم مؤمنو بني إسرائيل، بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠]»[(١)].

وقال ابن عباس: «المنعم عليهم: أصحاب موسى قبل أن يبدِّلوا»[(٢)]، وهذا والذي قبله سواءٌ، وقال قتادة بن دعامة: «المنعم عليهم الأنبياء خاصة»[(٣)].

وحكى مكي عن أبي العالية أنه قال: «المنعم عليهم محمد ﷺ وأبو بكر وعمر»[(٤)].

وقد تقدم ما حكاه عنه الطبري من أنه فسر الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ بذلك، وعلى ما حكى مكي ينتقض الأول ويكون ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ طريق محمد ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وهذا أقوم[(٥)] في المعنى؛ لأن تسمية أشخاصهم طريقاً تجوزٌ.

واختلف القراء في الهاء من ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾:

فقرأ حمزة: ﴿عليهُم﴾ بضم الهاء وإسكان الميم، وكذلك ﴿لديهُم﴾ و﴿إليهُم﴾، وقرأ الباقون في جميعها بكسر الهاء[(٦)]، واختلفوا في الميم:

فروي عن نافع التخيير بين ضمها وسكونها، وروي عنه أنه كان لا يعيب ضم الميم، فدل ذلك على أن قراءته كانت بالإسكان[(٧)].

---

(١) انظر الهداية لمكي (١/ ١١٢).

(٢) أورده الزمخشري في كشافه (١/ ٥٨).

(٣) نقله عنه مكي في الهداية (١/ ١١٣)، ونقله الطبري (١/ ١٧٦) عن ربيع.

(٤) الهداية لمكي (١/ ١١٢).

(٥) في الأصل: «أقوى»، وفي هامشه: «أقوم»، وعليها علامة تصحيح.

(٦) التيسير في القراءات السبع للداني (ص: ١٨)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٠٨).

(٧) قاله ابن مجاهد (ص: ١٠٨)، والذي في التيسير (ص: ١٩) أن قالون يضم الميم ويصلها بواو بخلاف عنه.

وكان عبد الله بن كثير يصل الميم بواو انضمت الهاء قبلها أو انكسرت فيقرأ: ﴿عليهمو﴾، و﴿قلوبهمو﴾، و﴿سمعهمو﴾، و﴿أبصارهمو﴾[١]، وقرأ ورش[٢] الهاء مكسورة والميم موقوفة، إلا أن تلقى الميم ألفاً أصلية فيُلْحِق في اللفظ واواً[٣] مثل قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ [البقرة: ٦].

وكان أبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، والكسائي، يكسرون ويسكنون الميم، فإذا لقي الميم حرف ساكن اختلفوا، فكان عاصم وابن كثير ونافع يَمضون على كسر الهاء وضم الميم، مثل قوله تعالى: ﴿عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [البقرة: ٦١]، ﴿مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ﴾ [القصص: ٢٣]، وما أشبه ذلك، وكان أبو عمرو يكسر الهاء والميم فيقول: ﴿عَلَيْهِمِ الذِّلَّةُ﴾، و﴿إِلَيْهِمِ اثْنَيْنِ﴾ [يسٓ: ١٤]، وما أشبه ذلك.

وكان الكسائي يضم الهاء والميم معاً، فيقرأ: ﴿عَلَيْهُمُ الذِّلَّةُ﴾ و﴿مِنْ دُونِهُمُ امْرَأَتَيْنِ﴾[٤].

قال أبو بكر أحمد بن موسى[٥]: وكل هذا الاختلاف في كسر الهاء وضمها إنما هو في الهاء التي قبلها كسرةٌ أو ياء ساكنة، فإذا جاوزت هذين لم يكن في الهاء إلا الضم، فإذا لم يكن قبل الميم هاء قبلها كسرة أو ياء ساكنة لم يجز في الميم إلا الضم والتسكين في مثل قوله تعالى: ﴿مِنكُمۡ﴾ و﴿أَنتُمۡ﴾[٦].

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٠٨).

(٢) هو ورش المقرئ، واسمه عثمان بن سعيد القبطي المصري المقرئ، إمام القراء، أصله من القيروان، وعداده في موالي آل الزبير بن العوام. ويقال له: الرآس، وشيخه نافع هو الذي لقبه بورش لشدة بياضه، توفي سنة (١٧٧هـ). تاريخ الإسلام (١٣/ ٤٣٦).

(٣) انظر قراءة ابن كثير ورواية ورش في السبعة لابن مجاهد (ص: ١٠٨)، والتيسير للداني (ص: ١٩).

(٤) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٠٩)، وبقي عليه ابن عامر وهو مثل الجمهور، وحمزة وهو مثل الكسائي.

(٥) هو أبو بكر أحمد بن موسى ابن مجاهد التميمي الحافظ الأستاذ شيخ الصنعة مؤلف السبعة (ت٣٢٤). غاية النهاية (١/ ٦١).

(٦) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٠٩).

وحكى صاحب «الدلائل» قال: «قرأ بعضهم: (عليهمو) بواو وضمتين، وبعضهم بضمتين وألغى [١] الواو، وبعضهم بكسرتين وألحق الياء، وبعضهم بكسرتين وألغى الياء، وبعضهم بكسر الهاء وضم الميم»، قال: «وذلك مروي عن الأئمة ورؤساء اللغة»[٢].

قال ابن جني[٣]: «حكى أحمد بن موسى: عليهمو وعليهمُ بضم الميم من غير إشباع إلى الواو، وعليهم بسكون الميم»، وقرأ الحسن وعمرو بن فائد: (عليهمي)، وقرئ (عليهمِ) بكسر الميم دون إشباع إلى الياء، وقرأ الأعرج[٤]: عليهمُ بكسر الهاء وضم الميم من غير إشباع[٥].

وهذه القراءاتُ كلُّها بضمِّ الهاء إلا الأخيرة، وبإزاء كل واحدة منها[٦] قراءة بكسر الهاء، فيجيء في الجميع عشر قراءات[٧].

وقوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

اختلف القرّاءُ في الرَّاء من ﴿غَيْرِ﴾:

---

(١) في أحمد٣ والسليمانية وجار الله وفيض الله في الموضعين: «وألقى».

(٢) هذا من القسم الذي لا يزال مفقودا من هذا الكتاب، وسيأتي توثيق هذه القراءات عند الثعلبي، وغيره.

(٣) هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي اللغوي، صاحب التصانيف، لزم أبا علي الفارسي حتى أحكم العربية، وصنف في حياته، وسكن بغداد وأقرأ بها الأدب، وخدم ملوك بني بويه، كعضد الدولة، وتوفى سنة (٣٩٢هـ). تاريخ الإسلام (٢٧/ ٢٧٠).

(٤) هو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج المدني، مولى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، سمع أبا هريرة، وأبا سعيد، وعدة، وعنه الزهري، وأبو الزناد، وخلق، وكان ثقة ثبتاً، يكتب المصاحف ويقرئ القرآن، توفي سنة (١١٧هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٤١٤).

(٥) المحتسب لابن جني (١/ ٤٤)، وهي قراءات شاذة.

(٦) في فيض الله: «منهما».

(٧) انظر تفصيلها في تفسير الثعلبي (١/ ١٢٢).

فقرأ نافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بخفض الرَّاءِ، وقرأ ابن كثير بالنصب، وروي عنه الخفض[١].

قال أبو علي: «الخفض على ضربين: على البدل، من ﴿ٱلَّذِينَ﴾، أو على الصفة للنكرة، كما تقول: «مررت برجل غيرك»، وإنما وقع هنا صفة لـلَّذِينَ؛ لأنَّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ هنا ليس بمقصود قصدهم، فالكلام بمنزلة قولك: «إنِّي لأمُرُّ بالرَّجلِ مثلِكَ فأُكرمه»[٢].

قال: والنصب في الرَّاء على ضربين: على الحال، كأنَّك قُلتَ: أنْعَمْتَ عليهم لا مغضوباً عليهم، أو على الاستثناء، كأنك قلت: إلا المغضوب عليهم، ويجوز النصب على «أعني» وحكي نحو هذا عن الخليل، ومما يحتج به لمن ينصب أن «غَيْر» نكرة، فكره أن يوصف بها المعرفة، والاختيار الذي لا خفاء به الكسر، وقد روي عن ابن كثير، فأولى [القولين][٣] ما لم يخرج عن إجماع قراء الأمصار»[٤].

قال أبو بكر بن السراج: «والذي عندي أن ﴿غَيۡرِ﴾ في هذا الموضع مع ما أضيف إليه معرفة، وهذا شيءٌ فيه نظرٌ ولبسٌ، فليفهم عني ما أقول: اعلم أنَّ حكمَ كلِّ مضافٍ إلى معرفةٍ أن يكون معرفةً، وإنما تنكرت «غير»، و«مثل» مع إضافتهما إلى المعارف من أجل معناهما، وذلك إذا قلت: «رأيت غيرك» فكل شيء سوى المخاطب فهو غيره، وكذلك إذا قلت: «رأيت مثلك» فما هو مثله لا يحصى لكثرة وجوه المماثلة، فإنما صارا نكرتين من أجل المعنى، فأمَّا إذا كان شيءٌ معرفةٌ له ضد / واحد، وأردت إثباته [٢٣]
ونفيَ ضده، وعلم ذلك السامع، فوصفته بـ«غير» وأضفت «غير» إلى ضده، فهو معرفة، وذلك كقولك: «عليك بالحركة غير السكون»، وكذلك قولك: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ﴾؛ لأنَّ

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١١٢)، والكسر هو المتواتر، والنصب ليس في شيء من طرق التيسير ولا النشر.

(٢) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١/ ١٤٢).

(٣) في المطبوع: القراءتين.

(٤) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١/ ١٤٢)، وانظر: معاني القرآن للزجاج (١/ ٥٣).

من أنعم عليه لا يعاقبه إلا من غضب عليه، ومن لم يغضب عليه فهو الذي أنعم عليه، فمتى كانت غير على هذه الصفة وقصد بها هذا المقصد فهي معرفة»(١).

قال القاضي أبو محمد: أبقى أبو بكر ﴿ٱلَّذِينَ﴾ على حدِّ التعريف، وجوَّز نعتها بـ﴿غَيْرِ﴾ لمَا بيَّنه من تعريف ﴿غَيْرِ﴾ في هذا الموضع، وغير أبي بكر وقف مع تنكر ﴿غَيْرِ﴾، وذهب إلى تقريب ﴿ٱلَّذِينَ﴾ من النكرة، إذ هو اسمٌ شائعٌ لا يختص به معيَّن، وعلى هذا جوَّز نعتها بالنكرة.

و﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: اليهود، و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾: النصارى، وهكذا قال ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، والسدي، وابن زيد(٢)، وروى ذلك عديُّ ابن حاتم(٣) عن رسول الله ﷺ(٤)، وذلك بين من كتاب الله تعالى؛ لأنَّ ذكر غضب الله على اليهود متكرر فيه كقوله: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١]، وكقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠]، فهؤلاء اليهود، بدلالة قوله

---

(١) نقله عنه الفارسي في الحجة (١/ ١٤٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ٨٠)، وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي العمري المدني، روى عن: أبيه، وصفوان بن سليم، وابن حازم، وعنه: ابن وهب، والقعنبي، وأبو مصعب، وهشام ابن عمار، وخلق، توفي سنة (١٨٢هـ). تاريخ الإسلام (١٢/ ٢٥٨).

(٣) هو أبو طريف عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي، أبوه حاتم الجواد المشهور، أسلم في سنة تسع، وكان نصرانياً قبل ذلك، وثبت على إسلامه في الردة، وشهد فتح العراق، ثم سكن الكوفة، وشهد صِفِّين مع علي، ومات بعد الستين. الإصابة (٤/ ٣٨٨).

(٤) غريبٌ يُحتمل: فقد أخرجه أحمد (٤/ ٣٧٨) والترمذيُّ ح (٢٩٥٣، ٢٩٥٤) وغيرهما من طرق عن سماك بن حرب عن عباد ابن حبيش عن عدي، قال الترمذي: «هذا حديثٌ حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب»، وفي سنده عباد بن حبيش، لم يذكر فيه جرح ولا تعديل، وقد ذكره ابن حبان في الثقات (٥/ ١٤٢)، لكن قال ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٤/ ٦٦٨): «وعباد ابن حبيش لا تعرف له حال، ولا يعرف روى عنه غير سماك بن حرب». وهذا التفسير أيده الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/ ١٥٩) بقوله: قال ابن أبي حاتم: لا أعلم بين المفسرين في ذلك اختلافاً، قال السهيلي: وشاهد ذلك قوله تعالى في اليهود: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ وفي النصارى: ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾. اهـ.

تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥].

والغضب عليهم هو من الله تعالى، وغضب الله تعالى عبارةٌ عن إظهاره عليهم محناً وعقوبات وذلة ونحو ذلك[١]، مما يدل على أنه قد أبعدهم عن رحمته بعداً مؤكداً مبالغاً فيه، والنصارى كان محققوهم على شرعةٍ قبل ورود شرع محمد ﷺ، فلما ورد ضلوا، وأما غير محققيهم فضلالُهم متقرِّر منذ تفرقت أقوالهم في عيسى عليه السلام، وقد قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

قال مكي رحمه الله حكاية: «دخلت (لَا) في قوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ لئلا يتوهم أن ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ عطف على ﴿ٱلَّذِينَ﴾»، قال: «وقيل: هي مؤكدة بمعنى: غير»[٢].

وحكى الطبري أن لا زائدة، وقال: «هي هنا على نحو ما هي عليه في قول الراجز:

وَمَا أَلُومُ الْبِيضَ ألا تَسْخَرا[٣] [الرجز]

أراد: أن تسخر، وفي قول الأحوص[٤]:

وَيَلْحَيْنَنِي فِي اللَّهْوِ أَنْ لا أُحِبَّه ... ولِلَّهْوِ دَاعٍ دَائِبٌ غَيْرُ غَافِلِ[٥] [الطويل]

وقال الطبري: «يريد: ويلحينني في اللهو أن أحبه»[٦].

---

(١) هذا تأويل لصفة الغضب تبعاً لطريقة المتأولين، والذي عليه السلف هو إثبات الصفات لله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه من غير تكييف ولا تعطيل.

(٢) الهداية لمكي (١/ ١١٣).

(٣) البيت لأبي النجم كما في مجاز القرآن (١/ ٢٦)، وتفسير الطبري (١/ ١٩٠)، والخصائص (٢/ ٢٨٣)، وحجة القراءات لأبي زرعة (١/ ٥٢٧).

(٤) هو الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، وعاصم جده هو حَمِيُّ الدبر، من الأنصار، شاعر مشهور، وكان الأحوص يرمى بشيء، وشكي إلى عمر بن عبد العزيز فنفاه إلى قرية من قرى اليمن، انظر ترجمته في الشعر والشعراء (١/ ٥٠٩).

(٥) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١/ ١٩٠)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٨)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٣٨).

(٦) تفسير الطبري (١/ ١٩١).

قال القاضي أبو محمد: وبيت الأحوص إنما معناه: إرادةَ أن لا أحبه فـ «لا» فيه متمكنة.

قال الطبري: «ومنه قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]»(١).

وإنما جاز أن تكون «لا» بمعنى الحذف، لأنها تقدمها الجحد في صدر الكلام، فسيق الكلام الآخر مناسباً للأول، كما قال الشاعر:

[البسيط] مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللهِ فِعْلَهُم وَالطَّيِّبَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلا عُمَرُ(٢)

وقرأ عمر بن الخطاب وأُبَيّ بن كعب: (غير المغضوب عليهم وغير الضالين)، وروي عنهما في الراء النصبُ والخفض في الحرفين(٣).

قال الطبري: «فإن قال قائل: أليس الضلال من صفة اليهود، كما أن النصارى عليهم غضب، فلمَ خص كل فريق بذكر شيء مفرد؟ قيل: هم كذلك، ولكن وسم الله لعباده كل فريق بما قد تكررت العبارة عنه، وفهم به أمره»(٤).

قال القاضي أبو محمد: وهذا غير شاف، والقول في ذلك: أن أفاعيل اليهود من [اعتدائهم](٥) وتعنتهم وكفرهم مع رؤيتهم الآيات، وقتلهم الأنبياء، أمور توجب الغضب في عُرفنا، فسمى تعالى ما أحل بهم غضباً، والنصارى لم يقع لهم شيء من ذلك، إنما ضلوا من أول كفرهم دون أن يقع منهم ما يوجب غضباً خاصّاً بأفاعيلهم، بل هو الذي يعم كل كافر وإن اجتهد، فلهذا تقررت العبارة عن الطائفتين بما ذكر.

---

(١) تفسير الطبري (١/ ١٩١).

(٢) البيت لجرير كما في معاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٦١)، وتفسير السمعاني (٥/ ١٠٣)، والكامل للمبرد (١/ ١١٩) وفيهما: «والعمران».

(٣) وهي قراءة شاذة، مخالفة للمصحف، انظر عزوها لعمر في المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٥٩)، والإبانة عن معاني القراءات (ص: ٥٤)، وله ولعلي في تفسير الثعلبي (١/ ١٢٣)، وانظر عزوها لأبي والكلام على الراء في البحر المحيط (١/ ٥١).

(٤) تفسير الطبري (١/ ١٩١).

(٥) وفي الحمزوية: «اعتراضهم».

وليس في العبارة بـ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ تعلق للقدرية في أنهم أضلوا أنفسهم؛ لأن هذا إنما هو كقولهم: تهدم الجدار، وتحركت الشجرة، والهادم والمحرك غيرهما، وكذلك النصارى خلق الله الضلال فيهم وضلوا هم بتكسبهم.

وقرأ أيوب السَّخْتياني[١]: (الضَّأْلِين) بهمزة غير ممدودة[٢]، كأنه فرَّ من التقاء الساكنين، وهي لغةٌ، حكى أبو زيد قال: «سمعت عمرو بن عبيد يقرأ: (فيومَئِذٍ لا يُسأَلُ عن ذنبِه إنسٌ ولاجَأْنٌّ)[٣]، فظننته قد لحن حتى سمعتُ من العرب: دأبة وشأبة»[٤]، قال أبو الفتح: «وعلى هذه اللغة قول كُثيِّر[٥]:

.... إِذَا مَـا العَوَالِي بالْعَبِيطِ احْمَأَرَّتِ[٦] [الطويل]

وقول الآخر:

ولَـلأَرْضُ أَمَّـا سُـودُهَا فتَجَلَّلَـتْ بَيَاضـاً وأَمَّـا بِيضُهَافادْهَأَمَّـتِ[٧]» [الطويل]

وأجمع الناس على أنَّ عدد آي سورة الحمد سبع آيات: ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ آية،

---

(١) أبو بكر، أيوب بن أبي تميمة كيسان البصري أحد الأعلام من نجباء الموالي، سمع أبا العالية وسعيد بن جبير والحسن البصري ومجاهدا وخلقا سواهم، وعنه الحمادان والسفيانان وخلائق، وقال شعبة: كان سيد الفقهاء، توفي سنة (١٣١هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٣٧٩).

(٢) المحتسب لابن جني (١/ ٤٦)، وهي قراءة شاذة.

(٣) سورة الرحمن (٣٩)، وسيأتي الكلام على هذه القراءة في محلها.

(٤) سر صناعة الإعراب (١/ ٨٧)، وانظر استشهاده بالبيتين في المحتسب (١/ ٤٧).

(٥) هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود، يكنى أبا صخر، وهو ابن أبي جمعة، ويعرف بكثير عزة، وكان شاعر أهل الحجاز في الإسلام لا يقدمون عليه أحداً، وكان مزهواً متكبراً وكان يتشيع، توفي سنة (١٠٥هـ). معجم الشعراء (ص: ٣٥٠).

(٦) عزاه له ابن جني في الخصائص (٣/ ١٢٦)، هكذا غير كامل، وأنشده له في المحكم والمحيط الأعظم (٧/ ٢١٦)، بلفظ: وأنت ـ ابنَ ليلى ـ خيرُ قومك مشهداً إذا ما احمأرت بالعبيط العوامل.

(٧) البيت لكثير أيضاً كما في المخصص (٣/ ١٠٥)، والفائق للزمخشري (٢/ ٤٠)، وسر الصناعة لابن جني (١/ ٨٨)، وانظر استشهاد ابن جني بالبيتين في المحتسب (١/ ٤٧).

﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ آية، ﴿ٱلدِّينِ﴾ آية، ﴿نَسْتَعِينُ﴾ آية، ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ آية، ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ آية.

وقد ذكرنا في تفسير ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ما ورد من خلاف ضعيف في ذلك[1].

[١/ ٢٤] / القول في آمين

روى أبو هريرة وغيره عن رسول الله ﷺ أنَّه قَالَ: «إذَا قَالَ الإمَامُ: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، فقُولُوا: آمِينَ. فإنَّ الْمَلَائِكَةَ فِي السَّمَاءِ تَقُولُ: آمِينَ، فمَنْ وَافَقَ [قَوْلُهُ][2] قَوْلَ المَلائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[3]، وروي أنَّ جبريل عليه السلام لما علم النبي عليه السلام فاتحة الكتاب وقت نزولها فقرأها قال له: «قُلْ آمِينَ»[4]، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «آمين خاتمة[5] رب العالمين، يختم [بها][6] دعاء عبده المؤمن»[7]، وروي أنَّ النَّبيَّ ﷺ سمع رجلًا يدعو فقال: «أَوْجَبَ إنْ خَتَمَ»، فقَالَ لَهُ رَجُلٌ: بأيِّ شَيْءٍ يَخْتِمُ يا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «بآمِينَ»[8].

---

(١) تقدَّم قريباً، وحاصله أن الجعفي يعدها ست آيات وعمرو بن عبيد ثماني آيات.

(٢) وفي الحمزوية: «تأمينه».

(٣) متفق عليه: فقد أخرجه البخاري ح (٧٨٠، ٤٤٧٥، ٦٤٠٢) ومسلم ح (٩٤٢).

(٤) مرسل: فقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ١٨٧) عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل مرفوعاً، وهذا مرسل، فعمرو ابن شرحبيل تابعي كما تقدم.

(٥) في المطبوع ونور العثمانية: «خاتم».

(٦) في السليمانية: به، وفي أحمد٣: «به على».

(٧) لم أجدْه منسوباً لعلي رضي الله عنه، لكن أخرجه الطبرانيُّ في كتاب الدعاء (ص: ٨٩) وابن عدي في الكامل (٦/ ٤٤٠) من حديث أبي هريرة مرفوعاً، وضعفه ابن عدي، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٤).

(٨) فيه جهالة، فقد أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٩/ ٣٢) وأبو داود (٩٣٨) وغيرهما من طريق: صُبيح بن محرز الحمصي عن أبي المصبِّح المَقْرائي قال: كنا نجلس إلى أبي زهير النميري وكان من أصحاب النبي ﷺ، فذكره مرفوعاً، وصبيح لم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقال الذهبي في الميزان (٢/ ٣٠٧): تفرد عنه محمد بن يوسف الفريابي.

ومعنى «آمين» عند أكثر أهل العلم: «اللهمَّ استجب، أو: أجب[(١)] يا رب»، ونحو هذا. قاله الحسن بن أبي الحسن وغيره، ونصَّ عليه أحمد بن يحيى ثعلب[(٢)] وغيره[(٣)].

وقال قوم: «هو اسم من أسماء الله تعالى»، روي ذلك عن جعفر بن محمد ومجاهد وهلال بن يساف[(٤)]،[(٥)].

وقد روي أن آمين اسم خاتم يطبع به كتب أهل الجنة التي تؤخذ بالأيمان[(٦)].

فمقتضى هذه الآثار أن كلَّ داعٍ ينبغي له في آخر دعائه أن يقول: «آمين» وكذلك كلُّ قارئ للحمد في غير صلاة، لكن [ليس بجهر الترتيل[(٧)]، وأمَّا في][(٨)] الصَّلاة، فقال بعض العلماء: «يقولها كلُّ مصلٍّ من إمامٍ وفذٍّ ومأموم قرأها أو سمعها»[(٩)].

---

(١) في أحمد٣: «أوجب».

(٢) هو أحمد بن يحيى بن يزيد، أبو العباس الشيباني مولاهم، النحوي، ثعلب شيخ العربية ببغداد وإمام الكوفيين في النحو، قال الخطيب وغيره: كان ثقة حجة ديناً صالحاً مشهوراً بالحفظ، له مؤلفات كثيرة توفي سنة (٢٩١هـ). تاريخ الإسلام ت تدمري (٢٢/ ٨٢).

(٣) قول الحسن نقله الزجاج في معاني القرآن (١/ ٣١)، والماوردي في النكت (٢/ ٤٨٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ١٧)، والراغب في المفردات (١/ ٢٦)، ومكي في الهداية (١/ ١١٥)، وقول ثعلب لم أجده لغير المؤلف.

(٤) هو هلال بن يساف أبو الحسن الأشجعي مولاهم الكوفي، من كبار التابعين، روى عن أبي الدرداء، وعن عائشة، وروى عنه: حصين بن عبد الرحمن، ومنصور، والأعمش، وآخرون، وثقه ابن معين وغيره. تاريخ الإسلام (٦/ ٤٩٤).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٤٢٦)، والثعلبي (١/ ١٢٥) عنهما وعن حكيم بن جابر ورواه عبد الرزاق (٢/ ٩٩) عن أبي هريرة وهلال، والرواية عن جعفر نقلها القرطبي (١/ ١٢٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ١٧).

(٦) لم نجده بهذا اللفظ، وقد سبق حديث أبي زهير النميري بنحوه.

(٧) وفي المطبوع: «التنـزيل».

(٨) ساقط من فيض الله.

(٩) انظر: الاستذكار (١/ ٤٧٤)، والمغني لابن قدامة (٢/ ٣٥٣).

وقال مالك في «المدونة»: «لا يقول الإمام: آمين، ولكن يقولها من خلفه ويُخْفون، ويقولها الفذ»[١]، وقد روي عن مالك رضي الله عنه: «أنَّ الإمامَ يقولها أسرّ أم جهر»[٢]، وروي عنه: «الإمام لا يؤمِّن في الجهر»[٣]، وقال ابن حبيب[٤]: «يؤمن»، وقال ابن بكير[٥]: «هو مخير»[٦].

قال القاضي أبو محمد: فهذا الخلاف إنما هو في الإمام، ولم يختلف في الفذ ولا في المأموم، إلا أن[٧] ابن نافع[٨] قال في كتاب ابن حارث[٩]: «لا يقولها المأموم إلا إن سمع الإمام يقول: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، وإذا كان ببُعْدٍ لا يسمعه فلا يقل»، وقال ابن

---

(١) المدونة (١/ ٧١).

(٢) الاستذكار (١/ ٤٧٥).

(٣) الذخيرة (٢/ ٢٢٢-٢٢٣).

(٤) هو: الفقيه المالكي؛ عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الأندلسي، المتوفى سنة (٢٣٨هـ)، ومؤلف كتاب: الواضحة في مذهب الإمام مالك، وغيرها من الكتب، انظر: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١/ ١٠٠) رقم الترجمة (٨١٦)، وترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (١/ ٢٤٩)، وما بعدها.

(٥) هو: صاحب الإمام مالك، الفقيه المحدث يحيى بن يحيى بن بُكَير بن عبد الرحمان، التميمي الحنظلي مولاهم، النيسابوري؛ المتوفى سنة (٢٢٦هـ). انظر: كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي (٩/ ١٩٧) الترجمة رقم: ٨٢٣، وترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (١/ ١٤٧-١٤٨).

(٦) انظر: نسبة هذه الأقوال لابن حبيب وابن بكير، في: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ١٣).

(٧) من السليمانية وأحمد٣ وفيض الله.

(٨) هو: صاحب الإمام مالك، الفقيه المحدث عبد الله بن نافع الصائغ، المخزومي مولاهم، المدني، المتوفى سنة (١٨٦هـ). انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي (٥/ ١٨٣)- الترجمة رقم: ٨٥٦، وترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (١/ ١٢٦-١٢٧).

(٩) هو الفقيه المالكي؛ محمد بن حارث بن إسماعيل الخشني الإفريقي ثم القرطبي، المتوفى سنة (٣٦١هـ)، ومؤلف كتاب: الاتفاق والاختلاف في مذهب مالك، وكتب: تاريخ علماء الأندلس، وتاريخ قضاة الأندلس، وغيرها من الكتب. ترتيب المدارك (١/ ٤٥٨).

عبدوس(١): «يتحرى قَدْرَ القراءة ويقول: آمين»(٢).

وهي لفظة مبنية على الفتح لالتقاء الساكنين، وكأن الفتح مع الياء أخف من سائر الحركات، ومن العرب من يقول: آمين، فيمده، ومنه قول الشاعر:

آمِيــنَ آمِيــنَ لا أَرْضَــىٰ بــوَاحِــدةٍ حَــتَّــى أُبَلِّــغَــهَا أَلْــفَيْــنِ آمِــيــنَا(٣) [البسيط]

ومن العرب من يقول: أمين بالقصر، ومنه قول الشاعر:

تباعــد منِّــي فُــطْــحُــلٌ إذْ رَأَيْــتــه أَمِيــنَ فــزادَ الله مــا بينَنَــا بُعْــداً(٤) [الطويل]

واختلف الناس في معنى قول النبي ﷺ: «فمَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ»:

فقيل: في الإجابة، وقيل: في خلوص النية، وقيل: في الوقت، والذي يترجّح أنَّ المعنى: فمن وافق في الوقت مع خلوص النية، والإقبالِ على الرغبة إلى الله تعالى بقلب سليم، والإجابة تتبع حينئذ؛ لأنّ مَن هذه حالُه فهو على الصراط المستقيم.

(١) هو الفقيه المالكي؛ محمد بن إبراهيم بن عبدوس بن بشير القيرواني، المتوفى سنة (٢٦٠هـ)، ومؤلف كتاب: المجموعة على مذهب الإمام مالك وأصحابه، وغيره من الكتب. انظر: ترتيب المدارك (١/ ٢٨٦).

(٢) انظر القولين الأخيرين في: البيان والتحصيل (١/ ٤٥٥)، وكتاب ابن حارث لم أقف عليه.

(٣) بلا نسبة في القرطبي (١/ ١٢٨)، واللباب (١/ ٢٢٩).

(٤) البيت لجبير بن الأضبط كما في تاج العروس (٣٠/ ١٨٢)، وهو بلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٥٤)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ١٣)، وإصلاح المنطق (ص: ١٣٥)، وفطحل ضبط بضمتين كهدهد، وبفتحتين كجعفر، وكتبت فطحل في أحمد٣: «فضحك»، وفي فيض الله وجار الله: «فحطل»، وفي المطبوع: «سألته»: بدل «رأيته»، وفي رواية: «تباعد مني فطحل وابن أمِّه».

تفسير سورة البقرة [بحول الله تعالى ومعونته][(١)]

هذه السورة مدنية، نزلت في مدد شتّى، وفيها آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ، وهي: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١][(٢)].

ويقال لسورة البقرة: «فسطاط القرآن»؛ وذلك لعظمها وبهائها وما تضمنت من الأحكام والمواعظ، وتعلَّمها عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ بفقهها وجميع ما تحتوي عليه من العلوم في ثمانية أعوام[(٣)]، وفيها خمس مئة حكم، وخمسة عشر مثلاً.

وروى الحسن بن أبي الحسن أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أيُّ الْقُرْآنِ أفْضَلُ؟» قالوا: اللهُ ورَسُولُهُ أعْلَمُ. قال: «سُورَةُ الْبَقَرَةِ» ثُمَّ قَالَ: «وأيُّهَا أفْضَلُ؟» قَالُوا: اللهُ ورَسُولُهُ أعْلَمُ، قَالَ: «آيَةُ الْكُرْسِيِّ»[(٤)].

ويقال: إن معاني[(٥)] آيات الرحمة والرجاء والعذاب تنتهي فيها معانيها إلى ثلاث مئة وستين معنى.

---

(١) ساقط من جار الله.

(٢) صحيح: علقه البخاري بصيغة الجزم في باب: موكل الربا، وراجع حديث (٤٥٤٤) مع التبويب، وقد رواه النسائي في الكبرى (٦/ ٣٠٧) من حديث يزيد النحوي، عن عكرمة، عن عبد الله بن عباس، وإسناده صحيح.

(٣) الموطأ (١/ ٢٠٥).

(٤) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (١٧٤).

(٥) من جار الله وأحمد٣ والسليمانية.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «أُعْطِيتُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ مِنَ الذِّكْرِ الْأَوَّلِ، وأُعْطِيتُ طه والطَّوَاسِينَ مِنْ أَلْوَاحِ مُوسَى، وأُعْطِيتُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وخَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ»[(١)].

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أَنَّه قَالَ: «تَجِيءُ الْبَقَرَةُ وَآلُ عِمْرَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهما غَيَايَتَانِ بَيْنَهُمَا شَرَفٌ[(٢)]، أَوْ غَمَامَتَانِ سَوْدَاوَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا ظُلَّةٌ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُجَادِلَانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا»[(٣)].

وفي البخاري أنه عليه السلام قال: «مَنْ قَرَأَ بالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»[(٤)].

وروى أبو هريرة عنه ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْبَيْتُ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ لَا يَدْخُلُهُ الشَّيْطَانُ»[(٥)].

وروي عنه عليه السلام أَنَّه قَالَ: «لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامٌ، وسَنَامُ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، فِيهَا آيَةٌ هِيَ سَيِّدَةُ آيِ[(٦)] الْقُرْآنِ هِي آيَةُ الْكُرْسِيِّ»[(٧)].

وعدد آي سورة البقر مئتان وخمس وثمانون آية، وقيل: وست وثمانون، وقيل وسبع وثمانون.

---

(١) ضعيف جدّاً: هذا الحديث أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٢٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٥٧) وغيرهما، من حديث معقل بن يسار مرفوعاً، وفي إسناده: عبيد الله بن أبي حميد، وقد أجمعوا على ضعفه.

(٢) في المطبوع ونور العثمانية وجار الله والسليمانية وأحمد٣: «شرق».

(٣) صحيح: هذا الحديث أخرجه مسلم (٨٠٥) من حديث النَّواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه: هذا الحديث أخرجه البخاري (٥٠٠٩) ومسلم (٨٠٧) من حديث أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٨٧٧) وقال: حسن صحيح، وأخرجه مسلم (٧٨٠) بلفظ «لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة».

(٦) من أحمد٣ والسليمانية.

(٧) ضعيف: هذا الحديث أخرجه الترمذي (٢٨٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير، وقد تكلَّم شعبةُ في حكيم بن جبير وضعفه.

قوله عز وجل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣﴾.

[٢٥] قوله عزَّ وجلّ/ : ﴿الٓمٓ﴾ اختلف في الحروف التي في أوائل السور على قولين:

قال الشَّعبي عامر بن شراحيل، وسفيان الثوري[(١)]، وجماعة من المحدثين: «هي سرُّ الله في القرآن»[(٢)]، وهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه، ولا يجب أن يُتكلم فيها، ولكن يؤمَن بها وتُمَرُّ كما جاءت.

وقال الجمهور من العلماء: «بل يجب أن يُتكلم فيها وتُلتمس الفوائد التي تحتها والمعاني التي تتخرج عليها»، واختلفوا في ذلك على اثني عشر قولاً:

فقال علي بن أبي طالب وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «الحروف المقطعة في القرآن هي اسم الله الأعظم، إلا أنا لا نعرف تأليفه منها»[(٣)].

وقال ابن عباس أيضاً: «هي أسماء الله أقسم بها»[(٤)].

وقال زيد بن أسلم[(٥)]: «هي أسماء للسور»[(٦)].

---

(١) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري من ثور مضر، الكوفي، الفقيه شيخ الإسلام، وسيد أهل زمانه علماً وعملاً، صار إماماً منظوراً إليه وهو شاب، يقال: إنه أخذ عن ست مئة شيخ، وروى عنه خلق توفي سنة (١٦١هـ). تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٢٤).

(٢) نقله عنهم تفسير القرطبي (١/ ١٥٤)، وزاد المسير في علم التفسير (١/ ٢٠) عن بعضهم.

(٣) ضعيف: قول ابن عباس أخرجه الطبري (١/ ٢٠٦) عن السدي قال: قال ابن عباس، بدون قوله: إلا أنا لا نعرف تأليفه منها، والسدي ليس بعمدة ولم يصرح بالسماع.

(٤) منقطع: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٢٠٧) من طريق: علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٥) هو أبو عبد الله زيد بن أسلم العدوي المدني مولى عمر رضي الله عنه، روى عن ابن عمر وجابر وطائفة، وعنه بنوه: أسامة وعبد الرحمن وعبد الله، ومالك وخلق، كان ثقة من أهل الفقه عالماً بالتفسير له فيه كتاب، توفي سنة (١٣٠هـ) تاريخ الإسلام (٨/ ٤٢٨).

(٦) نقله ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٢١) عن زيد بن أسلم وابنه وآخرين، والثعلبي (١/ ١٣٦) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وقال قتادة: «هي أسماء للقرآن كالفرقان والذكر»[(١)].

وقال مجاهد: «هي فواتح للسور»[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: كما يقولون في أول الإنشاد لشهير القصائد: بل، و: لا بل، نحا هذا النحو أبو عبيدة والأخفش[(٣)].

وقال قوم: «هي حساب أبي جاد لتدل على مدة ملة محمد ﷺ كما ورد في حديث حيي بن أخطب»[(٤)]، وهو قول أبي العالية رفيع وغيره[(٥)].

وقال قطرب[(٦)] وغيره: «هي إشارة إلى حروف المعجم، كأنه يقول للعرب: إنما تحديتكم [بنظم][(٧)] من هذه الحروف التي عرفتم، فقوله: ﴿الٓمٓ﴾ بمنزلة قولك: (أ، ب، ت، ث)، لتدل بها على التسعة والعشرين حرفاً»[(٨)].

وقال قوم: «هي أمارة قد كان الله تعالى جعلها لأهل الكتاب أنه سينزل على محمد كتاباً في أول سور منه حروف مقطعة».

---

(١) رواه الطبري (١/ ٢٠٤) عن قتادة وابن جريج.

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٠٦).

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٨)، ومعاني القرآن للأخفش الأوسط (ص: ٢١).

(٤) هو والد أم المؤمنين صفية رضي الله عنها، وكان زعيم بني النضير، شديد العداوة لرسول الله ﷺ، وهو الذي حمل بني قريظة على نقض العهد، فقتل معهم في غزوة بني قريظة. انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٠).

(٥) قال الطبري في تفسيره (١/ ٨٨): «وقال بعضهم: هي حروف من حساب الجمل كرهنا ذكر الذي حكي ذلك عنه إذ كان الذي رواه ممن لا يعتمد على روايته، وقد مضت الرواية بنظير ذلك من القول عن الربيع بن أنس»، وأورده البغوي في تفسيره (١/ ٢٧٩).

(٦) هو محمد بن المستنير أبو عليّ المعروف بقطرب، أحد العلماء المشهورين بالنحو واللغة، أخذ عن سيبويه وعن جماعة من البصريين، ويقال: إن سيبويه لقّبه قطربا لمباكرته له في الأسحار، وكان موثّقاً فيما يمليه. ومات فى سنة (٢٠٦هـ). إنباه الرواة (٣/ ٢١٩).

(٧) وفي الحمزوية: «بقطع».

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٦٢).

وقال ابن عباس: «هي حروف تدلُّ على: أنا الله أعلم، أنا الله أرى، أنا الله [أفصِّل][(١)]»[(٢)].

وقال ابن جبير عن ابن عباس: «هي حروف كلٌّ واحد منها إمَّا أن يكون من اسم من أسماء الله، وإمَّا من نعمة من نعمه، وإمَّا من اسم ملك من ملائكته، أو نبي من أنبيائه»[(٣)].

وقال قومٌ: «هي تنبيه كـ«يا» في النداء».

وقال قوم: «روي أنَّ المشركين لما أعرضوا عن سماع القرآن بمكة نزلت؛ ليستغربوها فيفتحوا لها أسماعهم، فيسمعون القرآن بعدها فتجب عليهم الحجة».

والصواب ما قاله الجمهور: أنْ تفسَّر هذه الحروف ويلتمس لها مخارج[(٤)] التأويل، لأنا نجد العرب قد تكلمت بالحروف المقطعة نظماً لها ووضعاً بدل الكلمات التي الحروف منها، كقول الشاعر:

قُلْنَا لهَا قِفي فقَالتْ قَاف[(٥)] .... [الرجز]

أراد: قالت: وقفتُ، وكقول القائل:

بالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإنْ شرّاً فا وَلا أُرِيدُ الشَّرَّ إلَّا أنْ تَا[(٦)] [الرجز]

---

(١) وفي الحمزوية: «أفعل»، وفي جار الله: «أفضل».
(٢) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٢٠٨) من طريق: شريك، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضُّحَى، عن ابن عباس، بلفظ: «ألم» قال: أنا الله أعلم، وسماع شريك من عطاء بعد الاختلاط.
(٣) لم أقف عليه مسنداً.
(٤) من جار الله.
(٥) في أحمد٣ والسليمانية: «فقلت»، والبيت في معاني القرآن للفراء (٣/ ٧٥)، والصاحبي (١/ ٢٨)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٤٨٨)، بلا نسبة، ونسب للوليد بن عقبة بن أبي معيط من أبيات في شرح شافية ابن الحاجب (٤/ ٢٧١) نقلاً عن الأغاني، والقصة والأبيات في الأغاني (٥/ ١٤٣) إلا البيت المستشهد به، الذي يبدو أنه يختلف معها عروضيّاً، والله أعلم.
(٦) الرجز لزهير بن أبي سلمى في تفسير القرطبي (١/ ١٥٥)، ولنعيم بن أوس في العمدة لابن رشيق (١/ ٣١٠)، وفي شرح شواهد الشافية (٤/ ٢٧١): لقيم بن أوس، وبلا نسبة في الكامل (٢/ ١٧)، وسر صناعة الإعراب (١/ ٩٧)، وكتاب سيبويه (٣/ ٣٢١).

أراد: وإن شرّاً فشرٌّ، وأراد: إلا أن تشاء، والشواهد في هذا كثيرة، فليس كونها في القرآن مما تنكره العرب في لغتها، فينبغي إذا كان من معهود كلام العرب أن يطلب تأويله ويُلتمس وجهه، والوقف على هذه الحروف على السكون لنقصانها، إلا إذا أخبرتَ عنها أو عطفتها فإنك تعربها.

وموضع ﴿الٓمٓ﴾ من الإعراب رفعٌ على أنه خبر ابتداء مضمر، أو على أنه ابتداء، أو نصب بإضمار فعل، أو خفض بالقسم، وهذا الإعراب يتجه الرفع منه في بعض الأقوال المتقدمة في الحروف، والنصب في بعض، [والخفض في][1] قول ابن عباس رضي الله عنه أنها أسماء لله أقسم بها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾: الاسم من ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذال والألف، وقيل: الذال وحدها والألف تقويةٌ، واللام لبعد المشار إليه وللتأكيد والكاف للخطاب، وموضع ﴿ذَٰلِكَ﴾ رفع كأنه خبر ابتداء، أو ابتداءٌ وخبرُه بعده.

واختلف في ﴿ذَٰلِكَ﴾ هنا:

فقيل: «هو بمعنى هذا»، وتكون الإشارة إلى هذه الحروف من القرآن[2]، وذلك أنه قد يشار بـ«ذلك» إلى حاضر تعلق به بعض الغيبة وبـ«هذا» إلى غائب هو من الثبوت والحضور بمنزلةٍ وقُربٍ، وقيل: هو على بابه إشارة إلى غائب.

واختلف في ذلك الغائب:

فقيل: «ما قد كان نزل من القرآن»، وقيل: «التوراة والإنجيل»، وقيل: «اللوح المحفوظ؛ أي: الكتاب الذي هو القدر»، وقيل: «إن الله قد كان وعد نبيه أن ينزل عليه كتاباً لا يمحوه الماء»[3]، فأشار إلى ذلك الوعد.

---

(١) ساقط من جار الله.

(٢) حكاه مكي في الهداية (١/ ١٢٤) عن أكثر أهل التفسير، والطبري (١/ ٢٢٥) عن عامّة المفسرين.

(٣) يشير إلى الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه (٢٨٦٥) بإسناده عن عياض بن حمار المجاشعي: =

وقال الكسائي: «﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى القرآن الذي في السماء لم ينزل بعد»[(١)]، وقيل: «إن الله قد كان وعد أهل الكتاب أن ينزل على محمد كتاباً، فالإشارة إلى ذلك الوعد»، وقيل: «إن الإشارة إلى حروف المعجم في قول من قال: ﴿الٓمٓ﴾ حروف المعجم التي تحديتكم بالنظم منها».

ولفظ ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ مأخوذ من: كتبتُ الشيء، إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض ككتب الخرز بضم الكاف وفتح التاء وكتب الناقة.

ورفع ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ يتوجه على البدل، أو على خبر الابتداء، أو على عطف البيان.

و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ معناه: لا شكَّ فيه ولا ارتياب به، والمعنى: أنه في ذاته لا ريب فيه وإن وقع ريبٌ للكفار.

وقال [قوم][(٢)]: «لفظ قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لفظ الخبر ومعناه النهي».

وقال قوم: «هو عمومٌ يراد به الخصوص»؛ أي: عند المؤمنين، وهذا ضعيفٌ.

وقرأ الزهري وابن محيصن[(٣)] ومسلم بن جندب[(٤)] وعبيد بن عمير[(٥)]:(فيهُ)

= أنَّ رسول الله ﷺ قال في خطبته «ألَا إنَّ ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا»... وفيه: «وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان».

(١) معاني القرآن للكسائي (١/ ٦١).

(٢) سقطت من أحمد٣.

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مولاهم المكي، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، ثقة، روى له مسلم، وكان نحويّاً، عالماً بالعربية قويّاً عليها، وله اختيار في القراءة خرج به عن إجماع أهل بلده، فتركه الناس، مات سنة (١٢٣هـ). غاية النهاية (٢/ ١٦٧).

(٤) هو مسلم بن جندب الهذلي أبو عبد الله قاص أهل المدينة وقارئهم، قرأ على عبد الله بن عياش القارئ، وابن عمر، وروى عن أبي هريرة، وقرأ عليه القرآن نافع، وحدث عنه: ابنه عبد الله وزيد بن أسلم وغيرهما، توفي سنة (١٠٦هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٢٥٦).

(٥) هو أبو عاصم عبيد بن عمير ابن قتادة الليثي المكي الواعظ المفسر ولد في حياة النبي ﷺ، وروى عن: عمر، وعلي، وأبي، وعنه: ابنه عبد الله، وعطاء بن أبي رباح، وطائفة، وكان ثقة إماماً، توفي سنة ٦٤هـ تاريخ الإسلام (٥/ ٤٨٠).

بضم الهاء، وكذلك: (إليهُ)، و(عليهُ)، و(بهُ)، و(نُصْلِهُ)، و(نُوَلِّهُ)، وما أشبه ذلك حيث وقع على الأصل[١]، وقرأ ابن أبي إسحاق[٢]: (فيهُو) ضم الهاء ووصلها بواو[٣].

[٢٦] و﴿هُدًى﴾ معناه: رشاد وبيان، وموضعه من/ الإعراب رفع على أنه خبر ﴿ذَٰلِكَ﴾، أو خبرُ ابتداء مضمرٍ، أو ابتداءٌ وخبره في المجرور قبله، ويصح أن يكون موضعه نصباً على الحال من ﴿ذَٰلِكَ﴾، أو من ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾، ويكون العامل فيه معنى الإشارة، أو من الضمير في ﴿فِيهِ﴾، والعامل فيه معنى الاستقرار[٤]، وفي هذا القول ضعفٌ.

وقوله: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ اللفظ مأخوذ من وقى، وفعله: اتَّقى، على وزن افتعل، وأصله: للمُوْتقيين، استثقلت الكسرة على الياء فسُكِّنت وحذفت للالتقاء، وأبدلت الواو تاء على أصلهم في اجتماع الواو والتاء، وأدغمت التاء في التاء فصار: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

والمعنى: الذين يتقون الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب معاصيه، كان ذلك وقاية بينهم وبين عذاب الله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٤﴾﴾.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ معناه: يصدِّقون، ويتعدى بالباء، وقد يتعدى باللام كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣]، وكما قال: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ﴾ [يونس: ٨٣]،

---

(١) انظر عزوها لمسلم بن جندب في مختصر الشواذ (ص١٠)، ولعبيد والزهري وطلحة في الشواذ للكرماني (ص٤٧، ٤٨)، ولابن محيصن في إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٦٧)، وللكل في البحر المحيط في التفسير (١/ ٦٢).

(٢) في المطبوع: ابن إسحاق، وكذا في الأصل، وكأن لفظ أبي ملحقة فوقه غير واضحة، وهو عبد الله ابن أبي إسحاق زيد بن الحارث الحضرمي البصري، مولى لهم، أحد الأئمة في القراءة والنحو، أخذ القرآن عن: يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم، وروى عنه: حفيده يعقوب الحضرمي، وغيره، ذكره ابن حبان في الثقات، توفي بالبصرة، سنة (١١٧هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٣٩٧).

(٣) انظر: البحر المحيط (١/ ٦٣)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص٤٧، ٤٨)، لمسلم بن جندب، وهي قراءة شاذة.

(٤) انظر: مشكل الإعراب لمكي القيسي (١/ ٧٤).

وبين التعديتين فرق، وذلك أن التعدية باللام في ضمنها تعدّ بالباء يُفهم من المعنى.

واختلف القراء في همز ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾:

فكان [ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة(١) والكسائي](٢) يهمزون ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ وما أشبهه مثل: ﴿يَأۡكُلُونَ﴾، و﴿يَأۡمُرُونَ﴾، و﴿يُؤۡتُونَ﴾ وكذلك(٣) [مع تحرك الهمزة مثل: ﴿يُؤَخِّرۡكُمۡ﴾، و﴿يُؤَدِّهِۦٓ﴾ إلا أن حمزة كان يستحب ترك](٤) الهمز إذا وقف والباقون يقفون بالهمز(٥)، وروى ورش عن نافع ترك الهمز في [جميع ذلك](٦)، وقد روي عن عاصم أنه لم يكن يهمز الهمزة الساكنة، وكان أبو عمرو إذا أدرج القراءة أو قرأ في الصلاة لم يهمز كل همزة ساكنة، إلا أنه كان يهمز حروفاً من السواكن بأعيانها ستذكر في مواضعها إن شاء الله، وإذا كان سكون الهمزة علامة للجزم لم يترك همزها مثل: ﴿ننسأها﴾، ﴿وَهَيِّئۡ لَنَا﴾ وما أشبهه(٧).

وقوله: ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾ قالت طائفة: معناه: [يصدِّقون إذا غابوا وخلوا، لا كالمنافقين الذين يؤمنون إذا حضروا ويكفرون إذا غابوا، وقال آخرون: «معناه:](٨) يصدقون بما غاب عنهم مما أخبرت به الشرائع».

---

(١) ساقط من فيض الله.

(٢) في أحمد٣ بدلا منه: «ما عدى السوسي وورش».

(٣) في جار الله: «ذلك».

(٤) ساقط من فيض الله.

(٥) انظر: التيسير في القراءات السبع (١/ ٢٩).

(٦) ساقط من فيض الله.

(٧) انظر: السبعة في القراءات (ص: ١٣٢) وحاصل المقروء به: أنَّ ورشاً عن نافع يقرأ بإبدال الهمزة الواقعة فاء إذا سكنت مدّاً، وإذا انفتحت بعد ضم متصل واواً، واستثنى من الأول مادة الإيواء، وأمَّا أبو عمرو من رواية السوسي فأبدل الهمزة الساكنة مطلقاً فاء أو عيناً أو لاماً، إلا كلمات مخصوصة، وأمَّا حمزة فإنه يغيرها في الوقف خاصة ووافقه هشام في المتطرفة، وأمَّا سائر السبعة فلم يثبت عنهم من طرق الشاطبية من ذلك شيء عام إلا أن يكون كلمات مخصوصة. انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ٣٦).

(٨) ساقط من جار الله.

واختلفت عبارة المفسرين في تمثيل ذلك:

فقالت فرقة: «الغيب في هذه الآية [الله عزَّ وجلَّ»، وقال آخرون:][(١)] «القضاء والقدر»، وقال آخرون: «القرآن وما فيه من الغيوب»، وقال آخرون: «الحشر والصراط والميزان والجنة والنار»[(٢)].

وهذه الأقوال لا تتعارض، بل يقع الغيب على جميعها، والغيب في اللغة: ما غاب عنك من أمر، ومن مطمئن الأرض الذي يغيب فيه داخله.

وقوله: ﴿يُقِيمُونَ﴾ معناه: يظهرونها ويثْبتونها، كما يقال: أقيمت السوق، وهذا تشبيه بالقيام من حالة خفاء، قعود أو غيره، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] وَإِذَا يُقَالُ أَتَيْتُمُ لَمْ يَبْرَحُوا حَتَّى تُقِيمَ الخَيْلُ سُوقَ طِعَانِ[(٣)]

ومنه قول الشاعر:

[المتقارب] أَقَمْنَا لأَهْلِ الْعِرَاقَيْنِ سُوقَ الضْـ ـضِرَاب فَخَامُوا وَوَلَّوْا جَمِيعَا[(٤)]

وأصل ﴿يُقِيمُونَ﴾: يُقْوِمُونَ، نقلت حركة الواو إلى القاف فانقلبت ياء لكون الكسرة قبلها.

---

(١) ساقط من جار الله.

(٢) نسب ابن أبي حاتم (١/ ٣٦) الأول لعطاء، والثاني لزيد بن أسلم، والثالث لزر، والرابع لأبي العالية والسدي، ونسب الطبري (١/ ٢٣٦) الرابع لابن أبي عروبة والربيع.

(٣) البيت لمرار الفعقسي من بني أسد كما في أمالي القالي (١/ ٦٦).

(٤) هكذا جاء البيت في الطبري (١/ ٢٤١)، بلا نسبة، وجاء في العشرات لغلام ثعلب (ص: ٩٠): أَقَامَت غزالة سوق الضراب * لأهل العراقين شهراً قميطاً، منسوباً لأيمن بن خريم، ومثله في المحكم والمحيط الأعظم (٥/ ٤٤٦)، وأنساب الأشراف للبلاذري (٨/ ٣٧)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة (٢/ ٩٢٣)، وخاموا: جبنوا، وفي المطبوع: «الضراب» «فخاسوا»، وفي فيض الله وجار الله: «سوق الطعان»، وفي أحمد٣ والسليمانية: «سوق الطعان فخافوا».

والصلاة مأخوذة من صلَّى يصلي إذا دعا، كما قال الشاعر:

عليكِ مثلُ الذي صَلّيتِ فاغْتمضي   يَوْماً فإنّ لِجَنْبِ المرْءِ مُضْطَجَعَا(١) [البسيط]

ومنه قول الآخر:

لَهَا حَارِسٌ لا يَبْرَحُ الدَّهْرَ بَيْتَهَا   وإنْ ذُبِحَتْ صَلَّى عَلَيْهَا وزَمْزَمَا(٢) [الطويل]

فلما كانت الصلاة في الشرع دعاءً انضاف إليه هيئاتٌ وقراءة سمي جميع ذلك باسم الدعاء. وقال قوم: «هي مأخوذة من الصّلا، وهو عِرْقٌ في وسط الظهر ويفترق عند العَجْب فيكتنفه»(٣)، ومنه أُخذ المصلِّي في سبق الخيل؛ لأنه يأتي مع(٤) صَلَوَي السابق، فاشتقّت الصلاة منه، إما لأنها جاءت ثانية للإيمان فشبهت بالمصلّي من الخيل، وإمَّا لأن الراكع والساجد تنثني صَلَواه، والقول إنها من الدعاء أحسن.

وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ كتبت «مما» متصلة(٥)، و«ما» بمعنى الذي فحقُّها أن تكون منفصلة، [إلا أن](٦) الجار والمجرور كشيء واحد، وأيضاً فلما خفيت نون «مِنْ» في اللفظ حذفت في الخط.

والرزق عند أهل السنة: ما صحَّ الانتفاع به حلالاً كان أو حراماً، بخلاف قول المعتزلة: إن الحرام ليس برزق(٧).

---

(١) البيت للأعشى كما في مجاز القرآن (١/ ٦٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٣١)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢١٨)، والمحبر (ص: ٣٢١)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٨)، وغيرها، وفي المطبوع والسليمانية: «نوماً»، وفي رواية: «جفناً».

(٢) البيت للأعشى كما في الطبري (١/ ٢٤٢)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٤٥)، والزمزمة: الصوت البعيد.

(٣) انظر: الجمهرة لابن دريد (٢/ ١٠٧٧).

(٤) في جار الله: «موضع».

(٥) انظر: المقنع للداني: (ص: ٧٤).

(٦) في نور العثمانية: «لأن».

(٧) سيأتي رد هذا القول للمؤلف عند تفسير الآية (٨٧) من المائدة.

و﴿يُنفِقُونَ﴾ معناه هنا: يؤتون ما ألزمهم الشرع من زكاة وما ندبهم إليه من غير ذلك.

قال ابن عباس: «﴿يُنفِقُونَ﴾: يؤتون الزكاة احتساباً لها»(١)، قال غيره: «الآية في النفقة في الجهاد»، قال الضحاك: «هي نفقة كانوا يتقربون بها إلى الله عزَّ وجلَّ على قدر يُسْرهم»(٢)، قال ابن مسعود وابن عباس أيضاً: «هي نفقة الرجل على أهله»(٣)، والآية تعمُّ الجميع، [وهذه الأقوال](٤) تمثيل لا خلاف.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾.

اختلف المتأولون فيمن المراد بهذه الآية وبالتي قبلها:

فقال قوم: «الآيتان جميعاً في جميع المؤمنين»، وقال آخرون: «هما في مؤمني أهل الكتاب»، [وقال آخرون: «الآية الأولى في مؤمني العرب، والثانية في / مؤمني [٢٧]
أهل الكتاب](٥)، كعبد الله بن سلام(٦)، وفيه نزلت»(٧).

فمن جعل الآيتين في صنف واحد فإعراب ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ خفض على العطف، ويصح أن يكون رفعاً على الاستئناف؛ أي: وهم الذين، ومن جعل الآيتين في صنفين، فإعراب ﴿ٱلَّذِينَ﴾ رفع على الابتداء، وخبره: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾ [ويحتمل الخفض عطفاً](٨).

وقوله: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني: القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ يعني: الكتب السالفة.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٣٨).
(٢) رواه عنه ابن أبي حاتم (١/ ٣٧)، والطبري (١/ ٢٤٣).
(٣) رواه الطبري (١/ ١٠٤).
(٤) في أحمد٣: «وهذا».
(٥) ساقط من السليمانية.
(٦) عبد الله بن سلام صحابي مشهور كان يهوديّاً وأسلم رضي الله عنه.
(٧) انظر: تفسير الطبري (١/ ٢٣٧).
(٨) من جار الله وفيض الله وأحمد٣ والسليمانية، وفي الحمزوية: «ويحتمل أن يكون عطفاً».

وقرأ أبو حيوة ويزيد بن قطيب[١]: (بِما أنزَل)... (وَما أنزَل) بفتح الهمزة فيهما خاصة[٢].

الفعل على هذا يحتمل أن يستند إلى الله تعالى، ويحتمل إلى جبريل، والأول أظهر وألزم. ﴿وَبِٱلْأَخِرَةِ﴾ قيل: معناه بالدار الآخرة، وقيل: بالنشأة الآخرة.

و﴿يُوقِنُونَ﴾ معناه: يعلمون علماً متمكناً في نفوسهم. واليقين أعلى درجات العلم، وهو الذي لا يمكن أن يدخله شك بوجه، وقول مالك رحمه الله: «فيحلف على يقينه ثم يخرج الأمر على خلاف ذلك»[٣] تجوّز منه في العبارة على عرف تجوّز العرب، ولم يقصد تحرير الكلام في اليقين.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَتِٰٓكَ﴾ إشارة إلى المذكورين، وأولاء جمع ذا، وهو مبني على الكسر؛ لأنه ضعف ـ لإبهامه ـ عن قوة الأسماء، وكان أصل البناء السكون فحرك لالتقاء الساكنين، والكاف للخطاب.

و«الهدى» هنا الإرشاد.

﴿وَأُوْلَتِٰٓكَ﴾ الثاني ابتداء، و﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ خبره، و﴿هُمُ﴾ فصل؛ لأنه وقع بين معرفتين ويصح أن يكون ﴿هُمُ﴾ ابتداء، و﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ خبره، والجملة خبر ﴿أُوْلَتِٰٓكَ﴾، والفلاح[٤]: الظفر بالبغية وإدراك الأمل، ومنه قول لبيد:

اعْـقِـلِي إنْ كُـنْـتِ لَـمَّـا تَعْقِلِي ... وَلَقَـدْ أفْلَـحَ مَـنْ كَانَ عَقَـلْ[٥] [الرمل]

---

(١) هو يزيد بن قطيب السَّكوني الشامي، ثقة، له اختيار في القراءة ينسب إليه، روى القراءة عن أبي بحرية صاحب معاذ بن جبل، وروى القراءة عنه أبو البرهسم عمران بن عثمان الحمصي، وعنه صفوان بن عمرو ويحيى بن عبيد وغيرهم. غاية النهاية (٢/ ٣٨٢).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها ليزيد في الكشاف للزمخشري (١/ ٤٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٨)، ولهما في البحر المحيط (١/ ٧٠).

(٣) انظر قريباً من هذه العبارة له في المدونة (١/ ٥٧٨).

(٤) في المطبوع: والفلح.

(٥) البيت للبيد بن ربيعة كما في تفسير الطبري (١/ ٢٥٠)، وجمهرة الأمثال (١/ ٥٧)، ومجاز القرآن (١/ ٣١)، ومسائل نافع بن الأزرق (ص: ٥٠)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٣٨).

وقد وردت للعرب أشعار فيها الفلاح بمعنى البقاء، كقوله:

[الطويل] .... وَنَرْجُو الْفَلَاحَ بَعْدَ عَادٍ وَحِمْيَرِ (١)

وقول الأضبط:

[المنسرح] لِكُلِّ هَمٍّ مِنَ الْهُمُومِ سَعَهْ والمُسْيُ وَالصُّبْحُ لا فَلاحَ مَعَهْ(٢)

والبقاء يعمُّه إدراك الأمل والظفر بالبغية، إذ هو رأس ذلك وملاكه، وحكى الخليل الفلاح على المعنيين(٣).

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾.

معنى الكفر: مأخوذ من قولهم: كفر، إذا غطى وستر، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] .... فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا(٤)

أي: سترها، ومنه سمي الليل كافراً لأنه يغطي كل شيء بسواده، قال الشاعر:

[الكامل] فَتَذَكَّرَا ثَقَلا رَثِيداً بَعْدَ مَا أَلْقَتْ ذُكاءُ يَمِينَهَا فِي كافِرِ(٥)

---

(١) هو أيضاً للبيد كما في تفسير الطبري (١/ ٢٥٠)، ومجاز القرآن (٢٩)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٠٦)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢١)، والفاخر (ص: ١٦٤)، وصدره: نحل بلاداً كلها حل قبلنا.

(٢) البيت للأضبط بن قريع في الأغاني (١٨/ ١٣٢)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٣٨)، وتهذيب اللغة (٥/ ٤٧)، والبيان والتبيين (٣/ ٢٢٣)، وأمالي القالي (١/ ١٠٧).

(٣) العين (٣/ ٢٣٣).

(٤) وصدره: يعلو طريقةَ متنها متواتراً، وهو للبيد بن ربيعة كما في جمهرة اللغة (٢/ ٧٨٧)، وتفسير الطبري (١/ ٢٥٥)، والجيم (٣/ ١٦٨)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢٥٤)، والمعاني الكبير (٢/ ٧١٠).

(٥) البيت لثعلبة بن صُعَيْرٍ كما في الشعر والشعراء (١/ ٢٧٧)، والمفضليات (ص: ١٣٠)، والحيوان (٥/ ٧٢)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٩٤)، وتهذيب اللغة (٩/ ٧٨)، والثقل هنا: البيض المصون، والرَّثيد المنسَّق بعضُه إلى بعض، وذكاء اسم للشمس.

ومنه قيل للزرَّاع كفار؛ لأنهم يغطون الحب، فكَفَر في الدين معناه: غطى [على][(١)] قلبه بالرّين عن الإيمان أو غطى الحق بأقواله وأفعاله.

واختلف فيمن نزلت هذه الآية ـ بعد الاتفاق على أنها غير عامة؛ لوجود الكفار قد أسلموا بعدها ـ:

فقال قومٌ: هي فيمن سبق في علم الله أنه لا يؤمن، أراد الله تعالى أن يعلم أن في الناس مَن هذه حالُه دون أن يُعيَّن أحد.

قال ابن عباس: «نزلت هذه الآية في حيي بن أخطب، وأبي ياسر[(٢)] وابن الأشرف[(٣)] ونظرائهم»[(٤)].

وقال الربيع بن أنس[(٥)]: «نزلت في قادة الأحزاب، وهم أهل القليب ببدر»[(٦)].

قال القاضي أبو محمد: هكذا حكي هذا القول، وهو خطأ؛ لأن قادة الأحزاب قد أسلم كثيرٌ منهم [وليسو أهل القليب][(٧)]، وإنما [ترتيب][(٨)] الآية في أصحاب

---

(١) من المطبوع.

(٢) أبو ياسر بن أخطب، من يهود بني النضير كان هو وأخوه حيي بن أخطب من أشد يهود للعرب حسداً. سيرة ابن هشام (١/ ٥٤٨).

(٣) هو كعب بن الأشرف من سادة اليهود، كان يحرض على النبي ﷺ، وشبب بنساء المؤمنين، ويرثي قتلى بدر من المشركين، فانتدب محمد بن مسلمة في نفر من أصحابه رضي الله عنهم فقتلوه بعد بدر بقليل، انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٥١).

(٤) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٢٥١) بإسناد قد سبق مراراً، وهو ضعيف.

(٥) هو الربيع بن أنس البكري الحنفي البصري، سمع أنس بن مالك وأبا العالية، روى عنه سليمان التيمي والأعمش وغيرهما، قال أبو حاتم: صدوق، وقال النسائي: ليس به بأس، بقي إلى سنة (١٣٩هـ) وروى كثيراً من التفسير والمقاطيع. تاريخ الإسلام (٨/ ٤١٦).

(٦) رواه ابن أبي حاتم (١/ ٤٠) عن الربيع عن أبي العالية، والطبري (١/ ٢٥٣) عن الربيع من تفسيره.

(٧) من جار الله وأحمد٣ والسليمانية.

(٨) وفي المطبوع: «ترتبت»، وفي أحمد٣ والسليمانية: «نزلت».

القليب، والقولُ الأولُ مما حكيناه هو المعتمد عليه، وكلُّ مَن عيَّن أحداً فإنما مثَّل بمَن كَشَفَ الغيبُ بموته على الكفر أنه في ضمن الآية.

وقوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ معناه: معتدل عندهم، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] ولَيْـلٍ يَقُـولُ النَّـاسُ مِـنْ ظُلُمَاتِـه سَوَاءٌ صَحِيحَاتُ العُيُونِ وَعُورُهَا[١]

قال أبو علي: «في اللفظة أربع لغات: «سِوى» بكسر السين، و«سواء» بفتحها والمد، وهاتان لغتان معروفتان، ومن العرب من يكسر السين ويمد، ومنهم من يضم أوله ويقصره، وهاتان اللغتان أقل من تينك، ويقال: «سي» بمعنى: سواء، كما قالوا: قي وقواء»[٢].

و﴿سَوَآءٌ﴾ رفع على خبر ﴿إِنَّ﴾، أو رفع على الابتداء وخبره فيما بعده، والجملة خبر ﴿إِنَّ﴾، ويصح أن يكون خبرُ ﴿إِنَّ﴾: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقرأ أبو عمرو وابن كثير ونافع: ﴿آنذرتهم﴾ بهمزة مطولة، وكذلك ما أشبه ذلك في جميع القرآن، وكذلك كانت قراءة الكسائي إذا خفف، غير أنَّ مدَّ أبي عمرو أطولُ من مدِّ ابن كثير؛ لأنَّه يدخل بين الهمزتين ألفاً، وابن كثير لا يفعل ذلك.

وروى قالون[٣] وإسماعيل بنُ جعفر[٤] عن نافعٍ إدخال الألف بين الهمزتين مع تخفيف الثانية.

---

(١) البيت لمضرس بن ربعي الأسدي كما في ديوان المعاني (١/ ٣٤٣)، ونسبه في زهر الآداب (٣/ ٨٠٦) لابن محكان السعدي.

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي (١/ ٢٤٨).

(٣) هو أبو موسى عيسى بن مينا بن وردان الزرقي، ويقال: المري، مولى بني زهرة، قارئ المدينة ونحويها، يقال: إنه ربيب نافع وقد اختص به كثيراً، وهو الذي سماه قالون لجودة قراءته، توفي سنة (٢٢٠هـ). غاية النهاية (١/ ٦١٥).

(٤) هو أبو إسحاق إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير، الأنصاري المدني، من كبار علماء المدينة في القرآن والحديث، قرأ على شيبة بن نصاح، ثم عرض على نافع، وتصدر للإقراء والحديث، قال ابن معين: ثقة مأمون، توفي سنة (١٨٠هـ). تاريخ الإسلام (١١/ ٣٥).

وروى عنه ورش تخفيف الثانية بينَ بينَ دون إدخال ألف بين الهمزتين، فأمَّا عاصم وحمزة والكسائي ـ إذا حقَّق ـ وابن عامر: فبالهمزتين ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾، وما كان مثله في كل القرآن(١).

وقرأ ابن عباس وابن أبي إسحاق بتحقيق الهمزتين وإدخال ألف بينهما(٢)، وقرأ الزهري وابن محيصن: (أَنْذَرْتَهُم) بحذف الهمزة الأولى(٣).

وتدلّ ﴿أَمْ﴾ على الألف(٤) المحذوفة، وكثَّر مكي في هذه الآية بذكر جائزات لم يُقرأ بها(٥)، وحكاية مثل ذلك في كتب التفسير عناء.

و«الإنذار»: إعلام بتخويف، هذا حدُّه، وأنذرت فعل يتعدى إلى مفعولين، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[فصلت: ١٣]، / وقال: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾[النبأ: ٤٠]، وأحد المفعولين في هذه الآية محذوف لدلالة المعنى عليه. [٢٨]

وقوله تعالى: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه الخبر، وإنما جرى عليه لفظ الاستفهام؛ لأن فيه التسوية التي هي في الاستفهام، ألا ترى أنك إذا قلت مخبراً: سواء عليَّ أقعدتَ أم ذهبت، وإذا قلت مستفهماً: أخرج زيد أم قام؟ فقد استوى الأمران عندك: هذان في الخبر، وهذان في الاستفهام، وعدم علمُ أحدهما

---

(١) نقلًا عن السبعة لابن مجاهد (١/ ١٣٦)، والمقروء به في المفتوحتين من الشاطبية والتيسير (ص: ٣٢) تحقيق الهمزتين لابن ذكوان والكوفيين، وتسهيل الثانية بلا إدخال لابن كثير، وبإدخال لقالون وأبي عمرو وهشام، ولورش إبدالها مدا، وتسهيلها كابن كثير.

(٢) التحقيق مع الفصل وجه في رواية الحلواني عن هشام كما في النشر في القراءات العشر (١/ ٣٦٤)، وانظر عزوها لابن أبي إسحاق في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٧٧)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٨)، ولابن عباس في البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٧٩).

(٣) انظر عزوها لابن محيصن في مختصر الشواذ (ص: ١٠)، وللزهري في تفسير الثعلبي (١/ ١٥٠)، ولهما في المحتسب (٢/ ٢٠٥).

(٤) في جار الله: «الهمزة».

(٥) حيث ذكر في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ١٤٢) فيها عشرة أوجه، انظر تفصيلها هناك.

بعينه، فلما عمَّتهما[(١)] التسوية جرى على هذا الخبر لفظ الاستفهام لمشاركته إياه في الإبهام، وكل استفهام تسوية، وإن لم تكن كل تسوية استفهاماً.

وقوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ﴾ مأخوذٌ من الختم وهو الطبع، والخاتم: الطابع، وذهبت طائفةٌ من المتأولين إلى أن ذلك على الحقيقة، وأن القلب على هيئة الكف ينقبض مع زيادة الضلال والإعراض إصبعاً إصبعاً، وقال آخرون: «ذلك على المجاز»، وإن ما [اخترع][(٢)] له في قلوبهم من الكفر والضلال والإعراض عن الإيمان سماه ختماً.

وقال آخرون ممن حمله على المجاز: «الختم هنا أسند إلى الله تعالى لما كفر الكافرون به وأعرضوا عن عبادته وتوحيده»، كما يقال: أهلك المال فلاناً وإنما أهلكه سوء تصرفه فيه.

وقرأ الجمهور: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾، وقرأ ابن أبي عبلة: (وعلى أسماعهم)[(٣)]، وهو في قراءة الجمهور مصدر يقع للقليل والكثير، وأيضاً فلما أضيف إلى ضمير جماعة دلَّ المضاف إليه على المراد، ويحتمل أن يريد: على مواضع سمعِهم فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

و«الغشاوة»: الغطاء المغشِّي الساتر، ومنه قول النابغة:

[البسيط] هَـلا سَـأَلْتِ بَنِي ذُبيَـان مَا حَسَـبي   إِذَا الدُّخانُ تَغَشَّى الأشمَط البرَمَا[(٤)]

وقال الآخر:

[الطويل] تَبِعْتُـكَ إِذْ عَيْنـي عَلَيْهَـا غِشَـاوَةٌ   فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسِي أُلُومُهَا[(٥)]

---

(١) في أحمد٣: «علمتهما».

(٢) وفي الحمزوية وجار الله وأحمد٣ والسليمانية: «خلق».

(٣) انظر عزوها له في مختصر الشواذ (ص: ١٠)، وتفسير الثعلبي (١/ ١٥١)، وهي قراءة شاذة.

(٤) البيت للنابغة الذبياني كما في تفسير الطبري (١/ ٢٦٥)، والشعر والشعراء (ص: ٢٣٩)، والأغاني (٤/ ٢٧٥)، وحماسة الخالديين (ص: ٦٨)، والبرم: اللئيم، وأصله: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر، وفي أحمد٣: «الريحان» بدل «الدخان».

(٥) البيت للحارث بن خالد بن هشام بن المغيرة المخزومي كما في مجاز القرآن (١/ ٣١)، والأغاني (٣/ ٣١٤)، والمنتحل للثعالبي (ص: ١٨٠)، والكامل في اللغة والأدب (٣/ ١٠٨)، =

ورفع ﴿غِشَٰوَةٌ﴾ على الابتداء وما قبله خبره.

وقرأ عاصم فيما روى المفضل الضبي عنه: (غشاوةً) بالنصب[١] على تقدير: وجعل على أبصارهم غشاوة، والختم على هذا التقدير في القلوب والأسماع، والغشاوة على الأبصار[٢]، والوقف على قوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾. وقرأ الباقون ﴿غِشَٰوَةٌ﴾ بالرفع.

قال أبو علي: «وقراءة الرفع أولى؛ لأنَّ النصب إمَّا أن تحمله على ختم الظاهر فيعترض في ذلك أنك حلت بين حرف العطف والمعطوف به، وهذا عندنا إنما يجوز في الشعر، وإما أن تحمله على فعل يدل عليه ﴿خَتَمَ﴾ تقديره: وجعل على أبصارهم، فيجيء الكلام من باب:

.... مُـتَـقَـلِّـداً سَـيْـفـاً وَرُمْــحَــا[٣] [مجزوء الكامل]

وقول الآخر:

عَلَـفْـتُـهَا تِـبْـنـاً ومَـــاء بـارِداً[٤] .... [الرجز]

ولا تكاد تجد هذا الاستعمال في حال سعة واختيار، فقراءة الرفع أحسن، وتكون الواو عاطفة جملة على جملة»[٥]. قال: «ولم أسمعْ من الغشاوة فعلًا مصرفاً بالواو، فإذا لم يوجد ذلك وكان معناها معنى ما اللام منه الياء من غَشِيَ يَغْشَى بدلالة قولهم: الغشيان، فالغِشاوة من غشي كالجِباوة من جبيت، في أن الواو كأنها بدل من

= وديوان الحماسة بشرح التبريزي (٢/ ٩١).

(١) السبعة لابن مجاهد (١/ ١٤٠)، والكامل للهذلي (ص: ٤٨٠)، وجامع البيان للداني (٢/ ٨٣٦)، وليست من طرق التيسير.

(٢) نقله ابن أبي حاتم (١/ ٤٢) عن ابن عباس.

(٣) عجز بيت وصدره: ياليتَ زوجكِ قدْ غدا، وهو لعبد الله بن الزبعرى، كما في إيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٢٤٥).

(٤) صدر رجز، عجزه: حَتَّى شَتَتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا، قال الفراء في معاني القرآن (١/ ١٤) أنشدنيه بعض بني أسد يصف فرسه، وقال أيضاً: (٣/ ١٢٤) أنشدنيه بعض بني دبير، وفي خزانة الأدب (٣/ ١٣٣): ورأيت في حاشية نسخة صحيحة من الصحاح أنه لذي الرمة ففتشت ديوانه فلم أجده فيه.

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي (١/ ٣١٠-٣١١-٣١٢).

الياء، إذ لم يصرف منه فعل كما لم يصرف من الجباوة»[١].

وقال بعض المفسرين: «الغشاوة على الأسماع والأبصار، والوقف في قوله: ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[٢]، وقال آخرون: «الختم في الجميع»، والغشاوة هي الخاتم، وقد ذكرنا اعتراض أبي عليٍّ على هذا القول.

وقرأ أبو حيوة: (غَشاوةٌ) بفتح الغين والرفع، وهي قراءة الأعمش، وقال الثوري: كان أصحاب عبد الله يقرءونها: (غَشيةٌ) بفتح الغين والياء والرفع، وقرأ الحسن: (غُشاوة) بضم الغين، وقرئت: (غَشاوة) بفتح الغين[٣]، وأصوب هذه القراءات المقروء بها ما عليه السبعة من كسر الغين على وزن عمامة، والأشياء التي هي أبداً مشتملة، فهكذا يجيء وزنها كالضِّمامة والعِمامة والكِنانة والعِصابة والرِّبابة وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ معناه: بمخالفتك يا محمد وكفرهم بالله استوجبوا ذلك، و﴿عَظِيمٌ﴾ معناه: بالإضافة إلى عذاب دونه يتخلله فتور، وبهذا التخلل المتصوَّر يصح أن يتفاضل العَرَضان كسوادين أحدهما أشبعُ من الآخر، إذ قد تخلل الآخر ما ليس بسواد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾.

كان أصل النون أن تكسر للالتقاء[٤]، لكنها تفتح مع الألف واللام، ومن قال: استثقلت كسرتان تتوالى في كلمة على حرفين، فمعترَض بقولهم: مِنِ ابنك، ومِنِ اسمك، وما أشبهه.

---

(١) بقية كلام أبي علي السابق.

(٢) نقله الطبري عن ابن جريج (١/ ٢٦٥).

(٣) انظر قراءة الحسن في تفسير الثعلبي (١/ ١٥١)، وذكر قراءة أصحاب ابن مسعود بالواو، وانظر قراءة أبي حيوة والأعمش في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٩)، والشواذ للكرماني ص٤٩، وذكر الأخيرة في مختصر الشواذ (ص: ١٠) عن الحسن أيضاً.

(٤) في الحمزوية: «لالتقاء الساكنين».

واختلف النحويون في لفظة ﴿ٱلنَّاسِ﴾:

فقال قوم: «هي من نسي، فأصل ناس: نَسَيٌ؛ قلب فجاء نَيَسٌ تحركت الياء وانفتح ما قبلها فانقلبت ألفاً فقيل: ناسٌ، ثم دخلت الألف واللام».

وقال آخرون: «ناس اسم من أسماء الجموع دون هذا التعليل، دخلت عليه الألف واللام».

وقال آخرون: «أصل ناس: أُناسٌ / دخلت الألف واللام فجاء: الأناس، حذفت [٢٩] الهمزة فجاء: الناس، أدغمت اللام في النون لقرب المخارج».

وهذه الآية نزلت في المنافقين.

وقوله تعالى: ﴿مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ رجع من لفظ الواحد إلى لفظ الجمع بحسب لفظ: ﴿مَن﴾ ومعناها، وحَسُن ذلك لأنَّ الواحدَ قبل الجمع في الرتبة، ولا يجوز أن يرجع متكلم من لفظ جمع إلى توحيد، لو قلت: ومن الناس من [يقولون][(١)] ويتكلم، لم يجز.

وسمى الله تعالى يوم القيامة اليومَ الآخرَ؛ لأنه لا ليل بعده، ولا يقال يوم إلا لما تقدمه ليل، ثم نفى تعالى الإيمان عن المنافقين، وفي ذلك رد على الكرامية في قولهم: إن الإيمان قول باللسان وإن لم يعتقد بالقلب.

واختلف المتأولون في قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾:

فقال الحسن بن أبي الحسن: «المعنى: يخادعون رسولَ الله» فأضاف الأمر إلى الله تجوزاً لتعلق رسوله به، ومخادعتُهم هي تحيُّلهم في أن يفشي رسول الله والمؤمنون لهم أسرارهم، فيتحفظون مما يكرهونه، ويتنبهون من ضرر المؤمنين على ما يحبونه»[(٢)].

وقال جماعة من المتأولين: «بل: يخادعون الله والمؤمنين»، وذلك بأن يُظهروا

---

(١) وفي المطبوع وأحمد٣ والسليمانية: «يقومون».

(٢) تفسير السمعاني (١/ ٤٨).

من الإيمان خلاف ما أبطنوا من الكفر ليحقنوا دماءهم ويحرزوا أموالهم ويظنون أنهم قد نجوا وخدعوا وفازوا، وإنما خدعوا أنفسهم لحصولهم في العذاب وما شعروا لذلك.

واختلف القراء في ﴿يُخَٰدِعُونَ﴾ الثاني: فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿يخادعون﴾.

وقرأ [عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي][1] : ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ﴾[2].

وقرأ أبو طالوت عبد السلام بن شداد[3] والجارود بن أبي سبرة: (يُخْدَعون) بضم الياء[4].

وقرأ قتادة ومُورِّقٌ العِجْلي[5]: (يُخَدِّعون) بضم الياء وفتح الخاء، وكسر الدال وشدها[6].

فوجه قراءة ابن كثير ومن ذكر إحراز تناسب اللفظ، وأن يسمى الفعل الثاني باسم الفعل الأول المسبِّب له، ويجيء ذلك كما قال الشاعر:

ألا لا يَجْهَلَنْ أحَـــدٌ عَـلَـيْنــا فنَجْهَـلَ فَـوْقَ جَهْـلِ الجَاهِلِينَـا[7] [الوافر]

---

(١) في أحمد٣: «الباقون».

(٢) التيسير في القراءات السبع للداني (ص: ٧٢)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٤١).

(٣) هو عبد السلام بن أبي حازم شداد، أبو طالوت العبدي القيسي البصري، عن أنس وغزوان بن جرير وأبي عثمان النهدي، وعنه وكيع وأبو بدر السكوني والأنصاري ومسلم بن إبراهيم وجماعة، وثقه ابن معين وأحمد. تاريخ الإسلام (٩/ ٥٠١).

(٤) المحتسب لابن جني (١/ ٥١). بضم الياء وفتح الدال، وهي قراءة شاذة.

(٥) هو مورق العجلي أبو المعتمر، بصري كبير القدر، روى عن عمر وأبي الدرداء، وأبي ذر، وابن عمر، وجندب، وعنه: توبة، وقتادة، وعاصم الأحول، وحميد الطويل، كان ثقة عابداً، توفي في ولاية عمر بن هبيرة. تاريخ الإسلام (٧/ ٢٦٤).

(٦) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لمورق في مختصر الشواذ (ص: ١٠)، ولهما في البحر المحيط (١/ ٩٣).

(٧) لعمرو بن كلثوم من معلقته، كما في شرح المعلقات التسع (ص: ٣٤٧)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٨٧)، وعيون الأخبار (٢/ ٢١٠)، والعقد الفريد (٥/ ٣٤٤)، وتفسير الثعلبي (١/ ١٥٧)، والمحكم (٨/ ٢٧).

فجعل انتصاره جهلاً، ويؤيد هذا المنـزع في هذه الآية أن فاعَلَ قد تجيء من واحد كـ:عاقبتُ اللص وطارقتُ النعل.

وتتجه أيضاً هذه القراءة بأن ينزَّل ما يخطر ببالهم [ويهجس][1] في خواطرهم من الدخول في الدين والنفاق فيه والفكر في الأمر وضده في هذا المعنى بمنزلة [مجاورة][2] أجنبيين، فيكون الفعل كأنه من اثنين، وقد قال الشاعر:

تَذَكَّرَ مِنْ أَنَّى ومِنْ أَيْنَ شُرْبُهُ ... يُؤَامِرُ نَفْسَيْهِ كذِي الهَجْمَةِ الأَبِلْ[3] [الطويل]

وأنشد ابن الأعرابي:

لَمْ تَدْرِ مَا لَا وَلَسْتَ قَائِلَهَا ... عُمْرَكَ ما عِشْتَ آخِرَ الأَبَدِ [المنسرح]

وَلَمْ تُؤَامِرْ نَفْسَكَ مُمْتَرِياً ... فِيهَا وَفِي أُخْتِهَا ولَمْ تَلِدِ[4]

وقال الآخر:

يُؤَامِرُ نَفْسَيْهِ وفِي الْعَيْشِ فُسْحَةٌ ... أَيَسْتَوْتِغُ الذُّؤبَانَ أَمْ لَا يَطُورُهَا[5] [الطويل]

وأنشد ثعلب عن ابن الأعرابي:

وكنت كذات الضِّنءِ لم تدْرِ إذ بغَتْ ... تؤامرُ نَفْسَيْها أتسرقُ أم تزني[6] [الطويل]

---

(١) وفي الحمزوية: «يتمحص».
(٢) وفي المطبوع: «محاورة»، وفي أحمد٣: «مخادعة».
(٣) البيت للكميت كما في تفسير الطبري (٤/ ٤١٥)، وفي الحجة لأبي علي الفارسي (١/ ٣١٧): للكميت أو غيره.
(٤) البيتان لحمزة بن بيض في سليمان بن عبد الملك، كما في تاريخ دمشق (١٥/ ١٩٣)، ومعجم الأدباء (٣/ ١٢١٦)، وفي المطبوع وجار الله وفيض الله وأحمد٣ والسليمانية: «لم تكد».
(٥) البيت لرجل من فزارة كما في الحجة لأبي علي (١/ ٣١٩)، قال: والذؤبان: الأعداء، وهو بلا نسبة في كتاب جمهرة الأمثال للعسكري (١/ ٢٢)، وفي المطبوع: «أيسترجع الذؤبان»، وفي الحمزوية: «أيسري مع الذؤبان»، وفي نور العثمانية: «أيسترتع».
(٦) البيت في الحجة لأبي علي (١/ ٣١٩) بلا نسبة، وجاء في الأغاني (١٤/ ٢٣٣): بلفظ: وكنتَ كذاتِ =

ووجه قراءة عاصم ومن ذكر: أن ذلك الفعل هو خدع لأنفسهم يمضي عليها، تقول: «خادعت الرجل» بمعنى: أعملت التحيل عليه، فخدعته بمعنى: تمت عليه الحيلة ونفذ فيه المراد، والمصدر: خدع بكسر الخاء وخديعة، حكى ذلك أبو زيد(١)، فمعنى الآية: وما [يُنفذون](٢) السوء إلا على أنفسهم وفيها.

ووجه قراءة أبي طالوت أحد أمرين: إمَّا أن يقدر الكلام: وما يُخدعون إلا عن أنفسهم فحذف حرف الجر ووُصل الفعل كما قال تعالى: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، أي: من قومه.

وإمَّا أن يكون (يخدعون) أُعمل عمل [ينتقصون](٣) لمَّا كان المعنى: وما ينتقصون ويستلبون إلا أنفسهم، ونحوه قول الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ولا تقول: رفثت إلى المرأة، ولكن لما كان بمعنى الإفضاء ساغ ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨]، وإنما يقال: هل لك في كذا؟ ولكن لما كان المعنى: أَجْذبُك إلى أن تزكَّى، ساغ ذلك وحسُن، وهو باب سَنِيٌّ من فصاحة الكلام، ومنه قول الفرزدق:

[الرجز] كيف تراني قالباً مِجَنِّي ... قد قتلَ الله زياداً عنِّي(٤)

لما كانت «قتل» قد دخلها معنى: صرف، ومنه قول الآخر:

[الوافر] إذا رضِيتْ عليَّ بنو قُشَير ... لعمرُ الله أعجبني رِضَاهَا(٥)

= الفِسْقِ لم تدرِ ما حَوَتْ تَخَيَّرُ حالَيْهَا أتسرق أم تزني، منسوباً لعبد الله بن الزبير الأسدي من قصيدة يرثي فيها عمرو بن الزبير بن العوام، ويؤنب أخاه على قتله.

(١) حكاه عنه ابن سيده في المحكم (١/ ١٣٢).

(٢) وفي الحمزوية: «يفترون».

(٣) وفي المطبوع في الموضعين: ينتقضون.

(٤) البيت للفرزدق كما في المحكم (٦/ ٣٣٢)، والخصائص (٢/ ٣١٠) وزاد بينهما: أضرب أمري ظهره للبطن.

(٥) البيت للقحيف العقيلي العامري، كما مجاز القرآن (٢/ ٨٤)، وأدب الكاتب لابن قتيبة (ص: ٥٠٧)، والمحكم (٨/ ٢٤٣).

لما كانت «رضيت» قد تضمنت معنى: أقبلت عليَّ، وأمَّا الكسائي فقال في هذا البيت: «وصل رضي بوَصْل نقيضه وهو سخط، وقد تجري أمور في اللسان مجرى نقائضها»(١).

ووجه قراءة قتادة: المبالغة في الخدع؛ إذ هو مصيِّرٌ إلى عذاب الله.

قال الخليل: «يقال: خادع من واحدٍ؛ لأنَّ في المخادعة مهلةً،كما يقال: عالجت المريض؛ لمكان المهلة»(٢).

قال القاضي أبو محمد: وهذا من دقيقِ نظره، وكأنه يرد فاعَلَ إلى الاثنين ولا بدَّ من حيث ما فيه مهلةٌ ومدافعة ومماطلة، فكأنه يقاوم في المعنى الذي تجيء فيه فاعَلَ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ معناه: وما يعلمون علم تفطُّن وتهدٍّ، وهي لفظة مأخوذة من الشعار، كأن الشيء المتفطَّن له شعار للنفس، والشعار: الثوب الذي يلي جسد / الإنسان، وهو مأخوذٌ من الشِّعر، والشَّاعر المتفطن لغريب المعاني، وقولهم: [٣٠]
ليت شعري، معناه: ليت فطنتي تدرك، ومن هذا المعنى قول الشَّاعر:

عَقَوْا بِسَهمٍ فَلَمْ يَشْعُر بِهِ أَحَدٌ ... ثُمَّ اسْتَفَاءُوا وَقَالُوا حَبَّذَا الوَضَحُ(٣) [البسيط]

واختلف ما الذي نفى الله عنهم أن يشعروا له؟:

فقالت طائفة: «وما يشعرون أن ضرر تلك المخادعة راجع عليهم لخلودهم في النار».

وقال آخرون: «وما يشعرون أنَّ الله يكشف لك سرهم ومخادعتهم في قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾»(٤).

---

(١) انظر: الإنصاف (٢/ ٦٣٠)، والخصائص (٢/ ٣١١).

(٢) لم أجده لغير ابن عطية وقد نقله عنه ابن عاشور في التحرير والتنوير (١/ ٢٧٦).

(٣) البيت للمتنخل الهذلي وهو مالك بن عمرو بن سويد، كما في جمهرة اللغة (٢/ ١٠٥٠)، وأمالي القالي (١/ ٢٤٨)، والمعاني الكبير (٢/ ٩٠٠)، ومعنى عقوا: رموا بسهم نحو الهواء إشعاراً منهم أنهم قد قبلوا الدية، ورضوا بها عوضاً عن الدم. والوضح: اللبن.

(٤) نقل الطبري (١/ ٢٧٨) الأول عن ابن زيد، واقتصر عليه مكي (١/ ١٥٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾.

المرض: عبارةٌ مستعارة للفساد الذي في [عقائد][1] هؤلاء المنافقين، وذلك إمَّا أن يكون شكّاً، وإمَّا جحداً بسبب حسدهم مع علمهم بصحة ما يجحدون، وبنحو هذا فسر المتأولون[2]، وقال قومٌ: «المرض: غمهم[3] بظهور أمر رسول الله ﷺ».

وقرأ الأصمعي عن أبي عمرو: (مرْض) بسكون الرَّاء، وهي لغة في المصدر، قال أبو الفتح: «وليس بتخفيف»[4].

واختلف المتأولون في معنى قوله: ﴿مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾:

فقيل: هو دعاء عليهم، وقيل: هو خبر أن الله قد فعل بهم ذلك[5].

وهذه الزيادة هي بما ينزل من الوحي ويظهر من البراهين، فهي على هؤلاء المنافقين عمًى، وكلما كذَّبوا زاد المرض.

وقرأ حمزة: ﴿فَزادَهُم﴾ بكسر الزاي[6]، وكذلك ابن عامر، وكان نافع يُشِمُّ الزاي إلى الكسر، وفتح الباقون[7].

---

(١) وفي الحمزوية: «اعتقاد».
(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٧٩).
(٣) وفي الحمزوية: «غشيهم».
(٤) المحتسب (١/ ٥٣).
(٥) التفسير الثاني ظاهر نقل الطبري (١/ ٢٨٢)عن ابن مسعود وابن عباس وقتادة وابن زيد والربيع، ووصفه بأنه التأويل المجمع عليه.
(٦) أي: بإمالتها نحو الكسرة.
(٧) نقلًا عن كتاب السبعة لابن مجاهد (ص: ١٤١) وما بعدها، ونقل الإمالة الداني في التيسير (ص: ٥١) عن حمزة وابن ذكوان من رواية ابن الأحزم عن الأخفش عنه، ووردت إمالتها من طريق الداجوني عن هشام كما في النشر (٢/ ٧٠) وأمَّا نافع فالإضجاع عنه من رواية خلف عن إسحاق وابن جماز وإسماعيل بن جعفر عنه كما في السبعة (ص: ١٤٢) وليس ذلك في شيء من طرق التيسير والنشر.

و﴿أَلِيمٌۢ﴾ معناه: مؤلم، كما قال الشاعر ـ وهو عمرو بن معدي كرب ـ:

أَمِـنْ رَيْحانَـةَ الدَّاعِـي السَّـمِيعُ[١] .... [الوافر]

بمعنى: مسمع.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر: ﴿يكذِّبون﴾ بضم الياء وتشديد الذال، وقرأ الباقون بفتح الياء وتخفيف الذال[٢].

فالقراءة بالتثقيل يؤيدها [قوله تعالى قبل: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ فهذا إخبارٌ بأنهم يكذبون.

والقراءة بالتخفيف يؤيدها][٣] أن سياق الآيات [قبل][٤] إنما هي إخبار بكذبهم، والتوعُّد بالعذاب الأليم متوجه على التكذيب وعلى الكذب في مثل هذه النازلة، إذ هو منطوٍ على الكفر، وقراءة التثقيل أرجح.

و(إذا) ظرف زمان، وحكي عن المبرد أنها في قولك في المفاجأة: خرجت فإذا زيد، ظرف مكان؛ لأنها تضمنت جثة[٥]، وهذا مردودٌ، لأن المعنى: خرجت فإذا حضور زيد، فإنما تضمنت المصدر كما يقتضيه سائر ظروف الزمان، ومنه قولهم: «اليومَ خمرٌ وغداً أمرٌ»[٦]، فمعناه: وجود خمر ووقوع أمر، والعامل في ﴿إِذَا﴾ في هذه الآية: ﴿قَالُوٓاْ﴾.

وأصل ﴿قِيلَ﴾: قُوِل نقلت حركة الواو إلى القاف فقلبت ياء لانكسار ما قبلها[٧].

---

(١) صدر بيت لعمرو بن معديكرب، وعجزه: يُؤَرِّقُنِي وأَصْحَابِي هُجُوعُ، انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٢٨٢)، والكامل (١/ ١٦٢)، والأغاني (١٥/ ١٩٩)، والأصمعيات (ص: ١٧٢)، وتهذيب اللغة (٢/ ٧٤)، والشعر والشعراء (١/ ٣٦٠).

(٢) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٤٣)، والتيسير للداني (ص: ٧٢).

(٣) ساقط من أحمد٣.

(٤) من الحمزوية وأحمد٣.

(٥) انظر: المقتضب (١/ ١٧٨)، والحاكي له عنه مكي في الهداية (١/ ١٥٥).

(٦) هذه العبارة من قول امرئ القيس لَمَّا بلغه قَتْلُ أبيه، انظر: الاشتقاق لابن دريد (ص: ٥٠)، والأغاني (٩/ ١٠٦).

(٧) انظر قاعدة أن كل واو انكسر ما قبلها انقلبت ياء في الجمل للخليل (١/ ٣٠٧)، والمقتضب (١/ ٦٢).

وقرأ الكسائي: ﴿قيل﴾، و﴿غيض﴾، و﴿سيء﴾، و﴿سيئت﴾، و﴿حيل﴾، و﴿سيق﴾، و﴿جيء﴾ بضم أوائل ذلك كله[١]، وروي مثل ذلك عن ابن عامر، وروي أيضاً عنه أنه كسر: ﴿غيض﴾، و﴿قيل﴾، و﴿جيء﴾، الغين والقاف والجيم حيث وقع من القرآن، وضم نافع من ذلك كله حرفين: ﴿سيء﴾، و﴿سيئت﴾ وكسر ما بقي، [وكان ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة][٢] يكسرون أوائل هذه الحروف كلها[٣].

والضمير في ﴿لَهُمْ﴾ هو عائد إلى المنافقين المشار إليهم قبل[٤]، وقال بعض الناس: «الإشارة هنا هي إلى منافقي اليهود».

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه في تفسير هذه الآية: «لم يجئ هؤلاء بعد»[٥]، ومعنى قوله: لم ينقرضوا، بل هم يجيئون في كل زمان.

و﴿لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ معناه: بالكفر وموالاة الكفرة.

و﴿نَحْنُ﴾ اسم من ضمائر المرفوع مبني على الضم، إذ كان اسماً قويّاً يقع للواحد المعظم والاثنين والجماعة، فأعطي أسنى الحركات، وأيضاً فلما كان في الأغلب ضمير جماعة، وضمير الجماعة في الأسماء الظاهرة الواو، أعطي الضمة إذ هي أخت الواو[٦].

---

(١) المقصود بالضم هنا: إشمام الكسر الضم، وأما الضم الخالص فلم يقرأ به أحد لمخالفته للرسم، وقد أشار ابن مالك لهذه اللغات الثلاث بقوله في نائب الفاعل: واكْسِرْ أَوِ اشْمِمْ فَا ثُلَاثِيٍّ أُعِلّ عَيْناً وضَمٌّ جَا كَبُوعَ فاحْتُمِلْ، وللتوسع انظر شروح الألفية هنا.

(٢) في أحمد٣: «الباقون».

(٣) نقلًا عن كتاب السبعة لابن مجاهد (١/ ١٤٣)، والمقروء به من طرق التيسير والنشر عن هشام إشمام الجميع، وعن ابن ذكوان إشمام (قيل، وحيل، وحيق، وسيء، وسيئت) فقط، انظر: التيسير (ص: ٧٢).

(٤) روى الطبري (١/ ٢٨٨) عن السُّدّيّ في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مُرّة الهَمْداني عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: أنهم المنافقون.

(٥) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٢٨٧) بإسناد فيه: عباد بن عبد الله: هو الأسدي الكوفي، قال البخاري: «فيه نظر».

(٦) الهداية لمكي (١/ ١٥٨).

ولقول المنافقين: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ثلاث تأويلات:

أحدها: جحد أنهم مفسدون، وهذا استمرار منهم على النفاق.

والثاني: أن يقرُّوا بموالاة الكفار ويدعون أنها صلاح من حيث هم قرابةٌ تُوصَل.

والثالث: أنهم مصلحون بين الكفار والمؤمنين، فلذلك يداخلون الكفار(١).

و﴿أَلَآ﴾ استفتاح كلام، و(إنَّ) بكسر الألف استئناف، و﴿هُمُ﴾ الثاني رفع بالابتداء و﴿ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ خبره والجملة خبر (إنَّ)، ويحتمل أن يكون فصلاً ـ ويسميه الكوفيون: العماد ـ ويكون ﴿ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ خبر (إنَّ)، فعلى هذا لا موضع لـ﴿هُمُ﴾ من الإعراب، ويحتمل أن يكون تأكيداً للضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ فموضعه نصب.

ودخلت الألف واللام في قوله: ﴿ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ لمَّا تقدم ذكر اللفظة في قوله: ﴿لَا تُفْسِدُواْ﴾ فكأنه ضرب من العهد، ولو جاء الخبر عنهم ولم يتقدم من اللفظة ذكر لقال: ألا إنهم مفسدون، قاله الجرجاني(٢).

وهذه الألف واللام تتضمن المبالغة، كما تقول: زيد هو الرجل؛ أي: حقُّ الرجل، فقد تستغني عن مقدمة تقتضي عهداً.

و(لكنْ) بجملته حرف استدراك، ويحتمل أن يراد هنا: / لا يشعرون أنهم مفسدون، ويحتمل أن يراد لا يشعرون أن الله يفضحهم، وهذا مع أن يكون قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ جحداً محضاً للإفساد، والاحتمال الأول هو بأن يكون قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ اعتقاداً منهم أنه صلاح في صلة القرابة، أو إصلاح بين المؤمنين والكافرين. [٣١]

---

(١) نقل النحاس في معاني القرآن (١/ ٩٢) الأول والثاني بلا عزو، ونقل الطبري (١/ ٢٩٠) الثاني عن مجاهد، والثالث عن ابن عباس.

(٢) نقله بلا عزو مكي في الهداية (١/ ١٦١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾.

المعنى: صدِّقوا بمحمد ﷺ وشرعه مثل ما صدقه المهاجرون والمحققون من أهل يثرب، قالوا: «أنكون كالذين خفت عقولهم؟»، والسفه: الخفة والرّقة الداعية إلى الخفة، يقال: «ثوب سفيه»، إذا كان رقيقاً مهلهل النسج، ومنه قول ذي الرُّمَّة:

[الطويل] مَشَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِيَاحٌ تَسَفَّهَتْ أَعَالِيَهَا مَرُّ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ[(١)]

وهذا القول إنما كانوا يقولونه في خفاء، فأطْلع الله عليه نبيَّه والمؤمنين، وقرر أنَّ السفه ورِقةَ الحلوم وفسادَ البصائر إنما هو في حيزهم وصفةٌ لهم، وأخبر أنهم لا يعلمون أنهم السفهاء للرَّين الذي على قلوبهم.

وقال قومٌ: «الآية نزلت في منافقي اليهود، والمراد بالناس: عبد الله بن سلام، ومن أسلم من بني إسرائيل»[(٢)].

وهذا تخصيصٌ لا دليلَ عليه.

و﴿لَقُوا﴾ أصله: لَقِيوا، استثقلت الضمة على الياء فسكنت فاجتمع الساكنان فحذفت الياء، وقرأ ابن السميفع: (لاقوا الذين)[(٣)].

وهذه كانت حال المنافقين إظهار الإيمان للمؤمنين، وإظهار الكفر في خلواتهم بعضهم مع بعض، وكان المؤمنون يلبسونهم على ذلك لموضع القرابة، فلم تلتمس عليهم الشهادات ولا تقرَّر تعيُّنهم في النفاق تقرراً يوجب لوضوحه الحكمَ بقتلهم وكان

---

(١) انظر عزوه له في الكتاب لسيبويه (١/ ٥٢)، والكامل (٢/ ١٠٥)، والأصول في النحو (٢/ ٧٢)، والخصائص (٢/ ٤١٧)، وهو يصف فيه نساء فشبه مشيهن باهتزاز الرماح التي تميلها نواسم الرياح، وتسفهت الريح الأشجار: أمالتها، والرياح النواسم: الرياح الضعيفة.

(٢) تفسير الثعلبي (١/ ١٤٥).

(٣) عزاها له النحاس في إعراب القرآن (١/ ٣١)، وهي قراءة شاذة.

ما يظهرونه من الإيمان يحقن دماءهم، وكان رسول الله ﷺ يُعرض عنهم ويدعهم في غمرة الاشتباه مخافة أن يُتحدث عنه أنه يقتل أصحابه فينفر الناس، حسبما قال عليه السلام لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قال له في وقت قول عبد الله بن أبي ابن سلول: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ القصة: «دَعْنِي يَا رَسُولَ الله أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ»، فَقَالَ: «دَعْهُ؛ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»[١].

فهذه طريقة أصحاب مالك رضي الله عنه في معنى كفّ رسول الله ﷺ عن المنافقين مع علمه بكفرهم في الجملة، نصّ على هذا محمد بن الجهم[٢] وإسماعيل القاضي[٣]، والأبهري[٤]، وابن الماجشون، واحتج بقوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا * مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠-٦١][٥]، قال قتادة: «معناه: إذا هم أعلنوا النفاق»[٦].

قال مالك رحمه الله: «النفاق في عهد رسول الله ﷺ هو الزندقة فينا اليوم، فيقتل

---

(١) متفق عليه: هذا الحديث أخرجه البخاري (٣٥١٨) (٤٩٠٥) (٤٩٠٧)، ومسلم (٦٧٤٨).

(٢) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن الجهم بن حبيش، ويعرف بابن الوراق المروزي، صحب إسماعيل القاضي وسمع منه وتفقه معه، وألف كتباً جلة على مذهب مالك، روى عنه أبو بكر الأبهري، وتوفي سنة (٣٢٩هـ). الديباج المذهب (ص: ٢٤٣).

(٣) هو الفقيه المالكي؛ إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد الأزدي، المتوفي سنة (٢٨٢هـ)، ومؤلف الكتب العديدة في نصرة المذهب المالكي والرد على مخالفيه، انظر: تاريخ بغداد (٦/ ٢٨٩)، وترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ٣٠٤)، وما بعدها.

(٤) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح، أبو بكر التميمي الأبهري القاضي المالكي، شيخ المالكية العراقيين، له في شرح المذهب تصانيف ورد على المخالفين، وحدث عنه خلق كثير، وكان إمام العراقيين في زمانه، توفي سنة (٣٧٥هـ). تاريخ الإسلام (٢٦/ ٥٨٠).

(٥) انظر قول ابن الماجشون في: الاستذكار (٢/ ٣٥٧-٣٥٨)، وانظر قول الباقين في: الجامع لأحكام القرآن لابن العربي (١/ ١٩٩).

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٢٧)، بالمعنى.

الزنديق إذا شُهد عليه بها دون استتابة؛ لأنه لا يُظْهر ما يستتاب منه، وإنما كفّ رسول الله ﷺ عن المنافقين ليسنَّ لأمته أن الحاكم لا يحكم بعلمه إذا لم يُشهَد على المنافقين»[(١)].

قال القاضي إسماعيل: «لم يشهد على عبد الله بن أبي إلا زيد بن أرقم[(٢)] وحده، ولا على الجُلَاس بن سُوَيد[(٣)] إلا عمير بن سعد[(٤)] ربيبه وحده، ولو شهد على أحدٍ منهم رجلان بكفره ونفاقه لقتل»[(٥)].

قال القاضي أبو محمد: أقوى من انفراد زيد وغيره أنَّ اللفظَ ليس بصريحِ كفرٍ وإنما يفهم من قوته الكفر.

[قال الشافعي رحمه الله: «السنة فيمن شُهد عليه بالزندقة فجحد وأعلن بالإيمان وتبرأ من كل دين سوى الإسلام أن ذلك يمنع من إراقة دمه»[(٦)]، وبه قال أصحاب الرأي والطبري وغيرهم[(٧)]][(٨)].

---

(١) انظر: الاستذكار (٢/ ٣٥٧-٣٧٨).

(٢) هو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي، استصغر يوم أحد، وأول مشاهده الخندق، وله حديث كثير، روى عنه أنس مكاتبة، وأبو الطّفيل، وغيرهما، وهو الّذي سمع ابن أبي يقول: لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فأخبر رسول الله ﷺ، فسأل عبد الله، فأنكر، فأنزل الله تصديق زيد، مات بالكوفة سنة (٦٦هـ). الإصابة (٢/ ٤٨٧).

(٣) جلاس بن سويد بن الصامت الأنصاري، كان من المنافقين ثم تاب وحسنت توبته، انظر ترجمته في الإصابة (١/ ٥٩٩).

(٤) هو عمير بن سعد بن عبيد بن النعمان الأنصاري الأوسي، قال البغويّ: كان يقال له: نسيج وحده، صحب رسول الله ﷺ، وهو الّذي رفع إلى النبيّ ﷺكلام الجلاس بن سويد، وكان يتيماً في حجره، وشهد فتوح الشام، واستعمله عمر على حمص، توفي في خلافة معاوية وكان من الزهاد. الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٥٩٦).

(٥) انظر كلام القاضي إسماعيل في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١٩٩).

(٦) انظر: الأم (١/ ٢٥٨، و٦/ ١٦٤).

(٧) انظر مذهب أهل الرأي في: حاشية الشلبي على تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق (٣/ ٢٨٤)، وانظر مذاهب البقية في التمهيد لابن عبد البر (٥/ ٣١١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٢٠٠).

(٨) ساقط من أحمد٣.

قال الشافعي وأصحابه: «وإنما منع رسول الله ﷺ من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الإسلام بألسنتهم مع العلم بنفاقهم؛ لأن ما يظهرونه يجبُّ ما قبله، فمن قال: إن عقوبة الزنادقة أشد من عقوبة الكفار، فقد خالف معنى الكتاب والسنة، وجعل شهادة الشهود على الزنديق فوق شهادة الله على المنافقين»[(١)]، قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

قال الشافعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل وأهل الحديث: «فالمعنى الموجبُ لكفِّ رسول الله ﷺ عن قتل المنافقين مع العلم بهم: أنَّ الله تعالى نهاه عن قتلهم إذا أظهروا الإيمان وصلوا، فكذلك هو الزنديق»[(٢)].

واحتجَّ ابنُ حنبل بحديث عبيد الله بن عَدِيٍّ بن الخِيَار[(٣)] عن رجل من الأنصار في الذي شُهد عليه عند رسول الله ﷺ بالنفاق، فَقَالَ: «أَلَيْسَ يَشْهَدُ أن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟»، قالُوا: بَلَى / ولَا شَهَادَةَ لَهُ، قال: «أَلَيْسَ يُصَلِّي؟»، قَالُوا: بَلَى وَلَا صَلَاةَ لَهُ، قَالَ: «أُولَئِكَ الَّذِينَ نَهَانِي اللهُ عَنْهُمْ»[(٤)]. [٣٢]

---

(١) انظر: الحاوي الكبير للماوردي (١٣/ ٣٢٨-٣٢٩)، والمنهاج شرح مسلم بن الحجاج للنووي (١/ ٩٤).

(٢) انظر: فتح الباري (١٢/ ٢٧٣).

(٣) هو عبيد الله بن عدي بن الخيار النوفلي القرشي، قال ابن حبّان: له رؤية، وله رواية عن عمر، وعثمان، وعلي، وروى عنه عروة، وعطاء بن يزيد، وغيرهم، وكان من فقهاء قريش وعلمائهم، وكانت وفاته بالمدينة في خلافة الوليد بن عبد الملك. الإصابة (٥/ ٤٠).

(٤) اختلف فيه وصلًا وإرسالًا، والوصل أكثر: هذا الحديث أخرجه أحمد (٥/ ٤٣٢)، وعبد الرزاق في المصنف (١٠/ ١٦٣)، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٣٠٩) وغيرهم من طريق معمر وابن جريج ـ مفرقين ـ وكذا رواه عقيل والليث ـ جميعاً عن الزهري بإسناده موصولاً، وأخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٧١) عن الزهري بإسناده مرسلاً، وقد رواه روح بن عبادة عن مالك في غير الموطأ عن الزهري به موصولاً كذلك. راجع كتاب «مسند الموطأ» لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الجوهري (ص: ١٩٠).

وذكر أيضاً أهل الحديث ما روي عن رسول الله ﷺ أَنَّه قَالَ فِيهِم: «لَعَلَّ اللهَ [سَيُخْرِجُ][(١)] مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يُؤْمِنُ بالله ويُصَدِّقُ المرْسَلِينَ، ويُخْلِصُ الْعِبَادَاتِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»[(٢)].

قال أبو جعفر الطبري في كتاب «اللطيف»[(٣)] في باب المرتد: «إنَّ الله تعالى قد جعل الأحكام[(٤)] بين عباده على الظاهر وتولى الحكم في سرائرهم دون أحد من خلقه، فليس لأحدٍ أن يحكم بخلاف ما ظهر؛ لأنه حكم بالظنون، ولو كان ذلك لأحدٍ كان أولى الناس به رسول الله ﷺ، وقد حكم للمنافقين بحكم المسلمين بما أظهروا ووكل سرائرهم إلى الله، وقد كذَّب الله ظاهرهم في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]»[(٥)].

قال القاضي أبو محمد: ينفصل المالكيون عما أُلزموه من هذه الآية بأنها لم تعين أشخاصهم، وإنما جاء فيها توبيخ لكل [مغموص][(٦)] عليه بالنفاق، وبقي لكل واحد منهم أن يقول: لم أُرَدْ بها، ولا أنا[(٧)] إلا مؤمن، ولو عُيِّن أحد لما جبَّ كذبه شيئاً.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ وصلت ﴿خَلَوْاْ﴾ بـ﴿إِلَىٰ﴾ ـ وعُرفها أن توصل[(٨)] بالباء فتقول: خلوت بفلان ـ من حيث نزِّلت ﴿خَلَوْاْ﴾ في هذا الموضع

---

(١) في الحمزوية وجار الله وفيض الله: «يستخرج».

(٢) لم أقف عليه، لكن ورد مثل هذا في مشركي أهل الطائف، رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥) بلفظ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً».

(٣) قال ابن النديم في الفهرست (١/ ٣٢٦): إن الطبري له مذهب في الفقه اختاره لنفسه، وله في ذلك عدة كتب منها كتاب اللطيف في الفقه يحتوي على عدة كتب: كتاب البسيط في الفقه ولم يتمه، والذي خرج منه كتاب الشروط الكبير، كتاب المحاضر والسجلات، كتاب الوصايا، كتاب أدب القاضي، كتاب الطهارة، كتاب الصلاة، كتاب الزكاة... وآخر ما أمل منه إلى سنة (٣٠٢).

(٤) في أحمد٣: «الإسلام».

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٠٠).

(٦) وفي الحمزوية ونور العثمانية: «مغموض».

(٧) وفي المطبوع: «وما أنا».

(٨) في فيض الله والحمزوية والسليمانية: «تصل».

منزلة ذهبوا وانصرفوا، إذ هو فعل معادل لقوله: ﴿لَقُوا۟﴾، وهذا مثل ما تقدَّم من قول الفرزدق:

قَـدْ قَـتَـلَ اللهُ زيـــاداً عـنِّـي[1] .... [الرجز]

لما أنزله منزلة صرف وردَّ، قال مكي: «يقال: خلوت بفلان، بمعنى: سخرت به، فجاءت ﴿إِلَىٰ﴾ في الآية زوالاً عن الاشتراك في الباء»[2].

وقال قوم: «﴿إِلَىٰ﴾ بمعنى: مع»، وفي هذا ضعفٌ، ويأتي بيانه إن شاء الله في تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وقال قوم: «﴿إِلَىٰ﴾ بمعنى الباء»؛ إذ حروف المعاني يبدل بعضها من بعض، وهذا ضعيفٌ يأباه الخليل وسيبويه وغيرهما[3].

واختلف المفسرون في المراد بـــالشياطين:

فقال ابن عباس رضي الله عنه: «هم رؤساء الكفر»[4]، وقال ابن الكلبي[5] وغيره: «هم شياطين الجن»[6]، وهذا في هذا الموضع بعيد، وقال جمع من المفسرين: «هم الكهَّان»[7].

---

(١) البيت للفرزدق كما تقدم قريباً.

(٢) الهداية لمكي (١/ ١٦٤).

(٣) القول بأنها بمعنى «إلى» نقله ابن عبد السلام في تفسيره (١/ ١٤)، وابن منظور في لسان العرب (١٤/ ٢٣٨) عن اللحياني، والقول بأنها بمعنى الباء نقله السمعاني (١/ ٥٠)، والبغوي (١/ ٦٧)، وقول سيبويه والخليل نقله في البحر المحيط (١/ ١١٣).

(٤) رواه الطبري في التفسير (١/ ٣٩٧)، وابن أبي حاتم (١/ ٤٨).

(٥) في أحمد٣: «ابن الحلبي»، وهو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو، أبو النضر الكلبي الكوفي الأخباري العلامة صاحب التفسير. روى عن الشعبي وأبي صالح باذام وأصبغ بن نباتة وطائفة. تاريخ الإسلام ت تدمري (٩/ ٢٦٧).

(٦) نقله في البحر المحيط (١/ ١١٣).

(٧) نقله في البحر المحيط (١/ ١١٣) عن الضحاك وجماعة.

ولفظ الشيطنة الذي معناه البعدُ عن الإيمان والخير يعم جميع مَن ذُكر والمنافقين حتى يقدر كل واحد شيطان غيره، فمنهم الخالون، ومنهم الشياطين.

و﴿مُسْتَهْزِءُونَ﴾ معناه: نتخذ هؤلاء الذين نصانعهم بإظهار الإيمان هزواً ونستخفُّ بهم، ومذهب سيبويه ـ رحمه الله ـ أن تكون الهمزة مضمومة على الواو في ﴿مُسْتَهْزِءُونَ﴾[(١)]، وحكى عنه أبو علي: «أنها تخفف بين بين، ومذهب أبي الحسن الأخفش[(٢)] أن تقلب الهمزة ياء قلباً صحيحاً فيُقرأ: (مستهزيون)»[(٣)].

قال ابن جني: «حمَّل الياء الضمة تذكراً لحال الهمزة المضمومة، والعرب تعاف ياء مضمومة قبلها كسرة»[(٤)].

وأكثر القراء على ما ذهب إليه سيبويه، ويقال: هزئ واستهزأ بمعنًى، فهو كعجب واستعجب، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] ومُسْتَعْجِبٍ مِمّا يَرَىٰ مِنْ أناتِنَا ... ولَو زَبَنَتْهُ الحربُ لَمْ يَتَرَمْرَمِ[(٥)]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾.

اختلف المفسرون في هذا الاستهزاء:

فقال جمهور العلماء: «هي تسمية العقوبة باسم الذَّنب»، والعرب تستعمل ذلك كثيراً، ومنه قول الشاعر:

---

(١) الكتاب (١/ ٣٠٦-٣٠٧).

(٢) معاني القرآن للأخفش (١/ ٤٥).

(٣) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١/ ٣٥٤).

(٤) انظر: المحتسب (١/ ١٦١).

(٥) البيت لأوس بن حجر في ديوانه (ص: ١٢١)، والبيان والتبيين (١/ ٤٨٠)، وشرح كتاب الأمثال للبكري (ص: ٢٠٣)، وقوله: زبنته الحرب: دفعته. وقوله: لم يترمرم، أي: لم يحرك فاه للكلام، انظر: الصحاح (١/ ٢٦٩).

ألا لا يَـجْهَـلَـنْ أحَـدٌ عَـلَـيْـنا فنَجْهَـلَ فَـوْقَ جَهْـلِ الجَاهِلِينَـا[١] [الوافر]

وقال قوم: «إنَّ الله تعالى يفعل بهم أفعالاً هي في تأمل[٢] البشر هزؤٌ، حسبما يروى أنَّ النَّار تجمد كما تجمد الإهالة، فيمشون عليها ويظنونها منجاة فتخسف بهم»[٣]، وما يُروى: أن أبواب النار تفتح لهم فيذهبون إلى الخروج، نحا هذا المنحى ابن عباس والحسن[٤].

وقال قوم: استهزاؤه بهم هو استدراجهم من حيث لا يعلمون، وذلك أنهم بِدُرُور[٥] نعم الله الدنيوية عليهم يظنون أنه راضٍ عنهم وهو تعالى قد حَتَم[٦] عذابهم، فهذا على تأمل البشر كأنه استهزاء.

﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ معناه: يزيدهم في الطغيان، وقال مجاهد: «معناه: يملي لهم»[٧].

قال يونس بن حبيب[٨]: «يقال: مد في الشر، وأمد في الخير»[٩].

وقال غيره: «مدَّ الشيءُ، ومدَّه[١٠] ما كان مثله ومن جنسه، وأمدَّه ما كان مغايراً له، تقول: مدَّ النهرُ ومدَّه نهر آخر، ويقال أمدَّه»[١١].

---

(١) من معلقة عمرو بن كلثوم كما تقدَّم قريباً.

(٢) وفي الحمزوية: «تأويل»، في الموضعين.

(٣) نقله القرطبي (١/ ٢٠٨)، وابن عرفة في تفسيره (٢/ ١٥١)، ولم أجده مسنداً.

(٤) انظر: الطبري (١/ ٣٠٤)، وابن أبي حاتم (١/ ٤٨).

(٥) في الحمزوية: «يرون».

(٦) في الحمزوية: «ختم عليهم»، وفي جار الله: «ختم عذابهم».

(٧) انظر قول مجاهد في تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٤٨)، وتفسير الطبري (١/ ٣٠٧)، ونقله أيضاً عن ابن مسعود وبعض الصحابة.

(٨) هو العلامة، أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي مولاهم البصري، إمام أهل النحو، أخذ عن: أبي عمرو بن العلاء، وحماد بن سلمة، وغيرهما، أخذ عنه: الكسائي، وسيبويه، والفراء، وله مصنفات في العربية، توفي سنة (١٨٣هـ). تاريخ الإسلام (١٢/ ٤٨١).

(٩) تهذيب اللغة (١٤/ ٦٠).

(١٠) في أحمد٣: «وأمده».

(١١) انظر هذا الفرق في المحكم (٩/ ٢٨٨) عن ثعلب، واللغتان في النهر فيه (٢/ ٤٤٤) عن أبي حاتم و(٣/ ٢٣) عن أبي عبيد.

قال اللحياني: «يقال لكلِّ شيء دخل فيه مثله فكثَّره: مده يمده مدّاً، وفي التنزيل: ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: ٢٧]، ومادة الشيء ما يمده دخلت فيه الهاء للمبالغة»[١].

قال ابن قتيبة[٢] وغيره: «مددتُ الدواة وأمددتها بمعنى»[٣].

قال القاضي أبو محمد: يشبه أن يكون مددتها: جعلت إلى مدادها آخر، وأمددتها: جعلتها ذاتَ مداد، مثل: قَبَـرَ وأَقْبَـرَ، وحَصَرَ وأَحْصَرَ، ومددنا القوم صرنا لهم أنصاراً، وأمددناهم بغيرنا، وحكى اللحياني أيضاً: «أمدّ الأمير جنده بالخيل»[٤]، وفي التنزيل: ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [الإسراء: ٦].

[٣٣] قال بعض اللغويين: «﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾؛ أي: / يمهلهم ويلجُّهم»[٥].

فتحتمل اللفظة أن تكون من المد الذي هو المطل والتطويل، كما فسَّر: ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ [الهمزة: ٩]، ويحتمل أن تكون من معنى الزيادة في نفس الطغيان، [والطغيان: الغلو وتعدي الحد، كما يقال: طغا الماء وطغت النار.

وروي عن الكسائي إمالة: ﴿طُغْيَٰنِهِمْ﴾[٦]][٧].

---

(١) نقله عنه ابن سيده في المحكم (٩/ ٢٨٨).

(٢) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَريّ، أبو محمد، من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين، ولد ببغداد وسكن الكوفة، ثم ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها، من كتبه: غريب القرآن، وأدب الكاتب، وغيرهما، توفي سنة (٢٧٦هـ)، الأعلام للزركلي (٤/ ١٣٧).

(٣) في أدب الكاتب (١/ ٣٣٤).

(٤) انظر: المحكم (٩/ ٢٨٨)، واللسان (٣/ ٣٩٦).

(٥) تفسير الثعلبي (١/ ١٥٨)، وتفسير السمعاني (١/ ٥١).

(٦) هي من تفرد الكسائي من رواية الدوري عنه. انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ٤٩).

(٧) ساقط من أحمد٣.

و﴿يَعۡمَهُونَ﴾ معناه[١]: يترددون حيرةً، والعَمَه: الحيرة من جهة النظر، والعامِهُ الذي كأنه لا يبصر من التحير في ظلام أو فلاة أو همٍّ.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى المتقدم ذكرهم، وهو رفع بالابتداء و﴿ٱلَّذِينَ﴾ خبره[٢]، و﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾ صلة لــ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وأصله: اشتريوا، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فانقلبت ألفاً، فحذفت لالتقاء الساكنين، وقيل: استثقلت الضمة على الياء فسكِّنت وحذفت للالتقاء، وحركت الواو بعد ذلك للالتقاء بالساكن بعدها، وخصت بالضم لوجوه، منها: أن الضمة أخت الواو وأخف الحركات عليها، ومنها: أنه لما كانت واوَ جماعة ضمت كما فعل بالنون في «نحن»، ومنها: أنها ضمت إتباعاً لحركة الياء المحذوفة قبلها، قال أبو علي: «صار الضم فيها أولى ليفصَل بينها وبين واو «أو» و«لو» إذ هذان يحركان بالكسر»[٣].

وقرأ أبو السَّمَّال قَعْنَبٌ العَدَوي[٤] بفتح الواو في: (اشتروَا الضلالة)[٥]، وقرأها يحيى ابن يَعْمَرَ بكسر الواو[٦].

والضلالة والضلال: التلف، نقيض الهدى الذي هو الرشاد إلى المقصد.

واختلفت عبارة المفسرين في معنى قوله: ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾:

فقال قومٌ: «أخذوا الضلالة وتركوا الهدى». وقال آخرون: «استحبوا الضلالة وتجنبوا الهدى كما قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]».

---

(١) من السليمانية وأحمد٣.

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٠).

(٣) الحجة للفارسي (١/ ٣٦٩).

(٤) هو أبو السمال قعنب بن أبي قعنب العدوي، البصري المقرئ، له قراءة شاذة في الكامل لأبي القاسم الهذلي وفي غيره. رواها عنه أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري، قال الهذلي: إمام في العربية، توفي في حدود (١٦٠ هـ). انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٩/ ٥٧٦).

(٥) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٢)، وهي قراءة شاذة.

(٦) المحتسب لابن جني (١/ ٥٤)، وهي قراءة شاذة.

وقال آخرون: «الشراء هنا استعارة وتشبيه، لمَّا تركوا الهدى وهو معرَّض لهم ووقعوا بدله في الضلالة واختاروها شُبهوا بمن اشترى فكأنهم دَفعوا في الضلالة هداهم إذ كان لهم أخذُه»[١].

وبهذا المعنى تعلق مالك رحمه الله في منع أن يشتري الرجل على أن يتخيَّر في كل ما تختلف آحاد جنسه ولا يجوز فيه التفاضل[٢].

وقال قوم: «الآية فيمن كان آمن من المنافقين ثم ارتد في باطنه وعقده، ويقرب[٣] [الشراء من الحقيقة][٤] على هذا»[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمۡ﴾ ختم للمثل بما يشبه مبدأه في لفظة الشراء، وأسند الربح إلى التجارة كما قالوا: ليل قائمٌ ونهار صائمٌ. والمعنى: فما ربحوا في تجارتهم.

وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة: (فما رَبِحَت تجاراتهم) بالجمع[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ قيل: المعنى: في شرائهم هذا، وقيل: على الإطلاق، وقيل: في سابق علم الله، وكل هذا يحتمله اللفظ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾.

«الْمَثل، والْمِثل، والْمَثيل» واحد، معناه: الشِّبه، هكذا نصَّ أهلُ اللغة، والمتماثلان المتشابهان، وقد يكون مِثْلُ الشيء جِرماً مثله، وقد يكون ما تعقل النفس وتتوهمه من

(١) نقل ابن أبي حاتم (١/ ٥٠)، والطبري (١/ ٣١٢) الأول عن السدي، والثاني عن قتادة؛ ونقل الثالث الباقلاني في إعجاز القرآن (١/ ٧٧).

(٢) انظر: الذخيرة (٥/ ٣٢)، والتاج والإكليل للمواق (٧/ ١٥).

(٣) وفي الحمزوية: «ويُفسَّر».

(٤) في أحمد٣: «من الشراء إلى الحقيقة».

(٥) روى ابن أبي حاتم (١/ ٥٠) عن قتادة أنها نزلت في المنافقين.

(٦) تفسير الثعلبي (١/ ١٥٩)، وهي قراءة شاذة.

الشيء مثلاً له، فقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ﴾ معناه: أن الذي يتحصل في نفس الناظر في أمرهم كمثل الذي يتحصل في نفس الناظر في أمر المستوقد، وبهذا يزول الإشكال[١] الذي في تفسير قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الرعد: ٣٥]، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؛ لأنَّ ما يتحصل للعقل من وحدانيته وأزليته ونفي ما لا يجوز عليه ليس يماثله فيه شيء، وذلك المتحصِّل هو المثل الأعلى الذي في قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، وقد جاء في تفسيره أنه: لا إله إلا الله، ففسِّر بجهة الوحدانية.

وقوله: ﴿مَثَلُهُمْ﴾ رفع بالابتداء، والخبر في الكاف، وهي على هذا اسم[٢]، كما هي في قول الأعشى:

أَتَنْتَهُونَ ولَنْ يَنْهَىٰ ذَوِي شَطَطٍ كالطَّعْنِ يَذْهَبُ فيهِ الزَّيْتُ والفُتُلُ[٣] [البسيط]

ويجوز أن يكون الخبر محذوفاً تقديره: مثلهم مستقرٌ كمثل، فالكاف على هذا حرف، ولا يجوز ذلك في بيت الأعشى؛ لأن المحذوف فاعلٌ تقديره: شيء كالطعن، والفاعل لا يجوز حذفه عند جمهور البصريين، ويجوز حذف خبر الابتداء إذا كان الكلام دالّاً عليه، وجوَّز أبو الحسن الأخفش حذفَ الفاعل[٤]، وأن يكون الكاف في بيت الأعشى حرفاً.

ووحّدَ ﴿ٱلَّذِى﴾ لأنَّه لم يقصد تشبيه الجماعة بالجماعة، وإنما المقصَدُ أنَّ كلَّ واحدٍ من المنافقين فعله كفعل المستوقد، و﴿ٱلَّذِى﴾ أيضاً ليس بإشارة إلى واحدٍ ولا بدَّ، بل إلى هذا الفعل: وقع من واحد أو من جماعة.

---

(١) الإشكال المشار إليه هو أن إضافة المثل إلى الله تعالى أو إلى الجنة يتوهم منها وجود مثل لهما وذلك غير مقصود؛ إذ لا وجود له.

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٩٣)، والمقتضب (١/ ٢٣٧).

(٣) البيت للأعشى كما تقدَّم قريباً، والشطر الأول ساقط من الأصل، وتم التنبيه في هامشه على أنه نسخة.

(٤) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة، ونقل عنه ذلك الرضي في شرح الكافية (٤/ ١٢٩)، وانظر: الخزانة (٤/ ٢٦٠).

قال النحويون: «الَّذي: اسم مبهمٌ يقع للواحد والجميع».

و﴿ٱسۡتَوۡقَدَ﴾ قيل: معناه: أوقد، فذلك بمنزلة عجب واستعجب بمعنًى.

قال أبو علي: «وبمنزلة هزئ واستهزأ، وسخر واستسخر، [وقرَّ واستقر][1]، وعلا قرنه واستعلاه، وقد جاء استفعل بمعنى أفعل: أجاب واستجاب، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] وَدَاعٍ دَعَـا يَا مَنْ يُجيـبُ إلىٰ النَّدىٰ ... فَلَـمْ يَسْـتَجِبْهُ عِنْـدَ ذاك مُجِيـبُ[2]

وأخلف لأهله واستخلف: إذا جلب لهم الماء، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] ومُسْـتَخْلِفاتٍ مـن بِـلادِ تَنُوفَـةٍ ... لِمُصْفَرَّةِ الأَشْـداقِ حُمرِ الحَوَاصِلِ[3]

ومنه قول الآخر:

[الطويل] .... سَـقَاها فَرَوَّاها من المَاءِ مُخْلِفُ[4]

[٣٤] / ومنه: أوقد واستوقد، قاله أبو زيد»[5]، وقيل: ﴿ٱسۡتَوۡقَدَ﴾ يراد به طلب من غيره أن يوقد له، على المشهور من باب استفعل، وذلك يقتضي حاجته إلى النار، فانطفاؤها مع حاجته إليها أنكى له.

---

(١) ساقط من جار الله وفيض الله.

(٢) البيت لكعب بن سعد الغنوي كما في تفسير الطبري (٣/ ٤٨٣)، ومجاز القرآن (١/ ٦٧)، ونوادر أبي زيد (ص: ٣٧)، والأصمعيات (ص: ٩٦) من قصيدة يرثي بها أخاه أبا المغوار، وبعد البيت: فَقُلْتُ ادْعُ أخْرى وارْفع الصَّوتَ جَهرَة لَعَلَّ أبَا الْمِغْوار مِنْكَ قَرِيبُ، وهو لابنه محمد في جمهرة أشعار العرب (ص: ٥٥٥)، والشطر الأول ساقط من الأصل وفيض الله وأثبتناه من النسخ الأخرى.

(٣) البيت لذي الرمَّة كما في الأمالي للقالي (١/ ١٥٨)، والمخصص (٢/ ٤٦٣)، والتنوفة: الأرض الواسعة البعيدة الأطراف، أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس وإن كانت معشبة، جمعها: تنائف.

(٤) عجز بيت للحطيئة، وصدره: كأن دموعي سح واهية الكلى، انظر عزوه له في لسان العرب (٩/ ٨٨)، وقد استشهد به ابن سيده في المحكم والمحيط الأعظم (٥/ ٢٠٠)، وأبو علي في الحجة (١/ ٣٥٣)، بلا نسبة، ومن الحجة نقل المؤلف هذا كله.

(٥) نقله عنه ابن سيده في المخصص (٣/ ١٦٧).

واختلف في ﴿أَضَآءَتۡ﴾ فقيل: يتعدى؛ لأنه نُقل بالهمزة من ضاء، ومنه قول العباس بن عبد المطلب في النبيﷺ:

وأنــت لما وُلِــدْتَ أشْـرقـتِ الـ ... أرضُ وضَـاءَتْ بنُـورِك الطـرق[1] [المنسرح]

وعلى هذا، فـ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا حَوۡلَهُۥ﴾ مفعولة[2]، وقيل: ﴿أَضَآءَتۡ﴾ لا تتعدى، لأنه يقال: ضاء وأضاء بمعنًى، فـ﴿مَا﴾ زائدة، و﴿حَوۡلَهُۥ﴾ ظرف.

واختلف المتأولون في فعل المنافقين الذي يشبه فعل الذي استوقد ناراً:

فقالت طائفة: «هي فيمن كان آمن ثمَّ كفر بالنفاق، فإيمانه بمنزلة النار إذا أضاءت، وكفره بعد بمنزلة انطفائها وذهاب النور».

وقال الحسن بن أبي الحسن وغيره: «إنَّ ما يُظهر المنافق في الدنيا من الإيمان فيحقن به دمه ويحرز ماله ويناكح ويخالط كالنار التي أضاءت ما حوله، فإذا مات صار إلى العذاب الأليم، فذلك بمنزلة انطفائها وبقائه في الظلمات».

وقالت فرقة: «إنَّ إقبال المنافقين إلى المسلمين وكلامهم معهم كالنار، وانصرافهم إلى مردتهم وارتكاسهم عندهم كذهابها».

وقالت فرقة: إن المنافقين كانوا عند رسول الله ﷺ والمؤمنين في منزلة بما أظهروه، فلما فضحهم الله وأعلم بنفاقهم سقطت المنزلة، فكان ذلك كله بمنزلة النار وانطفائها.

وقالت فرقة منهم قتادة: نطقهم: بـ«لا إله إلا الله»، والقرآن كإضاءة النار، واعتقادهم الكفر بقلوبهم كانطفائها[3].

---

(١) البيت للعباس بن عبد المطلب في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٣٦٩)، والمعجم الكبير (٤/ ٢١٣)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٣/ ٤١٠)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٧٥)، وأمالي الزجاجي (ص: ٦٦)، وفي نسخة الحمزوية والمطبوع بدل «الطرق»: «الأفق».

(٢) في جار الله: «مفعول».

(٣) هذه خمسة أقوال متقاربة بل متداخلة: فالثاني نقله ابن أبي حاتم (١/ ٥١) عن عكرمة والحسن والسدي والربيع بن أنس وعطاء الخراساني، ونقله الطبري (١/ ٣٢٢) عن الضحاك، ونقل الطبريُّ الأول عن قتادة، والثالث عن مجاهد، والخامس عن قتادة.

قال جمهور النحاة: جواب ﴿فَلَمَّآ﴾: ﴿ذَهَبَ﴾، ويعود الضمير من «نورهم» في هذا القول على ﴿ٱلَّذِى﴾، ويصح شَبَه الآية بقول الشاعر:

[الطويل] وَإِنَّ الَّـذِي حَانَـتْ بِفَلْـجٍ دِمَاؤُهُـمْ   هُـمُ الْقَـوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَـا أُمَّ خَالِدِ[1]

وعلى هذا القول يتم تمثيل المنافق بالمستوقد؛ لأن بقاء المستوقد في ظلمات لا يبصر كبقاء المنافق على الاختلاف المتقدم.

وقال قوم: جواب ﴿فَلَمَّآ﴾ مضمر وهو طفئت، والضمير في نورهم على هذا للمنافق، والإخبار بهذا هو عن حالٍ تكونُ في الآخرة، وهو قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ﴾ [الحديد: ١٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا القولُ غير قوي.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن وأبو السَّمَّال: (في ظُلْماتٍ) بسكون اللام[2]، وقرأ قوم: (ظُلَماتٍ) بفتح اللام[3].

قال أبو الفتح: «في (ظُلُمات، وكِسِرات) ثلاث لغات: إتباع الضمِّ الضمَّ، والكسرِ الكسرَ، أو التخفيف بأن يُعدل إلى الفتح في الثاني، أو التخفيف بأن يسكَّن الثاني، وكل ذلك جائزٌ حسن، فأمَّا فَعْلَة بالفتح فلا بدَّ فيه من التثقيل إتباعاً، فتقول: ثَمَرَة وثَمَرَات»[4].

وذهب قومٌ في (ظُلَماتٍ) بفتح اللام إلى أنه جمع ظُلَم، فهو جمع جمع[5].

---

(١) البيت لأشهب بن رميلة في البيان والتبيين (٣/ ٢٨٠)، ومجاز القرآن (٢/ ١٩٠)، والكتاب (١/ ١٨٦)، والمقتضب (٤/ ١٤٦)، والمحكم (١٠/ ١٠٨)، والمحتسب (١/ ١٨٥)، وفلج: اسم موضع.

(٢) المحتسب لابن جني (١/ ٥٦)، إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٧٢)، تفسير الكشاف للزمخشري (١/ ١١١)، وهي قراءة شاذة.

(٣) نسبها الثعلبي (١/ ١٦٣) لأشهب العقيلي، وهي قراءة شاذة.

(٤) المحتسب لابن جني (١/ ٥٦).

(٥) نقله النحاس في إعراب القرآن (١/ ٢٣)، عن الكسائي.

والأصم: الذي لا يسمع، والأبكم: الذي لا ينطق ولا يفهم، فإذا فهم فهو الأخرس، وقيل: الأبكم والأخرس واحدٌ، ووصفهم بهذه الصفات إذ أعمالهم من الخطأ وقلة الإجابة كأعمال من هذه صفته، و﴿ صُمٌّ ﴾ رفع على خبر ابتداء، فإمَّا أن يكون ذلك على تقدير تكرار ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾، وإمَّا على إضمارِ هم.

وقرأ عبد الله بن مسعود وحفصة أم المؤمنين ـ رضي الله عنهما ـ: (صمّاً بكماً عمْياً) بالنصب[١]، ونصبه على الحال من الضمير في ﴿مُهْتَدِينَ ﴾، وقيل: هو نصب على الذم، وفيه ضعف، وأمَّا مَن جعل الضمير في «نورهم» للمنافقين لا للمستوقدين فنصب هذه الصفات ـ على قوله ـ على الحال من الضمير في «تَرَكَهُمْ».

قال بعضُ المفسرين: «قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ إخبارٌ منه تعالى أَنَّهم [لا يؤمنون][٢] بوجهٍ».

قال القاضي أبو محمد: وإنما كان يصح هذا أن لو كانت الآية في معيَّنين.

وقال غيره: «معناه: فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ما داموا على الحال التي وصفهم بها»، وهذا هو الصحيحُ؛ لأنَّ الآيةَ لم تعين، وكلهم معرضٌ للرجوع مدعوٌّ إليه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾.

﴿ أَوْ ﴾ للتخيير، معناه: مثِّلوهم بهذا أو بهذا، لا على الاقتصار على أحد الأمرين، وقوله: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ معطوف على﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ﴾. وقال الطبري: «﴿ أَوْ ﴾ بمعنى الواو»[٣]، وهذه عجمة.

---

(١) عزاها الفراء في معاني القرآن (١/ ١٦) لابن مسعود، والنحاس في إعراب القرآن (١/ ٢٣) له ولحفصة، وهي قراءة شاذة.
(٢) في الحمزوية: «لا يرجعون».
(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٣٦).

والصيب: المطرُ، مِنْ صَابَ يصوب: إذا انحطَّ من علوٍ إلى سفلٍ، ومنه قول علقمة ابن عَبَدَة(١):

[الطويل] كَـأَنَّهُـمُ صَابَـتْ عَـلَيْهِـمْ سَحَابَةٌ صَـوَاعِقُهَـا لِطَيْرِهِـنَّ دَبِيـبُ(٢)

وقول الآخر:

[الطويل] فَلَسْتَ لإِنْسِـيٍّ ولَـكِـنْ لملأكٍ تَنَـزَّلَ مِـن جَوِّ السَّـمَاءِ يَصُـوبُ(٣)

وأصل صيِّب: صَيْوِب، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت [الياء](٤)، كما فعل في سيّد وميّت.

[٣٥] وقال بعض الكوفيين: «أصل صيّب: صويب/ على مثال فعيل وكان يلزمه أن لا يُعل كما لم يعل طويل، فبهذا يضعف هذا القول»(٥).

---

(١) هو علقمة بن عبدة من بني تميم، جاهليّ. وهو الذي يقال له: علقمة الفحل، وسمّي بذلك لأنّه احتكم مع امرئ القيس إلى امرأته أمّ جندب لتحكم بينهما، فقالت: قولا شعراً تصفان فيه الخيل على رويّ واحد وقافية واحدة فحكمت له. الشعر والشعراء (١/ ٢١٢).

(٢) البيت لعلقمة الفحل في ديوان الست (١/ ١٤٦)، ومجاز القرآن (١/ ٣٣)، والمفضليات (ص: ٣٩٣)، وتفسير الطبري (١/ ٣٣٣)، وتفسير الماوردي (١/ ٨١)، وسيرة ابن هشام (١/ ٥٣٢)، والحيوان للجاحظ (٣/ ٨٩)، وغيرهم من أكابر أئمة اللغة كالمرزباني في الموشح (ص: ١٢٠)، وابن قتيبة في المعاني الكبير (٢/ ٨٦٠)، والأخفش في الاختيارين (ص: ٦٥٥)، ولعلَّ من أنكره من المتأخرين لم يقف على نسخة الديوان الصحيحة أو التبس عليه بيت آخر، والمعنى: أصابتها الصواعق فلم تقدر على الطيران من الفزع فجعلت تدب طلباً للنجاة.

(٣) البيت لعلقمة بن عبدة الفحل أيضاً كما في صلة ديوانه (ص: ١١٨)، ونسبه له ابن الأنباري في الزاهر (٢/ ٢٥٥)، والضبي في المفضليات (ص٣٩٤)، والأعلم في دواوين الستة (٢/ ٣٧٩)، وفي شرحه لديوان علقمة (ص: ١٨) البيت رقم (٣٢)، قال: ويروى هذا البيت لغير علقمة، والصحيح أنه له، ورجح ذلك أيضاً التبريزي في تهذيب إصلاح المنطق (١/ ١٢٦)، ونسبه له أيضاً الكسائي كما في تاج العروس (٢٧/ ٣٥٤)، قال: وقال ابن السيرافي: هو لأبي وجزة يمدح به عبد الله بن الزبير، وأنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٣٣) لرجل من عبد القيس جاهلي يمدح بعض الملوك، وينسب البيت أيضا للبيد، وهو في بعض نسخ ديوان متمم بن نويرة.

(٤) من أحمد٣.

(٥) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٣)، ومشكل الإعراب للقيسي (١/ ٨١).

وقوله تعالى: ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾ بالجمع، إشارة إلى ظلمة الليل وظلمة الدَّجْن، ومن حيث تتراكب وتتزايد جُمعت، وكون الدَّجْن مظلماً هول وغم للنفس، بخلاف السحاب والمطر إذا انجلى دجنه، فإنه سارٌّ جميل، ومنه قول قيس بن الخطيم:

[المتقارب]

فما رَوْضَةٌ من رِياضِ القَطا كأنَّ المصابيحَ حُوذانُها
بأحْسنَ منْها ولا مُزْنَةٌ دَلوحٌ تَكَشَّفُ أدجانُها[١]

واختلف العلماءُ في الرعد:

فقال ابن عباس، ومجاهد، وشهر بن حوشب[٢] وغيرهم: «هو ملك يزجر السحاب بهذا الصوت المسموع، كلما خالفت سحابة صاح بها، فإذا اشتد غضبه طار النار من فيه، فهي الصَّواعِق»[٣]، واسم هذا الملك: الرعد، وقيل: «الرعد: ملك، وهذا الصوت تسبيحه»، وقيل: «الرَّعد: اسم الصوت المسموع»، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهذا هو المعلومُ في لغة العرب، وقد قال لبيد في جاهليته:

[المنسرح]

فَجَعني الرّعْدُ والصّواعِقُ بالْـ ـفَارس يَوم الكريهَة النَّجُدِ[٤]

وروي عن ابن عباس أنه قال: «الرَّعد: ريح تختنق بين السحاب [فتصوِّت][٥]

---

(١) البيتان لقيس بن الخطيم كما في الأغاني (٢/ ٤١٧)، وحماسة الخالديين (ص: ٢٣)، ورياض القطا: اسم موضع فيه نبت وماء مستدير. وقوله: «كأن المصابيح إلخ..» فيه قلب، والأصل: كأن حوذانها المصابيح، والعرب تفعل ذلك، والحوذان: نبت طيب يرتفع قدر الذراع وله زهرة حمراء في أصلها صفرة. والدَّلوح: السحابة الكثيرة الماء.

(٢) هو شهر بن حوشب الأشعري الشامي، مولى أسماء بنت يزيد، روى عنها، وأبي هريرة، وعائشة، وقرأ القرآن على ابن عباس، وروى عنه: قتادة، ومعاوية بن قرة، وجماعة، قال ابن معين: ثبت، وقال النسائي: ليس بالقوي، توفي في حدود المئة. تاريخ الإسلام (٦/ ٣٨٦).

(٣) لا بأس بمجموع طرقه: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٣٣٩) من عدة طرق عن ابن عباس، بعضها مستقيم.

(٤) البيت للبيد بن ربيعة العامري كما في الأغاني (١٧/ ٦٧)، وتهذيب اللغة (١/ ١١٧)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٥٧٠)، والشعر والشعراء (١/ ٢٧٠)، والكامل في اللغة والأدب (٤/ ٢٨).

(٥) في الأصل: «فتصوب».

ذلك الصوت»[١]، وقيل: «الرعد: اصطكاكُ أجرامِ السّحاب»[٢]، وأكثر العلماء على أنَّ الرَّعدَ ملكٌ، وذلك صوته يسبح ويزجر السحاب[٣].

واختلفوا في البرق:

فقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: هو مخراقُ حديدٍ بيدِ الملك يسوق به السحاب[٤]، [وقال ابنُ عباس: هو سوطُ نورٍ بيد الملك يزجي[٥] به السحاب] [٦]، وروي عن ابنِ عباس رضي الله عنه: «أنَّ البرقَ ملكٌ يتراءى»[٧]، وقال قومٌ: «البرقُ ماءٌ»[٨]، وهذا قولٌ ضعيفٌ.

والصاعقة: قال الخليل: «هي الواقعة الشديدة من صوت الرعد يكون معها أحياناً قطعة نار، يقال: إنها من المخراق الذي بيد الملك»[٩]، وقيل في قطعة النار: إنها ما يخرج من فم الملك عند غضبه، وحكى الخليل عن قوم من العرب: السّاعقة بالسين[١٠]، وقال النقاش: «يقال: صاعقة، وصَعِقة، وصاقعة بمعنى واحد»[١١].

---

(١) ضعيف: أثر ابن عباس في تفسير الرعد بالريح ـ وليس فيه ما بعده هنا إنما هذا من قول الطبري نفسه ـ أخرجه الطبري (١/ ٣٤١) بإسنادين؛ الأول فيه من لم أعرفهم، والثاني منقطع.

(٢) تفسير الماوردي (١/ ٨٣).

(٣) تفسير الطَّبري (١/ ٣٤١).

(٤) ضعيفٌ: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٣٤٣) بإسنادين فيهما مجاهيل.

(٥) في جار الله: «يزجر».

(٦) ساقط من السليمانية، وهذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٣٤٣) بإسناد فيه من لم أعرفه.

(٧) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٣٤٣) بإسناد ضعيف.

(٨) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٣٤٣) عن ابن عباس بأحد إسنادي تفسير الرعد بالريح، وفيه من لم أعرفهم.

(٩) العين (١/ ١٢٩) بمعناه.

(١٠) نقله القرطبي (١/ ٢١٩)، وفي العين (١/ ١٢٩): قال الخليل: «كل صاد قبل القاف إن شئت جعلتها سينا لا تبالي متصلة كانت بالقاف أو منفصلة، بعد أن تكونا في كلمة واحدة»، وذكر بعض الأمثلة ليس منها لفظ: الصاعقة، لكن كلامه يشملها.

(١١) نقله عنه القرطبي (١/ ٢١٩)، وانظر اللغات الثلاث في الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١٢١).

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (من الصواقع) بتقديم القاف[١]، قال أبو عمرو: وهي لغة تميم[٢].

وقرأ الضحاك بن مزاحم: (حِذارَ الموت): بكسر الحاء وبألف[٣].

واختلف المتأولون في المقصد بهذا المثل، وكيف تترتب أحوال المنافقين الموازنة لما في المثل من الظلمات والرعد والبرق والصواعق؟:

فقال جمهور المفسرين: «مثَّل الله تعالى القرآن بالصيب لما فيه من الإشكال عليهم، والعمى: هو الظلمات، وما فيه من الوعيدِ والزَّجرِ هو الرَّعدُ، وما فيه من النورِ والحججِ الباهرةِ التي تكاد أحياناً[٤] أن تبهرهم هو البرقُ، وتخوُّفُهم وروعهم [وحذرهم هو جعل أصابعهم في آذانهم، وفضحُ نفاقهم، واشتهارُ كفرهم، وتكاليفُ الشرع التي يكرهونها من الجهاد والزكاة][٥] ونحوه هي الصواعق».

قال القاضي أبو محمد: وهذا كلُّه صحيحٌ بَيِّنٌ.

وروي عن ابن مسعود أنه قَال: «إنَّ رجلين من المنافقين هرَبَا مِنَ النَّبي ﷺ إلى المشركين، فأصابهما هذا المطرُ الَّذي ذَكَرَ اللهُ وأَيْقَنَا بالهلاك، فقالا: ليتنا أصبحنا فنأتيَ محمداً ونضع أيدينا في يده، فأصبحَا وأتيَاه وحسن إسلامهما، فضرب اللهُ ما نزل بهما مثلاً للمنافقين»[٦].

---

(١) مختصر الشواذ (ص: ٩)، والشواذ للكرماني (ص: ٥٣)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٤).

(٢) كما في الكامل للمبرد (٣/ ٢٣٤)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٤)، قال: وبعض ربيعة.

(٣) الشواذ للكرماني (ص: ٥٣)، وزاد أبا السمال، وعزاها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٩) للّؤلؤي عن أبيه، والثعلبي في تفسيره (١/ ١٦٤) لقتادة، والهذلي في الكامل في (ص: ٤٨١) لابن مقسم ورواية عن أبي السمال، وهي قراءة شاذة.

(٤) من نور العثمانية والسليمانية وأحمد٣.

(٥) ساقط من أحمد٣.

(٦) لا يصح: أخرجه الطبري (١/ ٣٤٦) مطولًا بإسناد هكذا: أسباط، عن السُّدّيّ في خبر ذكره، عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مُرَّة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ، وقد ارتاب الطبري نفسه في هذا الإسناد ونفى صحته (١/ ٣٥٤).

وقال أيضاً ابنُ مسعود: «إنَّ المنافقين في مجلس رسول الله ﷺ كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا القرآن، فضرب الله المثل [لهم][(١)]»[(٢)]، وهذا وفاقٌ لقول الجمهور الذي ذكرناه.

وقال قومٌ: «الرعد والبرق هما بمثابة زجر القرآن ووعيده».

و﴿مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ معناه: بعقابه وأخذه، يقال: أحاط السلطان بفلان إذا أخذه أخذاً حاصراً من كل جهة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف: ٤٢] ففي الكلام حذف مضاف، و﴿يَكَادُ﴾ فعل ينفي المعنى مع إيجابه ويوجبه مع النفي، فهنا لم يخطف البرق الأبصار، والخطف: الانتزاع بسرعة.

واختلفت القراءة في هذه اللفظة:

فقرأ جمهورُ النَّاس: ﴿يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾: بفتح الياء والطاء وسكون الخاء، على قولهم في الماضي: خطِف بكسر الطاء وهي أفصح لغات العرب، وهي القرشية.

وقرأ علي بن الحسين، ويحيى بن وثاب: (يَخْطِفُ) بفتح الياء وسكون الخاء وكسر الطاء[(٣)] على قول بعض العرب في الماضي: خطف بفتح الطاء، ونسب المهدوي هذه القراءة إلى الحسن وأبي[(٤)] رجاء، وذلك وهمٌ[(٥)].

وقرأ الحسن، وأبو رجاء، وعاصم الجحدري[(٦)]، وقتادة: (يَخِطِّفُ) بفتح

(١) وفي الحمزوية: «بهم».
(٢) هو نفس الخبر السابق.
(٣) انظر عزوها لهما في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٤)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ١٨٠) وهي قراءة شاذة.
(٤) في أحمد٣: ابن أبي رجاء.
(٥) وافقه على نقله عنه وتخطئته أبو حيان في البحر المحيط (١/ ١٤٦)، وانظر التحصيل للمهدوي (١/ ٤٩).
(٦) هو عاصم بن أبي الصباح الجحدري البصري، أخذ القراءة عرضاً عن سليمان بن قتة عن ابن عباس وقرأ عليه عرضاً سلام وعيسى بن عمر الثقفي، وقراءته في الكامل والاتضاح فيها مناكير ولا يثبت سندها إليه، توفي سنة (١٢٨هـ). غاية النهاية (١/ ٣٤٩).

الياء وكسر الخاء والطاء وتشديد الطاء[١]، وهذه أصلها: يختطف، أدغمت [التاء في الطاء][٢] وكسرت الخاء لالتقاء الساكنين.

وحكى ابنُ مجاهد قراءةً لم ينسبْها إلى أحدٍ: (يَخَطِّفُ) بفتح الياء والخاء وتشديد الطاء المكسورة[٣]، قال أبو الفتح: «أصلها: يختطف، نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت التاء في الطاء»[٤].

وحكى أبو عمرو الدانيُّ عن الحسن أيضاً، أنه قرأ: (يَخَطَّفُ) بفتح الياء والخاء والطاء وشدها[٥]، وروي/ أيضاً عن الحسن والأعمش [(يِخِطِّفُ)][٦] بكسر الثلاثة وشد الطاء منها[٧]، وهذه أيضاً أصلها: يختطف، أدغم وكسرت الخاء للالتقاء وكسرت الياء إتباعاً. [٣٦]

وقال عبد الوارث: «رأيتها في مصحف أبي بن كعب (يَتَخَطَّفُ) بالتاء بين الياء والخاء»[٨].

وقال الفراء: «قرأ بعضُ أهلِ المدينة بفتح الياء وسكون الخاء وشد الطاء مكسورة»[٩].

---

(١) انظر عزوها لهم في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٤)، وإلا أبا رجاء في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ١٨١)، وهي قراءة شاذة.

(٢) في السليمانية: «الطاء في التاء».

(٣) نقله عنه ابن جني في المحتسب (١/ ٥٨) بلفظ: «ولم يرو لنا عن أحد»، وعزاها الثعلبي (١/ ١٦٤) لابن أبي إسحاق.

(٤) المحتسب لابن جني (١/ ٥٩).

(٥) وهي قراءةٌ شاذة، وعزاها له أيضاً الزمخشري في الكشاف (١/ ٨٦)، والنحاس في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٤).

(٦) ليست في المطبوع.

(٧) نقلها عن الحسن الهذلي في الكامل (ص: ٤٨١)، وهي قراءة شاذة.

(٨) نقله عنه في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٥)، وانظر عزوها لأبي أيضاً في تفسير الثعلبي (١/ ١٦٤)، وهي قراءة شاذة.

(٩) معاني القرآن للفراء (١/ ١٨)، وأنكرها عنهم ابن مجاهد كما في المحتسب (١/ ٦١).

قال أبو الفتح: «إنما هو اختلاسٌ وإخفاء، فيَلْطُف عندهم فيرون أنه إدغام وذلك لا يجوز؛ لأنه جمع بين ساكنين دون عذر»[١].

وحكى الفراءُ قراءةً عن بعض الناس بضم الياء وفتح الخاء وشد الطاء مكسورة[٢]، كأنه تشديد مبالغة لا تشديد تعدية.

ومعنى: ﴿ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴾ تكاد حجج القرآن وبراهينه وآياته الساطعة تبهرهم، وَمَنْ جعل الْبَرْق في المثل الزجر والوعيد قال: يكاد ذلك يصيبهم.

و﴿كُلَّمَآ﴾ ظرفٌ، والعامل فيه ﴿مَّشَوۡاْ﴾ وهو أيضاً جواب: ﴿كُلَّمَآ﴾، و﴿أَضَآءَ﴾ صلةُ «مَا»، ومَنْ جَعَلَ ﴿أَضَآءَ﴾ يتعدى قدَّر له مفعولاً، ومَنْ جعله بمنزلة ضَاءَ استغنى عن ذلك.

وقرأ ابنُ أبي عبلة: (أضا لهم)[٣] بغير همز، وهي لغةٌ، وفي مصحف أبي بن كعب: (مرُّوا فيه)، وفي قراءة ابن مسعود: (مضوا فيه)[٤].

وقرأ الضحاك: (وإذا أُظلِم) بضم الهمزة وكسر اللام[٥].

و﴿قَامُواْ﴾ معناه: ثبتوا؛ لأنهم كانوا قياماً، ومنه قول الأعرابي: «وقد أقام الدهر صَعْري بعد أن أقمت صعره»[٦] يريد: أثبت الدهر، ومعنى الآية فيما روي عن ابن عباس

---

(١) المحتسب (١/ ٦١-٦٢)، وظاهر الهذلي في الكامل (ص: ٤٨١) أن الاختلاس هو رواية الأصمعي عن نافع.

(٢) معاني القرآن للفراء (١/ ١٧)، دون ذكر ضم الياء.

(٣) هكذا في كلِّ الأصول: «أضا»، والمعروف عن ابن أبي عبلة أنه قرأ «ضاء» بحذف الهمزة الأولى وليس الثانية، وكذلك «ضاءت ما»، كما في تفسير الزمخشري (١/ ٨٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/ ١٤٧)، والشواذ للكرماني (ص: ٥٢)، وهي قراءة شاذة.

(٤) مختصر الشواذ (ص: ١١)، على اللف والنشر، والشواذ للكرماني (ص: ٥٢)، وكلاهما شاذة لمخالفة للرسم.

(٥) نسبها الزمخشري في الكشاف (١/ ٨٦)، والكرماني في الشواذ (ص: ٥٤)، ليزيد بن قطيب، وأبو حيان في البحر المحيط (١/ ١٤٧) لهما.

(٦) انظر: أمالي القالي (١/ ١٤).

وغيره: كلما سمع المنافقون القرآن وظهرت لهم الحجج [أنِسوا][(١)] ومشوا معه، فإذا نزل من القرآن ما يعمون فيه ويضلون به أو يُكَلَّفونه قاموا؛ أي: ثبتوا على نفاقهم.

وروي عن ابن مسعود أن معنى الآية: «كلما صلحت أحوالهم في زروعهم ومواشيهم وتوالت عليهم النعم قالوا: دين محمد دين مبارك، وإذا نزلت بهم مصيبة أو أصابتهم شدة سخطوه وثبتوا في نفاقهم»[(٢)]، وقال قومٌ: «معنى الآية: كلما خفي عليكم نفاقهم وظهر لكم منهم الإيمان مشوا فيه، فإذا افتضحوا عندكم قاموا».

ووحد السمع؛ لأنه مصدر يقع للواحد والجمع، وحكى النقاش أنَّ من العلماء مَنْ قرأ: (بِأَسْمَاعِهِمْ)، وقرأ إبراهيمُ بنُ أبي عبلة: (وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَذْهَبَ أَسْمَاعَهَمْ وَأَبْصَارَهُمْ)[(٣)].

وخصَّ الأسماع والأبصار لتقدم ذكرها في الآية، ويشبه هذا المعنى في حال المنافقين أنَّ الله لو شاء لأوقع بهم ما يتخوفونه من الزجر والوعيد، أو لفضحهم عند المؤمنين وسلط المؤمنين عليهم، وبكل مذهب من هذين قال قوم.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لفظه العموم، ومعناه عند المتكلمين: [على كلِّ شيءٍ يجوز][(٤)] وصفه تعالى بالقدرة عليه.

و﴿قَدِيرٌ﴾ بمعنى: قادر، وفيه مبالغة، وخصّ هنا صفته التي هي القدرة بالذكر؛ لأنه قد تقدَّم ذكر فعل مضمنه الوعيد والإخافة، فكان ذكر القدرة مناسباً لذلك.

---

(١) في الحمزوية: «أمنوا».

(٢) هو في الخبر السابق قريباً.

(٣) المعروف عن ابن أبي عبلة هو القراءة الأولى بإثبات الباء، وجر الأسماع، كذا عزاها له ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١١)، والكرماني في الشواذ (ص: ٥٤)، والزمخشري في الكشاف (١/ ٨٧)، وأبو حيان في البحر المحيط (١/ ١٤٩)، ولم أجد من تابع المؤلف على هذا الخطأ.

(٤) في أحمد٣ والسليمانية وجار الله وفيض الله: فيما يجوز، وأشار في هامشه إلى النسخة الأخرى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾.

«يَا»: حرف نداء، وفيه تنبيه، و«أيُّ»: هو المنادى، قال أبو علي: «اجتلبت أيّ بعد حرف النداء فيما فيه الألف واللام؛ لأن في حرف النداء تعريفاً، فكان يجتمع تعريفان»[(١)]، و«هَا» تنبيه وإشارة إلى المقصود، وهي بمنزلة «ذَا» في الواحد، و﴿ٱلنَّاسُ﴾ نعتٌ لازمٌ لـ«أيّ».

وقال مجاهد: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ حيث وقع في القرآن مكي، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مدنيٌّ»[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: قد تقدَّم في أول السورة أنها كلها مدنية، وقد يجيء في المدني ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، وأمَّا قولُهُ في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فصحيح[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ معناه: وحِّدوه وخُصوه بالعبادة، وذكر تعالى خلقه لهم من بين سائر صفاته إذ كانت العرب مُقرةً بأنَّ الله خلقها، فذكر ذلك حجة عليهم.

و«لَعَلَّ» في هذه الآية قال فيها كثيرٌ من المفسرين: هي بمعنى إيجاب التقوى، وليست من الله تعالى بمعنى ترجٍّ وتوقّع، وقال سيبويه ورؤساء اللسان: «هي على بابها، والترجي والتوقع إنما هو في حيز البشر»[(٤)]، أي: إذا تأملتم حالكم مع عبادة ربكم رجوتم

---

(١) لم أجده في كتبه المتوفرة، ولم أجد من نقله غير المصنف.

(٢) نقله عنه القرطبي (١/ ٣٧٧)، ورواه ابن أبي شيبة (١٠/ ٥٣٣) عن عروة، وقال النيسابوري في غرائب القرآن (١/ ١٧٩): صحّ به الإسناد عن علقمة، ونقله في الإتقان (١/ ٦٨) عن ميمون بن مهران، وعقبه باعتراض ابن عطية وابن الغرس.

(٣) قال ابن عرفة في تفسيره (١/ ١٩٤): صوب ابن عطية قول مجاهد في الأولى دون الثانية؛ لأن سورة التحريم مدنية بإجماع.

(٤) لم أجد من نقله عن سيبويه بهذا اللفظ.

لأنفسكم التقوى، و﴿لَعَلَّكُمْ﴾ متعلقةٌ بقوله: ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾، ويتجه تعلقها بـ﴿خَلَقَكُمْ﴾ أي: لَمَّا ولد كل مولود على الفطرة[١] فهو إن تأمله متأمل توقّع له ورجا أن يكون متقياً.

و﴿تَتَّقُونَ﴾ مأخوذٌ من الوقاية، وأصله: تَوْتَقِيُون، نقلت حركة الياء إلى القاف وحذفت للالتقاء مع الواو الساكنة، وأدغمت الواو الأولى في التاء.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ نصب على إتباع ﴿ٱلَّذِى﴾ المتقدم، ويصح أن يكون مرفوعاً على القطع، وما ذكر مكي من إضمار أعني، أو مفعول بـ﴿تَتَّقُونَ﴾، فضعيفٌ[٢].

و﴿جَعَلَ﴾ بمعنى: صيَّر، في هذه الآية لتَعدِّيها إلى مفعولين، و﴿فِرَٰشًا﴾ معناه: تفترشونها وتستقرون عليها، وما في الأرض مما ليس بفراش كالجبال والبحار فهو من مصالح ما يفترش منها، لأن الجبال كالأوتاد، والبحار يركب فيها / إلى سائر منافعها. [٣٧]

و(ٱلسَّمَآءَ) قيل: هو اسمٌ مفردٌ جمعه سماوات، وقيل: هو جمعٌ واحده سماوة، وكلُّ ما ارتفع عليك في الهواء فهو سماء، والهواءُ نفسه علواً يقال له: سماء، ومنه الحديث: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ طُولُهُ فِي السَّمَاءِ ستُّونَ ذِرَاعاً»[٣]، واللفظة من السمو وتصاريفه.

وقوله تعالى: ﴿بِنَآءً﴾ تشبيه بما يفهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾[الذَّاريات: ٤٧]، وقال بعض الصحابة: «بناها على الأرض كالقبة»[٤].

وقوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يريد السحاب، سمي بذلك تجوُّزاً لمَّا كان يلي

---

(١) يشير إلى ما رواه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة مرفوعاً أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟» ثُمَّ يقرأ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: الآيَةَ (٣٠) من سورة الروم.

(٢) مشكل إعراب القرآن (١/ ٨٣)، وقال عنه أبو حيان (١/ ١٥٨): وهو إعرابٌ غثٌّ ينزه القرآن عنه.

(٣) البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) قال الفخر الرازي في مفاتيح الغيب (٢٧/ ٧٣) قال ابن عباس في قوله: ﴿قَرَارًا﴾ ؛ أي: منزلًا في حال الحياة وبعد الموت، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ كالقبة المضروبة على الأرض.

السماء ويقاربها، وقد سموا المطرَ سماءً للمجاورة، ومنه قول الشاعر:

[الوافر] إِذَا نَـزَلَ السَّمَاءُ بِـأَرْضِ قَـوْمٍ رَعَيْنَـاهُ وَإِنْ كَـانُـوا غِـضَـابَـا[١]

فتجوَّز ـ أيضاً ـ في رعيناه، فبتوسط المطر جعل السماء عشباً، وأصل «ماء»: موه، يدل على ذلك قولهم في الجمع: مياه وأمواه، وفي التصغير: مُوَيه، وانطلق اسم الرزق على ما يخرج من الثمرات قبل التملك، أي: هي معدة أن يصح الانتفاع بها فهي رزق، وردَّ بهذه الآية بعضُ الناس قولَ المعتزلة: «إنَّ الرزقَ ما يصحُّ تملكه وليس الحرام برزق»[٢].

وواحد «الأنداد»: ندٌّ، وهو المقاوم والمضاهي كان مِثْلاً أو خلافاً أو ضدّاً، ومن حيث قاوم وضاهى فقد حصلت [مماثلة ما][٣]، وقال أبو عبيدة معمر، والمفضَّل: [«الند: الضد»[٤]][٥]، وهذا التخصيصُ منهما تمثيلٌ لا حَصْرٌ.

واختلف المتأولون مَنِ المخاطب بهذه الآية؟:

فقالت جماعةٌ من المفسرين: «المخاطب جميع المشركين»، فقوله على هذا: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يريد العلم الخاص في أنه تعالى خلق وأنزل الماء وأخرج الرزق، ولم تنف الآيةُ الجهالةَ عن الكفار، وقيل: «المراد كفار بني إسرائيل»، فالمعنى: تعلمون من الكتب التي عندكم أنَّ الله لا ندَّ له.

---

(١) البيت لمالك بن معاوية معود الحكماء كما في شرح أدب الكاتب (ص: ١٣٥)، واختيارات الأصمعي (١/ ٢١٤)، والروض الأنف للسهيلي (٦/ ١٤٦)، ومعجم الشعراء (ص: ٣٩١)، والمفضليات (ص ٣٥٩)، والحماسة البصرية (١/ ٧٩)، ومعاهد التنصيص (٢/ ٢٦٠) قال: ونسبه غالب شارحي التلخيص لجرير، وكذا ابن رشيق في العمدة (١/ ٢٦٦).

(٢) انظر: شرح المقاصد للتفتازاني (٢/ ١٦٢)، وشرح نونية ابن القيم (٢/ ٢٣٥).

(٣) في جار الله: المماثلة، مع الإشار إلى النسخة الأخرى.

(٤) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٣٤)، ونقله عنهما أبو حيان في البحر (١/ ١٥٢).

(٥) في المطبوع: «الضد: الند»، وفي فيض الله: «الضد: المثل».

وقال ابن فورك[١]: «يحتمل أن تتناول الآية المؤمنين»[٢]، فالمعنى: لا ترتدوا أيها المؤمنون، وتجعلوا لله أنداداً بعد علمكم الذي هو نفي الجهل بأنَّ الله واحدٌ.

وهذه الآية تعطي أنَّ الله تعالى أغنى الإنسان بنعمه هذه عن كل مخلوق، فمن أحوج نفسه إلى بشر مثله بسبب الحرص والأمل والرغبة في زخرف الدنيا، فقد أخذ [بطرفِ][٣] مَن جعل لله ندّاً، عصمنا الله تعالى بفضله وقصر آمالنا عليه [بمنه وطَوْله، لا ربَّ غيره][٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

«الريب»: الشَّك، وهذه الآية تقضي[٥] أنَّ الخطاب المتقدم إنما هو لجماعةِ المشركين الَّذين تُحُدُّوا، وتقدَّم تفسيرُ لفظِ: «سورة» في صدر هذا التعليق.

وقرأ يزيد بن قطيب: (أنزلنا) بألف[٦].

واختلف المتأولون على من يعود الضمير في قوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾؟:

فقال جمهور العلماء: «هو عائد على القرآن»، ثم اختلفوا: فقال الأكثر: «من

---

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، الفقيه المتكلم الأصولي الأديب النحوي الواعظ، له تصانيف جمة، وكان رجلاً صالحاً، روى عنه: أبو بكر البيهقي، قتل سنة (٤٠٦هـ)، لقول نسب له أنه أنكر استمرار رسالة النبي ﷺ. تاريخ الإسلام (٢٨/ ١٤٧).

(٢) عزاه له القرطبي (١/ ٣٨٧).

(٣) في الأصل: «بطرق».

(٤) زيادة من الأصل.

(٥) في نور العثمانية وفيض الله: «تقتضي».

(٦) تفسير البحر المحيط لأبي حيان (١/ ١٦٧)، وهي قراءة شاذة، لم أجدها لغيرهما.

مثل نظمه ورصفه وفصاحة معانيه التي يعرفونها ولا يعجزهم إلا التأليف الذي خصّ به القرآن»، وبه وقع الإعجاز على قول حذاق أهل النظر.

وقال [بعضهم][(١)]: «﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ في غيوبه وصدقه وقدمه»، فالتحدي عند هؤلاء وقع بالقدم[(٢)]، والأوَّل أبيَنُ، و﴿مِّن﴾ على هذا القول زائدةٌ، أو لبيان الجنس، وعلى القول الأولِ هي للتبعيض، أو لبيان الجنس.

وقالت فرقة: «الضمير في قوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ عائد على محمد ﷺ»، ثم اختلفوا: فقالت طائفة: «من أُمِّيٍّ صادق مثله»، وقالت طائفة: «من ساحر أو كاهن أو شاعر مثله على زعمكم أيها المشركون».

وقالت طائفة: «الضمير في ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ عائدٌ على الكتب القديمة التوراة والإنجيل والزبور».

وقوله تعالى: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ معناه: دعاء استصراخ[(٣)]، و«الشهداء»: [من شهدهم وحضرهم من عون ونصير، قاله ابن عباس[(٤)].

وقيل عن مجاهد: «إن المعنى: دعاء استحضار»[(٥)].

و«الشهداء»][(٦)] جمع شاهد؛ أي: من يشهد لكم أنكم عارضتم، وهذا قولٌ ضعيفٌ.

وقال الفرَّاءُ: «شهداؤهم: يراد بهم آلهتهم»[(٧)].

---

(١) سقطت من أحمد٣.

(٢) في جار الله وفيض الله: «القديم».

(٣) وفي الحمزوية: «استصحاب».

(٤) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٦٦).

(٥) لفظه في تفسير مجاهد (ص: ١٩٨)، وتفسير الطبري (١/ ٣٧٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٦٤): يعني: ناساً يشهدون.

(٦) ساقط من أحمد٣.

(٧) معاني القرآن للفراء (١/ ١٩).

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: فيما قلتم من الريب، هذا قولُ بعضِ المفسرين.

وقال غيره: «فيما قلتم من أنكم تقدرون على المعارضة»، ويؤيد هذا القول أنه قد حكى عنهم في آية أخرى: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾، دخلت «إنْ» على ﴿لَّمْ﴾؛ لأنَّ ﴿لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ معناه: تركتم الفعل، فـ«إنْ» لا تؤثر كما لا تؤثر في الماضي من الأفعال، و﴿تَفْعَلُواْ﴾ جزم بـ﴿لَّمْ﴾، وجزمت ﴿لَّمْ﴾ لأنها أشبهت «لا» في التبرئة في أنهما ينفيان، فكما تحذف «لا» تنوين [الاسم][1] كذلك تحذف «لم» الحركة أو العلامة من الفعل.

وقوله: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ نصبت «لن»، ومن العرب من يجزم بها، ذكره أبو عبيدة[2]، ومنه بيت النابغة على بعض الروايات:

.... فَلَنْ أُعرِّضْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ بِالصَّفَدِ[3] [البسيط]

[وفي الحديث][4] في [منامة][5] عبد الله بن عمر: فقيل لي: لن تُرَعْ[6] هذا على تلك اللغة.

---

(١) في السليمانية: «الفعل».

(٢) نقله عنه النحاس في إعراب القرآن (١/ ٣٧).

(٣) عجز بيت للنابغة الذبياني، وصدره: هذا الثَّناءُ فَإِنْ تَسْمَعْ بِهِ حَسَناً، وهو معزو له في غريب الحديث لأبي عبيد (١/ ٣٢٣)، وجمهرة اللغة (٢/ ٦٥٦)، والزاهر لابن الأنباري (٢/ ٢٥٠)، وتهذيب اللغة (١٢/ ١٠٥)، وشرح المعلقات التسع (ص: ٩٨)، والكامل في اللغة والأدب (٣/ ١٥)، والاختيارين للأخفش (ص: ١٠٤)، والأغاني (١١/ ٣٩)، كلهم بلفظ «فلم»، وتابع ابن عطية على رواية «فلن»، السمين في الدر المصون (١/ ٢٠٤)، وتأولها بالضرورة، و«أبيت اللعن»: نوعٌ من التحية، و«الصفد»: العطاء.

(٤) في أحمد٣: «ومنه».

(٥) وفي الحمزوية: «منام».

(٦) بهذا اللفظ أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (١/ ٤١٩)، وابن راهويه في مسنده (٤/ ١٩٢)، ورواه البخاري في صحيحه باب مناقب عبدالله بن عمر رضي الله عنه برقم (٣٧٣٩) ومسلم (٢٤٧٩) بلفظ: «لم ترع».

[٣٨] وفي قوله: ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ إثارة لهممهم وتحريكٌ / لنفوسهم، ليكون عجزهم بعد ذلك أبدع، وهو أيضاً من الغيوب التي أخبر بها القرآن قبل وقوعها.

وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾، أمرٌ بالإيمان وطاعة الله خرج في هذه [الألفاظ](١) المحذِّرة.

وقرأ الجمهور: ﴿وَقُودُهَا﴾ بفتح الواو.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن، ومجاهد، وطلحة بن مُصَرِّفٍ(٢)، وأبو حيوة: (وُقُودُهَا) بضم الواو في كلِّ القرآن(٣)، إلا أنَّ طلحة استثنى الحرف الذي في البروج، وبفتح الواو: هو الحطب، وبضمها: هو المصدر، وقد حكيا جميعاً في الحطب، وقد حكيا في المصدر.

قال ابنُ جني: «مَن قَرَأ بضم الواو فهو على حذف مضاف تقديره: ذو وقودها؛ لأنَّ الوقودَ بالضم مصدرٌ، وليس [بالناس](٤)، وقد جاء عنهم الوقود بالفتح في المصدر، ومثله: ولعت به ولوعاً، بفتح الواو، وكله شاذٌّ، والباب هو الضمُّ»(٥).

وقوله: ﴿ٱلنَّاسُ﴾ عمومٌ معناه الخصوص فيمن سبق عليه القضاء بدخولها.

وروي عن ابن مسعود في الْحِجارَة أنها حجارة الكبريت(٦) وخصت بذلك؛

(١) في السليمانية وأحمد٣ ونور العثمانية وجار الله: «الآية».

(٢) هو طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب، أبو محمد، كوفي تابعي كبير، له اختيار في القراءة ينسب إليه، أخذ القراءة عرضاً عن النخعي والأعمش ويحيى بن وثاب، وكانوا يسمونه سيد القراء، مات سنة ١١٢هـ. طبقات القراء لابن الجزري (١/ ٣٤٣).

(٣) المحتسب لابن جني (١/ ٦٣)، وفيه: عيسى الهمداني، بدل أبي حيوة، وجمع بينهما في تفسير البحر المحيط (١/ ١٧٥).

(٤) في السليمانية: «بالنار».

(٥) المحتسب لابن جني (١/ ٦٣).

(٦) رواه عبدالرزاق في تفسيره (١/ ٤٠) والطبري (١/ ١٦٩).

لأنها تزيد على جميع الأحجار بخمسة أنواع من العذاب: سرعة [الاتقاد][(١)]، ونَتْنُ الرائحة، وكثرة الدخان، وشدة الالتصاق بالأبدان، وقوة حرها إذا حميت.

وفي قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ﴾ ردٌّ على مَنْ قَالَ: إنَّ النارَ لم تخلقْ حتَّى الآن، وهو القولُ الذي سقط فيه منذرُ بنُ سعيد[(٢)].

وذهب بعضُ المتأولين إلى أنَّ هذه النارَ المخصصة بالحجارة هي نارُ الكافرين خاصة، وأن غيرها هي للعصاة.

وقال الجمهور: «بل الإشارة إلى جميع النار لا إلى نار مخصوصةٍ»، وإنما ذكر الكافرين ليحصل المخاطبون في الوعيد، إذ فعلُهم كفر، فكأنه قال: أعدت لمن فعل فعلكم، وليس يقتضي ذلك أنه لا يدخلها غيرهم.

وقرأ ابن أبي عبلة: (أعدَّها اللهُ للكافرين)[(٣)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

(بَشِّرِ): مأخوذٌ من البشرة؛ لأنَّ مَا يبشَّر به الإنسان من خيرٍ أو شرٍّ يظهر [عنه][(٤)] أثرٌ في بشرة الوجه، والأغلب استعمال [البشارة][(٥)] في الخير، وقد تستعمل في الشرِّ

(١) وفي الحمزوية: «الإنفاذ»، وفي جار الله وفيض الله: «الإيقاد».

(٢) نقله عنه أبو حيان (١/ ١٧٦)، وقال: يعرف بالبلُّوطي، وكان قاضي القضاة بالأندلس، وكان معتزليّاً في أكثر الأصول ظاهريّاً في الفروع، وله ذكر ومناقب في التواريخ، وهو أحد رجالات الكمال بالأندلس، وسرى إليه ذلك القول من قول كثير من المعتزلة.

(٣) تفسير البحر المحيط (١/ ١٧٦)، وهي خطأ لمخالفتها للمصحف الشريف.

(٤) في الحمزوية وجار الله: «منه»، وفي المطبوع ونور العثمانية وفيض الله: «عليه».

(٥) في الأصل: «البشير»، وفي فيض الله: «البشر»، وفي نور العثمانية: «التبشير».

مقيدةً به منصوصاً على الشرِّ المبشر به، كما قال تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران: ٢١]، ومتى أطلق لفظ البشارة فإنما يحمل على الخير.

وفي قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ رد على من يقول: إن لفظة الإيمان بمجردها تقتضي الطاعات؛ لأنه لو كان ذلك ما أعادها.

و﴿أَنَّ﴾ في موضع نصب بـ(بشر)، وقيل: في موضع خفض على تقدير باء الجر.

و﴿جَنَّـٰتٍ﴾ جمع جنة، وهي بستانُ الشَّجرِ والنَّخيلِ، وبستانُ الكَرْمِ يقال له الفردوس، وسميت جنةٌ؛ لأنها تُجِنُّ من دخلها؛ أي: تستره، ومنه: المِجَنُّ و[الجَنَن][1]، وجَنَّ الليلُ.

و﴿مِن تَحْتِهَا﴾ معناه: من تحت الأشجار التي يتضمنها ذكر الجنة، وقيل: قوله: ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ معناه: بإزائها، كما تقول: داري تحت دار فلان، وهذا ضعيفٌ.

و﴿ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾: المياه في مجاريها المتطاولة الواسعة؛ لأنها لفظةٌ مأخوذةٌ من أنهرت؛ أي: وسعت، ومنه قول قيس بن الخطيم:

[الطويل] مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا ... يَرَىٰ قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا[2]

ومنه قول النبي ﷺ: «مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ فَكُلُوهُ»[3] معناه: ما وسع الذبح حتَّى جرى الدم كالنهر، ونُسب الجري إلى النهر ـ وإنما يجري الماء وحده ـ تجوُّزاً، كما قال: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢]، وكما قال الشاعر:

---

(١) في أحمد٣ وجار الله: «الجنين»، وفي فيض الله: «المجن» مكررة.

(٢) البيت قيس بن الخطيم كما في مسائل نافع بن الأزرق (ص: ٧٥)، والحماسة بشرح التبريزي (ص: ٥٤)، والأغاني (٣/ ٥)، وتهذيب اللغة (٦/ ١٤٨)، وديوان المعاني (٢/ ٥١)، والمعاني الكبير (٢/ ٩٧٨)، وسمط اللآلي (١/ ٨٩٥)، وقوله : فأنهرت فتقها؛ أي: وسعت فتقها.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٤٨٨) (٢٥٠٧) (٣٠٧٥) وغير موضع، ومسلم (٥٢٠٤) من حديث رافع بن خديج.

نُبِّئْتُ أنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أُوقِدَت وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كُلَيْبُ المجْلِسُ[١] [الكامل]

وروي أنَّ أنهار الجنة ليست في أخاديد، إنما تجري على سطح أرض الجنة منضبطة[٢].

قوله: ﴿كُلَّمَا﴾ ظرف يقتضي الحصر[٣]، وفي هذه الآية ردٌّ على من يقول: إنَّ الرزقَ من شروطه التملك، ذكر هذا بعض الأصوليين، وليس عندي ببيِّنٍ[٤].

وقولهم: ﴿هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى الجنس؛ أي: هذا من الجنس الذي رزقنا منه من قبل، والكلام يحتمل أن يكون تعجباً، وهو قول ابن عباس.

ويحتمل أن يكون خبراً من بعضهم لبعض، قاله جماعة من المفسرين.

وقال الحسن، ومجاهد: «يرزقون الثمرة ثم يرزقون بعدها مثلُ صورتها والطعمُ مختلف، فهم يتعجبون لذلك ويخبر بعضهم بعضاً»[٥].

وقال ابن عباس: «ليس في الجنة شيءٌ مما في الدنيا سوى الأسماء، وأمَّا الذَّوات فمتباينةٌ»[٦]، وقال بعض المتأولين: «المعنى: أنهم يرون الثمر [فيَمِيزون][٧] أجناسه

---

(١) البيت للمهلهل أخي كليب كما في الأمالي لأبي علي (١/ ٩٥)، وديوان المعاني (٢/ ١٧٦)، والحماسة بشرح التبريزي (ص: ٣٨٥)، والصناعتين (ص: ٢٠٣)، والكامل للمبرد (١/ ٢٥١)، والعقد الفريد (٣/ ٢٥٠)، والشطر الأول سقط من فيض الله ونور العثمانية.

(٢) حكاه أبو حيان في البحر (١/ ١٨٣) عن مسروق.

(٣) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٢/ ٥٤).

(٤) يعني أنَّ الاستدلال بالآية للردِّ على قول المعتزلة أنّ مَن شرط الرزق التملك غير بين عنده، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك قريباً.

(٥) تفسير الطبري (١/ ٣٨٧).

(٦) إسناده جيد: هذا الأثر أخرجه هناد في الزهد (١/ ٤٩)، والبيهقي في البعث والنشور (١/ ١٩٣) والضياء في المختارة (١٠/ ١٦) من طريق: الأعمش عن أبي ظبيان عن عبد الله بن عباس.

(٧) في الحمزوية: «فيسمون».

حين أشبهَ منظرُه ما كان في الدنيا، فيقولون: هذَا الَّذِي رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ في الدنيا»[١].

وقول ابن عباس الذي قبل هذا يرد على هذا القول بعض الردِّ.

وقال بعض المفسرين: «المعنى: هذا الذي وعدنا به في الدنيا، فكأنهم قد رزقوه في الدنيا إذ وعد الله منتجز»[٢]، وقال قومٌ: «إنَّ ثمر الجنة إذا قطف منه شيءٌ خرج في الحين في موضعه مثله فـ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى الخارج في موضع المجني»[٣].

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَأُتُوا۟﴾ بضم الهمزة وضم التاء، وقرأ هارون الأعور[٤]: (وأتوا) بفتح الهمزة والتاء[٥]، والفاعل على هذه القراءة الولدانُ والخدَّام، ﴿وَأُتُوا۟﴾ على قراءة الجماعة أصله: أُتيوا، نقلت / حركة الياء إلى التاء ثم حذفت [الياء][٦] للالتقاء. [٣٩]

وقوله تعالى: ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾ قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم: «معناه: يشبه بعضهم بعضاً في المنظر ويختلف في الطعم»[٧].

وقال عكرمة: «معناه: يشبه ثمر الدنيا في المنظر ويباينه في جل الصفات»[٨].

---

(١) نقله الطبري (١/ ٣٩٠) عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة ونحوه عن مجاهد، وبقية الأقوال في تفسير الثعالبي (١/ ٤٠) وتفسير القرطبي (١/ ٢٤٠).

(٢) الهداية لمكي (١/ ١٩٧).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٨٦) عن أبي عبيدة.

(٤) هارون الأعور هو أبو عبد الله ويقال: أبو إسحاق، هارون بن موسى الأزدي العتكي مولاهم النحوي البصري الأعور، صاحب القراءات، وكان أول من تتبع وجوه القراءات والشاذ منها، توفي قبل المائتين، انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٣٤٨).

(٥) مختصر الشواذ (ص: ١١)، وهي قراءة شاذة.

(٦) سقطت من فيض الله.

(٧) انظر: تفسير عبد الرزاق (١/ ٤٠)، وتفسير الطبري (١/ ١٧٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٦٧).

(٨) نقله القرطبي (١/ ٢٤٠)، ورواه الطبري (١/ ٣٩١) عنه، ولفظه: يشبه ثمر الدنيا غير أنه أطيب.

وقال قتادة: ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾ معناه: خياراً [لا رَذْلَ][1] فيه، كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣].

قال القاضي أبو محمد: كأنه يريد متناسباً في أنَّ كلَّ صنفٍ هو أعلى جنسه، فهذا تشابهٌ مّا، وقيل: ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾ أي: مع ثمر الدنيا في الأسماء، لا في غير ذلك من هيئة وطعم[2].

و﴿أَزْوَٰجٌ﴾ جمع زوج، والمرأة زوج الرجل، والرجل زوج المرأة، ويقال في المرأة: زوجة، ومنه قول الفرزدق:

وَإِنَّ الَّـذِي يَسْـعَىٰ لِيُفْسِـدَ زَوْجَتِـي ... كَسَاعٍ إِلَىٰ أُسْدِ الشَّـرَىٰ يَسْتَبِيلُهَا[3] [الطويل]

وقال عمار بن ياسر[4] في شأن عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها: «والله إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم»، ذكر البخاري وغيره الحديث بطوله[5].

و﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ أبلغ من طاهرة، ومعنى هذه الطهارة من الحيض والبزاق وسائر أقذار الآدميات[6]، وقيل: من الآثام.

و«الخلود»: الدّوام في الحياة أو الملك ونحوه، وخَلَد بالمكان: إذا استمرت إقامته

---

(١) وفي الحمزوية: «لا رديء».

(٢) رواه الطبري (١/ ٣٩٢) عن ابن عباس وابن زيد والأشجعي.

(٣) انظر عزوه له في الأمالي (١/ ٢٠)، الأغاني (٩/ ٣٦٩)، الصحاح (١/ ٣٢٠)، وإصلاح المنطق (١/ ٢٣٥)، أدب الكاتب (١/ ٤٢٥).

(٤) هو أبو اليقظان عمّار بن ياسر بن عامر العنسيّ،، حليف بني مخزوم، وأمّه سمية مولاة لهم، كان من السابقين الأولين، هو وأبوه وأمه، وكانوا ممن يعذَّب في الله، شهد صفِّين مع علي رضي الله عنهما واستشهد بها. الإصابة (٤/ ٤٧٣).

(٥) البخاري (٣٧٧٢) بهذا اللفظ دون زيادة.

(٦) تفسير مقاتل (١/ ٣٨)، الهداية (٢/ ١٣٦٣)، وقوله: من الآثام، هو قول قتادة، انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٦٧).

فيه، وقد يستعمل الخلود مجازاً فيما يطول، وأمَّا هذا الذي في الآية فهو أبديٌّ حقيقةً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾.

ذكر المفسرون أنه لما ضرب الله تعالى المثلين المتقدمين في هذه السورة، قال الكفار: «مَا هَذه الأمثالُ؟ اللهُ أجلُّ من أن يضرب هذه أمثالاً»، فنزلت الآية[١].

وقال ابن قتيبة: «إنما نزلت لأن الكفار أنكروا ضربَ المثل في غير هذه السورة بالذباب والعنكبوت»[٢]، وقال قوم: «هذه الآية مَثَلٌ للدنيا»، وهذا ضعيفٌ يأباه رصفُ الكلام واتساق المعنى.

و﴿يَسۡتَحۡيِۦٓ﴾ أصله: يستحييُ، عينه ولامه حرفا علة، أعلت اللام منه بأن استثقلت الضمة[٣] على الياء فسكِّنت.

وقرأ ابنُ كثير في بعض الطرق عنه، وابن محيصن وغيرهما: (يَسْتَحِي) بكسر الحاء[٤]، وهي لغةٌ لتميم[٥]، نقلت فيها حركة الياء الأولى إلى الحاء فسكنت ثم استثقلت الضمة على الياء الثانية فسكنت، فحذفت إحداهما للالتقاء.

واختلف المتأولون في معنى: ﴿يَسۡتَحۡيِۦٓ﴾ في هذه الآية:

فرجَّح الطبريُّ أن معناه: يخشى[٦].

---

(١) الهداية لمكي (١/ ٢٠٣).

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٤٤).

(٣) في أحمد٣: «الكسرة»، وفي السليمانية: «الحركة»، وأشار في الهامش إلى النسخة الثانية.

(٤) نقلها عنهما النحاس في إعراب القرآن (١/ ٣٩)، وهي قراءة شاذة.

(٥) معاني القرآن للأخفش (١/ ٥٨)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٩) قال: وبكر بن وائل. والتحصيل للمهدوي (١/ ١٩٣).

(٦) تفسير الطبري (١/ ٤٠٢).

وقال غيره: «معناه: يترك» وهذا هو الأولى(١)، ومن قال: يمتنع، أو: يمنعه الحياء، فهو يترك أو قريب منه، ولما كان الجليل القَدْر في الشاهد لا يمنعه من الخوض في نازل القول إلا الحياء من ذلك، ردَّ اللهُ بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾ على القائلين: كيف يضرب الله مثلاً بالذباب ونحوه؟ أي: إن هذه الأشياء ليست من نازل القول، إذ هي من الفصيح في المعنى المبلغ أغراض المتكلم إلى نفس السامع، فليست مما يُستحيَى منه.

وحكى المهدوي: «أنَّ الاستحياء في هذه الآية راجع إلى الناس»(٢)، وهذا غيرُ مرضيٍّ.

وقوله تعالى: ﴿أَن يَضْرِبَ﴾، ﴿أَنْ﴾ مع الفعل في موضع نصبٍ، كأنها مصدر في موضع المفعول، ومعنى ﴿يَضْرِبَ مَثَلًا﴾: يبين ضرباً من الأمثال؛ أي: نوعاً، كما تقول: هذا من ضرب هذا، والضريب: المثيل، ويحتمل أن يكون مثل ضرب البعث، وضرب الذلة، فيجيء المعنى أن يلزم الحجة بمثل، و﴿مَثَلًا﴾ مفعولٌ، فقيل هو الأول، وقيل: هو الثاني، قدِّم وهو في [نية](٣) التأخير، لأنَّ ضَرَبَ في هذا المعنى يتعدى إلى مفعولين.

واختلفوا في قوله: ﴿مَّا بَعُوضَةً﴾:

فقال قومٌ: «﴿مَّا﴾: صلةٌ زائدةٌ لا تفيد إلا شيئاً من تأكيد»، وقيل: «﴿مَّا﴾ نكرة في موضع نصب على البدل [من قوله: ﴿مَثَلًا﴾، و﴿بَعُوضَةً﴾ نعتٌ لـ﴿مَّا﴾»، فوصفت ﴿مَّا﴾ بالجنس المنكَّر](٤) لإبهامها، حكى المهدويُّ هذا القول عن الفراء والزجاج وثعلب(٥).

قال القاضي أبو محمد: وقيل غير هذا مما هو تخليطٌ دعا إليه الظن أنَّ «يضرب» إنما يتعدى إلى مفعولٍ واحدٍ.

---

(١) صفة الْحَيَاء والاسْتِحْيَاء صفةٌ خبريَّةٌ ثابتةٌ لله عَزَّ وجَلَّ بالكتاب والسنة، وكذلك من أسمائه تعالى «الحيي» وحياؤه تعالى وصف يليق به، ليس كحياء المخلوقين.

(٢) التحصيل (١/ ١٦٣).

(٣) وفي الحمزوية وأحمد٣: «رتبة».

(٤) سقط من المطبوع.

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٥٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٠٣).

وقال بعضُ الكوفيين: «نصب ﴿بَعُوضَةً﴾ على تقدير إسقاط حرف الجر»، والمعنى: أن يضرب مثلاً ما من[(١)] بعوضةٍ، وحكي عن العرب: «له عشرون ما ناقة فجملاً»[(٢)]، وأنكر أبو العباس هذا الوجه[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: والذي يترجح أن ﴿مَّا﴾ صلةٌ مخصصة، كما تقول: جئتك في أمرٍ ما، فتفيد النكرة تخصيصاً وتقريباً، ومنه قولُ أمية بن أبي الصلت:

[الخفيف] سَـلَـعٌ مَـا وَمِثْلُـهُ عُـشَـرٌ مَا عَائِـلٌ مَـا، وَعَالَـت الْبَيْقُـورَا[(٤)]

و ﴿بَعُوضَةً﴾ على هذا مفعول ثان.

وقال قوم: ﴿مَّا﴾ نكرة[(٥)] كأنه قال: شيئاً، والآية في هذا يشبهها قولُ حسان بن ثابت:

[الكامل] فَكَفَـىٰ بِنَـا فَضْـلا عَلَـىٰ مَـنْ غَيْرِنَا حُـبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّـانَـا[(٦)]

وقد تقدَّم نظير هذا القول، والشبه بالبيت غير صحيح عندي. والبعوضة فعولة من بَعَضَ: إذا قطع اللحم، يقال: بَضَعَ وبَعَضَ بمعنًى، وعلى / هذا حملوا قولَ الشاعر: [٤٠]

[الوافر] لَنِعْـمَ البَـيْـتُ بَـيْـتُ أَبِـي دِثَـارٍ إِذَا مَـا خَـافَ بَعْضُ القَـوْمِ بَعْضَا[(٧)]

---

(١) في أحمد٣ والسليمانية وجار الله وفيض الله: «بين».
(٢) معاني القرآن للفراء (١/ ٢٢).
(٣) انظر إنكار المبرد في النكت في القرآن الكريم (ص: ١٢٠).
(٤) البيت لأمية بن أبي الصلت كما في تأويل مشكل القرآن (ص: ٦٣)، والحيوان (٤/ ٤٩٢)، والصحاح (٦/ ٢٤٣٦)، والمحكم والمحيط (١/ ٤٩١)، والروض الأنف (٧/ ٤٥٣)، وفي أحمد٣ والسليمانية وجار الله وفيض الله: «مثله» بدل «فوقه».
(٥) زاد في الحمزوية: «في هذا».
(٦) البيت لحسان بن ثابت كما في معاني القرآن للفراء (١/ ٢١)، والجمل في النحو (١/ ١١٦)، وتفسير الطبري (١/ ٤٠٤)، ونسبه في شرح أبيات سيبويه (١/ ٣٧٠) لكعب بن مالك.
(٧) البيت بلا نسبة في الفاضل للمبرد (ص: ٤٨)، ثمار القلوب للثعالبي (ص: ٢٤٦)، والمخصص (١/ ٣٨٨)، ربيع الأبرار (٥/ ٤٢٤).

وقرأ الضحاك وإبراهيم بن أبي عبلة ورؤبة بن العجاج: (بَعُوضَةٌ) بالرفع[١].

قال أبو الفتح: «وجه ذلك أن ﴿مَّا﴾ اسم بمنزلة الذي؛ أي: لا يستحيي أن يضرب الذي هو بعوضةٌ مثلاً، فحذف العائد على الموصول، وهو مبتدأ، ومثله قراءة بعضهم: (تماماً على الذي أحسنُ)[٢]؛ أي: على الذي هو أحسن، وحكى سيبويه: ما أنا بالذي قائل لك شيئاً، أي: هو قائل»[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ من جعل ﴿مَّا﴾ الأولى صلة زائدة، فـ(ما) الثانية عطفٌ على ﴿بَعُوضَةً﴾، ومن جعل ﴿مَّا﴾ [الأولى][٤] اسماً فـ(ما) الثانية عطف عليها، وقال الكسائي وأبو عبيدة وغيرهما: «المعنى: فما فوقها في الصغر»[٥]، وقال قتادة وابن جريج وغيرهما: «المعنى في الكبر»[٦].

قال القاضي أبو محمد: والكلُّ محتملٌ، والضمير في ﴿أَنَّهُ﴾، عائدٌ على المثل.

واختلف النحويون في ﴿مَاذَآ﴾:

فقيل: هي بمنزلة اسم واحد، بمعنى: أيَّ شيء أراد الله، وقيل: (مَا) اسم و(ذَا) اسم آخر بمعنى الَّذي، فـ(مَا) في موضع رفع بالابتداء، و(ذَا) خبره، ومعنى كلامهم هذا الإنكارُ بلفظ الاستفهام.

وقوله: ﴿مَثَلًا﴾ نصب على التمييز، وقيل: على الحال من (ذَا) في: ﴿بِهَٰذَا﴾، والعامل فيه الإشارة والتنبيه.

---

(١) عزاها ابن جني في المحتسب (١/ ٦٤)، والكرماني في الشواذ (ص: ٥٦)، لرؤبة، وفي البحر المحيط (١/ ١٩٨) للكل وزاد وقطرباً، ونسبها الهذلي في الكامل (ص: ٤٨٢) للأصمعي عن نافع وابن تغلب.

(٢) وهي قراءة شاذة، سيأتي الكلام عليها في محله.

(٣) المحتسب (١/ ٦٤)، وانظر كلام سيبويه في الكتاب له (٢/ ١٠٨).

(٤) من الحمزوية وأحمد٣ والسليمانية.

(٥) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٣٥)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٥٩).

(٦) تفسير الطبري (١/ ٤٠٥).

واختلف المتأولون في قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾:

فقيل: «هو من قول الكافرين»؛ أي: ما مراد الله بهذا المثل الذي يفرق به الناس إلى ضلالة وإلى هدى؟ وقيل: «بل هو خبرٌ من الله تعالى أنه يضل بالمثل الكفار الذين يَعْمَون به، ويهدي به المؤمنين الذين يعلمون أنه الحق».

وفي هذا ردٌّ على المعتزلة في قولهم: «إنَّ اللهَ لا يخلقُ الضَّلالَ»، ولا خلافَ أنَّ قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ من قول الله تعالى.

ويحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ إلى آخر الآية ردّاً مِن الله تعالى على قول الكفار: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾.

و«الفسق»: الخروج عن الشيء، يقال: فسقت الفأرة، إذا خرجت من جحرها، والرطبة إذا خرجت من قشرها، والفسق في عرف الاستعمال الشرعي: الخروج عن طاعة الله عزَّ وجلَّ، فقد يقع على مَن خرج بكفر وعلى مَن خرج بعصيان.

وقراءة جمهور الأمة في هذه الآية: ﴿يُضِلُّ﴾ بضم الياء فيهما، وروي عن إبراهيم ابن أبي عبلة أنه قرأ: (يَضِلُّ) بفتح الياء، (كثيرٌ) بالرفع، (ويَهدِي به كثيرٌ وَمَا يَضِلُّ به إلَّا الفاسقون) بالرفع، قال أبو عمرو الداني: «هذه قراءة القدرية، وابن أبي عبلة من ثقات الشاميين ومن أهل السنة، ولا تصح هذه القراءة عنه، مع أنها مخالفةٌ لخط المصحف»، وروي عن ابن مسعود أنه قرأ في الأولى: ﴿يُضِلُّ﴾ بضم الياء وفي الثانية (وما يَضِلّ) بفتح الياء (به إلى الفاسقون)[1]، وهذه قراءةٌ متجهةٌ لولا مخالفتها خطَّ المصحفِ المجمع عليه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾.

---

(١) الشواذ للكرماني (ص٥٦)، وانظر قول الداني في البحر المحيط (١/ ٢٠٣).

«النقض»: ردُّ ما أُبرم على أوله غير مبرَم، والعهد في هذه الآية: التقدم في الشيء والوصاة به، واختلف في تفسير[١] هذا العهد:

فقال بعض المتأولين: «هو الذي أخذه الله على بني آدم حين استخرجهم من ظهر أبيهم آدم كالذر»، وقال آخرون: «بل نصب الأدلة على وحدانية الله بالسماوات والأرض وسائر الصنعة هو بمنزلة العهد»، [وقال آخرون: «بل هذا العهد هو الذي أخذه الله على عباده بواسطة رسله أن يوحدوه وأن لا يعبدوا غيره»][٢]، وقال آخرون: «بل هذا العهد هو الذي أخذه الله تعالى على أتباع الرسل والكتب المنزلة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، وأن لا يكتموا أمره».

قال القاضي أبو محمد: فالآية على هذا في أهل الكتاب، وظاهر ما قبلُ وبعدُ أنه في جميع الكفار.

وقال قتادة: «هذه الآية هي فيمن كان آمن بالنبي عليه السلام ثم كفر به فنقض العهد»[٣].

[ولم ينسب الطبريُّ شيئاً من هذه الأقوال[٤]][٥]، وكلُّ عهدٍ جائزٍ بين المسلمين فنقضه لا يحل بهذه الآية.

والضمير في ﴿مِيثَٰقِهِۦ﴾ يحتمل العود على العهد أو على اسم الله تعالى، وميثاق: مفعال من الوَثاقة، وهي الشد في العقد والربطِ ونحوه، وهو في هذه الآية اسم في موضع المصدر كما قال عمرو بن شييم[٦]:

---

(١) وفي الحمزوية وأحمد٣ والسليمانية وجار الله: «تعيين».

(٢) ساقط من أحمد٣ والسليمانية.

(٣) لم أجده صريحاً، وانظر تفسير قتادة للآية في تفسير الطبري (١/ ١١٤).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١/ ٤١٠) وما بعدها.

(٥) ساقط من أحمد٣ وفيض الله.

(٦) هو القطامي عمير (وقيل: عمرو) بن شييم بن عمرو بن عباد التغلبي، ولقب القطامي ببيت قاله، =

[الوافر] أَكُـفْـراً بَـعْـدَ رَدِّ الـمـوْتِ عَنِّي ... وَبَعْـدَ عَطَائِكَ المئةَ الرِّتَاعَـا[1]

أراد: بعد إعطائك.

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾، ﴿مَآ﴾ في موضع نصب بـ﴿يَقْطَعُونَ﴾.

واختلف: ما الشيء الذي أمر بوصله؟:

فقال قتادة: «الأرحام عامة في الناس»، وقال غيره: «خاصةٌ فيمن آمن بمحمد، كان الكفار يقطعون أرحامهم»، وقال جمهور أهل العلم: «الإشارة في هذه الآية إلى دين الله وعبادته في الأرض، وإقامة شرائعه، وحفظ حدوده»[2].

وهذا هو الحق، والرحم جزء من هذا، و﴿أَن﴾ في موضع نصب بدل من ﴿مَآ﴾، أو مفعول من أجله، وقيل: ﴿أَن﴾ في موضع خفض بدل من الضمير في ﴿بِهِۦٓ﴾، وهذا متجهٌ.

[٤١] ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ / : يعبدون غير الله ويجورون في الأفعال؛ إذْ هي بحسب شهواتهم، والخاسر الذي نقص نفسَه حظَّها من الفلاح والفوز، والخسران: النقص، كان في ميزان أو غيره.

وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ لفظه الاستفهام وليس به، بل هو تقرير وتوبيخ، أي: كيف تكفرون بالله ونعمه عليكم وقدرته هذه؟، و﴿كَيْفَ﴾ في موضع نصب على الحال، والعامل فيها ﴿تَكْفُرُونَ﴾، وتقديرها: أجاحدين تكفرون أمنكرين تكفرون؟، و﴿كَيْفَ﴾ مبنيةٌ، وخصت بالفتح لخفته، ومن قال: إنَّ ﴿كَيْفَ﴾ تقريرٌ وتعجبٌ فمعناه: أن هذا الأمر إن عنَّ فحقه أن يتعجب منه لغرابته وبعده عن المألوف من شكر[3] المنعم.

= وكان شاعراً نصرانيّاً فحلاً رقيق حواشي الكلام كثير الأمثال في شعره، وكان في صدر الإسلام. معجم الشعراء (ص: ٢٤٤).

(١) البيت معزو له في تفسير الطبري (١٥/ ٥٦٩)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤١)، والشعر والشعراء (٢/ ٧١٣)، والأغاني (٢٤/ ٤٤).

(٢) انظر الأقوال في القرطبي (١/ ٢٤٧)، وقول قتادة لم أجد من نقله عنه صريحاً.

(٣) في جار الله: «شدة».

والواو في قوله: ﴿وَكُنتُمْ﴾ واوُ الحالِ، واختلف في ترتيب هاتين الموتتين والحياتين:

فقال ابن عباس، وابن مسعود[١]، ومجاهد: «فالمعنى: كنتم أمواتاً معدومين قبل أن تخلقوا دارسين»[٢]، كما يقال للشيء الدارس ميت، ثم خلقتم وأخرجتم إلى الدنيا فأحياكم ثم أماتكم الموتَ المعهود، ثم يحييكم للبعث يوم القيامة.

وقال آخرون: «كنتم أمواتاً بكون آدم من طين [ميتاً][٣] قبل أن يَحْييَ ثم نَفَخَ فيه الروح فأحياكم [بحياة آدم][٤]، [ثم يميتكم ثم يحييكم على ما تقدَّم».

وقال قتادة: «كنتم أمواتاً في أصلاب آبائكم فأخرجتم إلى الدنيا فأحياكم][٥] ثم كما تقدم»، وقال غيره: «كنتم أمواتاً في الأرحام قبل نفخ الروح ثم أحياكم بالإخراج إلى الدنيا ثم كما تقدم»، وقال ابن زيد: «إن الله تعالى أخرج نسم بني آدم أمثال الذر ثم أماتهم بعد ذلك فهو قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾، ثم أحياهم بالإخراج إلى الدنيا ثم كما تقدَّم»[٦].

وقال ابن عباس وأبو صالح: «كنتم أمواتاً بالموت المعهود ثم أحياكم للسؤال في القبور، ثم أماتكم فيها، ثم أحياكم للبعث»، وروي عن ابن عباس أيضاً أنه قال: «وكنتم أمواتاً بالخمول فأحياكم بأن ذُكِرتم وشَرُفتم بهذا الدين والنبي الذي جاءكم»[٧].

والقول الأول هو أولى هذه الأقوال؛ لأنه الذي لا محيد للكفار عن الإقرار به في أول ترتيبه، ثم إن قولَه أولاً: ﴿كُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾، وإسناده آخراً الإماتة إليه تبارك

---

(١) هذا الأثر عن ابن مسعود وابن عباس قد أخرجه الطبري عنهما بأسانيد دائرة لا تصح.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٨٦) وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٧٣).

(٣) سقطت من فيض الله وجار الله.

(٤) في جار الله: «بحياته»، مع الإشارة إلى النسخة الأخرى.

(٥) ساقط من فيض الله، وسقطت: «ثم يحييكم» من نور العثمانية.

(٦) انظر قولي قتادة وابن زيد في تفسير الطبري (١/ ٤٢٠).

(٧) لم أقف على قولي ابن عباس هذين، وانظر قول أبي صالح في تفسير الطبري (١/ ٤١٨).

وتعالى مما يقوي ذلك القول، وإذا أذعنت نفوس الكفار لكونهم أمواتاً معدومين، ثم للإحياء في الدنيا، ثم للإماتة فيها، قوي عليهم لزوم الإحياء الآخر، وجاء جحدهم له دعوى لا حجة عليها، والضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ عائدٌ على الله تعالى؛ أي: إلى ثوابه أو عقابه، وقيل: هو عائدٌ على الإحياء، والأولُ أظهرُ.

وقرأ جمهور الناس: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بضم التاء وفتح الجيم.

وقرأ ابن أبي إسحاق وابن محيصن وابن يعمر وسلام[١] والفياض بن غزوان[٢] ويعقوب الحضرمي: ﴿يَرْجِعُ﴾، و﴿يَرْجِعُونَ﴾، و﴿تَرْجِعُونَ﴾ بفتح الياء والتاء حيث وقع[٣].

و﴿خَلَقَ﴾ معناه: اخترع وأوجد بعد العدم، وقد يقال في الإنسان: خلق بعد[٤] إنشائه شيئاً، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] وَلأَنْتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وَبَعْـ ـضُ القَوْمِ يخْلُقُ ثمَّ لا يَفْرِي[٥]

ومنه قول الآخر:

[مجزوء الكامل] مَنْ كانَ يَخْلُقُ ما يقو لُ فَحِيلَتِي فِيهِ قَلِيلَه[٦]

---

(١) هو أبو المنذر سلام بن سليمان الطويل المزني مولاهم البصري ثم الكوفي ثقة جليل ومقرئ كبير، أخذ القراءة عاصم بن أبي النجود وأبي عمرو بن العلاء والجحدري وذكره ابن حبان في الثقات وقال أبو حاتم: صدوق، توفي سنة (١٧١هـ). غاية النهاية (١/ ٣٠٩).

(٢) هو فياض بن غزوان الضبي الكوفي مقرئ موثق، أخذ القراءة عرضاً عن طلحة بن مصرف، وتروى عنه حروف شواذ من اختياره تضاف إليه، وروى عنه عبد الله بن المبارك وغيره، وقال أحمد بن حنبل فيه: شيخ ثقة. غاية النهاية (٢/ ١٣).

(٣) هذه قراءة متواترةٌ عن يعقوب، انظر: النشر (٢/ ٢٠٨)، وانظر عزوها لابن محيصن والأعرج في الكامل للهذلي (ص: ٤٨٢)، وللكل في البحر المحيط (١/ ٢١٣).

(٤) في جار الله وفيض الله: «عند».

(٥) البيت لزهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان، كما في تفسير الطبري (١٩/ ١٩)، ومعاني القرآن للفراء (مقدمة/ ٨)، والجيم (٣/ ٤٩)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٣٧٧)، وتهذيب اللغة (٧/ ١٦)، والشعر والشعراء (١/ ١٣٩)، والخلق: التقدير.

(٦) البيت لبشار في إعجاز القرآن للباقلاني (١/ ١٠٢)، ولبعض المحدثين في الكامل للمبرد =

و﴿لَكُم﴾: معناه: للاعتبار، ويدلُّ على ذلك ما قبله وما بعده من نصب العبر: الإحياء، والإماتة، والخلق، والاستواء إلى السماء وتسويتها.

وقال قوم: «بل معنى ﴿لَكُم﴾: إباحة الأشياء وتمليكها»، وهذا قولُ من يقول: إنَّ الأشياءَ قبل ورود السمع على الإباحة بيَّنته هذه الآية، وخالفهم في هذا التأويل القائلون بالحظر، والقائلون بالوقف، وأكثر القائلين بالحظر استثنوا أشياء اقتضت حالها مع وجود الإنسان الإباحة كالتنفس والحركة، ويرد على القائلين بالحظر كلُّ حظر في القرآن، وعلى القائلين بالإباحة كلُّ تحليل في القرآن وإباحة، ويترجح الوقف إذا قدرنا نازلة لا يوجد فيها سمع ولا تتعلق به.

ومعنى الوقف: أنه استنفاد جهد الناظر فيما يحدث[١] من النوازل.

وحكى ابن فورك عن ابن الصائغ[٢] أنه قال: «لم يخلُ العقل قط من السمع، ولا نازلةَ إلا وفيها سمع، أوْ لها به تعلقٌ أو لها حال تُستصحب»[٣].

قال: «فينبغي أن يعتمد على هذا، ويغني عن النظر في حظر وإباحة ووقف»[٤].

و﴿جَمِيعًا﴾ نصب على الحال.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾، ﴿ثُمَّ﴾ هنا هي لترتيب الإخبار، لا لترتيب الأمر

= (٢/ ٢٣٠)، ولمنصور الفقيه المصري في بهجة المجالس (١/ ٨٨)، ومعجم الأدباء (٦/ ٢٧٢٤)، ولمحمود بن مروان بن أبي الجنوب في ربيع الأبرار (٤/ ٣٤٣).

(١) في الأصل والمطبوع: «يحزب».

(٢) هو أَبُو الْحَسَن علي بن محمد بْن سهل الدِّينَوَرِيّ، أحد مشايخ القوم، سمع: محمد بن عبد العزيز الدِّيَنَوريّ، وغيره، روى عنه: عبد الملك بن حِبّان، وقال أبو الحسن الطحان: كان أبو الحسن بن الصائغ من الصديقين، توفي سنة (٣٣١هـ). تاريخ الإسلام (٢٥/ ٥٦).

(٣) نقله القرطبي (١/ ٢٥٢).

(٤) للتوسع في هذه المسألة، انظر: التبصرة للشيرازي (١/ ٥٣٣)، وتفسير القرطبي (١/ ٢٥١)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٢٣).

في نفسه، و﴿ٱسۡتَوَىٰٓ﴾: قال قومٌ: معناه: علا دون تكييف ولا تحديد، هذا اختيارُ الطبريِّ[١]، والتقدير: علا أمره وقدرته وسلطانه.

وقال ابن كيسان: «معناه: قَصَد إلى السماء»[٢]، أي: بخلقه واختراعه.

وقيل: «معناه: كمَّل صنعه فيها كما تقول استوى الأمر»، وهذا قلقٌ.

وحكى الطبريُّ عن قومٍ: «أن المعنى: أقبَلَ»، وضعفه[٣].

وحكي عن قوم: المستوي هو الدخان، وهذا أيضاً يأباه رصفُ الكلام[٤].

وقيل المعنى: استولى، كما قال الشاعر:

[الرجز] قَـدِ اسْتَوَىٰ بِشْـرٌ عَلَـىٰ الْعِـرَاقِ   مِـنْ غَيْـرِ سَـيْفٍ ودَمٍ مُهْـرَاقِ[٥]

وهذا إنما يجيء في قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥][٦].

والقاعدة في هذه الآية ونحوها[٧] منع النُّقلة وحلولِ الحوادث، ويبقى استواءُ القدرة والسلطان[٨].

و(سوَّاهنَّ): قيل: المعنى: جعلهنَّ سواءً، وقيل: سوَّى سطوحها بالإملاس.

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٢٨) فما بعدها.

(٢) نقله ابن كثير (١/ ٢١٣)، والثعالبي (١/ ٢٠٤) عن ابن كيسان.

(٣) تفسير الطبري (١/ ٤٢٨).

(٤) تابعه القرطبي (١/ ٢٥٥)، وابن عادل في اللباب (١/ ٤٨٨).

(٥) البيت للأخطل كما في تاج العروس (٣٨/ ٣٣١)، ونسبه المرزوقي في الأزمنة والأمكنة (١/ ٣٦) لبعيث.

(٦) في أحمد٣ بدل الآية: استوى على العرش، وكأنه إشارة إلى الآية ٥٤ من سورة الأعراف.

(٧) في فيض الله: «غيرها».

(٨) روى الدارمي في الرد على الجهمية (ص: ٦٦) والبيهقي في الاعتقاد (ص: ١١٦): أن سائلًا سأل مالكاً: كيف استوى، فقال: الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالاً. ثم أمر به فأخرج.

و﴿سَبۡعَ﴾ نصب / على البدل من الضمير، أو على المفعول بـ(سوّى) بتقدير [٤٢]
حذف الجارِّ من الضمير، كأنه قال: فسوّى منهن سبع، وقيل: نصب على الحال، وقال: (سواهن)، إمَّا على أنَّ السماء جمع، وإمَّا على أنه مفرد اسم جنس، فهو دالٌّ على الجمع.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ معناه: بالموجودات، وتحقق علمه بالمعدومات من آيات أُخر، وهذه الآية تقتضي أنَّ الأرض وما فيها خُلق قبل السماء، وذلك صحيحٌ، ثم دحيت الأرض بعد خلق السماء، وبهذا تتفق معاني الآيات: هذه والتي في سورة المؤمن، وفي النازعات[١].

قوله عز وجل: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٣٠ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣٢﴾.

قال معمر بن المثنى: (إذ) زائدة، والتقدير: وقال ربك للملائكة[٢]، قال أبو إسحاق الزجاج: هذا اجترام[٣] من أبي عبيدة[٤]، وكذلك ردَّ عليه جميع المفسرين[٥].

وقال الجمهور: ليست بزائدة، وإنما هي معلقة بفعل مقدر تقديره: واذكر إذ قال، وأيضاً فقوله: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ الآية، يقتضي أن يكون التقدير: وابتداءُ خَلْقكم إذ قال ربك للملائكة، وإضافة رب إلى محمد ﷺ ومخاطبته بالكاف تشريف منه له، وإظهار لاختصاصه به.

---

(١) إشارة لقوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]، وأما سورة المؤمن وهي غافر، فليس فيها ذكر للترتيب، ولعل الصواب: فصلت إشارة إلى الآيات (٩- ١١) منها والله أعلم.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٦-٣٧) بمعناه.

(٣) في المطبوع: اجتراء.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٠٨)، بعبارة: وهذا إقدام من أبي عبيدة.

(٥) ردَّ على أبي عبيدة الطبريُّ (١/ ٤٣٩) وغيره.

و«الملائكة»: واحدها ملك، أصله: ملأك على وزن مَفْعل؛ من لَأك: إذا أرسل، وجمعه ملائكة على وزن مفاعلة.

وقال قوم: أصل ملك: مألك، من ألك إذا أرسل[١]، ومنه قول عدي بن زيد[٢]:

[الرمل] أبْـلـغ الـنُّـعـمَـان عـنِّـي مَـأْلُـكـاً   أنَّـه قدْ طـالَ حبْسِـي وانْتظـاري[٣]

واللغتان مسموعتان: لأك وألك، قلبت فيه الهمزة بعد اللام فجاء وزنه معفل، وجمعه ملائكة، وزنه معافلة[٤].

وقال ابن كيسان: «هو من ملك يملك، والهمزة فيه زائدة كما زيدت في شمأل من شمل، فوزنه فعأل، ووزن جمعه [فعائلة][٥]»[٦]، وقد يأتي في الشعر على أصله كما قال:

[الطويل] فلست لإنـسِـيٍّ ولكن لملْأك   تَنَـزَّلَ من جـوِّ السَّـماء يَصُـوبُ[٧]

وأمَّا في الكلام فسهلت الهمزة وألقيت حركتها على اللام، أو على العين في قول ابن كيسان، [فقيل: ملك][٨]، والهاء في (ملائكة) لتأنيث الجموع غير حقيقي، وقيل: هي للمبالغة كعلَّامة ونسَّابة، والأول أبين.

---

(١) انظر: الاشتقاق لابن دريد (١/ ٢٦)، والمخصص (٣/ ٤١٧).

(٢) عدي بن زيد بن حمار بن زيد، يكنى أبا عمير، نصراني عبادي، سكن الحيرة فلان لسانه، قال أبو عمرو: هو في الشعراء مثل سهيل في الكواكب يعارضها ولا يجري معها، وكان كاتباً لكسرى، وكان أنبل أهل الحيرة وأجودهم منزلة. معجم الشعراء (ص: ٢٤٩).

(٣) انظر عزوه له في الاشتقاق (١/ ٢٦)، والشعر والشعراء (١/ ٢٢٣)، والعقد الفريد (٦/ ١١٠)، والأغاني (٢/ ١٠٥)، والزاهر لابن الأنباري (٢/ ٢٥٥)، والمخصص (٣/ ٤١٧)، وغيرها.

(٤) في أحمد٣ فيض الله: «مفاعلة»، وكذا نور العثمانية، وفيها أيضاً «مفعل».

(٥) في النسخة الحمزوية: «مفاعلة».

(٦) انظر: الهداية لمكي (١/ ٢١٣)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ٨٦).

(٧) البيت لعلقمة بن عبدة نسبه له الأعلم في ديوان الست (٢/ ٣٧٩)، وهو في ملحق ديوانه (ص: ١١٨) كما تقدم.

(٨) ليست في أحمد٣.

وقال أبو عبيدة[(١)]: الهمزة في ملائكة [مجتلبة؛ لأن][(٢)] واحدها ملك[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: فهذا الذي نحا إليه ابن كيسان.

و﴿جَاعِلٌ﴾ في هذه الآية بمعنى: خالق، ذكره الطبري[(٤)] عن أبي روق[(٥)]، ويقضي بذلك تعديها إلى مفعول واحد.

وقال الحسن وقتادة: ﴿جَاعِلٌ﴾ بمعنى: فاعل[(٦)].

وقال ابن سابط[(٧)] عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ الأرضَ هنا يعني بها مكة؛ لأنَّ الأرض دحيت من تحتها، ولأنها مقرُّ مَن هلك قومُه من الأنبياء، وإن قبر نوح وهود وصالح بين المقام والركن»[(٨)].

و﴿خَلِيفَةً﴾ معناه: من يخلف، قال ابن عباس: «كانت الجن قبل بني آدم في الأرض، فأفسدوا وسفكوا الدماء، فبعث الله [إليهم قبيلاً] [(٩)] من الملائكة قتلهم

(١) في أحمد٣: «أبو عبيد».

(٢) في النسخة الحمزوية: «محتملة على أن».

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٥).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٤٤٨) برقم (٥٩٨)، وضعف الشيخ أحمد شاكر إسناده.

(٥) هو: أبو روق الهمداني عطية بن الحارث بن عبد الرحمن من أهل الكوفة يروي عن إبراهيم التيمي، روى عنه الثوري وعبد الواحد بن زياد، لا بأس به، وذكره بن سعد في الطبقة الخامسة. انظر: الثقات لابن حبان (٧/ ٢٧٧)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٢٤).

(٦) انظر الطبري في تفسيره (١/ ٤٤٧) برقم (٥٩٧).

(٧) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط الجمحي المكي، روى عن أبيه وله صحبة، وعن عائشة، وجابر، وعنه ابن جريج، والليث بن سعد، وجماعة. وكان أحد الفقهاء، وثقوه، لكن يرى ابن معين أن أكثر رواياته مرسلة، مات سنة (١١٨هـ)، تاريخ الإسلام (٧/ ٤١٣).

(٨) مرسل: أخرجه ابن عساكر في تاريخه كما في اختصار ابن منظور (٨/ ١٦٤) من حديث ابن سابط، مرفوعاً، وهذا إسناد مرسل.

(٩) في النسخة الحمزوية: «لهم قبلا».

[وألحق فلّهم][(١)] بجزائر البحار ورؤوس الجبال، وجعل آدم وذريته خليفة»[(٢)]، وقال الحسن: إنما سمى الله بني آدم خليفة؛ لأنَّ كلَّ قرن منهم يخلف الذي قبله، الجيل بعد الجيل[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: ففي هذا القول، يحتمل أن تكون بمعنى: خالفة، وبمعنى: مخلوفة.

وقال ابن مسعود: «إنما معناه: خليفة مني في الحكم بين عبادي بالحق وبأوامري، يعني بذلك آدم عليه السلام ومن قام مقامه بعده من ذريته"[(٤)].

وقرأ زيد بن علي: (خليقة) بالقاف[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا﴾ الآية، وقد علمنا قطعاً أنَّ الملائكة لا تعلم الغيب ولا تسبق بالقول، وذلك عام في جميع الملائكة، لأن قوله: ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ [الأنبياء: ٢٧] خرج على جهة المدح لهم.

قال القاضي أبو بكر بن الطيب: فهذه قرينة العموم، فلا يصح مع هذين الشرطين إلا أن يكون عندهم من إفساد الخليفة في الأرض نبأ ومقدمة[(٦)].

---

(١) قال في القاموس المحيط (ص: ١٠٤٤) :قوم فل: منهزمون جمعه: فلول وأفلال، وفي النسخة الحمزوية: «والجن كلهم».

(٢) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٤٥٠) من طريق: بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، وهو إسناد ضعيف دائر.

(٣) تفسير الطبري (١/ ٤٥١).

(٤) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٤٥٢،٤٨١) بإسناد إلى ابن مسعود وابن عباس، وقد نفى الطبري صحته في غير هذا الموضع.

(٥) وهي قراءة شاذة انظر: تفسير الثعلبي (١/ ١٧٥)، وزاد في البحر المحيط (١/ ٢٢٧): أبا البرهسم عمران.

(٦) نقله عنه الثعالبي في تفسيره (١/ ٢٠٥) ولم أقف عليه في كتب الباقلاني المتوفرة، وفي نور العثمانية: «نبأ متقدم».

قال ابن زيد وغيره: إن اللهَ تعالى أعلمهم أن الخليفة سيكون من ذريته قومٌ يفسدون ويسفكون الدماء، فقالوا لذلك هذه المقالة[١].

قال القاضي أبو محمد: فهذا إما على طريق التعجب من استخلاف الله من يعصيه، أو من عصيان من يستخلفه الله في أرضه وينعم عليه بذلك، وإما على طريق الاستعظام والإكبار للفصلين جميعاً: الاستخلاف، والعصيان.

وقال أحمد بن يحيى ثعلب وغيره: إنما كانت الملائكة قد رأت وعلمت ما كان من إفساد الجن وسفكهم الدماء في الأرض، فجاء قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾.. الآية، على جهة الاستفهام [المحض][٢]، هل هذا [الخليفة][٣] / على طريقة من تقدم من الجن، [٤٣]
أم لا؟[٤].

وقال آخرون: كان الله تعالى قد أعلم الملائكة أنه يخلق في الأرض خلقاً يفسدون ويسفكون الدماء، فلما قال لهم بعد ذلك: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ الآية، على جهة الاسترشاد والاستعلام: هل هذا الخليفة هو الذي كان أعلمَهم به قبلُ أو غيره؟[٥].

و«السّفك»: صبُّ الدَّم، هذا عُرفه، وقد يقال: سفك كلامه في كذا إذا [سرده][٦].

وقراءة الجمهور بكسر الفاء، وقرأ أبو [حيوة][٧] وابن أبي عبلة: (ويسفُكُ) بضم

(١) نقله عنه في تفسير القرطبي (١/ ٢٧٤)، ولم أجده بهذا اللفظ لمن تقدم المؤلف.

(٢) في النسخة الحمزوية: «والحصر».

(٣) في النسخة الحمزوية: «الخليقة».

(٤) نقله عن ثعلب القرطبي (١/ ٢٧٤)، ونسبه الطبري (١/ ٤٦٩) إلى بعض أهل العربية.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٧٨)، وتفسير الطبري (١/ ٤٦٩) ونسبه إلى بعض أهل العربية.

(٦) في النسخة الحمزوية: «سوده».

(٧) في النسخة الحمزوية: «عبيدة»، وهو خطأ.

الفاء[١]، وقرأ ابن هرمز: (ويسفِكَ) بالنصب[٢] بواو الصرف، كأنه قال: مَن يجمع أن يفسد وأن يسفك، وقال المهدوي: هو نصب في جواب الاستفهام[٣]، والأول أحسن.

وقولهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ قال بعض المتأولين: هو على جهة الاستفهام، كأنهم أرادوا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ الآية، أم نتغير عن هذه الحال؟

قال القاضي أبو محمد: وهذا يحسن مع القول بالاستفهام المحض في قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ ﴾.

وقال آخرون: معناه: التمدح ووصف حالهم، وذلك جائز لهم كما قال يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، وهذا يَحسُن مع التعجب والاستعظام لأنْ[٤] يستخلفَ الله من يعصيه في قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ ﴾، وعلى هذا أدبهم بقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقال قوم: معنى الآية: ونحن لو جعلتنا في الأرض واستخلفتنا نسبح بحمدك[٥].

وهذا أيضاً حسنٌ مع التعجب والاستعظام في قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ ﴾.

ومعنى ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾: ننزِّهك عما لا يليق بك وبصفاتك، وقال ابن عباس وابن مسعود: «تسبيح الملائكة: صلاتهم لله»[٦]، وقال قتادة: تسبيح الملائكة قولهم: سبحان الله على عرفه في اللغة[٧].

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهما في الكامل للهذلي (ص: ٤٨٢)، وعزاها الثعلبي (١/ ٢٢٩)، لطلحة بن مصرف.

(٢) انظر: مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٣)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٠٧) وهي قراءة شاذة. وابن هرمز هو عبد الرحمن الأعرج.

(٣) التحصيل (١/ ١٩٦)، ونقله عنه القرطبي (١/ ٢٧٥).

(٤) في الحمزوية: «أن».

(٥) تفسير الطبري (١/ ٢١٢).

(٦) ضعيف: هذا الأثر عنهما أخرجه الطبري (١/ ٤٧٤) بإسناد ضعيف، وقد سبق مراراً.

(٧) أخرجه الطبري الطبري (١/ ٢١١) عنه بلفظ: «التسبيح: التسبيح».

و﴿بِحَمۡدِكَ﴾ معناه: نخلط التسبيح بالحمد ونَصِلُه به، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿بِحَمۡدِكَ﴾ اعتراضاً بين الكلامين، كأنهم قالوا: ونحن نسبح ونقدس، ثم اعترضوا على جهة التسليم، أي: وأنت المحمود في الهداية إلى ذلك.

﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قال الضحاك وغيره: معناه: نطهِّر أنفسنا لك ابتغاء مرضاتك[١].

و«التقديس»: التطهير بلا خلاف، ومنه: الأرض المقدسة، أي: المطهرة، ومنه بيت المقدس، ومنه القَدَس[٢] الذي يُتطهر به[٣].

وقال آخرون: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ معناه: ونقدسك؛ أي: نعظمك ونطهر ذكرك عما لا يليق به، قاله مجاهد وأبو صالح وغيرهما[٤]، وقال قومٌ: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ معناه: نصلي لك، وهذا ضعيفٌ.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ الأظهر أنَّ ﴿أَعۡلَمُ﴾ فعل مستقبل، و﴿مَا﴾ في موضع نصب به، وقيل: ﴿أَعۡلَمُ﴾ اسم، و﴿مَا﴾ في موضع خفض بالإضافة، ولا يصح الصرف فيه بإجماع من النحاة، وإنما الخلاف في أفعل إذا سمي به وكان نكرة، فسيبويه والخليل لا يَصْرِفانه، والأخفش يصرفه[٥].

واختلف أهل التأويل في المراد بقوله تعالى: ﴿مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾:

فقال ابن عباس: «كان إبليس لعنه الله قد أعجب ودخله الكبر لمَّا جعله الله خازن السماء الدنيا وشرفه»[٦].

---

(١) نقله بهذا اللفظ القرطبي (١/ ٢٧٦)، ورواه الطبري (١/ ٤٩٠) عنه بلفظ: التقديس التطهير.

(٢) في نور العثمانية: «وبيت القدس».

(٣) انظر: تفسير الطبري (١/ ٢١١)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ١٣٢). والقدس: السطل.

(٤) تفسير ابن جرير الطبري (١ / ٤٧٥).

(٥) انظر: الكتاب لسيبويه (٣/ ١٩٣)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٣٧٥).

(٦) ضعيف، أخرجه الطبري (١/ ٤٥٥) من طريق: بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس به مطولاً، وبشر ضعيف، والضحاك لم يسمع من ابن عباس، وأخرجه عقبه أيضاً من طريق آخر مشهور بالضعف.

وقيل: بل لما بعثه الله إلى قتل الجن الذين كانوا أفسدوا في الأرض فهزمهم وقتلهم بجنده ـ قاله ابن عباس أيضاً[١] ـ واعتقد[٢] أن ذلك لمزية له، واستخفَّ[٣] الكفر والمعصية في جانب آدم عليه السلام، قال: فلما قالت الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ وهي لا تعلم أن في نفس إبليس خلاف ذلك، قال الله لهم: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني: ما في نفس إبليس.

وقال قتادة: لما قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ وقد علم الله تعالى أن فيمن يستخلف في الأرض أنبياءَ وفضلاء وأهل طاعة، قال لهم: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني: أفعال الفضلاء من بني آدم[٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ﴾ معناه: عرَّف، وتعليم آدم [هنا][٥] عند قوم إلهامُ علمِه ضرورة.

وقال قوم: بل تعليمٌ بقولٍ، فإما بواسطة ملك، أو بتكليمٍ قبل هبوطه الأرض، فلا يشارك موسى ـ عليه السلام ـ في خاصته.

وقرأ اليماني[٦]: (وعُلِّمَ) بضم العين على بناء الفعل للمفعول، (آدمُ) مرفوعاً[٧].

قال أبو الفتح: وهي قراءة يزيد [البربري][٨].

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١/ ٤٥٥) من نفس الطريق السابق.

(٢) الفاعل ضمير يعود على إبليس فلذلك وضعنا ما قبلها بين العارضتين.

(٣) في الأصل: «واستحقب»، وفي الحمزوية: «واستصحب»، وانظر أحمد٣.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١ / ٤٧٩)، وانظر: تفسير ابن أبي زمنين (١ / ١٣٢).

(٥) في الحمزوية: «لها».

(٦) هو:محمد بن عبد الرحمن بن السميفع، تقدمت ترجمته.

(٧) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه (ص: ١٣)، وتفسير القرطبي (١/ ٢٧٩)، وتفسير البحر المحيط (١/ ٢٩٤)، وهي قراءة شاذة.

(٨) في النسخة الحمزوية: «البدري»، ذكر ابن النديم في الفهرست (ص: ٤٩) في قراء أهل الشام أن له قراءة، وفي نسخة منه: «البريدي»، وانظر عزو القراءة له في المحتسب لابن جني (١/ ٦٤).

و﴿ءَادَمُ﴾: أفعل مشتق من الأُدمة وهي حمرة تميل إلى السواد، وجمعه: أُدْمٌ وأوادم، كحمر وأحامر، ولا ينصرف بوجه، وقيل: آدَم وزنه فاعل مشتق من أديم الأرض، كأن الملك أدمها، وجمعه: آدمون وأوادم، ويلزم قائلَ هذه المقالة صرفُه.

وقال الطبري: «آدم» فعل رباعي سمي به(١)، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ كُلِّهَا فَخَرَجَتْ ذُرِّيَّتُهُ عَلَى نَحْوِ ذَلِكَ، مِنْهُمُ الْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَالْأَسْمَرُ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزنُ، وَ[الطَّيِّبُ والْخَبِيثُ]»(٢)(٣).

واختلف المتأولون في قوله: ﴿ٱلْأَسْمَآءَ﴾:

فقال جمهور الأمة: علَّمه التسميات، وقال قوم: عرض عليه الأشخاص، والأولُ أبينُ، ولفظة (علَّمه) تعطي ذلك.

ثم اختلف الجمهور في أيِّ الأسماء علَّمه؟:

[٤٤] فقال ابن عباس وقتادة ومجاهد: علمه اسم كل شيء/ من جميع المخلوقات دقيقها وجليلها(٤).

وقال حمُيدٌ الشامي(٥): علمه أسماء النجوم فقط(٦)، وقال الربيع بن خُثَيْمٍ(٧):

---

(١) قال ابن جرير: فعلى التأويل الذي تأول «آدم» من تأوله، بمعنى أنه خُلق من أديم الأرض، يجب أن يكون أصْل «آدم» فعلا سُمي به أبو البشر، كما سمي «أحمد» بالفعل من الإحماد، و«أسعد» من الإسعاد، فلذلك لم يُجَرَّ. تفسير الطبري (١ / ٤٨٢).

(٢) في النسخة الحمزوية: «الغث والسمين».

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (١٩٥٨٢) وأبو داود (٤٦٩٣) والترمذي (٢٩٥٥) وابن حبان (٦١٦٠) وغيرهم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) تفسير الطبري (١/ ٤٨٣- ٤٨٥).

(٥) هو حميد بن أبي حميد الشامي الحمصي، يروي عن سليمان المنبهي، وأبي عمرو الشيباني، ومحمود بن الربيع، وعنه محمد بن جحادة، وغيلان بن جامع، وغيرهما، قال ابن عدي: أنكر عليه حديثه عن سليمان المنبهي، ولا أعلم له غيره. انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٦١٧).

(٦) تفسير الطبري (١/ ٤٨٥).

(٧) الربيع بن خثيم أبو يزيد الثوري الكوفي، من سادة التابعين وفضلائهم، روى عن: ابن مسعود، وأبي =

علمه أسماء الملائكة فقط[١]، وقال عبدالرحمن بن زيد: علمه أسماء ذريته فقط[٢].

وقال الطبري: علمه أسماء ذريته والملائكة، واختار هذا ورجحه بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾[٣].

وحكى النقاش عن ابن عباس: أنه تعالى علَّمه كلمة واحدة عرف منها جميع الأسماء[٤].

وقال آخرون: علَّمه أسماء الأجناس، كالجبال والخيل والأودية ونحو ذلك، دون أن يعيِّن ما سمته ذريته منها[٥].

وقال ابن قتيبة: علمه أسماء ما خلق في الأرض[٦]، وقال قومٌ: علمه الأسماء بلغة واحدة، ثم وقع الاصطلاح من ذريته فيما سواها، وقال بعضهم: بل علمه الأسماء بكل لغة تكلمت بها ذريته.

وقد غلا قومٌ في هذا المعنى حتى حكى ابن جني عن أبي علي الفارسي أنه قال: علم الله تعالى آدم كل شيء، حتى إنه كان يحسن من النحو مثل ما أحسن سيبويه[٧]، ونحو هذا من القول الذي هو بيِّن الخطأ من جهات.

وقال أكثر العلماء: علمه تعالى منافع كل شيء ولمَا يصلح، وقال قوم: عرض

= أيوب الأنصاري، روى عنه: إبراهيم النخعي، والشعبي، وهلال بن يساف، وآخرون، وكان يعد من عقلاء الرجال، توفي قبل سنة (٦٥هـ). تاريخ الإسلام (٥/ ١١٥).

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٨٥).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٨٥) بلفظ: أسماء ذريته أجمعين.

(٣) المصدر السابق.

(٤) لم أقف عليه مسنداً.

(٥) نسبه ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٦٣) لعكرمة.

(٦) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٤٥).

(٧) نقله أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٢٣٥).

عليه الأشخاص عند التعليم، وقال قوم: بل وصفها له دون عرض أشخاص، وهذه كلُّها احتمالات، قال الناس بها.

وقرأ أبي بن كعب: (ثم عرضها)[(١)]، وقرأ ابن مسعود: (ثم عرضهن)[(٢)].

واختلف المتأولون: هل عرض على الملائكة أشخاص الأسماء، أو الأسماء دون الأشخاص؟:

فقال ابن مسعود وغيره: عرض الأشخاص، وقال ابن عباس وغيره: عرض الأسماء[(٣)] فمن قال في ﴿ٱلْأَسْمَآءَ﴾ بعموم كل شيء، قال: عرضهم أمة أمة ونوعاً نوعاً، ومن قال في ﴿ٱلْأَسْمَآءَ﴾ إنها التسميات استقام على قراءة أبيّ: (عَرَضَهَا).

ونقول في قراءة من قرأ: ﴿عَرَضَهُمْ﴾: إن لفظ ﴿ٱلْأَسْمَآءَ﴾ يدل على أشخاص، فلذلك ساغ أن يقول للأسماء: ﴿عَرَضَهُمْ﴾.

و﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾ معناه: أخبروني، والنبأ: الخبر، ومنه النبيء.

وقال قوم: يخرج من هذا الأمر [بالإنباء][(٤)] تكليفُ ما لا يطاق، ويتقرر جوازه لأنه تعالى علم أنهم لا يعلمون.

وقال المحققون من أهل التأويل: ليس هذا على جهة التكليف، وإنما هو على جهة التقرير والتوقيف.

وقوله تعالى: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ ظاهره حضور أشخاص، وذلك عند العرض على الملائكة.

وليس في هذه الآية ما يوجب أن الاسم أريد به المسمى كما ذهب إليه مكي[(٥)]

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٨٦)، معاني القرآن للفراء (١/ ٢٦)، وهي قراءة شاذة.

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٨٦)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٢٨)، معاني القرآن للفراء (١/ ٢٦)، وهي قراءة شاذة.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١/ ٢١٥).

(٤) في الحمزوية: «بالأنحاء».

(٥) الهداية لمكي (١/ ٢٢٨).

والمهدوي، فمن قال: إنه تعالى عرض على الملائكة أشخاصاً، استقام له مع لفظ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾، ومن قال: إنه إنما عرض أسماء فقط، جعل الإشارة بـ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إلى أشخاص الأسماء وهي [غائبة][(١)]، إذ قد حضر ما هو منها بسبب، وذلك أسماؤها، وكأنه قال لهم في كل اسم: لأيِّ شخص هذا.

والذي يظهر أن الله تعالى علم آدم الأسماء وعرض مع ذلك عليه الأجناس أشخاصاً، ثم عرض تلك على الملائكة وسألهم عن تسمياتها التي قد تعلمها آدم، ثم إن آدم قال لهم: هذا اسمه كذا، وهذا اسمه كذا.

و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ لفظ مبني على الكسر، والقصر فيه لغة تميم وبعض قيس وأسد، قال الأعشى:

[الخفيف] هَـؤُلا ثـم هَـؤلا كُـلًّا أعْطيـ ـت نـعَـالاً مـحـذُوةً بِـنـعَـال[(٢)]

و﴿كُنتُمْ﴾ في موضع الجزم بالشرط، والجواب عند سيبويه فيما قبله، وعند المبرد محذوف، والتقدير: إن كنتم صادقين فأنبئوني[(٣)].

وقال ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب النبي عليه السلام، معنى الآية: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أن الخليفة يفسد ويسفك[(٤)]، وقال آخرون: ﴿صَٰدِقِينَ﴾ في أني إن استخلفتكم سبحتم بحمدي وقدستم لي[(٥)].

---

(١) في الحمزوية: «عامة».

(٢) انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٢٢٨)، والأغاني (١١/ ١١٦)، والمقتضب (٤/ ٢٧٨)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٤)، والحجة لأبي علي (٣/ ٥١)، أي: أوقعت بهم جميعاً، ويريد بذلك بني محارب حيث مشاهم الأسود بن المنذر اللخمي على الجمر، فتساقط لحم أقدامهم، وفي رواية: «بمثال» بدل: «بنعال».

(٣) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٤).

(٤) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٤٥٨-٤٥٩) بإسناد ضعيف دائر.

(٥) تفسير الطبري (١/ ٤٩٢).

وقال الحسن وقتادة: روي أنَّ الملائكة قالت حين خلق الله آدم: ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقاً أعلم منا ولا أكرم عليه(١)، فأراد الله تعالى أن يريهم من علم آدم وكرامته خلاف ما ظنوا، فالمعنى: إن كنتم صادقين في دعواكم العلم.

وقال قوم: معنى الآية: ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ في جواب السؤال عالمين بالأسماء(٢).

قالوا: ولذلك لم يسغ(٣) للملائكة الاجتهاد وقالوا: ﴿سُبْحَـٰنَكَ ﴾ حكاه النقاش، قال: ولو لم يشترط عليهم الصدق في الإنباء لجاز لهم الاجتهاد كما جاز للَّذي أماته الله مئة عام حين قال له:كم لبثت؟، ولم يشترط عليه الإصابة، فقال: ولم يصب فلم يعنَّف(٤)، وهذا كلُّه محتملٌ.

وحكى الطبري أن بعض المفسرين قال: معنى ﴿ إِن كُنتُمْ ﴾: إذْ كنتم، قال الطبري: وهذا خطأ(٥).

وإن قال قائل: ما الحكمة في قول الله تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ ﴾..الآية؟

قيل: هذا منه امتحانٌ لهم واختبارٌ ليقع منهم ما وقع، ويؤدبهم تعالى من تعليم آدم وتكريمه بما أدَّب.

و﴿سُبْحَـٰنَكَ ﴾ معناه: تنزيهاً لك وتبرئة أن يعلم أحدٌ من علمك إلا ما علَّمته.

و﴿سُبْحَـٰنَكَ ﴾ نصب على المصدر، وقال الكسائي: نصبه على أنه منادى مضاف(٦).

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٦٤).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٨٩)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٨١)، عن مجاهد.

(٣) في السليمانية وأحمد٣ وجار الله وفيض الله: «يسع».

(٤) نقله عنه القرطبي (١/ ٢٨٤).

(٥) تفسير الطبري (١/ ٤٩٣).

(٦) معاني القرآن للكسائي (ص: ٦٦).

قال الزهراوي: موضع ﴿مَا﴾ من قولهم: ﴿مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ نصب بـ﴿عَلَّمْتَنَآ﴾، وخبر التبرئة في ﴿لَنَآ﴾[١]، ويحتمل أن يكون موضع ﴿مَا﴾ رفعاً على أنه بدل من خبر التبرئة، كما تقول: لا إله إلا الله؛ أي: لا إله في الوجود إلا الله.

[٤٥] و﴿أَنتَ﴾ في موضع / نصب تأكيد للضمير في ﴿إِنَّكَ﴾، أو في موضع رفع على الابتداء، و﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ خبره، والجملة خبر (إِنَّ)، أو فاصلة لا موضع لها من الإعراب.

و﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ معناه: العالم، ويزيد عليه معنى من المبالغة والتكثير من المعلومات في حق الله عزَّ وجلَّ، و﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ معناه: الحاكم، وبينهما مزيةُ المبالغة، وقيل: معناه المُحْكِم[٢]، كما قال عمرو بن معد يكرب:

[الوافر] أَمِـنْ ريحانـةَ الداعِـي السَّـميعُ[٣] ....

أي: المُسْمِع، ويجيء ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ على هذا من صفات الفعل، وقال قوم: ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: المانع من الفساد، ومنه حَكَمةُ الفرس: مانعته[٤]، ومنه قول جرير:

[الكامل] أَبَنـي حنيفـةَ أحكِمُـوا سُـفَهاءَكُم إنِّـي أخَـافُ عَلَيْكُـمُ أنْ أغْضَبَـا[٥]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

---

(١) نقله في اللباب لابن راشد (١/ ٥٢١)، والبحر المحيط (١/ ٢٣٨).
(٢) تفسير الطبري (١٥/ ١٢)، والنكت والعيون (١/ ١٠٠).
(٣) الأصمعيات، (ص: ١٧٢)، وقد تقدَّم.
(٤) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري (١/ ١١٠).
(٥) انظر عزوه له في الكامل في اللغة والأدب (٣/ ٢٠)، وتفسير الثعلبي (١/ ١٧٩)، وغريب الحديث للقاسم بن سلام (٤/ ٤٢٧)، والزاهر لابن الأنباري (١/ ٣٩٨)، وتهذيب اللغة (٤/ ٦٩)، والصحاح للجوهري (٥/ ١٩٠٢).

﴿أَنۢبِئۡهُم﴾ معناه: أخبرهم، وهو فعل يتعدى إلى مفعولين أحدهما بحرف جر، وقد يحذف حرف الجر أحياناً، تقول: نبِّئت زيداً، قال سيبويه: معناه: نبِّئت عن زيد[١].

والضمير في ﴿أَنۢبِئۡهُم﴾ عائدٌ على الملائكة بإجماع، والضمير في «أَسْمَائِهِم» مختلف فيه حسب الاختلاف في الأسماء التي عُلِّمها آدم.

قال أبو علي: «كلُّهم قرأ: ﴿أَنۢبِئۡهُم﴾ بالهمز وضم الهاء، إلا ما روي عن ابن عامر: (أنبئهِم) بالهمز وكسر الهاء[٢]، وكذلك روى بعض المكيين عن ابن كثير، وذلك[٣] على إتباع كسرة الهاء لكسرة الباء، وإن حجز الساكن فحجزه لا يعتد به»[٤].

قال أبو عمرو الداني: «وقرأ الحسن والأعرج: (أنبيهم) بغير همز»[٥].

قال ابن جني: «وقرأ الحسن: (أنبهم)، على وزن أعطهم، وقد روي عنه: (أنبيهم) بغير همز»[٦].

قال أبو عمرو: «وقد روي مثل ذلك عن ابن كثير من طريق [القواس][٧]»[٨].

---

(١) كتاب سيبويه (٤/ ١٠).

(٢) انظر: السبعة في القراءات (ص١٥٤)، ومختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٣)، وهي قراءة شاذة ليست من طرق التيسير، ولا النشر، قال في إتحاف فضلاء البشر (ص: ١٧٥)، وفي البدور الزاهرة (ص: ٢٩): أجمع القراء العشرة على تحقيق همزه وصلاً ووقفاً إلا حمزة.

(٣) في أحمد٣: «وكذلك».

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٦).

(٥) لم أجدها في كتبه المتوفرة وسيأتي عزوها لمن ذكر في المحتسب.

(٦) المحتسب لابن جني (١/ ٦٦)، وهي قراءة شاذة، ونقلها عنه أيضاً ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٣).

(٧) في النسخة الحمزوية: «القياس»، وهو تصحيف. وهو أحمد بن محمد بن علقمة أبو الحسن النبال المكي المعروف بالقواس، إمام مكة في القراءة، قرأ على وهب بن واضح، وقرأ عليه قنبل وغيره، توفي سنة (٢٤٠هـ)، أو (٢٤٥هـ). غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ١٢٣).

(٨) انظر تفصيل ذلك في جامع البيان للداني (٢/ ٨٥١).

قال أبو الفتح: «أمَّا قراءة الحسن: (أنبهم) كأعطهم، فعلى إبدال الهمزة ياء، على أنك تقول: أنبيتُ، كأعطيت، وهذا ضعيفٌ في اللغة، لأنَّه بدلٌ لا تخفيف، والبدل عندنا لا يجوز إلا في ضرورة شعر»[١].

قال بعض العلماء: «إنَّ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم﴾ نبوةً[٢] لآدم عليه السلام، إذ أمره الله أن ينبئ الملائكة بما ليس عندهم من علم الله عزَّ وجلَّ».

ويجوز فتح الياء من ﴿إِنِّيٓ﴾ وتسكينها[٣]، قال الكسائي: «رَأَيْتُ العربَ إذا لقيتْ عندهم الياءُ همزةً فتحوها»[٤].

قال أبو علي: كان أبو عمرو يفتح ياء الإضافة المكسور ما قبلها عند الهمزة المفتوحة والمكسورة، إذا كانت متصلة باسم أو بفعل، ما لم يَطُل الحرف فإنه يَثقلُ فتحها، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا﴾ [التوبة: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢]، والذي يخفُّ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ﴾ [الأنفال: ٤٨]، و﴿أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾[٥] ونحوه.

وقوله تعالى: ﴿أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ معناه: ما غاب عنكم، لأن الله [لا يغيب عنه شيء، الكلُّ معلوم له][٦]، و﴿مَا﴾ في موضع نصب بـ﴿أَعۡلَمُ﴾.

قال المهدوي: ويجوز أن يكون قوله: ﴿أَعۡلَمُ﴾ اسماً بمعنى التفضيل في العلم، فتكون ﴿مَا﴾ في موضع خفض بالإضافة[٧].

---

(١) انظر: المحتسب لابن جني (١/ ٦٦).
(٢) تراجع في أحمد٣.
(٣) فتح الياء هنا قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وتسكينها قراءة باقي السبعة، انظر: التيسير في القراءات السبع للداني (ص: ٨٥).
(٤) معاني القرآن للكسائي (ص: ٦٦).
(٥) يونس: ٧٢، انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (١/ ٤١١)، وهذا النصُّ من كلام ابن مجاهد في السبعة في القراءات (ص ١٥٢).
(٦) في الأصل وفيض الله: «لا غيب عنده من معلوماته».
(٧) التحصيل للمهدوي (١/ ٩٩).

قال القاضي أبو محمد: فإذا قدِّر الأول اسماً فلا بدَّ بعده من إضمار فعل ينصب ﴿غَيْبَ﴾، تقديره: إني أعلمُ من كلِّ أعلمُ غيب، وكونها في الموضعين فعلاً مضارعاً أخصرُ وأبلغ.

واختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾:

فقالت طائفة: ذلك على معنى العموم في معرفة أسرارهم وظواهرهم وبواطنهم أجمع[١].

وحكى مكي أن المراد بقول: ﴿مَا تُبْدُونَ﴾ قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾... الآية[٢].

وحكى المهدوي أن ﴿مَا تُبْدُونَ﴾ قولهم: ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق أعلم منا ولا أكرم عليه، فجعل هذا مما أبدوه لمَّا قالوه[٣]، وقال الزهراوي: ما أبدوه هو بدارهم بالسجود لآدم[٤].

واختلف في المكتوم: فقال ابن عباس وابن مسعود: «المراد ما كتمه إبليس في نفسه من الكبر والكفر»[٥]، ويتوجه قوله: ﴿تَكْتُمُونَ﴾ للجماعة والكاتم واحدٌ في هذا القول على تجوُّز العرب واتساعها، كما يقال لقوم قد جنى سفيه منهم: أنتم فعلتم كذا، أي منكم فاعله، وهذا مع قصد تعنيف، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤] وإنما ناداه منهم عيينة، وقيل الأقرع[٦].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٥٠٠).

(٢) انظر: الهداية (١/ ٢٢٥).

(٣) نقله أبو حيان في البحر (١/ ٣٠٠).

(٤) تفسير القرطبي (١/ ٢٩٠).

(٥) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٤٧٤) بإسناد ضعيف دائر.

(٦) في النسخة الحمزوية: «الأعرج»، وهو الأقرع بن حابس التميمي المجاشعي، أحد المؤلفة قلوبهم وأحد الأشراف، شهد مع خالد حرب أهل العراق وكان على المقدمة، وتوفي في خلافة عثمان. تاريخ الإسلام (٣/ ٢٨٥)، وعيينة هو ابن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية، =

وقال قتادة: المكتوم هو ما أسرَّه بعضهم إلى بعض من قولهم: ليخلق ربنا ما شاء[١]، فجعل هذا مما كتموه لمَّا أسرُّوه[٢].

و(إذ) من قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ معطوف على (إذ) المتقدمة.

وقول الله تعالى وخطابه للملائكة متقرِّر قديم في الأزل بشرط وجودهم وفهمهم، وهذا هو الباب كلُّه في أوامر الله سبحانه ونواهيه ومخاطباته.

و﴿قُلْنَا﴾ كناية العظيم عن نفسه بلفظ الجمع، وقوله: ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ عمومٌ فيهم.

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع: ﴿لِلْمَلائِكَةُ اسْجُدُوا﴾ برفع تاء ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ إتباعاً لضمة ثالث المستقبل[٣]، قال أبو علي: وهذا خطأ[٤]، وقال الزجاج: أبو جعفر من رؤساء القراءة ولكنه غلط في هذا[٥]، قال أبو الفتح: لأن الملائكة في موضع جر فالتاء مكسورة كسرة إعراب، وهذا الذي ذهب إليه أبو جعفر إنما يجوز إذا كان ما قبل الهمزة حرفاً ساكناً صحيحاً، نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾[٦].

والسجود في كلام العرب: الخضوع والتذلل، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] .... تَرَىٰ الأُكْـمَ فِيه سُـجَّداً لِلْحَوَافِرِ[٧]

= الفزاري وهو الأحمق المطاع، كان سيد قومه، وكان ارتد ثم تاب وأسلم، توفي في خلافة عثمان. تاريخ الإسلام (٣/ ٣٤٧).

(١) تفسير الثعلبي (١/ ١٧٩) بمعناه.

(٢) في المطبوع: «أسره».

(٣) وهي قراءة صحيحة. انظر: النشر في القراءات العشر (٢/ ٢١٠).

(٤) انظر: المحتسب لابن جني (١/ ٧٣)، وهذا كلامٌ لا عبرة به ولا بما بعده، فهي قراءة متواترة تقاس عليها العربية وتؤول عليها.

(٥) انظر: معاني القرآن (١/ ١١١).

(٦) يوسف: ٣١، المحتسب لابن جني (١/ ٧١).

(٧) البيت لزيد الخيل، وصدره: بجمع تضل البلق في حجراته، عزاه له في: الأغاني (١٧/ ٢٥٨)، والكامل (٢/ ١٤٩)، والمعاني الكبير لابن قتيبة (١/ ٢١٢)، وقد تكرر الاستشهاد به كثيراً.

وغايته: وضع الوجه بالأرض / ، والجمهور على أن سجود الملائكة لآدم [٤٦] [إيماء و][١] خضوع، ذكره النقاش وغيره[٢]، ولا تَدفع الآيةُ أن يكونوا بلغوا غاية السجود، وقوله تعالى: ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩] لا دليلَ فيه، لأنَّ الجاثي على ركبتيه واقع.

واختلف في حال السجود لآدم:

فقال ابن عباس: «تعبدهم الله بالسجود لآدم، والعبادة في ذلك لله»[٣]، وقال علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس: «إنما كان سجود تحية كسجود أبوي يوسف عليه السلام، لا سجود عبادة»[٤]، وقال الشعبي: إنما كان آدم كالقبلة، ومعنى ﴿لِأٓدَمَ﴾: إلى آدم[٥]، وفي هذه الوجوه كلها كرامة لآدم عليه السلام، وحكى النقاش عن مقاتل[٦]: أن الله إنما أمر الملائكة بالسجود لآدم قبل أن يخلقه[٧]، قال: والقرآن يردُّ على هذا القول[٨].

وقال قوم: سجود الملائكة كان مرتين، والإجماع يردُّ هذا.

---

(١) في النسخة الحمزوية: «إنما هو».
(٢) تفسير السمعاني (١/ ٦٦).
(٣) مرسل: هذا الأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسييره (٣٦٠) من طريق قتادة، عن ابن عباس، وهذا سند مرسل.
(٤) هو من قول قتادة، هذا الأثر جاء بنحوه من قول قتادة عند ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٨٤٧)، ولم أجده من قول هؤلاء الصحابة.
(٥) تفسير السمعاني (١/ ٦٧).
(٦) مقاتل بن سليمان أبو الحسن البلخي صاحب التفسير، روى عن مجاهد والضحاك وعنه بقية وعلي ابن الجعد وغيرهم، قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، أثنى عليه الشافعي، واتهمه آخرون بالوضع، توفي سنة (١٥٠هـ). تاريخ الإسلام ت تدمري (٩/ ٦٣٩).
(٧) لفظه في تفسير مقاتل (٢/ ٤٢٨): قال لهم قبل أن يخلق آدم ـ عليه السلام ـ: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ۞ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨-٢٩].
(٨) هذا من كلام النقاش، ومثله في تفسير البحر المحيط (١/ ٢٤٧) بلا نسبة.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ نصب على الاستثناء المتصل، لأنه من الملائكة على قول الجمهور، وهو ظاهر الآية، وكان خازناً ومَلِكاً على سماء الدنيا والأرض، واسمه عزازيل، قاله ابن عباس(١).

وقال ابن زيد والحسن: هو أبو الجن كما أن آدم أبو البشر، ولم يكن قط ملكاً(٢)، وقد روي نحوه عن ابن عباس أيضاً، قال: «واسمه: الحارث»(٣).

وقال شهر بن حوشب: كان من الجن الذين كانوا في الأرض وقاتلتهم الملائكة فسَبَوه صغيراً، وتعبَّد [مع الملائكة](٤) وخوطب معها(٥)، وحكاه الطبري عن ابن مسعود(٦)، والاستثناء على هذه الأقوال منقطع.

واحتجَّ بعضُ أصحاب هذا القول بأن الله تعالى قال صفةً للملائكة(٧): ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، ورجَّح الطبريُّ قولَ من قال: إنَّ إبليس كان من الملائكة، وقال: ليس في خلقه من نار ولا في تركيب الشهوة والنسل فيه حين غضب عليه ما يدفع أنه كان من الملائكة(٨).

وقوله عز وجل: ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠] يتخرج على(٩) أنه عمل عملهم فكان منهم في هذا، أو على أن الملائكة قد تسمى جنّاً لاستتارها، قال

---

(١) في صحته نظر: أخرجه الطبري (١٨/ ٣٩) بأسانيد لا يخلو واحد منها من ضعف شديد أو مقال.
(٢) تفسير الطبري (١/ ٥٠٧).
(٣) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٤٥٥) بإسناد فيه الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، وهذا إسناد منقطع، فالضحاك لم يلق ابن عباس، انظر: جامع التحصيل (ص: ١٩٩).
(٤) سقط من الأصل والمطبوع، وهو في نور العثمانية ملحق في الهامش، وعليه تصحيح.
(٥) تفسير الثعلبي (٦/ ١٨٦)، وتفسير الطبري (١٨/ ٤٢).
(٦) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٥٠٧)، وفي إسناده من لم أعرفهم، وفيه تخليط.
(٧) في الحمزوية وأحمد٣: «في صفة الملائكة».
(٨) تفسير الطبري (١/ ٥٠٨).
(٩) في الحمزوية زيادة: «هذا».

تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨]، وقال الأعشى في ذكر سليمان عليه السلام:

وسَخَّرَ مِنْ جِنِّ الْمَلائِكِ تِسْعَةً قِيَاماً لَدَيْهِ يَعْمَلُونَ بِلا أجْرِ[(١)] [الطويل]

أو على أن يكون نسبه إلى الجَنة كما ينسب إلى البصرة بصريّ، لما كان خازناً عليها.

و﴿إِبْلِيسَ﴾ لا ينصرف لأنه اسم أعجميٌّ معرَّف، قال[(٢)] الزجاج، ووزنه فِعليل.

وقال ابن عباس[(٣)] والسُّدِّي وأبو عبيدة وغيرهم: هو مشتقٌّ من أبلس إذا أبعد عن الخير[(٤)]، ووزنه على هذا إفعيل، ولم تصرفه هذه الفرقة لشذوذه، وأجروه مجرى إسحاق من أسحقه الله، وأيوب من آب يؤوب، ومثل قيوم من قام يقوم، ولما لم تصرف هذه ـ ولها وجه من الاشتقاق ـ كذلك لم يصرف هذا ـ وإن توجَّه اشتقاقه ـ لقلته وشذوذه.

ومن هذا المعنى قول العجَّاج:

يا صَاح هلْ تعْرف رسماً مُكْرَسَا قال نعم أعْرفه وَأبْلَسَا[(٥)] [الرجز]

---

(١) البيت للأعشى، عزاه له تفسير الطبري (١/ ٥٠٥)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢١)، والزاهر (٢/ ٣٢٢)، والمحكم (٧/ ٢١٦).

(٢) الصواب: «قاله» كما في البحر المحيط (١/ ٤١٣) طبعة الرسالة، ولفظ الزجاج في معاني القرآن (١/ ١١٤): «وإبليس لم ينصرف؛ لأنه اسم أعجمي اجتمع فيه العجمة والمعرفة فمنع من الصرف».

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١/ ٥٠٩) من طريق: بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، وهو إسناد ضعيف.

(٤) لفظ السدي في تفسير الطبري (١/ ٥٠٩)، ولم أقف على كلام أبي عبيدة، بل صرح في مجاز القرآن (١/ ٣٨) أنه أعجمي.

(٥) البيت للعجاج، كما في مجاز القرآن (١/ ١٩٢)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٩٦)، وتفسير الطبري (١/ ٥٠٩)، والكامل للمبرد (٢/ ١٤١)، والجمهرة لابن دريد (٢/ ٧١٩)، الرسم: الأثر، ورسم الدار: ما كان من آثارها لاصقاً بالأرض، والكرس بالكسر: الأبوال والأبعار يتلبَّد بعضها على بعض.

أي: تغيَّر وبَعُد عن العمارة [والأنس به][١]، ومثله قول الآخر:

[الرجز] وفي الوُجوهِ صُفرَة وإبْلاسْ[٢]

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]، أي: يائسون عن الخير مبعدون منه فيما يرون.

و ﴿أَبَىٰ﴾ معناه: امتنع من فعل ما أمر به، و(اسْتَكْبَرَ) دخل في الكبرياء، والإباية مقدمة على الاستكبار في ظهورهما عليه، والاستكبار والأنفة مقدمة في معتقده.

وروى ابن القاسم عن مالك أنه قال: «بلغني أن أول معصية كانت الحسد والكبر والشح، حسد إبليس آدم وتكبر، وشح آدم في أكله من شجرة قد نهي عن قربها»[٣].

حكى المهدوي عن فرقة أن معنى ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: «وصار من الكافرين»[٤].

وقال ابن فورك: «وهذا خطأٌ تردُّه الأصول»[٥].

وقالت فرقة: «قد كان تقدم [قبلُ][٦] من الجن مَن كفر فشبهه الله بهم وجعله منهم، لما فعل في الكفر فعلهم، وذكر الطبري عن أبي العالية أنه كان يقول: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ معناه: من العاصين»[٧].

قال القاضي أبو محمد: وتلك معصيةُ كفرٍ لأنها عن معتقد فاسد صدرت.

---

(١) في النسخة الحمزوية: «ولا أنيس به».

(٢) هو لرؤبة، كما في مجاز القرآن (١/ ١٩٢)، وتفسير الطبري (١/ ٥١٠)، وغريب الحديث للخطابي، (١/ ٤٦٦).

(٣) العتبية مع البيان والتحصيل (١٧/ ٦٢)، والمقدمات لابن رشد (٣/ ٤١٠)، والهداية لمكي (١/ ٢٣٦).

(٤) انظر: تفسير البغوي (١/ ١٠٤)، وتفسير الماوردي (١/ ١٠٣)، وتفسير السمعاني (١/ ٦٨)، وتفسير الثعلبي (١/ ١٨١)، بلا نسبة.

(٥) نقله عنه القرطبي (١/ ٢٩٧)، والثعالبي (١/ ٢١٧).

(٦) في النسخة الحمزوية: «قبيل».

(٧) تفسير الطبري (١/ ٥١١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٨٥).

وروي أنَّ الله تعالى خلق خلقاً وأمرهم بالسجود لآدم فعصوا، فأحرقهم بالنار، ثم خلق آخرين وأمرهم بذلك فعصوا فأحرقهم، ثم خلق الملائكة فأمرهم بذلك فسجدوا[(١)].

والإسناد في مثل هذا غير وثيق.

وقال جمهور المتأولين: معنى ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: في علم الله تعالى أنه سيكفر، لأنَّ الكافر حقيقةً والمؤمن حقيقةً هو الذي قد علم الله منه الموافاة[(٢)].

وذهب الطبري: إلى أنَّ الله أراد بقصة إبليس تقريع أشباهه من بني آدم وهم اليهود الذين كفروا بمحمد ﷺ مع علمهم بنبوته، ومع تقدم نعم الله عليهم وعلى أسلافهم[(٣)].

واختلف: هل كفر إبليس جهلاً أو عناداً؟ على قولين بين أهل السنة، ولا خلاف أنه كان عالماً بالله قبل كفره، فمن قال: إنه كفر جهلاً، قال: إنه سلب العلم عند كفره، ومن قال: كفر عناداً، قال: كفر ومعه علمه، والكفر عناداً مع بقاء العلم مستبعد، إلا أنه عندي جائز لا يستحيل مع خذل الله لمن شاء، ولا خلاف أنَّ الله تعالى أخرج / إبليس [٤٧]
عند كفره وأبعده عن الجنة، وبعد إخراجه قال لآدم: ﴿ٱسْكُنْ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦)﴾.

﴿ٱسْكُنْ﴾ معناه: لازم الإقامة، ولفظه لفظ الأمر ومعناه الإذن، و﴿أَنتَ﴾ تأكيدٌ للضمير الَّذي في ﴿ٱسْكُنْ﴾، و(زَوْجُكَ) عطف عليه، والزوج: امرأةُ الرجل، وهذا أشهر من زوجة، وقد تقدَّم.

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٥١١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٨٥).
(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٢٣٩).
(٣) المصدر السابق (١/ ٥١٠).

و﴿ٱلْجَنَّةَ﴾: البستان عليه حظيرةٌ، واختلف في الجنة التي أُسكنها آدم، هل هي جنة الخلد أو جنة أعدت لهما؟.

وذهب من لم يجعلها جنةَ الخلد إلى أن من دخل جنة الخلد لا يخرج منها، وهذا لا يمتنع، إلا أن السمع ورد أن من دخلها مثاباً لا يخرج منها، وأمَّا من دخلها ابتلاء كآدم فغير مستحيل ولا ورد سمع بأنه لا يخرج منها.

واختلف: متى خلقت حواء من ضلع آدم عليه السلام؟:

فقال ابن عباس: «حين أنبأ الملائكةَ بالأسماء وأُسجدوا له ألقيت عليه السِّنة وخلقت حواء، فاستيقظ وهي إلى جانبه، فقال فيما يزعمون: لحمي ودمي، وسكن إليها، فذهبت الملائكة لتجرب علمه، فقالوا له: يا آدم ما اسمُها؟ قال: حواء. قالوا: ولم؟ قال: لأنها خلقت من شيءٍ حيٍّ، ثم قال الله له: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾»[(١)].

وقال ابن مسعود وابن عباس أيضاً: «لما أسكن آدم الجنة مشى فيها مستوحشاً، فلمَّا نام خلقت حواء من ضلعه [القُصَيْرى][(٢)]، ليسكن إليها ويستأنس بها، فلما انتبه رآها، فقال: مَن أنتِ؟ قالت: امرأة خلقت من ضلعك لتسكن إلي»[(٣)].

وحذفت النون من (كُلا) للأمر، والألف الأولى لحركة الكاف حين حذفت الثانية لاجتماع المثلين وهو حذف شاذ، ولفظ هذا الأمر بـ(كُلا) معناه الإباحة، بقرينة قوله: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ والضمير في ﴿مِنْهَا﴾ عائدٌ على ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾.

وقرأ ابن وثاب، والنخعي: (رَغْداً) بسكون الغين[(٤)]، والجمهور على فتحها،

---

(١) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٥١٣) بإسناد ضعيف قد سبق أن الطبري نفسه نفى صحته وارتاب فيه.

(٢) في النسخة الحمزوية: «الصغرى»، وفي أحمد٣: «القصير».

(٣) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٥١٣) وهو جزء من الأثر السابق.

(٤) الشواذ للكرماني (ص: ٥٢). وهي قراءة شاذة.

والرغد: العيش الدارّ الهنيّ الذي لا عناء فيه، ومنه قول امرئ القيس:

بَيْنَمَا الْمَرْءُ تَرَاهُ نَاعِمَاً يَأْمَنُ الأحْدَاثَ فِي عَيْشٍ رَغَدْ[١] [الرمل]

و﴿رَغَدًا﴾ منصوبٌ على الصفة لمصدر محذوف، وقيل: هو نصب على المصدر في موضع الحال، و﴿حَيْثُ﴾ مبنيّةٌ على الضمِّ، ومن العرب من يبنيها على الفتح، ومن العرب من يعربها حسب موضعها بالرفع والنصب والخفض، كقوله سبحانه: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]، ومن العرب من يقول «حوث»[٢].

و﴿شِئْتُمَا﴾ أصله: شيَأتما، حوّل إلى فعلتما تحركت ياؤه وانفتح ما قبلها جاء: شَاءْتما، حذفت الألف الساكنة الممدودة للالتقاء وكسرت الشين لتدل على الياء فجاء شئتما، هذا تعليل المبرد، فأمَّا سيبويه فالأصل عنده: شَيِئْتُما بكسر الياء، نقلت حركة الياء إلى الشين، وحذفت الياء بعد[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [معناه: لا تقرباها بأكل؛ لأنَّ الإباحةَ فيه وقعت.

قال بعض الحذاق: إنَّ الله لما أراد النهي عن أكل الشجرة][٤] نهى عنه بلفظة تقتضي الأكل وما يدعو إليه وهو القرب.

قال القاضي أبو محمد: وهذا مثالٌ بيِّنٌ في سدِّ الذرائع.

وقرأ ابن محيصن: (هَذِي) على الأصل[٥]، والهاء في ﴿هَٰذِهِ﴾ بدل من الياء، وليس في الكلام هاء تأنيث مكسور ما قبلها غير هذه، وتحتمل هذه الإشارةُ أن تكون إلى شجرةٍ معينةٍ واحدةٍ، أو إلى جنس.

---

(١) نسبه له الطبري (١/ ٥١٥)، والماوردي في النكت (١/ ١٠٥)، وغيرهما.

(٢) انظر هذه اللغات في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٦)، إصلاح المنطق (ص: ١٠٦)، تهذيب اللغة (٥/ ١٣٥).

(٣) نقله ابن عادل في اللباب (١/ ٥٥٣)، والسمين في الدر المصون (١/ ٢٨٣).

(٤) ساقط من السليمانية.

(٥) إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٧٦)، وهي قراءة شاذة.

وحكى هارونُ الأعورُ عن بعض العلماء قراءة: (الشِّجَرَة) بكسر الشين[١].

والشجر: كلُّ مَا قام من النبات على ساق.

واختلف في هذه الشجرة التي نهي عنها ما هي؟:

فقال ابن مسعود، وابن عباس: هي الكرم[٢]، ولذلك حرِّمت علينا الخمر، وقال ابن جريج عن بعض الصحابة: هي شجرة التين[٣]، وقال ابن عباس أيضاً[٤] وأبو مالك[٥] وعطية[٦] وقتادة: هي السنبلة وحَبها كَكُلَى البقر، أحلى من العسل، وألين من الزُّبد[٧]، وروي عن ابن عباس أيضاً: أنها شجرة العلم، فيها ثمر كل شيء[٨]، وهذا ضعيفٌ لا يصحّ عن ابن عباس[٩].

---

(١) نقلها عنه ابن جني في المحتسب (١/ ٧٣) عن بعض العرب، ونقل عن أبي عمرو أنها يقرأ بها برابر مكة وسودانها، عزاها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٢) لأبي السمال، وهي قراءة شاذة.

(٢) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٥١٣) بإسناد ضعيف قد سبق التنبيه عليه قريباً.

(٣) منقطع رواه الطبري (١ / ٥٢٠)، وابن جريج لم يلق أحداً من الصحابة رضي الله عنهم.

(٤) ضعيف جدّاً: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٥١٧) بإسناد فيه النضر بن عبد الرحمن أبو عمر الخزاز، قال فيه البخاري: «منكر الحديث»، انظر: التاريخ الكبير (٨/ ٩١).

(٥) هو أبو مالك سعد بن طارق بن أشيم الأشجعي الكوفي، لأبيه صحبة، روى عن أبيه وعن ابن أبي أوفى وأنس بن مالك، وعنه الثوري وآخرون، قال النسائي: ليس به بأس، وقد استشهد به البخاري. تاريخ الإسلام (٩/ ١٤٧).

(٦) عطية بن سعد بن جنادة العوفي، أبو الحسن الكوفي، عن ابن عباس، وابن عمر، وغيرهما، وعنه ابنه الحسن، وأبان بن تغلب، وآخرون، قال أبو حاتم: ضعيف يكتب حديثه، وكذا ضعفه غير واحد، وكان شيعيا، توفي سنة (١١١هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٤٢٤).

(٧) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (١/ ٥١٧).

(٨) لم أقف له على إسناد، وقد نقله مكي في الهداية (١/ ٢٣٤) من رواية أبي صالح عنه.

(٩) وقد نقله تفسير الثعلبي (١/ ١٨٢) عن قتادة.

وحكى الطبريُّ عن يعقوب بن عتبة[(١)]: أنها الشجرة التي كانت الملائكة [تحنَّك][(٢)] بها للخلد، وهذا أيضاً ضعيفٌ.

قال: «واليهود تزعم أنها الحنظلة، وتقول: كانت حلوة ومرّت من حينئذ»[(٣)].

وليس في شيء من هذا التعيين ما يعضده خبر، وإنما الصواب أن يُعتقد أن الله تعالى نهى آدم عن شجرة فخالف هو إليها وعصى في الأكل منها.

وفي حظره تعالى على آدم الشجرة ما يدل على أن سكناه في الجنة لا يدوم؛ لأنَّ المخلدَ لا يُحظر عليه شيءٌ، ولا يؤمر ولا ينهى.

[وقيل: إن هذه الشجرة كانت خُصَّت بأن تُحْوِجَ[(٤)] آكلها إلى التبرز، فلذلك نهي عنها، فلما أكلها ولم تكن الجنة موضع تبرز أهبط إلى الأرض][(٥)].

وقوله: ﴿فَتَكُونَا﴾ في موضع جزم على العطف على ﴿لَا تَقْرَبَا﴾، ويجوز فيه النصب على الجواب، والناصب عند الخليل وسيبويه «أنْ» المضمرة، وعند الجرمي[(٦)] الفاء[(٧)].

والظالم في اللغة: الذي يضع الشيء [في][(٨)] غير موضعه، ومنه قولهم: «من

---

(١) يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي المدني، عن عروة وعمر بن عبد العزيز والزهري، وعنه ابنه محمد ومحمد بن إسحاق وآخرون، وثقه ابن سعد، وكان فقيهاً ورعاً عارفاً بالسيرة، مات سنة (١٢٨هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٣١٤).

(٢) في النسخة الحمزوية: «تحيط».

(٣) تفسير الطبري (١/ ٥١٨).

(٤) في نور العثمانية: «يخرج».

(٥) سقط من الأصل والسليمانية.

(٦) هو صالح بن إسحاق أبو عمر الجَرْميّ النحويّ البصريّ، ألف الكتاب المختصر فى النحو، وكان ممّن اجتمع له مع العلم صحة المذهب وصحة الاعتقاد، أخذ عن الأخفش وغيره، ولقي يونس ابن حبيب، ولم يلق سيبويه، وكان ذا دين وأخا ورع. إنباه الرواة (٢/ ٨٠).

(٧) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٦).

(٨) من النسخة الحمزوية.

أشبه أباه فما ظلم»[(١)]، ومنه «المظلومة الجَلَد» لأنَّ المطر لم يأتها في وقته، ومنه قول عمرو بن قميئة[(٢)]:

[الكامل] ظَلَمَ الْبِطَاحَ بِهَا انْهِلالُ حَرِيصَةٍ فصَفَا النِّطَافُ لَهُ بُعَيْدَ الْمُقْلَعِ[(٣)]

[٤٨] / والظلم في أحكام الشرع على مراتب، أعلاها الشرك، ثم ظلم المعاصي وهي مراتب، وهو في هذه الآية يدل على أن قوله: ﴿لَا تَقْرَبَا﴾ على جهة الوجوب، لا على الندب، لأنَّ من ترك المندوب لا يسمى ظالماً، فاقتضت لفظة الظلم قوة النهي.

وأَزَلَّهما مأخوذٌ من الزلل، وهو في الآية مجاز، لأنه في الرأي والنظر، وإنما حقيقة الزلل في القدم، قال أبو علي: (أَزَلَّهُمَا) يحتمل تأويلين، أحدهما: كسبهما الزلة، والآخر: أن يكون من زل إذا عثر[(٤)].

وقرأ حمزة: ﴿فأَزَالَهما﴾[(٥)]، مأخوذٌ من الزوال، كأنه المزيل لمَّا كان إغواؤه مؤدياً إلى الزوال، وهي قراءة الحسن وأبي رجاء[(٦)].

---

(١) مثل مشهور، انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٣٥)، وجمهرة الأمثال (٢/ ٢٨)، والحيوان للجاحظ (١/ ٢١٩).

(٢) عمرو بن قميئة بن سعد بن مالك بن ضبيعة من بكر بن وائل، ويكنى أبا كعب، وكان في عصر مهلهل ابن ربيعة ويقول الشعر، وعمِّر حتى جاوز التسعين، وتزعم بكر بن وائل أنه أول من قال الشعر وقصد القصيد. معجم الشعراء (ص: ٢٠٠).

(٣) نسبه له الثعلبي (٢/ ٤٤)، والطبري (١/ ٥٢٤)، ونسبه في المفضليات (١/ ٣)، والحيوان (١/ ٣٣١)، والاختيارين (ص: ٦٥)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٢٧٦)، والمحكم والمحيط الأعظم (٣/ ١٤٦)، وأساس البلاغة (١/ ١٨٢) للحادرة، والحريصة: هي السحابة التي تقشر وجه الأرض وتؤثر فيه بمطرها من شدة وقعه. وفي السليمانية: «المطلع».

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ١٨).

(٥) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص١٥٤)، والتيسير في القراءات السبع للداني (ص٧٣).

(٦) تفسير البحر المحيط (١/ ٣١٣)، وأبو رجاء هو العطاري عمران بن ملحان، مخضرم أدرك الجاهلية، أسلم بعد الفتح، ولم ير النبي ﷺ، حدث عن: عمر، وعلي، وكان تلاء لكتاب الله، وتلقن القرآن من أبي موسى الأشعري، توفي سنة (١٠٨هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٢٨٧).

ولا خلاف بين العلماء أن إبليس اللعين[١] هو متولي إغواء آدم، واختلف في الكيفية:

فقال ابن عباس وابن مسعود وجمهور العلماء: أغواهما مشافهة[٢]، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ [الأعراف: ٢١] والمقاسمة ظاهرها المشافهة.

وقال بعضهم: إنَّ إبليس لما دخل إلى آدم كلمه في حاله، فقال: يا آدم ما أحسن هذا لو أن خلداً كان! فوجد إبليس السبيل إلى إغوائه، فقال: هل أدلك على شجرة الخلد؟[٣].

وقال بعضهم: دخل الجنة في فم الحية ـ وهي ذات أربع كالبختية ـ بعد أن عرض نفسه على كثير من الحيوان فلم تدخله إلا الحية، فخرج إلى حواء وأخذ شيئاً من الشجرة، وقال: انظري ما أحسن هذا! فأغواها حتى أكلت، ثم أغوى آدم، وقالت له حواء: كُلْ فإني قد أكلت فلم يضرني، فأكل فبدت لهما سوءاتهما، وحصلا في حكم الذنب، ولعنت الحية وردَّت قوائمها في جوفها، وجعلت العداوة بينها وبين بني آدم، وقيل لحواء: «كما أدميت الشجرة فكذلك يصيبك الدم في كلِّ شهر، وكذلك تحملين كرهاً، وتضعين كرهاً، تشرفين به على الموت مراراً»، زاد الطبريُّ والنقاش: «وتكونين سفيهةً، وقد كنتِ حليمة»[٤].

وقالت طائفة: إنَّ إبليس لم يدخل الجنة إلى آدم بعد أن أُخرج منها، وإنما أغوى آدم بشيطانه وسلطانه ووساوسه التي أعطاه الله تعالى، كما قال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ»[٥].

---

(١) ليست في السليمانية ونور العثمانية وأحمد٣.

(٢) أخرج الطبري (١/ ٥٢٦) هذا عنهما بأسانيد واهية في حكاية طويلة لا تصح.

(٣) تفسير الطبري (١/ ٥٢٨).

(٤) المصدر السابق (١/ ٥٢٩- ٥٣٠)، وفيه: وأن أجعلها سفيهةً فقد كنت خلقتها حَليمة.

(٥) متفق عليه: هذا الحديث أخرجه البخاري (٢٠٣٨)، ومسلم (٥٨٠٧) من حديث أم المؤمنين صفية رضي الله عنها.

والضمير في ﴿عَنْهَا﴾ عائدٌ على ﴿ٱلشَّجَرَةَ﴾ في قراءة من قرأ: (أَزَلَّهُمَا)، ويحتمل أن يعود على ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾، فأمَّا من قرأ: (أَزَالَهما) فإنه يعود على ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾ فقط، وهنا محذوفٌ يدلُّ عليه الظاهر، تقديره: فأكلا من الشجرة. وقال قوم: أكلا من غير التي أشير إليها فلم يتأولا النهي واقعاً على جميع جنسها، وقال آخرون: تأولا النهي على الندب.

وقال ابن المسيب: إنما أكل آدم بعد أن سقته حواء الخمر، فكان في غير عقله[1].

وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ يحتمل وجوهاً، فقيل: أخرجهما من الطاعة إلى المعصية، وقيل: من نعمة الجنة إلى شقاء الدنيا[2]، وقيل: من رفعة المنزلة إلى سفل مكانة الذنب، وهذا كلُّه يتقارب.

وقرأ أبو حيوة: (اهبُطُوا) بضم الباء[3]، ويفعُل كثير في غير المتعدِّي، وهبط غير متعدّ، والهبوط: النزول من عُلْوٍ إلى أسفل.

واختلف مَن المخاطب بالهبوط:

فقال السدي وغيره: آدم وحواء وإبليس والحية[4]، وقال الحسن: آدم وحواء والوسوسة[5]، قال غيره: والحية؛ لأن إبليس قد كان أهبط [قبلُ عند معصيته[6].

و﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ جملة في موضع الحال، وإفراد لفظ: ﴿عَدُوٌّ﴾ من حيث لفظة (بعض)، وبعضٌ وكلٌّ تجري مجرى الواحد][7]، ومن حيث لفظة: ﴿عَدُوٌّ﴾ تقع للواحدِ والجمع، قال الله تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٥٣٠).
(٢) القولان في زاد المسير (١/ ٦٧)، وتفسير الثعلبي (١/ ٦٣)، وتفسير البغوي (١/ ٨٣) بلا نسبة.
(٣) الشواذ للكرماني (ص: ٥٩)، وزاد شريحاً وكرداب، وهي قراءة شاذة.
(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٩٢) عنه، و(٥/ ١٤٥٥) عن ابن عباس، وأخرجه الطبري عن أبي صالح (١/ ٥٤٨).
(٥) تفسير الماوردي (٢/ ٢١٢).
(٦) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٩٢).
(٧) ساقط من أحمد٣.

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي: موضع استقرار، قاله أبو العالية وابن زيد[١].

وقال السّدي: المراد: الاستقرار في القبور[٢].

والْمَتَاعُ: ما يستمتع به من أكلٍ ولبسٍ وحياةٍ، وحديث، وأُنس، وغير ذلك.

وأنشد سليمان بن عبد الملك[٣] حين وقف على قبر ابنه أيوب[٤] إثر دفنه:

وقفتُ على قبرٍ غريبٍ بقفْرةٍ ... متاعٌ قليلٌ من حَبيبٍ مُفَارق[٥] [الطويل]

واختلف المتأولون في الحين هاهنا: فقالت فرقة: إلى الموت[٦]، وهذا قولُ من يقول المستقر هو المقام في الدنيا[٧]، وقالت فرقة: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى يوم القيامة، وهذا قولُ من يقول: المستقر هو في القبور.

ويترتب أيضاً على أن المستقر في الدنيا[٨] أن يراد بقوله: ﴿وَلَكُمْ﴾، أي: لأنواعكم في الدنيا استقرار ومتاع قرنا بعد قرن إلى يوم القيامة[٩]، والحين: المدة

---

(١) أخرج الطبري (١/ ٥٣٨) عن أبي العالية في قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ قال: هو قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢]، وعن ابن زيد (١/ ٥٣٩) قال: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾، قال: مقامهم فيها.

(٢) تفسير الطبري (١/ ٥٣٩).

(٣) هو الخليفة سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم القرشي الأموي، وكان من خيار ملوك بني أمية، ولي الخلافة سنة ست وتسعين بعد الوليد بالعهد المذكور من أبيه، فرد الصلاة لوقتها، وقرب عمر بن العزيز وعهد له، توفي سنة (٩٩هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٣٧٧).

(٤) هو أيوب بن سليمان بن عبد الملك بن مروان، ولي غزو الصائفة، ورشحه أبوه لولاية العهد، فمات قبله. تاريخ الإسلام (٦/ ٣٠٠).

(٥) البيت لسليمان بن عبد الملك كما في البيان والتبيين (١/ ٥٨٦)، والكامل (٤/ ٤٥)، وقد أنشده بعد دفن ولده أيوب.

(٦) أخرجه الطبري (١/ ٤٥٠) عن السدي.

(٧) أخرج الطبري (١/ ٤٥٠) عن ابن عباس ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ قال: الحياة.

(٨) جاء في الأصل: «على» (وكأنها مكررة).

(٩) ذكره الطبري (١/ ٤٥٠) عن مجاهد.

الطويلة من الدهر، أقصرها في الأيمان والالتزامات سنة[١]، قال الله تعالى: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥]، وقد قيل: أقصرها ستة أشهر؛ لأنَّ من النخل ما يثمر في كل ستة أشهر، وقد يستعمل الحين في المحاورات في القليل من الزمن.

وفي قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ فائدة لآدم عليه السلام، ليعلم أنه غير باقٍ فيها، ومنتقل إلى الجنة التي وعد بالرجوع إليها، وهي لغير آدم دالة على المعاد.

وروي أن آدم نزل على جبل من جبال سَرَنْديب، وأن حواء نزلت بجدة، وأن الحية نزلت بأصبهان، وقيل بميسان، وأنَّ إبليس نزل على الأُبُلَّة[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا/ جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ [٤٩] وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

المعنى: فقال الكلمات فتاب اللهُ عليه عند ذلك.

و﴿ءَادَمُ﴾ رفع بـ (تَلَقَّى)، و﴿كَلِمَٰتٍ﴾ نصبٌ بها، والتَّلقي من آدم: هو الإقبال عليها والقبول لها والفهم[٣]، وحكى مكي قولاً: أنه ألهمها فانتفع بها[٤].

وقرأ ابنُ كثير: (آدمَ) بالنصب، ﴿مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَاتٌ﴾ بالرفع[٥]، فالتَّلقي من الكلمات: هو نيل آدم بسببها رحمة الله وتوبته.

واختلف المتأولون في الكلمات:

فقال الحسن بن أبي الحسن: هي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ الآية[٦]، وقال

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٤٠٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (٥/ ١١٢).
(٢) تفسير البغوي (١/ ٨٤)، وتفسير الثعلبي (١/ ١٨٣).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٥٤١)، وانظر: زاد المسير (١/ ٦٩).
(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٤٣).
(٥) التيسير في القراءات السبع للداني (ص٧٣).
(٦) الأعراف: ٢٣، وانظر تفسير الطبري (١/ ٥٤٣).

مجاهد: هي أنَّ آدم قال: «سبحانك اللهمَّ لا إله إلّا أنت ظلمتُ نفسي فاغفر لي إنّك أنت التوّاب الرَّحيم»[١].

وقال ابن عباس: «هي أنَّ آدم قال: أي رب، ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: أي ربّ، ألم تنفخ فيّ من روحك؟ قال بلى، قال: أي رب، ألم تسكني جنتك؟ قال: بلى، قال: أرأيت إن تبت وأطعت أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: نعم»[٢].

وقال عبيد بن عمير: إنَّ آدم قال: «أي رب، أرأيت ما عصيتك فيه أشيء كتبته علي أم شيء ابتدعته؟ قال: بل شيء كتبته عليك، قال: أي رب، كما كتبته عليَّ فاغفر لي»[٣].

وقال قتادة: الكلمات هي أن آدم قال: «أي رب، أرأيت إن أنا تبت وأصلحت؟ قال: إذاً أدخلك الجنة»[٤]، وقالت طائفة: إنَّ آدم رأى مكتوباً على ساق العرش: «محمد رسول الله» فتشفَّع بذلك، فهي الكلمات.

وقالت طائفة: «إنَّ المراد بالكلمات ندمه واستغفاره وحزنه»[٥]، وسماها كلمات مجازاً لما هي في خلقها صادرة عن كلمات، وهي: (كن) في كل واحدة منهن، وهذا قول يقتضي أنَّ آدم لم يقل شيئاً إلا الاستغفار المعهود.

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٥٤٥).

(٢) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٥٤٢) بإسنادين، في الأول محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو سيئ الحفظ جداً، وفي الثاني: محمد بن مُصعْب ـ هو القرقساني ـ عن قيس بن الربيع، وفيهما كلام، وقد ضعفا.

(٣) تفسير الطبري (١/ ٥٤٤).

(٤) أخرج الطبري (١٢/ ٣٥٧) تفسير الكلمات عنه بلفظ: عن قتادة في قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾، قال: هو قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، وأما هذه اللفظة فأخرجها في توبة آدم بلفظ: عن قتادة قال: قال آدم عليه السلام: يا ربِّ، أرأيتَ إن تبتُ واستغفرتك؟ قال: إذاً أدخلك الجنة.

(٥) تفسير الثعلبي (١/ ١٨٥).

وسئل بعض سلف المسلمين عما ينبغي أن يقوله المذنب، فقال: يقول ما قال أبواه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، وما قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦]، وما قال يونس: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

و(تاب عليه) معناه: رجع به، والتوبة من الله تعالى: الرجوع على عبده بالرحمة والتوفيق، والتوبة من العبد: الرجوع عن المعصية والندم على الذنب مع تركه فيما يستأنف.

وإنما خص الله تعالى آدم بالذكر هنا في التلقي والتوبة، وحواءُ مشارِكةٌ له في ذلك بإجماع؛ لأنه المخاطب في أول القصة بقوله: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ فلذلك كملت القصة بذكره وحده، وأيضاً فلأن المرأة حرمة ومستورة فأراد الله الستر لها، ولذلك لم يذكرها في المعصية في قوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١].

وروي أنَّ الله تعالى تاب على آدم في يوم عاشوراء.

وكنية آدم: أبو محمد، وقيل: أبو البشر(١).

وقرأ الجمهور: ﴿إِنَّهُۥ﴾ بكسر الألف على القطع، وقرأ ابن أبي عقرب(٢): (أنه) بفتح الهمزة على معنى: لأنه(٣).

وبنية ﴿ٱلتَّوَّابُ﴾ للمبالغة والتكثير، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ تأكيدٌ فائدتُهُ أنَّ التوبةَ على العبد إنما هي نعمة من الله لا من العبد وحده؛ لئلا يعجب التائب، بل الواجب عليه شكر الله تعالى في توبته عليه.

وكرّر الأمر بالهبوط لمّا علق بكل أمر منهما حكماً غير حكم الآخر، فعلَّق

---

(١) تفسير البغوي (١/ ٨٠)، وتفسير الثعلبي (١/ ١٨١).

(٢) هو أبو نوفل معاوية بن أبي عقرب، روى عن: أبيه، وعائشة، وأسماء، وعبد الله بن عمر، وروى: عنه ابن جريج، والأسود بن شيبان، وشعبة، وثقه ابن معين. تاريخ الإسلام (٧/ ٥١٨).

(٣) انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٥٩)، ومختصر الشواذ لابن خالويه في (ص: ١٣)، وزاد العباس بن الفضل.

بالأول العداوة، وعلق بالثاني إتيان الهدى، وقيل: كرر الأمر بالهبوط على جهة تغليظ الأمر وتأكيده، كما تقول لرجل: قم قم.

وحكى النقاش: أن الهبوط الثاني إنما هو من الجنة إلى السماء، والأول في ترتيب الآية إنما هو إلى الأرض، وهو الآخِر في الوقوع، فليس في الأمر تكرارٌ على هذا[(١)].

و﴿جَمِيعًا﴾ حال من الضمير في ﴿ٱهْبِطُواْ﴾، وليس بمصدر ولا اسم فاعل، ولكنه عوض منهما دال عليهما، كأنه قال: هبوطاً جميعاً، أو: هابطين جميعاً.

واختلف في المقصود بهذا الخطاب:

فقيل: آدم وحواء وإبليس وذريتهم، وقيل: ظاهره العموم، ومعناه الخصوص في آدم وحواء؛ لأن إبليس لا يأتيه هدى، وخوطبا بلفظ الجمع تشريفاً لهما، والأولُ أصحُّ؛ لأنَّ إبليسَ مخاطبٌ بالإيمان بإجماع.

و(إنْ) في قوله: ﴿فَإِمَّا﴾ هي للشرط دخلت (ما) عليها مؤكدة ليصح دخول النون المشددة، فهي بمثابة لام القسم التي [تجيء][(٢)] لتجيء النون، وفي قوله تعالى: ﴿مِّنِّي﴾ إشارة إلى أن أفعال العباد خلق الله تعالى.

واختلف في معنى قوله: ﴿هُدًى﴾:

فقيل: بيان وإرشاد[(٣)]، والصواب أن يقال: بيانٌ ودعاءٌ.

وقالت فرقة: الهدى: الرسل، وهي إلى آدم من الملائكة، وإلى بنيه من البشر[(٤)]، هو فمن بعده[(٥)].

---

(١) نقله السمين في الدر المصون (١/ ٢٩٨)، وابن عادل في اللباب (١/ ٥٧٩).

(٢) في النسخة الحمزوية: «تخفى».

(٣) تفسير الطبري (١/ ٥٤٩).

(٤) في أحمد٣: «النبيين».

(٥) أخرجه الطبري (١/ ٥٤٩) عن أبي العالية.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ شرطٌ جوابُهُ: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾.

[قال سيبويه: الشرط الثاني وجوابه هما جواب الأول في قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾.

وحكي عن الكسائي أن قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾][(١)] جواب الشرطين جميعاً[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: حكي هذا وفيه نظرٌ، ولا يتوجه أن يخالف سيبويه هنا، وإنما الخلاف في نحو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة:
[٥٠] ٨٩]، فيقول سيبويه: جواب أحدِ الشرطين محذوفٌ / لدلالة قوله: ﴿فَرَوْحٌ﴾ عليه، ويقول الكوفيون: ﴿فَرَوْحٌ﴾ جواب الشرطين.

وأمَّا في هذه الآية فالمعنى يمنع أن يكون ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ جواباً للشرطين.

وقرأ الجحدري وابن أبي إسحاق: (هُديَّ)[(٣)] وهي لغة هذيل، قال أبو ذؤيب[(٤)] يرثي بنيه:

[الكامل] سَبَقوا هَـوَيَّ وأعْنَقُـوا لِهَوَاهُـمُ ... فَتُخِرِّمُـوا وَلِـكُلِّ جَنْـبٍ مَصْـرَعُ[(٥)]

وكذلك يقولون: عصيَّ وما أشبهه، وعلة هذه اللغة أن ياء الإضافة من شأنها أن يكسر ما قبلها، فلما لم يصح في هذا الوزن كسر الألف الساكنة أبدلت ياء وأدغمت.

---

(١) ساقط من أحمد٣.

(٢) نقله في الدر المصون (١/ ٢٩٧).

(٣) المحتسب لابن جني (١/ ٧٦). وزاد عيسى بن أبي عمر، وهي قراءة شاذة.

(٤) اسمه خويلد بن خالد بن محرّث، كان فصيحاً كثير الغريب متمكناً في الشعر، وعاش في الجاهلية دهراً، وأدرك الإسلام وأسلم، قدم المدينة يوم وفاة النبي ﷺ، ومات في مغزى له نحو المغرب مع ابن الزبير في خلافة عثمان. الإصابة (٧/ ١١٠).

(٥) البيت لأبي ذؤيب الهذلي كما في المفضليات (ص: ٤٢١)، وجمهرة شعراء العرب (١/ ٢٠٥)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٥٤)، والعقد الفريد (٣/ ٢١٠)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٥٣٧)، يقال: أعنق الفرس: أسرع. وتخرموا: أخذوا واحداً بعد واحد.

وقرأ الزهري، ويعقوب، وعيسى[١] الثقفي: ﴿فلا خَوْفَ عَلَيهِم﴾ نصب[٢] بالتبرئة، ووجهه أنه أعم وأبلغ في رفع الخوف، ووجه الرفع أنه أعدل في اللفظ لينعطف المرفوع من قولهم: ﴿يَحْزَنُونَ﴾ على مرفوع، و(لا) في قراءة الرفع عاملة عمل «ليس».

وقرأ ابن محيصن باختلاف عنه: (فلا خَوْفُ) بالرفع وترك التنوين[٣] [وهي على أن تعمل (لَا) عمل «ليس»، لكنه حذف التنوين][٤] تخفيفاً لكثرة الاستعمال.

ويحتمل قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [أي: فيما بين أيديهم من الدنيا، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما فاتهم منها، ويحتمل أن ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ يوم القيامة، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فيه، ويحتمل][٥] أن يريد أنه يدخلهم الجنة حيث لا خوفَ ولا حزن.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية، عطف جملة مرفوعة على جملة[٦] مرفوعة، وقال: ﴿وَكَذَّبُواْ﴾ وكان في الكفر كفاية؛ لأن لفظة: ﴿كَفَرُواْ﴾ يشترك فيها كفر النعم وكفر المعاصي، ولا يجب بهذا خلود، فبيَّن أن الكفر هنا هو الشرك، بقوله: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾.

---

(١) في النسخة الحمزوية: «عمر»، وهو عيسى بن عمر أبو عمر الثقفي النحوي البصري معلم النحو ومؤلف الجامع والإكمال، عرض القرآن على عبد الله بن أبي إسحاق وعاصم الجحدري، وروى عن ابن كثير وابن محيصن حروفاً وله اختيار في القراءات على قياس العربية، يفارق قراءة العامة ويستنكره الناس، وكان عالماً بالنحو، توفي سنة (١٤٩هـ). غاية النهاية (١/ ٦١٣).

(٢) انظر قراءة يعقوب وهي عشرية في النشر في القراءات العشر (٢/ ٢١١)، والباقين في تفسير البحر المحيط (١/ ٣٢٢) وزاد الكرماني في الشواذ أبا الأزهر عن ورش (ص: ٥٩)، وعزاها الهذلي في الكامل (ص: ٤٨٣) للحسن، والْجَحْدَرِيّ، وقَتَادَة، وأبي السَّمَّال ويَعْقُوب، والزَّعْفَرَانِيّ، وابْن مِقْسَم، ومجاهد.

(٣) إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٧٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٦٠)، والكامل للهذلي (ص: ٤٨٣)، وزاد الأعرج، وهي قراءة شاذة.

(٤) ساقط من السليمانية.

(٥) ساقط من أحمد٣.

(٦) ليست في الأصل والحمزوية.

والآية هنا يحتمل أن يريد المتلوة، ويحتمل أن يريد العلامة المنصوبة، وقد تقدَّم في صدر هذا الكتاب القول على لفظ آية.

و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ رفع بالابتداء و﴿أَصۡحَٰبُ﴾ خبره، والصحبة: الاقتران بالشيء في حالةٍ مّا، في زمنٍ مّا، فإن كانت الملازمة والخلطة فهو كمال الصحبة، وهكذا هي صحبة أهل النار لها، وبهذا القول ينفك الخلاف في تسمية الصحابة رضي الله عنهم إذ مراتبهم متباينة، أقلها الاقتران في الإسلام والزمن، وأكثرها الخلطة والملازمة.

و﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، ابتداء وخبر في موضع الحال.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ٤١﴾.

(يا): حرف نداء [مضمن][1] معنى التنبيه، قال الخليل: والعامل في المنادى فعل مضمر كأنه يقول: أريد، أو: أدعو[2].

وقال أبو علي الفارسي: العامل حرف النداء عُصِبَ به معنى الفعل المضمر فقوي فعمل، ويدل على ذلك أنه ليس في حروف المعاني ما يلتئم بانفراده مع الأسماء غير حرف النداء[3].

و(بني): منادى مضاف و﴿إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ هو: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وهو اسم أعجمي يقال فيه إسرئل وإسرائيل، وتميم تقول: إسرائين[4]، وإسرا: هو بالعبرانية عبد، وإيل: اسم الله تعالى، فمعناه: عبد الله، وحكى المهدوي أن «إسرا»

---

(١) في النسخة الحمزوية: «يتضمن».

(٢) انظر: الكتاب لسيبويه (١/ ٢٩١).

(٣) في كتابه الحجة (٢/ ١٨).

(٤) النحاس في إعراب القرآن (١/ ٤٨).

مأخوذٌ من الشدة في الأسر كأنه الذي شد الله أسره وقوَّى خلقته[١].

وروي عن نافع ترك همز: ﴿إسراييل﴾، وعن الحسن والزهري وابن أبي إسحاق[٢].

و«الذكر» في كلام العرب على أنحاء، وهذا منها ذكر القلب الذي هو ضد النسيان.

و«النعمة» هنا اسم الجنس، فهي مفردة بمعنى الجمع، وتحركت الياء من ﴿نِعۡمَتِيَ﴾ لأنها لقيت الألف واللام، ويجوز تسكينها[٣]، وإذا سكنت حذفت للالتقاء، وفتحها أحسن لزيادة حرف في كتاب الله تعالى[٤].

وخصص بعض العلماء النعمة في هذه الآية، فقال الطبري: بعثةُ الرسل منهم، وإنزال المن والسلوى، وإنقاذهم من تعذيب آل فرعون، وتفجير الحجر[٥]، وقال غيره: النعمة هنا أن أدركهم مدة محمد ﷺ[٦]، وقال آخرون: هي أنْ مَنَحَهم علم التوراة وجعلهم أهله وحملته[٧]، وهذه أقوال على جهة المثال، والعموم في اللفظة هو الحسن.

---

(١) انظر: التحصيل للمهدوي (١/ ١٨٢).

(٢) عزاها للثلاثة في المحتسب (١/ ٧٩)، وهي متواترة عن أبي جعفر بالتسهيل كما في النشر (١/ ٤٠٠)، ولم أجد عزوها لنافع، ولكن في جامع البيان (٢/ ٨٥٥): روى ابن شنبوذ عن النّحاس عن الأزرق عن ورش أنه حذف الياء بعد الهمزة، وفي البحر المحيط (١/ ٢٧٨) من رواية خارجة عن نافع: (إسرال) بألف غير ممالة.

(٣) قال ابن مجاهد (ص: ١٩٦): «لم يختلفوا كلهم في تحريكها، ولم يروها ساكنة عن عاصم غير المفضل» وليست من طرق التيسير.

(٤) يعني فيزيد الأجر؛ فإن بكل حرف عشر حسنات.

(٥) تفسير الطبري (١/ ٥٥٥) بتصرف، وانظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٤٧)، وتفسير السمعاني (١/ ٧١).

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٤٧).

(٧) تفسير البغوي (١/ ٨٦)، وتفسير السمعاني (١/ ٧١).

وحكى مكي: أنَّ المخاطب من بني إسرائيل بهذا الخطاب هم المؤمنون بمحمد ﷺ[١]، لأنَّ الكافر لا نعمة لله عليه.

وقال ابن عباس[٢]، وجمهور العلماء: بل الخطاب لجميع بني إسرائيل في مدة النبي عليه السلام، مؤمنهم وكافرهم[٣]، والضمير في ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يراد به: على آبائكم، كما تقول العرب: ألم نهزمكم يوم كذا لوقعة كانت بين الآباء والأجداد، ومن قال: إنما خوطب المؤمنون بمحمد ﷺ استقام الضمير في ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ويجيء كل ما توالى من الأوامر على جهة الاستدامة.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أمرٌ، وجوابه، فقال الخليل: جزم الجوابَ ما في الأمر من معنى الشرط[٤]. والوفاء بالعهد هو [التزام][٥] ما تضمن / [٥١]
من فعل.

وقرأ الزهري: (أُوَفِّ) بفتح الواو وشد الفاء[٦] للتكثير.

واختلف المتأولون في هذا العهد إليهم:

فقال الجمهور: ذلك عامٌّ في جميع أوامره ونواهيه ووصاياه[٧]، فيدخل في ذلك ذكر محمد ﷺ الذي في التوراة.

وقيل: العهد قوله تعالى: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ الآية[٨].

---

(١) حكاه في تفسير سورة الفاتحة. الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ١١٢).

(٢) أخرج الطبري (١/ ٥٥٥) بإسناد ضعيف عن ابن عباس قال: قوله: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، قال: يا أهل الكتاب، للأحبار من يهود.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٥٧٣).

(٤) لم أجد من نقله عنه غير المؤلف.

(٥) في النسخة الحمزوية: «لزوم».

(٦) المحتسب لابن جني (١/ ٨١)، وهي قراءة شاذة.

(٧) تفسير الطبري (١/ ٥٥٧)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٩٥).

(٨) البقرة: ٦٣، انظر: تفسير الطبري (١/ ٥٥٨)، ونسبه للحسن.

وقال ابن جريج: العهد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الآية[١]، وعهدهم هو أن يدخلهم الجنة، ووفاؤهم بعهد الله أمارة لوفاء الله تعالى لهم بعهدهم، لا علة له، لأنَّ العلةَ لا تتقدم المعلول.

وقوله: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ الاسم (إيَّا)[٢] والياء ضمير ككاف المخاطب، وقيل: (إيَّايَ) بجملته هو الاسم، وهو منصوب بإضمار فعل مؤخر، تقديره: وإيَّاي ارهبوا فارهبون، وامتنع أن يتقرر[٣] مقدماً؛ لأن الفعل إذا تقدَّم لم يحسن أن يتصل به إلا ضمير خفيف، فكان يجيء: وارهبون[٤]، والرهبة يتضمن الأمر بها معنى التهديد، وسقطت الياء بعد النون؛ لأنها رأس آية، وقرأ ابن أبي إسحاق بالياء[٥].

﴿وَءَامِنُوا۟﴾ معناه: صدقوا، و﴿مُصَدِّقًا﴾ نصب على الحال من الضمير في ﴿أَنزَلْتُ﴾، وقيل: من (مَا) والعامل فيه (آمِنوا)، و(ما أنزلت) كناية عن القرآن، و﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾ يعني: من التوراة.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ هذا من مفهومِ الخطاب الذي المذكور فيه والمسكوت عنه حكمهما واحد، فالأول والثاني وغيرهما داخلٌ[٦] في النهي، ولكن احذروا البدار إلى الكفر به، إذ على الأول كفلٌ مِن فِعل المقتدي به، ونصب ﴿أَوَّلَ﴾ على خبر (كان).

---

(١) المائدة: ١٢، تفسير الطبري (١/ ٥٥٨).

(٢) في أحمد٣: «إياي».

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «يقدر»، وفي جار الله وفيض الله: «يتقدر».

(٤) انظر: «مشكل إعراب القرآن» (١/ ٩٠).

(٥) تفسير البحر المحيط (١/ ٢٨٤)، وهي قراءة يعقوب في حالتي الوصل والوقف، انظر: النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٣٧).

(٦) كتبت في الأصل: «وغيرهما دليل»، وفي الهامش: «وغير ذلك داخل»، وعليها علامتا «صح»، و«خ».

قال سيبويه: أول: أفعل، لا فعل له لاعتلال فائه وعينه[(١)]، قال غير سيبويه: هو أوْأل من وَأل إذا نجا، خففت الهمزة وأبدلت واوا وأدغمت.

وقيل: إنه من آل فهو أأول، قلب فجاء وزنه أعفل، وسهِّل وأبدل وأدغم[(٢)].

ووحد ﴿كَافِرٍ﴾ وهو بنيَّة الجمع؛ لأن أفعل إذا أضيف إلى اسم متصرف من فعل جاز إفراد ذلك الاسم، والمراد به الجماعة، قال الشاعر:

[الكامل] وإذَا هُـمُ طَعِمُـوا فـألأمُ طَاعِـمٍ وإذَا هُـمُ جَاعُـوا فشَـرُّ جِيَـاعِ[(٣)]

وسيبويه يرى أنها نكرة مختصرة[(٤)] من معرفة، كأنه قال: ولا تكونوا أول [كافرين][(٥)] به[(٦)]، وقيل: معناه: ولا تكونوا أول فريق كافر.

قال القاضي أبو محمد: وقد كان كفَر قبلهم كفار قريش، فإنما معناه من أهل الكتاب، إذ هم منظور إليهم في مثل هذا؛ لأنهم حجة مظنون بهم علمٌ.

واختلف في الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ على من يعود؟:

فقيل: على محمد عليه السلام، وقيل: على التوراة [إذ][(٧)] تضمنها قوله: ﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾.

وعلى هذا القول يجيء ﴿أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ﴾ مستقيماً على ظاهره في الأولية، وقيل: الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائدٌ على القرآن، إذ تضمنه قوله: ﴿بِمَآ أَنزَلْتُ﴾.

---

(١) كتاب سيبويه (٣/ ١٩٥).
(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٩).
(٣) البيت في معاني القرآن للفراء (١/ ٣٣)، والاشتقاق (ص: ٤١٧)، بلا نسبة، ونسبه أبو زيد في النوادر (ص ١٥٢)، في ثلاثة أبيات لرجل جاهلي، وفي جار الله: «فألأم جائع»، بدل «فشر جياع».
(٤) في السليمانية: «مختصة».
(٥) في المطبوع: «كافر»، وفي السليمانية: «كفار».
(٦) انظر كلام سيبويه على «أول» في الكتاب (٣/ ٢٨٨).
(٧) في المطبوع: «إذا».

واختلف المتأولون في الثمن الذي نهوا أن يشتروه بالآيات:

فقالت طائفة: إنَّ الأحبار كانوا يعلِّمون دينهم بالأجرة، فنُهوا عن ذلك، وفي كتبهم: «عَلِّم مجاناً كما عُلِّمت مجاناً»، أي: باطلاً بغير أجرة[١]. وقال قوم: كانت للأحبار مأكلة يأكلونها على العلم كالراتب، فنهوا عن ذلك[٢]. وقال قوم: إنَّ الأحبار أخذوا رُشاً على تغيير قصة محمد عليه السلام في التوراة، ففي ذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[٣].

وقال قوم: معنى الآية: ولا تشتروا بأوامري ونواهيَّ وآياتي ثمناً قليلاً، يعني الدنيا ومدتها والعيش الذي هو نزر لا خطر له[٤]، وقد تقدَّم نظير قوله: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾، وبين (اتَّقون) و(ارهبون) فرقٌ: أنَّ الرهبة مقرونٌ بها وعيدٌ بالغٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

المعنى: ولا تخلطوا، يقال: لَبَستُ الأمر بفتح الباء ألبِسه: إذا خلطته ومزجت بيِّنَهُ بمشكله وحقَّهُ بباطله، وأمَّا قول الشاعر:

وكَـتِـيـبَـةٍ لَـبَّـسْـتُـهَا بكَـتـيـبَـةٍ[٥] .... [الكامل]

(١) تفسير الطبري (١/ ٥٦٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٩٧).

(٢) البقرة: ٤١، انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٥١).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (٣/ ١٧٣٠).

(٤) في تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٩٨): سئل الحسن عن قوله تعالى: ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، قال: الثمن القليل: الدنيا بحذافيرها.

(٥) صدر بيت عجزه: حتَّى إذا التبست نفضت لها يدي، وهو للفرار السلمي كما في الحيوان (٥/ ١٨٥)، وعيون الأخبار (١/ ٢٥٥)، والعقد الفريد (١/ ٢٩)، وديوان الحماسة (ص: ٥٧)، =

فالظاهر أنه من هذا المعنى، ويحتمل أن يكون المعنى من اللباس.

واختلف أهل التأويل في المراد بقوله: ﴿ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾:

فقال أبو العالية: قالت اليهود: محمد نبي مبعوث، ولكن بعث[١] إلى غيرنا، فإقرارهم ببعثه حق، وجحدهم أنه بعث إليهم باطل[٢].

وقال الطبري: كان من اليهود منافقون، فما أظهروا من الإيمان حق، وما أبطنوا من الكفر باطل، وقال مجاهد: معناه: لا تخلطوا اليهودية والنصرانية بالإسلام، وقال ابن زيد: المراد بـ﴿ٱلْحَقَّ﴾: التوراة، و(الباطل): ما بدلوا فيها من ذكر محمد عليه السلام[٣].

و﴿تَلْبِسُواْ﴾ جزمٌ بالنهي، و(تكتموا) عطفٌ عليه في موضعِ جزمٍ، ويجوز أن يكون في موضع نصب بإضمار «أنْ»، وإذا قدرت «أنْ» كانت مع (تكتموا) بتأويل المصدر، وكانت الواو عاطفة على مصدر مقدر من ﴿تَلْبِسُواْ﴾، كأن الكلام: ولا
[٥٢] يَكُنْ لبسكم الحق بالباطل وكتمانكم الحق، وقال الكوفيون / : (تكتموا) نصب بواو الصرف.

و﴿ٱلْحَقَّ﴾ يعني به أمر محمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ جملة في موضع الحال، ولم يشهد لهم تعالى بعلم [وإنما نهاهم عن كتمان ما علموا، ويحتمل أن تكون شهادة عليهم بعلمِ حقٍّ

= وورد في بيت آخر عجزه: شهباء باسلة يخاف رداها، وجاء صدراً لبيت آخر عجزه: فئتين منها حاسر وملأم، وهو لمالك بن عوف كما في سيرة ابن هشام (٢/ ٤٧٤)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٦/ ٤٨٤)، وعزاه في ديوان المعاني (٢/ ٥٠)، والصاحبي في فقه اللغة العربية (ص: ١٥٨) للأسعر الجعفي، وعجز بيته: حتى يقول نساؤهم هذا فتى، والبيت معزو له كذلك في الأصمعيات (ص: ١٤٢) إلا أن صدره عنده: وكتيبة وجهتها لكتيبة، وفي روايات أخرى غير ذلك.

(١) من السليمانية.

(٢) تفسير الطبري (١/ ٥٦٨) بلفظ: لا تخلطوا الحق بالباطل، وأدُّوا النصيحةَ لعباد الله في أمر محمد ﷺ.

(٣) انظر كلام الطبري وقول مجاهد وابن زيد في تفسير الطبري (١/ ٥٦٨).

مخصوص في أمر محمد عليه السلام، ولم يشهد لهم بالعلم على][١] الإطلاق ولا تكون الجملة على هذا في موضع الحال، وفي هذه الألفاظ دليل على تغليظ الذنب على من واقعه على علم، وأنه أعصى من الجاهل.

و(أَقِيمُوا الصَّلاةَ) معناه: أظهِروا هيئتها وأديموها بشروطها، وذلك تشبيه بإقامة القاعد[٢] إلى حال ظهور، ومنه قول الشاعر:

وَإِذَا يُقَالُ أَتَيْتُمُ لَمْ يَبْرَحُوا حَتَّى تُقِيمَ الْخَيْلُ سُوقَ طِعَانِ[٣] [الكامل]

وقد تقدم القول في الصلاة، والزكاةُ في هذه الآية هي المفروضة بقرينة إجماع الأمة على وجوب الأمر بها، والزَّكاة مأخوذة من زكا الشيء: إذا نما وزاد، وسمي الإخراج من المال زكاة وهو نقص منه، من حيث ينمو بالبركة أو بالأجر الذي يثيب الله به المزكي.

وقيل: ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ مأخوذة من التطهير، كما يقال: زُكِّي فلان؛ أي: طُهِّر من دنس الجرحة أو الإغفال، فكأن الخارج من المال يطهره[٤] من تبعة الحق الذي جعل الله فيه للمساكين، ألا ترى أنَّ النَّبيَّ ﷺ سمى [في الموطأ][٥] ما يخرج من الزكاة أوساخ الناس[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ قال قومٌ: جعل الركوع لمَّا كان من أركان الصلاة عبارة عن الصلاة كلها، وقال قومٌ: إنما خصّ الركوع بالذكر؛ لأن بني إسرائيل

---

(١) ساقط من السليمانية.

(٢) في نور العثمانية: «الفاعل».

(٣) قائله المرار الفقعسي، كما في الأمالي لأبي علي القالي، (١/ ٦٦)، وقد تقدم أول السورة.

(٤) في السليمانية: «مطهرة».

(٥) ساقط من المطبوع والسليمانية وجار الله وأحمد٣، وفي الأصل: «ألا ترى أن أسلم سمى في الموطأ» إلخ.

(٦) الموطأ برقم (٣٦٦٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه (١٠٧٢) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

لم يكن في صلاتهم ركوع[١]، وقالت فرقة: إنما قال ﴿مَعَ﴾ لأن الأمر بالصلاة أولا لم يقتض شهود الجماعة، فأمرهم بقوله ﴿مَعَ﴾ بشهود الجماعة.

والركوع في اللغة: الانحناء بالشخص، قال لبيد:

[الطويل] أُخَبِّرُ أَخْبَارَ القُرُونِ الَّتِي مَضَتْ ... أَدِبُّ كَأَنِّي كُلَّمَا قُمْتُ رَاكِعُ[٢]

ويستعار أيضاً في الانحطاط في المنزلة، قال الأضبط بن قُرَيعٍ[٣]:

[المنسرح] وَلا تُعادِ الفَقِيرَ عَلَّكَ أنْ ... تَرْكَعَ يَوْماً والدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ[٤]

وقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾ خرج مخرج الاستفهام، ومعناه التوبيخ، والبِرُّ يجمع وجوهَ الخير والطاعات، ويقع على كل واحد منها اسم بر، ﴿وَتَنسَوْنَ﴾ بمعنى: تتركون، كما قال الله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٧].

واختلف المتأولون في المقصود بهذه الآية:

فقال ابن عباس: «كان الأحبار يأمرون أتباعهم ومقلديهم باتباع التوراة، وكانوا هم يخالفونها في جحدهم منها صفة محمد ﷺ»[٥].

---

(١) انظر القولين في أحكام القرآن للجصاص (١/ ٣٩).

(٢) عزاه له في مجاز القرآن (١/ ٥٤)، والأغاني (١٥/ ٣٦٣)، والعقد الفريد (٢/ ٣٧٠)، والعين (١/ ٢٠٠)، وعيون الأخبار (٢/ ٣٤٧).

(٣) هو الأضبط بن قريع السعدي، من بني عوف بن كعب بن سعد رهط الزّبرقان بن بدر، وابن أنف الناقة، وكان قومه أساؤوا مجاورته، فانتقل عنهم إلى آخرين، فأساؤوا مجاورته، فرجع إلى قومه وقال: بكلّ واد بنو سعد، وهو قديم. الشعر والشعراء (١/ ٣٧٠).

(٤) انظر عزوه له في الأمالي (١/ ١٠٧)، والبيان والتبيين (٣/ ٢٢٣)، والمعاني الكبير (١/ ٤٩٥)، والأغاني (١٨/ ٣٤).

(٥) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٧) بإسناد فيه محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، وهو مجهول، وقد شك فقال: عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وقالت فرقة: كان الأحبار إذا استرشدهم أحد من العرب في اتِّباع محمد دلُّوه على ذلك، وهم لا يفعلونه[١].

وقال ابن جُريج: كان الأحبار يحضون الناس على طاعة الله، وكانوا هم يواقعون المعاصي[٢]، وقالت فرقة: كانوا يحضون على الصدقة ويبخلون[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ﴾ معناه: تدرسون وتقرءون، ويحتمل أن يكون المعنى تتبعون؛ أي: في الاقتداء بها، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة، وهي تنهاهم عما هم عليه من هذه الصفة الذميمة.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ معناه: أفلا تمنعون أنفسكم من مواقعة هذه الحال المُرْدية لكم؟

والعقل: الإدراك المانع من الخطأ مأخوذٌ منه عقالُ البعير، أي: يمنعه من التصرف، ومنه: المَعْقِل؛ أي: موضع الامتناع.

وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ قال مقاتل: معناه على طلب الآخرة[٤]، وقال غيره: المعنى: استعينوا بالصبر[٥] على الطاعات عن[٦] الشهوات على نيل رضوان الله، وبالصلاة على نيل الرضوان وحط الذنوب، وعلى مصائب الدهر أيضاً، ومنه الحديث: كان رسول الله ﷺ إذا كربه[٧] أمر فزع إلى الصلاة[٨].

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٥٣).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٨) بلفظ: أن أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة، ويدعون العمل بما يأمرون به الناس، فعيرهم الله بذلك، فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة.

(٣) انظر في هذه الأقوال تفسير الطبري (١/ ٢٥٧-٢٥٩).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٠٢).

(٥) في جار الله زيادة: «قال مقاتل»، ولعله تكرار.

(٦) «وعن» من نور العثمانية وجار الله، وفي باقي النسخ: «وعلى».

(٧) في النسخة الحمزوية والسليمانية ونور العثمانية وفيض الله: «حزبه»، وفي أحمد٣ وجار الله: «حزنه». وفي هامش الأصل الإشارة إليهما.

(٨) ضعيف، وقد روي مرسلاً: هذا الحديث أخرجه أحمد (٢٣٢٩٩)، وأبو داود (١٣١٩)، وغيرهما =

ومنه ما روي أن عبد الله بن عباس نُعي إليه أخوه قثم[(١)]، وهو في سفر، فاسترجع وتنحى عن الطريق، وصلى ثم انصرف إلى راحلته، وهو يقرأ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[(٢)].

وقال مجاهد: الصبر في هذه الآية الصوم[(٣)]، ومنه قيل لرمضان: شهر الصبر، وخص الصوم والصلاة على هذا القول بالذكر لتناسبهما في أنَّ الصيام يمنع الشهوات ويزهِّد في الدنيا، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وتخشع، ويقرأ فيها القرآن الذي يذكِّر بالآخرة، وقال قوم: (الصبر) على بابه، و(الصلاة): الدعاء، وتجيء هذه الآية على هذا القول مشبِهةً لقوله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ [الأنفال: ٤٥]؛ لأن الثبات هو الصبر، وذكر الله هو الدعاء.

واختلف المتأولون في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ على أيِّ شيء يعود الضمير؟: فقيل: على الصَّلاةِ، وقيل: على الاستعانة التي يقتضيها قوله: ﴿ٱسْتَعِينُواْ﴾[(٤)]،

= من طريق يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن عكرمة بن عمار، عن محمد بن عبد الله الدؤلي، قال: قال عبد العزيز أخو حذيفة، قال: حذيفة : كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمرٌ صلى. والدؤلي لا يعلم روى عنه غير عكرمة بن عمار، ففيه جهالة، وشيخه اختلف في تعيينه كذلك، ثم إنه قد اضطرب في إسناده، قال المزي في تحفة الأشراف (٣/ ٥٠): «وهكذا رواه سريج بن يونس، عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، وخالفهما خلف بن الوليد وإسماعيل بن عمر، فروياه عن يحيى، وقالا فيه : قال عبد العزيز أخو حذيفة: كان رسول الله ﷺ...، ولم يذكرا حذيفة. ورواه كذلك الحسن بن زياد الهمدانيُّ، عن ابن جريج، عن عكرمة بن عمَّار، عن محمد بن عبد الله بن أبي قدامة، عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة أنّ النبيّ ﷺ».. إلخ.

(١) قثم بن العباس بن عبد المطلب، أخو عبد الله، أمه أم الفضل، كان يشبه النبي، ولا يصحّ سماعه منه، وقال علي: كان قثم أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ، وكان ورعاً فاضلاً، وتوفي بسمرقند. الإصابة (٥/ ٣٢٠)، والطبقات الكبرى (٧/ ٣٦٧).

(٢) إسناده جيد، أخرجه الطبري (١/ ١٤) من طريق: ابن علية، قال: حدثنا عيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه: أن ابن عباس نعي إليه.. وإسناده جيد إذا كان متصلاً بين عبد الرحمن بن جوشن وابن عباس.

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٥٤)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ١١).

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٢٥٥).

وقيل: على العبادة التي يتضمنها بالمعنى ذكر الصبر والصلاة، وقالت فرقة: على إجابة محمد ﷺ[١]، وفي هذا ضعفٌ؛ لأنه لا دليلَ له من الآية عليه.

وقيل: يعود الضمير على الكعبة؛ لأن الأمر بالصلاة إنما هو إليها[٢]، وهذا أضعفُ من الذي قبله.

و(كَبِيرَةٌ) معناه: ثقيلة شاقة، و(الخاشعون): المتواضعون المُخْبِتون، والخشوع هيئة في النفس يظهر منها على الجوارح سكون وتواضع.

و﴿يَظُنُّونَ﴾ في هذه الآية قال الجمهور: معناه: يوقنون[٣]، وحكى المهدوي وغيره: أن الظن هنا / يصح أن يكون على بابه، ويضمر في الكلام: بذنوبهم، فكأنهم يتوقعون لقاءه مذنبين[٤]. [٥٣]

قال القاضي أبو محمد: وهذا تعسفٌ، والظن في كلام العرب قاعدته الشك مع ميل إلى أحد معتقَدَيْه، وقد يُوْقَع الظن موقع اليقين في الأمور المتحقِّقة، لكنه لا يوقع فيما قد خرج إلى الحس، لا تقول العرب في رجل مرئي حاضر: أظن هذا إنساناً، وإنما تجد الاستعمال فيما لم يخرج إلى الحس بعد، كهذه الآية، وكقوله تعالى: ﴿فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣]، وكقول دريد بن الصِّمة:

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بألْفَي مُدَجَّجٍ   سَرَاتُهُمُ في الفَارِسِيِّ المُسَرَّدِ[٥] [الطويل]

وقوله تعالى: ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾، (أنَّ) وجملتها تسد مسد مفعولي ظننت[٦]،

---

(١) انظر القولين الأخيرين في تفسير الطبري (١/ ١٥).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٢٥٥).

(٣) تفسير الطبري (١/ ١٩).

(٤) نقله عنه القرطبي (١/ ٣٧٦).

(٥) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٣٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٣١)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٤٦٧)، والأصمعيات (ص: ١٠٧)، والعقد الفريد (٦/ ٣٣)، وغيرها.

(٦) في المطبوع: «الظن».

والملاقاة هي للعقاب أو الثواب، ففي الكلام حذف مضاف، ويصح أن تكون الملاقاة هنا بالرؤية التي عليها أهل السنة، وورد بها متواتر الحديث[(١)].

وحكى المهدوي: أن الملاقاة هنا مفاعلة من واحد، مثل: عافاك الله[(٢)]، وهذا ضعيفٌ؛ لأن لقي يتضمن معنى لاقى، وليست كذلك الأفعال كلها، بل فعَلَ خلاف فاعل في المعنى.

و﴿مُّلَٰقُواْ﴾ أصله: ملاقون؛ لأنه بمعنى الاستقبال، فحذفت النون تخفيفاً، فلما حذفت تمكَّنت الإضافة لمناسبتها للأسماء، وهي إضافةٌ غير محضة، لأنها لا تُعرّف.

وقال الكوفيون: ما في اسم الفاعل الذي هو بمعنى المجيء من معنى الفعل يقتضي إثبات النون وإعماله، وكونه وما بعده اسمين يقتضي حذف النون والإضافة.

و﴿رَٰجِعُونَ﴾ قيل: معناه: بالموت، وقيل: بالحشر والخروج إلى الحساب والعرض، ويقوي هذا القول الآيةُ المتقدمة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

والضمير في ﴿إِلَيۡهِ﴾ عائدٌ على الربِّ تعالى، وقيل: على اللقاء الذي يتضمنه ﴿مُّلَٰقُواْ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ٤٩﴾.

---

(١) من ذلك ما أخرجه البخاري (٥٧٣) ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله قال: كنا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون ـ أو لا تضاهون ـ في رؤيته».

(٢) نقله عنه أبو حيان في البحر (١/ ٣٠٠).

قد تكرر هذا النداء والتذكير بالنعمة، وفائدة ذلك: أن الخطاب الأول يصح أن يكون للمؤمنين، ويصح[1] أن يكون للكافرين منهم، وهذا المتكرر إنما هو للكافرين، بدلالة ما بعده، وأيضاً فإن فيه تقوية التوقيف وتأكيد الحض على ذكر أيادي الله، وحسُن خطابهم بقوله: ﴿فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ لأنَّ تفضيلَ آبائهم وأسلافهم تفضيلٌ لهم، وفي الكلام اتساعٌ.

قال قتادة، وابن زيد، وابن جريج وغيرهم: المعنى: على عالَم زمانهم الذي كانت فيه النبوءة المتكررة والملك؛ لأنَّ الله تعالى يقول لأمة محمد ﷺ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ نصب ﴿يَوْمًا﴾ بـ: (اتّقوا) على السعة، والتقدير: عذاب يوم، أو هول يوم، ثم حذف ذلك وأقام اليوم مقامه، ويصحُّ أن يكون نصبه على الظرف لا للتقوى؛ لأن يوم القيامة ليس بيومِ عملٍ، ولكن معناه: جيئوا متقين يوماً.

و﴿لَا تَجْزِي﴾ معناه: لا تغني، وقال السدي: معناه: لا تقضي[2]، ويقويه قوله: ﴿شَيْئًا﴾، وقيل: المعنى لا تكافئ، ويقال: جزى وأجزأ بمعنًى واحد، وقد فرَّق بينهما قومٌ، فقالوا: جزى بمعنى: قضى وكافأ، وأجزأ بمعنى: أغنى وكفى[3].

وقرأ أبو السَّمال: (تُجزِئُ) بضم التاء والهمز[4].

وفي الكلام حذفٌ، وقال البصريون: التقدير: لا تجزي فيه، [ثم حذف فيه][5]، وقال غيرهم: حذف ضمير متصل بـ﴿تَجْزِي﴾ تقديره: لا تجزيه، على أنه يقبح حذف هذا الضمير في الخبر، وإنما يَحسن في الصلة.

---

(١) سقطت من أحمد٣.
(٢) أخرجه الطبري (١/ ٢٧) بلفظ: أما ﴿تَجْزِي﴾ فتغني.
(٣) تفسير الطبري (١/ ٢٨).
(٤) عزاها له ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٢)، والكرماني في شواذ القراءات (ص: ٦١).
(٥) ساقط من فيض الله.

وقال بعض البصريين: التقدير: لا تجزي فيه، فحذف حرف الجر واتّصل الضمير، ثم حذف الضمير بتدريج[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلا تُقبَلُ مِنها شَفاعَةٌ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: بالتاء، وقرأ الباقون: بالياء من تحت[٢] على المعنى، إذ تأنيث الشفاعة ليس بحقيقي.

والشفاعة مأخوذة من الشَّفع وهما الاثنان؛ لأن الشافع والمشفوع له شَفْع، وكذلك الشفيع فيما لم يقسم.

وسبب هذه الآية: أن بني إسرائيل قالوا: نحن أبناء الله وأبناء أنبيائه، وسيشفع لنا آباؤنا، فأعلمهم الله تعالى عن يوم القيامة أنه لا تقبل فيه الشفاعة: ولا تجزي نفس عن نفس[٣]، وهذا إنما هو في الكافرين، للإجماع وتواتر الحديث بالشفاعة في المؤمنين[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾، قال أبو العالية: العدل: الفدية[٥].

قال القاضي أبو محمد: وعدل الشيء: هو الذي يساويه قيمةً وقَدْراً وإن لم يكن من جنسه، والعِدل بكسر العين: هو الذي يساوي الشيء من جنسه وفي جرمه، وحكى الطبريُّ أن من العرب من يكسر العين من معنى الفدية، فأمَّا واحد الأعدال فبالكسر لا غير[٦].

والضمير في قوله: ﴿وَلَا هُمْ﴾ عائدٌ على الكافرين الذين اقتضتهم الآيةُ، / ويحتمل أن يعود على النفسين المتقدم ذكرهما؛ لأنَّ اثنين جمعٌ، أو لأنَّ النفسَ للجنس وهو جمعٌ، وحصرت هذه الآيةُ المعاني التي اعتادها بنو آدم في الدنيا، فإنَّ الواقع في شدة مع آدمي لا يتخلص إلا بأن يشفع له أو ينصر أو يفتدى. [٥٤]

---

(١) انظر هذه الأقوال في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٢١).

(٢) التيسير في القراءات السبع للداني (ص٧٣)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص١٥٥).

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٣٢).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٣٣).

(٥) المصدر السابق (٢/ ٣٤).

(٦) المصدر السابق (٢/ ٣٥).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: خلصناكم، و﴿ءَالِ﴾ أصله: أهل، قلبت الهاء ألفاً كما عمل في ماء، ولذلك ردّها التصغير إلى الأصل، فقيل: أهيل، ومويه، وقد قيل في ﴿ءَالِ﴾ إنه اسم غير أهل، أصله: أوْل، وتصغيره: أُويل، وإنما نسب الفعل إلى ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ وهم إنما كانوا يفعلونه بأمره وسلطانه؛ لتوليهم ذلك بأنفسهم.

وقال الطبري رحمه الله: ويقتضي هذا أن من أمره ظالم بقتل أحد فقتله مأموراً، فهو المأخوذ به(١)، وآل الرجل: قرابته وشيعته وأتباعه(٢).

ومنه قولُ أراكة الثقفي:

فَـلا تَبْـكِ مَيْتاً بَعْـدَ مَيْـتٍ أَجَنَّـهُ ... عَلِـيٌّ وَعَبَّـاسٌ وَآلُ أَبِـي بَكْـرِ(٣) [الطويل]

يعني المؤمنين الذين قبروا رسول الله ﷺ.

والأشهر في «آل» أن يضاف إلى الأسماء لا إلى البقاع والبلاد، وقد يقال: آل مكة، وآل المدينة.

و﴿فِرْعَوْنَ﴾ اسم لكل من ملك من العمالقة مصر، وفرعون موسى قيل اسمه: مصعب بن الريان، وقال ابن إسحاق(٤): اسمه: الوليد بن مصعب(٥).

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤١).

(٢) في السليمانية: «أشياعه».

(٣) الأبيات لأراكة بن عبد الله بن سفيان الثقفي يرثي بها ابنه عمراً، ويعزي نفسه كما في العقد الفريد (١/ ٣٧٣)، والحماسة البصرية (١/ ٢٧٦)، أو يعزي ابنه عبد الله كما في الكامل (٤/ ٢١) والفاضل (ص: ٦٥)، كلاهما للمبرد، وظاهر كلامه في التعازي (ص: ٢٣٩)، أن الأبيات لعبد الله ابن أراكة، في أخيه عمرو، وقال في موضع آخر (ص: ٤١)، أنه يعزي بها ابنه عبد الله بن عبد الله في ابن آخر له.

(٤) هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المخرمي مولاهم المدني أبو بكر، أحد الأعلام وصاحب المغازي، رأى أنس بن مالك، وحدث عن أبيه وعن موسى بن يسار وعطاء وخلق، وكان بحراً في العلم حبراً في السيرة، وتوفي سنة (١٥١هـ). تاريخ الإسلام (٩/ ٥٨٨).

(٥) تفسير الطبري (٢/ ٣٨).

وروي أنه كان من أهل إصطخر، ورد مصر فاتَّفق له فيها الملكُ، وكان أصل كون بني إسرائيل بمصر نزولَ إسرائيل بها زمن ابنه يوسف[(١)] عليهما السلام.

و﴿يَسُومُونَكُمۡ﴾ معناه: يأخذونكم به ويلزمونكم إياه، ومنه: المساومة بالسلعة وسامه خُطةَ خَسْفٍ، و﴿يَسُومُونَكُمۡ﴾ [إعرابه رفع على الاستئناف][(٢)]، والجملة في موضع نصب على الحال، أي: سائمين لكم سوء العذاب، ويجوز أن لا تقدر فيه الحال ويكون وصفَ حالٍ ماضية.

و﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾: أشده وأصعبه.

قال السُّدي: كان يصرِّفهم في الأعمال القذرة، ويذبح الأبناء، ويستحيي النساء[(٣)].

وقال غيره: صرَّفهم على الأعمال: الحرث والزراعة والبناء وغير ذلك، وكان قومه جنداً ملوكاً[(٤)].

وقرأ الجمهور: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بشدِّ الباء المكسورة على المبالغة، وقرأ ابن محيصن: (يذْبحون) بالتخفيف[(٥)]، والأولُ أرجحُ إذ الذبح متكررٌ.

كان فرعون على ما روي قد رأى في منامه ناراً خرجت من بيت المقدس فأحرقت بيوت مصر، فأوِّلت له رؤياه أن مولوداً من بني إسرائيل ينشأ فيخرَب ملكُ فرعون على يديه.

وقال ابن إسحاق وابن عباس وغيرهما: إنَّ الكهنة والمنجمين قالوا لفرعون: قد أظلك زمنُ مولود من بني إسرائيل يخرب ملكك[(٦)].

---

(١) زاد في السليمانية: «وإخوته»، وكأنها ملحقة.

(٢) في السليمانية بدلا منه: «رفع بالابتداء».

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٤١).

(٤) ذكره الطبري من قول ابن اسحاق. تفسير الطبري (٢/ ٤٠).

(٥) المحتسب لابن جني (١/ ٨١)، وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (١/ ١٧٧)، وهي قراءة شاذة.

(٦) ضعيف: أثر ابن عباس أخرجه الطبري (٢/ ٤٣) من طريق: سفيان بن عيينة، قال: حدثنا أبو سعيد، =

وقال ابن عباس أيضاً: «إنَّ فرعون وقومه تذاكروا وعد الله لإبراهيم أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكاً، فأمر عند ذلك بذبح الذكور من المولودين في بني إسرائيل، ووَكَل بكل عشر نساء رجلاً يحفظ من يحمل منهن»[١]، وقيل: وكل بذلك القوابل.

وقالت طائفة: معنى ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾: يذبحون الرجال، و[يسمَّون][٢] أبناء لمَّا [كانوا كذلك][٣]، واستدلّ هذا القائل بقوله تعالى: ﴿نِسَآءَكُمْ﴾[٤].

والصحيح من التأويل: أن الأبناء هم الأطفال الذكور، والنساء هم الأطفال الإناث، وعبر عنهن باسم النساء بالمآل، و[ليذكُرهن][٥] بالاسم الذي في وقته يستخدمن ويمتهنّ[٦]، ونفس الاستحياء ليس بعذاب، لكن العذاب بسببه وقع الاستحياء.

و﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بدل من (يسومون).

وقوله تعالى: ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ إشارة إلى جملة الأمر إذ هو خبر، فهو كمفرد حاضر.

و﴿بَلَآءٌ﴾ معناه: امتحان واختبار، ويكون الْبَلاءُ في الخير والشر.

وقال قوم: الإشارة بـ﴿ذَٰلِكُم﴾ إلى التنجية من بني إسرائيل، فيكون الْبَلاءُ على هذا في الخير، أي: وفي تنجيتكم نعمة من الله عليكم.

= عن عكرمة، عن ابن عباس. وأبو سعيد هذا أظنه محرف، وصوابه: أبو سعد، وهو البقال، وهو ضعيفٌ جدّاً ويدلس.

(١) إسناده لين: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٤٢) من طريق: الأصبغ بن زيد، قال: حدثنا القاسم بن أيوب، قال: حدثنا سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وقد روى بهذ الإسناد آثاراً استنكرها أهل العلم، منها حديث الفتو ن المشهور.

(٢) في النسخة الحمزوية: «سموا».

(٣) في أحمد٣ بدلا منه: «لذلك».

(٤) تفسير الطبري (٢/ ٤٦).

(٥) في النسخة الحمزوية: «وذكرهن».

(٦) سقطت من جار الله.

وقال جمهور الناس: الإشارة إلى الذبح ونحوه، والْبَلاءُ هنا في الشرِّ، والمعنى: وفي الذبح مكروهٌ وامتحانٌ.

وحكى الطبري وغيره في كيفية نجاتهم: أنَّ موسى عليه السلام أوحي إليه أن يسري من مصر ببني إسرائيل، فأمرهم موسى أن يستعيروا الحليَّ والمتاع من القبط، وأحل الله ذلك لبني إسرائيل، فسرى بهم موسى من أول الليل، فأعلم فرعون فقال: لا يتبعنهم أحد حتى تصيح[1] الديكة، فلم يَصِحْ تلك الليلةَ بمصر ديكٌ حتى أصبح، وأمات الله تلك الليلة كثيراً من أبناء القبط فاشتغلوا في الدفن، وخرجوا في الاتباع مُشْرِقين، وذهب موسى إلى ناحية البحر حتى بلغه، وكانت عدة بني إسرائيل نيفاً على ست مئة ألف، وكانت عدة فرعون ألف ألف ومائتي ألف[2]، وحكي غير هذا مما اختصرته لقلة ثبوته.

فلما لحق فرعون موسى ظن بنو إسرائيل أنهم غير ناجين، فقال يوشع بن نون لموسى: أين أمرت؟ فقال: هكذا، وأشار إلى البحر، فركض يوشع فرسَه فيه حتى بلغ الغمر، ثم رجع فقال لموسى: أين أمرت؟ فوالله ما كَذَبْتَ ولا كُذِبْتَ، فأشار إلى البحر، وأوحى الله تعالى إليه: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ [الشعراء: ٦٣]، وأوحى إلى البحر: أن انفرِقْ لموسى إذا ضربك، فبات البحر تلك الليلة يضطرب، فحين أصبح
[٤٥] ضرب موسى البحر، وكناه أبا خالد فانفرق وكان ذلك في يوم عاشوراء[3]/ .

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿فَرَقْنَا﴾ معناه: جعلناه فرقاً، وقرأ الزهري: (فرَّقنا) بتشديد الراء[4].

---

(١) في المطبوع: «حتى تيح، وهو سبق قلم».
(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ٢٨٢)، وتاريخه (١/ ٢٤٥).
(٣) تفسير الطبري (٢/ ٥٣ - ٥٧).
(٤) المحتسب لابن جني (١/ ٨٢)، ومختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٣)، وهي قراءة شاذة.

ومعنى ﴿بِكُمُ﴾: بسببكم، وقيل: لمَّا كانوا [بين][(١)] الفرق وقت جوازهم، فكأنه بهم فُرق، وقيل: معناه: لكم، والباء عوض اللام، وهذا ضعيفٌ.

و﴿ٱلْبَحْرَ﴾ هو بحرُ القُلْزُم، ولم يفرق البحر عرضاً جزعاً[(٢)] [من ضفة إلى ضفة][(٣)]، وإنما فُرق من موضع إلى موضع آخر في ضفة واحدة، وكان ذلك الفرق بقرب موضع النجاة، ولا يلحق في البر إلا في أيام كثيرة بسبب جبال وأوعار حائلة.

[وذكر العامري أن موضع خروجهم من البحر كان قريباً من برية فلسطين وهي كانت طريقَهم][(٤)]، وقيل: انفلق البحر عرضاً وانفرق البحر على اثني عشر طريقاً، طريق لكل سبط، فلما دخلوها قالت كل طائفة: غرق أصحابنا، وجزعوا، فقال موسى: اللهمَّ أعني على أخلاقهم السيئة، فأوحى الله إليه: أن أدِرْ عصاك على البحر، فأدارها فصار في الماء فتوح كالطاق يرى بعضهم بعضاً، وجازوا، وجبريل ﷺ في ساقتهم على ماذيانة[(٥)] يحث بني إسرائيل ويقول لآل فرعون: مهلًا حتى يلحق آخرَكم أولُكم، فلما وصل فرعون إلى البحر أراد الدخول فنفر فرسه، فتعرض له جبريل بالرَّمَكة فاتبعها الفرس، ودخل آل فرعون وميكائيل يحثهم، فلما لم يبق إلا ميكائيل في ساقتهم على الضفة وحده انطبق البحر عليهم فغرقوا[(٦)].

و﴿تَنظُرُونَ﴾ قيل: معناه: بأبصاركم، لقرب بعضهم من بعض، وقيل: معناه ببصائركم للاعتبار؛ لأنهم كانوا في شغل عن الوقوف والنظر بالأبصار، وقيل: إنَّ آل فرعون طفوا على الماء فنظروا إليهم، وقيل: المعنى: وأنتم بحالِ مَن ينظر لو نظر، كما

(١) في النسخة الحمزوية: «من».
(٢) في هامش الأصل: «الجزع مصدر جزعت الوادي قطعته عرضاً».
(٣) ساقط من فيض الله.
(٤) سقط من الأصل والحمزوية، وقد نقله عن العامري أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٣١٩)، ولم أتمكن من الحصول على مصدره.
(٥) المقصود بها هنا الفرس الأنثى، كما جاء مفسراً في رواية أخرى في تفسير الطبري (٢/ ٥٥).
(٦) تفسير الطبري (٢/ ٥٤ و٥٧).

تقول: هذا الأمر منك بمرأًى ومسمع، أي: بحالٍ تراه وتسمعه إن شئت[١].

قال الطبري رحمه الله: وفي إخبار القرآن على لسان محمد ﷺ بهذه المغيبات التي لم تكن من علم العرب ولا وقعت إلا في [خفيِّ علم][٢] بني إسرائيل، دليل واضح عند بني إسرائيل وقائم عليهم بنبوة محمد ﷺ[٣].

وقرأ الجمهور: ﴿وَٰعَدۡنَا﴾، وقرأ أبو عمرو: ﴿وعدْنا﴾[٤]، ورجَّحه أبو عبيد، وقال: إنَّ المواعدة لا تكون إلا من البشر[٥]، وليس هذا بصحيحٍ؛ لأنَّ قبول موسى لوعد الله والتزامَه وارتقابَه يشبه المواعدة.

و﴿مُوسَىٰٓ﴾ اسم أعجمي لا ينصرف للعجمة والتعريف، والقبطُ على ما يروى يقولون للماء: «مو»، وللشجر: «سا»، فلما وجد موسى في التابوت عند ماء وشجر سمّي «موسى»[٦].

قال ابن إسحاق: هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم الخليل[٧].

ونصب ﴿أَرۡبَعِينَ﴾ على المفعول الثاني، ولا يجوز نصبها على الظرف في هذا الموضع، وهي فيما روي: ذو القعدة وعشرُ ذي الحجة، وخص الليالي دون الأيام بالذِّكر إذ الليلة أقدم من اليوم وقبله في الرتبة، ولذلك وقع بها التاريخ.

قال النقاش: وفي ذلك إشارةٌ إلى صلة الصوم؛ لأنَّه لو ذكر الأيام لأمكن أن

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٥٨)، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٢٦٢).

(٢) في المطبوع: «خفي على»، قال في الحاشية: «وفي نسخة: في حق بني إسرائيل».

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، وانظر قريباً من معناه في تفسيره (٣/ ٢٥١).

(٤) التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٣)، وافقه أبو جعفر ويعقوب كما في النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٤٢).

(٥) انظر قول أبي عبيد في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٥٢).

(٦) تفسير الطبري (٢/ ٦٠).

(٧) تفسير الطبري (٢/ ٦١)، وانظر: سيرة ابن هشام (١/ ٢١).

يُعتقد أنه كان يفطر بالليل، فلما نص على الليالي اقتضت قوة الكلام أنه عليه السلام واصل أربعين ليلة بأيامها[(١)].

حدثني أبي رضي الله عنه قال: سمعت الشيخ الزاهد الإمام الواعظ أبا الفضل الجوهري[(٢)] رحمه الله يعظ الناس بهذا المعنى في الخلوة بالله والدنوِّ منه في الصلاة ونحوه، وأن ذلك يشغل عن كل طعام وشراب، ويقول: أين حال موسى في القرب من الله ووصال ثمانين من الدهر من قوله حين سار إلى الخضر لفتاه في بعض يوم: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾؟.

وكل المفسرين على أن الأربعين كلها ميعاد، وقال بعض البصريين: وعده رأس الأربعين ليلة[(٣)]، وهذا ضعيفٌ.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ﴾، قرأ أكثر السبعة بالإدغام، وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص[(٤)] عنه بإظهار الذال[(٥)].

و﴿ثُمَّ﴾ للمهلة، ولتدل على أن الاتخاذ بعد المواعدة.

و(اتَّخذ)وزنه افتعل من الأخذ، قال أبو علي: هو من تَخِذَ لا من أخذ[(٦)]، وأنشد[(٧)]:

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ٣٩٦).

(٢) هوعبد الله بن الحسين، الإمام أبو الفضل ابن الجوهري المصري الواعظ، من جلة مشايخ بلده ومن بيت العلم، روى عن: أبي سعد الماليني، أخذ عنه: أبو عبد الله الحميدي، وغيره، وكان أبوه من كبار العلماء والصلحاء، توفي سنة (٤٨٠هـ). تاريخ الإسلام (٣٢/ ٢٩١).

(٣) ذكر الطبري في تفسيره (٢ / ٦١) هذا القول ووهنه.

(٤) في جار الله: «بعض».

(٥) التيسير في القراءات السبع للداني (١/ ٣٧)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (١/ ١٥٥).

(٦) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ٦٨).

(٧) في المطبوع زيادة: الممزق، ولعلها زيادة من الطابع، إذ ليست في الحجة المنقول منها هذا الكلام، ولا في شيء من المخطوطات.

[الطويل] وَقَدْ تَخِذَتْ رِجْلِي إِلَى جَنْبِ غَرْزِهَا نَسِيفاً كَأُفْحُوصِ القطَاةِ المُطَرِّقِ[١]

ونصب ﴿ٱلْعِجْلَ﴾ بـ﴿ٱتَّخَذْتُمُ﴾، والمفعول الثاني محذوف، تقديره: اتخذتم العجل إلهاً، و «اتَّخذ» قد يتعدى إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧]، وقد يتعدى إلى مفعولين أحدهما هو الآخر في المعنى، كقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ٢]، وكهذه الآية وغيرها.

والضمير في ﴿بَعْدِهِۦ﴾ يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، وقيل: على انطلاقه للتكليم، إذ المواعدة تقتضيه، وقيل: على الوعد.

وقصص هذه الآية: أن موسى عليه السلام لما خرج ببني إسرائيل من مصر، قال لهم: إنَّ الله تعالى سينجيكم من آل فرعون و[ينفِّلكم][٢] حليَّهم ومتاعهم الذي
[٥٦] كان أمَرهم باستعارته، وروي أنهم / استعاروه برأيهم، فنفلهم الله ذلك بعد خروجهم، وقال لهم موسى عن الله تعالى: إنه يُنزل عليَّ كتاباً فيه التحليل والتحريم والهدى لكم، فلما جازوا البحر طالبوا موسى بما قال لهم من أمر الكتاب، فخرج لميعاد ربه وحده، وقد أعلمهم بالأربعين ليلة، فعدوا عشرين يوماً بعشرين ليلة، ثم قالوا هذه أربعون من الدهر، وقد أخلفتنا الموعد، وبدا تعنتهم وخلافهم.

وكان السَّامري رجلاً من بني إسرائيل يسمى موسى بن ظفر، وقيل: لم يكن من بني إسرائيل بل كان غريباً فيهم، وكان قد عرف جبريل عليه السلام وقتَ عَبْرِهم البحر، فقالت طائفة: أنكر هيئته فعَرَف أنه ملك، وقال طائفة: كانت أمُّ السامري ولدته

---

(١) البيت للممزق العبدي، واسمه: شأس بن نهار، شاعر، انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٤١١)، والأصمعيات (ص: ١٦٥)، والحيوان (٥/ ٣٠٧)، وإيضاح شواهد الإيضاح (٢/ ٥٩٦)، والصحاح للجوهري (٤/ ١٤٣١)، والمخصص (٥/ ٩١)، النسيف: أثر الكدم وأثر ركض الرجل بجنبي البعير، والأفحوص: مجثم القطاة؛ لأنها تفحصه قبل أن تبيض فيه.

(٢) في النسخة الحمزوية: «ويملككم»، وفي المطبوع: «وينيلكم»، وكذا في الأصل، مع الإشارة في الهامش للنسخة المثبتة.

عام الذبح فجعلته في غار وأطبقت عليه، فكان جبريل عليه السلام يَغْذوه بأصابع نفسه فيجد في إصبع لبناً، وفي إصبع عسلاً، وفي إصبع سمناً، فلما رآه وقت جواز البحر عرفه، فأخذ من تحت حافر فرسه قبضة تراب، وألقي في رُوعه أنه لن يلقيها على شيء ويقول له: كن كذا، إلا كان.

فلما خرج موسى لميعاده قال هارون لبني إسرائيل: إن ذلك الحلي والمتاع الذي استعرتم من القبط لا يحل لكم، فجيئوا به حتى تأكله النار التي كانت العادة أن تنزل على القرابين[1]، وقيل: بل أوقد لهم ناراً وأمرهم بطرح جميع ذلك فيها، فجعلوا يطرحون، وقيل: بل أمرهم أن يضعوه في حفرة دون نار حتى يجيء موسى، وجاء السامريُّ فطرح القبضة، وقال: كن عجلاً.

وقيل: إنَّ السامريَّ كان في أصله من قومٍ يعبدون البقرَ، وكان يعجبه ذلك[2].

وقيل: بل كانت بنو إسرائيل قد مرت مع موسى على قوم يعبدون البقر، فقالُوا: يا مُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، فوعاها السامريُّ وعلم أن من تلك الجهة يفتنون، [ففتنت بنو إسرائيل بالعجل][3]، وظلت منهم طائفة يعبدونه، فاعتزلهم هارون بمن تبعه، فجاء موسى من ميعاده فغضب، حسبما يأتي قَصَصه في مواضعه من القرآن إنَّ شاء الله.

ثم أوحى الله إليه أنه لن يتوب على بني إسرائيل حتى يقتلوا أنفسهم، ففعلت بنو إسرائيل ذلك، فروي أنهم لبسوا السلاح، مَن عَبَد منهم ومن لم يعبد، وألقى الله عليهم الظلام، فقتل بعضهم بعضا يقتل الأب ابنه والأخ أخاه، فلما استحرَّ فيهم القتل وبلغ سبعين ألفاً عفا الله عنهم وجعل من مات منهم شهيداً، وتاب على البقية، فذلك

(١) تفسير الطبري (٢/ ٦٤).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٦٦).
(٣) في أحمد٣ بدلا منه: «فقبلت بنو إسرائيل العجل».

قوله: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾[١]، وقال بعض المفسرين: وقف الذين عبدوا العجل صفّاً ودخل الذين لم يعبدوه عليهم بالسلاح فقتلوهم[٢]، وقالت طائفة: جلس الذين عبدوا بالأفنية، وخرج يوشع بن نون ينادي: ملعونٌ مَن حلَّ حبوته، وجعل الذين لم يعبدوا يقتلونهم، وموسى في خلال ذلك يدعو لقومه ويرغب في العفو عنهم.

وإنما عوقب الذين لم يعبدوا بقتل أنفسهم على أحد الأقوال أو بقتلهم قراباتهم على الأقوال الأُخر؛ لأنهم لم يغيروا المنكر حين عبدوا العجل، وإنما اعتزلوا وكان الواجب عليهم أن يقاتلوا من عبده.

﴿وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ مبتدأ وخبر في موضع الحال، وقد تقدَّم تفسير الظلم، والعفو تغطية الأثر وإذهابُ الحال الأولى من الذنب أو غيره، ولا يستعمل العفو بمعنى الصفح إلا في الذنب، وعفا عنهم عز وجل؛ أي: عمن بقي منهم لم يقتل، و﴿لَعَلَّكُمْ﴾ ترجٍّ لهم في حقهم وتوقعٌ منهم، لا في حق الله عز وجل؛ لأنه كان يعلم ما يكون منهم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾، (إذ) عطفٌ على ما ذكر من النعم، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: هو التوراة بإجماعٍ من المتأولين[٣].

واختلف في (الفرقان) هنا:

فقال الزجاج وغيره: هو التوراة[٤] أيضاً، كرَّر المعنى لاختلاف اللفظ، ولأنه زاد معنى التفرقة بين الحق والباطل، ولفظة ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ لا تعطي ذلك.

وقال آخرون: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة، و(الفرقان): سائر الآيات التي أوتي موسى عليه السلام؛ لأنها فرقت بين الحقِّ والباطل، وقال آخرون: (الفرقان): النصر الذي فرّق بين حالهم وحال آل فرعون بالنجاة والغرق.

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٨٠).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٧٤-٧٥).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٧٠).
(٤) معاني القرآن للزجاج (١/ ١٣٤)

وقال ابن زيد: (الفرقان): انفراق البحر له حتى صار فرقاً[١].

وقال الفراء وقطرب: معنى هذه الآية: آتينا موسى الكتاب ومحمداً الفرقان[٢]، وهذا ضعيفٌ، و﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ترجٍّ وتوقعٌ مثل الأول.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

هذا القولُ من موسى عليه السلام كان بأمر من الله تعالى، وحذفت الياء في ﴿يَٰقَوْمِ﴾ لأن النداء موضع حذف وتخفيف.

والضمير في (اتِّخاذِكُمُ) في موضع خفض على اللفظ، وفي موضع رفع بالمعنى.

و﴿ٱلْعِجْلَ﴾ لفظةٌ عربيةٌ، اسم لولد البقرة، وقال قومٌ / : سمي عجلاً لأنه [٥٧]
استعجل قبل مجيء موسى عليه السلام[٣]، وليس هذا القول بشيءٍ.

واختلف: هل بقي العجل من ذهب؟:

فقال ذلك الجمهور، وقال الحسن بن أبي الحسن: صار لحماً ودماً[٤]، والأولُ أصحُّ.

و(تُوبوا): معناه: ارجعوا عن المعصية إلى الطاعة.

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٧١).

(٢) انظر قول الفراء في معاني القرآن له (١/ ٣٧)، وقول قطرب في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٣٤)، تفسير الثعلبي (١/ ١٩٧)، وتخطئتهما في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٥٣)، والهداية لمكي (١/ ٢٧٠).

(٣) رواه الطبري (٢/ ٦٨)، وابن أبي حاتم (١/ ١٠٨)، عن أبي العالية.

(٤) انظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ١٥١)، وذكره ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٦٨) عن قتادة، والسمعاني (٢/ ٢١٦) عن عكرمة.

وقرأ الجمهور: ﴿بَارِئِكُمْ﴾ بإظهار الهمزة وكسرها، وقرأ أبو عمرو: ﴿بَارِئْكُمْ﴾ بإسكان الهمزة(١).

وروي عن سيبويه اختلاس الحركة وهو أحسن(٢)، وهذا التسكينُ يحسن في توالي الحركات، وقال المبرد: لا يجوز التسكين مع توالي الحركات في حرف الإعراب، وقراءة أبي عمرو: ﴿بَارِئْكُمْ﴾ لحنٌ(٣)، وقد روي عن العرب التسكين في حرف الإعراب، قال الشاعر:

[الرجز] إِذَا اعْوَجَجْنَ قُلْتُ صَاحِبْ قَوِّمِ(٤)

وقال امرؤ القيس:

[السريع] فَالْيَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ ... إِثْماً مِنَ اللهِ وَلَا وَاغِلِ(٥)

وقال آخر:

[الرجز] قَالَتْ سُلَيْمَى اشْتَرْ لَنَا سَوِيقَا(٦)

---

(١) التيسير في القراءات السبع للداني (ص٧٣)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص١٥٥).

(٢) نقله عنه ابن مجاهد في السبعة في القراءات (ص١٥٥)، وانظر: الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ٧٧).

(٣) نقله عنه النحاس في إعراب القرآن (١/ ٢٢٦)، ثم رده بقوله: وقد أجاز ذلك النحويون القدماء الأئمة.

(٤) بلا نسبة في الكتاب لسيبويه (٤/ ٢٠٣)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ١٢)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٨٩)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٥٤)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٦٢)، والشعر والشعراء (٢/ ٨٠٨)، وغيرهم.

(٥) انظر عزوه له في الأصمعيات (ص: ١٠٣)، والكتاب لسيبويه (٤/ ٢٠٤)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٦٤)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٢٩)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٦١)، والأصول في النحو (٢/ ٣٦٤)، واحتقب فلانٌ الإثم: جمعه، والواغل هنا هو الذي يدخل على القوم في طعامهم وشرابهم من غير أن يدعوه.

(٦) البيت لعذافر الكندي، كما في النوادر لأبي زيد (ص: ٣٠٦)، وحاشية ابن بري (١/ ٨٠).

وقال الآخر:

.... وَقَدْ بَدَا هَنْكِ مِنَ المِئْزَرِ[١] [السريع]

وقال جرير:

.... أَوْ نَهْرُ تِيرَىٰ فَمَا تَعْرِفْكُمُ العَرَبُ[٢] [البسيط]

قال وضاح اليمن:

إِنَّمَا شِعْرِي شَهْدٌ قَدْ خُلِطْ بِجُلْجُلانِ[٣] [مجزوء الرمل]

ومن أنكر التسكين في حرف الإعراب فحجته أن ذلك لا يجوز من حيث كان عَلَماً للإعراب، قال أبو علي: وأمَّا حركة البناء فلم يختلف النحاة في جواز تسكينها مع توالي الحركات[٤].

وقرأ الزهري: (بَارِيكُم) بكسر الياء من غير همز، ورويت عن نافع[٥].

وقرأ قتادة: (فاقتالوا[٦] أنفسكم)، وقال: هي من الاستقالة[٧]، قال أبو الفتح:

---

(١) صدره: رحتِ وفي رجليكِ ما فيهما، وهو للأقيشر السعدي كما في الوساطة للجرجاني (ص: ٧)، والحماسة البصرية (٢/ ٣٦٨)،، وفي الشعر والشعراء (١/ ١٠١) أنه للفرزدق، مع اختلاف بعض الألفاظ، قال في خزانة الأدب (٤/ ٤٤١): والصواب الأولُ.

(٢) انظر عزوه له في الجمهرة (٢/ ٩٦٢)، والحجة لأبي علي (٢/ ٦)، والمحتسب (١/ ١٠٩)، والأغاني (٣/ ٢٥٥)، ونهر تيرى بالأهواز.

(٣) البيت لوضاح اليمن، واسمه: عبد الرحمن بن إسماعيل، سمي بالوضاح؛ لجماله، وقبله: عَجِبَ النَّاسُ وقالوا شعر وضّاح اليماني، انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٢٦٣)، وغيره، وفي رواية: «شعري قند»، وفي أخرى: «ملح».

(٤) الحجة (٢/ ٨١).

(٥) عزاه في مختصر الشواذ (ص: ١٣) لرواية إسماعيل عن نافع، وليس من طريق التيسير، وانظر عزوها للزهري في البحر المحيط (١/ ٣٣٤).

(٦) في المطبوع: «فأقيلوا»، وهو خطأ.

(٧) المحتسب لابن جني (١/ ٨٣)، وهي قراءة شاذة.

اقتال هذه افتعل، ويحتمل أن يكون عينها واواً كاقتادوا، ويحتمل أن يكون ياء كاقتاس، والتصريف يضعف أن تكون من الاستقالة، ولكن قتادة رحمه الله ينبغي أن يُحسَنَ الظنُّ به في أنه لم يورد ذلك إلا بحجة عنده(١).

وقوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبله محذوفٌ تقديره: ففعلتم.

وقوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ معناه: على الباقين، وجعل الله تعالى القتل لمن قُتل شهادةً وتاب على الباقين وعفا عنهم.

[قال بعض الناس: ﴿فَاقْتُلُوٓاْ﴾ في هذه الآية معناه: بالتوبة وإماتة عوارض النفوس من شهوة وتعنت وغضب، واحتج بقوله عليه السلام في الثوم والبصل: «فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخاً»(٢)، وبقول حسان:

[الكامل] .... قُتِلَـتْ قُتِلْتَ فهَاتِها لَـمْ تُقْتَلِ(٣)](٤)

---

(١) المحتسب لابن جني (١/ ٨٣).

(٢) في ثبوت الإماتة بالطبخ مرفوعاً نظر، وقد مشاه بعضهم، وهو صحيح من قول عمر: هذا الحديث أخرجه أحمد (٢٦/ ١٨٠)، وأبو داود (٣٨٢٧)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٣٦)، والبزار (٨/ ٢٤٨)، والطبراني في الأوسط (٦/ ١٥٧)، وابن عدي في كامله (٣/ ٢٠-٢١)، كلهم من طريق خالد بن ميسرة، عن معاوية بن قرة، عن أبيه رضي الله عنه، مرفوعاً، وذكر البزار والطبراني أنه لم يروه عن معاوية ابن قرة إلا خالد بن ميسرة، وقال ابن عدي في خالد: «هو عندي صدوق، فإني لم أر له حديثاً منكراً»، وسأل الترمذي البخاري عن هذا الحديث ـ لكن ليس فيه قضية الإماتة بالطبخ ـ فقال: هو حديث حسن، كما في العلل الكبير للترمذي (ص: ٣٠١)، وقال الذهبي في الميزان (١/ ٦٤٣): «ما ضعفه أحد»، وقال عن حديثه هذا: «وعنه سعيد بن سلام العطار، والعقدي، ومعن القزاز بحديث محفوظ». وقد ثبتت قضية الإماتة بالطبخ من قول عمر بن الخطاب، أخرجه مسلم في صحيحه (١٢٨٦).

(٣) عزاه له في الأغاني (٩/ ٣٢٠)، وأساس البلاغة (٢/ ٥٢)، والصناعتين (ص: ٣٩٢)، وقواعد الشعر (ص: ٦١)، الصحاح للجوهري (٥/ ١٧٩٨)، وعزاه صاحب الحماسة البصرية (٢/ ٣٩٠) للنعمان بن عدي بن نضلة بن عبد العزى القرشي، وعزاه في التحرير والتنوير (١/ ٥٠٣) لبجير بن زهير، وفي أحمد٣: «فليتها» بدل: «فهاتها».

(٤) ساقط من الأصل والسليمانية وفيض الله وجار الله، وسقط الشطر فقط من التركية.

[وبقول من قال: مُتْ بإرادتك عن النقائص تَحْيَ لآخرتك بالفضائل][١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ﴾ يريد السبعين الذين اختارهم موسى.

واختلف في وقت اختيارهم:

فحكى أكثر المفسرين أنَّ ذلك بعد عبادة العجل، اختارهم موسى ليستغفروا لبني إسرائيل[٢]، وحكى النقاش وغيره أنه اختارهم حين خرج من البحر وطلب بالميعاد[٣]، والأوّلُ أصحُّ.

وقصة السبعين: أن موسى عليه السلام لما رجع من تكليم الله ووجد العجل قد عبد، قالت له طائفة ممن لم يعبد العجل: نحن لم نكفر ونحن أصحابك، ولكن أسمعنا كلام ربك، فأوحى الله إليه أن اختر منهم سبعين شيخاً[٤]، فلم يجد إلّا ستين، فأوحى الله إليه أن اختر من الشباب عشرة، ففعل، فأصبحوا شيوخاً، وكان قد اختار ستة من كل سبط فزادوا اثنين على السبعين، فتشاحُّوا فيمن يتأخر، فأوحى الله إليه أن من تأخر له مثل أجر من مضى، فتأخر يوشع بن نون وكالوث[٥] بن يُوقَنَّا.

وذهب موسى عليه السلام بالسبعين بعد أن أمرهم أن يتجنبوا النساء ثلاثاً ويغتسلوا في اليوم الثالث، واستخلف هارون على قومه، ومضى حتى أتى الجبل، فألقي عليهم الغمام.

قال النقاش وغيره: غَشِيتهم سحابة وحيل بينهم وبين موسى بالنور فوقعوا سجودا[٦].

---

(١) زيادة من أحمد٣ والتركية، والأزهرية، وساقط من الأصل وجميع النسخ الأخرى.

(٢) تفسير الثعلبي (١/ ١٩٩).

(٣) نقله عنه الثعالبي (١/ ٢٤٠).

(٤) «شيخا»: زيادة من المطبوع.

(٥) في المطبوع: «طالوت».

(٦) نقله عنه الثعالبي (١/ ٢٤٠).

قال السُّدي وغيره: وسمعوا كلام الله يأمر وينهى، فلم يطيقوا سماعه، واختلطت أذهانهم، ورغبوا أن يكون موسى يسمع ويعبِّر لهم، ففعل، فلما فرغ وخرجوا بدلت منهم طائفة ما سمعت من كلام الله، فذلك قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ [البقرة: ٧٥]، واضطرب إيمانهم وامتحنهم الله بذلك فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [ولم يطلبوا من الرؤية محالاً، أمَّا إنه عند أهل السنة ممتنع في الدنيا من طريق السمع][١]، فأخذتهم حينئذ الصاعقة فاحترقوا وماتوا موت همود يعتبر به الغير[٢].

وقال قتادة: ماتوا وذهبت أرواحهم ثم رُدوا لاستيفاء آجالهم، فحين حصلوا في ذلك الهمود جعل موسى يناشد ربه فيهم ويقول: «أي رب، كيف أرجع إلى بني إسرائيل دونهم، فيهلكون ولا يؤمنون بي أبداً، وقد خرجوا معي وهم الأخيار؟»[٣]، يعني هم بحال الخير وقت الخروج.

وقال قومٌ: بل ظن موسى عليه السلام أن السبعين إنما عوقبوا بسبب عبادة العجل، فذلك قوله: ﴿أَتُهْلِكُنَا﴾ [يعني: السبعين][٤] ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ [الأعراف: ١٥٥] يعني: عبدة العجل.

وقال ابن فورك: يحتمل أن تكون معاقبة السبعين لإخراجهم طلب الرؤية عن طريقه، بقولهم لموسى: ﴿أَرِنَا﴾ وليس ذلك من مقدور موسى عليه السلام[٥].

و﴿جَهْرَةً﴾ مصدر في موضع الحال، والأظهر أنها من الضمير في ﴿نَرَى﴾، وقيل: من الضمير في ﴿نُّؤْمِنَ﴾، وقيل: من الضمير في ﴿قُلْتُمْ﴾، والجهرة: العلانية، ومنه الجهر ضد السر، وجهر الرجل الأمر: كشفه.

---

(١) ساقط من فيض الله.

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٣٤٧).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٨٧).

(٤) ساقط من السليمانية وفيض الله.

(٥) نقله عنه االثعالبي (١/ ٢٤٣).

وقرأ سهل بن شعيب[١] وحميد بن قيس[٢]: (جَهَرَةً) بفتح الهاء[٣]، وهي لغة مسموعة / عند البصريين فيما فيه حرف الحلق ساكناً قد انفتح ما قبله، والكوفيون [٥٨]
يجيزون فيه الفتح وإن لم يسمعوه.

ويحتمل أن يكون (جَهَرةً) جمعَ جاهر، أي: حتى نرى الله كاشفين هذا الأمر.

وقرأ عمر وعلي رضي الله عنهما: (فأخذتكم الصعقة)[٤].

ومضى في صدر السورة معنى الصاعقة، والصَّعْقَةُ: ما يحدث بالإنسان عند الصاعقة.

و﴿تَنظُرُونَ﴾ معناه: إلى حالكم.

قال القاضي أبو محمد: حتى أحالهم العذاب وأزال نظرهم.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

أجاب الله تعالى فيهم رغبة موسى عليه السلام وأحياهم من ذلك الهمود أو الموت، ليستوفوا آجالهم، وتاب عليهم، والبعث هنا الإثارة، كما قال: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يسٓ: ٥٢].

---

(١) سهل بن شعيب النخعي الكوفي، روى عن الشعبي وبريدة بن سفيان، وعنه زريق البجلي وأبو داود الطيالسي. تاريخ الإسلام (٩/ ٤١٣)، وفي غاية النهاية (١/ ٣١٩): عرض على عاصم بن أبي النجود وعلى شعبة، روى القراءة عنه عبد الله بن حرملة بن عمرو.

(٢) حميد بن قيس الأعرج أبو صفوان المكي قارئ أهل مكة، قرأ القرآن على مجاهد، وروى عنه أبو عمرو القراءة عرضاً، وسمع منه مالك والثوري، وثقه أبو داود، وكان كثير الحديث فارضاً حاسباً، توفي في سنة (١٣٠هـ). معرفة القراء الكبار (ص: ٥٥).

(٣) المحتسب لابن جني (١/ ٨٤)، وهي قراءة شاذة.

(٤) عزاها لعمر الطبري (٢٢/ ٤٣٦)، ولعلي ابنُ خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٣)، ولهما في تفسير الثعلبي (١/ ١٩٩).

وقال قومٌ: إنهم لما أُحيوا وأُنعم عليهم بالتوبة سألوا موسى عليه السلام أن يجعلهم الله أنبياء[١]، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ أي: أنبياء، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: على هذه النعمة، والترجِّي إنما هو في حقِّ البشر، ونزلت الألواح بالتوراة على موسى في تلك المدة، وهذا قول جماعة.

وقال آخرون: إنَّ الألواح نزلت في ذهابه الأول وحده. وذكر المفسرون في تظليل الغمام: أنَّ بني إسرائيل لما كان من أمرهم ما كان من القتل وبقي منهم من بقي، حصلوا في فحص التيه بين مصر والشام، فأُمروا بقتال[٢] الجبارين، فعصوا وقالوا: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ [المائدة: ٢٤] فدعا موسى عليهم فعوقبوا بالبقاء في ذلك الفحص أربعين سنة يتيهون في مقدار خمسة فراسخ أو ستة.

روي أنهم كانوا يمشون النهار كله وينزلون للمبيت، فيصبحون حيث كانوا بكرة أمس، فندم موسى عليه السلام على دعائه عليهم، فقيل له: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦].

وروي أنهم ماتوا بأجمعهم في فحص التيه، ونشأ بنوهم على خير طاعة، فهم الذين خرجوا من فحص التيه وقاتلوا الجبارين، وإذ كان جميعهم في التيه قالوا لموسى: مَن لنا بالطعام؟ [قال: الله][٣]، فأنزل الله عليهم المن والسلوى، قالوا: من لنا من حرّ الشمس؟ فظلل عليهم الغمام، قالوا: بم نستصبح بالليل؟ فضُرب لهم عمود نور في وسط محلتهم، ـ وذكر مكي: عمود نار[٤] ـ، فقالوا: من لنا بالماء؟ فأُمر موسى بضرب الحجر، قالوا: من لنا باللباس؟ فأعطوا أن لا يبلى لهم ثوب ولا يَخْلَقَ ولا يَدْرن، وأن تنمو صغارها حسب نمو الصبيان[٥].

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٨٨).

(٢) أشار في هامش الأصل إلى أن في نسخة: «بقتل».

(٣) ساقط من جار الله.

(٤) لفظه في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٨٦)، «عموداً من نار»، وذكر رواية: «عموداً من نور» قبل ذلك بقليل (ص٣٧٣).

(٥) تفسير القرطبي (١/ ٣٧٥)، وقد ذكره ابن جرير رواية أخرى (١٠/ ١٩٠).

ومعنى (ظَلَّلْنَا): جعلناه ظُللاً، و﴿ٱلْغَمَامَ﴾ السحاب؛ لأنه يغم وجه السماء؛ أي: يستره[١]، وقال مجاهد: هو أبرد من السحاب وأرقُّ وأصفى، وهو الذي يأتي الله فيه يوم القيامة[٢].

قال القاضي أبو محمد: يأتي أمره وسلطانه وقضاؤه.

وقيل: ﴿ٱلْغَمَامَ﴾: ما ابيضَّ من السحاب.

و﴿ٱلْمَنَّ﴾: صمغة حلوة، هذا قول فرقة، وقيل: هو عسل، وقيل: شراب حلو، وقيل: الذي ينزل اليوم على الشجر، وقيل: ﴿ٱلْمَنَّ﴾: خبز الرُّقَاق مثل النَّقِي.

وقيل: هو التَّـرَنْجَبين، وقيل: الزَّنجبيل، وفي بعض هذه الأقوال بعدٌ، وقيل: ﴿ٱلْمَنَّ﴾: مصدر يُعنى به جميع ما من الله به مجملاً[٣].

وقال النبي ﷺ في كتاب مسلم: «الكمأة مما من الله به على بني إسرائيل، وماؤها شفاء للعين»[٤]، فقيل: أراد عليه السلام أن الكمأة نفسَها مما أُنزل نوعها على بني إسرائيل، وقيل: أراد أنه لا تعب في الكمأة ولا جذاذ ولا حصاد، فهي منة دون تكلف من جنس مَنِّ[٥] بني إسرائيل في أنه كان دون تكلف.

وروي أن الْمَنَّ كان ينزل عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس كالثلج، فيأخذ منه الرجل ما يكفيه ليومه، فإن ادخر فسد عليه، إلا في يوم الجمعة فإنهم كانوا يدخرون ليوم السبت فلا يفسد عليهم؛ لأن يوم السبت يوم عبادة.

و﴿ٱلْمَنَّ﴾ هنا اسم جمعٍ لا واحدَ له من لفظه.

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٩٠).
(٢) المصدر السابق (٢ / ٩٠).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٩١ - ٩٥).
(٤) صحيح: أخرج هذا الحديث بهذا اللفظ: مسلم (٢٠٤٩)، من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه، وأخرجه البخاري في غير موضع من حديث سعيد بن زيد أيضاً، منها (٤٤٧٨) بدون ذكر بني إسرائيل.
(٥) «من» ليست في نور العثمانية.

﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ طيرٌ بإجماع من المفسرين، قاله ابن عباس،[١] ومجاهد، وقتادة، والربيع بن أنس وغيرهم[٢]. قيل: هو السُّمَانَى بعينه[٣]، وقيل: طائر يميل إلى الحمرة مثل السُّمانَى، وقيل: طائر مثل الحمام تحشره عليهم الجنوب.

قال الأخفش: السَّلوى جمعه وواحده بلفظ واحد[٤]، قال الخليل: السَّلْوى جمع واحدته سلواة [٥]، قال الكسائي: السَّلْوى واحدة جمعها سَلَاوَى[٦].

﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ اسم مقصور لا يظهر فيه الإعراب؛ لأن آخره ألف، والألف حرف هوائي أشبه الحركة فاستحالت حركته، ولو حُرك لرجع حرفاً آخر.

وقد غلط[٧] الهذليُّ، فقال:

[الطويل]
وقَاسَمَهَا بالله عَهْداً[٨] لأنْتُمُ ... ألَذُّ مِنَ السَّلْوَىٰ إذَا مَا نَشُورُهَا[٩]

ظن السلوى العسلَ[١٠].

(١) أثر ابن عباس، رضي الله عنه، رواه ابن جرير في تفسيره (٢/ ٩٦)، بإسناد فيه أسباط بن نصر، وهو ضعيفُ الحديث.

(٢) انظر أقوالهم مع من وافقهم في تفسير الطبري (٢/ ٩٦، ٩٧).

(٣) هذا القول منقول في تفسير الطبري (٢/ ٩٦) عن ابن عباس والضحاك والشعبي.

(٤) معاني القرآن للأخفش (١/ ١٠١).

(٥) العين (٧/ ٢٩٧).

(٦) نقله عنه ابن كثير (١/ ٢٧٣)، وأبوحيان في البحر المحيط (١/ ٣٣٢)، وغيرهما.

(٧) في المطبوع: غلظ، وهو خطأ.

(٨) في المطبوع : جهداً.

(٩) واسمه خالد بن زهير، عزاه له في الأغاني (٦/ ٢٩٢)، وتهذيب اللغة (١٣/ ٤٩)، والمحكم (٨/ ٦١١)، والسيرة النبوية لابن هشام (١/ ٥٣٤)، وقوله: إذا ما نشورها؛ أي: نجتنبها ونستخرجها من خليتها؛ من شار العسل، وهذه الكلمة هي التي دلت على أن المراد بالسلوى في بيت الهذلي: العسل، والشطر الأول من المطبوع، وهو ملحق في هامش الأصل، عليه علامة خ.

(١٠) قال أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٣٣٢): وعن هذا جوابان يبينان أن هذا ليس غلطاً: أحدهما: ما نقلناه عن مؤرج من كونه العسل بلغة كنانة، والثاني: أنه تجوَّز في قوله: «نشورها» لأجل القافية، فعبر عن الأكل بالشور، على سبيل المجاز.

وقوله تعالى: ﴿كُلُواْ﴾ الآية، معناه: وقلنا: كُلُوا، فحذف اختصاراً لدلالة الظَّاهر عليه.

والطَّيبات هنا قد جمعت الحلال واللذيذ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ يقدَّر قبله: فعصوا ولم يقابلوا / النعم بالشكر، [٥٩]
والمعنى: وما وضعوا فعلهم في موضعِ مَضَرة لنا ولكن وضعوه في موضع مضرة لهم حيث لا يجب.

وقال بعض المفسرين: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾: ما نقصونا[١]، والمعنى يرجع إلى ما لخصناه.

و﴿ٱلْقَرْيَةَ﴾ المدينة، تسمى بذلك لأنها تَقَرَّت؛ أي: اجتمعت، ومنه قَرَيْتُ الماء في الحوض؛ أي: جمعته، والإشارة بهذه إلى بيت المقدس في قول الجمهور.

وقيل: إلى أريحا، وهي قريب من بيت المقدس.

قال عمر بن شبة[٢]: كانت قاعدةً ومسكنَ ملوك[٣].

ولما خرج ذرية بني إسرائيل من التيه أمروا بدخول القرية المشار إليها، وأمَّا الشيوخ فماتوا فيه.

وروي أن موسى عليه السلام مات في التيه، وكذلك هارون عليه السلام.

وحكى الزَّجَّاج عن بعضهم أن موسى وهارون لم يكونا في التيه؛ لأنه عذاب[٤]، والأولُ أكثر.

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين (١/ ١٤٢)، غريب القرآن لابن قتيبة (١/ ٥٠)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٣٩٧).

(٢) عمر بن شبة بن عبيدة النميري الحافظ البصري، روى عن أبيه ويحيى القطان وخلق، وعنه ابن ماجه وغيره، وثقه الدارقطني وغيره، قال الخطيب: كان ثقة عالماً بالسير وأيام الناس وله تصانيف كثيرة، توفي سنة (٢٦٢هـ). طبقات الحفاظ للسيوطي (ص: ٢٢٩).

(٣) نقله عنه القرطبي (١/ ٤٠٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٦٥).

و(كُلُوا) إباحةٌ، وقد تقدَّم معنى الرغد، وهي أرض مباركة عظيمة [الغلة][(١)]، فلذلك قال: ﴿رَغَدًا﴾.

و﴿ٱلْبَابَ﴾ قال مجاهد: هو باب في مدينة بيت المقدس يعرف إلى اليوم بباب حطة[(٢)]، وقيل: هو باب القبة التي كان يصلي إليها موسى عليه السلام.

وروي عن مجاهد أيضاً: أنه باب في الجبل الذي كلِّم عليه موسى كالفرضة.

و﴿سُجَّدًا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: معناه: ركوعا[(٣)]، وقيل: متواضعين خضوعاً لا على هيئة معيَّنة، والسجود يعم هذا كلَّه؛ لأنه التواضع، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] .... تَرَىٰ الأُكْمَ فِيه سُجَّداً لِلْحَوَافِرِ[(٤)]

وروي أن الباب خفض لهم ليقصر ويدخلوا عليه متواضعين.

و﴿حِطَّةٌ﴾ فِعْلة من حَطَّ يَحُطُّ، ورفعه على خبر ابتداء، كأنهم قالوا: سؤالنا حطةٌ لذنوبنا، هذا تقدير الحسن بن أبي الحسن.

وقال الطبري: التقدير: دخولنا الباب كما أُمرنا حطة[(٥)]، وقيل: أمروا أن يقولوها مرفوعة على هذا اللفظ.

وقال عكرمة وغيره: أمروا أن يقولوا: لا إله إلا الله، لتُحط بها ذنوبهم[(٦)]، وقال

---

(١) في النسخة الحمزوية: «القدر».
(٢) تفسير الطبري (٢ / ١٠٣).
(٣) لا بأس بإسناده: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ١١٣) من طريق الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وهذا إسناد لا بأس به لو سلم من تدليس الأعمش.
(٤) هو لزيد الخيل، وصدره: بجمعٍ تَضِلُّ البُلق في حَجَراته، وقد تقدَّم قريباً في تفسير الآية (٣٣).
(٥) انظر قولي الحسن والطبري في تفسير الطبري (٢/ ١٠٨) بمعناه.
(٦) انظر قول عكرمة والقول الذي قبله في تفسير الطبري (٢/ ١٠٦، ١٠٧).

ابن عباس: «قيل لهم: استغفروا وقولوا ما يحط ذنوبكم»[١]، وقال آخرون: قيل لهم أن يقولوا: هذا الأمر حق كما [أعلمنا][٢] [٣]، وهذه الأقوال الثلاثة تقتضي النصب.

وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة: (حِطَّةً) بالنصب[٤].

وحكي عن ابن مسعود وغيرِهِ: «أنهم أمروا بالسجود وأن يقولوا: ﴿حِطَّةٌ﴾ فدخلوا يزحفون على أسْتاههم، ويقولون: حنطة حبة حمراء في شعرة»[٥]، ويروى غير هذا من الألفاظ.

وقرأ نافع: ﴿يُغْفَرْ﴾ بالياء من تحت مضمومة، [وقرأ ابن عامر: ﴿تُغْفَرْ﴾ بالتَّاء من فوق مضمومة][٦].

وقرأ أبو بكر[٧] عن عاصم: ﴿يَغفر﴾ بفتح الياء على معنى يغفر الله، وقرأ الباقون: ﴿نَّغۡفِرۡ﴾ بالنون[٨]، وقرأت طائفة: (تَغْفِر) كأنَّ الحطةَ تكون سبب الغفران[٩].

(١) أخرجه الطبري (٢/ ١٠٦) من طريق: وكيع، عن سفيان، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قوله: ﴿حِطَّةٌ﴾: مغفرة، وإسناده لا بأس به، ونحوه من طريق: ابن جريج قال: قال ابن عباس.

(٢) في النسخة الحمزوية: «أعلمتنا».

(٣) تفسير الطبري (٢/ ١٠٧).

(٤) مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٣)، وهي قراءة شاذة.

(٥) صح مرفوعاً: هذا الأثر قد أخرجه البخاري (٣٤٠٣) (٤٤٧٩) (٤٦٤١)، ومسلم (٣٠١٥) من حديث أبي هريرة مرفوعا بلفظ: «حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ».

(٦) ساقط من جار الله.

(٧) هو شعبة بن عياش الراوي المشهور عن عاصم.

(٨) انظر قراءتي نافع وابن عامر وقراءة الجمهور بما فيهم شعبة في التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٣)، السبعة في القراءات (ص: ١٥٧)، وأمَّا يغفر بالياء المفتوحة فهي من رواية هارون عن حسين عن أبي بكر عن عاصم كما في جامع البيان للداني (٢/ ٨٦٤) قال: لم يرو ذلك أحد غيره، ولم يذكر التي في الأعراف، ونقلها الكرماني (ص: ٦٢)، في شواذه عن السلمي.

(٩) بفتح التاء ولا بدَّ معها من نصب الخطايا، نقلها عن المؤلف أبو حيان (١/ ٣٦١)، ولم أجدها لمن قبله، وهي قراءة شاذة.

والقراء السبعة على ﴿خَطَٰيَٰكُمْ﴾، غير أنَّ الكسائيَّ كان يميلها(١).

وقرأ الجحدري: (تُغْفَرْ لكم خَطيئَتُكُم) بضمِّ التَّاء من فوق، وبرفع الخطيئة(٢).

وقرأ الأعمش: (يَغفر) بالياء من أسفل مفتوحة (خَطِيئَتَكُمْ) نصباً، وقرأ قتادة مثل الجحدري، وروي عنه أنه قرأ بالياء من أسفل مضمومةً (خَطِيئَتُكُم) رفعاً، وقرأ الحسنُ البصريُّ: (يَغفِرْ لكم خطيئاتكم)؛ أي: يغفر الله، وقرأ أبو حيوة: (تُغْفَرْ) بالتاء من فوق مرفوعة: (خَطيئَاتُكُمْ) بالجمع ورفع التاء(٣).

وحكى الأهوازي(٤): أنه قرئ: (خَطأياكم) بهمز الألف الأولى وسكون الآخرة، [وحكي أيضاً أنه قرئ بسكون الأولى وهمز الآخرة(٥)](٦).

قال الفراء: خطايا جمع خطية بلا همز، كهدية وهدايا، وركية وركايا، وقال الخليل: هو جمع خطيئة بالهمز، وأصله: خطايئ، قدمت الهمزة على الياء فجاء: خطائي، أبدلت الياء ألفاً بدلاً لازماً فانفتحت الهمزة التي قبلها فجاء: خطاءا، همزة بين ألفين، وهي من قبيلهما فكأنها ثلاث ألفات، فقلبت الهمزة ياء فجاء خطايا، قال سيبويه: أصله: خطايئ، همزت الياء

---

(١) على قاعدته. انظر التيسير في القراءات السبع للداني (ص٤٨).
(٢) الكرماني في الشواذ (ص: ٦٢)، بالإفراد، ونقل الجمع عن الحسن، وكلاهما قراءة شاذة.
(٣) هذه أربع قراءات كلها شاذة، وقد نقلها عن المؤلف أبو حيان (١/ ٣٦١)، ولم أجدها لمن قبله، وقد نقل الكرماني (ص: ١٩٦)، وابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٥٢) بعضها لكنه في آية الأعراف، والله أعلم.
(٤) هو الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز، الأستاذ أبو علي الأهوازي المقرئ، عني بالقراءات، ورحل فيها، ولقي الكبار، وفي بعض أسانيده جهالة، وله كتب في الحديث يروي فيها الموضوعات ولا يضعفها، توفي سنة (٤٤٦هـ). تاريخ الإسلام (٣٠/ ١٢٤).
(٥) عزا القراءة الأولى في تفسير الرازي (٣/ ٥٢٤) للكسائي، والثانية لابن كثير، ونقل أبو حيان في تفسير البحر المحيط (١/ ٣٦١) عن الأهوازي الوجهين، وكلها قراءات شاذة.
(٦) ساقط من جار الله.

كما فعل في مدائن وكتائب فاجتمعت همزتان، فقلبت الثانية ياء، ثم أعلت على ما تقدم[١].

وقوله تعالى: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ عِدَةٌ، المعنى: إذا غُفرت الخطايا بدخولكم وقولكم، زِيدَ بعد ذلك لمن أحسن، وكان من بني إسرائيل من دخل كما أمر، وقال: لا إله إلا الله، فقيل: هم المراد بـ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [هنا][٢].

قولُهُ عزَّ وَجلَّ: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۝٥٩ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٦٠﴾.

روي أنهم لما جاؤوا الباب دخلوا من قِبَل أدبارهم القهقرى، وفي الحديث: «أَنَّهُمْ دَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ، وبَدَّلُوا فَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعَرَةٍ»[٣]، وقيل: قالوا: حنطة حبة حمراء فيها شعرة، وقيل: شعيرة.

وحكى الطبريُّ أنهم قالوا: هِطَّى شمقاثا أزبة[٤]، وتفسيره ما تقدَّم.

و«الرجز»: العذابُ.

وقال ابن زيد ومقاتل وغيرهما: إنَّ الله تعالى بعث على الذين بدلوا ودخلوا على غير ما أُمروا الطاعون فأذهب منهم سبعين ألفاً[٥]، وقال ابن عباس: «أمات الله منهم في ساعة / واحدة نيفاً على عشرين ألفاً»[٦]. [٦٠]

---

(١) انظر هذه الأقوال في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٥٦)، مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٩٥)، والمقتضب (١/ ١٤١).

(٢) ليست في أحمد٣.

(٣) سبق تخريجه قريباً.

(٤) تفسير الطبري (٢/ ١١٤)، وهي كلمة عبرانية، تفسيرها: حنطة حمراء.

(٥) انظر قول مقاتل في تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ١١٠)، وقول ابن زيد في تفسير النيسابوري (١/ ٢٩٥).

(٦) لم أجده.

وقرأ ابن محيصن: (رُجزاً) بضم الراء[١]، وهي لغةٌ في العذاب، والرُّجز أيضاً اسمُ صنمٍ مشهورٌ.

والباء في قوله: ﴿بِمَا﴾ متعلقة بـ(أنْزَلْنا)، وهي باء السبب.

و﴿يَفْسُقُونَ﴾ معناه: يخرجون عن طاعة الله، وقرأ النخعي وابن وثاب: (يَفْسِقُونَ) بكسر السين[٢]، يقال: فسق يفسُق ويفسِق، بضم السين وكسرها.

و(إذ) متعلقةٌ بفعل مضمر تقديره: اذكروا.

و﴿ٱسْتَسْقَىٰ﴾ معناه: طلَبَ السُّقيا، وعُرف استفعل طلبُ الشيء، وقد جاء في غير ذلك كقوله تعالى: ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ [التغابن: ٦] بمعنى غني، وقولهم: استعجب بمعنى عجب، ومثَّل بعض الناس في هذا بقولهم: استنسر البُغاثُ، واستنوق الجملُ، إذ هي بمعنى: انتقل من حال إلى حال.

وكان هذا الاستسقاء في فحص التيه، فأمره الله تعالى بضرب الحجر آية منه، وكان الحجر من جبل الطور، على قدر رأس الشاة يُلْقى في كِسْر جُوَالِق ويُرحل به، فإذا نزلوا وضع في وسط محلتهم وضربه موسى عليه السلام.

وذكر أنهم لم يكونوا يحملون الحجر، لكنهم كانوا يجدونه في كل مرحلة في منزلته من المرحلة الأولى، وهذا أعظم في الآية، ولا خلاف أنه كان حجراً منفصلاً مربعاً تطَّرد من كل جهة ثلاث عيون إذا ضربه موسى عليه السلام، وإذا استغنوا عن الماء ورحلوا جفت العيون، وفي الكلام حذفٌ تقديره: فضربه فَانْفَجَرَتْ، والانفجار: انصداع شيء عن شيء، ومنه: الفجر، والانبجاس في الماء أقل من الانفجار.

---

(١) مختصر الشواذ (ص: ١٣)، والكامل للهذلي (ص: ٤٨٦)، وإتحاف فضلاء البشر (١/ ١٨٠)، وهي قراءة شاذة.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٤)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٢٩).

و﴿ٱثۡنَتَا﴾ معربةٌ دون أخواتها لصحة معنى التثنية، وإنما يبنى واحد مع واحد، وهذه إنما هي اثنان مع واحد، فلو بنيت لرد ثلاثة واحداً.

وجاز اجتماع علامتي التأنيث في قوله: ﴿ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ﴾ لبعد العلامة من العلامة، ولأنهما في شيئين، وإنما مُنع ذلك في شيء واحد، نحو مسلمات وغيره.

وقرأ ابن وثَّاب وابن أبي ليلى(١) وغيرهما: (عَشِرَةَ) بكسر الشين(٢)، وروي ذلك عن أبي عمرو(٣)، والأشهر عنه الإسكان، وهي لغة تميم، وهو نادرٌ، لأنهم يخففون كثيراً، وثقَّلوا في هذه، وقرأ الأعمش: (عَشَرَةَ) بفتح الشين(٤) وهي لغةٌ ضعيفةٌ، وروي عنه كسرها وتسكينها(٥)، والإسكان لغة الحجاز.

و﴿عَيۡنًا﴾ نصب على التمييز، والعين اسم مشترك، وهي هنا منبع الماء.

و﴿أُنَاسٍ﴾ اسمُ جمعٍ لا واحدَ له من لفظه، ومعناه هنا: كل سبط؛ لأنَّ الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب، وهم ذرية الاثني عشر أولاد يعقوب عليه السلام.

والمشرب المفعل: موضع الشرب، كالمشرع: موضع الشروع في الماء، وكان لكل سبط عين من تلك العيون لا يتعداها.

وفي الكلام محذوف تقديره: وقلنا لهم: كلوا المن والسلوى واشربوا الماء

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبي ليلى أبو عيسى الأنصاري الكوفي، الفقيه المقرئ، ولد في خلافة عمر، روى عن علي، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وطائفة، وكان قد خرج على الحجاج فيمن خرج من العلماء والصلحاء، فقتل سنة (٧٣هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ١٢٧).

(٢) نقلها عن يحيى بن وثاب، الكرماني في الشواذ (ص: ٦٣)، وزاد إبراهيم وعمرو بن ميمون وأبا السمال، وعن ابن أبي ليلى في البحر المحيط في التفسير (١/ ٣٧٠)، وزاد آخرين، ونقلها في مختصر الشواذ (ص: ١٣) عن الأعمش في أحد وجهيه، وهي قراءة شاذة.

(٣) من رواية نعيم السعيدي عنه كما في البحر المحيط (١/ ٣٧٠)، وهي قراءة شاذة، ليست من الطرق المتواترة عنه.

(٤) المحتسب لابن جني (١/ ٨٥)، ومختصر الشواذ (ص: ١٣)، وهي قراءة شاذة.

(٥) إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٨٠)، وانظر: مختصر الشواذ (ص: ١٣).

المنفجر من الحجر المنفصل، وبهذه الأحوال حسنت إضافة الرزق إلى الله تعالى، وإلا فالجميع رزقه وإن كان فيه تكسب للعبد.

﴿وَلَا تَعْثَوْا﴾ معناه: ولا تُفْرِطوا في الفساد، يقال: عَثِيَ الرجل يَعْثَى، وعَثَى يَعْثَى عَثْياً: إذا أفسد أشد فساد، والأولى هي لغة القرآن، والثانية شاذة، وتقول العرب: عثا يعثو عُثُوّاً ولم يقرأ بهذه اللغة؛ لأنها توجب ضم الثاء من ﴿تَعْثَوْا﴾، وتقول العرب: عاث يعيث إذا أفسد، وعثَّ يَعُثُّ كذلك، ومنه عُثَّةُ الصوف، وهي السوسة التي تلحسه.

و﴿مُفْسِدِينَ﴾ حال، وتكرر المعنى لاختلاف اللفظ، وفي هذه الكلمات إباحة النعم وتعدادها، والتقدم في المعاصي والنهي عنها.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾.

كان هذا القول منهم في التيه حين ملُّوا المن والسلوى، وتذكروا عيشهم الأول بمصر، وكُني عن المن والسلوى بـ﴿طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ ـ وهما طعامان ـ لأنهما كانا يؤكلان في وقت واحد؛ ولتكرارهما سواء أبداً قيل لهما: طَعام واحِد.

ولغة بني عامر: (فَادْعِ) بكسر العين(١).

و﴿يُخْرِجْ﴾: جزم بما تضمنه الأمر من معنى الجزاء، وبنفس الأمر على مذهب أبي عمر الجَرْمي(٢)، والمفعول على مذهب سيبويه مضمر، تقديره: مأكولًا ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٥٧).

(٢) نقله عنه في البحر المحيط (١/ ٢٩٠).

وقال الأخفش: (مِنْ) في قوله: ﴿مِمَّا﴾ زائدة، و(مَا) مفعولة[١]، وأبى سيبويه أن تكون «مِنْ» ملغاة في غير النفي، كقولهم: ما رأيت من أحد[٢].

و ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ بَقْلِهَا﴾ لبيان الجنس، و﴿بَقْلِهَا﴾ بدل بإعادة الحرف، والبقل: كل ما تنبته الأرض من النجم، والقثاء: جمع قثأة.

وقرأ طلحة بن مصرف، ويحيى بن وثاب: (قُثَّائِهَا)، بضم القاف[٣].

وقال ابن عباس وأكثر المفسرين: «الفوم»: الحنطة[٤]، وقال مجاهد: «الفوم»: الخبز[٥]، وقال عطاء وقتادة: «الفوم»: جميع الحبوب التي يمكن أن تُختبز كالحنطة والفول والعدس ونحوه[٦].

وقال الضحاك: «الفوم»: الثوم[٧]، وهي قراءة عبد الله بن مسعود بالثاء[٨]، وروي ذلك عن ابن عباس، والثاء تبدل من الفاء، كما قالوا / : مغاثير ومغافير، وجَدَث [٦١]
وجدف، ووقعوا في عاثور شر، وعافور شر[٩]، على أن البدل لا يقاس عليه، والأولُ أصحُّ: أنها الحنطة، وأنشد ابن عباس قول أُحَيحةَ بنَ الجُلَاح[١٠]:

---

(١) معاني القرآن للأخفش (١/ ١٠٥).

(٢) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٥٧)، ورد قول الأخفش.

(٣) المحتسب لابن جني (١/ ٨٧)، وهي قراءة شاذة.

(٤) صحيح، أخرجه الطبري (٢/ ١٢٧-١٢٨) من طرق عدة عن ابن عباس.

(٥) تفسير الطبري (٢/ ١٢٧).

(٦) المصدر السابق (٢/ ١٢٨).

(٧) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٢٣) عن سعيد بن جبير والربيع والضحاك.

(٨) تفسير الطبري (٢/ ١٣٠)، والمحتسب لابن جني (١/ ٨٨)، وهي قراءة شاذة.

(٩) معاني القرآن للفراء (١/ ٢٤١).

(١٠) هو أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبى الأوسي، ويكنى أبا عمرو، شاعر جاهلي قتله عاصم ابن عمرو في حروبهم مع الخزرج، وكان سيد قومه، وكانت عنده سلمى بنت عمرو، وهي أم عبد المطلب، خلف عليها هاشم بعده، انظر خبره في الأغاني (١٥/ ٣٦).

قَدْ كُنْتُ أَغْنَىٰ النَّاسِ شَخْصاً وَاحِداً وَرَدَ الْمَدِينَـةَ عَـنْ زِرَاعَـةِ فُـومٍ[١] [الكامل]

يعني: حنطة، قال ابن دريد[٢]: «الفوم»: الزرع أو الحنطة، وأَزْدُ السَّراة يسمون السنبل فوماً[٣].

«الاستبدال»: طلب وضعِ الشيء موضع الآخر.

و﴿أَدْنَىٰ﴾ مأخوذٌ عند أبي إسحاق الزجاج من الدنو؛ أي: القرب في القيمة[٤]، وقال علي بن سليمان: هو مهموز من الدنيء البيِّن الدناءة، بمعنى: الأخس، إلا أنه خففت همزته[٥]، وقال غيره: هو مأخوذٌ من الدون؛ أي: الأحط، فأصله: أَدْون أفعل، قلب فجاء: أفلع، وقلبت الواو ألفاً لتطرفها.

وقرأ زهير الكسائي[٦]: (أدنأ)[٧].

---

(١) البيت لأحيحة بن الجلاح في تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٢٣)، وتفسير الطبري (٢/ ١٢٩)، والنكت والعيون (١/ ١٢٨)، وعزاه في الصحاح (٥/ ٢٨٢) لأبي محجن الثقفي، وفي رواية المعجم الكبير للطبراني (١٠/ ٢٤٨) نسب لأبي ذؤيب، لكن الرواية ضعيفة جدّاً.

(٢) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، وكان رأس أهل العلم، والمقدّم فى حفظ اللغة والأنساب وأشعار العرب، وله شعر كثير، كان أعلم الشعراء، وأشعر العلماء، وقيل إنه كان يتسامح في الرواية عن المشائخ، توفي سنة (١٢١هـ). إنباه الرواة (٣/ ٩٢).

(٣) جمهرة اللغة (٢/ ٩٧٢)، وانظر ـ أيضاً ـ مجاز القرآن (١/ ٤١).

(٤) معاني القرآن للزجاج (١/ ١٤٣و١٤٤)، ولفظه: ﴿أَدْنَىٰ﴾ غير مهموز فمعناه: الذي هو أقرب وأقل قيمة.

(٥) نقله عنه في البحر المحيط (١/ ٣٥٥)، وفي المحتسب (١/ ٨٩) عن علي بن سليمان (وهو الأخفش الأصغر) عن المبرد عن الرياشي عن أبي زيد : «تقول: دَنُؤ الرجل يَدْنُؤ دناءَة، وقد دَنأ يدنأ: إذا كان دنيئاً لا خير فيه، غير أن القراءة بترك الهمز»، وقد جاء هذا القول في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٥٧)، بلا نسبة، وكذلك القولان في معاني القرآن للفراء (١/ ٤٢).

(٦) هو زهير الفرقبي النحوي يعرف بالكسائي، له اختيار في القراءة يروى عنه وكان في زمن عاصم، روى عنه الحروف نعيم بن ميسرة النحوي. غاية النهاية (١/ ٢٩٥).

(٧) المحتسب لابن جني (١/ ٨٨)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٤٢)، ومختصر الشواذ (ص: ١٤)، وهي قراءة شاذة.

ومعنى الآية: أتستبدلون البقلَ والقثاءَ والفوم والعدس والبصل التي هي أدنى بالمن والسلوى الذي هو خير؟ والوجه الذي يوجب فضل المن والسلوى على الشيء الذي طلبوه، يحتمل أن يكون تفاضلها في القيمة؛ لأن هذه البقول لا خطر لها، وهذا قول الزجاج.

ويحتمل أن يفضل المن والسلوى؛ لأنه الطعام الذي مَنَّ الله به وأمرهم بأكله، وفي استدامة أمر الله تعالى وشكر نعمته أجر وذخر في الآخرة، والذي طلبوا عارٍ من هذه الخصال، فكان أدنى في[1] هذا الوجه.

ويحتمل أن يفضل في الطيب واللذة به، فالبقول لا محالة أدنى من هذا الوجه، ويحتمل أن يفضل في حسن الغذاء ونفعه، فالمن والسلوى خير لا محالة في هذا الوجه، ويحتمل أن يفضل من جهة أنه لا كلفة فيه ولا تعب، والذي طلبوا لا يجيء إلا بالحرث والزراعة والتعب، فهو أدْنى في هذا الوجه.

ويحتمل أن يفضل في أنه لا مرية في حِلِّه وخلوصه لنزوله من عند الله، والحبوب والأرض يتخللها البيوع والغصوب وتدخلها الشُّبَه، فهي أدْنى في هذا الوجه.

ويترتب الفضل للمن والسلوى بهذه الوجوه كلها.

وفي الكلام حذفٌ، تقديره: فدعا موسى ربَّه فأجابه، فقال لهم: ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾، وتقدَّم ذكر معنى الهبوط، وكأن القادم على قطر منصبٌّ عليه، فهو من نحو الهبوط.

وجمهور الناس يقرؤون: ﴿مِصۡرٗا﴾ بالتنوين وهو خطُّ المصحف[2]، إلا ما حكي عن بعض مصاحف عثمان رضي الله عنه[3].

---

(١) هكذا في أكثر النسخ في المواضع الثلاثة، وفي الحمزوية: «من»، وكذا أحمد٣ في بعضها.

(٢) في نور العثمانية: «المصاحف»، ونقل الداني في المقنع (ص: ٤٥) عن أحمد بن محمد المكي قال: رأيت في الإمام مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾ بالألف.

(٣) كما جاء في المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٧٣) عن زائدة، عن الأعمش:... وقوله: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرَ﴾ ليس فيها ألف.

وقال مجاهد وغيره ممن صرفها: أراد مصراً من الأمصار [غير معيَّن][(١)][(٢)]، واستدلوا بما اقتضاه القرآن من أمرهم بدخول القرية، وبما تظاهرت به الرواية أنهم سكنوا الشام بعد التيه.

وقالت طائفة ممن صرفها: أراد مصر فرعون بعينها، واستدلوا بما في القرآن من أن الله تعالى أورث بني إسرائيل ديار آل فرعون وآثارهم، وأجازوا صرفها؛ قال الأخفش: لخفتها وشبهها بهند ودعد[(٣)]، وسيبويه لا يجيز هذا، وقال غير الأخفش: أراد المكان فصرف[(٤)].

وقرأ الحسن وأبان بن تغلب[(٥)] وغيرهما: (اهبِطوا مصرَ) بترك الصرف[(٦)]، وكذلك هي في مصحف أبيّ بن كعب[(٧)] وقالوا: هي مصر فرعون.

---

(١) ساقط من أحمد٣.

(٢) تفسير الطبري (٢/ ١٣٣)، وهو قول كثير من العلم غيره.

(٣) انظر: معاني القرآن للأخفش (١/ ١٠٦).

(٤) انظر هذا القول مع قول سيبويه في الكتاب (٣/ ٢٤١).

(٥) هو أبان بن تغلب الربعي الكوفي المقرئ الشيعي، وقد أخذ القراءة عرْضا عن عاصم وطلحة ابن مصرف، وتلقى من الأعمش، وروى عن الحكم بن عتيبة وعدي بن ثابت وفضيل الفقيمي وغيرهم، وعنه إدريس بن يزيد الأودي وآخرون، وهو صدوق في نفسه موثق لكنه يتشيع، مات سنة (١٤١هـ). تاريخ الإسلام (٩/ ٥٥)، وفي فيض الله وأحمد٣ والسليمانية: «ثعلب»، وهو تحريف.

(٦) عزاها لهما في البحر المحيط (١/ ٣٩٦)، وزاد طلحة والأعمش، وعزاها للحسن في إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٨٠)، وله وللأعمش الكرماني في الشواذ (ص: ٦٤)، وللأعمش، وحده ابن خالويه (ص١٤) في مختصر الشواذ، وهي قراءة شاذة.

(٧) تقدَّم ما يتعلق بالرسم، وأمَّا القراءة فقد عزاها في معاني القرآن للفراء (١/ ٤٣) لابن مسعود، والطبري (٢/ ١٣٥) له ولأبي.

قال الأعمش: هي مصر التي عليها صالح بن علي[١].

وقال أشهب[٢]: قال لي مالك: هي عندي مصر قريتُك مسكنُ فرعون[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ يقتضي أنه وكلهم إلى أنفسهم.

وقرأ النخعي، وابن وثاب: (سِأَلْتُمْ) بكسر السين[٤] وهي لغةٌ.

و(ضُرِبَت عَلَيهِمُ الذِّلَّةُ والمَسْكَنَـةُ) معناه: أُلزموها وقضي عليهم بها، كما يقال: ضرب الأمير البعث، وكما قالت العرب: ضربة لازب، أي: إلزام مُلْزِمٍ أو لازم، فينضاف المصدر إلى المفعول بالمعنى، وكما يقال: ضرب الحاكم على اليد، أي: حجر وألزم، ومنه: ضرب الدهر ضرباته؛ أي: ألزم إلزاماته.

و﴿ٱلذِّلَّةُ﴾ فعلة من الذل كأنها الهيئة والحال.

و(الْمَسْكَنَـةُ) من المسكين.

قال الزجاج: هي مأخوذة من السكون، وهي هنا: زي الفقر وخضوعه، وإن وجد يهودي غني فلا يخلو من زي الفقر ومهانته[٥]، قال الحسن وقتادة: «المسكنة»: الخراج؛ أي: الجزية، وقال أبو العالية: «المسكنة»: الفاقة والحاجة[٦].

---

(١) تفسير الثعلبي (١/ ٢٠٦)، وهو صالح بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي، الأمير عم المنصور، افتتح مصر، وقهر بني أمية، روى عن أبيه، وعنه ابناه إسماعيل وعبد الملك وغيرهما. توفي سنة (١٥١هـ). تاريخ الإسلام (٩/ ٤٣٦).

(٢) هو صاحب الإمام مالك، الفقيه؛ مسكين بن عبد العزيز بن داود، القيسي المعافري الجعدي، المصري، الملقب أشهب، المتوفى سنة (٢٠٤هـ). انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (١/ ١٦١) وما بعدها.

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٨٩).

(٤) المحتسب لابن جني (١/ ٨٩)، والشواذ للكرماني (ص: ٦٤).

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٤٤).

(٦) انظرهما في تفسير الطبري (٢/ ١٣٧).

و(بآءُو بِغَضبٍ مِنَ الله) معناه: مروا متحملين له، تقول: بؤت بكذا، إذا تحملته، ومنه قول مهلهل [١] لبجير بن الحارث بن عباد [٢]: «بُؤْ بِشِسْعِ نَعْلِ كُلَيْبٍ»[٣].

و«الغضب» بمعنى الإرادة صفة ذات، وبمعنى إظهاره على العبد بالمعاقبة صفةُ فعلٍ.

والإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ضرب الذلة وما بعده.

والباء [في ﴿بِأَنَّهُمْ﴾][٤] باء السبب.

وقال المهدوي: إنَّ الباء بمعنى اللام[٥]، والمعنى: لأنهم.

والآيات هنا تحتمِل أن يراد بها التسع وغيرها مما يخرق العادة، وهو علامة لصدق الآية به، ويحتمل أن يراد آيات التوراة التي هي كآيات القرآن.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (وتقتُلون) بالتاء، على الرجوع إلى خطابهم، وروي عنه أيضاً بالياء[٦].

---

(١) هو المهلهل بن ربيعة التغلبي، كان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع في قتل أخيه كليب وائل وكان اسم المهلهل عدياً وإنما سمي مهلهلاً لهلهلة شعره، وزعمت العرب أنه كان يدعي في شعره ويتكثر في قوله بأكثر من فعله طبقات فحول الشعراء (١/ ٣٩).

(٢) كذا ذكر في الأغاني (٥/ ٥٣) عن أبي برزة أن بجيراً هو ابن الحارث، وقيل: هو ابن أخيه، قال: وكان أول فارس لقي مهلهلاً يوم «واردات» بجير بنُ الحارث بن عباد، فقال: من خالك يا غلام؟ وبوأ نحوه الرمح، فقال له امرؤ القيس بن أبان التغلبي: مهلاً يا مهلهل فإن عم هذا وأهل بيته قد اعتزلوا حربنا ولم يدخلوا في شيء مما نكره، ووالله لئن قتلته ليقتلن به رجل لا يسأل عن نسبه، انظر بقية القصة فيه.

(٣) في حرب البسوس بين بكر وتغلب. انظر تفصيلها في الأغاني (٥/ ٥٢)، والعقد الفريد (٥/ ١٩١).

(٤) زيادة من المطبوع وجار الله وأحمد٣ والسليمانية.

(٥) نقله عنه السمين في الدر المصون (١/ ١٨٠)، وابن عادل في اللباب (٢/ ١٢٦).

(٦) تفسير البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٣٩٩)، ونقل عنه الكرماني في الشواذ (ص: ٦٤) «ويقتِّلون» بالتشديد.

وقرأ نافع بهمز ﴿النبيئين﴾، وكذلك حيث وقع في القرآن، إلا في موضعين: في سورة الأحزاب: ﴿إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأحزاب: ٥٠] بلا مد ولا همز، ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وإنما ترك همز هذين لاجتماع همزتين مكسورتين من جنس واحد، وترك الهمز في جميع ذلك الباقون(١).

[٦٢] فأمَّا مَن همز فهو عنده من: أنبأ، إذا أخبر / ، واسم فاعله: منْبِئ، فقيل: نبيء، بمعنى منبئ، كما قيل: سميع بمعنى مسمع، واستدلوا بما جاء من جمعه على نُبآء، قال الشاعر:

[الكامل] يا خَـاتَـمَ الـنُّـبَـآءِ إنَّـكَ مُـرْسَـلٌ ... بِالحَـقِّ كُلُّ هُـدَىٰ الإلَـهِ هُـدَاكَا(٢)

فهذا كما يجمع فعيل في الصحيح، كظريف وظرفاء وشبهه.

قال أبو علي: زعم سيبويه أنهم يقولون في تحقير النبوة: كان مسيلمة بنُبوَّتِهِ نُبَيِّـئَةَ سوء، وكلهم يقولون: تنبأ مسيلمة، فاتفاقهم على ذلك دليل على أن اللام همزة(٣).

واختلف القائلون بترك الهمز في نبيء: فمنهم من اشتق [النبي مِن همز](٤) ثم سهَّل الهمز، ومنهم من قال: هو مشتقٌّ من نبا ينبو: إذا ظهر، فالنبي: الطريق الظاهر، وكأنَّ النبيَّ من عند الله طريق الهدى والنجاة، وقال الشاعر(٥):

[البسيط] لـمَّا وَرَدْنَـا نبِـيّـاً واسْتَـتَـبَّ لَـنَـا ... مُسْحَنْفَرٌ بخُطُوطِ السَّيْحِ مُنْسَحِلُ(٦)

---

(١) التيسير للداني (ص: ٧٤)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (١/ ١٥٨)، والاستثناء لقالون خاصة.

(٢) هو العبَّاس بن مرداس السلمي، كما في الكامل في اللغة والأدب (٣/ ١٦)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٤٦٠)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٤٦٠)، وتفسير الماوردي (١/ ١٣١)، وحجة القراءات لابن زنجلة (١/ ٩٩).

(٣) الحجة (٢/ ٨٩).

(٤) في جار الله، وفيض الله، ونور العثمانية وأحمد٣، والسليمانية: «اشتقاق مَن همز».

(٥) في جار الله: «الأعشى»، وهو خطأ.

(٦) البيت للقطامي، كما في ديوانه (ص: ٢٧)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢٤١)، وتفسير الطبري =

واستدلوا بأن الأغلب في جمعه أنبياء، كفعيل في المعتل، نحو: ولي وأولياء، وصفي وأصفياء، وحكى الزهراوي أنه يقال: نبؤ، إذا ظهر فهو نبيء، والطريق الظاهر نبيء بالهمز[١].

روي أن رجلاً قال للنبي ﷺ: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيءَ اللهِ، وهمز، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ عليه السلام: «لَسْتُ بِنَبِيءِ الله ـ وهمز ـ وَلَكِنِّي نَبِيُّ اللهِ» ولم يهمز[٢]، قال أبو علي: ضعِّف سند هذا الحديث، ومما يقوي ضعفه أنه ﷺ قد أنشده المادح: يا خاتم النُّبآء، ولم يُؤْثَر في ذلك إنكار[٣]، والجمع كالواحد.

وقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ تعظيم للشُّنْعة والذنب الذي أتوه، ومعلومٌ أنه لا يقتل نبي بحق، ولكن من حيث قد يتخيل متخيِّل لذلك وجهاً، فصرَّح قوله: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ عن شنعة الذنب ووضوحه، ولم يَجترم[٤] قط نبي ما يوجب قتله، وإنما أباح الله تعالى من أباح منهم، وسلط عليه، كرامة لهم، وزيادة في منازلهم، كمثل من يقتل في سبيل الله من المؤمنين.

قال ابن عباس وغيره: لم يقتل قط من الأنبياء إلا من لم يؤمر بقتال، وكل من أمر بقتال نُصر[٥].

= (٢/ ١٤١)، والمحكم والمحيط الأعظم (١٠/ ٥١٩)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١١٢)، المسحنفر: الطريق المستقيم، والبلد الواسع والمطر الكثير، ونبي: اسم موضع بالشام، وفي بعض النسخ: «النسج» بدلاً من «السَّيح».

(١) نقله عنه في البحر المحيط في التفسير (١/ ٣٥٦).

(٢) منكر: هذا الحديث أخرجه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٨١) من حديث ابن عباس، وفي سنده عبدالرحيم ابن حماد الثقفي، وهو شيخ واهٍ كما قال الذهبي في الميزان (٤/ ٣٣٤)، وأخرجه ـ أيضاً ـ ابنُ عديٍّ في الكامل في الضعفاء (٢/ ٤٣٦) من حديث حمران بن أعين قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال:.... إلخ وحمران ضعيفٌ. قال فيه ابن معين: ليس بشيء. وقال أبو داود فيه: رافضي روى عن موسى بن عبيدة، وهو واهٍ. وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥١) بإسناد قال فيه الذهبي: منكر لم يصح.

(٣) ضعيف معضل: هذا الحديث أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٦/ ٤٢٠) من طريق ابن إسحاق، عن العباس بن مرداس به، وهذا إسناد معضل. وانظر: الحجة للفارسي (٢/ ٩٢).

(٤) في الأصل: «يجترئ».

(٥) لم أقف عليه.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ رد على الأول وتأكيد للإشارة إليه، والباء في ﴿بِمَا﴾ باء السبب، و﴿يَعۡتَدُونَ﴾ معناه: يتجاوزون الحدود، والاعتداء: تجاوز الحد في كل شيء، وعُرفه في الظلم والمعاصي.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

اختلف المتأولون في المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في هذه الآية:

فقال سفيان الثوري: هم المنافقون في أمة محمد ﷺ[(١)]، كأنه قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في ظاهر أمرهم، وقرنهم باليهود وَالنَّصارى والصَّابِئِينَ، ثم بيَّن حكم من آمن بالله واليوم الآخر من جميعهم، فمعنى قوله: ﴿مَنۡ ءَامَنَ﴾ في المؤمنين المذكورين: مَن حقَّق وأخلص، وفي سائر الفرق المذكورة: من دخل في الإيمان.

وقالت فرقة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: هم المؤمنون حقّاً بمحمد ﷺ، وقوله: ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ يكون فيهم بمعنى: من ثبت ودام، وفي سائر الفرق بمعنى: من دخل فيه.

وقال السُّدي: هم أهل الحنيفية ممن لم يلحق محمداً ﷺ، كزيد بن عمرو ابن نفيل[(٢)]، وقس بن ساعدة[(٣)]، وورقة بن نوفل، و(الذين هادوا) كذلك ممن لم يلحق

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٩١).

(٢) هو زيد بن عمرو بن نفيل العدويّ، والد سعيد بن زيد، أحد العشرة، قال ابن حجر: ذكره البغويّ، وابن مندة، وغيرهما في الصّحابة، وفيه نظر، لأنه مات قبل البعثة بخمس سنين الإصابة (٢/ ٥٠٧)، وذكر ابن هشام في السيرة (١/ ٢٢٤) بعض خبره، فانظره.

(٣) قس بن ساعدة الإيادي أحد حكماء العرب في الجاهلية، وقد رآه سيد البشر ﷺ بعكاظ وسمع خطبته، وكان حكيماً خطيباً عاقلاً حليماً له نباهة وفضل. وقد ذكره جماعة من الشعراء في أشعارهم بالحلم والخطابة وضربوا الأمثال به. معجم الشعراء (ص: ٣٣٨).

محمداً ﷺ، إلا من كفر بعيسى عليه السلام، و(النصارى) كذلك ممن لم يلحق محمداً ﷺ، و(الصابئين) كذلك، قال: إنها نزلت في أصحاب سلمان الفارسي، وذكر له الطبري قصة طويلة(١)، وحكاها ـ أيضاً ـ ابن إسحاق، مقتضاها أَنَّه صحب عُبَّاداً من النصارى فقال له [آخرهم](٢): إنَّ زمان نبي قد أظل، فإن لحقته فآمن به، ورأى منهم عبادة عظيمة، فلما جاء إلى النَّبيِّ ﷺ وأسلم ذكر له خبرهم، وسأله عنهم، فنزلت هذه الآية(٣).

وروي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في أول الإسلام، وقرر الله بها أن من آمن بمحمد ﷺ ومن بقي على يهوديته ونصرانيته [وصابئيته](٤) وهو يؤمن بالله واليوم الآخر فله أجره، ثم نسخ ما قرر من ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ورُدَّت الشرائع كلها إلى شريعة محمد ﷺ.

و(الذين هادوا) هم اليهود، وسموا بذلك لقولهم: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، أي: تُبنا، فاسمهم على هذا من هاد يهود، وقال الشاعر:

[السريع] إنِّي امرؤٌ مِنْ مدْحتي هائِدُ(٥) ....

أي: تائب.

وقيل: نسبوا إلى يهوذا بن يعقوب، فلما عُرب الاسم لحقه التغيير كما تغير العرب في بعض ما عربت من لغة غيرها.

---

(١) من قول السدي، كما في تفسير الطبري (٢/ ١٥٠)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٢٧).
(٢) في النسخة الحمزوية، وجار الله: «أحدهم».
(٣) رجاله ثقات بغير إيراد نزول الآية: أخرج قصة إسلام سلمان بدون ذكر نزول هذه الآية: أحمد في المسند (٥/ ٤٤١)، والطبراني في الكبير (٦/ ٢٢٣)، والبزار في المسند (٦/ ٤٦٢)، وابن حبان في الثقات (١/ ٢٤٩) وغيرهم من طريق: ابن إسحاق أنه سمع عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود ابن لبيد عن عبد الله بن عباس قال: حدثني سلمان الفارسي، وهذا إسناد رجاله ثقات.
(٤) سقطت من السليمانية.
(٥) أنشده أبو عبيدة، كما في تفسير الثعلبي (١/ ٢٠٨)، وعزاه الأنباري في الزاهر (٢/ ١٧٦)، والجوهري في الصحاح (٢/ ٥٥٧)، لبعض الأعراب بلفظ: «مدحه» بدل: «مدحتي»، وهي نسخة المطبوع.

وحكى الزهراوي أنَّ التهويد: النطق في سكون ووقار ولين، وأنشد:

وَخُودٌ مِنَ اللائي تَسمَّعْنَ بالضُّحىٰ قَرِيضَ الرُّدَافىٰ بالغناءِ المهوَّد[1] [الطويل]

قال: «ومن هذا سميت اليهود»[2].

وقرأ أبو السمال: (هَادَوا) بفتح الدال[3].

و(النصارى) لفظةٌ مشتقّةٌ من النصر، إمَّا لأن قريتهم تسمى ناصرة، ويقال:

نصريا، ويقال: نصرتا، وإمَّا لأنهم / تناصروا، وإمَّا لقول عيسى عليه السلام: ﴿مَنْ [٦٣]

أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢].

قال سيبويه: واحدهم نصرانٌ ونصرانةٌ[4] كندمانٍ وندمانةٍ [وندامى][5][6]، وأنشد:

فكلْتاهما خرَّت وأسْجَدَ رأْسُهَا كما سجدتْ نَصْرانةٌ لم تَحَنَّفِ[7] [الطويل]

وأنشد الطبري:

يَظَلُّ إذَا دَارَ العِشَا مُتَحَنِّفاً وَيُضْحِي لَدَيْهِ وَهْوَ نَصْرانُ شَامِسُ[8] [الطويل]

---

(١) البيت للراعي النميري، كما في غريب الحديث للقاسم بن سلام (٤/ ٢٨٦)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٦٨)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٥٠٤)، «وخود»: الواو فيه أصلية ـ وليست للعطف ـ من «وخد» إذا أسرع، والقريض: الشعر، والرُّدافى: الحداة والأعوان؛ لأنه إذا أعيا أحدهم خَلَفه الآخر، ويقال: هوَّد الرجل إذ سكن، وهوَّد: إذا غنَّى وأطرب، ويقال: غناء مهوّد.

(٢) لم أجد من نقله عنه غير المؤلف.

(٣) مختصر الشواذ (ص: ١٤)، والمحتسب لابن جني (١/ ٩١)، وهي قراءة شاذة.

(٤) سقطت من فيض الله.

(٥) سقطت من فيض الله وجار الله والسليمانية.

(٦) الكتاب لسيبويه (٣/ ٢٥٥).

(٧) البيت لأبي الأخزر الحِمَّاني كما في الكتاب (٣/ ٤١١)، والإنصاف في مسائل الخلاف (٢/ ٤٤٥)، وهو يصف ناقتين طأطأتا رأسيهما من الإعياء، فشبه رأس الناقة برأس النصرانية إذا طأطأته في صلاتها، ويقال: سجد الرجل وأسجد، كما يقال: سجد البعير وأسجد، إذا طأطأ رأسه.

(٨) تفسير الطبري (٢/ ١٤٣) بلا نسبة، وكذا في الأضداد لابن الأنباري (ص: ١٥٥)، وجمهرة اللغة =

قال سيبويه[١]: إلا أنه لا يستعمل في الكلام إلّا بياء نسب، وقال الخليل: واحد النَّصارى نصريّ كمَهْريٍّ ومهارى[٢].

والصابئ في اللغة: من خرج من دين إلى دين، ولهذا كانت العرب[٣] تقول لمن أسلم: قد صبأ، وقيل: إنما سمتهم بذلك لمَّا أنكروا الآلهة تشبيهاً بالصابئين في الموصل الذين لم يكن لهم بر إلا قولهم: لا إله إلا الله.

وطائفة همزته وجعلته من صبأت النجوم: إذا طلعت، وصبأت ثَنية الغلام: إذا خرجت.

قال أبو علي: يقال: صبأت على القوم بمعنى: طرأت، فالصابئ: التارك لدينه الذي شرع له إلى دين غيره، كما أن الصابئ على القوم تارك لأرضه ومنتقل إلى سواها[٤].

وبالهمز قرأ القراء غير نافع فإنه لم يهمزه[٥]، ومن لم يهمز جعله من صبا يصبو: إذا مال، أو يجعله على قلب الهمزة ياء، وسيبويه لا يجيزه إلا في الشعر[٦].

وأمَّا المشار إليهم في قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾: فقال السُّدي: هم فرقة من أهل الكتاب، وقال مجاهد: هم قوم لا دين لهم، ليسوا بيهود ولا نصارى، وقال ابن أبي نجيح[٧]: هم قوم تركَّب دينهم بين اليهودية والمجوسية، لا تؤكل ذبائحهم، وقال ابن

= لابن دريد (ص: ٨٣٣)، وهو في صفة الحرباء، و«محنفا»: قد تحنف، أو صار إلى الحنيفية، يعني أنه مستقبل القبلة، وقوله: «لديه» أي: لدى العشي، وقوله: «شامس» يريد: مستقبِل الشمس قبل المشرق.

(١) سقطت كلمة: «سيبويه» من أحمد٣.

(٢) الكتاب لسيبويه (٣/ ٤١١).

(٣) وفي نسخة: «قريش»، أشار لها في هامش السليمانية، والأصل، والمطبوع.

(٤) الحجة (٢/ ٩٤).

(٥) وافقه أبو جعفر من العشرة: التيسير في القراءات السبع (ص٧٤)، والنشر (١/ ٤٥٠)، وكلاهما قراءة متواترة.

(٦) الحجة للفارسي (٢/ ٩٥).

(٧) هو عبد الله بن أبي نجيح يسار مولى الأخنس بن شريق الثقفي، أبو يسار المكي، روى عن مجاهد وطاوس وعطاء وغيرهم، وعنه شعبة وآخرون، وثقه ابن معين وغيره، وكان جميلاً فصيحاً، وقال يعقوب ابن شيبة: هو ثقة قدري، توفي سنة (١٣١هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٤٦٩).

زيد: هم قوم يقولون: لا إله إلا الله، وليس لهم عمل ولا كتاب، كانوا بجزيرة الموصل.

وقال الحسن بن أبي الحسن وقتادة: هم قوم يعبدون الملائكة ويصلُّون إلى القبلة ويصلون الخمس، ويقرؤون الزبور، رآهم زياد بن أبي سفيان، فأراد وضع الجزية عنهم حتى عرف أنهم يعبدون الملائكة[1].

و﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ في موضع نصب بدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾، والفاء في قوله: ﴿فَلَهُمْ﴾ داخلةٌ بسبب الإبهام الذي في ﴿مَنْ﴾.

﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ابتداء وخبر في موضع خبر ﴿إِنَّ﴾، ويحتمل ويَحسُنُ أن تكون ﴿مَنْ﴾ في موضع رفع بالابتداء، ومعناها الشرط، والفاء في قوله: ﴿فَلَهُمْ﴾ موطئة أن تكون الجملة جوابها، و(لهم أجرهم) خبر ﴿مَنْ﴾، والجملة كلها خبر ﴿إِنَّ﴾، والعائد على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ محذوف لا بدَّ من تقديره، وتقديره: من آمن منهم بالله.

وفي الإيمان باليوم الآخر اندرج الإيمان بالرسل والكتب، ومنه [ينفهم][2]؛ لأنَّ البعث لم يعلم إلا بإخبار رسل الله عنه تبارك وتعالى.

وجمع الضمير في قوله تعالى: (لهم أجرهم) بعد أن وحد في ﴿ءَامَنَ﴾؛ لأن ﴿مَنْ﴾ تقع على الواحد والتثنية والجمع، فجائز أن يخرج ما بعدها مفرداً على لفظها، أو مثنى أو مجموعاً على معناها، كما قال عز وجل: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٢] فجمع على المعنى، وكقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ﴾، ثم قال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [النساء: ١٣] فجمع على المعنى.

وقال الفرزدق:

تعَشّ فإنْ عاهَدْتَني لا تخُونُني نَكُنْ مثْل مَنْ ياذيبُ يصطَحِبانِ[3] [الطويل]

---

(١) انظر في هذه الأقوال كلها في تفسير الطبري (١/ ٣١٩).

(٢) في النسخة الحمزوية: «يفهم».

(٣) نُسب له في معاني القرآن (٣/ ٥٦)، ومجاز القرآن (٢/ ٤١)، والأغاني (١٠/ ٣١٠)، وتفسير =

فثنى على المعنى، [وإذا جرى ما بعد ﴿مَنْ﴾على اللفظ فجائز أن يخالف به بعدُ على المعنى، وإذا جرى ما بعدها على المعنى][(١)] فلم يستعمل أن يخالف به بعد على اللفظ؛ لأنَّ الإلباس يدخل في الكلام.

وقرأ الحسن: (ولا خَوْفَ)، نصب على التبرئة[(٢)]، وأمَّا الرفع فعلى الابتداء، وقد تقدَّم القول في مثل هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾، (إذ) معطوفة على التي قبلها، والميثاق مفعال من وثق يثق، مثل: ميزان، من وَزَن يزن، و﴿ٱلطُّورَ﴾ اسم الجبل الذي نوجي موسى عليه، قاله ابن عباس[(٣)].

وقال مجاهد، وعكرمة، وقتادة وغيرهم: «الطُّورُ»: اسم لكلِّ جبل[(٤)].

ويستدل على ذلك بقول العجاج:

[الرجز] دَانَـىٰ جَنَاحَيْـهِ مِـنَ الطُّـورِ فَمَـرّ   تَقَضِّـيَ البَـازِي إذا البَازِي كَسَـرْ[(٥)]

وقال ابن عباس أيضاً: «الطُّورُ»: كل جبل ينبت، وكل جبل لا ينبت فليس بطور[(٦)].

وهذا كلُّه على أنَّ اللفظةَ عربيةٌ.

= الثعلبي (٨/ ٣٣)، وتفسير الطبري (٢/ ١٥٠)، والكامل في اللغة والأدب (١/ ٢٨٩)، وفي المطبوع وأحمد٣ والسليمانية وكثير من الروايات: «تعال» بدل «تعش».

(١) ساقط من فيض الله والسليمانية.

(٢) الكامل للهذلي (ص: ٤٨٣)، وقد تقدَّم تفصيل القارئين بها في تفسير الآية (٣٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ١٥٩) من طريق ابن جريج عن ابن عباس.

(٤) تفسير الطبري (٢/ ١٥٩).

(٥) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٥٧)، وتفسير الطبري (٢/ ١٥٧)، وتفسير الماوردي (١/ ١٣٤)، وتهذيب اللغة (٤/ ٤١٧)، وغيرها، يقال: تقضَّى البازي: انقض، وكسر الطائر يكسر كسوراً: ضم جناحيه حتى ينقض، يريد الوقوع.

(٦) منقطع: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ١٥٩) من طريق الضحاك، عن ابن عباس، ولم يسمع منه.

وقال أبو العالية، ومجاهد: هي سُريانية اسم لكل جبل[١].

وقَصَص هذه الآية: أن موسى عليه السلام لما جاء إلى بني إسرائيل من عند الله تعالى بالألواح فيها التوراة، قال لهم: خذوها والتزموها، فقالوا: لا إلا أن يكلّمنا الله بها كما كلمك، فصُعقوا ثم أحيوا، فقال لهم: خذوها، فقالوا: لا، فأمر الله تعالى الملائكة فاقتلعت جبلاً من جبال فلسطين، طوله فرسخ في مثله، وكذلك كان عسكرهم، فجعل عليهم مثلَ الظلة، وأخرج الله تعالى البحر من ورائهم، وأضرم ناراً بين أيديهم، فأحاط بهم غضبه، وقيل لهم: خذوها وعليكم الميثاق ألا تضيعوها، وإلا سقط عليكم الجبل، وغرَّقكم البحر، وأحرقتكم النار، فسجدوا توبة لله، وأخذوا التوراة بالميثاق.

وقال الطبريُّ ـ رحمه الله ـ عن بعض العلماء: لو أخذوها أولَ مرة لم يكن عليهم ميثاق، وكانت سجدتهم على شقٍّ، لأنهم كانوا يرقبون الجبلَ خوفاً، فلما رحمهم الله قالوا: لا سجدة أفضل من سجدة تقبلها الله ورَحِم بها، فأمرُّوا [سجودهم][٢] على شق واحد[٣].

قال القاضي أبو محمد: والذي لا يصح سواه: أنَّ الله تعالى اخترع وقت سجودهم الإيمان في قلوبهم، لأنهم آمنوا كرهاً وقلوبهم غير مطمئنة، وقد اختصرتُ ما سرد في قصص هذه الآية، وقصدت أصحَّه الذي تقتضيه ألفاظ الآية، وخلط بعض الناس صعقة هذه القصة بصعقة السبعين.

[٦٤] وقوله تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ في الكلام حذفٌ تقديره: وقلنا: خذوا / ، و﴿ءَاتَيْنَٰكُم﴾ معناه: أعطيناكم، و﴿بِقُوَّةٍ﴾: قال ابن عباس: «معناه: بجدٍّ واجتهاد»، وقيل: بكثرةِ دَرْسٍ، وقال ابن زيد: معناه: بتصديقٍ وتحقيق[٤]، وقال الربيع: معناه: بطاعة الله[٥].

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ١٥٨).

(٢) في النسخة الحمزوية: «بسجودهم».

(٣) تفسير الطبري (٢/ ١٥٦) عن ابن زيد.

(٤) انظرهما في تفسير الطبري (٢/ ١٦١).

(٥) تفسير الطبري ـ ط:دار هجر ـ (٢/ ٥٢)، وقد سقط هذا الأثر من طبعة شاكر.

و(اذكروا ما فيه) أي: تدبَّروه واحفظوا أوامره ووعيده، ولا تنسوه وتضيعوه، والضمير عائدٌ على ﴿مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم﴾ ويعني التوراة، وتقدير صلة ﴿مَا﴾: واذكروا ما استقرَّ فيه، و﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ ترجٍّ في حقِّ البشر.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ الآية؛ تولَّى تفعَّل، وأصله: الإعراض والإدبار عن الشيء بالجسم، ثم استعمل في الإعراض عن الأمور والأديان والمعتقدات اتساعاً ومجازاً.

و﴿فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾ رفع بالابتداء، والخبر مضمر عند سيبويه لا يجوز إظهاره؛ للاستغناء عنه، تقديره: فلولا فضل الله عليكم تَدارَككم، و(رحمته) عطف على ﴿فَضۡلُ﴾.

قال قتادة: فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن(١)، وهذا على أن المخاطب بقوله: ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ لفظاً ومعنًى مَن كان في مدة محمد ﷺ، والجمهور على أن المراد بالمعنى من سلف.

و﴿لَكُنتُم﴾ جواب ﴿لَوۡلَا﴾، و﴿مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ خبر «كَانَ»، «الخسران»: النقصان.

وتوليهم من بعد ذلك: إمَّا بالمعاصي، فكان فضل الله بالتوبة والإمهال إليها، وإمَّا أن يكون توليهم بالكفر، فكان فضل الله بأن لم يعاجلهم بالإهلاك ليكون من ذريتهم من يؤمن، أو يكون المراد من لحق محمَّداً ﷺ، وقد قال ذلك قومٌ، وعليه يتجه قول قتادة: إنَّ الفضل الإسلام، والرحمة القرآن، ويتجه ـ أيضاً ـ أن يراد بالفضل والرحمة إدراكهم مدة محمد ﷺ.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ١٦٦)، (١٥/ ١٠٧)، عنه، وعن أبي العالية والربيع وابن عباس.

﴿عَلِمۡتُمُ﴾ معناه: عرفتم، كما تقول: علمت زيداً، بمعنى: عرفته، فلا يتعدى العلم إلا إلى مفعول واحد، و﴿ٱعۡتَدَوۡاْ﴾ معناه: تجاوزوا الحدَّ، مصرف من الاعتداء، و﴿فِي ٱلسَّبۡتِ﴾ معناه: في يوم السبت، ويحتمل أن يريد: في حكم السبت.

و﴿ٱلسَّبۡتِ﴾ مأخوذ إمَّا: من السبوت الَّذي هو الراحة والدعة، وإمَّا من السبت وهو: القطع؛ لأن الأشياء فيه سبتت وتمت خلقتها.

وقصة اعتدائهم فيه: أنَّ الله عزَّ وجلَّ أمر موسى عليه السلام بيوم الجمعة، وعرَّفه فضله، كما أمر به سائر الأنبياء، فذكر موسى ذلك لبني إسرائيل عن الله تعالى وأمرهم بالتشرع فيه، فأبوا وتعدَّوه إلى يوم السبت، فأوحى الله إلى موسى: أن دعهم وما اختاروا من ذلك، وامتحنَهم فيه بأن أمرهم بترك العمل وحرم عليهم صيد الحيتان، وشدد عليهم المحنة بأن كانت الحيتان تأتي يوم السبت حتى تخرج إلى الأفنية، قاله الحسن بن أبي الحسن[1]، وقيل: حتى تخرج خراطيمها من الماء، وذلك إمَّا بالإلهام من الله تعالى، أو بأمرٍ لا يعلَّل، وإما بأن فهَّمها معنى الأمنة التي في اليوم مع تكراره حتى فهمت ذلك، ألا ترى أنَّ الله تعالى قد ألهم الدواب معنى الخوف الذي في يوم الجمعة من أمر القيامة، يقضي بذلك قول النبي ﷺ: «ومَا مِنْ دَابَّةٍ إلَّا وهِيَ مُصِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمْعَةِ فَرَقاً مِنَ السَّاعَةِ»[2]، وحمام مكة قد فهم الأمنة، أما إنها متصلةٌ فقرُب فهمُها.

وكان أمر بني إسرائيل بأَيْلَةَ على البحر، فإذا ذهب السبت ذهبت الحيتان فلم

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٩٩)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٩٩) بقريب منه.

(٢) إسناده مستقيم، وأصله في الصحيحين من غير هذا القدر: أخرجه مالك (٢٤١)، وأبو داود (١٠٤٦)، والنسائي في الكبرى (٢/ ٢٩٣)، وابن حبَّان (٧/ ٧)، والحاكم (١/ ٤١٣) وغيرهم من طريق يزيد بن عبد الله بن الهاد عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة مرفوعاً، قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه إنما اتفقا على أحرف من أوله في حديث الأعرج عن أبي هريرة: خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، والإسناد مستقيم، إلا أنَّ محمد بن إبراهيم التيمي له أفراد ومناكير.

تظهر إلى السبت الآخر، فبقوا على ذلك زماناً حتى اشتهوا الحوت، فعمد رجل يوم السبت فربط حوتاً بخَزَمة[(١)]، وضرب له وتداً بالساحل، فلما ذهب السبت جاء وأخذه، فسمع قوم بفعله فصنعوا مثل ما صنع.

وقيل: بل حفر رجل في غير السبت حفيراً يخرج إليه البحر، فإذا كان يوم السبت خرج الحوت وحصل في الحفير، فإذا جزر البحر ذهب الماء من طريق الحفير وبقي الحوت، فجاء بعد السبت فأخذه، ففعل قوم مثل فعله، وكثر ذلك حتى صادوه يوم السبت علانية، وباعوه في الأسواق، فكان هذا من أعظم الاعتداء، وكانت من بني إسرائيل فرقة نهت عن ذلك فنجت من العقوبة، وكانت منهم فرقةٌ لم تعص ولم تنه، فقيل: نجت مع الناهين، وقيل: هلكت مع العاصين.

و﴿كُونُواْ﴾ لفظة أمر، وهو أمر التكوين، كقوله تعالى لكل شيء: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، ولم يؤمروا في المصير إلى حال المسخ بشيء يفعلونه، ولا لهم فيه تكسُّبٌ.

و﴿خَٰسِـِٔينَ﴾ معناه: مبعدين أذلاء صاغرين، كما يقال للكلب وللمطرود: اخسأ، تقول: [خسأته][(٢)] فخسأ، وموضعه من الإعراب النصب على الحال، أو على خبرٍ بعد خبر.

وروي في قصصهم: أن الله تعالى مسخ العاصين قِرَدَةً بالليل، فأصبح الناجون إلى مساجدهم ومجتمعاتهم، فلم يروا أحداً من الهالكين، فقالوا: إن للناس لشأناً، ففتحوا عليهم الأبواب كما كانت مغلقة بالليل، فوجدوهم قِرَدَةً يعرفون الرجل والمرأة، وقيل: إن الناجين كانوا قد قسموا بينهم وبين العاصين القرية بجدار، تبرِّياً منهم، فأصبحوا ولم تفتح مدينة الهالكين، فتسوروا عليهم الجدار فإذا هم قردة يثب بعضهم على بعض.

---

(١) شجرة يُتخذ من لحائها الحبال. النهاية (خزم).

(٢) في النسخة الحمزوية: أخسأته.

وروي عن النبيّ ﷺ وثبت عنه «أن المسوخ لا تنسُل ولا تأكل ولا تشرب ولا تعيش أكثر من ثلاثة أيام»(١).

[٦٥] ووقع في كتاب مسلم عنه عليه السلام «أنَّ أُمَّةً مِنَ الأمَمِ / فُقِدَتْ، وَأُرَاهَا الْفَأْرَ»(٢).

وظاهر هذا أن المسوخ تَنسُل، فإن كان أراد هذا فهو ظنٌّ منه عليه السلام في أمر لا مدخل له في التبليغ، ثم أوحي إليه بعد ذلك أن المسوخ لا تنسل، ونظير ما قلناه نزوله عليه السلام على مياه بدر(٣)، وأمره باطِّراح تذكير النخل، وقد قال ﷺ: «إذَا أَخْبَرْتُكُم بِرَأْيٍ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا فإنَّمَا أَنَا بَشَرٌ»(٤)، وروي عن مجاهد في تفسير هذه الآية أنه إنما مسخت قلوبهم فقط وردّت أفهامهم كأفهام القردة(٥)، والأول أقوى.

والضمير في: (جعلناها): يحتمل العود على المسخة والعقوبة، ويحتمل على الأمة التي مسخت، ويحتمل على القردة، ويحتمل على القرية؛ إذ معنى الكلام يقتضيها، وقيل: يعود على الحيتان، وفي هذا القول بعدٌ.

---

(١) لم أقف عليه بهذا السياق: لكن أخرج مسلم (٢٦٦٣) من حديث أم حبيبة زوج النبي ﷺ مرفوعاً: «إن الله لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقباً».

(٢) متفق عليه: هذا الحديث أخرجه البخاري (٣٣٠٥)، ومسلم (٢٩٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «فقدت أمَّةٌ من بني إسرائيل لا يدرى ما فعلت، ولا أراها إلا الفأر».

(٣) إشارة إلى قول الحباب بن المنذر يوم بدر: يا رسول الله! هذا المنزل؛ أمنزلًا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة»، في قصة طويلة أخرجها البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٤) وهي مرسلة، عن ابن إسحاق، وروى أبو داود في المراسيل (٢٩٦) عن محمد بن عبيد عن حماد عن يحيى بن سعيد نحواً منها.

(٤) صحيح بنحوه: هذا الحديث أخرجه مسلم (٢٣٦٢) من حديث رافع بن خديج بلفظ: «إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أن بشر» قال عكرمة: أو نحو هذا، وفيه ذكر تأبير النخل المشار له، ثم أخرجه من حديث أنس (٢٣٦٣) بلفظ: «أنتم أعلم بأمر دنياكم».

(٥) تفسير الطبري (٢/ ١٧٣) وردَّ هذا التأويل بقوة.

و«النَّكال»: الزجر بالعقاب، والنِّكل والأنكال: قيود الحديد، فالنكال عقاب يُنْكَلُ بسببه غيرُ المعاقَب عن أن يفعل [مثلَ][(١)] ذلك الفعل.

قال السُّدي: «ما بين يدي المسخة»: ما قبلها من ذنوب القوم، و(ما خلفها): لمن يذنب بعدها مثل تلك الذنوب[(٢)]، وهذا قولٌ جيدٌ، وقال غيره: (مَا بَيْنَ يديها)؛ أي: من حضرها من الناجين، و(ما خلفها)؛ أي: لمن يجيء بعدها[(٣)].

وقال ابن عباس: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾؛ أي: من بعدهم من الناس ليحذر ويتقي، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾: لمن بقي منهم عبرة[(٤)].

قال القاضي أبو محمد: وما أُراه يصح عن ابن عباس رضي الله عنه؛ لأنَّ دلالةَ ما بين اليد ليست كما في القول، وقال ابن عباس أيضاً: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾؛ أي: من القرى[(٥)]، فهذا ترتيبُ أجرامٍ لا ترتيبٌ في الزمان.

و(موعظة) مفعلة من الاتعاظ والازدجار، و﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ معناه: للذين نَهَوا ونجوا، وقالت فرقة: معناه: لأمة محمد ﷺ، واللفظ يعم كلَّ متقٍ من كلِّ أمةٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ الآية: (إذ) عطف على ما تقدَّم، والمراد تذكيرهم بنقض سلفهم للميثاق.

وقرأ أبو عمرو: ﴿يَأْمُرْكُمْ﴾ بإسكان الراء، وروي عنه اختلاس الحركة[(٦)]، وقد تقدّم القولُ في مثله في ﴿بَارِئِكُمْ﴾.

---

(١) زيادة من المطبوع.

(٢) تفسير الطبري (٢/ ١٧٨).

(٣) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٩٦).

(٤) منقطع: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ١٧٧) من طريق الضحاك، عن ابن عباس ولم يسمع منه.

(٥) ضعيف: هذ الأثر أخرجه الطبري (٢/ ١٧٨) من طريق: ابن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة مولى ابن عباس قال: قال ابن عباس. ابن إسحاق مدلس وقد عنعنه، وداود هذا قد ضُعف في عكرمة.

(٦) التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٣)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص١٥٥).

وسبب هذه الآية على ما روي: أنَّ رجلاً من بني إسرائيل أسنّ وكان له مالٌ، فاستبطَأ ابنُ أخيه موتَه، وقيل: أخوه، وقيل: ابنا عمِّه، وقيل: ورثة كثير غير معيَّنين، فقتله ليرثه وألقاه في سبط آخر غير سبطه ليأخذ ديته ويلطخهم بدمه، وقيل: كانت بنو إسرائيل في قريتين متجاورتين، فألقاه إلى باب إحدى المدينتين، وهي التي لم يُقتل فيها، ثم جعل يطلبه هو وسبطه حتى وجده قتيلاً، فتعلق بالسبط أو بسكان المدينة التي وجد القتيل عندها، فأنكروا قتله، فوقع بين بني إسرائيل في ذلك لحاء حتَّى دخلوا في السلاح.

فقال أهل النُّهى منهم: أنقتتل ورسول الله معنا؟ فذهبوا إلى موسى عليه السلام فقصُّوا عليه القصة، وسألوه البيان، فأوحى الله إليه أن يذبحوا بقرة فيُضربَ القتيل ببعضها، فيحيى ويخبر بقاتله، فقال لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾، فكان جوابهم أن قالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾[(١)].

قرأ الجحدري: (أيتخذنا) بالياء[(٢)]، على معنى: أيتخذنا الله، وقرأ حمزة: ﴿هُزْؤاً﴾ بإسكان الزاي والهمز[(٣)]، وهي لغةٌ، وقرأ عاصم بضم الزاي والهاء والهمز، وقرأ أيضاً دون همز: ﴿هُزُوًا﴾، حكاه أبو علي[(٤)]، وقرأت طائفة من القراء بضم الهاء والزاي والهمزة بين بين[(٥)]، وروي عن أبي جعفر وشيبة[(٦)] ضم الهاء وتشديد الزاي: (هزّاً)[(٧)].

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ١٨٣-١٨٨) عن عبيدة وأبي العالية.

(٢) مختصر الشواذ (ص: ١٤)، وعزاها الثعلبي (١/ ٢١٤) لابن محيصن، وهي قراءة شاذة.

(٣) أي: وبالهمز محققاً في حالة الوصل، فإذا وقف أبدل الهمزة واواً إتباعاً للخط، كما في التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٤).

(٤) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ١٠١)، والثانية رواية حفص، انظر: التيسير (ص: ٧٤).

(٥) أي: التسهيل، ولم أقف عليه، وضعفه في غيث النفع (ص: ٣٨٧) في وقف حمزة، والمراد بالتخفيف في جامع البيان للداني (٢/ ٨٦٧) في بعض روايات نافع وعاصم سكون الزاي، وبالتثقيل ضمها، لا تسهيل الهمز أو تحقيقها، والله أعلم.

(٦) شيبة بن نصاح بن سرجس، مولى أم المؤمنين أم سلمة وأحد مشيخة نافع في القراءة، أخذ القراءة عرضا عن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة وأدرك عائشة وأم سلمة، وثقه النسائي، توفي سنة (١٣٠هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ١٣١)، وفي فيض الله: «وأبي شيبة».

(٧) وهي قراءة شاذة عزاها لأبي جعفر ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٤)، وليست من طرق =

وهذا القول من بني إسرائيل ظاهره فسادُ اعتقادٍ ممن قاله، ولا يصح الإيمان ممن يقول لنبي قد ظهرت معجزاته، وقال: إن الله يأمر بكذا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾، ولو قال ذلك اليوم أحد عن بعض أقوال النبي ﷺ لوجب تكفيره.

وذهب قومٌ إلى أن ذلك منهم على جهة غلظ الطبع والجفاء والمعصية، على نحو ما قال القائل للنبي ﷺ في قسمة غنائم حنين: «إنَّ هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله»[(١)]، وكما قال له الآخر: «اعدل يا محمد»[(٢)]، وكلٌّ محتمل، والله أعلم.

وقول موسى عليه السلام: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، يحتمل معنيين:

أحدهما: الاستعاذة من الجهل في أن يخبِر عن الله تعالى مستهزئاً.

والآخر: من الجهل كما جهلوا في قولهم: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ لمن يخبرهم عن الله تعالى.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

هذا تعنتٌ منهم وقلةُ طواعية، ولو امتثلوا الأمر فاستعرضوا بقرة فذبحوها لقضوا ما أمروا به، ولكن شدَّدوا فشدَّد الله عليهم، قاله ابن عباس[(٣)]، وأبو العالية وغيرهما[(٤)].

= النشر، وعزاها له أيضاً الهذلي في الكامل (ص: ٣٧٤)، بالتشديد، وعزا لشيبة تخفيف الزاي.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٤٠٥) (٦١٠٠) (٦٢٩١) (٦٣٣٦)، ومسلم (١٠٦٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣١٣٨) (٣٦١٠) (٦١٦٣) (٦٩٣٣) ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) صحيح، أخرجه الطبري (٢/ ١٨٦) من طريق عمرو بن حماد بن طلحة عن أسباط عن السدي عن ابن عباس به. وفي (٢/ ٢٠٤) من طريق: الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢/ ١٨٩).

ولغة بني عامر: ادْعِ بكسر العين[١]، و﴿مَا﴾ استفهام رفع بالابتداء، و﴿هِىَ﴾ خبره.

ورفع ﴿فَارِضٌ﴾ على النعت للبقرة على مذهب الأخفش، أو على خبر ابتداء مضمرٍ تقديره: لا هي فارض[٢].

و«الفارض»: المُسنَّة الهرمة التي لا تلد، قاله ابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم، تقول: فرضت تفرض بفتح العين في الماضي، فروضاً، ويقال: فَرُضَتْ بضم العين، ويقال / لكلِّ ما قَدُم وطال أمده[٣]: فارض، وقال الشاعر: [٦٦]

يَا رُبَّ ذِي ضِغْنٍ عَلَيَّ فَارِضِ لَهُ قُرُوءٌ كَقُروءِ الْحَائِضِ[٤] [الرجز]

و«البكر من البقر»: التي لم تلد من الصغر[٥]، وحكى ابن قتيبة أنها التي ولدت ولداً واحداً[٦]، و«البكر من النساء»: التي لم يمسها الرجل، و«البكر من الأولاد»: الأول، ومن الحاجات: الأولى.

و«العوان» التي قد ولدت مرة بعد مرة، قاله مجاهد[٧]، وحكاه أهلُ اللغة، ومنه قول العرب: العَوَان لا [تعلَّم][٨] الخِمْرة[٩]، وحربٌ عوانٌ: قد قوتل فيها مرتين فما زاد.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٣١)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٩٧).

(٢) معاني القرآن للأخفش (١/ ١١٠)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٣٥)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٩٨).

(٣) سقطت من فيض الله، وفي أحمد٣، والسليمانية: «أمره».

(٤) استشهد به بلا نسبة تفسير الطبري (٢/ ١٩٠)، ومجالس ثعلب (ص: ٣٦٤)، والمعاني الكبير (ص: ٨٥٠، ١١٤٣)، والحيوان (٦/ ٦٦-٦٧)، والأضداد (ص: ٢٢)، وغيرهم، قال ابن قتيبة: «أي: له أوقات تهيج فيها عداوته»، وقال الجاحظ: «كأنه ذهب إلى أن حقده يخبو ثم يستعر، ثم يخبو ثم يستعر».

(٥) تفسير الطبري (٢/ ١٩٣).

(٦) أدب الكاتب (١/ ١٣٣).

(٧) تفسير الطبري (٢/ ١٩٥).

(٨) في النسخة الحمزوية: «تعرف».

(٩) قال ابن دريد في الجمهرة (١/ ٥٩٢): واختمرت المرأة وتخمرت إذا تقنعت بالخمار، ومن أمثالهم: إن العوان لا تعلم الخمرة.

ورفعت ﴿عَوَانٌ﴾ على خبر ابتداء مضمر، تقديره: هي عوان، وجمعها: عُون بسكون الواو، وسمع: عُوُن بتحريكها[١] بالضم.

و﴿بَيْنَ﴾، بابها أن تضاف إلى اثنتين، وأضيفت هنا إلى ﴿ذَٰلِكَ﴾، إذ «ذلك» يشار به إلى المجملات، فـ«ذلك» عند سيبويه نازل منزلة ما ذكر، فهي إشارةٌ إلى مفرد على بابه، وقد ذكر اثنان فجاءت أيضاً ﴿بَيْنَ﴾ على بابها.

وقوله: ﴿فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ﴾ تجديدٌ[٢] للأمر، وتأكيدٌ وتنبيهٌ على ترك التعنتِ، فما تركوه، و﴿مَا﴾ رفع بالابتداء، ﴿لَوْنُهَا﴾ خبره.

وقال ابن زيد وجمهور الناس في قوله: ﴿صَفْرَآءُ﴾: إنها كانت كلَّها صفراء[٣].

قال مكيّ رحمه الله عن بعضهم: حتى القَرْن والظِّلْف[٤].

وقال الحسن بن أبي الحسن وسعيد بن جبير: كانت صفراءَ القرن والظلف فقط، وقال الحسن أيضاً: ﴿صَفْرَآءُ﴾ معناه: سوداء[٥]، وهذا شاذٌّ لا يستعمل مجازاً إلا في الإبل، وبه فسّر قول الأعشى ميمون بن قيس:

[الخفيف]

تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ وتِلْكَ رِكَابِي ... هُنَّ صُفْرٌ أَوْلادُهَا كَالزَّبِيبِ[٦]

و«الفقوع»: نعتٌ مختصٌّ بالصفرة، كما خص أحمر بقانئ، وأسود بحالك، وأبيض بناصع، وأخضر بناضر، و﴿لَوْنُهَا﴾ فاعلٌ بـ﴿فَاقِعٌ﴾.

---

(١) سقطت من جار الله، وفيه: «بضم الواو».

(٢) في نور العثمانية: «تشديد».

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٢٠٠).

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٣٠٧).

(٥) انظرهما تفسير الطبري (٢/ ١٩٩).

(٦) نسبه له الثعلبي في تفسيره (١/ ٢١٧)، والماوردي (٢/ ٤٢٠)، وجمهرة اللغة (٢/ ٧٤٠). والركاب: الإبل التي يسار عليها، لا واحد لها من لفظها، واحدتها راحلة. والزبيب: ذاوي العنب، وأسوده أجوده، يقول: كل ما أملك من خيل ومن إبل قد ولدت لي خير ما تلد الإبل، فهو من جود الممدوح، وهو أبو الأشعث الكندي.

و﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ قال وهب بن منبِّه[١]: كانت كأن شعاع الشمس يخرج من جلدها، فمعناه: تعجب الناظرين[٢]، ولهذا قال ابن عباس وغيره: الصفرة تَسرُّ النفس، وحضَّ ابنُ عباس على لباس النعال الصفر[٣]، حكاه عنه النقاش، وحكي نهي ابن الزبير[٤] ويحيى بن أبي كثير[٥] عن لباس النعال السود؛ لأنها تُهِم[٦].

وقال أبو العالية، والسُّدي: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ معناه: في سِمَنِها ومنظرها كلِّه[٧].

وسألوه بعد هذا كله عما هي، سؤال متحيرين قد أحسوا بمقت المعصية.

و﴿ٱلْبَقَرَ﴾ جمع بقرة، وتجمع أيضاً على باقر[٨]، وبه قرأ ابنُ يَعْمَرَ وعكرمة[٩]، وتجمع على بَقير وبَيْقور، ولم يقرأ بهما فيما علمت.

---

(١) وهب بن منبه ابن كامل بن سيج الأبناوي أبو عبد الله الصنعاني العالم الحبر، روى عن: ابن عباس، وأبي هريرة، ووثقه أبو زرعة، والعجلي، والنسائي، وكان صدوقا عالما قد قرأ كتب الأولين وعرف قصص الأنبياء توفي سنة (١١٤هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٤٩٧)

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٢٠٢).

(٣) موضوع: هذا الأثر أخرج نحوه العقيلي في الضعفاء (١/ ٢٣٥)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٦٣)، والخطيب في الجامع (١/ ٣٩٢) من طريق: ابن العذراء، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: «من لبس نعلاً صفراءَ لم يزل في سرور ما دام لابسها، وذلك قول الله: ﴿صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٩/ ٣٢٥)، والعلل (٦/ ٢٢٨): قال أبي: «هذا حديث كذب موضوع».

(٤) لم أجده.

(٥) يحيى بن أبي كثير الإمام أبو نصر، أحد الأعلام، اسم أبيه صالح، وقيل: يسار، مولى الطائيين وعالم أهل اليمامة، روى عن أنس بن مالك مرسلاً وعن أبي أمامة الباهلي وطائفة، روى عنه ابنه عبد الله ومعمر والأوزاعي، توفي سنة (١٢٩هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٢٩٧).

(٦) رواه ابن المقرئ في معجمه (ص: ٤٠٣) عن أيوب بن عتبة، عن يحيى بلفظ: كان يقال: إياكم وهذه النعال السود، فإنها تورث الهم.

(٧) تفسير الطبري (٢/ ٢٠٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٤٠).

(٨) في السليمانية: «باقور».

(٩) الكرماني في الشواذ (ص: ٦٥)، وزاد ابن أبي عبلة وكردابا، وهي قراءة شاذة.

وقرأ السبعة: ﴿تَشَٰبَهَ﴾ فعل ماض، وقرأ الحسن: (تَشَّابَهُ) بشد الشين وضم الهاء، أصله: تتشابه ـ [وهي قراءة يحيى بن يَعْمَر ـ فأدغم، وقرأ أيضاً: (تَشَابَهُ) بتخفيف الشين على حذف التاء الثانية(١)](٢)، وقرأ ابن مسعود: (يَشَّابه) بالياء وإدغام التاء(٣)، وحكى المهدوي عن المعيطي(٤): (يشَّبَّه) بتشديد الشين والباء دون ألف(٥).

وحكى أبو عمرو الداني قراءة: (متشبِّه) اسم فاعل من تَشَبَّه، وحكى أيضاً: (يتشابه)(٦).

وفي استثنائهم في هذا السؤال الأخير إنابةٌ مّا وانقيادٌ، ودليلُ ندم وحرص على موافقة الأمر، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «لَوْلَا مَا اسْتَثْنَوا مَا اهْتَدَوا إِلَيْهَا أَبَداً»(٧).

والضمير في (إنّا)، هو اسم (إنَّ)، و(مهتدون) الخبر، واللام للتأكيد، والاستثناء اعتراضٌ، قدم على ذكر الاهتداء، تهمما به.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

---

(١) تفسير الثعلبي (١/ ٢١٨)، والشواذ للكرماني (ص: ٦٥) وكلها قراءات شاذةٌ.

(٢) ما بين المعكوفتين جاء في أحمد٣ قبل «وتجمع على بقير وبيقور.....».

(٣) انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص: ١٤)، وقد كتبت فيه بالتاء، وهي قراءة شاذة.

(٤) هو محمد ذو الشامة المعيطي الشامي، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، روى هارون بن موسى الأعور عن أبي نوح عنه أنه كان يقرأ: «إن الباقر يشَّابهُ علينا» بألف بين الباء والقاف وتشديد الشين ورفع الهاء. غاية النهاية (٢/ ٢٩٠).

(٥) في المطبوع: «تشبه» بالتاء، وكذلك هي في التحصيل (١/ ٢٦٠)، وقد نقلها عنه الكرماني في الشواذ (ص: ٦٥)، بالتاء، وكذا نقلها البحر المحيط (١/ ٤١٠)، وظاهر ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٤) والزمخشري في الكشاف (١/ ١٥١)، أنه قرأ: إن الباقر يشابه، وهي قراءة شاذة.

(٦) عزا الكرماني في الشواذ (ص: ٦٥) الأولى لابن مسعود، والثانية لمجاهد.

(٧) ضعيف: أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ١٤١) بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. وأورده ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٠٠) وعزاه لابن مردويه في التفسير، ثم قال: وهذا حديث غريب من هذا الوجه. وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة كما تقدم مثله عن السدي.

﴿ذَلُولٌ﴾: مذللة بالعمل والرياضة، تقول: بقرة مذللة بيِّنة الذِّل بكسر الذال، ورجل ذلول بيِّن الذّل بضم الذال، و﴿ذَلُولٌ﴾ نعت لـ﴿بَقَرَةٌ﴾، أو على إضمار [هي][١].

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي[٢]: (لا ذلولَ) بنصب اللام[٣].

و﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ معناه: بالحراثة، وهي عند قوم جملة في موضع رفع على صفة البقرة؛ أي: لا ذلول مثيرة.

وقال قوم: ﴿ تُثِيرُ﴾ فعل مستأنف، والمعنى: إيجاب الحرث، وأنها كانت تحرث ولا تسقي، ولا يجوز أن تكون هذه الجملة في موضع الحال؛ لأنها من نكرة.

و﴿تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ معناه: بالسانية أو غيرها من الآلات، و﴿ٱلْحَرْثَ﴾: ما حرث وزرع.

و﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ بناء مبالغة من السلامة.

قال ابن عباس[٤]، وقتادة، وأبو العالية: معناه: من العيوب[٥]، وقال مجاهد: معناه من الشِّيَات والألوان[٦]، وقال قوم: معناه: من العمل.

و﴿لَّا شِيَةَ﴾: أي لا خلاف في لونها هي صفراء كلها لا بياض فيها ولا حمرة ولا سواد، قاله ابن زيد وغيره[٧].

و«الموشى»: المختلط الألوان، ومنه وشي الثوب: تزيينه بالألوان، ومنه الواشي لأنه يزين كذبه بالألوان من القول، والثور الأشيه: الذي فيه بلقة، يقال: فرس أبلق،

---

(١) سقطت من جار الله.

(٢) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي مقرئ الكوفة بلا مدافعة، قرأ القرآن على: عثمان، وعلي، وابن مسعود، وسمع منهم ومن عمر، وروى عنه: إبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير، قرأ عليه عاصم، توفي سنة (٧٤هـ). تاريخ الإسلام (٥/ ٥٥٦).

(٣) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٦٠)، والكشاف (١/ ١٥١).

(٤) قاله ابن جريج عن ابن عباس، أخرجه الطبري (٢/ ٢١٤).

(٥) تفسير الطبري (٢/ ٢١٤).

(٦) المصدر السابق (٢/ ٢١٣-٢١٤).

(٧) المصدر السابق (٢/ ٢١٦).

وكبش أخرجُ، وتيس أبرق، وكلب أبقع، وثور [أشيهُ][(١)]، كل ذلك بمعنى البلقة.

وهذه الأوصاف في البقرة سببها أنهم شدَّدوا فشدَّد الله عليهم، ودين الله يسر، والتعمق في سؤال الأنبياء عليهم السلام مذموم.

وقصة وجود هذه البقرة على ما روي: أنَّ رجلاً من بني إسرائيل ولد له ابن،
[٦٧] وكانت له عجلة، فأرسلها في غيضة، وقال: اللهم إني قد استودعتك هذه العجلة/ لهذا الصبي، ومات الرجل، فلما كبر الصبيُّ قالت له أمه: إن أباك قد استودع الله عجلة لك، فاذهب فخذها، فذهب فلما رأته البقرة جاءت إليه حتى أخذ بقرنيها، وكانت مستوحشة، فجعل يقودها نحو أمه، فلقيه بنو إسرائيل، ووجدوا بقرته على الصفة التي أمروا بها.

وروت طائفةٌ: أنه كان رجل من بني إسرائيل برّاً بأبيه، فنام أبوه يوماً وتحت رأسه مفاتيح مسكنهما، فمر به بائعُ جوهرٍ فسامه فيه بستين ألفاً، فقال له ابن النائم: اصبر حتى ينتبه أبي، وأنا آخذه منك بسبعين[(٢)] ألفاً، فقال له صاحب الجوهر: أنبه أباك وأنا أعطيكه بخمسين ألفاً، فداما كذلك حتى بلَّغه مئة ألف، وانحط صاحب الجوهر إلى ثلاثين ألفاً، فقال له ابن النائم: والله لا أشتريته منك بشيء، برّاً بأبيه، فعوضه الله منه أن وجدت البقرة عنده.

وقال قوم: وجدت عند عجوز تعول يتامى كانت البقرة لهم، إلى غير ذلك من اختلاف في قصتها، هذا معناه.

فلما وجدت البقرة ساموا صاحبها، فاشتط عليهم، وكانت قيمتها على ما روي عن عكرمة ثلاثة دنانير، فأتوا به موسى عليه السلام، وقالوا: إن هذا اشتط علينا، فقال لهم: أرضوه في ملكه، فاشتروها منه بوزنها مرة، قاله عَبيدة السَّلْماني[(٣)]، وقيل: بوزنها

(١) في المطبوع: «أشيع».
(٢) في أحمد٣: «بستين».
(٣) عبيدة بن عمرو السلماني المرادي، كان أحد الفقهاء الكبار بالكوفة، أسلم زمن الفتح، ولم يلق النبيّ ﷺ، وأخذ عن علي، وكان أحد أصحاب ابن مسعود الذين يفتون ويقرئون، توفي سنة (٧٢هـ). تاريخ الإسلام (٥/ ٤٨٣).

مرتين، وقال السدي: بوزنها عشر مرار، وقال مجاهد: كانت لرجل يبرُّ أمه، وأخذت منه بملء جلدها دنانير(١).

وحكى مكي: أن هذه البقرة نزلت من السماء، ولم تكن من بقر الأرض(٢)، وحكى الطبري عن الحسن أنها كانت وحشية(٣).

و﴿ٱلْـَٔـٰنَ﴾ مبني على الفتح، ولم يتعرف بهذه الألف واللام، ألا ترى أنها لا تفارقه في الاستعمال، وإنما بني لأنه ضمن معنى حرف التعريف، ولأنه واقعٌ موقع المبهم، إذ معناه: هذا الوقت، هو عبارة عما بين الماضي والمستقبل.

وقرئ: ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ بسكون اللام وهمزة بعدها، و: (قالوا لَان) بمدة على الواو وفتح اللام دون همز، و: ﴿قالوا لان﴾ بحذف الواو في اللفظ دون همز، و: (قالوا ألآن)بقطع الألف الأولى وإن كانت ألف وصل، كما تقول: يا ألله(٤).

و﴿جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ معناه عند من جعلهم عصاة: بيَّنت لنا غاية البيان، وجئت بالحق الذي طلبناه، لا أنه كان يجيء قبل ذلك بغير حق، ومعناه عند ابن زيد ـ الذي حمل محاورتهم على الكفر ـ: الآن صدقت، وأذعنوا في هذه الحال حين بين لهم أنها [سائمة](٥)، وقيل: إنهم عيّنوها مع هذه الأوصاف، وقالوا: هذه بقرة فلان(٦).

وهذه الآية تعطي أن الذبح أصل في البقر، وإن نُحرت أجزأت(٧).

---

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (٢/ ٢٢٠) إلا أن فيه عن عبيدة: بملء جلدها دنانير، وعن مجاهد: ذهباً.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٣١٢) عن طلحة بن مصرف، بمعناه.

(٣) تفسير الطبري (٢/ ١٩٩).

(٤) القراءة الثالثة رواية ورش عن نافع، على قاعدته المطردة في النقل، والتي قبلها وجه له على الاعتداد بالعارض، والأولى قراءة الجماعة غيره، وانظر الأوجه الأربعة في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٦٠).

(٥) في النسخة الحمزوية، والمطبوع: «سليمة».

(٦) نقله عنه الطبري (٢/ ٢١٧).

(٧) انظر: الاستذكار (٤/ ٣٠١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ عبارة عن تثبطهم[١] في ذبحها، وقلة مبادرتهم إلى أمر الله تعالى، وقال محمد بن كعب القرظي: كان ذلك منهم لغلاء البقرة وكثرة ثمنها.

وقال غيره: كان ذلك خوف الفضيحة في أمر القاتل، وقيل: كان ذلك للمعهود من قلة انقيادهم وتعنتهم على الأنبياء[٢].

وقد تقدَّم قَصَص القتيل الذي يراد بقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسًا﴾، والمعنى: قلنا لهم اذكروا إذ قتلتم.

و(ادَّارَأْتُم) أصله: تدارأتم، ثم أدغمت التاء في الدال فتعذر الابتداء بمدغم، فجلبت ألف الوصل، ومعناه: تدافعتم[٣]؛ أي: دفع بعضكم قتل القتيل إلى بعض، قال الشاعر:

[الرجز] صـادفَ درْءُ السيلِ دَرءاً يَدفعُـهْ[٤] ....

وقال الآخر:

[الخفيف] مِـــدْرَأٌ يـــدْرَأُ الـخُـصُـومَ بقَوْلٍ مثْـل حدِّ الصَّمْصَامَـةِ الهُنْدُواني[٥]

---

(١) في نور العثمانية: «شطهم».

(٢) انظر قول محمد بن كعب في تفسير عبد الرزاق (١/ ٢٧٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٤٤)، ومع الأقوال الأخرى في تفسير الطبري (٢/ ٢١٩).

(٣) في أحمد٣: ترافعتم.

(٤) ورد هذا البيت في قصة مساءلة أبي بكر ودغفل الشيباني، رواها ابن حبان في السيرة (١/ ٩٣)، والعسكري في جمهرة الأمثال (٢/ ٤١٥)، وحكى صاحب الأغاني (٢/ ٢٧٨) عن أبي عدي بن عبد الجبار بن منظور بن زبان أنه قاله في مجلس جمعه مع آخرين، وبعده: يهيضه حيناً وحيناً يصرعه، وفيه روايات أخرى، والمعنى: صادف الشرُّ شراً يغلبه، يضرب لمن يجد من هو أقوى منه.

(٥) لم أقف عليه في غير المحرر، ورأيت قريباً من الشطر الأول في بيت من قصيدة أبي طالب المشهورة التي يرثي بها مسافر بن أبي عمرو: يقول فيه: مدره يدرأ الخصوم بأيد وبوجه يزينه العِرْنين، انظر: الأغاني (٩/ ٦٤)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٦٦/ ٣١٢)، والمنمق في أخبار قريش (١/ ٣٧٠)، وأنساب الأشراف للبلاذري (٩/ ٣٤٠).

والضمير في قوله: ﴿فِيهَا﴾ عائدٌ على النفس، وقيل: عائد[١] على القتلة.

وقرأ أبو حيوة، وأبو السَّوَّار الغَنَوي: (وإذ قتلتم نسمة فادَّارأتم)[٢]، وقرأت فرقة: (فتدارأتم) على الأصل[٣]، وموضع ﴿مَّا﴾ نصب بـ﴿مُخْرِجٌ﴾، والمكتوم هو أمر المقتول.

وقوله: ﴿ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ آية من الله تعالى على يدي موسى عليه السلام أنْ أمَرهم أن يضربوا ببعض البقرة القتيل فيحيى ويخبر بقاتله، فقيل: ضربوه، وقيل: ضربوا قبره، لأن ابن عباس ذكر أن أمر القتيل وقع قبل جواز البحر، وأنهم داموا في طلب البقرة أربعين سنة، وقال القرظي: لقد أمروا بطلبها وما هي في صُلب ولا رَحِم بعدُ[٤].

وقال السدي: ضُرب باللحمة التي بين الكتفين، وقال مجاهد، وقتادة، وعَبيدة السَّلماني: ضرب بالفخذ، وقيل: ضرب باللسان، وقيل: بالذنَب، وقال أبو العالية: بعظم من عظامها[٥].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الآية، الإشارة بـ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إلى الإحياء الذي تضمنه قَصَص الآية؛ إذ في الكلام حذف، تقديره: فضربوه فحيي.

وفي هذه الآية حض على العبرة، ودلالة على البعث في الآخرة. وظاهرها أنها خطاب لبني إسرائيل حينئذ، حكي لمحمد ﷺ ليعتبر به إلى يوم القيامة، وذهب

---

(١) عائد: من نور العثمانية.

(٢) هكذا في جميع النسخ: «نسمة»، وليست في شيء من كتب القراءات، ولا تكاد تصح، فهو مخالف للمصحف، وليس المذكوران من الصحابة الذين لهم روايات قبل مصحف عثمان، وفي البحر المحيط (١/ ٤١٩): «قال ابن عطية: قرأ أبو حيوة، وأبو السوار الغنوي: وإذ قتلتم نفساً فادارأتم،....، ونقل من جمع في التفسير أن أبا السوار قرأ: فادرأتم، بغير ألف قبل الراء».

(٣) عزاها في البحر المحيط (١/ ٤١٨)، وتفسير الألوسي (١/ ٢٩٣)، لأبي حيوة، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٦٥) لأبي بن كعب.

(٤) نقله أبو حيان في البحر المحيط في التفسير (١/ ٤٢٠) بلا نسبة.

(٥) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (٢/ ٢٣٠).

الطبريُّ إلى أنها خطاب لمعاصري محمد ﷺ، وأنها مقطوعة من قوله تعالى: ﴿ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَا﴾[(١)]، [وروي أن هذا القتيل لما حيي وأخبر بقاتله عاد ميتا كما كان][(٢)].

واستدل مالك ـ رحمه الله ـ بهذه النازلة على تجويز قول القتيل[(٣)]، وأن تقع معه القسامة[(٤)].

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ
[٦٨] خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ / عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ
يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿قَسَتۡ﴾ أي: صلُبت وجفَت، وهي عبارة عن خلوها من الإنابة والإذعان لآيات الله تعالى.

وقال ابن عباس: «المراد قلوب ورثة القتيل»[(٥)]؛ لأنهم حين حيي وقال: إنهم قتلوه، وعاد إلى حال موته، أنكروا قتله، وقالوا: كذب، بعد ما رأوا هذه الآية العظمى، لكن [نفذ حكم][(٦)] الله تعالى بقتلهم.

قال عَبيدة السَّلماني: ولم يرث قاتل من حينئذ[(٧)].

قال القاضي أبو محمد: وبمثله جاء شرعنا.

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٢٣٣).

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) نهاية سقط من النسخة الحمزوية، يبدأ من قوله: «بعضكم قتل القتيل».

(٤) انظر: الاستذكار (٨/ ٢٠٨).

(٥) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٢٣٤)، بإسناد مسلسل بالضعفاء، وقد سبق مراراً.

(٦) في الحمزوية: «بعد أمر»، وفي السليمانية: «بعد حكم».

(٧) تفسير عبد الرزاق (١/ ٢٧٦)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٣١١) بمعناه.

وحكى مالك رحمه الله في «الموطأ»، أن قصة أحيحة بن الجلاح في عمه هي التي كانت سبباً أن لا يرث قاتل، ثم ثبَّت ذلك الإسلامُ، كما ثبَّت كثيراً من نوازل الجاهلية[(١)].

وقال أبو العالية وقتادة وغيرهما: إنما أراد الله قلوب بني إسرائيل جميعاً في معاصيهم وما ركبوه بعد ذلك[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ﴾ الآية، الكاف في موضع رفع خبر لـ(هي)، تقديره: فهي مثل الحجارة.

﴿أَوۡ أَشَدُّ﴾ مرتفعٌ بالعطف على الكاف، أو على خبر ابتداء بتقدير تكرار (هي)، و﴿قَسۡوَةً﴾ نصب على التمييز.

والعرف في «أو» أنها للشكِّ، وذلك لا يصح في هذه الآية، واختلف في معنى ﴿أَوۡ﴾ هنا:

فقالت طائفة: هي بمعنى الواو، كما قال تعالى: ﴿ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]؛ أي: وكفوراً، وكما قال الشاعر:

نَـالَ الْخِلافَـةَ أَوْ كَانَـتْ لَـهُ قَـدَراً كَمَـا أَتَـىٰ رَبَّه مُوسَـىٰ عَلَىٰ قَـدَرِ[(٣)] [البسيط]

أي: وكانت له.

وقالت طائفة: هي بمعنى: بل، كقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧] المعنى: بل يزيدون، وقالت طائفة: معناها التخيير، أي: شبهوها بالحجارة تصيبوا، أو بأشد من الحجارة تصيبوا، وقالت فرقة: هي على بابها في الشك، معناه: عندكم أيها المخاطبون وفي نظركم، أن لو شاهدتم قسوتها لشككتم: أهي كالحجارة أو أشد من الحجارة؟[(٤)].

---

(١) موطأ مالك (٢/ ٨٦٨) من كلام عروة.

(٢) تفسير عبد الرزاق (١/ ٢٧٧)، عن قتادة، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٤٦)، عن أبي العالية.

(٣) البيت لجرير في ديوانه (١/ ٢٦٧)، ونسبه له في الأغاني (٨/ ٥١)، والجمل في النحو (١/ ٣٠٧)، والعقد الفريد (١/ ٣٢٩).

(٤) انظر أقوال الطوائف الثلاث في تفسير الطبري (٢/ ٢٣٧ - ٢٣٦).

وقالت فرقة: هي على جهة الإبهام على المخاطب، ومنه قول أبي الأسود الدؤلي:

[الوافر] أُحِبُّ مُحَمَّداً حُبّاً شَديداً وَعَبَّاساً وَحَمْزَةَ أوْ عَلِيَّا[١]

ولم يشك أبو الأسود، وإنما قصد الإبهام على السامع، وقد عورض أبو الأسود في هذا، فاحتجَّ بقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤]، وهذه الآية مفارِقة لبيت أبي الأسود، ولا يتم معنى الآية إلا بـ ﴿أَوۡ﴾[٢].

وقالت فرقة: إنما أراد الله تعالى أن فيهم مَن قلبُه كالحجر، وفيهم من قلبه أشد من الحجر، فالمعنى فهي فرقتان كالحجارة أو أشد، ومثل هذا قولك: أطعمتك الحلو أو الحامض، تريد أنه لم يخرج ما أطعمته عن هذين[٣].

وقالت فرقة: إنما أراد عزَّ وجلَّ أنها كانت كالحجارة يُترجى لها الرجوع والإنابة، كما تتفجر الأنهار ويخرج الماء من الحجارة، ثم زادت قلوبهم بعد ذلك

---

(١) عزاه له الطبري (٢/ ٢٣٥)، والسمعاني (٤/ ٣٣٢)، وصاحب الأغاني (٧/ ٢٦٩)، والمبرد في الكامل في اللغة والأدب (٣/ ١٥١)، وفي نسخة تشربتي: «والوصيا» بدل «أو عليا»، وكذلك هي رواية هؤلاء وكثيرين غيرهم.

(٢) ظاهره أن محل الشاهد في قوله: «أو عليا»، وتابعه السمينُ (١/ ٤٣٦) وابنُ عادل (٢/ ١٨٤)، والصواب أن المعارضة إنما هي في البيت الذي بعده وهو: فإن يك حبهم رشداً أصبه ولست بمخطئ إن كان غيا، كما صرح به الطبري وتابعه القرطبي (١/ ٤٦٣) وغيره، ويؤيده رواية: «والوصيا» التي أشرنا لها، وتفصيل المعارضة ما في تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٥/ ٢٠٠) أنه لما قال الأبيات كتب معاوية إلى عبيد الله بن زياد: إن عرفت أبا الأسود، وإلا فاسأل عنه، ثم أخبره أنه قد شك في دينه، فإذا قال: بماذا؟ فأخبره بقوله: فإن يك حبهم رشداً أنله، البيت.. فقال أبو الأسود:.. إنما قلت كما قال العبد الصالح: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ أفتراه شك في دينه؟! وفي الأغاني (١٢/ ٣٧٢): فقالت له بنو قشير: شككت يا أبا الأسود في صاحبك، فقال: أما سمعتم قول الله عز وجل، وذكر الآية، والله أعلم.

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٢٣٦).

قسوة بأن صارت في حدِّ مَن لا ترجى إنابته، فصارت أشد من الحجارة، فلم تَخْلُ أن كانت كالحجارة طوراً أو أشد طوراً.

وقرأ أبو حيوة: (قساوة)، والمعنى واحد[١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ﴾ الآية، معذرةٌ للحجارة وتفضيل لها على قلوبهم في معنى قلة القسوة.

وقال قتادة: عذر الله تعالى الحجارة ولم يعذر شقيّ بني آدم[٢].

وقرأ قتادة: (وإنْ) مخففة من الثقيلة، وكذلك في الثانية والثالثة[٣]، وفرَّق بينها وبين النافية لام التأكيد، في ﴿ لَمَا ﴾، و(ما) في موضع نصب اسم لـ(إنَّ)، ودخلت اللام على اسم (إنَّ) لمّا حال بينهما المجرور، ولو اتصل الاسم بـ(إنَّ) لم يصح][٤] دخول اللام لثقل اجتماع تأكيدين.

وقرأ مالك بن دينار[٥]: (ينفجر) بالنون وياء من تحتُ قبلَها وكسر الجيم[٦].

ووحِّد الضمير في ﴿مِنْهُ﴾ حملاً على لفظ (ما).

وقرأ أبي بن كعب والضحاك: (منها الأنهار)، حملاً على الحجارة[٧].

---

(١) تفسير الثعلبي (١/ ٢٢١)، والكامل للهذلي (ص: ٤٨٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٦٦)، وزادا آخرين، وهي قراءة شاذة.

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٢٤٠).

(٣) المحتسب لابن جني (١/ ٩١)، ومختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٤)، وهي قراءة شاذة.

(٤) سقط من الحمزوية.

(٥) هو مالك بن دينار الزاهد، أبو يحيى البصري أحد الأعلام. يقال: إن أباه من سبي سجستان، روى عن أنس وسعيد بن جبير والحسن وابن سيرين والقاسم بن محمد وجماعة، وعنه سعيد بن أبي عروبة وابن شوذب وهمام، توفي سنة (١٣٠هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٢١٤).

(٦) تفسير الثعلبي (١/ ٢٢١)، والشواذ للكرماني (ص: ٦٦)، وهي قراءة شاذة.

(٧) معاني القرآن للفراء (١/ ٤٩)، وتفسير الثعلبي (١/ ٢٢١)، والشواذ للكرماني (ص: ٦٦)، وهي قراءة شاذة.

و﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ جمع نهر، وهو ما كثر ماؤه [جرياً][١] من الأخاديد.

وقرأ طلحة بن مصرف: (لَمَّا) بتشديد الميم في الموضعين[٢]، وهي قراءة غير متجهة[٣].

و﴿يَشَّقَّقُ﴾ أصله: يتشقق، أدغمت التاء في الشين، وهذه عبارة عن العيون التي لم تعْظُم حتى تكون أنهاراً، أو عن الحجارة التي تشقق وإن لم يجرِ ماءٌ منسفح.

وقرأ ابن مصرف: (ينشقِقُ) بالنون[٤].

وقيل في هبوط الحجارة: تفيؤ ظلالها، وقيل: المراد: الجبل الذي جعله الله دكًّا[٥]، وقيل: إنَّ الله تعالى يخلق في بعض الأحجار خشية وحياة يهبط بها[٦] من علوٍ تواضعاً، ونظير هذه الحياة حياة الحجر المسلِّم على النبي ﷺ[٧]، وحياة الجذع الذي

---

(١) سقط من الحمزوية، وفي أحمد٣ ما صورته: «كبريا».

(٢) تابعه في عزوها له أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٤٢٦)، ونقلها الكرماني في الشواذ (ص: ٦٦) عن الضحاك، وابن خالويه في المختصر (ص: ١٤) عن الأعمش ومالك بن دينار، وفي إتحاف فضلاء البشر (ص: ١٨٢) عن المطوعي في الثلاثة بخلاف في الأخيرين.

(٣) في الحمزوية: «غير صحيحة»، ووافقه في الدر المصون (١/ ٤٣٨)، وقال أبو حيان (١/ ٤٢٦) معقبا: «هذا إذا كان يقرأ: (وإنّ) بالتشديد، أما إذا قرأ بتخفيف (إن).. وهو المظنون به..فيظهر توجيهها بعض ظهور..»، مع أن التخفيف لم ينقل إلا عن قتادة.

(٤) في السليمانية وجار الله: «ينشق»، (بقاف واحدة)، قال في البحر المحيط (١/ ٤٢٨): «وقرأ الأعمش: تشقق، بالتاء والشين المخففة على الأصل، ورأيتها معزوة لابن مصرف، وفي النسخة التي وقفت عليها من تفسير ابن عطية. ما نصه: وقرأ ابن مصرف: ينشقق، بالنون وقافين، والذي يقتضيه اللسان أن يكون بقاف واحدة مشددة، وقد يجيء الفك في شعر، فإن كان المضارع مجزوماً جاز الفك فصيحاً، وهو هنا مرفوع فلا يجوز الفك، إلا أنها قراءة شاذة فيمكن أن يكون ذلك فيها»، والذي في الشواذ للكرماني (ص: ٦٧) أن طلحة قرأ: «يشقق»، بالتخفيف، وفيه وفي تفسير الثعلبي (١/ ٢٢١) عن الأعمش: «يتشقق» على الأصل، والله أعلم.

(٥) القولان في تفسير الطبري (٢/ ٢٤١).

(٦) في الحمزوية وفيض الله وجار الله: «هبط منها».

(٧) صحيح: يشير إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٧٧) من حديث جابر بن سمرة مرفوعاً: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن».

أنّ لفقد النبيّ ﷺ[١]، وقيل: لفظة الهبوط مجازٌ؛ [لما كانت الحجارة يعتبر بخلقها ويخشع بعض منظرها[٢]، أضيف][٣] تواضع الناظر إليها، كما قالت العرب: ناقة تاجرة؛ أي: تبعث من يراها على شرائها.

وقال مجاهد: ما تردى حجر من رأس جبل، ولا تفجر نهر من حجر، ولا خرج ماء منه، إلا مِنْ خَشْيَةِ الله، نزل بذلك القرآن، وقال مثله ابن جريج، وحكى الطبري عن فرقة أن الخشية للحجارة مستعارة كما استعيرت الإرادة للجدار في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧][٤]، وكما قال زيدُ الخيل:

بجَمْعٍ تضـلُّ البُلْـقُ فـي حَجَرَاتِـهِ ... ترىٰ الأُكْـمَ فيه سُـجَّداً للْحَوَافِرِ[٥] [الطويل]

وكما قال جرير:

....والجبالُ الخُشَّعُ[٦] [الكامل]

أي: من رأى الحجر هابطاً/ تخيل فيه الخشية[٧]. [٦٩]

وهذا قولٌ ضعيفٌ؛ لأنَّ براعة معنى الآية تختلُّ به، بل القوي أن الله تعالى يخلق للحجارة قَدْراً مّا من الإدراك تقع به الخشية والحركة.

---

(١) صحيح: يشير إلى ما أخرجه البخاري (٣٥٨٥) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: «كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت».

(٢) العبارة في «تفسير القرطبي»: «لما كانت القلوب تعتبر بخلقها وتخشع بالنظر إليها»، وهي واضحة.

(٣) كذا في النسخ الخطية، وفي المطبوع: وذلك أنّ الحجارة ـ لما كانت القلوبُ تَعتبر بخلقها وتخشع ببعض مناظرها ـ أضيف .. إلخ.

(٤) الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٢/ ٢٤٠).

(٥) هو لزيد الخيل، كما تقدم قريباً في تفسير الآية (٣٣).

(٦) البيت بتمامه: لما أتَى خبرُ الزبيرِ تواضعتْ سورُ المدينةِ والجبالُ الخشعُ نسبه له سيبويه في الكتاب (١/ ٥٢)، والمبرد في الكامل في اللغة والأدب (٢/ ١٠٥)، وابن دريد في جمهرة اللغة (٢/ ٧٢٣)، وابن فارس في مقاييس اللغة (٢/ ١٤٦)، وابن سيده في المحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٦٠٧).

(٧) تفسير الطبري (٢/ ٢٤٢).

و﴿بِغَـٰفِلٍ﴾ في موضع نصب خبر (ما)؛ لأنها الحجازية، يقوي ذلك دخول الباء في الخبر، وإن كانت الباء قد تجيء شاذة مع التميمية.

وقرأ ابن كثير: ﴿يعملونَ﴾ بالياء[١]، والمخاطبة على هذا لمحمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾ الآية: الخطاب للمؤمنين من أصحاب محمد ﷺ، وذلك أن الأنصار كان لهم حرص على إسلام اليهود للحلف والجوار الذي كان بينهم، ومعنى هذا الخطاب: التقرير على أمر فيه بعدٌ، إذ قد سلفت لأسلاف هؤلاء اليهود أفاعيل سوء، وهؤلاء على ذلك السنن.

و«الفريق»: اسم جمع لا واحد له من لفظه كالحزب.

وقال مجاهد والسدي: عني بالفريق هنا الأحبار الذين حرَّفوا التوراة في صفة محمد ﷺ[٢].

وقيل: المراد كل مَن حرَّف في التوراة شيئاً، حكماً أو غيره، كفعلهم في آية الرجم ونحوها، وقال ابن إسحاق والربيع[٣]: عني السبعون الذين سمعوا مع موسى عليه السلام ثم بدلوا بعد ذلك[٤]، وفي هذا القول ضعفٌ، ومن قال: إنَّ السبعين سمعوا ما سمع موسى فقد أخطأ، وأذهب فضيلة موسى عليه السلام واختصاصه بالتكليم.

وقرأ الأعمش: (كَلِمَ الله)[٥].

---

(١) التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٤)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ١٦٠)، وجاء في السليمانية وأحمد٣: «تعملون» بالتاء، وهو خطأ.

(٢) نقله تفسير الطبري (٢/ ٢٤٦) عن مجاهد وابن أبي نجيح بلفظ: «هم العلماء منهم»، ونقل عن السدي (٢/ ٢٤٦): «هي التوراة، حرفوها».

(٣) سقط ذكر «الربيع» من فيض الله، وأحمد٣، مع أن القول منسوب له كما في الهامش التالي.

(٤) انظر قولهما بالمعنى في تفسير الطبري (٢/ ٢٤٦)، وانظر أيضاً تفسير السمعاني (١/ ٩٧)، والكشاف للزمخشري (١/ ١٨٤).

(٥) المحتسب لابن جني (١/ ٩٣)، ومختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٤)، وهي قراءة شاذة.

و«تحريف الشيء»: إمالته[١] من حال إلى حال، وذهب ابن عباس رضي الله عنه إلى أن تحريفهم وتبديلهم إنما هو بالتأويل، ولفظ التوراة باقٍ[٢].

وذهب جماعة من العلماء إلى أنهم بدلوا ألفاظاً من تلقائهم، وأن ذلك ممكن في التوراة؛ لأنهم استُحفظوها، وغير ممكن في القرآن؛ لأن الله تعالى ضَمِن حِفْظَه.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾.

المعنى: وهم أيضاً إذا لقوا يفعلون هذا، فكيف يُطمع في إيمانهم؟ ويحتمل أن يكون هذا الكلام مستأنفاً مقطوعاً من معنى الطمع[٣]، فيه كشف سرائرهم.

وورد في التفسير: أن النبي ﷺ قال: «لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْنَا قَصَبَةَ الْمَدِينَةِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»، فقال كعب بن الأشرف ووهب بن يهوذا وأشباههما: اذهبوا وتحسسوا أخبار من آمن بمحمد وقولوا لهم: آمنا، واكفروا إذا رجعتم، فنزلت هذه الآية[٤].

وقال ابن عباس: نزلت في منافقين من اليهود[٥]، وروي عنه أيضاً أنها نزلت في قوم من اليهود قالوا لبعض المؤمنين: نحن نؤمن أنه نبي مرسل[٦]، ولكن ليس إلينا، وإنما هو إليكم خاصة، فلما خلوا قال بعضهم: لِمَ تُقِرُّون بنبوته وقد كنا قبل نستفتح به؟ فهذا هو الذي فتح الله عليهم من علمه[٧].

---

(١) في الأصل: «إحالته».

(٢) لم أجده.

(٣) في الحمزوية: «الجمع».

(٤) مرسل: هذا الخبر أخرجه الطبري (٢/ ٢٥٣) من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مرسلًا.

(٥) ضعيف: أخرجه الطبري (٢/ ٢٥٠) من طريق بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس به. وهذا إسناد ضعيف.

(٦) من الحمزوية.

(٧) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٢٥٠) بإسناد فيه محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، ولا يُعرف.

وأصل ﴿ خَلَا ﴾: خَلَوَ، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فانقلبت ألفاً.

وقال أبو العالية، وقتادة: [إنَّ بعض اليهود تكلم بما في التوراة من صفة محمد ﷺ، فقال لهم كفرة الأحبار: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: عرَّفكم من صفة محمد فيحتجون عليكم إذ تقرون به ولا تؤمنون به؟.

وقال السدي][١]: إنَّ بعض اليهود حكى لبعض المسلمين ما عذِّب به أسلافهم، فقال بعض الأحبار: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ من العذاب، فيحتجون عليكم ويقولون: نحن أكرم على الله حين لم يفعل بنا [مثل][٢] هذا؟[٣].

و﴿فَتَحَ﴾ على هذا التأويل بمعنى: حكم.

وقال مجاهد: إن رسول الله ﷺ قال لبني قريظة: «يَا إِخْوَةَ الخَنَازِيرِ والْقِرَدَةِ»، فقال الأحبار لأتباعهم: ما عَرف هذا الأمرَ[٤] إلا مِن عندكم، ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾؟[٥].

وقال ابن زيد: كانوا إذا سئلوا عن شيء، قالوا: في التوراة كذا وكذا، فكرهت الأحبار ذلك، ونهوا في الخلوة عنه، ففيه نزلت الآية[٦].

والفتح في اللغة ينقسم أقساماً تجمعها بالمعنى التوسعة وإزالة الإبهام، وإلى هذا يرجع الحكم وغيره، والفتَّاح هو القاضي بلغة اليمن[٧].

و«يحاجوكم» من الحجة، وأصله من حج: إذا قصد، لأنَّ المتحاجّينِ كل واحد منهما يقصد غلبة الآخر.

---

(١) ساقط من السليمانية.

(٢) ليست في المطبوع والسليمانية.

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٢٥٣).

(٤) من أحمد٣.

(٥) مرسل: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٢٥٢).

(٦) تفسير الطبري (٢/ ٢٥٣).

(٧) تهذيب اللغة (٤/ ٢٥٩).

و﴿عِندَ رَبِّكُمۡ﴾ معناه: في الآخرة، وقيل: ﴿عِندَ﴾ بمعنى: في ربكم؛ أي: فيكونون أحق به، وقيل: المعنى: عند ذكر ربكم.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ قيل: هو من قول الأحبار للأتباع، وقيل: هو خطاب من الله للمؤمنين؛ أي: أفلا تعقلون أن بني إسرائيل لا يؤمنون وهم بهذه الأحوال.

والعقل [علوم ضرورية][1].

وقرأ الجمهور: ﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ﴾ بالياء من أسفل، وقرأ ابن محيصن: (أوَلا تعلمون) بالتاء[2] خطاباً للمؤمنين.

والذي أسرُّوه كفرهم، والذي أعلنوه قولهم: آمنا، هذا في سائر اليهود، والذي أسره الأحبار صفة محمد ﷺ والمعرفة به، والذي أعلنوه الجحد به، ولفظ الآية يعم الجميع.

و﴿أُمِّيُّونَ﴾ هنا عبارة عن جَهَلَةٍ بالتوراة.

قال أبو العالية ومجاهد وغيرهما: المعنى: ومن هؤلاء اليهود المذكورين، فالآية منبهة على عامتهم وأتباعهم، أي: إنهم ممن لا يطمع في إيمانهم لما غمرهم من الضلال[3]، وقيل: المراد هنا بالأميين: قوم ذهب كتابهم لذنوب ركبوها فبقوا أميين.

وقال عكرمة والضحاك: هم في الآية نصارى العرب[4]، وقيل عن / علي بن [٧٠]
أبي طالب رضي الله عنه: إنه قال: هم المجوس[5].

والضمير في ﴿مِنۡهُمۡ﴾ على هذه الأقوال هو للكفار أجمعين، وقول أبي العالية ومجاهد أوجه هذه الأقوال.

---

(١) في أحمد٣ وفيض الله: «علم ضروري».

(٢) إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٨٢)، ومختصر الشواذ (ص: ١٤)، وزاد قتادة، وهي قراءة شاذة.

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٢٥٧).

(٤) انظر القولين في الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٣١٩).

(٥) لم أجده.

وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة: (أمِيون) بتخفيف الميم[(١)].

والأمي في اللغة: الذي لا يكتب ولا يقرأ في كتاب، نُسب إلى الأم: إما لأنه بحال أمه من عدم الكتاب لا بحال أبيه، إذ النساء ليس مِن شُغلهن الكتاب، قاله الطبري[(٢)]، وإمَّا لأنه بحالٍ ولدته أمه فيها لم ينتقل عنها، وقيل: نُسب إلى الأُمَّة [وهي القامة والخلقة، كأنه ليس له من الآدميين إلا ذلك، وقيل: نسب إلى الأُمَّة][(٣)] [على سذاجتها][(٤)] قبل أن تعرف المعارف، فإنها لا تقرأ ولا تكتب؛ ولذلك قال النبي ﷺ في العرب: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَحْسُبُ وَلَا نَكْتُبُ»[(٥)] الحديث.

والألف واللام في ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ للعهد، ويعني به التوراة في قول أبي العالية ومجاهد[(٦)].

و«الأماني»: جمع أمنيَّة.

وقرأ أبو جعفر، وشيبة، ونافع في بعض ما روي عنه: ﴿أماني﴾ بتخفيف الياء[(٧)].

وأصل أمنية أُمْنُوْيَة على وزن أفعولة، ويجمع هذا الوزن على أفاعل، وعلى هذا يجب تخفيف الياء، ويجمع على أفاعيل، فعلى هذا يجيء أمانيي أدغمت الياء في الياء فجاء: أمانيّ.

---

(١) البحر المحيط (١/ ٤٤٤)، وعزا في الدر المصون (١/ ٤٤٥) لابن أبي عبلة: تخفيف الياء، قال: كأنه استثقل توالي تضعيفين.

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٢٥٩).

(٣) سقط من الحمزوية.

(٤) في الحمزوية: «وعلى هذا جبل».

(٥) متفق عليه: هذا الحديث أخرجه البخاري (١٩١٣)، ومسلم (١٠٨٠) من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً بلفظ: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وهَكَذَا وهَكَذَا» وعَقَدَ الْإِبْهَامَ فِي الثَّالِثَةِ «والشَّهْرُ هَكَذَا، وهَكَذَا، وهَكَذَا» يَعْنِي تَمَامَ ثَلَاثِينَ.

(٦) تفسير الطبري (٢/ ٢٦٠)، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٣٢٠).

(٧) أما قراءة أبي جعفر فمتواترة كما في النشر (٢/ ٢١٧)، وعزاها له ولشيبة والحسن والأعرج تفسير الثعلبي (١/ ٢٢٣)، وزاد في البحر المحيط (١/ ٤٤٥) ابن جماز عن نافع، وهارون عن أبي عمرو.

واختلف في معنى ﴿أَمَانِيَّ﴾:

فقالت طائفة: هي هنا من تمنَّى الرجلُ: إذا ترجى، فمعناه أن منهم من لا يكتب ولا يقرأ وإنما يقول بظنه شيئاً سمعه، فيتمنى أنه من الكتاب[١]، وقال آخرون: هي من تمنَّى: إذا تلا، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]، ومنه قول الشاعر:

تـمـنَّـى كتـابَ الله أولَ لـيْـلِـهِ ... وآخـرَهُ لاقَى حِمَامَ المَقَادِرِ[٢] [الطويل]

فمعنى الآية: أنهم لا يعلمون الكتاب إلا سماع شيء يتلى لا علم لهم بصحته.

وقال الطبري: هي من تمنى الرجل: إذا حدث بحديث مختلق كذب، وذكر أهل اللغة أن العرب تقول: تمنى الرجل: إذا كذب واختلق الحديث[٣]، ومنه قول عثمان رضي الله عنه: «ما تمنيت ولا تغنيت منذ أسلمت»[٤]، فمعنى الآية: أن منهم أميين لا يعلمون الكتاب، إلا أنهم يسمعون من الأحبار أشياء مختلقة يظنونها من الكتاب.

---

(١) أخرجه الطبري عن مجاهد، تفسير الطبري (٢/ ٢٦١).

(٢) البيت لكعب بن مالك كما في النكت والعيون (١/ ١٥٠)، تفسير القرطبي (٢/ ٦)، ونسبه الرازي في تفسيره (٢٣/ ٢٣٨) لحسان، وهو في العين (٨/ ٣٩٠)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤٣٥)، سيرة ابن هشام (١/ ٥٣٨)، بلا نسبة.

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٢٦٢).

(٤) لا يصح، أخرجه ابن ماجه (٣١١) من طريق: الصلت بن دينار عن عقبة بن صهبان قال: سمعت عثمان بن عفان. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥/ ١٩٢) من طريق: أبي يحيى الحماني ثنا عبد الأعلى ابن أبي المساور عن الشعبي عن زيد بن أرقم قال... فأخذ عثمان بيدي فانطلق أو ذهب بي حتى أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما هذه البلوى التي تصيبني ؟ فوالله ما تغنيت ولا تمنيت، والإسنادان تالفان، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ٥٣) من طريق: ابن لهيعة، قال: حدثني يزيد بن عمرو المعافري، قال: سمعت أبا ثور الفهمي يقول: قدم عبد الرحمن بن عديس البلوي... فقال أبو ثور: فدخلت على عثمان وهو محصور.. وابن لهيعة سيئ الحفظ، وأخرج أبو يعلى في مسنده (٢٠١) عن الصقر بن عبد الرحمن أبي بهز ابن بنت مالك بن مغول عن عبد الله بن إدريس، عن المختار بن فلفل، عن أنس مطولا، وهو حديث كذب موضوع، راجع لسان الميزان (٣/ ١٩٢) ترجمة الصقر هذا.

و﴿ إِنْ ﴾ نافية بمعنى: مَا، والظن هنا على بابه في الميل إلى أحد الجائزَيْنِ[١].

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

(الذين) في هذه الآية يراد بهم الأحبار والرؤساء.

قال الخليل: «الويل»: شدة الشر[٢].

وقال الأصمعي: «الويل»: القبوح، وهو مصدر لا فعل له، ويجمع على ويلات[٣]، والأحسن فيه إذا انفصل الرفع؛ لأنه يقتضي الوقوع، ويصح النصب على معنى الدعاء؛ أي: ألزمه الله ويلاً، وويل وويح وويس وويب تتقارب في المعنى، وقد فرق بينها قوم.

وروى سفيان وعطاء بن يسار: أنَّ[٤] الويل في هذه الآية: وادٍ يجري بفناء جهنم من صديد أهل النار[٥]، وروى أبو سعيد الخدري [عن النبي ﷺ][٦] أنه «واد

---

(١) في السليمانية: الجانبين.

(٢) عبارته في كتاب العين (٨/ ٣٦٦) : الويل حلول الشر، والويلة الفضيحة والبليّة.. ويجمع على الوَيْلات.

(٣) نقله عنه ابن عرفة في تفسيره (١/ ٣٤٧) بلفظ: الويل القبائح.

(٤) في الحمزوية: «وروي..... قالا: إن...».

(٥) انظر قول عطاء في تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢/ ١٥)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٥٣)، وقول سفيان في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٣٢١) مختصراً.

(٦) ساقط من السليمانية وجار الله.

في جهنم بين جبلين يهوي فيه الهاوي أربعين خريفاً»[(١)]، وقال [أبو عياض][(٢)]: إنه صهريج في جهنم[(٣)]، وروى عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه «جبل من جبال النار»[(٤)]، وحكى الزهراوي عن آخرين أنه باب من أبواب جهنم[(٥)].

و(الذين يكتبون): هم الأحبار الذين بدلوا التوراة.

وقوله تعالى: ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ بيان لجُرمهم وإثبات لمجاهرتهم الله، وفرق بين من كتب وبين من أمر، إذ المتولي للفعل [أشدُّ مواقعة ممن لم يتوله، وإن كان رأياً له، وقال ابن السراج: هو كناية عن أنه من تلقائهم دون أن ينزل عليهم وإن لم تكن حقيقة][(٦)] في كتب أيديهم[(٧)].

والذي بدلوا هو صفة النبي ﷺ ليستديموا رياستهم ومكاسبهم.

وقال ابن إسحاق: كانت صفته في التوراة أسمر ربعة، فردوه آدم طويلاً[(٨)]، وذكر السدي: أنهم كانوا يكتبون كتباً يبدلون فيها صفة النبي ﷺ، ويبيعونها من

---

(١) منكر: هذا الحديث أخرجه أحمد (٣/ ٧٥)، والترمذي (٢٥٧٦، ٣١٦٤)، وأبو يعلى (٢/ ٢٦٩) وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٥٠٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢/ ٥٥١) وغيرهم من طريق دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً به. قال الترمذي: «هذا حديث غريب». وقال ابن كثير في التفسير (١/ ٣١٢): هو بهذا الإسناد مرفوعاً منكر.
تنبيه: لفظة: «بين جبلين»، الواردة هاهنا، لم أجدها في شيء من مصادر الحديث.

(٢) في الحمزوية: «ابن عباس».

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٢٦٧).

(٤) ضعيف: هذا الحديث أخرجه الطبري (٢/ ٢٧١) بلفظ: «الويل: جبل في النار». قال الحافظ ابن كثير لما أورده في تفسيره (١/ ٣١٢) من رواية ابن جرير: «وهذا غريب جدّاً». وقال الحافظ ابن رجب في التخويف من النار (ص: ١١٧): «إسناده فيه نظر».

(٥) نقله عنه تفسير القرطبي (٢/ ٨).

(٦) ساقط من نسخة أحمد٣، وفيه بدله: «أثر».

(٧) نقله عنه تفسير القرطبي (٢/ ٩).

(٨) نقله عنه مكي في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٣٢٣).

الأعراب ويبثونها في أتباعهم، ويقولون: هي من عند الله[١].

وتناسق هذه الآية على التي قبلها يعطي أن هذا الكَتْبَ والتبديل إنما هو للأتباع الأميين الذين لا يعلمون إلا ما قرئ لهم.

و«الثمن» قيل: عرض الدنيا، وقيل: الرشا والمآكل التي كانت لهم، ووصفه بالقلة إما لفنائه وإما لكونه حراماً، وكرر الويل لتكرار الحالات التي استحقوه بها.

و﴿يَكۡسِبُونَ﴾ معناه: من المعاصي والخطايا، وقيل: من المال الذي تضمنه ذكر الثمن.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ الآية، روى ابن زيد وغيره أن سببها أن النبي ﷺ قال لليهود: «مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟» فقالوا: نحن ثم تخلفوننا أنتم، فقال لهم: «كَذَبْتُمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّا لَا نَخْلُفُكُمْ»، فنزلت هذه الآية[٢].

ويقال: إنَّ السبب أن اليهود قالت: إن الله تعالى أقسم أن يدخلهم النار أربعين
[٧١] يوماً عدد عبادتهم العجل، قاله ابن عباس[٣] / وقتادة[٤].

وقالت طائفة: قالت اليهود: إنَّ في التوراة أنَّ طول جهنم مسيرة أربعين سنة، وأنهم يقطعون في كل يوم سنة حتى يكملوها وتذهب جهنم.

وقال ابن عباس[٥] أيضاً، ومجاهد، وابن جريج: إنهم قالوا: إنَّ مدة الدنيا سبعة

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٢٧٠) بالمعنى.

(٢) مرسل، وهو صحيح بدون ذكر الآية: هذا الحديث أخرجه الطبري (٢/ ٢٧٧) من حديث عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم، عن أبيه، مرسلاً. وأخرجه البخاري (٥٧٧٧)، وأحمد (٢/ ٤٥١)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤١٣) من حديث أبي هريرة بنحوه، بدون ذكر الآية.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢/ ٢٧٤) من طريق: بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، وهو إسناد ضعيف.

(٤) تفسير الطبري (٢ / ٢٧٥).

(٥) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٢٧٧) بإسناد فيه من لا يعرف.

آلاف سنة، وإن الله تعالى يعذبهم بكل ألف سنة يوماً[١].

وَ(اتخذتم) أصله: «ائتخذتم»، وزنه: افتعلتم من الأخذ، سهلت الهمزة الثانية لامتناع جمع همزتين فجاء: «ايتخذتم»، فاضطربت الياء في التصريف فجاءت ألفاً في «ياتخذوا»، وواواً في «موتخذ» فبدلت بحرفٍ جَلْدٍ ثابت وهو التاء وأدغمت، فلما دخلت في هذه الآية ألف التقرير استغني عن ألف الوصل، ومذهب أبي علي أن «اتخذتم» من «تخذ» لا من «أخذ» وقد تقدم ذكر ذلك[٢].

وقال أهل التفسير: «العهد» من الله تعالى في هذه الآية: الميثاق والوعد، وقال ابن عباس وغيره: معناه: هل قلتم: لا إله إلا الله وآمنتم وأطعتم فتدِلون بذلك وتعلمون أنكم خارجون من النار؟[٣]، فعلى هذا التأويل الأول يجيء المعنى: هل عاهدكم الله على هذا الذي تدعون؟ وعلى التأويل الثاني يجيء: هل أسلفتم عند الله أعمالاً توجب ما تدعون؟

وقوله: ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾ اعتراضٌ أثناء الكلام.

و ﴿بَلَىٰ﴾ ردٌّ بعد النفي بمنزلة نعم بعد الإيجاب، وقال الكوفيون: أصلها بل التي هي للإضراب عن الأول، وزيدت عليها الياء ليحسن الوقف عليها وضمنت الياء معنى الإيجاب والإنعام بما يأتي بعدها.

وقال سيبويه: هي حرف مثل بل وغيره.

وهي في هذه الآية ردٌّ لقول بني إسرائيل: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ فرد الله عليهم وبيَّنَ الخلود في النار والجنة بحسب الكفر والإيمان.

---

(١) نقله عنهما في تفسير الطبري (٢/ ٢٧٨).

(٢) في تفسير الآية ٥١ من هذه السورة.

(٣) ضعيف: هذا الأثر أورده ابن عطية هاهنا بالمعني، وقد أخرجه الطبري (٢/ ٢٧٩) من طريق بشر ابن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس به، وهذا إسناد ضعيف، وقد سبق مراراً.

و ﴿مَنْ﴾ شرط في موضع رفع بالابتداء، و(أولئك) ابتداء ثان، و﴿أَصْحَٰبُ﴾ خبره، والجملة خبر الأول، والفاء موطئة أن تكون الجملة جواب الشرط.

وقالت طائفة: «السيئة»: الشرك، كقوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ [النمل: ٩٠][1]، و«الخطيئات»: كبائر الذنوب.

وقرأ قومٌ: ﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ بالإفراد[2].

وقال قوم: «السيئة» هنا: الكبائر، وأفردها وهي بمعنى الجمع لما كانت تدل على الجنس، كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، و«الخطيئة»: الكفر[3].

ولفظة «الإحاطة» تُقوِّي هذا القول، وهي مأخوذة من الحائط [المحدق][4] بالشيء.

وقال الربيع بن خُثَيم والأعمش والسدي وغيرهم: معنى الآية: [من][5] مات بذنوب لم يتب منها، وقال الربيع أيضاً: المعنى مات على كفره.

وقال الحسن بن أبي الحسن والسدي: المعنى: كلُّ ما تَوعَّد الله عليه بالنار فهي الخطيئة المحيطة[6]، والخلود في هذه الآية على الإطلاق والتأبيد في المشركين، ومستعار بمعنى الطول والدوام في العصاة وإن علم انقطاعه، كما يقال: ملكٌ خالدٌ، ويدْعى للمَلِك بالخلد.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٢٨١).

(٢) وهي قراءة السبعة ما عدا نافعاً. انظر: التيسير (ص: ٦١).

(٣) روى الطبري (٢/ ٢٨٦) عن ابن جريج قال، قلت لعطاء: ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾، قال: الشرك.

(٤) في الحمزوية: المحيط.

(٥) من الحمزوية.

(٦) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٢/ ٢٨٥- ٢٨٦).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية، يدل هذا التقسيم على أن قوله: ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ الآية في الكفار لا في العصاة، ويدل على ذلك أيضاً قوله: (أحاطَتْ)؛ لأنَّ العاصي مؤمن فلم تحط به خطيئته، ويدل على ذلك أيضاً أن الرد كان على كفار ادَّعوا أن النار لا تمسهم إلا أيّاماً معدودة فهم المراد بالخلود، والله أعلم.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

المعنى: واذكروا إذ أخذنا، وقال مكي رحمه الله: هذا هو الميثاق الذي أخذ عليهم حين أخرجوا من صلب آدم كالذر(١)، وهذا ضعيفٌ، وإنما هو ميثاق أخذ عليهم وهم عقلاء في حياتهم على لسان موسى عليه السلام وغيره من أنبيائهم عليهم السلام، وأخذ الميثاق قول، فالمعنى: قلنا لهم: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾.

وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: ﴿لا يَعبدُونَ﴾ بالياء من أسفل(٢)، وقرأ الباقون بالتاء من فوق، حكاية ما قيل لهم، وقرأ أُبيّ بن كعب وابن مسعود: (لا تعبدوا)، على النهي(٣).

قال سيبويه: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ متلقٍّ(٤) لقسم، والمعنى: وإذ استخلفناكم والله لا تعبدون(٥).

---

(١) لم أقف على هذا القول لمكي في تفسيره، وانظر الآية ٨ من سورة المائدة (٣/ ١٦٢٩).

(٢) التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٤)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٦٣).

(٣) انظر عزوها لابن مسعود في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٦٢)، ولأبي في تفسير الثعلبي (١/ ٢٢٨).

(٤) في المطبوع: «متعلق».

(٥) انظر كلامه على هذه الآية في الكتاب لسيبويه (٣/ ١٠٦).

وقالت طائفة: تقدير الكلام: بأن لا تعبدوا إلا الله، ثم حذفت الباء، ثم حذفت «أن» فارتفع الفعل لزوالها، فـ﴿لَا تَعۡبُدُونَ﴾ على هذا معمول لحرف النصب.

وحكي عن قطرب أن: ﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ في موضع الحال، أي: أخذنا ميثاقهم موحدين[١]، وهذا إنما يتجه على قراءة ابن كثير، ونظام الآية يدفعه مع كل قراءة.

وقال قوم: ﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ نهي في صيغة خبر[٢]، ويدلُّ على ذلك أن في قراءة أبيٍّ (لا تعبدوا).

والباء في قوله ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ﴾ قيل: هي متعلقة بالميثاق عطفاً على الباء المقدرة أولاً على قول من قال: التقدير: بأن لا تعبدوا، وقيل: تتعلق بقوله: ﴿إِحۡسَانٗا﴾، والتقدير: قلنا لهم: لا تعبدون إلا الله، وأحسنوا إحساناً بالوالدين، ويُعترض هذا القول بأن المصدر قد تقدم عليه ما هو معمول له، وقيل: تتعلق الباء بـ«أحسِنوا» المقدر، والمعنى: وأحسنوا بالوالدين إحساناً، وهذا قول حسن.

وقدم اللفظ ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ﴾ تهمُّماً فهو نحو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وفي الإحسان تدخل أنواع بر الوالدين كلها.

و(ذي القربىٰ) عطف على (الوالدين)، و﴿ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ بمعنى القرابة، وهو مصدر كالرجعى والعقبى، وهذا يتضمن الأمر بصلة الرحم.

[٧٢] / و(اليتـٰمى): جمع يتيم، كنديم وندامى، واليتم في بني آدم فَقْدُ الأب، وفي البهائم فقد الأم، وقال عليه السلام: «لَا يتمَ بَعْدَ بُلُوغٍ»[٣].

---

(١) نقله عنه الراغب الأصفهاني في التفسير (١/ ٢٤٦)، والكرماني في غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ١٥٤).

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٢٩٣).

(٣) روي من أوجه أحسنها فيه من لا يحتج به: هذا الحديث قد ورد بلفظ: «لاَ يُتْمَ بَعْدَ احْتِلامٍ» من حديث علي بن أبي طالب، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وحنظلة بن حذيم رضي الله عنهم. أما الثلاثة الأُول فأسانيدها ضعيفة، واختلف مع ذلك في حديث علي رفعاً ووقفاً، والمحفوظ =

وحكى الماوردي[١] أن اليتم يقال في بني آدم في فقد الأم[٢]، وهذا يتضمن الرأفة باليتامى وحيطة أموالهم.

و(المساكين): جمع مسكين، وهو الذي لا شيء له؛ لأنه مشتقّ من السكون، وقد قيل: إن المسكين هو الذي له بلغة من العيش، وهو على هذا مشتق من السكن، وهذا يتضمن الحض على الصدقة والمواساة وتفقُّدِ أحوال المساكين.

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، أمرٌ عطف على ما تضمنه ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وما بعده من معنى الأمر والنهي، أو على «أحسنوا» المقدر في قوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿حَسَناً﴾ بفتح الحاء والسين[٣].

= هو الموقوف على ضعفه، أمَّا حديث علي، فقد أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١٤٥٠) وأبو داود (٢٨٧٥)، والطبراني في الأوسط (٢٩٠) وابنُ عدي في «الكامل» (٢/٥٤٥)، والبيهقيُّ (٧/٤٦١)، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ٤٢٩)، والدارقطني في العلل (٤/ ١٤١- ١٤٢)، وأمَّا حديث جابر فأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (١٠٦١)، وقال: «وهذا حديث لا يصح»، وأمَّا حديث أنس، فرواه البزار في مسنده (١٢/ ٣٥٠)، وأمَّا حديث حنظلة فأخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ١٤) رقم (٣٥٠٢) من طريق: سلم بن قتيبة ثنا ذيال بن عبيد قال: سمعت جدي حنظلة به مرفوعاً، وهذا أحسنها إسناداً، ذيال هذا قال إسحاق بن منصور، عن يحيى بن معين : ثقة، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي عنه، فقال : تابعي، قلت: يحتج بحديثه؟ قال: شيخ أعرابي، وذكره ابن حبان فى كتاب «الثقات»، وأغرب الأزدي فنقل عنه الحافظ ابن حجر قوله فيه: فيه نظر، أقول: لكن في الاحتجاج بذيال هذا في حديث ليس فيه شاهد يعتبر به نظرٌ، والله تعالى أعلم.

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، أخذ الفقه عن أبي القاسم الصيمري، وكان من فقهاء الشافعية المعروفين، ومن كتبه الإقناع في المذهب والأحكام السلطانية وتفسير مشهور. توفي (٤٥٠ هـ). وفيات الأعيان (٢ / ٤٤٤).

(٢) الذي في النكت والعيون للماوردي (٢/ ٣٢١) : وأما ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ فهم من اجتمعت فيهم أربعة شروط: أحدها: موت الأب وإن كانت الأم باقية؛ لأن يتم الآدميين بموت الآباء دون الأمهات ويتم البهائم بموت الأمهات دون الآباء، والثاني: الصغر..، وفي الأحكام السلطانية للماوردي (ص: ٢٠٢): واليتم: موت الأب مع الصغر، ولم أجد من نقل عنه غير هذا إلا ابن عطية ومن نقل عنه، وفي المحكم (٩/ ٥٢٩): اليتم في الناس من قبل الأب، وفي البهائم من قبل الأم، ولا يقال لمن فقد الأم من الناس: يتيم، ولكن منقطع.

(٣) التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٤)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٦٣).

قال الأخفش: هما بمعنًى واحد كالبُخْل والبَخَل.

قال الزجاج، وغيره: بل المعنى في القراءتين: وقولوا قولاً حسَناً بفتح السين، أو: قولاً ذا حُسنٍ بضم الحاء[١].

وقرأ قوم: (حُسنَى)[٢] [مثل فعلى][٣]، ورده سيبويه[٤]؛ لأن أفعل وفعلى لا تجيء إلا معرَّفة إلا أن يزال عنها معنى التفضيل وتبقى مصدراً كالعقبى، فذلك جائزٌ، وهو وجه القراءة بها[٥].

وقرأ عيسى بن عمر[٦] وعطاء بن أبي رباح: (حُسُنا) بضم الحاء والسين[٧].

وقال ابن عباس: معنى الكلام: قولوا لهم: لا إله إلا الله، ومروهم بها[٨]، وقال ابن جريج: قولوا لهم حسناً في الإعلام بما في كتابكم من صفة محمد ﷺ.

وقال سفيان الثوري: معناه: مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر، وقال

---

(١) انظر كلامه ونقله لكلام الأخفش في كتابه معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٦٤).

(٢) ذكرها الأخفش في معاني القرآن (١/ ١٣٤)، والطبري (٢/ ٢٩٤) بلا نسبة، وعزاها تفسير الثعلبي (١/ ٢٢٨) لأبي وطلحة بن مصرّف، وفي الكامل للهذلي (ص: ٤٨٨) أنها رواية شريح بن يونس عن علي يعني الكسائي، وهي قراءة شاذة.

(٣) ساقط من أحمد٣.

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٦٤).

(٥) علق أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٤٦٠) على كلام ابن عطية هنا بقوله: وفي كلامه ارتباك، انظر وجهه فيه.

(٦) عيسى بن عمر الهمداني الكوفي القارئ مولى بني أسد، وهو غير الثقفي قرأ على عاصم بن أبي النجود، وطلحة وقرأ عليه الكسائي وجماعة، وكان مقرئ أهل الكوفة بعد حمزة، وثقه يحيى بن معين، توفي سنة (١٥٠هـ). معرفة القراء الكبار للذهبي (ص: ٧٢).

(٧) نسبها النحاس في إعراب القرآن (١/ ٦٤)، والكرماني في الشواذ (ص: ٦٨) لعيسى بن عمر، وعزاها لهما في البحر المحيط، وفي مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٥) لعطاء بن عيسى، ولعله خطأ في الطباعة، وهي قراءة شاذة.

(٨) ضعيف: هذ الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٢٩٣) بإسناد ضعيف يتكرر.

أبو العالية: معناه: قولوا لهم الطيب من القول، وحاوروهم بأحسن ما تحبون أن تحاوروا[١] به[٢]، وهذا حضٌّ على مكارم الأخلاق.

وحكى المهدوي عن قتادة أن قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ منسوخٌ بآيةِ السيف[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا على أن هذه الأمة خوطبت بمثل هذا اللفظ في صدر الإسلام، وأمَّا الخبر عن بني إسرائيل وما أمروا به فلا نسخ فيه.

وقد تقدم القول في إقامة الصلاة، وزكاتُهم هي التي كانوا يضعونها وتنزل النار على ما تقبِّل ولا تنزل على ما لم يتقبَّل، ولم تكن كزكاة أمة محمد ﷺ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «الزكاة التي أمروا بها طاعة الله والإخلاص»[٤].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ الآية خطاب [لمعاصري][٥] محمد ﷺ، أسند إليهم تولِّي أسلافهم، إذ هم كلهم بتلك السبيل، قال نحوه ابن عباس وغيره[٦].

و﴿ثُمَّ﴾ مبنية على الفتح، ولم تجر مجرى ردَّ وشدَّ لأنها لا تتصرف.

وضمت التاء الأخيرة من ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ لأن تاء المفرد أخذت الفتح وتاء المؤنث أخذت الكسر فلم يبق للتثنية والجمع إلا الضم.

و﴿قَلِيلًا﴾ نصب على الاستثناء، قال سيبويه: المستثنى منصوب على التشبيه بالمفعول به، قال المبرد: هو مفعول حقيقة؛ لأن تقديره: استثنيت كذا[٧]، والمراد

---

(١) في نور العثمانية: «وجاوروهم.. تحاوروا».

(٢) انظر الأقوال الثلاثة في الطبري (٢/ ٢٩٦)ولفظ أبي العالية عنده: قولوا للناس معروفاً.

(٣) الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ١٠٣)،والناسخ والمنسوخ للمقري (١/ ٣٣)، والناسخ والمنسوخ لابن الجوزي (١/ ١٥).

(٤) منقطع: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٢٩٨) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٥) في الحمزوية: «لعصاة أمة»، وكتبت في أحمد٣: «لمعاصي».

(٦) هذا القول حكاه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٢٩٩)، دون ذكر لسند، ومن غير عزو لقائله.

(٧) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٦٤).

بالقليل جميع مؤمنيهم: قديماً من أسلافهم، وحديثاً كابن سلام وغيره، والقلة على هذه هي في عدد الأشخاص، ويحتمل أن تكون القلة في الإيمان، أي: لم يبق حين عصوا وكفر آخرُهم بمحمد ﷺ إلا إيمان قليل، إذ لا ينفعهم، والأولُ أقوى.

وقرأ قوم: (إلا قليل) برفع القليل، ورويت عن أبي عمرو[1]، وهذا على بدل قليل من الضمير في ﴿ تَوَلَّيْتُمْ ﴾، وجاز ذلك مع أن الكلام لم يتقدم فيه نفي لأن ﴿ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ معناه النفي، كأنه قال: ثم لم تَفُوا بالميثاق إلا قليل.

و«السفك»: صب الدم وسرد الكلام.

وقرأ طلحة بن مصرِّفٍ، وشعيب بن أبي حمزة[2]: (لا تسفُكون) بضم الفاء[3].

وقرأ أبو نَهِيكٍ[4]:

(تُسفِّكون) بضم التاء وكسر الفاء وتضعيفها[5].

---

(١) عزاها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٥) لابن مسعود، وانظر: البحر المحيط في التفسير (١/ ٤٦٣)، وهي قراءة شاذة.

(٢) هو شعيب بن أبي حمزة الحمصي الأموي مولاهم الكاتب، صاحب الخط المنسوب، وأحد الأئمة الثقات. أبو بشر بن دينار، روى عن: نافع، والزهري، ومحمد بن المنكدر، وأبي الزناد، وأبي طوالة، وعنه: ابنه بشر، توفي سنة (١٦٣هـ). تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٦٠)

(٣) عزاها لطلحة الثعلبي في الكشف والبيان (١/ ٢٢٩)، والكرماني في الشواذ (ص: ٦٨)، وله ولشعيب في البحر المحيط (١/ ٤٦٥).

(٤) هو أبو نهيك الأزدي الفراهيدي البصري، صاحب القراءات، يقال: اسمه عثمان بن نهيك، روى عن أبي زيد الأنصاري، وابن عباس، وعنه: قتادة، وحسين بن واقد، وآخرون، وحدث بمرو، تاريخ الإسلام (٧/ ٣٠١)، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٦/ ١٧١)، وتهذيب الكمال (١٩/ ٥٠١)، وانظر أيضاً تهذيب التهذيب (٧/ ١٥٧)، وفي غاية النهاية (١/ ٥١٥): علباء بن أحمد أبو نهيك اليشكري الخراساني، له حروف من الشواذ تنسب إليه وقد وثقوه، وأما أبو نهيك الأسدي فهو القاسم بن محمد محدث مشهور.

(٥) عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٦٨)، وله ولأبي مجلز في البحر المحيط (١/ ٤٦٥)، وللثاني الثعلبي في تفسيره (١/ ٢٢٩).

وإعراب ﴿لَا تَسۡفِكُونَ﴾ كما تقدم في ﴿لَا تَعۡبُدُونَ﴾، و﴿دِمَآءَكُمۡ﴾ جمع دم، وهو اسم منقوص أصله دَمَيٌ، وتثنيته دميان، وقيل: أصله: دَمْي بسكون الميم، وحركت في التثنية لتدل الحركة على التغيير الذي في الواحد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمۡ﴾ معناه: ولا ينفي بعضكم بعضاً بالفتنة والبغي، ولما كانت ملّتهم واحدة وأمرهم واحداً وكانوا في الأمم كالشخص الواحد، جعل قتل بعضهم لبعض ونفي بعضهم بعضاً قتلاً لأنفسهم ونفياً لها، وكذلك حكم كل جماعة تخاطب بهذا اللف في القول، وقيل: ﴿لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ﴾ أي: لا يَقتلْ أحد فيُقتلَ قصاصاً، فكأنه سفك دم نفسه لما سبّب ذلك، ولا يُفسِدْ في الأرض فينفى فيكون قد أخرج نفسه من دياره، وهذا تأويل فيه تكلف.

وإنما كان الأمر أن الله تعالى قد أخذ على بني إسرائيل في التوراة ميثاقاً أن لا يقتل بعضهم بعضاً ولا ينفيه ولا يسترقَّه ولا يدَعه يسترقُّ إلى غير ذلك من الطاعات.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ﴾ أي: خلفاً بعد سلف أن هذا الميثاق أخذ عليكم والتزمتموه، فيتجه في هذه اللفظة أن تكون من الإقرار الذي هو ضد الجحد وتتعدى بالباء، وأن تكون من الإقرار الذي هو إبقاء الأمر على حاله؛ أي: أقررتم هذا الميثاق ملتزَماً.

وقوله: ﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾ قيل: الخطاب يراد به من سلف منهم، والمعنى: وأنتم شهود؛ أي: حضور أخذَ الميثاق والإقرار، وقيل: إن المراد من كان في مدة محمد ﷺ، والمعنى: وأنتم شهداء؛ أي: بيِّنة أن هذا الميثاق أخذ على أسلافكم فمن بعدهم منكم.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمۡ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ / وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡ [٧٣]
أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَـٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ دالة على أن المخاطبة للحاضرين لا تحتمل ردّاً إلى الأسلاف،

قيل: تقدير الكلام: يا هؤلاء، فحذف حرف النداء، ولا يحسن حذفه عند سيبويه مع المبهمات، لا تقول: هذا أَقْبِلْ، وقيل: تقديره: أعني هؤلاء، وقيل: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ بمعنى الذين، فالتقدير: ثم أنتم الذين تقتلون، فـ﴿تَقۡتُلُونَ﴾ صلة لـ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾، ونحوه قال يزيد بن مفرِّغٍ الحِمْيَري[1]:

[الطويل] عَـدَسْ مـا لِعَبَّـادٍ عَلَيْـك إمـارَةٌ نَجَـوْتِ وَهَـذَا تَحْمليـنَ طَلِيـقُ[2]

وقال الأستاذ الأجلُّ أبو الحسن بن أحمد[3] شيخنا رضي الله عنه: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ رفع بالابتداء و﴿أَنتُمۡ﴾ خبرٌ مقدّمٌ، و﴿تَقۡتُلُونَ﴾ حال بها تم المعنى، وهي كانت المقصود فهي غير مستغنًى عنها، وإنما جاءت بعد أن تم الكلام في المسند والمسند إليه، كما تقول: هذا زيد منطلقاً، وأنت قد قصدت الإخبار بانطلاقه لا الإخبار بأن هذا هو زيد.

وهذه الآية خطاب لقريظة والنضير وبني قينقاع، وذلك أن النضير وقريظة حالفت الأوس، وبني قينقاع حالفت الخزرج، فكانوا إذا وقعت الحرب بين بني قَيْلة ذهبت كل طائفة من بني إسرائيل مع أحلافها، فقتل بعضهم بعضاً، وأخرج بعضهم بعضاً من ديارهم، وكانوا مع ذلك يفدي بعضهم أسرى بعض اتِّباعاً لحكم التوراة، وهم قد خالفوها بالقتال والإخراج.

---

(١) هو يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ الحميري البصري الشاعر، حليف لقريش، كان أحد الشعراء الإسلاميين، وكان كثير الهجو للناس وله قصص مع عبيد الله بن زياد، مات في طاعون الجارف أيام مصعب. تاريخ الإسلام (٥/ ٢٦٨)، والشعر والشعراء (١/ ٣٤٨).

(٢) نسبه له تفسير الطبري (١٨/ ٢٩٢)، الإنصاف في مسائل الخلاف (٢/ ٧١٧)، والأغاني (١٨/ ٢٧٩)، وجمهرة اللغة (٢/ ٦٤٥)، والصحاح (٣/ ٩٤٧)، والبغال (ص: ٥٩)، والشعر والشعراء (١/ ٣٥٢)، وعَدَس: اسم صوت لزجر البغل.

(٣) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري، من أهل غرناطة، يعرف بابن الباذش، وهو والد مؤلف (كتاب الإقناع في القراءات)، وله اختيارات في النحو، حدث بكتاب سيبويه عن الوزير أبي بكر محمد بن هشام المُصْحَفي، وعلق عنه في النحو على كتاب «الجمل» و«الإيضاح» ومسائل من كتاب سيبويه، توفي سنة (٥٢٨هـ). البحر المحيط في التفسير (١/ ٤٦٧).

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (تُقتّلون) بضم التاء الأولى وكسر الثانية وشدّها على المبالغة[١].

والديار: مباني الإقامة، وقال الخليل: محلة القوم دارُهم[٢].

وقرأ حمزة، وعاصم، والكسائي: ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾ بتخفيف الظاء، وهذا على حذف التاء الثانية من تتظاهرون.

وقرأ بقية السبعة: ﴿تظَّاهرون﴾، بشد الظاء[٣]، على إدغام التاء في الظاء.

وقرأ أبو حيوة: (تُظاهِرون) بضم التاء وكسر الهاء[٤]، وقرأ مجاهد وقتادة: (تظَّهَّرون) بفتح التاء وشد الظاء والهاء مفتوحة دون ألف، ورويت هذه عن أبي عمرو[٥]، ومعنى ذلك على كل قراءة: تتعاونون، وهو مأخوذ من الظهر، كأن المتظاهِرَيْنِ يُسنِد كل واحد منهما ظهره إلى صاحبه، والإثم العهد الراتبة على العبد من المعاصي، والمعنى بمكتسبات الإثم.

﴿وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ تجاوز الحدود والظلم، وحَسُن لفظ الإتيان من حيث هو في مقابلة الإخراج فيظهر التضاد المقبح لفعلهم في الإخراج.

وقرأ حمزة: ﴿أسرى تَفْدوهم﴾، وقرأ نافع وعاصم والكسائي: ﴿أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ﴾، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وابن كثير: ﴿أسارى تَفْدوهم﴾[٦]، وقرأ قوم: (أسْرى تفادوهم)[٧].

---

(١) تفسير الثعلبي (١/ ٢٢٩)، وهي قراءة شاذة.

(٢) لفظه في كتاب العين (٨/ ٥٨): والدّار: كلّ موضع حَلّ به قوم فهو دارُهم.

(٣) التيسير في القراءات السبع للداني (ص: ٧٤)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٦٣).

(٤) عزاها الهذلي في الكامل (ص: ٤٨٨) لطلحة، والكرماني في الشواذ (ص: ٦٨) لابن أبي عبلة والأعمش ويزيد بن قطيف، ولأبي حيوة أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٤٦٨)، وهي قراءة شاذة.

(٥) عزاها لهما ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٥)، وعزاها لقتادة النحاس في إعراب القرآن (١/ ٦٥)، وذكر أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٤٦٨) رواية أبي عمرو.

(٦) التيسير في القراءات السبع للداني (ص: ٧٤).

(٧) عزاها للحسن البصري تفسير الثعلبي (١/ ٢٣٠)، وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (١/ ١٨٤).

وأُسارى جمع أسير، والأسير مأخوذ من الأسر وهو الشد، سمي بذلك لأنه يؤسر، أي: يشد وثاقاً، ثم كثر استعماله حتى لزم وإن لم يكن ثَم ربطٌ ولا شد، وأسير: فعيل بمعنى مفعول، ولا يجمع بواو ونون وإنما يكسَّر على أسرى وأسارى، والأقيس فيه: أسرى؛ لأن فعيلاً بمعنى مفعولُ الأصل فيه أن يجمع على فعلى، كقتلى وجرحى، والأصل في فعلان أن يجمع على فعالى بفتح الفاء وفعالى بضمها كسكران وكسلان وسكارى وكسالى.

قال سيبويه: فقالوا في جمع كسلان: كسلى، شبَّهوه بأسرى، كما قالوا: أُسارى، شبهوه بكسالى[١]، ووجه الشبه: أن الأسر يدخل على المرء مكرهاً كما يدخل الكسل، وفعالى إنما يجيء فيما كان آفةً تدخل على المرء.

و﴿تُفَـٰدُوهُمْ﴾ معناه في اللغة: تطلقونهم بعد أن تأخذوا عنهم شيئاً، قاله أبو علي[٢].

وفاديت نفسي: إذا أطلقتها بعد أن دفعت شيئاً، فعلى هذا قد تجيء بمعنى: فديت؛ أي: دفعت فيه من مال نفسي، ومنه قول العباس للنبي ﷺ: «[أعطني فإني][٣] فاديت نفسي، وفاديت عقيلاً»[٤]، وهما فعلان يتعديان إلى مفعولين الثاني منهما بحرف جر، تقول: فديت زيداً بمال [وفاديته بمال][٥]، وقال قوم: هي في قراءة ﴿تُفَـٰدُوهُمْ﴾ مفاعلة في أسرى بأسرى.

قال أبو علي: كل واحد من الفريقين فَعَل، الآسرُ دفع الأسير، والمأسور منه دفع أيضاً إما أسيراً وإما غيره، والمفعول الثاني محذوف[٦].

---

(١) الكتاب (٣/ ٦٥٠).

(٢) لفظه في الحجة (٢/ ١٤٦): وقالوا: فادى الأسير، إذا أطلقه وأخذ عنه شيئاً.

(٣) ساقط من جار الله.

(٤) هذا الحديث علقه البخاري في صحيحه (٤٢١) و(٣٠٤٩) ووصله البيهقي (٦/ ٣٥٦).

(٥) ساقط من أحمد٣.

(٦) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ١٤٧).

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ﴾ قيل: في (هُوَ) إنه ضمير الأمر، تقديره: والأمر محرَّمٌ عليكم، و﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾ في هذا القول بدل من (هُوَ)، وقيل (هُوَ) فاصلة، وهذا مذهب الكوفيين[١]، وليست هنا بالتي هي عماد، و﴿مُحَرَّمٌ﴾ على هذا ابتداء، و﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾ خبره، وقيل: (هُوَ) الضمير المقدر في ﴿مُحَرَّمٌ﴾ قدِّم وأظهر، وقيل: (هُوَ) ضمير الإخراج، تقديره: وإخراجهم محرم عليكم[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ يعني: التوراة.

والذي آمنوا به فداء الأسارى، والذي كفروا به قتل بعضهم بعضاً وإخراجهم من ديارهم، وهذا توبيخ لهم، وبيان لقبح فعلهم، وروي أن عبد الله بن سلام مرّ على رأس الجالوت بالكوفة وهو يفادي من النساء من لم تقع عليه العرب، ولا يفادي من وقع عليه، فقال له ابن سلام: أما إنه مكتوب عندك في كتابك أن تفاديهن كلهن[٣].

ثم توعدهم عز وجل، والخزي: الفضيحة والعقوبة، يقال: خَزِيَ الرجلُ يَخْزَى خِزْياً: إذا ذل من الفضيحة، وخَزِيَ يَخْزَى خِزايةً: إذا ذل واستحيا.

واختلف ما المراد بالخزي هاهنا؟:

[٧٤] فقيل: القصاص فيمن قتل، وقيل: / ضرب الجزية عليهم غابر الدهر، وقيل: قتل قريظة، وإجلاء النضير، [وقيل: الخزي: الذي تُوُعِّد به الأمة من الناس، وهو غلبة

---

(١) نقله أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٤٧١) وعقب عليه بقوله: والمنقول عن الكوفيين عكس هذا الإعراب، وهو أن يكون الفصل قد قدم مع الخبر على المبتدأ، فـ﴿مُحَرَّمٌ﴾ عندهم خبر متقدم، و﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾ مبتدأ، وانظر: مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١٠٣).

(٢) قال أبو حيان: ووقع في كتاب ابن عطية في هذا المكان أقوال تنتقد، انظر تفصيل ذلك في البحر المحيط (١/ ٤٧٠).

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٣١٠) بإسناد لين عن أبي العالية أن عبد الله بن سلام مر على رأس الجالوت. ورأس الجالوت هو رئيس اليهود، كالأسقف عند النصارى.

العدو][1]، والدنيا مأخوذة من دنا يدنو، وأصل الياء فيها واو ولكن أبدلت فرقاً بين الأسماء والصفات.

و﴿أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾: الخلود في جهنم.

وقرأ الحسن وابن هرمز: (تُردُّون) بتاء[2].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ﴾ الآية، قرأ نافع، وابن كثير، [وأبو بكر][3]: ﴿يَعْمَلُون﴾ بياء على ذكر الغائب فالخطاب بالآية لأمة محمد ﷺ، والآية واعظة لهم بالمعنى؛ إذ الله تعالى بالمرصاد لكل كافر وعاص.

وقرأ الباقون بتاء على الخطاب المحتمل أن يكون في سرد الآية وهو الأظهر، ويحتمل أن يكون لأمة محمد ﷺ، فقد روي أن عمربن الخطاب رضي الله عنه قال: «إن بني إسرائيل قد مضوا، وأنتم الذين تعنون بهذا يا أمة محمد»[4]، يريد: وبما يجري مجراه.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

---

(١) سقط من الأصل وفيض الله، وأثبتناه من النسخ الأخرى.

(٢) نقلها الثعلبي في التفسير (١/ ٢٣١) عن أبي عبد الرحمن السّلمي وأبي رجاء والحسن، وذكر ابن هرمز أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٤٧٣)، قال: بخلاف عنه، وهي قراءة شاذة.

(٣) زيادة من أحمد٣، ولا بد منها لأن روايته (وهو شعبة عن عاصم) موافقة للأولين فلا يمكن دخوله في الباقين، انظر عزوها لنافع وابن كثير وشعبة في التيسير للداني (ص: ٧٥)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٦٠).

(٤) منقطع: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٣١٠)، من طريق ابن جريج أن عمر بن الخطاب قال.. فذكره، وهذا انقطاع بيّن.

جعل الله ترك الآخرة وأخذ الدنيا مع قدرتهم على التمسك بالآخرة بمنزلة من أخذها ثم باعها بالدنيا، وهذه النزعة صرفها مالك ـ رحمه الله ـ في فقه البيوع، إذ لا يجوز الشراء على أن يختار المشتري في كل ما تختلف صفة آحاده ولا يجوز فيه التفاضل، كالحجل المذبوحة وغيرها[١].

ولا يخفف العذاب في الآخرة، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ لا في الدنيا ولا في الآخرة.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة، ونصبه على المفعول الثاني لـ﴿ءَاتَيْنَا﴾.

﴿وَقَفَّيْنَا﴾ مأخوذٌ من القفا، تقول: قفَّيتُ فلاناً بفلان: إذا جئت به من قِبَل قفاه، ومنه قفا يقفو إذا اتبع.

وهذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون: ٤٤]، وكل رسول جاء بعد موسى عليه السلام فإنما جاء بإثبات التوراة والأمر بلزومها إلى عيسى عليه السلام.

وقرأ الحسن ويحيى بن يعمر: (بالرسْل) ساكنة السين[٢]، ووافقهما أبو عمرو إذا انضاف ذلك إلى ضمير نحو: رسْلنا ورسْلهم[٣].

و﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الحجج التي أعطاها الله عيسى، وقيل: هي آياته من إحياء وإبراء وخلق طير، وقيل: هي الإنجيل، والآية تعم جميع ذلك.

﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ معناه: قويناه، والأيْد: القوة.

وقرأ ابن محيصن والأعرج وحميد: (آيدناه)[٤].

---

(١) سبقت الإحالة في أول الكتاب على المسألة.

(٢) انظر عزوها للحسن في الشواذ للكرماني (ص: ٦٩)، وليحيى في مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٥)، وهي قراءة شاذة.

(٣) التيسير (ص: ٨٥).

(٤) انظر عزوها لابن محيصن في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٣٤١)، إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٨٤)، وللباقين في البحر المحيط (١/ ٤٨٠)، وهي قراءة شاذة.

وقرأ ابن كثير ومجاهد: ﴿روح القدْس﴾ بسكون الدال[(١)]، وقرأ الجمهور بضم القاف والدال، وفيه لغة فتحهما، وقرأ أبو حيوة: (بروح القدُّوس) بواو[(٢)].

وقال ابن عباس رضي الله عنه: «روح القدس هو الاسم الذي [به كان][(٣)] يحيي الموتى»[(٤)]، وقال ابن زيد: هو الإنجيل، كما سمى الله تعالى القرآن روحاً، وقال السُّدي والضحاك والربيع وقتادة: روح القدس جبريل ﷺ[(٥)]، [وهذا أصح الأقوال، وقد قال النبي ﷺ لحسان بن ثابت: «اهج قريشاً وروح القدس معك»[(٦)]، ومرة قال له: «وجبريل معك»[(٧)].

وقال الربيع ومجاهد: الْقُدُس: اسم من أسماء الله تعالى كالقدوس[(٨)]، والإضافة على هذا إضافة الملك إلى المالك، وتوجَّهتْ لما كان جبريل عليه السلام][(٩)] من عباد الله تعالى، وقيل: الْقُدُس: الطهارة، وقيل: الْقُدُس: البركة[(١٠)].

---

(١) انظر قراءة ابن كثير في التيسير في القراءات السبع للداني (ص: ٧٤)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (١/ ١٦٤).

(٢) قال : أبو حيان: «وقرأ أبو حيوة: القدوس، بواو». تفسير البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٤٨١)، وهي قراءة شاذة.

(٣) ساقط من أحمد٣.

(٤) ضعيف:هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٣٢١) بإسناد ضعيف يتكرر.

(٥) انظر القولين في تفسير الطبري (٢/ ٣٢٠).

(٦) صحيح: هذا الحديث أخرجه بهذا اللفظ: أحمد (٤/ ٢٩٨)، والنسائي في الكبرى (٧/ ٣٦٦) وغيرهم من طريق: إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب به مرفوعاً. وبنحوه أيضاً أخرجه ابن حبان (٧١٤٦) والحاكم (٣/ ٤٨٧) وغيرهما من طريق: عيسى بن عبد الرحمن عن عدي بن ثابت عن البراء، وإسناده صحيح من الوجهين، وهو متفق عليه باللفظ الآتي.

(٧)) متفق عليه: هذا الحديث أخرجه بهذا اللفظ: البخاري (٣٢١٣) (٤١٢٣) (٦١٥٣) ومسلم (٢٤٨٦) من طريق: شعبة عن عدي بن ثابت عن البراء.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم عن الربيع (١/ ١٦٩)، ومجاهد (٤/ ١٢٣٨)، والطبري (٢/ ٣٢٣)من قول جعفر وابن زيد وكعب.

(٩) ساقط من أحمد٣.

(١٠) انظر القولين في تفسير الطبري (٢/ ٣٢٢).

و(كُلَّما) ظرفٌ، والعامل فيه: ﴿ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾، وظاهر الكلام الاستفهام، ومعناه التوبيخ والتقرير، ويتضمن أيضاً الخبر عنهم، والمراد بهذه الآية بنو إسرائيل.

ويروى أن بني إسرائيل كانوا يقتلون في اليوم ثلاث مئة نبي، ثم تقوم سوقهم آخر النهار، وروي: سبعين نبيّاً ثم تقوم سوق بقلهم آخر النهار.

وفي ﴿تَهۡوَىٰٓ﴾ ضمير حذف من صلة (مَا) لطول اللفظ، والهوى أكثر ما يستعمل فيما ليس بحق، وهذه الآية من ذلك، لأنهم إنما كانوا يهوون الشهوات، وقد يستعمل في الحق، ومنه قول عمر رضي الله عنه في قصة أسرى بدر: «فهوِيَ رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت»[١].

و﴿ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾ من الكبر، ﴿وَفَرِيقًا﴾ مفعول مقدمٌ.

وقرأ جمهور القراء: ﴿غُلۡفُۢ﴾ بإسكان اللام على أنه جمع أغلف مثل حمر وصفر، والمعنى: قلوبنا عليها غلفٌ وغشاوات فهي لا تفقه، قاله ابن عباس، وقال قتادة: المعنى عليها طابع[٢]، وقالت طائفة: ﴿غُلۡفُۢ﴾ بسكون اللام جمع غلاف، أصله: غلّف بتثقيل اللام فخفف، وهذا [قلما][٣] يستعمل إلا في الشعر.

وقرأ [ابن عباس][٤] والأعرج وابن محيصن: (غلف) بتثقيل اللام جمع غلاف، ورويت عن أبي عمرو[٥]، فالمعنى: هي أوعية للعلم والمعارف بزعمهم، فهي لا تحتاج إلى علم محمد.

---

(١) رواه الإمام مسلم (٤٦٨٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٧١)، تفسير الطبري (٢/ ٣٢٦).

(٣) في النسخة الحمزوية: «لم».

(٤) في الأصل: «الأعمش»، وكذا في المطبوع مع الإشارة للمثبت في الهامش، ولعله خطأ إذ لم نجد من نقلها عنه.

(٥) انظر عزوها لابن عباس وابن محيصن في الشواذ للكرماني (ص: ٦٩)، ولهما وللأعرج في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٣٤٣).

وقيل: المعنى: فكيف يَعزُبُ عنها علم محمد ﷺ؟، فرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾، و﴿بَل﴾ في هذه الآية نقض للأول، وإضراب عنه، ثم بيَّن تعالى أن السبب في نفورهم عن الإيمان إنما هو أنهم لعنوا بما تقدم من كفرهم واجترامهم، وهذا هو الجزاء على الذنب بالذنب أعظم[1] منه، واللعن: الإبعاد والطرد.

و(قليلاً) نعت لمصدر محذوف تقديره: فإيماناً قليلاً ما يؤمنون.

والضمير في ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ لحاضري محمد ﷺ، ويتجه قلة هذا الإيمان: إما لأن
[٧٥] من آمن بمحمد منهم قليل، فيقل لقلة الرجال، قال / هذا المعنى قتادة[2]، وإما لأن وقتَ إيمانهم عندما كانوا يستفتحون به قبل مبعثه قليل، إذ قد كفروا بعد ذلك، وإما لأنهم لم يبق لهم بعد كفرهم غير التوحيد على غير وجهه، إذ هم مجسِّمون فقد قللوه بجحدهم الرسل وتكذيبهم التوراة، فإنما يقل من حيث لا ينفعهم كذلك، وعلى هذا التأويل يجيء التقدير: فإيماناً قليلاً، [وعلى الذي قبله: فوقتاً قليلاً][3]، وعلى الذي قبله: فعدداً من الرجال قليلاً.

و﴿مَّا﴾ في قوله: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ زائدةٌ مؤكدةٌ، و(قليلاً) نصب بـ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾.

---

(١) في المطبوع: «بأعظم»، وفي الحمزوية: «بالذي أعظم».
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٧١)، تفسير الثعلبي (١/ ٢٣٤).
(٣) ساقط من السليمانية.

﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾: القرآن، و﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ يعني: التوراة، وروي أن في مصحف أبي بن كعب: (مصدِّقاً) بالنصب[١].

و﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ معناه: أن بني إسرائيل كانوا قبل مبعث النبي ﷺ قد علموا خروجه بما عندهم من صفته وذكر وقته، وظنوا أنه منهم، فكانوا إذا حاربوا الأوس والخزرج فغلبتهم العرب قالوا لهم: لو قد[٢] خرج النبي الذي قد أظل وقتُه لقتلناكم[٣] معه واستنصرنا عليكم به.

و﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ معناه: يستنصرون، وفي الحديث: «كان رسول الله ﷺ يستفتح بصعاليك المهاجرين»[٤]، وروي أن قريظة والنضير وجميع يهود الحجاز في ذلك الوقت كانوا يستفتحون على سائر العرب، وبسبب خروج النبي المنتظر كانت نُقْلتهم إلى الحجاز وسكناهم به، فإنهم كانوا علموا صُقْع المبعث[٥]، وما عرفوا أنه محمد عليه السلام وشرعه، ويظهر من هذه الآيات العناد منهم، وأن كفرهم كان مع معرفة ومعاندة.

ولعنة الله: معناه: إبعاده لهم وخزيهم لذلك.

واختلفت النحاة في جواب (لَمَّا)، و(لَمَّا) الثانية في هذه الآية:

فقال أبو العباس المبرد: جوابهما في قوله: ﴿كَفَرُواْ﴾، وأعيدت (لَمَّا) الثانية لطول الكلام، ويفيد ذلك تقريراً للذنب، وتأكيداً له، وقال الزجاج: (لَمَّا) الأولى لا جواب لها؛ للاستغناء عن ذلك بدلالة الظاهر من الكلام عليه[٦].

---

(١) وهي قراءة شاذة انظر: البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٤٨٦)، ونسبها تفسير الثعلبي (١/ ٢٣٤)، لإبراهيم بن أبي عبلة.

(٢) «قد»: زيادة من الحمزوية من أحمد٣، ونور العثمانية.

(٣) في الحمزوية: «لقاتلناكم».

(٤) مرسل: هذا الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٩٢) من حديث أمية بن خالد بن أسيد، عن النبي ﷺ، وأمية بن خالد لا تصح له صحبة، فالحديث مرسل.

(٥) أي: مكان المبعث، والصقع: الناحية.

(٦) انظر معناه في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٧١).

قال القاضي أبو محمد: فكأنه محذوف.

وقال الفراء: جواب (لَمَّا) الأولى في الفاء وما بعدها، وجواب (لَمَّا) الثانية ﴿كَفَرُواْ﴾[١].

و(بيس)[٢] أصله: بئس، سهلت الهمزة ونقلت إلى الباء حركتها، ويقال في بئس: بيس إتباعاً للكسرة، وهي مستوفية للذم كما أن نعم مستوفية للمدح.

واختلف النحويون في ﴿بِئْسَمَا﴾ في هذا الموضع:

فمذهب سيبويه أن (مَا) فاعلة بـ(بِئْسَ)، ودخلت عليها (بِئْسَ) كما تدخل على أسماء الأجناس والنكرات لما أشبهتها (ما) في الإبهام[٣]، فالتقدير على هذا القول: بئس الَّذي ﴿ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ﴾، كقولك: بئس الرجل زيد، و(ما) في هذا القول موصولة.

وقال الأخفش: (مَا) في موضع نصب على التمييز، كقولك: بيس رجلاً زيد[٤]، فالتقدير: بيس شيئاً أن يكفروا، و﴿ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ في هذا القول صفة (مَا).

وقال الفراء: ﴿بِئْسَمَا﴾ بجملته شيء واحد ركِّب كحبذا[٥]، وفي هذا القول اعتراضٌ؛ لأنه فعل يبقى بلا فاعل، و(ما) إنما تكف أبداً حروفاً.

وقال الكسائي: «(مَا) و﴿ٱشْتَرَوْاْ﴾ بمنزلة اسم واحد قائم بنفسه[٦]، فالتقدير: بيس اشتراؤهم أنفسهم أن يكفروا، وهذا أيضاً معترضٌ لأن (بيس) لا تدخل على اسم معين متعرف بالإضافة إلى الضمير.

---

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ٥٩).

(٢) أي: بإبدال الهمز الساكن مدّاً، وذلك على رواية ورش عن نافع.

(٣) انظر كلامه على هذا في الكتاب لسيبويه (٣/ ١٥٥).

(٤) معاني القرآن للأخفش (١/ ١٤٢).

(٥) انظر قريباً منه في معاني القرآن له (١/ ٥٧).

(٦) معاني القرآن للكسائي (١/ ٧٥).

وقال الكسائي أيضاً: إن (مَا) في موضع نصب على التفسير، وثَمَّ (مَا) أخرى مضمرة[١]، فالتقدير: بيس شيئاً ما اشتروا به أنفسهم، و﴿أَن يَكۡفُرُواْ﴾ في هذا القول بدل من (ما) المضمرة.

ويصح في بعض الأقوال المتقدمة أن يكون ﴿أَن يَكۡفُرُواْ﴾ في موضع خفض بدلاً من الضمير في ﴿بِهِۦٓ﴾، وأمَّا في القولين الأولين فـ﴿أَن يَكۡفُرُواْ﴾ ابتداء وخبره فيما قبله.

و﴿ٱشۡتَرَوۡاْ﴾ بمعنى باعوا، يقال: شرى واشترى بمعنى باع، وبمعنى ابتاع.

و(ما أنزل الله) يعني به القرآن، ويحتمل أن يراد به التوراة لأنهم إذ كفروا بعيسى ومحمد ـ عليهما السلام ـ فقد كفروا بالتوراة، ويحتمل أن يراد به الجميع من توراة وإنجيل وقرآن، لأن الكفر بالبعض يلزم الكفر بالكل.

و﴿بَغۡيًا﴾ مفعول من أجله، وقيل: نصب على المصدر.

و﴿أَن يُنَزِّلَ﴾ نصب على المفعول من أجله، أو في موضع خفض بتقدير: بأن ينزِّل.

وقرأ أبو عمرو وابن كثير: ﴿أن ينْزل﴾ بالتخفيف في النون والزاي[٢].

و﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ يعني: من النبوة والرسالة.

و﴿مَن يَشَآءُ﴾ يعني به محمداً ﷺ؛ لأنهم حسدوه لمَّا لم يكن منهم وكان من العرب، ويدخل في المعنى عيسى عليه السلام، لأنهم قد كفروا به بغياً، والله قد تفضل عليه.

و(باؤوا) معناه: مضوا متحملين لمَا يذكر أنهم باؤوا به.

و﴿بِغَضَبٍ﴾ معناه: من الله تعالى لكفرهم بمحمد ﷺ ﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ متقدم من الله تعالى عليهم، قيل: لعبادتهم / العجل، وقيل: لقولهم: عزير ابن الله، وقيل: [٧٦]

(١) معاني القرآن للكسائي (١/ ٧٦).

(٢) التيسير في القراءات السبع للداني (ص: ٧٥)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٦٤).

لكفرهم بعيسى عليه السلام، فالمعنى: على غضب قد باء به أسلافهم، حظ هؤلاء منه وافر بسبب رضاهم بتلك الأفعال وتصويبهم لها.

وقال قوم: المراد بقوله: ﴿بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ التأكيد وتشديد الحال عليهم، لا أنه أراد غضبين معلَّلين بقصتين.

و﴿مُّهِينٌ﴾ مأخوذ من الهوان، وهو ما اقتضى الخلود في النار؛ لأن من لا يخلد من عصاة المسلمين إنما عذابه كعذاب الذي يقام عليه الحد لا هوان فيه بل هو تطهير له.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني: اليهود أنهم إذا قيل لهم: آمنوا بالقرآن الذي أنزل الله على محمد ﷺ، قالُوا: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ يعنون التوراة.

و﴿مَا وَرَآءَهُۥ﴾: قال قتادة: أي: ما بعده، [وقال الفراء: أي: ما سواه، ويعني به القرآن[1]، وإذا تكلم رجل أو فعل فعلًا فأجاد يقال له: ما وراء ما أتيت به شيء، أي: ليس يأتي بعده][2]، ووصف الله تعالى القرآن بأنه الحق.

و﴿مُصَدِّقًا﴾ حال مؤكِّدةٌ عند سيبويه[3]، وهي غير منتقلة، وقد تقدَّمَ معناها في الكلام، ولم يبق لها هي إلا معنى التأكيد، وأنشد سيبويه على الحال المؤكِّدة:

[البسيط] أَنَـا ابْـنُ دَارَةَ مَعْرُوفـاً بِهَـا حَسَـبِي وَهَـلْ لِـدَارَةَ يالِلنَّـاسِ مِـنْ عَـارِ[4]

و﴿لِّمَا مَعَهُمْ﴾ يريد به التوراة.

---

(١) الأول رواه الطبري (٢/ ٣٤٩) عن قتادة، وهو وابن أبي حاتم (١/ ١٧٤) عن أبي العالية، والثاني نقله عن الفراء السمعاني (١/ ١٠٩)، ونقل القولين القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٩) قال: والمعنى واحد.

(٢) ساقط من السليمانية.

(٣) انظر كلامه في الكتاب لسيبويه (٢/ ٨٧).

(٤) البيت لسالم بن مسافع، ويقال له أيضاً: ابن دارة وهي أمّه، وقيل: اسم أحد أجداده، انظر عزو البيت له في الكتاب لسيبويه (٢ / ٧٩)، والحماسة البصرية (٢/ ٢٩٧)، والمحكم والمحيط الأعظم (٩/ ٣١١)، وفي أحمد٣ والسليمانية وجار الله وفيض الله: «نسبي».

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ الآية ردٌّ من الله تعالى عليهم في أنهم آمنوا بما أنزل عليهم، وتكذيب منه لهم في ذلك، واحتجاج عليهم.

ولا يجوز الوقف على ﴿فَلِمَ﴾ لنقصان الحرف الواحد إلا أن البَزِّي وقف عليه بالهاء، وسائر القراء بسكون الميم[(١)].

وخاطب الله من حضر محمداً ﷺ من بني إسرائيل بأنهم قتلوا الأنبياء لمَّا كان ذلك مِن فِعْلِ أسلافهم.

وجاء ﴿تَقْتُلُونَ﴾ بلفظ الاستقبال وهو بمعنى المضي لما ارتفع الإشكال بقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ وإذا لم يُشْكل فجائز سوق الماضي بمعنى المستقبل وسوق المستقبل بمعنى الماضي، قال الحطيئة[(٢)]:

شَهِدَ الحُطَيْئَةُ يومَ يَلْقى ربَّهُ أنَّ الوليدَ أحقُّ بالعُذْرِ[(٣)] [الكامل]

وفائدة سوق الماضي في موضع[(٤)] المستقبل: الإشارة إلى أنه في الثبوت كالماضي الذي قد وقع، وفائدة سوق المستقبل في معنى الماضي: الإعلام بأن الأمر مستمر، ألا ترى أن حاضري محمد ﷺ لمّا كانوا راضين بفعل أسلافهم بقي لهم من قتل الأنبياء جزء.

و﴿إِن كُنتُم﴾ شرط والجواب متقدم، وقالت فرقة: ﴿إِن﴾ نافية بمعنى ما.

---

(١) انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ٦١-٦٢).

(٢) هو جرول بن أوس، من بني قطيعة بن عبس، يكنى أبا مليكة، وكان راوية زهير، وهو جاهليٌّ إسلاميٌّ، مشهور بالهجاء، انظر خبره في الشعر والشعراء (١/ ٣١٠).

(٣) عزي له في تفسير الطبري (٢ / ٣٥١)، ونسب قريش (ص: ١٣٨)، وتهذيب اللغة (٤/ ١٩٥)، والعقد الفريد (٥/ ٥٨)، والأغاني (٥/ ١٣٨).

(٤) في جار الله: «معنى».

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾.

(البينات): التوراة والعصا وفرق البحر وغير ذلك من آيات موسى عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ﴾ تدل على أنهم فعلوا ذلك بعد مهلة من النظر في الآيات، وذلك أعظم في [دينهم](١)، وقد تقدمت قصة اتخاذهم العجل.

والضمير في قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ عائدٌ على موسى عليه السلام؛ أي: من بعده حين غاب عنكم في المناجاة، ويحتمل أن يعود الضمير في ﴿بَعْدِهِۦ﴾ على المجيء.

وهذه الآية ردٌّ عليهم في أن من آمن بما نزل عليه لا يتخذ العجل، وقد تقدَّم ذكر أخذ الميثاق ورفع الطور.

وقوله تعالى: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ يعني: التوراة والشرع.

و﴿بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: بعزم ونشاط وجد.

﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ معناه هنا: وأطيعوا، وليس معناه الأمرَ بإدراك القول فقط.

وقالت طائفة من المفسرين: إنهم قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾، ونطقوا بهذه الألفاظ مبالغة في التعنت والمعصية، وقالت طائفة: ذلك مَجاز ولم ينطقوا بـ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾، ولكن فعلهم اقتضاه، كما قال الشاعر:

[الرجز] امْتَلأ الحَوْضُ وقال قطْني(٢)

---

(١) في الحمزوية وجار الله: «ذمهم»، وفي المطبوع وأحمد٣ والسليمانية: «ذنبهم».
(٢) نسبه في الزاهر (٢/ ٣٢٣) لأبي النجم، وقد استشهد به الطبري (٢/ ٥٤٦)، والزجاج في معاني =

وهذا أيضاً احتجاج عليهم في كذب قولهم: ﴿نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ [البقرة: ٩١].

وقوله تعالى: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡ﴾ التقدير: حبَّ العجل، والمعنى: جعلت قلوبهم تشربه، وهذا تشبيه ومجاز، عبارة عن تمكن أمر العجل في قلوبهم، وقال قومٌ: إن معنى قوله: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ شربهم الماء الذي ألقى فيه موسى برادة العجل، وذلك أنه بَرَده بالمِبرد ورماه في الماء، وقيل لبني إسرائيل: اشربوا من ذلك الماء، فشرب جميعهم، فمن كان يحب العجل خرجت بُرادة الذهب على شفتيه، وهذا قول يرده قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم﴾.

وروي أن الذين تبين فيهم حب العجل أصابهم من ذلك الماء الجبن.

وقوله تعالى: ﴿بِكُفۡرِهِمۡ﴾ يحتمل أن تكون باء السبب، ويحتمل أن تكون بمعنى: مع.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ بِئۡسَمَا﴾ الآية أمر لمحمد ﷺ أن يوبخهم بأنه بئس هذه الأشياء التي فعلتم وأمركم بها إيمانكم الذي زعمتم في قولكم: ﴿نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ [البقرة: ٩١].

و﴿مَا﴾ في موضع رفع، والتقدير: بئس الشيء قتلٌ واتخاذُ عجلٍ وقولُ: ﴿سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾، ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ في موضع نصب.

[٧٧] و﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ شرط، وقد يأتي الشرط والشارط يعلم أن/ الأمر على أحد الجهتين، كما قال الله عن عيسى عليه السلام: ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقد علم أن عيسى عليه السلام لم يقله، وكذلك ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، والقائل يعلم أنهم غير مؤمنين، لكنه إقامة حجة بقياس بيّن.

وقال قوم: ﴿إِن﴾ هنا نافية بمنزلة «مَا» كالتي تقدمت.

= القرآن وإعرابه (١/ ١٩٩)، والنحاس في معاني القرآن (٦/ ٢٥٠) وأبو علي في الحجة (٢/ ٢٠٤)، وغيرهم بلا نسبة.

وقرأ الحسنُ ومسلم بن جندب: (يَأْمُرُكُمْ بهُو إيمَانُكم) برفع الهاء[١].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ الآية أمر لمحمد ﷺ أن يوبخهم، والمعنى: إن كان لكم نعيمها وحُظوتها وخيرها فذلك يقتضي حرصكم على الوصول إليها ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾.

و﴿ٱلدَّارُ﴾ اسم ﴿كَانَتْ﴾، و﴿خَالِصَةً﴾ خبرها، ويجوز أن يكون نصب ﴿خَالِصَةً﴾ على الحال، و﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾.

و﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾: يحتمل أن يراد بـ﴿ٱلنَّاسِ﴾ محمد ﷺ ومن تبعه، ويحتمل أن يراد العموم التام، وهو قول اليهود فيما حفظ عنهم.

وقرأ ابن أبي إسحاق بكسر الواو من: (تمنوا) للالتقاء، وحكى الأهوازي عن أبي عمرو أنه قرأ: (تمنوَا الموت) بفتح الواو، وحكي عن غيره اختلاس الحركة في الرفع[٢]، وقراءة الجماعة بضم الواو.

وهذه آية بيِّنة أعطاها الله رسوله محمداً ﷺ؛ لأن اليهود قالت: نحن أبناء الله وأحباؤه، وشِبْهَ ذلك من القول، فأمر الله نبيه أن يدعوهم إلى تمني الموت، وأن يُعْلمهم أنه من تمناه منهم مات، ففعل النبي ﷺ ذلك، فعلم اليهود صدقه، فأحجموا عن تمنيه [فرقاً من][٣] الله لقبح أعمالهم ومعرفتهم بكذبهم في قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ﴾، وحرصاً منهم على الحياة، وقيل: إن الله منعهم من التمني وقصرهم على الإمساك عنه، لتظهر الآية لنبيه ﷺ.

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٤٩٦)، وهي قراءة شاذة.

(٢) انظر قراءة ابن أبي إسحاق في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٦٩)، ونقل الهذلي في الكامل (ص: ٤٨١) الكسر عن عمران عن أبي عمرو، قال وروى أبو زيد عنه بالفتح، وروى العمري عن أبي جعفر وابن حماد عن شيبة وابنا أبي أويس والأصمعي جميعاً عن نافع: (اشتروا الضلالة) باختلاس الضمة.

(٣) في النسخة الحمزوية: «فروا عن».

والمراد بقوله: (تمنوا): أرِيدوه بقلوبكم واسألوه، هذا قول جماعة من المفسرين، وقال ابن عباس: المراد فيه السؤال فقط وإن لم يكن بالقلب، وقال أيضاً هو وغيره: إنما أمروا بالدعاء بالموت على أردأ الحزبين من المؤمنين أو منهم[١].

وذكر المهدوي وغيره أن هذه الآية كانت مدة حياة النبيّ ﷺ، وارتفعت بموته[٢].

والصحيح أن هذه النازلة مِن موت مَن تمنى الموت إنما كانت أياماً كثيرة عند نزول الآية، وهي بمنزلة دعائه النصارى من أهل نجران إلى المباهلة.

وقالت فرقة: إن سبب هذا الدعاء إلى تمني الموت أن النبي ﷺ أراد به هلاك الفريق المكذب أو قطع حجتهم؛ لا أن علته قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ٨١].

ثم أخبر تعالى عنهم بعجزهم وأنهم لا يتمنونه، و﴿أَبَدًا﴾ ظرف زمان.

وإذا كانت (ما) بمعنى الذي فتحتاج إلى عائد تقديره: قدمتْه، وإذا كانت مع ﴿قَدَّمَتْ﴾ بمثابة المصدر غَنِيَتْ عن الضمير، هذا قول سيبويه، والأخفش يرى الضمير في المصدرية[٣]. وأضاف ذنوبهم واجترامهم إلى الأيدي وأسند تقديمها إليها، إذ الأكثر من كسب العبد الخير والشر إنما هو بيديه، فحمل جميع الأشياء على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ ظاهرها الخبر ومضمنها الوعيد، لأنَّ الله عليم بالظالمين وغيرهم، ففائدة تخصيصهم حصول الوعيد.

---

(١) إسناده ضعيف، أخرجه الطبري (٢/ ٣٦٦) من طريق: بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك عن ابن عباس. قال الطبري: ولا يعرف «التمني» بمعنى «المسألة» في كلام العرب. ولكن أحسب أن ابن عباس وجه معنى «الأمنية» ـ إذ كانت محبة النفس وشهوتها ـ إلى معنى الرغبة والمسألة، إذ كانت المسألة هي رغبة السائل إلى الله فيما سأله. اهـ.

(٢) ولفظه في التحصيل (١/ ٢٧٩).

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٦٢).

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

«وَجَدَ» في هذا المعنى تتعدى [إلى مفعولين][1] لأنها من أفعال النفس، ولذلك صح تعدِّيها إلى ضمير المتكلم في قول الشاعر:

[الطويل] تَلَفَّتُّ نَحْوَ الحَيِّ حَتَّىٰ وجَدْتُنِي ... وجِعْتُ مِنَ الإصْغَاءِ ليتاً وأخْدعا[2]

وقال النبي ﷺ في الضبِّ: «إنَّهُ لَمْ يَكُنْ بأرْضِ قَوْمِي فأجِدُنِي أعَافُهُ»[3]، وحرصهم على الحياة لمعرفتهم بذنوبهم، وأنْ لا خير لهم عند الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾: قيل: المعنى: وأحْرَصُ من الذين أشركوا؛ لأنَّ مشركي العرب لا يعرفون إلا هذه الحياة الدنيا، ألا ترى إلى قول امرئ القيس:

[الطويل] تمتَّع من الدُّنيا فإنَّك فانِ[4] ... .

والضمير في ﴿أَحَدُهُمْ﴾ يعود في هذا القول على اليهود، وقيل: إن الكلام تم في قوله: ﴿حَيَوٰةٍ﴾، ثم استؤنف الإخبار عن طائفة من المشركين أنهم ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾

---

(١) سقط من الحمزوية.

(٢) البيت للصمة بن عبد الله القشيري كما في الحماسة، (٢/ ٦١)، وأمالي القالي (١/ ١٩٠)، والصحاح للجوهري (٣/ ١٢٩٥)، وأمالي اليزيدي (ص: ١٤٨)، وفي الأزمنة والأمكنة (ص: ٤٤٩): أنه لدريد ابن عبد الله، وفي مصارع العشاق (٢/ ٢٠٢)، وعيون الأخبار (٤/ ١٣٧) أنه ليزيد ابن الطّثريّة، والليت بالكسر: صفحة العنق. والأخدع: عرق في العنق.

(٣) متفق عليه: هذا الحديث أخرجه البخاري (٥٣٩١) (٥٥٣٧)، ومسلم (١٩٤٥) من حديث خالد ابن الوليد رضي الله عنه.

(٤) صدر بيت لامرئ القيس، تتمته: من النَّشوات والنساء الحسانِ، الديوان، (ص: ١٥٩)، وعزاه له في سمط اللآلي (٢ / ٧٩) وغيره.

وهي المجوس، لأن تشميتهم للعاطس لفظ بلغتهم معناه: عِشْ ألف سنة، فكأن الكلام: ومن المشركين قوم ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾، وفي هذا القول تشبيه بني إسرائيل بهذه الفرقة من المشركين.

وقصد الألف بالذكر لأنها نهاية العقد في الحساب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾ اختلف النحاة في ﴿هُوَ﴾:

فقيل: هو ضمير الأحد المتقدم الذكر، فالتقدير: وما أحدهم بمزحزحه، وخبر الابتداء في المجرور، و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ فاعل بـ(مزحزح).

وقالت فرقة: هو ضمير التعمير، والتقدير: وما التعمير بمزحزحه، والخبر في المجرور، و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ بدل من التعمير في هذا القول، وقالت فرقة: ﴿هُوَ﴾ ضمير الأمر والشأن، وقد رُدَّ هذا القول بما حُفظ عن النحاة من أن الأمر والشأن إنما يفسر بجملة سالمة من حرف جر، وقد جوَّز / أبو علي ذلك في بعض مسائله الحلبيات[1]. [٧٨]

وحكى الطبري عن فرقة أنها قالت: هو عماد[2]، وقيل: (ما) عاملة حجازية و﴿هُوَ﴾ اسمها، والخبر في ﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾، والزحزحة: الإبعاد والتنحية.

وفي قوله: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ وعيدٌ، والجمهور على قراءة: ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ بالياء من أسفل، وقرأ قتادة والأعرج ويعقوب: ﴿تَعْملُون﴾ بالتاء من فوق[3]، وهذا على الرجوع إلى خطاب المتوعَّدين من بني إسرائيل.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ﴾ الآية، نزل على سبب لم يتقدم له

---

(١) الحلبيات لأبي علي الفارسي (ص: ٢٣٣)، بقريب منه.

(٢) تفسير الطبري (٢ / ٣٧٤).

(٣) انظر عزوها ليعقوب في النشر (٢ / ٢٤٩)، وهي عشرية، وللباقين في تفسير البحر المحيط (١ / ٥٠٦).

ذكر فيما مضى من الآيات، ولكن أجمع أهل التفسير أن اليهود قالت: جبريل عدوُّنا، واختلف في كيفية ذلك:

فقيل: إن يهود فدك قالوا للنبي ﷺ: نسألك عن أربعة أشياء، فإن عرفتها اتبعناك، فسألوه عما حرم إسرائيل على نفسه، فقال: «لُحُومُ الإبلِ وألْبَانُهَا»، وسألوه عن الشَّبه في الولد، فقال: «أيُّ [مَاءٍ][١] عَلا كَانَ الشَّبَهُ لَهُ»، وسألوه عن نومه، فقال: «تَنَامُ [عَيْنِي][٢] ولا يَنَامُ قَلْبِي»، وسألوه عمن يجيئه من الملائكة، فقال: «جِبريلُ»، فلما ذكره قالوا: ذاك عدوُّنا، لأنه مَلَك الحرب والشدائد والجدب، ولو كان الذي يجيئك ميكائيل ملك الرحمة والخصب والأمطار لاتبعناك[٣].

وقيل: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتكرر على بيت المدراس[٤]، فاستحلفهم يوماً بالذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء أتعلمون أن محمداً نبي؟ قالوا: نعم، قال: فلمَ تَهْلِكون في تكذيبه؟ قالوا: صاحبه جبريل وهو عدونا[٥]، وذكر أنهم قالوا سبب عداوتهم له أنه حمى بختنصر حين بعثوا إليه ـ قبل أن يملك ـ من يقتله، فنزلت هذه الآية لقولهم[٦].

---

(١) في الحمزوية: «الماءين».

(٢) في الحمزوية: «عيناي»، وفي نور العثمانية: «دون قلبي»، بدل: «ولا ينام قلبي»، وأشار لها في هامش الأصل، وعليها علامتا صح، وخ.

(٣) لا يصح بهذا السياق: هذا الحديث أخرجه بهذا اللفظ: أحمد (٤/ ٢٤٨)، والنسائي في الكبرى (٨/ ٢١٨) من طريق عبد الله بن الوليد العجلي، عن بكير بن شهاب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً به. وبكير بن شهاب فيه جهالة، وأصل الحديث عند الإمام البخاري في صحيحه (٣٣٢٩) (٣٩٣٨) (٤٤٨٠) من حديث أنس بن مالك في قصة عبد الله بن سلام، بالسؤال عن ثلاثة أمور: أول أشراط الساعة، وأول طعام أهل الجنة، وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه، وهو الشبه المذكور في الحديث الوارد هنا.

(٤) في الحمزوية: «المقدس»، وفي المطبوع: «المدارس».

(٥) منقطع: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٣٨٤) من طريق السدي ـ وهو: إسماعيل بن عبد الرحمن ابن أبي كريمة ـ، عن عمر به. والسدي الظاهر أنه لم يدرك عمر، فجل روايته عن صغار الصحابة.

(٦) تفسير الطبري (٢ / ٣٨٢).

وفي «جبريل» لغات:

(جِبرِيل) بكسر الجيم والراء من غير همز، وبها قرأ نافع [وأبو عمرو][(١)].

و(جَبرِيل) بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز، وبها قرأ ابن كثير، وروي عنه أنه قال: «رأيت النبي ﷺ في النوم وهو يقرأ: جبريل وميكال فلا أزال أقرؤهما أبداً كذلك».

[و(جَبرَئِل) بفتح الجيم والراء وهمزة بين الراء واللام، وبها قرأ عاصم][(٢)].

و(جَبرَئيل) بفتح الجيم والراء وهمزة بعد الراء وياء بين الهمزة واللام، وبها قرأ حمزة والكسائي، وحكاها الكسائي عن عاصم[(٣)].

و(جبرائل) بألف بعد الراء ثم همزة، وبها قرأ عكرمة.

و(جبرائيل) بزيادة ياء بعد الهمزة.

و(جَبْراييل) بياءين، وبها قرأ الأعمش.

و(جَبْرَئلّ) بفتح الجيم والراء وهمزة ولام مشددة، وبها قرأ يحيى بن يَعْمَر[(٤)].

و(جبرال) لغة فيه، و(جبرين) بكسر الجيم والراء وياء ونون، قال الطبري: هي لغة بني أسد[(٥)]، ولم يقرأ بها.

---

(١) من السليمانية.

(٢) ساقط من السليمانية وجار الله ونور العثمانية.

(٣) هذه أربع قراءات متواترة سبعية، انظر عزوها لمن ذكر في التيسير (ص: ٧٥)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ١٦٧)، وقراءة عاصم الأولى هي رواية شعبة، وأما حفص فمع نافع وأبي عمرو، إلا أن رؤيا ابن كثير ورواية الكسائي عن عاصم، هما في السبعة خاصة.

(٤) هذه أربع قراءات أخرى وكلها شاذة، انظر عزو الأولى لعكرمة في تفسير القرطبي (٢/ ٣٧)، والرابعة ليحيى في مختصر الشواذ (ص: ١٥)، والشواذ للكرماني (ص: ٦٩)، والمحتسب (١/ ٩٧)، ونسبا له الثانية أيضاً، والثالثةَ للأعمش.

(٥) تفسير الطبري (٢/ ٣٨٩).

وجبريل اسم أعجمي عربته العرب فلها فيه هذه اللغات، فبعضها هي موجودة في أبنية العرب، وتلك أدخلُ في التعريب، كجبريل الذي هو كقنديل، وبعضها خارجة عن أبنية العرب، فذلك كمثل ما عرَّبته العرب ولم تدخله في بناء كإبريسم وفِرِنْد وآجر ونحوه.

وذكر ابن عباس رضي الله عنه وغيره أن (جبر) و(ميك) و(إسراف) هي كلها بالأعجمية بمعنى عبد ومملوك، وإيل اسم الله تعالى[(١)]، ويقال فيه: إلّ، ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين سمع سجع مسيلمة: هذا كلام لم يخرج من إلّ[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الضمير في ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ عائدٌ على الله عز وجل، والضمير في ﴿نَزَّلَهُۥ﴾ عائد على جبريل ﷺ، [والمعنى: بالقرآن وسائر الوحي، وقيل:][(٣)] الضمير في (إنه) عائدٌ على جبريل][(٤)]، وفي ﴿نَزَّلَهُۥ﴾ على القرآن.

وخص القلب بالذكر لأنه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف، وجاءت المخاطبة بالكاف في ﴿قَلْبِكَ﴾ اتساعاً في العبارة إذ ليس ثَم مَن يخاطبه النبي ﷺ بهذه الكاف، وإنما يجيء قوله: فإنه نزَّله على قلبي، لكنْ حَسُن هذا إذ يحسُن في كلام العرب أن تحرز اللفظ الذي يقوله المأمور بالقول، ويحسن أن تقصد المعنى الذي يقوله فتسرده مخاطبة له، كما تقول لرجل: قل لقومك لا يهينوك، فكذلك هي الآية، ونحو من هذا قول الفرزدق:

[الطويل] أَلَـمْ تَـرَ أنِّـي يـوْمَ جَوِّ سُوَيْقَةٍ ... بَكَيْـتُ فنَادتني هُنَيْـدَةُ مَـا لِيَـا[(٥)]

---

(١) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ٣٨٩) من طريق جرير بن نوح الحماني، وهو ضعيف الحديث.

(٢) معضل جدّاً: هذا الأثر أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٢٨٥) من طريق ابن إسحاق، عن أبي بكر الصديق، وبينهما مفاوز.

(٣) ساقط من السليمانية.

(٤) ساقط من جار الله.

(٥) عزاه له المفضل بن سلمة في الفاخر (ص: ٧٨)، ومعجم البلدان (٤/ ١٤٠)، والأغاني (١١/ ٣٤٤)، والكامل في اللغة والأدب (١/ ٧٥)، والعقد الفريد (٣/ ١٩٨)، و(جوّ سويقة) موضع، وفي بلاد العرب أجوية كثيرة كل منها يعرف بما نسب إليه.

فأحرز المعنى ونكب عن نداء هنيدة: ما لك؟.

و﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ معناه: بعلمه وتمكينه إياه من هذه المنزلة.

و﴿مُصَدِّقٗا﴾ حال من ضمير القرآن في ﴿نَزَّلَهُۥ﴾.

و ﴿مَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾: ما تقدمه من كتب الله تعالى، و(هُدًى): إرشاد.

و«البشرى»: أكثر استعمالها في الخير، ولا تجيء في الشر إلا مقيدة به.

ومقصد هذه الآية: تشريف جبريل ﷺ وذم معاديه.

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ﴾ الآية وعيد وذم لمعادي جبريل عليه السلام، وإعلام أن عداوة البعض تقتضي عداوة الله لهم، وعداوة العبد لله هي معصيته واجتناب طاعته ومعاداة أوليائه، وعداوة الله للعبد: تعذيبه وإظهار أثر العداوة عليه.

وذكر جبريل وميكائيل وقد كان ذكر الملائكة عمهما[1] تشريفاً لهما، وقيل: خُصَّا لأن اليهود ذكروهما، ونزلت الآية بسببهما، فذكرهما واجب لئلا تقول اليهود: إنا لم نعاد الله وجميع ملائكته.

وقرأ نافع: ﴿ميكائل﴾ بهمزة دون ياء، وقرأ بها ابن كثير في بعض ما روي عنه، وقرأ [ابن عامر][2] وابن كثير أيضاً وحمزة والكسائي: ﴿ميكائيل﴾ / بياء بعد الهمزة، [٧٩] وقرأ أبو عمرو وعاصم: ﴿ميكال﴾، ورويت عن ابن كثير منذ رآها في النوم كما ذكرنا[3].

وقرأ ابن محيصن: (ميكئل) بهمزة دون ألف، وقرأ الأعمش (ميكاييل) بياءين[4].

وظهر الاسم في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ لئلا يشكل عود الضمير.

---

(١) في نسخة: «ينبئ عنهما»، أشار لها في هامش الأصل.

(٢) في السليمانية: ابن عباس، ولعله خطأ.

(٣) هذه ثلاث قراءات سبعية، في التيسير (ص: ٧٥)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ١٦٧)، وقراءة عاصم هي من رواية حفص عنه، أما شعبة فقرأ كقراءة الجمهور، وهي المعروفة لابن كثير، وذكر الوجهين الآخرين عنه في السبعة خاصة.

(٤) المحتسب لابن جني (١/ ٩٧)، وهما قراءتان شاذتان.

وجاءت العبارة بعموم الكافرين؛ لأن عود الضمير على ﴿مَن﴾ يشكل سواء أفردته أو جمعته، و[لو][١] لم نبال بالإشكال، وقلنا: المعنى يدل السامع على المقصد، للزم تعيين قوم بعداوة الله لهم، ويحتمل أن الله تعالى قد علم أن بعضهم يؤمن فلا ينبغي أن تطلق عليه عداوة الله للمآل.

وروي أن رجلاً من اليهود لقي عمر بن الخطاب فقال له: أرأيت جبريل الذي يزعم صاحبك أنه يجيئه، ذلك عدونا، فقال له عمر رضي الله عنه: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ﴾ إلى آخر الآية، فنزلت على لسان عمر رضي الله عنه[٢]، وهذا الخبر يضعَّف من جهة معناه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾، ذكر الطبريُّ أن ابن صوريا قال للنبي ﷺ: يا محمد، ما جئت بآية بينة؟ فنزلت هذه الآية[٣].

و﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ هنا: الخارجون عن الإيمان، فهو فسق الكفر، والتقدير: ما يَكْفُرُ بِها أحد إلَّا الْفاسِقُونَ؛ لأن الإيجاب لا يأتي إلا بعد تمام جملة النفي.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ .... ﴿١٠٢﴾﴾.

---

(١) ليست في الحمزوية.

(٢) منقطع: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٣٩٥) من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى: أن يهوديًّا أتى عمر...، فذكره، وابن أبي ليلى ولد لست بقين من خلافة عمر بن الخطاب.

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٣٩٨) بإسناد ضعيف.

قال سيبويه: الواو واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام[١]، وقال الأخفش: هي زائدة[٢]، وقال الكسائي: هي (أو)، وفتحت تسهيلًا[٣].

وقرأها قوم: (أوْ) ساكنة الواو[٤] فتجيء بمعنى بل، وكما يقول القائل: لأضربنك فيقول المجيب: أوْ يكفي الله.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله متكلف، و(أوْ) في هذا المثل متمكنة في التقسيم، والصحيح قول سيبويه.

وقرئ: (عَهَدُوا عَهْداً)[٥]، وقرأ الحسن، وأبو رجاء: (عوهدوا)[٦].

[وعَهْداً مصدر، وقيل: مفعول بمعنى: أعطوا عهدا] [٧].

والنبذ: الطَّرح والإلقاء، ومنه النبيذ والمنبوذ.

والفريق: اسم جمع لا واحد له من لفظه، ويقع على اليسير والكثير من الجمع، ولذلك فسرت كثرة النابذين بقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ لمَّا احْتَمَل الفريق أن يكون الأقلَّ، و﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ في هذا التأويل حال من الضمير في ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾، ويحتمِل الضميرُ العودَ على الفريق، ويحتمل العود على جميع بني إسرائيل، وهو أذمُّ لهم.

والعهد الذي نبذوه هو ما أخذ عليهم في التوراة من أمر محمد ﷺ.

وفي مصحف ابن مسعود «نقضه فريق»[٨].

---

(١) الكتاب لسيبويه (٣/ ١٨٩).

(٢) معاني القرآن للأخفش (١/ ١٤٧).

(٣) معاني القرآن للكسائي (١/ ٧٨).

(٤) وهي قراءة أبي السمال، كما في المحتسب لابن جني (١/ ٩٩)، وهي قراءة شاذة.

(٥) المحتسب لابن جني (١/ ١٠٠)، وهي قراءة شاذة.

(٦) انظر عزوها للحسن في إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٨٨)، وعزوها لأبي رجاء في تفسير الثعلبي (١/ ٢٤٢)، وهي قراءة شاذة.

(٧) ساقط من السليمانية.

(٨) تفسير الطبري (٢/ ٤٠٢)، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٣٦٤)، والكشاف (١/ ١٩٧)، وهي قراءة شاذة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، يعني به محمداً ﷺ، وما مَعَهُمْ: هو التوراة، و﴿مُصَدِّقٌ﴾ نعت لـ﴿رَسُولٌ﴾.

وقرأ ابن أبي عبلة: (مصدقاً) بالنصب[١].

و(لمّا) يجب بها الشيء لوجوب غيره، وهي ظرف زمان، وجوابها في ﴿نَبَذَ﴾ الذي يجيء.

و ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ الذي أوتوه: التوراة، و﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ مفعول بـ﴿نَبَذَ﴾، والمراد القرآن، لأن التكذيب به نبذٌ، وقيل: المراد التوراة؛ لأن مخالفتها والكفر [بما][٢] أخذ عليهم فيها نبذ.

و﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ مَثَل؛ لأن ما يجعل ظهرياً فقد زال النظر إليه جملة، والعرب تقول: جعل هذا الأمر وراء ظهره ودبر [أذنه][٣]، وقال الفرزدق:

[الطويل] تَمِيمَ بن مُرٍّ لا تكونَنَّ حَاجَتي بِظَهْرٍ فلا يَعْيَىٰ عَلَيَّ جَوابُهَا[٤]

و﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تشبيه بمن لا يعلم، إذ فعلوا فعل الجاهل، فيجيء من اللفظ أنهم كفروا على علم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ الآية، يعني: اليهود، قال ابن زيد [والسُّدي][٥]: المراد: من كان في عهد سليمان[٦].

---

(١) تفسير الثعلبي (١/ ٢٣٤)، والكشاف (١/ ١٩٠).

(٢) في النسخة الحمزوية: «بها».

(٣) في النسخة الحمزوية: «أذنيه».

(٤) البيت للفرزدق، كما في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٩٧)، وطبقات فحول الشعراء (٢/ ٣١١)، وفتوح البلدان للبلاذري (٣/ ٥٤٢) والأغاني (١٠/ ٣٥٥)، والكامل في اللغة والأدب (٢/ ٦٧)، والرواية فيهم وفي المطبوع: تميم بن زيد، وهو الصواب، وهو تميم بن زيد القضاعي ثم أحد بني القين، وفي النسخ الخطية: «تميم بن مرّ»، وكذا ورد في الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ١٣٢).

(٥) سقط من الأصل والحمزوية والمطبوع.

(٦) تفسير الطبري (٢/ ٤٠٥).

وقال ابن عباس: «المراد من كان في عهد النبي ﷺ»(١)، وقيل: الجميع.

و﴿تَتْلُواْ﴾ قال عطاء: معناه: [تقرأ، من التلاوة(٢)، وقال ابن عباس: ﴿تَتْلُواْ﴾ تتبع، كما تقول: جاء القوم](٣) يتلو بعضهم بعضاً. و﴿تَتْلُواْ﴾ بمعنى: تلت، فالمستقبل وضع موضع الماضي، وقال الكوفيون: المعنى ما كانت تتلو.

وقرأ الحسن والضحاك: (الشياطون) بالواو(٤).

وقوله: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ أي: على عهد ملك سليمان، وقيل المعنى: في ملك سليمان بمعنى في قصصه وصفاته وأخباره.

وقال الطبري:(ٱتَّبَعُواْ) بمعنى: فضلوا، و﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ أي: على شرعه ونبوته وحاله(٥).

والذي تلته الشياطين: قيل: إنهم كانوا يلقون إلى الكهنة الكلمة من الحق معها المئة من الباطل، حتى صار ذلك علمهم، فجمعه سليمان ودفنه تحت كرسيه، فلما مات قالت الشياطين: إن ذلك كان علم سليمان، وقيل: بل كان الذي تلته الشياطين [سحراً وتعليمَه، فجمعه سليمان عليه السلام كما تقدم، وقيل:](٦) إنَّ سليمان، عليه السلام كان يملي على كاتبه آصف بن برخيا علمه ويختزنه، فلما مات أخرجته الجن وكتبت بين كل سطرين سطراً من سحر، ثم نسبت ذلك إلى سليمان، وقيل: إن آصف/ [٨٠]

(١) الذي روى الطبري (٢/ ٤٠٥-٤٠٧) في هذا ما حكاه عن السدي والربيع وابن زيد، ولم يذكر شيئاً عن ابن عباس.

(٢) نقله القرطبي (٢/ ٤٢)، والذي في تفسير الطبري (٢/ ٤١٠) عنه: نراه ما تحدث، وفي تفسير الثعلبي (١/ ٢٤٣): يحدّث ويتكلّم به.

(٣) سقط من الحمزوية.

(٤) إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٨٨)، وتفسير الطبري (١٩ / ٤٠٤)، وهي قراءة شاذة.

(٥) تفسير الطبري (٢/ ٤٠٥)، بلفظ: «وآثروا السحر الذي تلته الشياطين في ملك سليمان بن داود فاتبعوه».

(٦) ساقط من جار الله.

تواطأ مع الشياطين على أن يكتبوا سحراً وينسبوه إلى سليمان بعد موته.

وقيل: إنّ الجن كتبت ذلك بعد موت سليمان واختلقته ونسبته إليه، وقيل: إن الجن والإنس حين زال ملك سليمان عنه اتخذ بعضهم السحر والكهانة علماً، فلما رجع سليمان إلى ملكه تتبع كتبهم في الآفاق ودفنها، فلما مات قال شيطان لبني إسرائيل: هل أدلكم على كنز سليمان الذي به سخِّرت له الجن والريح؟ هو هذا السحر، فاستخرجته بنو إسرائيل وانبث[(١)] فيهم، ونسبوا سليمان إلى السحر وكفروا في ذلك، حتى برأه الله على لسان محمد ﷺ، وروي أن رسول الله ﷺ لما ذكر سليمان في الأنبياء قال بعض اليهود: انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء وما كان إلا ساحراً[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ تبرئة من الله تعالى لسليمان، ولم يتقدم في الآيات أن أحداً نسبه إلى الكفر، ولكنها آية نزلت في السبب المتقدم أن اليهود نسبته إلى السحر.

والسحر والعمل به كفر، ويقتل الساحر عند مالك رضي الله عنه كفراً، ولا يستتاب كالزنديق[(٣)]، وقال الشَّافعي: يسأل عن سحره، فإن كان كفراً استتيب منه، فإن تاب وإلا قتل[(٤)].

وقال مالك فيمن يعقد الرجال عن النساء: يعاقب ولا يقتل[(٥)].

واختلف في ساحر أهل الذمة: فقيل: يقتل، وقال مالك: لا يقتل إلا إن قتل بسحره، ويضمن ما جنى، ويقتل إن جاء منه بما لم يعاهد عليه[(٦)].

---

(١) في نور العثمانية: «وأثبت».

(٢) معضل: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٤١٧) فقال: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق، ..فيما بلغه، وهو معضل جدّاً.

(٣) البيان والتحصيل (١٦/ ٤١٣).

(٤) انظر: المجموع شرح المهذب (١٩/ ٢٤٥-٢٤٦).

(٥) انظر: الاستذكار (٨/ ١٦٢).

(٦) انظر: التاج والإكليل على مختصر خليل للمواق (١٢/ ٦٢).

وقرأ نافع، وعاصم، وابن كثير، وأبو عمرو بتشديد النون من (لكنّ)، ونصب ﴿ٱلشَّيَـٰطِينَ﴾، وقرأ حمزة، والكسائي، وابن عامر بتخفيف النون ورفع ﴿الشياطينُ﴾[1]، قال بعض الكوفيين: التشديد أحبُّ إليّ إذا دخلت عليها الواو؛ لأن المخففة بمنزلة «بل»، و«بل» لا تدخل عليها الواو، وقال أبو علي: ليس دخول الواو عليها معنًى يوجب التشديد، وهي مثقلة ومخففة بمعنى واحد، إلا أنها لا تعمل إذا خففت[2].

وكُفر الشياطين إما بتعليمهم السحرَ، وإما بعلمهم به، وإما بتكفيرهم سليمان به، وكل ذلك كان، والناس المعلَّمون أتباع الشياطين من بني إسرائيل.

و﴿ٱلسِّحْرَ﴾ مفعول ثان بـ﴿يُعَلِّمُونَ﴾، وموضع ﴿يُعَلِّمُونَ﴾ نصب على الحال أو رفع على خبر ثان.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾، (ما) عطف على ﴿ٱلسِّحْرَ﴾ فهي مفعولةٌ، وهذا على القول [بأن الله تعالى أنزل السحر على الملكين فتنة للناس ليكفر به من اتبعه ويؤمن به من تركه، أو على قول مجاهد وغيره:][3] أن الله تعالى أنزل على الملكين الشيء الذي يفرق به بين المرء وزوجه دون السحر، أو على القول: إنه تعالى أنزل السحر عليهما ليعلم على جهة التحذير منه والنهي عنه[4]، والتعليم على هذا القول إنما هو تعريف يسير بمبادئه.

وقيل: إن (ما) عطف على ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا تَتْلُواْ﴾، وقيل: (مَا) نافية، رد على قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾، وذلك أن اليهود قالوا: إن الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر، فنفى الله ذلك.

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٦٧)، والتيسير في القراءات السبع للداني (ص: ٧٥).

(٢) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ١٨٠).

(٣) ساقط من أحمد٣.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٩٣)، وتفسير الطبري (٢/ ٤٢٣).

وقرأ ابن عباس، والحسن، والضحاك، وابن أبزى: (الملِكين) بكسر اللام[١].

وقال ابن أبزى: هما داود وسليمان[٢]، وعلى هذا القول أيضا فـ(ما) نافية، وقال الحسن: هما علجان كانا ببابل مَلِكين[٣]، فـ(ما) على هذا القول غير نافية، وقرأهما كذلك أبو الأسود الدؤلي[٤]، وقال: هما هارُوت وَمارُوت، فهذا كقول الحسن.

و(بابل) لا ينصرف للتأنيث والتعريف، وهي قطر من الأرض، واختلف أين هي؟ فقال قوم: هي بالعراق وما والاه، وقال ابن مسعود لأهل الكوفة: «أنتم بين الحيرة وبابل»[٥].

وقال قتادة: هي من نصيبين إلى رأس العين[٦]، وقال قوم: هي بالمغرب، [وهذا ضعيف][٧]، وقال قوم: هي جبل [نهاوند][٨][٩].

و﴿هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ بدل من ﴿ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ على قول من قال: هما ملكان،

(١) المحتسب لابن جني (١/ ١٠٠)، وهي قراءة شاذة.

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٢).

(٣) تفسير البغوي (١/ ١٢٩)، ونقله ابن كثير (١/ ٣٥٢) عن الضحاك.

(٤) قال في البحر المحيط (١/ ٥٢٧): وقرأ ابن عباس والحسن وأبو الأسود الدؤلي والضحاك وابن أبزى: (الملكين)، بكسر اللام.

(٥) لا بأس بإسناده، أخرج الحاكم (٤/ ٥٠٤) من طريق: إسحاق بن الحسين الحربي، ثنا الحسن بن موسى الأشيب، ثنا شيبان بن عبد الرحمن، عن زياد بن علاقة، عن قطبة بن مالك، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: تعلَّمُن أنكم بحيث تختلف الإنس من بين بابل والحيرة، تعلَّمُن أن تسعة أعشار من الخير وعشرا من الشر بالشام، تعلَّمُن أن تسعة أعشار من الشر وعشرا من الخير بسواها، والذي نفس ابن مسعود بيده ليوشكن أن يكون أحب شيء على ظهر الأرض إلى أحدكم أن تكون له أحمرة تنقل أهله إلى الشام..

(٦) زاد المسير في علم التفسير (١/ ٩٦).

(٧) ساقط من أحمد٣، وفيه تقديم وتأخير.

(٨) في الحمزوية وأحمد٣ وجار الله وفيض الله: «دهاوند»، وفي المطبوع ونور العثمانية: «دماوند».

(٩) تفسير السمعاني (١/ ١١٧).

ومن قرأ: (ملِكين) بكسر اللام وجعلهما داود وسليمان، أو جعل الملكين جبريل وميكائيل، جعل ﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ بدلاً من ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾، وقال: هما شيطانان، ويجيء ﴿يُعَلِّمُونَ﴾: إما على أن الاثنين جمع، وإما على تقديرِ أتباعٍ لهذين الشيطانين اللذين هما الرأس، ومن قال: كانا علجين، قال: ﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ بدل من قوله: ﴿ٱلْمَلَكَيْنِ﴾، وقيل هما بدل من ﴿ٱلنَّاسَ﴾ في قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ﴾.

وقرأ الزهري: (هارُوتُ وَمارُوتُ) بالرفع[١]، ووجهه البدل من ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ في قوله: ﴿تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾، أو من ﴿الشياطين﴾ الثاني، على قراءة من خفف (لَكن) ورفع، أو على خبر ابتداء مضمر تقديره: هما هارُوتُ وَمارُوتُ.

وروى من قال: إنهما ملكان، أن الملائكة مقتت حكام بني إسرائيل وزعمت أنها لو كانت بمثابتهم من البعد عن الله لأطاعت حق الطاعة، فقال الله لهم: اختاروا ملكين يحكمان بين الناس، فاختاروا هاروت وماروت، فكانا يحكمان، فاختصمت إليهما امرأة ففتنا بها فراوداها، فأبت حتى يشربا الخمر ويَقتلا، ففعلا، وسألتهما عن الاسم الذي يصعدان به إلى السماء فعلَّماها إياه، فتكلمت به فعرجت، فمسخت كوكباً فهي الزُّهَرة[٢]، وكان ابن عمر يلعنها، وهذا كلُّه ضعيفٌ، وبعيد على ابن عمر رضي الله عنه.

وروي أن الزهرةَ نزلت إليهما في صورة امرأة من فارس، فجرى لهما ما ذكر، فأطلع الله عزَّ وجلَّ الملائكة على ما كان / من هاروت وماروت، فتعجبوا، وبقيا في [٨١]
الأرض لأنهما خيّرا بين عذاب الآخرة وعذاب الدنيا فاختارا عذاب الدنيا، فهما في سَرَب من الأرض معلَّقين يصفقان بأجنحتهما، وروت طائفة أنهما يعلِّمان السحر

(١) الكشاف للزمخشري (١/ ١٩٩)، وهي قراءة شاذة.

(٢) غريب جدّاً: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٤٢٩) من كلام علي، واستغربه ابن كثير (١/ ٣٥٥) جدّاً مع جودة إسناده وثقة رجاله، وأورد له ابن كثير طرقاً أخرى عن علي وضعفها جميعاً.

في موضعهما ذلك، وأخذ عليهما أن لا يعلِّما أحداً حتى يقولا له: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، وهذا القصصُ يزيد في بعض الروايات وينقص في بعض، ولا يُقطع منه بشيء، فلذلك اختصرته.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿.... وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾.

ذكر ابن الأعرابي في «الياقوتة» أن ﴿يُعَلِّمَانِ﴾ بمعنى: يُعْلِمان ويُشْعران كما قال كعب بن زهير[(١)]:

[الطويل]
تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي ... وأنَّ وَعِيداً مِنْكَ كالأخْذِ باليَدِ[(٢)]

وحَمَل[(٣)] هذه الآية على أن الملكين إنما نزلا يُعْلِمان الناس بالسحر وينهيان عنه[(٤)]، وقال الجمهور: بل التعليم على عرفه.

﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾: قالت فرقة: بتعلم السحر، وقالت فرقة: باستعماله، وحكى المهدوي

---

(١) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى الصحابي الشاعر المشهور، انظر ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٤٤٣).

(٢) تابعه على عزوه له تفسير الثعالبي (١/ ٢٨٩)، وعزاه في تفسير القرطبي (٢/ ٥٤) والدر المصون (٢/ ٣٤)، واللباب (٢/ ٣٤٢)، لكعب بن مالك، وعزاه ابن هشام في السيرة (٢/ ٤٢٤)، والتلمساني في الجوهرة (١/ ١٥٧)، لأنس بن زنيم الديلي، وهو الصحيح، وفي الحماسة المغربية (١/ ٨٤) أنه لمَالك بن نمط الهمذاني رضي الله عنه.

(٣) في نسخة: «وجعل»، أشار لها في هامش الأصل.

(٤) نقله عنه مكي في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٣٧٢).

أن قولهما: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ استهزاء[١]، لأنهما إنما يقولانه لمن قد تحققا ضلاله.

و﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ زائدة بعد النفي.

وقوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾: قال سيبويه: التقدير: فهم يتعلمون، [وقيل: هو معطوف على قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ﴾، ومنعه الزجاج][٢]، وقيل: هو معطوف على موضع ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾؛ لأن قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ وإن دخلت عليه ﴿مَا﴾ النافية فمضمنه الإيجاب في التعليم، وقيل: التقدير: فيأبون[٣] فيتعلمون، واختاره الزجاج[٤].

والضمير في ﴿يُعَلِّمَانِ﴾ هو لهاروت وماروت الملَكين، أو الملِكين العِلْجين على ما تقدَّمَ.

والضمير في ﴿مِنْهُمَا﴾ قيل: هو عائد عليهما، وقيل: على ﴿ٱلسِّحْرَ﴾ وعلى الذي أنزل على الملكين، و﴿يُفَرِّقُونَ﴾ معناه: فرقة العصمة، وقيل: معناه: يُؤَخِّذُون[٥] الرجل عن المرأة حتى لا يقدر على وطئها، فهي أيضاً فُرقة.

وقرأ الحسن، والزهري، وقتادة: (المرِ) براء مكسورة[٦] خفيفة، وروي عن الزهري تشديد الراء، وقرأ ابن أبي إسحاق: (المُـرء) بضم الميم وهمزة [وهي لغة هذيل، وقرأ الأشهب العقيلي[٧]: المِرء بكسر الميم وهمزة][٨]، ورويت عن الحسن[٩].

---

(١) نقله عنه القرطبي (٢/ ٥٤).

(٢) ساقط من جار الله.

(٣) في نور العثمانية: «فيأتون».

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٨٥).

(٥) في نور العثمانية وأحمد٣: «يؤخرون»، وأشار لها في هامش السليمانية.

(٦) في أحمد٣ زيادة: «وهمزة».

(٧) الأشهب العقيلي لم أقف له على ترجمة رغم شهرته وكثرة النقل عنه في التفاسير، وهو غير أبي الأشهب العطاردي.

(٨) سقط من السليمانية وجار الله وأحمد٣، إلا أن فيه: لغة بعد الحسن.

(٩) انظر هذه القراءات كلها إلا الرواية الأخيرة عن الحسن في المحتسب لابن جني (١/ ١٠١)، ومختصر الشواذ (ص: ١٦)، وهي شاذة.

وقرأ جمهور الناس: ﴿ٱلْمَرْءِ﴾ بفتح الميم وهمزة.

والزوج هنا: امرأة الرجل، وكل واحد منهما زوج الآخر، ويقال للمرأة: زوجة، قال الفرزدق:

[الطويل]
وإنَّ الـذي يَسْـعَىٰ ليُفْسِـدَ زَوْجَتـي كساع إلىٰ أُسْدِ الشَّـرىٰ يَسْتَبِيلُهَا[1]

وقرأ الجمهور: ﴿بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾، وقرأ الأعمش: (بضارِّي به من أحد)[2].

فقيل: حذفت النون تخفيفاً، وقيل: حذفت للإضافة إلى ﴿أَحَدٍ﴾ وحيل بين المضاف والمضاف إليه بالمجرور.

و﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ معناه: بعلمه وتمكينه، و﴿يَضُرُّهُمْ﴾ معناه: في الآخرة ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ فيها أيضاً، وإن نفع في الدنيا بالمكاسب فالمراعَى إنما هو أمر الآخرة.

والضمير في ﴿عَلِمُواْ﴾ عائدٌ على بني إسرائيل حسب الضمائر المتقدمة، وقيل: على ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾، وقيل: على ﴿ٱلْمَلَكَيْنِ﴾وهما جمع.

وقال: ﴿ٱشْتَرَىٰهُ﴾ لأنهم كانوا يعطون الأجرة على أن يعلّموا، و«الخلاق»: النصيب والحظ، وهو هنا بمعنى الجاه والقدر.

واللام في قوله: ﴿لَمَنِ﴾ المتقدمة للقسم المؤذنة بأن الكلام قَسَم لا شرط.

وتقدم القول في (بئسما).

و﴿شَرَوْاْ﴾ معناه: باعوا، وقد تقدَّمَ مثله.

والضمير في ﴿يَعْلَمُونَ﴾ عائدٌ على بني إسرائيل باتفاق، ومن قال: إن الضمير في ﴿عَلِمُواْ﴾ عائدٌ عليهم خرّج هذا الثاني على المجاز، أي: لمَّا عَمِلوا عمل من لا يعلم

---

(١) البيت للفرزدق، كما تقدم قريباً.

(٢) المحتسب لابن جني (١/ ١٠٣)، وهي قراءة شاذة.

كانوا كأنهم لا يعلمون، ومن قال: إن الضمير في ﴿عَلِمُوا۟﴾ عائدٌ على ﴿ٱلشَّيَـٰطِينَ﴾ أو على ﴿ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ قال: إن أولئك علموا أنْ لا خلاق لمن اشتراه، وهؤلاء لم يعلموا فهو على الحقيقة، وقال مكي: الضمير في ﴿عَلِمُوا۟﴾ لعلماء أهل الكتاب، وفي قوله: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ للمتعلمين منهم[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾: موضع (أنَّ) رفع، المعنى: لو وقع إيمانهم، ويعني الذين اشتروا السحر، و(لو) تقتضي جواباً، فقالت فرقة: جوابها ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾؛ لأنها مصدر يقع للمضي والاستقبال، وجواب (لو) لا يكون إلا ماضياً أو بمعناه، وقال الأخفش: لا جواب لـ﴿لو﴾ في هذه الآية مظهراً ولكنه مقدر، أي: لو آمنوا لأثيبوا[٢].

وقرأ قتادة، وأبو السمال، وابن بريدة: (لمثْوَبة) بسكون الثاء وفتح الواو[٣]، وهو مصدر أيضا كمشُورة ومشْوَرة.

و(مثوبة) رفع بالابتداء و﴿خَيْرٌ﴾ خبره، والجملة خبر (أَنَّ)، والمثوبة عند جمهور الناس بمعنى الثواب والأجر، وهذا هو الصحيح، وقال قومٌ: معناه: لرجعةٌ إلى الله، من ثاب يثوب: إذا رجع، واللام فيها لام القسم؛ لأن لام الابتداء مستغنًى عنها، وهذه لا غنى عنها.

وقوله تعالى: ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ يحتمِل نفي العلم عنهم، ويحتمل أن يراد: لو كانوا يعلمون علماً ينفع.

وقرأ جمهور الناس: ﴿رَٰعِنَا﴾ من المراعاة بمعنى: فاعلنا؛ أي: ارْعَنا نَرْعَكَ، وفي هذا جفاء أن يخاطب به أحد / نبيه، وقد حض الله تعالى على خفض الصوت عنده [٨٢] وتعزيره وتوقيره، فقال من ذهب إلى هذا المعنى: إن الله تعالى نهى المؤمنين عنه لهذه

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٣٨٠).

(٢) معاني القرآن للأخفش (١/ ١٠٩).

(٣) المحتسب لابن جني (١/ ١٠٣)، وهي قراءة شاذة.

العلة، ولا مدخل لليهود في الآية على هذا التأويل، بل هو نهي عن كل مخاطبة فيها استواءٌ مع النبي ﷺ.

وقالت طائفة: هي لغة كانت الأنصار تقولها، فقالها رفاعة بن زيد[1] بن التابوت للنبيّ ﷺ ليًّا بلسانه وطعناً كما كان يقول: (اسمع غير مسمع)، فنهى الله المؤمنين أن تقال هذه اللفظة.

قال القاضي أبو محمد: ووقفُ هذه اللغة على الأنصار تقصير، بل هي لغة لجميع العرب فاعِلٌ من المراعاة، فكانت اليهود تصرفها إلى الرعونة، يُظهرون أنهم يريدون المراعاة ويبطنون أنهم يريدون الرعونة التي هي الجهل.

وحكى المهدوي عن قوم أن هذه الآية على هذا التأويل ناسخة لفعل قد كان مباحاً، وليس في هذه الآية شروط النسخ؛ لأنَّ الأولَ لم يكن شرعاً متقرراً[2].

وقرأ الحسن بن أبي الحسن، وابن أبي ليلى، وابن مُحيصنٍ، وأبو حيوة: (رَاعِناً) بالتنوين[3]، وهذه من معنى الجهل، وهذا محمولٌ على أن اليهود كانت تقوله، فنهى الله تعالى المؤمنين عن القول المباح [سدَّ ذريعة][4] لئلا يتطرق منه اليهود إلى المحظور؛ إذ المؤمنون إنما كانوا يقولون: ﴿رَاعِنَا﴾ دون تنوين.

وفي مصحف ابن مسعود: (راعونا)[5]، وهي شاذة، ووجهها أنهم كانوا يخاطبون النبي ﷺ كما تخاطب الجماعة، يظهرون بذلك إكباره وهم يريدون في الباطن فاعولاً من الرعون.

---

(١) «ابن زيد»: ساقط من جار الله.

(٢) التحصيل للمهدوي: (١/ ٣٠٤).

(٣) عزاها الهذلي في الكامل (ص: ٤٩٠) لابن محيصن، وحميد، والحسن، والأعمش، وأبي حيوة، وعزاها لهم ولابن أبي ليلى في البحر المحيط (١/ ٥٤٢) وهي قراءة شاذة.

(٤) في الحمزوية: «سدّاً للذريعة».

(٥) تفسير الطبري (٢/ ٤٦٧)، معاني القرآن للفراء (١/ ٦٩)، وعزاها تفسير الثعلبي (١/ ٢٥٢) لأبي.

و﴿ٱنظُرۡنَا﴾ مضمومة الألف والظاء، معناها: انتظرنا وأمهل علينا، ويحتمل أن يكون المعنى: تفقدنا(١)، من النظر، وهذه لفظة مُخْلَصة لتعظيم النبي ﷺ على المعنيين.

والظاهر عندي استدعاء نظر العين المقترِنِ بتدبر الحال، وهذا هو معنى ﴿رَٰعِنَا﴾، فبدلت للمؤمنين اللفظة ليزول تعلق اليهود.

وقرأ الأعمش وغيره: (أنظِرْنا) بقطع الألف وكسر الظاء(٢) بمعنى: أخِّرنا وأمهلنا حتى نفهم عنك ونتلقى منك.

ولما نهى الله تعالى في هذه الآية وأمر، حض بعد على السمع الذي في ضمنه الطاعة، وأعلم أن لمن خالف أمره فكفر عذاباً أليماً، وهو المؤلم.

﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ معطوف على (قُولُوا) لا على معمولها.

قوله عز وجل: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥ ۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦﴾.

التقدير: ولا من المشركين، وعمَّ الذين كفروا ثم بيّن أجناسهم من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان ليبيِّن في الألف واللام في ﴿ٱلَّذِينَ﴾ أنها ليست للعهد يراد بها معيَّن، ومعنى الآية: إن ما أمرناكم به من أن تعظموا نبيكم خير من الله منحكم إياه، وذلك لا يودّه الكفار.

ثم يتناول اللفظ كل خير غير هذا، و﴿أَن﴾ مع الفعل بتأويل المصدر، و﴿مِّنۡ﴾ زائدة في قول بعضهم، ولما كان ودُّ نزولِ الخير منتفياً(٣)، قام ذلك مقام الجحد الذي

(١) في نسخة: «ليتفرق»، أشار لها في هامش الأصل.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٣٨٥)، وهي قراءة شاذة.

(٣) في نسخة نور العثمانية: «مبنياً».

يلزم أن يتقدم «مِنْ» الزائدة على قول سيبويه والخليل، وأما الأخفش فيجيز زيادتها في الواجب[١].

وقال قوم: «﴿ مِّنْ ﴾ للتبعيض»؛ لأنهم يريدون أن لا ينزل على المؤمنين من الخير قليل ولا كثير، ولو زال معنى التبعيض لساغ لقائل أن يقول: «نريد أن لا ينزل خيرٌ كامل ولا نكره أن ينزل بعض»، فإذا نُفي ودُّ نزول البعض فذلك أحرى في نزول خير كامل. والرحمة في هذه الآية عامة لجميع أنواعها التي قد منحها الله عباده قديماً وحديثاً، وقال قوم: «الرحمة هي القرآن»[٢]، وقال قوم: «نبوة محمد ﷺ»[٣]، وهذه أجزاء الرحمة العامة التي في لفظ الآية.

وقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ الآية، النسخُ في كلام العرب على وجهين:

أحدهما: النقل؛ كنقل كتاب من آخر، والثاني: الإزالة، فأما الأول فلا مدخل له في هذه الآية، وورد في كتاب الله تعالى في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٩].

وأما الثاني الذي هو الإزالة فهو الذي في هذه الآية، وهو منقسم في اللغة على ضربين:

أحدهما: يثبت الناسخ بعد المنسوخ، كقولهم: «نسخت الشمس الظل»، والآخر: لا يثبت، كقولهم: «نسخت الريح الأثر»، وورد النسخ في الشرع حسب هذين الضربين.

والناسخ حقيقةً هو الله تعالى، ويسمى الخطاب الشرعي ناسخاً إذ به يقع النسخ.

---

(١) تقدم الكلام على مثل هذا مراراً.

(٢) تفسير الطبري (٦ / ٥١٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٩٩) عن مجاهد.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٩٩) عن مجاهد.

وحدُّ الناسخ عند حذاق أهل السنة: «الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتاً، مع تراخيه عنه»(١).

والنسخ جائز على الله تعالى عقلاً؛ لأنه ليس يلزم عنه محال ولا تغيير صفة من صفاته تعالى، وليست الأوامر معلقةً بالإرادة فيلزمَ من النسخ أن الإرادة تغيرت، ولا النسخ لِطُرُوِّ علم، [بل الله تعالى يعلم إلى أي وقت ينتهي أمره بالحكم الأول، ويعلم نسخه له بالثاني، والبَداء لا يجوز على الله تعالى؛ لأنه لا يكون إلا لِطُرُوِّ علم](٢)، أو لتَغَيُّر إرادة، وذلك محال في جهة الله تعالى، وجعلت اليهود النسخ والبداء واحداً، ولذلك لم يُجَوِّزوه فضلُّوا (٣).

والمنسوخ عند أئمتنا: الحكم الثابت نفسه، لا ما ذهبت إليه المعتزلة من أنه مثل الحكم / الثابت فيما يستقبل، والذي قادهم إلى ذلك مذهبهم في أن الأوامر مرادة، [٨٣] وأن الحُسن صفة نفسية للحَسن، ومراد الله تعالى حسن، [وقد قامت](٤) الأدلة على أن الأوامر لا ترتبط بالإرادة، وعلى أن الحُسن والقبح في الأحكام إنما هو من جهة الشرع لا بصفة نفسية(٥).

والتخصيص من العموم يوهم أنه نسخ، وليس به، لأن المخصّص لم يتناوله العموم قط، ولو ثبت قطعاً تناول العموم لشيء ما، ثم أُخرج ذلك الشيءُ عن العموم، لكان نسخاً لا تخصيصاً.

والنسخ لا يجوز في الأخبار، وإنما هو مختص بالأوامر والنواهي(٦).

---

(١) انظر التلخيص للجويني (٢/ ٤٥٢) والمحصول للرازي (٣/ ٤٢٣)، والإحكام للآمدي (٣/ ١١٥).
(٢) ما بين المعكوفتين ملحق في هامش الأصل بخط غير واضح وقد استوضحناه من النسخ الأخرى.
(٣) انظر أصول السرخسي (٢/ ٥٩) الإحكام للآمدي (٣/ ١٢٠ و ١٢١).
(٤) في نسخة نور العثمانية: «وما قامت».
(٥) نقله الزركشي في البحر المحيط (٣/ ١٥٤)، وانظر: اللمع للشيرازي (١/ ٢٩).
(٦) انظر: اللمع للشيرازي (١/ ٣٠)، البحر المحيط في الأصول للزركشي (٣/ ١٥٨).

وردَّ بعض المعترضين الأمر خبراً بأن قال: «أليس معناه: واجب عليكم أن تفعلوا كذا؟» فهذا خبر، والجواب أن يقال: «إن في ضمن المعنى: إلا أن أنسخه عنكم وأرفعه، فكما تضمَّن لفظ الأمر ذلك الإخبار كذلك تضمن هذا الاستثناء».

وصور النسخ تختلف، فقد ينسخ الأثقلُ إلى الأخف، كنسخ الثبوت لعشرة بالثبوت لاثنين[١]، وقد ينسخ الأخف إلى الأثقل، كنسخ يوم عاشوراء والأيام المعدودة[٢] برمضان، وقد ينسخ المِثْل بمِثْله ثقلًا وخفةً كالقِبلة، وقد ينسخ الشيء لا إلى بدل كصدقة النجوى[٣]، والنسخ التام أن تنسخ التلاوة والحكم وذلك كثير، ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «كنا نقرأ: (لا تَرْغَبُوا عَنْ آبائِكُمْ فإِنَّهُ كُفْرٌ بكم)»[٤].

وقد تُنسخ التلاوةُ دون الحكم كآية الرجم، وقد يُنسخ الحكمُ دون التلاوة كصدقة النجوى، وكقوله تعالى: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ [الممتحنة: ١١]، والتلاوة والحكم حكمان، فجائز نسخ أحدهما دون الآخر.

وينسخ القرآن بالقرآن والسُّنة بالسنة، وهذه العبارة يُراد بها الخبر المتواتر القطعي، وينسخ خبرُ الواحد بخبر الواحد، وهذا كله متفق عليه[٥]، وحذَّاق الأئمة على أن القرآن

---

(١) في قوله تعالى: ﴿ٱلْـَٔانَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: ٦٦] وانظر: الإحكام للآمدي (٣/ ١٥٩).

(٢) في هامش أحمد٣: «البيض»، وعليها علامتا صح وخ.

(٣) في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ..﴾ المجادلة، الآية ١٢/ الإتقان (٣/ ٦٧).

(٤) صحيح من كلام عمر، أخرجه البخاري (٦٨٣٠) أما عن أبي بكر فعزاه في كنز العمال (١٥٣٦٧) إلى رسته في كتاب الإيمان عن الحسن قال: قال أبو بكر، به. وهو منقطع، ولا أظنه إلا وهماً، و«بكم» زيادة من جار الله.

(٥) الإحكام للآمدي (٣/ ١٥٩).

ينسخ بالسنة، وذلك موجود في قوله ﷺ: «لا وصية لوارث»[١]، وهو ظاهر مسائل مالك رحمه الله[٢]، وأبى ذلك الشافعي رحمه الله[٣]، والحجة عليه من قوله إسقاطُه الجَلْد في حد الزنا عن الثيب الذي يرجم، فإنه لا مُسقط لذلك إلا السنة؛ فعلُ النبي ﷺ.

وكذلك حذَّاق الأئمة على أن السُّنة تُنسخ بالقرآن، وذلك موجودٌ في القِبلة، فإن الصلاة إلى الشام لم تكن قط في كتاب الله، وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة: ١٠]، فإن رجوعهن إنما كان بصلح النبي ﷺ لقريش.

والحذَّاق على تجويز نسخ القرآن بخبر الواحد عقلاً، واختلفوا: هل وقع شرعاً؟ فذهب أبو المعالي وغيره إلى وقوعه في نازلة مسجد قُباء في التحول إلى القبلة، وأبى ذلك قوم[٤].

ولا يصح نسخ نص بقياس، إذْ من شروط القياس أن لا يخالف نصّاً.

وهذا كله في مدة النبي ﷺ، وأما بعد موته واستقرار الشرع فأجمعت الأمة أنه لا نسخٍ، ولهذا كان الإجماع لا يَنْسَخُ ولا يُنْسَخُ؛ لأنه إنما ينعقد بعد النبي ﷺ، فإذا وجدنا إجماعا يخالف نصّاً فنعلم أن الإجماع استند إلى نصٍّ ناسخٍ لا نعلمه نحن.

وقال بعض المتكلمين: «النسخُ الثابت متقرِّر في جهة كل أحد عَلِمَ الناسخَ أو

(١) قَبِله أهل العلم وأجمعت الأمة عليه، وبوب به البخاري، وإن كانت أسانيده لا تنهض على كثرتها، وقد أخرج أصحاب السنن اثنين منها، وحسن الترمذي أحدها (٢١٢٠) مع تحفة الأشراف (٤٨٨٢)، قال الشافعي: وروى بعض الشاميين حديثاً ليس مما يثبته أهل الحديث بأن بعض رجاله مجهولون فرويناه عن النبي ﷺ منقطعاً، واعتمدنا على حديث أهل المغازي عامة: أن النبي ﷺ قال عام الفتح: لا وصية لوارث، وإجماع العامة على القول به.اهـ من السنن الكبرى للبيهقي (٦/ ٢٦٤). وبوب به البخاري (٢٧٤٧) وراجع البدر المنير (٧/ ٢٦٣ فما بعده).

(٢) انظر تفسير القرطبي (٢/ ٦٥).

(٣) الإحكام للآمدي (٣/ ١٦٢).

(٤) انظر الخلاف فيه في الإحكام للآمدي (٣/ ١٦١)، الفصول في الأصول (٢/ ٣٢٢).

لم يعلمه»، والذي عليه الحذاق أن من لم يبلغه الناسخ[١] فهو متعبدٌ بالحكم الأول، فإذا بلغه الناسخ طرأ عليه حكم النسخ[٢]، والحذاق على جواز نسخ الحكم قبل فعله، وهو موجود في كتاب الله تعالى في قصة الذبيح.

وقرأ جمهور الناس: ﴿مَا نَنسَخْ﴾ بفتح النون، من نسخ، وقرأت طائفة: ﴿نُنْسِخ﴾، بضم النون من أنسخ، وبها قرأ ابن عامر وحده من السبعة[٣].

قال أبو علي الفارسي: «ليست لغة، لأنه لا يقال: نسَخَ وأنْسخ بمعنى، ولا هي للتعدية؛ لأن المعنى يجيء: ما نكتب من آية، أي: ما ننزل، فيجيء القرآن كله على هذا منسوخاً[٤]، وليس الأمر كذلك، فلم يبق إلا أن يكون المعنى: ما نجده منسوخاً، كما تقول: أحمدْتُ الرجل وأبخلته، بمعنى: وجدته محموداً أو بخيلاً»[٥].

قال أبو علي: «وليس[٦] نجده[٧] منسوخاً إلا بأنْ نَسَخه[٨]، فتتفق القراءتان في المعنى وإن اختلفتا في اللفظ»[٩].

قال القاضي أبو محمد: وقد خرَّج قرَأة[١٠] هذه القراءة المعنى على وجهين:

---

(١) في فيض الله: «النسخ».
(٢) الإحكام لابن حزم (١ / ٦١)، كتاب الاجتهاد للجويني (١ / ٢٤).
(٣) فالقراءتان متواترتان، انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٦).
(٤) سقطت من نسخة نور العثمانية.
(٥) الحجة لأبي علي (٢/ ١٨٥).
(٦) في جار الله: «لم».
(٧) في المطبوع: «يجده».
(٨) في المطبوع: «ينسخه».
(٩) الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ١٨٦)، ولفظه: وهو أن قوله: ﴿نُنسخ﴾ نجده منسوخاً، وإنما نجده كذلك لنسخه إياه، فإذا كان كذلك كان قوله: ﴿نُنسخ﴾ بضم النون، كقراءة من قرأ ﴿نَنسَخْ﴾ بفتح النون، يتفقان في المعنى وإن اختلفا في اللفظ.
(١٠) جمع قارئ على مثال حَفَظة وحافظ.

أحدهما: أن يكون المعنى: ما نكتب وننزل من اللوح المحفوظ، أو: ما نؤخر فيه ونترك فلا ننزله، أي: ذلك فعلنا فإنا نأتي بخير من المؤخر المتروك أو بمثله، فيجيء الضميران في ﴿مِّنْهَآ﴾ و﴿مِثْلِهَآ﴾ عائدين على الضمير في ﴿نُنسِهَا﴾.

والمعنى الآخر أن يكون ﴿نُنْسِخْ﴾ من النسخ بمعنى الإزالة، ويكون التقدير: ما نُنْسِخك، أي: نبيح لك نسخَه، كأنه لمَّا نسخها الله أباح لنبيه تركها بذلك النسخ، فسمى تلك الإباحة إنساخاً، و﴿مَا﴾ شرطية وهي مفعولة بـ﴿نَنسَخْ﴾، و﴿نَنسَخْ﴾ جزم بالشرط.

واختلف القراء في قراءة قوله: ﴿نُنسِهَا﴾، فقرأ نافع وحمزة والكسائي وعاصم وابن عامر وجمهور من الناس: ﴿نُنسِهَا﴾ بضم النون الأولى وسكون الثانية وكسر السين وترك الهمزة[1] وهذه من أنسى المنقول من نسي.

وقرأت فرقة كما تقدم إلا أنها همزت بعد السين[2]، فهذه بمعنى التأخير، تقول العرب: أنسأت الدَّين وغيره أُنسئه إنساءً، إذا أخرته[3] / . [٨٤]

وقرأت طائفة: (أو نَنْسَها) بفتح النون الأولى وسكون الثانية وفتح السين، وهذه بمعنى الترك، ذكرها مكي ولم ينسبها[4]، وذكرها أبو عبيد البكري[5] في كتاب «اللآلي» عن سعد بن أبي وقاص[6]، [وأُرَاه وهمَ.

(١) التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٦).
(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٥٥٠).
(٣) انظر: تهذيب اللغة (٤/ ٣٢٥).
(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١ / ٣٨٦).
(٥) هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، نزل قرطبة، وحدث عن: أبي مروان بن حيان، وأبي بكر المصحفي، وكان إماماً، لغوياً، إخباريّاً، متقناً، علامة، وكان من أوعية العلم وبحور الأدب، توفي سنة (٤٨٧هـ). تاريخ الإسلام (٣٣/ ٢٠٨).
(٦) نقله أبو حيَّان في البحر المحيط (١/ ٥٥٠)، والذي في نسخة سمط اللآلي المطبوع (١/ ٥) عزوها لسعيد بالياء غير منسوب.

وقرأ سعد بن أبي وقاص][1]: (أَوْ تُنْسَها) على مخاطبة النبي ﷺ ونون بعدها ساكنة وفتح السين، هكذا قال أبو الفتح وأبو عمرو الداني[2]، فقيل [لسعد][3]: «إن سعيد بن المسيب يقرؤها بنون أولى مضمومة وسين مكسورة»، فقال: «إن القرآن لم ينزل على المسيب ولا على آل المسيب»، وتلا: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦]، ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤][4].

وقرأ سعيد بن المسيب فيما ذكر عنه أيضاً: (أو تُنْسَهَا) بضم التاء أولاً وفتح السين وسكون النون بينهما[5]، وهذه من النسيان.

وقرأ الضحاك بن مزاحم وأبو رجاءٍ: (نُنَسِّها) بضم النون الأولى وفتح الثانية وسين مكسورة مشددة[6]، وهذه أيضاً من النسيان.

وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن عباس وإبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح ومجاهد وعبيد بن عمير وابن كثير وأبو عمرو: ﴿نَنْسَأْها﴾ بنون مفتوحة وأخرى بعدها ساكنة، وسين مفتوحة وألف بعدها مهموزة[7]، وهذه من التأخير، تقول العرب: «نسأتُ الإبل عن الحوض أنسؤها نسأً، أي: أخرتها، وكذلك يقال: أنسأ

---

(١) ساقط من فيض الله.

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٤)، ومختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٦)، ولم أقف على كتاب الداني الذي عزاها له فيه.

(٣) «لسعد»: ساقطة من الحمزوية.

(٤) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٥)، والمصاحف (١/ ٢٣٢).

(٥) مختصر الشواذ (ص١٦)، وعزاها له وللضحاك في المحتسب (١ / ١٠٣)، وهي قراءة شاذة.

(٦) انظر عزوها لأبي رجاء في المحتسب لابن جني (١/ ١٠٣)، ومختصر الشواذ (ص: ١٦)، وهي قراءة شاذة، وتابعه على عزوها للضحاك أبو حيان في البحر المحيط (١ / ٥٥٠)، وتقدم أن ابن جني عزا له مثل قراءة سعيد الثانية، وكذا الكرماني في الشواذ (ص: ٧٢).

(٧) وهي متواترة، انظر عزوها لابن كثير وأبي عمرو في التيسير (ص: ٧٦)، وللباقين في الحجة لأبي علي الفارسي (٢ / ١٨٦).

الإبل: إذا زاد في ظمئها يوماً أو يومين أو أكثر من ذلك، بمعنى: أخَّرها عن الورد»[١].

وقرأت فرقة مثل هذه القراءة إلا أنها بتاء مفتوحة أولاً على مخاطبة النبيّ ﷺ وإسناد الفعل إليه[٢].

وقرأ أبو حيوةَ مثل ذلك إلا أنه ضم التاء أولاً[٣].

وقرأ أبي بن كعب: (أو نُنْسِكَ) بضم النون الأولى وسكون الثانية وسين مكسورة وكاف مخاطبة[٤].

وفي مصحف سالم مولى أبي حذيفة[٥]: (أو نُنسِكَها) مثل قراءة أبيٍّ إلا أنه زاد ضمير الآية[٦].

وقرأ الأعمش: (ما نُنْسِك من آية أو ننسَخْها نَجِئْ بمثلها)، وهكذا ثبتت في مصحف عبد الله بن مسعود[٧].

وهذه القراءات لا تخلو كل واحدة منها أن تكون من النَّسْء أو الإنساء بمعنى التأخير، أو تكون من النسيان، والنسيان في كلام العرب يجيء في الأغلب ضد الذكر،

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٦)، وتهذيب اللغة (٤/ ٣٢٦).

(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٥٥٠)، بلا نسبة.

(٣) نسبها له أبو حيان (١/ ٥٥١).

(٤) وهي قراءة شاذة لمخالفة الرسم، انظر عزوها له في الحجة لأبي علي (٢/ ١٩٥)، ونقلها في تفسير الطبري (٢/ ٤٧٤)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٦٤)، عن ابن مسعود.

(٥) أحد السّابقين الأولين، قال البخاريّ: مولاته امرأة من الأنصار، قال ابن حبّان: يقال لها: ليلى، ويقال: ثبيتة بنت يعار، كانت امرأة أبي حذيفة، كان من أفاضل الصحابة وأقرئهم، استشهد مع مولاه في اليمامة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ١١).

(٦) معاني القرآن للفراء (١/ ٦٤)، وتفسير الثعلبي (١/ ٢٥٥)، والحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ١٩٥)، وهي قراءة شاذة.

(٧) عزاها لابن مسعود تفسير الطبري (٢/ ٤٧٤)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٦٤)، وللأعمش الحجة لأبي علي (٢/ ١٩٥)، وهي شاذة.

وقد يجيء بمعنى الترك، فالمعاني الثلاثةُ [مقولة][(١)] في هذه القراءات، فما كان منها يترتب في لفظة النسيان الذي هو ضد الذكر، فمعنى الآية: ما ننسخ من آية أو نقدِّر نسيانك لها فتنساها حتى ترتفع جملةً وتذهب فإنَّا نأتي بما هو خيرٌ منها لكم أو مثلٌ في المنفعة.

وما كان من هذه القراءات يُحمل على معنى الترك فإن الآية معه تترتب فيها أربعة معان: أحدها: ما ننسخ على وجوه[(٢)] النسخ أو نترك غير منزلٍ عليك فإنا لا بد أن ننزل رفقاً بكم خيراً من ذلك أو مثله حتى لا ينقص الدين عن [حد][(٣)] كماله.

والمعنى الثاني: أو نترك تلاوته وإن رفعنا حكمه، فيجيء النسخ على هذا رفع التلاوة والحكم.

والمعنى الثالث: أو نترك حكمه وإن رفعنا تلاوته، فالنسخ أيضاً على هذا رفع التلاوة والحكم.

والمعنى الرابع: أو نتركها غير منسوخةِ الحكم ولا التلاوة، فالنسخ على هذا المعنى هو على جميع وجوهه، ويجيء الضميران في ﴿مِّنۡهَآ﴾ أوْ ﴿مِثۡلِهَآ﴾ عائدين على المنسوخة فقط، وكان الكلام: إنْ نسخنا أو أبقينا فإنَّا نأتي بخير من المنسوخة أو مثلها.

وما كان من هذه القراءات يحمل على معنى التأخير فإن الآية معه تترتب فيها المعاني الأربعة التي في[(٤)] الترك:

أولها: ما ننسخ أو نؤخر إنزاله.

---

(١) في الحمزوية: «موجودة».

(٢) في نسخة نور العثمانية: «وجود»، والمثبت هو الصواب، ووجوه النسخ هي: نسخ التلاوة والحكم، أونسخ أحدهما وبقاء الآخر.

(٣) سقطت من أحمد٣ وجار الله.

(٤) في المطبوعة: «فيها».

والثاني: [ما ننسخ النسخ الأكمل أو نؤخر حكمه وإن أبقينا تلاوته.

والثالث][١]: ما ننسخ النسخ الأكمل أو نؤخر تلاوته وإن أبقينا حكمه.

والرابع: ما ننسخ أو نؤخره مثبتاً [لا][٢] ننسخه، ويعود الضميران كما ذكرنا في الترك، وبعض هذه المعاني أقوى من بعض، لكن ذكرنا جميعها لأنها تحتمل، وقد قال جميعها العلماء، إمَّا نصًّا، وإما إشارة فكملناها.

وقال الزجاج: «إن القراءة ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ بضم النون وسكون الثانية وكسر السين لا يتوجه فيها معنى الترك؛ لأنه لا يقال أنسى: بمعنى ترك»[٣].

وقال أبو علي وغيره: «ذلك متَّجه ؛ لأنه بمعنى: نجعلك تتركها»[٤].

وكذلك ضعَّف الزجاج أن تحمل الآية على النسيان الذي هو ضد الذكر، وقال: «إن هذا لم يكن للنبي ﷺ ولا نسي قرآناً»[٥].

وقال أبو علي وغيره: «ذلك جائز، وقد وقع، ولا فرق بين أن ترفع الآية بنسخ أو بتنسئة»[٦].

واحتج الزجاج بقوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦][٧]، أي لم نفعل.

قال أبو علي: «معناه: لم نذهب بالجميع»[٨].

---

(١) ما بين المعكوفتين سقط من الحمزوية.

(٢) في الحمزوية: «لم».

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٩٠).

(٤) الحجة لأبي علي (٢/ ١٨٨).

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٨٨).

(٦) الحجة لأبي علي (٢/ ١٩٥).

(٧) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٨٩)، وقد سقط من الحمزوية ذكر الزجاج.

(٨) الحجة لأبي علي (٢/ ١٩٨).

قال القاضي أبو محمد: على معنى إزالة النعمة كما توعد، وقد حكى الطبري القول عن أقدم من الزجاج، ورد عليه[١]، والصحيح في هذا: أن نسيان النبي ﷺ لمَا أراد الله تعالى أن ينساه ولم يُرِدْ أن يثْبت قرآناً جائزٌ.

فأما النسيان الذي هو آفة في البشر فالنبي ﷺ معصوم منه قبل التبليغ، وبعد التبليغ ما لم يحفظه أحد من الصحابة، وأما بعد أن يحفظ فجائز عليه ما يجوز على البشر؛ لأنه قد بلَّغ وأدى الأمانة، ومنه الحديث حين أسقط آية، فلما فرغ من الصلاة قال: «أفي القوم أُبيٌّ؟» قال: نعم يا رسول الله، قال: «فَلِمَ لمْ تُذكِّرني؟» قال: حسبت
[٨٥] أنها رفعت، فقال النبيّ ﷺ: / «لم تُرفع ولكني نُسِّيتها»[٢].

ولفظة (خير) في الآية صفة تفضيل، والمعنى: بأنفع لكم أيها الناس في عاجل إن كانت الناسخة أخف، وفي آجلٍ إنْ كانت أثقل، وبمثلها إن كانت مستوية، وقال قوم «(خير) في الآية مصدر و(من) لابتداء الغاية».

ويقلق[٣] هذا القول لقوله تعالى: ﴿أَوۡ مِثۡلِهَآ﴾ إلا أن يعطف «المثل» على الضمير في ﴿مِّنۡهَآ﴾ دون إعادة حرف الجر، وذلك معترَض.

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤٨٩).

(٢) مرسل صحابي صحيح، هذا الحديث أخرجه أحمد (٢٤/ ٨٠)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٦٧)، وابن خزيمة في صحيحه (١٦٤٧) وغيرهم من طريق يحيى بن سعيد القطان، قال: ثنا سفيان، ثنا سلمة بن كهيل، عن ذر، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه مرفوعاً به. وهذا مرسل، عبد الرحمن بن أبزى وإن أدرك النبي ﷺ وصلى خلفه إلا أنه كان صغيراً، وروايته أكثرها عن كبار الصحابة، ورواه عنه أبو موسى محمد بن المثنى وبندار محمد بن بشار، بذكر أبي بن كعب في السند، رواه ابن خزيمة في صحيحه (١٦٤٧). وهو بهذا موصول، لكن الأكثر على روايته بدون أبي، قال الدارقطني: غريب من حديث الثوري عن سلمة بن كهيل لم يسنده عن أبي بن كعب غير يحيى بن سعيد القطان وروي عن إسحاق الأزرق عن الثوري مرسلاً ومسنداً. نقله الضياء في المختارة (٣/ ٤٢٩-٤٣٠).

(٣) في نسختي نور العثمانية والحمزوية: «وتعلق».

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ﴾ ظاهرُه الاستفهام ومعناه التقرير، والتقرير محتاج إلى معادل كالاستفهام المحض، فالمعادل هنا على قول جماعة: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾.

وقال قوم: «﴿أَمْ﴾ هنا منقطعة»، فالمعادل على قولهم محذوف تقديره: أم علمتم، وهذا كله على أن القصد [بمخاطبة][١] النبي ﷺ مخاطبة أمته، وأما إن كان هو المخاطَبَ وحده فالمعادل محذوف لا غير، وكلا القولين مَرْوِيٌّ[٢].

ومعنى الآية: أن الله تعالى ينسخ ما يشاء[٣]، ويثبت ما يشاءُ، ويفعل في أحكامه ما يشاء، هو قدير على ذلك وعلى كل شيءٍ، وهذا لإنكار اليهود النسخ.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [لفظ][٤] عموم [معناه الخصوص، إذ[٥] لم تدخل فيه الصفات القديمة بدلالة العقل[٦]، ولا المُحالات لأنها ليست بأشياء][٧]، والشيء [في كلام العرب]: الموجود[٨].

و﴿قَدِيرٌ﴾ اسم فاعل على المبالغة من: قدَر بفتح العين، يقدِر بكسرها، ومن العرب من يقول: قدِر ـ بكسر العين ـ يقدَر بفتحها[٩].

---

(١) في الحمزوية وأحمد٣: «مخاطبة».

(٢) هذه الأقوال ذكرها الطبري في تفسيره (٢/ ٤٩٢).

(٣) في نور العثمانية وجار الله: «ما شاء» في الموضعين، وأشار لها في هامش الأصل.

(٤) من نور العثمانية وأحمد٣، ولعلها كتبت في هامش الأصل ولم تظهر في التصوير.

(٥) في نور العثمانية بدل لفظة إذ: «قال المتكلمون».

(٦) يعني أن صفات الله تعالى قديمة بقدمه عز وجل، أزلية بأزليته تعالى، وليست مخلوقة. فهي ليست داخلة في عموم كلمة (شيء) ومن ثَمَّ فليس عموم كلمة (شيء) مرادا، وإنما المراد به بعض العموم، وعليه فإنه يطلق على هذا العموم أنه عموم أريد به الخصوص.

(٧) ساقط من الحمزوية والسليمانية وكذا جار الله، لكنه ملحق في هامش وعليه علامة «صح».

(٨) في الحمزوية: «في العرف الموجود».

(٩) المخصص لابن سيده (٤ / ٢٧٦).

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾.

الملك: السلطان ونفوذ الأمر والإرادة، وجمع الضمير في ﴿لَكُم﴾ دالٌّ على أن المراد بخطاب النبي ﷺ خطاب أمته.

والوليُّ: فعيل من ولي: إذا جاور ولصق، فالناصر والمعين والقائم بالأمر والحافظ كلهم مجاور بوجه ما، والنصير فعيل من النصر، وهو أشد مبالغة من ناصر.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾: قالت فرقة:[«﴿أَمْ﴾ رد على الاستفهام الأول، فهي معادِلته»، وقالت فرقة][١]: «﴿أَمْ﴾ استفهام مقطوع من الأول، كأنه قال: أتريدون»[٢]، وهذا موجود في كلام العرب[٣].

وقالت فرقة: «﴿أَمْ﴾ هنا بمعنى «بل» وألف الاستفهام»، قال مكي وغيره: «وهذا يضعف لأن «أم» لا تقع بمعنى «بل» إلا إذا اعترض المتكلم شك فيما يورده»[٤].

قال القاضي أبو محمد: وليس كما قال مكي رحمه الله، لأن «بل» قد تكون للإضراب عن اللفظ الأول [لا][٥] عن معناه، وإنما يلزم ما قال على أحد مَعْنَيَيْ «بل» وهو الإضراب عن اللفظ الأول[٦] والمعنى، ونِعْمَ ما قال سيبويه: «بل: لترك كلام وأخذ في غيره»[٧].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من الحمزوية.

(٢) في الحمزوية: «أم تريدون».

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٤٩٢).

(٤) انظر: الهداية لمكي (١/ ٣٩٣).

(٥) من الحمزوية سقطت: «لا».

(٦) «الأول»: زيادة من نور العثمانية، وفي الحمزوية: «الأمر» بدل «اللفظ».

(٧) الكتاب (٣/ ١٩٠)، بمعناه.

وقال أبو العالية: «إن هذه الآية نزلت حين قال بعض الصحابة للنبي ﷺ: ليت ذنوبنا جرت مجرى ذنوب بني إسرائيل بتعجيل العقوبة في الدنيا، فقال النبي ﷺ: «قد أعطاكم الله خيراً مما أعطى بني إسرائيل»، وتلا: «﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]»[١]، فتجيء إضافة الرسول ﷺ إلى الأمة على هذا حسب الأمر في نفسه وحسب إقرارهم.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: «إن رافع بن حريملة[٢] اليهودي سأل النبي ﷺ تفجير عيون وغير ذلك»[٣]، وقيل: «إن كفار قريش سألوا النبي ﷺ أن يأتيهم بالله[٤] جهرة»، وقيل: «سألوه أن يأتي بالله والملائكة قبيلاً»، وقال مجاهد: «سألوه أن يرد الصفا ذهباً، فقال لهم: خذوا ذلك كالمائدة لبني إسرائيل، فأبوا ونكصوا»[٥].

قال القاضي أبو محمد: فتجيء على هذه الأقوال إضافة الرسول إليهم[٦] حسب الأمر في نفسه، لا على إقرارهم، و﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ﴾ عليه السلام هو: أن يرى الله جهرة.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن وغيره: (سِيلَ) بكسر السين وياءٍ[٧] وهي لغة، يقال: سِلتُ أسالُ[٨]، ويحتمل أن يكون مَن هَمز أبدل الهمزة ياء على غير قياس، ثم كسر السين

---

(١) والحديث مرسل ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٤٩١) بإسناد ضعيف عن أبي العالية مرسلاً.

(٢) أحد أحبار اليهود الذين تنازعوا مع أهل نجران من النصارى عند رسول الله ﷺ، انظر خبره في سيرة ابن هشام (١/ ٥٤٩)

(٣) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٤٩٠) بإسناد فيه من لا يعرف، وسقطت من الحمزوية: «وغير ذلك».

(٤) في أحمد٣ والسليمانية وجار الله وفيض الله: «الله».

(٥) تفسير مجاهد (ص: ٢١٢).

(٦) ساقطة من الحمزوية: «إليهم».

(٧) نقلها عنه النحاس في إعراب القرآن (١/ ٧٤).

(٨) انظر: الأصول في النحو (٣/ ٤٧٠).

من أجل الياء، وقرأ بعض القراء بتسهيل الهمزة [بين الهمزة][١] والياء مع ضم السين[٢].

وكنَّى عن الإعراض عن الإيمان والإقبال على الكفر بالتبديل.

وقال أبو العالية: «الكفر هنا: الشدة، والإيمان الرخاء»، وهذا ضعيف، إلا أن يريدهما مستعارتين، أي: الشدةُ على نفسه والرخاءُ لها عبارةٌ عن العذاب [أو النعيم][٣]، وأما المتعارفُ من شدة أمور الدنيا ورخائها فلا تفسر الآية به.

و﴿ضَلَّ﴾ أخطأ الطريق، والسواء من كل شيء: الوسط والمُعْظَم، ومنه قوله تعالى: ﴿فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]، وقال عيسى بن عمر: «كتبت حتى انقطع سوائي»[٤]، وقال حسان بن ثابت في رثاء النبي ﷺ على ما ذكر ابن إسحاق وغيره[٥]:

[الكامل] يا وَيْحَ أنْصار النَّبيِّ وَرَهْطِهِ بَعْدَ الْمُغَيَّبِ في سواءِ المَلْحَدِ[٦]

وقال أبو عبيدة[٧]: «هو في[٨] عثمان بن عفان رضي الله عنه»، وهو عندي وهم منه.

والسَّبِيل عبارة عن الشريعة التي أنزلها الله لعباده، لمَّا كانت كالسبب إلى نيل رحمته كانت [كالسبيل][٩] إليها.

---

(١) ساقط من الحمزوية والسليمانية.

(٢) أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٥٥٥)، بلا نسبة.

(٣) في الأصل: «والتنعيم».

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٥٠).

(٥) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٣٢٢)، وسيرة ابن هشام (٣/ ٨٥).

(٦) البيت لحسان بن ثابت كما في الحماسة المغربية (١/ ٧٨)، والكامل (٤/ ٩)، ونهاية الأرب (١٨/ ٢٦٤)، والمصادر السابقة.

(٧) في فيض الله: «أبو عبيد»، وهو خطأ، فالمقصود أبو عبيدة معمر بن المثنى. انظر مجاز القرآن له (١/ ٥٠).

(٨) في سقطت من المطبوع.

(٩) في المطبوع: «السبيل».

وقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ ﴿كَثِيرٌ﴾ مرتفع بـ﴿وَدَّ﴾، وهو نعت لنكرة، / وحذْفُ الموصوف النكرة قلق [١]، ولكن جاز هنا لأنها صفة متمكنة ترفع الإشكال بمنزلة فريق. [٨٦]

قال الزهري: «عني بـ﴿كَثِيرٌ﴾ واحد، وهو كعب بن الأشرف»[٢]، وهذا تحامل، وقوله تعالى: ﴿يَرُدُّونَكُم﴾ يرد عليه.

وقال ابن عباس: «المراد ابنا أخطب، حييٌّ وأبو ياسر»[٣].

قال القاضي أبو محمد: وفي الضمن[٤] الأتباع، فتجيء العبارة متمكنة.

و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ هنا التوراة، و﴿لَوْ﴾ هنا بمنزلة «أن» لا تحتاج إلى جواب، وقيل: يتقدر جوابها في ﴿وَدَّ﴾، التقدير: لو يردونكم لودوا ذلك، فـ﴿وَدَّ﴾ دالة على الجواب، لأن من شرطه أن يكون متأخراً عن ﴿لَوْ﴾، و﴿كُفَّارًا﴾ مفعول ثان، ويحتمل أن يكون حالاً، و﴿حَسَدًا﴾ مفعول له، وقيل: هو مصدر في موضع الحال.

واختلف في تعلق قوله: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾: فقيل: يتعلق بـ﴿وَدَّ﴾ لأنه بمعنى: ودوا، وقيل: يتعلق بقوله: ﴿حَسَدًا﴾، فالوقف على قوله: ﴿كُفَّارًا﴾، والمعنى على هذين القولين: أنهم لم يجدوا ذلك في كتاب ولا أُمروا به فهو من تلقائهم، ولفظة الحسد تعطي هذا، فجاء ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ تأكيداً وإلزاماً، كما قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ [آل عمران: ١٦٧]، و﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩]، ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقيل: يتعلق بقوله: ﴿يَرُدُّونَكُم﴾، فالمعنى: أنهم ودوا الرد بزيادة أن يكون من تلقائهم، أي: بإغوائهم وتزيينهم.

---

(١) في المطبوع: «قليل».

(٢) رواه ابن أبي حاتم (١/ ٢٠٤).

(٣) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٤٩٩) بإسناد فيه من لا يُعرف.

(٤) في الحمزوية: «الضمير».

واختلف في سبب هذه الآية، فقيل: «إن حذيفة بن اليمان و[عمار بن ياسر][(١)] أتيا بيت المدراس[(٢)]، فأراد اليهود [صرفهما عن دينهما][(٣)]، فثبتا عليه [ونزلت الآية»][(٤)].

وقيل: «إنما هذه الآية تابعة في المعنى لما تقدم من نهي الله عن متابعة أقوال اليهود في ﴿ رَٰعِنَا ﴾ وغيره، وأنهم لا يودون أن ينزل خير، ويودون أن يردوا المؤمنين كفاراً».

والْحَقُّ: المراد به في هذه الآية نبوة محمد ﷺ، وصحة ما المسلمون عليه، وهذه الآية من الظواهر في صحة الكفر عناداً، واختلف أهل السنة في جواز ذلك، والصحيح عندي جوازُهُ عقلاً وبُعْدُهُ وقوعاً، ويترتب في كل آية تقتضيه أن المعرفة تسلب في ثاني حال من العناد.

والعفو: ترك العقوبة، وهو من: عَفَت الآثار، والصفح: الإعراض عن المذنب، كأنه يولي صفحة العنق.

وقال ابن عباس: «هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله ﴿صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]»[(٥)]، وقيل: «بقوله: (اقتُلُوْا المشركين)[(٦)]»، وقال

---

(١) في الحمزوية: «وعثمان بن» وبعده بياض.

(٢) في الحمزوية: «بيت المقدس».

(٣) التثنية من السليمانية، وهي أولى، وفي النسخ الأخرى: صرفهم عن دينهم بالجمع.

(٤) ساقط من الحمزوية والسليمانية وجار الله، ولم أجد هذا الأثر.

(٥) هذا الأثر أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ١٨٥)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، ولم يسمع منه.، وهذا الكلام يروى عن قتادة وأبي العالية والسدي والربيع ابن أنس وغيرهم.

(٦) جزء من قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وهو قول بن عباس وقتادة أيضاً، انظر: تفسير الطبري (٢/ ٥٠٣ و٥٠٤) وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٠٦) وأحكام القرآن للجصاص (١/ ٧٤).

قوم: «ليس هذا حدَّ المنسوخ، لأن هذا في نفس الأمر كان التوقيف على مدته».

قال القاضي أبو محمد: وهذا على من يجعل الأمر المنتظر أوامر الشرع أو قتل قريظة وإجلاء النضير[١].

وأما من يجعله آجال بني آدم فيترتب النسخ في هذه الآية بعينها، لأنه لا يُختلف أن آيات الموادعة المطلقة قد نسخت كلها، والنسخ: هو مجيء الأمر في هذه المقيَّدة، وقيل: مجيء الأمر هو فرض القتال، وقيل: قتل قريظة وإجلاء النضير.

وقال أبو عبيدة في هذه الآية: «إنها منسوخة بالقتال، لأن كل آية فيها ترك[٢] القتال فهي مكية منسوخة»[٣]، وحكمه بأن هذه الآية مكية ضعيف، لأن معاندات اليهود إنما كانت بالمدينة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ مقتضاه في هذا الموضع[٤] وعد للمؤمنين.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ... ﴿١١٣﴾﴾.

---

(١) وقع في الأصل هنا: «وقال أبو عبيدة في هذه الآية أنها» وعليه إشارة تصحيح تشير إلى أنه في غير محله لأنه تكرار مع ما يأتي

(٢) كتبت في جار الله: «نزلت».

(٣) بالمعنى، ولفظه في مجاز القرآن (١/ ٥٠): «وهذا قبل أن يؤمر بالهجرة والقتال، فكل أمر نهى عنه عن مجاهدة الكفار فهو قبل أن يؤمر بالقتال وهو مكي».

(٤) في الحمزوية: «الموضوع».

قالت فرقة من الفقهاء: «إن قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ عموم»، وقالت فرقة: «هو من مجمل القرآن»[١]، والمرجح أن ذلك عموم من وجه ومجمل من وجه، فعموم من حيث الصلاة الدعاء، فحملُه على مقتضاه ممكن، وخصصه الشرع بهيئات وأفعال وأقوال، ومجمل من حيث الأوقات، وعدد الركعات لا يفهم[٢] من اللفظ، بل السامع فيه مفتقر إلى التفسير، وهذا كله في (أَقِيمُوا الصَّلاةَ)، وأما الزكاة فمجملة لا غير.

قال الطبري: «إنما أمر الله هنا بالصلاة والزكاة لتَحُطَّ ما تقدم من ميلهم إلى أقوال اليهود: ﴿ رَٰعِنَا ﴾ [البقرة: ١٠٤]، لأن ذلك نهي عن نوعه»[٣]، ثم أُمِرَ المؤمنون بما يحُطُّه[٤]، والخير المقدم مُنْقضٍ لأنه فعل، فمعنى ﴿تَجِدُوهُ ﴾ تجدوا ثوابه وجزاءه، وذلك بمنزلة وجوده.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ خبر في اللفظ معناه الوعد والوعيد.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ معناه: قال اليهود: «لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً»، وقال النصارى: «لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى»، فجمع قولهم، ودل تفريق[٥] نوعيهم على تفرق قوليهم، وهذا هو الإيجاز واللف[٦].

و(هود) جمع هائد، مثل: عائد وعُود، ومعناه: التائب الراجع، ومثله في الجمع: بازل وبُزل وحائل وحُول [وبائر وبور][٧]، وقيل: هو مصدر يوصف به الواحد والجمع

---

(١) الإحكام لابن حزم (١/ ١١١).

(٢) في أحمد٣ وجار الله: «يفقه».

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٥٠٦) بمعناه، وفي نور العثمانية: «نزعه»، بدل «نوعه».

(٤) في نور العثمانية: «يحيطه»، وفي بعض النسخ: «أمر المؤمنين»، بالنصب، أي: الله.

(٥) في أحمد٣: «تفرق» ملحقة في الهامش وعليها صح.

(٦) قوله: «واللف» سقط من الحمزوية.

(٧) في السليمانية: «وبائن وبون».

كفِطْرٍ وعَدْلٍ ورِضاً(١)، وقال الفراء: «أصله يهودي حذفت ياءاه على غير قياس»(٢).

وقرأ أبي بن كعب: (إلا من كانَ يَهُوديّاً)(٣).

وكذبهم الله تعالى وجعل قولهم أمنية، وقد قُطِعُوا قبل بقوله: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾ [البقرة: ٩٤]، وأمرِ محمد ﷺ بدعائهم إلى إظهار البرهان، وقيل: «إن الهاء في ﴿هَاتُواْ﴾ أصلية من هاتى يهاتي، وأُميت تصريف هذه اللفظة كله إلا الأمر منه»، وقيل / : «هي عوض من همزة آتى»، وقيل: «ها تنبيه»، وألزمت همزة (آتى) الحذف. [٨٧]

و«البرهان»: الدليل الذي يوقع اليقين، قال الطبري: «طلب الدليل هنا يقضي بإثبات النظر ويردُّ على من ينفيه»(٤).

وقول اليهود: ﴿لَن﴾ نفيٌ حسنت بعده ﴿بَلَىٰ﴾، إذ هي ردٌّ بالإيجاب في جواب النفي، حرف مرتجل لذلك، وقيل: هي «بل» زيدت عليها الياء لتزيلها على حد النسق الذي في «بل».

و﴿أَسْلَمَ﴾ معناه: استسلم وخضع ودَان، ومنه قول زيد بن عمرو بن نُفيل:

وأسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أسْلَمَتْ ... له المزْنُ تَحْمِلُ عَذْباً زُلالا(٥) [المتقارب]

وخُص الوجه بالذكر لكونه أشرف ما يرى من الإنسان وموضع الحواس، وفيه

(١) انظر: تهذيب اللغة (٢/ ٣٦٠)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٧٣).
(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٧٣).
(٣) .. أو نصرانيّاً، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٧٣)، وهي قراءة شاذة.
(٤) ليس هذا القول صريحاً في تفسير هذه الآية، ولفظه (٢/ ٥١٠) أنها: «دعاء إلى أمر عدل بين جميع الفرق: مسلمها ويهودها ونصاراها، وهو إقامة الحجة على دعواهم التي ادعوا: من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً أو نصارى. يقول الله لنبيه محمد ﷺ: يا محمد، قل للزاعمين أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً أو نصارى دون غيرهم من سائر البشر: ﴿هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ على ما تزعمون من ذلك، فنسلِّمَ لكم دعواكم إن كنتم في دعواكم.... محقين»، انظر تمامه.
(٥) نسبه له في الأغاني (٣/ ١٢١)، والمزن: جمع مزنة وهي السحابة.

يظهر العز والذل، ولذلك يقال: وجه الأمر، أي: معظمه وأشرفه، قال الأعشى:

[السريع] وأوِّلِ الْحُكْم على وَجْهِهِ لَيْسَ قضائي بالْهَوىٰ الجائِر[١]

ويصح أن يكون الوجه في هذه الآية المقصد.

و﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ جملة في موضع الحال، وعاد الضمير في (له) على لفظ ﴿مَنۡ﴾، وكذلك في قوله: ﴿أَجۡرُهُۥ﴾، وعاد في ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ على المعنى، وكذلك في ﴿يَحۡزَنُونَ﴾.

وقرأ ابن محيصن: (فَلا خَوْفُ) دون تنوين في الفاء المرفوعة[٢]، فقيل: ذلك تخفيف، وقيل: المراد: فلا الخوف، فحذفت الألف واللام.

والخوف هو لما يُتَوَقَّع، والحزن هو لما قد وقع.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ﴾ الآية، معناه: ادَّعى كل فريق أنه أحقُّ برحمة الله من الآخر.

وسبب نزول[٣] الآية: أن نصارى نجران اجتمعوا مع يهود المدينة عند النبي ﷺ فتسابُّوا، وكفَر اليهود بعيسى وبملته وبالإنجيل، وكفر النصارى بموسى وبالتوراة[٤].

وفي هذا من فعلهم كُفرُ كل طائفة بكتابها، لأن الإنجيل يتضمن صدق موسى وتقرير التوراة، والتوراة تتضمن التبشير بعيسى وصحة نبوته، وكلاهما تضمن صدق محمد ﷺ، فعنَّفهم الله تعالى على كذبهم، وفي كتبهم خلاف ما قالوا.

---

(١) البيت للأعشى كما في ديوانه (ص: ٣٤)، ومقاييس اللغة (١/ ١٥٩)، وخزانة الأدب (٣/ ٣٦٩)، وقوله: أول، فعل أمر من التأويل كذلك فسره الطبري في تهذيب الآثار (١/ ١٨٣)، حيث قال: يعني بقوله: وأول الحكم على وجهه: وَجِّهه إلى وجهه وفي المطبوع والديوان: «أؤول» بدل «وأول»، بالمضارع بدل الأمر، وكذلك طبع في بعض المصادر الأخرى، وفي السليمانية: «الوجه» بدل «الحكم».

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٧٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/ ٥٢٢).

(٣) من المطبوع.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٦/ ٤٩٠) عن ابن عباس بإسناد ضعيف.

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ تنبيه لأمة محمد ﷺ على ملازمة القرآن والوقوف عند حدوده، كما قال الحر بن قيس[١] في عمر بن الخطاب: «وكان وقافاً عند كتاب الله»[٢].

والْكِتاب[٣] الذي يتلونه قيل: التوراة والإنجيل، فالألف واللام للجنس، وقيل: التوراة؛ لأن النصارى تمتثلها[٤]، فالألف واللام للعهد.

قوله عز وجل: ﴿...كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾.

اختلف من المراد بقوله ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، فقال الجمهور: «عنى بذلك كفار العرب، لأنهم لا كتاب لهم»، وقال عطاء: «المراد أمم كانت قبل اليهود والنصارى»، وقال قوم: «المراد اليهود»، وكأنه أعيد قولهم[٥]، وهذا ضعيف.

وأخبرهم تعالى بأنه يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ، والمعنى بأن يثيب من كان على شيء، أي: شيءٍ حق، ويعاقب من كان على غير شيء.

وقال الزَّجاج: «المعنى: يريهم عياناً من يدخل الجنة ومن يدخل النار»[٦].

---

(١) هو الحرّ بن قيس بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، ابن أخي عيينة، ذكره ابن السّكن في الصّحابة. الإصابة (٢/ ٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٦)، وفيه قصة، والعبارة المذكورة تحتمل أن تكون من قول ابن عباس وتحتمل أن تكون من قول الحر بن قيس. انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٢٥٩).

(٣) في الأصل: وقيل الكتاب...، وكأن «قيل» مضببة، لأن المعنى لا يساعد عليها.

(٤) في نور العثمانية: «بمثلها».

(٥) تفسير الطبري (٢ / ٥١٧).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٩٥).

و﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ سُمي بقيام الناس من القبور، إذ ذلك مبدأ لجميع ما في اليوم وفي الاستمرار بعده.

وقوله: ﴿كَانُواْ﴾ بصيغة الماضي حسنٌ على مراعاة يوم الحكم، وليس هذا من وضع الماضي موضع المستقبل؛ لأن اختلافهم ليس في ذلك اليوم، بل في الدنيا.

وقوله تعالى ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾[١] الآية، (مَنْ) رفع بالابتداء، و﴿أَظۡلَمُ﴾ خبره، والمعنى: لا أحد أظلم.

واختلف في المشار إليه من هذا الصنف الظالم:

فقال ابن عباس وغيره: «المراد: النصارى الذين كانوا يؤذون من يصلي ببيت المقدس ويطرحون فيه الأقذار»[٢]، وقال قتادة والسدي: «المراد: الروم الذين أعانوا بختنصر على تخريب بيت المقدس حين قتلت بنو إسرائيل يحيى بن زكريا عليه السلام»[٣].

وقيل: «المعنيُّ بختنصر»، وقال ابن زيد: «المراد كفار قريش حين صدوا رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام»[٤].

وهذه الآية تتناول كلَّ مَن مَنَع مِن مسجدٍ إلى يوم القيامة أو خرب مدينة إسلام، لأنها مساجد، وإن لم تكن موقوفة، إذ الأرض كلها مسجد لهذه الأمة.

والمشهور: مسجِد بكسر الجيم، ومن العرب من يقول: مسجَد، بفتحها[٥].

---

(١) جاءت هذه الفقرة في المطبوع على أنها هي بداية المقطع، وقد آثرنا اتباع ما في الأصل.

(٢) ضعيف وليس بهذا التمام، هذا الأثر بتمامه إنما هو من قول مجاهد، كما أخرجه الطبري (٢/ ٥٢٠)، وأما ما جاء عن ابن عباس فإنما أخرجه الطبري بلفظ: «هم النصارى» فقط، وإسناده مع ذلك ضعيف.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١/ ٤٩٨ -٤٩٩).

(٤) تفسير الطبري (٢/ ٥٢٠ و٥٢١).

(٥) انظر: المخصص (٤/ ٦٦).

و﴿أَن يُذْكَرَ﴾ في موضع نصب: إمَّا على تقدير حذف (مِن) وتسلط الفعل، وإما على البدل من المساجد، وهو بدل الاشتمال الذي شأن البدل فيه أن يتعلق بالمُبْدَل منه ويختص به أو تقوم به صفة، ويجوز أن تكون مفعولاً من أجله، ويجوز أن تكون ﴿أَن﴾ في موضع خفض على إسقاط حرف الجر، ذكره سيبويه[١].

ومن قال من المفسرين: إن الآية بسبب بيت المقدس، جعل الخراب الحقيقي الموجود، ومن قال: هي بسبب المسجد الحرام، جعل منع عمارته خراباً، إذ هو داع إليه، ومن جعل الآية في النصارى روى أنه مرَّ زمان بعد ذلك لا يدخل نصراني بيت المقدس إلا أوجع ضرباً، قاله قتادة والسدي[٢].

ومن جعلها في قريش قال: كذلك نودي بأمر النبي ﷺ «أن لا يحج مشرك»[٣].

و﴿خَآئِفِينَ﴾ نصب على الحال، وهذه الآية ليست بأمرٍ بَيَّنَ منعهم من المساجد، لكنها تطرق إلى ذلك [وبدأة][٤]. فيها وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين.

ومن جعل الآية في النصارى قال: «الخِزْيُ قتل الحربي وجزية الذمي»[٥].

وقيل: «الفتوح الكائنة في الإسلام كعمُّورية وهرقلة وغير ذلك».

ومن جعلها في قريش جعل الخزي غلبتهم في الفتح وقتلهم، والعذاب في الآخرة لمن مات منهم كافرا.

و﴿خِزْيٌ﴾ رفع بالابتداء وخبره في المجرور.

و﴿ٱلْمَشْرِقُ﴾ موضع الشروق / ، ﴿وَٱلْمَغْرِبُ﴾ موضع الغروب، أي: هما له مِلْكٌ [٨٨]

---

(١) الكتاب (٣/ ١٥٤).

(٢) تفسير الطبري (٢ / ٥٢٣)، والكشاف للزمخشري (١ / ٢٠٦).

(٣) يشير إلى ما رواه البخاري (١٦٢٢) ومسلم (١٣٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: ألا لا يحج بعد العام مشرك.

(٤) في المطبوع والحمزوية: «براءة».

(٥) تفسير الطبري (٢ / ٥٢٠و٥٢١).

وما بينهما من الجهات والمخلوقات، وخصهما بالذكر وإن كانت جملة المخلوقات كذلك لأن سبب الآية اقتضى ذلك.

و(أينما) شرط، و﴿تُوَلُّواْ﴾ جزم به، والجواب في قوله: ﴿فَثَمَّ﴾، والمعنى: فأينما تولوا نحوه وإليه، لأن ولّى وإن كان غالب استعمالها أدبر فإنها تقتضي أنه يقبل إلى ناحية، تقول: ولَّيْتُ عن كذا، وإلى كذا.

وقرأ الحسن: (تَولَّوْا) بفتح التاء واللام(١).

و(ثَمّ) مبنية على الفتح، وهي في موضع نصب على الظرف.

و﴿وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾معناه: الذي وجهنا إليه، كما تقول: سافرت في وجه كذا، أي: في جهة كذا.

واختلف الناس في تأويل الوجه الذي جاء مضافاً إلى الله تعالى في مواضع من القرآن:

فقال الحذاق: «ذلك راجع إلى الوجود، والعبارة عنه بالوجه من مجاز كلام العرب، إذ كان الوجه أظهر الأعضاء في الشاهد وأجلَّها قدراً»(٢).

وقال بعض الأئمة: «تلك صفة ثابتة بالسمع زائدة على ما توجبه(٣) العقول من صفات القديم تعالى»، وضعف أبو المعالي هذا القول(٤).

ويتجه في بعض المواضع كهذه الآية أن يراد بالوجه: الجهة التي فيها رضاه وعليها ثوابه، كما تقول: تصدقت لوجه الله تعالى، ويتجه في هذه الآية خاصة أن يراد

---

(١) مختصر الشواذ (ص: ١٦)، والكشاف للزمخشري (١/ ١٨٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ١٤٦)، وهي قراءة شاذة.

(٢) هذا مذهب المتأولين وقد انتصر له الرازي في مفاتيح الغيب (٤/ ٢٠).

(٣) في المطبوع: «توحيه».

(٤) نقله عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٨٤)، وقد تقدم أن مذهب السلف إثبات الصفات التي وصف الله تعالى بها نفسه دون تكييف ولا تعطيل.

بالوجه الجهة التي وجِّهنا إليها في القبلة حسبما يأتي في أحد الأقوال.

وقال أبو منصور في «المقنع»: «يحتمل أن يراد بالوجه هنا الجاه، كما تقول: فلان وجه القوم، أي: موضع شرفهم، فالتقدير: فثم جلال الله وعظمته»[(١)].

واختلف المفسرون في سبب هذه الآية:

فقال قتادة: «أباح الله لنبيه ﷺ بهذه الآية أن يصلي المسلمون حيث شاؤوا، فاختار النبي ﷺ بيت المقدس حينئذ، ثم نسخ ذلك كله بالتحول إلى الكعبة».

وقال مجاهدٌ، والضَّحَّاك: «معناها إشارة إلى الكعبة، أي: حيث كنتم من المشرق والمغرب فأنتم قادرون على التوجه إلى الكعبة التي هي وجه الله الذي وجهكم إليه»[(٢)].

وعلى هذا فهي ناسخة لبيت المقدس.

وقال ابن زيد: «كانت اليهود قد استحسنت صلاة النبي ﷺ إلى بيت المقدس، وقالوا: ما اهتدى إلا بنا، فلما حول إلى الكعبة قالت اليهود: ما ولاهم عن قبلتهم؟ فنزلت: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ الآية»[(٣)].

وقال ابن عمر: «نزلت هذه الآية في صلاة النافلة في السفر حيث توجهت بالإنسان دابته»[(٤)].

وقال النخعي: «الآية عامة أينما تولوا في متصرفاتكم ومساعيكم فَثَمَّ وَجْهُ الله،

(١) لم أقف على هذا الكتاب.

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢ / ٥٢٩).

(٣) تفسير الطبري (٢ / ٥٢٩).

(٤) صحيح، هذا الحديث بذكر نزول الآية أخرجه مسلم (٧٠٠/ ٣٣-٣٤) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عمر، وهو متفق عليه بدون ذكر الآية، أخرجه البخاري (١٠٠٠) ومسلم (٧٠٠/ ٣١-٣٢) من حديث نافع عن ابن عمر، والبخاري (٤٠٠) من حديث جابر، و(١٠٩٣) (١٠١٤) من حديث عامر بن ربيعة.

أي موضع رضاه وثوابه وجهة رحمته التي يوصل إليها بالطاعة»، وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة[١]: «نزلت فيمن اجتهد في القبلة فأخطأ»[٢].

وورد في ذلك حديث رواه عامر بن ربيعة[٣] قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر في ليلة مظلمة، فتحرى قوم القبلة وأعلموا[٤] علامات، فلما أصبحوا رأوا أنهم قد أخطؤوها، فعرَّفوا رسول الله ﷺ بذلك، فنزلت هذه الآية[٥].

وذكر قوم هذا الحديث على أن النبي ﷺ لم يكن مع القوم في السفر[٦].

وذلك خطأ.

وقال قتادة أيضاً: «نزلت هذه الآية في النجاشي، وذلك أنه لما مات دعا النبي ﷺ المسلمين إلى الصلاة عليه، فقال قوم[٧]: كيف يصلَّى على من لم يصلِّ إلى القبلة قط؟، فنزلت هذه الآية، أي: أن النجاشي كان يقصد وجه الله وإن لم يبلغه التوجه إلى القبلة.

---

(١) عبد الله بن عامر بن ربيعة العنزي، استشهد أخوه وسميه عبد الله يوم الطائف، وكان أبوه عامر من كبار الصحابة، روى عن: أبيه، وعمر، وعثمان، وعنه: عاصم بن عبيد الله، والزهري، وغيرهما، توفي سنة (٨٥هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ١١٤).

(٢) انظرهما في تفسير الطبري (٢ / ٥٣٣).

(٣) عامر بن ربيعة بن كعب العنزي، حليف بني عديّ، ثم الخطاب والد عمر، كان أحد السابقين الأولين، وهاجر إلى الحبشة، وكان صاحب عمر لما قدم الجابية، واستخلفه عثمان على المدينة لما حجّ، توفي سنة (٣٢هـ) أو قريباً منها. انظر الإصابة (٣/ ٤٦٩).

(٤) في المطبوع: «وأعملوا»، قال في الهامش: «أي خطوا خطوطاً في الجهات التي صلُّوا إليها».

(٥) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الترمذي (٣٤٥)، وابن ماجه (١٠٢٠)، والدارقطني (١٠٦٥) وغيرهم من طريق أشعث بن سعيد السمان، عن عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه به، قال الترمذي: «هذا حديث ليس إسناده بذاك، ولا نعرفه إلا من حديث أشعث السمان، وأشعث بن سعيد أبو الربيع السمان يضعف في الحديث».

(٦) وهو ظاهر رواية البيهقي في معرفة السنن والآثار (٢ / ٣١١).

(٧) سقطت من أحمد٣.

وقال ابن جبير: «نزلت الآية في الدعاء، لما نزلت: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠] قال المسلمون: إلى أين ندعو، فنزلت [﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾][١]».

وقال المهدوي: «وقيل: هذه الآية منتظمة في معنى التي قبلها، أي: لا يمنعكم تخريب مسجد من أداء العبادات، فإن المسجد المخصوص للصلاة إن خرب فَثَمَّ وَجْهُ الله موجود حيث توليتم»[٢]، وقال أيضاً: «وقيل: نزلت الآية حين صُدر رسول الله ﷺ عن البيت»[٣].

و﴿وَٰسِعٌ﴾ معناه: متسع الرحمة ﴿عَلِيمٞ﴾ أين يضعها، وقيل: ﴿وَٰسِعٌ﴾ معناه هنا: أنه يوسع على عباده في الحكم دينه يُسر، ﴿عَلِيمٞ﴾ بالنيات[٤] التي هي مِلاك[٥] العمل، وإن اختلفت ظواهره في قبلة وما أشبهها.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾.

قرأ هذه الآية عامة القراء: ﴿وَقَالُواْ﴾ بواو تربط الجملة بالجملة، أو تعطف على (سَعى)[٦]، وقرأ ابن عامر وغيره: ﴿قالوا﴾ بغير واو[٧]، وقال أبو علي: «وكذلك هي في مصاحف أهل الشام، وحذف هذه الواو يتجه من وجهين، أحدهما: أن هذه

---

(١) في أحمد٣: «الآية»، مع الإشارة إلى النسخة الأخرى.
(٢) تفسير القرطبي (٢/ ٨٣).
(٣) انظر: التحصيل للمهدوي (١/ ٣٠٦)، ولباب النقول للسيوطي (١/ ٢٦) وتفسير القرطبي (٢/ ٨٣).
(٤) في نور العثمانية: «بالبينات».
(٥) كتبت في فيض الله: «ملاذ».
(٦) يعني قوله: ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾، من الآية التي قبلها.
(٧) التيسير (ص: ٧٦).

الجملة مرتبطة في المعنى بالتي قبلها، فذلك يغني عن الواو، والآخر: أن تستأنف هذه الجملة ولا يراعى ارتباطها بما تقدم»[١].

واختلف على من يعود الضمير في (قالُوا):

فقيل: على النصارى، لأنهم قالوا: المسيح ابن الله، وذكرهم أشبه بسياق الآية، وقيل: على اليهود، لأنهم قالوا: عزير ابن الله، وقيل: على كفرة العرب لأنهم قالوا: الملائكة بنات الله[٢].

و﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ مصدر معناه: تنزيهاً له [وتبرئة][٣] مما قالوا.

و﴿مَا﴾ رفع بالابتداء، والخبر في المجرور، أو بالاستقرار المقدر، أي: كل ذلك له ملك، والذي قالُوا: إنّ اللهَ اتَّخَذَه وَلَداً، داخلٌ في جملة ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ، ولا يكون الولد إلا من جنس الوالد لا من المخلوقات المملوكات.

[٨٩] و«القنوت» في اللغة: الطاعة، / والقنوت: طول القيام في عبادة، ومنه القنوت في الصلاة، فمعنى الآية: أن المخلوقات كلها تَقْنُت لله، أي: تخشع وتطيع، والكفار[٤] والجمادات قنوتهم في ظهور الصنعة عليهم وفيهم، وقيل: الكافر يسجد ظلُّه وهو كاره.

و﴿بَدِيعُ﴾ [مصروف][٥] من مبدع، كبصير من مبصر، ومثله قول عمرو بن معديكرب:

---

(١) الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٠٢).

(٢) ثلاثة أقوال، انظرها في تفسير الثعلبي (١/ ٢٦٤) وجعلها الواحدي قولًا واحداً فقال: قوله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا﴾ نزلت في اليهود حيث قالوا: عزير بن الله، وفي نصارى نجران حيث قالوا: المسيح ابن الله، وفي مشركي العرب قالوا: الملائكة بنات الله. أسباب النزول للواحدي (١/ ٢٤)، وكذا ذكر مكي عن أبي إسحاق. الهداية لمكي (١/ ٤١٢) والكشاف للزمخشري (١/ ٢٠٧).

(٣) ساقط من أحمد٣.

(٤) غير واضحة في الأصل بسبب التصوير، وتم استيضاحها من النسخ الأخرى.

(٥) في أحمد٣ والسليمانية ونور العثمانية: «مصرّف».

أَمِـنْ رَيْحانَـةَ الدَّاعِـي السَّـمِيعُ [1] .... [الوافر]

يريد: المسمع، والمبدع: المخترع المنشئ، ومنه أصحاب البدع، ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلاة رمضان: نعمت البِدْعَة هذه[2].

وخصّ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بالذكر لأنها أعظم ما نرى من مخلوقاته جلّ وعلا.

و﴿قَضَىٰٓ﴾ معناه: قدَّر، وقد يجيء بمعنى: أمضى، ويتجه في هذه الآية المعنيان، فعلى مذهب أهل السنة: قدر في الأزل وأمضى فيه، وعلى مذهب المعتزلة: أمضى عند الخلق والإيجاد.

و«الأمر» واحد الأمور، وليس هنا بمصدر أمر يأمر.

و(يكون) رفع على الاستئناف قال سيبويه: «معناه فهو يكون»[3]، قال غيره: «(يكون) عطف على ﴿يَقُولُ﴾»، واختاره الطبري وقرره[4]، وهو خطأ من جهة المعنى[5]، لأنه يقتضي أن القول مع التكوين والوجود، وتكلم أبو علي الفارسي في هذه المسألة بما هو فاسد من جهة الاعتزال لا من جهة العربية[6].

وقرأ ابن عامر: ﴿فيكونَ﴾ بالنصب[7]،وضعَّفه أبو علي، وَوَجَّههُ ـ مع ضعفه ـ على أن يشفع له شبه اللفظ[8]، وقال أحمد بن موسى في قراءة ابن عامر: «هذا لحن»[9].

---

(١) وعجزه: يُؤَرِّقُنِي وأَصْحَابِي هُجُوعُ، كما تقدم في تفسير الآية (١٠).

(٢) رواه البخاري (١٩٠٦).

(٣) إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٥٠) في تفسير آية آل عمران.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٥٤٩).

(٥) اعترضه أبو حيَّان بقوله (١/ ٥٢٤): ما رده ابن عطية لا يتم إلا بأن تحمل الآية على أن ثَمَّ قولًا وأمراً قديماً.

(٦) انظر كلامه في الحجة (٢/ ٢٠٣-٢٠٤).

(٧) والباقون بالرفع. التيسير (ص: ٧٦).

(٨) الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٠٥).

(٩) أحمد بن موسى هو: ابن مجاهد، ولفظه في السبعة في القراءات (ص: ١٦٩): «وهو غلط»، وهي هفوة منه.

قال القاضي أبو محمد: لأن الفاء لا تعمل في جواب الأمر إلا إذا كانا فعلين يطرد فيهما معنى الشرط، تقول: أكرم زيداً فيكرمَك، والمعنى: إن تُكْرِمْ زيداً يكرِمْك، وفي هذه الآية لا يتجه هذا، لأنه يجيء تقديره: إن تكن تكن، ولا معنى لهذا، والذي يطرد فيه معنى الشرط هو أن يختلف الفاعلان أو الفعلان، فالأول: أكرم زيداً فيكرمَك، والثاني: أكرم زيداً فتسودَ.

وتلخيص المعتقد في هذه الآية: أن الله عز وجل لم يزل آمراً[1] للمعدومات بشرط وجودها، قادراً [مع][2] تأخر المقدورات، عالماً مع تأخر وقوع المعلومات، فكل ما في الآية مما يقتضي الاستقبال، فهو[3] بحسب المأمورات، إذ المُحْدَثات تجيء بعد أن لم تكن، وكل ما يستند إلى الله تعالى من قدرة وعلم وأمر فهو قديم لم يزل، ومن جعل من المفسرين ﴿قَضَىٰٓ﴾ بمعنى أمضى عند الخلق والإيجاد، فكأن إظهار المخترعات في أوقاتها المؤجلة قولٌ لها: ﴿كُن﴾، إذ التأمل يقتضي ذلك، على نحو قول الشاعر:

[الرجز] وقالت الأقْرَاب للْبَطْنِ الْحَقِ[4]

وهذا كله يجري مع قول المعتزلة، والمعنى الذي تقتضيه عبارة ﴿كُن﴾ هو قديم قائم بالذات، والوضوح التام في هذه المسألة يحتاج أكثر من هذا البسط.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية، قال الربيع والسدي: «هم كفار العرب»[5].

---

(١) زاد بعدها في الحمزوية: «مفعولاً»، ولعله خطأ من الناسخ، لأن في هذه الفقرة فيه أخطاء أخرى واضحة.

(٢) في المطبوع: «على».

(٣) في الأصل: «فهي»، وفي هامشها «فهو»، عليها إشارتا «خ»، و«صح».

(٤) البيت لأبي النجم كما في تفسير الماوردي (١/ ١٧٩)، أساس البلاغة (١/ ٢١٨)، ولكن بلفظ «الأنساع» بدل «الأقراب»، وبعده: قِدْماً فآضَتْ كالفَنيقِ المُحنِقِ، والأقراب: جمع قرب بضم الراء وبسكونها، والقرب: الخاصرة، انظر: اللسان (١/ ٦٦٦).

(٥) تفسير الطبري (٢/ ٥٥١).

وقد طلب عبد الله بن أبي أمية[١] وغيره من النبي ﷺ نحو هذا[٢]، فنفى عنهم العلم لأنهم لا كتاب عندهم ولا اتِّباع نبوة، وقال مجاهد: «هم النصارى لأنهم المذكورون في الآية أولاً» ورجحه الطبري[٣].

وقال ابن عباس: «المراد من كان على عهد رسول الله ﷺ من اليهود، لأن رافع ابن حريملة قال للنبي ﷺ: أسمِعْنا كلام الله»[٤].

وقيل: «الإشارة بقوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ إلى جميع هذه الوظائف»، لأن كلهم قال هذه المقالة أو نحوها، ويكون ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم.

و﴿لَوْلَا﴾ تحضيض بمعنى هلّا، كما قال الأشهب بن رُميلة[٥]:

تَعـدُّون عَقْر النِّيـب أفضل مجدِكم ... بني ضَوْطَرىٰ لولا الكَمِيَّ المقَنَّعَا[٦] [الطويل]

---

(١) عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزوميّ، صهر النبي ﷺ وابن عمته عاتكة، أخو أم سلمة، له صحبة: وله ذكر في الصحيحين، أسلم قبيل الفتح، وشهد الفتح وحنيناً، واستشهد بالطائف. الإصابة (٤/ ١٠).

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٥٥) من طريق: محمد بن إسحاق، قال: ثني شيخ من أهل مصر، قدم منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس بقصة طويلة، وفيها كلام عبد الله بن أبي أمية، والإسناد لا تقوم به الحجة للجهالة بشيخ ابن إسحاق.

(٣) تفسير الطبري (٢ / ٥٥٢).

(٤) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٥٥١) بإسناد فيه من لا يُعرف.

(٥) الأشهب بن رميلة أحد بني نهشل بن دارم، ورميلة أمه وأبوه ثور، وكان شاعراً يهاجي الفرزدق طبقات فحول الشعراء (٢/ ٥٨٥)، وكان هو وإخوته من أشد العرب لساناً ويداً ومنعة، ثم أدركوا الإسلام فأسلموا، وكثرت أموالهم. الإصابة (١/ ٣٤٤).

(٦) نسبه له أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٥٢)، والماوردي في النكت والعيون (١/ ١٨٠)، وابن سيده في المخصص (٤/ ١٣٠)، ونسبه في المحكم (٨/ ١٧٣) لجرير وهو الذي عليه الأكثر، انظر النقائض (ص: ٨٣٣)، والخصائص (٢/ ٧٤)، والمفصل (ص: ٤٣١)، وتهذيب اللغة (١١/ ٣٣٧)، والصحاح للجوهري (٢/ ٧٢١)، ونسبه في الدر المصون (٦/ ٢٦٨)، وابن عادل في اللباب (١٠/ ٤١٣) للفرزدق ولعله خطأ، والأشهب: هو أبو ثور، ورميلة بالراء المهملة اسم =

وليست هذه «لَوْلا» التي تعطي منع الشيء لوجوب غيره، وفرِّق بينهما أنها في التحضيض لا يليها إلا الفعل مظهراً أو مقدراً، وعلى بابها في المنع للوجوب يليها[١] الابتداء، وجرت العادة بحذف الخبر، والآية هنا: العلامة الدالة، وقد تقدم القول في لفظها.

و﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾: اليهود والنصارى في قولِ مَن جعل الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ [كفار العرب، وهم الأمم السالفة في قول من جعل الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ][٢] [العرب واليهود والنصارى، وهم اليهود في قول من جعل الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ][٣] النصارى.

والكاف الأولى من ﴿كَذَٰلِكَ﴾ نعت لمصدر مقدر[٤].

و﴿مِّثۡلَ﴾ نعت لمصدر محذوف، ويصح أن يعمل فيه ﴿قَالَ﴾[٥].

وتشابه القلوب هنا في طلب ما لا يصح، أو في الكفر وإن اختلفت ظواهرهم.

وقرأ [ابن أبي إسحاق][٦] [وأبو حيوة][٧]: (تشّابهت) بشد الشين[٨]، قال أبو عمرو الداني: وذلك غير جائز لأنه فعل ماض.

= أمِّه، والنِّيب: جمع نابة وهي الناقة المسنَّة، وبنو ضوطرى تقال للقوم إذا كانوا لا يغنون غناء، وهم أيضاً حيٌّ معروف، وقيل: الضوطرى: الحمقى، وفي الحمزوية بدل «المقنعا»: «المهندا».

(١) في الحمزوية: «قبلها».

(٢) ساقط من الأصل والتركية وفيض الله، وأثبتناه من النسخ الأخرى مع اختلاف بينها في التقديم والتأخير.

(٣) ساقط من فيض الله، والحمزوية.

(٤) في السليمانية: «محذوف».

(٥) في الحمزوية: «قبل».

(٦) في فيض الله: «ابن إسحاق».

(٧) في أحمد٣: «ابن أبي حيوة».

(٨) عزاها لابن أبي إسحاق الكرماني في الشواذ (ص: ٧٢)،ولهما أبو حيان (١/ ٥٨٧)، ونقل تضعيف الداني لها، وهي قراءة شاذة.

وقوله تعالى: ﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾؛ لـمَّا تقدم ذكر الذين أضلهم الله حتى كفروا بالأنبياء [وطلبوا ما][1] لا يجوز لهم، أتبع ذلك بذكر الذين بيَّن لهم ما ينفع وتقوم به الحجة، لكن البيان وقع وتحصل للموقنين، فلذلك خصهم بالذكر، ويحتمل أن يكون المعنى: قد بينا البيان الذي هو خلق الهدى، فكأن الكلام قد هدينا من هدينا، واليقين إذا اتصف به العلم خصصه وبلغ به نهاية الوثاقة.

وقوله تعالى: ﴿بَيَّنَّا﴾ قرينةٌ تقتضي أن اليقين صفة لعلمهم، وقرينة أخرى، وهي أن الكلام مدح لهم، وأما اليقين في استعمال الفقهاء إذا لم يتصف به العلم فإنه أخص[2] من العلم[3]، لأن العلم عندهم معرفة المعلوم على ما هو به[4]، واليقين معتقد يقع للموقن في حقه والشيءُ على خلاف معتقده، ومثال ذلك تيقُّن المقلِّد ثبوت الصانع.

ومنه قول مالك رحمه الله في «الموطأ» في مسألة الحالف على الشيء يتيقنه والشيء / في نفسه على غير ذلك[5]. [٩٠]

وأما حقيقة الأمر فاليقين هو الأخص، وهو ما علم على الوجه الذي لا يمكن أن يكون إلا عليه.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١﴾.

---

(١) في الحمزوية: «وظلموا بما».

(٢) في المطبوع، وفيض الله: «أحط»، وأشار لها في هامش الأصل.

(٣) لأنه يستعمل عندهم في الشك والظن، وكذلك العلم، انظر: المجموع شرح المهذب (١/ ١٧٧).

(٤) انظر: الإرشاد والتقريب للباقلاني (١/ ١٧٤)، والعدة لأبي يعلى (١/ ٧٦)، وشرح اللمع للشيرازي (١/ ١٤).

(٥) الموطأ (٢/ ٤٧٧).

المعنى بَشِيراً لمن آمن، وَنَذِيراً لمن كفر.

وقرأ نافع وحده: ﴿ولا تَسأَلْ﴾ بالجزم[١] على النهي، وفي ذلك معنيان: أحدهما: لا تسأَلْ، على جهة التعظيم لحالهم من العذاب، كما تقول: فلان لا تسأل عنه، تعني أنه في نهاية [تشهُّره][٢] من خير أو شر، والمعنى الثاني روي فيه أن النبي ﷺ قال: «ليت شعري ما فعل أبواي» فنزلت: ﴿ولا تسأَلْ﴾[٣]، وحكى المهدوي رحمه الله أن النبي ﷺ قال: «ليت شعري أيُّ أبويَّ أحدث موتاً؟»، فنزلت[٤].

وهذا خطأٌ ممّن رواه أو ظنه؛ لأن أباه مات وهو في بطن أمه، وقيل: وهو ابن شهر، وقيل: ابن شهرين، وماتت أمه بعد ذلك بخمس سنين منصرفة به من المدينة من زيارة أخواله، فهذا مما لا يُتوهم أنه خفي عليه ﷺ.

وقرأ باقي السبعة: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ﴾ بضم التاء واللام[٥]، وقرأ قوم: (ولا تَسأل) بفتح التاء وضم اللام[٦]، ويتجه في هاتين القراءتين معنيان:

أحدهما: الخبر أنه لا يَسْأَلُ عنهم، أو لا يُسْأَلُ هو عنهم.

والآخر: أن يراد معنى الحال، كأنه قال: وغير مسؤول، أو[٧] غير سائل عنهم، عطفاً على قوله: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾.

---

(١) انظر قراءته وقراءة الباقين في التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٦).

(٢) في فيض الله: «شهره»، نور العثمانية: «بشهرة»، وفي الحمزوية: «الشهرة من الخير والشر».

(٣) مرسل منكر، هذا الحديث أخرجه الطبري (٢/ ٥٨٨)، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ١٦٠)، وغيرهم من حديث موسى بن عُبيدة الرَّبَذِي عن محمد بن كعب القُرَظي مرسلاً. وموسى منكر الحديث.

(٤) التحصيل (١/ ٣٢٣)، وقد أورده مكي في الكشف عن وجوه القراءات (١/ ٢٦٢).

(٥) فهما متواترتان، انظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٦٩).

(٦) لعلها هي الثانية في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٠٠)، ولم ينسبها.

(٧) في المطبوع : «و» بدل «أو» في الموضعين.

[وقرأ أبي بن كعب: (وما تسأل)، وقرأ ابن مسعود: (وَلَنْ تُسأل)[(١)]][(٢)]، وهاتان القراءتان تؤيدان معنى القطع والاستئناف في غيرهما.

و﴿ٱلْجَحِيمِ﴾ إحدى طبقات النار.

ويقال: رَضِي يَرْضَى رِضاً ورُضاً ورِضْواناً، وحكي رضاءً ممدوداً.

وقال: ﴿مِلَّتَهُمْ﴾ ـ وهما ملَّتان مختلفتان ـ بمعنى: لن ترضى اليهود حتى تتبع ملتهم، ولن ترضى النصارى حتى تتبع ملتهم، فجمعهم إيجازاً، لأن ذلك مفهوم. والملة الطريقة، وقد اختصت اللفظة بالشرائع والدين، وطريق مُمَلٌّ، أي: قد أثر المشي فيه.

وروي أن سبب هذه الآية: أن اليهود والنصارى طلبوا من رسول الله ﷺ الهدنة، ووعدوه أن يتَّبعوه بعد مدة خداعاً منهم، فأعلمه الله تعالى أن إعطاء الهدنة لا ينفع عندهم، وأطلعه على سر خداعهم[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: ما أنت عليه يا محمد من هدى الله الذي يضعه في قلب من يشاء هو الهدى الحقيقيُّ، لا ما يدعيه هؤلاء.

ثم قال تعالى لنبيه: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ الآية، فهذا شرط خوطب به النبي ﷺ وأمته معه داخلة فيه، و(أهواء) جمع هوى، ولما كانت مختلفة جمعت، ولو حمل على إفراد الملة لقيل: هواهم، والولي: الذي يتولى الإصلاح والحياطة والنصر والمعونة، و﴿نَصِيرٍ﴾ بناء مبالغة في اسم الفاعل من نصر.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية، ﴿ٱلَّذِينَ﴾ رفع بالابتداء، و﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ

(١) انظرهما في معاني القرآن للفراء (١/ ٧٥)، وتفسير الثعلبي (١/ ٢٦٦)، وهما شاذتان، لمخالفة الرسم.
(٢) ساقط من نور العثمانية.
(٣) لم أجد هذا الخبر.

﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ صلة، وقال قتادة: «المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾[(١)] في هذا الموضع: من أسلم من أمة محمد ﷺ»، والْكِتاب على هذا التأويل [القرآن.

وقال ابن زيد: «المراد من آمن بمحمد ﷺ[(٢)] من بني إسرائيل»[(٣)]، والْكِتاب على هذا التأويل][(٤)] التوراة.

و﴿ءَاتَيۡنَٰهُمُ﴾ آتَيْناهُمُ معناه: أعطيناهم، وقال قوم: «هذا مخصوص في الأربعين الذين وردوا مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في السفينة، [فأثنى عليهم][(٥)] فأثنى الله عليهم»[(٦)]، ويحتمل أن يراد بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ العموم في مؤمني بني إسرائيل والمؤمنين من العرب، ويكون الْكِتاب اسم الجنس.

و﴿يَتۡلُونَهُۥ﴾ معناه: يتَّبعون حقَّ اتِّباعه بامتثال الأمر والنهي، وقيل: [﴿يَتۡلُونَهُۥ﴾: يقرؤونه][(٧)] حق قراءته، وهذا أيضاً يتضمن الاتباع والامتثال.

و﴿يَتۡلُونَهُۥ﴾؛ إذا أريد بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الخصوص فيمن اهتدى يصح أن يكون خبرَ الابتداء ويصح أن يكون ﴿يَتۡلُونَهُۥ﴾ في موضع الحال والخبر: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، وإذا أريد بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ العموم لم يكن الخبر إلا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، و﴿يَتۡلُونَهُۥ﴾ حال لا يستغنى عنها وفيها الفائدة، لأنه لو كان الخبر في ﴿يَتۡلُونَهُۥ﴾ لوجب أن يكون كل مؤمن يتلو الكتاب حَقَّ تِلاوَتِهِ.

و﴿حَقَّ﴾ مصدر، والعامل فيه فعل مضمر، وهو بمعنى أفعل، ولا يجوز إضافته

(١) بـ«الذين»: سقطت من السليمانية.
(٢) بمحمد ﷺ: سقطت من جار الله وفيض الله وأحمد٣ وكذا السليمانية، وفيها: «من أسلم من بني».
(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (٢ / ٥٦٥).
(٤) ما بين القوسين ساقط من المطبوع، وهو في السليمانية ملحق في الهامش وعليه علامة «صح».
(٥) ساقط من الحمزوية والمطبوعة وجار الله، وأثبتناه من النسخ الأخرى بناء على أنه ليس تكراراً مع ما بعده.
(٦) أسباب النزول للواحدي (١ / ٢٥) عن ابن عباس.
(٧) في الحمزوية: «يتبعونه بقراءته».

إلى واحد معرف، وإنما جازت هنا لأن تعرُّف التلاوة بإضافتها إلى الضمير ليس بتعرف محض، وإنما هو بمنزلة قولهم رجل واحد أمِّه، ونسيج وحدِه، والضمير في ﴿ بِهِۦ ﴾ عائد على ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، وقيل: يعود على محمد ﷺ، لأن متبعي التوراة يجدونه فيها فيؤمنون به، ويحتمل عندي أن يعود الضمير على الْهُدى الذي تقدم، وذلك أنه ذكر كفار اليهود والنصارى في أول الآية وحذر رسوله من اتباع أهوائهم، وأعلمه بأن هُدَى الله هُوَ الْهُدى الذي أعطاه وبعثه به، ثم ذكر له أن المؤمنين التالين لكتاب الله هم المؤمنون بذلك الهدى المقتدون بأنواره.

والضمير في ﴿ يَكْفُرْ بِهِۦ ﴾ يحتمل من العود ما ذكر في الأول.

و﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ ابتداء وعماد وخبر، أو ابتداء وابتداء وخبر، والثاني وخبره خبر الأول، والخسران: نقصان الحظ.

قوله عز وجل: ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾.

/ قرأ الحسن وغيره: (نعمتي) بتسكين الياء تخفيفاً(١)، لأن أصلها التحريك [٩١]
كتحريك الضمائر لك وبك، ثم حذفها الحسن للالتقاء، وفي السبعة من يحرك الياء، ومنهم من يسكنها(٢).

وإن قدرنا فضيلة بني إسرائيل مخصوصةً في كثرة الأنبياء وغير ذلك فالعالمون عموم مطلق، وإن قدرنا تفضيلهم على الإطلاق فالعالمون عالمو زمانهم، لأن أمة

(١) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٧٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ١٧٧).
(٢) التحريك هوالذي في طرق التيسير للكل، وقال في النشر (٢/ ١٦٢): «أجمعوا عليه»، والتسكين هو رواية المفضل عن عاصم كما في السبعة لابن مجاهد (١/ ١٩٧)، وجامع البيان للداني (٢/ ٩٤٩) وظاهره عزوها لحمزة أيضاً، فلعلها رواية ضعيفة عنه.

محمد ﷺ أفضل منهم بالنص، وقد تقدم القول على مثل هذه الآية إلى قوله: ﴿يُنصَرُونَ﴾.

ومعنى ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾: أي: ليست ثَم، وليس المعنى أنه يشفع فيهم أحد فيرد، وإنما نفى أن تكون ثم شفاعة على حد ما هي في الدنيا، وأما الشفاعة التي هي في تعجيل الحساب فليست بنافعة لهؤلاء الكفرة في خاصتهم، وأما الأخيرة التي هي بإذن من الله تعالى في أهل المعاصي من المؤمنين، فهي بعد أن أخذ العقاب حقه، وليس لهؤلاء المتوعدين من الكفار منها شيء.

والعامل في (إذ) فعل، تقديره: واذكر إذ.

و﴿ٱبْتَلَىٰٓ﴾ معناه: اختبر، و﴿إِبْرَٰهِۦمَ﴾ يقال: إن تفسيره بالعربية: أب رحيم.

وقرأ ابن عامر في جميع سورة البقرة: ﴿إبراهام﴾[1].

وقُدِّم على الفاعل للاهتمام، إذ كون الرب مبتلياً معلوم، فإنما يتهمَّمُ[2] السامع بمن ابْتَلى، وكون ضمير المفعول متصلاً بالفاعل موجب تقديمَ المفعول، فإنما بني الكلام على هذا الاهتمام.

واختلف أهل التأويل في الكلمات، فقال ابن عباس: هي ثلاثون سهماً، هي الإسلام كله، لم يتمه أحد كاملاً إلا إبراهيم صلوات الله عليه، عشرة منها في براءة: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]، وعشرة في الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وعشرة في [سَأَلَ سائِلٌ][3].

---

(١) كما في السبعة في القراءات (ص: ١٦٩)، وحجة القراءات (ص: ١١٣)، وجزم به الداني في التيسير (ص: ٧٧)، وابن الجزري في النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٢٢) من رواية هشام عنه، وذكرا لابن ذكوان في البقرة خاصة الوجهين.

(٢) في المطبوع: «يهتم».

(٣) في جار الله وأحمد٣: «المعارج»، وهي من الآية (٢٣) إلى (٣٤)، والحديث إسناده صحيح فرد، هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ١٦٨) وابن أبي حاتم (١/ ٢٢٠) والحاكم في المستدرك (٢/ ٥١١) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٠/ ١٣٤) من طرق عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس به. وهذا إسناد صحيح.

وقال ابن عباس أيضاً وقتادة: «الكلمات عشر خصال، خمس منها في الرأس: المضمضة والاستنشاق وقص الشارب والسواك وفرق الرأس»، وقيل بدل فرق الرأس: إعفاء اللحية، «وخمس في الجسد: تقليم الظفر، وحلق العانة، ونتف الإبط، والاستنجاء بالماء، والاختتان»[١].

وقال ابن عباس أيضاً: «هي عشر خصال، ستٌّ في البدن وأربع في الحج: الختان، وحلق العانة، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقص الشارب، والغسل يوم الجمعة، والطواف بالبيت، والسعي، ورمي الجمار، والإفاضة»[٢].

وقال الحسن بن أبي الحسن: «هي الخلال الستُّ التي امتحن[٣] بها: الكوكب والقمر والشمس والنار والهجرة والختان»، وقيل بدل الهجرة: الذبح، وقالت طائفة: «هي مناسك الحج خاصة»[٤].

وروي أن الله عز وجل أوحى إليه أن تطهرْ فتمضمض، ثم [أن تطهر][٥] فاستنشق، ثم أن تطهر فاستاك، ثم أن تطهر فأخذ من شاربه، ثم أن تطهر ففرق شعره، ثم أن تطهر فاستنجى، ثم أن تطهر فحلق عانته، ثم أن تطهر فنتف إبطه، ثم أن تطهر فقلم أظفاره، ثم أن تطهر فأقبل على جسده ينظر ما يصنع فاختتن بعد عشرين ومئة سنة[٦].

---

(١) إسناده صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٩) من طريق معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس.

(٢) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ١٠)، بإسناد فيه ابن لهيعة، وهو ضعيف.

(٣) في نور العثمانية هنا زيادة: «الله».

(٤) تفسير الطبري (٢ / ١٢).

(٥) في جار الله بدله: «أوحى الله إليه أن يتمضمض».

(٦) الأصح موقوف والمحفوظ في سن اختتانه غير ذلك، قوله: اختتن بعد عشرين ومئة سنة، أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٢٠٤) وابن عدي في الكامل (٤/ ١٨٣) وغيرهم من حديث سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً. وقد روي موقوفاً على أبي هريرة، وهو الأشبه، وروي كذلك =

وفي «البخاري» أنه اختتن وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم(١)، وقال الراوي(٢): «فأوحى الله إليه: إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إماماً يأتمُّون بك في هذه الخصال، ويقتدي بك الصالحون»(٣).

قال القاضي أبو محمد: وهذا أقوى الأقوال في تفسير هذه الآية، وعلى هذه الأقوال كلها فإبراهيم عليه السلام هو الذي أتمَّ.

وقال مجاهد وغيره: «إن الكلمات هي أن الله عز وجل قال لإبراهيم: إني مبتليك بأمر فما هو؟ قال إبراهيم: تجعلني للناس إماماً، قال الله: نعم، قال إبراهيم: تجعل البيت مثابة، قال الله: نعم، قال إبراهيم: وأمناً، قال الله: نعم، قال إبراهيم: وترينا مناسكنا وتتوب علينا، قال الله: نعم، قال إبراهيم: تجعل هذا البلد آمناً، قال الله: نعم، قال إبراهيم: وترزق أهله من الثمرات، قال الله: نعم»(٤).

فعلى هذا القول فالله تعالى هو الذي أتم، وقد طول المفسرون في هذا، وذكروا أشياء فيها بعدٌ فاختصرتها.

= من قول سعيد، ذكر ذلك الدارقطني في العلل (٧/ ٢٨١-٢٨٢)، وابن عبد البر في التمهيد (٢٣/ ١٣٩) وابن كثير في البداية والنهاية (١/ ١٧٥)، وقال: هكذا روي موقوفاً، وهو أشبه بالمرفوع خلافاً لابن حبان اهـ، هكذا في المطبوع، والمراد: وهو أشبه من المرفوع، وقد دافع ابن حبان عن الرفع ودفع قول من وهمه، والمحفوظ في سن إبراهيم عليه السلام لما اختتن هو ثمانون سنة، كما سيأتي مخرجاً في الصحيحين من حديث أبي هريرة نفسه، وقال بذلك غير واحد من الحفاظ، وأورد خبر أبي هريرة السابق: الحافظ في الفتح (٦/ ٣٩١) ثم قال: والظاهر أنه سقط من المتن شيء، فإن هذا القدر ـ يعني المئة وعشرين سنة ـ هو مقدار عمره عليه السلام. أما قول المصنف: وروي أن الله عز وجل أوحى إليه أن تطهر فتمضمض... إلى آخره، فلم أقف عليها بهذا السياق.

(١) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٣٣٥٦) ومسلم (٢٣٧٠) من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) في هامش المطبوع: «وفي بعض النسخ: قال الرازي، ويمكن أن يكون إشارة إلى أبي جعفر الرازي ابن عيسى بن ماهان..».

(٣) هذه العبارة يتناقلها أهل التفسير ولا ينسبونها لأحد إنما هي تفسير للآية.

(٤) تفسير مجاهد (ص: ٢١٣)، وتفسير الطبري (٢/ ١١).

وإنما سميت هذه الخصال كلمات، لأنها اقترنت بها أوامر هي كلمات، وروي أن إبراهيم ﷺ لما أتم هذه الكلمات أو أتمها الله عليه كتب الله له البراءة من النار، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧].

والإمام القدوة، ومنه قيل لخيط البناء: إمام، وهو هنا اسم مفرد، وقيل في غير هذا الموضع: هو جمع آمٍّ، وزنه: فاعِل، أصله: آمم، فيجيء مثل قائم وقيام وجائع وجياع ونائم ونيام، وجعل الله تعالى إبراهيم إماماً لأهل طاعته، فلذلك اجتمعت الأمم على الدعوى فيه، وأعلم الله تعالى أنه كان حنيفاً.

وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾، هو على جهة الدعاء والرغبى إلى الله، أي: ومن ذريتي يا رب فاجعل، وقيل: هذا منه على جهة الاستفهام عنهم، أي ومن ذريتي يا رب ماذا يكون؟.

والذرية مأخوذة من ذرا يذْرو، أو من ذَرَى يذْري، [أو من ذرَّ يذُرُّ][١]، أو من ذَرأ يذْرأُ، وهي أفعال تتقارب معانيها، وقد طوَّل في تعليلها أبو الفتح وشفى[٢].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى﴾[٣]، أي: قال الله، و«العهد» فيما قال مجاهد: الإمامة، وقال السدي: [النبوءة، وقال قتادة:][٤] «الأمان من عذاب الله»، وقال الربيع والضحاك: «العهد: الدين؛ دين الله تعالى»[٥]، وقال ابن عباس: «معنى الآية: لا عهد عليك لظالم أن تطيعه»[٦].

ونصب ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لأن العهد ينال كما ينال.

---

(١) ساقط من نور العثمانية، وفي المطبوع بدل «أو» هنا: «أم».

(٢) انظر المحتسب (١/ ١٥٦).

(٣) في الحمزوية زيادة: «الظالمين».

(٤) ساقط من جار الله، وهي في نسخة أحمد٣ ملحقة في الهامش وعليها علامة «صح».

(٥) انظر الأقوال الأربعة في تفسير الطبري (٢/ ٢٠ و٢١و٢٢).

(٦) لا بأس به بمجموع طرقه، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٢٢) من ثلاثة طرق عن ابن عباس، لا تخلو جميعاً من مقال، ومجموعها يشد بعضه بعضاً.

وقرأ قتادة وأبو رجاء والأعمش: (الظالمون) بالرفع[١].

[٩٢] وإذا أوَّلنا العهد الدينَ / أو الأمان، أو أن لا طاعة لظالم؛ فالظلم في الآية ظلم الكفر، لأن العاصي المؤمن ينال الدين والأمان من عذاب الله، وتلزم طاعته إذا كان ذا أمر، وإذا أولنا العهد النبوءة أو الإمامة في الدين فالظلم ظلم المعاصي فما زاد.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦)﴾.

﴿وَإِذْ﴾ عطف على (إذْ) المتقدمة، و﴿الْبَيْتَ﴾ الكعبة.

و﴿مَثَابَةً﴾: يحتمل أن تكون من ثاب إذا رجع؛ لأن الناس يثوبون إليها، أي: ينصرفون، ويحتمل أن تكون من الثواب، أي: يثابون هناك، قال الأخفش: «دخلت الهاء فيها للمبالغة لكثرة من يثوب، أي: يرجع»[٢]، لأنه قلَّ ما يفارق أحد البيت إلا وهو يرى أنه لم يقض منه وطراً، فهي كنسَّابة وعلامة، وقال غيره: «هي هاء تأنيث المصدر»، فهي مَفْعلة أصلها: مَثْوبة، نقلت حركة الواو إلى الثاء فانقلبت الواو ألفاً لانفتاح ما قبلها، وقيل: «هو على تأنيث البقعة»، كما يقال: مقام ومقامة.

وقرأ الأعمش: (مثابات) على الجمع[٣]، وقال ورقة بن نوفل في الكعبة:

[الطويل] مثَابٌ لأفناء القبائل كلِّها ... تخبُّ إليها اليَعْمَلاتُ الطَّلائح[٤]

---

(١) عزاها لأبي رجاء والأعمش النحاس في إعراب القرآن (١/ ٧٦)، وللثلاثة أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٦٠٤)، ونسبها الطبري (٢/ ٢٤) والفراء في معاني القرآن (١/ ٢٨)، والفارسي في الحجة (٢/ ٤٢)، وابن خالويه في مختصر الشواذ (ص١٦) لابن مسعود، وزاد الكرماني في الشواذ (ص ٧٤) أبيّاً، ونسبها الثعلبي (١/ ٢٦٩) لطلحة.

(٢) معاني القرآن للأخفش (١/ ١٥٤).

(٣) انظر عزوها له في الكامل (ص: ٤٩١)، وعزاها الثعلبي (١/ ٢٧٠) لطلحة بن مصرف.

(٤) البيت لورقة بن نوفل في تفسير الطبري (٢/ ٢٦)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٣٥٩)، =

و(أمْناً) معناه أن الناس يُغِيرون [ويقتتلون][١] حول مكة وهي آمنة من ذلك، يلقى الرجل بها قاتل أبيه فلا يَهيجه، لأن الله تعالى جعل لها في النفوس حرمة، وجعلها أمناً للناس والطير والوحوش، وخصَّص الشرع من ذلك الخمس الفواسق [على لسان النبي ﷺ][٢].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي][٣] [وجمهور الناس][٤]: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ بكسر الخاء على جهة الأمر، فقال أنس بن مالك وغيره: «معنى ذلك ما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «وافقت ربي في ثلاث: في الحجاب، وفي ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ [التحريم: ٥]، وقلت يا رسول الله: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾»[٥]، فهذا أمر لأمة محمد ﷺ.

وقال المهدوي: «وقيل: ذلك عطف على قوله:﴿ٱذْكُرُواْ﴾ فهذا أمر لبني إسرائيل»[٦].

وقال الربيع بن أنس: «ذلك أمر لإبراهيم ومتبعيه، فهي من الكلمات، كأنه قال: إنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إماماً، واتَّخِذُوا»[٧]، وذكر المهدوي رحمه الله أن ذلك عطف على

= وتاريخ دمشق لابن عساكر (٦٣/ ١٥)، ويقال: «هو من أفناء الناس» أي: لا يدري من أي قبيلة هو، والأفناء: الأخلاط، واليعملات بفتح الميم جمع يعملة وهي: النجيبة من الإبل، والطلائح: الإبل التي أضمرها الإعياء، وفي المطبوع : «مثاباً» بالنصب، وفي أحمد٣: «مثابات أفناء».

(١) في المطبوع وأحمد٣: «ويقتلون».

(٢) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٣١٣٦)، ومسلم (١١٩٨) من حديث أم المؤمنين عائشة، بلفظ: «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الحية والغراب الأبقع والفارة والكلب العقور والحديا».

(٣) ساقط من فيض الله، وما بعده ساقط من الحمزوية إلى «عن عمر».

(٤) من جار الله والسليمانية وأحمد٣، ونور العثمانية.

(٥) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٤٠٢) ومسلم (٢٣٩٩) مختصراً من حديث أنس عن عمر.

(٦) نقله القرطبي في تفسيره (٢/ ١١١)، وانظر الطبري (٢/ ٣١).

(٧) تفسير الطبري (٢/ ١٢).

الأمر الذي يتضمنه قوله: ﴿جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةً﴾، لأن المعنى: ثوبوا[١].

وقرأ نافع وابن عامر: ﴿واتخَذوا﴾ بفتح الخاء[٢] على جهة الخبر عمن اتخذه من متبعي إبراهيم، وذلك معطوف على قوله: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا﴾، كأنه قال: وإذ اتخَذوا، وقيل: هو معطوف على ﴿جَعَلۡنَا﴾ دون تقدير (إذ)، فهي جملة واحدة، وعلى تقدير (إذ) فهي جملتان.

واختلف في ﴿مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾:

فقال ابن عباس وقتادة وغيرهما ـ وخرجه البخاري ـ: «إنه الحجر الذي ارتفع عليه إبراهيم حين ضعف عن رفع الحجارة التي كان إسماعيل يناوله إياها في بناء البيت وغرقت قدماه فيه»[٣].

وقال الربيع بن أنس: «هو حجر ناولته إياه امرأته فاغتسل عليه وهو راكب، جاءته به من شق ثم من شق، فغرقت رجلاه فيه حين اعتمد عليه»[٤].

وقال فريق من العلماء: «المقام المسجد الحرام»، وقال عطاء بن أبي رباح: «المقام عرفة والمزدلفة والجمار»[٥]، وقال ابن عباس: «مقامه مواقف الحج كلها»[٦]، وقال مجاهد: «مقامه الحرم كله»[٧].

---

(١) التحصيل للمهدوي (١ / ٣٥٦)، وتفسير القرطبي (٢ / ١١١).

(٢) فالقراءتان متواترتان، انظر التيسير (ص: ٧٦)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٦٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) رواه الطبري عن السدي (٢ / ٣٥).

(٥) انظر القولين في تفسير الطبري (٢ / ٣٣).

(٦) صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٣٣) من طريق ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، والظاهر هنا أن عطاء هو ابن أبي رباح فيكون الإسناد صحيحاً.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٣٣٣).

و﴿مُصَلًّى﴾: موضع صلاة، هذا قول من قال: المقام الحجر، ومن قال بغيره قال: ﴿مُصَلًّى﴾ مَدْعًى، على أصل الصلاة.

وقوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ﴾؛ العهد في اللغة على أقسام، [هذا][١] منها: الوصية بمعنى الأمر.

و﴿أَن﴾ في موضع نصب على تقدير: بأن، وحذف الخافض، قال سيبويه: «إنها بمعنى «أي» مفسرة، فلا موضع لها من الإعراب»[٢].

و﴿طَهِّرَا﴾ قيل: «معناه: ابنياه وأسساه[٣] على معنى[٤] طهارة ونية طهارة»[٥]، فيجيء مثل قوله: ﴿أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [التوبة: ١٠٨]، وقال مجاهد: «هو أمر بالتطهير من عبادة الأوثان»[٦]، وقيل: «من الفرث والدم»[٧]، وهذا ضعيف لا تعضده الأخبار، وقيل: من الشرك.

وأضاف الله البيت إلى نفسه تشريفاً للبيت، وهي إضافة مخلوقٍ إلى خالق، ومملوك إلى مالك.

﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ ظاهره: أهل الطواف، وقاله عطاء وغيره، وقال ابن جبير: «معناه للغرباء الطارئين على مكة»[٨].

﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ قال ابن جبير: «هم أهل البلد المقيمون»، وقال عطاء: «هم

---

(١) ليست في نور العثمانية وأحمد٣ وجار الله.
(٢) مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٥٣٤).
(٣) في نور العثمانية: «واستبنياه».
(٤) من نور العثمانية.
(٥) أحكام القرآن للجصاص (١/ ٩٣).
(٦) تفسير الطبري (٢/ ٤٠).
(٧) أحكام القرآن للجصاص (١/ ٩٣).
(٨) انظر القولين في تفسير الطبري (٢/ ٤١).

المجاورون بمكة»[(١)]، وقال ابن عباس: «المصلون»[(٢)]، وقال غيره: «المعتكفون».

والعكوف في اللغة: اللزوم[(٣)] للشيء والإقامة عليه، كما قال الشاعر:

[الرجز] عَكْفَ النَّبِيط يلعَبُون الفَنزجَا[(٤)] ....

معناه: لملازمي البيت إرادةَ وجه الله العظيم.

﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾: المصلُّون، وخص الركوع والسجود بالذكر لأنهما أقرب أحوال المصلي إلى الله تعالى، وكل مقيم عند بيت الله إرادةَ ذات الله فلا يخلو من إحدى هذه الرتب الثلاث: إما أن يكون في صلاة أو في طواف [أو عكوف][(٥)]، فإن كان في شغل من دنياه فحال العكوف على مجاورة البيت لا تفارقه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ الآية، دعا إبراهيم عليه السلام لذريته وغيرهم بمكة بالأمن ورغد العيش، و﴿ٱجْعَلْ﴾ لفظه الأمر وهو في حق الله تعالى رغبة ودعاء، و﴿ءَامِنًا﴾ معناه: من الجبابرة والمسلطين[(٦)]، والعدو / المستأصل والمَثُلات التي [٩٣] تحل بالبلاد.

وكانت مكة وما يليها حين ذلك قفراً لا ماء فيه ولا نبات، فبارك الله فيما حولها كالطائف وغيره، ونبتت فيها أنواع الثمرات.

---

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (٢/ ٤٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٤٣) عنه بإسناد منقطع.

(٣) في نور العثمانية: «الملازمة».

(٤) البيت للعجاج عزاه له: الخليل في كتاب العين (١/ ٢٠٥)، وابن سيده في المحكم (١/ ٢٨٢)، والأزهري في تهذيب اللغة (٤/ ٦٤)، والجوهري في الصحاح (٢/ ٣٥٩)، وابن قتيبة في أدب الكاتب (ص٤٩٨)، وعكف: أقام حول الشيء، والنبيط: جمع نبطي، وهم قوم من العجم. والفنزج والفنزجة، : لعبة للعجم يأخذ كلُّ واحدٍ منهم بيد صاحبه ويستديرون. انظر: اللسان (٢/ ٣٤٩).

(٥) من السليمانية ملحقة في هامشها عليها علامة «صح».

(٦) في الحمزوية: «التسلطين».

وروي أن الله تعالى لما دعاه إبراهيم أمر جبريل صلوات الله عليه فاقتلع فلسطين، وقيل: قطعة[١] من الأردن، فطاف بها حول البيت سبعاً، وأنزلها [بوجّ][٢]، فسميت الطائف بسبب ذلك الطواف[٣].

واختلف في تحريم مكة متى كان؟ فقالت فرقة: جعلها الله حراماً يوم خلق السماوات والأرض، وقالت فرقة: حرمها إبراهيم.

قال القاضي أبو محمد: والأول قاله النبي ﷺ في خطبته ثاني يوم الفتح[٤]، والثاني قاله أيضاً النبي ﷺ، ففي الصحيح عنه: «اللهم إن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة، ما بين لابتيها حرام»[٥].

ولا تعارض بين الحديثين، لأن الأول إخبار بسابق علم الله فيها وقضائه، وكون الحرمة مدة آدم وأوقاتِ عمارة القطر بإيمان، والثاني إخبار بتجديد إبراهيم لحرمتها وإظهاره ذلك بعد الدثور، وكل مقال من هذين الإخبارين حسن في مقامه، عظَّم[٦] الحرمة ثاني يوم الفتح على المؤمنين بإسناد التحريم إلى الله تعالى، وذكر إبراهيمَ عند تحريمه المدينة مثالاً لنفسه، ولا محالة أن تحريم المدينة هو أيضاً من قِبَل الله تعالى، ومن نافذ قضائه وسابق علمه.

و﴿مَنْ﴾ بدل من قوله: ﴿أَهْلَهُۥ﴾، وخص إبراهيم المؤمنين بدعائه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ الآية؛ قال أبي بن كعب وابن إسحاق وغيرهما: «هذا

---

(١) في السليمانية وأحمد٣: «بقعة».

(٢) في الحمزوية: «ثَم»، وفي فيض الله: «نوح»، وهما خطأ، ووج موضع وقعت حوله غزوة حنين.

(٣) انظر القصة في تفسير السمعاني (١/ ١٣٨) والبغوي (١/ ١١٤).

(٤) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٨٣٤)، ومسلم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٣٣٦٧) ومسلم (١٣٦٠) بنحوه من حديث أنس رضي الله عنه.

(٦) كتبت في المطبوع: «عطم»، بالطاء المهملة، ولعله سبق قلم.

القول من الله عز وجل لإبراهيم»، وقرؤوا: ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ بضم الهمزة [وفتح الميم][١] وشد التاء، ﴿ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ﴾ بقطع الألف وضم الراء[٢].

وكذلك قرأ السبعة حاشا ابن عامر، فإنه قرأ: ﴿فأُمْتِعه﴾ بضم الهمزة وسكون الميم وتخفيف التاء[٣]، ﴿ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ﴾ [بقطع الألف.

وقرأ يحيى بن وثاب: (فأُمْتِعه) كما قرأ ابن عامر، (ثم إِضْطره)][٤] بكسر الهمزة[٥] على لغة قريش في قولهم: لا إخال، وقرأ أبي بن كعب: (فنمتعه ثم نضطره)[٦].

و(مَن) شرط والجواب في ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ﴾، وموضع (مَن) رفع على الابتداء والخبر، ويصح أن يكون موضعها نصباً على تقدير وأَرْزُقُ من كفر، فلا تكون شرطاً.

وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: «هذا القول هو من إبراهيم ﷺ»[٧]، وقرؤوا: (فأَمْتعه) بفتح الهمزة وسكون الميم، (ثم اضطرَّه) بوصل الألف وفتح الراء[٨]، وقرئت بالكسر[٩]، ويجوز فيها الضم، وقرأ ابن محيصن: ثم (أَطَّرُّهُ) بإدغام الضاد في الطاء[١٠].

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) انظر هذا القول والقراءة بمقتضاه في تفسير الطبري (١/ ٥٤)، إلا أن قراءة أبي هي بضمير الجمع كما سيأتي.

(٣) فهما قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٦)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٧٠).

(٤) ساقط من جار الله، وسقط «يحيى بن وثاب» من فيض الله.

(٥) انظر عزوها له في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٧٧)، ومختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٦)، وهي قراءة شاذة.

(٦) انظر عزوها له في معاني القرآن للفراء (١/ ٧٨)، وتفسير الثعلبي (١/ ٢٧٣)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٧٧).

(٧) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٥٤) بإسناد فيه أبو جعفر الرازي، وهو ضعيف الحديث.

(٨) تفسير الطبري (٢/ ٥٤)، وعزاها في المحتسب (١/ ١٠٤) لابن عباس.

(٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب (١/ ٢٦٥).

(١٠) المحتسب (١/ ١٠٦).

وقرأ يزيد بن أبي حبيب(١): (ثم أضطُرُّه) بضم الطاء(٢).

قال القاضي أبو محمد: فكأن إبراهيم عليه السلام دعا للمؤمنين وعلى الكافرين.

و﴿قَلِيلًا﴾ معناه: مدة العمر، لأن متاع الدنيا قليل، وهو نعت إمَّا لمصدر [كأنه قال: متاعاً قليلاً، وإما لزمان](٣)، كأنه قال: وقتاً قليلاً، أو زمناً قليلاً.

و﴿ٱلْمَصِيرُ﴾ مَفْعل كموضع من صار يصير، و(بيس) أصلها: بئس، وقد تقدمت في: ﴿بِئْسَمَا﴾ [البقرة: ٩٠]، و(أمتعه) معناه: أخوله الدنيا وأبقيه(٤) فيها بقاء قليلًا، لأنه فانٍ منقض، وأصل المتاع: الزاد، ثم استعمل فيما يكون آخر أمر الإنسان أو عطائه أو أفعاله، قال الشاعر:

وقفتُ علىٰ قبْرٍ غَريبٍ بقفْرةٍ ... متاعٌ قليلٌ من حَبيبٍ مُفارِق(٥) [الطويل]

[ومنه تمتيع الزوجات، ويَضطَرُّ الله الكافر إلى النار جزاء على كفره](٦).

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾.

---

(١) يزيد بن أبي حبيب الفقيه أبو رجاء الأزدي مولاهم المصري أحد الأعلام، وكان أسود حبشيّاً، روى عن عبد الله بن الحارث بن جزء وخلق، وعنه ابن إسحاق والليث وطائفة، وكان مفتي أهل مصر حليماً عاقلاً، توفي سنة (١٢٨هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٣٠٤).

(٢) لم أجدها لغيره وقد نقلها أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٦١٤).

(٣) ساقط من جار الله.

(٤) في الحمزوية: «وأنعمه».

(٥) البيت لسليمان بن عبد الملك كما في البيان والتبيين (١/ ٥٨٦)، وقد أنشده بعد دفن ولده أيوب، كما تقدم في الآية (٣٦).

(٦) ساقط من فيض الله.

المعنى: واذكر إذ، و﴿ٱلْقَوَاعِدَ﴾ جمع قاعدة وهي الأساس، وقال الفراءُ: «هي الجدر»[١]، وفي هذا تجوز.

والقواعد من النساء جمع قاعد، وهي التي قعدت عن الولد، وحذفت تاء التأنيث لأنه لا دخول للمذكر فيه، هذا قول بعض النحاة، وقد شذ حذفها مع اشتراك المذكر بقولهم ناقة ضامر، ومذهب الخليل أنه متى حذفت تاء التأنيث زال الجري على الفعل وكان ذلك على النسب[٢].

و﴿ٱلْبَيْتِ﴾ هنا: الكعبة بإجماع، واختلف بعدُ[٣] رواةُ القصص: فقيل: إن آدم أمر ببنائه، فبناه، ثم دثر ودرس حتى دُل عليه إبراهيم فرفع قواعده، وقيل: إن آدم هبط به من الجنة، وقيل: إنه لما استوحش في الأرض حين نقص طوله وفقد أصوات الملائكة أهبط إليه وهو كالدرة، وقيل: كالياقوتة، وقيل: إن البيت كان ربوة حمراء، وقيل: بيضاء، ومن تحته دحيت الأرض، وإن إبراهيم ابتدأ بناءه بأمر الله ورفَع قواعده.

والذي يصح من هذا كله أن الله أمر إبراهيم برفع قواعد البيت[٤]، وجائز قِدَمه وجائز أن يكون ذلك ابتداء، ولا يرجح شيء من ذلك إلا بسند يقطع العذر.

وقال عبيد بن عمير: «رفعها إبراهيم وإسماعيل معاً»[٥]، وقال ابن عباس: «رفعها إبراهيم، وإسماعيل يناوله الحجارة»[٦]، وقال علي بن أبي طالب: «رفعها إبراهيم،

---

(١) الذي في معاني القرآن للفراء (١/ ٧٨) : هي أساس البيت، ومثله لأبي عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٣٥٩)، وفسرها بالجدر الكسائي في معاني القرآن له: (ص: ٧٨)، وكذا نقل عنهم القرطبي (٢/ ١٢٠)، وعزا القول الثاني في البحر المحيط (١/ ٥٩٨) للفراء والكسائي معاً.

(٢) انظر: شرح الرضي على الكافية (٣/ ٣٣١)، والمخصص (٥/ ٦٦).

(٣) في نور العثمانية: «بعض».

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٦٤) و(٣٣٦٥) من قول ابن عباس رضي الله عنه.

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٦٦).

(٦) سبق هذا في المتفق عليه قريباً.

وإسماعيل طفل صغير»، ولا يصح هذا عن علي رضي الله عنه، لأن الآية والآثار ترده.

﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ عطف على ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ﴾، وقيل: هو مقطوع على الابتداء، وخبره / فيما بعد، قال الماوردي: «إسْماعِيلُ أصله: اسمع يا [إيل][1]»[2]. وهذا ضعيف. [٩٤]

وتقدير الكلام: يقولان ربنا تقبل، وهي قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود كذلك بثبوت: (يقولان)[3]، وقالت فرقة: «التقدير: وإسماعيل يقول: ربنا، وحذف لدلالة الظاهر عليه»، وكل هذا يدل على أن إسماعيل لم يكن طفلاً في [ذلك الوقت][4]، وخَصّا هاتين الصفتين لتناسبهما مع حالهما، أي: السَّمِيعُ لدعائنا والْعَلِيمُ بنياتنا.

وقولهما ﴿اجْعَلْنا﴾ بمعنى: صيِّرنا، تتعدى إلى مفعولين، و﴿مُسْلِمَيْنِ﴾ هو المفعول الثاني، وكذلك كانا، فإنما أرادا التثبيت والدوام، والإسلام في هذا الموضع الإيمان والأعمال جميعاً.

وقرأ ابن عباس وعوف[5]: (مسلِمِين) على الجمع[6].

---

(١) في المطبوعة رسمت «ءايل».

(٢) النكت والعيون للماوردي (١ / ١٩٠).

(٣) انظر عزوها لابن مسعود في معاني القرآن للفراء (١/ ٧٨)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٤٣٩)، والمحتسب لابن جني (١٠٨/١)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٧٣)، وعزوها لأبيٍّ في تفسير الماوردي (١/ ١٩٠).

(٤) في أحمد٣ وجار الله: «ذينك الوقتين».

(٥) هكذا في جميع النسخ: «عوف» بالفاء في آخره، وكذا في تاريخ الإسلام (٩/ ٢٤٦) قال: وهو عوف الأعرابي ابن أبي حميلة، أبو سهل البصري الأعرابي، ولم يكن بأعرابي، بل كان فارسيّاً، ضعفه ابن معين، ووثقه غير واحد، واحتج به أصحاب الصحاح، وقيل: كان قدرياً رافضياً، مات (١٤٧هـ)، وفي غاية النهاية (١/ ٦٠٦)، وأكثر كتب القراءات: «عون» بالنون، قال: وكان له اختيار في القراءة.

(٦) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لعون الأعرابي في مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٧)، والشواذ للكرماني (ص: ٧٦)، وزادا الحسن، وسماه الثعلبي في الكشف والبيان (١/ ٢٧٥) عون بن أبي جميلة، وانظر عزوها لابن عباس في البحر المحيط (١/ ٦٢٠).

و(مِنْ) في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾ للتبعيض، وخص من الذرية بعضاً لأن الله تعالى قد كان أعلمه أن منهم ظالمين، والأمة: الجماعة، وحكى الطبري أنه أراد بذلك العرب خاصة(١)، وهو ضعيف، لأن دعوته ظهرت في العرب وفيمن آمَن مِن غيرهم.

وقرأ نافع وحمزة والكسائي: ﴿وَأَرِنَا﴾ بكسر الراء، وقرأ ابن كثير: ﴿أرْنا﴾ بإسكان الراء، وقرأ أبو عمرو بين الإسكان والكسر اختلاساً(٢)، والأصل: أرئينا؛ حذفت الياء للجزم ونقلت حركة الهمزة إلى الراء وحذفت تخفيفاً، واستَثقل بعدُ مَن سكَّن الراء الكسرة كما استثقلت في «فخذ»، وهنا من الإجحاف ما ليس في «فخذ».

وقالت طائفة: «(أرِنا) من رؤية البصر»، وقالت طائفة: «من رؤية القلب»(٣)، وهو الأصح، ويلزم قائله أن يتعدى الفعل منه إلى ثلاثة [مفعولِين](٤)، وينفصل عنه بأنه يوجد معدًّى بالهمزة من رؤية القلب كغير المعدى. قال حُطائط بن يَعفر أخو الأسود ابن يعفر(٥):

[الطويل] أريني جواداً مات هَزْلا لأنَّني أرىٰ ما تَرَيْنَ أو بخيلاً مخَلَّدا(٦)

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٧٤).

(٢) ووافق عاصم وابن عامر نافعاً ومن معه، انظر ذلك كله في التيسير (ص: ٧٦)، والسبعة في القراءات (ص: ١٧٠).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٧٨ و٧٩) وقال الطبري: ولا معنى لفرق من فرق بين رؤية العين في ذلك ورؤية القلب.

(٤) في المطبوع: «مفاعيل».

(٥) شاعران جاهليان من بني حارثة بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم، ويكنّى الأسود أبا الجرّاح، وكان أعمى، ولا عقب للأسود ولا لأخيه حطائط. انظر: الشعر والشعراء (١/ ٢٤٨).

(٦) وهو شاعر جاهلي مقلٌّ، نسبه له في مجاز القرآن (١/ ٥٥)، وتفسير الطبري (٣/ ٧٨)، والحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٢٥)، والكنز اللغوي لابن السكيت (ص: ٢٣)، والأغاني (١٣/ ٣٠)، والشعر والشعراء (١/ ٢٤١)، وقوله: «لأنني»، بفتح اللام بمعنى: لعلني، وجاء في الصحاح للجوهري (٥/ ١٧٧٤): «وأنشد أبو زيد لحاتم»، فذكره، وفي تاج العروس (٣٤/ ٢٠٤): «قال ابن بري: وهو الصحيح، وقيل: هو لدريد، قال: وقد وجدته في شعر معن بن أوس المزني»، وجاء في تفسير القرطبي (٧/ ٦٤)، معزوّاً لدريد بن الصمة.

وقال قتادة: «المناسك معالم الحج»[(١)]، وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «لما فرغ إبراهيم من بناء البيت ودعا بهذه الدعوة، بعث الله إليه جبريل فحج به»[(٢)]، وقال ابن جريج: «المناسك المذابح، أي: مواضع الذبح»[(٣)]، وقال فريق من العلماء: «المناسك: العبادات كلها»[(٤)]، ومنه الناسك، أي: العابد.

وفي قراءة ابن مسعود: (وأرهم مناسكهم)[(٥)]،كأنه يريد الذرية.

والتوبة: الرجوع، وعُرفه شرعاً: من الشر إلى الخير، وتوبة الله على العبد: رجوعه به وهدايته له، واختلف في معنى طلبهم التوبة وهم أنبياء معصومون: فقالت طائفة: «طلبا التثبيت والدوام»، وقيل: «أرادا من بعدهما من الذرية» كما تقول: برني فلان وأكرمني، وأنت تريد في ولدك وذريتك[(٦)].

وقيل وهو الأحسن عندي: «إنهما لما عرفا المناسك وبنيا البيت وأطاعا، أرادا أن يسنا للناس أن ذلك الموقف وتلك المواضع مكان التنصل من الذنوب وطلب التوبة».

وقال الطبري: «إنه ليس أحد من خلق الله تعالى إلا وبينه وبين الله تعالى [معان][(٧)] يحب أن تكون أحسن مما هي»[(٨)].

وأجمعت الأمة على عصمة الأنبياء في معنى التبليغ، ومن الكبائر، ومن

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٧٦).

(٢) منقطع، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٧٩) من طريق: ابن جريج قال: قال ابن المسيب، قال علي ابن أبي طالب. وبين وفاة ابن جريج وابن المسيب أكثر من ستين سنة، ويروي عنه بواسطة.

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٧٧ و٧٨).

(٤) المصدر السابق (٣/ ٨٠).

(٥) معاني القرآن للفراء (١/ ٣١)، وتفسير الطبري (١/ ٥٥٠)، وتفسير الثعلبي (١/ ٢٧٥).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٨١).

(٧) في الحمزوية: «معارف».

(٨) تفسير الطبري (٣/ ٨١).

الصغائر التي فيها رذيلة، واختلف في غير ذلك من الصغائر[(١)]، والذي أقول به أنهم معصومون من الجميع، وأن قول النبي ﷺ: «إني لأتوب إلى الله في اليوم وأستغفره سبعين مرة»[(٢)]، إنما هو رجوعه من حالة إلى أرفع منها لتزيُّدِ علومِه واطلاعه على أمر الله، فهو [يتوب][(٣)] من المنزلة الأولى إلى الأخرى، والتوبة هنا لغوية.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ الآية، هذا هو الذي أراد النبي ﷺ بقوله: «أنا دعوة أبي[(٤)] إبراهيم، وبشرى عيسى»[(٥)]، ومعنى ﴿مِّنْهُمْ﴾ أن يعرفوه ويتحققوا فضله، ويشفق عليهم ويحرص.

---

(١) انظر تفصيل ذلك في الشفا للقاضي عياض (٢ / ١٤٤).

(٢) هذا الحديث أخرجه البخاري (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في المطبوع: «يترتب».

(٤) سقطت من فيض الله.

(٥) روي من طرق أحسنها جيد لو ثبت اتصاله، هذا الحديث أخرجه أحمد (٤/ ١٢٧) والبخاري في التاريخ الكبير (٦/ ٦٨)، وابن حبان (١٤/ ٣١٢)، والحاكم (٢/ ٤٥٣)، والطبراني (١٨/ ٢٥٢) من طريق سعيد بن سويد عن عبد الأعلى بن هلال عن عرباض بن سارية به مرفوعاً. وسعيد قال البخاري: لا يتابع في حديثه. كما في الكامل لابن عدي (٣/ ٤٠٨) وذكر الحافظ في تعجيل المنفعة (١/ ٥٨٣) أن البخاري قال فيه: لم يصح حديثه. قال الحافظ: يعني الذي رواه معاوية عنه مرفوعاً: إني عبد الله وخاتم النبيين... وهو هذا الحديث. وقد اضطرب فيه سويد فتارة يرويه عن العرباض مباشرة وتارة يدخل بينهما عبد الأعلى بن هلال، وأخرج الحاكم (٢/ ٥٩٩) وغيره من طريق: ابن إسحاق قال حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ به. قال الحاكم عقبه: خالد بن معدان من خيار التابعين، صحب معاذ بن جبل فمن بعده من الصحابة، فإذا أسند حديثاً إلى الصحابة فإنه صحيح اهـ، أقول: لكنه يرسل عن أكثر الصحابة، وقد سمع البعض وروى عن أكثرهم بواسطة، فروايته هاهنا تحتمل الأمرين، وقال ابن كثير في التفسير: (٨/ ١١٠): «هذا إسناد جيد، ورُوي له شواهد من وجوه أخر».اهـ ثم ذكر حديث العرباض الذي سبق، وحديث أبي أمامة الآتي، وأخرج أحمد (٥/ ٢٦٢) وأبو داود الطيالسي (٢/ ٤٥٨) والطبراني في الكبير (٢/ ٤٠٢) من طريق: فرج بن فضالة عن لقمان بن عامر عن أبي أمامة به مرفوعاً، وفرج ضعيف لاسيما عن الشاميين، وأحاديثه عن لقمان عن أبي أمامة غير محفوظة، قاله ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٩).

و(يَتْلُوا) في موضع نصب نعت لـ(رسول)، أي: تالياً عليهم، ويصح أن يكون في موضع الحال، والآيات آيات القرآن.

و﴿ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾: القرآن، [ونسب التعليم إلى النبي ﷺ][١] من حيث هو يعطي الأمور التي ينظر فيها ويعلم طرق النظر بما يلقيه الله إليه ويوحيه[٢]، وقال قتادة: «الْحِكْمَةَ السنة وبيان النبي ﷺ الشرائع»، وروى ابن وهب[٣] عن مالك: «أن الحكمة الفقه في الدين والفهم الذي هو [سجية][٤] ونور من الله تعالى»[٥].

و﴿وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ معناه: يطهرهم وينميهم بالخير، ومعنى الزكاة لا يخرج عن التطهير أو التنمية.

و﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي يغلب ويتمُّ مراده ولا يرد، و﴿ٱلْحَكِيمُ ﴾ المصيب مواقعَ الفعل المُحْكِم لها.

قوله عز وجل: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾.

﴿ وَمَن﴾ استفهام في موضع رفع بالابتداء، و﴿يَرْغَبُ﴾ خبره، والمعنى: يزهد فيها ويربأ بنفسه عنها، والملة: الشريعة والطريقة.

و﴿سَفِهَ﴾ من السَّفه الذي معناه الرِّقَّة والخفَّة.

---

(١) في الحمزوية : «وسبب التعليم إلى الشيء».

(٢) في نور العثمانية: «ويوجبه».

(٣) هو عبد الله بن وهب الإمام أبو محمد الفهري، مولاهم المصري. أحد الأعلام، وعالم الديار المصرية، ثقة صدوق، روى عن مالك وغيره، توفي سنة (١٧٩هـ). تاريخ الإسلام ت تدمري (١٣/ ٢٦٥).

(٤) في الحمزوية : «منحة».

(٥) ذكرهما الطبري (٣/ ٨٧).

واختلف في نصب ﴿نَفۡسَهُۥ﴾، فقال الزجاج: «سَفِهَ بمعنى جهل، وعدَّاه بالمعنى»[١]، وقال غيره: «سَفِهَ بمعنى أهلك»[٢]، وحكى ثعلب والمبرد أن «سفِه بكسر الفاء يتعدى كسفَّه بفتح الفاء وشدها»[٣]، وحكي عن أبي الخطاب[٤] أنها لغة[٥]، وقال الفراء: نصبها على التمييز[٦].

قال القاضي أبو محمد: لأن السفه يتعلق بالنفس والرأي والخُلُق، فكأنه ميزها بين هذه [ورأى][٧] أن هذا التعريف ليس [بمحض][٨]؛ لأن الضمير فيه الإبهام / [٩٥]
الذي في «مَنْ»، فكأن الكلام: إلا مَن سفه نفساً.

وقال البصريون: «لا يجوز التمييز مع هذا التعريف، وإنما النصب على تقدير حذف «في»، فلما انحذف حرف الجر قوي الفعل»[٩]، وهذا يجري على مذهب سيبويه فيما حكاه من قولهم: «ضُرب فلانٌ الظَّهرَ والبطن» أي: في الظهر والبطن[١٠].

وحكى مكي: «أن التقدير: إلَّا مَنْ سَفِهَ قولَه نَفْسَهُ، على أن ﴿نَفۡسَهُۥ﴾ تأكيد، حذف

---

(١) معاني القرآن للزجاج (١/ ٢١٠).

(٢) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٥٦) ونقله عنه السمعاني (١/ ١٤١)، والزجاج في معاني القرآن (١/ ٢١٠).

(٣) انظر: النكت والعيون (١/ ١٩٣)، والبحر المحيط (١/ ٦٢٢).

(٤) اشتهر بهذه الكنية الأخفش الكبير عبد الحميد بن عبد المجيد كما في ترجمته في إنباه الرواة (٢/ ١٥٧)، وقد تقدمت ترجمته.

(٥) نقله القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٣٢) عنه وعن يونس.

(٦) معاني القرآن له (١/ ٧٩).

(٧) في المطبوع: «ورأيي»، وفي جار الله وأحمد٣: «روي».

(٨) في الحمزوية: «بمنحصر».

(٩) انظر هذا المبحث في إعراب القرآن النحاس (١/ ٧٩).

(١٠) الكتاب له (١/ ١٥٨).

المؤكَّد وأقيم التوكيد مقامه [قياساً][(١)] على[(٢)] النعت والمنعوت»[(٣)]، وهذا قول متحامل.

و«اصطفى»: افتعل من الصفوة[(٤)] معناه: تخيَّر الأصفى، وأبدلت التاء طاء لتناسبها مع الصاد في الإطباق، ومعنى هذا الاصطفاء: أنه نبَّأه واتخذه خليلاً، و﴿فِى ٱلْآخِرَةِ﴾ فِي الْآخِرَةِ متعلق باسم فاعل مقدر من الصلاح، ولا يصلح[(٥)] تعلقه بـ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لأن الصلة لا تتقدم الموصول، هذا على أن تكون الألف واللام بمعنى الذي، وقال بعضهم: «الألف واللام هنا للتعريف، ويستقيم الكلام»، وقيل: «المعنى: إنه في عمل الآخرة لَمِنَ الصَّالِحِينَ»، فالكلام على حذف مضاف.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾[(٦)]، العامل في ﴿إِذْ﴾: ﴿ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾، وكان هذا القول من الله حين ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس، [والإسلام][(٧)] هنا على أتم وجوهه.

وقرأ نافع وابن عامر: ﴿وأَوْصَى﴾، وقرأ الباقون: ﴿وَوَصَّىٰ﴾[(٨)].

والمعنى واحد، إلا أن (وصَّى) يقتضي التكثير.

والضمير في «بِها» عائد على كلمته التي هي: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وقيل: على الملة المتقدمة، والأول أصوب لأنه أقرب مذكور.

وقرأ عمرو بن فائد الأسواري: (ويعقوبَ) بالنصب[(٩)] على أن (يعقوب) داخل فيمن أُوصي.

---

(١) في الحمزوية: «فيما بني».

(٢) في فيض الله: «في».

(٣) الهداية لمكي (١/ ٤٥٤).

(٤) في جار الله وأحمد٣: «الصفو»، مع الإشارة في هامشهما إلى النسخة الأخرى.

(٥) في هامش المطبوع: «وفي بعض النسخ: ولا يصح».

(٦) زاد في الحمزوية: «قال أسلمت».

(٧) في الحمزوية: «الابتلاء».

(٨) التيسير في القراءات السبع للداني (ص: ٧٧)، والسبعة في القراءات (ص: ١٧١).

(٩) مختصر الشواذ (ص: ١٧)، وزاد طلحة، وهي قراءة شاذة.

واختلف في إعراب رفعه، فقال قوم من النحاة: «التقدير: ويعقوبُ أوصى بنيه أيضاً»، فهو عطف على ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ﴾، وقال بعضهم: «هو مقطوع منفرد بقوله: ﴿يَٰبَنِيَّ﴾»[١]، فتقدير الكلام: ويعقوب قال يا بني.

واصْطَفى هنا معناه: تخيَّر صفوة الأديان، والألف واللام في ﴿ٱلدِّينَ﴾ للعهد، لأنهم قد كانوا عرفوه.

وكسرت ﴿إِنَّ﴾ بعد (وَصَّى) لأنها بمعنى القول، ولذلك سقطت «أن» التي تقتضيها (أوصى) في قوله: «أن يا بني».

وقرأ ابن مسعود والضحاك: (أن يا بنيَّ)[٢]، بثبوت (أن).

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ إيجازٌ بليغ، وذلك أنَّ المقصود منه أمرهم بالإسلام والدوام عليه، فأتى [ذلك][٣] بلفظ موجز [يقتضي المقصود][٤] ويتضمن وعظاً وتذكيراً بالموت، وذلك أن المرء يتحقق أنه يموت ولا يدري متى؟ فإذا أمر بأمر لا يأتيه الموت إلا وهو عليه، فقد توجه من وقت الأمر دائباً لازماً.

وحكى سيبويه فيما يشبه هذا المعنى قولهم: «لا أرينك هاهنا»[٥]، وليس إلى المأمور أن يحجب إدراك الآمر [عنه][٦]، فإنما المقصود: اذهب وزل عن هاهنا، فجاء بالمقصود بلفظ يزيد معنى الغضب والكراهية.

و﴿وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ابتداء وخبر في موضع الحال.

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٤٥٦).

(٢) انظر عزوها لابن مسعود في الكشاف للزمخشري (١/ ٢١٧)، وزاد أبيّاً، وهي في معاني القرآن للفراء (١/ ٨٠) على الشك بينهما، وعزاها لهما وللضحاك في البحر المحيط (١/ ٦٣٧)، وهي قراءة شاذة، مخالفة للرسم.

(٣) سقط من المطبوع، وفي الحمزوية وفيض الله: «بذلك».

(٤) ساقط من جار الله.

(٥) الكتاب له (٣/ ١٠١).

(٦) في الحمزوية: «غيره».

قوله عز وجل: ﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾.

هذا الخطاب لليهود والنصارى الذين انتحلوا الأنبياء صلوات الله عليهم، ونسبوهم إلى اليهودية والنصرانية، فرَدَّ الله تعالى عليهم كذِبهم[١]، وكذَّبهم، وأعلمهم أنهم كانوا على الحنيفية الإسلام، وقال لهم على جهة التقرير والتوبيخ: أشهِدْتم يعقوب وعلمتم بما أوصى فتدَّعون عن علم؟ أي: لم تشهدوا بل أنتم تفترون.

و﴿ أَمۡ ﴾ تكون بمعنى ألف الاستفهام في صدر الكلام لغة يمانية[٢].

وحكى الطبري أن «أمْ» يستفهم بها في وسط كلام قد تقدم صدره[٣]، وهذا منه[٤]، ومنه ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُ ﴾ [يونس: ٣٨، هود: ١٣، ٣٥، السجدة: ٣، الأحقاف: ٨]، وقال قوم: «أمْ بمعنى بل»، والتقدير: بل شهد أسلافُكم يعقوبَ وعلمتم منهم ما أوصى به، ولكنكم كفرتم جحداً ونسبتموهم إلى غير الحنيفية عناداً.

والأظهر أنها التي بمعنى «بل» وألفِ الاستفهام معاً.

و﴿شُهَدَآءَ ﴾ جمع شاهد، أي: حاضر، ومعنى الآية: حضر يعقوبَ مقدماتُ الموت، وإلا فلو حضر الموتُ لَمَا أمكن أن يقول شيئاً، وقدم يعقوب على جهة تقديم الأهم.

---

(١) من أحمد٣ ونور العثمانية، والسليمانية.

(٢) تهذيب اللغة (١٥/ ٤٤٨).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٩٧).

(٤) في نور العثمانية: «وهذا منه وهمٌ»، وكذا في الحمزوية، إلا أنها سقطت منها: «ومنه»، التي بعده.

والعامل في ﴿إِذْ﴾: ﴿شُهَدَآءَ﴾، و﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ الأولى، وعبر عن المعبود بـ﴿مَا﴾ تجربة لهم، ولم يقل: «من» لئلّا يطرق لهم الاهتداء، وإنما أراد أن يختبرهم، وأيضاً فالمعبودات المتعارفة من دون الله جمادات كالأوثان والنار والشمس والحجارة، فاستفهمهم عما يعبدون من هذه، و﴿مِنۢ بَعۡدِي﴾ أي: من بعد موتي، وحكي أن يعقوب حين خيِّر كما يخير الأنبياء اختار الموت، وقال: «أمهلوني[(١)] حتى أوصي بنيّ وأهلي»، فجمعهم وقال لهم هذا، فاهتدوا وقالوا: ﴿نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ﴾ الآية، فأَرَوه ثبوتهم على الدين ومعرفتهم بالله تعالى[(٢)].

ودخل إسماعيل في الآباء لأنه عمّ، وقد قال النبي ﷺ في العباس: «ردوا عليَّ
[٩٦] أبي، إني أخاف أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود»[(٣)]، / وقال عنه في موطن آخر: «هذا بقية آبائي»[(٤)]، ومنه قوله عليه السلام: «أنا ابن الذبيحين»[(٥)] على القول الشهير في أن إسحاق هو الذبيح[(٦)].

وقرأ الحسن، وابن يَعْمَر، والجحدري، وأبو رجاءٍ: (وإله أَبِيك)[(٧)]، واختلف

---

(١) في الحمزوية: «المهدوي».
(٢) تفسير الثعلبي (١/ ٢٨١)، والهداية لمكي (١/ ٤٥٨ و٤٥٩).
(٣) مرسل، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٤٠٢)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ٣١٤) من حديث عكرمة مرسلاً.
(٤) مرسل، هذا الحديث أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٣١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٣٨٢)، وأحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٩٣٠) من حديث مجاهد مرسلاً.
(٥) لا أصل له بهذا اللفظ وقد روي بإقرار النبي ﷺ لقائله وإسناده واه، هذا الحديث بهذا اللفظ لا أصل له، وإنما أخرج الحاكم (٢/ ٦٠٤) بإسناد واه ـ كما قال الذهبي ـ عن معاوية رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا ابن الذبيحين. فتبسَّم النبي ﷺ ولم يُنْكِرْ عليه، وقال ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٩): هذا حديث غريب جدّاً، وفي إسناده من لا يُعْرَف حاله.
(٦) والصحيح أنه إسماعيل كما للمصنف في سورة الأنبياء، والكلام عليه في محله في سورة الصافات.
(٧) انظر عزوها لهم في المحتسب (١/ ١١٢)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٤٦٠)، وعزوها لابن =

بعدُ فقيل: هو اسم مفرد أرادوا به إبراهيم وحده، وقال بعضهم: هو جمع سلامة، وحكى سيبويه أب وأبون وأبين[١]، قال الشاعر:

فـلـمَّـا تـبـيَّـنَّ أصـواتَـنـا بكَيْـنَ وفـدَّيـنَـنـا بالأبيـنا[٢] [المتقارب]

وقال ابن زيد: «يقال: قدِّم إسماعيل لأنه أسن من إسحاق»[٣]، و﴿إِلَٰهًا﴾ بدل من إلهَكَ، وكرره لفائدة الصفة بالوحدانية، وقيل: ﴿إِلَٰهًا﴾ حال، وهذا قول حسن، لأن الغرض إثبات حال الوحدانية.

و﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ ابتداءٌ وخبر، أي كذلك كنا نحن ونكون، ويحتمل أن يكون في موضع الحال والعامل ﴿نَعْبُدُ﴾، والتأويل الأول أمدح.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ في موضع رفع نعت لـ﴿أُمَّةٌ﴾، ومعناه: ماتت وصارت إلى الخلاء من الأرض، ويعني بالأمة الأنبياء المذكورين، والمخاطب في هذه الآية اليهود والنصارى، أي: أنتم أيها الناحلوهم اليهودية والنصرانية، ذلك لا ينفعكم، لأن كل نفس لَها ما كَسَبَتْ من خير وشر، فخيرُهم لا ينفعكم إن كسبتم شرّاً، وفي هذه الآية رد على الجبرية القائلين لا اكتساب للعبد، ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ فتنحلوهم دينا.

وقولهم: ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾ نظير قولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١٢]، ونصب ﴿مِلَّةَ﴾ بإضمار فعل، أي: بل نتبع ملَّة، وقيل: نصبت على الإغراء.

= يعمر في مختصر الشواذ (ص١٧)، وللحسن والجحدري في تفسير الثعلبي (١/ ٢٨١)، وعزاها الطبري (٣/ ٩٩) لبعض المتقدمين، وهي قراءة شاذة.

(١) الكتاب (٣/ ٤٠٥).

(٢) البيت لزياد بن واصل السلمي، وهو جاهلي من شعراء بني سليم، من أبيات يفتخر فيها بآبائه وقومه وأمهاتهم كما في خزانة الأدب (٤ / ٤٣٤)، وهو بلا نسبة في الخصائص (١/ ٣٤٦)، والمقتضب (١/ ٩٦)، والمخصص (٤/ ١٠٩).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٩٩).

وقرأ الأعرج وابن أبي عبلة: (بل ملةُ) بالرفع[١] والتقدير: بل الهدى ملة.

و﴿حَنِيفًا﴾ حال، وقيل: نصب بإضمار فعل، لأن الحال [تقلق][٢] من المضاف إليه، والحنف: الميل، ومنه الأحنف لمن[٣] مالت إحدى قدميه إلى الأخرى، والحنيف في الدين: الذي مال عن الأديان المكروهة إلى الحق، وقال قوم: «الحنف: الاستقامة، وسمي المعوج القدمين أحنف تفاؤلاً، كما قيل: سليم ومفازة»، ويجيءُ الحنيف في الدين: المستقيم على جميع طاعات الله عز وجل، وقد خصص بعض المفسرين، فقال قوم: «الحنيف: الحاج»، وقال آخرون: المختتن[٤]، وهذه أجزاء[٥] الحنف[٦].

ونفى عنه الإشراك فانتفت عبادة الأوثان، واليهودية لقولهم: عزير ابن الله، والنصرانية لقولهم: المسيح ابن الله.

قوله عز وجل: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

هذا الخطاب لأمة محمد ﷺ، علمهم الله الإيمان.

و﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾، (ما أُنْزِلَ إِلَيْنا) يعني به القرآن[٧]، وصحت إضافة الإنزال

(١) تفسير الطبري (٣/ ١٠٣)، وهي قراءة شاذة.

(٢) في المطبوع: «تقل»، وفي نور العثمانية: «تعلق»، وهي محتملة في فيض الله.

(٣) في أحمد٣ والسليمانية وجار الله وفيض الله: «لما».

(٤) في نور العثمانية: «المخبتين».

(٥) في نور العثمانية: «آخر».

(٦) الأقوال في تفسير الطبري (٣/ ١٠٤- ١٠٧)

(٧) في السليمانية: «التوراة».

إليهم من حيث هم المأمورون المنهيون فيه، وإِبْراهِيمُ وَإِسْماعِيلُ يجمعان: بَراهيم وسَمَاعيل، هذا هو اختيار سيبويه والخليل، وقال قوم: براهم، وقال الكوفيون: براهمة وسماعلة، وقال المبرد: أباره وأسامع، وأجاز ثعلب: براه،كما يقال في التصغير: بُريْه[١].

والْأَسْباط هم ولد يعقوب، وهم روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا وربالون ويشحر، ودنية بنته، وأمهم ليا، ثم خلف على أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين، وولد له من سريتين: ذان وتفثالي[٢] وجاد وأشرو، والسبط في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة في ولد إسماعيل، فسموا الأسباط لأنه كان من كل واحد منهم سبط.

و﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ﴾ هو التوراة وآياته، وما أوتي عيسى هو الإنجيل وآياته، فالمعنى: أنا نؤمن بجميع الأنبياء؛ لأن جميعهم جاء بالإيمان بالله، فدين الله واحد وإن اختلفت أحكام الشرائع.

و﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ أي: لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما تفعلون، وفي الكلام حذف تقديره: بين أحد منهم وبين نظيره، فاختصر لفهم السامع، والضمير في ﴿لَهُۥ﴾ عائد على اسم الله عز وجل.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ الآية، خطاب لمحمد ﷺ وأمته، والمعنى إن صدقوا تصديقاً مثل تصديقكم، فالمماثلة وقعت بين الإيمانين، هذا قول بعض المتأولين، وقيل: الباء زائدة مؤكدة، والتقدير: آمنوا مثل، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد كالضمير في ﴿لَهُۥ﴾، فكأن الكلام: فإن آمنوا بالله مثلَ ما آمنتم به، ويظهر عود الضمير على ﴿مَآ﴾، وقيل: (مثل) زائدة كما هي في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وقالت فرقة: «هذا من مجاز الكلام، تقول: هذا أمر لا يفعله مثلك، أي: لا تفعله أنت»، فالمعنى: فإن آمنوا بالذي آمنتم به، هذا قول ابن عباس، وقد حكاه عنه

(١) انظر هذه الأقوال في إعراب القرآن للنحاس (١ / ٨١).
(٢) في أحمد٣: «سال».

الطبري قراءة، ثم أسند إليه أنه قال: «لا تقولوا: فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به، فإنه لا مثل لله تعالى، ولكن قولوا: فإن آمنوا بالذي آمنتم، أو بما آمنتم به»[١].

[٩٧] قال القاضي أبو محمد: وهذا على جهة / التفسير، أي: هكذا فليتأول، وحكاهما أبو عمرو الداني قراءتين[٢] عن ابن عباس[٣] فالله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾ أي: أعرضوا، يعني به اليهود والنصارى، والشقاق: المشاقَّة والمحادَّة والمخالفة، أي: في شقاق لك، هم في شق وأنت في شق، وقيل: شاق[٤] معناه: شق كل واحد وصل ما بينه وبين صاحبه، ثم وعده تعالى أنه سيكفيه إياهم ويغلبه عليهم، فكان ذلك في قتل بني قينقاع وبني قريظة وإجلاء النضير، وهذا الوعد وانتجازه من أعلام نبوة محمد ﷺ.

و﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ لقول كل قائل، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يجب أن ينفذ في عباده.

و﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ شريعته وسنَّته وفطرته، وبه[٥] [قال كثير من المفسرين][٦]: «وذلك[٧] أن النصارى لهم ماء يصبغون فيه أولادهم»[٨]، فهذا ينظر إلى ذلك.

وقيل: «سمي الدين صِبْغَة استعارة من حيث تظهر أعماله وسَمْتُه على المتدين كما يظهر الصبغ في الثوب وغيره».

ونصب «الصبغة» على الإغراء، وقيل: بدل من ﴿مِلَّةَ﴾، وقيل: نصب على المصدر

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ١١٤).
(٢) في نور العثمانية: «حكاها قراءة»، على الإفراد.
(٣) انظر نسبة هذه القراءة لابن عباس في تفسير الطبري (٣/ ١١٤)، وكتاب المصاحف (١/ ١٩٥).
(٤) في المطبوعة: «الشقاق»، وفي أحمد٣ والسليمانية: «شقاق».
(٥) من السليمانية ملحقة في هامشها وعليها علامة «صح».
(٦) من أحمد٣ والسليمانية وجار الله.
(٧) سقطت من أحمد٣ وجار الله.
(٨) تفسير الطبري (٣/ ١١٧).

المؤكِّد لأن ما قبله من قوله: ﴿فَقَدِ ٱهۡتَدَواْ﴾ هو في معنى: يلبسون، أو يتجللون صبغة الله، وقيل: التقدير: ونحن له مسلمون صبغة الله، فهي متصلة بالآية المتقدمة.

وقال الطبري من قرأ برفع (ملةُ)، قرأ برفع: (صبغةُ)[١].

قال القاضي أبو محمد: وقد ذكرتها عن الأعرج وابن أبي عبلة[٢].

و﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ ابتداء وخبر.

قوله عز وجل: ﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ١٣٩ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٠ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤١﴾.

معنى الآية: قُلْ يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى الذين زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وادَّعوا أنهم أولى بالله منكم لقدم أديانهم وكتبهم: أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ؟ أي: أتجاذبوننا الحجة على دعواكم، [والرب][٣] تعالى واحد، وكلٌّ مجازًى بعمله، فأيُّ تأثير لقدم الدين؟، ثم وبخوا بقوله: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ﴾ أي: ولم تخلصوا أنتم، فكيف تدَّعون ما نحن أولى به منكم؟.

وقرأ ابن محيصن: (أتحاجُّونَّا) بإدغام النون في النون[٤]، وخف الجمع بين ساكنين لأن الأول حرف مدٍّ ولين، فالمدُّ كالحركة، ومن هذا الباب: دابَّة وشابَّة.

و﴿فِي ٱللَّهِ﴾ معناه: في دينه والقرب منه والحظوة لديه.

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ١١٧)، وهي قراءة شاذة.

(٢) كما تقدم قريباً.

(٣) في الحمزوية: «دين الله».

(٤) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٨٢)، ونقلها الزمخشري في الكشاف (١/ ١٩٧) عن زيد بن ثابت.

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ ﴾ عطف على ألف الاستفهام المتقدمة، وهذه القراءة بالتاء من فوق قرأها ابن عامر، وحمزة، والكسائي[١]، وحفص عن عاصم.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: ﴿أم يَقولون﴾ بالياء من أسفل[٢]، و﴿أمْ﴾ على هذه القراءة مقطوعة، ذكره الطبري، وحَكَى عن بعض النحاة أنها ليست بمقطوعة؛ لأنك إذا قلت: أتقوم أم يقوم عمرو؟ فالمعنى: أيكون هذا أم هذا؟[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا المثال غير جيد، لأن القائل فيه واحد والمخاطب واحد، والقول في الآية من اثنين والمخاطب اثنان غَيْرانِ، وإنما تتجه معادلة ﴿ أَمْ ﴾ للألف على الحكم المعنوي كأن معنى ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا ﴾ أي: أيحاجون يا محمد أم يقولون؟

وقيل: إن ﴿ أَمْ ﴾ في هذا الموضع غير معادلة على القراءتين، وحجة ذلك اختلاف معنى الآيتين، وأنهما ليسا قسمين، بل المحاجة موجودة في دعواهم الأنبياء عليهم السلام، ووقفهم تعالى على موضع الانقطاع في الحجة[٤]، لأنهم إن قالوا: إن الأنبياء المذكورين على اليهودية والنصرانية، كَذَبوا، لأنه قد علم أن هذين الدينين حدثا بعدهم، وإن قالوا: لم يكونوا على اليهودية والنصرانية قيل لهم: فهلموا إلى دينهم إذ تُقرُّون بالحق.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ تقرير على فساد دعواهم، إذ لا جواب لمفطور إلا: إن الله تعالى أعلم.

و﴿وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ مَنْ أَظْلَمُ لفظه الاستفهام، والمعنى: لا أحد أظلم منهم، وإياهم أراد تعالى بكتمان الشهادة.

---

(١) سقط من أحمد٣.

(٢) التيسير فى القراءات السبع للداني (ص: ٧٧)، السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٧١).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ١٢٢و ١٢٣).

(٤) في نور العثمانية: «الجملة».

واختلف في الشهادة هنا ما هي؟:

فقال مجاهد، والحسن، والربيع: هي ما في كتبهم من أن الأنبياء على الحنيفية لا على ما ادعوا هم»، وقال قتادة، وابن زيد: «هي ما عندهم من الأمر بتصديق محمد ﷺ واتباعه»[١]، والأول أشبه بسياق معنى الآية.

واستودعهم الله تعالى هذه الشهادة، ولذلك قال: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ فـ﴿مِنَ﴾ على هذا متعلقة بـ﴿عِندَهُۥ﴾، كأن المعنى: شهادة تحصلت له من الله، ويحتمل أن تتعلق ﴿مِنَ﴾ بـ﴿كَتَمَ﴾، أي: كتمها من الله.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾، وعيد وإعلام أنه لا يترك أمرهم سدى، وأن أعمالهم تحصل[٢] ويجازون عليها، والغافل: الذي لا يَفطن للأمور إهمالاً منه، مأخوذٌ من الأرض الغُفل، وهي التي لا مَعْلَم[٣] بها.

وقوله تعالى: ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ﴾ الآية، كررها عن قرب لأنها تضمنت معنى التهديد والتخويف، أي: إذا كان أولئك الأنبياء على إمامتهم وفضلهم يجازون بكسبهم فأنتم أحرى، فوجب التأكيد، فلذلك كررها، ولترداد[٤] ذكرهم أيضاً في معنًى غيرِ الأول.

/ قوله عز وجل: ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ [٩٨]
قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (١٤٢) وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ (١٤٣)﴾.

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ١٢٤ و١٢٥ و١٢٦).

(٢) في بعض النسخ: «تحصى»، أشار لها في هامش المطبوع.

(٣) في نور العثمانية: «لا علَم»، وأشار لها في هامش المطبوع.

(٤) في جار الله وأحمد٣: «ليزداد»، وفي نور العثمانية: «ولم يزداد».

أعلم الله تعالى في هذه الآية أنهم سيقولون في شأْن تحوُّل المؤمنين من الشام إلى الكعبة: ما وَلَّاهُمْ؟ والسُّفَهاءُ هم الخِفَاف الأحلام والعقول، والسَّفه الخفة والهلهلة، ثوبٌ سَفيه، أي: غير [متقن النَّسج][1]، ومنه قولُ ذي الرمة[2]:

[الطويل]

مَشَيْنَ[3] كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ أعاليَهـا مَـرُّ الرِّيـاح النَّواسِـم[4]

أي: استخفَّتها، وخص بقوله: ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، لأن السَّفَهَ يكون في جمادات وحيوانات، والمراد بـ«السُّفَهاءُ» هنا: جميع من قال: ما وَلَّاهُمْ، وقالها فِرَق.

واختُلف في تعيينهم، فقال ابن عباس: «قالها الأحبار منهم»، وذلك أنهم جاؤُوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا محمد، ما ولاك عن قبلتنا؟ ارجع إليها ونؤمن بك، يريدون فتنته[5]، وقال السدي: «قالها بعض اليهود والمنافقون استهزاء، وذلك أنهم قالوا: اشتاق الرجل إلى وطنه»[6]، وقالت طائفة: «قالها كفار قريش، لأنهم قالوا: ما ولاه عن قبلته؟ ما رجع إلينا إلا لعلمه أنّا على الحق، وسيرجع إلى ديننا كله»[7].

و﴿وَلَّىٰهُمْ﴾ معناه: صَرَفهم، والقبلة فِعْلَة[8]: هيئة المقابل للشيء، فهي كالقِعدة والإِزْرَة.

---

(١) في الحمزوية: «منضم النسخ».

(٢) هو ذو الرمة غيلان بن عقبة ويكنى أبا الحارث، كان أحد عشّاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته ميّة، وكان يشبّب أيضاً بخرقاء، من بني البكّاء، وفد على عبد الملك ومدحه، وتوفي سنة (١١٧هـ). الشعر والشعراء (١/ ٥١٥)، وتاريخ الإسلام (٧/ ٣٥٧).

(٣) في الحمزوية: «نسير».

(٤) انظر عزوه له في المحكم (٢/ ٥)، والكامل (٢/ ١٠٥)، والأغاني (٥/ ٤٠٣). والكتاب لسيبويه (١ / ٥٢).

(٥) في إسناده جهالة، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ١٣١)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٥٧٥)، وفي إسناده: محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، لا يُعرف، وفي جار الله: «قبلته».

(٦) تفسير الطبري (٣/ ١٣٠).

(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ١٥٣).

(٨) سقطت من فيض الله.

وجعل المستقبل موضع الماضي في قوله: ﴿سَيَقُولُ﴾ دلالة على استدامة ذلك، وأنهم يستمرون على ذلك القول، ونص ابن عباس وغيره أن الآية نزلت بعد قولهم[١].

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ إقامة حُجَّة، أي له ملك المشارق والمغارب وما بينهما، و﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، إشارة إلى هداية الله تعالى هذه الأمة إلى قبلة إبراهيم، والصراط: الطريق.

واختلف العلماء: هل كانت صلاة رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس بأمر من الله تعالى في القرآن، أو بوحي غير مَتْلُوٍّ[٢]؟:

فذكر ابن فُورك عن ابن عباس قال: «أول ما نسخ من القرآن القبلة»[٣]، وقال الجمهور: «بل كان أمر قبلة بيت المقدس بوحي غير مَتْلُوٍّ»، وقال الربيع: «خيّر رسول الله ﷺ في النواحي فاختار بيت المقدس، ليستألف بها أهل الكتاب»[٤]، ومن قال: كان بوحي غير متلو[٥]، قال: «كان ذلك ليختبر الله تعالى من آمن من العرب، لأنهم كانوا يأْلفون الكعبة وينافرون بيت المقدس وغيره»[٦].

واختلف كم صُلِّي إلى بيت المقدس، ففي البخاري: «ستة عشر شهراً أو سبعة

---

(١) منقطع، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٥٢٧)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ١٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، ولم يسمع منه.

(٢) في جار الله: «متلق» وأشار في الهامش إلى النسخة الأخرى.

(٣) منقطع، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ١٣٨) وأبو عبيد القاسم بن سلام في الناسخ رقم (١٧) من طريق: عطاء الخراساني، عن ابن عباس، ولم يسمع منه.

(٤) مرسل، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ١٣٨) عن الربيع عن أبي العالية مرسلًا.

(٥) في جار الله: «متلق».

(٦) تفسير الطبري (٣/ ١٣٨)، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٤٨٨ و٤٩٠)

عشر شهراً»[(١)] وروي عن أنس بن مالك: تسعة أو عشرة أشهر[(٢)]، روي عن غيره: ثلاثة عشر شهراً[(٣)].

وحكى مكي عن إبراهيم بن إسحاق[(٤)] أنه قال: «أول أمر الصلاة أنها فرضت بمكة ركعتين في أول النهار وركعتين في آخره، ثم كان الإسراءُ ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الآخر، قبل الهجرة بسنة، ففرضت الخمس، وأمَّ فيها جبريل عليه السلام، وكانت أول صلاةٍ الظهر، وَتَوَجَّه بالنبي صلى الله عليهما وسلم إلى بيت المقدس، ثم هاجر النبيُّ ﷺ إلى المدينة في ربيع الأول، وتمادى إلى بيت المقدس إلى رجب من سنة اثنتين، وقيل إلى جمادى، وقيل: إلى نصف شعبان»[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾، الكاف متعلقة بالمعنى الذي في قوله: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ أي: كما هديناكم إلى قبلة إبراهيم وشريعته كذلك جعلناكم أُمَّةً وسطاً، و﴿أُمَّةً﴾ مفعول ثان، و﴿وَسَطًا﴾ نعتٌ.

والأمَّةُ: القرن من الناس، و﴿وَسَطًا﴾ معناه: عدْلاً، رُويَ ذلك عن رسول الله ﷺ[(٦)]، وتظاهرت به عبارة المفسرين، والوسَط: الخيار والأعلى من الشيء، كما

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ١٣٥) بإسناد فيه عثمان بن سعد الكاتب، وهو ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (٣/ ١٣٢- ١٣٦)

(٤) تكرر هذا الاسم في الرواة، واشتهر به جماعة متقاربون في الزمن منهم: أبو إسحاق القاري، حليف بني زهرة، قاضي مصر توفي سنة (٢١٠هـ). تاريخ الإسلام (١٤/ ٣٥)، والطالقاني أبو إسحاق، روى عنه أحمد بن حنبل، والصاغاني، والرمادي، ووثقة يحيى بن معين، توفي بمرو سنة (٢١٥هـ).تاريخ الإسلام (١٥/ ٥١)، والصيني الجعفي، مولاهم توفي سنة (٢٣٢هـ). تاريخ الإسلام (١٦/ ٥٧)، وابن أبي العنبس الزهري الكوفي قاضي الكوفة توفي سنة (٢٧٧هـ). تاريخ الإسلام (٢٠/ ٢٩١)، وآخرون في الطبقة التي بعدهم.

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٤٩١ و٤٩٢) قال: ثم حوّلت القبلة في رجب، وروى الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن القبلة صرفت في جمادى، وقال الواقدي: «في النصف من شعبان».

(٦) رواه البخاري في صحيحه رقم (٧٣٤٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

تقول: وسط القوم[١]، وواسطة القلادة: أنفسُ حجر فيها، والأمير وسط الجيش، وكقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ﴾ [القلم: ٢٨]، والوَسْط بإسكان السين ظرف مبنيٌّ على الفتح، وقد جاء متمكناً في بعض الروايات في بيت الفرزدق:

فجَاءَتْ بِمَجْلُومٍ كَأَنَّ جَبِينَهُ ... صَلاءَةُ وَرْسٍ وَسْطُهَا قَدْ تَفَلَّقَا[٢] [الطويل]

برفع الطاء والضمير عائد على «الصلاءة»، وروي بفتح الطاء والضمير عائد على الجائِيةِ، فإذا قلت: حفرت وسَط الدَّار، أو وَسْط الدار، فالمعنى مختلف.

قال بعض العلماء: «أمة محمد ﷺ لم تَغْلُ في الدين كما فعلت اليهود، ولا افترت كالنصارى، فهي متوسطة، فهي أعلاها وخيرها من هذه الجهة»، وقول النبي ﷺ: «خير الأُمور أوساطها[٣]»[٤]، أي: خيارها.

وقد يكون العلو والخير في الشيءِ إمَّا بأنه أنفَسُ جنسِه، وإمَّا أن يكون بين

---

(١) في نور العثمانية: «وسط البيت».

(٢) نسبه له في الخصائص (٢/ ٣٧١)، والمحكم والمحيط الأعظم (٧/ ٤٤٧)، وفي الأصل وأحمد٣: «بملجوم» وأشار لها في هامش السليمانية، والتصويب من المطبوع والمصادر الأخرى، والمجلوم: المحلوق، وفي رواية: رَمَتْهُ بمجْمُوشٍ، والمجموش: المحلوق بالنورة، والصلاءة: مدقُّ الطيب، والوَرْسُ: نَبْتٌ أصفر.

(٣) في أحمد٣ وجار الله: «أوسطها».

(٤) لا يصح مرفوعاً وقد روي بإسناد جيد من قول مطرف، هذا الحديث أخرجه أبو نعيم في المعرفة (٦/ ٣١٧٠) من طريق: الحكم بن أبي خالد الفزاري عن زيد بن رفيع عن معبد الجهني عن بعض أصحاب النبي ﷺ، والحكم متفق على ضعفه. وأخرج البيهقي في الكبرى (٣/ ٢٧٣)، والخطيب في الجامع رقم (٨٨٥) من طريق عمرو بن الحارث قال: بلغني أن النبي ﷺ قال... فذكره، وهذا إسناد معضل، والحديث ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة رقم (٤٥٥)، وقال: رواه ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد بسند مجهول، عن علي مرفوعاً به.اهـ، وهذا الكلام قد أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٤٧٩) والبيهقي في الشعب (٥/ ٢٦١) وغيرهما بإسناد صحيح عن مطرف بن عبد الله بن الشخير من قوله.

الإفراط والتقصير فهو خيار من هذه الجهة. و﴿شُهَدَآءَ﴾ جمع شاهد في هذا الموضع.

واختلف المفسرون في المراد بالنَّاسِ في هذا الموضع، فقالت فرقة: «هم جميع الجنس، وأمة محمد ﷺ تشهد يوم القيامة للأنبياءِ على أُممهم بالتبليغ»، وذلك أن نوحا [٩٩] تناكره أمته في التبليغ، / فتقول له أمة محمد: نحن نشهد لك، فيشهدون، فيقول الله لهم: كيف شهدتم على ما لم تحضروا؟، فيقولون: أي ربنا، جاءَنا رسولُك، ونزَل إلينا كتابك فنحن نشهد بما عهدت إلينا وأعلمتنا به، فيقول الله تعالى: صدقتم، ورُوي في هذا المعنى حديثٌ صحيح عن النبي ﷺ[١]، وروي عنه أن أمته تشهد لكل نبي ناكره قومه[٢]، وقال مجاهد: «معنى الآية: تشهدون لمحمد ﷺ أنه قد بلغ الناس في مدته من اليهود والنصارى والمجوس»[٣].

وقالت طائفة: «معنى الآية: يشهد بعضكم على بعض بعد الموت كما قال رسول الله ﷺ حين مرت به جنازة فأثني عليها بالخير، فقال: «وجبت»، ثم مر بأُخرى، فأُثني عليها شرّ[٤]، فقال: «وجبت»، يعني الجنة والنار، فسُئل عن ذلك، فقال: «أنتم شهداء الله في الأرض»[٥]»، [وروي في بعض الطرق أنه قرأ: ﴿لِّتَكُونُواْشُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾][٦]،[٧].

---

(١) صحيح، هذا الحديث أخرجه هكذا مطولاً الإمام أحمد (١١٥٥٨)، والنسائي في الكبرى (١١٠٠٧)، وابن ماجه (٤٢٨٤) كلهم من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وأخرجه البخاري في صحيحه (٣٣٣٩) (٤٤٨٧) (٧٣٤٩) من طريق جرير الضبي، وأبي أسامة حماد بن أسامة، عن الأعمش بنحوه، بدون قوله: «كيف شهدتم....».

(٢) فيه جهالة، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٤/ ١٢)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وفي إسناده من لم يسم، وفي جار الله: «أمته» مع الإشارة في هامشه إلى النسخة.

(٣) تفسير الطبري (٣/ ١٥٠).

(٤) في المطبوع: «شرا» بالنصب، وفي أحمد٣: «بِشر».

(٥) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٦) في السليمانية وأحمد٣، وجار الله: «وفي بعض الطرق وتلا هذه الآية».

(٧) الأرجح أن هذه الزيادة من قول محمد بن كعب القرظي، هذه الرواية أخرجها الحاكم (٢/ ٢٦٩) من =

وَكون الرَّسُول شَهِيداً قيل: معناه: «بأعمالكم يوم القيامة»، وقيل: «﴿عَلَيْكُمْ﴾ بمعنى لكم، أي: يشهد لكم بالإيمان»، وقيل: «أي: يشهد عليكم بالتبليغ إليكم».

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ الآية، قال قتادة، والسدي، وعطاءٌ، وغيرهم: «القبلة هنا بيت المقدس»[1]، والمعنى: لم نجعلها حين أمرناك بها أولاً إلا فتنة لنعلم من يتبعك من العرب الذين إنما يألفون مسجد مكة، أو من اليهود على ما قال الضحاك من أن الأحبار قالوا للنبي ﷺ: «إن بيت المقدس هو قبلة الأنبياءِ، فإن صليت إليه اتبعناك»، فأمره الله بالصلاة إليه امتحاناً لهم فلم يُؤمنوا، وقال بعض من ذكر: القبلة بيت المقدس، والمعنى: وما جعلنا صرف القبلة التي كنت عليها وتحويلها، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وقال ابن عباس: «القبلة في الآية الكعبة»[2].

و﴿كُنتَ﴾ بمعنى: أنت، كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] بمعنى: أنتم، أي: وما جعلناها وصرفناك إليها إلا فتنة، وروي في ذلك أن رسول الله ﷺ لما حول إلى الكعبة، أكثر في ذلك اليهود والمنافقون وارتاب بعض المؤمنين حتى نزلت الآية، وقال ابن جريج: بلغني أن ناساً ممن كان أسلم رجعوا عن الإسلام[3].

= طريق: المعافى بن عمران الموصلي حدثنا مصعب بن ثابت عن محمد بن كعب القرظي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ومصعب ضعيف، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه إنما اتفقا على «وجبت» فقط، لكن أورده ابن كثير عن الحاكم وابن مردويه ـ وعزا اللفظ له ـ وفي سياقه: قال مصعب بن ثابت: فقال لنا عند ذلك محمد بن كَعْب: صدقَ رسُول الله ﷺ، ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ فبان أن هذه الزيادة من قول محمد ابن كعب القرظي وليست بمرفوعة، وأورد الحديث بهذه الزيادة: ابن أبي حاتم في العلل (١٠٧٧)، من طريق عبد الله بن أبي الفضل المديني، قال: حدثني أبو هريرة...فذكره. قال ابن أبي حاتم: «قال أبي: عبد الله هذا مجهول». وأورد البخاري في «تاريخه» هذا الحديث في ترجمة عبد الله (٥/ ١٦٩).

(١) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٣/ ١٥٦)، وما بعدها.

(٢) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ١٧٧) من طريق إسماعيل بن علية، عن عطاء بن السائب، وعطاء اختلط بأخرة، ورواية إسماعيل عنه بعد اختلاطه.

(٣) تفسير الطبري (٣/ ١٥٨).

ومعنى قوله تعالى: ﴿لِنَعۡلَمَ﴾ أي: ليعلم رسولي والمؤمنون به، وجاءَ الإسناد بنون العظمة إذْ هُمْ حزبه [وخالصته][(١)]، وهذا شائع في كلام العرب كما تقول: فتح عمر العراق وجبى خراجها، وإنما فعل ذلك جنده وأتباعه[(٢)]، فهذا وجه التجوُّز إذا ورد [علم][(٣)] الله تعالى بلفظ استقبال؛ لأنه قديم لم يزل.

ووجه آخر: وهو أن الله تعالى قد علم في الأزل من يتبع الرسول، واستمر العلم حتى وقع حدوثهم، واستمر في [حين الاتباع][(٤)] والانقلاب، ويستمر بعد ذلك، والله تعالى [متصف][(٥)] في كل ذلك بأنه يعلم، فأراد بقوله لِنَعْلَمَ ذكر علمه وقت مواقعتهم الطاعة والمعصية، إذ بذلك الوقت يتعلق الثواب والعقاب، فليس معنى ﴿لِنَعۡلَمَ﴾ لنبتدئ العلم، وإنما المعنى: لنعلم ذلك موجوداً.

وحكى ابن فورك أن معنى ﴿لِنَعۡلَمَ﴾ لنثيب[(٦)]، فالمعنى: لنعلم في حالٍ استحقوا فيها الثواب، وعلق العلم بأفعالهم لتقوم[(٧)] الحجة ويقع التثبت فيما علمه لا مدافعة لهم فيه، وحكى ابن فورك أيضاً أن معنى ﴿لِنَعۡلَمَ﴾: لنميز[(٨)]، وذكره الطبري عن ابن عباس، وحكى الطبري أيضاً أن معنى ﴿لِنَعۡلَمَ﴾: لنرى[(٩)]، وهذا كله متقارب، والقاعدة نفي استقبال العلم بعد أن لم يكن.

---

(١) في المطبوع: «وخاصته»، وفي الحمزوية: «وخالصه».

(٢) تفسير الطبري (٣/ ١٥٨).

(٣) في الحمزوية: «فعل».

(٤) في الحمزوية: «حيز الامتناع».

(٥) في الحمزوية: «متصرف».

(٦) لم أجد من نقله عنه غير المصنف، وفي نور العثمانية: «لنثبت».

(٧) في الحمزوية: «لتقدم»، وفي الأصل والمطبوع: «لتقوى»، مع الإشارة في هامشهما للنسخة الأخرى.

(٨) الهداية لمكي (١/ ٤٨٣).

(٩) تفسير الطبري (٣/ ١٦٠).

وقرأ الزهري: (لِيُعلَم) على ما لم يسم فاعله[١].

و﴿يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾ عبارة عن المرتد الراجع عمَّا كان فيه مِنْ إيمان أو شغل أو غير ذلك، والرجوع على العقب أسوأ حالات الراجع في مشيه عن وجهته، فلذلك شبه المرتد [في][٢] الدين به، وظاهر التشبيه أنه بالمتقهقر، وهي مِشية الحيران الفازع من شيء قد قرب منه، ويحتمل أن يكون هذا التشبيه بالذي رد ظهره ومشى أدراجه فإنه عند انقلابه إنما ينقلب على عقبيه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً﴾ الآية، الضمير في ﴿كَانَتۡ﴾ راجع إلى القبلة إلى بيت المقدس، أو إلى التحويلة إلى الكعبة حسب ما ذكرناه من الاختلاف في القبلة، وقال ابن زيد: «هو راجع إلى الصلاة التي صُلِّيت إلى بيت المقدس»[٣].

وشهد الله تعالى في هذه الآية للمتبعين بالهداية، و(كبيرة) هنا معناه: شاقة صعبة تكبر في الصدور، و(إنْ) هي المخففة من الثقيلة، ولذلك لزمتها اللام لتزيل اللبس الذي بينها وبين النافية، وإذا ظهر التثقيل في (إنْ) فربما لزمت اللام وربما لم تلزم، وقال الفراء: «(إنْ) بمعنى «ما» واللام بمنزلة إلا»[٤].

ولما حُوِّلَت القبلة كان من قول اليهود: «يا محمد، إن كانت الأولى حقّاً فأنت الآن على باطل، وإن كانت هذه حقّاً فكنت في الأولى على ضلال[٥]، فوجست[٦] نفوس بعض المؤْمنين، وأشفقوا على من مات قبل التحويل من صلاتهم السالفة، فنزلت:

---

(١) المحتسب لابن جني (١/ ١١١).

(٢) في الحمزوية وفيض الله: «عن».

(٣) تفسير الطبري (٣/ ١٦٥).

(٤) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٨٣).

(٥) في أحمد**٣** وجار الله: «باطل» وأشار في هامشه إلى النسخة الأخرى.

(٦) في نور العثمانية: «فوحشت».

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾، وخاطب الحاضرين والمراد مَنْ حضر ومَنْ مات، لأن الحاضر يغلَّب، كما تقول العرب: ألم نقتلكم في موطن كذا؟، ومن خوطب لم يُقتل ولكنه غلِّب لحضوره.

وقرأ الضحاك: (لِيُضَيِّعَ) بفتح الضاد وشد الياء[(١)]، وقال ابن عباس[(٢)] [والبراءُ ابن عازب[(٣)]][(٤)] وقتادة، والسدي، والربيع، وغيرهم: «الإيمان هنا الصلاة»[(٥)].

[١٠٠] وسمى الصلاة إيماناً لَمَّا كانت صادرة عن الإيمان / والتصديق في وقت بيت المقدس وفي وقت التحويل، ولما كان الإيمان قطباً عليه تدور الأعمال، وكان ثابتاً في حال التوجه هنا، وهنا ذَكَرَهُ، إذ هو الأصل الذي به يرجع في الصلاة وغيرها إلى الأمر والنهي، ولئلا تندرج في اسم الصلاة صلاة المنافقين إلى بيت المقدس، فذكر المعنى الذي هو ملاك الأمر، وأيضاً فسميت إيماناً إذ هي من شعب الإيمان، والرأفة أعلى منازل الرحمة.

وقرأ قوم: ﴿لَرَؤُفٌ﴾ على وزن فَعُلٌ[(٦)]، ومنه قول الوليد بن عقبة[(٧)]:

---

(١) الشواذ للكرماني (ص: ٧٨)، وزاد ابن أبي عبلة وابن قطيب.

(٢) ضعيف، أثر ابن عباس أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٦)، وأبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (٣٢٢٧) من طريق سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، ورواية سماك، عن عكرمة فيها اضطراب.

(٣) أثر البراء عند البخاري في صحيحه رقم (٤٠).

(٤) ساقط من فيض الله، وهو البراء بن عازب بن الحارث بن عديّ الأنصاريّ الأوسيّ، يكنى أبا عمارة. شهد أحداً وما بعدها، ومات في إمرة مصعب بن الزبير، وله ولأبيه صحبة. الإصابة (١/ ٤١١).

(٥) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٣/ ١٦٨).

(٦) وهي قراءة أبي عمرو وشعبة عن عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب، وقرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر وحفص عن عاصم وخلف العاشر بالمد: السبعة لابن مجاهد (ص: ١٧١)، والنشر لابن الجزري (٢ / ٢٥٤) وكلاهما متواترة.

(٧) هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط، القرشي الأموي، أبو وهب، له صحبة يسيرة، وهو أخو عثمان لأمه، بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق، وولي الكوفة لعثمان، وكان سخيّاً جواداً شاعراً شريفاً، توفي في خلافة معاوية. تاريخ الإسلام (٣/ ٦٦٣).

وشَــرُّ الـطَّـالِـبينَ وَلا تَـكُـنْـهُ بقَاتِـلِ عَـمِّـهِ الـرَّؤُفُ الـرَّحِـيمُ[١] [الوافر]

تقول العرب: رَؤُفٌ، ورؤُوفٌ، ورئِفٌ كحذِر، وَرَأْفٌ.

وقرأ أبو جعفر ابن القعقاع: (لرووف) بغير همز، وكذلك سهَّل كلَّ همزة في كتاب الله تعالى ساكنةً كانت أو متحركة[٢].

قوله عز وجل: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

المقصد تقلُّب البصر، وذكر الوجه لأنه أعم وأشرف، وهو المستعمل في طلب الرغائب، تقول: بذلت وجهي في كذا، وفعلت لوجه فلان، ومنه قول الشاعر:

.... رَجَعْتُ بمَا أَبْغِـي ووَجْهِي بمَائِهِ[٣] [الطويل]

وأيضاً فالوجه يتقلَّب بتقلُّب البصر، وقال قتادة والسدي وغيرهما: «كان رسول الله ﷺ يقلب وجهه في الدعاء إلى الله تعالى أن يحوله إلى قبلة مكة»[٤]، وقيل: كان يقلب ليؤذن له في الدعاء، ومعنى التقلب نحو السماء: أن السماء جهة قد

(١) انظر عزوه له في الطبري (٣/ ١٧١)، الحجة للقراء السبعة للفارسي (٢/ ٢٣٠)، قاله يحرض معاوية على الأخذ بثأر عثمان، ويقول: إن شر الطالبين بثأره من يرأف ويرحم بقتلة عثمان، والرؤف خبر قوله وشر.

(٢) تفسير القرطبي (٢/ ١٥٨)، وهي قراءة شاذة، والمتواتر عنه هنا التحقيق كما تقدم، ونقلها في المحتسب (١/ ١١٤) عن الزهري.

(٣) البيت لأبي العتاهية كما في الأغاني (٤ / ١٠١)، والحماسة البصرية (ص: ١٦٩)، وصدره: خليل إذا ما جئت أبغيه عُرفه.

(٤) انظر قول قتادة في تفسير عبد الرزاق (١/ ٢٩٦)، وتفسير الطبري (٣/ ١٧٢)، وقول السدي في تفسير الطبري (٣/ ١٧٣).

تعود العالَم منها الرحمة كالمطر والأنوار والوحي، فهم يجعلون رغبتهم حيث توالت النعم، و﴿تَرْضَىٰهَا﴾ معناه: تحبها وتقرُّ بها عينك.

وكان رسول الله ﷺ يحب الكعبة والتحول عن بيت المقدس لوجوه ثلاثة رويت: فقال مجاهد: «لقول اليهود: ما علم محمد دينه حتى اتَّبعَنا»(١).

وقال ابن عباس: «وليصيب قبلة إبراهيم عليه السلام»(٢).

وقال الربيع والسدي: «وليستألف العربَ لمحبتها في الكعبة»(٣).

وقال عبد الله ابن عمر: «إنما وجه رسول الله ﷺ وأمته حيال ميزاب الكعبة»(٤)، وقال ابن عباس وغيره: «بل وُجِّه إلى البيت كله»(٥).

قال القاضي أبو محمد: والميزاب هو قبلة المدينة والشام، وهنالك قبلة أهل الأندلس بتاريب(٦)، ولا خلاف أن الكعبة قبلة من كل أفق.

وقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ﴾ الآية، أمْرٌ بالتحول ونسخ لقبلة الشام، وقيل: نزل ذلك على النبي ﷺ وهو في صلاة الظهر بعد ركعتين منها فتحول في الصلاة، وذكر أبو الفرج: «أن عبَّاد بن نَهِيك(٧) كان مع رسول الله ﷺ في هذه

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ١٧٣).

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٢٤٨) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) انظر قولهما في تفسير الطبري (٣/ ١٧٣).

(٤) إسناده لا بأس به، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ١٧٧) وابن أبي حاتم (١٣٥٣) والحاكم (٢/ ٢٩٥) ـ وصحح إسناده ـ من طريق يعلى بن عطاء، عن يحيى بن قمطة، عن ابن عمر به، ووقع في بعض المصادر: عبد الله بن عمرو، وهذا إسناد لا بأس به، يحيى بن قمطة ذكروه بغير جرح أو تعديل، وقال ابن حبان في مشاهير علماء الأمصار (٦٣٣): «من متقني أهل مكة، وكان متيقظاً».

(٥) أخرجه الطبري (٣/ ١٧٩) من طريق: ابن علية، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وابن علية ممن سمع من عطاء بعد الاختلاط.

(٦) في المطبوع: بتقريب. ولعلها الصواب.

(٧) يريد به الرجل الذي أخبر أهل قباء أثناء صلاتهم بتحويل القبلة، وقد جاء اسمه مبهماً في صحيح =

الصلاة»[(١)]، وقيل: «إنما نزلت الآية في غير صلاة وكانت أول صلاة إلى الكعبة العصر»[(٢)].

و﴿شَطْرَ﴾ نصب على الظرف، ويشبه المفعول به لوقوع الفعل عليه، ومعناه: نحو وتلقاء، قال ابن أحمر[(٣)]:

تَعْدُو بِنَا شَطْرَ نجْدٍ وَهْي عَاقِدَةٌ ... قَدْ كارَبَ العَقْدُ مِنْ إيفَادِهَا الحقبَا[(٤)] [البسيط]

وقال غيره:

أَقُولُ لأُمِّ زِنْبَاعٍ أَقِيمِي ... صُدُورَ الْعِيسِ شَطْرَ بَنِي تَمِيمِ[(٥)] [الوافر]

وقال لقيط[(٦)]:

وَقَدْ أظَلَّكُمُ مِنْ شَطْرِ ثَغْرِكُمُ ... هَوْلٌ لَهُ ظُلَمٌ تَغْشَاكُمُ قِطَعا[(٧)] [البسيط]

= البخاري (٤٠)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، ونص ابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة (١/ ٢٢٤)، أنه عباد بن بشر، وقيل: إنه عباد بن نهيك، وهو صحابي خطمي أنصاري. الاستيعاب (٢/ ٨٠٦)، والإصابة (٣/ ٥٠٢).

(١) الأغاني (٢٤/ ١٦).

(٢) أخرج البخاري (٤٠) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أنها صلاة العصر.

(٣) هو عمرو بن أحمر بن العمرد الباهلي، يكنى أبا الخطاب، أدرك الإسلام فأسلم وغزا مغازي الروم، وأصيبت إحدى عينيه هناك، ونزل الشام وتوفي على عهد عثمان رضي الله عنه بعد أن بلغ سنّاً عالية، وهو صحيح الكلام كثير الغريب. معجم الشعراء (ص: ٢١٤).

(٤) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٦٠)، وسيرة ابن هشام (١/ ٥٥٠)، وتفسير الطبري (٣/ ١٧٥)، والضمير في «تَعْدُو» للناقة، وهي عاقدة أي: بذنبها، للدلالة على حملها، وَكارَبَ معناه: قارب، والإيفاد بالفاء من أوفد: إذا أسرع، والحَقَبُ بفتحتين: حبلٌ يشد به رحل البعير إلى بطنه، أو الحزام الذي يلي حقو البعير، وفي المطبوع: «شطر جمع»، وكذا أكثر المصادر.

(٥) قائله أبو جندب الهذلي أخو أبي خراش، انظر عزوه له في معجم البلدان (٥/ ٢٠٤)، والأغاني (١٠/ ٢٢٩)، وجاء منسوباً لساعدة بن جؤية أبي زنباع الجذامي في تفسير الفخر الرازي (١/ ٦٤٢)، وأحكام القرآن للشافعي (١/ ٦٩)، ولسان العرب (٤/ ٤٠٧).

(٦) هو لقيط بن زرارة بن عدس، من تميم، ويكنى أبا دختنوس وأبا نهشل، أخو حاجب بن زرارة صاحب القوس، وكان لقيط أشرف بني زرارة، وكان على الناس يوم جبلة، وقتل يومئذ. الشعر والشعراء (٢/ ٦٩٩).

(٧) البيت منسوب له في أحكام القرآن للشافعي (١/ ٦٩)، والحماسة البصرية (١/ ٣٩)، والثغر: =

وقال غيره:

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عَمْراً رسُولا وَمَا تُغْني الرسالةُ شَطْرَ عَمْرِو[(١)] [الوافر]

﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ﴾ أمر للأمة ناسخ.

وقال داود بن أبي هند[(٢)]: إن في حرف ابن مسعود: (فَوَلِّ وَجْهَكَ تِلْقَاءَ الْمَسْجِدِ الْحَرَام)، وقال محمد بن طلحة[(٣)]: إن فيه: (فولُّوا وجوهَكُمْ قِبَله)، وقرأ ابن أبي عبلة: (فَوَلُّوا وجُوهَكُمْ تلقَاءَه)[(٤)].

و﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾: اليهود والنصارى، وقال السدي: «المراد اليهود»[(٥)]، والأول أظهر، والمعنى: أن اليهود والنصارى يعلمون أن الكعبة هي قبلة إبراهيم إمام الأُمم، وأن استقبالها هو الحق الواجب على الجميع اتِّباعاً لمحمد ﷺ الذي يجدونه في كتبهم.

= الموضع يخاف هجوم العدو، وجمعه: ثغور.

(١) البيت لخفاف بن ندبة كما في تفسير الفخر الرازي (١/ ٦٤٢)، أحكام القرآن للشافعي (١/ ٦٩).

(٢) داود بن أبي هند، أبو محمد بن دينار بن عذافر البصري، من الموالي، وكان من الأئمة الأعلام، روى عن سعيد بن جبير والشعبي وجماعة، وعنه شعبة وسفيان وحماد وغيرهم، كان صالحاً ثقة خياطاً، مفتي أهل البصرة، توفي سنة (١٣٩هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٤١٣).

(٣) لعله محمد بن طلحة بن مصرف اليامي الكوفي أحد العلماء الثقات، روى عن: أبيه، والحكم، وسلمة ابن كهيل، وعنه: عبد الرحمن بن مهدي، وأسد بن موسى، وآخرون، قال أبو زرعة: صدوق تاريخ الإسلام (١٠/ ٤٢٩)، وقد تكرر هذا الاسم في الرواة.

(٤) ذكر المؤلف هنا ثلاث قراءات وكلها شاذة مخالفة لرسم المصحف، الأولى: «فول وجهك تلقاء المسجد الحرام»، وتابعه فيها في البحر المحيط (٢/ ٢٤)، والثانية: «فولوا وجوهكم قبله»، وهي في كتاب المصاحف (١/ ١٧١)، والشواذ للكرماني (ص: ٧٨)، دون ذكر محمد بن طلحة، والثالثة «فولوا وجوهكم تلقاءه»، لابن أبي عبلة، تابعه فيه في البحر المحيط (٢/ ٢٥)، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٧٨) عنه: «فول وجهك تلقاء المسجد»، بدل «شطر».

(٥) تفسير الطبري (٣/ ١٨٣).

وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بتاءٍ على المخاطبة، فإما على إرادة أهل الكتاب، أو أمة محمد ﷺ، وعلى الوجهين فهو إعلام بأن الله تعالى لا يهمل أعمال العباد ولا يغفل عنها، وضمَّنه الوعيد، وقرأ الباقون بالياءِ من تحت(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ﴾ الآية، أعلم الله تعالى نبيه ـ حين قالت له اليهود: راجِعْ بيت المقدس ونؤمن بك مخادعة منهم ـ أنهم لا يتبعون له قبلة، يعني: جملتهم؛ لأن البعض قد اتبع كعبد الله بن سلام وغيره وأنهم لا يدينون بدينه، أي: فلا تصغ إليهم.

والآية هنا: العلامة، وجاء جواب (لَئِنْ) كجواب (لو) ـ وهي ضدها في أن (لو) تطلب المضي والوقوع و(إن) تطلب الاستقبال ـ لأنهما / جميعاً يترتب قبلهما [١٠١]
معنى القسم، فالجواب إنما هو للقسم، لأن(٢) أحد الحرفين يقع موقع الآخر، هذا قول سيبويه(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ لفظ خبر يتضمن الأمر، أي: فلا تركن إلى شيءٍ من ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا بَعْضُهُم﴾ الآية، قال السدي وابن زيد: «المعنى: ليست اليهود متَّبِعَةً قِبلة النصارى، ولا النصارى متبعة قبلة اليهود، فهذا إعلام باختلافهم وتدابرهم وضلالهم»(٤)، وقال غيرهما(٥): «معنى الآية: وما مَن أسلم معك منهم بمتبع قبلة مَن لم يُسْلم، ولا مَنْ لم يُسلم بمتبع قبلة من أسلم»، والأول أظهر في الأبعاض، وقبلة النصارى مشرق الشمس وقبلة اليهود بيت المقدس.

---

(١) التيسير فى القراءات السبع (ص: ٧٧)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٦٠).
(٢) في الأصل: «لا إن» بالنفي، والمثبت من النسخ الأخرى.
(٣) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٨٤).
(٤) انظر قولهما في تفسير الطبري (٣/ ١٨٦).
(٥) في جار الله وفيض الله: «قوم».

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ﴾ الآية، خطاب للنبي ﷺ [والمراد أمته][(١)]، وما ورد من هذا النوع الذي يوهم من النبي ﷺ ظلماً متوقعاً فهو محمول على إرادة أمته؛ لعصمة النبي ﷺ وقَطْعِنا أن ذلك لا يكون منه، فإنما المراد من يمكن أن يقع ذلك منه، وخوطب النبي ﷺ تعظيماً للأمر.

والأهواء: جمع هوى، ولا يجمع على أهوية، على أنهم قد قالوا: ندًى وأندية، قال الشاعر:

[البسيط] فـي لَيْلَـةٍ مِـنْ جُمَـادىٰ ذات أَنْديَـةٍ لا يُبْصِرُ الكَلْبُ منْ ظَلْمَائها الطُّنُـبَا[(٢)]

وهوى النفس إنما يستعمل[(٣)] في الأكثر فيما لا خير فيه، وقد يستعمل في الخير مُقَيَّداً به، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أسرى بدر: «فهوِي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر»[(٤)].

و﴿إِذًا﴾ حرف معناه: إن تقرر ما ذُكر.

قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾﴾.

---

(١) في الحمزوية: «ولأمته».

(٢) البيت لمرة بن محكان السعدي كما في الأغاني (٢٢/ ٣٢١)، والخصائص (٣/ ٥٢)، والمقتضب (٣ / ٨١)، وجمادى عند العرب الشتاءُ كله، سواء أكان فيها أو في غيرها من الشهور، والطُّنُب بضم النون وسكونها: حبْلٌ يشد به الخباء والسرادق ونحوهما.

(٣) في الحمزوية زيادة: «مقيداً».

(٤) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع رفع بالابتداء، والخبر ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾، ويصح أن يكون في موضع خفض نعتاً لـ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، و﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ في موضع الحال.

وخص الأبناء دون الأنفس وهي ألصق، لأن الإنسان يمر عليه من زمنه برهة لا يعرف فيها نفسه، ولا يمر عليه وقت لا يعرف فيه ابنه، والمراد هنا: معرفة الوجه ومَيْزُه لا معرفة حقيقة النسب، ولعبد الله بن سلام رضي الله عنه في هذا الموضع كلام معترِض يأتي موضعه إن شاء الله.

والضمير في ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ عائد على الحق في القبلة والتحول بأمر الله إلى الكعبة، قاله ابن عباس[١]، وقتادة، وابن جريج، والربيع[٢]، وقال قتادة أيضاً ومجاهد وغيرهما: «هو عائد على محمد ﷺ، أي: يعرفون صدقه ونُبُوَّته»[٣].

والفريق: الجماعة، وخص لأن منهم من أسلم ولم يكتم، والإشارة بـ﴿ٱلۡحَقَّ﴾ إلى ما تقدم من الخلاف في ضمير ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾، فعم الحق مبالغة في ذمهم، ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ ظاهر في صحة الكفر عناداً.

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾؛ ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ رفع على إضمار الابتداءِ، والتقدير هو الحق، ويصح أن يكون ابتداءً والخبرُ مقدر بعده.

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (الْحَقَّ) بالنصب[٤]، على أن العامل فيه ﴿يَعۡلَمُونَ﴾، ويصح نصبه على تقدير: الزمِ الحق.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾، الخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته، وامترى في الشيء:

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ١٨٨) من طريق ضعيف عن ابن عباس.

(٢) انظر عزو ذلك لهم في تفسير الطبري (٣/ ١٨٧و ١٨٨).

(٣) انظر قول قتادة في تفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٧)، وقول مجاهد في تفسير القرطبي (٢/ ١٦٢)، ونقل هذا القول ابن أبي حاتم (١/ ٢٥٥) عن خصيف بن عبد الرحمن، ونسبه الماوردي في تفسيره (٢/ ١٠٠) للحسن.

(٤) مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٧).

إذا شك فيه، ومنه المِراءُ لأن هذا يشك في قول هذا، وأنشد الطبري شاهداً على أن الممترين الشاكُّون قول الأعشى:

[المتقارب] تَـــدُرُّ عَـلـىٰ أَسْـؤُقِ الْـمُـمْـتَـريـــ ـــن ركْضاً إذا ما السَّرابُ ارْجَحَنْ[1]

ووهم في ذلك لأن أبا عبيدة وغيره قالوا: «الممترون في البيت هم الذين يَمْرُون الخيلَ بأرجلهم هَمْزاً لتجري، كأنهم يجتلبون الجري منها»[2]، فليس في البيت معنى من الشك كما قال الطبري.

وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ الآية، الوجهة: فعلة من المواجهة كالقبلة[3]، وقوله: ﴿هُوَ﴾ عائد على اللفظ المفرد في (كل)، والمراد به الجماعات، والمعنى: لكل صاحبِ ملة وجهةٌ هو موليها نفسه، قاله الربيع وعطاء[4] وابن عباس[5].

وقرأ ابن عباس[6] وابن عامر وحده من السبعة: ﴿هو مُوَلَّاها﴾[7].

وقالت طائفة: «الضمير في ﴿هُوَ﴾ عائد على الله تعالى»، والمعنى: الله مولِّيها إياهم، وقالت فرقة: «المعنى في الآية: أن للكل ديناً وشرعاً وهو دين الله وملة محمد، وهو مولِّيها إياهم اتبعها من اتبعها وتركها من تركها»، وقال قتادة: «المراد بالآية: أن الصلاة إلى الشام ثم الصلاة إلى الكعبة لكل واحدة منهما وجهة الله موليها إياهم»[8].

---

(١) البيت للأعشى كما في تفسير الطبري (٣/ ١٩١)، والمحكم والمحيط الأعظم (٤/ ٥٤)، وارْجَحَنَّ السراب: ارتفع وعلا، وجاء في الحمزوية: «الشراك»، وفي جار الله وأحمد٣: «ارجحنوا».

(٢) نقله تفسير القرطبي (٢/ ١٦٤)، ولم أجد كلام أبي عبيدة في كتبه المتوفرة.

(٣) في السليمانية: «كالقتلة».

(٤) انظر قولهما في تفسير الطبري (٣/ ١٩٢).

(٥) أخرجه الطبري (٣/ ١٩٢) من طريق ضعيف عن ابن عباس.

(٦) ساقط من نور العثمانية، وكأن عليه في أحمد٣ تضبيباً.

(٧) انظر قراءة ابن عامر في التيسير (ص: ٧٧). والسبعة في القراءات (ص: ١٧٢)، وقراءة ابن عباس في تفسير الطبري (٣/ ١٩٥).

(٨) انظر قوله في تفسير الطبري (٣/ ١٩٣).

وحكى الطبري أن قوماً قرؤوا: (لِكُلِّ وِجْهَةٍ) بإضافة (كل) إلى (وجهة)، وخطَّأها الطبري[١]، وهي متجهة، أي: فاستبقوا الخيرات لكل وجهة ولَّاكموها، ولا تعترضوا فيما أمركم من هذه وهذه، أي: إنما عليكم الطاعة في الجميع، وقدم قوله: (ولكلِّ وجهةٍ) على الأمر في قوله: (اسْتَبِقُوا) للاهتمام بالوجهة كما يقدم المفعول، وذكر أبو عمرو الداني هذه القراءة عن ابن عباس رضي الله عنه[٢].

وسلمت الواو في ﴿وِجْهَةٌ﴾ ولم تُجر كعِدَةٍ وزنَةٍ، لأن ﴿وِجْهَةٌ﴾ ظرف وتلك مصادر فسلمت للفرق، وأيضاً فليكْمُلَ بناءُ الهيئة كالجلسة، قال أبو علي: «ذهب قوم إلى أنه مصدر شذ عن القياس فسلم، ومال قوم إلى أنه اسم ليس بمصدر»[٣]، وقال غير أبي علي: «وإذا أردت المصدر قلت: جهة». وقد تقال الجهة في الظرف.

[١٠٢] وحكى الطبري/ عن منصور أنه قال: نحن نقرؤها: (ولكلٍّ جعلنا قبلةً يرضونها)[٤].

ثم أمر تعالى عباده باستباق الخيرات والبدار إلى سبيل النجاة، ثم وعظهم بذكر الحشر موعظة تتضمن وعيداً وتحذيراً.

وقوله: ﴿يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ يعني به البعث من القبور، ثم اتصف الله تعالى بالقدرة على كل شيء مقدورٍ عليه لتناسُبِ الصفة مع ما ذكر من الإتيان بهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾، معناه: حيث كنت وأنَّى توجهت من مشارق الأرض ومغاربها، ثم تكررت هذه الآية تأكيداً من الله تعالى، لأن موقع التحويل كان صعباً في نفوسهم جدّاً، فأكد الأمر ليرى الناسُ التَّهَمُّم به فيخف عليهم وتسكن نفوسهم إليه [والله أعلم][٥].

---

(١) قال الطبري (٣/ ١٩٥): «وذلك لحنٌ، ولا تجوز القراءةُ به».

(٢) نقلها عنه القرطبي في التفسير (٢/ ١٦٥)، وعزاها لابن عباس أيضاً ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٧).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٢٤٢).

(٤) تفسير الطبري (٣/ ١٩٤)، وهي قراءة شاذة.

(٥) من جار الله.

قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ هو فرض استقبال القبلة على المصلين، وفرضُ المصلي ما دام يرى الكعبة أن يصادفها باستقباله، فإذا غابت عنه ففرضه الاجتهادُ في مصادفتها، فإن اجتهد [ثم كشف][١] الغيب أنه أخطأ[٢] فلا شيء عليه عند كثير من العلماء، ورأى مالك رحمه الله أن يعيد في الوقت إحرازاً لفضيلة القبلة[٣].

وقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ الآية، قرأ نافع وحده بتسهيل الهمزة، وقرأ الباقون: ﴿لِئَلَّا﴾ بالهمز[٤]، والمعنى: عرَّفتكم وجه الصواب في قبلتكم والحجة في ذلك لِئَلَّا.

وقوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ عموم في اليهود والعرب وغيرهم، وقيل: «المراد بالناس اليهود ثم استثنى كفار العرب»[٥]، وقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ يرد هذا التأويل.

وقالت فرقة: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ﴾ استثناءٌ متصل، وهذا مع عموم لفظة (الناس)، والمعنى: أنه لا حجة لأحد عليكم إلا الحجة الداحضة للذين ظلموا، يعني اليهود وغيرهم من كل من تكلم في النازلة في قولهم: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾ استهزاء، وفي قولهم: تحير محمد في دينه، وغير ذلك من الأقوال التي لم تنبعث إلا من عابد وثن أو من يهودي أو

---

(١) في جار الله: «ثم أخطأ وكشف»، وكذا في أحمد٣، إلا كلمة «أخطأ» فيه عليها تضبيب.

(٢) في هامش جار الله كلمة إشارة إلى أن في نسخة: «أن ذلك خطأ».

(٣) انظر: الاستذكار (٢/ ٤٥٥).

(٤) رواية ورش عن نافع إبدالها ياء والباقون بالتحقيق. السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٧٢).

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٢٠٠).

من منافق، وسماها تعالى حجةً وحَكَم بفسادها حين كانت من ظلمة، وقالت طائفة: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ﴾ استثناء منقطع، وهذا مع كون (الناس) اليهود فقط، وقد ذكرنا ضعف هذا القول، والمعنى: لكن الذين ظلموا، يعني كفار قريش في قولهم: رجع محمد إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا كله، ويدخل في ذلك كلُّ مَن تكلم في النازلة من غير اليهود.

وقرأ ابن عباس وزيد بن علي وابن زيد: (ألا) بفتح الهمزة وتخفيف اللام(١) على معنى استفتاح الكلام، فيكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ابتداء، أو على معنى الإغراء بهم فيكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نصباً بفعلٍ مقدر.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ الآية، تحقير لشأنهم وأمر باطِّراح أمرهم ومراعاة أمره، وقوله: ﴿وَلِأُتِمَّ﴾ عطف على قوله: ﴿لِئَلَّا﴾، وقيل: هو مقطوع في موضع رفع بالابتداء والخبر مضمر بعد ذاك، والتقدير: لأتم نعمتي عليكم عرَّفتكم قبلتي، ونحوه.

و(لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ترجّ في حق البشر.

والكاف في قوله: ﴿كَمَآ﴾ رد على قوله: ﴿وَلِأُتِمَّ﴾ أي: إتماماً كما، وهذا أحسن الأقوال، أي: لأتم نعمتي عليكم في بيان سنة إبراهيم عليه السلام كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ إجابة لدعوته في قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ الآية.

وقيل: الكاف من ﴿كَمَآ﴾ ردٌّ على ﴿تَهْتَدُونَ﴾، أي: اهتداءً كما، وقيل: هو في موضع نصب على الحال، وقيل: هو في معنى التأخير متعلق بقوله: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾.

وهذه الآية خطاب لأمة محمد ﷺ وهو المعنيُّ بقوله: ﴿رَسُولًا مِّنكُمْ﴾، و﴿يَتْلُواْ﴾ في موضع نصب على الصفة، والآيات: القرآن، و(يزكيكم): يطهركم من الكفر وينميكم بالطاعة، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن، والْحِكْمَة: ما يتلقى عنه عليه السلام من سنَّة وفقه في دين، و﴿مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ قصص من سلف وقصص ما يأتي من الغيوب.

---

(١) انظر عزوها لزيد في المحتسب لابن جني (١/ ١١٤)، ومختصر الشواذ (ص: ١٨)، والشواذ للكرماني (ص: ٧٩)، وللباقين في تفسير القرطبي (٢/ ١٧٠)، وهي قراءة شاذة.

قوله عز وجل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

قال سعيد بن جبير: «معنى الآية: اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب والمغفرة»[(١)]، أي: اذكروني عند كل أموركم فيحملكم خوفي على الطاعة، فأذكركم حينئذ بالثواب.

وقال الربيع والسدي: «المعنى: اذكروني بالدعاء والتسبيح ونحوه»[(٢)].

وفي الحديث: إن الله تعالى يقول: «ابنَ آدم اذكُرْني في الرخاء أذكُرْكَ في الشدة»[(٣)]، وفي حديث آخر: إن الله تعالى يقول: «وإذا ذكرني عبدي في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»[(٤)]. وروي «أن الكافر إذا ذكر الله ذكره الله باللعنة والخلود في النار»، [١٠٣] وكذلك العصاة يأخذون بحظ من هذا / المعنى، وروي أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام «قل للعاصين لا يذكروني»[(٥)].

و(اشْكُرُوا لِي) واشكروني بمعنًى واحد، و(لي) أشهر وأفصح مع الشكر، ومعناه: نعمي وأياديّ، وكذلك إذا قلت: شكرتك، فالمعنى: شكرت صنيعك وذكرته،

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٢١١).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٢١١ و٢١٢).

(٣) لم أجده بهذا اللفظ حديثاً قدسيّاً، وإنما روي من قول الضحاك بن قيس، أخرجه الطبري (٢١/ ١١٠) وهو مشهور من حديث ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»، والذي أوله: «احفظ الله يحفظك»، وقد سبق.

(٤) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٦٩٧٠)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٥) ورد معناه عن أبي سليمان الداراني، رواه الدينوري في المجالسة (٣/ ٣٤٠).

فحذف المضاف، إذ معنى الشكر: ذكر اليد وذكر مُسْديها معاً، فما حذف من ذلك فهو اختصار لدلالة ما بقي على ما حذف.

و﴿تَكْفُرُونِ﴾ أي: نعمي وأيادِيَّ، وانحذفت نون الجماعة للجزم، وهذه نون المتكلم، وحذفت الياء التي بعدها تخفيفا لأنها رأس آية، ولو كان نهياً عن الكفر ضدِّ الإيمان لكان: ولا تكفروا، بغير النون.

و(يا) حرف نداء و(أيّ) منادى و(ها) تنبيه، وتُجلب «أيّ» فيما فيه الألفُ واللام لأن في حرف النداء تعريفاً مَا، فلو لم تجلب «أيّ» لاجتمع تعريفان.

وقال قوم: «الصبر: الصوم»، ومنه قيل لرمضان: شهر الصبر، وتقدم معنى الاستعانة بالصبر والصلاة، واختصاره: أنهما رادعان عن المعاصي.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ معناه: بمعونته وإنجاده، فهو على حذف مضاف، كما قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت: «اهجُهُمْ ورُوح القدس معك»[١]، وكما قال: «ارمُوا وأنا مع بني فلان»[٢]، الحديث.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ﴾ الآية، سببها: أن الناس قالوا فيمن قتل ببدر وأحد: مات فلان ومات فلان، فكره الله أن تحط منزلة الشهداء إلى منزلة غيرهم، فنزلت هذه الآية، وأيضاً: فإن المؤمنين صعب عليهم فراق إخوانهم وقراباتهم فنزلت الآية مسلِّية لهم، تعظِّم منزلة الشهداء، وتخبر عن حقيقة حالهم، فصاروا مغبوطين لا محزوناً لهم، ويَبين ذلك من حديث أم حارثة في السير[٣].

---

(١) صحيح، هذا الحديث له إسناد صحيح من وجهين عن البراء رضي الله عنه بهذا اللفظ، وهو متفق عليه بلفظ: «وجبريل معك».

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٩٩) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٠٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وأم حارثة هذه هي الرُّبيِّع بنت النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصارية، أخت أنس بن النضر، وعمة أنس ابن مالك. انظر: الإصابة (٨/ ١٣٣).

والفرق بين الشهيد وغيره إنما هو الرزق، وذلك أن الله تعالى فضلهم بدوام حالهم التي كانت في الدنيا فرزقهم.

وروي عن النبي ﷺ في ذلك أن أرواح الشهداء في حواصل[(١)] طيرٍ خضرٍ تَعْلُقُ من ثمر[(٢)] الجنة[(٣)]، [وروي أنهم في قبة خضراء][(٤)].

وروي أنهم في قناديل من ذهب، إلى كثير من هذا، ولا محالة أنها أحوال لطوائف أو للجميع في أوقات متغايرة، وجمهور العلماء على أنهم في الجنة، ويؤيده قول النبي ﷺ لأم حارثة: «إنه في الفردوس»[(٥)]، وقال مجاهد: «هم خارج الجنة ويعلقون من شجرها»[(٦)].

و﴿أَمۡوَٰتُۢ﴾: رفع بإضمار الابتداء والتقدير هم أموات، ولا يجوز إعمال القول فيه لأنه ليس بينه وبينه تناسب كما يصح في قولك: قلت كلاماً وحجة.

[وقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾ أي: قبل أن نشعركم][(٧)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم﴾ الآية، أمر تعالى بالاستعانة بالصبر، وأخبر أنه مع الصابرين، ثم اقتضت الآية بعدها من فضل الشهداء ما يقوّي الصبر عليهم ويخفف المصيبة، ثم جاء بعد ذلك من هذه الأمور التي لا تتلقى إلا بالصبر أشياءُ تُعْلِم أن الدنيا دار بلاءٍ ومِحَنٍ، أي: فلا [تنكروا][(٨)] فراق الإخوان والقرابة، ثم وعد الصابرين أجراً[(٩)].

---

(١) سقطت من جار الله وفيض الله وأحمد٣، وفي الحمزوية: «جوف»، وفي هامش السليمانية: «أجواف».

(٢) في أحمد٣: «شجر»، وكتبت فوقها «ثمر».

(٣) أخرجه مسلم (٤٩٩٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) سقط من الأصل والمطبوع.

(٥) صحيح، وقد سبق قريباً.

(٦) انظر قريباً منه في تفسير الطبري (٣/ ٢١٥)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٥١٥).

(٧) ساقط من السليمانية.

(٨) في الحمزوية: «تكرهوا».

(٩) في المطبوع: «آخراً».

وقال عطاءٌ والجمهور: «إن الخطاب في هذه الآية لأُمة محمد ﷺ»[١]، وقيل: «الخطاب لقريش»[٢] وحل ذلك بهم فهي آية للنبي ﷺ.

قال القاضي أبو محمد: والأول أظهر.

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ ﴾ معناه: لنمتحننَّكم، وحركت الواو لالتقاء الساكنين، وقيل: الفعل مبنيٌّ، وهو مع النون الثقيلة بمنزلة خمسة عشر.

و﴿ ٱلْخَوْفِ ﴾ يعني من الأعداء في الحروب، و(الْجُوع): الجدب والسَّنَة، وأما الحاجة إلى الأكل [فإنما اسمها][٣]: الغرث، وقد استعمل فيه المحدثون الجوعَ اتساعاً.

ونقص الأموال: بالجوائح والمصائب، وَالْأَنْفُس: بالموت والقتل، وَالثَّمَراتِ: بالعاهات ونزع البركة، فالمراد: بشيء من هذا وشيء من هذا، فاكتفى بالأول إيجازاً ولذلك وحَّد.

وقرأ الضحاك: (بأشياءَ) على الجمع[٤]، والمعنى قريب بعضه من بعض.

وقال بعض العلماءِ: «إنما المراد في هذه الآية مُؤَنُ الجهاد وكُلَفه»، فالخوف من العدو، والجوع به وبالأسفار إليه، ونقص الأموال بالنفقات فيه، والأنفس بالقتل، والثمرات بإصابة العدو لها، أو بالغفلة عنها بسبب الجهاد.

ثم وصف تعالى الصابرين الذين بشرهم بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ ﴾ الآية، وجعل هذه الكلمات ملجأ لذوي المصائب وَعُصْرَةً للممتحنين لمَا جمعت من المعاني المباركة، وذلك توحيد الله والإقرار له بالعبودية والبعث من القبور، [واليقين بأن رجوع الأمر كله إليه كما هو له][٥].

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٢٢٠).

(٢) تفسير الماوردي (١/ ٢٠٩).

(٣) في فيض الله: «فأصلها».

(٤) وهي قراءة شاذة. الشواذ للكرماني (ص: ٧٩).

(٥) سقط من الأصل والمطبوع.

وقال سعيد بن جبير: «لم يعط هذه الكلمات نبي قبل نبينا، ولو عرفها يعقوب لما قال: ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [يوسف: ٨٤]»[١]، وروي أن مصباح رسول الله ﷺ انطفأ ذات ليلة فقال: «إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ»، فقيل: أمصيبة هي يا رسول الله؟، فقال: «نعم كل ما آذى المؤمن فهو مصيبة»[٢].

وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ ﴾ الآية، نِعَمٌ من الله على الصابرين المسترجعين، وصلوات الله على عبده: عفوهُ ورحمتهُ، وبركتهُ، وتشريفهُ إياه في الدنيا والآخرة، وكرر الرحمة لمَّا اختلف اللفظ تأكيداً، وهي من أعظم أجزاء
[١٠٤] الصلاة منه تعالى، / وشهد لهم بالاهتداء، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قرأ هذه الآية: «نِعْم العِدْلان ونعم العِلَاوة»[٣]؛ أراد بالعِدْلَين الصلاة والرحمة، وبالعلاوة الاهتداء.

قوله عز وجل: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠ ﴾.

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٢٢٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٨٥).

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٩) لعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في العزاء، عن عكرمة به مرسلاً.

(٣) ذكره البخاري في صحيحه (٣/ ٢٥٠) تعليقاً مجزوماً به، وأخرجه الحاكم (٢/ ٢٩٦) من طريق عثمان بن أبي شيبة، عن جرير الضبي، عن منصور، عن مجاهد، عن سعيد بن المسيب، عن عمر رضي الله عنه به، وعثمان له أوهام في روايته عن جرير الضبي، كما في ترجمته في تهذيب الكمال (١٩/ ٤٨٣)، ثم إنه خولف في حديثه، فرواه سعيد بن منصور (٢٣١)، قال: نا سفيان، عن منصور، عن مجاهد قال: قال عمر. بدون ذكر سعيد بن المسيب، وهذه الطريق أصح، وهي منقطعة، فمجاهد لم يسمع من عمر رضي الله عنه.

الصَّفا وَالْمَرْوَة جُبَيْلان[1] بمكة، والصَّفا جمع صَفَاةٍ، وقيل: هو اسم مفرد جمعه صُفِيٌّ وأصفاءُ، وهي الصخرة العظيمة، قال الراجز:

[الرجز] مَوَاقعُ الطَّيْر عَلَى الصُّفِيِّ[2]

وقيل: من شروط الصفا البياض والصلابة.

والْمَرْوَة واحدة المرو، وهي الحجارة الصغار التي فيها لِينٌ، ومنه قول الذي أصاب شاته الموت من الصحابة: «فذكَّيتها بمروة»[3]، ومنه قول الأمين: «أخرجني إلى أخي فإن قتلني فمروةٌ كسرت مروةً، وصمصامة قطعت صمصامة»[4]، وقد قيل في المرو: إنها الصِّلاب، قال الشاعر:

[الرمل] وتولِّي الأرضَ خُفّاً ذابلاً ... فإذا ما صادَفَ الْمَرْوَ رَضَحْ[5]

والصحيح أن المرو الحجارة [صليبها][6] ورِخْوُها الذي يتشظى[7] وتَرِقُّ حاشيته، وفي هذا يقال المرو أكثر، وقد يقال في الصليب، وتأمَّلْ قول أبي ذؤيب:

---

(١) في جار الله: «جبلان».

(٢) البيت للأخيل الطائي أبي المقدام بن عبيد بن الأعثم بن قيس، عزاه له ابن دريد في الاشتقاق (١/ ١٢٨)، وابن السكيت في الكنز اللغوي (ص: ٣٦)، وعزاه في إيضاح شواهد الإيضاح (٢/ ٧٦٩) لأبي نخيلة السعدي، وفي تهذيب اللغة (٦/ ١٩٤)، للعجاج.

(٣) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده (٤١٢- بغية)، من حديث ابن عمر، وفي إسناده يحيى بن أبي أنيسة، وهو ضعيف الحديث، وأخرجه البيهقي في الكبرى (٩/ ٣٢١) من حديث جابر بن عبد الله، وفي إسناده جابر بن يزيد الجعفي، وهو واهي الحديث.

(٤) هذا من رسالة الخليفة محمد الأمين بن هارون الرشيد لما أحس بغدر أخيه المأمون به، انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص: ٢٦١).

(٥) عزاه الطبري (٣/ ٢٢٥)، والثعلبي (٢/ ٢٤)، للأعشى، وعزاه الماوردي (١/ ٢١١) للكميت، وفي الحمزوية: «وترى».

(٦) في الحمزوية ونور العثمانية: «صلبه».

(٧) أي: يتطاير شظايا، والشظيَّة: الفِلقة من الشيء.

[الكامل] حَتَّىٰ كَأني لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةٌ بِصَفَا المُشَقَّر كُلَّ يَوْم تُقْرَع[١]

[وجبيل][٢] الصَّفا بمكة صليب، وجبيل الْمَرْوَة إلى اللين ما هو[٣]، فبذلك سُمِّيَا.

قال قوم: «ذُكِّر الصَّفا لأن آدم وقف عليه، ووقفت حواءُ على المروة فَأُنِّثَتْ لذلك»[٤].

وقال الشعبي: «كان على الصفا صنم يدعى إسافاً، وعلى المروة صنم يدعى نائلة»[٥]، فاطرد ذلك في التذكير والتأنيث وقدِّم المذكَّر.

و﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ معناه: من معالمه ومواضع عبادته، وهي جمع شعيرة أو شعارة، وقال مجاهد: ذلك راجع إلى القول، أي: مما أشعركم الله بفضله[٦]، مأخوذ من شعرت[٧]: إذا تحسست، وشعرت مأخوذ من الشِّعار وهو ما يلي الجسد من الثياب، والشعار مأخوذ من الشعر، ومن هذه اللفظة هو الشاعر، و﴿حَجَّ﴾ معناه قصد وتكرر، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] وَأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُولاً كثيرةً يَحُجُّونَ بَيْت الزِّبْرقَانِ المُزَعْفَرَا[٨]

---

(١) انظر عزوه له في المفضليات (ص: ٤٢٢)، وجمهرة اللغة (٢/ ٧٣١)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٥٣٦)، وتفسير الطبري (٣/ ٢٢٦)، والشعر والشعراء (١/ ٥٣١)، وإيضاح شواهد الإيضاح (٢/ ٦٦٨)، والعقد الفريد (٣/ ٢١٠)، والمُشَقَّر: موضع ببلاد العرب، أو حصن عظيم لعبد قيس، ويروى: بصفا المشرق، وهو سوق بالطائف أو مسجد الخيف بمنى.

(٢) في الحمزوية: «جبل» في الموضعين.

(٣) في المطبوع: «ماهق»، قال في الحاشية: «أي: أبيض اللون»، ويمكن أن تقرأ كذلك بعض النسخ المخطوطة.

(٤) وفي النكت والعيون للماوردي (١/ ٢١١) عن جعفر بن محمد قال: نزل آدم على الصفا، وحواء على المروة، فَسُمِّي الصفا باسم آدم المصطفى، وسميت المروة باسم المرأة.

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٢٣١)، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٥٢٢) النكت والعيون للماوردي (١/ ٢١١).

(٦) تفسير الطبري (٣/ ٢٢٧).

(٧) في الأصل: «تشعرت».

(٨) البيت للمخبل السعدي كما في المعاني الكبير (١/ ٤٧٨)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٦٢)، وتفسير =

ومنه قول الآخر:

.... يَحُـجٍ مَأْمُومَـةً في قَعْرِهَـا لجَف[1] [البسيط]

و ﴿ٱعۡتَمَرَ﴾: زار وتكرر، مأخوذ من عَمَرْتُ الموضع.

والجُناح: الإثم والميل عن الحق والطاعة، ومن اللفظة: الجَناح لأنه في شق، ومنه قيل للخباء: جَناح؛ لتمايله وكونه كذي أجنحة، ومنه: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١].

و﴿يَطَّوَّفَ﴾ أصله: يتطوف، سكِّنت التاء وأدغمت في الطاء.

وقرأ أبو السمال: (أن يطَّاف)[2]، وأصله: يطْتَوِف تحركت الواو وانفتح ما قبلها فانقلبت ألفاً فجاءَ يَطْتَاف، أُدغمت التَّاءُ بعد الإسكان في الطاء على مذهب [من أجاز][3] إدغام الثاني في الأول، كما جاء في مدَّكر، ومن لم يُجز ذلك قال: قلبت التاءُ طاءً، ثم أُدغمت الطاءُ في الطاءِ، وفي هذا نظر؛ لأن الأصلي أُدغم في الزائد، وذلك ضعيف.

وروي عن ابن عباس وأنس بن مالك وشهر بن حوشب أنهم قرؤُوا: (أن لا يطوَّف)[4]، وكذلك في مصحف عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب: (أن لا يطَّوف)، وقيل: (أن لا يطُوف) بضم الطاء وسكون الواو[5].

= الثعلبي (٢/ ٢٥)، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٤٨)، وجمهرة اللغة (١/ ٨٦)، والصحاح للجوهري (١/ ١٤٥)، وفي الحمزوية بدل «بيت»: «سِبَّ»، وهي رواية أكثر المصادر، والسِّبُّ بالكسر: العمامة، والمراد أنهم يترددون لسؤْدده، والحُلول: جمع حالٍّ بمعنى الجموع الكثيرة.

(١) البيت لعِذَار بن دُرة الطائي، وعجزه: فاسْتُ الطبيب قذاها كالمغاريد، انظر عزوه له في المعاني الكبير (٢/ ٩٧٦)، واتفاق المباني (ص: ٢٠٦)، وتاج العروس (٥/ ٤٥٩)، والمأمومة: الشجة التي تبلغ أُم الرأس، واللَّجَف: الخسف والحفر.

(٢) البحر المحيط (٢/ ٦٧)، وهي قراءة شاذة.

(٣) في الحمزوية: «سيبويه من إجازته».

(٤) في الأصل: «يتطوف».

(٥) انظر عزوها لابن عباس وابن مسعود وأنس في مختصر الشواذ (ص: ١٨)، ولأبي في الشواذ للكرماني =

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ خبر يقتضي الأمر بما عهد من الطواف بهما.

وقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ ليس المقصد منه إباحةَ الطواف لمن شاء، لأن ذلك بعد الأمر لا يستقيم، وإنما المقصد منه رفع ما وقع في نفوس قوم من العرب من أن الطواف بينهما فيه حرج، وإعلامُهم أن ما وقع في نفوسهم غير صواب، واختلف في كيفية ذلك فروي أن الجن كانت تعزف وتطوف بينهما في الجاهلية، فكانت طائفة من تهامة لا تطوف بينهما في الجاهلية لذلك، فلما جاء الإسلام تحرجوا من الطواف.

وروي عن عائشة رضي الله عنها: «أن ذلك في الأنصار وذلك أنهم كانوا يُهِلُّون لمناة التي كانت بالمشلَّل حذْوَ قُدَيْد ويعظِّمونها، فكانوا لا يطوفون بين إساف ونائلة إجلالاً لتلك، فلما جاء الإسلام تحرجوا فنزلت هذه الآية»(١).

وروي عن الشعبي: «أن العرب التي كانت تطوف هنالك كانت تعتقد ذلك السعي إجلالاً لإساف ونائلة، وكان الساعي يتمسح بإسافٍ، فإذا بلغ المروة تمسح بنائلة وكذلك حتى تَتم أشواطه، فلما جاء الإسلام كرهوا السعي هنالك إذ [كان بسبب](٢) الصنمين»(٣).

واختلف العلماء في السعي بين الصفا والمروة، فمذهب مالك والشافعي أن ذلك [فرض](٤) ركن من أركان الحج لا يجزئ تاركَه أو ناسيه إلا العودةُ، ومذهب الثوري وأصحاب الرأي أن الدم يجزئ تاركه، وإن عاد فحسن، فهو عندهم نَدْبٌ.

= (ص٧٩) ولشهر في تفسير الثعلبي (٢/ ٢٨)، وعند كلهم يطوف، دون تاء قبل الطاء، وهي قراءة شاذة.

(١) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٦٤٣)، ومسلم (٢٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) في الحمزوية: «كانوا سبوا».

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٢٣١).

(٤) سقط من الحمزوية.

وروي عن أبي حنيفة: إن ترك أكثر من ثلاثة أشواط فعليه دم، وإن ترك ثلاثة فأقل فعليه لكل شوط إطعام مسكين، وقال عطاء: ليس على تاركه شيء لا دم[١] ولا غيره[٢] / . [١٠٥]

واحتج عطاء بما في مصحف ابن مسعود: (ألا يطَّوف بهما)[٣]، وهي قراءة خالفت مصاحف الإسلام، وقد أنكرتها عائشة رضي الله عنها؛ في قولها لعروة حين قال لها «أرأيتِ قول الله: ﴿فَلَاجُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾؟ فما نرى على أحد شيئاً ألا يطَّوف بهما»؛ قالت: «يا عُرَيَّة كلا لو كان ذلك لقال: فلا جناح عليه ألا يطوف بهما»[٤].

قال القاضي أبو محمد: وأيضاً فإن ما في مصحف ابن مسعود يرجع إلى معنى: أن يطوف، وتكون (لا) زائدة صلةً في الكلام، كقوله ﴿ما مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]، وكقول الشاعر:

مَـا كَانَ يَرْضَـىٰ رَسُـولُ اللهِ فِعْلَهُـمُ والطَّيِّبَـانِ أَبُـو بَكْـرٍ ولا عُمَـرُ[٥] [البسيط]

أي: وعمر، وكقول الآخر:

وَمَا أُلُومُ الْبِيضَ ألا تَسْخَرا[٦] [الرجز]

ومذهب مالك وأصحابه في العمرة أنها سنة إلا ابن حبيب فإنه قال بوجوبها[٧].

---

(١) في نور العثمانية: «شيء لازم».

(٢) انظر مذهب أبي حنيفة في: حاشية ابن عابدين على الدر المختار (٢/ ٧٥٥)، وانظر مذهب البقية في: الاستذكار (٣/ ٢٢٠-٢٢٢)، والمجموع شرح المهذب (٨/ ٧٧).

(٣) انظر القراءة في تفسير الطبري (٣/ ٢٤١)، وانظر الاستدلال في المصادر السابقة.

(٤) هو تكملة للحديث السابق ذكره عند الشيخين، وعرية: تصغير عروة.

(٥) البيت لجرير يهجو الأخطل، كما في النقائض (ص١٧٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٦١)، وأورده في الكامل (١/ ١١٩).

(٦) البيت لأبي النجم كما في مجاز القرآن (١/ ٢٦)، وتفسير الطبري (١/ ١٩٠)، والخصائص (٢/ ٢٨٣)، حجة القراءات لأبي زرعة (١/ ٥٢٧)، والصاحبي في فقه اللغة العربية (ص: ١٢٢)

(٧) انظر: البيان والتحصيل (٣/ ٤٦٧).

وقرأ قوم من السبعة وغيرهم: ﴿ومن يَطوعْ﴾ بالياء من تحت[١] على الاستقبال والشرط، والجواب في قوله: ﴿فَإِنَّ﴾، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم: ﴿تَطَوَّعَ﴾ على بابه في المضي، فـ(مَنْ) على هذه القراءة بمعنى «الذي»، ودخلت الفاء في قوله: ﴿فَإِنَّ﴾ للإبهام الذي في (مَنْ)، حكاه مكي[٢].

وقال أبو علي: «يحتمل ﴿تَطَوَّعَ﴾ أن يكون في موضع جزم و(مَنْ) شرطية، ويحتمل أن تكون (مَنْ) بمعنى الذي والفعل صلة لا موضع له من الإعراب، والفاءُ مُؤْذِنَة أنَّ الثاني وجب لوجوب الأول»[٣].

ومن قال بوجوب السعي قال: معنى ﴿تَطَوَّعَ﴾ أي: زاد برّاً بعد الواجب، فجعله عامّاً في الأعمال، وقال بعضهم: معناه: من تطوع بحج أو عمرة بعد حَجَّة الفريضة.

ومن لم يوجب السعي قال: المعنى: من تطوع بالسعي بينهما.

وفي قراءة ابن مسعود: (فمن تطوع بخير)[٤].

ومعنى ﴿شَاكِرٌ﴾ أي: يبذل الثواب والجزاء، ﴿عَلِيمٌ﴾ بالنيات والأعمال، لا يضيع معه لعاملِ برٍّ ولا غيرِه عَمَلٌ.

وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ الآية، المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ أحبار اليهود ورهبان النصارى الذين كتموا[٥] أمر محمد ﷺ، قال الطبري: «وقد روي أن معينين منهم سألهم قوم من [أصحاب النبي ﷺ][٦] عما في كتبهم من أمره فكتموا فنزلت»[٧]، وتتناول الآية

---

(١) وهم حمزة والكسائي، انظر قراءتهم وقراءة الباقين في السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٧٢).
(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب (١/ ٢٧٠).
(٣) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٤٥).
(٤) المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٧٣)، والكشاف للزمخشري (١/ ٢٠٩)، وهي قراءة شاذة.
(٥) أحمد٣: «يكتمون»، وأشار لها في هامش جار الله.
(٦) في أحمد٣ وجار الله بدلاً منه: «المسلمين».
(٧) تفسير الطبري (٣/ ٢٥٠)، وفيه أن السائلين هم: معاذ بن جبل أخو بنى سلمة، وسعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل، وخارجة بن زيد أخو بني الحارث بن الخزرج.

بعدُ كلَّ مَن كتم علماً من دين الله يحتاج إلى بثه، وذلك مفسر في قول النبي ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عن علم فكَتَمَهُ أُلْجِمَ يوم القيامة بِلِجَام من نار»[١]، وهذا إذا كان لا يَخاف ولا ضرر عليه في بثه.

وهذه الآيةَ أراد أبو هريرة رضي الله عنه في قوله: «لو لا آية في كتاب الله ما حدثتكم حديثاً»[٢]، وقد ترك أبو هريرة ذلك حين خاف فقال: «حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين: أما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم[٣]»[٤].

وهذه الآيةَ[٥] أراد عثمانُ رضي الله عنه في قوله: «لأحدثنكم حديثاً لولا آية في كتاب الله ما حدثتكموه»[٦]، ومن روى في كلام عثمان: «لولا أنه في كتاب الله»[٧] فالمعنى غير هذا.

---

(١) الأصح موقوف على أبي هريرة، هذا الحديث روي عن عدد من الصحابة، والأسانيد إليهم جميعاً ضعيفة أو واهية، سوى ما أخرجه أحمد (٧٥٧١)، وأبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩) وحسنه، وابن ماجه (٢٦٦)، وابن حبان (٩٥) والحاكم (١/ ١٠١) وصححه،كلهم من طريق علي بن الحكم عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة به مرفوعاً، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: (٦/ ٢٣٢) من طريق: أبي خالد الأحمر عن حجاج عن عطاء عن أبي هريرة من قوله، وكذا أخرجه البيهقي في «المدخل» ص (٣٤٦) من طريق: مروان بن محمد عن سعيد عن قتادة عن عطاء عن أبي هريرة من قوله، وقال العقيلي في الضعفاء (١/ ٧٤) بعد أن أورد الحديث من طريق أبي هريرة: «ليس للحديث أصل مسند، إنما هو موقوف»، وقال الخليلي في الإرشاد (١/ ٣٢١): «معلول،..والمحفوظ من حديث أبي هريرة موقوف» اهـ، وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٩٦-١٠٥) من طريق عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ، ثم قال: «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ»، ثم أخذ في تعليل طرقه كلها.

(٢) متفق عليه، هذا الأثر أخرجه البخاري (١١٨)، ومسلم (٢٤٩٣).

(٣) في السليمانية: «الحلقوم».

(٤) أخرجه البخاري (١٢٠).

(٥) في المطبوع: «هي التي».

(٦) متفق عليه، هذا الأثر أخرجه البخاري (١٦٠)، ومسلم (٢٢٧)، وفيه أن الذي عيَّن الآية هو عروة ابن الزبير راوي الحديث.

(٧) يشير إلى رواية الإمام مالك في الموطأ (٨٣)، وهي من نفس طريق رواية الصحيحين المشار إليها آنفاً، إلا أن مالكاً قال: أُراه يريد هذه الآية: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ =

و﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾: أمر محمد ﷺ، ثم يعم بعدُ كلَّ ما يُكْتَم مِنْ خير.

وقرأ طلحة بن مصرِّفٍ: (مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّـنَهُ) على الإفراد[١].

و﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ يراد به التوراة والإنجيل بحكم سبب الآية، وأنها في أمر محمد ﷺ، ثم يدخل القرآن مع تعميم الآية، وقد تقدم معنى اللعنة.

واختلف في اللاعنين:

فقال قتادة والربيع: «الملائكة والمؤمنون»[٢]، وهذا ظاهر واضح جارٍ على مقتضى الكلام.

وقال مجاهد وعكرمة: «هم الحشرات والبهائم يصيبهم الجدب بذنوب علماء السوء الكاتمين فيلعنونهم»[٣]، وذُكِروا بالواو والنون كمَنْ يَعْقِل، لأنهم أُسند إليهم فعلُ مَن يعقل، كما قال: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

وقال البراء بن عازب[٤]: «اللَّاعِنُونَ كل المخلوقات ما عدا الثقلين الجن والإنس»، وذلك أن النبي ﷺ قال: «إن الكافر إذا ضرب في قبره فصاح سمعه الكل إلا الثقلين فلعنه كل سامع»[٥]، وقال ابن مسعود: المراد [بها][٦] ما قال النبي ﷺ: «إن

= ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]، بخلاف تعيين عروة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ...﴾ الآية. قال الحافظ في الفتح (١/ ٢٦١): «ذكره عروة راوي الحديث بالجزم أولى».

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٨٧)، والشواذ للكرماني (ص: ٧٩)، وهي قراءة شاذة.

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٢٥٧).

(٣) المصدر السابق (٣/ ٢٥٥).

(٤) البراء بن عازب بن الحارث الأنصاريّ الأوسيّ، يكنى أبا عمارة، له ولأبيه صحبة، استصغر يوم بدر، وسافر مع رسول الله ﷺ ثمانية عشر سفراً، وشهد غزوة تُسْتَر، وشهد مع علي الجمل وصِفِّين وقتال الخوارج، وتوفي سنة (٧٢هـ). الإصابة (١/ ٤١١).

(٥) صحيح بدون قوله: «فلعنه كل سامع»، أخرجه بهذا التمام بنحوه: الطبري في تفسيره (٣/ ٢٥٧) من طريق: أسباط عن السدي قال: قال البراء بن عازب، موقوف، والإسناد ضعيف، وأخرجه في حديث طويل بدون ذكر اللعن: البخاري (١٣٣٨) من حديث أنس.

(٦) في المطبوع: «بهم».

كل متلاعنين إن استحقا اللعنة، وإلا انصرفت على اليهود»[(١)].

وهذه الأقوال الثلاثة لا يقتضيها اللفظ، ولا تثبت إلا بسند يقطع العذر.

ثم استثنى الله تعالى التائبين وقد تقدم معنى التوبة.

و﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ أي: في أعمالهم وأقوالهم.

و﴿وَبَيَّنُواْ﴾ قال مَن فسر الآية على العموم: معناه: بينوا توبتهم بمبرز العمل [والبروع][(٢)] فيه، ومن فسَّرها على أنها في كاتمي أمر محمد ﷺ قال: المعنى: بيِّنوا أمر محمّد ﷺ، فتجيءُ الآية فِيمن أسلم من اليهود والنصارى، وقد تقدم معنى توبة الله على عبده، وأنها رجوعه به عن المعصية إلى الطاعة، [والله أعلم][(٣)].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية، محكمة في الذين وافَوا على كفرهم.

واختلف في معنى قوله: ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾؛ وهم لا يلعنون أنفسهم / : [١٠٦]

فقال قتادة والربيع: «المراد بالنَّاسِ: المؤمنون خاصة»، وقال أبو العالية: «معنى ذلك: في الآخرة، وذلك أن الكفرة يلعنون أنفسهم يوم القيامة»، وقالت فرقة: «معنى ذلك:

---

(١) واه، هذا الأثر أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٠٣-٣٠٤) من قول ابن مسعود، وفي سنده محمد بن السائب الكلبي، وهو متهم بالكذب.

(٢) في الحمزوية: «والشروع».

(٣) من جار الله.

أن الكفرة يقولون في الدنيا: لعن الله الكافرين، فيلعنون أنفسهم من حيث لا يشعرون»[١].

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (والمَلائِكَةُ والنَّاسُ أجْمَعُون)[٢]، بالرفع على تقدير: أولئك يلعنهم الله.

واللعنة في هذه الآية تقتضي العذاب، فلذلك قال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، والضمير عائد على اللعنة، وقيل: على النار وإن كان لم يجر لها ذكر، لثبوتها في المعنى.

ثم أعلم تعالى برفع وجوه الرفق عنهم؛ لأن العذاب إذا لم يخفَّف ولم يؤخر فهو النهاية.

و﴿يُنظَرُونَ﴾ معناه: يؤخَّرون عن العذاب، ويحتمل أن يكون من النظر، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧]، والأول أظهر، لأن النظر بالعين إنما يعدى بـ«إلى»، إلا شاذّاً في الشعر[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ الآية، إعلام بالوحدانية، و﴿وَٰحِدٌ﴾ في صفة الله تعالى معناه نفيُ المثيل والنظير والند، وقال أبو المعالي: «هو نفي التبعيض والانقسام»[٤].

وقال عطاء: «لما نزلت هذه الآية بالمدينة قال كفار قريش بمكة: ما الدليل على هذا؟ وما آيته وعلامته؟»[٥].

وقال سعيد بن المسيب: «قالوا: إن كان هذا حقّاً[٦] يا محمد فائتنا بآية من عنده

---

(١) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٣/ ٢٦٢).

(٢) معاني القرآن للفراء (١/ ٩٦)، ومختصر الشواذ (ص: ١٨)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٨٧).

(٣) الاستثناء هنا هو من مفهوم المخالفة، والتقدير فلا يتعدى بدونها إلا شاذّاً.

(٤) نقله ابن عرفة المالكي في تفسيره (٢/ ٤٨٢).

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٢٦٨).

(٦) زيادة من أحمد٣ وجار الله، وجاءت فيهما «يا محمد» قبل «إن كان هذا».

تكون علامة الصدق، حتى قالوا: اجعل لنا الصفا ذهباً، فقيل لهم: ذلك لكم، ولكن إن كفرتم بعد ذلك عذبتم، فأشفق رسول الله ﷺ وقال: دعني أدعهم يوماً بيوم، فنزل عند ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، الآية»[١].

ومعنى ﴿فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: في اختراعها وإنشائها، وقيل: المعنى: إن في خلْقةِ، أي: هيئة السماوات والأرض، ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ معناه: أن هذا يخلُف هذا وهذا يخلف هذا فهما خلفة، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [الفرقان: ٦٢]، وكما قال زهير:

بِهـا العِيـنُ والآرامُ يَمْشِـينَ خِلْفَـةً ... وأطْلاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجثم[٢] [الطويل]

وقال الآخر:

وَلَـهَـا بـالـمَـاطِـرونَ إذا ... أكَـلَ الـنَّـمْـلُ الـذي جَمَعَا [المديد]
خِـلْـفَـةً حـتـى إذا ارْتَـبَـعَـتْ ... سَـكَـنَـتْ مِـنْ جِـلَّـقٍ بِـيَـعَـا[٣]

ويحتمل أيضاً الاختلافُ في هذه الآية أن يراد به اختلاف الأوصاف.

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٧) طبعة دار هجر، وزاد بعد قوله: «الآية»: إن في ذَلك لآية لهم، إن كانوا إنما يريدون أن أجعل لهم الصفا ذهباً ليزدادوا يقيناً، فخلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار أعظمُ من أن أجعل لهم الصفا ذهباً.

(٢) من معلقته، وعزاه له تفسير الطبري (٣/ ٢٧٢)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٢٣٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٥)، والاشتقاق (١/ ١٢٧)، وكتاب العين (٧/ ٤٥٢) وغيرهم من أئمة اللغة، العينُ: جمع عيناءَ، وهي واسعة العين، والآرام: جمع رئْم وهو الأبيض الخالص، وقوله: خلفةً، أي: قطيعاً بعد قطيع، والأطْلاءُ: جمع طَلا، وهم أولاد الظباءِ.

(٣) البيتان ليزيد بن معاوية كما في معجم البلدان (٥/ ٤٢)، وجمهرة اللغة (١/ ٦١٦)، وأنساب الأشراف للبلاذري (٥/ ٢٨٨)، ونسبهما الجاحظ في الحيوان (٤/ ٢٦٤) لأبي دهبل، وهما في ديوان الأحوص (١/ ١٠٧) قال في الكامل (١/ ٣٠١): والماطرون: بلدة بالشام، وكذلك جلق، وخلفة الشجر: ثمر يخرج بعد الثمر الكثير، وفي الحمزوية خلفها تبعاً.

واللَّيْل: جمع ليلة، وتجمع: ليالي، وزيدت فيها الياء كما زيدت في كراهية و[فراهية][١].

والنَّهار: يجمع على نُهُر وأنهِرَةٍ، وهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، يقضي بذلك قول النبي ﷺ لعدي بن حاتم: «إنما هو بياض النهار وسواد الليل»[٢]، وهذا هو مقتضى الفقه في الأيمان ونحوها، فأما على ظاهر اللغة وأخذِه من السعة[٣]، فهو من وقت الإسفار إذا اتسع وقت النهار كما قال[٤]:

[الطويل] مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا ... يَرَىٰ قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا[٥]

وقال الزَّجَّاج في كتاب «الأنواء»: «أول النهار ذُرور الشمس، قال: وزعم النضر ابن شميل أن أول النهار ابتداءُ طلوع الشمس، ولا يعدُّ ما قبل ذلك من النهار»[٦].

قال القاضي أبو محمد: وقول النبي ﷺ هو الحكم.

و(الْفُلْك): السفن، وإفراده وجمعه بلفظ واحد، وليست الحركات تلك بأعيانها، بل كأنه بني الجمع بناء آخر، يدل على ذلك توسط التثنية في قولهم: فُلْكان، والفلك المفرد مذكر، قال الله تعالى: ﴿فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء: ١١٩].

و(ما ينفع الناس): هي التجارات وسائر المآرب التي يركب لها البحر من غزو وحج، والنعمة بالفلك هي إذا انتُفِع بها، فلذلك خص ذكر الانتفاع إذ قد تجري بما يضر.

---

(١) في المطبوع: «رفاهية».

(٢) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٩١٦)، ومسلم (١٠٩٠) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه، ولفظه: «إنما هو سواد الليل وبياض النهار».

(٣) في جار الله وأحمد٣: «الشعر».

(٤) في الحمزوية: «زهير»، وهو خطأ لأن البيت ليس له.

(٥) البيت لقيس بن الخطيم كما تقدم في تفسير سورة الفاتحة.

(٦) كتاب الأنواء غير متوفر، وقد نقله عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٩٣).

و﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾ يعني به الأمطار التي بها إنعاش العالم وإخراج النبات والأرزاق.

و(بَثَّ) معناه: فَرَّقَ وَبَسَطَ.

و﴿دَآبَّةٍ﴾ تجمع الحيوان كله، وقد أخرج بعض الناس الطير من الدواب، وهذا مردود.

وقال الأعشى:

.... دَبِيبَ قَطَا البَطْحَاءِ في كُلِّ مَنْهَلِ[١] [الطويل]

وقال علقمة بن عَبَدَة:

.... صَوَاعِقُها لِطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ[٢] [الوافر]

و(تَصْرِيف الرِّياحِ): إرسالها عقيماً، وملقحة، وصِرّاً[٣]، ونصْراً، وهلاكاً، ومنه إرسالها جَنوباً وشمالاً[٤]، وغير ذلك.

و﴿ٱلرِّيَٰحِ﴾ جمع ريح، وجاءت في القرآن مجموعة مع الرحمة مفردة مع العذاب، إلا في يونس في قوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢]، وهذا أغلب وقوعها في الكلام، وفي الحديث: «كان رسول الله ﷺ إذا هبت الريح يقول: اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»[٥].

(١) وصدره: نيافٌ كغصن البان ترتج إن مشت، وهو في الديوان (ص: ٤٦)، عزاه له في الموازنة (١/ ٨٤)، وتفسير القرطبي (٢/ ١٩٧)، والبحر المحيط (٢/ ٦٤)، والقطاة: طائر في حجم الحمام، والبطحاء: مسيل الماء من الوادي وقد تناثر فيه الحصى الدقيق.

(٢) الديوان (ص٤)، وصدره: كأَنَّهُم صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ، كما تقدم عند تفسير الآية (١٩)، ولا عبرة بمن أنكره، وفي الحمزوية: «صواعقهن الطايرات».

(٣) في جار الله: «صيراً»، وهي محتملة في أحمد٣.

(٤) سقطت من جار الله، وأحمد٣.

(٥) ضعيف جدًّا، هذا الحديث أخرجه الشافعي في الأم (١/ ٢٢٤) عمن لا يتهم عن العلاء بن راشد =

قال القاضي أبو محمد: وذلك لأن ريح العذاب شديدة ملتئمة الأجزاء كأنها جسم واحد، وريح الرحمة ليِّنَةٌ متقطعة فلذلك هي رياح وهو معنى ﴿نشراً﴾[1] [الأعراف: ٥٧]، وأفردت مع الفلك[2] لأن ريح إجراء السفن إنما هي واحدة متصلة، ثم وصفت بالطيب فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب.

وهي لفظة من ذوات الواو، يقال: ريح وأرواح، ولا يقال: أرياح، وإنما قيل: رياح، من جهة الكسرة وطلبِ تناسب الياء معها، وقد لحن في هذه اللفظة عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير[3]، فاستعمل الأرياح في شعره ولحن في ذلك، وقال له أبو حاتم[4]: إن الأرياح لا تجوز، فقال: أما تسمع قولهم: رياح؟، فقال أبو حاتم: هذا خلاف ذلك، فقال: صدقت ورجع[5].

[١٠٧] وأما القراء / السبعة فاختلفوا:

فقرأ نافع: «الرِّياح» في اثني عشر موضعا: هنا، وفي الأعراف ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾، وفي إبراهيم: ﴿اشتدت به الرياح﴾، وفي الحجر: ﴿ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾، وفي الكهف: ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾، وفي الفرقان: ﴿أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾، وفي النمل: ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾، وفي الروم

= عن عكرمة عن ابن عباس به مرفوعاً، وقيل إن شيخ الشافعي هو إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي، وهو متروك الحديث، وأخرجه أيضاً الطبراني في الكبير (٩/ ٤١٤) بإسناد فيه الحسين بن قيس الرحبي، وهو متروك الحديث أيضاً، وقال الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢/ ٣٧٩): لا أصل له.

(١) بالنون، وهي قراءة سبعية.

(٢) أي في آية يونس.

(٣) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفي اليربوعي، يكنى أبا عقيل، شاعر فصيح قدم من اليمامة فمدح المأمون ووجوه قواده، واتصل بإسحاق بن ابراهيم ومدحه، واجتمع الناس وكتبوا شعره، وبقي إلى أيام الواثق: معجم الشعراء (ص: ٢٤٧).

(٤) هو سهل بن محمد بن عثمان السجستاني اللغوي الأديب، المقرئ المشهور توفي سنة (٢٥٥هـ). انظر: إنباه الرواة (٢/ ٥٨).

(٥) انظر: الخصائص (١/ ٣٥٦)، والمحكم والمحيط الأعظم (٣/ ٥٠٧).

[في موضعين][1]، وفي فاطر، وفي الجاثية، وفي (حم عسق): ﴿يسكن الرياح﴾[2].

وقرأ أبو عمرو، وعاصم، وابن عامر موضعين من هذه بالإفراد: في إبراهيم وفي (حم عسق)، وقرؤوا سائرها كقراءَة نافع.

وقرأ ابن كثير بالجمع في خمسة مواضع: هنا وفي الحجر وفي الكهف وفي الروم ـ الحرف الأول ـ وفي الجاثية: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾، وباقي ما في القرآن بالإفراد.

وقرأ حمزة بالجمع في موضعين: في الفرقان وفي الروم الحرف الأول، وأفرد سائر ما في القرآن.

وقرأ الكسائي كحمزة، وزاد عليه في الحجر: ﴿ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [٢٢]، ولم يختلفوا في توحيد ما ليس فيه ألف ولام[3].

والسَّحاب: جمع سحابة، سمي بذلك لأنه ينسحب، كما قالوا: حَبَا؛ لأنه يحبو، قاله أبو علي الفارسي[4]، وتسخيره: بعثه من مكان إلى آخر،، فهذه آيات أن الصانع موجود، والدليل العقلي يقوم أن الصانع للعالم لا يمكن أن يكون إلا واحداً؛ لجواز اختلاف الاثنين فصاعداً.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ١٦٥ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾.

---

(١) الآيتان: ٤٦، ٤٨، ولفظ «موضعين» ليس في الأصل.

(٢) أرقام الآيات في هذه المواضع هي على الترتيب: الأعراف (٥٧) إبراهيم (١٨) الحجر (٢٢) الكهف (٤٥) الفرقان (٤٨) النمل (٦٣) الروم (٤٦ و٤٨) فاطر (٩) الجاثية (٥) حمٓ عسق (٣٣).

(٣) التيسير (ص: ٧٨)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٧٣).

(٤) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٤٨) وما بعدها.

ذكر الله تعالى الوحدانية ثم الآيات الدالة على الصانع الذي لا يمكن أن يكون إلا واحداً، ثم ذكر في هذه الآية الجاحدين الضالين [معجِّباً][١] من سوء ضلالهم مع[٢] الآيات، لأن المعنى: إن في هذه الأمور لآيات بينة، ومن الناس مع ذلك البيان من يتخذ، وخرج ﴿يَتَّخِذُ﴾ موحداً على لفظ ﴿مَن﴾ والمعنى جمعه.

و﴿مِن دُونِ﴾ لفظ يعطي غيبة ما تضاف إليه «دُون»[٣] عن القضية التي فيها الكلام، وتفسير «دُون» بـ«سوى» أو بـ«غير» لا يطرد.

والند: النظير والمقاوم والموازي، كان ضدّاً، أو خلافاً، أو مثلاً، إذا قاوم من جهة فهو منها ند، وقال مجاهد وقتادة: «المراد بالأنداد الأوثان»[٤]، وجاء ضميرها في ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ ضميرَ من يعقل لما أُنزلت بالعبادة منزلةَ من يعقل، وقال ابن عباس والسدي: «المراد بالأنداد الرؤساء المتبعون يطيعونهم في معاصي الله تعالى»[٥].

و﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ في موضع نصب نعت للأنداد، أو على الحال من الضمير في ﴿يَتَّخِذُ﴾، أو يكون في موضع رفع نعت لـ﴿مَن﴾ وهذا على أن تكون ﴿مَن﴾ نكرة والكاف من ﴿كَحُبِّ﴾ في موضع نصب نعت لمصدر محذوف، و(حب) مصدر مضاف إلى المفعول في اللفظ، وهو على التقدير مضاف إلى الفاعل المضمر، تقديره: كحبكم [الله، أو: كحبهم الله، حسبما قدَّر كلَّ وجه منها فرقةٌ، ومعنى كحبهم][٦]، أي: يسوون بين محبة الله ومحبة الأوثان.

ثم أخبر أن المؤمنين أَشَدُّ حُبّاً لله لإخلاصهم وتيقنهم الحق.

---

(١) في المطبوع: «تعجباً»، وفي أحمد٣: «متعجباً».

(٢) في الحمزوية: «مشاهدة هذه».

(٣) سقطت من أحمد٣.

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٢٧٩).

(٥) عزاه الطبري في تفسيره (٣/ ٢٨٠)، للسدي فحسبُ، ولم أجده من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) ساقط من الأصل والمطبوع.

وقوله تعالى: ﴿ولو ترى الذين ظلموا﴾ قرأ نافع وابن عامر بالتاء من فوق، و﴿أَنَّ﴾ بفتح الألف[(١)]، و﴿أَنَّ﴾ الأخرى كذلك عطف على الأولى، وتقدير ذلك: ولو ترى يا محمد الذين ظلموا في حال رؤيتهم للعذاب وفزعهم منه واستعظامهم له لأقروا أن القوة لله، فالجواب مضمر على هذا النحو من المعنى، وهو العامل في ﴿أَنَّ﴾.

وتقدير آخر: ولو ترى يا محمد الذين ظلموا في حال رؤيتهم للعذاب وفزعهم منه لعلمت أن القوة لله جميعاً، وقد كان النبي ﷺ علم ذلك، ولكن خوطب والمراد أمته، فإن فيهم من يحتاج إلى تقوية علمه بمشاهدة مثل هذا.

وتقدير ثالث: ولو ترى يا محمد الذين ظلموا في حال رؤيتهم للعذاب لأن القوة لله، لعلمت مبلغهم من النكال، ولاستعظمت ما حل بهم، فاللام مضمرة قبل ﴿أَنَّ﴾، فهي مفعول من أجله، والجواب محذوف مقدر بعد ذلك، وفي حذف جواب (لَوْ) مبالغة، لأنك تدع السامع يسمو به تخيلُه، ولو شرحت له لوطنَّت نفسه إلى ما شرحت.

وقرأ الحسن وقتادة وشيبة وأبو جعفر: ﴿تَرَى﴾ بالتاء من فوق وكسر الهمزة من ﴿إِنَّ﴾[(٢)]، وتأويل ذلك: ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب [لاستعظمت ما حل بهم، ثم ابتدأ الخبر بقوله: إن القوة لله، وتأويل آخر: ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب][(٣)] يقولون: إن القوة لله جميعاً لاستعظمت حالهم.

وقرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو وعاصم وابن كثير: ﴿يَرَى﴾ بالياء من أسفل،

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٧٤) والتيسير للداني (ص: ٧٨).
(٢) انظر: تفسير الثعلبي (٢/ ٣٥)، فقد ذكرهم فيمن قرأ بالتاء أولًا، ثم فيمن قرأ بكسر «إن»، وقد تواترت هذه القراءة المركبة ليعقوب خاصة كما في النشر (٢/ ٢٢٤)، وذكر أنها رويت لأبي جعفر من طريق النهرواني عن ابن وردان، وليس ذلك من طرق الدرة.
(٣) ساقط من السليمانية، وهو في أحمد٣ ملحق في الهامش وعليه علامة «صح».

وفتح الألف من ﴿ أَنَّ ﴾[(١)]، تأويله: ولو يَـرَى في الدنيا الذين ظلموا حالهم في الآخرة إذ يرون العذاب لعلموا أن القوة لله جميعاً، وتأويل آخر روي عن المبرد والأخفش: ﴿ وَلَوۡ يَرَى ﴾ ولو يرى بمعنى: يعلم الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً لاستعظموا ما حل بهم[(٢)]، فـ﴿يَرَى ﴾ عامل في ﴿ أَنَّ ﴾ وسدت مسد المفعولين.

وقال أبو علي: «الرؤية في هذه الآية رؤية البصر، والتقدير في قراءة الياء: ولو يرى الذين ظلموا أن القوة لله جميعاً»[(٣)]، وحذف جواب لَوْ للمبالغة، ويعمل في ﴿ أَنَّ ﴾ الفعل الظاهر، وهو أرجح من أن يكون العامل فيها مقدَّراً.

[١٠٨] ودخلت ﴿ إِذۡ ﴾ ـ وهي لمَا مضى ـ في أثناء / هذه المستقبلات تقريباً للأمر وتصحيحاً لوقوعه، كما يقع الماضي موقع المستقبل في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ٥٠]، و﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١].

ومنه قول الأشتر النخعي[(٤)]:

[الكامل] بَقَّيْـتُ نَفْسِـي وانْحَرَفْـتُ عَن العُلا ولَقِيـتُ أَضْيَافِـي بوجه عَبُـوسِ[(٥)]

وقرأت طائفة: ﴿ يَرَى ﴾ بالياء من أسفل وكسر الألف من ﴿إِنَّ ﴾[(٦)]، وذلك إما

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٧٤)، والتيسير للداني (ص: ٧٨).

(٢) انظر قولي المبرد والأخفش في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٨٨).

(٣) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٥٩) وما بعدها.

(٤) هو الأشتر مالك بن الحارث، شريف كبير القدر في النخع، روى عن عمر، وخالد بن الوليد، وشهد اليرموك، وقلعت عينه، من أنصار علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حروبه، توفي بعد صفين بقليل، تاريخ الإسلام (٣/ ٥٩٣).

(٥) انظر عزوه له في معجم الشعراء (ص: ٣٦٢)، والكشاف (١/ ٦٥٥)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٤٨٨)، والبخلاء للجاحظ (ص: ٣٠٩)، وأمالي القالي (١/ ٨٥)، والحماسة لأبي تمام مع شرح التبريزي (١/ ٣٩)، وجاء في فيض الله وأحمد٣ ونور العثمانية والسليمانية: «بقيتُ وفْري»، وفي جار الله: «وقيت..».

(٦) هذه القراءة بهذا التركيب هي قراءة أبي جعفر المتواترة عنه. انظر طرفيها في النشر (٢/ ٢٢٤).

على حذف الجواب وابتداء الخبر، وإما على تقدير: لقالوا: إن القوة لله جميعاً.

وقرأ ابن عامر وحده: ﴿يُرون﴾ بضم الياء والباقون بفتحها[١].

وثبتت بنص هذه الآية القوة لله بخلاف قول المعتزلة في نفيهم معاني الصفات القديمة.

وقالت طائفة: «﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾: كلُّ مَن عُبد من دون الله»، وقال قتادة: «هم الشياطين المُضِلُّونَ»، وقال الربيع وعطاءٌ: «هم رؤَساؤُهم»[٢]، ولفظ الآية يعم هذا كله.

و﴿إِذْ﴾ يحتمل أن تكون متعلقة بـ﴿شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾، ويحتمل أن يكون العامل فيها: اذكر.

و﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ بفتح الباء هم العبدة لغير الله، والضالون المقلِّدون لرؤسائهم أو للشياطين، وتبريهم[٣] هو بأن قالوا: إنّا لم نضل هؤلاء بل كفروا بإرادتهم، وتَعَلَّقَ العقاب على المتبعين بكفرهم، ولم يتأت ما حاولوه من [تعليق][٤] ذنوبهم على المضِلين.

وقرأ مجاهد بتقديم الفعل المسند إلى المتبِعين للرؤساء وتأخير المسند إلى المتبَعين[٥].

والسبب في اللغة: الحبل الرابط الموصِل، فيقال في كل ما يُتَمَسَّك به فَيَصِل بين شيئين، وقال ابن عباس: «الْأَسْبابُ هنا الأرحام»[٦]، وقال مجاهد: «هي العهود»،

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٧٤)، والتيسير للداني (ص: ٧٨).

(٢) ثلاثة أقوال انظرها في تفسير الطبري (٣/ ٢٨٧).

(٣) أي: تبرِّي الرؤساء والشياطين.

(٤) في المطبوع: «تعلق».

(٥) أي: «الذين اتبَعوا من الذين اتُّبِعوا»، نقلها عنه الدمياطي في إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٩٧).

(٦) منقطع، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٢٩١) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس، ولم يلقه.

وقيل: «المَوَدَّات»، وقيل: «المنازل التي كانت لهم في الدنيا»، وقال ابن زيد والسدي: «هي الأعمال»، إذ أعمال المؤمنين كالسبب في تنعيمهم فتقطعت بالظالمين أعمالهم[١].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ الآية، المعنى: وقال الأتباع الذين تُبُرِّئ منهم: لو رُددنا إلى الدنيا حتى نعمل صالحاً ونتبرأ منهم، والكرة: العودة إلى حال قد كانت، ومنه قول جرير:

[الكامل] وَلَقَدْ عَطَفْنَ عَلَى فَزَارَة عَطْفَةً كَرَّ المَنِيح، وَجُلْنَ ثَمَّ مَجَالا[٢]

والمنيح هنا: أحد الأغفال من سهام الميسر، وذلك أنه إذا خرج من الرِّبابة رد لفوره لأنه لا فرض فيه ولا حكم عنه.

والكاف من قوله: ﴿كَما﴾ في موضع نصب على النعت إما لمصدر أو لحال، تقديرها: متبرئين كما، والكاف من قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ﴾ قيل: هي في موضع رفع على خبر ابتداء تقديره: الأمر كذلك، وقيل: «هي كاف تشبيه مجردة»، والإشارة بـ﴿ ذلك﴾ إلى حالهم وقت تمنيهم الكَرَّة.

والرؤْية في الآية هي من رؤْية البصر، ويحتمل أن تكون من رؤْية القلب.

و﴿ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾: قال الربيع وابن زيد: «المعنى: الفاسدة التي ارتكبوها فوجبت لهم بها النار»[٣].

---

(١) انظر الأقوال كلها في تفسير الطبري (٣/ ٢٩١).
(٢) البيت للأخطل كما في ديوانه (ص: ٢٠٣)، وفيه: «عَلى قُدارَة»، ونقائض جرير والأخطل (ص: ٧٩)، وتفسير الطبري (٣/ ٢٩٤)، والمعاني الكبير (٣/ ١١٥٦)، وهو من قصيدة له يهجو بها جريراً، ومطلعها: كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أو رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ، وقد تكرر من المؤلف نسبته لجرير، ولعله خطأ منه أو من النساخ، ولم يتابعه على ذلك أحد من المتأخرين.
(٣) تفسير الطبري (٣/ ٢٩٨).

وقال ابن مسعود(١) والسدي: «المعنى»: «[الصالحة] التي تركوها ففاتتهم الجنة»(٢)، ورويت في هذا القول أحاديث، وأضيفت هذه الأعمال إليهم من حيث هم مأْمورون بها، وأما إضافة الفاسدة إليهم فمن حيث عملوها.

و ﴿حَسَرَٰتٍ﴾: حال على أن تكون الرؤية بصرية، ومفعول على أن تكون قلبية، والحسرة أعلى درجات الندامة والهم بما فات، وهي مشتقة من الشيء الحسير الذي قد انقطع وذهبت قوته [كالبعير](٣) والبصر، وقيل: هي من حَسَرَ إذا كَشَفَ، ومنه قول النبي ﷺ: «يحسر الفرات عن جبل من ذهب»(٤).

قوله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾.

الخطاب عام و(ما) بمعنى الذي، و﴿حَلَٰلٗا﴾ حال من الضمير العائد على (ما)، وقال مكي: «نعت لمفعول محذوف تقديره: شيئاً حلالاً»(٥)، وهذا يبعد.

وكذلك مقصد الكلام لا يعطي أن يكون حَلالاً مفعولا بـ﴿كُلُواْ﴾ وتأملْ، و﴿طَيِّبٗا﴾ نعت، ويصح أن يكون ﴿طَيِّبٗا﴾ حالاً من الضمير في ﴿كُلُواْ﴾ تقديره: مستطيبين، والطيب عند مالك: الحلال، فهو هنا تأكيد لاختلاف اللفظ، وهو عند

---

(١) لم أجده من قول ابن مسعود، وإنما هو معروف عن السدي.

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٢٩٦).

(٣) في الحمزوية: «كالعين».

(٤) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٧١١٩)، ومسلم (٢٨٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١١٧).

الشافعي: المستلذ، ولذلك يمنع أكل الحيوان القذر وكلِّ ما هو خبيث[(١)].

و﴿ خُطُوَٰتِ ﴾ جمع خطوة وهي ما بين القدمين في المشي، فالمعنى النهي عن اتباع الشيطان وسلوك سبله وطرائقه، قال ابن عباس: «خطواته أعماله»[(٢)]، قال غيره: آثاره.

قال مجاهد: «خطاياه»، قال أبو مجلز[(٣)]: «هي النذور والمعاصي»[(٤)].

قال الحسن: «نزلت فيما سنُّوه من البحيرة والسائبة ونحوه»[(٥)]، قال النقاش: «نزلت في ثقيف وخزاعة وبني الحارث بن كعب»[(٦)].

وقرأ ابن عامر والكسائي: ﴿خُطُوَٰتِ﴾ بضم الخاءِ والطاءِ، ورويت عن عاصم وابن كثير بخلاف، وقرأ الباقون بسكون الطاء[(٧)]، فإما أرادوا ضم الطاء وخففوها إذ هو الباب في جمع فُعْلة كَغُرْفَة وغُرُفَات، وإما أنهم تركوها في الجمع على سكونها في المفرد.

---

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٥/ ٤٣٦)، والمغني لابن قدامة (٢١/ ٣٧٨).

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٣٠١) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) هو لاحق بن حميد أبو مجلز السدوسي نزيل خراسان، سمع الصحابة: ابن عمر وابن عباس وأنساً وغيرهم رضي الله عنهم، وقد وردت عنه الرواية في حروف القرآن، توفي سنة (١٠٠هـ)، تقريباً. غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٣٦٣).

(٤) انظر القولين في تفسير الطبري (٣/ ٣٠٢، ٣٠١).

(٥) ذكر هذا المعنى هنا تفسير الطبري (٣/ ٣٠٣)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٤٠)، دون عزوه للحسن، ونقله عن الحسن ابن أبي زمنين (٢/ ١١٩)، لكن في تفسير الآية (٣١) من سورة الأعراف، وتفسير البغوي (٢/ ٢٣٨)، في الآية (١٥٧) منها، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٥٥) في الآية (٦٤) من سورة الإسراء.

(٦) مثله في تفسير الثعلبي (٢/ ٣٧).

(٧) الضم قراءة ابن عامر والكسائي، ورواية قنبل عن ابن كثير، وحفص عن عاصم، والسكون للباقين، كما في التيسير للداني (ص: ٧٨)، وذكر ابن مجاهد في السبعة: (ص: ١٧٤)، عن ابن فليح عن أصحابه عن ابن كثير (خطوات) خفيفة، أي: بالإسكان.

وقرأ أبو السمال: (خَطَوات) بفتح الخاء والطاء[١]. وروي عن علي بن أبي طالب وقتادة والأعمش وسلام: (خُطُؤَات) بضم الخاءِ والطاءِ وهمزة/ على الواو[٢]، [١٠٩] وذُهب بهذه القراءَة إلى أنها جمع خطأة من الخطأ لا من الخطْو.

وكل ما عدا السنن والشرائع من البدع والمعاصي فهي خطوات الشيطان.

و﴿عَدُوٌّ﴾ يقع للمفرد والتثنية والجمع.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم﴾ الآية، إنَّما تصلح للحصر، وقد تجيء غيرَ حاصرةٍ بل للمبالغة كقولك: إنما الشجاع عنترة، كأنك تحاول الحصر أو تُوْهمه، فإنما يعرف معنى (إنَّما) بقرينة الكلام الذي هي فيه، فهي في هذه الآية حاصرة، وأمْرُ الشيطان إما بقوله في زمن الكهنة وحيث يُتَصَوَّرُ، وإما بوسوسته، فإذا أُطيع نفذ أمره.

و(السوء) مصدر من ساءَ يسوءُ فهي المعاصي وما تسوءُ عاقبته.

و(الْفَحْشاء) قال السدي: «هي الزنا»[٣]، وقيل: «كل ما بلغ حدّاً من الحدود لأنه يتفاحش حينئذ»[٤]، وقيل: «هي ما تفاحش ذكره».

وأصل الفحش: قبح المنظر كما قال امرؤ القيس:

وجِيـدٍ كَجِيـدِ الرِّئْم لَيْـسَ بفَاحِشٍ إذا هِـيَ نَـصَّـتْـهُ ولا بمُـعَـطَّـلِ[٥] [الطويل]

ثم استعملت اللفظة فيما يستقبح من المعاني، والشرع هو الذي يُحَسِّن ويُقبِّح، فكلُّ ما نهت عنه الشريعةُ فهو من الفحشاءِ.

---

(١) المحتسب لابن جني (١/ ١١٧)، وهي قراءة شاذة.
(٢) قال ابن جني معقباً على هذه القراءة: «وهي مرفوضة وغلط». المحتسب لابن جني (١/ ١١٧).
(٣) تفسير الطبري (٣/ ٣٠٣).
(٤) نسبه أبو حيان (١/ ٦٥٤) لابن عباس.
(٥) من معلقته المشهورة «قفا نبك»، الديوان (ص: ٤٣)، وانظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٨٩)، وشرح المعلقات التسع (ص: ١٤٧)، وإعجاز القرآن للباقلاني (١/ ١٧٨)، والريم: ولد الظبية، ونصَّته: مدَّته وأبرزته، والمعطّل: الخالي من الحلي.

و﴿ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾: قال الطبري: «يريد به ما حرَّموا من البَحيرة والسائبة ونحوها وجعلوه شرعا»[١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ يعني كفار العرب، وقال ابن عباس: نزلت في اليهود[٢].

وقال الطبري: «الضمير في ﴿لَهُمُ﴾ عائد على ﴿ ٱلنَّاسِ ﴾ من قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ ﴾»، وقيل: هو عائد على (مِن) في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة: ١٦٥][٣].

و﴿ ٱتَّبِعُواْ ﴾ معناه: بالعمل والقبول.

و﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾: هو القرآن والشرع.

و ﴿ أَلۡفَيۡنَا ﴾ معناه: وجدنا، قال الشاعر:

[المتقارب] فَـأَلْـفَـيْـتُـهُ غـيـر مُـسْـتَـعْـتِـبٍ ولا ذَاكِـــرِ اللهَ إِلَّا قَـلِـيـلا[٤]

والألف في قوله: ﴿أَوَلَوۡ ﴾ للاستفهام، والواو لعطف جملة كلام على جملة، لأن غاية الفساد في الالتزام أن يقولوا: نتبع آباءنا ولو كانوا لا يعقلون، فقرِّروا على التزامهم هذا إذ هذه حال آبائهم.

وقوة ألفاظ هذه الآية تعطي إبطال التقليد، وأجمعت الأمة على إبطاله في العقائد.

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣٠٣).

(٢) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٣٠٥) بإسناد فيه من لا يُعرف.

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٣٠٤ و٣٠٥).

(٤) البيت لأبي الأسود الدؤلي كما في كتاب سيبويه (١/ ١٦٩)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٥٥)، والمحكم والمحيط الأعظم (٢/ ٥٤)، والمقتضب (٢/ ٣١٣)، وهو من أبيات قالها في امرأة كان يجلس إليها، وكانت برزة جميلة، فقالت له يوماً: هل لك أن أتزوجك؟ فإني امرأة صَنَاعُ الكف، حسنة التدبير، قانعة بالميسور، فتزوجها ثم وجدها على خلاف ما قالت.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الآية، المراد تشبيه واعظ الكافرين وداعيهم والكافرين الموعوظين بالراعي الذي ينعق بالغنم أو الإبل فلا تسمع إلا دعاءه ونداءه، ولا تفقه ما يقول، هكذا فسر ابن عباس[١] وعكرمة والسدي وسيبويه[٢]، فذكر بعض هذه الجملة [وبعض هذه][٣]، ودل المذكور على المحذوف وهذه نهاية الإيجاز.

والنعيق زجر الغنم والصياح بها، قال الأخطل:

انعق بضَأْنِكَ يا جَريرُ فإنمَا مَنَّتْكَ نَفْسُك في الخَلاءِ ضَلالا[٤] [الكامل]

وقال قوم: «إنما وقع هذا التشبيه براعي الضأْن لأنها من أبلد الحيوان»، فهي تُحمق راعيها، وفي المثل: «أحمق من راعي ضأن ثمانين»[٥]، وقد قال دريد لمالك ابن عوف[٦] في يوم هوازن: «راعي ضأن، والله»[٧]، وقال الشاعر:

أَصْبَحْتُ هُزْءاً لِرَاعِي الضَّانِ يَهْزأُ بي مَاذَا يَريبُك مِني رَاعِي الضَّانِ[٨] [البسيط]

(١) روي عن ابن عباس من طرق لكن ليس فيها أن الداعي واعظ الكافرين، تفسير الطبري (٣/ ٣٠٩).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٣٠٨ و٣٠٩)، والكتاب لسيبويه (١/ ٢١٢).

(٣) في بعض الطبعات: «وترك البعض».

(٤) عزاه له في مجاز القرآن (١/ ٦٤)، وطبقات فحول الشعراء (٢/ ٤٩٧)، وجمهرة اللغة (١/ ٢١٦)، والصحاح للجوهري (٤/ ١٥٥٩)، وتفسير الطبري (٣/ ٣١٥)، يريد: صح بغنمك يا جرير، واكتف بهذا عن المفاخر فلست لها أهلاً، وإنما أنت من رعاة الغنم.

(٥) الأمثال لابن سلام (١/ ٦٨)، والبيان والتبيين (١/ ١٣٦)، والكامل في اللغة والأدب (٢/ ١١٥).

(٦) هو مالك بن عوف بن سعد بن النصري، كان رئيس المشركين يوم حنين، ثم أسلم، وكان من المؤلفة، وصحب ثم شهد القادسية وفتح دمشق. الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٥٥٠).

(٧) السيرة النبوية لابن هشام (٥/ ١٠٦)، ومغازي الواقدي (١/ ٨٨٥)، والعقد الفريد (١/ ١٢١).

(٨) البيت لأمية بن الأسكر كما في طبقات فحول الشعراء (١/ ١٩٢)، والأمالي (٣/ ١٠٩)، والأغاني (١٠/ ١٩) ومعجم البلدان (٢/ ١٥١)، ونقد الشعر (ص: ١٦).

فمعنى الآية: أن هؤُلاءِ الكفرة يمر الدعاءُ على آذانهم صفحاً يسمعونه ولا يفقهونه، إذ لا [ينتفعون][(١)] بفقهه.

وقال ابن زيد: «المعنى في الآية: ومثل الذين كفروا في اتباعهم آلهتهم وعبادتهم إياها كمثل الذي ينعق بما لا يسمع منه شيئاً إلا دويّاً غير مفيد»[(٢)]، يعني بذلك الصدى الذي يستجيب من الجبال.

ووجه الطبري في الآية معنى آخر، وهو: «أن المراد: ومثل الكافرين في عبادتهم آلهتهم كمثل الذي ينعق بشيء بعيد منه فهو لا يسمع من أجل البعد، فليس للناعق من ذلك إلا [النداء الذي يتعبه وينصبه][(٣)]، فإنما شبه في هذين التأويلين الكفار بالناعق والأصنام بالمنعوق به»[(٤)]، وشبهوا في الصمم والبَكَم والعمى بمن لا حاسة له لمَّا لم ينتفعوا بحواسهم ولا صرفوها في إدراك ما ينبغي، ومنه قول الشاعر:

[الرجز] أصـمُّ عَـمَّـا سـاءَهُ سَـمِـيـعُ[(٥)] ....

ولما تقرر فقدهم لهذه الحواس قضى بأنهم لا يَعْقِلُونَ، إذ العقل كما قال أبو المعالي وغيره: علوم ضرورية تعطيها هذه الحواس، أو[(٦)] لا بد في كسبها من الحواس، وتأمل.

---

(١) في الحمزوية: «يتفقهون».

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٣١٣).

(٣) في الحمزوية: «الدعاء الذي لا ينفعه».

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٣٠٩ و٣١٠).

(٥) أنشده شعراً: الماوردي في النكت (١/ ٢٢١)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٢٤٢)، والحجة لابن خالويه (١/ ٢٧٤) ولم أقف على صدره ولا قائله، وأورده على أنه مثل: العسكري في جمهرة الأمثال (١/ ١٠)، والميداني في مجمع الأمثال (١/ ٤٠٢)، أي: أصمُّ عن القبيح الذي يغمه، سميع للأمر الذي يسره، وفي معناه: حلمي أصم وأُذني غير صمَّاء.

(٦) في نور العثمانية: «إذ»، بدل «أو».

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾.

الطيب هنا يجمع[١] الحلال المستلذ، والآية تشير بتبعيض ﴿مِن﴾ إلى أن الحرام رزق، وحض تعالى على الشكر، والمعنى: في كل حالة، و﴿إِن﴾ شرط، والمراد بهذا الشرط التثبيت وهزُّ النفوس[٢]، كما تقول: افعل كذا إن كنت رجلاً.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ﴾؛ ﴿إِنَّمَا﴾ هنا حاصرة، و﴿ٱلْمَيْتَةَ﴾ نصب بـ﴿حَرَّمَ﴾.

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع: ﴿الميِّتة﴾ بالتشديد[٣]، وقال الطبري وجماعة من اللغويين: التشديد والتخفيف من ميّت وميْت لغتان[٤]، وقال أبو حاتم وغيره: «ما قد مات فيقالان فيه، وما لم يمت / فلا يقال فيه ميْت بالتخفيف»[٥]. [١١٠]

قال القاضي أبو محمد: هكذا هو استعمال العرب، ويشهد بذلك قول الشاعر:

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فاسْتَرَاحَ بمَيْتٍ ... إنَّمَا الْمَيْتُ ميِّتُ الأحْيَاءِ[٦] [الخفيف]

---

(١) في أحمد ٣: «جميع»، وكذا في جار الله وفوقها «جمع» عليها إشارة «خ».
(٢) في المطبوع: «النفس»، وفي الحمزوية: «وهو التفرس».
(٣) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/ ٢٥٦).
(٤) تفسير الطبري (٣/ ٣١٨).
(٥) نقله عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢١٦)، وانظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (٦/ ٤٨١).
(٦) البيت لعَدِي بن الرَّعْلاء الغساني كما في مجاز القرآن (١/ ١٤٨)، وتاريخ دمشق (٤٠/ ١٠٣)، والحجة لأبي علي (٣/ ٣٩٨)، والاشتقاق (ص: ٥١)، ومعجم الشعراء (ص: ٢٥٢)، والأصمعيات (ص: ١٥٢)، والصناعتين: الكتابة والشعر (ص: ٣١٥).

استراح: من الراحة، وقيل: من الرائحة.

ولم يقرأ أحد بالتخفيف فيما لم يمت إلا ما روى البزي عن ابن كثير: (وما هو بميت) [إبراهيم: ١٧]، والمشهور عنه التثقيل[(١)]، وأما قول الشاعر:

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيم ... فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِئْ بِزَادِ[(٢)] [الوافر]

فالأبلغ في الهجاء أن يريد الميت حقيقةً، وقد ذهب بعض الناس إلى أنه أراد من شارف الموتَ والأول أشعر[(٣)].

وقرأ قوم: (الميتةُ)، بالرفع[(٤)] على أن تكون (ما) بمعنى الذي و(إنَّ) عاملة.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: (حُرِّم) على ما لم يسمَّ فاعله ورفع ما ذكر تحريمه[(٥)]، فإن كانت (ما) كافة فـ(الميتةُ) مفعول لم يسم فاعله، وإن كانت بمعنى الذي فـ(الميتة) [خبر.

---

(١) ورد التخفيف عنه في السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٢٣)، وليس في شيء من طرق التيسير.

(٢) البيت منسوب لأبي المهوش الأسدي في سمط اللآلي (١/ ٢٤٧) والعباب الزاخر مادة: (لفف)، وتاج العروس (٢٤/ ٣٧٤)، ولموهوب في شرح أدب الكاتب (ص: ٧٤)، وفي معجم الشعراء (ص: ٤٩٤)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ١٦٧) والمعاني الكبير (١/ ١٣٦)، والكامل في اللغة والأدب (١/ ١٣٩)، إلى يزيد بن عمرو بن الصعق يهجو بني تميم بحب الطعام، قال في لسان العرب (١٢/ ٥٤٧): وهو الصحيح.

(٣) في جار الله: «أسعد»، وفي نور العثمانية والسليمانية: «أشهر».

(٤) وهي قراءة شاذة، قرأ بها ابن أبي عبلة كما في البحر المحيط (٢/ ١١٠)، وذكرها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٨) بلا نسبة.

(٥) الذي في تفسير الثعلبي (٢/ ٤٣) والبحر المحيط (٢/ ١١١)، وغيرهما: أن السلمي قرأ: «إنما حَرُم» خفيفة الراء مضمومة، أما القراءة بالبناء للمجهول فقد نسبها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٨) لابن أبي الزناد، وهي رواية محبوب عن أَبِي عَمْرٍو، كما في الكامل للهذلي (ص: ٤٩٥)، وأغرب ابن عادل في اللباب (٣/ ١٧٠)، فنقلها عن أبي جعفر، وحمزة.

ولفظ الْمَيْتَة][١] عموم، والمعنى مخصِّص؛ لأن الحوت والجراد لم يدخل قط في هذا العموم.

والْمَيْتَة: ما مات دون ذكاة مما له نفس سائلة.

والطافي من الحوت جَوَّزَهُ مالك وغيره ومنعه العراقيون[٢].

وفي الميت دون تسبُّب من الجراد خلاف، منعه مالك وجمهور أصحابه[٣]، وجوزه ابن نافع وابن عبد الحكم[٤]، وقال ابن وهب: «إن ضُمَّ في غرائر فضمُّه ذكاته»[٥]، وقال ابن القاسم: «لا، حتى يصنع به شيء يموت منه، كقطع الرؤُوس والأجنحة والأرجل، أو الطرح في الماء»[٦]، وقال سحنون[٧]: «لا يطرح في ماء بارد»[٨]، وقال أشهب: «إن مات من قطع رجل أو جناح لم يؤكل لأنها حالة قد يعيش بها وينسل»[٩].

و(الدَّم) يراد به المسفوح؛ لأن ما خالط اللحم فغير محرم بإجماع[١٠]، وفي

---

(١) ساقط من نور العثمانية.

(٢) انظر: المحلى لابن حزم (٧/ ٣٩٣)، والذخيرة للقرافي (٤/ ٩٨).

(٣) انظر: المدونة (١/ ٥٧٣)، والبيان والتحصيل (٣/ ٣٠٦).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٢١٧).

(٥) انظر: إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للقاضي عياض (٦/ ٢٠٠).

(٦) انظر: المدونة (١/ ٥٧٣).

(٧) اسمه عبد السلام بن سعيد بن حبيب، شيخ المغرب، أبو سعيد التنوخي الحمصي ثم القيرواني الفقيه المالكي سحنون، قاضي القيروان، ومصنف المدونة وراويها عن ابن القاسم عن مالك، توفي سنة (٢٤٠هـ). تاريخ الإسلام ت تدمري (١٧/ ٢٤٨).

(٨) انظر: التاج والإكليل للمواق (٣/ ٢٢٨).

(٩) انظر: الذخيرة للقرافي (٤/ ١٣٢).

(١٠) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٩٥).

دم الحوت المزايل للحوت اختلاف، روي عن القابسي[١] أنه طاهر[٢]، ويلزم من طهارته أنه غير محرم، وخص ذكر اللحم من الخنزير ليدل على تحريم عينه ذُكِّيَ أو لم يُذكَّ، وليعم الشحم وما هنالك من الغضاريف وغيرها، وأجمعت الأمة على تحريم شحمه[٣]، وفي خنزير الماء كراهية، أبى مالك أن يجيب فيه، وقال: أنتم تقولون خنزيراً[٤].

وذهب أكثر اللغويين إلى أن لفظة الخنزير رباعية، وحكى ابن سِيْدَه عن بعضهم أنه مشتق من خَزَر العين لأنه كذلك ينظر[٥]، فاللفظة على هذا ثلاثية.

و﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾، قال ابن عباس وغيره: «المراد: ما ذبح للأنصاب والأوثان»[٦].

و ﴿أُهِلَّ﴾ معناه: صِيْحَ، ومنه استهلال المولود، وجرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود بالذبيحة، وغلب ذلك في استعمالهم حتى عبر به عن النية التي هي علة التحريم، ألا ترى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه راعى النية في الإبل التي نحرها غالب أبو الفرزدق، فقال: إنها مما أُهل به لغير الله فتركها الناس[٧].

---

(١) هو الفقيه المالكي؛ أبو الحسن علي بن محمد المعافري، المعروف بابن القابسي، المتوفى سنة (٤٠٣هـ)، ومؤلف كتاب المهذب في الفقه، وكتاب أحكام الديانة، وغيرهما من الكتب، انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (١/ ٤٩٤).

(٢) انظر: المنتقى شرح الموطأ (١/ ٤٣).

(٣) انظر: المجموع شرح المهذب (٩/ ٥).

(٤) انظر قول مالك في: المدونة (١/ ٥٣٧).

(٥) المحكم والمحيط الأعظم (٥/ ٣٣٦).

(٦) روي من طرق عن ابن عباس، ينظر تفسير الطبري (٣/ ٣٢٠).

(٧) أخرجه إبراهيم الحربي في غريب الحديث (٣/ ٩٩٨)، بإسناد صحيح إلى الجارود بن أبي سبرة قال..فذكر الواقعة، ولم أجد من نص على رواية الجارود عن علي رضي الله عنه.

ورأيت في أخبار الحسن بن أبي الحسن أنه سُئِل عن امرأة مترَفة صنعت لِلُعَبِهَا عرساً فذبحت جزوراً، فقال الحسن: «لا يحل أكلها فإنها إنما ذبحت لصنم»[(١)]، وفي ذبيحة المجوسي اختلاف ومالك لا يجيزها البتة[(٢)]، وذبيحة النصراني واليهودي جائزة[(٣)].

واختلف فيما حرِّم عليهم [كالطريف][(٤)] والشحم وغيره بالإجازة والمنع[(٥)]، وقال ابن حبيب: «ما حرم عليهم بالكتاب فلا يحل لنا من ذبحهم، وما حرموه باجتهادهم فذاك لنا حلال»[(٦)]، وعند مالك كراهيةٌ فيما سمى عليه الكتابي المسيحَ أو ذبحه لكنيسته ولا يبلغ بذلك التحريم[(٧)].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنُ اضطُـرَّ﴾ الآية، ضمت النون للالتقاء إتباعاً للضمة في الطاء حسب قراءة الجمهور[(٨)].

وقرأ أبو جعفر وأبو السَّمال: ﴿فَمَن اضْطِرَّ﴾ بكسر الطاء[(٩)]، وأصله: اضطُرِر،

---

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٢٢٤).

(٢) انظر: البيان والتحصيل (٣/ ٢٩٠)، والمجموع شرح المهذب (٩/ ٧٩).

(٣) انظر: الاستذكار (٥/ ٢٥٠).

(٤) في المطبوع: «الطريفة»، قال ابن الحاج في المدخل (٢/ ٧٨): والطريفة: هي ما يوجد من الرئة ملصوقة بالشحم.

(٥) انظر: القوانين الفقهية (١/ ١٢٠).

(٦) انظر: المنتقى شرح الموطأ (٣/ ١١٢).

(٧) انظر: المدونة (١/ ٥٤٤)، والمنتقى شرح الموطأ (٣/ ١١٢).

(٨) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي، ووافقهم أبو جعفر وخلف العاشر، وقرأها بالكسر عاصم وأبو عمرو وحمزة ووافقهم يعقوب، انظر: التيسير للداني (١/ ٦٣)، والسبعة لابن مجاهد (١/ ١٧٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥٧).

(٩) وهي قراءة صحيحة، انظر: النشر (٢/ ٢٥٧). وانظر نسبتها لأبي السمال في تفسير القرطبي (٢/ ٢٢٥)، والبحر المحيط (٢/ ١١٨).

فلما أدغم نقلت حركة الراء إلى الطاء، وقرأ ابن محيصن: (فَمَنِ اطُّـرَّ) بإدغام الضاد في الطاء، وكذلك حيث ما وقع في القرآن[١].

ومعنى ﴿ٱضۡطُرَّ﴾: ضَمَّه عُدْمٌ وَغَرْثٌ، هذا هو الصحيح الذي عليه جمهور العلماء والفقهاء، وقيل: معناه: أكره وغلب على أكل هذه المحرمات، و﴿غَيۡرَ بَاغٖ﴾ في موضع نصب على الحال، والمعنى فيما قال قتادة والربيع وابن زيد وعكرمة وغيرهم: «غير قاصدِ فساد وتعدٍّ بأن يجد عن هذه المحرمات مندوحة ويأكلها»[٢]، وهؤلاء يجيزون الأكل منها في كل سفر مع الضرورة[٣].

وقال مجاهد وابن جبير وغيرهما: «المعنى: غير باغ على المسلمين وعاد عليهم»[٤]، فيدخل في الباغي والعادي قطاع السُّبل، والخارج على السلطان، والمسافر في قطع الرحم والغارة على المسلمين وما شاكله، ولغير هؤلاء هي الرخصة.

وقال السدي: «﴿غَيۡرَ بَاغٖ﴾ أي: غير متزيد على حد إمساك رمقه وإبقاء قوته، فيجيء أكله شهوة، ﴿وَلَا عَادٖ﴾ أي: متزود»[٥]، وقال مالك رحمه الله: «يأكل المضطر شبعَه»[٦]، وفي الموطأ وهو لكثير من العلماء: «أنه يتزود إذا خشي الضرورة فيما بين يديه من مفازة وقفر»[٧].

وقيل في ﴿عَادٖ﴾: إن معناه: عايد، فهو من المقلوب، كشاكي السلاح، أصله: شائك، وكهارٍ أصله: هائر، وكلاث أصله: لائث.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٥٨)، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٦٦٥).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٣٢٤).

(٣) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ١٠٢).

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٣٢٢ و٣٢٣).

(٥) المصدر السابق (٣/ ٣٢٥).

(٦) انظر: الاستذكار (٥/ ٣٠٦).

(٧) انظر: الموطأ (١/ ٣٥٤)، والاستذكار (٥/ ٣٠٦)، والمغني لابن قدامة (٢١/ ٤٠٦).

وباغ أصله باغي/، [ثقلت الضمة][1] على الياء فسكنت، والتنوين ساكن [١١١]
فحذفت الياء، والكسرة تدل عليها.

ورفع الله تعالى الإثم لمّا أحل الميتة للمضطر؛ لأن التحريم في الحقيقة متعلَّقه التصرف بالأكل لا عين المحرم، ويطلق التحريم على العين تجوُّزاً، ومنع قوم التزود من الميتة وقالوا: «لما استقلت قوة الآكل صار كمن لم تصبه ضرورة قبل»[2].

ومن العلماء من يرى أن الميتة من ابن آدم والخنزير لا تكون فيها رخصةُ اضطرار، لأنهما لا تصح فيهما ذكاةٌ بوجه، وإنما الرخصة فيما تصح الذكاة في نوعه[3].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ﴾ الآية، قال ابن عباس[4] وقتادة، والربيع، والسدي: «المراد: أحبار اليهود الذين كتموا أمر محمد ﷺ»[5].

و﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾: التوراة والإنجيل، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد على ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾، ويحتمل أن يعود على ﴿مَا﴾ وهو جزء من الكتاب، فيه أمر محمد، وفيه وقع الكتم لا في جميع الكتاب، ويحتمل أن يعود على الكتمان، والثمن القليل: الدنيا والمكاسب، ووصف بالقلة لانقضائه ونفاده، وهذه الآية وإن كانت نزلت في الأحبار، فإنها تتناول من علماء المسلمين من كتم الحق مختاراً لذلك لسببِ دنيا يصيبها.

وذكرت البطون في أكلهم المؤدي إلى النار[6] دلالةً على حقيقة الأكل، إذ قد يستعمل مجازاً في مثل: أكل فلان أرضي ونحوه، وفي ذكر البطن أيضاً تنبيه على

(١) في المطبوع: استثقلت الكسرة.
(٢) انظر: الاستذكار (٥/ ٣٠٧).
(٣) لم أقف على شيء في الخنزير؛ وأما ميتة ابن آدم فالترخيص فيها مذهب المالكية والحنابلة والشافعية في وجه، انظر: المجموع (٩/ ٤٤)، وتفسير القرطبي (٢/ ٢٢٩)، والشرح الكبير لابن قدامة (١١/ ١٠٦).
(٤) أخرجه الطبري (١/ ٢٦٨) بإسناده فيه مقال.
(٥) انظر قولهم في تفسير الطبري (٣/ ٣٢٧).
(٦) في فيض الله زيادة: «لأنه».

مذمتهم بأنهم باعوا آخرتهم بحظهم من المطعم الذي لا خطر له، وعلى هُجْنتهم بطاعة بطونهم، وقال الربيع وغيره: «سمي مأكولهم ناراً لأنه يَؤُول بهم إلى النار»[(١)]، وقيل: «معنى الآية: أن الله تعالى يعاقبهم على كتمانهم بأكل النار في جهنم حقيقة».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ﴾ قيل: هي عبارة عن الغضب عليهم وإزالة الرضى عنهم، إذ في غير موضع من القرآن ما ظاهرُه أن الله تعالى يكلم الكافرين، كقوله: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٨][(٢)]، ونحوه، فتكون هذه الآية بمنزلة قولك: «فلان لا يكلمه السلطان [ولا يلتفته][(٣)]»، وأنت إنما تعبر عن انحطاط منزلته لديه، وقال الطبري وغيره: «المعنى: ولا يكلمهم بما يحبون»[(٤)]، وقيل: «المعنى: لا يرسل إليهم الملائكة بالتحية».

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ معناه: لا يطهرهم من موجبات العذاب، وقيل: المعنى لا يسميهم أزكياء[(٥)].

و﴿أَلِيمٌ﴾ اسم فاعل بمعنى: مؤلم.

قوله عز وجل: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾.

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣٢٩).

(٢) زاد في المطبوع: «ولا تكلمون».

(٣) في المطبوع: «ولا يلتفت إليه».

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٣٣٠).

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٥٥٤).

لمَّا تركوا الهدى وأعرضوا عنه ولازَموا الضلالة وتكسَّبوها مع أن الهدى ممكن لهم ميسر، كان ذلك كبيع وشراء، وقد تقدم إيعاب هذا المعنى، ولما كان العذاب تابعاً للضلالة التي اشتروها، وكانت المغفرة تابعة للهدى الذي اطَّرحوه، أُدخلا في تجوُّز الشراء.

وقوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾؛ قال جمهور المفسرين: (ما) تعجب[1]، وهو في حيز المخاطبين، أي: هم أهلٌ أن تعجبوا منهم، ومما يطول مكثهم في النار، وفي التنزيل: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧]، و﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ﴾ [مريم: ٣٨]، وبهذا المعنى صدَّر أبو علي[2].

وقال قتادة[3] والحسن وابن جبير والربيع: أظهر التعجب من صبرهم على النار لما عملوا عمل مَن وطَّن نفسه عليها[4]، وتقديره: ما أجرأهم على النار إذ يعملون عملاً يؤدي إليها.

وقيل: «ما» استفهام، معناه: أيُّ شيء صبرهم على النار، ذهب إلى ذلك معمر ابن المثنى[5]، والأول أظهر.

ومعنى ﴿أَصۡبَرَهُمۡ﴾ في اللغة: أمرهم بالصبر، ومعناه أيضاً: جعلهم ذوي صبر، وكِلا المعنيين متجه في الآية على القول بالاستفهام، وذهب المبرد في باب التعجب من «المقتضب» إلى أن هذه الآية تقرير واستفهام لا تعجب، وأن لفظة (أصبر) بمعنى: اضطَر وحبَس، كما تقول: أصبرت زيداً على القتل، ومنه نهي النبي ﷺ أن يُصْبر الروح[6].

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣٣٢)ونسبه لمجاهد والحسن وقتادة.

(٢) انظر: الحجة للقراء السبعة (٦/ ٥٤).

(٣) في السليمانية: «أبو قتادة»، ولعله خطأ.

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٣٣١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٨٦)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٤٨)، والهداية لمكي (١/ ٥٥٥).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٦٤)، وانظر القولين في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٥٥٥).

(٦) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٥١٩٤) ومسلم (١٩٥٦) من حديث أنس بلفظ: «نهى النبي ﷺ أن تصبر البهائم»، وفي المطبوع: «تصبر البهائم»، وفي السليمانية: «يصبر الذبح».

قال: ومثله قول الشاعر:

[السريع] قُلْتُ لَهَا أُصْبِرُهَا دَائِباً أَمْثَالُ بِسْطَامِ بنِ قَيْسٍ قَلِيلْ[١]

قال [القاضي أبو محمد: الضبط عند المبرد بضم الهمزة وكسر الباء][٢]، ورُد عليه في ذلك كله بأنه لا يعرف في اللغة أصبرَ بمعنى صبر وإنما البيت أصبرها بفتح الهمزة وضم الباء ماضيه صبر، ومنه المصبورة، وإنما يخرج[٣] قول أبي العباس على معنى: أجعلها ذات[٤] صبر.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ الآية، المعنى: ذلك الأمر ـ أو: الأمر ذلك ـ بأن الله نزل الكتاب بالحق فكفروا به، والإشارة على هذا إلى وجوب النار لهم، [ويحتمل أن يقدر: فعلنا ذلك][٥].

ويحتمل أن يقدر: وجب ذلك، ويكون ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ جملة القرآن على هذه [١١٢] التقديرات وقيل: / إن الإشارة بـ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [البقرة: ٦]، أي: وجبت لهم النار بما قد نزله الله في الكتاب من الخبر به، والإشارة بـ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ـ على هذا ـ إلى اشترائهم الضلالة بالهدى، أي: ذلك بما سبق لهم في علم الله وورود إخباره به، و﴿بِٱلْحَقِّ﴾ معناه: بالواجب، ويحتمل أن يراد: بالأخبار الحق، أي: الصادقة.

---

(١) المقتضب للمبرد (٤/ ١٨٤)، وقد نسبه ابن سيده في المحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٣١٢)، والزبيدي في تاج العروس (١٢/ ٢٧١) للحطيئة، وروايته:

قلت لها أصبرها جاهداً * ويحك أمثال طريف قليل

وهو كذلك في ديوانه (ص: ١٢٨).

(٢) في أحمد٣ وجار الله: «قال المبرد: الضبط بضم الهمزة وكسر الباء، قال القاضي....» إلخ.

(٣) في المطبوع والأصل: «وإنما يرد»، وفي نور العثمانية: «وإنما جاء».

(٤) في الأصل ونور العثمانية: «ذا» بصيغة المذكر، والمثبت من النسخ الأخرى.

(٥) ساقط من الأصل والحمزوية.

و﴿ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾، قال السدي: هم اليهود والنصارى[١] لأن هؤلاء في شق وهؤلاء في شق، ويظهر أن الشقاق سميت به المشادة والمقاتلة ونحوه، لأن كل واحد يشق الوصل الذي بينه وبين مشاقّه، وقيل: إن المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ﴾ كفار العرب؛ لقول بعضهم: هو سحر، وبعضهم: هو أساطير الأولين[٢]، وبعضهم: هو مفترى[٣]، إلى غير ذلك، وشقاق هذه الطوائف إنما هو مع الإسلام وأهله.

و ﴿بَعِيدٍ﴾ هنا معناه: من الحق والاستقامة.

وقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ﴾ الآية: قرأ أكثر السبعة برفع الراء، و﴿البرُّ﴾ اسم ﴿لَّيۡسَ﴾، قال أبو علي: ﴿لَّيۡسَ﴾: بمنزلة الفعل، فالوجه أن يليها الفاعل ثم المفعول[٤].

قال القاضي أبو محمد: مذهب أبي علي أن «لَيْسَ» حرف، والصواب الذي عليه الجمهور أنها فعل.

وقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ﴾ بنصب الراء[٥]، جعل ﴿أَن تُوَلُّواْ﴾ بمنزلة المضمر، إذ لا يوصف كما لا يوصف المضمر، والمضمر أولى أن يكون اسماً يخبر عنه.

وفي مصحف أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود: (لَيْسَ الْبِرّ بأنْ تُوَلُّوا)[٦].

وقال الأعمش: إن في مصحف عبد الله: (تَحْسَبنَّ الْبِرَّ)[٧].

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣٣٦).

(٢) «الأولين»: زيادة من نور العثمانية.

(٣) في الحمزوية: «شعر»، وفي فيض الله: «مقيداً».

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٧٠).

(٥) التيسير فى القراءات السبع للداني (ص: ٧٩)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٧٦).

(٦) المحتسب (١/ ١١٧).

(٧) تفسير البحر المحيط (٢/ ٢٣١)، ولم أجدها لمن قبل المؤلف.

وقال ابن عباس[١] ومجاهد وغيرهما: الخطاب بهذه الآية للمؤمنين، فالمعنى: ليس البِرّ الصلاة وحدها، وقال قتادة والربيع: الخطاب لليهود والنصارى[٢]؛ لأنهم اختلفوا في التوجه والتولي، فاليهود إلى بيت المقدس والنصارى إلى مطلع الشمس، وتكلموا في تحويل القبلة وفضلت كل فرقة توليها، فقيل لهم: ليس البر ما أنتم فيه ولكن البر من آمن بالله.

قرأ قوم: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ بشد النون ونصب ﴿ٱلْبِرَّ﴾.

وقرأ الجمهور: ﴿ولكنِ البرُّ﴾[٣]، والتقدير: ولكن البرُّ برُّ مَنْ.

وقيل: التقدير: ولكنْ ذو البر مَن، وقيل: ﴿الْبِرّ﴾ بمنزلة اسم الفاعل، تقديره: ولكن البارُّ مَنْ، والمصدر إذا نُزِّل منزلة اسم الفاعل فهو ولا بد محمول على حذف مضاف، كقولك: رجلٌ عدلٌ ورضًى.

والإيمان: التصديق، أي: صدق بالله تعالى وبهذه الأمور كلها حسب مخبرات الشرائع.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الآية، هذه كلها حقوق في المال سوى الزكاة، وبها كمال البر، وقيل: هي الزكاة، و(آتى) معناه: أعطى.

والضمير في ﴿حُبِّهِۦ﴾ عائد على ﴿ٱلْمَالَ﴾ فالمصدر مضاف إلى المفعول، ويجيء قوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ اعتراضاً بليغاً أثناء القول، ويحتمل أن يعود الضمير على الإيتاء، أي: في وقت حاجة من الناس وفاقة، وإيتاء المال حبيب إليهم، ويحتمل أن

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٣٣٦) بإسناد ضعيف.

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٣/ ٣٣٨).

(٣) هذه قراءة نافع وابن عامر فقط، أما الجمهور، وهم القراء العشرة ماعداهما، فقراءتهم هي الأولى، انظر: السبعة في القراءات (ص: ١٦٨)، والتيسير للداني (ص: ٧٩)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٥٨)، وكلاهما قراءة متواترة.

يعود الضمير على اسم الله تعالى من قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ أي: مَن تصدق محبة في الله تعالى وطاعاته.

ويحتمل أن يعود على الضمير المستكنِّ في (آتى) أي: على حبه المال، فالمصدر مضاف إلى الفاعل، والمعنى المقصود: أن يتصدق المرء في هذه الوجوه، وهو شحيح صحيح يخشى الفقر ويَأْمُلُ الغنى؛ كما قال ﷺ(١).

والشح في هذا الحديث هو الغريزي الذي في قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨]، وليس المعنى أن يكون المتصدق متصفاً بالشح الذي هو البخل.

و﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ يراد به قرابة النَّسَب.

واليُتْم في الآدميين من قِبَل الأب قبل البلوغ.

وقال مجاهد وغيره: ابْن السَّبِيلِ: المسافر؛ لملازمته السبيل(٢)، وهذا كما يقال: ابن ماءٍ، للطائر الملازم للماء، ومنه قول النبي ﷺ: «لا يدْخُل الجَنَّةَ ابنُ زِنًى»(٣)، أي: الملازم له، وقيل: لمَّا كانت السبيل تُبْرزه، شُبِّهَ ذلك بالولادة فنسب إليها.

وقال قتادة: (ابْن السَّبِيلِ): الضيف(٤)، والأول أعم.

و﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾: يراد به العتق وفكُّ الأسرى وإعطاءُ أواخر الكتابات.

---

(١) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٢٥٩٧) ومسلم (١٧١٣) من حديث أبي هريرة أن رجلاً سأل النبي ﷺ:أي الصدقة أعظم؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى» الحديث.

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٣٤٦).

(٣) واه، هذا الحديث قد روي من وجوه لا يصح منها شيء، حتى عدَّه بعضهم في الموضوعات، وقالوا: هذا الحديث يخالف الأصول لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، يراجع موضوعات ابن الجوزي (٣/ ١١١).

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٣٤٥).

و﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أتمها بشروطها، وذكرُ الزكاة هنا دليل على أن ما تقدم ليس بالزكاة المفروضة.

و﴿وَٱلۡمُوفُونَ﴾ عطف على ﴿مَنۡ﴾ في قوله: ﴿مَنۡ ءَامَنَ﴾، ويحتمل أن يُقَدَّر: وهُمُ الموفون، و﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ نصب على المدح، أو على إضمار فعل، وهذا مَهْيَع[1] في تكرار النعوت.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (والموفِين)[2] على المدح، أو على قطع النعوت.

وقرأ يعقوب والأعمش والحسن: (وَالْمُوفُونَ .. والصابرُون)[3].

وقرأ الجحدري: (بعهودهم)[4].

و﴿ٱلۡبَأۡسَآءِ﴾ الفقر والفاقة، و(الضرَّاء): المرض ومصائب البدن، و(حين البأس): وقت شدة القتال، هذا قول المفسرين في الألفاظ الثلاثة، وتقول العرب: بَئِس الرجل: إذا افتقر، وبَؤُس إذا شجع[5].

ثم وصف تعالى أهل هذه الأفعال البَرَّة بالصدق في أُمورهم، أي: هُمْ عند الظن بهم والرجاء فيهم كما تقول: صدقني المال وصدقني الرمح، ومنه عُودُ صدقٍ، وتحتمل اللفظة أيضاً صدق الأخبار، ووصفهم الله تعالى بالتُّقى، والمعنى: هم الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية من العمل الصالح.

---

(١) في الحمزوية: «ممتنع».

(٢) نقلها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٨) عنه، وهي قراءة شاذة.

(٣) تفسير البحر المحيط (٢/ ١٣١)، ونقلها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٨) عن الجحدري.

(٤) تفسير البحر المحيط (٢/ ١٣١)، وهي قراءة شاذة، ونقلها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٩) عن السلمي.

(٥) في الحمزوية: «طمع».

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ / بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾. [١١٣]

﴿كُتِبَ﴾: معناه: فرض وأثبت، والكَتْبُ مستعملٌ في الأُمور المخلدات الدائمة كثيراً، وقيل إن ﴿كُتِبَ﴾ في مثل هذا إخبار عما كتب في اللوح المحفوظ وسبق به القضاءُ.

وصورةُ فَرْضِ القصاص هو أن القاتل فُرض عليه إذا أراد الولي القتلَ الاستسلامُ لأمر الله، والانقياد لقصاصه المشروع، وأن الولي فرض عليه الوقوف عند قتل قاتل وليِّه، وترْكُ التعدي على غيره كما كانت العرب تتعدى وتقتل بقتيلها الرجل من قوم قاتله، وأن الحكام وأُولي الأمر فُرض عليهم النهوض بالقصاص وإقامة الحدود، وليس القصاص بلزام إنما اللزام أن لا يتجاوز القصاص إلى اعتداءٍ، فأما إذا وقع الرضى بدون القصاص من دية أو عفو فذاك مباح، فالآية مُعْلِمَةٌ أن القصاص هو الغاية عند التشاح.

والْقِصاصُ: مأخوذ من قص الأثر، فكأن القاتل سلك طريقاً من القتل فقص أثره فيها ومشى على سبيله في ذلك، و﴿ٱلۡقَتۡلَى﴾ جمع قتيل، لفظ مؤنث تأْنيث الجماعة وهو مما يدخل على الناس كرهاً فلذلك جاء على هذا البناءِ، كَجَرْحَى وَزَمْنَى وحَمْقَى وَصَرْعَى وَغَرْقَى(١).

واختلف في سبب هذه الآية، فقال الشعبي: إن العرب كان أهل العزة منهم

(١) سقط من جار الله ذكر: «صرعى»، وفيه زيادة: «وقتلى».

والمنعة إذا قُتِلَ منهم عبدٌ قتلوا به حرّاً، وإذا قُتلت امرأة قتلوا بها ذكراً، فنزلت الآية في ذلك ليُعلِم الله تعالى بالسويَّة ويذهب أمر الجاهلية[١].

وحكي أن قوماً من العرب تقاتلوا قتال عُمِّية[٢]، ثم قال بعضهم: نقتل بعبيدنا أحراراً، فنزلت الآية[٣].

وقيل: نزلت بسبب قتال وقع بين قبيلتين من الأنصار[٤]، ـ وقيل: من غيرهم ـ، فقتل هؤلاء من هؤلاء رجالاً وعبيداً ونساء، فأمر رسول الله ﷺ أن يصلح بينهم ويقاصَّهم بعضهم ببعض بالديات على استواء الأحرار بالأحرار والنساء بالنساء والعبيد بالعبيد[٥].

وروي عن ابن عباس: أن الآية نزلت مقتضية أن لا يُقتل الرجلُ بالمرأة ولا المرأة بالرجل، ولا يدخل صنف على صنف، ثم نسخت بآية المائدة أن النفس بالنفس[٦].

قال القاضي أبو محمد: هكذا روي، وآية المائدة إنما هي إخبار عما كتب على بني إسرائيل، فلا يترتب النسخ إلا بما تلقي عن رسول الله ﷺ من أن حكمنا في شرعنا مثل حكمهم[٧].

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣٥٩).

(٢) العمية، بالكسر والضم مشددتي الميم والياء: الكبر، أو الضلال، وقُتل عِمِّيا، كرميا: لم يُدر من قتله. القاموس (ص: ١٣١٥).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٣٦٠).

(٤) رواه الطبري عن أبي مالك. تفسير الطبري (٣/ ٣٦١).

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٣٦٠).

(٦) في إسناده انقطاع، هذا الأثر أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٩) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس:كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة ولكن يقتلون الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة، فأنزل الله: ﴿ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ [المائدة: ٤٥] فجعل الأحرار في القصاص سواء، وعلي لم يسمع التفسير من ابن عباس، وله طريق أخرى ذكره ابن الجوزي في نواسخ القرآن (١/ ١٤٦) يرويه جويبر عن ابن عباس رضي الله عنهما وجويبر ضعيف جدّاً.

(٧) انظر قول مالك في: الاستذكار (٨/ ١٨٧)، والشافعي في الأم (٦/ ٢٣)، وأبي حنيفة في: المبسوط للسرخسي (٢٦/ ١٣١).

وروي عن ابن عباس فيما ذكر أبو عبيد[١] وعن غيره أن هذه الآية محكمة، وفيها إجمال فسرته آية المائدة، وأن قوله هنا: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾ يعم[٢] الرجال والنساء، وقاله مجاهد[٣].

وقال مالك رحمه الله: أحسن ما سمعت في هذه الآية أنه يراد بها الجنس، الذكر والأنثى سواء[٤].

وأعيد ذِكْرُ الأُنثى تأْكيداً وتهمُّماً بإذهاب أمر الجاهلية، وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن الحسن بن أبي الحسن أن الآية نزلت مبيِّنةً حكم المذكورين ليدل ذلك على الفرق بينهم وبين أن يَقْتُل حرٌّ عبداً، أو عبدٌ حرّاً، أو ذَكَرٌ أُنثى، أو أُنثى ذكراً.

وقالا: إنه إذا قتل رجل امرأة، فإن أراد أولياؤها قتلوا صاحبهم ووفَّوْا أولياءَه نصف الدية منه، وإن أرادُوا اسْتَحْيَوْهُ وأخذوا منه دية المرأة، وإذا قتلت المرأة رجلاً فإن أراد أولياؤُه قَـتَلوا وأخذوا نصف الدية، وإلا أخذوا دية صاحبهم واستحْيَوْها.

وإذا قتل الحر العبد، [فإن أراد سيد العبد][٥] قَـتَل وأعطى دية الحر إلا قيمة العبد، وإن شاءَ استحيا وأخذ قيمة العبد، هذا مذكور عن علي رضي الله عنه[٦] وعن الحسن[٧]، وقد أُنكر ذلك عنهما أيضاً.

---

(١) أخرجه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٢٥٢).
(٢) لفظة: «يعم» سقطت من نور العثمانية.
(٣) تفسير الطبري (٣/ ٣٦٠).
(٤) انظر: الموطأ (٢/ ٨٧٢).
(٥) ساقط من السليمانية، وفي نور العثمانية: «قيل»، بدل «قتل».
(٦) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٣٦١) قال: حدثت عن عمار بن الحسن حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع حدثنا عن علي قال: أيما حر قتل عبداً فهو قود به.. فذكره. وهذا إسناد ضعيف لجهالة شيخ الطبري،وإعضال الربيع.
(٧) تفسير الطبري (٣/ ٣٦٢).

وأجمعت الأُمة على قتل الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل، والجمهور لا يرون الرجوع بشيء، وفرقة ترى الإتباع بفضل الديات[(١)].

قال مالك والشافعي: وكذلك القصاص بينهما فيما دون النفس، وقال أبو حنيفة: لا قصاص بينهما فيما دون النفس، وإنما هو في النفس بالنفس[(٢)].

وقال النخعي، وقتادة، وسعيد بن المسيّب[(٣)]، والشعبي، والثوري، وأبو حنيفة، ومحمد بن الحسن [(٤)]، وأبو يوسف[(٥)]: يقتل الحر بالعبد، وقال مالك رحمه الله وجمهور من العلماء: لا يقتل الحر بالعبد، ودليلهم إجماع الأمة على أن العبد لا يقاوم الحر فيما دون النفس، فالنفس مقيسة على ذلك، وأيضاً فالإجماع فيمن قَتَلَ عبداً خطأً أنه ليس عليه إلا القيمة، فكما لم يشبه الحرَّ في الخطأ لم يشبهه في العمد، وأيضاً فإن العبد سلعة من السلع يباع ويشترى[(٦)].

وإذا قتل الرجل ابنه، فإن قصد إلى قتله مثل أن يضجعه ويذبحه أو يَصْبره مما لا عذر له فيه ولا شبهة في ادعاء الخطأ، فإنه يقتل به قولاً واحداً في مذهب مالك[(٧)].

---

(١) انظر: الاستذكار (٨/ ١٦٧).

(٢) انظر: المغني لابن قدامة (١٨/ ٣٦٥).

(٣) لفظة: «المسيب» والواو بعدها سقطا من نور العثمانية، فصار فيها: «سعيد بن الشعبي»، وهو خطأ.

(٤) هو محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني مولاهم الكوفي الفقيه العلامة، مفتي العراقين، أبو عبد الله، أحد الأعلام، صاحب أبي حنيفة، أخذ عنه وعن أبي يوسف ومالك بن أنس، وله مؤلفات كثيرة، توفي سنة (١٨٩هـ). تاريخ الإسلام (١٢/ ٣٥٨).

(٥) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد بن بجير الأنصاري، قاضي القضاة، تفقه بالإمام أبي حنيفة حتى صار المقدم في تلامذته، كان منصفاً في الحديث وكان يحفظ التفسير، والمغازي، وأيام العرب، توفي سنة (١٨٢هـ). تاريخ الإسلام (١٢/ ٤٩٧).

(٦) انظر مذهب أئمة الحنفية الثلاثة في المبسوط للسرخسي (٢٦/ ١٢٩)، ومذهب مالك في الاستذكار (٨/ ١٣٠، ١٣٢)، ومذاهب البقية في: المغني (١٨/ ٣٢٢).

(٧) انظر: الاستذكار (٨/ ١٣٦).

وإن قتله على حد ما يرمي أو يضرب[1] فيقتله، ففيه في المذهب قولان: يقتل به، ولا يقتل وتغلظ الدية[2].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ فيه أربع تأْويلات[3]:

أحدها أن (مَنْ) يراد بها القاتل و﴿عُفِيَ﴾ يتضمن عافياً هو ولي الدم والأخ هو المقتول، ويصح أن يكون هو الوليَّ على هذا التأويل، وهي أُخُوَّة الإسلام، و﴿شَيْءٌ﴾ هو الدم الذي يُعفى عنه ويُرجَع إلى أخذ الدية، هذا قول ابن عباس وجماعة من العلماء، والعفو في هذا القول على بابه والضميران راجعان على (مَنْ) في كل تأويل.

والتأويل الثاني وهو قول مالك: أن (مَنْ) يراد بها الولي، و﴿عُفِيَ﴾ بمعنى: يُسِّرَ، لا على بابها في العفو، والأخ يراد به القاتل، و﴿شَيْءٌ﴾ هي الدية، والأخوة / [١١٤]
على هذا أخوة الإسلام، ويحتمل أن يراد بالأخ على هذا التأويل المقتول أي يُسِّر له من قِبل أخيه المقتول وبسببه، فتكون الأخوة أخوة قرابة وإسلام.

وعلى هذا التأويل قال مالك رحمه الله: إن الولي إذا جنح إلى العفو على أخذ الدية فإن القاتل مُخَيَّر بين أن يعطيها أو يسلم نفسه فمرةً تيسَّر ومرةً لا تيسر، وغير مالك يقول: إذا رضي الأولياء بالدية فلا خيار للقاتل بل تلزمه، وقد رُوي أيضاً هذا القول عن مالك ورجحه كثير من أصحابه[4].

والتأويل الثالث: أن هذه الألفاظ في المعيَّنين الذين نزلت فيهم الآية كلها وتساقطوا الديات فيما بينهم مقاصة حسبما ذكرناه آنفاً، فمعنى الآية: فمن فضَل له من الطائفتين على الأخرى شيء من تلك الديات، ويكون ﴿عُفِيَ﴾ بمعنى فضل، من قولهم: عفا الشيء، إذا كثر، أي: أفضلت الحال له أو الحساب أو القدر.

---

(١) زاد في السليمانية: «أو يقتل».

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٢٥٠).

(٣) نقلها القرطبي وزاد عليها خامساً، انظره (٢/ ٢٥٣).

(٤) انظر: الاستذكار (٨/ ٤٨).

والتأويل الرابع هو على قول علي رضي الله عنه والحسن بن أبي الحسن في الفضل بين دية المرأة والرجل والحر والعبد، أي: من كان له ذلك الفضل فاتباع بالمعروف.

و﴿عُفِيَ﴾ في هذا الموضع أيضاً بمعنى أفضل[1]، وكأن الآية من أولها بينت الحكم إذا لم تتداخل الأنواع، ثم الحكم إذا تداخلت.

و﴿شَيْءٌ﴾: في هذه الآية مفعول لم يُسَمَّ فاعله، وجاز ذلك ـ و﴿عُفِيَ﴾ لا يتعدى الماضي الذي بنيت منه ـ مِنْ حَيْثُ يُقَدر ﴿شَيْءٌ﴾ تقدير المصدر، كأن الكلام: عفي له من أخيه عفوٌ، و﴿شَيْءٌ﴾ اسم عام لهذا وغيره، أو من حيث تقدر ﴿عُفِيَ﴾ بمعنى ترك فتعمل عملها، والأول أجود، وله نظائر في كتاب الله، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾ [هود: ٥٧]، قال الأخفش: التقدير: لا تضرونه ضرّاً[2]، ومن ذلك قول أبي خراش:

فَعَاديتُ شَيْئاً والدَّريسُ كأنَّما ... يُزعْزعه وِرْدٌ مِنَ الْمُوم مُردمُ[3] [الطويل]

وقوله تعالى: ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ﴾ رفع على خبر ابتداء مضمر تقديره فالواجب والحكم اتباع، وهذا سبيل الواجبات، كقوله تعالى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وأما المندوب إليه فيأتي منصوباً، كقوله تعالى: ﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤]، وهذه الآية

---

(١) في المطبوع: «فضل».

(٢) لم أجد من نقله عنه غير المؤلف.

(٣) انظر عزوه له في المحكم والمحيط الأعظم (٥/ ٣٦٣)، والأغاني (١٠/ ٢١٣)، والدلائل في غريب الحديث (٢/ ٦٦٤)، والمعاني الكبير في أبيات المعاني (٢/ ٩٠٢)، قال: «وعاديت: صرفت، والدريس هو الثوب الخلَق، يزعزعه: يحركه، وِرد أي: حمّى، والموم: البرسام، مردم: ملازم، وفي المطبوع: «فعاريت»، وفي جار الله: «فناديت»: وفيه أيضاً وفي أحمد٣: «كأنما ينازعه»، وفي هامشهما: «يزعزعه» عليها علامة «ح».

حض من الله تعالى على حسن الاقتضاء من الطالب وحسن القضاء من المؤدي.

وقرأ ابن أبي عبلة: (فاتباعاً) بالنصب[١].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ إشارة إلى ما شرعه لهذه الأمة من أخذ الدية، وكانت بنو إسرائيل لا دية عندهم إنما هو القصاص فقط.

والاعتداءُ المُتَوَعَّد عليه في هذه الآية هو أن يأخذ الرجل دية وليه ثم يَقتلَ القاتلَ بعد سقوط الدم، واختلف في العذاب الأليم الذي يلحقه:

فقال فريق من العلماء منهم مالك[٢]: هو كمن قَتَل ابتداء، إن شاء الولي قتله وإن شاء عفا عنه، وعذابه في الآخرة، وقال قتادة وعكرمة والسدي وغيرهم: عذابه أن يقتل البتة ولا يمكن الحاكمُ الولي من العفو[٣].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «نُقْسِم أن لا يعفى عن رجل عفا عن الدم وأخذ الدية ثم عدا فقتل»[٤].

وقال الحسن: عذابه أن يرد الدية فقط، ويبقى إثمه إلى عذاب الآخرة[٥].

وقال عمر بن عبد العزيز: أمره إلى الإمام يصنع فيه ما رأى[٦].

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٢٥٥)، والشواذ للكرماني (ص: ٨٢)، قال: وكذلك في: «أداء»، وقد ردها الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٤٩) بقوله: ولكن الرفع أجود في العربية، وهو على ما في المصحف وإجماع القراء فلا سبيل إلى غيره.

(٢) كما في: الكافي في فقه أهل المدينة (١/ ٥٩٠)، والشافعي في: الأم (٦/ ٢٥)، وعكرمة والثوري في: الأوسط (١٣/ ١٢٥).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٣٧٨).

(٤) معضل، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٣٧٩) من طريق إسماعيل بن أمية عن الليث ـ غير أنه لم ينسبه وكان ثقة ـ أن النبي أوجب بقسم أو غيره،أن لا يعفى عن رجل عفا عن الدم، وأخذ الدية ثم عدا فقتل»، وهذا إسناد ضعيف لإعضاله.

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٣٨٠).

(٦) المصدر السابق (٣/ ٣٧٩).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ نحوه قول العرب [في مَثَل][(١)]: «القتل أوقى[(٢)] للقتل»[(٣)]، ويروى: أبقى، بباء وقاف، ويروى: [أنفى بنون وفاء][(٤)].

والمعنى: أن القصاص إذا أُقيم وتحقق الحكم به ازدجر من يريد قتل أحد مخافة أن يقتص منه فحَيِيَا بذلك معاً، وهذا الترتيب مما سبق لهما في الأزل، وأيضاً فكانت العرب إذا قتل الرجل الآخر حمي قبيلاهما[(٥)] وتقاتلوا، وكان ذلك داعيةً إلى موت العدد الكثير، فلما شرع الله القصاص قنع الكل به [ووقف][(٦)] عنده وتركوا الاقتتال، فلهم في ذلك حياة.

وخص أُولِي الْأَلْبابِ بالذكر تنبيهاً عليهم، لأنهم العارفون القابلون للأوامر والنواهي، وغيرُهم تبع لهم، و﴿ تَتَّقُونَ ﴾ معناه: القتل فتسلَمون من القصاص ثم يكون ذلك داعية لأنواع التقوى في غير ذلك، فإن الله تعالى يثيب على الطاعة بالطاعة[(٧)].

وقرأ أبو الجوزاءِ أوس بن عبد الله الرَّبعي[(٨)]: (وَلَكُمْ في القَصَص)[(٩)] أي: في كتاب الله الذي شرع فيه القصاص وحكمه، ويحتمل أن يكون مصدراً كالقصاص، أي: إنه قص أثر القاتل قصصاً فقُتل كما قَتل.

---

(١) سقطت من السليمانية وفيض الله وكذا من جار الله لكن ألحقت في هامشه وعليها علامة «خ».

(٢) في أحمد٣ وجار الله: «أنفى».

(٣) الرواية الأشهر للمثل هي: القتل أنفى للقتل، انظر مجمع الأمثال (١/ ١٠٥)، والمثل السائر (٢/ ٢٧٥).

(٤) في جار الله وأحمد٣ بدلا منه: «أوقى».

(٥) في أحمد٣: قتلاهما، وفي نور العثمانية: «قتيلاهما».

(٦) في الحمزوية ونور العثمانية وفيض الله: «ووفقوا».

(٧) «بالطاعة»: سقطت من نور العثمانية.

(٨) هو أبو الجوزاء أوس بن عبد الله الربعي البصري، روى عن: عائشة، وابن عباس، وعبد الله بن عمرو، روى عنه: أبو الأشهب العطاردي، وعمرو بن مالك النكري، وجماعة، وكان قوياً، يقال: قتل في وقعة الجماجم سنة (٨٢هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٢٣٢).

(٩) نقلها عنه ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٩)، والنحاس في إعراب القرآن (١/ ٢٨٢) عنه وعن أبي.

وقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية، كأن الآية متصلة بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ فلذلك سقطت واو العطف، و﴿ كُتِبَ ﴾ معناه: فرض وأثبت، وقال بعض أهل العلم: الوصية فرض(١)، وقال قوم: كانت فرضا ونسخت، وقال فريق: هي مندوب إليها(٢).

و﴿ كُتِبَ ﴾ عامل في رفع ﴿ٱلْوَصِيَّةُ ﴾ على المفعول الذي لم يسم فاعله في بعض التقديرات، وسقطت علامة التأنيث من ﴿ كُتِبَ ﴾ لطول الكلام فحسن سقوطها، وقد حكى سيبويه: قام امرأةٌ(٣)، ولكن حُسْنُ ذلك إنما هو مع طول الحائل.

ولا يصح عند جمهور النحاة أن تعمل ﴿ٱلْوَصِيَّةُ ﴾ في ﴿إِذَا﴾ لأنها في حكم الصلة للمصدر الذي هو ﴿ٱلْوَصِيَّةُ ﴾، وقد تقدمت فلا يجوز أن يعمل فيها متقدمة.

ويتَّجِهُ في إعراب هذه الآية أن يكون ﴿ كُتِبَ ﴾ هو العامل في ﴿إِذَا﴾ والمعنى: توجَّه إيجاب الله عليكم ومقتضى كتابه إذا حضر، فعبر عن توجه الإيجاب بـ﴿ كُتِبَ ﴾ لينتظم إلى هذا المعنى أنه مكتوب في الأزل.

/ و﴿ٱلْوَصِيَّةُ ﴾ مفعول(٤) لم يسم فاعله بـ﴿ كُتِبَ ﴾ وجواب الشرطين ﴿إِذَا﴾ [١١٥] و﴿إِن ﴾ مُقَدَّرٌ، يدل عليه ما تقدم من قوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ ﴾، كما تقول شكرت فعلك إن جئتني إذا كان كذا.

ويتجه في إعرابها أن يكون التقدير: كتب عليكم الإيصاء، ويكون هذا الإيصاء المقدر الذي يدل عليه ذكر الوصية بعد هو العامل في ﴿إِذَا﴾، وترتفع ﴿ٱلْوَصِيَّةُ ﴾ بالابتداء [وفيه جواب الشرطين على نحو ما أنشد سيبويه:

مَنْ يَفْعَلِ الصَّالِحَاتِ الله يحفَظُهَا(٥) .... [البسيط]

---

(١) انظر: الاستذكار (٧/ ٢٦٠).

(٢) انظر: الاستذكار (٧/ ٢٦٣)، في أحمد٣: «قوم»، بدل «فريق».

(٣) نقله عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٥٨).

(٤) في نور العثمانية: زيادة: ما، هنا.

(٥) وتمامه: والشرُّ بالشرِّ عِند الله مثلانِ، الكتاب لسيبويه (٣/ ٦٤)، وعزاه لحسان بن ثابت، =

أو يكون رفعها بالابتداء][(١)] بتقدير: فَعَلَيْهِ الوصيةُ، أو بتقدير الفاءِ فقط، كأنه قيل: فالوصية للوالدين.

ويتجه في إعرابها أن تكون ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ مرتفعة بـ﴿كُتِبَ﴾ على المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله، وتكون ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ هي العامل في ﴿إِذَا﴾، وهذا على مذهب أبي الحسن الأخفش فإنه يجيز أن يتقدم ما في الصلة الموصول بشرطين هما في هذه الآية:

أحدهما: أن يكون الموصول ليس بموصول محض بل يشبه الموصول، وذلك كالألف واللام حيث توصَل، أو كالمصدر، وهذا في الآية مصدر وهو ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾.

والشرط الثاني: أن يكون المتقدم ظرفاً، فإن في الظرف يسهل الاتساع، و﴿إِذَا﴾ ظرف وهذا هو رأْي أبي الحسن في قول الشاعر:

[الطويل] تَقُولُ وَصَكَّتْ وجْهَهَا بيَمِينِها أَبَعْلِي هَذَا بالرَّحَا المُتَقَاعِسُ[(٢)]

= والرواية فيه وفي المصادر «يشكرها» بدل «يحفظها»، ونسبه المبرد في المقتضب (٢/ ٧٢) لابنه عبد الرحمن ابن حسان، وقال البغدادي في خزانة الأدب (٩/ ٥١) «نسبه سيبويه وخَدَمته لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت رضي الله عنه، ورواه جماعة لكعب بن مالك الأنصاري» فلعل نسخته من الكتاب مخالفة لما مر، قال في حاشية المطبوع: «في بعض النسخ: الحسنات»، وفي جار الله: «يشكرها»، وفي نور العثمانية وفيض الله وأحمد٣: «يحفظه».

(١) ساقط من السليمانية.

(٢) البيت لهُذْلول بن كعب العنبري كما في ديوان الحماسة (١/ ٢٨٩) من أبيات انظر بقيتها وسببها وشرحها في شرح الحماسة (١/ ٢١٣)، ونسب الأبيات المبرد في الكامل (١/ ٣٣) لأعرابي من بني سعد بن زيد مناة تميم، وكناه ابن عبد ربه في العقد الفريد (١/ ١٠٤) أبا محلِّم السعدي، وجاء في تاج العروس (٢١/ ٨٢) ولسان العرب (٨/ ١٢٢) أن ابن بري أنشد البيت الثالث منها (ألست أرد القرن يركب ردعه، وفيه سنان ذو غرارين نائس) لنعيم بن الحارث بن يزيد السعدي، وأورد القصة الخالديان في الأشباه والنظائر (١/ ١٣٢) للحارث بن بدر.

فإنه يرى أن «بالرحا» متعلق بقوله: «المتقاعس»[١]، كأنه قال: أبعلي هذا المتقاعسُ بالرحا، وجواب الشرطين في هذا القول كما ذكرناه في القول الأول.

وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا حَضَرَ﴾ مجاز؛ لأن المعنى: إذا تُخوِّف وحضرت علاماته، والخير في هذه الآية المال.

واختلف موجبو الوصية في القدر الذي تجب منه، فقال الزهري وغيره: تجب فيما قلَّ وفيما كثر، وقال النخعي: تجب في خمس مئة درهم فصاعداً، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقتادة: في ألف فصاعداً[٢].

واختلف العلماء في هذه الآية، فقال فريق: هي محكمة ظاهرها العموم ومعناها الخصوص في الوالدين اللذَيْن لا يرثان كالكافرَيْن والعبدَيْن، وفي القرابة غير الوارثة[٣].

وقال ابن عباس[٤] والحسن وقتادة: الآية عامة وتقرر الحكم بها برهة، ونسخ منها كل من يرث بآية الفرائض[٥]، وفي هذه العبارة يدخل قول ابن عباس والحسن وغيرهما: إنه نسخ منها الوالدان وثبت الأقربون الذين لا يرثون[٦]، وبيَّنَ أن آية الفرائض في سورة النساء ناسخة لهذا: الحديث المتواتر: «إن الله قد أعطى كلَّ ذي حق حقَّه فلا وصية لوارث»[٧].

---

(١) نقله عنه المبرد في الكامل في اللغة والأدب (١/ ٣٦).
(٢) انظر: المجموع شرح المهذب (١٥/ ٣٩٨)، والاستذكار (٧/ ٢٦٣).
(٣) تفسير الطبري (٣/ ٣٨٧ و٣٨٨).
(٤) أخرجه الطبري (٣/ ٣٣٦) بإسناد ضعيف.
(٥) تفسير الطبري (٣/ ٣٨٨).
(٦) المصدر السابق (٣/ ٣٨٩).
(٧) سبق تخريجه في الآية (١٠٥) من هذه السورة.

وقال ابن عمر وابن عباس أيضاً وابن زيد: «الآية كلها منسوخة، وبقيت الوصية ندباً»[١]، ونحو هذا قول مالك رحمه الله[٢]، وقال الربيع بن خثيم وغيره: «لا وصية لوارث[٣]».

وقال عَزْرةُ بن ثابت[٤] للربيع بن خُثيم: «أوص لي بمصحفك»، فنظر الربيع إلى ولده وقرأ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾[٥]، ونحو هذا صنع ابن عمر رضي الله عنه[٦].

وقال بعض أهل العلم: إن الناسخ لهذه الآية هي السنة المتواترة في الحديث المذكور قبل، وقد تقدم توجيه نسخ السنة للكتاب في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦].

وقال قوم من العلماء: الوصية للقرابة أولى، فإن كانت لأجنبي فمعهم، ولا تجوز لغيرهم مع تركهم[٧]، وقال الناس حين مات أبو العالية: عجباً له، أعتقته امرأة

(١) النسخ صحيح عن ابن عباس، أثر ابن عباس أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧٤٧) وفيه نسخ الوصية للوالدين دون قوله: وبقيت الوصية ندباً، وأثر ابن عمر أخرجه البيهقي في السنن (٦/ ٢٦٥) بإسناد لين.

(٢) انظر: الاستذكار (٧/ ٢٦٣).

(٣) لوارث: سقطت من نور العثمانية.

(٤) في جار الله وفيض الله: «عروة»، وهو خطأ، وهو عزرة بن ثابت بن أبي يزيد الأنصاري البصري، من الطبقة ١٦، روى عن علباء بن أحمر وعمرو بن دينار وقتادة وعدة، وعنه عبد الوارث ووكيع وخلق، وثقه ابن معين وأبو داود. تاريخ الإسلام (٩/ ٥٢٤).

(٥) الأحزاب: ٦، تفسير الطبري (٣/ ٣٩٢).

(٦) إسناده صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٣٩٢) من طريق: ابن علية قال، حدثنا أيوب، عن نافع: أن ابن عمر لم يُوصِ، وقال: «أما مالي فالله أعلم ما كنت أصنع فيه في الحياة،وأما رباعي فما أحب أن يشرك ولدي أحد» وإسناده صحيح.

(٧) انظر: الاستذكار (٧/ ٢٦٥).

من رياح، وأوصى بماله لبني هاشم، وقال الشعبي: لم يكن ذلك له ولا كرامة. وقال طاوس[١]: إذا أوصى لغير قرابته ردت الوصية إلى قرابته ونُقِضَ فعله، وقاله جابر بن زيد[٢].

وقال الحسن وجابر بن زيد أيضاً وعبد الملك بن يَعْلَى[٣]: يبقى ثلث الوصية حيث جعلها ويُرد ثلثاها إلى قرابته[٤].

وقال مالك رحمه الله وجماعة من العلماء: الوصية ماضية حيث جعلها الميت[٥].

والأقربون: جمع أقرب، و﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ معناه: بالقصد الذي تعرفه النفوس دون إضرار بالورثة ولا تنزير[٦] للوصية.

و﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكِّد، وخص المتقون بالذكر تشريفاً للرتبة ليتبارى الناس إليها.

---

(١) هو طاوس بن كيسان، أبو عبد الرحمن اليماني الجندي أحد الأعلام، سمع: زيد بن ثابت، وعائشة، وأبا هريرة، وابن عباس، وزيد بن أرقم، وعنه: ابنه عبد الله، والزهري، وإبراهيم بن ميسرة، وطائفة، توفي سنة (١٠٦هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ١١٦).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٣٨٨)، وهو أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي اليحمدي مولاهم البصري، كان من كبار أصحاب ابن عباس، وكان من المجتهدين في العبادة، عالم العراق ومفتيهم توفي سنة (٩٣هـ)، أو بعدها. تاريخ الإسلام (٦/ ٥٢٤).

(٣) عبد الملك بن يعلى الليثي قاضي البصرة، روى عن أبيه، وعن رجل صحابي من قومه، وعن عمران ابن حصين، وعن محمد بن عمران بن حصين، وعنه: قتادة، وأيوب السختياني، وحميد الطويل، وجماعة توفي سنة (١٠٠هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٤٢٠).

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٣٨٧).

(٥) انظر: الاستذكار (٧/ ٢٦٥)، والمحلى (٩/ ٣١٥).

(٦) في هامش فيض الله: «صوابه تبذير»، وفي نور العثمانية: «تنزر».

قوله عز وجل: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾.

الضمير في ﴿بَدَّلَهُۥ﴾ عائد على الإيصاء وأمر الميت وكذلك في ﴿سَمِعَهُۥ﴾، ويحتمل أن يعود الذي في ﴿سَمِعَهُۥ﴾ على أمر الله تعالى في هذه الآية، والقول الأول أسبق للناظر، لكن في ضمنه أن يكون المبدل عالماً بالنهي عامداً لخلافه.

والضمير في ﴿إِثْمُهُۥ﴾ عائد على التبديل، و﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ صفتان لا يخفى معهما شيءٌ من جَنَف المُوصين وتبديل المتعدين.

وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: ﴿من مُوَصٍّ﴾ بفتح الواو وتشديد الصاد، وقرأ الباقون بسكون الواو(١).

والجنف: الميل، وقال الأعشى:

[الطويل] تَجَانَفُ عن حَجْرِ اليَمَامَةِ ناقَتِي ... ومَا قَصَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا لِسِوَائِكا(٢)

وقال عامر الرام الخضري(٣) المحاربي:

---

(١) التيسير فى القراءات السبع للداني (ص: ٧٩)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٧٦).

(٢) عزاه له سيبويه في الكتاب (١/ ٤٠٨)، والمبرد في الكامل (٤/ ٨)، والزمخشري في أساس البلاغة (١/ ١٠٢) وابن سيده في المخصص (٤/ ٤٥٣)، والأزهري في تهذيب اللغة (١٣/ ٨٧)، والجوهري في الصحاح (٦/ ٢٣٨٤)، وفي رواية «جو اليمامة»، وبلاد الجو تنسب إليها فيقال: «جو اليمامة» وفي رواية: «جل اليمامة»، أي: عن جل أهل اليمامة. والبيت في قصيدة طويلة يمدح هوذة ابن علي الحنفي.

(٣) في نور العثمانية وفيض الله: «الحضرمي»، وفي جار الله: «الراعي»، وعامر هذا صحابي له رواية، قال في الإصابة (٣/ ٦٠٦): هو من ولد مالك بن طريف بن خلف بن محارب، وكان يقال لولد =

هُمُ المَولىٰ وَقَدْ جَنَفُوا عَلَيْنَا   وإنَّا مِنْ عَدَاوَتِهِمْ لَزُورُ[١]   [الوافر]

ومعنى الآية على ما قال مجاهد: من خشي أن يحيف الموصي / ، ويقطع [١١٦] ميراث طائفة، ويتعمد الإذاية، أو يأتيها دون تعمد وذلك هو الجنف دون إثم [وإذا تعمد فهو الجنف في إثم][٢]، فالمعنى: من وعظه في ذلك ورده عنه [فصلح][٣] بذلك ما بينه وبين ورثته وما بين الورثة في ذاتهم فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ عن الموصي إذا عملت فيه الموعظة ورجع عما أراد من الإذاية ﴿رَّحِيمٌ﴾ به.

وقال ابن عباس رضي الله عنه[٤] وقتادة، والربيع: معنى الآية: (من خاف) ـ أي: علم ورأى وأتى علمه عليه ـ بعد موت الموصي أن الموصي حاف وجَنِف وتعمد إذاية بعض ورثته، فأصلح ما وقع بين الورثة من الاضطراب والشقاق ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[٥]، أي: لا يلحقه إثم المُبَدِّل المذكور قبلُ، وإن كان في فعله تبديل [ما ولا بد، لكنه تبديل][٦] لمصلحة، والتبديل الذي فيه الإثم إنما هو تبديل الهوى.

وقرأ عبد الله بن عمر رضي الله عنه: (فلَإثم عليه) بحذف الألف[٧].

و﴿كُتِبَ﴾: معناه فُرِضَ، والصِّيَامُ في اللغة: الإمساك وترك التنقل من حال إلى حال، ومنه قول النابغة:

= مالك: الخضر، لأنه كان شديد الأدمة، وكان عامر رامياً حسن الرمي، فلذلك قيل له: الرامي، وكان شاعراً، ويقال له: عامر الرام بحذف الياء تخفيفاً كما في مشكاة المصابيح مع شرحه (٨/ ٢٢٥).

(١) عزاه له في مجاز القرآن ١/ ٦٦)، ولسان العرب (١٥/ ٤٠٨)، وسمياه عامر الخصفي، ومحارب هو ابن خصفة، وروايته: «من لقائهم».

(٢) ساقط من نور العثمانية، وانظر تفسير الطبري (٣/ ٤٠٠).

(٣) في المطبوع: «فأصلح».

(٤) أخرجه الطبري (٣/ ٤٠٠) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٤٠١)، بمعناه عنهما.

(٦) ساقط من جار الله.

(٧) عزاها له تفسير الثعلبي (٢/ ٦١)، والمحتسب لابن جني (١/ ١٢٠).

[البسيط] خَيْلٌ صِيَامٌ وخَيْلٌ غَيرِ صائِمَةٍ تَحْتَ العَجَاجِ، وخَيْلٌ تعلُكُ اللُّجُمَا[(١)]

أي: خيل ثابتة ممسكة، ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦] أي إمساكا عن الكلام، ومنه قول امرئ القيس:

[الطويل] كَأَنَّ الثُّرَيا عُلِّقَتْ في مَصَامِهَا[(٢)] ....

أي: في موضع ثبوتها وامتساكها[(٣)]، ومنه قوله:

[الطويل] فَدَعْ ذَا وَسَلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ ذَمُول إذا صَامَ النَّهَارُ وهَجَّرَا[(٤)]

أي: وقفت الشمس عن الانتقال وثبتت.

والصيام في الشرع: إمساك عن الطعام والشراب مقترنة به قرائن من مراعاة أوقات وغير ذلك، فهو من مجمل القرآن في قول الحذاق.

والكاف من قوله: ﴿كَمَا﴾ في موضع نصب على النعت، تقديره: كتباً كما، أو صوماً كما، أو على الحال كأن الكلام: كتب عليكم الصيام مشبِها ما كتب على الذين من قبلكم.

وقال بعض النحاة: الكاف في موضع رفع على النعت لـ﴿ٱلصِّيَامُ﴾ إذ ليس تعريفه بمحض لمكان الإجمال الذي فيه مما فسرته الشريعة، فلذلك جاز نعته بـ﴿كَمَا﴾

---

(١) عزاه له الثعلبي (٢/ ٦١)، والطبري (٣/ ٤٠٩)، وأبو عبيدة في مجاز القرآن (٢/ ٦)، وابن دريد في جمهرة اللغة (٢/ ٨٩٩).

(٢) وعجزه: بأمراس كتان إلى صُم جندلِ، وهو من معلقته المشهورة: قفا نبك، عزاه الكامل للمبرد (٣/ ٦٧)، والموشح في مآخذ العلماء على الشعراء (ص: ٢٨)، وشرح المعلقات التسع (ص: ١٥٧)، وغيرها، ومصامها: موضعها ومكانها، وفي رواية: «مصابها» والمعنى واحد، وأمراس كتان هي: حبال محكمة الفتل مصنوعة من الكتان.

(٣) في الحمزوية: «وإمساكها»، وهي محتملة في السليمانية وجار الله.

(٤) هو لامرئ القيس من قصيدة قالها عند ذهابه إلى قيصر ملك الروم يستجير به، انظر عزوه له في تفسير الثعلبي (٢/ ٦٢)، وأساس البلاغة (١/ ٩٣)، ومعجم مقاييس اللغة (٣/ ٣٢٣)، والكامل للمبرد (٣/ ٦٧)، والجسرة: الناقة العظيمة، والذمول: التي تسير سيراً ليناً.

إذ لا تنعت بها إلا النكرات، فهو بمنزلة: كتب عليكم صيام [١]، وقد ضعف هذا القول.

واختلف المتأولون في موضع التشبيه، فقال الشعبي وغيره: المعنى: كتب عليكم رمضان كما كتب على النصارى، قال: فإنه كتب عليهم رمضان فبدلوه لأنهم احتاطوا له بزيادة يوم في أوله، ويوم في آخره، قرناً بعد قرن، حتى بلَّغوه خمسين يوماً، فصعب عليهم في الحر فنقلوه إلى الفصل الشمسي [٢].

قال النقاش: وفي ذلك حديث عن دَغْفَل بن حنظلة [٣] والحسن البصري والسدي [٤].

وقيل: بل مرض ملك من ملوكهم فنذر إن برئ أن يزيد فيه عشرة أيام، ثم آخر سبعة، ثم آخر ثلاثة، ورأوا أن الزيادة فيه حسنة بإزاءِ الخطأ في نقله.

وقال السدي والربيع: التشبيه هو أن من الإفطار إلى مثله لا يأْكل ولا يشرب ولا يطأُ، فإذا حان الإفطار فلا يفعل هذه الأشياءَ مَن نام [٥].

وكذلك كان في النصارى أولاً، وكان في أول الإسلام، ثم نسخه الله بسبب عمر وقيس بن صِرْمةَ بما يأتي من الآيات في ذلك.

وقال عطاء: التشبيه: كتب عليكم الصيام ثلاثة أيام من كل شهر، قال القاضي أبو محمد: وفي بعض الطرق: ويوم عاشوراء، كما كتب على الذين من قبلكم ثلاثة أيام من كل شهر ويوم عاشوراء، ثم نسخ هذا في هذه الأمة بشهر رمضان [٦].

---

(١) نقله القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٧٤).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٤١٠)، وفي المطبوع: «الشتوي»، بدل «الشمسي».

(٣) دغفل بن حنظلة الشيباني الذهلي، النسابة، وقال أحمد بن حنبل: لا أرى له صحبة، توفي في دهر معاوية، وكان له علم ورواية للنسب، وقيل: إنه غرق في «يوم دولاب» في قتال الخوارج، وكان ذلك سنة (٧٠هـ). تاريخ الإسلام (٤/ ٢٠٣)، والإصابة (٢/ ٣٢٥).

(٤) نقله القرطبي (٢/ ٢٧٥).

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٤١١ و٤١٢).

(٦) المصدر السابق (٣/ ٤١٤).

وقالت فرقة: التشبيه كتب عليكم كصيام بالإطلاق، أي: قد تقدم في شرع غيركم، فـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ عام في النصارى وغيرهم، و﴿لَعَلَّكُمْ﴾ ترجٍّ في حقهم.

و﴿تَتَّقُونَ﴾ قال السدي: معناه: تتقون الأكل والشرب والوطء بعد النوم على قول من تأول ذلك[١]، وقيل: تتقون[٢] على العموم، لأن الصيام كما قال عليه السلام: «جُنة»[٣] و«وجاء»[٤] وسبب تقوى، لأنه يميت الشهوات[٥].

و﴿أَيَّامًا﴾ مفعول ثان بـ﴿كُتِبَ﴾، قاله الفراء[٦]، وقيل: هي نصب على الظرف، وقيل: نصبها بـ﴿ٱلصِّيَامُ﴾، وهذا لا يحسن إلا على أن يعمل الصيام في الكاف من ﴿كَمَا﴾ على قول من قدر: صوماً كما، وإذا لم يعمل في الكاف [قبح][٧] الفصل بين المصدر وبين ما عمل فيه بما عَمِل فيه غيره، وذلك إذا كان العامل في الكاف ﴿كُتِبَ﴾، وجوز بعضهم أن يكون ﴿أَيَّامًا﴾ ظرفاً يعمل فيه ﴿ٱلصِّيَامُ﴾.

و﴿مَّعۡدُودَٰتٍ﴾؛ قيل: رمضان، وقيل: الثلاثة الأيام.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾، التقدير: فأفطر ﴿فَعِدَّةٌ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، وهذا يسمونه فحوى الخطاب.

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٤١٣).

(٢) في الحمزوية: «معناه».

(٣) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٨٩٤،١٩٠٤) ومسلم (١١٥١) وهو جزء من حديث أبي هريرة.

(٤) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٩٠٥، ٥٠٦٥، ٥٠٦٦) ومسلم (١٤٠٠) وهو جزء من حديث ابن مسعود.

(٥) تفسير السمعاني (١/ ١٧٩)، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٥٨٧).

(٦) ولفظه في معاني القرآن (١/ ١٠٠): «كلّ ما لم تسمِّ فاعله إذا كان فيها اسمان أحدهما غير صاحبه رفعت واحداً ونصبت الآخر».

(٧) في الحمزوية: «صح».

واختلف العلماء في حد المرض الذي يقع به الفطر:

فقال قوم: متى حصل الإنسان في [حالٍ يستحق بها][(١)] اسم المريض صح الفطر، قياساً على المسافر أنه يفطر لعلة السفر وإن لم تَدْعُه إلى الفطر ضرورة، وقاله ابن سيرين[(٢)].

وقال جمهور من العلماء: إذا كان به مرض يؤذيه ويؤلمه، أو يخاف تماديه، أو يخاف من الصوم تزيُّده صح له الفطر، وهذا مذهب حذاق أصحاب مالك رحمه الله، وبه يناظرون[(٣)]، وأما لفظ مالك فهو: المرض الذي يشق على المرء ويبلغ به[(٤)].

وقال الحسن: إذا لم يقدر من المرض على الصلاة قائماً أفطر.

وقالت فرقة: لا يفطر بالمرض إلا من دعته ضرورة المرض نفسه إلى الفطر، ومتى احتمل الضرورة معه لم[(٥)] يفطر، وهذا قول الشافعي رحمه الله[(٦)].

واختلف العلماء في الأفضل من الفطر أو الصوم في السفر، فقال قوم والشافعي ومالك في بعض ما روي عنه: الصوم أفضل لِمَن قَوِيَ[(٧)] / ، وجُلُّ مذهب مالك التخيير[(٨)]. [١١٧]

وقال ابن عباس وابن عمر وغيرهما: الفطر أفضل، وقال مجاهد وعمر بن عبد العزيز وغيرهما: أيسرهما أفضلهما، وكره ابن حنبل وغيره الصوم في السفر.

---

(١) في أحمد٣ وجار الله: «حد المرض الذي يقع به استحقاق».
(٢) انظر: القوانين الفقهية (ص: ٨٢).
(٣) انظر: مواهب الجليل للحطاب (٣/ ٣٨٢).
(٤) انظر: الموطأ (١/ ٣٠٢).
(٥) سقطت «لم» من نور العثمانية.
(٦) انظر: المجموع شرح المهذب (٦/ ٢٥٨).
(٧) انظر: الاستذكار (٣/ ٣٠٣).
(٨) المصدر السابق (٢/ ٢٢٥).

وقال ابن عمر: «من صام في السفر قضى في الحضر»، وهو مذهب عمر رضي الله عنه[١]، ومذهبُ مالك في استحبابه الصوم لمن قدر عليه وتقصير الصلاة حسنٌ، لأن الذمة تبرأ في رخصة الصلاة وهي مشغولة في أمر الصيام، والصواب المبادرة بالأعمال.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: «الفطر في السفر عَزْمَة»[٢].

وذهب أنس بن مالك إلى الصوم، وقال: «إنما نزلت الرخصة ونحن جياع نروح إلى جوع، [ونغدو إلى جوع][٣]».

والسفر: سفر الطاعة كالحج والجهاد بإجماع، ويتصل بهذين سفر صلة الرحم وطلب المعاش الضروري.

أما سفر التجارة والمباحات فمختلف فيه بالمنع والجواز، والقول بالجواز أرجح[٤]، وأما سفر المعاصي فمختلف فيه بالجواز والمنع، والقول بالمنع أرجح[٥].

---

(١) انظر: المحلى (٦/ ٢٥٦).

(٢) إسناده صحيح إذا سلم من تدليس قتادة، هذا الأثر أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٣١) والطبري (٣/ ٤٦٠) من طريق جماعة ـ منهم: ابن علية ـ عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن جابر بن زيد أبي الشعثاء، عن ابن عباس، وهو إسناد صحيح لو سمعه قتادة من أبي الشعثاء.

(٣) صحيح، هذا الأثر أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٣٢) والطحاوي في شرح معاني الآثار (٢/ ٦٧) وغيرهم من طرق عن عاصم الأحول قال: سئل أنس عن الصوم في السفر فقال: الصوم أفضل. وجاء عند الطحاوي: سألت أنس بن مالك، وأخرج النسائي في الكبرى (١١٠٢٠) بإسناد فيه خيثمة بن أبي خيثمة عن أنس بن مالك: في صوم رمضان في السفر قلت: فأين هذه الآية ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾؟ قال: إنها نزلت يوم نزلت ـ يعني على النبي ﷺ ـ ونحن نرتحل جياعاً وننزل على غير شبع، واليوم نرتحل شباعاً وننزل على شبع. وخيثمة لينه ابن معين، وقوله: ونغدو إلى جوع زيادة من المطبوع.

(٤) نقل ابن المنذر في: الأوسط (٤/ ٣٩٦-٣٩٩) إجماع عوام أهل العلم عليه، ولم يذكر مخالفاً لهم إلا عطاء.

(٥) انظر: المنتقى شرح الموطأ (١/ ٣٤٧)، والمجموع شرح المهذب (٤/ ٣٤٦).

ومسافة سفر الفطر عند مالك حيث تقصر الصلاة[١].

واختلف في قدر ذلك:

فقال مالك: يوم وليلة، ثم رجع فقال: ثمانية وأربعون ميلاً، وروي عنه: يومان[٢]، وروي عنه في «العُتْبية»: خمسة وأربعون ميلًا[٣]، وفي «المبسوط»: أربعون ميلاً، وفي المذهب: ستة وثلاثون ميلاً[٤]، وفيه: ثلاثون[٥].

وقال ابن عمر وابن عباس والثوري: الفطر في سفر ثلاثة أيام[٦].

وفي غير المذهب: يقصر في ثلاثة أميال فصاعداً[٧].

وقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ﴾ مرفوع على خبر الابتداء، تقديره: فالحكم ـ أو فالواجب ـ عدة، ويصح أن يرتفع على ابتداء والخبر بعده، والتقدير: فعدة أمثلُ له، ويصح: فعليه عدة، واختلف في وجوب تتابعها على قولين[٨].

و«أُخَر» لا ينصرف عند سيبويه؛ لأنه معدول عن الألف واللام؛ لأن هذا البناء إنما يأتي بالألف واللام كما تقول: الفضل والكبر، فاجتمع فيه العدل والصفة[٩]،

---

(١) انظر: التاج والإكليل (٢/ ١٤٦)، وشرح السنة للبغوي (٤/ ١٧٤).

(٢) انظر رواية اليومين في: جامع الأمهات لابن الحاجب (ص: ١١٦)، ومواهب الجليل (٢/ ٤٩٠).

(٣) انظر ما عزاه للعتبية في: النوادر (١/ ٤٢٣).

(٤) انظر عزو هذين القولين في المنتقى شرح الموطأ (١/ ٣٤٩).

(٥) لم أقف عليه، وقد ذكر ابن رشد في البيان والتحصيل (١/ ٤٢٩) في الرجل يخرج إلى ضيعة له منه على ليلتين، أنه وقع في بعض الكتب مكان «على ليلتين»: «على ثلاثين»، وهو خطأ.

(٦) انظر: المجموع شرح المهذب (٤/ ٢٢٥، و٦/ ٢٦٣)، وفي صحيح البخاري: باب في كم يقصر الصلاة:وسمى النبي ﷺ يوماً وليلة سفراً، وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران في أربعة برد، وهي ستة عشر فرسخاً.

(٧) انظر: الاستذكار (٢/ ٢٣٨).

(٨) المصدر السابق (٣/ ٣٤٦).

(٩) الكتاب لسيبويه (٣/ ٢٢٤).

وجاء في الآية: ﴿أُخَرَ﴾، ولم يجئ: أخرى، لئلا تشكل بأنها صفة للعدة، والباب: أن جمع ما لا يعقل يجري في مثل هذا مجرى الواحدة المؤنثة، ومنه قوله تعالى: ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠]، إلى غير ذلك.

وقرأ جمهور الناس: ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ بكسر الطاء وسكون الياء، والأصل: يُطْوِقونه نقلت حركة الواو إلى الطاء وقلبت ياء لانكسار ما قبلها.

وقرأ حميد: (يُطْوِقُونَهُ)(١)، وذلك على الأصل، والقياس الإعلال.

وقرأ ابن عباس: (يُطَوَّقُونَهُ) بمعنى يكلفونه.

وقرأت عائشة وطاوس وعمرو بن دينار(٢): (يَطَّوَّقونه) بفتح الياء وشد الطاء مفتوحة.

وقرأت فرقة: (يُطيَّقونه) بضم الياء وفتح الطاء وشد الياء المفتوحة.

وقرأ ابن عباس: (يَطَّيَّقونه) بفتح الياء وشد الطاء المفتوحة(٣)، وشد الياء المفتوحة(٤) بمعنى يتكلفونه، وحكاها النقاش [وأبو عمرو الداني](٥) عن عكرمة(٦)، وتشديد الياء في هذه اللفظة ضعيف.

وقرأ نافع وابن عامر من طريق ابن ذكوان(٧): ﴿فِدْيَةُ طَعَامِ مَسَاكِينَ﴾ بإضافة الفدية.

---

(١) أي: بسكون الطاء وكسر الواو، لأنها من أطْوَقَ، كقولهم: أطول في أطال، كما في البحر المحيط (٢/ ١٨٨).

(٢) في نور العثمانية: «عمرو بن ذبير»، وهو عمرو بن دينار أبو محمد الجمحي مولاهم المكي الأثرم، أحد أئمة الدين، سمع ابن عباس وابن عمرو جابراً وجماعة، وعنه ابن جريج وشعبة والحمادان والسفيانان وخلق، توفي سنة (١٢٦هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ١٨٦).

(٣) «المفتوحة» زيادة من نور العثمانية.

(٤) انظر القراءات الأربع في المحتسب لابن جني (١/ ١١٨)، وزاد في الأولى مجاهداً وعكرمة، وزاد معهما في الثانية أيوب السختياني، وعطاء، ونسب الثالثة لابن عباس أيضاً، وكلها شاذة.

(٥) زيادة من نور العثمانية وأشار لها في هامش المطبوع، وفي أحمد٣ والسليمانية، بلفظ: «وأبو عمرو»، فقط، وكتب الداني في القراءات الشاذة غير متوفرة، ولم نجد من نقل عنه ذلك غير المؤلف.

(٦) كما تقدم عن المحتسب، وانظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٥٩٥).

(٧) هو عبد الله بن أحمد بن بشر ابن ذكوان أبو محمد القرشي الفهري الدمشقي الإمام الأستاذ =

وقرأ هشام[١] عن ابن عامر: ﴿فدْيَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ بتنوين الفدية.

وقرأ الباقون: ﴿فِدْيَةٌ﴾ بالتنوين ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ بالإفراد[٢]، وهي قراءة حسنة لأنها بيَّنت الحكم في اليوم، وجمع المساكين لا يُدْرَى كم منهم في اليوم إلا من غير الآية.

قال أبو علي: فإن قلت: كيف أفردوا المساكين والمعنى على الكثرة لأن ﴿ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ جمع وكل واحد منهم يلزمه مسكين، فكان الوجه أن يُجمعوا كما جمع المطيقون؟

فالجواب: أن الإفراد حسن لأنه يفهم بالمعنى أن لكل واحد مسكيناً، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤]، فليست الثمانون متفرقة في جميعهم بل لكل واحد ثمانون[٣].

واختلف المتأولون في المراد بالآية:

فقال معاذ بن جبل[٤]، وعلقمة، والنخعي، والحسن البصري، وابن عمر[٥]،

= الشهير الراوي الثقة شيخ الإقراء بالشام وإمام جامع دمشق، توفي سنة (٢٤٢هـ)، وهو أحد راويي قراءة ابن عامر. غاية النهاية (١/ ٤٠٤).

(١) هو هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة، أبو الوليد السلمي الدمشقي، إمام أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم ومفتيهم، وأحد راويي قراءة ابن عامر، توفي سنة (٢٤٥هـ). غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٣٥٤).

(٢) التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٩)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٧٦).

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٧٣).

(٤) حديث معاذ أخرجه أبو داود (٥٠٧) والإمام أحمد في المسند (٣٦/ ٤٣٦) والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٧٥) وغيرهم من طريق المسعودي: حدثني عمرو بن مرة عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن معاذ بن جبل به مطولاً، وأخرجه البيهقي (٤/ ٢٠٠) وأعله بالانقطاع، فقال: هذا مرسل عبد الرحمن لم يدرك معاذ بن جبل.اهـ والحديث وقع في إسناده اختلاف، لكن علق البخاري (١٩٤٨) منه هذا القدر المتعلق بالصوم، ويراجع صحيح أبي داود للألباني (٥٢٤).

(٥) أخرجه البخاري (١٩٤٩) عن ابن عمر أن هذه الآية منسوخة، فقط.

والشعبي، وسلمة بن الأكوع[١] وابن شهاب: كان فرض الصيام هكذا على كل الناس، من أراد صام ومن أراد أطعم مسكيناً وأفطر، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقالت فرقة: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ أي: على الشيوخ والعجَّز الذين يطيقون لكن بتكلف شديد، فأباح الله لهم الفدية والفطر[٢]، وهي محكمة عند قائلي هذا القول، وعلى هذا التأويل تجيء قراءة (يُطَوَّقونه) و(يَطَّوَّقونه).

وقال ابن عباس: نزلت هذه الآية رخصة للشيوخ والعجَّز خاصة إذا أفطروا وهم يطيقون الصوم، ثم نسخت بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾، فزالت الرخصة إلا لمن عجز منهم[٣].

وقال السدي: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ أي: على الذين كانوا يطيقونه وهم بحالة الشباب ثم استحالوا بالشَّيخ فلا يستطيعون الصوم، وهي عنده محكمة، ويلزم الشيوخ عنده الفدية إذا أفطروا، ونحوه عن ابن عباس[٤].

وقال مالك: لا أرى الفدية على الشيخ الضعيف واجبةً، وتستحب لمن قدر عليها[٥]،

(١) أخرجه البخاري (٤٥٠٧) عن سلمة بنحو اللفظ الوارد هنا.

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٤٢٧ - ٤٢٩).

(٣) صحيح دون القول بالنسخ، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢٧٥٣،٢٧٥٢) وابن الجارود في المنتقى (٣٨١) والبيهقي في السنن (٤/ ٢٣٠) من طرق عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن عزرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وفيه القول بالنسخ، لكن روى البخاري (٤٥٠٥) وغيره من طريق: عمرو بن دينار عن عطاء سمع ابن عباس قال: ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكيناً. وهذا أصح إسناداً من الأول.

(٤) ينظر التعليق السابق.

(٥) انظر: الموطأ (٣/ ٤٤١)، وفي أحمد٣ والسليمانية: «قوي»، بدل «قدر»، وكذا في جار الله وفي هامشها «قدر» عليها إشارة «ح».

والآية عنده إنما هي فيمن يدركه رمضان وعليه صوم من المتقدم، فقد كان يطيق في تلك المدة الصوم فتركه فعليه الفدية[١].

وقال الشافعي وأبو حنيفة: على الشيخ العاجز الإطعام[٢].

وحكى الطبري عن عكرمة أنه كان يقرؤها: (وَعَلَى الَّذينَ يُطِيقُونَهَ فَأَفْطَرُوا)[٣].

ومذهب مالك رحمه الله وجماعة من العلماء أن قدر الفدية مد لكل مسكين[٤]، وقال قوم: قوت يوم، وقال قوم: عشاء وسحور[٥]، وقال سفيان الثوري: نصف صاع من قمح أو صاع من تمر أو زبيب[٦].

والضمير/ في ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ عائد على ﴿ٱلصِّيَامُ﴾، وقيل: على الطعام وهو قول [١١٨] ضعيف.

واختلف في الحامل فقال ابن عمر وابن عباس: تفدي[٧] وتفطر ولا قضاء عليها[٨].

وقال الحسن وعطاء والضحاك والزهري وربيعة[٩] ومالك: تقضي الحامل

---

(١) انظر: الاستذكار (٣/ ٣٦٦).

(٢) انظر: ما عزاه للشافعي في: الحاوي للماوردي (٣/ ٧٣٤)، وما عزاه لأبي حنيفة في: الهداية شرح البداية للمرغيناني (١/ ٤٢١).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٤٣٣). وهي على التفسير لمخالفتها سواء المصحف.

(٤) انظر: الاستذكار (٣/ ٣٦٦).

(٥) انظر: شرح السنة للإمام البغوي (٦/ ٣١٨).

(٦) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢/ ٢٣٨).

(٧) في جار الله وفيض الله ونور العثمانية: «تفتدي» في هذه المواضع كلها، والمعنى متقارب.

(٨) صحيح، أخرجه الدارقطني (١١) من طريق سعيد بن جبير عنهما، وصححه، وأخرجه عن ابن عمر: الشافعي في مسنده (٧٣٢) وعبد الرزاق في مصنفه (٧٥٦١) من طريق نافع عنه، وإسناده صحيح، وأخرجه عن ابن عباس: الطبري (٢٧٥٨) وإسناده لا بأس به.

(٩) هو ربيعة الرأي ابن أبي عبد الرحمن، واسم أبي عبد الرحمن فروخ، مولى آل المنكدر التيميين، ويكنى أبا عثمان، وهو شيخ الإمام مالك رحمهما الله تعالى، توفي سنة (١٣٢هـ). الطبقات الكبرى (٥/ ٤١٥).

إذا أفطرت ولا فدية عليها، وقال الشافعي وأحمد بن حنبل ومجاهد: تقضي وتفدي إذا أفطرت.

وكذلك قال مالك في المرضع: إنها إذا أفطرت تقضي وتفدي، هذا هو المشهور عنه[١]، وقال في «مختصر» ابن عبد الحكم: لا إطعام على المرضع[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ الآية، قال ابن عباس[٣] وطاوس وعطاء والسدي: المراد: من أطعم مسكينين فصاعداً، وقال ابن شهاب: من زاد الإطعام على الصوم[٤]، وقال مجاهد: من زاد في الإطعام على المد[٥].

و﴿خَيْرٌ﴾ الثاني صفة تفضيل، وكذلك الثالث، و(خير) الأول قد نزِّل منزلة: مالاً أو نفعاً.

وقرأ أبيّ بن كعب: (والصوم خير لكم)[٦]، بدل: ﴿وَأَن تَصُومُواْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يقتضي الحض على الصوم أي فاعلموا ذلك وصوموا.

قوله عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ

(١) انظر: الاستذكار (٣/ ٣٦٥-٣٦٦).

(٢) انظر: الذخيرة للقرافي (٢/ ٥١٥).

(٣) صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٤٤١) من طريق: عيسى ـ هو الجرشي ـ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وعطاء، ومن طريق: شبل، عن ابن أبي نجيح، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس به، وهو صحيح.

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٤٤٢).

(٥) المصدر السابق (٣/ ٤٤٣).

(٦) البحر المحيط (٢/ ١٩٢). وفي الكشاف للزمخشري (١/ ٢٥٢): أن قراءته: «والصيام خير لكم»، ونقلها أبو حيان أيضاً.

فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾.

(الشهر) مشتق من الاشتهار لأنه مشتهِر لا يتعذر علمُه على أحد يريده.

﴿رَمَضَانَ﴾ علِقه الاسم من مدة كان فيها في الرَّمَض وشدة الحر، وكان اسمه قبل ذلك ناثراً[١]، كما سمي ربيع من مدة الربيع، وجمادى من مدة الجمود، وكره مجاهد أن يقال: رمضان، دون أن يقال: شَهْرُ رَمَضانَ، كما قال الله تعالى، وقال: «لعل[٢] رمضان اسم من أسماء الله عز وجل»[٣].

وقرأ جمهور الناس: ﴿شَهْرُ﴾ بالرفع، ووجهه خبر ابتداء، أي: ذلكم شهر، وقيل: بدل من ﴿ٱلصِّيَامُ﴾، وقيل: على الابتداء وخبره: ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾، وقيل: ابتداء وخبره ﴿فَمَن شَهِدَ﴾، و﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ﴾ نعت له، فمن قال: إن ﴿ٱلصِّيَامُ﴾ في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] هي ثلاثة أيام وعاشوراء، قال هاهنا بالابتداء، ومن قال: إن ﴿ٱلصِّيَامُ﴾ هنالك هو رمضان وهو الأيام المعدودة، قال هنا بخبر الابتداء أو بالبدل من الصيام.

وقرأ مجاهد[٤] وشهر بن حوشب: (شهرَ) بالنصب، ورواها أبو عمارة[٥] عن

---

(١) في الحمزوية: «ياسراً» وفي المطبوع: «ناتقاً»، مع الإشارة إلى النسخة الأخرى، وفي جار الله: «ثائراً».

(٢) ليست في نور العثمانية.

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٤٤٤ و٤٤٥)، وتفسير السمعاني (١/ ١٨١)، والنكت والعيون للماوردي (١/ ٢٤٠).

(٤) في السليمانية: «ابن مجاهد»، وهو خطأ.

(٥) هو حمزة بن القاسم أبو عمارة الأحول الأزدي الكوفي، أخذ القراءة عن حمزة وإسحاق المسيبي والزبير بن عامر عن نافع وحفص وأبي بكر عن عاصم، وعنه الدوري وأبو الحارث وغيرهم، وهو من الطبقة ٢١. غاية النهاية (١/ ٢٦٤)، وتاريخ الإسلام (١٤/ ١٣٣).

حفص عن عاصم، ورواها هارون عن أبي عمرو[١]، وهي على الإغراء، وقيل: نصب بـ﴿تَصُومُواْ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وقيل: نصب على الظرف.

وقرأت فرقة بإدغام الراءِ في الراءِ، وذلك لا تقتضيه الأصول؛ لاجتماع الساكنين فيه[٢].

واختلف في إنزال القرآن فيه، فقال الضحاك: أُنزل في فرضه وتعظيمه والحض عليه[٣]، وقيل: بدئ بنزوله فيه على النبي ﷺ.

وقال ابن عباس فيما يؤثر: «أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة ليلة أربع وعشرين من رمضان، ثم كان جبريل ينزله رسلاً رسلاً في الأوامر والنواهي والأسباب»[٤].

وروى واثلة بن الأسقع[٥] عن النبي ﷺ أنه قال: «نَزَلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ أولَ ليلة مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، والتوراة لستٍّ مَضَيْنَ مِنْهُ، والإِنْجِيلُ لثلاث عشرة، والقرآن لأربع وعِشْرين»[٦].

---

(١) عزاها لمجاهد وشهر: تفسير الثعلبي (٢/ ٦٧)، والهداية لمكي (١/ ٦٠٢)، ولأبي عمارة عن حفص: جامع البيان (٢/ ٩٠٢).

(٢) من «شهر رمضان» والصواب جوازه، وهي رواية السوسي عن أبي عمرو بالإدغام الكبير. التيسير (ص: ١٦).

(٣) لم أجد هذا عنه، وفي تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٣١١) أنه فسره بأنه الَّذِي أَنْزَلَ صَوْمَهُ الْقُرْآنُ.

(٤) إسناده لا بأس به، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٤٤٥) بنحوه من طريق: أبي بكر بن عياش، عن الأعمش، عن حسان بن أبي الأشرَس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به، وحسان وثقه النسائي وابن حبان.

(٥) واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر، من بني ليث بن عبد مناة، كان من أهل الصّفة، ثم نزل الشّام، وشهد فتح دمشق وحمص وغيرهما، قال ابن سميع: مات في خلافة عبد الملك سنة ٨٣هـ، وهو آخر من مات بدمشق من الصّحابة. الإصابة (٦/ ٤٦٢).

(٦) لا يثبت، هذا الحديث أخرجه أحمد (٤/ ١٠٧) والطبراني في الأوسط (٤/ ١١١) وغيرهم من طريق: عمران القطان عن قتادة عن أبي المليح بن أسامة عن واثلة بن الأسقع به مرفوعاً، وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن قتادة إلا عمران القطان، ولا يروى عن رسول الله ﷺ إلا بهذا =

وترك ابن كثير همزة ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾ مع التعريف والتنكير حيث وقع[١]، وقد قيل: إن اشتقاقه على هذه القراءَة من قَرَنَ، وذلك ضعيف.

و ﴿هُدًى﴾ في موضع نصب على الحال من ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾، فالمراد أن القرآن بجملته من محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ هدى، ثم شُرِّفَ بالذكر والتخصيص البينات منه، يعني الحلال والحرام والمواعظ والمحكم كله، فالألف واللام في ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾ للعهد والمراد الأول.

و(الْفُرْقان): المفرق بين الحق والباطل.

و﴿شَهِدَ﴾ بمعنى حضر، و﴿ٱلشَّهْرَ﴾ نصب على الظرف، والتقدير: من حضر المِصر في الشهر.

وقرأ الحسن وعيسى الثقفي والزهري وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو حيوة: (فلِيصمه) بتحريك اللام، وكذلك قرؤوا لام الأمر في جميع القرآن على أصلها الذي هو الكسر[٢].

وقال علي بن أبي طالب وابن عباس وعبيدة السلماني: (من شهد) أي: من حضر دخول الشهر وكان مقيماً في أوله فليكمل صيامه، سافر بعد ذلك أو أقام[٣]، وإنما يفطر في السفر من دخل عليه رمضان وهو في سفر.

= الإسناد. اهـ، وعمران قد تكلم فيه، وليس بحجة، لا سيما إذا انفرد. ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده (٤/ ١٣٥) حدثنا سفيان بن وكيع ثنا أبي عن عبيد الله بن أبي حميد عن أبي المليح ثنا جابر ابن عبد الله فذكره موقوفاً على جابر نحوه. لكن عبيد الله هذا منكر الحديث، فالمحفوظ الأول، قال الحافظ في «المطالب العالية» (١٤/ ٣٥٠): «هذا مقلوب وإنما هو عن واثلة». اهـ.

(١) وهي سبعية متواترة، انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٩).

(٢) انظر عزوها للحسن والأعرج تفسير الثعلبي (٢/ ٧٠)، ولعيسى في مختصر الشواذ (ص: ٢٠)، وللباقين في البحر المحيط (٢/ ١٩٨).

(٣) لا يصح عن علي ولا ابن عباس، هذا الأثر أخرجه عن علي: ابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ١٨) والطبري (٣/ ٤٥٠) من طريق قتادة عنه، ولم يسمع منه، وأثر ابن عباس أخرجه الطبري (٣/ ٤٥٠) بإسناد فيه مبهم.

وقال جمهور الأمة: من شهد أول الشهر أو آخره فليصم ما دام مقيماً[١].

وقال أبو حنيفة وأصحابه: من شهد الشهر بشروط التكليف غيرَ مجنون ولا مغمًى عليه فليصمه، ومن دخل عليه رمضان وهو مجنون وتمادى به طول الشهر فلا قضاء عليه؛ لأنه لم يشهد الشهر بصفة يجب بها الصيام، ومن جُنَّ أول الشهر أو آخِرَه فإنه يقضي أيام جنونه[٢].

قال القاضي أبو محمد: ونصبُ ﴿ٱلشَّهۡرَ﴾ على هذا التأويل هو على المفعول الصريح بـ﴿شَهِدَ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ﴾ بمنزلة: أو مسافراً، فلذلك عطف على اسم.

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع ويحيى بن وثَّاب وابن هرمز وعيسى بن عمر: ﴿اليسُر﴾ و﴿العسُر﴾ بضم السين[٣]، والجمهور: بسكونه.

وقال مجاهد والضحاك بن مزاحم: ﴿ٱلۡيُسۡرَ﴾: الفطر في السفر، و﴿ٱلۡعُسۡرَ﴾: الصوم في السفر[٤]، والوجه عموم اللفظ في جميع أمور الدين، وقد فسر ذلك النبي ﷺ: «دين الله يسر»[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ﴾ معناه: وليُكملَ من أفطر في سفره أو في مرضه عدة الأيام/ التي أفطر فيها. [١١٩]

وقرأ أبو بكر عن عاصم وأبو عمرو في بعض ما روي عنه: ﴿ولِتُكَمِّلُوا﴾ بتشديد الميم، وقد روي عنهما التخفيف كالجماعة[٦].

---

(١) انظر: المجموع شرح المهذب (٦/ ٢٦٣).

(٢) انظر المبسوط للسرخسي (٣/ ٨٧-٨٩).

(٣) انظر قراءة أبي جعفر في تحبير التيسير لابن الجزري (١/ ٣٠٢)، ومختصر الشواذ (ص: ٢٠)، وبقية القراء في البحر المحيط (٢/ ٢٠٠).

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٤٧٦).

(٥) صحيح بنحوه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٣٩) من حديث أبي هريرة بلفظ: «إن الدين يسر..».

(٦) قرأ بالتشديد يعقوب وشعبة عن عاصم فقط بلا خلاف عنهما كما في جميع طرق التيسير =

وهذه اللام متعلقة إما بـ﴿يُرِيدُ﴾ فهي اللام الداخلة على المفعول، كالذي في قولك: ضربت لزيد، المعنى: ويريد إكمال العدة، وهي مع الفعل مقدرة بـ«أن»، كأن الكلام: ويريد لأن تكملوا، هذا قول البصريين، ونحوه قول [كثيِّر أبي صخر](١):

أُرِيدُ لأَنْسَىٰ ذِكْرَهَا............ (٢) .... [الطويل]

وإما بفعل مضمر بعد، تقديره: ولأن تكملوا العدة رخص لكم هذه الرخصة، وهذا قول بعض الكوفيين.

ويحتمل أن تكون هذه اللام لام الأمر، والواو عاطفة جملة كلام على جملة كلام.

وقوله: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ﴾ حض على التكبير في آخر رمضان، واختلف الناس في حدِّه:

فقال ابن عباس: «يُكَبِّرُ المرْءُ مِنْ رُؤْيَةِ الْهِلالِ إلى انقضاءِ الخطبة، ويمسك وقت خروج الإمام وَيُكبِّرُ بتكبيره»(٣)، وقال قوم: يُكَبِّـرُ من رؤْية الهلال إلى خروج

= (ص: ٧٩) والنشر (٢/ ٢٥٨)، ورواية التخفيف عن شعبة من طريق عبيد بن نعيم. جامع البيان (٢/ ٩٠٣)، وفي السبعة لابن مجاهد (١/ ١٧٧): «قال أبو زيد عن أبي عمرو: «ولتكملوا» مشددة ومخففة، وقال اليزيدي وعبد الوارث: إنه كان يثقلها ثم رجع إلى التخفيف».

(١) كذا في جار الله وفيض الله وفي أحمد٣: «قيس كثير أبي صخر» وفي الأصل والسليمانية ونور العثمانية: «قيس»، وفي المطبوع: «أبي صخر»، وهو كثير بن أبي عبد الرحمن المعروف بكثير عزة، ويكنى أبا صخر، تقدمت ترجمته.

(٢) في المطبوع زيادة: «فكأنما»، وتتمته كما سيأتي للمصنف: فكأنما ** تمثل لي ليلى بكل سبيل، انظر نسبته لكثير في المحكم (٩/ ٤٢١)، وسر الفصاحة (١/ ٢٦٠)، والأغاني (٤/ ٢٦٢)، والأمالي في لغة العرب (٢/ ٦٥)، والكامل للمبرد (٣/ ٧٣) وغيرهم. فلعل ذكر قيس في اسم الشاعر خطأ، أو لعله بناء على بعض الروايات الأخرى في البيت، ومنها مثلاً:

أريد لأنسى ذكرها فيهيجُني * نسيمُ الصبا من حيثُ ما يطلعُ الفجْرُ

ومنها:

أريد لأنسى ذكرها فيشوقني * رفاق إلى أرض الحجاز رواجع

(٣) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٢٧٨).

الإمام إلى الصلاة[١]، وقال سفيان: هو التكبير يوم الفطر[٢]، وقال مالك: هو من حينِ [يخرج الرجل من منزله إلى أن][٣] يخرج الإمام[٤].

ولفظه عند مالك وجماعة من العلماء: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر»، ثلاثاً[٥]، ومن العلماء من يكبر ثم يهلل ويسبح أثناء التكبير، ومنهم من يقول: «الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً»، وقد قيل غير هذا[٦]، والجميع حسن واسع مع البدأة بالتكبير.

و﴿هَدَىٰكُمْ﴾: قيل: المراد: لما ضل فيه النصارى من تبديل صيامهم، وتعميم الهدى جيد.

و﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ تَـرَجٍّ في حقِّ الْبشـر، أي: على نعمة الله في الهدى.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ الآية، قال الحسن بن أبي الحسن: سببها أن قوماً قالوا للنبي ﷺ: أقَريبٌ ربُّنَا فنُنَاجيه أم بعيد فَنُنَاديه؟ فنزلت[٧]، وقال عطاء: لما نزلت: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، قال قوم: في أي ساعة ندعو؟ فنزلت: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾، وقال مجاهد: بل قالوا: إلى أين ندعو؟ فنزلت هذه الآية، وقال قتادة: بل قالوا: كيف ندعو؟ فنزلت: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾[٨].

---

(١) انظر: المجموع شرح المهذب (٥/ ٤١).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٤٧٩).
(٣) ساقط من نور العثمانية.
(٤) انظر: المدونة (١/ ٢٤٥).
(٥) انظر قول مالك في: النوادر (١/ ٥٠٦)، وانظر قول غيره في: المغني لابن قدامة (٤/ ٢٦٦).
(٦) انظر: المجموع شرح المهذب (٥/ ٣١).
(٧) ضعيف، هذا مرسل وقد أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة (١/ ٢٧٧) والطبراني في الدعاء (١/ ٢٥) بإسنادين، وكلاهما منقطع. وقد أخرجه الطبري من وجه آخر مرفوعاً (٣/ ٤٨٠) وفيه مجاهيل.
(٨) انظر الأقوال الأربعة في تفسير الطبري (٣/ ٤٨١-٤٨٣).

روي أن المشركين قالوا لما نزل: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾: كيف يكون قريباً وبيننا وبينه على قولك سبع سماوات، في غلظ سُمْكِ كل واحدة خمس مئة عام، وفيما بين كل سماء مثل ذلك؟ فنزلت: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [١] أي: فإني قريب بالإجابة والقدرة.

وقال قوم: المعنى: أجيب إن شئت، وقال قوم: إن الله تعالى يجيب كل الدعاء: فإما أن تظهر الإجابة في الدنيا، وإما أن يكفَّر عنه، وإما أن يُدَّخر له أجر في الآخرة، وهذا بحسب حديث الموطأ: «ما مِنْ دَاعٍ يَدْعُو إلا كان بين إحدى ثلاثٍ»، الحديث[٢].

وهذا إذا كان الدعاء على ما يجب دون اعتداء، فإن الاعتداء في الدعاء ممنوع، قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، قال المفسرون: أي: في الدعاء[٣].

والوصف بمجاب الدعوة: وصف بحسن النظر والبعد عن الاعتداء، والتوفيق من الله تعالى إلى الدعاء في مقدور، وانظر أن أفضل البشر المصطفى محمداً ﷺ قد دعا أن لا يُجعل بأس أمته بينهم، الحديث، فمُنعها[٤]، إذ كان القدر قد سبق بغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى﴾: قال أبو رجاء الخراساني: معناه: [فليدعوا لي][٥]،[٦].

قال القاضي أبو محمد: المعنى: فليطلبوا أن أُجيبهم، وهذا هو باب استفعل، أي: طلب الشيء، إلا ما شذ، مثل: استغنى الله.

---

(١) لم أقف عليه مسنداً.

(٢) مرسل، هذا الحديث أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٧) عن زيد بن أسلم مرسلًا.

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ٤٨٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٠٠).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٩٠) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٥) في الحمزوية: «فليدعوني».

(٦) تفسير الطبري (٣/ ٤٨٤). وأبو رجاء هو عبد الله بن واقد، روى له ابن ماجه، وكان ثقة.

وقال مجاهد وغيره: المعنى: [فليجيبوا لي][١] فيما دعوتهم إليه من الإيمان[٢]، أي: بالطاعة والعمل، ويقال: أجاب واستجاب بمعنى، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] وَدَاعٍ دَعَـا يَا مَنْ يُجِيـبُ إلى النَّدىٰ فَلَـمْ يَسْـتَجِبْهُ عِنْـدَ ذاك مُجِيـبُ[٣]

أي: لم يجبه.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾، قال أبو رجاءٍ[٤]: في أني أُجيب دعاءَهم، وقال غيره: بل ذلك دعاء إلى الإيمان بجملته[٥].

وقرأ الجمهور: ﴿يَرْشُدُونَ﴾ بفتح الياء وضم الشين، وقرأ قوم بضم الياء وفتح الشين، وروي عن ابن أبي عبلة وأبي حيوة فتح الياء وكسر الشين باختلاف عنهما قرأا هذه القراءة، والتي قبلها[٦].

قوله عز وجل: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

(١) في المطبوع: «فليستجيبوا لي»، وفي الحمزوية: «فليجيبوني».
(٢) تفسير الطبري (٣/ ٤٨٣).
(٣) البيت لكعب بن سعد الغنوي كما في تفسير الطبري (٣/ ٤٨٣) وغيره، وقد تقدم في تفسير الآية (١٨).
(٤) في جار الله: «أبو حاتم» وكتب في هامشه: «أبو رجاء» عليها علامتا «صح» و«ح».
(٥) تفسير الطبري (٣/ ٤٨٤).
(٦) تابعه أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٢٠٩)، وعزا كسر الشين لابن أبي عبلة ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٩)، وعزاها لأبي حيوة الكرماني في الشواذ (ص: ٨٤)، وعزا قراءة البناء للمجهول ليزيد ابن قطيب، وفي أحمد٣ هنا كلمة غير واضحة.

لفظة ﴿أُحِلَّ﴾ تقتضي أنه كان محرماً قبل ذلك، و﴿لَيۡلَةَ﴾ نصب على الظرف، وهي اسم جنس فلذلك أفردت، ونحوه قول عامر الرام الخضري[١] المحاربي:

هُمُ المَولىٰ وَقَدْ جَنَفُوا عَلَيْنَا وإنَّا مِنْ عَدَاوَتِهِمْ لَزُور[٢] [الوافر]

والرَّفَثُ: كناية عن الجماع، لأن الله تعالى كريم يكني، قاله ابن عباس والسدي[٣].

وقرأ ابن مسعود: (الرُّفُوث)[٤].

والرَّفَثُ في غير هذا: ما فَحُش من القول، ومنه قول الشاعر:

عن اللَّغَا وَرَفَثِ التَّكَلُّمِ[٥] [الرجز]

وقال أبو إسحاق: الرفث كل ما يأتيه الرجل مع المرأة من قُبل ولمس وجماع[٦].

قال القاضي أبو محمد: أو كلام في هذه المعاني، ومنه قول النبي ﷺ: «مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفثْ ولَمْ يَفسقْ خَرَجَ مِنْ خَطَايَاه[٧] / كَيَوْم وَلَدَتْهُ أُمُّه»[٨]. [١٢٠]

وسبب هذه الآية فيما قال ابن عباس وغيره: أن جماعة من المسلمين اختانوا

---

(١) في فيض الله: «الحضرمي»، وقد تقدم الكلام فيه.

(٢) تقدم تخريجه قريباً في تفسير الآية (١٨٢) من هذه السورة.

(٣) صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٤٨٧) من طريقين عن عاصم ـ هو الأحول ـ، عن بكر بن (جاء في التفسير: عن وهو خطأ) عبد الله المزني، عن ابن عباس، وهو إسناد صحيح، ويشهد له ـ على ضعفهما ـ ما أخرجه الطبري بعد ذلك من طريق: العوفي وعلي بن أبي طلحة مفرقين عنه. وقد روي هذا عن ابن عباس مرفوعاً ولا يصح.

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الطبري (٣/ ٤٨٧)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٧٦)، وتفسير الكشاف (١/ ٢٥٦).

(٥) البيت للعجاج كما في تفسير الثعلبي (٢/ ٧٧)، وتفسير الطبري (٣/ ٤٨٨)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٢٩٩)، ومجاز القرآن (١/ ٧٠)، وإصلاح المنطق (١/ ٩٤)، واللغا هو اللغو بالباطل.

(٦) معاني القرآن للزجاج (١/ ٢٧٠).

(٧) في السليمانية: ذنوبه، وكذا في أحمد٣ وجار الله مع الإشارة إلى النسخة الأخرى في هامشهما.

(٨) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٨٢٠) ومسلم (٣٣٥٧) من حديث أبي هريرة.

أنفسهم وأصابوا النساء بعد النوم، أو بعد صلاة العشاء، على الخلاف، منهم عمر بن الخطاب، جاء إلى امرأته فأرادها، فقالت له: قد نمت، فظن أنها تعتلُّ، فوقع بها ثم تحقق أنها قد كانت نامت(١)، وكان الوطء بعد نوم أحدهما ممنوعاً.

وقال السدي: جرى له هذا في جارية له، قالوا: فذهب عمر فاعتذر عند رسول الله ﷺ، وجرى نحو هذا لكعب بن مالك الأنصاري(٢)، فنزل صدر الآية فيهم، فهي ناسخة للحكم المتقرِّر في منع الوطء بعد النوم(٣)، وحكى النحاس ومكي: أن عمر نام ثم وقع بامرأته(٤)، وهذا عندي بعيد على عمر رضي الله عنه(٥).

وروي أن صِرْمةَ بن قيس، ويقال: صرمة بن مالك، ويقال: أبو أنس قيس بن صرمة، نام قبل الأكل، فبقي [كذلك](٦) دون أكل حتى غُشي(٧) عليه في نهاره المقبل، فنزل فيه من قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾(٨).

---

(١) في أسانيده مقال، هذا الأثر أخرجه بنحوه الطبري (٣/ ٤٩٦) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه أيضاً بالإسناد المشهور عن عطية العوفي عن ابن عباس. وكذا أخرجه أحمد (١٥٢٣٤) (١٥٧٩٥) (١٥٨٣٣) والطبري (٢٩٤١) من حديث كعب بن مالك، وفي إسناده: ابن لهيعة. وجميعها فيها مقال معروف، وروي هذا أيضاً من وجوه أخرى مرسلة.

(٢) كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين، الأنصاري السّلمي، شهد العقبة وبايع بها وتخلّف عن بدر وشهد أحداً وما بعدها، وتخلّف في تبوك، وهو أحد الشعراء المشهورين، وعاش إلى خلافة معاوية، الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٤٥٧).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٦١٩) رواية عن ابن عباس.

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٦١٩)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ١٠١).

(٥) قال الحافظ ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب (١/ ٤٣٦) بعد نقله: قلت: ذكره ابن كثير من طريق موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس، وهذا سند صحيح، ولفظه: فبلغنا أن عمر بن الخطاب بعد ما نام ووجب عليه الصوم وقع على أهله... ولهذه القصة طرق عن ابن عباس في بعضها أن امرأة عمر هي التي نامت. وذكرها.

(٦) في المطبوع: «لذلك».

(٧) في جار الله: «غمي».

(٨) أخرجه البخاري (١٨١٦)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

واللباس أصله في الثياب، ثم شبه التباس الرجل بالمرأة وامتزاجُهما وتلازمهما[١] بذلك، كما قال النابغة الجعدي[٢]:

إِذَا مَا الضَّجِيعُ ثَنَىٰ جِيدَهَا تَدَاعت فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاسا[٣] [المتقارب]

وقال النابغة أيضاً:

لَبِسْتُ أُنَاساً فَأَفْنَيْتُهم وأَفْنَيْتُ بَعْدَ أُناسٍ أُناسا[٤] [المتقارب]

فشبه خِلْطته لهم باللباس، نحا هذا المنحى في تفسير اللباس الربيع وغيره، وقال مجاهد والسدي: لِباسٌ: سكن، أي: يسكن بعضهم إلى بعض[٥]، وإنما سميت هذه الأفعال اختياناً لعاقبة المعصية وجزائها، فراكبها يخون نفسه ويؤذيها.

وَ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾ معناه: من المعصية التي [واقعتموها][٦].

و﴿وَعَفَا عَنكُمۡ﴾: يحتمل أن يريد: عن المعصية بعينها، فيكون ذلك تأْكيداً وتأْنيساً بزيادة على التوبة، ويحتمل أن يريد: عفا عما كان ألزمكم من اجتناب النساءِ فيما يُؤتنف[٧]، بمعنى: تركه لكم، كما تقول: شيء معْفُوٌّ عنه، أي: متروك.

---

(١) سقطت من أحمد٣، وسقط: «بالمرأة» من فيض الله.

(٢) اسمه قيس بن عبد الله الجعدي وقيل غير ذلك، يكنى أبا ليلى، وكان شاعراً مفلقاً عمِّر في الجاهلية والإسلام، وحسن إسلامه، ودعا له النبي ﷺ، وكان ممن أنكر الخمر في الجاهلية، واجتنب الأوثان، وذكر دين إبراهيم. معجم الشعراء (ص: ٣٢١)، والإصابة (٦/ ٣١٠).

(٣) عزاه له الطبري (٣/ ٤٩٠)، والزمخشري في الكشاف (١/ ٢٣٠)، والجوهري في الصحاح (٣/ ٩٧٣)، وابن فارس في مجمل اللغة (ص: ٨٠١)، والأزهري في تهذيب اللغة (١٢/ ٣٠٧)، ومعنى تداعت: أقبلت عليه برغبة، ويروى: تثنت.

(٤) عزاه له في الأغاني (٥/ ١١)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٤٣٠)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٣٠٧)، والشعر والشعراء (١/ ٢٨٥)، وسمط اللآلي في شرح أمالي القالي (١/ ٢٤٧).

(٥) ذكرهما تفسير الطبري (٣/ ٤٩٢).

(٦) في الحمزوية: «قارفتموها».

(٧) في نور العثمانية: «يتوقف».

قال ابن عباس وغيره: ﴿بَٰشِرُوهُنَّ﴾ كناية عن الجماع[١]، مأخوذ من البشرة.

وقد ذكرنا لفظة (الآن) في ماضي قصة البقرة.

و﴿وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾: قال ابن عباس ومجاهد والحكم بن عُتيبة[٢] وعكرمة والحسن والسدي والربيع والضحاك: معناه: ابتغوا الولد، وروي أيضاً عن ابن عباس وغيره أن المعنى: وابتغوا ليلة القدر[٣].

وقيل: المعنى: ابتغوا الرخصة والتوسعة، قاله قتادة[٤]، وهو قول حسن.

وقرأ الحسن فيما روي عنه ومعاوية بن قرة[٥]: «واتَّبعوا»[٦] من الاتِّبَاع، وجوزها ابن عباس، ورجح: (ابْتَغُوا) من الابتغاء[٧].

وَ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾ نزلت بسبب صِرْمة بن قيس[٨]، و﴿حَتَّىٰ﴾ غاية للتبيُّن،

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (٢٩٥٨) من طريق: أبي بشر جعفر بن أبي وحشية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٢) في نور العثمانية: «عيينة»، وهو خطأ، فهو أبو محمد الحكم بن عتيبة الكندي مولاهم الكوفي، الفقيه أحد الأعلام، وكان صاحب سنة واتباع، روى عن شريح، وأبي وائل وخلق، وعنه الأوزاعي، وشعبة، وغيرهما، توفي سنة (١١٥هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٣٤٥).

(٣) لين، أخرجه الطبري (٢٩٩٧) من طريق معاذ بن هشام عن أبيه عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس به، معاذ فيه لين، وقال ابن عدي في ترجمة أبي الجوزاء (١/ ٤١١): حدث عنه عمرو ابن مالك عن ابن عباس قدر عشرة أحاديث غير محفوظة.اهـ.

(٤) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٣/ ٥٠٨).

(٥) معاوية بن قرة ابن إياس، أبو إياس المزني البصري. عن أبيه، وأبي أيوب الأنصاري، وابن عباس، وعنه ابنه إياس القاضي، وثابت البناني، وثقه أبو حاتم وغيره، وكان من جلة علماء التابعين بالبصرة: توفي بها سنة (١١٣هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٤٧٢).

(٦) الشواذ للكرماني (ص: ٨٤)، وهي قراءة شاذة.

(٧) تفسير الطبري (٣/ ٥٠٨).

(٨) قال في الإصابة (٣/ ٣٤٤): كذا ووقع عند أبي داود: صرمة بن قيس، وقد قيل فيه: صرمة بن قيس،=

ولا يصح أن يقع التبين لأحد ويحرمَ عليه الأكل إلا وقد مضى لطلوع الفجر قدْر.

و﴿ٱلۡخَيۡطُ﴾ استعارة وتشبيه لرقة البياض أولاً ورقة السواد الحافِّ به، ومن ذلك قول أبي دؤاد[١]:

فَلَمَّا بَصَرْنَ بِهِ غَدْوَةً وَلاحَ مِنَ الْفَجْرِ خَيْطٌ أَنَارَا[٢] [المتقارب]

ويروى: فثارا[٣]، وقال بعض المفسرين: الْخَيْطُ: اللون[٤]، وهذا لا يطَّرد لغة، والمراد فيما قال جميع العلماء: بياض النهار وسواد الليل، وهو نص قول النبي ﷺ لعدي ابن حاتم في حديثه المشهور[٥].

و﴿مِنَ﴾ الأولى لابتداء الغاية، والثانية للتبعيض.

و﴿ٱلۡفَجۡرِ﴾ مأخوذ من تفجر الماء، لأنه يتفجر شيئاً بعد شيءٍ.

وروي عن سهل بن سعد[٦] وغيره من الصحابة أن الآية نزلت إلا قوله: ﴿مِنَ

= وصرمة بن مالك، وصرمة بن أنس. وقيل فيه: قيس بن صرمة، وأبو قيس بن صرمة، وأبو قيس بن عمرو، ثم ذكر بعض أوجه الجمع بينها فانظره.

(١) واسمه جارية بن الحجاج الإيادي. الشعر والشعراء (١/ ٢٣١).

(٢) عزاه له تفسير الثعلبي (٢/ ٨٠)، وتفسير الطبري (٣/ ٥٢٩)، والأصمعيات (١/ ١٩٠)، وتفسير الزمخشري (١/ ٢٣١)، وتهذيب اللغة (٧/ ٢٠٩)، والرواية في أكثر المصادر:

فلما أضاءت لنا سدفة ولاحَ مِنَ الصُّبْح خَيْطٌ أَنَارَا

والسُّدفة: اختلاط الضوء والظلمة.

(٣) في الحمزوية والمطبوع وفيض الله: «فنارا»، ولم أقف على هذه الرواية في شيء من المصادر المتوفرة.

(٤) قاله أبو عبيدة معمر بن المثنى في مجاز القرآن (١/ ٦٨)، وانظر: تفسير السمعاني (١/ ١٨٨).

(٥) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٩١٦) (٤٥٠٩) (٤٥١٠) ومسلم (٢٥٨٥) من حديث عدي، بلفظ: هو سواد الليل وبياض النهار.

(٦) سهل بن سعد بن مالك الأنصاريّ السّاعدي. من مشاهير الصّحابة، يقال: كان اسمه حزناً فغيَّره النبيّ ﷺ، روى عنه ابنه العبّاس، وأبو حازم، والزهري، وآخرون، وهو آخر من مات بالمدينة من الصّحابة، مات سنة إحدى وتسعين، الإصابة (٣/ ١٦٧).

﴿ٱلۡفَجۡرِ﴾، فصنع بعض الناس خيطين أبيض وأسود، فنزل قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾[١].

وروي أنه كان بين طرفي المدة عام، من رمضان إلى رمضان، تأخر البيان إلى وقت الحاجة، وعدي بن حاتم جعل خيطين على وساده وأخبر النبي ﷺ، فقال له: «إن وسادك لعريض»، وروي أنه قال له: «إنك لعريض القفا»[٢]، ولهذه الألفاظ تأويلات.

واختلف في الحد الذي بِتَـبَيُّنِهِ[٣] يجب الإمساك:

فقال الجمهور وبه أخذ الناس ومضت عليه الأمصار والأعصار ووردت به الأحاديث الصحاح: ذلك الفجر المعترض الآخذ في الأفق يمنةً ويسرةً، فبطلوع أوله في الأفق يجب الإمساك[٤]، وهو مقتضى حديث ابن مسعود وسمرة بن جندب[٥]،[٦].

وروي عن عثمان بن عفان وحذيفة بن اليمان[٧] وابن عباس[٨] وطلق بن علي[٩]، وعطاءِ بن أبي رباح، والأعمش وغيرهم أن الإمساك يجب بتبيُّن الفجر في الطرق وعلى رؤوس الجبال.

---

(١) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٤٥١١) ومسلم (٢٥٨٦).

(٢) هو في حديث عدي السابق تخريجه.

(٣) في الحمزوية: «بسببه».

(٤) انظر: الاستذكار (١/ ٤٠٦).

(٥) سمرة بن جندب بن هلال الفزاريّ، يكنّى أبا سليمان، كان من حلفاء الأنصار، ونزل سمرة البصرة، وكان زياد يستخلفه عليها، وكان شديداً على الخوارج، فكانوا يطعنون عليه، وكان الحسن وابن سيرين يثنيان عليه توفي سنة (٥٩هـ). الإصابة (٣/ ١٥٠).

(٦) أخرجه مسلم (٢٥٩٥) عن ابن مسعود، و(٢٥٩٦فما بعده) عن سمرة.

(٧) صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢٩٩٩ - ٣٠٠٠) بإسناد صحيح، وقد صرح الأعمش بالسماع في بعض أسانيده.

(٨) صحيح، هذا الأثر أخرجه عبد الرزاق (٣/ ٥٤) بإسناد صحيح، وصححه ابن كثير في التفسير (١/ ٥١٦).

(٩) هو طلق بن علي بن طلق الحنفي السّحيمي، يكنى أبا علي، مشهور، وله صحبة ووفادة ورواية. الإصابة (٣/ ٤٣٧).

وذُكِرَ عن حذيفة أنه قال: «تسحرتُ مع رسول الله ﷺ وهو النهار، إلا أنّ الشمس لم تطلع»(١)، وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه صلى الصبح بالناس ثم قال: «الآن تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود»(٢).

قال الطبري: ومما قادهم إلى هذا القول أنهم يرون أن الصوم إنما هو في النهار، والنهار عندهم من طلوع الشمس؛ لأن آخره غروبها، فكذلك أوله طلوعها(٣).

وحكى النقاش عن الخليل بن أحمد أن النهار من طلوع الفجر(٤)، ويدل على ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤]، والقول في نفسه صحيح، وقد ذكرت حجته في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وفي الاستدلال بهذه الآية نظر.

ومن أكل وهو يشك: هل طلع الفجر أم لم يطلع؟ فعليه عند مالك القضاء(٥).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾ أمر يقتضي الوجوب، و﴿إِلَى﴾ غاية، وإذا كان ما بعدها من جنس ما قبلها فهو داخل في حكمه، كقولك اشتريت الفدان إلى حاشيته، وإذا كان من غير جنسه كما تقول: اشتريت / الفدان إلى الدار، لم [١٢١]
يدخل في المحدود ما بعد «إلى».

---

(١) إسناد فرد لا تقوم به الحجة، هذا الحديث أخرجه أحمد (٥/ ٣٦٩) في غير موضع، والنسائي (٤/ ١٤٢) وابن ماجه (٤/ ١٤٢) وغيرهم من حديث عاصم بن بهدلة عن زر عن حذيفة به، وعاصم ضعيف وليس بحجة لا سيما إذا انفرد. قال النسائي ـ كما في تحفة الأشراف (٣/ ٢٣) ـ: لا نعلم أحداً رفعه غير عاصم، فإن كان رفعهُ صحيحاً فمعناه: أنَّه قرب النهار، كقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ معناه: إذا قاربن البلوغ؛ وكقول القائل: «بلغنا المنزل» إذا قاربه.

(٢) إسناده لين، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٥١٩) من طريق أبي إسحاق، هو السبيعي، عن هبيرة، عن علي بن أبي طالب. وهذا إسناد لين بسبب عنعنة أبي إسحاق وما في هبيرة من المقال.

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٥٢٤).

(٤) نقله عن الخليل أيضاً مكي في الهداية إلى بلوغ النهاية (٦/ ٤٢٦٦).

(٥) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٠/ ٦٤).

ورأت عائشة رضي الله عنها أن قوله: ﴿إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾ يقتضي النهي عن الوصال، وقد واصل النبي ﷺ ونهى الناس عن الوصال(١)، وقد واصل جماعة من العلماء(٢).

وقد تقدم أن هذه الآية نسخت الحكم الذي في قوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [البقرة: ١٦٤] على قولِ مَن رأى التشبيه في الامتناع من الوطء والأكل بعد النوم في قول بعضهم، وبعد صلاة العشاء في قول بعضهم.

والليل الذي يَتم به الصيام مغيب قرص الشمس، فمن أفطر وهو شاكٌّ هل غابت الشمس فالمشهور من المذهب أن عليه القضاء والكفارة(٣).

وفي «ثمانية أبي زيد»(٤): عليه القضاء فقط قياساً على الشاك في الفجر، وهو قول جماعة من العلماء(٥)، وقال إسحاق والحسن: لا قضاء عليه كالناسي(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِ﴾، قالت فرقة: المعنى: لا تجامعوهن(٧)، وقال الجمهور: ذلك يقع على الجماع فما دونه مما يتلذذ به من النساء.

---

(١) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٨٢٢) ومسلم (٢٦١٨) عن ابن عمر رضي الله عنه.

(٢) ذكر منهم ابن أبي شيبة؛ من الصحابة عبد الله ابن الزبير، ومن التابعين ابن أبي نعم، انظر: المصنف لابن أبي شيبة؛ أثر رقم (٩٦٩١)، ورقم (٩٦٩٢)، (٣/ ٨٤).

(٣) انظر: المنتقى شرح الموطأ (٢/ ١٩٤).

(٤) هو: الفقيه المالكي؛ عبد الرحمان بن إبراهيم بن عيسى؛ المكنى بأبي زيد القرطبي، المتوفى (٢٥٨هـ)، وله من سؤاله للمدنيين من أصحاب مالك ثمانية كتب هي المعروفة بثمانية أبي زيد، انظر: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١/ ٩٧).

(٥) انظر قول أبي زيد في الفواكه (٢/ ٧٠٢)، وقول جماعة من العلماء من المذاهب الأربعة وغيرهم، في بدائع الصنائع (٢ /١٠٥)، وحاشية الدسوقي (١/ ٥٢٦)، ونهاية المحتاج (٣/ ١٧١)، والإقناع في فقه الإمام أحمد (١/ ٣١٢، ٣١٥)، وحلية العلماء (٣/ ١٦١).

(٦) انظر: المغني لابن قدامة (٦/ ١٣٠).

(٧) تفسير الطبري (٣/ ٥٣٩).

و﴿عَـٰكِفُونَ﴾: ملازمون، يقال: عكف على الشيء، إذا لازمه مقبلاً عليه، قال الراجز:

عَكْفَ النَّبِيطِ يَلْعَبُونَ الفَنْزَجَا[١] [الرجز]

وقال الشاعر:

وَظَلَّ بَنَاتُ اللَّيلِ حَوْلِي عُكَّفاً ... عُكُوفَ البَوَاكِي بَيْنَهُنَّ صَرِيعُ[٢] [الطويل]

وقال أبو عمرو وأبو حاتم: قرأ قتادة وعكرمة[٣]: (عَكِفون) بغير ألف[٤].

والاعتكاف سنَّة.

وقرأ الأعمش: (في المسْجِد) بالإفراد[٥]، [وقال: وهو المسجد الحرام][٦].

قال مالك رحمه الله وجماعة معه: لا اعتكاف إلا في مساجد الجمعات، وروي عن مالك أيضاً: أن ذلك في كل مسجد[٧]، ويخرج إلى الجمعة كما يخرج إلى ضروريِّ أشغاله.

---

(١) البيت للعجاج عزاه له: ابن سيده في المحكم (١/ ٢٨٢)، والأزهري في تهذيب اللغة (٤/ ٦٤)، والخليل في كتاب العين (١/ ٢٠٥)، وعكف: أقام حول الشيء، والنبيط: جمع نبطي وهم قوم من العجم، والفنزج والفنزجة هي رقصة هؤلاء العجم.

(٢) البيت للطرماح بن حكيم كما في ديوانه (ص: ١٥٣)، وتفسير الطبري (٣/ ٥٣٩)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٨١)، وأحكام القرآن للجصاص (١/ ٣٠١) وَبَنَاتُ اللَّيلِ: الهموم. والصريع: المجنون.

(٣) «عكرمة»: زيادة من أحمد٣ وجار الله ونور العثمانية.

(٤) عزاها لقتادة الكرماني في الشواذ (ص: ٨٢)، والهذلي في الكامل (ص: ٥٠٠)، والبحر المحيط (٢/ ٢٢٠)، ونسبها في مختصر الشواذ (ص: ١٩) لأبي السمال، ولم أجد من نقلها عن عكرمة، كما أن كتابي أبي عمرو وأبي حاتم غير متوفرين، وهي قراءة شاذة.

(٥) إتحاف فضلاء البشر (١/ ٢٠٠)، والشواذ للكرماني (ص: ٨٢)، وهي قراءة شاذة.

(٦) البحر المحيط (٢/ ٢٢١)، ولم أجده لمن قبل المؤلف، وما بين المعكوفتين ساقط من فيض الله.

(٧) انظر: الاستذكار (٣/ ٣٨٥).

وقال قوم: لا اعتكاف إلا في أحد المساجد الثلاثة التي تُشَدُّ المطِيُّ إليها، [حسب الحديث في ذلك][(١)]، وقالت فرقة: لا اعتكاف إلا في مسجد نبي.

وقال مالك: لا يعتكف أقل من يوم وليلة، ومَن نذر أحدهما لزمه الآخر[(٢)].

وقال سحنون: من نذر اعتكاف ليلة لم يلزمه شيء[(٣)].

وقالت طائفة: أيهما نذر اعتكفه ولم يلزمه أكثر.

وقال مالك: لا اعتكاف إلا بصوم[(٤)]، وقال غيره: يعتكف بغير صوم[(٥)].

وروي عن عائشة أنه يعتكف في غير مسجد[(٦)].

و﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى هذه الأوامر والنواهي، والحدود: الحواجز بين الإباحة والحظر، ومنه قيل للبواب: حداد، لأنه يمنع، ومنه: الحادّ لأنها تُمنع من الزينة.

والآيات: العلامات الهادية إلى الحق.

و﴿لَعَلَّهُمْ﴾ تَرَجٍّ في حقهم، وظاهر ذلك عموم، ومعناه خصوص فيمن يسَّره الله للهدى بدلالة الآيات التي تتضمن أن الله يُضل من يشاءُ.

---

(١) الأصح أنه موقوف، هو خبر حذيفة الذي أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٤/ ٣٤٧) عن الثوري عن واصل الأحدب عن إبراهيم قال: جاء حذيفة إلى عبد الله فذكره حذيفة قولاً ولم يرفعه.وأخرجه أيضاً (٤/ ٣٤٨) عن ابن عيينة عن جامع بن أبي راشد قال: سمعت أبا وائل يقول: قال: حذيفة لعبد الله..مثله، لكن رواه هشام بن عمار عن ابن عيينة عند الطحاوي في مشكل الآثار (٧/ ٢٠١) فرفعه إلى النبي ﷺ، والأصح الأكثر هو وقف هذا الكلام على حذيفة رضي الله عنه، يراجع كتاب: أحاديث ومرويات في الميزان للشيخ محمد عمرو عبد اللطيف رحمه الله تعالى (٢/ ٩)، وما بين المعكوفتين ساقط من أحمد٣ وجار الله.

(٢) انظر: المدونة (١/ ٢٩٧).

(٣) انظر ما عزاه لسحنون في: تفسير القرطبي (٢/ ٣٣٣).

(٤) انظر قول مالك في: النوادر (٢/ ٨٩).

(٥) انظر: المغني لابن قدامة (٦/ ٢١٣).

(٦) لم أقف عليه عند غير ابن عطية، وقد نُقل الإجماع على أن من شروط الاعتكاف وقوعه داخل المسجد، انظر: الشرح الكبير لابن قدامة (٣/ ١٢٣).

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٨ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٨٩ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ١٩٠﴾.

الخطاب لأمة محمد ﷺ، والمعنى: لا يأكل بعضُكم[(١)] مال بعض، فأضيفت الأموال إلى ضمير المنهي لمَّا كان كلُّ أحد منهيّاً ومنهيّاً عنه، وكما قال: ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٥]، ويدخل في هذه الآية القمار والخدع[(٢)] والغصوب وجحد الحقائق وغير ذلك، ولا يدخل فيه الغبن في البيع مع معرفة البائع بحقيقة ما يبيع؛ لأن الغبن كأنه وَهْبةٌ.

وقال قوم: المراد بالآية: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ أي: في الملاهي والقِيَان والشرب والبطالة، فتجيءُ على هذا إضافة المال إلى ضمير المالكين.

وقوله تعالى: ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ﴾ الآية، يقال: أدلى الرجل بالحجة أو بالأمر الذي يرجو النجاح به، تشبيهاً بالذي يرسل الدلو في البئْر يرجو بها الماءَ.

قال قوم: معنى الآية: تسارعون في الأموال إلى المخاصمة إذا علمتم أن الحجة تقوم لكم، إما بأن لا تكون على الجاحد بينة، أو يكون مال أمانة كاليتيم ونحوه مما يكون القول فيه قوله، فالباء في ﴿بِهَآ﴾ باءُ السبب.

وقيل: معنى الآية: ترشوا بها على أكل أكثر منها، فالباءُ إلزاق[(٣)] مجرد،

---

(١) في فيض الله: «بعضهم».

(٢) في المطبوع: «والخداع».

(٣) في أحمد٣: «إلصاق» مع الإشارة في هامشه إلى النسخة الأخرى وعليها علامة... ؟.

وهذا القول يترجح؛ لأن الحكام مَظِنة الرشا إلا مَن عُصم وهو الأقل، وأيضاً فإن اللفظتين متناسبتان، (تُدْلُوا) من إرسال الدلو والرشوة من الرشا، كأنها يمد بها لتقضى الحاجة.

و﴿وَتُدۡلُواْ﴾ في موضع جزم عطفاً على ﴿تَأۡكُلُوٓاْ﴾.

وفي مصحف أبيٍّ: (ولا تُدْلُوا)[1] بتكرار حرف النهي، وهذه القراءة تؤيد جزم (تُدْلُوا) في قراءة الجماعة.

وقيل: (تُدْلُوا) في موضع نصب على الصرف، وهذا مذهب كوفي: أن معنى الصرف[2] هو الناصب، والذي ينصب في مثل هذا عند سيبويه: «أن» مضمرة[3].

والفريق: القطعة والجزء.

و﴿بِٱلۡإِثۡمِ﴾: معناه: بالظلم والتعدي، وسمي ذلك إثماً لمَّا كان الإثم معنًى يتعلق بفاعله.

و﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أي: أنكم مبطلون آثمون، وهذه مبالغة في المعصية والجرأة.

وقوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِ﴾ الآية، قال ابن عباس[4] وقتادة، والربيع، وغيرهم: نزلت على سؤال قوم من المسلمين النبيَّ ﷺ عن الهلال وما فائدة محاقه وكماله ومخالفته لحال الشمس[5]؟

وجَمَع الْأَهِلَّة ـ وهو واحد في الحقيقة ـ من حيث كونه هلالاً في شهر غير كونه

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٥٥٢). وهي قراءة شاذة.

(٢) كذا في فيض الله ونور العثمانية في الموضعين، وفي الأصل والمطبوع وبقية النسخ: الظرف، وهو تحريف، وقد تقدم ذكر النصب بالصرف.

(٣) الكتاب لسيبويه (٣/ ٦).

(٤) أخرجه الطبري (٣/ ٥٥٤) بنحوه من طريق العوفي عن ابن عباس.

(٥) انظر قول قتادة والربيع في تفسير الطبري (٣/ ٥٥٣).

هلالاً في الآخر، فإنما جمع أحواله من الهلالية، والهلال ليلتان بلا خلاف ثم يقمر، وقيل: ثلاث.

وقال الأصمعي: هو هلال حتى يحجِّر ويستدير له كالخيط الرقيق[١]، وقيل: هو هلال حتى يَبهَر بضوئه السماء وذلك ليلة سبع.

وقوله: ﴿مَوَاقِيتُ﴾ معناه: لمحل الديون وانقضاء العِدَد والأكرية وما أشبه هذا من مصالح العباد، ومواقيت الحج أيضاً يُعرف بها وقتُه وأشْهُرُه.

و﴿مَوَاقِيتُ﴾ لا ينصرف لأنه جمع لا نظير له في الآحاد، فهو جمع ونهايةُ جمعٍ إذ ليس يجمع.

وقرأ ابن أبي إسحاق / : (والحِجِّ) بكسر الحاء في جميع القرآن[٢]، وفي قوله: [١٢٢] ﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ في آل عمران [٩٧]، قال سيبويه: الحَجُّ كالرَّد والشَّد، والحِجُّ كالذِّكْر، فهما مصدران بمعنى، وقيل: الفتح مصدر والكسر الاسم[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾ الآية، قال البراء بن عازب، والزهري، وقتادة: سببها أن الأنصار كانوا إذا حجوا أو اعتمروا يلتزمون تشرُّعاً أن لا يَحول بينهم وبين السماء حائل، فكانوا يتسنَّمون ظهور بيوتهم على الجدرات[٤]، وقيل: كانوا يجعلون في ظهور بيوتهم فتوحاً يدخلون منها ولا يدخلون من الأبواب، وقيل غير هذا مما يشبهه فاختصرتُه، فجاء رجل منهم فدخل من باب بيته فعُيّر بذلك، فنزلت الآية فيه.

وقال إبراهيم: كان يفعل ما ذكر قوم من أهل الحجاز، وقال السدي: ناس من العرب، وهم الذين يسمون الحمس، قال: فدخل النبي ﷺ باباً ومعه رجل منهم، فوقف

(١) نقله القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٣٤١)، وابن عرفة في تفسيره (٢/ ٥٥٦).
(٢) عزاها له وللحسن الكرماني في الشواذ (ص: ٨٥).
(٣) نقله القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٣٤٣).
(٤) أخرجه البخاري (١٨٠٣) (٤٥١٢).

ذلك الرجل، وقال: إني أحمس، فقال له النبي ﷺ: «وأنا أحمس»، ونزلت الآية[١].

وروى الربيع أن النبيّ ﷺ دخل وخلفه رجل أنصاري، فدخل وخرق عادة قومه، فقال له النبي ﷺ: «لم دخلت وأنت قد أحرمت؟»، قال: دخلتَ أنت فدخلتُ بدخولك، فقال له النبيّ ﷺ: «إني أحمس»، أي: من قوم لا يدينون بذلك، فقال الرجل: وأنا ديني دينك، فنزلت الآية[٢].

وقال أبو عبيدة: الآية ضرب مثل؛ المعنى: ليس البر أن تسألوا الجهّال، ولكن اتقوا واسألوا العلماء[٣]، فهذا كما يقال: أتيتُ هذا الأمر من بابه.

وقال غير أبي عبيدة: المعنى: ليس البر أن تشذوا في الأسئلة عن الأهلّة وغيرها فتأتون الأمور على غير ما يجب[٤]، وهذا يحتمل والأول أسدّ[٥].

وأما ما حكاه المَهْدوي ومكي عن ابن الأنباري[٦] من أن الآية مَثَل في جماع النساء[٧] فبعيد مغيِّر نمط الكلام.

---

(١) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٥٥٩) وهو معضل، وأخرجه أيضاً عن ابن عباس من طريق عطية العوفي وهو ضعيف.

(٢) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٥٥٩) قال:حُدثت عن عمار بن الحسن بإسناده معضلاً.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٦٨) بمعناه.

(٤) مثله للزمخشري في الكشاف (١/ ٢٦٢)، وانظر: البحر المحيط (٢/ ٢٣٩).

(٥) في نور العثمانية: «أسند».

(٦) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري النحويّ. كان من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظاً له. وكان صدوقاً فاضلاً ديّناً خيّراً من أهل السّنّة، وصنّف كتباً كثيرة، وتوفي سنة (٣٢٨هـ). إنباه الرواة (٣/ ٢٠١).

(٧) ونص مكي في الهداية (١/ ٦٣٣): «وذكر ابن الأنباري أن بعض الناس فسر البيوت بإتيان النساء في الأدبار مُنعوا من ذلك، وقيل لهم: ائتوا البيوت من أبوابها، أي: ائتوا المرأة من الباب المُحَل لكم الذي منه يكون الولد... وهو قول شاذ».

وقرأ ابن كثير وابن عامر والكسائي ونافع بخلاف عنه: ﴿البِيوت﴾ بكسر الباء[١].

وقرأ بعض القراء: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ بتشديد نون (لكنَّ) ونصب ﴿ٱلْبِرَّ﴾[٢].

وقد تقدم القول على ﴿مَنْ﴾ في قوله ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

و﴿وَٱتَّقُواْ﴾ معناه: اجعلوا بينكم وبين عقابه وقاية.

و﴿لَعَلَّكُمْ﴾ ترجّ في حق البشر، والفلاح درك البغية.

وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية، هي أول آية نزلت في الأمر بالقتال[٣].

قال ابن زيد والربيع: معناها: قاتلوا من قاتلكم وكفوا عمن كف عنكم، ولا تعتدوا في قتال من لم يقاتلوكم.

وهذه الموادعة منسوخة بآية براءة، وبقوله: ﴿قَٰتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦][٤].

وقال ابن عباس[٥] وعمر بن عبد العزيز، ومجاهد: معنى الآية: قاتلوا الذين هم بحالةِ مَن يقاتلكم، ولا تعتدوا في قتل النساء والصبيان والرهبان وشبههم[٦]، فهي محكمة على هذا القول، وقال قوم: المعنى: لا تعتدوا في القتال لغير وجه الله كالحَمِية وكسْبِ الذِّكر.

---

(١) كسر باء «البيوت» قالون عن نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي وكذا حمزة وشعبة عن عاصم وخلف العاشر وضمها الباقون بلا خلاف عن أحد منهم في شيء من طرق التيسير في القراءات السبع (ص: ٨٠)، والنشر (٢/ ٢٥٨)، فالخلاف في قول ابن مجاهد (١/ ١٧٨): «واختلف عن نافع فروى المسيبي وقالون «البيوت» بكسر الباء...»، هو بين الرواة لا الطرق.

(٢) وهم: ابن كثير وأبو عمرو والكوفيون، والقراءتان سبعيتان، انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٩).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٥٦١).

(٤) المصدر السابق (٣/ ٥٦٢).

(٥) أخرجه الطبري (٣/ ٥٦٣) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٦) تفسير الطبري (٣/ ٥٦٢)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٣٢٥).

قوله عز وجل: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾.

قال ابن إسحاق وغيره: نزلت هذه الآيات في شأن عمرو بن الحضرمي(١) وواقد(٢)، وهي سرية عبد الله بن جحش(٣).

و﴿ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ معناه: أحكمتُم غلبهم ولقيتموهم قادرين عليهم، يقال: رجل ثَقفٌ لَقفٌ: إذا كان محكِماً لما يتناوله من الأمور.

وَ﴿وَأَخْرِجُوهُم﴾ قال الطبري: الخطاب للمهاجرين، والضمير لكفار قريش(٤).

قال القاضي أبو محمد: بل الخطاب لجميع المؤمنين.

ويقال: أَخْرَجُوكُمْ؛ إذا أخرجوا بعضهم الأجلّ قدْراً؛ وهم النبي ﷺ والمهاجرون.

---

(١) قال ابن هشام: واسم الحضرمي: عبد الله بن عباد، ويقال: مالك ابن عباد، أحد الصدف، واسم الصدف: عمرو بن مالك، أحد السكون بن أشرس بن كندة، وكان حليفاً لبني أمية، قتله واقد بن عبد الله في هذه السرية. انظر سيرة ابن هشام (١/ ٦٠٢).

(٢) واقد بن عبد الله بن عبد مناف التميميّ الحنظلي اليربوعي، حليف بني عديّ بن كعب، شهد بدراً، وكان من أصحاب سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة، وفيها قَتَل عمرو بن الحضرمي، توفي في خلافة عمر. الإصابة (٦/ ٤٦٥).

(٣) هو عبد الله بن جحش بن رياب، الأسدي، حليف بني عبد شمس، ابن عمة النبي ﷺ وأحد السابقين، هاجر إلى الحبشة، وشهد بدراً، وأمَّره النبي ﷺ على سرية نخلة، واستشهد في غزوة أحد. الإصابة (٤/ ٣١)، وانظر القصة في سيرة ابن هشام (١/ ٦٠١).

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٥٦٥) بمعناه.

وَ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ أي: الفتنة التي حمَلوكم عليها وراموكم بها على الرجوع إلى الكفر أشدُّ من القتل.

قال مجاهد: أي: أشد[١] من أن يُقتل المؤمن، فالقتل أخف عليه من الفتنة[٢].

وقال غيره: بل المعنى: الفتنة التي فعلوا أشد في هتك حرمات الحق من القتل الذي أبيح لكم أيها المؤمنون أن تُوْقعوه بهم. ويحتمل أن يكون المعنى ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ﴾ أي: الكفر والضلال الذي هم فيه ﴿أَشَدُّ﴾ في الحرم وأعظم جرماً ﴿مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ الذي عيروكم به في شأن ابن الحضرمي.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ الآية، قال الجمهور: كان هذا ثم نسخ وأُمر بالقتال في كل موضع، قال الربيع: نسخه: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾.

وقال قتادة: نسخه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥].

وقال مجاهد: الآية محكمة، ولا يجوز قتال أحد في المسجد الحرام إلا بعد أن يقاتل[٣].

وقرأ حمزة والكسائي والأعمش: ﴿ولا تقتُلوهم عندَ المسجدِ الحرامِ حتى يَقتُلوكُم فيه فإن قَتَلوكُم فاقتُلوهُم﴾ بالقتل في الأربعة[٤]، ولا خلاف في الأخيرة أنها ﴿فَٱقۡتُلُوهُمۡ﴾.

والمعنى على قراءة حمزة والكسائي[٥]: فإن قتلوا منكم فاقتلوهم أيها الباقون،

---

(١) من أحمد٣ وجار الله.

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٥٦٥).

(٣) الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٣/ ٥٦٧).

(٤) وهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ٨٠). السبعة لابن مجاهد (١/ ١٧٩)، وانظر: قراءة الأعمش في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٠١).

(٥) في المطبوع زيادة: والأعمش، وعليها طمس في الأصل.

وذلك كقوله تعالى: ﴿قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا﴾ [آل عمران: ١٤٦][(١)] أي: فما
[١٢٣] وهن الباقون/ .

والانتهاء في هذه الآية هو الدخول في الإسلام، لأن غفران الله ورحمته إنما تكون مع ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: أمر بالقتال لكل مشرك في كل موضع على قول من رآها ناسخة، ومن رآها غير ناسخة قال: المعنى: قاتلوا هؤلاء الذين قال الله فيهم: ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ﴾، والأول أظهر، وهو أمر بقتال مطلق لا بشرطِ أن يبدأ الكفار، دليل ذلك قوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾.

والفتنة هنا: الشرك وما تابعه من أذى المؤمنين، قاله ابن عباس[(٢)]، وقتادة، والربيع، والسدي[(٣)].

و﴿ٱلدِّينُ﴾ هنا: الطاعة والشرع[(٤)]، وقال الأعشى ميمون بن قيس:

[الخفيف] هو دانَ الرِّبَابَ إذْ كرِهوا الديـ ـن دِرَاكا بغَزوَةٍ وَصِيالِ[(٥)]

والانتهاء في هذا الموضع يصح ـ مع عموم الآية في الكفار ـ أن يكون الدخول

---

(١) الاستشهاد لا يتم إلا على القراءة بالبناء للمجهول، وهي قراءة نافع.

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٥٧٠) من طريق: العوفي وعلي بن أبي طلحة ـ مفرقين ـ عن ابن عباس.

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٥٧١).

(٤) المصدر السابق (٣/ ٥٧١).

(٥) من قصيدته المشهورة التي قالها يمدح فيها الأسود بن المنذر اللخمي ومطلعها:
ما بكاء الكبير بالأطلال
وعزاه له الطبري (٣/ ٥٧١)، وغريب الحديث للقاسم بن سلام (٣/ ١٣٥)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٧٩)، وتهذيب اللغة (١٤/ ١٢٨)، والصحاح للجوهري (٥/ ٢١١٨)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢٢٤)، والمعاني الكبير (٢/ ٩٢٤)، والأمالي في لغة العرب (٢/ ٢٩٥)، والرباب قبيلة أو أحياء من ضبَّة، فمعنى دان الرباب: أذلها، ثم دانت بعد الرباب، أي ذلت له وأطاعته.

في الإسلام، ويصح أن يكون أداءَ الجزية، وسمى ما يصنع بالظالمين عدواناً من حيث هو جزاء عدوان، إذ الظلم يتضمن العدوان، والعقوبة تسمى باسم الذنب في غير ما موضع، والظالمون هم على أحد التأويلين: مَنْ بدأ بقتال، وعلى التأويل الآخر: مَن بقي على كفر وفِتنةٍ.

وقوله تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ الآية، قال ابن عباس(١) ومجاهد، وقتادة، ومِقْسَم، والسدي، والربيع، والضحاك، وغيرهم: نزلت في عمرة القضية(٢) وعام الحديبية(٣)، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج معتمراً حتى بلغ الحديبية سنة ست، فصده كفار قريش عن البيت، فانصرف ووعده الله أنه سيدخله عليهم، فدخله سنة سبع، فنزلت الآية في ذلك، أي: الشهر الحرام الذي غلَّبكم الله فيه وأدخلكم الحرم عليهم بالشهر الحرام الذي صدوكم فيه.

ومعنى ﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ على هذا التأويل: أي: حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة المُحْرِمين حين صُددتم بحرمة البلد والشهر والقُطان حين دخلتم.

وقال الحسن بن أبي الحسن: نزلت الآية في أن الكفار سألوا النبي ﷺ: هل يقاتل في الشهر الحرام؟ فأخبرهم أنه لا يقاتل فيه، فهموا بالهجوم عليه فيه وقتلِ مَن معه حين طمعوا أنه لا يدافع فيه، فنزلت: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾، أي هو عليكم في الامتناع من القتال أو الاستباحة بالشهر الحرام عليهم في الوجهين، فأية سلكوا فاسلكوا، و(الْحُرُماتُ) على هذا جمع حرمة عموماً: النفس والمال والعرض وغير ذلك.

فأباح الله بالآية مدافعتهم، والقول الأول أكثر.

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٥٧٥) من طريق العوفي، ومن طريق: يوسف بن خالد السمتي قال، حدثنا نافع ابن مالك، عن عكرمة، كلاهما عن ابن عباس، والإسنادان تالفان.

(٢) في أحمد٣: «القضاء»، مع الإشارة إلى النسخة الأخرى.

(٣) انظر قولهم في تفسير الطبري (٣/ ٥٧٦ - ٥٧٧).

وقالت فرقة: قوله: ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ مقطوع مما قبله، وهو ابتداءُ أمرٍ كان في أول الإسلام: أن من انتهك حرمتك نِلْتَ منه مثل ما اعتدى عليك به، ثم نسخ ذلك بالقتال.

وقالت طائفة: ما تناول من الآية التعدي بين أمة محمد والجنايات ونحوها لم ينسخ، وجائز لمن تُعُدِّيَ عليه في مال أو جرح أن يتعدى بمثل ما تُعُدِّي عليه به إذا خفي ذلك له، وليس بينه وبين الله في ذلك شيء، قاله الشافعي وغيره، وهي رواية في مذهب مالك[١]، وقالت طائفة منهم مالك: ليس ذلك له[٢]، وأمور القصاص وقف على الحكام، والأموالُ يتناولها قول النبي ﷺ: «أدِّ الأمانة إلى من ائْتَمَنَك، ولا تخُنْ مَنْ خَانَك»[٣].

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (وَالحُرْمَات) بسكون الراء[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ الآية، اختلف في نسخ هذه الآية حسبما تقدم، وسمي الجزاء على العدوان عدوانا كما قال: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] إلى غير ذلك.

---

(١) انظر قول الشافعي في: روضة الطالبين للنووي (٩/ ٢٢٩)، وانظر قولي مالك في: الذخيرة للقرافي (٨/ ٢١٣).

(٢) انظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي (٩/ ٢٢٩)، والذخيرة للقرافي (٨/ ٢١٣).

(٣) روي من طرق لا تخلو من مقال أو علة، هذا الحديث أخرجه أحمد (٣٢/ ٣٨٧) بإسناده عن رجل عن النبي ﷺ، وأخرجه أبوداود (٩/ ٤١٥) والترمذي (١٣١١) (١٢٦٤) عن أبي هريرة، وفي إسناده طلق بن غنام. قال أبو حاتم: حديث منكر لم يرو هذا الحديث غير طلق، العلل (١/ ٣٧٥)، وأخرجه الحاكم (٢/ ٦٤) والطبراني في الصغير (١/ ١٧١) عن أنس، وفي إسناده أيوب بن سويد وهو ضعيف، وأخرجه في الكبير (٨/ ١٥٠) عن أبي أمامة، وفي إسناده يحيي بن عثمان المصري، قال ابن أبي حاتم في الجرح (٩/ ١٧٥): كتب عنه أبي وتكلموا فيه، وأخرجه الطبري (٨/ ٤٩٣) من طريق قتادة عن الحسن مرسلاً، ولما ذكره ابن الجوزي في «علله» (٢/ ٥٩٣) قال: إن هذا الحديث من جميع طرقه لا يصح.اهـ، وقال ابن الملقن في البدر المنير (٧/ ٣٠١): نقل عن الإمام أحمد أنه قال: حديث باطل، لا أعرفه عن النبي ﷺ من وجه صحيح.اهـ.

(٤) إتحاف فضلاء البشر للدمياطي (ص: ٢٠١)، وهي قراءة شاذة.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ قيل: معناه: في أن لا تعتدوا، وقيل: في أن لا تزيدوا على المِثل.

وقال ابن عباس: «نزلت هذه الآية وما هو في معناها بمكة والإسلام لم يُعزّ، فلما هاجر رسول الله ﷺ وعز دينه أمر المسلمون برفع أمورهم إلى حكامهم، وأمروا بقتال الكفار»(١).

وقال مجاهد: بل نزلت هذه الآية بالمدينة بعد عمرة القضاء، وهي من التدريج في الأمر بالقتال(٢).

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ... ﴿١٩٦﴾﴾.

﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هنا الجهاد، واللفظ يتناول بعدُ جميع سبله.

وقال أبو عبيدة وقومٌ: الباءُ في قوله: ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾ زائدة، التقدير: تلقوا أيديكم(٣)، وقال الجمهور: ذلك ضربُ مثلٍ، تقول: ألقى فلان بيده في أمر كذا، إذا استسلم، لأن المستسلم في القتال يلقي سلاحه بيده، فكذلك فعل كلِّ عاجز في أي فعل كان، ومنه قول عبد المطلب: «والله إن إلقاءَنا بأيدينا إلى الموت لعجز»(٤).

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٥٨٠) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٢٢٤)، وتفسير الطبري (٣/ ٥٧٦).

(٣) القول بزيادة الباء ورد في تفسير الطبري (٣/ ٥٩٤)، والمحتسب لابن جني (٢/ ١١٤)، والحجة لأبي علي (٥/ ٢٩١)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ١٧٤)، وعزاه لأبي عبيدة النحاس في إعراب القرآن (١/ ٩٩)، ولم أجده في مجاز القرآن لأبي عبيدة، لكن نقله عنه أيضاً القرطبي (١٢/ ١١٥)، وأبو حيان في التفسير (٢/ ٢٥٢)، وغيرهما.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٧٩)، وأخبار مكة للفاكهي (٢/ ١٧)، وأخبار مكة للأزرقي (٢/ ٤١).

وقال قوم: التقدير: لا تلقوا أنفسكم بأيديكم، كما تقول: لا تفسد حالك برأيك.

و﴿ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ بضم اللام مصدر من هلك.

[وقرأ الخليل: (التَّهْلِكَة) بكسر اللام(١)، وهي تفعلة(٢) من هَلَّكَ](٣) بشد اللام.

وروي عن أبي أيوب الأنصاري(٤) أنه كان على القسطنطينية، فحمل رجلٌ على عسكر العدوِّ، فقال قوم: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: «لا، إن هذه الآية نزلت في الأنصار حين أرادوا لما ظهر الإسلام أن يتركوا الجهاد ويعمروا أموالهم، وأما هذا فهو الذي قال الله فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾» [البقرة: ٢٠٧](٥).

وقال حذيفة بن اليمان(٦)، وابن عباس(٧)، والحسن، وعطاءٌ، وعكرمة،
[١٢٤] وجمهور الناس: المعنى / : لا تلقوا بأيديكم بأن تتركوا النفقة في سبيل الله، وتخافوا العَيْلة، فيقول الرجل: ليس عندي ما أُنفق، وقال قوم: المعنى: لا تَقنطوا من التوبة(٨).

---

(١) انظر: الدر المصون (٢/ ٣١٢)، وتاج العروس للزبيدي (٢٧/ ٤٠٠)، والشوارد للصاغاني (ص: ٩)، وهي قراءة شاذة.

(٢) في الأصل: «تهلكة»، وفي المطبوع والحمزوية: «مفعلة» ولعله خطأ، والتصويب من النسخ الأخرى.

(٣) ساقط من نور العثمانية.

(٤) هو خالد بن زيد بن كليب أبو أيوب الأنصاريّ، من السابقين، شهد العقبة وبدراً وما بعدها، ونزل عليه النبيّ ﷺ لمّا قدم المدينة، فأقام عنده حتى بنى بيوته ومسجده، وشهد الفتوح، وداوم الغزو حتى توفي في القسطنطينية سنة (٥٠هـ). الإصابة (٢/ ١٩٩).

(٥) الحديث صحيح غريب، هذا الأثر أخرجه بنحوه أبو داود (٢٥١٢)، والترمذي (٢٩٧٢) وقال: حسن صحيح غريب، وصححه الحاكم (٢/ ٣٠٢)، وغيرهم من طريق حيوة بن شريح عن يزيد ابن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران التجيبي به.

(٦) إسناده صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٥٨٣) من طرق عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة به.

(٧) لا بأس به، أخرجه الطبري (٣/ ٥٨٤) من طريقين فيهما لين

(٨) انظر هذه الأقوال كلها في تفسير الطبري (٣/ ٥٨٣ و٥٨٤).

وقال البراءُ بن عازب وعَبيدة السلماني: الآية في الرجل يقول: قد بالغت في المعاصي فلا فائدة في التوبة، فينهمك بعد ذلك[١].

وقال زيد بن أسلم: المعنى: لا تسافروا في الجهاد بغير زاد، وقد كان فعل ذلك قوم فأداهم ذلك إلى الانقطاع في الطريق أو الكون عالة على الناس[٢].

وقوله: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾؛ قيل: معناه: في أعمالكم بامتثال الطاعات، وروي ذلك عن بعض الصحابة، وقيل: المعنى: وأحسنوا في الإنفاق في سبيل الله وفي الصدقات، قاله زيد ابن أسلم، وقال عكرمة: المعنى: وأحسنوا الظن بالله[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾؛ قال ابن زيد والشعبي وغيرهما: إتمامهما أن لا يُفسخا وأن تُتمهما إذا بَدَأْت بهما[٤]، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك»[٥]، وفعله عمران بن حصين[٦].

وقال سفيان الثوري: إتمامهما أن تخرج قاصداً لهما لا لتجارة ولا لغير ذلك[٧]، ويؤيد هذا قوله: ﴿لِلَّهِ﴾.

---

(١) صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٥٨٨ - ٥٨٩) من طرق صحيحة عن أبي إسحاق السبيعي عن البراء.

(٢) تفسير الطبري (٤/ ١٦١)، وهو قول كثير من أهل العلم.

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (٣/ ٥٩٥).

(٤) تفسير الطبري (٣/ ١٠).

(٥) في إسناده لين، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٨) وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٨٣٤) من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعبد الله بن سلمة هو المرادي الكوفي. قال شعبة عن عمرو بن مرة: كان عبد الله بن سلمة يحدثنا فنعرف وننكر، كان قد كبر.

(٦) في إسناده انقطاع، هذا الأثر أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٨٤٢) من طريق الحسن البصري عن عمران، ولم يسمع منه، وعمران هو ابن حصين بن عبيد الخزاعي الكعبي، يكنى أبا نجيد، أسلم عام خيبر، وتوفي بالبصرة (سنة ٥٢هـ). الاستيعاب (٣/ ١٢٠٨).

(٧) تفسير الطبري (٣/ ١٠).

وقال قتادة والقاسم بن محمد[(١)]: إتمامهما أن تحرم بالعمرة وتقضيَها في غير أشهر الحج، وأن تُتم الحج دون نقص ولا جبر بدم[(٢)]، وهذا مبني على أن الدم في الحج والعمرة جبرُ نقص، وهو قول مالك وجماعة من العلماء[(٣)].

وأبو حنيفة وأصحابه يرون أن كثرة الدم كمالٌ وزيادة، وكلما كثر عندهم لزوم الدم فهو أفضل[(٤)]، واحتجوا بأنه قيل للنبي ﷺ: ما أفضلُ الحج؟ فقال: «العج والثج»[(٥)]، ومالكٌ ومَنْ قال بقوله يراه ثَجَّ[(٦)] التطوع[(٧)].

---

(١) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق القرشي التيمي المدني الفقيه، أبو محمد، أحد الأعلام، نشأ في حجر عمته عائشة، فسمع منها، ومن ابن عباس، وابن عمر، وطائفة، وكان فقيهاً إماماً مجتهداً ورعاً عابداً ثقة حجة، توفي سنة (١٠٨هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٢١٧).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٩).

(٣) انظر مذهب مالك في: البيان والتحصيل (٤/ ٧٦) وقول غيره في: المجموع شرح المهذب (٧/ ١٦٧).

(٤) انظر: مذهب الحنفية في: المبسوط للسرخسي (٤/ ٢٦)، وبدائع الصنائع (٢/ ١٧٤-١٧٥).

(٥) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الترمذي (٨٢٧)، وابن ماجه (٢٩٢٤) وغيرهما من طريق محمد بن إسماعيل بن أبي فديك عن الضحاك بن عثمان عن محمد بن المنكدر عن عبد الرحمن بن يربوع عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه مرفوعاً به، قال الترمذي: «حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي فديك عن الضحاك بن عثمان، ومحمد بن المنكدر لم يسمع من عبد الرحمن بن يربوع»، وأخرجه أيضاً الترمذي (٢٩٩٨)، وابن ماجه (٢٨٩٦) وغيرهما من طريق إبراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد ابن جعفر المخزومي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً به، قال الترمذي: «هذا حديث لا نعرفه من حديث ابن عمر إلا من حديث إبراهيم بن يزيد الخوزي المكي، وقد تكلم بعض أهل الحديث في إبراهيم بن يزيد من قِبل حفظه» وروي أيضاً من حديث جابر بن عبد الله: ذكره ابن الملقن في البدر المنير (٦/ ١٥٩) وعزاه إلى أبي القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب، ثم ضعَّف إسناده بعلتين: ضعف إسحاق بن أبي فروة المدني، وأن إسماعيل بن عياش إذا روى عن الحجازيين لا يُحتج به، وهو يروي هنا عن إسحاق هذا.

(٦) في الحمزوية: «محض».

(٧) وذلك لأن الدماء في الحج لا تخرج عن أن تكون لازمة لجبر نقص في الحج، أو غير لازمة فتكون =

وقالت فرقة: إتمامهما أن تُفْرِد كلَّ واحدة من حجة وعمرة ولا تقرن[١]، وهذا على أن الإفراد أفضل[٢]، وقالت فرقة: القِرَانُ أفضل، وذلك هو الإتمام عندهم.

وقال ابن عباس[٣]، وعلقمة، وإبراهيم، وغيرهم: إتمامهما أن تقضي مناسكهما كاملة بما كان فيها من دماء[٤].

وفروض الحج: النِّـيَّةُ، والإحرام، والطواف المتصل بالسعي، والسعيُ بين الصفا والمروة عندنا خلافاً لأبي حنيفة[٥]، والوقوف بعرفة، والجمرةُ على قول ابن الماجشون[٦].

وأما أعمال العمرة: فَنِيَّةٌ وإحرامٌ وطوافٌ وسعيٌ.

واختلف في فرض العمرة؛ فقال مالك رحمه الله: هي سنة واجبة لا ينبغي أن تُتْرك كالوتر، وهي عنده مرة واحدة في العام[٧]،[٨]، وهذا قول جمهور أصحابه[٩]،

= من باب التطوع، ولم أقف على كلام لمالك ولا لأحد من أصحابه في حمل الحديث على نحو ما ذكره المؤلف.

(١) في الحمزوية: «تفرق».

(٢) ممن قال بذلك الشافعي، وهو المشهور في مذهبه، انظر: المجموع شرح المهذب (٧/ ١٥١).

(٣) أخرجه الطبري (٣/ ٧) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) انظر عزوه لهم في تفسير الثعلبي (٢/ ٩٥).

(٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٣٧٥).

(٦) انظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد (١/ ٢٨٣)، وابن الماجشون هو صاحب الإمام مالك الفقيه؛ عبد الملك بن عبد العزيز المعروف بابن الماجشون التميمي مولاهم، المدني، المتوفى سنة (٢١٢هـ). انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ١٣٠).

(٧) في الحمزوية: «العمر».

(٨) انظر: المدونة (٢/ ٤٣٨).

(٩) انظر: مواهب الجليل على مختصر خليل (٦/ ٤٩٥).

وحكى ابن المنذر[١] في «الإشراف» عن أصحاب الرأي أنها عندهم غير واجبة[٢]، وحكى بعض القرويين والبغداديين عن أبي حنيفة أنه يوجبها كالحج[٣].

وبأنها سنة قال ابن مسعود وجمهور من العلماء[٤]، وأسند الطبري النص على ذلك عن رسول الله ﷺ[٥].

وروي عن علي بن أبي طالب[٦] وابن عباس وابن عمر[٧] والشافعي وأحمد وإسحاق والشعبي وجماعة تابعين: أنها واجبة كالفرض[٨]، وقاله ابن الجهم[٩] من

---

(١) هو أبو بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري، كان فقيهاً عالماً، صنَّف في اختلاف العلماء كتباً لم يصنف مثلها؛ منها كتاب «الإشراف في مذاهب الأشراف» وهو كتاب كبير يدل على كثرة اطلاعه على مذاهب الأئمة، وكانت وفاته سنة **٣١٦** هـ.

(٢) الإشراف لابن المنذر (**٣/ ٣٧٦**) طبعة مكتبة مكة الثقافية.

(٣) انظر مذهب الحنفية في ذلك في: بدائع الصنائع (**٢/ ٢٢٦**).

(٤) انظر: الاستذكار (**٤/ ١٠٩**).

(٥) الأصح فيه الوقف على ضعفه، أخرجه الطبري في تفسيره (**٣/ ١٩**) برقم (**٣٢٢٥**) وأخرجه الترمذي (**٩٣١**)، وأحمد (**٣/ ٣١٦**)، والبيهقي في الكبرى (**٤/ ٣٤٩**) من طريق الحجاج بن أرطاة عن محمد ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ: أنه سئل عن العمرة أواجبة هي؟ فقال: «لا، وأن تعتمروا خيرٌ لكم»، والحجاج ضعيف مدلس وقد عنعن، وقد رجح البيهقي أن المحفوظ روايته موقوفاً من كلام جابر، فقال: «المحفوظ عن جابر موقوف غير مرفوع، رُوي عن جابر مرفوعاً بخلاف ذلك، وكلاهما ضعيف» انتهى.

وأخرجه أيضاً الطبري في تفسيره (**٣/ ١٩**) برقم (**٣٢٢٦**) من طريق شريك عن معاوية بن إسحاق عن أبي صالح الحنفي قال: قال رسول الله ﷺ: «الحجُّ جهادٌ، والعمرة تطوع». وهو حديث ضعيف مرسل.

(٦) ضعيف جدًّا، هذا الأثر أخرجه الطبري (**٣/ ١٢**) من طريق: ثوير ـ وهو ابن أبي فاختة ـ وهو تالف.

(٧) إسنادهما صحيح، هذان الأثران أخرجهما ابن أبي شيبة في مصنفه (**١٣٨٣٩**) بإسناد صحيح.

(٨) انظر: الاستذكار (**٤/ ١٠٩**).

(٩) هو صاحب الإمام مالك الفقيه؛ سعيد بن الجهم بن قاسم أبو عثمان الجيزي، ت سنة (**٢٠٩**هـ). انظر: ترتيب المدارك (**١/ ١٦٨**).

المالكيين[١]، وقال مسروق: الحج والعمرة فرض، نزِّلت العمرة من الحج منزلة الزكاة من الصلاة[٢].

وقرأ الشعبي وأبو حيوة: (والعمرةُ لله) برفع العمرة على القطع والابتداء[٣].

وقرأ ابن أبي إسحاق: (الحِج) بكسر الحاء[٤].

وفي مصحف ابن مسعود: (وَأَتِمُّوا الحَجَّ والْعُمْرَة إلى الْبَيْتِ لله)[٥]، [وروي عنه: (وَأقيمُوا الحَجَّ والعُمْرَةَ[٦] إلى البَيْت)[٧]][٨]، وروي غير هذا مما هو كالتفسير.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِ﴾، قال علقمة وعروة بن الزبير[٩] وغيرهما: الآية فيمن أُحصر بالمرض لا بالعدو[١٠].

---

(١) انظر: المنتقى شرح الموطأ (٢/ ٣٠٩).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ١١)، والتمهيد لابن عبد البر (٢٠/ ١٥).

(٣) انظر عزوها للشعبي في مجاز القرآن (١/ ٦٨)، وتفسير الطبري (٣/ ١٠)، والشواذ للكرماني (ص: ٨٥)، ومختصر الشواذ لابن خالويه (ص١٩)، وزاد علياً وعبد الله، وكذا الزمخشري في الكشاف (١/ ٢٣٩)، وفي المصاحف لابن أبي داود (ص: ٢٤٩) أنها رويت عنه ﷺ، ونقلها الهذلي في الكامل (ص: ٥٠١) من رواية الكسائي عن أبي جعفر، ومحبوب، والقزاز عن أبِي عَمْرٍو، والأصمعي عن نافع، وتابع الشيخ في عزوها لأبي حيوة: البحر المحيط (٢/ ٢٥٥)، وتفسير القرطبي (٢/ ٣٦٩).

(٤) عزاها له وللحسن الكرماني في الشواذ (ص: ٨٦)، وللحسن فقط ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٩)، وغيره.

(٥) انظرها في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٦٤٥).

(٦) ليست في النسخة الحمزوية.

(٧) انظرها في تفسير الطبري (٣/ ٧)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٧١)، وكلاهما شاذة.

(٨) ساقط من نور العثمانية.

(٩) هو عروة بن الزبير ابن العوام بن خويلد بن أسد، الإمام الفقيه أبو عبد الله القرشي الأسدي المدني، روى عن أبيه الزبير، وعلي، وعائشة، وطائفة، وكان ثبتاً حافظاً فقيهاً عالماً بالسيرة، وهو أول من صنف المغازي، توفي سنة (٩٤هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٤٢٤).

(١٠) تفسير الطبري (٣/ ٥٥)، والمحلى لابن حزم (٧/ ٢٠٤).

وقال ابن عباس وغيره بعكس ذلك[١].

والمشهور من اللغة[٢]: أُحصر بالمرض وحُصِر بالعدو، وفي «المجمل» لابن فارس: «حُصِرَ بالمرض وأُحْصِرَ بالعدو»[٣]، وقال الفراءُ: هما بمعنًى واحد في المرض والعدو[٤].

قال القاضي أبو محمد: والصحيح أن حَصَر إنما هي فيما أحاط[٥] وجاور فقد يَحصر العدو والماء ونحوه ولا يَحصر المرض، وأحصر معناه: جَعَل الشيء ذا حصر، كأقْبَرَ وأحْمى[٦] وغير ذلك.

فالمرض والعدو والماء وغير ذلك قد يكون مُحصِراً لا حاصراً، ألا ترى أن العدوَّ كان مُحصِراً في عام الحديبية، وفي ذلك نزلت هذه الآية عند جمهور أهل التأويل.

وأجمع جمهور الناس على أن المحْصَر بالعدو يحل حيث أُحْصِر ويَنحر هَديه إن كان ثَمّ هدي ويحلق رأسه[٧]، وقال قتادة وإبراهيم: يبعث بهديه إن أمكنه، فإذا بلغ محله صار حلالاً[٨]، ولا قضاء عليه عند الجميع إلا أن يكون صَرورة[٩] فعليه حَجَّة الإسلام[١٠].

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (٣/ ٢٣) من طريق عيسى بن ميمون، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد وعطاء، كلاهما عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) في الحمزوية: «الفقه».

(٣) المجمل (١/ ٢٣٨، ٢٣٩).

(٤) معاني القرآن للفراء (١/ ١١٦-١١٧).

(٥) في المطبوع: «حاط».

(٦) يقال: أقبر فلاناً: جعل له قبراً، وأحمى المكان: جعله حِمًى.

(٧) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٢/ ١٥٣).

(٨) انظر: قول قتادة في تفسير الطبري (٤/ ٢٢)، وانظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٥/ ٢٠٧).

(٩) وهو الذي لم يحج حجة الإسلام من قبل، ووقع في نور العثمانية والمطبوع: ضرورة بالمعجمة ولعله خطأ.

(١٠) كما نقله البغوي في شرح السنة (٧/ ٢٨٦) عن مالك والشافعي، وانظر الإجماع على وجوب القضاء في الإقناع (٢/ ٨٥٤).

وقال ابن الماجشون: ليست عليه حجة الإسلام وقد قضاها حين أحصر[١]، وهذا ضعيف لا وجه له.

وقال أشهب: يُهدي المحْصَر بعدوٍّ هدياً من أجل الحصر[٢]، وقال ابن القاسم: لا يهدي شيئاً إلا إن كان معه هدي فأراد نحره، ذكره ابن أبي زيد[٣].

وقال عطاءٌ وغيره: المحْصَر بالمرض كالمحْصر بالعدوِّ[٤].

وقال مالك رحمه الله وجمهور من العلماء: المحصر بالمرض لا يحله إلا البيت، ويقيم حتى يفيق، وإن أقام سنين، فإذا وصل البيت بعد فوت الحج قطع التلبية في أوائل الحرم وحل بعمرة، ثم تكون عليه حجةُ قضاء وفيها يكون الهدي[٥]، وقيل: إن الهدي يجب في وقت الحصر أولاً.

ولم ير ابن عباس مَنْ أَحْصَره المرض داخلاً في هذه الآية، وقال: إن المريض إن لم يكن معه هدي حل حيث حُبس، وإن كان معه هدي لم يحل حتى يبلغ الهدي محله ثم لا قضاء عليه، قال: وإنما قال الله: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾ والأمن إنما هو من العدو، فليس المريض في الآية[٦].

و(ما) في موضع رفع، أي: فالواجب أو فعليكم ما استيسر، ويحتمل أن يكون في موضع نصب، أي: فانحروا أو فاهدوا.

و(مَا اسْتَيْسَرَ) عند جمهور أهل العلم: شاةٌ.

(١) انظر: المنتقى شرح الموطأ (٢/ ٣٤٣).
(٢) انظر: الاستذكار (٤/ ١٧٥).
(٣) انظر: النوادر (٢/ ٤٣١)، وهو: الفقيه المالكي؛ أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، المتوفى سنة (٣٨٦هـ)، ومؤلف كتاب النوادر والزيادات على المدونة، وكتاب مختصر المدونة، وكتاب الرسالة، وغيرها، انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ٤٣٨).
(٤) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٢٢).
(٥) انظر: الاستذكار (٤/ ١٧٧).
(٦) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٢٤).

[١٢٥] وقال ابن عمر وعروة بن الزبير / : جَمَلٌ دون جَملٍ، وبقرةٌ دون بقرة[١].

وقال الحسن: أعلى الهدي بَدَنَةٌ، وأوسطه بقرة، وأخسه شاةٌ[٢].

و﴿ٱلْهَدْيِ﴾ جمع هَدْيَةٍ كجَدْيَةِ السرج وهي البداد[٣]، جمعها جَدْي، ويحتمل أن يكون ﴿ٱلْهَدْيِ﴾ مصدراً سُمِّي به كالرَّهْن ونحوه، فيقع للإفراد وللجمع، وقال أبو عمرو بن العلاء: لا أعرف لهذه اللفظة نظيراً[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ﴾ الآية، الخطاب لجميع الأمة مُحْصَر ومُخْلى، ومن العلماءِ مَنْ يراها للمُحْصَرين خاصَّةً، ومحل الهدي حيث يحل نحره، وذلك لِمَنْ لم[٥] يُحْصَر بمِنى، ولمن أُحْصِرَ بعدوٍّ حيث أُحصر إذا لم يمكن إرساله، وأما المريض فإن كان له هدي فيرسله إلى محله.

والترتيب: أن يرمي الحاج الجمرة، ثم ينحر، ثم يحلق، ثم يطوف طواف الإفاضة، فإن نحر رجل قبل الرمي أو حلق قبل النحر فلا حرج حسب الحديث ولا دم. وقال [أصحاب الرأي][٦]: لا حرج في الحج ولكن يهرق دماً[٧].

وقال عبد الملك بن الماجشون من أصحابنا: إذا حلق قبل أن ينحر فلْيُهد[٨]، وإن حلق رجل قبل أن يرمي فعليه دم قولاً واحداً في المذهب[٩]، قال ابن المواز[١٠] عن مالك:

---

(١) صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٣٠-٣١) بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما، وعن عروة.

(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٢٢٢).

(٣) في المطبوع: «البراد».

(٤) مجاز القرآن (١/ ٦٩)، وتفسير الطبري (٣/ ٣٤).

(٥) «لم»: سقطت من المطبوع ونور العثمانية.

(٦) في نور العثمانية: «قوم»، وكذا في الأصل والمطبوع، مع الإشارة إلى النسخة الأخرى في هامشهما.

(٧) انظر: الاستذكار (٤/ ٣١٧).

(٨) انظر: المنتقى شرح الموطأ (٢/ ٤٤٢).

(٩) انظر: المدونة (٣/ ٨٠).

(١٠) هو الفقيه المالكي؛ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن زياد الإسكندراني، المتوفى سنة (٢٦٩هـ)،=

ويمرُّ المُوسَى على رأْسه بعد الرمي[١]، ولا دم في ذلك عند أبي حنيفة وجماعة معه[٢].

وقرأ الزهري والأعرج وأبو حيوة: (الهدِيّ) بكسر الدال وشد الياء في الموضعين واحدته هدية، ورويت هذه القراءة عن عاصم[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ الآية، المعنى: فحلق لإزالة الأذى فَفِدْيَةٌ، وهذا هو فحوى الخطاب عند أكثر الأصوليين.

ونزلت هذه الآية في كعب بن عجرة[٤] حين رآه رسول الله ﷺ ورأْسُهُ يتناثر قَمْلاً، فأمره بالحِلاق ونزلت الرخصة[٥].

و(فديةٌ) رفع على خبر الابتداء، والصيام عند مالك، وعطاءٍ، ومجاهد، وإبراهيم، وغيرهم، وجميع أصحاب مالك: ثلاثة أيام[٦]، والصدقة: ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع، وذلك مُدَّان بِمُدِّ النبي ﷺ[٧].

= ومؤلف كتاب الموَّازية، انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ٢٦٩).

(١) انظر: التاج والإكليل شرح مختصر خليل (٣/ ٣٦٤).

(٢) هذا قول أبي يوسف ومحمد، وأما أبو حنيفة فالمنقول عنه اللزوم، انظر القولين في الهداية شرح البداية (١/ ١٦٨)، والعنايه شرح الهداية (٤/ ١٣٤)، والبحر الرائق لابن نجيم (٣/ ٢٦)، وقد قال بقول أبي يوسف ومحمد: الشافعي (الأم ٧/ ٢١٣)، وأحمد في رواية كما في الشرح الكبير على متن المقنع (٣/ ٤٦١) وإسحاق وداود والطبري (الاستذكار ٤/ ٣٩٥).

(٣) عزاها للأعرج ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٩)، والثعلبي (٢/ ١٠٠)، ومع الخلاف عن عاصم في تفسير الطبري (٣/ ٣٥)، وله وللباقين في البحر المحيط (٢/ ٢٥٨)، وهي قراءة شاذة.

(٤) كعب بن عجرة بن أمية البلوي، حليف الأنصار، ويكنى أبا محمد، روى عنه ابن عمر، وجابر، وابن عبّاس، وطارق بن شهاب، وزيد بن وهب، وأولاده: إسحاق، ومحمد، وآخرون، توفي بالمدينة سنة (٥٢هـ) تقريباً. الإصابة (٥/ ٤٤٨).

(٥) أخرجه البخاري (١٧٢٠)، ومسلم (١٢٠١) من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه.

(٦) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٢/ ٢٧٣).

(٧) انظر: الاستذكار (٤/ ٣٨٥).

والنسك: شاة بإجماع، ومَن ذبح أفضل منها فهو أفضل[(١)].

وقال الحسن بن أبي الحسن وعكرمة: الصيام عشرة أيام، والإطعام عشرة مساكين[(٢)].

وقرأ الزهري: (أو نسْك) بسكون السين[(٣)].

وقال سعيد بن جبير ومجاهد: النسك: شاةٌ، فإن لم يجدها فقيمتها يُشترى بها طعامٌ فيُطْعمُ منه مُدَّان لكل مسكين، فإن لم يجد القيمة عرفها وعرف ما يشترى بها من الطعام وصام عن كل مُدَّيْن يوماً[(٤)].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ذلك كله حيث شاء[(٥)]، وقاله إبراهيم[(٦)]، وهو مذهب مالك وأصحابه إلا ابن الجهم، فإنه قال: لا يكون النسك إلا بمكة[(٧)].

وقال عطاءٌ ـ في بعض ما روي عنه ـ وأصحاب الرأْي: النسك بمكة، والصيام والإطعام حيث شاء[(٨)].

وقال الحسن بن أبي الحسن وطاوسٌ وعطاءٌ أيضاً، ومجاهد[(٩)]، والشافعي: النسك والإطعام بمكة، والصيام حيث شاء، والمفتدي مخير في أيِّ هذه الثلاثة شاء[(١٠)]، وكذلك قال مالك وغيره في كل ما في القرآن «أو» فإنه على التخيير[(١١)].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾، قال علقمة وعروة: المعنى: إذا بَـرَأتم من مرضكم،

---

(١) انظر: المنتقى شرح الموطأ (٣/ ٤).

(٢) انظر: الاستذكار (٤/ ٣٨٥).

(٣) عزاها له وللسلمي ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٩)، وهي قراءة شاذة.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٧٤).

(٥) المصدر السابق (٤/ ٧٩).

(٦) المصدر السابق (٤/ ٨٢).

(٧) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦/ ٣١).

(٨) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٢/ ٢٤١).

(٩) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٧٩).

(١٠) انظر: الاستذكار (٤/ ٣٨٩).

(١١) انظر: الموطأ (٣/ ٦١٧).

وقال ابن عباس وقتادة وغيرهما: إذا أمنتم من خوفكم من العدو المحْصِر[(١)]، وهذا أشبه باللفظ، إلا أن يُتَخَيَّلَ الخوف من المرض فيكون الأمن منه.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ﴾ الآية، قال عبد الله بن الزبير[(٢)] وعلقمة وإبراهيم: الآية في المحصَرين دون المخلى سبيلهم[(٣)].

وصورة المتمتع عند ابن الزبير: أن يُحصَرَ الرجلُ حتى يفوته الحج، ثم يصلَ إلى البيت فيحلَّ بعمرة ويقضي الحج مِنْ قابلٍ، فهذا قد تمتَّع بما بين العمرة إلى حج القضاء، وصورة المتمتع المحصَرِ عند غيرِه: أن يُحْصَرَ فيحلَّ دون عمرة ويؤخرها حتى يأْتِيَ مِنْ قابلٍ فيعتمر في أشهر الحج ويَحُجَّ من عامه[(٤)].

وقال ابن عباس وجماعة من العلماء: الآية في المُحْصَرِينَ وغيرِهم ممن خلي سبيله[(٥)].

وصورة المتمتع أن تجتمع فيه ستة شروط: أن يكون معتمراً في أشهر الحج وهو من غير حاضري المسجد الحرام، ويحلَّ وينشئ الحج من عامه ذلك دون رجوع إلى وطنه أو ما ساواه بُعْداً، هذا قول مالك وأصحابه[(٦)].

واختُلف لم سُمِّيَ مُتَمَتِّعاً؟:

فقال ابن القاسم: لأنه تمتع بكل ما لا يجوز للمحرم فِعْلُه من وقت حله في العمرة إلى وقت إنشائه الحج[(٧)].

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (٣/ ٢٣).

(٢) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (٣/ ٨٨).

(٣) انظر قولهما في تفسير القرطبي (٢/ ٣٨٦).

(٤) انظر الصورتين في تفسير الطبري (٤/ ٨٩).

(٥) لا بأس به، أخرجه الطبري (٣/ ٨٨) من طريق: عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء قال: قال ابن عباس: هي لمن أحصر ومن خليت سبيله.

(٦) انظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد (١/ ٢٦٨)، وشرح مختصر خليل للخرشي (٧/ ٣٦٨).

(٧) سقطت من جار الله.

وقال غيره: سُمِّي متمتعاً لأنه تمتع بإسقاط أحد السفَرين، وذلك أن حق العمرة أن تقْصَدَ بسفر وحق الحج كذلك، فلما تمتع بإسقاط أحدهما ألزمه الله هدْياً، كالقارن الذي يجمع الحج والعمرة في سفر واحد[١].

قال القاضي أبو محمد: فهذه شِدَّةٌ على القادِمِ مكة من سائر الأقطار لمَّا أسقط سفراً، والمكي لا يقتضي حاله سفراً في عمرة ولا حج لأنه في بقعة الحج فلم يُلْزَمْ شيئاً لأنه لم يُسقط شيئاً.

ومن قال: إن اسم التمتع وحكمه إنما هو من جهة التمتع بالنساء والطيب وغير ذلك، فيَرِدُ عليه أنه يستغرق قولُه: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ المكيَّ وغيره على السواء في القياس، فكيف يشتد مع ذلك على الغريب الذي هو أعذر ويُلْزَمُ هدياً، ولا يُفْعَلُ ذلك بالمكي؟ فيترجح بهذا النظر أن التمتع إنما هو من أجل إسقاط أحد السفرين.

إلا أن أبا عبيد قال في كتاب «الناسخ والمنسوخ» له: «إن العمرة في أشهر الحج ممنوعة للمكي لا تجوز له، ورخص الله تعالى للقادم لطول بقائه محرماً، وقرن الرخصة بالهدي»[٢].

فهذه شدة على أهل مكة، وبهذا النظر يَحسُن أن يكون التمتع من جهة استباحةِ
[١٢٦] ما لا يجوز للمحرم، لكنه قول شاذ لا يعَوَّل عليه[٣] / .

وجُلُّ الأُمة على جواز العمرة في أشهر الحج للمكي ولا دمَ عليه[٤]، وذكر أبو عبيد القولين عن ابن عمر واستند إليه في الذي وافقه[٥]، وقد حكاه الطبري عن

(١) انظر: المنتقى شرح الموطأ (٢/ ٣٧٤)، والشرح الكبير للدردير (٢/ ٢٩).
(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد (١/ ٢٩٤).
(٣) يعني بذلك القول الذي ورد قريباً عن أبي عبيد في تفسير التمتع.
(٤) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٨/ ٣٥٠).
(٥) انظر: الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد (١/ ٢٩٤،٢٨٨).

ابن عباس وقال: إنه قال: «يا أهل مكة، لا مُتْعَةَ لكم، إن الله قد أحلها لأهل الآفاق، وحرَّمها عليكم، إنما يَقْطَعُ أحدكم وادياً ثم يُحرم بعمرة»(١)، فمعنى هذا أنهم متى أحرموا داموا إلى الحج.

وقال السدي: المتمتع هو الذي يفسخ الحج في العمرة(٢)، وذلك لا يجوز عند مالك(٣)، وفي «صحيح مسلم» حديث سُراقة بنِ مالك(٤) قال: قلت: يا رسول الله: فَسْخُ الحج في العمرة؛ ألنا خاصة أم للأبد؟ فقال: «بل لأبد أبد، [بل لأبد أبد](٥)»(٦).

وإنما شرط في المتمتع أن يحل(٧) في أشهر الحج لأنها مدة يملكها الحج، فمن كان فيها محرماً فحقُّه أن يصل الإحرام إلى الحج، وفي كتاب مسلم إيعابُ الأحاديث في هذا المعنى(٨).

ومذهب عمر وقولُ أبي ذر: إن متعة النساء ومتعة الحج خاصتان لأصحاب النبيّ ﷺ(٩).

---

(١) منقطع، أخرجه الطبري (٤/ ١١٠) من طريق: سعيد، عن قتادة: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، قال قتادة: ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول: يا أهل مكة.

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٩١).

(٣) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٨/ ٣٥٨).

(٤) هو سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك المُدْلجي الكناني، يكنى أبا سفيان، كان ينزل قديداً، يعد في أهل المدينة. ويقال: إنه سكن مكة، ولما أتي عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقة فألبسه إياهما، وكان شاعراً مجوداً، توفي سنة (٢٤هـ). الاستيعاب (٢/ ٥٨١).

(٥) سقط المكرر من المطبوع، وفي جار الله بدل الأولى: «بل للأبد».

(٦) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٦٨٠٣)، ومسلم (١٢١٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٧) في جار الله: «يحرم».

(٨) انظر: صحيح مسلم (٢/ ٨٩٦)، كتاب: الحج، باب: جواز التمتع.

(٩) روى قول أبي ذر رضي الله عنه: مسلم في صحيحه (١٢٢٤).

وقال طاوس: من اعتمر في غير أشهر الحج ثم أقام حتى حج من عامه فهو متمتع، وقال الحسن بن أبي الحسن: من اعتمر بعد يوم النحر في بقية العام فهو متمتع، وهذان قولان شاذان لم يوافقهما أحد من العلماء[(١)].

وتقدم القول فيما استيسر من الهدي.

قوله عز وجل: ﴿...فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾.

قوله: ﴿لَّمْ يَجِدْ﴾ معناه: إما بعدم المال وإما بعدم الحيوان.

و﴿فِي الْحَجِّ﴾ قال عكرمة وعطاءٌ: له أن يصومها في أشهر الحج وإن كان لم يحرم بالحج[(٢)]، وقال ابن عباس[(٣)] ومالك بن أنس: له أن يصومها منذ يحرم بالحج[(٤)]، وقال عطاءٌ أيضاً، ومجاهد: لا يصومها إلا في عشر ذي الحجة[(٥)].

وقال ابن عمر والحسن والحَكَم: يصوم يوما قبل يوم التروية [ويوم التروية][(٦)] ويوم

(١) انظر القولين وشذوذهما في الاستذكار (٤/ ٩٨-٩٩)، والتمهيد لابن عبد البر (٨/ ٣٤٥).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٤/ ١٠٣).
(٣) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٩٥، ١٠٣) عن ابن عباس، بإسناد ضعيف.
(٤) انظر قول مالك في التمهيد لابن عبد البر (١٢/ ١٢٨).
(٥) انظر قول عطاء في تفسير الطبري (٤/ ١٠٢)، وقول مجاهد لم أقف عليه إلا في البحر المحيط (٢/ ٢٦٦).
(٦) ساقط من جار الله.

عرفة، وكلهم يقول: لا يجوز تأخيرها عن عشر ذي الحجة؛ لأن بانقضائه ينقضي الحج[١].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن عمر، ومالك بن أنس وجماعة من أهل العلم: من فاته صيامها قبل يوم النحر فله صيامها في أيام التشريق، لأنها من أيام الحج، وقال قوم: له ابتداءُ تأْخيرها إلى أيام التشريق، لأنه لا يجب عليه الصيام، إلا بألا يجد يوم النحر[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾[٣] قال مجاهد، وعطاءٌ، وإبراهيم: المعنى: إذا رجعتم من منى، فمن بقي بمكة صامها، ومن نهض إلى بلده صامها في الطريق[٤].

وقال قتادة والربيع: هذه رخصة من الله تعالى، والمعنى: إذا رجعتم إلى أوطانكم، فلا يجب على أحد صومُ السبعة إلا إذا وصل وطنه، إلا أن يتشدد أحد كما يفعل من يصوم في السفر في رمضان[٥].

وقرأ زيد بن علي: (وسبعةً) بالنصب[٦]، أي: وصوموا سبعة.

ولمَّا جاز أن يتوهمَ مُتَوَهِّمٌ التخيير بين ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع؛ أزيل ذلك بالجملة[٧] من قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ قال الحسن بن أبي الحسن: المعنى: كاملةٌ في الثواب كمن أهدى[٨].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٩٩).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٩٩)، وزاد في المطبوع: هدياً.
(٣) في هامش أحمد٣ كلمات ملحقة غير واضحة.
(٤) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٢٢٩-٢٣٠)، وتفسير الطبري (٣/ ١٠٦-١٠٧).
(٥) انظر: تفسير الطبري (٤/ ١٠٨).
(٦) تابعه في البحر المحيط في التفسير (٢/ ٢٦٧)، وعزاها هو والهذلي في الكامل (ص: ٥٠٢) والكرماني في الشواذ (ص: ٨٦) والزمخشري في الكشاف (١/ ٢٦٩) لابن أبي عبلة. وهي قراءة شاذة.
(٧) في نور العثمانية وجار الله: «بالجلية»، وهي محتملة في الأصل.
(٨) في الأصل: «افتدى»، مع التنبيه على أن في نسخة «أهدى».

وقيل: كاملة في الثواب كمن لم يتمتع، وهذا على أن الحج الذي لم تكثر(١) فيه الدماءُ أخلص وأفضل، خلافاً لأبي حنيفة.

وقيل: ﴿كَامِلَةٌ﴾ توكيد كما تقول: كتبت بيدي(٢)، وكقوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦]، وقيل: لفظها الإخبار ومعناها الأمر، أي: أكملوها فذلك فرضها.

وقال الأستاذ الأجلُّ أبو الحسن علي بن أحمد: المعنى: تلك كاملةٌ، وكرر الموصوف تأْكيداً، كما تقول: زيد رجلٌ عاقلٌ(٣).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ﴾ الآية، الإشارة إلى التمتع وهديه وحكمه، وهذا على قول من يرى أن المكي لا تجوز له المتعةُ في أشهر الحج، فكأن(٤) الكلام ذلك الترخيص، ويتأيد هذا بقوله: ﴿لِمَن﴾، لأن اللام أبداً إنما تجيءُ مع الرُّخص، تقول: لك أن تفعل كذا، وأما مع الشدة فالوجه أن تقول: عليك، وأما من يرى أن المكيَّ يعتمر ولا دم عليه لأنه لم يسقط سفراً، فالإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ ـ على قوله ـ هي إلى الهدي، أي: ذلك الاشتداد والإلزام(٥).

واختلف الناس في ﴿حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ بعد الإجماع على أهل مكة وما اتصل بها ـ وقال الطبري: «بعد الإجماع على أهل الحرم»(٦) وليس كما قال ـ:

فقال بعض العلماء: من كان حيث تجب الجمعة عليه بمكة فهو حضري ومن كان أبعد من ذلك فهو بدوي، فجعل اللفظة من الحضارة والبداوة.

---

(١) في جار الله: «لم يذكر»، وفي حاشية المطبوع: «وفي بعض النسخ: لم تكن».
(٢) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٣/ ١٠٨-١٠٩)
(٣) لم أقف عليه، وهو شيخ المصنف، يعرف بابن الباذش، وقد سبق التعريف به.
(٤) في الأصل: «فإن»، والتصحيح من النسخ الأخرى، إلا أنها تحتمل أيضاً: «فكان».
(٥) في المطبوع: «الإلزام» دون واو قبلها.
(٦) تفسير الطبري (٣/ ١١٠).

وقال بعضهم: من كان بحيث لا تقصر الصلاة إلى مكانه فهو حاضر، أي: مشاهد[(١)]، ومن كان أبعد من ذلك فهو غائب.

وقال عطاء بن أبي رباح: مكة وضَجْنان[(٢)] وذو طوى وما أشبهها حاضرو المسجد الحرام، وقال ابن عباس[(٣)] ومجاهد: أهل الحرم كُلِّهِ حاضرو المسجد الحرام[(٤)].

وقال مكحول[(٥)] وعطاءٌ: من كان دون المواقيت من كل جهة حاضرو المسجد الحرام.

وقال الزهري: من كان على يوم أو يومين فهو من حاضري المسجد الحرام [(٦)].

ثم[(٧)] أمر تعالى بتقواه على العموم، وحذر من شديد عقابه.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾، في الكلام حذف تقديره: أشهر الحج أشهر / ، [أو: وقتُ الحج أشهر][(٨)]، أو: وقت عمل الحج أشهر. [١٢٧]

والغرض إنما هو أن يكون الخبر عن الابتداءِ هو الابتداءُ نفسه، والحج ليس بالأشهر فاحتيج إلى هذه التقديرات، ومن قدر الكلام: الحج في أشهر، فيلزمه مع سقوط حرف الجر نصبُ الأشهر، ولم يقرأ بنصبها أحد.

---

(١) في الحمزوية: «شاهد».
(٢) قال في القاموس المحيط (ص: ١٢١١): وضجنان، كسكران: جبل قرب مكة، وجبل آخر بالبادية.
(٣) معضل، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ١١٠) من طريق الثوري قال: بلغنا عن ابن عباس...، وهذا إسناد معضل.
(٤) تكررت هذه الجملة في المطبوع، ولعله خطأ.
(٥) مكحول بن أبي مسلم أبو عبد الله، فقيه الشام وشيخ أهل دمشق، أرسل عن النبي ﷺ، وروى عن: أبي أمامة، وواثلة، وأنس، وخلق، وعنه: أيوب بن موسى، وآخرون،، ثقة صدوق كان قدريّاً ثم رجع عنه، توفي سنة (١١٣هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٤٧٨).
(٦) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٣/ ١١١ - ١١٢).
(٧) في الأصل: «كما»، والمثبت من النسخ الأخرى.
(٨) ساقط من نور العثمانية.

وقال ابن مسعود[(١)] وابن عمر[(٢)] وعطاءٌ والربيع ومجاهد والزهري: أشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة كله، وقال ابن عباس والشعبي والسدي وإبراهيم: هي شوال وذو القعدة وعشر [ليال من][(٣)] ذي الحجة.

والقولان لمالك رحمه الله، حكى الأخير ابن حبيب[(٤)].

وجُمع على هذا القول الأخير الاثنان وبعض الثالث كما فعلوا في جمع عشر فقالوا: عشرون، لعشرين ويومين من الثالث، وكما قال امرؤ القيس:

[الطويل] .... ثَلاثُون شهراً في ثلاثةِ أحْوال[(٥)]

فمن قال: إن ذا الحجة كلَّه من أشهر الحج، لم ير دَماً فيما يقع من الأعمال بعد يوم النحر لأنها في أشهر الحج، وعلى القول الآخر ينقضي الحج بيوم النحر ويلزم الدَّمُ فيما عمل بعد ذلك[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ أي: من ألزمه نفسه، وأصل الفرض: الحزُّ الذي يكون في السهام والقِسي وغيرها، ومنه فُرْضة النهر والجبل، فكأن من التزم شيئاً وأثبته على نفسه قد فرضه.

---

(١) لم أجده، هذا الأثر لم أقف عليه، وإنما نقل الطبري عن أبي الأحوص عن ابن مسعود القول الثاني: «.. وعشر ذي الحجة»، وانظر: المحلى (٧/ ٦٩)، وشرح البخاري لابن بطال (٤/ ٢٣٦).

(٢) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٤/ ١١٧) بإسناد فيه شريك، وهو ابن عبد الله النخعي، وإبراهيم ابن مهاجر، وهما ضعيفان.

(٣) زيادة من نور العثمانية.

(٤) انظر: المنتقى شرح الموطأ (٢/ ٣٠٢).

(٥) عجز بيت وصدره: وَهَل يَعِمَنْ مَن كان أحدثُ عَهدِه، وهو لامرئ القيس كما في جمهرة اللغة (٣/ ١٣١٥)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٣٢)، وأدب الكاتب (ص: ٥١٨)، والخصائص (٢/ ١١٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٣٢)، وجاءت «ثلاثون» هكذا في الأصل بالرفع على أن خبر كان جملة اسمية، ووقع في المطبوع وأكثر المصادر: «ثلاثين» بالنصب على أن الخبر مفرد.

(٦) انظر: المنتقى شرح الموطأ (٢/ ٣٠٢).

وفَرْضُ الحج هو بالنِّية، والدخول في الإحرام، والتلبية تبع لذلك، و(مَن) رفع بالابتداء، ومعناها الشرط، والخبر قوله: ﴿فَرَضَ﴾، لأن (مَن) ليست بموصولة، فكأنه قال: فرجلٌ فَـرَض.

وقوله: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾: يحتمل أن يكون الخبر، وتكون ﴿فَرَضَ﴾ صفة.

وقوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ﴾ ولم يجئ الكلام: فَـرَضَ فِيهَا، فقال قوم: هما سواءٌ في الاستعمال.

وقال أبو عثمان المازني[١]: الجمع الكثير لما لا يعقل يأتي كالواحدة المؤنثة، والقليل ليس كذلك، تقول: الأجذاع انكسرن، والجذوع انكسرت[٢]، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِـدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾ [التوبة: ٣٦] ثم قال: ﴿مِنْهَآ﴾.

وقرأ نافع: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِـدَالَ﴾ بنصب الجميع، وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالَ﴾ [بالرفع في الاثنين ونصب][٣] «الجدال»[٤].

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع بالرفع في الثلاثة[٥]، ورويت عن عاصم في بعض الطرق[٦].

---

(١) هو أبو عثمان بكر بن محمد المازني النحوي البصري المشهور، كان إماماً في النحو والأدب، أخذ عن أبي عبيدة والأصمعي والأخفش، وهو أُستاذ المبرد، قيل عنه: لم يكن أحد بعد سيبويه أعلم بالنحو من المازني، توفي سنة: (٢٤٩هـ). إنباه الرواة (١/ ٢٨١).

(٢) انظر المخصص (٥/ ٥٦).

(٣) في جار الله بدله: «بالرفع والتنوين».

(٤) والباقون بالنصب من غير تنوين، انظر: التيسير (ص: ٨٠).

(٥) النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٤١).

(٦) قال الداني في جامع البيان (٢/ ٩١٠): يروى عن المفضل عن عاصم أنه رفع الأسماء الثلاثة ونوّنها، ولم أقرأ بذلك من طريقه.

و(لا) بمعنى ليس في قراءة الرفع، وخبرها محذوف على قراءة أبي عمرو، و﴿ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ خبر (لا جِدالَ).

وحَذْفُ الخبر هنا هو مذهب أبي علي، وقد خولف في ذلك، بل ﴿ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ هو خبر الكل، إذ هو في موضع رفع في الوجهين، لأن «لا» إنما تعمل على بابها فيما يليها وخبرها مرفوع باق على حاله من خبر الابتداء، وظن أبو علي أنها بمنزلة ليس في نصب الخبر[١].

وليس كذلك، بل هي والاسم في موضع الابتداء يطلبان الخبر، و﴿ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ هو الخبر في قراءةِ كلِّها بالرفع وفي قراءتها بالنصب.

والتحرير أن ﴿ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ في موضع نصب[٢] بالخبر [المقدر][٣]، كأنك قلت: موجود في الحج، ولا فرق بين الآية وبين قولك: زيد في الدار.

وقال ابن عباس[٤]، وابن جبير، والسدي، وقتادة، ومالك، ومجاهد، وغيرهم: الرفث الجماع[٥].

وقال عبد الله بن عمر[٦] وطاوس وعطاء وغيرهم: الرفث الإعرابة والتعريب[٧]،

---

(١) انظر مذهب أبي علي هذا في الحجة للقراء السبعة (٢/ ٢٩٠)، قال أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٢٥٦): هذا الظنّ صحيح، وهو كما ظن، ويدل عليه أن العرب حين صرحت بالخبر على أن:(لا)، بمعنى (ليس) أتت به منصوباً في شعرها،.. لكنه من الندور بحيث لا تبنى عليه القواعد كما ذكرنا، ومثل هذا في القرآن لا ينبغي.

(٢) في جار الله: «رفع». ولعله الصواب.

(٣) في الحمزوية: «المتقدم».

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ١٢٩-١٣٠) من طرق يقوي بعضها بعضا عن ابن عباس.

(٥) انظر قول مجاهد في تفسيره (ص: ٢٢٩)، ومع قول قتادة وسعيد في تفسير الطبري (٤/ ١٣١)، والسّدي في تفسير الثعلبي (٢/ ١٠٥).

(٦) أخرجه الطبري (٤/ ١٢٦) بإسناد صحيح.

(٧) قال في المخصص (٣/ ٣٨٥): والعرابة والإعراب والإعرابة: ما يكره من الكلام وكره الإعراب للمحرم، وقد أعربت.

وهو الإفحاش بأمر الجماع عند النساء خاصة[١].

وهذا قول ابن عباس أيضاً، وأنشد وهو محرم:

وَهــنَّ يَـمْـشِـيـنَ بِـنـا هَمِيساً   إن تصْـدق الطَّـيْـرُ نَنِـكْ لَمِيسـا[٢]   [الرجز]

فقيل له: ترفث وأنت محرم؟ فقال: «إنما الرفث ما كان عند النساء»[٣].

وقال قوم: الرفث: الإفحاش بذكر النساء، كان ذلك بحضرتهن أم لا، وقد قال ابن عمر للحادي: «لا تذكر النساء»[٤]، وهذا يحتمل أن تحضر امرأة فلذلك نهاه، وإنما يقوي القول من جهة ما يلزم من توقير الحج.

وقال أبو عبيدة: «الرفث: اللغا من الكلام»[٥]، وأنشد:

عن الـلَّـغَـا وَرَفَثِ التَّـكَـلُّمِ[٦]   [الرجز]

قال القاضي أبو محمد: ولا حجة في البيت.

وقرأ ابن مسعود: (ولا رُفُوث)[٧].

وقال ابن عباس[٨] وعطاء والحسن وغيرهم: الفسوق: المعاصي كلها لا يختص بها شيءٌ دون شيء[٩].

---

(١) انظر قولهما في تفسير الطبري (٤/ ١٢٧).

(٢) البيت بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (٢/ ١٩٢)، والحجة لأبي علي (٢/ ٢٨٨)، وجمهرة اللغة (١/ ٤٢٢)، وغيرها.

(٣) ينظر: مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٧٥٨)، وسنن البيهقي (٥/ ٦٧)، ومعرفة السنن والآثار (٨/ ١٢٥).

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ١٢٩) بإسناد صحيح.

(٥) مجاز القرآن (١/ ٧٠).

(٦) البيت للعجاج كما تقدم في تفسير الآية (١٨٧) من هذه السورة، واللغا: الباطل.

(٧) المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٧٤)، وعزاها تفسير الثعلبي (٢/ ١٠٥) للأعمش.

(٨) أخرجه الطبري (٤/ ١٣٥) بإسناد فيه لين.

(٩) انظر تفسير الطبري (٤/ ١٣٥).

وقال ابن عمر وجماعة معه: الفسوق: المعاصي في معنى الحج كقتل الصيد وغيره[١].

وقال ابن زيد ومالك: الفسوق: الذبح للأصنام[٢]، ومنه قول الله تعالى: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وقال الضحاك: الفسوق: التنابز بالألقاب[٣]، ومنه قول الله تعالى: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ﴾ [الحجرات: ١١].

وقال ابن عمر أيضاً[٤]، ومجاهد، وعطاءٌ، وإبراهيم: الفسوق السباب[٥]، ومنه قول النبي ﷺ: «سِباب المسْلم[٦] فُسوقٌ وَقِتَالُه كُفْرٌ»[٧]، وعموم جميع المعاصي أولى الأقوال.

وقال قتادة وغيره: الجدال هنا السباب[٨]، وقال ابن مسعود، وابن عباس[٩]، وعطاءٌ، ومجاهد: الجدال هنا أن تماري مسلماً حتى تغضبه[١٠].

وقال مالك وابن زيد: الجدال هنا أن يختلف الناس أيهم صادف موقف إبراهيم

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ١٣٧-١٣٨) بإسناد صحيح.

(٢) تفسير الطبري (٤/ ١٣٨)، وانظر قول مالك في: الاستذكار (٤/ ٢٧٦).

(٣) تفسير الطبري (٤/ ١٣٨).

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ١٣٨) بإسناد لين.

(٥) في الحمزوية: «السيئة»، انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (٤/ ١٣٥- ١٣٧).

(٦) في الحمزوية: «المؤمن».

(٧) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٩٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٨) تفسير الطبري (٤/ ١٤٥).

(٩) أخرجه الطبري (٤/ ١٤١) بإسناد جيد.

(١٠) تفسير الطبري (٤/ ١٤١ - ١٤٥).

عليه السلام، كما كانوا يفعلون في الجاهلية حين كانت قريش تقف في غير موقف سائر العرب ثم يتجادلون بعد ذلك(١).

وقال محمد بن كعب القرظي: الجدال أن تقول طائفة: حجُّنا أبرُّ من حجكم، وتقول الأخرى مثل ذلك، وقالت فرقة: الجدال هنا أن تقول طائفة: الحج اليوم، وتقول طائفة: بل الحج غداً، وقيل: الجدال كان في الفخر بالآباء(٢).

وقال مجاهد وجماعة معه: الجدال أن تُنْسئَ العرب الشهور حسب ما كان النسيءُ عليه، فقرر الشرع وقت الحج وبيَّنه، وأخبر أنه حتم لا جدال فيه(٣).

وهذا أصح الأقوال وأظهرها.

والجدال مأخوذ من الجَدْل وهو الفتل، كأن كل مجادل يفاتل صاحبه في الكلام.

وأما ما كان النسيء عليه / فظاهر «سير ابن إسحاق» وغيرها من الدواوين](٤) أن [١٢٨]
الناسئ كان يُحل المحرم [لئلا تتوالى على العرب ثلاثة أشهر لا إغارة فيها، ويُحرم صفر، وربما سمَّوه المحرم](٥)، وتبقى سائر الأشهر بأسمائها حتى يأْتي حجُّهم في ذي الحجة [على الحقيقة](٦)(٧).

وأسند الطبري عن مجاهد أنه قال: كانوا يُسقطون المحرم ثم يقولون: صفران،

(١) انظر: الموطأ؛ الأثر رقم: (١٤٥٠)، (٣/ ٥٧١)، وتفسير الطبري (٤/ ١٤٦).
(٢) تفسير الطبري (٤/ ١٤٥).
(٣) تفسير الطبري (٤/ ١٤٦-١٤٨).
(٤) من قوله (ص: ٧٢٠): «والقولان» إلى هنا بقيت صفحة من نسخة أحمد٣ لم تصور.
(٥) ساقط من السليمانية.
(٦) ساقط من فيض الله.
(٧) السيرة النبوية (١/ ١٦١)، والهداية لمكي (٤/ ٢٩٩١).

لصفر وشهر ربيع الأول، ثم كذلك ينقلون أسماء الشهور، ويتبدل وقت الحج في الحقيقة، لكنه يبقى في ذي الحجة بالتسمية لا في حقيقة الشهر، قال[١]: فكان حج أبي بكر سَنَةَ تِسْعٍ في ذي القعدة على الحقيقة، ثم حج رسول الله ﷺ سنة عشر في ذي الحجة على الحقيقة[٢]، وحينئذ قال: «إن الزمان قد استدار»[٣] الحديث، ونزلت: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ أي: قد تَبيَّن أمره فلا ينتقل شهر البتة[٤] أبدا[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [المعنى: فيثيب عليه، وفي هذا تحضيض على فعل الخير.

وقوله تعالى:][٦] ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ الآية، قال ابن عمر[٧] وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد: نزلت الآية في طائفة من العرب كانت تجيء إلى الحج بلا زاد ويقول بعضهم: نحن المتوكلون، ويقول بعضهم: كيف نحج بيت الله ولا يطعمنا؟

---

(١) سقطت من جار الله.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤/ ١٤٧)، دون لفظ «على الحقيقة»، وهذا القول مشهور عن مجاهد نقله غير واحد، وقد أشار المؤلف إلى أنه مخالف لظاهر سير ابن إسحاق وغيره من الدواوين، وذكر القسطلاني في المواهب (١/ ٤٢٩): «أن ابن إسحاق صرح بأن النبي ﷺ أقام بعد ما رجع من تبوك رمضان وشوالاً وذا القعدة، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج، فهو ظاهر في أن بعث أبي بكر كان بعد انسلاخ ذي القعدة، فيكون حجه في ذي الحجة على هذا»، ومما يعترض به هذا القول أن العرب إنما كانت تنسئ بأمر الناسئين من أهل الجاهلية، وأبو بكر رضي الله عنه لا يأتمر بأمرهم، كما أنه يؤدي إلى التشكيك في شهر رمضان، وفي الكثير من التواريخ المتواترة، والله أعلم.

(٣) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٣٠٢٥)، ومسلم (٤٤٧٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٤) «البتة» : سقطت من جار الله وفيض الله.

(٥) تفسير الطبري (٤/ ١٤٨)، وتفسير السمعاني (١/ ٢٠٠)، وأحكام القرآن للجصاص (١/ ٣٨٥).

(٦) ساقط من نور العثمانية.

(٧) ضعيف جدًّا، هذا الأثر أخرجه الطبري (٤/ ١٥٦) بإسناد فيه عمرو بن عبد الغفار، وهو الفقيمي، وهو متروك الحديث.

فكانوا يبقون عالة على الناس، فَنُهوا عن ذلك، وأُمروا بالتزود[١].

وقال بعض الناس: المعنى: تزودوا الرفيق الصالح[٢]، وهذا تخصيص ضعيف، والأولى في معنى الآية: وتزودوا لمعادكم من الأعمال الصالحة.

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ حض على التقوى.

وخُصَّ أُولو الألباب بالخطاب وإن كان الأمر يعم الكل؛ لأنهم الذين قامت عليهم حجة الله، وهم قابِلو أوامره والناهضون بها، وهذا على أن اللب لبُّ التجارب وجودة النظر، وإن جعلناه لبَّ التكليف فالنداءُ بـ﴿أُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ عام لجميع المكلفين.

واللب: العقل، تقول العرب: لَبُبْتُ ـ بضم الباءِ الأُولى ـ أَلُبُّ بضم اللام، حكاه سيبويه[٣]، وليس في الكلام فعُل يفعُل بضم العين فيهما غير هذه الكلمة[٤].

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ الآية؛ الجُنَاح أعم من الإثم؛ لأنه فيما يقتضي العقاب وفيما يقتضي العتاب والزجر، و﴿تَبْتَغُواْ﴾ معناه: تطلبون بمحاولتكم.

وقال ابن عمر، وابن عباس، ومجاهد، وعطاء: إن الآية نزلت لأن العرب تحرجت لما جاءَ الإسلام أن يحضروا أسواق الجاهلية كعكاظ وذي المَجَاز ومَجَنَّة، فأباح الله تعالى ذلك، أي: لا درك في أن تتجروا وتطلبوا الربح[٥].

وقال مجاهد: كان بعض العرب لا يتجرون [مذ يحرمون][٦]، فنزلت الآية في

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ١٥٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن مكحول (١/ ٣٤٩).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٦٦٣) بلا نسبة.

(٤) أي: مضاعفاً، وانظر أدب الكاتب (١/ ٣٦٣).

(٥) صحيح، هذا الأثر أخرجه البخاري (٢٠٥٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولم نجده عن الباقين.

(٦) في الحمزوية: «بعد أن يحرموا».

إباحة ذلك[(١)]، وقال ابن عمر فيمن أكرى ليحج: [«حجه تام، ولا حرج][(٢)] عليه في ابتغاء الكراء»[(٣)].

وقرأ ابن عباس وابن مسعود وابن الزبير: (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج)[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾: أجمع أهل العلم على تمام حجِّ من وقف بعرفة بعد الزوال وأفاض نهاراً قبل الليل، إلا مالك بن أنس، فإنه قال: لا بد أن يأْخذ من الليل شيئاً، وأما من وقف بعرفة بالليل فلا خلاف بين الأمة في تمام حجه[(٥)].

وأفاض القوم أو الجيش: إذا اندفعوا جملة، ومنه: أفاض الرجل في الكلام، ومنه فاض الإناء، وأفضْتُه، ومنه المفيض في القداح، والتنوين في ﴿عَرَفَٰتٖ﴾ على حده في مسلمات، الكسرة مقابلة للياء في مسلمين والتنوين مقابل للنون، فإذا سميتَ به شخصاً تُرِك[(٦)]، وهو معرَّف على حده قبل أن تسمي به، فإن كان ﴿عَرَفَٰتٖ﴾ اسماً لتلك البقعة كلها فهو كما ذكرناه، وإن كان جمع عرفة فهو كمسلمات دون أن يسمى به.

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ١٦٤).

(٢) في الحمزوية ونور العثمانية: «حجة الإسلام لا حرج».

(٣) روي مرفوعاً بإسناد لا بأس به، روى مسدد عن يحيى عن عبد الله بن شبيب ثنا أبو السليل قلت لابن عمر... موقوف، ذكره الحافظ في المطالب العالية (٦/ ٣٠٨). اهـ وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٢٤٠٤): رواه مسدد بسند ضعيف، لضعف عبد الله بن شبيب اهـ، وقال ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٨٦٣): حدثنا ابن فضيل، عن العلاء بن المسيب، عن رجل من بكر بن وائل، قال: سألت ابن عمر، قلت: إنا نكري في هذا الوجه للحج...وذكره مرفوعاً، وأخرجه أبو داود (١٧٣٥) عن مسدد حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا العلاء بن المسيب حدثنا أبو أمامة التيمي قال: كنت رجلاً أكري في هذا الوجه وكان ناس يقولون لي: إنه ليس لك حج فلقيت ابن عمر...فذكره مرفوعاً.

(٤) الكشاف (١/ ٢٧٣)، وتفسير الطبري (٤/ ١٦٥). وهي قراءة شاذة.

(٥) انظر: الاستذكار (٤/ ٢٨١).

(٦) في الحمزوية: «نزل».

وحكى سيبويه كسر التاء من «عرفات» دون تنوين في حال النصب والخفض مع التعريف[١]، وحكى الكوفيون فتحها في حال النصب والخفض تشبيهاً بتاء فاطمة وطلحة.

وسميت تلك البقعة عَرَفاتٍ لأن إبراهيم عَرَفها حين رآها على ما وصفت له، قاله السدي[٢].

وقال ابن عباس: «سميت بذلك لأن جبريل عليه السلام كان يقول لإبراهيم عليه السلام: هذا موضع كذا، فيقول: قد عرفتُ»[٣].

وقيل: سميت بذلك لأن آدم عرف بها حواء حين لقيها هناك.

والظاهر أنه اسم مرتجل كسائر أسماء البقاع، وعَرفة هي نَعْمان الأراك[٤]، وفيها يقول الشاعر:

تَـزَوَّدْت مِـنْ نَعْمَـانَ عُـودَ أَرَاكَـةٍ   لِهِنْـدٍ ولكـن مَـنْ يُبَلِّغُـهُ هِنْـدا[٥]   [الطويل]

و﴿ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ جمع كله، وهو ما بين جبلي المزدلفة من حدِّ مُفْضَى مَأْزِمَي عرفة[٦]، إلى بطن محسِّرٍ، [قال ذلك ابن عباس[٧] وابن جبير، والربيع، وابن

---

(١) الكتاب (٣/ ٢٣٣).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ١٧٢ و١٧٣)، وفي المطبوع: «قال السدي»، على أن مقوله ما سيأتي، وهذا غير بين.

(٣) فيه من لا يعتد به، هذا الأثر أخرجه أبو داود الطيالسي (٢٦٩٧) مطولاً بنحوه، من طريق أبي عاصم الغنوي، عن أبي الطفيل، عن ابن عباس، رضي الله عنهما به. وأبو عاصم تفرد عنه حماد بن سلمة، ولا يكاد يعرف، وإن نقل عن ابن معين توثيقه.

(٤) في أحمد٣ بدلها بياض.

(٥) البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه (١/ ١٤٧)، وفي معجم ما استعجم (٤/ ١٣١٦)، ونسبه لورد الجعدي في شرح الحماسة (٢/ ١٢٣)، وكذلك في الحماسة البصرية (٢/ ١٨٤)، وتاج العروس (٢٧/ ٣٦)، ونسب في الأغاني (١١/ ٣٥٢)، ورسالة الغفران (ص: ١٠٦) للمرقش الأكبر، وفي رواية «تخيرت».

(٦) المَأزم بوزن مَسْجِد: الطريق الضيق بين الجبلين، ويقال للموضع الذي بين عرفة والمشعر.

(٧) إسناده ضعيف، أخرجه الطبري (٤/ ١٧٦) من طريق: إسرائيل، عن حكيم بن جبير، عن ابن عباس قال: ما بين الجبلين اللذين بجمع مشعر. وحكيم ضعيف.

عمر[١] ومجاهد[٢]، فهي كلها مشعر إلا بطن محسِّر]،[٣] كما أن عرفة كلها موقف إلا بطن عُرنة[٤]، بفتح الراء وضمها.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «عرفة كلُّها موقف إلا بطن عُرنة، والمزدلفة كلها مشعر[٥]، وارتَفِعُوا عن بطن محسِّر»[٦].

وذكر هذا عبد الله بن الزبير في خطبته[٧].

وفي المزدلفة قرن قُزَحَ الذي كانت قريش تقف عليه.

وذِكْرُ الله تعالى عند المشعر الحرام نَدْبٌ عند أهل العلم[٨].

وقال مالك: من مرَّ به ولم ينزل فعليه دم، وقال الشافعي: من خرج من مزدلفة قبل نصف الليل فعليه دم، وإن كان بعد نصف الليل فلا شيء عليه، وقال الشعبي والنخعي: من فاته الوقوف بمزدلفة فاته الحج[٩].

---

(١) صحيح، أخرجه الطبري (٤/ ١٧٦-١٧٧) من طرق عن ابن عمر.
(٢) انظر: تفسير الطبري (٤/ ١٧٦).
(٣) ساقط من الأصل وأثبتناه من النسخ الأخرى.
(٤) انظر: الاستذكار (٤/ ٢٧٥).
(٥) في نور العثمانية هنا زيادة: «إلا»، ولعلها خطأ.
(٦) في إسناد الحديث بهذا التمام مقال وقد روي موقوفاً، أخرجه بهذا التمام: الحاكم (١/ ٤٦٢)، وعنه البيهقي في الكبرى (٥/ ١١٥)، من طريق أبي الزبير، عن أبي معبد، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً به. وأبو الزبير مدلس ولم يصرح بالسماع، وقد روي عن ابن عباس من قوله، أخرجه البيهقي أيضاً (٥/ ١١٥)، وأخرجه ابن ماجه (٣٠١٢)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وإسناده واه جداً، وروي من طرق أخرى كلها واهية لا يصلح شيء منها، أما قوله: «عرفة كلها موقف» ففي صحيح مسلم رقم (١٢١٨).
(٧) صحيح، هذا الأثر أخرجه مالك في الموطأ (٨٧٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٤٠٦٦) بإسناد صحيح.
(٨) انظر: الاستذكار (٤/ ٢٨٥).
(٩) انظر قول مالك وقول الشعبي والنخعي في: الاستذكار (٤/ ٢٨٤)، وقول الشافعي في: الأم (٢/ ٢٣٣).

وقوله: ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ تعديدٌ للنعمة وأمر بشكرها، ثم ذكَّرهم بحال ضلالهم ليظهر قدر الإنعام، والكاف في ﴿كَمَا﴾ نعت لمصدر محذوف [و(ما) مصدرية أو كافة][(١)].

و(إنْ) مخففة من الثقيلة، ويدل على ذلك دخول اللام في الخبر، هذا قول سيبويه، وقال الفراء: هي النافية بمعنى «ما»، واللام بمعنى «إلّا»[(٢)].

والضمير في ﴿قَبۡلِهِۦ﴾ عائد على الهُدى.

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيۡتُم / مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ [١٢٩]
أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾.

قال ابن عباس وعائشة وعطاءٌ ومجاهد، وغيرهم: المخاطب بهذه الآية قريش ومَنْ ولدت، وهُمُ الحمس[(٣)]، وذلك أنهم كانوا يقولون: نحن قطين الله فينبغي لنا أن نعظِّم الحرم ولا نعظم شيئاً من الحل، فسنُّوا شق الثياب في الطواف إلى غير ذلك، وكانوا مع معرفتهم وإقرارهم أن عرفة هي موقف إبراهيم لا يخرجون من الحرم ويقفون بجمع ويفيضون منه، ويقف الناس بعرفة، فقيل لهم أن يفيضوا مع الجملة.

---

(١) زيادة من المطبوع، وعلق عليه في الحاشية بقوله: أي كفّت الكاف عن العمل، وكونها مصدرية أولى، أيْ: كهدايته، والفرق بين المصدرية والكافة أن (ما) المصدرية تكون هي وما بعدها في موضع جر، إذ يَنْسَبِكُ منها مع الفعل مصدر، والكافة لا يكون فيها ذلك.

(٢) نقله القرطبي في تفسيره (٢/ ٤٢٧).

(٣) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٥٨٢،٤٢٤٨)، ومسلم (١٢١٩).

و﴿ ثُمَّ ﴾ ليست في هذه الآية للترتيب، إنما هي لعطف جملة كلام على جملة هي منها منقطعة.

وكان رسول الله ﷺ من الحمس، ولكنه كان يقف مذ كان بعرفة، هداية له[١] من الله.

وقال الضحاك: المخاطب بالآية جملة الأمة[٢]، والمراد بـ﴿ٱلنَّاسُ﴾ إبراهيم عليه السلام، كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] وهو يريد واحداً، ويحتمل على هذا أن يؤْمروا بالإفاضة من عرفة، ويحتمل أن تكون إفاضة أخرى، وهي التي من المزدلفة، فتجيء ﴿ ثُمَّ ﴾ على هذا الاحتمال على بابها، وعلى هذا الاحتمال عوَّل الطبري[٣].

وقرأ سعيد بن جبير: (الناسِي)[٤] وتأوله آدم عليه السلام.

ويجوز عند بعضهم تخفيف الياء فيقول: (الناسِ)، كالقاض والهاد.

قال القاضي أبو محمد: أما جوازه في العربية فذكره سيبويه[٥]، وأما جوازه مقروءاً به فلا أحفظه[٦].

وأمر تعالى بالاستغفار لأنها مَواطنه ومظانُّ القبول ومساقط الرحمة، وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ خطب عشية عرفة فقال: «أيها الناس، إن الله تطاول عليكم في مقامكم هذا، فقَبِل من محسنكم ووهب مسيئكم لمحسنكم إلا التبعات

---

(١) «له»: زيادة من نور العثمانية

(٢) تفسير الطبري (٤/ ١٨٩).

(٣) انظر كلامه في التفسير (٤/ ١٩٠ وما بعدها).

(٤) المحتسب لابن جني (١/ ١١٩) وهي قراءة شاذة، وكأنه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

(٥) الكتاب لسيبويه (٤/ ١٦٧).

(٦) يمكن أن يقصد هذه القراءة لأنها شاذة، وإن استبعد ذلك أبو حيان، ويمكن أن يقصد إنكار قياسه، وهو الأظهر لمقارنته باللغة.

فيما بينكم، أفيضوا على اسم الله»، فلما كان غداة جمع، خطب فقال: «أيها الناس، إن الله تطاول عليكم فعوض التبعات من عنده»[١].

وقالت فرقة: المعنى: واستغفروا الله من فعلكم الذي كان مخالفا لسنة إبراهيم[٢] في وقوفكم بقُزحَ من المزدلفة[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ الآية قال مجاهد: المناسك: الذبائح وهراقة الدماء[٤]، والمناسك عندي: العبادات في معالم الحج ومواضع النسك فيه، والمعنى: إذا فرغتم من حجكم الذي هو الوقوف بعرفة فاذكروا الله بمحامده وأثنوا عليه بآلائه عندكم، وخص هذا الوقت بالقضاء لمَا يقضي الناس فيه مناسكهم في حين واحد، وما قبل وما بعد فهو على الافتراق: هذا في طواف، وهذا في رمي، وهذا في حلاق وغير ذلك، وكانت عادة العرب إذا قضت حجَّها تقف عند الجمرة فتتفاخر بالآباء وتذكر أيام أسلافها من بسالة وكرم وغير ذلك، فنزلت الآية ليُلْزِمُوا أنفسهم ذكر الله تعالى أكثر من التزامهم ذكر آبائهم بأيام الجاهلية، هذا قول جمهور المفسرين.

وقال ابن عباس[٥] وعطاءٌ: معنى الآية: اذكروا الله كذكر الأطفال آباءهم وأمهاتهم[٦]، أي فاستغيثوا به[٧] والجؤوا إليه كما كنتم تفعلون في حال صغركم بآبائكم.

وقالت طائفة: معنى الآية: اذكروا الله وعظِّموه وذبُّوا عن حُرمه، وادفعوا من

(١) ضعيف، هذا الحديث روي من حديث ابن عمر والعباس بن مرداس السلمي وعبادة بن الصامت، وفي كل منها مقال لايحتمل، راجع الفوائد المجموعة للشوكاني (ص: ١٠٤).

(٢) في أحمد٣ وجار الله: «للسنة الإبراهيمية».

(٣) تفسير الطبري (٤/ ١٩٢)، وقزح: جبل بالمزدلفة كانت تقف عليه قريش.

(٤) تفسير الطبري (٤/ ١٩٥).

(٥) أخرجه الطبري (٤/ ١٩٩) بإسناد ضعيف.

(٦) انظر قول عطاء في تفسير الطبري (٤/ ١٩٨).

(٧) في هامش المطبوع: «وفي بعض النسخ: فاستعينوا به».

أراد الشرك والنقص في دينه ومشاعره، كما تذكرون آباءكم بالخير إذا غُض[١] أحدٌ منهم وتحمون جوانبهم وتذبون عنهم.

وقرأ محمد بن كعب القرظي: (كذكركم آباؤُكم)[٢]، أي: اهتبِلوا بذكره كما يهتبل المرء بذكر ابنه، فالمصدر على هذه القراءة مضاف إلى المفعول، و﴿أَشَدَّ﴾ في موضع خفض عطفاً على (ذكركم) ويجوز أن يكون في موضع نصب، التقدير: أو اذكروه أشدَّ ذكراً.

وقوله تعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ الآية، قال أبو وائل[٣]، والسدي، وابن زيد: كانت عادتهم في الجاهلية أن يدعوا في مصالح الدنيا فقط إذ كانوا لا يعرفون الآخرة، فنهوا عن ذلك الدعاء المخصوص بأمر الدنيا، وجاء النهي في صيغة الخبر عنهم[٤].

والخلاق: النصيب والحظ، و﴿مِنْ﴾ زائدة لأنها بعد النفي، فهي مستغرِقة لجنس الحظوظ.

وقال قتادة: حسنة الدنيا العافية في الصحة وكفاف المال، وقال الحسن بن أبي الحسن: حسنة الدنيا العلم والعبادة، وقال السدي: حسنة الدنيا المال[٥]، وقيل: حسنة الدنيا المرأة الحسناء[٦].

---

(١) في الحمزوية زيادة: «من».

(٢) مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٠)، والشواذ للكرماني (٨٧)، وهي شاذة.

(٣) هو أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي شيخ إمام معمَّر، أسلم في حياة النبي ﷺ، وكان من الأذكياء الحفاظ، والأولياء العباد، وكان ثقة كثير الحديث، توفي سنة (٨٥هـ)، وقيل: (٨٢). وقيل بعد ذلك. تاريخ الإسلام (٦/ ٨٢)

(٤) تفسير الطبري (٤/ ٢٠١و ٢٠٢).

(٥) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٤/ ٢٠٥).

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٣٥٨).

واللفظة تقتضي هذا كله وجميعَ محابّ الدنيا، وحسنة الآخرة الجنة بإجماع.

﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ دعاءٌ في ألا يكون المرءُ ممن يدخلها بمعاصيه وتخرجه الشفاعة.

ويحتمل أن يكون دعاءً مؤكِّداً لطلب دخول الجنة، لتكون الرغبة في معنى النجاة والفوز من الطرفين، كما قال أحد الصحابة للنبي ﷺ: «أنا إنما أقول في دعائي اللهم أدخلني الجنة وعافني من النار، ولا أدري ما دندنتك ولا دندنة[1] معاذ»، فقال له رسول الله ﷺ: «حولها ندندن»[2].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ الآية، وَعْدٌ على كسب الأعمال الصالحة في صيغة الإخبار المجرد.

والربُّ تعالى سريع الحساب؛ لأنه لا يحتاج إلى عقد ولا إلى إعمال فكر.

وقيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف يحاسب الله الخلائق في يوم؟ فقال: «كما يرزقهم في يوم»[3].

[١٣٠] وقيل: الحساب / هنا المجازاة، كأن المُجازي يعُد أجزاءَ العمل ثم يجازي بمثلها، وقيل: معنى الآية: سريع مجيءِ يوم الحساب، فالمقصد بالآية الإنذار بيوم القيامة.

---

(١) الدَّنْدَنَةُ: كلام غير مفهوم.

(٢) اختلف في إسناده وفي وصله وإرساله، هذا الحديث أخرجه أبو داود (٧٩٢) من رواية الأعمش عن أبي صالح عن بعض أصحاب النبي ﷺ، وأخرجه ابن ماجه (٩١٠، ٣٨٤٧) وسماه أبا هريرة رضي الله عنه، قال الدارقطني في العلل (١٠/١٥٣) بعد ذكر الخلاف على الأعمش وصلاً وإرسالاً: والصحيح عن الأعمش قول من رواه عن الأعمش عن أبي صالح عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وروي عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي صالح، عن النبي ﷺ مرسلاً. انتهى.

(٣) لم أقف عليه مسنداً، وقد نسب لابن عباس أيضاً بلا إسناد.

وأمر الله تعالى عباده بذكره في الأيام المعدودات، وهي الثلاثة التي بعد يوم النحر، وهي أيام التشريق، وليس يوم النحر من المعدودات، ودل على ذلك إجماع الناس على أنه لا ينفر أحد يوم القَر(١) وهو ثاني يوم النحر(٢)، [فإن يوم النحر من المعلومات](٣).

ولو كان يوم النحر في المعدودات لساغ أن ينفِر من شاءَ متعجلاً يوم القر(٤)؛ لأنه قد أخذ يومين من المعدودات.

وحكى مكي والمهدوي عن ابن عباس أنه قال: «المعدودات هي أيام العشر»، وهذا إما أن يكون من تصحيف النَّسَخة(٥)، وإما أن يريد العشر الذي بعد يوم النحر، وفي ذلك بُعدٌ.

والأيام المعلومات هي يوم النحر ويومان بعده، لإجماعهم على أنه لا ينحر أحد في اليوم الثالث(٦)، والذكر في المعلومات إنما هو على ما رَزَقَ الله(٧) من بهيمة الأنعام.

---

(١) انظر: المجموع شرح المهذب (٨/ ٢٤٩).

(٢) أي: أن الحادي عشر يسمى يوم القر بفتح القاف وتشديد الراء؛ لأنهم قارُّون فيه بمنى. انظر: كشاف القناع (٢/ ٤٩٠).

(٣) زيادة من المطبوع، ولم يعلق عليها في الهامش.

(٤) قال الأزهري في تهذيب اللغة (٨/ ٢٢٩): «يوم القر: الغد من يوم النحر، سمي يوم القر؛ لأن أهل الموسم يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر، في تعب من الحج فإذا كان الغد من يوم النحر، قروا بمنى».

(٥) وهذا هو الصواب قال مكي في الهداية (١/ ٦٧٢): وعن مجاهد وابن عباس: «المعلومات: العشر، والمعدودات: أيام التشريق» ورواه عن ابن عباس البخاري معلقاً (١/ ٣٢٩)، ووصله البيهقي في الكبرى (٥/ ٢٢٨) وغيره.

(٦) في هذا الإجماع نظر؛ فمذهب الشافعي كما في (الأم ٢/ ٢٢٦) والمجموع شرح المهذب (٨/ ٣٩٠)، وكذلك علي والحسن وعطاء كما في الشرح الكبير لابن قدامة (٣/ ٥٥٥): أن اليوم الثالث من أيام التشريق يوم نحر.

(٧) لفظ الجلالة، زيادة من المطبوع وفيض الله.

وقال ابن زيد: المعلومات عشر ذي الحجة وأيام التشريق[١]، وفي هذا القول بعدٌ.

وجعل الله الأيام المعدودات أيام ذكر الله، وقد قال النبي ﷺ: «هِيَ أَيَّامُ أكل وشُرب وذِكر لله»[٢].

ومن جملة الذكر: التكبير في إثر الصلوات، واختُلف في طرفي مدة التكبير: فقال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وابن عباس: يكبر من صلاة الصبح من يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق[٣].

وقال ابن مسعود وأبو حنيفة: يُكبر من غداة عرفة إلى صلاة العصر من يوم النحر[٤].

وقال يحيى بن سعيد: يُكبر من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الظهر من آخر أيام التشريق.

وقال مالك: يُكبر من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق، وبه قال الشافعي.

وقال ابن شهاب: يكبر من الظهر يوم النحر إلى العصر من آخر أيام التشريق.

وقال سعيد بن جبير: يُكبر من الظهر يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق.

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢١١).

(٢) صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧٣٣) من حديث نبيشة الهذلي رضي الله عنه، وفي المطبوع وجار الله: «وذكر الله»، بالإضافة.

(٣) أخرجه عنهم ابن أبي شيبة في المصنف (٥٦٨١ وما بعدها)، إلا أن فيه عن عمر: إلى صلاة الظهر من آخر أيام التشريق.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥٦٧٩، ٥٦٨٠) عن ابن مسعود، وانظر مذهب أبي حنيفة في: المبسوط للسرخسي (٢/ ٤٣).

وقال الحسن بن أبي الحسن: يكبر من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الظهر يوم النَّفْر الأول، وقال أبو وائل: يكبر من صلاة الظهر يوم عرفة إلى صلاة الظهر يوم النحر[١].

ومشهور مذهب مالك أنه يُكبِّر إثر كل صلاة ثلاث تكبيرات، وفي المذهب رواية أنه يقال بعد التكبيرات الثلاث: لا إله إلا الله، والله أكبر، ولله الحمد[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ الآية، قال ابن عباس[٣] والحسن وعكرمة ومجاهد: المعنى: مَن نفر في اليوم الثاني من الأيام المعدودات فلا حرج عليه، ومن تأخر إلى الثالث فلا حرج عليه[٤]، فمعنى الآية: كل ذلك مُباح، وعبَّر عنه بهذا التقسيم اهتماماً وتأْكيداً، إذ كان من العرب من يذم المتعجل وبالعكس، فنزلت الآية رافعة للجناح في كل ذلك، ومن العلماء من رأى أن التعجل إنما أُبيح لمن بعُدَ قُطْره لا للمكي والقريب، إلا أن يكون له عذر، قاله مالك وغيره[٥]، ومنهم من رأى أن الناس كلهم مباح لهم ذلك، قاله عطاءٌ وغيره[٦].

وقال علي بن أبي طالب[٧] وابن مسعود[٨] وإبراهيم: معنى الآية: من تعجل

---

(١) انظر:المحلى لابن حزم (٥/ ٩١)، وقول مالك في المدونة (١/ ٢٤٩)، وقول الشافعي في: الأم (١/ ٢٧٥).

(٢) انظر: المنتقى شرح الموطأ (٢/ ٤٦٤).

(٣) صحيح، أخرجه الطبري (٤/ ٢١٧) من طريقين لا بأس بهما عن ابن عباس.

(٤) انظر تفسير الطبري (٤/ ٢١٥).

(٥) ففي النوادر (٢/ ٤١٦-٤١٧) عن ابن القاسم في العتبية استثقال مالك التعجل لأهل مكة إذا لم يكن لهم عذر، وفي: حاشية كفاية الطالب الرباني (١/ ٦٨٧) أن هذا القول غير مشهور، وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأحمد، كما في: المغني (٣/ ٢٣٤).

(٦) انظر: الشرح الكبير لابن قدامة (٣/ ٣٨٤)، وتفسير الطبري (٤/ ٢١٥).

(٧) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٤/ ٢١٩) من طريق ابن جريج قال: سمعت رجلًا يحدث عن عطاء بن أبي رباح، عن علي... فذكره. وهذا إسناد ضعيف؛ لإبهام راويه.

(٨) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٤/ ٢١٨) من طريق حماد بن أبي سليمان، عن إبراهيم بن يزيد النخعي، عن ابن مسعود به، وحماد ضعيف، والنخعي لم يثبت سماعه أحد من من الصحابة.

فقد غفر له ومن تأخر فقد غفر له[١]، واحتجوا بقوله عليه السلام: «مَنْ حَجَّ هذا البيت فَلَم يرفُث ولم يفسق خَرج من خَطَايَاه كَيوم ولدته أُمه»[٢]، فقوله تعالى: ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ نفي عام وتبرئة مطلقة. وقال مجاهد أيضاً: معنى الآية: من تعجل أو تأخر فلا إثم عليه إلى العام القابل[٣]، وأسنِد في هذا القول أثرٌ.

وقال أبو العالية: المعنى في الآية: لا إثم عليه لمن اتقى بقية عمره، والحاجُّ مغفور له البتة، وقال أبو صالح وغيره: معنى الآية: لا إثم عليه لمن اتقى قتل الصيد وما يجب عليه تجنبه في الحج، وقال أيضاً: لمن اتقى في حجه فأتى به تامّاً حتى كان مبروراً[٤].

واللام في قوله: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ متعلقة إما بالغفران على بعض التأويلات، أو بارتفاع الإثم في الحج على بعضها، وقيل: بالذكر الذي [في قوله][٥]: ﴿وَٱذۡكُرُواْ﴾، أي: الذكر لمن اتقى، ويسقط رمي الجمرة الثالثة عمن تعجل[٦].

وقال ابن أبي زمنين[٧]: يرميها في يوم النفر الأول حين يريد التعجل[٨].

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢١٨).

(٢) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٤٤٩)، ومسلم (٣٣٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٢٢٠).

(٤) انظر الأقوال في تفسير الطبري (٤/ ٢٢٠).

(٥) في الأصل والمطبوع: «دل عليه قوله».

(٦) مثله في القرطبي (٣/ ٨). وعبارة أبي حيان أوفى بالمقصود حيث قال في البحر المحيط (٢/ ٣٢٢): «وظاهر قوله: «ومن تعجل» سقوط الرمي عنه في اليوم الثالث، فلا يرمي جمرات اليوم الثالث في يوم نفره، وقال ابن أبي زمنين: يرميها في يوم النفر الأول..إلخ».

(٧) عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين المري، الأندلسي المالكي ، المتوفى سنة (٣٥٩هـ). انظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض (١/ ٤٧٣).

(٨) لم أجده في تفسيره، وقد نقله عنه في البحر المحيط (٢/ ٣٢٢).

قال ابن الموَّاز: يرمي المتعجل في يومين بإحدى وعشرين حصاة، كل جمرة بسبع حصيات، فيصير جميع رميه بتسع وأربعين حصاة(١).

قال القاضي أبو محمد: لأنه قد رمى جمرة العقبة بسبع يوم النحر.

قال ابن الموَّاز: ويسقط رمي اليوم الثالث(٢).

وقرأ سالم بن عبد الله: (فَلا اثْمَ عَلَيْهِ) بوصل الألف(٣).

ثم أمر تعالى بالتقوى وذكر بالحشر والوقوف بين يديه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾.

قال السدي: نزلت في الأخنس بن شَرِيقٍ(٤)، واسمه أُبيٌّ، والأخنس لقب، وذلك أنه جاءَ إلى النبي ﷺ فأظهر الإسلام، وقال: الله يعلم أني صادق، ثم هرب [١٣١] بعد ذلك، فمر بقوم من المسلمين / ، فأحرق لهم زرعاً، وقتل لهم حُمُراً، فنزلت فيه هذه الآيات.

---

(١) البيان والتحصيل (٣/ ٤٦٩).

(٢) انظره بمعناه في: النوادر والزيادات لابن أبي زيد (٢/ ٤١٧).

(٣) قال في المحتسب (١/ ١٢٠): «روى ابن مجاهد عن الزمل بن جرول قال: سألت سالم بن عبد الله بن عمر عن النفر فقرأ: «فمن تعجل في يومين فلثم عليه، ومن تأخر فلثم عليه»»، وهي قراءة شاذة.

(٤) تفسير الطبري (٤/ ٢٢٩).

قال القاضي أبو محمد: ما ثبت قط أن الأخنس أسلم[١].

وقال ابن عباس: «نزلت في قوم من المنافقين تكلموا في الذين قُتلوا في غزوة الرجيع: عاصم بن ثابت[٢] وخُبيب[٣] وابن الدَّثِنَّة[٤] وغيرهم، قالوا: ويح هؤلاء القوم لا هم قعدوا في بيوتهم ولا أدوا رسالة صاحبهم، فنزلت هذه الآيات في صفات المنافقين»، ثم ذكر المستشهدين في غزوة الرجيع في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ الآية[٥].

وقال قتادة، ومجاهد، وجماعة من العلماء: نزلت هذه الآيات في كل مبطِنِ كُفْرٍ أو نفاق أو كذب أو إضرار وهو يظهر بلسانه خلاف ذلك[٦]، فهي عامة.

وهي تشبه ما ورد في الترمذي أن في بعض كتب الله تعالى: «إن من عباد الله

---

(١) هو الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي، أبو ثعلبة، حليف بني زهرة. اسمه أبيٌّ، وإنما لقب الأخنس، لأنه رجع ببني زهرة من بدر، ثم أسلم الأخنس فكان من المؤلفة، وشهد حنيناً، ومات في أول خلافة عمر، وقد أثبته في الصحابة أبو موسى عن ابن شاهين، وابن فتحون عن الطبري، كما في الإصابة (١/ ١٩٢)، قال ابن حجر: ولا مانع أن يسلم ثم يرتد ثم يرجع إلى الإسلام، والله أعلم.

(٢) عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاريّ، من السّابقين الأولين من الأنصار، شهد بدراً، واستشهد في بعث الرجيع، وكان قد عاهد الله ألّا يمس مشركاً ولا يمسه مشرك، فلما أرادت قريش أخذ جسده حماه الله منهم بمثل الظّلة من الدّبر. الإصابة (٣/ ٤٦٠).

(٣) خبيب بن عدي بن مالك الأنصاريّ الأوسيّ، شهد بدراً وأسر في بعث الرجيع، فاشتراه بنو الحارث بن عامر ابن نوفل، فقتلوه بمكة، وصلبوه، فبلعته الأرض، وقصته مشهورة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٢٢٥).

(٤) هو زيد بن الدّثنة، بفتح الدّال وكسر المثلثة بعدها نون، ابن معاوية الأنصاريّ البياضي، شهد بدراً وأحداً، وكان في غزوة بئر معونة (كذا في الإصابة، والصواب: بعث الرجيع)، فأسره المشركون وقتلته قريش بالتّنعيم. الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٥٠٠).

(٥) أخرجه الطبري (٤/ ٢٣٠) بإسناد ضعيف.

(٦) تفسير الطبري (٤/ ٢٣٢و٢٣٣).

قوماً ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمرُّ من الصَّبر، يلبسون للناس جلود الضأْن من اللين، يجترون الدنيا بالدين، يقول الله تعالى: أَبِي يغترُّون؟ وعليَّ يجترئون؟ حلفت لأسَلِّطن عليهم فتنة تَدَعُ الحليم[١] منهم حيران»[٢].

ومعنى: ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ﴾: أي: يقول: الله يعلم أني أقول حقّاً.

وقرأ أبو حيوة وابن مُحيصن: (ويَشهَد اللهُ)[٣] بإسناد الفعل إلى المكتوبة[٤]، المعنى: يعجبك قوله والله يعلم منه خلاف ما قال، والقراءة التي للجماعة أبلغ في ذمه، لأنه قوى على نفسه التزام الكلام الحسن ثم ظهر من باطنه خلافه، و﴿ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾ [مختلف بحسب القراءتين، فعلى قراءة الجمهور هو الخير الذي يظهر، أي: هو في قلبه][٥] بزعمه، وعلى قراءة ابن محيصن هو الشر[٦] الباطن.

وقرأ ابن عباس: (والله يشْهَد على مَا في قَلْبه)[٧].

---

(١) في نور العثمانية: «الحكيم».

(٢) ضعيف جداً، هذا الحديث أخرجه الترمذي (٢٤٠٤) من طريق يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً به. وإسناده ضعيفٌ جداً من أجل يحيى بن عبيد الله. وأخرجه الترمذي أيضا (٢٤٠٥) من طريق حمزة بن أبي محمد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعاً به. وهذا إسناد ضعيف واهٍ من أجل حمزة هذا. وأخرجه ابن عبد البر في الجامع «(١/ ٣٣٩)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٣٤٢) من طريق المغيرة بن عبد الرحمن عن عثمان بن عبد الرحمن عن الزهري عن عائذ الله بن عبد الله عن أبي الدرداء مرفوعاً، وهذا إسناد واهٍ جدّاً من أجل عثمان بن عبد الرحمن، وهو الوقاصي.

(٣) انظر عزوها لابن محيصن في تفسير الطبري (٤/ ٢٣٤)، وتفسير الثعلبي (٢/ ١٢٢)، والكامل للهذلي (ص: ٥٠٢)، وزاد: مجاهداً وَحُمَيْداً وابن أبي عبلة، ولم أجد من نقلها عن أبي حيوة ممن قبل المصنف، وهي قراءة شاذة.

(٤) في المطبوعة: «الله»، وهو المقصود بلفظة «المكتوبة» في اصطلاح المؤلف.

(٥) سقط من الحمزوية.

(٦) في نور العثمانية: «الشيء».

(٧) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ١٥)، وهي قراءة شاذة.

وقرأ أبي وابن مسعود: (وَيَسْتَشْهِدُ الله على ما في قَلْبِه)[١].

والألد: الشديد الخصومة الصعب الشكيمة الذي يلوي الحجج في كل جانب، فيشْبِه انحرافُه المشيَ في لديدي الوادي[٢]، ومنه: لديد الفم، واللدود.

ويقال منه: لَدِدْتُ بكسر العين أَلَدُّ، وهو ذم، ومنه قول النبي ﷺ: «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصِم»[٣].

ويقال: لدَدته بفتح العين أَلُده بضمها: إذا غلبته في الخصام، ومن اللفظة قول الشاعر:

إنَّ تحْـت الأحجـار حَزْمـاً وعقـلاً وخَصِيماً أَلَـدَّ ذَا مِـغْـلاق[٤] [الخفيف]

والْخِصام في الآية[٥] مصدر خاصَمَ، وقيل: جمع خصْم ككلب وكلاب، فكان الكلام: وهو أشد الخصماءِ وأَلَدُّهُمْ.

و﴿تَوَلَّىٰ﴾، و﴿سَعَىٰ﴾ تحتمل جميعاً معنيين: أحدهما: أن تكون فعْلَ قلب

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لمصحف أبي في تفسير الثعلبي (٢/ ١٢٢)، تفسير الكشاف (١/ ٢٧٨)، ولابن مسعود في مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٠).

(٢) قال في جمهرة اللغة (١/ ١١٤): ولديد الْوَادي: أحد جانبيه، وهما لديدان.

(٣) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٢٣٢٥)، ومسلم (٦٩٥١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) البيت للمهلهِل واسمه عدي بن ربيعة، يرثي كليباً، انظر: مسائل نافع بن الأزرق (ص: ٢٠٢)، ومجاز القرآن (٢/ ١٣)، والاشتقاق (١/ ٢٥٩)، وأنساب الأشراف للبلاذري (١٣/ ٣٤٩)، قال المرزباني في معجم الشعراء (ص: ٢٤٨): وقيل: إن عدياً (صاحب الأبيات) هو أخو مهلهل، ورجل مِغلاق: إذا كان الرهن يغلق على يديه، والمغلاق أيضاً سهم في الميسر، أو السهم السابع بمضعف الميسر، والجمع مغاليق. وفي نور العثمانية: «معلاق»، بالعين المهملة ويروى بها البيت، ومنه رجل مِعْلق: خصيم، وفي جار الله وأحمد٣: «عدلاً» مع الإشارة إلى النسخة الأخرى، وفي المطبوع والأصل ونور العثمانية: «عزماً».

(٥) في أحمد٣ وجار الله: «اللغة».

فيجيء ﴿تَوَلَّىٰ﴾ بمعنى: ضَلَّ وغضب وأنف في نفسه فسعى بحيله وإدارته[١] الدوائر على الإسلام، ومن هذا السعي قول الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩]، ومنه: ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ [الإسراء: ١٩].

ومنه قول الشاعر:

[السريع]

أَسْعَىٰ عَلَىٰ حيٍّ بَنِي مَالِكٍ كُلُّ امْرِئٍ فِي شَأْنِهِ سَاعِ[٢]

ونحا هذا المنْحَى في معنى الآية ابنُ جريج وغيره[٣].

والمعنى الثاني: أن يكونا فعل شخص، فيجيء ﴿تَوَلَّىٰ﴾ بمعنى: أدبر ونهض عنك يا محمد، و﴿وَسَعَىٰ﴾ يجيء معناها: بقدميه فقطع الطريق وأفسدها، نحا هذا المنحى ابن عباس وغيره[٤]، [وكلا السعيين فساد.

وقوله تعالى: ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾][٥] قال الطبري: المراد الأخنس في إحراقه الزرع وقتله الحمُر[٦]، وقال مجاهد: المراد أن الظالم يفسد في الأرض فيمسك الله المطر فيهلك الحرث والنسل[٧]، وقيل: المراد أن المفسد يقتل الناس فينقطع عمَّار الزرع والمُنسِلون.

وقال الزجّاج: يحتمل أن يراد بالحرث: النساءُ، وبالنسل: نسلهن[٨].

---

(١) في الأصل: «إرادته»، والتصويب من النسخ الأخرى.

(٢) البيت لقيس بن الأسلت كما في طبقات فحول الشعراء (١/ ٢٢٦)، والمفضليات (ص: ٢٨٣)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٥٢٢)، والأمثال لابن سلام (ص: ٢٨١)، والأغاني (١٧/ ١٢٠)، وفي المطبوع: «جل»، بدل «حي».

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٢٣٣).

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ٢٣٧) بإسناد ضعيف.

(٥) ليس في الحمزوية.

(٦) تفسير الطبري (٤/ ٢٣٨).

(٧) المصدر السابق (٤/ ٢٤٠).

(٨) معاني القرآن للزجاج (١/ ٢٧٧).

والظاهر أن الآية عبارة عن مبالغة في الإفساد، إذ كل فساد في أمور الدنيا فعلى هذين الفصلين يدور.

وأكثر القراء على ﴿يُهْلِكَ﴾ بضم الياء وكسر اللام وفتح الكاف عطفاً على ﴿لِيُفْسِدَ﴾.

وفي مصحف أبي بن كعب: (وليُهْلِك)[١]، وقرأ قوم: (ويُهْلِكُ) بضم الكاف[٢]، إما عطفاً على ﴿يُعْجِبُكَ﴾ وإما على ﴿سَعَىٰ﴾، لأنها بمعنى الاستقبال، وإما على القطع والاستئناف.

وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق وأبو حيوة وابن محيصن: (ويَهلِكُ) بفتح الياء وكسر اللام وضم الكاف ورفع: (الحرثُ والنسلُ)[٣].

وكذلك رواه ابن سلمة عن ابن كثير، وعبد الوارث عن أبي عمرو[٤].

وحكى المهدوي أن الذي روى حماد بن سلمة[٥] عن ابن كثير إنما هو: (ويُهْلِكُ) بضم الياء والكاف (الْحَرْثَ) بالنصب[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢٤٣).

(٢) مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٠).

(٣) عزاها لهم ابن جني في المحتسب (١/ ١٢١)، إلا أبا حيوة فقد عزاها له في تفسير البحر المحيط (٢/ ٣٣٠)، وفي مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٠)، عن أبي حيوة: «ويهلك» بفتح اللام والكاف، وكذا في الشواذ للكرماني (ص: ٨٨)، وزاد: ورفع الثاء واللام.

(٤) نقلها الهذلي في الكامل (ص: ٥٠٢) عن حميد وجرمي عن حماد، وابن عيينة، والبزي عن ابن كثير، وصدقة عن أبيه، وابن محيصن والشيزري عن أبي جعفر، وابن مقسم في اختياره، والحسن، وأبي حنيفة، إلا أنه فتح اللام من (يُهْلِكَ)، وروى الْعُمَرِيّ (يُهْلِكُ) بضم الياء ورفع الكاف كما روى عباد عن الحسن، وهي رواية مغيث في عباس عن خارجة عن نافع، وعباس عن مطرف عن ابْن كَثِيرٍ.

(٥) هو حماد بن سلمة بن دينار أبو سلمة البصري الإمام الكبير، روى القراءة عرْضاً عن عاصم وابن كثير، وعنه حرمي بن عمارة وحجاج بن المنهال وشيبة بن عمرو المصيصي، توفي في ذي الحجة سنة (١٦٧هـ). غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٢٥٨).

(٦) نقله أبو حيان (٢/ ٣٣٠).

وقرأ قوم: (ويَهلَك) بفتح الياء واللام ورفع (الْحَرْثُ)[١]، وهي لغة هلَك يهلَك، تلحق بالشواذ كَركَن يرْكَن.

و«الْحَرْث» في اللغة: شق الأرض للزراعة، ويسمى الزرع حرثاً للمجاورة والتناسب، ويدخل سائر الشجر والغراسات في ذلك حملاً على الزرع، ومنه قوله عز وجل: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ﴾ [الأنبياء: ٧٨]، وهو كرْمٌ على ما ورد في التفاسير، وسمي النساءُ حرثاً على التشبيه.

والنَّسْل مأخوذ من نَسَل ينسل: إذا خرج متتابعاً، ومنه نِسال الطائر: ما تتابع سقوطه مِنْ ريشه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

ومنه قول امرئ القيس:

[الطويل] .... فسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنسُلِ[٢]

و﴿لَا يُحِبُّ﴾ معناه: لا يحبه مِن أهل الصلاح، أو: لا يحبه ديناً، وإلا فلا يقع إلا ما يحب الله تعالى وقوعه، والفساد واقع، وهذا على ما ذهب إليه المتكلمون من أن الحب بمعنى / الإرادة، والحبُّ له على الإرادة مزية إيثار، فلو قال أحد: إن الفساد [١٣٢] المراد تنقصه مزية الإيثار، لصح ذلك، إذ الحب من الله تعالى إنما هو لِمَا حسن من جميع جهاته.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ الله﴾ الآية، هذه صفة الكافر أو المنافق الذاهب بنفسه زهواً، ويُكره للمؤمن أن يوقعه في الحرج في نحو هذا.

---

(١) الكشاف للزمخشري (١/ ٢٧٩) وعزاها للحسن البصري.

(٢) صدره: وَإِنْ كُنْت قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَةٌ، وهو من معلقته المشهورة: قفا نبك، انظر عزوه له في العين (٧/ ٢٥٧)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٢٢)، والمعاني الكبير (١/ ٤٨٢)، وشرح المعلقات التسع (ص: ١٣٧) قال: والخليقة: الخلق، والثياب: كناية عن القلب، نسل ريشه ينسله: إذا رماه، أي: أخرجي قلبك من حبي تنسل، أي: تبين.

وقال بعض العلماء: كفى بالمرءِ إثماً أن يقول له أخوه: اتق الله، فيقول له: عليك نفسك، مثلُك يوصيني؟[١].

والعزة هنا: المنَعَة وشدة النفس، أي: اعتز في نفسه وانتخى فأوقعته تلك العزة في الإثم حين أخذته به وألزمته إياه، ويحتمِل لفظ الآية أن يكون: أخذته العزة مع الإثم، فمعنى الباء يختلف بحسب التأويلين.

و(حسبه) أي: كافيه معاقبة وجزاءً، كما تقول للرجل: كفاك ما حل بك، وأنت تستعظم وتعظم عليه ما حل به.

و﴿ٱلۡمِهَادُ﴾ ما مَهَّدَ الرجل لنفسه كأنه الفراش، ومن هذا الباب قول الشاعر:

.... تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَربٌ وَجِيعُ[٢] [الوافر]

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ الآية تتناول كل مجاهد في سبيل الله، أو مستشهَد في ذاته، أو مغير منكر.

والظاهر من هذا التقسيم أن تكون الآيات قبل هذا على العموم في الكافر بدليل الوعيد بالنار، ويأْخذ العصاةُ الذين فيهم شيء من هذا الخلق بحظهم من وعيد الآية.

ومن قال: إن الآيات المتقدمة هي في منافقين تكلموا في غزوة الرجيع، قال: هذه الآية في شهداء غزوة الرجيع، وَمَن قال: تلك في الأخنس، قال: هذه في الأنصار والمهاجرين المبادرين إلى الإيمان.

وقال عكرمة وغيره: هذه في طائفة من المهاجرين[٣]، وذكروا حديث صهيب:

---

(١) نقله الثعالبي (١/ ١٦١) عن أحمد بن نصر الداودي عن ابن مسعود.

(٢) البيت لعمرو بن معد يكرب وصدره: وخيل قد دلفت لها بخيل، انظر عزوه له في الكتاب لسيبويه (٣/ ٥٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ٩٣)، ونوادر أبي زيد (ص: ١٤٩).

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٢٤٧).

أنه خرج من مكة إلى النبي ﷺ فاتبعته قريش لترده، فنثر كنانته، وقال لهم: تعلمون والله إني لمن أرماكم رجلاً، والله لأرمينّكم ما بقي لي سهم، ثم لأضربن بسيفي ما بقي في يدي منه شيءٌ، فقالوا له: لا نتركك تذهب عنا غنيّاً وقد جئتنا صعلوكاً، ولكن دلنا على مالك ونتركك، فدلهم على ماله وتركوه، فهاجر إلى النبي ﷺ فلما رآه قال له: «ربح البيع أبا يحيى»(١)، فنزلت فيه هذه الآية.

ومن قال: قُصد بالأول العموم، قال في هذه كذلك بالعموم.

و﴿يَشۡرِي﴾ معناه: يبيع، ومنه: ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ﴾ [يوسف: ٢٠].

ومنه قول يزيد بن مفرِّغٍ الحميري:

[الكامل] وشَـرَيْـتُ بُـــرْداً لَـيْــتَـــنـــي ... مِـنْ بَعْـدِ بُـرْدٍ كُنْـتُ هَامَـه(٢)

وقال الآخر:

[الكامل] يعْـطىٰ بِـهَـا ثـمَـناً فيَـمْـنعـهَا ... ويقــولُ صَاحِـبُـهُ ألا تشْــرِي(٣)

ومن هذا تَسَمّى الشُّراة كأنهم الذين باعوا أنفسهم من الله تعالى(٤).

وحكى قوم أنه يقال: شرى بمعنى اشترى، ويَحتاج إلى هذا من تأول الآية في

---

(١) ضعيف، هذا الحديث أخرجه ابن سعد (٣/ ٢٢٨)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٥١)، وغيرهم من طريق حماد بن زيد، قال: أخبرني علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب قال: أقبل صهيب...فذكره. وعلي بن زيد هو ابن جدعان، ضعيف الحديث، وسعيد لم يدرك القصة. وأخرجه الحاكم أيضاً (٣/ ٤٥٠) من طريق: حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: لما خرج صهيب.. وهو مرسل أيضاً. وأخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٣٦) من حديث صهيب، رضي الله عنه، وفي إسناده: محمد بن الحسن بن زبالة، وهو كذاب.

(٢) وعزي له في تفسير الثعلبي (٥/ ٢٠٤)، وتفسير الطبري (٢/ ٣٤١)، ومجاز القرآن (١/ ٤٨)، والأغاني (١٨/ ٢٦٩)، والكامل للمبرد (١/ ٢٩٣)، وبُرْد: اسم غلام له.

(٣) البيت للمسيب بن علس يصف غواصاً فقيراً ظفر بدرة لا مثيل لها فضن بها على البيع، عزاه له الطبري (٢/ ٣٤١).

(٤) الشُرَاة هم الخوارج الذين قاتلوا علياً رضي الله عنه، وكفروا بعضَ الصحابة.

صهيب، لأنه اشترى نفسه بماله ولم يبعها، اللهم إلا أن يقال: إن عزمَ صهيب على قتالهم بيعٌ لنفسه من الله تعالى، فتستقيم اللفظة على معنى باع.

وتأول [هذه الآية][١] عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم في مُغَيِّري المنكر، ولذلك قال علي وابن عباس: «اقتتل الرجلان»، أي: قال المغيِّر للمفسد: اتق الله، فأبى المفسد وأخذته العزة، فشرى المغير نفسه من الله تعالى وقاتله فاقتتلا[٢].

وروي أن عمر بن الخطاب كان يجمع في يوم من الجمعة[٣] شباباً من القرأة فيهم ابن عباس والحر[٤] بن قيس وغيرهما، فيقرؤُون بين يديه ومعه، فسمع عمَرُ ابنَ عباس رضي الله عنهم يقول: «اقتتل الرجلان»، حين قرأ هذه الآية، فسأله عما قال، ففسر له هذا التفسير، فقال له عمر: «لله تلادك[٥] يا ابن عباس»[٦].

وقال أبو هريرة[٧] وأبو أيوب[٨] حين حَملَ هشام [بن عامر][٩] على الصف في

---

(١) ليس في الحمزوية.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٤/ ٢٤٥) من طريق ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: «﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾» [البقرة: ٢٠٦] إلى قوله: «﴿ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾» [البقرة: ٢٠٧].. قال ابن عباس..وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف ولم يدرك ابن عباس.

(٣) «من الجمعة» سقطت من أحمد٣، «ومن» ليست في المطبوع.

(٤) في جار الله وفيض الله وأحمد٣: «الجد».

(٥) «التلاد»: قديم الملك وهو بخلاف الطارف.

(٦) ينظر: تفسير ابن جرير (٤/ ٢٤٥).

(٧) لا بأس بإسناده، هذا الأثر أخرجه البيهقي في الشعب (٢٩٤١) بإسناد لا بأس به في قصة طويلة.

(٨) إسناده صحيح، هذا الأثر أخرجه أبو داود (٢٥١٢)، والترمذي (٢٩٧٢)، والنسائي في الكبرى (١٠٩٦١).

(٩) ساقط من نور العثمانية، وفي أحمد٣ وجار الله: «بن عمار».

القُسطنطينية فقال قوم: ألقى بيده إلى التهلكة: ليس كما قالوا، بل هذا قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ﴾ الآية.

و﴿ ٱبْتِغَآءَ ﴾ مفعول من أجله.

ووقف حمزة على ﴿مَرْضَاتِ﴾ بالتاء والباقون بالهاء[١].

قال أبو علي: وجه وقف حمزة بالتاءِ إما أنه على لغة مَنْ يقول: طلحَتْ وعلقمتْ، ومنه قول الشاعر:

[الرجز] بَلْ جَوزِ تَيْهَاءَ كَظَهْرِ الحَجَفَتْ[٢]

وإما أنه لما كان المضاف إليه في ضمن اللفظة ولا بد أثبت التاءَ كما تثبت في الوصل؛ ليُعلم أن المضاف إليه مراد[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ ترجيَةٌ تقتضي الحضَّ على امتثال ما وقع به المدح في الآية كما في قوله تعالى: ﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ تخويف يقتضي التحذير مما وقع به الذم [في الآية][٤].

ثم أمر تعالى المؤمنين بالدخول في السلم.

وقرأ ابن كثير ونافع والكسائي: ﴿السَّلم﴾ بفتح السين، وقرأ الباقون بكسرها في هذا الموضع[٥]، فقيل: هما بمعنًى واحد، يقعان للإسلام وللمسالمة، وقال

(١) انظر عزوه له في السبعة في القراءات (١/ ١٨٠)، وزاد الكسائي، والذي في التيسير (ص: ٦٠)، أن الكسائي خاصة يقف بالهاء وغيره بالتاء، وهو المتواتر عنه، وانظر النشر (٢/ ١٤٩).

(٢) هذا الرجز لسؤر الذئب عزاه له الصاغاني في العباب الزاخر (١/ ٣٨٣)، والجوهري في الصحاح (٤/ ٢٧) والزبيدي في تاج العروس (٢٣/ ١١٩)، والحجفت: بتقديم الحاء على الجيم هي التُّرس إذا كان من الجلد، والجوز: الوسط، والتيهاء: الفلاة الواسعة، وفي الحمزوية: «بل ظهر».

(٣) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٠٠).

(٤) ساقط من أحمد٣ والسليمانية وفيض الله وجار الله.

(٥) السبعة في القراءات (ص١٨٠) وما بعدها، والتيسير فى القراءات السبع (ص: ٨٠).

أبو عمرو بن العلاءِ: «السِّلم بكسر السين: الإسلام، وبالفتح: المسالمة»، وأنكر المبرد هذه التفرقة[(١)].

ورجح الطبري حمل اللفظة على معنى الإسلام، لأن المؤْمنين لم يؤْمروا قط [بالانتداب إلى الدخول][(٢)] في المسالمة، وإنما قيل للنبي ﷺ أن يجنح للسلم إذا جنحوا لها، وأما أن يبتدئ بها فلا[(٣)].

واختلف بعد حمل اللفظ على الإسلام من المخاطب؟:

فقالت فرقة: جميع المؤمنين بمحمد ﷺ، والمعنى: أمرهم بالثبوت فيه والزيادة من التزام حدوده / ، ويستغرق ﴿كَآفَّةً﴾ حينئذ المؤمنين وجميع أجزاء [١٣٣] الشرع، فتكون الحال من شيئين، وذلك جائز، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ [مريم: ٢٧]، إلى غير ذلك من الأمثلة.

وقال عكرمة: بل المخاطب من آمن بالنبي من بني إسرائيل كعبد الله بن سلام وغيره[(٤)].

وذلك أنهم ذهبوا إلى تعظيم يوم السبت، وكرهوا لحم الجمل، وأرادوا استعمال شيء من أحكام التوراة وخَلْطَ ذلك بالإسلام فنزلت هذه الآية فيهم، فـ﴿كَآفَّةً﴾ على هذا لأجزاءِ الشرع فقط.

وقال ابن عباس: نزلت الآية في أهل الكتاب[(٥)]، والمعنى: يا أيها الذين آمنوا

---

(١) انظر رأيهما في إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٠٤).

(٢) في أحمد٣ وجار الله: «بالدخول» وكلمة: «بالانتداب» في السليمانية ملحقة في الهامش، وعليها علامة «صح».

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٢٥٦).

(٤) المصدر السابق (٤/ ٢٥٥).

(٥) منقطع، أخرجه الطبري (٤/ ٢٥٦) من طريق: حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس.

بموسى وعيسى ادخلوا في الإسلام بمحمد كافة، فـ﴿كَآفَّةً ﴾على هذا لأجزاء الشرع وللمخاطبين، على من يرى السلم الإسلام.

ومن يراها المسالمة يقول: أمرهم بالدخول في أن يعطوا الجزية. و﴿كَآفَّةً ﴾ معناه: جميعاً، والمراد بالكافة: الجماعة التي تكفُّ مخالفيها، وقيل: إن ﴿كَآفَّةً ﴾نعتٌ لمصدر محذوف، كأن الكلام: دَخْلةً كافةً، فلما حذف [المنعوت بقي النعت][1] حالًا.

وتقدم القول في ﴿خُطُوَاتِ ﴾، والألف واللام في ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ للجنس.

و﴿عَدُوٌّ﴾ يقع على الواحد والاثنين والجميع.

و﴿مُّبِينٌ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى: أبان عداوته، وأن يكون بمعنى: بان في نفسه أنه عدوٌّ، لأن العرب تقول: بان الأمر وأبان بمعنى واحد.

قوله عز وجل: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾.

قرأ جمهور الناس: ﴿زَلَلْتُم﴾ بفتح اللام، وقرأ أبو السمال: (زلِلتم) بكسرها[2].

وأصل الزَّلل في القدم ثم يستعمل في الاعتقادات والآراءِ وغير ذلك، والمعنى: ضلِلتم وعُجْتُم[3] عن الحق.

---

(١) في الحمزوية: «النعت بقي المنعوت».

(٢) مختصر الشواذ لابن خالويه (ص٢٠).

(٣) في نور العثمانية: «عجبتم».

و﴿ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾: محمد وآياته ومعجزاته إذا كان الخطاب أولاً لجماعة المؤمنين، وإذا كان الخطاب لأهل الكتابين، فـ﴿ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ ما ورد في شرائعهم من الإعلام بمحمد ﷺ والتعريف به.

و﴿عَزِيزٌ﴾ صفةٌ مقتضية أنه قادر عليكم لا تعجزونه، ولا تمتنعون منه.

و﴿حَكِيمٌ﴾ أي: مُحْكِم فيما يعاقبكم به لزللكم.

وحكى النقاش أن كعب الأحبار لما أسلم [كان يتعلم القرآن][(١)]، فأقرأه الذي كان يعلمه: فاعلموا أن الله غفور رحيم، فقال كعب: [إني لأستنكر أن يكون هكذا، ومر بهما رجل، فقال كعب: كيف تقرأ هذه الآية؟، فقرأ الرجل: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فقال كعب:][(٢)] هكذا ينبغي[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾ الآية، الخطاب للنبي ﷺ، و«هَلْ» من حروف الابتداء كـ«أما»، و﴿يَنظُرُونَ﴾ معناه: ينتظرون. والمراد بها[(٤)] هؤلاء الذين يَزِلُّون.

و«الظُّلَلُ»: جمع ظُلَّة، وهي ما أظل من فوق.

وقرأ قتادة والضحاك: (في ظِلالٍ)[(٥)]، وكذلك روى هارون بن حاتم عن أبي بكر عن عاصم هنا، وفي الحرفين في الزمر[(٦)].

---

(١) ساقط من الحمزوية

(٢) ساقط من الحمزوية.

(٣) تفسير القرطبي (٣/ ٢٤).

(٤) زيادة من نور العثمانية.

(٥) انظر عزوها لقتادة في مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٠)، والمحتسب لابن جني (١/ ١٢١)، وتفسير الثعلبي (٢/ ١٢٨)، والشواذ للكرماني (ص٨٨)، وزاد سعيد بن جبير، وهي شاذة، وعزاها للضحاك أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٣٤٥)، ولأبي، وعبد الله.

(٦) جامع البيان للداني (٢/ ٩١١)، وليست من طرق التيسير، وحرفا الزمر هما في قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٌۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ الآية: ١٦.

وقال عكرمة: ﴿ظُلَلٍ﴾ طاقات[١].

وقرأ الحسن ويزيد بن القعقاع وأبو حيوة: ﴿والملائكةِ﴾ بالخفض[٢] عطفاً على ﴿ٱلْغَمَامِ﴾.

وقرأ جمهور الناس بالرفع عطفاً على اسم الله، والمعنى: يأتيهم حكمُ الله وأمره ونهيه وعقابه إياهم.

وذهب ابن جريج وغيره إلى أن هذا التوعُّد هو بما يقع في الدنيا[٣].

وقال قوم: بل هو توعد بيوم القيامة، [وقال قوم: قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وعيدٌ بيوم القيامة][٤]، وأما الملائكة فالوعيد هو بإتيانهم عند الموت[٥].

و﴿ٱلْغَمَامِ﴾: أرقُّ السحاب وأصفاه وأحسنه، وهو الذي ظلِّل به بنو إسرائيل، وقال النقاش: هو ضباب أبيض[٦].

وفي قراءة ابن مسعود: (إلا أنْ يَأْتِيَهُمُ الله والمَلائِكَةُ[٧] في ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَام)[٨].

و﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ معناه: وقع الجزاءُ وعُذِّب أهلُ العصيان.

وقرأ معاذ بن جبل: (وَقَضَاءُ الأمر)[٩]، وقرأ يحيى بن يعمر: (وقُضِي الأمور) بالجمع[١٠].

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢٦٣).

(٢) قراءة أبي جعفر متواترة انظرها في النشر (٢/ ٢٥٩). وانظر عزوها للحسن في رواية بكار بن شقيق، وابْن مِقْسَمٍ في اختياره في الكامل للهذلي (ص: ٥٠٣)، وعزوها لأبي حيوة في البحر المحيط (٢/ ٣٤٥).

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٢٦٣).

(٤) سقطت من جار الله وألحقت في هامشه وعليها علامة «خ»، وعليها في أحمد٣ تضبيب.

(٥) تفسير الطبري (٤/ ٢٦٣).

(٦) نقله عنه الثعالبي (١/ ١٦٢)، ونقله البغوي (١/ ٢٤١) عن مقاتل.

(٧) ساقط من الحمزوية.

(٨) وهي قراءة شاذة، انظر: كتاب المصاحف (١/ ١٧٣)، وتفسير الثعلبي (٢/ ١٢٩).

(٩) عزاها له ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٢٠)، وهي قراءة شاذة.

(١٠) عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٨٨)، وهي قراءة شاذة.

وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿تَرجِع﴾ على بناء الفعل للفاعل، وقرأ الباقون ﴿تُرْجَعُ﴾ على بنائه للمفعول(١)، وهي راجعة إليه تعالى قبلُ وبعدُ، وإنما نبَّه بذكر ذلك في يوم القيامة على زوال ما كان منها إلى الملوك في الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ الآية، الخطاب لمحمد ﷺ، وفيه إباحة السُّؤال لمن شاءَ من أُمته، ومعنى الآية توبيخهم على عنادهم بعد الآيات البينة.

وقرأ أبو عمرو في رواية عباس(٢) عنه: (اسْأل) على الأصل(٣).

وقرأ قوم: (اِسَل) على نقل الحركة إلى السين وترك الاعتداد بذلك في إبقاء ألف الوصل(٤)، على لغة من قال: الَحْمر، ومن قرأ ﴿سَلۡ﴾ فإنه [أزال ألف الوصل](٥) حين نقل واستغنى عنها.

و﴿كَمۡ﴾: في موضع نصب إما بفعل مضمر بعدها لأن لها صدر الكلام، تقديره: كم آتينا آتيناهم، وإما بـ﴿ءَاتَيۡنَٰهُم﴾.

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٨١). والتيسير في القراءات السبع للداني (ص: ٨٠).

(٢) في الحمزوية وأحمد٣ وفيض الله: «ابن عباس» وكذا كان في جار الله إلا أنها مضبب عليها، وفي السليمانية: «عياش»، أما عباس، وهو الأظهر، فهو العباس بن الفضل بن عمرو بن عبيد بن الفضل ابن حنظلة أبو الفضل الواقفي الأنصاري البصري قاضي الموصل أستاذ حاذق ثقة، كان من أكابر أصحاب أبي عمرو في القراءة وله اختيار في القراءة في الكامل، كان عظيم القدر جليل المنزلة في العلم والدين والورع مقدما توفي (١٨٦هـ). غاية النهاية (١/ ٣٥٣)، وأما عياش فهو ابن محمد أبو الفضل الجوهري البغدادي مشهور روى القراءة سماعا عن أبي عمر الدوري عن أبي عمرو، مات سنة ٢٩٩هـ، غاية النهاية (١/ ٦٠٧)، وأما «ابن عباس» فخطأ محض.

(٣) تفسير البحر المحيط (٤/ ٥٤) طبعة الرسالة، وفيه: «عباس» على الصواب، وليست هذه القراءة لأبي عمرو في شيء من طرق التيسير ولا جامع البيان لأنه قال فيه: (٣/ ١٠١٠): وأجمعوا على الهمز في قوله ﴿وَلۡيَسۡـَٔلُواْ﴾[الممتحنة: ١٠] لأنه أمر لغائب، وعلى ترك الهمز في قوله: ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة: ٢١١] و﴿سَلۡهُمۡ أَيُّهُم﴾ [القلم: ٤٠] لأنه لا واو ولا فاء قبل السين فيهما.

(٤) تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٣٤٧)، وتفسير القرطبي (٣/ ٢٧).

(٥) في أحمد٣ بدلا منه: «أراد الوصل»، وكلمة «ألف» في جار الله ملحقة وعليها علامة «صح».

وقوله: ﴿مِّنۡ ءَايَةِۭ﴾ هو على التقدير الأول مفعول ثان لـ﴿ءَاتَيۡنَٰهُم﴾، وعلى الثاني في موضع التمييز.

ويصح أن تكون ﴿كَمۡ﴾ في موضع رفع بالابتداء، والخبرُ في ﴿ءَاتَيۡنَٰهُم﴾، ويصير فيه عائد على ﴿كَمۡ﴾ تقديره: كم آتيناهموه.

والمراد بالآية: كم جاءهم في أمر محمد ﷺ من آية معرِّفة به دالة عليه.

[١٣٤] و﴿نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾ / لفظٌ عام لجميع إنعامه، ولكن يقوي من حال النبي معهم أن المشار إليه هنا محمد ﷺ، فالمعنى: ومن يبدل من بني إسرائيل صفة نعمة الله، ثم جاءَ اللفظ منسحباً على كل مُبَدِّلٍ نعمةً لله تعالى.

وقال الطبري: النعمة هنا الإسلام(١)، وهذا قريب من الأول.

ويدخل في اللفظ أيضاً كفار قريش الذين بُعِثَ محمدٌ منهم(٢) نعمة عليهم، فبدلوا قبولها والشكر عليها كفراً، والتوراة أيضاً نعمة على بني إسرائيل أرشدتهم وهدتهم، فبدلوها بالتحريف لها وجَحْدِ أمر محمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ خبرٌ يقتضي ويتضمن الوعيد، و﴿ٱلۡعِقَابِ﴾ مأْخوذ من العَقِب، كأن المعاقب يمشي بالمجازاة(٣) له في آثار(٤) عَقِبِه، ومنه عُقْبَةُ الراكب، وعُقْبَة القِدْر.

وقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ الـمُزَيِّنُ هو خالقُها ومُخْترعها وخالق الكفر، ويُزَيِّنها أيضاً الشيطان بوسوسته وإغوائه.

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢٧٢).

(٢) في فيض الله: «إليهم».

(٣) في نور العثمانية: «بالمحاذاة»، وهي محتملة في بعض النسخ الأخرى.

(٤) ليس في الحمزوية.

وقرأ مجاهد وحميد بن قيس وأبو حيوة: (زَيَّن) على بناء الفعل للفاعل ونصب (الحياةَ)[(١)].

وقرأ ابن أبي عبلة: (زُينتْ) بإظهار العلامة[(٢)]، والقراءةُ[(٣)] دون علامة هي للحائل، ولكون التأنيث غير حقيقي.

وخُصَّ الذين كفروا بالذكر لقبولهم التَّزيين جملةً، وإقبالهم على الدنيا وإعراضهم عن الآخرة بسببها، والتَّزيين من الله تعالى واقع للكل، وقد جعل الله ما على الأرض زينة لها ليَبْلُوَ الخَلق أيُّهم أحسن عملاً، فالمؤمنون الذين هم على سَنن الشرع لم تفتنهم الزينة، والكفار تملكتهم لأنهم لا يعتقدون غيرها.

وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين قُدِمَ عليه بالمال: «اللهم إنّا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زيَّنت لنا»[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ إشارة إلى كفار قريش لأنهم كانوا يعظمون [حالهم][(٥)] من الدنيا ويغتبطون بها ويسخرون من أتباع النبي ﷺ كبلال وصهيب وابن مسعود وغيرهم، فذَكر اللهُ قبيحَ فعلهم ونبَّه على خفض منزلتهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، ومعنى الفوق هنا: في الدرجة والقَدْر، فهي تقتضي التفضيل وإن لم يكن للكافرين من القدر نصيب، كما قال تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤].

---

(١) انظر عزوها لهم في الكامل للهذلي (ص: ٥٠٣)، وانظر أيضاً: إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٠٧).

(٢) الشواذ للكرماني (ص: ٨٩).

(٣) سقطت من فيض الله.

(٤) لم أجده لأبي بكر، وإنما روي من كلام عمر بن الخطاب: أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم (٣٤٤٧٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦٠٧) برقم (٣٢٥١) عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عبد الله بن الأرقم صاحب بيت مال المسلمين يقول لعمر.....، بمعناه.

(٥) في الحمزوية: «رجالهم».

وتحتمل الآية أن المتقين هم في الآخرة في التنعم والفوز بالرحمة فوق ما هم هؤلاء فيه في دنياهم، وكذلك خير مستقراً من هؤلاء في نعمة الدنيا، فعلى هذا الاحتمال وقع التفضيل في أمر فيه اشتراك، وتحتمل هذه الآية أن يراد بالفوق المكان، من حيث الجنة في السماء والنار في أسفل السافلين، فيُعلم من ترتيب الأمكنة أن هؤلاءِ في الجنة وهؤلاء في النار.

وتحتمل الآيتان أن يكون التفضيل على ما يتضمنه زعم الكفار، فإنهم كانوا يقولون: وإن كان مَعَادٌ(١) فلنا فيه الحظُّ أكثرَ مما لكم، ومنه حديث خباب(٢) مع العاص بن وائل(٣)،(٤).

وهذا كله من التحميلات حفظ لمذهب سيبويه والخليل في أن التفضيل إنما يجيءُ فيما فيه شركة، والكوفيون يجيزونه حيث لا اشتراك.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ يحتمل أن يكون المعنى: والله يرزق هؤلاء الكفرة في الدنيا، فلا تستعظموا ذلك ولا تقيسوا عليه الآخرة، فإن

(١) في المطبوع والسليمانية: «معاذ».

(٢) خبّاب بن الأرتّ ـ بتشديد المثناة ـ بن جندلة التميمي، ويقال: الخزاعي، أبو عبد الله، سبي في الجاهليّة فبيع بمكّة، ثم حالف بني زهرة، وكان من السّابقين الأوّلين، وشهد بدراً وما بعدها، ونزل الكوفة، ومات بها سنة (٣٧هـ). الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٢٢١).

(٣) هو العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم، والد هشام وعمرو رضي الله عنهما، وكان من أشراف قريش؛ وهو الذي منع عمر بن الخطاب بمكة من قريش، حين أظهر عمر الإسلام، مات كافراً بين مكة والمدينة بالأبواء. نسب قريش (١ / ١٣٦).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٠٩١) (٢٤٢٥) (٤٧٣٤) ومسلم (٢٧٩٥) وهو قول خباب: كنت قينا في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، قال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ فقلت: لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعثْ، قال: دعني حتى أموت وأبعث فسأوتى مالا وولدا فأقضيك، فنزلت ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا * أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ [مريم: ٧٧-٧٨].

الرزق ليس على قدر الكفر والإيمان بأن يحسب لهذا عمله ولهذا عمله فيرزقان بحساب ذلك، بل الرزق بغير حساب الأعمال، والأعمال ومجازاتها محاسبة ومعادة إذ أجزاءُ الجزاءِ تُقابل أجزاءَ الفعل المجازى عليه، فالمعنى: أن المؤمن وإن لم يرزق في الدنيا فهو فوقُ يوم القيامة.

وتحتمل الآية أن يكون المعنى: أن الله يرزق هؤلاء المستضعفين عُلُوَّ المنزلة بكونهم فوق، وما في ضمن ذلك من النعيم بغير حساب، فالآية تنبيه على عظم النعمة عليهم، وجعل رزقهم بغير حساب حيث هو دائم لا يتناهى، فهو لا ينفد.

ويحتمل أن يكون بِغَيْرِ حِسابٍ صفةً لرزق الله تعالى كيف تصرف، إذ هُوَ جلَّت قُدْرَتُهُ لا يُنْفِقُ بِعَدٍّ، فَفَضْله كله بغير حساب.

ويحتمل أن يكون المعنى في الآية: من حيث لا يحتسب هذا الذي يشاؤُه الله، كأنه قال: بغير احتساب من المرزوقين، كما قال تعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣].

وإن اعترض معترض على هذه الآية بقوله تعالى: ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦]، فالمعنى في ذلك محسباً، وأيضاً فلو كان عدّاً لكان الحساب في الجزاء والمثوبة لأنها معادة وغير الحساب في التفضل والإنعام.

قوله عز وجل: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾.

قال أبي بن كعب[١] وابن زيد: المراد بـ﴿ٱلنَّاسُ﴾ بنو آدم حين أخرجهم الله نسماً من ظهر آدم[٢]، أي: كانوا على الفطرة.

[١٣٥] وقال مجاهد: / ﴿ٱلنَّاسُ﴾ آدم وحده، [وقال قوم][٣]: آدم وحواء، وقال ابن عباس[٤] وقتادة: ﴿ٱلنَّاسُ﴾ القرون التي كانت بين آدم ونوح[٥]، وهي عشرة، كانوا على الحق حتى اختلفوا فبعث الله تعالى نوحاً فمن بعده.

وقال قوم: ﴿ٱلنَّاسُ﴾ نوح ومن في سفينته، كانوا مسلمين ثم بعد ذلك اختلفوا[٦].

وقال ابن عباس أيضاً: كان الناس أُمة واحدة كفاراً، يريد في مدة نوح حين بعثه الله[٧]، و﴿كَانَ﴾ على هذه الأقوال هي على بابها من المضي المنقضي[٨].

وتحتمل الآية معنى سابعاً[٩] وهو أن يخبر عن الناس الذين هم الجنس كلُّه أنهم أُمة واحدة في خلوهم عن الشرائع وجهلهم بالحقائق، لولا مَنُّ الله عليهم وتفضله بالرسل [إليهم][١٠]، فـ﴿كَانَ﴾ على هذا الثبوت لا تختص بالمضي فقط، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

---

(١) إسناده لين، أخرجه الطبري (٤/ ٢٧٨) من طريق: أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب به.
(٢) تفسير الطبري (٤/ ٢٧٨).
(٣) في الحمزوية: «وقيل».
(٤) لا بأس بإسناده، أخرجه الطبري (٤/ ٢٧٥) من طريق: همام بن منبه، عن عكرمة، عن ابن عباس.
(٥) انظر الأقوال كلها في تفسير الطبري (٤/ ٢٧٦).
(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٦٩٧).
(٧) أخرجه الطبري (٤/ ٢٧٨) بإسناد ضعيف.
(٨) سقطت من أحمد٣، وفي نور العثمانية: «المقتضي».
(٩) في الحمزوية: «مستأنفا»، وفي فيض الله: «شائعا».
(١٠) ليس في المطبوعة.

و«الأمة»: الجماعة على المقصد الواحد، ويسمى الواحد أُمة إذا كان منفرداً بمقصد، ومنه قول النبي ﷺ في قسِّ بن ساعدة: «يُحْشَرُ يَوْمَ القِيَامَةِ أُمةً وحْدَه»[(١)].

وقرأ أبي بن كعب: (كَانَ البَشَر أُمَّةً وَاحِدَةً)[(٢)] [(٣)].

وقرأ ابن مسعود: (كان الناس أُمة واحدةً فاخْتَلَفُوا [فَبَعَثَ)[(٤)].

وكلُّ مَن قَدَّرَ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ في الآية: مؤمنين، قدَّر في الكلام: فاختلفوا][(٥)]، وكل من قدرهم كفاراً كانت بعثة النَّبِيِّينَ إليهم.

وأول الرسل على ما ورد في الصحيح في حديث الشفاعة نوحٌ، لأن الناس يقولون له: أنت أول الرسل[(٦)]، والمعنى: إلى تقويمِ كفار، وإلا فآدم مُرسلٌ إلى بنيه يعلمهم الدين والإيمان.

و ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ معناه: بالثواب على الطاعة، و﴿وَمُنذِرِينَ﴾ معناه: من العقاب على المعاصي، ونصْبُ اللفظتين على الحال.

و ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ اسم الجنس، والمعنى: جميع الكتب.

---

(١) ضعيف، هذا الحديث أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة (٥٥)، وأبو سعيد القرَّاب في فنون العجائب (٣٠) عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً به، وأبو صالح هو باذام مولى أم هانئ، متفق على ضعفه، وللحديث طرق أخرى كلها لا تثبت.قال ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢١٤): «وهذا الحديث من جميع جهاته باطل». قال أبو الفتح الأزدي الحافظ: «هو حديث موضوع لا أصل له». وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة (٥/ ٥٥٢): «قد أفرد بعض الرواة طرق حديث قس بن ساعدة، وهو في الطوالات للطبراني وغيرها، وطرقه كلها ضعيفة».

(٢) تفسير الماوردي (١/ ٢٧١)، وهي قراءة شاذة.

(٣) في الحمزوية هنا زيادة: «في خلوهم من الشرائع»، ولم نجد ما يدل عليها في شيء من المصادر.

(٤) تفسير الطبري (٤/ ٢٧٥)، والكشاف للزمخشري (١/ ٢٨٣)، وهي قراءة شاذة.

(٥) ساقط من الحمزوية.

(٦) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٣١٦٢)، ومسلم (٣٢٧)، كلاهما من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

وقال الطبري: الألف واللام في ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ للعَهْد، والمراد التوراة[١].

و﴿لِيَحْكُمَ﴾ مسند إلى الكتاب في قول الجمهور، وقال قوم: المعنى: ليحكم الله.

وقرأ الجحدري: (ليُحكَم) على بناء الفعل للمفعول[٢]، وحكى عنه مكي: (لنَحكم)[٣]، وأظنه تصحيفاً[٤] لأنه لم يحْكِ عنه البناءَ[٥] للمفعول كما حكى الناس[٦].

والضمير في ﴿فِيهِ﴾ عائد على (مَا) من قوله: ﴿فِيمَا﴾، والضمير في ﴿فِيهِ﴾ الثانية يحتمل العود على ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ ويحتمل على الضمير الذي قبله.

و﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾: أرباب العلم به والدراسة له، وخصهم بالذكر تنبيهاً منه تعالى على الشنعة في فعلهم والقبح الذي واقعوه.

و﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: الدلالات والحجج، و﴿بَغْيًا﴾ منصوب على المفعول له، والبغي: التعدي بالباطل.

و(هَدَى) معناه: أرشد، وذلك خلق الإيمان في قلوبهم، وقد تقدم ذكر وجوه الهدى في سورة الحمد.

والمراد بـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: من آمن بمحمد ﷺ:

فقالت طائفة: معنى الآية: أن الأمم كذب بعضهم كتاب بعض، فهدى الله أمة

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢٨٠).

(٢) انظر عزوها له في تفسير الثعلبي (٢/ ١٣٣)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ١٠٧)، واسمه عاصم، ولكنه ليس الكوفي صاحب السبعة الذي يروي عنه حفص، بل قراءته شاذة، لكن هذه القراءة متواترة عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني كما في النشر (٢/ ٢٥٩).

(٣) قال في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٦٩٩): بالنون، وهي قراءة شاذة.

(٤) قال السمين في الدر المصون (١/ ٤٨٣): لا ينبغي أن يغلطه لاحتمال أن يكون عنه قراءتان.

(٥) أي أن مكياً لم يُحْكَ عن الجحدري البناء، وضبطت في المطبوع: «يُحْكَ عنه البناءُ»، ولعله خطأ.

(٦) منهم السمعاني (١/ ٢١٤)، والثعلبي والنحاس كما تقدم فوق.

محمد التصديق بجميعها، وقالت طائفة: إن الله هدى المؤمنين للحق فيما اختلف فيه أهل الكتابين من قولهم: إن إبراهيم كان يهوديّاً أو نصرانيّاً.

وقال ابن زيد: من قبلتهم، فإن[١] اليهود إلى بيت المقدس والنصارى إلى المشرق، ومن يوم الجمعة، فإن النبي ﷺ قال: «هذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له[٢]، فلليهود غد، وللنصارى بعد غد»[٣]، ومن صيامهم وجميع ما اختلفوا فيه[٤].

وقال الفراء: في الكلام قلْبٌ[٥]، واختاره الطبري، قال: وتقديره: فهدى الله الذين آمنوا للحق مما اختلفوا فيه[٦].

[ودعاه إلى هذا التقدير خوف أن يَحْتَمِلَ اللفظ أنهم اختلفوا في الحق فهدى الله المؤمنين لبعض ما اختلفوا فيه][٧]، وعساه غيرُ الحق في نفسه، نحا إلى هذا الطبري في حكايته عن الفراءِ.

قال أبو محمد: وادعاء القلب على لفظ كتاب الله دون ضرورة تدفع إلى ذلك عجز وسوءُ نظر، وذلك أن الكلام يتخرج على وجهه ورصفه، لأن قوله[٨]: ﴿فَهَدَى﴾ يقتضي أنهم أصابوا الحق، وتمَّ المعنى في قوله ﴿فِيهِ﴾، وتبين بقوله: ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ جنس ما وقع الخلاف فيه.

---

(١) في المطبوع هنا زيادة: «قبلة».

(٢) في الحمزوية: «إليه».

(٣) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٨٥٦)، ومسلم (٢٠١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) تفسير الطبري (٤/ ٢٨٤).

(٥) معاني القرآن للفراء (١/ ١٣١).

(٦) تفسير الطبري (٤/ ٢٨٦).

(٧) ساقط من الحمزوية.

(٨) في السليمانية: «قراءة»، وفي جار الله وأحمد٣: «لأن الله تعالى قال فهدى فيقتضي...» إلخ مع الإشارة في هامشه للمثبت.

قال المهدوي: وقدم لفظ الخلاف على لفظ الحق اهتماماً، إذ العناية إنما هي بذكر الاختلاف(١).

قال القاضي أبو محمد: وليس هذا عندي بقويٍّ.

وفي قراءة عبدالله بن مسعود (لِمَا اخْتَلَفُوا عَنْهُ مِنَ الحَقِّ)(٢) أي: عن الإسلام.

و ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ قال الزجّاج: معناه: بعلمه(٣)، وقيل: بأمره.

و«الإذن» هو العلم والتمكين، فإن اقترن بذلك أمر صار أقوى من الإذن بمزية.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ ردٌّ على المعتزلة في قولهم: إن العبد يستبد بهداية نفسه.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ الآية، «أمْ» قد تجيءُ لابتداءِ كلام بعد كلام وإن لم يكن تقسيم ولا معادلةُ ألفِ استفهام، وحكى بعض اللغويين أنها قد تجيءُ بمثابة ألف الاستفهام يُبتدأُ بها، و﴿حَسِبْتُمْ﴾ تطلب مفعولين، فقال النحاة: ﴿أَن تَدْخُلُوا۟﴾ تسد مسد المفعولين لأن الجملة التي بعد ﴿أَن﴾ مستوفاة المعنى.

ويصح أن يكون المفعول الثاني محذوفاً، تقديره: أحسبتم دخولكم الجنة واقعاً ولَمَّا، ولا يظهر أن يتقدر المفعول الثاني في قوله: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾ بتقدير: أحسبتم دخولكم الجنة خِلْواً من أن يصيبكم ما أصاب من قبلكم، لأن «خِلْواً» حال، والحال هنا إنما تأتي بعد توفية المفعولين، والمفعولان هما الابتداء والخبر قبل دخول «حسب».

و﴿ٱلْبَأْسَآءُ﴾: في المال، و(الضَّرَّاءُ): في البدن، و﴿خَلَوْا۟﴾: معناه: انقرضوا، أي: صاروا في خلاءٍ / من الأرض، وهذه الآية نزلت في قصة الأحزاب حين حَصَروا [١٣٦]

(١) التحصيل للمهدوي (١/ ٣٩١)، وتفسير القرطبي (٣/ ٣٣).
(٢) تفسير الطبري (٤/ ٢٨٥)، وهي قراءة شاذة.
(٣) معاني القرآن للزجاج (١/ ٢٨٥).

رسول الله ﷺ [وأصحابه][(١)] في المدينة، هذا قول قتادة والسدي وأكثر المفسرين[(٢)].

وقالت فرقة: نزلت الآية تسلية للمهاجرين الذين أُصيبت أموالهم بعدهم في بلادهم وفُتنوا هُمْ قبل ذلك[(٣)].

و﴿مَّثَلُ﴾ معناه: شَبَه، فالتقدير: [شَبَهُ آي][(٤)] الذين خَلَوْا، والزلزلة: شدة التحريك، تكون في الأشخاص وفي الأحوال، ومذهب سيبويه أنَّ زَلْزَل رباعي كدَحْرَج، وقال الزجّاج: هو تضعيف في زلَّ[(٥)]، فيجيءُ التضعيف على هذا في الفاء.

وقرأ الأعمش: (وَزُلْزِلُوا ويقول الرسول) بالواو بدل ﴿حَتَّىٰ﴾[(٦)].

وفي مصحف ابن مسعود: (وزُلْزلوا ثم زُلْزلوا ويقول الرسول)[(٧)].

وقرأ نافع: ﴿يقولُ﴾ بالرفع، وقرأ الباقون: ﴿يَقُولَ﴾ بالنصب[(٨)]، فـ﴿حَتَّىٰ﴾ غاية مجردة تنصب الفعل بتقدير: إلى أن، وعلى قراءة نافع كأنها اقترن بها تسبيب فهي حرف ابتداء ترفع الفعل[(٩)].

وأكثر المتأولين على أن الكلام إلى آخر الآية من قول الرسول والمؤمنين، ويكون ذلك من قول الرسول على طلب استعجال النصر لا على شكٍّ ولا ارتياب.

---

(١) ساقط من الحمزوية.
(٢) انظر أسباب النزول للواحدي (ص: ١٨٠)، وتفسير الطبري (٤/ ٢٨٩).
(٣) زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٢٣١).
(٤) كذا في سائر المخطوطات، ويمكن أن تقرأ في بعضها: شبه أتي، وفي المطبوع: أي شبه.
(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٨٥)، وانظر قول سيبويه في الشافية في علم التصريف (١/ ٧٥).
(٦) تفسير القرطبي (٣/ ٣٥)، ولم أجدها لمن قبل المؤلف، وهي قراءة شاذة مخالفة للمصحف.
(٧) معاني القرآن للفراء (١/ ١٣٣) وهي قراءة شاذة.
(٨) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٨١)، والتيسير فى القراءات السبع للداني (ص: ٨٠).
(٩) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٠٦).

و﴿ٱلرَّسُولُ﴾ اسم الجنس، وذكره الله تعظيماً للنازلة التي دعت الرسول إلى هذا القول، وقالت طائفة: في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: حتى يقول الذين آمنوا: متى نصر الله؟ فيقول الرسول: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾، فقُدِّمَ الرسول في الرتبة لمكانته، ثم قُدِّمَ قول المؤمنين لأنه المتقدم في الزمان.

قال القاضي أبو محمد: وهذا تحَكمٌ، وحمل الكلام على وجهه غير متعذِّر، ويحتمل أن يكون ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ إخباراً من الله تعالى مؤتنفاً بعد تمام ذكر القول.

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تفسير ابن عطيّة

المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمّد عبد الحقّ بن عطيّة الأندلسيّ

تحقيق
مجموعة من الباحثين

بإشراف
إدارة الشّؤون الإسلاميّة

الجزء الثّاني
من تفسير الآية ٢١٥ من البقرة حتّى نهاية آل عمران

إصدارات
وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة
إدارة الشّؤون الإسلاميّة
بتمويل الإدارة العامّة للأوقاف
دولة قطر

تفسير ابن عطية

المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي

□ **تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**
تأليف : الإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي
تحقيق : مجموعة من الباحثين - بإشراف إدارة الشؤون الإسلامية
الطبعة المحققة الأولى : ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

قياس القطع : ١٧ × ٢٤

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

ص.ب ٤٢٢ الدوحة
البريد الإلكتروني : turathuna@islam.gov.qa

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ...﴾.

«السائلون»: هم المؤمنون، والمعنى: يسألونك ما هي الوجوه التي ينفقون فيها، وأين يضعون ما لزم إنفاقه؟

و(ما) يصح أن تكون في موضع رفع على الابتداءِ، و(ذا) خبرها، فهي بمعنى (الذي)، و﴿يُنفِقُونَ﴾ صلة، وفيه عائد على (ذا) تقديره: ينفقونه، ويصح أن تكون ﴿مَاذَا﴾ اسماً واحداً مركباً في موضع نصب بـ ﴿يُنفِقُونَ﴾، فيعرى من الضمير، ومتى كانت اسماً مركباً فهي في موضع نصب إلا[1] ما جاءَ من قول الشاعر:

وَمَاذَا عَسَى الوَاشُونَ أَنْ يَتحَدَّثوا ... سِوَى أَنْ يَقُولُوا إِنني لكِ عَاشِقُ[2] [الطويل]

فإن (عسى) لا تعمل، فـ (ماذا) في موضع رفع وهو مركب؛ إذ لا صلة لـ (ذا).

قال قوم: هذه الآية في الزكاة المفروضة، وعلى هذا نُسِخ منها الوالدان ومن جرى مَجراهما من الأقربين.

وقال السدي: نزلت هذه الآية قبل فرض الزكاة، ثم نسختها الزكاة المفروضة[3].

---

(١) في المطبوع: «لا»، بالنفي بدل الاستثناء.

(٢) البيت لمجنون ليلى كما في الأغاني (٢/ ٥٦)، ومصارع العشاق (٢/ ٢٤٤)، ولباب الآداب لأسامة بن منقذ (١/ ٤١٠)، ونسبه التبريزي في شرح الحماسة (٢/ ١٤٨)، والتادلي في الحماسة المغربية (٢/ ٩١٩) لجميل بثينة.

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٣٣٨ و٣٣٩).

ووهم المهدوي على السدي في هذا، فنسبَ إليه أنه قال: إن الآية في الزكاة المفروضة، ثم نُسخ منها الوالدان[١].

وقال ابن جريج وغيره: هي ندب، والزكاة غير هذا الإنفاق[٢]، فعلى هذا لا نسخ فيها.

و«اليُتْم»: فقدُ الأب قبل البلوغ، وقد تقدم القول في المسكين وابن السَّبيل.

﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ﴾ جزم بالشرط، والجواب في الفاء.

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (يَفعَلُوا) بالياء[٣] على ذكر الغائب.

وظاهر الآية الخبر، وهي تتضمن الوعد بالمجازاة.

و﴿كُتِبَ﴾: معناه فُرض، وقد تقدم مثله[٤]، وهذا هو فرض الجهاد.

وقرأ قوم: (كُتِبَ عَلَيْكم القَتلُ)[٥].

وقال عطاءُ بن أَبي رباح: فرض القتال على أعيان أصحاب محمد ﷺ، فلما استقر الشرع وقِيَم به صار على الكفاية، وقال جمهور الأمة: أول فرضه إنما كان على الكفاية دون تعيين[٦].

قال القاضي أبو محمد: واستمر[٧] الإجماع على أن الجهاد على أمة محمد فرض كفاية، فإذا قام به من قام منَ المسلمين سقط عن الباقين، إلا أن ينزل العدو بساحة

---

(١) نقله القرطبي (٣/ ٣٧).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٣٣٨ و٣٣٩).

(٣) انظر عزوها له في: الشواذ للكرماني (ص: ٨٩)، وعزاها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص:٢٠) للأصبغ ابن نباتة، وهي قراءة شاذة.

(٤) في الحمزوية: «القول في مثله».

(٥) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٣٨) ولم ينسبها لمعين.

(٦) انظر: فتح الباري على صحيح البخاري لابن حجر (٨/ ٤٣١).

(٧) في نور العثمانية: «واشتهر».

الإسلام[١] فهو حينئذ فرض عين[٢]، وذكر المهدوي وغيره عن الثوري أنه قال: الجهاد تطوع[٣]. وهذه العبارة عندي إنما هي على سؤال سائل وقد قيم بالجهاد، فقيل له: ذلك تطوع.

والكُرْه بضم الكاف الاسم، وفتحها المصدر، وقال قوم: الكَره بفتح الكاف ما أُكره المرءُ عليه، والكُره ما كرهه هو، وقال قوم: هما بمعنىً واحد.

وقوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا﴾ الآية، قال قوم: (عَسى) من الله واجبة، والمعنى: عسى أن تكرهوا ما في الجهاد من المشقة، وهو خيرٌ لكم في أنكم تَغْلبون وتظهرون وتغنمون وتُؤْجرون، ومن مات مات شهيداً، وعَسى أَنْ تُحِبُّوا الدعة وترك القتال، وهو شرٌ لكم في أنكم تُغلبون وتذلون ويذهب أمركم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ الآية قوة أمر.

وقوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ الآية، نزل في قصة عمرو بن الحضرمي،/ وذلك أن رسول الله ﷺ بعث سرية عليها عبد الله بن جحش الأسدي [١٣٧] مَقْدمَه من بدر الأولى، فلقوا عمرو بن الحضرمي ومعه عثمان بن عبد الله بن المغيرة[٤] وأخوه نوفل[٥] المخزوميان والحكم بن كيسان[٦] في آخر يوم من رجب على ما ذكر

---

(١) في الأصل والسليمانية، والمطبوع: «للإسلام».

(٢) انظر: الشرح الكبير لابن قدامة (١٠/ ٣٦٤).

(٣) تفسير السمعاني (١/ ٢١٥)، وانظر: التحصيل للمهدوي (١/ ٣٧٨).

(٤) هو عثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي، أسر في سرية نخلة ثم في بدر، وقتل يوم أحد كافراً قتله الحارث بن الصمة رضي الله عنه، وأخذ سلبه درعاً ومغفراً وسيفاً جيداً، فبلغ رسول الله ﷺ فقال: «الحمد لله الذي أحانه»، الطبقات الكبرى (٣/ ٥٠٩).

(٥) هو نوفل بن عبد الله بن المغيرة، أخو عثمان، فر في سرية نخلة، وقتل يوم الخندق كافراً.جمهرة النسب لابن الكلبي (١ / ١٧).

(٦) الحكم بن كيسان: مولى هشام بن المغيرة المخزومي والدِ أبي جهل، أسر في أول سريّة جهّزها رسول الله ﷺ من المدينة، وأميرها عبد الله بن جحش، أسره المقداد بن عمرو، فأسلم عند رسول الله ﷺ، وقتل ببئر معونة شهيداً، الإصابة (٢/ ٩٥).

ابن إسحاق[١]، وفي آخر يوم من جمادى الآخرة على ما ذكره الطبري عن السدي وغيره[٢]، والأول أشهر.

على أن ابن عباس قد ورد عنه أن ذاك كان في أول ليلة من رجب والمسلمون يظنونها من جمادى، وأن القتل في الشهر الحرام لم يقصدوه[٣].

وأما على قول ابن إسحاق فإنهم قالوا: إن تركناهم اليوم دخلوا الحرم فأَزمعوا قتالهم، فرمى واقدُ بن عبد الله عمرَو بن الحضرمي بسهم فقتله، وأُسر عثمان بن عبد الله[٤] والحكم، وفر نوفل فأَعجزهم، واستسهل المسلمون هذا في الشهر الحرام خوف فوتهم، فقالت قريش: محمد قد استحل الأشهر الحرم، وعُيروا بذلك، وتوقف النبي ﷺ وقال: «ما أمرتكم بقتال في الأشهر الحرم»، فنزلت هذه الآية[٥].

وذكر المهدوي: أن سبب هذه الآية أن عمرو بن أُمية الضمري[٦] قتل رجلين

(١) كما في سيرة ابن هشام (٢/ ٢٥٢ - ٢٥٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٣٠٥ - ٣٠٧).

(٣) مرسل، أخرجه الطبري (٤/ ٣٠٨) من طريق: عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري وعثمان الجزري، وعن مقسم مولى ابن عباس قال: لقي واقد بن عبد الله عمرو بن الحضرمي في أول ليلة من رجب.

(٤) في نور العثمانية: «عبد الله بن عثمان»، وهو سبق قلم.

(٥) أسانيد هذه الواقعة لا تقوم بها الحجة، وردت في هذه السرية روايات كثيرة عن: عروة بن الزبير، والزهري، والسدي، ومجاهد، ومقسم مولى ابن عباس، وعكرمة، والضحاك بن مزاحم، وأبي مالك الغفاري، وغيرهم، ووردت مسندة عند البيهقي في الكبرى (٩/ ١١)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٢٤٩)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٦٢) (١٦٧١)، وأبي يعلى في مسنده (١٥٣٤) كلهم عن معتمر ابن سليمان التيمي، عن أبيه، عن رجل سمي في بعض الطرق: الحضرمي، عن أبي السوار العدوي عن جندب رضي الله عنه، وهذا إسناد ضعيف من أجل الحضرمي هذا، واسمه حضرمي ابن لاحق التميمي السعدي الأعرجي اليمامي. قال الإمام أحمد: كان قاصّاً لا أعلم يروي عنه غير سليمان التيمي، وقال ابن المديني: مجهول، وكان قاصّاً، وعند الطبري في تفسيره (٤/ ٣٠٨ - ٣٠٩) بإسناد فيه عطية العوفي وهو ضعيف.

(٦) عمرو بن أمية بن خويلد الضمريّ، أبو أمية، صحابيّ مشهور، له أحاديث، أسلم حين انصرف =

من بني كلاب في رجب فنزلت[١]، وهذا تخليط من المهدوي، وصاحبا عمرو كان عندهما عهد من النبي ﷺ، وكان عمرو قد أفلت من قصة بئر معونة[٢].

وذكر الصاحب بن عباد[٣] في رسالته المعروفة بـ «الأسدية»: أن عبد الله بن جحش سمي أمير المؤمنين في ذلك الوقت؛ لكونه مؤمَّراً على جماعة من المؤمنين[٤].

و﴿قِتَالٍ﴾ بدل عند سيبويه[٥]، وهو بدل الاشتمال، وقال الفراءُ: هو خفض بتقدير (عن)[٦].

وقال أبو عبيدة: هو خفض على الجوار[٧]، وقوله هذا خطأٌ[٨].

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (يَسْأَلُونك عَنِ الشَّهرِ الحَرَام عَنْ قِتالٍ فيهِ) بتكرير عن، وكذلك قرأها الربيع والأعمش[٩].

= المشركون من أحد، وكان شجاعاً، وكان أول مشاهده بئر معونة، فأسره عامر بن الطفيل، وجزّ ناصيته، وأطلقه، توفي بالمدينة قبل الستين، الإصابة (٤/ ٤٩٦).

(١) انظر التحصيل للمهدوي (١/ ٣٧٨).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ١٨٥).

(٣) إسماعيل بن عباد، الصاحب، أبو القاسم، وزير مؤيد الدولة بويه بن ركن الدولة، أصله من الطالقان، وكان نادرة دهره وأعجوبة عصره في الفضائل والمكارم، وكان عالماً بفنون كثيرة من العلم، لم يدانه في ذاك وزير، توفي سنة (٣٨٥هـ)، تاريخ الإسلام (٢٧/ ٩٢).

(٤) لم أقف عليها، وقد ذكر ذلك الواقدي في مغازيه (١/ ١٩)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ١٠).

(٥) انظر: الكتاب (١/ ١٥١)، وعزا النحاس في إعراب القرآن (١/ ١٠٩) هذا القول للبصريين، ودرج عليه أغلب النحاة انظر: المقتضب (١/ ٢٧)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٥٢) مشكل وإعراب القرآن لمكي (١/ ١٢٧)، والحجة للقراء السبعة للفارسي (٦/ ٣٧٨)، وغيرهم.

(٦) معاني القرآن للفراء (١/ ١٤١).

(٧) مجاز القرآن (١/ ٧٢).

(٨) خطأه النحاس في إعراب القرآن (١/ ١٠٩) ونقل الأقوال الأخرى، ونقلها أيضاً مكي في مشكل إعراب القرآن (١/ ١٢٧).

(٩) انظر: كتاب المصاحف (١/ ١٧٤)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ١٠٩).

وقرأ عكرمة: (عنِ الشَّهر الحَرَام قتلٍ فِيه قل قَتلٌ) دون ألف فيهما[١].

و﴿ٱلشَّهۡرِ﴾ في الآية اسم الجنس، وكانت العرب قد جعل الله لها الشَّهْر الْحَرام قِواماً تعتدل عنده، فكانت لا تسفك دماً ولا تغير في الأشهر الحرم، وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، وروى جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ لم يكن يغزو فيها إلا أن يُغزى، فذلك قوله تعالى: ﴿قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞ﴾[٢].

و(صَدّ) مبتدأٌ مقطوع مما قبله، والخبر ﴿أَكۡبَرُ﴾، و(الْمَسْجِد) معطوف على ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وهذا هو الصحيح.

وقال الفراءُ: (صَدٌّ) عطف على ﴿كَبِيرٞ﴾[٣]، وذلك خطأٌ؛ لأن المعنى يسوق إلى أن قوله: ﴿وَكُفۡرُۢ بِهِۦ﴾ عطف أيضاً على ﴿كَبِيرٞ﴾، ويجيءُ من ذلك أن إخراج أَهل المسجد منه أكبر من الكفر عند الله، وهذا بيِّنٌ فساده.

ومعنى الآية على قول الجمهور: إنكم يا كفار قريش تستعظمون علينا القتال في الشهر الحرام، وما تفعلون أنتم من الصد عن سبيل الله لمَن أَراد الإسلام ومن كفركم بالله وإخراجكم أهل المسجد عنه كما فعلوا برسول الله ﷺ وأصحابه أكبر جرماً عند الله.

وقال الزهري ومجاهد وغيرهما: قوله: ﴿قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞ﴾ منسوخ بقوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ﴾ [التوبة: ٣٦]، وبقوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥][٤].

وقال عطاء: لم تنسخ، ولا ينبغي القتال في الأشهر الحرم[٥]، وهذا ضعيف.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ المعنى عند جمهور المفسرين: والفتنة التي

---

(١) الكشاف للزمخشري (١/ ٢٨٦)، وهي قراءة شاذة.

(٢) جيد، أخرجه أحمد (٢٢/ ٤٣٨) (٢٣/ ٦٠) وغيره من طريق: الليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر، ورواية الليث عن أبي الزبير قد بين فيها سماعه من جابر.

(٣) معاني القرآن له (١/ ١٤١).

(٤) تفسير الطبري (٤/ ٣١٣).

(٥) المصدر السابق (٤/ ٣١٤).

كنتم تفتنون المسلمين عن دينهم حتى يهلكوا أشد اجتراماً من قتلكم في الشهر الحرام[١].

وقيل: المعنى والفتنة أشد من أن لو قتلوا ذلك المفتون، أي فعلكم على كل إنسان أشد من فعلنا.

وقال مجاهد وغيره: الْفِتْنَةُ هنا الكفر؛ أي: كفركم أشدُّ من قتلنا أولئك[٢].

قوله عز وجل: ﴿... وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ...﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ ابتداءُ خبر من الله عز وجل، وتحذير منه للمؤمنين من شر الكفرة، و﴿يَرُدُّوكُمْ﴾ نصب بـ ﴿حَتَّىٰ﴾؛ لأنها غاية مجردة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ﴾: أي يرجع عن الإسلام إلى الكفر، قالت طائفة من العلماء: يستتاب المرتد فإن تاب وإلا قتل، [وقال عبيد بن عمير وطاووس والحسن على خلاف عنه والشافعي في أَحد قوليه: يقتل دون أَن يُسْتَتاب[٣]، ورُويَ نحو هذا عن أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل[٤] الحديث[٥].

(١) تفسير الطبري (٤/ ٣٠١).

(٢) انظر. القولين في: تفسير الطبري (٤/ ٣١١).

(٣) انظر: المجموع شرح المهذب (١٩/ ٢٢٩).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٢٥، ٦٧٣٨)، ومسلم (٤٨٢٢) عن أبي موسى الأشعري: أن رجلاً أسلم ثم تهود فأتى معاذ بن جبل وهو عند أبي موسى فقال: ما لهذا؟ قال: أسلم ثم تهود. قال: لا أجلس حتى أقتله قضاء الله تعالى ورسوله ﷺ. وهذا لفظ البخاري مختصراً.

(٥) ليست في الأصل والمطبوع.

ومقتضى قولهما أنه يقال له للحين: راجع، فإن أَبى ذلك قُتل][١].

وقال عطاءُ بن أبي رباح: إن كان المرتد ابن مسلمَيْن قُتل دون استتابة وإن كان أسلم ثم ارتد استتيب[٢]، وذلك لأنه يجهل من فضل الإسلام ما لا يجهل ابن المسلمين.

واختلف القائلون في الاستتابة؛ فقال عمر بن الخطاب: يُستتاب ثلاثة أيام[٣]، وبه قال مالك، وأَحمد، وإِسحاق، وأَصحاب الرأْي، والشافعي في أَحد قوليه[٤].

وقال الزهري: يدعى إِلى الإِسلام فإِن تاب وإِلا قتل، وروي عن علي بن أَبي طالب أَنه استتاب مرتداً شهراً، فأَبى فقتله[٥]، وقال النخعي[٦] والثوري: يستتاب محبوساً أبداً[٧].

[١٣٨] قال ابن المنذر: واختلفت الآثار/ عن عمر في هذا الباب[٨].

قال القاضي أبو محمد: كان رضي الله عنه ينفذ بحسب جرم ذلك المرتد أو قلة جرمه المقترن بالردة.

---

(١) من «قتل» إلى «قتل» ليس في الحمزوية.

(٢) انظر: المغني لابن قدامة (١٠/ ٧٢).

(٣) إسناده جيد، هذا الأثر رواه مالك في الموطأ (١٤١٤) عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد القاري، عن أبيه به. وهذا إسناد جيد، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ١٣٧) عن ابن عيينة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه، كذا وقع في المصنف في موضعين، وأخشى أن يكون مقلوباً، وصوابه ما في الموطأ، والله أعلم.

(٤) انظر قول مالك في: الاستذكار (٧/ ١٥٥)، وقول أحمد وإسحاق في: المغني (٩/ ١٧)، وقول أصحاب الرأي في: المبسوط للسرخسي (١٠/ ٩٩)، وانظر قول الشافعي الذي أشار له المؤلف في: الحاوي للماوردي (١٣/ ١٥٨).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه برقم (١٨٦٩١) ط: المكتب الإسلامي.

(٦) في السليمانية: «الشعبي».

(٧) انظر: المجموع شرح المهذب (١٩/ ٢٣٠).

(٨) انظر: الأوسط لابن المنذر (١٣/ ٤٦٤).

و«حبط العمل»: إذا انفسد في آخره[١] فبطل.

وقرأ أبو السمال: (حبَطت) بفتح الباء في جميع القرآن[٢].

وقال علي بن أبي طالب والحسن والشعبي والحكم والليث[٣] وأبو حنيفة وإسحاق بن راهويه[٤]: ميراث المرتد لورثته من المسلمين[٥].

وقال مالك وربيعة وابن أبي ليلى والشافعي وأبو ثور[٦]: ميراثه في بيت المال[٧].

وأَجمع الناس على أن ورثته من أَهل الكفر لا يرثونه إِلا شذوذاً روي عن عمر ابن عبد العزيز وعن قتادة[٨]، [وروي عن عمر بن عبد العزيز][٩] خلافه[١٠].

---

(١) في جار الله وأحمد٣: «في الدنيا والآخرة».

(٢) إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٤٩)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/ ٩٨٣)، وهي قراءة شاذة.

(٣) هو أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفَهْمي، مولاهم الأصبهاني الأصل المصري، أحد الأعلام شيخ إقليم مصر وعالمه، استقل بالفتوى، وكان رحمه الله طلابة للعلم، ولا يرى التدليس، توفي سنة (١٧٥هـ)، تاريخ الإسلام (١١/ ٣٠٣).

(٤) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد أحد الأئمة الأعلام المتبوعين، أبو يعقوب التميمي الحنظلي المروزي الإمام، نزيل نيسابور وعالمها، أخذ عنه أحمد ويحيى بن معين قريناه، وغيرهما، وكان أحد الأئمة، ثقة مأموناً، توفي سنة (٢٣٨هـ)، تاريخ الإسلام (١٧/ ٨٠).

(٥) انظر: قول أبي حنيفة في: المبسوط للسرخسي (١٠/ ١٠٠)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٧٧) عن علي، وانظر: الأوسط لابن المنذر (١٣/ ٤٩٩) للباقين.

(٦) هو إبراهيم بن خالد أبو ثور الكلبي البغدادي، الفقيه، روى عن ابن عيينة، وابن علية، وجماعة، كان أحد أئمة الدنيا فقهاً وورعاً وفضلاً وخيراً، ممن صنف الكتب، وفرع على السنن، وذب عنها، وقمع مخالفيها، توفي سنة (٢٤٠هـ)، تاريخ الإسلام (١٧/ ٦٤).

(٧) انظر قول مالك في: البيان والتحصيل (١٦/ ٤٠٨)، وانظر قول الشافعي في: الحاوي للماوردي (٨/ ١٤٥)، وانظر قول ربيعة وابن أبي ليلى وأبي ثور في: الأوسط لابن المنذر (١٣/ ٥٠٠).

(٨) انظر: المجموع شرح المهذب (١٦/ ٥٩).

(٩) ليس في نور العثمانية، وفيها: «وروي» بواو، وفيها: «وقتادة»، دون «عن».

(١٠) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٣١٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٠١٤١).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ ﴾ الآية، قال[١] جندب بن عبدالله[٢] وعروة بن الزبير وغيرهما: لما قتل واقدُ بن عبد الله التميمي عمرَو بن الحضرمي في الشهر الحرام توقف رسول الله ﷺ عن أخذ خمسه الذي وُفِّق في فرضه له عبدُ الله بن جحش وفي الأسيرين، فعنف المسلمون عبدَ الله بن جحش وأصحابه حتى شق ذلك عليهم، فتلافاهم الله عز وجل بهذه الآية في الشهر الحرام ثم بذكرهم، والإشارة إليهم في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، ثم هي باقيةٌ في كل مَن فعل ما ذكر الله عز وجل[٣].

وهاجر الرجل: إذا انتقل نقلةَ إقامةٍ من موضع إلى موضع، وقصد ترْك الأول إيثاراً للثاني، وهي مُفاعَلَة من هَجَرَ، ومن قال: المهاجرة الانتقال من البادية إلى الحاضرة فقد أوهم بسبب أن ذلك كان الأغلب في العرب، وليس أهل مكة مهاجرين على قوله، وجاهد مُفاعَلَة من جهد: إذا استخرج الجهد.

وَ ﴿يَرْجُونَ ﴾: معناه يطمعون ويستقربون، والرجاءُ تَنَعُّم، والرجاءُ أَبداً معه خوف ولا بد، كما أن الخوف معه رجاء، وقد يتجوز أَحياناً ويجيءُ الرجاءُ بمعنى ما يقارنه من الخوف، كما قال الهذلي:

إِذَا لسَعَتْهُ النحْلُ لَمْ يرْجُ لَسْعَهَا وخَالَفَهَا في بَيْتِ نوب عَوامِلِ[٤] [الطويل]

---

(١) في نور العثمانية: «روي عن».

(٢) جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي ثم العلقي، أبو عبد الله، وقد ينسب إلى جده فيقال: جندب بن سفيان، سكن الكوفة ثم البصرة، قدمها مع مصعب بن الزبير، وروى عنه أهل المصرين، وهو من الطبقة الثامنة، له صحبة ورواية كثيرة، الإصابة (١/ ٦١٣).

(٣) فيه مبهم، هذا الحديث أخرجه الطبري (٤/ ٣١٩) من طريق سليمان التيمي، عن رجل، عن أبي السوار، عن جندب. وقد سبق الكلام على هذا الإسناد قريباً.

(٤) هو أبو ذؤيب عزاه له الطبري (٩/ ١٧٤) ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٦٣) ومجاز القرآن (٢/ ٧٣)، وإصلاح المنطق (ص: ١٢٦)، ويروى «حالفها» بالحاء، أي: لازمها، ولم يخش لسعها، و(النوب) جمع (نائب) وهو صفة للنحل.

وقال الأصمعي: إذا اقترن حرف النفي بالرجاءِ كان بمعنى الخوف[١] كهذا البيت، وكقوله عز وجل: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [يونس: ٧]، المعنى لا يخافون، وقد قيل: إن الرجاء في الآية على بابه، أي: لا يرجون الثواب في لقائنا، وبإزاء ذلك خوف العقاب.

وقال قوم: اللفظة من الأضداد دون تجوز في إحدى الجهتين، وليس هذا بجيد.

وقال الجاحظ في «كتاب البلدان»: إن معنى قوله: (لم يرج لسعها) أي: لَمْ يَرْجُ بُرْءَ لَسْعِها وزواله، فهو يصبر عليه[٢]، وباقي الآية وعْدٌ.

[وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ الآية، السائلون هم المؤمنون][٣].

و﴿ٱلْخَمْرِ﴾ مأخوذة من خَمَر إِذا ستر، [ومنه قول النبي ﷺ: «خَمِّروا الإناءَ»[٤]][٥]، ومنه خِمار المرأَة.

و«الخَمَرُ»: ما واراك من شجر وغيره، ومنه قول الشاعر:

أَلا يـا زيْـدُ والـضَّحـاك سِيرا ... فَقَدْ جَاوزْتُمَا خَـمَـر الطَّـريـقِ[٦] [الوافر]

أي: سِيرا مُدِلَّيْن، فقد جاوزتما الوهدة التي يستتر بها الذئب وغيره، ومنه قول العَجَّاج:

في لامِع العقبَان لا يَمْشي الْخَمَر[٧] ... . [الرجز]

---

(١) نقله ابن عادل في اللباب في علوم الكتاب (٤/ ٢٦)، قال: وفيه نظرٌ؛ إذ النَّفي لا يغيِّر مدلولات الألفاظ.

(٢) ليس في القسم المطبوع منه، وقد نقله عنه السمين الحلبي في الدر المصون (١/ ٥٠٠).

(٣) ليس في الحمزوية.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٠٦)، ومسلم (٢٠١٢) من حديث جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما.

(٥) ليس في السليمانية.

(٦) أورده بلا نسبة في تفسير الطبري (٢٠/ ٣٥٨)، ومعاني القرآن للفراء (٤/ ٤٧)، وكتاب العين (٤/ ٢٦٣).

(٧) عزاه له الطبري (٤/ ٣٢١)، والمعاني الكبير (١/ ٢٣٠)، والماوردي في النكت والعيون (١/ ٢٧٦)، وروايتهم: (لا يأتي الخَمَرْ).

يصف جيشاً جاء برايات غير مستخف، ومنه قولهم: دخل فلان في غمار الناس وخمارهم، أي: هو بمكان خاف، فلما كانت الخمر تستر العقل، وتُغَطي عليه[١] سُمِّيت بذلك.

و﴿ٱلْخَمْرِ﴾: ماءُ العنب الذي غُلِيَ ولم يطبخ، [أو طبخ طبخاً لم يكف غليانه][٢]، وما خامر العقل من غير ذلك فهو في حكمه.

[قال أبو حنيفة: قد تكون الخمر من الحبوب، قال ابن سيده: وأظنه تسمحاً منه؛ لأن حقيقة الخمر إنما هي ماء العنب دون سائر الأشياء[٣]، وروي: أن النبي ﷺ قال: «الخمر من هاتين الشجرتين: العنب والنخلة»[٤]][٥].

وحرِّمت الخمر بالمدينة يوم حرمت وهي من العسل والزبيب والتمر والشعير والقمح، ولم تكن عندهم خمر عنب، وأجمعت الأمة على خمر العنب إذا غلت ورمت بالزبد أنها حرام كثيرها وقليلها[٦]، وأن الحد واجب في القليل منها والكثير[٧].

وجمهور الأُمة على أَن ما أَسكر كثيره من غير خمر العنب [فمحرم قليله وكثيره][٨]، والحد في ذلك واجب[٩].

وقال أبو حنيفة وسفيان الثوري وابن أبي ليلى، وابن شبرمة[١٠]، وجماعة من

(١) في أحمد٣ والسليمانية وجار الله: تغطيه.

(٢) ليس في السليمانية.

(٣) المحكم (٥/ ١٨٥).

(٤) أخرجه مسلم (١٩٨٥) بنحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) ليس في الأصل، والمطبوع والسليمانية.

(٦) في المطبوع والأصل وفيض الله: «قليلها وكثيرها»، على التقديم والتأخير.

(٧) انظر: الاستذكار (٢٤/ ٢٧٤).

(٨) في أحمد٣ وجار الله: «فقليله حرام».

(٩) انظر: الأوسط لابن المنذر (١٣/ ٢١).

(١٠) عبد الله بن شبرمة بن الطفيل بن حسان أبو شبرمة الضبي الكوفي، الفقيه عالم أهل الكوفة في زمانه=

فقهاء الكوفة: ما أسكر كثيره من غير خمر العنب، فما لا يسكر منه حلال[(١)]، وإذا سكِر منه أحد دون أن يتعمد الوصول إلى حد السكر فلا حد عليه[(٢)].

وهذا قول ضعيف يرده النظر، وأبو بكر الصديق وعمر الفاروق والصحابة على خلافه[(٣)]، [وروي: أن النبي ﷺ قال: «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام[(٤)]، وما أسكر كثيره فقليله حرام»[(٥)].

قال ابن المنذر في «الإشراف»[(٦)]: لم يُبْق هذا الخبر مقالة لقائل ولا حجة لمحتج[(٧)]][(٨)].

وروي أن هـذه الآية أول تطرق إلى تحريم الخمر، ثم بعده: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ

= مع الإمام أبي حنيفة، وهو عم عمارة بن القعقاع روى عن أنس وأبي وائل وأبي الطفيل عامر بن واثلة وأبي زرعة وإبراهيم النخعي والشعبي وخلق، وعنه شعبة والسفيانان وشريك وهشيم وحماد ابن زيد وأحمد بن بشير وشجاع بن الوليد وابن المبارك وآخرون. وثقه أحمد بن حنبل وغيره. وقال أحمد العجلي: كان عفيفاً صارماً عاقلاً يشبه النساك، وكان شاعراً. تاريخ الإسلام ت تدمري (٩/ ١٩٣).

(١) انظر قول أبي حنيفة في: بدائع الصنائع (٥/ ١١٧)، وانظر قول الباقين في: بداية المجتهد (١/ ٤٧١).

(٢) نقله ابن المنذر في الأوسط (١٣/ ٢٢) عن أبي وائل وإبراهيم النخعي، وقد قالا به في السكران من النبيذ.

(٣) انظر: الأوسط لابن المنذر (١٣/ ١٨).

(٤) أخرجه مسلم (٢٠٠٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) صالح، هذا الحديث روي عن جماعة من الصحابة، منهم: جابر بن عبد الله، أخرجه: أبو داود (٣٦٨٣)، والترمذي (١٨٦٥)، وابن ماجه (٣٣٩٣)، وغيرهم من طريق: داود بن بكر بن أبي الفرات عن محمد بن المنكدر عن جابر، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من حديث جابر. ومن طريق: عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أخرجه النسائي في الكبرى (٣/ ٢١٦) وقال الترمذي أيضاً: «وفي الباب عن سعد، وعائشة، وعبد الله بن عمرو، وابن عمر، وخوات بن جبير».

(٦) في المطبوع: «الإشراق»، وهو خطأ.

(٧) الإشراف لابن المنذر (٢/ ٨٩)، بمعناه.

(٨) ليس في السليمانية وفيض الله.

وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ [النساء: ٤٣]، ثم قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١]، ثم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠]، فقال رسول الله ﷺ: «حَرُمَتِ الْخَمْر»[١].

ولم يحفظ عن النبي ﷺ في حدِّ الخمر إلا أَنه جلد أَربعين، خرجه مسلم، وأبو داود[٢].

وروي عنه ﷺ أنه ضرب فيها ضرباً مشاعاً، وحزره أبو بكر أربعين سوطاً، وعمل بذلك هو ثم عمر، ثم تهافت الناس فيها، فشدد عليهم الحد، وجعله كأخف الحدود ثمانين[٣].

وبه قال مالك، وقال الشافعي بالأربعين[٤].

وضربُ الخمرِ غيرُ شديد عند جماعة من العلماء لا يبدو إبط الضارب، وقال مالك: الضرب كله سواءٌ، لا يخفف، ولا يبرح[٥]، ويجتنب من المضروب الوجه والفرج والقلب والدماغ والخواصر بإجماع[٦].

---

(١) لا يصح، هذا الحديث أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (١٩٥٧)، ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٤) عن محمد بن أبي حميد عن أبي توبة المصري عن ابن عمر به مرفوعاً، وابن أبي حميد هو الأنصاري الزرقي لقبه حماد. قال أحمد وأبو حاتم: منكر الحديث. وأبو توبة قال فيه ابن عساكر كما في تاريخ دمشق (٦٦/ ٨٢): لم أجد له ذكراً في كتاب من الكتب المشهورة.

(٢) صحيح مسلم، رقم (٤٥٤٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وسنن أبي داود رقم (٤٤٨١).

(٣) صحيح، أخرجه مسلم (٤٥٤٩) من حديث أنس، وهو بنحوه في صحيح البخاري (٦٧٧٩) من حديث السائب بن يزيد.

(٤) انظر: الأوسط لابن المنذر (١٣/ ٢٠)، وقول مالك في: الاستذكار (٨/ ٩)، وقول الشافعي في: الحاوي للماوردي (١٣/ ٤١٢).

(٥) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٥/ ٣٢٧).

(٦) لم أجد من نقل هذا الإجماع، وقد قال مالك: لا يكون الضرب إلا في الظهر، وقال أبو حنيفة والشافعي وغيرهم: يضرب كل بدن المحدود ما عدا الرأس والوجه والفرج، انظر: التمهيد لابن عبد البر (٥/ ٣٣٤)، والشرح الكبير لابن قدامة (١٠/ ١٢٩).

وقالت طائفة: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، يريد ما في قوله: ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ من الإباحة والإشارة إلى الترخيص.

و(المَيسِرُ): مأْخوذ من يَسَرَ: إذا جزَرَ، والياسر الجازر، ومنه قول الشاعر/ : [١٣٩]

فَلَـمْ يَـزَلْ بِـكَ واشِـيهمْ ومكْرهـم ... حتى أَشاطُوا بِغَيب لحْمَ من يَسَروا[1] [البسيط]

ومنه قول الآخر:

أَقُـولُ لَهُـمْ بالشِّـعْبِ إِذْ يَيْسِـرُونَنِي ... أَلَمْ تَيْأَسُـوا أَنِّي ابْنُ فَارِسِ زَهْدَمِ[2] [الطويل]

والجزور الذي يستهم عليه يسمى مَيسِراً؛ لأنه موضع اليسر، ثم قيل للسهام مَيْسِر للمجاورة.

وقال الطبري: الميسر مأْخوذ من يَسَر لي هذا: إذا وجب وتسنى، ونسب القول إلى مجاهد، ثم جلب من نص كلام مجاهد ما هو خلاف لقوله[3]، بل أراد مجاهد الجزر.

واليسر: الذي يدخل في الضرب بالقداح، وجمعه أيسار، وقيل: يَسَر جمع ياسر، كحارس وحَرَس وأَحراس.

---

(١) البيت للأخطل يمدح عبد الملك بن مروان، عزاه له في منتهى الطلب من أشعار العرب (١/ ٢٦٢) وغيره، وهو في المعاني الكبير (٣/ ١١٤٨)، بلا نسبة، وفي نور العثمانية: «منكرهم»، بدل «مكرهم».

(٢) البيت لسحيم بن وثيل الرياحي اليربوعي، عزاه له الثعلبي (٥/ ٢٩٣)، والطبري (١٦/ ٤٥٠)، والنحاس في معاني القرآن (٣/ ٤٩٧) والمحتسب لابن جني (١/ ٣٥٦)، والعقد الفريد (٥/ ٢٠٧)، وزهدم اسم فرس مشهور، وقوله: ييسرونني يروى بالهمز والياء، قال الطبري: فمن رواه: «ييسرونني» فإنه أراد: يقتسمونني، من الميسر، كما يقسم الجزور، ومن رواه: «يأسرونني»، فإنه أراد الأسر.

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٣٢٢)، ولفظه عن مجاهد: وإنما سمّي الميسر؛ لقولهم: أَيْسِروا واجْزُرُوا، كقولك: ضع كذا وكذا».

وسهام الميسر سبعة لها حظوظ[١]، وفيها فروض على عدة الحظوظ، وثلاثة لا حظوظ لها، ولا فروض فيها، [وهي: الفَذُّ، والتَّوأَم، والرَّقيب، والحلس، والنَّافس، والمسبل، والمعَلَّى، والثلاثة التي لا حظوظ لها:][٢] المنيح، والسَّفيح، والوَغْد، تزاد هذه الثلاثة لتكثر السهام وتختلط على الحُرْضة وهو الضارب بها، فلا يجد إلى الميل مع أحد سبيلاً.

وكانت عادة العرب أن تضرب بهذه القداح في الشتوة وضيق الوقت وكلَب البرد على الفقراءِ، تشتري الجزور ويضمن الأيسار ثمنها ثم تنحر وتقسم على عشرة أقسام، وأخطأ الأصمعي في قسمة الجزور، فذكر أنها كانت على قدر حظوظ السهام ثمانية وعشرين قسماً[٣]، وليس كذلك، ثم يضرب على العشرة الأقسام، فمن فاز سهمه بأن يخرج من الرِّبابة متقدماً أَخذ أَنصباءَه وأَعطاها الفقراءَ، وفي أحيان ربما تقامروا لأنفسهم ثم يغرم الثمن من لم يفز سهمه، ويعيش بهذه السيرة فقراءُ الحي، ومنه قول الأعشى:

[السريع] المطْعمو الضَّيفِ إذا ما شَتَوْا والجاعِلُو القوتِ عَلَى اليَاسِر[٤]

ومنه قول الآخر:

[الطويل] بِأَيْدِيهم مَقْرُومَةٌ وَمغالِق يَعُودُ بأَرزاقِ العُفَاةِ مَنِيحُهَا[٥]

والمنيح في هذا البيت المستمنح؛ لأنهم كانوا يستعيرون السهم الذي قد امَّلس[٦] وكثر فوزه، فذلك المنيح الممدوح.

---

(١) في نور العثمانية: «خطوط» في الموضعين.

(٢) ليس في فيض الله.

(٣) نقله أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٠٠).

(٤) يمدح قوماً انظر غريب الحديث: لابن سلام (٣/ ٤٧٠)، والمعاني الكبير (١/ ٢٧٧)، والجراثيم (١/ ٣٧٦)، وتهذيب اللغة (١٣/ ٤٢).

(٥) عَمْرو بنُ قَميئَة كما في غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٦٢٢)، وتهذيب اللغة (٨/ ٣٦)، والمعاني الكبير (٣/ ١١٥٥)، الاختيارين للأخفش (ص: ٤٤٤)، قال: (بآيهم): بعلاماتهم، و(المغالق): السهام، واحدها مغلقٌ، و(المقرومة) منها: المعلمة، لأن تعرف، و(المنيح): سهم يستعار، يدخل في القداح.

(٦) هكذا ضبطت في بعض المخطوطات، وضبطت في المطبوع: أملس.

وأما المنيح الذي هو أحد الثلاثة الأغفال، فذلك إنما يوصف بالكر.

وإِيَّاه أراد جرير بقوله:

وَلَقَـدْ عَطَفْـنَ عَلَـى فَـزَارَة عَطْفَـة كَـرَّ المنِيـح وَجُلْـنَ ثَـمَّ مَجَـالا[١] [الكامل]

ومن الميسر قول لبيد:

إِذَا يَسَـروا لـم يـورثِ اليُسْـرُ بَيْنَهُمْ فَوَاحِشَ يُنْعَى ذِكْرُهَا بالمَصَايِفِ[٢] [الطويل]

فهذا كله هو نفع الميسر، إلا أنه أكل المال بالباطل، ففيه إثم كبير.

وقال محمد بن سيرين والحسن وابن عباس[٣] وابن المسيب وغيرهم: كل قمار ميسر من نرد وشطرنج ونحوه حتى لعب الصبيان بالجوز[٤].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ الآية، قال ابن عباس[٥] والربيع: الإثم فيهما بعد التحريم، والمنفعة فيهما قبله[٦].

وقالت طائفة: الإثم في الخمر: ذهاب العقل والسباب والافتراءُ والإذاية والتعدي الذي يكون من شاربها، والمنفعة: اللذة بها كما قال حسان بن ثابت:

---

(١) البيت للأخطل في المعاني الكبير (١/ ٢٧٩) والديوان (١/ ٢٠٣)، وقد تقدم في التعليق على الآية (١٦٥) أن عزوه لجرير خطأ.

(٢) تابعه في عزوه له تفسير القرطبي (٣/ ٥٩)، والظاهر أنه للمرقش الأكبر كما في المفضليات (ص: ٢٣٣)، والمعاني الكبير (١/ ٢٧٨).

(٣) هذا لفظ مجاهد وابن سيرين، أما لفظ ابن عباس فهو: الميسر القمار، كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله، فأيهما قمر صاحبه ذهب بأهله وماله، أخرجه الطبري (٤/ ٣٢٤) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٤/ ٣٢٣).

(٥) الذي وقفت عليه في ذلك هو قول مجاهد، الذي أخرجه الطبري (٤/ ٣٢٨) قال: منافعهما قبل أن يحرما.

(٦) تفسير الطبري (٤/ ٣٣٠).

[الوافر] وَنشْـربـهـا فَـتَـتْرُكُـنَـا مُـلـوكاً وَأُسْــداً لا يُـنَـهْـنِـهُـنَـا اللِّـقـاءُ[١]

إلى غير ذلك من أفراحها، وقال مجاهد: المنفعة بها كسب أَثمانها[٢].

ثم أَعلم الله عز وجل أَن الإِثم أَكبر من النفع وأَعود بالضرر في الآخرة، فهذا هو التقدمة[٣] للتحريم.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿كثيرٌ﴾ بالثاء المثلثة، وحجتها أن النبي ﷺ لعن الخمر ولعن معها عشرة: بائعها، ومبتاعها، والمشتراة له، وعاصرها، والمعصورة له، وساقيَها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها[٤]، فهذه آثام كثيرة، وأَيضاً فجمع المنافع يحسن معه جمع الآثام، و(كثير) بالثاءِ المثلثة يُعطي ذلك[٥].

وقرأَ باقي القراءِ وجمهور الناس: ﴿كَبِيرٌ﴾ بالباء بواحدة[٦] [٧]، وحجتها أَن الذنب في القمار وشرب الخمر من الكبائر فوصفه بالكبير أَليق، وأيضاً فاتفاقهم على ﴿أَكۡبَرُ﴾ حجة لـ﴿كَبِيرٌ﴾ بالباء بواحدة[٨]، وأَجمعوا على رفض (أكثر) بالثاء مثلثة[٩]، إلا ما في مصحف ابن مسعود فإن فيه: [(قُلْ فيهمَا إِثْمٌ كثير)،

(١) انظر عزوه له في الكامل في اللغة والأدب (١/ ١٠٦)، وتفسير الطبري (٤/ ٣٢٦)، والسيرة النبوية لابن هشام (٥/ ٨٦)، والعقد الفريد (٦/ ٣٧٧)، وديوان المعاني (١/ ٣١٤)، والنهنهة: الكفُّ والزجر، يقال: نهنه فلاناً عن الشيء كفَّه عنه وزجره.

(٢) انظر القولين في: تفسير الطبري (٤/ ٣٢٨) بمعناهما.

(٣) في جار الله: «المقدمة».

(٤) صالح، هذا الحديث روي عن عدة من الصحابة منهم: ابن عمر وابن عباس وابن مسعود، وأنس، وفي أسانيدها جميعاً مقال يتفاوت، يراجع نصب الراية (٤/ ٣٣١).

(٥) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ٣١٣).

(٦) في المطبوعة: الموحدة في الموضعين.

(٧) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٨٢)، والتيسير فى القراءات السبع للداني (ص: ٨٠).

(٨) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٠٨).

(٩) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٧١٤).

(وإِثمهما أَكثر)][١] بالثاء مثلثة في الحرفين[٢].

وقوله تعالى: ﴿فِيهِمَآ إِثۡمٞ﴾ يحتمل مقصدين، أَحدهما أَن يراد في استعمالهما بعد النهي، والآخر أَن تُراد خلالُ السوءِ التي فيهما.

وقال سعيد بن جبير: لما نزلت: ﴿قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ كرهها قوم للإثم، وشربها قوم للمنافع، فلما نزلت: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣] تجنبوها عند أوقات الصلوات، فلما نزلت: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠] قال عمر بن الخطاب: ضيعةً لكِ، اليوم قُرنتِ بالميسر والأنصاب، وقال رسول الله ﷺ: «حُرِّمَت الخَمْر»، ولما سمع عمر بن الخطاب قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] قال: انتهينا، انتهينا[٣].

قال الفارسي: وقال بعض أهل النظر: حرمت الخمر بهذه الآية لأن الله تعالى قال: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وأَخبر في هذه الآية أَن فيها إِثماً، فهي حرام[٤].

قال القاضي أبو محمد: ليس هذا النظر بجيد لأن الإثم الذي فيها هو الحرام، لا هي بعينها على ما يقتضيه هذا النظر.

وقال قتادة: ذم الله الخمر بهذه/ الآية ولم يحرمها[٥]. [١٤٠]

---

(١) ليس في جار الله.
(٢) مختصر الشواذ لابن خالويه (ص:٢٠)، والشواذ للكرماني (ص:٩٠)، وهي قراءة شاذة.
(٣) مرسل، أخرجه أبو داود (٣٦٧٢) والنسائي (٥٥٤٠) والترمذي (٣٠٤٩) من طريق: عمرو بن شرحبيل أبي ميسرة عن عمر، وقيل: عمرو بن شرحبيل أبي ميسرة أن عمر، ورجحه الترمذي، وهو أصرح في الإرسال، وقال أبو زرعة: أبو ميسرة عن عمر مرسل.
(٤) الحجة (٢/ ٣٠٧).
(٥) تفسير الطبري (٤/ ٣٣٥).

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾: قال قيس بن سعد[١]: هذه الزكاة المفروضة، وقال جمهور العلماء: بل هي نفقات التطوع، وقال بعضهم: نسخت بالزكاة، وقال آخرون: هي محكمة، وفي المال حق سوى الزكاة[٢].

و﴿ٱلْعَفْوَ﴾: هو ما ينفقه المرءُ دون أن يجهد نفسه وماله، ونحو هذا هي عبارة المفسرين[٣]، وهو مأْخوذٌ من عفا الشيءُ إِذا كثر، فالمعنى: أنفقوا ما فضل عن حوائجكم ولم تؤذوا فيه أنفسكم فتكونوا عالة.

وروي أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كانَ له فضلٌ فَلْيُنفِقْهُ على نفسه، ثم على من يعول[٤]، فإِن فضل شيءٌ فليتصدق به»[٥]، وقال ﷺ: «خير الصدقة [ما أبقت غنى][٦]»[٧]، وفي حديث آخر: «ما كان عن ظهر غنى»[٨].

وقرأ جمهور الناس: ﴿ٱلْعَفْوَ﴾ بالنصب، وقرأَ أَبو عمرو وحده: ﴿العفوُ﴾ بالرفع، واختلف عن ابن كثير[٩]، وهذا متركب على ﴿مَاذَا﴾، فمن جعل (ما)

---

(١) قيس بن سعد المكي الحبشي مولى نافع بن علقمة، أحد الفقهاء، روى عن طاووس، ومجاهد، وعطاء، وعنه يزيد بن إبراهيم التستري، وجرير بن حازم، والحمادان، وآخرون، خلف عطاء في الفتوى وفي مجلسه، وثقه أحمد، توفي سنة (١١٩هـ)، تاريخ الإسلام (٧/ ٤٥٥).

(٢) انظر الأقوال الأربعة في: تفسير الطبري (٤/ ٣٣٧ - ٣٤٤).

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٣٤٠ - ٣٤٣).

(٤) في السليمانية: «يطول».

(٥) صحيح أخرجه مسلم (٩٩٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، مرفوعاً بنحوه.

(٦) في أحمد٣: «ما أنفقت عن غنى».

(٧) ضعيف بهذا اللفظ، أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢٤٣٦)، والبيهقي في الشعب (٣٤١٩)، والطبراني في الأوسط (٩٤٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه عاصم ابن بهدلة، وهو ضعيف. وأخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ١٤٩) (١٢٧٢٦) من حديث ابن عباس، وفي إسناده: الحسن بن أبي جعفر، وهو ضعيف.

(٨) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٣٦١)، ومسلم (٢٤٣٣) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه.

(٩) انظر قراءة أبي عمرو في: التيسير (ص: ٨٠)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ١٨٢)، ونقلها أيضاً عن إسماعيل المكي عن ابن كثير.

ابتداء و(ذا) خبره بمعنى الذي، وقدر الضمير في ﴿يُنفِقُونَ﴾ عائداً، قرأ: العفوُ، بالرفع، لتصح مناسبة الجمل، ورفعه على الابتداء تقديره: العفوُ إنفاقكم، أو الذي تنفقون العفو.

ومن جعل ﴿مَاذَا﴾ اسماً واحداً مفعولاً بـ﴿يُنفِقُونَ﴾، قرأ: ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ بالنصب بإضمار فعل، وصح له التناسب، ورفع (العفوُ) مع نصب (ما) جائز ضعيف، وكذلك نصبه مع رفعها.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ الإشارة إلى ما تقدم تبيينه من أَمر الخمر والميسر والإِنفاق، وأَخبر تعالى أَنه يبين للمؤمنين الآيات التي تقودهم إلى الفكرة في الدنيا والآخرة، وذلك طريق النجاة لمن تنفعه فكرته.

وقال مكي: معنى الآية أنه يبين للمؤمنين آيات في الدنيا والآخرة تدل عليهما وعلى منزلتيهما، لعلهم يتفكرون في تلك الآيات[1].

فقوله: ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ متعلق على هذا التأويل بـ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾، وعلى التأويل الأول[2] وهو المشهور عن ابن عباس[3] وغيره [يتعلق ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾][4] بـ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿... وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾.

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٧٢٢).
(٢) في أحمد٣ وجار الله: «الآخر».
(٣) أخرجه الطبري (٤/ ٣٤٨) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٤) ليس في٣ وجار الله.

قوله قبلُ: ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ ابتداء آية، وقد تقدم تعلقه، وكون ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ موقفاً يقوي تعلق ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بـ ﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾.

وقرأ طاووس: (قل أصلح لهم خير)[١].

وسبب الآية فيما قال السدي والضحاك: أن العرب كانت عادتهم أن يتجنبوا مال اليتيم، ولا يخالطوه في مأكل ولا مشرب ولا شيءٍ، فكانت تلك مشقة عليهم، فسأَلوا عنه رسول الله ﷺ[٢].

وقال ابن عباس وسعيد بن المسيب[٣]: سببها أن المسلمين لما نزلت: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ [الأنعام: ١٥٢] الآية، ونزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠]، تجنبوا اليتامى وأَموالهم، وعزلوهم عن أَنفسهم، فنزلت: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ الآية[٤].

وقيل: إن السائل عبد الله بن رواحة[٥].

وأَمر الله تعالى نبيه أَن يجيب بأَن من قصد الإصلاح في مال اليتيم فهو خير، وما فعل بعد هذا المقصد من مخالطة وانبساط بعوض منه فلا حرج، ورفع تعالى المشقة في تجنب اليتيم ومأكله ومشربه، وأَباح الخلطة في ذلك إذا قصد الإصلاح ورفق اليتيم، مثال ذلك أن يكتفي اليتيم دون خلطة بقدرٍ مَّا في الشهر، فإن دعت خلطة الولي

---

(١) مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٢)، ونقل عنه ابن جني في المحتسب (١/ ١٢٢): (قل أصلح إليهم خير)، والزمخشري في الكشاف: (١/ ٢٩١): (قل إصلاح إليهم)، ومثله في البحر المحيط (٢/ ٤١٠)، وكذلك كتبت في المطبوع.

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٣٥٣، ٣٥٤).

(٣) تابعه في البحر المحيط (٢/ ٤١٠)، وفي تفسير الطبري (٤/ ٣٥٠): سعيد بن جبير، والله أعلم.

(٤) صحيح، أخرجه الطبري (٤/ ٣٥٣) من طرق عن ابن عباس.

(٥) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٢٤٤)، وهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجيّ، الشاعر المشهور، يكنى أبا محمد، من السابقين الأولين من الأنصار، وكان أحد النقباء ليلة العقبة، وشهد بدراً وما بعدها إلى أن استشهد بمؤتة، الإصابة (٤/ ٧٢).

إِلى أَن يزاد في ذلك القدر فهي مخالطة فساد، وإن دعت إلى الحط من ذلك القدر فهي مخالطة إصلاح.

وقوله تعالى: ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ خبر ابتداء محذوف.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ تحذير.

والعنت المشقة، منه عنَتُ العزبة، وعقبةٌ عنوتٌ أي: شاقة، وعنتَ البعير: إذا انكسر بعد جبر، فالمعنى: لأَتْعَبَكُمْ[١] في تجنب أَمر اليتامى، ولكنه خفف عنكم.

وقال ابن عباس: المعنى لأَوبقكم بما سلف من نيلكم من أموال اليتامى[٢].

و ﴿عَزِيزٌ﴾ مقتضاه لا يُرَدُّ أَمره، و﴿حَكِيمٌ﴾ أي محكم ما ينفذه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ الآية، قرأ جمهور الناس: ﴿تَنكِحُوا۟﴾ بفتح التاء، وقرئت في الشاذ بالضَّم[٣]، كأَن المتزوج لها أَنكحها من نفسه، ونكح أصله الجماع، ويستعمل في التزوج تجوزاً واتساعاً.

وقالت طائفة: الْمُشْرِكات هنا: من يشرك مع الله إلها آخر، فلم تدخل اليهوديات ولا النصرانيات في لفظ هذه الآية، ولا في معناها[٤].

وسببها قصة أبي مرثد كنَّاز بن حصين[٥] مع عَنَاقَ التي كانت بمكة[٦].

---

(١) في المطبوع وجار الله وأحمد٣: «لأعنتكم».

(٢) صحيح، أخرجه الطبري (٤/ ٣٥٩-٣٦٠) من طرق عن ابن عباس.

(٣) مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٠)، وعزاها للأعمش.

(٤) تفسير الطبري (٤/ ٣٦٣).

(٥) كذا في تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ١٩٠)، وفي تفسير الطبري (١٩/ ٩٧)، الإصابة (٦/ ٥٦) أنه ابنه مرثد بن أبي مرثد، وهو صحابي، وأبوه صحابي، واسمه كنّاز، بنون ثقيلة وزاي، ابن الحصين، وهما ممن شهد بدراً، واستشهد مرثد في صفر سنة ثلاث في غزاة الرّجيع، أما أبو مرثد فقال فيه: هو كناز بن الحصين، شهد بدراً، وروى عن النبي ﷺ حديثاً، وسكن الشام. الإصابة (٧/ ٣٠٥).

(٦) القصة رويت من طريق: عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أخرجها أبو داود (٢٠٥١)، والترمذي (٣١٧٧)، والنسائي في الكبرى (٣/ ٢٦٩) وغيرهم.

وقال قتادة وسعيد بن جبير: لفظ[١] الآية العموم في كل كافرة، والمراد بها الخصوص في الكتابيات، وبينت الخصوصَ[٢] آيةُ المائدة، ولم يتناول العموم قط الكتابيات[٣].

وقال ابن عباس[٤] والحسن: تناولَهنَّ العمومُ ثم نسخت آيةُ سورة المائدة بعضَ العموم في الكتابيات[٥]، وهذا مذهب مالك رحمه الله، ذكره ابن حبيب، وقال: ونكاح اليهودية والنصرانية وإن كان قد أحله الله/ مستثقل مذموم[٦]. [١٤١]

وكره مالك رحمه الله تزوج الحربيات؛ لعلة ترك الولد في دار الحرب، ولتصرفها في الخمر والخنزير[٧].

وأَباح نكاح الكتابيات عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وجابر بن عبد الله وطلحة وعطاءُ بن أَبي رباح وابن المسيب والحسن وطاووس وابن جبير[٨] والزهري والشافعي وعوام أَهل المدينة والكوفة[٩].

ومنع مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي[١٠] وإسحاق نكاح المجوسية[١١]،

---

(١) في أحمد٣: «معنى»، مع التنبيه على المثبت في الهامش.

(٢) في الحمزوية هنا زيادة: «أي عن الكتابيات».

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٣٦٤) وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٣٩٧).

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ٣٦٢) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) انظر قول الحسن بالعموم في: تفسير الثعلبي (٤/ ٢٢).

(٦) انظر: المنتقى شرح الموطأ (٣/ ٢١٧).

(٧) انظر: الأوسط لابن المنذر (٨/ ٤٧٤)، والمنتقى شرح الموطأ (٣/ ٢١٧).

(٨) في جار الله: «بن الزبير»، وفي أحمد٣ كلمة قريبة منها.

(٩) انظر قول الشافعي في: الأم (٥/ ٨)، وقول أهل المدينة في: المدونة (٢/ ٢١٨)، وقول أهل الكوفة في: المبسوط للسرخسي (٥/ ٤٩)، وقول ابن جبير في: مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٢٩٧)، وأقوال الباقين في: الأوسط (٨/ ٤٧٠-٤٧٢).

(١٠) هو عبد الرحمن بن عمرو ابن يحمد أبو عمرو، إمام أهل الشام وفقيههم وعالمهم، وكان ثقة مأموناً فاضلاً خيراً كثير العلم والحديث والفقه، حجة، توفي سنة (١٥٧هـ). تاريخ الإسلام (٩/ ٤٨٣).

(١١) انظر قول مالك في: المدونة (٢/ ٢١٤)، وقول الشافعي في: الأم (٥/ ٢٤٤)، وقول أبي حنيفة في: المبسوط للسرخسي (٤/ ٢٣٤)، وقول الأوزاعي وإسحاق في: الأوسط (٨/ ٤٧٦).

وقال ابن حنبل[١]: لا يعجبني[٢]، ورُويَ أن حذيفة بن اليمـان تزوج مجوسية[٣]، وقال ابن القصار[٤]: قال بعض أصحابنا: يجب على أحد القولين أن لهم كتاباً أن تجوز مناكحتهم[٥].

وقال ابن عباس في بعض ما روي عنه: إن الآية عامة في الوثنيات والمجوسيات والكتابيات، وكلُّ من كان على غير الإسلام حرام[٦].

فعلى هذا هي ناسخة للآية التي في سورة المائدة، وينظر إلى هذا قول ابن عمر في «الموطأ»: ولا أعلم إشراكاً أعظم من أن تقول المرأة: ربها عيسى[٧].

وروي عن عمر أنه فرق بين طلحة بن عبيد الله وحذيفة بن اليمان وبين كتابيتين وقالا: نطلق يا أمير المؤمنين، ولا تغضب، فقال: لو جاز طلاقكما لجاز نكاحكما، ولكن أفرق بينكما صغرة قمأة[٨]، وهذا لا يستند جيداً.

---

(١) في أحمد٣ وجار الله: «ابن جبير» مع الإشارة في هامشهما إلى النسخة الأخرى وعليها علامة «خ».

(٢) الأوسط لابن المنذر: (٨/ ٤٧٦)، وانظره بالمعنى في: الشرح الكبير لابن قدامة (٧/ ٥٠٩).

(٣) لا يصح عنه، هذا الأثر أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ١٧٣) بإسناده عن معبد الجهني قال: رأيت امرأة حذيفة مجوسية. قال البيهقي: فهذا غير ثابت، والمحفوظ عن حذيفة أنه نكح يهوديةً، والله أعلم وكذلك ضعَّف هذا الأثر الإمام أحمد، وابن عبد البر وغيرهما، انظر التمهيد لابن عبد البر (٢/ ١٢٨).

(٤) هو أبو الحسن علي بن أحمد البغدادي القاضي المعروف بابن القصار، تفقه بالأبهري، قاله الشيرازي، وله كتاب عودة الأدلة في مسائل الخلاف، وكان أصولياً نظاراً، ولي قضاء بغداد، وكان ثقة قليل الحديث، توفي سنة (٣٩٨هـ). الديباج المذهب (٢/ ١٠٠).

(٥) انظر: مواهب الجليل على مختصر خليل (١٠/ ٣٠٥).

(٦) في إسناده مقال، هذا الأثر أخرجه الطبري (٤/ ٣٦٤) من طريق: عبد الحميد بن بهرام الفزاري قال: حدثنا شهر بن حوشب قال: سمعت عبد الله بن عباس، به. وحديث شهر فيه مقال معروف، فلا يحتج بما يتفرد به.

(٧) أخرجه البخاري (٤٩٨١) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٨) في إسناده مقال، هذا الأثر أخرجه الطبري (٤/ ٣٦٤) وهو تتمة الأثر السابق من رواية شهر بن حوشب.

وأَسندُ منه أَن عمر أَراد التفريق بينهما، فقال له حذيفة: أَتزعم أَنها حرام فأُخلي سبيلها يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا أَزعم أَنها حرام، ولكني أَخاف أَن تعاطوا المومسات منهن(١)، وروي عن ابن عباس نحو هذا(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ إِخبار أَن المؤمنة المملوكة خير من المشركة وإن كانت ذات الحسب والمال ولو أعجبتكم في الحسن وغير ذلك، هذا قول الطبري وغيره(٣).

وقال السدي: نزلت في عبد الله بن رواحة كانت له أمة سوداء فلطمها في غضب، ثم ندم فأتى النبي ﷺ فأخبره، وقال: هي تصوم وتصلي وتشهد الشهادتين، فقال رسول الله ﷺ: «هذه مؤمنة»، فقال ابن رواحة: لأَعتقنها ولأَتزوجنها، ففعل، فطعن عليه ناس فنزلت الآية فيه(٤).

ومالك رحمه الله لا يجوز عنده نكاح الأمة الكتابية، وقال أَشهب في «كتاب محمد» فيمن أَسلم وتحته أمة كتابية: إنه لا يفرق بينهما، وروى ابن وهب وغيره عن مالك أَن الأَمة المجوسية لا يجوز أن توطأ بملك اليمين، وأبو حنيفة وأصحابه يجيزون نكاح الإماء الكتابيات(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾ الآية، أَجمعت الأمة على أَن

---

(١) صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٤/ ٣٦٦ - ٣٦٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٢٩٦)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ١٧٢) من طريق: الصلت بن بهرام، عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: تزوج حذيفة، وصحَّحه الحافظ ابن كثير في التفسير (١/ ٥٨٢).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) تفسير الطبري (١/ ٥٨٣).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٣٩٨).

(٥) انظر ما عزاه لمالك في: المنتقى (٣/ ٢١٧)، وانظر ما عزاه لأبي حنيفة في: المبسوط للسرخسي (٥/ ١١٠).

المشرك لا يَطَأُ المؤمنة بوجه؛ لما في ذلك من الغضاضة على دين الإسلام[١].

والقراءُ على ضم التاءِ من ﴿تُنكِحُواْ﴾، وقال بعض العلماء: إن الولاية في النكاح نص في لفظ هذه الآية[٢].

﴿وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ﴾ [مملوكٌ][٣] ﴿خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ﴾ حسيب، ولو أعجب حسنه وماله حسبما تقدم.

وليس التفضيل هنا بلفظة ﴿خَيۡرٞ﴾ من جهة الإيمان فقط؛ لأنه لا اشتراك من جهة الإيمان، لكن الاشتراك موجود في المعاشرة والصحبة وملك العصمة وغير شيءٍ، وهذا النظر هو على مذهب سيبويه في أن لفظة (أَفْعَل) التي هي للتفضيل لا تصح حيث لا اشتراك كقولك: الثلج أَبرد من النار، والنور أَضوأُ من الظلمة.

وقال الفراءُ وجماعة من الكوفيين: تصح لفظة (أَفْعَل) حيث الاشتراك، وحيث لا اشتراك[٤].

وحكى مكي عن نفطويه[٥] أن لفظة التفضيل تجيءُ في كلام العرب إِيجاباً للأول، ونفياً عن الثاني[٦].

قال أبو محمد: وتحتمل الآية عندي أن يكون ذكر العبد والأمة عبارةً[٧] عن

---

(١) انظر: الشرح الكبير لابن قدامة (٧/ ٥٠٧).

(٢) لأنه خاطب الأولياء، انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٢١٩)، وبداية المجتهد (٢/ ٩)، وفتح الباري لابن حجر (٩/ ١٨٤).

(٣) ليس في الحمزوية وأحمد٣ وجار الله.

(٤) تقدم الكلام عليه قريباً.

(٥) هو إبراهيم بن محمد بن عرفة أبو عبد الله العتكيّ الأزديّ الواسطيّ الملقّب نفطويه النحوي، سكن بغداد، حدّث وحدّث عنه، وكان صدوقاً، وله مصنّفات كثيرة، وكان يروي الحديث، توفّي (٣٠٣هـ).إنباه الرواة على أنباه النحاة (١/ ٢١١).

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٧٢٦).

(٧) في أحمد٣ وجار الله: «كناية».

جميع الناس حرهم ومملوكهم، كما قال ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»[١]، وكما نعتقد أن الكل عبيد الله، وكما قال تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صٓ: ٣٠]، فكأن الكلام في هذه الآية: ولامرأةٌ، ولَرَجلٌ.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الإشارة إلى المشركات والمشركين، أَي: إن صحبتهم ومعاشرتهم توجب الانحطاط في كثير من هواهم مع تربيتهم النسل، فهذا كله دعاءٌ إِلى النار مع السلامة من أن يدعو إلى دينه نصاً من لفظه، والله تعالى يمنُّ بالهداية، ويبين الآيات، ويحض على الطاعات التي هي كلها دواعٍ إلى الجنة.

وقرأ الحسن بن أَبي الحسن: (والمغفرةُ) بالرفع[٢] على الابتداءِ.

و«الإذن»: العلم والتمكين، فإن انضاف إلى ذلك أَمر فهو أَقوى من الإِذن، لأَنك إِذا قلت: أذنت كذا فليس يلزمك أنك أمرت.

و ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ ترجّ في حق البشر، ومن تذكر عمل حسب التذكر فنجا.

قوله عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾.

ذكر الطبري عن السدي أن السائل ثابت بن الدحداح[٣]، وقال قتادة وغيره: إنما سأَلوا لأن العرب في المدينة وما والاها كانوا قد استنوا بسنة بني إسرائيل في تجنب

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٨٥٨)، ومسلم (١٠١٨) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٢) مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٠)، إتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٠٣)، وهي قراءة شاذة.

(٣) هو ثابت بن الدّحداح بن نعيم البلوي حليف الأنصار، كما في الإصابة (١/ ٥٠٣)، وسيأتي مزيد لترجمته في تفسير الآية (٢٤٤).

مؤاكلة الحائض ومساكنتها، فنزلت هذه الآية، وقال مجاهد: كانوا[١] يتجنبون النساءَ في الحيض ويأْتونهن في أَدبارهن فنزلت الآية في ذلك[٢].

و﴿ٱلْمَحِيضِ﴾ مصدر كالحيض، ومثله المقيل من قال يقيل، قال الراعي[٣]:

بُنِيتْ مرافِقُهنَّ فوقَ مَزَلَّةٍ ... لا يسْتطيعُ بها القرادُ مَقِيلا[٤] [الكامل]

/ [وقال الطبري: الْمَحِيضِ اسم الحيض[٥]][٦]، ومنه قول رُؤْبة في العيش: [١٤٢]

إِلَيْكَ أَشْكُو شدَّة المعيش ... ومرَّ أَعوامٍ نتَفنَ ريشي[٧] [الرجز]

و ﴿أَذًى﴾ لفظ جامع لأشياء تؤذي؛ لأنه دم وقذر ومنتن ومن سبيل البول، وهذه عبارة المفسرين للفظة.

وقوله تعالى: ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟﴾ يريد جِماعهن بما فسر من ذلك رسول الله ﷺ من أن يشد الرجل إزار الحائض ثم شأْنه بأَعلاها[٨]، وهذا أَصح ما ذُهب إِليه في الأَمر، وبه

(١) في نور العثمانية: «إنما».

(٢) انظر الأقوال في تفسير الطبري (٤/ ٣٧٣).

(٣) هو عبيد بن حصين الراعي، كان من رجال العرب ووجوه قومه، وكان يقال له في شعره كأنه يعتسف الفلاة بغير دليل أي: إنه لا يحتذي شعر شاعر ولا يعارضه، وكان مع ذلك بذياً هجاء لعشيرته، فلما هجاه جرير صار مغلباً، طبقات فحول الشعراء (٢/ ٥٠٢).

(٤) انظر عزوه له في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٩٧)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٢٨٦)، والحيوان (٥/ ٢٣٣)، والاختيارين (ص: ٤)، وجمهرة أشعار العرب (١/ ٩٥)، والمزلة بفتح الزاي وكسرها موضع الزلل، والقُراد للبعير كالقمل للإنسان.

(٥) تفسير الطبري (٤/ ٣٧٢).

(٦) ليس في العثمانية.

(٧) انظر عزوه له في: تفسير الطبري (٤/ ٣٧٢)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ١٤٩)، والزاهر للأنباري (١/ ٢٥٠)، وسمط اللآلي (١/ ٧٨٧).

(٨) كما في صحيح البخاري (٢٩٧)، وصحيح مسلم (٧٠٧) واللفظ له: عَنْ مَيْمُونَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُبَاشِرُ نِسَاءَهُ فَوْقَ الإِزَارِ وَهُنَّ حُيَّضٌ.

قال ابن عباس وشريح[١] وسعيد بن جبير ومالك وجماعة عظيمة من العلماء[٢].

وروي عن مجاهد أنه قال: الذي يجب اعتزاله من الحائض الفرج وحده[٣]، وروي ذلك عن عائشة[٤] والشعبي وعكرمة[٥].

وروي أيضاً عن ابن عباس وعَبيدة السلماني أنه يجب أن يعتزل الرجل فراش زوجته إذا حاضت[٦]، وهذا قول شاذ، وقد وقفت [ابنَ عبَّاس عليه][٧] خالتُه ميمونةُ رضي الله عنهما، وقالت له: أرغبةً عن سنة رسول الله ﷺ؟[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو [وابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه][٩]: ﴿يَطْهُرْنَ﴾ بسكون الطاء وضم الهاء، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر والمفضل عنه: ﴿يطَّهَّرْنَ﴾ بتشديد الطاء والهاء وفتحهما[١٠].

---

(١) هو شريح بن الحارث بن قيس القاضي، أبو أمية الكندي، أدرك الجاهلية، ووفد من اليمن بعد النبي ﷺ، وولي قضاء الكوفة لعمر، وروى عنه، وعن علي، قليل الحديث مع فضله وجلالته، وثقه يحيى بن معين، توفي سنة (٨٠هـ) أو قبلها. تاريخ الإسلام (٥/ ٤١٩).

(٢) ينظر: الأوسط لابن المنذر (٢/ ٣٣٤)، وتفسير الطبري (٤/ ٣٨١).

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٣٨٠).

(٤) لا بأس بإسناده وغيره أثبت منه، هذا الأثر أخرجه الطحاوي في معاني الآثار (٣/ ٣٨) من طريق عمرو ابن خالد، عن عبيد الله ـ وهو ابن عمرو الرقي الجزري ـ عن أيوب، عن أبي معشر، عن إبراهيم، عن مسروق، عن عائشة به. وإسناده لا بأس به، لكن الروايات عن عائشة بالاتزار أكثر وأثبت.

(٥) تفسير الطبري (٤/ ٣٨٠ و٣٨١).

(٦) ضعيف، هذا الأثر أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٣٣٢) من طريق: محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة عن بدَّية قالت: أرسلتني ميمونة،.. وابن إسحاق لم يصرح بالسماع، وبدية لا تعرف.

(٧) في المطبوعة: «على ابن عباس».

(٨) هو في نفس الأثر السابق.

(٩) ليس في الحمزوية.

(١٠) التيسير فى القراءات السبع للداني (ص: ٨٨)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ١٨٢).

وفي مصحف أبيّ وعبد الله: (حَتَّى يَتَطَهَّرْنَ)[١].

وفي مصحف أنس بن مالك: (ولا تَقْرَبُوا النِّساءَ في مَحِيضِهِنَّ واعْتَزِلُوهُنَّ حَتَّى يَتَطَهَّرْنَ)[٢].

ورجح الطبري قراءة تشديد الطاء وقال: هي بمعنى يغتسلن؛ لإجماع الجميع على أَن حراماً على الرجل أن يقرب امرأَته بعد انقطاع الدم حتى تطهر، قال: وإنما الاختلاف في الطهر ما هو؟ فقال قوم: هو الاغتسال بالماءِ[٣].

وقال قوم: هو وضوءٌ كوضوءِ الصلاة، وقال قوم: هو غَسل الفرج وذلك يُحلها لزوجها وإن لم تغتسل من الحيضة[٤].

ورجَّح أَبو علي الفارسي قراءَة تخفيف الطاءِ؛ إذ هو ثلاثي مضاد لـ (طمثت)، وهو ثلاثي[٥].

وكل واحدة من القراءَتين تحتمل أَن يراد بها الاغتسال بالماءِ، وأَن يراد بها انقطاع الدم وزوال أَذاه، وما ذهب إليه الطبري من أَن قراءَة شد الطاءِ مضمنها الاغتسال، وقراءة التخفيف مضمنها انقطاع الدم أمرٌ غير لازم، وكذلك ادعاؤُه الإِجماع[٦].

أَما إِنه لا خلاف في كراهية الوطءِ قبل الاغتسال بالماءِ، وقال [ابن عباس[٧]

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٧٣٢)، والكشاف للزمخشري (١/ ٢٩٣)، ومختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٢) عن ابن مسعود، وحجة القراءات (١/ ١٣٥) عن أبي بن كعب، وهي قراءة شاذة لمخالفتها للرسم العثماني.

(٢) تفسير البحر المحيط (٢/ ٤٢٤)، وتفسير القرطبي (٣/ ٨٨)، وهي قراءة شاذة.

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٣٨٤).

(٤) انظر هذه الأقوال في الأوسط لابن المنذر (٢/ ٣٤٣).

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٢٢).

(٦) تفسير الطبري (٤/ ٣٨٤)، وانظر: الأوسط لابن المنذر (٢/ ٣٤١).

(٧) هذا الخبر قد اختلف في إسناده ومتنه، ومداره على غير حجة، وروي بإسناد مستقيم لكن المحفوظ بخلافه، يراجع السنن الكبرى للبيهقي (١/ ٣١٨).

والأوزاعي][1]: من فعله تصدق بنصف دينار، ومن وطئ في الدم تصدق بدينار[2].

[وأسند أبو داود عن ابن عباس عن النبي ﷺ في الذي يأْتي امرأَته وهي حائض قال: «يتصدق بدينار أو بنصف دينار»[3]، وقال ابن عباس: الدينار في الدم، والنصف عند انقطاعه][4]، ووردت في الشدة في هذا الفعل آثار، وجمهور العلماء على أنه ذنب عظيم يتاب منه ولا كفارة فيه بمال[5].

وذهب مالك رحمه الله وجمهور العلماءِ إِلى أَن الطُّهر الذي يُحِلُّ جماع الحائض التي يذهب عنها الدم هو تطَهُّرها بالماءِ كطهور الجنب، ولا يجزئ من ذلك تيمم ولا غيره[6].

وقال يحيى بن بكير[7] وابن القُرْطي[8]: إذا طهرت الحائض وتيممت حيث لا ماء حلّت لزوجها وإن لم تغتسل[9].

---

(١) زيادة من الحمزوية وأحمد٣ وجار الله، ونور العثمانية.

(٢) انظر مذهب الأوزاعي في: الأوسط لابن المنذر (٢/ ٣٣٨).

(٣) مضطرب سنداً ومتناً، هذا الحديث أخرجه أبو داود (٢٦٤، ٢١٧٠) من حديث ابن عباس مرفوعاً به. وقد وقع فيه اضطراب؛ فرُوي مرفوعاً وموقوفاً ومرسلاً ومعضلاً، واختلف في لفظه كذلك. وقد وقع الاختلاف في الاحتجاج والعمل به، وذهب من لم يصححه إلا أنه يجزئ الاستغفار فقط، ينظر: البدر المنير (٣/ ٧٥-١٠٤).

(٤) ليس في الأصل والسليمانية، وأثبتناه من النسخ الأخرى.

(٥) انظر: الأوسط لابن المنذر (٢/ ٣٣٨).

(٦) انظر قول مالك في: الموطأ (١/ ٧٥) باب طهر الحائض، وانظر في نسبة القول للجمهور: الأوسط لابن المنذر (٢/ ٣٤١-٣٤٢).

(٧) هو يحيى بن عبد الله بن بكير المخزومي مولاهم المصري الحافظ أبو زكريا، أخذ عن: مالك، والليث، وخلق، وعنه: الشيخان، واحتجا به وآخرون، وكان غزير العلم عارفاً بالحديث وأيام الناس، بصيراً بالفتوى، توفي سنة (٢٣١هـ). تاريخ الإسلام (١٧/ ٤٠١).

(٨) في أحمد٣ وجار الله: «الفرضي»، وفي نور العثمانية: «القرظي»، وهو الفقيه المالكي أبو إسحاق محمد ابن القاسم بن شعبان المصري، المعروف بابن القرطي المتوفى سنة (٣٥٥هـ)، ومؤلف الكتب العديدة: كالزاهي الشعباني في الفقه، وأحكام القرآن، ومناقب مالك وغيرها، انظر ترجمته في: ترتيب المدارك (٣/ ٢٩٣).

(٩) البيان والتحصيل (١/ ١٢٣) عن ابن حبيب وابن شعبان.

وقال مجاهد وعكرمة وطاووس: انقطاع الدم يحلها لزوجها ولكن بأَن تتوضأَ[١].

و﴿حَتَّىٰ﴾ غاية لا غير، ولا و(لا تقربوهنَّ): يريد بجماع، وهذا من سد الذرائع.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ الآية، القراءة ﴿تَطَهَّرْنَ﴾ بتاءٍ مفتوحة وهاءٍ مشددة، والخلاف في معناه كما تقدم من التطهير بالماءِ، أَو انقطاع الدم.

ومجاهد وجماعة من العلماء يقولون هنا: إنه أُريد الغسل بالماءِ[٢] ولا بد، بقرينة الأَمر بالإِتيان وإن كان قُرْبُهُنَّ قبل الغسل مباحاً، لكن لا تقع صيغة الأمر من الله تعالى إلا على الوجه الأكمل.

و﴿فَأْتُوهُنَّ﴾ إباحة، والمعنى مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ الله باعتزالهن وهو الفرج، أو من السرة إلى الركبتين، أو جميع الجسد، حسبما تقدم، هذا كله قول واحد.

وقال ابن عباس[٣] وأبو رزين[٤]: المعنى من قِبَلِ الطهر لا من قِبَلِ الحيض، وقاله الضحاك، وقال محمد بن الحنفية: المعنى من قبل الحلال لا من قِبَلِ الزنا[٥]، وقيل: المعنى من قِبَلِ حال الإباحة، لا صائمات ولا محرمات ولا غير ذلك[٦].

و«التوابون»: الراجعون، وعرفه من الشر إلى الخير.

---

(١) نقله ابن المنذر في الأوسط (٢/ ٣٤١) عن مجاهد وطاووس، وفي مصنف ابن أبي شيبة (١١٢) في المرأة ينقطع عنها الدم فيأتيها قبل أن تغتسل (٩) عن عكرمة أن: الحائض إذا انقطع عنها الدم لا يحل وطؤها إلا بعد الغسل، فلينظر.

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٣٨٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٠٢).

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٣٩٠ - ٣٩١) وفي إسناده إلى ابن عباس عطية العوفي، وهو ضعيف.

(٤) هو مسعود بن مالك الأسدي مولاهم، نزل الكوفة، وروى عن ابن أم مكتوم، وعلي بن أبي طالب، وأبي هريرة، وغيرهم، ولا صحبة له ولا إدراك على الأصح، وكان عالماً، ووثّقه أبو زرعة والعجليّ وغيرهما، واختلف في تاريخ وفاته. الإصابة (٧/ ١٢٦).

(٥) انظر هذه الأقوال في: تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٠١).

(٦) زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٢٤٩).

و«المتطهرون»: قال عطاءٌ وغيره: المعنى بالماء، وقال مجاهد وغيره: المعنى من الذنوب، وقال أيضاً مجاهد: المعنى من إِتيان النساءِ في أَدبارهن[١].

قال القاضي أبو محمد: كأنه نظر إلى قوله تعالى حكايةً عن قوم لوط: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢].

وقرأ طلحة بن مصرِّف: «المطَّهِّرينَ» بشد الطاء والهاء[٢].

وقوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ الآية، قال جابر بن عبد الله والربيع: سببها أن اليهود قالت: إِن الرجل إِذا أَتى المرأَة من دبرها في قبلها جاءَ الولد أَحول، وعابت على العرب ذلك، فنزلت الآية تتضمن الرد على قولهم[٣].

وقالت أُم سلمة وغيرها: سببها أَن قريشاً كانوا يأْتون النساءَ في الفرج على هيئات مختلفة، فلما قدموا المدينة وتزوجوا أنصاريات أرادوا ذلك، فلم ترده نساء المدينة إذ لم تكن عادة رجالهم إلا الإتيان على هيئة واحدة وهي الانبطاح، فبلغ ذلك النبي ﷺ، وانتشر كلام الناس في ذلك، فنزلت الآية مبيحة الهيئات كلها إذا كان الوطءُ في موضع الحرث[٤].

و﴿حَرْثٌ﴾ تشبيه؛ لأنهنَّ مزدَرعُ الذرية، فلفظة الحرث تعطي أن الإباحة لم تقع إلا في الفرج خاصة، إذ هو المزدرع.

وقوله: ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ معناه عند جمهور العلماء من صحابة وتابعين وأئمة: من أي وجه شئتم مقبلة ومدبرة وعلى جنب، و﴿أَنَّىٰ﴾ إِنما تجيءُ سؤالاً أَو إِخباراً عن أَمر

(١) انظر الأقوال الثلاثة في: تفسير الطبري (٤/ ٣٩٥-٣٩٦).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٤٢٧)، وهي قراءة شاذة.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٢٥٤)، ومسلم (٣٦٠٨، ٣٦٠٩) عن جابر رضي الله عنه.

(٤) إسناده جيد، هذا الأثر أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٣٠٥، ٣١٨) من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبد الرحمن بن سابط عن حفصة ابنة عبد الرحمن عن أم سلمة رضي الله عنها، وهذا إسناد جيد.

له جهات، فهي أعم في اللغة من (كيف) ومن (أين) ومن (متى)، هذا هو الاستعمال العربي.

وقد فسر الناس ﴿أَنَّىٰ﴾ في هذه الآية بهذه الألفاظ، وفسرها سيبويه بـ (كيف) و(من أين) باجتماعهما[١].

وذهبت / فرقة ممن فسرها بـ(أَين) إِلى أَن الوطءَ في الدبر جائز، روي ذلك عن [١٤٣]
عبد الله بن عمر[٢]، وروي عنه خلافه وتكفير من فعله[٣]، وهذا هو اللائق به، [ورويت الإباحة أيضاً عن ابن أبي مليكة[٤]، ومحمد بن المنكدر[٥]،[٦]][٧]، ورواها مالك عن

(١) انظر كتاب سيبويه بتحقيق عبدالسلام هارون (٤/ ٢٣٥).

(٢) صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٤/ ٤٠٣ - ٤٠٤، ٤٠٦) بأسانيد صحيحة عنه، وقد أخرج البخاري أيضاً في صحيحه (٤٥٢٦ -٤٥٢٧) عن نافع قال: كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه.. فقرأ سورة البقرة حتى انتهى إلى مكان قال: تدري فيم أنزلت ؟ قلت: لا. قال: أنزلت في كذا وكذا ثم مضى. وبإسناده أيضاً عن ابن عمر ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، قال: يأتيها في......، هكذا في هذه الرواية، واختلف في الصواب في تمامها، فقيل: في الفرج، وقيل في الدبر. راجع كلام ابن حجر في الفتح (٨/ ١٨٩-١٩٢).

(٣) صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٤/ ٤٠٥)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٩٧٨) بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) هو عبد الله بن عبيد الله ابن أبي مليكة الإمام أبو محمد، وأبو بكر التيمي المكي الأحول، مؤذن الحرم، ثم قاضي مكة، روى عن جده أبي مليكة الصحابي، وعن عائشة، وعنه عمرو بن دينار ونافع، وثقه غير واحد، توفي سنة (١١٧هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٤٠١).

(٥) هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير أبو عبد الله القرشي التيمي المدني، الزاهد العابد أحد الأعلام، روى عن عائشة وأبي هريرة، وعنه ابنه المنكدر وخلق، كان في غاية الإتقان والحفظ والزهد، حجة، توفي سنة (١٣٠هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٢٥٣).

(٦) انظر هذين القولين في: تفسير الطبري (٤/ ٤٠٥، ٤٠٧).

(٧) ليس في الحمزوية.

يزيد بن رومان[١] عن سالم[٢] عن ابن عمر[٣].

وروي عن مالك شيء في نحوه، وهو الذي وقع في «العتبية»[٤]، [وقد كُذِب ذلك على مالك[٥]][٦]، وروى بعضهم أن رجلًا فعل ذلك في عهد النبي ﷺ، فتكلم الناس فيه، فنزلت هذه الآية[٧].

وقد ورد عن رسول الله ﷺ في «مصنف النسائي» وفي غيره أنه قال: «إتيانُ النساءِ في أدبارِهنَّ حرامٌ»[٨]، وورد عنه فيه أنه قال: «ملعونٌ مَن أتى امرأةً في دُبرِها»[٩].

وورد عنه أنه قال: «مَن أَتى امرأَةً في دُبرِها فقد كفرَ بما أُنزل على قلب محمدٍ ﷺ»[١٠].

---

(١) يزيد بن رومان أبو روح المدني المقرئ مولى آل الزبير، روى عن ابن الزبير، وعروة، وصالح بن خوات، وغيرهم، وقرأ القرآن على عبد الله بن عياش باتفاق، وكان أحد شيوخ نافع الخمسة، ثقة عالماً كثير الحديث، توفي سنة (١٢٠هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٥٠٣).

(٢) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عمر، المدني الفقيه، أحد الأعلام، روى عن أبيه وعائشة، وعنه: عمرو بن دينار، وابن شهاب، وخلق كثير، كان ثقة كثير الحديث، عالياً من الرجال، توفي سنة (١٠٦هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٨٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٤٠٥) بإسناد صحيح.

(٤) البيان والتحصيل (١٨/ ٤٦٠-٤٦٣).

(٥) انظر: المدخل لابن الحاج (٢/ ١٩٢).

(٦) ليس في الأصل والسليمانية وأثبتناه من النسخ الأخرى.

(٧) معلول، هذا الحديث أخرجه الطبري (٤/ ٤٠٧)، والنسائي في الكبرى (٨٩٨١)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٦١١٧) عن ابن عمر، ورجاله كلهم ثقات، لكنه معلول، أعله أبو حاتم كما في العلل لابنه (١٢٢٥) والنسائي، وانظر للمزيد: حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (٦/ ١٤٢).

(٨) ضعيف، أخرجه النسائي في الكبرى (٨٩٩٥) من حديث خزيمة بن ثابت رضي الله عنه مرفوعاً به، وإسناده ضعيف؛ فيه راوٍ لم يُسم.

(٩) ضعيف، هذا الحديث أخرجه أبو داود (٢١٦٤)، وأحمد (٢/ ٤٤٤، ٤٧٩)، والنسائي في الكبرى (٩٠١٤) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي إسناده الحارث بن مخلد؛ لا يُعرف حاله.

(١٠) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الترمذي (١٣٥) وابن ماجه (٦٣٩)، وغيرهما من طريق حماد بن =

وهذا هو الحق المتبع، ولا ينبغي لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يعرج في هذه النازلة على زلة عالم بعد أن تصح عنه، والله المرشد لا رب غيره.

وقال السدي: معنى قوله تعالى: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ أي: الأَجرَ؛ في تجنب ما نهيتم عنه، وامتثال ما أمرتم به[١].

وقال ابن عباس: هي إشارة إلى ذكر الله على الجماع[٢]، كما قال النبي ﷺ: «لو أَن أَحدكم إِذا أَتى امرأَته قال: [باسم الله][٣]، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يضره»[٤].

وقيل: معنى ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ طلب الولد.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ تحذير، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ خبر يقتضي المبالغة في التحذير، أي: فهو مجازيكم على البر والإثم.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تأْنيس لفاعلي البر، ومتَّبِعي[٥] سُنن الهدى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ الآية، عُرْضَةً: فُعْلة بناءً للمفعول، أي: كثيراً ما يتعرض بما ذكر، تقول: جمل عرضة للركوب، وفرس عرضة للجري.

= سلمة، عن حكيم الأثرم، عن أبي تميمة الهجيمي، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به. قال البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ١٦) في ترجمة حكيم: لا يتابع عليه، ولا يعرف لأبي تميمة سماع من أبي هريرة، وقال الترمذيُّ في السنن وضعف محمد هذا الحديث من قبل إسناده.
ومع ضعف الأحاديث الواردة في تحريم إتيان النساء في أدبارهن فهو قول عامة أهل العلم، يراجع فتح الباري لابن حجر (٨/ ١٩٢).

(١) تفسير الطبري (٤/ ٤١٧).
(٢) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٤/ ٤١٧) وفيه: الحسين بن داود المصيصي، وهو ضعيف.
(٣) زيادة من المطبوع.
(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٤١)، ومسلم (٣٦٠٦) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.
(٥) في نور العثمانية: و«مبتغي».

ومنه قول كعب بن زهير:

[البسيط] مِـنْ كُلِّ نَضَّاخةِ الذِّفْـرَى إذَا عَرِقَتْ   عُرْضَتُهَا طَامِسُ الأَعْلامِ مَجْهُولُ[١]

ومقصد الآية: ولا تُعَرِّضُوا اسم الله تعالى للأَيمان به، ولا تكثروا من الأيمان، فإن الحنث مع الإكثار، وفيه قلة رعي لحق الله تعالى، ثم اختلف المتأولون:

فقال ابن عباس[٢]، وإِبراهيم النخعي، ومجاهد، والربيع، وغيرهم: المعنى: فيما تريدون الشدة فيه من ترك صلة الرحم والبر والإصلاح[٣]، قال الطبري: التقدير لأن تَـبَـرُّوا ولا تَتَّقوا ولا تصلحوا[٤]، وقدَّره المهدوي: كراهة أَن تَبرُّوا[٥].

وقال بعض المتأَولين: المعنى ولا تحلفوا بالله كاذبين إِذا أَردتم البر والتقوى والإصلاح، فلا يحتاج إلى تقدير (لا) بعد (أنْ)، ويحتمل أن يكون هذا التأويل في الذي يريد الإصلاح بين الناس، فيحلف حانثاً ليكمل غرضه، ويحتمل أَن يكون [هذا على][٦] ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: نزلت في تكثير اليمين بالله نهياً أَن يحلف الرجل به براً، فكيف فاجراً»[٧]، فالمعنى: إذا أَردتم لأنفسكم البر.

---

(١) من قصيدته الشهيرة: (بانت سعاد) انظر عزوه له في: تفسير الطبري (٤/ ٤٢٤)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٥٠٦)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٦٣٤)، و(النضاخة): مؤنث النضاخ، يقال: عين نضاخة: فوَّارة غزيرة. و(الذِّفرى) من الإنسان والحيوان: العظم الشاخص خلف الأذن، جمعه: ذفاري، و(طامس): يقال: طريق طامس: بَعيدٌ لا مسلك فيه. والبيت في وصف الفرس وهي تجري بسرعة وعرقها يسيل.

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٤٢٢) من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٠٧).

(٤) تفسير الطبري (٤/ ٤٢٣).

(٥) نقله عنه ابن عادل في اللباب (٤/ ٨٥).

(٦) ليس في نور العثمانية.

(٧) أخرج الطبري (٤/ ٤٢٣) من طريق ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة، عن عائشة في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾، قالت: لا تحلفوا =

وقال الزجاج وغيره: معنى الآية أن يكون الرجل إذا طلب منه فعل خير ونحوه[١] اعتل بالله تعالى فقال: عليَّ يمين، وهو لم يحلف[٢].

و﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ مفعولٌ من أَجله، والبرُّ جميع وجوه الخير، برَّ الرجلُ: إذا تعلق به حكمها ونسبها كالحاج والمجاهد والعالم وغير ذلك، وهو مضاد للإثم، إذ هو الحكم اللاحق عن المعاصي.

و﴿سَمِيعٌ﴾ أي لأقوال العباد ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتهم، وهو مُجازٍ على الجميع.

وأما سبب الآية فقال ابن جريج: نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه إذ حلف أن يقطع إنفاقه عن مِسطح بن أُثاثة[٣] حين تكلم مسطح في حديث الإفك[٤].

وقيل: نزلت في أبي بكر الصديق مع ابنه عبد الرحمن[٥] في حديث الضيافة حين حلف أَبو بكر أَلا يأْكل الطعام[٦].

= بالله وإن بررتم. ووقعت في نقل السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٢٢) عن هذا الموضع: وإن نذرتم. وابن لهيعة: في حفظه مقال.

(١) ليس في المطبوع.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٩٩).

(٣) هو مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي، يكنى أبا عباد، وكانت أمه خالة أبي بكر، أو بنت خالته، شهد بدراً، ثم خاض في الإفك، فجلده رسول الله ﷺ، شهد صفين، وتوفي سنة (٣٧هـ). الاستيعاب (٤/ ١٤٧٢).

(٤) أخرجه البخاري (٢٥١٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي قحافة القرشي التيمي، وأمه أم رومان أم عائشة، تأخر إسلامه إلى أيام الهدنة، فأسلم وحسن إسلامه، وكان شجاعاً رامياً حسن الرمي، وشهد اليمامة، فقتل سبعة من أكابرهم، توفي سنة (٥٣هـ). الإصابة (٤/ ٢٧٤).

(٦) قال الثعلبي (٢/ ١٦٣): قال مقاتل بن حيان: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) حين حلف ألّا يصل ابنه عبدالرحمن حتى يسلم، وكذا ذكر الحافظ ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب (١/ ٥٧٦).

وقيل: نزلت في عبد الله بن رواحة [مع بشير بن سعد(١)](٢) حين حلف أن لا يكلمه(٣).

و«اليمين»: الحلف، وأصله إِذا تحالفت أَو تعاهدت أَخذ الرجل يمينَ صاحبه بيمينه، ثم كثر ذلك حتى سمي الحلف والعهد نفسه يميناً.

قوله عز وجل: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾.

«اللغو»: سقط الكلام الذي لا حكم له، ويستعمل في الهُجر والرَّفَث وما لا حكم له من الأيمان، تشبيهاً بالسَّقَط من القول، يقال منه: لغا يلغو لغواً، ولغِي يلغَى لغْياً، ولغة القرآن بالواو، والمؤاخذة: هي التناول بالعقوبة.

واختلف العلماءُ في اليمين التي هي لغو، فقال ابن عباس(٤)، وعائشة(٥)، وعامر الشعبي، وأَبو صالح، ومجاهد: لغو اليمين قول الرجل في درج كلامه واستعجاله في المحاورة: لا والله، وبلى والله، دون قصد لليمين(٦).

---

(١) بشير بن سعد بن ثعلبة بن جُلاس، بضم الجيم مخففاً، الأنصاري البدريّ، والد النّعمان، له ذكر في صحيح مسلم وغيره في قصّة الهبة لولده، يقال: إنه أول من بايع أبا بكر من الأنصار، استشهد بعين التمر سنة اثنتي عشرة، الإصابة (١/ ٤٤٢).

(٢) ليس في جار الله.

(٣) قاله الكلبي كما في تفسير الثعلبي (٢/ ١٦٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص ١٩٤)، وسمياه بشير بن النعمان، وتبعهما كافة المفسرين، ولكن الصواب ما قاله ابن عطية رحمه الله تعالى. انظر: الإصابة (٨/ ٣١).

(٤) لا يصح عن ابن عباس، أخرجه الطبري (٤/ ٤٢٨) من طريق: عتاب بن بشير، عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس. قال أحمد: عتاب بن بشير أحاديثه عن خصيف منكرة.اهـ وخصيف نفسه ضعيف.

(٥) أخرجه البخاري (٤٣٣٧).

(٦) تفسير الطبري (٤/ ٤٣٢).

وروي أن قوماً تراجعوا القول بينهم وهم يرمون بحضرة النبي ﷺ، فحلف أحدهم: لقد أَصبتُ وأَخطأتَ يا فلان، فإِذا الأَمر بخلافٍ فقال رجل: حنث يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «أيمانُ الرُّماة لغوٌ، لا إثمَ فيها، ولا كفارةَ»[١].

وقال أَبو هريرة[٢]، وابن عباس أَيضاً[٣]، والحسن، ومالك بن أَنس، وجماعة من العلماءِ: لغو اليمين ما حلف به الرجل على يقينه، فكشف الغيب خلاف ذلك[٤].

وهذا اليقين هو غلبة ظنٍّ أَطلق الفقهاءُ عليه لفظة اليقين تجوزاً[٥]، قال مالك: مثله أن يرى الرجلَ على بعد فيعتقد أنه فلان لا يشك، فيحلف، ثم يجيءُ غير المحلوف عليه[٦].

وقال سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن[٧] وعبد الله وعروة ابنا الزبير: لغو اليمين الحلف في المعاصي كالذي يحلف ليشربن الخمر أو ليقطعن الرحم، فبره ترك ذلك الفعل ولا كفارة عليه[٨].

وقال سعيد بن جبير مثله، إلا أنه قال: يُكفِّر[٩]، فأَشبه قولُه بالكفارة قولَ مَن لا يراها لغواً.

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبراني في الصغير (١١٥١) وقال: تفرد به يوسف بن يعقوب عن أبيه. انتهى، ويوسف مجهول لا يُعرف حاله. وأخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٤٤٤) عن الحسن البصري مرسلاً.

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٤٣٢) بإسناد فيه أبو معشر نجيح السندي، وهو ضعيف.

(٣) أخرجه الطبري (٤/ ٤٣٢) من طريق العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس

(٤) انظر: الأوسط لابن المنذر (١٢/ ١٧٤)، وتفسير الطبري (٤/ ٤٣٢ - ٤٣٧).

(٥) انظر: المجموع شرح المهذب (١/ ١٧٧).

(٦) انظر: المدونة (٤/ ١٠٢).

(٧) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي الفقيه، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، روى عن: أبيه، وعائشة، وكان فقيهاً ثقة كثير الحديث عاقلاً سخياً، يسمى الراهب، وكان من سادة قريش، توفي سنة (٩٤هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٥١٢).

(٨) انظر هذه الأقوال في: تفسير الطبري (٤/ ٤٤٠).

(٩) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٤٤٠).

وقال ابن عباس أَيضاً[١]، وطاووس: لغو اليمين الحلف في حال الغضب[٢]، وروى ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «لا يمينَ في غضبٍ»[٣].

وقال مكحول الدمشقي وجماعة من العلماء: لغو اليمين أَن يُحَرِّم الرجل على نفسه ما أَحل الله،/ فيقول: مالي عَلَيَّ حرام إِن فعلت كذا، أَو الحلال عليّ حرام[٤]. [١/ ١٤٤]

وقال بهذا القول مالك بن أَنس، إِلا في الزوجة، فإِنه أَلزم فيها التحريم إِلا أَن يخرجها الحالف بقلبه[٥].

وقال زيد بن أسلم وابنه: لغو اليمين دعاء الرجل على نفسه أعمى الله بصره، أذهب الله ماله، هو يهودي، هو مشرك، هو لِغيّة[٦] إن فعل كذا[٧].

وقال ابن عباس أَيضاً[٨]، والضحاك: لغو اليمين: هي المكفَّرَة، أي إِذا كُفِّرت اليمين فحينئذ سقطت وصارت لغواً، ولا يؤاخذ الله بتكفيرها والرجوع إلى الذي هو خير[٩].

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ٤٣٨) من طريق: خالد [هو ابن عبد الله بن عبد الرحمن الواسطي]، عن عطاء [هو ابن السائب]، عن وسيم، عن طاووس [سقط من الإسناد والصحيح إثباته]، عن ابن عباس، وهذا إسناد لا تقوم به حجة، فرواية خالد عن عطاء بعد الاختلاط، ووسيم لا يكاد يعرف إلا في هذا الإسناد، والأصح أنه من قول طاووس.

(٢) انظر قول طاووس في: تفسير الطبري (٤/ ٤٣٨).

(٣) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الطبري (٤/ ٤٣٩)، والدارقطني في سننه (٤/ ١٥٩)، والطبراني في الأوسط (٢٠٢٩) بإسناد ضعيف، وقد ضعَّف الحديث الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٥٦٥).

(٤) نقله في تفسير القرطبي (٣/ ١٠٠).

(٥) انظر قول مالك في: المدونة (٢/ ٢٨٦-٢٨٧)، والإشراف لابن المنذر (١/ ٤١٨).

(٦) أي ابن زنا.

(٧) تفسير الطبري (٤/ ٤٤٤، ٤٤٥).

(٨) أخرجه الطبري (٤/ ٤٤٥) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٩) تفسير الطبري (٤/ ٤٤٥).

وقال إبراهيم النَّخَعي: لغو اليمين ما حَنِثَ فيه الرجل ناسياً[١].

وحكى ابن عبد البر[٢] قولاً: أن اللغو أَيمان المكره[٣].

قال القاضي أبو محمد: وطريقة النظر أن يتأمل لفظة اللغو ولفظة الكسب، ويحكم موقعهما في اللغة، فكسبُ المرء: ما قصده ونواه، واللغو: ما لم يتعمده، أَو ما حقُّه لهُجْنته أَن يسقط، فيقوى على هذه الطريقة بعض الأقوال المتقدمة، ويضعف بعضها، وقد رفع الله عز وجل المؤاخذة بالإطلاق في اللغو، فحقيقته ما لا إثم فيه ولا كفارة.

والمؤاخذة في الأيمان هي بعقوبة الآخرة في الغَموس المصبورة، وفيما ترك تكفيره مما فيه كفارة، وبعقوبة الدنيا في إلزام الكفارة، فيضعف القول بأنها اليمين المكفَّرة؛ لأن المؤاخذة قد وقعت فيها، وتخصيص المؤاخذة بأنها في الآخرة فقط تحكُّمٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ قال ابن عباس[٤]، والنخعي وغيرهما: ما كسب القلب هي اليمين الكاذبة الغموس، فهذه فيها المؤاخذة في الآخرة، والكفارة إنما هي فيما يكون لغواً إِذا كُفِّرَ[٥].

وقال مالك وجماعة من العلماءِ: الغموس لا تُكَفَّر، هي أَعظم ذنباً من ذلك[٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٤٤٥-٤٤٦).

(٢) هو الحافظ المحدث الفقيه المالكي؛ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، الأندلسي، المتوفى (٤٦٣هـ)، صاحب التصانيف الكثيرة في الفقه والحديث والتاريخ، كالاستذكار، والتمهيد، والاستيعاب. انظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض (٢/ ٧٤).

(٣) نقله القرطبي (٣/ ١٠١)، ولم أهتد إلى الكتاب الذي قاله فيه أبو عمر رحمه الله تعالى.

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ٤٥٠) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) تفسير الطبري (٤/ ٤٥٠).

(٦) انظر: الأوسط لابن المنذر (١٢/ ١٣٨)، وممن قال بهذا القول غير مالك: الإمام أحمد وإسحاق والحنفية والأوزاعي والثوري وأبو ثور وأبو عبيد وجماعة من التابعين، انظر قول مالك في: المدونة (١/ ٥٧٧)، وانظر قول أحمد وإسحاق في: مسائل أحمد وإسحاق رواية الكوسج (١٦١٤)، وانظر قول الحنفية في: المبسوط للسرخسي (٨/ ١٣٤-١٣٥).

وقال الشافعي، وقتادة، وعطاءٌ، والربيع: اليمين الغموس تُكَفَّر[١].

والكفارة مؤاخذة، والغَموس: ما قصد الرجل في الحلف به الكذب، وكذلك اليمين المصبورة: المعنى فيهما واحد، ولكن الغموس سميت بذلك لأنها غمست صاحبها في الإثم، والمصبورة سميت بذلك؛ لأنها[٢] صبرها مغالبة وقوة عليها، كما يصبر الحيوان للقتل والرمي.

وقال زيد بن أسلم: قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ هو في الرجل يقول هو مشرك إن فعل، أي: هذا لغو إِلا أَن يعقد الإِشراك بقلبه وبكسبه[٣].

و ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ صفتان لائقتان بما ذكر من طرح[٤] المؤاخذة؛ إذ هو باب رفق وتوسعة.

وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾ الآية، قرأ أبي بن كعب، وابن عباس: (للذين يُقسِمُون)[٥].

و﴿يُؤْلُونَ﴾ معناه: يحلفون، يقال آلى يُولي إِيلاءً، والأَلِيَّة: اليمين، ويقال فيها أَيضاً: أَلْوَة بفتح الهمزة وبضمها وبكسرها.

و«التربُّصُ»: التأَني والتأَخر، وكان من عادة العرب أَن يحلف الرجل أَلا يطأَ امرأَتَه، يقصد بذلك الأَذى عند المشارّة ونحوها، فجعل الله تعالى في ذلك هذا الحد؛ لئلا يضر

---

(١) انظر قول الشافعي في: الأم (٧/ ١٠٦-١٠٧)، وانظر قول عطاء وقتادة والربيع في: تفسير الطبري (٤/ ٤٥١-٤٥٣).

(٢) في السليمانية: «لأنه».

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٤٥٤).

(٤) في الحمزوية: «ترك».

(٥) نقلها في مختصر الشواذ (ص: ٢١)، عن ابن عباس، والمصاحف لابن أبي داود (ص١٦١) عن أبي، وهي قراءة شاذة.

الرجالُ بالنساءِ، وبقي للحالف على هذا المعنى فسحةٌ فيما دون الأربعة الأشهر.

وَاخْتُلِفَ مَنِ المرادُ أن يلزمه حكم الإِيلاءِ:

فقال مالك رحمه الله: هو الرجل يغاضب امرأته فيحلف بيمين يلحق عن الحنث فيها حكم، ألا يطأها، ضرراً منه، أكثر من أربعة أشهر، لا يقصد بذلك إصلاح ولد رضيع ونحوه، وقال به عطاءٌ وغيره(١).

وقال [علي بن أبي طالب](٢)، وابن عباس(٣)، والحسن بن أبي الحسن: هو الرجل يحلف ألا يطأ امرأته على وجه مغاضبة ومشارَّة، وسواء كان في ضمن ذلك إصلاح ولد أولم يكن، فإن لم يكن عن غضب فليس بإيلاءٍ(٤).

وقال ابن عباس: لا إيلاءَ إلا بغضب(٥).

وقال ابن سيرين: سواءٌ كانت اليمين في غضب أو غير غضب هو إيلاءٌ(٦)، وقاله ابن مسعود(٧) والثوري، ومالك، والشافعي، وأهل العراق، إلا أن مالكاً قال: ما لم يُرد إصلاح ولد(٨).

---

(١) انظر قول مالك في: المدونة (٢/ ٣٤٠)، وانظر قول عطاء في: تفسير الطبري (٤/ ٤٦٠).

(٢) في جار الله بدلاً منه: «به عطاء».

(٣) هو الأثر الآتي عن ابن عباس.

(٤) انظر: الإشراف لابن المنذر (٣/ ٢٢٤)، وتفسير الطبري (٤/ ٤٥٩ - ٤٦٠)

(٥) صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٤/ ٤٥٩) بثلاثة أسانيد صحيحة.

(٦) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٤٦٢).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ١٣٣) عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود، بلفظ: الإيلاء في الرضى والغضب. وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه شيئاً كما قاله غير واحد.

(٨) انظر مذهب مالك في: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٤١)، وقول الشافعي في: الأم (٥/ ٣٨٦)، وانظر قول أهل العراق في: بدائع الصنائع (٣/ ١٧٢)، وانظر قول الثوري في: الإشراف لابن المنذر (٣/ ٢٢٤).

وقال الشعبي، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله، وابن المسيب: كل يمين حلفها الرجل أَلا يطأَ امرأَته، أَو أَلا يكلمها، أَو أَن يضارَّها، أَو أَن يغاضبها، فذلك كله إِيلاءٌ.

وقال ابن المسيب منهم: إِلا أَنه إِن حلف أَلا يكلم وكان يطأُ فليس بإِيلاء، وإِنما تكون اليمين على غير الوطءِ إِيلاءً إِذا اقترن بذلك الامتناع من الوطء(١).

وأقوال من ذكرناه مع سعيد مُسْجلة محتملة ما قال سعيد، ومحتملة أن فساد العشرة إِيلاءٌ، وذهب إلى هذا الاحتمال الأخير الطبري(٢).

وقال ابن عباس أَيضاً: لا يُسمى مُولِياً إِلا الذي يحلف أَلا يطأَ أَبداً، حكاه ابن المنذر(٣).

وقال مالك والشافعي، وأَحمد، وأَبو ثور: لا يكون مُولياً إلا إن زاد على الأربعة الأشهر(٤).

وقال عطاءٌ، والثوري، وأَصحاب الرأَي: الإِيلاءُ: أَن يحلف على أَربعة أَشهر فصاعداً(٥).

وقال قتادة، والنخعي، وحماد بن أَبي سليمان(٦)، وإِسحاق وابن أَبي ليلى: من

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٤٦٢-٤٦٣).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٤٩٨ و٤٩٩).

(٣) الأوسط (٩/ ٣٤٥). والإشراف (٣/ ٢٢٣)، وقد أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١٦٠٨) بإسناد صحيح.

(٤) انظر قول مالك في: المدونة (٢/ ٣٣٦)، وانظر قول الشافعي في: الأم (٥/ ٣٨٤)، وانظر قول أحمد في: مسائل أحمد رواية عبد الله (١٣٣٦)، وانظر قول أبي ثور في: الإشراف لابن المنذر (٣/ ٢٢٣).

(٥) انظر قول عطاء والثوري في: الإشراف لابن المنذر (٣/ ٢٢٣)، وانظر قول أصحاب الرأي في: المبسوط للسرخسي (٧/ ٢١).

(٦) حماد بن أبي سليمان الفقيه الكوفي، مولى الأشعريين، أحد الأعلام، روى عن: أنس، وابن =

حلف على قليل من الوقت أو كثير فتركها أربعة أشهر فهو مُولٍ، قال ابن المنذر: وأنكر هذا القول كثير من أهل العلم(١).

وقوله تعالى: ﴿مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ يدخل فيه الحرائر والإِماءُ إِذا تزوجن، والعبد يلزمه الإِيلاءُ من زوجته، وقال الشافعي، وأَحمد وأَبو ثور: أَجله أَربعة أَشهر(٢).

وقال مالك، والزهري، وعطاءُ بن أَبي رباح، وإسحاق: أجله شهران.

وقال الحسن: أجله مِنْ حُرَّةٍ أَربعة أَشهر، ومن أَمَةٍ زوجة شهران، وقاله النخعي(٣).

وقال الشعبي: الإِيلاءُ من الأَمة نصف الإِيلاءِ من الحُرَّة(٤).

وقال مالك والشافعي وأصحاب الرأي والأوزاعي والنخعي وغيرهم: المدخول بها وغير المدخول بها سواءٌ في لزوم الإِيلاءِ فيهما.

وقال الزهري، وعطاءٌ(٥)، والثوري: لا إِيلاءَ إلا بعد الدخول(٦)، قال مالك: ولا إِيلاءَ من صغيرة لم تبلغ، فإن آلى منها فبلغت لزمه الإيلاء من يوم بلوغها(٧).

= المسيب، وعنه: أبو حنيفة، وجماعة، وكان سخياً جواداً، وفي حديثه أفراد وغرائب، وهو متماسك في الحديث، توفي حماد سنة (١٢٠هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٣٤٧).

(١) الإشراف (٣/ ٢٢٣)، وانظر قولي قتادة والنخعي فيه أيضاً، وقول حماد في الأوسط (٩/ ٣٤٦)، ونقل ابن المنذر إنكار العلماء له؛ في الأوسط (٩/ ٣٤٦-٣٤٧).

(٢) انظر قول الشافعي في: الأم (٥/ ٣٩٠)، وانظر قول أحمد في: مسائل أحمد وإسحاق رواية الكوسج (١٢٥٤)، وانظر قول أبي ثور في: الأوسط (٩/ ٣٦٢).

(٣) في السليمانية: «إسحاق».

(٤) انظر قول مالك في: المدونة (٢/ ٣٥١)، وانظر قول الباقين في: الإشراف لابن المنذر (٣/ ٢٢٩).

(٥) في نور العثمانية هنا زيادة: «وغيره».

(٦) انظر: الإشراف لابن المنذر (٣/ ٢٢٨).

(٧) نقله عن مالك القرطبي (٣/ ١٠٧)، وفي المدونة (٢/ ٣٤٣): أن ابن القاسم قال بهذا القول، وذكر أنه لم يسمع عن مالك شيئاً في المسألة، وقد نقله عنه ابن عبد البر في: الاستذكار (٦/ ٤٢).

وقال عمر بن الخطاب[١] وعثمان بن عفان[٢] وعلي بن أبي طالب[٣] وأبو الدرداء[٤] وابن عمر[٥] وابن المسيب ومجاهد وطاووس[٦] / ومالك والشافعي وأحمد وإسحاق وأبو عبيد: إِذا انقضت الأَربعة الأَشهر وقف، فإِما فاءَ [وإما طلَّق][٧]، وإِلا طُلِّق عليه[٨]. [١/ ١٤٥]

وقال ابن مسعود[٩] وابن عباس[١٠] وعثمان[١١] وعليٌّ أَيضاً[١٢]، وزيد بن ثابت[١٣] وجابر بن زيد والحسن ومسروق بانقضاء الأربعة الأشهر دخل عليه الطلاق دون توقيف[١٤].

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ٤٨٨، ٤٨٩) بإسناد ضعيف منقطع.

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٤٩٠) من رواية طاووس عن عثمان، ولم يسمع منه.

(٣) لا بأس به، أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٤٨٩) من طريق الشعبي، عن عمرو بن سلمة عنه.

(٤) منقطع، أخرجه الطبري (٤/ ٤٩٠) من طريق سعيد بن المسيب عن أبي الدرداء، ولم يلقه، قاله الدارقطني كما في العلل (٦/ ٢٠٤).

(٥) صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٤/ ٤٩٢) من طريق نافع عن ابن عمر.

(٦) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٤٩٤ و٤٩٥).

(٧) ليس في جار الله ونور العثمانية.

(٨) انظر قول مالك في: المدونة (٢/ ٣٤٥)، وقول الشافعي في: الأم (٥/ ٣٩٠)، وانظر قول أحمد في: مسائل أحمد وإسحاق رواية الكوسج (١٠٠٠)، وانظر قول الباقين في: الإشراف لابن المنذر (٣/ ٢٢٨).

(٩) صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٤/ ٤٧٩) من طريق إبراهيم عن علقمة عنه.

(١٠) صحيح، أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٤٨١) من طرق عن ابن عباس، وأسانيده صحيحة.

(١١) ضعيف، هذا الأثر أخرجه ابن أبي شيبة (١٨٨٦٢) والطبري (٤/ ٤٧٨، ٤٧٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٧٢)، والدارقطني في سننه (٤/ ٦٢، ٦٣)، (١٥٠، ١٥١)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٧٨) وغيرهم من طرق عن عطاء الخراساني عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عثمان وزيد بن ثابت رضي الله عنهما. وهذا إسناد ضعيف لضعف عطاء الخراساني. قال البيهقي عقب إخراج هذا الأثر: وليس ذلك بمحفوظ. وعطاء الخراساني ليس بالقوي، والمشهور عن عثمان رضي الله عنه بخلافه.

(١٢) منقطع، هذا الأثر أخرجه الطبري (٤/ ٤٧٨) من طريق قتادة عن الحسن عن علي، وقتادة مدلس، والحسن لم يسمع من علي.

(١٣) ضعيف، وقد سبق في التعليق قريباً.

(١٤) انظر: الإشراف لابن المنذر (٣/ ٢٢٧-٢٢٨).

واختلف [العلماء][(١)] في الطلاق الداخل على المُولِي، فقال عثمان وعلي وابن عباس وابن مسعود[(٢)] وعطاءٌ، والنخعي، والأوزاعي، وغيرهم: هي طلقة بائنة لا رجعة له فيها[(٣)].

وقال سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن ومكحول والزهري ومالك: هي رجعيَّة[(٤)].

و﴿فَآءُو﴾ معناه: رجعوا، ومنه: ﴿حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]، والفيءُ: الظل الراجع عشيا.

وقال الحسن وإبراهيم: إذا فاء المولي ووطئ فلا كفارة عليه في يمينه؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[(٥)].

وهذا متركب على أن لغو اليمين ما حلف في معصية، وترك وطء الزوجة معصية.

وقال الجمهور: إذا فاءَ كفَّر.

والفيءُ عند ابن المسيب وابن جبير لا يكون إلا بالجماع، وإن كان مسجوناً أو في سفر مضى عليه حكم الإِيلاءِ إِلا أَن يطأَ، ولا عذر له، ولا فيءَ بِقَول[(٦)].

وقال مالك رحمه الله: لا يكون الفيءُ إِلا بالوطءِ أَو بالتكفير[(٧)] في حال العذر كالغائب والمسجون، قال ابن القاسم في «المدونة»: إلا أن تكون يمينه مما لا يكفرها؛

(١) ليست في المطبوع.

(٢) سبق تخريج هذه الآثار قريباً عن عثمان، وعلي، وابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهم جميعاً.

(٣) انظر قول عطاء والنخعي والأوزاعي في: الإشراف لابن المنذر (٣/ ٢٢٧).

(٤) انظر: الإشراف لابن المنذر (٣/ ٢٢٧-٢٢٨)، وانظر قول مالك في جامع الأمهات لابن الحاجب (ص: ١٩٧).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٤٧٤-٤٧٥).

(٦) انظر: الأوسط (٩/ ٣٥٧)، والإشراف لابن المنذر (٣/ ٢٢٧).

(٧) في المطبوع زيادة: «إلا».

لأنها لا تقع عليه إلا بعد الحنث، فإن القول يكفيه ما دام معذوراً[١].

واختلف القول في «المدونة» في اليمين بالله تعالى هل يكتفى فيها بالفيء بالقول والعزم على التكفير، أم لا بُدَّ من التكفير، وإلا فلا فيءَ؟[٢]

وقال الحسن وعكرمة والنخعي وغيرهم: الفيء من غير المعذور: الجماع [ولا بد، ومن المعذور][٣]: أن يشهد أنه قد فاء بقلبه[٤]، وقال النخعي أيضاً: يصح الفيءُ بالقول والإشهاد فقط، ويسقط حكم الإيلاءِ، أرأيت إن لم ينتشر للوطء؟[٥].

وقال القاضي أبو محمد: ويرجع في هذا القول إن لم يطأ إلى باب الضرر.

وقرأ أُبي بن كعب: (فَإِنْ فَاؤوا فيهِنَّ)، وَرُوِيَ عنه: (فَإِنْ فَاءُوا فِيهَا)[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾ الآية، قال القائلون إن بمضي الأربعة الأشهر يدخل الطلاق: عزيمةُ الطلاق هي تركُ الفيء حتى تنصرم الأشهر.

وقال القائلون لا بد من التوقيف بعد تمام الأربعة[٧] الأشهر: العزيمةُ هي التطليق أو الإبانة وقتَ التوقيف حتى يطلِّقَ الحاكم.

واستدلَّ مَن قال بالتوقيف بقوله: ﴿سَمِيعٌ﴾؛ لأن هذا الإدراك إنما هو في المقولات.

وقرأ ابن عباس: (فَإِنْ عَزَمُوا السَّراح)[٨].

---

(١) انظر قول مالك وقول ابن القاسم في: المدونة (٢/ ٣٤٧-٣٤٨).

(٢) انظر: المدونة (٧/ ٣١)، والمنتقى شرح الموطأ (٣/ ٢٥٤).

(٣) في الحمزوية: «ولا بد للمعذور».

(٤) انظر: الإشراف لابن المنذر (٣/ ٢٢٦-٢٢٧).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٤٧٢).

(٦) الأولى نقلها الزمخشري في الكشاف (١/ ٢٩٧) والنيسابوري في غرائب القرآن (١/ ٦٢٢)، عن ابن مسعود، وأشار لها الباقلاني في الانتصار (٣/ ٤٣٣) بلا نسبة، ولم أجد عزوها لأبي، ولا ذكر القراءة الثانية له إلا في البحر المحيط (٢/ ٤٤٩) فمن بعده.

(٧) زيادة من أحمد٣ وجار الله والمطبوع.

(٨) تفسير الثعلبي (٢/ ١٦٩)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٩٤)، وهي قراءة شاذة.

قوله عز وجل: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾.

قرأ جمهور الناس: ﴿قُرُوٓءٍ﴾ على وزن فُعُول، اللام همزة، وروي عن نافع شد الواو دون همز، وقرأ الحسن: (ثلاثة قَرْوٍ) بفتح القاف وسكون الراء وتنوين الواو خفيفة(١).

وحكم هذه الآية مقصده الاستبراءُ، لا أنه عبادة، ولذلك خرجت منه من لم يُبْنَ بها، بخلاف عدة الوفاة التي هي عبادة.

و(المطلَّقات) لفظ عموم يراد به الخصوص في المدخول بهن، ولم تدخل في العموم المطلَّقةُ قبل البناء، ولا الحامل، ولا التي لم تحِضْ، ولا القاعد.

وقال قوم: تناولهن العموم ثم نُسِخن(٢)، وهذا ضعيف فإنما الآية فيمن تحيض، وهو عرف النساء وعليه معظمهن، فأغنى ذلك عن النص عليه.

و«القرء» في اللغة: الوقت المعتاد تردده، وقرءُ النجم: وقت طلوعه، وكذلك وقت أُفوله، وقرْءُ الريح: وقت هبوبها، ومنه قول الراجز:

يـا رُبَّ ذِي ضِغْـنٍ عَلَـيَّ فَـارِضِ ... لَـه قُـروءٌ كـقُـروءِ الحَـائِـض(٣) [الرجز]

أراد وقت غضبه، فالحيض على هذا يسمى قَرْءاً، ومنه قول النبي ﷺ: «اتركي

---

(١) القراءة الأولى نسبها للزهري ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٢١)، والزمخشري في تفسيره (١/ ٢٧٢)، وله وللحسن الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٩١)، والمتواتر عن نافع الهمز مع الواو المدية كقراءة الجماعة: ﴿قُرُوٓءٍ﴾، وقد تابع المؤلفَ في عزو الأولى له والثانية للحسن البحر المحيط (٢/ ٤٥٦)، وتفسير القرطبي (٣/ ١١٣).

(٢) قاله قتادة. تفسير الطبري (٤/ ٥٠٠).

(٣) عزاه المؤلف في بعض النسخ للعجاج، وهو في تفسير الطبري (٢/ ١٩٠)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٨٦)، بلا نسبة.

الصلاةَ أَيامَ أَقْرَائِكَ»[١]، أي: أيامَ حيضِك، وكذلك على هذا النظر يسمى الطهر قرءاً؛ لأنه وقت معتاد تردُّده يعاقب الحيض، ومنه قول الأعشى:

[الطويل]

أفـي كلِّ عـام أَنْـتَ جَاشِـمُ غَـزْوَةٍ تشـدُّ لأَقصاهـا عزيـمَ عَزَائِـكَا

مُـوَرِّثَـة مـالاً وفي الحَيِّ رفْعَةً بِمَا ضَـاعَ فِيها مِنْ قُروءِ نِسَـائِكَا[٢]

أي من أطهارهن؛

وقال قوم: القرءُ مأْخوذ من قرْءِ الماءِ في الحوض، وهو جمعه، فكأَن الرحم تجمع الدم وقت الحيض، والجسم يجمعه وقت الطهر.

واختلف أَيهما أَراد الله تعالى بالثلاثة التي حددها للمطلقة:

فقال [أبو بكر، وعمر[٣]، وعثمان، وعلي][٤]، وابن عباس، والضحاك، ومجاهد، والربيع، وقتادة، وأَصحاب الرأْي، وجماعة كبيرة[٥] من أَهل العلم: المراد الحيض[٦]،

(١) الرواية بلفظ: «الحيض» أصح، هذا الحديث بهذا اللفظ قد روي من طرق، لا تخلو جميعاً من مقال، تراها مجموعة في البدر المنير (٣/ ١٢٥-١٣١) وغيره، وقال البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٤١٦): وقد روي هذا اللفظ الذي احتجوا به في أحاديث مختلف فيها، فبعض الرواة قال فيها: «أيام أقرائها»، وبعضهم قال فيها: «أيام حيضها»، أو ما في معناه، وكل ذلك من جهة الرواة، كل واحد منهم يعبر عنه بما يقع له والأحاديث الصحاح متفقة على العبارة عنه «بأيام الحيض» دون لفظ الأقراء.

(٢) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٧٤)، وتفسير الطبري (٤/ ٥١٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٠٤)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٨٦)، وجمهرة اللغة (٢/ ١٠٩٢)، والكامل في اللغة والأدب (١/ ٢٢٠)، يقال: جشِم الأمر جشماً وجشامة: تكلفه على مشقة، فهو جاشمٌ، فهو يترك نساءه في أوقات تطهرهن، ويتجشم مشقة الغزو التي تشد عزائمه، وفي المطبوع: و«في كل»، بدل «أفي كل».

(٣) ليس في نور العثمانية.

(٤) في جار الله وأحمد٣: «الخلفاء الأربعة».

(٥) في نور العثمانية: «كثيرة».

(٦) انظر تفسير الطبري (٤/ ٥٠٠ - ٥٠٦)، والإشراف لابن المنذر (٣/ ٣٠٨).

فإذا طلق الرجل امرأته في طهر لم يطأ فيه استقبلت حيضة ثم حيضة ثم حيضة فإذا اغتسلت من الثالثة خرجت من العدة.

وقال بعض من يقول بالحيض: إذا طهرت من الثالثة انقضت العدة قبل الغسل، هذا قول سعيد بن جبير وغيره.

وقالت عائشة وابن عمر وجماعة من الصحابة والتابعين ومَن بعدَهم، منهم سليمان بن يسار، ومالك: المراد الأَطهار[1]، فإذا طلق الرجل امرأَته في طهر لم يطأْ فيه اعتدَّت بما بقي منه ولو ساعة، ثم استقبلت طهراً ثانياً بعد حيضة، ثم ثالثاً بعد حيضة ثانية، فإذا رأت الدم من الحيضة الثالثة حلت للأزواج وخرجت من العدة، فإن طلق مطلق في طهر قد مس فيه لزمه الطلاق وقد أساء، واعتدت بما بقي من ذلك الطهر.

وقول ابن القاسم ومالك: إن المطلقة إذا رأت أول نقطة من الحيضة الثالثة خرجت من العصمة، وهو مذهب زيد بن ثابت وغيره[2]، وقال أَشهب: لا تنقطع العصمة والميراث حتى يُتحقق أَنه دم حيض؛ لئلا يكون دُفعةَ دمٍ من غير الحيض[3].

واختلف المتأولون في المراد بقوله: ﴿مَاخَلَقَ﴾:

فقال ابن عمر[4]/ ومجاهد، والربيع، وابن زيد، والضحاك: هو الحيض والحَمْل جميعاً[5]. [١/ ١٤٦]

ومعنى النهي عن الكتمان النهي عن الإضرار بالزوج وإذهاب حقه، فإذا قالت

---

(١) انظر تفسير الطبري (٤/ ٥٠٠ - ٥٠٦)، والإشراف لابن المنذر (٣/ ٣٠٨).

(٢) انظر قول ابن القاسم ومالك في: المدونة (٢/ ٢٣٤)، والبيان والتحصيل (٥/ ٣٨٤)، وانظر مذهب زيد وغيره ممن قال بهذا القول في: الإشراف لابن المنذر (٣/ ٣٠٩).

(٣) انظر قول أشهب في: المدونة (٢/ ٢٣٤)، وليس فيه ذكر للميراث.

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ٥١٨) من طريق يزيد بن زريع قال: حدثنا الأشعث، عن نافع، عن ابن عمر، والأشعث الظاهر أنه أشعث بن سوار الكندي، وهو ضعيف.

(٥) تفسير الطبري (٤/ ٥١٨ - ٥٢٠)، وفي نور العثمانية: «الحبل»، بالباء.

المطلقة: حِضتُ، وهي لم تحض ذهبت بحقه من الارتجاع، وإذا قالت: لم أحض، وهي قد حاضت ألزمته من النفقة ما لم يلزمه، فأضرت به، أو تقصد بكذبها في نفي الحيض أن لا يرتجع حتى تتم العدة ويقطع الشرع حقه، وكذلك الحامل تكتم الحمل لينقطع حقه من الارتجاع.

وقال قتادة: كانت عادتهن في الجاهلية أن يكتمن الحمل ليُلْحقن الولد بالزوج الجديد ففي ذلك نزلت الآية(١).

وقال السدي: سبب الآية أن الرجل كان إذا أراد أن يطلق امرأته سألها أبها حمل؟ مخافة أن يضر بنفسه وولده في فراقها، فأمرهن الله بالصدق في ذلك(٢).

وقال إبراهيم النخعي وعكرمة: المراد بـ﴿مَا خَلَقَ﴾ الحيضُ(٣).

وروي عن عمر، وابن عباس أَن المراد الحبل(٤)، والعموم راجح.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ﴾ ما يقتضي أَنهن مؤتمنات على ما ذُكِر، ولو كان الاستقصاءُ مباحاً لم يكن كتم.

وقرأ مبشر بن عبيد(٥): (في أرحامِهُن) بضم الهاء(٦).

وقوله: ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ الآية، أي: حقَّ الإيمان، فإن ذلك يقتضي أن لا يكتمْنَ الحق، وهذا كما تقول: إن كنت حراً فانتصر، وأَنت تخاطب حراً.

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٥٢١).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٥٢٣).

(٣) المصدر السابق (٤/ ٥١٦).

(٤) إسناده لا بأس به، أخرجه الطبري (٤/ ٥٢٠) من طريق ابن المبارك، عن قباث بن رزين، عن علي ابن رباح أنه حدثه: أن عمر بن الخطاب قال.. به.

(٥) مبشر بن عبيد، الكوفي، ثم الحمصي، روى عن الحكم بن عتيبة، والزهري، وقتادة، وعنه: بقية، وأبو اليمان، قال أحمد بن حنبل: كان يضع الحديث، وقال الدارقطني: متروك، وقال أبو المغيرة: كان عارفاً بالنحو والعربية. تاريخ الإسلام (١٠/ ٤١٧).

(٦) البحر المحيط (٢/ ٤٥٧)، ولم أجدها لمن قبل المؤلف، وهي قراءة شاذة.

وقوله: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗا﴾، البعل: الزوج، وجمعه على بعولة شاذ لا ينقاس، لكن هو المسموع.

وقال قوم: الهاءُ فيه دالة على تأْنيث الجماعة، وقيل: هي هاءُ تأْنيث دخلت على بُعول، وبعول لا شذوذ فيه.

وقرأ ابن مسعود: (بردَّتِهنَّ) بزيادة تاء[١]، وقرأ مبشر بن عبيد: (بردِّهُن) بضم الهاء[٢].

ونص الله تعالى بهذه الآية على أَن للزوج أَن يرتجع امرأَته المطلقة ما دامت في العدة، والإشارة بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ هي إلى المدة، ثم اقترن بما لهم من الرد شرط إِرادة الإصلاح دون المضارة، كما تشدد على النساء في كتم ما في أرحامهن.

وهذا بيان الأحكام التي بينَ الله تعالى وبينَ عبادِه في ترك النساء الكتمانَ، وإرادة الرجال الإصلاحَ، فإن قصد أحد بعد هذا إفساداً، أو كتمت امرأة ما في رحمها فأحكام الدنيا على الظواهر[٣]، والبواطنُ إلى الله تعالى، يتولى جزاء كل ذي عمل.

وتُضَعِّف هذه الآية قولَ من قال في المولي: إن بانقضاء الأشهر الأربعة تزول العصمة بطلقة بائنة[٤] لا رجعة فيها؛ لأن أَكثر ما تعطي أَلفاظ القرآن أَنَّ ترك الفيءِ في الأَشهر الأَربعة هو عزم الطلاق، وإذا كان ذلك فالمرأة من المطلقات اللواتي يتربصن، وبعولتهن أحق بردهن[٥].

(١) مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢١)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ١٤٥).

(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٤٥٧)، وهي قراءة شاذة.

(٣) في فيض الله والسليمانية والأصل: «الظاهر».

(٤) ليست في الحمزوية.

(٥) ممن قال بهذا القول: الحنفية كما في: المبسوط (٧/ ٢١)، وبعض الصحابة والتابعين كما في: الإشراف لابن المنذر (٣/ ٢٢٧).

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، قال ابن عباس: ذلك في التزين والتصنع[١] والمؤاتاة[٢]، وقال[٣] الضحاك وابن زيد: ذلك في حسن العشرة، وحفظ بعضهم لبعض، وتقوى الله فيه، والآية تعم جميع حقوق الزوجية[٤].

وقوله: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ قال مجاهد وقتادة: ذلك تنبيه على فضل حظه على حظها في الجهاد والميراث وما أشبهه، وقال زيد بن أسلم وابنه: ذلك في الطاعة، عليها أن تطيعه وليس عليه أن يطيعها، وقال عامر الشعبي: ذلك الصداق الذي يعطي الرجل، وأَنه يُلاعن إِن قَذَفَ، وتُحَدُّ إِن قذفت[٥]، وقال ابن عباس: تلك الدرجة إشارة إلى حض الرجال على حسن العشرة، والتوسع للنساء في المال والخُلُق[٦]، أي: إن الأفضل ينبغي أن يتحامل على نفسه، وهذا قول حسن بارع.

وقال ابن إسحاق[٧]: الدرجة الإنفاق، وأَنه قوَّام عليها[٨].

وقال ابن زيد: الدرجة ملك العصمة وأن الطلاق بيده[٩].

---

(١) في نور العثمانية: «والصبغ».

(٢) إسناده جيد، هذا الأثر أخرجه الطبري (٤/ ٥٣٢) من طريق بشير بن سلمان، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما به، بلفظ: إني أحبُّ أن أتزين للمرأة، كما أحب أن تتزين لي. وتلا الآية، أما عبارة: «والتصنع والمؤاتاة» فهي من كلام الطبري.

(٣) في المطبوع: «وقرأ».

(٤) تفسير الطبري (٤/ ٥٣٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢١٩٦، ٢١٩٨).

(٥) انظر الأقوال الثلاثة في: تفسير الطبري (٤/ ٥٣٤).

(٦) ذكر هذا المعنى الطبري (٤/ ٥٣٢)، ثم أخرج من طريق بشير بن سلمان، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ما أحب أن أستنظف جميع حقي عليها، وتلا الآية، وأستنظف يعني: أستوفي، وإسناده جيد.

(٧) في فيض الله: «أبو إسحاق».

(٨) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٧٦٣)، عن ابن إسحاق.

(٩) قال في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٧٦٢): رواه عبيد بن الصباح عن حميد.

وقال حميد: الدرجة اللحية[١]، وهذا ـ إن صح عنه ـ ضعيف لا يقتضيه لفظ الآية ولا معناها.

وإذا تأملت هذه الوجوه التي ذكر المفسرون فيجيء من مجموعها درجة تقتضي التفضيل.

و﴿عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه أحد، و﴿حَكِيمٌ﴾ فيما ينفذه من الأحكام والأمور.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩﴾.

قال عروة بن الزبير، وقتادة، وابن زيد، وغيرهم: نزلت هذه الآية بياناً لعدد الطلاق الذي للمرءِ فيه أَن يرتجع، دون تجديد مهر وولي[٢].

وذلك أَنهم كانوا في الجاهلية يُطَلِّقون ويرتجعون إِلى غير غاية، فقال رجل لامرأَته على عهد النبي ﷺ: لا أُووِيك ولا أَدعُك تحلِّين، فقالت: وكيف؟ قال: أُطلقك، فإِذا دنا مُضِي عدتك راجعتك، فشكت ذلك، فنزلت الآية[٣].

وقال ابن مسعود[٤]، وابن عباس[٥]، ومجاهد وغيرهم: المراد بالآية التعريف بسُنَّة الطلاق[٦]، أَي: مَن طلق اثنتين فليتق الله في الثالثة، فإِما تركها غير مظلومة شيئاً من حقها، وإِما أَمسكها محسِناً عشرتها.

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٥٣٥).
(٢) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٤/ ٥٤٠).
(٣) ذكره عروة بن الزبير مرسلاً، أخرجه الطبري (٤/ ٥٣٩).
(٤) أخرجه الطبري (٤/ ٥٤٢) بإسناد جيد لولا شيخ الطبري محمد بن حميد الرازي.
(٥) أخرجه الطبري (٤/ ٥٤٣) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٦) تفسير الطبري (٤/ ٥٤٣).

قال القاضي أَبو محمد: والآية تتضمن هذين المعنيين.

و«الإِمساك بالمعروف»: هو الارتجاع بعد الثانية [إِلى حسن العشرة، والتزام حقوق الزوجية.

و«التَّسريح» يحتمل لفظه معنيين:

أَحدهما: تركها تُتِم العدة من الثانية][(١)]، وتكون أَملك لنفسها، وهذا قول السدي، والضحاك[(٢)].

والمعنى الآخر: أَن يطلقها ثالثة فيسرحها بذلك، وهذا قول مجاهد، وعطاء، وغيرهما[(٣)].

ويَقوَى عندي هذا القولُ من ثلاثة وجوه:

أَولها: أَنه روي أَن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا رسول الله: هذا ذكر الطلقتين فأَين الثالثة؟ فقال النبي ﷺ: «هي قوله: ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾»[(٤)].

[١/ ١٤٧] والوجه الثاني: أَن التسريح / من أَلفاظ الطلاق، أَلا ترى أَنه قد قرئ: (وَإِنْ عَزَمُوا السَّرَاحَ)[(٥)].

والوجه الثالث: أَن فعَّل تفعيلاً بهذا التضعيف يُعطي أَنه أَحدث فعلاً مكرراً على الطلقة الثانية، وليس في الترك إِحداث فعل يعبر عنه بالتفعيل.

و(إِمْسَاكٌ) مرتفع بالابتداءِ، والخبر: أَمثلُ، أَو أَحسنُ، ويصح أَن يرتفع على خبر ابتداءٍ تقديره: فالواجبُ إِمساكٌ.

---

(١) ليس في الحمزوية.

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٥٤٧).

(٣) المصدر السابق (٤/ ٥٤٣).

(٤) مرسل، هذا الحديث أخرجه الطبري (٤/ ٥٤٥)، من طريق أبي رزين الأسدي، عن رسول الله ﷺ مرسلاً.

(٥) وهي قراءة شاذة قرأ بها ابن عباس، انظر: كتاب المصاحف (١/ ١٩٤)، وتفسير الثعلبي (٢/ ١٦٩).

وقوله: ﴿بِإِحۡسَٰنٖ﴾ معناه أَلا يظلمها شيئاً من حقها، ولا يتعدى في قول.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ﴾ الآية: خطاب للأَزواج، نهاهم به أَن يأْخذوا من أَزواجهم شيئاً على وجه المضارة، وهذا هو الخلع الذي لا يصح إِلا بأَن لا ينفرد الرجل بالضرر.

وخص بالذكر ما آتى الأَزواجُ نساءَهم؛ لأَن العرف من الناس أَن يطلب الرجل عند الشقاق والفساد ما خرج عن يده، هذا وكدهم[١] في الأغلب فلذلك خص بالذكر.

وقرأَ جميع السبعة إِلا حمزة ﴿يَخَافَآ﴾ بفتح الياءِ على بناءِ الفعل للفاعل، فهذا باب (خَافَ) في التعدي إِلى مفعول واحد، وهو (أَن).

وقرأَ حمزة وحده: ﴿يُخافا﴾ بضم الياءِ على بناءِ الفعل للمفعول[٢]، فهذا على تعدية (خاف) إِلى مفعولين أَحدهما أُسند الفعل إِليه، والآخر (أَن)[٣] بتقدير حرف جر محذوف.

فموضع (أَن) خفض بالجار المقدر عند سيبويه[٤] والكسائي[٥]، ونصب عند غيرهما؛ لأَنه لما حذف الجار وصل الفعل للمفعول الثاني، مثل: أَستغفر الله ذنباً، وأَمرتك الخير[٦].

---

(١) أي: قصدهم وعرفهم، وفي نور العثمانية: «فكرهم».

(٢) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٨٢)، والتيسير فى القراءات السبع للداني (ص: ٨٠).

(٣) في السليمانية زيادة: «يكون».

(٤) انظر «الكتاب» (٣/ ٢٩).

(٥) نقله عنه مكي في مشكل إعراب القرآن (١/ ١٣٠).

(٦) إشارة إلى بيتين، أولهما:

أستغفر الله ذنباً لست محصيه ... رب العباد إليه الوجه والعمل

وقد تقدم قريباً، والثاني:

أمرتك الخيرَ فافعل ما أمرت به ... فقد تركتك ذا مال وذا نشب.

وفي مصحف ابن مسعود: (إِلا أَنْ يَخَافُوا) بالياءِ وواو الجمع[١]، والضمير على هذا للحكام ومتوسطي أُمور الناس[٢].

وحرم الله تعالى على الزوج في هذه الآية أَن يأْخذ إِلا بعد الخوف أَلا يقيما، وأَكد التحريم بالوعيد لمن تعدى الحد.

وأجمع عوامُّ أهل العلم على تحظير أخذ مالها، إلا أن يكون النشوز وفساد العشرة من قبلها، قال ابن المنذر: روينا ذلك عن ابن عباس، والشعبي، ومجاهد، وعطاء، والنخعي، وابن سيرين، والقاسم بن محمد وعروة بن الزبير، والزهري، وحميد بن عبد الرحمن[٣]، وقتادة، وسفيان الثوري، ومالك، وإسحاق، وأَبي ثور[٤].

وقال مالك رحمه الله، والشعبي، وجماعة معهما: فإِن كان مع فساد الزوجة ونشوزها فسادٌ من الزوج وتَفَاقَمَ مَا بينهما فالفدية جائزة للزوج[٥].

قال القاضي أَبو محمد: ومعنى ذلك أَن يكون الزوج لو ترك فساده لم يزَلْ نشوزُها هي، وأَما إِن انفرد الزوج بالفساد فلا أَعلم أَحداً يُجيز له الفدية إِلا ما روي عن أَبي حنيفة أَنه قال: إِذا جاءَ الظلم والنشوز مِن قِبَله فخَالَعَتْه، فهو جائز ماض، وهو آثم لا يحل ما صنع، ولا يَرُدُّ ما أَخذ[٦].

---

(١) تفسير الثعلبي (٢/ ١٧٥)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٧٤)، وهي قراءة شاذة.

(٢) أي: المتوسطين بين الناس ولو لم يكونوا حكاماً.

(٣) حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني، وأمه أم كلثوم بنت عقبة، روى عن: أبويه، وعثمان، وسعيد بن زيد، وأبي هريرة، وابن عباس، وجماعة، وكان فقيهاً نبيلاً شريفاً، وثقه أبو زرعة وغيره، وتوفي سنة (٩٥هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٣٣٧).

(٤) انظر: الإشراف لابن المنذر (٣/ ٢١١)، وسقط «أبي ثور» من نور العثمانية، وانظر قول مالك في: المدونة (٢/ ٢٤١).

(٥) نقل في الاستذكار (٦/ ٧٨) عن مالك أنه يقول بجواز أن تفتدي الزوجة من نشوز الزوج إذا لم يكن مضاراً بها.

(٦) انظر قول أبي حنيفة في: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٩١)، والإشراف لابن المنذر (٣/ ٢١٢).

قال ابن المنذر: وهذا خلاف ظاهر كتاب الله، وخلاف سنة رسول الله ﷺ، ولو قيل لأَحد: أَجهد نفسك في طلب الخطأ ما وجد أَمراً أَعظم من أَن ينطق القرآنُ بتحريم شيءٍ فيحله هو ويجيزه[١].

و﴿حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ في هذا الموضع هي: ما يلزم الزوجين من حسن العشرة وحقوق العصمة[٢]، ونازلة حبيبة بنت سهل، وقيل: جميلة بنت أُبي بن سلول ـ والأول أَصح ـ مع ثابت بن قيس حين أَباح له النبيُّ ﷺ أَخذَ الفديةِ منها[٣]، إِنما كان التعسف فيها من المرأَة؛ لأَنها ذكرت عنه كل خير، وأَنها لا تحب البقاءَ معه.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ المخاطبة للحكام، والمتوسطين لمثل هذا الأَمر وإِن لم يكن حاكماً، وترك إِقامة حدود الله هو استخفاف المرأَة بحق زوجها، وسوءُ طاعتها إِياه، قاله ابن عباس[٤]، ومالك بن أَنس، وجمهور الفقهاءِ[٥].

وقال الحسن بن أَبي الحسن، وقوم معه: إذا قالت له: لا أطيع لك أمراً، ولا أغتسل لك من جنابة، ولا أَبرُّ لك قسماً، حل الخلع[٦].

وقال الشعبي: ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ معناه: أَلا يطيعا[٧] الله، وذلك أَن المغاضبة تدعو إِلى ترك الطاعة[٨].

---

(١) انظر: الإشراف لابن المنذر (٣/ ٢١٢).

(٢) في الحمزوية: «الصحبة».

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٧٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ٥٦٣) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) نقله في تفسير القرطبي (٣/ ١٣٨).

(٦) تفسير الطبري (٤/ ٥٥٩- ٥٦٠).

(٧) في نور العثمانية زيادة: «حدود».

(٨) تفسير الطبري (٤/ ٥٦٠).

وقال عطاءُ بن أَبي رباح: يُحِل الخلعَ والأَخذ أَن تقول المرأَة لزوجها: إِني لأَكرهك ولا أُحبك، ونحوَ هذا[١].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ إباحة للفدية، وشركهما في ارتفاع الجناح؛ لأَنها لا يجوز لها أَن تعطيه مالها حيث لا يجوز له أَخذه، وهي تقدر على المخاصمة، فإِذا كان الخوف المذكور جاز له أَن يأْخذ، ولها أَن تعطي، ومتى لم يقع الخوف فلا يجوز لها أن تعطي على طلب الفراق.

وقال ابن عمر، والنخعي، وابن عباس، ومجاهد، وعثمان بن عفان رضي الله عنه، ومالك، والشافعي، وأَبو حنيفة، وعكرمة، وقبيصة بن ذؤَيب، وأَبو ثور، وغيرهم: مباح للزوج أَن يأْخذ من المرأَة في الفدية جميع ما تملكه[٢]، وقضى بذلك عمر بن الخطاب[٣].

وقال طاووس، والزهري، وعطاء، وعمرو بن شعيب، والحسن، والشعبي، والحكم، وحماد، وأَحمد، وإِسحاق: لا يجوز له أَن يزيد على المهر الذي أَعطاها، وبه قال الربيع[٤].

وكان يقرأُ هو والحسن بن أَبي الحسن: (فيمَا افْتَدَتْ بِهِ مِنْهُ) بزيادة (منْه)[٥]، يعني: مما آتيتموهن، وهو المهر، وحكى مكي هذا القول عن أَبي حنيفة[٦]، وابن المنذر أَثبت[٧].

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٥٦١).

(٢) تفسير القرطبي (٥/ ٩٥).

(٣) لم أجده.

(٤) وبعضهم عبر بالكراهة، انظر قول أحمد وإسحاق في: مسائل أحمد وإسحاق رواية الكوسج (١٣٤٢)، وانظر قول الباقين في: الأوسط لابن المنذر (٩/ ٣٢٠)، والإشراف لابن المنذر (٤/ ٢١٣)، وتفسير الطبري (٤/ ٥٧٣).

(٥) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الطبري (٤/ ٥٧٣، ٥٧٥).

(٦) «الهداية إلى بلوغ النهاية» لمكي (١/ ٧٦٨).

(٧) وما فيه موافق لما في كتب الحنفية، انظر مثلاً: المحيط البرهاني في الفقه النعماني (٣/ ٤٨٩).

وقال ابن المسيب: لا أَرى أَن يأْخذ [منها كل مالها، ولكن ليدع لها شيئاً[١].

وقال بكر بن عبد الله المزني[٢]: لا يجوز للرجل أن يأْخذ][٣] من زوجته شيئاً خلعاً قليلاً، ولا كثيراً، قال: وهذه الآية منسوخة بقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٢٠][٤].

وهذا ضعيف؛ لأن الأمة مجْمِعة على إِجازة الفدية، ولأن المعنى المقترن / بآية الفدية غير المعنى الذي في آية إِرادة الاستبدال. [١/ ١٤٨]

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ الآية؛ أَي: هذه الأَوامر والنواهي هي المعالم بين الحق والباطل، والطاعة والمعصية، فلا تتجاوزوها.

ثم توعد تعالى على تجاوز الحد، ووصف المتعدي بالظلم، وهو: وضع الشيءِ في غير موضعه، والظلم معاقَبٌ صاحبه، وهو كما قال ﷺ: «الظلمُ[٥] ظُلماتٌ يومَ القيامةِ»[٦].

قوله عز وجل: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ...﴾.

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٥٧٥).

(٢) بكر بن عبد الله بن عمرو المزني، أبو عبد الله البصري، أحد الأعلام، روى عن المغيرة وابن عباس، وابن عمر، وأنس، وعنه: ثابت البناني، وعاصم الأحول، وسليمان التيمي، قال ابن سعد: كان ثقة ثبتاً كثير الحديث حجة فقيهاً، توفي سنة (١٠٦هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٣٣).

(٣) ليس في فيض الله.

(٤) تفسير الطبري (٤/ ٥٨٠)، وانظر: الإشراف لابن المنذر (٣/ ٢٢٣).

(٥) ليست في فيض الله وجار الله والسليمانية.

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٤٤٧) ومسلم (٢٥٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

قال ابن عباس[١]، والضحاك، وقتادة، والسدي: هذا ابتداءُ الطلقة الثالثة[٢]، فيجيءُ التسريح المتقدم ترك المرأَة تتم عدتها من الثانية، ومن قول ابن عباس رضي الله عنه: إن الخلع فسخ عصمة، وليس بطلاق[٣].

واحتج من هذه الآية بذكر الله تعالى الطلاقين، ثم ذِكْره الخلع، ثم ذكره الثالثة بعد الطلاقين، ولم يك للخلع حكم يعتد به، ذَكَر هذا ابن المنذر في «الإشراف» عنه، وعن عكرمة، وطاووس، وأَحمد، وإسحاق، وأَبي ثور، وذكر عن الجمهور خلاف قولهم[٤].

وقال مجاهد: هذه الآية بيان ما يلزم المسرح، والتسريح: هو الطلقة الثالثة[٥].

قال القاضي أَبو محمد: وقوله تعالى: ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ﴾ يحتمل الوجهين: إِما تركها تتم العدة، وإِما إِرداف الثالثة، ثم بين في هذه الآية حكم الاحتمال الواحد؛ إِذ الاحتمال الثاني قد علم منه أَنه لا حكم له عليها بعد انقضاءِ العدة.

وتنكح في اللغة جارٍ على حقيقته في الوطء، ومجاز في العقد.

واجتمعت الأُمَّة في هذه النازلة على اتباع الحديث الصحيح في بنت سموأَل، امرأَة رفاعة[٦] حين تزوجها عبد الرحمن بن الزَّبير، وكان رفاعة قد طلقها ثلاثاً، فقالت للنبي ﷺ: إِني[٧] لا أُريد البقاءَ مع عبد الرحمن، ما معه إِلا مثل الهدبة، فقال لها رسول الله

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ٥٨٦) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) تفسير الطبري (٤/ ٥٨٥، ٥٨٦).
(٣) صحيح، أخرجه البيهقي في الكبرى (٧/ ٣١٦)، من طريق سعدان بن نصر، قال: نا سفيان، عن عمرو، عن طاووس، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: ذكر الله الطلاق فى أول الآية وآخرها والخلع بين ذلك فليس الخلع بطلاق.اهـ. وهذا إسناد صحيح.
(٤) الإشراف لابن المنذر (٣/ ٢١٤).
(٥) تفسير الطبري (٤/ ٥٨٧).
(٦) كذا ورد هنا، والصحيح أن امرأته هي تميمة بنت أبي عبيد، انظر ترجمتها في الإصابة (٨/ ٥٨)، ولكن رفاعة هو ابن سموأل القرظي انظر ترجمته في الإصابة (٢/ ٤٠٨).
(٧) سقطت من السليمانية.

ﷺ: «لعلك أَردت الرجوع إِلى رفاعة؟ لا، حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته»[١].

فرأَى العلماءُ أَن النكاح المحِل إِنما هو الدخول والوطءُ، وكلهم على أَن مغيب الحشفة يُحِلُّ، إِلا الحسن بن أَبي الحسن فإِنه قال: لا يُحل إِلا الإِنزال، وهو ذوق العسيلة[٢].

وقال بعض الفقهاءِ: التقاءُ الختانين يُحِلُّ[٣].

والمعنى واحد؛ إِذ لا يلتقي الختانان إِلا مع المغيب الذي عليه الجمهور.

وروي عن سعيد بن المسيب أَن العقد عليها يُحلُّها للأَول[٤]، وخُطِّئ هذا القول؛ لخلافه الحديثَ الصحيحَ، ويتأَول على سعيد رحمه الله أَن الحديث لم يبلغه، ولما رأَى[٥] العقد عاملاً في منع الرجل نكاح امرأَة قد عقد عليها أَبوه، قاس عليه عمل العقد في تحليل المطلقة، [وتحليلُ المطلقة][٦] ترخيص، فلا يتم إِلا بالأوفى، ومنعُ الابن شدةٌ تدخل بأَرق الأَسباب على أَصلهم في البر والحِنث[٧].

والذي يُحِلُّ عند مالك رحمه الله: النكاحُ الصحيح والوطءُ المباح[٨]، والمحلل إِذا وافق المرأَة فلم تنكح زوجاً، ولا يُحِلُّ ذلك، ولا أَعلم في اتفاقه مع الزوجة خلافاً.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٣١٧) ومسلم (١٤٣٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٢) الإشراف لابن المنذر (٣/ ١٩٣).
(٣) الاستذكار (٥/ ٤٧٧).
(٤) انظر: الإشراف لابن المنذر (٣/ ١٩٤).
(٥) في أحمد٣ وجار الله زيادة: «أن».
(٦) ليس في أحمد٣.
(٧) يعني أن من حلف على فعل شيء لا يبر إلا بالإتيان به على أكمل وجه، ومن حلف لا يفعله حنث بأدنى شيء منه، وهذه قاعدة معروفة عند المالكية، انظر أمثلتها في مختصر خليل (ص: ٨٣)، وشروحه.
(٨) الاستذكار (٥/ ٤٤٧).

وقال عثمان بن عفان: إذا قصد المحلِّل التحليل وحده لم يحل، وكذلك إن قصدته المرأة وحدها[١].

ورخص فيه ـ مع قصد المرأة وحدها ـ إبراهيم، والشعبي إذا لم يأمر به الزوج[٢].

وقال الحسن بن أبي الحسن: إذا هم أحد الثلاثة بالتحليل لم تحل للأول[٣]، وهذا شاذٌّ. وقال سالم والقاسم: لا بأس أن يتزوجها ليُحلها إذا لم يعلم الزوجان[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ﴾ الآية؛ المعنى: إن طلقها المتزوج الثاني فلا جناح عليهما؛ أي: المرأة والزوج الأول، قاله ابن عباس[٥]، ولا خلاف فيه، والظن هنا على بابه من تغليب أحد الجائزين، وقال أبو عبيدة المعنى: أيقنا[٦]، وقوله في ذلك ضعيف.

و﴿حُدُودَ ٱللَّهِ﴾: الأمور التي أمر أن لا تُتَعدَّى.

وخص الذين يعلمون بالذكر تشريفاً لهم، وإذ هم الذين ينتفعون بما بُيِّن، أي: نُصِب للعِبرة من قول، أو صنعة، وأما إذا أردنا بالتبيين خلق البيان في القلب فذلك يوجب تخصيص الذين يعلمون بالذكر؛ لأن من طُبع على قلبه لم يَبِنْ له شيءٌ.

وقرأ السبعة: ﴿يُبَيِّنُهَا﴾ بالياء، وقرأ عاصم فيما روي عنه: (نُبَيِّنُهَا) بالنون[٧].

---

(١) له إسنادان فيهما مقال، وليس بهذه الألفاظ، هذا الأثر أخرجه البيهقي في الكبرى (٧/ ٢٠٨-٢٠٩) من طريقين فيهما مقال، ولا يثبت فيهما الاتصال، ولفظ أحدهما: رفع إلى عثمان أمر رجل تزوج امرأة ليحللها لزوجها، ففرق بينهما، وقال: لا ترجع إليه إلا بنكاح رغبة غير دلسة.

(٢) انظر: الإشراف لابن المنذر (٣/ ١٩٥).

(٣) انظر: الأوسط لابن المنذر (٩/ ٢٧٧).

(٤) انظر: الاستذكار (٥/ ٤٤٩).

(٥) أخرجه الطبري (٤/ ٥٩٧) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٦) مجاز القرآن (١/ ٧٤).

(٧) هي رواية المفضل عن عاصم كما في السبعة لابن مجاهد (ص: ١٨٣)، قال: وهو غلط.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ الآية، خطاب للرجال لا يختص بحكمه إلا الأَزواج، وذلك نهيٌ للرجل أَن يطول العدة على المرأَة مضارَّةً منه لها، بأَن يرتجع قرب انقضائها، ثم يطلق بعد ذلك، قاله الضحاك وغيره(١)، ولا خلاف فيه.

ومعنى ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: قارَبْن؛ لأَن المعنى يضطر إِلى ذلك؛ لأَنه بعد بلوغ الأَجل لا خيار له في الإِمساك.

ومعنى ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: راجعوهن، و﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ قيل: هو الإِشهاد، ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ﴾ أَي: لا تراجعوهن ضراراً، وباقي الآية بيِّنٌ.

قوله عز وجل: ﴿... وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾.

قوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا﴾ / المراد: آياته النازلة في الأَوامر والنواهي. [١/ ١٤٩]

وقال الحسن: نزلت هذه الآية فيمن طلق لاعباً أَو هازلاً، أَو راجع كذلك(٢)، وقالته(٣) عائشة(٤)، وقال رسول الله ﷺ: ثلاث جِدُّهن جِد، وهزلهن جِد: النكاح، والطلاق، والرجعة(٥).

(١) تفسير الطبري (٥/ ١٠).
(٢) تفسير الطبري (٥/ ١٣)، والنكت والعيون للماوردي (١/ ٢٩٧)، والهداية لمكي (١/ ٧٧٤).
(٣) في نور العثمانية: «وقالت».
(٤) لم أجده.
(٥) ضعيف الإسناد صحيح المعنى، أخرجه أبو داود (٢١٨٨)، والترمذي (١٢٢٠)، وابن ماجه (٢٠٣٩)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٤١)، كلهم من طريق عبد الرحمن بن حبيب بن أردك، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن ماهك، عن أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به. وهذا إسناد ضعيف، عبد الرحمن بن أردك قال فيه النسائي: منكر الحديث. ولا يسند هذا الحديث إلا من هذا الوجه، كما قاله ابن عبد البر.=

ووقع هذا الحديث في «المدونة» من كلام ابن المسيب: النكاح، والطلاق، والعتق[(١)].

ثم ذكَّر الله عباده بإنعامه عليهم بالقرآن والسنة.

و(الحكمة) هي السنة المبيِّنة على لسان رسول الله ﷺ مُرادَ الله فيما لم يُنَصَّ عليه في الكتاب.

والوصف بـ﴿عَلِيمٌ﴾ يقتضيه ما تقدم من الأَفعال التي ظاهرها خلاف النية فيها كالمحلِّل، والمُرْتَجع مُضَارَّة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ الآية خطابٌ للمؤمنين الذين منهم الأَزواج، ومنهم الأَولياءُ؛ لأَنهم المراد في ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾.

و«بلوغ الأَجل» في هذا الموضع: تَنَاهِيه؛ لأَن المعنى يقتضي ذلك.

وقد قال بعض الناس [في هذا الموضع][(٢)]: إِن المراد بـ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾ الأزواج[(٣)]، وذلك بأَن يكون الارتجاع مضارة عضلاً عن نكاح الغير، فقوله: ﴿أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ على هذا يعني به الرجال إِذ منهم الأَزواج، وعلى أَن المراد بـ ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾ الأَولياءُ، فالأَزواج هم الذين كنَّ في عصمتهم.

و«العَضْل»: المنع من الزواج، وهو من معنى التضييق والتعسير كما يقال: أَعضلتِ الدجاجةُ إِذا عسُر بيضُها، والداءُ العُضَال: العسير البُرءِ.

= وقد روى ابن جريج، عن عطاء قوله: قال: من نكح لاعباً أو طلق فقد جاز، وقال: لا لعب في الطلاق والنكاح. رواه عن ابن جريج: عبد الرزاق في مصنفه (٦/ ١٣٣).
وقال ابن عبد البر في الاستذكار (٥/ ٥٤٢): لو كان ـ والله أعلم ـ صحيحاً عن عطاء [يعني المرفوع] لما خفي [يعني عن ابن جريج]، فإنه أقعد الناس بعطاء وأثبتهم فيه، ولكن المعنى صحيح عند العلماء، لا أعلمه يختلفون فيه.

(١) انظر: المدونة (٥/ ٢٩٠).

(٢) من المطبوع.

(٣) معاني القرآن للأخفش (١/ ١٤٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٠٣).

وقيل[١]: نزلت هذه الآية في معقل بن يسار[٢] وأُخته[٣]، وقيل: في جابر بن عبد الله وذلك أن رجلاً طلق أخته، [وقيل: بنته[٤]][٥]، وتركها حتى تمت عدتها، ثم أَراد ارتجاعها فغار جابر، وقال: تركتها وأَنت أَملكُ بها، لا زوَّجْتُكَها أَبداً، فنزلت الآية[٦].

وهذه الآية تقتضي ثبوت حق الولي في إِنكاح وليته، وأَن النكاح يفتقر إِلى ولي، خلاف قول أَبي حنيفة: إِن الولي ليس من شروط النكاح[٧].

وقوله: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ معناه: المهر والإِشهاد.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ﴾ خِطَابٌ للنبي ﷺ، ثم رجوع إِلى خطاب الجماعة، والإِشارة في ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ﴾ إِلى ترك العضْل.

و﴿أَزْكَىٰ﴾ و(أَطْهَر) معناه: أَطيب للنفس، وأَطهرُ للعِرض والدين، بسبب العلاقات التي تكون بين الأَزواج، وربما لم يعلمها الولي[٨]، فيؤدي العضل إِلى الفساد والمخالطة على مالا ينبغي، والله تعالى يعلم من ذلك مالا يعلم البشر.

قوله عز وجل: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ...﴾.

---

(١) ليس في المطبوعة.

(٢) معقل بن يسار بن عبد الله المزني، أسلم قبل الحديبيّة، وشهد بيعة الرضوان، قال البغويّ: هو الذي حفر نهر معقل بالبصرة بأمر عمر، فنسب إليه، ونزل البصرة، وبنى بها داراً، ومات بها في خلافة معاوية، الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ١٤٦).

(٣) أخرجه البخاري (**٤٥٢٩**) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه.

(٤) في المطبوع: «بنت عمه»، قال في حاشيته: «أي: بنت عم جابر».

(٥) ليس في نور العثمانية.

(٦) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٥/ ٢١)، من طريق أسباط بن نصر، عن السدي به معضلاً.

(٧) انظر قول أبي حنيفة في: المبسوط للسرخسي (٥/ ١٠)، وانظر بقية الأقوال في: الإشراف لابن المنذر (٣/ ١٧).

(٨) في أحمد**٣** وجار الله: «الأولياء».

﴿يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ﴾ خبر معناه الأَمر على الوجوب لبعض الوالدات، والأَمر على جهة الندب والتخيير[١] لبعضهن، فأَما المرأَة التي في العصمة فعليها الإِرضاع وهو عرفٌ يلزم؛ إِذ قد صار كالشرط[٢]، إِلا أَن تكون شريفة ذات ترَفُّه فعُرْفُها أَلا ترضع، وذلك كالشرط[٣].

فإِن مات الأَب ولا مال للصبي فمذهب مالك في «المدونة» أَن الرضاع لازم للأُم بخلاف النفقة[٤]، وفي «كتاب ابن الجلاب»[٥]: رضاعه في بيت المال[٦]، وقال عبد الوهاب[٧]: هو من فقراءِ المسلمين[٨].

وأَما المطلقة طلاق بينونة فلا رضاع عليها، والرضاع على الزوج إِلا أَن تشاءَ هي، فهي أَحق به بأُجرة المثل، هذا مع يُسر الزوج، فإِن كان معدماً لم يلزمها الرضاع إِلا أَن يكون المولود لا يقبل غيرها فتجبر حينئذ على الإِرضاع، ولها أَجر مثلها في يسر الزوج، وكل من يلزمُها الإِرضاع فإِن أَصابها عذر يمنعها منه عاد الإِرضاع على الأَب[٩].

وروي عن مالك: أَن الأَب إِذا كان معدماً ولا مال للصبي فإِن الرضاع على

---

(١) ليس في المطبوعة.

(٢) في أحمد**٣** وجار الله: «كالمشروط»، وأشار لها في هامش السليمانية.

(٣) انظر: الأوسط لابن المنذر (**٩/ ٨٥**).

(٤) انظر: المدونة (**٦/ ٣٧٨**).

(٥) هو الفقيه المالكي أبو القاسم عبيد الله بن الجلاب البصري، المتوفى سنة (**٣٧٨هـ**)، صاحب كتاب التفريع في المذهب المالكي انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (**١/ ٤٩٠**).

(٦) انظر: التفريع لابن الجلاب (**٢/ ١١٢**).

(٧) هو الفقيه المالكي أبو محمد عبد الوهاب بن نصر، المتوفى سنة (**٤٢٢هـ**)، مؤلف الكتب العديدة في الفقه المالكي كالمعونة والتلقين وغيرها، انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (**٢/ ٢٧**).

(٨) انظر: المعونة على مذهب عالم المدينة للقاضي عبد الوهاب (**١/ ٦٣٨**).

(٩) انظر: تهذيب المدونة (**١/ ٤٤٤-٤٤٥**).

الأُم[١]، فإِن كان بها عذر ولها مال فالإرضاع عليها في مالها[٢].

وهذه الآية في المطلقات، قاله[٣] السدي، والضحاك، وغيرهما[٤]، جعلها الله حدّاً عند اختلاف الزوجين في مدة الرضاع، فمن دعا منهما إِلى إِكمال الحولين فذلك له.

وقال جمهور المفسرين: إِن هذين الحولين لكل ولد[٥].

وروي عن ابن عباس أَنه قال: هي في الولد الذي يمكث في البطن ستة أَشهر، فإِن مكث سبعة [أَشهر فرضاعه ثلاثة وعشرون شهراً، فإِن مكث ثمانية أَشهر فرضاعه اثنان وعشرون شهراً، فإِن مكث تسعة أَشهر فرضاعه أَحد وعشرون شهراً[٦]][٧].

قال القاضي أبو محمد: كأَن هذا القول انْبَنى على قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]؛ لأَن[٨] ذلك حكم على الإنسان عموماً.

وسُمي العام حوْلاً؛ لاستحالة الأُمور فيه في الأَغلب.

ووصفهما بكامِلَيْنِ إِذْ مما قد اعتيد تجوزاً أَن يقال في حول وبعض آخر[٩]: حولين، وفي يوم وبعض آخر: مشيت يومين، وصبرت عليك في دْيني يومين وشهرين.

---

(١) انظر: المدونة (٦/ ٣٧٨).

(٢) انظر: النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني (٥/ ٥٢)، والبيان والتحصيل لابن رشد (٥/ ٣٩٠).

(٣) في السليمانية زيادة: «ابن عباس و»، وفيها: «وغيرهم».

(٤) تفسير الطبري (٥/ ٣٨، ٣٩).

(٥) المصدر السابق (٥/ ٣٩).

(٦) إسناده جيد، هذا الأثر أخرجه الطبري (٥/ ٣٤)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٤٦٢)، كلاهما من طريق عبد الوهاب ـ هو الثقفي ـ عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٧) في أحمد٣ وجار الله بدلاً منه: «نقص من الحولين شهر، فإن مكث ثمانية فشهران، وإن مكث تسعة فثلاثة».

(٨) في المطبوع: «إلا أن».

(٩) في السليمانية: «حول»، وفي المطبوع زيادة: «في».

وقوله تعالى: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ مبنيٌّ على أَن الحولين ليسا بفرض لا يُتجاوز(١).

وقرأ السبعة: ﴿أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ بضم الياء، ونصب الرضاعة.

وقرأ مجاهد، وابن محيصن، وحميد، والحسن، وأَبو رجاءٍ: (تَتِمَّ الرَّضَاعَةُ) بفتح التاءِ الأُولى ورفع الرضاعة(٢)، على إِسناد الفعل إِليها.

وقرأ أَبو حيوة، وابن أَبي عبلة، والجارود بن أَبي سبرة كذلك، إِلا أَنهم كسروا الراءَ من (الرِّضاعَةُ)(٣)، وهي لغة كالحَضارة والحِضارة وغير ذلك.

وروي عن مجاهد أَنه قرأَ: (الرَّضعة) على وزن الفَعْلَة(٤).

وروي عن ابن عباس أَنه قرأَ: (أَن يُكمِلَ الرضاعة) بالياءِ المضمومة(٥).

وانتزع مالك رحمه الله، وجماعة من العلماءِ من هذه الآية أَن الرضاعة المُحَرِّمة الجارية مجرى النسب إِنما هي ما كان في الحولين؛ لأَن بانقضاءِ الحولين تمت الرضاعة، فلا رضاعة(٦).

---

(١) انظر: الأوسط لابن المنذر (٨/ ٥٥٧، و٩/ ٨٥).

(٢) انظر عزوها لمجاهد وحميد وابن محيصن في إعراب القرآن للنحاس (١/ ١١٥)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٧٧٩)، ولهم جميعاً في البحر المحيط (٢/ ٤٩٨)، ونقلها في تفسير الطبري (٥/ ٤٣) عن بعض أهل الحجاز.

(٣) انظر عزوها للجارود في: مختصر الشواذ (ص: ٢١)، وزاد أبا رجاء، وللباقيين في تفسير القرطبي (٣/ ١٦٢).

(٤) انظر عزوها له في: مختصر الشواذ (ص: ٢١)، وتفسير الثعلبي (٢/ ١٨١)، وزاد ابن محجن، وهي قراءة شاذة.

(٥) انظرها في تفسير الثعلبي (٢/ ١٨١)، وضبطها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٢١) (أن تكملوا الرضاعة)، وهي قراءة شاذة.

(٦) انظر: قول مالك ومن قال بقوله في: المقدمات الممهدات (١/ ٤٩٣)، وبداية المجتهد (٢/ ٣٧)، والأوسط لابن المنذر (٨/ ٥٥٨).

وروي عن قتادة أَنه قال: هذه الآية تضمنت فرض الإِرضاع على الوالدات، ثم يُسِّر ذلك وخُفِّف بالتخيير الذي في قوله: ﴿لِمَنْ أَرَادَ﴾[١]، وهذا قول متداعٍ[٢].

/ قوله عزّ وجلّ: ﴿... وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ...﴾. [١/ ١٥٠]

﴿ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾: اسم جنس وصنف من الرجال، و«الرزق» في هذا الحكم: الطعام الكافي.

وقوله: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يجمع حسن القدر في الطعام، وجودة الأَداءِ له، وحسن الاقتضاءِ من المرأَة.

ثم بين تعالى أَن الإِنفاق على قدر غنى الزوج ومنصبها بقوله: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿تُكَلَّفُ﴾ بضم التاءِ، ﴿نَفْسٌ﴾ على ما لم يُسَم فاعله.

وقرأَ أَبو رجاء: (تَكَلَّفُ) بفتح التاءِ بمعنى تتكلف، ﴿نَفْسٌ﴾ فاعله، وروى عنه أَبو الأَشهب[٣]: (لا نُكلِّفُ) بالنون (نفساً) بالنصب[٤].

وقرأَ أَبو عمرو، وابن كثير، وأَبان عن عاصم: ﴿لا تُضَارُّ والدةٌ﴾ بالرفع في

(١) تفسير الطبري (٥/ ٣٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٢٩).

(٢) في المطبوع: «مبتدع»، وكانت في الأصل، وتم تصحيحها في هامشها.

(٣) هو جعفر بن حيان أبو الأشهب العطاردي البصري الحذاء، قرأ على رجاء العطاردي، قرأ عليه يعقوب ابن إسحاق الحضرمي، ولد سنة (٧٠)، ومات سنة (١٦٥هـ). غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ١٩٢).

(٤) كلاهما شاذة، انظر عزو الأولى له في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٧٧٩)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ١١٥)، قال: وكان فصيحاً، وعزو الثانية له في مختصر الشواذ (ص: ٢١)، والشواذ للكرماني (ص: ٩٣)، دون ذكر أبي الأشهب، وهي مخالفة لرسم المصحف.

الراء[١]، وهو خبر معناه الأمر، ويحتمل أن يكون الأصل (لا تضارِرُ) بكسر الراءِ الأولى، فـ﴿وَٰلِدَةٌۢ﴾ مفعولٌ لم يُسَم فاعله، ويعطف ﴿مَوۡلُودٞ﴾ على هذا الحد في الاحتمالين.

وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وعاصم: ﴿لَا تُضَآرَّ﴾ بفتح الرَّاءِ المشددة، وهذا على النهي، ويحتمل أصله ما ذكرنا في الأُولى.

ومعنى الآية في كل قراءَة: النهيُ عن أَن تُضار الوالدة زوجها المطلق بسبب ولدها، وأَن يضارها هو بسبب الولد، أَو يضار الظئر؛ لأَن لفظة نهيه تعم الظئر، وقد قال عكرمة في قوله: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ﴾ معناه: الظئر[٢]، ووجوه الضرر لا تنحصر، وكل ما ذكر منها في التفاسير فهو مثال.

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أَنه قرأَ: (لا تُضَارَر) براءَين، الأُولى مفتوحة[٣].

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع: ﴿لا تُضَارْ﴾ بإِسكان الراءِ وتخفيفها[٤]، وروي عنه الإِسكان والتشديد[٥]، وروي عن ابن عباس: (لا تُضَارِر) بكسر الراءِ الأُولى[٦].

واختلف العلماءُ في معنى قوله: ﴿وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَ﴾:

---

(١) انظر قراءة أبي عمرو وابن كثير، والباقين ومنهم ابن عامر في: التيسير (ص: ٨١)، ورواية أبان في السبعة لابن مجاهد (ص: ١٨٣)، لكن نقل الأزهري في معاني القراءات (١/ ٢٠٥) عن ابن مجاهد عنه (تضارر)، وأنه قال: (كذا هو في كتابي راءين)، وهذا هو الموافق لما في إعراب القرآن للنحاس (١/ ١١٦)، وتفسير الثعلبي (٢/ ١٨٢)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٧٨٠)، وليس من طرق التيسير.

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٥١)، والنكت والعيون للماوردي (١/ ٣٠٠).

(٣) تفسير الثعلبي (٢/ ١٨٢)، وهي قراءة شاذة لمخالفتها للرسم العثماني.

(٤) وهي قراءة صحيحة نقلها ابن الجزري في النشر (٢/ ٢٦٠).

(٥) المحتسب لابن جني (١/ ١٢٥)، وهي قراءة شاذة.

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٧٨٠)، وهي قراءة شاذة.

فقال قتادة، والسدي، والحسن، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وغيرهم: هو وارث الصبي أن لو مات[١]، قال بعضهم: وارثه من الرجال خاصة يلزمه الإِرضاع كما كان يلزم أَبا الصبي لو كان حياً، وقاله مجاهد، وعطاءٌ، وقال قتادة أَيضاً وغيره: هو وارث الصبي من كان من الرجال والنساءِ، ويلزمهم إِرضاعه على قدر مواريثهم منه[٢].

وحكى الطبري عن أَبي حنيفة، [وأَبي يوسف، ومحمد بن الحسن][٣] أَنهم قالوا: الوارث الذي يلزمه إِرضاعُ المولود هو وليُّه ووارثه إِذا كان ذا رحم محرم منه، فإِن كان ابن عم وغيره وليس بذي رحم محرم فلا يلزمه شيء[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وفي هذا القول تحكُّمٌ.

وقال قبيصة بن ذؤَيب، والضحاك، وبشير بن نصر قاضي عمر بن عبد العزيز[٥]: الوارث هو الصبي نفسه، أَي: عليه في ماله إِذا ورث أَباه إِرضاع نفسه[٦].

وقال سفيان رحمه الله: الوارث هو الباقي من والدَي المولود بعد وفاة الآخر منهما[٧]، ويرى مع ذلك ـ إِن كانت الوالدة هي الباقية ـ أَن يشاركها العاصب في إِرضاع المولود على قدر حظه من الميراث[٨].

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٥٤، ٥٥).
(٢) المصدر السابق (٥/ ٥٤ - ٥٩).
(٣) في أحمد٣ وجار الله: «وصاحبيه».
(٤) تفسير الطبري (٥/ ٥٨).
(٥) كذا في جميع النسخ، ولعل الصواب أنه بشير بن النضر بن بشير بن عمرو قاضي مصر، وأن الذي ولاه عليها عبد العزيز والد عمر، توفي في أول سنة سبعين، وولي القضاء بعده عبد الرحمن الخولاني، وكان رزقه في العام ألف دينار، تاريخ الإسلام (٥/ ٧٨)، وأخبار القضاة (٣/ ٢٢٤)، وتاريخ ابن يونس المصري (١/ ٦٩)، وكتاب الولاة والقضاة للكندي (ص: ٢٢٧)، مع نسبة القول له.
(٦) تفسير الطبري (٥/ ٥٨ و٥٩).
(٧) المصدر السابق (٥/ ٦٠).
(٨) انظر: الأوسط لابن المنذر (٩/ ٨٣).

ونص هؤلاءِ الذين ذكرت أَقوالهم على أَن المراد بقوله تعالى: ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ الرزق والكسوة، وذكر ذلك أَيضاً من العلماءِ إِبراهيم النخعي، [وعبيد الله بن عبد الله ابن عتبة ابن مسعود](١)، والشعبي، والحسن(٢)، وابن عباس(٣) وغيرهم.

وقال مالك رحمه الله في «المدونة»(٤)، وجميع أَصحابه، والشعبي أَيضاً، والزهري(٥)، والضحاك، وجماعة من العلماءِ: بل المراد بقوله: ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ أَلَّا يُضار، وأَما الرزق والكسوة فلا شيءَ عليه منه(٦).

وروى ابن القاسم عن مالك أَن الآية تضمنت أَن الرزق والكسوة على الوارث، ثم نُسخ ذلك(٧).

فالإِجماع من الأُمة أَن لا يضار الوارث(٨)، والخلاف هل عليه رزق وكسوة أَم لا؟

وقرأَ يحيى بن يعمر: (وَعَلَى الْوَرَثَة مِثْلُ ذَلِكَ) بالجمع(٩).

---

(١) في أحمد٣: «عبد الله بن مسعود». وهو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، الهذلي المدني الضرير، أحد الفقهاء السبعة، روى عن عائشة وأبي هريرة وعنه الزهري، وأبو الزناد، وآخرون كثيرون، وكان إماماً حجةً حافظاً مجتهداً، توفي سنة (٩٧هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٤٢١).

(٢) انظر قول عبيد الله والنخعي في تفسير الطبري (٥/ ٦١)، ونقل عن الشعبي والحسن أنه الرضاع.

(٣) إسناده منقطع، أخرجه الطبري (٥/ ٦٢-٦٣) من طريق ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس قال: نفقته حتى يفطم، إن كان أبوه لم يترك له مالاً. ابن جريج لم يسمع عطاء، وعطاء لم يلق ابن عباس.

(٤) زيادة من المطبوعة وفيض الله، انظر: المدونة (٦/ ٢٥٥).

(٥) ليس في الأصل وفيض الله.

(٦) انظر في: تفسير الطبري قول الضحاك (٥/ ٦٣)، وقول الشعبي (٥/ ٦٦)، وانظر قول الزهري في: تفسير الثعلبي (٢/ ١٨٣).

(٧) انظر قول ابن القاسم في: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٢٧٦).

(٨) انظر نقل الإجماع في: تفسير القرطبي (٣/ ١٧٠)، وقد شكك فيه أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٥٠٦).

(٩) الشواذ للكرماني (ص: ٩٢)، وهي قراءة شاذة.

قوله عز وجل: ﴿... فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾.

الضمير في ﴿أَرَادَا﴾ للوالدين، و﴿فِصَالًا﴾ معناه: فطاماً عن الرضاع، ولا يقع التشاور ولا يجوز التراضي إلا بما لا ضرر فيه على المولود، فإذا ظهر من حاله الاستغناءُ عن اللبن قبل تمام الحَوْلَيْنِ فلا جناح على الأَبوين في فصله، هذا معنى الآية، وقاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد، وسفيان وغيرهم[١].

وقال ابن عباس: لا جناح مع التراضي في فصله قبل الحَوْلَيْنِ وبعدهما[٢].

وتحرير القول في هذا: أَن فصله قبل الحولين لا يصح إلا بتراضيهما، وأَن لا يكون على المولود ضرر، وأَما بعد تمامهما فمن دعا إلى الفصل فذلك له، إلا أَن يكون في ذلك على الصبي ضرر.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟﴾ مخاطبة لجميع الناس، تجمع الآباءَ والأُمهات، أَي: لهم اتخاذ الظئر مع الاتفاق على ذلك.

وأَما قوله تعالى: ﴿إِذَا سَلَّمْتُم﴾ فمخاطبة للرجال خاصة إلا على أَحد التأْويلين في قراءَة من قرأَ ﴿أَتيْتُمْ﴾.

وقرأَ الستة من السبعة: ﴿ءَاتَيْتُم﴾ بالمد، المعنى: أَعطيتم، وقرأَ ابن كثير: ﴿أَتيْتُم﴾[٣] بمعنى: ما جئتم وفعلتم، كما قال زهير:

[الطويل]
وَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا ... تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ[٤]

(١) انظر قولهم في: تفسير الطبري (٥/ ٦٨ و٦٩)، وقد سقط ذكر سفيان وقتادة من الحمزوية.
(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٦٧) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٣) السبعة لابن مجاهد (ص: ١٨٣)، والتيسير للداني (ص: ٨١).
(٤) البيت لزهير بن أبي سلمى كما في الحجة لأبي علي (٢/ ٢٣٣)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٦٨)، والصناعتين (ص: ١٠٢)، والبديع في نقد الشعر (١/ ٣٠)، والعقد الفريد (١/ ٢٤٦)، والزهرة (١/ ١٧٧).

قال أَبو علي: المعنى: إِذا سلمتم ماأتيتم نقده أَو إِعطاءَه أَو سوقه، فحُذف المضاف، وأُقيم الضمير مقامه، فكأَن التقدير: ما أتيتموه، ثم حذف الضمير من الصلة(١).

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل اللفظ معنى آخر قاله قتادة وهو: إِذا سلمتم ما أتيتم / من إِرادة الاسترضاع(٢)، أَي: سلَّم كل واحد من الأَبوين ورضي، وكان ذلك عن اتفاق منهما، وقصد خير، وإِرادة معروف من الأَمر. [١/ ١٥١]

وعلى هذا الاحتمال فيدخل في الخطاب بـ﴿سَلَّمْتُم﴾ الرجالُ والنساءُ، وعلى التأْويل الذي ذكر أَبو علي وغيرُه فالخطاب للرجال؛ لأَنهم الذين يعطون أَجر الرضاع.

قال أَبو علي: ويحتمل أَن تكون ﴿مَّآ﴾ مصدرية، أَي: إِذا سلمتم الإِتيان(٣)، والمعنى كالأَول، لكن يستغنى عن الصنعة(٤) من حذف المضاف، ثم حذف الضمير.

قال مجاهد: المعنى: إِذا سلمتم إِلى الأُمهات أَجرهن بحساب ما أَرضعن إِلى وقت إِرادة الاسترضاع، وقال سفيان: المعنى: إِذا سلمتم إِلى المسترضعة وهي الظئر أَجرها بالمعروف(٥).

وباقي الآية أَمر بالتقوى، وتوقيف على أَن الله تعالى بصيرٌ بكل عمل، وفي هذا وعيد وتحذير، أَي: فهو مجاز بحسب عملكم.

قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ...﴾.

---

(١) الحجة لأبي علي (٢/ ٣٣٦).
(٢) تفسير الطبري (٥/ ٧٣).
(٣) الحجة لأبي علي (٢/ ٣٣٦).
(٤) في نور العثمانية: «الصيغة».
(٥) انظر القولين في: تفسير الطبري (٥/ ٧٢، ٧٣).

قال بعض نحاة الكوفيين: الخبر عن (الذين) متروك، والقصد الإِخبار عن أَزواجهم بأَنهن يتربصن[١].

ومذهب نحاة البصرة: أَن خبر (الذين) مترتب بالمعنى[٢]، وذلك أَن الكلام إِنما تقديره: يتربص أَزواجهم ـ، وإِن شئتَ قدَّرته: وأَزواج الذين يتوفون منكم يتربصن، فجاءَت العبارة في غاية الإِيجاز، وإِعرابها مترتب على هذا المعنى المالك لها المتقرر[٣] فيها.

وحكى المهدوي عن سيبويه: أَن المعنى: وفيما يتلى عليكم الذين يتوفون[٤]، ولا أَعرف هذا الذي حكاه؛ لأَن ذلك إِنما يتجه إِذا كان في الكلام لفظ أَمر بعدُ، مثل قوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟﴾ [المائدة: ٣٨]، وهذه الآية فيها معنى الأَمر لا لفظه، فيحتاج مع هذا التقدير إِلى تقدير آخر يستغنى عنه إِذا حضر لفظ الأَمر، وحسَّن مجيءَ الآية هكذا أَنها توطئة لقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾؛ إِذ القصد بالمخاطبة من أَول الآية إِلى آخرها الرجال الذين منهم الحكَّام والنَّظَرة[٥]، وعبارة المبرد والأَخفش ما ذكرناه[٦].

وهذه الآية هي في عدة المتوفى عنها زوجها، وظاهرها العموم، ومعناها الخصوص في الحرائر غير الحوامل، ولم [تعن الآية لما][٧] يشذ من مرتابة ونحوها.

---

(١) هذا مذهب الكسائي في معاني القرآن (١/ ٩١)، والفراء في معاني القرآن (١/ ١٥٠).
(٢) انظر: مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٩٩).
(٣) في أحمد٣ وجار الله: «المتقدر».
(٤) انظر التحصيل للمهدوي (١/ ٤٣٦)، ونقله عنه أيضاً مكي في مشكل إعراب القرآن (١/ ١٣١).
(٥) في المطبوع: «النظار».
(٦) معاني القرآن للأخفش الأوسط (١/ ١٧٦)، وانظر قول المبرد في: مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١٣١).
(٧) في المطبوع: «يعن بالآية ما».

وحكى المهدوي عن بعض العلماءِ: أَن الآية تناولت الحوامل، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ﴾ [الطلاق: ٤][١].

وعدة الحامل وضع حملها عند جمهور العلماءِ، وروي عن علي بن أَبي طالب، وابن عباس، وغيرهما: أَن تمام عدتها آخر الأَجلين[٢].

و«التربص»: الصبر[٣] والتأَني بالشخص في مكان، أَو حال، وقد بين تعالى ذلك بقوله: ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾، والأَحاديث عن النبي ﷺ متظاهرة أَن التربص بِإِحْداد هو الامتناع عن الزينة ولبسِ المصبوغ الجميل[٤]، والطِّيبِ ونحوه، والتزامُ المبيت في مسكنها، حيث كانت وقت وفاة الزوج، وهذا قول جمهور العلماءِ[٥]، وهو قول مالك وأَصحابه[٦].

وقال ابن عباس، وأَبو حنيفة ـ فيما روي عنه ـ وغيرهما: ليس المبيت بمراعى، تبيت حيث شاءَت[٧].

وقال الحسن بن أَبي الحسن: ليس الإِحداد بشيءٍ، إِنما تتربص عن الأَزواج[٨]، ولها أَن تتزين وتتطيب[٩]، وهذا ضعيف.

---

(١) تفسير القرطبي (٣/ ١٧٤)، ونقله مكي في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٧٨٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه.
(٢) انظر قول الجمهور وقول علي وابن عباس في: الأوسط (٩/ ٥٢٧-٥٢٨).
(٣) في المطبوع: «التصبر».
(٤) في الحمزوية: «الجديد».
(٥) انظر: الأوسط لابن المنذر (٩/ ٥٠٥، ٥٧٣).
(٦) انظر مذهب مالك في: المدونة (٢/ ١٥).
(٧) انظر قول ابن عباس في: الأوسط لابن المنذر (٩/ ٥٠٧)، والذي فيه وفي المبسوط للسرخسي (٦/ ٣٧)، عن أبي حنيفة القول الأول.
(٨) في المطبوع: «الزواج».
(٩) انظر: الأوسط لابن المنذر (٩/ ٥٧٤).

وقرأ جمهور الناس[١]: ﴿يُتَوَفَّوْنَ﴾ بضم الياءِ، وقرأ علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: (يَتَوفَّون) بفتح الياءِ، وكذلك روى المفضل عن عاصم[٢]، ومعناه: يستوفون آجالهم.

وجعل الله الأَربعة الأَشهر والعشر عبادةً في العدة، فيها استبراءٌ للحمل؛ إِذ فيها تكمل الأَربعون، والأَربعون، والأَربعون[٣]، حسب الحديث الذي رواه ابن مسعود وغيره، ثم ينفخ الروح[٤]، وجعل تعالى العشر تكملة؛ إِذ هي مظنة لظهور الحركة بالجنين، وذلك لنقص الشهور أَو كمالها، ولسرعة حركة الجنين أَو إِبطائها، قاله سعيد ابن المسيب، وأَبو العالية وغيرهما[٥].

وقال تعالى: ﴿وَعَشْرًا﴾ ولم يقل: (عَشَرَةً) تغليباً لحكم الليالي؛ إِذ الليلة أَسبق من اليوم، والأَيام في ضمنها، و(عشر) أَخف في اللَّفظ.

قال جمهور أَهل العلم: ويدخل في ذلك اليوم العاشر، وهو من العدة؛ لأَن الأَيام مع الليالي[٦]، وحكى منذر بن سعيد[٧]، وروي أَيضاً عن الأَوزاعي: أَن اليوم العاشر ليس من العدة بل انقضت بتمام عشر ليال[٨].

---

(١) في الحمزوية: «العلماء».

(٢) انظر عزوها لهما في: مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٢)، والمحتسب لابن جني (١/ ١٢٥)، ولرواية المفضل في جامع البيان في القراءات السبع (٢/ ٩١٥)، والكامل للهذلي (ص: ٥٠٥)، وهي قراءة شاذة.

(٣) سقطت «الأربعون» الثالثة من نور العثمانية.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٢٠٨) ومسلم (٢٦٤٣).

(٥) تفسير الطبري (٥/ ٩٢)، والنكت والعيون للماوردي (١/ ٣٠٢).

(٦) انظر: الأوسط لابن المنذر (٩/ ٥٤٣).

(٧) هو الفقيه القاضي منذر بن سعيد بن عبد الله النفزي، الأندلسي، المتوفى سنة (٣٥٥هـ). انظر: تاريخ قضاة الأندلس لأبي الحسن النباهي المالقي الأندلسي (١/ ٦٦-٧٥).

(٨) انظر: قول الأوزاعي في الأوسط لابن المنذر (٩/ ٥٤٣)، لم أقف على نسبته لمنذر.

قال المهدوي: وقيل: المعنى: وعشر مدد، كل مدة من يوم وليلة[١].

وروي عن ابن عباس أنه قرأ: (أَربعة أَشهر وعشر ليالٍ)[٢].

قوله عز وجل: ﴿... فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٣٤﴾.

أَضاف تعالى الأَجل إِليهن؛ إِذ هو محدود مضروب في أَمرهن.

والمخاطبة بقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ عامة لجميع الناس، والتلبس بهذا الحكم هو للحكام والأَولياءِ اللاصقين، والنساءِ المعتدات.

وقوله عز وجل: ﴿فِيمَا فَعَلْنَ﴾ يريد به التزوج فما دونه، من التَّزين، واطِّراح الإِحداد، قال مجاهد، وابن شهاب، وغيرهما: أَراد بما فعلن النكاح لمن أَحببن إِذا كان معروفاً غير منكر[٣]، ووجوه المنكر في هذا كثيرة.

وقال بعض المفسرين: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ معناه بالإِشهاد.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ وعيدٌ يتضمن التحذير، و﴿خَبِيرٞ﴾ اسم فاعل من خَبُرَ: إِذا تقصَّى علم الشيء.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا...﴾.

[١/ ١٥٢] المخاطبة بهذه الآية لجميع الناس، والمباشر لحكمها / هو الرجل الذي في نفسه تزويج معتدة.

---

(١) نقله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٩)، وتفسير السمعاني (١/ ٢٣٩) عن محمد بن يزيد المبرد.

(٢) وهي قراءة شاذة.انظر: تفسير الثعلبي (٢/ ١٨٥)، والشواذ للكرماني (ص: ٩٣).

(٣) تفسير الطبري (٥/ ٩٤).

و«التعريض»: هو الكلام الذي لا تصريح فيه، كأَنه يعرِّض لفكر المتكلم به.

وأَجمعت الأُمة على أَن الكلام مع المعْتَدَّة بما هو نص في تزويجها، وتنبيه عليه، لا يجوز[١].

وكذلك أَجمعت على أَن الكلام معها بما هو رَفَث، وذكر جماع، أَو تحريض عليه، لا يجوز[٢]، وجُوِّز ما عدا ذلك.

ومن أَعظمه قرباً إِلى التصريح قولُ النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس: «كوني عند أُمِّ شريك، ولا تسبقيني بنفسك»[٣].

ومن المجوز قول الرجل: إِنك لإلى خير، وإِنك لمرغوب فيك، وإِني لأَرجو أَن أَتزوجك، وإِن يقدر أَمر يكن، هذا هو تمثيل مالك، وابن شهاب، وكثير من أَهل العلم في هذا[٤].

وجائز أَن يمدح نفسه، ويذكر مآثره على جهة التعريض بالزواج، وقد فعله أَبو جعفر محمد بن علي بن حسين[٥]، واحتج بأَن النبي ﷺ فعله مع أُم سلمة[٦].

---

(١) انظر: الأوسط لابن المنذر (٨/ ٢٣٩)، والاستذكار (٥/ ٣٨٥)، وتحفة المحتاج شرح المنهاج (٢٩/ ٢٤٩).

(٢) انظر: تحفة المحتاج شرح المنهاج (٢٩/ ٢٤٩)، وحكى النووي في المجموع (١٦/ ٢٥٧) الكراهة.

(٣) أخرجه مسلم (١٤٨٠).

(٤) انظر: الأوسط لابن المنذر (٨/ ٢٣٧)، وانظر قول مالك في: النوادر (٤/ ٥٧٤)، وقول ابن شهاب في المغني لابن قدامة (٧/ ٥٢٤).

(٥) فعله مع سكينة بنت حنظلة كما رواه الدارقطني في سننه (٣/ ٢٢٤)، وهو محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين سيد بني هاشم في زمانه، جمع العلم، والفقه، والشرف، والديانة، والثقة، والسؤدد، توفي سنة (١١٤هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٤٦٣).

(٦) المعروف تعريضه ﷺ بخطبة فاطمة بنت قيس، فقد أخرج مسلم (١٤٨٠) من حديث أبي سلمة أن النبي ﷺ قال لها لما طلقت ثلاثاً: «لا تسبقيني بنفسك»، وفي لفظ: «لا تفوتينا بنفسك».

والهدية إلى المعتدة جائزة، وهي من التعريض، قاله سحنون وكثير من العلماءِ[(١)].

وقد كره مجاهد أَن يقول: لا تسبقيني بنفسك، ورآه في المواعدة سراً[(٢)].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا عندي على أَن يتأَول قول النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس أنه على جهة الرأْي لها فيمن يتزوجها، لا أَنه أَرادها لنفسه، وإِلا فهو خلاف لقوله ﷺ.

و«الخِطبة» ـ بكسر الخاءِ ـ: فعل الخاطب من كلام وقصد واستلطاف بفعل أَو قول، يقال: خطبها يخطبها خَطباً وخِطبة، ورجل خطَّاب كثير التصرف في الخِطبة، ومنه قول الشاعر:

[الرجز] بَـرح بالعينيـن خطَّـابُ الكُثَـب يَقُـول إِنـي خاطِـبٌ وقـد كَـذبْ

وإِنَّمَـا يَـخْطُـبُ عَسّـاً مـنْ حـلَـبْ[(٣)]

والخِطبة: فِعلة كجِلسة وقِعدة، والخُطبة بضم الخاءِ: هي الكلام الذي يقال في النكاح وغيره.

و﴿أَكۡنَنتُمۡ﴾ معناه: سترتم وأَخفيتم، تقول العرب: كَنَنْتُ الشيءَ من الأَجرام، إِذا سترته في بيت، أَو ثوب، أَو أَرض ونحوه، وأَكْنَنْت الأَمر في نفسي، [ولم يسمع من العرب: كَنَنْتُهُ في نفسي][(٤)]، وتقول: أَكنَّ البيتُ الإنسانَ، ونحو هذا.

---

(١) عزاه لسحنون القرطبي في تفسيره (٣/ ١٨٩)، وانظر: النوادر والزيادات (٤/ ٥٧٣)، والذخيرة للقرافي (٤/ ١٩٢)، وحاشية رد المحتار (٣/ ١٦٩)، وإعانة الطالبين (٣/ ٣١٠).

(٢) انظر: الاستذكار (٥/ ٣٨٦)، وتفسير الطبري (٥/ ١٠٩).

(٣) الأبيات بلا نسبة في المعاني الكبير (١/ ٣٨٩)، وأساس البلاغة (٢/ ١٢٣)، وإصلاح المنطق (ص: ٣٨١)، تهذيب اللغة (٣/ ٣٦١)، والمحكم (٥/ ١٢٢)، والصحاح للجوهري (١/ ٢٠٩)، سمط اللآلي (١/ ٦٤٤). وقد سقط أول الأبيات الثلاثة من نور العثمانية.

(٤) ليس في الحمزوية.

فرفع الله الجناح عمن أَراد تزوج المعتدة مع التعريض ومع الإِكنان، ونهى عن المُواعدة التي هي تصريح بالتزوج وبناءٌ عليه، واتفاق على وعد، فرخَّص لعلمه تعالى بغلبة النفوس وطحانها(١)، وضعف البشر عن ملكها.

وقوله تعالى: ﴿سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ قال الحسن: معناه ستخطبونهن(٢)، كأَنَّه قال: إِن لم تنهوا، وقال غير الحسن: معناه علم الله أَنكم ستذكرون النساءَ المعتدات في نفوسكم وبأَلسنتكم لمن يخف عندكم، فنهى عن أَن يوصل إِلى التواعد معها؛ لما في ذلك من هتك(٣) حرمة العدة(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ ذهب ابن عباس(٥)، وابن جبير، ومالك، وأَصحابه، والشعبي، ومجاهد، وعكرمة، والسدي، وجمهور أَهل العلم إِلى أَن المعنى: لا توافقوهن بالمواعدة والتوثق وأَخذ العهود في استسرار منكم وخفية(٦)، فـ ﴿سِرًّا﴾ على هذا التأْويل نصب على الحال، أَي: مستسرين.

وقال جابر بن زيد، وأَبو مجلز لاحق بن حميد، والحسن بن أَبي الحسن، والضحاك، وإِبراهيم النخعي: السر في هذه الآية الزِّنا(٧)، أَي: لا تواعدوهن زنا.

قال القاضي أَبو محمد: هكذا جاءَت عبارة هؤلاءِ في تفسير السر، وفي ذلك

---

(١) في المطبوع: «طماحها»، قال في الصحاح (١/ ٣٨٨): قال اليزيدي: الطماح مثل الجماح، يقال: فرس فيه طماح، وطمحت المرأة مثل جمحت. ويمكن أن تقرأ في بعض النسخ: «طمحانها»، لكن لم نجد لها هنا معنى إلا أن تكون «طمحاتها» بالتاء، فالطمحات الشدائد.
(٢) تفسير الطبري (٥/ ١٠٤، ١٠٥).
(٣) في المطبوع: «هنك».
(٤) تفسير الطبري (٥/ ١٠٣).
(٥) أخرج الطبري نحوه (٥/ ١٠٧) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٦) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٥/ ١٠٧-١٠٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٣٩)، وقول مالك في تفسير القرطبي (٣/ ١٩٠).
(٧) تفسير الطبري (٥/ ١٠٥-١٠٧)

عندي نظر، وذلك أَن السر في اللغة يقع على الوطءِ، حلاله وحرامه، لكن معنى الكلام وقرينته ترد إِلى أَحد الوجهين، فمن الشواهد قول الحطيئة:

[الوافر] وَيَحْرُمُ سِـرُّ جَارَتِـهِمْ علـيْـهِمْ وَيَـأْكُلُ جارهُـمْ أَنْـفَ القِصَـاعِ[1]

فقرينة هذا البيت تُعطي أَن السر أَراد به الوطءَ حراماً، وإِلا فلو تزوجت الجارة كما يَحْسُنُ لم يكن في ذلك عار، ومن الشواهد قول الآخر:

[الطويل] أَخَـالَـتَـنَـا سِـرُّ الـنِّـسَـاءِ مُـحَـرَّمٌ عَلـيَّ وتَشْـهَادُ النَّدَامَى مـع الخَمْر
لَئِـنْ لَـمْ أُصَبِّـحْ داهِنـاً ولفِيفَهَـا وَنَاعِبَهَـا يومـاً بِرَاغِيَـةِ الْبَكْـرِ[2]

فقرينة هذا الشعر أَنه أَراد تحريم جماع النساءِ عموماً، في حرام وحلال، حتى ينال ثأْره.

والآية تعطي النهي عن أَن يواعد الرجل المعتدة أَن يطأَها بعد العدة بوجه التزويج، وأَما المواعدة في الزنا فمحرم على المسلم مع معتدة وغيرها.

وحكى مكي عن ابن جبير أَنه قال: ﴿سِرًّا﴾: نكاحاً[3]، وهذه عبارة مخلَّصة.

وقال ابن زيد: معنى قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أَي: لا تنكحوهن سراً وتكتمون ذلك، فإِذا حلت أَظهرتموه ودخلتم بهن[4].

قال القاضي أَبو محمد: فابن زيد في معنى السر مع القول الأَول، أَي: خفْيَة، وإِنما شذ في أَن سمى العقد مواعدة، وذلك قلق؛ لأَن العقد متى وقع ـ وإِن كتم ـ فإِنما

---

(١) البيت للحطيئة كما في مجاز القرآن (١/ ٧٥)، وأساس البلاغة (١/ ٣٦)، والكامل في اللغة (٢/ ٢٣٢)، والمراد (بأنف القصاع) أول ما يؤكل منها؛ لأن أنف كل شيء أوله، فالضيف يأكل أولاً، ثم ما بقي يقدم لغيره.
(٢) البيتان لمرضاوي بن سعوة المهري يخاطب خويلة خالته كما في أمالي القالي (١/ ١٢٧).
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٧٨٨).
(٤) تفسير الطبري (٥/ ١١٠).

هو في عزم العقدة، وحكى مكي عنه أنه قال: الآية منسوخة بقوله: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾[(١)].

وأجمعت الأمة على كراهية المواعدة في العدة للمرأة في نفسها، وللأب في ابنته البكر، وللسيد في أمته[(٢)]؛ قال ابن المواز: فأما الولي الذي لا يملك الجبر فأكرهه وإن نزل لم أفسخه[(٣)]. وقال مالك رحمه الله فيمن يواعد في العدة ثم يتزوج بعدها: فراقها أحب إلي، دخل بها أو لم يدخل، وتكون تطليقة واحدة، فإذا حلت خطبها مع الخطاب، هذه رواية ابن وهب، وروى أشهب عن مالك أنه يفرق بينهما إيجاباً، وقاله ابن القاسم[(٤)]، وحكى ابن حارث مثله عن ابن الماجشون، وزاد ما يقتضي أن التحريم يتأبد[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ استثناءٌ منقطع، والقول المعروف: هو ما أُبيح من التعريض، وقد ذكر الضحاك أن من القول المعروف أن يقول / الرجل [١/ ١٥٣] للمعتدة: احبسي علي نفسك، فإن لي بك رغبة، فتقول هي: وأنا مثل ذلك[(٦)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا عندي مواعدة، وإنما التعريض قول الرجل: إنكم لأكفاءٌ كرامٌ، وما قُدِّر كان، وإنك لمعجبة، ونحو هذا.

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٧٨٩).

(٢) لم أجد من نقل الإجماع على الكراهة هنا، لكن وجدت نقل الإجماع على الحرمة بشكل صريح عند أبي حيان في: البحر المحيط (٢/ ٥٢١)، وعند القرافي ناقلاً لها عن الأئمة الأربعة في الذخيرة (٤/ ١٩٢).

(٣) انظر: النوادر والزيادات لابن أبي زيد (٤/ ٥٧٤).

(٤) المصدر السابق (٤/ ٥٧٣).

(٥) انظر ما نسبه لابن الماجشون نقلاً عن ابن حارث في: تفسير القرطبي (٣/ ١٩٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٥٢٥).

(٦) تفسير الطبري (٥/ ١١٥).

قوله عز وجل: ﴿...وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾.

«عَزَمَ العقدة»: عَقدها بالإِشهاد والولي، وحينئذ تسمى عقدة.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ يريد تمام العدة، و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ هنا هو الحد الذي جُعل، والقدر الذي رُسم من المدة، سماه كتاباً؛ إِذ قدره وفرضه كتاب الله تعالى، كما قال: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]، وكما قال: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

ولا يحتاج عندي في الكلام إِلى حذف مضاف، وقد قدر أَبو إِسحاق في ذلك حذف مضاف، أَي: فرضُ الكتابِ[١]، وهذا على أَن جعل الكتاب القرآن.

واختلف أَهل العلم إِن خالف أَحد هذا النهي، وعزم العقدة قبل بلوغ الأَجل.

قال القاضي أَبو محمد: وأَنا أُفَصِّل المسأَلة إِن شاءَ الله تعالى:

أَمَّا إِن عقد في العدة وعثر عليه ففسخ الحاكم نكاحه، وذلك قبل الدخول؛ فقول عمر بن الخطاب وجماعة من العلماءِ: إِن ذلك لا يؤبّد تحريماً[٢]، وقاله مالك، وابن القاسم في «المدونة» في آخر الباب الذي يليه ضربُ أَجلِ امرأَة المفقود[٣].

وقال الجميع: يكون خاطباً من الخُطَّاب[٤].

وحكى ابن الجلاب عن مالك رواية: أَن التحريم يتأَبد في العقد في العدة، وإِن فسخ قبل الدخول[٥].

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣١٨).
(٢) انظر: الاستذكار (٥/ ٤٧٢-٤٧٣).
(٣) انظر: المدونة (٤/ ٤٥٠).
(٤) انظر: الاستذكار (٥/ ٤٧٢-٤٧٣).
(٥) انظر: التفريع لابن الجلاب (٢/ ٦٠).

وأَما إِن عقد في العدة ودخل بعد انقضائها، فقال قوم من أَهل العلم: ذلك كالدخول في العدة يتأَبد التحريم بينهما، وقال قوم من أَهل العلم: لا يتأَبد بذلك تحريم[(١)].

وقال مالك مرةً: يتأَبد التحريم، وقال مرة: وما التحريم بذلك بالبين، والقولان له في «المدونة» في طلاق السنة[(٢)].

وأَما إِن دخل في العدة فقول عمر بن الخطاب، ومالك، وجماعة من أَصحابه، والأَوزاعي، والليث، وغيرهم من أَهل العلم: أَن التحريم يتأَبد، وقول علي بن أَبي طالب رضي الله عنه، وابن مسعود، وإِبراهيم، وأَبي حنيفة، والشافعي، وجماعة من العلماءِ، وعبد العزيز بن أَبي سلمة: إِن التحريم لا يتأَبد، وإِن وطئ المعتدة[(٣)] في العدة، بل يفسخ بينهما، ثم تَعْتَدُّ منه، ثم يكون خاطباً من الخطاب[(٤)].

قال أَبو حنيفة، والشافعي: تعتد من الأَول، فإِذا انقضت العدة فلا بأْس أَن يتزوجها الآخر[(٥)]، وحكى ابن الجلاب رواية في المذهب: أَن التحريم لا يتأَبد مع الدخول في العدة، ذكرها في العالم بالتحريم المجترئ؛ لأَنه زان[(٦)].

وأَما الجاهل فلا أَعرف فيها خلافاً في المذهب[(٧)].

---

(١) القول الأول حكاه القاضي عبد الوهاب في المعونة بلا نسبة (٢/ ٥٣١)، والثاني للجمهور، انظر: الاستذكار (٥/ ٤٧٢-٤٧٣).

(٢) انظر: المدونة (٤/ ٤٢٨).

(٣) من جار الله وأحمد٣.

(٤) انظر: الاستذكار (٥/ ٤٧٢-٤٧٣)، والبيان والتحصيل لابن رشد (٤/ ٣٧٢).

(٥) انظر: «الاستذكار» (٥/ ٤٧٣)، وقول أبي حنيفة في: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٣٣)، والشافعي في: الحاوي للماوردي (١١/ ٢٨٦-٢٨٨).

(٦) انظر: التفريع لابن الجلاب (٢/ ٦٠).

(٧) انظر: الاستذكار (٥/ ٤٧٦).

حدثني أَبو علي الحسين بن محمد الغساني[١] مناولة، قال: حدثنا أَبو عمر بن عبد البر، حدثنا عبد الوارث بن سفيان[٢]، حدثنا قاسم بن أَصبغ[٣]، عن محمد بن إِسماعيل[٤]، عن نعيم بن حماد[٥]، عن ابن المبارك، عن أَشعث[٦]، عن الشعبي، عن مسروق، قال: بلغ عمر بن الخطاب أَن امرأَة من قريش تزوجها رجل من ثقيف في عدتها، فأَرسل إِليهما ففرق بينهما، وعاقبهما، وقال: لا تنكحها أَبداً، وجعل صداقها في بيت المال، وفشا ذلك في الناس، فبلغ علياً فقال: يرحم الله أَمير المؤمنين، ما بال الصداق وبيت المال؟، إِنما جهلا، فينبغي للإمام أَن يردهما إِلى السُّنة، قيل: فما تقول أَنت فيها؟ قال: لها الصَّداق بما استحل من فرجها، ويُفَرق بينهما، ولا جلد

(١) هو الْحَافِظ الإِمَام الثبت مُحدث الأندلس أَبُو عَلي الْحُسَيْن بن مُحَمَّد الغساني الجياني الأندلسي، وكان من جهابذة الحفاظ البصراء بصيراً باللغة والعربية والشعر والأنساب مع التواضع والصيانة، توفي سنة (٤٩٨هـ). طبقات الحفاظ للسيوطي (ص: ٤٥٠).

(٢) عبد الوارث بن سفيان بن جبرون، أبو القاسم القرطبي المعروف بالحبيب، سمع من قاسم بن أصبغ أكثر رواياته، وكان أوثق الناس فيه، وأكثرهم، ملازمة له، وكان شيخاً صالحاً عفيفاً، توفي لخمس بقين من ذي الحجة سنة (٣٩٥هـ). تاريخ الإسلام (٢٧/ ٣١٧).

(٣) قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن واضح أبو محمد الأندلسي القرطبي، مسند العصر بالأندلس وحافظها ومحدثها سمع: بقي بن مخلد، ومحمد بن وضاح، وأصبغ بن خليل، محمد ابن إسماعيل الصائغ، وجماعة، توفي سنة (٣٤٠هـ). تاريخ الإسلام (٢٥/ ١٩٢).

(٤) هو محمد بن إسماعيل بن سالم الصائغ القرشي، أبو جعفر مولى المهدي، بغدادي نزل مكة، سمع: روح بن عبادة، وأبا أسامة، وأبا داود الحفري، وطائفة، قال ابن أبي حاتم: صدوق، وكان من كبار المحدثين، توفي سنة (٢٧٦هـ). تاريخ الإسلام (٢٠/ ٤٣٧).

(٥) نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك أبو عبد الله الخزاعي المروزي الأعور الفارض الحافظ الفقيه، نزيل مصر، صدوق ثقة، مات في السجن، في سنة (٢٢٨هـ) في فتنة خلق القرآن. تاريخ الإسلام (١٦/ ٤٢٤).

(٦) أشعث بن سوار الكندي الكوفي الأفرق التوابيتي النجار، روى عن عكرمة والشعبي وابن سيرين وجماعة، وعنه هشيم وابن نمير وحفص بن غياث ويزيد بن هارون وآخرون، ضعفه النسائي وقواه غيره، توفي سنة (١٣٦هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٣٧٨).

عليهما، وتكمل عدتها من الأَول، [ثم تعتد من الثاني عدة كاملة ثلاثة أَقراءٍ][١]، ثم يخطبها إِن شاءَ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فخطب الناس فقال: أَيها الناس رُدُّوا الجهالات إِلى السنة[٢].

وهذا قول الشافعي، والليث في العدة من اثنين، وقال مالك، وأَصحاب الرأْي، والأَوزاعي، والثوري: عدة واحدة تكفيهما جميعاً سواءٌ كانت بالحمل أَو بالأَقراءِ أَو بالأَشهر.

وروى المدنيون عن مالك مثل قول علي بن أَبي طالب، والشافعي في إِكمال العدتين[٣].

واختلف قول مالك رحمه الله في الذي يدخل في العدة عالماً بالتحريم مجترئاً[٤]:

فمرَّةً قال: العالم والجاهل فيه سواءٌ، لا حد عليه، والصداق له لازم، والولد لاحق، ويعاقبان ولا يتناكحان أَبداً.

ومرَّةً قال: العالم بالتحريم كالزاني يُحَدُّ ولا يلحق به الولد، وينكحها بعد الاستبراءِ، والقول الأَول أَشهر عن مالك رحمه الله[٥].

---

(١) ليس في السليمانية.

(٢) مرسل، أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٣/ ١/ ٣٥٥) قال: نا سفيان عن داود بن أبي هند وعاصم الأحول عن الشعبي عن مسروق قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ردوا الجهالات إلى السنة، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٤٤٢) من طريق أسباط بن محمد ثنا أشعث عن الشعبي عن عمر فذكره في خبر، وإسناده الأول صحيح إلى مسروق، ومسروق عن عمر منقطع، وإسناد الثاني ضعيف لضعف أشعث وهو ابن سوّار، مع إرساله.

(٣) انظر قول أصحاب الرأي في: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٣٤)، وانظر قولي مالك والباقين في: الاستذكار (٥/ ٤٧٦).

(٤) في النسخة الحمزوية: «مجترماً».

(٥) انظر: الاستذكار (٥/ ٤٧٦).

وقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ إلى آخر الآية، تحذير من الوقوع فيما نهي عنه، وتوقيف على غَفره[١] وحلمه في هذه الأحكام التي بيَّن ووسع فيها من إباحة التعريض ونحوه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٣٦﴾.

هذا ابتداءُ إِخبار برفع الجناح عن المطلِّق قبل البناءِ، والجماع، فرض مهراً أَو لم يفرض.

ولما نهى رسول الله ﷺ عن التزوج لمعنى الذوق وقضاءِ الشهوة، وأَمر بالتزوج لطلب العصمة والتماس ثواب الله، وقصد دوام الصحبة ـ وقع في نفوس المؤمنين أَنَّ من طلق قبل البناءِ قد واقع جزءاً من هذا المكروه، فنزلت الآية رافعةً للجُناح في ذلك؛ إِذ كان أَصل النكاح على المقصد الحسن.

وقال قوم: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ معناه: لا طلب بجميع المهر، بل عليكم نصف المفروض لمن فرض لها، والمتعة لمن لم يفرض لها، وقال قوم: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ معناه: في أَن ترسلوا الطلاق في وقت / حيض، بخلاف المدخول بها[٢]. [١/ ١٥٤]

وقال مكي: المعنى لا جناح عليكم في الطلاق قبل البناءِ؛ لأَنه قد يقع الجناح على المطلّق بعد أَن كان قاصداً للذوق، وذلك مأْمون قبل المسيس[٣].

والخطاب بالآية لجميع الناس.

وقرأَ أَبو عمرو، وابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر: ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ بغير أَلف،

(١) في نور العثمانية: «وعفوه».

(٢) انظرهما في: تفسير الطبري (٥/ ١٤٠).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٧٩٢).

وقرأَ الكسائي، وحمزة: ﴿تُمَاسُّوهُنَّ﴾بأَلف وضم التاءِ[١]، وهذه القراءَة الأَخيرة تعطي المَسَّ من الزوجين، والقراءَة الأُولى تقتضي ذلك بالمعنى المفهوم من المس، ورجحها أَبو علي لأَن أَفعال هذا المعنى جاءَت ثلاثية على هذا الوزن: نَكَحَ وسَفَدَ وقَرَعَ وَذَقَطَ[٢] وضرب الفحل[٣]، والقراءَتان حسنتان.

و﴿تَفْرِضُواْ﴾ عطفاً على (تَمَسُّوا)، وفَرْضُ المهر إِثباته وتحديده.

وهذه الآية تعطي جواز العقد على التفويض؛ لأَنه نكاح مقرر[٤] في الآية، مبين حكم الطلاق فيه، قاله مالك في «المدونة»[٥].

و«الفريضة»: الصداق.

وقوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ [معناه: أَعطوهن][٦] شيئاً يكون متاعاً لهن، وحَمَلَهُ ابن عمر، وعلي بن أَبي طالب، والحسن بن أَبي الحسن، وسعيد بن جبير، وأَبو قلابة[٧]، والزهري، وقتادة، والضحاك بن مزاحم على الوجوب، وحَمَلَه أَبو عبيد[٨]، ومالك بن أَنس، وأَصحابه، وشُريح، وغيرهم على الندب[٩].

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد (١/ ١٨٣)، والتيسير في القراءات السبع (ص: ٨١).

(٢) في المحكم (٦/ ٢٦٤): ذقط الطائر يذقط ذقطاً: سفد، وقال سيبويه في الكتاب (٤/ ٩): هو النكاح ونحوه من باب المباضعة.

(٣) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٣٧).

(٤) في الحمزوية: «مقدور».

(٥) انظر: المدونة (٥/ ٤٢٢).

(٦) ليس في نور العثمانية.

(٧) هو أبو قلابة عبد الملك بن محمد بن عبد الله الرقاشي، الحافظ العابد، عني به أبوه، وأسمعه في صغره، وأشغله في العلم لما رأى من ذكائه، وسمع: يزيد بن هارون، وعبد الله بن بكر السهمي، وخلقاً سواهم، توفي سنة (٢٧٦هـ). تاريخ الإسلام (٢٠/ ٣٩١).

(٨) في السليمانية: «أبو عبيدة».

(٩) انظر: قول أصحاب مالك في مواهب الجليل للحطاب (١١/ ٣١٣)، وقول شريح في مصنف عبد الرزاق (١٢٢٤٢)، وانظر قول الباقين في: الأوسط لابن المنذر (٩/ ٣٤٣- ٤٣٦).

ثم اختلفوا في الضمير المتصل بـ (مَتِّعُوا) من المراد به من النساءِ؟ فقال ابن عباس، وابن عمر، وعطاءٌ، وجابر بن زيد، والحسن، والشافعي، وأَحمد، وإِسحاق، وأَصحاب الرأْي: المتعة واجبة للمطلقة قبل البناءِ والفرض، ومندوبة في غيرها[(١)].

وقال مالك وأَصحابه: المتعة مندوب إِليها في كل مطلقة وإِن دخل بها، إِلا في التي لم يدخل بها وقد فرض لها، فحسبُها ما فرض لها، ولا متعة لها[(٢)].

وقال أَبو ثور: لها المتعة [ولكلِّ مطلقة[(٣)].

وأجمع أَهل العلم على أَن التي لم يفرض لها، ولم يدخل بها لا شيءَ لها غير المتعة[(٤)]][(٥)]، فقال الزهري: يقضي لها بها القاضي[(٦)]، وقال جمهور الناس: لا يقضي بها، قاله شريح[(٧)]، وقال[(٨)] للزوج: إِن كنت من المتقين والمحسنين فمتِّعْ، ولم يقضِ عليه.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا مع إِطلاق لفظ الوجوب عند بعضهم[(٩)]، وأَما ربط

---

(١) انظر: الأوسط لابن المنذر (٩/ ٤٣٣-٤٣٤)، وتفسير الطبري (٥/ ١٢٦- ١٢٨).

(٢) انظر: الذخيرة للقرافي (٤/ ٤٤٩).

(٣) انظر: الأوسط لابن المنذر (٩/ ٤٣٦).

(٤) تفسير الطبري (٥/ ١٣٤) بلفظ: وأجمع الجميع على أن المطلقة غير المفروض لها قبل المسيس، لا شيء لها.. غير المتعة.

(٥) ليس في نور العثمانية.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (رقم ١٢٢٤٣).

(٧) انظر قول شريح في: تفسير الطبري (٥/ ١٢٩)، وانظر قول الجمهور في: تفسير القرطبي (٣/ ٢٠٠).

(٨) في المطبوع: «ويقال»، والمثبت من النسخ الخطية وهو الصواب، ففي الطبري (٥/ ١٢٩): أن شريحا قال للذي قد دخل بها إلخ.

(٩) أي: على المتعة للمطلقة.

مذهب مالك، فقال ابن شعبان[١]: المتعة بِإِزاءِ غَمّ الطلاق[٢]، ولذلك ليس للمختلعة والمبارئة[٣] والملاعنة متعة[٤]، وقال الزهري[٥]، وعطاءٌ، والنخعي: للمختلعة متعة[٦]، وقال أَصحاب الرأْي: للملاعنة متعة[٧].

وقال ابن القاسم: ولا متعة في نكاح مفسوخ، قال ابن المواز: ولا فيما يدخله الفسخ بعد صحة العقد مثل ملك أَحد الزوجين صاحبه[٨].

وروى ابن وهب، عن مالك: أَن المخيَّرة لها المتعة بخلاف الأَمة تعتق تحت العبد فتختار، فهذه لا متعة لها، وأَما الحرة تخير أَو تملك، أَو يتزوج عليها أَمة فتختار هي نفسها في ذلك كله[٩]، فلها المتعة[١٠]؛ لأَن الزوج سبب الفراق، وعليها هي غضاضة في أَلا تختار نفسها[١١].

---

(١) هو الفقيه المالكي أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان، المتوفى سنة (٣٥٥هـ)، ومؤلف كتاب الزاهي في الفقه، وكتاب أحكام القرآن انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (١/ ٣٥٤).

(٢) لم أقف على من نسبه له، لكن قد قال به غيره من المالكية، انظر: التاج والإكليل شرح مختصر خليل (٦/ ١٤٠).

(٣) المختلعة هي: التي تخالع زوجها، والمبارئة هي: التي تُبَارِئ زوجها قبل البناء تَقولُ خُذْ الذي لك وتاركني. المدونة (٦/ ٢٠٣).

(٤) انظر: المدونة (٦/ ١٦٨).

(٥) كذا في أحمد٣ وجار الله، ونور العثمانية: «الزهري»، وأشار لها في هامش السليمانية وعليها علامة «صح»، وهي موافقة لما في «الأوسط»، وفي المطبوع والأصل والنسخ الأخرى: «الترمذي»، وكذا في تفسير القرطبي (٣/ ٢٠١)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣١).

(٦) انظر قول عطاء والنخعي والزهري في: الأوسط (٩/ ٤٤٠)، وليس فيه ذكر الترمذي.

(٧) انظر: المبسوط (٦/ ٦١-٦٢).

(٨) انظر: النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني (٥/ ٢٨٩).

(٩) في أحمد٣ وجار الله: «فتختار نفسها فلها.... إلخ».

(١٠) انظر: التاج والإكليل شرح مختصر خليل (٦/ ١٤٠).

(١١) انظر: الذخيرة للقرافي (٤/ ٤٩)، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل (٦/ ١٤٠-١٤١).

واختلف الناس في مقدار المتعة؛ فقال ابن عمر: أَدنى ما يجزي في المتعة ثلاثون درهماً أَو شبهها، وروي أَن ابن حجيرة(١) كان يقضي على صاحب الديوان بثلاثة دنانير، وقال ابن عباس: أَرفع المتعة خادم، ثم كسوة، ثم نفقة(٢).

وقال عطاءٌ: من أَوسط ذلك درع وخمار وملحفة، وقال الحسن: يمتع كلٌّ على قدره: هذا بخادم، وهذا بأَثواب، وهذا بثوب(٣)، وهذا بنفقة(٤)، وكذلك يقول مالك ابن أَنس(٥).

ومتَّع الحسن بن علي بعشرين أَلفاً وزقاق من عسل(٦)، ومتع شريح بخمس مئة درهم(٧).

وقالت أَم حميد(٨) بن عبد الرحمن بن عوف: كأَني أَنظر إِلى خادم سوداءَ متَّع بها عبدالرحمن بن عوف زوجه أُم أَبي سلمة(٩).

---

(١) في المطبوع: «ابن محيريز»، وكذا في تفسير القرطبي (٣/ ٢٠١)، وفي الحمزوية: «هبيرة»، وفي فيض الله: «ابن أبي حجيرة»، والمثبت من النسخ الأخرى، وهو الموافق لما في الأوسط، وهو أبو عبد الله عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني البصري القاضي، روى عن أبي ذر وابن مسعود، وأبي هريرة، جمع له أمير مصر عبد العزيز القضاء والقصص وبيت المال، وتوفي سنة (٨٣هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ١٢٦).

(٢) انظر قول ابن عمر وابن عباس وما روي عن ابن حجيرة في: الأوسط (٩/ ٤٣٧).

(٣) «وهذا بثوب» ليست في نور العثمانية.

(٤) انظر قول عطاء في: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٤٤) وقول الحسن في تفسير الطبري (٥/ ١٢٣) بمعناه.

(٥) انظر قول مالك في: المدونة (٢/ ٢٤٠)، وانظر قول عطاء وقول الحسن في: الأوسط (٩/ ٤٣٧-٤٣٨).

(٦) لم أجده.

(٧) تفسير الطبري (٥/ ١٢٣).

(٨) في السليمانية: «قال حميد»، وأم حميد هي: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط الأموية، أسلمت قديماً وبايعت وهاجرت عام الحديبية، انظر ترجمتها في الإصابة (٨/ ٤٦٣).

(٩) في جار الله: «أم سلمة»، وهو خطأ، وأم أبي سلمة هي: تماضر بنت الأصبغ بن عمرو الكلبي، وكان ملك أهل دومة الجندل، وكان نصرانياً، فبعث رسول الله ﷺ إليهم عبد الرحمن بن عوف سنة ست، فأسلم الأصبغ، وتزوج عبد الرحمن ابنته. الطبقات الكبرى (٣/ ١٢٩)، وهذا الأثر لم أجده.

وقال أَصحاب الرأْي، وغيرهم: متعة التي تُطلَّق قبل الدخول والفرض: نصف مهر مثلها لا غير(١).

وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ دليل على رفض التحديد.

وقرأَ الجمهور: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ﴾ بسكون الواو وكسر السين بمعنى الذي أُوسِعَ، أَي: اتسعت حاله، وقرأَ أَبو حيوة: (المُوَسَّع) بفتح الواو وشدِّ السين وفتحها(٢).

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وعاصم في رواية أَبي بكر: ﴿قَدْرُه﴾ بسكون الدال في الموضعين، وقرأَ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وعاصم في رواية حفص: ﴿قَدَرُهُۥ﴾ بفتح الدال فيهما(٣).

قال أَبو الحسن الأَخفش، وغيره: هما بمعنىً، لغتان فصيحتان(٤)، وكذلك حكى أَبو زيد: تقول: خذ قدْر كذا، وقدَر كذا، بمعنىً، ويُقرأُ في كتاب الله: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧] و(بقَدْرِها)، وقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]، ولو حركت الدال لكان جائزاً(٥).

و﴿ٱلْمُقْتِرِ﴾: المقِلُّ القليلُ المالِ.

و﴿مَتَٰعًۢا﴾ نصب على المصدر.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أَي: لا حَمْل فيه، ولا تكلُّف على أَحد الجانبين، فهو تأْكيد لمعنى قوله: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾(٦).

---

(١) انظر قول أصحاب الرأي في: بدائع الصنائع (٢/ ٣٠٢-٣٠٣).
(٢) البحر المحيط في التفسير (٢/ ٥٣٣)، ولم أجدها لمن قبله، وهي قراءة شاذة.
(٣) السبعة لابن مجاهد (١/ ١٨٤). لكن الذي في التيسير (ص: ٨١) عن هشام الإسكان وكذا في النشر (٢/ ٢٦٠) من جميع طرقهما.
(٤) انظر: الحجة لأبي علي (٢/ ٣٣٨-٣٣٩).
(٥) انظر قول أبي زيد، والتمثيل بالآيتين، في الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٣٩).
(٦) في جار الله وأحمد٣: «لمعنى ما قبله»، بدل الآية.

ثم أَكد تعالى النَّدب بقوله: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾؛ أَي: في[1] هذه النازلة من التمتيع هم محسنون، ومن قال بأَن المتعة واجبة، قال: هذا تأْكيد الوجوب؛ أَي: على المحسنين بالإِيمان والإِسلام، فليس لأَحد أَن يقول: لست بمحسن على هذا التأويل، و﴿حَقًّا﴾ صفة لقوله: ﴿مَتَاعًا﴾ أَو نصب على المصدر، وذلك أَدخل في التأكيد للأَمر.

قوله عز وجل: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧)﴾.

اختلف الناس في هذه الآية:

فقالت فرقة فيها مالك، وغيره: إِنها مخرِجة المطلَّقةَ بعد الفرض من حكم التمتيع[2]؛ إِذ يتناولها قوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾.

وقال ابن المسيب: نسخت هذه الآيةُ الآيةَ التي في الأَحزاب؛ لأَن تلك تضمنت تمتيع كل من لم يدخل بها، وقال قتادة: نسخت هذه الآيةُ الآيةَ / التي قبلها[3]. [١/ ١٥٥]

وقال ابن القاسم في «المدونة»: كان المتاع لكل مطلقة بقوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٤١]، ولغير المدخول بها بالآية التي في سورة الأَحزاب [٤٩] فاستثنى الله المفروض لها قبل الدخول بهذه الآية، وأَثبت للمفروض لها نصف ما فرض فقط.

وزعم زيد بن أَسلم أَنها منسوخة [بهذه الآية][4]، حكى ذلك في «المدونة» عن

---

(١) في الحمزوية: «في غير»، وعليها تضبيب.

(٢) انظر قول مالك في: تفسير القرطبي (٣/ ٢٠٤)، وانظر قول من قال بقوله من العلماء في: الأوسط (٩/ ٤٣٦).

(٣) انظر قولهما في: تفسير الطبري (٥/ ١٢٦ و١٢٧).

(٤) ليست في أحمد٣ والسليمانية وجار الله وفيض الله.

زيد ابن أَسلم زعماً، وقال ابن القاسم: إِنه استثناءٌ[١]، والتحرير يرد ذلك إِلى النسخ الذي قال زيد؛ لأَن ابن القاسم قال: إِن قوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ﴾ [البقرة: ٢٤١] عمَّ الجميع ثم استثنى الله منه هذه التي فرض لها قبل المسيس.

وقال فريق من العلماءِ منهم أَبو ثور: المتعة لكل مطلقة عموماً[٢]، وهذه الآية إِنما بينت أَن المفروض لها تأْخذ نصف ما فرض[٣]، [ولم تعنِ الآيةُ لإِسقاط][٤] متعتها، بل لها المتعة ونصف المفروض.

وقرأَ الجمهور: ﴿فَنِصۡفُ﴾ بالرفع، والمعنى: فالواجبُ نصفُ ما فرضتم، وقرأَت فرقة: (فنصفَ) بنصب الفاءِ[٥]، والمعنى: فادفعوا نصفَ.

وقرأَ علي بن أَبي طالب، وزيد بن ثابت: (فنُصفُ) بضم النون في جميع القرآن وهي لغة، وكذلك روى الأَصمعي قراءَة[٦] عن أَبي عمرو بن العلاءِ[٧].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ﴾ استثناءٌ منقطع؛ لأن عفوهن عن النصف ليس من جنس أَخذهن.

و﴿يَعۡفُونَ﴾ معناه: يتركن ويصفحن، ووزنه: يَفْعُلْن، والمعنى: إِلا أَن يتركن النصفَ الذي وجب لهن عند الزوج.

---

(١) انظر قولي ابن القاسم زيد بن أسلم في: المدونة (٢/ ٢٣٨)، وليس فيها: «بهذه الآية».
(٢) انظر: الأوسط لابن المنذر (٩/ ٤٣٦)، والاستذكار (٦/ ١٢٠).
(٣) في أحمد٣ وجار الله: «نصف الصداق».
(٤) في المطبوع: «ولم يعن بالآية إِسقاط»، وفي أحمد٣: «ولم تعين الآية إسقاط».
(٥) تفسير القرطبي (٣/ ٢٠٤)، وهي قراءة شاذة، بل قال الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» (١/ ٣١٩): ولا أعلم أحداً قرأ بها، فإِن لم تثبت بها رواية، فلا تَقْرَأَنَّ بها، وقال النحاس في «إعراب القرآن» (١/ ١١٨): ويجوز النصب في غير القرآن.
(٦) ليست في جار الله.
(٧) وهي قراءة شاذة، عزاها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٢٢) لزيد وعلي، ورواية الأصمعي في البحر المحيط (٢/ ٥٣٥).

و«العافيات» في هذه الآية: كلُّ امرأة تملك أَمر نفسها، وقال ابن عباس[١]، وجماعة من الفقهاءِ والتابعين: ويجوز عفو البكر التي لا وليَّ لها[٢]، وحكاه سحنون في «المدونة» عن غير ابن القاسم، بعد أَن ذكر لابن القاسم أَن وضْعَها نصف الصَّداقِ [لا يجوز[٣].

وأَما التي في حِجْر أَب][٤] أَو وصِيٍّ فلا يجوز وضعها لنصف صداقها قولاً واحداً فيما أَحفظ.

واختلف الناس في المراد بقوله: ﴿أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾:

فقال ابن عباس، وعلقمة، وطاووس، ومجاهد، وشريح، والحسن، وإِبراهيم[٥]، والشعبي، وأَبو صالح، وعكرمة، والزهري، ومالك وغيرهم: هو الولي الذي المرأَة في حِجره، فهو الأَب في ابنته التي لم تملك أَمرها، والسيد في أَمَتِهِ[٦].

وأَما شريح فإِنه جوَّز عفو الأَخ عن نصف المهر، وقال: أَنا أَعفو عن مُهُورِ بَني مُرة وإِن كرِهْنَ[٧]، وكذلك قال عكرمة: يجوز عفو الذي عقد عقدة النكاح بينهما، كان عماً أَو أَخاً أَو أَباً، وإِن كرهت[٨].

---

(١) أخرج الطبري (٥/ ١٤٣) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: هي المرأة الثيب أو البكر يزوجها غير أبيها، فجعل الله العفو إليهن: إن شئن عفون فتركن، وإن شئن أخذن نصف الصداق.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/ ١٤٣).

(٣) انظر: المدونة (٥/ ٤١٠)، (٥/ ٣٧٨).

(٤) ليس في الحمزوية.

(٥) ليس في جار الله.

(٦) انظر قول مالك في: تفسير القرطبي (٣/ ٢٠٧)، والباقين في: الأوسط لابن المنذر (٨/ ٣٧٩)، وتفسير الطبري (٥/ ١٤٦ - ١٥١).

(٧) انظر: تفسير الطبري (٥/ ١٤٧).

(٨) انظر: المنتقى شرح الموطأ (٣/ ١٨٤).

وقالت فرقة من العلماءِ: الذي بيده عقدة النكاح الزوج، قاله علي بن أَبي طالب، وقاله ابن عباس أَيضاً، وشريح أَيضاً رجع إِليه، وقاله سعيد بن جبير، وكثير من فقهاءِ الأَمصار[(١)].

فعلى القول الأَول الندب لهما هو في النصف الذي يجب للمرأَة، فإِما أَن تعفو هي، وإِما أَن يعفو وليها، وعلى القول الثاني فالندب في الجهتين، إِما أن تعفو هي عن نصفها، فلا تأخذ من الزوج شيئاً، وإِما أَن يعفو الزوج عن النصف الذي يُحط، فيؤدي جميع المهر، وهذا هو الفضل منهما، وبحسب حال الزوجين يحسن التحمل والتجمل[(٢)].

ويروى أَن جبير بن مطعم[(٣)] دخل على سعد بن أَبي وقاص، فعرض عليه ابنة له، فتزوجها، فلمَّا خرج طلَّقها وبعث إِليه بالصداق، فقيل له: لم تزوجتها؟ فقال: عَرَضَهَا عليَّ فكرهت رده، قيل: فلم تبعث بالصداق؟ قال: فأَين الفضل؟[(٤)].

قال القاضي أَبو محمد: ويحتج القائلون بأَنَّ الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج؛ بأَن هذا الولي لا يجوز له ترك شيءٍ من صداقها قبل الطلاق، فلا فرق بعد الطلاق[(٥)].

وأَيضاً فإِنه لا يجوز له ترك شيءٍ من مالها الذي ليس من الصداق، فَمَالَهُ يترك نصفَ الصَّداق؟[(٦)].

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ١٥١ - ١٥٨).

(٢) زاد في جار الله: «وبحسب الزوجين ذلك»، وكذلك في أحمد٣، لكن عليه إشارة كأنها تضبيب.

(٣) هو جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي، كان من أكابر قريش وعلماء النّسب، وقدم على النبيّ ﷺ في فداء أسارى بدر، أسلم قبل فتح مكة، وتوفي في خلافة معاوية. الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٥٧١).

(٤) في إسناده من لا يعرف حاله، هذا الأثر أخرجه الطبري (٥/ ١٦٥) ووقع فيه وهم في الإسناد، وأورده الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١٥٥) عن الطبري على الصواب، وفي إسناده: سعيد بن محمد بن جبير لا يعرف حاله.

(٥) انظر: معالم التنزيل للبغوي (١/ ٢٨٧).

(٦) انظر: الاستذكار (٥/ ٤٣٢).

وأَيضاً فإِنه إِذا قيل: إِنه الولي، فما الذي يخصص بعض الأَولياءِ دون بعض وكلهم بيده عقدة النكاح، وإن كان كافلاً، أَو وصياً، أَو الحاكمَ، أَو الرجلَ من العشيرة؟[١].

ويحتج من يقول: إِنه الولي الحاجر بعبارة الآية؛ لأَن قوله: ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ عبارةٌ متمكنة في الولي، وهي في الزوج قلقَةٌ بعض القلق، وليس الأَمر في ذلك كما قال الطبري، ومكي من أَن المطلِّق لا عقدة بيده[٢]، بل نسبة العقدة إِليه باقية، من حيث كان عَقَدها قبل.

وأَيضاً فإِن قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ﴾ لا يدخل فيه من لا تملك أَمرها؛ لأَنها لا عفْو لها، فكذلك لا يغبن النساءُ بعفو من يملك أَمر التي لا تملك أَمرها[٣].

وأَيضاً فإِن الآية إِنما هي ندب إِلى ترك شيءٍ قد وجب في مال الزوج، يعطي ذلك لفظ العفو الذي هو الترك والاطراح، وإِعطاءُ الزوج المهر كاملاً لا يقال فيه: عفو، إِنما هو انتداب إِلى فضل. اللهم إِلا أَن تقدر المرأَة قد قبضته، وهذا طارٍ[٤] لا يعتد به.

قال مكي: وأَيضاً فقد ذكر الله الأَزواج في قوله: ﴿فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ﴾ ثم ذكر الزوجات بقوله: ﴿يَعۡفُونَ﴾ فكيف يعبر عن الأَزواج بعد بالذي بيده عقدة النكاح؟ بل هي درجة ثالثة، لم يبق لها إِلا الولي[٥].

قال القاضي أَبو محمد: وفي هذا نظر.

وقرأَ الجمهور: ﴿أَوۡ يَعۡفُوَاْ﴾ بفتح الواو؛ لأَن الفعل منصوب، وقرأَ الحسن ابن أَبي

---

(١) انظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد (٢/ ٢١).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ١٦٠) والهداية لمكي (١/ ٧٩٦، ٧٩٧).

(٣) في الحمزوية: «أمر نفسها».

(٤) كذا في جميع النسخ الخطية، أي: طارئ، وفي المطبوع: «إطار».

(٥) الهداية لمكي (١/ ٧٩٦).

الحسن: (أو يَعْفُوْ الذي بواو ساكنة[١]، قال المهدوي: ذلك على التشبيه بالألف[٢].

ومنه قول عامر بن الطفيل:

فَمَا سَوَّدَتْنِي عَامِرٌ عَـنْ وراثَـةٍ أَبَـى اللهُ أَنْ أَسْـمُو بـأُمٍّ ولا أَبِ[٣] [الطويل]

قال القاضي أَبو محمد: والذي عندي أَنه استثقل الفتحة على واو متطرفة قبلها متحرك؛ لقلة مجيئها في كلام العرب، وقد قال الخليل رحمه الله: لم يجئْ في الكلام واوٌ مفتوحة / متطرفة قبلها فتحة إِلا في قولهم: عِفَوَة، وهو جمع عِفْوٍ، وهو ولد الحمار، [١/ ١٥٦] وكذلك الحركة ما كانت قبل الواو المفتوحة فإِنها ثقيلة[٤].

ثم خاطب تعالى الجميع نادباً بقوله: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾؛ أَي: يا جميع الناس، وهذه قراءَة الجمهور بالتاءِ باثنين من فوق، وقرأَ أَبو نهيك، والشعبي: (وأَنْ يَعْفُو) بالياءِ[٥]، وذلك راجع إِلى الذي بيده عقدة النكاح.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ﴾، وقرأَ علي بن أَبي طالب، ومجاهد، وأَبو حيوة، وابن أَبي عبلة: (وَلا تَنَاسَوُا الفَضْلَ)[٦] وهي قراءَةٌ متمكنة المعنى؛ لأنه موضع تناسٍ لا نسيان إِلا على التشبيه.

---

(١) المحتسب لابن جني (١/ ١٢٥)، مختصر الشواذ (ص: ٢٢)، وهي قراءة شاذة.

(٢) انظر التحصيل للمهدوي (١/ ٤٤٦)، ومثله في تفسير الزمخشري (١/ ٢٨٦).

(٣) عزاه له العسكري في الصناعتين (١/ ٣٧٧)، والكامل في اللغة والأدب (١/ ١٣٣)، والحيوان (٢/ ٣٠٢)، وعيون الأخبار (١/ ٣٢٩)، والعقد الفريد (٢/ ١٤٩)، وسَّودَه: جعله سيِّداً، فهو ساد قومه لصفاته وشخصيته، لا بسبب الوراثة، والشاهد في (أسمو) أن الواو جاءت ساكنة وحقُّها الفتح. وبعده: «ولكنني أحمي حماها...» إلخ، وقد جاء هذا البيت مثبتاً مع البيت الشاهد في نسخة فيض الله.

(٤) العين (٢/ ٢٥٩).

(٥) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ٩٤)، ولأبي نهيك في مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٢).

(٦) وهي قراءة شاذة، عزاها لعلي ابنُ خالويه «في مختصر الشواذ» (ص: ٢٢)، وله ولأبي رجاء وجماعة =

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ﴾ ندب إلى المجاملة. قال مجاهد: الفضل إِتمام الزوج الصداق كله، أو ترك المرأة النصف الذي لها[١].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ خبر في ضمنه الوعد للمُحْسن، والحرمان لغير المحسن.

قوله عز وجل: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾.

الخطاب لجميع الأُمة، والآية أَمر بالمحافظة على إِقامة الصلوات في أَوقاتها بجميع شروطها.

وذكر تعالى الصلاة الوسطى ثانية، وقد دخلت قبلُ في عموم قوله: ﴿ٱلصَّلَوَٰتِ﴾؛ لأَنه قصد تشريفها، وإِغراءَ المصلين بها.

وقرأَ أَبو جعفر الرُّؤَاسي[٢]: (والصلاة الوسطى) بالنصب[٣] على الإغراءِ، وقرأَ كذلك الحلواني[٤].

واختلف الناس في أَي صلاة هو هذا الوصف:

فذهبت فرقة إِلى أَنها الصبح، وأَن لفظ وُسطى، يراد به الترتيب؛ لأَنها قبلها صلاتا

= ابن جني في المحتسب (١/ ١٢٧)، ولابن أبي عبلة وأبي حيوة وجماعة الهذلي في الكامل (ص: ٥٠٦)، ولمجاهد في البحر المحيط (٢/ ٥٤٠).

(١) تفسير الطبري (٥/ ١٦٥)، والهداية لمكي (١/ ٧٩٨).

(٢) هو محمد بن الحسن بن أبي سارة أبو جعفر الرؤاسي الكوفي المقرئ، روى عن أبي عمرو حروفه، وله في القراءات اختيار، وسمع من الأعمش وغيره، أخذ عنه الكسائي، ويحيى الفراء، وخلاد بن خالد، وعلي بن محمد الكندي. تاريخ الإسلام (١٣/ ٣٥٨).

(٣) انظر عزوها له في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٨٠٢)، ومختصر الشواذ (ص: ٢٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ١١٨)، وهي شاذة.

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٢٠٩)، وهو أحمد بن يزيد، سيأتي باسمه وترجمته في (سورة إبراهيم).

ليل يُجهر فيهما، وبعدها صلاتا نهار يُسَرُّ فيهما، قال هذا القول علي بن أَبي طالب[١]، وابن عباس، وصلى بالناس يوماً الصبح فقنت قبل الركوع، فلما فرغ قال: هذه الصلاةُ الوسطى التي أَمرنا الله أَن نقومَ فيها قانتين[٢]، وقاله أَبو العالية، ورواه عن جماعة من الصحابة، وقاله جابر بن عبد الله[٣]، وعطاءُ بن أَبي رباح، وعكرمة، ومجاهد، وعبد الله ابن شداد بن الهاد[٤]، والربيع[٥]، ومالك بن أَنس[٦].

وقوَّى مالكٌ ذلك بأَنَّ الصبح لا تجمع إِلى غيرها، وصلاتا جمع قبلها، وصلاتا جمع بعدها[٧]، وقد قال رسول الله ﷺ: «لو يعلمون مافي العَتَمَة والصُّبح لَأتوهما ولو حَبْواً»[٨]، وقال: «إِنهما أَشدُّ الصلوات على المنافقين»[٩]، وفضل الصبح؛ لأنها كقيام ليلة لمن شهدها، والعَتَمَة نصف ليلة[١٠]، وقال الله: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، فيقوي هذا كله أَمر الصبح.

وقالت فرقة: هي صلاة الظهر، قاله زيد بن ثابت، ورفع فيه حديثاً عن النبي

---

(١) أورده مالك في موطئه (٤٦١) بلاغاً.

(٢) أسانيده جيدة، أخرجه الطبري (٥/ ٢١٥)، والبيهقي في الكبرى (١/ ٤٦١) من طريق جابر بن زيد وأبي رجاء العطاردي وأبي العالية ـ مفرقين ـ، عن ابن عباس به.

(٣) أخرجه الطبري (٥/ ٢١٩) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن جابر رضي الله عنه، وسعيد فيه ضعف، وقال الساجي: حدث عن قتادة بمناكير، ورواية قتادة عن جابر صحيفة.

(٤) هو عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي المدني، أبو الوليد، كان يأتي الكوفة، وكانت أمه سلمى بنت عميس تحت حمزة، فلما استشهد تزوجها شداد، روى عن: أبيه، ومعاذ، وعلي، وابن مسعود، وكان ثقة قليل الحديث شيعياً، توفي سنة (٩٢هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ١١٢).

(٥) انظر قول هؤلاء الخمسة في: تفسير الطبري (٥/ ٢١٩).

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٨٠٠).

(٧) انظر: الذخيرة للقرافي (٢/ ٣١-٣٢).

(٨) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٩) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٢٦)، ومسلم (٦٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٠) أخرجه مسلم (٦٥٦) من حديث عثمان رضي الله عنه.

ﷺ[١]، وقاله أَبو سعيد الخدري، وعبد الله بن عمر[٢].

واحتج قائلو هذه المقالة بأَنها أَول صلاة صلِّيت في الإِسلام فهي وسطى بذلك؛ أَي: فُضلى، فليس هذا التوسط في الترتيب، وأَيضاً فروي أَنها أشق الصلوات على أصحاب النبي ﷺ؛ لأنها كانت تجيءُ في الهاجرة وهم قد نَفِهَتْهُمْ[٣] أَعمالهم في أَموالهم.

وأَيضاً فيدل على ذلك ما قالته حفصة وعائشة حين أَمْلَتَا: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ والصَّلاةِ الوُسْطَى، وصلاة العصر)[٤]، فهذا اقتران الظهر والعصر.

---

(١) الصحيح أنه من قول زيد بن ثابت، رواه الزبرقان بن عمرو بن أمية الضمري، واختلف عليه فيه وصلاً وإرسالاً، وممن رواه عنه ابن أبي ذئب، واختلف عليه أيضاً، والأصح من ذلك كله رواية ابن أبي ذئب، عن الزبرقان أن رهطاً من قريش مر بهم زيد بن ثابت وهم مجتمعون... وفيه ذكر أسامة بن زيد، وأنهما جميعاً قالا: الصلاة الوسطى هي صلاة الظهر، زاد أسامة: إن رسول الله ﷺ كان يصلي الظهر بالهاجرة والناس في قائلتهم وأسواقهم فلا يكون خلفه إلا الصف والصفان فأنزل الله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾، وهذا الإسناد منقطع، لكن روي من طرق عن زيد بن ثابت القول بأنها صلاة الظهر، راجع موطأ مالك (٣١٥) ومسند أحمد (٥/ ٢٠٦)، والتاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٤٣٣)، وسنن أبي داود (٤١٤)، والنسائي في الكبرى (٣٥٦-٣٥٧)، والبيهقي في الكبرى (١/ ٤٥٩).

(٢) إسناده جيد، وصح عنهما خلاف ذلك، أخرجه الطبري (٥/ ١٩٨ - ٢٠٥) عنهما وهو في خبر واحد من طريق زهرة بن معبد: أن سعيد بن المسيب حدثه أنه كان قاعداً هو وعروة بن الزبير وإبراهيم بن طلحة، فقال سعيد بن المسيب: سمعت أبا سعيد الخدري: الصلاة الوسطى هي الظهر. فمر علينا عبد الله بن عمر، فقال عروة: أرسلوا إلى ابن عمر فاسألوه. فأرسلوا إليه غلاماً فسأله، ثم جاءنا الرسول فقال: يقول: هي صلاة الظهر. فشككنا في قول الغلام، فقمنا جميعاً فذهبنا إلى ابن عمر، فسألناه فقال: هي صلاة الظهر، وهذا الخبر على سلامة إسناده قد ثبت خلافه عن أبي سعيد وابن عمر، فرأيا أنها صلاة العصر.

(٣) أي: أعيتهم وأتعبتهم أعمالهم. يقال: نَفِهت نفسُ فلان نفهاً: أَعْيَتْ وكلَّت. فهو نافه، وفي الحمزوية: «نفعتهم»، وفيها زيادة هنا هي: «ووقت اشتغالهم في أعمالهم».

(٤) خبر عائشة أخرجه مسلم عنها (٦٢٩) وخبر حفصة أخرجه مالك في موطئه (٣١٦) وعبد الرزاق في مصنفه (١/ ٥٧٨).

وقالت فرقة: الصلاة الوسطى صلاة العصر؛ لأَنها قبلها صلاتا نهار، وبعدها صلاتا ليل، ورُوي هذا القول أيضاً عن علي بن أَبي طالب، وابن عباس، وأَبي هريرة، وابن عمر، وأَبي سعيد الخدري(١).

وفي مصحف عائشة رضي الله عنها: (والصَّلاةِ الوُسْطى، وهي العصرُ)(٢) وهو قولها المروي عنها(٣)، وقاله الحسن البصري، وإِبراهيم النخعي(٤)، وفي إِملاءِ حفصة أَيضاً: (والصَّلاةِ الوُسْطى، وهي صلاةُ العصر)(٥).

ومن روى: (وصلاةِ العصرِ) فيتأَول أَنه عطف إِحدى الصفتين على الأُخرى وهما لشيءٍ واحد، كما تقول: جَاءَني زيد الكريم والعاقل.

وروي عن ابن عباس أَنه قرأَ: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ والصلاة(٦) الوُسْطَى صلاة العصر)(٧) على البدل، وروى هذا القولَ سَمُرة بن جندب عن النبي ﷺ(٨)، [وتواتر الحديث عن النبي ﷺ](٩) أَنه قال يوم الأحزاب: «شَغَلُونا عنِ الصَّلاةِ الوُسْطَى صَلاةِ العصر، ملأَ الله بُيوتهم وقُبورهم ناراً»(١٠).

---

(١) روي عنهم بأسانيد متعددة متفاوتة الصحة، أخرجها جميعاً الطبري (٥/ ١٦٨-١٩٨)، وهذا القول هو الذي رجحه الطبري في تأويل الصلاة الوسطى.

(٢) أخرجه مسلم (٦٢٩).

(٣) روي عنها من طرق صحيحة أخرجها الطبري (٥/ ١٧٥-١٧٧).

(٤) انظر قول الحسن في: تفسير الطبري (٥/ ١٧٦)، والنخعي فيه (٥/ ١٧٧).

(٥) اختلف في إسناد هذا الخبر عن حفصة، حكى طرفاً منه الدارقطني في العلل (١٥/ ٢٠١)، ثم قال: الحديث معروف برواية عمرو بن رافع، عن حفصة. حدث به عنه القعقاع بن حكيم، وزيد بن أسلم.اهـ وعمرو بن رافع هذا لا يعرف له إلا هذا الخبر، ولم يوثق.

(٦) ليست في المطبوع.

(٧) «مختصر الشواذ» لابن خالويه (ص: ٢٢)، وتفسير الطبري (٥/ ٢١٣)، وهي شاذة.

(٨) هذا الحديث يرويه الحسن البصري عن سمرة مرفوعاً، أخرجه الترمذي (١٨٢) وغيره، وفي سماع الحسن من سمرة خلاف.

(٩) ليس في السليمانية.

(١٠) **متفق عليه**، أخرجه البخاري (٦٣٩٦)، ومسلم (٦٢٧) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: كنا نرى أَنها الصبح حتى قال رسول الله ﷺ يوم الأَحزاب: «شَغَلُونَا عن الصَّلاة الوُسْطَى صَلاةِ العَصْر»، فعرفنا أَنها العصر[١].

وقال البراءُ بن عازب: كنا نقرأُ على عهد النبي ﷺ: (حافظوا على الصلوات[٢]، وصلاة العصر)، ثم نسخها الله فقرأْنا: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾، فقال له رجل: فهي العصر؟ قال: قد أَخبرتك كيف قرأْناها، وكيف نسخت[٣]، والله أَعلم.

وروى أَبو مالك الأَشعري: أَن رسول الله ﷺ قال: «الصَّلاة الوسطى صلاة العصر»[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وعلى هذا القول جمهور الناس، وبه أَقول، والله أَعلم.

وقال قبيصة بن ذؤَيب[٥]: الصلاة الوسطى صلاة المغرب؛ لأَنها متوسطة في عدد الركعات، ليست ثنائية ولا رباعية، وأَيضاً فقبلها صلاتا سر، وبعدها صلاتا جهر[٦].

وحكى أَبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر في شرح باب جامع الوقوت[٧]

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٣٩٦)، ومسلم (٦٢٧) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) في الحمزوية: «والصلاة الوسطى صلاة».

(٣) أخرجه مسلم (٦٣٠)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٤) منقطع، أخرجه الطبري (٥/ ١٩٨) بإسناد فيه محمد بن إسماعيل بن عياش، عن أبيه، وروايته عن أبيه منقطعة.

(٥) قبيصة بن ذؤيب: أبو سعيد الخزاعي المدني، الفقيه، ولد عام الفتح، روى عن: أبي بكر، وعمر، وأبي الدرداء، وغيرهم، وعنه: ابنه إسحاق، ومكحول، وآخرون، وكان على الخاتم والبريد لعبد الملك بن مروان، توفي سنة (٨٦هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ١٧٠).

(٦) «تفسير الطبري» (٥/ ٢١٤)، والنكت والعيون للماوردي (١/ ٣٠٩)، والهداية لمكي (١/ ٧٩٩)، والتمهيد لابن عبد البر (٤/ ٢٩٣).

(٧) في نور العثمانية: «الوقوف».

وغيره، عن فرقة: أَن الصلاة الوسطى صلاة العشاءِ الآخرة[١]، وذلك أَنها تجيءُ في وقت نوم، وهي أَشد الصلوات على المنافقين، ويستحب تأْخيرها، وذلك شاق، فوقع التأكيد في المحافظة عليها، وأَيضاً فقبلها صلاتان، وبعدها صلاتان.

وقالت فرقة: الصلاة الوسطى / لم يعينها الله تعالى فهي في جملة الخمس غير [١/ ١٥٧] معينة كليلة القدر في ليالي العشر، فعل الله ذلك لتقع المحافظة على الجميع، قاله نافع عن ابن عمر، وقاله الربيع بن خثيم[٢].

وقالت فرقة: الصلاة الوسطى هي صلاة الجمعة، فإِنها وسطى فُضلى[٣]، لِمَا خُصَّت به من الجمع والخطبة، وجعلت عيداً، ذكره ابن حبيب ومكي[٤].

وقال بعض العلماءِ: الصلاة الوسطى: المكتوبة الخمس، وقوله أَولاً: ﴿عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ يعمُّ النفل والفرض، ثم خص الفرض بالذكر[٥]، ويجري مع هذا التأْويل قوله ﷺ: «شغلونا عن الصلاة الوسطى»[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ معناه: في صلاتكم، واختلف الناس في معنى ﴿قَـٰنِتِينَ﴾:

فقال الشعبي[٧]: معناه: مطيعين، وقاله جابر بن زيد، وعطاءٌ وسعيد بن جبير[٨].

---

(١) لم أقف عليه في باب وقوت الصلاة من التمهيد ولا الاستذكار، إلا أنه لما ذكر أقوال العلماء في التمهيد (٤/ ٢٩١-٢٩٤) قال بعد ذلك: وكل واحدة من الخمس وسطى؛ لأن قبل كل واحدة منهن صلاتين، وبعدها صلاتين، دون أن يفرد العشاء بالاسم.

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٢٢٠).

(٣) كتبت في المطبوع: «فضلاً»، ولعله خطأ.

(٤) الهداية لمكي (١/ ٨٠٣).

(٥) زيادة من المطبوع ونور العثمانية وجار الله وأحمد٣.

(٦) تقدم تخريجه قريباً، وفي أحمد٣ زيادة: «صلاة العصر».

(٧) ليس في أحمد٣.

(٨) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٥/ ٢٢٨).

وقال الضحاك: كل قنوت في القرآن فإنما يعنى به الطاعة[١]، وقاله أبو سعيد عن النبيّ ﷺ[٢]، وإن أهل كل دين فهم اليوم يقومون عاصين، فقيل لهذه الأمة: وقوموا لله مطيعين.

وقال نحو هذا الحسن بن أبي الحسن، وطاووس.

وقال السدي.

قانتين معناه: ساكتين[٣].

وهذه الآية نزلت في المنع من الكلام في الصلاة، وكان ذلك مباحاً في صدر الإسلام، وقال عبد الله بن مسعود: كنا نتكلم في الصلاة، ونرد السَّلام، ويسأل الرجل صاحبه حاجته، قال: ودخلت يوماً والنبي ﷺ يصلي بالناس فسلمت، فلم يردَّ علي أحد، فاشتد ذلك عليَّ، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «إنه لم يمنعني أن أرد عليك إلا أنا أُمرنا أن نقوم قانتين، لا نتكلم في الصلاة»[٤].

و«القنوت»: السكوت، قاله زيد بن أرقم[٥]، وقال: كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾، فأُمرنا بالسكوت[٦].

---

(١) انظر قوله في: تفسير الطبري (٥/ ٢٢٩).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٥/ ٢٣٠)، من طريق ابن لهيعة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، به مرفوعاً، وهذا إسناد مسلسل بالضعفاء.

(٣) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٥/ ٢٣١).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (١١٩٩) (٣٨٧٥)، ومسلم (٥٣٨) من حديث ابن مسعود بلفظ: كنا نسلم على النبي ﷺ وهو في الصلاة فيرد علينا فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا وقال: «إن في الصلاة شغلاً».

(٥) في نور العثمانية: «بن أسلم»، وهو خطأ.

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٠٠)، ومسلم (٥٣٩) من حديث زيد بن أرقم قال: إن كنا لنتكلم في الصلاة على عهد النبي ﷺ يكلم أحدنا صاحبه بحاجته حتى نزلت: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ فأمرنا بالسكوت.

وقال مجاهد: خاشعين، القنوت: طول الركوع والخشوع، وغض البصر، وخفض الجناح.

قال القاضي أبو محمد: وإِحضار الخشية والفكر في الوقوف بين يدي الله تعالى.

وقال الربيع: القنوت: طول القيام، وطول الركوع والانتصاب له[١].

وقال قوم: القنوت: الدعاءُ، وقانتين معناه: داعين، روي معنى هذا عن ابن عباس[٢]، وفي الحديث: قنت رسول الله ﷺ شهراً يدعو على رِعْل وذكوان[٣]، فقال قوم: معناه دعا، وقال قوم: معناه طوَّل قيامه، ولا حجة في هذا الحديث لمعنى الدعاءِ.

قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾.

أَمر الله تعالى بالقيام له في الصلاة بحالة قنوت، وهو الوقار والسكينة، وهدوءُ الجوارح، وهذا على الحالة الغالبة من الأَمن والطمأْنينة، ثم ذكر تعالى حالة الخوف الطارئة أحياناً، فرخص لعبيده في الصلاة رجالاً متصرفين على الأَقدام، وركباناً على الخيل والإِبل، ونحوهما، إيماءً وإِشارة بالرأْس حيثما توجه.

هذا قول جميع العلماءِ، وهذه هي صلاة الفذ الذي قد يضايقه الخوف على نفسه في حال المسايفة، أَو من سَبُع يطلبه، أَو عدو يتبعه، أَو سيل يحمله، وبالجملة فكل أَمر يخاف منه على روحه فهو يبيح ما تضمنته هذه الآية.

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٥/ ٢٣٥).

(٢) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (٥/ ٢٣٥) من طريق: عوف، عن أبي رجاء، قال: صليت مع ابن عباس الغداة.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٠٠٣)، ومسلم (٦٧٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وأَما صلاة الخوف بالإِمام وانقسام الناس [فليس حكمها في هذه الآية][١].

وفرَّق مالك رحمه الله بين خوف العدو المقاتل، وبين خوف السَّبُع ونحوه، بأَن استحب في غير خوف العدو الإِعادة في الوقت إِن وقع الأَمن، وأَكثر فقهاءِ الأَمصار على أَن الأَمر سواءٌ[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَرِجَالًا﴾ هو جمع راجل، أَو رَجِل، من قولهم: رجِل الإِنسان يرجَل رجَلاً: إِذا عدِم المركوب ومشى على قدميه، فَهو رَجِلٌ وراجِلٌ ورجُل ـ بضم الجيم ـ وهي لغة أَهل الحجاز، يقولون: مشى فلان إِلى بيت الله حافياً رجُلاً، حكاه الطبري[٣] وغيره، ورَجْلان وَرَجِيل ورَجْل.

وأَنشد ابن الأَعرابي[٤] في رجْلان:

[الطويل] عَلَيَّ إِذا لاقَيْتُ لَيْلَى بِخَلْوَةٍ أنَ ازْدَارَ بَيْتَ الله رَجْلانَ حَافِياً[٥]

ويجمع على رجال ورَجْلى[٦] ورَجَالى ورُجالى ورجَّالة ورُجال ورُجَّالى ورُجْلان ورَجْلة ورِجلة[٧] ورِجَلَة بفتح الجيم وأَرجِلة وأَراجِل وأَرَاجيل.

والرَّجُل الذي هو اسم الجنس يجمع أَيضاً على رجالٍ، فهذه الآية وقوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج: ٢٧] هما من لفظ الرَّجِلة؛ أَي: عدم المركوب، وقوله تعالى:

---

(١) في أحمد٣ وجار الله: فسيأتي حكمها، فيكون إشارة لما سيأتي في (سورة النساء).

(٢) انظر قول مالك في: تفسير القرطبي (٣/ ٢٢٤)، وقول غيره في: الأوسط لابن المنذر (٥/ ٢٦-٢٧).

(٣) تفسير الطبري (٥/ ٢٣٧).

(٤) كما في المحكم (٧/ ٣٧٩).

(٥) البيت لمجنون ليلى كما في حماسة الظرفاء (ص: ٢١)، وعزاه الطبري في تفسيره (٥/ ٢٣٨) لبعض بني عقيل، وبلا نسبة في الاختيارين للأخفش الأصغر (ص: ٣٦)، ومقاييس اللغة (٢/ ٤٩٢)، و(أزدار) على وزن أفتعِل من زار، وهي بمعناها.

(٦) في نور العثمانية: «رجيلاً»، وسقطت منها «رجالى» التي بعدها.

(٧) كذا ضبطها ناسخ الأصل، وهي ليست في المطبوع.

﴿شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فهو جمع اسم الجنس المعروف.

وحكى المهدوي عن عكرمة، وأَبي مجلز أَنهما قرأا: (فرُجَّالاً) بضم الراءِ وشدِّ الجيم المفتوحة، وعن عكرمة[1] أَيضاً أَنه قرأَ: (فرُجَالاً) بضم الراءِ وتخفيف الجيم[2]، وحكى الطبري عن بعضهم أَنه قرأَ: (فرُجَّلاً) دون أَلف على وزن فُعَّل بضم الفاءِ وشد العين[3].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿أَوۡ رُكۡبَانٗا﴾، وقرأَ بديل[4] بن ميسرة: (فرجَالاً فَرُكباناً) بالفاءِ[5].

و«الركبان»: جمع راكب.

وهذه الرخصة في ضمنها بإِجماع من العلماءِ أَن يكون الإِنسان حيثما توجه من السُّمُوت[6]، ويتقلب ويتصرف بحسب نظره في نجاة نفسه.

---

(١) زاد في نور العثمانية: «وأبي مجلز».

(٢) انظر التحصيل (١/ ٤٤٥)، وفي أحمد٣ وجار الله هنا زيادة: «وحكى الطبري عن بعضهم: (فرُجْلاً) بضم الراء وتخفيف الجيم».

(٣) لفظه في تفسير الطبري (٥/ ٢٣٨): «وقد حكي عن بعضهم أنه كان يقرأ ذلك: (فإن خفتم فرُجَّالاً) مشددة، وعن بعضهم أنه كان يقرأ: (فرُجَالاً)، وكلتا القراءتين غير جائزةٍ القراءةُ بها عندنا، لخلافها القراءة الموروثة المستفيضة في أمصار المسلمين».
والقراءات بضم الراء ثلاث: الأولى بالألف والتشديد، عزاها لعكرمة في مختصر الشواذ (ص: ٢٢)، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٩٥)، ونقل عنه الثانية أيضاً وهي بالتخفيف مع الألف، والثالثة بالتشديد والقصر نقلها ابن خالويه عن أبي مجلز، ولم أجد له الأولى، إلا في البحر المحيط (٢/ ٥٤٩)، وبقيت رابعة بالتخفيف والقصر قال ابن خالويه: حكاها الكسائي عن بعضهم.

(٤) في المطبوع: بريد، وقال في الحاشية لعله بديل، وهو بديل بن ميسرة العقيلي البصري، روى عن أنس وأبي الجوزاء وعطاء بن أبي رباح وجماعة، وعنه إبراهيم بن طهمان وحماد بن زيد وجماعة، وثقه ابن معين، توفي سنة (١٢٥هـ)، وقيل (١٣٠هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٤٦).

(٥) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢١).

(٦) جمع سمت بمعنى الجهة أو الطريق.

واختلف الناس كم يُصلَّى من الركعات؟:

فمالك رحمه الله، وجماعةٌ من العلماءِ لا يرون أَن ينقص من عدد الركعات شيئاً، بل يصلي المسافر ركعتين ولا بد[١].

وقال الحسن بن أَبي الحسن، وقتادة، وغيرهما: يصلي ركعة إِيماءً[٢].

وروى مجاهد عن ابن عباس أَنه قال: فرضَ اللهُ الصلاةَ على لسان نبيِّكم في الحضَرِ أَربعاً، وفي السفَرِ ركعتين / ، وفي الخوفِ ركعةً[٣]. [١/ ١٥٨]

وقال الضحاك بن مزاحم: يصلي صاحب خوف الموت في المسايفة وغيرها ركعة، فإِن لم يقدر فليكبر تكبيرتين، وقال إِسحاق بن راهويه: فإِن لم يقدر إِلا على تكبيرة واحدة أَجزأَت عنه، ذكره ابن المنذر[٤].

واختلف المتأَولون في قوله: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ الآية:

فقالت فرقة: المعنى: فإِذا زال خوفكم الذي أَجاءَكم[٥] إِلى هذه الصلاة فاذكروا الله بالشكر على هذه النعمة في تعليمكم هذه الصلاة التي وقع بها الإِجزاءُ، ولم تفتكم صلاة من الصلوات، وهذا هو الذي لم يكونوا يعلمونه.

وقالت فرقة: المعنى: فإِذا كنتم آمنين قبل، أَو بعد، كأَنه قال: فمتى كنتم على أَمن فاذكروا الله؛ أَي: صلوا الصلاة التي قد علمتموها؛ أَي: فصلوا كما علمكم صلاة تامة. حكاه النقَّاش وغيره[٦].

---

(١) المدونة (١/ ٢٤٠).
(٢) انظر: الأوسط لابن المنذر (٥/ ٦-٧).
(٣) أخرجه مسلم (٦١٧).
(٤) انظر: الأوسط لابن المنذر (٥/ ٦-٧).
(٥) أي: ألجأكم، وكذا هي في نور العثمانية.
(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٨٠٥).

قال القاضي أَبو محمد: وقوله على هذا التأْويل: ﴿مَا لَمْ تَكُونُواْ﴾ بدلٌ من ﴿مَّا﴾ التي في قوله: ﴿كَمَا﴾، وإلا لم يتسق لفظ الآية، وعلى التأْويل الأَول (ما) مفعولة بـ ﴿عَلَّمَكُم﴾.

وقال مجاهد: معنى قوله: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ فإِذا خرجتم من دار السفر إلى دار الإِقامة، ورد الطبري على هذا القول(١)، وذلك فيه تحويم على المعنى كثير.

والكاف في قوله: ﴿كَمَا﴾ للتشبيه بين ذكر الإِنسان لله ونعمة الله عليه في أَن تعادلا(٢)، وكان الذكر شبيهاً بالنعمة في القدر، وكفاءً لها، ومَنْ تأَول (اذْكُرُوا) بمعنى: صلُّوا على ما ذكرناه، فالكاف للتشبيه بين صلاة العبد والهيئة التي علمه الله.

قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾ رفع بالابتداءِ، والخبر في الجملة التي هي ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم﴾.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، والكسائي، وعاصم في رواية أَبي بكر: ﴿وَصِيَّةٌ﴾ بالرفع(٣)، وذلك على وجهين:

أَحدهما: الابتداءُ، والخبر في الظرف الذي هو قوله: ﴿لِّأَزْوَٰجِهِم﴾، ويحسن الابتداءُ بنكرة من حيث هو موضع تخصيص، كما حسُن أَن يرتفع «سلامٌ عليكم»(٤)، و«خَيرٌ بين يديك»، و«أَمْتٌ في حَجَر لا فيك»؛ لأَنها مواضع دعاءٍ.

---

(١) انظر القول ورده في: تفسير الطبري (٥/ ٢٤٩).

(٢) في أحمد٣: «أن لا يعادلا» وكذا في جار الله، لكن تم محو «لا» فيها.

(٣) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٨٤)، والتيسير في القراءات السبع (ص: ٨١).

(٤) في المطبوع ونور العثمانية وفيض الله: «سلام عليك» بالإفراد.

والوجه الآخر: أَن تضمر له خبراً تقديره: عليهم[١] وصيةٌ لِأزواجهم، ويكون قوله: ﴿لِّأَزۡوَٰجِهِم﴾ صفة.

قال الطبري: قال بعض النحاة: المعنى: كتبت عليهم وصية، قال: وكذلك هي في قراءَة عبد الله بن مسعود[٢].

وقرأَ أَبو عمرو، وحمزة، وابن عامر (وحفص عن عاصم)[٣]: ﴿وَصِيَّةً﴾ بالنصب[٤]، وذلك حملٌ على الفعل، كأَنه قال: ليوصوا وصيةً، و﴿لِّأَزۡوَٰجِهِم﴾ على هذه القراءَة صفةٌ أَيضاً.

قال هارون: وفي حرف أُبي بن كعب: (وصِيَّةٌ لأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعٌ) بالرفع[٥]، وفي حرف ابن مسعود: (الوصية لأَزواجهم متاعاً)، وحكى الخفاف أَن في حرف أُبي: (فمتاعٌ لأَزواجهم) بدل (وصيةٌ)[٦].

ومعنى هذه الآية: أَن الرجل إِذا مات كان لزوجته أَن تقيم في منزله سنة، ويُنْفَقُ عليها من ماله، وذلك وصية لها.

واختلف العلماءُ مِمَّن هي هذه الوصية؟:

فقالت فرقة: كانت وصية من الله تعالى تجب بعد وفاة الزوج، قال قتادة: كانت المرأَة إِذا توفي عنها زوجها، فلها السكنى والنفقة حولاً في مال زوجها، ما لم تخرج

---

(١) في نور العثمانية: «فعليهم».
(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٢٥١)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٢٠٠)، وهي قراءة شاذة.
(٣) زيادة من السليمانية، ولا بد منها.
(٤) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٨٤)، والتيسير في القراءات السبع (ص: ٨١)، ومعهم حفص عن عاصم.
(٥) تفسير الثعلبي (٢/ ٢٠٠).
(٦) انظر القراءتين في: مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٢)، دون ذكر الخفاف، وكلها قراءات شاذة.

برأْيها، ثم نسخ ما في هذه الآية من النفقة بالربع أَو الثمن الذي في (سورة النساءِ)، ونسخ سكنى الحول بالأَربعة الأَشهر والعشر، [وقاله الربيع، وابن عباس، والضحاك، وعطاءٌ، وابن زيد(١).

وقالت فرقة: بل هذه الوصية هي من الزوج، كانوا نُدِبوا إِلى أَن يوصوا للزوجات بذلك، فـ﴿يُتَوَفَّوْنَ﴾ على هذا القول معناه: يقاربون الوفاة، ويحُتضَرون؛ لأَن الميت لا يوصي، قال هذا القول قتادة أَيضاً، والسدي(٢)، وعليه حمل الآية أَبو علي الفارسي في «الحجة»(٣).

قال السدي: إِلا أَن العدَّة كانت أَربعة أَشهر وعشراً، وكان الرجال يوصون بسكنى سنة، ونفقتها، ما لم تخرج، فلو خرجت بعد انقضاءِ العدة، الأَربعة الأَشهر والعشر](٤)، سقطت الوصية، ثم نسخ الله تعالى ذلك بنزول الفرائض، فأَخذت ربعها أَو ثمنها، ولم يكن لها سكنى ولا نفقة، وصارت الوصايا لمن لا يرث(٥).

وقال الطبري عن مجاهد: إِن هذه الآية محكمة لا نسخ فيها، والعدة كانت قد ثبتت أَربعة أَشهر وعشراً، ثم جعل الله لهن وصيةً منه سكنى سبعة أَشهر وعشرين ليلة، فإِن شاءَت المرأَة [سكنت في وصيتها، وإِن شاءَت](٦) خرجت، وهو قوله تعالى: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾(٧).

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٢٥٤-٢٥٦).

(٢) المصدر السابق (٥/ ٢٥٤-٢٥٧).

(٣) الحجة لأبي علي (٢/ ٣٤٣).

(٤) ما بين المعكوفتين ليس في الحمزوية.

(٥) تفسير الطبري (٥/ ٢٥٦).

(٦) ليس في نور العثمانية.

(٧) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٢٥٨)، وليس فيه ذكر للنسخ.

قال القاضي أَبو محمد: وأَلفاظ مجاهد رحمه الله التي حكى عنه الطبري، لا يلزم منها أَن الآية محكمة، ولا نصَّ مجاهدٌ على ذلك، بل يمكن أَنه أَراد: ثم نُسِخ ذلك بعدُ بالميراث.

وَ﴿مَّتَٰعًا﴾ نصب على المصدر، وكان هذا الأَمر إِلى الحول من حيثُ العامُ معلمٌ من معالم الزَّمان، قد أَخذ بحظٍّ من الطول.

وقوله تعالى: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ معناه: ليس لأَولياءِ الميِّت ووارثي المنزل إِخراجها، و﴿غَيْرَ﴾ نصب على المصدر عند الأَخفش[1]، كأَنه قال: لا إِخراجاً، وقيل: نصب على الحال من الموصَين، وقيل: هي صفة لقوله: ﴿مَّتَٰعًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ الآية، معناه: إِن الخروج إِذا كان من قِبل الزوجة، فلا جناح على أَحد وليٍّ، أَو حاكمٍ، أَو غيره فيما فعلن في أَنفسهن من تزويج، وترك حداد، وتزين، إِذا كان ذلك من المعروف الذي لا ينكر.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ صفةٌ تقتضي الوعيد بالنقمة لمن خالف الحدَّ في هذه النازلة، فأَخرج المرأَة وهي لا تريد الخروج، ﴿حَكِيمٌ﴾؛ أَي: محكم لما يأمر به عباده.

وهذا كله قد زال حكمه بالنسخ المتفق عليه، إِلا ما قوّله الطبري مجاهداً رحمه الله، وفي ذلك نظر على الطبري رحمه الله.

[١/ ١٥٩] / قوله عز وجل: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾.

اختلف الناس في هذه الآية:

---

(١) معاني القرآن للأخفش (١/ ١٩٢).

فقال أَبو ثور: هي محكمة، والمتعة لكل مطلقة، دخل بها أَو لم يدخل، فرض لها أَو لم يفرض بهذه الآية[١].

وقال الزهري: لكل مطلقة متعة، وللأَمة يطلِّقها زوجُها[٢].

وقال سعيد بن جبير: لكل مطلقة متعة[٣].

وقال ابن القاسم في «إِرخاءِ الستور» من «المدونة»: جعل الله تعالى المتاع لكل مطلقة بهذه الآية، ثم استثنى في الآية الأُخرى التي قد فُرِض لها، ولم يدخل بها، فأَخرجها من المتعة، وزعم زيد بن أَسلم أَنها نسختها[٤].

قال القاضي أَبو محمد: فَفَرَّ ابن القاسم من لفظ النسخ إِلى لفظ الاستثناءِ، والاستثناءُ لا يتَّجه في هذا الموضع، بل هو نسخ محض كما قال زيد بن أَسلم، وإِذا التزم ابن القاسم أَن قوله: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ﴾ عَمَّ كلَّ مطلقة، لزمه القول بالنسخ ولابد.

وقال عطاءُ بن أَبي رباح وغيره: هذه الآية في الثُّيَّب اللواتي قد جُومعن؛ إِذ قد تقدم في غير هذه الآية ذكر المتعة للواتي لم يُدخل بهن[٥]، فهذا قول بأَن التي قد فرض لها قبل المسيس لم تدخل قط في هذا العموم.

فهذا يجيءُ قوله[٦] على أَن قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٧] مخصِّصة لهذا الصنف من النساءِ، ومتى قيل: إِن العموم تناولها، فذلك نسخٌ [لا تخصيص.

(١) الأوسط لابن المنذر (٩/ ٤٣٣).
(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٢٦٣) بقريب منه، كما تقدم.
(٣) تفسير الطبري (٥/ ٢٦٣).
(٤) انظر: المدونة (٢/ ٢٣٨).
(٥) تقدم قريباً، وكذلك أغلب هذه المسائل تقدم في الآيات السابقة.
(٦) كذا في النسخ الخطية، وعليها في السليمانية علامة «صح»، وهي ساقطة من المطبوع.

وقال ابن زيد: هذه الآية نزلت مؤكدة لأَمر المتعة][١]؛ لأنه نزل [قبلُ: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، قال رجل: فإن لم أرد أن أحسن لم أمتع، فنزلت][٢]: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦] فوجب ذلك عليهم[٣].

قال القاضي أَبو محمد: هذا الإِيجاب من تقويل[٤] الطبري، لا من لفظ ابن زيد.

وقوله تعالى: ﴿حَقًّا﴾ نصب على المصدر، و﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾ هنا ظاهره أَن المراد من تلبَّس بتقوى الله تعالى.

والكاف في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ للتشبيه، و(ذلك) إِشارة إِلى هذا الشرح، والتنويع الذي وقع في النساءِ، وإِلى إِلزام المتعة لهن؛ أَي: كبيانه هذه القصة يبين سائر آياته، و﴿لَعَلَّكُمْ﴾ ترجٍّ في حق البشر؛ أي: من رأَى هذا المبين له رجا أَن يعقل ما يبين له.

قوله عزّ وجلّ: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾.

هذه رؤية القلب بمعنى: أَلم تعلَمْ، والكلام عند سيبويه بمعنى: تنبَّهْ إِلى أَمر الذين[٥]، ولا تحتاج هذه الرؤية إلى مفعولين.

---

(١) ليس في نور العثمانية.

(٢) ليس في المطبوع.

(٣) تفسير الثعلبي (٢/ ٢٠١).

(٤) في المطبوعة: «تأويل».

(٥) لفظه في الكتاب لسيبويه (٣/ ٤٠): «وسألته ـ يعني الخليل ـ عن: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: ٦٣]، فقال: هذا واجبٌ، وهو تنبيهٌ، كأنك قلت: أتسمع أن الله أنزل من السماء ماء فكان كذا وكذا».

وقصة هؤُلاءِ فيما قال الضحاك: هي أَنهم قوم من بني إِسرائيل أُمروا بالجهاد، فخافوا الموت بالقتل في الجهاد، فخرجوا من ديارهم فراراً من ذلك، فأَماتهم الله ليُعَرِّفهم أَنه لا يُنَجِّيهم من الموت شيءٌ، ثم أَحياهم وأَمرهم بالجهاد بقوله: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية[١].

وحكى قومٌ من اليهود لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أَن جماعة من بني إِسرائيل وقع فيهم الوباءُ، فخرجوا[٢] فراراً منه، فأَماتهم الله فبنى عليهم سائِرُ بني إِسرائيل حائطاً، حتى إِذا بلِيَتْ عظامهم بعث الله حزقيل النبيَّ عليه السلام فدعا اللهَ، فأَحياهم له[٣].

وقال السدي: هم أُمة كانت قِبَل واسط، في قرية يقال لها: ذاوردان وقع بها الطاعون فهربوا منه، وهم بضعة وثلاثون أَلفاً في حديث طويل، ففيهم نزلت الآية[٤].

وقال: إِنهم فروا من الطاعون: الحسنُ وعمرو بن دينار[٥].

وحكى النقَّاش: [أَنهم فروا من الحمى[٦].

وحكى فيهم مجاهد: أَنهم][٧] لما أُحيوا رجعوا إِلى قومهم يُعرَفون لكن[٨]

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٥٩) وتفسير الثعلبي (٢/ ٢٠٥)، والهداية لمكي (١/ ٨٠٩).

(٢) في نور العثمانية: «فجروا».

(٣) الطبري (٥/ ٢٦٨).

(٤) تفسير الطبري (٥/ ٢٧٠).

(٥) انظر قولهما في: تفسير الطبري (٥/ ٢٧٤)، وعزوه للحسن وقتادة في تفسير عبد الرزاق (١/ ٣٥٤).

(٦) نقله القرطبي في تفسيره (٣/ ٢٣٠)، ومثله في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٨٠٧) غير منسوب.

(٧) ليس في نور العثمانية.

(٨) في أحمد٣ وجار الله: «لأن».

سحنة الموت على وجههم، ولا يلبس أَحد منهم ثوباً إِلا عاد كفناً دسماً[١] حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم[٢].

وروى ابن جريج عن ابن عباس أَنهم كانوا من بني إِسرائيل، وأَنهم كانوا أَربعين أَلفاً وثمانية آلاف، وأَنهم أُميتوا ثم أُحيوا، وبقيت الرائحة على ذلك السبط[٣] من بني إِسرائيل إِلى اليوم، فأَمرهم الله بالجهاد ثانية فذلك قوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا القَصص كله ليّن الأَسانيد، وإِنما اللازم من الآية أَن الله تعالى أَخبر نبيه محمداً ﷺ أَخباراً في عبارة التنبيه والتوقيف عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فراراً من الموت، فأَماتهم الله تعالى ثم أَحياهم ليروا هم، وكلُّ مَن خَلف بعدهم أَن الإِماتة إِنما هي بيد الله، لا بيد غيره، فلا معنى لخوف خائف، ولا لاغترار مغترٍّ، وجعل الله تعالى هذه الآية مقدمة بين يدي أَمره المؤمنين من أُمة محمد بالجهاد، هذا قول الطبري، وهو ظاهر رصف[٥] الآية[٦]، ولِمُوردي القصص في هذه القصة زيادات اختصرتها لضعفها.

واختلف الناس في لفظ ﴿أُلُوفٌ﴾ فقال الجمهور: هي جمع أَلف:

قال بعضهم: كانوا ثمانين أَلفاً، وقال ابن عباس: كانوا أَربعين أَلفاً[٧]، وقيل: كانوا ثلاثين أَلفاً، وهذا كله يجري مع ﴿أُلُوفٌ﴾؛ إِذ هو جمع الكثير، [وقال ابن عباس

---

(١) في المطبوع: «رميماً»، وهي في هامش الأصل، وعليها إشارتا «صح»، و«خ»، والمثبت من النسخ الأخرى وهو الموافق للمصادر.
(٢) تفسير الطبري (٥/ ٢٧٠ - ٢٧١).
(٣) في المطبوع: «البسط».
(٤) هذا منقطع، أخرجه الطبري (٥/ ٢٧١).
(٥) كتبت في الأصل: وصف، وفي الهامش: رصف، وعليها علامة: خ، وفي نور العثمانية: «نص».
(٦) تفسير الطبري (٥/ ٢٧٨).
(٧) الطبري (٥/ ٢٧١).

أَيضاً: كانوا ثمانية آلاف، وقال أَيضاً: أَربعة آلاف[١]، وهذا يضعّفه لفظ ﴿أُلُوفٌ﴾؛ لَأنه جمع الكثير[٢]][٣].

وقال ابن زيد في لفظة ﴿أُلُوفٌ﴾: إِنما معناها: وهم مُؤْتلفون[٤]؛ [أي: لم تخرجهم فرقة قومهم، ولا فتنة بينهم، إنما كانوا مؤتلفين][٥]، فخالفت هذه الفرقة فخرجت فِراراً من الموت وابتغاءَ الحياة، فأَماتهم الله في منجاهم بزعمهم.

وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾ الآية إِنما هي مبالغة في العبارة عن فعله بهم، كأَن ذلك الذي نزل بهم فعلُ منْ قيل له: (مُتْ)، فمات.

وحُكي أَن ملَكين صاحَا بِهِمْ: (موتوا)، فماتوا، / فالمعنى قال لهم الله بواسطة الملكين. [١/ ١٦٠]

وهذا الموت ظاهر الآية، وما رُوي في قصصها أَنه موت حقيقي فارقت فيه الأَرواح الأَجساد، وإِذا كان ذلك فليس بموت آجالهم، بل جعله الله في هؤُلاءِ كمرض وحادث مما يحدث على البشر.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ الآية، تنبيه على فضل الله على هؤُلاءِ القوم الذين تفضل عليهم بالنعم، وأَمرهم بالجهاد، وأَمرهم بأَلا يجعلوا الحول والقوة إِلا له حسبما أَمر جميع العالم بذلك، فلم يشكروا نعمته في جميع هذا، بل استبدوا وظنوا أَن حولهم وسعيهم ينجيهم.

وهذه الآية تحذير لسائر الناس من مثل هذا الفعل؛ أَيْ: فيجب أَن يشكر الناس

---

(١) إسناده ليس بالحجة، أخرجه الطبري (٤/ ٢٦٧) من طريق ميسرة النهدي، عن المنهال، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في أحمد٣: «التكثير» في الموضعين، وأشار لها في هامش السليمانية وعليها علامة «خ».

(٣) ليس في الحمزوية.

(٤) تفسير الطبري (٥/ ٢٧٣)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٢٠٤)، والهداية لمكي (١/ ٨١١).

(٥) ليس في المطبوع.

فضل الله في إِيجاده لهم ورزقه إِياهم، وهدايته بالأَوامر والنواهي، فيكون منهم الجريُ إِلى امتثالها، لا طلبُ الخروج عنها.

وتخصيصه تعالى الأَكثر دلالةٌ على الأَقل الشاكر.

قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٤٤ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾.

الواو في هذه الآية عاطفة جملة كلام على جملة ما تقدم، هذا قول الجمهور، إِن هذه الآية هي مخاطبة لأُمة محمد ﷺ بالقتال في سبيل الله، وهو الذي ينوى به أَن تكون كلمة الله هي العليا(١)، [حسب الحديث](٢).

وقال ابن عباس، والضحاك: الأَمر بالقتال هو للذين أُحيوا من بني إِسرائيل(٣)، فالواو على هذا عاطفة على الأَمر المتقدم، المعنى: وقال لهم: قاتلوا.

قال الطبري رحمه الله: ولا وجه لقول منْ قال: إِن الأَمر بالقتال هو للذين أُحيوا(٤).

و﴿سَمِيعٌ﴾ معناه للأَقوال، ﴿عَلِيمٞ﴾ بالنيَّات.

ثم قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ﴾ الآية فدخل في ذلك المقاتل في سبيل الله، فإِنه يقرض رجاءَ الثواب كما فعل عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة(٥).

ويروى أَن هذه الآية لما نزلت قال أَبو الدحداح: يا رسول الله أَوَإِنَّ الله يريد منا

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٣) (٢٨١٠)، ومسلم (١٩٠٤) ولفظه: «من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله».

(٢) ليس في الأصل، والسليمانية وفيض الله.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٥٩)، تفسير القرطبي (٣/ ٢٣٦).

(٤) تفسير الطبري (٥/ ٢٨١).

(٥) سيرة ابن هشام (٢/ ٥١٨).

القرض؟، قال: «نعم يا أَبا الدحداح»، قال: فإِني قد أَقرضت حائطي، [لحائط فيه ست مئة نخلة، ثم جاءَ الحائطَ وفيه أُم الدحداح، فقال: اخرجي، فإِني قد أَقرضت ربي حائطي][1] هذا، قال: فكان رسول الله ﷺ يقول: «كَمْ مِنْ عِذق مُذَلَّلٍ لأَبي الدّحداح في الجنة!»[2].

قال القاضي أَبو محمد: ويقال فيه ابن[3] الدحداحة[4].

و«استدعاءُ القرض» في هذه الآية: إِنما هو تأْنيس وتقريب للناس بما يفهمونه، [من شبه القرض بالعمل للثواب][5]، والله هو الغني الحميد، لكنه تعالى شبه إِعطاءَ المؤْمن في الدنيا ما يرجو ثوابه في الآخرة بالقرض، كما شبه إِعطاءَ النفوس والأَموال في أَخذ الجنة بالبيع والشراءِ.

---

(١) ليس في جار الله.

(٢) ضعيف بذكر الآية صحيح بغيرها، هذا الحديث أخرجه بذكر الآية فيه: الطبري (٥/ ٢٨٤)، وأبو يعلى (٨/ ٤٠٤)، والبزار (٥/ ٤٠٢) في مسنديهما، والطبراني في الكبير (١٦/ ١٦٥)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، بإسناد فيه حميد الأعرج، وهو ابن عمار، متروك الحديث، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٢/ ٢٤٣)، من طريق إسماعيل بن قيس الأنصاري، عن عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإسماعيل بن قيس هذا متفق على تضعيفه، والثابت من هذه الطريق، عن زيد بن أسلم قال: لما نزلت: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾... فذكره مرسلاً به، أخرجه الطبري (٥/ ٢٨٤) بإسناد صحيح إلى زيد بن أسلم.
لكن أخرجه بدون ذكر الآية: مسلم (٩٦٥) مختصراً بلفظ: «كم من عذق معلق في الجنة لابن الدحداح، أو قال شعبة: لأبي الدحداح»، وكذلك أخرجه بالقصة: أحمد (٣/ ١٤٦) وابن حبان (٧١٥٩) والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٤) من طريق: حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس، وإسناده صحيح.

(٣) في المطبوع: أبو، وفي نور العثمانية: «أم».

(٤) هو ثابت بن الدحداح، ويقال: الدحداحة، بن نعيم بن غنم بن إياس، يكنى أبا الدحداح، حليف الأنصار، توفي منصرَفَ النبي ﷺ من الحديبية، ترجم له أبو عمر في الاستيعاب (١/ ٢٠٣)، ثم قال (٤/ ١٦٤٥) في ترجمة أبي الدحداح صاحب القصة: وقد قيل: إن أبا الدحداح هَذَا اسمه ثابت بْن الدحداح، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة (٧/ ١٠١): الحقّ أنه غيره.

(٥) ليس في الأصل والمطبوع والسليمانية.

وقد ذهبت اليهود في مدة النبي ﷺ إِلى التخليط على المؤمنين بظاهر الاستقراض، وقالوا: إِلهكم محتاج يستقرض[١]، وهذا بيّن الفساد.

وقوله: ﴿حَسَنًا﴾ معناه: تطيب فيه النية، ويشبه أَيضاً أَن تكون إِشارة إِلى كثرته وجودته.

واختلف القراءُ في تشديد العين وتخفيفها، ورفع الفاءِ ونصبها، وإِسقاط الأَلف وإِثباتها، من قوله تعالى: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾:

فقرأَ ابن كثير: ﴿فَيضعّفُه﴾ برفع الفاءِ من غير أَلف وتشديد العين في جميع القرآن.

[وقرأَ ابن عامر كذلك إِلا أَنه نصب الفاءَ في جميع القرآن، ووافقه عاصم على نصب الفاء إلا أنه أثبت الألف ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ في جميع القرآن][٢].

وكان أَبو عمرو لا يسقط الأَلف من ذلك كله إِلا قوله تعالى: ﴿يُضَعَّفْ لَهَا الْعَذَابُ﴾ من سورة الأَحزاب [٣٠]، فإِنه بغير أَلف كان يقرؤُه[٣].

وقرأَ حمزة والكسائي ونافع ذلك كله بالأَلف ورفع الفاءِ[٤].

فالرفع في الفاءِ يتخرج على وجهين:

أَحدهما العطف على الصلة، وهو ﴿يُقْرِضُ﴾، والآخر يستأْنف الفعل ويقطعه[٥].

قال أَبو علي: والرفع في هذا الفعل أَحسن[٦].

---

(١) مرسل، أخرجه الطبري (٧/ ٤٤٤) بإسناد صحيح إلى قتادة مرسلاً.

(٢) ليس في نور العثمانية.

(٣) كذا في النسخ الخطية، وفي نور العثمانية: «كما يقرؤه»، وفي المطبوع: «كان يقرؤه بغير ألف»، على التقديم والتأخير.

(٤) انظر هذه القراءات وكلها سبعية في السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٨٤)، والتيسير في القراءات السبع (ص: ٨١).

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ١٥٧)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ١٢١)، والحجة لأبي علي (٢/ ٣٤٤-٣٤٥).

(٦) الحجة لأبي علي (٢/ ٣٤٤).

قال القاضي أبو محمد: لأَن النصب إِنما هو بالفاءِ في جواب الاستفهام، وذلك إِنما يترتب إِذا كان الاستفهام عن نفس الفعل الأَول ثم يجيءُ الثاني مخالفاً له؛ تقول: أَتقرضني فأَشكرَك؟ وهاهنا: إِنما الاستفهام عن الذي يقرض، لا عن الإِقراض، ولكن تحمل قراءَة ابن عامر وعاصم في النصب على المعنى؛ لأَنه لم يستفهم عن فاعل الإِقراض إِلا من أَجل الإِقراض، فكأَن الكلام: أَيقرض أَحدٌ اللهَ فيضاعِفَه له.

ونظير هذا في الحمل على المعنى قراءَةُ من قرأَ: ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ﴾ [الأعراف: ١٨٦][1] بجزْم ﴿ويذرْهم﴾ لما كان معنى قوله: ﴿فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ فلا يهدِهِ.

وهذه الأَضعاف[2] الكثيرة هي إِلى السبع المئة التي رويت ويعطيها مثالُ السنبلة.

وقرأَ ابن كثير: ﴿يَبْسُطُ﴾ بالسين، ونافع بالصاد، في المشهور عنه، وقال الحلواني، عن قالون، عن نافع: إِنه لا يبالي كيف قرأَ: ﴿بسطة﴾ و﴿يبسط﴾ بالسين أَو الصاد، وروى أَبو قرة[3]، عن نافع: ﴿يَبْسُط﴾ بالسين[4].

وروي: أَن النبي ﷺ طُلب منه أَن يُسعِّر بسبب غلاءٍ خِيف على المدينة، فقال: «إِن الله هو الباسط القابض، وإِني لأَرجو أَن أَلقى الله ولا يتبعني أَحد بمظلمة في نفس ولا مال»[5].

---

(١) وسيأتي تفصيل قراءاتها في محلها إن شاء الله تعالى.
(٢) في نور العثمانية: «الأصناف».
(٣) هو موسى بن طارق أبو قرة السكسكي اليماني الزبيدي قاضيها، روى قراءة نافع، وهو من جلة الرواة عنه، وحدّث عن موسى بن عقبة ومالك، وسمع منه أحمد بن حنبل وكان يثني عليه خيراً، وقال عنه أبو حاتم: محله الصدق. غاية النهاية (٢/ ٣١٩).
(٤) انظر روايتي الحلواني وأبي قرة في: السبعة في القراءات (ص: ١٨٦)، وفي التيسير (ص: ٨١): أن الذين قرؤوا بالسين هم: قنبل وحفص وهشام وأبو عمرو وحمزة بخلاف عن خلاد.
(٥) صححه جماعة من الحفاظ، أخرجه أحمد (٢٠/ ٤٦)، وأبو داود (٣٤٤٥)، والترمذي وصححه =

قوله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ... ﴾.

هذه الآية خبرٌ عن قوم من بني إِسرائيل، نالتهم ذِلة، وغلبة عدو، فطَلبوا الإِذن في الجهاد وأَن يؤمروا به، فلما أُمروا كعَّ[1] أَكثرُهم، وصبر الأَقل، فنصرهم الله، وفي هذا كله مثال للمؤمنين ليُحذَر المكروهُ، ويُقتدَى بالحسن[2].

و ﴿ٱلْمَلَإِ﴾ في هذه الآية: جميعُ القوم؛ لأَن المعنى يقتضيه، وهذا هو أَصل اللفظة، ويسمى الأَشراف الملأَ تشبيهاً.

وقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾ معناه: من بعد موته، وانقضاءِ مدته.

واختلف المتأَولون في النبي الذي قيل له: ابعث:

فقال ابن إِسحاق وغيره، عن وهب بن منبه: هو شمويل[3] بن بالي[4]، وقال السدي: هو شمعون[5]، وقال قتادة: هو يوشع بن نون[6].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول ضعيف؛ لأَن مدة داود هي بعد مدة موسى بقرون من الناس، ويوشع هو فتى موسى.

= (١٣٦١)، وابن حبان في صحيحه (٤٩٣٥) من طرق، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، وقتادة، وحميد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً به.

(١) يعني: رجع.

(٢) في الحمزوية: «بالخير».

(٣) كذا في المطبوع، ونورالعثمانية: بالمعجمة، وأغلب المصادر، وفي النسخ الخطية الأخرى: «سمويل» بالمهملة.

(٤) تفسير الطبري (٥/ ٢٩٨).

(٥) المصدر السابق (٥/ ٢٩٢).

(٦) تفسير عبد الرزاق (١/ ٣٥٥)، وتفسير الطبري (٥/ ٢٩٣).

وكانت بنو إِسرائيل تغلب مَن حاربها، وروي: أَنها كانت تَضع التابوت الذي فيه السكينة والبقية في مأْزق[١] الحرب، فلا تزال تغلب حتى عصوا، وظهرت فيهم الأَحداث، وخالف ملوكهم الأَنبياءَ، واتبعوا الشهوات، وقد كان الله تعالى قد أَقام أُمورهم بأَن يكون أَنبياؤُهم يسدِّدون ملوكهم، فلما فعلوا ما ذكرنا سلَّط الله عليهم أُمماً من الكفرة فغلبوهم، وأُخذ لهم التابوت في بعض الحروب، فذل أَمرهم.

وقال السدي: كان الغالب لهم جالوت وهو من العمالقة، فلما رأَوا أَنه الاصطلام وذهاب الذكر أَنف بعضهم، وتكلموا في أَمرهم حتى اجتمع ملؤُهم على أَن قالوا لنبي الوقت: ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾، الآية، وإِنما طلبوا مِلكاً يقوم بأَمر القتال، وكانت المملكة في سبط من أَسباط بني إِسرائيل يقال لهم: بنو يهوذا، فعلم النبي بالوحي أَنه ليس في بيت المملكة من يقوم بأَمر الحرب، ويسَّر الله لذلك طالوتَ[٢].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿نُّقَـٰتِلْ﴾ بالنون وجزم اللام على جواب الأَمر، وقرأَ الضحاك وابن أَبي عبلة: (يُقَاتِلُ) بالياءِ ورفع الفعل[٣]، فهو في موضع الصفة للملك.

وأَراد النبي المذكور عليه السلام أَن يتوثق منهم فوقفهم على جهة التقرير وسَبْر ما عندهم بقوله: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾.

وقرأَ نافع: ﴿عَسِيْتُم﴾ بكسر السين في الموضعين، وفَتَح الباقون السين[٤].

قال أَبو علي: الأَكثر فتح السين وهو المشهور، ووجْه الكسر قولُ العرب: هو عَسٍ بذلك، مثل حَرٍ وشَجٍ، وقد جاءَ فعَل وفَعِل في نحو: نَقَمَ ونَقِمَ، فكذلك عسَيْت

---

(١) في نور العثمانية: «في ماء زق».
(٢) انظره في: تفسير الطبري (٢/ ٥٩٨).
(٣) انظر عزوها لهما في: مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١٣٤)، وعزاها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٢٢) للسلمي.
(٤) فهما متواترتان.انظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٨٦)، والتيسير في القراءات السبع (ص: ٨١).

وعسِيت، فإن أُسند الفعل إلى ظاهر فقياس عسيتم أَن يقال: عَسِيَ زيد مثل رضي، فإن قيل: فهو القياس، وإن لم يُقل فسائغٌ أَن يؤْخذ باللغتين، فيستعمل إحداهما في موضع الأُخرى كما فُعل ذلك في غيره(١).

ومعنى هذه المقالة: هل أَنتم قريب من التولي والفرار إن كتب عليكم القتال؟

قوله عز وجل: ﴿... قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٢٤٦﴾.

المعنى: وأَيُّ شيءٍ يجعلنا أَلا نقاتل وقد وُترنا وأُخرجنا من ديارنا؟، وقالوا هذه المقالة، وإن كان القائل لم يُخرَج من حيث قد أُخرج من هو مثله، [وفي حكمه](٢)، ثم أَخبر الله تعالى عنهم أَنهم لما فرض عليهم القتال، ورأَوا الحقيقة، ورجعت أَفكارهم إلى مباشرة الحرب تولوا؛ أَي: اضطربت نياتهم، وفترت عزائمهم، وهذا شان الأُمم المتنعمة المائلة إلى الدَّعة، تتمنى الحرب أَوقات الأنفة، فإذا حضرت الحرب كعَّت وانقادت لطبعها.

وعن هذا المعنى نهى النبي ﷺ بقوله: «لا تتمنَّوا لقاءَ العدو، واسأَلوا الله العافيةَ، فإذا لقيتُموهم فاثبتوا»(٣).

ثم أَخبر الله تعالى عن قليل منهم أَنهم ثبتوا على النية الأُولى، واستمرت عزيمتهم على القتال في سبيل الله.

ثم توعد الظالمين في لفظ الخبر الذي هو قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقرأَ أُبي بن كعب: (تولوا إلا أَن يكون قليلٌ منهم)(٤).

---

(١) الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٥٠).

(٢) ليس في فيض الله.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٩٦٥) (٧٢٣٧)، ومسلم (١٧٤٢) من حديث عبد الله بن أبي أوفي رضي الله عنه.

(٤) وهي قراءة شاذة، نقلها في البحر المحيط (٢/ ٥٧٣).

قال عز وجل: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ...﴾.

قال وهب بن منبه: إنه لما قال الملأُ من بني إِسرائيل لشمويل بن بالي ما قالوا، سأَل الله تعالى أَن يبعث لهم ملِكاً ويدله عليه، فقال تعالى له: انظر إِلى القَرن الذي فيه الدهن في بيتك، فإِذا دخل عليك رجل فنَشَّ[1] الدهن الذي في القَرن فهو ملك بني إِسرائيل، فادْهِنْ رأْسه منه، وملِّكه عليهم، قال: وكان طالوت رجلاً دباغاً، وكان من سِبْط بنيامين بن يعقوب، وكان سبطه لا نبوة فيه ولا ملك، فخرج طالوت في بُغَاءِ[2] دابة له أَضلها فقصد شمويل عسى أَن يدعو له في أَمر الدابة، أَو يجد عنده فرجاً فنَشَّ الدهن[3].

قال القاضي أَبو محمد: وهو دهن القدس فيما يزعمون.

قال: فقام إِليه شمويل فأَخذه ودهن منه رأْس طالوت، وقال له: أَنت ملك بني إِسرائيل الذي أَمرني الله بتقديمه، ثم قال لبني إِسرائيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾[4].

و﴿طَالُوتَ﴾: اسم أَعجمي معرب، ولذلك لم ينصرف / . [١/ ١٦٢]

وقال السدي: إِن الله أَرسل إِلى شمعون عصاً، وقال له: من دخل عليك من بني إِسرائيل فكان على طول هذه العصا فهو ملكهم، فقيس بها بنو إِسرائيل فكانت تطولهم حتى مر بهم طالوت في بُغَاءِ حماره الذي كان يسقي عليه، وكان رجلاً سقاءً، فدعوه فقاسوه بالعصا، فكان مثلها، فقال لهم نبيهم ما قال.

---

(١) نَشَّ: سُمع له صوت.

(٢) في هامش السليمانية إشارة إلى أن في نسخة: «ابتغاء»، وهما بمعنىً.

(٣) تفسير الطبري (٥/ ٣٠٧).

(٤) بقية كلام وهب السابق.

ثم إِنَّ بني إِسرائيل تعنَّتوا وحادوا عن أَمر الله تعالى، وجَرَوْا على سنَنهم، فقالوا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾؛ أَي: لأَنـه ليس في بـيت مِلك، ولا سبقت له فيه سابقة، ولم يُؤْت مالاً واسعاً يجمع به نفوس الرجال حتى يغلب أَهل الأَنفة بماله.

قال القاضي أَبو محمد: وترك القوم السبب الأَقوى، وهو قدر الله وقضاؤُه السابق، وأَنه مالك الملك، فاحتج عليهم نبيهم عليه السلام بالحجة القاطعة، وبين لهم مع ذلك تعليل اصطفاءِ طالوت، وأَنه زاده[١] بسطته في العلم، وهو ملاك الإنسان، والجسم الذي هو معينه في الحرب وعدته عند اللقاءِ.

قال ابن عباس: كان في بني إِسرائيل سبطان: أَحدهما للنبوة، والآخر للمُلْك، فلا يبعث نبيٌّ إِلا من الواحد، ولا ملكٌ إِلا من الآخر، فلما بعث طالوت من غير ذلك قالوا مقالتهم[٢].

قال مجاهد: معنى المُلْك في هذه الآية الإِمرة على الجيش[٣]، ولكنهم[٤] قلقوا؛ لأَن من عادة من تولى الحرب وغلب أَن يستمر ملكاً.

واصطفى: افتعل مأْخوذ من الصفوة.

وقرأَ نافع: ﴿بَصْطَةً﴾ بالصاد، وقرأَ أَبو عمرو، وابن كثير: ﴿بَسْطَةً﴾ بالسين[٥].

والجمهور على أَن العلم في هذه الآية يراد به العموم في المعارف.

وقال بعض المتأَولين: المراد علم الحرب[٦].

---

(١) زاد في فيض الله: «زاده»، وفي المطبوع: «وأنه بسطة»، دون ضمير.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٥٦) من طريق عطية بن سعد العوفي عن ابن عباس.

(٣) انظر كلام مجاهد في: تفسير الطبري (٥/ ٣١٢)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٢١١).

(٤) في الحمزوية: «ولذلك».

(٥) قراءة ابن كثير بالسين هي من رواية قنبل، انظر عزوها له ولأبي عمرو في التيسير (ص: ٨١)، ووافقهما هشام وحفص وحمزة بخلاف عن خلاد، ووافق الباقون نافعاً.

(٦) انظر هذين الرأيين في: تفسير الطبري (٥/ ٣١٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٦٦)، وتفسير السمعاني (١/ ٢٥٠).

وأَما جسمه فقال وهب بن منبه: إِن أَطول رجل في بني إِسرائيل كان يبلغ منكب طالوت[(١)].

قوله عز وجل: ﴿...وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ ...﴾.

لما علم نبيهم عليه السلام تعنتهم وجِدَالهم في الحجج تمَّمَ كلامه بالقطعيِّ الذي لا اعتراض عليه، وهو قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾.

وظاهر اللفظ أَنه من قول النبي لهم، وقد ذهب بعض المتأَولين إِلى أَنه من قول الله تعالى لمحمد ﷺ، والأَول أَظهر.

وأُضيف ملك الدنيا إِلى الله تعالى إِضافة مملوك إِلى مالك.

و﴿وَٰسِعٌ﴾ معناه: وسِعت قُدرته وعلمُه كل شيءٍ.

وأَما قول النبي لهم: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾ فإِن الطبريَّ ذهب إِلى أَن بني إِسرائيل تعنَّتوا، وقالوا لنبيهم: وما آية مُلْك طالوت؟ وذلك على جهة سؤال الدلالة على صدقه في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾[(٢)].

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل أَن نبيهم قال لهم ذلك على جهة التغبيط والتنبيه على هذه النعمة التي قرنها الله بمُلك طالوت، وجعلها آية له دون أَن تعن بنو إِسرائيل لتكذيب نبيهم، وهذا عندي أَظهر من لفظ الآية، وتأْويل الطبري أَشبه بأَخلاق بني إِسرائيل الذميمة، فإِنهم أَهل تكذيب وتعنت واعوجاج، وقد حكى الطبري معناه عن ابن عباس[(٣)]، وابن زيد، والسدي[(٤)].

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٣١٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٦٦) وتفسير الثعلبي (٢/ ٢١١).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٣١٥).
(٣) منقطع، أخرجه الطبري (٥/ ٣٢١) من طريق: ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٤) انظر تفسير الطبري (٥/ ٣٠٩).

واختلف المفسرون في كيفية إتيان التابوت، وكيف كان بدءُ أَمره:

فقال وهب بن منبه: كان التابوت عند بني إِسرائيل يغلبون به من قاتلهم حتى عصَوا فغُلبوا على التابوت، وصار التابوت عند القوم الذين غلبوا فوضعوه في كنيسة لهم فيها أَصنام، فكانت الأَصنام تصبح منكَّسة، فجعلوه في قرية قوم فأَصاب أُولئك القوم أَوجاع في أَعناقهم[١].

وقيل: جعل في مخرأَة[٢] قوم، فكان يصيبهم الناسور، فلما عظم بلاؤُهم ـ كيف كان ـ قالوا: ما هذا إِلا لهذا التابوت فلنرده إِلى بلاد بني إِسرائيل، فأَخذوا عجلة فجعلوا التابوت عليها، وربطوها ببقرتين فأَرسلوهما في الأَرض نحو بلاد بني إِسرائيل، فبعث الله ملائكة تسوق البقرتين حتى دخلتا به على بني إِسرائيل وهم في أَمر طالوت فأَيقنوا بالنصر، وهذا هو حمل الملائكة للتابوت في هذه الرواية[٣].

وقال قتادة، والربيع: بل كان هذا التابوت مما تركه موسى عند يوشع بن نون، فجعله يوشع في البرية، ومرت عليه الدهور حتى جاءَ وقت طالوت[٤].

وكان أَمر التابوت مشهوراً عندهم في تركة موسى، فجعل الله الإِتيان به آية لملك طالوت، وبعث الله ملائكة حملته إِلى بني إِسرائيل، فيروى أَنهم رأَوا التابوت في الهواءِ يأْتي حتى نزل بينهم[٥]، ورُوي أَن الملائكة جاءَت به تحمله حتى جعلته في دار طالوت، فاستوسقت[٦] بنو إِسرائيل عند ذلك على طالوت[٧].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٣٢١).
(٢) المخرأة: المزبلة، وفي نور العثمانية: «مجراة».
(٣) انظر: تفسير الثعلبي (٢/ ٢١٤).
(٤) انظر قول قتادة والربيع: تفسير الطبري (٥/ ٣٢٤).
(٥) انظر: تاريخ الطبري (١/ ١٧٧).
(٦) في القاموس المحيط (ص: ٩٢٨): واستوسقت الإبل: اجتمعت، واتسق: انتظم.
(٧) انظر: تاريخ الطبري (١/ ١٧٧).

وقال وهب بن منبه: كان قدر التابوت نحواً من ثلاثة أَذرع في ذراعين(١).

وقرأَ زيد بن ثابت: (التَّابُوه)(٢)، وهي لغته، والناس على قراءَته بالتاءِ.

قال القاضي أَبو محمد: وكثَّر الرواة في قصص التابوت وصورة حمله بما لم أَر لإِثباته وجهاً للين إِسناده.

قوله عز وجل: ﴿... فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾.

قال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: السكينة ريح هفافة لها وجه كوجه الإِنسان(٣)، ورُوي عنه أَنه قال: هي ريح خجوج(٤)، ولها رأْسان(٥).

وقال مجاهد: السكينة: لها رأْس كرأْس الهرة، وجناحان وذنب، وقال: أَقبلت السكينة والصرد وجبريل مع إِبراهيم من الشام(٦).

وقال وهب بن منبه عن بعض علماءِ بني إِسرائيل/ : السكينة: رأْس هرة ميتة [١/ ١٦٢]

(١) انظر قول وهب في: تفسير الطبري (٥/ ٣٢٤).
(٢) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٢٢)، والهداية لمكي (٤/ ٣١٢٩)، والكشاف للزمخشري (١/ ٣٢١).
(٣) لا يثبت عن علي، هذا الأثر رواه سلمة بن كهيل، واختلف عليه: فرواه محمد بن جحادة، عن سلمة بن كهيل، عن أبي وائل، عن علي، أخرجه الطبري (٥/ ٣٢٦)، وخالفه مسعر بن كدام، فرواه عن سلمة بن كهيل، عن أبي الأحوص، عن علي، أخرجه ابن أبي حاتم (٢٤٧٤)، وكذلك خالفه كل من: العوام بن حوشب، ومنصور بن المعتمر، فروياه عن سلمة بن كهيل، عن علي به أخرجه الطبري (٥/ ٣٢٦)، رواية محمد بن جحادة فيها نظر، فكأنه سلك الجادة، وأبو الأحوص ليست له رواية عن علي، والظاهر أنه لم يلقه، والعوام ومنصور روايتهما أشبه، وسلمة لم يدرك علياً.
(٤) ريح خَجوجٌ: تلتوي في هُبوبها، انظر الصحاح (١/ ٣٠٨).
(٥) إسناده ليس بالقوي، أخرجه الطبري في تاريخه (١/ ١٥٢) وتفسيره (٢/ ٦١٢) من طريق: سماك ابن حرب عن خالد بن عرعرة عن علي، وخالد لم يوثق توثيقاً معتبراً، ولم يصرح بسماعه من علي.
(٦) انظر قول مجاهد في تفسيره (١/ ١١٤). ورواه عنه الطبري في تفسيره (٥/ ٣٢٧).

كانت إِذا صرخت في التابوت بصراخ الهر أَيقنوا بالنصر(١).

وقال ابن عباس: السكينة: طست من ذهب من الجنة، كان يغسل فيه قلوب الأَنبياءِ(٢)، وقاله السدي(٣).

وقال وهب بن منبه: السكينة روح من(٤) الله يتكلم إِذا اختلفوا في شيءٍ أَخبرهم ببيان ما يريدون(٥).

وقال عطاء بن أَبي رباح: السكينة: ما يعرفون من الآيات فيسكنون إِليها، وقال الربيع بن أَنس: [﴿سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أَي: رحمة من ربكم، وقال قتادة:](٦) ﴿سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أَي: وقار لكم من ربكم(٧).

قال القاضي أَبو محمد: والصحيح أَن التابوت كانت فيه أَشياءُ فاضلة من بقايا الأَنبياءِ وآثارهم، فكانت النفوس تسكن إِلى ذلك، وتأْنس به وتقوى، فالمعهود أَن الله ينصر الحق والأُمور الفاضلة عنده، والسكينة على هذا: فَعِيلةٌ مأْخوذة من السكون، كما يقال: عزم عزيمة، وقطع قطيعة.

واختلف المفسرون في البقية ما هي؟:

فقال ابن عباس: هي عصا موسى، ورُضَاضُ(٨) الأَلواح(٩).

---

(١) انظره في: تفسير الطبري (٥/ ٣٢٨)، وتاريخ الطبري (١/ ٢٧٤)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٢١٣).

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٣٢٨) من طريق: الحكم بن ظهير، عن السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس به، والحكم بن ظهير متروك اتهمه ابن معين، والأَوْلى منه ما روي عن السدي نفسه، وهو الآتي.

(٣) أخرجه الطبري عقب الأثر السابق.

(٤) «من»: ليست في المطبوع.

(٥) تفسير الطبري (٥/ ٣٢٨).

(٦) ليس في السليمانية.

(٧) انظر هذه الأقوال في: تفسير الطبري (٥/ ٣٢٩).

(٨) قال في لسان العرب (٧/ ١٥٤): رضاض الشيء فتاته، وكل شيء كسرته فقد رضرضته.

(٩) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٣١) بإسناد صحيح.

وقال الربيع: هي عصا موسى، وأُمور من التوراة، وقال عكرمة: هي التوراة، والعصا، ورضاض الأَلواح[(١)].

قال القاضي أَبو محمد: ومعنى هذا ما روي من أَن موسى لما جاءَ قومه بالأَلواح فوجدهم قد عبدوا العجل أَلقى الأَلواح غضباً فتكسَّرت، فنزع منها ما بقي صحيحاً، وأُخِذ رضاضُ ما تكسَّر فجُعل في التابوت.

وقال أَبو صالح: البقية عصا موسى، وعصا هارون، ولوحان من التوراة، والمنُّ، وقال عطية بن سعد[(٢)]: هي عصا موسى، وعصا هارون، وثيابهما، ورضاض الأَلواح.

وقال الثوري: من الناس مَنْ يقول: البقية قفيز مَنٍّ، ورضاض الألواح، ومنهم من يقول: العصا، والنعلان، وقال الضحاك: البقية: الجهاد، وقتال الأَعداءِ[(٣)].

قال القاضي أَبو محمد: أَي الأَمر بذلك في التابوت، إِمَّا أَنه مكتوب فيه، وإِمَّا أَن نفس الإِتيان به هو كالأَمر بذلك.

وأُسند الترك إِلى آل موسى وهارون من حيث كان الأَمر مندرجاً من قوم إِلى قوم، وكلُّهم آل لموسى وهارون، وآل الرجل: قرابته وأَتباعه.

وقال ابن عباس[(٤)]، والسدي، وابن زيد: حملُ الملائكة هو سَوقُها التابوتَ دون شيءٍ يحمله سواها حتى وضعته بين يدي بني إِسرائيل وهم ينظرون إِليه بين السماءِ والأَرض.

---

(١) انظر هذين القولين في: تفسير الطبري (٥/ ٣٣٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٧٠).

(٢) هو أبو الحسن عطية بن سعد العوفي الجدلي الكوفي روى عن أبي هريرة وابن عمر وابن عباس، روى عنه الأعمش وغيره، أخرج له أبو داود، وكان شيعياً ضعيف الحديث، توفي سنة (١١١هـ). انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٦/ ٣٨٢)، والكاشف (٢/ ٢٧).

(٣) انظر هذه الأقوال الخمسة في: تفسير الطبري (٥/ ٣٣٤)، وما بعدها.

(٤) منقطع، سبق من رواية ابن جريج عن ابن عباس، أخرجه الطبري (٥/ ٣٢١).

وقال وهب بن منبه، والثوري عن بعض أَشياخهم: حمْلُها إِياه هو سوْقُها الثورين أَو البقرتين اللتين جرَّتا العجَلة به[١]، ثُمَّ قرر تعالى أَنَّ مجيءَ التابوت آية لهم إِن كانوا مِمَّن يُؤْمن ويُبصر بعين حقيقة.

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ...﴾.

قبل[٢] هذه الآية متروك من اللفظ يدل معنى ما ذُكر عليه، وهو: فاتَّفق بنو إِسرائيل على طالوت مِلكاً، وأَذعنوا وتهيؤا لغزوهم عدوهم، فَلمَّا فَصَلَ.

و﴿فَصَلَ﴾ معناه: خرج بهم من القطر، وفصَل حال السفر من حال الإِقامة.

قال السدي وغيره: كانوا ثمانين أَلفاً.

قال القاضي أَبو محمد: ولا محالة أَنهم كان فيهم المؤمن والمنافق، والمجدُّ والكسلان.

وقال وهب بن منبه: لم يتخلف عنه إِلا ذو عذر من صغر أَو كبر أَو مرض[٣].

واختلف المفسرون في النهر:

فقال وهب بن منبه: لما فصل طالوت قالوا له: إِن المياه لا تحملنا، فادع الله يُجْر لنا نهراً، فقال لهم طالوت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ الآية[٤].

وقال قتادة: النهر الذي ابتلاهم الله به هو نهر بين الأُردن وفلسطين، [وقاله ابن

---

(١) انظر هذه الأقوال في: تفسير الطبري (٥/ ٣٣٥).

(٢) في نور العثمانية: قبل بعض هذه إلخ، وكأنها ملحقة في أحمد٣ بخط غير واضح.

(٣) انظر القولين في: تفسير الطبري (٥/ ٣٣٩).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٣٣٩).

عباس[١]، وقال أَيضاً هو والسدي: النهر نهر فلسطين[٢]][٣].

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿بِنَهَرٍ﴾ بفتح الهاءِ.

وقرأَ مجاهد، وحميد الأَعرج، وأَبو السمال، وغيرهم: (بنهْر) بإِسكان الهاءِ في جميع القرآن[٤].

ومعنى هذا الابتلاءِ أَنه اختبار لهم، فمن ظهرت طاعته في ترك الماءِ علم أَنه يطيع فيما عدا ذلك، ومن غلَّب شهوته[٥] في الماءِ وعصا الَأمر فهو بالعصيان في الشدائد أَحرى.

ورُوي: أَنهم أَتوا النهر وهم قد نالهم عطش وهو في غاية العذوبة والحُسْن، ولذلك رخص للمطيعين في الغُرفة ليرتفع عنهم أَذى العطش بعض الارتفاع، وليكسروا نِزاع النفس في هذه الحال إِلى الاغتراف بالأَيدي لنظافته وسهولته.

وقد قال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: الأَكفُّ أَنظفُ الآنية[٦]، ومنه قول الحسن رحمه الله[٧]:

---

(١) منقطع، انظر: تفسير الطبري (٥/ ٣٣٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٣٤٠).

(٣) ليس في أحمد٣.

(٤) وهي قراءة شاذة انظر عزوها لحميد في: مختصر الشواذ (ص: ٢٢)، وللباقين في الدر المصون (١٠/ ١٥٠).

(٥) في جار الله: «غلبت شهوته»، وفي الحمزوية: «غلبت عليه».

(٦) معجم البلدان (٤/ ١٧٦)، والجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة (١/ ٣٠١)، والكامل في اللغة والأدب (٣/ ١٥٣).

(٧) الحسن بن هانئ، أبو علي الحكمي، الشاعر المعروف بأبي نواس، ولد بالأهواز ونشأ بالبصرة، شاعر مشهور، أخذ اللغة عن أبي زيد الأنصاري وغيره. انظر: تاريخ بغداد (٧/ ٤٣٦)، وطبقات الشعراء (١/ ٥٧).

[البسيط] لا يَـدْلِـفُـون إِلـى مـاءٍ بآنِيةٍ إِلا اغْتِرافاً من الغُدْرانِ بالرَّاحِ(١)

وظاهر قول طالوت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ﴾ هو أَن ذلك بوحي إِلى النبي، وإِخبار من النبي لطالوت.

ويحتمل أَن يكون هذا مما أَلهم الله طالوت إِليه فجرب به جنده، وجعل الإِلهام ابتلاءً من الله لهم، وهذه النزعة واجب أن تقع من كل متولي حرب، فليس يحارب إِلا بالجند المطيع.

ومنه قول معاوية: عليٌّ في أَخبث جند وأَعصاه، وأَنا في أَصح جند وأَطوعه(٢)، ومنه قول علي رضي الله عنه: أَفسدتم عليَّ رأْيي بالعصيان(٣).

وبيَّن أَن الغُرفة كافَّةٌ ضررَ العطشِ عند الحَزَمة الصابرين على شظَف العيش الذين هِمَمُهم في غير الرفاهية، كما قال عروة(٤):

[الطويل] .... وأَحْسُو قَرَاحَ الماءِ والماءُ بَارِدُ(٥)

فيشبه أَن طالوت أَراد تجربة القوم.

---

(١) البيت لأبي نواس الحسن بن هانئ في ديوانه (ص: ١٩٩)، والعقد الفريد (٧/ ٤٤)، ورسالة التوابع والزوابع (ص: ١٠٣).

(٢) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ١٤٢٢)، من حديث أسد بن موسى، بإسناد ظاهره الإرسال، وفيه من لم أعرفه.

(٣) أورده ابن قتيبة الدينوري في عيون الأخبار (٢/ ٢٢) بلا إسناد، ولم أقف عليه في مصدر آخر غيره.

(٤) هو عروة بن الورد العبسي، شاعر من شعراء الجاهلية، وفارس من فرسانها، وصعلوك من صعاليكها المعدودين المقدمين الأجواد، وكان يلقب عروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم، انظر: منتهى الطلب من أشعار العرب (١/ ١٠٥)، والكامل في اللغة والأدب (١/ ٣٥)، وشرح ديوان الحماسة (١/ ١٥٩).

(٥) وصدره: أُقَسِّمُ جِسْمِي في جُسُوم كَثِيرةٍ، وهو في ديوانه (ص: ٢٩)، وديوان الحماسة (٢/ ٣٠٢)، وتاريخ دمشق (٣٧/ ١٣٧)، والأغاني (٣/ ٧٣)، والأمالي للقالي (٢/ ٢٠٧)، وذكر في الكامل (١/ ٥٢) أنه لرجل من بني عبس يقوله لعروة بن الورد.

وقد ذهب قوم إِلى أَن عبد الله بن حذافة[١] السهمي [صاحب رسول الله ﷺ][٢]، إِنما أَمر أَصحابه بإِيقاد النار والدخول فيها تجربة لطاعتهم[٣]، لكنه حمله مزاحه على تخشين[٤] الأمر الذي كلفهم.

وقوله: ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾؛ / أَي: ليس من أَصحابي في هذه الحرب، ولم يخرجهم بذلك عن الإِيمان. [١/ ١٦٤]

ومثل هذا قول النبي ﷺ: «مَنْ غشَّنـا فليس منا»[٥]، و«من رمانا بالنبل فليس منا»[٦]، و«ليس منا من شق الجيوب ولطَم الخُدود»[٧].

وفي قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ سدُّ الذرائـع[٨]؛ لأن أَدنى الذوق يدخل في لفظ الطَّعم، فإِذا وقع النهي عن الطَّعم فلا سبيل إِلى وقوع الشرب ممن يتجنب الطَّعم، ولهذه المبالغة لم يأْت الكلام: ومَن لم يَشْرَبْ مِنه.

وقرأَ أَبو عمرو، ونافع، وابن كثير: ﴿غَرْفَة﴾ بفتح الغَيْنِ، وهذا على تعدية الفعل إِلى المصدر، والمفعول محذوف، والمعنى: إِلا من اغترف ماءً غَرفة.

---

(١) عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم السهمي القرشي، صحابي جليل، يقال: شهد بدراً، وتوفّي بمصر في خلافة عثمان، وله قصة مع ملك الروم فيها منقبة عظيمة. الإصابة (٤/ ٥٠).

(٢) ليس في المطبوع وفيض الله، والأصل.

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٨٥) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٤) في نور العثمانية: «تحسين».

(٥) أخرجه مسلم (١٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) ضعيف، أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٢/ ٤٢١-٤٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي إسناده يحيى بن أبي سليمان، قال فيه البخاري: منكر الحديث.

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٦٤)، ومسلم (١٦٥) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٨) الذريعة في اللغة هي: الوسيلة، وفي اصطلاح الأصوليين هي: الشيء المباح يستعمل للتوصل به إلى الحرام، وسدها هو منعها بعد أن كان مأذوناً فيها. انظر: البحر المحيط للزركشي (٤/ ٣٨٢)، وأنوار البروق في أنواء الفروق (٣/ ٤٦).

وقرأ الباقون: ﴿غُرْفَةً﴾ بضم الغين[١]، وهذا على تعدية الفعل إلى المفعول به؛ لأَن الغرفة هي العين المُغْترفة، فهذا بمنزلة: إلا من اغترف ماءً، وكان أَبو علي يرجح ضم الغين[٢]، ورجَّحه الطبريُّ أَيضاً من جهة أَن «غَرفةً» بالفتح إنما هو مصدر على غير «اغترف»[٣].

ثم أَخبر تعالى عنهم أَن الأَكثر شرب وخالف ما أُريد منه، ورُوي عن ابن عباس، وقتادة، وغيرهما أَن القوم شربوا على قدر يقينهم، فشرب الكفار شرب الهِيم، وشرب العاصون دون ذلك[٤]، وانصرف من القوم ستة وسبعون أَلفاً، وبقي بعض المؤمنين لم يشرب شيئاً، وأَخذ بعضهم الغُرفة، فأَما من شرب فلم يَرْو بل برَّح به العطش، وأَما من ترك الماءَ فحسنت حاله، وكان أَجلد ممن أَخذ الغُرفة.

قوله عز وجل: ﴿... فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةَۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾.

(جاوَز): فاعَلَ من جاز يجوز، وهي مُفاعلة من اثنين في كل موضع؛ لأَن النهر وما أَشبهه كأَنه يجاوز.

واختلف الناس في الذين معه كم كانوا؟

فقال البراءُ بن عازب: كنا نتحدث أَن عدة أَهل بدر كعدة أَصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر؛ ثلاث مئة وبضعة عشر رجلاً[٥]، وفي رواية: وثلاثة عشر رجلاً، وما

---

(١) وهما سبعيتان انظر: السبعة (ص: ١٨٦)، والتيسير (ص: ٨١).
(٢) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٥١).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٣٤٥)، وفي المطبوع ونور العثمانية: «على غير اغتراف».
(٤) هذا لفظ قتادة، ولفظ ابن عباس: فشرب كل إنسان كقدر الذي في قلبه، أخرجه الطبري (٥/ ٣٤٥) من طريق: ابن جريج عن ابن عباس، وهذا منقطع.
(٥) أخرجه البخاري (٣٧٤٢) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

جاز معه إِلا مؤمن[١]، وقال قتادة: ذكر لنا أَن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم بدر: «أَنتم كعِدَّةِ أَصحابِ طالوتَ»[٢].

وقال السدي، وابن عباس: بل جاز معه أَربعة آلاف رجل، قال ابن عباس: فيهم من شرب، قالا: فلما نظروا إِلى جالوت وجنوده: قالوا: لا طاقة لَنَا اليَوْمَ، ورجع منهم ثلاثة آلاف وست مئة وبضعة وثمانون، هذا نص قول السدي، ومعنى قول ابن عباس[٣].

فعلى القول الأَول قالت الجملة[٤]: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ﴾ على جهة استكثار العدو، فقال أَهل الصلابة منهم والتصميم والاستماتة: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ الآية.

وظَنُّ لقاءِ الله ـ على هذا القول[٥] ـ يحْسُنُ أَن يكون ظنّاً على بابه، أَي: يظنون أَنهم يستشهدون في ذلك اليوم لعزمهم على صدق القتال، كما جرى لعبد الله بن حرام في أُحد[٦]، ولغيره.

---

(١) أخرج هذه الرواية بهذا اللفظ الترمذي في سننه (١٦٨٨)، من حديث إسماعيل بن عياش، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب رضي الله عنه به، ورواية إسماعيل عن غير الشاميين فيها مناكير.

(٢) مرسل، رواه الطبري في تفسيره (٥/ ٣٤٧) من حديث قتادة، قال: ذكر لنا...فذكره.

(٣) أثر ابن عباس أخرجه الطبري (٥/ ٣٤٨) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس، وهذا منقطع، وليس فيه ذكر الأربعة آلاف، إنما هو من قول السدي فحسب.

(٤) في المطبوع: «الجهلة».

(٥) في جار الله: «التأويل»، مع الإشارة إلى النسخة الأخرى في الهامش.

(٦) لعله إشارة إلى قول عبد الله بن عمرو بن حرام لابنه جابر ليلة أحد: ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ. رواه البخاري (١٣٥١) عن جابر بن عبد الله، قال: لقيني رسول الله ﷺ، فقال لي: «.. أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: «ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلمه كفاحاً. فقال: يا عبدي تمن علي أعطك، قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، قال الرب عز وجل: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون»، قال: وأنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾»، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، ومعروف أن أنس بن النضر قال يوم أحد: إني أجد ريح الجنة دون أحد، فمضى فقتل، أخرجه البخاري (٤٠٤٨).

وعلى القول الثاني، قال كثير من الأَربعة آلاف: لا طاقة لنا على جهة الفشل والفزع من الموت، وانصرفوا عن طالوت، فقال المؤمنون الموقنون بالبعث والرجوع إِلى الله وهم عدة أَهل بدر: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ﴾.

و«الظنُّ» ـ على هذا ـ بمعنى اليقين، وهو فيما لم يقع بعد، ولا خرج إِلى الحس.

قال القاضي أَبو محمد: وما روي عن ابن عباس من أَن في الأَربعة الآلاف مَن شرب يرِد عليه قوله تعالى: ﴿هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾.

وأَكثر المفسرين على أَنه إِنما جاوز النهر مَنْ لم يشرب إِلا غُرفة، ومن لم يشرب جملة، ثم كانت بصائر هؤلاءِ مختلفة، فبعض كعَّ[١]، وقليل صمَّم.

وقرأَ أُبيُّ بن كعب: (كَأَيِّنْ مِنْ فِئَة)[٢].

و«الفئة»: الجماعة التي يرجع إِليها في الشدائد، من قولهم: فاءَ يفيءُ إِذا رجع، وقد يكون الرجل الواحد فئة تشبيهاً والملِك فئة الناس، والجبل فئة، والحصن؛ كل ذلك تشبيه، وفي قولهم رضي الله عنهم: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ﴾ الآيةَ، تحريضٌ بالمثال، وحض واستشعار للصبر، واقتداءٌ بمن صدق ربه، وإِذْنُ الله هنا: تمكينُه، وعِلْمُه، مجموع ذلك هو الإِذن.

﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾: بنصره[٣] وتأْييده.

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا ...﴾.

---

(١) كع: نكص على عقبيه وجبن وتراجع. «لسان العرب» (٣/ ٣١٢).

(٢) وهي شاذة، انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٦٨).

(٣) كتبت في المطبوع: «بنضره».

﴿بَـرَزُواْ﴾ معناه: صاروا في البراز، وهو الأَفيح[١] من الأرض، المتسع.

و(جالوت): اسم أَعجمي معرب[٢].

و«الإِفراغ»: أَعظم الصَّبِّ، كأَنه يتضمن عموم المفْرَغ عليه، والهزْم أَصله أَن يُضْرب الشيءُ فيدخل بعضه في بعض، وكذلك الجيش الذي يُرَدُّ يركب رَدْعَه، ثم قيل في معنى الغلبة: هزم.

وكان جالوت أَميرَ العمالقة وَمَلِكَهُم، وكان فيما رُوي في ثلاث مئة أَلف فارس.

وروي في قصة داود وقتله جالوت: أَن أَصحاب طالوت كان فيهم إِخوة داود وهم بنو إِيشى، وكان داود صغيراً يرعى غنماً لأَبيه، فلما حضرت الحرب قال في نفسه: لأَذهبن لرؤْية هذه الحرب، فلما نهض مرَّ في طريقه بحجر فناداه: يا داود خذني فبي تقتل جالوت، ثم ناداه حجر آخر، ثم آخر، ثم آخر، فأَخذها، وجعلها في مخلاته، وسار، فلما حضر الناس خرج جالوت يطلب مبارزاً، فكَعَّ الناس عنه حتى قال طالوت: من يبرز له ويقتله فأَنا أُزوجه بنتي وأُحَكِّمه في مالي، فجاءَ داودُ فقال: أَنا أَبرز له وأَقتله، فقال له طالوت: فاركب فرسي، وخذ سلاحي، ففعل، / وخرج في [١/ ١٦٥] أَحسن شِكَّة[٣]، فلما مشى قليلاً رجع، فقال الناس: جبن الفتى، فقال داود: إِن كان الله لم يقتله لي ويُعِنِّي عليه لم ينفعني هذا الفرس، ولا هذا السلاح، ولكني أُحب أَن أُقاتله على عادتي.

قال: وكان داود من أَرمى الناس بالمقلاع، فنزل وأَخذ مخلاته فتقلدها، وأَخذ مقلاعه وخرج إِلى جالوت وهو شاكٍ في سلاحه، فقال له جالوت: أَنت يا فتى تخرج إِلي؟ قال: نعم، قال: هكذا كما يُخرَج إِلى الكلب؟ قال: نعم، وأَنت أَهون، قال: لأُطعمن

---

(١) المتسع، ومنه فيحاء.

(٢) في السليمانية وأحمد٣، وفيض الله: «معرف»، وكذا في الأصل، مع الإشارة في هامشه للنسخة الأخرى.

(٣) قال في جمهرة اللغة (١/ ٥٢٤): الشكة: السلاح.

اليوم لحمك الطير والسباع، ثم تدانيا فأَدار داود مقلاعه، وأَدخل يده إِلى الحجارة فرُوي أَنها التأَمت فصارت حجراً واحداً، فأَخذه فوضعه في المقلاع، وسمى الله وأَداره ورماه، فأَصاب به رأْس جالوت فقتله، وحز رأْسه وجعله في مخلاته واختلط الناس، وحمل أَصحاب طالوت، وكانت الهزيمة(١).

ثم إِن داود جاءَ يطلب شرطه من طالوت، فقال له: إِن بناتِ الملوك لهن غرائب من المهر، ولا بد لك من قتل مائتين من هؤلاءِ الجراجمة(٢) الذين يؤذون الناس، وتجيئني بغلفهم(٣)، وطمع طالوت أَن يعرض داود للقتل بهذه الفزعة، فقتل داود منهم مائتين، وجاءَ بذلك وطلب امرأَته فدفعها إِليه طالوت، وعظم أَمر داود.

فيروى: أَن طالوت تخلى له عن الملك وصار هو الملك، ويروى: أَن بني إِسرائيل غلبت طالوت على ذلك بسبب أَن داود قتل جالوت، وكان سبب الفتح.

وروي: أَن طالوت أَخاف داود حتى هرب منه فكان في جبل إِلى أَن مات طالوت، فذهبت بنو إِسرائيل إِلى داود فملَّكته أَمرها.

ورُوي: أَن نبي الله شمويل أَوحى الله إِليه أَن يذهب إِلى إِيشى ويسأَله أَن يعرض عليه بنيه، فيدهن الذي يُشار إِليه بدهن القدس، ويجعله ملك بني إِسرائيل.

والله أَعلم أيُّ ذلك كان؟ غير أَنه يُقطع من أَلفاظ الآية على أَن داود صار ملك بني إِسرائيل، وقد رُوي في صدر هذه القصة: أَن داود كان يسير في مطبخة طالوت ثم كلَّمه حجر فأَخذه، فكان ذلك سبب قتله جالوت ومملكته(٤).

وقد أَكثر الناس في قصص هذه الآية، وذلك كله ليِّن الأَسانيد، فلذلك انتقيت

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (١/ ١٣٤)، وتاريخ الطبري (١/ ٢٧٩)، وتفسير الطبري (٥/ ٣٥٥).

(٢) قوم من العجم بالجزيرة.

(٣) جمع غلفة بضم فسكون: وهي الغرلة التي يقع عليها الختان، والغلف أيضا جمع أغلف: وهو الذي لم يختتن، اللسان (٩/ ٢٧١).

(٤) هذه الرواية في تاريخ الطبري (١/ ٢٧٩)، ومروج الذهب للمسعودي (١/ ١٧).

منه ما تنفك به الآية، وتعلم به مناقل النازلة، واختصرت سائر ذلك.

وأَما الحكمة التي آتاه الله فهي النبوة والزبور، وقال السدي: آتاه الله ملك طالوت، ونبوة شمعون، والذي علمه: هي صنعة الدروع، ومنطق الطير، وغير ذلك من أَنواع علْمه عليه السلام[١].

قوله عز وجل: ﴿...وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٥١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٥٢﴾.

أَخبر الله تعالى في هذه الآية أَنه لولا دفعه بالمؤمنين به في صدور الكفرة على مر الدهر لفسدت الأَرض؛ لأَن الكفر كان يُطبِّقها، ويتمادى في جميع أَقطارها، ولكنه[٢] تعالى لا يخلي الزمان من قائم بحق، وداع إِلى الله، ومقاتل عليه إِلى أَن جعل ذلك في أُمة محمد ﷺ إِلى قيام الساعة، له الحمد كثيراً.

قال مكي: وأَكثر المفسرين على أَن المعنى: لولا أَن الله يدفع بمن يصلي عمَّن لا يصلي، وبمن يتقي عمَّن لا يتقي لأَهلك الناس بذنوبهم[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وليس هذا معنى الآية، ولا هي منه في وِرد ولا صَدَر، والحديث الذي روى ابن عمر صحيح[٤]، وما ذكر مكي من احتجاج ابن عمر عليه بالآية لا يصح عندي؛ لأَن ابن عمر من الفصحاءِ.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٢٧١و٣٧٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٨٠)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٢٢٣)، وتفسير السمعاني (١/ ٢٥٤).

(٢) في المطبوع: «والله».

(٣) انظر كتاب: الهداية لمكي (١/ ٨٣٨).

(٤) إشارة إلى الأثر الذي ذكره مكي في الهداية (١/ ٨٣٧) ولفظه: إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مئة من أهل بيت من جيرانه البلاء، ثم قرأ ابن عمر ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾، وهذا الأثر أخرجه الطبراني في الأوسط (٤/ ٢٣٩) وقال: لم يروه عن =

وقرأَ أَبو عمرو، وابن كثير: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ﴾، وفي (الحج) [٣٨]: ﴿إِنَّ الله يَدْفَعُ﴾، وقرأَ نافع: ﴿وَلَوْلا دِفَاعُ الله﴾، وَ﴿إِنَّ الله يُدَافِعُ﴾، وقـرأَ الباقون: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ﴾، وَ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾، فـفرقوا بينهما[١].

والدِّفاع يحتمل أَن يكون مصدر دَفَعَ ككَتَبَ كِتَاباً، وَلَقِيَ لِقَاءً، ويحتمل أَن يكون مصدر دَافَع كَقَاتَل قِتالاً.

والإِشارة بـ ﴿تِلْكَ﴾ إِلى ما سلف من القصص والأَنباءِ.

وفي هذه القصة[٢] بجملتها مثالٌ عظيم للمؤمنين ومُعْتَبَرٌ، وقد كان أَصحاب محمد ﷺ مُعدِّين لحرب الكفار، فلهم في هذه النازلة معتبر يقتضي تقوية النفوس، والثقة بالله، وغير ذلك من وجوه العبرة.

قوله عز وجل: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ...﴾.

﴿تِلْكَ﴾ رفع بالابتداءِ و﴿ٱلرُّسُلُ﴾ خبره، ويجوز أَن يكون ﴿ٱلرُّسُلُ﴾ عطف بيان، و﴿فَضَّلْنَا﴾ الخبر، و﴿تِلْكَ﴾ إِشارة إِلى جماعة مؤنثة اللفظ.

ونص الله في هذه الآية على تفضيل بعض الأَنبياءِ على بعض، وذلك في الجملة دون تعيين مفضول.

وهكذا هي الأَحاديث عن النبي ﷺ، فإِنه قال: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدمَ»[٣]، وقال:

= محمد بن سوقة إلا حفص بن سليمان، ولا عن حفص إلا يحيى، تفرد به أبو حميد الحمصي، ورواه أيضاً الطبري (٥/ ٣٧٤)، قال ابن كثير (١/ ٦٦٩): إسناده ضعيف، فيه يحيى بن سعيد، وهو أبو زكريا العطار الحمصي، وهو ضعيف جداً.

(١) وكلها قراءات سبعية، انظر تفصيلها في: السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٨٧)، التيسير في القراءات السبع (ص: ٨٢).

(٢) في الحمزوية وفيض الله والسليمانية: «هذا القصص».

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

«لا تُفَضِّلُوني على موسى»[١]، وقال: «لا ينبغي لِأحد أَن يقول: أَنا خير من يونس بن متَّى»[٢]، وفي هذا نهيٌ شديد عن تعيين المفضول؛ لَأن يونس عليه السلام كان شابًّا، وتفسَّخ تحت أَعباءِ النبوة[٣]، فإِذا كان هذا التوقف فيه لمحمد ﷺ [وإبراهيم ونوح][٤] فغيره أَحرى، فربط الباب أَن التفضيل فيه على غير تعيين المفضول.

[١/ ١٦٦] وقد قال أَبو هريرة: خير ولد آدم: نوح / وإِبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، وهم أُولو العزم، والمُكَلَّم موسى ﷺ[٥]، وقد سئل رسول الله ﷺ عن آدم؛ أَنبيٌّ مرسل هو؟ فقال: «نعم، نبي مُكَلَّم»[٦]، وقد تأَول بعض الناس أَن تكليم آدم كان في الجنة، فعلى هذا تبقى خاصة موسى.

وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ قال مجاهد، وغيره: هي إِشارة إِلى محمد ﷺ[٧]؛ لأنه بعث إِلى الناس كافة، وأُعطي الخمس التي لم يُعطها أَحد قبله، وهو أَعظم الناس أُمَّة، وختم الله به النبوات، إِلى غير ذلك من الخُلُقِ العظيم الذي أَعطاه الله، ومن معجزاته، وباهر آياته.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٢٨٠)، ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: «لا تخيروني على موسى».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٢١٥)، ومسلم (٢٣٧٧) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) جاءت هذه العبارة في تفسير الطبري (١٨/ ٥١٣)، قال السمعاني (٣/ ٤٠٤): وهذا القول مأثور عن السلف.

(٤) ليس في المطبوع، وفيه «التوقيف» بدل «التوقف».

(٥) أخرجه أبو بكر الخلال في السنة (١/ ٢٦٤) من طريق: حمزة عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: خير ولد آدم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وخيرهم محمد، وإسناده مستقيم إن كان حمزة حفظه، وهو القارئ الزيات، وفي حفظه لين.

(٦) ضعيف جدّاً، أخرجه أحمد (٣٥/ ٤٣١) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، بإسناد فيه أبو عمر الدمشقي، قال فيه الدارقطني: متروك.

(٧) تفسير الطبري (٥/ ٣٧٨)، ولفظه: كلم الله موسى، وأرسل محمداً إلى الناس كافة.

ويحتمل اللفظ أَن يراد به محمد وغيره ممن عظمت آياته، ويكون الكلام تأكيداً للأَول، ويحتمل أَن يريد رفع إِدريس المكان العلي، ومراتب الأَنبياءِ في السماءِ فتكون الدرجات في المسافة، وبقي التفضيل مذكوراً في صدر الآية فقط.

و«بينات عيسى عليه السلام»: هي إِحياءُ الموتى، وإِبراءُ الأَكمه والأَبرص، وخلق الطير من الطين.

و(روح القدس): جبريل عليه السلام، وقد تقدم ما قاله العلماءُ فيه.

قوله عز وجل: ﴿... وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾.

ظاهر اللفظ في قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِهِم﴾ يعطي أَنه أَراد القوم الذين جاؤُوا من بعد جميع الرسل، وليس كذلك المعنى، بل المراد ما اقتتل الناس بعد كل نبي، فَلَفَّ الكلام لفاً، يفهمه[١] السامع، وهذا كما تقول: اشتريت خيلاً ثم بعتها، فجائز لك هذه العبارة، وأَنت إِنما اشتريت فرساً ثم بعته، ثم آخر وبعته، ثم آخر وبعته.

وكذلك هذه النوازل إِنما اختلف الناس بعد كل نبيٍّ، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر بغياً وحسداً على حطام الدنيا، وذلك كله بقضاءٍ وقدر، وإِرادة من الله تعالى، ولو شاءَ خلاف ذلك لكان، ولكنه المستأْثر بسر الحكمة في ذلك، الفعَّال لما يريد، فاقتتلوا بأَن قاتل المؤمنون الكافرين على مر الدهر، وذلك هو دفع الله الناس بعضهم ببعض.

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾.

---

(١) في المطبوع: «لم يفهمه»، بالنفي، وفي الحمزوية: «كيما»، بدل: «لفا».

قال ابن جريج: هذه الآية تجمع الزكاة والتطوع[١]، وهذا كلام صحيح، فالزكاة واجبةٌ، والتطوع مندوبٌ إليه، وظاهر هذه الآية أَنها مرادٌ بها جميع وجوه البر: من سبيل خير، وصلة رحم، ولكن ما تقدم من الآيات في ذكر القتال وأَن الله يدفع بالمؤمنين في صدور الكافرين يترجح منه أَن هذا الندب إِنما هو في سبيل الله، ويقوي ذلك قوله في آخر الآية: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ أَي: فكافحوهم بالقتال بالأَنفس، وإِنفاق الأَموال[٢].

وندب الله تعالى بهذه الآية إِلى إِنفاق شيءٍ مما أنعم به، وهذا غاية التفضل فعلاً وقولاً.

وحذر تعالى من الإِمساك إِلى أَن يجيءَ يوم لا يمكن فيه بيع ولا شراءٌ ولا استدراك نفقة في ذات الله؛ إِذ هي مبايعة على ما قد فسرناه في قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، أَوْ إِذ البيع فدية؛ لأَن المرءَ قد يشتري نفسه ومراده بماله، وكأَن معنى الآية معنى سائر الآي التي تتضمن أَن لا فِدية يوم القيامة[٣].

وأَخبر الله تعالى بعدم الخُلَّة يوم القيامة، والمعنى: خُلَّة نافعة تقتضي المساهمة كما كانت في الدنيا، وأَهل التقوى بينهم في ذلك اليوم خُلَّة، ولكنه غير محتاج إِليها، وخلة غيرهم لا تغني من الله شيئاً.

وأَخبر تعالى أَن الشفاعة أَيضاً معدومة في ذلك اليوم.

فحمل الطبري ذلك على عموم[٤] اللفظ، وخصوص المعنى، وأَن المراد: ولا

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٣٨٢).

(٢) أصل القول عند الطبري في تفسيره (٥/ ٣٨٢، ٣٨٥).

(٣) انظر الاحتمالين في: تفسير الطبري (٥/ ٣٨٢ و٣٨٣)، وتفسير السمعاني (١/ ٢٥٦)، والهداية لمكي (١/ ٨٤١ و٨٤٢).

(٤) في نور العثمانية: «على العموم، عموم».

شفاعة للكفار[١]، وهذا لا يحتاج إِليه، بل الشفاعة المعروفة في الدنيا ـ وهي انتداب الشافع وتحكّمه على كره المشفوع عنده ـ مرتفعة يوم القيامة البتَّةَ، وإِنما توجد شفاعة بإِذن الله تعالى، فحقيقتها رحمة من الله تعالى لكنه شرَّف الذي أَذن له في أَن يشفع، وإِنما المعدوم مثل حال الدنيا من البيع والخُلَّة والشفاعة.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿لا بَيْعَ فِيه ولا خُلَّةَ ولا شَفَاعَةَ﴾ بالنصب في كل ذلك بلا تنوين وكذلك في (سورة إِبراهيم) [٣١]: ﴿لا بيعَ فيه ولا خِلالَ﴾، وفي (الطور) [٣٢]: ﴿لا لغوَ فيها ولا تأثيمَ﴾، وقرأَ الباقون جميع ذلك بالرفع والتنوين[٢].

و﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: واضعو الشيءِ في غير موضعه.

وقال عطاء بن دينار[٣]: الحمد لله الذي قال: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، ولم يقل: الظَّالِمُون هُمُ الكَافِرُونَ[٤].

قوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ...﴾.

هذه الآية سيدة آي القرآن، [ورد ذلك في الحديث][٥]، وورد أَنها تعدل ثلث

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٣٨٣، ٣٨٤).

(٢) هما قراءتان سبعيتان انظر تفصيلهما في: السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٨٧)، والتيسير في القراءات السبع (ص: ٨٢).

(٣) عطاء بن دينار الهذلي مولاهم المصري، يكنى أبا طلحة، روى عن عمار بن سعد التجيبي وحكيم ابن شريك الهذلي وسعيد بن جبير، وعنه عمرو بن الحارث وحيوة بن شريح ويحيى بن أيوب وابن لهيعة، وثقه أحمد، توفي سنة (١٢٦هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ١٧٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٣٨٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٨٥).

(٥) ليس في نور العثمانية، وفيها: «وروي في الحديث أنها»، بدل: «وورد أنها»، والحديث ضعيف، أخرجه الترمذي (٣٠٩٤) من حديث حكيم بن جبير، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف، فإن حكيم بن جبير هذا هو الأسدي، ضعيف.

القرآن(١)، وورد أَن من قرأَها أَول ليله لم يقربه شيطان، وكذلك من قرأَها أَول نهاره(٢).

وهي متضمنة التوحيد، والصفاتِ العُلى.

و﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ، و﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ مبتدأٌ ثان، وخبره محذوف تقديره: معبود، أَو موجود.

و﴿إِلَّا هُوَ﴾ بدل من موضع: ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾.

و﴿ٱلْحَيُّ﴾ صفة من صفات الله تعالى ذاتية.

وذكر الطبري عن قوم أَنهم قالوا: الله تعالى حيٌّ لا بحياة(٣)، وهذا قول المعتزلة، وهو قول مرغوب عنه، وحكى عن قوم: أَنه حيٌّ بحياة هي صفة له، وحكى عن قوم: أَنه يقال: حيٌّ كما وصف نفسه، ويسلم ذلك دون أَن ينظر فيه(٤).

و﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ فَيْعُول من القيام أَصله: قيوُوم، اجتمعت الياءُ والواو، وسبقت إِحداهما بالسكون، فأُدغمت الأُولى في الثانية بعد قلب الواو ياءً.

وقيُّوم بناءُ مبالغة؛ أَي: هو القائم على كل أَمر بما يجب له، وبهذا المعنى فسره مجاهد، والربيع، والضحاك(٥).

---

(١) الحديث منكر، أخرجه أحمد (٢١/ ٣٢) من طريق سلمة بن وردان، عن أنس بن مالك مرفوعاً، وفيه: «آية الكرسي ربع القرآن»، وهذا إسناد ضعيف جدّاً، من أجل سلمة بن وردان، فهو متفق على ضعفه، وأحاديثه عن أنس مناكير، ورواية: «تعدل ثلث القرآن» لم أقف عليها في آية الكرسي، إنما ثبتت في (سورة الإخلاص)، كما عند مسلم في صحيحه (٨١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ضعيف جداً، أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي إسناده عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي، وهو متروك.

(٣) تفسير الطبري (٥/ ٣٨٧).

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٥/ ٣٨٨).

[١/ ١٦٧] وقرأَ ابن مسعود، وعلقمة، وإِبراهيم النخعي، والأعمش: (الـحَيُّ القيَّـامُ) / بالأَلف[١].

ثم نفى عز وجل أَن تأْخذه سنة أَو نوم، وفي لفظ الأَخذ غلبة مّا، فلذلك حسنت في هذا الموضع بالنفي.

و«السِّنة»: بدءُ النعاس، وهو فتور يعتري الإِنسان، وترنيق[٢] في عينيه، وليس يفقد معه كل ذهنه، والنوم هو المستثقل الذي يزول معه الذهن.

والمراد بهذه الآية أَن الله تعالى لا تدركه آفة، ولا يلحقه خلل بحال من الأَحوال، فجعلت هذه مثالاً لذلك، وأُقيم هذا المذكور من الآفات مقام الجميع، وهذا هو مفهوم الخطاب[٣] كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣].

ومما يفرق بين الوسن والنوم قول عدي بن الرقاع[٤]:

[الكامل] وَسْـنانُ أَقْصَدَه النُّعـاسُ فَرَنَّقَتْ فـي عينِـه سِـنَةٌ وليْـسَ بِنَائِـمِ[٥]

وبهذا المعنى في السِّنَة فَسَّر الضحاك والسدي[٦].

(١) وهي قراءة شاذة انظر عزوها لعلقمة في: تفسير الطبري (٦/ ١٥٥)، ولعمر والنخعي في الشواذ للكرماني (ص: ٩٧)، ولابن مسعود في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٧٣)، ولرواية جرير عن الأَعْمَش في الكامل للهذلي (ص: ٥٠٨).

(٢) رنَّق النوم في عينيه: خالطها، اللسان (١٠/ ١٢٦)، وفي الصحاح في اللغة (١/ ٢١٥): النظر الضعيف.

(٣) مفهوم الخطاب هو: ما يفهم من اللفظ في محل السكوت موافقاً للمنطوق. انظر: البرهان للجويني (١/ ١١٦).

(٤) هو عدي بن زيد بن الرقاع من عاملة، شاعر كبير، من أهل دمشق، يكنى أبا داود، كان معاصراً لجرير، مهاجياً له، مدّاحاً لبني أمية، لقبه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام. انظر: تاريخ دمشق (٤٠/ ١٢٧)، وطبقات فحول الشعراء (٢/ ٦٨١).

(٥) انظر عزوه له في ديوانه (ص: ٥٩)، والأغاني (٩/ ٣٥٤)، وأمالي القالي (١/ ٢٣٢) والشعر والشعراء (ص: ٦٢٠)، وأقصدَه النعاسُ: صرَعَه.

(٦) انظره في: تفسير الطبري (٥/ ٣٩١).

وقال ابن عباس وغيره: السِّنَةُ النعاسُ[١].

وقال ابن زيد: الوَسْنان الذي يقوم من النوم وهو لا يعقل، حتى ربما جرَّد السيف على أَهله[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا الذي قال ابن زيد فيه نظر، وليس ذلك بمفهوم من كلام العرب.

وروى أَبو هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن موسى على المنبر قال: «وقع في نفس موسى هل ينام الله جل ثناؤُه، فأَرسل الله إِليه ملكاً فأَرقه ثلاثاً، ثم أَعطاه قارورتين في كل يد قارورة، وأَمره أَن يحتفظ بهما، قال: فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان، ثم يستيقظ فيحبس إِحداهما عن الأُخرى حتى نام نومة فاصطفقت يداه فانكسرت القارورتان، قال: ضرب الله له مثلاً أَن لو كان ينام لم تستمسك السماء والأَرض»[٣].

وقوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾؛ أَي: بالملك، فهو مالك الجميع وربه، وجاءَت العبارة بـ (ما) وإِن كان في الجملة مَن يعقل من حيث المراد الجملة والموجود.

---

(١) هذا الأثر أخرجه الطبري (٥/ ٣٩١)، وابن أبي حاتم (٢٥٧٦) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

(٢) انظره في: تفسير الطبري (٥/ ٣٩٢).

(٣) المرفوع منكر، والأشبه أنه من قول عكرمة، وهو مأخوذ عن بني إسرائيل، أخرجه الطبري (٥/ ٣٩٤)، وأبو يعلى في مسنده (١٢/ ٢١) من طريق أمية بن شبل، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن أبي هريرة، مرفوعاً به، قال الذهبي لما ترجم لأمية بن شبل في ميزانه (١/ ٢٧٦): حديث منكر، وخالفه معمر، عن الحكم، عن عكرمة من قوله، وهو أقرب، ولا يسوغ أن يكون هذا وقع في نفس موسى، وإنما روي أن بني إسرائيل سألوا موسى عن ذلك. وقال ابن كثير لما أورد الرواية المرفوعة في تفسيره (١/ ٦٧٩): وهذا حديث غريب جدّاً، والأظهر أنه إسرائيلي لا مرفوع.اهـ، وأما أثر عكرمة فرواه الطبري في تفسيره (٥/ ٣٩٣).

ثم قرر ووقف تعالى على مَن يتعاطى أَن يشفع عنده، [أو يتعاطى ذلك فيه][١] إِلا أَن يأْذن هو فيه لا إله إلا هو.

وقال الطبري: هذه الآية نزلت لما قال الكفار: ما نعبد أَوثاننا هذه إِلا ليقربونا إِلى الله، فقال الله: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٢] الآية، وتقرر في هذه الآية أَن الله يأْذن لمن يشاءُ في الشفاعة، هنا[٣]: وهم الأنبياءُ والعلماءُ وغيرهم.

و«الإِذن» هنا راجع إِلى الأَمر فيما نص عليه كمحمد ﷺ إِذا قيل له: «واشفَعْ تُشفَّعْ»[٤]، وإِلى العلم والتمكين إِن شفع أَحد من الأَنبياءِ والعلماءِ قبل أَن يؤمر.

والذي يظهر أَن العلمـاءَ والصالحين يشفعون فيمن لم يصل إِلى النار وهو بين المنزلين، أَو وصل ولكن له أَعمال صالحة.

وفي «البخاري» في باب بقية من أَبواب الرؤية: أن المؤمنين يقولون: ربَّنا؛ إِخواننا كانوا يصلُّون معنا، ويصومون معنا، ويعملون معنا[٥]، فهذه شفاعة فيمن يقرب أَمره، وكما يشفع الطفل المحبنطئُ[٦] على باب الجنة، الحديثَ[٧]، وهذا إِنما هو في

---

(١) ليس في المطبوع، وفيه: «ووقف تعالى من»، دون «على»، قال في هامشه: لعل أصل هذه الجملة: «ثم قرر تعالى وقف أي منع من يتعاطى أن يشفع عنده، إلا أن يأذن هو فيه جل وعلا».

(٢) «تفسير الطبري» (٥/ ٣٩٥).

(٣) «هنا»: ليست في المطبوع.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٣).

(٥) صحيح البخاري (٧٠٠١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٦) قال في المحكم (٣/ ٢٤٦): المحبنطئ: اللازق بالأرض، وقيل: هو بغير همز، المتغضِّب المستبطئ للشيء، وبالهمز: العظيم البطن.

(٧) ضعيف جدّاً، أخرجه ابن عدي في الكامل (٢/ ٣٧٢) من طريق عمرو بن الحصين، عن حسان ابن‌سياه، عن زر، عن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً، بلفظ: «ذروا الحسناء العقيم، وعليكم بالسوداء الولود، فإني مكاثر بكم الأمم حتى بالسقط محبنطياً على باب الجنة، فيقال: له ادخل الجنة، فيقول: حتى يدخل والداي معي»، وعمرو بن الحصين متروك الحديث، وكذلك حسان بن سياه، متفق على =

قرابتهم ومعارفهم، وأَن الأَنبياءَ يشفعون فيمن حصل في النار من عصاة أُممهم بذنوب دون قربى ولا معرفة إِلا بنفس الإِيمان، ثم تبقى شفاعة أَرحم الراحمين في المستغرقين في الذنوب الذين لم تنلهم[١] شفاعة الأنبياءِ.

وأَما شفاعة محمد في تعجيل الحساب فخاصة له، وهي الخامسة التي في قوله: «وأُعطِيتُ الشفاعةَ»[٢]، وهي عامة للناس، والقصد منها إِراحة المؤمنين، ويتعجل الكفار منها المصير إِلى العذاب، وكذلك إِنما يطلبها إِلى الأَنبياءِ المؤمنون.

والضميران[٣] في قوله: ﴿أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ عائدان على كل من يعقل ممن تضمنه قوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

وقال مجاهد: ما بين أَيديهم: الدنيا، وما خلفهم: الآخرة، وهذا في نفسه صحيح عند موت الإنسان؛ لأَن ما بين اليد هو كل ما تقدم الإِنسان، وما خلفه هو كل ما يأتي بعده، وبنحو قول مجاهد قال السدي وغيره[٤].

قوله عز وجل: ﴿...وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ معناه: من معلوماته، وهذا كقول الخضر لموسى عليه السلام حين نقر العصفور في حرف السفينة: ما نقص علمي وعلمُك من علم الله إِلا كما نقص هذا العصفورُ من هذا البحر[٥]، فهذا وما شاكله راجع

= ضعفه، وقد خالف حسان بن سياه: أبو بكر بن عياش، فرواه عن عاصم، عن رجل لم يسمه، عن عبد الله، ذكره الدارقطني في العلل (٥/ ٧٣)، وقال: والصحيح قول أبي بكر بن عياش، والحديث يُروى من طرق أخرى كلها واهية، لا يصلح منها شيء.

(١) في السليمانية: «تعمل فيهم»، وكذا في أحمد مع الإشارة إلى النسخة الأخرى.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٢٨)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

(٣) في جار الله وفيض الله والأصل ونور العثمانية: «والضمير»، بالإفراد، وفي كل النسخ: «عائدان»، بالتثنية.

(٤) تفسير الطبري (٥/ ٣٩٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٨٩).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

إِلى المعلومات؛ لأَن علم الله تعالى الذي هو صفة ذاته لا يتبعض[١].

ومعنى الآية: لا معلومَ لأَحد إِلا ما شاءَ الله أَن يعلمه.

واختلف الناس في الكرسي الذي وصفه الله تعالى بأَنه وسع السماوات والأَرض:

فقال ابن عباس: ﴿كُرْسِيُّهُ﴾: علمه[٢]، ورجحه الطبري، وقال: منه الكرّاسة للصحائف التي تضم العلم[٣]، ومنه قيل للعلماءِ: الكراسي، لأنهم المعتمد عليهم، كما يقال: أَوتاد الأَرض.

قال القاضي أَبو محمد: وهذه الأَلفاظ تعطي نقض[٤] ما ذهب إِليه من أَن الكرسي العلم، قال الطبري: ومنه قول الشاعر:

[الطويل] تحفُّ بهم بيضُ الوجوهِ وعُصْبَةٌ كَرَاسِيُّ بالأَحْداثِ حينَ تَنُوبُ[٥]

يريد بذلك علماءَ بحوادث الأُمور ونوازلها.

---

(١) في نور العثمانية: «لا ينتقص»، وقد جرى المؤلف هنا على طريقة المتكلمين في تفسير العلم بالمعلومات ووصفه بأنه لا يتبعض، ولم يكن السلف يخوضون في ذلك، وإنما يؤمنون بما وصف تعالى به نفسه دون تمثيل ولا تعطيل.

(٢) منكر عن ابن عباس، هذا الأثر أخرجه الطبري (٥/ ٣٩٧)، وابن أبي حاتم (٢٥٩٩) من طريق مطرف بن طريف، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به، وهذا إسناد ضعيف، من أجل جعفر بن أبي المغيرة، ترجم له الإمام الذهبي في الميزان (١/ ٤١٧) وقال: قال ابن منده: ليس هو بالقوي في سعيد بن جبير. قلت ـ يعني: الذهبي ـ: روى هشيم، عن مطرف، عنه، وذكر هذا الأثر، ثم قال: قال ابن منده: لا يُتابع عليه. قال الذهبي: وقد روى عمار الدهني، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كرسيه موضع قدمه، والعرش لا يقدر قدره.اهـ.
وقد اضطرب جعفر في روايته هذه، فرواه سفيان الثوري في تفسيره (ص: ٧١)، ومن طريقه الحافظ ابن حجر في التغليق (٤/ ١٨٥) عن جعفر عن سعيد بن جبير به من قوله، ولم يسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما، فقد اضطرب جعفر في إسناده، وخولف في متنه.

(٣) تفسير الطبري (٥/ ٤٠٢).

(٤) في الحمزوية وفيض الله: بعض، وهي ليست في المطبوع.

(٥) استشهد به الطبري (٥/ ٤٠٢)، والزمخشري في أساس البلاغة (٢/ ١٣٠) بلا نسبة، و(تنوب): تنزل، أو ترجع مرة بعد مرة.

وقـال أَبـو موسـى الأَشـعري: الكرسـيُّ موضـع القدميـن، ولـه أَطيـطٌ كأَطيط الرَّحْل(١).

وقال السدي: هو موضع قدميه(٢).

وعبارة أَبي موسى مخلِّصة؛ لأَنه يريد هو من عرش الرحمن كموضع القدمين في أَسرَّة الملوك، فهو مخلوق عظيم بين يدي العرش نسبته إِليه نسبة الكرسي إِلى سرير الملك، والكرسي هو موضع القدمين، وأَما عبارة السدي فقلقة، وقد مال إِليها منذر البلوطي(٣)، وتأَوَّلَهَا بمعنى ما قدم من المخلوقات على نحو ما تأَول في قول النبي عليه السلام: «فيضَع الجبَّارُ فيها قَدَمَه»(٤).

وهذا عندي عناءٌ؛ لأَن التأْويل لا يضطر إِليه إِلا في أَلفاظ النبي ﷺ، وفي كتاب الله، وأَما في عبارة مفسِّر فَلا.

وقال الحسن بن أَبي الحسن: الكرسي هو العرش نفسه(٥).

قال القاضي أَبو محمد: والذي تقتضيه الأَحاديث/ أَن الكرسي مخلوق عظيم [١/ ١٦٨] بين يدي العرش والعرش أَعظم منه.

---

(١) لا يتبين اتصاله، أخرجه الطبري (٥/ ٣٩٨) من طريق: محمد بن جحادة، عن سلمة بن كهيل، عن عمارة بن عمير، عن أبي موسى به، وعمارة إنما يروي عن إبراهيم بن أبي موسى عن أبيه، وليست له رواية عن الصحابة، إنما رأى عبد الله بن عمر.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٣٩٨).

(٣) هو أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي القرطبي، .قاضي قضاة الأندلس في عصره، كان فقيهاً خطيباً شاعراً فصيحاً، سمع بالأندلس، ورحل إلى مكة ومصر، وأخذ عن بعض علمائهما، من تصانيفه: الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله، والإبانة عن حقائق أصول الديانة. انظر سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٣٨)، وتاريخ العلماء والرواة بالأندلس (٢/ ١٤٢)، وبغية الوعاة (٢/ ٣٠١).

(٤) متفق عليه، رواه البخاري (٤٨٤٨)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٥) انظره في: تفسير الطبري (٥/ ٣٩٩).

وقد قال رسول الله ﷺ: «ما السماواتُ السبعُ في الكرسيِّ إِلا كدراهمَ سبعةٍ أُلقِيَت في تُرسٍ»[١]، وقال أَبو ذر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إِلا كحلقة من حديد أُلقيت في فلاة من الأَرض»[٢].

وهذه الآية منبئة عن عظم مخلوقات الله تعالى، والمستفاد من ذلك عظم قدرته إِذ لا يؤوده حفظ هذا الأَمر العظيم.

و﴿يَـُٔودُهُۥ﴾ معناه: يُثقِلُه، يقال: آدَني الشيءُ بمعنى: أَثقلني، وتحملت منه مشقة، وبهذا فسر اللفظة ابن عباس[٣]، والحسن، وقتادة، وغيرهم[٤].

[وروي عن الزهري، وأَبي جعفر، والأَعرج ـ بخلاف عنهم ـ تخفيف الهمزة التي على الواو الأَولى، جعلوها بيْنَ بيْنَ، لا تخلص واواً مضمومة، ولا همزة محققة كما قيل في لُؤْم لُوْم[٥]][٦].

و﴿ٱلْعَلِىُّ﴾ يراد به علو القدرة والمنزلة، لا علو المكان؛ لأَن الله منَزَّه عن التحيُّز.

وحكى الطبري عن قوم أَنهم قالوا: هو العليُّ عن خلقه بارتفاع مكانه عن أَماكن خلقه[٧].

---

(١) ضعيف، وفيه إرسال، أخرجه الطبري (٥/ ٣٩٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٢١٥) من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه به مرسلاً. وهذا سند ضعيف لإرساله، ولوهن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٢) ضعيف، وفيه انقطاع، أخرجه الطبري (٥/ ٣٩٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٢١٥) من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، وعبد الرحمن متفق على تضعيفه، ولم يدرك أحداً من الصحابة، وله طرق أخرى، كلها واهية، ولا يثبت منها شيءٌ.

(٣) أخرجه الطبري (٥/ ٤٠٣-٤٠٤) من طرق عن ابن عباس.

(٤) انظر تفسير ابن عباس في صحيح البخاري (٤٥٣٤)، وأقوال الباقين في تفسير الطبري (٥/ ٤٠٤).

(٥) انظر: المحتسب (١/ ١٣٠)، والصحيح عن أبي جعفر وغيره من العشرة تحقيقها.

(٦) ليس في فيض الله والسليمانية.

(٧) انظر تفسير الطبري (٥/ ٤٠٦).

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول جهلة مُجَسِّمين، وكان الوجه أَلا يُحكى[(١)].

وكذا ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ هي صفة بمعنى عِظَم القدر والخطر، لا على معنى عظم الأَجرام.

وحكى الطبري عن قوم أَن (الْعَظِيمَ) معناه: المعَظَّم كما يقال: العتيق بمعنى المُعتَّق[(٢)]، وأَنشد بيت الأَعشى[(٣)]:

وكأَنَّ الْخمْـرَ العَتِيـقَ مِنَ الإِسْـــ فَنْـطِ مَمْزُوجَـةٌ بِمَـاءٍ زُلال[(٤)] [الخفيف]

وذكر عن قوم أَنهم أَنكروا ذلك، وقالوا: لو كان بمعنى مُعظم لوجب أَن لا يكون عظيماً قبل أَن يخلق الخلق، وبعد فنائهم؛ إِذ لا مُعظِّم له حينئذ[(٥)].

قوله عز وجل: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾.

﴿ٱلدِّينِ﴾ في هذه الآية: المعتقد والملَّة بقرينة قوله: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾.

والإِكراه الذي في الأَحكام من الأَيمان والبيوع والهبات وغير ذلك ليس هذا موضعه، وإِنما يجيءُ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

فإِذا تقرر أَن الإِكراه المنفي هنا هو في تفسير المعتقد من الملل والنحل فاختلف الناس في معنى الآية:

---

(١) وأهل السنة والجماعة يثبتون له تعالى علو ذاته وعلو شأنه وعلو قهره، انظر في تفصيل ذلك: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/ ١٠٦)، وبيان تلبيس الجهمية (٢/ ٢٨٨).

(٢) الطبري (٥/ ٤٠٧).

(٣) في أحمد٣: «الأعمش».

(٤) للأعشى كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ٢٠٧)، والجراثيم (٢/ ١٠٨)، والصحاح للجوهري (٣/ ١١٣١)، والمخصص (١٧/ ١٩)، والمحكم (١/ ١٧٨)، والإسفنط: ضرب من الشراب، فارسي معرب، وهو بفتح الفاء وكسرها، قيل: إنه من عصير العنب.

(٥) تفسير الطبري (٥/ ٤٠٧)، وانظر: الهداية لمكي (١/ ٨٥٠).

فقال الزهري: سأَلت زيد بن أَسلم عن قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾، فقال: كان رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين لا يُكره أَحداً في الدين، فأَبى المشركون إِلا أَن يقاتلهم فاستأذن اللهَ في قتالهم فأَذن له، قال الطبري: والآية منسوخة في هذا القول[١].

قال القاضي أَبو محمد: ويلزم على هذا أَن الآية مكية[٢]، وأَنها من آيات الموادعة التي نسختها آية السيف.

وقال قتادة، والضحاك بن مزاحم: هذه الآية محكمة خاصة في أَهل الكتاب الذين يبذلون الجزية ويؤدونها عن يد صغرة، قالا: أُمر رسول الله ﷺ أَن يقاتل العربَ أَهل الأَوثان لا يقبل منهم إِلا لا إِله إِلا الله، أَو السيفَ، ثم أُمر فيمن سواهم أَن يقبل الجزية، ونزلت فيهم: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وعلى مذهب مالك: أَن الجزية تقبل من كل كافر سوى قريش أَيَّ نوعٍ كان[٤]، فتجيءُ الآية خاصة فيمن أَعطى الجزية من الناس كلهم لا يقف ذلك على أَهلِ الكتاب كما قال قتادة والضحاك.

وقال ابن عباس، وسعيد بن جبير: إِنما نزلت هذه الآية في قوم من الأَوس والخزرج، كانت المرأَة تكون مقلاة لا يعيش لها ولد، فكانت تجعل على نفسها إِن جاءَت بولد أَن تهوِّده، فكان في بني النضير جماعة على هذا النحو، فلما أَجْلَى رسولُ الله ﷺ بني النضير قالت الأَنصار: كيف نصنع بأَبنائنا؟ إِنما فعلنا ما فعلنا ونحن نرى أَن دينهم أَفضلُ مما نحن عليه، وأَما إِذْ جاءَ الله بالإِسلام فنُكرههم عليه؟ فنزلت: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[٥] الآية.

---

(١) يعني أنه نقل القول بالنسخ، ولكنه أنكره، تفسير الطبري (٥/ ٤١٤).

(٢) وقال الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١): سورة البقرة مدنية بلا خلاف.

(٣) أخرج كلاً منهما الطبري في تفسيره (٥/ ٤١٣) وكلاهما مرسل، والسند إلى الضحاك بن مزاحم فيه جويبر، وهو ابن سعيد الأزدي، متروك الحديث، انظر قول قتادة أيضاً في تفسير عبد الرزاق (١/ ٣٦٣).

(٤) انظر مذهب مالك في المقدمات الممهدات (١/ ٣٧٦).

(٥) الأشبه مرسل، أخرجه أبو داود (٢٦٨٤)، والنسائي في الكبرى (١/ ٣١٥)، والطبري (٥/ ٤٠٨)،=

وقال بهذا القول عامر الشعبي، ومجاهد، والحسن[١]، إِلا أَنه قال: كان سبب كونهم في بني النضير الاسترضاع[٢].

وقال السدي: نزلت الآية في رجل من الأَنصار يقال له أَبو حصين[٣]، كان له ابنان، فقدم تجار من الشام إلى المدينة يحملون الزيت، فلما أَرادوا الرجوع أَتاهم ابنا أَبي حصين فدعوهما إِلى النصرانية فتنصَّرا، ومضيا معهم إِلى الشام، فأَتى أَبوهما رسول الله ﷺ مشتكياً أَمرهما، ورغب في أَن يبعث رسول الله ﷺ من يردهما، فنزلت: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[٤]، ولم يؤمر يومئذ بقتال أَهل الكتاب، وقال: «أَبعَدَهما اللهُ! هما أَولُ مَن كفر»، فوجد أَبو الحصين في نفسه على رسول الله ﷺ حين لم يبعث في طلبهما، فأَنزل الله جل ثناؤُه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ﴾ [النساء: ٦٥] الآية، ثم إِنه نُسخ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾، فأَمر بقتال أَهل الكتاب في (سورة براءَة).

والصحيح في سبب قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ حديثُ الزبير مع جاره الأَنصاري في حديث السَّقي[٥].

= وابن أبي حاتم (٢٦٠٩) من طريق شعبة، عن أبي بشر جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به، وخالف شعبةَ في إسناده كلٌّ من: سعيد بن أبي عروبة، كما عند الطبري في تفسيره (٥/ ٤٠٨) من رواية غندر عنه، وسمع منه قبل الاختلاط، وأبو عوانة اليشكريُّ، كما عند الطبري (٥/ ٤٠٩)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ١٨٦) روياه عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير به مرسلاً، وهذا أشبه لاجتماعهما.

(١) الحسن: زيادة من المطبوع، وهو في الأصل ملحق في أعلى المتن، وليس في النسخ الأخرى.

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٤١١)، وما بعدها.

(٣) ذكره الحافظ في الإصابة (٧/ ٧٧)، وأنه من الأنصار من بني سالم، قال: ويقال فيه: حصين.

(٤) أخرجه الطبري (٥/ ٤١٠)، من قول السدي به، وهذا إسناد معضل.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٢٣١)، ومسلم (٢٣٥٧) من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

وقوله تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ معناه: بنصب الأَدلة، ووجود الرسول الداعي إِلى الله، والآيات المنيرة.

و ﴿ٱلرُّشۡدُ﴾ مصدر من قولك: رشد ـ بكسر الشين وضمها ـ يرشد رَشَداً ورُشْداً ورَشَاداً.

و﴿ٱلۡغَيِّ﴾: مصدر من غَوى يغوى: إِذا ضل في معتقد أَو رأي، ولا يقال الغَيُّ في الضلال على الإِطلاق.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن السُّلَمي: (الرَّشادُ) بالأَلف.

وقرأَ الحسن، والشعبي، ومجاهد: (الرَّشَدُ) بفتح الراءِ والشين.

ورُوي عن الحسن (الرُّشُدُ) بضم الراءِ والشين(١).

و ﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾: بناءُ مبالغة من طغى يطغى، وحكى الطبري: يطغو(٢): إِذا جاوز الحد بزيادة عليه، ووزنه فَعلُوت.

ومذهب سيبويه أَنه اسم مفرد، كأَنه اسم جنس يقع للكثير والقليل(٣)، ومذهب أَبي علي أَنه مصدر كرَهَبُوت وجَبَرُوت، وهو يوصف به الواحد والجمع، وقلبت لامه إِلى موضع العين، وعينه موضع اللام فقيل: طاغوت، وقال المبرد: هو جمع(٤)، وذلك مردود.

واختلف المفسرون في معنى الطاغوت:

---

(١) وكلها شاذة، انظر روايتي الحسن في: الشواذ للكرماني (ص: ٩٧)، ونقل (الرشاد) عن ابن مقسم، وانظر قراءة الباقين في: البحر المحيط (٢/ ٦١٦)، إلا السلمي فذكر عنه: الرشد، على وزن الجبل، وكذا في مختصر الشواذ (ص: ٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٤١٩).

(٣) الكتاب (٣/ ٢٤٠).

(٤) انظر قول المبرد وأبي علي في: المخصص (٥/ ١٥٠)، وقال بمثل قول الفارسي ابن جني في المحتسب (١/ ١٣١).

فقال عمر بن الخطاب[١]، ومجاهد، والشعبي، والضحاك، وقتادة والسدي: الطاغوت: الشيطان[٢].

وقال ابن سيرين، وأَبو العالية: الطاغوت: الساحر[٣].

وقال سعيد بن جبير، ورفيع[٤]، وجابر بن عبد الله[٥]، وابن جريج: الطاغوت: الكاهن[٦].

قال القاضي أَبو محمد: وبَيِّنٌ أَن هذه أَمثلة/ في الطاغوت؛ لأَن كل واحد منها له [١/ ١٦٩] طغيان، والشيطان أَصل ذلك كله.

وقال قوم: الطاغوت: الأَصنام، وقال بعض العلماءِ: كل ما عُبد من دون الله فهو طاغوت.

وهذه تسمية صحيحة في كل معبود يرضى ذلك كفرعون ونمرود ونحوه، وأَما من لا يرضى ذلك كعزير وعيسى عليه السلام وغيرهما[٧]، ومن لا يعقل كالأوثان فسميت طاغوتاً في حق العَبَدة، وذلك مجاز؛ إِذ هي بسبب الطاغوت الذي يأْمر بذلك ويُحَسِّنه وهو الشيطان.

وقدم تعالى ذكر الكفر بالطاغوت على الإِيمان بالله ليظهر الاهتمام بوجوب الكفر بالطاغوت.

---

(١) إسناده ليس بالحجة، أخرجه الطبري (٥/ ٤١٧) من طريق: أبي إسحاق، عن حسان بن فائد العبسي قال: قال عمر بن الخطاب.

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٤١٧).

(٣) المصدر السابق (٥/ ٤١٨).

(٤) هو أبو العالية، فله قولان، والأول من رواية عبد الأعلى عنه، قال الطبري (٥/ ٤١٨): وقد خولف في ذلك.

(٥) أخرجه الطبري (٥/ ٤١٨) من طريق: أبي الزبير عن جابر، وفي اتصاله نظر.

(٦) انظر قول سعيد بن جبير ورفيع وابن جريج في: تفسير الطبري (٥/ ٤١٨).

(٧) زيادة من نور العثمانية، وأحمد٣.

و«العروة في الأَجرام»: هي موضع الإِمساك وشدِّ الأَيدي، و«استَمْسَكَ» معناه: قبض وشدَّ يديه.

و﴿ٱلْوُثْقَىٰ﴾ فُعلى من الوثاقة، وهذه الآية تشبيه، واختلفت عبارة المفسرين في الشيءِ المشبه بالعروة؛ فقال مجاهد: العروة الإِيمان، وقال السدي والحسن[1]: الإِسلام، وقال سعيد بن جبير، والضحاك: العروة: لا إِله إِلا الله[2]، وهذه العبارات ترجع إِلى معنىً واحد.

و«الانفصام»: الانكسار من غير بينونة، وإِذا نفي ذلك فلا بينونةَ بوجهٍ، والقصم كسر بينونة، وقد يجيءُ الفصم بالفاءِ في معنى البينونة، ومن ذلك قول ذي الرمة:

[البسيط] كَأَنَّهُ دُمْلُجٌ مِنْ فِضَّةٍ نَبَهٌ   في مَلْعَبٍ من عَذارى الْحَيِّ مَفْصُومُ[3]

ولما كان الكفر بالطاغوت والإِيمان بالله مما ينطق به اللسان ويعتقده القلب حسُن في الصفات ﴿سَمِيعٌ﴾ من أَجل النطق، و﴿عَلِيمٌ﴾ من أَجل المعتقَد.

قوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾.

﴿ٱلْوَلِيُّ﴾: فَعِيل من وَلِيَ الشيءَ: إِذا جاوره ولزمه، فإِذا لازم أَحدٌ أَحداً بنصره ووده واهتباله فهو وليُّه، هذا عرفه في اللغة[4].

---

(١) زيادة من نور العثمانية.

(٢) انظر الأقوال في: تفسير الطبري (٥/ ٤٢١).

(٣) في ديوانه (ص: ٩٢)، وعزاه له في الاشتقاق (ص: ١٢٥)، والمخصص (٤/ ٤٨)، والمحكم (٤/ ٣٣٤)، وتهذيب اللغة (٤/ ٢١٥)، والدُّمْلُج: سوار يحيط بالعضد، ومثله الدُّملوج، وجمعه: دمالج ودماليج، ونبه بفتح النون والباء: ما سقط ونُسي ولم يهتد إليه.

(٤) انظر: التعريفات للجرجاني (ص: ٣٢٩)، واللسان (١٥/ ٤٠٥)، مادة: ولي.

قال قتادة: ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الضلالة، و﴿ٱلنُّورِ﴾ الهدى، وبمعناه قال الضحاك، والربيع[(١)].

وقال مجاهد، وعبدة بن أَبي لبابة[(٢)]: إِنَّ قوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية نزلت في قوم آمنوا بعيسى، فلما جاءَ محمد[(٣)] ﷺ كفروا به، فذلك إِخراجهم من النور إِلى الظلمات[(٤)].

قال القاضي أَبو محمد: فكأَن هذا القول[(٥)] أَحرز نوراً في المعْتَقِد خرج منه إِلى ظلمات، ولفظ الآية مستغن عن هذا التخصيص، بل هو مترتب في كل أُمة كافرة آمن بعضها كالعرب، ومترتب في الناس جميعاً، وذلك أَنَّ مَن آمن منهم فالله وليُّه، أَخرجه من ظلمة الكفر إِلى نور الإِيمان، ومن كفر بعد وجود الداعي والنبي المرسل فشيطانه ومُغويه كأَنه أَخرجه من الإِيمان؛ إِذ هو مُعَدٌّ وأَهل للدخول فيه، وهذا كما تقول لمن منعك الدخول في أَمر ما: أَخرجتني يا فلان من هذا الأَمر، وإِن كنت لم تدخل فيه ألبَتَّةَ.

ولفظة ﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾ في هذه الآية تقتضي أَنه اسم جنس، ولذلك قال: ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ﴾ بالجمع؛ إِذ هي أَنواع.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (أَولياؤُهُمُ الطَّواغيتُ)[(٦)]، يعني: الشياطين.

وحكم عليهم بالخلود في النار؛ لكفرهم.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٤٢٥).

(٢) هو عبدة بن أبي لبابة أبو القاسم الدمشقي مولى لبني غاضرة من أسد، سمع ابن عمر والقاسم ابن مخيمرة، روى عنه الثوري، وغيره، وأخرج حديثه الشيخان، توفي في حدود سنة (١٢٧هـ). التاريخ الكبير للبخاري (٦/ ١١٤)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٢٣٠).

(٣) في الحمزوية: «فلما جاء الإسلام ومحمد».

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٨٢)، والطبري في تفسيره (٥/ ٤٢٦).

(٥) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «هذا المُعْتَقَد»، قال: وهي أولى وأنسب، وكذا نقلها القرطبي عن ابن عطية.

(٦) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ١٣١)، ومختصر الشواذ (ص: ٢٣)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٢٣٧).

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنبيه، وهي رؤية القلب.

وقرأ علي بن أَبي طالب: (أَلَمْ تَرْ) بجزم الراء[١].

والذي حاج إِبراهيم هو نمرود[٢] بن كنعان بن كوش بن سام[٣] بن نوح، ملك زمانه، وصاحب النار والبعوضة، هذا قول مجاهد، وقتادة، والربيع، والسدي، وابن إِسحاق، وزيد بن أَسلم[٤]، وغيرهم.

وقال ابن جريج: هو أَول ملكٍ في الأَرض[٥]، وهذا مردود.

وقال قتادة: هو أَول من تجبر، وهو صاحب الصرح ببابل[٦].

وقيل: إِنه ملك الدنيا بأَجمعها ونفذت فيها طينته[٧]، وهو أَحد الكافرَين، والآخر بخت نصر.

وقيل: إِن الذي حاج إِبراهيم نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أَرفخشد بن سام بن نوح[٨].

---

(١) أي: بسكونها، وهي قراءة شاذة، عزاها له في تفسير القرطبي (٣/ ٢٨٧)، وانظر عزوها للسلمي في: المحتسب (١/ ١٢٨)، ومختصر الشواذ (ص: ٢٣)، والعشرةُ وغيرهم بجزمها بحذف حرف العلة.

(٢) في المطبوع بالذال، وفي أكثر النسخ الخطية بالدال، وبكليهما كتب في المصادر السابقة واللاحقة.

(٣) في المطبوع: حام، وكذا في الأصل، وأشار في هامشه إلى النسخة الأخرى.

(٤) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٥/ ٤٣١).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٤٣١)، ونقل القرطبي (٣/ ٢٨٤) وغيره الرد عليه عن ابن عطية.

(٦) تفسير الطبري (٥/ ٤٣١).

(٧) في الحمزوية: «أوامره»، وفي فيض الله: «كلمته».

(٨) اختلفت النسخ والمصادر في إعجام وإهمال بعض حروف هذه الأسماء، وسقط ذكر «عابر» من نور العثمانية.

وفي قصص هذه المحاجة روايتان:

إِحداهما: ذكر زيد بن أَسلم أَن النمرود هذا قعد يأمر للناسِ بالميرة، فكلما جاءَ قوم قال: مَن ربكم وإِلهكم؟ فيقولون: أَنت، فيقول: ميروهم، وجاءَ إِبراهيم عليه السلام يمتار، فقال له: مَن ربك وإِلهك؟ قال إِبراهيم: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾، فلما سمعها نمرود قال: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ﴾، فعارضه إِبراهيم بأَمر الشمس فبهت الذي كفر، وقال: لا تميروه.

فرجع إِبراهيم إِلى أَهله دون شيءٍ، فمر على كثيب من رمل كالدقيق فقال: لو ملأْت غِرارتَيَّ من هذا فإِذا دخلت به فرح الصبيان، حتى أَنظر لهما، فذهب بذلك فلما بلغ منزله فرح الصبيان وجعلا يلعبان فوق الغرارتين، ونام هو من الإِعياءِ، فقالت امرأَته: لو صنعت له طعاماً يجده حاضراً إِذا انتبه، ففتحت إِحدى الغرارتين فوجدتْ أَحسن ما يكون من الحُوَّارى[1] فخبزته، فلما قام وضعته بين يديه، فقال: من أَين هذا؟ فقالت: من الدقيق الذي سقت، فعلم إِبراهيم أَن الله تعالى يسَّر لهم ذلك.

وقال الربيع، وغيره في هذا القصص: إِن النمرود لما قال: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ﴾ أَحضر رجلين فقتَل أَحدهما، وأَرسل الآخر، وقال: قد أَحييت هذا، وأَمتُّ هذا، فلما رد عليه بأَمر الشمس بُهِت.

والرواية الأُخرى: ذكر السدي أَنه لما خرج إِبراهيم من النار أَدخلوه على الملِك، ولم يكن قبل ذلك دخل عليه، فكلمه، وقال له: مَنْ ربك؟ قال: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾، قال نمرود: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ﴾ أَنا آخذ أَربعة نفر فأُدخلهم بيتاً، ولا يطعمون شيئاً، ولا يسقون حتى إِذا جاعوا أَخرجتهم فأَطعمت اثنين فحيِيا، وتركت اثنين فماتا، فعارضه إِبراهيم بالشمس فبُهت[2].

---

(١) الحوارى ـ بضم الحاء وتشديد الواو، والراء مفتوحة ـ: وهو لباب الدقيق الأبيض وأخلصه وأجوده، انظر: اللسان (٤/ ٢١٧).

(٢) انظر الروايتين في: تفسير الطبري (٥/ ٤٣٥)، وما بعدها.

وذكر الأُصوليون في هذه الآية أَن إِبراهيم عليه السلام وصف ربه تعالى بما هو صفة له من الإِحياءِ والإِماتـة لكنه أَمر له حقيقة ومجاز، قصد إِبراهيم عليه السلام الحقيقة، ففزع نمرود إِلى المجاز، وموَّه به على قومه، فسلَّم له إِبراهيم تسليم الجدل، وانتقل معه من المثال، / وجاءَه بأَمر لا مجاز فيه، فبهت الذي [١/ ١٧٠] كفر، ولم يمكنه أَن يقول: أَنا الآتي بها من المشرق؛ لأَن ذوي الأَسنان يكذبونه.

وقولـه: ﴿حَآجَّ﴾ وزنـه فاعَـلَ، مـن الحجـة، أَي: جاز بـه إِياهـا، والضمير في ﴿رَبِّهِۦٓ﴾ يحتمـل أَن يعـود علـى إِبراهيم عليه السـلام، ويحتمل أَن يعـود على الذي حـاج، و﴿أَنْ﴾ مفعـول مـن أَجلـه، والضميـر فـي ﴿ءَاتَـٰهُ﴾ للنمـرود، وهـذا قول جمهور المفسـرين(١).

وقال المهدوي: يحتمل أَن يعود الضمير على إِبراهيم أَنْ آتاه ملك النبوة(٢)، وهذا تحامل من التأْويل.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ﴾ بطرح الأَلف التي بعد النون من ﴿أَنَا۠﴾ إِذا وصلوا في كل القرآن غير نافع، فإِن ورْشاً، وابن أَبي أُويس، وقالون رووا(٣) إثباتها في الوصل إِذا لقيتها همزة في كل القرآن مثل: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ﴾، ﴿أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ [يوسف: ٦٩] إِلا في قوله تعالى: ﴿إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فإِنه يطرحها في هذا الموضع مثل سائر القراءِ، وتابع أَصحابه في حذفها عند غير همزة(٤).

قال أَبو علي: ضمير المتكلم الاسم فيه الهمزة والنون، ثم إِن الأَلف تلحق

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٤٣٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٩٨)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٢٥٣)، والهداية لمكي (١/ ٨٥٧).

(٢) التحصيل (١/ ٥٦٦)، ومثله في الهداية لمكي (١/ ٨٥٧).

(٣) في المطبوع والأصل: «رأوا».

(٤) فهما قراءتان سبعيتان انظر: السبعة (ص: ١٨٨)، والتيسير (ص: ٨٢)، واستثنى ما قبل المكسورة لأبي نشيط.

في الوقف كما تلحق الهاءُ أَحياناً في الوقف، فإِذا اتصلت الكلمة التي هي فيها بشيءٍ سقطت الهاءُ، فكذلك هذه الأَلف، وهي مثل أَلف حيهلا[١].

وهذا مثل الأَلف التي تلحق في القوافي، فتأَمل.

قال أَبو علي: فإِذا اتصلت الكلمة بشيءٍ سقطت الأَلف؛ لأَن الشيءَ الذي تتصل به الكلمة يقوم مقام الأَلف[٢].

وقد جاءَت الأَلف مثبتة في الوصل في الشعر، من ذلك قول الشاعر:

أَنَـا شَـيْخُ العَشِـيرَةِ فاعْرِفُونِـي ... حمِيـداً قَـدْ تَذَرَّيْـتُ السَّـنَامَا[٣] [الوافر]

وقرأَ الجمهور: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى﴾ بضم الباءِ وكسر الهاءِ، يقال: بُهِتَ الرجل إِذا انقطع، وقامت عليه الحجة، قال ابن سيده: ويقال في هذا المعنى: بَهِتَ بفتح الباء وكسر الهاء، وبَهُت بفتح الباءِ وضم الهاءِ[٤].

قال الطبري: وحُكي عن بعض العرب في هذا المعنى: بَهَت بفتح الباءِ والهاءِ[٥].

قال القاضي أَبو محمد: هكذا ضبطت اللفظة في نسخة ابن ملول[٦]، دون تقييد بفتح الباءِ والهاءِ.

قال ابن جني: قرأَ أَبو حيوة: (فَبَهُتَ) بفتح الباءِ وضم الهاءِ، وهي لغة في بهِت

---

(١) انظر: تفصيله في الحجة لأبي علي (٢/ ٣٦٠).

(٢) بقية كلامه االسابق انظر: الحجة لأبي علي (٢/ ٣٦٠).

(٣) لحميد بن حريث بن بحدل وهو شاعر إسلامي كما في أساس البلاغة (١/ ٣١٢)، الصحاح (٥/ ٢٠٧٥)، وتذرَّيْت: علوت ذروته.

(٤) المحكم (٤/ ٢٨٢)، والمخصص (٣/ ٣٥٧).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٤٣٢).

(٦) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن القاسم ابن ملول الوشقي، سمع بمصر مِن ابن الصموت كتاب أحمد بن عَمرٍو، وكتب الطّبريّ من الفِرْغاني، وجمع جمعاً كثيراً، توفي (٣٤٩ هـ). تاريخ العلماء بالأندلس (١/ ٢٧٠)، وتوضيح المشتبه (٩/ ١٨٧)، إلا أن في النسخة المطبوعة بالمغرب (يلول) =

بكسر الهاءِ، قال: وقرأَ ابن السميفع: (فبَهَتَ) بفتح الباءِ والهاءِ على معنى: فَبَهَتَ إِبراهيمُ الذي كفر، فـ(الذي): في موضع نصب.

قال: وقد يجوز أَن يكون بَهَتَ بفتحهما لغة في بَهُتَ.

قال: وحكى أَبو الحسن الأَخفش قراءَة (فَبَهِت) بكسر الهاءِ كَخَرِقَ ودهِشَ، قال: والأَكثر بالضم في الهاءِ، قال ابن جني: يعني أَن الضم يكون للمبالغة(١).

قال القاضي أَبو محمد: وقد تأَول قوم في قراءَة من قرأَ (فَبَهَتَ) بفتحهما أَنه بمعنى: سبَّ وقذف، وأَن نمروداً هو الذي سبَّ إِبراهيم حين انقطع ولم تكن له حيلة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إِخبار لمحمد ﷺ وأُمته، والمعنى لا يرشدهم في حججهم على ظلمهم؛ لأَنه لا هدى في الظلم، فظاهره العموم، ومعناه الخصوص كما ذكرنا؛ لأَن الله قد يهدي الظالمين بالتوبة والرجوع إِلى الإِيمان، ويحتمل أَن يكون الخصوص فيمن يوافي ظالماً(٢).

قوله عز وجل: ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡ ...﴾.

عطفت ﴿أَوۡ﴾ في هذه الآية على المعنى؛ لأَن مقصد التعجيب في قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ﴾ يقتضي المعنى: أَرأَيت كالذي حاج؟ ثم جاءَ قوله: ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي﴾ عطفاً على ذلك المعنى.

= بالياءِ، والمعروف ملول بالميم، وكانت تعرف نسخ ابن ملول التي يكتبها ويترجم بها، ففي ترجمة محمد بن يحيى الغافقي وكان عنده... تاريخ أبي جعفر الطبري بصلة الفرغاني بخط ابن ملول الوشقي، التكملة (١/ ٣١٢)، وهذا الضبط هو الذي في الطبري (٥/ ٤٣٢).

(١) المحتسب (١/ ١٣٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٤٣٧).

وقرأَ سفيان بن حسين[١]: (أَوَكالَّذي مَرَّ) بفتح الواو[٢]، وهي واو عطف دخل عليها أَلف التقرير.

قال سليمان بن بريدة[٣]، وناجية بن كعب[٤]، وقتادة، وابن عباس، والربيع، وعكرمة، والضحاك: الذي مر على القرية هو عزير[٥].

وقال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد بن عمير، وبكر بن مضر[٦]: هو أَرمياءُ[٧].

وقال ابن إسحاق: أَرمياءُ هو الخضر[٨]، وحكاه النقاش عن وهب بن منبه[٩]،

(١) كذا في السليمانية وأحمد٣: «سفيان» دون لفظ «أبو»، وفي المطبوع وسائر النسخ: «أبو سفيان»، وتابعه أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٦٣٠)، وفي الأصل: «بن حصين»، وسقط النسب من نور العثمانية.
وهو سفيان بن حسين السلمي المعلم الواسطي، يكنى أبا محمد روى عن الحسن وابن سيرين والزهري، وعنه شعبة وهشيم، روى له البخاري تعليقاً، ومسلم في مقدمته، وهو ثقة في غير الزهري، وكان مؤدباً مع المهدي، ومات بالري في خلافته. انظر «الطبقات الكبرى» (٧/ ٢٢٧)، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٤/ ٢٢٧).
(٢) وهي قراءة شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٩٧)، وفيه: «سفيان بن حسن».
(٣) هو سُلَيْمان بن بريدة بن الحصيب الأسلميّ المروزي، ولد على عهد عُمَر بن الخطاب، روى عن: أَبِيهِ، وعِمران بن حصين، وعائشة، وروى عنه: أبو سنان الشيباني، وعَبد الله بْن عطاء، كان أوثق من أخيه عَبد اللَّهِ، ومات سنة (١٠٥هـ). تهذيب الكمال (١١/ ٣٧٠-٣٧٢).
(٤) هو ناجية بن كعب الأسدي، روى عن علي وعمار وابن مسعود، روى عنه أبو إسحاق وأبو حسان الأعرج وغيرهما، ذكره ابن حبان في الثقات وقال العجلي: ثقة، وقال الجوزجاني: مذموم. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٨/ ٤٨٦)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٤٠١).
(٥) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٥/ ٤٣٩)، وقول ابن عباس لا يصح إسناده.
(٦) هو بكر بن مضر مولى الأمير شرحبيل بن حسنة، حدث عن أبي قبيل، وجعفر بن ربيعة، ويزيد بن الهاد، وابن عجلان، وجماعة، روى عنه: ولده إسحاق بن بكر، وابن وهب، وآخرون، وكان من الثقات العابدين، توفي سنة (١٥٤هـ). سير أعلام النبلاء (٨/ ١٩٦).
(٧) انظر تفسير الطبري (٥/ ٤٣٩).
(٨) انظر المصدر السابق (٥/ ٤٤٠).
(٩) حكاه عنه القرطبي في تفسيره (٣/ ٢٨٩)، ومثله في تفسير الطبري (٥/ ٤٤٠)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٢٤٢)، وتفسير السمعاني (١/ ٢٦٣).

وهذا كما تراه، إلا أن يكون اسماً وافق اسماً؛ لأَن الخضر معاصر لموسى، وهذا الذي مر على القرية هو بعده بزمان من سبط هارون فيما روى وهب بن منبه[١].

وحكى مكي عن مجاهد: أَنه رجل من بني إِسرائيل غير مسمى[٢].

قال النقاش: ويقال: هو غلام لوط عليه السلام[٣].

واختلف في القرية أَيما هي؟:

فحكى النقاش أَن قوماً قالوا: هي المؤتفكة[٤].

وقال ابن زيد: إِن القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم أُلوف حذر الموت فقال لهم الله: موتوا، مرَّ عليهم رجل وهم عظام تلوح، فوقف ينظر، فقال: ﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾.

وترجم الطبري على هذا القصص بأَنه قولٌ بأَن القرية التي مر عليها هي التي أَهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم[٥].

قال القاضي أَبو محمد: وقول ابن زيد لا يلائم الترجمة؛ لأَن الإِشارة بـ﴿هَٰذِهِ﴾ على مقتضى الترجمة هي إِلى المكان، وعلى نفس القول هي إِلى العظام والأَجساد، وهذا القول من ابن زيد مناقض لأَلفاظ الآية؛ إِذ الآية إِنما تضمنت قرية خاوية لا أَنيس فيها، والإِشارة بـ﴿هَٰذِهِ﴾ إِنما هي إِلى القرية، وإِحياؤُها إِنما هو بالعمارة ووجود البناءِ والسكان[٦].

وقال وهب بن منبه، وقتادة، والضحاك، وعكرمة، والربيع: القرية بيت المقدس؛ لما خربها بخت نصر البابلي، وفي الحديث الطويل حين أَحدثت بنو إِسرائيل الأَحداث

---

(١) كما في تفسير الثعلبي (٢/ ٢٤٢)، تفسير الطبري (٥/ ٤٤٠).
(٢) الهداية لمكي (١/ ٨٦٣).
(٣) نقله عنه في تفسير القرطبي (٣/ ٢٨٩).
(٤) في البحر المحيط (٢/ ٦٣٢)، بلا نسبة.
(٥) تفسير الطبري (٥/ ٤٤٣).
(٦) وافقه القرطبي (٣/ ٢٩٠).

وقف أَرمياءُ أَو عزير على القرية، وهي كالتل العظيم وسط بيت المقدس؛ لأَن بخت نصر أَمر جنده بنقل التراب إِليه حتى جعله كالجبل، ورأَى أَرمياءُ البيوت قد سقطت حيطانها على سقفها[(١)].

و«العريش»: سقف البيت، وكل ما يهيَّأ ليُظِلَّ أَو يُكِنَّ فهو عريش، ومنه عريش الدالية والثمار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨].

قال السدي: يقول: هي ساقطة على سُقُفها، أَي: سقطت السقف ثم سقطت الحيطان عليها، وقال غير السدي[(٢)]: معناه خاوية من الناس على العروش[(٣)] أَي: على البيوت، وسقُفها عليها، لكنها خوت / من الناس، والبيوت قائمة. [١/ ١٧١]

قال القاضي أَبو محمد: وانظر استعمال العريش مع (على) في الحديث في قوله: «وكان المسجد يومئذ على عريش» في أَمر ليلة القدر[(٤)].

و﴿خَاوِيَةٌ﴾ معناه: خالية، يقال: خوت الدار تخوى خواءً، ويقال خَوِيت.

قال الطبري: والأَول أَفصح[(٥)].

وقوله: ﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ معناه: من أَي طريق؟ وبأَي سبب؟ وظاهر اللفظ السؤال عن إِحياءِ القرية بعمارة وسكان كما يقال الآن في المدن الخربة التي يبعد أَن تعمر وتسكن، فكأَن هذا تلهف من الواقف المعتبر على مدينته التي عهد فيها أَهله وأَحبته، وضرب له المثل في نفسه بما هو أَعظم مما سأَل عنه، والمثل الذي ضرب له في نفسه يحتمل

(١) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٥/ ٤٤٣، ٤٤٧، ٤٥٥)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٧٨)، والهداية لمكي (١/ ٨٦٣).

(٢) في السليمانية: «قال السدي».

(٣) انظر القولين في: تفسير الطبري (٥/ ٤٤٦).

(٤) أخرجه البخاري (١٩٢٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) تفسير الطبري (٥/ ٤٤٤).

أَن يكون على أَن سؤاله إِنما كان عن إِحياءِ الموتى من بني آدم، أَي: أَنى يُحيي[١] الله موتاها.

وقد حكى الطبري عن بعضهم أَنه قال: كان هذا القول شكّاً في قدرة الله على الإِحياء، فلذلك ضرب له المثل في نفسه[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وليس يدخل شك في قدرة الله على إِحياءِ قرية بجلب العمرة[٣] إِليها، وإِنما يتصور الشك من جاهل في الوجه الآخر، والصواب أَلا يتأَول في الآية شك.

وروي في قصص هذه الآية: أَن بني إِسرائيل لما أَحدثوا الأَحداث بعث الله عليهم بخت نصر البابلي فقتلهم وجلاهم من بيت المقدس فخربه، فلما ذهب عنه جاءَ أَرمياءُ فوقف على المدينة معتبراً فقال: ﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾، قال: فأَماته الله تعالى، وكان معه حمار قد ربطه بحبل جديد، وكان معه سلة فيها تين، وهو طعامه، وقيل: تين وعنب، وكان معه ركوة من خمر، وقيل: من عصير، وقيل: قلة ماءٍ هي شرابه[٤].

وبقي ميتاً مئة عام فَرُوي أَنه بلي وتفرقت عظامه هو وحماره، ورُوي أَنه بلي دون الحمار، وأَن الحمار بقي حيّاً مربوطاً لم يمت ولا أَكل شيئاً ولا بليت رمته، ورُوي أَن الحمار بلي وتفرقت أَوصاله دون عزير[٥].

ورُوي: أَن الله بعث إِلى تلك القرية مَنْ عمَّرها ورد إِليها جماعة بني إِسرائيل حتى كملت على رأَس مئة سنة، وحينئذ حيي عزير، ورُوي أَن الله رد عليه عينيه وخلق له حياة يرى بها كيف تعمر القرية وتُحْيا من ثلاثين سنة تكملة المئة؛ لأَنه بقي سبعين ميتاً كله[٦]، وهذا ضعيف ترد عليه أَلفاظ الآية.

---

(١) في المطبوع هنا زيادة: «هذه».
(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٤٥٢).
(٣) في المطبوع: «العمارة».
(٤) انظر الخلاف في: تفسير الطبري (٥/ ٤٥٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٠٣).
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٠٠).
(٦) لم أجد من نقله.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾، معناه: أَحياه، وجعل له الحركة والانتقال، فسأَله الله تعالى بواسطة الملك: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾؟ على جهة التقرير، و﴿كَمْ﴾ في موضع نصب على الظرف، فقال: ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

قال ابن جريج، وقتادة، والربيع: أَماته الله غدوة يوم، ثم بعثه قبل[1] الغروب فظن هذا اليوم واحداً، فقال: ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا﴾، ثم رأَى بقية من الشمس فخشِي أَن يكون كاذباً فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، فقيل له: ﴿بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾، ورأَى من عمارة القرية وأَشجارها ومبانيها ما دله على ذلك[2].

قال النقاش: العام مصدر كالعوم، سمي به هذا القدر من الزمان؛ لأَنها عومة من الشمس في الفلك، والعوم كالسبح، وقال تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠][3].

قال القاضي أَبو محمد: هذا معنى كلام النقاش، والعام على هذا كالقول، والقال.

وظاهر هذه الإِماتة أَنها بإِخراج الروح من الجسد.

ورُوي في قصص هذه الآية أَن الله بعث لها ملكاً من الملوك يعمرها ويجدُّ في ذلك حتى كان كمالُ عمارتها عند بعث الله القائل: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

وقرأَ ابن كثير، وعاصم، ونافع: ﴿لَبِثْتَ﴾ في كل القرآن بِإِظهار الثاءِ، وذلك؛ لتباين مخرج الثاءِ [من مخرج التاءِ][4]، وذلك أَن الطاءَ والتاءَ والدال من حيِّز، والظاءَ والذال والثاءَ المثلثة[5] من حيِّز.

وقرأَ أَبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بالإِدغام في كل القرآن[6]،

(١) في أحمد٣ وجار الله: قرب.
(٢) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٥/ ٤٥٩).
(٣) انظر قول النقاش في: تفسير القرطبي (٣/ ٢٩١).
(٤) ليس في فيض الله، ونور العثمانية.
(٥) سقطت من المطبوع.
(٦) فهما سبعيتان انظر: السبعة (ص: ١٨٨)، والتيسير (ص: ٤٤).

أَجرَوْهما مجرى المِثْلين من حيث اتفق الحرفان في أَنهما من طرف اللسان وأُصول الثنايا، وفي أَنهما مهموسان، قال أَبو علي: وَيُقَوِّي ذلك وقوعُ هذين الحرفين في رَوِيٍّ قصيدة واحدة»[١].

قوله عز وجل: ﴿...وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾.

وقف في هذه الأَلفاظ على بقاءِ طعامه وشرابه على حاله لم يتغير، وعلى بقاءِ حماره حيّاً على مربطه؛ هذا على أَحد التأويلين.

وعلى التأويل الثاني: وقف على الحمار كيف يُحْيا، وتجتمع عظامه؟

وقرأَ ابن مسعود: (وهذا طعامُك وشرابُك لم يتَسَنَّه)، وقرأَ طلحة بن مصرِّف، وغيره: (وانظُر إِلى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لمائة سنة)[٢].

قال أَبو علي: واختلفوا في إِثبات الهاءِ في الفعل من قوله عز وجل: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾، و﴿ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، و﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ﴾، و﴿سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩]، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ [القارعة: ١٠] وإِسقاطها في الوصل، ولم يختلفوا في إِثباتها في الوقف:

فقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وعاصم، وابن عامر[٣] هذه الحروف كلَّها بإِثبات الهاءِ في الوصل، وكان حمزة يحذفهن في الوصل، وكان الكسائي يحذفها في ﴿يَتَسَنَّهْ﴾ و﴿ٱقْتَدِهْ﴾ ويثبتها في الباقي[٤]، ولم يختلفوا في ﴿حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠]،

---

(١) الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٦٧).

(٢) وهما قراءتان شاذتان لمخالفة الرسم، انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٢٩٢)، والبحر المحيط (٢/ ٦٣٥).

(٣) كتبت في المطبوع: «بن عمر»، وهو خطأ.

(٤) وكلها سبعية انظر: السبعة (ص: ١٨٨)، والتيسير (ص: ٨٢).

و﴿كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة: ١٩] أنهما بالهاءِ في الوقف والوصل[١].

و﴿يَتَسَنَّهۡ﴾ يحتمل أن يكون من تسنَّى الشيءُ: إذا تغير وفسد، ومنه: الحمأُ المسنون، [في قول بعضهم[٢]. وقال الزجّاج: ليس منه، وإنما المسنون][٣] المصبوب على سنة[٤] الأرض[٥].

فإذا كان من «تَسَنَّنَ» فهو: «لم يَتَسَنَّنْ»، قلبت النون ياءً كما فعل في «تَظَنَّنْتُ» حتى قلت: «لم أَتظنَّ» فيجيءُ تَسنَّنَ: تَسَنَّى، ثم تحذف الياءُ للجزم، فيجيءُ المضارع: «لمْ يَتَسَنَّ»[٦].

ومن قرأها بالهاءِ على هذا القول فهي هاءُ السكت، وعلى هذا يحسن حذفها في الوصل.

ويحتمل ﴿يَتَسَنَّهۡ﴾ أن يكون من السَّنَة: وهو الجدب والقحط وما أَشبهه، يُسَمُّونَه بذلك، وقد اشتق منه فعل فقيل: «أسنَتُوا»[٧].

وإذا كان هذا، أَو من السنة التي هي العام على قول من يجمعها سنوات فعلى هذا أَيضاً الهاء[٨] هاءُ السكت، والمعنى: لم تغير طعامَك القحوطُ والجدوب ونحوه، أَوْ لم تغيره السَّنون والأَعوام[٩].

---

(١) أي: القراءُ السبعة، لكن يعقوب الحضرمي من القراء العشرة قرأ حرفي (كتابيه) معاً و(حسابيه)، من سورة الحاقة بحذف الهاء وصلاً، وأثبتها وقفاً، على قاعدته. انظر النشر (٢/ ٢٣١)، انظر كلام أبي علي في الحجة (٢/ ٣٦٨).

(٢) نسبه النحاس في معاني القرآن (٤/ ٢٥) لأبي عمرو الشيباني.

(٣) ساقط من المطبوع.

(٤) في المطبوع: «سنن».

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج (١/ ٣٤٤)، وفيه: «سنة»، وقال مثله أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٨٠)، وجمهور من المفسرين.

(٦) انظر: تفصيل إبدال ثاني المثلين ياء في سر صناعة الإعراب (٢/ ٧٥٨).

(٧) في المطبوع: «واستنوا».

(٨) في المطبوع: «إنما»، بدل: الهاء.

(٩) انظر: معاني القرآن للنحاس (١/ ٢٨٠)، ومعجم مقاييس اللغة (٣/ ٧٨).

وأَما من قال في تصغير السنة: سُنَيْهَة، وفي الجمع: سَنَهات، وقال: أَسْنَهْتُ عند
[١/ ١٧٢] بني فلان / ، وهي لغة الحجاز، ومنها قول الشاعر:

[الطويل] وَلَـيْـسَـتْ بِسَـنْـهَـاء ولا رجَـبِـيَّـةٍ ولكن عرايَا في السِّنينَ الجَوائِح[١]

فإِن القراءَة على هذه اللغة هي بإِثبات الهاءِ وَلا بُدَّ، وهي لام الفعل، وفيها ظهر الجزم بـ(لَمْ)، وعلى هذا هي قراءَة ابن كثير، ونافع، وأَبي عمرو، وقد ذُكر.

وقرأَ طلحة بن مصرف: (لَمْ يَسَّنَّهْ) على الإِدغام[٢].

وقال النقاش: ﴿لَمۡ يَتَسَنَّهۡ﴾ معناه: لم يتغير، من قوله تعالى: ﴿مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ [محمد: ١٥][٣].

وردَّ النحاة على هذا القول؛ لأَنه لو كان من: أَسِنَ الماءُ لجاءَ: لَمْ يَتَأَسَّنْ[٤].

وأَما قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ فقال وهب بن منبه، وغيره: المعنى: وانظر إِلى اتصال عظامه وإِحيائه جزءاً جزءاً.

ويُروى أَنه أَحياه الله كذلك حتى صار عظاماً ملتئمة، ثم كساه لحماً حتى كمل حماراً، ثم جاءَ ملَك فنفخ في أَنفه الرُّوح، فقام الحمار ينهق.

ورُوي عن الضحاك، ووهب بن منبه أَيضاً أَنهما قالا: بل قيل له: وانظر إِلى

---

(١) البيت لسويد بن الصامت كما في المحكم (٧/ ٤٠٩)، والمغرب في ترتيب المعرب (٣/ ٤٥٢)، وتاج العروس (٢/ ٤٨٥)، مادة: رجب، الحور العين (ص: ٣٠٩)، وبلا نسبة في معاني القرآن للفراء (١/ ١٧٣)، ونسبه لبعض الأنصار غير مسمى غريب الحديث للقاسم بن سلام (١/ ٢٣١)، الاستذكار (٦/ ٣١٦)، وتهذيب اللغة (٥/ ٨٨)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٢٣٥)، والنخلة السنهاءُ: التي تحمل سنة ولا تحمل أُخرى، وَرُجَبِيَّة كعُمرية، يقال: رَجَّبَ النخلة: بنى تحتها بناءً تعتمد عليه لضعفها، أو ضَمَّ أَعذاقها إلى سعفاتها وشدَّها.

(٢) وهي قراءة شاذة انظر الهداية لمكي (١/ ٨٧٢).

(٣) نقله في البحر المحيط (٢/ ٦٢٣)، ومثله في تفسير مقاتل (١/ ٢١٧)، وتفسير عبد الرزاق (١/ ٣٦٨) عَنْ قَتَادة.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٤٦٧).

حمارك قائماً في مربطه لم يصبه شيءٌ مئة سنة، قالا: وإِنما العظام التي نظر إِليها عظام نفسه، قالا: وأَعمى الله العيون عن أَرمياءَ وحماره طول هذه المدة(١).

قال القاضي أَبو محمد: وكثَّر أَهل القصص في صورة النازلة تكثيراً اختصرته؛ لعدم صحته.

وقوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ معناه: لهذا المقصد من أَن تكون آية فعَلْنا بك هذا.

وقال الأَعمش: موضع كونه آيةً هو أَنه جاءَ شاباً على حاله يوم مات، فوجد الحفدة والأَبناءَ شيوخاً، وقال عكرمة: جاءَ وهو ابن أَربعين سنة كما كان يوم مات، ووجد بنيه قد نيَّفوا على مئة سنة.

وقال غير الأَعمش: بل موضع كونه آية أَنه جاءَ وقد هلك كل من يعرف فكان آية لمن كان حياً من قومه؛ إِذ كانوا موقنين(٢) بحاله سماعاً(٣).

قال القاضي أَبو محمد: وفي إِماتته هذه المدة ثم إِحيائه أَعظمُ آية، وأَمره كله آيةٌ للناس غابرَ الدهر لا يحتاج إِلى تخصيص بعض ذلك دون بعض، وأَما العظام التي أُمر بالنظر إِليها فقد ذكرنا من قال: هي عظام نفسه، ومن قال: هي عظام الحمار.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو: [﴿نُنشِرُها﴾ بضم النون الأولى وبالراء، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿نُنشِزُهَا﴾ بالزاي(٤)، وروى أبان عن عاصم](٥): (نَنْشُرها) بفتح النون الأولى، وضم الشين، وبالراءِ، وقرأَها كذلك ابن عباس، والحسن، وأَبو حيوة(٦).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٤٧١).

(٢) في المطبوع: «مؤمنين»، وكذا في الأصل مع الإشارة في هامشه إلى النسخة الأخرى.

(٣) انظر الأقوال الثلاثة في: تفسير الطبري (٥/ ٤٧٤).

(٤) وهما سبعيتان انظر: السبعة (ص: ١٨٩)، والتيسير (ص: ٨٢).

(٥) ما بين المعكوفتين ليس في المطبوع، وسقوطه مفسد للمعنى كما هو واضح.

(٦) نقلها الثعلبي (٢/ ٢٤٨) عن الحسن، وابن مجاهد (ص: ١٨٩) عن أبان، والكرماني (ص: ٩٨) عن ابن عباس.

فمن قرأَ: ﴿نُنْشِرُها﴾ بضم النون الأُولى وبالراءِ فمعناه: نُحييها، يقال: أَنشر الله الموتى، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٢]، وقال الأَعشى:

[السريع] .... يـا عَجبـاً للمَـيِّـتِ النَّـاشِـرِ[١]

وقراءَة عاصم[٢]: (نَنشُرُها) بفتح النون الأُولى وضم الشين يحتمل أَن يكون لغة في الإِحياءِ، يقال: نشرت الميت وأَنشرته، فيجيءُ: نشَر الميتُ ونشرته، كما يقال: حسرتِ الدابةُ وحسرتها، وغاض الماءُ وغِضته، ورجع زيدٌ ورَجَعته، ويحتمل أَن يراد بها ضدُّ الطي[٣]، كأَن الموت طيٌّ للعظام والأعضاءِ، وكأَن الإحياءَ وجمع بعضها إِلى بعض نشرٌ.

وأَما من قرأَ: ﴿نُنشِزُهَا﴾ بالزاي فمعناه: نرفعها، والنشز المرتفع من الأَرض، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] ترى الثَّعْلَـبَ الحَولـيَّ فيها كأَنَّه إِذا ما علا نَشزاً حِصانٌ مُجَلَّلُ[٤]

قال أَبو علي وغيره: فتقديره: ننشزها برفع بعضها إِلى بعض للإِحياءِ[٥]، ومنه نشوز المرأَة، وقال الأَعشى:

---

(١) عجز بيت للأعشى في ديوانه (ص: ١٠٥)، وانظر نسبته له في: مجاز القرآن (٢/ ٧٠)، وتفسير الطبري (٥/ ٤٧٧)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ١٧٣)، والأغاني (١٦/ ٣٠٣)، وسمط اللآلي للبكري (١/ ٢٧٥)، وصدره: حَتّى يَقولَ الناسُ مِمّا رَأوا.

(٢) أي: من رواية أبان والمفضل كما تقدم. انظر: جامع البيان للداني (٢/ ٩٢٩).

(٣) انظر: الاحتمالين في المخصص لابن سيده (٢/ ٤١٨)، ومقاييس اللغة (٥/ ٣٤٥)، وتهذيب اللغة (٤/ ٩٦).

(٤) البيت للأخطل كما في ديوانه (ص: ٢٢٦)، والحجة لأبي علي (٢/ ٣٨١)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ٧٩)، والتذكرة الحمدونية (٢/ ١٣٩)، ومنتهى الطلب (١/ ٢٥٥)، ونهاية الأرب (١/ ٢٠٢)، والمجلَّل: المغطَّى.

(٥) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٨٢).

[الطويل] .... قُضَاعيَّةً تَأْتي الْكَوَاهِنَ نَاشِـزاً[١]

يقال: نشز وأَنشزته.

قال القاضي أَبو محمد: ويقلق عندي أَن يكون معنى النشوز رفعَ العظامِ بعضها إِلى بعض، وإِنما النشوز الارتفاع قليلاً قليلاً، فكأَنه وقف على نبات العظام الرفات، وخروج ما يوجد منها عند الاختراع[٢].

وقال النقاش: نُنْشِزُها معناه: نُنْبِتُهَا[٣].

وانظر استعمال العرب تجده على ما ذكرت لك، من ذلك: نشز ناب البعير، والنشز من الأَرض على التشبيه بذلك، ونشزت المرأَة كأَنها فارقت الحال التي ينبغي أَن تكون عليها، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ [المجادلة: ١١]؛ أَي: فارتفعوا شيئاً فشيئاً كنشوز الناب، فبذلك تكون التوسعة، فكأَن النشوز ضرب من الارتفاع، ويبعد في الاستعمال أَن يقال لمن ارتفع في حائط أَو غرفة: نشز.

وقرأَ النخعي: (نَنْشُزُها) بفتح النون وضم الشين والزاي، ورُوي ذلك عن ابن عباس، وقتادة.

وقرأَ أُبي بن كعب: (كيف نُنْشِيها) بالياءِ[٤].

والكسوة: ما وارى من الثياب، وشبه اللحم بها.

---

(١) عجز بيت للأعشى في ديوانه (ص: ١٤٩)، والحجة (٢/ ٣٨٢)، والأمالي (٢/ ١١٥)، والمخصص (١/ ٣٥٤)، وتهذيب اللغة (٣/ ٢٢٥)، ومقاييس اللغة (٥/ ٢٦)، وصدره: تَقَمَّرَهَا شَيْخٌ عِشَاءً فَأَصْبَحَتْ، وهو من قصيدة في هجائه لعلقمة.

(٢) هذا قول مكي في الهداية (١/ ٨٦٦)، وحكاه عن مكيٍّ القرطبيُّ في تفسيره (٣/ ٢٩٥).

(٣) ذكره عن النقاش البحر المحيط (٢/ ٦٣٧).

(٤) وكلها قراءات شاذة. انظر: قراءة النخعي في تفسير الثعلبي (٢/ ٢٤٨)، والشواذ للكرماني (ص: ٩٨)، وقراءة أبي في حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٢/ ٣٣٨).

وقد استعاره النابغة[١] لِلإسلام فقال:

[البسيط] الْحَمْـدُ للَّـهِ إِذْ لَـمْ يَأْتـني أَجَلـي حتى اكْتَسَيْتُ من الإِسلام سِرْبَالا[٢]

ويُروى أَنه كان يرى اللحم والعصب والعروق كيف تلتئم وتتواصل[٣].

وقال الطبري: المعنى في قوله: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾؛ أَي: لما اتضح له عياناً ما كان مستنكراً في قدرة الله عنده قبل عيانه قَالَ: أَعْلَمُ[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا خطأٌ؛ لأَنه أَلزم ما لا يقتضيه اللفظ، وفسر على القول الشاذ والاحتمال الضعيف.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: ﴿أَعْلَمُ﴾ مقطوعة الأَلف مضمومة الميم، وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿قَالَ اعْلَمْ أَنَّ اللهَ﴾ موصولة الأَلف ساكنة الميم، وقرأَها أَبو رجاءٍ[٥].

وقرأَ عبد الله بن مسعود، والأَعمش: (قِيلَ اعْلَمْ)[٦].

قال القاضي أَبو محمد: فأَما هذه فبينة المعنى، أَي: قال الملك له، والأُولى بينة

---

(١) هو قيس بن عبد الله بن عمر الجعدي رضي الله عنه، وقيل غير ذلك، انظر ترجمته في الاستيعاب (ص: ٤٧٨)، وقد تقدمت.

(٢) ديوانه (ص: ٨٦)، وهو من قصيدة في هجاء سوار بن أوفى القشيري، ونسبه إليه الطبري في التفسير (٥/ ٤٨٠)، ونسبه كثير من المؤلفين إلى لبيد بن ربيعة العامري، منهم ابن عبد البر في الاستيعاب (ص: ٢٢٨)، وأبو الفرج في أغانيه (١٤/ ٩٤)، وابن قتيبة في الشعر والشعراء (١/ ٢٦٧)، والروض الأنف (٧/ ٤٦١)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١٣٣).

(٣) وهو قول وهب بن منبه. انظر: تفسير الطبري (٥/ ٤٥٢).

(٤) تفسير الطبري (٥/ ٤٨١).

(٥) فهما قراءتان سبعيتان انظر: السبعة لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، والتيسير (ص: ٨٢)، وعزاها لأبي رجاء في: البحر المحيط (٢/ ٦٤١).

(٦) هي قراءة شاذة، انظر عزوها لعبد الله في: المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٧٤)، وللأعمش في الكامل للهذلي (ص: ٣٧٧).

المعنى، أَي قال هو: أَنا أَعْلَمُ أَنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ، وهذا عندي ليس بإِقرار بما كان قبلُ ينكره كما زعم الطبري[١]، بل هو قولٌ بعثه الاعتبار، كما يقول الإنسان المؤمن إِذا رأَى شيئاً غريباً من قدرة الله: لا إِله إِلا الله، ونحو هذا.

وقال أَبو علي: معناه: أَعْلَمُ هذا الضرب من العلم الذي لم أَكن علمته[٢].

قال القاضي أَبو محمد: يعني علم المعاينة.

وأَما قراءَة حمزة، والكسائي فتحتمل وجهين:

أَحدهما: قال الملك له: اعلمْ، والآخر أَن ينزل نفسه منزلة المخاطب الأَجنبي المنفصل، فالمعنى: فلما تبين له قال لنفسه: اعلم[٣].

وأَنشد أَبو علي في مثل هذا قول الأَعشى:

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ[٤] .... [البسيط]

و:

أَلَـمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا[٥] .... [الطويل]

وأَمثلة هذا كثيرة، وتأَنس أَبو علي في هذا المعنى بقول الشاعر:

تذَكَّـرَ مـن أَنَّـى ومِـنْ أَيْنَ شُـربُه   يؤَامِرُ نَفْسَيْهِ كَذي الهَجْمَةِ الأَبِلْ[٦] [الطويل]

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٤٨١).

(٢) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٨٣).

(٣) انظرهما في: الحجة لأبي علي (٢/ ٣٨٣).

(٤) صدر بيت للأعشى، وعجزه: وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ، وهو منسوب له في ديوانه (ص: ٥٥)، والأغاني (٩/ ١٧٧)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٣٢٨)، وشرح المعلقات التسع (ص: ١٧)، والكامل في اللغة والأدب (٢/ ١٩٨)، والحيوان (٥/ ١٨٥).

(٥) صدر بيت للأعشى عجزه: وَعَادَ كما عَادَ السَّليم مُسَهَّدا، وهو منسوب له في ديوانه (ص: ١٨٥)، والمحتسب (٢/ ١٢١)، وسيرة ابن هشام (١/ ٣٨٦)، والأغاني (٩/ ١٤٧)، وإيضاح شواهد الإيضاح (٢/ ٦٨٥)، وسمط اللآلي (١/ ٤٤٠)، الحور العين (ص: ٨٩).

(٦) البيت للكميت منسوب له في ديوانه (ص: ٢٥٦)، وتفسير الطبري (٤/ ٤١٥)، والحجة لأبي علي =

[١/ ١٧٣] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾.

العامل في ﴿إِذْ﴾ فعل مضمر تقديره: واذكر.

واختلف الناس لم صدرت هذه المقالة عن إبراهيم عليه السلام؟ فقال الجمهور: إن إبراهيم عليه السلام لم يكن شاكاً في إحياءِ الله الموتى قط، وإنما طلب المعاينة.

وترجم الطبري في «تفسيره» فقال: وقال آخرون: سأَل ذلك ربَّه؛ لأَنه شك[١] في قدرة الله على إحياءِ الموتى، وأَدخل تحت الترجمة عن ابن عباس أنه قال: ما في القرآن آية أَرجى عندي منها[٢]، وذكر عن عطاءِ بن أَبي رباح أَنه قال: دخل قلبَ إبراهيم بعضُ ما يدخل قلوبَ الناس فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، وذكر حديث أَبي هريرة أَن رسول الله ﷺ قال: «نحْن أَحقُّ بالشَّكِّ مِنْ إبراهيمَ»[٣] الحديثَ.

ثم رجح الطبري هذا القول الذي يجري مع ظاهر الحديث، وقال: «إن إبراهيم لما رأَى الجيفة يأكل منها الحيتان ودواب البر[٤] أَلقى الشيطان في نفسه فقال: متى يجمع الله هذه من بطون هؤلاءِ؟»[٥].

وأَما من قال بأَن إبراهيم لم يكن شاكّاً فاختلفوا في سبب سؤاله:

= (٢/ ٣٨٣)، وكتاب الشعر (ص: ٣٢٠)، له أيضاً، الهَجْمَة: القطعة من الإبل فيما بين الثلاثين والمئة، والأبِلُ كَكَتِف: العارف برعايتها، وفي أحمد٣ وجار الله: «اللحمة».

(١) في نور العثمانية: «لا شك»، بزيادة: «لا»، وهي مخالفة لما في «تفسير الطبري» نفسه.

(٢) منقطع، أخرجه الطبري (٥/ ٤٨٩) من طريق: أيوب السختياني، عن ابن عباس وروايته عنه منقطعة، انظر: جامع التحصيل (١٨٤).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٩٢)، ومسلم (١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في أحمد٣ وجار الله: البحر.

(٥) انظره بالمعنى في: تفسير الطبري (٥/ ٤٨٥).

فقال قتادة: إِن إِبراهيم رأَى دابة قد توزَّعتها السباع فعجب وسأَل هذا السؤال، وقال الضحاك نحوه، قال: وقد علم عليه السلام أَن الله قادر على إِحياءِ الموتى، وقال ابن زيد: رأَى الدابة تتقسَّمها السباع والحيتان؛ لأَنها كانت على حاشية البحر[١].

وقال ابن إِسحاق: بل سببها أَنه لما فارق النمرود وقد قال له: أَنا أُحيي وأُميت، فكَّر في تلك الحقيقة والمجاز، فسأَل هذا السؤال[٢].

وقال السدي، وسعيد بن جبير: بل سبب هذا السؤال أَنه لما بُشِّرَ بأَن الله اتخذه خليلاً أَراد أَن يُدِلَّ بهذا السؤال ليجرب صحة الخُلَّة، فإِن الخليل يُدِلُّ[٣] بما لا يدل به غيره، وقال سعيد بن جبير: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ يريد بالخُلَّة[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وما ترجم به الطبري عندي مردود[٥]، وما أَدخل تحت الترجمة مُتَأَول:

فأَما قول ابن عباس: (هِي أَرجى آية) فمن حيث فيها الإِدلالُ على الله تعالى، وسؤالُ الإِحياءِ في الدنيا، وليست مظنة ذلك، ويجوز أَن يقول: هي أَرجى آية لقوله: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾؛ أَي: إِن الإِيمان كافٍ لا يحتاج بعده إِلى تنقيح[٦] وبحث.

وأَما قول عطاءِ بن أَبي رباح: دخل قلبَ إِبراهيم بعضُ ما يدخل قلوب الناس؛ فمعناه من حب المعاينة، وذلك أَن النفوس مستشرفة إِلى رؤية ما أُخبرت به، ولهذا قال النبي ﷺ: «ليس الخبرُ كالمعاينة»[٧].

---

(١) انظر أقوال قتادة والضحاك وابن زيد في: تفسير الطبري (٥/ ٤٩٢).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٤٨٧).

(٣) يعني يجترئ. تهذيب اللغة (١٤/ ٤٨).

(٤) انظر قول سعيد في: تفسير الطبري (٥/ ٤٨٩)، وقول السدي بعدها بقليل (٥/ ٤٩٢).

(٥) وافقه السمعاني (١/ ٢٦٦).

(٦) في نور العثمانية: «تنقير».

(٧) صحيح، أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٣٤١)، وابن حبان (١٤/ ٩٦)، والحاكم (٢/ ٣٥١) وابن عدي =

وأَما قول النبي ﷺ: «نحن أَحق بالشك من إِبراهيم» فمعناه أَنه لو كان شكٌّ لكنا نحن أَحق به، ونحن[١] لا نشك، فإِبراهيم عليه السلام أَحرى أَن لا يشك، فالحديث مبني على نفي الشك عن إِبراهيم.

والذي روي فيه عن النبي ﷺ أَنه قال: «ذلك محض الإِيمان»[٢] إِنما هو في الخواطر الجارية التي لا تثبت، وأَما الشك فهو توقُّفٌ بين أَمرين لا مزية لأَحدهما على الآخر، وذلك هو المنفي عن الخليل عليه السلام.

وإِحياءُ الموتى إِنما ثبت بالسمع، وقد كان إِبراهيم عليه السلام أَعلم به، يدلك على ذلك قوله: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فالشك يبعد على من ثبتت

= (٧/ ١٣٦) كلهم من طريق هشيم بن بشير، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً به، وكان هشيم أحياناً يذكره هكذا مختصراً، وأحياناً بزيادة: إن الله خبر موسى ما صنع قومه في العجل فلم يلقِ الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح.
قال الإمام أحمد ـ كما في علل الترمذي الكبير (ص: ٣٨٧) ـ: لم يسمع هشيم حديث أبي بشر: «ليس الخبر كالمعاينة»، وقال ابن عدي في الكامل (٧/ ١٣٦): يقال إن هذا لم يسمعه هشيم من أبي بشر، إنما سمعه من أبي عوانة عن أبي بشر فدلسه.اهـ. وقال ابن حبان عقبه: ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن هذا الخبر تفرد به هشيم، ثم رواه من طريق: أبي عوانة عن أبي بشر به، بلفظ: «ليس المعاين كالمخبر»، وذكر الزيادة المذكورة في رواية هشيم.
وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص: ٥٥٩): قول ابن عدي: إن هشيماً لم يسمعه من أبي بشر وإنما سمعه من أبي عوانة عنه فدلسه؛ لا يمنع صحته.اهـ، يعني لصحة طريق أبي عوانة.
وأخرجه ابن عدي (٦/ ٢٩١)، والطبراني في الأوسط (٧/ ٨٨) من طريق محمد بن محمد بن مرزوق، عن محمد بن عبد الله الأنصاري، عن أبيه، عن ثمامة، عن أنس بن مالكرضي الله عنه، مرفوعاً به، قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن أنس إلا بهذا الإسناد، تفرد به محمد بن مرزوق.
وقال ابن عدي بعد أن أورد لمحمد بن مرزوق حديثه هذا في مناكيره، مع حديث آخر: ولم أر لابن مرزوق هذا أنكر من هذين الحديثين، وهو لين.

(١) في فيض الله: «ولكنا».
(٢) إشارة إلى حديث الوسوسة، ولفظه: عن ابن مسعود: سئل النبي ﷺ عن الوسوسة فقال: تلك محض الإيمان، أخرجه مسلم (١٣٣).

قدمه في الإِيمان فقط، فكيف بمرتبة النبوة والخُلة، والأَنبياءُ معصومون من الكبائر والصغائر التي فيها رذيلة إِجماعاً[(١)].

وإِذا تأَملت سؤاله عليه السلام وسائر أَلفاظ الآية لم تعط شكاً، وذلك أَن الاستفهام بـ(كَيْفَ) إِنما هو عن حال شيءٍ موجود متقرر الوجود عند السائل والمسؤول؛ نحو قولك: كيف علم زيد؟ وكيف نسج الثوب؟ ونحو هذا، ومتى قلت: كيف ثوبك؟ وكيف زيد؟ فإِنما السؤال عن حال من أَحواله، وقد تكون (كيف) خبراً عن شيءٍ شأْنه أَن يُستفهم عنه بـ(كيف) نحو قولك: كيف شئت فكن، ونحو قول البخاري: (كيف كان بدءُ الوحي)[(٢)].

و﴿كَيْفَ﴾ في هذه الآية إِنما هي استفهام عن هيئة الإِحياءِ، والإِحياءُ متقرر، ولكن لما وجدنا بعض المنكرين لوجود شيءٍ قد يعبِّر عن إِنكاره بالاستفهام عن حالة لذلك الشيءِ يعلم أَنها لا تصح[(٣)]، فيلزم من ذلك أَن الشيءَ في نفسه لا يصح.

مثال ذلك: أَن يقول مدعٍ: أَنا أَرفع هذا الجبل، فيقول له المكذِّب: أَرني كيف ترفعه، فهذه طريقة مجاز في العبارة، ومعناها تسليم جدلي، كأَنه يقول: افرض أَنك ترفعه، أَرني كيف؟ فلما كان في عبارة الخليل عليه السلام هذا الاشتراك المجازي خلَّص الله له ذلك، وحمله على أَن يبيِّن الحقيقة فقال له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾؟، قَالَ: بَلَى؛ فكمل الأَمر، وتخلص من كل شك، ثم علل عليه السلام سؤاله بالطمأْنينة.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ معناه: إِيماناً مطلقاً، دخل فيه فعل إِحياءِ الموتى، والواو واو حال دخلت عليها أَلف التقرير.

---

(١) انظر: المستصفى للغزالي (١/ ٢٧٤).

(٢) صحيح البخاري (١/ ٣).

(٣) في المطبوع: «لا تصلح».

وَ﴿لِّيَطۡمَئِنَّ﴾ معناه: ليسكن عن فكره، والطمأنينةُ اعتدال وسكون على ذلك الاعتدال، فطمأْنينة الأَعضاءِ معروفة(١) كما قال عليه السلام: «ثم اركع حتى تطمئن راكعاً»(٢) الحديث.

و«طمأنينة القلب»: هي أَن يسكن فكره في الشيءِ المعتقد، والفِكَر في صورة [الإِحياءِ غير محظورةٍ، كما لنا نحن اليوم أَن نفكر فيها، بل هي فِكَرٌ فيها عبر، فأَراد الخليل أَن يعاين فتذهب فكَره في صورة الإِحياءِ إِذ حركه إِلى ذلك؛ إِما أَمر الدابة المأْكولة](٣)، وإِما قول النمروذ: أَنا أُحيي وأُميت.

وقال الطبري: معنى ﴿لِّيَطۡمَئِنَّ﴾: ليوقن، وحكى نحو ذلك عن سعيد بن جبير، وحكي عنه: ليزداد يقيناً، وقاله إِبراهيم، وقتادة، وقال بعضهم: لأَزداد إِيماناً مع إِيماني(٤).

قال القاضي أَبو محمد: ولا زيادة في هذا المعنى تُمْكن إِلا السكون عن الفكر، وإِلا فاليقين لا يتبعض.

---

(١) انظر: أقوال الفقهاء في الطمأنينة في كتاب الذخيرة للقرافي (٢/ ٢٠٥).

(٢) حديث المسيء صلاته، ولفظه: أن رسول الله ﷺ دخل المسجد، فدخل رجل فصلى فسلم على النبي ﷺ فرد وقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل»، فرجع يصلي كما صلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل» ثلاثاً فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمني فقال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، وافعل ذلك في صلاتك كلها»، أخرجه البخاري (٧٢٤)، ومسلم (٣٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في جار الله وأحمد٣ بدلاً منه: «والفكر في صورة الإِحياءِ إِذ حركه إِلى ذلك؛ إِما أَمر الدابة وهو غير محظور، كما أنا نحن اليوم لنا أَن نفكر فيها بل هي فِكَر فيها عبر، فأَراد الخليل أَن يعاين فتذهب فكره في صورة الإحياءِ وإِما أن يكون المحرك».

(٤) في تفسير الطبري (٥/ ٤٩٢، ٤٩٣).

ورُوي أَن الأَربعة التي أَخذ إِبراهيم هي الديك والطاووس والحمام والغراب، ذكر ذلك ابن إسحاق / عن بعض أَهل العلم الأُول، وقاله مجاهد، وابن جريج، وابن زيد[١]، وقال ابن عباس ـ مكان الغراب ـ: الكُركي[٢]. [١/ ١٧٤]

وروي في قصص هذه الآية: أَن الخليل عليه السلام أَخذ هذه الطير حسبما أُمر، وذكَّاها ثم قطعها قطعاً صغاراً، وجمع ذلك مع الدم والريش، ثم جعل من ذلك المجموع المختلط جزءاً على كل جبل، ووقف هو من حيث يرى تلك الأَجزاءَ، وأَمسك رؤُوس الطير في يده، ثم قال: «تعالَين بإِذن الله»، فتطايرت تلك الأَجزاءُ، وطار الدم إِلى الدم، والريش إِلى الريش حتى التأَمت كما كانت أَولاً، وبقيت بلا رؤُوس، ثم كرر النداءَ، فجاءَته سعياً حتى وضعت أَجسادها في رؤُوسها، وطارت بإِذن الله تعالى[٣].

وقرأَ حمزة وحده: ﴿فَصِرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ بكسر الصاد، وقرأَ الباقون بضمها[٤].

ويقال: صُرت الشيءَ أَصوره بمعنى قطعته، ومنه قول ذي الرمة[٥]:

.... صُرْنَا بِهِ الحُكْمَ وأعيا الْحَكَمَا[٦] [الرجز]

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٤٩٤-٤٩٥).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧٤٦) بإسناد فيه ابن لهيعة، وهو ضعيف الحديث، وهو طائر كما في الصحاح (٤/ ١٦٠٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٥٠٦) وما بعدها، عن قتادة وابن إسحاق وغيرهما.

(٤) فهما سبعيتان ووافق حمزةَ أبو جعفر ورويس وخلف العاشر انظر: السبعة (ص: ١٩٠)، والتيسير (ص: ٨٢)، «النشر» (٢/ ٢٦٤).

(٥) في المطبوع: «رؤبة»، والمثبت من النسخ الخطية.

(٦) انظر نسبته لذي الرمة في الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٩١)، وليس في ديوانه، وفي المطبوع: «قول رؤبة»، وهذا قول الأكثر أنه لرؤبة، نسبه له الثعلبي في تفسيره (٢/ ٢٥٥)، وابن قتيبة في غريب الحديث (٢/ ٥٩٤)، ونسبه الفارابي في معجم ديوان الأدب (٣/ ٣٩٣)، والجوهري في الصحاح (٢/ ٧١٧) للعجاج، والشاعر يخاطب الحَكَم بن صخر وأباه صخر بن عثمان، وفي فيض الله والسليمانية: «وعنَّى الحكما».

ومنه قول الخنساء:

[البسيط] فَلَـوْ يُلاقي الَّـذي لاقَيْتَـهُ حَضَنٌ لظَلَّت الشُّـم مِنْهُ وهي تَنْصَار[١]

أَي: تتقطَّع.

ويقال أَيضاً: صُرت الشيءَ بمعنى: أَمَلْتُهُ، ومنه قول الشاعر:

[الوافر] يَصُـور عنوقَهَـا أَحـوَى زنيـمٌ لهُ صخَبٌ كما صخِبَ الْغَرِيمُ[٢]

[ومنه قول الأَعرابي في صفة نساءٍ: هُنَّ إِلى الصبا صُور، وعَن الخَنَا نور[٣].

فهذا كله في ضم الصاد.

ويقال أَيضاً في هذين المعنيين القطع والإِمالة: صِرْت الشيءَ بكسر الصاد أَصيره.

ومنه قول الشاعر:

[الطويل] وفَـرْع يَصِيـرُ الجيـدَ وحـفٌ كأَنَّـه على اللِّيتِ قِنْوانُ الكُروم الدَّوالِحُ[٤]]

---

(١) انظر نسبته لها في مجاز القرآن (١/ ٨٠)، وتفسير الطبري (٥/ ٥٠٠)، وغريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٥٩٤).

(٢) هكذا جاء هذا البيت في الغريب المصنف لابن سلام (١/ ٣٤٤)، ونسبه لأوسِ بنِ حَجرٍ، وجاء بلا نسبة في أمالي القالي (٢/ ٥٢)، والحجة لابن خالويه (ص: ١٠١)، إلا أن الرواية عندهم: له ظأب، وقد غلَّط القاليَّ فيه البكريُّ في التنبيه (ص: ٩٣)، وسمط اللآلي (١/ ٦٨٥)، وقال صوابه:

وجاءتْ خُلعَةٌ دُبْسٌ صَفَايـا يَصُـورُ عُنُوقَها أَحْـوَىٰ زَنِيـمُ

يُفَـرَّقُ بينهـا صَــدَعٌ رَبـاعٌ لـه ظَـأبٌ كما صَخِب الغَرِيمُ

وورد البيت الأول معزواً للمعلّى بن جمال العبدي في مجاز القرآن (١/ ٨١)، وتفسير الطبري (٥/ ٤٩٩)، وفي إيضاح شواهد الإيضاح (٢/ ٨١٤) لجمال بن سلمة العبديّ، واستشهد الفارسي في الحجة بالبيت على رواية المصنف (٢/ ٣٨٩)، وبالبيت الأول في الرواية الأخرى (٢/ ٣٩١) فظاهره أنهما بيتان من قصيدتين، وعُنوق: جمع عَناق، وهي الأنثى من أولاد المعيز والغنم من حين الولادة إلى تمام الحول.

(٣) انظر بقية كلامه في أمالي القالي (١/ ٤٣)، قال: وصُوْر: موائل، ومنه قيل للمائل العنق: أصور، ونور: نفور من الريبة، واحدها نوار، وذكره أيضاً في زهر الآداب وثمر الألباب (٣/ ١٦٢)، بلفظ: (وعن الخنا حور) بالحاء، قال في الهامش: أي راجعات، وفي الحمزوية: «زور» بالزاي، وأشار لها في هامش المطبوع، وفي أحمد٣ وجار الله والسليمانية: «بور»، بالباء.

(٤) ليس في فيض الله، والبيت أنشده الكسائي لبعض بني سليم كما في معاني القرآن للفراء (١/ ١٧٤)، =

ففي اللفظة لغتان قرئ بهما.

وقد قال ابن عباس، ومجاهد في هذه الآية: (صُرْهُنّ) معناه: قطِّعهن، وقال عكرمة، وابن عباس في بعض ما رُوي عنه: إِنها لفظة بالنبطية معناها: قطِّعْهن[(١)]، وقاله الضحاك[(٢)].

وقال أَبو الأَسود الدُّؤَلي: هي بالسريانية، وقال قتادة: صُرهن: فصِّلهن.

وقال ابن إِسحاق: معناه: قطعهن، وهو الصور في كلام العرب[(٣)].

وقال عطاء بن أَبي رباح: ﴿فَصُرۡهُنَّ﴾ معناه: اضمُمْهن إِليك.

وقال ابن زيد: معناه: اجمعهن[(٤)]، وروي عن ابن عباس: معناه: أَوثِقْهن[(٥)].

فقد تأَول المفسرون اللفظة بمعنى التقطيع، وبمعنى الإِمالة.

فقوله: ﴿إِلَيۡكَ﴾ على تأويل التقطيع متعلق بـ (خُذْ).

وعلى تأويل الإِمالة والضم متعلق بـ (صُرْهُنَّ)، وفي الكلام متروك يدل عليه الظاهر تقديره: فأَمِلهن إِليك وقطعهن.

وقرأَ قوم: (فصُرَّهُنَّ) بضم الصاد وشد الراءِ المفتوحة، [كأَنه يقول: فشُدَّهن، ومنه صُرَّة الدنانير.

= تفسير الطبري (٥/ ٤٩٧)، والنكت في القرآن الكريم (ص: ١٦٩)، وتهذيب اللغة (١٢/ ١٥٩).

(١) روي المعنى عن ابن عباس من طرق، لكن النص على أنها بالنبطية إسناده ضعيف، أخرجه الطبري (٥/ ٥٠٢) من طريق: أبي كدينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وعطاء هو بن السائب.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٥٠٣، ٥٠٤).

(٣) انظر تفسير أبي الأسود في: تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥١١)، وكونها سريانية في تفسير القرطبي (٣/ ٣٠١)، وقول ابن إسحاق في تفسير الطبري (٥/ ٥٠٤)، ومعنى قول قتادة في تفسير الطبري (٥/ ٥٠٣) بلفظ: فمزِّقْهن.

(٤) انظر قولهما في: تفسير الطبري (٥/ ٥٠٥).

(٥) أخرجه الطبري (٥/ ٥٠٥) من طريق: العوفي عن ابن عباس.

وقرأ قوم: (فصِرَّهُنَّ) بكسر الصاد وشدِّ الراءِ المفتوحة][(١)]، ومعناه: صيِّحهن من قولك: صرَّ الباب والقلم إِذا صوَّتَ، ذكره النقاش[(٢)].

قال ابن جني: وهي قراءَة غريبة وذلك أَن (يفعِل) بكسر العين في المضاعف المتعدي قليل، وإِنما بابه (يفعُل) بضم العين؛ كشَد يشُدُّ ونحوه، لكن قد جاءَ منه: نَمَّ الحديث يَنِمُّه ويَنُمُّه، وهرَّ الحرب يهِرها ويهُرها[(٣)]، ومنه قول الأَعشى:

[الطويل] ليعْتَوِرْنَـكَ القـولُ حتَّـى تَهِرَّه[(٤)] ....

إِلى غير ذلك في حروف قليلة.

قال ابن جني: وأَما قراءَة عكرمة بضم الصاد فيحتمل في الراءِ الضم والفتح والكسر[(٥)] كمدَّ وشدَّ، والوجه ضم الراءِ من أَجل ضمة الهاءِ من بعد[(٦)].

قال المهدوي وغيره: وروي عن عكرمة فتح الصاد وشد الراء المكسورة[(٧)]، وهذا بمعنى فاحبسهن، ومن قولهم: صَرى يصري إِذا حبس، ومنه الشاة المصرَّاة[(٨)].

---

(١) ليست في الحمزوية، وهي في نسخة أحمد٣ ملحقة في الهامش. والقراءتان شاذتان، انظر عزوهما لهما في: مختصر الشواذ (ص: ٢٣)، والمحتسب (١/ ١٣٦)، وزاد الفتح لعكرمة.

(٢) نقله تفسير القرطبي في تفسيره (٣/ ٣٠٢).

(٣) انظر تفصيل ذلك في: المحتسب (١/ ١٣٦).

(٤) انظر عزوه له في: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٦٨)، بلفظ: ليستدرجنك الأمر، وتمامه عنده: وتعلم أني لست عنك بمحرم، وتهذيب اللغة (١٠/ ٣٤٠)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ٤١)، ويعتوره: يتداوله.

(٥) ليست في أحمد٣.

(٦) بقية كلامه السابق في المحتسب (١/ ١٣٦).

(٧) وهي قراءة شاذة، انظر: عزوها لعكرمة في المحتسب (١/ ١٣٦).

(٨) قال عياض في مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ٤٢): تصرية الإبل: هو حبس اللبن في ضروعها لتباع كذلك ليغرَّ بها، وهي المشار إليها في حديث أبي هريرة في صحيح البخاري (٣/ ٧١)، وصحيح مسلم (٣/ ١١٥٨)، وضبطها في المطبوع بالتخفيف.

واختلف المتأَولون في معنى قوله: ﴿ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا﴾:

فروى أَبو جمرة[١] عن ابن عباس أَن المعنى: اجعل جزءاً على كل ربع من أَرباع الدنيا، كأَن المعنى: اجعلها في أَركان الأَرض الأَربعة[٢]، وفي هذا القول بُعْد.

وقال قتادة، والربيع: المعنى: واجعل على أَربعة أَجبل على كل جبل جزءاً من ذلك المجموع المتقطع، فكما يبعث الله هذه الطير من هذه الجبال، فكذلك يبعث الخلق يوم القيامة من أَرباع الدنيا وجميع أَقطارها[٣].

وقرأَ الجمهور: ﴿جُزۡءٗا﴾ بالهمز[٤]، وقرأَ أَبو جعفر: ﴿جُزًّا﴾ بشد الزاي في جميع القرآن[٥]، وهي لغة في الوقف، فأَجرى أَبو جعفر الوصل مجراه.

وقال ابن جريج، والسدي: أُمر أَن يجعلها على الجبال التي كانت الطير والسباع حين تأْكل الدابة تطير إِليها وتسير نحوها وتتفرق فيها، قالا: وكانت سبعة أَجبل، فكذلك جزَّأَ ذلك المقَطَّع من لحم الطير سبعة أَجزاءٍ، وقال مجاهد: بل أُمر أَن يجعل على كل جبل يليه جزءاً[٦].

---

(١) في المطبوع ونور العثمانية والسليمانية وفيض الله: «أبو حمزة»، وأبو جمرة اسمه نصر بن عمران الضبعي البصري، أحد أئمة العلم، روى عن ابن عباس وابن عمر وغيرهم، وعنه شعبة والحمادان وآخرون وكان إماماً ثقة، توفي سنة (١٢٤هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٢٧٦).

(٢) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (٥/ ٥٠٥) من طريق محمد بن جعفر، وابن أبي حاتم (٢٧٠٧) من طريق أبي داود الطيالسي، وفي (٢٧٠٨) من طريق زكرياء بن أبي زائدة جميعهم (محمد بن جعفر، وأبو داود، وزكرياء) عن شعبة، عن أبي جمرة نصر بن عمران، عن ابن عباس قال: اجعلهن في أرباع الدنيا: ربعاً هاهنا، وربعاً هاهنا، وربعاً هاهنا، وربعاً هاهنا، ثم ادعهن يأتينك سعياً.

(٣) انظر تفسير الطبري (٥/ ٥٠٦).

(٤) وبسكون الزاي، وروى شعبة عن عاصم ضمها فهما سبعيتان انظر: السبعة لابن مجاهد (ص: ١٥٨)، والتيسير (ص: ٨٢).

(٥) فهي عشرية، انظر: النشر (١/ ٤٠٦).

(٦) انظرهما في: تفسير الطبري (٥/ ٥٠٨).

قال الطبري: معناه دون أَن تحصر الجبال بعدد، بل هي التي كان يصل إِبراهيم إِليها وقت تكليف الله إِياه تفريقَ ذلك فيها؛ لأَن الكل لفظ يدل على الإِحاطة[١].

قال القاضي أَبو محمد: وبعيد أَن يكلف جميع جبال الدنيا، فلن يحيط بذلك بصره، فيجيءُ ما ذهب إِليه الطبري جيداً متمكناً، والله أَعلم أَيُّ ذلك كان.

ومعنى الآية أَن إِبراهيم عليه السلام كان بحيث يرى الأَجزاءَ في مقامه، ويرى كيف التأَمت، وكذلك صحت له العبرة، وأَمْرُه بدعائهن وهنَّ أَموات إِنما هو لتقرب الآية منه، وتكون بسبب من حاله، ويرى أَنه قصد بعرض ذلك عليه، ولذلك جعل الله تعالى سيرهن إِليه سعياً؛ إِذ هي مِشية المجِدِّ الراغب فيما يمشي إِليه، فكان من المبالغة أَن رأَى إِبراهيم جدَّها في قصده وإِجابة دعوته، ولو جاءَته مشياً لزالت هذه القرينة، ولو جاءَت[٢] طيراناً لكان ذلك على عرف أَمرها، فهذا أَغرب منه.

ثم وقف عليه السلام على العلم بالعزة التي في ضمنها القدرة، وعلى الحكمة التي بها إِتقان كل شيءٍ؟

قوله عز وجل: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾.

هذه الآية لفظها بيان مثال بشرف النفقة في سبيل الله وبحسنها، وضمنها التحريض على ذلك، وهذه الآية في نفقة التطوع، وسبل الله كثيرة، وهي جميع ما هو طاعة وعائد بمنفعة على المسلمين والمِلَّة، وأَشهرها وأَعظمها غناءً الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا.

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٥٠٩ و٥١٠)

(٢) في جار الله وأحمد٣: «كان».

و«الحبة»: اسم جنس / لكل ما يزدرعه ابن آدم ويقتاته، وأَشهر ذلك البُرُّ، وكثيراً [١/ ١٧٥]
ما يراد بالحَبِّ، ومنه قول المتلمس[١]:

آلَيْتُ حَبَّ العِرَاقِ الدَّهْرَ أَطْعَمُهُ وَالحَبُّ يَأْكُلُهُ فِي الْقَرْيَةِ السُّوسُ[٢] [البسيط]

وقد يوجد في سنبل القمح ما فيه مئة حبة، وأَما في سائر الحبوب فأَكثر، ولكن المثال وقع بهذا القدر، وقد ورد القرآن بأَن الحسنة في جميع أَعمال البر بعشر أَمثالها، واقتضت هذه الآية أَن نفقة الجهاد حسنتها بسبع مئة ضعف، وبيَّن ذلك الحديثُ الصحيح[٣].

واختلف العلماءُ في معنى قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾:

فقالت طائفة: هي مُبيِّنَة ومؤكدة لما تقدم من ذكر السبع المئة، وليس ثم تضعيف فوق سبع مئة.

وقالت طائفة من العلماءِ: بل هو إِعلام بأَن الله تعالى يضاعف لمن يشاءُ أَكثر من سبع مئة ضعف[٤]، وروي عن ابن عباس أَن التضعيف ينتهي لمن شاءَ الله إِلى أَلفي أَلف[٥]، وليس هذا بثابت الإسناد عنه.

---

(١) هو جرير بن عبد المسيح، من بني ضبيعة، وأخواله بنو يشكر، وكان ينادم عمرو بن هند ملك الحيرة، وهو الذي كان كتب له إلى عامل البحرين مع طرفة بقتله ثم نجا هو وقتل طرفة، انظر بقية أخباره في: الشعر والشعراء (١/ ١٧٧).

(٢) انظر عزوه له في: الجمل في النحو (ص: ١٢٣)، والأصول في النحو (١/ ١٧٩)، والمخصص (٤/ ٢٤٤)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٤٤٦)، والشعر والشعراء (١/ ١٨٠).

(٣) إسناده لا بأس به، أخرج الترمذي (١٦٢٥) والنسائي في الكبرى (٣/ ٣٣) وابن حبان (٤٦٤٧) وغيرهم من طريق الركين بن الربيع عن أبيه عن يسير بن عميلة عن خريم بن فاتك، قال الترمذي: وفي الباب عن أبي هريرة، وهذا حديث حسن إنما نعرفه من حديث الركين.

(٤) انظر القولين في: تفسير الطبري (٥/ ٥١٣-٥١٦)، والهداية لمكي (١/ ٨٨١).

(٥) لا يصح عن ابن عباس ولا غيره، قال في تفسيره (٥/ ٥١٦): وهذا قول ذُكِرَ عن ابن عباس من وجه لم أجد إسناده، فتركت ذكره.اهـ، ولم أجده عن ابن عباس، لكن ورد عن أبي هريرة، روي عنه مرفوعاً وموقوفاً، ولا يصح واحد منهما، أخرج المرفوع الطبري (٨/ ٣٦٦) من طريق: =

وقال ابن عمر: لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «ربِّ زِدْ أمتي»، فنزلت ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ [الحديد: ١١]، فقال: «ربِّ زِدْ أمتي»، فنزلت: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠](١).

و﴿سُنۢبُلَةٍ﴾ فُنْعلة، من أَسبل الزرع أَي: أَرسل ما فيه، كما ينسبل الثوب، والجمع سنابل.

وفي قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ﴾ حذف مضاف تقديره: مثل إِنفاق الذين، أَو تقديره: كمثل ذي حبة.

وقال الطبري في هذه الآية: إِن قوله: ﴿فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ معناه إِن وجد ذلك، وإِلا فعلى أَن نفرضه، ثم أَدخل عن الضحاك أَنه قال: ﴿فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ معناه: كل سنبلة أَنبتت مئة حبة(٢)، فجعل الطبريُّ قول الضحاك نحو ما قال هو، وذلك غير لازم من لفظ الضحاك.

قال أَبو عمرو الداني: قرأَ بعضهم: (مئةَ) بالنصب على تقدير: أَنبتت مئةَ حبة(٣).

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ الآية، لما تقدم في الآية التي قبل هذه ذكر الإِنفاق في سبيل الله على العموم بيَّن في هذه الآية أَن ذلك الحكم إِنما هو لمن لم

= مبارك بن فضالة، عن علي بن زيد، وأخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٢١٥) من طريق: محمد بن عقبة الرفاعي، عن زياد الجصاص، كلاهما عن أبي عثمان النهدي، عن أبي هريرة..به، والإسنادان ضعيفان، وأخرج الموقوف: عبد الرزاق في تفسيره (٥٧٤)، بإسناد فيه أبان بن أبي عياش، وهو متروك.

(١) الحديث ضعيف جداً، وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٠/ ٥٠٥)، والطبراني في الأوسط (٦/ ١٠) كلاهما من طريق حفص بن عمر الدوري، قال: حدثنا أبو إسماعيل المؤدب، عن عيسى ابن المسيب، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً به، قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن نافع إلا عيسى بن المسيب، ولا عن عيسى إلا أبو إسماعيل المؤدب، تفرد به حفص بن عمر الدوري. وهذا إسناد ضعيف جداً، عيسى بن المسيب متفق على ضعفه.

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٥١٥)، وحكى القرطبي (٣/ ٣٠٤) قول ابن عطية.

(٣) ذكر هذه القراءة النحاس في إعراب القرآن (١/ ١٢٨) وابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٢٣) بلا نسبة، وهي شاذة.

يُتْبِع إِنفاقه مناً ولا أَذى، وذلك أَن المنفق في سبيل الله إِنما يكون على أَحد ثلاثة أَوجه:

إِما أَن يريد وجه الله تعالى ويرجو ثوابه، فهذا لا يرجو من المنفَق عليه شيئاً، ولا ينظر من أَحواله في حال سوى أَن يراعي استحقاقه.

وإِما أَن يريد من المنفَق عليه جزاءً بوجه من الوجوه، فهذا لم يرد وجه الله، بل نظر إِلى هذه الحال من المنفَق عليه، وهذا هو الذي متى أَخلف ظنه منَّ بإِنفاقه وآذى.

وإِما أَن ينفق مضطراً دافع غرم إِما لِمَاتَّةٍ[١] للمنفَق عليه أَو قرينة أُخرى من اعتناءِ منفق ونحوه، فهذا قد نظر في حال ليست لوجه الله، وهذا هو الذي متى توبع وحرج بوجه من وجوه الحرج آذى.

فالمن والأَذى يكشفان مِمَّن ظهرا منه أَنه إِنما كان على ما ذكرناه من المقاصد، وأَنه لم يخلص لوجه الله، فلهذا كان المن والأَذى مبطلين للصدقة من حيث بيَّن كل واحد منهما أَنها لم تكن صدقة.

وذكر النقاش أَنه قيل: إِن هذه الآية نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقيل: في علي بن أَبي طالب رضي الله عنه، وقال مكي: في عثمان، وابن عوف[٢].

و«المنُّ»: ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها.

و«الأَذى»: السبّ والتشكّي، وهو أَعم من المن؛ لأَن المن جزءٌ من الأَذى لكنه نص عليه لكثرة وقوعه.

وذهب ابن زيد إِلى أَن هذه الآية هي في الذين لا يخرجون في الجهاد، بل ينفقون وهم قعود، وأَن الأُولى التي قبلها هي في الذين يخرجون بأَنفسهم وأَموالهم، قال: ولذا شرط على هؤلاءِ، ولم يشترط على الأَولين[٣].

---

(١) الماتَّة: القرابة من: مت إليه يمت.

(٢) في الهداية لمكي (١/ ٨٨٢)، وأورده الواحدي في أسباب النزول (ص: ٧٩) من قول الكلبي، به معضلاً، والكلبي متروك الحديث، وقول النقَّاش لم أجد من نقله.

(٣) تفسير الطبري (٥/ ٥١٣).

قال القاضي أَبو محمد: وفي هذا القول نظر؛ لأَن التحكم فيه باد.

وقال زيد بن أَسلم: لئن ظننتَ أَن سلامك يثقل على من أَنفقت عليه تريد وجه الله فلا تسلم عليه، وقالت له امرأَة: يا أَبا أُسامة، دلني على رجل يخرج في سبيل الله حقاً فإِنهم إِنما يخرجون ليأْكلوا الفواكه، فإِن عندي أَسهماً وجعبة، فقال لها: لا بارك الله في أَسهمك وجعبتك فقد آذيتِهم قبل أَن تعطيهم[١].

وضمن الله الأَجر للمنفق في سبيل الله، والأَجرُ الجنة، ونفى عنه الخوف بعد موته لما يستقبل، والحزنَ على ما سلف من دنياه؛ لأَنه يغتبط بآخرته.

قوله عز وجل: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾.

هذا إِخبار جزم من الله تعالى أَن القولَ المعروفَ ـ وهو الدعاءُ والتأْنيس والترجية بما عند الله ـ خيرٌ من صدقة هي في ظاهرها صدقة، وفي باطنها لا شيء؛ لأَن ذلك القول المعروف فيه أَجر، وهذه لا أَجر فيها.

قال المهدوي وغيره: التقدير في إِعرابه: قَوْلٌ مَعْرُوفٌ أولى، وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وفي هذا ذهاب برونق المعنى، وإِنما يكون المقدر كالظاهر.

و«المغفرة»: الستر للخلة وسوءِ حالة المحتاج، ومن هذا قول الأَعرابي ـ وقد سأَل قوماً بكلام فصيح، فقال له قائل: ممن الرجل؟ ـ فقال: اللهم غَفْراً، سوءُ الاكتساب يمنعُ من الانتساب[٣].

---

(١) انظره في: تفسير الثعلبي (٢/ ٢٥٩) وتفسير البغوي (١/ ٢٥٠).

(٢) التحصيل (١/ ٥٧٣) ونقله عنه القرطبي (٣/ ٣٠٩)، ومثله في إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٢٨)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١٣٩).

(٣) انظره في الأمثال للهاشمي (١/ ١٤٧)، ومجمع الأمثال (١/ ٣٤٣)، والمستقصى في أمثال العرب (٢/ ١٢٣).

وقال النقاش: يقال: معناه ومغفرة للسائل إِن أَغلظ أَو جفا إِذا حُرِم[١].

ثم أَخبر تعالى بغناه عن صدقة مَنْ هذه حاله، وعاقبة أَمره، وعن حلمه عمن يمكن أَن يواقع[٢] هذا من عبيده وإِمهالهم.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾ الآية؛ العقيدة أَن السَّيئات لا تُبطل الحسنات[٣]:

فقال جمهور العلماءِ في هذه الآية: إِن الصدقة التي يعلم الله مِنْ صاحبها أَنه يمُنُّ أَو يؤذِي فإِنه لا يتقبل صدقته، وقيل: بل جعل الله للمَلك عليها أَمارة، فهو لا يكتبها.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا حسن؛ / لأَن ما نتلقى نحن على المعقول من [١/ ١٧٦] بني آدم فهو أَن المانَّ المؤذي ينص على نفسه أَن نيته لم تكن لله عز وجل على ما ذكرناه قبل، فلم تترتب له صدقة، فهذا هو بطلان الصدقة بالمنِّ والأَذى، والمنُّ والأَذى في صدقة لا يبطل صدقة غيرها، إِذ لم يكشف ذلك على[٤] النية في السليمة، ولا قدح فيها.

ثم مثَّل الله هذا الذي يمن ويؤذي بحسب مقدمة نيته بالذي ينفق رياءً لا لوجه الله.

و«الرياءُ»: مصدر من (فاعَلَ) من الرؤية، كأَن الرياءَ تظاهرٌ وتفاخر بَيْن من لا خير فيه من الناس.

قال المهدوي: والتقدير: كإِبطال الذي ينفق رياءً[٥].

---

(١) نقله الثعالبي في تفسيره (١/ ٥١٨).

(٢) في المطبوع: «يوقع».

(٣) انظر: تفصيل ذلك في التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١/ ١٧٠).

(٤) في السليمانية: «عن».

(٥) التحصيل (١/ ٥٧٣) ونقله عنه الثعالبي في تفسيره (١/ ٥١٩)، ومثله في تفسير الثعلبي (٢/ ٢٦١)، وتفسير السمعاني (١/ ٢٦٩).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ يحتمل أَن يريد الكافر الظاهر الكفر؛ إِذ قد ينفق ليقال: جواد، وليثنى عليه بأَنواع الثناءِ، ولغير ذلك، ويحتمل أَن يريد المنافق الذي يظهر الإِيمان[١].

ثم مثَّل هذا المنفِق رياءً بصفوان عليه تراب، فيظنُّه الظانُّ أَرضاً منبتة طيبة، كما يظن قوم أَن صدقة هذا المرائي لها قدر أَو معنى، فإِذا أَصاب الصفوانَ وابلٌ من المطر انكشف ذلك التراب، وبقي صلداً، فكذلك هذا المرائي إِذا كان يوم القيامة، وحصلت[٢] الأعمال، انكشف سره، وظهر أَنه لا قدر لصدقته ولا معنى.

فالمن والأَذى والرياءُ يكشف عن النية، فيبطل الصدقة، كما يكشف الوابل الصفا فيذهب ما ظُن أَرضاً.

وقرأَ طلحة بن مصرِّف: ﴿رياءَ النَّاس﴾ بغير همز، ورويت عن عاصم[٣].

و«الصفوان»: الحجر الكبير الأملس، قيل: هو جمع واحدته صفوانة، وقال قوم: واحدته صفواة، وقيل: هو إِفراد، وجمعه صفي، وأَنكره المبرد، وقال: إِنما هو جمع صفا[٤]، ومن هذا المعنى الصفواءُ والصفا، قال امرؤُ القيس:

[الطويل] كُميتٍ يَـزِلُّ اللِّبْدُ عَنْ حَـالِ مَتْنِهِ ... كَمَا زَلَّـتِ الصَّفْـواءُ بِالمتَنَزَّلِ[٥]

---

(١) انظر الاحتمالين في: تفسير الطبري (٥/ ٥٢١، ٥٢٢).

(٢) في المطبوع: «حضرت»، وفيه: «وانكشف سره».

(٣) متواترة، قرأَ بها أبو جعفر من العشرة، كما في النشر (١/ ٣٩٦)، وهي رواية شعيب عن يحيى عن أبي بكر عن عاصم كما في جامع البيان (٢/ ٩٣١)، وعزاها لطلحة في البحر المحيط (٢/ ٦٦٣).

(٤) انظر عزوه له وعزو القول الأول للكسائي في البحر المحيط (٢/ ٦٦٣).

(٥) انظر عزوه له، في طبقات فحول الشعراء (١/ ٨٤)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٢٠٢)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٣٦)، وشرح المعلقات التسع (ص: ١٦٢)، والشعر والشعراء (١/ ١٣٠)، والعقد الفريد (١/ ١٤٢).

وقال أَبو ذؤَيب:

حَتَّى كَأَنِّي لِلحوادثِ مَرْوَةٌ بِصَفَا المشَقَّرِ كُلَّ يَوْمٍ تُقْرَعُ[١] [الكامل]

وقرأَ الزهري، وابن المسيب: (صفَوان) بفتح الفاءِ[٢]، وهي لغة.

و«الوابل»: الكثير القوي من المطر، وهو الذي يسيل على وجه الأَرض.

و«الصَّلْد من الحجارة»: الأَملس الصلب الذي لا شيءَ فيه، ويستعار للرأْس الذي لا شعر فيه، ومنه قول رؤبة:

.... بَرَّاق أَصْلادِ الجَبِينِ الأَجْلَهِ[٣] [الرجز]

قال النقاش: الصَّلْد: الأجرد بلغة هذيل[٤].

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ يريد به الذين ينفقون رياءً؛ أَي: لا يقدرون على الانتفاع بثواب شيءٍ من إِنفاقهم ذلك، وهو كسبهم، وجاءَت العبارة بـ ﴿يَقْدِرُونَ﴾ على معنى الذي، وقد انحمل الكلام قبلُ على لفظ الذي، وهذا هو مهيع كلام العرب، ولو انحمل أَولاً على المعنى لقبح بعدُ أَن يحمل على اللفظ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إِما عموم يراد به الخصوص في الموافي على الكفر، وإِما أَن يراد به أَنه لم يهدهم في كفرهم، بل هو ضلال محض، وإِما أَن يريد أَنه لا يهديهم في صدقاتهم وأَعمالهم وهم على الكفر.

وما ذكرته في هذه الآية من تفسير لغة، وتقويم معنى، فإنه مسند عن المفسرين، وإن لم تجئْ أَلفاظهم ملخصة في تفسير إِبطال المن والأَذى للصدقة.

---

(١) تقدم في تفسير الآية (١٥٨) من هذه السورة.

(٢) وهي شاذة انظر: مختصر الشواذ (ص: ٢٣)، والمحتسب (١/ ١٣٧).

(٣) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٨٢)، وتفسير الطبري (٥/ ٥٢٤)، وجمهرة اللغة (١/ ٤٩٤)، والكامل في اللغة والأدب (٣/ ١٠٩)، وأمالي القالي (٢/ ٤٥)، والصحاح للجوهري (٢/ ٤٩٨).

(٤) نقله عنه أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٦٥١).

قوله عز وجل: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتًا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥﴾.

من أَساليب فصاحة القرآن أَنه يأْتي فيه ذكر نقيض ما تقدم ذكره؛ لتستبين حال التضادِّ بعرضها على الذهن، فلما ذكر الله صدقات القوم الذين لا خلاق لصدقاتهم، ونهى المؤمنين عن مواقعة ما يشبه ذلك بوجهٍ مَّا، عقَّب في هذه الآية بذكر نفقات القوم الذين تركوا صدقاتهم وهي على وجهها في الشرع، فضرب لها مثلاً.

وتقدير الكلام: ومثل نفقة الذين ينفقون كمثل غراس جنة؛ لأَن المراد بذكر الجنة غراسها، أَو يقدر الإِضمار في آخر الكلام، دون إِضمار نفقة في أَوله، كأَنه قال: كمثل غارس جنة.

و﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾ معناه: طلب، وإِعرابه النصب على المصدر في موضع الحال، وكان يتوجه فيه النصب على المفعول من أَجله، لكن النصب على المصدر هو الصواب من جهة عطف المصدر الذي هو ﴿وَتَثۡبِيتًا﴾ عليه.

ولا يصح في (تثبيتاً) أَنه مفعول من أَجله؛ لأَن الإِنفاق من أَجل التثبيت.

وقال مكي في «المشكل»: كلاهما مفعول من أَجله[١]، وهو مردود بما بيَّناه.

و﴿مَرۡضَاتِ﴾ مصدر من رضي يرضى.

وقال الشعبي، والسدي، وقتادة، وابن زيد، وأَبو صالح: و(تثبيتاً) معناه: وتَيَقُّناً[٢]، أَي: إِن نفوسهم لها بصائر متأَكدة، فهي تثبتهم على الإِنفاق في طاعة الله تثبيتاً.

وقال مجاهد، والحسن: معنى قوله: ﴿وَتَثۡبِيتًا﴾ أَي: إِنهم يتثبتون أَين يضعون

(١) انظر مشكل إعراب القرآن له (١/ ١٤٠).

(٢) انظر أقوال قتادة والشعبي وأبي صالح في: تفسير الطبري (٥/ ٥٣٢)، وقول السدي وابن زيد في تفسير الثعلبي (٢/ ٢٦٣).

صدقاتهم، وقال الحسن: كان الرجل إِذا هم بصدقة تَثَبَّت، فإِن كان ذلك لله أَمضاه، وإِن خالطه شك أَمسك(١).

والقول الأَول أَصوب؛ لأَن هذا المعنى الذي ذهب إِليه مجاهد والحسن إِنما عبارته: «وَتَثَبُّتاً».

فإِن قال محتج: إِن هذا من المصادر التي خرجت على غير المصدر كقوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨]، وكقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧].

فالجواب: أَن هذا لا يسوغ إِلا مع ذكر المصدر، والإِفصاح بالفعل المتقدم للمصدر، وأما إذا لم يقع إفصاح بفعل فليس لك أن تأتي بمصدر في غير معناه، ثم تقول: أَحْمِلُه على فعل كذا وكذا، لفعل لم يتقدم له ذكر، هذا مهيع كلام العرب فيما علمت.

وقال قتادة: ﴿وَتَثْبِيتًا﴾ معناه: وإِحساناً من أَنفسهم(٢).

قال القاضي أَبو محمد: وهذا نحو القول الأَول.

و«الجنة»: البستان، وهي قطعة أَرض نبتت فيها الأَشجار حتى سترت الأَرض، فهي من لفظ الجنين، والجنَن، والجنة، وجَنَّ اللَّيل.

و«الربوة»: ما ارتفع من الأَرض ارتفاعاً يسيراً معه في الأَغلب كثافة التراب وطيبه وتعمقه، وما كان كذلك فنباته أَحسن.

ورياض الحَزْن ليست من هذا كما زعم الطبري(٣)، بل تلك هي الرياض المنسوبة إِلى نجد؛ لأَنها خير من رياض تهامة، ونبات نجد أَعطر، ونسيمه أَبرد وأَرق، ونجد يقال له: الحزن، وقلَّما يصلح / هواءُ تهامة إِلا بالليل، ولذلك قالت الأَعرابية: «زوجي كليلِ تِهامةَ»(٤). [١/ ١٧٧]

---

(١) انظر قولهما في: تفسير الطبري (٥/ ٥٣٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٥٣٤)، وفيه عن قتادة أن معناه (احتساباً من أنفسهم).

(٣) في تفسير الطبري (٥/ ٥٣٦).

(٤) هذا جزء من حديث أم زرع، أخرجه البخاري (٤٨٩٣)، ومسلم (٢٤٤٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقال ابن عباس: الربوة: المكان المرتفع الذي لا تجري فيه الأَنهار(١).

قال القاضي أَبو محمد: وهذا إِنما أَراد به هذه الربوة المذكورة في كتاب الله، لأَن قوله تعالى: ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ إِلى آخر الآية يدل على أَنها ليس فيها ماءٌ جار، ولم يرد ابن عباس أَن جنس الرُّبا لا يجري فيها ماءٌ؛ لأَن الله تعالى قد ذكر ربوةً ذاتَ قَرَارٍ ومَعِينٍ(٢)، والمعروف في كلام العرب أَن الربوة ما ارتفع عما جاوره سواءٌ جرى فيها ماءٌ أَو لم يجر.

وقال الحسن: الربوة: الأَرض المستوية التي لا تعلو فوق الماءِ(٣)، وهذا أَيضاً أَراد أَنها ليست كالجبل والظرب، ونحوه.

قال الخليل: الربوة أَرض مرتفعة طيبة(٤).

وخص الله بالذكر التي لا يجري فيها ماءٌ من حيث هي العرف في بلاد العرب، فمثل لهم بما يحسونه كثيراً.

وقال السدي: ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ أَي: برباوة(٥)، وهو ما انخفض من الأرض، وهذه عبارة قلقة.

ولفظ الربوة: هو مأخوذ من ربا يربو إِذا زاد، يقال: رُبوة بضم الراءِ، وبها قرأَ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، ونافع، وأَبو عمرو، ويقال: رَبوة بفتح الراءِ، وبها قرأَ عاصم، وابن عامر(٦)، وكذلك خلافهم في (سورة المؤمنين)(٧).

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٥٣٧) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.ولم يلقه.
(٢) في الآية (٥٠) من سورة المؤمنون.
(٣) كما في تفسير عبد الرزاق (١/ ١٠٧)، وتفسير الطبري (٥/ ٥٣٧).
(٤) في كتاب العين (٨/ ٢٨٣)، وليس فيه: «طيبة».
(٥) نقله القرطبي في «تفسيره» (٣/ ٣١٥)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ١٩٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٤٨)، بلا نسبة.
(٦) فهما قراءتان سبعيتان انظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٩٠)، والتيسير في القراءات السبع (ص: ٨٣).
(٧) الآية: (٥٠).

ويقال: (رِبوة) بكسر الراءِ، وبها قرأَ ابن عباس فيما حكي عنه، ويقال: (رَباوة) بفتح الراءِ والباءِ وأَلف بعدها، وبها قرأَ أَبو جعفر، وأَبو عبد الرحمن، ويقال: (رِباوة) بكسر الراءِ، وبها قرأَ الأَشهب(١) العقيلي(٢).

و(آتت) معناه: أَعطت، و«الأُكْلَ»: بضم الهمزة وسكون الكاف الثمر الذي يؤكل، والشيءُ المأكول من كل شيءٍ يقال له: أُكل، وإِضافته إِلى الجنة إِضافة اختصاص(٣)، كسرج الدابة، وباب الدار، وإِلا فليس الثمر مما تأكله الجنة.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو: ﴿أُكْلَها﴾ بضم الهمزة وسكون الكاف، وكذلك كل مضاف إِلى مؤَنث، وفارقهما أَبو عمرو فيما أُضيف إِلى مذكر مثل ﴿أُكُله﴾، أَو كان مضافاً إِلى غير مكني(٤) مثل ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ [سبأ: ١٦]، فثقَّل أَبو عمرو ذلك، وخففاه.

وقرأَ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي في جميع ما ذكرناه بالتثقيل(٥).

ويقال: أُكُل وأُكْل بمعنىً، وهو من أَكَلَ بمنزلة الطُّعْمة من طَعِمَ؛ أَي: الشيءُ الذي يُطعم ويُؤكل.

و﴿ضِعْفَيْنِ﴾ معناه: اثنين مما يُظن بها، ويُحزر من مثلها.

ثم أَكد تعالى مدح هذه الربوة بأَنها إِن لم يصبها وابل فإِن الطل يكفيها، وينوب مناب الوابل، وذلك لكرم الأَرض.

---

(١) في أحمد٣ وجار الله: «أبو الأشهب».

(٢) نقله أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٦٦٨)، وكلها شاذة، وقراءة أبي جعفر المتواترة عنه هي بفتح الراء كقراءة نافع. انظر النشر (٢/ ٢٦٤)، وفي الكامل للهذلي (ص: ٥٠٩): قرأ (رُباوة) بالألف وضم الراء فيهما القورسي، وميمونة عن أبي جعفر، وذكر قراءة ابن عباس ابنُ خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٢٣)، والكرماني في الشواذ (ص: ٩٩)، ونقلا عن الأشهب (رَباوة) بفتح الراء.

(٣) وهي إضافة ما يصح تملكه لما لا يملك.

(٤) كتبت في المطبوع: «حكني»، وهو سبق قلم، لأنه شرحها في الهامش بقوله: «أي غير ضمير».

(٥) يعني بالضم وهما سبعيتان انظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٩٠)، والتيسير فى القراءات السبع للداني (ص: ٨٣).

و«الطلُّ»: المستدقُّ من القَطْر الخفيف، قاله ابن عباس وغيره[١]، وهو مشهور في اللغة.

وقال قوم: الطل: الندى، وهذا تجوز وتشبيه، وقد روي ذلك عن ابن عباس[٢].

قال المبرد: تقديره: فطلٌّ يكفيها[٣]، وقال غيره: التقدير: فالذي أَصابها طلٌّ[٤]، فشبه نمو نفقات هؤلاءِ المخلصين الذين يربي الله صدقاتهم، كتربية الفلو والفصيل [حسب الحديث[٥]][٦] بنمو نبات هذه الجنة بالربوة الموصوفة، وذلك كله بخلاف الصفوان الذي انكشف عنه ترابه فبقي صَلْداً.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وعد ووعيد.

وقرأَ الزهري: (يَعْمَلُونَ) بالياءِ[٧]، كأَنه يريد الناس أَجمع، أَو يريد المنافقين فقط، فهو وعد محض.

قوله عز وجل: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢٦٦﴾.

---

(١) لم أجده عن ابن عباس.

(٢) منقطع، أخرجه الطبري (٥/ ٥٣٩) من طريق: ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس.

(٣) ذكره عنه مكي في الهداية (١/ ٨٨٩)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٢٩٣).

(٤) انظره في: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٤٨)، غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٢٣٢) بلا نسبة.

(٥) يُشير إلى ما أخرجه البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (١٠١٤) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعِدْل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه، كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل».

(٦) ليس في جار الله.

(٧) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٩٩)، وهي في مختصر الشواذ (ص: ٢٣) بلا نسبة.

حكى الطبري عن السدي: أَن هذه الآية مَثَلٌ آخر لنفقة الرياءِ، ورجح هو هذا القول، وحكى عن ابن زيد أَنه قرأَ قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾ الآية [البقرة: ٢٦٤]، قال: ثم ضرب في ذلك مثلاً فقال: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ ﴾ الآية[١].

وهذا أَبينُ من الذي رجَّح الطبري، وليست هذه الآية بمثل آخر لنفقة الرياءِ، هذا هو مقتضى سياق الكلام.

وأَما بالمعنى في غير هذا السياق فتشبه حال كل منافق أَو كافر عمل وهو يحسب أَنه يحسن صنعاً، فلما جاءَ إِلى وقت الحاجة لم يجد شيئاً، وقد سأَل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أَصحاب النبي ﷺ عن هذه الآية فقالوا: الله ورسوله أَعلم، فقال وهو غاضب: قولوا: نعلم، أَو لا نعلم، فقال له ابن عباس: هذا مثل ضربه الله، كأَنه قال: أَيود أَحدكم أَن يعمل عمره بعمل أَهل الخير فإِذا فني عمره واقترب أَجله ختم ذلك بعمل من عمل أَهل الشقاءِ؟، فرضي ذلك عمر[٢].

وروى ابن أَبي مُليكة أَن عمر تلا هذه الآية: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ ﴾، وقال: هذا مثل ضرب للإِنسان يعمل عملاً صالحاً حتى إِذا كان عند آخر عمره أَحوج ما يكون إِليه عَمِلَ عَمَل السوءِ[٣].

فهذا نظرٌ يحمل الآية على كل ما يدخل تحت أَلفاظها، وقال بنحو هذا مجاهد، وقتادة، والربيع، وغيرهم[٤].

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٥٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٦٤) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وتمامه: قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله.

(٣) هذا منقطع، وسبق نحوه موصولاً عند البخاري.

(٤) انظر قول قتادة ومجاهد في: تفسير الطبري (٥/ ٥٤٧)، وقول الربيع فيه (ص: ٥٤٩).

وخص الأَعناب والنخيل بالذكر؛ لشرفها وفضلها على سائر الشجر.

وقرأ الحسن: (جنات) بالجمع[١].

وقوله: ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ هو تحت بالنسبة إِلى الشجر.

والواو في قوله: ﴿وَأَصَابَهُ﴾ واو الحال، وكذلك في قوله: ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ﴾.

و﴿ضُعَفَآءُ﴾ جمع ضعيف، وكذلك: ضِعَاف.

و«الإِعصار»: الريح الشديدة العاصف التي فيها إِحراق لكل ما مرت عليه، يكون ذلك في شدة الحر، ويكون في شدة البرد، وكل ذلك من فيح جهنم ونفَسها كما تضمن قول النبي ﷺ: «إِذا اشتد الحرُّ فأَبرِدُوا عن الصلاة، فإِن شدة الحر من فيح جهنم، وإِن النار اشتكَتْ إِلى ربها» الحديثَ بكماله[٢]، فإِما أَنه نار على حقيقة، وإِلا فهو نفَسها يوجد عنها كأَثرها.

قال السدي: الإِعصار: الريح، والنار السَّمُوم[٣].

وقال ابن عباس: ريح فيها سَموم شديدة[٤].

وقال ابن مسعود: إِن السَّموم التي خلق الله منها الجان جزءٌ من سبعين جزءاً من النار، يريد من نار الآخرة[٥].

---

(١) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٢٣)، وإتحاف فضلاء البشر (١/ ٢١٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٠٨٧)، ومسلم (٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) كما في تفسير الطبري (٥/ ٥٥٤).

(٤) ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم (٢٧٨١) من طريق قبيصة، عن سفيان، عن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به. وقبيصة هو ابن عقبة السوائي، ضعفوه في الثوري، وأخرجه الطبري (٥/ ٥٥٢) في تفسيره من طريق يوسف بن خالد السمتي، قال: حدثنا نافع بن مالك، عن عكرمة، عن ابن عباس، به بنحوه. ويوسف بن خالد السمتي: متروك الحديث.

(٥) في إسناده اضطراب، رواه أبو إسحاق السَّبيعي، واختلف عليه فيه، فأخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ٢٤٧) من طريق سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن ابن مسعود رضي الله عنه، به، =

وقال الحسن بن أَبي الحسن: إِعصار فيه نار: ريح فيها صر وبرد، وقاله الضحاك(١).

وفي المثل: إِن كنت ريحاً فقد لاقَيْت إِعصاراً(٢).

والريح / إِعصار؛ لأَنها تعصر السحاب، والسحاب معصرات: [١/ ١٧٨]

إِما أَنها حواملُ فهي كالمعصر من النساءِ، وهي التي هي(٣) عرضة للحمل.

وإِما لأَنها تنعصر بالرياح، [وبهذا فسر عبيد الله بن الحسن العنبري القاضي](٤).

وحكى ابن سيده: أَن المعصرات فسرها قوم بالرياح، لا بالسحاب(٥).

وقال الزجاج: الإِعصار: الريح الشديدة تصعد من الأَرض إِلى السماءِ، وهي التي يقال لها: الزَّوبعة(٦).

قال المهدوي: قيل لها: إِعصار؛ لأَنها تلتف كالثوب إِذا عصر(٧)، وهذا ضعيف.

والإِشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِلى هذه الأَمثال المبينة.

= وأخرجه الحاكم (٢/ ٤٧٤) من طريق إسرائيل، فقال: عن أبي إسحاق، عن عمرو بن عبد الله، عن ابن مسعود به، وأخرجه الطبري (٥/ ٥٥٣) من طريق إسرائيل أيضاً، ولكنه قال: عن أبي إسحاق، عمن ذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما، به. وهذا الاختلاف إنما هو من أبي إسحاق، فقد اختلط بآخرة، ثم إنه مدلس، وقد عنعن طرق الأثر كلها.

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٥٥٤)، وفي السليمانية: «وقال الضحاك».

(٢) انظر: جمهرة الأمثال (١/ ٣١)، وظاهر تفسير الماوردي (١/ ٣٤١)، وزاد المسير (١/ ٣٢٠)، وتفسير السمعاني (١/ ٢٧١) أنه شعر.

(٣) في المطبوع: «التي تكون».

(٤) ليس في السليمانية، وحكاه القرطبي (٣/ ٣١٩) ولم ينسبه، وعبيد الله هو ابن الحسن بن حصين ابن أبي الحر مالك بن الخشخاش العنبري القاضي، من سادات أهل البصرة فقهاً وعلماً، يروي عن جماعة من التابعين، مات في ولاية هارون. انظر تهذيب التهذيب (٧/ ٧).

(٥) انظر: المخصص لابن سيده (٢/ ٤٢٠).

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٤٩).

(٧) نقله القرطبي (٣/ ٣١٩)، وقال رداً على ابن عطية: قلت: بل هو صحيح؛ لأنه المشاهد المحسوس، فإنه يصعد عموداً.

و﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ ترجٍّ في حق البشر؛ أَي: إِذا تأَمل من يبين له هذا البيان رُجي له التفكر، وكان أَهلاً له.

وقال ابن عباس: ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ في زوال الدنيا وفنائها، وإِقبال الآخرة وبقائها[١].

قوله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾.

هذا الخطاب هو لجميع أُمة محمد ﷺ، وهذه صيغة أَمر من الإِنفاق.

واختلف المتأَولون هل المراد بهذا الإِنفاق الزكاة المفروضة أَو التطوع؟:

فقال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه[٢]، وعَبيدة السلماني، ومحمد بن سيرين: هي في الزكاة المفروضة[٣]؛ نهى الناس عن إِنفاق الرديءِ فيها بدل الجيد، وأَما التطوع فكما للمرءِ أَن يتطوع بقليل فكذلك له أَن يتطوع بنازل في القدر، ودرهمٌ زائف خير من تمرة، فالأَمر على هذا القول للوجوب.

والظاهر من قول البراءِ بن عازب، والحسن بن أَبي الحسن، وقتادة أَن الآية في التطوع[٤].

وروى البراءُ بن عازب، وعطاء بن أَبي رباح ما معناه: أَن الأَنصار كانوا أَيام الجداد، يعلقون أَقناءَ التمر في حبل بين أسطوانتين في المسجد، فيأكل من ذلك فقراءُ المهاجرين،

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ٣٤٨)، وابن أبي حاتم (٢٠٧٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

(٢) ضعيف، أخرج الطبري (٥/ ٥٦١) من طريق: أبي بكر الهذلي عن ابن سيرين، عن عَبيدة السَّلْماني، سألت علياً، والهذلي متروك.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٥٦٩، ٥٧٠).

(٤) انظر قول الحسن في تفسير الطبري (٥/ ٥٦٢).

فعلق رجل حشَفاً[١] فرآه رسول الله ﷺ فقال: «بئس ما علَّق هذا»، فنزلت الآية[٢]، والأمر على هذا القول للندب[٣]، وكذلك نُدبوا إِلى أَلا يتطوعوا إِلا بجيد مختار.

والآية تعم الوجهين، لكن صاحب الزكاة يتلقاها على الوجوب، وصاحب التطوع يتلقاها على الندب.

وهؤلاءِ كلهم وجمهور المتأَولين قالوا: معنى ﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾: من جيد ومختار ما كسبتم، وجعلوا الخبيث بمعنى الرديءِ والرُّذَالة.

وقال ابن زيد: معناه: من حلال ما كسبتم، قال: وقوله: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ﴾؛ أَي الحرامَ[٤].

وقول ابن زيد ليس بالقوي من جهة نسق الآية، لا من معناه في نفسه[٥].

(١) الحشف: نوع من التمر غير الجيد.

(٢) هذا الحديث أخرجه الترمذي (٣٢٣٠) من طريق إسرائيل، عن السدي، عن أبي مالك، عن البراء به، وأبو مالك هو غزوان الغفاري الكوفي، وثقه ابن معين، وذكره ابن حبان في الثقات، وعلق البخاري له قولاً في التفسير.
وتابع اسرائيلَ: سفيانُ الثوريُّ، فرواه عن السدي به، أخرجه الطبري (٥/ ٥٦٠) وفي إسناده السدي، وهو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، متكلم فيه، وقد اختلف عليه، فرواه أسباط ابن نصر عنه، فقال: عن السدي، عن عدي بن ثابت، عن البراء به، رواه ابن ماجه (١٨٢٢)، فجعل عديَّ بنَ ثابت مكان أبي مالك، والله تعالى أعلم. والأول أثبت.
وقد روي نحو هذا الحديث من رواية: عبد الحميد بن جعفر قال: حدثني صالح بن أبي عريب عن كثير بن مرة عن عوف بن مالك به مرفوعاً، أخرجه أبو داود (١٦٠٨) والنسائي في الكبرى (٢/ ٢٣)، وصالح لم يوثقه أحد، وذكره ابن حبان في الثقات.
وأثر عطاء أخرجه الطبري (٥/ ٥٦٢) في تفسيره، من طريق الحسين، عن حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء به، وهذا إسناد ضعيف، من أجل الحسين، وهو ابن داود، والملقب سنيد، ضعيف الحديث، خاصة في روايته عن حجاج، وهو ابن محمد المصيصي.

(٣) في الحمزوية: «على الندب».

(٤) انظر القولين في: تفسير الطبري (٥/ ٥٦٣).

(٥) أصل الرد عند الطبري. تفسيره (٥/ ٥٦٣).

وقوله: ﴿طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ﴾ يحتمل أَلا يقصد به لا الجيد ولا الحلال، لكن يكون المعنى كأَنه قال: أَنفقوا مما كسبتم(١)، فهو حضٌّ على الإنفاق فقط، ثم دخل ذكر الطيب تبييناً لصفة حسنة في المكسوب عاماً، وتقريراً للنعمة، كما تقول: أَطعمت(٢) فلاناً من مشبع الخبز، وسقيته من مروي الماءِ، والطِّيب على هذا الوجه يعم الجودة والحل، ويؤَيد هذا الاحتمال أَن عبد الله بن مغفل قال: ليس في مال المؤمن خبيثٌ(٣).

و﴿كَسَبۡتُمۡ﴾ معناه: كانت لكم فيه سعاية، إِما بتعب بدَنٍ، أَو مقاولة في تجارة.

والموروث داخل في هذا؛ لأَن غير الوارث قد كسبه إِذ الضمير في ﴿كَسَبۡتُمۡ﴾ إِنما هو لنوع الإِنسان أَو المؤمنين.

وَ (مِمّا أخرجنا لكم مِن الأرض): النبات والمعادن والركاز وما ضارع ذلك.

و﴿تَيَمَّمُواْ﴾ تعمِدُوا وتقْصِدوا، يقال: تَيَمَّمَ الرجل كذا وكذا إِذا قصده، ومنه قول امرئ القيس:

[الطويل]
تَيَمَّمَتِ العَيْنَ التي عِندَ ضَارجٍ ... يَفِيءُ عليْهَا الظِّلُّ عَرْمَضُهَا طَامِ(٤)

ومنه قول الأَعشى:

[المتقارب]
تَيَمَّمْتَ قَيْساً وَكَمْ دُونَهُ ... مِنَ الأَرْضِ مِنْ مَهْمَهٍ ذِي شَزَنْ(٥)

---

(١) للتوسع انظر: تفسير الطبري (٥/ ٥٥٦).

(٢) كتبت في المطبوع: «أطمعت».

(٣) ضعيف منقطع، أخرجه الطبري (٥/ ٥٥٦) من طريق عطاء بن السائب، عن عبد الله بن مغفل به، ولم يدركه.

(٤) انظر عزوه له في الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٦٩)، والصحاح للجوهري (١/ ٣٢٦)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٤٥)، وعيون الأخبار (١/ ٢٢٩)، والأغاني (٨/ ٢٠٧)، ومعجم البلدان (٣/ ٤٥٠)، قال: والعرمض: الطُّحلب الذي على الماء، وللبيت قصة مشهورة، وفي نور العثمانية: «صاري»، بدل «طامي».

(٥) انظر عزوه له في تفسير الطبري (٥/ ٥٥٨)، ومسائل نافع بن الأزرق (ص: ١٦٤)، وغريب الحديث للقاسم بن سلام (٢/ ١٢٥)، والصحاح للجوهري (٥/ ٢١٤٤)، وسمط اللآلي (١/ ٩٠٣).

ومنه التيمم الذي هو البدل من الوضوءِ عند عدم الماءِ.

وهكذا قرأَ جمهور الناس، وروى البزي عن ابن كثير بتشديد التاءِ في أَحد وثلاثين موضعاً، أَولها هذا الحرف(١).

وحكى الطبري أَن في قراءَة عبد الله بن مسعود: (ولا تؤمُّوا(٢) الْخَبِيثَ)(٣)، مِنْ أَمَمْتُ: إِذا قصدت، ومنه إِمام البناءِ، والمعنى في القراءَتين واحد.

وقرأَ الزهري، ومسلم بن جندب: (ولا تُيَمِّمُوا) بضم التاءِ وكسر الميم(٤)، وهذا على لغة من قال: يممت الشيءَ، بمعنى: قصدته.

وفي اللفظة لغات منها: أَمَمْت الشيءَ خفيفة الميم الأُولى، وأَمَّمت بشدها، ويَمَّمته، وتَيَمَّمْتُه.

---

(١) والمواضع هي: ﴿ولا تَّيَمَّمُوا ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، و﴿ولا تَّفرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] و﴿تَّوَفاهُمُ﴾ [النساء: ٩٧]، و﴿ولا تَّعاونُوا﴾ [المائدة: ٢]، و﴿فَتَّفرقَ بكُم﴾ [الأنعام: ١٥٣]، و﴿فإذا هي تَّلْقَف ﴾ [الأعراف: ١١٧]، و﴿ولا تَّوَلَوْا﴾ [لأنفال: ٢٠]، و﴿ولا تَّنازَعُوا ﴾ [لأنفال: ٤٦]، و﴿هل تَّربَّصُون﴾ [التوبة: ٥٢]، و﴿وإن تَّولَوْا ﴾ [هود: ٣]، ﴿فإن تَّوَلَوْا ﴾ [هود: ٥٧]، ﴿لا تكَلَّمُ ﴾ [هود: ١٠٥]، و﴿ما تَّنَزَّلُ الملائِكَةُ ﴾ [الحجر: ٨]، و﴿ما في يمينك تَّلقَّف ﴾ [طه: ٦٩]، و﴿إِذْ تَّلَقَّوْنهُ ﴾ [النور: ١٥]، و﴿فإِنْ تَّوَلَوْا ﴾ [النور: ٥٤]، و﴿فإذا هِيَ تَّلَقَف ﴾ [الشعراء: ٥٤]، و﴿على مَنْ تَّنَزَّلُ﴾ [الشعراء: ٢٢١]، و﴿تَّنَزَّلُ عَلى﴾ [الشعراء: ٢٢٢]، و﴿ولا تَّبرَّجنَ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، و﴿ولا أنْ تَّبَدّلَ﴾ [الأحزاب: ٥٢]، و﴿لا تَّناصَرُون﴾ [الصافات: ٢٥]، و﴿ولا تَّنابَزُوا﴾ [الحجرات: ١١]، و﴿ولا تَّجَسَسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢]، و﴿لِتَّعَارفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]، و﴿أَنْ تَّوَلَوْهُم﴾ [الممتحنة: ٩]، و﴿تكَاد تَّمَيَّزُ﴾ [الملك: ٨]، و﴿لَمَا تَّخَيَّرُون﴾ [ن: ٣٨]، و﴿عَنْهُ تَّلَهَّى﴾ [عبس: ١٠]، و﴿ناراً تَّلَظَّى﴾ [الليل: ١٤]، و﴿مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَّنَزَّلُ﴾ [القدر: ٣، ٤]. انظر: التيسير للداني (ص: ٨٣)، والنشر (٢/ ٢٣٢).

(٢) كتبت في المطبوع: «تَأْمَموا»، ولعله خطأ لما سيأتي عن أبي عمرو.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٥٥٨)، وهي قراءة شاذة لمخالفتها للرسم القرآني.

(٤) وهذه قراءة شاذة انظرها لهما في: المحتسب (١/ ١٣٨)، ولمسلم في مختصر الشواذ (ص: ٢٣).

وحكى أَبو عمرو أَن ابن مسعود قرأَ: (ولا تُؤَمِّموا) بهمزة بعد تاءٍ مضمومة[١]، وهذه على لغة من قال: أَمَّمْت مثقلة الميم[٢].

وقد مضى القول في معنى الخبيث.

وقال الجرجاني[٣] في «كتاب نظم القرآن»: قال فريق من الناس: إِن الكلام تم في قوله: ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾، ثم ابتدأَ خبراً آخر في وصف الخبيث فقال: ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ وأَنتم لا تأْخذونه إِلا إِذا أَغمضتم؛ أَي: تساهلتم[٤].

قال القاضي أَبو محمد: كأَن هذا المعنى عتاب للناس وتقريع.

والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ عائد على ﴿ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾.

قال الجرجاني: وقال فريق آخر: بل الكلام متصل إِلى قوله: ﴿فِيهِ﴾[٥]، فالضمير في ﴿مِنْهُ﴾ عائد على ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾، ويجيءُ ﴿تُنفِقُونَ﴾ في موضع نصب على الحال وهو كقوله: أَنا أَخرج أُجاهد في سبيل الله.

واختلف المتأَولون في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾:

فقال البراءُ بن عازب، وابن عباس[٦]، والضحاك، وغيرهم: معناه: ولستم بآخذيه

---

(١) من أحمد٣ وجار الله، وفي النسخ الأخرى: «بعد التاء»، دون لفظ «مضمومة».

(٢) وهي قراءة شاذة. انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٣٢٦)، ونقلها ابن خالويه (ص: ٢٣) عن أبي صالح صاحب عكرمة.

(٣) هو أبو علي الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني، له تصانيف عدة منها نظم القرآن مجلدتان وكان من أهل السنة، يروي عن العباس بن عيسى العقيلي، روى عنه أبو النضر محمد بن محمد ابن يوسف الطوسي، تاريخ جرجان (١/ ١٨٧)، الأنساب للسمعاني (٢/ ٨٠).

(٤) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٤٥)، وفي المطبوع ونور العثمانية: «ساهلتم».

(٥) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٣٢٦).

(٦) أخرجه الطبري (٥/ ٥٦٥) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

في ديونكم وحقوقكم عند الناس إِلا أَن تساهلوا(١) في ذلك، وتتركوا من حقوقكم، وتكرهونه ولا ترضونه(٢)؛ أَي: فلا تفعلوا مع الله ما لا ترضونه لأنفسكم، وقال الحسن ابن أَبي الحسن: معنى الآية: ولستم بآخذيه لو وجدتموه في السوق يباع إِلا أَن يهضم لكم من ثمنه(٣).

ورُوي نحوه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه(٤).

وهذان القولان يشبهان كون الآية في الزكاة الواجبة.

وقال البراءُ بن عازب أَيضاً: معناه: ولستم بآخذيه لو أُهدي لكم إِلا أَن تغمضوا، أَي تستحيوا(٥) من المهدي، فتقبلوا منه ما لا حاجة لكم فيه، ولا قدر له في نفسه(٦)، وهذا يشبه كون الآية في التطوع/ . [١/ ١٧٩]

وقال ابن زيد: معنى الآية: ولستم بآخذي الحرام إِلا أَن تغمضوا في مكروهه(٧).

وقرأَ جمهور الناس: ﴿إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ﴾ بضم التاءِ، وسكون الغين، وكسر الميم.

وقرأَ الزهري بفتح التاءِ، وكسر الميم مخففاً.

وروي عنه أَيضاً: (تُغَمِّضُوا) بضم التاءِ وفتح الغين وكسر الميم مشددة(٨).

وحكى مكي عن الحسن البصري: (تغمَّضوا) مشددة الميم مفتوحة، وقرأَ قتادة

---

(١) في أحمد٣: «تغمضوا تساهلوا».

(٢) انظر قول الضحاك في: تفسير الطبري (٥/ ٥٦٦).

(٣) انظر قول الحسن في: تفسير الطبري (٥/ ٥٦٦).

(٤) لا يصح، أخرجه الطبري (٥/ ٥٦٤) بإسناد فيه أبو بكر الهذلي، وهو متروك الحديث.

(٥) كذا في المطبوع والحمزوية، وفي باقي النسخ: «تستحيي» بالإفراد.

(٦) تقدم الكلام عليه قريباً، وذكرنا أن في إسناده السدي، وهو صاحب أوهام، وقد اختلف عليه فيه.

(٧) انظر تفسير: الطبري (٣/ ٨٤).

(٨) انظرهما في: المحتسب (١/ ١٣٩).

بضم التاءِ وسكون الغين وفتح الميم مخففاً[١]، قال أَبو عمرو: معناه: إِلا أَن يغمض لكم[٢].

قال القاضي أَبو محمد: هذه اللفظة تُنتزع إِما من قول العرب: أَغمض الرجل في أَمر كذا إِذا تساهل فيه، ورضي ببعض حقه وتجاوز، فمن ذلك قول الطرماح بن حكيم[٣]:

[الخفيف] لَـمْ يَفُتْنَـا بِالوتْـرِ قَـوْمٌ وللضَّـيْــ ـمِ أُنَاسٌ يَرْضَوْنَ بِالإِغْمَاض[٤]

وإِما أَن تنتزع من تغميض العين؛ لأَن الذي يريد الصبر على مكروه يغمض عنه عينيه، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] إِلـى كَـمْ وكَـمْ أَشـيَاءَ مِنْـكَ تَرِيبُني أُغَمِّضُ عَنْهَا لَسْتُ عَنْهَا بذي عَمَى[٥]

وهذا كالإِغضاءِ عند المكروه، وقد ذكر النقاش هذا المعنى في هذه الآية، وأَشار إِليه مكي[٦].

---

(١) هذه أربع قراءات شاذة، انظر قراءتي الزهري وقراءة قتادة في مختصر الشواذ (ص: ٢٣)، والمحتسب (١/ ١٣٩)، وقراءة الحسن في الهداية لمكي (١/ ٨٩٣)، إلا أنه ضبطها بفتح الميم وضم التاء، ولم يذكر الشدة، وتابع المؤلف في النقل عن مكي تفسير القرطبي (٣/ ٣٢٧)، والبحر المحيط (٢/ ٦٨١)، ونقل السمين في الدر المصون (٢/ ٦٠٣)، وابن راشد في اللباب (٤/ ٤١٣) عن الحسن ضم التاء مع التشديد، دون ذكر مكي، وأما تفسير الثعلبي (٢/ ٢٦٩) فنقل عنه فتح التاء وكسر الميم، والله أعلم.

(٢) نقله عنه القرطبي (٣/ ٣٢٧)، وهو قول قتادة انظر: تفسير الطبري (٥/ ٥٦٦).

(٣) هو الطِّرِمّاح بن حكيم بن نفر بن قيس بن جحدر، من طيّئ، ويكنى أبا نفر، وكان جدّه قيس بن جحدر وفد على رسول الله ﷺ وأسلم، وكان الطرمّاح خطيباً. الشعر والشعراء (٢/ ٥٧٠).

(٤) ديوان الطرماح (١/ ٧٨)، وانظر عزوه له في تفسير الطبري (٥/ ٥٦٤)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٢٦٩)، جمهرة أشعار العرب (ص: ٨٠١)، وتفسير الزمخشري (١/ ٣١٥)، والوتر بفتح الواو وكسرها: الذَّحْل، والظلم فيه، والذَّحْل: الحقد والعداوة والثأر، والإغماض أن تتنازل عن بعض حقك. وفي أحمد٣ وجار الله ونور العثمانية: «للذل»، بدل «للضيم»، وكلاهما رواية في البيت.

(٥) استشهد به ابن رشيق القيرواني في العمدة في محاسن الشعر وآدابه (٢/ ٧٥) بلا نسبة.

(٦) في الهداية لمكي (٢/ ١٥٢٢)، وقول النقاش حكاه القرطبي (٣/ ٣٢٧).

وإِما من قول العرب: أَغمض الرجل إِذا أَتى غامضاً من الأَمر، كما تقول: أَعْمن إِذا أَتى عُمان، وأَعْرق إِذا أَتى العراق، وأَنْجد وأَغْور[١] إِذا أَتى نجداً، والغور الذي هو تهامة، ومنه قول الجارية: «وإِن دسر أَغمض»[٢].

فقراءَة الجمهور تُخَرَّج على التجاوز، وعلى تغميض العين؛ لأَن أَغمض بمنزلة غمَّض، وعلى أَنها بمعنى: حتى تأْتوا غامضاً من التأْويل والنظر في أَخذ ذلك، إِما لكونه حراماً على قول ابن زيد، وإِما لكونه مُهدىً أَو مأْخوذاً في ديْن على قول غيره.

وأَما قراءَة الزهري الأُولى فمعناها: تهضموا سومها من البائع منكم فيحطَّكم، قال أَبو عمرو: معنى قِراءَتي الزهري: حتى تأْخذوا بنقصان[٣]، وأَما قراءَته الثانية فهذا مذهب أَبي عمرو الداني فيها، ويحتمل أَن يكون من تغميض العين.

وأَما قراءَة قتادة فقد ذكرت تفسير[٤] أَبي عمرو لها، وقال ابن جني: معناها: توجدوا قد غمضتم في الأَمر بتأولكم، أَو بتساهلكم، وجريتم على غير السابق إِلى النفوس[٥]، وهذا كما تقول: أَحمدتُ الرجلَ، وجدته محموداً، إِلى غير ذلك من الأَمثلة.

ثم نبه تعالى على صفة الغنى؛ أَي: لا حاجة به إِلى صدقاتكم، فمن تقرب وطلب مثوبة فليفعل ذلك بما له قدر.

و﴿حَمِيدٌ﴾ معناه: محمود في كل حال، وهي صفة ذات.

قوله عز وجل: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾.

---

(١) كذا في المطبوع، وأشار في هامش الأصل: إلى أن في نسخة: «أغار»، وهي المثبت في سائر النسخ.
(٢) انظره في: أمالي القالي (١/ ٨).
(٣) انظر قول أبي عمرو في: تفسير القرطبي (٣/ ٣٢٧).
(٤) في أحمد٣ وجار الله: «تقييد»، مع الإشارة إلى النسخة الأخرى في الهامش.
(٥) المحتسب (١/ ١٣٩).

هذه الآية وما بعدها وإِن لم تكن أَمراً بالصدقة فهي جالبة النفوس إِلى الصدقة، بيَّن عز وجل فيها نزغات الشيطان ووسوسته وعداوته، وذكَّر بثوابه هو لا رب غيره، وذكر بتفضله بالحكمة، وأَثنى عليها، ونبَّه أَن أَهل العقول هم المتذكرون الذين يقيمون بالحكمة قدر الإِنفاق في طاعة الله عز وجل وغير ذلك.

ثم ذكر علمه بكل نفقة ونذر، وفي ذلك وعد ووعيد، ثم بين الحكم في الإِعلان والإِخفاءِ، وكذلك إِلى آخر المعنى.

والوعد في كلام العرب إِذا أُطلق فهو في الخير، وإِذا قُيد بالموعود ما هو[١]، فقد يُقيد بالخير، والشر، كالبشارة[٢]؛ فهذه الآية مما قُيِّدَ الوعد فيها بمكروه وهو الفقر.

و(الفحشاءُ): كل ما فحش، وفحش ذكره، ومعاصي الله كلها فحشاءُ.

وروى حيوة[٣] عن رجل من أَهل الرباط أَنه قرأَ: (الفُقْرَ) بضم الفاءِ[٤]، وهي لغة.

وقد قال ابن عباس: في الآية اثنتان من الشيطان، واثنتان من الله تعالى[٥].

وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ أَنه قال: «إِن للشيطان لَمَّة من ابن آدم، وللمَلك لَمَّة، فأَما لَمَّة الشيطان فإِيعادٌ بالشر، وتكذيب بالحق، فمن وجد ذلك فليتعوذ، وأَما

---

(١) هكذا العبارة في جميع النسخ، وفي تفسير القرطبي (٣/ ٣٢٨)، ولعل معناها: فهو على ما قيد به، أو نحو ذلك.

(٢) يعني أن البشارة إذا أطلقت فهي للخير وإذا قيدت فهي على ما قيدت به.

(٣) هو: أبو زرعة حيوة بن شريح بن صفوان بن مالك، الإمام الرباني، الفقيه، شيخ الديار المصرية، التجيبي المصري. (ت ١٥٨هـ) كان فقيهاً له عبادة ونسك وكان مجاب الدعوة. انظر: الإكمال (٢/ ٣٤)، وتهذيب الكمال (٧/ ٤٧٨)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٤٠٠).

(٤) كما في البحر المحيط (٢/ ٦٨١) وفيه: أبو حيوة، وهي قراءة شاذة، وعزاها ابن خالويه في المختصر (ص: ٣٤) لعيسى بن عمر، وفي الشواذ للكرماني (ص: ١٠٠) عن أبي حيوة: للفقراء، بضم الفاء، والله أعلم.

(٥) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (٥/ ٥٧١)، وابن أبي حاتم (٢٨١٣) من طريق الحسين بن واقد، قال: ثنا يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

لَمَّة الملك فوعد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليحمد الله»، ثم قرأ ﷺ: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم ﴾ الآية»[١].

و«المغفرة [من الله] »[٢]: هي الستر على عباده في الدنيا والآخرة، والفضل: هو الرزق في الدنيا والتوسعة فيه، والنعيم في الآخرة، وبِكُلٍّ قد وعد الله تعالى.

وذكر النقاش: أَن بعض الناس تأَنَّس بهذه الآية أَن الفقر أَفضل من الغنى؛ لأَن الشيطان إِنما يبعد العبد من الخير، وهو بتخويفه الفقر يبعد منه[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وليس في الآية حجة قاطعة، [أما إن][٤] المعارضة بها قوية.

وروي أَن في التوراة: «عبدي، أَنفق من رزقي أَبسط عليك فضلي، فإِن يدي مبسوطة على كل يد مبسوطة»[٥]، وفي القرآن مصداقُه، وهو: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩].

و﴿وَٰسِعٌ ﴾ لأَنه وسع كل شيءٍ رحمة وعلماً.

ثم أَخبر تعالى عن نفسه أَنه: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ ﴾؛ أَي: يعطيها لمن يشاءُ من عباده.

واختلف المتأَولون في ﴿ٱلْحِكْمَةَ ﴾ في هذا الموضع:

---

(١) الأصح موقوف، أخرجه الترمذي (٣٢٣١)، والنسائي في الكبرى (٦/ ١١٠٥١) من طريق أبي الأحوص، عن عطاء بن السائب، عن مرة، عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً به، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وهو حديث أبي الأحوص، لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث أبي الأحوص. اهـ، وقد خولف أبو الأحوص في رفعه، فرواه ابن علية، وعمرو بن أبي قيس عن عطاء، عن مرة، عن ابن مسعود موقوفاً عليه، كما في تفسير الطبري (٥/ ٥٧٢)، وهذا أولى.

(٢) زيادة من أحمد٣ وجار الله، السليمانية.

(٣) نقله القرطبي (٣/ ٣٢٩) عن ابن عطية.

(٤) ساقط من نور العثمانية، وفي المطبوع: «إلا أن»، وفي السليمانية وأحمد٣ وجار الله: «بل».

(٥) الهداية لمكي (١/ ٨٩٥).

فقال السدي: الحكمة: النبوة(١)، وقال ابن عباس: هي المعرفة بالقرآن [فقهِه ونسخِه ومحكمِه ومتشابهِه وعربِـيته(٢)، وقال قتادة: الحكمة: الفقه في القرآن، وقاله مجاهد](٣).

وقال مجاهد أَيضاً: الحكمة: الإِصابة في القول والفعل، وقال ابن زيد، وأَبوه زيد بن أَسلم: الحكمة: العقل في الدين(٤).

وقال مالك: الحكمة: المعرفة في الدين، والفقه فيه، والاتباع له، [وروى عنه ابن القاسم أَنه قال: الحكمة: التفكر في أَمر الله، والاتباع له](٥)، وقال أَيضاً: الحكمة: طاعة الله، والفقه في الدين والعمل به(٦).

وقال الربيع: الحكمة: الخشية(٧)، ومنه قول النبي ﷺ: «رأْسُ كل شيءٍ خشيةُ الله تعالى»(٨).

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٥٧٨).

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٥٧٦)، وابن أبي حاتم (٢٨٢٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به، بقريب منه، وفي تفسير القرطبي (٣/ ٣٣٠): «وغريبه»، بدل «وعربيته»، ويمكن أن تقرأ في بعض النسخ كذلك، لتقارب رسم الحروف.

(٣) ليس في الحمزوية، وفي المطبوع: «قاله مجاهد»، دون واو.

(٤) انظر في: تفسير الطبري قول قتادة (٦/ ٥٧٦)، ومجاهد (ص: ٥٧٧)، وابن زيد (ص: ٥٧٨).

(٥) ليس في الحمزوية.

(٦) انظر قول مالك في: تفسير الطبري (٥/ ٥٧٨)، ورواية ابن القاسم في الهداية لمكي (١/ ٨٩٦).

(٧) تفسير الطبري (٥/ ٥٧٨).

(٨) باطل، أخرجه ابن أبي الدنيا في الورع (١١)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٨٦)، كلاهما من طريق القاسم بن هاشم السمسار، قال: حدثتنا سعيدة بنت حكامة، قالت: حدثتني أمي حكامة بنت عثمان ابن دينار، عن أبيها، عن مالك بن دينار، عن أنس رضي الله عنه، مرفوعاً به. وهذا إسناد ضعيف جداً، من أجل عثمان بن دينار، أورده العقيلي في الضعفاء (٣/ ٢٠٠)، وقال: تروي عنه حكامة ابنته أحاديث بواطيل، ليس لها أصل...أحاديث حكامة تشبه حديث القصاص، ليس لها أصول.

وقال إِبراهيم: الحكمة: الفهم، وقاله[١] زيد بن أَسلم، وقال الحسن: الحِكمَة: الورعُ[٢].

وهذه الأقوال كلها ما عدا قول السدي قريب بعضها من بعض/ ؛ لأَن الحكمة مصدرٌ من الإِحكام، وهو الإِتقان في علم أَو قول؛ وكتاب الله: حكمة، وسنة نبيه: حكمة، وكل ما ذكر فهو جزءٌ من الحكمة التي هي الجنس.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول.

وقرأَ الزهري ويعقوب: ﴿وَمَنْ يُؤْتِ﴾ بكسر التاءِ[٣] على معنى: ومن يُؤْتِ اللهُ الحكمةَ، فـ (مَن) مفعول أَول مقدم، و﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ مفعول ثان.

وقرأَ الأَخفش: (وَمَنْ يُؤْتِهِ الْحِكْمَةَ)[٤].

وقرأَ الربيع بن خثيم: (تُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ تَشَاء) بالتاءِ في (تُؤْتِي)، وفي (تَشَاءُ) منقوطة من فوق، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ بالياءِ[٥].

وباقي الآية تذكر بيِّنة وإِقامة لهمم الغفَلَة. و﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: العقول، واحدها: لُبٌّ.

قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾.

---

(١) في المطبوع: «وقال»، دون هاء الضمير.

(٢) انظر هذه الأقوال في: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ١٩٩)، ومصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٥٤١)، وسنن الدارمي (٢/ ٥٢٨)، وتفسير الطبري (٥/ ٥٧٦-٥٧٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٣١-٥٣٤)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٢٧٢).

(٣) فهي أيضاً عشرية انظر عزوها ليعقوب في: النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦٩)، وللزهري في: مختصر الشواذ (ص: ٢٤).

(٤) انظر: مختصر الشواذ (ص: ٢٤)، إلا أن فيه: «الأعمش»، وكذا في البحر المحيط (٢/ ٦٨٥).

(٥) انظر: مختصر الشواذ (ص: ٢٤).

كانت النذور من سيرة العرب، تُكثر منها، فذكر تعالى النوعين: ما يفعله المرءُ تبرعاً، وما يفعله بعد إِلزامه لنفسه، ويقال: نذر الرجل كذا إِذا التزم فعله ينذُر بضم الذال، وينذِر بكسرها.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ﴾ قال مجاهد: معناه: يحصيه[1].

وفي الآية وعد ووعيد؛ أَي: من كان خالص النية فهو مثاب، ومن أَنفق رياءً أَو لمعنى آخر مما يكشفه المنُّ والأَذى ونحو ذلك فهو ظالم، يذهب فعله باطلاً، ولا يجد ناصراً فيه.

ووحد الضمير في ﴿يَعۡلَمُهُۥ﴾ وقد ذكر شيئين من حيث أَراد ما ذكر أَو نص.

وقوله تعالى: ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ الآية، ذهب جمهور المفسرين إِلى أَن هذه الآية هي في صدقة التطوع، قال ابن عباس: جعل الله صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها، يقال: بسبعين ضعفاً، وجعل صدقة الفريضة علانيتها أَفضل من سرها يقال: بخمسة وعشرين ضعفاً، قال: وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الأَشياءِ كلها[2].

قال القاضي أَبو محمد: ويُقَوِّي ذلك قول النبي ﷺ: «صلاةُ الرجلِ في بيتِه أَفضلُ من صلاته في المسجدِ إلا المكتوبةَ»[3]، وذلك أَن الفرائض لا يدخلها رياءٌ، والنوافل عرضة لذلك.

وقال سفيان الثوري: هذه الآية في التطوع، وقال يزيد بن أَبي حبيب[4]: إِنما نزلت هذه الآية في الصدقة على اليهود والنصارى، وكان يأمر بقسم الزكاة في السر[5].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٥٨١).

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٥٨٣) وابن أبي حاتم (٢٨٤٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٩٨)، ومسلم (٧٨١) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(٤) هو يزيد بن أبي حبيب، يكنى أبا رجاء، مولى لبني عامر بن لؤي من قريش، وكان ثقة كثير الحديث، روى له الستة وكان مفتي مصر، وكان يرسل، ولد بعد الخمسين، مات سنة (١٢٨هـ). سير أعلام النبلاء (٦/ ٣١)، والطبقات الكبرى (٧/ ٣٥٦).

(٥) الأثران في تفسير الطبري (٥/ ٥٨٣).

وهذا مردود لا سيما عند السلف الصالح، فقد قال الطبري: أَجمع الناس على أَن إظهار الواجب أَفضل[١].

قال المهدوي: وقيل: المراد بالآية فرض الزكاة، وما تطوع به، فكان الإِخفاءُ فيهما أَفضل في مدة النبي ﷺ، ثم ساءَت ظنون الناس بعد ذلك، فاستحسن العلماءُ إِظهار الفرض لئَلا يظن بأَحد المنع[٢]، وهذا القول مخالف للآثار، ويشبهه في زمننا أَن يحسن التستر بصدقة الفرض فقد كثر المانع لها، وصار إِخراجها عرضة للرياءِ.

وقال النقاش: إِن هذه الآية نسخها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ الآية [البقرة: ٢٧٤][٣].

وقوله: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ ثناءٌ على إِبداءِ الصدقة، ثم حكم أَن الإِخفاءَ خير من ذلك الإِبداءِ.

واختلف القراءُ في قوله: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾:

فقرأَ نافع في غير رواية ورش، وأَبو عمرو، وعاصم في رواية أَبي بكر، والمفضل: ﴿فنِعْمَّا﴾ بكسر النون وسكون العين.

وقرأَ عاصم في رواية حفص، وابن كثير، ونافع في رواية ورش: ﴿فَنِعِمَّا﴾ بكسر النون والعين.

وقرأَ ابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿فَنَعِمَّا﴾ بفتح النون وكسر العين، وكلهم شدد الميم[٤].

قال أَبو علي: من قرأَ بسكون العين لم يستقم قوله؛ لأَنه جمع بين ساكنين، الأَول

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٥٨٤).

(٢) انظر: التحصيل (١/ ٥٧٧)، ونقله عنه القرطبي في تفسيره (٣/ ٣٣٣)، ومثله في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٥٢).

(٣) نقله القرطبي عنه (٣/ ٣٣٤).

(٤) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ٨٤)، وانظر رواية المفضل في: السبعة (ص: ١٩٠)، وفي الحمزوية: «بن عباس»، بدل «ابن عامر».

منهما ليس بحرف مدٍّ ولين، وإنما يجوز ذلك عند النحويين إذا كان الأَول حرف مدٍّ؛ إذ المد يصير عوضاً من الحركة، وهذا نحو: دابة وضوالّ، ونحوه، ولعل أَبا عمرو أَخفى الحركة واختلسها، كأَخذه بالإِخفاءِ في ﴿بارئكم﴾، و﴿يأْمُرْكم﴾، فظن السامع الإِخفاءَ إِسكاناً للطف ذلك في السمع وخفائه[(١)].

وأَما من قرأَ (نِعِمَّا) بكسر النون والعين فحجته أَن أَصل الكلمة نَعِمَ بكسر الفاءِ من أَجل حرف الحلق، ولا يجوز أَن يكون ممن يقول: نِعْم، أَلا ترى أَن من يقول: هذا قدم ملك، فيدغم، [لا يدغم][(٢)]: هؤلاء قوم ملك وجسم ماجد[(٣)].

وقال سيبويه: (نِعِما) بكسر النون والعين ليس على لغة من قال: «نِعْم» فأَسكن العين، ولكن على لغة من قال: نِعْم فحرك العين، وحدثنا أَبو الخطاب[(٤)] أَنها لغة هذيل[(٥)]، وكسَرها كما قال: لعِب[(٦)]، ولو كان الذي قال: (نِعِما) ممن يقول: نِعْم بسكون العين لم يجز الإِدغام[(٧)].

---

(١) الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٩٦)، وهذا النوع من التأويل لا يليق بالقراءات المتواترة، وقد رده في النشر (٢/ ٢٦٩) بقوله: وقرأ أبو جعفر بإسكان العين واختلف عن أبي عمرو وقالون وأبي بكر فروى عنهم المغاربة قاطبة إخفاء كسرة العين ليس إلا، يريدون الاختلاس فراراً من الجمع بين الساكنين، وروى عنهم العراقيون والمشرقيون قاطبة الإسكان، ولا يبالون من الجمع بين الساكنين لصحته رواية وروده لغة، وقد اختاره الإمام أبو عبيدة أحد أئمة اللغة، وقال: هو لغة النبي ﷺ فيما يروى «نعْمَّا المالُ الصالح للرجل الصالح»، وحكى النحويون الكوفيون سماعاً من العرب: (شهرْ رَمضان) مدغماً، وحكى ذلك سيبويه في الشعر.

(٢) ليس في المطبوع.

(٣) هذا من تمام كلام أبي علي في الحجة (٢/ ٣٩٦).

(٤) هو الأخفش الأكبر أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد، مولى قيس بن ثعلبة: إمام في العربية، لقي الأعراب وأخذ عنهم وعن أبي عمرو بن العلاء وطبقته، وأخذ عنه أبو عبيدة وسيبويه والكسائي ويونس، وكان ديناً ورعاً ثقة، انظر: معجم الأدباء (٦/ ٢٨٥٨).

(٥) في المطبوع: «هزيل».

(٦) في نور العثمانية: «كعب»، ولفظ الكتاب: وكسروها كما قالوا لعب...إلخ.

(٧) الكتاب لسيبويه (٤/ ٤٤٠).

قال القاضي أَبو محمد: يشبه أَن هذا يمتنع؛ لأَنه يسوق إِلى اجتماع ساكنين.

قال أَبو علي: وأَما من قرأَ: (نَعِمَّا) بفتح النون وكسر العين فإِنما جاءَ بالكلمة على أَصلها، وهو (نَعِمَ)، ومنه قول الشاعر:

مَـا أَقَـلَّـتْ قَـدَمَـايَ إِنَّـهُـمْ   نَعِمَ السَّـاعُونَ في الأَمْرِ المبِرْ[1]   [الرمل]

ولا يجوز أَن يكون ممن يقول قبل الإِدغام: (نِعْم) بسكون العين[2].

وقال المهدوي: وذلك جائز محتمل[3]، وتكسر العين بعد الإِدغام؛ لالتقاءِ الساكنين.

قال أَبو علي: و(ما) من قوله: (نعما) في موضع نصب، وقوله: ﴿هِيَ﴾ تفسير للفاعل المضمر قبل الذكر، والتقدير: نعم شيئاً إِبداؤُها[4]، والإِبداءُ هو المخصوص بالمدح إِلا أَن المضاف حذف، وأُقيم المضاف إِليه مقامه، ويدلك على هذا قوله: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ أَي: الإِخفاءُ خير، فكما أَن الضمير هنا للإِخفاءِ لا للصدقات، فكذلك أولاً الفاعل هو الإِبداءُ وهو الذي اتصل به الضمير فحذف الإِبداءُ، وأُقيم ضمير الصدقات مُقامَه.

واختلف القراءُ في قوله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم﴾:

فقرأَ أَبو عمرو، وابن كثير، وعاصم في رواية أَبي بكر: ﴿ونُكفِّرُ﴾ بالنون ورفع الراءِ.

وقرأَ نافع، وحمزة، والكسائي: ﴿ونُكفرْ﴾ بالنون والجزم في الراءِ، ورُوي مثل ذلك أَيضاً عن عاصم.

---

(١) البيت لطرفة، كما في ديوان طرفة بن العبد (ص: ٤٥)، والكتاب لسيبويه (٤/ ٤٤٠)، والمحتسب (١/ ٣٤٢)، والإنصاف في مسائل الخلاف (١/ ١٠٠)، وفي رواية: «قدمي» بالإفراد، والأَمرُ المبرُّ: الذي يطلب به البِرُّ والتقرب إلى الله.

(٢) بقية كلامه السابق.

(٣) نقله عنه السمين في الدر المصون (١/ ٥٠٨).

(٤) في المطبوع هنا زيادة: «وقوله».

وقرأَ ابن عامر: ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ بالياءِ ورفع الراءِ[١].

وقرأَ ابن عباس: (وتُكفِّرْ) بالتاءِ وكسر الفاءِ وجزم الراءِ[٢].

وقرأَ عكرمة: (وتُكفَّرْ) بالتاءِ وفتح الفاءِ وجزم الراءِ.

وقرأَ الحسن: (وَيُكفرْ) بالياءِ وجزم الراءِ.

ورُوي عن الأعمش أَنه قرأَ: (ويُكَفِّرَ) بالياءِ / ونصب الراءِ[٣]. [١/ ١٨١]

وقال أَبو حاتم[٤]: قرأَ الأعمش: (يُكفرْ) بالياءِ دون واو قبلها وبجزم الراءِ.

وحكى المهدوي عن ابن هرمز أَنه قرأَ: (وتُكفرُ) بالتاءِ ورفع الراءِ.

وحكى عن عكرمة وشهر بن حوشب أَنهما قرأا بتاءٍ ونصب الراءِ[٥].

قال القاضي أَبو محمد: فما كان من هذه القراءَات بالنون فهي نون العظمة، وما كان منها بالتاءِ فهي الصدقة فاعلة إِلا ما روي عن عكرمة بفتح الفاءِ فإِن التاءَ في تلك القراءَة إِنما هي للسيئات، وما كان منها بالياءِ فالله تعالى هو المكفِّر، والإِعطاءُ في خفاءٍ هو المكفِّر أَيضاً كما ذكره مكي[٦].

وأَما رفع الراءِ فهو على وجهين:

أَحدهما: أَن يكون الفعل خبر ابتداءٍ تقديره: ونحن نكفِّرُ، أَو: وهي تكفِّرُ، أَعني الصدقةَ، أَو والله يكفِّرُ.

---

(١) وافقه حفص عن عاصم انظر: السبعة لابن مجاهد (ص: ١٩١)، والتيسير للداني (ص: ٨٤) وهذه القراءات الثلاث سبعية متواترة.

(٢) وهي قراءة شاذة. انظر: مختصر الشواذ (ص: ٢٤)، وتفسير الطبري (٥/ ٥٨٤).

(٣) والقراءات الثلاث شاذة. انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٣٣٨)، وتفسير القرطبي (٣/ ٣٣٥).

(٤) ليست قراءة الأعمش الأولى، وعزو أبي حاتم للثانية في جار الله.

(٥) التحصيل (١/ ٥٨٥) وكلها شاذة، انظر قراءة الحسن في: الشواذ للكرماني (ص: ١٠١)، والباقين في تفسير القرطبي (٣/ ٣٣٦)، والبحر المحيط (٢/ ٦٩١).

(٦) في الهداية لمكي (١/ ٨٩٩).

والثاني: القطع والاستئناف، وأَلا تكون الواو العاطفة للاشتراك لكن لعطف جملة كلام[(١)] على جملة.

وأَما الجزم في الراءِ فإِنه حمل للكلام على موضع قوله تعالى: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ﴾؛ إِذ هو في موضع جزم جواباً للشرط، كأَنه قال: وإِن تخفوها يكن أَعظم لأَجركم، ثم عطفه على هذا الموضع، كما جاءَت قراءَة من قرأَ: ﴿مَنْ يُضْلِلِ الله فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرْهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٦] بجزم الراءِ[(٢)]، وأَمثلة هذا كثيرة.

وأَما نصب الراءِ فعلى تقدير (أَنْ) وتأَمل، وقال المهدوي: هو مشبه بالنصب في جواب الاستفهام؛ إِذ الجزاءُ يجب به الشيءُ لوجوب غيره كالاستفهام[(٣)].

والجزم في الراءِ أَفصح هذه القراءَات؛ لأَنها تؤْذن بدخول التكفير في الجزاءِ، وكونه مشروطاً إِن وقع الإِخفاءُ، وأَما رفع الراءِ فليس فيه هذا المعنى.

و﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ للتبعيض المحض، والمعنى في ذلك متمكن، وحكى الطبري أن[(٤)] فرقة قالت: ﴿مِنْ﴾ زائدة في هذا الموضع[(٥)]، وذلك منهم خطأٌ.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ وعْد ووعيد.

قوله عز وجل: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾.

---

(١) «كلام»: زيادة من نور العثمانية وأحمد٣ وجار الله.

(٢) القراءة بجزم الراء مع الياء لحمزة والكسائي، كما سيأتي في محله. انظر: التيسير للداني (ص: ١١٥).

(٣) انظر التحصيل (١/ ٥٩٧)، ونقله عنه القرطبي في تفسيره (٣/ ٣٣٦).

(٤) في فيض الله: «عن»، وكذا في السليمانية، مع الإشارة في هامشه إلى النسخة الأخرى، وفي المطبوع: «عن فرقة أنها».

(٥) تفسير الطبري (٥/ ٥٨٦)، والقول للأخفش في معاني القرآن (١/ ١٠٥).

رُوي عن سعيد بن جبير في سبب هذه الآية: أَن المسلمين كانوا يتصدقون على فقراءِ أَهل الذمة، فلما كثر فقراءُ المسلمين قال رسول الله ﷺ: «لا تتصدقوا إِلا على أَهل دينكم»، فنزلت هذه الآية مبيحة للصدقة على من ليس من أَهل دين الإِسلام(١).

وذكر النقَّاش: أَن النبي ﷺ أتي بصدقات، فجاءَه يهودي فقال: أَعطني، فقال النبي ﷺ: «ليْس لك من صدقة المسلمين شيءٌ»، فذهب اليهودي غير بعيد، فنزلت الآية: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾، فدعاه رسول الله ﷺ فأَعطاه، ثم نسخ الله ذلك بآية الصدقات(٢).

وروي عن ابن عباس: أَنه كان ناس من الأَنصار لهم قرابات في بني قريظة والنضير، وكانوا لا يتصدقون عليهم رغبة منهم في أَن يسلموا إِذا احتاجوا، فنزلت الآية بسبب ذلك(٣).

وحكى بعض المفسرين: أَن أَسماءَ بنت أَبي بكر الصديق رضي الله عنهما أَرادت أَن تصل جدَّها أَبا قحافة، ثم امتنعت من ذلك؛ لكونه كافراً، فنزلت الآية في ذلك(٤).

وذكر الطبري: أَن مقصد النبي ﷺ بمنع الصدقة إِنما كان ليسلموا ويدخلوا في الدين، فقال الله: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾(٥).

وهذه الصدقة التي أُبيحت عليهم حسبما تضمنته هذه الآثار إِنما هي صدقة

---

(١) رواه الطبري (٥/ ٥٨٩) في تفسيره، من طريق ضعيف إلى سعيد بن جبير مرسلاً به.

(٢) وفي المطبوع: «بآية ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾»، وفي نور العثمانية: «بالصدقات»، وهذا الأثر لم أقف له على سند.

(٣) أخرجه القاسم بن سلام في الأموال (ص: ٥٤٢-٥٤٣) والطبري (٥/ ٥٨٨) من طريق ابن المبارك، عن سفيان، عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به، وهذا إسناد صحيح، لو سلم من تدليس الأعمش.

(٤) انظر تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٢٢٤).

(٥) أخرج الطبري (٥/ ٥٨٧) من طريق شعبة قال: كان النبي ﷺ لا يتصدق على المشركين، فنزلت: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾، فتصدق عليهم. وهذا إسناد معضل.

التطوع، وأَما المفروضة فلا يجزئ دفعها لكافر[١]، وهذا الحكم متصور للمسلمين اليوم مع أَهل ذمتهم ومع المسْتَرَقِّين من الحربِيين.

قال ابن المنذر: أَجمع كل من أَحفظ عنه من أَهل العلم أَن الذمي لا يُعطى من زكاة الأَموال شيئاً، ثم ذكر جماعة ممن نص على ذلك، ولم يذكر خلافاً[٢].

وقال المهدوي: ورخص للمسلمين أَن يعطوا المشركين من قراباتهم من صدقة الفريضة بهذه الآية[٣]، وهذا مردود عندي.

و«الهدى الذي ليس على محمد ﷺ»: هو خلق الإِيمان في قلوبهم، وأَما الهدى الذي هو الدعاءُ فهو عليه، وليس بمراد في هذه الآية.

ثم أَخبر تعالى أَنه هو يهدي من يشاءُ؛ أَي: يرشده، وفي هذا ردٌّ على القدرية وطوائف المعتزلة، ثم أَخبر أَن نفقة المرءِ تَأَجُّراً إِنما هي لنفسه، فلا يراعي حيث وقعت.

ثم بيَّن تعالى أَن النفقة المعتد بها المقبولة إِنما هي ما كان ابتغاءَ وجه الله، هذا أَحد التأويلات في قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾، وفيه تأويل آخر، وهو أَنها شهادة من الله تعالى للصحابة أَنهم إِنما ينفقون ابتغاءَ وجهه، فهو خبرٌ منه لهم فيه تفضيل[٤]، وعلى التأويل الآخر هو اشتراط عليهم، ويتناول الاشتراطُ غيرهم من الأمة.

ونصبُ قوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ هو على المفعول من أَجله.

ثم ذكر تعالى أَن ثواب الإِنفاق يُوفَّى إِلى المنفقين، والمعنى في الآخرة ولا

---

(١) نقل ابن قدامة في الشرح الكبير (٢/ ٧٠٩) الإجماع على ذلك.

(٢) في كتابه الإجماع (١/ ٤٨)، ونقله النووي في المجموع (٦/ ٢٢٨) عنه، ثم ذكر فيه خلافاً عن ابن سيرين والزهري.

(٣) الذي في التحصيل (١/ ٦٠٩): «قيل: تكون الصدقة عليهم في الفريضة، وقيل: من التطوع»، وانظر تفسير القرطبي (٣/ ٣٣٨).

(٤) وقع في المطبوع هنا زيادة: «وعلى التأْويل إِنما ينفقون ابتغاءَ وجهه، فهو خبرٌ منه لهم فيه تفضيل»، وهو تكرار واضح.

يبخسون منه شيئاً، فيكون ذلك البخس ظلماً لهم، وهذا هو بيان قوله: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾.

و«الخير» في هذه الآية: المالُ؛ لأَنه اقترن بذكر الإِنفاق، فهذه القرينة تدل على أنه المال، ومتى لم يقترن بما يدل على أنه المال فلا يلزم أَن يكون بمعنى المال نحو قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧] إلى غير ذلك.

وهذا الذي قلناه تحرُّزٌ من قول عكرمة: كل خير في كتاب الله فهو المال(١).

قوله عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾.

هذه اللام في قوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ متعلقة بمحذوف تقديره: الإِنفاق أَو الصدقة للفقراءِ.

وقال مجاهد، والسدي، وغيرهما: المراد بهؤلاءِ الفقراءِ فقراءُ المهاجرين من قريش وغيرهم(٢).

ثم تتناول الآية كل من دخل تحت صفة الفقر غابرَ الدهر، وإِنما خص فقراءَ المهاجرين بالذكر؛ لأَنه لم يكن هناك سواهم؛ لأَن الأَنصار كانوا أَهل أَموال وتجارة في قطرهم.

ثم بيَّن الله تعالى من أَحوال أُولئك الفقراءِ المهاجرين ما يوجب الحنو عليهم / بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، والمعنى: حبسوا ومنعوا، وذهب بعض اللغويين إِلى أَن أُحصر وحُصِر بمعنى واحد من الحبس والمنع سواءٌ كان ذلك [١/ ١٨٢]

(١) حكاه عنه الطبري في تفسيره (٣/ ٣٩٤).
(٢) تفسير الطبري (٥/ ٥٩١).

بعدوٍّ أَو بمرض ونحوه من الأَعذار، حكاه ابن سيده وغيره[١].

وفسر السدي هنا الإِحصار بأَنه بالعدوِّ[٢]، وذهب بعضهم إِلى أَن أُحصر إِنما يكون بالمرض والأَعذار، وحُصر بالعدو، وعلى هذا فسر ابن زيد، وقتادة، ورجحه الطبري، وتأَول في هذه الآية أَنهم هم حابسو أَنفسهم بربقة الدين، وقصد الجهاد، وخوف العدو، إِذ أَحاط بهم الكفر، فصار خوف العدو عذراً أُحصروا به[٣].

قال القاضي أَبو محمد: هذا متجه كأَن هذه الأَعذار أَحصرتهم؛ أَي: جعلتهم ذوي حَصْر كما قالوا: قبَرَه: أَدخله في قبره، وأَقبَرَه: جعله ذا قبر، فالعدو وكل محيط يُحصِر، والأَعذار المانعة تُحصِر بضم التاءِ وكسر الصاد؛ أَي: تجعل المرءَ كالمحاط به.

وقوله: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل الجهاد، ويحتمل الدخول في الإِسلام، واللفظ يتناولهما.

و«الضرب في الأَرض»: هو التصرف في التجارة، وضرب الأَرض هو المشي إِلى حاجة الإِنسان في البراز، وكانوا لا يستطيعون الضرب في الأَرض؛ لكون البلاد كلها كفراً مطبقاً، وهذا في صدر الهجرة، فقلَّتهم تمنع من الاكتساب بالجهاد، وإِنكار الكفار عليهم إِسلامهم يمنعهم من التصرف في التجارة، فبقوا فقراءَ إِلا أَنهم من الانقباض وترك المسأَلة والتوكل على الله بحيث يحسبهم الجاهل بباطن أَحوالهم أَغنياءَ.

و﴿ٱلتَّعَفُّفِ﴾: تَفَعُّلٌ، وهو بناء[٤] مبالغة، من عفَّ عن الشيءِ: إِذا أَمسك عنه، وتنزه عن طلبه، وبهذا فسر قتادة وغيره[٥].

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، والكسائي: ﴿يحسِبهم﴾ بكسر السين، وكذلك هذا الفعل في

---

(١) انظره في: المحكم (٣/ ١٤٣).

(٢) ولفظه في تفسير الطبري (٥/ ٥٩٢): حصرهم المشركون في المدينة.

(٣) تفسير الطبري (٥/ ٥٩٣).

(٤) في المطبوع: «بتاء».

(٥) تفسير الطبري (٥/ ٥٩٣).

كل القرآن، وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة: ﴿يَحْسَبُهُمُ﴾ بفتح السين في كل القرآن[١]، وهما لغتان في (يحسب) كعهد يعهَد ويعهِد، بفتح الهاءِ وكسرها في حروف كثيرة أَتت كذلك.

قال أَبو علي: فتح السين في (يحسَب) أَقيس؛ لأَن العين من الماضي مكسورة، فبابها أَن تأْتي في المضارع مفتوحة، والقراءَة بالكسر حسنة لمجيءِ السمع به، وإِن كان شاذاً عن القياس[٢].

و﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ لابتداءِ الغاية؛ أَي: من تعففهم ابتدأَت محسبته، وليست لبيان الجنس؛ لأَن الجاهل بهم لا يحسبهم أَغنياءَ غناءَ تعفف، وإِنما يحسبهم أَغنياءَ غنى مالٍ، ومحسبته من التعفف ناشئة، وهذا على أَنهم متعففون عفة تامة عن المسأَلة، وهو الذي عليه جمهور المفسرين؛ لأَنهم قالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ المعنى: لا يسأَلون الناس ألبَتَّةَ[٣]، وتحتمل الآية معنى آخر، ﴿مِنَ﴾ فيه لبيان الجنس سنذكره بعد.

والسِّيما: مقصورة العلامة، وبعض العرب يقول: السيمياءُ بزيادة ياءٍ وبالمد، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] .... لهُ سِيْمِيَاءُ لا تَشُقُّ على البَصَرْ[٤]

---

(١) فهما سبعيتان ووافق ابنُ كثير نافعاً ومن معه.انظر: السبعة في القراءات (ص: ١٩١)، والتيسير للداني (ص: ٨٤).

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٤٠٣).

(٣) منهم الطبري في تفسيره (٥/ ٥٩٨) والزجاج في معاني القرآن (١/ ٣٥٧).

(٤) البيت لأسيد بن عنقاء الفزاري، وصدره: غلامٌ رماهُ اللهُ بالحُسنِ يافِعاً، انظر عزوه له في: أمالي القالي (١/ ٢٣٧)، وزهر الآداب (٤/ ١٠٢٧)، وشرح ديوان الحماسة (ص: ١١١٠)، والحماسة البصرية (١/ ١٥٦)، وسماه قيساً، وفي معجم الشعراء (ص: ٣٢٣) أن عنقاء أمه، واسمه قيس، وقيل: عبد قيس بن بجرة من بني شمخ بن فزارة، ثم من بني ناشب، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام كبيراً وأسلم. وقد نبه أحمد تيمور في تصحيح لسان العرب (ص: ٦٦): على أن سيماء ساكنة الياء.. ولا يصح الوزن هنا إلا بتحريكها، ولم نجد أحدا نص عليه، لكنه جاء في رواية المبرد في الكامل (١/ ٢٢): له سيمياء بياءين.

واختلف المفسرون في تعيين هذه السِّيما التي يعرف بها هؤلاءِ المتعففون:

فقال مجاهد: هي التخشع والتواضع، وقال السدي، والربيع: هي جهد الحاجة وقضف[١] الفقر في وجوههم، وقلة النعمة، وقال ابن زيد: هي رِثَّة الثياب[٢].

وقال قوم ـ وحكاه مكي ـ: هي أَثر السجود[٣]، وهذا حسن، وذلك لأنهم كانوا متفرغين متوكلين، لا شغل لهم في الأَغلب إِلا الصلاة، فكان أَثر السجود عليهم أَبداً[٤].

و«الإِلحاف» و«الإِلحاح» بمعنىً واحد، وقال قوم: هو مأخوذ مِنْ أَلحف الشيءَ إِذا غطاه وعمه بالتغطية[٥]، ومنه اللحاف، ومنه قول ابن أَحمر:

يَـظَـلُّ يحُفُّهُـنَّ بِقَفْـقَـفَيْـهِ ويُلْحِفُهُنَّ هَفَّافـاً ثَخِينا[٦] [الوافر]

يصف ذكر نعام يحضن بيضاً، فكأَن هذا السائل المُلِحَّ يعم الناس بسؤاله فيلحفهم ذلك. وذهب الطبري، والزجاج، وغيرهما إِلى أَن المعنى: لا يسأَلون البتة[٧].

والآية تحتمل المعنيين: نفي السؤال جملة، ونفي الإِلحاف فقط:

أَما الأَول فعلى أَن يكون التعفف صفة ثانية لهم، ويحسبهم الجاهل بفقرهم لسبب تعففهم أَغنياءَ من المال، وتكون ﴿مِنَ﴾ لابتداءِ الغاية، ويكون قوله: ﴿لَا

---

(١) في الحمزوية: «قصف بالصاد»، وفي السليمانية: «قصب». ورجل قضيف: دقيق العظم قليل اللحم.

(٢) انظر هذه الأقوال الثلاثة في: تفسير الطبري (٥/ ٥٩٦)، وفي المطبوع والأصل: «رثة الحال»، مع الإشارة للنسخة الأخرى في هامشهما.

(٣) الهداية لمكي (١/ ٩٠٣).

(٤) في فيض الله ونور العثمانية: «أبدى».

(٥) تفسير الطبري (٥/ ٥٩٧).

(٦) البيت لعمرو بن أحمر بن العمرد الباهلي، كما في إيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٤٤٠)، وتهذيب اللغة (٥/ ٢٤٦)، والمعاني الكبير (١/ ٣٥٧)، والصحاح للجوهري (٤/ ١٤١٨)، يصف ظليماً، وقَفْقَفا الطائر والظليم: جناحاه، والهفَّاف: الرقيق الشفاف من الثياب.

(٧) تفسير الطبري (٥/ ٥٩٨)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٣٥٧).

﴿يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ﴾ لم يرد به أَنهم يسأَلون غير إِلحاف، بل أُريد به التنبيه على سوءِ حالة من يسأَل إِلحافاً مِنَ الناس، كما تقول: هذا رجلُ خيرٍ لا يقتل المسلمين، فقولك[١]: «خير» قد تضمن أَنَّه لا يقتل ولا يعصي ولو بأَقل من ذلك، ثم نبَّهْتَ بقولك: «لا يقتل المسلمين» على قبح فعل غيره ممن يقتل، وكثيراً ما يقال مثل هذا إِذا كان المنبَّه عليه موجوداً في القضية، مشاراً إِليه في نفس المتكلم والسامع، وسؤال الإِلحاف لم تخل منه مدة وهو مما يكره، فلذلك نبه عليه.

وأَما المعنى الثاني فعلى أَن يكون التعفف داخلاً في المحسبة؛ أَي: إنهم لا يظهر لهم سؤال، بل هو قليل، وبإِجمال فالجاهل به مع علمه بفقرهم يحسبهم أَغنياءَ عفة، فـ﴿مِنَ﴾لبيان الجنس على هذا التأويل، ثم نفى عنهم سؤال الإِلحاف، وبقي غير الإِلحاف مقرراً لهم حسب ما يقتضيه دليل الخطاب[٢]، وهذا المعنى في نفي الإِلحاف فقط هو الذي تقتضيه أَلفاظ السدي[٣].

وقال الزجاج رحمه الله: المعنى: لا يكون منهم سؤال فلا يكون إِلحاف[٤].

وهذا كما قال امرؤُ القيس:

[الطويل] عَلَى لَاحِبٍ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ[٥] ....

أَي: ليس ثَمَّ مَنَارٌ، فليس يكون اهتداءٌ.

---

(١) في المطبوع: «فقولهم».

(٢) وهو: أن يكون المسكوت عنه مخالفاً لحكم المنطوق في الحكم، ويسمى أيضاً مفهوم المخالفة. انظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٧/ ٣٢٣)، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٣/ ٧٨).

(٣) في الحمزوية: «ألفاظ الآية».

(٤) معاني القرآن للزجاج (١/ ٣٥٧).

(٥) هذا صدر بيت لامرئ القيس عجزه: إذا سافه العَوْدُ النباطي جرْجرا. انظر: عزوه له في ديوانه (ص: ٩٦)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٥٧)، الشعر والشعراء (١/ ١١٩)، والعمدة في محاسن الشعر (٢/ ٨٠)، ومعنى (لا يهتدى بمناره): لا منار له فيهتدى به.

قال القاضي أَبو محمد: إن كان الزجَّاج أَراد أَلا يكون منهم سؤال أَلبَتَّة، فذلك لا تعطيه الأَلفاظ التي بعد (لا)، وإِنما ينتفي السؤال إِذا ضبط المعنى من أَول الآية على ما قدمناه. وإِن كان أَراد: لا يكون منهم سؤالُ إِلحاف فذلك نص الآية.

وأَما تشبيه الآية ببيت امرئ القيس فغيرُ صحيح، وذلك أَن قوله:

عَلَى لَاحِبٍ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ .... [الطويل]

وقول الآخر:

قِفْ بالطُّلُولِ الَّتي لَمْ يُعْفِهَا القِدَمُ[1] .... [البسيط]

وقول الآخر / : [١/ ١٨٣]

وَمَنْ خِفْتُ مِنْ جَوْرِهِ في القَضَاءِ فَمَا خفْتُ جَوْرَكَ يا عَافِيه[2] [المتقارب]

وما جرى مجراه ترتيبٌ يسبق منه أَنه لا يُهتدى بالمنار وإِن كان المنار موجوداً، فلا ينتفي إِلا المعنى[3] الذي دخل عليه حرف النفي فقط، وكذلك ينتفي العَفَاءُ وإِن وُجد القِدم، وكذلك ينتفي الخوف وإِن وجد الجور، وهذا لا يترتب في الآية.

ويجوز أَن يريد الشعراءُ أَن الثاني معدوم فلذلك أَدخلوا على الأَول حرف النفي إِذ لا يصح الأَول إِلا بوجود الثاني؛ أَي: ليس ثَمَّ منارٌ فإِذاً لا يكون اهتداءٌ بمنار، وليس ثَمَّ قدَم فإِذاً لا يكون عفاءٌ، وليس ثَمَّ جورٌ فإِذاً لا يكون خوف.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ لا يترتب فيه شيءٌ من هذا؛ لأَن حرف النفي دخل على أَمر عام للإِلحاف وغيره، ثم خصَّص بقوله: ﴿إِلْحَافًا﴾ جزءاً من ذلك العام، فليس بعدم الإِلحاف ينتفي السؤال، وبيت الشعر ينتفي فيه الأَول بعدم

(١) صدر بيت لزهير، وعجزه: بلى وغيرها الأرواح والديم. انظر عزوه له في: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٧)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٣٨٤)، والعقد الفريد (٦/ ١٨٠).

(٢) من أبيات قالها أبو دلامة في عافية قاضي أبي جعفر المنصور، انظر: طبقات الشعراء لابن المعتز (ص: ٥٨).

(٣) في نور العثمانية: «إلا على المعنى»، بزيادة «على».

الثاني إِذا دخل حرف النفي فيه على شيءٍ متعلق وجوده بوجود الذي يراد أَنه معدوم، والسؤال ليس هكذا مع الإِلحاف، بل الأَمر بالعكس؛ إِذ يعدم الإِلحاف منهم، ويبقى لهم سؤال لا إِلحاف فيه.

ولو كان الكلام: «لا يُلحفُون الناس سؤالاً» لقَرُبَ الشَّبه بالأَبيات المتقدمة، وكذلك لو كان بعد ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ﴾ شيءٌ إِذا عُدم عدم السؤال، كأَنك قلت: تَكَسُّباً أَو نحوه لصح الشبه، والله المستعان.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ وعْدٌ محْض؛ أَي: يعلمه وَيُحْصِيه؛ ليجازيَ عليه ويثيب.

قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: نزلت هذه الآية في علي بن أَبي طالب رضي الله عنه، كانت له أَربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً، وبدرهم علانية[(١)].

وقال ابن جريج: نزلت الآية في رجل فعل ذلك، ولم يسمِّ علياً ولا غيره[(٢)].

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٩٧) بإسناد فيه عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر، عن أبيه، وعبد الوهاب متروك الحديث، وقيل: إنه لم يسمع من أبيه.

(٢) نقله القرطبي (٣/ ٣٤٧)، ونقل ابن المنذر (١/ ٤٩) عنه عن ابن المسيب أنه قال: الآية كلها في عبد الرحمن بن عوف وعثمان في نفقتهما، أو في جيش العسرة، والأثر إنما رُوي عن عون بن عبد الله، كما عند ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٨٢٢)، ولم أجد من رواه عن ابن جريج، كما ذكر المصنف هاهنا، وأما أثر عون بن عبد الله، فهو صحيح إليه، ولكنه معضل، فعون من أتباع التابعين.

وقال ابن عباس أَيضاً: نزلت هذه الآية في علف الخيل[١]، [وقاله[٢] عبد الله بن بشر الغافقي[٣]، وأَبو ذرٍّ، وأَبو أمامة[٤]، والأوزاعي[٥]، وأَبو الدرداءِ[٦]، قالوا: هي في علف الخيل][٧] المرتبطة في سبيل الله.

وقال قتادة: هذه الآية في المنفقين في سبيل الله من غير تبذير ولا تقتير[٨].

قال القاضي أبو محمد: والآية ـ وإِن كانت نزلت في علي بن أَبي طالب ـ فمعناها يتناول كلَّ من فعل فعله، وكل مشَّاءٍ بصدقته في الظُّلَم إِلى مظنَّة الحاجة.

وأَما علف الخيل والنفقة عليها فإِن أَلفاظ الآية تتناولها تناولاً محكماً، وكذلك المنفق في الجهاد، المباشر له إِنما يجيءُ إِنفاقه على رتب الآية.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: كان المؤمنون يعملون بهذه الآيات من قوله: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ إِلى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧١-٢٧٤]، فلما نزلت براءَة بتفصيل الزكاة[٩] قصروا عليها[١٠].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩٢٧) بإسناد صحيح.
(٢) في المطبوع: «وقال».
(٣) نقله عنه في البحر المحيط (٢/ ٧٠١)، وتفسير القرطبي (٣/ ٣٤٦) لم أجد بهذا الاسم وهذه الصفة إلا والد عبد الرحمن صاحب الأندلس، وفي الصحابة عبد الله بن بشر الغنوي، وأثر أبي الدرداء الآتي هو في تفسير الطبري (٥/ ٦٠١) من رواية شيخ من غافق عنه.
(٤) في المطبوع: «أبو أسامة»، ولعله خطأ، وحديث أبي ذر وأبي أمامة أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٤٠/ ٤٥) بإسناد فيه عجلان بن سهل، ويقال: سهيل، وهو ضعيف الحديث، وقد ضعف حديثه هذا البخاري في تاريخه الكبير (٧/ ٦١).
(٥) انظر قوله في: تفسير الثعلبي (٢/ ٢٨٠).
(٦) حديث أبي الدرداءأخرجه الطبري (٥/ ٦٠١)، وفي إسناده راوٍ لم يُسم.
(٧) ليس في السليمانية.
(٨) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٦٠١).
(٩) إشارة إلى الآية (٦٠) من سورة التوبة.
(١٠) أخرجه الطبري (٥/ ٦٠٢) من طريق: العوفي عن ابن عباس.

وقد تقدم القول على نفي الخوف والحزن.

والفاءُ في قوله: ﴿فَلَهُمْ﴾ دخلت لما في ﴿ٱلَّذِينَ﴾ من الإِبهام، فهو يشبه بإِبهامه الإِبهام الذي في الشرط، فحسنت الفاءُ في جوابه كما تحسن في الشرط، وإِنما يوجد الشبه إِذا كان «الذي» موصولاً بفعل، وإِذا لم يدخل على «الذي» عامل يغير معناه.

فإِن قلت: «الذي أَبوه زيد هو عمرو» فلا تحسن الفاءُ في قولك: «فَهُوَ»، بل تلبس المعنى، وإذا قلت: «ليت الذي جاءك[1] جاءَني» لم يكن للفاءِ مدخلٌ في المعنى، وهذه الفاءُ المذكورة إِنما تجيءُ مؤكدة للمعنى، وقد يستغنى عنها إِذا لم يقصد التأكيد كقوله بعد: ﴿لَا يَقُومُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ الآية، الربا: هو الزيادة، وهو مأخوذ من: رَبَا يربو إِذا نَمَا وزاد على ما كان، وغالبه ما كانت العرب تفعله من قولها للغريم: أَتقضي أَم تُرْبِي؟ فكان الغريم يزيد في عدد المال ويصبر الطالب عليه.

ومن الربا البيِّنِ التفاضلُ في النوع الواحد؛ لأَنها زيادة، وكذلك أَكثر البيوع الممنوعة إِنما نجد منعها لمعنى زيادة، إِما في عين مال، وإِما في منفعة لأَحدهما من تأخير ونحوه.

ومن البيوع ما ليس فيه معنى الزيادة، كبيع الثمرة قبل بُدُوِّ صلاحها، وكالبيع ساعة النداءِ يوم الجمعة، فإِن قيل لفاعلها: آكِلُ رباً، فبتجوُّزٍ وتشبيه.

والربا من ذوات الواو، وتثنيته: رِبَـوَان عند سيبويه، ويكتب بالأَلف، قال الكوفيون: يكتب ويثنى بالياءِ لأَجل الكسرة التي في أَوله، وكذلك يقولون في الثلاثي من ذوات الواو إِذا انكسر الأَول أَو انضم نحو «ضحى»، فإِن كان مفتوحاً نحو «صفا» فكما قال البصري[2].

---

(١) في المطبوع: «الذي جاءني جاءني».

(٢) انظر تفصيل ذلك في: مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١٤٣).

ومعنى هذه الآية: الذين يكسبون الربا ويفعلونه، وقصد إِلى لفظة الأَكل؛ لأَنه أَقوى مقاصد الإِنسان في المال، ولأَنها دالة على الجشع، فأُقيم هذا البعض من توابع الكسب مقام الكسب كله، فاللباس والسكنى والادخار والإِنفاق على العيال وغير ذلك داخل كله في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾.

وقال ابن عباس رضي الله عنه[(١)]، ومجاهد، وابن جبير، وقتادة، والربيع، والضحاك، والسدي، وابن زيد[(٢)]: معنى قوله: ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ من قبورهم في البعث يوم القيامة، وقال بعضهم: يجعل معه شيطان يخنقه، وقالوا كلهم: يبعث كالمجنون عقوبة له وتمقيتاً عند جمع المحشر[(٣)].

ويُقَوِّي هذا التأويل المجمع عليه أَنَّ في قراءَة عبد الله بن مسعود: (لا يقومون يوم القيامة [إِلا كما يقوم)][(٤)].

قال القاضي أبو محمد: وأَما أَلفاظ الآية فكانت تحتمل تشبيه حال القائم بحرص وجشع إِلى تجارة الربا بقيام المجنون؛ لأَن الطمع والرغبة تستفزُّه حتى تضطرب أَعضاؤُه، وهذا كما تقول لمسرع في مشيه مخلِّط في هيئة حركاته إِما من فزع أَو غيره: قد جُنَّ هذا.

وقد شبه الأَعشى ناقته في نشاطها بالجنون في قوله:

وتُصْبِحُ مِنْ غِبِّ السُّـرَى وكأَنَّهَا ... أَلـمَّ بهَا من طائِفِ الجِنِّ أَوْلَقُ[(٥)] [الطويل]

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ٩) بإسناد لا بأس به.

(٢) في فيض الله: «ابن أبي زيد».

(٣) انظر هذه الآثار في: تفسير الطبري (٦/ ٩) وما بعدها.

(٤) ليس في جار الله، وكذا أحمد٣ وألحقت في هامشه بدله كلمات غير مقروءة، وفي المطبوع: «كما يقوم المجنون».
وهي قراءة شاذة انظرها في: البحر المحيط (٢/ ٧٠٥)، وفي تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٤٤) عن ضمرة ابن حبيب عن ابن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، أنه كان يقرأ: (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس يوم القيامة)، وأشار لها الطبري في تفسيره (٦/ ١٠)، بلا نسبة.

(٥) البيت في ديوانه (٣٣/ ٢) وانظر عزوه له في: مجاز القرآن (١/ ٢٣٦)، وتفسير الطبري (٦/ ١١)، =

لكن ما جاءَت به قراءَة ابن مسعود، وتظاهرت به أَقوال المفسرين يضعف هذا التأويل.

و﴿يَتَخَبَّطُهُ﴾ يَتَفَعَّله من: خبط يخبط، كما تقول: تملَّكه وتعبَّده وتحمَّله.

و﴿ٱلْمَسِّ﴾: الجنون، وكذلك الأَولق والأَلس والزؤْد[١].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ معناه عند جميع المتأَولين: في الكفار، وأَنه قول بتكذيب الشريعة وردٌّ عليها[٢].

والآية كلها في الكفار المُرْبين نزلت، ولهم قيل: ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ ولا يقال ذلك لمؤمن عاصٍ، ولكن يأخذ العُصاة في الربا بطرف من وعيد هذه الآية.

ثم جزم تعالى الخبر في قوله: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾.

وقال بعض العلماءِ في قوله: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾: هذا على عموم القرآن؛ لأَن العرب كانت تقدر على إِنفاذه؛ لأَن الأَخذ والإِعطاءَ عندها بيع، وكل ما عارض العموم فهو تخصيص منه، وقال بعضهم: هو من مجمل القرآن الذي فسر بالمحلل من البيع، وبالمحرم [من الربا][٣]، والقول الأول عندي أَصح[٤].

قال جعفر بن محمد الصادق: حرم الله الربا ليتقارض الناس[٥]، وقال بعض[٦] العلماءِ: حرمه الله؛ لأَنه مَتْلَفَةٌ للأَموال، مَهْلَكَةٌ للناس.

= والحجة للفارسي (٤/ ١٢٠)، والصحاح للجوهري (٤/ ١٥٦٨)، ومقاييس اللغة (٣/ ٤٣٢)، المحكم والمحيط الأعظم (٩/ ٢٤٣)، والأولق: شبه الجنون.

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٨٣).

(٢) انظر: مثلاً أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٩٠).

(٣) زيادة من المطبوع، فهو عام مراد به الخصوص. انظر أصول السرخسي (١/ ١٣٦ و١٣٧)، والبحر المحيط للزركشي (٢/ ٤٠٠).

(٤) وافق المؤلف في هذا بعض الأصوليين كالشيرازي في التبصرة (١/ ٢٠٠)، وأبي المظفر السمعاني في قواطع الأدلة (١/ ٢٩١).

(٥) تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٥٨٢).

(٦) في المطبوع: «لبعض».

وسقطت علامة التأنيث في قوله: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ﴾؛ لأَن تأْنيث الموعظة غير حقيقي وهي بمعنى: وعظ.

وقرأَ الحسن: (فَمَنْ جَاءَتْه) بإِثبات العلامة[1].

وقوله: ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾؛ أَي: من الربا لا تِبَاعَةَ عليه منه في الدنيا ولا في الآخرة، قاله السدي وغيره[2]، وهذا حكم من الله تعالى لمن أَسلم من كفار قريش وثقيف ومَن كان يتَّجر هنالك.

و﴿سَلَفَ﴾ معناه: تقدم في الزمن وانقضى.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أَربع تأويلات:

أَحدها: أَن الضمير عائد على ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾، بمعنى: وأَمر الربا إِلى الله في إِمرار تحريمه، أَو غير ذلك.

والآخر: أَن يكون الضمير عائداً على ﴿مَا سَلَفَ﴾؛ أَي: أَمره إِلى الله في العفو عنه، وإِسقاط التبعة فيه.

والثالث: أَن يكون الضمير عائداً على ذي الربا، بمعنى: أَمْره إِلى الله في أَن يثبته على الانتهاء، أَو يعيده إِلى المعصية في الربا.

والرابع: أَن يعود الضمير على المنتهي، ولكن بمعنى التأنيس له، وبسط أَمله في الخير، كما تقول: وأَمره إِلى طاعة وخير، وموضع رجاءٍ، وكما تقول: وأَمره في نمو أَو إِقبال إِلى الله وإِلى طاعته، ويجيءُ الأَمر هاهنا ليس في الربا خاصة، بل وجملة أُموره.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ عَادَ﴾ يعني إِلى فعل الربا، والقولِ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ

(١) وهي شاذة انظر عزوها له في: مختصر الشواذ (ص: ٢٤)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٢٨٣)، وإتحاف فضلاء البشر (١/ ٢١٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ١٣٤)، والكشاف للزمخشري (١/ ٣٢١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٦/ ١٤)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٥٣)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٩٠)، والنكت والعيون للماوردي (١/ ٣٥٠).

ٱلرِّبَوٰاْ﴾، وإِن قدرنا الآية في كافر فالخلود خلود تأبيد حقيقي، وإِن لحظناها في مسلم عاصٍ، فهذا خلود مستعار على معنى المبالغة، كما تقول العرب: «ملك خالد»: عبارة عن دوام مَّا، لا على التأبيد الحقيقي.

قوله عز وجل: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾.

﴿يَمْحَقُ﴾ معناه: ينقص ويذهب، ومنه محاق القمر وهو انتقاصه.

(ويُربي الصَّدقات) معناه: ينميها ويزيد ثوابها تضاعفاً، تقول: رَبَت الصدقةُ، وأَرباها الله تعالى ورباها، وذلك هو التضعيف لمن يشاءُ، ومنه قول النبي ﷺ: «إِن صدقة أَحدكم لتقع في يد الله، فيربيها له كما يربي أَحدكم فُلُوَّهُ أَو فصِيله[1] حتى يجيءَ يوم القيامة وإِن اللقمة لعلى قدر أُحد»[2].

قال القاضي أبو محمد: وقد جعل الله هذين الفعلين بعكس ما يظنه الحريص الجشع من بني آدم، يظن الربا يغنيه، وهو في الحقيقة يمحق، ويظن الصدقة تُفْقِره، وهي نماءٌ في الدنيا والآخرة.

وقرأَ ابن الزبير: (يُمَحِّق اللهُ) بضم الياءِ وكسر الحاءِ مشددة، و(يُرَبِّي) بفتح الراءِ وشد الباءِ[3]، ورويت عن النبي ﷺ كذلك[4].

---

(١) كتبت في المطبوع: فصيلة.

(٢) في الصحيحين بنحوه، أخرجه البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (١٠١٤) من حديث أبي هريرة، ولفظ مسلم في إحدى الروايات: «لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه، فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو قلوصه حتى تكون مثل الجبل أو أعظم».

(٣) انظر عزوها له في: بصائر ذوي التمييز (٤/ ٤٨٧)، وتاج العروس (٢٦/ ٣٧٨) وإملاء ما من به الرحمن (١/ ١١٧)، وهي شاذة.

(٤) نقل هذه القراءة القرطبي (٣/ ٣٦٢)، ولم أجدها مسندة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [يقتضي أَن الزجر في هذه الآية للكفار المستحِلِّين للربا، القائلين على وجه التكذيب للشرع: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾.

ووصف الكَفَّار بـ﴿أَثِيمٍ﴾][1] إِما مبالغة من حيث اختلف اللفظان، وإما ليذهب الاشتراك الذي في ﴿كَفَّارٍ﴾؛ إِذ قد يقع على الزارع الذي يستر الحب في الأرض، قاله ابن فُورك، قال: ومعنى قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾؛ أَي: لا يحب الكَفَّار الأَثيم محسناً صالحاً بل يريده مسيئاً فاجراً، ويحتمل أَن يريد: والله لا يحب توفيق الكفَّار الأَثيم[2].

قال القاضي أَبو محمد: وهذه تأويلات مستكرهة:

أَما الأَول فأَفرط في تعدية الفعل، وحمَّله من المعنى مالا يحتمله لفظه.

وأَما الثاني فغير صحيح المعنى، بل الله تعالى يحب التوفيق على العموم ويحببه، والمحب في الشاهد يكون منه ميل إِلى المحبوب، ولطف به، وحرص على حفظه، وتظهر دلائل ذلك.

والله تعالى يريد وجود الكافر على ما هو عليه وليس له عنده مزية الحب بأَفعال تظهر عليه نحو ما ذكرناه في الشاهد، وتلك المزية موجودة للمؤمن.

ولما انقضى ذكرهم عقب بذكر ضدهم؛ ليبين ما بين الحالين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية، وقد تقدم تفسير مثل أَلفاظ هذه الآية، وخص الصلاة والزكاة بالذِّكر ـ وقد تَضَمَّنهُمَا عمل الصالحات ـ تشريفاً لهما، وتنبيهاً على قدرهما؛ إِذ هُمَا[3] رأْس الأعمال: الصلاة في أَعمال البدن، والزكاة في أَعمال المال.

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾.

---

(١) ليس في فيض الله.

(٢) انظر التأويلين: في البحر المحيط (٢/ ٧١٠) عن ابن فورك.

(٣) كتبت في المطبوع: «إِنْهما».

سبب هذه الآية أَنه كان الربا بين الناس كثيراً في ذلك الوقت، وكان بين قريش وثقيف ربا، فكان لهؤلاءِ على هؤلاءِ، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة قال في خطبته في اليوم الثاني من الفتح: «أَلا كُلُّ ربا في الجاهلية موضوع، وأَول ربا/ أَضعه ربا العباس [١/ ١٨٥] ابن عبد المطلب»[١]، فبدأَ ﷺ بعمه وأَخص الناس به، وهذه من سنن العدل لِلإمام أَن يفيض العدل على نفسه وخاصته، فيستفيض حينئذ في الناس.

ثم رجع رسول الله ﷺ إِلى المدينة، واستعمل على مكة عَتَّاب بن أَسِيد[٢]، فلما استنزل أَهل الطائف بعد ذلك إِلى الإِسلام اشترطوا شروطاً منها ما أَعطاه رسول الله ﷺ، ومنها ما لم يعطه، وكان في شروطهم أَن كل ربا لهم على الناس فإِنهم يأخذونه، وكل ربا عليهم فهو موضوع، فيروى أَن رسول الله ﷺ قرر لهم هذه، ثم ردها الله بهذه الآية كما رد صلحه لكفار قريش في رد النساءِ إِليهم عام الحديبية[٣].

وذكر النقاش رواية: أَن رسول الله ﷺ أَمر أَن يكتب في أَسفل الكتاب لثقيف: «لكم ما للمسلِمِينَ وعليكم ما عليهم»[٤]، فلما جاءَت آجال رباهم بعثوا إِلى مكة للاقتضاءِ وكانت الديون لبني غِيَرة[٥]، وهم بنو عمرو بن عمير من ثقيف، وكانت لهم على بني المغيرة المخزوميين[٦]، فقال بنو المغيرة: لا نعطي شيئاً، فإِن الربا قد وُضِع،

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) هو عتّاب بالتشديد، ابن أسيد بفتح أوله، ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس الأموي، أسلم يوم الفتح، واستعمله النبيّ ﷺ على مكة لما سار إلى حنين، ثم استعمله عمر، وتوفي في آخر خلافته، رضي الله عنه. انظر: الإصابة (٤/ ٣٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٦٤) من حديث مروان بن الحكم، والمسور بن مخرمة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) لم أقف عليه، والنقاش غير متوفر.

(٥) هو غيرة كعنبة ابن عوف بن ثقيف، وعمرو بن عمير هوا بن عوف بن عقدة بن غيرة منهم: أبو عبيد ابن مسعود صاحب الجسر وابنه المختار، وأبو محجن الشاعر وأمية بن أبي الصلت. انظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم (١/ ٢٦٨).

(٦) كتبت في المطبوع: «المخزومين»، وهم أبناء المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وفيه بيت بني =

ورفعوا أَمرهم إِلى عتَّاب بن أَسيد بمكة، فكتب به إِلى رسول الله ﷺ فنزلت، وكتب بها رسول الله ﷺ إِلى عتَّاب، فعلمت بها ثقيف فكفَّت[١].

هذا سبب الآية على اختصار مجموع مما روى ابن إِسحاق، وابن جريج، والسدي، وغيرهم[٢]، فمعنى الآية: اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية بترككم ما بقي لكم من ربا وصفحكم عنه.

وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ شرط محض في ثقيف على بابه؛ لأَنه كان في أَول دخولهم في الإِسلام، وإِذا قدرنا الآية فيمن تقرر إِيمانه فهو شرط مجازي على جهة المبالغة، كما تقول لمن تريد إِقامة نفسه: إِن كنت رجلاً فافعل كذا.

وحكى النقاش عن مقاتل بن سليمان أَنه قال: ﴿إِن﴾ في هذه الآية بمعنى: «إذ»[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا مردود لا يعرف في اللغة.

وقال ابن فُورك: يحتمل أَنه يريد: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بمن قبل محمد من الأَنبياءِ ذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بمحمد؛ إِذ لا ينفع الأَول إِلا بهذا[٤]، وهذا مردود بما روي في سبب الآية.

ثم توعدهم تعالى ـ إِن لم يذروا الربا ـ بحرب من الله ورسوله، والحرب داعية القتل.

= مخزوم وعددهم، وهم: هشام، والوليد، وأبو حذيفة واسمه مهشم، وأبو أمية واسمه حذيفة، وهاشم، والفاكه، ونوفل، وأبو ربيعة واسمه عمرو، وعبد الله، وأبو زهير، وعبد شمس، وحفص... ومن أولادهم أبو جهل وخالد بن الوليد. انظر جمهرة أنساب العرب (١/ ١٤٤).

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٥/ ٧٤) من حديث عبد الله بن عباس، بإسناد فيه محمد بن السائب الكلبي، وهو كذاب.

(٢) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٦/ ٢٢-٢٣).

(٣) نقله عن النقاش القرطبي (٣/ ٣٦٣)، وهو في تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٣١٧).

(٤) نقله القرطبي (٣/ ٣٦٣).

وروى ابن عباس: أنه يقال يوم القيامة لآكل الربا: خذ سلاحك للحرب[١].

وقال ابن عباس أَيضاً: من كان مقيماً على الربا لا ينزع عنه، فحقٌّ على إِمام المسلمين أَن يستتيبه، فإِن نزع وإِلا ضرب عنقه[٢].

وقال قتادة: أَوعد الله أَهل الربا بالقتل فجعلهم بهرجاً[٣] أَينما ثقفوا، ثم ردهم تعالى مع التوبة إِلى رؤُوس أَموالهم، وقال لهم: لا تَظْلمون في أَخذ الربا، ولا تُظْلمون في أَن يتمسك بشيءٍ من رؤُوس أَموالكم فتذهب أَموالكم[٤].

ويحتمل أَن يكون ﴿لَا تُظْلَمُونَ﴾ في مطل؛ لأَن «مطلَ الغنيِّ ظلمٌ» [كما قال ﷺ][٥]، فالمعنى أَن يكون القضاءُ مع وضع الربا، وهكذا سنة الصلح، وهذا أَشبه شيءٍ بالصلح، أَلا ترى أَن النبي ﷺ لما أَشار على كعب بن مالك في دَين ابن أَبي حَدْرَد بوضع الشطر، فقال كعب: نعم يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ، للآخر: «قم فاقضِه»[٦]، فتلقى العلماءُ أَمره بالقضاءِ سنة في المصالحات.

وقرأَ الحسن: (مَا بَقِيْ) بكسر القاف وإِسكان الياءِ[٧]، وهذا كما قال جرير:

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ٩)، وابن أبي حاتم (٢٩٢٠) من طريق ربيعة بن كلثوم، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وربيعة وأبوه متكلم فيهما.

(٢) أخرجه الطبري (٦/ ٢٥) وابن أبي حاتم (٢٩١٩) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما به.

(٣) البهرج: الشيء المباح، ومكان بهرج: غير حمى، وبهرج دمه: أهدره وأبطله.

(٤) انظر معناه في: تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٥١)، وتفسير الطبري (٦/ ٣٥).

(٥) ليس في فيض الله والسليمانية، والحديث متفق عليه، أخرجه البخاري (٢١٦٦)، ومسلم (١٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٤٥) ومسلم (١٥٥٨) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

(٧) وهي شاذة. انظر عزوها له في: المحتسب (١/ ١٤١)، والشواذ للكرماني (ص: ١٠٢)، وإتحاف فضلاء البشر (١/ ٢١٢).

هُـوَ الخَلِيفَةُ فَارْضَـوْا مَا رَضِيْ لَكُمُ ... مَاضِي العَزِيمَةِ مَا فِي حُكْمِهِ جَنَفُ[١] [البسيط]

ووجهُها أَنه شبه الياءَ بالأَلف، فكما لا تصل الحركة إِلى الأَلف فكذلك لم تصل هنا إِلى الياءِ، وفي هذا نظر.

وقرأَ أَبو السمال: (مِنَ الرِّبُو) بكسر الراءِ المشددة وضم الباءِ وسكون الواو[٢].

وقال أَبو الفتح: شذَّ هذا الحرف في أَمرين: أَحدهما: الخروج من الكسر إِلى الضم بناءً لازماً، والآخر: وقوع الواو بعد الضمة في آخر الاسم، وهذا شيءٌ لم يأْت إِلا في الفعل نحو: يغزو ويدعو، أَما «ذو» الطائية بمعنى الذي فشاذَّة جداً، ومنهم من يغيّر واوها إِذا فارق الرفع فيقول: رأَيت ذا قام[٣]، وَوَجْه القراءَة أَنه فخَّم الأَلف فانتحى بها الواو التي الأَلف بدل منها، على حدِّ قولهم: الصلاة والزكاة، وهي بالجملة قراءَة شاذة.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، ونافع، وابن عامر، والكسائي: ﴿فَأْذَنُواْ﴾ مقصورة مفتوحة الذال، وقرأَ عاصم في رواية أَبي بكر: ﴿فآذِنُوا﴾ ممدودة مكسورة الذال[٤].

قال سيبويه: آذنت: أَعلمت، وأَذَّنت: ناديت وصوَّتُّ بالإِعلام، قال: وبعض يجري آذنت مجرى أَذنت[٥].

قال أَبو علي: من قال: فأْذنوا فقَصَر معناه: فاعلموا الحرب من الله[٦].

قال ابن عباس وغيره من المفسرين: معناه: فاستيقنوا الحرب من الله تعالى[٧].

---

(١) البيت لجرير في ديوانه (ص: ١٧٥)، وتفسير الزمخشري (١/ ٣٢٢)، والمحتسب (١/ ١٤١)، وضرائر الشعر (ص: ٨٨).
(٢) وهي شاذة. انظر: المحتسب (١/ ١٤٢)، ومختصر الشواذ (ص: ٢٤).
(٣) المحتسب (١/ ١٤٢)، وعليه روي قول الشاعر: فحسبي من ذي عندهم ما كفانيا.
(٤) ووافقه حمزة، وأما حفصٌ فكالجمهور، وهما سبعيتان، انظر: السبعة (١/ ١٩١)، والتيسير (ص: ٨٤).
(٥) الكتاب لسيبويه (٤/ ٦٢).
(٦) الحجة لأبي علي (٢/ ٤٠٤).
(٧) تفسير الطبري (٦/ ٢٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٥٠).

قال القاضي أَبو محمد: وهذا عندي من الإِذن، وإِذا أَذِن المرءُ في شيءٍ فقد قرره وبنى مع نفسه عليه فكأَنه قال لهم: فقرروا الحرب بينكم وبين الله ورسوله، ويلزمهم من لفظ الآية أَنهم مُسْتَدْعُو الحرب والباغون لها؛ إِذ هم الآذنون بها وفيها، ويندرج في هذا المعنى الذي ذكرته عِلمُهم بأَنهم حرب، وتيقنهم لذلك.

قال أَبو علي: من قرأَ: ﴿فآذِنوا﴾، فمَدَّ فتقديره: فأَعْلِمُوا من لم ينتهِ عن ذلك بحرب، والمفعول محذوف، وقد ثبت هذا المفعول في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنبياء: ١٠٩]، وإِذا أُمروا بإِعلام غيرهم عَلِموا هم لا محالة، قال: ففي إِعلامهم عِلْمُهم، وليس في عِلْمِهم إِعلامهم غيرَهم، فقراءَة المد أَرجح لأَنها أَبلغ وآكد[1].

قال الطبري: قراءَة القصر أَرجح؛ لأَنها تختص بهم، وإِنما أُمروا على قراءَة المد بإِعلام غيرهم[2].

قال القاضي أَبو محمد: والقراءَتان عندي سواءٌ؛ لأَن المخاطب في الآية محصور بأَنه كلُّ من لم يذَر ما بقي من الربا، فإِن قيل لهم: ﴿فَأْذَنُواْ﴾ فقد عمهم الأَمر، وإِن قيل لهم: ﴿فآذنُوا﴾ بالمد فالمعنى أَنفسكم/ وبعضكم بعضاً، وكأَن هذه القراءَة تقتضي فسحاً لهم في الارتياءِ والتثبت؛ أَي: فأَعلموا نفوسكم هذا، ثم انظروا في الأَرجح لكم: ترك الربا أَو الحرب. [١/ ١٨٦]

وقرأَ جميع القراءِ: ﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾ بفتح التاءِ، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بضمها، وقد مضى تفسيره.

وروى المفضل عن عاصم: (لا تُظلمون) بضم التاءِ في الأُولى، وفتحها في الثانية[3].

قال أَبو علي: وتترجح قراءَة الجماعة بأَنها تناسب قوله: ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ في إِسناد الفعلين إِلى الفاعل، فيجيءُ ﴿تَظْلِمُونَ﴾ بفتح التاءِ أَشكل بما قبله[4].

---

(١) كتبت في المطبوع: «وآكذ».
(٢) تفسير الطبري (٦/ ٢٤).
(٣) انظر: السبعة (١/ ١٩٢)، جامع البيان للداني (٢/ ٩٤١)، وليست من طرق التيسير ٠
(٤) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ٤١٤).

قوله عز وجل: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾.

حكم الله تعالى لأَرباب الربا برؤُوس أَموالهم عند الواجدين للمال، ثم حكم في ذي العسرة بالنظرة إِلى حالة اليسر، قال المهدوي: وقال بعض العلماءِ: هذه الآية ناسخة لما كان في الجاهلية مَن بيع من أَعسر بديْن[١]، وحكى مكي: أَن النبي ﷺ أَمر به في صدر الإِسلام[٢]، فإِن ثبت فعلُ النبي ﷺ فهو نسخ، وإِلا فليس بنسخ.

و«العسْر»: ضيق الحال من جهة عدم المال، ومنه: جيش العسرة.

و«النظِرة»: التأخير، و«الميْسرة»: مصدر بمعنى اليُسر، وارتفع ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ بـ﴿كَانَ﴾ التامة التي هي بمعنى وُجد وحَدث، هذا هو قول سيبويه، وأَبي علي، وغيرهما[٣]، ومن هنا يظهر أَن الأَصل الغنى ووفور الذمة، وأَن العدم طارئٌ حادث يلزم أَن يثبت.

وقال بعض الكوفيين، وحكاه الطبري: بل هي «كان» الناقصة، والخبر محذوف تقديره: وإِن كان من غرمائكم ذو عسرة، وارتفع قوله: ﴿فَنَظِرَةٌ﴾ على خبر ابتداءٍ مقدر، تقديره: فالواجب نظرة، أو فالحكم نظرة[٤].

---

(١) حكاه عنه القرطبي (٣/ ٣٧١)، وانظر الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٢٦١) وما بعدها.
(٢) لا يصح، أخرجه البيهقي في الكبرى (٦/ ٥٠) من طريق إبراهيم بن الحسن، وهو المصيصي، قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، أخبرني عمرو بن دينار، عن أبي سعيد الخدري، مرفوعاً به. قال البيهقي: رواه غيره عن حجاج بن محمد بالشك في إسناده، ثم ساقه من طريق: يوسف بن سعيد، وهو المصيصي، قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن أبي سعيد، أو أبي سعد، مرفوعاً به. وهو عند الدارقطني في سننه (٣/ ٤٠٥)، ويوسف بن سعيد أثبت وأوثق من إبراهيم بن الحسن، فمع الشك فيه، فابن جريج مدلس، وقد عنعن، والحديث على أهميته قد خلا منه مسند أحمد والكتب الستة، وانظر: الهداية لمكي (١/ ٩١٣).
(٣) الحجة للقراء السبعة لأبي علي (٢/ ٤٣٩)، والكتاب لسيبويه (١/ ٢٦٠).
(٤) تفسير الطبري (٦/ ٢٩).

قال الطبري: وفي مصحف أُبي بن كعب: (وَإن كَانَ ذَا عُسْرَةٍ)[١]، على معنى: وإن كان المطلوب، وقرأ الأعمش: (وإنْ كان مُعْسِراً فَنَظِرَة)[٢].

قال أَبو عمرو الداني، عن أَحمد بن موسى[٣]: وكذلك في مصحف أُبي بن كعب[٤].

قال مكي، والنقاش: وعلى هذا يختص لفظ الآية بأَهل الربا، وعلى من قرأَ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ بالواو[٥] فهي عامة في جميع مَن عليه دين[٦]، وهذا غير لازم.

وحكى المهدوي: أَن في مصحف عثمان: (فإنْ كان) بالفاءِ ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ بالواو[٧].

وقراءَة الجماعة: ﴿نَظِرة﴾ بكسر الظاءِ، وقرأَ مجاهد، وأَبو رجاءٍ، والحسن: (فنَظْرة) بسكون الظاءِ، وكذلك قرأَ الضحاك[٨]،[وهي على تسكين الظاء من (نَظِرة)][٩]، وهي لغة تميمية، وهم الذين يقولون: كرْم[١٠] زيد بمعنى: كرُم، ويقولون: كبْد في كبد، وكتْف في كتف.

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٢٩)، معاني القرآن للفراء (١/ ١٨٦)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٢٨٦).

(٢) انظر قراءة الأعمش في تفسير الثعلبي (٢/ ٢٨٦)، والشواذ للكرماني (ص: ١٠٢).

(٣) هو ابن مجاهد صاحب كتاب السبعة في القراءات.

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٣٧٣)، والبحر المحيط (٢/ ٧١٦).

(٥) يعني برفع (ذو) وهي قراءة العامة، وقوله: وعلى هذا: يعني قراءة (ذا) بالنصب، ولفظة «بالواو» ليست في فيض الله والسليمانية.

(٦) انظر: الهداية لمكي (١/ ٩١٢)، ونقله القرطبي (٣/ ٣٧٣)، وأبو حيان (٢/ ٧١٦)، ووافقا ابن عطية على رده.

(٧) أي: بالرفع وبالفاء في (فإن) وهي شاذة. انظر نقله عنه في: تفسير القرطبي (٣/ ٣٧٣)، والبحر المحيط (٢/ ٧١٦)، والذي في التحصيل للمهدوي (١/ ٦٠١): وذكر بعضهم أنها في مصحف عثمان رضي الله عنه: (وإن كان ذا عسرة)؛ أي: بالواو، و(ذا) بالألف.

(٨) وهي شاذة. انظر عزوها لهم إلا الضحاك في: المحتسب (١/ ١٤٣)، وللكل في البحر المحيط (٢/ ٧١٧).

(٩) ليس في المطبوع.

(١٠) في السليمانية: «كرم الله زيد»، وفي أحمد٣: «كرم الله»، وفي الهامش: زيد، وعليهما علامة «ح»، وفي جار الله: لفظ الجلالة ممحو، وفي الهامش: زيد وعليها علامة تصحيح.

وقرأ عطاء بن أَبي رباح: (فَنَاظِرَة) على وزن فاعِلة[١]، وقال الزجاج: هي من أَسماءِ المصادر، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢]، وكقوله تعالى: ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٥]، وكـ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ [غافر: ١٩]، وغيره[٢].

وقرأ نافع وحده: ﴿مَيْسُرَةٍ﴾ بضم السين، وقرأ باقي السبعة، وجمهور الناس: ﴿مَيْسَرَةٍ﴾ بفتح السين[٣]، على وزن مَفْعَلة، وهذه القراءَة أَكثر في كلام العرب؛ لأَن مَفعُلة بضم العين قليل.

قال أَبو علي: قد قالوا: مَشْرُفة[٤]، ومَشرُبة ولكن مَفْعَلَة بفتح العين أَكثر في كلامهم[٥].

وقرأ[٦] عطاءُ بن أَبي رباح أَيضاً ومجاهد: (فَنَاظِرْهُ إِلى مَيْسُرِهِ) على الأمر في (نَاظِرْهُ)[٧]، وجعلا الهاءَ ضمير الغريم، وضَّما السين من (مَيسُرِهِ)، وكسرا الراء، وجعلا الهاءَ ضمير الغريم، فأَما (نَاظِرْهُ) ففاعِلْهُ من التأخير، كما تقول: سامِحْهُ، وأَمَّا «مَيْسُر» فشاذٌّ.

---

(١) ظاهر كلام الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٥٩)، أنها بهاء التأنيث وذلك يستلزم فتح الراء، ونقل عنه النحاس في إعراب القرآن (١/ ١٣٥) أنها قراءة، ولم ينسبها، والذي في المحتسب (١/ ١٤٣) عن عطاء: (فناظِرُهُ بالألف، والهاء كناية)، وذلك يستلزم ضم الراء، وصرح به الثعلبي في تفسيره (٢/ ٢٨٦) وإن كان عزو القراءتين انعكس فيه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٥٩).

(٣) وهما سبعيتان انظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٩٢)، التيسير في القراءات السبع (ص: ٨٥).

(٤) في الأصل والمطبوع: «مسربة»، وفي «الحجة» المنقول منه: «مشرقة ومسربة».

(٥) الحجة لأبي علي (٢/ ٤١٥).

(٦) في نور العثمانية: «وقال».

(٧) وهي شاذة انظر عزوها لمجاهد في: الهداية لمكي (١/ ٩١١)، ولعطاء في معاني القرآن للنحاس (١/ ٣١١)، والمحتسب (١/ ١٤٣).

قال سيبويه: ليس في الكلام «مَفْعُل»[١]، قال أَبو عليٍّ: يريد في الآحاد[٢]، فأَما في الجمع فقد جاءَ قول عدِيٍّ بن زيد[٣]:

[الرمل] أَبْـلِـغِ النُّـعْمَـانَ عَـنِّـي مَـأْلُـكاً أَنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِـي وَانْتِظَارِي[٤]

وقول جميل:

[الطويل] بُثَيْـنُ الْزَمِـي لَا إنَّ لَا إِنْ لَزِمْتِـهِ عَلَى كَثْرَةِ الوَاشِـينَ أَيُّ مَعُونِ[٥]

فالأَول: جمع مأْلُكة، والآخر: جمع معونة، وقال ابن جنِّي: إِن عديّاً أراد مَأْلُكة فحذف، وكذلك جميل أَراد؛ أَي: مَعُونة، وكذلك قول الآخر:

[الرجز] .... لِيَـوْمِ رَوْعٍ أَوْ فعَـالِ مَكْـرُمِ[٦]

أَراد مكْرُمَةً فحذف، قال: ويحتمل أَن تكون جموعاً كما قال أَبو علي[٧].

قال القاضي أَبو محمد: فإِن كان ميْسُر جمع ميْسُرة فيجري مجرى هذه الأَمثلة، وإِن كان قارئه أَراد به الإِفراد فذلك شاذٌّ، وقد خطَّأَه بعض الناس، وكلام سيبويه يرده.

---

(١) الكتاب لسيبويه (٤/ ٩٠).
(٢) الحجة لأبي علي (٤/ ٤١٦).
(٣) في نور العثمانية: «عدي بن حاتم»، وهو خطأ.
(٤) البيت لعدي بن زيد العبادي كما في الاشتقاق (ص: ٢٦)، والأغاني (٢/ ١٠٥)، ومقاييس اللغة (١/ ١٣٣)، والمحكم (٧/ ٨٩)، والشعر والشعراء (١/ ٢٢٣)، والعقد الفريد (٦/ ١١٠)، وفي جار الله وأحمد٣: «أبلغا».
(٥) هو لجميل بثينة. انظر: ديوانه (ص: ١١٢)، والحجة للفارسي (٢/ ٤١٦)، ومعجم ديوان الأدب (١/ ٢٨٧)، والصحاح للجوهري (٥/ ٢٠٢١)، والمحكم (٢/ ٣٦٧)، وأدب الكاتب (ص: ٥٨٨).
(٦) البيت لأبي الأخزر الحماني كما في لسان العرب (١٢/ ٥١٢)، وتاج العروس (٣٣/ ٣٣٨)، وقبله: نِعمَ أخو الهيجاء في اليوم اليمي، واستشهد به بلا نسبة معاني القرآن للفراء (٢/ ١٥٢)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٩٤)، والمحتسب (١/ ١٤٤)، وإصلاح المنطق (ص: ١٦٤).
(٧) المحتسب (١/ ١٤٤).

واختلف أَهل العلم هل هذا الحكم بالنظرة إِلى الميسرة واقف على أَهل الربا، أَو هو منسحب على كل ذي ديْن حلال؟[(١)]:

فقال ابن عباس، وشريح: ذلك في الربا خاصة[(٢)]، وأَما الديون وسائر الأمانات فليس فيها نظرة، بل تؤَدى إِلى أَهلها، وكأَن هذا القول يترتب إِذا لم يكن في فقر مدقع، وأَما مع الفقر والعُدم الصريح، فالحكم هي النظرة ضرورة.

وقال جمهور العلماءِ: النظرة إِلى الميسرة حكم ثابت في المعسر سواءٌ كان الديْن رباً، أَو من تجارة، في ذمة[(٣)]، أَو من أَمانة[(٤)]، فسره الضحاك[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾ ابتداءٌ وخبره ﴿خَيْرٌ﴾، وندب الله تعالى بهذه الأَلفاظ إِلى الصدقة على المعسر، وجعل ذلك خيراً من إِنظاره، قاله السدي، وابن زيد، والضحاك، وجمهور الناس.

وقال الطبري: وقال آخرون: معنى الآية: وأَن تصدقوا على الغني والفقير خيرٌ لكم، ثم أَدخل الطبري تحت هذه الترجمة أَقوالاً لقتادة، وإِبراهيم النخعي لا يلزم منها ما تضمنته ترجمته، بل هي كقول جمهور الناس، وليس في الآية مدخل للغني[(٦)].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿تصّدقوا﴾ بتشديد الصاد على الإِدغام من «تتصدقوا»، وقرأَ عاصم: ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾ بتخفيف الصاد[(٧)]، وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (وأَنْ تَتَصَدّقوا) بفك الإِدغام[(٨)].

---

(١) في المطبوع والأصل: «حال».
(٢) انظر هذا القول في: تفسير الطبري (٦/ ٣٠).
(٣) في فيض الله: «أو في ذمة».
(٤) في المطبوع هنا زيادة: «وبذلك».
(٥) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٣٣).
(٦) انظر قول الطبري، ونقله عمَّن ذكر في: تفسير الطبري (٦/ ٣٦)، ووافق ابن عطية القرطبي (٣/ ٣٧٤).
(٧) فهما سبعيتان انظر: السبعة لابن مجاهد (ص: ١٩٢)، والتيسير للداني (ص: ٨٥).
(٨) وهي شاذة لمخالفة الرسم انظر عزوها له في: إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٣٥).

وروى سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب أَنه قال: كان آخر ما أُنزل من
[١/ ١٨٧] القرآن / آية الربا، وقبض رسول الله ﷺ ولم يفسرها لنا، فدعوا الربا، والريبة[١]، وقال ابن عباس: آخر ما نزل آية الربا[٢].

قال القاضي أَبو محمد: ومعنى هذا عندي أَنها من آخر ما نزل؛ لأَن جمهور الناس ابن عباس[٣]، والسدي، والضحاك، وابن جريج، وغيرهم قالوا: آخر آية نزلت قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٤].

وقال سعيد بن المسيب: بلغني أَن أَحدث القرآن بالعرش آية الدَّيْن[٥].

[وروي أَن قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ نزلت قبل موت النبي ﷺ بتسع ليال[٦]][٧]، ثم لم ينزل بعدها شيءٌ، وروي: بثلاث ليال، وروي: أَنها نزلت قبل موته بثلاث ساعات، وأَنه قال ﷺ: «اجعلوها بيْن آية الرِّبا وآية الدَّيْن»[٨]، وحكى مكي: أَن النبي ﷺ قال: «جاءَني جبريل فقال: اجعلها على رأْس مائتين وثمانين آية من البقرة»[٩].

---

(١) في إسناده ضعف، أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (٢٢) من طريق: ابن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عمر.

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٧٠) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) إسناده صحيح، أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٣٠٧)، والطبري (٦/ ٤٠-٤١) من طريق الحسين ابن واقد، عن يزيد بن أبي سعيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس به.

(٤) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٦/ ٣٦)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٦٥).

(٥) أخرجه الطبري (٦/ ٤١) من طريق يونس بن يزيد الأيلي، عن ابن شهاب، قال: حدثني سعيد بن المسيب به، وخالف معمرٌ يونسَ الأيليَّ، فرواه عن ابن شهاب، قال: بلغني عن سعيد بن المسيب، فذكره، أورده ابن أبي حاتم في العلل (٤/ ٧٠٤)، وقال: قال أبو زرعة: حديث معمر أحب إلي، وكذا فابن المسيب لم يذكر من أخبره بهذا.

(٦) أما القول بالليال التسع فأخرجه الطبري (٦/ ٤١) من طريق ابن جريج قال: يقولون إن النبي ﷺ مكث بعدها تسع ليال، وهذا إسناد ضعيف لإعضاله، وما تلاها من مرويات فلم أقف لها على أسانيد.

(٧) ليس في نور العثمانية.

(٨) هذه الروايات الثلاث الأخيرة لم نجدها مسندة، وقد نقلها الثعالبي في الجواهر الحسان (١/ ٥٤٤).

(٩) الهداية لمكي (١/ ٩١٥)، والحديث لم أقف عليه مسنداً.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى آخر الآية وعظٌ لجميع الناس، وأَمر يخص كل إِنسان و﴿يَوۡمًا﴾ منصوب على المفعول، لا على الظرف.

وقرأَ أَبو عمرو بن العلاءِ: ﴿تَرْجِعُونَ﴾ بفتح التاءِ وكسر الجيم، وقرأَ باقي السبعة: ﴿تُرۡجَعُونَ﴾ بضم التاءِ وفتح الجيم[١]، فمثل قراءَة أَبي عمرو: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ﴾ [الغاشية: ٢٥]، ومثل قراءَة الجماعة: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٦٢]، ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٦].

والمخاطبة في القراءَتين بالتاءِ على جهة المبالغة في الوعظ والتحذير.

وقرأَ الحسن: (يرجعون) بالياءِ على معنى: يرجع جميع الناس[٢].

قال ابن جني: كأَن الله تعالى رَفَق بالمؤمنين على أَن يواجههم بذكر الرجعة؛ إِذ هي مما تنفطر له القلوب، فقال لهم: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا﴾، ثم رجع في ذكر الرجعة؛ إِلى الغيبة رفقاً بهم[٣].

وقرأَ أُبي بن كعب: (يوماً تُرَدُّونَ) بضم التاءِ[٤].

وجمهور العلماءِ على أَن هذا اليوم المحَذَّر منه هو يوم القيامة والحساب والتوفية، وقال قوم: هو يوم الموت[٥]، والأول أَصح بحكم الألفاظ في الآية.

وفي قوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ مضاف محذوف تقديره: إلى حكم الله، وفصل[٦] قضائه.

وقوله: ﴿وَهُمۡ﴾ ردٌّ على معنى ﴿كُلُّ نَفۡسٖ﴾، لا على اللفظ، إِلا على قراءَة الحسن: (يرجعون)، فقوله: ﴿وَهُمۡ﴾ ردٌّ على ضمير الجماعة في (يرجعون).

---

(١) فهما سبعيتان انظر: التيسير للداني (ص: ٨٥)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ١٩٣).
(٢) وهي شاذة. انظر عزوها له في: المحتسب (١/ ١٤٥).
(٣) المحتسب (١/ ١٤٥).
(٤) وهي شاذة لمخالفة الرسم انظر: مختصر الشواذ (ص: ٢٥)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٢٨٩).
(٥) انظر القولين في: الهداية لمكي (١/ ٩١٤، ٩١٥).
(٦) كتبت في المطبوع: «وفضل».

وفي هذه الآية نص على أَن الثواب والعقاب متعلق بكسب الإِنسان، وهذا ردٌّ على الجبرية.

قوله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ ...﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنه: نزلت هذه الآية في السَّلَم خاصة[(١)]، معناه أَن سَلَم أَهل المدينة كان سبب هذه الآية، ثم هي تتناول جميع المداينات إِجماعاً.

وبين تعالى بقوله: ﴿بِدَيْنٍ﴾ ما في قوله: ﴿تَدَايَنتُم﴾ من الاشتراك؛ إِذ قد يقال في كلام العرب: «تداينوا» بمعنى: جازى بعضهم بعضاً.

ووصفُه الأَجل بـ﴿مُّسَمًّى﴾ دليل على أَن الجهالة[(٢)] لا تجوز، فكأَن الآية رفضتها، وإِذا لم تكن تسميةٌ وحدٌّ فليس هناك أَجلٌ.

وذهب بعض الناس إِلى أَن كَتْب الديون واجبٌ على أَربابها، فُرِضَ بهذه الآية، وذهب الربيع[(٣)] إِلى أَن ذلك وجب بهذه الأَلفاظ، ثم خفَّفه الله تعالى بقوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [البقرة: ٢٨٣][(٤)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٢٧٧)، وعبد الرزاق (٨/ ٥)، والطبري (٦/ ٤٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٨) من طريق: قتادة عن أبي حسان الأعرج عن ابن عباس بلفظ: أشهد أن السلف المضمون إلى أجل مسمى قد أحله الله في الكتاب، وأذن فيه، وقرأ الآية. وإسناده مستقيم إذا سلم من تدليس قتادة.

(٢) في نور العثمانية: «المجهلة».

(٣) هو: أبو يزيد الربيع بن خثيم الثوري، أحد أئمة التابعين، روى عن عبد الله بن مسعود وأبي أيوب الأنصاري وغيرهم من الصحابة، وروى عنه الشعبي والنخعي وغيرهم، وتوفي في خلافة معاوية. تهذيب الكمال (١/ ٤٢٨)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٢١).

(٤) انظر قول الربيع في: تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٥٥)، وتفسير الطبري (٦/ ٤٧)، ونسب الأول للضحاك وابن جريج.

وقال الشعبي: كانوا يرون أَن قوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ﴾ ناسخ لأَمره بالكَتْب، وحكى نحوه ابن جريج، وقاله ابن زيد(١)، وروي عن أَبي سعيد الخدري(٢).

وقال جمهور العلماءِ: الأَمر بالكتب ندبٌ إِلى حفظ الأَموال، وإِزالة الريب، وإِذا كان الغريم تقياً فما يضرُّه الكتاب، وإِن كان غير ذلك فالكتاب ثقافٌ في دينه، وحاجة صاحب الحق، وقال بعضهم: إِن أَشهدت فحزمٌ، وإِن ائتمنت ففي حل وسعة، وهذا هو القول الصحيح، ولا يترتب نسخ في هذا؛ لأَن الله تعالى ندب إِلى الكتب فيما للمرءِ أَن يهبه ويتركه بإِجماع، فندبه إِنما هو على جهة الحيطة للناس.

ثم أَخبر تعالى أَنه سيقع الائتمان [فقال: إِن وقع ذلك ﴿فَلْيُؤَدِّ﴾ الآية، فهذه وصية للذين عليهم الديون، ولم يجزم تعالى الأَمر نصّاً بأَن لا يكتب إِذا وقع الائتمان](٣).

وأَما الطبري رحمه الله فذهب إِلى أَن الأَمر بالكتب فرض واجب، وطوَّل في الاحتجاج، وظاهر قوله أَنه يعتقد الأَوامر على الوجوب حتى يقوم دليل على غير ذلك(٤).

واختلف الناس في قوله تعالى ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ﴾، فقال عطاءٌ وغيره: واجب على الكاتب أَن يكتب، وقال الشعبي، وعطاءٌ أَيضاً: إِذا لم يوجد كاتب سواه فواجب عليه أَن يكتب، فقال السدي: هو واجب مع الفراغ(٥).

---

(١) انظر: تفسير عبدالرزاق (١/ ١١١)، وتفسير الطبري (٦/ ٤٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢٣٢)، وابن ماجه (٢٣٦٥)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٣٠٧) كلهم من طريق محمد بن مروان العقيلي، قال: حدثنا عبد الملك بن أبي نضرة، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ قال: نسختها: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾، قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن عبد الملك بن أبي نضرة إلا محمد بن مروان. اهـ.
ومحمد بن مروان هذا متكلم فيه، وهو إلى الضعف أقرب، ولا سيما فيما تفرد به من مرويات، ولم يتابع عليه كما صرح به الطبراني.

(٣) ليس في السليمانية.

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٥٣).

(٥) انظر الأقوال الثلاثة في: تفسير الطبري (٦/ ٧٢) وما بعدها، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٥٧).

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾، معناه: بالحق والمعدلة، والباءُ متعلقة بقوله تعالى: ﴿وَلْيَكْتُب﴾، وليست متعلقة بـ﴿كَاتِبٌ﴾؛ لأَنه كان يلزم أَلا يكتب وثيقة إِلا العدل في نفسه، وقد يكتبها الصبي والعبد والمسخوط إِذا أقاموا فقهها، أَما المنتصبون لكتبها فلا يجوز للولاة أَن يتركوهم إِلا عدولاً مرضيين، وقال مالك رحمه الله: لا يكتب الوثائق من الناس إِلا عارف بها، عدل في نفسه، مأمون؛ لقوله تعالى: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾[١].

ثم نهى الله تعالى الكاتب عن الإِباية.

وأَبى يأبى شاذ لم يجئْ إِلا قَلَى يَقْلَى وأَبى يأْبى، ولا يجيءُ فَعَلَ يفْعَلُ بفتح العين في المضارع إِلا إِذا رده حرف حلق، قال الزجاج: والقول في أَبى أَن الأَلف فيه أَشبهت الهمزة، فلذلك جاءَ مضارعه يفعَل بفتح العين[٢].

وحكى المهدوي عن الربيع والضحاك أَن قوله: ﴿وَلَا يَأْبَ﴾ منسوخ بقوله: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾[٣].

والكاف من قوله: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ متعلق بقوله ﴿أَن يَكْتُبَ﴾، المعنى: كتْباً كما علَّمه الله، هذا قول بعضهم، ويحتمل أَن تكون ﴿كَمَا﴾ متعلقة بما في قوله: ﴿وَلَا يَأْبَ﴾ من المعنى؛ أَي: كما أَنعم الله عليه بعلم الكتابة فلا يأْب هو، وليُفضِلْ كما أَفضَلَ اللهُ عليه، ويحتمل أَن يكون الكلام على هذا المعنى تاماً عند قوله: ﴿أَن يَكْتُبَ﴾، ثم يكون قوله: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ / ابتداءَ كلام، وتكون الكاف متعلقة بقوله: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾. [١/ ١٨٨]

أَما إِذا أَمكن الكتاب فليس يجب الكَتْب على معين، ولا وجوب الندب، بل له الامتناع، إِلا إِن استأْجره، وأَما إِذا عُدِمَ الكاتب فيتوجه وجوب الندب حينئذ على

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٣٨٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٦٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٥٣)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٨٨)، وانظر قول المهدوي في: التحصيل (١/ ٦٠٣).

الحاضر، وأَما الكتْب في الجملة فندب، كقوله تعالى: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ﴾ [الحج: ٧٧]، وهو من باب عون الضائع[١] [حسب الحديث][٢].

قوله عز وجل: ﴿...وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ...﴾.

أَمر الله تعالى الذي عليه الحق بالإِملاءِ؛ لأَن الشهادة إِنما تكون بحسب إِقراره، وإِذا كتبت الوثيقة وأَقر بها فهو كإِملاله[٣]، وأَمره الله بالتقوى فيما يمِل، ونهى عن أَن يبخس شيئاً من الحق، والبخس: النقص بنوع من المخادعة والمدافعة، وهؤلاءِ الذين أُمِروا بالإِملال هم المالكون لأَنفسهم إِذا حضروا.

ثم ذكر الله تعالى ثلاثة أَنواع تقع نوازلهم في كل زمن، فقال:

﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا﴾، وكون الحق يترتب في جهات سوى المعاملات، كالمواريث إِذا قسمت، وغير ذلك.

و«السفيه»: المهلهل الرأْي في المال الذي لا يُحسن الأَخذ لنفسه ولا الإِعطاءَ منها، مشبه بالثوب السفيه وهو الخفيف النسج، والسَّفه: الخفة، ومنه قول الشاعر وهو ذو الرمة:

مَشَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ ... أَعَالِيَهَا مَرُّ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ[٤] [الطويل]

وهذه الصفة[٥] في الشريعة لا تخلو من حجر أَب أَو وصي، وذلك هو وَلِيُّه.

(١) يعني ما في الصحيحين من حديث أبي ذر: قلت: يا رسول الله: أي الأعمال أفضل؟، فذكر الحديثَ وفيه: فأي الرقاب أفضل؟ قال: «أنفسها عند أهلها، وأكثرها ثمناً»، قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «تعين ضائعاً، أو تصنع لأخرق».

(٢) ما بين المعكوفتين زيادة من نور العثمانية، وهو ملحق في هامش الأصل وعليه علامة «خ».

(٣) في السليمانية: «لإملائه».

(٤) الديوان (ص: ٧٥٤)، والكتاب (١/ ٥٢، ٦٥)، والمحتسب (١/ ٢٣٧)، وقد تقدم في تفسير الآية (١٣) من هذه السورة.

(٥) في فيض الله: «القصة».

ثم قال: ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ والضعيف: هو المدخول العقل، الناقص الفطرة، وهذا أَيضاً قد يكون ولِيُّه أَباً أَو وصياً.

والذي لا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هو: الصغير، ووليُّه: وصيُّه أَو أَبوه.

والغائب عن موضع الإِشهاد إِما لمرض أو لغير ذلك من العذر، ووليُّه وكيله.

وأَما الأَخرس فيسوغ أَن يكون من الضعفاءِ، والأَولى أَنه ممن لا يستطيع، فهذه أَصناف تتميز، وقد تجد من ينفرد بواحد واحد منها، وقد يجتمع منها اثنان في شخص، وربما اجتمعت كلها في شخص، وهذا الترتيب ينتزع من قول مالك وغيره من العلماءِ الحذاق[١].

وقال بعض الناس: السفيه: الصبي الصغير، وهذا خطأٌ، وقال قوم: الضعيف: هو الكبير الأَحمق، وهذا قول حسن[٢].

وجاءَ الفعل مضاعفاً في قوله: ﴿أَن يُمِلَّ﴾؛ لأَنه لو فُكَّ لتوالت حركات كثيرة، والفك في هذا الفعل لغة قريش[٣].

و﴿بِٱلْعَدْلِ﴾ معناه: بالحق وقصد الصواب.

وذهب الطبري إِلى أَن الضمير في ﴿وَلِيُّهُۥ﴾ عائدٌ على الحق، وأَسند في ذلك عن الربيع[٤]، وعن ابن عباس[٥].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا عندي شيءٌ لا يصح عن ابن عباس، وكيف

---

(١) انظر: المدونة (٢/ ٧٩).

(٢) انظر الأقوال في: تفسير الطبري (٦/ ٥٧و ٥٩)، وتفسير ابن أَبي حاتم (٢/ ٥٥٩)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٢٩٢).

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٩٨).

(٤) انظر: تفسيره (٣/ ١٢٣).

(٥) أخرجه الطبري (٦/ ٥٩) من رواية عطية بن سعد العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، والعوفي ضعيف مدلس، وقد عنعنه.

تشهد البيّنة على شيءٍ وتدخل مالاً في ذمة السفيه بإملال الذي له الدين؟ هذا شيءٌ ليس في الشريعة، والقول ضعيف إلا أَن يريد قائله أَن الذي لا يستطيع أَن يمِلَّ بمرضه إِذا كان عاجزاً عن الإِملاءِ فليملل صاحب الحق بالعدل، ويسمع الذي عجز فإِذا كمل الإِملاءُ أَقرَّ به، وهذا معنى لم تُعن الآية إِليه، ولا يصح هذا إِلا فيمن لا يستطيع أَن يمل بمرض فقط.

قوله عز وجل: ﴿...وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ...﴾.

«الاستشهاد»: طلب الشهادة، وعبر ببناءِ مبالغة في: ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ دلالة على من قد شهد وتكرر ذلك منه، فكأَنها إِشارة إِلى العدالة.

وقوله تعالى: ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾ نص في رفض الكفار والصبيان والنساءِ.

وأَما العبيد فاللفظ يتناولهم، واختلف العلماءُ فيهم:

فقال شريح: وإِسحاق بن راهويه، وأَحمد بن حنبل: شهادة العبد جائزة إِذا كان عدلاً، وغلَّبوا لفظ الآية، وقال مالك، والشافعي، وأَبو حنيفة، وجمهور العلماءِ: لا تجوز شهادة العبد، وغلبوا نقص الرق[(١)].

واسم «كان» الضمير الذي في قوله: ﴿يَكُونَا﴾، والمعنى في قول الجمهور: فإِن لم يكن المستشهد رجلين؛ أَي: إِن أَغفل ذلك صاحب الحق أَو قصده لعذر مَّا، وقال قوم: بل المعنى: فإِن لم يوجد رجلان، ولا يجوز استشهاد المرأَتين إِلا مع عدم الرجال، وهذا قول ضعيف، ولفظ الآية لا يعطيه، بل الظاهر منه قول الجمهور.

وقوله: ﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾ مرتفع بأَحد ثلاثة أشياءَ: إما أَن يقدر: فليُسْتَشْهَدْ

---

(١) انظر: مسائل الإمام أحمد وإسحاق (٨/ ٤١٠٤)، والشرح الكبير لابن قدامة (١٢/ ٦٥)، وأحكام القرآن لإلكيا الهراسي (١/ ١٧٨)، والذخيرة للقرافي (١٠/ ٢٥٤).

رجل وامرأَتان، وإِما فليكن رجل وامرأَتان، ويصح أَن تكون ﴿يَكُونَا﴾ هذه التامة والناقصة، ولكن التامة أَشبه؛ لأَنه يقل الإِضمار، وإِما: فرجل وامرأَتان يشهدون، وعلى كل وجه فالمقدر هو العامل في قوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾.

وروى متٌّ[١] بن عبد الرحمن عن بعض أَهل مكة أَنهم قرؤُوا: ﴿وامْرَأْتَان﴾ بهمز الأَلف ساكنة[٢]، قال ابن جني: لا نظير لتسكين الهمزة المتحركة على غير[٣] قياس، إِنما خففوا الهمزة فقربت من الساكن، ثم بالغوا في ذلك فصارت الهمزة أَلفاً ساكنة، كما قال الشاعر:

[الطويل] يَقُولُونَ جَهْلاً لَيْسَ لِلشَّـيْخِ عَيِّلٌ لَعَمْرِي لَقَدْ أَعْيَلْتُ وَأْنَ رَقُوبُ[٤]

يريد: وأَنا، ثم بعد ذلك يدخلون الهمزة على هذه الأَلف كما هي، وهي ساكنة[٥]، [وفي هذا نظر][٦]، ومنه قراءَة ابن كثير: ﴿عَنْ سَأْقَيْهَا﴾ [النمل: ٤٤][٧]، وقولهم: بَأْز، وخَأْتم[٨].

قال أَبو الفتح: فإِن قيل: شبهت الهمزة بالأَلف في أَنها ساوتها في الجهر والزيادة

---

(١) في المطبوع: «حميد»، وكذا في الأصل، وفي هامشه: «مت»، وعليها علامتا «صح» و«خ»، وهو محمد ابن عبد الرحمن النيسابوري النحوي يُعرف بمت، عرض القراءة على عيسى بن عمر الكوفي عن طلحة ابن مصرف، وروى الحروف عن إسماعيل القسط وشبل بن عباد عن ابن كثير، روى عنه الحروف أحمد بن نصر ونصير بن يوسف، ودخل بغداد زمن الكسائي. انظر طبقات القراء: (٢/ ١٦٨).

(٢) وهي شاذة. انظر: المحتسب (١/ ١٤٧)، ومختصر الشواذ (ص: ٢٥).

(٣) «غير»: ليست في المطبوع، ولا الأصل، والكلام منقول من المحتسب بالمعنى، وليست فيه هذه العبارة.

(٤) البيت في المحتسب (١/ ١٤٧)، ورسالة الغفران (ص: ٢٦) بلا نسبة.

(٥) في المحتسب (١/ ١٤٧).

(٦) ليست في المطبوع ونور العثمانية، وهي في الأصل ملحقة في الهامش وعليها علامة تصحيح، وفي أحمد٣ هنا تقديم وتأخير.

(٧) وهي رواية قنبل عنه بالهمز. انظر: التيسير (ص: ١٦٨).

(٨) انظر: المحكم (٢/ ١٧٧)، والخصائص (١/ ١٤٢، ٣/ ١٤٥).

والبدل والحذف وقُرْب المخرج[١]، فقول مخشوب[٢] لا صنعة فيه، ولا يكاد يُقْنع بمثله[٣].

وقوله تعالى: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ رفع في موضع الصفة لقوله عز وجل: ﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾، قال أَبو علي: ولا يدخل في هذه الصفة قوله: ﴿شَهِيدَيْنِ﴾؛ لاختلاف الإِعراب[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا حكم لفظي، وأَما المعنى فالرضى شرط في الشهيدين كما هو في الرجل والمرأَتين[٥].

قال ابن بكير وغيره: قوله: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ﴾ مخاطبة للحكام[٦]، وهذا غير نبيل، إِنما الخطاب لجميع الناس، لكن المتلبس / بهذه القضية إِنما هم الحكام، وهذا كثير [١/ ١٨٩] في كتاب الله يعم الخطاب فيما يتلبس به البعض.

وفي قوله: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ﴾ دليلٌ على أَن في الشهود من لا يُرضى، فيجيءُ من ذلك أَن الناس ليسوا بمحمولين على العدالة حتى تثبت لهم[٧].

وقرأَ حمزة وحده: ﴿إِنْ تَضِلَّ﴾ بكسر الأَلف وفتح التاءِ وكسر الضاد، ﴿فَتُذَكِّرُ﴾ بفتح الذال ورفع الراءِ، وهي قراءَة الأَعمش.

وقرأَها الباقون: ﴿أَن تَضِلَّ﴾ بفتح الأَلف ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ بنصب الراءِ غير أَن ابن كثير وأَبا عمرو خفَّفا الذال، والكاف وشددها الباقون[٨].

---

(١) في جار الله هنا زيادة: «وفي الخفاء»، وعليها علامة «خ».

(٢) أي: غير مرضي انظر اللسان (١/ ٣٥١).

(٣) انظر المحتسب (١/ ١٤٨).

(٤) الحجة (٢/ ٤٢٦).

(٥) يعني أن يكون كل من يشهد من الرجال والنساء في الحالتين عدلاً رِضىً.

(٦) انظر نقله عنه في: الهداية لمكي (١/ ٩٢٠).

(٧) انظر الخلاف في هذه المسألة في: الذخيرة للقرافي (١٠/ ١٩٩).

(٨) وكلها سبعية، انظر: السبعة (ص: ١٩٣)، والتيسير (ص: ٨٥)، وقراءة الأعمش في: إتحاف فضلاء البشر (١/ ٣٠٢).

وقد تقدم القول فيما هو العامل في قوله: ﴿أَن تَضِلَّ ﴾، و﴿أَن ﴾ مفعول من أَجله، والشهادة لم تقع لأَن تضل إِحداهما، وإِنما وقع إِشهاد امرأَتين؛ لأَن تذكر إِحداهما إِن ضلت الأُخرى.

قال سيبويه: وهذا كما تقول: أَعددتُ هذه الخشبةَ أَن يميل هذا الحائطُ فأَدعمَه[١].

قال القاضي أَبو محمد: ولما كانت النفوس مستشرفة إِلى معرفة أَسباب الحوادث قدم في هذه العبارة ذكر سبب الأَمر المقصود أَن يخبر به، وفي ذلك سبق النفوس إِلى الإِعلام بمرادها، وهذا من أَبرع أَنواع الفصاحة؛ إِذ لو قال رجل لك: أَعددت هذه الخشبة أَن أَدعم بها هذا الحائط، لقال السامع: ولم تدعم حائطاً قائماً؟ فيجب ذكر السبب، فيقال: إِذا مال، فجاءَ في كلامهم تقديم السبب أَخصر من هذه المحاورة.

وقال أَبو عبيد: معنى تضل: تنسى[٢].

والضلال عن الشهادة إِنما هو نسيان جزءٍ منها، وذكر جزءٍ، ويبقى المرءُ بين ذلك حيران ضالاً، ومن نسي الشهادة جملة فليس يقال: ضلَّ فيها.

فأَما قراءَة حمزة فجعل ﴿إِنْ﴾ للجزاءِ، والفاءَ في قوله: ﴿فَتُذَكِّرُ﴾ جواب الجزاءِ، وموضع الشرط وجوابه رفع بكونه صفة للمذكور، وهما المرأَتان، وارتفع (تذكِّرُ) كما ارتفع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٩٥]؛ هذا قول سيبويه[٣]، وفي هذا نظر.

وأَما نصب قوله: ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ على قراءَة الجماعة فعلى العطف على الفعل المنصوب بـ﴿أَن ﴾.

---

(١) الكتاب لسيبويه (٣/ ٥٣).

(٢) كذا في المطبوع، وكافة النسخ: أبو عبيد وهو القاسم بن سلام، ومثله في تفسير القرطبي (٣/ ٣٩٧)، وتفسير الثعالبي (١/ ٥٤٨)، ولعل الصواب أبو عبيدة، معمر كما في معاني القرآن للنحاس (٥/ ٧١)، والحجة لأبي علي (٢/ ٤٢٤)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٣١٦)، وزاد المسير (١/ ٢٥١)، وهو نص كلامه في مجاز القرآن (١/ ٨٣)، وسيأتي للمصنف ولمن تبعه في سورة الشعراء على الصواب.

(٣) انظر: الكتاب (٣/ ٦٩).

وتخفيف الكاف على قراءَة أَبي عمرو، وابن كثير هو بمعنى تثقيله من الذكر، يقال: ذكَّر وأَذكر، تُعدِّيه بالتضعيف أَو بالهمز.

وروي عن أَبي عمرو بن العلاءِ، وسفيان بن عيينة أَنهما قالا: معنى قوله: ﴿فَتُذكِرَ﴾ بتخفيف الكاف أَي: تردها ذَكَراً في الشهادة؛ لأَن شهادة امرأَة نصف شهادة، فإِذا شهدتا صار مجموعهما كشهادة ذَكَر(١)، وهذا تأويل بعيد غير فصيح(٢)، ولا يحسن في مقابلة الضلال إِلا الذِّكر(٣).

وذكَّرت بشد الكاف يتعدى إِلى مفعولين، وأَحَدُهما في الآية محذوف، تقديره: فتذكر إِحداهما الأُخرى الشهادة التي ضلَّت عنها.

وقرأَ الجحدري وعيسى بن عمر: (أَنْ تُضَلَّ) بضم التاءِ وفتح الضاد(٤) بمعنى أَن تُنسى، هكذا حكى عنهما أَبو عمرو الداني، وحكى النقاش عن الجحدري ضم التاءِ وكسر الضاد(٥) بمعنى: أَن تُضِلَّ الشهادةَ، تقول: أَضللت الفرس والبعير إِذا تلفا لك، وذهبا فلم تجدهما.

وقرأَ حميد بن عبد الرحمن، ومجاهد: (فتُذْكِرُ) بتخفيف الكاف المكسورة ورفع الراءِ(٦).

وتضمنت هذه الآية جواز شهادة امرأَتين بشرط اقترانهما برجل، واختلف

---

(١) انظر قول سفيان في: تفسير الطبري (٦/ ٦٤)، وقولهما في تفسير القرطبي (٣/ ٣٩٧).

(٢) في الحمزوية: «غير صحيح».

(٣) انظر رد هذا القول في: تفسير الطبري (٦/ ٦٦)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٥).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها للجحدري في: مختصر الشواذ (ص: ٢٤)، ولهما في البحر المحيط (٢/ ٧٣٣).

(٥) انظر النقل عن الداني والنقاش في: تفسير القرطبي (٣/ ٣٩٧)، والبحر المحيط (٢/ ٧٣٣).

(٦) انظر عزوها لمجاهد في: الكامل للهذلي (ص: ٥١٢)، ولهما في البحر المحيط (٢/ ٧٣٣)، وكلها قراءات شاذة.

قول مالك في شهادتهما: فروى عنه ابن وهب: أَن شهادة النساءِ لا تجوز إِلا حيث ذكرها الله في الديْن، وفيما لا يطلع عليه أَحد إِلا هُنَّ للضرورة إِلى ذلك[١]، وروي عن ابن القاسم: أَنها تجوز في الأَموال، والوكالات على الأَموال، وكل ما جر إِلى ما[٢]، وخالف في ذلك أَشهب وغيره.

وكذلك إذا شهدن على ما يؤدي إلى غير مال، ففيها قولان في المذهب[٣].

قوله عز وجل: ﴿...وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ...﴾.

قال قتادة، والربيع، وغيرهما: معنى الآية: إِذا دعوا أَن يشهدوا فيتقيد حق بشهادتهم، وفي هذا المعنى نزلت؛ لأَنه كان يطوف الرجل في القوم الكثير يطلب مَنْ يشهد له، فيتحرجون هم عن الشهادة، فلا يقوم معه أَحد، فنزلت الآية في ذلك[٤].

وقال الحسن بن أَبي الحسن: الآية جمعت أَمرين: لا تأْب إِذا دُعيت إِلى تحصيل الشهادة، ولا إِذا دُعيت إِلى أَدائها[٥]، وقاله ابن عباس[٦].

وقال مجاهد: معنى الآية لا تأْب إِذا دعيت إِلى أَداءِ شهادة قد حصلت عندك[٧]، وأَسند النقاش إِلى النبي ﷺ أَنه فسر الآية بهذا[٨].

---

(١) انظره: في النوادر (٨/ ٣٩١-٣٩٢) بمعناه.
(٢) انظر رواية ابن القاسم عن مالك في: المدونة (٤/ ٢٤-٢٦).
(٣) انظر القولين في: بداية المجتهد (٢/ ٤٦٥).
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٠١)، من قول الربيع، بإسناد فيه أبو جعفر الرازي، وهو عيسى ابن ماهان، متكلم فيه.
(٥) انظر قول الحسن في: تفسير الطبري (٦/ ٧٠).
(٦) أخرجه الطبري (٦/ ٧٠)، وابن أبي حاتم (٣٠٤٩) والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٦٠) من طريق علي ابن أبي طلحة، عن ابن عباس.
(٧) انظر قوله في: تفسير الطبري (٦/ ٧١).
(٨) نقله عن النقاش القرطبي في تفسيره (٣/ ٣٩٨)، ولم أقف عليه مسنداً.

قال مجاهد: فأَما إِذا دعيت لتشهد أَولاً فإِن شئْت فاذهب، وإِن شئت فلا تذهب، وقاله: لاحق بن حميد، وعطاءٌ، وإِبراهيم، وابن جبير، والسدي، وابن زيد، وغيرهم(١).

والآية كما قال الحسن جمعت أمرين على جهة الندب، فالمسلمون مندوبون إِلى معونة إِخوانهم، فإِذا كانت الفسحة لكثرة الشهود والأَمن من تعطيل الحق فالمدعو مندوب، وله أَن يتخلف لأَدنى عذر، وإِن تخلف لغير عذر فلا إِثم عليه، ولا ثواب له، وإِذا كانت الضرورة، وخيف تعطُّل الحق أَدنى خوف قوي الندب، وقرُبَ من الوجوب، وإذا عُلم أَن الحق يذهب ويتلف بتأخر الشاهد عن الشهادة فواجب عليه القيام بها، لاسيما إِن كانت محصلة، وكان الدعاءُ إِلى أَدائها، فإِن هذا الطرف آكد؛ لأَنها قلادة في العنق، وأَمانة تقتضي الأَداءَ.

(ولا تسأموا) معناه: تملُّوا، و﴿صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾ حالان من الضمير في: ﴿تَكْتُبُوهُ﴾، وقدم الصغير اهتماماً به، وهذا النهي جاء عن السآمة إِنما جاءَ لتردد المداينة عندهم، فخيف عليهم أَن يملوا الكَتْب.

و﴿أَقْسَطُ﴾ معناه: أَعدل، وهذا أَفْعَل من الرباعي، وفيه شذوذ، فانظر هل هي من قسُط بضم السين؟ كما تقول أَكرم من كرُم؛ يقال: أَقْسَط بمعنى عدل، وقَسَط بمعنى جار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥](٢).

ومن قدَّر قوله: / ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ بمعنى: وأَشد إِقامة فذلك أَيضاً أَفعل من الرباعي، ومن قدَّرها مِن «قام» بمعنى: اعتدل؛ زال عن الشذوذ. [١/ ١٩٠]

و﴿أَدْنَى﴾ معناه: أَقرب، و﴿تَرْتَابُوا﴾ معناه: تشُكُّوا.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٧١-٧٢)، وتفسير عبد الرزاق (١/ ١١٠)، ومصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٤٨٦).

(٢) ووجه الشذوذ أن من شرط صياغة أفعل الدال على التعجب أن يكون الفعل ثلاثياً.

وقرأ أَبو عبد الرحمن السلمي: (يَسْأَمُوا)، و(يَكْتُبُوه)، وَ (يَرْتَابوا) كلها بالياءِ على الحكاية عن الغائب[١].

قوله عز وجل: ﴿...إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾.

لما علم الله تعالى مشقة الكتاب عليهم نص على ترك ذلك، ورفع الجناح فيه في كل مبايعة بنقد، وذلك في الأَغلب إِنما هو في قليل كالمطعوم ونحوه، لا في كثير كالأَملاك ونحوها، وقال[٢] السدي، والضحاك: هذا فيما كان يداً بيد تأخذ وتعطي[٣].

و﴿أَن﴾ في موضع نصب على الاستثناءِ المنقطع.

وقوله تعالى: ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ يقتضي التقابض والبينونة بالمقبوض؛ ولما كانت الرباع والأَرض وكثير من الحيوان لا تقوى[٤] البينونة به، ولا يغاب عليه، حسن الكَتْب فيها، ولحقت في ذلك بمبايعة الدين.

وقرأَ عاصم وحده: ﴿تِجَٰرَةً﴾ نصباً، وقرأَ الباقون: ﴿تِجَارَةٌ﴾ رفعاً، قال أَبو علي: وأَشك في ابن عامر[٥].

وإِذا أَتت «كان» بمعنى: حدث ووقع غَنِيَت عن خبر، وإِذا خُلع منها معنى الحدوث لزمها الخبر المنصوب، فحجة من رفع ﴿تجارةٌ﴾ أَنَّ «كان» بمعنى: حدث

(١) وهي شاذة، وقد عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ١٠٤)، وأما ابن خالويه في المختصر (ص: ٢٤) فعزا له (يرتابوا) فقط، وعزا (يسأموا)، و(يكتبوا) لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٢) في المطبوع: «ولذا قال».

(٣) انظر تفسير الطبري (٦/ ٧٩-٨٠).

(٤) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ «لا تقبل البينونة» بدلاً من قوله: «لا تقوى البينونة».

(٥) في الحجة (٢/ ٤٣٦)، وأصله في السبعة (ص: ١٩٣)، أما من طرق الشاطبية والتيسير (ص: ٨٥) والنشر (٢/ ٢٧٠) فهي لعاصم فقط، وليس لابن عامر عندهم إلا الرفع.

ووقع، وأَما من نصب فعلى خبر «كان»، والاسم مقدر، تقديره عند أَبي علي إِمَّا: المبايعة التي دلت الآيات المتقدمة عليها، وإِمَّا: إِلا أَنْ تكُونَ التجارةُ تِجَارَةً، ويكون مثل ذلك قول الشاعر:

فـدًى لِبَنِي ذُهْلِ بنِ شَـيْبَانَ نَاقَتِي إِذَا كَانَ يَوْمـاً ذَا كَوَاكِـبَ أَشْـنَعَا [الطويل]

[أَي: إِذا كان اليوم يوماً، هكذا أَنشد أَبو علي البيت، وكذلك أَبو العباس المبرد][1]، وأَنشده الطبري:

وَلِلـهِ قَومِـي أَيُّ قَـوْمٍ لِحُـرَّةٍ إِذَا كَانَ يَوْمـاً ذَا كَوَاكِـبَ أَشْـنَعَا [الطويل]

[وأَنشده سيبويه بالرفع: إذا كان يومٌ ذو كواكبَ][2].

وقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ قال الطبري: معناه: وأَشهدوا على صغير ذلك وكبيره[3]، واختلف الناس هل ذلك على الوجوب أَو على الندب؟:

(١) ليس في نور العثمانية، من السليمانية، وقد سقط من السليمانية أيضاً ما بعده إلى الخرجة الأخرى.

(٢) ليس أحمد٣، وقد ذكر المؤلف في هذا البيت ثلاث روايات، عزا الأولى للفارسي وهي في الحجة له (٢/ ٤٣٩)، وللمبرد، وهي في المقتضب له (٤/ ٩٦)، ولكنها عندهما بالرفع، وأما على النصب كما ذكر المصنف فهي في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٥٩)، وتفسير السمعاني (٢/ ١١٣)، وعزا الثانية للطبري وهي فيه (٦/ ٨١)، وفي معاني القرآن للفراء (١/ ١٨٦)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٢٩٦)، وعزا الثالثة لسيبويه وهي في الكتاب (١/ ٤٧)، ومثلها في معاني القرآن للأخفش (١/ ٢٥١)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ١٣٤)، والجمل في النحو (ص: ١٤٩)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٢٩٢)، وعلل النحو (ص: ٢٥٠).

والظاهر أنهما بيتان لشاعرين: أحدهما بالنصب، من قصيدة عينية، لعمرو بن شأس، وقد عزاه له سيبويه (١/ ٤٧)، إلا أن صدره عنده: بني أسد هل تعلمون بلاءنا.

والثاني بالرفع من قصيدة بائية، لمقاس العائذي، وقد عزاه له سيبويه (١/ ٤٧)، والخطابي في غريب الحديث (٢/ ٢٤٠)، بلفظ: فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي... إذا كان يوم ذو كواكب أشهب.

وللحصين بن الحمام المري كما في المفضليات (ص: ٣١٧)، والمعاني الكبير (٢/ ٩٧٣) بيت آخر من قصيدة طويلة يقول فيه: ولما رأيت الصبر ليس بنافعي... وأن كان يوماً ذا كواكب أشهبا.

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٨٢).

فقال الحسن، والشعبي، وغيرهما: ذلك على الندب[١]، وقال ابن عمر[٢]، والضحاك: ذلك على الوجوب، وكان ابن عمر يفعله في قليل الأَشياءِ وكثيرها[٣]، وقاله عطاءٌ، ورجح ذلك الطبري[٤].

والوجوب في ذلك قلق، أَما في الدقائق فصعب شاق، وأَما ما كثر فربما يقصد التاجر الاستئلاف بترك الإِشهاد، وقد يكون عادة في بعض البلاد، وقد يستحي من العالم والرجل الكبير الموقر فلا يشهد عليه، فيدخل ذلك كله في الائتمان، ويبقى الأَمر بالإِشهاد ندباً لما فيه من المصلحة في الأَغلب ما لم يقع عذر يمنع منه كما ذكرنا.

وحكى المهدوي عن قوم: أَنهم قالوا: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ منسوخ بقوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ﴾ الآية، وذكره مكي[٥] عن أَبي سعيد الخدري[٦].

واختلف الناس في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾:

فقال الحسن، وقتادة، وطاووس، وابن زيد، وغيرهم: المعنى: ولا يضار الكاتب بأَن يكتب ما لم يُمْل عليه، ولا يضار الشاهد بأَن يزيد في الشهادة أَو ينقص

---

(١) انظر عزو الأقوال في: تفسير الطبري (٦/ ٨٣-٨٤).

(٢) انظر: قول ابن عمرو هذا في كتاب الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ٢٦٦)، ولم أقف على قول ابن عمرو من طريق مسندٍ.

(٣) أخرجه ابن حزم في المحلى (١٥/ ٤١٣) من طريق ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عمر، وليث ضعيف الحديث.

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٨٤).

(٥) حكاه مكي في الهداية (١/ ٩٢٣)، والمهدوي في التحصيل (١/ ٦٠٧)، وهوقول الحسن والشعبي في تفسير الطبري (٦/ ٨٣).

(٦) تقدم تخريجه قريباً.

منها، وقال مثله ابن عباس[(١)]، ومجاهد، وعطاءٌ، إِلا أَنهم قالوا: لا يضار الكاتب والشاهد بأَن يمتنعا[(٢)].

ولفظ الضرر يعم هذا، والقولَ الأَولَ، والأَصل في ﴿يُضَآرَّ﴾ على هذين القولين يضارِرْ بكسر الراءِ، ثم وقع الإِدغام وفتحت الراءُ في الجزم لخفة الفتحة.

وقال ابن عباس أَيضاً[(٣)]، ومجاهد، والضحاك، والسدي، وطاووس، وغيرهم: معنى الآية: ولا يضار كاتب ولا شهيد بأَن يؤذيه طالب الكَتْبة أَو الشهادة فيقول: اكتب لي أَو اشهد لي، في وقت عذر أَو شغل للكاتب أَو الشاهد، فإِذا اعتذرا بعذرهما حرج وآذَاهما، وقال: خالفت أَمر الله، ونحو هذا من القول[(٤)].

ولفظ المضارة إِذ هو من اثنين يقتضي هذه المعاني كلها، والكاتب والشهيد على القول الأَول رفع بفعلهما، وفي القول الثاني رفع على المفعول الذي لم يسم فاعله.

وأَصل ﴿يُضَآرَّ﴾ على القول الثاني: يُضارَر [بفتح الراءِ، وروي عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، وعن ابن مسعود، ومجاهد أَنهم كانوا يقرؤُون: (وَلا يُضَارَر)][(٥)] بالفك وفتح الراءِ الأُولى[(٦)]، وهذا على معنى أَن يبدأَهما بالضرر طالب الكتبة والشهادة، وذكر ذلك الطبري عنهم في ترجمة هذا القول، وفسر القراءَة بهذا

---

(١) أخرج الطبري (٦/ ٨٧) من طريق: ابن المبارك، عن سفيان، عن يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس قال: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾، قال: أن يدعوهما، فيقولان: إن لنا حاجة.اهـ ويزيد فيه ضعف مشهور.

(٢) انظر هذه الأقوال كلها في: تفسير الطبري (٦/ ٨٦).

(٣) أخرجه الطبري (٦/ ٨٨) من طريق علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس.

(٤) انظر الأقوال في: تفسير الطبري (٦/ ٨٥ و٨٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٦٧).

(٥) ليس في السليمانية.

(٦) وهي شاذة. انظر عزوها لعمر في: معاني القرآن للفراء (١/ ١٥٠)، وله ولابن مسعود في مختصر الشواذ (ص: ٢١) حيث أحال عليها، ولهما ولمجاهد وأبي في تفسير الثعلبي (٢/ ٢٩٧).

المعنى[١]، فدل ذلك على أَن الراءَ الْأُولى مفتوحة كما ذكرنا.

وحكى أَبو عمرو الداني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وابن عباس، وابن أَبي إِسحاق، ومجاهد أَن الراءَ الأُولى مكسورة، وحكى عنهم أَيضاً فتحها[٢].

وفك الفعل هي لغة أَهل الحجاز، والإِدغام لغة تميم.

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع، وعمرو بن عبيد: ﴿ولا يُضَارْ﴾ بجزم الراءِ[٣]، وقال أَبو الفتح: تسكين الراءِ مع التشديد فيه نظر، ولكن طريقه: أَجرى الوصل مجرى الوقف[٤].

وقرأَ عكرمة: (وَلا يُضارِرْ) بكسر الراءِ الأُولى، (كاتِباً ولا شهيداً) بالنصب، أَي: لا يبدأْهما صاحب الحق بضرر، ووجوه المضارة لا تنحصر.

وروى مِقْسم عن عكرمة أَنه قرأَ: (ولا يُضَارِّ) بالإِدغام وكسر الراءِ للالتقاءِ. وقرأَ ابن محيصن: (ولا يضارُّ) برفع الراءِ مشددة[٥].

قال ابن مجاهد: ولا أَدري ما هذه القراءَة، قال أَبو الفتح: هذا الذي أَنكره ابن مجاهد معروفٌ، وذلك على أَن تجعل «لا» نفياً؛ أَي: ليس ينبغي أَن يضار، كما قال الشاعر:

[الطويل] عَلَى الحَكَم المأْتِيِّ يوماً إِذا قَضَى قَضِيَّتَـه أَلا يَـجُـور ويَـقْصِدُ[٦]

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٨٦).

(٢) إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٣٨)، تفسير القرطبي (٣/ ٤٠٥)، وهي قراءة شاذة.

(٣) وهي عشرية انظر النشر في: القراءات العشر (٢/ ٢٦٠)، وانظر موافقة عمرو بن عبيد في: المحتسب (١/ ١٤٨).

(٤) المحتسب (١/ ١٤٨).

(٥) انظر قراءة ابن محيصن في: المحتسب (١/ ١٤٩)، وقراءتي عكرمة في البحر المحيط (٢/ ٧٤١).

(٦) عزاه سيبويه في الكتاب (٣/ ٥٦) لعبد الرحمن بن أم الحكم، وفي المفصل في صنعة الإعراب (ص: ٣٣١)، وتاج العروس (٩/ ٣٨) أنه لأبي اللحام التغلبي، وجزم به البغدادي في خزانة الأدب (٨/ ٥٥٧).

فرفع «ويقصد» على إِرادة وينبغي أَن يقصد، فكذلك يرتفع (ولا يُضارُّ) على معنى: وينبغي أَن لا يضار، قال: وإِن شئت كان لفظ خبر على معنى النهي[١]، وهذا قريب من النظر الأَول.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡ﴾ مَنْ جعل المضارة المنهي عنها زيادة الكاتب / والشاهد فيما أُملي عليهما أَو نقصهما منه، فالفسوق على عرفه في [١/ ١٩١] الشرع، وهو مواقعة الكبائر؛ لأَن هذا من الكذب المؤذي في الأَموال والأَبشار، وفيه إِبطال الحق.

ومن جعل المضارة المنهي عنها أَذى الكاتب والشاهد[٢] بأَن يقال لهما: أَجيبا ولا تخالفا أَمر الله، أَو جعلها امتناعَهما إِذا دُعيا، فالفسوق على أَصله في اللغة الذي هو الخروج من شيءٍ كما يقال: فسقت الفأْرة إِذا خرجت من جحرها، وفسقت الرطبة، فكأَن فاعل هذا فَسَقَ عن الصواب والحقِّ في هذه النازلة، ومن حيث خالف أَمر الله في هذه الآية فيقرب الأَمر من الفسوق العرفي في الشرع.

وقوله: ﴿بِكُمۡ﴾ تقديره: فسوق حالٌّ بكم، وباقي الآية موعظة وتعديدُ نعمة، [والله المستعان والمفضل[٣] لا رب غيره][٤]، وقيل: معنى الآية: الوعد بأَن من اتقى عُلِّمَ الخيرَ وأُلْهِمَهُ[٥].

قوله عز وجل: ﴿وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨٣﴾﴾.

---

(١) انظر قول ابن مجاهد ورد ابن جني عليه في: المحتسب (١/ ١٤٩).

(٢) أشار في هامش الأصل إلى أن في نسخة: «الشهيد».

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) ليس في جار الله وأحمد٣.

(٥) لفظة: «الخير وألهمه» ليست في السليمانية، وهي ملحقة في هامش الأصل وعليها علامة: «خ».

لما ذكر الله تعالى الندب إِلى الإِشهاد والكتب لمصلحة حفظ الأَموال والأديان[١]، عقَّب ذلك بذكر حال الأَعذار المانعة من الكَتْب، وجعل لها الرهن، ونص من أَحوال الرهن على السفر الذي هو الغالب من الأَعذار، لا سيما في ذلك الوقت لكثرة الغزو.

ويدخل في ذلك بالمعنى كلُّ عذر، فرُبَّ وقت يتعذر فيه الكاتب في الحضر، كأَوقات أَشغال الناس، وبالليل، وأَيضاً فالخوف على خراب ذمة الغريم عذر يوجب طلب الرهن.

وقد رهن النبي ﷺ درعه عند يهودي طلب منه سلف الشعير، فقال: إِنما يريد محمد أَن يذهب بمالي، فقال النبي ﷺ: «كَذَبَ، إِنِّي لأَمين في الأَرض، أَمين في السماءِ، ولو ائْتمنني لأَديت، اذهبوا إِليه بدرعي»[٢].

وقد قال جمهور من العلماءِ: الرهن في السفر ثابت في القرآن، وفي الحضر ثابت في الحديث[٣]، وهذا حسن، إِلا أَنه لم يمعن النظر في لفظ السفر في الآية، وإِذا كان السفر في الآية مثالاً من الأَعذار، فالرهن في الحضر موجود في الآية بالمعنى إِذ قد تترتب الأَعذار في الحضر[٤].

وذهب الضحاك، ومجاهد إلى أَن الرهن والائتمان إِنما هو في السفر، وأَما في الحضر فلا ينبغي شيءٌ من ذلك، وضعَّف الطبري قولهما في الرهن بحسب الحديث الثابت الذي ذكرته، وقوَّى قولهما في الائتمان[٥]، والصحيح ضعفُ القول في الفصلين، بل يقع الائتمان في الحضر كثيراً ويحسن[٦].

---

(١) في المطبوع: «الديون».

(٢) مرسل، أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٨/ ١٠-١١) من طريق زيد بن أسلم عن النبي ﷺ به مرسلاً.

(٣) جاء ذلك في صحيح البخاري في (كتاب الرهن، باب: الرهن في الحضر) (٢٥٠٨) عن أنس بن مالك قال: ولقد رهن النبي ﷺ درعه بشعير، ومشيت إلى النبي ﷺ بخبز شعير وإهالة سنخة، ولقد سمعته يقول: «ما أصبح لآل محمد ﷺ إلا صاع، ولا أمسى وإنهم لتسعة أبيات».

(٤) انظر: الأوسط لابن المنذر (١٠/ ٥٢٠).

(٥) انظر: قولهما وردَّ الطبري في تفسيره (٦/ ٩٦).

(٦) ليست في نور العثمانية.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿كَاتِبًا﴾ بمعنى: رجل يكتب.

وقرأَ أُبي بن كعب، وابن عباس (كتاباً): بكسر الكاف، وتخفيف التاءِ، وأَلف بعدها[١].

وهو مصدر، قال مكي: (وقيل: هو جمع كاتب كقائم وقيام)، ومثلُه صاحب وصِحاب، وقرأَ بذلك مجاهد، وأَبو العالية[٢]، وقالا: المعنى: وإِن عدمت الدواة والقلم والصحيفة[٣].

ونفيُ وجود الكتاب يكون بعدم أَي آلة اتفق من الآلة[٤]، فنفي الكتاب يعمها، ونفي الكاتب أَيضاً يقتضي نفي الكتاب، فالقراءَتان حسنتان إِلا من جهة خط المصحف.

وروي عن ابن عباس أَنه قرأَ: (كُتَّاباً) بضم الكاف على جمع كاتب، وهذا يحسن من حيث لكل نازلة كاتب، فقيل للجماعة: وَلَمْ تَجِدُوا كُتَّاباً، وهذا هو الجنس الذي تدل عليه قراءَة من قرأَ: ﴿كَاتِبًا﴾.

وحكى المهدوي، عن أَبي العالية أَنه قرأَ: (كُتُباً)[٥]، وهذا جمع كتاب من حيث النوازل مختلفة، وهذا هو الجنس الذي تدل عليه قراءَة من قرأَ: (كتاباً).

وقرأَ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وجمهور من العلماءِ: ﴿فَرِهَٰنٌ﴾.

وقرأَ أَبو عمرو، وابن كثير: ﴿فرُهُنٌ﴾ بضم الراءِ والهاءِ[٦].

---

(١) وهي قراءة شاذة انظر عزوها لهما في: مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٥)، ولابن عباس ومجاهد في تفسير الطبري (٦/ ٩٥).

(٢) انظر قول مكي وقراءة عكرمة ومجاهد وأبي العالية الضحاك في: الهداية لمكي (١/ ٩٢٨).

(٣) انظر قولهما في: تفسير الطبري (٣/ ١٣٩، ١٤٠).

(٤) في نور العثمانية: «من الآية».

(٥) انظر عزو هذه القراءة لأبي العالية في: مختصر الشواذ (ص: ٢٥)، والتحصيل (١/ ٦١٨)، والبحر المحيط (٢/ ٧٤٣).

(٦) فهما سبعيتان انظر: السبعة (ص: ١٩٤)، والتيسير للداني (ص: ٨٥).

وروي عنهما تخفيف الهاءِ، وقد قرأ بكل واحدة جماعة غيرهما(١).

قال القاضي أَبو محمد: [وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: لا أعرف الرهان إلا في الخيل](٢)، رهن الشيءُ في كلام العرب معناه: دام واستمر، يقال: أَرهن لهم الشرب وغيره، قال ابن سيده: ورهنه: أَي أَدامه(٣)، ومن رهن بمعنى دام قولُ الشاعر:

[السريع] اللحْمُ والخُبزُ لَهُم راهِنا وقَهْوَةٌ راووقُها سَاكِبُ(٤)

أَي: دائم، قال أَبو علي: ولما كان الرهن بمعنى الثبوت والدوام فمن ثَمَّ بطل الرهن عند الفقهاءِ إِذا خرج من يد المرتهن إِلى يد الراهن بوجه من الوجوه؛ لأَنه فارق ما جعل له(٥)، ويقال: أَرهن في السلعة إِذا غالى فيها حتى أَخذها بكثير الثمن(٦).

ومنه قول الشاعر في وصف ناقة:

[البسيط] يَطْوِي ابنُ سَلْمَى بِهَا مِنْ رَاكِبٍ بُعداً عِيديَّةً أُرْهِنَتْ فِيهَا الدَّنَانِيرُ(٧)

---

(١) قال الثعلبي في تفسيره (٢/ ٢٩٨): قرأ ابن عباس وإبراهيم وزر بن حبيش ومجاهد وابن كثير وأبو عمرو: ﴿فرُهُن﴾ بضم الراء والهاء، وقرأ عكرمة والمنهال وعبد الوارث: (فرُهْن) بضم الراء وجزم الهاء، وقرأ الباقون: ﴿فَرِهَٰنٌ﴾.

(٢) زيادة من نور العثمانية، أحمد٣ وانظر قول أبي عمرو هذا بمعناه في: مجاز القرآن (١/ ٨٤)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٢٠٦)، والحجة لابن خالويه (ص: ١٠٥)، والمقتضب (٢/ ٢٠٢).

(٣) انظر: المحكم (٤/ ٣٠١).

(٤) هو بلا نسبة في المحكم (٤/ ٣٠١)، وفي العقد الفريد (٣/ ٢٠٦)، والبصائر والذخائر (٨/ ٥٣) عن الأصمعي قال: أخذ بيدي يحيى بن خالد بن برمك فأوقفني على قبر بالحيرة، فإذا عليه مكتوب: إن بني المنذر لمّا انقضوا إلخ الأبيات، ومنها الشاهد، وهي غير منسوبة.

(٥) الأوسط لابن المنذر (١٠/ ٥٣١)، والإقناع في مسائل الإجماع لابن القطان (٣/ ١٦٦٥).

(٦) انظر: الحجة للقراء السبعة (٢/ ٤٤٦).

(٧) وهو لشداد كما في مجمل اللغة لابن فارس (ص: ٤٠٣)، وتاج العروس (٣٥/ ١٢٦)، وعزاه في تاج العروس أيضاً (٨/ ٤٣٩)، ولسان العرب (٣/ ٣٢٢)، لرذاذ الكلبي، عن الجوهري، وفي رسالة الغفران (ص: ١٩٦): رداد الكلابي، بالمهملة، والمد، والله أعلم.

العيد بطن من مَهْرة[١]، وإِبل مَهْرة موصوفة بالنجابة.

ويقال في معنى الرهن الذي هو التوثق من الحق: أَرهنت إِرهاناً فيما حكى بعضهم[٢].

وقال أَبو علي: يقال: أَرهنت في المغالاة، وأَما في القرض والبيع فرهنت[٣].

قال القاضي أَبو محمد: ويقال بلا خلاف في البيع والقرض: رهنت رهناً، ثم سمي بهذا المصدر الشيءُ المدفوع، ونقل إِلى التسمية، ولذلك كُسِّر في الجمع كما تُكسَّر الأَسماءُ، وكما تكسر المصادر التي يسمَّى بها، وصار فعله ينصبه نصب المفعول به، لا نصب المصدر، تقول: رهنت رهناً، فذلك كما تقول: رهنت ثوباً لا كما تقول: رهنت الثوب رهناً، وضربت ضرباً.

قال أَبو علي: وقد يقال في هذا المعنى: أَرهنت، وفعَلْت فيه أَكثر[٤]، ومنه قول الشاعر.

يُـرَاهِـنُـنِـي وَيَـرْهَـنُـنِـي بَنِيهِ ... وأَرْهَـنُـهُ بَنِيَّ بِمَا أَقُـولُ[٥] [الوافر]

وقال الأَعشى:

حتـى يُفِيـدَكَ مِـنْ بَنِيـه رهِينـةً ... نَعْشٌ وَيَرْهَنَكَ السِّماكُ الفَرْقَدَا[٦] [الكامل]

---

(١) مثله في المحكم (٤/ ٣٠١)، ومهرة بفتح فسكون ابن حيدان أبوقبيلة من قضاعة حي عظيم، وبنو العيدي بكسر العين وسكون الياء المثناة، بطن منهم، انظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (١/ ٦٨)، وفي تهذيب اللغة (٦/ ١٤٧) أنها منسوبة إلى بنات العيد، وهو فحل معروف كان منجباً، وقريب منه في الصحاح للجوهري (٢/ ٥١٥).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٢/ ٣٢٥)، ومعجم مقاييس اللغة (٢/ ٤٥٢) نقله عن أبي زيد.

(٣) الحجة لأبي علي (٢/ ٤٤٤).

(٤) الحجة (٢/ ٤٤٦-٤٤٧).

(٥) وهو أحيحة بن الجلاح كما في جمهرة اللغة (١/ ٥٩)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٥١٧)، وحماسة الخالديين (ص: ٢٠)، وتاريخ دمشق (٣٤/ ٢٩٤).

(٦) انظر: ديوانه (ص: ٢٨١)، وهو معزو له في الحجة لأبي علي (٢/ ٤٤٦)، وسمط اللآلي (١/ ١٥٦)، والتذكرة الحمدونية (٧/ ٣٤٠).

فهذه رُويت من: رَهَنَ. وأَما أَرهَنَ فمنه قول همام بن مُرَّة[(١)]:

[المتقارب] ولَـمَّـا خـشِـيـتُ أَظـافِـيـرَهُـمْ نَجَـوْتُ وَأَرْهَنْـتُـهُـمْ مَـالِـكَا[(٢)]

قال الزجاج: يقال في الرهن: رهنت وأَرهنت[(٣)]، وقاله ابن الأعرابي[(٤)]، ويقال: رهنت لساني بكذا، ولا يقال فيه: أَرهنت.

فمن قرأَ: ﴿فَرِهَٰنٌ﴾ فهو جمع رَهْن ككَبْش وكِباش، وكَعْب وكِعَاب، ونَعْل ونِعال، وبَغْل وبِغَال.

ومن قرأَ: ﴿فرُهُن﴾ بضم الراءِ والهاءِ فهو جمع رَهْن، كسقْف وسقُف، وأَسْدٍ وأُسد، إِذ فعْل وفُعُل يتقاربان في أَحكامهما.

[١/ ١٩٢] ومن قرأَ: (فرُهْن) بسكون الهاءِ فهو تخفيف رهُن، وهي لغة في هذا / الباب كلِّه، ككتب، وفخْذ وعضْد وغير ذلك.

قال أَبو علي: وتكسير رُهُن على أَقل العدد لم أَعلمه جاءَ، ولو جاءَ لكان قياسه أَفْعُل ككَلْب وأَكْلُب، وكأَنهم استغنوا بالكثير عن القليل في قولهم: ثلاثة شسوع، كما استغني ببناءِ القليل عن بناءِ الكثير في رسُن وأَرسان، فرهن يجمع على بناءَين من أَبنية الجموع وهما: فُعُل وفِعَال[(٥)]، فمما جاءَ على فُعُل قول الأَعشى:

---

(١) هو همام بن مرة بن ذهل بن شيبان من سادة بكر بن وائل وقادتهم، انظر أخباره في: الأغاني (٥/ ٥٠).

(٢) مثله في المحكم (٤/ ٤٠٠)، والبحر المحيط (٢/ ٧٢٢)، والأصح أنه لعبدالله بن همام السلولي كما في: المخصص لابن سيده (٤/٣٤٦)؛ وإصلاح المنطق (١/ ١٦٩)؛ والصحاح للجوهري (٥/ ٢١٢٨)، وتفسير القرطبي (٣/ ٤٠٩)، وشرح أدب الكاتب (ص: ٥٩)، والشعر والشعراء (٢/ ٦٣٧)، قال وهو من بني مرّة بن صعصعة، أخي عامر، وسلول أمّهم، وهي بنت ذهل بن شيبان.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٦٧).

(٤) هو محمد بن زياد أبو عبد الله بن الأعرابي، من موالي بني هاشم، قال عنه الجاحظ: كان نحوياً عالماً باللغة والشعر، من مصنفاته النوادر والأنواء، توفي بسامراء (٢٣٠)، وقيل: (٢٣١هـ). بغية الوعاة (١/ ١٠٥)، وانظر قوله في: لسان العرب (١٣/ ١٨٨).

(٥) الحجة للفارسي (٢/ ٤٤٧).

آلَيْتُ لا أعْطيه من أبْنائِنا رُهُناً فَيُفْسِدَهُمْ كَمَنْ قَد أفْسَدا[١] [الكامل]

قال الطبري: تأول قوم أَن رُهُناً بضم الراءِ والهاءِ، جمع رهان، فهو جمع جمع[٢]، وحكاه الزجاج عن الفراءِ[٣].

ووجَّه أَبو علي قياساً يقتضي أَن يكون رهاناً جمع رُهُن بأَن يقال: يُجمع فُعُل على فِعَال كما جمعوا «فِعالاً» على «فعائل» في قول ذي الرمة:

وقَرَّبْنَ بالزُّرْقِ الجَمَائِلَ بَعْدَمَا تَقَوَّبَ عنْ غِرْبَانِ أَوْرَاكِهَا الْخَطْرُ[٤] [الطويل]

ثم ضعف أَبو علي هذا القياس، وقال: إِن سيبويه لا يرى جَمْع الجمع مطَّرداً، فينبغي أَلا يقدم عليه حتى يرد سماعاً[٥].

وقوله عز وجل: ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ يقتضي بينونة المرتهن بالرهن، وأَجمع الناس على صحة قبض المرتهن، وكذلك على قبض وكيله فيما علمت[٦].

واختلفوا في قبض عدل يوضع الرهن على يديه:

فقال مالك، وجميع أصحابه[٧]، وجمهور العلماءِ: قبض العدل قبض، وقال

---

(١) انظر: ديوانه: (ص: ٢٧٩)، وهو معزو له في الحجة لأبي علي (٢/ ٤٤٧)، وسمط اللآلي في شرح أمالي القالي (١/ ١٥٦).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٩٧).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٦٧).

(٤) البيت لذي الرّمة وهو منسوب له في الديوان (ص: ٥٦٦)، والحيوان (٣/ ٢٠٤)، والكامل للمبرد (١/ ٣٩)، ومعجم ديوان الأدب (١/ ٤٣٩)، والحجة لأبي علي (٢/ ٤٤٩)، وإيضاح شواهد الإيضاح (٢/ ٨١١)، والصحاح للجوهري (١/ ١٩٢)، والمحكم (٧/ ٤٤٨)، الزرق: قال في القاموس: النصال والرمال بالدهناء، وتَقَوَّب: زال وانقلع، والغربان: جمع غراب، وهو حد الورك الذي يلي الظهر.

(٥) الحجة (٢/ ٤٤٨).

(٦) انظر: الإقناع في مسائل الإجماع لابن القطان الفاسي (٣/ ١٦٥٩).

(٧) في المطبوع: «وجميع الصحابة».

الحكم بن عتيبة[١]، وأَبو الخطاب قتادة بن دعامة، وغيرهما: ليس قبض العدل بقبض، وقول الجمهور أَصح من جهة المعنى في الرهن[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَمِنَ﴾ الآية، شرط ربط به وصية الذي عليه الحق بالأَداءِ.

وقوله: ﴿فَلۡيُؤَدِّ﴾ أَمر بمعنى الوجوب، بقرينة الإِجماع على وجوب أَداءِ الديون، وثبوت حكم الحاكم به، وجبره الغرماءَ عليه[٣]، وبقرينة الأَحاديث الصحاح في تحريم مال الغير[٤].

وقوله: ﴿أَمَٰنَتَهُۥ﴾ مصدر سُمِّي به الشيءُ الذي في الذمة، وأَضافها إِلى الذي عليه الدين من حيث لها إِليه نسبة، ويحتمل أَن يريد بالأَمانة نفس المصدر، كأَنه قال: فليحفظ مروءَته، فيجيءُ التقدير: فليؤد ذا أَمانته[٥].

وقرأَ عاصم فيما روى عنه أَبو بكر: (الذي اؤْتُمِنَ) برفع الألف[٦]، ويشير بالضم إِلى الهمزة، قال أَحمد بن موسى: وهذه الترجمة غلط، وقرأَ الباقون بالذال مكسورة، وبعدها همزة ساكنة بغير إِشمام، وهذا هو الصواب الذي لا يجوز غيره، وروى سليم عن حمزة إِشمام الهمزة الضم، وهذا خطأٌ أَيضاً لا يجوز[٧]، وصوب أَبو علي هذا

---

(١) في السليمانية وفيض الله وجار الله وأحمد٣: «ابن عيينة»، وفي نور العثمانية: «أو عيينة»، وهو خطأ، فهو الإمام الجليل الحكم بن عتيبة الكندي الكوفي؛ قال عباس الدوري: كان الحكم صاحب عبادة وفضل، وقال أحمد بن عبد الله العجلي: كان الحكم ثقة، ثبتاً، فقيهاً، من كبار أصحاب إبراهيم، وكان صاحب سنة واتباع، وتوفي سنة (١١٤هـ)، أو سنة (١١٥هـ). انظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٠٨).

(٢) انظر القولين في: الأوسط لابن المنذر (١٠/ ٥٢٤-٥٢٥)، وانظر قول مالك وأصحابه في: تفسير القرطبي (٣/ ٤١٠).

(٣) انظر: الشرح الكبير لابن قدامة (٤/ ٤٥٨).

(٤) منها ما أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة، مرفوعاً: «كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ، دمُه ومالُه وعِرضُه».

(٥) في المطبوع: «دين أمانته»، وفي فيض الله: «ذو أمانة أمانته».

(٦) في المطبوع: «الذُي اؤتمن برفع الذال».

(٧) قال ابن مجاهد في السبعة (ص: ١٩٤): قرأ حمزة وعاصم في رواية يحيى بن آدم عن أبي بكر =

القول كلَّه الذي لأَحمد بن موسى، واحتج له[١]، وقرأَ ابن محيصن: ﴿الذي اوتُمِن﴾ بياءٍ ساكنة مكان الهمزة، وكذلك ما كان مثله[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ﴾ نهي عن الوجوب بعدة قرائن منها الوعيد، وموضع النهي هو حيث يخاف الشاهد ضياع الحق، وقال ابن عباس: على الشاهد أَن يشهد حيثما استشهد، ويخبر حيثما استخبر، قال: ولا تقل: أُخبر بها عند الأَمير، بل أَخبره بها، لعله يرجع ويرعوي[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا عندي بحسب قرينة حال الشاهد، والمشهود فيه، والنازلة، لا سيما مع فساد الزمن، وأَرذال الناس، ونفاق الحيلة، وأَغراض الدنيا عند الحكام، فرب شهادة إِن صرح بها في غير موضع النفوذ كانت سبباً لتخدم باطلاً ينطمس به الحق.

و﴿ءَاثِمٌ﴾ معناه: قد تعلق به الحكم اللاحق عن المعصية في كتمان الشهادة، وإِعرابه أَنه خبر (إِنَّ)، و﴿قَلْبُهُۥ﴾ فاعل بـ﴿ءَاثِمٌ﴾، ويجوز أَن يكون ابتداءً، و﴿قَلْبُهُۥ﴾ فاعل يسد مسد الخبر، والجملة خبر (إِن)، ويجوز أَن يكون ﴿قَلْبُهُۥ﴾ بدلاً على بدل البعض من الكل.

= وحفص عنه ﴿الذي اؤتمن﴾ بهمزة وبرفع الألف، ويشير إلى الهمزة بالضم، فقال أبو بكر: وهذه الترجمة لا تجوز لغة أصلاً، وروى خلف وغيره عن سليم عن حمزة ﴿الذي اؤتمن﴾ يشم الهمزة أيضاً الضم، وهذا خطأ لا يجوز إلا تسكين الهمزة، وقرأ الباقون ﴿الذي اؤتمن﴾ ساكنة الهمزة وهو الصواب الذي لا يجوز غيره. ولم يأت غيره في شيء مما تواتر عن حمزة ولا خلف في اختياره، ولا عن شعبة ولا عاصم من طرق التيسير ولا النشر.

(١) في الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ٤٥٠) وما بعدها.

(٢) وهي قراءة أبي جعفر ورواية ورش والسوسي على قاعدتهم في إبدال الهمزة الساكنة مداً، وفي الشواذ للكرماني (ص: ١٠٥)، عن ابن محيصن بالواو في الوصل، ثم ذكر له وجهاً آخر بتشديد التاء، وهو الذي في مختصر الشواذ (ص: ٢٥).

(٣) إسناده لا بأس به، أخرجه الطبري (٦/ ١٠٠) من طريق: ابن المبارك، عن محمد بن مسلم قال: أخبرنا عمرو بن دينار، عن ابن عباس به، ومحمد بن مسلم هو الطائفي.

وخص الله تعالى ذكر القلب؛ إِذ الكتم من أَفعاله، وإِذ هو المضغة التي بصلاحها يصلح الجسد، كما قال ﷺ(١).

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبَه) بنصب الباءِ(٢).

قال مكي: هو على التفسير، ثم ضعَّفه من أَجل أَنه معرفة(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ توعد وإِن كان لفظها يعم الوعد والوعيد.

قوله عز وجل: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾.

المعنى: جميع ما في السماوات وما في الأَرض ملك لله وطاعة؛ لأَنه الموجد المخترع لا رب غيره، وعبَّر بـ﴿مَا﴾ وإِن كان ثمَّ مَن يعقل؛ لأَن الغالب إِنما هو جماد [وحيوان لا يعقل](٤)، ويقِلُّ من يعقل من حيث قلت أَجناسه؛ إِذ هي ثلاثة: ملائكة، وإِنس، وجن، وأَجناس الغير كثيرة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ معناه أَن الأَمر سواءٌ لا ينفع فيه المواراة والكتم، بل يعلمه ويحاسب به.

وقوله: ﴿فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ تقتضي قوة اللفظ أَنه ما تقرر في النفس، واعتُقد، واستُصحبت الفكرة فيه، وأَما الخواطر التي يمكن دفعها فليست في النفس إِلا على تجوز.

واختلف الناس في معنى هذه الآية:

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) وهي شاذة انظر: مختصر الشواذ (ص: ٢٥).

(٣) عبارته في مشكل إعراب القرآن (١/ ١٤٦): «وأجاز أبو حاتم نصب (قلبه) بـ(آثم) ثم نصبه على التفسير، وهو بعيد؛ لأنه معرفة».

(٤) من المطبوع.

فقال ابن عباس، وعكرمة، والشعبي: هي في معنى الشهادة التي نهي عن كتمها، ثم أَعلم في هذه الآية أَن الكاتم لها، المخفي في نفسه محاسب(١).

وقال ابن عباس أَيضاً، وأَبو هريرة، والشعبي، وجماعة من الصحابة والتابعين: إِن هذه الآية لما نزلت شق ذلك على أَصحاب محمد ﷺ، وقالوا: هلكنا يا رسول الله إِن حوسبنا بخواطر أَنفسنا، وشق ذلك على النبي ﷺ، لكنه قال لهم: «أَتريدون أَن تقولوا كما قالت بنو إِسرائيل: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأَطعنا»، فقالوها، فأَنزل الله بعد ذلك: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، فكشف عنهم الكربة، ونسخ الله بهذه الآية تلك، هذا معنى الحديث المروي(٢)، وله طرق من جهات، واختلفت عباراته، واستتبت عبارة هؤلاءِ القائلين بلفظة النسخ في هذه النازلة.

وقال سعيد بن مرجانة(٣): جئت عبد الله بن عمر فتلا هذه الآية: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾، ثم قال: والله لئن أُخذنا بهذه الآية لنهلكن، ثم بكى حتى سالت دموعه وسمع نشيجه، قال ابن مرجانة: فقمت حتى جئت ابن عباس فأَخبرته بما قال ابن عمر وبما فعل، فقال: يرحم الله أَبا عبد الرحمن/ ، لقد وجِد [١/ ١٩٣] المسلمون منها حين نزلت مثل ما وجد عبد الله بن عمر، فأَنزل الله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ الآية، فنسخت الوسوسة، وثبت القول والفعل(٤).

---

(١) انظر هذه الأقوال في: «تفسير الطبري» (٦/ ١٠٣).

(٢) حديث أبي هريرة، وابن عباس أخرجهما مسلم (١٢٥، ١٢٦) بنحو اللفظ الذي ذكره المؤلف.

(٣) سعيد بن مرجانة أبو عثمان مولى بني عامر بن لؤي، ومرجانة هي أمه، كان من علماء المدينة، تابعي جليل حدث عن أبي هريرة، وابن عباس، وعنه علي بن الحسين، مع جلالته، وابناه: أبو جعفر الباقر، وعمر، وغيرهم، توفي سنة (٩٧هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٣٧٠).

(٤) هذا الأثر ذكر الدارقطني في العلل (١٣/ ٢٢٣) الخلاف في إسناده فقيل: عن مجاهد، عن ابن عمر، وأعله، وقيل: عن الزهري، عن سعيد بن مرجانة، عن ابن عمر، وقال: هذا أشبه بالصواب، مع الاختلاف فيه على الزهري، وقد أخرجه الطبري (٦/ ١٠٥) وغيره من طرق عن الزهري، به، وإسناده صالح، لكن قد روى البخاري (٤٥٤٥) (٤٥٤٦) من طريق: شعبة، عن خالد الحذاء عن مروان الأصفر عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ وهو ابن عمر، ـ وفي رواية قال: أحسبه ابن عمر =

وقال الطبري: وقال آخرون: هذه الآية محكمة غير منسوخة والله تعالى يحاسب خلقه على ما عملوا من عمل وعلى ما لم يعملوه مما ثبت في نفوسهم فأَضمروه ونووه وأَرادوه، فيغفر للمؤمنين ويأْخذ به [أَهل الكفر والنفاق، ثم أَدخل عن ابن عباس ما يشبه هذا المعنى(١).

وقال مجاهد: الآية فيما يطرأُ على النفوس](٢) من الشك واليقين»، وقال الحسن: الآية محكمة، وليست بمنسوخة، قال الطبري: وقال آخرون نحو هذا المعنى الذي ذكر عن ابن عباس. إِلا أَنهم قالوا: إِن العذاب الذي يكون جزاءً لما خطر في النفس وصحبه الفكر هو بمصائب الدنيا وآلامها وسائر مكارهها، ثم أَسند عن عائشة رضي الله عنها نحو هذا المعنى(٣)، ورجح الطبري أَن هذه الآية محكمة غير منسوخة(٤).

قال القاضي أَبو محمد: وهذا هو الصواب، وذلك أَن قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ معناه: مما هو في وسعكم وتحت كسبكم، وذلك استصحاب المعتقد والفكر فيه، فلما كان اللفظ مما يمكن أَن تدخل فيه الخواطر أَشفق الصحابة والنبي ﷺ، فبين الله تعالى لهم ما أَراد بالآية الأُولى وخصصها، ونص على حكمه أَنه لا يكلف الله نفساً إِلا وسعها، والخواطر ليست هي ولا دفعها في الوسع، بل هو أَمر غالب، وليست مما يكسب ولا يكتسب، وكان في هذا البيان فَرَجُهُم، وكشْف كربهم وباقي الآية محكمة لا نسخ فيها.

= ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ قال نسختها الآية التي بعدها، فهذا يُعل الرواية الأخرى، والله تعالى أعلم.

(١) تفسير الطبري (٦/ ١١٣).

(٢) ليس في السليمانية.

(٣) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (٦/ ١١٦)، من طريق جويبر، عن الضحاك، في قوله: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾، الآية، قال: كانت عائشة رضي الله عنها تقول: من هم بسيئة فلم يعملها، أرسل الله عليه من الهم والحزن مثل الذي هم به من السيئة فلم يعملها، فكانت كفارته، وجويبر هو ابن سعيد الأزدي متروك، ثم هو منقطع بين الضحاك وعائشة رضي الله عنها.

(٤) انظر قول الطبري، ونقله عن مجاهد والحسن، في تفسير الطبري (٦/ ١١٨).

ومما يدفع أَمر النسخ أَن الآية خبر، والأَخبار لا يدخلها النسخ[١]، فإِن ذهب ذاهب إِلى تقرير النسخ فإِنما يترتب له في الحكم الذي لحق الصحابة حين فزعوا من الآية، وذلك أَن قول النبي ﷺ لهم: «قولوا: سمعنا وأَطعنا» يجيءُ منه الأَمر بأَن يثبُتوا[٢] على هذا ويلتزموه، وينتظروا لطف الله في الغفران، فإِذا قرر هذا الحكم فصحيح وقوع النسخ فيه، وتشبه الآية حينئذ قوله عز وجل: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥]، فهذا لفظه الخبر، ولكن معناه: التزموا هذا، وابنوا[٣] عليه، واصبروا بحسبه، ثم نسخ ذلك بعد ذلك، وأَجمع الناس ـ فيما علمت ـ على أَن هذه الآية في الجهاد منسوخة بصبر المئة للمائتين، وهذه الآية في البقرة أَشبه شيءٍ بها[٤].

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ ويُعَذِبْ﴾ جزماً، وقرأَ ابن عامر وعاصم: ﴿فَيَغْفِرُ﴾، ﴿وَيُعَذِّبُ﴾ رفعاً[٥]، فوجه الجزم أَنه أَتبعه ما قبله ولم يقطعه، وهكذا تحسن المشاكلة في كلامهم، ووجه الرفع أَنه قطعه من الأَول، وقطعه على أَحد وجهين: إِما أَن تجعل الفعل خبراً لمبتدأ محذوف، فيرتفع الفعل لوقوعه موقع خبر المبتدأ، وإِما أَن تعطف جملة من فعل وفاعل على ما تقدمها.

وقرأَ ابن عباس، والأَعرج، وأَبو حيوة: (فَيَغْفِرَ)، (وَيُعَذِّبَ) بالنصب على إِضمار «أَنْ»، وهو معطوف على المعنى كما في قوله ﴿فَيُضَـٰعِفَهُۥ﴾ [الحديد: ١١]، وقرأَ الجُعْفِي، وخلاد[٦]،

---

(١) انظر هذا المبحث في: البحر المحيط للزركشي: (٣/ ١٧٦).

(٢) في الأصل وفيض الله والسليمانية: «يبنوا»، وفي نور العثمانية: «يكنوا».

(٣) في المطبوع: «واثبتوا».

(٤) انظر النسخ في آية الأنفال في: الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام (ص: ١٩٣)، والناسخ والمنسوخ للزهري (ص: ٢١)، والناسخ والمنسوخ للمقري (ص: ٩٤)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص: ٣٩)، ونقله ابن الجوزي في نواسخ القرآن (٢/ ٤٥٢) عن المفسرين.

(٥) فهما سبعيتان انظر: السبعة (ص: ١٩٥)، والتيسير (ص: ٨٦).

(٦) خلاد بن خالد الشيباني من كبار القراء، كان إماماً في القراءة، ثقة، عارفاً، محققاً، مجوداً، أستاذاً، أخذ القراءة عرضاً عن سليم، وهو من أضبط أصحابه وأجلهم، وروى القراءة عن أبي بكر وعن حسين الجعفي عنه، توفي سنة (٢٢٠هـ). غاية النهاية (١/ ٢٧٤).

وطلحة بن مُصَرِّف: (يَغْفِر) بغير فاءٍ، وروي أَنها كذلك في مصحف ابن مسعود[١]، قال ابن جني: هي على البدل من ﴿يُحَاسِبْكُم﴾ فهي تفسير المحاسبة[٢]، وهذا كقول الشاعر:

[الطويل]

رُوَيْداً بَني شَيْبَانَ بعْضَ وعيدكم تُلاقـوا غـداً خَيْلي عَلَى سَـفَوان

تُلاقـوا جياداً لا تحيدُ عَنِ الوَغَى إذا ما غَدَتْ في المَأْزِقِ المتَدَاني[٣]

فهذا على البدل، وكرر الشاعر الفعل؛ لأَن الفائدة فيما يليه من القول.

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ يعني من العصاة الذين ينفذ فيهم الوعيد، قال النقاش: يغفر لمن يشاءُ، أَي: لمن ينزع عنه، ويعذب من يشاءُ، أَي: من أَقام عليه[٤]، وقال سفيان الثوري: يغفر لمن يشاءُ العظيمَ، ويعذب من يشاءُ على الصغير[٥].

وتعلَّق بهذه الآية قوم ممن قال بجواز تكليف ما لا يطاق، وقال: إِن الله قد كلفهم أَمر الخواطر؛ وذلك مما لا يطاق.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا غير بيِّن، وإِنما كان أَمر الخواطر تأويلاً تأَوله أَصحاب النبي ﷺ، ولم يثبت تكليفاً إِلا على الوجه الذي ذكرنا من تقرير النبي ﷺ إِياهم على ذلك.

---

(١) وهما شاذتان عزا الأولى لابن عباس الثعلبي (٢/ ٣٠٣)، وله وللأعرج الكرماني في الشواذ (١٠٥)، وللثلاثة في البحر المحيط (٢/ ٧٥٢)، وعزا الثانية للمذكورين، وعزاها لابن مسعود في المحتسب (١/ ١٤٩)، ولطلحة في إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٤٠).

(٢) المحتسب (١/ ١٤٩).

(٣) من أبيات لوداك بن سنان بن نميلٍ المازني كما في العقد الفريد (٦/ ٥٩)، ديوان الحماسة (١/ ٣٢)، ونهاية الأرب (١٥/ ٢٩٨).

(٤) حكاه عنه أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٧٥٤).

(٥) انظره في: تفسير الثعلبي (٢/ ٣٠٣) هنا، وتفسير مجاهد (ص: ٣٠٤)، آية آل عمران، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٦)، آية الروم.

ومسأَلة تكليف مالا يطاق نتكلم عليها فيما بعد إِن شاءَ الله تعالى.

ولما ذكر المغفرة والتعذيب بحسب مشيئته تعالى عقَّب ذلك بذكر القدرة على جميع الأَشياءِ إِذا ما ذكر جزءٌ منها.

قوله عز وجل: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾.

سبب هذه الآية أَنه لما أُنزلت: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾ وأَشفق منها النبي ﷺ وأَصحابه رضي الله عنهم، ثم تقرر الأَمر على أَن قالوا: سمعنا وأَطعنا، فرجعوا إِلى التضرع والاستكانة، مدحهم الله وأَثنى عليهم في هذه الآية[1]، وقدم ذلك بين يدي رفقه بهم، وكشْفِه لذلك الكرب الذي أَوجبه تأَوُّلهُم، فجمع لهم تعالى التشريف بالمدح، والثناءَ، ورفع المشقة في أَمر الخواطر، وهذه ثمرة الطاعة والانقطاع إِلى الله تعالى، كما جرى لبني إِسرائيل ضد ذلك: من ذمهم، وتحميلهم المشقات من الذلة والمسكنة والجلاءِ، إِذ قالوا: سمعنا وعصينا[2]، وهذه ثمرة العصيان، والتمرد على الله، أَعاذنا الله من نقمته.

و﴿ءَامَنَ﴾ معناه: صدَّق، و﴿ٱلرَّسُولُ﴾: محمد ﷺ، و(ما انزل إليه من ربه): هو القرآن، وسائر ما أُوحي إِليه، من جملة ذلك هذه الآية التي تأَولوها شديدة الحكم.

ويروى أَن رسول الله ﷺ لما نزلت عليه قال: «ويحقُّ له أَن يؤمنَ»[3].

---

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) كما في سورة البقرة آية: (٩٣).

(٣) أخرجه الطبري (٦/ ١٢٤) من طريق قتادة معضلًا به. وأخرج الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨٧) من طريق خلاد بن يحيى، عن أبي عقيل، عن يحيى بن أبي كثير، عن أنس قال: لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ فذكره بنحوه، ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم =

وقرأ ابن مسعود: (وآمن المؤمنون)[١].

و﴿كُلٌّ﴾ لفظةٌ تصلح للإحاطة، وقد تستعمل غير محيطة على جهة التشبيه بالإِحاطة، والقرينةُ تبين ذلك في كل كلام[٢]، ولمَّا وردت هنا بعد قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ دلَّ ذلك على إِحاطتها بمن ذكر.

و«الإِيمان بالله»: هو التصديق به، وبصفاته، ورفض الأَصنام وكل معبود سواه.

و«الإِيمان بملائكته»: هو اعتقادهم عباداً[٣] لله، ورفض معتقدات الجاهلية فيهم.

[١/ ١٩٤] و«الإيمان بكتبه»: / هو التصديق بكل ما أُنزل على الأَنبياء الذين تضمن ذكرَهم كتابُ الله المنزل على محمد ﷺ، أَو ما أَخبر هو به.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم في رواية أَبي بكر، وابن عامر: ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ على الجمع، وقرؤُوا في «التحريم»: ﴿وكِتَابِهِ﴾[٤] على التوحيد.

وقرأَ أَبو عمرو هاهنا، وفي «التحريم»: ﴿وكُتُبِهِ﴾ على الجمع.

وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿وكِتَابِهِ﴾ على التوحيد فيهما.

وروى حفص، عن عاصم هاهنا وفي التحريم: ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ مثل أَبي عمرو[٥]،

= يخرجاه، وعلق عليه الذهبي فقال: منقطع. اهـ قلت: لأن يحيى بن أبي كثير اليمامي لم يسمع من أنس رضي الله عنه، وإنما رآه رؤية يصلي في المسجد الحرام، كما قاله أبو حاتم الرازي. انظر: الجرح والتعديل (٩/ ١٤١).

(١) وهي شاذة لمخالفة الرسم. انظر: المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٦٤)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٣٠٤).

(٢) في السليمانية: «عامٍّ».

(٣) في المطبوع: «اعتقاد وجودهم، وأنهم عباد».

(٤) الآية (١٢).

(٥) فهما قراءتان سبعيتان في الموضعين والحاصل أن حرف سورة البقرة قرأه بالإفراد حمزة والكسائي وافقه خلف العاشر والباقون بالجمع، وحرف التحريم قرأه بالجمع أبو عمرو وحفص عن عاصم وافقهما يعقوب، والباقون بالإفراد. انظر: السبعة في القراءات (ص: ١٩٥)، والتيسير في القراءات السبع (ص: ٨٥، ٢١٢)، والنشر (٢/ ٢٧٠، ٤٢٨).

وروى خارجة[١] عن نافع مثل ذلك[٢]، وبكل قراءَة من هذه قرأَ جمهور من العلماءِ[٣].

فمَنْ جمع أَراد جمع كتاب، ومن أَفرد أَراد المصدر الذي يجمع كل مكتوب كان نزوله من عند الله تعالى، هذا قول بعضهم، وقد وجَّهَهُ أَبو علي[٤]، وهو كما قالوا: نَسْجُ اليمن[٥].

وقال أَبو علي في صدر كلامه: أَما الإِفراد في قول من قرأَ: ﴿وكتابِهِ﴾ فليس كما تفرد المصادر وإِن أُريد بها الكثير كقوله: ﴿وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا﴾ [الفرقان: ١٤]، ونحو ذلك، ولكن كما تفرد الأَسماءُ التي يراد بها الكثرة كقولهم: كثر الدينار والدرهم، ونحو ذلك، فإِن قلت: هذه الأَسماءُ التي يراد بها الكثرة إِنما تجيءُ مفردة، وهذه مضافة، قيل: فقد جاءَ في المضاف ما يعنى به الكثرة، ففي التنزيل: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وفي الحديث: «منعت العراق دِرْهَمها وقَفِيزها»[٦]، فهذا يراد به الكثير كما يراد بما فيه لام التعريف.

ومنه قول ابن الرقاع[٧]:

---

(١) هو خارجة بن مصعب أبو الحجاج الضبعي السرخسي، أخذ القراءة عن نافع وأبي عمرو، وله شذوذ كثير عنهما لم يتابع عليه، وروى أيضاً عن حمزة حروفاً، روى عنه العباس بن الفضل وأبو معاذ النحوي ومغيث بن بديل، توفي سنة (١٦٨هـ). وغاية النهاية (١/ ٢٦٩).

(٢) انظر: السبعة في القراءات (ص: ١٩٥)، لكنها لم ترد من طريق النشر والشاطبية والتيسير.

(٣) لتفصيل القراء غير العشرة انظر: تفسير الطبري (٦/ ١٢٥)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٣٠٤)، والبحر المحيط (٢/ ٧٥٨).

(٤) في الحجة (٢/ ٤٥٦- ٤٦٠).

(٥) يعني منسوجه، فالكتاب بمعنى المكتوب.

(٦) أخرجه مسلم (٢٨٩٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه به.

(٧) وهو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع العاملي، شاعر مشهور مجيد من شعراء الدولة الأموية، توفي في حدود العشر والمئة. انظر الإكمال لابن ماكولا (٣/ ٣٣٦)، وطبقات فحول الشعراء (٢/ ٦٨١).

[الخفيف] يَـدَع الـحَـيَّ بـالعَشِـيِّ غِـرَاثـاً وَهُـمُ عَـنْ رغيفهـم أَغنيـاءُ[١]

ومجيءُ أَسماءِ الأَجناس معرفة بالأَلف واللام أَكثر من مجيئها مضافة.

وقراءَة الجماعة: ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ بضم السين، وكذلك: ﴿رُسُلُنَا﴾ و﴿رُسُلُكُم﴾ و﴿رُسُلِكَ﴾، إِلا أَبا عمرو فروي عنه تخفيف: ﴿رسْلنا﴾ و﴿رسْلكم﴾[٢]، وروي عنه في: ﴿رسلك﴾ التثقيل والتخفيف[٣]، قال أَبو علي: مَنْ قرأَ ﴿عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] بالتثقيل فذلك أَصل الكلمة، ومن خفف فكما يخفف في الآحاد مثل: عنْق وطنْب، فإِذا خفف في الآحاد فذلك أَحرى في الجمع الذي هو أَثقل[٤].

وقرأَ يحيى بن يعمر: (وكتْبه ورسْله) بسكون التاءِ والسين.

وقرأَ ابن مسعود: (وكتابه ولقائه ورسله)[٥].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾ بالنون، والمعنى: يقولون: لا نُفرق.

وقرأَ سعيد بن جبير، ويحيى بن يعمر، وأَبو زرعة بن عمرو بن جرير[٦]، ويعقوب: ﴿لا يُفرِّقُ﴾ بالياءِ[٧]، وهذا على لفظ ﴿كُلٌّ﴾.

---

(١) انظر عزوه له في: الديوان (ص: ١٥٨)، والحجة للفارسي (٢/ ٤٥٩).

(٢) فهما قراءتان سبعيتان في هذين الحرفين انظر: السبعة (١/ ١٩٥)، والتيسير (١/ ٦٧).

(٣) انظر: السبعة في القراءات (١/ ١٩٥)، لكن المتواتر عنه التثقيل: أي الضم، أما التخفيف أي السكون فليس من طرق النشر.

(٤) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ٤٦٠).

(٥) وهما شاذتان، ومثله في البحر المحيط (٢/ ٧٥٨)، وعزا الأولى الثعلبي (٢/ ٣٠٤) لرواية عن نافع، وفي الشواذ للكرماني (ص: ١٠٦) عن الحسن، وفي مختصر الشواذ عن أبي عمرو، وأما الثانية فلم أجدها لغيرهما.

(٦) أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي، اسمه هرم، وقيل: عمرو كاسم أبيه، فإن أباه مات في حياة جده وكفله جده، وقيل: إنه رأى علياً، روى عن: جده، وأبي هريرة، وكان ثقة نبيلاً شريفاً كثير العلم، وفد مع جده على معاوية. تاريخ الإسلام (٦/ ٥١٨).

(٧) وهي عشرية انظر قراءة يعقوب في: النشر (٢/ ٢٧٠) والباقين في تفسير الثعلبي (٢/ ٣٠٤).

قال هارون: وهي في حرف ابن مسعود: (لا يُفَرِّقُون) بالياءِ(١)، ومعنى هذه الآية: أَن المؤمنين ليسوا كاليهود والنصارى في أَنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ مدح يقتضي الحض على هذه المقالة، وأَن يكون المؤمن يمتثلها غابر الدهر، والطاعة: قبول الأَوامر.

و﴿غُفْرَانَكَ﴾ مصدر كالكفران والخسران، ونصبه على جهة نصب المصادر، والعامل فيه فعل مقدر، وقال الزجاج: تقديره: غفر غفرانك(٢)، وقال غيره: نطلب أَو نسأَل غفرانك.

و﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ إِقرار بالبعث والوقوف بين يدي الله تعالى.

وروي أَن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية ـ قال له جبريل: يا محمد، إِن الله قد أَجَّل الثناءَ عليك وعلى أُمتك، فسل تعطه، فسأَل إِلى آخر السورة(٣).

قوله عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ خبر جزم نص على أَنه لا يكلف العباد من وقت نزول الآية عبادة من أَعمال القلب أَو الجوارح إِلا وهي في وسع المكلف، ومقتضى إِدراكه وبنيته(٤)، وبهذا انكشفت الكربة عن المسلمين في تأَوُّلهم

---

(١) وهي شاذة انظر: مختصر الشواذ (ص: ٢٦)، والكشاف للزمخشري (١/ ٣٣١)، و«بالياء»: زيادة من المطبوع.

(٢) معاني القرآن للزجاج (١/ ٣٦٨).

(٣) مرسل، أخرجه الطبري (٦/ ١٢٩) من طريق بيان بن بشر الأحمسي، عن حكيم بن جابر، عن النبي ﷺ به، وحكيم بن جابر بن طارق بن عوف الأحمسي الكوفي ثقة من الطبقة الوسطى من التابعين.

(٤) في نور العثمانية: «وتثبيته».

أَمر الخواطر، وتأَول من ينكر جواز تكليف مالا يطاق هذه الآية بمعنى أَنه لا يكلِّف ولا كلَّف، وليس ذلك بنص في الآية، ولا أَيضاً يدفعها اللفظ، ولذلك ساغ الخلاف.

وهذا المعنى الذي ذكرناه في هذه الآية يجري مع معنى قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

واختلف الناس في جواز تكليف ما لا يطاق في الأَحكام التي هي في الدنيا بعد اتِّفاقهم على أَنه ليس واقعاً الآن في الشرع، وأَن هذه الآية آذنت بعدمه:

فقال أَبو الحسن الأَشعري(١)، وجماعة من المتكلمين: تكليف ما لا يطاق جائز عقلاً، ولا يحرم ذلك شيئاً من عقائد الشرع، ويكون ذلك أَمارة على تعذيب المكلف، وقطعاً به، وينظر إِلى هذا تكليف المصور أَن يعقد شعيرة حسب الحديث(٢).

واختلف القائلون بجوازه هل وقع في رسالة محمد ﷺ، أَم لا؟:

فقالت فرقة: وقع في نازلة أَبي لهب؛ لأَنه حكم عليه بتَبِّ اليدين، وصليِّ النار، وذلك مؤذن بأَنه لا يؤمن، وتكليف الشرع له الإِيمان راتب، فكأَنه كلف أَن يؤمن، وأَن يكون في إِيمانه أَنه لا يؤمن؛ لأَنه إِذا آمن فلا محالة أَنه يؤمن بسورة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾.

وقالت فرقة: لم يقع قط، وقوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا﴾ [المسد: ٣] إِنما معناه: إِنْ وافى على كفره.

---

(١) هو الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل البصري المتكلم، من ذرية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، صاحب التصانيف في الكلام والأصول والملل والنحل، سمع من: زكريا الساجي، وأبي خليفة الجمحي، وسهل بن نوح، وكان معتزلياً، ثم تاب من الاعتزال، قال الصيرفي: كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله الأشعري فحجرهم في أقماع السمسم، توفي سنة (٣٢٤هـ). «تاريخ الإسلام» (٢٤/ ١٥٤).

(٢) أخرج البخاري (٧٠٤٢) من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «من تحلَّم بحُلم لم يره كُلِّف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل... ومن صور صورة عذب وكلف أن ينفخ فيها وليس بنافخ».

قال القاضي أَبو محمد: وما لا يطاق ينقسم أَقساماً، فمنه المحال عقلاً كالجمع بين الضدين، ومنه المحال عادة كرفع الإِنسان جبلاً، ومنه ما لا يطاق من حيث هو مهلك كالاحتراق بالنار ونحوه، ومنه ما لا يطاق للاشتغال بغيره، وهذا إِنما يقال فيه: ما لا يطاق على تجوز كثير.

و﴿يُكَلِّفُ﴾ يتعدى إِلى مفعولين، أَحدهما محذوف تقديره: عبادة أَو شيئاً.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (إِلا وَسِعها)[١]، [بفتح الواو وكسر السين][٢]، [كأنه فعل ماض][٣]، وهذا فيه تجوز؛ لأنه مقلوب، وكان وجه اللفظ (إِلا وسِعَته)، كما قال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وكما قال: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨]، ولكن يجيءُ هذا من باب أَدخلت القلنسوة في رأسي، وفمي في الحجر.

وقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ يريد من الحسنات، ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ يريد من السيئات، قاله السدي، وجماعة من المفسرين[٤]، ولا خلاف في ذلك.

والخواطر ونحوها ليس من كسب الإِنسان.

وجاءَت العبارة في الحسنات بـ﴿لَهَا﴾ من حيث هي مما يفرح الإِنسان بكسبه، ويُسَرُّ المرء به، فتضاف إِلى ملكه، وجاءَت في السيئات بـ (عَلَيْهَا) من حيث هي أَوزار وأَثقال ومتحملات[٥] صعبة، وهذا كما تقول: لي مالٌ، وعليَّ ديْن، وكما قال المتصدق باللقطة: اللهم عن فلان، فإِن أَبى فلي وعليّ[٦].

(١) انظر عزوها له في: مختصر الشواذ (ص: ٢٥)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٣٠٥).

(٢) ساقط من أحمد٣ وجار الله.

(٣) زيادة من أحمد٣ وجار الله، وكأنه بدل مما قبله.

(٤) تفسير الطبري (٦/ ١٣١).

(٥) في المطبوع: «محتملات».

(٦) قال البخاري (٥/ ٢٠٢٦) في (كتاب الطلاق، باب حكم المفقود في أهله وماله): اشترى ابن مسعود جارية والتمس صاحبها سنة فلم يجده وفقد، فأخذ يعطي الدرهم والدرهمين وقال: اللهم عن فلان، فإن أتى فلان فلي وعلي، وقال: هكذا فافعلوا باللقطة.

[١/ ١٩٥] وكرر فعل الكسب فخالف/ بين التصريف حسناً لنمط الكلام كما قال: ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾ [الطارق: ١٧]، هذا وجه.

والذي يظهر لي في هذا أَن الحسنات هي ما كسب دون تكلف؛ إِذ كاسبها على جادة أَمر الله ورسم شرعه، والسيئات تكتسب ببناءِ المبالغة؛ إِذ كاسبها يتكلف في أَمرها خرق حجاب نهي الله تعالى، ويتخطاه إِليها، فيحسن في الآية مجيءُ التصريفين إِحرازاً لهذا المعنى.

وقال المهدوي، وغيره: وقيل: معنى الآية: لا يؤخذ أَحد بذنب أَحد[١].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا صحيح في نفسه، لكن من غير هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ﴾ معناه: قولوا في دعائكم.

واختلف الناس في معنى قوله: ﴿إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾:

فذهب الطبري وغيره إِلى أَنه النسيان بمعنى الترك؛ أَي: إِن تركنا شيئاً من طاعتك، وأَنه الخطأُ المقصود[٢]، قالوا: وأَما النسيان الذي يغلب المرءَ، والخطأُ الذي هو عن اجتهاد فهو موضوع عن المرءِ، فليس بمأمور في الدعاءِ في أَلا يُؤَاخذ به، وذهب كثير من العلماءِ إِلى أَن الدعاءَ في هذه الآية إِنما هو في النسيانِ الغالب، والخطأ غير المقصود، وهذا هو الصحيح عندي.

قال قتادة في تفسير الآية: بلغني أَن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الله تجاوز لأُمتي عن نسيانها وخطئها»[٣]، وقال السُدّي: لما نزلت هذه الآية فقالوها، قال جبريل للنبي ﷺ: «قد فعل الله لهم ذلك يا محمد»[٤].

---

(١) نقله عنه القرطبي في تفسيره (٣/ ٤٣١).

(٢) انظر: تفسيره (٦/ ١٣٦).

(٣) رُويَ هذا الحديث من طرقٍ عدة، وقد ضعفه الأئمة النقاد، فقد قال الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ في علله رواية ابنه عبد الله (١/ ٢٢٧) بعد أن أنكره جداً: ليس يُروى فيه إلا عن الحسن، عن النبي ﷺ، وقال أبو حاتم الرازي كما في علل ابنه (٤/ ١١٧): ولا يصح هذا الحديث، ولا يثبت إسناده.

(٤) رواه الطبري (٦/ ١٣٢)، من طريق ضعيف، عن السدي معضلاً به. والحديث ثابت من غير هذا =

قال القاضي أبو محمد: فظاهر قوليهما ما صححته، وذلك أَن المؤمنين لما كشف عنهم ما خافوه في قوله تعالى: ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾، أُمروا بالدعاءِ في دفع ذلك [النوع الذي][1] ليس من طاقة الإِنسان دفعه، وذلك في النسيان والخطأ.

و«الإِصر»: الثقل، وما لا يطاق على أَتم أَنواعه.

وهذه الآية ـ على هذا القول ـ تقضي بجواز تكليف ما لا يطاق، ولذلك أَمر المؤمنين بالدعاءِ في أَلا يقع هذا الجائز الصعب، ومذهب الطبري والزجاج أَن تكليف ما لا يطاق غير جائز[2]، فالنسيان عندهم: المتروك من الطاعات، والخطأُ: هو المقصود من العصيان.

و«الإِصر»: هو العبادات الثقيلة كتكاليف بني إِسرائيل من قتل أَنفسهم، وقرض أَبدانهم، ومعاقباتهم على معاصيهم في أَبدانهم حسبما كان يكتب على أَبوابهم، وتحميلهم العهود الصعبة، وما لا طاقة للمرءِ به: هو عندهم على تجوُّز، كما تقول: لا طاقة لي على خصومة فلان، ولغير ذلك من الأَمر تستصعبه وإِن كنت في الحقيقة تطيقه، أَو يكون ذلك مالا طاقة لنا به مِنْ حيث هو مهلك لنا كعذاب جهنم وغيره.

وأَما لفظة: «أَخطأَ» فقد تجيءُ في القصد ومع الاجتهاد.

قال قتادة: «الإِصر»: العهد والميثاق الغليظ، وقاله مجاهد وابن عباس، والسدي، وابن جريج، والربيع، وابن زيد، وقال عطاءٌ: «الإِصر»: المسخ قردة وخنازير، وقال ابن زيد أَيضاً: «الإِصر»: الذنب لا كفارة فيه ولا توبة منه، وقال مالك رحمه الله: «الإِصر»: الأَمر الغليظ الصعب[3].

= الوجه، فقد رواه الإمام مسلم في صحيحه (١٢٦)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، بنحوه، دون ذكر جبريل عليه السلام.

(١) ليس في المطبوع.

(٢) معاني القرآن للزجاج (١/ ٣٧١)، وتفسير الطبري (١/ ٢٦٢).

(٣) انظر هذه الأقوال في: تفسير الطبري (٦/ ١٣٩، ١٣٨).

قال القاضي أبو محمد: والآصرة في اللغة: الأَمر الرابط من ذمام أَو قرابة أَو عهد ونحوه، فهذه العبارات كلها تنحو نحوه، والإِصار: الحبلُ الذي تربط به الأَحمال ونحوها، [والقِدُّ يضمُّ عضدي الرجل][١]، يقال: أَصر يأْصر أَصراً، والإِصر بكسر الهمزة: الاسم من ذلك، وفي هذا نظر.

وروي عن عاصم أنه قرأ: (أُصراً) بضم[٢] الهمزة[٣].

ولا خلاف أَن ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا﴾ يراد به اليهود، وقال الضحاك: والنصارى[٤].

وأَما عبارات المفسرين في قوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ فقال قتادة: لا تشدد علينا كما شددت على من كان قبلنا، وقال الضحاك: «لا تحملنا من الأَعمال ما لا نطيق»، وقال نحوه ابن زيد، وقال ابن جريج: لا تمسخنا قردة وخنازير، وقال سلام بن سابور: الذي لا طاقة لنا به الغُلمَة[٥]، وحكاه النقاش[٦] عن مجاهد وعطاءٍ ومكحول[٧].

وروي أَن أَبا الدرداءِ كان يقول في دعائه: وأَعوذ بك من غُلمة ليس لها عدة[٨]، وقال السدي: هو التغليظ والأَغلال التي كانت على بني إِسرائيل من التحريم.

ثم قال تعالى فيما أَمر المؤمنين بقوله: ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا﴾، أَي: فيما واقعناه وانكشف، ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾، أَي: استر علينا ما علمت منا، ﴿وَٱرۡحَمۡنَآ﴾، أَي: تفضل مبتدئاً برحمة منك لنا.

---

(١) ليس في فيض الله والسليمانية.

(٢) في فيض الله: «بكسر»، وهو خطأ؛ لأنها قراءته المتواترة عنه وعن الجميع، فليست هي المقصود.

(٣) ولم تصح عنه فهي شاذة، انظرها في: البحر المحيط (٢/ ٧٦٥).

(٤) تابعه في البحر المحيط (٢/ ٧٦٥)، ونقله الطبري (٦/ ١٣٦) عن ابن جريج.

(٥) انظر أقوالهم جميعاً في: تفسير الطبري (٦/ ١٣٧)، وما بعدها.

(٦) حكاه عنه أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٣٨٤).

(٧) في فيض الله: «عن مكحول»، وفي السليمانية والأصل: «وعن مكحول»، وانظر حكاية النقاش في: تفسير القرطبي (٣/ ٤٣٣)، والبحر المحيط (٢/ ٧٦٥)، وأثر مكحول في تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٨١).

(٨) لم أقف عليه.

قال القاضي أَبو محمد: فهي مناح من الدعاءِ متباينة، وإِن كان الغرض المراد بكل واحد منها واحداً وهو دخول الجنة.

و﴿أَنتَ مَوۡلَىٰنَا﴾ مدح في ضمنه تقرب إِليه، وشكر على نعمه، ومولى: هو من ولي، فهو مَفْعل؛ أَي: موضع الولاية، ثم ختمت الدعوة[١] بطلب النصر على الكافرين الذي هو ملاك قيام الشرع، وعلوّ الكلمة، ووجود السبيل إِلى أَنواع الطاعات.

وروي أَن جبريل عليه السلام أَتى محمداً ﷺ فقال: قل: «رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا»، فقالها، فقال جبريل: قد فعل، فقال: قل كذا وكذا، فيقولها، فيقول جبريل: قد فعل إِلى آخر السورة[٢]، تظاهرت بهذا المعنى أَحاديث.

وروي عن معاذ بن جبل أَنه كان إِذا فرغ من قراءَة هذه السورة قال: آمين[٣].

قال القاضي أَبو محمد: هذا يظن به أَنه رواه عن النبي ﷺ، فإِن كان ذلك فكمال، وإِن كان بقياس على سورة الحمد من حيث هناك دعاءٌ، وهنا دعاءٌ فحَسن.

وروى أَبو مسعود عقبة بن عمرو[٤]، عن النبي ﷺ أَنه قال: «مَنْ قَرَأَ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»[٥]، يعني عن قيام الليل، وقال علي بن أَبي طالب رضي

---

(١) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «ثم ختمت السورة»، وأشار لها في هامش الأصل.

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

(٣) أخرجه الطبري (٦/ ١٤٦)، من طريق أبي إسحاق السبيعي، أن معاذاً كان....فذكره، وهذا إسناد ضعيف لإرساله.

(٤) في أحمد٣ والسليمانية وفيض الله وجار الله: «بن عامر»، والصحيح أنه عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، أبو مسعود البدري، مشهور بكنيته، واتفقوا على أنه شهد العقبة، واختلفوا في شهوده بدراً، وقيل: إنه نزل ماء ببدر، فنسب إليه، وشهد أحداً وما بعدها، مات سنة أربعين أو قبلها، انظر: الإصابة (٤/ ٤٣٢)، وأما عقبة بن عامر فاسم اثنين من أجلاء الصحابة أحدهما من بني جهينة مشهور بالرواية، والآخر من الأنصار من بني سلمة، بدري، ترجم لهما في الإصابة قبل هذا بقليل.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٧٨٦)، ومسلم (٨٠٧) من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه.

الله عنه: ما أَظن أَحداً عقل وأَدرك الإِسلام ينام حتى يقرأَهما[١].

وروي أَن النبي ﷺ قال: «أُوتيت هؤلاءِ الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش، لم يُؤتَهنَّ أَحد قبلي»[٢].

كملت سورة البقرة، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، والله أعلم.

(١) لم أقف له على إسناد.

(٢) إسناده صحيح على شرط مسلم، أخرجه الإمام أحمد (٣٨/ ٢٨٧)، والنسائي في الكبرى (٥١٥)، وغيرهما من طرق عدة، عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة رضي الله عنه، مرفوعاً به.
تنبيه: عزا البعض هذه الرواية للإمام مسلم في صحيحه، وهذا وهمٌ منهم، حيث إن متن الحديث يُروى عند من عزوت لهم بزيادة ألفاظ روى مسلم بعضها في صحيحه (٥٢٢)، ولم يأت بهذه اللفظة عنده، ولكن جاء عنده في آخر الرواية: (وذكر خصلة أخرى)، ونص البعض أنها آخر آيات سورة البقرة، والعلم عند الله تعالى.

سورة آل عمران

هذه السورة مدنية بإجماع فيما علمت[١]، وذكر النقَّاش أن اسم هذه السورة في التوراة[٢]: طيبة[٣].

قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾ /. [١/ ١٩٦]

قد تقدم ذكر اختلاف العلماء في الحروف التي في أوائل السور في أول سورة البقرة، ومن حيث جاء في هذه السورة ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ جملة قائمة بنفسها فتتصور تلك الأقوال كلها في: ﴿الم﴾ في هذه السورة.

وذهب الجرجاني في «النظم» إلى أن أحسن الأقوال هنا أن يكون ﴿الم﴾ إشارة إلى حروف المعجم[٤]، كأنه يقول: هذه الحروف كتابك أو نحو هذا، ويدل قوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ على ما ترك ذكره مما هو خبر عن

---

(١) انظر كونها مدنية في: معاني القرآن للنحاس (١/ ٣٣٧)، تفسير السمعاني (١/ ٢٩٠) الهداية لمكي (٢/ ٩٤٥)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٢٧٤)، وانظر الإجماع عليه في: تفسير القرطبي (٤/ ١)، ومناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ١٣٨).

(٢) في أحمد٣: «القرآن»، وعلى هامشه تصحيح لم يتضح في التصوير، وهي غير مقروءة في جار الله.

(٣) انظر قول النقاش في: تفسير القرطبي (٤/ ١)، ومثله في التفسير من سنن سعيد بن منصور (٣/ ١١٣٨) عن أبي عطاف.

(٤) نقله عنه في البحر المحيط (٣/ ١٣).

الحروف، قال: وذلك في نظمه مثل قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢١]، وترك الجواب لدلالة قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، تقديره: كمن قسا قلبه، ومنه قول الشاعر:

[الطويل]

فَـلا تَدْفِنُونِـي إِنَّ دَفْنِـي مُحَـرَّمٌ عَلَيْكُمْ، وَلَكِن خَامِرِي أُمَّ عَامِرِ[1]

التقدير: ولكن اتركوني للتي يقال لها: خامري أُمَّ عامر.

قال القاضي أبو محمد: يحسن في هذا القول أن يكون ﴿نَزَّلَ﴾ خبرَ قوله: ﴿ٱللَّهُ﴾ حتى يرتبطَ الكلام إلى هذا المعنى.

وهذا الذي ذكره القاضي الجرجانيّ فيه نظر؛ لأن مُثُله ليست صحيحة الشبه بالمعنى الذي نحا إليه، وما قاله في الآية محتمل، ولكن الأبرع[2] في نظم الآية أن تكون ﴿الٓمٓ﴾ لا[3] تضم ما بعدها إلى نفسها في المعنى، وأن يكون ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ كلاماً مبتدأ جزماً جملة رادّةً على نصارى نجران الذين وفدوا على رسول الله عليه السلام فحاجّوه في عيسى بن مريم وقالوا: إنه الله.

وذلك أن ابن إسحاق والربيع[4] وغيرهما ممن ذكر السير رووا: أن وفد نجران قدم على رسول الله ﷺ: نصارى ستون راكباً، فيهم من أشرافهم أربعة عشر رجلاً، في الأربعة عشر ثلاثة نَفَر، إليهم يرجع أمرهم: العاقب أمير القوم وذو رأيهم [واسمه عبد المسيح، والسيد ثِمالهم[5]، وصاحب مجتمعهم، واسمه الأيهم][6]، وأبو حارثة بن

(١) البيت للشنفرى كما في فقه اللغة (ص: ٢٣٨)، ومقاييس اللغة (٢/ ٢١٧)، والشعر والشعراء (١/ ٨٠)، والعقد الفريد (١/ ٩٣)، والصناعتين (ص: ١٨٣)، وشرح ديوان الحماسة (ص: ٣٤٧)، ونسبه في الحيوان (٦/ ٥٥٩)، لتأبّط شرّاً، ويروى: تقبروني.

(٢) في نور العثمانية: «الأبدع»، وأشار لها في هامش جار الله.

(٣) «لا» ليست في نور العثمانية والحمزوية وجار الله، وهي في أحمد٣ ملحقة غير واضحة.

(٤) ليس في الحمزوية، وفيها: «وغيره»، والأثر رواه الطبري في التفسير (٦/ ١٥٤)، بسنده عن ابن أبي جعفر [وهو عبد الله]، عن أبيه، عن الربيع به من قوله، وعبد الله ليس بحجة، قاله الذهبي، وأبوه فيه ضعف.

(٥) أي: عمادهم، وغياث لهم، انظر: اللسان (٣/ ٤١)، مادة: ثمل.

(٦) ليس في السليمانية.

علقمة أحد بني بكر بن وائل أُسقفُّهم وعالمهم، فدخلوا على رسول الله ﷺ المسجدَ إثرَ صلاةِ العصر، عليهم ثياب[(١)] الحِبَـرَات[(٢)] جببٌ وأردية، فقال أصحاب رسول الله عليه السلام: ما رأينا وفداً مثلهم جمالاً وجلالة، وحانت صلاتهم فقاموا فصلَّوا في مسجد رسول الله ﷺ إلى المشرق، فقال النبي ﷺ: «دَعُوهم».

ثم أقاموا بالمدينة أياماً يناظرون رسول الله ﷺ في عيسى ويزعمون أنه الله، إلى غير ذلك من أقوال شنيعة[(٣)] مضطربة، ورسولُ الله ﷺ يردُّ عليهم بالبراهين الساطعة وهم لا يبصرون، ونزل فيهم صدرُ هذه السورة إلى نيف وثمانين آية، إلى أن آل أمرهم إلى أن دعاهم رسول الله ﷺ إلى الابتهال[(٤)]، وسيأتي تفسير ذلك.

وقرأ السبعة: ﴿الٓمٓ ٱللَّهُ﴾ بفتح الميم والألف ساقطة، وروي عن عاصم أنه سكَّنَ الميم ثم قَطَعَ الألف، وروى الأولى التي هي كالجماعة حفص، وروى الثانية أبو بكر، وذكرها الفراء عن عاصم.

---

(١) زيادة من فيض الله وأحمد٣، ونور العثمانية.

(٢) الحبرة بفتح الباء وكسرها: ثوب من قطن أو كتان مخطط.

(٣) في المطبوع وفيض الله: «بشعة»، وأشار لها في هامش الأصل، والمعنى واحد.

(٤) لا يصح بهذا السياق، وهو في الصحيح مختصراً، وقد ورد في السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١١٤) ورواه الطبري في تفسيره (٦/ ١٥١) عن محمد بن حميد قال: حدثنا سلمة بن الفضل قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر قال: قدم على رسول الله ﷺ وفد نجران: ستون راكباً، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، في الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم...وهذا إسناد مرسل، محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام الأسدي ثقة، ولكنه لم يلق أحداً من الصحابة؛ ولذلك عده الحافظ ابن حجر من الطبقة السادسة، وقد قال عنها الحافظ في مقدمة تقريبه: طبقة عاصروا الخامسة، لكن لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة.اهـ. ومحمد بن حميد شيخ الطبري الأكثر على تركه.

وفي ذكر أهل نجران أخرج البخاري (٤٠٢٩) عن حذيفة بن اليمان قال: جاء السيد والعاقب صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قالا: إنما نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً. قال: «لأبعثن معكم رجلاً أميناً حقَّ أمينٍ»، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: «قم يا أبا عبيدة بن الجراح»، فلما قام قال رسول الله ﷺ: «هذا أمين هذه الأمة».اهـ. وليس فيه ما في رواية أهل السير من القصة والطول.

وقرأ أبو جعفر الرؤاسي وأبو حيوة[١]: (ألمِ) بكسر الميم للالتقاء، وذلك رديء؛ لأن الياء تمنع من ذلك، والصواب الفتح قراءة جمهور الناس[٢].

قال أبو علي: حروف التهجّي مبنيةٌ على الوقف، فالميم ساكنة، واللام ساكنة، فحركت الميم بالفتح كما حركت النون في قولك: منَ الله ومنَ المسلمين إلى غير ذلك[٣].

قال القاضي أبو محمد: ومن قال بأن حركة الهمزة ألقيت على الميم فذلك ضعيف؛ لإِجماعهم على أن الألف الموصولة في التعريف تسقط في الوصل، فما يسقط فلا تُلقَى حركته، قاله أبو علي[٤].

وقد تقدم تفسير قوله: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ في آية الكرسيّ، والآية هنالك إخبار لجميع الناس، وكررت هنا إخباراً بحجج هؤلاء النصارى، ويرد عليهم أن هذه الصفات لا يمكنهم ادعاؤها لعيسى عليه السلام؛ لأنهم إذ يقولون إنه صُلِب، فذلك موت في معتقدهم لا محالة، إذ من البين أنه ليس بقيوم.

وقرأ جمهور القراء: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ وزنه فَيْعُول.

وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعبد الله بن مسعود وعلقمة بن قيس[٥]:

---

(١) ليست في الحمزوية.

(٢) ومنهم القراء العشرة، وانظر القراءة الأولى لأبي بكر عن عاصم ونقلَ الفراء لها في: السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٠٠)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٧٣)، وليست من طرق التيسير ولا النشر، وعزا الثانية لأبي حيوة في البحر المحيط (٣/ ٩)، قال: وعزاها ابن عطية للرؤاسي، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ٢٥) لعمرو بن عبيد، والكرماني في الشواذ (ص: ١٠٧) للحسن، وعزا الزجاج، والنحاس في إعراب القرآن (١/ ١٤٢)، والأزهري في معاني القراءات (١/ ١٢١)، والقرطبي (٤/ ١)، للرؤاسي سكون الميم.

(٣) الحجة (٣/ ٨-٩).

(٤) الحجة (٣/ ٩).

(٥) هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك أبو شبل النخعي الفقيه الكبير، ولد في حياة النبي ﷺ، وأخذ القرآن عرضاً عن ابن مسعود وسمع من علي وعمر وعائشة، عرض عليه القرآن إبراهيم بن يزيد النخعي توفي سنة (٦٢هـ). غاية النهاية (١/ ٢٣٠).

(القيَّام) وزنه «فَيْعال»، وروي عن علقمة أيضاً أنه قرأ: (القَيِّم) وزنه فَيْعِل[١].

وهذا كله من: قام بالأمر يقوم به إذا اضطلع بحفظه وبجميع ما يحتاج إليه في وجوده، والله تعالى القيّام على كل شيء بما ينبغي له أو فيه أو عليه.

وتنزيل الله الكتاب هو بواسطة الملك جبريل عليه السلام.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ في هذا الموضع: القرآن باتفاق من المفسرين[٢].

وقرأ جمهور الناس: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ﴾ بتشديد الزاي، ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ بنصب الباء.

وقرأ إبراهيم النخعي: (نَزَلَ عليك الكتابُ) بتخفيف الزاي، ورفع الباء[٣].

وهذه الآية تقتضي أن قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ جملة مستقلة منحازة.

وقوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ يحتمل[٤] معنيين:

أَحدهما: أن يكون المعنى: ضمن الحقائق من خبره وأمره ونهيه ومواعظه، فالباءُ على حدِّها في قوله: جاءني كتابٌ بخبر كذا وكذا، أي: ذلك الخبر مقتصّ فيه.

والثاني: أن يكون المعنى: أنه نزل الكتاب باستحقاق أن ينزل لما فيه من المصلحة الشاملة، وليس ذلك على أنه واجب على الله تعالى أن يفعله، بل له بالحقِّ أن يفعله، فالباءُ في هذا المعنى على حدها في قوله تعالى حكايةً عن عيسى عليه السلام: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦].

---

(١) وهي قراءات شاذة، انظر عزو القراءتين لأصحابهما في: تفسير الطبري (٦/ ١٥٥)، وانظر: تفسير الثعلبي (٢/ ٢٣٠)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٢٦٠)، والمحتسب لابن جني (١/ ١٥١).

(٢) نقل اتفاق المفسرين في البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ١٤)، وانظر: تفسير الطبري (٦/ ١٦٠و ١٦٤)، وتفسير السمعاني (١/ ٢٩١)، والهداية لمكي (٢/ ٩٤٧)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٨٧).

(٣) انظر عزوها له ولآخرين معه في: المحتسب لابن جني (١/ ١٦٠)، وللأعمش في مختصر الشواذ (ص: ٢٥).

(٤) أشار لها في هامش المطبوع إلى أن في نسخة: «يقتضي».

وقال محمد بن جعفر بن الزبير[١]: معنى قوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: أي فيما اختلف فيه أهلُ الكتاب واضطرب فيه هؤلاء النصارى الوافدون[٢]، وهذا داخل في المعنى الأول.

[١/ ١٩٧] و﴿مُصَدِّقًا﴾ حالٌ مؤكدة، وهي راتبةٌ غير منتقلة؛ لأنه لا يمكن أن يكونَ غيرَ / مصدِّق لما بين يديه من كتاب[٣] الله، فهو كقول ابن دارة:

[البسيط] أَنـا ابْـنُ دَارَةَ مَعْرُوفـاً بِهَا نَسَـبِي وَهَـلْ بِدَارَةَ يَا لَلنَّـاسِ مِنْ عَارِ[٤]

و﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: التوراة والإنجيل وسائر كتب الله التي تُلقِّيت من شرعنا كالزبور والصحف، وما بين اليد في هذه الحوادث هو المتقدم في الزمن.

و(التوراة) و(الإنجيل): اسمان أصلهما عبراني، لكن النحاةَ وأهلَ اللسان[٥] حملوهما على الاشتقاق العربي، فقالوا في التوراة: إنها من ورِيَ الزنادُ[٦] يَرِي[٧] إذا قدح وظهرت ناره، يقال: أوريته فورِيَ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ [العاديات: ٢]، وقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ﴾ [الواقعة: ٧٠].

قال أبو علي: فأَما قولهم: وَرِيَتْ بك زنادي على وزن فَعِلَتْ، فزعم أبو عثمان أنه استعمل في هذا الكلام فقط ولم يجاوَزْ به غيره[٨].

وتوراة عند الخليل وسيبويه وسائر البصريين فَوْعَلة كحَوْقَلة، أصلها وَوْرَية قلبت

---

(١) محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام القرشي مدني سمع عروة وغيره، وكان عالماً من فقهاء أهل المدينة وقرائهم، وله أحاديث، قال الدارقطني والنسائي: ثقة يعتبر به، توفي بين ١١٠هـ إلى ١٢٠هـ. التاريخ الكبير (١/ ٥٤) وتهذيب التهذيب (٠٩/ ٩٣).

(٢) انظر قوله في: تفسير الطبري (٦/ ١٦١).

(٣) في أحمد٣ وجار الله: «كتب»، وكذا في المطبوع مع الإشارة للنسخة الأخرى في الهامش.

(٤) البيت لسالم بن دارة، ودارة اسم أمه كما تقدم في تفسير الآية (٨٩) من سورة البقرة.

(٥) في السليمانية: «البيان».

(٦) في المطبوع: «الزند»، مع الإشارة إلى النسخة الأخرى في هامشه.

(٧) ليست في الأصل والسليمانية، وأشار لذلك في هامش المطبوع.

(٨) في الحجة (٣/ ١٠-١١).

الواو الأولى تاء، كما قلبت في «تولج»، وأصله: «وولج» من: ولجت، وحكى الزجاج عن بعض الكوفيين: أن توراة أصلها تَفْعَلة بفتح العين[١]، من: وَرِيَتْ بكَ زنادي.

قال القاضي أبو محمد: وإنما ينبغي أن تكون من: أوريتُ، قال: فهي تَوْرِية.

وقال بعضهم: يصلح أن تكون تَفْعِلة بكسر العين مثل توصية، [ثم ردَّت إلى تَفْعَلة بفتح العين، قال الزجاج: وكأنه يجيز في توصية][٢] توصاة، وذلك غير مسموع[٣].

وعلى كلِّ قولٍ فالياءُ لما انفتح ما قبلها وتحركت هي انقلبت ألفاً، فقيل: توراة، ورجَّح أبو علي قولَ البصريين، وضعَّفَ غيرَه[٤].

وقرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم: ﴿ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ مفتوحة الراء، وكان حمزة ونافع يلفظان بالراء بين اللفظين بين الفتح والكسر، وكذلك فعلا في قوله: ﴿مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣][٥] و: ﴿مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ﴾ [ص: ٦٢]، و: ﴿مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦] إذا كان الحرف مخفوضاً، وروى المسيبي عن نافع فتح الراء من: ﴿ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾، وروى ورش عنه كسرها، وكان أبو عمرو والكسائي يكسران الراء من: ﴿التوراة﴾، ويميلان من: ﴿ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ وغيرها أشدَّ من إمالة حمزة ونافع[٦].

وقالوا في (الإنجيل): إنه إِفْعِيل من النجْل، وهو الماءُ الذي ينز[٧] من الأرض، قال الخليل: استنجلت الأرض، وبها نجالٌ إذا خرج منها الماء، والنجْلُ أيضاً الولد

---

(١) انظر عزو الأول للبصريين، والثاني للكوفيين في: غرائب التفسير للكرماني (١/ ٢٤١)، معاني القرآن للنحاس (١/ ٣٤٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٧٤)، وذكر الفارسي في الحجة (٣/ ١٣) الخليل من البصريين.

(٢) في هامش المطبوع: ما بين معقفين سقط في بعض النسخ.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٧٤- ٣٧٥).

(٤) انظر: الحجة (٣/ ١٣)، وفي الأصل: «وضعفه غيره».

(٥) وكذلك: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ [المطففين: ١٨].

(٦) انظر: السبعة (ص: ٢٠١).

(٧) ينز من الأرض: يتحلَّب منها، وهذا هو النز بفتح النون وكسرها.

والنسل، قاله الخليل وغيره[١]، ونجله أبوه أي: ولَدَه، ومن ذلك قول الأعشى:

[المنسرح] أَنْـجَـبَ أَيَّـــامَ وَالِـــدَاهُ بِـهِ إِذْ نَجَـلَاهُ فَنِعْـمَ مَـا نَجَـلا[٢]

قال ابن سيده عن أبي علي: معنى قوله: «أيام والداه به» كما تقول: أنا بالله وبك[٣].

وقال أبو الفتح: معنى البيت: أنجب والداه به أيام إذ نجلاه[٤]، فهو كقولك: حينئذ ويومئذ لكنه حال بالفاعل بين المضاف الذي هو «أيام» وبين المضاف إليه الذي هو «إذ».

ويروى هذا البيت: «أنجب أيامَ والديه به»[٥].

و«النجْل»ُ: الرمي بالشيء وذلك أيضاً من معنى الظهور، وفراقِ شيءٍ شيئاً، وحكى أبو القاسم الزجاجي[٦] في «نوادره»: أن الوالد يقال له: نجْل، وأن اللفظة من الأضداد[٧].

وأما بيت زهير فالرواية الصحيحة فيه:

[الطويل] .... وكلُّ فحلٍ له نَجْلُ[٨]

---

(١) انظر: كتاب العين (٦/ ١٢٥).

(٢) البيت للأعشى منسوب له في ديوانه (ص: ٢٥٨)، والعين (٦/ ١٥٢)، والعشرات في غريب اللغة (ص: ١٠٩)، ومعجم ديوان الأدب (٢/ ١٣١)، والحيوان (٣/ ٢٣٣)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٨)، المحتسب (١/ ١٥٢).

(٣) المخصص لابن سيده (٤/ ١٤٤)، والمحكم له (٧/ ٤٢٥).

(٤) انظر: المحتسب (١/ ١٥٢).

(٥) أشار لهذه الرواية في المخصص (٤/ ١٤٤)، وتاج العروس (٤/ ٢٣٧).

(٦) اسمه عبد الرحمن بن إسحاق، نسب إلى شيخه إبراهيم الزجاج، وهو مصنف «الجمل» وغيره من المصنفات؛ توفي بطبرية سنة (٣٩٣هـ). انظر: إنباه الرواة (٢/ ١٦٠).

(٧) انظر ما حكاه الزجاجي في المحكم والمحيط الأعظم (٧/ ٤٢٥).

(٨) البيت بتمامه:

إلى معشر لم يورِث اللؤمَ جدُّهم أصاغرَهم وكل فحل له نجل =

أي: ولد كريم ونسل، وروى الأصمعي فيما حكي عنه[١]: وكلُّ فرعٍ له نجل[٢]، وهذا لا يتجه إلا على تسمية الوالد[٣] نجلاً.

وقال الزجاج: الإِنجيل مأخوذٌ من النجل وهو الأصل[٤]، فهذا ينحو إلى ما حكى أبو القاسم.

قال أبو الفتح: فالتوراة من وَرَى الزناد[٥] إذا ظهرت ناره، والإِنجيل من نَجَلَ إذا ظهر ولده، أو من ظهور الماء من الأرض[٦]، فهو مستخرَجٌ إما من اللوح المحفوظ، وإما من التوراة.

و﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ من الفرق بين الحق والباطل، فحروفها مختلفة، والمعنى قريبٌ بعضه من بعض؛ إذ كلها معناه: ظهور الحق وبيان الشرع وفصله من غيره من الأباطيل.

وقرأ الحسن ابن أبي الحسن: (الأَنجيل) بفتح الهمزة[٧]، وذلك لا يتجه في كلام العرب، ولكن تحميه مكانة الحسن من الفصاحة، وأنه لا يقرأ إلا بما روى، وأراه نحا به نحو الأسماء الأعجمية.

وقوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ﴾ يعني من قبل القرآن.

وقوله: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ معناه: دعاء، و(الناس): بنو إسرائيل في هذا الموضع؛ لأنهم المدعوون بهما لا غير، وإِن أراد أنهما هدى في ذاتهما مدعو إليه فرعون وغيره،

= انظر عزوه لزهير بن أبي سلمى في إصلاح المنطق (١/ ٥١)، وعمدة الكتاب للنحاس (ص: ١٢٠).

(١) في هامش المطبوع: «عنه» سقطت من بعض النسخ.

(٢) لم أقف على قول الأصمعي.

(٣) في السليمانية والحمزوية وفيض الله: الولد.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٧٥).

(٥) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «الزند».

(٦) انظر: المحتسب (١/ ١٥٢).

(٧) وهي قراءة شاذة. انظر: المحتسب لابن جني (١/ ١٥٢)، ومختصر الشواذ (ص: ٢٦).

منصوب(١) لمن اهتدى به، فـ (الناس) عامٌّ في كلِّ من شاء حينئذٍ أن يستبصر.

قال القاضي أبو محمد: وقال هنا: ﴿لِّلنَّاسِ﴾، وقال في القرآن: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وذلك عندي لأن هذا خبر مجرد، وقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ خبرٌ مقترنٌ به الاستدعاء والصرفُ إلى الإيمان، فحسنت الصفة؛ ليقع من السامع النشاطُ والبِدار، وذكر الهدى الذي هو إِيجاد الهداية في القلب، وهنا إنما ذكر الهدى الذي هو الدعاء، والهدى الذي هو في نفسه معدّ أن يهتدي به الناس، فسمي هدى لذلك.

وقال ابن فورك: التقدير هنا: هدًى للناس المتقين، ويردّ هذا العام إلى ذلك الخاص(٢).

وفي هذا نظر.

و ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾: القرآن، سمّي بذلك لأنه فَرَقَ بين الحقّ والباطل.

قال محمد بن جعفر: فرق بين الحق والباطل في أمر عيسى عليه السلام، الذي جادل فيه الوفد(٣).

وقال قتادة والربيع وغيرهما: فرق بين الحق والباطل في أحكام الشرائع، وفي الحلال والحرام ونحوه(٤)، والفرقان يعم هذا كله.

وقال بعض المفسرين: الفرقان هنا: كلُّ أمر فرق بين الحق والباطل، فيما قَدُمَ وحَدُثَ، فيدخل في هذا التأويل طوفانُ نوح، وفرق البحر لغرق فرعون، ويوم بدر، وسائر أفعال الله تعالى المفرقة بين الحق والباطل، فكأنه تعالى ذكر الكتاب العزيز، ثم التوراة والإِنجيل ثم(٥) كلَّ أفعاله ومخلوقاته التي فرقت بين الحق والباطل، كما فعلت هذه الكتب.

---

(١) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «مقصور».

(٢) حكاه القرطبي في تفسيره (٤/ ٦)، وأبو الحيان في البحر المحيط (٣/ ١٧).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ١٦٣).

(٤) تفسير الطبري (٦/ ١٦٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٨٨)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٢٧٤).

(٥) في الحمزوية: «من».

ثم توعد تعالى الكفار عموماً بالعذاب الشديد، وذلك يعم عذاب الدنيا بالسيف والغلبة، وعذاب الآخرة بالنار، والإشارة بهذا الوعيد إلى نصارى نجران(١)، وقال النقاش: إلى اليهود، كعب بن الأشرف، وكعب بن أسد، وابني أخطب وغيرهم(٢).

و﴿عَزِيزٌ﴾ معناه: غالب، وقد ذلَّ له كلُّ شيء، و«النقمة»، و«الانتقام»: معاقبة المذنب بمبالغةٍ في ذلك. [١/ ١٩٨]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ...﴾.

هذه الآية خبر عن علم الله تعالى بالأشياء على التفصيل، وهذه صفةٌ لم تكن لعيسى ولا لأحد من المخلوقين، ثم أخبر عن تصويره(٣) البشرَ في أرحام الأمهات، وهذا أمرٌ لا ينكره عاقل، ولا ينكر أن عيسى وسائر البشر لا يقدرون عليه، ولا ينكر أن عيسى عليه السلام من المصوَّرين في الأرحام، فهذه الآية تعظيمٌ لله تعالى في ضمنها الرد على نصارى نجران.

وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ﴾ وعيد ما لهم؛ فَسَّرَ بنحو هذا محمد بن جعفر ابن الزبير والربيع(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ﴾ ردٌّ على أهل الطبيعة؛ إذ يجعلونها فاعلة مستبدة، وشرح النبي ﷺ كيفية التصوير في الحديث الذي رواه ابن مسعود

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ١٦٠)، وتفسير السمعاني (١/ ٢٩٢).

(٢) حكاه عن النقاش في البحر المحيط (٣/ ١٨) وعزاه في العجاب في بيان الأسباب (٢/ ٦٥٨) لمقاتل بن سليمان. والمراد بابني أخطب حيي وأبو ياسر، وفي السليمانية: «وابن أخطب» وفي فيض الله: «كعب بن أسيد وحيي بن أخطب».

(٣) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «تصوير».

(٤) تفسير الطبري (٦/ ١٦٦)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٦).

وغيره: «إن النطفة إذا وَقعَتْ في الرَّحِمِ مكثتْ نطفةً أربعين يوماً، ثم تكون[١] عَلَقةً أربعين يوماً، ثم مضغةً مثل ذلك، ثم يبعث الله إليها ملكاً فيقول: يا ربِّ، أذكرٌ أم أنثى؟ أشقيٌّ أم سعيد؟»[٢]، الحديث بطوله على اختلاف ألفاظه.

وفي «مسند ابن سنجر»[٣] حديث: «إن الله يخلق عظام الجنين وغضاريفه من منيِّ الرجل، ولحمَهُ وشحمَهُ وسائرَ ذلك من منيّ المرأة»[٤].

و«صوَّر» بناء مبالغة من: صار يصور: إذا أمال وثنى إلى حال مَّا، فلما كان التصوير إمالةً إلى حال وإِثباتاً فيها، جاء بناؤه على المبالغة.

و«الرحم»: موضع نشأة الجنين.

و﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ يعني من طول وقصر ولون، وسلامة وعاهة، وغير ذلك من الاختلافات[٥].

و﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب، و﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: ذو الحكمة أو المحكم في مخلوقاته، وهذا أخص بما ذكر من التصوير.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ في هذه الآية: القرآن بإِجماع من المتأولين[٦].

و«المحكَمَات»: المفصلات المبينات الثابتات الأحكام، والمتشابهَات: هي التي

---

(١) في حاشية المطبوع: أنها سقطت من بعض النسخ.
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٣٣٢، ٣٢٠٨، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣).
(٣) في أحمد٣ وجار الله: «ابن صخر»، وهو خطأ، وابن سنجر: هو محمد بن سنجر أبو عبد الله الجرجاني، الإِمام الحافظ الكبير، صاحب «المسند»، سكن قرية قضابة من أعمال مصر، وسمع يزيد بن هارون، وأبا النعيم، وخالد بن مخلد، وغيرهم، وأَخذ عنه عيسى بن مسكين، وأَحمد بن عمرو بن منصور، ومحمد بن المسيَّب، وخلْق كثير، وثَّقه ابن أَبي حاتم، توفي سنة (٢٨٥هـ). تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٧٨).
(٤) نقله عنه القرطبي في تفسيره (٤/ ٧)، ولم أقف عليه مسنداً.
(٥) تفسير الطبري (٦/ ١٦٦، ١٦٨)، وتفسير السمعاني (١/ ٢٩٣)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٩)، والهداية لمكي (٢/ ٩٥٠).
(٦) تفسير الطبري (٦/ ١٦٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٩١).

فيها نظر وتحتاج إلى تأويل، ويظهر فيها ببادي النظر إما تعارض مع أخرى أو مع العقل، إلى غير ذلك من أنواع التشابه، فهذا الشبه الذي من أجله توصف بمتشابهات إنما هو بينها وبين المعاني الفاسدة التي يظنها أهلُ الزيغ ومن لم يُمْعِن[١] النظر.

وهذا نحو الحديث الصحيح عن النبي عليه السلام: «الحلالُ بيّنٌ والحرام بين، وبينهما أمور متشابهات»[٢]، أي: يكون الشيء حراماً في نفسه، فيشبه عند من لم يمعن[٣] النظر [شيئاً حلالاً، وكذلك الآية يكون لها في نفسها معْنًى صحيح فتشبه عند من لم يمعن النظر][٤] أو عند الزائغ معْنىً آخر فاسداً، فربما أراد الاعتراض به على كتاب الله، هذا عندي معنى الإِحكام والتشابه في هذه الآية، ألا ترى أن نصارى نجران قالوا للنبي عليه السلام: أليس عندك في كتابك أن عيسى كلمة الله وروحٌ منه؟ قال: «نعم»، قالوا: فحسبنا إذاً[٥].

قال القاضي أبو محمد: فهذا هو التشابه.

واختلفت عبارة المفسرين في تعيين المحكم والمتشابه المراد بهذه الآية:

فقال ابن عباس: المحكمات: هي قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى ثلاث آيات، وقوله في «بني اسرائيل»: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وهذا عندي مثال أعطاه في المحكمات.

وقال ابن عباس أيضاً: المحكمات: ناسخُه وحلالُهُ وحرامه وفرائضه[٦] وما

(١) في فيض الله وأحمد٣: «ينعم»، وأشار لها في هامش المطبوع.
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (٤١٧٨) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.
(٣) في أحمد٣ وجار الله ونور العثمانية: «ينعم»، فيها والتي بعدها.
(٤) ليس في الحمزوية.
(٥) سبق تخريج حديث وفد نجران قريباً.
(٦) ليس في المطبوع.

يؤمن به ويعمل به[١]، والمتشابهات: منسوخه، ومقدَّمه، ومؤخَّره، وأمثاله، وأقسامه، وما يُؤْمَنُ به ولا يُعْمَلُ به.

وقال ابن مسعود وغيره: المحكمات: الناسخات، والمتشابهات: المنسوخات[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا عندي على جهة التمثيل؛ أي: يوجد الإِحكام في هذا والتشابه في هذا، لا أنه وقف على هذا النوع من الآيات.

وقال بهذا القول قتادة والربيع والضحاك، وقال مجاهد وعكرمة: المحكمات: ما فيه الحلال والحرام، وما سوى ذلك فهو متشابه يصدّق بعضه بعضاً[٣].

وذلك مثل قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

قال القاضي أبو محمد: وهذه الأقوال وما ضارعها يُضعفها أن أهلَ الزيغ لا تعلُّقَ لهم بنوع مما ذكر دون سواه.

وقال محمد بن جعفر بن الزبير: المحكمات: هي التي فيهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل، ليس لها تصريف ولا تحريف عما وُضعن عليه، والمتشابهات: لهن تصريفٌ وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا أحسن الأقوال في هذه الآية.

وقال ابن زيد: المحكم: ما أحكم فيه قصص الأنبياء والأمم، وبيّن لمحمد ﷺ وأمته، والمتشابه: هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور بعضه

---

(١) في حاشية المطبوع: «ويعمل به» سقط من بعض النسخ.

(٢) رواها عنهم: الطبري في التفسير (٦/ ١٧٥).

(٣) انظر هذه الأقوال في: تفسير الطبري (٦/ ١٧٥-١٧٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٩٣)، وتفسير السمعاني (١/ ٢٩٤).

(٤) تفسير الطبري (٦/ ١٧٧).

باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني[1]، وبعضه بعكس ذلك نحو قوله: ﴿حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٢٠]، و﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧] ونحو: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ﴾ [القصص: ٣٢] و﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ﴾ [النمل: ١١].

وقالت جماعة من العلماء؛ منهم جابر بن عبد الله بن رئاب[2]، وهو مقتضى قول الشعبي وسفيان الثوري وغيرهما: المحكماتُ من آي القرآن: ما عرف العلماء تأويله وفهموا معناه وتفسيره، والمتشابه: ما لم يكن لأحدٍ إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه.

قال بعضهم: وذلك مثل وقت قيام الساعة، وخروج يأجوج ومأجوج، والدجال، ونزول عيسى، ونحو الحروف المقطعة في أوائل السور[3].

قال القاضي أبو محمد: أما الغيوب التي تأتي فهي من المحكمات؛ لأن ما يعلم البشر منها محدود، وما لا يعلمونه وهو تحديد الوقت محدودٌ أيضاً، وأما أوائل السور فمن المتشابه؛ لأنها مُعَرَّضةٌ للتأويل، ولذلك اتبعته اليهود وأرادوا أن يفهموا منه مدَّة أمةِ محمدٍ عليه السلام.

وفي بعض هذه العبارات التي ذكرنا للعلماء اعتراضات[4]، وذلك أَن التشابه

(١) تفسير الطبري (٦/ ١٧٨، ١٧٩)، والهداية لمكي (٢/ ٩٥٣).

(٢) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٢٢٠-٢٢١-٢٢٢) من طريق محمد بن إسحاق، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، عن جابر بن عبد الله بن رئاب مرفوعاً بلفظ مطول، وقد أورده ابن كثير في تفسيره (١/ ١٦١-١٦٢) وقال: فهذا مداره على محمد بن السائب الكلبي، وهو ممن لا يحتج بما انفرد به.اهـ.
قلت: وفيه باذام أبو صالح، مولى أم هانئ بنت أبي طالب، وهو ضعيف، وجابر هذا هو ابن عبد الله ابن رئاب بن النعمان بن سنان الأنصاريّ السلميّ، أحد الستّة الذين شهدوا العقبة الأولى، وشهد بدراً، وغيرها من المشاهد. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٥٤٥).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ١٧٩).

(٤) المصدر السابق (٦/ ١٨١).

الذي في هذه الآية مقيّدٌ بأنه مما لأهل الزيغ به تعلق، وفي بعض عبارات المفسرين
[١/ ١٩٩] تشابه / لا يقتضي لأهل الزيغ تعلّقاً.

وقوله تعالى: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فمعناه الإِعلامُ بأنها معظم الكتاب وعمدة ما فيه؛ إذ المحكم في آيات الله كثير قد فُصِّلَ ولم يُفَرَّطْ في شيء منه(١).

قال يحيى بن يعمر: هذا كما يقال لمكة: أم القرى، ولمرو: أمّ خراسان، وكما يقال: أم الرأس لمجتَمَعِ الشؤون؛ إذ هو أخطر مكان(٢).

قال المهدويّ والنقاش: كل آية محكمةٍ في كتاب الله يقال لها: أمّ الكتاب(٣).

وهذا مردود بل جميعُ المحكم هو أم الكتاب(٤).

وقال النقاش: وهذا كما تقول: كلكم عليٌّ أسدٌ ضار(٥)، وهذا المثال غير محكم.

وقال ابن زيد: ﴿أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ معناه: جماع الكتاب(٦).

وحكى الطبري عن أبي فاختة(٧) أنه قال: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يراد به فواتح السور؛ إذ منها يستخرج القرآن ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ منه استخرجت سورة البقرة، ﴿الٓمٓ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ منه استخرجت سورة آل عمران(٨).

وهذا قول متداعٍ للسقوط، مضطرب لم ينظر قائله أول الآية وآخرها ومقصدها.

---

(١) في السليمانية وفيض الله: «ولم يفرط فيه شيء»، وأشار لها في هامش المطبوع.
(٢) تفسير الطبري (٦/ ١٨٢).
(٣) انظر: التحصيل (٢/ ٩)، ولم أجد كلام النقاش.
(٤) انظر هذه المسألة في: تفسير الطبري (٦/ ١٧٠-١٧٢).
(٥) لم أجده، وقد ذكر مثله النحاس في معاني القرآن (١/ ٣٤٨).
(٦) تفسير الطبري (٦/ ١٨٢).
(٧) أبو فاختة سعيد بن علاقة الهاشمي مولاهم الكوفي، مشهور بكنيته مولى أم هانئ بنت أبي طالب، ذكره العجلي وابن حبان وغيرهما في ثقات التابعين وهو متجه، وقال في التقريب: ثقة من الثالثة، مات في حدود التسعين، وقيل: بعد ذلك بكثير. تقريب التهذيب (١/ ٢٤٠).
(٨) تفسير الطبري (٦/ ١٨٣).

وإنما معنى الآيةِ الإنحاءُ على أهل الزيغ، والإشارة بذلك أولاً إلى نصارى نجران، وإلى اليهود الذين كانوا معاصرين[١] لمحمد عليه السلام، فإنهم كانوا يعترضون معاني القرآن، ثم تعم بعد ذلك كل زائغ، فذكر الله تعالى أنه نزل الكتاب على محمد إفضالاً منه ونعمة، وأنّ مُحْكَمَهُ وبيِّنَهُ الذي لا اعتراضَ فيه هو معظمُهُ والغالبُ عليه، وأَن متشابهه الذي يحتملُ التأويلَ ويحتاجُ إلى التفهّم هو أقلُّهُ.

ثم إِن أهل الزيغ يتركون المحكمَ الذي فيه غُنْيَتُهُم، ويتبعون المتشابهَ، ابتغاءَ الفتنةِ وأَن يفسدوا ذات البين[٢] ويردّوا الناسَ إلى زَيْغهم، فهكذا تتوجه المذمّةُ عليهم.

و(أُخَر) جمع أُخرى، ولا ينصرف؛ لأنه صفة، وعُدِلَ عن الألف واللام في أنه يثنى ويجمع، وصفاتُ التفضيل كلّها إذا عريت عن الألف واللام لم تثنَّ ولم تجمع، كـ«أفضل» وما جرى مجراه، ولا يفاضل بهذه الصفات بين شيئين إلا وهي منكَّرة، ومتى دخلت عليه الألفُ واللام زال معنى التفضيل بين أمرين، وليس عَدْلُ «أُخَر» عن الألفِ واللام مؤثراً في التعريف كما هو عَدْلُ «سَحَرَ» بل «أُخر» نكرة، وأما «سحر» فعدل؛ لأنه[٣] زالت الألف واللام، وبقي معرفة في قوله: «جئت يوم كذا[٤] سحر»، وخلط المهدوي في هذه المسألة[٥] وأفسد كلام سيبويه[٦]، فتأمله.

قوله تعالى: ﴿... فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾.

---

(١) في جار الله وأحمد٣: «معادين»، وفي حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «معاصري محمد».

(٢) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «الدين».

(٣) في حاشية المطبوع: بين النسخ اختلاف في هذه العبارة، وفي بعضها: «فإنه عدل في أنه»، وفي بعضها الآخر: «فعدل في أنه».

(٤) في المطبوع: «الجمعة».

(٥) انظر التحصيل للمهدوي.

(٦) كتاب سيبويه (٣/ ٢٨٣، ٢٨٤).

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ يعمُّ كلَّ طائفةٍ من كافر وزنديق وجاهلٍ صاحب بدعة.

و«الزيغُ»: الميل، ومنه زاغت الشمس، وزاغتِ الأبصار.

والإشارة بالآية في ذلك الوقت كانت إلى نصارى نجران لتعرّضهم القرآن[١] في أمر عيسى عليه السلام، قاله الربيع[٢]، وإلى اليهود[٣]، ثم تنسحبُ على كلِّ ذي بدعة أو كفر، وبالميلِ عن الهدى فَسَّر الزيغَ محمدُ بن جعفر بن الزبير، وابنُ مسعود وجماعةٌ من الصحابة[٤]، ومجاهدٌ وغيرهم[٥].

و﴿مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ هو الموصوف آنفاً بـ﴿مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾.

وقال قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: إن لم يكونوا الحروريةَ وأنواع الخوارج[٦]، فلا أدري من هم[٧].

وقالت عائشة: إذا رأيتم الذين يجادلون في القرآن فهم الذين عنى الله فاحذورهم[٨].

---

(١) في المطبوع: «للقرآن».

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٩٦).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ١٨٧)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٩٥).

(٤) لم أجده بهذا اللفظ إلا من قول محمد بن جعفر بن الزبير عند الطبري (٦/ ١٨٤) وغيره بإسناد إليه فيه نظر، وروى عن ابن عباس ومجاهد وغيرهم تفسيره بالشك.

(٥) انظر قول مجاهد ومحمد بن جعفر في: تفسير الطبري (٦/ ١٨٤)، وانظر تفسير: ابن أبي حاتم (٢/ ٥٩٥).

(٦) الخوارج هم من خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد واقعة التحكيم وكفروه هو وعثمان رضي الله عنه وأصحاب الجمل وكل من رضي بالتحكيم، ويسمى الخوارج حرورية ومحكمة، وهم عشرون فرقة، انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (١/ ٥٤-٥٧).

(٧) تفسير الطبري (٦/ ١٨٧)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١٢).

(٨) متفق عليه بنحوه، أخرجه البخاري (٤٢٧٣) ومسلم (٢٦٦٥) بلفظ: فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم، واللفظ الوارد هنا رواه غير واحد، ينظر الدر المنثور: (٢/ ١٤٨).

وقال الطبري: الأشبه أن تكون الآية في الذين جادلوا رسول الله ﷺ في مدته ومدة أمته بسبب حروف أوائل السور، وهؤلاء هم اليهود[١].

و﴿وَٱبۡتِغَآءَ﴾ نُصِبَ على المفعول من أجله، ومعناه طلب الفتنة، وقال الربيع: «الفتنة هنا: الشِّرك»، وقال مجاهد: الفتنة: الشبهات واللَّبْس على المؤمنين[٢].

ثم قال: ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ و«التأويل»: هو مَرَدُّ الكلام ومرجعُهُ، والشيء الذي يقف عليه من المعاني، وهو من آل يؤول، إذا رجع، فالمعنى: وطلبَ تأويله على منازعهم الفاسدة؛ هذا فيما له تأويل حسن، وإن كان مما لا يتأول، بل يوقف فيه كالكلام في معنى الروح ونحوه، فنفسُ طَلَبِ تأويله هو اتّباعُ ما تشابه.

وقال ابن عباس: «ابتغوا معرفة مدة محمد ﷺ وأمته»[٣].

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فهذا على الكمال والتَّوْفيةِ فيما لا يُتأوّل ولا سبيلَ لأحد عليه، كأمرِ الروح، وتعرّف وقتِ قيام الساعة، وسائر الأحداثِ التي أنذر بها الشرع، وفيما يمكن أن يتأوله العلماء ويصح التطرق إليه، فمعنى الآية: وما يعلم تأويلَهُ على الكمال إلا الله.

واختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾:

فرأت فرقة أن رفع ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ هو بالعطف على اسم الله عز وجل، وأنهم داخلون في علم المتشابه في كتاب الله، وأنهم مع علمهم به ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا﴾ الآية، قال بهذا القول ابن عباس، وقال: أنا ممن يعلم تأويله[٤].

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ١٩٦)، وينظر الأثر (٢٤٦) فيه.

(٢) تفسير الطبري (٦/ ١٩٦، ١٩٧) وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٩٦)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١٢).

(٣) سبق في الأثر (٢٤٦) من تفسير الطبري.

(٤) أخرجه الطبري (٦/ ٢٠٣) من طريق: أبي عاصم، عن عيسى [هو ابن ميمون الجرشي]، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس. قال يحيى بن سعيد القطان: لم يسمع ابن أبي نجيح التفسير من مجاهد اهـ. ذكره ابن حبان في الثقات بلا إسناد (٧/ ٥). وقال وكيع: كان سفيان يصحح تفسير ابن أبي نجيح اهـ. الجرح (٥/ ٢٠٣).

وقال مجاهد: والراسخون في العلم يعلمون تأويله، ويقولون: آمنا به، وقاله الربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير وغيرهم[١]، و﴿يَقُولُونَ﴾ على هذا التأويل نصب على الحال.

وقالت طائفة أخرى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ رفع بالابتداء وهو مقطوع من الكلام الأول، وخبره ﴿يَقُولُونَ﴾، والمنفرد بعلم المتشابه هو الله وحده، بحسب اللفظ في الآية، وفعل الراسخين قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، قالته عائشة وابن عباس أيضاً[٢].

وقال عروة بن الزبير: إن الراسخين لا يعلمون تأويله، ولكنهم يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾.

وقال أبو نهيك الأسدي: إنكم تَصِلُونَ هذه الآية وإنها مقطوعة، وما انتهى علم الراسخين إلا إلى قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، وقال مثلَ هذا عمرُ بن عبد العزيز، وحكى نحوه الطبري عن يونس[٣]، عن أشهب، عن مالك بن أنس[٤].

[١/ ٢٠٠] قال القاضي أبو محمد: وهذه / المسألة إذا تؤملت قَرُبَ الخلافُ فيها من الاتفاق، وذلك أن الله تعالى قَسَمَ آيَ الكتابِ قسمين: محكماً ومتشابهاً:

فالمحكم هو المتّضحُ المعنى لكلِّ من يفهم كلامَ العرب، لا يحتاج فيه إلى نظر، ولا يتعلق به شيءٌ يُلْبِسُ، ويستوي في علمه الراسخُ وغيره.

---

(١) انظر الأقوال في: تفسير الطبري (٦/ ٢٠١-٢٠٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٠٠، ٦٠١).

(٢) صحيحان، أخرجه الطبري (٦٦٢٦) من طريق خالد بن نزار، عن نافع ـ هو ابن عمر الجمحي ـ، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، و(٦٦٢٧) من طريق: عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه قال: كان ابن عباس يقول.. والإسنادان صحيحان.

(٣) هو أبو موسى يونس بن عبد الأعلى بن مسيرة الصدفي: المصري كان عالماً بالأخبار والحديث، وافر العقل، صحب الشافعي، وأخذ عنه وروى عن أشهب وابن وهب، وآخرين، روى عنه مسلم، والنسائي، وغيرهما توفي (٢٦٤ هـ). تقريب التهذيب (١/ ٦١٣).

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٢٠٣)، وانظر: فيه الأقوال الثلاثة التي قبله.

والمتشابه يتنوع، فمنه ما لا يُعْلَمُ ألبتَّةَ، كأمرِ الروح، وآمادِ المغيَّبات التي قد أعلم الله بوقوعها، إلى سائر ذلك، ومنه ما يحمل على وجوه في اللغة ومناحٍ في كلام العرب، فيتأول ويُعْلَمُ تأويله المستقيم، ويزال ما فيه مما عسى أن يُـتَعَلَّقَ به من تأويلٍ غير مستقيم كقوله في عيسى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١](١) إلى غير ذلك، ولا يسمى أحدٌ راسخاً إلا بأنْ يعلمَ من هذا النوع كثيراً بحسب ما قُدِّرَ له، وإلا فمن لا يعلمُ سوى المحكمِ فليس يُسَمَّى راسخاً.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْـلَمُ تَأْوِيلَهُۥ﴾ الضمير عائد على جميع متشابه القرآن، وهو نوعان كما ذكرنا، فقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ مقتضٍ ببديهة العقل أنه يعلمه على الكمال والاستيفاء، يعلمُ نوعيه جميعاً.

فإن جعلنا قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ عطفاً على اسم الله تعالى، فالمعنى إِدخالهم في علم التأويل لا على الكمال، [بل علمهم إنما هو في النوع الثاني](٢) من المتشابه، وبديهةُ العقل تقضي بهذا، والكلام مستقيمٌ على فصاحة العرب(٣)، كما تقول: ما قام لنصرتي إلا فلان وفلان، وأحدهما قد نصرك بأنْ حارب معك، والآخر إِنما أعانك بكلام فقط، إلى كثير من المثُل.

فالمعنى: ﴿وَمَا يَعْـلَمُ﴾ تأويلَ المتشابه إلا الله والراسخون كلٌّ بقدره وما يصلح له، والراسخون بحال قولٍ في جميعه: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، وإذا تحصل لهم في الذي لا يعلم ولا يتصور عليه تمييزه من غيره، فذلك قدرٌ من العلم بتأويله.

وإِن جعلنا قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ رفعاً بالابتداء مقطوعاً مما قبله، فتسميتهم راسخين يقتضي بأنهم يعلمون أكثر من المحكم الذي يستوي في علمه جميع من يفهم كلام العرب، وفي أي شيء هو رسوخهم إذا لم يعلموا إلا ما يعلم الجميع.

(١) في أحمد٣ وجار الله: «روح الله».
(٢) في الحمزوية: «والاستيفاء يعلم نوعيه جميعا».
(٣) زاد في الحمزوية هنا: «حكماً».

وما الرسوخ إلا المعرفةُ بتصاريف الكلام، ومواردِ الأحكام، ومواقع المواعظ، وذلك كله بقريحة مُعَدَّة، فالمعنى: وما يعلم تأويلَهُ على الاستيفاء إلا الله، والقومُ الذين يعلمون منه ما يمكن أن يُعْلَم يقولون في جميعه: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، وهذا القدر هو الذي تعاطى ابن عباس رضي الله عنه، وهو ترجمان القرآن، ولا يُتَأَوَّلُ عليه أَنه علم وقت الساعة وأَمْر الروحِ وما شاكله.

فإِعراب ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ يحتمل الوجهين، ولذلك قال ابن عباس بهما، والمعنى فيهما يتقارب بهذا النظر الذي سطرناه.

فأمّا من يقول: إِن المتشابه إنما هو ما لا سبيل لأحدٍ إلى علمه، فيستقيم على قوله إِخراج الراسخين من علم تأويله، لكنَّ تخصيصَهُ المتشابهات بهذا النوع غير صحيح، بل الصحيحُ في ذلك قولُ مَنْ قال: المحكمُ ما لا يحتمل إلا تأويلاً واحداً، والمتشابه ما احتمل من التأويل أوجهاً[١]، وهذا هو مُتَّبَعُ أهلِ الزيغ، وعلى ذلك يترتب النظر الذي ذكرته.

ومن قال من العلماء الحذاق بأن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه فإِنما أرادوا هذا النوع، وخافوا أن يظنَّ أحدٌ أن الله وصف الراسخين بعلم التأويل على الكمال[٢]، وكذلك ذهب الزجاج إلى أن الإِشارة بـ﴿مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ إنما هي إلى وقت البعث الذي أنكروه، وفسر باقي الآية على ذلك، فهذا أيضاً تخصيصٌ لا دليلَ عليه[٣].

وأما من يقول: إن المتشابه هو المنسوخ[٤]، فيستقيم على قوله إدخال الراسخين

---

(١) هو قول محمد بن جعفر بن الزبير، تفسير الطبري (٦/ ١٧٧).

(٢) منهم عائشة وابن عباس وعروة وأبو نهيك الأسدي وعمر بن عبد العزيز ومالك. تفسير الطبري (٦/ ٢٠٢).

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (١/ ٣٧٨).

(٤) ممن قال بذلك ابن عباس وقتادة والربيع والضحاك. تفسير الطبري (٦/ ١٧٤-١٧٦).

في علم التأويل، ولكن تخصيصه المتشابهات بهذا النوع غير صحيح، ورجَّح ابنُ فُورك أَن الراسخين يعلمون التأويل، وأطنب في ذلك[١].

وقرأ أبيُّ بن كعب وابن عباس: (إلَّا الله ويقولُ الرَّاسِخونَ في العِلْمِ آمنَّا بِه).

وقرأ ابن مسعود: (وابْتِغاءَ تأويلِه إنْ تأويلُهُ إلَّا عندَ اللَّهِ، والراسخون في العِلْم يقولون آمنَّا بِهِ)[٢].

و«الرسوخ»: الثبوت في الشيء، وأصله في الأَجرام أن يرسخَ الجبلُ أو الشجرُ في الأرض.

وسئل النبيّ عليه السلام عن الراسخين في العلم فقال: «هو مَن برَّت يمينه، وصدق لسانه، واستقام قلبه»[٣].

وقوله: ﴿كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ فيه ضمير عائد على كتاب الله، محكمِهِ ومتشابهه، والتقديرُ: كلُّهُ من عند ربنا، وحذفَ الضمير لدلالةِ لفظ ﴿كُلٌّ﴾ عليه؛ إذ هي لفظة تقتضي الإِضافة.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾؛ أي: ما يقول هذا ويؤمن به ويقفُ

(١) حكاه القرطبي في تفسيره (٤/ ١٨)، وأبو الحيان في البحر المحيط (٣/ ٢٩).

(٢) وكلتاهما قراءة شاذة لمخالفتها للرسم، انظر الأولى في: تفسير الطبري (٦/ ٢٠٤)، المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٩٤)، وكليهما في معاني القرآن للفراء (١/ ١٩١)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٣٥١)، والكشاف للزمخشري (١/ ٣٣٩)، وليست (إن تأويله) في جار الله.

(٣) منكر، أخرجه الطبري (٦/ ٢٠٦)، وابن أبي حاتم في التفسير (٣٢٠٥)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٥٢)، وفيه: عبد الله بن يزيد بن آدم: ترجمه ابن أبي حاتم (٥/ ١٩٧)، وقال: روى عن أبي الدرداء، وأبي أمامة، وواثلة بن الأسقع: أن النبي ﷺ سئل: كيف تبعث الأنبياء؟ روى عنه فياض بن محمد الرقي... سألت أبي عنه، فقال: لا أعرفه. وهذا حديث باطل، وترجمه الذهبي في الميزان (٢/ ٥٢٦)، والحافظ في اللسان (٣/ ٣٧٨)، وذكرا عن أحمد، قال: أحاديثه موضوعة. وعن الجوزجاني: أحاديثه منكرة. وفي الحمزوية: «وصلح قلبه».

حيث وقف ويدعُ اتباعَ المتشابه إلا ذو لبٍّ، وهو العقل، وأولو: جمع ذو.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾.

يحتمل أن تكون هذه الآية حكاية عن الراسخين في العلم أَنهم يقولون هذا مع قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، ويحتملُ أن يكونَ المعنى منقطعاً من الأول، لمّا ذَكَرَ أهلَ الزيغ وذكر نقيضهم وظهر ما بين الحالتين؛ عقَّبَ ذلك بأنْ علَّم عبادَهُ الدعاءَ إليه في أن لا يكونوا من الطائفة الذميمة التي ذُكِرَتْ، وهي أهل الزيغ[1].

وهذه الآية حجةٌ على المعتزلة في قولهم: إن الله لا يُضِلُّ العباد[2]، ولو لم تكن الإِزاغةُ من قِبَله لما جاز أن يُدْعَى في دفع ما لا يجوز عليه فعله.

و﴿تُزِغْ﴾ معناه: تُمِلْ قلوبنا عن الهدى والحق.

وقرأ أبو واقد والجراح: (لا تَزِغ قلوبُنا) بإِسناد الفعل إلى القلوب[3]، وهذه أيضاً الرغبة إلى الله تعالى، وقال أبو الفتح: ظاهر هذا ونحوه الرغبة إلى القلوب، وإِنما المسؤول الله تعالى[4]، [وقوله: «الرغبة إلى القلوب» غير متمكن][5].

ومعنى الآية على القراءتين أي: لا يكنْ منك[6] خَلقُ الزيغ فتزيغَ هي.

---

(١) الاحتمال الأول قاله الطبري (٦/ ٢٠٨، ٢١١)، وذكره من قول ابن جريج، وانظره أيضاً في: تفسير الثعلبي (٣/ ١٦)، والهداية لمكي (٢/ ٩٥٩)، والاحتمال الثاني: قاله الحسن، انظر: تفسير ابن أبي زمنين (١/ ٢٧٦).

(٢) انظر قولهم في: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٣/ ٣٢).

(٣) وهي قراءة شاذة. انظر: عزوها لهما في المحتسب (١/ ١٥٤)، وظاهره هنا أنهما واحد، وعزاها للجراح الكرماني في شواذ القراءات (ص: ١٠٨)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ٢٦) لعمر بن عبيد وابن فائد.

(٤) المحتسب (١/ ١٥٤).

(٥) ليس في الحمزوية وفيض الله والسليمانية، وفي حاشية المطبوع أنه سقط من أكثر النسخ.

(٦) في المطبوع: «مثل».

قال الزجاج: وقيل: إن معنى الآية: لا تكلّفنا عبادةً ثقيلةً تزيغ منها قلوبنا(١).

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول فيه التحفُّظُ من خَلْقِ الله تعالى الزيغَ والضلالةَ في قلب أحد من العباد.

و﴿مِن لَّدُنكَ﴾ معناه: من عندك ومن قِبَلك؛ أي: يكون تفضّلاً لا عن سبب منا، ولا عن عمل، وفي هذا استسلام وتطارح، والمراد: هبْ لنا نعيماً صادراً عن الرحمة؛ لأن الرحمة / راجعةٌ إلى صفات الذات، فلا تُتَصَوَّرُ فيها الهبة. [١/ ٢٠١]

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ﴾ إقرارٌ بالبعث ليوم القيامة، قال الزجاج: هذا هو التأويل الذي عَلِمَهُ الراسخون وأقرّوا به، وخالف الذين اتبعوا ما تشابه عليهم من أمر(٢) البعث حين أنكروه(٣).

و«الريب»: الشك، والمعنى: إنه في نفسه حقّ لا ريب فيه، وإن وقع فيه ريب عند المكذبين به فذلك لا يعتدُّ به؛ إذ هو خطأٌ منهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ يحتمل أن يكونَ إخباراً منه لمحمدٍ ﷺ وأمته، ويحتمل أن يكونَ حكايةً من قول الراسخين(٤) الداعين، ففي ذلك إقرار بصفة ذات الله تعالى(٥).

و﴿ٱلْمِيعَادَ﴾: مِفْعَالٌ من الوعد.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن واعرابه للزجاج (١/ ٣٧٩).

(٢) في الحمزوية: «أهل».

(٣) انظر: معاني القرآن واعرابه للزجاج (١/ ٣٧٩).

(٤) زيادة من أحمد٣، وهي في جار الله بدل من لفظة «الداعين»، وأشار لذلك في هامش المطبوع.

(٥) تفسير الطبري (٧/ ٤٨٣)، والهداية لمكي (٢/ ١٢٠٥).

هِمَمُ[١] الكفارِ الذين لا يُقرونَ[٢] ببعث إنما هي على وجه الدهر وإلى يوم القيامة في زينة الدنيا، وهي المال والبنون، فأخبر الله تعالى في هذه الآية أن ذلك المتَهمَّم فيه لا يغني عن صاحبه شيئاً، ولا يمنعه من عذاب الله وعقابه.

و﴿مِّنَ﴾ في قوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لابتداء الغاية، والإشارة بالآية إلى معاصري النبي ﷺ، وكانوا يفخرون بأموالهم وأبنائهم، وهي بعدُ متناولةٌ كل كافر.

وقرأ أبو عبد الرحمن: (لَنْ يُغْنِيَ) بالياء[٣]، على تذكير العلامة.

و«الوَقود» بفتح الواو: ما يحترق في النار من حطب ونحوه، وكذلك هي قراءة جمهور الناس.

وقرأ الحسن ومجاهد وجماعة غيرهما: (وُقود) بضمّ الواو[٤]، وهذا على حذف مضاف تقديره: حطبُ وقودِ النار، والوُقود بضمّ الواو: المصدر، وَقَدَتِ النار تَقِدُ إذا اشتعلت.

و«الدأْب» و«الدأَب» ـ بسكون الهمزة وفتحها ـ: مصدر دأب يدأب: إذا لازم فعل شيء، ودام عليه مجتهداً فيه، ويقال للعادة: «دأب»، فالمعنى في الآية: تشبيه هؤلاء في لزومهم الكفرَ ودوامهم عليه بأولئك المتقدمين، وآخر الآية يقتضي الوعيدَ بأن يصيبَ هؤلاء مثلُ ما أصاب أولئك من العقاب.

والكاف في قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ﴾ في موضع [رفع، والتقدير: دأْبُهُمْ كدأبِ، ويصحُّ أن يكون الكاف في موضع][٥] نصب، قال الفراء: هو نعتٌ لمصدر محذوف

---

(١) في نور العثمانية: «هم»، على صيغة الضمير.
(٢) في أحمد٣: «يقولون»، وكذا في جار الله مع الإشارة إلى النسخة الأخرى في هامشه.
(٣) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها له في: إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٤٥).
(٤) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها لهما في إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٤٥).
(٥) ساقط من الحمزوية، وهو في أحمد٣ ملحق في الهامش.

تقديره: كفراً كدأب، فالعامل فيه ﴿كَفَرُواْ﴾[١].

وردَّ هذا القولَ الزجاجُ بأنَّ الكاف خارجةٌ من الصلة، فلا يعمل فيه ما في الصلة[٢].

قال القاضي أبو محمد: ويصحُّ أن يعملَ فيه فعلٌ مقدَّر من لفظ الوقود، ويكون التشبيه في نفس الاحتراق، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦].

والقول الأول أرجح الأقوال أن تكون الكاف في موضع رفع.

والهاء والميم[٣] في ﴿قَبْلِهِمْ﴾ عائدة على آل فرعون، ويحتمل أن تعود على معاصري رسول الله ﷺ من الكفار.

وقوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يحتمل أن يكون يريد بالآيات: المتلوة، ويحتمل أن يريد: العلامات المنصوبة.

واختلفت عبارة المفسرين في تفسير الدأب[٤]، وذلك كله راجع إلى المعنى الذي ذكرناه.

قوله عز وجل: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ١٩١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٨٠).

(٣) ليس في المطبوع.

(٤) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٦/ ٢٢٣-٢٢٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٠٣)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٣٥٩).

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر[(١)]: ﴿سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ﴾ بالتاء من فوق، [و﴿يَرَوۡنَهُم﴾ بالياء من تحت.

وحكى أبان عن عاصم: (تَرَوْنَهم) بالتاء من فوق.

وقرأ نافع ثلاثتهن بالتاء من فوق][(٢)].

وقرأ حمزة والكسائي ثلاثتهن[(٣)] بالياء من تحت[(٤)]، وبكل قراءة من هذه قرأ جمهور من العلماء.

وقرأ ابن عباس، وطلحة بن مصرف، وأبو حيوة: (يُرَوْنَهم) بالياء المضمومة، وقرأ أبو عبد الرحمن بالتاء من فوق مضمومة[(٥)].

واختُلِف مَن الذين أُمِرَ بالقول لهم من الكفّار؟

فقيل: هم جميع معاصريه من الكفار، أُمر بأن يقولَ لهم هذا الذي فيه إعلامٌ بغيب ووعيد قد صدق بحمد الله، غلب الكفر وصار من مات عليه إلى جهنم، ونحا إلى هذا أبو علي في «الحجة»[(٦)].

---

(١) ليس في الحمزوية.

(٢) مابين القوسين ليس في الحمزوية، وفي أحمد٣ هنا زيادة: «وقرأ حمزة والكسائي يرونهم بالياء من تحت»، ولعله تكرار.

(٣) «ثلاثتهن» ليست في الحمزوية، و«الكسائي» ليس في المطبوع.

(٤) وحاصل قراءة هذه الحروف أن حمزة والكسائي وخلف: قرؤوا: ﴿سيغلبون ويحشرون﴾ بالياء فيهما والباقون بالتاء، وأن نافعاً وأبا جعفر ويعقوب قرؤوا: ﴿ترونهم﴾ بالتاء والباقون بالياء، انظر: السبعة (ص: ٢٠١)، والتيسير (ص: ٨٦)، والنشر (٢/ ٢٧١).

(٥) و هما من الشاذ، انظر عزو الأولى لابن مصرف في: مختصر الشواذ (ص: ٢٦)، والكامل للهذلي (ص: ٥١٤)، وله ولابن عباس في المحتسب لابن جني (١/ ١٥٤)، واقتصر عليهما في تفسير القرطبي (٤/ ٢٧)، والبحر المحيط (٣/ ٤٦)، ولم أجد من ذكر أبا حيوة هنا غير المصنف، وانظر عزو القراءة الثانية للسلمي في: معاني القرآن للنحاس (١/ ٣٦١)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٢١).

(٦) الحجة للقراء السبعة للفارسي (٣/ ١٧).

وتظاهرت روايات بأن المراد يهود المدينة، قال ابن عباس وغيره: لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر، وقدم المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال: «يا معشر يهود، أَسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً»، فقالوا: يا محمد، لا تغرنك نفسك أن قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أَنا نحن الناس، فأنزل الله في قولهم هذه الآية[١].

ورُوي حديثٌ آخر ذكره النقاش، وهو أن النبي ﷺ لما غلب قريشاً ببدر قالت اليهود: هذا هو النبي المبعوث الذي في كتابنا، وهو الذي لا تُهْزَمُ له راية، وكثرتْ فتنتهم بالأمر، فقال لهم رؤساؤهم وشياطينهم: لا تعجلوا وأمهلوا حتى نرى أمره في وقعة أخرى، فلما وقعت أحد كفر جميعهم، وبقوا على أولهم، وقالوا: ليس محمد بالنبيِّ المنصور فنزلت الآية في ذلك[٢]؛ أي: قل لهؤلاء اليهود: سيغلبون [يعني: قريشاً][٣].

وهذا التأويل[٤] إنما [يستقيم على قراءة: ﴿سَيُغْلَبونَ][٥] وَيُحْشَرونَ﴾ بالياء من تحت، ومن قرأ بالتاء فمعنى الآية: [قل للكفار جميعاً هذه الألفاظ، ومن قرأ بالياء من تحت، فالمعنى: قل لهم][٦] كلاماً هذا معناه.

---

(١) ضعيف، أخرجه أبو داود في السنن (٣٠٠١)، والطبري (٣/ ١٩٢)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٠٤) في التفسير، والبيهقي في الكبرى (٩/ ١٨٣) من طريق: محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس به، وفي إسناده محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، لا يعرف، قاله الذهبي، وقال ابن حجر: مجهول.
وقال ابن كثير في التفسير (٢/ ١٧٩): وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار، عن عاصم بن عمر بن قتادة: أن رسول الله ﷺ لما أصاب من أهل بدر ما أصاب... فذكره، وهذا مرسل.
(٢) لم أقف عليه مسنداً، ولا منسوباً للنقاش.
(٣) في حاشية المطبوع ما يفيد سقوط هذا من الأصل الذي اعتمد عليه إذ قال: «إنه زيادة عن بعض النسخ».
(٤) في نور العثمانية: «ويحشرون على هذا التأويل».
(٥) في الحمزوية بدلاً منه: «يشبه».
(٦) ما بين القوسين في الحمزوية وأحمد٣ وجار الله بدلاً منه: «في ذلك أي قل لليهود».

[وتحتمل[(١)] قراءة التاء التأويل الذي ذكرناه آنفاً؛ أي: قل لليهود][(٢)]: ستغلب قريش.

ورجَّح أبو علي قراءة التاء على المواجهة، وأَن (الذين كفروا) يعم الفريقين: المشركين واليهود، وكل قد غُلِبَ بالسيف والجزية والذلة[(٣)].

و«الحشر»: الجمع والإحضار.

وقوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾؛ يعني: جهنم، هذا ظاهر الآية، وقال مجاهد: [المعنى بئسما مهدوا لأنفسهم، فكأنَّ][(٤)] المعنى: وبئس فعلهم الذي أداهم إلى جهنم[(٥)].

[١/ ٢٠٢] وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ...﴾ الآية / تحتمل أن يخاطب بها المؤمنون، وأَن يخاطب بها جميع الكفار، وأَن يخاطب بها يهود المدينة، وبكل احتمال منها قد قال قوم[(٦)].

فمن رأى أن الخطاب بها للمؤمنين، فمعنى الآية تثبيت النفوس وتشجيعها؛ لأنه لما قال للكفار ما أُمِرَ به أمكن أن يستبعدَ ذلك المنافقون وبعضُ ضعَفَةِ المؤمنين، كما قال قائل يوم الخندق: يعدنا محمد أموال كسرى وقيصر، ونحن لا نأمن على أنفسنا في المذهب[(٧)]، وكما قال عدي بن حاتم حين أخبره النبي ﷺ بالأمنة التي تأتي، فقلت

---

(١) في أحمد٣: «لا تحتمل».

(٢) ليس في جار الله والحمزوية.

(٣) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٣/ ١٨).

(٤) ليس في الحمزوية.

(٥) تفسير الطبري (٦/ ٢٢٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٠٤).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٢٢٩)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٢٧٧)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٨٦).

(٧) أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٤٣٥) من طريق: ابن إسحاق، قال: حدثنا يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، (ح) ويزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، وعثمان بن كعب بن يهوذا، أحد بني قريظة، عن رجال من قومه قال: قال معتب بن قشير، أخو بني عمرو بن عوف: وكأن محمداً يرى أن نأكل من كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط! والخبر مشهور في كتب السير والتواريخ والتفسير، توارد المصنفون على إيراده مسنداً ومعلقاً.

في نفسي: وأين دُعَّار[١] طيِّئ الذين سعَّروا البلاد؟.... الحديث بكماله[٢]، فنزلت الآية مقوية لنفوس المؤمنين، ومبينة صحة ما أخبر به بالمثال الواقع.

فمن قرأ: ﴿تَرَوْنَهُم﴾ بالتاء من فوق فهي مخاطبة لجميع المؤمنين؛ إذ قد رأى ذلك جمهور منهم، والهاء والميم في: ﴿تَرَوْنَهُم﴾ لجميع المشركين، [وفي: ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ لجميع المؤمنين][٣].

ومن قرأ بالياء من تحت، فالمعنى يرى الجمع من المؤمنين جمع الكفار[٤] مثلَيْ جمع المؤمنين.

ومن رأى أن الخطاب لجميع الكفار، ومن رأى أنه لليهود؛ فالآية عنده داخلة فيما أمر محمد ﷺ أن يقوله لهم احتجاجاً عليهم، وتبييناً لصورة الوعيد المتقدم في أنهم سيغلبون.

فمن قرأ: ﴿يَرَوْنَهُم﴾ بالياء من تحت، فالمعنى: يرى الجمع من المؤمنين جمع الكفار مثلَيْ جمع المؤمنين، ومن قرأ بالتاء فالمعنى: فلو حضرتم أو إن كنتم حضرتم، وساغت العبارة لوضوح الأمر في نفسه، ووقوع اليقين به لكل إنسان في ذلك العصر.

ومن قرأ بضم التاء وضم الياء فكأنَّ المعنى: إن اعتقاد التضعيف في جمع الكفار

---

(١) الدعار جمع داعر، وهو بمهملتين، وهو الشاطر الخبيث المفسد، وأصله: عود داعر إذا كان كثير الدخان، قال الجواليقي: والعامة تقوله بالذال المعجمة، فكأنهم ذهبوا به إلى معنى الفزع، والمعروف الأول، والمراد: قطاع الطريق. انظر فتح الباري لابن حجر (٦/ ٦١٣).

(٢) هذا الحديث أخرجه البخاري (٣٥٩٥) عن عدي بن حاتم، قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: «يا عدي، هل رأيت الحيرة؟» قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها، قال: «فإن طالت بك حياة، لترين الظعينة ترحل من الحيرة، حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله» ـ قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دعار طيئ الذين قد سعروا البلاد؟ـ «ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى».

(٣) في حاشية المطبوع: أنه سقط في بعض النسخ.

(٤) زاد في الحمزوية: «مثليهم».

إنما كان تخميناً وظناً لا يقيناً، فلذلك تُرِك في العبارة ضربٌ من الشك، وذلك أن «أُرى» ـ بضم الهمزة ـ تقولها فيما بقي عندك فيه نظر، و«أَرى» ـ بفتح الهمزة ـ تقولها فيما قد صح نظرك فيه، ونحا هذا المنحى أبو الفتح[١]، وهو صحيح.

قال أبو علي: والرؤية في هذه الآية رؤية عين، ولذلك تعدَّت إلى مفعول واحد[٢].

و﴿مِّثۡلَيۡهِمۡ﴾ نصب على الحال من الهاء والميم في: ﴿يَرَوۡنَهُم﴾، وأجمع الناس على أن الفاعل بـ(ترون) هم المؤمنون، والضمير المتصل هو للكفار[٣]، إلا ما حكى الطبري عن قوم أنهم قالوا: بل كثَّر الله عدد المؤمنين في عيون الكافرين حتى كانوا عندهم ضعفيهم، وضعف الطبري هذا القول[٤]، وكذلك هو مردود من جهات.

بل قلَّل الله كل طائفة في عين الأخرى؛ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، فقلل الكفارَ في عيون المؤمنين ليقع التجاسر ويحتقر العدو، وهذا مع اعتقاد النبي ﷺ وقوله، واعتقاد أولي الفهم من أصحابه أَنهم من التسع مئة إلى الألف، لكن أذهب الله عنهم البهاء وانتشار العساكر وفخامة الترتيب، حتى قال ابن مسعود في بعض ما روي عنه: لقد قلتُ لرجل إلى جنبي: أتراهم سبعين؟، فقال: أظنهم مئة، فلما أخذنا الأسرى أخبرونا أنهم كانوا ألفاً[٥].

وقلل الله المؤمنين في عيون الكفار؛ ليغترُّوا ولا يحزموا[٦]، وتظاهرت الروايات

---

(١) المحتسب (١/ ١٥٤).

(٢) الحجة للقراء السبعة للفارسي (٣/ ١٩).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٢٣٣) وتفسير السمعاني (١/ ٢٩٨).

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٢٣٥).

(٥) فيه انقطاع، أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٦٣)، وعزاه ابن حجر في إتحاف الخيرة المهرة (٥/ ٢٠٥) إلى إسحاق بن راهويه، وهو من طريق: إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة بن عبد الله، عن أبيه به. والراجح أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه.

(٦) في الحمزوية ونور العثمانية: «ولا يجبنوا».

أَن جمع الكفار ببدر كان نحو الألف فوق التسع مئة، وأَن جمع المؤمنين كان ثلاث مئة وأربعة عشر رجلاً، وقيل: وثلاثة عشر[١]، فكان الكفار ثلاثة أضعاف[٢] من المؤمنين، لكن رجع بنو زهرة مع الأخنس بن شريق، ورجع طالب بن أبي طالب، وأَتباع وناس كثير حتى بقي للقتال من يقرب من المثلين[٣].

وقد ذكر النقاش نحواً من هذا[٤]، فذكر الله تعالى المثلين؛ إذ أمرهما متيقن لم يدفعه قط أحد.

وقد حكى الطبري عن ابن عباس: أن المشركين في قتال بدر كانوا ست مئة وستة وعشرين رجلاً[٥]، وقد ذهب الزجاج وبعض المفسرين إلى أنهم كانوا نحو الألف[٦]، وأراهم الله للمؤمنين[٧] مثليْهم فقط، قال: فهذا هو التقليل في الآية الأخرى، ثم نصرهم عليهم مع علمهم بأنهم مثلاهم في العدد؛ لأنه قد كان أعلم المسلمين أن المئة منهم تغلب المائتين من الكفار.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٥٧، ٣٩٥٨، ٣٩٥٩) من حديث البراء بن عازب، ولفظه: كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن بضعة عشر وثلاث مئة. ومسلم (١٧٦٣) من حديث ابن عباس من رواية سماك عنه قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدرٍ نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألفٌ وأصحابه ثلاث مئة وتسعة عشر رجلاً، وانظر الفتح (٧/ ٢٩١).

(٢) من أحمد٣ وجار الله، وفي المطبوع: «أثلاث».

(٣) قضية رجوع هذه الطوائف ذكرها ابن هشام في السيرة (٣/ ١٦٦) لكن لم أقف على ذلك مسنداً.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (٦/ ٢٣٥) عن: محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال: حدثني عمي قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس به، ومحمد بن سعد شيخ الطبري: هو ابن محمد بن الحسن ابن عطية بن سعد بن جنادة العوفي، وهو إسنادٌ مسلسل بالضعفاء.

(٦) معاني القرآن للزجاج (١/ ٣٨٢)، وانظر تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٠٦)، وتفسير الطبري (٦/ ٢٣٣).

(٧) في المطبوع: «المؤمنين».

وروى علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال يوم بدر: «القوم ألف»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ يريد علامةً وأمارة، ومعتبراً. و«الفئة»: الجماعة من الناس سميت بذلك؛ لأنها يُفاء إليها، أي: يُرجَع في وقت الشدة.

وقال الزجاج: الفئة: الفرقة، مأخوذة من فأوتُ رأسه بالسيف، ويقال: فأيته إذا فلَقَته[(٢)].

ولا خلاف أن الإِشارة بهاتين الفئتين هي إلى يوم بدر[(٣)].

وقرأ جمهور الناس: ﴿فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ﴾ برفع فئة على خبر ابتداء تقديره: إِحداهما فئة.

وقرأ مجاهد والحسن والزهري وحميد: (فِئَةٍ) بالخفض على البدل، ومنهم من رفع (كافرةٌ)، ومنهم من خفضها على العطف.

وقرأ ابن أبي عبلة: (فِئَةً) بالنصب، وكذلك (كافرةً)[(٤)].

قال الزجاج: يتجه ذلك على الحال، كأنه قال: التقتا مؤمنةً وكافرةً، ويتجه أن يضمر فعل أعني ونحوه[(٥)].

و﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ نصب على المصدر.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١١٧، ٢/ ٢٥٩)، وابن أبي شيبة (٧/ ٣٥٦) والطبري (٦/ ٢٣٥)، وغيرهم، جميعاً من طريق إسرائيل قال: حدثنا أبو إسحاق، عن حارثة بن مضرب، عن علي به مطولاً. وهو إسناد لا بأس به، لكن فيه عنعنة أبي إسحاق السبيعي، وهو مدلس.

(٢) انظرمعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٨١).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٢٣٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٠٦).

(٤) فالحاصل أن في كل من اللفظين ثلاث قراءات: الضم، وبها قرأ القراء العشرة، والفتح والكسر وهما من الشاذ، انظر عزو النصب لابن أبي عبلة في: الكامل للهذلي (ص: ٥١٤)، وعزا الجر لحميد، ومجاهد، وغيرهما، وعزاه للحسن في الهداية لمكي (٢/ ٩٦٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ١٤٦)، وللزهري الثعلبي في تفسيره (٣/ ٢١)، وانظر: مختصر الشواذ (ص: ٢٦).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعربه (١/ ٣٨١-٣٨٢).

و﴿يُؤَيِّدُ﴾: معناه: يقوِّي، من الأيد: وهو القوة.

قوله عز وجل: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾.

قرأ جمهور الناس: ﴿زُيِّنَ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول، ورفع ﴿حُبُّ﴾ على أنه مفعول لم يسمَّ فاعله.

وقرأ الضحاك ومجاهد: (زَيَّنَ) على بناء الفعل للفاعل، ونصب (حُبَّ) على أنه المفعول(١).

واختلف الناس مَن المزيِّن؟

فقالت فرقة: الله زين ذلك، وهو ظاهر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ لأنه قال: لما نزلت هذه الآية قلت: الآن يا ربِّ حين زينتها لنا، فنزلت: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾(٢).

وقالت فرقة: المزيِّن هو الشيطان، وهذا ظاهر قول الحسن بن أبي الحسن، فإنه قال: من زينها؟ ما أحدٌ أشدَّ لها ذمّاً من خالقها(٣).

قال القاضي أبو محمد: وإذا قيل: زَيَّنَ اللهُ، فمعناه بالإيجاد والتهيئة للانتفاع، وإنشاء الجبلّة على الميل إلى / هذه الأشياء. [١/ ٢٠٣]

---

(١) المحتسب لابن جني (١/ ١٥٥)، وهي قراءة شاذة.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٦/ ٢٤٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦٠٦) من طريق: جرير [هو ابن عبد الحميد]، عن عطاء بن السائب، عن أبي بكر بن حفص بن عمر بن سعد قال قال: عمر...، عطاء اختلط، ورواية جرير عنه بعد الاختلاط، وأبو بكر ـ واسمه عبد الله ـ لا يعرف بالرواية عن عمر، وروايته عنه كأنها مرسلة، كروايته عن سعد وعائشة وأبي هريرة، ثم إنه لم يصرح هنا بالسماع.

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٢٤٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٠٧).

وإذا قيل: زيَّنَ الشيطان فمعناه: بالوسوسة والخديعة، وتحسين أخذها من غير وجوهها.

والآية تحتمل هذين[(١)] النوعين من التزيين، ولا يختلف مع هذا النظر.

وهذه الآية على كلا الوجهين ابتداء وعظ لجميع الناس، وفي ضمن ذلك توبيخ لمعاصري محمد ﷺ من اليهود وغيرهم.

والشَّهَوَات ذميمة، واتباعها مُرْدٍ، وطاعتها مهلكة، وقد قال ﷺ: «حفَّتِ النارُ بالشهواتِ، وحفَّت الجنة بالمكاره»[(٢)]، فحسبك أن النار حفت بها، فمن واقعها خلص إلى النار.

و(القناطير) جمع قنطار، وهو العقدة الكبيرة من المال، واختلف الناس في تحريرِ حدِّه كم هو؟ فروى أبيّ بن كعب، عن النبي ﷺ أنه قال: «القنطار [ألف ومائتا أوقية»[(٣)]، وقال بذلك معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر وأبو هريرة[(٤)]، وعاصم بن أبي

---

(١) كتبت في المطبوع: «هذه».

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٢٢) بهذا اللفظ من حديث أنس، وأخرجه البخاري (٦٤٨٧) من حديث أبي هريرة بلفظ: «حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره».

(٣) منكر مرفوعاً، أخرجه الطبري (٦/ ٢٤٥) من طريق علي بن زيد [هو ابن جدعان]، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن زر بن حبيش، عن أبي بن كعب به مرفوعاً.
قال ابن كثير (٢/ ٢٠): هذا حديث منكر، والأقربُ أن يكون موقوفاً على أبي بن كعب، كغيره من الصحابة. اهـ. يعني كالأثر الذي قبله الموقوف على أبي هريرة، وما قبله عن معاذ بن جبل وابن عمر، وستأتي.

(٤) في أسانيدها جميعاً مقال، أخرجه عنهم: الطبري (٦/ ٢٤٤): أما أثر معاذ فمن رواية سالم بن أبي الجعد عنه، وقد ذكره الدارقطني في العلل (٦/ ٨٧) وقال: سالم لم يسمع من معاذ، ولم يدركه اهـ. وروى ابن أبي حاتم أثر معاذ هذا (٢/ ٦٠٨) وحكى هذا القول عن أبي الدرداء وأبي هريرة.
وأما أثر ابن عمر فمن طريق: حفص بن ميسرة عن أبي مروان، عن أبي طيبة عنه، ولم أعرف الأبوين.
وأما أثر أبي هريرة فمن طريق: عاصم بن بهدلة، عن أبي صالح عنه. وعاصم ضعيف الحديث.

النجُود وجماعة من العلماء(١)، وهو أصحُّ الأقوال، لكن القنطار على هذا يختلف باختلاف البلاد في قدر الأوقية.

وقال ابن عباس والضحاك بن مزاحم والحسن بن أبي الحسن: «القنطار»: ألف ومائتا مثقال(٢)، وروى الحسن ذلك مرفوعاً عن النبي ﷺ(٣).

قال الضحاك: وهو من الفضة ألف ومائتا مثقال، وروي عن ابن عباس أنه قال: القنطار](٤) من الفضة اثنا عشر ألف درهم، ومن الذهب ألف دينار(٥)، ورُويَ ذلك عن الحسن والضحاك(٦).

وقال سعيد بن المسيب: القنطار ثمانون ألفاً.

وقال قتادة: القنطار مئة رطل من الذهب، أو ثمانون ألف درهم من الفضة.

وقال السديّ: القنطار ثمانية آلاف مثقال، وهي مئة رطل.

وقال مجاهد: القنطار سبعون ألف دينار، وروي ذلك عن ابن عمر(٧).

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٢٤٤)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٢٥٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٠٨)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٢٣).

(٢) انظر قول الضحاك والحسن في تفسير الطبري (٦/ ٢٤٦).

(٣) ضعيف، قول ابن عباس أخرجه الطبري (٦/ ٢٤٦) بإسنادٍ سبق وصفنا له بأنه مسلسل بالضعفاء، وهو من رواية عطية العوفي عنه.
وقول الحسن والرواية المرفوعة عنه ـ وهي مرسلة ـ رواهما كذلك الطبري في الموضع المشار إليه.

(٤) ليس في فيض الله.

(٥) أخرجه الطبري (٦/ ٢٤٦) من طريق: معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال أبو أحمد الحاكم في الكنى (٣/ رقم ١٣٧٢)، وهو كذلك في مصورة الجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة (ق٧٧/ ب): لم يسمع من ابن عباس شيئاً، ولا يتابع في تفسيره عن ابن عباس. وقال الذهبي في ترجمة عليّ بن أبي طلحة من تاريخ الإسلام: قال أبو أحمد الحاكم: ليس ممن يعتمد على تفسيره الذي يُروى عن معاوية بن صالح عنه.

(٦) انظر قول الضحاك والحسن في تفسير الطبري (٦/ ٢٤٦).

(٧) ضعيف، أخرجه الطبري (٦/ ٢٤٨) عن الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا عمر=

وقال أبو نضرة[(١)]: القنطار ملء مَسْكِ ثَوْرٍ ذهباً[(٢)].

قال ابن سيده: هكذا هو بالسريانية[(٣)].

وقال الربيع بن أَنَس: القنطارُ المال الكثيرُ بعضُهُ على بعض[(٤)].

وحكى النقاش عن ابن الكلبي: أنَّ القنطارَ بلغةِ الروم ملءُ مَسْكِ ثور ذهباً[(٥)].

وقال النقاش: القناطير ثلاثة، والمقنطرة تسعة؛ لأنه جمع الجمع[(٦)]، وهذا ضعفُ نظرٍ، وكلامٌ غير صحيح[(٧)]، وقد حكى مكيّ نحوه عن ابن كيسان أنه قال: [لا تكون المقنطرة أقلَّ من تسعة[(٨)]، وحكى المهدوي عنه وعن الفراء][(٩)]: لاتكون المقنطرة أكثر من تسعة[(١٠)]، وهذا كلُّه تحكم.

= ابن حوشب قال: سمعت عطاء الخراساني قال: سئل ابن عمر.. وعمر بن حوشب الصنعاني فيه جهالة، ورواية عطاء عن ابن عمر مرسلة.

(١) هو المنذر بن مالك بن قطعة العبدي البصري، روى عن علي وأَبي موسى الأشعري، وأَنس، وغيرهم، وعنه سليمان التيمي، وحميد الطويل، وآخرون، ثقة، كثير الحديث، توفي سنة: (١٠٨هـ). تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٠٢).

(٢) فهي ثمانية أقوال انظرها في: تفسير الطبري (٦/ ٢٤٤) وتفسير ابن المنذر (١/ ٢٥٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٠٨)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٩٨)، وتفسير السمعاني (١/ ٣٠٠)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٢٣).

(٣) المخصص (٣/ ٤٤١)، وفي جار الله وأحمد٣: «ابن سبرة».

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٢٤٩)، وتفسير ابن المنذر (١/ ١٤١)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٢٣).

(٥) تفسير ابن المنذر (١/ ٢٥٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/ ٣٥٩)، وحكاه عن النقاش القرطبي في تفسيره (٤/ ٣١)، وحكاه عن الكلبي أيضاً أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٨٩).

(٦) انظر: القرطبي (٤/ ٣١)، أصل القول في تفسير الطبري (٦/ ٢٤٩)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ١٩٥).

(٧) راجع تفصيل هذا الخلاف في تفسير الطبري (٦/ ٢٤٤- ٢٤٩).

(٨) الهداية لمكي (٢/ ٩٦٨).

(٩) ليس في السليمانية.

(١٠) انظر: التحصيل للمهدوي (٢/ ١٥)، وقد حكاه في البحر المحيط (٣/ ٥٢) عن الفراء.

وقال أبو هريرة: القنطار اثنا عشر ألف أوقية[١].

وحكى مكي قولاً: أن القنطار أربعون أوقية ذهباً، أو فضة[٢][٣]، وقاله ابن سيده في «المحكم»، وقال: القنطار بلغة بربر: ألف مثقال[٤].

وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء: ٢٠] قال: ألف دينار[٥]، ذكره الطبري[٦].

وحكى الزجاج أنه قيل[٧]: إن القنطار هو رطل ذهباً، أو فضة[٨]، وأظنها وهماً،

---

(١) اختلف في رفعه ووقفه، والوقف أصح، على ضعف فيه، هذا الخبر رواه عاصم بن أبي النجود، قال الدارقطني في العلل (٨/ ١٦٩): اختلف عنه، فرواه عبد الصمد بن عبد الوارث، وأبو علي الحنفي عبيد الله بن عبد المجيد، عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، وغيره يرويه عن حماد بن سلمة موقوفاً، وكذلك قال حماد بن زيد: عن عاصم، والموقوف أشبه.اهـ.
ورواه الدارمي (٢/ ٥٥٨): حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث: حدثنا أبان العطار وحماد بن سلمة، عن عاصم به موقوفاً.
ورواه الطبري (٦٧٠٠)، والبيهقي (٧/ ٢٣٣) من رواية حماد بن زيد: أنبأ عاصم بن بهدلة به موقوفاً كذلك.
وكذلك رواه وكيع في تفسيره من الوجه الأول، فقال: حدثنا حماد بن سلمة... به موقوفاً، ذكره ابن كثير (١/ ٣٥١) وقال: «هذا أصح»؛ يعني: من المرفوع، وعلى كل حال فعاصم ضعيف.

(٢) في الحمزوية: «ألف»، وعبارة «ذهباً أو فضة» ليست في نور العثمانية.

(٣) الهداية لمكي (٢/ ٩٦٨).

(٤) انظر: في المحكم (٦/ ٦٢١)، وبربر بالمنع من الصرف يعني: شعب البربر.

(٥) منكر، أخرجه الطبري (٦/ ٢٥٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٠٦) جميعاً من طريق: عمرو بن أبي سلمة، عن زهير بن محمد: قال: حدثني أبان بن أبي عياش، وحميد الطويل، عن أنس بن مالك به، هذا سياق الطبري، وسياق ابن أبي حاتم: زهير ثنا حميد الطويل ورجل آخر سماه، والحديث ذكره ابن عدي في ترجمة زهير من الكامل (٣/ ٢٢٢)، وقال: وهذا لا يحدث بهذا الإسناد غير زهير بن محمد، وعن زهير غير عمرو بن أبي سلمة. وقال الذهبي في الميزان (١/ ١٤): هذا من مناكير زهير بن محمد.

(٦) تفسير الطبري (٦/ ٢٥٠) بلفظ: «ألفا مئين» يعني: ألفين.

(٧) في فيض الله: «قال».

(٨) معاني القرآن للزجاج (١/ ٣٨٣) وقد وضع المحقق قبل كلمة رطل كلمة [ألف] ونبه في المقدمة أن ما كان بين المعكوفين بهذه الصفة فهو من عنده تتميماً للمعنى، أو توضيحاً له.

وأَن القول: «مئةُ رطلٍ»، فسقطت «مئة» للناقل.

والقنطار: إِنما هو اسم المعيار الذي يوزَنُ به، كما هو الرطلُ والربع، ويقال لما بلغ ذلك الوزن: هذا قنطار؛ أي: يعدلُ القنطار، والعرب تقول: قَنْطَرَ الرجلُ إذا بلغ ماله أَن يوزنَ بالقنطار(١).

وقال الزجاج: القنطارُ مأخوذٌ من عَقْدِ الشيءِ وإحكامه، والقنطرة المعقودةُ نحوه، فكأنَّ القنطارَ عقدة مال(٢).

واختلف الناس في معنى قوله تعالى: ﴿ٱلۡمُقَنطَرَةِ﴾:

فقال الطبري: معناه: المضعَّفَة(٣)، وكأنَّ القناطير ثلاثةٌ، والمقنطرةَ تسع، وقد تقدم ذكر هذا النظر، وقال الربيع: معناه: المالُ الكثير بعضه فوق بعض.

وقال السدي: معنى ﴿ٱلۡمُقَنطَرَةِ﴾: المضروبة حتى صارت دنانير، أو دراهم(٤).

وقال مكي: ﴿ٱلۡمُقَنطَرَةِ﴾: المكملة(٥).

والذي أقول: إنها إشارة إلى حضور المال وكونه عتيداً، فذلك أشهى(٦) في أمره، وذلك أنك تقولُ في رجل غنيّ من الحيوان والأَملاك: فلان صاحبُ قناطير مالٍ؛ أي: لو قُوِّمَتْ أملاكُهُ لاجتمع من ذلك ما يعدل قناطير، وتقولُ في صاحب المال الحاضر العتيد: هو صاحب قناطيرَ مقنطرةٍ؛ أي: قد حَصَلَتْ كذلك بالفعل بها؛ أي: قُنْطِرَتْ،

---

(١) انظر: المحكم (٦/ ٦٢١)، ولسان العرب (١/ ٣٤٢٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه الزجاج (١/ ٣٨٣).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٢٤٩).

(٤) انظر قولي الربيع والسدي في: تفسير الطبري (٦/ ٢٤٩، ٢٥٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٠٩)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٢٤).

(٥) الهداية لمكي (٢/ ٩٦٨).

(٦) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «أشهر».

فهي مقنطرة، وذلك أشهى للنفوس، وأقربُ للانتفاع وبلوغ الآمال.

وقد قال مروان بن الحكم: ما المال إلا ما حازته العِيَابُ[١]، وإذا كان هذا فسواء كان المال مسكوكاً أو غير مسكوك، أما إن المسكوك أشهى لما ذكرناه، ولكن لا يُعطي ذلك لفظة ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾.

و(الخيل): جمع خائل عند أبي عبيدة[٢]، سمي بذلك الفرس؛ لأنه يختال في مشيته، فهو كطائر وطير، وقال غيره: هو اسم جمع لا واحد له من لفظه.

واختلف المفسرون في معنى ﴿ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾:

فقال سعيد بن جبير وابن عباس[٣] وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى[٤] والحسن والربيع ومجاهد: معناه: الراعية في المروج والمسارح[٥]، تقول: سامت الدابةُ والشاة: إذا سرحت وأخذت سَوْمَها من الرعي؛ أي: غايةَ جهدها، ولم تقصرْ عن حالٍ دون حال، وأَسَمْتُها أنا إذا تركتها لذلك.

---

(١) جمع العيبة، وهي وعاء من أدم يكون فيها المتاع، وانظر كلام مروان في: الأغاني (١/ ٣١) بلفظ: أحرزته.

(٢) نقله عنه النحاس في إعراب القرآن (١/ ١٤٧)، وابن سيده في المخصص (٢/ ٨١).

(٣) ضعيف، رواه عن ابن عباس: أبو داود في الزهد (٣٤٦)، وابن أبي حاتم في التفسير (٣٢٦٨) من طريق شريك، عن خصيف، عن عكرمة عنه بلفظ: «الخيل المسومة: الراعية»، وعند أبي داود زيادة: «والمطهمة الحسان، ثم قرأ: ﴿شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾»، وشريك هو القاضي وقد ساء حفظه، وخصيف لا يحتج به.

ورواه الطبري بإسناده إلى عطية العوفي عن ابن عباس بلفظ: «الخيل المسومة: الراعية»، والإسناد مسلسل بالضعفاء، وقد مرَّ.

(٤) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي أبزى الكوفي، مولى خزاعة، روى عن أبيه، وروى عنه الأجلح الكندي وأسلم المنقري وسلمة بن كهيل ومنصور بن المعتمر وغيرهم، وثقه ابن حبان. «تهذيب التهذيب (٥/ ٢٩٠).

(٥) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٦/ ٢٥٢).

ومنه قول النبي ﷺ: «في سائِمَةِ الغنمِ الزَّكاةُ»[١]، ومنه قوله عز وجل: ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠].

وروي عن مجاهد أنه قال: ﴿ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ معناه: المطهَّمةُ الحِسَانُ، وقاله[٢] عكرمة[٣]: سَومها الحُسْنُ، وروي عن ابن عباس أنه قال: ﴿ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ معناه: المعْلَمَةُ، شِياتُ[٤] الخيلِ في وجوهها[٥]، [وقاله قتادة][٦]، ويشهد لهذا القول بيت لبيد:

[الكامل] وَغَـدَاةَ قَـاعِ القُـرْنَـتَيْـنِ أَتَـيْـتهُمْ   زُجَـلاً يَلُوحُ خِلالَهَا التَّسْـوِيمُ[٧]

---

(١) ليس له أصل بهذا اللفظ، وإنما شاع هذا اللفظ على ألسنة الفقهاء والأصوليين وغيرهم من غير أهل الحديث.
وقد روى البخاري (١٣٨٦) معناه في كتاب أبي بكر الصديق. وهذا لفظه: «وفي صدقة الغنم في سائمتها إذا كانت أربعين إلى عشرين ومئة شاة» الحديث بطوله.
وفي رواية لأبي داود (١٣٣٩): «وفي سائمة الغنم إذا كانت أربعين ففيها شاة» إلى آخر تفصيل النصب.
وفي صحيح ابن حبان وغيره عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده في الكتاب الذي كتبه النبي ﷺ لعمرو بن حزم: «في كل أربعين شاةً سائمةً شاةٌ».
قال الشيخ تقي الدين ابن الصلاح في كلامه على الوسيط: أحسب أن قول الفقهاء والأصوليين: في سائمة الغنم الزكاة اختصار منهم للمفصَّل في لفظ الحديث من مقادير الزكاة المختلفة باختلاف النصب.

(٢) في السليمانية: «قال».

(٣) في أحمد٣ وجار الله: «غير عكرمة».

(٤) في نور العثمانية: «بشيات».

(٥) أخرجه الطبري (٦/ ٢٥٤) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وسبق ما في روايته عنه.

(٦) انظر عزو الأقوال الثلاثة في: تفسير الطبري (٦/ ٢٥٢-٢٥٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦١٠)، وتفسير ابن المنذر (١/ ١٤١)، وفي أحمد٣: «قال قتادة»، وفي حاشية المطبوع ما يفيد أنها ليست في أصله حيث قال: إنها زيادة من بعض النسخ.

(٧) البيت للبيد بن ربيعة العامري في ديوانه (١/ ٩٣)، وتفسير الطبري (٦/ ٢٥٥)، ومعجم البلدان (٤/ ٣٣١)، وفي المطبوع: «أتينهم» بدل «أتيتهم»، القاع: الأَرض المستوية، قاع القرنتين: موضع كانت فيه وقعة بين كنانة وغطفان، والنون في (أتينهم) ضمير الخيل، وزجلاً: جماعات، والتسويم: الإِعلام بعلامة تعرف بها في الحرب.

وأما قول النابغة الذبياني:

بِسمْرٍ كَالقِدَاحِ مُسوَّماتٍ عَلَيْهَا مَعْشَرٌ أَشْبَاهُ جِنٍّ[(١)] [الوافر]

فيحتمل أن يريد [المطهمةَ الحسان، ويحتمل أن يريد المعلمةَ بالشِّيات[(٢)]، ويحتمل أن يريد][(٣)] المعدَّة.

وقد فسَّر الناسُ قوله تعالى: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ [هود: ٨٣]، بمعنى: مُعَدَّة، وقال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ معناه: المعدَّة للجهاد[(٤)].

قال القاضي أبو محمد: قوله: «للجهاد» ليس من تفسير اللفظة[(٥)].

و(الأنعام) الأصناف الأربعة: الإبلُ، والبقرُ، والضأنُ، والمعز.

و(الحرث) هنا اسمٌ لكل ما يحرث، وهو مصدر سمِّيَ به، تقول: حَرَثَ الرجل حرثاً: إذا أثار الأرض لمعنى الفلاحة، فيقع اسمُ الحرثِ على زرْع الحبوب، وعلى الجنَّات، وغير ذلك من أنواع الفلاحة.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ [الأنبياء: ٧٨]/ قال جمهور المفسرين: [١/ ٢٠٤] كان كَرْماً[(٦)].

و«المتاعُ»: ما يستمتع به، وينتفع[(٧)] مدَّةً ما منحصرة.

(١) للنابغة الذبياني، عزاه له الطبري في تفسيره (٦/ ٢٥٤)، وسمط اللآلي في شرح أمالي القالي (١/ ٢١٧)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٢٥).
(٢) وهي العلامات اللونية المخالفة لمعظم لون الحصان، انظر: المخصص (٢/ ٩١)، وتهذيب اللغة (١/ ٨٩).
(٣) ليس في السليمانية.
(٤) تفسير الطبري (٦/ ٢٥٤)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٢٦)، والهداية لمكي (٢/ ٩٦٩).
(٥) قال الطبري (٦/ ٢٥٧): وأما الذي قاله ابن زيد: من أنها المعدّة في سبيل الله، فتأويل من معنى (المسوّمة) بمعزِلٍ.
(٦) تفسير الطبري (١٨/ ٤٧٤، ٤٧٥)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٦١)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢٨٥).
(٧) ليست في الأصل.

و﴿ٱلۡمَـَٔابِ﴾: المرجع، تقول: آب الرجل يؤوب، ومنه قول الشاعر:

[الوافر] .... رَضِيتُ مِـنَ الْغَنِيمَـةِ بِالإِيَابِ[١]

وقول الآخر:

[الوافر] .... إذا مـا القـارظُ العَنـزيُّ آبـا[٢]

وقول عَبيد:

[مخلع البسيط] .... وغائِـبُ المـوْتِ لا يَـؤُوبُ[٣]

وأصل مآب: مأْوَب، نُقلَتْ حركةُ الواو إلى الهمزة، وأبدل من الواو ألف، مثل مَقَال، فمعنى الآية: تقليل أمر الدنيا وتحقيرها، والترغيبُ في حسن المرجع إلى الله تعالى في الآخرة.

وفي قوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ الآية، تحسّرٌ ما على نحو ما في قول النبي ﷺ: [«تتزَوَّجُ المرأةُ لأَرْبَع»[٤] الحديث.

---

(١) عجز بيت لامرئ القيس، وصدره: وقَدْ طَوَّفْتُ في الآفَاق حَتى، انظر عزوه له في: مجاز القرآن (٢/ ٢٢٤)، والشعر والشعراء (١/ ١١٤)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٣٧١)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٤٨)، والحجة لأبي علي (٦/ ٢١٥)، والبيان والتبيين (٣/ ١٧٠)، والكامل في اللغة والأدب (٢/ ١٠٦).

(٢) عجز بيت لبشر بن أبي خازم الأسدي وصدره: فَرَجِّي الخَيْـرَ وانتظِري إيابي، انظر عزوه له في: طبقات فحول الشعراء (١/ ١٨٠)، والصحاح للجوهري (٣/ ١١٧٧)، والأمثال لابن سلام (ص: ٣٤٥)، والحيوان (٦/ ٤٦١)، وجمهرة الأمثال (١/ ١٢٤)، والقارظ: الذي يجمع ورق السلم للدباغ، وفي أوبة القارظين يضرب المثل، وهما رجلان خرجا يجمعان القرظ، ولم يعودا.

(٣) عجز بيت لعبيد بن الأبرص، وصدره: وكُلُّ ذِي غيبةٍ يَؤوبُ، في ديوانه (ص: ٢٢)، وانظر عزوه له في: مسائل نافع بن الأزرق (ص: ١٤٨)، ومجاز القرآن (٢/ ١٧٩)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١١٥)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٤٣٦)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٣٨٢)، وشرح المعلقات التسع (ص: ١٠٤)، والحيوان (٣/ ٤٣)، والشعر والشعراء (١/ ٢٦١)، والكامل في اللغة والأدب (٢/ ٤٠).

(٤) لا يعرف بلفظ: «تزوج»، إنما بلفظ: «تنكح»، رواه كذلك البخاري (٤٨٠٢)، ومسلم (٣٧٠٨) من حديث أبي هريرة.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم﴾ الآية بمثابة قول النبي ﷺ:][1] «فاظفر بذات الدين».

قوله عز وجل: ﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥﴾.

في هذه الآية تسليةٌ عن الدنيا، وتقويةٌ لنفوس تاركيها، وذَكر تعالى حالَ الدنيا وكيف استقرَّ تزيين شهواتها، ثم جاء الإِنباء بخيرٍ من ذلك، هازّاً للنفوسِ وجامعاً لها، لتسمع هذا النبأَ المستغرب النافع لمن عقل.

و«أُنبئ»: معناه أخبر.

وذهبت فرقةٌ من الناس إلى أن الكلام الذي أُمِرَ النبي ﷺ بقوله تمَّ في قوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾[2]، و﴿جَنَّٰتٞ﴾ على هذا مرتفعٌ بالابتداء المضمرِ، تقديره: ذلك جناتٌ.

وذهب آخرون إلى أن الكلام تم في قوله: ﴿مِّن ذَٰلِكُمۡ﴾، وأَن قوله: ﴿لِلَّذِينَ﴾ خبر متقدم، و﴿جَنَّٰتٞ﴾ رفع بالابتداء[3]، وعلى التأويلِ الأولِ يجوز في ﴿جَنَّٰتٞ﴾ الخفض بدلاً من ﴿بِخَيۡرٖ﴾، ولا يجوز ذلك على التأويل الثاني، والتأويلان محتملان[4].

[وقوله: ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ يعني من تحت أشجارها، وعلوها من الغرف ونحوها.

و﴿خَٰلِدِينَ﴾ نصب على الحال][5].

وقوله: ﴿وَأَزۡوَٰجٞ﴾ عطف على «الجنات»، وهو جمع زوج، وهي امرأة الإِنسان، وقد يقال: زوجة، ولم يأت في القرآن.

---

(١) ليس في السليمانية.

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٢٦٠).

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٨٤)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ١٩٥-١٩٦)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١-٢/ ١٥١).

(٥) ليس في السليمانية.

و﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ معناه: من المعهود في الدنيا من الأقذار[١] والريب وكل ما يصم في الخَلْقِ والخُلُق، ويحتمل أَن يكون الأزواج: الأنواعَ والأشباه.

و«الرضوانُ»: مصدر من الرضى، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «إِنَّ أهلَ الجنّةِ إذا استقروا فيها وحَصَلَ لكلِّ واحدٍ منهم ما لا عينٌ رأت ولا أُذُن سمعَت ولا خَطَرَ على قلب بشر؛ قال الله لهم: أتريدون أن أعطيكم ما هو أفضل من هذا؟ قالوا: يا ربنا وأيُّ شيء أفضلُ من هذا؟ فيقول الله تعالى: أُحِلُّ عليكم رضواني، فلا أَسْخَطُ عليكم أبداً»[٢]، هذا سياق الحديث، وقد يجيء مختلفَ الألفاظ، والمعنى قريبٌ بعضُهُ من بعض.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ﴾ وعدٌ ووعيدٌ.

قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾، فَسَّرَ في هذه الآية أحوالَ المتقين الموعودين بالجنات.

ويحتملُ أن يكونَ إعرابُ قوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في هذه الآية رفعاً على القطع، وإضمارِ الابتداء، ويحتاجُ إلى القطع وإضمار فعل في قوله: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، والخفضُ في ذلك كله على البدل أَوْجَهُ، ويجوزُ في ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وما بعده النصبُ على المدح.

و«الصبر» في هذه الآية معناه: على الطاعات، وعن المعاصي والشهوات.

و«الصدق» معناه: في الأقوال والأفعال.

و«القنوت»: الطاعة، والدعاء أيضاً، وبكل ذلك يتصف المتقي.

---

(١) في الحمزوية: «الأوزار».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦١٨٣)، ومسلم (٢٨٢٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك. فيقول: هل رضيتم...» الحديث.

و«الإِنفاق» معناه: في سبيل الله، ومظانِّ الأجر، كالصلة للرحم وغيرها، ولا يختص هذا الإِنفاقُ بالزكاةِ المفروضة.

و«الاستغفار»: طلب المغفرة من الله تعالى، وخص تعالى السَّحَرَ لما فسَّر النبي ﷺ في قوله: «ينزلُ ربُّنا عز وجل كلَّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا حين يبقى ثُلُثُ الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ فلا يزال كذلك حتى يطلعَ الفجر»[١].

وروي في تفسير قول يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٩٨]: أنه أخر الأمر إلى السحر، وروى إبراهيم بن حاطب[٢] عن أبيه قال: سمعتُ رجلاً في السحر في ناحية المسجد يقول: ربِّ أمرتني فأطعتك، وهذا سحَرٌ فاغفر لي، فنظرت فإِذا ابن مسعود[٣].

وقال أنس بن مالك: أمرنا أن نستغفر بالسحر سبعين استغفارة[٤].

وقال نافع: كان ابن عمر يُحيي الليلَ صلاةً، ثم يقول: يا نافع آأَسحرنا؟ فأقول: لا، فيعاود الصلاةَ ثم يسأل، فإِذا قلتُ: نعم؛ قعد يستغفر[٥].

فلفظ الآية إِنما يعطي طلبَ المغفرة، وهكذا تأَوَّلَهُ مَنْ ذكرناه من الصحابة.

وقال قتادة: المراد بالآية: المصلون بالسحر، وقال زيد بن أسلم: المراد بها الذين يصلون صلاةَ الصبح في جماعةٍ، وهذا كله يقترن به الاستغفار[٦].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١١٤٥) (٧٤٩٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة إلى قوله: «فأعطيه».

(٢) لعله إِبراهيم بن عبد الله بن الحارث بن حاطب الجمحي، روى عن عبد الله بن دينار وعطاء بن أبي رباح والثقات، وقال ابن القطان: لا يعرف حاله. تهذيب التهذيب (١/ ١٣٣).

(٣) أخرجه الطبري (٦/ ٢٦٦) من طريق: حريث بن أبي مطر، عن إبراهيم، به. وحريث ضعيف جدّاً.

(٤) أخرجه الطبري (٦/ ٢٦٦) من طريق بعض البصريين عن أنس، به، وفيه إبهام، وفي الأصل: سبعين مرة.

(٥) أخرجه الطبري (٦/ ٢٦٦) من طريق: الوليد بن مسلم قال: سألت عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن قول الله عز وجل: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾، قال: حدثني سليمان بن موسى قال، حدثنا نافع: أن ابن عمر كان يحيي الليل، سليمان هو الأشدق فيه لين، وعنده أشياء ينفرد بها أنكرت عليه، فالله أعلم.

(٦) تفسير الطبري (٦/ ٢٦٧)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٣٠).

و«السَّحَر» و«السحْر»[١] ـ بفتح الحاء وسكونها ـ: آخر الليل، قال الزجاج وغيره: هو قبل طلوع الفجر، وهذا صحيح؛ لأنَّ ما بعد الفجر هو من اليوم لا من الليلة[٢]، وقال بعض اللغويين: السحر من ثلث الليل الآخر إلى الفجر[٣].

قال القاضي أبو محمد: والحديثُ في التنزل وهذه الآيةُ في الاستغفار يؤيّدان هذا.

وقد يجيء في أشعار العرب ما يقتضي أنَّ حكم السحر يستمرُّ فيما بعد الفجر، نحو قول امرؤ القيس:

[الوافر] يُـعَـلُّ بِـهِ بَـرْدُ أَنْـيَـابِـهَـا إِذَا غَـرَّدَ الطَّائِـرُ الْمُسْتَحِرْ[٤]

يقال: أَسحَرَ واستحَرَ: إذا دخل في السَّحَر، وكذلك قولهم: نسيم السحر، يقع لما بعد الفجر، وكذلك قول الشاعر:

[الكامل] يجِدِ النِّسـاءَ حَوَاسِراً يَنْدُبْنَهُ قَـدْ قُمْن قَبْلَ تَبَلُّج الأَسْحَارِ[٥]

فقد قضى أن السحر يتبلج بطلوع الفجر[٦]، ولكنّ حقيقةَ السحر في هذه الأحكام الشرعية من الاستغفار المحمود، ومن سحور الصائم، ومن يمينٍ لو وقعت، إنما هي من ثلث الليل الباقي إلى الفجر.

قوله عز وجل: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾.

---

(١) ليست في المطبوع.
(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٨٥).
(٣) انظر: المحكم (٣/ ١٨٣).
(٤) البيت لامرئ القيس كما في جمهرة اللغة (١/ ٥١١)، والشعر والشعراء (١/ ١١٤)، ورسالة الغفران (ص: ٧٢)، والمحكم (٣/ ١٨٤).
(٥) البيت للربيع بن زياد بن عبدالله بن سفيان بن قارب العبسي، كما في تفسير الطبري (٦/ ٥٠٩)، والأغاني (١٧/ ١٨١).
(٦) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٥٠٩).

أصل ﴿شَهِدَ﴾ في كلام العرب / : حضَرَ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ثم صُرّفت الكلمة حتى قيل في أداء ما تقرر علمه في النفس بأيِّ وجهٍ تقرر؛ من حُضورٍ أو غيره: شهد يشهد، فمعنى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾: أعلمَ عبادَهُ بهذا الأمرِ الحقِّ، وبيَّنه[1]. [١/ ٢٠٥]

وقال أبو عبيدة: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ معناه: قضى الله[2]، وهذا مردود من جهات[3].

وقرأ جميع القراء: ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بفتح الألف من ﴿أَنَّهُۥ﴾ وبكسرها من قوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ ﴾ واستئناف الكلام.

وقرأ الكسائي وحده: ﴿أَنَّ الدِّين﴾ بفتح الألف[4]، قال أبو علي: ﴿أَنَّ﴾ بدل من ﴿أَنَّهُۥ﴾ الأولى، [وإِن شئتَ جعلته من بدل الشيء من الشيء وهو هو؛ لأن الإِسلام هو التوحيدُ والعدلُ][5]، وإِن شئت جعلته من بدل الاشتمال؛ لأن الإِسلام يشتملُ على التوحيد والعدل، وإِن شئت جعلت ﴿أَنَّ الدِّينَ﴾ بدلاً من ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾؛ لأنه هو في المعنى[6].

ووجَّه الطبريُّ هذه القراءة بأنْ قدَّر في الكلام واوَ عطفٍ، ثم حذفت وهي مرادة، كأنه قال: «وأن الدِّين»[7]، وهذا ضعيف.

وقرأ عبد الله بن العباس: (إِنَّهُ لا إلهَ إِلَّا هُوَ) بكسر الألف من إنه، وقرأ: (أَنَّ الدِّينَ) بفتح الألف[8]، فأَعملَ (شهد) في (أَنَّ الدِّينَ)، وجاء قوله: (إِنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ) اعتراضاً جميلاً في نفس الكلام المتصل.

---

(١) قال ذلك النحاس في معاني القرآن (١/ ٣٦٩).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٨٩).

(٣) انظر: الهداية لمكي (٢/ ٩٧٥).

(٤) وهي قراءة سبعية متواترة، انظر: السبعة (ص: ٢٠٢)، والتيسير للداني (ص: ٨٧).

(٥) ما بين القوسين ليس في الحمزوية.

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٢٣).

(٧) في تفسير الطبري (٦/ ٢٦٨).

(٨) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها له في: تفسير الطبري (٦/ ٢٦٨)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج=

وتأول السّديّ الآيةَ على نحو قراءة ابن عباس، فقال: الله وملائكته والعلماء يشهدون أن الدِّين عند الله الإِسلام[١].

وقرأ أبو المهلب[٢] عمُّ مُحارِبِ بن دثـار[٣]: (شهداءَ اللَّهِ)[٤] على وزن فُعَلاء وبالإِضافة إلى الله[٥]، قال أبو الفتح: هو نصبٌ على الحالِ من الضمير في ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ﴾، وهو جمع شهيد، أو جمع شاهد كعالم وعلماء[٦].

وروي عن أبي المهلب هذا أَنه قرأَ: (شهداءُ الله) برفع الشهداء، وروي عنه أنه قرأ: (شُهُدُ اللهِ) على وزن فُعُل، بضم الفاء والعين، ونصب (شهداءَ) على الحال[٧].

وحكى النقاش أنه قُرِئَ: (شُهُد اللهِ) بضم الشين والهاء والإضافة إلى المكتوبة، قال: فمنهم من نصب الدال، ومنهم من رفعها[٨].

وأصوب هذه القراءات قراءة الجمهور، وإيقاع الشهادة على التوحيد.

﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ عطفٌ على اسم الله تعالى، وعلى بعض ما ذكرناه

= (١/ ٣٨٦)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٣٧٠)، ومختصر الشواذ (ص: ٢٦).

(١) تفسير الطبري (٦/ ٢٦٩).

(٢) لعله هو عامر بن عبد الأعلى أبو المهلب الدلال، روى القراءة عن يعقوب الحضرمي، روى القراءة عنه الزبير بن أحمد الزبيري. انظر: غاية النهاية (١/ ١٥٤).

(٣) هو محارب بن دثار، أبو المطرف السدوسي الشيباني الكوفي القاضي، عرض على أبيه وروى عن جابر وابن عمر، عرض عليه ابنه مسلمة وكان من كبار العلماء، فقيهاً فاضلاً، حسن السيرة، زاهداً شجاعاً، توفي سنة (١١٦ هـ). انظر: غاية النهاية (١/ ٢٩٣).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ١٥٥)، ومختصر الشواذ (ص: ٢٦)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٣٧١).

(٥) من أحمد٣ وجار الله، وفي النسخ الأخرى: المكتوبة، وهي لفظ الجلالة.

(٦) المحتسب (١/ ١٥٥).

(٧) وهي شاذة. انظر: تفسير الثعلبي (٣/ ٣٢)، والهداية لمكي (٢/ ٩٧٥).

(٨) انظر ماحكاه النقاش في البحر المحيط (٣/ ٦١) وهما من الشاذ.

من القراءات يـجيء قوله: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ ابتـداءً، وخبره مقدر، كأنه قال: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ يشهدون.

و﴿قَآئِمًۢا﴾ نصب على الحال من اسمه تعالى في قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾، أو من قوله: ﴿إِلَّا هُوَ﴾.

وقرأ ابن مسعود: (القائِمُ بِالقِسْطِ)[1]، و(القسط): العدل.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾.

قد تقدم ذكر اختلاف القراء في كسر الألف من ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾ وفتحها.

و«الدِّينُ» في هذه الآية: الطاعةُ والملّة، والمعنى: إن الدينَ المقبول أو النافع أو المقرر.

و﴿ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ في هذه الآية هو الإيمان والطاعة، قاله أبو العالية، وعليه جمهور المتكلمين[2]، وعبر عنه قتادة ومحمد بن جعفر بن الزبير بالإيمان.

قال القاضي أبو محمد: ومرادهما أَنه مع الأعمال.

والإِسلامُ هو الذي سأل عنه جبريل عليه السلام النبيَّ ﷺ حين جاء يعلِّمُ الناسَ دينهم، الحديث[3]، وجواب النبي ﷺ له في الإِيمان والإِسلام يفسِّرُ ذلك، وكذلك تفسيره قوله ﷺ: «بني الإِسْلامُ على خَمْس»... الحديث[4].

وكلُّ مؤمنٍ بنبيه ملتزمٍ لطاعات شرعه، فهو داخلٌ تحت هذه الصفة.

وفي قراءة ابن مسعود: (إِن الدِّينَ عند الله لَلإِسلامُ) باللام[5].

---

(١) وهي قراءة شاذة. انظر: تفسير الطبري (٦/ ٢٧٠)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٠٠)، والكشاف للزمخشري (١/ ٣٧٢).

(٢) في الحمزوية: «العلماء».

(٣) حديث جبريل رواه مسلم (١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

(٥) وهي قراءة شاذة، نسبت في تفسير الكشاف (١/ ٣٧٣) لأبي بن كعب.

ثم أخبر تعالى عن اختلاف أهل الكتاب أنه كان على علم منهم بالحقائق، وأنه كان بغياً وطلباً للدنيا، قاله ابن عمر وغيره(١).

و﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ لفظٌ يعمُّ اليهودَ [والنصارى، لكن الربيع بن أنس قال: المراد بهذه الآية اليهود](٢)،(٣)، وذلك أن موسى عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا سبعين حبراً من أحبار بني إسرائيل فاستودعهم التوراة، عند كلِّ حبر جزء، واستخلف يوشع بن نون، فلما مضى ثلاثةُ قرونٍ وقعت الفرقة بينهم(٤).

وقال محمد بن جعفر بن الزبير: المراد بهذه الآية النصارى، وهي توبيخ لنصارى نجران(٥).

و﴿بَغْيًا﴾ نصب على المفعول من أجله، أو على الحال من ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

ثم توعد عز وجل الكفار.

و«سرعة الحساب» يحتملُ أن يرادَ بها سرعة مجيء القيامة والحساب؛ إذ هي متيقنة الوقوع، فكل آتٍ قريبٌ، ويحتمل أن يراد بسرعة الحساب أن الله تعالى بإحاطته بكلِّ شيء علماً، لا يحتاج إلى عدٍّ ولا فكرة، قاله مجاهد(٦).

قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ

---

(١) ضعيف، قول ابن عمر أخرجه الطبري (٦/ ٢٧٧) من طريق: عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، عنه. الربيع هو ابن أنس، ذكره ابن حبان في الثقات (٤/ ٢٢٨)، وقال: الناس يتقون حديثه ما كان من رواية أبي جعفر عنه؛ لأن فيها اضطراباً كثيراً. اهـ وأبو جعفر فيه كلام.

(٢) في حاشية المطبوع: ما بين القوسين سقط في كثير من النسخ.

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٢٧٨).

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٢٧٨)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٣٤).

(٥) تفسير الطبري (٦/ ٢٧٨)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٣٥).

(٦) تفسير الطبري (٦/ ٢٧٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦١٩)، وتفسير ابن المنذر (١/ ١٥٠).

وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿حَآجُّوكَ﴾ فاعَلُوك من الحجة، والضميرُ في ﴿حَآجُّوكَ﴾ لليهود، ولنصارى نجران، والمعنى: إن جادلوك وتعنَّتوا بالأقاويلِ المزوّرة، والمغالطاتِ، فأَسْنِدْ إلى ما كُلِّفْتَ من الإِيمان والتبليغِ، وعلى الله نصرُك.

وقوله: ﴿وَجۡهِيَ﴾ يحتمل أن يراد به المقصد كما تقول: خرج فلان في وجه كذا، فيكون معنى الآية: جعلت مقصدي لله، ويحتمل أن يكونَ معنى الآية: أسلمتُ شخصي وذاتي وكلّيتي، وجعلتُ ذلك لله.

وعبَّر بالوجه؛ إذ الوجه أشرفُ أعضاءِ الشخص، وأجمعُها للحواس.

وقد قال حذّاقُ المتكلمين في قوله تعالى: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧][(١)]: إنها عبارة عن الذات.

و﴿أَسۡلَمۡتُ﴾ في هذا الموضع بمعنى دفعتُ وأَمضيتُ، وليست بمعنى دخلت في السَّلم؛ لأن تلك لا تتعدَّى.

وقوله: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ في موضع رفع، عطف على الضمير في ﴿أَسۡلَمۡتُ﴾، ويجوز أن يكون مبتدأ، أي: ومن اتبعن أسلمَ وجهه.

وقال بعضهم: يحتمل أن يكون في موضع خفض عطفاً على اسم الله تعالى، كأنه يقول: جعلت مقصدي لله بالإِيمان به والطاعة له، ولمن اتبعني بالحفظِ له والتحفي بتعليمه وصحبته.

ولك في ﴿ٱتَّبَعَنِ﴾ حذفُ الياء[(٢)] وإثباتها، وحذفها أحسنُ اتباعاً لخطِّ المصحف[(٣)].

---

(١) قد تقدم التنبيه على مذهب أهل السنة والسلف في مثل هذا.

(٢) في المطبوع: الباء، وهو خطأ.

(٣) أثبتها في الوصل نافع وأبو عمرو، كما في التيسير (ص: ٩٣)، وأبو جعفر، وفي الحالين يعقوب كما في النشر (٢/ ٢٨٢).

وهذه النون إنما هي لتسلَمَ حركة فتحة لام الفعل، فهي مع الكسرة تغني عن الياء لا سيما إذا كانت رأسَ آية، فإنها تشبه بقوافي الشعر، كما قال الأعشى:

[المتقارب] وَهَـلْ يَمْنَعَنّـي ارْتيـادِي الْبِـلَا دَمِـنْ حَـذَر الْمَـوْتِ أنْ يَأتِيَنْ[١]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿رَبِّىٓ أَكۡرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥].

[١/ ٢٠٦] فإذا لم تكن نون/ فإثبات الياء أحسن، لكنهم قد قالوا: هذا غلامِ قد جاء، فاكتفوا بالكسرة [دلالة على الياء][٢].

و(الذين أوتوا الكتاب) في هذا الموضع يجمع اليهود والنصارى باتفاق[٣].

و«الأميون»: هم الذين لا يكتبون، وهم العرب في هذه الآية، وهذه النسبة هي إلى الأمّ أو إلى الأمة، أي: كما هي الأم[٤]، أو على حال خروج الإنسان عن الأم، أو على حال الأمة الساذجة قبل التعلم والتحذق.

وقوله: ﴿ءَأَسۡلَمۡتُمۡ﴾ تقريرٌ في ضمنه الأمر، كذا قال الطبري وغيره[٥]، وذلك بيّن، وقال الزجاج: ﴿ءَأَسۡلَمۡتُمۡ﴾ تهديد[٦]، وهذا حسن؛ لأن المعنى: أأسلمتم أم لا؟

وقوله: ﴿فَقَدِ ٱهۡتَدَواْ﴾ جاءت العبارة بالماضي مبالغةً في الإخبار بوقوع الهدى لهم وتحصله.

---

(١) انظر عزو البيت للأعشى في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٨٩)، والمحتسب (١/ ٣٤٩)، والحجة للفارسي (٣/ ٢١٩)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٣٨٩)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٥١٣)، وفي المطبوع: «يمنعنَّ».

(٢) ليس في جار الله، وفي حاشية المطبوع: في بعض النسخ إثبات الياء، وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٨٩)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٠٠).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٢٨١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦١٩)، وتفسير ابن المنذر (١/ ١٥١).

(٤) في الأصل: «الأيام»، وهي عبارة غير واضحة.

(٥) تفسير الطبري (٦/ ٢٨١).

(٦) معاني القرآن للزجاج (١/ ٣٩٠)، وفي المطبوع: «تهدد».

وقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾، ذكر بعض الناس أَنها آية موادعة، وأنها مما نسخته آية السيف[١].

وهذا يحتاج أن يقترن به معرفةُ تاريخِ نزولها، وأما على ظاهر نزول هذه الآية في وقت وفد نجران فإنما المعنى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ بما فيه من قتال وغيره، والبلاغ مصدر بلَغ بتخفيف عين الفعل، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ وعد للمؤمنين، ووعيد للكافرين.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

قال محمد بن جعفر بن الزبير وغيره: إن هذه الآية نزلت في اليهود والنصارى[٢].

قال القاضي أبو محمد: وتعمُّ كل من كان بهذه الحال.

والآيةُ توبيخٌ للمعاصرين لرسول الله ﷺ بمساوئ أسلافهم وببقائهم أنفسهم على فعل ما أمكنهم من تلك المساوئ؛ لأنهم كانوا حَرْصَى على قتل محمد ﷺ.

وروي: أن بني إسرائيلَ قتلوا في يوم واحدٍ سبعين نبياً، وقامت سوق البقل بعد ذلك[٣].

وروى أبو عبيدة بن الجراح عن النبي ﷺ أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبياً، فاجتمع

---

(١) الناسخ والمنسوخ للمقري (١/ ١٠٩) والناسخ والمنسوخ لابن حزم (١/ ٣٠)، والمصفى من علم الناسخ والمنسوخ (١/ ٤٢)، ونسبه ابن الجوزي لابن عباس في نواسخ القرآن (١/ ١٨٣)، وزاد المسير (٤/ ٣٣٩).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٢٨٣).

(٣) نقله مكي في الهداية (١/ ٣٥٠) عن كعب، والمقصود بقيام سوق البقل: أنهم بعد قتل الأنبياء يعودون لأسواقهم كأن شيئاً لم يكن.

من عُبَّادهم وأحبارهم مئة وعشرون ليغيّروا وينكروا فقتلوا أجمعين، وكلُّ ذلك في يوم واحد(١)؛ وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ مبالغة في [التحرير للذنب؛ إذ في الإِمكان](٢) أن يقتضي ذلك أَمرُ الله تعالى بوجهٍ ما من تكرمةِ النبي، أو غير ذلك.

وعلى هذا المعنى تجيء أفعل من كذا، إذا كان فيها شياع مثل: أحبّ وخير وأفضل ونحوه مقولةً بين شيئين [ظاهرهما أنْ لا اشتراك بينهما](٣).

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ﴾.

وقرأ حمزة وجماعة من غير السبعة: ﴿ويُقاتِلونَ الَّذينَ﴾(٤).

وفي مصحف ابن مسعود: (وَقاتَلُوا الَّذينَ)، وقرأها الأعمش(٥).

وكلها متوجهةٌ، وأَبينُهَا قراءةُ الجمهور.

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (٦/ ٢٨٥) من طريق: ابن حمير قال، حدثنا أبو الحسن مولى بني أسد، عن مكحول، عن قبيصة بن ذؤيب الخزاعي، عن أبي عبيدة بن الجراح، وأبو الحسن مولى بني أسد مجهول، وليس فيه تصريح مكحول بالسماع.

(٢) في السليمانية: «في التحرير من طريق الإمكان أن يقتضي ذلك»، وفي فيض الله: «في التحذير من الذنب إذ في الإمكان أن يقتضي»، وفي أحمد٣ وجار الله: «في التحذير من طريق الإمكان»، وفي نور العثمانية: «في التحريم للذنب، إذ في الإمكان»، وفي حاشية المطبوع: اختلفت النسخ في العبارة فجاءت في بعضها: «في التحرير من الطريق»، وفي بعض آخر: «في التحذير من طريق»، وفي بعضها: «في التحذير للذنب» ولعلَّ الصواب فيها هو: «في التحذير من الذنب إذ في الإِمكان».

(٣) في السليمانية: «أن الاشتراك بينهما»، وفي المطبوع: «الاشتراك بينهما»، مع الإشارة في حاشيته للنسخة المثبتة.

(٤) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٢٠٣)، والتيسير (ص: ٨٧).

(٥) انظر عزوها لابن مسعود في: تفسير الثعلبي (٣/ ٣٦)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢١)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٧٥)، وحجة القراءات لابن زنجلة (ص: ١٥٨)، والحجة للفارسي (٣/ ٢٤)، ولم أجد من رواها عن الأعمش، وضبطت في المطبوع: «قاتِلوا».

و(القسط): العدل، وجاءت البشارة بالعذاب من حيث نصَّ عليه، وإذا جاءت البشارة مطلقة فمجملها فيما يستحسن.

ودخلت الفاء في قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ لما في ﴿ٱلَّذِينَ﴾ من معنى الشرط في هذا الموضع، فذلك بمنزلة قولك: الذي يفعل كذا فله كذا، إذا أردت أن ذلك إنما يكون له بسبب فعله الشيء الآخر، فيكون الفعل في صلتها، وتكون بحيث لم يدخل عليها عاملٌ يغيّر معناها، كـ«ليتَ» و«لعلَّ»، وهذا المعنى نَصٌّ في «كتاب سيبويه» في بابٍ ترجمتُه: «هذا باب الحروف التي تتنـزل منزلة الأمر والنهي؛ لأن فيها معنى الأمر والنهي»[1].

و﴿حَبِطَتۡ﴾ معناه: بطلت وسقط حكمها، وحبطها في الدنيا: بقاءُ الذمّ واللعنة عليهم، وحبطها في الآخرة: كونها هباءً منبثاً، وتعذيبهم عليها[2].

وقرأ ابن عباس وأبو السمال العدوي: (حَبَطَتْ) بفتح الباء[3]، وهي لغة، ثم نفى النصر عنهم في كلا الحالين.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤ فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٥﴾.

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية بسببِ أنَّ رسول الله ﷺ دخل بيتَ المدراس على جماعة من يهود فدعاهم إلى الله، فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد: على أيّ دينٍ أنت يا محمد، فقال رسول الله ﷺ: «أنا على ملّةِ إبراهيم» فقالا: فإن إبراهيمَ كان يهوديّاً،

---

(١) انظر: الكتاب لسيبويه (٣/ ١٠٢-١٠٤).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٢٨٧)، وتفسير السمعاني (١/ ٣٠٥)، والهداية لمكي (٢/ ٩٨٣).

(٣) انظر عزوها لابن عباس في: البحر المحيط (٣/ ٧٧)، وأهمله المصنف في آية البقرة، انظر عزوها لأبي السمال في: الكامل للهذلي (ص: ٥٥٦)، والهداية لمكي (٢/ ٩٨٣)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ١٤٩)، قالا: وهي لغة شاذة.

فقال لهما النبي ﷺ: «فهلُمُّوا إلى التوراة، فهي بيننا وبينكم»، فأبيا عليه، فنزلت[١].

وذكر النقاش أنها نزلت؛ لأن جماعةً من اليهود أنكروا نبوةَ محمد ﷺ، فقال لهم النبي ﷺ: «هَلُمُّوا إلى التوراة ففيها صفتي»، فأَبَوا[٢].

قال القاضي أبو محمد: فـ ﴿ٱلْكِتَـٰبِ﴾ في قوله: ﴿مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ هو اسم الجنس، والكتابُ في قوله: ﴿إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ هو التوراة.

وقال قتادة وابن جريج: الكتاب في قوله: ﴿إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ هو القرآن، كان رسول الله ﷺ يدعوهم إليه فكانوا يُعرِضون، ورجح الطبري القولَ الأول[٣].

وقال مكي: الكتابُ الأول اللوحُ المحفوظُ، والثاني التوراة[٤].

وقرأ جمهور الناس: ﴿لِيَحْكُمَ﴾ بفتح الياء؛ أي: ليحكم الكتابُ.

وقرأ الحسن وأبو جعفر وعاصم الجحدري: ﴿لِيُحْكَمَ﴾ بضم الياء، وبناء الفعل للمفعول[٥].

وخص الله تعالى بالتولي فريقاً دون الكلِّ؛ لأن منهم من لم يتولَّ كابن سلام وغيره.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارةُ فيه إلى التولي والإعراض؛ أي: إنما تولوا

---

(١) ضعيف مرسل، أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٢/ ٦٢٢) من طريق: محمد بن اسحاق، حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة قال: دخل رسول الله ﷺ بيت المدراس على جماعة من يهود... وفي إسناده محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، لا يعرف، قاله الذهبي، وقال ابن حجر: مجهول. وهو مع ذلك مرسل.

(٢) حكاه عنه أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٧٧).

(٣) انظر القولين، وكلام الطبري في: تفسير الطبري (٦/ ٢٩٠).

(٤) حكاه عنه أبو حيان (٣/ ٧٧)، وتفسير هذه الآية ليس في النسخة المطبوعة من الهداية، «المحفوظ»: ليست في أحمد٣ وجار الله.

(٥) كما تقدم في تفسير الآية (٢١٣) من سورة البقرة، وهي عشرية لأبي جعفر، كما في النشر (٢/ ٢٥٩).

وأعرضوا؛ لاغترارهم بهذه الأقوال، والافتراء الذي لهم في قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨] إلى غير ذلك من هذا المعنى.

وكان من قول بني إسرائيل: إنهم لن تمسهم النارُ إلا أربعين يوماً عددَ الأيام التي عبدوا فيها العجل، قاله الربيع وقتادة، وحكى الطبري: أَنهم قالوا: إن الله وعد أباهم يعقوبَ أَلَّا يُدْخِلَ أحداً من ولده النار إلا تحلة القسم(١).

وفي الحديث أَن رسول الله ﷺ قال لليهود: «مَن أولُ مَنْ يدخلُ النار؟» فقالوا: نحن، فترةً يسيرة / ثم تخلفوننا فيها، فقال: «كذبتم»(٢) الحديث بطوله. [١/ ٢٠٧]

و﴿يَفْتَرُونَ﴾ معناه: يشقّقون ويختلقون من الأحاديث في مدح دينهم وأنفسهم، وادعاءِ الفضائل لها.

ثم قال تعالى خطاباً لمحمد ﷺ وأمته على جهة التوقيف والتعجيب: فكيف حال هؤلاء المغترِّين بالأباطيل إذا حُشِروا يوم القيامة، واضمحلَّت تلك الزخارف التي ادَّعَوها في الدنيا وَجُوزوا بما اكتسبوه من كفرهم وأعمالهم القبيحة؟

قال النقاش: واليومُ: الوقت، وكذلك قوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤]، [السجدة: ٤] و﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩]، و﴿فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ [فصلت: ١٠]، إنما هي عبارة عن أوقات، فإِنما الأيام والليالي عندنا، والصحيحُ في يوم القيامة أَنه يومٌ؛ لأن قبله ليلة، وفيه شمس(٣).

واللام في قوله تعالى: ﴿لِيَوْمٍ﴾ طالبةٌ لمحذوفٍ، قال الطبري: تقديره: لما يحدثُ في يوم(٤).

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٢٩٢، ٢٩٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٣)، وتفسير ابن المنذر (١/ ١٥٧).
(٢) رواه البخاري (٥٧٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) نقله عنه أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٥٤)، وتفسير الثعالبي (١/ ١٩٧).
(٤) تفسير الطبري (٦/ ٢٩٤).

قوله عز وجل: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾.

قال بعض العلماء: إن هذه الآية دامغةٌ[(١)] لباطل نصارى نجران في قولهم: إن عيسى هو الله، وذلك أن هذه الأوصاف تبين لكلِّ صحيح الفطرة؛ أن عيسى عليه السلام ليس في شيء منها.

وقال قتادة: ذكر لنا أن النبي ﷺ سأل ربه أن يجعل في أمته ملك فارس والروم فنزلت الآية في ذلك[(٢)].

وقال مجاهد: الملك في هذه الآية: النبوة[(٣)].

والصحيح أَنه مالك الملك كله مطلقاً في جميع أَنواعه، وأشرف ملك يؤتيه سعادة الآخرة.

وروي: أنَّ الآية نزلت بسبب أَن النبي ﷺ بشَّر أمتَه بفتح ملك فارس وغيره فقالت اليهود والمنافقون: هيهات وكذَّبوا ذلك[(٤)].

واختلف النحويون في تركيب لفظة «اللهم» بعد إجماعهم على أَنها مضمومة الهاء مشددة الميم المفتوحة، وأَنها منادى، ودليلُ ذلك أنها لا تأتي مستعملةً في معنى خبر:

فمذهب الخليل وسيبويه والبصريين أَن الأَصل: يا الله، فلما استعملت الكلمةُ دون حرف النداء الذي هو «يا»؛ جعلوا بدل حرف النداءِ هذه الميمَ المشددة، والضمة في الهاء هي ضمة الاسم المنادى المفرد، وذهب حرفان فعوض بحرفين[(٥)].

---

(١) في المطبوع وفيض الله: دافعة، وفي الحمزوية: جامعة.
(٢) لا يصح، أخرجه الطبري (٦/ ٣٠٠) من طريقين عن قتادة، ولا يصح لإبهام مَن ذكره لقتادة.
(٣) تفسير الطبري (٦/ ٣٠٠).
(٤) أورده الثعلبي في تفسيره (٣/ ٤٠) عن ابن عباس، وأنس بن مالك.
(٥) انظر توضيح هذا الكلام في: إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٥٠).

ومذهب الفراء والكوفيين أن أصل «اللهم»: يا الله أُمَّ؛ أي: أُمَّ بخيرٍ، وأَن ضمة الهاء هي ضمة الهمزة التي كانت في «أُمَّ» نقلت(١).

وردَّ الزجاجُ على هذا القول وقال: محالٌ أَن يترك الضم الذي هو دليل على نداء المفرد، وأَن تجعل في اسم الله ضمة «أُمّ»، هذا إلحادٌ في اسم الله تعالى(٢).

قال القاضي أبو محمد: وهذا غلوٌّ من الزجاج.

وقال أيضاً: إِن هذا الهمز الذي يُطْرَحُ من الكلام، فشأنه أن يؤتى به أحياناً كما قالوا: وَيْلُمِّهِ في ويلُ أُمّه، والأكثر إِثبات الهمزة، وما سمع قط يا الله أُم في هذا اللفظ، وقال أيضاً: ولا تقول العرب: يا اللهم(٣).

وقال الكوفيون: إِنه قد يدخل حرف النداء على «اللهم»، وأَنشدوا على ذلك:

وَمَـا عَلَيْـكِ أَنْ تَقُولِـي كُلَّمَـا سَـبَّحْتِ أَوْ هَلَّلْـتِ يَاللَّهُـم مَـا [الرجز]

ارْدُدْ عَلَيْنَا شَـيْخَنَا مُسَلَّمَا(٤)

قالوا: فلو كانت الميم عوضاً من حرف النداء لما اجتمعا(٥).

قال الزجاج: وهذا شاذ لا يعرف قائله، ولا يترك له ما في كتاب الله، وفي جميع ديوان العرب(٦).

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٠٣).
(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٩٣).
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٩٣).
(٤) الأبيات بلا نسبة في تفسير الثعلبي (٣/ ٤٢)، اللامات للزجاجي (ص: ٩٠)، وما يجوز للشاعر في الضرورة (ص: ٢٤٠)، وضرائر الشعر (ص: ٥٦)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٠٣)، وفي المطبوع: «ياااللهم».
(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٠٣).
(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٩٣-٣٩٤).

قال الكوفيون: إِنما تزاد الميم مخففة في فم وابنم ونحوه، فأَما ميم مشددة فلا تزاد[(١)].

قال البصريون: لما ذهب حرفان، عوض بحرفين[(٢)].

و﴿مَٰلِكَ﴾ نصب على النداء، نص سيبويه ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الزمر: ٤٦]، وقال: إن «اللهم» لا يوصف؛ لأنه قد ضمت إليه الميم[(٣)].

قال الزجاج: و﴿مَٰلِكَ﴾ عندي في الإِعراب صفة لاسم الله تعالى، وكذلك ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[(٤)].

قال أبو علي: وهو مذهب أبي العباس، وما قال سيبويه أصوب[(٥)]، وذلك أنه ليس في الأسماء الموصوفة شيء على حد «اللهم»؛ لأنه اسمٌ مفردٌ ضُمَّ إليه صوت، والأصوات لا توصف، نحو «غاق» وما أشبهه، وكان حكم الاسم المفرد أَلَّا يوصف، وإِن كانوا قد وصفوه في مواضع، فلما ضُمَّ هنا [ما لا يوصف إلى ما كان قياسه أَلاَّ يوصف][(٦)] صار بمنزلة صوتٍ ضمَّ إليه صوت نحو «حَيْهَل»، فلم يوصف.

قال النضر بن شُمَيل: من قال: اللهم، فقد دعا الله بجميع أسمائه كلها وقال الحسن: اللهم مَجْمَعُ الدعاء[(٧)].

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٠٣).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٩٤)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ١٥٠).

(٣) الكتاب لسيبويه (٢/ ١٩٦).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٩٤).

(٥) لعله في غير الحجة، وقد نقله عنهم القرطبي في تفسيره (٤/ ٥٤).

(٦) ليس في الحمزوية، وفي نور العثمانية: «ما يوصف»، دون «لا».

(٧) نقلهما القرطبي (٤/ ٥٤)، ونقل قول النضر السيوطي في الإتقان (٣/ ١٩٣)، ولم أجدهما لمن قبل المؤلف.

وخص الله تعالى الخيرَ بالذكر وهو تعالى بيده كل شيء؛ إذ الآية في معنى دعاءٍ ورغبة، فكأَن المعنى: بِيَدِكَ الْخَيْرُ فأَجْزِلْ حظّي منه.

وقيل: المراد: بِيَدِكَ الْخَيْرُ والشر، فحُذف لدلالةِ أحدهما على الآخر، كما قال: ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، قال النقاش: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾؛ أي: النصر والغنيمة[(١)].

وقال ابن عباس[(٢)] ومجاهد والحسن وقتادة والسدي وابن زيد في معنى قوله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ الآية: إنه ما ينتقص من النهار فيزيد في الليل، وما ينتقص من الليل فيزيد في النهار، دأباً كلّ فصل من السنة[(٣)].

وتحتملُ ألفاظُ الآية أن يدخل فيها تعاقبُ الليل والنهار كأنّ زوالَ أحدهما ولوجٌ في الآخر.

واختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ الآية:

فقال الحسن: معناه تخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن[(٤)]، وروي نحوه عن سلمان الفارسي[(٥)].

وروى الزهري: أن النبي ﷺ دخل على بعض أزواجه فإذا بامرأةٍ حسنة النغمة

---

(١) حكاه القرطبي (٤/ ٥٥)، وحكاه ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٢٧٠) عن ابن عباس. وزاد في المطبوع هنا: «فحذف لدلالة أحدهما».

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٦/ ٣٠٢) من طريق حفص بن عمر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس، وحفص ضعيف.

(٣) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٦/ ٣٠٢، ٣٠٣).

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٣٠٤)، وتفسير ابن المنذر (١/ ١٦١)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٢٨٣)، والهداية لمكي (٢/ ٩٨٦).

(٥) لا يصح، رواه الطبري (٦/ ٣٠٧) وغيره من طريق: سليمان التيمي، عن أبي عثمان، عن سلمان، أو عن ابن مسعود، وأكبر ظني أنه عن سلمان، وأبو عثمان لعله: شراحيل بن مرثد الصنعاني، لم يوثق، ويروي المراسيل، وقد شك في روايته.

فقال: «من هذه؟» قالت: إحدى خالاتك، فقال: «إن خالاتي بهذه البلدة لغرائب، أيُّ خالاتي هي؟» قالت: خالدة بنت الأسود بن عبد يغوث[١]، فقال النبي ﷺ: «سبحانَ الذي يخرجُ الحي من الميت!»[٢]، وكانت امرأةً صالحة، وكان أبوها كافراً، وهو أحد المستهزئين الذي كُفِيَهُمُ النبيُّ ﷺ[٣].

فالمراد على هذا القول موتُ قلبِ الكافر، وحياةُ قلب المؤمن، والحياة والموت مستعاران.

وذهب جمهور كثير من العلماء إلى أن الحياة والموت في الآية إنما هما الحياةُ حقيقةً، والموتُ حقيقة لا باستعارة، ثم اختلفوا في المُثُل التي فسروا بها:

فقال عكرمة: هو إِخراجُ الدجاجة / وهي حية من البيضة وهي ميتة، وإِخراج البيضة وهي ميتة من الدجاجة وهي حية[٤]، ولفظ الإِخراج في هذا المثال وما ناسبه لفظ متمكّن على عرف استعماله. [١/ ٢٠٨]

وقال عبد الله بن مسعود في تفسير الآية: هي النطفة تخرج من الرجل وهي ميتة

---

(١) ترجم لها أبو عمر في الاستيعاب (٤/ ١٨١٦)، وقال: إن صح هذا الحديث فإنما كانت خالته، لأن الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، والد خالدة هذه هو ابن أخي آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ، فخالدة بنت الأسود بنت ابن خال النبي ﷺ، فهي من خالاته، ولم أعرف من ذكرها غير بقي بن مخلد، وانظر الإصابة (٨/ ٩٧).

(٢) مرسل، أخرجه الطبري (٦/ ٣٠٨)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٦) من طريق: عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن الزهري: أن النبي ﷺ دخل على بعض نسائه.. وهو أصح طرقه مع إرساله، يُنظر: الإصابة لابن حجر (٧/ ٥٩٧).

(٣) وسيأتي الكلام عليهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾، أواخر سورة الحجر.

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٣٠٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٧)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٤٦)، والهداية لمكي (٢/ ٩٨٦).

وهو حيّ، ويخرج الرجل منها حياً[١] وهي ميتة[٢].

قال القاضي أبو محمد: ولفظ الإخراج في تنقل النطفة حتى تكون رجلاً إنما هو عبارة عن تغير الحال، كما تقول في صبي جيد البنية: يخرجُ من هذا رجلٌ قويّ، وهذا المعنى يسميه ابن جني: التجريد[٣]؛ أي: تجرّدُ الشيءِ من حالٍ إلى حال هو خروج.

وقد يحتمل قوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ أن يراد به أن الحيوان كله يميته فهذا هو معنى التجريد بعينه، وأنشد ابن جني على ذلك:

أفاءتْ بنو مروانَ ظُلْماً دماءَنا ... وفي اللهِ إن لم ينصفوا حَكَمٌ عَدْلُ[٤] [الطويل]

وروى السدي عن أبي مالك قال في تفسير الآية: هي الحبة تخرج من السنبلة، والسنبلةُ تخرجُ من الحبة، والنواةُ تخرج من النخلة، والنخلة تخرج من النواة[٥]، والحياة في النخلة والسنبلة تشبيه.

وقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قيل: معناه: بغير حساب منك؛ لأنه تعالى لا يخاف أن تنتقص خزائنه، هذا قول الربيع وغيره، وقيل: معنى بغير حساب؛ أي: من أحد لك؛ لأنه تعالى لا معقّب لأمره[٦].

---

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) إسناده مستقيم، أخرجه الطبري (٦/ ٣٠٤) من طريق: أبي معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن ابن مسعود من قوله.

(٣) انظر: المحتسب (١/ ٤٢).

(٤) البيت لأبي الخطار الكلبي واسمه الحُسامُ بن ضرار بن سلامان بن جُشم، كان فارسَ النَّاس بإفريقية، انظر عزوه له في: نسب معد واليمن الكبير (٢/ ٥٧٢)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (١٢/ ٤٥٥)، وأنساب الأشراف للبلاذري (٦/ ٢٧٧)، والحماسة البصرية (١/ ٨١) وسماه بشر ابن صَفْوَان الْكلابِي.

(٥) رواه عنه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٥٣)، في الآية (٩٥) من سورة الأنعام، ونقل مثله هنا (٦/ ٣٠٦) عن عكرمة.

(٦) انظر قول الربيع في: تفسير الطبري (٦/ ٣١١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٨).

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر، وابنُ كثير وأبو عمرو وابن عامر: ﴿المَيْتَ﴾ بسكون الياء في جميع القرآن، وروى حفص عن عاصم ﴿مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ بتشديد الياء.

وقرأ نافع وحمزة والكسائي: ﴿ٱلْمَيِّتِ﴾ بتشديد الياء في هذه الآية، وفي قَوله: ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [الأعراف: ٥٧]، و﴿إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [فاطر: ٩]. وخفَّفَ حمزة والكسائيُّ غير هذه الحروف(١).

قال أبو علي: الميّتُ هو الأصل، والواو التي هي عين منه انقلبت ياءً لإِدغام الياء فيها، ومَيْت بالتخفيف محذوفٌ منه عينه أُعِلَّتْ بالحذف كما أُعِلَّتْ بالقلب، والحذف حَسَنٌ، والإِتمام حسن، وما مات وما لم يمت في هذا الباب يستويان في الاستعمال(٢).

قال القاضي أبو محمد: وذهب قوم إِلى أن الميْت بالتخفيف إِنما يستعمل فيما قد مات، وأما الميّت بالتشديد فيستعمل فيما مات، وفيما لم يمت بعدُ.

قوله تعالى عز وجل: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ (٢٨)﴾.

هذا النهي عن الاتخاذ إنما هو فيما يُظهره المرءُ، فأَما أن يتخذه بقلبه ونيته فلا يفعلُ ذلك مؤمن، والمنهيّون هنا قد قرر لهم الإِيمان، فالنهيُ إنما هو عبارةٌ عن إظهارِ اللطفِ للكفّار والميل إليهم، ولفظ الآية عامٌّ في جميع الأَعصار.

واختلف الناس في سبب هذه الآية، فقال ابن عباس: كان كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق، وقيس بن زيد، قد بطنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فقال

(١) وهي قراءات سبعية. انظر: السبعة (ص: ٢٠٣)، والتيسير للداني (ص: ٨٧).
(٢) الحجة (٣/ ٢٦).

رفاعة ابن المنذر بن زَبير[١]، وعبد الله بن جبير[٢]، وسعد بن خيثمة[٣] لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء اليهود، واحذروا مباطنتهم، فأبى أولئك النفر إلا موالاةَ اليهود، فنزلت الآية في ذلك[٤].

وقال قوم: نزلت الآية في قصة حاطب بن أبي بَلْتعةَ[٥] وكتابه إلى أهل مكة[٦].

والآية عامةٌ في جميع هذا، ويدخل فيها فعلُ أبي لبابة في إشارته إلى حلقه حين بعثه النبيُّ ﷺ في استنزال بني قريظة[٧].

وأَما تعذيبُ بني المغيرة لعمَّار فنزل فيما أباح النبيّ ﷺ لعمار ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦][٨].

---

(١) هو رفاعة بن عبد المنذر بن رفاعة بن زَنْبر بن زَبير الأنصاري الأوسي، أبو لبابة الأنصاري رضي الله عنه، اختلف في اسمه، وقيل: هو أخوه، وهو من أهل العقبة، وعدَّه ابن إسحاق في البدريين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٢٩٠).

(٢) هو عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري، أخو خوَّات، شهد العقبة وبدراً واستشهد بأحد، وكان أَمير الرماة. الإِصابة (٤/ ٣١).

(٣) هو سعد بن خيثمة بن الحارث الأَنصاري الأوسي، يكنى أَبا خيثمة أَحد النقباءِ، شهد بدراً واستشهد بها. الإصابة (٣/ ٤٦).

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٦/ ٣١٤) من طريق: محمد بن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. ولا يصح لحال محمد، وقد مر هذا الإسناد مراراً.

(٥) حاطب بن أبي بلتعة: حليف بني أسد بن عبد العزى، شهد بدراً، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾، وذلك أنه كاتب بنيه وإخوته بمكة يعلمهم بما عزم عليه الرسول، توفي سنة (٣٠)، انظر ترجمته في: الإصابة (٢/ ٤).

(٦) قاله مقاتل بن سليمان في تفسيره (١/ ٢٧٠)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٤٦)، وتفسير البغوي (١/ ٤٢٧).

(٧) رواه الطبري (١٠/ ٣٩٨) عن عكرمة مرسلاً.

(٨) أخرجه الطبري (١١/ ٥٣٤) من طريق: أسباط عن السدي من قوله مرسلاً، وفي (١٧/ ٣٠٤) من طريق العوفي عن ابن عباس، ومن مرسل أبي عبيدة محمد بن عمار بن ياسر رضي الله عنه، وفي الخبر آثار عن بعض التابعين في سبب نزول الآية.

وقوله تعالى: ﴿مِن دُونِ﴾ عبارة عن كون الشيء الذي تضاف إليه ﴿دُونِ﴾ غائباً متنحياً، ليس من الأمر الأول في شيء، وفي المثل: وأُمِرَّ دونَ عُبَيْدَةَ الوَذَمُ[١]، كأنه من غير أن ينتهي إلى الشيء الذي تضاف إليه.

ورتبها الزّجاج: المضادةَ للشَّرَفِ، من الشيء الدون[٢]، وفيما قاله نظر.

قوله: ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ معناه: في شيء مرضيّ على الكمال والصواب، وهذا كما قال النبي ﷺ: «من غشَّنا فليْس منَّا»[٣].

وفي الكلام حذفُ مضافٍ، تقديره: فليس من التقرب إلى الله أو التزلف ونحو هذا.

وقوله: ﴿فِى شَىْءٍ﴾ هو في موضع نصب على الحال من الضمير الذي في قوله: ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾.

ثم أباح الله إِظهار اتخاذهم بشرط الاتقاء، فأَمَّا إبطانه فلا يصحّ أن يتصف به مؤمنٌ في حال.

وقرأ جمهور الناس: ﴿تُقَىٰةً﴾ أصله وُقَيَةً، على وزن فُعَلة، بضم الفاء وفتح العين، أبدلوا من الواو تاءً كتُجاه وتُكأة فصار تُقَيَةً، ثم قلبت الياءُ ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، فجاء﴿تُقَىٰةً﴾.

قال أبو علي: يجوز أن تكون﴿تُقَىٰةً﴾ مثل رُمَاة حالاً من ﴿تَتَّقُواْ﴾، وهو جمع فاعل وإِن كان لم يستعمل منه فاعل، ويجوز أن يكون جمع تقيٍّ، وجعل فَعِيل بمنزلة فاعل[٤].

---

(١) هذا عجز بيت لطرفة بن العبد، وصدره: ولقد هممت بذاك إذ حبست. انظر: المعاني الكبير (١/ ١٩٣)، وتفسير الطبري (١٢/ ١٩٢)، والوذم: السير يشد به طرف العرقوة إلى عروة الدلو، يضرب به المثل للرجل يقطع الأمر دونه، وهو مما يهجى به.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٩٦).

(٣) أخرجه مسلم (١٠١).

(٤) انظر: الحجة (٣/ ٢٧-٢٨).

وقرأ ابن عباس، والحسن، وحميد بن قيس، ويعقوب الحضرمي، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وأبو رجاء، والجحدري، وأبو حيوة: ﴿تَقِيَّة﴾، بفتح التاء وشد الياء، على وزن فَعِيْلَة، وكذلك روى المفضَّل عن عاصم(١).

وأمال الكسائي القافَ في: ﴿تُقَىٰةً﴾ في الموضعين، وأمال حمزة في هذه الآية، ولم يمل في قوله: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وفتح سائرُ القراء القافَ إلا أن نافعاً كان يقرؤُها بين الفتح والكسر(٢).

وذهب قتادة إلى أن معنى الآية: إِلَّا أن تَتَّقوا مِنْهُم تُقَاةً من جهة صلة الرحم؛ أي: ملامةً، فكأن الآية عنده مبيحةٌ الإِحسانَ إلى القرابة من الكفار(٣).

وذهب جمهور المفسرين إلى أن معنى الآية: إلا أن تخافوا منهم خوفاً، وهذا هو معنى التقية.

واختلف العلماء في التقية ممن تكون؟ وبأي شيء تكون؟ وأي شيء تبيح؟:

فأما الذي تكون منه التقية؛ فكلُّ قادرٍ غالبٍ يُكْرِهُ بجورٍ منه، فيدخل في ذلك الكفار إذا غلَبوا، وَجَوَرَةُ الرؤساءِ والسلَّابة، وأهل الجاه في الحواضر(٤).

قال مالك رحمه الله: وزوجُ المرأةِ قد يُكْرِه(٥).

وأما بأيّ شيءٍ تكون التقية / ويترتب حكمها؟ فذلك بخوف القتل، وبالخوف [١/ ٢٠٩]
على الجوارح، وبالضرب بالسوط، وبسائر التعذيب، فإِذا فُعل بالإِنسان شيءٌ من

---

(١) وهي قراءة عشرية. انظر عزوها ليعقوب: في النشر (٢/ ٢٧٢)، وللحسن وحميد والضحاك ومجاهد وأبي رجاء في تفسير الثعلبي (٣/ ٤٧)، وللباقين في البحر المحيط (٣/ ٩٤)، ورواية المفضل في الكامل للهذلي (ص: ٥١٤)، وجامع البيان للداني (٣/ ٩٥٩).

(٢) أي: بالإمالة الصغرى، وهي التقليل. انظر: السبعة (ص: ٢٠٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٣١٦).

(٤) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ٢٩٠-٢٩١).

(٥) انظر المدونة (٢/ ٤٣٧)، وفي أحمد٣: «خروج المرأة».

هذا أو خافه خوفاً متمكناً؛ فهو مُكْرَهٌ وله حُكْمُ التقية، والسجنُ إكراهٌ، والتقييد إكراه، والتهديد والوعيد إكراه، وعداوة أهل الجاه الجوَرَة تقية(١).

وهذه كلها بحسب حال المُكْرَهِ، وبحسب الشيء الذي يكرَه عليه، فكم من الناس ليس السجنُ فيهم بإِكراه، وكذلك الرجل العظيم يُكْرَهُ بالسجنِ والضرب غير المتلف ليكفر، فهذا لا تتصور تقيته من جهة عظم الشيء الذي طُلِبَ منه، ومسائل الإِكراه هي من النوع الذي يدخله فقه الحال(٢).

وأما أيَّ شيء تبيح؟ فاتفق العلماء على إباحتها للأقوال باللسان؛ من الكفر وما دونه، ومن بيعٍ وهبة وطلاق، وإطلاق القول بهذا كله، ومن مداراة ومصانعة(٣).

وقال ابن مسعود: ما من كلام يدرأ عني سوطين من ذي سلطان إلا كنتُ متكلماً به(٤).

واختلف الناس في الأفعال، فقال جماعة من أهل العلم؛ منهم الحسن ومكحول ومسروق: يفعل المكرَهُ كلَّ ما حُملَ عليه مما حَرَّمَ الله فعلَه، وينجّي نفسه بذلك(٥).

وقال مسروق: فإِن لم يفعل حتى مات دخل النار(٦).

وقال كثير من أهل العلم منهم سحنون: بل إنْ لم يفعل حتى مات فهو مأجور، وتَرْكه ذلك المباح أَفضلُ من استعماله(٧).

---

(١) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ٢٩٣-٢٩٤).

(٢) أي: إنها تختلف باختلاف الناس، وباختلاف أحوالهم من القوة والضعف. انظر: المبسوط للسرخسي (٢٤/ ٥٢)، والدر المختار بهامش حاشية ابن عابدين (٥/ ٨٠-٨١)، والفروع لابن مفلح (٥/ ٣٦٨)، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٢/ ٣٦٨).

(٣) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ٢٩١-٢٩٢).

(٤) لم أقف عليه مسنداً، وقد ذكره ابن بطال (٨/ ٢٩٣)، وابن حجر (١٢/ ٣١٤) في شرحيهما لصحيح البخاري بلا عزو.

(٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ٢٩١و٢٩٢)، وتفسير القرطبي (١٠/ ١٨٢).

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (١١/ ٩٣)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٤٦).

(٧) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ٢٩٥).

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال في رجل يقال له: نهيت بن الحارث، أخذته الفُرْس أسيراً، فعرض عليه شرب الخمر وأكل الخنزير وهُدِّدَ بالنار فلم يفعلْ فقذفوه فيها، فبلغ ذلك عمر فقال: وما كان على نهيت أن يأكل؟[١].

وقال جمع كثير من العلماء: التقية إِنما هي مبيحةٌ للأقوال، فأما الأفعالُ فلا[٢]، روي ذلك عن ابن عباس[٣]، والربيع والضحاك[٤]، وروي ذلك عن سحنون[٥].

وقال الحسن في الرجل يقال له: اسجد لصنم وإِلا قتلناك، قال: إِن كان الصنم مقابلَ القبلة فليسجدْ ويجعلْ نيته لله، فإِن كان إِلى غير القبلة فلا، وإِن قتلوه[٦]، قال ابن حبيب: وهذا قول حسن[٧].

قال القاضي أبو محمد: وما يمنعه أن جعل نيته لله تعالى وإِن كان لغير قبلة، وفي كتاب الله: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، وفي الشرع إباحةُ التنفّلِ للمسافر إِلى غير القبلة.

هذه قواعدُ مسألة التقية، وأما تَشَعُّب مسائِلِها فكثيرٌ لا يقتضي الإِيجازُ جمعه.

وقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ إلى آخر الآية، وعيد وتنبيه ووعظ وتذكير بالآخرة.

---

(١) لم أقف عليه، وفي أحمد٣ وجار الله: «أن يفعل».

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ٢٩١).

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٦/ ٣١٥) بنحوه عن: محمد بن سعد قال: حدثني أبي قال: حدثني عمي قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس به، وهو إسناد مسلسل بالضعفاء، وقد سبق مراراً، وأخرجه أيضاً من طريق: قبيصة بن عقبة قال: حدثنا سفيان، عن ابن جريج، عمن حدثه، عن ابن عباس. وقبيصة ضعف في الثوري، ولا يعرف من حدث ابن جريج.

(٤) معاني القرآن للنحاس (١/ ٣٨٣) وتفسير الطبري (٦/ ٣١٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٣٠).

(٥) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ٢٩١).

(٦) مثله في جامع العلوم والحكم (٣/ ١١١٩)، ونقله ابن بطال في شرح صحيح البخاري (٨/ ٢٩١) عن محمد بن الحسن.

(٧) انظر: النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني (٣/ ٣١٢).

وقوله تعالى: ﴿نَفْسَهُۥ﴾ نائبة عن إياه، وهذه مخاطبةٌ على معهود ما يفهمه البشر، والنفسُ في مثل هذا راجع إلى الذات، وفي الكلام حذفُ مضافٍ؛ لأن التحذير إنما هو من عقاب وتنكيل ونحوه، فقال ابن عباس(١) والحسن: ويحذّركم الله عقابَهُ(٢).

قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾.

الضمير في ﴿تُخْفُوا۟﴾ هو للمؤمنين الذين نُهوا عن اتخاذ الكافرين أولياءَ، والمعنى: إنكم إن أبطنتم الحرصَ على إظهار موالاتهم؛ فإن الله يعلم ذلك ويكرهه منكم.

وقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ معناه: على التفصيل.

وقوله: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ عموم، [معناه على كل شيء يجوز دخوله تحت القدرة](٣)، [والشيء في كلام العرب: الموجود](٤).

و﴿يَوْمَ﴾ نُصِبَ على الظرف، وقد اختلف في العامل فيه، فقال مكيّ بن أبي طالب: العامل فيه ﴿قَدِيرٌ﴾(٥).

وقال الطبري: العامل فيه قوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾(٦)، وقاله الزجاج، وقال أيضاً: العامل فيه ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، ورجَّحه(٧).

---

(١) لم أجده مسنداً.

(٢) حكاه عنه في البحر المحيط (٣/ ٩٦)، وفي تفسير الطبري (٦/ ٣٢١) عن الحسن أنه قال في هذه الآية: من رأفته بهم أن حذرهم نفسه.

(٣) ليس في المطبوع، و«معناه على كل شيء» ليس في السليمانية.

(٤) زيادة من المطبوع.

(٥) في الهداية (٢/ ٩٨٩)، ولفظه: أي: هو على كل شيء قدير ذلك اليومَ.

(٦) تفسير الطبري (٦/ ٣١٩).

(٧) معاني القرآن (١/ ٣٩٧).

وقال مكي حكايةً: العامل فيه فعل مضمر، تقديره: اذكر يوم[١].

و﴿مَا﴾ بمعنى الذي، و﴿مُّحْضَرًا﴾ قال قتادة: معناه: موفَّراً[٢]، وهذا تفسير بالمعنى، والحضور أبينُ من أن يفسَّرَ بلفظٍ آخر.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ يحتملُ أن تكون (ما) معطوفة على ﴿مَا﴾ الأولى فهي في موضع نصب، وتكون ﴿تَوَدُّ﴾ في موضع الحال، وإلى هذا العطف ذهب الطبريّ وغيره[٣].

ويحتمل أن تكون رفعاً بالابتداء، ويكون الخبر في قوله ﴿تَوَدُّ﴾ وما بعده، كأنه قال: وعملها السّيئُ مودودٌ عندها[٤] أنّ بينها وبينه أمداً.

وفي قراءة ابن مسعود: (مِنْ سوءٍ ودَّتْ)، وكذلك قرأ ابن أبي عبلة[٥]، ويجوز على هذه القراءة أن تكون (ما) شرطيةً، ولا يجوز ذلك على قراءة ﴿تَوَدُّ﴾؛ لأن الفعل مستقبلٌ مرفوع، والشرط يقتضي جزمه، اللهم إلا أن يُقَدَّر في الكلام محذوفٌ: فهي تود، وفي ذلك ضعف[٦].

و«الأمد»: الغاية المحدودة من المكان أو الزمان، قال النابغة:

.... سَبْقَ الجَوَادِ إذا اسْتَوْلَى على الأَمَدِ[٧] [البسيط]

---

(١) الهداية (٢/ ٩٨٩).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٣١٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٣١)، وتفسير ابن المنذر (١/ ١٦٨).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٣١٩).

(٤) مودود؛ أي: محبوب، وفي المطبوع: «مردود».

(٥) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها لابن مسعود في: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٠٧)، ولابن أبي عبلة في البحر المحيط (٣/ ١٠١).

(٦) جوزه النحاس نحوياً في إعراب القرآن له (١/ ٣٦٦)، وانظر: إعراب القرآن لمكي (١/ ١٥٦).

(٧) صدره: إلّا لـمثلكَ أو من أنتَ سابقه، انظر عزوه له في: المعاني الكبير (٢/ ٨٥٣)، وتفسير الطبري (١٧/ ٦١٣)، وجمهرة اللغة (٢/ ٦٥٩).

فهذه غاية في المكان، وقال الطرماح[١]:

[المنسرح] كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٌ عِدَّةَ الـ عُمْرِ ومُودٍ إذَا انْقَضَى أَمَدُهْ[٢]

فهذه غاية في الزمان.

وقال الحسن في تفسير هذه الآية: يسرُّ أحدَهم أَلَّا يلقَى عمله ذلك أبداً، ذلك مُناه، وأما في الدنيا فقد كانت خطيئته يستلذها[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ يحتمل أن يكون إشارةً إلى التحذير؛ لأن تحذيره، وتنبيهه على النجاة رأفةٌ منه بعباده، ويحتمل أن يكون ابتداءَ إعلام بهذه الصفة، فمقتضى ذلك التأنيسُ؛ لئلا يفرطَ الوعيد على نفسِ مؤمن، وتجيء الآية على نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾ [الأعراف: ١٦٥]؛ لأن قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ معناه: والله محذورُ العقابِ.

قوله عز وجل: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢﴾.

[١/ ٢١٠] اختلف المفسرون فيمن أُمِرَ محمد ﷺ / أن يقولَ له هذه المقالة:

فقال الحسن بن أبي الحسن وابن جريج: إن قوماً على عهد النبي ﷺ قالوا: يا محمد إنا نحبُّ ربنا، فنزلت هذه الآية في قولهم، جعل الله فيها اتباع محمد عَلَماً لحبِّه.

وقال محمد بن جعفر بن الزبير: أُمِرَ رسول الله ﷺ أن يقول هذا القولَ لنصارى نجران[٤]، أي: إنْ كان قولكم في عيسى وغلوّكُمْ في أمره حباً لله فاتبعوني.

---

(١) هو الطرماح بن حكيم، أحد شعراء الخوارج في العصر الأموي. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء (٢/ ٥٧٠)، والأغاني (١٢/ ٤٣).

(٢) انظر عزوه له في: تفسير الطبري (٦/ ٣٢٠)، والفائق في غريب الحديث (١/ ٥٨)، وزاد المسير في علم التفسير (١/ ٢٧٣).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٣٢١).

(٤) روى هذا والذي قبله الطبري في التفسير (٦/ ٣٢٢-٣٢٣)، وهي مراسيل.

ويحتملُ أن تكون الآيةُ عامةً لأهل الكتاب اليهود والنصارى؛ لأنهم كانوا يدَّعون أنهم يحبون الله ويحبهم، ألا ترى أن جميعهم قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، ولفظ: (أحباؤه) إنما يُعطي أن الله يحبهم، لكن يعلم أن مرادهم: ومحبُّوه[١]، فيحسُنُ أن يقالَ لهم: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾.

وقرأ الزهري: (فاتبعونِّي) بتشديد النون[٢].

وقرأ أبو رجاء: (يَحْبُبْكُم) بفتح الياء، وضم الباء الأولى[٣]، من «حَبَّ»، وهي لغة، قال الزجاج: حَبَبْتُ: قليلةٌ في اللغة[٤]، وزعم الكسائيُّ أنها لغةٌ قد ماتت، وعليها استعمل محبوب[٥].

و«المحبة»: إرادةٌ يقترنُ بها إقبالٌ من النفس، وميلٌ بالمعتقد، وقد تكون الإِرادة المجردة فيما يكره المريدُ، والله تعالى يريدُ وقوعَ الكفر ولا يحبه، ومحبةُ العبد لله تعالى يلزمُ عنها ولا بدَّ أن يطيعه، وتكون أعماله بحسب إقبالِ النفس، وقد تمثَّلَ بعضُ العلماء حين رأى الكعبةَ فأنشد:

[الخفيف]

هــذه دارُه وأنــت مُـحـبٌّ   مـا بقـاءُ الدمـوعِ في الآمـاقِ[٦]

ومحبةُ الله[٧] للعبد أَمارتها للمتأمل: أن يرى العبد مهديّاً مسدداً ذا قبول في الأرض، فلطفُ الله بالعبد ورحمته إياه هي ثمرةُ محبته، وبهذا النظر يتفسَّرُ لفظُ المحبة حيث وقعتْ من كتاب الله عز وجل.

---

(١) كذا في جميع النسخ إلا المطبوع: ففيه: «يحبوه»، قال في حاشيته «هكذا هو في جميع النسخ».
(٢) وهي قراءة شاذة. انظر: البحر المحيط (٣/ ١٠٤).
(٣) وهي قراءة شاذة. انظر: عزوها له في مختصر الشواذ (ص: ٢٦)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ١٥١).
(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٩٧).
(٥) انظر: معاني القرآن للكسائي (ص: ٩٨).
(٦) المتمثل هو أبو بكر الشبلي كما في التبصرة لابن الجوزي (٢/ ١٤٣)، وطبقات الأولياء (ص: ٢٠٦)، نفح الطيب (١/ ٤٥)، وفي الحمزوية وجار الله وأحمد٣: «هذه دارهم».
(٧) في نور العثمانية هنا زيادة: «فقال»، ولم يتضح لنا معناها، إلا أن تكون تحريفاً لـ «تعالى».

وذكر الزجاج: أَن أبا عمرو قرأ: ﴿ويَغْفر لَّكُمْ﴾ بإِدغام الراء في اللام، وخطَّأَ القراءة، وغلَّط من رواها عن أبي عمرو فيما حسبت[١].

وذهب الطبري إلى أن قوله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ خطاب لنصارى نجران[٢].

وفي قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وعيد، ويحتمل أن يكون بعد الصَّدْعِ بالقتال.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾.

لما مضى صدرٌ من محاجّة نصارى نجران والردِّ عليهم وبيانِ فسادِ ما هم عليه، جاءت هذه الآية مُعْلِمَةً بصورةِ الأمر الذي قد ضلوا فيه، ومنبئةً عن حقيقته كيف كانت، فبدأ تعالى ذكر فضله على هذه الجملة التي آلُ عمران منها، ثم خصَّ امرأةَ عمران بالذكر؛ لأن القصدَ وصفُ قصة القومِ إلى أن يبيِّن أمر عيسى عليه السلام، وكيف كان؟

و﴿ٱصْطَفَىٰٓ﴾ معناه: اختار صَفْوَ الناس، فكان ذلك هؤلاء المذكورين، وبقي الكفّارُ كَدَراً.

و﴿ءَادَمَ﴾ هو أبونا عليه السلام، [اصطفاه الله تعالى بالإِيجاد والرسالة إلى بنيه والنبوة والتكليم، حسبما ورد في الحديث.

وحكى الزجَّاجُ عن قوم: أن الله اصطفى آدم عليه السلام][٣] بالرسالة إلى الملائكة في قوله: ﴿أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البقرة: ٣٣][٤]، وهذا ضعيف.

---

(١) معاني القرآن للزجاج (١/ ٣٩٨)، ولا عبرة بهذا، فهي صحيحة عنه من رواية السوسي كما في التيسير (ص: ٤٥)، والنشر (٢/ ١٢).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٣٢٥).

(٣) ليس في السليمانية.

(٤) معاني القرآن للزجاج (١/ ٣٩٩).

و(نوحٌ) عليه السلام هو أبونا الأصغر في قول الجمهور[١]، وهو أول نبيّ بُعِثَ إلى الكفار، وانصرف «نوح» مع عجمته وتعريفه؛ لخفّةِ الاسم، كهود ولوط.

و﴿ءَالَ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني بإبراهيمَ: الخليلَ عليه السلام، والآل في اللغة: الأهل والقرابة، ويقال للأتباع وأهلِ الطاعة: آل، فمنه آل فرعون، ومنه قول الشاعر وهو أراكة الثقفي في رثاءِ النبي ﷺ وهو يعزي نفسه في أخيه عمرو:

فَلَا تَبْكِ مَيْتاً بَعْدَ مَيْتٍ أَجَنَّهُ   عَلِيٌّ وَعَبَّاسٌ وَآلُ أَبِي بَكْرِ[٢]   [الطويل]

أراد جميعَ المؤمنين.

و«الآلُ»: في هذه الآية يحتملُ الوجهين، فإذا قلنا: أراد بالآل القرابة والبيتية[٣]، فالتقديرُ: إن الله اصطفى هؤلاء على عالمي زمانهم، أو على العالمين عامّاً بأن نقدر محمداً ﷺ من آل إبراهيم.

وإن قلنا: أراد بالآل الأَتباع، فيستقيم دخولُ أمةِ محمدٍ في الآل؛ لأنها على ملّةِ إبراهيم[٤].

وذهب منذر بن سعيد وغيره إلى أن ذكرَ آدم يتضمَّنُ الإشارةَ إلى المؤمنين به من بنيه، وكذلك ذكر نوح عليه السلام، وأنّ الآل الأَتباع، فعمَّتِ الآيةُ جميعَ مؤمني العالم، فكأن المعنى: إن الله اصطفى المؤمنين على الكافرين، وخصَّ هؤلاء بالذكر تشريفاً لهم، ولأن الكلام في قصة بعضهم.

و(آل عمران) أيضاً يحتملُ من التأويل ما تقدَّم في ﴿ءَالَ إِبْرَاهِيمَ﴾.

وعمران: هو رجل من بني إسرائيل من ولد سليمان بن داود فيما حكى الطبري[٥].

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢٧٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٣٧٦)، وتفسير الثعلبي (٢/ ١٣٣).
(٢) البيت لأراكة بن عبدالله بن سفيان الثقفي، وقد تقدم الكلام عليه في تفسير الآية (٤٧) من سورة البقرة.
(٣) مصدر صناعي من لفظ البيت، يعني: قرابته، أو أهل بيته.
(٤) الاحتمالان في تفسير الطبري (٦/ ٣٢٦)، وتفسير ابن المنذر (١/ ١٧١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٣٥).
(٥) تفسير الطبري (٦/ ٣٢٨، ٣٢٩).

قال مكي: هو عمران بن ماثال[١].

وقال قتادة في تفسير هذه الآية: ذكر الله تعالى أهل بيتين صالحين، ورجلين صالحين، ففضلهم على العالمين، فكان محمد من آل إبراهيم.

وقال ابن عباس: اصطفى الله هذه الجملة بالدِّينِ والنبوةِ والطاعةِ له[٢].

وقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً﴾ نُصِبَ على البدل، وقيل: على الحال[٣]؛ لأن معنى ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ متشابهين في الدِّين والحال، وهذا أظهر من البدل.

و«الذرية» في عرف الاستعمال: تقع لما تناسل من الأولاد سفلاً، واشتقاق اللفظة في اللغة يُعطي أن تقعَ على جميع الناس؛ أي: كلّ أحدٍ ذريةٌ لغيره، فالناس كلهم ذريةٌ بعضُهُمْ لبعض، وهكذا استعملت الذرية في قوله تعالى: ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١]؛ أي: ذرية هذا الجنس، ولا يسوغ أن يقال في والد[٤]: هذا ذريَّةٌ لولده؛ إذ اللفظة من «ذرَّ»: إذا بثَّ، فهكذا يجيء معناها، وكذلك إِن جعلناها من «ذرا»، وكذلك إِن جعلت من «ذرأ»، أو من «الذرِّ» الذي هو / صغار النمل. [١/ ٢١١]

قال أبو الفتح: الذرية يحتمل أن تكون مشتقة من هذه الحروف الأربعة.

ثم طول أبو الفتح القول في وزنها على كل اشتقاق من هذه الأربعة الأحرف تطويلاً لا يقتضي هذا الإيجازُ ذكرَهُ[٥]، وذكرها أبو علي في «الأعراف» في ترجمة: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢][٦].

---

(١) الهداية (٢/ ٩٩٣).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٣٢٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٣٥)، وتفسير ابن المنذر (١/ ١٧٢)، وقول ابن عباس لم أقف عليه.

(٣) انظر القولين في معاني القرآن صنعة الأخفش الأوسط (١/ ٢١٥).

(٤) في أحمد٣ وجار الله: «ذرية».

(٥) انظر: المحتسب لأبي الفتح (١/ ١٥٦).

(٦) انظر: الحجة (٤/ ١٠٥).

قال الزجّاج: أصلها فُعْلِيَّة من الذرِّ؛ لأن الله أخرج الخلق من صلب آدم كالذر[١].

قال أبو الفتح: هذه نسبة إلى الذرّ؛ غُيِّر أولها، كما قالوا في النسبة إلى الحَرَم: حِرْمي ـ بكسر الحاء ـ وغير ذلك من تغيير النسب[٢].

قال الزجاج: وقيل: أصل «ذريّة» ذُرُّورة، وزنها فُعْلُولَة، فلما كثرتِ الراءاتُ أبدلوا من الأخيرة ياء، فصارت ذُرُّويَة، ثم أُدغمت الواو في الياء، فجاءت «ذُرِّية»[٣].

قال القاضي أبو محمد: فهذا اشتقاق من «ذرَّ، يذر»، أو من «ذرى»، وإذا كانت من «ذرأ» فوزنها فُعِّيلة، كمُرِّيقة[٤]، أصلها ذُرِّيئة، فألزمت البدل والتخفيف، كما فعلوا في ﴿ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦] في قول من رآها من «برأ الله الخلقَ»، وفي ﴿كوكب دُرِّيْءٍ﴾ [النور: ٣٥]، في قول من رآه من «درأ»؛ لأنه يدفع الظُّلمة بضوئه.

وقرأ جمهور الناس: ﴿ذُرِّيَّةًۢ﴾ بضم الذال.

وقرأ زيد بن ثابت والضحاك: «ذِرّية» بكسر الذال[٥].

وقوله تعالى: ﴿بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾؛ أي: في الإيمان والطاعة، وإنعام الله عليهم بالنبوة.

واختلف الناس في العامل في قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ﴾:

فقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: ﴿إِذْ﴾ زائدةٌ[٦]، وهذا قول مردود.

وقال المبرد والأخفش: العاملُ فعل مضمر تقديره: اذكر إذ[٧].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٩٩-٤٠٠).
(٢) انظر: المحتسب (١/ ١٥٦).
(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٠٠).
(٤) في الأصل: «كسريقة».
(٥) وهي شاذة، انظر عزوها لزيد في: مختصر الشواذ (ص: ٢٦)، والمحتسب (١/ ١٥٦)، ولهما في البحر المحيط (٣/ ١١٢).
(٦) مجاز القرآن (١/ ٣٦)، قاله في آية البقرة، كما تقدم، وتقدم ردُّه عن النحاس في إعراب القرآن (١/ ٢٠٧)، وتفسير الطبري (١/ ٤٣٩).
(٧) لم أقف على قول المبرد، ولا الأخفش، ولكن انظر مثله في مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١٥٦).

وقال الزجاج: العامل معنى الاصطفاء، التقدير: واصطفى آل عمران إذ[١].

قال القاضي أبو محمد وعلى هذا القول يخرج عمران من الاصطفاء.

وقال الطبري ما معناه: إن العامل في ﴿ إِذْ ﴾ قوله: ﴿سَمِيعٌ﴾[٢].

وامرأة عمران اسمها حنة بنت قاقود[٣] فيما ذكر الطبري عن ابن إسحاق، وهي أم مريم بنت عمران[٤].

ومعنى قوله: ﴿نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾؛ أي: جعلت نذراً أن يكونَ هذا الولدُ الذي في بطني حبيساً على خدمة بيتك، محرَّراً من كلِّ خدمةٍ وشُغْلٍ من أشغال الدنيا؛ أي: عتيقاً من ذلك، فهو من لفظ الحرية، ونصبه على الحال، قال مكي: فمن نصبه على النعت لمفعول محذوف يقدّره: غلاماً محرَّراً[٥]، وفي هذا نظر.

والبيتُ الذي نَذَرَتْهُ له هو بيتُ المقدس.

قال ابن إسحاق: كان سببُ نذرِ حنة أنها كانت قد أُمْسِكَ عنها الولد حتى أسنَّتْ، فبينما هي في ظلِّ شجرة، إذ رأتْ طائراً يزقُّ فرخاً له، فتحركت نفسها للولد، فدعتِ الله أن يهبَ لها ولداً، فحملت بمريم، وهلك عمران، فلما علمت أن في بطنها جنيناً؛ جعلته نذيرةً لله أن يخدم الكنيسة، لا يُنْتَفَعُ به في شيءٍ من أمر الدنيا[٦].

وقال مجاهد: ﴿مُحَرَّرًا ﴾ معناه: خادماً للكنيسة، وقال مثله الشعبي وسعيد بن جبير[٧]، وكان هذا المعنى من التحرير للكنائس عُرفاً في الذكور خاصة، وكان فرضاً

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٩٩).
(٢) تفسير الطبري (٦/ ٣٢٨).
(٣) في الأصل: «قانوذ»، وفي المطبوع: «ناذوذ».
(٤) تفسير الطبري (٦/ ٣٢٨)، وفيه: «فاقوذ».
(٥) انظر: مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١٥٦).
(٦) تفسير الطبري (٦/ ٣٣٠)، وتفسير ابن المنذر (١/ ١٧٣).
(٧) تفسير الطبري (٦/ ٣٣١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٣٦)، وتفسير ابن المنذر (١/ ١٧٤، ١٧٥).

على الأبناء التزامُ ذلك فقالت: ﴿مَا فِي بَطْنِي﴾، ولم تنصَّ على ذكورته لمكان الإشكال، ولكنها جزمتِ الدعوة رجاءً منها أن يكون ذكراً.

و«تقبُّل الشيء» و«قبوله»: أخْذه حيث يُتَصَوَّرُ الأخذُ والرضى به في كل حال، فمعنى قولها: ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ﴾؛ أي: ارضَ عنّي في ذلك، واجعله فعلاً مقبولاً مجازىً به.

و﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ إشارة إلى دعائها، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ إشارة إلى نيتها.

قوله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾.

هذه الآية خطاب من الله تعالى لمحمد ﷺ، والوضع: الولادة، وأنَّث الضمير في ﴿وَضَعَتْهَا﴾ حملاً على الموجودة، ورفعاً للفظ ﴿مَا﴾ التي في قولها: ﴿مَا فِي بَطْنِي﴾، وقولها: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ لفظ خبر في ضمنه التحسُّر والتلهف، وبيَّنَ الله ذلك بقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾.

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَضَعَتْ﴾ بفتح العين وإسكان التاء.

وقرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿وَضَعْتُ﴾ بضم التاء وإسكان العين[١].

وهذا أيضاً مُخْرِجٌ قولها: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ من معنى الخبر إلى معنى التلهف، وإنما تلهفت لأنهم كانوا لا يحرّرون الإناثَ لخدمة الكنائس، ولا يجوزُ ذلك عندهم، وكانت قد رَجَتْ أنْ يكون ما في بطنها ذكراً، فلما وضعت أُنثى تلهفتْ على فوتِ الأمل، وأفزعها أن نذرت ما لا يجوز نذره.

وقرأ ابن عباس: (وضَعْتِ) بكسر التاء[٢] على الخطاب من الله لها.

---

(١) وهي سبعية متواترة، انظر: السبعة (ص: ٢٠٤)، والتيسير للداني (ص: ٨٧).

(٢) وهي قراءة شاذة. انظر: مختصر الشواذ (ص: ٢٦)، والهداية لمكي (٢/ ٩٩٦).

وقولها: ﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰ﴾ تريد في امتناعِ نذره؛ إذ الأنثى تحيض، ولا تصلحُ لصحبة الرهبان، قاله قتادة والربيع والسدي وعكرمة وغيرهم(١).

وبدأت بذكر الأهمّ في نفسها، وإلا فسياقُ قصّتها يقتضي أن تقول: وليستِ الأُنثى كالذكر، فتضع حرف النفي مع الشيء الذي عندها وانتفت عنه صفات الكمال للغرض المراد.

وفي قولها: ﴿وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ﴾ سُنّةُ تسميةِ الأطفال قرب الولادة، ونحوه قول النبي ﷺ: ولد لي الليلةَ مولودٌ، فسمَّيته باسم أبي إبراهيمَ(٢).

وقد بيَّن النبي ﷺ أن ذلك في يوم السابع، يعقُّ عن المولود، ويُسمَّى(٣).

قال مالك رحمه الله: ومن مات ولده قبل السابع فلا عقيقةَ عليه، ولا تسمية، قال ابن حبيب: أحبُّ إليَّ أن يسمَّى، وأن يسمَّى السِّقْط؛ لما رُوي من رجاءِ شفاعته(٤).

ومريم لا ينصرف لعجمته وتعريفه وتأنيثه.

وباقي الآية إِعاذة، وورد في الحديث عن النبي ﷺ من رواية أبي هريرة قال: «كلُّ مولودٍ من بني آدم له طعنة من الشيطان، وبها يُستهَلُّ الصبيُّ(٥)، إلا ما كان من مريم بنة
[١/ ٢١٢] عمران / وابنها، فإن أمها قالت حين وضعتها: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ

(١) تفسير الطبري (٦/ ٣٣٥) وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٣٧)، وتفسير ابن المنذر (١/ ١٧٦).
(٢) أخرجه مسلم (٢٣١٥) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٣) صحيح، أخرجه أحمد (٥/ ٧-٨ و١٢ و١٧)، وأبو داود (٢٨٣٨)، والنسائي (٧/ ١٦٦)، والترمذي (١٥٢٢)، وابن ماجه (٣١٦٥) من رواية قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي قال: «الغلام مرتهن بعقيقته، يذبح عنه يومَ السابع، ويحلق رأسه ويسمى». وقال الترمذي: حسن صحيح. قال: والعمل على هذا عند أهل العلم، وأكثر الحفاظ لا يثبتون سماع الحسن البصري من سمرة في غير حديث العقيقة. يُنظر صحيح البخاري (٥٤٧٢) في سماعه منه هذا الحديث.
(٤) انظر كلام مالك، وابن حبيب في النوادر والزيادات لابن أبي زيد (٤/ ٣٣٤).
(٥) ليست في المطبوع.

ٱلرَّجِيمِ ﴾، فَضُرِبَ بينهما حجابٌ فطَعَن الشيطانُ في الحجاب»[١]، وقد اختلفت[٢] أَلفاظ الحديث من طرق، والمعنى واحد كما ذكرته.

وقوله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا ﴾ إخبار لمحمد ﷺ بأن الله رضي مريم لخدمة المسجد كما نذرت أمها، وسنَّى لها الأمل في ذلك، والمعنى يقتضي أن الله تعالى أوحى إلى زكريا ومن كان هنالك بأنه قد تقبلها، ولذلك جعلوها كما نذرت.

وقوله: ﴿بِقَبُولٍ﴾ مصدر جاء على غير المصدر، وكذلك قولُه: ﴿نَبَاتًا﴾ بعد (أنبَتَ).

وقوله: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾، عبارة عن حسن النشأة، وسرعة الجودة فيها في خِلقةٍ وخُلُق.

وقوله تعالى: ﴿وكَفَلَها زكرِيَّاءُ﴾[٣] معناه: ضمَّها إلى إنفاقه وحضنه، و«الكافل»: هو المربي الحاضن.

قال ابن إسحاق: إن زكريا كان زوج خالتها؛ لأنه وعمران كانا سلفين على أختين، ولدت امرأة زكريا يحيى، وولدت امرأة عمران مريم[٤].

وقال السُّدِّيّ وغيره: إن زكريا كان زوجَ ابنةٍ أخرى لعمران[٥]، ويعضد هذا القول قول النبي ﷺ في يحيى وعيسى: «ابنا الخالة»[٦]، قال مكي: وهو زكريا بن آذن[٧].

---

(١) متفق عليه بدون الزيادة في آخره، أخرجه البخاري (٣٢٨٦) (٣٤٣١)، ومسلم (٢٣٦٦) بلفظ: «ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان، فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان، إلا ابن مريم وأمه»، ثم قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا ﴾ الآيَةَ.

(٢) كتبت في المطبوع: «اخلتفت»، وهو سبق قلم.

(٣) ضبطت الآية هنا على قراءة نافع؛ لأن المؤلف فسرها على ذلك.

(٤) تفسير ابن المنذر (١/ ١٧٣)، والسلفان: الرجلان يتزوجان أختين.

(٥) تفسير ابن المنذر (١/ ١٨٠)، وتفسير الطبري (٦/ ٣٥٠، ٤٠٨، ١٨/ ١٦٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٣٩).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (١٦٢).

(٧) الهداية لمكي (٧/ ٤٤٩٤).

وذكر قتادة وغير واحد من أهل العلم أنهم كانوا في ذلك الزمان يتشاحّون في المحرَّرِ عند من يكون من القائمين بأمر المسجد فيتساهمون عليه، وأنهم فعلوا في مريم ذلك، فَرُوي: أنهم ألقوا أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراةَ في النهر، وقيل: أقلاماً بَرَوْهَا من عودٍ كالسهام والقِداح، وقيل: عصيّاً لهم، وهذه كلها تقلم.

ورُوي: أنهم ألقوا ذلك في نهر الأردنّ، [وروي أنهم ألقوه في عين، وروي أن قلم زكريا صاعَدَ الجرية، ومضت أقلام الآخرين مع الماء في جريته][(١)].

وروي: أن أقلامَ القوم عامَتْ على الماءِ معروضةً كما تفعل العيدان، وبقي قلمُ زكريا مرتزّاً[(٢)] واقفاً كأنما ركز في طين، فكفلها زكريا عليه السلام بهذا الاستهام[(٣)].

وحكى الطبري عن ابن إسحاق: أنها لما ترعرعت أصابت بني إسرائيل مجاعةٌ، فقال لهم زكريا: إني قد عجزتُ عن إِنفاق مريم، فاقترعوا على مَن يكفلها، ففعلوا، فخرج السهم على رجل يقال له: جُرَيْج، فجعل ينفقُ عليها، وحينئذ كان زكريا يدخلُ عليها المحرابَ عند جُريج فيجدُ عندها الرزق[(٤)].

وهذا استهام غير الأول، هذا المرادُ منه دفعها، والأولُ المراد منه أخذها، ومضمَّنُ هذه الرواية أَن زكريا كفلها من لدن طفولتها دون استهام لكن[(٥)] لأنّ أمّها

(١) ليس في الحمزوية.

(٢) في فيض الله: «مركزاً»، قال في حاشية المطبوع: لعلّ الصواب: مرتكزاً، والصحيح: مرتزا ففي العين (٤/ ١٤٨): كل شيء حاد رززته في الأرض أو غيرها فارتز فقد خزقته وفي غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٥٧٦): ارتز: أي: ثبت مكانه، وفي الصحاح للجوهري (٣/ ٨٧٩): وارتز السهم في القرطاس، إذا ثبت فيه، وفي المحكم (٩/ ٥): رز الشيء في الأرض والحائط يرزه رزا، فارتز: أثبته فثبت.

(٣) انظر هذه الروايات في: تفسير الطبري (٦/ ٣٤٦و ٣٤٩ و٣٥٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٣٩)، وتفسير ابن المنذر (١/ ١٩٩).

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٣٥٣)، وانظر: تفسير ابن المنذر (١/ ١٨٠، ١٨١).

(٥) ليست في نور العثمانية، وليست في المطبوع، لكن قال في حاشيته: وردت هنا: «لكن» في جميع النسخ، ولعلها حشو.

هلكت، وقد كان أبوها هلك وهي في بطن أمها، فَضَمَّهَا زكريا إلى نفسه لقرابتها من امرأته، وهكذا قال ابن إسحاق[١].

والذي عليه الناس أن زكريا إنما كفل بالاستهام؛ لتشاحِّهم حينئذ فيمن يكفل المحرَّر[٢].

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر[٣]: ﴿وكَفَلها﴾ مفتوحة الفاء خفيفة ﴿زَكريَّاءُ﴾ مرفوعاً ممدوداً.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ مشددة الفاء، ﴿زكرياء﴾ ممدوداً منصوباً في جميع القرآن.

وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ مشددة الفاء مفتوحة، ﴿زَكَرِيَّا﴾ مقصوراً في جميع القرآن[٤].

وفي قراءة أبي بن كعب: (وأكفَلَها زكريَّاءَ) بفتح الفاء على التعدية بالهمزة[٥].

وقرأ مجاهد: (فتقبَّلْها) بسكون اللام، على الدعاء، (ربَّها) بنصب الباء على النداء، (وأنبِتْها) بكسر الباء، على الدعاء، (وَكَفِّلْها) بكسر الفاء وشدها، على الدعاء (زكريَّاءَ) منصوباً ممدوداً[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٣٥٣).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٣٤٩)، والسنن الكبرى (١٠/ ٢٨٦).

(٣) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «وابن عباس».

(٤) وهي سبعية متواترة، انظر: السبعة (ص: ٢٠٤)، والتيسير للداني (ص: ٨٧)، وقوله: (في جميع القرآن)، عائد على المد والقصر من لفظة (زكريا)، دون النصب والرفع.

(٥) وهي قراءة شاذة. انظر: تفسير الزمخشري (١/ ٣٥٨)، والشواذ للكرماني (ص: ١١١).

(٦) وهي قراءة شاذة. انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٥٤)، والكامل للهذلي (ص: ٥١٥)، ومختصر الشواذ (ص: ٢٦).

وروي عن عبد الله بن كثير وأبي عبد الله المزني[١]: (وَكَفِلها) بكسر الفاء خفيفة[٢]، وهي لغة يقال: كَفِلَ يكفُلُ، بضم العين في المضارع، وكفِلَ بكسر العين، يكفَلُ بفتحها في المضارع.

و﴿زَكَرِيَّا﴾: اسم أعجمي، يمدُّ وَيُقْصر، قال أبو علي: لما عُرِّبَ صادف العربية في بنائه فهو كالهيجاء تمدّ وتقصر[٣].

قال الزجاج: فأَما تركُ صرفه فلأن فيه في المدِّ ألفي تأنيثٍ، وفي القصر ألفَ تأنيث[٤].

قال أبو علي: ألفُ «زكريا» ألفُ تأنيث، ولا يجوز أن تكونَ ألفَ إلحاق؛ لأنه ليس في الأصول شيءٌ على وزنه، ولا يجوز أن تكونَ منقلبةً[٥].

ويقال في لغة: زَكَرِيٌّ منونٌ معرب، قال أبو علي: هاتان ياءا نَسَبٍ، ولو كانتا اللتين في زكريا لوجبَ ألا ينصرفَ الاسمُ للعجمة والتعريف، وإنما حذفت تلك وجلبت ياء النسب.

وحكى أبو حاتم زكري بغير صرفٍ، وهو غلطٌ عند النحاة، ذكره مكي[٦].

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا﴾ ظرف، والعامل فيه ﴿وَجَدَ﴾.

و﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾: المبنى الحسن كالغرف والعلالي ونحوه، ومحراب القصر أشرف

---

(١) في المطبوع: «وعبد الله المزني»، ولعله خطأ، وقد أشار في حاشيته للنسخة الأخرى، والمثبت في المصادر: أبو عبد الله.

(٢) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها لابن كثير في: مختصر الشواذ (ص: ٢٦)، ولهما في الشواذ للكرماني (ص: ١١١).

(٣) الحجة للقراءات السبعة (٣/ ٣٥)، وفيه: «وافقت العربية».

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٠٢)، ويقصد بالألفين الألف والهمزة التي بعدها.

(٥) انظر كلام أبي علي هذا وما يأتي بعده في الحجة للقراءات السبعة (٣/ ٣٤).

(٦) الهداية لمكي (٢/ ٩٩٨).

ما فيه، ولذلك قيل لأشرف ما في المصلى ـ وهو موقف الإمام ـ: محراب، وقال الشاعر:

رَبَّـةُ مِـحْـرَابٍ إذَا جِـئْـتُـهَـا لَـمْ أَلْـقهـا أو أَرْتَـقِي سُـلَّمـا[1] [السريع]

ومنه قول الآخر:

كدُمَى العاجِ في المحَاريبِ أو كالْـ بيْـضِ في الرَّوضِ زهرُه مُسـتنيرُ[2] [الخفيف]

وقوله تعالى: ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ معناه: طعاماً تتغذَّى به مما لم يعهده، ولا عرف كيف جُلِبَ إليها، وكانت ـ فيما ذكر الربيع ـ تحت سبعة أبواب مغلقة[3]، وحكى مكي أنها كانت في غرفة يُطْلَعُ إليها بسلم[4].

وقال ابن عباس: وجد عندها عنباً في مِكْتَلٍ في غيرِ حينه[5]، وقاله ابن جبير ومجاهد.

وقال الضحاك ومجاهد أيضاً وقتادة: كان يجدُ عندها فاكهةَ الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء[6].

---

(١) البيت لوضاح اليمن، كما في مجاز القرآن (٢/ ١٤٤)، وجمهرة اللغة (١/ ٢٧٦)، والصحاح للجوهري (١/ ١٠٨)، ونسبه الواحدي في التفسير الوسيط (١/ ٤٣٢)، والرازي في مفاتيح الغيب (٨/ ٢٠٦) لعمر بن أبي ربيعة، ولعله خطأ.

(٢) البيت لعدي بن زيد كما في تفسير الطبري (٦/ ٣٥٧)، والكامل للمبرد (٣/ ٤١) والبيان والتبيين (١/ ٦٠)، والمعاني الكبير (١/ ٣٦٠)، والاختيارين للأخفش (ص: ٧٠٣)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٧٤).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٣٥٥).

(٤) الهداية لمكي (٢/ ٩٩٩).

(٥) أخرجه الطبري (٦/ ٣٥٤) من طريق: شريك، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وعطاء هو ابن السائب كان قد اختلط، وسماع شريك ـ وهو ابن أبي نمر ـ منه بعد الاختلاط.

(٦) انظر أقوال هؤلاء في: تفسير الطبري (٦/ ٣٥٣-٣٥٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٠)، وتفسير ابن المنذر (١/ ١٨٢، ١٨٣).

[وقال ابن عباس: كان يجد عندها ثمار الجنة: فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف[(١)]][(٢)].

وقال الحسن: كان يجد عندها رزقاً من السماء ليس عند الناس، ولو أَنه علم أن ذلك الرزق من عنده لم يسألها عنه.

وقال ابن إِسحاق: هذا الدخول الذي ذكر الله تعالى في قوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا﴾ إنما هو دخولُ زكريا عليها وهي في كفالة جريج أخيراً، وذلك أن جريجاً كان يأتيها بطعامها فينمّيه الله ويكثّره، حتى إذا دخل إليها زكريا عجبَ من كثرته فقال: ﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾[(٣)].

[١/ ٢١٣] قال القاضي أبو محمد: والذي عليه / الناس أقوى مما ذكره ابن إسحاق.

وقوله: ﴿أَنَّىٰ﴾ معناه: كيف؟ ومن أين؟ وقولها: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ دليلٌ على أنه ليس من جَلْبِ بشر، وهكذا تلقى زكريا المعنى، وإِلا فليس كان يقنعُ بهذا الجواب.

قال الزجاج: وهذا من الآية التي قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]، وروي: أنها لم تَلْقَمْ ثدياً قط[(٤)].

وقولها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ تقرير لكون ذلك الرزق من عند الله.

وذهب الطبريّ إلى أن ذلك ليس من قول مريم، وأنه خبرٌ من الله تعالى لمحمد ﷺ[(٥)]، والله تعالى لا تنتقصُ خزائنه، فليس يحسبُ ما يخرج منها.

---

(١) مستقيم، أخرجه الطبري (٦/ ٣٥٦) من طريق: حجاج، عن ابن جريج، أخبرني يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

(٢) ليس في نور العثمانية.

(٣) انظر هذه الأقوال في: تفسير الطبري (٦/ ٣٥٦ و٣٥٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٠)، وتفسير ابن المنذر (١/ ١٨٢، ١٨٣).

(٤) معاني القرآن للزجاج (١/ ٤٠٤)، وهو قول الحسن، وانظر: تفسير السمعاني (١/ ٣١٤).

(٥) تفسير الطبري (٦/ ٣٥٩).

وقد يعبر بهذه العبارة عن المكثرين من الناس أنهم يُنفقون بغيرِ حساب، وذلك مجاز وتشبيه، والحقيقة هي فيما ينتفقُ من خزائن الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

«هناك» في كلام العرب إشارةٌ إلى مكانٍ فيه بُعْدٌ أو زمان، و«هنالك» - باللام - أبلغ في الدلالةِ على البعد، ولا يُعْرَبُ «هنالك»؛ لأنه إشارة، فأشبه الحروف التي جاءت لمعنىً.

ومعنى هذه الآية: أن في الوقت الذي رأى زكريا رزقَ الله لمريم ومكانَتَها منه، وفكَّر في أنها جاءت أُمَّها بعد أن أسنَّتْ، وأَن الله تقبَّلَها وجعلها من الصالحات، تحرَّكَ أملُهُ لطلبِ الولد وقويَ رجاؤه، وذلك منه على حالِ سنٍّ، وَوَهْنِ عظمٍ، واشتعالِ شيب، وذلك لخوفه المواليَ من ورائه - حسبما يتفسَّرُ في سورة مريم إن شاء الله - فدعا ربَّهُ أن يهبَ له ذريةً طيبة.

و«الذريةُ»: اسمُ جنسٍ يقع على واحدٍ فصاعداً، كما الوليُّ اسم جنس كذلك، وقال الطبري: إنما أراد هنا بالذرية واحداً، ودليلُ ذلك طَلَبُهُ وليّاً ولم يطلبْ أولياءَ، وأنّثَ الطيّبةَ حملاً على لفظ الذرية[1]، كما قال الشاعر:

أبـوك خليفـةٌ ولدَتـه أخـرَى وأنـت خليفـةٌ ذاك الكمـالُ[2] [الوافر]

وكما قال الآخر:

فمـا تـزْدَري مـن حيَّـةٍ جبليـة سُكَاتٍ إذا ما عضَّ ليس بأدْردَا[3] [الطويل]

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٣٦٢)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ١٨٨)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٥٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/ ٣٨٠).

(٢) البيت في معاني القرآن للفراء (١/ ٢٠٨)، وتفسير الطبري (٦/ ٣٦٢)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٣٠)، وتهذيب اللغة (٧/ ١٧٤)، والصحاح للجوهري (٤/ ١٣٥٦)، بلا نسبة.

(٣) البيت في معاني القرآن للفراء (١/ ٢٠٨)، وتفسير الطبري (٦/ ٣٦٢)، وصحاح الجوهري (١/ ٢٥٣)=

وفيما قاله الطبري تعقّب، وإنما الذرية والولي اسما جنسٍ يقعان للواحد فما[١] زاد، وهكذا كان طلب زكريا عليه السلام.

و﴿طَيِّبَةً﴾ معناه: سليمة في الخلق والدين نقية، ﴿سَمِيعُ﴾ في هذه الآية بناء اسم فاعل.

ثم قال تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ وتُرِكَ محذوفٌ كثيرٌ دلَّ ما ذُكِرَ عليه، تقديره: فقبل الله دعاءه، ووهبه يحيى، وبعث الملك أو الملائكة بذلك إليه، فنادته، وذُكِرَ: أنه كان بين دعائه والاستجابة له بالبشارة أربعون سنة[٢].

وذكر جمهور المفسرين: أن المنادي المخبِرَ إنما كان جبريلَ وحده، وهذا هو العرف في الوحي إلى الأنبياء[٣].

وقال قوم: بل نادتْ ملائكةٌ كثيرةٌ حسبما تقتضيه ألفاظ الآية[٤]، وقد وجدنا الله تعالى بعث ملائكةً إلى لوط وإلى إبراهيم عليه السلام وفي غير ما قصةٍ.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود وقراءته: (فناداه جبريل وهو قائمٌ)[٥].

وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وأبو عمرو: ﴿ فَنَادَتْهُ ﴾[٦] بالتاء، ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿فناداهُ الملائِكَةُ﴾ بالألف وإمالة الدال[٧].

= ومعجم ديوان الأدب (١/ ٤٣٩)، وأساس البلاغة (١/ ٤٦٥)، وغيرهم بلا نسبة.

(١) في نور العثمانية: «فيما»، وكذا في الأصل، وبنه على النسخة التي أثبتناها في هامشه.

(٢) الهداية لمكي (٢/ ١٠٠٠).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٣٦٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤١)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٣٩٠)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٢٨٧).

(٤) قال مكي: وأكثر الناس على أن الجماعة من الملائكة نادوه. انظر: الهداية (٢/ ١٠٠١).

(٥) وهي قراءة شاذة. انظر: تفسير الطبري (٦/ ٣٦٤)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٦٠).

(٦) في الحمزوية: «وقتادة»، بدل «فنادته»، وهو تحريف.

(٧) وهي سبعية متواترة، انظر: السبعة (ص: ٢٠٥)، والتيسير (ص: ٨٨).

قال أبو علي: من قرأ بالتاء فلموضع الجماعة، والجماعة ممن يعقل في جمع التكسير تجري مجرى ما لا يعقل، ألا ترى أنك تقول: هي الرجال كما تقول: هيَ الجذوعُ، وهي الجمال، ومثله ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ﴾ [الحجرات: ١٤][١].

قال القاضي أبو محمد: ففسر أبو علي على أن المنادي ملائكةٌ كثيرة، والقراءة بالتاء على قولِ من يقول: المنادي جبريل وحده متجهة على مراعاة لفظ الملائكة، وعبر عن جبريل بالملائكة؛ إذ هو منهم، فذكر اسمَ الجنس كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

قال أبو علي: ومن قرأ: ﴿فناداه الملائِكَةُ﴾ فهو كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ [يوسف: ٣٠][٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا على أن المنادي كثير، ومن قال: إنه جبريل وحده كالسديّ وغيره[٣] فأفردَ الفعل مراعاةً للمعنى، وعبَّر عن جبريل عليه السلام بالملائكة إذ هو اسم جنسه.

وقوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ﴾ عبارة تستعمل في التبشير، وفيما ينبغي أن يُسْرَعَ به وَيُنْهَى إلى نفس السامع لِيُسَرَّ به، فلم يكن هذا من الملائكة إخباراً على عرف الوحي، بل نداءً كما نادى الرجل الأنصاريُّ كعبَ بن مالك من أعلى الجبل[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ قَآئِمٌ﴾ جملة في موضع الحال، و﴿يُصَلِّي﴾ صفة القائم.

و﴿ٱلْمِحْرَابِ﴾ في هذا الموضع: موقفُ الإمام من المسجد.

---

(١) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٣٧).

(٢) وهذا بقية كلامه السابق.

(٣) انظر قول السدي في تفسير الطبري (٦/ ٣٦٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤١).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩)، والذي فيهما أنه رجل من أسلم، فلعله أنصاري بالحلف، والله أعلم.

وقرأ ابن عامر وحمزة: ﴿إِنَّ اللهَ﴾ بكسر الألف.

قال أبو علي: وهذا على إِضمار القول، كأنه قال: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فقالت، وهذا كقوله تعالى: ﴿فدعا ربَّه إنِّي مغلوبٌ﴾ [القمر: ١٠][(١)] على قراءة من كسر الألف، وقال بعضُ النحاة: كُسِرَتْ بعد النداء والدعاء؛ لأن النداء والدعاء أقوال.

وقرأ الباقون بفتح الألف من قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾.

قال أبو علي: المعنى: فنادته بأنَّ الله، فلما حُذِفَ الجار منها وصل الفعل إليها فنصبها، فـ ﴿أَنَّ﴾ في موضع نصب، وعلى قياس قول الخليل في موضع جرّ[(٢)].

وفي قراءة عبد الله: (في المحرابِ يا زكرياءُ إِنَّ الله)[(٣)].

قال أبو علي: فقوله: (زكرياءُ) في موضع نصب بوقوع النداءِ عليه، ولا يجوز فتح الألف في (إنّ) على هذه القراءة؛ لأن (نادته) قد استوفتْ مفعوليها، أحدهما الضمير والآخر المنادى، فإِن فتحت (إن) لم يبقَ لها شيء متعلَّق به.

قال أبو علي: وكلهم قرأ: ﴿فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾ بفتح الراء إلا ابن عامر فإِنه أمالها[(٤)]، وأطلق ابن مجاهد القول في إمالة ابن عامرٍ الألفَ من (محراب)، ولم يخصَّ الجر من غيره، وقال غير ابن مجاهد: إنما نميله في الجرِّ فقط[(٥)].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿يُبَشِّرُكَ﴾ بضم الياء وفتح الباء والتشديد، في كل القرآن إلا في: ﴿عسق﴾ فإِنهما قرأا: ﴿ذلِكَ الَّذِي يَبْشُرُ اللهُ عِبادَهُ﴾ [الشورى: ٢٣] بفتح الياء / وسكون الباء وضم الشين. [١/ ٢١٤]

---

(١) سيأتي الخلاف في قراءتها في محلها.

(٢) الحجة للقراء السبعة (٣/ ٣٨).

(٣) وهي قراءة شاذة. انظر: تفسير الطبري (٦/ ٣٦٦)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٦١).

(٤) انظر: كلامَيْ أبي علي في الحجة (٣/ ٣٩)، وفي فيض الله: «إلا أن ابن عباس».

(٥) وهي سبعية، انظر السبعة (ص: ٢٠٥)، وانظر الخلاف عن ابن ذكوان في ذلك في التيسير (ص: ٥٢).

وقرأ نافع وعاصم وابن عامر: ﴿يُبَشِّرُكَ﴾ بشد الشين المكسورة في كل القرآن، وقرأ حمزة: ﴿يبشُر﴾ خفيفاً بضم الشين [مما لم يقع](١) في كلِّ القرآن إلا قوله تعالى: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر: ٥٤].

وقرأ الكسائي: ﴿يَبْشُر﴾ مخففةً في خمسة مواضع: في «آل عمران» في قصة زكريا، وقصة مريم، وفي سورة «بني إسرائيل»، و«الكهف»: ﴿وَيَبْشُرُ المؤمنين﴾ [الإسراء: ٩، الكهف: ٢]، وفي «عسق»: ﴿يَبْشُرُ الله عبادَه﴾(٢).

قال غير واحد من اللغويين: في هذه اللفظة ثلاثُ لغات، بشَّر بشد الشين، وبَشَرَ بتخفيفها، وأبشر يُبشر إبشاراً، وهذه القراءات كلُّها متجهة فصيحةٌ مرويّة(٣).

وفي قراءة عبد الله بن مسعود: (يُبْشِرُكَ) بضم الياء وتخفيف الشين المكسورة، من «أبشر»، وهكذا قرأ في كلِّ القرآن(٤).

و(يحيى): اسم سماه الله به قبل أن يولد، قال أبو علي: وهو اسم بالعبرانية صادف هذا البناء، والمعنى من العربية(٥).

قال الزجاج: لا ينصرف؛ لأنه إن كان أعجمياً ففيه التعريف والعجمة، وإن كان عربياً فالتعريف ووزن الفعل(٦)، وقال قتادة: سماه الله يحيى؛ لأنه أحياه بالإيمان(٧).

---

(١) ساقط من فيض الله، والمثبت من الأصل والحمزوية والمطبوع، وهو الموافق لنص ابن مجاهد، وفي نور العثمانية: «مما لا يقع» وفي السليمانية: «مما يقع» وفي جار الله وأحمد٣: «هاهنا وحيث وقع».

(٢) وهي سبعية متواترة، انظر: السبعة (ص: ٢٠٥)، والتيسير (ص: ٨٨).

(٣) هذا كلام أبي علي الفارسي في الحجة للقراء السبعة (٣/ ٣٩) بتصرف يسير، وعزاه إلى أبي الحسن.

(٤) وهي قراءة شاذة. انظر: مختصر الشواذ (ص: ٢٧)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٦١).

(٥) بقية كلامه السابق.

(٦) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٤٠٦).

(٧) تفسير الطبري (٦/ ٣٧٠، ٣٧١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٢).

و﴿مُصَدِّقًا﴾ نصب على الحال، وهي مؤكّدة بحسب حال هؤلاء الأنبياء عليهم السلام.

وقوله تعالى: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، قال ابن عباس[١]، ومجاهد، وقتادة، والحسن[٢]، والسدي وغيرهم: الكلمة هنا يراد بها عيسى ابن مريم[٣].

قال القاضي أبو محمد: وسمى الله عيسى (كلمة)؛ إذ صدر عن كلمة منه تعالى، لا بسبب إنسانٍ آخرَ كَعُرْفِ البشر.

وروى ابن عباس: أن امرأة زكرياء قالت لمريم وهما حاملتان: إني أجد ما في بطني يتحرك لما في بطنك، وفي بعض الروايات: يسجد لما في بطنك، قال: فذلك تصديقه.

قال القاضي أبو محمد: أي: أول التصديق. وقال بعض الناس: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ معناه: بكتابٍ من الله، الإِنجيل وغيره من كتب الله، فأوقع المفرد موقع الجمع، فـ(كلمة): اسم جنس، وعلى هذا النظر سَمّتِ العربُ القصيدةَ الطويلة كلمة.

وقوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا﴾ قال فيه قتادة: إي والله، سيدٌ في الحلم والعبادة والورع، وقال مرة: معناه: في العلم والعبادة.

وقال ابن جبير: ﴿وَسَيِّدًا﴾؛ أي: حليماً، وقال مرة: السيد: التقيّ.

وقال الضحاك: ﴿وَسَيِّدًا﴾؛ أي: تقياً حليماً، وقال ابن زيد: السيد: الشريف.

وقال ابن المسيب: السيد: الفقيه العالم.

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ٣٧٣) من طرق فيها مقال يشد فيها بعضها بعضاً، وهي: سماك، عن عكرمة عن ابن عباس، وحجاج، عن ابن جريج قال: قال ابن عباس، ومحمد بن سعد قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، أما سماك فضعيف في عكرمة، وابن جريج لم يذكر الواسطة بينه وبين ابن عباس، والإسناد الثالث مسلسل بالضعفاء، وقد سبق مراراً.

(٢) «مجاهد والحسن» ليس في أحمد٣.

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٣٧١ - ٣٧٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٢)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٠٣).

وقال ابن عباس: ﴿وَسَيِّدًا﴾ يقول: تقياً حليماً[1].

وقال عكرمة: السيد: الذي لا يغلبه الغضب[2].

قال القاضي أبو محمد: كلّ من فسر من هؤلاء العلماء المذكورين السؤدد بالحلم، فقد أحرز أكثرَ معنى السؤدد، ومن جَرَّدَ تفسيره بالعلم والتقى ونحوه فلم يفسّرْ بحسب كلام العرب، وقد تحصَّلَ العلم ليحيى عليه السلام بقوله عليه السلام: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، وتحصَّل التقى بباقي الآية.

وخصَّهُ الله بذكر السؤدد الذي هو الاعتمالُ[3] في رضى الناس[4] على أشرف الوجوه دون أن يقعَ في باطل، هذا اللفظُ يعمُّ السؤدد، وتفصيلُه أن يقالَ: بذلُ الندى وهذا هو الكرم، وكفُّ الأذى وهنا هي العفةُ بالفرج واليد واللسان، واحتمال العظائم وهنا هو الحلم وغيره من تحمّل الغرامات، وجبر الكسير، والإِفضال على المسترفد، والإِنقاذ من الهلكات.

وانظر أن النبي ﷺ قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، يجمع الله الأولين والآخرين»[5]، وذكر حديث الشفاعة في إطلاق الموقف، وذلك منه اعتمال[6] في رضى ولد آدم، فهو سيدهم بذلك.

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ٣٧٦) بالإسناد المسلسل بالضعفاء الذي سبق إيراده قريباً.

(٢) ثمانية أقوال، انظر: شعب الإيمان للبيهقي (٦/ ٣٥٦)، ومصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٣٤٥)، وتفسير الطبري (٦/ ٣٧٤-٣٧٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٢)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٦٣، ٦٤).

(٣) في الحمزوية: «الاعتماد»، وفي أحمد٣ وجار الله: «الاحتمال»، وفي هامشهما إشارة إلى النسخة المثبتة.

(٤) في نور العثمانية: «رضى النفس».

(٥) أصله متفق عليه، أخرج البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة بلفظ: «أنا سيد الناس يوم القيامة»... الحديث، وفيه ذكر الشفاعة، وجاء بزيادة: «ولا فخر» وزيادات أخرى، وفي بعضها ذكر الشفاعة من حديث جماعة من الصحابة، منهم: أبو سعيد الخدري عند الترمذي مطولاً (٣٠٤٨)، (٣٦١٥)، وقال في الموضعين: هذا الحديث حسن صحيح. وابن ماجه (٤٣٠٨)، ومنهم: أنس عند أحمد (٣/ ١٤٤-١٤٥)، والدارمي (١/ ٣٩-٤١)، وعبد الله بن سلام عند أبي يعلى (٧٤٩٣)، وابن حبان (٢١٢٧).

(٦) في المطبوع: «احتمال»، وفي الحمزوية وجار الله: «اعتماد».

وقد يوجد من الثقات العلماء من لا يبرز في هذه الخصال، وقد يوجد من يبرز في هذه فيسمَّى سيداً وإن قصَّر في كثير من الواجبات، أعني: واجباتِ الندب، والمكافحة في الحقّ، وقلة المبالاة باللائمة(١).

وقد قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: «ما رأيت أحداً أسودَ من معاوية بن أبي سفيان»، قيل له: وأبو بكر وعمر؟ قال: «هما خير من معاوية، ومعاوية أسود منهما»(٢).

فهذه إشارة إلى أن معاوية برز في هذه الخصال ما لم يواقع محذوراً؛ وأنَّ أبا بكر وعمر كانا من الاستضلاع بالواجبات، وتتبع ذلك من أنفسهما، وإقامة الحقائق على الناس بحيث كانا خيراً من معاوية، ومع تتبع الحقائق، وحمل الناس على الجادة، وقلة المبالاة برضاهم، والوزن بقسطاس الشريعة تحريراً، ينخرم كثيرٌ من هذه الخصال التي هي السؤدد، ويشغلُ الزمنُ عنها.

والتقى والعلم والأخذ بالأشدِّ أوكدُ وأعلى من السؤدد، أَمَا إنه يحسنُ بالتقي العالم أن يأخذ من السؤدد بكلِّ ما لا يخلّ بعلمه وتقاه، وهكذا كان يحيى عليه السلام، وليس هذا الذي يحسن بواجب ولا بد، كما ليس التتبعُ والتحريرُ في الشدّةِ بواجبٍ ولا بد، وهما طرفا خيرٍ قد حفتهما الشريعة، فمن صائرٍ إلى هذا ومن صائرٍ إلى هذا، ومثال ذلك: حاكمٌ صليبٌ معبّس فظ على من عنده أدنى عِوَج، لا يعتني في حوائج الناس، وآخر بَسْطُ الوجهِ بسَّامٌ يعتني فيما يجوز، ولا يتتبعُ فيما لم يُرْفَعْ إليه، وينفّذ الحكمَ مع رفقٍ بالمحكوم عليه، فهما طريقان حسنان.

وقوله: ﴿وَحَصُورًا﴾ أصل هذه اللفظة الحبس والمنع، ومنه الحصير؛ لأنه يحصر

---

(١) كتبت في المطبوع: باللاَّئمة.

(٢) جاء من عدة طرق بعضها لا بأس به، يُنظر: الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (١/ ٣٧٩)، والسنة للخلَّال (٢/ ٤٤١-٤٤٤)، ومعجم البغوي (٥/ ٣٦٩)، والطبقات لأبي عروبة الحرَّاني (ص: ٤١)، ومكارم الأخلاق للخرائطي (١/ ٥٧٠)، والأوسط للطبراني (٧/ ٣١)، واللالكائي (٨/ ١٤٤٣)، وابن عساكر (٥٩/ ١٧٣)، والسير (٣/ ١٥٢).

من جلس عليه، ومنه سمي السجن حصيراً، [وجهنم حصيراً][(١)]، ومنه حَصْرُ العدو وإحصارُ المرض والعذر، ومنه قيل للذي لا ينفقُ[(٢)] مع نُدَمائه: حَصُور، قال الأخطل:

وَشَـارِبٍ مُرْبِحٍ بِالـكَأْسِ نَادَمَنِي لا بِالَحصُـورِ وَلا فِيهَا بِسَـوَّارِ[(٣)] [الكامل]

ويقال للذي يكتم السر: حَصُور وحصِرٌ، قال جرير:

وَلَقَدْ تَسَـاقَطَنِي الوُشَاةُ فَصَادَفُوا حَصِراً بِسِـرِّكِ يَـا أُمَيْـم ضَنِينَا[(٤)] [الكامل]

وأجمع من يعتدّ[(٥)] بقوله من المفسرين على أن هذه الصفة ليحيى عليه السلام إنما هي الامتناعُ من وطءِ النساء[(٦)]، إلا ما حكى مكيّ من قول مَن قال: إنه الحصور عن الذنوب؛ أي: لا يأتيها[(٧)].

وروى ابن المسيب عن ابن العاصي ـ إِما عبد الله، وإِما أبوه ـ عن النبي ﷺ: أنه قال: «كلُّ بني آدم يأتي يوم القيامة / وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكرياء»، قال: ثم [١/ ٢١٥] دلى رسول الله ﷺ بيده إلى الأرض فأخذ عُوَيداً صغيراً، ثم قال: «وذلك أنه لم يكن له ما للرجال إلا مثل هذا العود، ولذلك سماه الله سيداً وحصوراً»[(٨)].

(١) زيادة من المطبوع وجار الله وأحمد٣، ونور العثمانية، وهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨].

(٢) في المطبوع: «الذي لا ينفق».

(٣) البيت معزو له في مجاز القرآن (١/ ٩٢)، وطبقات فحول الشعراء (٢/ ٥٠١)، وتفسير الطبري (٦/ ٣٧٧)، وإصلاح المنطق (ص: ١٦٨)، والعين (٣/ ١١٣)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٧٢٤)، والمعاني الكبير (١/ ٤٦٤)، والأغاني (١٥/ ١٠١).

(٤) البيت معزو له في تفسير الطبري (٦/ ٣٧٧)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٠٧)، ومجاز القرآن (١/ ٩٢)، والصحاح للجوهري (٢/ ٦٣١)، وشرح ديوان الحماسة (ص: ٨٩١).

(٥) في أحمد٣ وجار الله: «يقتدى».

(٦) تفسير الطبري (٦/ ٣٧٦، ٣٨٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٣)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٩٠) الهداية لمكي (٢/ ١٠٠٤)

(٧) الهداية لمكي (٢/ ١٠٠٤).

(٨) الموقوف أصح، روي هذا الخبر عن عبد الله بن عمرو بن العاص موقوفاً ومرفوعاً، والموقوف أصح، انظر: تفسير الطبري (٦/ ٣٧٧-٣٧٨)، وعلل ابن أبي حاتم (١٩١٣).

وقال ابن مسعود: الحصور: العِنِّين[١].

وقال مجاهد وقتادة: الحصور: الذي لا يأتي النساء.

وقال ابن عباس[٢]، والضحاك: الحصور: الذي لا ينزل الماء[٣].

قال القاضي أبو محمد: ذهب بعض العلماء إلى أن حصر يحيى عليه السلام كان لأنه لم يكن له إلا مثل الهدبة، وذهب بعضهم إلى أن حَصرَه كان لأنه كان عنِّيناً لا يأتي النساء وإِن كانت[٤] خلقته غير ناقصة، وذهب بعضهم إلى أن حصره كان بأنه كان يمسك نفسه تقًى وجلداً في طاعة الله، وكانت به القدرة على جماع النساء[٥]، قالوا: وهذا أمدَحُ له، وليس له في التأويلين الأولين مدح، إلا بأن الله يسر له شيئاً لا تكسب له فيه[٦].

وباقي الآية بين، وروي من صلاحه عليه السلام أنه كان يعيش من العشب، وأنه كان كثير البكاء من خشية الله حتى خدد الدمع في وجهه طرقاً وأخاديد[٧].

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾.

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (٦/ ٣٧٧) من طريق: عاصم، عن زر، عن عبد الله بلفظ: الحصور الذي لا يأتي النساء. وعاصم هو ابن بهدلة، ضعيف الحديث.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٦/ ٣٧٩) قال: حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس به. وقابوس ضعيف لا يحتج به، لا سيما إذا انفرد، وفيه محمد بن حميد الرازي وهو متهم، قال الذهبي: وثقه جماعة، والأولى تركه... الكاشف (٢/ ١٦٦).

(٣) ثلاثة أقوال: تفسير الطبري (٦/ ٣٧٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٣)، وتفسير السمعاني (١/ ٣١٦)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٠٤).

(٤) في أحمد٣ وجار الله: وكانت، دون «إن».

(٥) ثلاثة أقوال: تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٣)، وتفسير السمعاني (١/ ٣١٦)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٠٤) من قول سعيد بن المسيب.

(٦) تفسير الطبري (٣/ ٢٥٥)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٦٤)، وتفسير السمعاني (١/ ٣١٦) وانظر: تفسير القرطبي (٤/ ٧٨).

(٧) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ١٨٨)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٠٥).

اختلف المفسرون لم قال زكرياء: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ﴾؟:

فقال عكرمة والسدي: إنه لما نودي بهذه البشارة، جاء الشيطان ليكدِّر[١] عليه نعمةَ ربه، فقال: هل تدري من ناداك؟ قال: نادتني ملائكة ربي، قال: بل ذلك الشيطان، ولو كان هذا من عند ربك لأخفاه لك كما أخفيت نداءك، قال: فخالطتْ قلبَهُ وسوسةٌ وشكٌّ مكانه، فقال: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ﴾[٢].

وذهب الطبري وغيره إلى أن زكرياء لما رأى حال نفسه وحال امرأته وأنها ليست بحالِ نسل؛ سأل عن الوجه الذي به يكون الغلام، أتبدّل المرأةُ خلقتَها، أم كيف يكون؟[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا تأويل حسن لائق بزكرياء عليه السلام.

قال مكي: وقيل: إنما سأل؛ لأنه نسي دعاءه لطول المدة بين الدعاء والبشارة، وذلك أربعون سنة[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول ضعيف المعنى.

و﴿أَنَّىٰ﴾ معناه: كيف؟ ومن أين؟.

وقوله: ﴿بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ استعارةٌ، كأن الزمان طريقٌ، والحوادثُ تتساوق فيه، فإذا التقى حادثان؛ فكأنّ كلَّ واحدٍ منهما قد بلغ صاحبه، وحقيقة البلوغ في الأَجرام أَن ينتقل البالغ إلى المبلوغ إليه.

وَحَسُنَ في الآية ﴿بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ من حيث هي عبارةُ واهنٍ منفعل، و(بلغتُ) عبارة فاعلٍ مستعلٍ، فتأمّله.

---

(١) في الأصل والمطبوع: «يكدر»، دون لام.
(٢) تفسير الطبري (٦/ ٣٨٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٤).
(٣) تفسير الطبري (٦/ ٣٨٣).
(٤) الهداية لمكي (٢/ ١٠٠٠).

ولا يعترض على هذا بقوله: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨]؛ لأنه قد أفصح بضعف حاله في ذكر العتيّ.

و«العاقر»: الإنسان الذي لا يلد، يقال ذلك للمرأة والرجل، قال عامر بن الطفيل:

لَبِئْسَ الفَتَى إنْ كُنْتُ أَعْوَرَ عَاقِراً جَبَاناً فَمَا عُذْرِي لَدَى كُلِّ محضر[١] [الطويل]

وعاقر: بناء فاعل، وهو على النسب، وليس بجارٍ على الفعل.

والإشارة بـ(ذلك) في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ﴾ يحتمل أن تكونَ إلى هذه الغريبة التي بُشِّر بها؛ أي: كهذه القدرة المستغربة هي قدرة الله، ففي الكلام حذف مضاف، والكلامُ تامٌّ في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ﴾، وقوله: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ شرحٌ للإبهام الذي في (ذلك).

ويحتمل أن تكون الإشارة بـ(ذلك) إلى حال زكرياء وحال امرأته كأنه قال: ربِّ على أيّ وجهٍ يكون لنا غلام ونحن بحال كذا؟ فقال له: كما أنتما يكون لكما الغلام، والكلام تام على هذا التأويل في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ﴾، وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ جملة مبيِّنةٌ مقررة في النفس وقوعَ هذا الأمر المستغرَب[٢].

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾.

«الآية»: العلامة.

وقال الربيع والسدي وغيرهما: إن زكرياء قال: رب إن كان ذلك الكلام من قِبَلك والبشارةُ حقٌّ، فاجعل لي علامة أعرف صحةَ ذلك بها، فعوقب على هذا الشكّ في أمر الله بأن منع من الكلام ثلاثة أيامٍ مع الناس[٣].

---

(١) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٩٢)، ومعجم البلدان (٤/ ٢٨٥)، والمفضليات (ص: ٣٦٠)، والأصمعيات (ص: ٢١٥)، والشعر والشعراء (١/ ٣٢٢)، وفي جميع النسخ الخطية: «كل مشهد»، والمثبت من المطبوع، وهو الصواب كما في جميع المصادر.

(٢) احتمالان. تفسير الطبري (٦/ ٣٨٣)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٠٧).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٣٨٦ و٣٨٧)، وتفسير ابن أبي زمنين (٣/ ٨٩)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٠٠).

وقالت فرقة من المفسرين: لم يشك قط زكرياء، وإنما سأل عن الجهة التي بها يكونُ الولد وتتمُّ البشارة، فلما قيل له: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ سأل علامةً على وقتِ الحمل ليعرفَ متى يحمل بيحيى؟

واختلف المفسرون، هل كان منعُه الكلامَ لآفةٍ نزلت به، أم كان ذلك لغير آفة؟:

فقال جبير بن نفير[1]: ربا لسانُه في فيه حتى ملأه، ثم أطلقه الله بعد ثلاثٍ، وقال الربيع وغيره: عوقب؛ لأن الملائكة شافهته بالبشارة، فسأل بعد ذلك علامةً، فأخذ الله عليه لسانه، فجعل لا يقدر على الكلام، وقال قوم من المفسرين: لم تكن آفةً، ولكنه مُنِعَ محاورةَ الناسِ فلم يقدر عليها، وكان يقدر على ذكر الله، قاله الطبري[2]، وذكر نحوه عن محمد بن كعب[3].

ثم استثنى الرمز، وهو استثناءٌ منقطع.

وذهب الفقهاءُ في الإِشارة ونحوها [إلى أنها في حكم الكلام في الأَيمانِ ونحوها[4]][5]، فعلى هذا يجيء الاستثناء متصلاً.

و«الكلام» المراد بالآية إنما هو النطق باللسان، لا الإِعلامُ بما في النفس، فحقيقة هذا الاستثناء أنه منقطع.

وقرأ جمهور الناس: ﴿رَمۡزٗا﴾ بفتح الراء وسكون الميم.

---

(١) هو جبير بن نفير، ولد في حياة النبي ﷺ، وحدَّث عن أبي بكر، وعمر، وأَبي ذرٍّ وجماعة، وعنه ابنه عبد الرحمن، ومكحول، وغيرهما، من أجلَّة العلماءِ، وكبار التابعين، حديثه في الكتب كلها سوى صحيح البخاري، توفي سنة: (٨٠هـ). تاريخ الإسلام (٥/ ٣٨١).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٣٩٠ و٣٩١).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٣٨٦، ٣٨٧) الهداية لمكي (٢/ ١٠٠٧).

(٤) للاطلاع على أحكام الإشارة في اليمين وغيره عند الفقهاء انظر: مواهب الجليل للحطاب (٤/ ٤٦٢)، وبدائع الصنائع للكاساني (٣/ ٥٣)، والأشباه والنظائر للسيوطي (١/ ٣١٢)، والشرح الكبير لابن قدامة (١١/ ٢٤٨).

(٥) ليس في نور العثمانية.

وقرأ علقمة بن قيس: (رُمُزاً) بضمِّهما، وقرأ الأعمش: (رَمَزاً) بفَتْحهما[١].

و«الرمز» في اللغة: حركة تُعْلِمُ بما في نفسِ الرامز بأيّ شيء كانت الحركة؛ من عينٍ أو حاجب أو شفة أو يد أو عودٍ أو غير ذلك، وقد قيل للكلام المحرَّفِ عن ظاهره: رموز؛ لأنها علاماتٌ بغير اللفظ الموضوع للمعنى المقصودِ الإِعلامُ به.

وقد يقال للتصويت الدال على معنىً: رمز، ومنه قول جؤية بن عائذ[٢]:

[الوافر] وَكَانَ تَكَلُّمُ الأبْطَالِ رَمْزاً وَغمْغمَةً لَهُمْ مِثْلَ الهديرِ[٣]

وأما المفسرون فخصص كل واحد منهم نوعاً من الرمز في تفسيره هذه الآية:

[١/ ٢١٦] فقال/ مجاهد: ﴿إِلَّا رَمۡزٗا﴾، معناه: إلا تحريكاً بالشفتين، وقال الضحاك: معناه: إلا إشارة باليد والرأس، وبه قال السدي، وعبد الله بن كثير، وقال الحسن: أمسك لسانه، فجعل يشير بيده إلى قومه، وقال قتادة: ﴿إِلَّا رَمۡزٗا﴾ معناه: إلا إيماءً[٤].

وقرأ جمهور الناس: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ بنصب الفعل بـ (أنْ).

وقرأ ابن أبي عبلة: (ألَا تكلِّمُ) برفع الميم[٥]، وهذا على أن تكون (أنْ) مخففة من الثقيلة، ويكون فيها ضمير الأمر والشأن، والتقدير: آيتك أنه لا تكلم الناس.

---

(١) وهما قراءتان شاذتان. انظر عزوهما لهما في: الهداية لمكي (٢/ ١٠٠٨)، إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٥٧).

(٢) هو جؤية بن عائذ النصري الشاعر، استشهد ببعض شعره ابن سيده في المحكم (١/ ٤٢٥)، ولسان العرب (١٢/ ٤٥)، وتاج العروس (١٧/ ٥٨١)، ولعله ابن عائذ بن جؤية بن أسيد بن جرار بن عبد من نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن الذي ورد ذكره في المؤتلف والمختلف (ص: ١٠٣)، أو وقع قلب في اسمه، وسيأتي أبو أناس جؤية بن عائذ الكوفي النحوي القارئ في تفسير سورة الجن.

(٣) نسبه إليه الطبري (٦/ ٣٨٨)، ولم أجده عند غيره، والرواية فيه وفي المطبوع وفيض الله: «مثل الهدير»، وفي أكثر النسخ الخطية: «الهزير».

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٣٨٨-٣٩٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٦).

(٥) وهي قراءة شاذة. الكامل للهذلي (ص: ٥٩٥).

والقول بأن هذه الآية نسخها قول النبي ﷺ: «لا صمت يوماً إلى الليل»[(١)] قولٌ ظاهرُ الفساد من جهات.

وأمره تعالى بالذكر لربه كثيراً؛ لأنه لم يحل بينه وبين ذكر الله، وهذا قاض بأنه لم تدركه آفةٌ ولا علةٌ في لسانه، وقال محمد بن كعب القرظي: لو كان الله رخص لأحد في ترك الذكر؛ لرخص لزكرياء عليه السلام حيث قال: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗا﴾، لكنه قال له: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا﴾[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحۡ﴾ معناه: قل: سبحان الله، وقال قوم: معناه: صلِّ، والقول الأول أصوب؛ لأنه يناسب الذكر، ويستغرب مع امتناع الكلام مع الناس.

---

(١) لا يصح، روي من حديث علي وجابر، أما حديث علي فرواه أبو داود (٢٨٧٣) من حديث يحيى ابن محمد المدني حدثني عبد الله بن خالد بن سعيد بن أبي مريم، عن أبيه خالد بن سعيد، عن سعيد بن عبد الرحمن بن رقيش أنه سمع شيوخاً من بني عمرو بن عوف، ومن خاله عبد الله بن أبي أحمد قال: قال علي: حفظت عن رسول الله ﷺ: «لا يتم بعد احتلام، ولا صُماتَ يوم إلى الليل». انتهى، يحيى بن محمد الجاري قال البخاري: يتكلمون فيه. الكامل لابن عدي: (٦/ ٢٢٦).
وذكره العقيلي في ضعفائه (٤/ ٤٢٨)، وقال: لا يتابع عليه.
قال المنذري: وقد روي هذا الحديث من رواية أنس وجابر وليس فيها شيء يثبت.اهـ.
وله طريق أخرى رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١١٤٥٠) حدثنا معمر عن جويبر، عن الضحاك بن مزاحم، عن النزال بن سبرة، عن علي مرفوعاً: «لا رضاعَ بعد فصال، ولا يتم بعد الحُلم، ولا صمت يوم إلى الليل»، أخبرنا الثوري عن جويبر به موقوفاً، قال الدارقطني في العلل (٤/ ١٤٢): وهو المحفوظ اهـ.
أما حديث جابر فله طرق: منها ما رواه عبد الرزاق في مصنفه (١١٤٥١): حدثنا معمر عن حرام بن عثمان، عن عبد الرحمن ومحمد ابني جابر، عن أبيهما جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يتم بعد حلم، ولا رضاع بعد الفطام، ولا صمت يوم لليل» مختصر، وأعله ابن عدي في كامله (٢/ ٤٤٧) بحرام بن عثمان، وأسند إلى ابن معين والشافعي أنهما قالا: الرواية عن حرام بن عثمان حرام.اهـ.
ومنها ما رواه ابن عدي في الكامل (٣/ ٣٨٥) من حديث سعيد بن المرزبان أبي سعيد البقال عن يزيد الفقير، عن جابر مرفوعاً نحوه، وأعله بسعيد بن المرزبان، ونقل تضعيفه عن البخاري والنسائي وابن معين.

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٣٩١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٦).

و(العشي) في اللغة: من زوال الشمس إلى مغيبها، ومنه قول القاسم بن محمد: ما أدركتُ الناس إلا وهم يصلُّون الظهر بعشيٍّ[(١)]، والعشي من حين يفيء الفيء.

ومنه قول حميد بن ثور[(٢)]:

[الطويل] فَلا الظِّلَّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تَسْتَطِيعهُ ولا الفَيْءَ مِنْ بَرْدِ العَشِيِّ تَذُوقُ[(٣)]

و(العشي): اسم مفرد عند بعضهم، وجمع عشية عند بعضهم كسفينة وسفين.

و(الإِبْكار): مصدر أبكَرَ الرجل: إذا بادر أمره من لدن طلوع [الفجر إلى طلوع][(٤)] الشمس، وتتمادى البكرة شيئاً بعد طلوع الشمس، يقال: أبكر الرجل وبكَّر، فمن الأول قول ابن أبي ربيعة[(٥)]:

[الطويل] أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكِرُ[(٦)] ....

ومن الثاني قول جرير:

[الطويل] أَلا بَكَرَتْ سَلْمَى فَجَدَّ بُكُورُهَا وَشَقَّ العَصَا بَعْدَ اجْتِمَاعٍ أَمِيرُهَا[(٧)]

وقال مجاهد في تفسير الإِبكار: أول الفجر، والعشي: ميل الشمس حتى تغيب[(٨)].

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١/ ٥٤٦).

(٢) هو حميد بن ثور الهلالي أبو المثنى، شاعر مخضرم، وفد على النبي ﷺ، وأنشده بعض شعره، روى عن عمر، وعاش إلى خلافة عثمان. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ١٠٩)، الشعر والشعراء (١/ ٣٧٨).

(٣) انظر عزوه له في: إصلاح المنطق (ص: ٢٢٨)، الأغاني (٤/ ٣٥٠)، وفي نور العثمانية: «من بعد الضحى».

(٤) ليس في المطبوع.

(٥) يعني عمر بن أبي ربيعة المخزومي الشاعر المشهور، انظر ترجمته في: الأغاني (١/ ٢٨)، والخزانة (١/ ٢٣٨).

(٦) انظر عزوه له في: مسائل ابن الأزرق (ص: ١٨)، وإيضاح شواهد الإيضاح (٢/ ٧٦٧)، والأغاني (١/ ٨١)، والكامل (٣/ ١٦٨).

(٧) انظر عزوه له في: المحكم (٢/ ٣٠٠)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٥٥٩).

(٨) تفسير الطبري (٦/ ٣٩٢، ٣٩٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٧).

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

قال الطبري: العامل في (إذ) قوله: ﴿سَمِيعٌ﴾، فهو عطف على قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾[1]، وقال كثير من النحاة: العامل في (إذ) في هذه الآية فعل مضمر تقديره: واذكر[2]، وهذا هو الراجح؛ لأن هذه الآيات كلها إنما هي إخبارات بغيب تدل على نبوة محمد ﷺ، مقصد ذكرها هو الأظهر في حفظ رونق الكلام.

وقرأ عبد الله بن عمر وابن مسعود: (وإِذْ قالَ الملائِكَةُ)[3].

واختلف المفسرون هل المراد هنا بالملائكة جبريل وحده، أو جمع من الملائكة؟ وقد تقدم القول على معنى مثلها في قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

و﴿ٱصْطَفَىٰكِ﴾: مأْخوذ من صفا يصفو، وزنه «افتعل»، وبدلت التاء[4] طاء لتناسب الصاد، فالمعنى: تخيَّركِ لطاعته.

وقوله تعالى: ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ معناه: [من كل ما يصم النساءَ في خلْق أو خُلُق أو دين، قاله مجاهد وغيره[5]، وقال الزجاج: قد جاء في التفسير أن معناه][6]: من الحيض والنفاس[7].

قال القاضي أبو محمد: وهذا يحتاج إلى سند قوي، وما أحفظه.

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٣٩٣).
(٢) معاني القرآن للأخفش (١/ ٢١٧)، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (١/ ١٥٦).
(٣) وهي شاذة مخالفة للرسم، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ١١٢)، وفي جار الله: «ابن عامر»، وفي البحر المحيط (٣/ ١٤٦): «ابن عمرو».
(٤) ليست في المطبوع.
(٥) تفسير الطبري (٦/ ٤٠٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٧).
(٦) ليس في الأصل، وفي نور العثمانية: «أن الله طهرك»، بدل: «أن معناه».
(٧) معاني القرآن للزجاج (١/ ٤١٠).

وقوله تعالى: ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إن جعلنا ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ عاماً فيمن تقدم وتأخر جعلنا الاصطفاء مخصوصاً في أمر عيسى عليه السلام، وأَنها اصطُفِيت لتلدَ من غير فحل، وإِن جعلنا الاصطفاء عاماً جعلنا قوله: ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مخصوصاً في عالم ذلك الزمان، قاله ابن جريج وغيره[١].

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خير نساء الجنة مريم بنت عمران، وخير نساء الجنة خديجة بنت خويلد»[٢]، [وروي عنه أنه قال: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد»[٣]][٤].

فذهب الطبري وغيره إلى أن الضمير في قوله: «خير نسائها» يراد به الجنة[٥]، وذهب قوم إلى أنه يراد به الدنيا[٦]؛ أي: كل امرأة في زمانها، وقال النبي ﷺ: «خيرُ نساءٍ ركِبْنَ الإِبلَ صالحُ نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده»، قال أبو هريرة راوي الحديث: ولم تركب مريمُ بنت عمران بعيراً قط[٧]، وهذه الزيادة فيها غيب، فلا يتأول أن أبا هريرة رضي الله عنه قالها إلا عن سماع من النبي ﷺ.

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «خيرُ نساء العالمين

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٤٠٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٧)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٦٧).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ: الطبري (٦/ ٣٩٤) من طريق المنذر بن عبد الله الحزامي، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: أن رسول الله ﷺ به، مرسل.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٤٣٢) (٣٨١٥)، ومسلم (٢٤٣٠).

(٤) ليس في أحمد٣.

(٥) تفسير الطبري (٦/ ٣٩٤).

(٦) تفسير الطبري (٦/ ٤٠٠)، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٤٨٦)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٦٧).

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٤٣٤)، ومسلم (٢٥٢٧) عن أبي هريرة به مرفوعاً.

أربع: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد»[١].

وقد أسند الطبري: أن النبي ﷺ قال لفاطمة بنته: «أنت سيدة نساء أهل الجنة، إلا مريم بنت عمران البتول»[٢]، وأنه قال: «فضلت خديجة على نساء أمتي، كما فضلت مريم على نساء العالمين»[٣].

قال القاضي أبو محمد: وإذا تأملت هذه الأحاديث وغيرها مما هو في معناها، وجدت مريم فيها متقدمة، فسائغ أن يتأول عموم الاصطفاء على العالمين عموماً أيضاً.

وقد قال بعض الناس: إن مريم نبية[٤]، قال ابن إسحاق: كانت الملائكة تقبل على مريم فتقول: ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ﴾ الآية، فيسمع ذلك زكرياء فيقول: إن لمريم لشأناً[٥].

---

(١) صحيح، أخرجه الترمذي (٣٨٧٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن حبان (٦٩٥١) من حديث عبد الرزاق عن معمر، عن قتادة، عن أنس به مرفوعاً، ولفظ الترمذي: «حسبك من نساء العالمين..». وصحح إسناده الحافظ في فتح الباري (٦/ ٤٧١)، وعند النسائي (٥/ ٩٣) من طريق داود بن أبي الفرات، عن علباء بن أحمر، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعاً: «أفضل نساء أهل الجنة»...، وصححه كذلك ابن حجر في الموضع السابق.

(٢) قول النبي ﷺ لفاطمة: «إنها سيدة نساء أهل الجنة» قد أخرجه البخاري (٣٦٢٤) من حديث عائشة، أما بزيادة الاستثناء: «إلا مريم بنت عمران» فقد رواه الترمذي (٣٨٧٣) من طريق: موسى ابن يعقوب الزمعي عن هاشم بن هاشم: أن عبد الله بن وهب أخبره أن أم سلمة أخبرته به مرفوعاً. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، ورواه أبو بكر بن أبي شيبة (٣٢٩٣٦)، والنسائي في الكبرى (٨٤٥٩)، وابن حبان (٦٩٥٢) وغيرهم من طريق: محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن عائشة، عن فاطمة به. وبعضهم يحسن حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة، وفيه كلام. وللحديث طرق أخرى لا تخلو من مقال.

(٣) لا يصح، رواه الطبري (٦/ ٣٩٩)، والبزار (٤/ ٢٥٥) من طريق: عبد الغفار بن داود عن ابن لهيعة عن عمرو بن الحارث عن أبي زيد ـ هكذا عند الطبري، وعند البزار: يزيد ـ الحميري أنه سمع عمار ابن ياسر به مرفوعاً، الحميري لم أعرفه، وابن لهيعة لا يحتج به.

(٤) قال بذلك ابن حزم الظاهري، انظر: الملل والنحل لابن حزم (٥/ ١٣).

(٥) تفسير الطبري (٦/ ٤٠١).

فمن مخاطبة الملائكة لها جعلها هذا القائل نبية، وجمهور الناس على أنه لم تُنبَّأ امرأة قط[(١)].

و﴿ٱقۡنُتِي﴾ معناه: اعبدي وأطيعي، قاله قتادة والحسن[(٢)]، وروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «كلُّ قنوت في القرآن فهو بمعنى طاعة الله»[(٣)].

ويحتمل أن يكون معناه: أطيلي القيام في الصلاة، وهذا هو قول الجمهور[(٤)]، وهو المناسب[(٥)] في المعنى لقوله: ﴿وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي﴾، وبه قال مجاهد، وابن جريج، والربيع[(٦)].

وروى مجاهد: أنها لما خوطبت بهذا قامت حتى ورمت قدماها، وروى [١/ ٢١٧] الأوزاعي أنها قامت حتى سال الدمُ والقيح من قدميها/ ، وروي[(٧)]: أن الطير كانت تنزل على رأسها، تظنها جماداً؛ لسكونها في طول قيامها.

وقال سعيد بن جبير: ﴿ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ﴾ معناه: أَخلصي لربك[(٨)].

واختلف المتأولون: لم قدم السجود على الركوع؟:

فقال قوم: كان ذلك في شرع زكرياء وغيره منهم، وقال قوم: الواو لا تعطي رتبة، وإِنما المعنى: افعلي هذا وهذا، وقد علم تقديم الركوع.

وهذه الآية أكثر إِشكالاً من قولنا: قام زيد وعمرو؛ لأن قيام زيد وعمرو ليس له رتبة

---

(١) نقل ابن تيمية الإجماع على ذلك عن غير واحد من العلماء، انظر: كتاب الجواب الصحيح (٢/ ٣٤٩).
(٢) تفسير الطبري (٦/ ٤٠٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٨)، والهداية لمكي (٢/ ١٠١١).
(٣) ضعيف جداً، رواه الطبراني في الأوسط (٢/ ٢٢٤) من طريق: رِشدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث، عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد به مرفوعاً. وقال: لم يرو هذا الحديث عن عمرو إلا رشدين. اهـ فالإسناد تالف.
(٤) تفسير الطبري (٦/ ٤٠٢)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٨)، وتفسير السمعاني (١/ ٣١٨).
(٥) في أحمد٣: «المباشر».
(٦) تفسير الطبري (٦/ ٤٠٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٨).
(٧) في الحمزوية ونور العثمانية: «وروى الطبري»، وليس في هذا الموضع منه ما يدل عليه.
(٨) انظر الأقوال في: تفسير الطبري (٦/ ٤٠٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٨).

معلومة، وهذه الآية قد علم أن السجود بعد الركوع، فكيف جاءت الواو بعكس ذلك؟

قال القاضي أبو محمد: فالقول عندي في ذلك أَن مريم أُمِرَتْ بفصلين ومَعلَمين من معالم الصلاة، وهما طول القيام والسجود، وخُصَّا بالذكر؛ لشرفهما في أركان الصلاة؛ إذ العبدُ يقرب في وقت سجوده من الله تعالى[١]، وهذان يختصان بصلاتها مفردة، وإلا فمن يصلي وراء إمام فليس يقال له: أطل قيامك، ثم أمرت ـ بعدُ ـ بالصلاة في الجماعة، فقيل لها: ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾، وقُصد هنا مَعلَم آخر[٢] من معالم الصلاة؛ لئلا يتكرر لفظ، ولم يرد بالآية السجود والركوع الذي هو منتظم في ركعة واحدة، والله أعلم[٣].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

هذه المخاطبة لمحمد ﷺ، والإشارة بذلك إلى ما تقدم ذكره من القصص.

و«الأنباء»: الأخبار، والغيب: ما غاب عن مدارك الإنسان.

و﴿نُوحِيهِ﴾ معناه: نلقيه في نفسك في خفاء، وحدّ الوحي إلقاء المعنى في النفس في خفاء، ثم تختلف أنواعه، فمنه بالملَك، ومنه بالإلهام، ومنه بالإشارة، ومنه بالكتاب[٤]، كما قال كعب بن زهير:

أَتَـى العُجْـمَ والآفَـاقَ مِنْـهُ قَصَائِـدٌ ... بَقِينَ بَقَاءَ الوَحْيِ فِي الحَجَرِ الأَصَمّ[٥] [الطويل]

---

(١) كما ثبت في حديث: «أقربُ ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»، أخرجه مسلم (٤٨٢).

(٢) ليست في المطبوع.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١/ ١٧٤).

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٤٠٥)، وانظر: زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٣٨٨)، فقد نسبه لابن قتيبة.

(٥) في أحمد٣ وجار الله: «كعب بن مالك»، وهو خطأ فالبيت لكعب بن زهير كما في تفسير الطبري (٦/ ٤٠٦)، ومما يدل على ذلك قوله بعده في نفس القصيدة:

فـإن تسأل الأقـوام عـني فـإنني ... أنا ابن أبي سلمىٰ علىٰ رغم من رغم

تقول العرب: أوحى، وتقول: وحَى.

وفي هذه الآية بيان لنبوة محمد ﷺ؛ إذ جاءهم بغيوبٍ لا يعلمها إلا مَن شاهدها وهو لم يكن لديهم، أو مَن قرأها في كتب أهل الكتاب، ومحمد ﷺ أمي من قوم أميين، أو مَن أعلمه الله بها وهو ذاك ﷺ.

و﴿لَدَيۡهِمۡ﴾ معناه: عندهم ومعهم.

وقد تقدم القول في الأقلام والكفل، وجمهور العلماء على أنه استهام لأخذها والمنافسة فيها، وقال ابن إسحاق: إنما كان استهامهم حين نالتهم المجاعة دفعاً منهم لتحمُّل مؤونتها[1].

و﴿يَخۡتَصِمُونَ﴾ معناه: يتراجعون القول الجهير في أمرها، وفي هذه الآية استعمال القرعة، والقرعة سنة[2]، وكان النبي ﷺ إذا سافر أقرع بين نسائه[3]، وقال ﷺ: «لو يعلمون ما في الصفِّ الأول لاستهَموا عليه»[4].

وجمهور الأمة على تجويز القرعة إلا من شذَّ فظن أنها قمار[5]، وهذا كله فيما يصلح التراضي بكونه دون قرعة، فكأن القرعةَ محسِّنة لذلك الاختصاص، وأما حيث لا يجوز التراضي كعتق العبيد في ثلث الميت فجوَّزها الجمهور، ومنعها أبو حنيفة[6]،

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٣٥٣)، وانظر: تفسير ابن المنذر (١/ ١٨٠، ١٨١).

(٢) انظر: الشرح الكبير لابن قدامة (١٢/ ٢٩٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٥٩٣) (٢٦٨٨) (٢٨٧٩) (٥٢١١)، ومسلم (٢٤٤٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦١٥) (٦٥٢) (٧٢١) (٢٦٨٩)، ومسلم (٤٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) نقل ابن عبد البر هذا القول عن أهل الكوفة. انظر: التمهيد (٢٣/ ٤٢٥).

(٦) انظر: شرح السنة للبغوي (٩/ ٣٦٢).

وفي الحديث أن النبي ﷺ أقرع بين ستة أعبُدٍ، فأعتق اثنين، وأرقَّ أربعةً[١].

وقوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ مبتدأ وخبر في موضع نصب بالفعل الذي تقديره: ينظرون ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾.

والعامل في قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ فعل مضمر تقديره: اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾، وهكذا يطّردُ وصفُ الآية، وتتوالى الإِعلاماتُ بهذه الغيوب[٢].

وقال الزجاج: العامل فيها: ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾، ويجوز أن يتعلق بقوله: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾[٣]، وهذا كله يردّه المعنى؛ لأن الاختصام لم يكن عند قول الملائكة.

وقرأ ابن مسعود وعبد الله بن عمر: (إِذْ قالَ الملائِكَةُ)[٤].

واختلف المتأولون هل الملائكة هنا عبارة عن جبريل وحده، أو عن جماعة من الملائكة؟ وقد تقدم معنى ذلك كله في قوله آنفاً: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ فتأمله، وتقدم ذكر القراءات في قوله: ﴿يُبَشِّرُكَ﴾.

واختلف المفسرون، لم عبَّر عن عيسى عليه السلام بـ (كَلِمَة):

فقال قتادة: جعله الله كلمةً؛ إذ هو موجود بكلمة، وهي قوله تعالى لمراداته: (كُنْ)[٥].

وهذا كما تقول في شيء حادث: هذا قدر الله؛ أي: هو عن قدر الله، وكذلك تقول: هذا أمر الله.

---

(١) رواه مسلم (١٦٦٨).

(٢) الهداية لمكي (٢/ ١٠١٣).

(٣) معاني القرآن للزجاج (١/ ٤١١).

(٤) وهي قراءة شاذة، كما تقدم في المقطع السابق.

(٥) تفسير الطبري (٦/ ٤١١)، والهداية لمكي (٢/ ١٠١٣).

وترجم الطبري فقال: وقال آخرون: بل الكلمة اسم لعيسى، سماه الله بها كما سمَّى سائر خلقه بما شاء من الأسماء، فمقتضى هذه الترجمة أَن الكلمة اسمٌ مرتجلٌ لعيسى، ثم أدخل الطبري تحت الترجمة عن ابن عباس أَنه قال: الكلمة هي عيسى[١]، وقولُ ابن عباس محتملٌ أن يفسَّر بما قال قتادة، وبغير ذلك مما سنذكره الآن، وليس فيه شيء مما ادعى الطبري رحمه الله.

وقال قوم من أهل العلم: سماه الله كلمة من حيث كان تقدم ذكره في توراة موسى وغيرها من كتب الله، وأَنه سيكون، فهذه كلمة سبقت فيه من الله، فمعنى الآية: أنت يا مريم مبشّرة بأنكِ المخصوصةُ بولادة الإِنسان الذي قد تكلم الله بأمره، وأخبر به في ماضي كتبه المنزلة على أنبيائه.

و﴿ٱسۡمُهُ﴾ في هذا الموضع، معناه: تسميته، وجاء الضمير مذكراً من أجل المعنى؛ إذ الكلمةُ عبارة عن ولد.

واختلف الناس في اشتقاق لفظة ﴿ٱلۡمَسِيحُ﴾:

فقال قوم: هو من ساح يسيح في الأرض: إذا ذهب ومشى في أقطارها، فوزنه «مفعل».

وقال جمهور الناس: هو من «مسح»، فوزنه «فَعِيل».

واختلفوا بعدُ في صورة اشتقاقه من «مسح»:

فقال قوم من العلماء: سمي بذلك من مساحة الأرض؛ لأنه مشاها فكأنه مسحها،

[١/ ٢١٨] وقال آخرون: سمي بذلك؛ لأنه ما مسح / بيده على ذي عاهة[٢] إلا برئَ، فهو على هذين القولين «فعيل» بمعنى: «فاعل».

(١) تفسير الطبري (٦/ ٤١٢).

(٢) في المطبوع: «علة».

وقال ابن جبير: سمي بذلك؛ لأنه مُسح بالبركة، وقال آخرون: سمي بذلك لأنه مُسِحَ بدهن القدس، فهو على هذين القولين «فعيل» بمعنى: «مفعول».

وكذلك هو في قول مَن قال: مسحه الله فطهَّره من الذنوب.

قال إبراهيم النَّخَعي: المسيح: الصدِّيق[١]، وقال ابن جبير عن ابن عباس: المسيح: الملك[٢]، وسمي بذلك؛ لأنه ملك إحياء الموتى، وغيرَ ذلك من الآيات، وهذا قول ضعيف لا يصحُّ عن ابن عباس.

وقوله: ﴿عِيسَى﴾ يحتمل من الإعراب ثلاثة أوجه: البدل من ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾، وعطف البيان، وأن يكون خبراً بعد خبر، ومنع بعض النحاة أن يكون خبراً بعد خبر، وقال: كان يلزم أن يكون أسماءُ على المعنى، أو أسماها على اللفظ للكلمة.

ويتجه أن يكون ﴿عِيسَى﴾ خبر ابتداء مضمر، تقديره: هو عيسى ابن مريم، ويدعو إلى هذا كونُ قوله: ﴿ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ صفةً لـ ﴿عِيسَى﴾؛ إذ قد أجمع الناس على كتبه دون ألف[٣]، وأما على البدل أو عطف البيان فلا يجوز أن يكون ﴿ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ صفةً لـ ﴿عِيسَى﴾؛ لأن الاسم هنا لم يرد به الشخص.

قال القاضي أبو محمد: هذه النزعة لأبي علي[٤]، وفي صدر الكلام نظر.

---

(١) انظر قول ابن جبير والقولين بعده في: تفسير الطبري (٦/ ٤١٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٥١)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٦٨).

(٢) في السليمانية وفيض الله وجار الله وأحمد٣: «ابن حبيب» بدل «ابن جبير»، والمثبت هو الموافق لما في البحر المحيط (٣/ ١٥٣)، وهو الأولى بالرواية عن ابن عباس، ولم أجده عنه، وقد نقله الثعلبي في تفسيره (٣/ ٦٨) عن أبي عمرو بن العلاء، والسمرقندي (١/ ٢١٣) عن الكلبي.

(٣) لم يتضح المقصود بإجماع الناس، فإن كان أهل اللغة فهو يحتاج إلى تدقيق، وأما رسم المصحف فهو بالألف بلا خلاف نعلمه، وقد نقل هذه العبارة أبو حيان (٢/ ٤٨١)، والحلبي في الدر المصون (٣/ ١٧٥)، وابن عادل في اللباب (٥/ ٢٢٥) عن ابن عطية بلا تعليق.

(٤) يريد ابن عطية كلام أبي علي الفارسي في مسألة الاسم هل هو المسمى أو غيره؟ وقد تقدم الكلام عليه.

و﴿وَجِيهًا﴾ نُصِبَ على الحال، وهو من الوجه؛ أي: له وجه ومنزلة عند الله، والمعنى في الوجيه: أنه حيثما أقبل بوجهه عظم وروعي أمره، وتقول العرب: فلان له وجهٌ في الناس، وله جاهٌ، وهذا على قلبٍ في اللفظة، يقولون: جاهني يجوهني بكذا؛ أي: واجهني به، وجاه عيسى عليه السلام في الدنيا نبوته وذكره، ورفعه، وفي[1] الآخرة مكانته ونعيمه وشفاعته[2].

و(من المقرَّبين) معناه: من الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾.

قوله: ﴿وَيُكَلِّمُ﴾ نائب عن حال تقديرها: ومكلِّماً، وذلك معطوف على قوله: ﴿وَجِيهًا﴾، وجاز عطف الفعل المستقبل على اسم الفاعل؛ لما بينهما من المضارعة، كما جاز عطف اسم الفاعل على الفعل المستقبل في قول الشاعر:

[الرجز] بِتُّ أُعَشِّيهَا بِعَضْبٍ بَاتِرِ يَقْصِدُ فِي أَسْوُقِهَا وَجَائِرِ[3]

وقوله: ﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾ حال من الضمير في ﴿وَيُكَلِّمُ﴾، و(كهلاً) حال معطوفة على قوله: ﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾، وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ حال معطوفة على قوله: ﴿وَيُكَلِّمُ﴾.

وهذه الآية إخبار من الله تعالى لمريم بأن ابنها يتكلم في مهده مع الناس آية دالة على براءة أمه مما عسى أن يقذفها به متعسِّف ظانٌّ.

و ﴿ٱلْمَهْدِ﴾: موضع اضطجاع الصبي وقتَ تربيته.

وأخبر تعالى عنه أنه أيضاً يكلم الناس كهلاً، وفائدة ذلك؛ إذ كلامُ الكهل عُرِفَ:

---

(١) في المطبوع: «في»، دون الواو.
(٢) تفسير الطبري (٦/ ٤١٥).
(٣) البيت بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (١/ ٢١٣)، وتفسير الطبري (٦/ ٤١٦)، وتهذيب اللغة (٦/ ١٤).

أنه إخبارٌ لها بحياته إلى سنِّ الكهولة، هذا قول الربيع وجماعة من المفسرين، وقال ابن زيد: فائدة قوله: ﴿وَكَهْلًا﴾ الإِخبارُ بنزوله عند قتله الدجالَ كهلاً[١].

وقال جمهور الناس: الكهل: الذي بلغ سن الكهولة.

وقال مجاهد: الكهل: الحليم[٢]، وهذا تفسير الكهولة بعرَضٍ مصاحب لها في الأغلب.

واختلف الناس في حدِّ الكهولة، فقيل: الكهل: ابن أربعين سنة، وقيل: ابن خمس وثلاثين، وقيل: ابن ثلاث وثلاثين، وقيل: ابن اثنتين وثلاثين، وهذا حدّ أولها، وأَما آخرها فاثنتان وخمسون، ثم يدخل سن الشيخوخة.

وقول مريم: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ استفهام عن جهة حملها، واستغرابٌ للحمل على حال بكارتها.

ويمسس معناه: يطأ ويجامع، و«المسيس»: الجماع، ومريم لم تنفِ مسيسَ الأيدي.

والإِشـارة بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكِ﴾ يحتمل أن تكون إلى هذه القدرة التي تتضمنها البشارة بالكلمة، ويحتمل أن تكون إلى حال مريم وبكارتها، وقد تقدم شرح هذين التأويلين في أمر زكرياء عليه السلام.

وجاءت العبارة في أمر زكرياء ﴿يَفْعَلُ﴾ وجاءت هنا ﴿يَخْلُقُ﴾ من حيث أمر زكرياء داخل في الإِمكان الذي يُتعارف وإِن قلَّ، وقصة مريم لا تتعارف ألبتَّةَ، فلفظ الخلق أقرب إلى الاختراع، وأدلُّ عليه.

وروي: أن عيسى عليه السلام ولد لثمانية أشهر، فلذلك لا يعيش من يولد من غيره لمثل ذلك[٣].

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٤٢٠)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٣٢).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٤١٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٥٢)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٢٠٣).

(٣) نسبه مكي في الهداية (٢/ ١٠١٥) لابن عباس.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ﴾ معناه إذا أراد إيجاده، والأمر: واحد الأمور، وهو مصدرٌ سمي به، والضمير في ﴿لَهُۥ﴾ عائد على الأمر، والقول على جهة المخاطبة، قال مكي: وقيل: المعنى يقول لأجله[١]، وهذا ينحو إلى ما نورده عن أبي علي بعدُ.

وقرأ جمهور السبعة: ﴿فَيَكُونُ﴾ بالرفع، وقرأ ابن عامر وحده: ﴿فيكونَ﴾ بالنصب[٢].

فوجه الرفع العطف على ﴿يَقُولُ﴾، أو تقدير: فهو يكون.

وأَما قراءة ابن عامر فغير متجهة؛ لأن الأمر المتقدم خطابٌ للمقضيِّ، وقوله: ﴿فيكونَ﴾ خطاب للمخبر، فليس كقوله: قُمْ فأحسنَ إليك، لكن وجهها أنه راعى الشبه اللفظي في أن يقدم في الكلام لفظ أمر كما قال أبو الحسن الأخفش في نحو قوله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣١]: إنه مجرى جوابِ الأمر وإِن لم يكن له جواباً في الحقيقة[٣]، فكذلك على قراءة ابن عامر يكون قوله: ﴿فيكونَ﴾ بمنزلة جواب الأمر وإِن لم يكن جواباً.

وذهب أبو علي في هذه المسألة إلى أن القول فيها ليس بالمخاطبة المحضة، وإِنما هو قول مجازي كما قال:

[الرجز] امتـلأَ الحَـوْضُ وقـالَ قطْني[٤] ....

وغير ذلك، قال: لأن المنتفي ليس بكائن، فلا يخاطب كما لا يؤمر، وإِنما المعنى: فإِنما يكونه، فهو يكون[٥]، فهذه نزعة اعتزالية، [رحمه الله وغفر له][٦].

---

(١) الهداية لمكي (٢/ ١٠١٤).

(٢) وهي سبعية متواترة، انظر: السبعة (ص: ٢٠٦)، التيسير للداني (ص: ٧٦).

(٣) لم أجدمن نقله عن الأخفش.

(٤) تقدم في تفسير الآيات (٩٢ - ٩٦) من سورة البقرة.

(٥) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٠٥).

(٦) ليست في أحمد٣ وجار الله، و«غفر الله له» ليست في نور العثمانية.

قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ...﴾.

قرأ نافع وعاصم: ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ [بالياء، وذلك عطف على: ﴿يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ﴾، كذا قال أبو علي، ويحتمل أن يكون في موضع الحال عطفاً على: ﴿وَيُكَلِّمُ﴾ / ، وقرأ الباقون: ﴿ونُعَلِّمُه﴾][1] بالنون[2]، وهي مثل قراءة الياء في المعنى، لكن جاءت بنون العظمة. [١/ ٢١٩]

قال الطبري: قراءة الياء عطف على قوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾، وقراءة النون عطف على قوله: ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾[3].

قال القاضي أبو محمد: وهذا الذي قاله خطأ في الوجهين مفسد للمعنى[4].

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هو الخط باليد، فهو مصدر كتب يكتب، هذا قول ابن جريج وجماعة المفسرين، وقال بعضهم: هي إشارة إلى كتاب منزل لم يعيَّنْ[5]، وهذه دعوى لا حجة عليها.

وأما (الحكمة) فهي السنة التي يتكلم بها الأنبياء في الشرعيات والمواعظ ونحو ذلك، مما لم يوحَ إليهم في كتاب ولا بملَك، لكنهم يلهمون إليه وتقوى غرائزهم عليه.

وقد عبر بعض العلماء عن الحكمة بأنها الإصابة في القول والعمل.

فذكر الله تعالى في هذه الآية أنه يعلِّمُ عيسى عليه السلام الحكمةَ، والتعليم متمكن فيما كان من الحكمة بوحي، أو مأثوراً عمن تقدم عيسى من نبي وعالم، وأما ما

---

(١) ليس في السليمانية، وسقوطه مفسد للمعنى.

(٢) وهي سبعية متواترة، انظر: السبعة (ص: ٢٠٦)، والتيسير للداني (ص: ٨٨).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٤٢١، ٤٢٢).

(٤) انظر كلام الطبري في تفسيره (٦/ ٤٢١، ٤٢٢)، وانظر: تفسير الثعلبي (٣/ ٧٠).

(٥) في نور العثمانية: «يعين»، ليست قبلها «لم».

كان من حكمة عيسى الخاصة به فإنما يقال فيها: «نعلِّمه» على معنى نُهَيِّئ غريزته لها، ونقدره ونجعله يتمرن في استخراجها ويجري ذهنه إلى ذلك.

و(التوراة): هي المنزلة على موسى عليه السلام، ويروى أن عيسى عليه السلام كان يستظهر التوراة، وكان أعلم الناس وأعمل[(١)] بما فيها، ويروى أنه لم يحفظها عن ظهر قلب إلا أربعة: موسى، ويوشع بن نون، وعزير، وعيسى عليهم السلام[(٢)].

وذكر: (الإنجيل) لمريم، وهو لم ينزل بعدُ؛ لأنه كان كتاباً مذكوراً عند الأنبياء والعلماء، وأنه سينزل.

وقوله: ﴿وَرَسُولًا﴾ حال معطوفة على: ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾؛ [إذ التقدير: ومعلماً الكتاب][(٣)]، فهذا كله عطف بالمعنى على قوله: ﴿وَجِيهًا﴾، [ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَرَسُولًا﴾ حالاً من قوله: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾ فيكون عطفاً على قوله: ﴿وَكَهْلًا﴾][(٤)]، ويحتمل أن يكون التقدير: ويجعله رسولاً[(٥)].

وكانت رسالة عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل مبيناً حكم التوراة، ونادباً إلى العمل بها، ومحللاً أشياء مما حرم فيها كالثروب[(٦)]، ولحوم الإبل، وأشياء من الحيتان والطير[(٧)].

ومن أول القول لمريم إلى قوله: ﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ خطاب لمريم.

---

(١) «وأعمل» ليست في فيض الله، وفي السليمانية وجار الله وأحمد٣، ونور العثمانية: «أعمل الناس»، دون ذكر «أعلم».
(٢) تفسير الطبري (١٣/ ١٢٦)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٨٣).
(٣) ليس في الحمزوية.
(٤) ليس في المطبوع، وكذا الأصل إلا أن فيه: «وكهلاً»، بدل: «وجيهاً».
(٥) تفسير الطبري (٦/ ٤٢٣)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٧٠).
(٦) في المطبوع: «كالشحوم»، والثروب جمع ثرب وهو: شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء.
(٧) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٤٣٩).

ومن قوله: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم﴾ إلى قوله: ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ يحتمل أن يكون خطاباً لمريم على معنى: يكون من قوله لبني إسرائيل: كيت وكيت، ويكون في آخر الكلام متروك يدلّ عليه الظاهر، تقديره: فجاء عيسى بني إسرائيل رسولاً، فقال لهم ما تقدَّم ذكره، فلمَّا أحسَّ.

ويحتمل أن يكون المتروك مقدراً في صدر الكلام بعد قوله: ﴿إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فيكون تقديره: فجاء عيسى كما بشَّر الله رسولاً إلى بني إسرائيل بأني قد جئتكم، ويكون قوله: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم﴾ ليس بخطاب لمريم، والأول أَظهر.

[قرأ جمهور الناس: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم﴾ بفتح الألف، تقديره: بأني، وقرئ في الشاذ: (إِنِّي قد جئتُكم)[(١)]][(٢)].

وجمهور الناس قرؤوا: ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ على الإِفراد، وفي مصحف ابن مسعود: (بآياتٍ)، وكذلك في قوله بعد هذا: (وجئْتُكُم بآياتٍ مِنْ رَبِّكُم)[(٣)].

واختلف القراء في فتح الألف وكسرها من قوله: ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ﴾:

فقرأ نافع وجماعة من العلماء: ﴿إِنِّي﴾ بكسر الألف.

وقرأ باقي السبعة وجماعة من العلماء: ﴿أَنِّي﴾ بفتح الألف[(٤)].

فوجه قراءة نافع: إما القطع والاستئناف، وإِما أنه فسر الآية بقوله: ﴿إني﴾ كما فسَّر المثلَ في قوله: ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ بقوله: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ إلى غير ذلك من الأَمْثِلة.

وَوَجْه قراءَة الباقين البدل من ﴿ءَايَةٍ﴾، كأنه قال: وجئتكم بأني أخلق، وقيل: هي بدل من ﴿أَنِّي﴾ الأولى، وهذا كله يتقارب في المعنى.

و﴿أَخْلُقُ﴾ معناه: أقدِّر وأهيئ بيدي، ومن ذلك قول الشاعر:

---

(١) عزاها الكرماني في الشواذ (ص:١١٢) لابن عمر.

(٢) ليس في أحمد ٣.

(٣) انظر قراءة ابن مسعود في: مختصر الشواذ (ص: ٢٧)، وهي قراءة شاذة.

(٤) فهما متواترتان، انظر: السبعة (ص: ٢٠٦)، والتيسير (ص: ٨٨).

[أحذ الكامل] وَلأَنْـتَ تَفْـرِي مـا خَلَقْـتَ وَبَعْـ ـضُ القَـوْمِ يخْلُقُ ثـمَّ لا يَفْرِي[١]

وقوله: ﴿لَكُم﴾ تقييد لقوله: ﴿أَخْلُقُ﴾؛ لأنه يدل دلالة ما على أنه لم يرد الإِيجاد من العدم، ويصرح بذلك قوله: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، وحقيقة الخلق في الأَجرام، ويستعمل في المعاني، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]، ومنه قول الشاعر:

[مجزوء الكامل] مـن كـان يخلقُ مـا يقو لُ فـحيلتـي فيـه قـليـلَـهْ[٢]

وجمهور الناس قرأ: ﴿كَهَيْـَٔةِ﴾ على وزن فَعْلَة ـ بفتح الفاء ـ وهو مصدر من قولك: هاء الشيء يهاء هَيْئاً وهَيْئَةً: إذا ترتب واستقر على حال مَّا، وهو الذي تُعديه فتقول: هيَّأْت.

وقرأ الزهري: (كَهِيَّةِ الطير)[٣] بكسر الهاء، وياء مفتوحة مشددة.

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع: ﴿كَهَيْئَةِ الطَّائر فأَنْفُخ فيهِ فيكونُ طائِراً﴾ على الإِفراد في الموضعين[٤]، فالأول اسم الجنس، والثاني مفرد؛ أي: يكون طائراً من الطيور.

وقرأ نافع وحده: ﴿كَهَيْئَة الطّير فأَنْفخُ فيهِ فيكون طائراً﴾ بالإِفراد في الأخير، وهكذا قرأ في «المائدة» [١١٠]، وقرأ الباقون: ﴿كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا﴾ بالجمع فيهما، وكذلك في سورة «المائدة»، ومعاني هذه القراءات بينة[٥].

و﴿ٱلطَّيْرِ﴾: اسم جمع، وليس من أبنية الجموع، وإِنما البناء في جمع طائر أطيار، وجمع الجمع طيور، وحكاه أَبو علي عن أبي الحسن[٦].

---

(١) تقدم في تفسير الآية (٢٧) من سورة البقرة.

(٢) تقدم في تفسير الآية (٢٧) من سورة البقرة.

(٣) في المطبوع: «كهيّئة»، وانظر عزو القراءة للزهري في: الشواذ للكرماني (ص: ١١٢)، وهي شاذة.

(٤) وهي قراءة عشرية قرأ بها أبو جعفر انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ٤٦٠)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٧١).

(٥) فهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٢٠٦)، والتيسير للداني (ص: ٨٨).

(٦) الحجة للقراء السبعة (٣/ ٤٤).

وقوله: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ ذكَّر الضمير هنا؛ لأنه يحتمل أن يعود على الطين المهيأ، ويحتمل أن يريد فأنفخ في المذكور، وأنَّث الضمير في سورة «المائدة» في قوله: ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ [١١٠]؛ لأنه يحتمل أن يعود على الهيئة، أو على تأنيث لفظ الجماعة في قوله: ﴿ٱلطَّيْرِ﴾.

وكون عيسى عليه السلام خالقاً بيده ونافخاً بفيه إنما هو ليبين تلبُّسَه بالمعجزة، وأنها جاءت من قِبَله، وأَما الإِيجاد من العدم وخلق الحياة في ذلك الطين فمن الله تعالى وحده لا شريك له.

وقوله: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ معناه: بعلم منه تعالى أني أفعل ذلك، وتمكينٍ منه لي، وحقيقة الإِذن في الشيء هي العلم بأنه يفعل والتمكين من ذلك، فإِن اقترن بذلك قول فذلك أمكن في الإِذن وأبلغ، ويخرج من حدِّ الإِذن إلى حدّ الأمر، ولكن تجده أبداً في قسم الإِباحة، وتأمل قوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وقول النبي عليه السلام: «وإِذْنها صُماتها»(١).

وروي في قَصص / هذه الآية أن عيسى عليه السلام كان يقول لبني إسرائيل: [١/ ٢٢٠]
أيُّ الطير أشدّ خلقةً، وأصعبُ أن يحكى؟ فيقولون: الخفاش؛ لأنه طائر لا ريش له، فكان يصنع من الطين خفافيش ثم ينفخ فيها فتطير، وكل ذلك بحضرةِ الناسِ ومعاينتهم فكانوا يقولون: هذا ساحر.

قوله تعالى: ﴿...وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

و(أُبرِئ) معناهُ: أزيل المرض، يقال: برأ المريضُ، وأَبرأه غيره، ويقال: بَرِئَ المريضُ أيضاً كما يقال في الذَّنْب والدَّين.

(١) مسلم، أخرجه (١٤٢١) من حديث ابن عباس.

واختلف المفسرون في: ﴿ٱلْأَكْمَهَ﴾:

فقال مجاهد: الأكمه: هو الذي يبصر بالنهار، ولا يبصر بالليل.

وقال ابن عباس[١] والحسن والسدّي: الأكمه: الأعمى على الإطلاق.

وقال عكرمة: الأكمه: الأعمش[٢].

وحكى النقاش قولاً: إن الأكمه هو الأَبكم الذي لا يَفهم ولا يُفهم، الميت الفؤاد[٣].

وقال ابن عباس[٤] أيضاً وقتادة: الأكمه: الذي يولد أعمى مضموم العينين[٥].

قال القاضي أبو محمد: وقد كان عيسى عليه السلام يبرئ بدعائه وَمَسْحِ يده كلَّ علة فتشفى[٦]، ولكن الاحتجاج على بني إسرائيل في معنى النبوة لا يقوم إلا بالإِبراء من العلل التي لا يُبْرِئُ منها طبيبٌ بوجه، فليس يتخلص من هذه الأقوال في الأكمه إلا القول الأخير؛ إذ الأكمه في اللغة: هو الأعمى، وكمهت العين عمِيَت، ولولا ضبطُ اللغة لكان القول الذي حكى النقاشُ حسناً في معنى قيام الحجة به.

---

(١) لا يصح عن ابن عباس، أخرجه الطبري (٦/ ٤٢٩) من طريق: حجاج، عن ابن جريج قال، قال ابن عباس، به.وهومنقطع بين ابن جريج وابن عباس، ورواه ابن أبي حاتم (٢/ ٦٥٥) من طريق: حجاج، حدثني عثمان بن عطاء عن أبيه، عن ابن عباس، به.وعثمان ضعيف الحديث، وروى عن أبيه أحاديث منكرة.

(٢) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (٦/ ٤٢٩).

(٣) حكاه أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٦٥).

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٦/ ٤٢٨)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٥٥) من طريق: منجاب بن الحارث عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك، عن ابن عباس بهذا اللفظ إلى هنا.وبشر بن عمارة ضعيف، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.ووقع عند الطبري: «بشر عن عمارة»، وهو خطأ، أما زيادة «مضموم العين» فقد رواها الطبري (٦/ ٤٢٨) من قول قتادة.

(٥) انظر بقية الأقوال في: تفسير الطبري (٦/ ٤٢٨، ٤٢٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٥٥)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٢٠٩ و٢١٠)، والهداية لمكي (٢/ ١٠١٨)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٢٩٠)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٧١).

(٦) «فتشفى»: زيادة من الأصل والمطبوع.

و(الأبرص) معروف، وهو داء لا يُبرَأ منه إذا تمكَّن.

وروي في إحيائه الموتى أنه كان يضرب بعصاه الميت أو القبر أو الجمجمة، فيُحيي الإِنسان ويكلّمه، وروي أنه أحيا سام بن نوح عليه السلام[١].

وروي أن الذي كان يحييه كانت تدوم[٢] حياته، وروي أنه كان يعود لموته سريعاً، وفي قصص الإِحياء أحاديث كثيرة لا يوقف على صحّتها.

و«إِحياء الموتى»: هي آيته المعجزة المعرضة للتحدي، وهي بالمعنى متحدًّى بها وإِن كان لم ينصَّ على التحدي بها، وآيات عيسى عليه السلام إنما تجري فيما يعارض الطب؛ لأن علم الطب كان شرفَ الناس في ذلك الزمان وشغلهم، وحينئذ أثيرت فيه العجائب، فلما جاء عيسى عليه السلام بغرائبَ لا تقتضيها الأمزجة وأصول الطب، وذلك إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، علمت الأَطباء أن هذه القوة من عند الله، وهذا كأمر السَّحَرةِ مع موسى، والفصحاء مع محمد عليهما السلام.

ووقع في التواريخ المترجمة عن الأطباء أن جالينوس كان في زمن عيسى عليه السلام، وأنه رحل إليه من رومية إلى الشام ليلقاه، فمات في طريقه ذلك[٣].

واختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُم﴾ الآية:

فقال السدي وسعيد بن جبير وابن إِسحاق ومجاهد وعطاء: كان عيسى من لدن طفولته وهو في الكتَّاب يخبر الصبيانَ بما يفعل آباؤهم في منازلهم، وبما يؤكل من الطعام ويدخّر حتى قال بنو إسرائيل لأبنائهم: لا تخالطوا هذا الساحر، وكذلك إلى أن نُبِّئ، فكان يقول لكلِّ من سأله عن هذا المعنى: أكلتَ البارحة كذا، وادخرت كذا[٤].

(١) تفسير السمعاني (١/ ٣٢١).
(٢) في الحمزوية: «لا تدوم».
(٣) ذكر هذا القول ابن الجوزي في المنتظم (٢/ ٤).
(٤) تفسير الطبري (٦/ ٤٣٣)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٢٠٨).

قال ابن إسحاق: وكان معلمه يريدُ أن يعلمه الشيءَ، فيسبقه إليه عيسى، فيتعجّبُ معلمه من ذلك، ويذكره للناس[١].

وقال قتادة: معنى الآية إنما هو في نزول المائدة عليهم[٢]، وذلك أنها لما أنزلت أخذ عليهم عهداً أن يأكلوا ولا يخبئ أحد شيئاً ولا يدخره ويحمله إلى بيته، فخانوا وجعلوا يخبئون من ثمار الجنة وطعامها الذي كان ينزل على المائدة، فكان عيسى عليه السلام يخبر كلَّ أحد عما أكل وعما ادخر في بيته من ذلك، وعوقبوا على ذلك.

و(ما) في قوله: ﴿بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ تحتمل أن تكون بمعنى: «الذي»، وتحتمل المصدرية، وكذلك ﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾.

وقرأ الجمهور: ﴿تَدَّخِرُونَ﴾ بدال مشددة وخاء مكسورة، وهو «تَفتَعِلُون» من ذخرت، أصله: تذتخرون، استثقل النطق بالذال والتاء؛ لتقاربهما في المخرج، فأبدلت التاء دالاً، وأُدغمت الذال في الدال، كما صنع في مدَّكِر ومطَّلِع، بمعنى: مضطلع وغير ذلك، نحو قول الشاعر:

[البسيط] إنّ الكَرِيـمَ الَّـذِي يُعْطِيـكَ نَائِلَهُ عَفْـواً وَيُظْلَـمُ أَحْيَانـاً فَيَطَّلِـمُ[٣]

بالطاء غير منقوطة.

وقرأ الزهري ومجاهد وأيوب السختياني وأبو السمال: (تَدْخَرُونَ) بدال ساكنة، وخاء مفتوحة[٤].

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٤٣٣) تفسير ابن المنذر (١/ ٢٠٥).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٤٣٥) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٥٦)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٢١٠)

(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى كما في الكتاب لسيبويه (٤/ ٤٦٨)، والشعر والشعراء (١/ ١٤١)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٢٨)، ومجاز القرآن (١/ ١٦٧)، والعين (٨/ ١٦٣)، وسر صناعة الإعراب (١/ ٢٣٠)، وذكر فيه أربعة أوجه.

(٤) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها لمجاهد والزهري في: مختصر الشواذ (ص: ٢٧)، وللباقيين في الشواذ للكرماني (ص: ١١٣).

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر من الإحياء والإبراء والإنباء.

وفي مصحف ابن مسعود: (لَآياتٍ) على الجمع[(١)].

وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ توقيف، والمعنى: لآيات نافعة هادية إن آمنتم وأبصرتم، وإلا فليست بنافعة ولا هادية، فأما كونها آياتٍ فعلى كل حال آمنوا أو كفروا، هذا كله على أنَّ المخاطبة لمن لم يؤمن بعدُ، وهو ظاهر حاله مع بني إسرائيل، وإن كان خطابه لمؤمنين، أو كما[(٢)] كانوا مؤمنين بموسى، فمعنى الآية: التثبيتُ وهزّ النفس، كما تقول لإنسان تقيمُ نفسَه إلى شيء: أما أنت يا فلان يلزمك أن تفعل كذا وكذا إن كنت من الرجال.

قوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾.

قوله: (مصدقاً) حال معطوفة على قوله: ﴿إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ﴾؛ لأن قوله: ﴿بِآيَةٍ﴾[(٣)] في موضع الحال، وكان عيسى عليه السلام مصدقاً للتوراة، متبعاً لها، عاملاً بما فيها.

قال وهب بن منبه: كان يسبِتُ، ويستقبل بيتَ المقدس.

وقال قتادة في تفسير قوله: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾: كان الذي جاء به عيسى ألينَ[(٤)] من الذي جاء به موسى، وقال ابن جريج: أحلَّ لهم لحوم الإبل والشحوم / ، قال الربيع: وأشياء من السمك، ومما[(٥)] لا صِئْصِئَةَ[(٦)] له من الطير. [١/ ٢٢١]

(١) وهي قراءة شاذة، وقد تقدم مثلها له مكرراً.

(٢) في المطبوع: «لما»، وقال في حاشيته: لعل الصواب: «أو لمن».

(٣) «بآية»: ليست في المطبوع.

(٤) في هامش جار الله: «أكبر»، وعليها علامة «خ».

(٥) في المطبوع: «وما».

(٦) صِئْصِئة الديك: مخلبه في ساقه، وفي نور العثمانية: «ضئضئة».

وكان في التوراة محرماتٌ تركها شرع عيسى على حالها، فلفظة البعض على هذا متمكِّنة، وقال أبو عبيدة: البعض في هذه الآية بمعنى الكلّ[(١)]، وخطّأه الناسُ في هذه المقالة، وأنشد[(٢)] أبو عبيدة شاهداً على قوله بيتَ لبيد:

[الكامل] تَـرَّاكُ أمْـكِـنَـةٍ إذَا لَـمْ أرْضَـهَـا أوْ يخترمْ بَعْضَ النُّفوسِ حِمامُها[(٣)]

وليس في البيت له حجة؛ لأن لبيداً أراد نفسه فهو تبعيضٌ صحيح.

وذهب بعض المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ إشارة إلى ما حرمه الأحبار بعد موسى وشرعوه، فكأن عيسى ردَّ أحكام التوراة إلى حقائقها التي نزلت من عند الله تعالى[(٤)].

وقرأ عكرمة: (حَرَّم عليكُم) بفتح الحاء والراء المشددة[(٥)]، وإِسناد الفعل إلى الله تعالى أو إلى موسى عليه السلام.

وقرأ الجمهور: ﴿وَجِئْتُكُم بِءَايَةٍ﴾.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (وجِئْتُكُم بآياتٍ مِن رَبِّكم)[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ تحذير ودعاء إلى الله تعالى.

وقرأ جمهور الناس: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ بكسر الألف على استئناف الخبر، وقرأه قوم: (أَنَّ اللهَ ربِّي ورَبُّكُم) بفتح الألف[(٧)].

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٩٤).

(٢) في أحمد٣ وجار الله: «أبدى» مع الإشارة إلى النسخة الأخرى.

(٣) انظر نسبته له في مجاز القرآن (١/ ٩٤)، وتفسير الطبري (٢١/ ٦٣٥)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤١٥)، وجمهرة اللغة (١/ ٣٥٣)، والشعر والشعراء (١/ ٩٩)، والعقد الفريد (٦/ ٢٠٣)، والرواية في مجاز القرآن وأكثر المصادر: «أو يعتلق».

(٤) الهداية لمكي (٢/ ١٠٢٣).

(٥) وهي قراءة شاذة. انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٤٩٠).

(٦) وهي قراءة شاذة. انظر: مختصر الشواذ (ص: ٢٧).

(٧) وهي قراءة شاذة. انظر: تفسير الطبري (٦/ ٤٤١).

قال الطبري: ﴿أَنَّ﴾ بدل من (آيةٍ) في قوله: ﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ﴾[(١)]، وفي هذا ضعف، وإنما التقدير: أطيعوني؛ لأن الله ربي وربكم، [أو يكون المعنى: لأن الله ربي وربكم فاعبدوه.

وقوله: ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ إشارة إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾][(٢)]؛ لأن ألفاظه جمعت الإيمان والطاعات، والصراط: الطريق، والمستقيم: الذي لا اعوجاج فيه.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

قبل هذه الآية متروك، به يتم اتساق الآيات، تقديره: فجاء عيسى عليه السلام كما بشَّر الله به، فقال جميعَ ما ذكر لبني إسرائيل ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾.

ومعنى ﴿أَحَسَّ﴾: علِمَ من جهة الحواسِّ بما سمع من أقوالهم في تكذيبه، ورأى من قرائن الأحوال وشدة العداوة والإعراض، يقال: أحسستُ بالشيء وحسَّيْتُ به، أصله: حسَسْتُ، فأبدلت إحدى السينين ياء.

و﴿الْكُفْرَ﴾ هو التكذيب به، وروي: أنه رأى منهم إرادة قتله، فحينئذ طلب النصر، والضمير في ﴿مِنْهُمُ﴾ لبني إسرائيل[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ عبارة عن حال عيسى عليه السلام في طلبه مَن يقوم بالدِّين، ويؤمن بالشرع ويحميه، كما كان محمد ﷺ يعرضُ نفسه على القبائل،

(١) تفسير الطبري (٦/ ٤٤٢).
(٢) ليس في أحمد٣.
(٣) تفسير الطبري (٦/ ٤٤٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٥٩)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٢١٤).

ويتعرض للأحياء في المواسم، وهذه الأفعال كلها وما فيها من أقوال يعبر عنها، بـ﴿قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾، ولا شكَّ أن هذه الألفاظ كانت في جملة أقواله للناس.

والأنصار: جمع نصير، كشهيد وأَشهاد وغير ذلك، وقيل: جمع ناصر، كصاحب وأصحاب.

وقوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ يحتمل معنيين: أَحدهما: من ينصرني في السبيل إلى الله؟ فتكون ﴿إِلَى﴾ دالة على الغاية دلالة ظاهرة على بابها.

والمعنى الثاني: أن يكون التقدير: من يضيف نصرته إلى نصرة الله لي؟ فيكون بمنزلة قوله: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ﴾ [النساء: ٢]، فإِذا تأملتها وجدت فيها معنى الغاية؛ لأنها تضمنت إضافة شيء إلى شيء.

وقد عبر عنها ابن جريج والسدي بأنها بمعنى: «مع»[(١)]، ونعَم؛ إِن «مع» تسدُّ في هذه المعاني مسدَّ (إلى)، لكن ليس يباح من هذا أن يقال: إن ﴿إِلَىٰٓ﴾ بمعنى: (مع)، [حتى غلط في ذلك بعض الفقهاء في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦]، فقال: ﴿إِلَى﴾ بمعنى: (مع)[(٢)]][(٣)]، وهذه عجمة، بل﴿إِلَى﴾ في هذه الآية غاية مجردة، وينظر هل يدخل ما بعد ﴿إِلَى﴾ فيما قبلها من طريق آخر.

و ﴿ٱلۡحَوَارِيُّونَ﴾ قوم مرَّ بهم عيسى عليه السلام فدعاهم إلى نصره واتباع ملته، فأجابوه وقاموا بذلك خيرَ قيامٍ، وصبروا في ذات الله، وروي: أنه مرَّ بهم وهم يصطادون السمك[(٤)].

واختلف الناس لم قيل لهم: الحواريون؟:

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٤٤٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٥٩)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٢١٥).

(٢) منهم عطاء والشافعي وإسحاق بن راهويه، انظر: الأوسط لابن المنذر (٢/ ٣٥).

(٣) ليس في فيض الله.

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٤٤٥)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٧٥)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٢٩).

فقال سعيد بن جبير: سُمُّوا بذلك؛ لبياض ثيابهم ونقائها[١].

وقال أبو أَرْطَـأَةَ[٢]: سُمُّوا بذلك لأنهم كانوا قصَّارين يحورون الثياب؛ أي: يُبَيِّضونها.

وقال قتادة: الحواريون: أصفياء الأنبياء، الذين تصلح لهم الخلافة. وقال الضحاك نحوه[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا تقرير حال القوم، وليس بتفسير اللفظة، [وعلى هذا الحد شبه النبي ﷺ ابن عمته بهم في قوله: «وحواريَّ الزبيرُ»[٤].

والأقوال الأولى هي تفسير اللفظ][٥]؛ إذ هي من الحور، وهو البياض، حورت الثوب: بيضته، ومنه الحواري، وقد تسمي العرب النساءَ الساكنات في الأمصار: الحواريات؛ لغلبة البياضِ عليهن، ومنه قول أبي جلدةَ اليَشكُرِيِّ[٦]:

فقـلْ للحَواريّـات يبكيـنَ غيرنَا ... ولا تَبْكِنَا إلا الكِلابُ النوابحُ[٧] [الطويل]

---

(١) في السليمانية: «نظافتها».

(٢) هو حَجَّاج بن أرطاة بن ثور بن هُبَيرة، أبو أرطأة النخعي الكوفي، أحد الأئمة الأعلام، على لين في حديثه، روى عن عكرمة ومكحول وخلق سواهم، وعنه شعبة وسفيان والحمادان وابن المبارك، مات سنة (١٤٥هـ) تقريباً. تاريخ الإسلام (٩/ ١٠٠).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٤٤٥، ٤٥٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٥٩)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٧٦)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٢٩).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٨٤٦) (٢٩٩٧) (٧٢٦١)، ومسلم (٢٤١٥) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٥) ليس في السليمانية.

(٦) في الأصل، وجار الله وأحمد٣: «ابن جلدة»، وهو أبو جلدة بن عبيد بن منقذ من بني يشكر من بكر ابن وائل، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، ومن ساكني الكوفة، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج. الأغاني (١١/ ٣١١)، والشعر والشعراء (٢/ ٧٢٣).

(٧) انظر عزوه له في الأغاني (١١/ ٣١٢)، وتفسير الطبري (٦/ ٤٥١)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤١٧).

وذكر مكي: أن مريم دفعت عيسى عليه السلام في صغره في أعمال شتى، وكان آخر ما دفعته إلى الحواريين، وهم الذين يقصرون الثياب ثم يصبغونها، فأراهم آياتٍ، وصبغ لهم ألواناً شتَّى من ماء واحد(١).

وقرأ جمهور الناس: ﴿ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ بتشديد الياء، «واحدهم»(٢): «حواريٌّ»، وليست بياء نسب، وإِنَّما هي كياء كرسيّ.

وقرأ إبراهيم النَّخَعي وأبو بكر الثقفي(٣): (الحَوارِيُونَ) مخففة الياء في جميع القرآن(٤).

قال أبو الفتح: العرب تعاف ضمة الياء الخفيفة المكسور ما قبلها، وتمتنع منها، ومتى جاءت في نحو قولهم: العاديُون والقاضيُون والساعيُون ونحوه أُعِلَّت بأن تستثقل الضمة فتسكن الياء وتنقل حركتها، ثم تحذف لسكونها وسكون الواو(٥) بعدها، فيجيء العادون ونحوه، فكان يجب على هذا أن يقال: الحَوارُونَ، لكن وجه القراءة على ضعفها أن الياء خُفِّفت استثقالاً لتضعيفها، وحملت الضمةَ دلالة على أن التشديد مراد؛ إذ التشديد محتمل للضمة، وهذا كما ذهب أبو الحسن في تخفيف (يَستهزِيُون)، إلى أن أخلص الهمزةَ ياءً ألبتَّةَ، وحملها الضمة تذكراً لحالِ الهمزة المرادة فيها(٦).

[١/ ٢٢٢] وقول الحواريين: ﴿وَٱشْهَدْ﴾ يحتمل / أن يكون خطاباً لعيسى عليه السلام؛ أي:

---

(١) الهداية لمكي (٢/ ١٠٢٩).

(٢) في المطبوع: «وأحدهم».

(٣) أحمد بن حماد المنقي أبو بكر الثقفي البغدادي، صاحب المشطاح، كان حاذقاً في رواية أحمد ابن يزيد الحلواني عن قالون، قرأ على الحسن بن العباس ومحمد بن علي البزاز، وأخذ عنه عرضاً محمد بن أحمد الشنبوذي وأبو بكر الشذائي، غاية النهاية (١/ ٥١).

(٤) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها لهما في: المحتسب لابن جني (١/ ١٦٢).

(٥) في نور العثمانية: «الياء»، وهو خطأ، والمثبت هو الموافق لما في المحتسب.

(٦) المحتسب لابن جني (١/ ١٦٢) بالمعنى وانظر كلام أبي الحسن الأخفش في: معاني القرآن للأخفش (١/ ٤٩).

اشهد لنا عند الله، ويحتمل أن يكون خطاباً لله تعالى كما تقول: أنا أُشهِدُ اللهَ على كذا، إذا عزمتَ وبالغت في الالتزام، ومنه قول النبي عليه السلام في حجة الوداع: «اللهُمَّ اشهد»(١).

قال الطبري: وفي هذه الآية توبيخ لنصارى نجران؛ أي: هذه مقالة الأسلاف المؤمنين بعيسى، لا ما تقولونه أنتم يا مَن يدَّعي له الألوهية(٢).

وقوله: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ يريدون في الإِنجيل، وآيات عيسى.

و﴿ٱلرَّسُولَ﴾: عيسى عليه السلام.

وقولهم: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ عبارة عن الرغبة في أن يكونوا عنده في عِداد من شهد بالحق من مؤمني الأمم، ولما كان البشر يقيِّد ما يحتاج إلى علمه وتحقُّقِه في ثاني حالٍ بالكتاب، عبروا عن فعل الله بهم ذلك.

وقال ابن عباس: قولهم: ﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ معناه: اجعلنا من أمة محمد ﷺ في أن نكون ممن يشهد على الناس(٣).

ثم أخبر تعالى عن بني إسرائيل الكافرين بعيسى، فقال: ﴿وَمَكَرُواْ﴾ يريد تحيلهم في أخذ عيسى للقتل بزعمهم.

ويروى: أنهم تحيَّلوا له، وأذكَوا عليه العيون، حتى دخل هو والحواريون بيتاً، فأخذوهم فيه(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٤٢) (٤٤٠٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٤٥٢، ٤٥٣).

(٣) في إسناديه كلام، وبغير هذا اللفظ، أخرجه الطبري (١٠/ ٥٠٩) من طريق: سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، قال: أمة محمد ﷺ، وفي لفظ آخر: قال: محمد ﷺ وأمته، إنهم شهدوا أنه قد بلغ، وشهدوا أن الرسل قد بلَّغت، ومن طريق: معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، يعنون بـ﴿ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ محمداً ﷺ وأمته. وكلاهما فيه كلام سبق التنبيه عليه. لكن ليس فيه اللفظ الذي ذكره المصنف.

(٤) تفسير السمعاني (١/ ٣٢٣).

فهذا مكر بني إسرائيل، فجازاهم الله تعالى بأن طرح شبه عيسى على أحدِ الحواريين ورفع عيسى، وأعقب بني إسرائيل مذلةً وهواناً في الدنيا والآخرة.

فهذه العقوبة هي التي سماها الله مكراً في قوله: ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾.

وذلك مهيعٌ أن تُسَمَّى العقوبةُ باسم الذنب وإن لم تكن في معناه، وعلى هذا فسر جمهور المفسرين الآية[١]، وعلى أن عيسى قال للحواريين: «مَن يصبر فيُلقَى عليه شبهي فيقتل، وله الجنة؟»، فقال أحدهم: أنا، فكان ذلك[٢].

وروى قوم: أن بني إسرائيل دسَّتْ يهودياً جاسوساً على عيسى حتى صحبه ودلَّهم عليه، ودخل معه البيت، فلما أحيط بهم ألقى الله شبه عيسى على ذلك[٣] اليهودي فأُخذ وصلب[٤]، فهذا معنى قوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾، وهذه أيضاً تسميةُ عقوبةٍ باسم الذنب. و«المكر» في اللغة: السعي على الإنسان دون أن يظهر له ذلك، بل أن يُبْطِنَ الماكرُ ضدَّ ما يبدي.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ معناه: في أنه فاعل حقٍّ في ذلك، والماكر من البشر فاعل باطلٍ في الأغلب؛ لأنه في الأباطيل يحتاج إلى التحيل، والله سبحانه أشد بطشاً، وأنفذ إرادة، فهو خير من جهات لا تحصى، لا إله إلا هو.

وذكرُ حَصرِ عيسى عليه السلام، وعدَّةِ أصحابه، وأمر الشبه، وغير ذلك من أمره سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٤٥٤).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٤٥٤)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٢٢٠).

(٣) في المطبوع هنا زيادة: «الرجل»، وليست في شيء من النسخ الخطية.

(٤) الهداية لمكي (٢/ ١٠٣١).

بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

قال الطبري: العامل في ﴿إِذْ﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾[(١)].

وقال غيره من النحاة: العامل فعلٌ مضمر تقديره: اذكر.

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو الأصوب.

وهذا القول هو بواسطة الملَك؛ لأن عيسى ليس بمكلَّم.

و(عيسى): اسم أعجميّ معرَّب، فلذلك لا ينصرف، وهو بالسريانية (إيسوع)، عدلته العرب إلى عيسى.

واختلف المفسرون في هذا التوفي:

فقال الربيع: (هي وفاة نوم)، رفعه الله في منامه.

وقال الحسن وابن جريج ومطر الوراق[(٢)]، ومحمد بن جعفر بن الزبير وجماعة من العلماء: المعنى: إني قابضك من الأرض ومحصِّلك[(٣)] في السماء، فهو توفي قبض وتحصيل[(٤)].

وقال ابن عباس: هي وفاة موت، معناه: إني مميتك[(٥)].

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٤٥٥-٤٥٨)

(٢) هو مطر بن طهمان الوراق، أَبو رجاءٍ الخراساني السلمي، مولى عِلباء اليَشكُري، سكن البصرة، وروى عن أَنس وعِكرمة وعطاءٍ وحميد بن هلال وغيرهم، صالح ليس بالقوي، توفي سنة (١٢٩هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٢٦٨).

(٣) في الأصل ونور العثمانية وفيض الله والحمزوية والسليمانية: «ومخلصك» وهي أوضح في المعنى لكن قوله: «وتحصيل» يرجح المثبت وهو من أحمد٣ وجار الله والمطبوع.

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٤٥٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٦١).

(٥) تفسير الطبري (٦/ ٤٥٧) من طريق: معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾، يقول: إني مميتك.

هذا لفظ ابن عباس ولم يفسر، فقال وهب بن منبِّه: توفّاه الله بالموت ثلاث ساعات، ورفعه فيها، ثم أحياه الله[١] بعد ذلك عنده في السماء[٢]، وفي بعض الكتب: سبع ساعات.

وقال الفراء: هي وفاة موت، ولكن المعنى: إِني متوفيك في آخر أمرك عند نزولك، وقتلك الدجالَ[٣]، ففي الكلام تقديم وتأخير، [وقال مالك في «جامع العتبية»: مات عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة[٤]][٥].

ووقع في كتاب مكي عن قوم: إن معنى ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ متقبِّلٌ عملَك[٦]، وهذا ضعيف من جهة اللفظ.

وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى عليه السلام في السماء حي[٧]، وأنه ينزل في آخر الزمان فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويقتل الدجال، ويفيض العدل ويظهر هذه الملة، ملة محمد ﷺ، ويحج البيت ويعتمر[٨]، ويبقى في الأرض أربعاً وعشرين سنة، وقيل: أربعين سنة، ثم يميته الله تعالى[٩].

---

(١) لفظ الجلالة ليس في أحمد٣ وجار الله.

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٤٥٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٦١)، وتفسير السمعاني (١/ ٣٢٤)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٣٣).

(٣) معاني القرآن للفراء (١/ ٢١٩)، وجعله أحد وجهين.

(٤) البيان والتحصيل (١٨/ ٤٤٨).

(٥) ما بين المعكوفتين زيادة من المطبوع ومن نور العثمانية، وليست فيها: «ثلاث»، ومن أحمد٣ وجار الله أيضاً، وفيهما بدل ثلاث بياض، وفي هامشهما: كذا وجد، وهو ليس في النسخ الأخرى، والكلام في العتبية، مع شرحها البيان والتحصيل (١٨/ ٤٤٨)، قال ابن رشد: معناه خرج من الدنيا ورفع إلى الله عز وجل وهو في هذا السن.

(٦) الهداية لمكي (٢/ ١٠٣٣).

(٧) هو حديث المعراج المشهور.

(٨) انظر صحيح البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥) (٢٨٩٧).

(٩) في إسناده جهالة، أخرجه بنحوه أحمد (٢/ ٤٠٦)، وأبو داود (٤٣٢٤)، وابن حبان (٦٨٢٢)، =

قال القاضي أبو محمد: فقول ابن عباس رضي الله عنه: «هي وفاة موت» لا بد أن يتم إما على قول وهب بن منبه، وإما على قول الفراء.

وقوله تعالى: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ عبارة عن نقله من سفل إلى علو، وقوله: ﴿إِلَيَّ﴾ إضافة تشريف لما كانت سماءه والجهة المكرمة المعظمة المهيبة المرجوة[(١)]، وإلا فمعلوم أن الله تعالى غير متحيز في جهة[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ حقيقة التطهير إنما هي من دنَس ونحوه، واستعمل ذلك في السب والدعاوى والآثام وخلطة الأشرار ومعاشرتهم، تشبيهاً لذلك كله بالأدناس، فطهر الله العظيم عيسى من دعاوى الكفرة ومعاشرتهم القبيحة له.

وقوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ﴾ اسم فاعل للاستقبال، وحذف تنوينه تخفيفاً، وهو متعدٍّ إلى مفعولين؛ لأنه بمعنى: مُصَيِّر، فأحدهما ﴿الَّذِينَ﴾، والآخر في قوله: ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

وقال ابن زيد: (اللذين اتبعهوه) هم النصارى، و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم اليهود[(٣)]، والآية مخبرة عن إِذلال اليهود وعقوبتهم بأن النصارى فوقهم في جميع أقطار الأرض إلى يوم القيامة.

قال القاضي أبو محمد: فخصص ابن زيد المتبعين والكافرين، وجعله حكماً دنيوياً، لا فضيلة فيه للمتبعين الكفار منهم، بل كونهم فوق اليهود عقوبة لليهود فقط، وقال جمهور المفسرين بعموم اللفظ في المتبعين / ، فيدخل في ذلك أمة محمد ﷺ؛ لأنها [١/ ٢٢٣]
متبعة لعيسى، نصَّ على ذلك قتادة وغيره، وكذلك قالوا بعموم اللفظ في الكافرين[(٤)].

= والحاكم (٢/ ٦٥١) وغيرهما من طريق: قتادة عن عبد الرحمن بن آدم، عن أبي هريرة به مرفوعاً. وعبد الرحمن لم يعرفه ابن معين.

(١) «المرجوة» ليست في الأصل، و«المهيبة» ليست في المطبوع، وفي الأصل بدلها: «المهيأة»، وفي الحمزوية: «المعينة».

(٢) تقدم التعليق على نحو هذا في سورة البقرة الآية (٢٥٥).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٤٦٣)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٨٣).

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٤٦٢، ٤٦٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٦٢)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٨٣).

فمقتضى الآية إعلام عيسى عليه السلام أن أهل الإِيمان به كما يجب هم فوق الذين كفروا بالحجة والبرهان وبالعزة والغلبة، ويظهر من عبارة ابن جريج وغيره أن المراد المتبعون له في وقت استنصاره وهم الحواريون، جعلهم الله فوق الكافرين؛ لأنه شرَّفهم وأبقى لهم في الصالحين ذكراً، فهم فوقهم بالحجةِ والبرهان، وما ظهر عليهم من أَمارات رضوان الله.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ الخطاب لعيسى، والمراد الإِخبار بالقيامة والحشر، فلذلك جاء اللفظ عامّاً من حيث الأمر في نفسه لا يخص عيسى وحده، فكأنه قال له: ثم إليّ؛ أي: إلى حكمي وعدلي يرجع الناس، فخاطبه كما تخاطَبُ الجماعة؛ إذ هو أحدها، وإذ هي مرادة في المعنى.

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَحْكُمُ﴾ إلى آخر الآية، وعدٌ لعيسى والمؤمنين، ووعيد للكافرين.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الآية، إخبار بما يجعل عليه حالهم من أول أمرهم، وليس بإخبار عما يفعل بعد يوم القيامة؛ لأنه قد ذكر الدنيا وهي قبل، وإِنما المعنى: فأما الكافرون فالصنعُ بهم أَنهم يعذبون عذاباً شديداً في الدنيا بالأسر والقتل والجزية والذل، ومن لم ينله منهم فهو تحت خوفه؛ إذ يعلم أن شرع الإِسلام طالبٌ له بذلك، وقد أبرز الوجود هذا.

وفي الآخرة معناه: بعذاب النار.

ثم ذكر قسم الإِيمان وقرن به الأعمال الصالحات تنبيهاً على درجة الكمال ودعاءً إليها.

وقرأ حفص عن عاصم: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ﴾ بالياء على الغيبة، والفعل مسند إلى الله تعالى.

وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم: ﴿فَنُوَفِّيهم﴾ بالنون، وهي نون العظمة[1].

---

(١) وكلاهما سبعية. انظر: السبعة (ص: ٢٠٦)، والتيسير للداني (ص: ٨٨).

وتوفية الأجور هي قسم المنازل في الجنة فذلك هو بحسب الأَعمال، وأما نفس دخول الجنة فبرحمة الله وبفضله.

وتقدم نظير قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في قوله قبلُ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ رفع بالابتداء، والإِشارة به إلى ما تقدم من الأَنباء.

و﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ خبر ابتداء، وقوله: ﴿مِنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ لبيان الجنس، ويجوز أن تكون للتبعيض، ويصح أن يكون: ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ حالاً، ويكون الخبر في قوله: ﴿مِنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾، وعلى قول الكوفيين يكون قوله: ﴿نَتْلُوهُ﴾ صلةً لذلك، على حدّ قولهم في بيت ابن مفرغ الحميري:

.... وهـذَا تَـحْمِـلِـينَ طَـلِـيقُ[1] [الطويل]

ويكون الخبر في قوله: ﴿مِنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾.

وقول البصريين في البيت: إن «تحملين» حال، التقدير: وهذا محمولاً.

و﴿نَتْلُوهُ﴾ معناه: نسرُدُه، و﴿مِنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ ظاهره آيات القرآن، ويحتمل أن يريد بقوله: ﴿مِنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ مِن المعجزات والمستغربات أن تأتيهم بهذه الغيوب من قِبلنا[2]، وبسبب تلاوتنا وأنت أمّي لا تقرأ، ولستَ ممن صحبَ أهل الكتاب. فالمعنى: إنها آيات

(١) تقدم عزو البيت له في تفسير الآية (٨٥) من سورة البقرة.

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٤٦٦).

لنبوتك، وهذا الاحتمال إنما يتمكَّنُ مع كون ﴿نَتۡلُوهُ﴾ حالاً.

و(الذِّكر) ما ينزل من عند الله، ﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾ يجوز أن يتأول بمعنى المُحْكَم، وهو «فَعِيل» بمعنى: مفعول، ويحتمل أن يتأول بمعنى مصرِّح بالحكمة، فيكون بناءَ اسم فاعل.

قال ابن عباس: (الذِّكر): القرآن، و﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾: الذي قد كمل في حكمته(١).

وذكر ابن عباس وقتادة وعكرمة والسدي وغيرهم، قالوا: سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ﴾ الآية أن وفد نصارى نجران جادلوا النبي ﷺ في أمر عيسى وقالوا: بلغَنا أَنك تشتم صاحبنا، وتقول: هو عبد، فقال النبي ﷺ: وما يضر ذلك عيسى؟ أجل هو عبد الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، فقالوا: فهل رأيت بشراً قط جاء من غير فحل، أو سمعت به؟ وخرجوا من عند النبي فأنزل الله عليه هذه الآية(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ﴾ عبَّر عنه بعض الناس بأَنه(٣) صفة عيسى، وقرنوا ذلك بقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الرعد: ٣٥] قالوا: معناه: صفة الجنة(٤).

قال الإمام أبو محمد: وهذا عندي ضعف في فهم معنى الكلام، وإِنما المعنى: إِن المثل الذي تتصوره النفوس والعقول من عيسى هو كالمتصور من آدم؛ إذ الناس كلهم مُجمِعون على أَن الله تعالى خلقه(٥) من تراب من غير فحل، وكذلك مثل الجنة عبارة عن المتصوَّر منها.

وفي هذه الآية صحة القياس؛ أي: إذا تُصُوِّرَ أمر آدم؛ قيس عليه جوازُ أمر عيسى عليه السلام.

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ٤٦٧) من طريق: معاوية بن صالح، عن علي، عن ابن عباس.
(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٤٦٨) بنحوه بإسناده إلى عطية العوفي عن ابن عباس، وهو إسناد لا تقوم به الحجة.
(٣) في السليمانية وفيض الله: «بأن» دون هاء.
(٤) تفسير السمعاني (١/ ٣٢٦).
(٥) في جار الله وأحمد٣: «خلق خلقه».

والكاف في قوله: ﴿كَمَثَلِ﴾ اسم على ما ذكرناه من المعنى، وقوله: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ عبارة عن الحق في نفسه؛ أي: هكذا هو الأمر فيما غاب عنكم.

وقوله: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ تفسير لمثَل آدم الذي ينبغي أن يُتصوَّر، والمثل والمثال والمثل[1] بمعنى واحد، ولا يجوز أن يكون ﴿خَلَقَهُۥ﴾ صلةً لآدم، ولا حالاً منه، قال الزجّاج: إذ الماضي لا يكون حالاً أنت فيها، بل هو كلام مقطوع منه، مضمنه تفسير المثل[2].

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ قَالَ﴾ ترتيب للأخبار لمحمد ﷺ، المعنى: خلقه من تراب ثم كان من أمره في الأزل أن قال له: كن وقت كذا، وعلى مذهب أبي علي الفارسي في أن القول مجازي[3]، مثل (وقال: قطني)، وأَن هذه الآية عبارة عن التكوين، فـ﴿ثُمَّ﴾ على بابها في ترتيب الأمرين المذكورين.

[١/ ٢٢٤] وقراءة الجمهور: ﴿فَيَكُونُ﴾ / بالرفع على معنى: فهو يكون، وقرأ ابن عامر: (فيكونَ) بالنصب[4]، وهي قراءة ضعيفة الوجه، وقد تقدم توجيهها آنفاً في مخاطبة مريم.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ رفع على الابتداء، وخبره فيما يتعلق به قوله: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾، أو الحق ذلك، أو ما قلنا لك، ويجوز أن يكون خبرَ ابتداء، تقديره: هذا الحق.

و﴿ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ هم الشاكُّون، و«المِرية»: الشك.

---

(١) ليس في المطبوع وجار الله.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٢).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٢٠٣).

(٤) وهي قراءة شاذة. ذكرها ابن مجاهد (ص: ٢٠٦)، وعزاها الكرماني (ص: ١١٤) لرواية الوليد بن مسلم، ولم ترد هذه القراءة من طريق كتب الشاطبية والتيسير والنشر، بل صرحوا بأنه مستثنى من الخلاف. انظر: النشر (٢/ ٢٥١).

ونُهي النبي ﷺ في عبارة اقتضت ذمَّ الممترين، وهذا يدل على أن المراد بالامتراء غيره، ولو قيل: فلا تكنْ ممترياً لكانت هذه الدلالة أقل، ولو قيل: فلا تمترِ لكانت أقل.

ونُهي عليه السلام عن الامتراء مع بعده عنه على جهة التثبيت والدوام على حاله.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ﴾ معناه: جادلك ونازعك الحجة، والضمير في قوله تعالى: ﴿فِيهِ﴾ يحتمل أن يعود على عيسى، ويحتمل أن يعود على الحق[(١)].

و﴿ٱلۡعِلۡمِ﴾ الذي أشير إليه بالمجيء هو ما تضمنته هذه الآيات المتقدمة من أمر عيسى.

وقوله تعالى: ﴿فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ﴾ الآية، استدعاء المباهلة، و﴿تَعَالَوۡاْ﴾: تفاعَلُوا، من العلو، وهي كلمة قصد بها أولاً تحسين الأدب مع المدعوّ، ثم اطردت حتى يقولها الإِنسان لعدوه، وللبهيمة ونحو ذلك.

و﴿نَبۡتَهِلۡ﴾ معناه: نلتعن، ويقال: عليهم بَهْلة الله بمعنى: اللعنة.

و«الابتهال»: الجِدُّ في الدعاء بالبَهْلة.

وروي في قصص هذه الآية: أنها نزلت بسبب محاجّة نصارى نجران في عيسى عليه السلام وقولهم: هو الله، وكانوا يكثرون الجدال، وقد روى عبد الله بن الحارث [بن جزء السوائي][(٢)] عن النبي ﷺ أنه قال: «ليت بيني وبين أهل نجران حجاباً، فلا أراهم ولا يروني» لشدة ما كانوا يمارون، فلما قرأ النبي ﷺ الآية دعاهم إلى ذلك[(٣)].

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٤٧٣، ٤٧٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٦٦)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٣٧).

(٢) ليست في السليمانية، وفي فيض الله: «السواري»، وهو عبد الله بن الحارث بن جزءٍ بن عبد الله الزبيدي، حليف أَبي وداعة السهمي، له صحبة، سكن مصر، رَوَى عن النبي ﷺ أحاديث، وهو آخر من مات بمصر من الصحابة وذلك سنة: (٨٦هـ) الإصابة (٤/ ٤١).

(٣) ضعيف، أخرجه ابن عبدالحكم في فتوح مصر (ص: ٣٠١)، والطبري (٦/ ٤٧٥)، والبزار (٩/ ٢٤٤)، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف.

فروى الشعبي وغيره: أنهم وعدوه بالغد أَن يلاعنوه، فانطلقوا إلى السيد والعاقب فتابعاهم على أن يلاعنوا، فانطلقوا إلى رجلٍ آخر منهم عاقل فذكروا له ما صنعوا، فذمَّهم وقال لهم: إن كان نبياً ثم دعا عليكم هلكتم، وإِن كان ملكاً فظهر عليكم لم يُبق عليكم، قالوا: فكيف نصنع وقد واعدناه؟ قال: إذا غدوتم فدعاكم إلى ذلك فاستعيذوا بالله من ذلك، فعسى أن يُعفِيكم؛ فلما كان الغد غدا رسول الله ﷺ محتضناً حسيناً آخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، فدعاهم إلى الميعاد، فقالوا: نعوذ بالله، فأعاد فأعادوا التعوذ، فقال النبي ﷺ: «فإِن أبيتم فأسلموا، فإِن أبيتم فأعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، فإِن أبيتم فإِني أنبذ إليكم على سواء»، قالوا: لا طاقة لنا بحرب العرب، ولكنا نؤدي الجزية قال: فجعل عليهم كلَّ سنة ألفي حلة، ألفاً في رجب، وألفاً في صفر، وطلبوا منه رجلاً أميناً يحكم بينهم، فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح، وقال ﷺ: «لقد أتاني البشير بهلكة أهل نجران لو تموا على الملاعنة»[(١)].

وروى محمد بن جعفر بن الزبير وغيره: أن رسول الله ﷺ لما دعاهم قالوا: دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نفعل، فذهبوا إلى العاقب وهو ذو رأيهم فقالوا: يا عبد المسيح ما ترى؟ فقال: يا معشر النصارى، والله لقد عرفتم أن محمداً لنبيٌّ مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم عيسى، ولقد علمتم ما لاعن قومٌ قط نبياً فبقي كبيرهم، ولا نبت[(٢)] صغيرهم، وإِنه الاستئصال إن فعلتم، فإِن أبيتم إلا إِلف دينكم وما أنتم عليه من القول في صاحبكم؛ فوادِعُوا الرجل، وانصرفوا إلى بلادكم حتى يريكم الزمان رأيه، فأتوا النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا ألا نلاعنك، وأن نبقى[(٣)] على ديننا، وصالحوه على أموال، وقالوا له: ابعثْ معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء قد اختلفنا فيها من أموالنا، فإِنكم عندنا رضى[(٤)].

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ٤٧٨)، وهو مرسل.

(٢) في فيض الله: «شب».

(٣) في السليمانية: «لا نبقى».

(٤) أخرجه الطبري (٦/ ٤٧٩)، وهو معضل.

وروى السدي وغيره: أَن النبي ﷺ جاء هو وعلي وفاطمة والحسن والحسين، ودعاهم فأبوا وجزعوا، وقال لهم أحبارهم: إن فعلتم اضطرم الوادي عليكم ناراً، فصالحوا النبيّ ﷺ على ثمانين ألف درهم في العام، فما عجزت عنه الدراهم ففي العروض: الحلة بأربعين، وعلى أن عليهم ثلاثاً وثلاثين درعاً، وثلاثة وثلاثين بعيراً، وأربعاً وثلاثين فرساً عارية كلَّ سنة، ورسول الله ﷺ ضامن لذلك حتى يؤديها إليهم.

وقال رسول الله ﷺ: «لو لاعنوا لاستُؤصلوا من جديد الأرض»[١]، وقال أيضاً: «لو فعلوا لاضطرم عليهم الوادي ناراً»[٢].

وروى علباء بن أحمر اليشكري[٣] قال: لما نزلت هذه الآية أرسل محمد ﷺ إلى علي وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين ودعا اليهودَ لِيُلاعنهم، فقال شاب من اليهود: ويحَكُم، أليس عهدكم بالأمس بإِخوانكم الذين مسخوا قردة وخنازير؟ فلا تلاعنوا، فانتهوا[٤].

وفي هذه القصة اختلافات للرواة وعبارات تجري كلها في معنى ما ذكرناه، لكنا قصدنا الإِيجاز.

وفي ترك النصارى الملاعنة؛ لعلمهم بنبوة محمد ﷺ شاهدٌ عظيم على صحة نبوته ﷺ، وما روي من ذلك خير مما روى الشعبي من تقسيم ذلك الرجل العاقل فيهم أمر محمد بأنه إِما نبي وإِما ملك؛ لأن هذا نظر دنياوي، وما روى الرواة من أنهم تركوا الملاعنة لعلمهم بنبوته أَحجُّ لنا على سائر الكفرة، وأَليقُ بحالِ محمد ﷺ.

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ٤٨١) وهو مرسل على ضعفٍ في إسناده.

(٢) أخرجه الطبري (٦/ ٤٨١) أيضاً من طريق أسباط عن السدي بلفظ: «لو خرجوا لاحترقوا»، وهو مرسل.

(٣) هو علباءُ بن أحمر اليشكري البصري، أَحد القراء، له اختيار، روى عن أبي زيد عمرو بن أحطب رضي الله عنه، وعن عكرمة، وعنه: عزرة بن ثابت، وداود بن أبي الفرات، وحسين بن واقد المروزي، وثقه يحيى بن معين، توفي بعد المئة. تاريخ الإسلام (٧/ ١٨١).

(٤) أخرجه الطبري (٦/ ٤٨٢)، وهو معضل.

ودعاء النساء والأبناء للملاعنة أهزّ للنفوس، وأدعى لرحمة الله، أو لغضبه على المبطلين.

وظاهر الأمر أن النبيّ ﷺ جاءهم بما يخصه، ولو عزموا استدعى المؤمنين بأبنائهم ونسائهم، ويحتمل أنه كان يكتفي بنفسه وخاصته فقط.

/ قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾. [١/ ٢٢٥]

هذا خبر من الله تعالى جَزْمٌ مؤكدٌ فَصَلَ به بين المختصمين، والإشارةُ بـ﴿هَٰذَا﴾ هي إلى ما تقدَّم في أمر عيسى عليه السلام، قاله ابن عباس(١) وابن جريج وابن زيد وغيرهم(٢).

و﴿ٱلْقَصَصُ﴾ معناه: الإخبار، تقول: قص يقصّ قَصاً وقَصَصاً: إذا تتبع الأمر يخبر به شيئاً بعد شيء، قال قوم: هو مأخوذ من: قصّ الأَثَر.

وقوله: ﴿لَهُوَ﴾ يحتمل أن يكون فصلاً، ويحتمل أن يكون ابتداء.

و﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ إِلَٰهٍ﴾ مؤكِّدة بعد النفي، وهي التي يتم الكلام دونها لكنها تعطي معنى التأكيد.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وعيد.

واختلف المفسرون مَن المراد بقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟﴾؟ فقال قتادة: ذُكر لنا أن رسول الله ﷺ دعا يهودَ المدينة إلى الكلمة السواء، وهم الذين حاجّوا في إبراهيم، وقاله الربيع وابن جريج.

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ٤٧٧) عن العوفي عن ابن عباس، وإسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٤٧٧)، وفي نور العثمانية: «وابن ابن زيد».

وقال محمد بن جعفر بن الزبير: نزلت الآية في وفد نجران، وقاله السدي.

وقال ابن زيد: لما أبى أهلُ نجران ما دُعُوا إليه من الملاعنة، دعوا إلى أيسرَ من ذلك، وهي الكلمة السواء[١].

والذي يظهر لي أن الآية نزلت في وفد نجران، لكن لفظ (أهل الكتاب) يعمهم وسواهم من النصارى واليهود، فدعا النبيُّ ﷺ بعد ذلك يهودَ المدينة بالآية، وكذلك كتب بها إلى هرقل عظيم الروم[٢]، وكذلك ينبغي أن يُدْعَى بها أهل الكتاب إلى يوم القيامة.

وقرأ جمهور الناس: ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ بفتح الكاف وكسر اللام.

وقرأ أبو السمال: (كَلْمة) بفتح الكاف وسكون اللام، وروي عنه أنه قرأ: (كِلْمة) بكسر الكاف وسكون اللام[٣]، وذلك على إِلقاء حركة اللام على الكاف، كما قالوا في كَبِد: كِبْد بكسر الكاف وسكون الباء.

و«الكلمة» هنا عبارة عن الأَلفاظ التي تتضمن المعاني المدعو إليها، وهي ما فسره بعد ذلك بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ الآية، وهذا كما تسمي العرب القصيدة كلمة، وجمهور المفسرين على أن الكلمة هي ما فسر بعد، وقال أبو العالية: الكلمة السواء: لا إله إلا الله[٤].

قال القاضي أبو محمد: والقولان مجتمعان؛ لأن كل ما فسر ينطبق عليه معنى: لا إله إلا الله.

---

(١) انظر الأقوال في: تفسير الطبري (٦/ ٤٨٣، ٤٨٤)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٣٨).

(٢) صحيح البخاري (٤٥٥٣)، وصحيح ومسلم (١٧٧٣).

(٣) كلاهما شاذة، كسر اللام في الشواذ للكرماني (ص: ١١٤)، والفتح هو ظاهر مختصر الشواذ (ص: ٢٧)، وإن ضبطها المحقق بالكسر.

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٤٨٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٦٩).

وقوله تعالى: ﴿سَوَآءِۭ﴾ نعت للكلمة، قال قتادة والربيع وغيرهما: معناه: إلى كلمةٍ عدلٍ[١]، فهذا معنى السواء.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (إلى كلمةٍ عدلٍ بينَنَا وبيْنَكُم)[٢] كما فسر قتادة والربيع.

وقال بعض المفسرين: معناه: إلى كلمة قصد.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قريب في المعنى من الأول، والسواء والعدل والقصد مصادر وُصِفَ بها في هذه التقديرات كلها.

والذي أقوله في لفظة ﴿سَوَآءِۭ﴾ أنها ينبغي أن تفسَّر بتفسيرٍ خاصّ بها في هذا الموضع، وهو أنه دعاهم إلى معانٍ، جميعُ الناسِ فيها مستوون، صغيرهم وكبيرهم، وقد كانت سيرة المدعوين أن يتخذَ بعضهم بعضاً أرباباً فلم يكونوا على استواءِ حال، فدعاهم بهذه الآية إلى ما تألفه النفوس [من حق][٣] لا يتفاضل الناس فيه، فـ ﴿سَوَآءٍ﴾ على هذا التأويل ـ بمنزلة قولك لآخر: هذا شريكي في مال سواء بيني وبينه.

والفرق بين هذا التفسير وبين تفسير اللفظة بـ «عدل»: أنك لو دعوت أسيراً عندك إلى أن يسلم أو تضرب عنقه، لكنت قد دعوته إلى السواء الذي هو العدل، وعلى هذا الحد جاءت لفظة ﴿سَوَآءٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨] على بعض التأويلات.

ولو دعوت أسيرك إلى أن يؤمن فيكون حراً مقاسماً لك في عيشك، لكنت قد دعوته إلى السواء الذي هو استواء الحال على ما فسرته، واللفظة على كل تأويل فيها

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٤٨٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٧٠).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الطبري (٦/ ٤٨٧)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٢٠)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ١٦٣).

(٣) في حاشية المطبوع أنه سقط من بعض النسخ.

معنى العدل، ولكني لم أر لمتقدمٍ أن يكون في اللفظة معنى قصد استواء الحال، وهو عندي حسن؛ لأن النفوس تألفه، والله الموفق للصواب برحمته.

وقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ يحتمل أن يكون في موضع خفض بمعنى: إلى ألا نعبد، فذلك على البدل من ﴿كَلِمَةٍ﴾، ويحتمل أن يكون في موضع رفع بمعنى: هي ألا نعبد، وما ذكره المَهْدَوي وغيره من أن تكون مفسرة إلى غير ذلك من الجائزات التي يلزم عنها رفع ﴿نَعْبُدَ﴾ إكثارٌ منهم، فاختصرته[١].

واتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً هو على مراتب، أعلاها اعتقادهم فيهم الألوهية، وعبادتهم لهم على ذلك، كعُزَير وعيسى بن مريم، وبهذا فسر عكرمة[٢].

وأدنى ذلك طاعتُهم لأساقفتهم ورؤسائهم في كل ما أمروا به من الكفر والمعاصي والتزامُهم طاعتَهم شرعاً، وبهذا فسر ابن جريج[٣].

فجاءت الآية بالدعاء إلى ترك ذلك كله، وأن يكون الممتثل ما قاله الله تعالى على لسان نبيه ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أمر بالإعلان بمخالفتهم ومواجهتهم بذلك، وإشهادهم على معنى التوبيخِ والتهديد؛ أي: سترون أنتم أيها المتولون عاقبة تولِّيكم كيف تكون.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦)﴾.

---

(١) انظر الكلام على كونها مفسِّرة في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٢٥)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١٦٢).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٤٨٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٧٠).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٤٨٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٧٠)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٢٤٢).

اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية:

فقال ابن عباس: اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند النبي ﷺ فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانياً، فأنزل الله الآية(١)، وقاله(٢) السدي وقتادة(٣).

وحكى الطبري عن مجاهد وقتادة أيضاً أنهما قالا: نزلت الآية بسبب دعوى اليهود أنه منهم وأنه مات يهودياً، وجعل هذا القول تحت ترجمة مفردة له(٤).

والصحيح أن جميع المتأولين إنما نحوا منحى واحداً، / وأن الآية في اليهود والنصارى، وألفاظ الآية تعطي ذلك، فكيف يدافع أحدٌ أحدَ(٥) الفريقين عن ذلك؟ وهذه الآية مبينة فساد هذه الدعاوى التي لا تشبه لقيام الدليل القاطع على فسادها، لأنهم ادعوا لإبراهيم الخليل نحلاً لم تحدث في الأرض، ولا وجدت إلا بعد موته بمدة طويلة، ولما كان الدليل عقلياً؛ قال الله تعالى لهم موبخاً: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟ [١/ ٢٢٦]

واختلف القراء في قوله: ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ في المد والهمز وتركه:

فقرأ ابن كثير: ﴿هَأَنتُم﴾ في وزن هعنتم(٦).

وقرأ نافع وأبو عمرو: ﴿هانتم﴾ استفهاماً بلا همز.

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ٤٩٠)، وفي إسناده من لا يعرف.

(٢) في المطبوع ونور العثمانية وجار الله: «وقال»، دون هاء.

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٤٩٠، ٤٩١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٧١).

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٤٩١).

(٥) ليست في أحمد٣، ونور العثمانية، والحمزوية.

(٦) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «وزن فعلتم».

وقرأ الباقون: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ ﴾ ممدوداً مهموزاً[١]، ولم يختلفوا في مدّ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ و﴿أُوْلَآءِ ﴾[٢].

فوجه قراءة ابن كثير أَنه أبدل من همزة الاستفهام الهاء، أراد: أأنتم، ووجه قراءة نافع وأبي عمرو أحد أمرين، يجوز أن تكون (ها) التي للتنبيه دخلت على (أنتم)، ويكون التنبيه داخلاً على الجملة، كما دخل على قولهم: هلمَّ، وكما دخلت (يا) التي للتنبيه في قوله: ﴿ألا يا اسجُدُوا﴾ [النمل: ٢٥][٣]، وفي قول الشاعر:

[البسيط] يـا قاتَـلَ الله صِبيانـاً تجـيءُ بهـم أمُّ الهُنَيِّـدِ مـن زَنـدٍ لهـا وَارِي[٤]

وقول الآخر:

[البسيط] يـا لَعْـنَـةَ الله وَالأَقْـوَامِ كُـلّـِهِـمُ وَالصَّالِحِينَ عَلَى سمْعَانَ مِنْ جَارِ[٥]

وخففت الهمزة من (أنتم) ولم تحقق بعد الألف، كما قالوا في هباءة: هباة، ويجوز أن تكون الهاء في ﴿ هَٰٓأَنتُمْ ﴾ بدلاً من همزة الاستفهام، كوجه قراءة ابن كثير، وتكون الألف هي التي تدخل بين الهمزتين؛ لتفصلَ بينهما[٦].

ووجه قراءة الباقين ﴿ هَٰٓأَنتُمْ ﴾ مهموزاً ممدوداً يحتمل الوجهين اللذين في

(١) فهما سبعيتان، وما ذكر عن ابن كثير هو من رواية قنبل عنه، أما البزي فكالجماعة. انظر: التيسير (ص: ٨٨).
(٢) انظر: السبعة (ص: ٢٠٧).
(٣) هي قراءة الكسائي. انظر: التيسير للداني (ص: ١٦٨).
(٤) نسبه في اللسان (٥/ ٢٦٧)، وتاج العروس (١٤/ ٤٤٤) للقتَّال الكلابي، واسمه عبيد بن المضرجي، وهو في الحجة لأبي علي (٣/ ١١)، وجمهرة اللغة (٢/ ١١٢٤) بلا نسبة، وكلهم أنشدوه بلفظ: أم الهنيبر، قالوا: وأم الهنبر: الضبع.
(٥) بلا نسبة في الكتاب لسيبويه (٢/ ٢١٩)، والحجة لأبي علي (٣/ ٤٩)، والأصول في النحو (١/ ٣٥٤)، والكامل للمبرد (٣/ ١٩٨).
(٦) انظر الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٤٩).

قراءة نافع وأبي عمرو، وحققوا الهمزة التي بعد الألف، ولم يخففوها كما خففها أبو عمرو ونافع، ومن لم ير إلحاق الألف للفصل بين الهمزتين كما يراه[١] أبو عمرو فينبغي أن تكون (ها) في قوله للتنبيه، ولا تكون بدلاً من همزة الاستفهام، وأما ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ ففيه لغتان، المد والقصر، وقد جمعهما بيت الأعشى في بعض الروايات:

هَـؤُلا ثـم هَـؤُلاءِ قـدَ اعْـطيـ ... تُ نـعـالاً مـحـذوَّةً بـنـعـالِ[٢] [الخفيف]

وأما إعراب: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ فابتداء وخبر، و﴿حَٰجَجْتُمْ﴾ في موضع حال لا يستغنى عنها، وهي بمنزلة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ﴾.

ويحتمل أن يكون ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ بدلاً، أو صفة، ويكون الخبر ﴿حَٰجَجْتُمْ﴾، وعلى مذهب الكوفيين ﴿حَٰجَجْتُمْ﴾ صلة لـ (أُلاءِ)، والخبر في قوله: ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ﴾.

ومعنى قوله تعالى: ﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾؛ أي: على زعمكم، وإنما المعنى فيما تُشَبَّه فيه دعواكم، ويكون الدليل العقلي لا يرد[٣] عليكم، وفسر الطبري هذا الموضع بأنه فيما لهم به علم من جهة كتبهم وأنبيائهم[٤] مما أَيقنوه وثبت عندهم صحته[٥].

قال القاضي أبو محمد: وذهب عنه رحمه الله أن ما كان هكذا فلا يحتاج معهم فيه إلى محاجّة؛ لأنهم يجدونه عند محمد ﷺ، كما كان هنالك على حقيقته[٦].

وباقي الآية بين.

---

(١) في فيض الله: «قرأه».

(٢) تقدم في تفسير الآية (٣٠) من سورة البقرة.

(٣) في نور العثمانية: «يرد عليكم»، دون أداة النفي.

(٤) في المطبوع: «وأنبائهم».

(٥) تفسير الطبري (٦/ ٤٩٢).

(٦) قال أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٥٠٩): قاله قتادة، والسدي، والربيع، وغيرهم.وهو الظاهر لما حف به من قبله، ومن بعده من الحديث في إبراهيم، ونسب هذا القولَ إلى الطبري ابنُ عطية.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن حقيقة أمر إبراهيم، فنفى عنه اليهوديةَ والنصرانيةَ والإِشراكَ الذي هو عبادة الأوثان، ودخل في ذلك الإِشراكُ الذي تتضمنه اليهودية والنصرانية.

وجاء ترتيب النفي على غاية الفصاحة: نَفَى نفسَ المِلل وقرَّرَ الحالة الحسنة، ثم نَفَى نفياً بيَّنَ به أن تلك الملل فيها هذا الفساد الذي هو الشرك، وهذا كما تقول: ما أخذت لك مالاً بل حفظته، وما كنت سارقاً، فنفيتَ أقبح ما يكون في الأخذ.

ثم أخبر تعالى إخباراً مؤكداً أن أولى الناس بإِبراهيم الخليل عليه السلام هم القوم الذين اتبعوه على ملته الحنيفية.

قال القاضي أبو محمد: وهنا يدخل كلُّ من اتبع الحنيفية في الفترات.

و(هذا النبيّ): محمد ﷺ؛ لأنه بعث بالحنيفية السمحة.

و﴿ٱلنَّبِيُّ﴾ في الإِعراب نعتٌ، أو عطف بيان، أو بدل، وفي كونه بدلاً نظر.

و(الذين آمنوا) يعني بمحمد ﷺ وسائر الأنبياء على ما يجب دون المحرّفين المبدِّلين.

ثم أخبر أن الله تعالى ﴿وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وعداً منه لهم بالنصر في الدنيا، والنعيم في الآخرة.

و«الحنيف»: مأخوذ من الحنف، وهو الاستقامة، وقيل: هو الميل، ومنه قيل للمائل الرِّجل: أحنَفُ، فالحنيف من الاستقامة معناه: المستقيم، ومن الميل معناه: المائل عن معوج الأَديان إلى طريق الحق.

واختلفت عبارة المفسرين عن لفظة الحنيف حتى قال بعضهم: الحنيف: الحاج[١]، وكلّها عبارة عن الحنف بأجزاء منه كالحج وغيره.

وأسند الطبريّ عن عبد الله بن عمر عن أبيه: أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعهُ، فلقي عالماً من اليهود، فسأله عن دينه، وقال له: إني أريد أن أكون على دينكم، فقال اليهودي: إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله، قال زيد: ما أفرُّ إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً وأنا أستطيع، فهل تدلني على دين ليس فيه هذا؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً، قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، وكان لا يعبد إلا الله.

فخرج من عنده فلقيَ عالماً من النصارى فقاوله بمثل مقاولة اليهودي، إلا أن النصراني قال: بنصيبك من لعنة الله، فخرج من عندهما وقد اتفقا له على دين إبراهيم، فلم يزل رافعاً يديه إلى الله، وقال: اللهم إني أشهدك أَني على دين إبراهيم[٢].

وروى عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «لكل نبيء ولاة من النبيين، وإن وليِّي منهم أبي وخليلُ ربي إبراهيم»، ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ﴾ الآية[٣].

[١/ ٢٢٧] قوله تعالى/: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾.

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ١٠٤).

(٢) صحيح من حديث ابن عمر، أخرجه الطبري (٦/ ٤٩٥)، لكن من طريق: يعقوب بن عبد الرحمن الزهري، عن موسى بن عقبة، عن سالم بن عبد الله ـ لا أراه إلا يحدثه عن أبيه ـ: أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام.. وهو عند البخاري (٣٨٢٧) من طريق: فضيل بن سليمان عن موسى بنحوه. فلعل المصنف وهم في ذكر عمر.

(٣) الأصح أنه منقطع، هذا الحديث رواه غير واحد عن الثوري عن أبيه عن أبي الضحى، عن عبد الله، وهذا منقطع، أبو الضحى لم يسمع من ابن مسعود، ورواه أبو أحمد الزبيري عن الثوري فزاد مسروقاً بينهما، فوصله، وقد أعل روايته هذه: أبو حاتم وأبو زرعة في العلل (١٦٧٧)، والترمذي (٢٩٩٥)، والبزار (٥/ ٣٤٦).

أخبر الله تعالى عن طائفة أنها تود وتشتهي أن تضِلَّ المسلمين؛ أي: تتلفهم في دينهم وتجعلهم في ضلال، ثم فسر الطائفة بقوله: ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، فتحتمل ﴿مِّنۡ﴾ أن تكون للتبعيض، وتكون الطائفة الرؤساءَ والأحبار الذين يسكنُ الناس إلى قولهم، ويحتمل أن تكون لبيان الجنس، وتكون الطائفة جميعَ أهل الكتاب.

وقال الطبري: ﴿يُضِلُّونَكُمۡ﴾ معناه: يُهلِكونكم[1]، واستشهد ببيت جرير:

[الكامل] كنتَ القَذَى في موجِ أخضرَ مُزْبدٍ قـذفَ الأَتيُّ به فضـلَّ ضَلالا[2]

وقول النابغة:

[الطويل] فـآبَ مُضِلُّـوه بعيـنٍ جَلِيَّـةٍ[3] ....

البيت.

وهذا تفسير غير خاص باللفظة، وإنما اطرد له؛ لأن هذا الضلال في الآية وفي البيتين اقترن به هلاك، وأما أن تفسر لفظة الضلال بالهلاك فغير قويم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ إعلام بأن سوء فعلهم عائد عليهم، وأنهم ببعدهم عن الإِسلام هم الضالون، ثم أعلم أنهم لا يشعرون لذلك؛ أي: لا يتفطنون[4]، مأخوذ من الشعار المأخوذ من الشعر، وقيل: المعنى: ولا يشعرون[5] أَنهم لا يصلون إلى إِضلالكم.

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٥٠٠).

(٢) سيأتي للمصنف في تفسير سورة السجدة أنه للأخطل، وهو الصواب، وهو من قصيدة يهجو فيها جريراً، وانظر عزوه للأخطل في: تفسير الطبري (٢/ ٤٩٦)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٩٠)، وتفسير الماوردي (٤/ ٣٥٦)، وفي الأصل وفيض الله بدل موج: «مرج».

(٣) صدر بيت للنابغة يرثي النعمان بن الحارث بن أبي شمر الغساني، وعجزه: وغُودِرَ بالجولان حزمٌ ونائلُ. انظر عزوها له في: تفسير الطبري (٦/ ٥٠٠)، والأمالي للقالي (١/ ٢٤٧)، والمعاني الكبير (٣/ ١٢٠٠)، وجمهرة اللغة (٢/ ١٠٤٤)، وتهذيب اللغة (١١/ ١٢٨).

(٤) أشار في هامش الأصل إلى أن في نسخة: «يتيقظون».

(٥) في المطبوع قبلها زيادة: «لا يشعرو»، ولعلها خطأ.

ثم وقفهم تعالى موبخاً لهم على لسان نبيه ﷺ، والمعنى: قل لهم يا محمد: لأيّ سبب تكفرون بآيات الله التي هي آيات القرآن وأنتم تشهدون أن أمره وصفة محمد الذي هو الآتي به في كتابكم؟ قال هذا المعنى قتادة وابن جريج والسدي[١].

وتحتمل الآية أن يريد بالآيات: ما ظهر على يدي محمد ﷺ من تعجيز العرب، والإعلام بالغيوب، وتكلم الجمادات، وغير ذلك، و﴿تَشْهَدُونَ﴾ على هذا تكون بمعنى: تحضرون وتعاينون.

والتأويل الأول أقوى؛ لأنه روي: أن أهل الكتاب كانوا قبل ظهور محمد ﷺ يخبرون بصفة النبي الخارج وحاله[٢]، فلما ظهر كفروا به حسداً، فإخبارهم المتقدم لظهوره هو الشهادة التي وقفوا عليها.

قال مكي: وقيل: إن هذه الآيات عُني بها قريظة والنضير وبنو قينقاع ونصارى نجران[٣].

وقوله تعالى: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ﴾ معناه: تخلطون، تقول: لَبَست الأمر ـ بفتح الباء ـ بمعنى خلطته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩]، وتقول: لبِستُ الثوب، بكسر الباء.

قال ابن زيد: الحق الذي لبسوه هو التوراة المنزلة، والباطل الذي لبسوه به هو ما كتبوه بأيديهم ونسبوهُ إلى التوراة[٤].

وقال ابن عباس: الحق [الذي ذكر][٥] إسلامهم بكرة، والباطل كفرهم عشية.

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٥٠٢، ٥٠٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٧٦، ٦٧٦)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٢٤٨).

(٢) تفسير ابن أبي زمنين (١/ ٢٩٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/ ٤٠٤).

(٣) الهداية لمكي (٢/ ١٠٤٣).

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٥٠٥).

(٥) وردت هذه الزيادة في الأصل، دون بقية النسخ.

والآية نزلت في قول عبد الله بن الصيف وعدي بن زيد والحارث بن عوف: تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وجهَ النهار، ونكفر آخِرَه، عسى أن نلبس على المسلمين أمرهم[١].

وقال قتادة وابن جريج: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ لم تخلطون اليهودية والنصرانية بالإِسلام، وقد علمتم أن دين الله الذي لا يقبل غيره الإِسلام؟[٢].

قال القاضي أبو محمد: فكأنَّ المعنى على هذا: لم تبقون على هذه الأديان وتوجدونها فيكون في ذلك لبس على الناس أجمعين؟.

وقال بعض المفسرين: الحق الذي لبسوه قولُهم: محمد نبي مرسل، والباطل الذي لبسوه به قولُ أحبارهم: لكن ليس إلينا، بل ملةُ موسى مؤبَّدة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يريد شأن محمد ﷺ، كذلك قال الربيع وابن جريج وقتادة وغيرهم[٤].

وفي قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ توقيف على العناد ظاهر، قال أبو إِسحاق الزجاج: ولو قيل: (وتكتموا الحَقَّ) لجاز على قولك: لم تجمعون[٥] ذا وَذا؟ على أَنَّ (تكتموا) في موضع نصب على الصرف في قول الكوفيين، وبإِضمار (أَنْ) في قول أصحابنا[٦].

قال أبو علي: الصرف[٧] هاهنا يقبح، وكذلك إِضمار (أَنْ)؛ لأنّ ﴿تَكْتُمُونَ﴾

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ٥٠٤) بإسناد فيه من لا يعرف، وقد مر مراراً.

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٥٠٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٧٧).

(٣) الهداية لمكي (٢/ ١٠٤٣).

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٥٠٢ و٥٠٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٧٦ و٦٧٦)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٢٤٨).

(٥) في المطبوع: «تجمعوا»، وهو خطأ لأن الفعل مرفوع، و(لم) هنا استفهام.

(٦) معاني القرآن للزجاج (١/ ٤٢٨).

(٧) في فيض الله هنا: «الظرف»، وكذا في الحمزوية في الأولى، وفي المطبوع: في الموضعين، وأشار في الهامش للنسخة الأخرى.

معطوف على موجَب مقرَّر، وليس بمستفهم عنه، وإنما استفهم عن السبب في اللبس، واللبس موجَب، فليست الآية بمنزلة قولهم: أتأكل السمك وتشربَ اللبن؟ [وبمنزلة قولك: أتقوم فأقومَ؟][١]، والعطف على الموجَب المقرَّر قبيح متى نصب، إلا في ضرورة شعر[٢]، كما روي:

.... وأَلحَقَ بالحِجَازِ فأَستريحَا[٣] [الوافر]

وقد قال سيبويه في قولك: أَسِرتَ حتى تدخلَ المدينة؟: لا يجوز إلا النصب في «تدخلَ»؛ لأن السير مستفهَم عنه غيرُ موجَب، وإذا قلت: أيُّهم سار حتى يدخُلُها؟ رفعت[٤]؛ لأنَّ السير موجَب، والاستفهام إنما وقع عن غيره[٥].

قال تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ...﴾.

أخبر تعالى في هذه الآية أن طائفة من اليهود من أحبارهم ذهبت إلى خديعةِ المسلمين بهذا المنزع، قال الحسن: قالت ذلك يهود خيبر ليهود المدينة، قال قتادة وأبو مالك والسدي وغيرهم: قال بعض الأحبار: لِنُظهر الإيمانَ لمحمد صدرَ النهار ثم لنكفرْ به آخرَ النهار، فسيقول المسلمون عند ذلك: ما بال هؤلاء كانوا معنا ثم انصرفوا

---

(١) ليس في الأصل والحمزوية.

(٢) لم أجد كلام أبي علي، ولعله في غير الحجة، وقريب منه في معاني القرآن للأخفش (١/ ٧٣).

(٣) هذا البيت للمغيرة بن حبناء بن عمرو بن ربيعة الحنظلي التميمي كما في إيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٣٤٧)، وخزانة الأدب للبغدادي (٨/ ٥٢٤)، عن السيوطي والعيني، قال: وقد رجعت إلى ديوانه، وهو صغير فلم أجده فيه، وهو في الكتاب لسيبويه (٣/ ٣٩) بلا نسبة.

(٤) ليست في السليمانية.

(٥) انظر: الكتاب لسيبويه (٣/ ١٧).

عنا؟ ما ذلك إلا لأنهم انكشفت لهم حقيقةٌ في الأمر فيشكُّون، ولعلهم يرجعون عن الإِيمان بمحمد ﷺ(١).

قال القاضي أبو محمد: ولما كانت الأحبار يُظَنُّ بهم العلم وجودة النظر والاطلاع على الكتاب القديم، طمعوا أن تنخدعَ العربُ بهذه النزعة ففعلوا ذلك: جاؤوا إلى النبي ﷺ بكرة فقالوا: أنت هو يا محمد الموصوف في كتابنا، ولكن أمهلنا إلى العشيِّ حتى ننظر في أمرنا، ثم رجعوا بالعشي فقالوا: قد نظرنا ولستَ به(٢)/ . [١/ ٢٢٨]

و﴿وَجْهَ﴾ على هذا التأويل منصوبٌ بقوله: ﴿ءَامِنُواْ﴾، والمعنى: أظهروا الإِيمان في وجه النهار، والضمير في قوله: ﴿ءَاخِرَهُۥ﴾ عائد على ﴿ٱلنَّهَارِ﴾.

وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: نزلت الآية؛ لأن اليهود ذهبت إلى المكر بالمؤمنين، فصلوا مع النبي ﷺ صلاة الصبح، ثم رجعوا آخر النهار فصلوا صلاتهم؛ ليرى الناسُ أنهم بدتْ لهم منه ضلالة بعد أن كانوا اتبعوه(٣).

قال القاضي أبو محمد: وهذا القول قريب من القول الأول.

وقال جماعة من المفسرين: نزلت هذه الآية في أمر القبلة، وذلك أن رسول الله ﷺ صلى صلاة الصبح إلى الشام كما كان يصلي، ثم حُوِّلَتِ القبلة فصلَّى الظهر ـ وقيل: العصر ـ إلى مكة، فقالت الأحبار لتبّاعهم وللعرب: آمنوا بالذي أنزل في أول النهار، واكفروا بهذه القبلة الأخيرة(٤).

قال القاضي أبو محمد: والعامل في قوله: ﴿وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ على هذا التأويل

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٥٠٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٧٩)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٢٥١، ٢٥٢) والهداية لمكي (٢/ ١٠٤٤).

(٢) أخرج الطبري (٦/ ٥٠٧) عدة مراسيل وموقوفات في هذا المعنى.

(٣) أخرجه الطبري (٦/ ٥٠٧) بالإسناد المعروف بالضعف عن العوفي عن ابن عباس.

(٤) ذكره بعض المفسرين منهم البغوي (٢/ ٥٤) عن مجاهد ومقاتل والكلبي، ولم أره مسنداً عنهم.

قوله: ﴿أُنزِلَ﴾، والضمير في قوله: ﴿ءَاخِرَهُۥ﴾ يحتمل أن يعود على ﴿ٱلنَّهَارِ﴾ أو يعود على ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ﴾، و﴿يَرْجِعُونَ﴾ في هذا التأويل معناه: عن مكة إلى قبلتنا التي هي الشام، كذلك قال قائلو[1] هذا التأويل[2].

و﴿وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ أوله الذي يواجه منه، تشبيهاً بوجه الإنسان، وكذلك تقول: صدر النهار، وغرة العام والشهر، ومنه قول النبي عليه السلام: «أقتَلْتَه في غُرة الإِسلام؟»[3]، ومن هذا قول الربيع بن زياد العبسي[4]:

[الكامل]

مَنْ كان مسروراً بمقْتَل مالكٍ ... فليأتِ نِسْوتَنا بوجهِ نهارِ
يجدِ النساءَ حَواسِراً يندُبْنَه ... قد قُمْنَ قبل تبلُّجِ الأَسحارِ[5]

يقول هذا في مالك بن زهير بن جذيمة العبسي[6]، وكانوا قد أخذوا بثأره، وكان القتيل عندهم لا يُناحُ عليه ولا يندب إلا بعد أخذ ثأره.

فالمعنى: مَنْ سرَّه مصابنا فيه فلينظرْ إلى ما يدله على أنّا قد أدركنا ثأره، فيكمد لذلك ويغتم، ومن استعارة الوجه قولهم: فعلتُ كذا على وجه الدهر؛ أي: في القديم.

وذكر الله تعالى عن هذه الطائفة من أهل الكتاب أَنهم قالوا: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن

---

(١) في المطبوع والأصل: «قائل»، بالإفراد.

(٢) معاني القرآن للفراء (١/ ٢٠٠)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٤٤)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٩١).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ١٠)، وأبو داود (٤٥٠٣)، وحسن الحافظ إسناده في ترجمة سعد بن ضميرة من الإصابة (٣/ ١٥٠) (٣١٦٢)، وزياد بن سعد الراوي عن أبيه، لم يوثقه غير ابن حبان، وقال الذهبي في ميزانه (٢/ ٨٩): فيه جهالة.

(٤) الربيع بن زياد بن عبد الله العبسي، مشهور في الجاهلية، كان ينادم النعمان بن المنذر، ويقال: أَحد الكملة. انظر: الأغاني (١٧/ ١٨٣).

(٥) انظر عزو البيت له في: تفسير الطبري (٦/ ٥٠٩)، ومجاز القرآن (١/ ٩٧)، والأغاني (١٧/ ١٨١)، والتعازي للمبرد (ص: ٢٧٠).

(٦) أحد سادة بني عبس، قتله فزاريون بعوف بن بدر في أول حرب داحس والغبراء، انظر تفصيل ذلك في: الأغاني (١٧/ ١٨٢) فما بعدها.

تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، ولا خلاف بين أهل التأويل أن هذا القول هو من كلام الطائفة.

واختلف الناس في قوله تعالى: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ فقال مجاهد وغيره من أهل التأويل: الكلام كله من قول الطائفة لأتباعهم، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ اعتراضٌ بين الكلامين(١).

قال القاضي أبو محمد: والكلام على هذا التأويل يحتمل معاني:

أحدها: ولا تصدقوا تصديقاً صحيحاً وتؤمنوا إلا لمن جاء بمثل دينكم كراهةً أو مخافةً أو حِذاراً أن يؤتى أحدٌ من النبوة والكرامة مثلَ ما أوتيتم، وحذاراً أن يحاجوكم بتصديقهم إياهم عند ربكم إذا لم تستمروا عليه، وهذا القول على هذا المعنى ثمرةُ الحسدِ والكفر، مع المعرفة بصحّةِ نبوة محمد ﷺ.

ويحتمل أن يكون التقدير: أَلَّا يُؤْتى، فحذفت (لا)؛ لدلالة الكلام، ويحتمل الكلام أن يكون معناه: ولا تصدقوا وتؤمنوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم وجاء بمثله وعاضداً له، فإن ذلك لا يؤتاه غيركم، ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ بمعنى: إلا أن يحاجوكم، كما تقول: أنا لا أتركك أو تقتضيَني حقي، وهذا القول على هذا المعنى ثمرة التكذيب بمحمد ﷺ على اعتقادٍ منهم أن النبوة لا تكون إلا في بني إسرائيل.

ويحتمل الكلام أَنْ يكون معناه: ولا تؤمنوا بمحمد وتقرُّوا بنبوته إذ قد علمتم صحتها إلا لليهود الذين هم منكم(٢)، و﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ [صفة لحالِ محمد، فالمعنى: تستَّروا بإِقراركم أنْ قد أوتي أحد مثل ما أوتيتم](٣)، أو فإِنهم ـ يعنون العرب ـ يحاجُّوكم بالإِقرار عند ربكم.

---

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ٢٠١)، وتفسير الطبري (٦/ ٥١٢)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٤٧)، وفي نور العثمانية: العلامين، وهو تحريف.

(٢) معاني القرآن للزجاج (١/ ٤٣٠)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٤٨).

(٣) ليس في الأصل.

قال أبو علي: و﴿تُؤْمِنُوٓاْ﴾ تعدى بالباء المقدرة في قوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ كما تعدى أول الآية في قوله: ﴿بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ﴾[١].

واللام في قوله: ﴿لِمَن تَبِعَ﴾ لا يسهل أن تعلق بـ﴿تُؤْمِنُوٓاْ﴾ وأنت قد أوصلته بالباء فتعلق بالفعل جارَّين، كما لا يستقيم أن تعدّيه إلى مفعولين إذا كان لا يتعدى إلا إلى واحد.

وإنما يحمل أمر هذه اللام على المعنى، والمعنى: لا تقرُّوا بأن الله يؤتي أحداً مثل ما أوتيتم إلا لمن، فهذا كما تقول: أقررتُ لزيد بألف، فتكون اللام متعلقة بالمعنى، ولا تكون زائدة على حدّ ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]، ولا تتعلق على حد المفعول.

قال أبو علي: وقد تعدى ﴿ءَامَنَ﴾ باللام في قوله: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ﴾ [يونس: ٨٣]، وقوله: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ [طه: ٧١]، وقوله: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] [التوبة: ٦١].

و﴿أَحَدٌ﴾ إنما دخل في هذا الكلام بسبب النفي الواقع في أوله[٣] وقوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ كما دخلت ﴿مِّنْ﴾ في قوله: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] فكما دخلت ﴿مِّنْ﴾ في صلة ﴿أَن يُنَزَّلَ﴾؛ لأنه مفعول النفي اللاحق لأول الكلام، فكذلك دخل ﴿أَحَدٌ﴾ في صلة ﴿أَن﴾ من قوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾؛ لدخول النفي في أول الكلام.

قال القاضي أبو محمد: وهذا لأن «أحداً» الذي فيه الشياع لا يجيء في واجب من الكلام؛ لأنه لا يفيد معنى.

---

(١) الحجة لأبي علي (٣/ ٥٢).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٥٤).

(٣) سقط من المطبوع مع واو العطف التي بعده، وسقطت الواو فقط من أحمد٣ وجار الله والأصل، وفي نور العثمانية: «أول».

وقرأ ابن كثير وحده بين السبعة: ﴿آنْ يُؤْتَى﴾ بالمد[١] على جهة الاستفهام الذي هو تقرير، وفسَّر أبو علي قراءة ابن كثير على أن الكلام كله من قول الطائفة[٢]، إلا الاعتراض الذي هو: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ فإنه لا يختلف أنه من قول الله تعالى لمحمد ﷺ، قال: فلا يجوز مع الاستفهام أن يحمل: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ على ما قبله من الفعل؛ لأن الاستفهام قاطع، فيجوز أن تكون ﴿أَن﴾ في موضع رفع بالابتداء، وخبره محذوف تقديره: تصدقون به، أو تعترفون، أو تذكرونه لغيركم، ونحو هذا مما يدل عليه الكلام.

قال القاضي أبو محمد: ويكون ﴿يُحَآجُّوكُمْ﴾ على هذا معطوفاً على ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾.

قال أبو علي: ويجوز أن يكون موضع ﴿أَن﴾ منصوباً، فيكون المعنى: أتشيعون، أو أتذكرون[٣] ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾[٤]، ويكون ذلك بمعنى قوله تعالى عنهم: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٦٧]، فعلى كلا الوجهين معنى الآية توبيخ من الأحبار للأتباع على تصديقهم بأن محمداً نبي مبعوث، ويكون قوله تعالى: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ / في تأويل نصب ﴿أَن﴾؛ أي: أو تريدون أن يحاجوكم؟ [١/ ٢٢٩]

قال أبو علي: و﴿أَحَدٌ﴾ على قراءة ابن كثير هو الذي يدل على الكثرة، وقد منع الاستفهام القاطع من أن يشفع[٥] لدخوله النفي الذي في أول الكلام، فلم يبق إلا أن يقدّر أنه «أحد» الذي في قولك: (أحد وعشرون)، وهو يقع في الإيجاب؛ لأنه بمعنى: واحد[٦]، وجمع ضميره في قوله: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ جمعاً على المعنى؛ إذ لـ﴿أَحَدٌ﴾ المراد بمثل النبوة أتباع، فهو في معنى الكثرة.

---

(١) وكذلك عبر أبو عمر الداني في التيسير (ص: ٨٩)، ولعل المقصود بـ «المد» التسهيل للهمزة الثانية من غير إدخال كما نص عليه ابن الجزري في النشر (١/ ٣٦٥-٣٦٦).

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٥٥).

(٣) في الأصل والحمزوية: «تذكرون».

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٥٥)، وفيه: «أتذكرون».

(٥) في الأصل والحمزوية: «يشيع»، والكلام منقول بالمعنى.

(٦) الحجة (٣/ ٥٧)، ويعني: أن لفظ «أحد» إذا كان بمعنى: واحد؛ جاز استعماله في الإثبات.

قال أبو علي: وهذا موضع ينبغي أن ترجح فيه قراءةُ غيرِ ابن كثير على قراءة ابن كثير؛ لأن الأَسماء المفردة ليس بالمستمر أَن تدل على الكثرة(١).

قال القاضي أبو محمد: إلا أن «أحداً» في مثل النبوة يدل عليها من حيث يقتضي الأَتباع.

وقرأ الأعمش وشعيب بن أبي حمزة: (إنْ يُؤْتى) بكسر الهمزة(٢) بمعنى: لم يعطَ أحد مثلَ ما أعطيتم من الكرامة، وهذه القراءة يحتمل أن يكون الكلام خطاباً من الطائفة القائلة، ويكون قولها: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ بمعنى: أو فليحاجوكم، وهذا على التصميم على أَنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتي، ويحتمل أن تكون بمعنى: إلا(٣) أن يحاجوكم، وهذا على تجويز أَن يؤتى أحد ذلك إذا قامت(٤) الحجةُ له، فهذا ترتيب التفسير والقراءات على قول من قال: الكلام كله من قول الطائفة.

وقال السدي وغيره: الكلام كله من قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ...﴾ إلى آخر الآية، هو مما أُمِرَ به محمد ﷺ أن يقوله لأمته(٥).

وحكى الزجاجُ وغيره أَن المعنى: قل إن الهدى هو هذا الهدى، لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم(٦).

---

(١) عبارة أبي علي في الحجة (٣/ ٥٧): «لأن الأسماء التي هي مفردةٌ تدل على الكثرة ليس بالمستمر في كل موضع».

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها للأعمش في: تفسير الثعلبي (٣/ ٩٢)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٤٦)، والكامل للهذلي (ص: ٣٧٨)، ومختصر الشواذ (ص: ٢٧) وزاد طلحة، والشواذ للكرماني (ص: ١١٥) وزاد ابن جبير، ولم أجدها لشعيب إلا عند المصنف، والبحر المحيط (٣/ ٢١٦).

(٣) ليست في جار الله.

(٤) في أحمد٣: «كانت».

(٥) تفسير الطبري (٦/ ٥١٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٨١)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٩٢).

(٦) معاني القرآن للزجاج (١/ ٤٣٠).

وحكي عن بعض النحويين أَن المعنى: أَلَّا يؤتى أحدٌ[١]، وحذفت «لا»؛ لأن في الكلام دليلاً عليها، كما في قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦]؛ أي: أَلَّا تضلوا.

وحكي عن أبي العباس المبرد: لا تحذف «لا» وإنما المعنى: كراهةَ أَن تضلُّوا[٢]، وكذلك هنا: كراهة أن يؤتى أحدٌ مثلَ ما أوتيتم؛ أي: ممن خالف دين الإِسلام؛ لأن الله لا يهدي من هو كاذب كفار، فهدي الله بعيد من غير المؤمنين.

قال القاضي أبو محمد: وتبعد من هذا القول قراءة ابن كثير بالاستفهام والمد، وتُحْمَلُ عليه قراءة الأعمش وابن أبي حمزة: (إنْ يُؤْتَى) بكسر الألف، كأنه ﷺ يخبر أمته أن الله لا يعطي أحداً، ولا أعطى فيما سلف مثل ما أعطى أمة محمد ﷺ من كونها وسطاً.

ويكون قوله تعالى: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ على هذه المعاني التي ترتبت في قول السدي، يحتمل معنيين:

أحدهما: أو فليحاجوكم عند ربكم، يعني اليهود، فالمعنى: لم يُعطَ أحد مثل حظكم، وإلا فليُحاجَّكم[٣] من ادعى سوى ذلك.

والمعنى الثاني: أن يكون قوله: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ بمعنى التقرير والإِزراء باليهود، كأنه قال: أو هل لهم أَن يحاجوكم أو يخاصموكم فيما وهبكم الله وفضَّلكم به؟

وقوله: ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ على جميع ما تقدم خبر ﴿إِنَّ﴾.

وقال قتادة والربيع: الكلام من قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ إلى آخر الآية، هو مما أمر محمد ﷺ أن يقوله للطائفة التي قالت: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾[٤]،

---

(١) نقل هذا القول مكي في الهداية (٣/ ١٠٤٧) دون تسمية القائلين به.

(٢) انظر: الهداية لمكي (٢/ ١٥٤٤).

(٣) كذا في فيض الله، وفي النسخ الأخرى: «فليحاجوكم».

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٥١٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٨٢).

وتتفق مع هذا القول قراءة ابن كثير بالاستفهام والمد، وتقدير الخبر المحذوف: آنْ يُؤْتى أحدٌ مثلَ ما أُوتيتم حسَدتُم وكفرتُم؟ ويكون قوله: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ محمولاً على المعنى، كأنه قال: أتحسدون أو تكفرون؛ لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم؟ أو يحاجوكم على ما أوتوه فإنه يغلبونكم بالحجة.

وأما على قراءة غير ابن كثير بغير المد فيحتمل أن يكون بمعنى التقرير[١] بغير حرف استفهام، وذلك هو الظاهر من لفظ قتادة فإنه قال: يقول: لما أنزل الله كتاباً مثل كتابكم وبعث نبياً مثل نبيكم حسدتموهم على ذلك[٢].

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ بدلاً من قوله: ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾، ويكون المعنى: قل إن الهدى هدى الله، وهو أن يؤتى أحد كالذي جاءنا نحن.

ويكون قوله: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ بمعنى: أو فليحاجوكم، فإنه يغلبونكم.

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، ويكون قوله: ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ بدلاً من ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾، وهذا في المعنى قريب من الذي قبله.

وقال ابن جريج: قوله تعالى: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ هو من قول محمد ﷺ لليهود[٣]، وتمَّ الكلامُ في قوله: ﴿أُوتِيتُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ متصلٌ بقول الطائفة: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، ومنه[٤]، وهذا القول يفسر معانَيه ما تقدم في قول غيره من التقسيم، والله المستعان.

وقرأ ابن مسعود: (أَنْ يُحاجُّوكُم) بدل ﴿أَوْ﴾[٥]، وهذه القراءة تلتئم مع بعض المعاني التي تقدمت، ولا تلتئم مع بعضها.

---

(١) في نور العثمانية وأحمد ٣: «التقدير».
(٢) تفسير الطبري (٦/ ٥١٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٨٢).
(٣) تفسير الطبري (٦/ ٥١٥).
(٤) ليست في المطبوع وجار الله وأحمد٣.
(٥) لم أجد من ذكر هذه القراءة غير ابن عطية.

وقوله: ﴿عِندَ رَبِّكُمۡ﴾ يجيء في بعض المعاني على معنى: عند ربكم في الآخرة، ويجيء في بعضها على معنى: عند كتب ربكم، والعلم الذي جعل في العباد، فأضاف ذلك إلى الربّ تشريفاً، وكأن المعنى: أو يحاجوكم عند الحق.

وقرأ الحسن: (إنْ يُؤْتي أَحَدٌ)، بكسر الهمزة والتاء[١] على إسناد الفعل إلى ﴿أَحَدٌ﴾، والمعنى: إن إنعام الله لا يشبهه إنعام أحد من خلقه.

وأظهرُ ما في هذه القراءة أن يكون خطاباً من محمد ﷺ لأمته، والمفعول محذوف تقديره: إنْ يؤتي أحدٌ أحداً.

قوله تعالى: ﴿...قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗا ...﴾.

في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ تكذيب لليهود في قولهم: نبوة موسى مؤبدة، ولن يؤتي الله أحداً مثل ما آتى بني إسرائيل من النبوة والشرف.

وسائر ما في الآية من لفظة ﴿وَٰسِعٌ﴾ وغير ذلك قد تقدم نظيره.

ثم أخبر تعالى عن أهل الكتاب أَنهم قسمان في الأمانة، ومقصد الآية ذمُّ الخونة
[١/ ٢٣٠] منهم، والتفنيدُ / لرأيهم وكذبهم على الله في استحلالهم أموال العرب.

وفي قراءة أبي بن كعب: (تِيمَنْهُ) بتاء وياء في الحرفين، وكذلك: (تِيْمَنَّا) في «يوسف» [١١][٢]، قال أبو عمرو الداني: وهي لغة تميم[٣].

---

(١) «الهمزة» ليس في السليمانية وفيض الله، وانظر: مختصر الشواذ (ص: ٢٧).

(٢) انظر عزوها له في: الشواذ للكرماني (ص: ١١٥).

(٣) انظر قول الداني في: البحر المحيط (٣/ ٢٢١)، وعلق على قول ابن عطية: «إنها لغة قرشية» بأنه مخالف لما حكاه النحاة.

قال القاضي أبو محمد: وما أراها إلا لغة قرشية، وهي كسرُ نون الجماعة كَـ«نِسْتعين»، وألف المتكلم كقول ابن عمر: لا إخاله[١]، وتاءِ المخاطب كهذه الآية، ولا يكسرون الياء في الغائب[٢].

وبما قرأ أبي بن كعب في: (تِيمَنّا) قرأ ابن مسعود والأشهب العقيلي وابن وثاب[٣].

وقد تقدم القول في «القنطار» في صدر السورة.

وقرأ جمهور الناس: ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ بكسر الهاء التي هي ضمير القنطار، وكذلك في الأخرى التي هي ضمير الدينار، واتفق أبو عمرو وحمزة وعاصم والأعمش على إسكان الهاء، وكذلك كل ما أشبهه في القرآن، نحو: ﴿نُصْلِهْ جهنّمَ﴾ [النساء: ١١٥]، و﴿نؤْتِهْ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، و﴿نُوَلِّهْ﴾ [النساء: ١١٥]، إلا حرفاً حكي عن أبي عمرو أنه كسره، وهو قوله تعالى: (فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ) [النمل: ٢٨][٤].

قال أبو إسحاق: وهذا الإِسكان الذي روي عن هؤلاء غلطٌ بيّنٌ؛ لأن الهاءَ لا ينبغي أن تجزم، وإذا لم تجزمْ فلا يجوزُ أن تسكن في الوصل، وأَما أبو عمرو فأراه كان يختلس الكسرة فَغُلِطَ عليه، كما غلط عليه في ﴿بارئكم﴾، وقد حكى عنه سيبويه ـ وهو ضابط لمثل هذا ـ أنه يكسرُ كسراً خفيفاً[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٧٥).

(٢) في فيض الله: «الغالب».

(٣) انظر عزوها للأشهب وابن مسعود في: تفسير الثعلبي (٣/ ٩٥)، ولابن وثاب في: مختصر الشواذ (ص: ٢٧).

(٤) حكاه عنه عبد الوارث وشجاع بن أبي نصر كما في السبعة (١/ ٢١٢) لكن المتواتر عنه أنه أسكنها، والإسكان عند عاصم من رواية شعبة. انظر مذاهب السبعة في هذه الحروف في: التيسير للداني (ص: ٨٩)، ومذهب الأعمش في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٣١).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٢)، قال في البحر المحيط (٣/ ٢٢١): وليس بشيء؛ إذ هي قراءة متواترة، منقولة من إمام البصريين أبي عمرو بن العلاء، فإنه عربي صريح، وسامع لغة، وإمام في النحو، وقد أجاز ذلك الفراء وهو إمام، وحكى ذلك لغةً لبعض العرب.

و«القنطار» في هذه الآية: مثالٌ للمال الكثير يدخلُ فيه أكثر من القنطار وأقلّ، وأما الدينار فيحتمل أن يكون كذلك [مثالاً لما قلَّ][(١)]، ويحتمل أن يريد طبقةً لا تخون إلا في دينار فما زاد، ولم يعن لذكر الخائنين في أقل؛ إذ هم طغام حثالة.

وقرأ جمهور الناس: ﴿دُمۡتَ﴾ بضم الدال.

وقرأ ابن وثاب والأعمش وأبو عبد الرحمن السلمي وابن أبي ليلى[(٢)] والفياض ابن غزوان[(٣)] وغيرهم: (دِمْتَ) وَ (دِمتم) بكسر الدال في جميع القرآن[(٤)]، قال أبو إِسحاق: هو من قولهم: دِمْتَ تَدام مثل نِمْتَ تنامُ، وهي لغة[(٥)].

و«دام» معناه: ثبت على حال ما، و«التدويم على الشيء»: الاستدارة حول الشيء، ومنه قول ذي الرمة:

[البسيط] .... والشمسُ حَيْرَى لها في الجوِّ تَدْويمُ[(٦)]

و«الدوام»: الدوار يأخذ في رأس الإِنسان فيرى الأشياء تدور له، وتدور الطائر في السماء، وهو ثبوته إذا صف واستدار، والماء الدائم وغيره هو الذي كأنه يستدير حول مركزه.

وقوله: ﴿قَآئِمًا﴾ يحتمل معنيين:

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) في الأصل: «وأبو ليلى».

(٣) في جار الله: «القاضي بن عرقان»، وهو تحريف، وهو فياض بن غزوان الضبي الكوفي مقرر موثق، أخذ القراءة عرضاً عن طلحة بن مصرف وسمع من زبيد اليامي، وتروى عنه حروف شواذ من اختياره تضاف إِليه، وثَّقه أحمد بن حنبل. غاية النهاية (٢/ ١٣).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها ليحيى والأعمش وطلحة في: تفسير الثعلبي (٣/ ٩٦)، ومع السلمي في: الشواذ للكرماني (ص: ١١٥)، ومع الفياض وابن أبي ليلى في: البحر المحيط (٣/ ٢٢٣).

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٣٣).

(٦) انظر عزوه له في: العين (٨/ ٨٧)، وتهذيب اللغة (١٤/ ١٤٨)، ومقاييس اللغة (٢/ ٣١٥)، والمحكم (٧/ ٤٧٥).

قال الزجاج وقتادة ومجاهد: معناه: قائماً على اقتضاءِ دَينك[١].

قال القاضي أبو محمد: يريدون بأنواع الاقتضاء من الحفز والمرافعة إلى الحاكم، فعلى هذا التأويل لا تراعى هيئة هذا الدائم، بل اللفظة من قيام المرء على أشغاله؛ أي: اجتهاده فيها.

وقال السدي وغيره: ﴿قَآيِمًا﴾ في هذه الآية معناه: قائماً على رأسه[٢]، على الهيئة المعروفة، وتلك نهاية الحفز؛ لأن معنى ذلك أنه في صدر شغل آخر يريد أن يستقبله.

وذهب إلى هذا التأويل جماعة من الفقهاء، وانتزعوا من الآيات جواز السجن[٣]؛ لأن الذي يقوم عليه غريمه فهو يمنعه من تصرفاته في غير القضاء، ولا فرق بين المنع من التصرفات وبين السجن.

وهذه الآية وما بعدها نزلت فيما روي بسبب أن جماعةً من العرب كانت لهم ديون في ذمم قوم من أهل الكتاب، فلما أسلم أولئك العرب قالت لهم اليهود: نحن لا نؤدّي إليكم شيئاً حين فارقتم دينكم الذي كنتم عليه، فنزلت الآية في ذلك[٤].

وروي: أَن بني إسرائيل كانوا يعتقدون استحلالَ أموالِ العرب؛ لكونهم أهلَ أوثان، فلما جاء الإِسلامُ وأسلم من أسلم من العرب، بقي اليهود فيهم على ذلك المعتقد، فنزلت الآية حامية من ذلك[٥].

وقال رسول الله ﷺ: «أَلا كلُّ شيءٍ من أمر الجاهلية فهو تحت قدمي، إلا الأمانة فإِنها مؤداة إلى البر والفاجر»[٦].

---

(١) انظر: في معاني القرآن (١/ ٤٤٣)، وقول قتادة ومجاهد في تفسير الطبري (٦/ ٥٢٠).
(٢) تفسير الطبري (٦/ ٥٢٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٨٣).
(٣) نسب ذلك لبعض علماء المالكية في بغداد، كما في تفسير القرطبي (٤/ ١١٧).
(٤) صحيح من قول ابن جريج، أخرجه الطبري (٦/ ٥٢٣) من طريق: الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، من قوله.
(٥) تفسير الطبري (٦/ ٥٢٢-٥٢٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٨٤)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٢٦١).
(٦) مرسل بهذا التمام، أخرجه الطبري (٦/ ٥٢٢)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٨٤) من طريق: يعقوب القمي، =

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾.

الإِشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى كونهم لا يؤدون الأمانةَ في دينارٍ فما فوقه، على أحد التأويلين.

والضمير في: ﴿قَالُوا۟﴾ يعني به لفيفَ بني إسرائيل؛ لأنهم كانوا يقولون: نحن أهل الكتاب، والعرب أميون أصحاب أوثان، فأموالهم لنا حلالٌ متى قدرنا على شيءٍ منها لا حجَّةَ علينا في ذلك، ولا سبيلَ لمعترض وناقد إلينا في ذلك.

و«الأميون»: القوم الذين لا يكتبون؛ لأنهم لا يحسنون الكتابة، وقد مر في سورة البقرة اشتقاق اللفظ.

واستعارة السبيل هنا في الحجّة هو على نحو قول حميد بن ثور:

[الطويل] وهل أَنا إِن علَّلتُ نفسي بسرحةٍ ... من السرح موجودٌ عليَّ طريقُ[1]

وقوله تعالى: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١] هو من هذا المعنى، وهو كثير في القرآن وكلام العرب.

وروي: أن رجلاً قال لابن عباس: إنا نمر في الغزو بأموال أهل الذمة، فنأخذ منها الشاة والدجاجة ونحوها، قال: وتقولون ماذا؟ قال نقول: [ليس علينا بأس، فقال

= عن جعفر: هو ابن أبي المغيرة الخزاعي القمي، عن سعيد بن جبير به مرسلاً، لكن أخرج مسلم (١٢١٨) في خطبة الوداع، قوله ﷺ: «ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة» بدون عبارة: «إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر».

(١) انظر عزوه له في: الأغاني (٤/ ٣٥١)، والعمدة لابن رشيق (١/ ٣١١)، والاستيعاب (١/ ٣٧٨)، وشرح أدب الكاتب (ص: ٢٧٩).

ابن عباس: هذا كما قال أهل الكتاب:][١] ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾، إنهم إذا أدوا الجزية لم تحلَّ لكم أموالُهم إلا بطيب أنفسهم[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ذمٌّ لبني إسرائيل بأنهم يكذبون على الله تعالى في غير ما شيء، وهم علماء بمواضع الصدق لو قصدوها، ومن أخطر ذلك أمر محمد ﷺ، هذا قول جماعة من المتأولين.

وروي عن السدّي وابن جريج وغيرهما: أنَّ طائفةً من أهل الكتاب ادّعت أنَّ في التوراة إحلالَ الله لهم أموال الأُميين كذباً منها، وهي عالمة بكذبها في ذلك، وقالا: والإِشارة بهذه الآية إلى ذلك الكذب المخصوص في هذا الفصل[٣].

[١/ ٢٣١] ثم ردَّ الله تعالى في صدر قولهم / : ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا﴾ بقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ أي: عليهم سبيل وحجة وتِبَاعة، ثم أخبر على جهة الشرط أَن من أوفى بالعهد واتقى عقوبة الله في نقضه، فإِنه محبوب عند الله.

وتقول العرب: وفى بالعهد، وأوفى به بمعنىً، وأوفى هي لغة الحجاز.

وفسر الطبري وغيره على أن الضمير في قوله: ﴿بِعَهْدِهِۦ﴾ عائد على الله تعالى، وقال بعض المفسرين: هو عائد على ﴿مَنْ﴾[٤].

---

(١) ليس في نور العثمانية.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٦/ ٩١)، وابن زنجويه في الأموال (٢/ ٢١) من طرق عن أبي إسحاق، عن صعصعة، قال: سألت ابن عباس. وصعصعة هو ابن يزيد ـ وقيل: ابن زيد ـ، وذكر البخاري هذا الأثر في ترجمة صعصة هذا من التاريخ الكبير (٤/ ٣٢٠)، ووقع عند عبد الرزاق في المصنف: ابن معاوية، والظاهر أنه خطأ، فهذا قيل: له صحبة، ورواه القاسم بن سلام أيضاً في الأموال (١/ ٣٩٥) بإسناده إلى الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن ابن عباس، وهذا الأخير إسناده مستقيم لولا عنعنة الأعمش.

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٥٢٥).

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٥٢٦)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٥٣).

قال القاضي أبو محمد: والقولان يرجعان إلى معنىً واحد؛ لأن أمر الله تعالى بالوفاء مقترن بعهد[١] كلِّ إنسان، وقال ابن عباس: ﴿ٱتَّقَىٰ﴾ في هذه الآية، معناه: اتقى الشركَ[٢]، ثم خرج جواب الشرط على تعميم المتقين تشريفاً للتقوى وحضاً عليها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ الآية، وعيد لمن فعل هذه الأفاعيل إلى يوم القيامة، وهي آية يدخل فيها الكفر فما دونه من جحد الحقوق، وختر المواثيق، وكل أحد يأخذ من وعيد الآية على قدر جريمته.

واختلف المفسرون في سبب نزولها:

فقال عكرمة: نزلت في أحبار اليهود، أبي رافع وكنانة بن أبي الحقيق وكعب بن الأشرف وحيي بن أخطب، تركوا عهد الله في التوراة للمكاسب والرياسة التي كانوا بسبيلها[٣].

وروي: أنها نزلت بسبب خصومة الأشعث بن قيس[٤] مع رجل من اليهود في أرض، فوجبت اليمين على اليهودي، فقال الأشعث: إِذن يحلف يا رسول الله، ويذهب بمالي، فنزلت الآية[٥].

وروي: أن الأَشعث بن قيس اختصم في أرض مع رجل من قرابته، فوجبت اليمين على الأشعث، وكان في الحقيقة مبطلاً قد غصب تلك الأرَض في جاهليته فنزلت الآية،

(١) ليست في نور العثمانية.

(٢) هذا الأثر أخرجه ابن جرير الطبري (٥/ ٥١٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٥٢٨، ٥٢٩)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٩٨).

(٤) هو الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي، قدم على رسول الله ﷺ سنة عشر في وفد كندة، وكان رئيسهم مطاعاً، وفي الإسلام وجيهاً، إلا أَنه كان ممن ارتد عن الإِسلام ثم راجع الإِسلام، شهد القادسية، وغيرها، توفي سنة (٤٢) وقيل: (٤٠ هـ). الإصابة (١/ ٢٣٩).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٣٥٦) (٢٣٥٧)، ومسلم (١٣٨).

فنكل الأشعث عن اليمين، وتحرَّج، وأعطى الأَرض وزاد من عنده أرضاً أخرى[١].

وروي: أَن الآية نزلت بسبب خصومة لغير الأشعث بن قيس.

وقال الشعبي: نزلت الآية في رجل أقام سلعةً في السوق من أول النهار، فلما كان في آخره جاءه رجل فساومه فحلف حانثاً: لقد منعها في أول النهار من كذا وكذا ولولا المساءُ ما باعها، فنزلت الآية بسببه[٢].

وقال سعيد بن المسيب: اليمين الفاجرة من الكبائر، ثم تلا هذه الآية[٣].

وقال ابن مسعود: كنا نرى ونحن مع نبينا أَنَّ من الذنب الذي لا يغفر يمينَ الصبرإذا فجر فيها صاحبها[٤].

وقد جعل الله الأَيمانَ في هذه الألفاظ مشتراة، فهي مثمونة أيضاً.

و«الخلاق»: الحظ والنصيب والقدر، وهو مستعمل في المستحبات[٥].

وقال الطبري: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ معناه: بما يسرُّهم[٦].

وقال غيره: نفى تعالى أن يكلمهم جملةً؛ لأنه يكلم عباده المؤمنين المتقين.

وقال قوم من العلماء: وهي عبارة عن الغضب، المعنى: لا يحفل بهم، ولا يرضى عنهم[٧].

---

(١) مرسل لا يصح، أخرجه الطبري (٦/ ٥٣١) عن ابن جريج، قال: قال آخرون، به، وهو مرسل لا يصح، والصحيح ما سبق.

(٢) مرسل، قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الطبري (٦/ ٥٣٣) من طريق الشعبي بسند صحيح إليه. العجاب في بيان الأسباب (٢/ ٧٠٢).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٥٣٤)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٢٦٤).

(٤) منقطع، أخرجه الطبري (٦/ ٥٣٤) من طريق قتادة أن عبد الله بن مسعود كان يقول..، وقتادة لم يدرك ابن مسعود.

(٥) يعني أن الخلاق يستخدم في الحظ والنصيب من الأشياء المرغوبة، ففي العين (٤/ ١٥١): الخلاق هو النَّصيبُ من الحظِّ الصالح.

(٦) تفسير الطبري (٦/ ٥٢٨).

(٧) انظر القولين في: الهداية. لمكي (١/ ٥٥٤).

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: يطهرهم من الذنوب وأدرانها.

والآخر: ينمي أعمالهم، فهي تنمية لهم، والوجهان منفيان عنهم في الآخرة[(١)].

و﴿أَلِيمٌ﴾ فَعِيل بمعنى: مُفْعِل، فالمعنى: مؤلم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ ...﴾.

الضمير في ﴿مِنْهُمْ﴾ عائد على أهل الكتاب، والفريق: الجماعة من الناس، هي مأخوذة من فَرَقَ: إذا فصل وأبان شيئاً عن شيء.

و﴿يَلْوُونَ﴾ معناه: يحرِّفون ويتحيلون بتبديل المعاني من جهة اشتباه الألفاظ واشتراكها، وتشعُّب التأويلات فيها، ومثال ذلك قولهم: ﴿رَاعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤][(٢)]، و(اسمَعْ غيرَ مستمعٍ) [النساء: ٦٤]، ونحَو ذلك، وليس التبديل المحض بِلَيٍّ، وحقيقة الليّ في الثياب والحبال ونحوها: فتلها وإزاغتها[(٣)]، ومنه ليُّ العنق، ثم استعمل ذلك في الحجج والخصومات والمجادلات تشبيهاً بتلك الإِزاغةِ التي في الأجرام، فمنه قولهم: خصم أَلْوى، ومنه قول الشاعر:

فَلَوْ كَانَ فِي لَيْلَى شَـذا مِنْ خُصُومَةٍ   لَلَوَّيْتُ أَعْنَاقَ الخُصُومِ المَلاوِيَا[(٤)]   [الطويل]

(١) الهداية لمكي (١/ ٥٥٤)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٤٧).

(٢) ليس في المطبوع وزاد فيه: «سمعنا وعصينا».

(٣) في المطبوع: «إراغتها».

(٤) البيت لمجنون ليلى كما في الأغاني (٢/ ٣٦)، وورد في المخصص (٤/ ٤٦٣)، والعين (٨/ ٣٦٣) بلا نسبة.

وقال الآخر:

.... ألفيتَني ألْـوى بَعِيدَ المُسْـتَمَرْ[(١)] [الرجز]

وقرأ جمهور الناس: ﴿يَلْوُۥنَ﴾ مضارع لَوى، على وزن «فعَلَ» بتخفيف العين.

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع وشيبة بن نصاح: (يُلَوّون) بتشديد الواو وفتح اللام[(٢)] من لوَّى، على وزن «فَعَّل» بتشديد العين، وهو تضعيف مبالغة، لا تضعيف تعدية[(٣)].

وقرأ حميد: (يَلُوْن) بضم اللام وسكون الواو[(٤)]، وهي في الأصل: (يَلْوُوْن) مثل قراءة الجماعة، فهمزت الواو المضمومة؛ لأنها عرفها في بعض اللغات، فجاء يلؤون، فنقلت ضمة الهمزة إلى اللام فجاء (يَلُوْن).

و(الكتاب) في هذا الموضع: التوراة، وضمير الفاعل في قوله: ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ هو للمسلمين.

وقوله: ﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ نفى أن يكون منزّلاً كما ادّعوا، وهو من عند الله بالخلق والاختراع والإيجاد، ومنهم بالتكسب، ولم تعن الآية إلا لمعنى التنزيل، فبطل تعلق القدرية بظاهر قوله: ﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾.

وقد تقدم نظير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) البيت من أرجوزة للطفيل الغنوي كما في الأمثال للعسكري (١/ ٣٣)، قال: وأخذه من قول النعمان ابن المنذر، وقصته في الزاهر لابن الأنباري (٢/ ٢٢٥)، وتمثل به عمرو بن العاص يوم صفين، وفي تاج العروس (١٤/ ١١٤) عن ابن بري أنها له، قال: ويقال: إنها لأرطاة بن سهية، قال الصاغاني: ويروى للعجاج، وليس له، وللنجاشي الحارثي، وقال أبو محمد الأعرابي: إنه لمساور بن هند.

(٢) نقلها عنهما الكرماني في: الشواذ (ص: ١١٥)، وليست من طرق النشر.

(٣) الفرق بينهما أن تضعيف المبالغة هو الدال على التكثير في الفاعل نحو برَّكَ الغنمُ، أو المفعول نحو غلَّقت الأبوابَ ومنه (يُلووُّن) في هذه القراءة، أما تضعيف التعدية فيكون في الأفعال اللازمة لتعديتها لمفعول نحو: نزَّلَ عليك الكتابَ، ولا تصلح هنا؛ لأنه كان متعدياً.

(٤) وهي قراءة شاذة. انظر: تفسير الثعلبي (٣/ ١٠٠)، والشواذ للكرماني (ص: ١١٥).

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ معناه: لأحد من الناس.

و«البشر»: اسم جنس يقع للكثير والواحد، ولا مفرد له من لفظه، وهذا الكلام لفظه النفي التام كقول أبي بكر رضي الله عنه: ما كان لابن أبي قحافةَ أن يصلّي بين يدي رسول الله ﷺ[١]، وإنما يعلم مبلغها من النفي بقرينة الكلام الذي هي فيه، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ [النحل: ٦٠] فهذا منتفٍ عقلاً، وأَما آيتنا هذه فإِن النفي فيها على الكمال؛ لأنا نقطع أن الله تعالى لا يؤتي النبوءة للكذَبَة والمدَّعين.

و ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾ في هذه الآية اسم جنس.

و(الحكم) بمعنى: الحكمة، ومنه قول النبي ﷺ: «إنَّ من الشِّعر لحُكْماً»[٢].

[١/ ٢٣٢] و﴿ثُمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَقُولَ﴾ معطية تعظيم الذنب / في القول، بعد مهلة من هذا الإِنعام.

وقوله: ﴿عِبَادًا﴾ هو جمع عبد، ومن جموعه عَبِيد وعِبِدَّى، وقال بعض اللغويين: هذه الجموع كلها بمعنىً، وقال قوم: العباد لله، والعبيد والعِبِدَّى للبشر، وقال قوم: العِبِدَّى، إنما تقال في العبيد بني العبيد، وكأنه بناء مبالغة تقتضي الإِغراق في العبودية.

قال القاضي أبو محمد: والذي استقريت في لفظة العباد: أنه جمع عبد متى

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٦٨٤)، ومسلم (٤٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٤٥) بلفظ: «إن من الشعر حكمة»، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه. وأما بلفظ: «حكماً»، فقد روي من طرق، أحسنها ما أخرجه أبو داود (٥٠١٣)، والترمذي (٢٨٤٥) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٣٧٥٦)، وابن حبان (٥٧٨٠) وغيرهم من طرق عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فجعل يتكلم بكلام، فقال رسول الله ﷺ «إن من البيان سحراً، وإن من الشعر حُكماً». هذا سياق أبي داود وابن حبان.

سيقت اللفظة في مضمار الترفيع والدلالة على الطاعة دون أن يقترن بها معنى التحقير وتصغير الشأن، وانظر قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، ﴿عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٥٣]، وقول عيسى في معنى الشفاعة والتعريض لرحمة الله: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ﴾ [المائدة: ١١٨] فنوَّه بهم.

وقال بعض اللغويين: إن نصارى الحيرة وهم عرب لما أطاعوا كسرى ودخلوا تحت أمره سمتهم العرب العباد، فلم يُنتهَ بهم إلى اسم العبيد[١].

وقال قوم: بل هم قوم من العرب من قبائل شتى اجتمعوا وتنصَّروا، وسمَّوا أنفسهم العباد، كأنه انتساب إلى عبادة الله.

وأما العبيد فيستعمل في تحقير، ومنه قول امرئ القيس:

قُـولا لِـدُودَانَ عَبِيـدِ العَصَـا   مَـا غَرَّكُـمْ بِالأَسَـدِ الْبَاسِـلِ[٢]   [السريع]

ومنه قول حمزة بن عبد المطلب: وهل أنتم إلا عَبيدٌ لأبي[٣]، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]؛ لأنه مكان تشفيق، وإعلام بقلة انتصارهم ومقدرتهم، وأنه تعالى ليس بظلام لهم في ذلك.

ولما كانت لفظة العباد تقتضي الطاعةَ لم تقع هنا، ولذلك أُنِس بها في قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الزمر: ٥٣]، فهذا النوع من النظر يسلك به سبل العجائب[٤] في ميز فصاحة القرآن العزيز على الطريقة العربية السليمة.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٦)، وسمط اللآلي (١/ ٦٣).

(٢) انظر عزوه له في: الشعر والشعراء (١/ ١١٧)، والبيان والتبيين (١/ ٤٢٨)، والعقد الفريد (٣/ ٢٩٤)، والحماسة البصرية (١/ ٤٧).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٤٠٠٣)، ومسلم (١٩٧٩).

(٤) في نور العثمانية: «النجائب».

ومعنى قوله: ﴿كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ اعبدوني، واجعلوني إلهاً.

واختلف المفسرون إلى من هي الإِشارة بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾:

فقال النقَّاش وغيره: الإِشارة إلى عيسى عليه السلام(١)، والآية رادّةٌ على النصارى الذين قالوا: عيسى إله، وادَّعوا أَن عبادته هي شرعه، ومستندة إلى أوامره.

وقال ابن عباس والربيع وابن جريج وجماعة من المفسرين: بل الإِشارة إِلى محمد ﷺ(٢).

وسبب نزول الآية: أن أبا رافع القرظي قال للنبي ﷺ حين اجتمعت الأحبار من يهود والوفد من نصارى نجران: يا محمد إنما تريد أن نعبدك ونتخذك إلهاً كما عَبدت النصارى عيسى، فقال الرئيس من نصارى نجران: أوَذلك تريد يا محمد وإِليه تدعونا؟ فقال النبي ﷺ: «معاذ الله، ما بذلك أُمرت، ولا إليه دعوت»، فنزلت الآية في ذلك(٣).

قال بعض العلماء: أرادت الأحبارُ أن تلزم هذا القول محمداً ﷺ لما تلا عليهم: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: ٣١](٤)، وإِنما معنى الآية: فاتبعوني فيما أدعوكم إليه من طاعة الله، فحرَّفوها بتأويلهم، وهذا من نوعِ ليّهم الكتاب بألسنتهم.

وقرأ جمهور القراء: ﴿ثُمَّ يَقُولَ﴾ بالنصب.

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٢٢٩).

(٢) انظر قول الربيع وابن جريج في: تفسير الطبري (٦/ ٥٤٠).

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٦/ ٥٣٩)، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٣٨٤) عن أبي عبد الله الحاكم من طريق: محمد ابن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس به. ومحمد مجهول وقد شك فيه، وقد سبق هذا الإسناد مراراً.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٥٣٩)، وتفسير السمعاني (١/ ٣٣٥)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٥٧).

وروى شبل[١] عن ابن كثير، ومحبوب[٢] عن أبي عمرو: (ثم يقولُ) برفع اللام[٣]، وهذا على القطع وإضمار مبتدأ.

وقرأ عيسى بن عمر: (عباداً ليَ) بتحريك الياء مفتوحة.

قوله عز وجل: ﴿...وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ٨٠ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ...﴾.

المعنى: ولكن يقول: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ وهو جمع ربَّانيّ.

واختلف النحاة في هذه النسبة:

فقال [قوم: هو منسوب إلى الرب من حيث هو عالم علمه، العامل بطاعته، المعلم للناس [ما أمر به، وزيدت الألف والنون مبالغةً كما قالوا: لْحِيانيٌّ وشَعْرانيٌّ في النسبة] إلى اللِّحية والشِّعر.

وقال][٤] قوم: الرباني منسوب إلى الربَّان وهو معلم الناس وعالمهم، السائس لأمرهم، مأخوذ من ربَّ يربُّ: إذا أصلح وربَّى، وزيدت فيه هذه النون كما زيدت في غضبان وعطشان، ثم نسب إليه رباني.

---

(١) هو شبل بن عباد، أبو داود المكي، مقرئ مكة، ثقة ضابط، هو أجل أصحاب ابن كثير، عرض على ابن محيصن وعبد الله بن كثير، وهو الذي خلفه في القراءة، روى القراءة عنه عرضاً إسماعيل القسط وابنه داود بن شبل، توفي سنة (١٤٨هـ). غاية النهاية (١/ ١٤٢).

(٢) هو محمد بن الحسن بن هلال بن محبوب أبو بكر، محبوب، وهو لقبه، البصري مولى قريش، مشهور كبير، روى القراءة عن شبل بن عباد وأبي عمرو بن العلاء، روى عنه محمد بن يحيى القطعي، وأخرج له البخاري، وقال ابن معين: ليس به بأس.انظر: غاية النهاية (١/ ٣٣١٣).

(٣) وهي قراءة شاذة. تفسير الثعلبي (٣/ ١٠٢).

(٤) ما بين القوسين المتباعدين ساقط من الأصل، وما بين المتقاربين سقط من نور العثمانية.

واختلف العلماء في صفة مَن يستحق أن يقال له: ربَّاني:

فقال أبو رزين[(١)]: الرباني: الحكيم العالم.

وقال مجاهد: الرباني: الفقيه، [وقال قتادة وغيره: الرباني: العالم الجليل[(٢)].

وقال ابن عباس: هو الحكيم الفقيه[(٣)]، وقال الضحاك: هو الفقيه العالم][(٤)].

وقال ابن زيد: الربّاني: والي الأمر، يربّ الناس؛ أي: يصلحهم. فالربانيون: الولاة والأحبار والعلماء.

وقال مجاهد: الرباني: فوق الحَبْر؛ لأن الحَبْر هو العالم، والرباني هو الذي جمع إلى العلم والفقه البصرَ بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية وما يصلحهم في دينهم ودنياهم[(٥)].

وفي «البخاري»: الرباني: الذي يربِّي الناس بصغار العلم قبل كباره[(٦)].

---

(١) هو مسعود بن مالك أَبو رزين الأسدي، مولى أبي وائل الكوفي، روى عن معاذ بن جبل، وابن مسعود، وعلي بن أَبي طالب، وغيرهم، وروى عنه ابنه عبد الله، وعاصم، والأعمش، وغيرهم، كان عالماً، فهماً، ثقة توفي بسنة: (٨٥هـ). تهذيب التهذيب (١٠/ ١١٨).

(٢) في فيض الله والسليمانية: «الحليم»، في جار الله: «الحكيم».

(٣) علقه البخاري بصيغة الجزم بلفظ: حلماء فقهاء، أما بلفظ: حكماء فقهاء، فقد أخرجه الطبري (٦/ ٥٤٢) من طرق عن ابن عباس، أولها: عطية العوفي عن ابن عباس، وقد مر ما فيه، الثاني: بشر، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس بلفظ: الفقهاء العلماء.وبشر هو ابن عمارة الخثعمي، ضُعف، ومن طريق: الحسين بن الحسن الأشقر قال: حدثنا أبو كدينة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به، والأشقر فيه كلام شديد، لكن قد علقه البخاري في الصحيح (١/ ٢٥) بصيغة الجزم فقال: وقال ابن عباس: ﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ حلماء فقهاء.

(٤) سقط قول الضحاك من السليمانية، وقول قتادة من أحمد٣، وقول ابن عباس منهما.

(٥) انظر هذه الأقوال في: تفسير الطبري (٦/ ٥٤١، ٥٤٢)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٥٩)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١٠٢).

(٦) صحيح البخاري (باب العلم قبل القول والعمل) (١/ ٢٥).

قال القاضي أبو محمد: فجملة ما يقال في الرباني: إنه العالمُ بالربِّ والشرع، المصيبُ في التقدير[١] من الأقوال والأفعال التي يحاولها في الناس.

وقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾ معناه: بسبب كونكم عالمين دارسين، فـ (ما) مصدرية، ولا يجوز أن تكون موصولة؛ لأن العائد الذي كان يلزم لم يكن بد أن يتضمنه ﴿كُنتُمْ تَّعْلَمونَ﴾، ولا يصح شيء من ذلك؛ لأن «كان» قد استوجبت[٢] خبرها ظاهراً، وهو: ﴿تُعَلِّمُونَ﴾، وكذلك ﴿تَّعْلَمونَ﴾ قد استوفى مفعوله وهو ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ ظاهراً، فلم يبق إلا أن (ما) مصدرية؛ إذ لا يمكن عائد، و﴿تعلمون﴾[٣] بمعنى تعرفون، فهي متعدية إلى مفعول واحد.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿تَعْلمون﴾ بسكون العين، وتخفيف اللام.

وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ مثقلاً، بضم التاء وكسر اللام[٤]، وهذا على تعدية الفعل بالتضعيف، والمفعول الثاني على هذه القراءة محذوف، تقديره: تعلِّمون الناسَ الكتابَ.

قال القاضي أبو محمد: والقراءتان متقاربتا المعنى، وقد رجحت قراءة التخفيف بتخفيفهم ﴿تَدْرُسُونَ﴾، وبأن العلم هو / العلة التي توجب للموفق من الناس أن يكون ربانياً، وليس التعليم شرطاً في ذلك، ورجحت الأخرى بأن التعليم يتضمن العلم، والعلم لا يتضمن التعليم، فتجيء قراءة التثقيل أبلغ في المدح. [١/ ٢٣٣]

قال القاضي أبو محمد: ومن حيث العالم بحال من يعلم، فالتعليم كأنه في ضمن العلم، وقراءة التخفيف عندي أرجح.

---

(١) في نور العثمانية: «التقدس».

(٢) في المطبوع: «استوفت».

(٣) بالتخفيف على قراءة نافع ومن معه.

(٤) وهي سبعيتان متواترتان، انظر: السبعة (١/ ٢١٣)، والتيسير فى القراءات السبع (ص: ٨٩).

وقرأ مجاهد والحسن: (تَعَلَّمُونَ) بفتح التاء والعين وشدّ اللام المفتوحة[١].

وقرأ جمهور الناس: ﴿تَدْرُسُونَ﴾ بضم الراء، من دَرَسَ: إذا أدمن قراءةَ الكتاب، وكرَّره.

وقرأ أبو حيوة: (تدرِسُون) بكسر الراء، وهذا على أنه يقال في مضارع درس، يدرُس ويدرِس، وروي عن أبي حيوة أَنه قرأ: (تُدَرِّسون) بضم التاء وكسر الراء وشدِّها[٢]، بمعنى: تدرِّسون غيركم.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي: ﴿ولا يأمرُكم﴾ برفع الراء.

وكان أبو عمرو يختلس حركة الراء تخفيفاً.

وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ نصباً.

ولا خلاف في الراء من قوله: ﴿أَيَأْمُرُكُم﴾ إلا اختلاس أبي عمرو[٣].

فمن رفع قوله: ﴿لا يأمُرُكم﴾، فهو على القطع، قال سيبويه: المعنى: ولا يأمركم اللهُ[٤].

وقال ابن جريج وغيره: المعنى: ولا يأمركم هذا البشر الذي أوتي هذه النعم[٥]، وهو محمد ﷺ، وفي قراءة ابن مسعود: (ولَنْ يأْمُركم)[٦]، فهذه قراءة تدلُّ على القطع.

---

(١) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها للحسن في: تفسير الثعلبي (٣/ ١٠٣)، ولمجاهد في إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٦٨).

(٢) وهاتان القراءتان من الشاذ. انظر: مختصر الشواذ (ص: ٢٨)، والمحتسب (١/ ١٦٣).

(٣) وكلها سبعية، انظر: السبعة (١/ ٢١٣)، والتيسير للداني (١/ ٨٩)، وذكر لأبي عمر وجهين: الاختلاس، والإسكان.

(٤) الكتاب (٣/ ٥٢).

(٥) تفسير الطبري (٦/ ٥٤٩)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٢٦٩).

(٦) وهي قراءة شاذة. انظر: تفسير الطبري (٦/ ٥٤٧)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١٠٣).

وأما قراءة من نصب الراء فهي عطف على قوله: ﴿أَن يُؤْتِيَهُ﴾، والمعنى: ولا له أن يأمركم، قاله أبو علي وغيره[(١)].

وقال الطبري: قوله: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ بالنصب، معطوف على قوله: ﴿ثُمَّ يَقُولَ﴾[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا خطأ لا يلتئم به المعنى.

و«الأرباب» في هذه الآية بمعنى: الآلهة.

[وقوله تعالى: ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ﴾ تقرير على هذا المعنى الظاهرِ فسادُهُ][(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ...﴾ الآية، المعنى: واذكر يا محمد إذ، ويحتمل أن يكون أخذ هذا الميثاق حين أخرج بني آدم من ظهر آدم نسماً، ويحتمل أن يكون هذا الأخذ على كل نبي في زمنه ووقت بعثه، ثم جمع اللفظ في حكاية الحال في هذه الآية، والمعنى: إِن الله تعالى أخذ ميثاق كل نبي بأنه يلتزم هو ومن آمن به الإِيمانَ بمن أتى بعده من الرسل الظاهرة براهينهم، والنصرةَ له.

واختلف المفسرون في العبارة عن مقتضى ألفاظ هذه الآية:

فقال مجاهد والربيع: إنما أَخذ ميثاق أهل الكتاب، لا ميثاق النبيين[(٤)].

وفي مصحف أبي بن كعب وابن مسعود: (وإِذْ أَخَذَ اللهُ ميثاقَ الذين أُوتوا الكتابَ)[(٥)]. قال مجاهد: هكذا هو القرآن، وإِثبات ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ خطأ من الكُتَّاب[(٦)].

وهذا لفظ مردود بإِجماع الصحابة على مصحف عثمان رضي الله عنه[(٧)].

---

(١) الحجة لأبي علي (٣/ ٥٨)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٤٣٦).

(٢) لفظه: بالنصب على الاتصال بالذي قبله، تفسير الطبري (٦/ ٥٤٧).

(٣) ليس في نور العثمانية.

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٥٥٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٩٤).

(٥) وهي قراءة شاذة. انظر: تفسير الطبري (٦/ ٥٥٣)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١٠٥).

(٦) تفسير الطبري (٦/ ٥٥٣)، وفي نور العثمانية: «الكاتب».

(٧) حاول الأستاذ محمود شاكر ـ في تعليقه على الطبري (٦/ ٥٥٣) ـ تأويل قول مجاهد بأنه أراد أن قراءة =

وقال ابن عباس رضي الله عنه: إنما أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم[١]، فهو أخذٌ لميثاق الجميع، وقال طاووس: أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضاً[٢].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: [ما بعث الله نبياً ـ آدم فمن بعده ـ إلا أخذ عليه العهد في محمد][٣]؛ لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره بأخذه على قومه، ثم تلا هذه الآية[٤]، وقاله السدي، وروي عن[٥] طاووس أنه قال: صدر الآية أخذ الميثاق على النبيين[٦].

وقوله: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمۡ﴾ مخاطبة لأهل الكتاب بأخذ الميثاق عليهم.

قال القاضي أبو محمد: حكاه الطبري[٧]، وهو قول يفسده إعراب الآية.

وهذه الأقوال كلها ترجع إلى ما قاله علي بن أبي طالب وابن عباس؛ لأن الأخذ على الأنبياء أخذٌ على الأمم.

وقرأ حمزة وغيره سوى السبعة: ﴿لِما﴾ بكسر اللام[٨]، وهي لام الجر، والتقدير:

= ابن مسعود هي القراءة التي كانت في العرضة الأخيرة، وأن الكاتب كتب القراءة على العرضة التي قبلها. وما فعله ابن الأعطية من رد للقول ابتداءً؛ لمخالفته إجماعَ الصحابة هو الأَولى. وقال السمين الحلبي بعد أن قول مجاهد في الدر المصون (٣/ ٢٨٣): وهذا خطأ من قائله كائناً مَنْ كان، ولا أظنه يصح عن مجاهد؛ فإنه قرأ عليه مثلُ ابن كثير وأبي عمرو ابن العلاء، ولم ينتقل واحد منهما عنه شيئاً من ذلك.

(١) صحيح، أخرجه الطبري (٦/ ٥٥٥) من طريق: أبي نعيم قال: حدثنا سفيان، عن حبيب، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس.

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٥٥٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٩٣).

(٣) ليس في نور العثمانية.

(٤) تالف، أخرجه الطبري (٦/ ٥٥٥) من طريق: سيف بن عمر، عن أبي روق، عن أبي أيوب، عن علي ابن أبي طالب. وسيف هو التميمي ساقط الرواية.

(٥) في الأصل: «وروى»، دون «عن».

(٦) انظر قول السدي وطاووس في: تفسير الطبري (٦/ ٥٥٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٩٤).

(٧) تفسير الطبري (٦/ ٥٥٨).

(٨) وهي سبعية متواترة، انظرها مع قراءة الباقين في: التيسير للداني (ص: ٨٩).

لأجل ما آتيناكم؛ إذ أنتم القادة والرؤوس، ومن كان بهذه الحال فهو الذي يؤخذ ميثاقه.

و(ما) في هذه القراءة بمعنى: «الذي» الموصولة، والعائد إليها من الصلة تقديره: آتيناكموه، و(مِنْ) لبيان الجنس.

وقوله: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ﴾ الآية، جملة معطوفة على الصلة، ولا بد[(١)] في هذه الجملة من ضمير يعود على الموصول، فتقديره عند سيبويه: رسول[(٢)] به مصدق لما معكم[(٣)]، وحذف تخفيفاً كما حذف الذي في الصلة بعينها لطول الكلام، كما قال تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١]، والحذف من الصِّلات كثير جميل.

وأما أبو الحسن الأَخفش [فقد قال:][(٤)] [قوله تعالى: ﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾ هو العائد عنده على الموصول[(٥)]؛ إذ هو في المعنى بمنزلة الضمير الذي قدَّر سيبويه.

وكذلك قال الأخفش في قوله تعالى:][(٦)] ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]؛ لأن المعنى: لا يضيع أجرهم[(٧)]؛ إذ المحسنون هم من يتقي ويصبر، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]، وكذلك ما ضارع هذه الآيات.

وسيبويه رحمه الله لا يرى أن يضع المظهر موقع المضمر، كما يراه أبو الحسن[(٨)].

واللام في: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ هي اللام المتلقية[(٩)] للقسم الذي تضمَّنه أخذ الميثاق،

---

(١) في الأصل: «ولا»، دون كلمة «بد».

(٢) ليست في الأصل.

(٣) الكتاب (٣/ ١٠٧).

(٤) من أحمد٣ وجار الله، وفي النسخ الأخرى: «فإن».

(٥) نقله عنه مكي في مشكل إعراب القرآن (١/ ١٦٥).

(٦) ليس في فيض الله ونور العثمانية.

(٧) نقله عنه أبو علي في الحجة (٣/ ٦٣)، ومكي في المشكل (١/ ١٦٥).

(٨) انظر الخلاف بين سيبويه والأخفش في وضع المظهر موقع المضمر في الحجة للفارسي (٣/ ٦٧).

(٩) في المطبوع: «المتعلقة».

وفصل[١] بين القسم والمقسم عليه بالجار والمجرور، وذلك جائز.

وقرأ سائر السبعة ﴿لَمَآ﴾ بفتح اللام، وذلك يتخرج على وجهين، أحدهما: أن تكون (ما) موصولة في موضع رفع بالابتداء، واللام لام الابتداء، وهي متلقية لما أجري مجرى القسم من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ﴾، وخبر الابتداء قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾، و﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ متعلق بقسم محذوف، والمعنى: والله لتؤمنن؛ هكذا قال أبو علي الفارسي[٢].

وفيه من جهة المعنى نظر إذا تأملتَ على أيّ شيءٍ وقع التحليف، لكنه متوجه بأن الحلف يقع مرتين تأكيداً، فتأمل.

والعائد الذي في الصلة، والعائد الذي في الجملة المعطوفة على الصلة هنا في هذه القراءة هما على حدّ ما ذكرناهما في قراءة حمزة، أما إن هذا التأويل يقتضي عائداً ثالثاً من الخبر الذي هو ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾، فهو قوله تعالى: ﴿بِهِۦ﴾ فالهاء من ﴿بِهِۦ﴾ عائدة على (ما)، ولا يجوز أن تعود على ﴿رَسُولٌ﴾ فيبقى الموصول حينئذ غيرَ عائد عليه من خبره ذِكرٌ.

[١/ ٢٣٤] والوجه الثاني الذي تتخرج عليه قراءة القراء ﴿لَمَآ﴾ بفتح اللام: / هو أن تكون (ما) للجزاء شرطاً، فتكون في موضع نصب بالفعل الذي بعدها وهو مجزوم، و﴿جَآءَكُمْ﴾ معطوف في موضع جزم، واللام الداخلة على (ما) ليست المتلقيةَ للقسم، ولكنها الموطِّئة المؤذِنة بمجيء لام القسم فهي منزلة اللام في قوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٦٠]؛ لأنها مؤذِنة بمجيء المتلقِّية للقسم [في قوله: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾، وكذلك هذه مؤذنة بمجيء المتلقية للقسم][٣] في قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾، وهذه اللام الداخلة على (إن) لا يعتمد القسم عليها، فلذلك جاز حذفها تارة وإثباتها تارة، كما قال تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

---

(١) في الأصل: «يصل».

(٢) الحجة (٣/ ٦٤).

(٣) ليس في الأصل والحمزوية ونور العثمانية.

قال الزجاج: لأن قولك: والله لئن جئتني لأكرمنَّك، إنما حلفك على فعلك، لا أنّ الشرط معلق به، فلذلك دخلت اللام على الشرط[١]، وما في هذا الوجه من كونها جزاء لا تحتاج إلى عائد؛ لأنها مفعولة، والمفعول لا يحتاج إلى عائد ذكر.

والضمير في قوله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ عائد على ﴿رَسُولٌ﴾، وكذلك هو على قراءة من كسر اللام، وأما الضمير في قوله: ﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ فلا يحتمل بوجه إلا العودَ على ﴿رَسُولٌ﴾.

قال أبو علي في «الإغفال»: وجزاء الشرط محذوف بدلالة قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ عليه[٢].

قال سيبويه: سألته ـ يعني الخليل ـ عن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ فقال: (ما) هنا بمنزلة: «الذي»، ودخلتها اللام كما دخلت على (إنْ) حين قلت: لئِنْ فعلتَ لأفعلنَّ[٣].

قال القاضي أبو محمد: ثم استمر يفسر وجه الجزاء.

قال أبو علي: أراد الخليل بقوله: هي بمنزلة «الذي» أنها اسم، [كما أن الذي اسم][٤]، ولم يرد أنها موصولة كـ «الذي»[٥].

وإنما فرَّ من أن تكون (ما) حرفاً كما جاءت حرفاً في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [هود: ١١١]، وفي قوله: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[٦]، [الزخرف: ٣٥] والله المستعان.

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٣٧).
(٢) انظر الإغفال لأبي علي (٢/ ١٣٣).
(٣) الكتاب (٣/ ١٠٧).
(٤) ليس في الأصل.
(٥) الحجة (٣/ ٦٥).
(٦) أي: في قراءة التخفيف ﴿لَمَا﴾، والله أعلم.

وحكى المَهْدَويُّ، ومكي عن سيبويه والخليل أن خبر الابتداء فيمن جعل (ما) ابتداءً على قراءة مَن فتح اللام هو في قوله: ﴿مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ﴾[١].

ولا أعرف من أين حكياه؛ لأنه مفسد لمعنى الآية، لا يليق بسيبويه والخليل[٢]، وإنما الخبر في قوله: ﴿لَتُؤۡمِنُنَّ﴾ كما قال أبو علي الفارسي، ومن جرى مجراه كالزجاج وغيره[٣].

وقرأ الحسن: (لَمَّا آتيناكم) بفتح اللام وشد الميم[٤]، قال أَبو إسحاق: أي لمَّا آتاكم الكتاب والحكمة أخذ الميثاق، وتكون اللام تؤول إلى الجزاء، كما تقول: لمَّا جئتني أكرمتك[٥].

قال القاضي أبو محمد: ويظهر أن (لمَّا) هذه هي الظرفية؛ أي: لما كنتم بهذه الحال رؤساءَ الناس وأماثلهم أخذ عليكم الميثاق؛ إذ على القادة يؤخذ، فيجيء هذا المعنى كالمعنى في قراءة حمزة.

وذهب ابن جني في (لمَّا) في هذه الآية إلى أن أصلها «لمَن ما»، وزيدت «مِن»

---

(١) انظر التحصيل (٢/ ٨٧)، وانظر الهداية لمكي (٢/ ١٠٦١)، ولفظه في مشكل إعراب القرآن (١/ ١٦٥): وما بمعنى الذي في موضع رفع بالابتداء والهاء محذوفة من آتيتكم تقديره للذي آتيتكموه من كتاب والخبر من كتاب وحكمة ومن زائدة وقيل الخبر لتؤمنن به. دون نسبة القولين.

(٢) مع أنه ظاهر نقل النحاس في إعراب القرآن (١/ ١٦٩): قال سيبويه: سألت الخليل في قوله جل وعز: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ فقال: (ما) بمعنى: الذي، قال أبو جعفر: التقدير على قول الخليل: لَلذي آتيتكموه، ثم حذف الهاء لطول الاسم، فـ «الذي» رفع بالابتداء، وخبره ﴿مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ﴾، وهو أيضاً ظاهر نقل الثعلبي (٣/ ١٠٣): فمن فتح اللام وخفّف الميم فقال الأخفش: هي لام الابتداء، أدخلت على (ما) الخبر كقول القائل: لَزيدٌ أفضلُ منك، و(ما آتيتكم) والذي بعده صلة له، وجوابه في قوله: (لتؤمنن به)، فإن شئت جعلت خبر (ما): ﴿مِّن كِتَٰبٖ﴾، وهو في معاني القرآن للأخفش (١/ ٢٢٥)، ونقله الطبري (٦/ ٥٥١) عن بعض نحويي البصرة قال: وإن شئت جعلت خبر (ما) «من كتاب»، يريد: لما آتيتكم كتابٌ وحكمة، وتكون (مِن) زائدةً.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٣٧)، الحجة لأبي علي (٣/ ٦٧).

(٤) وهي قراءة شاذة. انظر: المحتسب لابن جني (١/ ١٦٣).

(٥) معاني القرءان للزجاج (١/ ٤٣٧).

في الواجب على مذهب الأخفش، ثم أدغمت، كما يجب في مثل هذا، فجاء (لَمِمَّا)، فثقل اجتماع ثلاث ميمات، فحذفت الميم الأولى، فبقي (لمَّا)[١].

قال القاضي أبو محمد: وتتفسر هذه القراءة على هذا التوجيه المحلق[٢] تفسر ﴿لَمَآ﴾[٣] بفتح الميم مخففة، وقد تقدم.

وقرأ نافع وحده: ﴿آتيناكم﴾ بالنون، وقرأ الباقون: ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾ بالتاء[٤].

و﴿رَسُولٌ﴾ في هذه الآية اسم جنس.

وقال كثير من المفسرين: الإِشارة بذلك إلى محمد ﷺ.

وفي مصحف ابن مسعود: (مُصَدِّقاً)[٥] بالنصب على الحال.

قوله عز وجل: ﴿...قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِيۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

هذه الآية هي وصف توقيف الأنبياء على إقرارهم بهذا الميثاق، والتزامهم له، وأخذ عهد الله فيه، وذلك يحتملُ موطنَ القسم، ويحتمل أن يراد بهذه العبارة الجامعة وصفُ ما فعل مع كلِّ نبي في زمنه.

﴿وَأَخَذْتُمْ﴾ في هذه الآية عبارة عما تحصَّل لهم من إيتاء الكتاب والحكمة، فمن حيث أَخذ عليهم أَخذوا هم أيضاً، وقال الطبري: (أَخذتم) في هذه الآية معناه: قبِلتُم[٦].

---

(١) المحتسب (١/ ١٦٤).

(٢) هكذا في أكثر النسخ ولعله إشارة إلى استبعاد هذا القول، فيكون «المحلق» بمعنى: البعيد، وفي أحمد٣ وجار الله: «الملحق» بتقديم اللام.

(٣) في المطبوع: «مخففة الميم».

(٤) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٢١٤)، والتيسير للداني (ص: ٨٩).

(٥) وهي قراءة شاذة. انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٥٥).

(٦) تفسير الطبري (٦/ ٥٦٠).

و«الإِصر»: العهد، لا تفسير له في هذا الموضع إلا ذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَٱشۡهَدُواْ﴾ يحتمل معنيين: أحدهما: فاشهدوا على أممكم المؤمنين بكم، وعلى أنفسكم بالتزام هذا العهد، هذا قول الطبري وجماعة(١).

والمعنى الثاني: بُثُّوا(٢) الأمر عند أممكم، واشهدوا به، وشهادة الله تعالى على هذا التأويل وهي التي في قوله: ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ هي إعطاء المعجزات، وإِقرار نبواتهم، هذا قول الزجاج وغيره(٣).

قال القاضي أبو محمد: فتأمل أن القول الأول هو إِيداع الشهادة واستحفاظها، والقول الثاني هو الأمر بأَدائها.

وحكم الله تعالى بالفسق على من تولَّى من الأمم بعد هذا الميثاق، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره(٤).

ويحتمل أن يريد بعد الشهادة عند الأمم بهذا الميثاق على أن قوله: ﴿فَٱشۡهَدُواْ﴾ أمر بالأداء.

وقرأ أبو عمرو: ﴿يَبغون﴾ بالياء مفتوحة، و﴿تُرجعون﴾ بالتاء مضمومة.

وقرأ عاصم ﴿يَبۡغُونَ﴾ ﴿يُرۡجَعُونَ﴾ بالياء معجمة من تحت فيهما.

وقرأ الباقون بالتاء فيهما(٥)، ووجوه هذه القراءات لا تخفى بأدنى(٦) تأمل.

و﴿تَبْغُون﴾ معناه: تطلبون.

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٥٦١).

(٢) في المطبوع: «بينوا».

(٣) معاني القرآن للزجاج (١/ ٤٣٧).

(٤) تالف، أخرجه الطبري (٦/ ٥٦٢) من طريق: سيف بن عمر، عن أبي روق، عن أبي أيوب، عن علي ابن أبي طالب. وسيف متروك، بل رمي بالوضع.

(٥) وكلها سبعية، إلا أن الياء لعاصم هي من رواية حفص فقط انظر: السبعة (ص: ٢١٤)، والتيسير للداني (ص: ٨٩).

(٦) زاد في السليمانية: «وجه».

و﴿أَسْلَمَ﴾ في هذه الآية بمعنى: استسلم عند جمهور المفسرين، و﴿مَن﴾ في هذه الآية تعمُّ الملائكة والثقلين.

واختلفوا في معنى قوله: ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾:

فقال مجاهد: هذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨]، فالمعنى: أَن إِقرار كل كافر بالصانع هو إسلامٌ كرهاً.

قال القاضي أبو محمد: فهذا عمم لفظ الآية؛ لأنه لايبقى من لا يسلم على هذا التأويل، و﴿أَسْلَمَ﴾ فيه بمعنى استسلم، وقال بمثل هذا القول أبو العالية رفيع، وعبارته رحمه الله: كلُّ آدمي فقد أقر على نفسه بأن الله حيّ وأنا عبده[(١)]، فمن أشرك في عبادته فهذا الذي أسلم كرهاً، ومن أخلص فهذا الذي أسلم طوعاً[(٢)].

وقال ابن عباس: بل إسلام الكاره منهم كان حين أخذ الميثاق[(٣)].

وروي عن مجاهد أنه قال: الكره في هذه الآية هو بسجود[(٤)] / ظلِّ الكافر، فيسجد المؤمن طوعاً، ويسجد ظلُّ الكافر وهو كارهٌ. [١/ ٢٣٥]

وقال الشعبي: الآية عبارة عن استقادة جميع البشر لله، وإذعانهم لقدرته وإِن نسب بعضهم الألوهية إِلى غيره، وذلك هو الذي يسجد كرهاً[(٥)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو قول مجاهد وأبي العالية المتقدم وإِن اختلفت العبارات.

---

(١) في المطبوع: «أعبده».

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٥٦٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٩٧)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١٠٦).

(٣) أخرجه الطبري (٦/ ٥٦٥) من حديث: سفيان، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس، وإسناده صحيح إذا سمعه الأعمش. وهو بلفظ: حين أخذ الميثاق، وأول الكلام إنما هو كلام الطبري.

(٤) «بسجود»: ليست في نور العثمانية.

(٥) تفسير الطبري (٦/ ٥٦٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٩٧).

وقال الحسن بن أبي الحسن: معنى الآية: أَنه أسلم قوم طوعاً، وأسلم قوم خوفَ السيف.

وقال مطر الوراق: أسلمت الملائكة طوعاً، وكذلك الأنصار وبنو سليم وعبد القيس، وأسلم سائر الناس كرهاً حذر القتال والسيف[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قولُ الإِسلامُ فيه هو الذي في ضمنه الإِيمان، والآية ظاهرها العموم، ومعناها الخصوص؛ إذ من أهل الأرض من لم يُسْلِمْ طوعاً ولا كرهاً على هذا الحد.

وقال قتادة: الإِسلام كرهاً هو إسلام الكافر عند الموت والمعاينة حيث لا ينفعه[٢].

قال القاضي أبو محمد: ويلزم على هذا أن كل كافر يفعل ذلك، وهذا غير موجود إلا في أفراد، والمعنى في هذه الآية يفهم كل ناظر أَن هذا القسم الذي هو الكره إنما هو في أهل الأرض خاصة، والتوقيف بقوله: ﴿أَفَغَيْرَ﴾ إنما هو لمعاصري محمد ﷺ من الأحبار والكفار.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: (أُصْرِي) بضم الألف[٣]، وهي لغة.

قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٥٦٧).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٥٦٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٩٧)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٦٥)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١٠٧).

(٣) وهي شاذة، من رواية المعلى عنه كما في مختصر الشواذ (ص: ٢٨)، والسبعة (١/ ٢١٤)، وفي جار الله وأحمد٣: «بفتح الألف»، مع الإشارة إلى النسخة الأخرى في هامشهما.

المعنى: قل يا محمد أنت وأمتك: آمنَّا بالله وما أُنزل علينا، وهو القرآن وأمر محمد ﷺ، والإِنزال على نبيٍّ الأمة إنزالٌ عليها، وقدم إِسماعيل لسنِّهِ، وسائر الآية بين.

ثم حكم تعالى في قوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ﴾ الآية، بأنه لا يقبل من آدمي ديناً غيرَ دين الإِسلام، وهو الذي وافق في معتقداته دينَ كلِّ من سَمَّى من الأَنبياء، وهو الحنيفية السمحة.

وقال عكرمة: لما نزلت هذه الآية قال أهل الملل للنبي ﷺ: قد أسلمنا قبلك ونحن المسلمون، فقال الله له[١]: فحجَّهم يا محمد، وأنزل عليه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فحج المسلمون، وقعد الكفار[٢].

وأسند الطبري عن ابن عباس أَنه قال: نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، فأنزل الله بعدها: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ الآية[٣].

قال القاضي أبو محمد: فهذه إشارة إلى نسخ.

وقوله: ﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ متعلق بمقدر، تقديره: خاسر في الآخرة؛ لأن الأَلَف واللام في الخاسرين في معنى الموصول، وقال بعض المفسرين: إن قوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ﴾ الآية، نزلت في الحارث بن سويد[٤]، ولم يذكر ذلك الطبري[٥].

---

(١) في السليمانية وفيض الله: «لهم».

(٢) مرسل، أخرجه الطبري (٦/ ٥٧١) من طرق عن ابن أبي نجيح عن عكرمة به.

(٣) أخرجه الطبري (٦/ ٥٧٢) من طريق: علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٤) الحارث بن سويد بن الصامت الأنصاري الأوسي، أخو الجلاس وهو الّذي قتل المجذّر بن ذياد، فقتله النبيّ ﷺ به، وقيل إنما وقع ذلك لأخيه الجلاس، وروى أن الحارث كان مسلماً، ثم ارتدّ ولحق بالكفار. انظر: الإصابة (١/ ٦٧١).

(٥) لكن ذكر أن الآية التي بعدها نزلت فيه انظر: تفسير الطبري (٦/ ٥٧٢).

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾.

قال ابن عباس: نزلت هذه الآيات من قوله: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ﴾ في الحارث بن سويد الأَنصاري، كان مسلماً ثم ارتدَّ ولحق بالشرك، ثم ندم فأرسل إلى قومه أن يسألوا رسول الله ﷺ: هل لي من توبة؟ قال: فنزلت ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾، فأرسل إليه قومه، فأسلم[(١)].

وقال مجاهد: حمل الآيات إليه رجل من قومه فقرأها عليه، فقال له الحارث: إنك والله ما[(٢)] علمتُ لَصدوق، وإِن رسول الله ﷺ لأصدق منك، وإِن الله لأصدق الثلاثة، قال: فرجع الحارث فأسلم، وحسن إسلامه.

وقال السدي: نسخ الله تعالى بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ قولَه: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ﴾[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذه العبارة تجوز كثير، وليس هذا بموضع نسخ.

وقال عكرمة: نزلت هذه الآية في أبي عامر الراهب، والحارث بن سويد بن الصامت، ووحوح بن الأَسلت[(٤)] في اثني عشر رجلًا رجعوا عن الإسلام، ولحقوا بقريش ثم كتبوا إلى أهليهم: هل لنا من توبة؟ فنزلت هذه الآيات[(٥)].

---

(١) إسناده مستقيم، أخرجه الطبري (٦/ ٥٧٣) من طريق: يزيد بن زريع قال: حدثنا داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس.

(٢) في المطبوع: «لما».

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٥٧٣)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٦٦).

(٤) هو وحوح بن الأسلت، واسمه عامر بن جُشم بن وائل الأوسي الأنصاري، أخو أَبي قيس الشاعر. قال عبد الله بن محمد بن عمارة: له صحبة، وشهد الخندق وما بعدها من المشاهد. الإصابة (٦/ ٤٧٠).

(٥) أخرجه الطبري (٥/ ٥٥٩) من طريق ابن جريج، عن عكرمة فذكره من قوله.

وقال ابن عباس أيضاً والحسن بن أبي الحسن: إن هذه الآيات نزلت في اليهود والنصارى، شهدوا بنعت[(١)] الرسول ﷺ وآمنوا به، فلما جاء من العرب حسدوه، وكفروا به[(٢)]، ورجح الطبري هذا القول[(٣)]، وقال النقاش: نزلت هذه الآيات في طُعَيمة ابن أُبَيرق[(٤)].

قال القاضي أبو محمد: وكل من ذكر فألفاظ الآية تعمُّه.

وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ﴾ سؤال عن حال، لكنه سؤال توقيف على جهة الاستبعاد للأمر، كما قال ﷺ: «كيفَ تفلح أمة أدْمَت وجْهَ نبيها؟»[(٥)] فالمعنى: إنهم لشدة هذه الجرائم يبعد أن يهديهم الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَشَهِدُوٓاْ﴾ عطف على ﴿كَفَرُواْ﴾ بحكم اللفظ، والمعنى مفهوم أن الشهادة قبل الكفر، والواو لا ترتب.

وقال قوم: معنى قوله: ﴿بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾: بعد أن آمنوا، فقوله: ﴿وَشَهِدُوٓاْ﴾ عطف على هذا التقدير.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ عموم معناه الخصوص فيمن حتم كفره وموافاته عليه، ويحتمل أن يريد الإخبار عن أَن الظالم في ظلمه ليس على هدىً من الله، فتجيء الآية عامة تامة العموم.

---

(١) في نور العثمانية: «ببعث».

(٢) أخرج أثر ابن عباس: الطبري (٦/ ٥٧٤) عن محمد بن سعد قال: حدثني أبي قال: حدثني عمي قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، وسبق أنه إسناد مسلسل بالضعفاء، وهي نسخة.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٥٧٥).

(٤) لعله طعمة بن أُبيرق بن عمير الأنصاري، ذكره المستملي في الصحابة، وقال: شهد المشاهد كلها إلا بدراً. الإصابة (٣/ ٤٢٠)، وانظر قول النقاش في: البحر المحيط (٣/ ٢٥١)، ومثله في تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ١٨٠).

(٥) أخرجه مسلم (١٧٩١) بلفظ: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟» وعلَّقه البخاري (٥/ ٩٩).

و«اللعنة»: الإِبعاد وعدم الرحمة والعطف، وذلك مع قرينة الكفر زعيم بتخليدهم في النارِ، ولعنةِ الملائكة.

قوله(١): ﴿وَٱلنَّاسِ﴾: بنو آدم، ويظهر من كلام أبي علي الفارسي في بعض تعاليقه أن الجنّ يدخلون في لفظة (الناس)(٢)، وأنشد/ على ذلك: [١/ ٢٣٦]

فقلتُ إلى الطَّعام فقالَ منهم   أناسٌ نحسدُ الإِنسَ الطعاما(٣) [الوافر]

قال القاضي أبو محمد: والذي يظهر أَن لفظة (النَّاس) إذا جاءَت مطلقة فإِنما هي في كلام العرب بنو آدم لا غير، فإِذا جاءت مقيدة بالجن فذلك على طريقة الاستعارة؛ إذ هي جماعة كجماعة، وكذلك: ﴿بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦]، وكذلك: ﴿نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١]، ولفظة (النفر) أقرب إلى الاشتراك من (رجال) و(ناس)، وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٦] قاضٍ بتباين الصنفين.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ إِما أَن يكون لمعنى الخصوص في المؤمنين سماهم الناس؛ إذ هم المعوَّل عليه، وإما أن يريد أنهم في الآخرة يلعنهم المؤمنون ويلعن بعضهم بعضاً، فيجيء من هذا في كل شخص منهم أن لعنه جميع الناس، وإِما أن يريد أن هذه اللعنة تقع في الدنيا من جميع الناس على من هذه صفته(٤).

---

(١) في المطبوع وفيض الله والسليمانية ونور العثمانية: «ولعنة الملائكة: قول».

(٢) لم أقف على هذا التعليق، وفي الزاهر لابن الأنباري: (٢/ ٣٢٢): وربما أوقعت العرب الجن على الإنس، والإنس على الجن، إذا فهم المعنى، ولم يدخله التباس. قال الله عز وجل: ﴿فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾، أراد: في صدور الناس، جنِّهم وناسِهِم.

(٣) البيت لشمير بن الحارث الضبي كما في نوادر أبي زيد (ص: ١٢٣)، قال البغدادي في خزانة الأدب (٦/ ١٧٠): ضبطه أبو زيد بالتصغير، والأخفش بالمهملة، وكذا في اللسان (٣/ ١٤٨) عن ابن بري، قال: ويروى لتأبط شراً، وفي الحيوان (٤/ ٤٩٩): سهم بن الحارث، وعزاه ابن عاشور (٢٦/ ٣٥٩) للفرزدق، ولعله خطأ، وأكثر الروايات بلفظ: فقال منهم فريق، وبعضها: زعيم، ولم أقف على رواية: أناس.

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٢٦٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٩٩، ٧٠٠)، والهداية لمكي (١/ ٥٣٢)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٣١).

وكلُّ مَنْ هذه صفته ـ وقد أغواه الشيطان ـ يلعن صاحب الصفات، ولا يشعر من نفسه أنه متصف بها، فيجيء من هذا أنهم يلعنهم جميعُ الناس في الدنيا حتى إِنهم ليلعنون أنفسهم، لكن على غير تعيين.

والضمير في قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ قال الطبري: يعود على عقوبة الله التي يتضمنها معنى اللعنة(١)، وقال قوم من المفسرين: الضمير عائد على اللعنة.

قال القاضي أبو محمد: وقرائن الآية تقتضي أَن هذه اللعنة مخلّدة لهم في جهنم، فالضمير عائد على النار، وإِن كان لم يجرِ لها ذكرٌ؛ لأن المعنى يُفهمها في هذا الموضع، كما يُفهم قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] أَنها الأرضُ، وقد قال بعض الخراسانيين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥]: إن الضمير عائد على النار(٢).

و﴿يُنظَرُونَ﴾ في هذه الآية، بمعنى: يُؤَخَّرون، ولا راحة إلا في التخفيف، أو التأخير، فهما مرتفعان عنهم، ولا يجوز أن يكون ﴿يُنظَرُونَ﴾ هنا من نظر العين إلا على توجيه غير فصيح لا يليق بكتاب الله تعالى.

وقوله عز وجل: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ استثناء متصل يبين ذلك قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾.

و«التوبة»: الرجوع، و«الإِصلاح»: عامٌّ في القول والعمل.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وعد.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (والناسُ أجمَعُونَ)(٣).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٢٦٤).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) وهي قراءة شاذة تقدم مثلها في البقرة، وانظر عزوها له هنا في: الشواذ للكرماني (ص: ١١٦)، مع تخفيف (إنْ) ورفع (لعنةُ).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾.

اختلف المتأولون في كيف يترتَّب كفرٌ بعد إيمان، ثم زيادةُ كفر:

فقال الحسن وقتادة وغيرهما: الآية في اليهود، كفروا بعيسى بعد الإِيمان بموسى، ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ[(١)].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا القول اضطراب؛ لأن الذي كفر بعيسى بعد الإِيمان بموسى ليس بالذي كفر بمحمد ﷺ، فالآية على هذا التأويل تخلط الأَسلاف بالمخاطبين.

وقال أبو العالية رفيع: الآية في اليهود، كفروا بمحمد ﷺ بعد إيمانهم بصفاته وإِقرارهم أنها في التوراة، ثم ازدادوا كفراً بالذنوب التي أصابوها في خلاف النبي ﷺ، من الافتراء والبَهْت والسعي على الإِسلام وغير ذلك[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: وعلى هذا الترتيب يدخل في الآية المرتدُّون اللاحقون بقريش وغيرهم.

وقال مجاهد: معنى قوله: ﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾؛ أي: تموا على كفرهم، وبلغوا الموت به، فيدخل في هذا القول اليهود والمرتدون، وقال السدي نحوه[(٣)].

ثم أخبر تعالى أَن توبة هؤلاء لن تقبل، وقد قررت الشريعة أَن توبة كلِّ كافر تقبل، سواء كفر بعد إيمان وازداد كفراً، أو كان كافراً من أول أمره، فلا بد في هذه الآية من تخصيصٍ تُحْمَلُ عليه، ويصحُّ به نفي قبول [التوبة[(٤)]، فقال الحسن وقتادة ومجاهد

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٥٧٨، ٥٧٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٧٠١)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١٠٨).
(٢) تفسير الطبري (٦/ ٥٧٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٧٠١)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٢٨٢)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١٠٨).
(٣) تفسير الطبري (٦/ ٥٨١، ٩/ ٣١٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٧٠١)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١٠٨).
(٤) في السليمانية: «توبتهم».

والسدي: نفي قبول][1] توبتهم مختصٌّ بوقت الحشرجة والغرغرة والمعاينة، فالمعنى: لن تقبل توبتهم عند المعاينة.

وقال أبو العالية: معنى الآية: لن تقبل توبتهم من تلك الذنوب التي أصابوها مع إِقامتهم على الكفر بمحمد ﷺ، فإِنهم كانوا يقولون في بعض الأحيان: نحن نتوبُ من هذه الأفعال وهم مقيمون على كفرهم، فأخبر الله تعالى أَنه لا يقبل تلك التوبة[2].

وتحتمل الآية عندي أن تكون إشارة إلى قوم بأعيانهم من المرتدين ختم الله عليهم بالكفر، وجعل ذلك جزاء لجريمتهم ونكايتهم في الدين، وهم الذين أشار إليهم بقوله: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا﴾، فأخبر عنهم أنهم لا تكونُ لهم توبةٌ فيُتصوَّرَ قبولها، فتجيء الآية بمنزلة قول الشاعر:

عَلَى لَاحِبٍ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ[3] .... [الطويل]

أي: قد جعلهم الله من سخطه في حيِّزِ مَنْ لا تُقبل له توبة؛ إذ ليست لهم، فهم لا محالة يموتون على الكفر، ولذلك بيَّن حكم الذين يموتون كفاراً بعقب الآية، فبانت منزلة هؤلاء، فكأنه أخبر عن هؤلاء المعينين أنهم يموتون كفاراً، ثم أخبر الناس عن حكم كل من يموت كافراً.

و﴿ٱلضَّآلُّونَ﴾: المخطئون الطريق القويم في الأقوال والأفعال.

وقرأ عكرمة: (لنْ نَقْبل) بنون العظمة (تَوْبتَهم) بنصب التاء[4].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ الآية، جزم للحكم على كل موافٍ على الكفر إلى يوم القيامة.

---

(١) ليس في الأصل والحمزوية.

(٢) انظر القولين في: تفسير الطبري (٦/ ٥٧٨) وما بعدها.

(٣) تقدم في تفسير الآية (٢٤٧) من سورة البقرة.

(٤) وهي قراءة شاذة. انظرها والتي بعدها في: البحر المحيط (٣/ ٢٥٥)، ولم أجدها لمن قبل المصنف.

وقرأ عكرمة: (فلن نَقْبل) بنون العظمة (ملءَ الأرض) بالنصب.

و«المِلء»: ما شحن به الوعاء، فهو بكسر الميم: الاسم، وبفتحها: المصدر، تقول ملأت الشيءَ أملؤه مَلئاً، و«الملءُ»: اسم ما ملأت به.

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع وأبو السمال: ﴿مِلُ﴾ دون همزة، ورويت عن نافع[1].

و﴿ذَهَبًا﴾ نصب على التمييز.

وقرأ ابن أبي عبلة: (ذهباً لو افتدى به) دون واو[2].

واختلف الناس في هذه الآية في قوله: ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ﴾؛ فقال الطبري: هي متعلقة بمحذوف في آخر الكلام دلَّ عليه دخول الواو/ ، كما دخلت في قوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥] لمتروك من الكلام[3]، تقديره: وليكون من الموقنين أريناه ملكوت السماوات والأرض. [١/ ٢٣٧]

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا التمثيل نظر، فتأمله.

وقال الزجاج: المعنى: لن يقبل من أحدهم إنفاقه وتقرباته في الدنيا ولو أنفق ملءَ الأرض ذهباً ولو افتدى به أيضاً في الآخرة لم يقبل منه، قال: فأَعلمَ أنه لا يثيبهم على أعمالهم من الخير، ولا يقبل منهم الافتداءَ من العذاب[4].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول حسن.

وقال قوم: الواو زائدة، وهذا قول مردود.

ويحتمل أن يكون المعنى نفي القبول جملة على كل الوجوه، ثم خصَّ من تلك

---

(١) هذا الوجه من القراءة ليس من طرق التيسير، ولكنه صحيح من رواية الأصبهاني عن ورش، وابن وردان عن أبي جعفر. انظر: النشر (١/ ٤٧٠). وانظر قراءة أبي السمال في: الشواذ للكرماني (ص: ١١٦).

(٢) انظر: الشواذ للكرماني (١١٦). وهي قراءة مخالفة لمصاحف المسلمين.

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٥٨٦).

(٤) معاني القرآن للزجاج (١/ ٤٤١).

الوجوه أليقها وأحراها بالقبول، كما تقول: أَنا لا أفعل لك كذا بوجهٍ ولو رغبتَ إليَّ.

وباقي الآية وعيد بيِّن.

قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

ذهب بعض الناس إلى أن يصل معاني هذه الآيات بعضها ببعض، من حيث أخبر تعالى أنه لا يقبل من الموافي على الكفر [ملءَ الأرض ذهباً][(١)]، وقد بان أنه يقبل من المؤمن القليل والكثير، فحضَّ على الإِنفاق من المحبوب المرغوب فيه، ثم ذكر تقرُّبَ إِسرائيل عليه السلام بتحريم ما كان يحبُّ على نفسه؛ ليدلَّ تعالى على أَن جميع التقربات تدخل بالمعنى في جملة الإِنفاق من المحبوب.

وفسَّر جمهور المفسرين هذه الآيات على أنها معانٍ منحازة، نظمتها الفصاحة المعجزة أجملَ نظم.

وقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟﴾ الآية، خطاب لجميع المؤمنين.

وقال السدي وعمرو بن ميمون[(٢)]: البر: الجنة[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا تفسير بالمعنى، وإِنما الخاصُّ باللفظة أنه ما يفعله البَرُّ من أفاعيل الخير، فتحتمل الآية أن يريد: لن تنالوا برَّ الله تعالى بكم؛ أي: رحمته ولطفه، ويحتمل أَن يريد: لن تنالوا درجة الكمال من فعل البر حتى تكونوا أبراراً إلا بالإِنفاق المنضاف إلى سائر أعمالكم.

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) هو عمرو بن ميمون الأزدي، أَبو عبد الله، أو أبو يحيى الكوفي، أَدرك الجاهلية، وأَسلم في حياته ﷺ ولم يلقه، روى عن عُمَر، وابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وعائشة، وغيرهم، وروى عنه سعيد بن جُبير، والربيع بن خثيم، توفي سنة (٧٤). الإصابة (٥/ ١١٩).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٥٨٧)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٢٨٤).

وبسبب نزول هذه الآية تصدَّق أبو طلحة[١] بحائطه المسمى بيرحا[٢]، وتصدق زيد بن حارثة بفرس كان يحبها، فأعطاها رسولُ الله ﷺ أسامةَ ابنه[٣]، فكأن زيداً شقَّ عليه، فقال له النبي ﷺ: «أمَا إن الله قد قِبَل صدقتَك»[٤].

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأَشعري أن يشتري له جارية من سبي جَلُولَاءَ، وقتَ فتح مدائن كسرى على يدي سعد بن أبي وقاص، فسيقت إليه وأحبها، فدعا بها يوماً وقال: إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فأعتقها[٥].

قال القاضي أبو محمد: فهذا كله حمل للآية على أن قوله تعالى: ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾؛ أي: من رغائب الأموال التي يُضَنُّ بها، ويتفسر بقول النبي ﷺ: «خيرُ الصَّدَقة أن تَصَدَّق وأنتَ صحيحٌ شحيح، تخشى الفقْرَ، وتأملُ الغنى»[٦] الحديث.

وذهب قوم من العلماء إلى أن ما يُحب من المطعومات[٧] على قدر[٨] الاشتهاء

---

(١) هو أَبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاري الخزرجي، مشهور بكنيته، كان من فضلاءِ الصحابة، وهو زوج أمِّ سليم، شهد بدراً، وروى عنه من الصحابة ابنُ عباس، وأنس، وزيد ابن خالد. الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٥٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أُسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، الحِبُّ ابنُ الحِب، يكنى أَبا محمد، أمه أُمُّ أَيمن حاضنة النبي ﷺ، وُلد أُسامة في الإِسلام، ومات ﷺ وله عشرون سنة، اعتزل الفتن بعد مقتل عثمان إلى أن مات في أواخر خلافة معاوية بالمدينة. الإصابة (١/ ٢٠٢).

(٤) لم أجده.

(٥) رواه الطبري (٦/ ٥٨٨) من طريق: أبي عاصم قال: حدثنا عيسى (هو ابن ميمون الجرشي)، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.
وقد سبق ذكر الاختلاف في رواية ابن أبي نجيح التفسيرَ عن مجاهد.

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٤١٩)، ومسلم (١٠٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) في المطبوع وفيض الله: «الطعومات».

(٨) في لالاليه ونور العثمانية وأحمد٣: «جهة».

يدخل في الآية[١]، فكان عبد الله بن عمر يشتهي أكل السكر باللوز، فكان يشتري ذلك ويتصدق به، ويتلو الآية[٢].

قال القاضي أبو محمد: وإذا تأملت جميع الطاعات وجدتها إنفاقاً مما يحبُّ الإنسان، إما من ماله، وإما من صحته، وإما من دَعته وترفهه، وهذه كلها محبوبات.

وسأل رجل أبا ذر الغفاري رضي الله عنه؛ أي: الأَعمال أفضل؟ فقال: الصلاةُ عمادُ الإسلام، والجهاد سُنَامُ العمل، والصدقة شيء عجيب، فقال له الرجل: أراك تركت شيئاً وهو أوثقها في نفسي: الصيام، فقال أبو ذر: قربة، وليس هناك، ثم تلا: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ﴾ الآية[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ شرط وجواب فيه وعد؛ أي: عليمٌ مجازٍ به وإن قلَّ.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ﴾ الآية، إخبار بمغيب عن محمد ﷺ وجميع الأميين، لا يعلمه إلا الله وعلماءُ أهل الكتاب.

وذهب كثير من المفسرين إلى أن معنى الآية: الرد على اليهود في قولهم في كلِّ ما

---

(١) ممن قال بذلك من الصحابة عمر بن الخطاب وأبو طلحة وزيد بن حارثة، ومن التابعين عمر ابن عبد العزيز والربيع بن خيثم، انظر: تفسير الطبري (٦/ ٥٨٨-٥٨٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/ ١٣٢-١٣٣).

(٢) إسناده صالح، أخرجه ابن المنذر في تفسيره (٦٩٤) من طريق عبيد الله بن محمد بن يزيد بن خنيش، قال: حدثني أبي، عن عبد العزيز، عن نافع، قال: كان عبد الله بن عمر يشتري السكر، فيتصدق به، فنقول له: يا أبا عبد الرحمن لو اشتريت لهم بثمنه طعاماً كان أنفع لهم من هذا، فيقول: إني أعرف الذي تقولون: ولكني سمعت الله، يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وإن ابن عمر يحب السكر.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٦/ ٥٩٠) من طريق: عبد الوارث قال: حدثنا ليث، عن ميمون بن مهران: أن رجلاً سأل أبا ذر. وهذا خبر منقطع الإسناد؛ لأن ميمون بن مهران لم يدرك أبا ذر، أبو ذر مات سنة (٣٢)، وميمون ولد سنة (٤٠). وليث هو ابن أبي سليم ضعيف.

حرَّموه على أنفسهم من الأشياء: إنها محرمةٌ عليهم بأمر الله في التوراة[١]، فأكذبهم الله بهذه الآية، وأخبر أن جميعَ الطعام كان حلاً لهم إلا ما حرَّمَ إسرائيل على نفسه خاصة ولم يرد به ولده، فلما استنُّوا هُمْ به جاءت التوراة بتحريم ذلك عليهم، وليس من التوراة شيءٌ من الزوائد التي يدَّعون أن الله حرمها، وإلى هذا تنحو ألفاظ السدي، قال: إن الله تعالى: حرم ذلك عليهم في التوراة عقوبةً لاستنانهم في تحريم شيء إنما فعله يعقوبُ خاصة لنفسه، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠][٢].

قال القاضي أبو محمد: والظاهر في لفظة الظلم أنها مختصةٌ بتحريمٍ ونحوه، يدلُّ على ذلك أن العقوبةَ وقعت بذلك النوع.

وذهب قوم من العلماء إلى أن معنى الآية: الرد على قوم من اليهود قالوا: إن ما نحرمه الآن على أنفسنا من الأشياء التي لم تذكر في التوراة كان علينا حراماً في ملّة أبينا إبراهيم، فأكذبهم الله وأَخبر أن الطعامَ كلَّه كان حلالاً لهم قبل التوراة إلا ما حرم إسرائيل في خاصته، ثم جاءت التوراة بتحريم ما نصت عليه، وبقيت هذه الزوائد في حيّز افترائهم وكذبهم؛ وإلى هذا تنحو أَلفاظ ابن عباس رضي الله عنه[٣].

وترجم الطبري في تفسير هذه الآية بتراجم، وأدخل تحتها أقوالاً توافق تراجمه، وحمَّلَ ألفاظَ الضحاك أن الاستثناء منقطع، وكأن المعنى: كلُّ الطعام كان حلّاً لهم قبل نزول التوراة وبعد نزولها[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا شيء لم يقله الضحاك، ولا يحتمله لفظه، لكنه في نفسه كلام متخرج على أن يجعل ﴿كَانَ﴾ لا تخصّ الماضي من الزمان، بل تكون بمنزلة التي

(١) تفسير الطبري (٧/ ٨)، وتفسير السمعاني (١/ ٣٤٠).
(٢) وانظر: تفسير الطبري (٧/ ٧)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٧٣).
(٣) تفسير الطبري (٧/ ١٠) من طريق: العوفي عن ابن عباس، ومن طريق: ابن جريج قال ابن عباس. الأول ضعيف، والثاني فيه انقطاع.
(٤) تفسير الطبري (٧/ ٧، ٧/ ٩).

في قولك: «وَكان اللهُ غفوراً رحيماً»، والمعنى: إلا ما حرم إسرائيل على نفسه فحُرِّمَ عليهم في التوراة لا أن هذه(١) الزوائد التي افتروها، فيرجع المعنى إلى القول الأول الذي حكيناه.

وحمل الطبري قول الضحاك أن معناه: لكن إِسرائيل حرم / على نفسه خاصة ولم يحرم الله على بني إسرائيل في توراة ولا غيرها(٢)، وهذا تحميل يرد عليه قوله تعالى: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، وقوله ﷺ: «حُرِّمت عليهم الشحومُ»(٣)، إلى غير ذلك من الشواهد. [١/ ٢٣٨]

وقوله تعالى ﴿حِلًّا﴾ معناه: حلالاً، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هو يعقوب.

وانتزع من هذه الآية أَن للأنبياء أن يحرموا باجتهادهم على أنفسهم ما اقتضاه النظرُ لمصلحةٍ أو قربة أو زهد، ومن هذا على جهة المصلحة تحريمُ النبي ﷺ جاريته على نفسه(٤)، فعاتبه الله تعالى في ذلك ولم يعاتب يعقوب، فقيل: إن ذلك لحق آدمي ترتب في نازلة نبينا محمد ﷺ، وقيل: إن هذا تحريم تقرب وزهد، وتحريم الجارية تحريم غضبٍ، ومصلحة نفوس.

واختلف الناس في الشيء الذي حرمه يعقوب على نفسه:

فقال يوسف بن ماهَك(٥): جاء أَعرابي إلى ابن عباس فقال له: إنه جعل

---

(١) كذا في نور العثمانية والحمزوية، في فيض الله: «إلا هذه»، وفي السليمانية وأحمد٣: «لا هذه»، وفي الأصل و«لالاليه»، لأن هذه وكأنه تم إصلاحه إلى «لا أن»، وفي المطبوع: «لا هذه» بدون «أن».

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٢٢٣) (٢٢٢٤) (٣٤٦٠) ومسلم (١٥٨٢).

(٤) أخرجه البخاري (٤٩١١)، ومسلم (١٤٧٣) من طريق يحيى بن أبي كثير، عن يعلى بن حكيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: إذا حرم الرجل عليه امرأته، فهي يمين يكفرها، وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٨٧) من طريق يعلى بن حكيم، به، وفيه، أن ابن عباس كان يقول: في الحرام يمين تكفرها. وقال ابن عباس: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ يعني أن النبي ﷺ حرم جاريته، فقال الله جل ثناؤه.

(٥) هو يوسف بن ماهك الفارسي مولى المكيين، روى عن: حكيم بن حزام، وابن عباس، وأبي هريرة وغيرهم، وعنه: أيوب، وعطاء، وأبو بشر، وحميد الطويل، وابن جريج، وجماعة، وثقه ابن معين، توفي سنة (١١٣هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٥٠٨).

امرأته عليه حراماً، فقال ابن عباس: إنها ليست عليك بحرام، فقال الأَعرابي: ولم؟ والله تعالى يقول في كتابه: ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾، فضحك ابن عباس وقال: وما يدريك ما حرَّم إسرائيل؟ ثم أقبل على القوم يحدثهم؛ فقال: إن إسرائيل عرضت له الأَنساء فأضنته فجعل لله إن شفاه من ذلك أَلَّا يطعم عرقاً، قال: فلذلك اليهود تنزع العروقَ من اللحم[١]، وقال بمثل هذا القول قتادة وأبو مجلز ومجاهد وغيرهم[٢].

وقال ابن عباس أيضاً[٣]، والحسن بن أبي الحسن وعبد الله بن كثير ومجاهد أيضاً: إن الذي حرم إسرائيل هو لحوم الإِبل وألبانها[٤].

ولم يختلفْ فيما علمت أن سبب التحريم هو من مرض أصابه، فجعل تحريم ذلك شكراً لله تعالى إِن شفي. وقيل: هو وجع عرق النَّسا. وفي حديث عن النبي ﷺ أن عصابة من بني إسرائيل قالوا له: يا محمد ما الذي حرم إسرائيل على نفسه؟ فقال لهم: «أنشدكم بالله هل تعلمون أن يعقوب مرض مرضاً شديداً فطال سقمه منه، فنذر لله نذراً إن عافاه الله من سقمه ليحرّمنَّ أحبَّ الطعامِ والشراب إليه، وكان أحبَّ الطعام إليه لحومُ الإِبل، وأحب الشراب إليه ألبانها؟ قالوا: اللهم نعم»[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٧/ ١١) من طريقين عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية عن يوسف بن ماهك قال: جاء أعرابي إلى ابن عباس، وبلفظ: أن أعرابياً أتى ابن عباس، فلم يصرح يوسف بحضور القصة.

(٢) تفسير الطبري (٧/ ١٢)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٢٩١)، و(مجاهد) ليس في المطبوع والأصل.

(٣) إسناده مستقيم، أخرج أثر ابن عباس: الطبري (٧/ ١٤) من طريق: سفيان قال: حدثنا حبيب بن أبي ثابت قال، حدثنا سعيد، عن ابن عباس بلفظ: «لحوم الإبل»، ومن طريق: الأعمش، عن حبيب به بلفظ: «العروق ولحوم الإبل». ورجح الطبري رواية الأعمش.

(٤) تفسير الطبري (٧/ ١٤، ١٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٠٥)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٢٩٢)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١١٣).

(٥) في إسناده كلام، أخرجه أحمد في المسند مطولاً (٢٥١٤)، ومختصراً في عدة مواضع، والطبري (٧/ ١٥) من طريق: عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس.

قال القاضي أبو محمد: وظاهر الأحاديث والتفاسير في هذا الأمر أَن يعقوب عليه السلام حرَّم لحوم الإِبل وألبانها ـ وهو يحبها ـ تقرباً إِلى الله بذلك؛ إِذ ترك الترفه والتنعم من القرب، وهذا هو الزهد في الدنيا، وإِليه نحا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله: إياكم وهذه المجازرَ، فإِن لها ضراوة كضراوة الخمر[١].

ومن ذلك قول أبي حازم الزاهد[٢] وقد مر بسوق الفاكهة فرأى محاسنها فقال: موعدُك الجنةَ إِن شاء الله[٣].

وحرم يعقوب عليه السلام أيضاً العروق، لكن بغضةً لها لما كان امتحن بها، وهذا شيء يعتري نفوسَ البشر في غير ما شيء، وليس في تحريم العروق قربة فيما يظهر، والله أعلم.

وقد روي عن ابن عباس: أن يعقوب حرَّم العروق ولحوم الإبل[٤].

وأمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يأمرهم بالإِتيان بالتوراة، حتى يبين منها كيف الأمر، المعنى: فإِنه أيها اليهود، كما أنزل الله عليَّ، لا كما تدعون أنتم.

قال الزجاج: وفي هذا تعجيزٌ لهم، وإِقامة الحجة عليهم، وهي كقصّةِ المباهلة مع نصارى نجران[٥].

---

(١) إسناده منقطع: أخرجه مالك (١٨٠٦) قال: عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب قال، بلفظ: «إياكم واللحمَ، فإن له ضَراوةً كضَراوةِ الخَمرِ».

(٢) هو سلمة بن دينار المخزومي المدني مولاهم، التمار، الواعظ، الزاهد، أَبو حازم، عالم المدينة وقاضيها، أَو شيخها، سمع سهل بن سعد الساعدي، وسعيد بن المسيب، وأبا صالح السَّمان، وعِدَّةً، وروى عنه مالك، والسفيانان، والحمَّادان، وخلْقٌ. تذكرة الحفاظ (١/ ١٣٣).

(٣) حلية الأولياء (٣/ ٢٤٦)، وتاريخ مدينة دمشق (٢٢/ ٥٧).

(٤) إسناده مستقيم، رواه الطبري (٦/ ١٤) من طريق: يحيى بن عيسى ـ وهو الرملي ـ، عن الأعمش، عن حبيب ـ وهو ابن أبي ثابت ـ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

(٥) معاني القرآن للزجاج (١/ ٤٤٤).

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩٤ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٥ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦﴾.

قوله: ﴿فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ تحتمل الإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ أن تكون إلى ثلاثة أشياء:

أحدها: أن تكون إلى التلاوة؛ إذ مضمَّنها بيانُ المذهبِ، وقيام الحجة، أي: فمن كذب منا على الله تعالى أو نسب إلى كتب الله ما ليس فيها فهو ظالم، واضعٌ الشيءَ في غير موضعه.

والآخر: أن تكون الإشارة إلى استقرار التحريم في التوراة؛ لأن معنى الآية: كل الطعام كان حلّاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه، ثم حرمته التوراة عليهم عقوبة لهم، فمن افترى على الله الكذب وزاد في المحرمات فهو الظالم.

والثالث: أن تكون الإشارة إلى الحال بعد تحريم إسرائيل على نفسه وقبل نزول التوراة؛ أي: من تسنَّن بيعقوب، وشرع ذلك دون إذن من الله، ومن حرم شيئاً ونسبه إلى ملة إبراهيم فهو الظالم.

ويؤيد هذ الاحتمال الأخير قولُه تعالى: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾ [النساء: ١٦٠]، فنصَّ على أنه كان لهم ظلم في معنى التحليل والتحريم، وكانوا يشدِّدون فشدَّدَ الله عليهم، كما فعلوا في أمر البقرة.

وبخلاف هذه السيرة[١] جاء الإسلام في قوله ﷺ: «يسِّروا، ولا تعسِّروا»[٢]،

---

(١) في السليمانية ولالاليه: «السورة».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٩) (٦١٢٥)، ومسلم (١٧٣٤) من حديث أنس رضي الله عنه، ومسلم (١٧٣٢) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

وقوله: «دينُ الله يِسرٌ»[١]، وقوله: «بُعِثْتُ بالحَنيفيَّة السَّمْحةِ»[٢].

ثم أمر الله تعالى نبيه أن يصدع بالخلاف والجدال مع الأحبار بقوله: ﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: الأمر كما وصف، لا كما تكذبون أنتم، فإِن كنتم تعتزون بإبراهيم فاتبعوا ملته على ما ذكر الله.

وقرأ أبان بن تغلب[٣]: (قُل صَّدَقَ الله) بإِدغام اللام في الصاد، وكذلك: (قل سِّيروا)[٤] قرأها بإِدغام اللام في السين[٥]، قال أبو الفتح: علة جواز ذلك فشُوّ هذين الحرفين في الفم، وانتشار الصدى المنبثِّ عنهما، فقاربتا بذلك مخرج اللام، فجاز إِدغامهما فيهما[٦].

---

(١) في إسناده جهالة، أخرجه أحمد (٥: ٦٩) قال: حدثنا يزيد بن هارون أنا عاصم بن هلال، ثنا غاضرة ابن عروة الفقيمي، حدثني أبي به.وغاضرة قال ابن المديني: مجهول.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٦) عن أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الخولاني، والطبراني في الكبير (٧٨٦٨) من طريق أبي المغيرة، عن علي بن زيد، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سرية من سراياه قال: فمر رجل بغار فيه شيء من ماء، قال: فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار فيقوته ما كان فيه من ماء، ويصيب ما حوله من البقل، ويتخلى من الدنيا، ثم قال: لو أني أتيت نبي الله ﷺ، فذكرت ذلك له فإن أذن لي فعلت، وإلا لم أفعل. فأتاه فقال: يا نبي الله، إني مررت بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقل، فحدثتني نفسي بأن أقيم فيه وأتخلى من الدنيا. قال: فقال النبي ﷺ: «إني لم أبعث باليهودية، ولا بالنصرانية، ولكني بعثت بالحنيفية السمحة، والذي نفس محمد بيده لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، ولمقام أحدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة» وعلي بن يزيد الألهاني ضعيف، وله طرق أخرى لا تسلم من ضعف.

(٣) في المطبوع والأصل وفيض الله ونور العثمانية: «بن ثعلب»، وهو أبان بن تغلب الربعي، أبو سعيد، ويقال: أبو أميمة الكوفي النحوي، جليل، قرأ على عاصم وأبي عمرو الشيباني وغيرهما، وأخذ عنه محمد بن صالح الكوفي، توفي سنة (١٤١هـ). طبقات القراء (١/ ٤).

(٤) تكررت هذه العبارة في سورة الأنعام١١، والنمل٦٩، والعنكبوت ٢٠، والروم ٤٢.

(٥) وهي قراءة شاذة. انظر: مختصر الشواذ (ص: ٢٨)، والمحتسب (١/ ١٦٥).

(٦) المحتسب لابن جني (١/ ١٦٥).

وقرأ جمهور الناس: ﴿وُضِعَ﴾ على بناء الفعل للمجهول على معنى: وضعه الله، فالآية على هذا ابتداء معنى منقطع من الكلام الأول.

وقرأ عكرمة: (وَضَع) بفتح الواو والضاد[١].

فيحتمل أن يريد: وضع الله، فيكون المعنى منقطعاً كما هو في قراءة الجمهور.

ويحتمل أن يريد وضع إبراهيم عليه السلام، فيكون المعنى متصلاً/ بالذي قبله، [١/ ٢٣٩]
وتكون هذه الآية استدعاء لهم إلى ملته في الحج وغيره على ما روى عكرمة أنه لما نزلت: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾ الآية، قال اليهود: نحن على الإِسلام، فنزلت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ قيل له: أحجَّهمْ يا محمد إن كانوا على ملة إبراهيم التي هي الإِسلام[٢].

قال القاضي أبو محمد: ويؤيد هذا التأويل ما قال أبو ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام»، قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلت: كم بينَهما؟ قال: «أربعون سنة»[٣].

فيظهر من هذا أنهما من وضع إِبراهيم جميعاً، ويضعف ما قال الزجاج من أن بيت المقدس من بناء سليمان بن داود[٤]، اللهم إلا أن يكون جدَّده، وأين مدةُ سليمان من مدة إِبراهيم؟ ولا مريةَ في أن إبراهيم وضع بيتَ مكة، وإنما الخلاف هل وَضْعُ بدأةٍ أو وضعُ تجديد؟

---

(١) وهي قراءة شاذة. انظر: البحر المحيط (٣/ ٢٦٨)، وزاد ابن السمفيع، ولم أجد من عزاها لعكرمة غيرهما.

(٢) مرسل، أخرجه الشافعي في الأم (٢/ ١١٩) عن سفيان، والطبري في تفسيره (٥/ ٥٥٦) وغيرهم من طريق سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن عكرمة قال لما نزلت ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾. قالت اليهود: فنحن مسلمون، فقال الله تعالى لنبيه: فحجهم فقال لهم النبي ﷺ: «حُجُّوا» فقالوا: لم يكتب علينا، وأبوا أن يحجوا، قال الله جل ثناؤه: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال عكرمة: من كفر من أهل الملل فإن الله غني عن العالمين، وما أشبه ما قال عكرمة بما قال؛ لأن هذا كفر بفرض الحج، وقد أنزله الله.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٤٢٥)، ومسلم (٥٢٠).

(٤) معاني القرآن للزجاج (١/ ٤٤٥).

واختلف المفسرون في معنى هذه الأوليَّة التي في قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ﴾:

فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: معنى قوله: إِنَّ أَوَّلَ بيتٍ وُضِع مباركاً وهدى هذا البيت الذي بمكة، وقد كانت قبله بيوت لم توضَعْ وضعه من البركة والهدى[١].

وقال قوم: بل هو أول بيت خلق الله تعالى، ومن تحته دُحِيَتِ الأرض[٢].

قال القاضي أبو محمد: ورويت في هذا أقاصيص من نزول آدم به من الجنة، ومن تحديد مدد[٣] ما بين خلقه ودحو الأرض، ونحو ما قال الزجاج من أَنه البيت المعمور[٤]، أسانيدها ضعاف فلذلك تركتها.

وعلى هذا القول يجيء رفع إِبراهيم القواعد تجديداً، وقال قتادة: ذكر لنا أن البيت أُهبط مع آدم، ورفع وقت الطوفان[٥].

واختلف الناس في ﴿بكّةَ﴾:

فقال الضحاك وجماعة من العلماء: بكة: هي مكة[٦].

قال القاضي أَبو محمد: فكأنَّ هذا من إِبدال الباء بالميم، على لغة مازن وغيرهم[٧].

وقال ابن جبير وابن شهاب وجماعة كثيرة من العلماء: مكة: الحرم كله، وبكة: مزدحَم الناس حيث يتباكُّون، وهو المسجد وما حول البيت[٨].

---

(١) إسناده لا بأس به، أخرجه الطبري (٧/ ١٩) بنحوه من طريق: شعبة، عن سماك قال: سمعت خالد ابن عرعرة قال: سمعت علياً.

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٢٠، ٢١)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٢٩٤).

(٣) ليست في الأصل، وفي المطبوع: «حدّد».

(٤) معاني القرآن للزجاج (١/ ٤٤٤).

(٥) تفسير الطبري (٧/ ٢١)، وتفسير ابن أبي زمنين (٤/ ٢٩٣).

(٦) تفسير الطبري (٧/ ٢٥)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٧٧).

(٧) نقل هذه اللغة عن بني مازن الزبيدي في التاج (٢/ ٥).

(٨) تفسير الطبري (٦/ ٢٣)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٣٠٠)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١١٥)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٧٧).

وقال مالك في سماع ابن القاسم من «العتبية»: بكة: موضع البيت، ومكة: غيره من المواضع، قال ابن القاسم: يريد القرية[١].

قال الطبري: ما خرج عن موضع الطواف فهو مكة لا بكة[٢].

وقال قوم: بكة: ما بين الجبلين، ومكة: الحرم كله[٣].

و﴿مُبَارَكًا﴾ نصب على الحال، والعامل فيه ـ على قول علي بن أبي طالب: إنه أول بيت وضع بهذه الحال ـ قولُه: ﴿وُضِعَ﴾، والعامل فيه ـ على القول الآخر ـ الفعلُ الذي تتعلق به باء الجر في قوله: ﴿بِبَكَّةَ﴾ تقديره: استقرَّ ببكة مباركاً.

وفي وصف البيت بـ (هُدًى) مجازية بليغة؛ لأنه مقوِّم مصلح، فهو مرشد، وفيه إرشاد، فجاء قوله: ﴿وَهُدًى﴾ بمعنى: وذا هدى، ويحتمل أن يكون (هدًى) في هذه الآية بمعنى الدعاء؛ أي: من حيث دُعِي العالَمون إليه.

قوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ (٩٧)﴾.

الضمير في قوله: ﴿فِيهِ﴾ عائد على البيت، وساغ ذلك مع كون الآيات خارجةً عنه؛ لأن البيت إنما وضع بحرمه، وجميع فضائله فهي فيه وإن لم تكن داخل جدرانه.

وقرأ جمهور الناس: ﴿ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ﴾ بالجمع.

وقرأ أبيّ بن كعب وعمر وابن عباس: (آيةٌ بيِّنَةٌ) على الإفراد[٤].

قال الطبري: يريد علامة واحدة؛ المقام وحده، وحكي ذلك عن مجاهد[٥].

---

(١) انظر: النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني (٢/ ٥٠٠).
(٢) تفسير الطبري (٧/ ٢٣).
(٣) نقله مكي عن مقاتل انظر: الهداية (٢/ ١٠٧٧).
(٤) انظر عزوها لعمر في: مختصر الشواذ (ص: ٢٨)، ولابن عباس في تفسير الطبري (٧/ ٢٦)، ولأبي في الكشاف للزمخشري (١/ ٣٨٨).
(٥) تفسير الطبري (٦/ ٢٦).

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أن يريد بالآية اسم الجنس، فيقرب من معنى القراءة الأولى.

واختلفت عبارة المفسرين عن الآيات البينات:

فقال ابن عباس: من الآيات المقام، يريد الحجر المعروف، والمشعر، وغير ذلك[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا يدل على أن قراءته (آية) بالإفراد إنما يراد بها اسم الجنس.

وقال الحسن بن أبي الحسن: الآيات البينات مقام إبراهيم، وأن من دخله كان آمناً.

وقال مجاهد: المقام الآية، وقوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ كلام آخر[٢].

قال القاضي أبو محمد: فرفع ﴿مَّقَامُ﴾ على قول الحسن ومجاهد على البدل من ﴿ءَايَٰتُۢ﴾، أو على خبر ابتداء تقديره: هن مقام إبراهيم، وعلى قول ابن عباس ومن نحا نحوه هو مرتفع بالابتداء، وخبره محذوف مقدر تقديره: منهن مقام إبراهيم.

قال القاضي أبو محمد: والمترجح عندي أن المقام وأمْنَ الداخلِ جُعِلا مثالاً مما في حرم الله من الآيات، وخُصَّا بالذكر لعِظَمهما، وأنهما تقوم بهما الحجة على الكفار، [إذ هم المدركون لهاتين الآيتين بحواسهم.

ومن آيات الحرم والبيت التي تقوم بها الحجة على الكفار أمرُ الفيل][٣]، ورمي طير الله عنه بحجارة السِّجِّيل، وذلك أمر لم تختلف كافة العرب في نقله وصحته إلى أن أنزله الله في كتابه.

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٥٩٨)، وابن أبي حاتم (٣٨٤٤) في تفسيرهما عن محمد بن سعد، عن أبيه، حدثني عمي الحسين، حدثني أبي، عن جدي، عن ابن عباس في قوله: فيه ﴿ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ مقام إبراهيم، والمشعر.

(٢) انظرهما في: تفسير الطبري (٦/ ٢٧، ٢٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧١١)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٣٠٢).

(٣) ليس في نور العثمانية.

ومن آياته كفُّ الجبابرة عنه على وجه الدهر.

ومن آياته الحجر الأسود، وما روي فيه: أنه من الجنة[1]، وما أُشربت قلوب العالم من تعظيمه قبل الإِسلام.

ومن آياته حجر المقام، وذلك أَنه قام عليه إِبراهيم عليه السلام وقت رفعه القواعد من البيت لما طال البناء، فكلّما علا الجدار ارتفع الحجر به في الهواء، فما زال يبني وهو قائم عليه وإِسماعيل يناوله الحجارة والطين حتى أكمل الجدار.

ثم إن الله تعالى لما أراد إبقاء ذلك آية للعالمين ليَّن الحجر، فغرقت فيه قدما إبراهيم عليه السلام كأنها في طين، فذلك الأثر العظيم باقٍ في الحجر إلى اليوم.

وقد نقلت كافة العرب ذلك في الجاهلية على مرور الأَعصار، وقال أبو طالب:

[الطويل] وَمَوْطِئُ إبراهيمَ في الصخر رطبةٌ ... على قدميه حافياً غيرَ ناعل[2]

[١/ ٢٤٠] فما / حفظ أن أحداً من الناس نازع في هذا القول.

---

(١) في ثبوته نظر، وروي عن أنس موقوفاً، أخرجه أحمد (١/ ٣٠٧) (٢٧٩٦)، والنسائي (٥/ ٢٢٦) من طريق: حماد بن سلمة، والترمذي (٨٧٧)، وابن خزيمة (٢٧٣٣) من طريق: جرير، وابن خزيمة أيضاً من طريق: زياد بن عبد الله، ثلاثتهم ـ حماد، وجرير، وزياد ـ عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن، وإنما سودته خطايا بني آدم»، ورواية النسائي مختصرة بلفظ: «الحجر الأسود من الجنة»، وقال الترمذي: حديث ابن عباس حديث حسن صحيح، وعطاء كان قد اختلط، وجرير وزياد سمعوا منه بعد الاختلاط، وحماد بن سلمة اختلف في سماعه منه، وقيل: سمع منه في الحالين، ولا يدرى متى سمع منه هذا الحديث.
وبلفظ: «الحجر الأسود ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة، وإنما سودته خطايا المشركين، يبعث يوم القيامة مثل أحد، يشهد لمن استلمه وقبَّله من أهل الدنيا» أخرجه ابن خزيمة (٢٧٣٤) من طريق: أبي الجنيد عن حماد بن سلمة، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جبير، به، وأبو الجنيد هو: الحسين بن خالد أبو الجنيد الضرير، ليس بثقة، قاله ابن معين.
فالحديث حديث عطاء بن السائب، والحديث روي عن قتادة عن أنس مرفوعاً، والمحفوظ فيه الوقف، قاله أبو حاتم في العلل (٨١٤)، والدارقطني في العلل (١٢/ ١٣٦).

(٢) عزاه له ابن هشام في السيرة (١/ ٢٧٣).

ومن آياته البينات: زمزم في نبعها لهاجر بهمز جبريل عليه السلام الأرض بعقبه[١]، وفي حفر عبد المطلب لها آخراً بعد دثورها بتلك الرؤيا المشهورة، وبما نبع من الماء تحت خفّ ناقته في سفره إلى منافرة قريش ومخاصمتها في أمر زمزم، ذكر ذلك ابن إسحاق[٢] مستوعباً.

ومن آيات البيت: نَفْعُ ماء زمزم لما شُرِبَ له، وأنه يعظم ماؤها في الموسم ويكثر كثرةً خارقةً للعادة في الآبار.

ومن آياته: الأَمَنَةُ الثابتة فيه على قديم الدهر، وأَن العرب كانت يغيرُ بعضها على بعض وَيُتَخطَّفُ الناسُ بالقتل وأخذِ الأموال وأنواع الظلم إلا في الحرم؛ وتركَّبَ على هذا أمنُ الحيوان فيه وسلامةُ الشجر، وذلك كله للبركة التي خصه الله بها، والدعوة من الخليل عليه السلام في قوله: ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾.

وإذعانُ نفوس العرب وغيرهم قاطبة لتوقير هذه البقعة دون ناهٍ ولا زاجر آيةٌ عظمى تقوم بها الحجة، وهي التي فسرت بقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾.

ومن آياته: كونه بواد غير ذي زرع، والأرزاق من كل قطرٍ تجيء إليه عن قرب وعن بعد.

ومن آياته: ما ذكره ابنُ القاسم[٣] العُتْقيُّ رحمه الله، قال في «النوادر» وغيرها: سمعتُ أَن الحرم يعرف بأن لا يجيء[٤] سيلٌ من الحل فيدخل الحرم[٥].

قال القاضي أبو محمد: هذا ـ والله أعلم ـ لأن الله تعالى جعله ربوةً أو في حكمها؛ ليكون أصونَ له.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٨٤) (٣١٨٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في أحمد٣: «ابن عباس»، ولعله تحريف، انظر: السيرة النبوية لابن إسحاق (ص: ٧٧-٨٤)، والسيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٧٦).

(٣) في لالاليه: «أبو القاسم»، وهو تحريف.

(٤) في أحمد٣: «يحمل».

(٥) النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني (٢/ ٥٠٢).

والحرم ـ فيما حكى ابنُ أبي زيد في الحجِّ الثاني من «النوادر» ـ: ممايلي المدينة نحواً من أربعة أميال إلى منتهى التنعيم، ومما يلي العراق: نحو ثمانية أميال إلى مكان يقال له المقطع، ومما يلي عرفة تسعة[1] أميال، ومما يلي طريق اليمن: سبعة أميال إلى موضع يقال له أضاة، ومما يلي جدة: عشرة أميال إلى منتهى الحديبية، قال مالك في «العتبية»: والحديبية في الحرم[2].

ومن آياته فيما ذكر مكي وغيره: أن الطير لا تعلوه، وإِن علاه طائر فإِنما ذلك لمرض به، فهو يستشفي بالبيت[3].

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله عندي ضعيف، والطير تعاين تعلوه، وقد علته العقابُ التي أخذت الحية المشرفةَ على جداره[4]، وتلك كانت من آياته.

ومن آياته فيما ذكر الناس قديماً وحديثاً أنه إذا عمه المطر من جوانبه الأربع في العام الواحد أخصبت آفاق الأرض، وإِن لم يُصبْ جانباً منه لم يخصبْ ذلك الأُفق الذي يليه ذلك العام.

واختلف الناس في مقام إبراهيم، فقال الجمهور: هو الحجر المعروف، وقال قوم: البيت كله مقام إِبراهيم؛ لأنه بناه وقام في جميع أقطاره، وقال قوم من العلماء: مكة كلها مقام إِبراهيم، وقال قوم: الحرم كله مقام إِبراهيم.

والضمير في قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ﴾ عائدٌ على الحرم في قول من قال: مقام إبراهيم هو الحرم، وعائد على البيت في قول الجمهور؛ إذ لم يتقدم ذكر لغيره، إلا أن المعنى يفهم منه أن من دخل الحرم فهو في الأمن؛ إذ الحرم جزءٌ من البيت، إذ هو بسببه وبحرمته.

(١) في الأصل: «سبعة».
(٢) انظر: النوادر والزيادات لابن أبي زيد (٢/ ٥٠٢).
(٣) الهداية لمكي (٢/ ١٠٧٧).
(٤) انظر خبرها في: السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٤)، والتمهيد لابن عبد البر (١٠/ ٣٩).

واختلف الناس في معنى قوله: ﴿كَانَ ءَامِنًا﴾:

فقال الحسن وقتادة وعطاء ومجاهد وغيرهم: هذه وصفُ حالٍ كانت في الجاهلية أنّ الذي يجرُّ جريرةً ثم يدخل الحرم فإنه كان لا يتناول ولا يطلب، فأما في الإسلام وأَمْنِ جميع الأقطار فإن الحرم لا يَمْنَعُ من حدٍّ من حدود الله؛ من سرق فيه قطع، ومن زنى رجم، ومن قَتل قُتل[١]، واستحسن كثير ممن قال هذا القول أن يُخْرَجَ من وجب عليه القتلُ إلى الحِلِّ فيقتل هنالك.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: من أحدث حدثاً ثم استجار بالبيت فهو آمن[٢]، وإن الأمرَ في الإسلام على ما كان في الجاهلية، والإسلامُ زاد البيت شرفاً وتوقيراً، فلا يعرِضُ أحد بمكة لقاتل وليه، إلا أنه يجب على المسلمين أَلَّا يبايعوا ذلك الجاني ولا يكلّموه ولا يؤووه حتى يتبرَّمَ فيخرجَ من الحرم فيقامَ عليه الحد[٣].

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٢٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧١٢)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٣٠٣).

(٢) أخرجه الطبري (٧/ ٣٢) بهذا اللفظ من طريق: إبراهيم بن إسماعيل بن نصر السلمي، عن ابن أبي حبيبة، عن داود بن حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس به. وفيه زيادة: «وليس للمسلمين أن يعاقبوه على شيء إلى أن يخرج، فإذا خرج أقاموا عليه الحد»، وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة ضعيف، وداود ضُعف في عكرمة.

وأخرج الطبري هذا المعنى عن ابن عباس من طرق أخرى:

الأول: عبد الواحد بن زياد قال: حدثنا خصيف قال: حدثنا مجاهد قال: قال ابن عباس: إذا أصاب الرجل الحدَّ: قتل أو سرق، فدخل الحرم، لم يُبايع ولم يُؤوَ، حتى يتبرّم فيخرج من الحرم، فيقام عليه الحد. وخصيف ضعيف.

الثاني: عبد الملك، عن عطاء قال: أخذَ ابن الزبير سعداً مولى معاوية ـ وكان في قلعة بالطائف ـ فأرسل إلى ابن عباس من يُشاوره فيهم... فأرسل إليه ابن عباس: لو وجدت قاتل أبي لم أعرض له. وإسناده لا بأس به إذا حضر عطاء ـ وهو ابن أبي رباح ـ الواقعة.

الثالث: هشيم قال: أخبرنا حجاج، عن عطاء، عن ابن عباس قال: من أحدَثَ حَدَثاً في غير الحرم، ثم لجأ إلى الحرم لم يُعرَض له، ولم يبايع، ولم يكلَّم، ولم يؤوَ حتى يخرج من الحرم. فإذا خرج من الحرم، أخذ فأقيم عليه الحد. قال: ومن أحدث في الحرم حدَثاً أقيم عليه، وحجاج هو ابن أرطاة، مدلس.

(٣) انظر: الشرح الكبير لابن قدامة (١٠/ ١٤٦).

وقال بمثل هذا عبيد بن عُمَير والشعبي وعطاء بن أبي رباح والسديّ وغيرهم، إلا أن أكثرهم قالوا: هذا فيمن يَقتلُ خارجَ الحرم ثم يعوذُ بالحرم، فأما من يقتل في الحرم فإنه يقام عليه الحد في الحرم(١).

قال القاضي أبو محمد: وإذا تُؤمل أمر هذا الذي لا يكلم ولا يبايع، فليس بآمن.

وقال يحيى بن جَعْدَة(٢): معنى الآية: ومن دخل البيت كان آمناً من النار(٣).

وحكى النقَّاش عن بعض العُبَّاد قال: كنت أطوف حول الكعبة ليلاً فقلت: يا رب إنك قلت: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ فمن ماذا هو آمنٌ يا ربّ؟ فسمعتُ مكلماً(٤) يكلمني وهو يقول: من النار، فنظرت وتأملت فما كان في المكان أحد.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ الآية، هو فرضُ الحج في كتابِ الله بإجماع(٥).وقال مالك رحمه الله: الحج كله في كتاب الله، فأما الصلاة والزكاة فهي من مجمله الذي فسّره النبي ﷺ(٦)، والحج من دعائم الإسلام التي بني عليها حسب الحديث(٧).

وشروط وجوبه خمسة: البلوغ، والعقل، والحرية، والإسلام، واستطاعة السبيل(٨).

و«الحج» في اللغة: القصد، لكنه في بيت الله مخصص بأعمال وأقوال.

---

(١) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٦/ ٣٣)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٣٠٥).

(٢) يحيى بن جعدة بن هُبيرة القرشي المخزومي، رَوَى عن جدته أُم هانئ بنت أبي طالب، وعن أبي الدرداء، وزيد بن أرقم، وغيرهم، وروى عنه عمرو بن دينار، ومجاهد، وحبيب بن ثابت، وغيرهم، ثقة، ذكره ابن حبان في الثقات. انظر: تهذيب التهذيب (١١/ ١٩٢).

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٣٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧١٢)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١٥١)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٧٨).

(٤) في نور العثمانية وفيض الله: «ملكا».

(٥) انظر: المعونة للقاضي عبد الوهاب (١/ ٣١٤).

(٦) انظر: النوادر والزيادات لابن أبي زيد (٢/ ٣١٧).

(٧) رواه البخاري (٨) (٤٥١٣)، ومسلم (١٦).

(٨) انظر: المعونة للقاضي عبد الوهاب (١/ ٣١٥).

وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم: ﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ بكسر الحاء.

وقرأ الباقون: ﴿حَجُّ البيت﴾ بفتحها[١].

قال سيبويه: حَج حِجّاً مثل ذَكَر ذِكْراً[٢].

قال أبو علي: فَـ (حِجٌّ) على هذا مصدر[٣].

وقال سيبويه أيضاً: قالوا: غزاة فأرادوا عمل وَجهٍ واحدٍ كما قيل: حِجّة ـ [قال القاضي أبو محمد: بكسر الحاء][٤] ـ يريدون عمل سنة واحدة، ولم يجيئوا به / على الأصل، لكنه اسم له[٥]. [١/ ٢٤١]

قال أبو علي: قوله: (لم يجيئوا به على الأصل) يريد على الفتح الذي هو الدَّفعة من الفعل، ولكن كسروه فجعلوه اسماً لهذا المعنى، كما أن غزاة كذلك، ولم تجئ فيه الغزوة وكان القياس[٦].

قال القاضي أبو محمد: وأكثر ما التزم كسر الحاء في قولهم ذو الحِجة، وأَما قولهم: حَجَّةُ الوداع ونحوه فإنها على الأصل.

وقال الزجاج وغيره: الحَج ـ بفتح الحاء ـ المصدر، وبكسرها اسم العمل[٧].

وقال الطبري: هما لغتان: الكسر لغة نجد، والفتح لغة أهل العالية[٨].

وقوله تعالى: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾: ﴿مَنِ﴾ في موضع خفض بدل من

(١) وكلاهما سبعية متواترة، انظر: السبعة (ص: ٢١٤)، والتيسير في القراءات السبع (ص: ٩٠).
(٢) الكتاب (٤/ ١٠).
(٣) الحجة (٣/ ٧١).
(٤) ليس في نور العثمانية، وفي المطبوع زيادة: قوله: «حج»، قبل بكسر الحاء.
(٥) الكتاب (٤/ ٤٥).
(٦) بقية كلامه السابق.
(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٤٧) بالمعنى.
(٨) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٤٦).

﴿ٱلنَّاسِ﴾ وهوبدل البعض من الكل، وقال الكسائي وغيره: هي شرط في موضع رفع بالابتداء، والجواب محذوف تقديره: فعليه الحج[١]، ويدل عليه عطف الشرط الآخر بعده في قوله: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾.

وقال بعض البصريين: ﴿مَنِ﴾ رفع على أنه فاعل بالمصدر الذي هو ﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ ويكون المصدر مضافاً إلى المفعول.

واختلف الناس في حال مستطيع السبيل كيف هي؟:

فقال عمر بن الخطاب وابن عباس[٢] وعطاء وسعيد بن جبير: هي حالُ الذي يجد زاداً وراحلة[٣].

وروى الطبري عن الحسن من طريق إِبراهيم بن يزيد الخوزي[٤]: أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية، فقال له رجل: يا رسول الله ما السبيل؟ قال: «الزاد والراحلة»[٥].

---

(١) نقله عنه مكي في الهداية (١/ ١٦٩).

(٢) قول عمر أخرجه الطبري (٧/ ٣٧) من طريق: محمد بن بكر (هو البرساني) قال، أخبرنا ابن جريج قال: قال عمر بن الخطاب.وهو منقطع بين ابن جريج وعمر، وقول ابن عباس أخرجه الطبري كذلك من طريق: وكيع، عن أبي جناب، عن الضحاك، عن ابن عباس بلفظ: «الزاد والبعير»، ومن طريق: معاوية (هو ابن صالح)، عن علي (هو ابن أبي طلحة)، عن ابن عباس بلفظ: «السبيل أن يصح بدن العبد، ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يجحف به»، ومن طريق: أسباط (هو ابن نصر)، عن السدي (هو إسماعيل بن عبد الرحمن) أن ابن عباس قال: السبيل راحلة وزاد، أما الأول فأبو جناب ضعيف ويدلس، والضحاك لم يسمع من ابن عباس، وأما الثاني فرواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نسخة، وقد مر ما فيها، وأما الثالث فأسباط والسدي فيهما كلام، ولم يصرح السدي بسماعه من ابن عباس.

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٣٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧١٣)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٣٠٧)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١٥٣)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٧٩).

(٤) في فيض الله والسليمانية: «الجوزي»، وهو إبراهيم بن يزيد الخوزي الأموي، أبو إِسماعيل المكي، مولى عمر بن عبد العزيز، روى عن محمد بن عباد وغيره، وعنه عبد الرزاق، ووكيع، قال البخاري: سكتوا عنه، مات سنة (١٥١هـ). تهذيب التهذيب (١/ ١٧٩).

(٥) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الترمذي (٨١٣-٢٩٩٨)، وابن ماجه (٢٨٩٦)، الطبري في تفسيره (٥/ ٦١٢)، والدارقطني في سننه (٢٤٢١) من طريق إبراهيم بن يزيد الخوزي، عن محمد بن =

وأسند الطبري إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ملك زاداً وراحلة فلم يحجَّ فلا عليه أن يموت يهودياً، أو نصرانياً»[١].

وروى عبد الرزاق وسفيان عن إِبراهيم بن يزيد الخوزي عن محمد بن عباد ابن جعفر[٢] عن ابن عمر قال: قام رجل إلى النبي ﷺ، فقال: ما السبيل؟ قال: «الزاد والراحلة»[٣].

قال القاضي أبو محمد: وضعف قومٌ هذا الحديث؛ لأن إبراهيم بن يزيد الخوزي تكلم فيه ابن معين[٤] وغيره، والحديث مستغن عن طريق إبراهيم.

= عباد بن جعفر، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما يوجب الحج؟ قال: «الزاد والراحلة»، وإبراهيم بن يزيد الخوزي متفق على ضعفه، وقد تابعه محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي وهو ضعيف.
وقد روي من حديث ابن عباس، ومن حديث أنس، ومن حديث ابن مسعود، ومن حديث جابر، ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، ومن حديث عائشة.
قال ابن المنذر: لا يثبت الحديث الذي فيه ذكر الزاد والراحلة مسنداً، والصحيح رواية الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً، وأما المسند فإنما رواه إبراهيم بن يزيد، وهو متروك، ضعفه ابن معين، وغيره.
وقال ابن دقيق العيد: وقد خرج الدارقطني هذا الحديث عن جابر، وأنس، وعبد الله بن عمرو، بن العاص، وعبد الله بن مسعود، وعائشة، وليس فيها إسناد يحتج به. انظر: نصب الراية (٣/ ٩-١٠)، والتلخيص الحبير (٢/ ٤٢٣)، والدراية في تخريج الهداية (٢/ ٤)، والإرواء (٩٨٨).

(١) منكر، أخرجه الطبري (٦/ ٤١) من طريق: هلال بن عبد الله مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلي قال: حدثنا أبو إسحاق، عن الحارث، عن علي، وهو حديث منكر، لا يعرف إلا من طريق هلال هذا، وهو متروك الحديث، ليس له غيره وهو معروف به. ينظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ٣٤٢).

(٢) محمد بن عباد بن جعفر المخزومي المكي، روى عن أبي هريرة، وعائشة، وابن عمر، وغيرهم، وروى عنه ابنه جعفر، والزهري، والأوزاعي وغيرهم، ثقة، قليل الحديث. تهذيب التهذيب (٩/ ٢٤٣).

(٣) رواية عبد الرزاق لم أجدها في شيء من مؤلفاته المتوفرة، وقد أخرجها الطبري (٦/ ٤١)، وإبراهيم الخوزي تالف.

(٤) هو يحيى بن معين، الإمام الفرد، سيد الحفاظ، أبو زكريا البغدادي، سمع هشيماً، وابن المبارك وغيرهما، وروى عنه أحمد، والبخاري، وغيرهما، توفي سنة (٢٣٣هـ). تذكرة الحفاظ (٢/ ٢٢٩).

وقال بعض البغداديين: هذا الحديث مشير إلى أن الحج لا يجب مشياً[١].

قال القاضي أبو محمد: والذي أقول: إن هذا الحديث إنما خرج على الغالب من أحوال الناس، وهو البعد عن مكة، واستصعاب المشي على القدم كثيراً، فأَما القريب الدار فلا يدخل في الحديث؛ لأن القرب أغناه عن زاد وراحلة.

وأما الذي يستطيع المشْي من الأقطار البعيدة، فالراحلة عنده بالمعنى والقوة التي وهب، وقد ذكره الله تعالى في قوله: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج: ٢٧].

وكذلك أيضاً معنى الحديث: الزاد والراحلة إن لم يكن له عذر في بدنه من مرض، أو خوف على أقسامه، أو استحقاق بأجرة، أو دَين وهو يحاول الأداء، ويطمع فيه بتصرفه في مال بين يديه، وأما العديم فله أن يحجَّ إذا تكلف واستطاع[٢].

فمقصد الحديث أن يتحدد موضع الوجوب على البعيد الدار، وأَما المشاةُ وأصحابُ الأعذار فكثير منهم من يتكلف السفر وإِن كان الحج غير واجب عليه، ثم يؤديه ذلك التكلف إِلى موضع يجب فيه الحج عليه، وهذه مبالغة في طلب الأجر ونيله، إِن شاء الله تعالى.

وذهبت فرقة من العلماء إلى أن قوله تعالى: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ كلام عام لا يتفسر بزاد وراحلة ولا غير ذلك، بل إذا كان مستطيعاً غير شاق على نفسه فقد وجب عليه الحج، قال ذلك ابن الزبير[٣] والضحاك، وقال الحسن: من وجد شيئاً يبلغه فقد استطاع إليه سبيلاً. وقال عكرمة: استطاعة السبيل: الصحة[٤].

---

(١) نسب ابن أبي زيد القول بذلك لابن عبدوس، وقال بأن غيره من مالكية بغداد لا يرون الحديث ثابتاً ومن ثم لا يكون حجة في المسألة، انظر: النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني (٢/ ٣١٧-٣١٨).

(٢) انظر: البحر الرائق (١/ ١٤٧-١٤٨)، وشرح الزرقاني على مختصر خليل (١/ ١١٣)، ونهاية المحتاج (١/ ٤٠٨)، والمغني (١/ ٢٤٠).

(٣) ضعيف، رواه الطبري (٧/ ٤٣) من طريق سفيان، عن خالد بن أبي كريمة، عن رجل، عن ابن الزبير، خالد تكلم فيه، ولم يسم شيخه.

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٤٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧١٤)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٣٠٨).

وقال ابن عباس: من ملك ثلاث مئة درهم فهو السبيل إليه[١].

وقال مالك بن أنس رضي الله عنه في سماع أشهب من «العتبية»[٢]، وفي «كتاب محمد»، وقد قيل له: أتقول إن السبيل الزاد والراحلة؟ فقال: لا والله، قد يجد زاداً وراحلة ولا يقدر على مسير، وآخر يقدر أن يمشي راجلاً، ورب صغيرٍ أجلد من كبير، فلا صفة في هذا أبينُ مما قاله الله تعالى[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا أنبل كلام، وجميع ما حكي عن العلماء لا يخالف بعضه بعضاً، الزاد والراحلة على الأغلب من أمر الناس في البعد، وأنهم أصحاء غير مستطيعين للمشي على الأقدام، والاستطاعة متى تحصلتْ عامة في ذلك وغيره، فإذا فرضنا رجلاً مستطيعاً للسفر ماشياً معتاداً لذلك، وهو ممن يسأَلُ الناسَ في إقامته، ويعيشُ من خدمتهم وسؤالهم، ووجد صحابةً، فالحجُّ عليه واجبٌ دون زادٍ ولا راحلة[٤].

وهذه من الأمور التي يتصرف فيها فقه الحال.

وكان الشافعي يقول: الاستطاعة على وجهين؛ بنفسه أولاً، فمن منعه مرض أو عذر وله مال فعليه أن يجعل من يحج عنه وهو مستطيع لذلك[٥].

واختلف الناس، هل وجوب الحج على الفور أو على التراخي؟ على قولين[٦]، ولمالك رحمه الله مسائل تقتضي القولين، قال في «المجموعة» فيمن أراد الحج ومنعه أبواه: لا يعجّل

---

(١) فيه من لم أعرفه، أخرجه الطبري (٧/ ٣٨) من طريق: النضر بن شميل قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي عبد الله البجلي قال: سألت سعيد بن جبير عن قوله: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، قال: قال ابن عباس. وأبو عبد الله هذا لم أعرفه.

(٢) العتبية هي: كتاب في مسائل المذهب المالكي، ألفه محمد بن عبد العزيز العُتْبي القرطبي المالكي، المتوفى سنة: (٢٥٥هـ).

(٣) انظر: البيان والتحصيل (٤/ ١٠)، والنوادر والزيادات لابن أبي زيد (٢/ ٣١٧).

(٤) انظر: المعونة للقاضي عبد الوهاب (١/ ٣١٦).

(٥) انظر: الأم للشافعي (٢/ ١٢٣).

(٦) انظر: المجموع للنووي (٧/ ١٠٣).

عليهما في حجة الفريضة، وليستأذنهما العام والعامين، فهذا على التراخي، وقال في «كتاب ابن المواز»: لا يحج أحد إلا بإذن أبويه إلا الفريضة، فليخرج وليدعهما، فهذا على الفور[(١)].

وقال مالك في المرأة يموت عنها زوجها فتريد الخروج إلى الحج: لا تخرج في أيام عدَّتها[(٢)]، قال الشيخ أبو الحسن اللخمي[(٣)]: فجعله على التراخي[(٤)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا استقراءٌ فيه نظر.

واختلف قول مالك رحمه الله فيمن يخرج إلى الحج على أن يسأل الناس جائياً وذاهباً، ممن ليست تلك عادته في إقامته، فروى عنه ابن وهب أنه قال: لا بأس بذلك، قيل له: فإن مات في الطريق؟ قال: حسابه على الله، وروى عنه ابن القاسم أنه قال: لا
[١/ ٢٤٢] أرى للذين لا يجدون / ما ينفقون أن يخرجوا إلى الحج والغزو ويسألون، وإني لأكره ذلك؛ لقول الله سبحانه: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾[(٥)].

قال ابن القاسم: [وكره مالك أن يحجَّ النساءُ في البحر؛ لأنها كشفة][(٦)]، وكره أن يحج أحد في البحر إلا مثل أهل الأندلس الذين لا يجدون منه بدّاً، وقال في «كتاب محمد» وغيره: قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧]، ولا أسمع للبحر ذكراً[(٧)].

---

(١) انظر: النوادر والزيادات لابن أبي زيد (٣/ ٣٢١).

(٢) انظر: المدونة (٢/ ٤٧).

(٣) هو الفقيه المالكي: أبو الحسن علي بن محمد اللخمي، المتوفى سنة: (٤٧٨هـ)، له كتاب: التبصرة حاذى به المدونة، وخرجت بعض اختياراته عن المذهب، وهو أحد الأربعة الذين اعتمد عليهم خليل في مختصره، انظر ترجمته في: الديباج المذهب (٢/ ١٠٤-١٠٥).

(٤) انظر: ما نسبه للخمي في مواهب الجليل للحطاب (٣/ ٤٢٢).

(٥) انظر اختلاف رواية ابن وهب ورواية ابن القاسم عن مالك في: النوادر (٢/ ٣١٩).

(٦) ليس في الحمزوية.

(٧) انظر: النوادر والزيادات لابن أبي زيد (٢/ ٣١٩-٣٢٠).

قال القاضي أبو محمد: وهذا تأنيس من مالك رحمه الله بسقوط لفظة البحر، وليس تقتضي الآية سقوط البحر، وسيأتي تفسير ذلك في موضعه إن شاء الله، وقد قال رسول الله ﷺ: «ناسٌ من أمتي عُرِضوا عليَّ ملوكاً على الأسرَّة ـ أو مثل الملوك على الأسرة ـ، يركبون ثَبَجَ هذا البحر الأخضر غُزاةً في سبيل الله»(١).

قال القاضي أبو محمد: ولا فرق بين الغزو والحج.

واختلف في حج النساء ماشيات مع القدرة على ذلك، فقال في «المدونة» في المرأة تنذر مشياً فتمشي وتعجز في بعض الطريق: إنها تعودُ ثانية، قال: والرجال والنساء في ذلك سواء، فعلى هذا يجب الحج إذا كانت قادرةً على المشي؛ لأن حجة الفريضة آكد من النذر(٢).

وقال في «كتاب محمد»: لا أرى على المرأة الحجَّ ماشيةً وإن قويتْ عليه؛ لأن مشيَهنَّ عورةٌ، إلا أن يكونَ المكان القريب من مكة(٣).

قال القاضي أبو محمد: وهذا ينظر بفقهِ الحال إلى رائعةٍ أو متجالّةٍ.

ولا حجَّ على المرأة إلا إذا كان معها ذو محرم(٤)، واختلف إذا عدمته هل يجب الحج بما هو في معناه من نساء ثقات [يصطحبن في القافلة، أو رجال ثقات](٥)؟

فقال الحسن البصري وإبراهيم النخعي وابن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو حنيفة وأصحابه: المحرم من السبيل، ولا حجَّ عليها إلا مع ذي محرم(٦).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧٨٨، ٢٧٨٩، ٧٠٠١، ٦٢٨٢)، ومسلم (١٩١٢).
(٢) انظر: المدونة (١/ ٤٦٦-٤٦٧).
(٣) انظر: النوادر والزيادات لابن أبي زيد (٢/ ٣١٨).
(٤) ووجوب الحج على المرأة مع وجود المحرم إذا كانت مستطيعة أمرٌ مجمع عليه بين الفقهاء. انظر: الإقناع (٢/ ٧٦٠).
(٥) ليس في الحمزوية.
(٦) انظر أقوال هؤلاء في: الاستذكار (٤/ ٣٦٢ - ٣٦٣)، والتمهيد لابن عبد البر (٢١/ ٥٠)، والشرح الكبير لابن أبي عمر (٣/ ١٩٠).

قال القاضي أبو محمد: وهذا وقوف مع لفظ الحديث[١].

وقال مالك: تخرج مع جماعة نساء[٢]، وقال الشافعي: تخرج مع حرة ثقة مسلمة[٣]، وقال ابن سيرين: تخرج مع رجل ثقة من المسلمين[٤]، وقال الأوزاعي: تخرج مع قوم عدول، وتتخذ سلماً تصعد عليه وتنزل، ولا يقرَبها رجل[٥].

قال القاضي أبو محمد: وهذه الأقوال راعت معنى الحديث، وجمهور الأمةِ على أن للمرأة أن تحجَّ الفريضة وإن كره زوجها، وليس له منعها، واضطرب قول الشافعي في ذلك[٦].

واختلف الناس في وجوب الحج مع وجود المكوس والغرامة؛ قال سفيان الثوري: إذا كان المكس ولو درهماً سقط فرض الحج عن الناس[٧].

وقال عبد الوهاب: إذا كانت الغرامةُ كثيرةً مجحفة سقط الفرض[٨]، فظاهر هذا إذا كانت كثيرةً غير مجحفة لسعة الحال فإن الفرض لا يسقط، وعلى هذا المنزع جماعةُ أهلِ العلم، وعليه مضت الأَعصار[٩].

قال القاضي أبو محمد: وهذه نبذة من فقه الاستطاعة، وليس هذا الجمع بموضع لتقصي ذلك، والله المستعان.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٠٨٦)، ومسلم (٨٢٧) بلفظ: «لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم».
(٢) التمهيد (٢١/ ٥١).
(٣) انظر قول الشافعي في: الحاوي للماوردي (٤/ ٣٦٣).
(٤) التمهيد لابن عبد البر (٢١/ ٥١).
(٥) انظر: الشرح الكبير لابن أبي عمر (٣/ ١٩٠)، والتمهيد لابن عبد البر (٢١/ ٥١).
(٦) انظر قول الشافعي في المسألة في: الأم (٢/ ١١٧-١٢٠)، والحاوي للماوردي (٤/ ٣٦١-٣٦٤).
(٧) البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٢٧٧)، لم أجده لغيره.
(٨) انظر: المعونة للقاضي عبد الوهاب (١/ ٣١٦).
(٩) انظر: بدائع الصنائع (٣/ ٢١٣)، ومواهب الجليل (٢/ ٤٩٥)، والمغني (٣/ ٢١٨)، والإنصاف (٣/ ٤٠٧).

والسبيل: تذكر وتؤنث، والأغلب الأفصح التأنيث، قال الله تعالى: ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [آل عمران: ٩٩]، وقال: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ [يوسف: ١٠٨]؛ ومن التذكير قول كعب بن مالك:

قضى يومَ بدرٍ أن تلاقي معشراً بَغَوا وسبيلُ البغي بالناسِ جائرُ[١] [الطويل]

والضمير في: ﴿إِلَيْهِ﴾ عائد على البيت، ويحتمل أن يعود على الحج.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال ابن عباس: المعنى: من زعم أن الحج ليس بفرض عليه[٢]، وقال مثله الضحاك وعطاء[٣] وعمران القطان[٤] والحسن ومجاهد[٥].

وروي عن النبي ﷺ أنه قرأ الآية، فقال له رجل من هذيل: يا رسول الله من تركه كفر، فقال له النبي ﷺ: «من تركه لا يخاف عقوبته، ومن حجه لا يرجو ثوابه فهو ذلك»[٦].

---

(١) عزاه له ابن هشام في السيرة النبوية (٢/ ١٤) من قصيدة يرد بها على ضرار بن الخطاب في غزوة بدر.

(٢) في اتصاله نظر، أخرجه الطبري (٧/ ٤٧) من طريق: عبد الواحد بن زياد، عن الحجاج بن أرطاة، عن محمد بن أبي المجالد قال: سمعت مقسماً، عن ابن عباس.والحجاج فيه كلام، وهو كثير التدليس والإرسال، ولم يصرح بالسماع.

(٣) ليس في الأصل.

(٤) عمران بن داود العمي، أَبو العوام القطان البصري، روى عن قتادة، ومحمد بن سيرين وغيرهما، وعنه ابن مهدي، وأَبو داود الطيالسي، وآخرون، ذكره يحيى فأَحسن الثناءَ عليه، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال النسائي: ضعيف. تهذيب التهذيب (٨/ ١٣٠).

(٥) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٧/ ٤٧-٥١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧١٦)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٣١١).

(٦) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (٦/ ٤٨) من طريق: فطر، عن أبي داود نفيع قال: قال رسول الله ﷺ. هكذا معضلاً، ونفيع: هو الأعمى، متروك باتفاق.

وقال بمعنى هذا الحديث ابن عباس(١) ومجاهد أيضاً(٢)، وهذا والذي قبله يرجع إلى كفر الجحد والخروج عن الملة.

وقال ابن عمر وجماعة من العلماء: معنى الآية: من كفر بالله واليوم الآخر، وهذا قريب من الأول(٣)، وقال ابن زيد: معنى الآية: من كفر بهذه الآيات التي في البيت، وقال السدي وجماعة من أهل العلم: معنى الآية: ومن كفر بأن وجد ما يحج به ثم لم يحجّ، قال السدي: من كفر(٤) بهذه الحال فهو كافر(٥).

قال القاضي أبو محمد: فهذا كفر معصية، كقوله ﷺ: «من ترك الصلاة فقد كفر»(٦)،

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٦٢١)، وابن أبي حاتم (٣٨٧٢) في تفسيرهما، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٣٢٤) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من كفر بالحج، فلم ير حجه براً، ولا تركه مأثماً.

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٤٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧١٦).

(٣) روي مرفوعاً، وهو ضعيف جداً، أخرجه الطبري (٦/ ٥٠) من طريق: سفيان، عن إبراهيم، عن محمد بن عباد، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، مرفوعاً لا موقوفاً، سفيان هو الثوري، وإبراهيم هو ابن يزيد الخوزي، متروك.

(٤) في المطبوع ونور العثمانية: «من كان».

(٥) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٥٠، ٥١) الهداية لمكي (٢/ ١٠٨١ و١٠٨٢).

(٦) منكر بهذا اللفظ، أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٤٦٣) (موارد ـ ٢٥٦) من طريق: إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدي، حدثنا محمد بن حمير، حدثنا الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي قلابة، عن عمه (هو أبو المهلب الجرمي) عن بريدة عن النبي ﷺ قال: «بكروا بالصلاة في يوم الغيم فإنه من ترك الصلاة فقد كفر»، هذا الحديث منكر جداً بهذ اللفظ، فإنما يروى بهذا الإسناد من طرق عن يحيى بن أبي كثير ـ كما عند البخاري (٥٥٣) ـ ومن طرق عن الأوزاعي عنه بلفظ: «من ترك صلاة العصر حبط عمله» ولم أر في هذا الحديث لفظ: «من ترك الصلاة فقد كفر» إلا بهذا الإسناد إلى الأوزاعي، ومع ذلك فقد اختلف على الأوزاعي، والصواب من حديثه ما سبق.
ورواه رواد بن الجراح وبقية عنه عن يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة، عن ابن بريدة عن أبيه، وهو خطأ، ينظر: الكامل لابن عدي (٣/ ١٧٨)، وقد خولف الأوزاعي في إسناده ومتنه، والصواب من حديث يحيى بن أبي كثير أنه عن أبي قلابة، عن أبي المليح عن بريدة، وأن المرفوع فقط هو قوله: «من ترك صلاة العصر حبط عمله».
وأما عبارة: «بكروا بالصلاة في يوم الغيم» فهو من قول بريدة ـ كما عند البخاري أيضاً (٥٩٤)، =

وقوله: «لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض»(١)، على أظهر محتملات هذا الحديث، وبيَّن أن من أنعم الله عليه بمال وصحة ولم يحج فقد كفر النعمة.

ومعنى قوله تعالى: ﴿غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الوعيد لمن كفر. والقصد بالكلام: فإن الله غني عنهم، ولكن عمم اللفظ ليبرع المعنى، وينبِّه الفكر على قدرة الله وسلطانه واستغنائه من جميع الوجوه حتى ليس به افتقار إلى شيء، لا ربَّ سواه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

هذه الآيات توبيخ لليهود المعاصرين لمحمد ﷺ.

و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: التوراة، وجعلهم أهله بحسب زعمهم ونسبهم، وإلا فأهله على الحقيقة هم المؤمنون.

و﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد بها القرآن، ويحتمل أن يراد بالآيات العلامات الظاهرة على يدي محمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ وعيد محض؛ أي: يجازيكم به، ويعاقبكم.

قال الطبري: هاتان الآيتان قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ / وما بعدهما [١/ ٢٤٣] إلى قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، نزلت بسبب رجل من يهود حاول الإغراءَ بين الأوس والخزرج(٢).

= وينظر في ذلك كتاب إرواء الغليل للألباني (١/ ٢٧٦).
ويغني عن لفظ: «من ترك الصلاة فقد كفر» ما أخرجه مسلم (٨٢) وغيره من حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»، وما أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣) وابن حبان (١٤٥٤) من حديث الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه مرفوعاً: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢١) (١٧٣٩) (٤٤٠٢) (٤٤٠٥)، ومسلم (٦٥).
(٢) تفسير الطبري (٦/ ٥٤).

قال ابن إسحاق: حدثني الثقة عن زيد بن أسلم، قال: مرَّ شاس بن قيس اليهودي ـ وكان شيخاً قد عسا في الجاهلية عظيم الكفر شديد الضغن[(١)] على المسلمين والحسد لهم ـ على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج، وهم في مجلس يتحدثون، فغاظه ما رأى من جماعتهم، وصلاح ذات بينهم بعد ما كان بينهم من العداوة، فقال: قد اجتمع [ملأ بني قيلة، بهذه البلاد، والله ما لنا معهم إذا اجتمع][(٢)] مَلَؤُهم بها من قرار، فأمر فتى شاباً من يهود، فقال: اعمد إليهم واجلس معهم وذكِّرهم يوم بُعَاث، وما كان قبله من أيام حربهم، وأَنشدهم ما قالوه من الشعر في ذلك، ففعل الفتى، فتكلم القوم عند ذلك فتفاخروا وتنازعوا، حتى تواثب رجلان من الحيين على الرُّكَبِ: أوس بن قيظي[(٣)] أحد بني حارثة بن الحارث من الأوس، وجبار بن صخر[(٤)] من الخزرج، فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رددناها الآن[(٥)] جذعة، فغضب الفريقان، وقالوا: قد فعلنا، السلاحَ السلاح، موعدكم الظاهرة، يريدون الحرة، فخرجوا إليها، وتحاور الناس على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية، وبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين، فقال: يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ ووعظهم فعرف القوم أنها نزغةٌ من الشيطان، فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضاً من الأوس والخزرج، وانصرفوا مع رسول الله ﷺ

---

(١) في فيض الله: «الطعن».

(٢) ليس في لالاليه.

(٣) أوس بن قيظي بن عمرو بن زيد الأنصاري الأوسي: شهد أُحداً هو وابناه: كنانة، وعبد الله. قيل إنه كان منافقاً وهو الذي قال: إن بيوتنا عورة. الإصابة (١/ ٣٠٥).

(٤) جبَّار بن صخر بن أُمية الأنصاري السلمي، شهد بدراً وهو ابن اثنين وثلاثين سنة، ثم شهد أُحُداً وما بعدها من المشاهد، وكان أَحد السبعين ليلةَ العقبة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين المِقْداد بن الأَسود، توفي سنة ثلاثين في خلافة عثمان. الإصابة (١/ ٥٥٩).

(٥) ليست في المطبوع.

سامعين مطيعين، فأنزل الله في شاس بن قيس وما صنع هذه الآيات[١].

وقال الحسن وقتادة والسدي: إن هذه الآيات نزلت في أحبار اليهود الذين كانوا يصدون المسلمين عن الإِسلام بأن يقولوا لهم: إِن محمداً ليس بالموصوف في كتابنا[٢].

قال القاضي أبو محمد: ولا شك في وقوع هذين السببين وما شاكلهما من أفعال اليهود وأقوالهم، فنزلت الآيات في جميع ذلك.

و(صدَّ) معناه: أعرض عن الشيء وانصرف عنه، وهو فعل يقف ويتعدى بلفظ واحد، تقول: صدَدْت عن كذا، وصدَدْت غيري عنه، فالذي في هذه الآية هو الفعل المتعدي.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (تُصِدُّون) بضم التاء وكسر الصاد[٣]، وهذا هو الفعل الواقف، نقل بالهمزة فعدِّي.

و﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في هذه الآية هو الإِسلام الذي هو طريق إلى رضى الله وجنته، و﴿مَنْ﴾ مفعولة بـ﴿تَصُدُّونَ﴾، والضمير في ﴿تَبْغُونَهَا﴾ عائد على السبيل، ومعنى (تبغون) على ما فسر الزجاج والطبري وغيرهما: تطلبون[٤]، فالمعنى: تطلبون لها العوجَ؛ أي: الاعوجاج والانفساد، تقول العرب: ابغني كذا؛ بألف موصولة، بمعنى: اطلبه لي، فإِذا أرادوا أعِنِّي على طلبه، واطلبه معي، قطعوا الألف مفتوحة.

---

(١) ضعيف مرسل، أخرجه الطبري (٦/ ٥٥): عن ابن حميد قال، حدثنا سلمة (هو ابن الفضل الأبرش)، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني الثقة، عن زيد بن أسلم به مرسلاً، وشيخ ابن إسحاق لا يدرى من هو؟

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٥٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧١٧).

(٣) وهي قراءة شاذة. انظرها في: تفسير الثعلبي (٣/ ١٥٨)، ومختصر الشواذ (ص: ٢٧).

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٥٣)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٤٤٧).

وقيل: إِنَّ (تبغون) هنا، من البغي الذي هو التعدي، أي: تبغون عليها، ويكون ﴿عِوَجًا﴾ على هذا التأويل نصبه على الحال من الضمير في (تبغون)؛ أي: عوجاً منكم، وعدم استقامة.

و«العِوج» بكسر العين: ما كان في الأمور والحجج غير الأجرام، والعَوَجُ بفتح العين: ما كان في الأَجرام كالجدار والعصا ونحو ذلك.

قال ابن قتيبة: والأرض خاصة من الأَجرام يقال فيها: عِوج بكسر العين[١]: ومنه قول الله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧]، قال بعض اللغويين: هما لغتان بمعنى واحد.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ جمع شاهد على ما في التوراة من صفة محمد وصدقه.

وباقي الآية وعيد.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

الخطاب قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ عام في المؤمنين، والإِشارة بذلك وقت نزوله إلى الأوس والخزرج بسبب نائرة[٢] شاس بن قيس.

و«الفريق»: الجماعة من الناس، والمراد بها هنا الأحبار والرؤوس، و﴿يَرُدُّوكُم﴾ معناه: بالإِضلال والتشكيك والمخادعة وإِظهار الغش في معرض النصح.

---

(١) ولفظه في أدب الكتاب (ص: ٣١٤): والعِوج في الدِّين والأرض، والعَوج في غيرهما: ما خالف الاستواء، وكان قائماً.

(٢) في الحمزوية وفيض الله: «ثائرة»، والنائرة: الهائجة، والثائرة قريبة منها في المعنى.

ثم وقف المؤمنين على هذا الأمر المستبعد المستشنع الذي يريده بهم اليهود، فقال: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ﴾ بهذه الأحوال الموصوفة؟.

و(كيف) في موضع نصب على الحال، كما هي في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، والمعنى: أجاحدين تكفرون؟ أجاهلين؟ أمستخفِّين؟ أمرتدِّين؟ ونحو هذا من التقدير.

والواو في قوله: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ عاطفة جملة كلام على جملة كلام، ولا يجوز أن تكون (كيف) في هذه الآية كما هي في قولك: كيف تفعل كذا؟ وأنت تسأل عن شيء ثابتِ الوقوع متحصِّلِه؛ لأنه كان يلزم أن يكون كفر المؤمنين مقرراً مثبت الوقوع.

وتأمل[(١)] معنى (كيف) [إذا وليها فعل][(٢)]، ومعناها إذا وليها اسم.

وقرأ جمهور الناس: ﴿تُتْلَىٰ﴾ بالتاء من فوق.

وقرأ الحسن: (يُتلَى) بالياء[(٣)]؛ إذ الآيات هي القرآن.

وقوله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ﴾ هي ظرفية الحضور والمشاهدة لشخصه ﷺ، وهو في أمته إلى يوم القيامة بأقواله وآثاره.

و﴿يَعْتَصِم﴾ معناه: يتمسَّك ويستَذرِي[(٤)]، و«عصَمَ الشيءُ»: إذا منع وحمى، ومنه قوله: ﴿يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ [هود: ٤٣]، و«العصم»: الأسباب التي يمت بها، ويعتصم من الخيبة في الغرض المطلوب، وقال الأعشى:

إلـى المـرءِ قيـسٍ أُطيلُ السُّـرى ... وآخـذُ مـن كلِّ حـيٍّ عُصُـم[(٥)] [المتقارب]

---

(١) في نور العثمانية: «وتأويل»، وفيها: «معناها»، دون واو قبلها.

(٢) ليس في لالاليه.

(٣) وهي قراءة شاذة انظرها: في البحر المحيط (٣/ ٢٨٢)، ولم أجدها لغيره.

(٤) يقال: استذريت بفلان؛ أي: التجأت إليه، وصرت في كَنَفه، اللسان (١٤/ ٢٨٢).

(٥) انظر عزوه له في: تفسير الطبري (٧/ ٦٢)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٣٢٦)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ١٤٤).

وتصرف اللفظة كثير جداً، وباقي الآية بيِّن، [والله المستعان][(١)].

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا/ ...﴾. [١/ ٢٤٤]

الخطاب بهذه الآية يعم جميع المؤمنين، والمقصود به وقتَ نزولها الأوسُ والخزرجُ الذين شجر بينهم بسعاية شاس بن قيس ما شجر[(٢)].

و«تُقاة»: مصدر وزنه فُعَلَة، أصله تُقَيَة، وقد تقدم قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾، ويصح أن تكون التُّقاة في هذه الآية جمع فاعل وإن كان لم يتصرف منه، فيكون كرُماة ورامٍ، أو يكون جمع تقيٍّ؛ إذ فَعِيْل وفاعل بمنزلةٍ، والمعنى على هذا: اتقوا الله كما يحق أن يكون مُتَّقوه المختصون به، ولذلك أُضيفوا إلى ضمير الله تعالى.

واختلف العلماء في قوله: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾.

فقالت فرقة: نزلت الآية على عموم لفظها، وألزمت الأمة أن تتقي الله غاية التقوى حتى لا يقع إخلال في شيء من الأشياء، ثم إن الله نسخ ذلك عن الأمة بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن ١٦]، وبقوله ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة ٢٨٦]، قال ذلك قتادة والسدي والربيع بن أنس وابن زيد وغيرهم[(٣)].

وقالت جماعة من أهل العلم: لا نسخ في شيء من هذا، وهذه الآيات متفقات، فمعنى هذه: اتقوا الله حقَّ تقاته فيما استطعتم، وذلك أَن ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ هو بحسب أوامره ونواهيه، وقد جعل تعالى الدِّين يسراً، وهذا هو القول الصحيح، وألا يعصي ابن آدم جملة لا في صغيرة ولا في كبيرة، وألا يفترَ في العبادة أمرٌ متعذِّر في جِبلَّة البشر، ولو كلَّفَ اللهُ هذا لكان تكليفَ ما لا يطاق، ولم يلتزم ذلك أحد في تأويل هذه الآية، وإنما عبروا في

---

(١) ليس في أحمد٣.

(٢) تفسير السمعاني (١/ ٣٤٦).

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٦٨، ٦٩)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٨٥).

تفسير هذه الآية بأن قال ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾: هو أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى[١]، وكذلك عبر الربيع بن خيثم وقتادة والحسن[٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنه: معنى قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾: جاهدوا في الله حق جهاده، ولا نسخ في الآية[٣].

وقال طاووس في معنى قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾: يقول تعالى: إن لم تتقوه ولم تستطيعوا ذلك فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

[وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾][٤] معناه: دوموا على الإسلام حتى يوافيكم الموت وأنتم عليه، وهكذا هو وجه الأمر في المعنى، وجاءت العبارة على هذا النظم الرائق الوجيز، ونظيره ما حكى سيبويه من قولهم: لا أرَيَنَّكَ هاهنا، وإنما المراد: لا تكنْ هنا فتكونَ رؤيتي لك.

و﴿مُّسۡلِمُونَ﴾ في هذه الآية: هو المعنى الجامع للتصديق والأعمال، وهو الدِّين عند الله، وهو الذي بني على خمس.

وقوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ معناه: تمنَّعوا وتحصنوا به، فقد يكون الاعتصام بالتمسك باليد، وبارتقاء القُنن، وبغير ذلك مما هو منعة، ومنه الأعصم في الجبل، ومنه عِصمة النكاح، والحبل في هذه الآية مستعار، لمّا كان السببُ الذي يعتصم به وصلةً ممتدةً بين العاصم والمعصوم ونسبةً بينهما شبَّه ذلك بالحبل الذي شأنه أن يصل شيئاً بشيء، وتسمى العهود والمواثيق حبالاً، ومنه قول الأعشى:

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (٧/ ٦٥) من طرق عن زبيد اليامي، عن مرة الهمداني، عن ابن مسعود.
(٢) تفسير الطبري (٧/ ٦٨، ٦٩)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٨٥).
(٣) أخرجه الطبري (٧/ ٦٧) من طريق: عبد الله بن صالح قال: حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس. ورواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قد سبق الكلام عليها.
(٤) ليس في الأصل.

[الكامل] وإذا تـجُـوَّزُهـا حبالُ قـبيـلـةٍ أخذَتْ من الأخرى إليكَ حِبالَها[١]

ومنه قول الآخر:

[أحذ الكامل] إنِّـي بِحَبْـلِـكِ واصـلٌ حَـبْـلـي[٢] ....

ومنه قول الله تعالى: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢].

واختلفت عبارة المفسرين في المراد في هذه الآية بحبل الله:

فقال ابن مسعود: حبل الله: الجماعة[٣]، وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»، قال: فقيل: يا رسول الله، وما هذه الواحدة؟ قال: فقبض يده وقال: «الجماعة»، وقرأ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾[٤].

---

(١) انظر عزوه له في: مجاز القرآن (١/ ١٠١)، وتفسير الطبري (٧/ ٧٠)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٥٣)، وجمهرة اللغة (١/ ٢٨٣)، والمعاني الكبير (٢/ ١١٢٠)، وتهذيب اللغة (٥/ ٥١)، والصحاح للجوهري (٤/ ١٦٦٤)، وفي المطبوع: «الأدنى»، بدل «الأخرى».

(٢) هذا صدر بيت لامرئ القيس بن حجر عجزه: وبريش نبلك رائش نبلي، وهو في ديوانه (ص: ١١٤)، وهذا ظاهر تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٥٧)، وغريب الحديث لابن سلام (٤/ ١٠٣)، وتهذيب اللغة (٥/ ٥١)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ٢٦٨)، وفي الأغاني (٣/ ٣٠١): أنه لامرئ القيس بن عابس الكندي، قال: هكذا روى أبو عمرو الشيباني، وقال: إن من يرويه لامرئ القيس بن حجر يغلط.

(٣) منقطع، أخرجه الطبري (٧/ ٧١) (٧٥٦٢) وغيره من طريق: هشيم قال: أخبرنا العوام، عن الشعبي، عن عبد الله بن مسعود. والشعبي لم يسمع من ابن مسعود.

(٤) أخرجه الطبري (٧/ ٧٤) من طريق: عبد الله بن صالح قال: حدثني معاوية بن صالح: أن الأوزاعي حدثه، أن يزيد الرقاشي حدثه أنه سمع أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ... ويزيد الرقاشي متروك. وقد رواه ابن ماجه (٣٩٩٣) من طريق: الوليد بن مسلم، حدثنا أبو عمرو، حدثنا قتادة، عن أنس بن مالك به مرفوعاً: «إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»، وليس فيه ذكر الآية. وهو أصح إسناداً عن أنس. والحديث روي عن جماعة من الصحابة، وليس في شيء منها ذكر الآية أيضاً، منها ـ وهو من أحسنها إسناداً ـ ما رواه محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «تفرَّقت =

وقال ابن مسعود في خطبة: عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبلُ الله الذي أمر به[١].

وقال قتادة: حبل الله الذي أمر بالاعتصام به: هو القرآن.

وقال السدي: حبل الله: كتاب الله، وقاله أيضاً ابن مسعود[٢] والضحاك.

وروى أبو سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «كتابُ الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض»[٣].

وقال أبو العالية: حبل الله في هذه الآية: هو الإِخلاص في التوحيد، وقال ابن زيد: حبل الله: الإِسلام[٤].

قال القاضي أبو محمد: وقيل غير هذا مما هو كله قريب بعضه من بعض.

وقوله تعالى: ﴿جَمِيعًا﴾ حال من الضمير في قوله: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ﴾، فالمعنى: كونوا في اعتصامكم مجتمعين، ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾: يريد التفرق الذي لا يأتي معه الائتلاف على الجهاد وحماية الدين وكلمة الله تعالى.

= اليهود على إحدى وسبعين، أو اثنتين وسبعين فرقةً والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي ثلاث وسبعين فرقة». أخرجه أبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وغيرهما.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٥/ ٨٦) والطبري (٧/ ٧٥) والحاكم (٤/ ٥٩٨) وغيرهم من طريق: الشعبي، عن ثابت بن قطبة قال: سمعت ابن مسعود وهو يخطب.. وهو بأطول من هذا. وثابت بن قطبة وثقه: ابن حبان (٤/ ٩٢)، والعجلي (١٩٢).

(٢) أخرجه الطبري (٧/ ٧٢) من طريق: وكيع، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله، وهو صحيح عن ابن مسعود إذا كان الأعمش سمعه من أبي وائل.

(٣) أخرجه أحمد في المسند: (١١٢٢٩)، (١١٥٨٢) (١١١٢٠) (١١١٤٨)، والطبري (٧/ ٧٢) من طرق عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري به مرفوعاً. وعطية العوفي ضعيف باتفاق، وأخرجه الترمذي (٣٧٨٨) مقروناً بحديث حبيب بن أبي ثابت عن زيد بن أرقم مرفوعاً به، وقال: حديث حسن غريب.

(٤) انظر لهذه الأقوال: تفسير الطبري (٧/ ٧١-٧٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٢٣ و٧٢٤)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٨٦).

وهذا هو الافتراق بالفتن، والافتراق في العقائد، وأما الافتراق في مسائل الفروع والفقه فليس يدخل في هذه الآية، بل ذلك هو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «خلافُ أمتي رحمةٌ»(١)، وقد اختلف الصحابة في الفروع أشدَّ اختلاف، وهم يدٌ واحدةٌ على كلِّ كافر.

وأَما الفتنة على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فمن التفرق المنهي عنه(٢)، أَمَا إنَّ التأويل هو الذي أدخل في ذلك أكثرَ مَنْ دخله من الصحابة رضي الله عن جميعهم.

قوله تعالى: ﴿...وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

هذه الآية تدل على أن الخطاب بهذه الآية إنما هو للأَوس والخزرج، وذلك أن العرب؛ وإِن كان هذا اللفظ يصلح في جميعها؛ فإِنها لم تكن في وقت نزول هذه الآية اجتمعت على الإِسلام، ولا تألَّفت قلوبها، وإِنما كانت في قصة شاس بن قيس في صدر الهجرة، وحينئذ نزلت هذه الآية، فهي في الأوس والخزرج، كانت بينهم عداوة وحروب، منها يومُ بُعَاث وغيره، وكانت تلك الحروب والعداوة قد دامت بين الحيين

[١/ ٢٤٥] مئة / وعشرين سنة، حتى رفعها الله بالإِسلام(٣).

فجاء النفر الستة من الأنصار إلى مكة حُجَّاجاً، فعرض رسول الله ﷺ نفسه عليهم، وتلا عليهم القرآن كما كان يصنع مع قبائل العرب، فآمنوا به، وأراد الخروج

(١) لا أصل له، قال علي بن سلطان القاري في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (ح ١٧): زعم كثير من الأئمة أنه لا أصل له، لكن ذكره الخطابي في غريب الحديث مستطرداً، وأشعر بأن له أصلاً عنده، وقال السيوطي: أخرجه نصر المقدسي في الحجة، والبيهقي في الرسالة الأشعرية بغير سند، وأورده الحليمي، والقاضي حسين، وإمام الحرمين، وغيرهم، ولعله خرج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل إلينا والله أعلم. وانظر السلسلة الضعيفة للألباني (٥٧).

(٢) انظر في ذلك المعنى: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٤٤٤-٤٤٥).

(٣) تفسير السمعاني (١/ ٣٤٦)، والكشاف للزمخشري (١/ ٤٢٤).

معهم، فقالوا: يارسول الله، إن قدمتَ بلادنا على ما بيننا من العداوة والحرب؛ خفنا أَلاَّ يتمَّ ما نريده منك، ولكن نمضي نحن، ونشيع أمرك، ونداخل الناس، وموعدنا وإياك العام القابل، فمضوا وفعلوا، وجاءت الأَنصار في العام التالي[١]، فكانت العقبة الثانية وكانوا اثني عشر رجلاً، فيهم خمسة من الستة الأَولين، ثم جاؤوا من العام الثالث فكانت بيعة العقبة الكبرى، حضرها سبعون وفيهم اثنا عشر نقيباً، ووصف هذه القصة مستوعب في «سيرة ابن هشام»[٢].

ويسر الله تعالى الأنصار للإِسلام بوجهين:

أحدهما أن بني إسرائيل كانوا مجاورين لهم، وكانوا يقولون لمن يتوعدونه من العرب: يبعث لنا نبي الآن نقتلُكم معه قَتْلَ عاد وإِرَمَ، فلما رأى النفر من الأنصار محمداً ﷺ قال بعضهم لبعض: هذا والله النبي الذي تذكره بنو إِسرائيل، فلا تُسْبَقُنَّ إليه[٣].

والوجه الآخر: الحرب التي كانت ضرَّستهم، وأفنت سَراتَهم، فرجَوا أن يجمع الله به كلمتهم كالذي كان، فعدد الله تعالى عليهم نعمته في تأليفهم بعد العداوة، وذكَّرهم بها[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَأَصۡبَحۡتُم﴾ عبارة عن الاستمرار، وإِن كانت اللفظة مخصوصة بوقت ما، وإِنما خُصَّتْ هذه اللفظة بهذا المعنى من حيث هي مبدأ النهار، وفيها مبدأ الأعمال، فالحال التي يحسُّها المرء من نفسه فيها هي حاله التي يستمرُّ عليها يومَهُ في

---

(١) في نور العثمانية: «القابل».

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٤٤٢)، وهو عبد الملك بن هشام بن أيوب أبو محمد الذهلي، وقيل: الحميري المعافري البصري النحوي، نزيل مصر، ومهذب السيرة النبوية، سمعها من زياد بن عبد الله صاحب ابن إسحاق ونقَّحها، توفي (٢١٣هـ). تاريخ الإسلام (١٥/ ٢٨١).

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٨٠).

(٤) المصدر السابق (٧/ ٨٢).

الأغلب، ومنه قول الربيع بن ضبيع[١]:

[المنسرح] أصبحت لا أحملُ السلاحَ وَلا أَملكُ رأسَ البعيرِ إنْ نفرا[٢]

و«الإِخوان»: جمع أخ، ويجمع إِخوة، وهذان أشهر الجمع فيه، على أن سيبويه رحمه الله يرى أن إِخوة اسم جمع، [وليس ببناء جمع][٣]؛ لأن (فَعَلاً) لا يجُمَع على (فِعْلَة)[٤]، قال بعض الناس: الأخُ في الدِّين يُجمع إِخواناً، والأخ في النسب يجمع إِخوة، هكذا كثر استعمالهم[٥].

قال القاضي أبو محمد: وفي كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وفيه: ﴿أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، فالصحيح أنهما يقالان في النسب، ويقالان في الدِّين.

و«الشَّفا»: حرفُ كل جِرْم[٦] له مَهوىً، كالحفرة والبئر والجُرف[٧] والسَّقف والجدار ونحوه، ويضاف في الاستعمال إلى الأعلى كقوله: ﴿شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: ١٠٩]، وإِلى الأسفل كقوله: ﴿شَفَا حُفْرَةٍ﴾، ويثنَّى شَفَوان.

---

(١) هو الربيع بن ضبيع بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدي بن فزارة، قال أبو حاتم: عاش ثلاث مئة سنة وأربعين سنة، ولم يسلم. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٤٢٤)، وسمط اللآلي (١/ ٢٣٠).

(٢) انظر عزوه له في: الكتاب لسيبويه (١/ ٨٩)، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (١/ ٢٥٥)، وأمالي القالي (٢/ ١٨٥)، وديوان المعاني (٢/ ٢٢٤)، والحماسة البصرية (٢/ ٣٦٧)، وفي المستقصى للزمخشري (٢/ ١٩٢): أنه لشُرَيْح بن هانئ.

(٣) ليس في الأصل ونور العثمانية.

(٤) نقله عنه أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٨٨)، وانظر: نظرات في كتاب سيبويه للدكتور ماهر عباس جلال (١/ ٧).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٧/ ٢٥٤).

(٦) في فيض الله: «جرف».

(٧) ليست في الأصل والمطبوع.

فشبه تعالى كفرهم الذي كانوا عليه وحربهم المُدْنية من الموت بالشَّفا؛ لأنهم كانوا يسقطون في جهنم دأباً، فأنقذهم الله بالإِسلام.

والضمير في ﴿مِّنۡهَا﴾ عائد على النار أو على الحفرة، والعَود على الأقرب أحسن، وقال بعض الناس ـ حكاه الطبري ـ: إن الضمير عائد على الشَّفا[1]، وأنث الضمير من حيث كان الشَّفا مضافاً إلى مؤنث، فالآية كقول جرير:

رأتْ مَرَّ السِّنِينَ أخَذْنَ منِّي   كما أخَذَ السِّرَارُ مِنَ الهِلالِ[2]   [الوافر]

إلى غير ذلك من الأَمثلة.

قال القاضي أبو محمد: وليس الأمر كما ذكر، والآية لا يحتاج فيها إلى [هذه الصناعة، إلا لو لم تجد معاداً للضمير إلا الشَّفَا، وأَما ومَعَنا لفظ مؤنث يعود الضمير عليه يعضده المعنى المتكلَّمُ فيه، فلا يحتاج إلى][3] تلك الصناعة.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ إِشارة إِلى ما بيَّن في هذه الآيات؛ أي: فكذلك يبين لكم غيرها.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ ترجٍّ في حق البشر؛ أي: من تأمل منكم الحال رجا الاهتداء.

قوله عز وجل: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ (١٠٥)﴾.

قرأ الحسن والزهري وأبو عبد الرحمن وعيسى بن عمر وأبو حيوة: (ولِتَكُنْ)

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٨٦).

(٢) انظر عزوه له في: مجاز القرآن (١/ ٩٨)، والأصول في النحو (٣/ ٤٧٨)، والكامل للمبرد (٢/ ١٠٥)، والموشى (ص: ١٣١).

(٣) ليست في نور العثمانية.

بكسر اللام على الأصل، إذ أصلها الكسر، وكذلك قرؤوا لام الأمر في جميع القرآن[١].

قال الضحاك والطبري وغيرهما: أُمر المؤمنون أن تكون منهم جماعة بهذه الصفة، فهم خاصة أصحاب الرسول ﷺ، وهم خاصة الرُّواة[٢].

قال القاضي أبو محمد: فعلى هذا القولِ (مِن) للتبعيض.

وأمر الله الأمة بأن يكون منها علماء يفعلون هذه الأفاعيل على وجوهها، ويحفظون قوانينها على الكمال، ويكون سائر الأمة متبعين لأولئك؛ إذ هذه الأفعال لا تكون إلا بعلم واسع، وقد علم تعالى أن الكل لا يكون عالماً.

وذهب الزجاج وغير واحد من المفسرين إلى أن المعنى: ولتكونوا كلُّكم أمةً يدعون[٣]، و(مِن) لبيان الجنس، قال: ومثله من كتاب الله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]، ومثله من الشعر قول القائل:

[البسيط] أخو رغائبَ يُعطِيها ويُسألُها يأبى الظُّلامةَ منه النوفلُ الزُّفَرُ[٤]

قال القاضي أبو محمد: وهذه الآية على هذا التأويل إنما هي عندي بمنزلة قولك: ليكن منك رجل صالح، ففيها المعنى الذي يسميه النحويون (التجريدَ).

---

(١) وهي قراءة شاذة كما تقدم غير ما مرة. انظر: إتحاف فضلاء البشر (١/ ٢٣٧)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٢٩٠).

(٢) أخرجه الطبري (٧/ ٩٢) (٧٥٩٧) عن الضحاك رحمه الله.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٥٢).

(٤) نسبه ابن دريد في الجمهرة (٢/ ١١٧٤)، والأصمعي في مختاراته (ص: ٩٠)، وابن سيده في المخصص (٤/ ١٤٦)، والأزهري في تهذيب اللغة (١٥/ ٢٥٧)، والجوهري في الصحاح (٢/ ٦٧١)، وصاحب جمهرة أشعار العرب (ص: ٥٧١)، والمرتضى في الأمالي (٣/ ١٠٦) لأعشى باهلة، وهو عامر بن الحارث، ويكنى أبا قحفان، يرثي المنتشر بن وهب الباهلي، قال: وهذه القصيدة من المراثي المفضلة المشهورة بالبلاغة والبراعة، قال اليزيدي في أماليه (١/ ٤) ويقال: إنها للدَّعْجاء أخت المنتشر ترثيه، وفي الحماسة البصرية (١/ ٢٤١): وتروى للدعجاء ابنة المنتشر، وتروى لليلى بنت وهب الباهلية أخت المنتشر.

وانظر أن المعنى الذي هو ابتداء الغاية يدخلها، وكذلك يدخل قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾، ولا تجده يدخل قول الشاعر: (منه النوفل الزفر)، ولا تجده يدخل في (مِن) التي هي صريح بيان الجنس، كقولك: ثوب من خز، وخاتم من فضة[1]، بل هذه يعارضها معنى التبعيض.

ومعنى / الآية على هذا التأويل: أمر الأمة بأن يكونوا يدعون جميع العالم إلى الخير، الكفار إلى الإسلام، والعصاة إلى الطاعة، ويكون كل واحد من هذه الأمور على منزلته من العلم والقدرة. [١/ ٢٤٦]

قال أهل العلم: وفرض الله بهذه الآية الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو من فروض الكفاية إذا قام به قائمٌ سقط عن الغير.

وللزوم الأمر بالمعروف شروط، منها أن يكون بمعروف لا بتخرُّق[2]، فقد قال ﷺ: «من كان آمراً بمعروف، فليكنْ أمْره ذلك بمعروف»[3].

ومنها ألَّا يخاف الآمر أذى يصيبه، فإن فعل مع ذلك فهو أعظم لأجره، وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده، فإن لم يستطِعْ فبلسانه، فإن لم يستطِعْ فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمانِ»[4].

---

(١) في الحمزوية: «حديد»، وفي فيض الله: «ذهب».

(٢) التخرق: الاختلاق.

(٣) ضعيف، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧٦٠٣) من طريق أبي العباس بسنده عن سلم بن ميمون الخواص، عن زافر، عن المثنى بن الصباح، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ فذكره، وإسناده ضعيف جدّاً مسلسل بالضعفاء، سلم بن ميمون شديد الضعف، وزافر وهو ابن سليمان الإيادي فيه ضعف، ووثقه بعض الأئمة، والمثنى بن الصباح ضعيف اختلط بأخرة، وأخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٤٦٥) من حديث أبي برزة عن النبي ﷺ، وفي إسناده إسحاق بن مالك الحضرمي، قال الأزدي: ضعيف. وقال ابن القطان: لا يُعرف. وفي إسناده بقية بن الوليد وهو كثير التدليس عن الضعفاء.

(٤) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قال القاضي أبو محمد: والناس في تغيير المنكر والأمر بالمعروف على مراتب، ففرضُ العلماء فيه تنبيهُ الوُلاة[١]، وحملُهم على جادَّة العلم، وفرضُ الولاة تغييره بقوَّتهم وسلطانهم، ولهم[٢]: هي اليد، وفرض سائر الناس رفعه إلى الحكام والوُلاة بعد النهي عنه قولاً.

وهذا في المنكر الذي له دوام، وأَما إِن رأى أحد[٣] نازلة بديهة من المنكر كالسلب والزنى ونحوه فيغيرها بنفسه بحسب الحال والقدرة.

ويحسن لكل مؤمن أن يعتمل[٤] في تغيير المنكر وإِن ناله بعض الأذى، ويؤيد هذا المنزع أَن في قراءة عثمان بن عفان وابن مسعود وابن الزبير: (يأْمُرونَ بالمعْرُوف وينْهَوْنَ عَن المنْكر ويستعينون الله[٥] على ما أَصَابَهم)[٦].

فهذا وإِن كان لم يثبت في المصحف، ففيه إشارةٌ إلى التعرض لما يصيب عَقِيبَ الأمر والنهي، كما هي في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، معناه: إذا لم يقبل منكم، ولم تقدروا على تغيير منكر.

وقال بعض العلماء: المعروف: التوحيد، والمنكر: الكفر، والآية نزلت في الجهاد[٧].

---

(١) في المطبوع: «تنبيه الحكام والولاة»، و«الحكام» ليست في النسخ الخطية.

(٢) الضمير في: (لهم) يعود على (الولاة)، و(هي) أي: السُّلْطة، و(اليد) هي المذكورة في الحديث الشريف: (بيده).

(٣) زيادة من فيض الله والأصل.

(٤) في نور العثمانية: «يعتمد»، وفي المطبوع: «يحتمل».

(٥) في المطبوع: «بالله».

(٦) انظر عزوها لعثمان في: المصاحف لابن أبي داود (١٠٦)، ولابن الزبير فيه (ص: ٢٠٦)، ولهما في تفسير الطبري (٧/ ٩١)، ولم أجدها لابن مسعود، وفيهما «الله» دون باء، ولكنها ثبتت في بعض المصادر، وفي تفسير الثعلبي (٣/ ١٢٢): «ويستعينون على»، دون لفظ الجلالة.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٧٢٧) عن أبي العالية.

قال القاضي أبو محمد: ولا محالةَ أنّ التوحيد والكفر هما رأس الأمرين، ولكن ما نزل عن قدر التوحيد والكفر يدخل في الآية ولا بد.

و﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ الظافرون ببُغيتهم، وهذا وعد كريم.

ثم نهى الله تعالى هذه الأمة عن أن يكونوا كالمتفرقين من الأمم.

واختلفت عبارة المفسرين في المشار إليهم:

فقال ابن عباس: هي إِشارة إلى كلِّ من افترق من الأمم في الدين فأهلكهم الافتراق[١].

وقال الحسن: هي إشارة إلى اليهود والنصارى[٢].

وقال الزجاج: «يحتمل أن تكون الإِشارة أيضاً إلى فرق اليهود، وفرق النصارى»[٣].

ومجيء البينات هو ببعث الرسل وإِنزال الكتب.

وأسند الفعل دون علامة إلى البينات من حيث نزلت منزلة البيان، ومن حيث لا حقيقة لتأنيثها.

وباقي الآية وعيد.

وقوله: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: أنه أعظم من سواه، ويتفاضل هذان العوضان بأن أحدهما يتخلَّله فُتور، وأما الجزء الفرد من هذا وذلك فسواء، هذا تحرير مذهب أصحابنا الأصوليين[٤] رحمهم الله.

---

(١) أخرجه الطبري (٧/ ٩٣)، وابن أبي حاتم (٣٩٤٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما به.

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٩٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٢٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٥٣).

(٤) انظر الكلام على الجوهر الفرد في: البرهان للجويني (١/ ١٢٢).

قوله عز وجل: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

العامل في قوله: ﴿ يَوْمَ ﴾ الفعلُ الذي تتعلق به اللام في قوله: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾، قال الزجاج: تقديره: ويثبت لهم عذاب عَظيمٌ، وقال قوم: العامل فيه: ﴿ عَظِيمٌ ﴾[١].

قال القاضي أبو محمد: وذلك ضعيف من جهة المعنى؛ لأنه يقتضي أن عظم العذاب في ذلك اليوم، ولا يجوز أن يكون العامل قوله: ﴿عَذَابٌ﴾؛ لأنه مصدر قد وُصِف.

و«بياض الوجوه»: عبارة عن إِشراقها واستنارتها وبِشْرها برحمة الله، قاله الزجاج وغيره.

ويحتمل عندي أن يكون ذلك من آثار الوضوء [كما قال ﷺ: «أنتم الغُرُّ المحجَّلون من آثار الوضوء»][٢].

وأما «سواد الوجوه»: فقال المفسرون: هو عبارة عن اربدادها، وإِظلامها بغَمِّ[٣] العذاب.

ويحتمل أن يكون ذلك تسويداً ينزله الله بهم على جهة التشويه والتمثيل بهم، على نحو حشرهم زرقاً، وهذه أقبح طلعة، ومن ذلك قول بشار[٤]:

---

(١) انظره في: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٥٣) مع ما يأتي عنه.

(٢) ليس في الأصل، ونور العثمانية، وهو متفق عليه، أخرجه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

(٣) في الأصل: «بغيم».

(٤) هو بشار بن برد، أبو معاذ، لقبه المرعث، ولد بالبصرة، ونشأ في بني عقيل مولعاً بالاختلاف إلى الأَعراب، فشب فصيحَ اللسان، صحيحَ البيان، وُلد أكمه، وكان هجَّاءً، يتغزل بالنساءِ، حتى نقم الناس منه وشكوه للمهدي فضربه حتى مات سنة: (١٦٧هـ) الأغاني (٣/ ١٢٩).

[البسيط]
وللبخيل على أمواله عِلَلٌ زرْقُ العيونِ عليها أوجهٌ سودُ[١]

وقرأ يحيى بن وثاب: (تِبْيضُّ)، و(تِسْوَدُّ) بكسر التاء[٢].

وقرأ الزهري: (تبياضُّ وجوهٌ وتسوادُّ وجوهٌ) بألف[٣]، وهي لغة.

ولما كان صدر هذه الآية إخباراً عن حال لا تخص أحداً معيناً بدئ بذكر البياض لشرفه، وأنه الحالة المثلى، فلما فهم المعنى وتعين له الكفار والمؤمنون، بدئ بذكر الذين اسودَّت وجوههم؛ للاهتمام بالتحذير من حالهم.

وقوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتُم﴾ تقرير وتوبيخ متعلق بمحذوف تقديره: فيقال لهم: أكفرتم؟ وفي هذا المحذوف هو جواب (أَمَّا)، وهذا هو فحوى الخطاب، وهو أن يكون في الكلام شيء مقدَّر لا يستغني المعنى عنه[٤]، كقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ﴾ [البقرة: ١٨٤] المعنى: فأَفطر فعدة.

وقوله تعالى: ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ يقتضي أَن لهؤلاء الموقَفين إيماناً متقدماً، فاختلف أهل التأويل في تعيينهم:

فقال أبي بن كعب: الموقَفون جميع الكفار[٥]، والإِيمان الذي قيل لهم بسببه: ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ هو الإيمان الذي أقروا به يوم قيل لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾.

---

(١) نسبه له في الأغاني (٣/ ١٩١)، والتنبيه على أوهام أبي علي (ص: ١٠٧)، ونسبه في الشعر والشعراء (٢/ ٧٦٧)، والعقد الفريد (١/ ١٩٧) لحمّاد عجرد، وفي أمالي القالي (٢/ ١٣٥)، والحماسة البصرية (٢/ ٦٣)، وتاريخ بغداد (١٢/ ٤٨٩)، وديوان المعاني (١/ ١٥٤): أنه لكلثوم بن عمرو التغلبي من شعراء الدولة العباسية.

(٢) وهي قراءة شاذة. انظر: تفسير الثعلبي (٣/ ١٢٤).

(٣) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها له في: مختصر الشواذ (ص: ٢٨)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١٢٤).

(٤) للتوسع في تعريف فحوى الخطاب انظر: قواطع الأدلة للسمعاني (١/ ٢٣٦)، واللمع للشيرازي (١/ ٣٣).

(٥) أخرجه الطبري (٧/ ٩٥) عن أبي بن كعب، وفيه: أبو جعفر الرازي، وهو ضعيف الحديث.

وقال أكثر المتأولين: إنما عنى بالتوقيف في هذه الآية أهلَ القبلة من هذه / الأمة(١)، ثم اختلفوا: [١/ ٢٤٧]

فقال الحسن: الآية في المنافقين، يؤمنون بألسنتهم ويكفرون بقلوبهم، فيقال لهم: أكفرتم بعد إيمانكم؟ أي: ذلك الإِيمانِ بألسنتهم.

وقال السدي: هي فيمن كفر من أهل القبلة حين اقتتلوا(٢).

وقال أبو أمامة(٣): الآية في الخوارج(٤).

وقال قتادة: الآية في أهل الردَّة، ومنه الحديث: «لَيرِدنَّ عليَّ الحوضَ رجالٌ من أصحابي، حتى إذا رُفِعوا إليَّ اختُلِجُوا، فأقول: أُصَيْحابي أُصَيْحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدَثُوا بعدَك، فأقول: فسُحْقاً فسحقاً»(٥)، وفي بعض طرقه: «فأناديهم: ألا هَلُمَّ، ألا هَلُمَّ»(٦).

وذكر النحاس قولاً: إن الآية في اليهود، وذلك أنهم آمنوا بصفة محمد واستفتحوا به، فلما جاءهم من غيرهم كفروا، فهذا كفر بعد إِيمان(٧).

وروي عن مالك أنه قال: الآية في أهل الأهواء(٨).

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٩٤).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٠).
(٣) هو صُدَيُّ بنُ عَجْلان بن الحارث الباهلي، مشهور بكنيته، روى عن النبي ﷺ وجماعة من الصحابة، وروى عنه جماعة منهم مكحول وشهر بن حوشب، سكن الشام، وتوفي سنة (٨٦هـ). الإصابة (٣/ ٣٣٩).
(٤) أخرجه الطبري (٧/ ٩٤) بإسناد فيه سفيان بن وكيع، وهو ضعيف الحديث.
(٥) أخرجه البخاري (٦٢١٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٦) أخرجه مسلم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٧) معاني القرآن له (١/ ٤٥٧ - ٤٥٨).
(٨) مكي في الهداية (٢/ ١٠٩١)، والبيان والتحصيل (٢/ ٢٧٢).

قال القاضي أبو محمد: إن كان هذا ففي المجلحين[١] منهم القائلين ما هو كفر.

وروي حديثٌ أن الآية في القدَريَّة[٢]، وقال أبو أُمامة: سمعنا من رسول الله ﷺ: أَنها في الحَرُوريَّة[٣]، وقد تقدم عنه أَنها في الخوارج وهو قول واحد.

و(ما) في قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾ مصدرية؛ وقوله تعالى: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾؛ أي: في النعيم الذي هو موجب رحمة الله.

وقوله بعد ذلك: ﴿هُمْ فِيهَا﴾ تأكيد بجملتين؛ إذ كان الكلام يقوم دونها.

قوله عز وجل: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ (١٠٨) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (١٠٩) كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)﴾.

الإِشارة بـ﴿تِلْكَ﴾ إلى هذه الآيات المتقدمة المتضمنة تعذيبَ الكفار، وتنعيمَ المؤمنين.

ولما كان فيها ذكر التعذيب أخبر تعالى أنه لا يريد أن يقع منه ظلم لأحد من العباد، وإِذا لم يرد ذلك فلا يوجد ألبتَّةَ؛ لأنه لا يقع من شيءٍ إلا ما يريد تعالى.

وقوله تعالى: ﴿بِالْحَقِّ﴾ معناه: بالإِخبار الحق، ويحتمل أن يكون المعنى: نتلوها عليك مضمَّنةً الأَفاعيلَ التي هي حقٌّ في أنفسها، من كرامة قوم، وتعذيب آخرين.

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «المختلجين»، وفي نور العثمانية: «المحتجين»، والمجالحة هي: المكاشفَة بالعداوة، والمختلج: هو الذي نقل عن قومه ونسبه فيهم إلى آخرين.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٤/ ٢٨٦)، بإسناد فيه قطن بن عبد الله أبو مري، ولم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً إلا ذكر ابن حبان إياه في الثقات (٩/ ٢٢). وشيخه في حديثه هذا: أبو غالب حزور، متكلم فيه، ولما ترجم له ابن عدي في كامله (٢/ ٤٥٦) ذكر له حديثه هذا فيما يرويه من منكرات.

وقرأ أبو نهيك: (يَتْلوها) بالياء[(١)].

وجاء الإِعلام بأنه تعالى لا يريد ظلماً في حكمه، فإِذاً لا يوجد.

ولما كان للذهن أن يقف هنا في الوجه الذي به خص الله قوماً بعملٍ يرحمهم من أجله، وآخرين بعملٍ يعذّبهم عليه، ذكر تعالى الحجة القاطعة في ملكه جميع المخلوقات، وأنَّ الحق لا يُعْتَرَضُ عليه، وذلك في قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية، وقال: ﴿مَا﴾ ولم يقل: ﴿مَن﴾ من حيث هي جمل وأجناس.

وذكر الطبري: أن بعض البصريين نظَّرَ قولَه تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ﴾ فأظهر الاسم، ولم يقل: (إليه) بقول الشاعر:

[الخفيف] لا أرَى الموْتَ يَسْـبِقُ الموْتَ شَيءٌ نَغَّصَ الموْتُ ذَا الغِنَـى وَالفَقِيرَا[(٢)]

وما جرى مجراه[(٣)]، وقاله الزجاج، وحكى أن العرب تفعل ذلك إِرادةَ تفخيم الكلام، والتنبيه على عِظَم المعنى[(٤)].

قال القاضي أبو محمد: والآية تشبه البيت في قصد فخامة النظم، وتفارقه من حيث الآية جملتان مفترقتان في المعنى، فلو تكررت جملٌ كثيرة على هذا الحد لحسن فيها كلّها إِظهارُ الاسم، وليس التعرض بالضمير في ذلك بعُرف.

وأما البيت وما أشبهه فالضمير فيه هو العرف؛ إذ الكلام في معنى واحد، ولا يجوز إظهار الاسم إلا في المعاني الفخمة في النفوس التي يُؤمَن فيها اللَّبسُ على السامع.

---

(١) وهي قراءة شاذة انظر عزوها له في: الشواذ للكرماني (ص: ١١٩).

(٢) البيت لسوادة بن عدي في الكتاب لسيبويه (١/ ٦٣)، وشرح أدب الكاتب (ص: ٨٦)، وعزاه لأبيه عدي بن زيد المرزوقيُّ في شرح ديوان الحماسة (١/ ٣٦)، قال في الخزانة (١/ ٣٨١): وهو الصحيح.

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٩٩).

(٤) معاني القرآن له (١/ ٤٥٦).

وقرأ بعض السبعة: ﴿تَرجِع الأمورُ﴾ بفتح التاء على بناء الفعل للفاعل[١]، وقد تقدم ذكر ذلك.

واختلف المتأولون في معنى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾؛ فقال عمر بن الخطاب: هذه لأولنا، ولا تكون لآخرنا[٢]، وقال عكرمة: نزلت في ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأبيٍّ بن كعب ومعاذ بن جبل[٣].

قال القاضي أبو محمد: يريد: ومَن شاكَلَهم.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: نزلت في الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ إلى المدينة[٤].

قال القاضي أبو محمد: فهذا كلّه قولٌ واحد، مقتضاه أن الآية نزلت في الصحابة، قيل لهم: كنتم خيرَ هذه الأمة[٥]، فالإشارة بقوله: ﴿أُمَّةٍ﴾ إلى أمة محمد معينة، فإن هؤلاء هم خيرها.

وقال الحسن بن أبي الحسن وجماعة من أهل العلم: معنى الآية: خطاب الأمة

---

(١) وهم ابن عامر وحمزة والكسائي، وقرأ الباقون بالبناء للمفعول، كما تقدم في تفسير الآية (٢١٠) من سورة البقرة.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٧/ ١٠١)، وابن أبي حاتم (٣٩٦٩) في تفسيرهما من طريق إسرائيل، عن السدي، عمن حدثه عن عمر رضي الله عنه به. وهذا إسناد ضعيف لإبهام راويه.

(٣) منقطع، أخرجه الطبري (٧/ ١٠١)، من طريق ابن جريج، عن عكرمة، به، وهذا إسناد ضعيف، فابن جريج لم يسمع من عكرمة.

(٤) إسناده لين، أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٧٢)، والنسائي في الكبرى (١١٠٠٦) من طريق إسرائيل، عن سماك، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وسماك وهو ابن حرب، متكلم فيه، ولا يقبل حديثه إذا تفرد، ولم أجد من تابعه على روايته تلك. ثم إنه قد اضطرب فيه، فرواه قيس بن الربيع القرشي، فقال: عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما. فجعله عن عكرمة بدلاً من سعيد بن جبير، أخرجه الطبري (٧/ ١٠١).

(٥) في المطبوع: «كنتم خير أمة».

بأنهم خير أمة أخرجت للناس[(١)]، فلفظة ﴿أُمَّةٍ﴾ على هذا التأويل اسم جنس، كأنه قيل لهم: كنتم خير الأمم، ويؤيد هذا التأويلَ كونُهم شهداء على الناس، وقولُ النبي ﷺ: «نحن الآخرون السابقون»[(٢)] الحديث.

وروى بهز بن حكيم[(٣)]، عن أبيه عن جده: أَن رسول الله ﷺ قال يوماً وهو مسنِدٌ ظهرَه إلى الكعبة: «نحن نكمل يوم القيامة سبعين أمة، نحن آخِرُها، وخيرُها»[(٤)].

قال مجاهد: معنى الآية: كنتم خير الناس[(٥)]، وقال الحسن: نحن آخرها وأكرمها على الله تعالى[(٦)]، [وقال أبو هريرة رضي الله عنه: معنى الآية: كنتم للناس خير الناس][(٧)].

قال القاضي أبو محمد: فـ ﴿أُمَّةٍ﴾ على هذا التأويل: اسم جنس.

قال أبو هريرة: يجيئون بالكفار في السلاسل فيدخلونهم في الإِسلام.

قال القاضي أبو محمد: ولم يبعث نبي إلى الأمة كافة إلا محمد ﷺ، فهو وأمته يدعون إلى الإِيمان، ويقاتلون العالم عليه، فهم خير الناس للناس.

وليس يلزم على هذا التأويل أنهم أفضل الأمم من نفس لفظ الآية، لكن يعلم هذا

(١) تفسير الطبري (٧/ ١٠٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٣٦)، ومسلم (٨٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) هو أَبو مالك بهز بنُ حكيم بن معاوية بن حَيْدة القُشَيري البصري، روَى عن أَبيه، وروى عنه الزهري وابن عون، وخلائق، توفي بعد الأَربعين ومئة، وقيل: قبل الستين، وحكيم وَالدُ بَهْز: هو أَبو بهز القُشيري البصري التابعي، ثقة معروف، ومعاوية بن حيدة: جدُّ بهْز صحابي غزا خراسان ومات بها، له أَحاديث صحاح. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٩/ ٧٩).

(٤) مرسل، أخرجه بهذا اللفظ الطبري (٧/ ١٠٥) من طريق قتادة، قال: ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ قال.... فذكره.

(٥) تفسير الطبري (٧/ ١٠٣)، وتفسير مجاهد (١/ ١٣٣).

(٦) تفسير الطبري (٧/ ١٠٤).

(٧) أخرجه البخاري (٤٢٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وما يأتي بقيته، والجملة ليست في أحمد٣.

من لفظ آخر، وهي كقوله ﷺ: «أرأفُ أمتي بأمتي أبو بكر»(١)، فليس يقتضي هذا اللفظ أن أبا بكر أرأفُ الناس على الإطلاق من مؤمن وكافر/ . [١/ ٢٤٧]

قال القاضي أبو محمد: والرأفة المفرطة(٢) على الإطلاق ليست بجارية مع الشرع كما يجب.

وأما قوله: ﴿كُنتُمۡ﴾ على صيغة الماضي، فإنها التي بمعنى الدوام، كما قال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ٩٦]، إلى غير هذا من الأمثلة، وقال قوم: المعنى كنتم في علم الله، وقيل: في اللوح المحفوظ، وقيل: فيما أخبر به الأمم قديماً عنكم.

و﴿خَيۡرَ﴾ على هذه الأقوال كلها: خبرُ (كان)، ويحتمل أن تكون (كان) التامةَ، ويكون ﴿خَيۡرَ أُمَّةٍ﴾ نصباً على الحال، وهذا يتجه على بعض التأويلات التي ذكرناها دون بعض.

قال القاضي أبو محمد: وهذه الخيريَّة التي فرضها الله لهذه الأمة إنما يأخذ بحظه منها مَن عمل هذه الشروطَ من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله.

وقوله: ﴿تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ وما بعده أحوال في موضع نصب.

---

(١) الأصح فيه الإرسال، أخرجه الترمذي (٥/ ٦٦٤)، والنسائي في الكبرى (٨٢٢٩)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٢١٠) وغيرهم من طريق عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك مرفوعاً به، وتابع عبدَ الوهاب الثقفي: سفيان الثوري، عن خالد الحذاء به. أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٢٨١)، قال البيهقي: ورواه كل من بشر ابن المفضل، وإسماعيل بن عُليَّة، ومحمد بن أبي عدي، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن النبي ﷺ مرسلاً، وكل هؤلاء الرواة ثقات أثبات. اهـ، ورواية إسماعيل بن علية المرسلة، والتي أشار إليها البيهقي أخرجها ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٨٨)، والرواية المرسلة هي الأصوب؛ لاجتماع الثقات الأثبات، وهو ما ألمح إليه البيهقي فيما أوردناه عنه آنفاً.

(٢) في المطبوع: «المفروضة».

ثم أخبر تعالى عن أهل الكتاب على جهة التوبيخ المقرون بالنصح أنهم لو آمنوا لنجَّوا أنفسهم من عذاب الله.

وجاءت لفظة ﴿خَيْرًا﴾ في هذه الآية وهي صيغة تفضيل، ولا مشاركة بين كفرهم وإيمانهم في الخير، وإنما جاز ذلك؛ لما في لفظة (خير) من الشيوع وتشعب الوجوه، وكذلك هي لفظة (أفضلُ) و(أحبُّ) وما جرى مجراهما، وقد بُيِّن هذا المعنى في غير هذا الموضع بأوعبَ من هذا.

وقوله تعالى: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ تنبيهٌ على حال عبد الله بن سلام[١] وأخيه[٢]، وثعلبة بن سعية[٣]، وغيرهم ممن آمن.

ثم حكم الله على أكثرهم بالفسق في كفره؛ لأنهم حرفوا وبدلوا وعاندوا بعد معرفتهم بحقيقة أمر محمد ﷺ، فهم كفار فسقة في الكفر قد جمعوا المذمتين.

قوله عز وجل: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ معناه: لن يصيبكم منهم ضررٌ في الأبدان، ولا في الأموال، وإنما هو أذى بالألسنة، فالاستثناء متصل، وقال الحسن

---

(١) عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي ثم الأنصاري، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بعامين، كان اسمه الحصين فغيره النبي ﷺ إلى عبد الله. قال الطبري: مات في قول جميعهم بالمدينة سنة ثلاث وأربعين. انظر: الاستيعاب (٣/ ٩٢١).

(٢) هو ثعلبة بن سلام، انظر ترجمته في: الاستيعاب (١/ ٢١٠)، والإصابة (١/ ٥١٩).

(٣) هو أحد من أَسلم من اليهود يومَ قريظة، فمنعوا دماءَهم وأَموالهم، لهم خبر في السير يخرج في أَعلام نبوة محمد ﷺ، قال البخاري: توفي ثعلبة في حياة النبي ﷺ. الاستيعاب (١/ ٢١١)، والإِصابة (١/ ٥١٩).

وقتادة وغيرهما: الأذى هو تحريفُهم أمرَ محمد ﷺ، وتكذيبُهم إياه[١].

قال القاضي أبو محمد: وتَنَقُّصهم المؤمنين، وَطعْنُهُم عليهم جملةً وأَفراداً، وهذا كله عظيم مقلق، وبسببه استحقوا القتلَ والإِجلاءَ وضربَ الجزية.

لكن أراد الله تعالى بهذه الآية أن يلحظهم المؤمنون بعين الاحتقار حتى لا يصدُّوا أحداً عن دينه، ولا يَشْغَلوهُ عن عبادة ربّه، وهكذا هي فصاحة العرب، ومن هذا المعنى في التحقير قولُ ثمُامةَ بن أُثالٍ[٢]: يامحمد إن تقتلني تقتلْ ذا دمٍ، [وإِن تنعمْ تنعم على شاكر، وإِن شئت المال فسَلْ منه ما شئتَ[٣].

فقوله: (ذا دم)][٤] روي بالذال منقوطة، وبالدال غير منقوطة، فـ (ذم) بفتح الذال، وبكسرها أراد بها الذِّمام، وأَما بالدال غير منقوطة، فيحتمل أنه أراد التعظيم لأمر نفسه، وذلك بأحد وجهين: إما أن يريد الوعيد؛ أي: تقتل ذا دم مطلوب بثأره، له حماة، فاحذر عاقبة ذلك، وإما أن يريد تقتل ملكاً يُسْتَشْفَى بدمه، كما كانت العرب تعتقد في دماء الملوك، فهذا استعطاف لا وعيد؛ أي: لا ينبغي لك أن تفسد مثلي، وهذا كما استعطف الأشعث بن قيس أبا بكر رضي الله عنه بهذا المعنى[٥].

ويحتمل كلام ثمامة أنه أراد تحقيرَ أمرِ نفسه، وليذهب عن نفس رسول الله ﷺ المسرَّة بنيل مثل هذا الأمر العظيم، ويجري ذلك مجرى قول أبي جهل لعبد الله بن مسعود: وهل أعمَدُ من رجل قتَلْتموه؟[٦]، ومثله قول الأسير لعمر بن عبد العزيز حين

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٧/ ١٠٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٤).

(٢) هو ثمامة بن أثال الحنفي، سيد أهل اليمامة، أُسر فقال ﷺ: «ما عندك يا ثُمامة؟» قال: إِن تقتل تقتل ذا دم... الحديثَ، أسره الصحابة حينما ظفروا به بنجد، وكان يريد مكة ليعتمر.. فأَسلم، وشهد شهادة الحقّ. الاستيعاب (١/ ٢٠٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤١١٤)، ومسلم (١٧٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) ليس في نور العثمانية.

(٥) أخرجه ابن سعد (٥/ ١٠) عن شيخه محمد بن عمر، وهو الواقدي، وهو متروك الحديث.

(٦) أخرجه البخاري (٣٧٤٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

قال له: لأقتلنَّك، قال: إن ذلك لا ينقص من عدد الخزر(١) شيئاً(٢).

فكأن ثمامةَ أراد: إِن تقتلني تقتل حيواناً حقيراً شأنه، كما يقتل كلّ ذي دم فما بالك تفعل ذلك وتدع الإِنعام علي؟ فالآية تنظر إلى هذا المعنى من جهة أنه حقر عند المؤمنين ما هو عظيم في نفسه تنبيهاً لهم.

وأخبر الله تعالى في قوله: ﴿وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ...﴾ الآية، بخبر غيب صحَّحه الوجود، فهي من آيات محمد ﷺ، وفائدة الخبر هي في قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾؛ أي: لا تكون حربهم معكم سِجالاً.

وخصَّ الأدبار بالذكر دون الظهر تخسيساً للفارّ، وهكذا هو حيث تصرف.

وقوله: ﴿ضُرِبَتْ﴾ معناه: أُثبتت بشدة وإلزام مؤكد، وهذا وصفُ حالٍ تقرَّرتْ على اليهود في أقطارِ الأرض قبل مجيء الإِسلام، قال الحسن: جاء الإِسلام وإن المجوس لتجبيهم الجزيةَ، وما كانت لهم(٣) عزة ومنعة إلا بيثرب وخيبر وتلك الأرض، فأزالها الله بالإِسلام، ولم تبقَ لهم رايةٌ(٤) في الأرض(٥).

و﴿ٱلذِّلَّةُ﴾: فِعْلَة من الذُّلِّ، و﴿ثُقِفُوٓا۟﴾ معناه: أُخذوا وهم بحال المذنب المستحقّ الإِهلاك، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ﴾ [البقرة: ١٩١]، ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، واللفظة مأخوذة من الثِّقَاف، ومنه قول الشاعر:

---

(١) في حاشية المطبوع: اختلفت النسخ في كتابة الكلمة مِمَّا لم يتبين معه المقصود بها، إِلاَّ ما كان من نسخة «الخرز»، فهي أَقرب إِلى الفهم، ويوجد احتمال أَن اللفظة هي الخزر بتقديم الزاي على الراءِ ومعناها كما في معجم البلدان: سكان الخزر، وهي بلاد الترك، فليحقق.

(٢) المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس (١/ ٥٠٣)، والأموال للقاسم بن سلام (ص: ١٧٧).

(٣) في الأصل: «له»، وفي لالاليه: «وقد كانت لهم».

(٤) في المطبوع هنا زيادة: «أصلاً»، وليست في النسخ الخطية.

(٥) تفسير الطبري (٧/ ١١١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٢٥)، و(٣/ ٧٣٥).

تدعو قُعَيناً وقد عضَّ الحديدُ بها ... عضَّ الثِّقافِ على صُمِّ الأَنابيبِ[(١)] [البسيط]

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ﴾ استثناء منقطع، وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النساء: ٩٢]؛ لأن بادي الرأي يعطي أن له أن يقتل خطأً، وأَن الحبل من الله ومن الناس يزيل ضرب الذلة، وليس الأمرُ كذلك، وإنما الكلام محذوف يدركه فهمُ السامع الناظر في الأمر، وتقديره في آيتِنَا: فلا نجاةَ من الموت إلا بحبل، وقوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟﴾ كأنه بالمعنى: هلكوا واستؤصلوا، فلذلك حسُن أن يجيء / بعدها: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ﴾ وقرُب فهم ذلك للسامع. [١/ ٢٤٨]

قال الزجاج: المعنى: ضُرِبَتْ عليهم الذلة إلا أنهم يعتصمون بالعهد إذا أعطوه[(٢)].

و«الحبل»: العهد، شُبِّهَ به؛ لأنه يصلُ قوماً بقوم كما يفعل الحبلُ في الأَجرام.

و﴿وَبَآءُو﴾ معناه: مضَوا متحمِّلين لهذا الحكم، وغضب الله عليهم بما دلَّت عليه هذه الأمور التي أوقع بهم.

وأفعال بني إسرائيل على وجه الدهر من التعنّتِ والعصيان توجب الغضب، فلذلك خُصُّوا به، والنصارى إنما ضلوا فقط.

و﴿ٱلْمَسْكَنَةُ﴾: التذلل والضَّعةَ، وهي حالة الطوَّافِ الملتمسِ لِلُّقمة ولِلُّقمتين الضارعِ المفارقِ لحالة التعفّف والتعزز به، فليس أحدٌ من اليهود وإِن كان غنياً إلا وهو بهذه الحال.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إِلى الغضب وضرب الذلة والمسكنة، فعاقبهم الله على كفرهم وقتلهم الأنبياء بذلك.

و(آيات الله): يحتمل أن يراد بها المتلوَّةَ، ويحتمل أن يريد العبر التي عرضت عليهم.

---

(١) البيت للنابغة الذبياني كما في إيضاح شواهد الإيضاح (٢/ ٧٥٨)، والمحكم (١/ ٦٧)، وفي المطبوع: «ندعو ثقيفاً».

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٥٧).

وقوله: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ تأكيد ومبالغة وقطع لما عسى أن يكونَ في وهم إنسان ممكناً بوجه ما.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا﴾ حمله المفسرّون على أن الإِشارةَ بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى الشيء الذي أُشير إليه بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ الأَول، قاله الطبري والزجاج وغيرهما[(١)].

والذي أقول: إن الإِشارة بِـ﴿ذَٰلِكَ﴾الأخير إنما هي إلى كفرهم وقتلهم، وذلك أَن الله تعالى استدرجهم فعاقبهم على العصيان والاعتداء بالمصير إلى الكفر وقتل الأنبياء، وهو الذي يقول أهل العلم: إن الله تعالى يعاقب على المعصية بالإِيقاع في معصية، ويجازي على الطاعة بالتوفيق إلى طاعة، وذلك موجود في الناس إذا تؤمل[(٢)].

وعصيان بني إسرائيل واعتداؤهم في السبت وغيره متقرِّرٌ في غيرِ ما موضعٍ من كتاب الله.

وقال قتادة رحمه الله عندما فسر هذه الآية: اجتنبوا المعصيةَ والعدوانَ، فإِن بها أهلك من أهلك[(٣)] قبلكم من الناس.

قوله عز وجل: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

لما مضت الضمائر في الكفر والقتل والعصيان والاعتداء عامةً في جميع أهل الكتاب، عقَّب تعالى ذلك بتخصيص الذين هم على خير وإِيمان، وذلك أنّ أهلَ الكتاب لم يزلْ فيهم من هو على استقامة، فمنهم من مات قبل أن يدركَ الشرائع فذلك من الصالحين، ومنهم من أدرك الإِسلام فدخل فيه.

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ١٤٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٥٧).

(٢) في المطبوع: تأمل، قال: في الحاشية: يريد: تأمل المتأمل؛ وأشار للنسخة الأخرى.

(٣) في لالاليه وأحمد٣: «من هلك»، وفي الأصل والمطبوع: «من كان»، والمثبت هو الموافق لما في تفسير الطبري (٧/ ١١٨).

قال القاضي أبو محمد: ويعترض هذا النظرَ أن جميعَ اليهود على عِوَجٍ من وقت عيسى، وتجيءُ الآية إشارةً إلى من أسلم فقط، أو يكون اليهود في معنى الأمة القائمة إلى وقت عيسى، ثم ينتقل الحكم في النصارى، ولفظ ﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعم الجميع، والضمير في: ﴿لَيْسُواْ﴾ لمن تقدم ذكره في قوله: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وما قال أبو عبيدة من أن الآية نظيرة قول العرب: أكلوني البراغيث[١] خطأ مردود، وكذلك أيضاً ما حُكي عن الفراء أن ﴿أُمَّةٌ﴾ مرتفعة بـ﴿سَوَآءً﴾ على أنها فاعلة، كأنه قال: لا تستوي أمة كذا، وأنّ في آخر الكلام محذوفاً معادلاً[٢] تقديره: وأمة كافرة، فأغنى القسم الأول عن ذكرها ودلَّ عليه[٣]، كما قال أبو ذؤيب:

عصَيتُ إليهـا القلبَ إِني لأَمْرها سميعٌ فما أدري أَرُشْدٌ طِلابها[٤] [الطويل]

المعنى: أم غيٌّ، فاقتصر لدلالة ما ذكر عليه.

قال القاضي أبو محمد: وإنما الوجه أن الضمير في: ﴿لَيْسُواْ﴾ يراد به من تقدم ذكره، و﴿سَوَآءً﴾ خبر ليس، و﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مجرور فيه خبر مقدم، [و﴿أُمَّةٌ﴾ رفع بالابتداء][٥].

قال ابن عباس رضي الله عنه: لما أسلم عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعية، وأسيد ابن سعية[٦]، وأسد بن عبيد[٧]، ومن أسلم من اليهود معهم: قال الكفار من أحبار اليهود:

---

(١) مجاز القرآن (١/ ١٠١).
(٢) في الأصل: «محذوف معادل».
(٣) معاني القرآن للفراء (١/ ٢٣٠).
(٤) عزاه له الثعلبي في التفسير (٣/ ١٣٠)، والطبري في تفسيره (١/ ٣٢٧)، وابن قتيبة في غريب الحديث (١/ ٥٣٨).
(٥) ليس في أحمد٣.
(٦) أُسيد بن سعية بن عريض القرظي أَحد من أَسلم من اليهود، نزل هو وأَخوه ثعلبة بن سعية في الليلة التي في صبيحتها نزل بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ، ومعهما أُسيد بن عبيد القرظي، فأَسلموا وأَحرزوا دماءَهم وأَموالهم. الإِصابة (١/ ٢٠٦)، والاستيعاب (١/ ٩٦).
(٧) أَسد بن عبيد القرظي ذكره ابن حبان في الصحابة، وهو أَحد من أَسلم من اليهود مع أُسيد بن =

ما آمن بمحمد إلا شِرارنا، ولو كانوا خياراً ما تركوا دين آبائهم، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗ﴾ الآية[١]، وقال مثله قتادة وابن جريج[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهو أصحُّ التأويلات[٣].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: معنى الآية: ليس اليهود وأمة محمد سواءً[٤]، [وقاله السدي[٥].

قال القاضي أبو محمد: فمن حيث تقدم ذكر هذه الأمة في قوله: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ﴾ وذكر أيضاً اليهود قال الله لنبيه: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗ﴾][٦]، و﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ على هذا: جنسُ كتب الله، وليس بالمعهود من التوراة والإِنجيل فقط.

والمعنى: من أهل الكتاب وهم أهل القرآن أمة قائمة.

واختلفت عبارة المفسرين في قوله: ﴿قَآئِمَةٞ﴾:

فقال مجاهد: معناه: عادلة[٧]، وقال قتادة والربيع[٨] وابن عباس: معناه: قائمة

= سعية، وثعلبة بن سعية، وفيهم قالت اليهود لما أَسلموا: ما أَتى محمداً إلا شِرارنا، فأنزل الله فيهم: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾. الإِصابة (١/ ٢٠٦)، والاستيعاب (١/ ٧٩).

(١) في إسناده ضعف، أخرجه الطبري (٧/ ١٢٠)، وابن أبي حاتم (٤٠٠٣) بإسناد فيه محمد بن أبي محمد، وهو مولى زيد بن ثابت، أورده الذهبي في الميزان (٤/ ٢٦)، وقال: (لا يُعرف)، وهو إسناد يتكرر كثيراً.

(٢) تفسير الطبري (٧/ ١٢١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٧/ ١٢٢).

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٧/ ١٢٢)، وابن أبي حاتم (٤٠٠٠) من طريق ابن أبي نجيح، عن الحسن ابن يزيد العجلي، عن ابن مسعود رضي الله عنه به، وهذا إسناد ضعيف، من أجل الحسن بن يزيد العجلي، أورده الذهبي في الميزان (١/ ٥٢٧)، وقال: (مجهول).

(٥) تفسير الطبري (٧/ ١٢٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٧).

(٦) ليس في نور العثمانية.

(٧) تفسير الطبري (٧/ ١٢٣).

(٨) تفسير الطبري (٧/ ١٢٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٨).

على كتاب الله وحدوده مهتدية[١]، وقال السّدي: القائمة[٢] القانتة المطيعة.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله يرجع إلى معنىً واحد من الاعتدال على أمر الله، منه قيل للدنانير أو الدراهم[٣] الوازنة: قائمة، وهذه الآية تحتمل هذا المعنى وألاَّ تنظر اللفظة إلى هيئة الأشخاص وقتَ تلاوةِ آيات اللَّهِ، ويحتمل أن يراد بـ﴿قَآئِمَةٌ﴾ وصفُ حال التالين في آناء الليل، ومن كانت هذه حاله فلا محالة أنه معتدل على أمر الله.

وهذه الآية في هذين الاحتمالين مثل ما تقدم في قوله: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥].

و﴿يَتْلُونَ﴾ معناه: يسرُدُون، و﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ في هذه الآية هي: كُتبه، و«الآناء»: الساعات، واحدها إِنْي بكسر الهمزة وسكون النون، ويقال فيه أَنْي بفتح الهمزة، ويقال: إِنَى بكسر الهمزة وفتح النون والقصر، ويقال فيه: أَنَى بفتح الهمزة، ويقال: إِنْوٌ بكسر الهمزة وسكون النون وبواو مضمومة، ومنه قول الهذلي[٤]:

حلوٌ ومرٌّ كعطفِ القِدْحِ مِرَّتُهُ ... في كل إِنْيٍ قضاه الليل ينتعلُ[٥] [البسيط]

[١/ ٢٤٩] / وحكمُ هذه الآية لا يتفق في كلّ[٦] شخص بأن يكون كلُّ واحد يصلي جميعَ ساعات الليل، وإنما يقوم هذا الحكم من جماعة الأُمة؛ إذ بعض الناس يقومُ أولَ الليل،

---

(١) أخرجه الطبري (٧/ ١٢٣)، وابن أبي حاتم (٤٠٥٤) من طريق عطية بن سعد العوفي عن ابن عباس.
(٢) ليست في المطبوع والسليمانية وفيض الله.
(٣) من المطبوع.
(٤) هو المتَنَخِّل، واسمه: مالك بن عُوَيمر، ويكنى أَبا أُثَيْلَةَ، جاهلي من شعراءِ هذيل وفحولهم وفصحائهم، الأَغاني (٢٤/ ٩٢).
(٥) البيت للمتنخِّل الهذلي أبي أثيلة يرثي ابنه أثيلة. انظر عزوه له في: مجاز القرآن (١/ ١٠٢)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٣٤٢)، والسيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٥٧)، والأغاني (٢٤/ ٩٤)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٢٧٣)، وعزاه الطبري (١٨/ ٤٠٠) للمنخل السعدي، وفي الأصل: «ينتقل».
(٦) ليست في نور العثمانية، وفي فيض الله والسليمانية ولالاليه وأحمد٣: «شخص» بدل: «كل»، فتكون مكررة.

وبعضهم آخره، وبعضهم بعد هجعةٍ ثم يعود إلى نومه، فيأتي من مجموع ذلك في المدن والجماعات عمارةُ[١] آناء الليل بالقيام، وهكذا كان صدرُ هذه الأمة، وعرفَ الناسُ القيامَ في أول الثلث الآخر من الليل أو قبله بشيء، وحينئذ كان يقوم الأكثر، والقيامُ طولَ الليل قليل، وقد كان في الصالحين مَن يلتزمه[٢].

وقد ذكر الله تعالى القصد من ذلك في سورة المزمّل، وقيام الليل لقراءة العلم المبتغى به وجهُ الله داخلٌ في هذه الآية، وهو أفضل من التنفّل لمن يُرْجَى انتفاعُ المسلمين بعلمه[٣].

وأَما عبارة المفسرين في ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾:

فقال الربيع وقتادة وغيرهما: آناء الليل: ساعات الليل[٤]، وقال عبد الله بن كثير: سمعنا العرب تقول: آناء الليل: ساعات الليل[٥]، وقال السدي: آناء الليل: جوف الليل[٦].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قلق، أمَا إن جوفَ الليل جزء من الآناء.

وقال ابن مسعود: نزلت هذه الآية بسبب أن النبي ﷺ احتبس عنا ليلة عن صلاة العتمة وكان عند بعض نسائه، فلم يأت حتى مضى ليل، فجاء ومنا المصلي ومنا المضطجع، فقال: «أبِشُروا، فإِنه ليس أحدٌ من أهل الكتاب يصلِّي هذه الصلاةَ»، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗ﴾ الآية، فالمراد بقوله: ﴿يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ صلاةُ العَتمة[٧].

---

(١) في المطبوع والأصل: «عبارة».

(٢) منهم أيوب السختياني، وأبو حنيفة، وغيرهما، وانظر: تاريخ بغداد (١٣/ ٣٥٥)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٩٩)، وحلية الأولياء (٣/ ٨).

(٣) في الأصل: «بعمله».

(٤) تفسير الطبري (٧/ ١٢٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٩).

(٥) تفسير الطبري (٧/ ١٢٦).

(٦) تفسير الطبري (٧/ ١٢٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٨).

(٧) في المطبوع: «العشاء».

والحديث ضعيف، أخرجه أحمد (٦/ ٣٠٤)، والنسائي في الكبرى (١١٠٧٣)، وأبو يعلى =

وروى سفيان الثوري عن منصور[1] أنه قال: بلغني أن هذه الآية نزلت في المصلِّين بين العِشاءَين[2].

وقوله تعالى: ﴿وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ﴾ ذهب بعض الناس إلى أن السجود هنا عبارة عن الصلاة، سماها بجزء شريف منها كما تسمى في كثير من المواضع ركوعاً، فهي على هذا جملةٌ في موضع الحال، كأنه قال: يتلون آياتِ الله آناءَ الليل مصلّين.

وذهب الطبري وغيره إلى أنها جملة مقطوعة[3] من الكلام الأول، أخبر عنهم أنهم أيضاً أهل سجود[4].

قال القاضي أبو محمد: ويحسن هذا من جهة أن التلاوة آناء الليل قد يعتقد السامعُ أنَّ ذلك في غير الصلاة، وأيضاً فالقيام في قراءة العلم يخرج من الآية على التأويل الأول، ويثبت فيها على هذا الثاني، فـ﴿هُمۡ يَسۡجُدُونَ﴾ على هذا نعت عُدِّد بواو العطف، كما تقول: جاءني زيد الكريم والعاقل.

و﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ معناه: يصدِّقون، وفي الإيمان باليوم الآخر إيمان بالأنبياء؛ لأنه من جائزات العقل التي أثبتها السمع من الأنبياء.

= (٥٣٠٦)، والبزار (٥/ ٢١٦)، كلهم من طريق شيبان، عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً به، قال البزار: وهذا الحديث لا نعلم رواه عن عاصم بهذا الإسناد إلا شيبان. اهـ.
وهذا إسناد ضعيف، من أجل عاصم، وهو ابن أبي النجود، وهو ضعيف الحديث.
وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٦٢) من حديث الأعمش، عن زر بن حبيش به، وهذه متابعة من الأعمش لعاصم بن أبي النجود، ولكنها لا تصلح، حيث إن الراوي عن الأعمش هو عبيد الله ابن زحر، وهو ضعيف الحديث، ثم إن الأعمش قد عنعنه، وهو مدلس.

(١) هو منصور بن المعتمر بن عبد الله، أَبو عتاب السَّلَمي الكوفي، روى عن أَبي وائل وإبراهيم النخعي، والحسن البصري، وخلق، وروى عنه أيوب، وحُصين بن عبد الرحمن، والسفيانان، وآخرون، كان أَثبت أَهل الكوفة، توفي سنة (١٣٢هـ). تهذيب التهذيب (١٠/ ٣١٢).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ١٢٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٩)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٣٣٩).

(٣) في السليمانية ولالاليه: «معطوفة».

(٤) تفسير الطبري (٧/ ١٢٩).

وقوله تعالى: ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ وصف بأنهم متى دُعُوا إلى خيرٍ من نصر مظلوم، وإِغاثة مكروب، وجبر مَهِيض، وعبادة الله أجابوا، ومنه فعلُ مالكٍ رضي الله عنه في ركعتي المسجد، وقال: دعوتني إلى خير فأجبت إليه[١].

ومما يدخل في ضمن قوله تعالى: ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ أن يكون المرء مغتنماً للخمس قبل الخمس كما قال النبي ﷺ: «اغتنم خمساً قبل خمسٍ: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل مماتك، وغناك قبل فقرك»[٢]، فيكون متى أراد أن يصنع خيراً بادر إليه ولم يسوِّف نفسه بالأمل، فهذه أيضاً مسارعة في الخيرات.

وذكر بعض الناس قال: دخلت مع بعض الصالحين في مركب فقلت له: ما تقول أصلحك الله في الصوم في السفر؟ فقال لي: إِنها المبادرة يا ابن أخي، قال المحدث: فجاءني والله بجوابٍ ليس من أجوبة الفقهاء[٣].

(١) ذكر ابن عبد البر في التمهيد (٢٠ / ١٠٦) مثل هذه القصة لابن أبي ذئب أحد فقهاء المدينة وأشرافهم مع الغازي بن قيس.

(٢) الصحيح مرسل، أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل (١١١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٠٦)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٢٦٣)، كلهم من طريق عبد الله بن المبارك، قال: حدثنا عبد الله بن سعيد ابن أبي هند، عن أبيه، عن ابن عباس قال: فذكره مرفوعاً، قال البيهقي: هكذا وجدته في كتاب قصر الأمل، وكذلك رواه غيره عن ابن أبي الدنيا، وهو غلط، وإنما المعروف بهذا الإسناد ما أخبرنا أبو طاهر الفقيه، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، نا علي بن الحسين الدارابجردي، نا عبد الله بن عثمان، أنا ابن المبارك، أنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ». أخرجه البخاري في الصحيح عن مكي بن إبراهيم، عن عبد الله بن سعيد.اهـ. وهو كما البيهقي رحمه الله تعالى.
والصواب في رواية هذا الخبر، ما أخرجه ابن المبارك في الزهد، قال: أخبرنا جعفر بن البرقان، عن زياد بن الجراح، عن عمرو بن ميمون الأودي، قال: قال رسول الله ﷺ... فذكره، وإسناده صحيح مرسل؛ فعمرو بن ميمون لم يدرك النبي ﷺ.

(٣) نقله الثعالبي في تفسيره (١/ ٣٠٢).

ثم وصف الله تعالى من تحصلت له هذه الصفات بأنه من جملة الصالحين، و﴿مِنَ﴾ يحسن أن تكون للتبعيض، ويحسن أن تكون لبيان الجنس.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

قرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر: ﴿تَفْعلوا﴾ و﴿تُكْفَروه﴾ بالتاء، على مخاطبة هذه الأمة.

وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالياء فيهما[١] على مشابهة ما تقدم من: ﴿يَتْلُونَ﴾ و﴿يُؤْمِنُونَ﴾، وما بعدهما، وكان أبو عمرو يقرأ بالوجهين[٢].

و﴿تُكْفَروه﴾ معناه: يُغطَّى دونكم فلا تثابون عليه، من هذا قول النبي ﷺ: «ومن أُزِلَّت إليه نعمةٌ فليذكرها، فإن ذكرها فقد شكرها، فإن لم يفعل فقد كفرها»[٣]، ومنه قول الشاعر:

---

(١) وهي سبعية متواترة، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢١٥)، والتيسير للداني (ص: ٩٠).

(٢) انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢١٥)، قال في النشر (٢ / ٢٧٥): الوجهان صحيحان، إلا أن الخطاب أكثر وأشهر.

(٣) معضل، أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١/ ٢٣٨) من طريق علي بن عبد العزيز، عن أبي عبيد القاسم بن سلام، ثنا يحيى بن سعيد ـ هو القطان ـ، عن السائب بن عمر، عن يحيى بن عبد الله بن صيفي، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، مرفوعاً به، وهذا إسناد منقطع، فيحيى بن عبد الله ابن صيفي، إنما تقع روايته عن التابعين، وليست له رواية عن أحد من صحابة رسول الله ﷺ، انظر ترجمته في تهذيب الكمال (٣١/ ٤١٦).

وقد خولف علي بن عبد العزيز فيه، فأخرجه مسدد في مسنده (٢٦١٢ ـ مطالب)، ونصر بن داود، كما في الشكر للخرائطي (٩٢) عن أبي عبيد القاسم بن سلام، عن يحيى بن سعيد، عن السائب بن عمر، عن يحيى بن عبد الله بن صيفي، عن النبي ﷺ، معضلاً به، دون ذكر عبد الله بن عمر في السند.

[الكامل] .... والكُفْـرُ مخْبَثَةٌ لِنَفْـسِ المنْعِمِ(١)

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ وعد ووعيد.

ثم عقب تعالى ذكر هذا الصنف الصالح بذكر حال الكفار ليبين الفرق، وخصَّ الله تعالى الأموالَ والأولادَ بالذكر لوجوه:

منها أنها زينةُ الحياة الدنيا، وَعُظْمُ ما تجري إليه الآمال.

ومنها أنها ألصقُ النصرة بالإنسان وأيسرها.

ومنها أَن الكفار المكذبين بالآخرة لا همَّةَ لهم إلا فيها، وهي عندهم غاية المرء، وبها كانوا يفخرون على المؤمنين، فذكر الله أن هذين اللذين هما بهذه الأوصاف، لا غناءَ فيهما من عقاب الله في الآخرة، فإذا لم تغنِ هذه فغيرها من الأمور البعيدةِ أَحْرَى أَلاَّ يغني.

[وقوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ إضافة تخصيص ما تَقتضي ثبوتَ ذلك لهم ودوامَه](٢).

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية، معناه: المثالُ القائمُ في النفوس من إنفاقهم الذي يعدّون قربةً وحسنةً(٣) وتحنُّثاً، ومن حبطه يوم القيامة وكونه هباءً منثوراً وذهابه، كالمثالِ القائم في النفوس من زرع قومٍ نَبَتَ واخضرَّ وقويَ الأملُ فيه فهبَّتْ عليه ريحٌ فيها صِرٌّ محرِقٌ فأهلكته، فوقع التشبيه بين شيئين وشيئين، ذكر الله عز وجل أحد الشيئين [المشبهين وترك ذكر الآخر، ثم ذكر أحد الشيئين](٤) المشبه بهما ـ وليس الذي يوازي المذكورَ الأولَ ـ وترك ذكر الآخر، ودل المذكوران

---

(١) البيت لعنترة من معلقته وصدره: نبئت عمراً غيرَ شاكرِ نعمتي، انظر عزوه له في: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٢٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٧٦)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٣٦٩)، وشرح المعلقات التسع (ص: ٢٤٩).

(٢) ليس في الأصل.

(٣) في المطبوع ولالاليه: «وحسبة».

(٤) ليس في الأصل.

على المتروكين، وهذه غايةُ البلاغة / والإِيجاز، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ ﴾ [البقرة: ١٧١] الآية. [١/ ٢٥٠]

وقرأ عبد الرحمن بن هرمز الأعرج: (تُنْفِقون) بالتاء[١] على معنى: قل لهم يا محمد.

و﴿مَثَلُ﴾ رفع بالابتداء، وخبره في محذوفٍ به تتعلق الكاف من قوله: ﴿كَمَثَلِ﴾، و﴿مَا﴾ بمعنى الذي.

وجمهور المفسرين على أن ﴿يُنفِقُونَ﴾ يراد به الأموال التي كانوا ينفقونها في التحنُّث، وفي عداوة رسول الله ﷺ، وكان ذلك عندهم قربة[٢].

وقال السدي: ﴿يُنفِقُونَ﴾ معناه: من أقوالهم التي يبطنون ضدها[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف؛ لأنه[٤] يقتضي أن الآية في المنافقين[٥]، والآية إنما هي في كفارٍ يعلنون مثل ما يبطنون.

وذهب بعض المفسرين إلى أن ﴿يُنفِقُونَ﴾ يراد به أعمالهم من الكفر ونحوه؛ أي: هي كالريح التي فيها صِرٌّ، فتبطل كل ما لهم من صلة رحم، وتحنُّث بعتق، ونحوه، كما تبطل الريحُ الزرعَ، وهذا قولٌ حسن لولا بُعْدُ الاستعارة في الإِنفاق.

و«الصِّرُّ»: البرد الشديد المحرق لكل ما يهبّ عليه، وهو معروف، قال ابن عباس وجمهور المفسرين: الصِّرُّ: البرد[٦]، وتسميه العرب: الضريب[٧].

---

(١) وهي قراءة شاذة. انظر: مختصر الشواذ (ص: ٢٨).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ١٣٤، ١٣٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٤١)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٣٤٣).

(٣) تفسير الطبري (٧/ ١٣٥).

(٤) وفي الأصل بدل «لأنه»: «لا».

(٥) في نور العثمانية: «في مباحث المنافقين».

(٦) أخرجه الطبري (٧/ ١٣٦)، وابن المنذر (١/ ٣٤٣) كلاهما من طريق وكيع، عن سفيان، عن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وإسناده يحتمل.

(٧) الطبري (٧/ ١٣٧)، والمخصص (٣/ ١٣٢).

وذهب الزجاج وغيره إلى أن اللفظة من التصويت، من قولهم: صرَّ الشيء، ومنه الريح الصَّرْصَر، قال الزجاج: فالصرّ: صوت النار التي في الريح[١].

قال القاضي أبو محمد: «الصرُّ»: هو نفَسُ جهنَّم الذي في الزَّمهَرير، يحرق نحواً مما تحرق النار.

و«الحرث»: شامل للزرع والثمار؛ لأن الجميع مما يصدر عن إِثارة الأرض وهي حقيقة الحرث، ومنه الحديث: «لا زكاةَ إلا في عين، أو حرْث، أو ماشية»[٢].

وقال عز وجل: ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ فما بال[٣] هذا التخصيص والمثل صحيح، وإِن كان الحرث لمن لم يظلم نفسه؟.

فالجواب: أَن ظلم النفس في هذه الآية تأوله جمهور المفسرين بأنه ظلم بمعاصي الله[٤]، فعلى هذا وقع التشبيه بحرث مَنْ هذه صفته؛ إذ عقوبته أوخى[٥]، وأخذةُ الله له أشدُّ، والنقمة إليه أسرعُ، وفيه أقوى، كما روي: «في جوفِ العَيْرِ»[٦]، وغيره.

وأيضاً فمن أهل العلم من يرى أن كلَّ مصائب الدنيا فإِنما هي بمعاصي العبيد، وينتزع ذلك من غير ما آية في القرآن، فيستقيم على قوله: إن كل حرث تحرقه ريح فإِنما هو لمن ظلم نفسه.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (١ / ٣٥٧).

(٢) لم أجده إلا موقوفاً من قول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، أخرجه الإمام مالك في موطئه (٨٣٤) بلاغاً عن عمر به.

(٣) ليست في الأصل والحمزوية.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٧/ ١٣٤، ٢٢٥، ٢٤٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٦٤، ٧٦٥).

(٥) في المطبوع: «أرجى»، وفي حاشيته: اختلفت النسخ في هذه اللفظة، فهي أرجى، وأوحى، وأوخى. ورجا مهموزاً وغير مهموز، يأتي بمعنى الخوف والتأْخير، وأَوْحى: بمعنى أَسرَع، ويبعد معنى أوخى الذي هو القصد والتحري.

(٦) أورده ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (ص: ٦٥) بلفظ: «كلُّ الصيدِ في جوف العَير».

وذهب بعض الناس ـ ونحا إليه المَهْدَوي ـ إلى أن قوله تعالى: ﴿حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ معناه: زرعوا في غير أوان الزراعة[١].

قال القاضي أبو محمد: وينبغي أن يقال في هذا: ظلموا أنفسهم بأن وضعوا أفعال الفلاحة غير موضعها من وقت أو هيئة عمل، ويخصّ هؤلاء بالذكر؛ لأن الحرق فيما جرى هذا المجرى أوعبُ وأشدُّ تمكناً، وهذا المنزع يشبهه من جهةٍ ما قولُ امرئ القيس:

وسالفةٍ كَسَحُوقِ الليا نِ أضرمَ فيها الغَوِيُّ السَّعَرْ[٢] [المتقارب]

فخصص الغويَّ؛ لأنه يلقي النار في النخلة الخضراء الحسنة التي لا ينبغي أن تحرق، فتطفئ النارَ عن نفسها رطوبتُها بعد أن تتشذب وتسودّ، فيجيء الشبه حسناً، والرشيدُ لا يضرم النار إلا فيما يبس واستحقَّ[٣]، فهو يذهبُ ولا يبقى منه ما يشبه به.

والضمير في: ﴿ظَلَمُوٓاْ﴾ للكفار الذين تقدم ضميرهم في: ﴿يُنفِقُونَ﴾، وليس هو للقوم ذوي الحرث؛ لأنهم لم يذكروا ليردَّ عليهم، ولا ليبين ظلمهم، وأيضاً فقوله: ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يدلّ على فعل الحالِ في الحاضرين.

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾.

نهى الله تعالى المؤمنين بهذه الآية عن أن يتخذوا من الكفار واليهود أخلاء يأنسون بهم في الباطن من أمورهم، ويفاوضونهم في الآراء، ويستنيمون[٤] إليهم.

---

(١) البحر المحيط (٣/ ٣١٦).

(٢) انظر عزوه له في جمهرة اللغة (٢/ ٦٧٤)، الصحاح للجوهري (٦/ ٢١٩٧)، والمحكم (١٠/ ٤٢٦)، وأمالي القالي (٢/ ٢٤٩)، والسالفة: جانب العنق، وسَحوق بفتح السين: طويلة، واللِّيان: النخل، واحدتها: لينة، السعر: النار، يصف فرساً له.

(٣) في المطبوع: «وأسحق».

(٤) في السليمانية ولالاليه وأحمد٣: «يستقيمون».

وقوله: ﴿مِّن دُونِكُمۡ﴾ يعني: من دون المؤمنين، ولفظة ﴿دُونِ﴾ تقتضي فيما أضيفت إليه أنه معدوم من القصة التي فيها الكلام، فشبه الأَخلاءَ بما يلي بطنَ الإِنسان من ثوبه، ومن هذا المعنى قول النبي ﷺ: «ما من خليفة ولا ذي إمرة[1] إلا وله بطانتان، بطانةٌ تأمره بالخير وتحضُّه عليه، [وبطانةٌ تأمره بالشر وتحضُّه عليه][2]، والمعصومُ مَن عصَمَ اللهُ»[3].

وقوله: ﴿لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا﴾ معناه: لا يقصرون لكم فيما فيه الفساد عليكم، تقول: ما أَلَوْتُ في كذا، أي: ما قصَّرت، بل اجتهدت، ومنه قول زهير:

[الطويل] جرى بعدهم قومٌ لكي يلحقوهمُ فلم يلحقوا ولم يُلِيموا ولم يأْلُوا[4]

أي: لم يقصروا، و«الخبل» و«الخبال»: الفساد.

وقال ابن عباس: كان رجال من المؤمنين يواصلون رجالاً من اليهود، للجوار والحلف الذي كان بينهم في الجاهلية، فنزلت الآية في ذلك[5]، وقال أيضاً ابن عباس[6] وقتادة والربيع والسدي: نزلت في المنافقين، نهى الله المؤمنين عنهم[7].

وروى أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تستضيئوا بنار المشركين، ولا تنقشوا في خواتيمكم [عربيّاً]»[8]، فسَّره الحسن[9] بن أبي الحسن فقال: أراد عليه السلام:

---

(١) في السليمانية وفيض الله ولالاليه: «أمر».
(٢) ليست في الأصل.
(٣) أخرجه البخاري (٦٢٣٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٤) عزاه له ابن طباطبا في عيار الشعر (١/ ٨٤)، والحصري في زهر الآداب (١/ ٦٠).
(٥) أخرجه الطبري (٧/ ١٤١) بإسناد فيه محمد بن أبي محمد، وهو مولى زيد بن ثابت، قال الذهبي في الميزان (٤/ ٢٦): لا يُعرف.
(٦) أخرجه الطبري (٧/ ١٤١) بإسناد فيه عطية بن سعد العوفي، وهو ضعيف، مدلس، وقد عنعنه.
(٧) تفسير الطبري (٧/ ١٤٢-١٤٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٤٣).
(٨) أخرجه النسائي في الكبرى (٥/ ٤٥٤) بإسناد فيه أزهر بن راشد البصري، قال فيه أبو حاتم: «مجهول».
(٩) ليست في المطبوع.

لا تستشيروا المشركين في شيء من أموركم، ولا تنقشوا في خواتيمكم][1] «محمداً»[2].

قال القاضي أبو محمد: ويدخل في هذه الآية استكتابُ أهلِ الذمة، وتصريفُهُمْ في البيع والشراء، والاستنامةُ إليهم.

وروي: أن أبا موسى الأشعري استكتب ذميّاً، فكتب إليه عمر يعنِّفُه، وتلا عليه هذه الآية[3]، وقيل لعمر: إن هاهنا رجلاً من نصارى الحيرة لا أحد أكتَبُ منه، ولا أخطُّ بقلم، أفلا يكتب عنك[4]؟ فقال: إذاً أتخذُ بطانةً من دون المؤمنين[5].

و﴿مَا﴾ في قوله: ﴿عَنِتُّمْ﴾ مصدرية، فالمعنى: ودُّوا عَنَتَكم، و«العنت»: المشقة والمكروه يلقاه المرء، وعقبة عنوت؛ أي: شاقة؛ وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ﴾ / معناه: المشقة إِما في الزنا، وإِما في ملك الأرب. [١/ ٢٥١]

قال السدي: معناه: ودُّوا ما ضللتم[6]، وقال ابن جريج: المعنى: ودوا أن تعنتوا في دينكم[7]، ويقال: عَنِتَ الرجل يعنَتُ بكسر النون في الماضي.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ يعني بالأقوال، فهم فوق المتستِّر الذي تبدو البغضاء في عينيه.

---

(١) ليس في لالاليه.

(٢) تفسير الطبري (٧/ ١٤٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٤٣).

(٣) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (١٠/ ١٢٧) من طريق شعبة، عن سماك بن حرب، عن عياض الأشعري، أن أبا موسى الأشعري...فذكره. قلت: وهذا إسناد صالح، فرواية الأكابر عن سماك، كشعبة وغيره مستقيمة.

(٤) في الأصل: «عليك».

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٤٧٢) بإسناد فيه أبو الدهقانة، عن عمر رضي الله عنه، ولم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً، سوى ذكر ابن حبان إياه في الثقات (٥/ ٥٨١)، ولا يدرى سمع من عمر أم لا؟

(٦) تفسير الطبري (٧/ ١٤٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٤٣).

(٧) تفسير الطبري (٧/ ١٤٤).

وخصَّ تعالى الأفواه بالذكر دون الألسنة إشارة إلى تَشَدُّقهم وثرثرتهم في أقوالهم هذه، ويشبه هذا الذي قلناه ما في الحديث: أن رسول الله ﷺ نهى أن يتشحَّى الرجل في عِرض أخيه[١]، معناه: أن يفتح فاه به، يقال: شحا الحمار فاه بالنهيق، وشحا اللجام فم الفرس، والنهي في أن يأخذ أحد عرض أخيه همساً راتب، فذِكْر التشحي إنما هو إشارة إلى التشدق والانبساط.

وقوله: ﴿وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ إعلام بأنهم يبطنون من البغضاء أكثر مما يظهرون بأفواههم.

وفي قراءة عبد الله بن مسعود: (قدْ بَدا البَغْضاءُ) بتذكير الفعل[٢]، لما كانت البغضاء بمعنى البغض.

ثم قال تعالى للمؤمنين: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تحذيراً وتنبيهاً، وقد علم تعالى أنهم عقلاء، ولكن هذا هزٌّ للنفوسِ كما تقول: إن كنت رجلاً فافعل كذا وكذا.

قوله عز وجل: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾.

تقدم إعراب نظير هذه الآية وقراءتها في قوله تعالى آنفاً: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾، والضمير في: ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ لمنافقي اليهود الذين تقدم ذكرهم في قوله: ﴿بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾، و(الكتاب)[٣] في هذه الآية اسم للجنس، أي: تؤمنون بجميع الكتب وهم لا يؤمنون بقرآنكم[٤].

وإنما وقف الله تعالى المؤمنين بهذه الآية على هذه الأحوال الموجبة لبغض المؤمنين

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) وهي قراءة شاذة. انظر: تفسير الطبري (٧/ ١٤٦)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٣١).

(٣) في المطبوع: «والضمير».

(٤) في المطبوع: «بقراءاتكم».

لمنافقي اليهود، واطِّراحهم إياهم، فمن تلك الأحوال أنهم لا يحبون المؤمنين، وأَنهم يكفرون بكتابهم، وأَنهم ينافقون عليهم، ويستخفون بهم، ويغتاظون ويتربصون الدوائر عليهم(١).

وقوله تعالى: ﴿عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ﴾ عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على إِنفاذه، ومنه قول أبي طالب:

.... يعَضُّون غيظاً خلْفَنا بِالأَنامل(٢) [الطويل]

ومنه قول الآخر:

وقد شهِدتْ قيسٌ فما كان نصرُها قتيبـةَ إلا عضَّهـا بالأباهـمِ(٣) [الطويل]

وهذا العضُّ هو بالأسنان، وهي هيئة في بدن الإِنسان تتبع هيئة النفس [الغائظة، كما أن عضَّ اليد على اليد يتبع هيئة النفس النادمة المتلهفة على فائت قريب الفوت، وكما أن قرع السن يتبع هيئة النفس](٤) النادمة فقط، إلى غير ذلك من عدِّ الحصى، والخطِّ في الأرض للمهموم ونحوه، ويكتب هذا العض بالضاد، ويكتب عظَّ الزمان بالظاء المشالة.

وواحد الأنامل أنمُلة بضم الميم، ويقال بفتحها، والضم أشهر، ولا نظير لهذا الاسم في بنائه إلا أَشُد(٥)، وله نظائر في الجموع.

وقوله: ﴿وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ يقتضي أن الآية في منافقي اليهود، [لا في منافقي العرب، ويعترضها أَن منافقي اليهود](٦) لم يُحْفَظْ عنهم أَنهم كانوا يؤمنون في الظاهر إيماناً مطلقاً ويكفرون في الباطن كما كان المنافقون من العرب يفعلون، إلا ما روي من أمر زيد

(١) في السليمانية وفيض الله: «بهم».
(٢) عزاه له الثعلبي في تفسيره (٣/ ١٣٦)، وابن هشام في السيرة (١/ ٢٧٢)، وهو في الديوان (١/ ٥٧).
(٣) للفرزدق، عزاه له المبرد في الكامل (٢/ ٥٩)، وابن سيده في المحكم (٤/ ٣٢٩)، والبغدادي في الخزانة (٩/ ٨٤).
(٤) ليس في لالاليه.
(٥) في فيض الله: «إلا ما شذ».
(٦) ليس في نور العثمانية.

ابن اللصيت القينقاعي[1]، فلم يبق إلا أن قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾ معناه: صدقنا أنه نبيّ مبعوث إِليكم؛ أي: فكونوا على دينكم، ونحن أولياؤكم وإِخوانكم، لا نضمر لكم إلا المودة، ولهذا كان بعض المؤمنين يتخذهم بطانة، وهذا منزع قد حُفِظَ أن كثيراً من اليهود كان يذهب إليه.

ويدلّ على هذا التأويل أن المعادل لقولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾: «عضُّ الأنامل من الغيظ»، وليس هو ما يقتضي الارتداد كما هو في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤]، بل هو ما يقتضي البغضَ وعدمَ المودة، وكان أبو الجوزاء إذا تلا هذه الآية قال: هم الإِباضية[2].

قال القاضي أبو محمد: [وهذه الصفة قد تترتب][3] في أهل البدع من الناس إلى يوم القيامة. وقوله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾، قال فيه الطبري وكثير من المفسرين: هو دعاء عليهم[4].

قال القاضي أبو محمد: فعلى هذا يتجه أن يدعى عليهم بهذا مواجهة وغير مواجهة.

وقال قوم: بل أُمر النبي ﷺ وأمته أن يواجهوهم بهذا، فعلى هذا زال معنى الدعاء وبقي معنى التقريع والإِغاظة، ويجري المعنى مع قول مسافر بن أبي عمرو:

ونَـنْـمِـي فـي أَرُومَـتِـنَـا ... ونَفْقَأُ عَـيْـنَ مَـن حَـسَـدَا[5] [مجزوء الوافر]

وينظر إلى هذا المعنى في قوله: ﴿مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ [الحج: ١٥].

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٥١٤)، وفي المطبوع والأصل: «زيد بن الصيت».
(٢) تفسير الطبري (٧/ ١٥٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٤٥، ٧٤٦) الإِباضية: فرقة من الخوارج أَصحاب عبد الله بن إباض.
(٣) في الأصل والسليمانية وفيض الله: و«هذه القصة قد نزلت».
(٤) تفسير الطبري (٧/ ١٥٤).
(٥) عزاه له أبو الفرج في الأغاني، وذكر قصته (٩/ ٦٨)، وابن هشام في السيرة (١/ ١٥١)، وفي المطبوع: «وننمي»، وفي السليمانية: «ونرموا».

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ وعيد يواجهون به على هذا التأويل الأخير في: ﴿مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡ﴾، [وهو إخبار مجرد لمحمد ﷺ في تأويل الدعاء في: ﴿مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡ﴾][(١)].

و﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: ما تنطوي عليه، والإشارة هنا إلى المعتقدات، ومن هذا قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: إنما هو ذو بطنِ بنتِ خارجةَ[(٢)]، ومنه قولهم: الذيب مغبوطٌ بذي بطنه[(٣)]، و«الذات»: لفظ مشترك في معانٍ لا يدخل منها في هذه الآية إلا ما ذكرناه.

قوله عز وجل: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾.

«الحسنة» و«السيئة» في هذه الآية: لفظ عام في كل ما يحسن ويسوءُ.

وما ذكر المفسرون من الخصب والجدب، واجتماع المؤمنين ودخول الفرقة بينهم، وغير ذلك من الأقوال[(٤)]، فإنما هي أمثلة وليس ذلك باختلاف.

وذكر تعالى المس في الحسنة ليبين أنَّ بأدنى طروء الحسنة تقع المساءة بنفوس هؤلاء المبغضين، ثم عادل ذلك بالسيئة بلفظ الإصابة، وهي عبارة عن التمكن؛ لأن الشيء المصيب لشيء فهو / متمكن منه أو فيه، فدل هذا المنزعُ البليغ على شدة العداوة، إذ هو حقدٌ لا يذهب عند الشدائد، بل يفرحون بنزول الشدائد بالمؤمنين، وهكذا في[(٥)] عداوة الحسد في الأَغلب، ولا سيما في مثل هذا الأمر الجسيم الذي هو ملاك الدنيا والآخرة، وقد قال الشاعر: [١/ ٢٥٢]

(١) زيادة من الحمزوية والمطبوع وفيض الله وأحمد٣.
(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٢٧٨٣) بإسناد صحيح على شرط الشيخين.
(٣) أي: بما في بطنه، يضرب للذي يغبط. بما ليس عنده. انظر: المخصص لابن سيده (٤ / ١٤٦)، قال الزمخشري في المستقصى (١/ ٣١٩): ويروى: يُغبَط، ويروى: الذئب مغبوط جائعاً؛ أي: يظن به الشبع لما يرى من عدوه على الحيوان وربما كان مجهوداً.
(٤) تفسير الطبري (٧/ ١٥٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٤٧، ١٠٠٨).
(٥) في السليمانية وفيض الله ولالاليه: «هي».

[البسيط] كلُّ العَـداوَة قـدْ تُرْجَـى إزَالَتُهـا إلا عَداوةَ مَن عاداكَ مِنْ حَسَدِ(١)

ولما قرر تعالى هذا الحال لهؤلاء المذكورين، وأوجبت الآية أن يعتقدهم المؤمنون بهذه الصفة، جاء قوله تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ تسليةً للمؤمنين، وتقوية لنفوسهم، وَشَرَطَ ذلك بالصبر والتقوى.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع: ﴿لا يضِرْكم﴾ بكسر الضادِ وجزم الراء(٢)، وهو من ضار يضِيرُ [بمعنى: ضرَّ يضرُّ، وهي لغة فصيحة، وحكى الكسائي: ضار يضُورُ، ولم يقرأ على هذه اللغة، ومِن ضار يضير](٣) في كتاب الله ﴿لَا ضَيۡرَ﴾ [الشعراء: ٥٠]، ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي:

[الطويل] فقِيـل تَحَمَّـلْ فـوق طوقـك إنها مُطَبَّقَـةٌ مَـنْ يأْتِهَـا لا يضيرُهـا(٤)

يصف مدينة، والمعنى: فليس يَضيرها، وفي هذا النفي المقدّر(٥) بالفاء هو جواب الشرط.

ومن اللفظ قول توبة بن الحمير(٦):

[الطويل] وقـال أنـاسٌ لا يَضيـرُكَ نأيُهـا بلى كلُّ ما شَفَّ النفوسَ يضِيرُها(٧)

---

(١) البيت بلا نسبة في بهجة المجالس (١/ ٩٠)، والموشى (١/ ٣)، وعيون الأخبار (٢/ ١٣)، والعقد الفريد (١/ ١٩٣)، وذكر عن علي بن بشر المروزي: أن ابن المبارك كتب إليه به ضمن أبيات، وعزاه الشيخ هاني بن الشيخ بن جمعة في كتابه الحسد (١ / ٦) للشافعي.

(٢) وهي سبعية متواترة، انظر: السبعة (ص: ٢١٥)، والتيسير (ص: ٨٩).

(٣) ليس في نور العثمانية.

(٤) عزاه له ابن سيده في المحكم (١/ ٥٥٧)، وسيبويه في الكتاب (٣/ ٧٠)، والفارسي في الحجة (٣/ ٧٥)، وابن الأنباري في الزاهر (٢/ ١٦٥)، وابن قتيبة في الشعر والشعراء (٢/ ٦٤١)، وأبو الفرج في الأغاني (٦/ ٢٨٩)، وذكرا قصته.

(٥) ليست في الأصل.

(٦) هو توبة بن الحمير بن حزم بن كعب، من بني عقيل، شاعر إِسلامي أَحد عشاق العرب المشهورين، انظر: الشعر والشعراء (١/ ٤٣٦).

(٧) انظر عزوه له في: الشعر والشعراء (١/ ٤٣٦)، والأمالي للمرتضى (٢/ ٣٤)، وأشعار النساء =

وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ بضم الضاد والراء والتشديد في الراء، وهذا من ضرَّ يضُرُّ، وروي عن حمزة مثل قراءة أبي عمرو[١].

وأما إِعراب هذه القراءة فجزم، وضمت الراء للالتقاء، وهو اختيار سيبويه في مثل هذا[٢]، إِتباعاً لضمة الضاد، ويجوز فتح الراء وكسرها مع إرادة الجزم، فأما الكسر فلا أعرفها قراءة، وعبارة الزجاج في هذا متجوَّزٌ فيها؛ إِذ يظهر من درج كلامه أَنها قراءة[٣].

وأَما فتح الراء من قوله: (لا يضُرَّكم) فقرأ به عاصم فيما رواه أبو زيد عن المفضل عنه[٤]، ويجوز أيضاً أن يكون إعراب قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ رفعاً إِما على تقدير: فليس يضركم، على نحو ما تقدم في بيت أبي ذؤيب، وإِما على نية التقديم على: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ﴾ كما قال:

يـا أقـرعُ بـن حابـسٍ يـا أقـرعُ ... إنـك إِن يُصْرَعْ أخـوك تُصْرَعُ[٥] [الرجز]

المراد: إنك تُصرَعُ.

وقرأ أبيّ بن كعب: (لا يضْرُرْكم) براءين[٦]، وذلك على فكّ الإِدغام، وهي

= للمرزباني (١/ ٧)، والأمالي للقالي (١/ ٨٨).

(١) التيسير في القراءات السبع (ص: ٩٠)، والرواية الثانية لحمزة ليست من طرقه، ولكنها في السبعة (ص: ٢١٥).

(٢) ذكر هذا القول النحاس في إعراب القرآن (١ / ٤٠٣) بلا نسبة.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٦٤)، لكن قال في البحر المحيط (٣/ ٣٢٣): هي قراءة الضحاك.

(٤) وهي قراءة شاذة. انظرها في: مختصر الشواذ (ص: ٢٨)، وإعراب القرآن للنحاس (١ / ١٧٨)، والهداية لمكي (٢/ ١١٠٩)، والكامل للهذلي (ص: ٥١٨)، وجامع البيان للداني (٣/ ٩٨٩).

(٥) البيت لجرير بن عبدالله البجلي كما في الصحاح للجوهري (٤/ ١٦٣٠)، والسيرة النبوية لابن هشام (١/ ٧٤)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٦٧)، وقال السيرافي في شرح أبيات سيبويه (٢/ ١٢٧): بل هو لأبي الخُثارم عمرو بن خثارم البجلي، والقولان في خزانة الأدب (٨/ ٢٩)، وقد أورد ما ظاهره أَنَّهُمَا أرجوزتان على قافية الْعين أولاهما مَرْفُوعَة وَالثَّانية مجرورة، قال: وَالشَّاهِد إِنَّمَا يَتَأَتَّى على الأولى.

(٦) وهي قراءة شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٧٨)، والشواذ للكرماني (ص: ١١٩).

لغة أهل الحجاز، وعليها قوله تعالى في الآية: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ﴾، ولغة سائر العرب الإِدغام في مثل هذا كله.

و«الكيد»: الاحتيال بالأباطيل.

وقوله تعالى: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٦] إنما هي تسمية العقوبة باسم الذنب.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ وعيد، والمعنى: محيط جزاؤه وعقابه بالقدرة والسطان، وقرأ الحسن: (بما تَعْملون) بالتاء[١]، وهذا إما على توعد المؤمنين في اتخاذ هؤلاء بطانةً، وإِما على توعد هؤلاء المنافقين بتقدير: قل لهم يا محمد.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

ذهب الطبري رحمه الله إلى أن هذه الآية متصلة بمعنى ما تقدمها من الآيات[٢]، والظاهر أنها استقبال أمر آخر؛ لأن تلك مقاولة[٣] في شأن منافقي اليهود، وهذا ابتداء عتب المؤمنين في أمر أُحُد، فالعامل في (إذ) فعلٌ مضمر تقديره: واذكر.

وقال الحسن: هذا الغدُوُّ المذكور في هذه الآية لتبوُّءِ المؤمنين الذي كان في غزوة الأحزاب[٤].

قال القاضي أبو محمد: وخالفه الناس.

والجمهور على أن ذلك كان في غزوة أُحد، وفيها نزلت هذه الآيات كلها[٥].

---

(١) وهي قراءة شاذة. انظر: مختصر الشواذ (ص: ٢٨)، وإتحاف فضلاء البشر (١ / ٢٢٨).
(٢) تفسير الطبري (٧/ ١٥٩).
(٣) في المطبوع: «مقاومة».
(٤) تفسير الطبري (٧/ ١٦٠ – ١٦١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٤٨).
(٥) تفسير الطبري (٧/ ١٦٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٤٨).

وكان من أمر غزوة أُحد أن المشركين اجتمعوا في ثلاثة آلاف رجل، وقصدوا المدينة ليأخذوا بثأرهم في يوم بدر، فنزلوا عند أُحد يوم الأربعاء الثاني عشر من شوال سنة ثلاث من الهجرة، على رأس أحد وثلاثين شهراً من الهجرة، وأقاموا هنالك يوم الخميس، ورسول الله ﷺ بالمدينة يدبّر وينتظر أمر الله تعالى.

فلما كان في صبيحة يوم الجمعة جمع رسول الله ﷺ الناسَ واستشارهم، وأخبرهم أنه كان [رأى في منامه بقرة تذبح][(١)] وثَلْماً في ذُباب سيفه، وأنه يدخل يده في درع حصينة، وأَنه تأولها المدينة، وقال لهم: «أرى أَلَّا نَخرجَ إلى هؤلاء الكفار»، فقال له عبد الله ابن أبيّ بن سلولَ: أقمْ يا رسولَ الله، ولا تخرجْ إليهم بالناس، فإِنْ هم أقاموا أقاموا[(٢)] بشرٍّ محَبِس، وإِن انصرفوا مَضَوْا خائبين، وإِن جاؤونا إلى المدينة قاتلناهم في الأفنية، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من الآطام، فوَالله ما حاربَنا قط عدوٌّ[(٣)] في هذه المدينة إلا غلبناه، ولا خرجنا منها إلى عدوّ إلا غَلَبنا، فوافق هذا الرأي رأيَ رسول الله ﷺ ورأيَ جماعةٍ عظيمة[(٤)] من المهاجرين والأنصار.

وقال قوم من صلحاء المؤمنين ممن كان فاتته بدر: يا رسول الله، اخرج بنا إلى عدوّنا، وشجعوا الناس ودعوا إلى الحرب، فقام رسول الله ﷺ فصلَّى بالناس صلاةَ الجمعة وقد جشمه هؤلاء الداعون إلى الحرب، فدخل إثرَ صلاته بيتَهُ ولبس سلاحه[(٥)]، فندم أولئك القوم وقالوا: أَكْرَهْنَا رسولَ الله ﷺ، فلما خرج عليهم النبي ﷺ

---

(١) في الأصل: «كان يرى بقراً تذبح»، وفي السليمانية وفيض الله: «بقراً يذبح»، وفي لالاليه وأحمد٣: «رأى كأن بقراً يذبح».

(٢) سقطت «أقاموا» الثانية من المطبوع، ولعلها لازمة لتبين المعنى المراد، وفي نور العثمانية: «فإنهم»، متصلة بدل «فإنْ هم».

(٣) في المطبوع: «عدواً»، بالنصب.

(٤) ليست في المطبوع، وفي الحمزوية: «كبيرة».

(٥) من أول الأثر إلى هذا الموضع أخرجه الطبري (٧/ ١٦٣-١٦٤)، من طريق محمد بن إسحاق قال: =

في سلاحه قالوا: يا رسول الله أقمْ إن شئت، فإنا لا نريد أن نُكْرِهَكَ، فقال رسول الله ﷺ: «ما ينبغي لنبيٍّ إذا لبس سلاحه أن يضعها حتى يقاتل»[١].

[١/ ٢٥٣] ثم خرج / بالناس، وسار حتى قرب من عسكر المشركين، فعسكر[٢] هناك، وبات تلك الليلة، وقد غضب عبدُ الله بن أبيٍّ بن سلولَ، وقال: أطاعهم وعصاني.

فلما كان في صبيحةِ يوم السبت اعتزم رسول الله ﷺ على السير إلى مناجزة المشركين، فنهض وهو في ألف رجل، فانخزل عنه عند ذلك عبد الله بن أبي ابن سلولَ بثلاث مئة رجل من الناس، من منافق ومتبع، وقالوا: نظن أنكم لا تلقون قتالاً[٣]، ومضى رسول الله ﷺ في سبع مئة.

فهمَّتْ عند ذلك بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج بالانصراف[٤]، ورأوا كثافةَ المشركين وقلةَ المسلمين، وكادوا أن يجبنوا ويفشلوا فعصمهم الله تعالى: وذمر[٥] بعضهم بعضاً، ونهضوا مع النبي ﷺ، فمضى رسول الله ﷺ حتى أطل على المشركين، فتصافَّ الناس.

وكان رسول الله ﷺ قد أمَّر على الرماة عبد الله بن جبير[٦] وكانوا خمسين رجلاً،

= حدثني ابن شهاب الزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمر بن قتادة، والحصين ابن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا، قالوا...فذكروه عن النبي ﷺ معضلاً به.

(١) أخرجه الطبري (٧/ ١٦١)، بنفس سياق الإسناد المعضل والمذكور آنفاً.

(٢) الزيادة من السليمانية وفيض الله.

(٣) إلى هذا الموضع أورده ابن هشام في السيرة (٦٥٤)، من قول ابن إسحاق معضلاً به.

(٤) أخرجه الطبري (٧/ ١٦٦)، من طريق السدي، معضلاً به.

(٥) في نور العثمانية: «وذم»، ويقال ذمره: بالتخفيف والتشديد: لامه وحثَّه، وتذامر القوم في الحرب: تحاضُّوا.

(٦) عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري، أخو خوّات، شهد العقبة وبدراً، واستشهد بأحد، وكان أمير الرّماة، الإصابة (٤/ ٣١).

وجعلهم يَحمُون الجبلَ وراء المسلمين، وأسند هو إلى الجبل، فلما اضطرمت الحرب انكشف المشركون وانهزموا، وجعل نساء المشركين تبدو خلاخلهن وهن يسندن في صفح جبل[١]، فلما رأى الرماة ذلك قالوا: الغنيمةَ الغنيمةَ أيها المسلمون.

وكان رسول الله ﷺ قال لهم: «لا تبرحوا من هنا ولو رأيتُمونا تتخطَّفُنا الطير»، فقال لهم عبد الله بن جبير وقوم منهم: اتقوا الله واثبتوا كما أمركم نبيكم، فَعَصَوْا وخالفوا وزالوا متبعين.

وكان خالد بن الوليد قد تجرد في جريدة خيل وجاء من خلف المسلمين حيث كان الرماة، فحمل على الناس، ووقع التخاذل وصِيح في المسلمين من مقدمتهم ومن ساقتهم، وصرخ صارخ: قُتِلَ محمد، فتخاذل الناس، واستُشهِد من المسلمين نيفٌ على سبعين[٢].

قال مكي: قال مالك رحمه الله: قتل من المهاجرين يوم أحد أربعة، ومن الأنصار سبعون[٣].

وتحيز رسول الله ﷺ في أعلى الجبل وتحاوز الناس[٤].

هذا مختصر من القصة يتركب عليه تفسير الآية، وأمر أُحُد بطوله وما تخلله من الأفعال والأقوال مستوعَبٌ في كتب السير، وليس هذا التعليق مما يقتضي ذكره.

وحكى مكي عن السدي ما يظهر منه أَن القتال كان يوم الجمعة[٥]، وحكى عنه الطبري: أَن نزول أبي سفيان بأُحد كان في الثالث من شوال[٦]، وذلك كله ضعيف.

(١) أي: أصله وجانبه.
(٢) ما أورده المؤلف هاهنا من قصة الرماة أخرجه بتمامه البخاري في صحيحه (٢٨٧٤)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.
(٣) الهداية لمكي (٢/ ١١١٣).
(٤) في المطبوع والأصل: «وتجاوز».
(٥) الهداية لمكي (٢/ ١١٤١).
(٦) أخرجه الطبري (٧/ ٢٨٣)، من حديث ابن عباس، وفي إسناده: عطية العوفي، وهو ضعيف الحديث، مدلس، وقد عنعنه.

وقال النقاش: وقعة أحد في الحادي عشر من شوال، وذلك خطأ[١].

قال الطبري وغيره: فغدُوُّ رسول الله ﷺ يوم الجمعة إلى التدبير مع الناس واستشارتهم هو الذي عبَّر عنه بقوله تعالى: ﴿تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِ﴾[٢].

قال القاضي أبو محمد: ولا سيما أن غدو النبي ﷺ إنما كان ورأيه ألَّا يخرج الناس، فكان لا يشك في نفسه أن يقسم أقطار[٣] المدينة على قبائل الأنصار.

وقال غير الطبري: بل نهوض النبي ﷺ يوم الجمعة بعد الصلاة هو غدوُّه[٤]، وبوأ المؤمنين[٥] في وقت حضور القتال، وقيل[٦]: ذلك في ليلته، وسماه غدواً إذ كان قد اعتزم التدبير والشروعَ في الأمر من وقت الغدو.

قال القاضي أبو محمد: ولا سيما أن صلاة الجمعة ربما كانت قبل الزوال، حسبما وردت بذلك أحاديث[٧]، فيجيء لفظ الغدو متمكناً.

وقيل: إنَّ الغدو المذكور هو غدوة يوم السبت إلى القتال[٨]، ومن حيث لم يكن في تلك الليلة موافقاً للغدو فهو كأنه كان في أهله، وبوأ المسلمين بأمرهِ الرماةَ، وبغيرِ ذلك من تدبيره مصافَّ الناس.

---

(١) لم أقف عليه.
(٢) تفسير الطبري (٧/ ١٦١).
(٣) ليست في الأصل.
(٤) أخرجه الطبري (٧/ ١٦١)، من طريق محمد بن إسحاق، عن عدد من شيوخه، معضلاً به.
(٥) في السليمانية وفيض الله ولالاليه: «الناس».
(٦) في فيض الله: «وقال».
(٧) منها ما أخرجه الإمام البخاري في تاريخه (٥/ ١١٠)، والدارقطني في سننه (١٦٢٣) من طريق عبد الله ابن سيدان قال: شهدت الجمعة مع أبي بكر، فكانت صلاته وخطبته قبل نصف النهار فما رأيت أحداً عاب ذلك ولا أنكره، قال البخاري: (عبد الله بن سيدان لا يتابع على حديثه)، وضعفه كذلك جمع من أهل العلم، وهذه الرواية هي أصرح ما وقفت عليها من جواز صلاة الجمعة قبل الزوال.
(٨) تفسير الطبري (٧/ ١٦٢).

و﴿تُبَوِّئُ﴾ معناه: تعيِّن لهم مقاعدَ يتمكنون فيها ويثبتون، تقول: تبوأتُ مكان كذ: ا إذا حَلَلْته حُلولاً متمكِّناً ثبتَّ فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: ٧٤]، ومنه قول النبي ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»(١)، ومنه(٢) قول الشاعر:

[مجزوء الكامل]
كــم صــاحــبٍ لــيَ صــالــحٍ بــوّأتُــهُ بــيــديَّ لَــحْــدَا(٣)

ومنه قول الأعشى:

[الطويل]
ومـا بـوّأ الرحمـنُ بيتَـكَ منـزِلاً بشرقيِّ أجيادِ الصَّفَا والمحرَّمِ(٤)

وقوله تعالى: ﴿مَقَٰعِدَ﴾ جمع مقعد، وهو مكان القعود، وهذا بمنزلة قولك: مواقف، ولكن لفظة القعود أدلُّ على الثبوت، ولا سيما أَن الرماة إنما كانوا قعوداً، وكذلك كانت صفوف المسلمين أولاً، في المبارزة والسرعان(٥) يجولون.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ أي: ما تقول ويقال لك وقتَ المشاورة وغيرَه.

و﴿إِذْ﴾ الثانية بدل من الأولى، و﴿هَمَّت﴾ معناه: أرادت ولم تفعل، و«الفشل» في هذا الموضع: هو الجبن الذي كاد(٦) يلحق بني سلمة وبني حارثة، و«الفشل» في

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٢٩) من حديث المغيرة رضي الله عنه، ومسلم (٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) في المطبوع: «ومن»، دون هاء.
(٣) البيت لعمرو بن معدي كرب الزبيدي كما في التعازي للمبرد (ص: ٤٤)، والكامل (٤/ ١٤)، والحماسة بشرح التبريزي (١/ ٥١).
(٤) انظر عزوه له في: العين (٣/ ٢٢١)، ومسائل نافع بن الأزرق (ص: ٢٦٨)، وتهذيب اللغة (٥/ ٢٩)، والمحكم (٧/ ٥٠٢).
(٥) سرعَان الناس مُحَرَّكة: أَوائلهم المستبقون، وتُسَكَّن الراءُ، وفي السين ثلاث لغات: الفتح والضم والكسر.
(٦) في الأصل والسليمانية ونور العثمانية ولالاليه: «كان».

البدن: هو الإِعياء والتبليح[(١)]، و«الفشل» في الرأي: هو العجز والحيرة وفساد العزم.

وقال جابر بن عبد الله: واللهِ[(٢)] ما ودِدْنا أنها لم تنزل؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[(٣)].

وقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أمرٌ في ضمنه التغبيط للمؤمنين بمثل ما فعله بنو حارثة وبنو سلمة من المسير مع النبي ﷺ.

وقرأ عبد الله بن مسعود: (تُبوِّئ للمؤمنين) بلام الجر[(٤)].

وقرأ: (واللهُ وليُّهُم)[(٥)] على معنى الطائفتين لا على اللفظ.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾.

[١/ ٢٥٤] لما أمر الله تعالى بالتوكل عليه، ذكَّر بأمرِ بدرٍ الذي كان ثمرةَ التوكل على الله / والثقة به، فمن قال من المفسرين: إِن قول النبي ﷺ للمؤمنين: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ كان في غزوة بدر، فيجيء التذكيرُ بأمر بدر[(٦)]، وبأمر الملائكة، وقتالهم فيه مع المؤمنين محرِّضاً على الجدِّ والتوكل على الله[(٧)].

ومن قال: إن قول النبي ﷺ: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ ...﴾ الآية إنما كان في غزوة أُحد، كان قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ إلى ﴿تَشْكُرُونَ﴾ اعتراضاً بين الكلام جميلاً[(٨)].

---

(١) يقال: بَلَح الرجل وبلَّح: أَعيا، وقد أَبلَحَه السيرُ فانقطع به.

(٢) «والله»، ليست في المطبوع والأصل.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٨٢٥)، ومسلم ٢٥٠٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما به.

(٤) وهي شاذة. انظر: تفسير الثعلبي (٣/ ١٣٩)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ١٧٩).

(٥) وهي شاذة. انظر: تفسير الطبري (٧/ ١٦٩)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٣٣)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١٣٩)، والكشاف (١/ ٤١٠).

(٦) في الأصل ونور العثمانية: «ببدر» دون كلمة «أمر».

(٧) تفسير الطبري (٧/ ١٧٣ - ١٧٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٥٢).

(٨) تفسير الطبري (٧/ ١٨٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٥٢-٧٥٣)، وفي السليمانية «جميعاً» بدل «جميلاً».

والنصرُ ببدر هو المشهور الذي قتل فيه صناديد قريش، وعلى ذلك اليوم انبنى الإِسلام، وكانت بدر يوم سبعة عشر من رمضان يوم جمعة لثمانية عشر شهراً من الهجرة. و(بدر): ماء هنالك سُمِّي به الموضع.

وقال الشعبي: كان ذلك الماء لرجل من جهينة يسمى بدراً، فبه سُمِّي[١].

قال الواقدي[٢] فذكرت هذا لعبد الله بن جعفر[٣]، ومحمد بن صالح[٤] فأنكراه وقالا: بأي شيء سميت الصفراء والجار[٥] وغير ذلك من المواضع؟ قال: وذكرت ذلك ليحيى بن النعمان الغفاري[٦] فقال: سمعت شيوخاً من بني غفار يقولون: هو ماؤنا ومنزلنا، وما ملكه أحد قط يقال له: بدر، وما هو من بلاد جهينةَ إنما هي بلاد غفار، قال الواقدي: فهذا المعروف عندنا[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞ﴾ معناه: قليلون، وذلك أنهم كانوا ثلاث مئة وثلاثة عشر أو أربعة عشر رجلاً، وكان عدوهم ما بين التسع مئة والألف.

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ١٧٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٥٠).

(٢) هو أَبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي مولى الأسلميين، كان يتشيع، حسن المذهب، يلزم التقية، كان من أَهل المدينة، انتقل إِلى بغداد وولي القضاء بها، كان عالماً بالمغازي والسير والفُتوح، توفي سنة: (٢٠٧هـ). الفهرست لابن النديم (ص: ١٤٤).

(٣) هو عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة الزهري، المخرمي، المدني، الفقيه الإمام، حدث عن: أبيه، وسعد بن إبراهيم، وعنه ابن مهدي، والواقدي، وجماعة، وكان مفتياً، عارفاً بالمغازي، وثقه أحمد وغيره.توفي سنة (١٧٠هـ). تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٩١).

(٤) هو محمد بن صالح بن دينار التمار، أَبو عبد الله المدني، مولى الأَنصار، روى عن أَبي حازم، والقاسم، وعمر بن عبد العزيز، وعنه ابنُه صالح، والواقدي وغيرهما، ثقة قليل الحديث، توفي سنة (١٦٨هـ). تهذيب التهذيب (٢/ ٢٢٥).

(٥) الجار والصفراء موضعان قرب بدر.

(٦) جاء في المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري (٢/ ٦٤٤): هو يحيى بن النعمان الغِفَارِي، من الخامسة، فما دونها، لم أعرفه، ولم أجد له ترجمة.

(٧) تفسير الطبري (٧/ ١٧٠).

و﴿أَذِلَّةٌ﴾: جمع ذليل، واسم الذل في هذا الموضع مستعار، ولم يكونوا في أنفسهم إلا أعزَّة، ولكن نسبتهم إلى عدوهم وإلى جميع الكفار في أقطار(١) الأرض تقتضي عند التأمل ذلتهم، وأنهم مغلوبون، وقد قال النبي ﷺ في ذلك اليوم: «اللهم إِن تهلِك هذه العصابة لم تُعبَدْ»(٢)، وهذه الاستعارة هي كاستعارة الكذب في قوله في «الموطأ»: كذب كعب(٣)، وكقوله: كذب أبو محمد(٤)، وكاستعارة المسكنة لأصحاب السفينة على بعض الأقوال؛ إذ كانت مسكنتهم بالنسبة إلى الملك القادر الغاصب.

ثم أمر تعالى المؤمنين بالتقوى، ورجَّاهم في الإِنعام الذي يوجب الشكر، ويحتمل أن يكون المعنى: اتقوا الله عسى أن تكون تقواكم شكراً على النعمة في نصره ببدر.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ﴾، العامل في ﴿إِذْ﴾ فعل مضمر، ويحتمل أن يكون العامل: ﴿نَصَرَكُمُ﴾ [وهذا على](٥) قول الجمهور: إن هذا القول من النبي ﷺ كان ببدر، قال الشعبي والحسن [بن أبي الحسن وغيرهما: إِن هذا كان ببدر(٦)، قال الشعبي](٧): بلغ المؤمنين أَن كُرْزَ بن جابر بن حِسْل المحاربيَّ(٨) محاربَ فهرٍ قد

---

(١) ليست في الأصل.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٦٣) من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٣٦٤)، من قول عبد الله بن سلام، قال: (كذب كعب)، وإسناده صحيح.

(٤) ضعيف، أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٤٠٠)، ومن طريقه النسائي في الكبرى (١/ ٣٢٢)، من حديث محمد بن يحيى بن حبان، عن ابن محيريز، عن المخدجي، عن عبادة بن الصامت، رضي الله عنه به، وهذا إسناد ضعيف من أجل المخدجي هذا، وهو أبو رفيع، ويقال: رفيع، ففيه جهالة، انظر: تهذيب الكمال (٣٣/ ٣١٥).

(٥) في نور العثمانية: «وعلى هذا».

(٦) تفسير الطبري (٧/ ١٧٣ - ١٧٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٥٢).

(٧) ليس في الأصل، وقد استدركناه من النسخ الأخرى، وانظر: تفسير الطبري (٧/ ١٧٤).

(٨) كرز بن جابر بن حسل القرشي الفهري، أَسْلم بعد الهجرة وحسُن إِسلامه، ولَّاه رسول الله ﷺ الجيش الذي بعثه في أثر العُرَنيين الذين قتلوا راعيه. الإصابة (٥/ ٤٣٤)، وهو من محارب بن فهر: احترازاً من بني محارب الذين في قيس عيلان.

جاء في مدد المشركين، فغمَّ ذلك المؤمنين، فقال النبي ﷺ للمؤمنين[١] عن أمر الله تعالى هذه المقالة، فصبر المؤمنون واتقوا، وهُزم المشركون، وبلغت الهزيمة كُرْزاً ومَن معه، فانصرفوا ولم يأتوا من فَوْرِهم[٢]، ولم يُمَدّ المؤمنون بالملائكة، وكانت الملائكة بعد ذلك تحضر حروب النبي ﷺ مدداً، وهي تحضر حروب المسلمين إلى يوم القيامة.

قال القاضي أبو محمد: وخالف الناس[٣] الشعبي في هذه المقالة، وتظاهرت الروايات بأنَّ الملائكة حضرت بدراً وقاتلت.

ومن ذلك قول أبي أُسَيد مالك بن ربيعة[٤]: لو كنت معكم الآن ببدر ومعي بصري لأَرَيتُكم الشِّعبَ الذي خرجَتْ منه الملائكة، لا أشكُّ، ولا أتمارَى[٥].

ومنه حديث الغفاري وابن عمه اللذين سمعا من الصحابة: اقدُمْ حَيزُومُ، فانكشف قناعُ قلب أحدهما، فمات مكانه، وتماسك الآخر[٦].

وقال ابن عباس: لم تقاتل الملائكة في يوم من الأيام إلا يوم بدر، وكانوا يكونون في سائر الأيام عدداً ومدداً لا يضربون[٧].

---

(١) ليست في الأصل.

(٢) معضل، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٢٦٤)، والطبري (٧/ ١٧٤)، وابن أبي حاتم (٤٠٩٥)، كلهم من طريق داود بن أبي هند، عن عامر الشعبي، به معضلًا.

(٣) تفسير الطبري (٧/ ١٧٤-١٧٥).

(٤) مالك بن ربيعة بن البدن بن عامر الأنصاري الساعدي أَبو أُسيد، مشهور بكنيته، شهد بدراً وأحداً وما معها، روى عن النبي ﷺ، وعنه أولاده وآخرون من الصحابة والتابعين. وهو آخر البَدْرِيِّين موتاً، توفي سنة: (٦٠هـ). الإصابة (٣/ ٣٤٤).

(٥) أخرجه الطبري (٧/ ١٧٤، ١٧٥)، من طريق محمد بن إسحاق، قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر، عن بعض بني ساعدة، سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة.....فذكره. وهذا إسناد ضعيف؛ لإبهام راويه.

(٦) أخرجه مسلم (١٧٦٣) من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه به.

(٧) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (٧/ ١٧٥) بإسناد فيه الحسن بن عمارة، وهو متروك الحديث. انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٥١٣).

ومن ذلك قول أبي سفيان بن الحارث[١] لأبي لهب: ما هو إلا أن لقينا القومَ فمنحناهم أكتافنا يقتلون ويأسِرُون، وعلى ذلك فوَالله ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيلٍ بُلْقٍ بين السماء والأرض ما تُليق شيئاً[٢]، ولا يقومُ لها شيءٌ[٣].

ومن ذلك أن أبا اليسر كعب بن عمرو الأنصاري[٤] أحد بني سلمة أَسر يوم بدر العباسَ بن عبد المطلب، وكان أبو اليسر رجلاً مجموعاً، وكان العباس رجلاً طويلاً جَسيماً، فقال النبي ﷺ: «لقد أعانك عليه ملَكٌ كريمٌ»[٥] الحديث بجملته.

وقد قال بعض الصحابة: كنت يوم بدر أتبع رجلاً من المشركين لأضربه بسيفي، فلما دنوت منه وقع رأسه قبل أن يصلَ سيفي إليه، فعلمتُ أن ملَكاً قتلَه[٦].

وقال قتادة بن دعامة: أمد الله المؤمنين يوم بدر بخمسة آلاف من الملائكة[٧].

قال الطبري: وقال آخرون: إن الله وعد المؤمنين يومَ بدر أن يمدَّهم في حروبهم

---

(١) أَبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم الرسول ﷺ وأَخوه من الرضاعة، أَسلم يوم الفتح، شهد حنيناً، وكان ممن ثبت مع النبي ﷺ، توفي سنة: (١٥)، وقيل: (٢٠هـ). الإصابة (٧/ ١٥١).

(٢) من ألاق يُليق؛ أَي: ما تُبقي، ولا يَقف لها، ولا يثبت.

(٣) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (٧/ ١٧٦)، من حديث أبي رافع مولى رسول الله ﷺ به. وفي إسناده: الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، وهو متروك الحديث، متفق على تضعيفه، انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٥٣٧).

(٤) في السليمانية ولالاليه: «كعب بن مالك»، وهو خطأ، فهو كعب بن عمرو بن عباد الأَنصاري السلمي، مشهور باسمه وكنيته، شهد العقبة وبدراً، وله فيها آثار كثيرة، وهو الذي أَسر العباس، وكان قصيراً دحداحاً عظيم البطن، توفي سنة: (٥٥هـ). الإصابة (٧/ ٣٨٠).

(٥) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (٧/ ١٧٧) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وفي إسناده الحسن بن عمارة، وهو متروك الحديث، انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٥١٣).

(٦) أخرجه الطبري (٧/ ١٧٥-١٧٦) من حديث أبي داود المازني، رضي الله عنه وفي إسناده من لم يُسم.

(٧) تفسير الطبري (٧/ ١٨٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٥٤).

كلِّها إِن صبروا واتقوا، فلم يفعلوا ذلك إلا في يوم الأحزاب، فأمدَّهم حين حاصروا قريظة.

ثم أدخل تحت هذه الترجمة عن عبد الله بن أبي أوفى[١] أنه قال: حاصرنا قريظة مدة فلم يفتح علينا فرجعنا، فبينا رسول الله ﷺ قد [دعا بِغسْلٍ][٢] يريد أن يغسل رأسه إذ جاءه جبريل عليه السلام فقال: وضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة أوزارها، فلف رسول الله ﷺ رأسه بخرقة ولم يغسله، ونادى فينا فقمنا كالِّينَ متعبين، حتى أتينا قريظةَ والنضير، فيومئذ أمدنا الله بالملائكة بثلاثة آلاف، وفتح لنا فتحاً يسيراً، فانقلبنا بنعمة من الله وفضل[٣].

وقال عكرمة: كان الوعد يوم بدر، فلم يصبروا يوم أحد ولا اتقوا، فلم يُمَدُّوا، ولو مُدُّوا لم يهزموا[٤].

وقال الضحاك: كان هذا الوعد والمقالة للمؤمنين يوم أحد، ففرَّ الناسُ وولَّوا مدبرين فلم يُمِدَّهم الله، وإِنما مُدُّوا يوم بدر بألف من الملائكة مردفين[٥].

وقال ابن زيد/: قال المسلمون لرسول الله ﷺ يوم أحد وهم ينتظرون المشركين: يا رسول الله، أليس يمدنا الله كما أَمدَّنا يوم بدر؟ [فقال لهم النبي ﷺ: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ ...﴾ الآية، وإِنما أمدكم[٦] يوم بدر بألف[٧]][٨]، قال ابن زيد: فلم يصبروا[٩]. [١/ ٢٥٥]

(١) عبد الله بن أَبي أوفى الأَسلمي، أبو معاوية، له ولأبيه صحبة، شهد الحديبية، وهو آخر من مات من الصحابة، وكان من أَصحاب الشجرة، توفي سنة: (٨٠ هـ). الإصابة (٤/ ١٦).

(٢) ليس في الأصل.

(٣) تفسير الطبري (٧/ ١٧٨).

(٤) المصدر السابق (٧/ ١٧٩).

(٥) تفسير الطبري (٧/ ١٨٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٦٢).

(٦) في الحمزوية والمطبوع: «أمدهم»، وفي نور العثمانية: «أمدهم الله».

(٧) تفسير الطبري (٧/ ١٨٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٦٢).

(٨) ليس في لالاليه.

(٩) أخرجه الطبري (٧/ ١٨٠) من طريق ابن زيد به معضلاً.

وقوله تعالى: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ تقرير على اعتقادهم الكفاية في هذا العدد من الملائكة، ومن حيث كان الأمر[١] بيناً في نفسه أن الملائكة كافية بادر المتكلم إلى الجواب؛ ليبني[٢] ما يستأنف من قوله عليه، فقال: ﴿بَلَىٰٓ﴾ وهي جواب المقررين، وهذا يحسن في الأمور البينة التي لا محيد في جوابها، ونحوه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩].

وفي مصحف أبي بن كعب: (أَلا يَكْفيكم)[٣].

وقد مضى القول في لفظة الإِمداد في (سورة البقرة) في قوله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥].

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (بِثَلاثهْ آلافٍ) يقف على الهاء، وكذلك: (بِخَمْسَهْ آلاف)[٤].

ووجه هذه القراءة ضعيف؛ لأن المضاف والمضاف إليه يقتضيان الاتصال؛ إذ هما كالاسم الواحد، وإنما الثاني كمالٌ للأوَّل، والهاء إنما هي أَمارة وقف، فيقلق الوقفُ في موضعٍ إنما هو للاتصال، لكن قد جاء نحو هذا للعرب في مواضع، فمن ذلك ما حكاه الفراء أنهم يقولون: أكلت لحمَا شاه، يريدون لحمَ شاةٍ فمطلوا الفتحة حتى نشأت عنها ألف، كما قالوا في الوقف: قالا، يريدون: قال، ثم مطلوا الفتحة في القوافي ونحوها من مواضع الرويَّة والتثبَّت[٥]، ومن ذلك في الشعر قول الشاعر:

[الكامل] يَنْبَاع من ذِفْرَى غَضُوبٍ جَسْرةٍ[٦] ....

(١) في الأصل: «أمراً».

(٢) في الحمزوية والمطبوع: «يبني».

(٣) وهي قراءة شاذة. انظر: تفسير الثعلبي (٣/ ١٤٣).

(٤) وهي قراءة شاذة. انظر: المحتسب (١/ ١٦٥)، والشواذ للكرماني (ص: ١١٩).

(٥) نقله عنه ابن جني في المحتسب (١/ ١٦٤).

(٦) من بيت لعنترة من معلقته، عجزه: زيَّافةٍ مثل الفَنِيقِ المكدمِ، وعزاه له ابن جني في المحتسب (١ / ٢٥٧)، =

يريد: يَنبَعُ، فمطل، ومنه قول الآخر:

أقـول إذ خَـرَّتْ علـى الكَلْـكالِ يـا ناقتا مـا جُلْـتِ من مجـالِ[١] [الرجز]

يريد: على الكَلْكَل، فمطل، ومنه قول الآخر:

فأنـتَ مـن الغَوائـلِ حيـنَ ترمي ومـن ذمِّ الرجـال بمُنتَـزَاحِ[٢] [الوافر]

يريد بمُنتزَح، قال أبو الفتح: فإذا جاز أن يعترض هذا التمادي بين أَثناء الكلمة الواحدة، جاز التمادي والتأني بين المضاف والمضاف إليه؛ إذ هما في الحقيقة اثنان[٣].

وقرأ ابن عامر وحده: ﴿مُنَزَّلين﴾ بفتح النون والزاي مشددة.

وقرأ الباقون: ﴿مُنزَلِينَ﴾ بسكون النون وفتح الزاي مخففة[٤].

وقرأ ابن أبي عبلة: (مُنَزِّلين) بفتح النون وكسر الزاي مشددة[٥] معناها: يُنزِّلون النصَر.

وحكى النحاس[٦] قراءة ولم ينسبها: (مُنْزِلين) بسكون النون وكسر الزاي خفيفة[٧]، وفسَّرها بأنهم ينزلون النصر[٨].

= وابن سيده في المحكم (٢/ ١٩١)، والأنباري في الزاهر (٢/ ٢٩٩)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٣٨٣)، وأبو زيد في الجمهرة (ص: ١٤٦)، والذِّفْرى: ما خلف الأُذن. والجَسْرة: الناقة الموثقة الخلق.

(١) بلا نسبة في جمهرة اللغة (١/ ٢٢٢)، وتأويل مشكل القرآن (١/ ١٨٦)، وتفسير الطبري (١/ ٢١٤).

(٢) البيت لإبراهيم بن هَرْمة يرثي ابنه كما في المحتسب (١/ ٣٣٩)، والصحاح (١/ ٤٣٣)، والحماسة البصرية (١/ ١٨٩)، وأورد أبياتاً من القصيدة ظاهرها أنه مديح لبعض الأمراء، وفي المطبوع: «ومن دم»، بالدال، وفي بعض المصادر: «ومن عيب»، وفي نور العثمانية: «العواقل».

(٣) المحتسب لابن جني (١/ ١٦٦).

(٤) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٢١٥)، التيسير (ص: ٩٠).

(٥) وهي قراءة شاذة. انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٣٤)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ١٢٠) لأبي نهيك، وبعضهم.

(٦) في فيض الله ولالاليه: «النقاش»، ولم أجده لواحد منهما، ونقله في البحر المحيط (٣/ ٣٣٤) غير منسوب.

(٧) وهي قراءة شاذة، قرأ بها أبو حيوة كما في تفسير الثعلبي (٣/ ١٤٣)، ومختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٨).

(٨) انظر كلام النحاس على هذه الآية في: إعراب القرآن له (١/ ١٧٩)، ومعاني القرآن له (١/ ٤٦٩)، وليس فيه ما ذكر.

و﴿ بَلَىٰٓ ﴾ جواب النفي الذي في ﴿أَلَن ﴾ وقد تقدم معناه.

ثم ذكر تعالى الشرط الذي معه يقع الإِمداد وهو الصبر، والتقى.

و«الفَوْر»: النهوض المسرع إلى الشيء، مأخوذ من فور القدر والماء ونحوه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ [هود: ٤٠]، فالمعنى: ويأتوكم في نهضتكم هذه.

قال ابن عباس: ﴿مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا ﴾ معناه: من سفَرِهم هذا[١]، قال الحسن والسدي: معناه: من وجههم هذا، وقاله قتادة.

وقال[٢] مجاهد وعكرمة وأبو صالح مولى أم هانئ[٣] معناه: من غضبهم هذا[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا تفسير لا يخص اللفظة، قد يكون الفور لغضب ولطمع ولرغبة في أجرٍ، ومنه الفورُ في الحجّ والوضوء.

وقرأ أَبو عمرو وابن كثير وعاصم: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾، بكسر الواو.

وقرأ الباقون: ﴿مُسَوَّمين﴾، بفتح الواو[٥].

فأما من قرأ بفتح الواو فمعناه: مُعْلَمين بعلاماتٍ، قال أبو زيد الأَنصاري: السومة: العلامة تكون على الشاة وغيرها، يجعل عليها لون يخالف لونها؛ لتُعرَف[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (٧/ ١٨٢)، وابن أبي حاتم (٤١٠١)، بإسناد فيه عطية العوفي، وهو ضعيف، مدلس، وقد عنعنه.

(٢) في المطبوع: «قاله»، وليس فيه كلمة: «معناه».

(٣) هو باذام، ويقال: باذان، أَبو صالح مولى أُم هانئ بنت أَبي طالب، تابعي مشهور رَوَى عن علي، وابن عباس، وأَبي هريرة، ومولاته أُم هانئ، وعنه الأَعمش، وإسماعيل السدي وغيرهم، وثَّقَهُ بعضهم، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه تفسير. تهذيب التهذيب (١/ ٤١٦).

(٤) نقله عنهم تفسير الطبري (٧/ ١٨٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٥٣).

(٥) وهي سبعية متواترة، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢١٦)، والتيسير للداني (ص: ٩٠).

(٦) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٣/ ٧٦)، وانظر: معاني القرآن للنحاس (١/ ٤٧٠).

وروي: أن الملائكة أعلمت يومئذ[١] بعمائم بيض[٢]، حكاه المَهْدَوي عن الزجَّاج، إلا جبريل عليه السلام فإنه كان بعمامةٍ صفراء على مثال عمامة الزبير بن العوام، وقاله ابن إِسحاق[٣].

وقال مجاهد: كانت خيلهم مجزوزة الأذناب، والأعراف مُعلَمة النَّواصي، والأذناب بالصُّوف والعِهْن[٤]، وقال الربيع: كانت سِيْماهم أنهم كانوا على خيل بُلْق[٥].

وقال عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير[٦]: نزلت الملائكة في سيما الزبير، عليهم عمائمُ صفر[٧]، وقال ذلك عروة وعبد الله ابنا الزبير[٨]، وقال عبد الله: كانت لي[٩] ملاءةً صفراء فاعتمَّ الزبير بها[١٠].

ومن قرأ: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ بكسر الواو، فيحتمل من المعنى مثل ما تقدم؛ أي: هم قد أَعلموا أنفسَهم بعلامة، وأَعلموا خيلَهم، ورجح الطبري وغيره هذه القراءة بأن

---

(١) في السليمانية وفيض الله ولالاليه: يوم بدر.

(٢) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص: **٥٣٣** ـ ابن هشام)، بإسناد ضعيف لإبهام أحد رواته.

(٣) انظر: عزو هذا للزجاج، وابن إسحاق في تفسير القرطبي (٤/ ١٩٦)، وليس في كلام الزجاج على هذه الآية (١/ ٤٦٧) ما يفيده.

(٤) تفسير الطبري (٧/ ١٨٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٥٤).

(٥) تفسير الطبري (٧/ ١٨٧).

(٦) هو عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير الأسدي، أخو عبد الله بن حمزة، روى عن جدة أَبيه أَسماءَ بنت أبي بكر، وأُختها عائشة أُم المؤمنين، وجابر بن عبد الله، وعنه ابن عمِّ أَبيه هشام بن عروة. ثقة، قال الزهري: كان سخياً سرياً. تهذيب التهذيب (٥/ ٩١).

(٧) تفسير الطبري (٧/ ١٨٨).

(٨) المصدر السابق.

(٩) من أحمد**٣**.

(١٠) أخرجه الطبري (٧/ ١٨٨)، وفي إسناده: عبد الرحمن بن شريك النخعي، ضعيف الحديث. انظر: ميزان الاعتدال (**٢/ ٥٦٩**).

النبي ﷺ قال للمسلمين يومَ بدر: «سَوِّموا، فإن الملائكةَ قد سوَّمَت»[١]، فهم على هذا مُسَوِّمون[٢].

وقال كثير من أهل التفسير: إن معنى ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ بكسر الواو؛ أي: هم قد سَوَّموا خيلَهم؛ أَي: أعطوها سَوْمَها من الجري والقتال والإِحضار فهي سائمة[٣]، ومنه سائمة الماشية؛ لأنها تركت وسومَها من الرعي.

وذكر المَهْدَوي هذا المعنى في ﴿مُسَوَّمين﴾ بفتح الواو؛ أي: أرسلوا وسومهم.

قال القاضي أبو محمد: وهو قلق، وقد قاله ابن فُورك أيضاً[٤].

قوله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾.

الضمير في: ﴿جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ عائد على الإِنزال والإِمداد/، والبشرى مصدر، واللام في: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ متعلقة بفعل مضمر يدل عليه ﴿جَعَلَهُ﴾. [١/ ٢٥٦]

ومعنى الآية: وما كان هذا الإِمداد إِلا لتستبشروا به، وتطمئن به قلوبكم، وتروا حفاية الله بكم، وإِلا فالكثرةُ لا تغني[٥] شيئاً إِلا أن ينصر الله.

وقوله: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ﴾ يريد للمؤمنين، وكذلك أيضاً هي الإِدالةُ للكفار من عند الله.

واللام في قوله: ﴿لِيَقْطَعَ﴾ متعلقة بقوله: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، وعلى

---

(١) أخرجه الطبري (٧/ ١٨٦)، من طريق عمير بن إسحاق، قال: فذكره، وهذا إسناد معضل.

(٢) تفسير الطبري (٧/ ١٨٥).

(٣) المصدر السابق (٧/ ١٨٤-١٨٩).

(٤) نقله عنهما تفسير القرطبي (٤/ ١٩٦)، وانظر: التحصيل (٢/ ١٢١)، والبحر المحيط (٤/ ١٩٦).

(٥) في المطبوع: «تعني».

هذا لا يكون قطع الطَّرَف مختصاً بيوم، اللهم إلا أن تكون الألف واللام في ﴿ٱلنَّصۡرُ﴾ للعهد، وقيل: العامل فيه ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ﴾، حكاه ابن فُورك[١].

وهو قلق؛ لأن قوله: ﴿أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ﴾ لا يترتب عليه.

وقد يحتمل أن تكون اللام في قوله: ﴿لِيَقۡطَعَ﴾ متعلقة بـ﴿جَعَلَهُ﴾، فيكون قطع الطَّرَفِ إشارةً إلى من قتل ببدر على ما قال الحسن وابن إسحاق، وغيرهما، أو إلى من قتل بأحد على ما قال السدّي[٢].

وقتل من المشركين ببدر سبعون، وقتل منهم يوم أحد اثنان وعشرون رجلاً، وقال السدي: قتل منهم ثمانية عشر[٣]، والأول أصح.

و«الطرف»: الفريق، ومتى قتل المسلمون كفاراً في حرب فقد قطعوا طَرَفاً؛ لأنه الذي وليهم من الكفار، فكأن جميع الكفار رقعةٌ، وهؤلاء المقتولون طرفٌ منها؛ أي: حاشيةٌ.

ويحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿لِيَقۡطَعَ طَرَفًا﴾ بمنزلة: لِيَقْطَعَ دابراً.

وقوله: ﴿أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ﴾ معناه: أو يخزيهم، و«الكبت»: الصرع لليدين، وقال النقاش وغيره: التاء بَدَلٌ من دال كَبَته، أصلها: كَبَده[٤]؛ أَي: فعل به ما يؤذي كَبِدَه، وإِذا نصر الله على أمة كافرة فلا بد من أحد هذين الوجهين، إِما أن يقتل منهم، وإما أن يخيبوا، فذلك نوع من الهزم.

وقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ توقيفٌ على أن الأمر كله لله، وهذا التوقيف يقتضي أنه كان بسبب من[٥] جهة النبي ﷺ.

---

(١) جزم به البيضاوي (١/ ٤١٦)، ونقله القرطبي (٤/ ١٩٨) وغيره بلا تعليق.

(٢) تفسير الطبري (٧/ ١٩٣).

(٣) المصدر السابق.

(٤) نقله الصالحي في سبل الهدى (١/ ٣٠٥).

(٥) في المطبوع: «كمن»، ولعله خطأ.

وروي في ذلك أنه لما هُزِمَ أصحابُهُ، وَشُجَّ في وجهه حتى دخلت بعضُ حَلَقِ الدرع في خده، وكسرت رباعيته، وارتثّ بالحجارة حتى صُرِعَ لجنبه، تحيز عن الملحمة، وجعل يمسحُ الدمَ من وجهه ويقول: «لا يفلحُ قومٌ فعلوا هذا بنبيِّهم»(١)، هكذا لفظ الحديث من طريق أنس بن مالك، وفي بعض الطرق: «وكيف يفلح؟»(٢)، وفي بعضها: أن سالماً مولى أبي حذيفة كان يغسل الدمَ عن وجه رسول الله ﷺ، وقال: فأفاق وهو يقول: «كيف بقومٍ فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله(٣)»؟ فنزلت الآية بسبب هذه المقالة.

قال القاضي أبو محمد: وكأن النبي ﷺ لحقه في تلك الحال يأسٌ من فلاح كفّار قريش، فمالت نفسه إِلى أَن يستأصلهم الله ويريحَ منهم، فروي أنه دعا عليهم، أو استأذن في أن يدعوَ عليهم(٤).

وروى ابن عمر وغيره: أنه دعا على أبي سفيان والحارث بن هشام(٥) وصفوان ابن أمية(٦) باللعنة(٧)، إلى غير هذا من معناه، فقيل له بسبب ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾؛ أي: عواقب الأمور بيد الله، فامضِ أنت لشأنك، ودمْ على الدعاءِ إلى ربك.

قال الطبري وغيره من المفسرين: قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ عطف على ﴿يَكْبِتَهُمْ﴾(٨).

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ الطبري (٢/ ١٩٦) بإسناد فيه يحيى بن طلحة اليربوعي، وهو ضعيف الحديث، انظر: ميزان الاعتدال (٤/ ٣٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٩١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه به.

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٧٨١)، من طريق قتادة، قال....فذكره. وهذا إسناد ضعيف؛ لإعضاله.

(٤) أخرجه البخاري (٣٨٤٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما به.

(٥) هو الحارث بن هشام بن المغيرة، القرشي، المخزومي أَخو أَبي جهل، شهد بدراً مع المشركين، وكان فيمن انهزم، واعتذر بأَبيات قيل: إنها أَحسن ما قيل في ذلك، أَسلم يوم الفتح وحسن إِسلامه، توفي في طاعون عَمْواس، وقيل: استشهد في اليرموك. الإصابة (١/ ٦٩٧).

(٦) صفوان بن أُمية بن خلف، أَبو وهب الجمحي، كان إِليه أَمر الأَزلام في الجاهلية، فر يوم فتح مكة وأَسلمت امرأَته، فأَحضر له ابن عمه عمير بن وهب أَماناً من النبي ﷺ فحضر، وحضر وقعة حنين قبل أَن يسلم، ثم أَسلم. الإصابة (٣/ ٣٤٩).

(٧) هو جزء من الحديث السابق ذكره عند البخاري (٣٨٤٢) من رواية ابن عمر رضي الله عنهما.

(٨) تفسير الطبري (٧/ ١٩٤).

قال القاضي أبو محمد: فقوله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ اعتراض أثناء الكلام، وقوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ﴾ معناه: فيسلمون، وقوله: ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ معناه: في الآخرة بأن يوافوا على الكفر.

قال الطبري وغيره: ويحتمل أن يكون قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ﴾ بمعنى حتى يتوب، أو إلى أن يتوب[(١)]، فيجيء بمنزلة قولك: لا أفارقك أو تقضيَني حقِّي، وكما تقول: لا يتم هذا الأمر أو يجيءَ فلان.

وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ ليس باعتراض على هذا التأويل، وإنما المعنى الإِخبار لمحمد عليه السلام أَنه ليس يتحصل له من أمر هؤلاء الكفار شيء يؤمله إلا أن يتوب الله عليهم فيسلمون، فيرى محمد عليه السلام أحدَ أَمَلَيْه فيهم، أو يعذّبهم الله بقتلٍ في الدنيا، أو بنارٍ في الآخرة أو بهما، فيرى محمد ﷺ الأملَ الآخر.

وعلى هذا التأويل فليس في قوله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ ردعٌ كما هو في التأويل الأول، وذلك التأويلُ الأول أقوى.

وقرأ أُبي بن كعب: (أَوْ يَتُوبُ)، (أَوْ يُعَذِّبُهم) برفع الباء فيهما[(٢)]، المعنى: أو هو يتوبُ.

ثم قرر تعالى ظلم هؤلاء الكفار، ثم أكد معنى قوله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ بالقول العام، وذكر الحجة الساطعة في ذلك وهي ملكُهُ الأشياءَ؛ إذ ذلك مقتضٍ أن يفعل بحقّ ملكه ما شاء، لا اعتراضَ عليه ولا معقِّبَ لحكمه.

وذكر أن الغفران والتعذيب[(٣)] إنما هو بمشيئته، وحسب السابق في علمه.

ثم رجَّى في آخر ذلك تأنيساً للنفوس وجلباً لها إلى طاعته، وذلك كله في قوله

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ١٩٤).

(٢) وهي قراءة شاذة. انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٣٨).

(٣) ليست في الأصل.

تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾.

و﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ إشارةٌ إلى جملة العالم، فلذلك حسنت ﴿مَا﴾، وما ذكر في هذه الآية من أنها ناسخةٌ لدعاء النبي ﷺ على المشركين كلامٌ ضعيف كله، وليس هذا من مواضع الناسخ والمنسوخ.

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةًۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾.

هذا النهي عن أكل الربا اعتراضٌ أثناءَ قصةِ أحد، ولا أحفظ سبباً[(١)] في ذلك مرويّاً.

و﴿ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾: الزيادة، وقد تقدَّم ذكر مثل هذه الآية وأحكام الربا في (سورة البقرة)[(٢)].

وقوله: ﴿أَضْعَٰفًا﴾ نصب في موضع الحال، ومعناه: الربا الذي كانت العرب تضعف فيه الدَّيْنَ، فكان الطالب يقول: أَتَقضِي أم تُرْبِي؟.

وقوله: ﴿مُّضَٰعَفَةً﴾ إِشارة إِلى تكرار التضعيف عاماً بعد عام كما كانوا يصنعون، فدلت هذه العبارة المؤكدة على شنعة فعلهم وقبحه، ولذلك ذكرت حال التضعيف / [١/ ٢٥٧] خاصة.

وقد حرم الله جميع أنواع الربا، فهذا هو مفهومُ الخطاب؛ إذ المسكوتُ عنه من الربا في حكم المذكور، وأيضاً فإِن الربا يدخل جميع أَنواعه التضعيفُ والزيادةُ على وجوهٍ مختلفة من العين[(٣)]، أو من التأخير، ونحوه.

والنار في قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾ هي اسم الجنس، ويحتمل أن تكون للعهد.

(١) في نور العثمانية: «شيئا»، وفي الأصل والمطبوع: «اعترض»، بدل «اعتراض».

(٢) انظر: تفسير الآية (٢٧٦) من سورة البقرة، وما بعدها.

(٣) العين والعينة: ضرب من ضروب الربا، يتم بالحيلة الكلامية.

ثم ذكر أنها أعدت للكافرين؛ أي: أنهم هم المقصود والمراد الأول، وقد يدخلها سواهم من العصاة، فشنَّع أمر النار بذكر الكفر، وحسَّنَ للمؤمن أن يحذرَهَا، ويبعدَ بطاعة الله عنها، وهذا كما قال في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: إنهم هم المقصود، وإن كان يدخلها غيرهم من صبي ومجنون ونحوه ممن لا يكلف ولا يوصف بتقوى، هذا مذهبُ أهل العلم في هذه الآية.

وحكى الماوردي وغيره عن قوم: أنهم ذهبوا إلى ان أَكَلَةَ الربا إنما توعدهم الله بنار الكفرة[١]؛ إذ النار سبع طبقات، العليا منها وهي جهنم للعصاة، والخمس للكفار، والدَّرْك الأسفل للمنافقين، قالوا: فأكلة الربا إنما يعذَّبون يومَ القيامة بنارِ الكَفَرة، لا بنار العصاة، وبذلك توعدوا، فالألف واللام على هذا في قوله: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ﴾ إنما هي للعهد.

ثم أمر بطاعته وطاعة رسوله، والطاعة هي موافقة الأمر الجاري عند المأمور مع مراد الآمر، وقال رسول الله ﷺ: «مَن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، من أطاع الأَمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني»[٢].

وقال محمد بن إِسحاق: إِن هذه الآية من قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾ هي ابتداء المعاتبة في أمر أحد، وانهزام من فر، وزوال الرماة عن مراكزهم[٣].

قوله عز وجل: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾.

---

(١) النكت والعيون (١/ ٤٢٤): واختلفوا في نار آكل الربا على قولين: أحدهما أنها كنار الكافرين من غير فرق تمسكاً بالظاهر.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧٩٧) ومسلم (١٨٣٥) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه به

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٢٠٦ - ٢٠٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٦١)، وسيرة ابن هشام (٣/ ١١٥).

قرأ نافع وابن عامر: ﴿سارِعوا﴾ بغير واو، وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة وأهل الشام، وقرأ باقي السبعة بالواو[١].

قال أَبو علي: كلا الأمرين سائغ[٢] مستقيم، فمن قرأ بالواو فلأنه عطف الجملة على الجملة، ومن ترك الواو فلأن الجملة الثانية ملتبسةٌ بالأولى مستغنيةٌ بذلك عن العطف بالواو[٣].

وأمال الكسائيُّ الألف من قوله: ﴿سارِعوا﴾ ومن قوله: ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [آل عمران: ١١٤]، و﴿نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥٦]، في كل ذلك[٤]؛ قال أبو علي: والإِمالة هنا حسنة؛ لوقوع الراء المكسورة بعدها[٥].

و«المسارعة»: المبادرة، وهي مفاعلة؛ إذ الناس كأنّ كلّ واحدٍ يسرع ليصل قبل غيره، فبينهم في ذلك مفاعلة، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقوله: ﴿إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ﴾ معناه: سارعوا بالتقوى والطاعة والتقرب إلى ربكم إلى حال يغفر الله لكم فيها، أي: يستر ذنوبكم بعفوه عنها، وإزالة حكمها، ويدخلكم جنته.

قال أنس بن مالك ومكحول في تفسير ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ﴾: معناه: إلى تكبيرة الإِحرام مع الإِمام[٦].

---

(١) وهي قراءة متواترة. انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢١٦)، والتيسير للداني (ص: ٩٠)، وكتاب المصاحف (١/ ١٤٤و ١٤٨).
(٢) وفي المطبوع: «شائع».
(٣) في الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٧٨).
(٤) وهي رواية الدوري عنه، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢١٦).
(٥) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٧٨).
(٦) أخرجه ابن المنذر (٩٢١)، بإسناد فيه عثمان بن مطر الشيباني، وهو متفق على تضعيفه. انظر تهذيب الكمال (١٩/ ٤٩٤).

قال القاضي أبو محمد: وهذا مثال[١] حسَنٌ يحتذى عليه في كلِّ طاعة.

وقوله تعالى: ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ تقديره: كعرض السماوات والأرض، وهذا كقوله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]؛ أي: كخلقِ نفس واحدة وبعثِها، فجاء هذا الاقتضاب المفهوم الفصيح، ومنه قول الشاعر:

حَسِبتَ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقاً وَمَا هِي وَيْبَ غَيْرِكَ بالعَنَاقِ[٢] [الوافر]

ومنه قول الآخر:

كأَنَّ غديرَهُمْ بِجَنوب سِلَّى نَعَامٌ قَاقَ فِي بَلَدٍ قِفَارِ[٣] [الوافر]

التقدير: صوتَ عَنَاقٍ، وغديرُ نعامٍ.

وأما معنى قوله تعالى: ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ فاختلف العلماء في ذلك على ثلاثة مذاهب، فروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: تُقْرَنُ السماوات والأرضون بعضها ببعض كما يبسط الثوب[٤]، فذلك عرض الجنة، ولا يعلم طولها إلا الله.

قال القاضي أبو محمد: وفي الحديث عن النبي ﷺ: «إن بين المصراعين من أبواب الجنة مسيرةَ أربعين سنة، وسيأتي عليها يوم يزدحم الناسُ فيها كما تزدحمُ الإِبلُ

---

(١) وفي المطبوع: «مقال».

(٢) البيت لذي الخرق الطهوي، نسبه له أبو زيد في النوادر (ص: ١١٦)، والطبري (٣/ ٣٣٩)، وقد وقع في الأصل: «نعام»، و«ريب غيرك».

(٣) البيت للنابغة الجعدي كما في الكتاب لسيبويه (١/ ٢١٣)، وابن سيده في المحكم (٦/ ٤٦٥)، وابن الزبير الغرناطي في ملاك التأويل (١/ ١٢٣)، ونسبه في معجم البلدان (٣/ ٢٣٢) لشقيق بن جزء الباهلي.

(٤) أخرجه الطبري (٧/ ٢٠٧)، من طريق أسباط، عن السدي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به. وهذا إسناد ضعيف؛ لانقطاعه، فالسدي لم يدرك ابن عباس، وكذلك فيه أسباط، وهو ابن نصر، ضعيف الحديث.

إِذا وردت خُمْصاً ظِماءً»(١)، وفي الحديث عنه ﷺ: «إن في الجنة شجرةً يسير الراكبُ المجِدُّ في ظلها مئةَ عام لا يقطعها»(٢).

فهذا كله يقوي قولَ ابن عباس، وهو قول الجمهور: إنّ الجنةَ أكبرُ من هذه المخلوقات المذكورة، وهي ممتدَّةٌ عن السماء حيث شاء الله تعالى، وذلك لا يُنْكَر، فإِن في حديث النبي عليه السلام: «ما السماوات السبع والأرضون السبع في الكرسيّ إلا كدراهم ألقيت في فلاة من الأَرض، [وما الكرسيُّ في العرش إلا كحلقةٍ من حديد في فلاة من الأرض] »(٣).

قال القاضي أبو محمد: فهذه مخلوقات أعظم بكثير جداً من السماوات والأرض، وقدرة الله تعالى أعظم من ذلك كله.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٩٦٧)، من حديث عتبة بن غزوان، رضي الله عنه، وفيه أنه قال: «ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة»، ولم يرفعه إلى رسول الله ﷺ، وأما ما ورد مرفوعاً، فهو من رواية الإمام أحمد (٢٠٠٢٥)، وعبد بن حميد (٤١١ ـ المنتخب) عن الحسن بن موسى الأشيب، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: سمعت الجريري يحدث عن حكيم بن معاوية، عن أبيه رضي الله عنه، مرفوعاً به، وحماد بن سلمة سمع من سعيد بن إياس الجريري قبل اختلاطه، وتقع روايته عنه عند مسلم في صحيحه، انظر: الكواكب النيرات (٢٤)، وتهذيب الكمال (١٠/ ٣٣٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٢٨)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) لا يصح، أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٧٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وفي سنده: إبراهيم ابن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني، قال أبو زرعة: كذاب، انظر: الجرح (٢/ ١٤٢)، وأخرجه ابن مردويه في تفسيره كما في البداية لابن كثير (١/ ١٣)، من حديث أبي ذر أيضاً، وفي سنده: القاسم بن محمد الثقفي، فيه جهالة، وقد أورده الإمام الذهبي في الميزان (٣/ ٣٧٩).
وأخرجه الطبري من طريق: ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قال ابن زيد: فحدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس» قال: وقال أبو ذر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض»، وابن زيد المذكور هو عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم، وهو ضعيف، والإسناد منقطع بينه أو بين أبيه زيد وبين أبي ذر.
وما بين القوسين ليس في الأصل، وقوله: «من حديد»، ليس في المطبوع.

وروى يعلى بن أبي مرة[١]: قال: لقيت التَّنُوخيَّ رسولَ هرقلَ إلى رسول الله ﷺ بحمصَ[٢]، شيخاً كبيراً قد فند[٣]، فقال: قدمت على النبي ﷺ بكتاب هرقل، فناول الصحيفة رجلاً عن يساره، فقلت: مَن صاحبكم الذي يقرأ؟ قالوا: معاوية، فإذا كتاب هرقل: إنك كتبت إليَّ تدعوني إلى جنّةٍ عرضُها السماوات والأرض أُعِدَّتْ للمتقين، فأين النار؟ فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله، فأين الليلُ إذا جاء النهارا؟»[٤].

وروى قيس بن مسلم[٥]، عن طارق بن شهاب[٦] قال: جاء رجلان من اليهود من نجران إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال أحدهما: تقولون جنة عرضها السماوات والأرض، أين تكون النار؟ فقال عمر رضي الله عنه: أرأيت النهار إذا / جاء [١/ ٢٥٨] أين يكون [الليل؟ والليل إذا جاء أين يكون][٧] النهار؟ فقال اليهودي: إِنه لمثلها في التوراة، فقال له صاحبه: لم أخبرته؟ دعه إِنه بكلٍّ موقن[٨].

---

(١) كذا في أكثر النسخ، ولعل الصواب: بن مرة، وهو كما في الإصابة (٦/ ٥٤٠): يعلى بن مرة الثقفي أَبو المرازم، من أَفاضل الصحابة، رَوَى عن النَّبيِّ ﷺ أحاديث، وروى عنه ابناه، وراشد بن سعد، وآخرون، وأَمَرَهُ ﷺ بأَن يقطع أعناب ثقيف فقطعها.

(٢) تصحفت في الأصل إلى: «بمحص».

(٣) الفند: الخرف وإنكار العقل من الهرم أو المرض، وقد يُستعمل في غير الكبر.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٥٦٥٥)، من طريق سعيد بن أبي راشد، عن التنوخي رسول هرقل، ولم أجده من رواية يعلى بن أبي مرة، كما أورده المصنف هاهنا، وسعيد بن أبي راشد فيه جهالة، فلم يوثقه إلا ابن حبان (٤/ ٢٩٠).

(٥) هو قيس بن مسلم الجدلي العدواني، أَبو عمر الكوفي، من قيس عيلان، رَوَى عن طارق بن شهاب، والحسن بن محمد ابن الحنفية، ومجاهد، وغيرهم وروى عنه الأَعمش، وشعبة، والثوري، ومسعر، وآخرون، ثقة، وكان مرجئاً. انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٤٠٣).

(٦) طارق بن شهاب بن عبد شمس البجلي، أَبو عبد الله، رأى النبيَّ ﷺ، روى عنه مرسلاً، وعن الخلفاء الأربعة وغيرهم، وروى عنه إِسماعيل بن أبي خالد، وقيس بن مسلم، وجماعة، توفي سنة (٨٢هـ). تهذيب التهذيب (٥/ ٣)، وفي الأصل: «طاووس»، بدل «طارق».

(٧) ليس في نور العثمانية.

(٨) أخرجه الطبري (٧/ ٢١٢)، من طريق جعفر بن عون، قال: أخبرنا الأعمش، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب به، وهذا إسناد صحيح لو سلم من تدليس الأعمش.

قال القاضي أبو محمد: فهذه الآثار كلها هي في طريق واحد، من أن قدرة الله تتسع لهذا كله، وخصَّ العرضَ بالذكر؛ لأنه يدل متى ذُكِرَ على الطول، والطول إذا ذكر لا يدلُّ على قَدْرِ العَرض، بل قد يكونُ الطويل يسيرَ العرض كالخيط ونحوه، ومن ذلك قول العرب: بلاد عريضة، وفلاة عريضة.

وقال قوم: قوله تعالى: ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ معناه: كعرض السماوات والأرض، كما هي طباقاً، لا بأن تقرن كبسط الثياب، فالجنة في السماء، وعرضُها كعرضها، وعرضِ كل[1] ما وراءها من الأرضين إلى السابعة، وهذه الدلالة على العظم أغنت عن ذكر الطول.

وقال قوم: الكلام جارٍ على مقطع العرب من الاستعارة[2]، فلما كانت الجنة من الاتساع والانفساح في غاية قصوى، حسنت العبارةُ عنها بعرضها السماوات والأرض، كما تقول لرجل: هذا بحرٌ، ولشخص كبيرٍ من الحيوان: هذا جَبَلٌ، ولم تقصد الآيةُ تحديدَ العَرض.

قال القاضي أبو محمد: وجلب مكي هذا القول غير ملخص، وأدخل حجة عليه قول العرب: أرض عريضة، وليس قولهم: أرض عريضة مثل قوله: ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ إلا في دلالة ذكر العرض على الطول فقط، وكذلك فعل النقاش[3].

وروي: أن النبي ﷺ قال للفارِّين يوم أحد: «لقد ذهبتم فيها عريضة»[4].

وقال ابن فُورك: الجنة في السماء، ويزاد فيها يوم القيامة[5].

---

(١) زيادة من أحمد٣ ونور العثمانية، ولالاليه.

(٢) القولان في الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/ ١١٢٧)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٧٦).

(٣) انظر قول مكي في: الهداية (٢/ ١١٢٧)، وأما قول النقاش فلم أجد من نقله عنه.

(٤) أخرجه الطبري (٧/ ٣٢٩)، من طريق ابن إسحاق به معضلاً.

(٥) البحر المحيط (٣/ ٣٤٦).

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا متعلَّق لمنذر بن سعيد وغيره ممن قال: إن الجنة لم تُخلَق بعدُ، وكذلك النار[١]، وهو قول ضعيف، وجمهور العلماء على أنهما قد خلقتا، وهو ظاهر كتاب الله تعالى في قوله: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾، و﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، وغير ذلك؛ وهو نص في الأحاديث كحديث الإِسراء، وغيره مما يقتضي أَن ثَمَّ جنة قد خُلِقت[٢].

وأما من يقول: إنه يزاد فيهما فلا ترِد عليه الأحاديث، لكنه يحتاج إلى سند يقطع العذر.

و﴿أُعِدَّتۡ﴾ معناه: يُسِّرت، وانتُظِروا بها.

ثم وصف تعالى المتقين الذين أعدت لهم الجنة بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ الآية، وظاهر هذه الآية أنها مدحٌ لفعل المندوب إليه.

قال ابن عباس رضي الله عنه: ﴿فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ معناه: في العسر واليسر[٣].

قال القاضي أبو محمد: إذ الأغلب أن مع اليسر النشاط وسرور النفس، ومع العسر الكراهية وضر النفس.

و«كظم الغيظ»: ردُّهُ في الجوف إذا كاد أن يخرج من كثرته، فضبطه ومنْعه كَظْمٌ له، والكِظَامُ: السَّير الذي يُسدّ[٤] به فمُ الزِّقّ والقِرْبة، وكظم البعير جِرَّتَهُ: إذا ردَّها في

---

(١) البحر المحيط (٣/ ٣٤٦).

(٢) أما حديث الإسراء، فأخرجه البخاري (٤١٦٤)، ومسلم (٢٦٣) في صحيحيهما من حديث أبي ذر، رضي الله عنه. وأما غير حديث الإسراء، فمثل ما أخرجه مسلم في صحيحه (١٩١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «رأيتُ رجلاً يتقلَّب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس».

(٣) أخرجه الطبري (٧/ ٢١٤)، بإسناد فيه عطية بن سعد العوفي، وهو ضعيف مدلس، وقد عنعنه.

(٤) في الحمزوية والمطبوع ونور العثمانية ولالاليه: «يشد»، وفي الأصل: «الشيء» بدل «السير».

جوفه، وقد يقال لحبسه[١] الجِرَّةَ قبل أن يرسلها إلى فيه: كَظْمٌ، حكاه الزجاج، فقال: كظم البعير والناقة إذا لم يجترَّا[٢]، ومنه قول الراعي:

[الكامل] فَـأَفَضْـنَ بَعْـدَ كُـظُومِـهِـنَّ بِـجِـرَّةٍ مِـنْ ذِي الأَبَاطِحِ إِذْ رَعَيْنَ حَقِيلا[٣]

والغيظ: أصل الغضب، وكثيراً ما يتلازمان، ولذلك فسر بعض الناسِ الغيظَ بالغضب، وليس تحريرُ الأمرِ كذلك، بل الغيظ حال للناس[٤] لا يظهر على الجوارح، والغضب حالٌ لها معه ظهور في الجوارح وفِعلٌ ما ولا بد، ولهذا جاز إسناد الغضب إلى الله تعالى؛ إذ هو عبارة عن أفعاله في المغضوب عليهم، ولا يُسْندُ إليه تعالى غيظ، وخلط ابن فورك في هذه اللفظة[٥].

ووردت في كظم الغيظ وَملْكِ النفس عند الغضب أحاديث، وذلك من أعظم العبادة وجهاد النفس، ومنه قوله عليه السلام: «ليس الشديد بالصُّرَعَةِ، إنما الشديدُ الذي يملكُ نفسه عند الغضب»[٦]، ومنه قول النبي عليه السلام: «ما من جرعة يتجرعها العبد خيرٌ له وأعظم أجراً من جرعة غيظٍ في الله»[٧]، وروى أَبو هريرة: أن النبي عليه

---

(١) في الأصل: «لحبسة».

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٦٩).

(٣) البيت للراعي النميري كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ٧٣٣)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٧٢)، وتفسير الثعلبي (٢/ ١٠٩)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٦٥)، وأَفاض البعير: دفع جرته من كرشته، وكظَم كظوماً: أَمْسك عن الجرة.

(٤) في الحمزوية والسليمانية ولالاليه: «فعل للناس»، وفي المطبوع ونور العثمانية وفيض الله وأحمد٣: «فعل النفس».

(٥) لم أقف على كلامه هذا في شيء من المصادر المتوفرة.

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٢٦٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) أخرجه أحمد (٣٠١٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفي سنده نوح بن جعونة السلمي، أورده الإمام الذهبي في الميزان (٤/ ٢٧٥)، وقال بعد أن أورد حديثه هذا مستنكراً إياه عليه: (أجوز أن يكون نوح بن أبي مريم)، قلت: ونوح هذا كذاب، انظر: ميزان الاعتدال (٤/ ٢٧٩).

السلام قال: «مَن كظم غيظاً وهو يقدرُ[١] على إِنفاذه ملَأه اللهُ أمناً وإِيماناً»[٢].

والعفو عن الناس من أجلِّ[٣] ضروب فعلِ الخير، وهذا حيث يجوز للإنسان أن لا يعفو[٤]، وحيث يتجه حقه، وقال أبو العالية: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ يريد عن المماليك[٥].

قال القاضي أبو محمد: وهذا حسن على جهة المثال، إذ هم الخدمة، فهم المذنبون كثيراً، والقدرة عليهم متيسِّرة، وإِنفاذُ العقوبةِ سهلٌ، فلذلك مَثَّلَ[٦] هذا المفسر به.

وذكر تعالى بعد ذلك أنه يحب المحسنين، فعم هذه الوجوه وسواها من البر، وهذا يدل[٧] على أن الآية في المندوب إليه، ألا ترى إلى سؤال جبريل عليه السلام فقال: ما الإِيمان؟ ثم قال: ما الإِسلام؟ فذكر له رسول الله ﷺ المفروضات، ثم قال له: ما الإِحسان؟ قال: «أن تعبدَ الله كأنَّك تراه»[٨] الحديث.

قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾.

ذكر الله تعالى في هذه الآية صنفاً دون الصنف الأول، فألحقهم بهم برحمته ومنِّه، فهؤلاء هم التوابون.

وروي في سبب هاتين الآيتين: أن الصحابة قالوا: يا رسول الله، كانت بنو اسرائيل

(١) في الأصل: «وهو قادر».
(٢) أخرجه الطبري (٧/ ٢١٦) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، وفي إسناده من لم يُسم.
(٣) في الأصل: «من أفضل».
(٤) في فيض الله: «أن يعفو».
(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٦٣).
(٦) في الأصل: «فسر».
(٧) في الحمزوية والمطبوع ولالاليه: «يدلك».
(٨) أخرجه مسلم (٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

[١/ ٢٥٩] أكرمَ على الله منا حين كان / المذنبُ منهم يصبح وعقوبته مكتوبةٌ على باب داره، فأنزل الله هذه الآية توسعةً ورحمةً وعوضاً من ذلك الفعل ببني إسرائيل(١).

وروي: أن إبليس بكى حين نزلت هذه الآية(٢).

وروى أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من عبد يذنب ذنباً، ثم يقوم فيتطهَّر ويصلِّي ركعتين ويستغفر إلا غفر له»(٣).

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ عطف جملة ناس على جملة أخرى، وليس (الذين) بنعت كُرِّر معه واو العطف؛ لأن تلك الطبقة الأولى تنزه عن الوقوع في الفواحش.

و«الفاحشة» هنا: صفة لمحذوف أقيمت الصفة مقامه، التقدير: فعلوا فعلة(٤) فاحشة، وهو لفظ يعم جميع المعاصي، وقد كثر اختصاصه [بالزنى، حتى فسر السدي هذه الآية بالزنا](٥).

---

(١) مرسل، أخرجه الطبري (٧/ ٢١٩)، من طريق عطاء بن أبي رباح عن رسول الله ﷺ به.

(٢) معضل، أخرجه الطبري (٧/ ٢٢٠)، من طريق ثابت البناني قال: بلغني أن إبليس...فذكره.

(٣) أخرجه أبو داود (١٥١٦)، والنسائي في الكبرى (٦/ ١٠٩)، والترمذي (٤٠٨)، وابن ماجه (١٣٩٥)، وابن حبان (٢/ ٣٨٩)، كلهم من طريق عثمان بن المغيرة الثقفي، عن علي بن ربيعة الوالبي، عن أسماء بن الحكم، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه به. وفيه قول علي: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً ينفعني الله بما شاء أن ينفعني، وإن حدثني غيري استحلفته، قال الترمذي: حديث علي حديث حسن لانعرفه إلا من هذا الوجه من حديث عثمان بن المغيرة. اهـ وقد تفرد به عثمان بن المغيرة، عن علي بن ربيعة عنه.
وقد اختلف في إسناده اختلافاً كثيراً، ساقه الدارقطني في العلل (١/ ١٧٦)، ورجح سياق الرواية التي سقناها آنفاً، وأسماء الفزاري إنما يعرف بهذا الحديث، ولم يوثق، وقد استنكره البخاري وقال: لا يتابع عليه أسماء، يعني في قضية الاستحلاف، ينظر ضعفاء العقيلي (١/ ١٠٧)، وأخرجه الطبري (٧/ ٢٢٢)، بإسناد آخر من حديث أبي بكر الصديق، رضي الله عنه أيضاً، وفي سنده: عبد الله بن سعيد المقبري، متفق على تركه ووهنه، انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٤٢٩).

(٤) في الأصل: «فعل».

(٥) تفسير الطبري (٧/ ٢١٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٦٤)، وما بين القوسين، ليس في الأصل. و استدركناه من النسخ الأخرى.

وقال جابر بن عبد الله لما قرأها: زنى القوم وربِّ الكعبة[١].

وقال إِبراهيم النَّخَعي: الفاحشة من الظلم، والظلم من الفاحشة[٢].

وقال قوم: الفاحشة في هذه الآية إشارة إلى الكبائر، وظلم النفس إشارة إلى الصغائر[٣].

و﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ معناه: بالخوف من عقابه، والحياء منه؛ [إذ هو المنعم المتطوِّل][٤]؛ ومن هذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: رحم الله صُهيباً، لو لم يخَفِ اللهَ لم يعصِه[٥].

و(استغفروا) معناه: طلبوا الغفران، واللام معناها: لأجل ذنوبهم، ثم اعترض أثناء الكلام قوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، اعتراضاً مرققاً للنفس، داعياً إلى الله، مرجياً في عفوه إذا رجع إليه[٦].

وجاء اسم الله مرفوعاً بعد الاستثناء والكلام موجَب حملاً على المعنى؛ إذ هو بمعنى: وما يغفرُ الذنوبَ إلا اللهُ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ﴾ «الإِصرار» معناه: اعتزام الدوام على الأمر، وترك الإِقلاع عنه، ومنه صرُّ الدنانير؛ أي: الربطُ عليها، ومنه قول أبي السمال قعنب العدوي:

(١) أخرجه الطبري (٧/ ٢١٨)، من طريق ثابت البناني، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. وثابت البناني يرسل، ولم أجد من نص على روايته عن جابر بن عبد الله، والله أعلم.

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٢١٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٦٤)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٣٨٥).

(٣) النكت والعيون للماوردي (١/ ٤٢٤).

(٤) ليس في الأصل، وفي المطبوع: «المتفضل»، بدلاً من «المتطول».

(٥) لم أقف له على إسناد، وقد أورده عدد من الحفاظ في مصنفاتهم، وذكروا أنهم لم يقفوا له على سند، منهم الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى، قال السخاوي في المقاصد الحسنة (١٢٥٩): ثم رأيت بخط شيخنا أنه ظفر به في مشكل الحديث لأبي محمد بن قتيبة، لكن لم يذكر له ابن قتيبة إسناداً.

(٦) من الحمزوية والمطبوع.

علم الله أنها مني صِرِّي[١]، يريد: عزيمةً، فالإصرارُ اعتزام البقاء على الذنب، ومنه قول النبي عليه السلام: «لا توبةَ مع إِصرارٍ»[٢]، وقال أَيضاً: «ما أصرَّ مَن استغفرَ»[٣].

واختلفت عبارة المفسرين في الإِصرار:

فقال قتادة: هو الذي يمضي قدماً في الذنب لا تنهاه مخافةُ الله[٤].

وقال الحسن: إِتيان العبد الذنب هو الإِصرار حتى يتوب[٥].

وقال مجاهد: (لَمْ يُصِرُّوا) معناه: لم يمضوا[٦].

وقال السدي: الإِصرار: هو ترك الاستغفار، والسكوت عنه مع الذنب[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال السدي: معناه: وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا[٨].

وقال ابن إِسحاق: معناه: وهم يعلمون بما حرمت عليهم[٩]، وقال آخرون:

---

(١) الأمالي في لغة العرب للقالي (١/ ١٩٩)، قاله لما ضلَّت ناقته، فحلف لا يصلي حتى يجدها.

(٢) لم أقف على المرفوع مسنداً، ولكن ورد موقوفاً عن ابن عباس، وبلفظ: «ولا صغيرة مع إصرارٍ»، أخرجه الطبري (٨/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم (٥٢١٧) من طريق شبل بن عباد المكي، عن قيس بن سعد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به. وهذا إسناد صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود (١٥٠٩)، والترمذي (٣٨٧٥)، وغيرهما من طريق أبي نصيرة، عن مولى لأبي بكر، عن أبي بكر رضي الله عنه مرفوعاً به. قال الترمذي: هذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث أبي نصيرة، وليس إسناده بالقوي. قلت: إسناده ضعيف؛ لإبهام راويه عن أبي بكر رضي الله عنه.

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٢٢٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٦٦)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٣٨٨).

(٥) تفسير الطبري (٧/ ٢٢٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٦٦)، وفي المطبوع والأصل: «حتى يموت».

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٦٦)، وفي تفسير الطبري (٧/ ٢٢٤) بلفظ: «لم يواقعوا»، وفي تفسير ابن المنذر (١/ ٣٨٧): «لم يقيموا».

(٧) تفسير الطبري (٧/ ٢٢٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٦٦).

(٨) تفسير الطبري (٧/ ٢٢٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٦٧).

(٩) تفسير الطبري (٧/ ٢٢٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٦٧)، وهو عندهما بلفظ: «يعلمون ما حرمت عليهم من عبادة غيري».

معناه: وهم يعلمون أن باب التوبة مفتوح لهم[1]، وقيل: المعنى: وهم يعلمون أَني أعاقب على الإِصرار.

ثم شرك تعالى الطائفتين المذكورتين في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم...﴾ الآية، وهذه الآية تؤذن بأن الله تعالى أوجب على نفسه بهذا الخبر الصادق قبولَ توبة التائب، وليس يجبُ عليه تعالى من جهة العقل شيء، بل هو بحكم الملك لا معقِّبَ لأمره.

وقوله: ﴿وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ بمنزلة قوله: ونعم الأجر؛ لأن (نعم) و(بئس) تطلب الأجناس المعرَّفة، أو ما أضيف إليها، وليست هذه الآية بمنزلة قوله تعالى: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ﴾ [الأعراف: ١٧٧]؛ لأن المثل هنا أضيف إلى معهود، لا إلى جنس، فلذلك قدَّرَهُ أبو علي: ساء المثَلُ مثلُ القوم، ويحتمل أن يكون (مثل القوم) مرتفعاً بـ(ساءَ)، ولا يضمر شيء[2].

قوله عز وجل: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥ...﴾.

الخطاب بقوله تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ﴾ للمؤمنين، والمعنى: لا يذهب بكم أَن ظهر الكفار المكذبون عليكم بأُحد، فإِن العاقبة للمتقين، وقديماً أدال الله المكذبين على المؤمنين، ولكن انظروا كيف هلك المكذبون بعد ذلك، فكذلك تكون عاقبة هؤلاء.

وقال النقَّاش: الخطاب بعد ﴿قَدۡ خَلَتۡ﴾ للكفار[3].

قال القاضي أبو محمد: وذلك قلق.

و ﴿خَلَتۡ﴾ معناه: مضت وسلفت.

---

(١) جاء بمعناه في تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٦٧)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٨٠) عن عبد الله بن عبيد بن عمير.

(٢) لم أقف عليه، وقد نقله عنه القرطبي في تفسيره (٧/ ٣٢٤) بلفظ: ساء مثلاً مثلُ القوم، والمعروف أن هذا قول الأخفش والزجاج.

(٣) البحر المحيط (٣/ ٦٦)، وتفسير الثعالبي (١/ ٣١٤).

قال الزجاج: التقدير: أهلُ سُنَنٍ[١]، و«السنن»: الطرائق من السير والشرائع والملك والفتن ونحو ذلك، وسنة الإِنسان: الشيء الذي يعمله ويواليه، ومن ذلك قول خالد الهذلي لأبي ذؤيب:

[الطويل] فَلَا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا ... فَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا[٢]

وقال سليمان ابن قتة[٣]:

[الطويل] وَإِنَّ الأُلَى بِالطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... تَأَسَّوْا فَسَنُّوا لِلْكِرَامِ التَّآسِيَا[٤]

وقال لبيد:

[الكامل] مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ ... وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمامُهَا[٥]

وقال ابن زيد: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾؛ معناه: أمثالٌ[٦].

قال القاضي أبو محمد: وهذا تفسير لا يخص اللفظة.

وقال تعالى: ﴿فَسِيرُواْ﴾ وهذا الأَمر قد يدرك[٧] بالإخبار دون السَّير؛ لأن

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٧٠).

(٢) البيت لخالد بن زهير الهذلي ابن أخت أبي ذؤيب كما في إيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٢٤٢)، وجمهرة اللغة (٢/ ٧٢٤)، والشعر والشعراء (٢/ ٦٤٠)، والأغاني (٦/ ٢٩١)، وديوان المعاني (١/ ١٥٨)، والصحاح للجوهري (٢/ ٦٩١)، وترجمته في الإصابة (٢/ ٢٩٧).

(٣) في الأصل: سليمان بن قتيبة، وهو تصحيف، هو سليمان بن قتة، منسوب إِلى أُمه، وكان شاعراً يحمل عنه الحديث، وهو مولى لتيم قريش. انظر: الثقات لابن حبان (٤/ ٣١١)، وغاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٣١٤).

(٤) انظر عزوه له في: تفسير الطبري (٧/ ٢٣١)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١٧١)، وأنساب الأشراف للبلاذري (٧/ ٩٩)، والأغاني (١٩/ ١٣٩).

(٥) من معلقة لبيد بن ربيعة، وانظر عزوه له في: تفسير الطبري (٧/ ٢٣٠)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١٩)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٤٥٩)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢٦٧)، وشرح المعلقات التسع (ص: ٣٠٢).

(٦) تفسير الطبري (٧/ ٢٣١).

(٧) في الحمزوية: «لا يدرك»، وفي المطبوع والأصل: «ينبئك».

الإِخبار إنما يكون ممن سار وعاين، إذ هو مما يُدْرَكُ بحاسّةِ البصر وعن ذلك ينتقل خبره، فأحالهم الله تعالى على الوجه الأكمل.

وقوله: ﴿فَٱنظُرُواْ﴾ هو عند الجمهور من نظر العين، وقال قوم: هو بالفكر.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ﴾ قال الحسن: الإِشارة إلى القرآن(١).

وقال قتادة في تفسير الآية: هو هذا القرآن، جعله الله بياناً للناس عامةً، وهدى وموعظة للمتقين خاصة(٢)، وقال بمثله ابن جريج والربيع(٣).

قال القاضي أبو محمد: كونه بياناً للناس ظاهر، وهو في ذاته أيضاً هدى منصوبٌ وموعظةٌ، لكن مَن عمي بالكفر وضل وقسا قلبه لا يحسن أن يضاف إليه القرآن، وَتحْسُن إِضافته إلى المتقين الذين فيهم نَفْع(٤) وإياهم هَدَى.

[وقال ابن إسحاق والطبري وجماعة: الإِشارة بـ ﴿هَٰذَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ﴾ الآية](٥)، قال ابن إِسحاق: المعنى: هذا تفسير للناس إِن قبِلُوه(٦)، قال الشعبي: المعنى: هذا بيان للناس من العمَى(٧).

ثم نهى عز وجل المؤمنين عن الوهن لما أصابهم بأُحد، والحزن على من فقد، وعلى مذمة الهزيمة، وأَنَّسهم بأنهم الأعلَون / أصحابُ العاقبة. [١/ ٢٦٠]

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٢٣٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٦٩).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٢٣٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٦٩).

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٢٣٢).

(٤) في المطبوع: «منهم نفع»، وفي نور العثمانية: «يقع».

(٥) تفسير الطبري (٧/ ٢٣٢).

(٦) تفسير الطبري (٧/ ٢٣٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٦٩)، وما بين القوسين ليس في نور العثمانية.

(٧) تفسير الطبري (٧/ ٢٣٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٦٩).

و«الوهْن» و«الوهَن»: الضعف واللين والبلى، ومنه ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾ [مريم: ٤]، ومنه قول زهير:

[البسيط] .... فَأَصْبَحَ الْحَبْلُ مِنْهَا وَاهِناً خَلِقَا[١]

ومن كرم الخلق ألا يهنَ الإِنسان في حربه وخصامه، ولا يلينَ إذا كان محقًّا، وأَن يتقصَّى جميع قدرته ولا يضرعَ ولو مات، وإِنما يحسن اللين في السلم والرضى، ومنه قول النبي ﷺ: «المؤمنُ هيِّنٌ ليِّنٌ»[٢]، و«المؤمنون هينون لينون»[٣]، ومنه قول الشاعر:

[المتقارب]
لَعَمْرُكَ ما إنْ أَبو مالكٍ ... بِواهٍ ولا بضعيفٍ قُوَاهْ
إذا سُدْتَه سُدْتَ مِطْوَاعَةً ... ومَهْمَا وَكَلْتَ إِلَيْهِ كَفَاهْ[٤]

وفي هذا الأُسلوب الذي ذكرته يتجه[٥] قول النابغة:

[البسيط]
ومَن عصاك فعاقبه معاقبةً ... تنهى الظَّلُوم وَلَا تَقعُدْ عَلَى ضَمَدِ
إلَّا لِمثْلكَ أَوْ مَنْ أَنتَ سَابِقُهُ ... سبْقَ الجوادِ إذا استولَى على الأَمَدِ[٦]

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى كما في سر صناعة الإعراب (٢/ ٤٤٢)، ومختارات ابن الشجري (١/ ١٦)، وصدره: وأخلفتك ابنة البكري ما وعدت.

(٢) لا يصح، أخرجه البيهقي في الشعب (٦/ ٢٧٢) من طريق يزيد بن عياض بن جعدبة عن صفوان بن سليم، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به. قال البيهقي: تفرد به يزيد بن عياض، وليس بالقوي، وروي من وجه آخر صحيح مرسلاً.

(٣) لا يصح، أخرجه البيهقي في الشعب (٦/ ٢٧٣)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفي إسناده: عبد الله بن عبد العزيز بن أبي رَوَّاد، متفق على تضعيفه، انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٤٥٥)، وأخرجه البيهقي في الشعب أيضاً (٦/ ٢٧٢)، من طريق مكحول، عن رسول الله ﷺ. وهذا إسناد ضعيف لإرساله.

(٤) البيتان للمتنخل الهذلي يرثي أباه كما في الأغاني (٢٤/ ٩٥).

(٥) في الحمزوية وأحمد٣: «يجيء»، وفي المطبوع والسليمانية وفيض الله ولالاليه: «يجري».

(٦) البيتان من معلقة النابغة الذبياني، وقد جاءا بتمامهما في المطبوع، أما في النسخ الأخرى فاكتفى بآخر الأول وأول الثاني، وانظر عزو ذلك له في: كتاب العين (٧/ ٢٤)، والأمالي في لغة العرب (١/ ٦٤)، والمعاني الكبير (٢/ ٨٥٣)، ومقاييس اللغة (٣/ ٣٧٠).

وفيه يجري قول العرب: إذا لم تغلب فاخلُب[١]، على من تأوله من المِخلَب؛ أي: حارِبْ ولو بالأظافر، وهذا هو فِعْل عبد الله بن طارق[٢]، وهو من أصحاب عاصم ابن عدي[٣] حين نزع يده من القِران، وقاتل حتى قُتِل[٤]، وفِعْل المنذر[٥] بن محمد بن عقبة بن أُحيحة بن الجلاح في يوم بئر معونة[٦].

ومن رآه من معنى الخلب والخلابة الذي هو الخديعة والمكر، فهو رأي دهاة العرب، وليس برأي جمهورها، ومنه فِعْل عمرو بن سعيد الأَشدق[٧] مع عبد الملك بن مروان عند قتله إياه[٨]، والأمثلة في ذلك كثيرة، وأيضاً فليس المكر والخديعة[٩] بذلٍّ محضٍ، ولذلك رآه بعضهم.

---

(١) انظر المثل في: المحكم لابن سيده (٥/ ٢٠٨).

(٢) هو عبد الله بن طارق بن عمرو بن مالك البلوي، حليف لبني ظفر من الأَنصار، شهد بدراً وأُحداً، استشهد ببعث الرجيع وقبره بالظهران، انظر: الإصابة (٤/ ١١٧).

(٣) الصحيح أَنه عاصم بن ثابت، وفي الإصابة (١/ ٤٧٩) أن الوهم فيه من بريدة بن سفيان الأسلمي، قال: والحديث مخرج في الصّحيحين، من طرق عن الزهريّ، عن عمرو بن أبي سفيان عن أبي هريرة على الصّواب، وانظر ترجمة عاصم في: الإصابة (٣/ ٤٦١).

(٤) مرسل، أخرجه ابن سعد في طبقاته الكبرى (٢/ ٥٥-٥٦) من طريق عمر بن أسيد قال: قدم على رسول الله ﷺ...فذكره مرسلاً، فعمر بن أسيد تابعي.

(٥) في لالاليه: «الزبير»، وهو تحريف، وهو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة، بمهملتين مصغراً، ابن الجلاح الأنصاريّ الخزرجيّ. يكنى أبا عبيدة، ذكره موسى بن عقبة، وابن إسحاق، وغيرهما فيمن شهد بدراً، واستشهد ببئر معونة، الإصابة (٦/ ١٧٣).

(٦) قصته أخرجها البخاري في صحيحه (٣٨٦٤)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه به.

(٧) عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد الأموي، أبو أمية المعروف بالأشدق، ولي المدينة ليزيد، ثم سكن دمشق، وكان أحد الأشراف من بني أمية، وقد رام الخلافة، وغلب على دمشق، وادعى أنه ولي العهد بعد عبد الملك، توفي سنة (٧٠هـ). تاريخ الإسلام (٥/ ٢٠٢).

(٨) وكان عمرو قال له: نشدتك الله لما أعفيتني من أن تخرجني إلى النّاس، فتشهرني بقتلي بينهم، طمعاً في أن يخرجه ليقتله، فيفقده وينفر من بايعه، فقال عبد الملك: أمكراً وأنت في الحديد؟. انظر القصة في المستقصى للزمخشري (١/ ٣٦٧).

(٩) في الأصل: «من الخديعة».

وأَما قولهم: إذا عزَّ أخوك فَهِنْ[١]، فالرواية الصحيحة المعنى فيه بكسر الهاء بمعنى: لِنْ واضعف ضَعْفَ المطواع، وأما الرواية بضم الهاء فهي أمرٌ بالهوان، وما أعرف ذلك في شيء من مقاطع العرب[٢]، وأما الشرع فقد قال النبي عليه السلام: «لا ينبغي لمؤمنٍ أن يُذلَّ نفسَه»[٣].

ورأيت لعاصمٍ أن المثل على ضم الهاء إنما هو من الهُون الذي هو الرِّفق، وليس من الهَوَان[٤].

وقال منذر بن سعيد: يجب بهذه الآية أَلاَّ يوادَعَ العدوّ ما كانت للمسلمين قوة [وشوكة][٥]، فإِن كانوا في قطر ما على غير ذلك فينظر الإِمام لهم بالأصلح[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ إخبارٌ بعلوِّ كلمة الإِسلام، هذا قول الجمهور، وظاهر اللفظ، وقاله ابن إِسحاق[٧]، وروي عن ابن عباس[٨] وابن جريج[٩]: إنما

(١) انظر هذا المثل في: العين (١/ ٧٦)، وذكر المفضل في أمثال العرب (١ / ١٣٧): أن أول من قاله الهذيل بن هبيرة التغلبي.

(٢) قال الزمخشري في المستقصى (١/ ١٢٥): وهو ـ أي الكسر ـ أصح فيما يروى عن بعض المحققين؛ لأن العرب لا تأمر بالهوان، ثم قال: والصحيح الأول يعني الضم، وأتى له بشواهد من شعر ابن أحمر والعبادي فانظره.

(٣) ضعيف، أخرجه الإمام أحمد (٢٣٤٤٤)، من طريق علي بن زيد، عن الحسن، عن جندب، عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً به. وهذا إسناد ضعيف، فعلي بن زيد هو ابن جدعان، متفق على تضعيفه. وقد أعله أيضاً الإمام أبو حاتم الرازي، انظر: العلل لابنه (٥/ ١٨٧).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) الزيادة من السليمانية وفيض الله وأحمد٣ ولالاليه.

(٦) نقله في البحر المحيط (٣/ ٣٥٣).

(٧) تفسير الطبري (٧/ ٢٧١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٧١).

(٨) أخرجه الطبري (٧/ ٢٣٦)، بإسناد فيه عطية العوفي، وهو ضعيف مدلس، وقد عنعنه.

(٩) في الأصل وفيض الله: «ابن جبير»، والمثبت هو الصواب، انظر: تفسير الطبري (٧/ ٢٣٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٧١).

قال الله لهم ذلك بسبب علوهم في الجبل، وذلك أن رسول الله ﷺ حين انحاز في نفر يسير من أصحابه إلى الجبل، فبينما هو كذلك إذ علا خالد بن الوليد عليهم الجبل فقال رسول الله ﷺ: «اللهم لا يعلُونَنا»، ثم قام وقام من معه فقاتل أصحابُه وقاتل حينئذ عمر بن الخطاب حتى أزالوا المشركين عن رأس الجبل، وصعد رسول الله ﷺ وأصحابه فيه، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ يحتمل أن يتعلق الشرط بقوله: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ فيكون المقصد هزَّ النفوسِ وإقامتَها، ويحتمل أن يتعلق بقوله: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ فيكون الشرط على بابه دون تجوز، ويترتب من ذلك الطعن على مَن نجَمَ نفاقُه في ذلك اليوم، وعلى مَن تأوَّد إيمانه، واضطرب يقينه: أَن لا[2] يتحصل الوعد إلا بالإيمان، فالزموه.

ثم قال تعالى تسليةً للمؤمنين: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾، والأُسوة مَسْلاةٌ للبشر، ومنه قول الخنساء:

[الوافر]

وَلَـوْلا كَثْـرَةُ البَاكِيـنَ حَوْلِـي ... عَلَـى إخوانهـم لَقَتَلْـتُ نَفْسِـي
ولا يَبْكُـونَ مِثْـلَ أَخِـي وَلكِـنْ ... أُعَـزِّي النَّفْسَ عَنْهُمْ بِالتأَسِّـي[3]

والسلوُّ بالتأسي هو النفع الذي يجره إلى نفسه الشاهد المحدود، فلذلك رُدَّتْ شهادته فيما حُدَّ فيه وإِن تاب وحسنت حاله.

و«القَرح»: القتل والجراح، قاله مجاهد والحسن والربيع وقتادة وغيرهم[4].

والمعنى: إن مسكم في أُحُدٍ فقد مَسَّ كفارَ قريش ببدرٍ بأيديكم.

---

(١) أخرجه الطبري (٧/ ٢٣٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفي إسناده: عطية العوفي.
(٢) في الحمزوية ونور العثمانية ولالاليه وأحمد٣: «أي لا». وفي المطبوع: «ألا لا».
(٣) انظر عزوهما لها في: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤١٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٦٢)، الكامل في اللغة والأدب (١/ ١٦)، وأمالي القالي (٢/ ١٦٣)، والصناعتين (ص: ٢٢١).
(٤) تفسير الطبري (٧/ ٢٣٧-٢٣٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٧٢).

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية حفص: ﴿قَرۡحٌ﴾ [بفتح القاف.

وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿قُرْحٌ﴾][١] بضم القاف، وكلهم سَكَّنَ الراء[٢]، قال أبو علي: هما لغتان كالضَّعف والضُّعف، والكَرْه والكُرْه، والفتح أولى؛ لأنها لغةُ أهلِ الحجاز، والأخذُ به أوجبُ؛ لأن القرآن عليها نزل[٣].

قال القاضي أبو محمد: هذه القراءات لا يُظَنّ إلا أنها مرويةٌ عن النبي ﷺ، وبجميعها عارض جبريل عليه السلام مع طول السنين توسعةً على هذه الأمة، وتكملةً للسبعة أحرف حسب ما بيناه في صدر هذا التعليق، وعلى هذا لا يقال: هذه أولى من جهةِ نزولِ القرآن بها، وإِن رجحت قراءةٌ فبوجهٍ غير وجهِ النزول.

قال أبو الحسن الأخفش: القَرْح والقُرْح [مصدران بمعنىً واحد[٤]، ومن قال: القَرْح بالفتح الجراحات بأعيانها، والقُرْح][٥] بضم القاف ألمُ الجراحات قُبِلَ منه إذا أتى برواية؛ لأن هذا مما لا يعلم بقياس، وقال بهذا التفسير الطبري[٦].

وقرأ الأعمش: (إِنْ تَمْسَسْكُم) بالتاء من فوق، (قُروحٌ) بالجمع، (فَقَدْ مَسَّ القومَ قرحٌ مِثْلُه).

وقرأ محمد بن السميفع اليماني: (قَرَحٌ) بفتح القاف والراء[٧].

قال أبو الفتح: هي لغة في القَرْح كالشّلِّ والشَّلَلِ[٨]، والطَّرْدِ والطَّرَد، هذا مذهب

---

(١) ليس في نور العثمانية، وسقوطه مفسد للمعنى.

(٢) وهي سبعية متواترة، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢١٦)، والتيسير للداني (ص: ٩٠).

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٧٩).

(٤) معاني القرآن له (١/ ٢٣٣)، بمعناه.

(٥) ليس في نور العثمانية، وسقوطه مفسد للمعنى.

(٦) تفسير الطبري (٧/ ٢٣٨).

(٧) وكلاهما قراءة شاذة، انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٥٤) والمحتسب لابن جني (١/ ١٦٦).

(٨) في السليمانية ولالاليه: «كالشك والشكك».

البصريين، وليس هذا عندهم من تأثير حرف الحلق، وأنا أميل في هذا إلى قول أصحابنا البغداديين: في أنّ لحرف الحلق في مثل هذا أثراً معتمداً، وقد سمعت بعض بني عقيل يقول: نَحَوه بفتح الحاء، يريد نَحْوَه، ولو كانت الكلمة مبْنِيَّة على فتح الحاء لأُعِلتِ الواو كعصاة وقناة، وسمعت غيره يقول: أنا مَحَموم بفتح الحاء(١).

قال ابن جني: ولا قرابةَ بيني وبين البصريين، ولكنها بيني وبين الحق، والحمد لله(٢).

قوله عز وجل: ﴿...وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ / وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾. [١/ ٢٦١]

أخبر تعالى على جهة التسلية أن الأيام على قديم الدهر وغابره أيضاً إنما جعلها دُوَلاً بين البشر، أي: فلا تنكروا أَن يُدالَ عليكم الكفار.

وقال تعالى: ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ فهي مفاعلةٌ من جهة واحدة، وإنما ساغ ذلك؛ لأن المداولة منه تعالى هي بين شيئين، فلما كان ذلك الفريقان يتداولان حَسُنَ ذلك، والدُّولة بضم الدال: المصدر، والدَّوْلَةُ بفتح الدال: الفعلة الواحدة من ذلك، فلذلك يقال: في دَوْلَة فلان؛ لأنها مرة في الدهر، وسمع بعضُ العرب الأقحاح قارئاً يقرأ هذه الآية، فقال: إنما هو (وتلك الأيام نداولها بين العرب)، فقيل له: إنما هو ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ فقال: إنا لله، ذهب مُلْكُ العرب وربِّ الكعبة(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ دخلت الواو: لتؤذن أنّ اللام متعلقة بمقدّر في آخر الكلام، تقديره: وليعلمَ اللهُ الذين آمنوا فعَلَ ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ معناه: ليظهر في الوجود إيمان الذين قد علم أزلاً

(١) المحتسب لابن جني (١/ ١٦٦).
(٢) المحتسب (١/ ١٦٦)، وانظر: (١ / ٢٣٣)، و(٢ / ١٦٥).
(٣) نقله أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٣٥٤).

أنهم يؤمنون، وليُساوِقَ علمُه إيمانَهم ووجودهم، وإلا فقد علمهم في الأزل[١]، وعلْمه تعالى لا يطرأ عليه التغيّر؛ ونحو هذا: أن يضرب حاكمٌ أحداً ثم يبين سبب الضرب ويقول: فعلت هذا التبيين لأضربَ مستحقاً، معناه: ليظهر أن فعلي وافق استحقاقه.

وقوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾، معناه: أهل فوز في سبيله حسبما ورد في فضائل الشهيد.

ثم أخبر تعالى أن إدالته الكفار على المؤمنين إنما هي ليمحّصَ المؤمنين، وأن إدالة المؤمنين على الكفار إنما هي لمحق الكفار، وهذا مقتضى ألفاظ الآية.

وقد قال ابن عباس وغيره: جعل الله الدُّولةَ لرسوله يومَ بدر، وعليه يومَ أُحُد[٢].

وذهب كثير من أهل العلم إلى أن العبارة عن إِدالة المؤمنين بالنصر، وعن إِدالة الكفار بالإِدالة، وروي في ذلك عن النبي ﷺ حديث: «إِنهم يُدَالون كما تُنصَرون»[٣].

و«التمحيص»: التنقية، قال الخليل: التمحيصُ التخليص[٤] من العيب، يقال: مَحَّصَ الحبلُ إذا زال عنه بكثرة مَرِّهِ على اليد زِئْبِرُهُ[٥] وأملس[٦]، هكذا ساق الزجاجُ اللفظةَ في الحبل[٧]، ورواها النقَّاش: محص الجمل: إذا زال عنه وَبَره وأَملس[٨]، وقال حنيف الحناتم[٩]؛ وقد ورد ماءً يقال له: طُوَيْلع: إنك لمحِصُ الرِّشاء، بعيدُ المستَقَى،

(١) في المطبوع ولالاليه: «الأول».
(٢) أخرجه الطبري (٧/ ٢٤٠)، وابن أبي حاتم (٤٢٣٠)، وفي سنده: عطية العوفي.
(٣) لم أقف عليه.
(٤) ليست في المطبوع.
(٥) في الأصل: وبره.
(٦) نقله عنه النحاس في إعراب القرآن (١/ ١٨٣)، بمعناه، وفيه: الحبل، وليس فيه ذكر العيب.
(٧) معاني القرآن وإعرابه له (١/ ٤٧١).
(٨) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٣٤٥).
(٩) في السليمانية: «الحواتم»، وهو خطأ، وحنيف الحناتم: أحد أدلاَّء العرب في الجاهلية، وهو من=

مَطِلٌ على الأَعداء(١)، فالمعنى: إِنه لبعده يملسُ حبلُه بالطِّين الحُرِّ(٢)، ومرِّ الأيدي.

فمعنى الآية: إن الله يمحص المؤمنين إذا أَدال عليهم بأنه ينقي المستشهدين(٣) من ذنوبهم، وينقّي الأحياءَ من منافقيهم إذ يميزهم، وإِنه يمحق الكافرين إذا نصر عليهم، أي: يتنقَّصُهم، و«المحق»: الإذهاب(٤) شيئاً شيئاً، ومنه محَاقُ القمر.

قوله عز وجل: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾.

﴿أَمۡ﴾ هي بمعنى الإِضراب عن الكلام الأول، والتركِ له، وفيها لازم معنى الاستفهام، فلذلك قدَّرها سيبويه بـ (بل) وألف الاستفهام.

و﴿حَسِبۡتُمۡ﴾ معناه: ظننتم، وهذه الآية وما بعدها تقريعٌ وعَتْبٌ لطوائف المؤمنين الذين وقعتْ منهم الهفواتُ المشهورةُ في يوم أحد.

وقوله: ﴿وَلَمَّا يَعۡلَمِ﴾ نفي مؤكد وهو معادل لقول القائل: قد كان كذا، فلما أكد هذا الخبر الموجب بـ (قد) أكد النفي المعادل له بـ (لما)، وإِذا قال القائل: كان هذا، فمعادله: لم يكن دون تأكيد في الوجهين، قاله سيبويه(٥).

= بكر بن وائل، تزعم العرب أنه خرج يريد وَبارِ ليدلَّ عليها، فسفعته الجن، فعمي فكان يشم تراب الأرض فيستدل به. انظر: جمهرة اللغة (١/ ٥٥٦).

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧١)، والجيم لأبي عمرو الشيباني (٣/ ٢٣٨)، والنسخة فيه: «لملص اللام»، وحنيف هذا أحد بني حنتم بن عدي بن الحارث بن تيم الله، وجاء فيه المثل: آبَلُ من حنيف الحناتم، قال السدوسي في الأمثال (١ / ٦): كان ظِمءُ إبله غبا بعد عشر، وأظماء الناس غِبٌّ وظاهرة، والظاهرة كل يوم مرة، وكان يرعى في حمَارَّة القيظ أحجار فليح، ويسقي على طويلع.

(٢) في المطبوع: «بطول الجرّ»، وفي السليمانية: «بالطين الجر».

(٣) في المطبوع: «المتشهدين».

(٤) في المطبوع: «الذهاب».

(٥) فرق سيبويه بين (لم) و(لما)، فزعم أن (لم يفعل) نفيُ (فعَلَ)، وأن (لمّا يفعل) نفيُ (قد فعل). انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٨٢).

وقرأ جمهور الناس: بكسر الميم للالتقاء في قوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ﴾، وقرأ يحيى بن وثاب وإِبراهيم النخعي: (ولمَّا يعْلَمَ) بفتح الميم إِتباعاً لفتحة اللام[١].

وقرأ الجمهور ﴿وَيَعْلَمَ﴾ على النصب بإِضمار (أن) عند البصريين، وبواو الصرف عند الكوفيين[٢].

وروي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قرأ: (ويَعْلَمُ) بالرفع على استئناف الفعل[٣].

وقرأ الحسن بن أبي الحسن ويحيى بن يعمر وأبو حيوة وعمرو بن عبيد: (ويعْلمِ) بكسر الميم جزماً[٤] معطوفاً على قوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ﴾.

ثم خاطب تعالى المؤمنين بقوله: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾، والسبب في ذلك: أن رسول الله ﷺ خرج في غزوة بدر يريد عير قريش مبادراً فلم يُوعِبِ الناسُ معه؛ إذ كان الظن أنه لا يلقى حرباً، فلما قضى الله ببدرٍ ما قضى وفاز حاضروها بالمنزلةِ الرفيعة؛ كان المتخلفون من المؤمنين عنها يتمنّون حضورَ قتالِ الكفار مع النبي ﷺ ليكون منهم في ذلك غَنَاءٌ يُلْحِقهم عند ربهم ونبيهم بمنزلة أهلِ بدر، ولأنس ابن النضر[٥] في ذلك كلام محفوظ[٦].

---

(١) وهي قراءة شاذة. انظر: عزوها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ١٢٠).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٣٥).

(٣) وهي قراءة شاذة. انظر: مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٩)، والكامل في للهذلي (ص: ٥١٨)، وهي رواية عبد الوارث عنه.

(٤) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها للحسن في: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٣٥)، ومختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٩)، ولابن يعمر وعمرو في الشواذ للكرماني (ص: ١٢٠)، ولأبي حيوة في البحر المحيط (٣/ ٣٦٠).

(٥) هو أَنس بن النضر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي، عمُّ أَنس بن مالك خادمِ النبي ﷺ، غاب عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله والله لئن أَشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أَصنع، فقاتل حتى قتل، القصة بتمامها في الإصابة (١/ ٢٨١).

(٦) وهو قوله لرسول الله ﷺ: يا رسول الله غبتُ عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني =

فلما جاء أمر أُحد وحضر القتال لم يَصْدُقْ كلُّ المؤمنين، فعاتبهم الله بهذه الآية، وألزمهم تعالى تمني الموت من حيث تمنوا لقاء الرجال بالحديد ومضاربتهم به، وهي حال في ضمنها في الأغلب الموت، ولا يتمناها إلا من طابت نفسه بالموت، فصار الموت كأنه المتمنَّى، وإلا فنفس قتل المشرك للمسلم لا يجوز أن يُتمنَّى من حيث هو قتلٌ، وإنما تُتمنى لواحقه من الشهادة والتنعيم.

وقرأ الجمهور: ﴿مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ﴾.

وقرأ الزهري وإبراهيم النخعي: (مِنْ قَبْلِ أَنْ تُلاقوه)[1]، وهذه والأولى في المعنى سواء، من حيث (لقي) معناه يتضمن أنه من اثنين وإن لم يكن على وزن (فاعَلَ).

وقرأ مجاهد: (مِنْ قبلُ) بضم اللام وترك الإضافة[2]، وجعل ﴿أَن تَلۡقَوۡهُ﴾ بدلاً من ﴿ٱلۡمَوۡتَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ﴾ يريد رأيتم أسبابه، وهي الحرب المشتعلة والرجال بأيديهم السيوف، وهذا كما قال عمير بن وهب[3] يوم بدر: رأيت البلايا تحمل المنايا[4].

قال الحارث بن هشام:

ووجدتُ ريحَ المَوْت من تِلْقائِهم   في مَـأزِقٍ والخيلُ لَـمْ تَتَـبَدّدِ[5]   [الكامل]

= قتال المشركين ليرين الله ما أصنع... الحديث، رواه البخاري (٢٦٥١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(١) وهي قراءة شاذة. انظر: المحتسب لابن جني (١/ ١٦٧)، ومختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٩).

(٢) وهي قراءة شاذة. انظر: مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٩)، الشواذ للكرماني (ص: ١٢٠٩).

(٣) هو عمير بن وهب بن خلف الجمحي يُكنى أَبا أُمية، شهد بدراً كافراً، ثم قدم عمير المدينة يريد الفتك برسول الله ﷺ فأَسْلم، وشهد أُحداً، وعاش إلى صدر من خلافة عثمان. الإصابة (٤/ ٦٠٣).

(٤) ضعيف معضل، أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٦٤)، من طريق إسحاق بن يسار، عن أشياخ من الأنصار، قالوا: بعثت قريش....فذكروه.

(٥) انظر عزوه له في: الصناعتين: (١/ ٣٩٨) وديوان الحماسة بشرح التبريزي (١/ ٥٧).

يريد لقرب الأمر، ونحو هذا قول عامر بن فهيرة[(١)]:

[الرجز] لَقَدْ رأيـتُ الموتَ قَبْـلَ ذَوْقِه[(٢)] ....

يريد لما اشتد به المرض.

[١/ ٢٦٢] وقرأ طلحة بن مصرِّف / : (فَلَقَدْ رَأَيْتُموهُ)[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ يحتمل ثلاثة معان:

أحدها: التأكيد للرؤية وإِخراجها من الاشتراك الذي بين رؤية القلب ورؤية العين في اللفظ.

والآخر: أن يكون المعنى: وأنتم تنظرون في أسباب النجاة والفرار، وفي أمر محمد عليه السلام هل قُتِلَ أم لا؟ وذلك كله نقض لما كنتم عاهدتم الله عليه[(٤)].

قال القاضي أبو محمد: وحكى مكي وغيره عن قوم أنهم قالوا: المعنى: وأنتم تنظرون إلى محمد[(٥)]، وهذا قول ضعيف، إلا أن يُنحَى به إلى هذا القول الذي ذكرته أنه النظر في أمره، هل قتل [أم لا][(٦)]؟ والاضطراب بحسب ذلك.

والمعنى الثالث: أن يكون قد وقفهم على تمنيهم ومعاهدتهم، وعلى أنهم رأوا

(١) هو عامر بن فهيرة مولى أبي بكر، ورفيقه مع النبي ﷺ في الهجرة، استشهد يوم بئر معونة. الاستيعاب (٢/ ٧٩٦).

(٢) البيت لعمرو بن أمامة اللخمي كما في الأمثال لابن سلام (ص: ٣١٦)، والعقد الفريد (٣/ ٧٢)، معجم الشعراء (ص: ٢٠٦)، وهو عمرو الأصغر، وهو أخو عمرو بن هند، وأبوهما المنذر بن امرئ القيس، وأمه أمامة بنت سلمة بن الحارث الكندي عم امرئ القيس، قال: وقد تمثل به عامر ابن فهيرة، وهو معزو لعامر في كتب السيرة.

(٣) وهي مخالفة للمصحف، وقد تابعه عليها أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٣٦٢).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٢٤٨)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ١٨٢)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٨٥).

(٥) الهداية لمكي (٢/ ١١٣٨)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٨٥).

(٦) زيادة من السليمانية ولالاليه.

ذلك الذي تمنوا، ثم قال على جهة التوبيخ والعتب: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ في فعلكم الآن بعد انقضاء الحرب هل وفيتم أم خالفتم؟ كأنه قال: وأنتم حسباء أنفسكم، فتأملوا قبيحَ فعلكم، وفي هذا التوبيخ على هذا الوجه ضرب جميلٌ من الإبقاء والصون(١) والاستدعاء.

قال ابن فُورك: المعنى: وأنتم تتأملون الحال في ذلك وتفكرون فيها، كيف هي؟(٢)، وهذا نحو ما تقدم.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾.

هذا استمرار في عَتْبهم وإِقامة حجة الله(٣) عليهم، المعنى: أن محمداً ﷺ رسولٌ كسائر الرسل، وقد بلَّغ كما بلغوا، ولزمكم أيها المؤمنون العملُ بمضمَّن الرسالة، وليست حياة الرسول وبقاؤه بين أظهركم شرطاً في ذلك؛ لأن الرسول يموت كما مات الرسل قبله.

و﴿خَلَتْ﴾ معناه: مضت وسلفت، وصارت إِلى الخلاء من الأرض.

وقرأ جمهور الناس: ﴿ٱلرُّسُلُ﴾ بالتعريف، وفي مصحف ابن مسعود: (رُسُلٌ) دون تعريف، وهي قراءة حِطَّانَ بن عبد الله(٤).

فوجْه الأولى: تفخيم ذكر الرسل، والتنويه بهم على مقتضى حالهم من الله تعالى.

ووجْه الثانية: أَنه موضع تفسير(٥) لأمر النبي عليه السلام في معنى الحياة، ومكان

---

(١) في الأصل: «الصرو».

(٢) لم أقف عليه.

(٣) وفي الحمزوية: «كلمة الله».

(٤) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها له في: المحتسب لابن جني (١/ ١٦٨)، والشواذ للكرماني (ص: ١٢٠)، وهو حطان بن عبد الله الرقاشي البصري، السدوسي، كبير القدْر، صاحب زهد وورع وعلم، مات بعد السبعين، وهو ثقة، قليل الحديث. طبقات القراء (١/ ٢٥٣).

(٥) في السليمانية ولالاليه: «أنه موضع تبشير». وفي نور العثمانية: «تيسير».

تسوية[١] بينه وبين البشر في ذلك، فَيَجيءُ تنكير الرسل جارياً في مضمار هذا الاقتصاد به ﷺ، وهكذا يفعل في مواضع الاقتصاد بالشيء، فمنه قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، إلى غير ذلك من الأمثلة، ذكر ذلك أبو الفتح[٢]، والقراءة بتعريف الرسل أوجَهُ في الكلام.

وقوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ الآية، دخلت ألف الاستفهام على جملة الكلام على الحدّ الذي يخبر به ملتزمه؛ لأن أقبح الأحوال أن يقولوا: إن مات محمد أو قتل انقلبنا، فلما كان فعلهم ينحو هذا المنحى وقفوا على الحد الذي به يقعُ الإِخبار.

وقال كثير من المفسرين: ألف الاستفهام دخلت في غير موضعها؛ لأن الغرض إنما هو: تنقلبون على أعقابكم إن مات محمد، فالسؤال إنما هو عن جواب الشرط.

قال القاضي أبو محمد: وبذلك النظر الذي قدمته يَبين وَجْهُ فصاحةِ دخول[٣] الألف على الشرط، وذلك شبيهٌ بدخول ألف التقرير[٤] في قوله: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [البقرة: ١٧٠]، ونحوه من الكلام، كأنك أدخلت التقريرَ على ما ألزمت المخاطب أنه يقوله، [أو هو في حكم مَن يقوله][٥].

والانقلاب على العقب يقتضي التولِّيَ عن المنقلَبِ عنه.

ثم توعَّد تعالى المنقلِبَ على عقبه بقوله تعالى: ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾؛ لأن المعنى: فإِنما يضرّ نفسه، وإِياها يُوبِقُ.

ثم وعد الشاكرين وهم الذين صدقوا وصبروا ولم ينقلب منهم أحد على عقبيه بل مضى على دينه قدماً حتى مات:

---

(١) في السليمانية ولالاليه: «نبوته».

(٢) المحتسب لابن جني (١/ ١٦٨).

(٣) الزيادة من السليمانية وفيض الله ولالاليه وأحمد٣.

(٤) في المطبوع والأصل والحمزوية: «التقريب».

(٥) ليس في المطبوع.

فمنهم سعد بن الربيع[١]، وتقضي بذلك وصيته إلى الأنصار[٢].

ومنهم أنس بن النضر[٣].

ومنهم الأَنصاري الذي ذكر الطبريّ عنه بِسَنَدٍ أَنه مرَّ عليه رجل من المهاجرين والأنصاري يتشحَّطُ في دمه، فقال: يا فلان أشعرت أن محمداً قد قتل، فقال الأنصاري: إِن كان محمد قد قتل فإِنه قد بَلَّغَ، فقاتِلُوا عن دينكم[٤].

قال القاضي أبو محمد: فهؤلاء أصحاب النازلة يومئذ صدَّقَ فعلُهم قولَهم، ثم يدخل في الآية الشاكرون إلى يوم القيامة.

قال ابن إِسحاق: معنى ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾؛ أي: مَن أطاعه وعمل بأمره[٥].

وذكر الطبري بسند عن علي بن أبي طالب وذكره غيره: أَنه قال في تفسير هذه الآية: الشاكرون: الثابتون على دينهم، أبو بكر وأصحابه[٦]، وكان يقول: أبو بكر أمير الشاكرين[٧].

---

(١) هو سعد بن الربيع بن عمرو الأنصاري الخزرجي، أَحد نقباء الأنصار، كان كاتباً في الجاهلية، شهد العقبة الأُولى والثانية وبدراً، وقتل يوم أُحد شهيداً. انظر: الإصابة (٣/ ٤٩).

(٢) وهو قوله: وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خُلِصَ إلى رسول الله ﷺ وفيكم شفر يطرف، أخرجه الحاكم في مستدركه (٣/ ٢٠١)، وعنه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٤٨)، بإسناد فيه عبد الرحمن بن عبد الله أبو صالح الطويل، ولم أقف له على ترجمة.

(٣) وهو قوله لرسول الله ﷺ: يا رسول الله غبتُ عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع... الحديث، أخرجه البخاري (٢٦٥١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الطبري (٧/ ٢٥٦)، من طريق أبي نجيح به معضلاً.

(٥) تفسير الطبري (٧/ ٢٥٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٧٩).

(٦) ساقط، أخرجه الطبري (٧/ ٢٥٢)، بإسناد فيه سيف بن عمر، وهو الضبي، متفق على تركه، وقد اتهم بالزندقة.

(٧) كسابقه.

قال القاضي أبو محمد: وهذه الإشارة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه إنما هي إلى صدع أبي بكر رضي الله عنه بهذه الآية في يوم موت النبي عليه السلام، وثبوته في ذلك الموطن، وثبوته في أمر الردة، وذلك أن رسول الله ﷺ لما قُبِضَ وشاع موته، هاج المنافقون وتكلموا وهموا بالاجتماع والمكاشفة، فأوقع الله تعالى في نفس عمر رضي الله عنه أن النبيَّ لم يُقْبَضْ، فقام بخطبته المشهورة المخوِّفة للمنافقين برجوع النبي عليه السلام، فَفَتَّ ذلك في أعضاد المنافقين، وتفرَّقت كلمتهم، ثم جاء أَبو بكر بعد أن نظر إلى النبي عليه السلام فسمع كلام عمر فقال له: اسكت، فاستمر عمر في كلامه فتشهَّدَ أبو بكر فأصغى الناس إليه، فقال: أما بعد فإنه من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ وتلا الآية كلها، فبكى الناسُ ولم يبقَ أحد إلا قرأ الآية كأن الناس ما سمعوها قبل ذلك اليوم، قالت عائشة رضي الله عنها في «البخاري»: فنفع الله بخطبة [١/ ٢٦٣] عمر، ثم بخطبة / أبي بكر[١].

قال القاضي أبو محمد: فهذا من المواطن التي ظهر فيها شكر أبي بكر وشكر الناس بسببه.

ثم أخبر تعالى عن النفوس أَنها إنما تموت بأجل مكتوب محتوم واحد عند الله تعالى؛ أي: فالجبنُ[٢] لا يزيد فيه، والشجاعة والإقدام لا تنقص منه، وفي هذه الآية تقويةُ النفوسِ للجهاد، قال ابن فورك: وفيه تسليةٌ مَّا في موت النبيّ عليه السلام[٣].

والعبارة بقوله: ﴿وَمَا كَانَ﴾ قد تجيء فيما هو ممكن قريب نحو قول أبي بكر

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٧)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) في نور العثمانية: «فالخبر».

(٣) لم أقف عليه.

الصديق رضي الله عنه: ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله ﷺ[(١)].

وقد تقع في الممتنع عقلاً نحو قوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠]، فهي عبارة لا صيغة لها، ولا تتضمن نهياً كما يقول بعض المفسرين، وإنما يفهم قدر منعها[(٢)] من قرائن الكلام الذي تجيء العبارة فيه.

و(نفس) في هذه الآية: اسم الجنس.

و«الإِذن»: التمكينُ من الشيء مع العلم بالشيء المأذون فيه، فإن انضاف إلى ذلك قولٌ فهو الأمر.

وقوله: ﴿كِتَٰبًا﴾ نصب على التمييز، و﴿مُّؤَجَّلًا﴾ صفة.

وهذه الآية رادّة على المعتزلة في قولهم بالأَجَلَين، وأَما الانفصال عن تعلُّقهم بقوله تعالى: ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [نوح: ٤] ونحو هذا من الآيات؛ فسيجيء في مواضعه إن شاء الله تعالى.

قوله عز وجل: ﴿...وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ مشروطٌ بالمشيئة؛ أي: نؤتِ مَن شئنا منها ما قُدِّرَ له، بيَّنَ ذلك قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]، وقرينةُ الكلام تقتضي أنه لا يؤتى شيئاً من الآخرة؛ لأن من كانت نيته من عمله مقصورةً على طلب الدنيا فلا نصيبَ له في الآخرة، والأعمالُ بالنيات، وقرينة الكلام في قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ لا تمنع أن يؤتى نصيباً من الدنيا.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٥٢)، ومسلم (٤٢١) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٢) في المطبوع: «معناها»، وفي السليمانية: «نفعها».

وقرأ جمهور الناس: ﴿نُؤْتِهِۦ﴾ و﴿نُؤْتِهِۦ﴾ و﴿سَنَجْزِى﴾[١] كلها بنون العظمة.

وقرأ الأعمش بالياء في الثلاثة[٢]، وذلك على حذف الفاعل؛ لدلالة الكلام عليه.

قال ابن فورك: في قول الله تعالى: ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ إشارةٌ إلى أنه ينعمهم بنعم[٣] الدنيا، لا أنهم يقصرون على الآخرة[٤].

ثم ضرب تعالى المثل للمؤمنين بمن سلف من صالح الأمم الذين لم يَثْنهم عن دينهم قتلُ الكفار لأنبيائهم فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ...﴾ الآية.

وفي (كأين) أربع لغات: (كأَيِّن) على وزن كعَيِّنْ بفتح العين، و(كائِن) على وزن كاعن، و(كأْيِن) على وزن كَعْيِنْ بسكون العين، و(كإِنْ) على وزن كَعِنْ بكسر العين، وأكثر ما استعملت العرب في أشعارها التي على وزن (كاعِنْ)، فمن ذلك قول الشاعر:

[الطويل] وكائِنْ ردَدْنا عنكُمُ من مُدجَّجٍ ... يجيءُ أَمام القوم يَرْدي مُقنَّعا[٥]

وقال جرير:

[الوافر] وكائِنْ بالأباطح من صَدِيقٍ ... يَراني لو أُصِبْتُ هو الُمصابَا[٦]

وقال آخر:

[الطويل] وكائِنْ ترى مِن صامتٍ لك مُعجِبٍ ... زيادتُه أَو نقصُهُ في التكلُّمِ[٧]

---

(١) من الحمزوية والمطبوع، وفي الأصل: «نجزي».

(٢) وهي قراءة شاذة. انظر: المحتسب لابن جني (١/ ١٦٩)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١٧٩)، ومختصر الشواذ (ص٢٩).

(٣) في الحمزوية والمطبوع ولالاليه وأحمد٣: «بنعيم».

(٤) تفسير الثعالبي (١/ ٣١٧).

(٥) البيت لعمرو بن شأس كما في الكتاب لسيبويه (٢/ ١٧٠)، وصناعة الإعراب (١/ ٣١٥).

(٦) انظر عزوه له في: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧٥)، والحجة لأبي علي (٣/ ٨٠)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٢٦٣).

(٧) جاء هذا البيت في بعض النسخ من معلقة زهير بن أبي سلمى، وعليها درج الزوزني (ص١٥١)، =

وقد جاء في اللغة التي ذكرتها أولاً قول الشاعر:

[الوافر] كأيِّنْ في المعَاشرِ منْ أناسٍ أخُوهمْ فوقهُم وهمُ كرامُ[(١)]

وهذه اللغة هي أصل هذه اللفظة؛ لأنها كاف التشبيه دخلت على (أيّ) كما دخلت على (ذا) في قولك: لفلان كذا وكذا، [وكما دخلت على (أنَّ) في قولك: كأن زيداً أسد، لكن بقي لها معنى التشبيه في كأن، وزال عنها ذلك في كذا وكذا][(٢)]، وفي كأيِّنْ.

وصرفت العرب (كأيِّنْ) في معنى (كم) التي هي للتكثير، وكثر استعمالهم للفظة حتى لعب فيها لسان العرب على اللغات الأربع التي ذكرت، وهذا كما لعب في قولهم: لعمري حتى قالوا: رَعَمْلِي[(٣)]، وكما قالوا: أطيب[(٤)] وأيطب، وكما قالوا: طِبِّيخ في بِطِّيخ، فعوملت الكافُ وأيُّ معاملةَ ما هو شيءٌ واحدٌ.

فأَما اعتلال لغة من قال: (كائن) على وزن فاعل؛ فإِنهم أخذوا الأصل الذي هو (كأيِّن) فقلبوا الياء قبل الهمزة ونقلت حركةُ كلِّ واحد منهما إلى أختها، فجاء (كيَّأ) على وزن كيَّع، فحذفوا الياء الثانية المفتوحة تخفيفاً، كما حذفوا الياء من ميِّت وهيِّن وليِّن فقالوا، مَيْت وهيْن ولَيْن، وكما حذفوا الياء الثانية من (أيّ) تخفيفاً، ومنه قول الفرزدق بن غالب التميمي:

= وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٧٨)، وهو منسوب للأعور الشني من عبد القيس في الموشى (ص: ٨)، وسر الفصاحة (ص: ٦٢)، والدلائل في غريب الحديث (١/ ٣٥٢)، والبيان والتبيين (١/ ١٥٤)، والحماسة البصرية (٢/ ٨٢)، وللهيثم بن الأسود النخعي، في فصل المقال في شرح كتاب الأمثال (ص: ٥٢)، وفي التذكرة الحمدونية (١/ ٢٨٣) أنه لأبي بكر العرزمي الكوفي.

(١) البيت للأعور بن براء الكلابي كما في الاختيارين المفضليات والأصمعيات (ص: ١٨٣)، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه (١/ ١٠٧)، وربيع الأبرار ونصوص الأخيار (٤/ ١٨٥)، وعزاه للكميت، كما في الوساطة بين المتنبي وخصومه (ص: ٣٢٩).

(٢) ليس في الأصل والحمزوية.

(٣) في الأصل: رعلي.

(٤) في الأصل: «طيب»، وفي الحمزوية: «أيطب وأطيب».

[الطويل] تنَظَّـرتُ نَصْـرَاً والسِّـماكَين أَيْهُمـا عليَّ من الغَيثِ استهلَّتْ مَوَاطِرُهْ[(١)]

فجاء (كَيْءٍ) على وزن كَيْعٍ، فأبدلت هذه الياء الساكنة ألفاً مراعاةً للفتحة التي قبلها، كما قالوا: في يَوْجَل ياجل، وكما أبدلوا الياء ألفاً في (طاي)، وكما أبدلت في (آية) عند سيبويه؛ إذ أصلها عنده «أَيَّة» على وزن فَعْلة بسكون العين[(٢)]، فجاء (كاءٍ) ثم كتب هذا التنوين نوناً في المصحف، فأما قياس اللغة فحذفه في الوقف، فكما يقولون: مررت بزيدْ فكذلك يقولون: (كأَيْ).

ووقف عليه أبو عمرو (كَأَيْ) بياء ساكنة[(٣)] دون نون[(٤)]، وكذلك روى سورة بن المبارك[(٥)] عن الكسائي[(٦)]، ووقف سائر القراء بإِثبات النون مراعاة لخط المصحف.

قال أبو علي: ولو قيل: إنه لما تُصرِّفَ في الكلمة بالقلب صارت بمنزلة النون التي من نفس الكلمة وصارت بمنزلة لام (فاعل)، فأقرت في الوقف، لكان قولاً، ويقوّي ذلك أنهم لما حذفوا الكلام من قولهم: (إِمّا لا)، جعلوها بالحذف ككلمة واحدة، فأجازوا الإِمالة في ألف[(٧)] (لا) كما تجوز في التي هي من نفس الكلمة في الأسماء والأفعال، فيوقف على (كأين) بالنون، ولا يوقف على النون إذا لم تقلب، كما لا تميل الألف من (لا) إذا لم يحذف فعلها[(٨)].

---

(١) انظر عزوه له في: المحتسب (١/ ٤١)، والحجة لأبي علي (٣/ ٨١)، والمحكم (٣/ ٤٣٩).

(٢) تقدم الكلام على الخلاف في اشتقاق (آية) في مقدمة الكتاب.

(٣) زيادة من السليمانية.

(٤) وهي سبعية متواترة. انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ٦٠).

(٥) هو سورة بن المبارك الخراساني الدينوري، روى القراءة عن الكسائي، وهو من المُكثرين عنه، وروى عنه محمد بن سمعان بن أَبي مسعود، ومحمد بن الجهم، وأَحمد بن زكرياءَ السوسي. طبقات القراءِ لابن الجزري (١/ ٣٢١).

(٦) انظر: الإقناع في القراءات السبع (ص: ٢٦١).

(٧) في السليمانية وفيض الله: «الألف».

(٨) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٨٢).

قال القاضي أبو محمد: وبهذه اللغة التي فيها هذا القلب قرأ ابن كثير وحده، وقرأ سائر السبعة باللغة التي هي الأصل كأيِّن[(١)].

وذهب يونس بن حبيب في (كائنْ) إلى أنه فاعل من الكون، وقوله مردود؛ إذ يلزم[(٢)] عنه إِعراب الكلمة، ولم يُعرِبْها أحد من العرب[(٣)].

وأما اللغة التي هي (كأْيِنْ) على وزن (كَعْيِنْ) فهي قراءة ابن محيصن والأشهب / العقيلي[(٤)]. [١/ ٢٦٤]

وتعليل هذه اللغة أَنه علل الأصل الذي هو «كأَيِّن» بالتعليل المتقدم، فلما جاء (كَيْءٍ) على وزن (كَيْع)، ترك هؤلاء إِبدال الياء الساكنة ألفاً كما تقدم في التعليل الأول، وقلبوا الكلمة فجعلوها (كَأْيِنْ) على وزن (كَعْيِنْ)، وحسن هذا من وجهين: أحدهما أَن التلعب والتصرف في هذه الكلمة مهيع، والثاني أنهم راجعوا الأصل الذي هو تقديم الهمزة على الياء.

وأما اللغة التي هي [(كإِنْ) على وزن (كَعِن)][(٥)] فهي قراءة ابن محيصن أيضاً[(٦)]، حكاها عنه أبو عمرو الداني[(٧)]، وقرأها الحسن بن أبي الحسن إلا أنه سهَّل الهمزة ياء فقرأ: (كَيٍ) في جميع القرآن[(٨)].

---

(١) انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢١٦)، التيسير في القراءات السبع (ص: ٩٠). «كأين»: سقطت من الأصل والمطبوع.

(٢) في نور العثمانية: «لا يلزم» بالنفي، وهو خطأ يناقض ما بعده.

(٣) انظر: إيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٢٦٤).

(٤) وهي قراءة شاذة. انظر: المحتسب لابن جني (١/ ١٧٠).

(٥) في الأصل: «كا على وزن كع»، وفي السليمانية ولالاليه: «التي هي كياء على وزن كيع».

(٦) وهي قراءة شاذة. انظر: تفسير الثعلبي (٣/ ١٨٠)، ومختصر الشواذ (ص: ٢٩).

(٧) انظر حكاية الداني في: البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٣٦٨).

(٨) وهي قراءة شاذة، عزاها له الكرماني في: الشواذ (ص: ١٢١).

وتعليل هذه اللغة أَنهم حذفوا الألف من (كائِنْ)[١] الممدودة على وزن (كاعِنْ) بعد ذلك التصرف كله تخفيفاً، وهذا كما قالوا: أَمَ واللهِ، يريدون: أمَا، وكما قالوا على لسان الضبِّ:

[مجزوء الرجز]

لا أشتهي أن أَرِدَا إلا عَراداً عَرِدَا
وصِلِّيَاناً بَرِدا وَعنْكَثاً مُلْتَبِدَا[٢]

أرادوا: عارداً وبارداً، فحذفوا تخفيفاً، وهذا كثير في كلامهم.

و(كأَيِّن) في هذه الآية في موضع رفع بالابتداء، وهي بمنزلة (كم) وبمعناها، تعطي في الأَغلب التكثير.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع: ﴿قُتِلَ﴾ بضم القاف وكسر التاء مخففة.

وقرأ الباقون: ﴿قَـٰتَلَ مَعَهُۥ﴾، بألف بين القاف والتاء[٣].

وقرأ قتادة: (قُتِّلَ) بضم القاف وكسر التاء مشدودة على التكثير[٤].

وقوله تعالى: ﴿قُتِل﴾ قال فيه جماعة من المفسرين منهم الطبري: إنه مستند[٥] إلى ضمير ﴿نَّبِيٍّ﴾، والمعنى عندهم: أن النبيَّ قُتِلَ[٦]. قال ابن عباس في قوله: ﴿وما كان لنبيٍّ أن يُغَلَّ﴾ [آل عمران: ١٦١]: النبيُّ[٧] يُقتَل، فكيف لا يُخانُ[٨].

---

(١) في الأصل: «كاء».
(٢) هذا مما وضعوه على ألسنة البهائم.انظر: إصلاح المنطق (ص: ٢٧٧)، والجيم (٢/ ١٩٨)، وجمهرة اللغة (٢/ ٦٣٣).
(٣) وهما سبعيتان، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢١٧)، والتيسير للداني (ص: ٩٠).
(٤) وهي قراءة شاذة. انظر: مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٩)، والمحتسب لابن جني (١/ ١٧٣).
(٥) في السليمانية وفيض الله ولالاليه: «مسند».
(٦) تفسير الطبري (٧/ ٢٦٤).
(٧) ليست من الأصل.
(٨) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٣١٣)، من حديث ابن عباس، ورواته ثقات، سوى شيخ الطبراني، فلم أقف له على ترجمة. =

وإذا كان هذا فـ﴿رِبِّيُّونَ ﴾ مرتفع بالظرف بلا خلاف.

وقوله تعالى: ﴿مَعَهُۥرِبِّيُّونَ ﴾ على هذا التأويل يجوز أن يكون صفة لـ﴿نَّبِيٍّ﴾، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير الذي أسند إليه ﴿قُتِلَ﴾، فإن جعلته صفةً أضمرت للمبتدأ الذي هو (كأيِّن) خبراً تقديره في آخر الكلام: مضى أو ذهب أو فقد ﴿فَمَا وَهَنُواْ ﴾، وإن جعلت ﴿مَعَهُۥرِبِّيُّونَ ﴾ حالاً من الضمير فخبر المبتدأ في قوله: ﴿قُتِلَ﴾، وإذا جعلته صفة فالضمير في ﴿مَعَهُۥ﴾ عائد على ﴿نَّبِيٍّ﴾، وإذا جعلته حالاً فالضمير في ﴿مَعَهُۥ﴾ عائد على الضمير ذي الحال، وعلى كلا الوجهين من الصفة والحال فـ﴿مَعَهُۥرِبِّيُّونَ ﴾ متعلق في الأصل بمحذوف، وليس متعلقاً بـ﴿قُتِلَ﴾.

وقال الحسن بن أبي الحسن وجماعة معه: إنَّ ﴿قُتِلَ﴾ إنما هو مستند إلى قوله: ﴿رِبِّيُّونَ ﴾ وهم المقتولون، قال الحسن وسعيد بن جبير: لم يقتل نبيٌّ في حربٍ قطُّ[1].

قال القاضي أبو محمد: فعلى هذا القول يتعلق قوله: ﴿مَعَهُۥ﴾ بـ﴿قُتِلَ﴾، وهذه الجملة: ﴿قُتِلَ مَعَهُ ربِّيُّونَ﴾ هي خبر الابتداء.

ويتصور في قراءة من قرأ: ﴿قَـٰتَلَ﴾ جميع ما ذكرته من التقديرات في قراءة ﴿ قُتِلَ﴾.

وأَما قراءة قتادة: (قُتِّلَ) فقال أبو الفتح: لا يحسن أن يُسْنَدَ الفعلُ إلا إلى الرِّبِّيين؛ لما فيه من معنى التكثير الذي لا يجوز أن يُسْتَعملَ في قَتْلِ شخصٍ واحد، فإن قيل: يستند إلى ﴿نَّبِيٍّ﴾ مراعاة لمعنى (كم)، فالجواب: أَن اللفظ قد مشى على جهة الإِفراد في قوله: ﴿مِّن نَّبِيٍّ﴾، ودل الضمير المفرد في ﴿مَعَهُۥ﴾ على أَن المراد إِنما هو التمثيل بواحدٍ واحد، فخرج الكلام على معنى (كم)، قال أبو الفتح: وهذه القراءةُ تقوّي قولَ من قال من

= وهذه القراءة سبعية كما سيرد في موضعه، غير أنه روي أن ابنَ عباس نقل له أن ابنَ مسعود رضي الله عنه قرأ بها، فجاء كلامه هذا اعتراضاً عليها. انظر: الوسيط للواحدي (١/ ٥١٤)، والدر المنثور (٢/ ٣٦٢).

(١) تفسير الطبري (٧/ ٢٦٧).

السبعة: إن ﴿قُتِلَ﴾ بتخفيف التاء، أو ﴿قَـٰتَلَ﴾ إنما يستند إلى الرِّبيِّين[(١)].

ورجح الطبري استناد ﴿قُتِلَ﴾ إلى النبي بدلالة نازلة محمد ﷺ، وذلك أَن المؤمنين إنما تخاذلوا لما قيل: قتل محمد، فضرب المثل بنبيٍّ قُتِل[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: وإذا لم يسند الفعل إلى ﴿نَّبِيٍّ﴾ فإنما يجيء معنى الآية: تثبيت المؤمنين بعد من قتل[(٣)] منهم فقط، وترجيحُ الطبريّ حسن[(٤)]، ويؤيد ذلك ما تقدم من قوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِـلَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وحجة من قرأ: ﴿قَـٰتَلَ﴾ أنها أعم في المدح؛ لأنه يدخل فيها من قُتِل ومن بقي.

قال القاضي أبو محمد: ويحسن عندي على هذه القراءة إسناد الفعل إلى الربيين، وعلى قراءة: ﴿قُتِلَ﴾ إسناده إلى ﴿نَّبِيٍّ﴾.

وأجمع السبعة وجماعة من الناس على كسر الراء من ﴿رِبِّيُّونَ﴾.

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وابن عباس وعكرمة والحسن وأبو رجاء وعمرو بن عبيد وعطاء بن السائب[(٥)]: (رُبّيون) بضم الراء.

وروى قتادة عن ابن عباس: (رَبّيون) بفتح الراء[(٦)].

قال ابن جني: الفتح في الراء لغة تميم، وكلها لغات[(٧)].

---

(١) المحتسب (١/ ١٧٣).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٢٦٤).

(٣) في السليمانية وفيض الله: «فقد».

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٢٦٤).

(٥) عطاءُ بن السائب أَبو زيدٍ الثقفي، الكوفي، أَحد الأعلام، أَخذ القراءة عرضاً عن أَبي عبد الرحمن السلمي، وأدركَ علياً، روى عنه شعبة بن الحجاج، وأبو بكر بن عياش، وجعفر بن سليمان، توفي سنة: (١٣٦). طبقات القراء لابن الجزري (١/ ٥١٣).

(٦) وهما من الشاذ. انظر عزوهما لهم في: المحتسب (١/ ١٧٣)، وعزو الأولى لأكثرهم في تفسير الثعلبي (٣/ ١٨١)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ١٨٣)، ومختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٩).

(٧) المحتسب لابن جني (١/ ١٧٣).

واختلف الناس في معنى ﴿رِبِّيُّونَ﴾ فقال ابن مسعود: الربيون: الألوف من الناس والجمع الكثير[١]، وقال ابن عباس: ربيون: جموع كثيرة[٢]، وقاله الحسن وقتادة وعكرمة[٣].

ولقول عبد الله بن مسعود وابن عباس: إنهم الألوف؛ قال بعض المفسرين: هم عشرة آلاف فصاعداً[٤]، أخذ ذلك من بناء الجمع الكثير [في قولهما: هم الألوف.

وهذا القول في الربيين أنهم الجماعات الكثيرة هو من الرِّبة بكسر الراء، وهي الجماعة الكثيرة][٥]، قاله يونس بن حبيب، وقال: إن قوله تعالى: ﴿قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾ هم منسوبون إليها، قال قطرب: جماعة العلماء على قول يونس[٦].

وقال الزجاج: يقال: إن الرِّبة عشرة آلاف[٧].

وروي عن ابن عباس[٨] وعن الحسن بن أبي الحسن وغيرهما أَنهم قالوا: ﴿رِبِّيُّونَ﴾ معناه: علماء[٩]، وقال الحسن: فقهاء علماء، قال أيضاً: علماء صُبر، وهذا القول هو على النسبة إِلى الرَّب، إِما لأنهم مطيعون له، أو من حيث هم علماء بما شرع، ويقوى هذا القول في قراءة من قرأ: (رَبيون) بفتح الراء، وأما في ضم الراء وكسرها

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٢٧٧)، بإسناد فيه عاصم بن أبي بهدلة، وهو ضعيف في الحديث.
(٢) أخرجه الطبري (٧/ ٢٦٦)، وابن أبي حاتم (٤٢٧٨)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما به.
(٣) تفسير الطبري (٧/ ٢٦٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٨٠).
(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧٦).
(٥) ليس في الأصل.
(٦) انظر قولهما في: المحتسب (١/ ١٧٣).
(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧٦).
(٨) أخرجه الطبري (٧/ ٢٦٦-٢٦٧)، من طريق عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به، وعطاء هذا هو ابن دينار، لم يسمع من ابن جبير التفسير، انظر: جامع التحصيل (٥١٩).
(٩) تفسير الطبري (٧/ ٢٦٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٨٠ - ٧٨١)، وتفسير الصنعاني (١/ ١٣٤).

فيجيء على تغيير النسب، كما قالوا في النسبة إلى الحَرَم: حِرْميٌّ بكسر الحاء، وإلى البَصْرة: بِصْري بكسر الباء، وفي هذا نظر.

وقال ابن زيد: الرَّبانيون: الولاة، والرَّبيون: الرعية الأتباع للولاة[١].

قال القاضي أبو محمد: كأن هذا من حيث هم مربوبون.

وقال النقَّاش: اشتقاق (رِبّيّ) من: ربا الشيءُ يربُو: إذا كثر، فسُمِّي بذلك الكثيرُ العلم[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف.

وقال مكي: رِبّي بكسر الراء منسوب إلى الرَّب، لكن كسرت راؤه إِتباعاً للكسرة والياء اللتين بعد الراء، وروي بضم الراء كذلك لكنهم ضموها كما قيل: دُهْريٌّ بضم الدال في النسب إلى الدَّهْر[٣].

[١/ ٢٦٥] وقرأ جمهور الناس/: ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ بفتح الهاء.

وقرأ الأعمش والحسن وأبو السمال: (وَهِنوا) بكسر الهاء[٤]، وهما لغتان بمعنىً، يقال: وَهِنَ بكسر الهاء يوهَنُ، وَوَهَن بفتح الهاء يَهِنُ.

وقرأ عكرمة وأبو السمال أيضاً: (وَهْنوا) بإِسكان الهاء[٥]، وهذا على طلب الخفة كما قالوا: في نِعْم وبِئْس إِلى غير ذلك من الأمثلة، وقد تقدم معنى الوهن في قوله آنفاً: ﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾.

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٢٦٩).

(٢) البحر المحيط (٣/ ٣٧٢).

(٣) الهداية لمكي (٢/ ١١٤٨).

(٤) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها لهم في: مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٩)، إلا أبا السمال ففي الكامل للهذلي (ص: ٥١٩).

(٥) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها له ولأبان بن تغلب في: الشواذ للكرماني (ص: ١٢٢).

والضمير في قوله: ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ عائد على جميع الرِّبيين في قول من أسند ﴿قُتِلَ﴾ إلى ﴿نَّبِيٍّ﴾، ومن أسنده إلى الرِّبيين قال في هذا الضمير: إِنه يعود على من بقي منهم؛ إذ المعنى يفهم نفسه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ضَعُفُواْ﴾ معناه: لم يكتسبوا من العجز والإِلقاء باليد ما ينبئُ عن ضعفهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُواْ﴾ ذهبت طائفة من النحاة إلى أنه [من السكون، فوزنه افتَعَلُوا، استكَنُوا، فمطلت فتحة الكاف فحدث من مَطْلها ألفٌ، وذهبت طائفة إلى أنه][١] مأخوذ من كان يكون[٢]، فوزنه على هذا الاشتقاق استَفعَلُوا، أصله استكوَنُوا، نقلت حركة الواو إلى الكاف وقلبت أَلفاً، كما فعلوا في قولك: استعانوا واستقاموا.

والمعنى: إِنهم لم يضعفوا، ولا كانوا قريباً من ذلك، كما تقول: ما فعلتُ كذا ولا كِدتُ، فتحذف لأن الكلام يدل على أن المراد: وما كدت أن أفعل، ومحبة الله تعالى للصابرين ما يظهر عليهم من نصره وتنعيمه.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾.

هذه الآية في ذكر الرِّبيين؛ أي: هذا كان قولهم، [لا ما قاله بعضكم ـ يا أصحاب محمد ـ][٣] مِن قول مَن قال: نأخذ أماناً من أبي سفيان، ومِن قولِ مَن قال: نرجع إلى

---

(١) ليس في الأصل، وقد استدركناه من النسخ الأخرى.

(٢) انظر القولين في: مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٥٠٥)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٩٧).

(٣) في الأصل: «لا قَالَ بعضِهم وأصحابِ محمدٍ».

ديننا الأول، ومِن قول مَن فرَّ[(١)]، فلا شك أن قوله مناسب لفعله ولو بعض المناسبة، إلى غير ذلك مما اقتضته تلك الحال من الأقوال.

وقرأ السبعة وجمهور الناس: ﴿قَوۡلَهُمۡ﴾ بالنصب، ويكون الاسم فيما بعد ﴿إِلَّآ﴾، وقرأ جماعة من القراء: (قولُهُمْ) بالرفع، وجعلوا الخبر فيما بعد (إلّا)، وروى ذلك حماد بن سلمة عن ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم، ذكره المَهْدَوي[(٢)].

واستغفار هؤلاء القوم الممدوحين في هذا الموطن ينحو إلى أنهم رأوا أن ما نزل من مصائب الدنيا إنما هو بذنوب من البشر، كما نزلت قصة أُحُد بعصيان من عصى.

وقوله تعالى: ﴿ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا﴾ عبارتان عن معنىً قريب بعضُهُ من بعض، جاء ذلك للتأكيد ولتعمَّ[(٣)] مناحي الذنوب، وكذلك فسر ابن عباس وغيره.

وقال الضحاك: الذنوب عام، والإسرافُ في الأمر أريد به الكبائر خاصة[(٤)].

وقوله: ﴿وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾ يحتمل أن يجري مع ما قبله من معنى الاستغفار، فيكون المعنى: اجعلنا دائبين على طاعتك والإيمان بك، وتثبيتُ القدم على هذا استعارةٌ.

ويحتمل أن يكون في معنى ما بعده من قوله: ﴿وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، فيراد ثبوت القدم حقيقة في مواقف الحرب[(٥)].

---

(١) أخرجه الطبري (٧/ ٢٧٣)، من طريق ابن إسحاق به معضلاً.

(٢) قال الداني في جامع البيان (٣/ ٩٩٠): رواه عبيد بن نعيم وهارون بن حاتم عن أبي بكر عن عاصم، وهي قراءة الحسن كما في إتحاف فضلاء البشر (١/ ٢٢٩)، ونقلها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٢٩، عنه)، وعن نعيم بن سلمة عن ابن كثير، والثعلبي (٣/ ١٨٢) عنه وعن ابن أبي إسحاق، وهي قراءة شاذة، وانظر مثل ما ذكره عن المهدوي في: البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٣٧٤).

(٣) في المطبوع: «لتعلم»، وكأنها مصححة في الأصل.

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٢٧٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٨٣).

(٥) تفسير الطبري (٧/ ٢٧٣)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٩٢)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٤٧٧).

قال ابن فورك: في هذا الدعاء ردٌّ على القدرية؛ لقولهم: إن الله لا يخلقُ أفعالَ العبد، ولو كان ذلك لم يسُغ أن يُدعَى فيما لا يفعله(١).

و﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ في هذه الآية: الظهور على عدوهم، قاله ابن إسحاق وقتادة(٢) وغيرهما.

وقال ابن جريج: الظَّفَر والغَنيمة(٣)، وفسر بهذا جماعة من المؤلفين في التفسير.

قال النقاش: ليس إلا الظفر والغلبة فقط؛ لأن الغنيمة لم تحلَّ إلا لهذه الأمة(٤).

قال القاضي أبو محمد: وهذا اعتراض صحيح.

﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْآخِرَةِ﴾ الجنة بلا خلاف، وعبر بلفظة (حُسْن) زيادةً في الترغيب، وباقي الآية بين.

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾.

الإشارة بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إلى المنافقين الذين جبّنوا(٥) المسلمين، وقالوا في أمر أُحُد: لو كان محمد نبيّاً لم يهزم، والذين قالوا: قد قُتِل محمد، فلنرجع إلى ديننا الأول، إلى(٦) نحو هذه الأقوال، ثم اللفظ يقتضي كلَّ كافر كان في ذلك

(١) نقله عنه في البحر المحيط (٣/ ٣٧٤).
(٢) تفسير الطبري (٧/ ٢٧٥)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٨٤).
(٣) تفسير الطبري (٧/ ٢٧٥)، وتفسير الماوردي (١/ ٤٢٨).
(٤) نقله عنه في البحر المحيط (٣/ ٣٧٥).
(٥) جَبَّنَه: نسبه إلى الجبن. قال في حاشية المطبوع: وفي نسخة: «خبَّبُوا» بمعنى: خدعوا.
(٦) وقع في الأصل: «إلى الأول».

الوقت ويكونُ إلى يوم القيامة، نهى الله المؤمنين عن طاعتهم.

و﴿بَلِ﴾ تركٌ للكلام الأول ودخول في غيره.

وقرأ جمهور الناس: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡ﴾ على الابتداء والخبر، وهذا تثبيت.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (بلِ اللهَ) بالنصب[(١)] على معنى: بل أطيعوا الله.

وقوله تعالى: ﴿سَنُلۡقِي﴾ استعارة؛ إذ حقيقة الإِلقاء إنما هي في الأَجرام، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ [النور: ٤]، ونحوه قول الفرزدق:

[الطويل]
هُمَـا نَفَثَا فِـي فِـيَّ مِـنْ فَمَوِيْهِمَا عَلَى النَّابِحِ الْعَاوِي أَشَدَّ رِجَامِ[(٢)]

وقرأ جمهور الناس: ﴿سَنُلۡقِي﴾ بنون العظمة.

وقرأ أيوب السختياني: (سَيُلْقِي) بالياء[(٣)] على معنى: (هو).

وقرأ ابن عامر[(٤)] والكسائي: ﴿الرُّعُبَ﴾ بضم العين حيث وقع.

وقرأ الباقون: ﴿ٱلرُّعۡبَ﴾ بسكون العين[(٥)].

وهذا كقولهم: عُنُق وَعُنْق، وكلاهما حسن فصيح.

وسبب هذه الآية: أَنه لما ارتحل أبو سفيان بالكفار؛ بعث رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب وقال: انظر القوم، فإِن كانوا قد جنَّبوا الخيل وركبوا الإِبل فهم متشمِّرون إلى مكة، وإِن كانوا على الخيل فهم عامدون إلى المدينة، فمضى علي

---

(١) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها له في: البحر المحيط (٣/ ٣٧٦)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ٢٩) لآخرين.

(٢) انظر عزوه له في: معاني القرآن للأخفش (١/ ٢٤٩)، والجمل في النحو (ص: ٢٤٠)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٦٢٢)، والمحتسب (٢/ ٢٣٨).

(٣) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها له في: مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٩).

(٤) في فيض الله: «ابن عباس».

(٥) وهما سبعيتان. انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢١٧)، والتيسير للداني (ص: ٩١).

فرآهم قد جنبوا الخيل، فأخبر رسول الله ﷺ، فَسُرَّ وسر المسلمون[١].

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فتجهز واتبع المشركين يريهم[٢] الجَلَد، فبلغ حمراءَ الأسد؛ وإن أبا سفيان قال له كفار قريش: أحين قتلناهم وهزمناهم ولم يبقَ إلا الفلّ والطريد ننصرف عنهم؟ ارجع بنا إليهم حتى نستأصِلَهم فعزموا على ذلك.

وكان معبد بن أبي معبد الخزاعي[٣] قد جاء إلى رسول الله ﷺ وهو على كفره، إلا أن خزاعة كلها كانت تميل / إلى رسول الله ﷺ، فقال له: والله يا محمد لقد ساءنا[٤] [١/ ٢٦٦]
ما أصابك؛ ولوددنا أنك لم تُرْزَأْ في أصحابك.

فلما سمع رسول الله ﷺ والناس بما عزمت عليه قريش من الانصراف اشتد ذلك عليهم، فسخَّر الله ذلك الرجل معبد بن أبي معبد، وألقى بسببه الرعب في قلوب الكفار، وذلك أنه لما سمع الخبر ركب حتى لحق بأبي سفيان بالرَّوْحاء، وقريش قد أجمعوا الرجعةَ إلى رسول الله ﷺ وأصحابه[٥]، فلما رأى أبو سفيان معبداً قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمعٍ لم أرَ مثله قط، يتحرقون عليكم، قد اجتمع معه كل[٦] من كان تخلَّفَ عنه، وندموا على ما صنعوا، قال: ويلك، ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل، قال: فوَالله لقد أجمعنا الكرةَ عليهم لنستأصلَ بقيتهم، قال: فإني أنهاك عن ذلك، والله لقد حملني

---

(١) إلى هذا الموضع أورده ابن إسحاق في السيرة (ص: ١١٨)، من قوله معضلاً.

(٢) في المطبوع: «يريه».

(٣) معبد الخزاعي ذكره أبو عمر بن عبد البر فقال: هو الذي رد أبا سفيان يوم أُحد عن الرجوع إلى المدينة، قال ابن حجر في الإصابة (٦/ ١٣٣): وزعم بعضهم أن معبداً هذا هو ولد أم معبد الخزاعية التي مر النبي ﷺ بها في الهجرة، والذي يظهر لي أنه غيره.

(٤) في الأصل: «أساءنا».

(٥) ليست في الأصل.

(٦) زيادة من السليمانية ولالاليه.

ما رأيت على أن قلت فيه شعراً، قال: وما قلت؟ قال: قلت:

[البسيط]

كَادَتْ تُهَدّ مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي ... إِذْ سَالَتِ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلِ

تَـرْدِي بِأُسْـدٍ كِـرَامٍ لَا تَنَابِلَـةٍ ... عِنْـدَ اللِّقَـاءِ وَلَا مِيـلٍ مَعَازِيـلِ

فَظلتُ عَدْواً أَظُـنّ الْأَرْضَ مَائِلَةً ... لَمَّا سَمَوْا بِرَئِيسٍ غَيْرِ مَخْذُولِ[1]

إلى آخر الشعر، فوقع الرعبُ في قلوب الكفار، وقال صفوان بن أمية: لا ترجعوا فإني أرى أنه سيكونُ للقوم قتالٌ غيرُ الذي كان، فنزلت هذه الآية في هذا الإلقاء[2]، وهي بعدُ متناولةٌ كلَّ كافر، ويجري معها قول النبي عليه السلام: «نُصِرْت بالرعب مسيرة شهر»[3]، ويظهر أَن هذه الفضيلة إنما أعلم عليه السلام بها بعد هذه الأحوال كلها حين امتد ظلُّ الإِسلام.

قال بعض أهل العلم: إنه لما أمر الله المؤمن[4] بالصبر، ووعده النصر، وأخبره أن الرعب مُلْقىً في قلوب الكفار، نقص الرعب من[5] كلّ كافر جزءاً مع زيادة شجاعة المؤمن؛ إذ قد وُعِد النصر، فلذلك كلف المؤمن الوقوف للكافرين.

وقوله تعالى: ﴿بِمَآ أَشْرَكُواْ﴾ هذه باء السبب، والمعنى: أن المشركَ بالله نفسه مقسمة في الدنيا، وليس له بالله تعالى ثقة، فهو يكره الموت، ويستشعر الرعب منه.

و«السلطان»: الحجة والبرهان.

---

(١) الأبيات معزوة لمعبد الخزاعي في تفسير الطبري (٧/ ٤٠٨)، وتفسير الثعلبي (١/ ٥١٨)، والأغاني (١٧/ ٩٣).

(٢) أخرجه الطبري (٧/ ٤٠٦)، من طريق محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، معضلاً.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٢٨)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ومسلم (٥٢٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في الأصل وأحمد٣: «المؤمنين»، ويعكر عليه ما بعده.

(٥) في الأصل: «في»، والمثبت من النسخ الأخرى، وفي نور العثمانية: «بعض» بدل «نقص»، وهو تصحيف.

ثم أخبر تعالى بعاقبة الكفار في الآخرة.

و«المأوى»: مفعَل من أوَيتُ إلى المكان: إذا دخلتَه وسكنتَ فيه، و«المثوى»، مفْعَل من: ثوَيتُ، والتقدير: وبئس مثوى الظالمين هي.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾.

جاءت المخاطبة في هذه الآيات بجمع ضمير المؤمنين، وإن كانت الأمور التي عاتبهم الله تعالى عليها لم يقع فيها جميعهم، ولذلك وجوه من الفصاحة: منها وعظ الجميع وزجره؛ إذ مَن لم يفعل مُعَدّ أَن يفعل إن لم يزجر، ومنها الستر والإبقاء على من فعل.

وكان رسول الله ﷺ قد وعد المؤمنين النصرَ يومئذ على خبر الله تعالى إن صبروا وجدُّوا، فصدق الله الوعد أولاً، وذلك أَن رسول الله ﷺ صافَّ المشركين[١] يومئذ ورتب الرماة، على ما قد ذكرناه في صدر تفسير هذه الآيات في قصة أُحد، فبارز علي ابن أبي طالب أبا سعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين، وحمل الزبير وأبو دجانة[٢] فهزَّا عسكر المشركين، ونهض رسول الله ﷺ بالناس، فأبلى حمزة بن عبد المطلب وعاصم بن أبي الأقلح[٣]، وانهزم المشركون وقتل منهم اثنان وعشرون رجلاً، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾.

---

(١) في المطبوع والسليمانية: «المسلمين».

(٢) أَبو دجانة الأنصاري: هو سماك بن خرشة، شهد بدراً وأحداً، ولما التحم القتال يوم أُحد ذَبَّ عن النبي ﷺ حتى كثرت فيه الجراحة واستشهد باليمامة، وهو ممن شاركوا في قتل مسيلمة، الإصابة (٧/ ٩٩).

(٣) أخرجه الطبري (٧/ ٢٨٣)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس به.

و«الحَس»: القتل الذريع، يقال: حسَّهم: إذا استأصلهم قتلاً، وحس البردُ النبات، وقال رؤبة:

[الرجز] إِذَا تَشَكَّوا سَنَةً حَسُوسَا تَأْكُلُ بَعْدَ الأَخْضَرِ الْيَبِيسَا[١]

قال بعض الناس: هو مأخوذ من الحاسَّة، والمعنى في حس: أفسد الحواسَّ.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف.

و«الإِذْن»: التمكين مع العلم بالممكَّن منه.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ يحتمل أن تكون ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية مجرَّدة[٢]، كأنه قال: إلى أن فشلتم، ويقوي هذا أن ﴿إِذَا﴾ بمعنى: (إذ)؛ لأن الأمر قد كان تقضَّى، وإِنما هي حكاية حال، فتستغني ﴿إِذَا﴾ على هذا النظر عن جواب، والأظهر الأقوى أَن ﴿إِذَا﴾ على بابها تحتاج إلى الجواب، وتكون ﴿حَتَّىٰٓ﴾ كأنها حرف ابتداء على نحو دخولها على الجمل.

واختلف النحاة في جواب ﴿إِذَا﴾؛ فذهبت فرقة إلى أن الجواب قوله: (تنازعْتُم)، والواو زائدة، وحكى المهدوي عن أبي علي أنه قال: الجواب قوله: ﴿صَرَفَكُمْ﴾ و﴿ثُمَّ﴾ زائدة[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول لا يشبه نظر أبي علي.

ومذهبُ سيبويه والخليل وفرسان الصناعة أَن الجواب محذوفٌ مقدر يدل عليه المعنى، تقديره: انهزمتم ونحوه[٤].

---

(١) انظر عزوه لرؤبة في: مجاز القرآن (١/ ١٠٤)، وسيرة ابن هشام (٢/ ١١٤)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١٨٤)، والمحكم (٥/ ٣٩). وفي المطبوع وأكثر المصادر: «إذا شكونا»، وفي فيض الله: «حسيسا».

(٢) زاد في أحمد٣ هنا: «لأن إذا بمعنى إذ».

(٣) انظر: التحصيل للمهدوي (٢/ ١٣٧).

(٤) يقصد أن هذا مذهبهم في مثله، ولم أقف لهم على كلام في هذه الآية بعينها.

و«الفشل»: استشعار العجز وترك الجد، وهذا مما فعله يومئذ قوم.

و«التنازع»: هو الذي وقع بين الرماة، فقال بعضهم: الغنيمة، الغنيمة، ألحق بنا[1] بالمسلمين، وقال بعضهم: بل نثبت كما أمرنا.

و(عَصيتُم): عبارة عن ذهاب مَنْ ذَهَبَ من الرُّماة حتى تمكن خالد بن الوليد من غِرَّة المسلمين.

وقوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ يعني من هزم القوم، قال الزبير ابن العوام: والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة[2] وصواحبها مشمراتٍ هارباتٍ ما دونَ أخذهن قليل ولا كثير، إذ مالت الرماةُ إلى العسكر حين كشفنا القومَ عنه يريدون النهب، وخلَّوا ظهورنا للخيل، فأُتينا من أدبارنا، وصرخ صارخ: ألا إِن محمداً قد قتل، فانكفأنا وانكفأ علينا القوم[3].

وقوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا﴾ إخبارٌ عن الذين / حرصوا على الغنيمة وكان المالُ هَمَّهم، قاله ابن عباس وسائر المفسرين[4]. [١/ ٢٦٧]

وقال عبد الله بن مسعود: ما كنت أرى أن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ يريدُ الدنيا حتى نزل فينا يومَ أحد: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ إِخبار عن ثبوتِ من ثبت من

---

(١) وفي المطبوع: «ألحقونا».

(٢) هي زوج أبي سفيان، وأم معاوية، أسلمت بعد الفتح. انظر: الطبقات الكبرى (٨/ ١٨٧)، والخدم: جمع خدمة، وهي الخلخال.

(٣) أخرجه الطبري (٧/ ٢٨٤) بإسناد فيه محمد بن إسحاق، وقد عنعنه.

(٤) أخرجه الطبري (٧/ ٢٩٤)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما به.

(٥) أخرجه الطبري (٧/ ٢٩٥)، وابن أبي حاتم (٤٣٣٠) من طريق أسباط بن نصر، عن السدي، عن عبد خير، عن ابن مسعود رضي الله عنه به. وهذا إسناد ضعيف من أجل أسباط بن نصر.

الرماة مع عبد الله بن جبير امتثالاً للأمر حتى قتلوا، ويدخل في هذا أنس بن النضر[١] وكلٌّ من جدَّ ولم يضطرب من المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ معناه: ليُنْزِلَ بكم ذلك البلاء من القتل والتمحيص.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ إعلامٌ بأنّ الذنبَ كان يستحقُّ أكثر مما نزل، وهذا تحذير، والمعنى: ولقد عفا عنكم بأن لم يستأصلوكم، فهو بمنزلة: ولقد أبقى عليكم، ويحتمل أن يكون إخباراً بأنه عفا عن ذنوبهم في قصةِ أُحد، فيكون بمنزلة العفو المذكور بعد، وبالتفسير الأول قال ابن جريج وابن إسحاق وجماعة من المفسرين[٢].

وقال الحسن بن أبي الحسن: قتل منهم سبعون، وقتل عم النبي عليه السلام، وشُجَّ في وجهه، وكُسِرَتْ رَباعيته[٣]، وإنما العفو أنْ لم يستأصلهم، هؤلاء مع رسول الله ﷺ وفي سبيل الله غضابٌ لله، يقاتلون أعداءَ الله، نهُوا عن شيءٍ فضيعوه، فوَالله ما تُرِكُوا حتى غُمّوا بهذا الغمِّ، فأَفسقُ الفاسقينَ اليوم يجترمُ كلَّ كبيرة، ويركبُ كلَّ داهية، ويسحبُ عليها ثيابه، ويزعمُ أنْ لا بأسَ عليه، فسوف يعلم[٤].

قوله عز وجل: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ...﴾.

العامل في ﴿إِذْ﴾ قوله: ﴿عَفَا﴾.

---

(١) ورد في أثر أخرجه الطبري (٧/ ٢٥٤) من طريق أسباط بن نصر، عن السدي معضلاً. وأسباط ضعيف الحديث.

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٢٩٨ - ٢٩٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٩٠).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٩١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٢٩٨).

وقرأ جمهور الناس: ﴿تُصْعِدُونَ﴾ بضم التاء وكسر العين من أَصعَد، ومعناه: ذهب في الأرض، [وفي قراءة أبي بن كعب: (إذ تصعدون في الوادي)(١).

قال القاضي أبو محمد: و«الصَّعِيد»: وجهُ الأرضِ](٢)، وصَعْدةُ: اسمٌ من أسماء الأرض، فأَصعدَ معناه: دخل في الصعيد، كما أن أصبح: دخل في الصَّباح إلى غير ذلك، والعرب تقول: أصعدنا من مكة وغيرها، إذا استقبلوا سفراً بعيداً، وأنشد أبو عبيدة لحادي الإِبل:

قَـدْ كُنْتِ تَبْكِيـنَ عَلَـى الإصعَادِ فالآنَ سرحْتِ وَصَاحَ الْحَادِي(٣) [الرجز]

وقرأ الحسن بن أبي الحسن وأبو عبد الرحمن واليزيدي(٤) ومجاهد وقتادة: (إذ تَصْعَدون) بفتح التاء والعين(٥)، من صعِدَ: إذا علا، والمعني بهذا: صعودُ من صعِدَ في الجبل.

قال القاضي أبو محمد: والقراءة الأولى أكثر.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْوُنَ﴾ مبالغة في صفة الانهزام، وهو كما قال دريد: وهل يردُّ المنهزم شيء؟(٦)، وهذا أشد من قول امرئ القيس:

---

(١) وهي قراءة شاذة. انظر: مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٩)، وتفسير الطبري (٧ / ٣٠٠)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١٨٥).
(٢) ليس في نور العثمانية.
(٣) البيت بلا نسبة في مجاز القرآن (١/ ١٠٥)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١٨٥)، وتفسير ابن المنذر (٢/ ٤٥١). وفي المطبوع: «صرحت» بالصاد.
(٤) هو يحيى بن المبارك الإمام، أَبو محمد العدوي البصري المعروف باليزيدي، نحويٌّ مقرئ، ثقة، علامة كبير، نزل بغداد،، له تصانيف عدة، توفي سنة: (٢٠٢هـ). غاية النهاية (٢/ ٣٧٥)، وفي نور العثمانية: «أبو عبد الرحمن الزبيدي»، دون واو بينهما.
(٥) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها للحسن وقتادة في تفسير الثعلبي (٣ / ١٨٥)، ولهما ولمجاهد في آخرين في الكامل للهذلي (ص: ٥٢٠)، وللكل في البحر المحيط (٣/ ٣٨٤).
(٦) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٤٣٨)، والشعر والشعراء (٢/ ٧٣٨)، والعقد الفريد (١/ ١٢٠).

[الطويل] .... أَخُو الْجَهْدِ لا يَلْوِي عَلَى مَنْ تَعَذَّرَا[1]

وقرأ ابن محيصن وابن كثير في رواية شبل: (إذْ يُصْعدون ولا يَلْوون) بالياء فيهما[2] على ذكر الغيب.

وقرأ بعض القراء: (ولَا تَلْؤُون) بهمز الواو المضمومة[3]، وهذه لغة.

وقرأ بعضهم: (ولا تَلُوْنَ) بضم اللام وواوٍ واحدة[4]، وهي قراءة متركبة على لغة مَن همز الواو المضمومة، ثم نقلت حركة الهمزة إلى اللام، وحذفت إحدى الواوين [الساكنتين.

وقرأ الأعمش وعاصم في رواية أبي بكر: (تُلْوُون) بضم التاء[5]، من ألوى][6] وهي لغة.

وقرأ حميد بن قيس: (على أُحُد) بضم الألف والحاء[7]، يريد الجبل، والمعنيُّ بذلك رسول الله عليه السلام؛ لأنه كان على الجبل، والقراءة الشهيرة أقوى؛ لأن النبي ﷺ لم يكن على الجبل إلا بعدما فرَّ الناس عنه، وهذه الحال من إصعادهم إنما كانت

---

(١) البيت لامرئ القيس، وصدره: بسير يضجُّ العودُ منه يمنُّه، انظر عزوه له في: المحكم (٢/ ٧٢)، والعمدة في محاسن الشعر (٢/ ٧٧)، ومعجم البلدان (٢/ ٣٠٠).

(٢) انظر عزوها لهما في: تفسير الثعلبي (٣/ ١٨٥)، ولابن محيصن في مختصر الشواذ (ص: ٢٩)، وله ولآخرين في الكامل للهذلي (ص: ٥٢٠)، وليست من طرق التيسير ولا النشر.

(٣) وهي قراءة شاذة. انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٣٨٥).

(٤) وهي قراءة شاذة، قرأ بها الحسن البصري كما في مختصر الشواذ (ص: ٢٩)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١٨٥).

(٥) وهي قراءة شاذة انظر عزوها لأبي بكر في: إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٨٤)، وليست من طرق التيسير ولا النشر، وله وللأعمش في البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٣٨٦).

(٦) ليس في نور العثمانية.

(٧) وهي شاذة. انظر عزوها له في: البحر المحيط (٣/ ٣٨٦)، ونقلها الكرماني في الشواذ (ص: ١٢٣)، عن الحسن، وعائشة وأبي بكر.

وهو يدعوهم، وروي أنه كان ينادي: «إليَّ عبادَ الله»، والناس يفرُّون عنه[١].

وفي قوله تعالى: ﴿فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ﴾ مدحٌ للنبي عليه السلام، فإِن ذلك هو موقف الأَبطال في أعقاب الناس، ومنه قول الزَّبير بن باطا[٢]: ما فعل مقدمتنا إذ حملنا وحاميتنا[٣] إذ فررنا[٤]، وكذلك كان رسول الله ﷺ أشجعَ الناس[٥].

ومنه قول سلمة بن الأكوع: كنا إذا احمرَّ البأسُ اتقينا برسول الله ﷺ[٦].

وقوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمۡ﴾ معناه: جازاكم على صَنيعكم، وسمى الغمَّ ثواباً على معنى أنه القائم في هذه النازلة مقام الثواب، وهذا كقوله:

.... تحيةُ بينِهم ضربٌ وَجِيعُ[٧] [الوافر]

وكقول الآخر:

أخاف زياداً أن يكونَ عطاؤه أداهمَ سُوداً أو مُحَدْرَجَةً سُمْرَا[٨] [الطويل]

---

(١) ورد في أثر أخرجه الطبري (٧/ ٢٥٤)، من طريق أسباط بن نصر، عن السدي معضلاً. وأسباط ضعيف الحديث.

(٢) هو الزبِير بن باطيا، ويقال: باطا، وهو بفتح الزاي وكسر الباءِ، جد الزبير بن عبد الرحمن، وهو يهودي من بني قريظة، وكان قدْ مَنَّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية، فطلب من النبي ﷺ أن يهب له دمه. انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٤٢).

(٣) في لالاليه والسليمانية: «مقدمتها»، و«داميتنا»، وفي أحمد٣: «مقدمنا».

(٤) انظر كلامه هذا في: عيون الأثر لابن سيد الناس (٢/ ١٠٧).

(٥) أخرجه مسلم (٢٣٠٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٦) أخرجه أحمد (١/ ١٥٦)، وأبو يعلى (١/ ٢٥٨) وغيرهم من طريق: أبي إسحاق، سمع حارثة بن مضرب، عن علي رضي الله عنه به. وهذا إسناد صحيح، أبو إسحاق قد صرح في بعض الطرق بالسماع.

(٧) البيت لعمرو بن معدي كرب كما تقدم في تفسير الآية (٢٠٨) من سورة البقرة.

(٨) البيت للفرزدق كما في المعاني الكبير (٢/ ٨٧٧)، والصحاح في اللغة (١/ ٣٠٥)، ومعجم ديوان الأدب (٢/ ٤٧٧).

فجعل القيودَ والسياطَ عطاء، ومحدرجة: بمعنى مدحرجة.

واختلف الناس في معنى قوله تعالى: ﴿غَمَّۢا بِغَمّٖ﴾:

فقال قوم: المعنى: أثابكم غمّاً بسبب الغم الذي أدخلتموه على رسول الله ﷺ وسائر المؤمنين، بفشلكم وتنازعكم وعصيانكم(١).

قال القاضي أبو محمد: فالباء على هذا باء السبب.

وقال قوم: المعنى أثابكم غمّاً بالغم الذي أُوقِعَ على أيديكم بالكفار يومَ بدر(٢).

قال القاضي أبو محمد: فالباء على هذا باء معادلة، كما قال أبو سفيان: يومٌ بيوم بدر، والحربُ سِجَالٌ(٣).

وقالت جماعة كثيرة من المتأولين: المعنى أثابكم غمّاً على غم، أو غمّاً مع غم، وهذه باء الجر المجرد(٤).

واختلفوا في ترتيب هذين الغمين:

فقال قتادة ومجاهد: الغمُّ الأول: أن سمعوا: أَلا إن محمداً قد قتل، والثاني: القتل والجراح الواقعة فيهم(٥)، وقال الربيع وقتادة أيضاً بعكس هذا الترتيب(٦).

وقال السدي ومجاهد أيضاً وغيرهما: بل الغمُّ الأول هو قتلهم وجراحهم وكلُّ ما جرى في ذلك المأزق، والغم الثاني هو إشراف أبي سفيان على النبي ﷺ ومن كان معه(٧).

(١) معاني القرآن للزجاج (١/ ٤٧٩).
(٢) تفسير الطبري (٧/ ٣٠٦ - ٣٠٧).
(٣) أخرجه البخاري (٢٨٧٤)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.
(٤) تفسير الطبري (٧/ ٣٠٣ - ٣٠٤)، وتفسير الماوردي (١/ ٤٣٠)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ١٤٠).
(٥) تفسير الطبري (٧/ ٣٠٥).
(٦) تفسير الطبري (٧/ ٣٠٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٤٣٠)، وتفسير الماوردي (١/ ٤٣٠).
(٧) تفسير الطبري (٧/ ٣٠٧ - ٣٠٨، ٣١٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٩١).

وذلك أن رسول الله ﷺ / طفق يومئذ يدعو الناس حتى انتهى إلى قوم من أصحابه [١/ ٢٦٨] قد علَوا صخرة في سفح(١) الجبل فمشى نحوهم، فأهوى إليه رجل منهم بسهم ليرميه فقال: أنا رسول الله، ففرحوا بذلك، وفرح هو عليه السلام إذ رأى من أصحابه الامتناع، ثم أخذوا يتأسَّفون على ما فاتهم من الظفر، وعلى مَن مات من أصحابهم.

فبينما هم كذلك إذ أشرف عليهم أبو سفيان من علو في خيلٍ كثيرة، فنسوا ما نزل بهم أولاً، وأهمهم أمر أبي سفيان، فقال رسول الله عليه السلام: «ليس لهم أن يعلونا، اللهم إن تقتلْ هذه العصابة لا تعبد»، ثم ندب أصحابه [فرموهم بالحجارة](٢)، وأغنى هنالك عمر بن الخطاب حتى أنزلوهم(٣).

واختلفت الروايات في هذه القصة من هزيمة أُحُد اختلافاً كثيراً، وذلك أَن الأمر هُوِّلَ، فكلُّ أَحدٍ وصف ما رأى وسمع، قال كعب بن مالك: أول من ميَّز رسولَ الله ﷺ أنا، رأيت عينيه تزهران تحت المغفر(٤).

ورُوي: أن الخيل المستعلية إنما كانت حملة خالد بن الوليد، وأَن أبا سفيان إنما دنا والنبي عليه السلام في عرعرة الجبل(٥)، ولأبي سفيان في ذلك الموقف(٦) قول كثير(٧)، ولعمر معه مراجعة محفوظةٌ، اختصرتها إذ لا تخصُّ الآية(٨).

وقوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ معناه: من الغنيمة، ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ معناه: من القتل والجرح وذل الانهزام وما نيل من نبيكم.

(١) في المطبوع: «صفح».
(٢) ليست في الأصل.
(٣) أخرجه الطبري (٧/ ٣٠٨-٣٠٩)، من طريق ابن شهاب الزهري، به معضلاً.
(٤) الطبري (٧/ ٣٠٨-٣٠٩)، وهو جزء من الأثر السابق ذكره.
(٥) عرعرة الجبل: رأسه ومعظمه.
(٦) في لالاليه وأحمد٣: «الوقت».
(٧) صحيح البخاري (٢٨٧٤)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.
(٨) وكل ذلك مذكور في قول ابن شهاب الزهري عند الطبري (٧/ ٣٠٨-٣٠٩).

قال القاضي أبو محمد: واللام من قوله: ﴿لِّكَيْلَا﴾ متعلقة بـ(أَثَابكُمْ)، المعنى: لتعلموا أن ما وقع بكم إنما هو بجنايتكم، فأنتم آذيتم أنفسكم، وعادة البشر أَن جاني الذنب يصبر للعقوبة، وأكثر قلق المعاقب وحزنه إنما هو مع ظنه البراءة بنفسه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ توعُّدٌ.

ثم ذكر الله تعالى أمر النعاس الذي أَمَّن به المؤمنين فغشي أهلَ الإِخلاص، وذلك أنه لما ارتحل أبو سفيان من موضع الحرب، قال النبيُّ ﷺ لعلي بحضرة أصحابه المتحيزين في تلك الساعة إليه: «اذهب فانظر إلى القوم، فإن جنبوا الخيل فهم ناهضون إلى مكة، وإِن كانوا على خيلهم فهم عامدون إلى المدينة، فاتقوا الله واصبروا»، ووطَّنهم على القتال.

فمضى علي ثم رجع فأخبر أنهم جنبوا الخيل وقعدوا على أثقالهم عجالاً[1]، فأَمِنَ الموقنون المصدقون رسول الله ﷺ، وألقى الله عليهم النعاس، وبقي المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ لا يصدّقون، بل كان ظنهم أن أبا سفيان يؤمُّ المدينةَ ولا بد، فلم يقع على أحدٍ منهم نوم، وإِنما كان همهم في أحوالهم الدنياوية[2].

قال أَبو طلحة: لقد نمت في ذلك اليوم حتى سقط سيفي من يدي مراراً[3].

وقال الزبير بن العوام: لقد رفعت رأسي يومَ أحد من النوم، فجعلت أنظرُ إلى أصحاب النبي ﷺ، فما منهم أحدٌ إلا وهو يميل تحت حَجَفته[4].

وقال ابن مسعود: نعسنا يوم أُحُد، والنعاسُ في الحرب أَمَنَةٌ من اللَّهِ، والنعاسُ في الصلاة من الشيطان[5].

---

(١) أورده ابن إسحاق في السيرة (ص: ٣٣٤)، من قوله معضلاً به.

(٢) في الحمزوية: «وإنما كان همهم في أمر دنياهم».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٩)، من طريق حميد الطويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن أبي طلحة به. ورواية حميد عن أنس، على الإرسال، إلا أحاديث يسيرة، إلا أن جل ما رواه عنه، فهو بواسطة ثابت البناني، وثابت ثقة، وانظر: جامع التحصيل (١٤٤).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٤٤٤)، بإسناد صحيح، والحجفة: التُّرس.

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ٤١٩)، بإسناد فيه عاصم بن أبي النجود، وهو ضعيف في الحديث.

وقرأ جمهور الناس: ﴿أَمَنَةً﴾ بفتح الميم، وقرأ ابن محيصن والنخعي: (أَمْنَة) بسكون الميم[١].

وهما بمعنى الأمن، وفتح الميم أفصح، وقوله: ﴿نُّعَاسًا﴾ بدل.

وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر: ﴿يَغْشَىٰ﴾ بالياء حملاً على لفظ النعاس بإِسناد الفعل إلى الضمير البدل.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿تغشى﴾ بالتاء[٢] حملاً على لفظ ﴿أَمَنَةً﴾ بإِسناد الفعل إلى ضمير المبدل منه.

والواو في قوله تعالى: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ﴾ هي واو الحال، كما تقول: جئت وزيد قائم، قاله سيبويه وغيره[٣].

قال الزجاج: وجائز أن يكون خبر قوله: ﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ قولَه: ﴿يَظُنُّونَ﴾، ويكون ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ﴾ صفةً للطائفة[٤].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ ذهب أكثر المفسرين قتادة والربيع وابن إسحاق وغيرهم إلى أن اللفظة من الهمّ الذي هو بمعنى الغمّ والحزن[٥]، والمعنى: إِن نفوسهم المريضة وظنونهم السيئة قد جلبت إليهم الهمَّ خوفَ القتل وذهاب الأموال[٦]، تقول العرب: أهمَّني الشيءُ: إذا جلب الهمَّ.

وذكر بعض المفسرين أن اللفظة من قولك: همَّ بالشيء يَهُمُّ: إذا أراد فعله.

---

(١) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها لهما في: المحتسب لابن جني (١/ ١٧٤).

(٢) وهي سبعية متواترة، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢١٧)، والتيسير للداني (ص: ٩١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٨٠)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ١٥٨)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١٧٧).

(٤) معاني القرآن وإعرابه له (١/ ٤٧٩-٤٨٠).

(٥) تفسير الطبري (٧/ ٣٢٠-٣٢١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٩٤).

(٦) في السليمانية وفيض الله ولالاليه: «الأحوال».

قال القاضي أبو محمد: والمعنى: أهمَّتْهم أنفسهم المكاشفةَ [ونبْذَ الدين][(١)]، وهذا قول من قال: قد قُتِل محمد فلنرجع إلى ديننا الأول، ونحو هذا من الأقوال.

قوله عز وجل: ﴿...يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ معناه: يظنون أَن الإِسلام ليس بحق، وأَن أمر محمد عليه السلام يضمحلُّ ويذهب.

وقوله: ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد مدة الجاهلية القديمة قبل الإِسلام، وهذا كما قال: ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦]، و﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وكما تقول: شعر الجاهلية، وكما قال ابن عباس: سمعت أبي في الجاهلية يقول: اسقنا كأساً دِهاقاً[(٢)].

وذهب بعض المفسرين إلى أنه أراد في هذه الآية: ظن الفرقة الجاهلية، والإِشارة إلى أبي سفيان ومن معه[(٣)]، والأمر محتمل، وقد نحا هذا المنحى قتادة والطبري[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ حكاية كلام قالوه، قال قتادة وابن جريج: قيل لعبد الله بن أبي ابن سلول: قُتِل بنو الخزرج، فقال: وهل لنا من الأمر من شيء؟ يريد أن الرأي ليس لنا[(٥)]، ولو كان لنا منه شيء لسمع من رأينا فلم يخرج فلم يُقْتَلْ أحدٌ منا، وهذا منهم قول بأَجَلَين.

---

(١) ليست في الأصل.
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٢٧)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.
(٣) تفسير الطبري (٧/ ٣٢١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٩٤).
(٤) تفسير الطبري (٧/ ٣٢١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٩٤).
(٥) انظر قول ابن جريج في: تفسير الطبري (٧/ ٣٢٢)، وتفسير ابن المنذر (٢/ ٤٥٦)، وقول قتادة في البحر المحيط (٣/ ٣٩٣).

وكأن كلامهم يحتمل الكفر والنفاق، على معنى: ليس لنا من / أمر الله شيء، [١/ ٢٦٩]
ولا نحن على حقٍّ في اتباع محمد، ذكره المهدوي وابن فورك[(١)].

لكن يُضْعِفُ ذلك أن الردَّ عليهم إنما جاء على أن كلامهم في معنى سوء الرأي في الخروج، وأنه لو لم يخرج لم يقتل أحد.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ اعتراض أَثناء الكلام فصيح.

وقرأ جمهور القراء: ﴿كُلَّهُۥ﴾، بالنصب على تأكيد الأمر، لأن ﴿كُلَّهُۥ﴾ بمعنى: أجمعَ.

وقرأ أبو عمرو بن العلاء: ﴿كلُّه لله﴾ برفع (كل)[(٢)] على الابتداء والخبر.

ورجَّح الناس قراءةَ الجمهور؛ لأن التأكيد أملكُ بلفظة (كل).

وقوله تعالى: ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ يحتمل أن يكون إِخباراً عن تستُّرهم بمثل هذه الأقوال التي ليست بمحضِ كفرٍ، بل هي جهالة، ويحتمل أن يكون إخباراً عما يخفونه من الكفر الذي لا يقدرون أن يظهروا منه أكثرَ من هذه النزعات، وأخبر تعالى عنهم على الجملة دون تعيين، وهذه كانت سنته في المنافقين، لا إله إلا هو.

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ هي مقالة سمعت من مُعَتّبِ بن قشير[(٣)] المغموص عليه بالنفاق، وقال الزبير بن العوام فيما أَسند الطبري عنه: والله لكأني أسمع قولَ معتب بن قشير أخي بني عمرو بن عوف، والنعاسُ يغشاني،

---

(١) التحصيل للمهدوي (٢/ ١٣٩).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢١٧)، والتيسير للداني (ص: ٩١).

(٣) هو معتب بن قُشير ـ مصغراً ـ بن بليلٍ، وقيل: مليل الأنصاري الأوسي، ذكروه فيمن شهد العقبة وبدراً وأُحداً، وقيل: إِنه كان منافقاً ثم تاب. وهو القائل يوم أُحد: لو كان لنا من الأَمر شيءٌ ما قتلنا هاهنا. انظر: الإصابة (٦/ ١٣٧).

ما أسمعه إلا كالحلم [حين قال][(١)]: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: وكلامُ معتب يحتملُ من المعنى ما احتمل كلام عبد الله بن أبي، ومعتب هذا ممن شهد بدراً، ذكر ذلك ابن إسحاق، وغيره[(٣)]، وقال ابن عبد البر: إِنه شهد العقبة[(٤)]، وذلك وهم، والصحيح أَنه لم يشهد عقبة[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ الآية، ردٌّ على هذه الأقوال، وإعلامٌ بأن أجل كل امرئ إِنما هو واحد، فمن لم يقتل فهو يموت لذلك الأجل على الوجه الذي قدَّر الله تعالى به[(٦)]، وإِذا قُتِلَ فذلك هو الذي كان في سابق الأزل.

وقرأ جمهور الناس: ﴿فِى بُيُوتِكُمْ﴾ بضم الباء، وقرأ بعض القراء ـ وهي بعض طرق السبعة ـ ﴿في بِيُوتِكم﴾ بكسر الباء[(٧)].

وقرأ جمهور الناس: ﴿لَبَرَزَ﴾ بفتح الراء والباء على معنى: صاروا في البَراز من الأرض.

---

(١) ليست في الأصل.

(٢) صحيح، أخرجه الطبري (٧/ ٣٢٣) من طريق: يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن ابن الزبير، عن أبيه، وإسناده صحيح.

(٣) سيرة ابن هشام (٣/ ٢٤٣)، والإصابة (٦/ ١٧٥).

(٤) الاستيعاب (٣/ ١٤٢٩).

(٥) لعل ابن عطية اعتمد في هذا التصحيح على عدم ذكر ابن إسحاق له فيهم، لكن ذلك لا يقتضي وهم أبي عمر، فقد ذكره منهم الزبير بن بكار كما رواه الطبراني في الكبير (٣/ ١١٦)، ولم يعلق عليه الهيثمي في الزوائد (١/ ٣٠٥)، وجزم به ابن ماكولا في الإكمال (٧/ ٢٨٠)، وسلمه ابن الأثير في أسد الغابة (٥/ ٢٣٧)، وابن حجر في الإصابة (٦/ ١٧٥).

(٦) زيادة من السليمانية وأحمد٣ ولالاليه.

(٧) قراءة الضم للأقل وهم ورش عن نافع وحفص عن عاصم وأبو عمرو، والكسر للباقين، انظر: التيسير (ص: ٧٣)، وقد تقدم في (البقرة).

وقرأ أبو حيوة: (لبُرِّز) بضم الباء وكسر الراء وشدها[١].

وقرأ جمهور الناس: ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾ أي: كتب عليهم في قضاء الله وتقديره.

وقرأ الحسن والزهري: (عليهِمُ القِتالُ)[٢]، وتحتمل هذه القراءة معنى الاستغناء عن المنافقين؛ أي: لو تخلفتم أنتم لبرز المؤمنون الموقنون[٣] المطيعون في القتال المكتوب عليهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾[٤] الآية: اللام في قوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ﴾ متعلقة بفعل متأخر تقديره: وليبتلي الله وليمحص فَعَل هذه الأمور الواقعة، و«الابتلاء» هنا: هو الاختبار، و«التمحيص»: تخليص الشيء من غيره، والمعنى: ليختبره فيعلمه علماً مُساوِقاً لوجوده، وقد كان متقرراً قبل وجود الابتلاء أَزلاً.

و﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: ما تنطوي عليه من المعتقدات، هذا هو المراد في هذه الآية.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥)﴾.

اختلف المتأولون في مَن المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾:

فقال الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: المراد بها جميع من تولى ذلك اليوم عن العدو.

---

(١) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها له في: مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٩)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١٨٨)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ١٨٥)، والكامل للهذلي (ص: ٥٢١).

(٢) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها لهما في: البحر المحيط (٣ / ٣٩٦)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ١٢٤) لقتادة.

(٣) ليست في الأصل والحمزوية.

(٤) جاء هذا القدر من الآية ملحقاً بالمقطع اللاحق في الأصل، وقد آثرنا اتباع النسخ الأخرى.

قال القاضي أبو محمد: يريد على جميع أنحاء التولي الذي لم يكن تحرُّفاً لقتال.

وأسند الطبري رحمه الله قال: خطب عمر رضي الله عنه يوم الجمعة فقرأ (آلَ عِمران)، وكان يعجبه إذا خطب أن يقرأها، فلما انتهى إلى قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ ﴾ قال: لما كان يوم أُحُد هُزمنا ففررتُ حتى صعدتُ الجبل، فلقد رأيتني أنزو كأني أروى، والناس يقولون: قُتِلَ محمد، فقلت: لا أجدُ أَحداً يقول: قتل محمد إلا قتلته، حتى اجتمعنا على الجبل، فنزلت هذه الآية كلها[١].

قال قتادة: هذه الآية في كلِّ من فرَّ بتخويف الشيطان وَخَدْعِهِ، وعفا الله عنهم هذه الزَّلَّة[٢].

قال ابن فورك: لم يبقَ مع النبي يومئذ إلا ثلاثة عشر رجلاً، أبو بكر، وعلي، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وسائرهم من الأنصار، أبو طلحة وغيره[٣].

وقال السدي وغيره: إنه لما انصرف المسلمون عن جملة المشركين عليهم صعد قوم الجبل، وفر آخرون حتى أتوا المدينة، فذكر الله في هذه الآية الذين فروا إلى المدينة خاصةً[٤].

قال القاضي أبو محمد: جعل الفرارَ إلى الجبل تحيُّزاً إلى فئة.

وقال عكرمة: نزلت هذه الآية فيمن فر من المؤمنين فراراً كثيراً، منهم رافع

---

(١) أخرجه الطبري (٧/ ٣٢٧)، عن شيخه أبي هشام الرفاعي، وهو محمد بن يزيد بن محمد العجلي، قاضي بغداد، متفق على تضعيفه، انظر: تهذيب الكمال (٢٧/ ٢٤).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٣٢٨).

(٣) لم أجد من نقله عنه.

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٣٢٨-٣٢٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٩٦)، وتفسير الماوردي (١/ ٤٣١).

ابن المعلى[١]، وأبو حذيفة بن عتبة[٢]، ورجل آخر[٣]، قال ابن إِسحاق: فرَّ عثمان بن عفان وعقبة بن عثمان[٤] وأخوه سعد[٥]، ورجلان من الأَنصار زُرَقيان، حتى بلغوا الجَلعبَ[٦] ـ جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص[٧] ـ فأقاموا[٨] به ثلاثة أيام، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ، فقال لهم: «لقد ذهبتم فيها عريضة»[٩].

قال ابن زيد[١٠]: فلا أدري هل عفا عن هذه الطائفة خاصة أم عن المؤمنين جميعاً؟[١١].

و(استزلَّ) معناه: طلب منهم أن يزِلُّوا؛ لأن ذلك هو مقتضى وسوسته وتخويفه.

---

(١) هو رافع بن المعلى الأنصاري الزُّرَقي، له ذكر في ترجمة درة بنت أبي لهب، روي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ ﴾ أَنَّ الآية نزلت في عثمان بن رافع بن المعلى. الإصابة (٢/ ٣٧٠).

(٢) هو أَبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي العبشمي، كان من السابقين إِلى الإسلام، وهاجر الهجرتين، وصلى إِلى القبلتين، استشهد يوم اليمامة وهو ابن ست وخمسين سنة. الإصابة (٧/ ٧٤).

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٣٢٩).

(٤) في نور العثمانية: عتبة بن عثمان، والصواب أنه عقبة بن عثمان بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق الأنصاري، ذكره ابن إسحاق وغيره فيمن شهد بدراً، وذكره فيمن فرّ يوم أحد حتى بلغ جبلاً مقابل الأعوص، فأقام ثم رجع. انظر: الإصابة (٤/ ٤٣٢).

(٥) هو سعد بن عثمان بن خلدة بن مخلّد الأنصاريّ الزرقيّ، ذكره موسى بن عقبة وغيره في البدريين. انظر: الإصابة (٣/ ٥٧).

(٦) في الأصل: «الجعلب»، والصواب الجَلَعْبُ: بفتحتين، وسكون العين المهملة وهو جبل بناحية المدينة. معجم البلدان (٢/ ١٥٤).

(٧) موضع قريب من المدينة على بضعة عشر ميلاً. انظر: القرط على الكامل (١/ ١٥٥) وتاج العروس (١/ ٤٤٨٣).

(٨) في المطبوع: «فقاموا».

(٩) أخرجه الطبري (٧/ ٣٢٩)، من طريق محمد بن إسحاق، به معضلاً.

(١٠) في فيض الله: «ابن دريد»، وفي نور العثمانية: «قال زيد»، وما أثبت هو الموافق لما في تفسير الطبري.

(١١) تفسير الطبري (٧/ ٣٣٠) عن ابن زيد.

وقوله تعالى: ﴿بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْ﴾ ظاهره عند جمهور المفسرين أَنه كانت لهم ذنوب عاقبهم الله عليها بتمكينِ الشيطان من استزلالهم، وبخلق ما اكتسبوه أيضاً هم من الفرار.

وذهب الزجاج وغيره إلى أن المعنى: أن الشيطان ذكَّرهم بذنوب لهم متقدمة، فكرهوا الموت قبل التوبة منها والإِقلاعِ عنها(١).

قال المَهْدَوي: بما اكتسبوا من حبِّ الغنيمة، والحرص على الحياة(٢).

[١/ ٢٧٠] قال القاضي أبو محمد: / ويحتمل لفظ الآية أن تكون الإِشارة في قوله: ﴿بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْ﴾ إلى هذه الفَرَّة(٣)، أي: كان للشيطان في هذا الفعل الذي اكتسبوه استزلال لهم(٤)، فهو شريكٌ في بعضه.

ثم أخبر تعالى بعفوه عنهم، فتأوله جمهور العلماء على حطِّ التبعيةِ(٥) في الدنيا والآخرة، وكذلك تأوله عثمان بن عفان في حديثه مع عبيد الله بن عدي بن الخيار(٦)، وكذلك تأوله ابن عمر في حديثه مع الرجل العراقي(٧).

وقال ابن جريج: معنى الآية: عفا الله عنهم؛ إذ لم يعاقبهم(٨).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٨١).

(٢) التحصيل (٢/ ١٤٠)، نقله عنه في البحر المحيط (٣/ ٣٩٨).

(٣) أي الفرار، وفي المطبوع: «العبرة»، وفي السليمانية ولالاليه وأحمد٣: «القرة». وفي فيض الله ونور العثمانية: «القراه».

(٤) في السليمانية ولالاليه: «استزلالهم»، وفي أحمد٣: «استدلال لهم».

(٥) في الحمزوية والمطبوع: «التبعة».

(٦) حديث عثمان مع ابن الخيار، أخرجه البخاري في صحيحه (٣٤٩٣)، ولكن لم يأت فيه تأويل للآية كما ذكر المصنف هاهنا، ولم أجده كذلك خارج الصحيح.

(٧) أخرجه البخاري (٣٤٩٥)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ولكن فيه أن الرجل مصري.

(٨) تفسير الطبري (٧/ ٣٢٩).

والفرار من الزحف كبيرة من الكبائر بإجماع فيما علمت(١)، وعدَّها رسول الله ﷺ في الموبقات مع الشرك وقتل النفس وغيرها(٢).

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾.

نهى الله تعالى المؤمنين عن الكون مثل الكفار والمنافقين في هذا المعتقد الفاسد، الذي هو أن من سافر في تجارة ونحوها ومن قاتل فَقُتِلَ لو قعد في بيته لعاش ولم يمت في ذلك الوقت الذي عَرَّضَ فيه نفسه للسفر أو للقتال، وهذا هو معتقدُ المعتزلةِ في القول بالأَجَلين، وهو نحو منه.

وقوله تعالى: ﴿لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ هي أخوَّة نسَبٍ؛ لأن قتلى أُحُدٍ كانوا من الأنصار، أكثرهم من الخزرج، ولم يكن فيهم من المهاجرين إلا أربعة، وصرح بهذه المقالة ـ فيما ذكر السدي ومجاهد وغيرهما ـ عبد الله بن أُبَيّ المنافق وأصحابه، وقيل: بل قالها جميع المنافقين(٣).

ودخلت ﴿إِذَا﴾ في هذه الآية وهي حرف استقبال من حيث ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم فيه إبهام يعمُّ مَن قال في الماضي، ومَن يقول في المستقبل، ومن حيث هذه النازلة تتصور في مستقبل الزمان، ويطّرِدُ النهيُ للمؤمنين فيها، فوضعت ﴿إِذَا﴾؛ لتدلَّ على اطراد الأمر في مستقبل الزمان.

---

(١) نقله أبو حيان (٣/ ٣٩٨)، وفي المحلى بالآثار (٥/ ٣٤٣) عن الحسن قال: ليس الفرار من الزحف من الكبائر، إنما كان ذلك يوم بدر خاصة، وردَّه، ومثله في المجموع شرح المهذب (١٩/ ٢٩٤) عن عمر وابنه وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأبي بصرة وعكرمة ونافع والحسن وقتادة وزيد أبي حبيب والضحاك، قال: ولكن هذا خلاف قاعدة العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٦١٥)، ومسلم (٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به.
(٣) انظر القولين في: تفسير الطبري (٧/ ٣٣١-٣٣٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٩٨).

وهذه فائدة وضع المستقبل موضع الماضي، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥] إلى نحو هذا من الآيات، وكما قالت: وفينا نبي يعلم ما في غدِ[١].

كما أَن فائدة وضعهم الماضي موضع المستقبل للدلالة على ثبوت الأمر؛ لأن صيغة الماضي متحققة الوقوع، فمن ذلك قول الشاعر:

[الطويل] وإنّي لآتِيكُمْ تَشَكُّرَ مَا مَضَى مِنَ الأَمْرِ واستيجابَ مَا كَانَ فِي غَدِ[٢]

ومنه قول الربيع:

[المنسرح] أَصْبَحْتُ لا أَحْمِلُ السِّلاحَ ولا أَمْلِكُ رَأسَ البَعيرِ إنْ نَفَرَا[٣]

و«الضرب في الأرض»: الإِبعاد في السير، ومنه: ضرب الدهرُ ضَرَباته[٤]: إذا بعدت المدة.

و«ضربُ الأرض»: هو الذهاب فيها لحاجة الإِنسان خاصة بسقوط (في)، وقال السدي وغيره [في هذه الآية: الضرب في الأرض: السيرُ في التجارة، وقال ابن إسحاق وغيره: بل هو السير][٥] في جميع طاعات الله ورسوله، والضرب في الأرض يعمُّ القولين.

و﴿غُزًّى﴾: جمع غاز، وزنه فُعَّل ـ بضم الفاء وشد العين المفتوحة ـ كشاهد وشُهَّد، وقائل وقُوَّل، وينشد بيت رؤبة:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٧٩)، من حديث الرُّبِّيع بنت معوِّذ رضي الله عنها في حديث الجارية التي كانت تغنِّي به، فنهاها النبي ﷺ.

(٢) البيت للطرماح بن حكيم، كما في لسان العرب (١٣/ ٣٦٨)، وتاج العروس (٣٦/ ٧٧)، وهو في معاني القرآن للفراء (١/ ١٨٠)، والخصائص (٣/ ٣٣٤) غير منسوب، وفي الأصل والحمزوية: واستحباب، والمثبت هو الذي في أكثر المصادر، وفي بعضها: «استنجاز».

(٣) للربيع بن ضبع بن وهب الفزاري، كما في الكتاب لسيبويه (١/ ٨٩)، وقد تقدم في الآية (١٠٣) من هذه السورة.

(٤) في الأصل: «ضربانه».

(٥) ليس في نور العثمانية.

فـالآن قـد نَـهْنَـهَـني تَـنَـهْنُهِـي وأَوْلُ حُـلْـمٍ لـيـسَ بالـمُسـفَّـهِ [الرجز]
وقُـــوَّلٌ إلّا دهٍ فـــلا دَهِ[١]

يريد إِن لم تتبِ الآنَ فلا تتوبُ أبداً، وهو مثَلٌ معناه: إِن لم يكن كذا فلا يكون كذا، وقد روي: وقولُهم [إِلا دَهٍ فلا دَهِ][٢].

قال سيبويه وغيره: لا يدخل (غُزًّى) الجر ولا الرفع[٣].

وقرأته عامة القراء بتشديد الزاي، وقرأ الحسن بن أبي الحسن والزهري: (غُزَى) مخففة الزاي[٤]، ووجهه إِما أن يريد غزاةً، فحذف الهاءَ إخلاداً إلى لغة من يقول: (غُزًّى) بالتشديد، وهذا الحذف[٥] كثير في كلامهم، ومنه قول الشاعر يمدح الكسائي:

أبـى الـذمَّ أخـلاقُ الكسـائيِّ وانتمـى بـه المجدَ أخـلاقُ الأبـوِّ السـوابق[٦] [الطويل]

يريد الأُبوَّةَ جمع أبٍ، كما أن العُمومة جمع عم، والبُنُوَّة جمع ابن، وقد قالوا: ابن وبنٌّو.

وتحتمل قراءتهما أن تكون تخفيفاً للزاي من (غزًّى)، ونظيره قراءة علي بن أبي

---

(١) الأبيات لرؤبة بن العجَّاج كما في: مجاز القرآن (١/ ١٠٦)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ٣٠٧)، والعين (٣/ ٣٤٨).

(٢) زيادة من المطبوع وفيض الله، وانظر: المثل في المحكم (٤/ ٣٧٦)، وتفسير الطبري (٧/ ٣٣٣)، وكتاب العين (٣/ ٣٤٨).

(٣) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ١٠٦).

(٤) وهي قراءة شاذة. انظر: المحتسب لابن جني (١/ ١٧٥)، ومختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص: ٢٩).

(٥) في الحمزوية والمطبوع: «الحرف».

(٦) للقناني في المحتسب (١/ ٣١٧)، والمحكم (١٠/ ٥٦٢)، وجاء في المحتسب (١/ ١٧٥) للعتابي.

طالب رضي الله عنه: (وكذَّبوا بآياتنا كِذاباً) [النبأ: ٢٨][(١)] في قول من قال: إنه تخفيف، وقد قيل: إنه مصدر جرى على غير المصدر[(٢)].

وقرأ الحسن: (وما قُتِّلوا) مشددة التاء[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً﴾ قال مجاهد: معناه: يحزنهم قوله، ولا ينفعهم[(٤)].

قال القاضي أبو محمد: فالإِشارة بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى هذا المعتقد الذي لهم[(٥)]، جعل الله ذلك حسرة؛ لأن الذي يتيقن أن كلَّ موتٍ وقتلٍ فبأجل سابق، يجد برد اليأس والتسليم لله تعالى على قلبه، والذي يعتقد أن حميمه لو قعد في بيته لم يمت يتحسر ويتلهف، وعلى هذا التأويل مشى المتأولون، وهو أظهر ما في الآية.

وقال قوم: الإِشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى انتهاء المؤمنين ومخالفتهم الكافرين في هذا المعتقد، فيكون خلافهم لهم حسرةً في قلوبهم.

وقال قوم: الإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى نفس نهي الله تعالى عن الكون مثلَ الكافرين في هذا المعتقد؛ لأنهم إذا رأوا أن الله تعالى قد وسمهم بمعتقد وأمر بخلافه كان ذلك حسرةً في قلوبهم[(٦)]، ويحتمل عندي أن تكون الإشارة إلى النهي والانتهاء معاً، فتأمله.

و«الحسرة»: التلهُّف على الشيء، والغمُّ به.

ثم أخبر تعالى خبراً جزماً أنه الذي يحيي ويميت بقضاء حتمٍ، لا كما يعتقد هؤلاء.

---

(١) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٥٠١)، والبحر المحيط (١٠/ ٣٨٨).

(٢) في السليمانية وفيض الله وأحمد٣ ولالاليه: «الصدر».

(٣) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها له في: الهداية لمكي (٢/ ١٣٠٠).

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٣٣٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٩٩).

(٥) من نور العثمانية والحمزوية والمطبوع.

(٦) تفسير الطبري (٧/ ٣٣١).

وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: ﴿واللهُ بما يَعْملون﴾ بالياء، فهذا وعيد للمنافقين.

وقرأ الباقون: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء[1] على مخاطبة المؤمنين، فهذا توكيدٌ للنهي في قوله: ﴿لَا تَكُونُوا﴾، ووعيدٌ لمن خالفه، ووعد لمن امتثله.

قوله عز وجل: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨) فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...﴾.

اللام في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن﴾ هي المؤذِنةُ بمجيء القسم، واللام في قوله: ﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾ هي المتلقِّية للقسم، والتقدير: واللَّهِ لمَغفرة.

وترتب الموت قبل القتل في قوله: ﴿مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ مراعاة لرتبة الضرب في الأرض والغزو، فقدم الموت الذي هو بإزاء المتقدِّم الذكرِ، وهو الضرب، وقدَّم القتل في / قوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ﴾؛ لأنه ابتداء إخبار، فقدم الأشرفَ الأهمَّ، والمعنى: [١/ ٢٧١]
أو متم في سبيل الله، فوقع أجركم على الله.

ثم قدم الموت في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾؛ لأنها آية وعظ بالآخرة والحشر، وآية تزهيدٍ في الدنيا والحياة، والموت المذكور فيها هو موتٌ على الإطلاق في السبيل وفي المنزل وكيف كان، فقُدِّم لعمومه وأنه الأغلب في الناس من القتل.

وقرأ نافع وحمزة والكسائي: ﴿مِتُّم﴾ بكسر الميم، و﴿مِتْنا﴾ و﴿مِتَّ﴾ بالكسر في جميع القرآن.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: بضم الميم في جميع القرآن، وروى أبو بكر عن عاصم ضم الميم في جميع القرآن.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢١٧)، والتيسير للداني (ص: ٩١).

وروى عنه حفص ضم الميم في هذين الموضعين: ﴿أَوْ مُتُّمْ﴾، ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ﴾ فقط، وكسر الميم حيثما وقعت في جميع القرآن(١).

قال أبو علي: ضمُّ الميم هو الأشهر والأقيس، مُتَّ تموت مثل: قُلتَ تَقول، وطُفْتَ تطوف، والكسرُ شاذٌّ في القياس وإن كان قد استعمل كثيراً، وليس كما شذّ قياساً واستعمالاً كشذوذ (اليُجَدَّع) ونحوه، ونظير مِتّ تموت بكسر الميم: فضِل بكسر الضاد يفضُل في الصحيح(٢)، وأنشدوا:

[الطويل] ذكرتُ ابنَ عباسٍ ببابِ ابن عَامرٍ وما مَرَّ مِنْ عمري ذكرتُ وَما فَضِلْ(٣)

وقوله تعالى: ﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾ رفع بالابتداء ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ عطف على المغفرة و﴿خَيْرٌ﴾ خبر الابتداء، والمعنى: المغفرة والرحمة اللاحقة عن القتل أو الموت في سبيل الله خيرٌ، فجاء لفظ المغفرة غيرَ مُعَرّفٍ إشارة بليغة إلى أن أيسر جزء منها خير من الدنيا، وأنه كافٍ في فوز العبد المؤمن، وتحتمل الآية أن يكون قوله: ﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾ إشارةً إلى القتل أو الموت في سبيل الله، سمى ذلك مغفرةً ورحمةً؛ إذ هما مقترنان به، ويجيء التقدير: لذلك مغفرة ورحمة(٤)، وترتفع المغفرة على خبر الابتداء المقدر، وقوله: ﴿خَيْرٌ﴾ [صفةٌ، لا خبرُ ابتداءٍ](٥).

وقرأ جمهور الناس: ﴿تَجمعون﴾ بالتاء على المخاطبة، وهي أشكلُ بالكلام، وقرأ قوم منهم عاصم فيما روى عنه حفص: ﴿يَجْمَعُونَ﴾ بالياء(٦)، والمعنى: مما يجمعه المنافقون وغيرهم.

---

(١) وكلها سبعية، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢١٨)، كما تقدم.

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٩٣).

(٣) البيت لأبي الأسود الدؤلي كما في الأصول في النحو (٣/ ٣٤٤)، والمنصف لابن جني (ص: ٢٥٦)، والأغاني (١٢/ ٣٦٨)، وذكر سببه.

(٤) وقع في الأصل تكرار لكلمة: «ورحمة».

(٥) في المطبوع: «صفة لخبر الابتداء»، وفي الأصل: «خبرٌ لا صفة ابتداء».

(٦) وهي سبعية متواترة، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢١٨)، والتيسير للداني (ص: ٩١).

ثم ذكر تعالى الحشر إليه، وأَنه غايةٌ لكلِّ أَحَدٍ قُتل أو مات.

وفي الآية تحقيرٌ لأمرِ الدنيا، وحضٌّ على طَلَبِ الشهادةِ؛ أي: إذا كان الحشر في كلا الأمرين فالمضيُّ إليه في حال الشهادة أولى[١].

وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ معناه: فبرحمة من الله و(ما) قد جرد عنها معنى النفي، ودخلت للتأكيد، وليست بزائدة على الإِطلاق لا معنى لها، وأطلق عليها سيبويه اسم الزيادة من حيث زال عملُها[٢]، وهذه بمنزلة قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥].

قال الزجاج: الباء بإجماع من النحويين صلةٌ، وفيها معنى التأكيد[٣].

ومعنى هذه الآية: التقريع لجميع من أخلَّ يوم أُحُد بمركزه؛ أي: كانوا يستحقون الملام منك، وأَلاَّ تلين لهم، ولكن رحمَ الله جميعكم، أنت يا محمد بأن جعلك الله على خُلق عظيم، وبعثك لتتمِّمَ محاسنَ الأخلاق، وهُمْ بأنْ لَيَّنَكَ الله لهم، وَجعلك[٤] بهذه الصفات لما علم تعالى في ذلك من صلاحهم، وأَنك لو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضُّوا من حولك، وتفرقوا عنك.

و«الفظُّ»: الجافي في منطقه ومقاطعه، وفي صفة النبي عليه السلام في الكتب المنزلة: ليس بفظٍّ، ولا غليظٍ، ولا صَخَّابٍ في الأسواق[٥].

وقال الجواري لعمر بن الخطاب: أنت أفظُّ وأغلظُ من رسول الله الحديث[٦]،

(١) في المطبوع: «الأولى».
(٢) انظر القول بأنها زائدة في: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١ / ٧٥).
(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٨٢).
(٤) في المطبوع: «وجعلت».
(٥) أخرجه البخاري (٢٠١٨)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.
(٦) أخرجه البخاري (٣١٢٠)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

وفظاظة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إنما كانت مستعملة منه آلةً لعضد[١] الحقِّ، والشدة في الدين.

والفظاظة: الجفوةُ في المعاشرة قولاً وفعلاً، ومنه قول الشاعر:

[البسيط] أَخْشَـى فَظَاظَـةَ عَـمٍّ أَوْ جَفَـاءَ أَخٍ ... وَكُنْتُ أَخْشَى عَلَيْهَا مِنْ أَذَى الْكَلِمِ[٢]

وغِلَظُ القلب: عبارة عن تجهُّم الوجه، وقلَّة الانفعال في الرغائب، وقلة الإِشفاق والرحمة، ومن ذلك قول الشاعر:

[البسيط] يُبْكَـى عَلَيْنَـا وَلَا نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ ... لَنَحْـنُ أَغْلَظُ أَكْبَاداً مِـنَ الإِبِلِ[٣]

و«الانفضاض»: افتراق الجموع، ومنه فضُّ الخاتَم.

قوله عز وجل: ﴿... فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾.

أمر الله تعالى رسوله بهذه الأوامر التي هي بتدريج بليغ، وذلك أنه أمره بأن يعفو عليه السلام عنهم ما له في خاصته عليهم من تبعة وحق، فإذا صاروا في هذه الدرجة

---

(١) في الأصل: «لقصد».

(٢) عزاه لإسحاق بن خلف في الحماسة بشرح التبريزي (١/ ١٠١)، ولمحمد بن يسير في طبقات الشعراء لابن المعتز (ص: ٢٨١).

(٣) البيت للمخبل السعدي كما في عيون الأخبار (٢/ ٢٠٨)، وهو معزو لمنيع بن معاوية بن فروة في أنساب الأشراف للبلاذري (١٢/ ٣٠٧)، ولمهلهل بن ربيعة في قواعد الشعر لثعلب (ص: ٥٠)، وديوان المعاني (١/ ١٧٣)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ص: ٤٢٠)، وخزانة الأدب للبغدادي (٦/ ٣٧)، ولبلعاء بن قيس الكناني في ثمار القلوب (ص: ٣٤٨)، والمستقصى في أمثال العرب (١/ ٦٩)، وقع تقديم وتأخير بين البيتين في نسخة أحمد٣.

أمره أن يستغفر لهم فيما لله عليهم من تبعة، فإذا صاروا في هذه الدرجة كانوا أهلاً للاستشارة في الأمور.

والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، هذا ما لا خلاف فيه، وقد مدح الله المؤمنين بقوله: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى: ٣٨] وقال النبي ﷺ: «ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار»[١]، وقال عليه السلام: «المستشار مؤتمن»[٢].

---

(١) موضوع، أخرجه الطبراني في الصغير (٩٦٠) وغيره من طريق عبد القدوس بن حبيب، عن الحسن، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، مرفوعاً به، قال الطبراني: لم يروه عن الحسن إلا عبد القدوس، تفرد به ولده عنه. وعبد القدوس هذا: اتفق الأئمة على تركه، ورماه ابن المبارك بالكذب، انظر ميزان الاعتدال (٢/ ٦٤٣).

(٢) في أشهر أسانيده اضطراب، وسائرها لا تثبت، هذا الحديث ذكر السخاوي في المقاصد الحسنة (ص: ٦٠٥-٦٠٦): أنه روي عن أبي مسعود وسمرة وعائشة وعلي وجابر بن سمرة وابن عباس وأبي الهيثم بن التيهان وأم سلمة وأبي هريرة وآخرين.

وله روايات أخرى، لكن الواقع أن أكثر هذه الروايات إنما هي أوجه للخلاف على عبد الملك بن عمير في حديث أبي هريرة، وليست طرقاً منفصلة، ويرجع الحديث في أشهر طرقه إلى حديث أبي هريرة وأبي مسعود.

أما حديث أبي هريرة، فأخرجه أبو داود (٥١٣٠)، والترمذي (٢٣٦٩)، وابن ماجه (٣٧٤٥) من طريق: شيبان عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة به مرفوعاً.

وقد اختلف في هذا الحديث على عبد الملك، قال الدارقطني في العلل (٨/ ١٨): يرويه عبد الملك بن عمير، واختلف عنه؛ فرواه شيبان بن عبد الرحمن، وأبو حمزة السكري، وعبيد الله بن عمرو، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، وكذلك روي عن هدبة بن المنهال، عن عبد الملك بن عمير مختصراً.

واختلف عن أبي عوانة، فرواه أحمد بن إسحاق الحضرمي، عن أبي عوانة، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن عبد الله بن الزبير، وخالفه إبراهيم بن الحجاج فرواه عن أبي عوانة، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة مرسلاً.

واختلف عن شريك، فرواه جبارة، عن شريك، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، وخالفه منجاب فرواه عن شريك، عن عبد الملك، عن أبي سلمة مرسلاً، وقال محمد بن الطفيل: عن شريك، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن أم سلمة، وقال عبد الحكيم بن =

وصفة المستشار في الأَحكام أن يكون عالماً ديِّنا، وقلَّما يكون ذلك إلا في عاقل، فقد قال الحسن بن أبي الحسن: ما كمل دينُ امرئ لم يكمل عقله[١].

وصفة المستشار في أمور الدنيا أن يكون عاقلاً مجرباً وادًّا في المستشير، والشورى بركة.

وقد جعل عمر بن الخطاب الخلافة ـ وهي أعظم النوازل ـ شورى[٢].

وقال الحسن: والله ما تشاور قوم بينهم إلا هداهم الله لأفضل ما بحضرتهم[٣].

= منصور [وهو متروك، وكذبه ابن معين]، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن أبي الهيثم بن التيهان، ويشبه أن يكون الاضطراب من عبد الملك، والأشبه بالصواب قول شيبان، وأبي حمزة.

وقال في موضع آخر (١٣/ ٤١٠): يرويه قيس بن الربيع، عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، وهو وهم. ضعفاء العقيلي (١/ ٢٥٣)، قال الدارقطني: والصواب عن عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، واختلف عن عبد الملك، وقد بيناه فيما تقدم.اهـ.

قال الإمام أحمد: عبد الملك بن عمير مضطرب الحديث جداً مع قلة روايته، ما أرى له خمس مئة حديث، وقد غلط في كثير منها.اهـ. وقد تغير حفظه مع ذلك.

وأما حديث أبي مسعود، فهو خطأ، أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٢٣٦٠)، من طريق شريك، عن الأعمش، عن أبي عمرو الشيباني، عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، مرفوعاً به، وشريك هو ابن عبد الله النخعي.

قال ابن أبي حاتم في العلل (٢٣١٩): سألت أبي عن حديث رواه الأسود بن عامر، عن شريك، عن الأعمش، عن أبي عمرو الشيباني، عن أبي مسعود، عن النبي ﷺ، قال: «المستشار مؤتمن»، قال أبي: هذا خطأ، إنما أراد: «الدال على الخير كفاعله»، قلت: الخطأ ممن هو؟ قال: من شريك.اهـ.

وقال في موضع آخر (٢٤٨٥): وهم فيه غالب ـ يعني الراوي في هذا الموضع عن شريك ـ، إنما هو عن أبي مسعود، عن النبي ﷺ: «الدال على الخير كفاعله».اهـ.

وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٢٦٠-٢٦١): وقد رويناه من حديث علي وسمرة وعائشة، وكلها لا تثبت.

(١) نقله القرطبي في تفسيره (٤/ ٢٥١).

(٢) رواه مسلم (٥٦٧)، من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٣٤٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٠١)، وتفسير ابن المنذر (٢/ ٤٦٧).

وكان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه[١]، وقد قال في غزوة بدر: «أَشِيرُوا علَّي أيها الناس»[٢]، في اليوم الذي تكلَّم فيه المقداد[٣]، ثم سعد بن عبادة[٤].

ومشاورته عليه السلام إنما هي في أمور الحروب والبعوث ونحوه من أشخاص النوازل، وأما في حلال أو / حرام أو حدّ فتلك قوانين شرع ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام ٣٨]، وكأن الآية نزلت مؤنسة للمؤمنين؛ إذ كان تغلُّبهم على الرأي في قصة أحُد يقتضي أن يُعاقَبوا بألَّا يُشاوَروا في المستأنَف. [١/ ٢٧٢]

وقرأ ابن عباس: (وشَاوِرْهُم في بعْضِ الأمْر)[٥]، وقراءة الجمهور إنما هي باسم الجنس الذي [يقع][٦] للبعضِ وللكل، ولا محالة أن اللفظَ خاصٌّ بما ليس من تحليل وتحريم، والشورى مبنية على اختلاف الآراء، والمستشير ينظر في ذلك الخلاف ويتخيَّر[٧]، فإذا أرشده الله تعالى إلى ما شاء منه عزم عليه، وأنفذه متوكِّلاً على الله؛ إذ هي غاية الاجتهاد المطلوب منه، وبهذا أمر تعالى نبيه في هذه الآية.

---

(١) وأمثلة مشاورة رسول الله ﷺ لأصحابه كثيرة، ومنها ما جاء في حديث الإفك، كما في صحيح البخاري (٦٩٣٥)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣١)، من قول ابن إسحاق.

(٣) هو المقداد بن عمرو الكندي البهراني، وقيل: الحضرمي، تبنَّاه الأسود صغيراً فنسب إليه، وهو ممَّن شهد بدراً فارساً مع بقية المشاهد بعدها، وهاجر الهجرتين، وهو أحد السبعة الذين هم أول من أظهر الإِسلام، توفي بمصر، ودفن بالمدينة. الإصابة (٦/ ١٥٩).

(٤) هو سعد بن عبادة الأنصاري، سيد الخزرج المكنى أبا ثابت وأبا قيس، ويقال له: الكامل، شهد العقبة، وهو أحد النقباءِ، وصاحب راية ورئاسة الأنصار، كما عرف هو وأهْله بالجود والكرم، واختلفَ في شهوده بدراً، وتوفي سنة: (١٥ هـ). الإصابة (٣/ ٥٥).

(٥) وهي قراءة شاذة. انظر: المحتسب لابن جني (١/ ١٧٥)، وكتاب المصاحف (١ / ١٩٢)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١٩١).

(٦) ليست في المطبوع، وثبتت في السليمانية: «عليه» بعد «يقع».

(٧) في المطبوع: يتحيز.

وقرأ جابر بن زيد وأبو نُهَيك وجعفر بن محمد وعكرمة: (عزمتُ) بضم التاء[(١)]، سمى الله تعالى إرشاده وتسديده عزماً منه.

وهذا في المعنى نحو قوله تعالى: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]، ونحو قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، فجعل تعالى هزمه المشركين بحنين وتشويهَ وجوههم رمياً؛ إذ كان ذلك متصلاً برمي محمد ﷺ بالحصباء[(٢)]، وقد قالت أم سلمة: ثم عزم الله لي[(٣)].

والتوكل على الله تعالى من فروض الإِيمان وفصوله، ولكنه مقترن بالجد في الطاعة والتشمير والحزامة بغاية الجهد، وليس الإِلقاء باليد وما أشبهه بتوكل، [وإنما هو][(٤)] كما قال عليه السلام: «قيِّدْها وتوكَّلْ»[(٥)].

ثم ثبَّت تعالى المؤمنين بقوله: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾؛ أي: فالزموا الأمور التي أمركم بها، ووعدكم النصر معها.

و«الخذلُ»: هو الترك في مواطن الاحتياج إلى التارك، وأصله من خذل الظباء[(٦)]، وبهذا قيل لها: خاذل إذا تركَتْها أمُّها، وهذا على النسب؛ أي: ذات خَذْل؛ لأن المتروكة هي الخاذل بمعنى مخذولة.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم﴾ تقدير جوابه: لا من، والضمير في

---

(١) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها لهم في: المحتسب لابن جني (١/ ١٧٥)، ولبعضهم في مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٩).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٤٤٢-٤٤٣)، من طريق قتادة، به معضلاً.

(٣) أخرجه مسلم (٩١٨)، من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٤) ليس في نور العثمانية.

(٥) سيأتي تخريجه في تفسير الآية (٤٨) من سورة التوبة، والآية (٨٣) من سورة يونس.

(٦) ظبية خاذلة: إذا انفردت عن القطيع، ويقال للبقرة والظبية إذا تركت ولدها.

﴿بَعْدِهِۦ﴾ يحتمل العودة على المكتوبة، ويحتمل[١] العودة على الخذل الذي تضمنه قوله: ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾.

تقدم القول في صيغة: (وما كان لكذا أن يكون كذا) في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم: ﴿يَغُلَّ﴾ بفتح الياء وضم الغين، وبها قرأ ابن عباس وجماعة من العلماء، [وقرأ باقي السبعة: ﴿أَن يُغَلَّ﴾ بضم الياء وفتح الغين، وبها قرأ ابن مسعود وجماعة من العلماء][٢].

واللفظة: بمعنى الخيانة في خفاء، قال بعض اللغويين: هي مأخوذة من الغلل، وهو الماء الجاري في أصول الشجر والدَّوْح[٣]، قال أبو علي: تقول العرب: أغلَّ الرجل يُغلُّ إغلالاً: إذا خان ولم يؤدِّ الأمانة، ومنه قول النمر بن تولب[٤]:

جزى الله عَنـي جَمْرَةَ ابنـةَ نوفَلٍ ... جـزاءَ مُغِـلٍّ بالأمانـةِ كاذبِ[٥] [الطويل]

---

(١) كتبت في المطبوع: «ويحتلم»، وهو سبق قلم، والمقصود بالمكتوبة: لفظ الجلالة.

(٢) ساقط من لالاليه، القراءتان سبعيتان، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢١٨) والتيسير للداني (ص: ٩١)، وعزا الأولى الطبري (٧ / ٣٤٨) لابن عباس والسلمي ومجاهد وجماعة، والثانية الثعلبي في تفسيره (٣/ ١٩٦) لابن مسعود واختيار أبي حاتم.

(٣) انظر: معاني القرآن للنحاس (١/ ٥٠٥).

(٤) هو النمر بن تولب العكلي، أحد الشعراءِ المخضرمين، وفد على النبي ﷺ، ومدحه بشعر، وكتب له النبي ﷺ كتاباً، ثم نزل بعد ذلك البصرة، وكان جواداً، وعُمِّر طويلاً، يقال: عاش مئة سنة. الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٣٧٠).

(٥) انظر عزوه له في: الحجة للفارسي (٣/ ٩٥)، والأغاني (٢٢/ ٢٧٧)؛ والحيوان للجاحظ (١/ ١٥)، وإصلاح المنطق لابن السكيت (١/ ١٩٢)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٣٧٦)، وقد وقع في الأصل: «جمرة بن نوفلٍ».

قال القاضي أبو محمد: وقال شريح: ليس على المستعير غير المُغِلِّ ضمانٌ(١).

قال أبو علي: وتقول في الغِل الذي هو الضغن: غَلَّ يَغِلُّ بكسر الغين، ويقولون في الغلول من الغنيمة: غَلَّ يَغُلُّ بضم الغين(٢).

والحجة لمن قرأ ﴿يَغُلَّ﴾ أن ما جاء من هذا النحو في التنزيل أُسند الفعل فيه إلى الفاعل على نحو: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [يوسف: ٣٨]، ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يوسف: ٧٦]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾ [التوبة: ١١٥]، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، ولا يكاد يجيء: ما كان زيد ليُضْرَبَ، فيسند الفعل فيه إلى المفعول به.

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا الاحتجاج نظر.

وروي عن ابن عباس أنه قرأ: ﴿يَغُلَّ﴾ بضم الغين(٣)، فقيل له: إن ابن مسعود قرأ: ﴿يُغَلّ﴾ بفتح الغين، فقال ابن عباس: بلى والله وَيُقْتَل(٤).

واختلف المفسرون في السبب الذي أوجب أن ينفي الله تعالى عن النبيّ أن يكون غالّاً [على هذه القراءة](٥) التي هي بفتح الياء وضم الغين: فقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم: نزلت بسبب قطيفةٍ حمراء فُقِدَتْ من المغانم يوم بدر، فقال بعضُ من كان مع النبي ﷺ: ولعلَّ رسولَ الله أخذها، فنزلت الآية(٦).

---

(١) رواه عنه عبد الرزاق في المصنف (٨/ ١٧٨)، والدارقطني (٣/ ٤١)، ورواه أيضاً مرفوعاً، وضعف البيهقي (٦/ ٩١) ذلك.

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٩٦).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٣٥٠)، وتفسير الثعلبي (٣/ ١٩٦).

(٤) رواه الطبري (٧/ ٣٥٠)، من طريق سليمان الأعمش به معضلاً.

(٥) ليس في الأصل، وأثبتناه من النسخ الأخرى.

(٦) ضعيف، أخرجه أبو داود (٣٩٦٧)، والترمذي (٣٢٥٥) من طريق قتيبة بن سعيد، قال: حدثنا =

قال القاضي أبو محمد: قيل: كانت هذه المقالة من مؤمنين لم يظنوا أنَّ في ذلك حرجاً، وقيل: كانت من منافقين، وقد روي أن المفقود إنما كان سيفاً.

قال النقاش: ويقال: إنما نزلت؛ لأن الرماة قالوا يوم أُحد: الغنيمةَ الغنيمةَ أيها الناس، إنما نخشى أن يقول النبي ﷺ: من أخذ شيئاً فهو له، فلما ذكروا ذلك للنبي ﷺ، قال: «خشيتُم أن نغلَّ؟» ونزلت هذه الآية(١).

وقال الضحاك: بل السبب أن رسول الله ﷺ بعث طلائع في بعض غزواته ثم غنم قبل مجيئهم، فقسم للناس ولم يقسم للطلائع، فأنزل الله تعالى عليه عتاباً: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾؛ أي: يقسم لبعض، ويترك بعضاً، وروي نحو هذا القول عن ابن عباس(٢).

قال القاضي أبو محمد: ويتجه على هذا أن تكون الآية إعلاماً بعدل رسول الله ﷺ وقسمه للغنائم، وردّاً على الأعراب الذين صاحوا به: اقسم علينا غنائمنا يا محمد، وازدحموا حتى اضطروه إلى السَّمُرة التي أخذت رداءه(٣)، ونحا إليه الزجاج(٤).

وقال ابن إسحاق: الآية إنما نزلت إعلاماً بأن النبي ﷺ لم يكتم شيئاً مما أمر بتبليغه(٥).

= عبد الواحد بن زياد، حدثنا خُصيف، حدثنا مقسم مولى ابن عباس، قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما، ...فذكره، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقد روى عبد السلام بن حرب عن خصيف نحو هذا، وروى بعضهم هذا الحديث، عن خُصيف، عن مقسم، ولم يذكر فيه عن ابن عباس. اهـ وخصيف هذا ضعيف الحديث.

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١٢٠-١٢١)، من قول الكلبي، ومقاتل، بلا إسناد إليهما، وكلاهما هالك.

(٢) أخرجه الطبري (٧/ ٣٥١) بإسناد ضعيف إلى الضحاك من قوله، ومن طريق عطية العوفي، عن ابن عباس به.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٧٩)، من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨٣ - ٤٨٤).

(٥) تفسير الطبري (٧/ ٣٥٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٠٤)، وتفسير ابن المنذر (٢/ ٤٧١).

قال القاضي أبو محمد: وكأن الآية على هذا في قصة أُحد، لما نزل عليه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ إلى غير ذلك مما استحسنوه بعد إساءتهم من العفو عنهم ونحوه، وبالجملة فهو تأويلٌ ضعيف، وكان يجب أن يكون (يُغِلّ) بضم الياء وكسر الغين؛ لأنه من الإغلال في الأمانة/ . [١/ ٢٧٣]

وأما قراءة من قرأ: ﴿أَن يُغَلَّ﴾ بضم الياء وفتح الغين، فمعناها عند جمهور من أهل العلم: أن ليس لأحدٍ أن يَغُلَّه؛ أي: يخونه في الغنيمة[١]، فالآية في معنى نهي الناس عن الغلول في المغانم والتوعّد عليه، وخص النبي بالذكر وإن كان ذلك محظوراً مع الأمراء؛ لشنعة[٢] الحال مع النبي ﷺ؛ لأن المعاصي تعظم بحضرته لتَعَيُّنِ توقيره، والولاةُ إنما هم على[٣] أمر النبي ﷺ، فلهم حظهم من التوقير.

وقال بعض الناس: معنى ﴿أَن يُغَلَّ﴾ أن يوجد غالّاً، كما تقول: أحمدتُ الرجل وجدته محموداً، فهذه القراءة ـ على هذا التاويل ـ ترجع إلى معنى ﴿يَغُلَّ﴾ بفتح الياء وضم الغين.

وقال أبو علي الفارسي: معنى ﴿يُغَلَّ﴾ بضم الياء وفتح الغين: يقال له: غللت، وينسب إلى ذلك، كما تقول: أسقيته، إذا قلت: سقاك الله[٤]، كما قال ذو الرمة:

[الطويل] وأَسْقِيه حتى كادَ مِمَّا أَبُثُّه تكلّمُني أحْجارُهُ ومَلاعِبُهْ[٥]

قال القاضي أبو محمد: وهذا التأويل موقِّر للنبي عليه السلام. ونحوه في الكلام:

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٣٥٣ - ٣٥٤)، وتفسير الماوردي (١/ ٤٣٣).

(٢) في فيض الله والسليمانية: «مع الآمر الشنعة».

(٣) في المطبوع: «عن»، وفيه: «مع حضرته»، بدل «بحضرته».

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٩٦)، وما بعدها.

(٥) انظر عزوه له في: مجاز القرآن (١/ ٦١)، والكتاب لسيبويه (٤/ ٥٨)، وتفسير الطبري (١٧/ ٨٩)، والأغاني (١٨/ ٢٣)، وطبقات فحول الشعراء (٢/ ٥٥٦)، وإيضاح شواهد الإيضاح (٢/ ٨٦٠).

أكفَرتُ الرجَل: إذا نسبتَه إلى الكفر، وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا آكل سمناً حتى يحيا الناس من أول ما يحيون[١]؛ أي: يدخلون في الحيا.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ وعيدٌ لمن يغلّ من الغنيمة، أو في زكاته فيجحدها ويمسكها، فالفضيحةُ يوم القيامة بأن يأتي على رؤوس الأشهاد بالشيء الذي غَلَّ في الدنيا.

وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ خطب فقال: «ألا عسى رجلٌ منكم يجيء يومَ القيامةِ على رقبته شاةٌ لها ثُغاءٌ، يقول: يا رسول الله أَغِثْني، فأقول: لا أملك لك[٢] من الله شيئاً، قد أبلغتُكَ»، ثم ذكر ذلك عليه السلام في بقرة لها خُوَارٌ، وجملٍ له رُغَاءٌ، وفرسٍ له حمَحَمة[٣].

وروى نحو هذا الحديث ابن عباس: قال النبي ﷺ: «لا أعرفنَّ أحدكم يأتي يومَ القيامة يحملُ شاة لها ثغاء» الحديث بطوله[٤].

---

(١) مرسل، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٢٧١)، من طريق محمد بن يحيى بن حبان، قال: كان بين يدي عمر صحفة، فذكر القصة، وهذا إسناد مرسل، فمحمد بن يحيى لم يدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انظر: تهذيب الكمال (٢٦/ ٦٠٥).

(٢) في الأصل: «له»، والمثبت من النسخ الأخرى.

(٣) متفق عليه، البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (١٨٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٤) أخرجه الطبري (٧/ ٣٥٨)، من طريق يعقوب القمي، عن حفص بن حميد القمي، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وحفص بن حميد هذا قال فيه ابن المديني: مجهول.
وأما ما أورده الإمام المزي في تهذيب الكمال (٧/ ٩) أن النسائي وثقه، فقد شكك الحافظ مغلطاي في إكماله (١٣٠ ـ التراجم الساقطة) في كون النسائي هل وثق حفصاً هذا، أم إن التوثيق جاء في حق حفص بن حميد الإكافي؟
وعلى كلٍّ، فإن إسناد هذه الرواية مضطرب، فقد أخرجه يعقوب بن شيبة (ص: ٨٤)، والبزار (١/ ٣١٤)، في مسنديهما من طريق يعقوب القمي، عن حفص بن حميد، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنهم، فزاد في السند عمرَ، وهذا دليل على اضطراب رواية حفص بن حميد هذا.

وروى نحوه أبو حميد الساعدي[١]، وعمر بن الخطاب، وعبد الله بن أنيس[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «أدُّوا الخائطَ[٣] والمخيطَ»، فقام رجل فجاء بشِرَاك أو شِرَاكين، فقال رسول الله ﷺ: «شِراكٌ أو شِراكان من نار»[٤]، وقال في مدعم[٥]: «إن الشملة التي غَلَّ من المغانم يوم خيبر لَتشتعِلُ عليه ناراً»[٦].

قال القاضي أبو محمد: وهذه الفضيحة التي يوقع الله بالغالّ هي نظيرةُ الفضيحة

---

(١) هو أبو حميد الساعدي الأنصاري الصحابي المشهور، عبد الرحمن بن سعد، له ذكر في الصحيحين، شهد أُحُداً وما بعدها، وتوفي آخر خلافة معاوية، الإصابة (٧/ ٨٠)، وعبد الله بن أنيس هو الجهنيّ، أبو يحيى المدني، حليف بني سلمة من الأنصار، كان مهاجرياً أنصارياً عقبياً، وشهد أحداً وما بعدها، وهو أحد الذين كسروا آلهة بني سلمة، توفي سنة (٥٤هـ). الاستيعاب (٣/ ٨٧٠).

(٢) حديث أبي حميد متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٥٧٨)، ومسلم (١٨٣٢)، وحديث عمر تقدم قريباً، وحديث ابن أنيس ضعيف، أخرجه ابن ماجه (١٨١٠)، من طريق موسى بن جبير الأنصاري، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب الأنصاري، عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف، فكل من موسى بن جبير، وشيخه عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب، فيهما جهالة، انظر: تهذيب الكمال (١٥/ ٢٠٢)، (٢٩/ ٤٢)، ولما ذكر ابن حبان في ثقاته (٧/ ٤٤) عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب، قال: وهو الذي يروي عن عبد الله بن أنيس، إن كان سمع منه.

(٣) في لالاليه: «ردوا»، وفي المطبوع: «الخياط».

(٤) ما جاء من قوله ﷺ: «أدوا الخياط والمخيط» إنما هو في قصة مجيء وفد هوازن، كما هو عند أبي داود (٢٦٨٧)، والنسائي في الكبرى (٤/ ١٢٠) من طريق محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده. وهذا إسناد معلول، محمد بن إسحاق مدلس، وقد عنعنه، ثم إنه خولف فيه، فأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٤١٢) عن أبي خالد الأحمر، عن يحيى بن سعيد، عن عمرو بن شعيب قال...فذكر القصة. ورواية يحيى القطان هي الأصوب، وأما رواية الشراك أو الشراكين، فقد وردت في فتح خيبر، كما هي عند البخاري (٣٩٩٣)، ومسلم (١١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. فهي رواية أخرى، وهم المصنف حينما جعلهما رواية واحدة.

(٥) مدعم الأسود كان مولى لرفاعة الجذامي، فأهداه للنبي ﷺ، ثبت ذكره في الموطأ، والصحيحين، وهو الذي أغل الشملة يوم خيبر، أصيب بسهمٍ غربٍ فمات عام خيبر. الإصابة (٦/ ٤٩).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٩٩٣)، ومسلم (١١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

التي توقَعُ بالغادر في أن يُنْصَبَ له لواء بغدرته حسب قوله عليه السلام(١)، وجعل الله هذه المعاقبات حسبما يعهده البشر ويفهمونه، ألا ترى إلى قول الحادرة(٢):

[الكامل]
أَسُمَيُّ ويْحَكِ هل سَمِعْتِ بغَدْرَةٍ ... رُفِعَ اللِّواءُ لنا بِها في المَجْمَعِ(٣)

وكانت العرب ترفع للغادر لواءً، وكذلك يطاف بالجاني مع جنايته. وقد تقدم القول في نظير: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ﴾ الآيـة، توقيفٌ على تباين المنزلتين، وافتراق الحالتين.

و«الرضوان»: مصدر، وقرأه عاصم ـ فيما روي عنه ـ بضم الراء، وقرأ جميعهم بكسرها(٤).

وحكى أبو عمرو الداني عن الأعمش أنه قرأها بكسر الراء وضم الضاد(٥)، وهذا كله بمعنىً واحد، مصدر من الرضى.

والمعنى: اتبعوا الطاعة الكفيلة برضوان الله، ففي الكلام حذف مضاف.

و﴿بَآءَ بِسَخَطٍ﴾ معناه: مضى متحمِّلاً له، و«السخط»: صفة فعل، وقد تتردد متى لحظ فيها معنى الإِرادة.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٨٢٤)، ومسلم (١٧٣٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) الحادرة: لقب غلب عليه، واسمه قطبة بن أوس، وهو شاعر جاهلي مُقِلٌّ، ذكر أنه خرج هو وزبان الفزاري يصطادان، فاصطادا جميعاً، فخرج زبان يشوي ويأكل وحده في الليل، فقال فيه شعراً، فوقع هجاءٌ بينهما. الأغاني (٣/ ٢٦٨)، والحيوان للجاحظ (٦/ ٣٥٨).

(٣) انظر عزوه له في: المفضليات (ص: ٤٥)، والاختيارين للأخفش (ص: ٦٧).

(٤) ضم الراء رواية شعبة عن عاصم حيث وقع إلا الثاني من (المائدة). انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢٠٢)، والتيسير (ص: ٨٦).

(٥) كذا قال هنا، وسيأتي له في حرف (التوبة) أنه بضمهما، ونقل هناك عن أبي حاتم أنه لا يجوز، وتابعه هناك في البحر المحيط (٥/ ٣٩٠).

وقال الضحاك: إن هذه الآية مشيرةٌ إلى أَن من لم يغلّ واتقى فله الرضوان، وإلى أن[١] مَنْ غلَّ وعصى فله السخط[٢]، وقال غيره: هي مشيرة إلى أن من استشهد بأُحُدٍ فله الرضوان، وإلى المنافقين الراجعين عن النبي ﷺ فلهم السخط. وباقي الآية بين.

واختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ من المراد بذلك؟:

فقال ابن إسحاق وغيره: المراد بذلك الجمعان المذكوران، أهل الرضوان وأصحاب السخط؛ أي: لكل صنف منهم تباين في نفسه في منازل الجنة، وفي أطباقِ النارِ أيضاً[٣].

وقال مجاهد والسدي ما ظاهره: إن المراد بقوله: ﴿هُمْ﴾ إنما هو لمتبعي الرضوان، أي: لهم درجات كريمة عند ربهم، وفي الكلام حذف مضاف تقديره: هم ذوو درجات، والدرجات: المنازل بعضها أعلى من بعض في المسافة أو في التكرمة، أو في العذاب[٤].

وقرأ إبراهيم النخعي: (هُمْ دَرَجَةٌ) بالإِفراد[٥].

وباقي الآية وعيد ووعد.

قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾.

اللام في ﴿لَقَدْ﴾ لام القسم، و﴿مَنَّ﴾ في هذه الآية معناه: تطوَّل وتفضل، وقد يقال: مَنَّ بمعنى: كدَّر معروفَه بالذِّكر، فهي لفظة مشتركة.

---

(١) «أن»: زيادة من المطبوع في الموضعين، وفي الأصل: «وله»، بالواو.

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٣٦٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٠٦)، وتفسير ابن المنذر (٢/ ٤٧٥)، وتفسير عبد الرزاق (١/ ٤٢٢).

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٣٦٧)، وتفسير ابن المنذر (٢/ ٤٧٦).

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٣٦٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٠٧).

(٥) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها له في: الشواذ للكرماني (ص: ١٢٤).

وقوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ معناه: في الجنس واللسان والمجاورة، فكونه من الجنس يوجب الأنس به، وقلَّةَ الاستيحاش منه، وكونُه بلسانهم يوجبُ حسنَ التفهيم، وقربَ الفهم، وكونه جاراً وربيّاً[١] يوجب التصديق والطمأنينة؛ إذ قد خبروه، وعرفوا صدقه وأمانته، فبعث رسول الله ﷺ في نسب[٢] قومه، وكذلك الرسل[٣].

قال النقاش: ليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدت رسول الله ﷺ من قبل أمهاته إلا بني تغلب لنصرانيتهم[٤].

و«الآيـات» في هذه الآية: تحتمل أن يُرادَ بها القرآن، وتحتمل أن يراد بها العلامات، والأول أظهر.

و(يزكيهم) [معناه: يُطهِّرهم من دنس الكفر والمعاصي، وقال بعض المفسرين:][٥] معناه: يأخذ منهم الزكاة[٦]، وهذا ضعيف.

و﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾: القرآن، و(الحكمة): السنة المتعلَّمة من لسانه عليه السلام.

ثم ذكر حالتهم الأولى من الضلال؛ ليظهر الفرقَ بتجاور / الضدين. [١/ ٢٧٤]

و﴿قَبْلُ﴾: لفظةٌ مبنية لما تضمنت الإِضافة، فأشبهت الحروفَ في تضمُّنِ المعاني، فبُنِيت.

ثم وقف تعالى المؤمنين على الخطأ في قلقهم للمصيبة التي نزلت بهم، وإعراضهم عما نزل بالكفار، وعرَّفهم أن ذلك لسبب أنفسهم.

---

(١) كذا وردت هذه العبارة في جميع النسخ، وفي تفسير الثعالبي (٢/ ١٣٦).
(٢) في المطبوع: «نفس».
(٣) كما جاء في حديث هرقل عند البخاري (٢٩٤١) (٤٥٥٣)، ومسلم (١٧٧٣).
(٤) انظر: البحر المحيط (٣/ ٤١٦).
(٥) ليس في لالاليه.
(٦) وهو قول الفراء في معاني القرآن (١/ ٢٤٦).

والواو في قوله: ﴿أَوَلَمَّآ﴾ عطف جملة على جملة دخلت عليها ألف التقرير على معنى إلزام المؤمنين هذه المقالة في هذه الحال، والمصيبة التي نالت المؤمنين هي قصة أحد، وقتلُ سبعين منهم.

واختلف في المِثْلين اللذين أصاب المؤمنون:

فقال قتادة والربيع وابن عباس وجمهور المتأولين: ذلك في يوم بدر، قتل المؤمنون من كفار قريش سبعين، وأَسَرُوا سبعين(١).

وقال الزجاج: أحد المثلين: هو قتل السبعين يوم بدر، والثاني: هو قتل اثنين وعشرين من الكفار يوم أحد، فهو قتل بقتل، ولا مدخلَ للأسرى في هذه الآية(٢)، هذا معنى كلامه؛ لأن أسارى بدر أسروا ثم فُدُوا، فلا مماثلة بين حالهم وبين قتل سبعين من المؤمنين.

و﴿أَنَّىٰ﴾ معناها: كيف؟ ومن أين؟.

ثم أمر نبيه عليه السلام أن يقول لهم: ﴿هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾.

واختلف الناس كيف هو من عند أنفسهم، ولأي سبب؟:

فقال الجمهور من المفسرين: لأنهم خالفوا رسول الله ﷺ في الرأي حين رأى أن يقيم بالمدينة، ويترك كفار قريش بشرِّ المحبس، فأبوا إلا الخروج حتى جرت القصة.

وقالت طائفة: قوله تعالى: ﴿مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ إشارةٌ إلى عصيانِ الرماة، وتسبيبهم الهزيمةَ على المؤمنين.

وقال الحسن وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما: بل ذلك لما قبلوا الفداءَ يومَ بدر، وذلك أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما فرغتْ هزيمةُ المشركين ببدر جاء جبريل إلى النبي ﷺ(٣) فقال: يا محمد إن الله قد كره ما يصنع قومك في أخذِ

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ١٠٨)، وابن أبي حاتم (٤٤٧٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) معاني القرآن وإعرابه له (١/ ٤٨٨).

(٣) «إلى النبي» ليست في المطبوع، وفي فيض الله: «عليهما السلام»، بالتثنية.

الأسارى، وقد أمرك أن تخيِّرهم بين أمرين: أن يقدّموا الأسارى فتضرب أعناقهم، أو يأخذوا الفداءَ على أن يُقتَلَ من أصحابك عدة هؤلاء الأسارى.

فدعا رسول الله ﷺ الناسَ، فذكر ذلك لهم، فقالوا: يا رسول الله، عشائرنا وإخواننا، بل نأخذ فداءَهُمْ فنتقوَّى به على قتال عدونا، ويُستشهَدُ منّا عدتهم، فليس في ذلك ما نكره، قال: فقتل منهم يومَ أُحُدٍ سبعون رجلاً[١].

قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧﴾.

الخطاب بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ﴾ للمؤمنين، والجمعان هما عسكر النبي ﷺ وعسكر قريش يوم أحد، ودخلت الفاء في قوله: ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ رابطة مشددة، وذلك للإبهام الذي في (ما) فأشبه الكلام الشرط، وهذا كما قال سيبويه: الذي قام فله درهمان، فيحسن دخول الفاء إذا كان القيامُ سببَ الإعطاء[٢].

وكذلك ترتيب هذ الآية، فالمعنى إنما هو: وما أذن الله فيه فهو الذي أصاب، لكن قَدَّمَ الأهمَّ في نفوسهم، والأقربَ إلى حسهم.

و«الإِذن»: التمكين من الشيء مع العلم به.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعۡلَمَ﴾ معناه: ليكون العلم مع وجود المؤمنين والمنافقين؛ أي: مساوقين للعلم الذي لم يزل ولا يزال.

واللام في قوله: ﴿لِيَعۡلَمَ﴾ متعلقة بفعل مقدر في آخر الكلام.

والإِشارة بقوله: ﴿نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ﴾ هي إلى عبد الله بن أبيٍّ وأصحابه الذين

---

(١) أخرجه الطبري (٧/ ٣٧٦) بإسناد صحيح.

(٢) انظر: الكتاب لسيبويه (٣/ ١٤٠).

انصرفوا معه عن النبي ﷺ يوم أحد، وذلك أنه كان من رأي عبد الله بن أبي أَلَّا يخرج إلى كفار قريش، فلما خرج رسول الله ﷺ بالناس على الوجه الذي قد ذكرناه، قال [عبد الله بن أبي: أطاعهم وعصاني، فانخزَلَ بنحو ثُلث الناس[١].

فمشى في أثرهم][٢] عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري[٣] أبو جابر بن عبد الله ابن حرام فقال لهم: اتقوا الله ولا تتركوا نبيكم، وقاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، أو نحو هذا من القول، فقال له ابن أبي: ما أرى أن يكون قتال، ولو علمنا أن يكون قتالٌ لكنا معكم.

فلما يئس منهم عبد الله قال: اذهبوا أعداءَ الله، فسيُغني الله رسولَهُ عنكم، ومضى مع النبي ﷺ فاستشهد[٤].

واختلف الناس في معنى قوله: ﴿أَوِ ٱدۡفَعُواْ﴾:

فقال السدي وابن جريج وغيرهم: معناه: كثِّروا السَّوادَ وإن لم تقاتلوا، فيندفع القوم لكثرتكم[٥]، وقال أبو عون[٦] الأنصاري: معناه: رابطوا[٧]، وهذا قريب من الأول، ولا محالة أن المرابط مدافع؛ لأنه لولا مكان المرابطين في الثغور لجاءها العدو، والمكثِّرُ للسواد مدافِعٌ.

---

(١) في الحمزوية وأحمد٣ ولالاليه: «المسلمين».

(٢) ليس في نور العثمانية.

(٣) هو عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي السلمي الصحابي المشهور، يكنى أبا جابر، شهد العقبة وبدراً، وكان من النقباءِ، ثبت ذكره في الصحيحين من حديث ولده، وهو أول قتيل قُتل من المسلمين من شهداءِ أُحد، الإصابة (٤/ ١٦٢).

(٤) مضى تخريجه وذكرنا أنه من قول ابن إسحاق في السيرة.

(٥) تفسير الطبري (٧/ ٣٨٠)، وتفسير ابن المنذر (٢/ ٤٨٢)، وتفسير الماوردي (١/ ٤٣٥).

(٦) في أحمد٣: «ابن عون»، وهو خطأ، فهو أبو عون الأنصاري الشامي الأعور، اسمه عبد الله بن أبي عبد الله، قال الحاكم أبو أحمد: أبو عون اسمه أحمد بن عمير، ذكره ابن حبان في الثقات. تهذيب التهذيب (١/ ٦٦٢).

(٧) تفسير الطبري (٧/ ٣٨١)، وتفسير الماوردي (١/ ٤٣٥).

وقال أنس بن مالك: رأيت يومَ القادسية عبد الله بن أم مكتوم الأعمى، وعليه درع يجرّ أطرافها وبيده راية سوداء، فقيل له: أليس قد أنزل الله عُذرَك؟ قال: بلى، ولكني أكثِّرُ المسلمين بنفسي[١]، وروي أنه قال: فكيف بسوادي في سبيل الله؟[٢].

وذهب بعض المفسرين إلى أن قول عبد الله بن عمرو: ﴿أَوِ ٱدۡفَعُواْ﴾ إنما هو استدعاء للقتال حميةً؛ لأنه دعاهم إلى القتال في سبيل الله، وهو أن تكون كلمة الله هي العليا، فلما رأى أنهم ليسوا أهلَ ذلك، عرض عليهم الوجه الذي يحشمهم ويبعثُ الأنفة، أي: أو قاتلوا دفاعاً عن الحوزة.

ألا ترى أن قزمان[٣] قال: والله ما قاتلتُ إلا على أحساب قومي[٤]، وألا ترى أن بعض الأنصار قال يوم أحد لمَّا رأى قريشاً قد أرسلت الظهر [في زروع قناة، قال: أَتُرْعَى][٥] زروعُ بني قَيْلَةَ ولما نضارِبْ؟ وكان النبي ﷺ قد أمر أَلاَّ يقاتل أحدٌ حتى يأمره بالقتال[٦]، وكأن عبد الله بن عمرو بن حرام دعاهم إلى هذا الأمر[٧] العربي الخارج عن الدِّين والقتال في سبيل الله.

---

(١) أخرجه بدون ذكر إنزال العذر الإمام أحمد (١٢٣٤٤)، وأبو داود (٥٩٥)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٨٣١)، كلهم من طريق عمران القطان، عن قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه به. وهذا إسناد حسن، فعمران القطان له أوهام، وقد تابعه معمر، عن قتادة به. أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٣٩٢)، وقد صرح قتادة عنده بالسماع من أنس.

(٢) لم أقف على هذه اللفظة في شيء من المسندات.

(٣) هو قزمان بن الحارث، حليف بني ظفر أبو الغيداق صاحب القصة يوم أُحد، قيل: ماتَ كافراً فإن في بعض قصته أنه صرح بالكفر، وهو قاتل نفسه، الإصابة (٥/ ٣٣٥)، وأخرج قصته ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة سيرة ابن هشام (٢/ ١٧١).

(٤) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٦٧٢ ـ ابن هشام)، قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة...فذكره، وهذا إسناد معضل، وبدون ذكر قزمان، أخرجها البخاري (٢٧٤٢)، ومسلم (١٧٩) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٥) ليس في لالاليه: «لترعى».

(٦) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص: ١١٤)، عن عدد من مشايخه به معضلاً.

(٧) في الأصل ونور العثمانية: «المقطع».

وذهب جمهور المفسرين إلى أن قوله: ﴿أَقۡرَبُ﴾ مأخوذ من القرب ضد البعد، وسَدَّت اللام في قوله: ﴿لِلۡكُفۡرِ﴾ و﴿لِلۡإِيمَٰنِۚ﴾ / مسدّ (إلى). [١/ ٢٧٥]

وحكى النقاش أن قوله: ﴿أَقۡرَبُ﴾ مأخوذ من القَرَب ـ بفتح القاف والراء ـ وهو الطلب، والقاربُ طالبُ الماء، وليلة القَرَب: ليلةُ الوِرْدِ[١]، فاللفظة بمعنى: أطلَبُ[٢]، واللام متمكنة على هذا القول.

وقوله: ﴿بِأَفۡوَٰهِهِم﴾ تأكيدٌ، مثل: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾.

وقوله: ﴿مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾ يريد ما يُظهرون من الكلمة الحاقنةِ لدمائهم، ثم فضحهم تعالى بقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ﴾؛ أي: من الكفر وعداوة الدين، وفي الكلام توعد لهم.

قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ...﴾.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾ المتقدم، وإخوانهم: المقتولون من الخزرج، وهي أخوَّة نسب ومجاورة.

وقوله: ﴿لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ معناه: لأجل إخوانهم، وفي شأن إخوانهم، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ للأحياء من المنافقين، ويكون الضمير في: ﴿أَطَاعُونَا﴾ هو للمقتولين.

وقوله: ﴿وَقَعَدُواْ﴾ جملة في موضع الحال، وهي حال معترضة أثناء الكلام.

وقوله: ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا﴾ يريد في ألَّا يخرجوا إلى قريش.

---

(١) البحر المحيط (٣/ ٤٢٥).

(٢) في الحمزوية والمطبوع: «بمعنى الطلب».

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (ما قُتِّلُوا)، بشد التاء[١]، وهذا هو القول بالأجلين، فردَّ الله تعالى عليهم بقوله: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ﴾ الآية، والدرءُ: الدفع، ومنه قول دغفل النسابة[٢]:

صَادَف دَرْءُ السَّيْل دَرْءاً يَدْفَعُهْ والعِبْءُ لا تعْرِفُه أو تَرْفَعُهْ[٣] [الرجز]

ولزوم هذه الحجة هو أنكم القائلون: إن التوقي واستعمالَ النظر يدفعُ الموت، فتوقَّوا وانظروا في الذي يغشاكم منه حتف أنوفكم، فادفعوه إن كان قولكم صدقاً؛ أي: إنما هي آجالٌ مضروبة عند الله.

وقرأ جمهور القراء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ بالتاء، مخاطبة للنبي ﷺ، وقرأ حميد ابن قيس: ﴿ولا يحسبنَّ﴾ بالياء على ذكر الغائب، ورويت عن ابن عامر، وذكرها أبو عمرو[٤]، وكأن الفاعل مقدر: ولا يحسبنَّ أَحدٌ، أو حاسبٌ.

وأرى هذه القراءة بضم الباء[٥] فالمعنى: ولا يحسبُ الناس، وتحسبَنَّ معناه: تظنَّنَّ[٦].

وقرأ الحسن: (الذين قُتِّلوا) بشدّ التاء، وابن عامر من السبعة[٧].

وروي عن عاصم أنه قرأ: (الَّذين قاتَلُوا) بألف بين القاف والتاء[٨].

---

(١) تابعه في البحر المحيط (٣/ ٤٢٦)، وفيه إبعاد، فهي سبعية متواترة، رواها هشام عن ابن عامر. انظر: التيسير للداني (ص: ٩١).

(٢) هو دغفل بن حنظلة بن زيد بن عبدة الشيباني الذهلي النسابة، يقال: له صحبة، قال نوح بن حبيب القرمسي: يقال إِنه رأى النبيﷺ. قيل: إنه غرق في يوم دولات في قتال الخوارج سنة: (٧٠هـ)، الإصابة الصحابة (٢/ ٣٢٤).

(٣) تقدم الكلام عليه في تفسير الآية (٧١) من سورة البقرة.

(٤) في التيسير للداني (ص: ٩٢) من رواية هشام في الوجه الثاني له، وهي قراءة صحيحة، ونسبها لحميد البحر المحيط (٣/ ٤٢٧)، وقد نسب له الثعلبي في تفسيره (٣/ ٢٢٩) التي بعدها.

(٥) نقله عنه في البحر المحيط (٣/ ٤٢٧)، ولعله يقصد قراءة حميد، أما رواية هشام فمتواترة بالفتح.

(٦) في المطبوع: «ويحسبن معناه يظن».

(٧) انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢٢١)، التيسير للداني (ص: ٩١)، وعزاها للحسن تفسير الثعلبي (٣/ ٢٠٤).

(٨) البحر المحيط (٣/ ٤٢٨)، وهي شاذة، لم أجدها لغيرهما، وسيأتي الخلاف عنه في حرف سورة القتال.

وأخبر الله تعالى في هذه الآية عن الشهداء أنهم في الجنة يرزقون، هذا موضع الفائدة، ولا محالة أنهم ماتوا وأَن أجسادهم في التراب وأرواحهم حية كأرواح سائر المؤمنين، وفضلوا بالرزق في الجنة من وقت القتل، حتى كأنَّ حياة الدنيا دائمة لهم.

قال الحسن بن أبي الحسن: ما زال ابنُ آدم يتحمَّد حتى صار حيّاً لا يموت بالشهادة في سبيل الله[١].

فقوله: ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ﴾ مقدّمة لقوله: ﴿يُرۡزَقُونَ﴾؛ إذ لا يُرْزَقُ إلا حيٌّ، وهذا كما تقول لمن ذمَّ رجلاً: بل هو رجل فاضل، فتجيء باسم الجنس الذي تركَّبَ عليه الوصف بالفضل.

وقرأ جمهور الناس: ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ﴾ بالرفع على خبر ابتداء مضمر؛ أي: هم أحياء.

وقرأ ابن أبي عبلة: (بل أحياءً) بالنصب[٢].

قال الزجاج: ويجوز النصب على معنى: بل احسَبْهم أحياءً[٣].

قال أبو علي في «الإغفال»: ذلك لا يجوز؛ لأن الأمر يقين، فلا يجوز أن يؤمر فيه بمحسبة، ولا يصحُّ أن يضمر له فعل المحسبة[٤].

قال القاضي أبو محمد: فوجه قراءة ابن أبي عبلة أن تضمرَ فعلاً غير المحسبة: اعتقِدْهم أو اجعَلْهم، وذلك ضعيفٌ؛ إذ لا دلالةَ في الكلام على ما يُضمَر.

وقوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ فيه حذفُ مضافٍ تقديره: عند كرامة ربهم؛ لأن (عند) تقتضي غاية القرب، ولذلك لم تصغر، قاله سيبويه[٥].

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٣٩٢).

(٢) انظر: الإغفال لأبي علي (٢/ ١٣٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١ / ٤٨٨).

(٤) انظر: الإغفال لأبي علي (٢/ ١٤٠).

(٥) انظر: الكتاب لسيبويه (٣/ ٤٨٠).

وورد عن النبي ﷺ [أنه قال: «أرواح الشهداء على نهر بباب الجنة يقال له: بارق، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً»[١].

وروي عنه عليه السلام][٢] أنه قال: «أرواح الشهداء في أجواف[٣] طيرٍ خضرٍ تردُ أنهارَ الجنةِ، وتأكلُ من ثمارها»[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذه طبقاتٌ وأحوال مختلفة، يجمعها أنهم يُرزَقون.

وقال عليه السلام: «إنما نسمة المؤمن من طير تعلق في ثمار الجنة»[٥]، ويروى «يَعْلَق» بفتح اللام وبالياء، والحديث معناه في الشهداء خاصة؛ لأن أرواح المؤمنين غيرِ الشهداء إنما ترى مقاعدها من الجنة دون أن تدخلها، وأيضاً فإنها لا ترزق.

وتعلق معناه: تصيب العُلْقَةَ من الطعام، وفتح اللام هو من التعلُّق، وقد رواه الفراء[٦] في إصابة العلقة[٧].

وروي أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى يطلع إلى الشهداء فيقول: يا عبادي ما تشتهون فأزيدكم؟ فيقولون يا ربنا لا فوق ما أعطيتنا، هذه الجنة نأكل منها حيث نشاء،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٩٠)، والطبري (٣/ ٢١٧)، وغيرهما من طرق عدة، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني الحارث بن فضيل الأنصاري، عن محمود بن لبيد، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، الحارث، قال مهنا عن أحمد: ليس بمحفوظ الحديث، وقال أبو داود عن أحمد: ليس بمحمود الحديث. تهذيب التهذيب (٨/ ٢٩).

(٢) ليس في نور العثمانية.

(٣) كتبت في المطبوع: «جواف».

(٤) مسلم (١٨٨٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) لا يصح، أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٥/ ٣٠٥-٣٠٦)، من طريق مالك، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن كعب أخبره أن أباه كعباً كان يحدث عن النبي ﷺ..فذكره. ثم أخذ البخاري في بيان علله، والحديث لا يصح شيء من طرقه.

(٦) في لالاليه: «الرواة».

(٧) قال ابن سيده في المحكم (١/ ٢١٤) بعد ذكر الحديث: ورواه الفراء عن الدبيريين: تعلق.

لكنا نريد أن تردَّنا إلى الدنيا فنقاتل في سبيلك فُنقتَلَ مرة أخرى، فيقول تعالى: قد سبق أنكم لا تُردُّون»[(١)].

وروي أن النبي ﷺ قال لجابر بن عبد الله: «ألا أبشِّرُك يا جابر؟» قال جابر: قلت: بلى يا رسول الله، قال: «إن أباك حيث أصيب بأحد، أحياه الله، ثم قال: ما تحبُّ يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك؟ قال: يا رب أحب أن تردني إلى الدنيا فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى»[(٢)]، وقال قتادة رحمه الله: ذكر لنا أن رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: ليتنا نعلم ما فعل إخواننا الذين أصيبوا بأُحد، فنزلت هذه الآية[(٣)].

وقال محمد بن قيس بن مخرمة[(٤)] في حديث: إن الشهداء قالوا: يا ربنا، ألا رسولٌ يخبر نبينا عنا بما أعطيتنا؟ فقال الله تعالى: أنا رسولُكم، فنزل جبريل بهذه الآيات[(٥)].

قال القاضي أبو محمد: وكثرت هذه الأحاديث في هذا المعنى، واختلفت الروايات، وجميع ذلك جائز على ما اقتضبته[(٦)] من هذه المعاني.

---

(١) الحديث أورده المصنف هاهنا بمعناه، وقد أخرجه مسلم في صحيحه (١٨٨٧)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٥٦)، وابن ماجه (١٩٠) من طريق موسى بن إبراهيم بن كثير الأنصاري، قال: سمعت طلحة بن خراش، قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول...فذكره مرفوعاً، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، ولا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم.اهـ. وموسى هذا أورده ابن حبان في الثقات (٧/ ٤٤٩)، وقال: «كان ممن يخطئ»، وأخرجه الإمام أحمد (١٤٨٨١) من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما، به وابن عقيل ليس بقوي، ولا يحتج بحديثه.

(٣) أخرجه الطبري (٧/ ٣٨٩)، من طريق قتادة، قال....فذكره، وهذا إسناد ضعيف لإعضاله.

(٤) هو محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب القرشي المطلبي، أدرك النبي ﷺ، وذكره ابن أَبي داود، والباوردي في الصحابة، وذكره ابن حبان، وأَبو داود في الثقات، روى عن النبي ﷺ، وعن أُمه، عن إسحاق، وابن جريج، وغيرهم، الإصابة (٦/ ٢٠١) في القسم الثاني.

(٥) نفس الحديث السابق.

(٦) في الأصل ولالاليه: «اقتضته»، وفي أحمد٣: «اقتصصته»، وفي هامشه: «اقتضته».

وقوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ﴾ نصبٌ في موضع الحال، وهو من الفرح بمعنى السرور.

و«الفضل» في هذه الآية: التنعيم المذكور.

قوله عز وجل/: ﴿...وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾. [١/ ٢٧٦]

﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ معناه: يسرون ويفرحون، وليست استفعل في هذا الموضع بمعنى طلب البشارة، بل هي بمعنى: استغنى الله، واستمجد[١] المرخ والعفار[٢].

وذهب قتادة والربيع وابن جريج وغيرهم إلى أن هذا الاستبشار إنما هو بأنهم يقولون: إخواننا الذين تركناهم خلفنا في الدنيا يقاتلون في سبيل الله مع نبيهم فيستشهدون فينالون من الكرامة مثلَ ما نحن فيه، فيسرُّون لهم بذلك؛ إذ يُحصلون لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون[٣].

وذهب فريق من العلماء ـ وأشار إليه الزجاج وابن فورك ـ إلى أن الإشارة في قوله: ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا﴾ إلى جميع المؤمنين[٤]؛ أي: لم يلحقوا بهم في فضل الشهادة، لكن الشهداء لما عاينوا ثواب الله وقع اليقينُ بأن دينَ الإسلام هو الحق الذي يثيبُ الله عليه، فهم فرحون لأنفسهم بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون للمؤمنين بأنهم لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.

---

(١) في الأصل: «واستجمد»، وفي حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «استحمد»، واستمجد: استفضل، وقيل: معناه: اقتدح.

(٢) هذا من الأمثال العربية التي تضرب في تفضيل أهل الفضل على بعض، انظر: جمهرة الأمثال للعسكري (٢ / ٩٢)، والاشتقاق (ص: ٥٠٦)، والكامل في اللغة والأدب للمبرد (١ / ١٧٢)، والمرخ: شجر كثير الورق سريعه. والعفار: شجر يتخذ منه الزناد.

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٣٩٦ - ٣٩٧)، وتفسير الماوردي (١/ ٤٣٧).

(٤) في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨٩)، وانظر: كلام ابن فورك في تفسير القرطبي (٤/ ٢٧٥).

و﴿أَلَّا﴾ مفعول من أجله، التقدير: بأنْ لا خوف، ويجوز أن يكون في موضع خفض بدل اشتمال.

ثم أكد تعالى استبشارهم بقوله: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ﴾، ثم بين تعالى بقوله: ﴿وَفَضْلٍ﴾ فوقع إدخاله إياهم الجنة الذي هو فضلٌ منه، لا بعمل أحد، وأما النعمة في الجنة والدرجات فقد أخبر أنها على قدر الأعمال.

وقرأ الكسائي وجماعة من أهل العلم: ﴿وإنَّ الله﴾ بكسر الألف من (إن).

وقرأ باقي السبعة وجمهور العلماء: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ بفتح الألف[1].

فمن قرأ بالفتح فذلك داخلٌ فيما يُسْتَبشر به، المعنى: بنعمة وبأن الله [بالفتح، و][2] من قرأ بالكسر فهو إخبار مستأنف.

وقرأ عبد الله: (وفَضْلٍ واللهُ لَا يُضيعُ)[3].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ﴾ يحتمل أن تكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ صفة للمؤمنين على قراءة من كسر الألف من (إنَّ)، والأَظْهَر أن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ابتداء، وخبره في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ الآية، فهذه الجملة هي خبر الابتداء الأول.

و«المستجيبون لله والرسول»: هم الذين خرجوا مع النبي ﷺ إلى حمراء الأسد في طلب قريش والتظاهر لهم، وذلك أنه لما كان في يوم الأَحد[4]، وهو الثاني من يوم أُحد نادى رسول الله ﷺ في الناس باتباع المشركين، وقال: «لا يخرجَنَّ معَنا إلا مَن شاهدنا بالأمس»، وكانت بالناس جراحة وقرحٌ عظيم، ولكنْ تجلَّدوا ونهض معه مائتا رجل من

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢١٩)، والتيسير (ص: ٩١).

(٢) زيادة من فيض الله.

(٣) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها له في: تفسير الطبري (٧/ ٣٩٨)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٧٥)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٢٠٥).

(٤) في أحمد٣ ولالاليه: «يوم أحد».

المؤمنين حتى بلغ حمراءَ الأسد، وهي على ثمانية أميال من المدينة، وأقام بها ثلاثة أيام.

وجرت قصة معبد بن أبي معبد التي ذكرناها، ومرت قريش، وانصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة، فأنزل الله تعالى في شأن أولئك المستجيبين هذه الآية[١]، ومدحهم لصبرهم.

وروي: أنه خرج في الناس أَخَوان وبهما جراحة شديدة، وكان أحدهما قد ضعف، فكان أخوه يحمله عُقْبة، ويمشي هو عُقبةً[٢].

ورغب جابر بن عبد الله إلى النبي ﷺ في الخروج معه فأذن له، وأخبرهم تعالى أن الأَجر العظيم قد تحصَّلَ لهم بهذه الفعلة، وقال رسول الله ﷺ: «إنها غَزوةٌ»[٣].

قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ صفة للمحسنين المذكورين، وهذا القول هو الذي قاله الركب من عبد القيس لرسول الله ﷺ وأصحابه حين حملهم أبو سفيان ذلك[٤]، وقد ذكرته قبل، فـ﴿ٱلنَّاسُ﴾ الأول: ركب العبديين[٥] و﴿ٱلنَّاسَ﴾ الثاني: عسكر قريش.

وقوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا﴾؛ أي: ثبوتاً واستعداداً، فزيادة الإِيمان في هذا هي في الأعمال.

---

(١) أخرجه الطبري (٧/ ٢٨٠)، من طريق أسباط بن نصر، وهو ضعيف الحديث، عن السدي به معضلاً.

(٢) جاء في السيرة الحلبية (٢/ ٣٥١) أنهما عبد الله ورافع ابنا سهيل بن رافع، وأن الذي ضعف عن المشي رافع، والحامل له عبد الله.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٥١٠)، من طريق عكرمة به مرسلاً.

(٤) أخرجه الطبري (٧/ ٤٠٩)، من طريق ابن إسحاق به معضلاً.

(٥) في المطبوع: «عبد القيس».

وأطلق العلماء عبارة: إن الإِيمان يزيد وينقص، والعقيدة في هذا أن نفس الإِيمان الذي هو تصديقٌ واحدٌ بشيء ما إنما هو معنىً فردٌ لا تدخله زيادة إذا حصل، ولا يبقى[(١)] منه شيءٌ إذا زال، فلم يبق إلا أن تكون الزيادة والنقص في متعلَّقاته دون ذاته، فذهب بعض العلماء إلى أنه يقال: يزيد وينقص من حيث تزيد الأعمال الصادرة عنه وتنقص، لا سيما أن كثيراً من العلماء يوقعون اسم الإِيمان على الطاعات.

وذهب قوم إلى أن الزيادة في الإِيمان إنما هي بنزول الفروض والأخبار في مدة النبي ﷺ، وفي المعرفة بها بعد الجهل غابرَ الدهر، وهذا إنما هو زيادة إيمان إلى إيمان، فالقول فيه إن الإِيمان يزيد وينقص قولٌ مجازيّ، ولا يتصوَّرُ النقصُ[(٢)] فيه على هذا الحدّ، وإنما يتصور الأنقص[(٣)] بالإِضافة إلى من علم.

وذهب قوم من العلماء إلى أن زيادة الإِيمان ونقصه إنما هي من طريقِ الأَدلة، فتزيدُ الأدلة عند واحد، فيقال في ذلك: إنها زيادة في الإِيمان، وهذا كما يقال في الكسوة: إنها زيادة في الإِنسان.

وذهب أبو المعالي في «الإِرشاد»: إلى أن زيادة الإِيمان ونقصانه إنما هو بسبب ثبوت المعتقَد وتعاوُرِه دائباً، قال: وذلك أن الإيمان عَرَض، وهو لا يثبت زمانين، فهو للنبي ﷺ وللصلحاء متعاقبٌ متوالٍ، وللفاسق والغافل غير متوالٍ، يصحبه حيناً ويفارقه حيناً في الفترة، ذلك الآخر أكثر إيماناً، فهذه هي الزيادة والنقص[(٤)].

قال القاضي أبو محمد: وعندي أن في هذا القول نظراً.

وقوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ لا يتصور أن يكون من جهة الأدلة، ويتصور في الآية الجهات الأخر الثلاث.

---

(١) ليست في نور العثمانية، وفي السليمانية ولالاليه بدلها: «ولا ينقص».

(٢) في المطبوع ونور العثمانية: «الأنقص».

(٣) من المطبوع ونور العثمانية وفيض الله.

(٤) نقله القرطبي (٤/ ٢٨٠)، وسيأتي التعليق على ذلك في أول سورة الأنفال.

وروي: أنه لما أخبر الوفد من عبد القيس رسولَ الله ﷺ بما حملهم أبو سفيان، وأنه ينصرف إليهم بالناس ليستأصلهم، وأخبر بذلك أيضاً أعرابي، شق ذلك على المسلمين فقال لهم رسول الله ﷺ: «قولوا[١]: حسبنا الله ونعم الوكيل»، فقالوها، واستمرت عزائمهم على الصبر/ ، ودفع الله عنهم كل سوء، وألقى الرعب في قلوب الكفار فمرُّوا[٢]. [١/ ٢٧٧]

وقوله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ﴾ يريد في السلامة والظهور في اتباع العدو، وحماية الحوزة، وبفضلٍ في الأجر الذي حازوه، والفخر الذي تجلَّلوه[٣].

وباقي الآية بين قد مضت نظائره.

هذا هو تفسير الجمهور لهذه الآية، وأنها في غزوة أُحد في الخَرْجة إلى حمراء الأسد.

وشذ مجاهد رحمه الله فقال: إن هذه الآية من قوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ إلى قوله: ﴿فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ إنما نزلت في خروج النبي ﷺ إلى بدر الصغرى[٤].

وذلك أنه خرج لميعاد أبي سفيان في أُحد إذ قال: موعدنا بدر من العام المقبل، فقال النبي عليه السلام: «قولوا: نعم»، فخرج رسول الله قِبَلَ بدر، وكان بها سوق عظيم، فأعطى رسول الله ﷺ أصحابه دراهم[٥]، وقرب من بدر، فجاءه نعيم بن مسعود الأشجعي[٦] فأخبره أن قريشاً قد اجتمعت وأقبلت لحربه هي ومن انضاف إليها، فأشفق المسلمون من ذلك، لكنهم قالوا: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾، وصمموا حتى أتوا بدراً فلم يجدوا

---

(١) ليست في الأصل.

(٢) أخرجه الطبري (٧/ ٤٠٩)، من طريق ابن إسحاق به معضلاً. وفي السليمانية: «ففروا» بدل: «فمروا».

(٣) في الحمزوية: «تحملوه»، وفي الأصل: «يتجللوه»، وليست في لالاليه.

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٤١١).

(٥) في المطبوع: «دارهم».

(٦) هو نعيم بن مسعود بن عامر، يكنى أَبا سلمة الأَشجعي صحابي مشهور، وله رواية عن النبي ﷺ، وهو الذي خذَّل المشركين وبني قريظة يوم الخندق، توفي في خلافة عثمان، وقيل: في وقعة الجمل، الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٣٦٣).

عدوّاً[(١)]، ووجدوا السوق فاشتروا بدراهمهم أُدماً وتجارة، وانقلبوا ولم يلقَوا كيداً، وربحوا في تجارتهم، فذلك قوله تعالى: ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾؛ أي: فضل في تلك التجارة[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: والصواب ما قاله الجمهور: إن الآية نزلت في غزوة حمراء الأسد.

وما قال ابن قتيبة وغيره من أَن لفظة ﴿ٱلنَّاسُ﴾ تقع على رجل واحد من هذه الآية[(٣)]، فقولٌ ضعيف.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾.

مقتضى ﴿إِنَّمَا﴾ في اللغة الحصر، هذا منزع المتكلم بها من العرب، ثم إذا نظر مقتضاها[(٤)] عقلاً ـ وهذا هو نظر الأُصوليين ـ فهي تصلح للحصر وللتأكيد الذي يستعار له لفظ الحصر، وهي في هذه الآية حاصرة.

والإِشارة بـ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ إلى جميع ما جرى من أَخبار الركب العبديين عن رسالة أبي سفيان، ومن تحميل أبي سفيان ذلك الكلام، ومن جزَع من جَزِع من ذلك الخبر من مؤمن أو متردد.

و﴿ذَٰلِكُمُ﴾ في الإِعراب ابتداء، و﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ مبتدأ آخر، و﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ خبر عن الشيطان، والجملة خبر الابتداء الأول، وهذا الإِعراب خير في تناسق المعنى من أن يكون ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ خبرَ ﴿ذَٰلِكُمُ﴾؛ لأنه يجيء في المعنى استعارة بعيدة.

---

(١) وفي الحمزوية ولالاليه: «أحداً»، وسقطت من أحمد٣.
(٢) أخرجه الطبري (٧/ ٧/ ٤١١)، من طريق مجاهد به معضلاً.
(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص: ١٧٢-١٧٣)، ولفظة: «وغيره» ليست في الأصل.
(٤) سقطت من المطبوع.

و﴿يُخَوِّفُ﴾ فعل يتعدى إلى مفعولين، لكن يجوز الاقتصار[١] على أحدهما؛ إذ الآخر مفهوم من بنية هذا الفعل؛ لأنك إذا قلت: خوفتُ زيداً، فمعلومٌ ضرورةً أنك إنما[٢] خوفته شيئاً حَقُّهُ أن يخاف.

وقرأ جمهور الناس ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ فقال قومٌ: المعنى: يخوفكم أيها المؤمنون أولياءَه الذين هم كفارُ قريش، فحذف المفعولَ الأول، وقال قوم: المعنى يخوِّفُ المنافقين ومَنْ في قلبه مرضٌ، وهم أولياؤه، فإذاً لا يعمل فيكم أيها المؤمنون تخويفُه؛ إذ لستم بأوليائه، والمعنى: يخوّفهم كفارَ قريش، فحذف هنا المفعولَ الثاني واقتصر على الأول.

وقرأ ابن عباس فيما حكى أبو عمرو الداني: (يُخوفُ أَوْلِيَاؤُهُ)[٣]، المعنى: يخوفكم قُرَيشٌ ومَن معهم، وذلك بإضلال الشيطان لهم، وذلك كله مضمحلٌّ، وبذلك قال[٤] النخعي.

وحكى أبو الفتح ابن جني عن ابن عباس أنه قرأ: (يخوِّفُكم أولياءَهُ)[٥].

فهذه قراءة ظهر فيها المفعولان، وفسَّرت قراءة الجماعة: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾.

وفي قراءة أبي بن كعب: (يخوفكم بأوليائه)[٦].

والضمير في قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ لكفار قريش وغيرهم من أولياء الشيطان، حقر الله شأنهم وقوَّى نفوسَ المؤمنين عليهم، وأمرهم بخوفه هو تعالى، وامتثالِ أمره من الصبر

---

(١) وقع هنا تكرار في الأصل هكذا: «لكن يجوز الاقتصار لكن يجوز الاقتصار».

(٢) ليست في المطبوع.

(٣) في التبيان للعكبري (١/ ٣١١) أنها قرئ بها في الشذوذ، ولم ينسبها، ولم أجد من نقلها عن الداني، وفي المطبوع: «أبو عمر والداني».

(٤) في أكثر النسخ: «قرأ»، والمثبت من الأصل والحمزوية، وقد نقل هذا القول عن النخعي النحاس في معاني القرآن (١ / ٥١٢).

(٥) المحتسب لابن جني (١/ ١٧٧)، ومثله في تفسير الزمخشري (١/ ٤٤٣)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٩١).

(٦) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها له في: تفسير الثعلبي (٣/ ٢١٥).

والجلد، ثم قرر بقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ كما تقول: إن كنتَ رجلاً فافعل كذا.

وقرأ نافع وحده: ﴿يُحزِنْك﴾ بضم الياء من أحزَنَ، وكذلك قرأ في جميع القرآن، إلا في سورة الأنبياء: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] فإنه فتح الياء.

وقرأ الباقون: ﴿يَحْزُنكَ﴾ بفتح الياء[١]، من قولك: حزنتُ الرجلَ.

قال سيبويه: يقال: حزن الرجل وفتن: إذا أصابه الحزن والفتنة، وحزَنتُه وفتَنتُه: إذا جعلتُ فيه وعنده حزناً وفتنة، كما تقول: دهَنتُ وكحَلتُ: إذا جعلتَ دُهناً وكُحلاً، وأحزنته وأفتنته: إذا جعلته حزيناً وفاتناً، كما تقول أدخلته وأسمعته، هذا معنى قول سيبويه[٢].

و«المسارعة في الكفر»: هي المبادرة إلى أقواله وأفعاله والجدّ في ذلك.

وقرأ الحرّ النحوي[٣]: (يُسْرِعون) في كلِّ القرآن[٤]، وقراءة الجماعة أبلغ؛ لأن من يسارعُ غيرَهُ أشدُّ اجتهاداً من الذي يسرع وحده، ولذلك قالوا: «كلُّ مُجرٍ بالخلاء يُسَرُّ»[٥].

وسلى الله نبيه بهذه الآية عن حال المنافقين والمجاهرين[٦]؛ إذ كلهم مسارع.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ خبر في ضمنه وعيد لهم؛ أي: إنما يضرون أنفسهم. والحظ إذا لم يقيد فإنما يستعمل في الخير، ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير للداني (ص: ٩١).

(٢) انظر قول سيبويه في: المخصص لابن سيده (٤/ ٣٠٣).

(٣) وقع في الحمزوية: «الحسن»، وهو خطأ، والحر هو ابن عبد الله النحوي القارئ، سمع أبا الأسود الدؤلي، وعنه طلب إعراب القرآن أربعين سنة. بغية الوعاة (١/ ٤٩٣).

(٤) وهي قراءة شاذة. انظر: المحتسب لابن جني (١/ ١٧٧).

(٥) أورده ابن سلام في الأمثال (ص: ١٣٦)، وأصله الرجل يجري فرسه بالمكان الخالي الذي لا مسابق له فيه، فهو مسرورٌ بسبقِه.

(٦) في المطبوع: «المجاهدين»، وهو مفسد للمعنى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟﴾ أطلق عليهم الشراء من حيث كانوا متمكِّنين من قبول هذا فجاء أخذهم للواحد وتركهم للآخر كأنه ترك لما قد أُخذ وحُصِّل، إذ كانوا ممكَّنين[١] منه.

ولمالك رحمه الله مُتَعَلَّقٌ بهذه الآية في مسألة شراء ما تختلف آحاد جنسه مما لا يجوز التفاضلُ فيه، في أن منع الشراء على أن يختار المبتاع[٢]، وباقي الآية وعيد كالمتقدم.

قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ / . [١/ ٢٧٨]

﴿نُمْلِى﴾ معناه: نمهل، ونمدُّ في العمر، والمَلاوة: المدَّة من الدهر، والمَلَوانِ: الليل والنهار، وتقول: مَلاَّكَ الله النعمةَ؛ أي: منحَكَها عمراً طويلاً[٣].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع: ﴿يَحْسِبَن﴾ بالياء من أسفل وكسر السين وفتح الباء.

وقرأ ابن عامر كذلك إلا في السين فإنه فتحها.

وقرأ حمزة ﴿تَحْسَبنَّ﴾ بالتاء من فوق وفتح السين.

وقرأ عاصم والكسائي كل ما في هذه السورة بالتاء من فوق إلا حرفين: قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ في هذه الآية، وبعدها ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾[٤].

فأما من قرأ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء من أسفل فإن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ فاعل، وقوله: ﴿أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ﴾ بفتح الألف من ﴿أَنَّمَا﴾ سادٌّ مسدَّ مفعولي (حسب)، وذلك أن (حسب) وما

---

(١) في أحمد٣ ولالاليه ونور العثمانية: «متمكنين».

(٢) تقدم التنبيه على ذلك في أول سورة البقرة.

(٣) انظر: العين (٨/ ٣٤٤).

(٤) السبعة في القراءات (ص: ٢١٩).

جرى مجراها تتعدى إلى مفعولين، أو إلى مفعول يسدُّ مسدَّ مفعولين، وذلك إذا جرى في صلة ما تتعدى إليه ذكرُ الحديث والمحدِّث عنه.

قال أبو علي: وكسر (إن) في قول من قرأ: ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء لا ينبغي، وقد قرئ فيما حكاه غير[1] أحمد بن موسى، وفي غير السبع[2]، ووجه ذلك أن (إنّ) يُتلقّى بها القسم كما يتلقى بلام الابتداء، ويدخلان على الابتداء والخبر، أعني (اللام) و(إن)، فعُلِّق عن ﴿أَنَّمَا﴾ عملُ الحسبان كما تعلق عن اللام في قولك: حسبتُ لزيدٌ قائمٌ، فيُعلَّق الفعل عن العمل لفظاً، وأما بالمعنى فما بعد (إن) أو (اللام) ففي موضع مفعولَي (حسِبَ)، و(ما) يحتمل أن تكون بمعنى الذي، ففي ﴿نُمْلِي﴾ عائد مستكنٌّ، ويحتمل أن تكون مصدرية، فلا تحتاج إلى تقدير عائد[3].

وأما من قرأ: ﴿ولا تحسبنَّ﴾ بالتاء من فوق فـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مفعولٌ أول للحسبان.

قال أبو علي: وينبغي أن تكون الألف من (إنَّما) مكسورة في هذه القراءة، وتكون (إن) وما دخلت عليه في موضع المفعول الثاني لـ﴿تَحْسَبَنَّ﴾، ولا يجوز فتح الأَلف من (إنَّما)؛ لأَنها تكون المفعول الثاني، والمفعول الثاني[4] في هذا الباب هو المفعول الأول بالمعنى، والإملاءُ لا يكون إياهم[5].

قال مكي في «مشكله»: ما علمت أحداً قرأ: ﴿تَحْسَبَنَّ﴾ بالتاء من فوق، وكسر الألف من (إنَّما)[6].

وجوز الزجاج هذه القراءة ﴿تَحْسَبَنَّ﴾ بالتاء و﴿أَنَّمَا﴾ بفتح الألف، وظاهر

---

(١) سقطت من أحمد٣.
(٢) وهي قراءة شاذة قرأ بها يحيى بن وثاب. انظر: مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٣٠).
(٣) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ١٠٢).
(٤) والمفعول الثاني ليست في نور العثمانية.
(٥) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ١٠٧).
(٦) مشكل إعراب القرآن (١ / ١٨٠).

كلامه أنها تنصب ﴿خَيْرًا﴾ قال: وقد قرأ بها خلق كثير، وساق عليها مثالاً قول الشاعر:

[الطويل]

فما كان قيْسٌ هُلكُه هُلْكَ واحدٍ ولكنَّه بنيانُ قومٍ تهدَّما[١]

بنصب (هُلْكَ) الثاني على أن الأول بدل[٢].

قال القاضي أبو محمد: فكذلك يكون ﴿أَنَّمَا نُمْلِي﴾ بدلاً من ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: ٦٣]، وقوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧]، ويكون ﴿خَيْرًا﴾ المفعولَ الثانيَ.

قال أبو علي: لم يقرأ هذه القراءة أحد، وقد سألت أحمد بن موسى عنها فزعم أنه لم يقرأ بها أحد[٣].

ويظهر من كلام أبي علي أن أبا إسحاق إنما جوز المسألة مع قراءة (خيرٌ) بالرفع، وأبو علي أعلمُ؛ لمشاهدته أبا إسحاق.

وذكر قوم أن هذه القراءة تجوز على حذف مضاف تقديره: ولا تحسبنَّ شأنَ الذين كفروا أَنَّما نملي لهم، فهذا كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] وغير ذلك.

ويذهب الأُستاذ الأجلُّ[٤] أبو الحسن بن [أحمد البادش][٥]: إلى أنها تجوز على

---

(١) البيت لعبدة بن الطيب، يرثي قيس بن عاصم من ميميته المعروفة انظر عزوه له في: الكتاب لسيبويه (١/ ١٥٥)، والأصول في النحو (٢/ ٥١)، والأغاني (١٠/ ٣٠)، والبيان والتبيين (٢/ ٢٣٨)، وعيون الأخبار (١/ ٤٠٢). والشطر الثاني ليس في المطبوع ولالاليه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٩١)، ولم نجد من الخلق الكثير الذي قرأ بها غير ابن وثاب الذي ذكر ابن خالويه.

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ١٠٧).

(٤) زيادة من فيض الله.

(٥) «البادش» ليست في الأصل، و«أحمد» من الأصل وفيض الله والحمزوية، وفي الحمزوية: «الباذش»، وفي أحمد٣: «بابشاد»، وهو علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي نحوي، له شرح على سيبويه، وشرح على الإيضاح، توفي (٥٢٨هـ). إنباه الرواة (٢/ ٢٢٧).

بدل (أن) من ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وحذف المفعول الثاني لـ (حسب)؛ إذ الكلام يدل عليه[١].

قال القاضي أبو محمد: والمسألة جائزة؛ إذ المعنى: لا تحسبنَّ إملاءَنا للذين[٢] كفروا خيراً لهم، أو نحو هذا.

ومعنى هذه الآية: الرد على الكفار في قولهم: إن كوننا ظاهرين ممولين[٣] أصحَّةً دليلٌ على رضى الله بحالنا، واستقامة طريقتنا عنده، فأخبر الله أن ذلك التأخيرَ والإِمهالَ إنما هو إملاء واستدراج؛ ليكتسبوا الآثام.

وقال عبد الله بن مسعود: ما من نفْسٍ بَرَّةٍ ولا فاجرة إلا والموت خير لها، أما البرة فلتسرعَ إلى رحمة الله، وقرأ: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، وأما الفاجرة فلئلا تزداد إثماً، وقرأ هذه الآية[٤].

ووصف العذاب بالمهين معناه: التخسيس[٥] لهم، فقد يعذَّبُ مَن لا يهان، وذلك إذا اعتقدت إقالةَ عثرته يوماً ما.

واختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الآية:

فقال مجاهد وابن جريج وابن إسحاق وغيرهم: الخطاب للمؤمنين[٦].

والمعنى: ما كان الله ليدعَ المؤمنين مختلطين بالمنافقين مشكلاً أمرُهم، يجري المنافق مجرى المؤمن، ولكن ميَّزَ بعضهم من بعض بما ظهر من هؤلاء وهؤلاء في أُحُدٍ من الأفعال والأقوال.

---

(١) نقله عنه في البحر المحيط (٣/ ٤٤٣).

(٢) في الحمزوية: «إملاءنا الذين»، وفي الأصل: «إملاء الذين».

(٣) في السليمانية ولالاليه: «متمولين»، وفي نور العثمانية: «مملوين».

(٤) أخرجه الطبري (٧/ ٤٢٣)، بإسناد صحيح.

(٥) في نور العثمانية: «التحسين».

(٦) تفسير الطبري (٧/ ٤٢٤ - ٤٢٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٢٤)، وتفسير ابن المنذر (٢/ ٥١٠)، وتفسير الماوردي (١/ ٤٣٩).

وقال قتادة والسدي: الخطاب للكفار[١].

والمعنى: حتى يميز المؤمنين من الكافرين بالإِيمان والهجرة.

وقال السدي وغيره: قال الكفار في بعض جدلهم: أنت يا محمد تزعم في الرجل منَّا أنه من أهل النار، وأنه إذا اتبعك من أهل الجنة، فكيف يصح هذا؟ ولكن أخبرنا بمن يؤمن منا وبمن يبقى على كفره، فنزلت الآية[٢]، فقيل لهم: لا بد من التمييز، وما كان الله ليطلعكم على الغيب فيمن يؤمن، ولا فيمن يبقى كافراً، ولكن هذا رسول مجتبىً فآمنوا به، فإن آمنتم نجوتم، وكان لكم أجرٌ.

قال القاضي أبو محمد: وأما مجاهد وابن جريج وأهل القول الأول، فقولهم في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾: إنه في أمر أُحُد؛ أي: ما كان الله ليطلعكم على أنكم تهزمون، فكيف[٣] تكعون، ونحو هذا، وأيضاً فما كان ليطلعكم على المنافقين تصريحاً بهم وتسميةً لهم، ولكن هذا بقرائن أفعالهم وأقوالهم في مثل هذا الموطن.

و﴿حَتَّىٰ﴾ في قوله: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ غاية مجردة؛ لأن الكلام قبلها معناه: الله يخلص ما بينكم بابتلائه وامتحانه حتى يميز.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ بفتح الياء وكسر الميم وتخفيف الياء الثانية[٤]، وكذلك ﴿لِيَمِيزَ﴾.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿حتى يُمَيّز﴾ و﴿لِيُمَيِّزَ اللَّـهُ﴾ بضم الياء والتشديد[٥].

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٤٢٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٢٤)، وتفسير الماوردي (١/ ٤٣٩).

(٢) أخرجه الطبري (٧/ ٤٢٥)، وابن أبي حاتم (٤٦٠٧) من طريق السدي به معضلاً.

(٣) في السليمانية وفيض الله ولالاليه وأحمد٣: «فكنتم»، وفي الأصل: «تعكون»، بدل «تكعون».

(٤) «الثانية»: زيادة من أحمد٣.

(٥) في أحمد٣: «بضم بالياء وفتح الميم وتشديد الياء الثانية وكسرها»، وهي سبعية متواترة، انظر: السبعة (ص: ٢٢٠)، والتيسير (ص: ٩٢).

قال يعقوب بن السكيت(١): مِزْتُ ومَيَّزْت: لغتان بمعنى واحد(٢).

قال أبو علي: وليس ميَّزت بمنقول من مِزت، بدليل أن ميَّزت لا يتعدى إلى مفعولين، وإنما يتعدى إلى مفعول واحد كمِزت، كما أن «ألقيت» ليس بمنقول من «لقي»، / إنما هو بمعنى: أسقَطتُ(٣). [١/ ٢٧٩]

و ﴿ٱلْغَيْبِ﴾ هنا: ما غاب عن البشر مما هو في علم الله من الحوادث التي تحدث، ومن الأسرار التي في قلوب المنافقين، ومن الأقوال التي يقولونها إذا غابوا عن الناس.

قال الزجاج وغيره: روي أن بعض الكفار قال: لم لا يكون جميعنا أنبياء؟ فنزلت هذه الآية(٤).

و﴿يَجْتَبِى﴾ معناه: يختار ويصطفي، وهي من جبَيتُ الماءَ والمالَ.

وباقي الآية بيِّن، والله المستعان.

قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ...﴾.

القراءات في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ كالتي تقدمت آنفاً في قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ سواء.

قال السدي وجماعة من المتأولين: الآية نزلت في البخل بالمال، والإنفاق في سبيل الله، وأداء الزكاة المفروضة، ونحو ذلك(٥)، قالوا: ومعنى ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا

---

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، عرف بابن السكيت، نديم المتوكل، وكانت وفاته سنة (٢٤٤هـ). وفيات الأعيان (٦/ ٣٩٥).

(٢) إصلاح المنطق (ص: ٢٧٣).

(٣) الحجة لأبي علي (٣/ ١١١).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٩٢)، ولم أجده مسنداً.

(٥) تفسير الطبري (٧/ ٤٣٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٢٦)، وتفسير الماوردي (١/ ٤٤٠).

بَخِلُواْ﴾ هو الذي ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من ذي رحم[(١)] يأتي ذا رحمه فيسأله من فضل ما عنده فيبخل به عليه إلا خرج له يوم القيامة شجاعٌ أقرعُ من النار يتلمَّظُ حتى يطوقه»[(٢)].

والأحاديث في مثل هذا من منع الزكاة واكتناز المال كثيرة صحيحة[(٣)].

وقال ابن عباس: الآية إنما نزلت في أهل الكتاب وبخلهم ببيان ما علمهم الله من أمر محمد ﷺ[(٤)]، وقال ذلك مجاهد وجماعة من أهل التفسير[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ على هذا التأويل معناه: سيحملون عقاب ما بخلوا به، فهو من الطاقة كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وليس من التطويق.

قال إبراهيم النخعي: معنى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ سيُجعَلُ لهم يومَ القيامة طوقٌ من نار[(٦)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا يجري مع[(٧)] التأويل الأول الذي ذكرته للسدي وغيره.

---

(١) في نور العثمانية هنا زيادة: «محرم».

(٢) أخرجه الطبري (٧/ ٤٣٤)، من طريق أبي قزعة، عن حجير بن بيان عن رسول الله ﷺ به. وظاهر صنيع ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣/ ٢٩٠) أن حجير بن بيان ليست له صحبة، وعليه فحديثه مرسل.

(٣) منها ما أخرجه مسلم في صحيحه (٩٨٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم»... الحديث.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٥٧٥)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٥) تفسير الطبري (٧/ ٤٣٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٥٢).

(٦) تفسير الطبري (٧/ ٤٣٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٢٨)، وتفسير الصنعاني (١/ ١٤١)، وتفسير الماوردي (١/ ٤٤٠).

(٧) في السليمانية ولالاليه: «مجرى» بدل: «مع».

وقال مجاهد[(١)]: معنى ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾: سيكلفون أن يأتوا بمثل ما بخلوا به يوم القيامة[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا يضطرب مع قوله: إن البخل هو بالعلم الذي تفضل الله عليهم بأن علمهم إياه.

وإعراب قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ رفع في قراءة من قرأ: ﴿يَحۡسَبَنَّ﴾ بالياء من أسفل، والمفعول الأول مقدر بعد الصلة تقديره: ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم من فضله بخلهم هو خيراً، والمفعول الثاني ﴿خَيۡرًا﴾، و﴿هُوَ﴾ فاصلة وهي العماد عند الكوفيين، ودلَّ قوله: ﴿يَبۡخَلُونَ﴾ على هذا البخل المقدر كما دل السفيه على السفه في قول الشاعر:

[الوافر] إذا نُهِيَ السَّفيهُ جَرى إليه ... وخالفَ والسَّفيهُ إلى خلافِ[(٣)]

فالمعنى جرى إلى السفه.

وأما من قرأ: ﴿تحسبنَّ﴾ بالتاء من فوق ففي الكلام حذف مضاف هو المفعول الأول، تقديره: ولا تحسبن يا محمد بخلَ الذين يبخلون خيراً لهم.

قال الزجاج: وهي مثل ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢][(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ خطاب على ما يفهمه[(٥)] البشر دال على فناء الجميع، وأنه لا يبقى مالك إلا الله تعالى، وإن كان ملكه تعالى على كل شيء لم يزل.

---

(١) ليس في لالاليه، وفي السليمانية بدله: «السدي».

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٤٣٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٢٨)، وتفسير ابن المنذر (٢/ ٥١٣) عن مجاهد.

(٣) البيت لأبي قيس بن الأسلت كما في إعراب القرآن للباقولي (٣/ ٩٠٢)، وهو في معاني القرآن للفراء (١/ ١٠٤) وغيره بلا نسبة.

(٤) وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٩٣).

(٥) في الحمزوية: «يعهده»، وفي المطبوع: «يفعله».

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿والله بما يَعْملون﴾ بالياء من أسفل على ذكر الذين يبخلون ويطوقون، وقرأ الباقون تعملون بالتاء من فوق(١)، وذلك على الرجوع من الغيبة إلى المخاطبة؛ لأنه قد تقدم: ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ الآية، قال ابن عباس: نزلت بسبب فنحاص(٢) اليهودي، وذلك أن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه إلى بيت المِدْراس ليدعوهم، فوجد فيه جماعة من اليهود قد اجتمعوا على فنحاص ـ وهو حَبْرَهم(٣) ـ فقال أبو بكر له: يا فنحاص، اتق الله وأسلم، فوَالله إنك لتعلم أَن محمداً رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل، فقال فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة، وإنه إِلينا لفقير، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان غنياً لما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم، في كلام طويل غضب أبو بكر منه، فرفع يده فلطم وجه فنحاص وسبَّه، وهمَّ بقتله، ثم منعه من ذلك أن رسول الله ﷺ: قال له: «لا تُحْدِثْ شيئاً حتى تنصرف إليَّ».

ثم ذهب فنحاص إلى النبي ﷺ فشكا فعل أبي بكر، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «ما حملك على ما صنعت؟» [قال: يا رسول الله، إنه قال قولاً عظيماً، فلم أملك نفسي أن صنعت ما صنعت](٤)، فنزلت الآية في ذلك(٥).

وقال قتادة: نزلت الآية في حيي بن أخطب، وذلك أنه لما نزلت: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢٢٠)، والتيسير للداني (ص: ٩٢).

(٢) هو فنحاص بن عازوراء، أحد أحبار يهود بني قينقاع الذين ناصبوا النبي ﷺ العداوة والحقد. سيرة ابن هشام (٢/ ٣٥٩).

(٣) في الأصل: «خيرهم».

(٤) ما بين معقوفين زيادة من نور العثمانية وفيض الله وأحمد٣.

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (٧/ ٤٤١)، وابن أبي حاتم (٤٥٨٩) من طريق محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، ومحمد هذا لا يُعرف.

يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال: يستقرضنا ربنا؟ إنما يستقرض الفقيرُ من الغنيّ[١].

وقال الحسن بن أبي الحسن ومعمر وقتادة أيضاً وغيرهم: لما نزلت: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ الآية، قالت اليهود: إنما يستقرض الفقير من الغني[٢].

قال القاضي أبو محمد: ولا محالة أَن هذا قول صدر أولاً من فنحاص وحيي وأشباههما من الأحبار ثم تقاوَلَها اليهودُ، وهو قول يغلط به[٣] الأتباع ومن لا علم عنده بمقاصد الكلام، وهذا هو تحريف اليهود للتأويل على نحو ما صنعوا في توراتهم.

وقوله تعالى: ﴿قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ دالٌّ على أنهم جماعة.

قوله عز وجل: ﴿...سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُ ...﴾.

قرأ حمزة وحده: ﴿سَيُكۡتَبُ﴾ بالياء من أسفل على بناء الفعل للمفعول، ﴿وقتْلُهم﴾ برفع اللام عطفاً على المفعول الذي لم يسمَّ فاعله، و﴿يَقولُ﴾ بالياء من أسفل.

وقرأ الباقون: ﴿سَنَكۡتُبُ﴾ بنون الجمع[٤]، فإما أنها نون العظمة، وإما هي للملائكة، و﴿مَا﴾ على هذه القراءة مفعولة بها، و﴿قَتۡلَهُمُ﴾ بنصب اللام عطفاً على ﴿مَا﴾، ﴿وَنَقُولُ﴾ بالنون على نحو ﴿سَنَكۡتُبُ﴾، والمعنى في هاتين القراءتين قريب بعضه من بعض/ . [١/ ٢٨٠]

---

(١) صحيح، رواه الطبري (٧/ ٤٤٤)، وابن المنذر في تفسيره (١٢٣١) من طريق يزيد بن زريع، عن ابن أبي عروبة، عن قتادة، به.

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٤٤٤)، وتفسير ابن المنذر (٢/ ٥١٧).

(٣) في الحمزوية: «تعاطيه».

(٤) وهما سبعيتان، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢٢٠)، والتيسير للداني (ص: ٩٢).

قال الكسائي: وفي قراءة عبد الله بن مسعود: (ويُقال ذوقُوا)[١]، وقال أبو معاذ النحوي[٢]: في حرف ابن مسعود: (سَنَـكْتُبُ ما يقُولونَ)، (ويُقَالُ لَهُمْ ذوقوا)[٣].

وقرأ طلحة بن مصرِّف: (سَنَـكْتب ما يقولون)، وحكى أبو عمرو عنه أيضاً أنه قرأ: (سَتُكْتَب) بتاء مرفوعة (ما قالُوا)[٤] بمعنى: ستُكتَب مقالتُهم.

وهذه الآية وعيد لهم، أي: سيحصي عليهم قولهم.

والكَتْب فيما حكى كثير من العلماء هو في صحف تقيده الملائكة فيها، تلك الصحف المكتوبة هي التي توزن، وفيها يخلق الله الثقل والخفة بحسب العمل المكتوب فيها.

وذهب قوم إلى أن الكَتْبَ عبارة عن الإِحصاء [وعدم الإِهمال][٥]، فعبَّر عن ذلك بما تفهم العرب منه غايةَ الضبط والتقييد.

فمعنى الآية: إن أقوال هؤلاء تكتب وأعمالهم، ويتصل ذلك بأفعال آبائهم من قتل الأنبياء بغير حق ونحوه، ثم يقال لجميعهم: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾.

وخلطت الآية الآباء مع الأبناء في الضمائر؛ إذ الآباء هم الذين طرَّقوا[٦] لأبنائهم الكفر، وإذ الأبناء راضون بأفعال الآباء متبعون لهم.

---

(١) وهي شاذة. انظر عزوها لابن مسعود في: إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٩١)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٢٢٣)، والكشاف (١ / ٤٤٧).

(٢) هو الفضل بن خالد أبو معاذ النحوي المروزي، روى القراءة عن خارجة بن مصعب، روى عنه القراءة محمد بن هارون النيسابوري ومحمد بن عبد الحكم والليث بن مقاتل بن الليث المرسي، مات قريباً من سنة إحدى عشرة ومائتين. غاية النهاية (١ / ٢٧٩).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها لابن مسعود في: المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٧٥)، وفي السليمانية ولالاليه: «سنكتب ما قالوا».

(٤) وكلاهما مخالفة للمصحف، وقد تابع المصنفَ فيهما أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٤٥٦).

(٥) في أحمد٣: «وعدد الإعمال».

(٦) في الأصل: «طرفوا».

و«الذَّوق» مع العذاب مستعار، عبارة عن المباشرة؛ إذ الذوق من أبلغ أنواعها، وحاسته مميزة جداً، و﴿ ٱلْحَرِيقِ ﴾ معناه: المُحْرِق، فَعِيْل بمعنى: مُفْعِل، وقيل: الحريق طبقةٌ من طبقات جهنَّم.

وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ توبيخٌ وتوقيف داخل فيما يقال لهم يوم القيامة، ويحتمل أن يكون خطاباً لمعاصري النبي ﷺ يوم نزول الآية، ونسب هذا التقديم إلى اليد؛ إذ هي الكاسبة للأعمال في غالب أمر الإنسان، فأضيفَ كلُّ كسبٍ إليها.

ثم بين تعالى أنه يفعل هذا بعدل منه فيهم ووضع للشيء في موضعه، والتقدير: وبأن الله ليس بظلّام للعبيد، وجمع (عبداً) في هذه الآية على عبيد؛ لأنه مكان تشفيق وتنجية من ظلم.

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ ﴾ صفة راجعة إلى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ ﴾، وقال الزجاج: ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ صفة للعبيد[(١)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا مفسد للمعنى والرَّصف[(٢)].

وهذه المقالة قالتها أحبارُ يهود مدافعةً لأمر النبي ﷺ؛ أي: إنك لا تأتي بنار فنحن قد عهد إلينا ألَّا نؤمن لك[(٣)].

و﴿عَهِدَ ﴾ معناه: أمر، و«العهد»: أخصُّ من الأمر، وذلك أنه في كل ما يتطاول أمره ويبقى في غابر الزمان، وتعدى (آمَنَ) في هذه الآية باللام، والباء في ضمن ذلك.

و(قُرْبان): مصدر سُمِّيَ به الشيءُ الذي يقرَّبُ كالرَّهْن، وكان أمر القربان حكماً قديماً في الأنبياء، ألا ترى أن ابني آدم قربَّا قُرباناً، وذلك أنهم كانوا إذا أرادوا معرفة

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٩٤).

(٢) في الحمزوية وفيض الله: «الوصف». والرصف: كل شيء ثنيت بعضه على بعض، أو ضممت بعضه إلى بعض، انظر: المحكم (٨/ ٣٠٩).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٦٠١)، من طريق الضحاك به معضلاً.

قبول الله تعالى لصدقة إنسان أو عمله أو صدق قوله، قرَّبَ قرباناً شاة أو بقرة ذبيحة أو بعضَ ذلك، وجعله في مكان للهواء وانتظر به ساعة، فتنزل نار من السماء فتحرق ذلك الشيء، فهذه علامةُ القبول، وإذا لم تنزل النارُ فليس ذلك العمل بمقبول، ثم كان هذا الحكم في أنبياء بني إسرائيل، وكانت هذه النار أيضاً تنزل لأموال الغنائم فتحرقها، حتى أُحِلَّتِ الغنائمُ لمحمدٍ ﷺ(١)، [حسب الحديث](٢).

وروي عن عيسى بن عمر أنه كان يقرأ: (بقُرُبان) بضم الراء(٣)، وذلك على الإتباع لِضَمة القاف، وليست بلغة؛ لأنه ليس في الكلام (فُعُلان) بضم الفاء والعين.

وقد حكى سيبويه: السُّلُطان بضم اللام، وقال: إن ذلك على الإِتباع(٤).

قوله عز وجل: ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾.

هذا ردٌّ عليهم في مقالتهم، وتبيينٌ لإبطالهم؛ أي: قد جاءكم رسل بالآيات الباهرة البينة، وفي جملتها ما قلتم من أمر القربان، فلِمَ قتَلتُموهم يا بني إسرائيل؟ [المعنى: بل](٥) هذا منكم تعلُّل وتعنُّت، ولو أتيتكم بالقربان لتعللتم بغير ذلك، والاقتراح لا غاية له، ولا يُجابُ كلُّ مقترَح، ولم يجب الله(٦) مقترِحاً إلا وقد أراد تعذيبه وألَّا يمهله، كقوم

(١) وهو قوله ﷺ: «وأُحِلَّت لي الغنائمُ، ولم تحلَّ لأحدٍ قبلي...» الحديث، أخرجه البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) زيادة من نور العثمانية والمطبوع.

(٣) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها له في: تفسير الثعلبي (٣/ ٢٢٣)، والمحتسب (١/ ١٧٧)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ١٩٢).

(٤) انظر: الكتاب لسيبويه (٤/ ٢٦٠).

(٥) ليس في الأصل.

(٦) في نور العثمانية هنا زيادة: «كل»، ولعلها تصحيف لعبارة: «جل».

صالح وغيرهم، وكذلك قيل لمحمد ﷺ في اقتراح قريش فأبى، وقال: «بل أدعوهم، وأعالجهم»[(١)].

ثم أنس تعالى نبيَّه بالأسوة والقدوة فيمن تقدم من الأنبياء؛ أي: فلا يعظُمْ عليك ذلك.

وقرأ ابن عامر: ﴿وبالزُّبُر﴾ بإعادة باء الجر، وسقوطُها على قراءة الجمهور متجه؛ لأن الواو شرَّكت (الزُّبر) في الباء الأولى، فاستغنى عن إعادة الباء، وإعادتها أيضاً مُتَّجهةٌ لمعنى[(٢)] التأْكيد، وكذلك ثبتت في مصاحف أهل الشام، وروي أيضاً عن ابن عامر إعادة الباء في قوله: ﴿وَبِالكِتابِ المُنِير﴾[(٣)].

و(الزُّبُر): الكتاب المكتوب، يقال: زبَرتُ الكتابَ: إذا كتبتَه، وزبرتُه: إذا قرأتَه، والشاهد لأنه الكتابُ قولُ امرئ القيس:

[الطويل] لمـن طَلَـلٌ أبصرتُـهُ فشـجاني   كخَـط زَبُورٍ في عَسِـيب يمَانِ[(٤)]

وقال الزجاج: زبَرتُ: كتبتُ، وذبرت بالذال: قرأتُ[(٥)].

و﴿ٱلْمُنِيرِ﴾: وزنه (مُفعِل) من النور؛ أي: سطع نورُه.

---

(١) لعل المؤلف، رحمه الله تعالى، يقصد حديث الأخشبين، وفيه: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»، رواه البخاري (٣٠٥٩)، ومسلم (١٧٩٥) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، والمعنيُّ فيه أهل الطائف.

(٢) في المطبوع: «لأجل».

(٣) انظر: عزو الأولى لابن عامر، والثانيةِ لرواية هشام عنه في التيسير للداني (ص: ٩٢)، وعزو الباء الأولى لمصاحف أهل الشام في السبعة في القراءات (١ / ٢٢١)، وتفسير الطبري (٧/ ٤٥١)، والمصاحف (١ / ١٥١)، والباءين معاً في المقنع للداني (ص: ١٠٦).

(٤) البيت لامرئ القيس كما في تفسير الطبري (٧/ ٤٥٠)، واللامات (ص: ٦٢)، والمحكم (١/ ٤٣٦)، والعمدة لابن رشيق (١/ ١٧٣).

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٩٥).

قوله عز وجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾.

هذا خبر واعظ فيه تسلية للنبي ﷺ ولأمته عن أمر الدنيا وأهلها، ووعد بالفلاح[1] في الآخرة، فبالفكرة في الموت يهون أمر الكفار وتكذيبهم، والمعنى: كل نفس مخلوقة حية.

و«الذوق» هنا: استعارة.

و(إنَّما) حاصرة على التوفية التي هي على الكمال؛ لأن من قُضِيَ له بالجنة فهو ما لم يدخلها غير مُوَفًّى.

وخصَّ تعالى ذكر الأجور لشرفها، وإشارةً إلى مغفرته[2] لمحمد ﷺ وأمته، ولا محالة[3] أن المعنى: أن يوم القيامة تقع توفية[4] الأجور، وتوفية العقاب.

و﴿زُحْزِحَ﴾ معناه: أُبعد، والمكان الزَّحزحُ: البعيد.

و﴿فَازَ﴾ معناه: نجا من خطره وخوفه.

و﴿ٱلْغُرُورِ﴾: الخَدْعُ، والترجيةُ بالباطل، والحياة الدنيا وكل ما فيها من الأموال فهي متاع قليل تخدع المرء وتمنيه الأباطيل.

وعلى هذا فسر الآية جمهور من المفسرين: قال عبد الرحمن بن سابط: متاع الغرور كزاد الراعي، يزوَّدُ الكفَّ من التمر، أو الشيءَ من الدقيق يشربُ عليه اللبن[5]/ . [١/ ٢٨١]

قال الطبري: ذهب إلى أن متاع الدنيا قليل لا يكفي من تمتع به ولا يبلّغه سفره[6].

---

(١) ليست في المطبوع، وفي أحمد٣ والأصل: «الفلح».

(٢) في المطبوع: «معرفته».

(٣) في نور العثمانية: «ولا مخالفة».

(٤) في المطبوع: «تقع فيه»، وسقط ذكر الأجور من نور العثمانية.

(٥) تفسير الطبري (٧/ ٤٥٣).

(٦) المصدر السابق.

قال القاضي أبو محمد: والغرور في هذا المعنى مستعمل في كلام العرب، ومنه قولهم في المثل: «عَشِّ، ولا تغترَّ»[١]؛ أي: لا تجتزئ بما لا يكفيك.

وقال عكرمة: ﴿مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾: القوارير؛ أي: لا بد لها من الانكسار والفساد، فكذلك أمر الحياة الدنيا كلُّه[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا تشبيه من عكرمة.

وقرأ عبد الله بن عمير[٣]: (الغَرور) بفتح الغين[٤].

وقرأ أبو حيوة والأعمش: (ذائقةٌ) بالتنوين، (الموتَ) بالنصب[٥].

وقال النبي ﷺ: «لَموضعُ سَوطِ أحدكم في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها»، ثم تلا هذه الآية[٦].

قوله عز وجل: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

---

(١) مثل يضرب في التوصية، والأخذ بالأحوط، وفي الأمثال لابن سلام (ص: **٢١٣**): يروى عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير، وذلك أنَّ رجلاً أتاهم، فقال: كما لا ينفع مع الشرك عمل، كذلك لا يضر مع الإيمان ذنب، فكلهم قال له: عشِّ، ولا تغترَّ.

(٢) مثله في البحر المحيط (٣/ ٤٦١)، ولم أجِده لغيره.

(٣) في حاشية المطبوع: الذي في القرطبي، والبحر، هو عبد الله بن عُمَرَ، ولعله هو عبد الله بن عمر بن أَحمد بن شَوْذَب الواسطي مقرئ متصدر، النهاية لابن الجزري (١/ ٤٣٧).

(٤) تابعه في البحر المحيط (٣/ ٤٦١)، ولم أجده لغيره، وسيأتي للمؤلف عزوه لسماك بن حرب وأبي حيوة، مكرراً في (الحديد) و(فاطر)، وعزاها لهما هناك الثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٣٩)، وعزاها لهما الهذلي في الكامل (ص: ٦١٨) في (الأحزاب)، وقال: وكذا حيث وقع.

(٥) وهي قراءة شاذة. انظر: مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٣٠)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٢٢٤)، وتفسير الكشاف (١/ ٤٤٨).

(٦) البخاري (٦٠٥٢) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

هذا الخطاب للنبي ﷺ وأمته، والمعنى: لتُختبَرنَّ ولتُمتحَننَّ في أموالكم بالمصائب والأرزاء، وبالإِنفاق في سبيل الله، وفي سائر تكاليف الشرع، والابتلاء في الأنفس بالموت والأمراض، وفقد الأحبة بالموت.

واختلف المفسرون في سبب قوله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾:

فقال عكرمة وغيره: السبب في ذلك أقوال فنحاص: إن الله فقير ونحن أغنياء، وقوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[1] إلى غير ذلك.

وقال الزهري وغيره: نزلت هذه الآية بسبب كعب بن الأَشرف، فإِنه كان يهجو النبي ﷺ وأصحابه، ويشبِّب بنساء المسلمين، حتى بعث إليه رسول الله ﷺ مَن قتله القتلة المشهورة في السِّيَر[2].

و«الأذى»: اسم جامع في معنى الضرر، وهو هنا يشمل أقوالهم فيما يخص النبي ﷺ وأصحابه من سبهم، وأقوالهم في جهة الله تعالى وأنبيائه.

وندب الله تعالى عباده إلى الصبر والتقوى، وأخبر أَنه من عزم الأمور؛ أي: من أشدها وأحسنها.

و«العزمُ»: إمضاء الأمرِ المروَّى المنقَّح، وليس ركوبُ الأمر دون رويَّةٍ عزماً إلا على مقطع المشيحين من فتّاك العرب كما قال:

إذا هَـمَّ أَلْقَـى بَيْـنَ عَيْنَيْـهِ عَزْمَـهُ ... ونكَّب عَنْ ذِكْرِ العَواقبِ جَانِبَا[3] [الطويل]

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٤٥٣) من طريق ابن جريج، عن عكرمة به معضلاً. وابن جريج لم يلق عكرمة، قاله ابن المديني. انظر جامع التحصيل (٤٧٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٨١١)، ومسلم (١٨٠١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) البيت لسعد بن ناشب المازني كما في الشعر والشعراء (٢/ ٦٨٥)، أمالي القالي (٢/ ١٧٤)، والحماسة بشرح التبريزي (١/ ١٦)، وزهر الآداب (١/ ٢٥٧)، ونسبه ابن وكيع في المنصف (ص: ٧١٨) لمالك بن الريب، ولعله خطأ.

وقال النقاش: العزم والحزم بمعنىً واحد، الحاء مبدلة من العين[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا خطأ.

و«الحزم»: جودة النظر في الأمر، وتنقيحه، والحذر من الخطأ فيه، و«العزم»: قصد الإِمضاء، والله تعالى يقول: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ﴾، فالمشاورة وما كان في معناها هو الحزم، والعرب تقول: قد أحزِم لو أعزِم[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية، توبيخ لمعاصري النبي ﷺ، ثم هو مع ذلك خبر عام لهم ولغيرهم.

والعامل في (إذ) فعل مقدر تقديره: اذكر، وأخذ هذا الميثاق هو على ألسنة الأنبياء أمة بعد أمة.

وقال ابن عباس والسدي وابن جريج: الآية في اليهود خاصة، أخذ الله عليهم الميثاق في أمر محمد، فكتموه ونبذوه[٣].

قال مسلم البطين[٤]: سأل الحجَّاج بن يوسف جلساءه عن تفسير هذه الآية، فقام رجل إلى سعيد بن جبير فسأله فقال له: نزلت في يهود، أُخِذَ الميثاق عليهم في أمر محمد، فكتموه[٥].

---

(١) نقل قول النقاش القرطبي في التفسير (٤/ ٢٥٢).

(٢) أي: إذا صممت عزيمتي على الأمر وأمضيت فيه رأيي فأنا حازم، وإن تركت الصواب فأنا أراه العزم لم ينفعنى حزمي، مثل يضرب فى العزم، انظر: المستقصى في أمثال العرب للزمخشري (٢/ ١٨٩)، والكامل (١/ ١٦٦)، وفي المطبوع: «ولو أعزم».

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٥٦٨)، ومسلم (٢٧٧٨)، وانظر تفسير الطبري (٧/ ٤٦٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٣٥).

(٤) هو مسلم بن عمران، البطين، أَبو عبد الله الكوفي، روى عن عطاءٍ، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وغيرهم، وروى عنه ابنه شبَّة بن مسلم، وسلمة بن كهيل، وأبو إسحاق السَّبيعي، وثَّقه أحمد، وابن معين، وأَبو حاتم، والنسائي، وابن حبان. تاريخ الإسلام (٧/ ٢٧٢).

(٥) تفسير الطبري (٧/ ٤٦٠)، وتفسير عبد الرزاق (١/ ٤٢٦)، وتفسير ابن المنذر (٢/ ٥٢٩).

وروي عن ابن عباس أنه قرأ: (وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيين لَتُبَيِّنُنَّهُ)[١] فيجيءُ قوله: ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ عائداً على الناس الذين بيَّن الأنبياءُ لهم.

وقال قوم من المفسرين: الآية في اليهود والنصارى، وقال جمهور من العلماء: الآية عامة في كل مَن علَّمه الله علماً، وعلماء هذه الأمة داخلون في هذا الميثاق، وقد قال رسول الله ﷺ: «من سُئل عن علم فكتمه، أُلجم يومَ القيامة بلِجَام من نار»[٢].

وقد قال أبو هريرة: إني لأحدثكم حديثاً، ولولا آية في كتاب الله ما حدَّثتُكموه[٣]، ثم تلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٤][٤].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿لِيُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاس ولا يكْتُمونَه﴾ بالياء من أسفل فيهما، وقرأ الباقون وحفص عن عاصم[٥] بالتاء من فوق فيهما[٦]، وكلا القراءتين متجه، والضمير في الفعلين عائد على (الكتاب).

وفي قراءة ابن مسعود: (لَتُبيِّنونه)[٧] دون النون الثقيلة، وقد لا[٨] تلزم هذه النون لامَ القسم، قاله سيبويه[٩].

---

(١) وهي قراءة شاذة مخالفة للمصحف. انظر عزوها له في: تفسير القرطبي (٤ / ٣٠٥).

(٢) الصحيح موقوف على أبي هريرة، أخرجه الإمام أحمد (٧٥٧١)، وأبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩)، وابن ماجه (٢٦٦) من حديث أبي هريرة، مرفوعاً، قال العقيلي في الضعفاء (١/ ٧٤) بعد أن أورده من هذا الطريق: ليس للحديث أصل مسند، إنما هو موقوف، وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٨٨-٩٧) من طريق عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ، ثم قال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، ثم أخذ في تعليل طرقه كلها.

(٣) في الأصل: «حدثتكم».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (١١٨)، ومسلم (٢٤٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) في المطبوع: «الباقون عن حفص وعاصم»، وهو خطأ.

(٦) السبعة في القراءات (ص: ٢٢١)، والتيسير للداني (ص: ٩٢).

(٧) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها له في: الشواذ للكرماني (ص: ١٢٧).

(٨) «لا» ساقطة من السليمانية.

(٩) الكتاب (٣/ ٥٠٩).

و«النَّبْذ»: الطَّرح.

وقوله تعالى: ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ استعارة لما يبالغ في اطِّراحه، ومنه: ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ [هود: ٩٢]، ومنه قول الفرزدق:

[الطويل] تَمِيمَ بْنَ قيس لَا تَكُونَنَّ حَاجَتِي ... بِظَهْرٍ فَلا يَعْيَا عَلَيَّ جَوَابُهَا[١]

ومنه بالمعنى قول النبي ﷺ: «لا تجعلُوني كقَدَحِ الراكبِ»[٢]، أراد ﷺ: لا تجعلوا ذكري وطاعتي خلف أظهركم، وهو موضع القدح، ومنه قول حسان:

[الطويل] .... كما نِيطَ خَلْفَ الراكبِ القَدَحُ الفردُ[٣]

والتشبيه بالقدح إنما هو في هيئته، لا[٤] في معناه؛ لأن الراكب يحتاجه، ومحله من محلات الراكب جليل.

و«الثمن القليل»: هو مكسب الدنيا.

وباقي الآية بين.

قال القاضي أبو محمد: والظاهر في هذه الآية أنها نزلت في اليهود، وهم المعنيون، ثم إن كلَّ كاتم من هذه الأمة يأخذُ بحظه من هذه المذمة ويتصف بها.

---

(١) البيت للفرزدق يخاطب تميم بن زيد القيني، انظر عزوه له في المحكم (٤/ ٢٨٦)، والكامل في اللغة والأدب (٢/ ٦٧)، والأغاني (١٠/ ٣٥٥)، والأنساب للسمعاني (٩/ ٣١١)، وفي الأصل والمطبوع: «تميم بن مر»، والصواب: «ابن قيس».

(٢) ضعيف جداً، أخرجه عبد بن حميد (١١٣٢ ـ المنتخب)، من طريق موسى بن عبيدة، عن إبراهيم ابن محمد بن إبراهيم، عن أبيه قال: قال جابر...فذكره مرفوعاً، وموسى بن عبيدة هذا هو الربذي، متروك الحديث. والحديث أورده الصغاني في الموضوعات (١١٨).

(٣) عجز بيت لحسان بن ثابت وصدره: وأنت زَنِيمٌ نِيطَ في آلِ هاشِم. انظر عزوه له في: تفسير الطبري (٢٣/ ٥٣٧)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٠٦)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٦٥)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٣٥)، والأغاني (٤/ ١٤٨).

(٤) «لا»: ليست في نور العثمانية.

قوله عز وجل: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾.

اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾:

فقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وابن زيد وجماعة: الآية نزلت في المنافقين، وذلك أَنهم كانوا إذا خرج النبي ﷺ / للغزو تخلفوا عنه، فإذا جاء اعتذروا إليه، وقالوا: كانت لنا أشغال، ونحوَ هذا، فيظهر رسول الله ﷺ القبولَ ويستغفر لهم[1]، ففضحهم الله تعالى بهذه الآية، فكانوا يفرحون بما يأتونه ويفعلونه من التخلف والاعتذار، ويحبون أن يقال لهم: إنهم في حكم المجاهدين، لكن العذر حبسهم. [١/ ٢٨٢]

وقالت جماعة كثيرة من المفسرين: إنما نزلت الآية في أهل الكتاب أحبار اليهود، ثم اختلفوا فيما هو الذي أَتَوه وكيف أحبُّوا المَحمَدة؟

فقال ابن عباس رضي الله عنه: أتوا إضلال أتباعهم عن الإيمان بمحمد، وفرحوا بذلك لدوام رياستهم الدنيوية، وأحبوا أن يقال عنهم: إنهم علماء بكتاب الله، ومتقدِّم رسالاته[2].

وقال ابن عباس أيضاً والضحاك والسدي: أتوا أَنهم تعاقدوا وتكاتبوا من كل قطر بالارتباط إلى تكذيب محمد ﷺ، والدفع في صدر نبوَّته، وأحبوا أَن يقال عنهم: إِنهم أهل صلاة وصيام وعبادة، وقالوا هم ذلك عن أنفسهم[3].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٥٦٧)، ومسلم (٢٧٧٨)، وانظر: تفسير الطبري (٧/ ٤٦٥).

(٢) أخرجه الطبري (٧/ ٤٦٦) من طريق: ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة عن ابن عباس بمعناه، ومحمد لا يعرف وقد سبق مراراً. واللفظ الذي نسبه المصنف لابن عباس هو من لفظ الطبري، وزاد هو في التفصيل والبيان، ولهذا التصرف نظائر من صنيع ابن عطية رحمه الله.

(٣) أخرجه الطبري (٧/ ٤٦٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

وقال مجاهد: فرحوا بإِعجاب أتباعهم بتبديلهم تأويل التوراة، وأحبوا حمدهم إياهم على ذلك[١]، وهم في الحقيقة لم يفعلوا شيئاً نافعاً ولا صحيحاً، بل الحق أبلج.

وقال سعيد بن جبير: الآية في اليهود، فرحوا بما أعطى الله آل إبراهيم من النبوءة والكتاب، فهم يقولون: نحن على طريقهم، ويحبون أن يحمدوا بذلك وهم ليسوا على طريقتهم[٢].

وقراءة سعيد بن جبير: (أُوتوا) بمعنى: أُعطُوا بضم الهمزة والطاء[٣]، وعلى قراءته يستقيم المعنى الذي قال.

وقال ابن عباس أيضاً: إن الآية نزلت في قوم سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه الحق، وقالوا له غير ذلك، ففرحوا بما فعلوا، وأحبوا أن يحُمَدوا بما أجابوا[٤]، وظنوا أن ذلك قد قُنِع به واعتُقِدت صحته.

وقال قتادة: إن الآية في يهود خيبر، نافقوا على النبي ﷺ والمؤمنين مرة، وقالوا: نحن معكم وعلى رأيكم ورِدْءٌ لكم، وهم يعتقدون خلاف ذلك[٥]، فأحبوا الحمد على ما أظهروا، وفرحوا بذلك.

وقال الزجاج: نزلت الآية في قوم من اليهود، دخلوا على النبي ﷺ وكلموه في أشياء ثم خرجوا، فقالوا لمن لقوا من المسلمين: إن النبي أخبرهم بأشياء قد عرفوها، فحمدهم المسلمون على ذلك، وطمعوا بإِسلامهم، وكانوا قد أبطنوا خلاف ما أظهروا للمسلمين وتمادَوا على كفرهم، فنزلت الآية فيهم[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٤٦٩)، وتفسير ابن المنذر (٢/ ٥٣٠).
(٢) تفسير الطبري (٧/ ٤٦٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٣٨)، وتفسير عبد الرازق (١/ ١٤١).
(٣) في الأصل، والمطبوع: «والتاء»، والمعنى واحد.
(٤) مسلم (٢٧٧٨)، وقد سبق.
(٥) تفسير الطبري (٧/ ٤٧١).
(٦) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٩٧).

وقرأ جمهور الناس: ﴿أَتَوا﴾ بمعنى فعلوا، كما تقول: أتيتُ أمر كذا.

وقرأ مروان بن الحكم وإِبراهيم النخعي: (آتوا) بالمد، بمعنى: أَعطَوا بفتح الهمزة والطاء.

قال القاضي أبو محمد: وهي قراءة تستقيم على بعض المعاني التي تقدمت[١].

وقرأ سعيد بن جبير وأبو عبد الرحمن السلمي: (أُوتُوا)[٢] بمعنى أُعطُوا، وقد تقدمت مع معناها.

وقرأ أبو عمرو وابن كثير: ﴿لا يَحْسِبَنَّ الذين يَفْرحون﴾، ﴿فلا يَحْسِبُنَّهم﴾ بالياء من تحت فيهما، وبكسر السين، وبرفع الباء في ﴿يحسبُنَّهم﴾[٣].

قال أبو علي: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ رفع بأنه فاعل (يحسب)، ولم تقع ﴿يحسبن﴾ على شيء[٤]، وقد تجيء هذه الأفعال لغواً، لا في حكم الجمل المفيدة نحو قول الشاعر:

وَمَا خِلْتُ أَبْقَى بيننَا مِنْ مَوَدَّةٍ ... عِرَاضُ الْمَذَاكِي الْمُسْنِفَاتِ الْقَلائِصا[٥] [الطويل]

وقال الخليل: العرب تقول: ما رأيته يقول ذاك إلا زيد، وما ظننته يقول ذلك إلا زيد[٦]، فتتجه القراءة بكون قوله: ﴿فَلَا يَحْسِبُنَّهم﴾ بدلاً من الأول، وقد عُدِّي إلى مفعوليه وهما: الضميرُ، وقولُه: ﴿بِمَفَازَةٍ﴾، فاستغنى بذلك عن تعدية الأول إليهما كما استغنى في قول الشاعر:

---

(١) في نور العثمانية زيادة: «مع معناها»، ولعلها تكرار مع ما يأتي.

(٢) وكلها شاذة، انظر قراءة سعيد والنخعي في: تفسير الثعلبي (٣/ ٢٣٠)، والسلمي في مختصر الشواذ (ص: ٣٠).

(٣) وهي سبعية متواترة، انظر: السبعة في القراءات (ص: ١٩١)، والتيسير للداني (ص: ٩٢).

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ١٠٣).

(٥) البيت للأعشى في ديوانه (ص: ٢٠١)، والمعاني الكبير لابن قتيبة (ص: ٨٩٩)، والحجة لأبي علي (٤/ ٣١٩).

(٦) نقل قول الخليل ابنُ السراج في الأصول (١/ ٢٩٦).

[الطويل] بِــأَيِّ كِـتَـابٍ أَوْ بِـأَيَّـةِ سُنَّةٍ تَرَى حُبَّهُم عَاراً عَلَيَّ وَتَحْسِبُ[١]

فاستغني بتعدية أحد الفعلين عن تعدية الآخر.

والفاء في قوله: ﴿فَلَا يَحْسِبُنَّهم﴾ زائدة، ولذلك حسن البدل؛ إذ لا يتمكن أن تكون فاء عطف، ولا فاء جزاء، فلم يبق إلا أن تكون زائدة لا يقبح وجودها بين البدل والمبدل منه، وقوله على هذه القراءة: ﴿فَلَا يَحْسِبُنَّهم﴾ فيه تعدي فعل الفاعل إلى ضمير نفسه، نحو: ظننتُني أخاه، ورأيتُني الليلة عند الكعبة، ووجدتُني وجعتُ من الإِصغاء[٢].

وذلك أَن هذه الأفعال وما كان في معناها لما كانت تدخل على الابتداء والخبر أشبهت إنّ وأخواتها، فكما تقول: إني ذاهب، فكذلك تقول: ظننتني ذاهباً، ولو قلت: أظن نفسي ذاهباً[٣] أفعلُ كذا لم يحسن كما يحسن: أظُنُّني فاعلاً.

وقرأ نافع وابن عامر: ﴿لَا يَحْسَبَنَّ الَّذين﴾ بالياء من تحت وفتح الباء، وكسر نافع السين وفتحها ابن عامر: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهم﴾ بالتاء من فوق وفتح الباء، والمفعولان اللذان يقتضيهما قوله: ﴿لا يَحْسَبَنَّ الَّذين﴾ محذوفان لدلالة ما ذكر بعده، والكلام في ذلك كما تقدم في قراءة ابن كثير، إلا أنه لا يجوز في هذه البدل الذي ذكر في قراءة ابن كثير وأبي عمرو؛ لاختلاف الفعلين، واختلاف فاعليهما[٤].

وقرأ حمزة: ﴿لا تَحْسِبن﴾ بالتاء من فوق وكسر السين، ﴿فلا تَحْسِبَنهم﴾ بالتاء من

---

(١) البيت للكميت كما في المحتسب (١/ ١٨٣)، والحجة لأبي علي (٥/ ١٥٢)، والأزمنة والأمكنة (ص: ٧٦).

(٢) إشارة لقول الشاعر: تلفتُّ نحو الحي حتى وجدتني... وجِعتُ من الإصغاء لِيْتاً وأخدَعَا، وهو منسوب للصمة القشيري في الحماسة بشرح التبريزي (٢/ ٦١)، ونسبه في عيون الأخبار (٤/ ١٣٧) لابن الطَّثريّة.

(٣) زيادة من السليمانية ولالاليه.

(٤) في المطبوع: «الفعلين»، وفيه: «ولاختلاف الفعلين».

فوق وكسر السين وفتح الباء[١]، فـ﴿الَّذين﴾ على هذه القراءة مفعول أول لـ﴿تَحْسِبَنَّ﴾، والمفعول الثاني محذوف لدلالة ما يجيء بعد عليه، كما قيل آنفاً في المفعولين.

وحسن تكرار الفعل في قوله: ﴿فلا تَحْسِبَنَّهم﴾؛ لطول الكلام، وهي عادة العرب، وذلك تقريب لذهن المخاطب.

وقرأ الضحاك بن مزاحم: (فلا تَحْسَبُنَّهم) بالتاء من فوق وفتح السين وضم الباء[٢].

و«المفازة»: (مَفْعَلَةٌ) من فاز يفوز: إذا نجا، فهي بمعنى: مَنْجاة، وسمي موضع المخاف مفازة على جهة التفاؤل، قاله الأصمعي[٣]، وقيل: لأنها موضع تفويز، ومظنة هلاك، تقول العرب: فوَّز الرجل: إذا مات، قال ثعلب: حكيت لابن الأَعرابي قولَ الأَصمعي فقال: أخطأ، قال لي أبو المكارم[٤]: إنما سميت مفازة؛ لأن من قطعها فاز[٥]، وقال الأصمعي: سمي اللَّديغ سليماً تفاؤلاً، قال ابن الأَعرابي: بل لأنه مستسلم لما أصابه[٦].

وبعد أن نهى أن يحسبوا ناجين أخبر أن لهم عذاباً، ثم استفتح القول بذكر قدرة الله تعالى / وملكه فقال: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية، قال بعض المفسرين: [١/ ٢٨٣] الآية ردّ على الذين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال القاضي ابن الطيب وغيره: ظاهره

---

(١) كلا القراءتين سبعية، إلا أن حمزة يقرأ بفتح السين في جميع القرآن كما مر، انظر: السبعة (ص: ١٩١)، التيسير للداني (ص: ٩٢).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير القرطبي (٤/ ٣٠٧).

(٣) انظر: الأضداد للأصمعي (ص: ٣٨).

(٤) لعله عبد الوارث بن عبد المنعم الأبهريّ النحويّ اللغويّ الأديب، أبو المكارم، صاحب أبي العلاء المعرّي، رحل إليه من أبهر ولازمه، وأخذ عنه جميع فنون الأدب، وبرع واستقلّ، ورجع إلى بلده، وتصدّر للإقراء والإفادة، وأخذ عنه أهل تلك الناحية أدباً كثيراً. إنباه الرواة (٢/ ٢١٦).

(٥) مجالس ثعلب (ص: ١٧٠)، تحقيق: عبد السلام هارون.

(٦) نقل قول ابن الأعرابي القرطبي في تفسيره (٤/ ٣٠٨).

العموم، ومعناه الخصوص؛ لأن الله تعالى لا يوصف بالقدرة على المُحالات[١]، و(شيء) هو الموجود في مقتضى كلام العرب.

ثم دل تعالى على مواضع النظر والعبرة حيث يقع الاستدلال على الصانع بوجود السماوات والأرضين، والمخلوقات دال على العلم، ومحال أن يكون موجوداً عالم مريد غير حي، فثبت بالنظر في هذه الآية عظم الصفات.

و(اختلاف الليل والنهار): هو تعاقبهما؛ إذ جعلهما الله خِلْفةً، ويدخل تحت لفظة الاختلاف: كونهما[٢] يقصر هذا ويطول الآخر وبالعكس، ويدخل في ذلك اختلافهما بالنور والظلام.

و«الآيات»: العلامات.

و ﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ في هذه الآية: هي ألباب التكليف، لا ألباب التجربة؛ لأَن كل من له علوم ضرورية يدركها فإِنه يعلم ضرورة ما قلناه من صفات الله تعالى.

قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع خفض صفة ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، وهذا وصف ظاهره استعمال التحميد والتهليل والتكبير ونحوه من ذكر الله، وأَن يحصر القَلب اللسان، وذلك من أعظم وجوه العبادات، والأحاديث في ذلك كثيرة[٣]، وابن آدم منتقل في هذه الثلاث الهيئات لا يخلو في غالب أمره منها، فكأنها تحصر زمنه.

---

(١) الانتصار للقرآن للباقلاني (١ / ٢٥٤)، وسقط كلام الباقلاني هذا من نور العثمانية، وفيها فقط: «على كل شيء قدير: عموم».

(٢) في الأصل: «كونها».

(٣) في فضل ذكر الله روى البخاري (٦٩٧٠)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في =

وكذلك جرت عائشة رضي الله عنها إلى حصر الزمن في قولها: كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه[١]، فدخل في ذلك كونه على الخلاء وغير ذلك.

وذهب جماعة من المفسرين إلى أن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ﴾ إنما هو عبارة عن الصلاة؛ أي: لا يضيعونها، ففي حال العذر يصلونها قعوداً وعلى جنوبهم، قال بعضهم: وهي كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٠٣] الآية[٢]، هذا على تأويل مَن تأول هنالك: ﴿قَضَيۡتُمُ﴾ بمعنى: أَدَّيْتُم؛ لأن بعض الناس يقول: ﴿قَضَيۡتُمُ﴾ هنالك بمعنى: فرَغتُم منها.

قال القاضي أبو محمد: فإذا كانت هذه الآية في الصلاة ففقهها[٣] أَن الإِنسان يصلِّي قائماً، فإِن لم يستطع فقاعداً، ظاهر «المدونة» متربعاً.

وروي عن مالك وبعض أصحابه: أنه يصلي كما يجلس بين السجدتين، فإِن لم يستطع القعود صلى على جنبه أو ظهره على التخيير، هذا مذهب «المدونة»[٤]، وحكى ابن حبيب عن ابن القاسم: يصلي على ظهره فإِن لم يستطع فعلى جنبه الأيمن، ثم على الأيسر، وفي «كتاب ابن المواز»: يصلي على جنبه الأيمن، وإِلا فعلى الأيسر، وإِلا فعلى الظهر، وقال سحنون: يصلي على الأيمن كما يُجعَل في لحده، وإِلا فعلى ظهره، وإِلا فعلى الأيسر[٥].

وحسن عطف قوله: ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ على قوله: ﴿قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا﴾؛ لأنه في معنى مضطجعين.

= نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة».

(١) رواه مسلم (٣٧٣) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٤١).

(٣) في الأصل: «ففيها».

(٤) المدونة (١/ ١٧١).

(٥) نقل هذه الأقوال كلها القرطبي (٤/ ٣١١).

ثم عطف على هذه العبادة التي هي ذكر الله باللسان أو الصلاة فرضها ومندوبها بعبادة أخرى عظيمة، وهي الفكرة في قدرة الله تعالى ومخلوقاته، والعبر التي بثَّ:

[المتقارب] وَفِــي كُــلِّ شــيءٍ لَـهُ آيَـةٌ تَـدُلُّ على أَنَّــهُ وَاحِـــدُ[١]

ومر النبي ﷺ على قوم يتفكرون في الله فقال: «تفكَّرُوا في الخلق، ولا تفكَّرُوا في الخالق، فإنكم لا تقدرون قدره»[٢]، وهذا هو قصد الآية ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

وقد قال بعض العلماء: المتفكر في ذات الله تعالى كالناظر في عين الشمس؛ لأنه تعالى ليس كمثله شيء، وإنما التفكير وانبساط الذهن في المخلوقات، وفي مخاوف الآخرة.

قال رسول الله ﷺ: «لا عبادةَ كتفكُّرٍ»[٣].

وقال الحسن بن أبي الحسن: الفكرة مرآة المؤمن، ينظر فيها إلى حسناته وسيئاته[٤].

وقال ابن عباس وأبو الدرداء: فكرةُ ساعة خيرٌ من قيام ليلة[٥].

(١) البيت لأبي العتاهية كما في الأغاني (٤/ ٣٩)، المحاسن والأضداد (ص: ١٢٠).

(٢) لا يصح، أخرجه هناد في الزهد (٩٤٥)، من طريق الأعمش، عن عمرو بن مرة، قال: مر النبي ﷺ...فذكره.قلت: وهذا إسناد معضل، فعمرو بن مرة من أتباع التابعين، وكذلك فيه عنعنة الأعمش، وهو مدلس.

(٣) باطل، أخرجه ابن حبان في المجروحين (٢/ ٣٠٧)، من طريق محمد بن عبد الله الحبطي، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مرفوعاً به، وهذا باطل، ومحمد الحبطي هذا قال عنه ابن حبان: يروي عن شعبة ما ليس من حديثه، ممن يأتي عن الثقات بما ليس من حديث الأثبات.

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ١٨٤).

(٥) أما أثر ابن عباس، فرواه أبو الشيخ في كتاب العظمة (٤١) بإسناد فيه ليث، وهو ابن أبي سليم، وهو ضعيف الحديث، وأما أثر أبي الدرداء رضي الله عنه، فرواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٧٢٨)، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سالم بن أبي الجعد، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء رضي الله عنه به. وهذا إسناد صحيح، لو سلم من تدليس الأعمش.

وقال سريٌّ السَّقَطيُّ[١]: فكرة ساعة خير من عبادة سنة، ما هو إلا أن تحل أطناب خيمتك، فتجعلها في الآخرة[٢].

وأخذ أبو سليمان الداراني[٣] قدح الماء ليتوضأ لصلاة الليل وعنده ضيف، فرآه لما أدخل إِصبعه في أذن القدح أقام كذلك مفكراً حتى طلع الفجر، فقال له: ما هذا يا أبا سليمان؟ فقال: إني لما طرحت إِصبعي في أذن القدح تذكرت قول الله جل وتعالى: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ ﴾ [غافر: ٧١] ففكرت في حالي، وكيف أتلقى الغُلَّ إِن طرح في عنقي يوم القيامة، فما زلت في ذلك حتى أصبحت[٤].

قال القاضي أبو محمد: فهذه نهاية الخوف، وخير الأمور أوساطها، وليس علماء الأمة الذين هم الحجة على هذا المنهاج، وقراءة علم كتاب الله ومعاني سنة رسول الله ﷺ لمن يفهم ويرجى نفعه أفضل من هذا، لكنه يحسن أَلا تخلو البلاد من مثل هذا.

وحدثني أبي رضي الله عنه عن بعض علماء المشرق قال: كنت بائتاً في مسجد الإِقدام بمصر، فصليت العتمة فرأيت رجلاً قد اضطجع في كساء له مسجًّى بكسائه حتى أصبح، وصلينا نحن تلك الليلة وسهرنا، فلما أقيمت صلاة الصبح قام ذلك الرجل فاستقبل القبلة فصلى مع الناس، فاستعظمتُ جرأته في الصلاةِ بغير وضوء، فلما فرغتِ الصلاةُ خرج فتبعته لأَعظه، فلما دنوت منه سمعته ينشد شعراً وهو:

---

(١) هو أَبو الحسن بن المغلس السقطي، أَحد رجال الطريقة وأَرباب الحقيقة، كان أَوحد أَهل زمانه في الورع، وهو خال أَبي القاسم الجُنيد وأُستاذه، توفي سنة: (٢٥٧هـ). الوفيات لابن خلكان (١/ ٢٥٠)، وحلية الأَولياءِ (١٠/ ١١٦).

(٢) نقله في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٥٨٧)، كشف الخفاء (١/ ٣٥٧) عن الفاكهاني عنه.

(٣) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنْسي الداراني، الزاهد المشهور، أَحد رجال الطريقة، ومن كبار الصوفية وأهل الجدِّ في المجاهدات النفسية، توفي سنة: (٢٠٥ هـ). حلية الأَولياءِ (٩/ ٢٥٤)، والوفيات لابن خلكان (١: ٣٤٧).

(٤) تفسير القرطبي (٤/ ٣١٤).

[المنسرح]

منسحق الجسم غائب حاضر   منتبهُ القلب صامتٌ ذاكر
منقبضٌ في الغيوب منبسطٌ   كذاك من كان عارفاً ناكر[١]
يبيتُ في ليله أخا فكر   فهو مدى الليل نائم ساهر[٢]

قال: فعلمت أنه ممن يعبد بالفكرة، وانصرفت عنه [متعجباً منه][٣].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ﴾ معناه: يقولون: ربنا على النداء، ﴿مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾، يريد لغير غاية منصوبة، بل خلقته وخلقت البشر؛ لينظر فيه فَتُوَحَّدَ وتعبد، فمن فعل ذلك نَعَّمته، ومن ضلَّ عن ذلك عذَّبته؛ لكفره، وقولِه عليك ما لا يليق بك.

[١/ ٢٨٤] ولهذا المعنى/ الذي تعطيه قوةُ اللفظ حسُن قولهم: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾؛ أي: تنزيهاً لك عما يقول المبطلون.

وحسُن قولهم: ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾؛ إذ نحن المسبِّحون المنزِّهون لك الموحِّدون.

وقولهم: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ استجارة واستعاذة؛ أي: فلا تفعل بنا ذلك، ولا تجعلنا ممن يعمل عملها.

و«الخزي»: الفضيحة المخجلة الهادمة لقدر المرء، خَزِيَ الرجل يخزى خزياً: إذا افتضح، وخزايةً: إذا استحيى، الفعل واحد، والمصدر مختلف.

وقال أنس بن مالك والحسن بن أبي الحسن وابن جريج وغيرهم: وهذه إشارة إلى من يخلد في النار، ومن يخرج منها بالشفاعة والإيمان فليس بمخزيٍّ[٤]، وقال جابر بن

---

(١) في الحمزوية: «فاكر»، وفي المطبوع: «ذاكر».
(٢) لم أقف على قائلها، وقد نقل القصة القرطبي في التفسير (٤/ ٣١٥)، عن ابن عطية، وفي المطبوع: «قائم ساهر».
(٣) من الحمزوية.
(٤) أثر أنس إسناده لين، أخرجه ابن أبي حاتم (٤٦٦٠)، بإسناد فيه المؤمل بن إسماعيل، وهو صدوق سيئ الحفظ. انظر تهذيب الكمال (٢٩/ ١٧٦)، وانظر أقوال الباقين في: تفسير الطبري (٧/ ٤٧٨).

عبد الله وغيره: كل من دخل النار فهو مخزي وإن خرج منها، وإن في دون ذلك لخزياً[١].

قال القاضي أبو محمد: أما إنه خزي دون خزي، وليس خزي من يخرج منها بفضيحة هادمة لقدره، وإنما الخزي التام للكفار.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ هو من قول الداعين، وبذلك يتسق رَصف الآية[٢].

قوله عز وجل: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾.

هذه الآيات حكاية عن أولي الألباب أنهم يقولون: ربنا ربنا.

قال أبو الدرداء: يرحم الله المؤمنين ما زالوا يقولون: ربنا ربنا حتى استجيب لهم[٣].

واختلف المتأولون في المنادي:

فقال ابن جريج وابن زيد وغيرهما: المنادي محمد ﷺ[٤].

وقال محمد بن كعب القرظي: المنادي كتابُ الله، وليس كلهم رأى النبي ﷺ وسمعه[٥].

ولما كانت ﴿يُنَادِى﴾ بمنزلة يدعو، حسن وصولها باللام بمعنى: إلى الإيمان.

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (٧/ ٤٧٨-٤٧٩)، من طريق بحر بن كنيز السقاء، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، به.وهذا إسناد ضعيف، بحر السقاء متفق على تضعيفه. انظر: تهذيب الكمال (٤/ ١٢).

(٢) في المطبوع: «وصف الآية».

(٣) لم أجده من قول أبي الدرداء رضي الله عنه، بل هو مأثور من قول قتادة، كما عند ابن أبي حاتم (٦٢٧٤).

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٤٨١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٣)، وتفسير ابن المنذر (٢/ ٥٣٧).

(٥) تفسير الطبري (٧/ ٤٨٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٢)، وتفسير ابن المنذر (٢/ ٥٣٦)، وتفسير الماوردي (١/ ٤٤٢).

وقوله: ﴿أَنْ ءَامِنُواْ﴾؛ ﴿أَنْ﴾ مفسِّرة، لا موضعَ لها من الإِعراب.

وغفران الذنوب وتكفير السيئات أمر قريب بعضه من بعض، لكنه كرر للتأكيد، ولأنها مناحٍ من الستر، وإِزالة حكم الذنب بعد حصوله.

و﴿ٱلْأَبْرَارِ﴾: جمع بَرّ، أصله: برر على وزن فَعْل، أدغمت الراء في الراء، وقيل: هو جمع بارّ كصاحب وأصحاب(١)، والمعنى: توفَّنا معهم في كل [أحوالهم، و](٢) أحكامهم، وأفعالهم.

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ معناه: على ألسنةِ رسلك.

وقرأ الأعمش: (رُسْلك) بسكون السين(٣).

وطلبوا من الله تعالى إِنجاز الوعد ـ وهو تعالى مَن لا يجوز عليه خلفه ـ من حيث في طلبه الرغبة أَن يكونوا ممن يستحقه، فالطَّلِبَة والتخوف إنما هو في جهتهم، لا في جهة الله تعالى؛ لأن هذا الدعاء إنما هو في الدنيا، فمعنى قول المرء: اللهم أنجزْ لي وعدك، إنما معناه: اجعلني ممن يستحقُّ إنجازَ الوعد، وقيل: معنى دعائهم الاستعجالُ مع ثقتهم بأن الوعد منجز.

وقال الطبري وغيره: معنى الآية ما وعدتنا على ألسنة رسلك من النصر على الأعداء، فكأن الدعوة إنما هي في حكم الدنيا(٤).

وقولهم: ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ [التحريم: ٨]، فهذا وعده تعالى، وهو دال على أن الخزي إنما هو مع الخلود.

---

(١) ذكر هذا القول النحاس في إعراب القرآن (١/ ٤٢٧).

(٢) زيادة من السليمانية ولالاليه، وسقطت «أحكامهم» من الحمزوية، و«أفعالهم» من لالاليه.

(٣) تفسير الثعلبي (٣/ ٢٣٣)، وزاد في السليمانية هنا: «واللام»، وفي لالاليه: «بسكون اللام».

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٤٨٤).

قوله عز وجل: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾.

(اسْتَجاب) (استَفعَلَ) بمعنى: أجاب، فليس (استَفعَلَ) على بابه من طلب الشيء، بل هو كما قال الشاعر:

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ[1] [الطويل]

أي: لم يجبه.

وقوله: ﴿أَنِّي﴾ يجوز أن تكون (أنْ) مفسِّرة، ويمكن أَن تكون بمعنى (أَيْ)[2]، وقرأ عيسى بن عمر: (إني) بكسر الهمزة[3].

وهذه آية وعدٍ من الله تعالى؛ أي: هذا فعله مع الذين يتصفون بما ذكر.

وروي أن أم سلمة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، قد ذكر الله تعالى الرجالَ في الهجرة، ولم يذكر النساء في شيء من ذلك، فنزلت الآية، ونزلت آيات في معناها فيها ذكر النساء.

وقوله: ﴿مِّن ذَكَرٍ﴾ تبيين لجنس العامل[4]، وقال قوم: ﴿مِّن﴾ زائدة؛ لتقدم النفي في الكلام.

وقوله تعالى: ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾ يعني في الأجر، وتقبُّل العمل، أي: إن الرجال والنساء في ذلك على حدٍّ واحد.

---

(١) البيت لكعب بن سعد الغنوي من مرثيته المشهورة في أخيه أبي المغوار كما تقدم في تفسير الآية (١٧) من سورة البقرة.

(٢) في الأصل والحمزاوية وفيض الله ولالاليه: «أني».

(٣) وهي قراءة شاذة. انظر عزوها له في: مختصر الشواذ (ص: ٣٠)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٢٣٥).

(٤) في السليمانية وأحمد٣ ولالاليه: «العالم».

وبيَّن تعالى حالَ المهاجرين، ثم الآية بعدُ تنسحب على كل من أُوذيَ في الله تعالى، وهاجر أيضاً إلى الله تعالى، وإن كان اسمُ الهجرة وفضلُها الخاص بها قد انقطع بعد الفتح، فالمعنى باقٍ إلى يوم القيامة، [وَاللهُ يُضعِّفُ لِمَنْ يَشاءُ.

و(هاجر) مفاعَلة من اثنين][(١)]، وذلك أَن الذي يهجر وطنه وقرابته في الله كأن الوطن والقرابة يهجرونه أيضاً، فهي مهاجَرة.

وقوله تعالى: ﴿وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾ عبارة إِلـزام ذنب للكفار، وذلك أن المهاجرين إنما أخرجهم سوءُ العشرة، وقبيحُ الأفعال، فخرجوا باختيارهم، فإِذا جاء الكلام في مضمار إِلزام الذنب للكفار قيل: ﴿أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٦]، إلى غير ذلك من الأمثلة.

وإذا جاء الكلام في مضمار الفخر والقوة على الأَعداء تمسك بالوجه الآخر من أَنهم خرجوا برأيهم، فمن ذلك إنكار النبي ﷺ على أبي سفيان بن الحارث حين أنشده:

[الطويل] .... ورَدَّني إلى اللَّهِ مَن طَرَّدتُ كلَّ مُطَرَّدِ[(٢)]

فقال له رسول الله ﷺ: «أنت طرَّدتني كلَّ مطرد»[(٣)]، إِنكاراً عليه.

ومن ذلك قول كعب بن زهير:

[البسيط] في عصبةٍ مِـن قريْش قال قائلُهم ببَطـن مكـةَ لمـا أَسْـلموا زُولُوا

(١) ليس في المطبوع.

(٢) أوله: هداني هاد غير نفسي، وهو لأبي سفيان بن الحارث رضي الله عنه، كما في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٤٦)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ٥١)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ٢٤٧)، ومعجم الشعراء (ص: ٣٦٨)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٤٠١).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٠) من طريق: أحمد بن عبد الجبار العطاردي: ثنا يونس بن بكير، عن ابن إسحاق قال: حدثني الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس رضي الله عنهما. ولم أجده عند غيره، والعطاردي فيه كلام شديد، إلا أنه سمع مع أبيه السيرة من يونس ابن بكير، شهد بذلك أبو كريب.

زالوا فمَا زَال أنكاسٌ ولا كُشُفٌ عنـد اللقـاءِ ولا مِيـلٌ معازيلُ[(١)]

وقرأ نافع وعاصم وأبو عمرو: ﴿وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ بتخفيف[(٢)] التاء وضم القاف، ومعنى هذه القراءة بَيِّن.

وقرأ ابن كثير وابن عامر[(٣)]: ﴿وقاتَلُوا وقُتِّلوا﴾ بتشديد التاء وهي/ في المعنى كالأولى في المبالغة في القتل. [١/ ٢٨٥]

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿وقُتِلوا وقاتَلُوا﴾[(٤)] يبدأان بالفعل المبني للمفعول به.

وكذلك اختلافهم في (سورة التوبة)[(٥)]، غير أن ابن كثير وابن عامر يشدّدان في (التوبة)[(٦)].

ومعنى قراءة حمزة هذه: أَن لا[(٧)] تعطي هذه[(٨)] الواو رتبةً؛ لأن المعطوف بالواو يجوز أن يكون أولاً في المعنى، وليس كذلك العطف بالفاء[(٩)]، ويجوز أن يكون المعنى: وقُتلوا وقاتلَ باقيهم، فتشبه الآية قوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٤٦] على تأويل من رأى أَن القتل وقع بالرِّبيِّين.

---

(١) البيتان لكعب بن زهير رضي الله تعالى عنه من قصيدته بانت سعاد،، انظر: المعجم الكبير للطبراني (١٩/ ١٧٥٦)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٤/ ٧٤)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٥١٣)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ١٠٢)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٦٤٠)، والشعر والشعراء (١/ ١٥٤)، والأغاني (١٧/ ٩٣)، والمعازيل: جمع معزال: وهو الذي ينعزل في الحرب عن صحبه ومن يستغيث به.

(٢) في السليمانية: «بسكون».

(٣) زيادة من نور العثمانية، ليس في النسخ الأخرى ولكنها ضرورية لاستكمال مذاهب القراء.

(٤) وهي سبعية متواترة. انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢٢١)، والتيسير للداني (ص: ٩٣).

(٥) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ﴾ [الآية: ١١١].

(٦) هكذا في جميع النسخ، والصواب: «لا يشددان»، وسيأتي الكلام عليه في محله.

(٧) في فيض الله والسليمانية: «إما أن لا»، وفي أحمد٣: «إما لأن لا».

(٨) زيادة من فيض الله.

(٩) انظر: الحجة لأبي علي (٣/ ١١٧).

وقرأ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: (وقَتَلوا) بفتح القاف والتاء من غير ألف، (وقُتِلوا) بضم القاف وكسر التاء خفيفة، وهي قراءة حسنة المعنى مستوفية للفضلين[١] على الترتيب المتعارف.

وقرأ محارب بن دثار: (وقَتَلوا) بفتح القاف (وقاتَلُوا).

وقرأ طلحة بن مصرِّف: (قُتِّلوا) بضم القاف وشد التاء (قاتَلُوا)[٢]، وهذه يدخلها إما رفض رتبة الواو، وإما أنه قاتَلَ مَن بقي.

واللام في قوله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾ لام القسم.

و﴿ثَوَابًا﴾ مصدر مؤكد مثل قوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٨٨]، و﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤].

وباقي الآية بين.

قوله عز وجل: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾.

نزلت ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ في هذه الآية منزلة: لاتظنَّ أن حال الكفار حسنة فتهتمَّ لذلك، وذلك أَن المغتر فارحٌ بالشيء الذي يغترُّ به، فالكفار مغترون بتقلُّبهم، والمؤمنون مهتمون به، لكنه ربما يقع في نفس مؤمن أن هذا الإِملاء للكفار إنما هو لخيرٍ لهم، فيجيء هذا جنوحاً إلى حالهم، ونوعاً من الاغترار، فلذلك حسنت ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾.

ونظيره قول عمرَ لحفصةَ: لا يغرنَّكِ أنْ كانت جارتُك أوضَأَ[٣] منك، وأحبَّ إلى

---

(١) في نور العثمانية: «الفصلين».

(٢) انظر عزو هذه القراءات الثلاث الشاذة لأصحابها المذكورين في: مختصر الشواذ (ص:٣٠).

(٣) في فيض الله: «أرضى»، وفي السليمانية: «أوضى».

رسول الله ﷺ[1]، المعنى: لا تغتري بما يتمُّ لتلك من الإِدلالِ فتقعي فيه، فيطلِّقَك النبي ﷺ.

والخطاب للنبي ﷺ، والمراد أمته، وللكفار في ذلك حظ؛ أي: لا يغرنَّهم تقلُّبهم.

وقرأ ابن أبي إسحاق ويعقوب: ﴿لا يَغُرَّنْك﴾ بسكون النون خفيفة[2]، وكذلك: (لا يصدّنْك) [طه: ١٦]، و(لا يصُدّنْكم) [الزخرف: ٦٢]، و[(لا يغرَّنكم)][3] [فاطر: ٥]، وشبهه.

و«التقلب»: التصرف في التجارات والأَرباح والحروب وسائر الآمال.

ثم أخبر تعالى عن قلة ذلك المتاع؛ لأنه منقضٍ، سائر[4] إلى ذلٍّ وقلٍّ وعذاب.

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع: ﴿لَـكِنَّ الَّذين﴾ بشد النون[5] على أن ﴿الذين﴾ في موضع نصب اسماً لـ﴿لكِنَّ﴾.

و﴿نُزُلًا﴾: معناه تكرِمةً، ونصبه على المصدر المؤكد.

وقرأ الحسن (نُزْلاً) ساكنة الزاي[6].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ يحتمل أن يريد: خير مما هؤلاء فيه من التقلب والتنعم، ويحتمل أن يريد: خير مما هم فيه في الدنيا، وإلى هذا ذهب ابن مسعود، فإنه قال: ما من مؤمن ولا كافر إلا والموت خير له، أما الكافر فلئلا يزدادَ إثماً، وأما المؤمن فلأنَّ ما عند الله خير للأبرار[7].

---

(١) البخاري (٤٨٩٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) وهي عشرية انظر عزوها لرويس عن يعقوب في النشر (٢/ ٢٨١) ولابن أبي إسحاق في: إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٩٥).

(٣) كتبت في المطبوع والأصل: «لا يضرنكم» بالضاد وكذلك كتبت بدل «لا يصدنكم» في فيض الله، ولعله خطأ من النساخ.

(٤) في الحمزوية والمطبوع والسليمانية وأحمد٣: «صائر».

(٥) وهي عشرية. انظر عزوها له في: النشر (٢/ ٢٨٢).

(٦) وهي قراءة شاذة. انظر: تفسير الثعلبي (٣/ ٢٣٧)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ١٩٥).

(٧) لم أقف عليه مسنداً.

قال القاضي أبو محمد: وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر»[١]، فقال القاضي ابن الطيب: هذا إنما هو بالإِضافة إلى ما يصير إليه كلّ واحدٍ منهما في الآخرة، فالدنيا على المؤمن المنعَّم سجنٌ بالإضافة إلى الجنة، والدنيا للكافر الفقير المضيّق عليه في حاله وصحَّته جنةٌ بالإِضافة إلى جهنم[٢].

وقيل: المعنى أنها سجن المؤمن؛ لأنها موضع تعبه في الطاعات وصومه وقيامه، فهو فيها كالمعنَّت[٣] المنكَّل، وينتظر الثواب في الأخرى التي هي جنته، والدنيا جنة الكافر؛ لأنها موضع ثوابه على ما عسى أن يعمل من خير، وليس ينتظر في الآخرة ثواباً، فهذه جنته، وهذا القول عندي كالتفسير والشرح للأول.

قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾.

اختلف المتأولون فيمن عُني بهذه الآية:

فقال جابر بن عبد الله وابن جريج وقتادة وغيرهم: نزلت بسبب أصحمة النجاشِيّ سلطان الحبشة، وذلك أنه كان مؤمناً بالله وبمحمد ﷺ، فلما مات عرف بذلك رسول الله ﷺ في ذلك اليوم، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «اخرجوا فصلُّوا على أخٍ لكم»، فصلى عليه رسول الله ﷺ بالناس، فكبَّر أربعاً[٤].

وفي بعض الحديث: أنه كشف لرسول الله ﷺ عن نعشه في الساعة التي قرب

(١) رواه مسلم (٢٩٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) هو الباقلاني، ولم أجده في كتبه المتوفرة، وقد نقله عنه أيضاً الثعالبي في تفسيره (٢/ ١٥٥).

(٣) وفي الحمزاوية وأحمد٣: «كالمتعب».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٤٥)، ومسلم (٩٥١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وانظر أقوال التابعين في: تفسير الطبري (٧/ ٤٩٨).

منها للدفن، فكان يراه من موضعه بالمدينة، فلما صلى عليه النبي ﷺ قال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط، فنزلت هذه الآية[١].

وكان أصحمة النجاشي نصرانيّاً، وأصحمة تفسيره بالعربية: عطية، قاله [سفيان الثوري وابن عيينة وغيرهما][٢].

وروي أن المنافقين قالوا بعد ذلك: فإنه لم يصلِّ للقبلة، فنزلت: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥][٣].

وقال قوم: نزلت في عبد الله بن سلام[٤].

وقال ابن زيد ومجاهد: نزلت في جميع مَن آمن مِن أهل الكتاب[٥].

و﴿خَٰشِعِينَ﴾ حال من الضمير في ﴿يُؤْمِنُ﴾، وورد ﴿خَٰشِعِينَ﴾ على المعنى في ﴿مَن﴾؛ لأنه جمعٌ، لا على لفظ ﴿مَن﴾؛ لأنه إفراد.

[وقوله تعالى: ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مدحٌ لهم، وذمٌّ لسائر كفار أهل الكتاب؛ لتبديلهم وإيثارهم كسبَ الدنيا الذي هو ثَمَنٌ قليل على آخرتهم، وعلى آيات الله تعالى][٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ قيل: معناه: سريع الإِتيان بيوم القيامة، وهو يوم الحساب، فالحساب إذاً سريع؛ إذ كلُّ آتٍ قريب.

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (٧/ ٤٩٦-٤٩٧) بإسناد فيه أبو بكر الهذلي، وهو متروك الحديث. انظر: تهذيب الكمال (٣٣/ ١٥٩).

(٢) كذا في أحمد٣، وفي النسخ الأخرى: «سفيان بن عيينة وغيره»، والقول في تفسير الثعلبي (٤/ ٩٨) بلا نسبة.

(٣) أخرجه الطبري (٧/ ٤٩٧) من رواية قتادة مرسلاً.

(٤) قاله ابن جريج. تفسير الطبري (٧/ ٤٩٨).

(٥) تفسير الطبري (٧/ ٤٩٨ - ٤٩٩).

(٦) ليس في الأصل.

وقال قوم: سريع الحساب أي: إحصاءُ أعمالِ العباد وأجورهم وآثامهم، إذ ذلك كله في عمله لا يحتاج فيه إلى عدٍّ ورويَّة ونظر كما يحتاج البشر.

ثم ختم الله تعالى السورة بهذه الوصاةِ التي جمعت الظهور في الدنيا على الأعداء، والفوز بنعيم الآخرة، فحضَّ على الصبر على الطاعات وعن الشهوات، وأمر بالمصابرة فقيل: معناه: مصابرة الأعداء، قاله زيد بن أسلم.

[١/ ٢٨٦] وقيل: معناه: مصابرة وعد الله / في النصر، قاله محمد بن كعب القرظي[١]؛ أي: لا تسأموا[٢]، وانتظروا الفرج، وقد قال رسول الله ﷺ: «انتظارُ الفرَجِ بالصبر عبادةٌ»[٣].

وكذلك اختلف المتأولون في معنى قوله: ﴿وَرَابِطُواْ﴾:

فقال جمهور الأمة: معناه: رابطوا أعداءَكم الخيلَ؛ أي: ارتبطوها كما يرتبطها أعداؤكم، ومنه قوله عز وجلّ: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٨] الآية.

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة، وقد كتب إليه يذكر جموع الروم، فكتب إليه عمر: أما بعد، فإنه مهما نزل بعبد مؤمن شدةٌ، جعل الله بعدها فرجاً، ولن يغلبَ عسرٌ يسرين، وإن الله تعالى يقول في كتابه، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ الآية[٤].

---

(١) انظر القولين في: تفسير الطبري (٧/ ٥٠٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٨)، وتفسير الماوردي (١/ ٤٤٥).

(٢) في أحمد٣: «تيأسوا».

(٣) ضعيف جداً، أخرجه الترمذي (٣٨٨٧)، من طريق حماد بن واقد، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، مرفوعاً به، قال الترمذي: هكذا روى حماد بن واقد هذا الحديث، وقد خولف في روايته، وحماد بن واقد هذا: هو الصفار، ليس بالحافظ. وروى أبو نعيم هذا الحديث، عن إسرائيل، عن حكيم بن جبير، عن، رجل، عن النبي ﷺ. وحديث أبي نعيم أشبه أن يكون أصح.

وحديث حكيم بن جبير أخرجه الطبري (٨/ ٢٦٨)، عن ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، حدثنا إسرائيل به، وحكيم بن جبير، متفق على تضعيفه، وقد رُمي بالكذب، انظر: تهذيب الكمال (٧/ ١٦٥).

(٤) مرسل، أخرجه الطبري (٧/ ٥٠٣)، من طريق زيد بن أ سلم، قال: كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى =

وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن[١]: هذه الآية في انتظار الصلاة بعد الصلاة، ولم يكن في زمن رسول الله ﷺ غزوٌ يُرابَطُ فيه[٢]، واحتج بحديث علي بن أبي طالب وجابر ابن عبد الله وأبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يحطُّ الله به الخطايا، ويرفعُ به الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»[٣].

قال القاضي أبو محمد: والقول الصحيح هو أن الرباط هو الملازمة في سبيل الله؛ أصلها من ربط الخيل[٤]، ثم سمّي كلّ ملازم لثغرٍ من ثغور الإِسلام مرابطاً، فارساً كان أو راجلاً، واللفظة مأخوذة من الربط.

وقول النبي ﷺ: «فذلكم الرباط»، إنما هو تشبيه بالرباط في سبيل الله؛ إذ انتظار الصلاة إنما هو سبيل من السبل المنجية، والرباط اللغوي هو الأول، وهذا كقوله: «ليس الشديدُ بالصُّرَعةِ»[٥]، وكقوله: «ليس المسكينُ بهذا الطوَّافِ»[٦] إلى غير ذلك من الأمثلة.

قال القاضي أبو محمد: والمرابط في سبيل الله عند الفقهاء هو الذي يشخص إلى ثغر من الثغور؛ ليرابط فيه مدةً ما، قاله ابن المواز[٧] ورواه.

= عمر... فذكره وهذا إسناد مرسل، فزيد بن أسلم يرسل عمن دون طبقة عمر بن الخطاب وأبي عبيدة ابن الجراح، فروايته عنهما مرسلة بطريق الأَولى.

(١) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني الفقيه، قال مالك: اسمه كنيته، روى عن أبيه، وعثمان، وأبي هريرة، وابن عباس، وعنه جماعة، وكان إماماً حجة، واسع العلم، توفي سنة (٩٤هـ)، وقيل: بل بعد المئة. تاريخ الإسلام (٦/ ٥٢٢).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٥٠٤)، وتفسير ابن المنذر (٢/ ٥٤٤)، والهداية لمكي (٢/ ١٢٠٩).

(٣) رواه مسلم (٢٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وليس تكرار العبارة في نور العثمانية.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٥٠٨ - ٥٠٩).

(٥) رواه البخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٢٦٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٦) رواه البخاري (١٤٠٩)، ومسلم (١٠٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٧) نقله القرطبي (٤/ ٣٢٤).

فأما سكان الثغور دائماً بأهليهم الذين يعتمرون ويكتسبون هنالك، فهم وإن كانوا حماةً فليسوا بمرابطين.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ترجٍّ في حقِّ البشر.

كمل تفسير سورة آل عمران، والحمد لله [حقَّ حمده][(١)].

---

(١) في المطبوع: «على ذلك كثيراً»، وفي أحمد٣: «وافق الفراغ منه يوم الخميس ١٩ المحرم ٧٤٣، غفر الله لمالكه وكاتبه ولجميع المسلمين برحمة منه إنه أرحم الراحمين»، وفي هامشه: «بلغ مقابلة حسب الطاقة على نسخة المصنف»، وفي نور العثمانية بدل «الحمد» وما بعده: «وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم»، وفي فيض الله: «تم الجزء الأول من تفسير القرآن لابن عطية نفع الله به مالكه والناظر فيه يتلوه في الجزء الثاني تفسير سورة النساء، وكان الفراغ من تعليقه الرابع من شهر شعبان المكرم سنة اثنين وسبع مئة».

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تفسير ابن عطيّة

المحرّر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمّد عبد الحقّ بن عطيّة الأندلسيّ

تحقيق
مجموعة من الباحثين

بإشراف
إدارة الشّؤون الإسلاميّة

الجزء الثّالث
من أوّل تفسير سورة النّساء حتّى الآية ٤٩ من الأنعام

إصدارات
وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة
إدارة الشّؤون الإسلاميّة
بتمويل الإدارة العامّة للأوقاف
دولة قطر

تفسير ابن عطية

المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي

□ **تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**
تأليف : الإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي
تحقيق : مجموعة من الباحثين - بإشراف إدارة الشؤون الإسلامية
الطبعة المحققة الأولى : ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

قياس القطع : ١٧ × ٢٤

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر
ص.ب ٤٢٢ الدوحة
البريد الإلكتروني : turathuna@islam.gov.qa

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

[صلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبي الكريم، وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليماً كثيراً][١].

تفسير سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم، [وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً][٢].

هذه السورة مدنية، إلا آية واحدة نزلت بمكة عام الفتح في عثمان بن طلحة[٣]، وهي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

قال النقاش: وقيل: نزلت السورة عند هجرة رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة المنورة[٤].

قال القاضي أبو محمد: وقد قال بعض الناس: إن قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾

---

(١) ليس في المطبوع.

(٢) في نور العثمانية بدلًا منه: «ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا».

(٣) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة القرشي العبدري، كانت هجرته في هدنة الحديبية مع خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص فأسلموا، ثم شهد عثمان فتح مكة، فدفع رسول الله ﷺ مفاتيح الكعبة إليه وإلى شيبة، ثم توفي بمكة فسكنها في سنة (٤٢هـ)، الاستيعاب (٣/ ١٠٣٤).

(٤) انظر تفسير القرطبي (٥/ ١).

حيث وقع إنما هو مكي[١]، فيشبه أن يكون صدر هذه السورة مكياً، وما نزل بعد الهجرة فإنما هو مدني وإن نزل في مكة أو في سفر من أسفار النبي ﷺ.

وقد قال النحاس: هذه السورة مكية[٢].

قال القاضي أبو محمد: ولا خلاف أن فيها ما نزل بالمدينة، وفي البخاري: آخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]، ذكرها في تفسير (سورة براءة) من رواية البراء بن عازب[٣]، وفي البخاري عن عائشة أنها قالت: ما نزلت سورة النساء إلا وأنا عند رسول الله ﷺ[٤]؛ تعني: قد بنى بها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾.

(يا) حرف نداء، و(أيْ) منادى مفرد، و(هَا) تنبيه، و﴿النَّاسُ﴾ نعت لـ(أيّ)، أَوْ صلة على مذهب أبي الحسن الأخفش[٥].

والرَّبُّ: المالك.

وفي الآية تنبيه على الصانع وعلى افتتاح الوجود، وفيها حض على التواصل؛ لحرمة هذا النسب[٦] وإن بعد.

وقال: ﴿وَاحِدَةٍ﴾، على تأنيث لفظ «النفس»، وهذا كقول الشاعر:

أَبُوكَ خَلِيفَةٌ وَلَدَتْهُ أُخْرَى ... وَأَنْتَ خَلِيفَةٌ ذَاكَ الكَمَالُ[٧] [الوافر]

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه والبيهقي في الدلائل والبزار في مسنده من طريق الأعمش، عن إبراهيم عن علقمة، عن عبد الله، انظر الدر المنثور للسيوطي (١/ ١٧٧).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٧) له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٣٢٩)، ومسلم (١٦١٨)، من حديث البراء بن عازب، رضي الله عنهما.

(٤) صحيح البخاري (٤٧٠٧)، من حديث أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها.

(٥) انظر مذهب الأخفش هذا في: إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٩٧).

(٦) في جار الله: «البيت».

(٧) تقدم في تفسير الآية (٣٨) من (سورة آل عمران).

وقرأ ابن أبي عبلة: (مِنْ نَفْسٍ واحِدٍ) بغير هاء[١]، وهذا على مراعاة المعنى؛ إذ المراد بالنفس: آدم عليه السلام، قاله مجاهد وقتادة وغيرهما[٢].

والخلق في الآية بمعنى: الاختراع.

ويعني بقوله: ﴿زَوۡجَهَا﴾: حواء، والزوج في كلام العرب: امرأة الرجل، ويقال: زوجة، ومنه بيت أبي فراس:

وإنَّ الذي يَسْعى لِيُفْسدَ زَوْجتي كساعٍ إلى أُسْدِ الشَّرى يَسْتَبيلُها[٣] [الطويل]

وقوله: ﴿مِنۡهَا﴾ قال ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة: إن الله تعالى خلق آدم وحشاً[٤] في الجنة وحده، ثم نام فانتزع الله أحد أضلاعه القُصيْرَى من شماله ـ وقيل: من يمينه ـ فخلق منه حواء[٥].

ويعضد هذا القول الحديث الصحيح في قوله ﷺ: «إن المرأة خُلقت من ضِلَع أعوج[٦]، فإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرُها طلاقُها»[٧].

وقال بعضهم: معنى ﴿مِنۡهَا﴾: مِنْ جنسها، واللفظ يتناول المعنيين، أو يكون لحمها وجواهرها من ضلعه، ونفسها من جنس نفسه.

﴿وَبَثَّ﴾ معناه: نشر، كقوله تعالى: ﴿كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾ [القارعة: ٣]؛ أي: المنتشر.

---

(١) وهي قراءة شاذة انظر: تفسير القرطبي (٥ / ٢)، والبحر المحيط (٣ / ١٦٢).
(٢) تفسير الطبري (٧/ ٥١٤).
(٣) البيت للفرزدق كما تقدم في تفسير الآية (٢٥) من (سورة البقرة).
(٤) قوله: «وحشاً»؛ أي: وحده ليس معه غيره.
(٥) رواه الطبري (١/ ٥١٣)، بإسناد فيه أسباط بن نصر، وهو ضعيف الحديث. تفسير الطبري (٧/ ٥١٥).
(٦) من الحمزوية وفيض الله والسليمانية وجار الله.
(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٥٣)، ومسلم (١٤٦٨)، من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

وحصره ذريتَها إلى نوعين: الرجال والنساء مُقتضٍ أن الخنثى ليس بنوع، وأنه وإن فرضناه مشكلَ الظاهر عندنا، فله حقيقة ترده إلى أحد هذين النوعين.

وفي تكرار الأمر بالاتقاء تأكيد وتنبيه لنفوس المأمورين.

و﴿ٱلَّذِى﴾ في موضع نصب على النعت.

و﴿تسّاءلون﴾ معناه: تتعاطفون[١] به، فيقول أحدكم: أسألك بالله أن تفعل كذا، وما أشبهه، وقالت طائفة: معناه: تسألون به حقوقَكم، وتجعلونه معظِّماً[٢] لها.

وأصله: تتساءلون، فأبدلت التاء الثانية سيناً وأدغمت في السين، وهذه قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي عمر[٣] / ، بخلاف عنه. [١/ ٢٨٧]

وقرأ الباقون: ﴿تَسَآءَلُونَ﴾ بسين مخففة[٤]؛ ذلك لأنهم حذفوا التاء الثانية تخفيفاً، فهذه تاء: «تتفاعلون» تدغم في لغة، وتحذف في أخرى؛ لاجتماع حروف متقاربة.

قال أبو عليّ: وإذا اجتمعت المتقاربة خففت بالحذف والإِدغام والإِبدال، كما قالوا: طَسْتٌ، فأبدلوا من السين الواحدة تاء؛ إذ الأصلُ: طَسٌّ[٥]، قال العَجَّاج:

[الرجز] لـوْ عَـرَضَـتْ لأيْـبُـلـيٍّ قَـسِّ أشـعـثَ فـي هيـكلِـهِ مُـنـدسِّ

حـنَّ إليهـا كحَنيـن الطَّـسِّ[٦]

---

(١) في الحمزوية وجار الله: «تعاطون».

(٢) في الأصل ونور العثمانية ونجيبويه والمطبوع: «مقطعاً»، والمثبت من فيض الله والسليمانية وجار الله والحمزوية مع الإشارة للنسخة الأخرى في الهامش.

(٣) في المطبوع: «وابن عمرو»، وهو خطأ.

(٤) فهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٩٣)، والنشر (٢ / ٢٤٧)، والخلاف عن أبي عمرو في السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٢٦).

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ١١٩).

(٦) الأبيات لرؤبة بن العجاج كما في المذكر والمؤنث للفراء (ص: ٨٤)، والمعرب (ص: ٢٢٢)، والجمهرة (١/ ١٣٣-٣٩٨).

وقرأ ابن مسعود: (تَسَلُون) خفيفة [بغير ألف][١].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾ نصب على العطف على موضع ﴿بِهِۦ﴾؛ لأنَّ موضعه نصب، والأظهر أنه نُصِبَ بإضمار فعلٍ تقديره: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وهذه قراءة السبعة إلا حمزة، وعليها فسَّر ابن عباس وغيره[٢].

وقرأ عبد الله بن يزيد[٣]: (والأرحامُ) بالرفع[٤]، وذلك على الابتداء، والخبر مقدر، تقديره: والأَرحامُ أهل أن توصل.

وقرأ حمزة وجماعة من العلماء: ﴿والأرحامِ﴾ بالخفض[٥] عطفاً على الضمير، والمعنى عندهم: إنها يتساءل بها كما يقول الرجل: أسألك بالله وبالرحم، هكذا فسرها الحسن وإبراهيم النخعي ومجاهد[٦].

وهذه القراءة عند رؤساء نحويي البصرة لا تجوز؛ لأنه لا يجوز عندهم أن يعطفَ ظاهرٌ على مضمر مخفوض، قال الزجاج عن المازني: لأن المعطوف والمعطوف عليه شريكان يحلُّ كلٌّ منهما محلَّ صاحبه، فكما لا يجوز: مررت بزيدٍ وك، فكذلك لا يجوز: مررت بكَ وزيدٍ[٧].

---

(١) ساقط من جار الله، وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٣١).

(٢) أخرجه الطبري (٨٤٢٣)، وابن أبي حاتم (٤٧٢٦) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٣) هو عبد الله بن يزيد أبو عبد الرحمن القرشي المقرئ القصير البصري ثم المكي، إمام كبير في الحديث ومشهور في القراءات، ثقة، روى الحروف عن نافع وعن البصريين، وله اختيار في القراءة، توفي في رجب سنة (٢١٣هـ)، غاية النهاية (١/ ٤٦٣).

(٤) وهي قراءة شاذة انظر: المحتسب لابن جني (١/ ١٧٩).

(٥) وهي سبعية متواترة، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢٢٦)، والتيسير للداني (ص: ٩٣)، وعزاها الثعلبي في تفسيره (٣/ ٢٤٢) لآخرين.

(٦) تفسير الطبري (٧/ ٥١٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٣ - ٨٥٤)، وتفسير الماوردي (١/ ٤٤٧).

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٦).

وأما سيبويه فهي عنده قبيحة لا تجوز إلا في الشعر[١]، كما قال:

[البسيط] فَاليَـوْمَ قَـد بِـتَّ تَهْجُونَـا وَتَشْـتِمُنَا فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ والأَيَّامِ مِنْ عَجَبِ[٢]

وكما قال:

[الطويل] نعلِّـق فـي مثـلِ السَّـواري سُـيوفَنا وما بينَها والكعبِ غَـوْطٌ نفانِفُ[٣]

واستسهلها بعض النحويين، قال أبو علي: ذلك ضعيف في القياس[٤].

قال القاضي أبو محمد: المضمر المخفوض لا ينفصل، فهو كحرف من الكلمة، ولا يعطف على حرف، ويردُّ عندي هذه القراءة من المعنى وجهان[٥]:

أحدهما: أن ذكر (الأرْحامِ) فيما يتساءل به لا معنى له في الحض على تقوى الله، ولا فائدة فيه أكثر من الإِخبار بأن الأرحام يتساءل بها، وهذا تفرق في معنى الكلام، وغضٌّ من فصاحته، وإنما الفصاحة في أن يكون لِذِكْرِ الأرحام فائدة مستقلة.

والوجه الثاني: أن في ذكرها على ذلك تقريراً للتساؤل بها والقسم بحرمتها، والحديث الصحيح يرد ذلك في قوله ﷺ: «من كان حالفاً فليحلفْ بالله، أو ليصمُتْ»[٦].

وقالت طائفة: إنما خفض ﴿وَالأَرْحامِ﴾ على جهة القسم من الله على ما اختص به ـ لا إله إلا هو ـ من القسم بمخلوقاته، ويكون المقسم عليه فيما بعد من قوله: ﴿إِنَّ

---

(١) الكتاب (٢/ ٣٨١).

(٢) البيت بلا نسبة في الكتاب لسيبويه (٢/ ٣٨٣)، قال في خزانة الأدب (٥/ ١٢٩): وهو من أبياته الخمسين التي لم يعرف لها قائل.

(٣) البيت لمسكين الدارمي كما في الحيوان للجاحظ (٦/ ٥٨٤)، وفي فيض الله والسليمانية والحمزوية وجار الله: «الكف» بدل: «الكعب».

(٤) الحجة لأبي علي (٣/ ١٢١).

(٥) إنما يقصد رحمه الله رد تأويل القراءة بما ذكر، أما القراءة نفسها فمتواترة لا يمكن ردها، ولا تجوز دعواه.

(٦) صحيح البخاري (٦٢٧٠)، من حديث عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما.

﴿ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[(١)]، وهذا قول يأباه نظمُ الكلام وسرده، وإن كان المعنى يخرجه.

و﴿كَانَ﴾ في هذه الآية ليست لتحديد الماضي فقط، بل المعنى: كان وهو يكون.

و«الرقيب»: بناء لاسم الفاعل من: رقب يرقب: إذا أحدَّ النظر بالبصر أو بالبصيرة إلى أمر ما ليتحققه على ما هو عليه، ويقترن بذلك حفظ ومشاهدة وعلم بالحاصل عن الرقبة.

وفي قوله: ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ ضرب من الوعيد.

ولم يقل: «لكم» للاشتراك الذي كان يدخل من أنه يرقب لهم ما يصنع غيرهم.

ومما ذكرناه قيل للذي يرقب خروج السهم من ربابة الضريب في القداح: رقيب؛ لأنه يرتقب ذلك، ومنه قول أبي دؤاد:

[مجزوء الكامل] كمقاعِد الرُّقباءِ للضْـ ـضُرَباء أيديهمْ نواهِدْ[(٢)]

قوله عز وجل: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ٢ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ٣﴾.

﴿ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ﴾: جمع يتيم ويتيمة، واليتيم في كلام العرب: من فقد الأب قبل البلوغ، وقال النبي ﷺ: «لا يُتْمَ بعد بلوغ»[(٣)]، وهو في البهيمة فقدُ الأمِّ [في حال الصغر،

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٥٢).

(٢) هو الإيادي، انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ١٤٠)، الأغاني (١٦/ ٤١٠)، تهذيب اللغة (٩/ ١١٢)، المعاني الكبير (٣/ ١١٤٨)، وفي المطبوع: «أبي داود»، وهو خطأ.

(٣) روي من أوجه أحسنها فيه من لا يحتج به، هذا الحديث قد ورد بلفظ: «لا يتم بعد احتلام» من حديث علي بن أبي طالب، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وحنظلة بن حذيم، أما الثلاثة الأُول فأسانيدها ضعيفة، واختلف مع ذلك في حديث علي رفعاً ووقفاً، والمحفوظ هو الموقوف على ضعفه.
أما حديث علي، فقد أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١٤٥٠)، وأبو داود (٢٨٧٥)، والطبراني في الأوسط (٢٩٠)، وابنُ عدي في الكامل (٢/ ٥٤٥)، والبيهقيُّ (٧/ ٤٦١)، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ٤٢٩)، والدارقطني في العلل (٤/ ١٤٢). =

وحُكي: اليتيم في الإِنسان من جهة الأم][١].

وقال ابن زيد: هذه المخاطبة هي لمن كانت عادته من العرب أن لا يورث الصغير من الأولاد مع الكبير، فقيل لهم: ورثوهم أموالهم، ولا تتركوا أيها الكبار حظوظكم حلالاً طيباً وتأخذوا الكلّ ظلماً حراماً خبيثاً[٢]، فيجيء فعلكم ذلك تبدلًا.

وقالت طائفة: هذه المخاطبة هي لأوصياء الأيتام، والمعنى: إذا بلغوا وأُونس منهم الرشد.

وسماهم يتامى ـ وهم قد بلغوا ـ استصحاباً للحالة الأولى التي قد ثبتت لهم من اليتم.

﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟﴾ قيل: المراد به: ما كان بعضهم يفعل من أن يبدل الشاة السمينة من مال اليتيم بالهزيلة من ماله، والدرهمَ الطيب بالزائف من ماله، قاله سعيد بن المسيب والزهري والسدي والضحاك[٣].

وقيل: المراد بذلك: لا تأكلوا أموالهم خبيثاً، وتدعوا أموالكم طيباً، وقيل: معناه: لا تتعجلوا أكل الخبيث من أموالهم، وتدعوا انتظار الرزق الحلال من عند الله، قاله مجاهد وأبو صالح[٤].

= وأما حديث جابر فأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (١٠٦١)، وقال: وهذا حديث لا يصح، وأما حديث أنس، فرواه البزار في مسنده (١٢/ ٣٥٠).
وأما حديث حنظلة فأخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ١٤) رقم (٣٥٠٢) من طريق سلم ابن قتيبة، ثنا ذيال بن عبيد قال: سمعت جدي حنظلة به مرفوعاً، وهذا أحسنها إسناداً، ذيال هذا قال إسحاق ابن منصور، عن يحيى بن معين: ثقة.
وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي عنه، فقال: تابعي، قلت: يحتج بحديثه؟ قال: شيخ أعرابي، وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات»، وأغرب الأزدي فنقل عنه الحافظ ابن حجر قوله فيه: فيه نظر، أقول: لكن في الاحتجاج بذيال هذا في حديث لم يثبت من طريق صحيح فيه نظر، والله أعلم.

(١) ساقط من نور العثمانية، وتقدم للمؤلف نقل هذا عن الماوردي، وأنا لم نجدها في شيء من كتبه.
(٢) تفسير الطبري (٧/ ٥٩٩).
(٣) تفسير الطبري (٧/ ٥٢٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٥ - ٨٥٦).
(٤) تفسير الطبري (٧/ ٥٢٥-٥٢٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٥).

والخبيث والطيب: إنما هو هنا بالتحليل والتحريم.

وروي عن ابن محيصن أنه قرأ: (ولا تَّبَدَّلوا) بإدغام التاء، [في التاء][١]، وجاز في ذلك الجمع بين ساكنين؛ لأن أحدهما حرف مدٍّ ولين يشبه الحركة.

وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ استوى الأيتام في النهي عن أكل أموالهم، كانوا ورثة ممنوعين من الميراث، أو مَحْجوبين، والآية نص في قصد مال اليتيم بالأكل، والتمول على جميع وجوهه.

وروي عن مجاهد أنه قال: الآية ناهية عن الخلط في الإِنفاق[٢]؛ فإن العرب كانت تخلط نفقتها بنفقة أيتامها، فنُهوا عن ذلك، ثم نسخ منه النهي بقوله: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠] وقد تقدم ذكر هذا في سورة البقرة.

وقال ابن فُورَك عن الحسن: إنه تأول الناس من هذه الآية النهي عن الخلط، فاجتنبوه / من قبل أنفسهم، فخفف عنهم في آية البقرة[٣]. [١/ ٢٨٨]

وقالت طائفة من المتأخرين: ﴿إِلَىٰٓ﴾ بمعنى «مع»، وهذا غير جيد.

وروي عن مجاهد أن معنى الآية: ولا تأكلوا أموالهم مع أموالكم[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا تقريب للمعنى، لا أنه[٥] أراد أن الحرف بمعنى الآخر.

وقال الحذَّاق: ﴿إِلَىٰٓ﴾ هي على بابها وهي تتضمن الإِضافة، التقدير: لا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم في الأكل، كما قال تعالى: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]، [الصف: ١٤]؛ أي: من ينضاف إلى الله في نصرتي؟

---

(١) ساقط من المطبوع، وهي شاذة انظر: إتحاف فضلاء البشر (١/ ٢٣٦)، ومختصر الشواذ (ص: ٣١)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ١٩٩).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٥٢٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٦).

(٣) تفسير القرطبي (٥/ ١٠).

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٥٢٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٦).

(٥) في المطبوع: «لأنه»، وهو خطأ.

والضمير في: ﴿إِنَّهُۥ﴾ عائد على الأكل الذي تضمنه الفعل الظاهر، و«الحُوب»: الإِثم، قاله ابن عباس[١] والحسن وغيرهما[٢].

تقول: حاب الرجل يَـحُوب حَوْباً وحاباً: إذا أثم، قال أمية بن الأسكَر[٣]:

[الوافر] وَإِنَّ مُـهَـاجِـرَيْـنِ تَـكنَّـفَـاهُ غَـدَاتَئِـذٍ لـقَدْ خَطِئَا وحَابَـا[٤]

وقرأ الحسن: (حَوْباً) بفتح الحاء[٥]، وهي لغة بني تميم[٦]، وقيل: هو بفتح الحاء المصدر، وبضمها الاسم.

وتحوَّب الرجل: إذا ألقى الـحُوب عن نفسه، وكذلك تحَنَّث وتأثم وتحرج؛ فإن هذه الأربعة بخلاف «تفعَّل» كله؛ لأن «تفعَّل» معناه: الدخول في الشيء، كتعبَّد وتكسَّب، وما أشبهه.

ويلحق بهذه الأربعة ﴿تَفَكَّهُونَ﴾، في قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقعة: ٦٥] أي: تطرحون الفكاهة[٧] عن أنفسكم، بدليل قوله بعد ذلك: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة: ٦٦-٦٧]؛ أي: يقولون ذلك[٨].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٧٨٧) من طريق مسلمة بن علقمة، قال: سمعت داود؛ يعني: ابن أبي هند يحدث عن عكرمة، ومن طريق علي بن أبي طلحة، كلاهما عن ابن عباس. وفي الإسنادين مقال، وقد روي هذا التفسير عن جماعة من التابعين وغيرهم.

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٥٣٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٦).

(٣) أمية بن الأسكر شاعر مخضرم، هاجر ابنه كلاب في الفتوح، وكان أمية شيخاً، فلما طالت غيبته قال هذه القصيدة البائية يرجو رده فرده عمر رضي الله عنه، الإصابة (١/ ٢٦٤).

(٤) انظر عزوه له في تفسير الطبري (٧/ ٥٢٩)، ومجاز القرآن (١/ ١١٣)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٢٤٤).

(٥) وهي قراءة شاذة، انظر: إتحاف فضلاء البشر (١/ ٢٣٦)، ومختصر الشواذ (ص: ٣١)، وإعراب القرآن للنحاس (١ / ١٩٩).

(٦) تهذيب اللغة (٥/ ١٧٣).

(٧) في السليمانية وجار الله ونجيبويه: «الفاكهة» بدل: «الفكاهة».

(٨) زاد في جار الله: «بها تهجد، لا بمعنى: كدح المجهود عن نفسه».

وقوله: ﴿كَبِيرًا﴾ نص على أن أكل مال اليتيم من الكبائر.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ قال أبو عبيدة: ﴿خِفْتُمْ﴾ هنا بمعنى: أيقنتم[١]، واستشهد بقول الشاعر:

قلتُ لهـم خَافوا بأَلفَيْ فارسٍ[٢] .... [الرجز]

وما قاله غير صحيح، ولا يكون الخوف بمعنى اليقين بوجه[٣] وإنما هو من أفعال التوقُّع[٤].

إلا أنه قد يميل الظن فيه إلى إحدى الجهتين، وأما أن يصلَ إلى حدّ اليقين فلا.

و﴿تُقْسِطُوا﴾ معناه: تعدلوا، يقال: أَقسط الرجل إذا عدل، وقَسَطَ إذا جار.

وقرأ ابن وثاب والنخعي: (أَلَّا تَقْسِطوا) بفتح التاء[٥] من «قسط» على تقدير زيادة «لا» كأنه قال: وإن خفتم أن تجوروا.

واختلف في تأويل الآية؛ فقالت عائشة رضي الله عنها: نزلت في أولياء اليتامى الذين يعجبهم جمال ولياتهم، فيريدون أن يبخسوهن[٦] في المهر لمكان ولايتهم عليهن، فقيل لهم: أقسطوا في مهورهنّ، فمن خاف ألا يقسط فليتزوج ما طاب له من الأجنبيات اللواتي يُكايِسْنَ في حقوقهن[٧]، وقاله ربيعة[٨].

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ١١٤).

(٢) في المطبوع: فقلْتُ لهم خافوا بأَلفَيْ مُدَجَّجٍ، وهو الصواب وهو من بيت لدريد بن الصمة كما تقدم في الآية (٤٧) من (سورة البقرة).

(٣) سقطت من الأصل والحمزوية.

(٤) في الأصل: «التوقف»، وفي جار الله: «الترفع».

(٥) وهي قراءة شاذة انظر: المحتسب لابن جني (١/ ١٨٠)، ومختصر الشواذ (ص: ٣١).

(٦) في جار الله: «يتجنبوهن»، في السليمانية: «يبخسونهم»، وفيها بعدها: «عن» بدل «في».

(٧) صحيح البخاري (٤٨٠٨)، من حديث أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها.

(٨) تفسير الطبري (٧/ ٥٣٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٨).

وقال عكرمة: نزلت في قريش، وذلك أن الرجلَ منهم كان يتزوج العشر، وأكثر، وأقل، فإذا ضاق ماله مالَ على مالِ يتيمه فتزوج منه، فقيل لهم: إن خفتم عجز أموالكم حتى تجوروا في اليتامى؛ فاقتصروا[١].

وقال سعيد بن جبير والسدي وقتادة[٢] وابن عباس: إن العرب كانت تتحرج في أموال اليتامى، ولا تتحرج في العدل بين النساء، كانوا يتزوجون العشر وأكثر، فنزلت الآية في ذلك[٣]؛ أي: كما تخافون ألا تقسطوا في اليتامى؛ فكذلك فتحرجوا في النساء، وانكحوا على هذا الحد الذي يبعد الجور عنه.

وقال مجاهد: إنما الآية تحذير من الزنا وزجر عنه؛ أي: كما تتحرجون في مال اليتامى؛ فكذلك فتحرجوا من الزنا، وانكحوا على ما حُدَّ لكم[٤].

قال الحسن وأبو مالك وسعيد بن جبير: ما طاب معناه: ما حل[٥].

قال القاضي أبو محمد: لأن المحرمات من النساء كثير.

وقرأ ابن أبي عبلة: (مَنْ طابَ) على ذكر من يعقل[٦].

وحكى بعض الناس أن ﴿مَا﴾ في هذه الآية ظرفية؛ أي: ما دمتم تستحسنون النكاح.

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا المنزع ضعف، وقال: ﴿مَا﴾ ولم يقل: «مَن»؛ لأنه لم يرد تعيينَ من يعقل، وإنما أراد النوع الذي هو الطيِّبُ من جهة التحليل، فكأنه قال: فانكحوا الطيِّبَ.

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٥٣٥).
(٢) تفسير الطبري (٧/ ٥٣٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٩).
(٣) أخرجه الطبري (٧/ ٥٣٧-٥٣٨)، وابن أبي حاتم (٤٧٥٦)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن عبد الله بن عباس، به.
(٤) تفسير الطبري (٧/ ٥٣٩).
(٥) تفسير الطبري (٧/ ٥٣٧، ٥٤٠، ٥٤٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٨).
(٦) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ١٢٩).

وهذا الأمر هو ندب لقوم وإباحةٌ لآخرين بحسب قرائن المرء، والنكاح في الجملةِ والأغلب مندوبٌ إليه، قال ﷺ: «من استطاعَ منكم الباءةَ فليتزوَّج»[١].

و﴿مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾: موضعها من الإِعراب: نصب على البدل من ﴿مَاطَابَ﴾، وهي نكرات لا تنصرف؛ لأنهامعدولة وصفة، كذا[٢] قال أبو علي[٣].

وقال غيره: هي معدولة في اللفظ وفي المعنى، وأيضاً فإنها معدولة وجمع، وأيضاً فإنها معدولة مؤنثة[٤].

قال الطبري: هي معارف؛ لأنها لا تدخلها الألفُ واللام[٥]، وخطأ الزجاج هذا القول[٦]، وقال[٧]: هي معدولة عن اثنين وثلاثة وأربعة، [إلا أنها][٨] مضمنة تكرار العدد إلى غاية المعدود، وأنشد الزجاج:

ولَـكـنَّـمـا أهـلـي بـــوادٍ أنيسُه ذئابٌ تبغَّـى الناسَ مثنى وَمَوْحَدُ[٩] [الطويل]

فإنما معناه: اثنين اثنين، وواحد واحد، وكذلك قولك: جاء الرجال مثنى وثلاث، فإنما معناه: اثنين اثنين، وثلاثة ثلاثة.

وقرأ يحيى بن وثاب وإبراهيم النخعي: (وَرُبَع) ساقطة الألف[١٠]، وتلك لغة

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٧٧٨)، ومسلم (١٤٠٠)، من حديث عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه.
(٢) سقطت من الأصل والحمزوية.
(٣) انظر قول أبي علي الفارسي في: المخصص لابن سيده (٥/ ٢٠٦).
(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٩).
(٥) تفسير الطبري (٧/ ٥٤٣)، وانظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٥٤-٢٥٥).
(٦) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٩-١٠).
(٧) زيادة من فيض الله والسليمانية.
(٨) في الأصل والسليمانية: «لأنها».
(٩) البيت لساعدة بن جُؤَيَّةَ الهذلي كما في الكتاب لسيبويه (٣/ ٢٢٥)، وشرح أدب الكاتب (ص: ٢٨٨)، وزاد في المطبوع قبله: «لشاعر».
(١٠) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب لابن جني (١/ ١٨١).

مقصدها التخفيف، كما قال الشاعر على لسان الضب:

[مجزوء الرجز] لا أشتهي أن أَرِدَا إلا عَرَاداً عَرِدَا
وَعَنْكَثاً مُلْتَبِدَا وصِلِّيَاناً بَرِدَا[1]

يريد: بارداً.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾؛ قال الضحاك وغيره: المعنى: ألا تعدلوا في الميل والمحبة والجماع والعشرة بين الأربع أو الثلاث أو الاثنين[2].

ويتوجه على قول من قال: إنها نزلت فيمن يخاف أن ينفقَ مالَ اليتامى في نكاحاته أن يكون المعنى: ألا تعدلوا في نكاح الأربع والثلاث حتى تنفقوا فيه أموال يتاماكم؛ أي: فتزوجوا واحدةً بأموالكم، أو تَسرَّوْا منها.

ونصب (واحدةً) بإضمار فعل تقديره: فانكحوا واحدة.

وقرأ عبد الرحمن بن هُرمز والحسن: ﴿فواحدةٌ﴾ بالرفع على الابتداء، وتقدير الخبر: فواحدة كافية، أو ما أشبَه، ورويت هذه القراءة عن أبي عمرو[3].

و﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾؛ يريد به: الإِماء، والمعنى: إن خاف ألّا يعدلَ في عِشْرةِ واحدةٍ؛ فما ملكت يمينه.

[١/ ٢٨٩] وأسند المِلْك إلى/ اليمين؛ إذ هي صفة مدح، واليمين مخصوصة بالمحاسن؛ لتمكنها، ألا ترى أنها المنفقة، كما قال عليه السلام: «حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»[4].

---

(١) تقدم في تفسير الآية (١٤٦) من آل عمران، ووقع تقديم وتأخير بين البيتين الأخيرين في المطبوع.
(٢) تفسير الطبري (٧/ ٥٤٨)، وسقطت: «أو الاثنين» من نور العثمانية.
(٣) وهي عشرية قرأ بها أبو جعفر كما في النشر (٢/ ٢٤٧)، وانظر عزوها للحسن وابن هرمز في تفسير الثعلبي (٣/ ٢٤٧)، وعزاها الهذلي في الكامل (ص: ٥٢٤) للحسن، والأَعْمَش، وَحُمَيْد، وشيبة، وأبي جعفر غير ميمونة، والإنطاكي، ولم أجد فيها ذكراً لأبي عمرو.
(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٢٩)، ومسلم (١٠٣١)، من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

[وهي المعاهدة المبايعة، وبها سميت الأَلِيَّة يمينا، وهي المتلقية لرايات المجد][١].

وقد نهى عليه السلام عن استعمالها في الاستنجاء[٢]، وأمر المرء بالأكل بها[٣].

قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ۝٣ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ۝٤ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٥﴾.

﴿أَدْنَىٰٓ﴾ معناه أقرب، وهو من الدنو[٤]، وموضع (أَن) من الإعراب: نصب بإسقاط الخافض، والناصب أريحية[٥] الفعل الذي في ﴿أَدْنَىٰٓ﴾، التقدير: ذلك أدنى إلى أَلَّا تعولوا.

و﴿تَعُولُواْ﴾ معناه: تميلوا، قاله ابن عباس[٦] وقتادة والربيع بن أنس وأبو مالك والسدي وغيرهم، يقال: عال الرجل يعول: إذا مال وجار، ومنه قول أبي طالب في شعره في النبي ﷺ:

بِميـزَانِ قِسْـطٍ لا يُخِـسُّ شَـعِيرَةً ... وَوَازِنِ صِـدْقٍ وَزْنُهُ غَيْرُ عَائِلِ[٧] [الطويل]

يريد: غير مائل، ومنه قول عثمان لأهل الكوفة حين كتب إليهم: إني لستُ بميزان

(١) زيادة من فيض الله والسليمانية وجار الله.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٥٢)، ومسلم (٢٦٧) من حديث أبي قتادة، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٣) صحيح مسلم (٢٠٢١)، من حديث سلمة بن الأكوع، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٤) في فيض الله: «الدني».

(٥) في نجيبويه «رائحة الفعل».

(٦) أخرجه الطبري (٧/ ٥٥١)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما به.

(٧) انظر عزوه له في تفسير الطبري (٧/ ٥٥٠)، وسيرة ابن هشام (١/ ٢٤٢)، والزاهر لابن الأنباري (١/ ١٤١)، وفي المطبوع: «ووزان».

لا أعول[١]، ويروى بيت أَبي طالب:

[الطويل] .... لـه شـاهد مـن نفسـه غير عائـل[٢]

وعال يُعيل، معناه: افتقر فصار عالةً.

وقالت فرقة منهم زيد بن أسلم وابن زيد والشافعي: معناه: ذلك أدنى ألا يكثر عيالكم[٣].

وحكى ابن الأعرابي أَن العرب تقول: عال الرجل يعول: إذا كثر عياله[٤].

وقدح في هذا الزجاج وغيره، بأَن الله قد أباح كثرة السراري، وفي ذلك تكثير العيال، فكيف يكون أقربَ إلى أَلَّا يكثر[٥]؟

قال القاضي أبو محمد: وهذا القدح غير صحيح؛ لأن السراري إِنما هن مالٌ يُتَصَرَّفُ فيه بالبيع، وإِنما العيالُ: الفادح الحرائرِ ذوات الحقوق الواجبة.

وقوله: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحۡلَةً﴾ قال ابن عباس[٦] وقتادة [وابن زيد][٧] وابن جريج: إِن الخطاب في هذه الآية للأزواج، أمرهم الله أَن يتبرعوا بإعطاء المهور نِحْلة منهم لأَزواجهم.

وقال أَبو صالح: الخطابُ لأولياء النساء؛ لأَن عادة بعض العرب كانت: أَن يأكلَ

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (٧/ ٥٥١)، من طريق هشيم بن بشير، عن أبي إسحاق الكوفي، قال: كتب عثمان بن عفان، رضي الله عنه... فذكره، وهشيم مدلس، وقد عنعنه، وشيخه أبو إسحاق، هو: عبد الله بن ميسرة أبو ليلى الحارثي، كان هشيم يروي عنه ويدلسه لضعفه، ويكنيه بأبي إسحاق، انظر تهذيب الكمال (١٦/ ١٩٦)، وفي السليمانية: «ولا أعول»، بالواو.

(٢) وهي في الروض الأنف (٢/ ٢٨٢).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٦٠)، وتفسير الطبري (٧/ ٥٥٢).

(٤) نقل حكاية ابن الأعرابي ابن سيدة في المحكم والمحيط الأعظم (٢/ ٣٦٠).

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١١).

(٦) رواه الطبري (٧/ ٥٥٣)، وابن أبي حاتم (٤٧٧٠)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٧) سقط من المطبوع.

وليُّ المرأةِ مهرها[١]، فرفع الله ذلك بالإِسلام، وأمر بأَن يدفع ذلك إِليهن.

وقال المعتمر بن سليمان[٢] عن أبيه: زعم حضرميٌّ[٣] أن المراد بالآية: المتشاغرون الذين كانوا يتزوجون امرأة بأخرى، فأمروا أَن يضربوا المهور.

قال القاضي أبو محمد: والآية تتناول[٤] هذه الفرق الثلاث.

وقرأ جمهور الناس والسبعة: ﴿صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ بفتح الصاد وضم الدال.

[وقرأ موسى بن الزبير وابن أبي عبلة وفياض بن غزوان وغيرهم: (صُدُقاتهن) بضم الصاد والدال][٥]، وقرأ قتادة وغيره: (صُدْقاتهن) بضم الصاد وسكون الدال، [وقرأ ابن وثاب والنخعي: (صُدُقَتهنّ) بالإِفراد وضم الصاد وضم الدال][٦]، والإِفراد من هذا كله: صَدُقة، وَصُدُقة.

و﴿نِحۡلَةً﴾: معناه: نحلة منكم لهن؛ أَي: عطية، وقيل: التقدير: من الله عز وجل لهن؛ وذلك لأنَّ الله جعل الصداقَ، على الرجال، ولم يجعل على النساءِ شيئاً.

وقيل: ﴿نِحۡلَةً﴾ معناه: شرعة، مأخوذ من النَّحْل، تقول: فلان ينتحلُ دينَ كذا،

---

(١) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٧/ ٥٥٣)، وقول المعتمر فيه (٧/ ٥٥٤).

(٢) هو معتمر بن سليمان بن طَرْخان، الإمام أبو محمد التيمي البصري، لكنه نزل في بني تيم بالبصرة، روى عن أبيه، وحميد الطويل، وخلق، عنه ابن مهدي، وأحمد وإسحاق وابن معين وكان إماماً حجة، زاهداً، عابداً، كبير القدر، توفي سنة (١٨٧هـ)، تاريخ الإسلام (١٢/ ٤٠٦).

(٣) قيل: هو حضرمي، بسكون المعجمة، بلفظ النسبة، ابن لاحق، التميمي السعدي الأعرجي اليمامي، القاص، من السادسة، لا بأس به، وفرق ابن المديني بين الحضرمي شيخ سليمان التيمي، وبين ابن لاحق، انظر المعجم الصغير لرواة الطبري (١/ ١٢٦).

(٤) في فيض الله والسليمانية «تتضمن» بدل «تتناول».

(٥) ساقط من جار الله.

(٦) سقط من الأصل، وهذه ثلاث قراءات شاذة، انظر الثانية لقتادة، والثالثة لابن وثاب في مختصر الشواذ (ص: ٣١)، وعزا الأولى لأبي واقد، وانظر الثالثة للنخعي وابن وثاب في الشواذ للكرماني (ص: ١٢٩)، والكل في البحر المحيط (٣/ ٥١١)، وزاد في الأولى: مجاهداً.

وهذا يحسن مع كون الخطاب للأَولياء، ويتجه مع سواه، ونصبها على أَنها من الأَزواج بإِضمار فعلٍ من لفظها، تقديره: انحَلُوهنّ نِحْلة.

ويجوز أن يعمل الفعل الظاهر وإِن كان من غير اللفظ؛ لأَنه مناسب للنحلة في المعنى، ونصبها على أَنها من الله عز وجل، بإضمار فعل مقدر من اللفظ، لايصح غير ذلك، وعلى أَنها شريعة هي أَيضاً من الله.

وقوله: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ الخطاب حسبما تقدم من الاختلاف في الأزواج والأَولياء، والمعنى: إِن وهبن غيرَ مُكْرَهاتٍ طيِّبة نفوسهن.

والضمير في: ﴿مِّنْهُ﴾: راجع على الصداق، وكذلك قال عكرمة وغيره، أو على الإِيتاء.

وقال حضرمي: سبب الآية: أن قوماً تحرجوا أن يرجع إِليهم شيء مما دفعوا إِلى الزوجات[١].

و﴿نَفْسًا﴾: نصب على التمييز، ولا يجوز تقدمه على العامل عند سيبويه[٢]، إلا في ضرورة شعرٍ، مع تصرُّف العامل، وأَجازه غيره في الكلام، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] .... وَمَا كَانَ نَفْسـاً بالفِراقِ تَطِيبُ[٣]

و(مِنْ): تتضمن الجنس هاهنا، ولذلك يجوز أن تهب المهر كله، ولو وقفت (من) على التبعيض؛ لما جاز ذلك.

وقرئ: (هنِيّا مَرِيّا) دون همز، وهي قراءة الحسن بن أبي الحسن والزهري[٤].

---

(١) انظر قول عكرمة في تفسير الطبري (٧/ ٥٥٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٦٢)، وقول حضرمي في تفسير الطبري (٧/ ٥٥٦).

(٢) كتاب سيبويه (١/ ٢١٠).

(٣) صدره: أتهجر ليلى للفراق حبيبها وهو للمخبل السعدي كما في إيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٢٥٠)، وهذا هو الراجح فيه.

(٤) انظر عزو القراءة الشاذة للحسن في الشواذ للكرماني (ص: ١٢٩)، ولهما في البحر المحيط (٣/ ٥١٣).

قال الطبري: وهو من هِنَاء البعير: أن يعطى الشفاء[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف؛ وإنما قال اللغويون: الطعام الهنيء: هو السائغ المستحسن الحميد المغبَّة، وكذلك المريء، قال اللغويون: يقولون: هنَّأني الطعام ومرَّأني، على الإتباع، فإذا أفردوا قالوا: أمرأني، على وزن: أفعل[٢].

قال أبو علي: وهذا كما جاء في الحديث: «ارجعنَ مأزُوراتٍ غيرَ مأجوراتٍ»[٣]، فإنما اعتلت الواو من: «موزورات» إتباعاً للفظ: «مأجورات»، فكذلك مَرأَني، إتباعاً لهنأني.

ودخل رجل على علقمة وهو يأكل شيئاً مما وهبته امرأته من مهرها، فقال له: كلْ من الهنيء المريء[٤].

قال سيبويه: هنيئاً مريئاً: صفتان نصبوهما نَصْبَ المصادر المدعو [بها الفعل][٥]، غير المستعمل[٦] إظهاره، المختزل للدلالة التي في الكلام عليه، كأنهم قالوا: ثبت ذلك هنيئاً مريئاً[٧].

وقوله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ﴾ الآية، اختلف المتأولون في المراد بالسفهاء:

فقال ابن مسعود[٨] والسدي والضحاك والحسن وغيرهم: نزلت في ولد الرجل

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٥٥٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٥٥٦)، وتفسير الثعلبي (١/ ٥٤٨).

(٣) ضعيف جداً، أخرجه ابن ماجه (١٥٧٨)، من حديث علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وإسناده ضعيف جداً؛ ففيه إسماعيل بن سلمان، وهو ابن أبي المغيرة الكوفي، متفق على تضعيفه، وقد كذبه غير واحد من الأئمة، انظر تهذيب الكمال (٣/ ١٠٥)، ويروى من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه بأسانيد واهية.

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٥٥٥).

(٥) في المطبوع: «بالفعل».

(٦) في جار الله: «المستقبل»، وسقط منه: «إظهاره»، والكلام منقول بالمعنى.

(٧) انظر معناه في الكتاب (١/ ٣١٧) له.

(٨) لم أجده.

الصغار وامرأته[١]، وقال سعيد بن جبير: نزلت في الْمَحْجورين السفهاء[٢].

وقال مجاهد: نزلت في النساء خاصة[٣]، وروي عن عبد الله بن عمر: أنه مرت به امرأة لها شارة فقال لها: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ الآية[٤].

[١/ ٢٩٠] وقال أبو موسى الأشعري[٥] والطبري وغيرهما/: نزلت في كل من اقتضى الصفةَ التي شرط الله من السفَه، كان من كان[٦]، وقول من خصَّها بالنساء يضعف من جهة الجمع؛ فإن العرب إنما تجمع: فعيلَة على: فعائل، أو فعيلات[٧].

وقوله: ﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾؛ يريد أموال المخاطبين، هذا قول أبي موسى الأشعري وابن عباس[٨] والحسن وقتادة[٩]، وقال سعيد بن جبير[١٠]: يريد أموالَ السفهاء، وأضافها إلى المخاطبين؛ تغبيطاً بالأموال[١١]؛ أي: هي لهم إذا احتاجوا، كأموالكم التي تقي

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٥٦١)، وقول ابن مسعود لم أقف عليه مسنداً.

(٢) انظره في تفسير الطبري (٧/ ٥٦٠)، بلفظ: اليتامى والنساء.

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٥٦٤).

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٧/ ٥٦٥)، من طريق عاصم، عن مورق، قال: مرت امرأة... فذكره، وهذا إسناد ضعيف، من أجل عاصم، وهو ابن أبي النجود.

(٥) أخرجه الطبري (٧/ ٥٦٤)، من طريق شعبة، عن فراس، عن الشعبي، عن أبي بردة، عن أبي موسى الأشعري أنه قال: ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم: رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجل أعطى ماله سفيهاً وقد قال الله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾، ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه، رواه جماعة عن شعبة هكذا موقوفاً، وهو المحفوظ، ورواه معاذ العنبري وحده عن شعبة، فرفعه.

(٦) تفسير الطبري (٧/ ٥٦٥).

(٧) اعترضه أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٥١٥) بأنه يطرد فيه: فِعال، كظريفة وظِراف، وكريمة وكِرام.

(٨) أما أثر ابن عباس رضي الله عنه فرواه الطبري (٧/ ٥٧٠)، من طريق علي بن أبي طلحة، عنه، به. وهذا إسناد ضعيف؛ لانقطاعه فيما بين علي بن أبي طلحة، وابن عباس، كما مر ذكره تكراراً، وأما أثر أبي موسى؛ فلم أجده.

(٩) تفسير الطبري (٧/ ٥٦١ - ٥٦٢).

(١٠) في جار الله: «ابن حبيب»، ولعله تحريف.

(١١) تفسير الطبري (٧/ ٥٦٧).

أعراضكم، وتصونكم، وتعظم أقداركم، ومن مثل هذا: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] وما جرى مجراه.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن والنخعي: (اللَّاتي)[١].

والأموال: جمعٌ لما لا يعقل، فالأصوب فيه قراءة الجماعة.

و﴿قِيَماً﴾ جمع: قيمة، كدِيمة ودِيَم، [وخطأ ذلك أبو علي وقال: هي مصدر كقيام وقِوام، وأصلها: قوم][٢]، ولكن شذَّتْ في الرد إلى الياء كما شذ قولهم: جياد في جمع: جواد[٣]، وكما قالت بنو ضبة[٤]: طويل وطِيال[٥]، ونحو هذا.

وقِوْماً وقِواماً وقِياماً معناه: ثباتاً في صلاح الحال، ودواماً في ذلك.

وقرأ نافع وابن عامر: ﴿قِيَماً﴾ بغير ألف[٦].

وروي أن أبا عمرو فتح القاف من قوله: (قَواماً)، وقياماً كان أصله: قِواماً، فردت كسرة القاف الواو ياءً؛ للتناسب، ذكرها ابن مجاهد ولم ينسبها، وهي قراءة أبي عمرو والحسن[٧].

وقرأ الباقون: ﴿قِيَمًا﴾.

---

(١) وهي قراءة شاذة انظر: تفسير الثعلبي (٣/ ٢٥٣)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٠١).

(٢) ساقط من المطبوع.

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ١٣٢).

(٤) هم بنو ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار، انظر: جمهرة أنساب العرب (ص: ٢٠٣).

(٥) قال ابن عصفور في الممتع (ص: ٣١٩): وطويل قد تجمع على: (طيال) بقلب واوها ياء، ولكن ذلك في الشعر، ولا يقاس عليه.

(٦) وهي سبعية متواترة، انظرها مع قراءة الباقين بالألف في التيسير للداني (ص: ٩٤)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٢٦).

(٧) تعرض المؤلف هنا لقراءة: (قواماً) بالواو مع فتح القاف، وقع في كلامه تخليط، فعزاها أولًا لأبي عمرو، كذا في جميع النسخ، وصوابه: «ابن عمر»، وهو عبد الله رضي الله عنه، ثم ذكر بعد ذلك أنها قراءة الحسن، وأنها مروية عن أبي عمرو، فأما ابن عمر فنقلها عنه الثعلبي في تفسيره (٣/ ٢٥٣)، والكرماني =

وقرأت طائفة: (قِواماً)[١].

وقوله: ﴿وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ﴾ قيل: معناه: فيمن يلزم الرجل نفقته وكسوته من زوجه وبنيه الأصاغر، وقيل: في المحجورين من أموالهم.

و﴿مَّعۡرُوفٗا﴾ قيل: معناه: ادعوا لهم: بارك الله فيكم وحاطكم وصنع لكم، وقيل: معناه: عِدوهم وعداً حسناً؛ أي: إن رشدتم دفعنا إليكم أموالكم، ومعنى اللفظة: كلُّ كلام تعرفه النفوس وتأنَسُ إليه، ويقتضيه الشرع.

قوله عز وجل: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٦﴾﴾.

هذه مخاطبة للجميع، والمعنى: يخلص التلبس بهذا الأمر للأوصياء، والابتلاء: الاختبار، و﴿بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾ معناه: بلغوا مبلغ الرجال بحلم وحيض، أو ما يوازيه، ومعناه: جربوا عقولهم وقرائحهم وتصرفهم.

و﴿ءَانَسۡتُم﴾، معناه: علمتم وشعرتم وخَبِرتم، كما قال الشاعر:

آنسَتْ نَبْأَةً وَأَفْزَعَهَا القَنْـ ـنَاصُ عَصْراً وَقَدْ دَنَا الإِمْسَاءُ[٢] [الخفيف]

= في شواذ القراءات (ص: ١٣٠)، وكذا ابن مجاهد كما في المحتسب (١/ ١٨٢)، فقول المصنف: إن ابن مجاهد لم ينسبها في غير محله، وهي معزوة لابن عمر أيضاً في مختصر الشواذ (ص: ٣١)، وتفسير الزمخشري (١/ ٤٧١)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٠١)، لكن بلا ضبط، ونقلها في البحر المحيط (٣/ ٥١٧) عن الحسن ورواية أبي عمرو، ولعله تابع للمصنف.

(١) هذه القراءة بالواو وكسر القاف هي التي لم ينسبها ابن مجاهد كما في المحتسب (١/ ١٨٢)، مع أن في قول ابن جني: «لكنه أثبتها» نظراً؛ لأنه إنما حكاها على الشك، وهي قراءة عيسى بن عمر كما في تفسير الثعلبي (٣/ ٢٥٣)، ونقلها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ١٣٠) عن زيد بن علي، وقد خلط أبو حيان (٣/ ٥١٧) وبعض تابعيه في العزو لابني عمر فجعلوا الأولى لعيسى، والثانية لعبد الله، وهو خطأ.

(٢) البيت للحارث بن حِلِّزَة في معلقته، انظر عزوه له في الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١٧٠)، =

وقرأ ابن مسعود: (أَحَسْتم)[١] بالحاء وسكون السين[٢] على مثال: فَعَلْتم.

وقرأ أبو عبد الرحمن وأبو السمَّال وابن مسعود وعيسى الثقفي: (رَشَداً) بفتح الراء والشين[٣]، والمعنى واحد.

ومالك رحمه الله يرى الشرطين: البلوغ والرشد المختبر، وحينئذٍ يدفع المال[٤]؛ وأبو حنيفة يرى أن يدفع المال بالشرط الواحد، [ما لم يحفظ له سفه، كما أبيحت التسرية بالشرط الواحد][٥]، وكتاب الله قد قيدها بعدم الطول وخوف العَنَت، إلى غير ذلك من الأمثلة، كاليمين والحنث اللذين بعدهما تجب الكفارة، ولكنها تجوز قبل الحنث.

قال القاضي أبو محمد: والتمثيل عندي في دفع المال بنوازل الشرطين غير صحيح؛ وذلك أن البلوغَ لم تسقه الآية سياقَ الشرط، ولكنها حالة الغالب على بني آدم أن تلتئم عقولهم فيها، فهو الوقت الذي لا يعتبر شرط الرشد إلا فيه، فقال: إذا بلغ ذلك الوقت فلينظر إلى الشرط، وهو الرشد حينئذٍ، وفصاحة الكلام تدلُّ على ذلك؛ لأن التوقيفَ[٦] بالبلوغ جاء بـ(إذا) والمشروط جاء بـ(إن) التي هي قاعدة حروف الشرط، و«إذا» ليست بحرف شرط لحصول ما بعدها، وأجاز سيبويه أن يجازى بها في الشعر، وقال: فعلوا ذلك مضطرين[٧]، وإنما جُوزي بها لأنها تحتاج إلى جواب، ولأنها يليها الفعل مظهراً أو مضمراً.

= وتهذيب اللغة (٨/ ٢٧٨)، ومقاييس اللغة (١/ ١٤٥)، وشرح المعلقات التسع (ص: ٣٥٥)، والمعاني الكبير (١/ ٣٤٣)، والحيوان (٤/ ٤٤٨).

(١) في الأصل والسليمانية: «أحسنتم»، وهو خطأ.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر نسبتها له في معاني القرآن للفراء (١/ ٢٥٧)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٢٥٤).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لعيسى وأبي السمال في مختصر الشواذ (ص: ٣١)، وللسلمي في تفسير الثعلبي (٣/ ٢٥٤)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٠١)، وللكل في البحر المحيط (٣/ ٥١٩).

(٤) تهذيب المدونة (٣/ ٦٣١).

(٥) سقط من الأصل، وفي المطبوع: «ما لم يحتفظ له سلفة...» إلخ، وانظر المبسوط للسرخسي (٢٤/ ٣٠٠).

(٦) في فيض الله ونور العثمانية: «التوقيت»، وفي السليمانية: «الوقت»، بدل «التوقيف».

(٧) الكتاب (٣/ ٦٠-٦١).

واحتج الخليل على منع[١] شرطيتها بحصول ما بعدها، ألا ترى أنك تقول: أجيئك إذا احمر البُسْر، ولا تقول: إن احمرَّ البُسْر[٢].

وقال الحسن وقتادة: الرشد في العقل والدين[٣].

وقال ابن عباس: بل في العقل وتدبير المال لا غير[٤]، وهو قول ابن القاسم في مذهبنا، والرواية الأخرى: إنه في العقل والدين؛ مروية عن مالك[٥].

وقالت فرقة: دفع الوصي المال إلى المحجور يفتقر إلى أن يرفعه إلى السلطان، ويثبت عنده رشده، أو يكون ممن يأمنه الحاكم في مثل ذلك.

وقالت فرقة: ذلك مَوْكُول إلى اجتهاد الوصي[٦]، دون أن يحتاج إلى رفعه إلى السلطان.

قال القاضي أبو محمد: والصواب في أوصياء زمننا ألَّا يستغنى[٧] عن رفعه إلى السلطان وثبوت الرشد عنده؛ لما حفظ من تواطؤ الأوصياء على أن يرشد الوصي، ويبرأ المحجور لسفهه وقلة تحصيله في ذلك الوقت.

وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ﴾ الآية، نهي من الله تعالى للأوصياء عن أكل أموال اليتامى بغير الواجب المباح لهم.

---

(١) في الأصل: «معنى».

(٢) ذكر ما احتج به الخليل سيبويه في الكتاب (٣/ ٦٠).

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٥٧٦).

(٤) رواه الطبري (٧/ ٥٧٦)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وهذا إسناد منقطع فيما بين علي بن أبي طلحة، وابن عباس، كما مر ذكره.

(٥) انظر المقدمات الممهدات (٢/ ٣٤٥).

(٦) في السليمانية: «القاصر» بدل: «الوصي».

(٧) في المطبوع: «يتسنى».

و«الإِسراف»: الإِفراط في الفعل، والسرف: الخطأ في مواضع الإِنفاق، ومنه قول الشاعر:

.... مَا فِي عَطَائِهِمُ مَنٌّ وَلا سَـرَفُ[١] [البسيط]

أي: لا يخطئون مواضع العطاء.

﴿وَبِدَارًا﴾: معناه: مبادرة كِبَرهِم؛ أي: أن الوصيّ يستغنم مال محجوره، فيأكل ويقول: أبادرُ كبَره؛ لئلا يرشد ويأخذ ماله، قاله ابن عباس وغيره[٢].

و﴿أَن يَكْبَرُواْ﴾ نصب بـ(بِداراً)، ويجوز أن يكون التقدير: مخافةَ أن.

وقوله: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ الآية، يقال: عفَّ الرجل عن الشيء، واستعفَّ: إذا أمسك، فأمر الغنيَّ بالإِمساك عن مال اليتيم، وأباح الله للوصي الفقير أن يأكلَ من مال يتيمه بالمعروف.

واختلف العلماء في حدِّ المعروف:

فقال عمر بن الخطاب وابن عباس وعبيدة وابن جبير والشعبي ومجاهد وأبو العالية: إن ذلك القرضُ؛ أن[٣] يتسلفَ من مال يتيمه، ويقضي/ إذا أيسر، ولا يتسلف [١/ ٢٩١]
أكثرَ من حاجته[٤].

وقال ابن عباس ـ أيضاً ـ وعكرمة والسدي وعطاء: روي عن عمر رضي الله عنه

(١) عجز بيت لجرير، وصدره: أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية، انظر عزوه له في: طبقات فحول الشعراء (٢/ ٤٢٠)، والاشتقاق (ص: ٤٠)، وإصلاح المنطق (ص: ٥٤)، والشعر والشعراء (١/ ٤٦٠)، والعقد الفريد (١/ ٣٣١)، والأغاني (٨/ ٧٣).

(٢) رواه الطبري (٧/ ٥٨٠)، بنفس السند السابق ذكره.

(٣) في فيض الله ونور العثمانية والسليمانية: «أي: ليستلف» بدل: «أن يستلف»، وفي نجيبويه: «أي: يتسلف»، وفي جار الله: «ليستسلف».

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٥٨٤ – ٥٨٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٠).

أنه قال: إني نُزِّلتُ من مال الله منزلةَ والي اليتيم، إن استغنيتُ استعففتُ، وإن احتجتُ أكلتُ بالمعروف، فإذا أيسرت قضيت[١].

وروي عن إبراهيم وعطاء وغيرهما: أنه لا قضاء على الوصي الفقير فيما أكل بالمعروف[٢]، قال الحسن: هي طعمة من الله له، وذلك أن يأكل ما يقيمه[٣] أكلاً بأطراف الأصابع، ولا يكتسي منه بوجه، وقال إبراهيم النخعي ومكحول: يأكل ما يقيمه ويكتسي ما يستر عورته، ولا يلبس الكَتَّانَ والحلل[٤].

وقال ابن عباس وأبو العالية والحسن والشعبي: إنما يأكل الوصي بالمعروف إذا شرب من اللبن، وأكل من التمر، بما يهنأ الجربى، ويَلِيط الحوض، ويـجُدُّ التمر، وما شابهه[٥].

وقالت فرقة: المعروف أن يكون له أجر بقدر عمله وخدمته.

وقال الحسن بن حي: إن كان وصيَّ أب؛ فله الأكل بالمعروف، وإن كان وصيَّ حاكم؛ فلا سبيل له إلى المال بوجه[٦].

وقال ابن عباس والنخعي: المراد أن يأكل الوصي بالمعروف من ماله؛ حتى لا يحتاج إلى مال اليتيم[٧].

---

(١) زاد في جار الله: «بالمعروف»، أما أثر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرواه الطبري (٧/ ٥٨٢)، من طريق سفيان وإسرائيل، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مضرب، عن عمر به، وهذا إسناد صحيح إن سلم من تدليس أبي إسحاق، وأما أثر ابن عباس رضي الله عنهما فرواه الطبري (٧/ ٥٨٢)، بإسناد فيه حماد بن أبي سليمان، وهو ضعيف الحديث، وانظر للباقين تفسير الطبري (٧/ ٥٩٢).

(٢) وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٠)، وتفسير الطبري (٧/ ٥٩٢).

(٣) في فيض الله والسليمانية: «يقيته» بدل: «يقيمه».

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٥٨٧)، وتفسير الماوردي (١/ ٤٥٤)، وتفسير الجصاص (١/ ٣٦٠).

(٥) رواه الطبري (٧/ ٥٨٨)، من طريق الثوري، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن ابن عباس، رضي الله عنهما به، وهذا إسناد صحيح، وانظر أيضاً تفسير الماوردي (١/ ٤٥٤)، وكلمة: التمر كتبت في بعض النسخ: «الثمر»، بثاء مثلثة في الموضعين.

(٦) انظر تفسير البحر المحيط (٣/ ١٨١).

(٧) أثر ابن عباس رواه الطبري (٤/ ١٦٧)، من طريق سفيان، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس، =

وقال ربيعة بن أبي عبد الرحمن: المراد اليتامى في الحالين[١]؛ أي: من كان منهم غنياً فليعف بماله، ومن كان فقيراً فليتقتر عليه بالمعروف والاقتصاد.

وقوله: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ﴾ الآية، أَمرٌ من الله بالتحرز والحزم، وهذا هو الأصل في الإِشهاد في المدفوعات كلها، إذا كان حبسها أولاً معروفاً.

وقالت فرقة: الإِشهاد هاهنا فرض، وقالت فرقة: هو ندب إلى الحزم.

وروى عمر بن الخطاب وابن جبير: أن هذا دفع ما يستقرضه الوصي الفقير إذا أيسر[٢]، واللفظ يعمُّ هذا وسواه.

و«الحسيبُ» هنا: المحسب؛ أي: هو كافٍ من الشهود، هكذا قال الطبري، والأظهر أن: ﴿حَسِيبًا﴾ معناه: حاسباً أعمالكم، ومجازياً بها[٣]، ففي هذا وعيد لكلِّ جاحد حقٍّ.

قوله عز وجل: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾.

سمى الله عز وجل الأب والداً؛ لأن الولد منه ومن الوالدة، كما قال الشاعر:

.... بحيْثُ يَعْتَشُّ الغُرَابُ البائِضُ[٤] [الرجز]

لأن البيض من الأنثى والذكر.

= رضي الله عنهما به، وهذا إسناد صحيح لو سلم من تدليس الحكم بن عتيبة.

(١) تفسير البحر المحيط (٣/ ١٨١).

(٢) لم أقف عليهما، وفي فيض الله ونور العثمانية والسليمانية وجار الله: «رأى» بدل: «روى»، وفي المطبوع: «جبيرة».

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٥٩٦).

(٤) الرجز لأبي محمد الفقعسي يصف فحل إبله كما في الحيوان للجاحظ (٣/ ٢١٨).

قال قتادة وعكرمة وابن زيد: وسبب هذه الآية: أَن العرب كان منها من لا يورث النساء [ويقول: لا يرث][١] إلا من طاعن بالرمح، وقاتل بالسيف، فنزلت هذه الآية[٢].

قال عكرمة: سببها خبر أم كحْلة[٣]، مات زوجها، وهو أوس بن سويد[٤]، وترك لها بنتاً، فذهب عم بنتها[٥] إلى أَلَّا ترث، فذهبت إلى النبي ﷺ، فقال العم: هي يا رسول الله لا تقاتلُ، ولا تحمل كَلًّا، ويكسب عليها، ولا تكسب[٦]، واسم العم ثعلبة فيما ذكر.

و﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: نصب على الحال، كذا قال مكي[٧]، وإِنما هو اسم نصب كما ينصب المصدر في موضع الحال، تقديره: فرضا؛ ولذلك جاز نصبه، كما تقول: لك علي كذا وكذا حقاً واجباً، ولولا معنى المصدر الذي فيه ما جاز في الاسم الذي ليس بمصدر هذا النصب، ولكان حقه الرفع.

وقوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ الآية، اختلف المتأولون فيمن خوطب بهذه الآية على قولين:

أَحدهما: أَنها مخاطبة للوارثين، والمعنى: إِذا حضر قسمتكم المال موروثكم هذه الأَصناف الثلاثة؛ فارزقوهم منه، ثم اختلف قائلو هذا القول؛ فقال سعيد بن المسيب وأَبو

---

(١) في جار الله: «وكان منها من لا يورث».

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٥٩٧ - ٥٩٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٢).

(٣) كذا في تفسير الطبري، وحكاه أبو موسى عن المستغفري، والأكثر أنها أم كجة الأنصارية، وزوجها أوس بن ثابت، الإصابة (٨/ ٤٥٧).

(٤) أوس بن سويد الأنصاري، ذكره الباوردي في الصحابة، وأخرج من طريق ابن جريج أن الآية نزلت فيه، الإصابة (١/ ٣٠٢).

(٥) في المطبوع والأصل: «ترك لها بنين، فذهب عم بنيها».

(٦) رواه الطبري (٧/ ٥٩٨)، وابن أبي حاتم (٤٨٤٤)، من طريق ابن جريج، عن عكرمة، به معضلاً. وكذلك فإن ابن جريج لم يلق عكرمة، انظر جامع التحصيل (٤٧٢).

(٧) انظر: مشكل إعراب القرآن للقيسي (١/ ١٩٠)، وكذا قول الزجاج معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٥).

مالك والضحاك، وابن عباس فيما حكى عنه المهدوي: نسخ ذلك بآية المواريث[١].

وكانت هذه قسمة قبل المواريث، فأعطى الله بعد ذلك كل ذي حق حقه، وجعلت الوصية للذين يحزنون ولا يرثون.

وقال ابن عباس[٢] والشعبي ومجاهد وابن جبير: ذلك محكم لم ينسخ.

وقال ابن جبير: وقد ضيع الناس هذه الآية، قال الحسن: ولكن الناس شَحُّوا، وامتثل ذلك جماعة من التابعين: عروة بن الزبير وغيره[٣]، وأمر به أبو موسى الأشعري[٤].

واختلف القائلون بإِحكامها؛ فقالت فرقة: ذلك على جهة الفرض والوجوب؛ أن يعطي الورثة لهذه الأَصناف ما تَفُهَ وطابت به نفوسهم؛ كالماعون والثوب الخَلَق، وما خفَّ، كالتابوت، وما تعذر قسمه.

وقال ابن جبير والحسن: ذلك على جهة الندب، فمن تركه فلا حرج عليه[٥].

واختلف في هذا القول إِذا كان الوارث صغيراً لا يتصرف في ماله:

فقال سعيد بن جبير وغيره: هذا على وجه المعروف فقط[٦]، يقوله ولي الوارث دون عطاء ينفذ، وقالت فرقة: بل يعطي وليُّ الوارثِ الصغير من مال محجوره بقدر ما يرى.

والقول الثاني فيمن خوطب بها: أَن الخطاب للمحتضرين الذين يقسمون أموالهم بالوصية، فالمعنى: إِذا حضركم الموت أيها المؤمنون، وقسمتم أموالكم

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٩ - ١٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٥)، حكاه ابن العربي في الأحكام (١/ ٤٢٨)، عن سعيد وقتادة.

(٢) أما أثر ابن عباس، رضي الله عنهما، فأخرجه البخاري (٤٣٠٠).

(٣) انظر أقوالهم كلها في تفسير الطبري (٨/ ١٣) وما بعدها.

(٤) رواه الطبري (٧٨/ ١٤)، بإسناد صحيح.

(٥) نقله النحاس في الناسخ والمنسوخ (١ / ٣٠٣) عن عبيدة وعروة وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء والحسن والزهري والشعبي ويحيى وابن يعمر، وهو مروي عن ابن عباس.

(٦) تفسير الطبري (٨/ ١٨).

بالوصية، وحضركم من لا يرث من ذي القرابة واليتامى؛ فارزقوهم منه.

قال ابن عباس وسعيد بن المسيب وابن زيد: كانوا يقولون للوصي: فلان يقسم ماله[١]، ومعنى ﴿حَضَرَ﴾: شهد، إلا أن الصفة بالضعف واليُتْم والمسكنة تقضي أَن ذلك هو علة الرزق، فحيث وجدت رزقوا وإن لم يحضروا القسمة.

و﴿أُوْلُواْ﴾: اسم جمعٍ لا واحد له من لفظه، ولا يكون إلا مضافاً للإبهام الذي فيه، وربما كان واحدُه من غير لفظه: (ذو).

و«اليُتْم»: الانفراد، واليتيم: الفرد، وكذلك سمي من فَقَد [أمه و][٢] أَباه يتيماً لانفراده، ورأى عبيدة ومحمد بن سيرين أَنَّ الرزق في هذه الآية أَنْ يُصنع لهم طعام يأكلونه، وفعلا ذلك: ذبحَا شاة من التركة[٣].

والضمير في قوله: ﴿فَٱرْزُقُوهُم﴾، وفي قوله: ﴿لَهُمْ﴾: عائد على الأصناف الثلاثة، وغير ذلك من تفريق عود الضميرين ـ كما ذهب إليه الطبري[٤] ـ تحكُّم.

[١/ ٢٩٢] و«القول المعروف»: كل ما يؤنس به / من دعاء أو عدةٍ أو غير ذلك.

وقوله: ﴿وَلْيَخْشَ﴾ جزم بلام الأمر، ولا يجوز إضمار هذه اللام عند سيبويه[٥]؛ قياساً على حروف الجر إلا في ضروة شعر، ومنه قول الشاعر:

[الوافر] مُحَمَّدُ تَفْدِ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ إذَا مَا خِفْتَ مِنْ أمرٍ تَبَالا[٦]

---

(١) رواه الطبري (٨/ ١٠)، بإسناد فيه عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما به، وهذا إسناد ضعيف، من أجل عطية العوفي، فهو ضعيف، شيعي، مدلس، وقد عنعنه.
(٢) زيادة من فيض الله.
(٣) تفسير الطبري (٨/ ١٧-١٨).
(٤) المصدر السابق (٨/ ١٣).
(٥) الكتاب (٣/ ٨).
(٦) البيت لأبي طالب كما في شذور الذهب (ص: ٢٧٥)، وفي خزانة الأدب (١/ ١١): أنه ينسب لحسان،=

وقرأ أَبو حَيْوة[١] وعيسى بن عمر والحسن والزهري: بكسر لامات الأمر في هذه الآية[٢].

وقد تقدم الكلام على لفظ ﴿ذُرِّيَّةً﴾ في سورة آل عمران.

ومفعول (يخشى) محذوف؛ لدلالة الكلام عليه، وَحَسُنَ حذفه من حيث يتقدر فيه التخويف بالله تعالى، والتخويف بالعاقبة في الدنيا، فينظر كل متأول بحسب الأَهم في نفسه.

وقرأ أبو عبد الرحمن وأبو حَيْوة والزهري وابن مُحيصن وعائشة: (ضُعَفاءَ) بالمد وضم الضاد[٣]، وروي عن ابن مُحيصن: (ضُعُفاً) بضم الضاد والعين وتنوين الفاء[٤].

وأمال حمزة ﴿ضِعَـٰفًا﴾، وأَمال ﴿خَافُواْ﴾[٥]، والداعي إلى إمالة ﴿خَافُواْ﴾ الكسرة التي في الماضي في قولك: خِفت، لتدل عليها.

و﴿خَافُواْ﴾ جواب ﴿لَوْ﴾ تقديره: لو تركوا لخافوا، ويجوز حذف اللام في جواب «لو»، تقول: لو قام زيد لقام عمرو، ولو قام زيد قام عمرو.

واختُلف من المراد بهذه الآية:

فقال ابن عباس[٦] وقتادة والسدي وابن جبير والضحاك ومجاهد: المراد مَن

= وهو في معاني القرآن للأخفش (١/ ٨٢)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٨)، بلانسبة، وفي المطبوع: «من شيء»، بدل: «أمر».

(١) في جار الله: «حمزة».

(٢) وهي قراءة شاذة انظر: إتحاف فضلاء البشر (١/ ٢٣٧)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/ ١٨٥).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ ص: (٣١)، وتفسير الكشاف (١/ ٥٠٩)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/ ١٨٦).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: إتحاف فضلاء البشر (١/ ٢٣٧).

(٥) وهي سبعية متواترة، انظر: التيسير في القراءات السبع (١/ ٤٣).

(٦) رواه الطبري (٨/ ١٠)، من طريق ابن المبارك، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم بن محمد، عن ابن عباس، رضي الله عنهما به، وهذا إسناد صحيح لو سلم من تدليس ابن جريج؛ فقد عنعنه.

حضر ميتاً حين يوصي فيقول له: قدِّم لنفسك، وأَعط لفلان وفلانة، ويؤذي الورثة بذلك[١]، فكأن الآية تقول لهم: كما كنتم تخشون على ورثتكم وذريتكم بعْدكم؛ فكذلك فاخْشَوْا على ورثةِ غيركم وذريته، ولا تحملوه على تبذير ماله، وتركهم عالة.

وقال مِقْسم وحضرمي: نزلت في عكس ذلك، وهو أن يقول للمحتضر: أمسك على ورثتك، وأبق لِولدك، وينهاه عن الوصية، فيضرُّ بذلك ذوي القربى وكلَّ من يستحق أن يوصى له، فقيل لهم: كما كنتم تخشون على ذريتكم وتسرون بأن يحسن إِليهم؛ فكذلك فسددوا القول في جهة المساكين واليتامى، واتقوا الله في ضرهم[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذان القولان لا يطَّردُ واحدٌ منهما في كلِّ الناس، بل الناس صنفان: يصلح لأحدهما القول الواحد، وللآخر القول الثاني.

وذلك أَن الرجل إذا ترك ورثةً مستقلين بأنفسهم أَغنياءَ؛ حَسُنَ أن يُنْدَبَ إِلى الوصية، ويحملَ على أن يقَدِّمَ لنفسه، وإذا ترك ورثةً ضعفاء مقلِّين؛ حسن أَن يندبَ إِلى الترك لهم والاحتياط، فإِن أجره في قَصْدِ ذلك كأجره في المساكين، فالمراعى إنما هو الضعف، فيجب أَن يمال معه.

وقال ابن عباس أيضاً: المراد بالآية: وُلاة الأَيتام[٣]، فالمعنى: أحسنوا إِليهم، وسدّدوا القولَ لهم، واتقوا الله في أَكْل أموالهم، كما تخافون على ذريتكم أن يفعل بهم خلاف ذلك.

وقالت فرقة: بل المراد جميع الناس، فالمعنى: أمرهم باتقاء الله في الأَيتام وأولاد الناس وإن لم يكونوا في حجورهم، وأن يسدِّدوا لهم القولَ كما يريد كل أحدٍ أَن يفعل بولده بعده.

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٢٠-٢٢).

(٢) المصدر السابق (٨/ ٢٢-٢٣).

(٣) رواه الطبري (٨/ ١٩)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وهذا إسناد ضعيف مرسل، علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، قاله دُحيم وأبو حاتم الرازي، انظر المراسيل لابن أبي حاتم (٥٠٧، ٥٠٨).

ومن هذا ما حكاه الشيباني قال: كنا على قُسْطنْطينيَّة في عسكر مسْلَمة بن عبد الملك[١]، فجلسنا يوماً في جماعة من أهل العلم فيهم الدَّيْلميُّ[٢]، فتذاكروا ما يكونُ من أهوال آخر الزمان، فقلت له: يا أبا بُسر[٣]، ودِّي أَلَّا يكون لي ولد، فقال لي: ما عليك، ما من نسمة قضى الله بخروجها من رجل إِلا خرجت، أحبَّ أو كره، ولكن إِن أَردت أَن تأمن عليهم؛ فاتَّقِ الله في غيرهم، ثم تلا هذه الآية[٤].

و«السَّديد»: معناه: المصيب للحق، ومنه قول الشاعر:

أعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ ... فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي[٥] [الوافر]

معناه: لما وافق الأغراض التي يرمي إليها.

قوله تعالى: / ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ...﴾. [١/ ٢٩٣]

---

(١) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأمير أبو سعيد، الأموي، ويسمى الجرادة الصفراء، سمع عمر بن عبد العزيز، روى عنه معاوية بن صالح، وجماعة، وكان بطلاً شجاعاً مهيباً، له آثار حميدة في الحروب، توفي سنة (١٢٠هـ)، تاريخ الإسلام (٧/ ٤٦٨).

(٢) في فيض الله والسليمانية وجار الله: «ابن الديلمي»، وفي نجيبويه: «أبو الديلمي»، وهو عبد الله بن فيروز الديلمي أبو بسر، بالمهملة على الراجح، وأبوه صحابي معروف، ووثقه ابن معين وغيره، توفي قبل المئة، تاريخ الإسلام (٦/ ١٢٠)، والإصابة القسم الرابع (٥/ ١٥٧).

(٣) في نور العثمانية وجار الله: «بشر»، وهو قول البخاري ومسلم كما في تاريخ الإسلام (١٩/ ٢٥٨)، وفي نجيبويه: «يسر»، وهو خطأ.

(٤) تفسير القرطبي (٥/ ٥١).

(٥) البيت لمعن بن أوس المزني كما في البيان والتبيين (٣/ ١٥٧)، وحماسة الخالديين (ص: ٤٦)، والحماسة البصرية (١/ ٣٦)، ونسبه ابن دريد في الاشتقاق (ص: ٥٤٢)، والبكري في شرح كتاب الأمثال (ص: ٤٢٠) لمالك بن فَهمٍ الدوسي ثم الأزدي، وفي تاج العروس (٨/ ١٧٨)، ولسان العرب (٣/ ٢٠٨)، عن ابن بري قال: رأيته في شعر عقيل بن علفة.

قال ابن زيد: نزلت في الكفار الذين كانوا لا يُورِّثون النساء والصغار، ويأكلون أموالهم[١].

وقال أكثر الناس: نزلت في الأوصياء الذين يأكلون ما لم يُبَحْ لهم من مال اليتيم، وهي تتناول كلَّ آكِلٍ وإن لم يكن وصيّاً.

وسمي آخذُ المال على كلِّ وجوهه آكلاً، لما كان المقصود هو الأكل، وبه أكثر الإتلاف للأَشياء.

وفي نصه على البطون من الفصاحة تبيين نقصهم، والتشنيع عليهم بضدّ مكارم الأَخلاق، من التهافت بسبب البطن، وهو أنقص الأسباب وألأمها، حتى يدخلوا تحت الوعيد بالنار.

و﴿ظُلۡمًا﴾ معناه: ما جاوز المعروف مع فقر الوصي، وقال بعض العلماء: المعنى: إنه لما يؤول أكلهم للأموال إلى دخولهم النار؛ قيل: يَأْكُلُونَ النار.

وقالت طائفة: بل هي حقيقة أَنهم يَطْعَمُونَ النار، وفي ذلك أحاديث، منها حديث أبي سعيد الخدري قال: حدثنا النبي ﷺ عن ليلة أسري به قال: «رأيت أقواماً لهم مشافِرُ كمَشافِرِ الإبل، وقد وكِّل بهم من يأخذ بمَشافِرِهم، ثم يجعل[٢] في أفواههم صخراً من نار يخرج من أسافلهم، قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال هم الَّذين يأْكُلون أَموالَ الْيتامى ظُلماً»[٣].

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَسَيَصۡلَوۡنَ﴾ على إسناد الفعل إليهم.

---

(١) رواه عنه الطبري في تفسيره (٧/ ٥٩٩).

(٢) في النسخة الحمزوية: «تحمل».

(٣) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (٧/ ٢٧)، و(١٧/ ٣٤٤)، وابن أبي حاتم (٤٨٨٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٩٠)، من طريق أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري به، وأبو هارون العبدي هو: عمارة بن جُوين، متروك، ومنهم من كذبه، وانظر التقريب (٤٨٧٤).

وقرأ ابن عامر بضم الياء، واختُلف عن عاصم[١].

وقرأ أَبو حَيْوة: (وسيُصَلّون) على بناء الفعل للمفعول، بضم الياء وفتح الصاد وشد اللام على التكثير.

وقرأ ابن أَبي عبلة: (وسيُصْلُون) بضم الياء واللام[٢]، وهي ضعيفة.

والأول أصوب؛ لأنه كذلك جاء في القرآن في قوله: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ [الليل: ١٦]، وفي قوله: ﴿صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٣]، والصَّلَى: هو التسخُّن بقرب النار، أو بمباشرتها، ومنه قول الحارث بن عباد:

لَـمْ أَكُـنْ مِـنْ جُنَاتِهَـا عَلِـمَ اللهُ   وَإِنِّـي بِحَرِّهَـا الْيَـوْمَ صَالِـي[٣] [الخفيف]

والمحترق الذي يُذهبه الحرق ليس بصال إِلا في بدء أَمره، وأهل جهنم لا تذهبهم فهم فيها صالون، و«السعير»: الجمر المشتعل.

وهذه آية / من آيات الوعيد، والذي يعتقده أهل السنة: أن ذلك نافذٌ على بعض العصاة؛ لئلا يقع الخبر بخلاف مخبره، ساقط بالمشيئة عن بعضهم. [١/ ٢٩٤]

وتلخيص الكلام في المسألة: إِن الوعد في الخير، والوعيد في الشر، هذا عرفهما إِذا أُطلقا، وقد يستعمل الوعد في الشر مقيداً به، كما قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الحج: ٧٢].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٢٢٧)، والتيسير (ص: ٩٤).

(٢) انظر قراءة أبي حيوة في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٠٢)، ومختصر الشواذ (ص: ٣١)، والشواذ للكرماني (ص: ١٣١)، وعزاها في البحر المحيط (٣/ ٥٣١) لابن أبي عبلة، ولعله وهم منه، وتبع المصنف في نقل القراءة الثانية عنه السمين في الدر المصون (٣/ ٥٩٥).

(٣) انظر عزوه له في الأصمعيات (ص: ٧١)، والأغاني (٥ / ٥٣)، والكامل للمبرد (٢/ ١٧٢)، والحيوان (١/ ٢٢)، والعقد الفريد (٦/ ٧٧)، والحارث كان من سادة بني بكر، دخل الحرب بعد قتل ابنه بجير، وله فيها مواقف مشهورة.

فقالت المعتزلة: آيات الوعد كلها في التائبين والطائعين، وآيات الوعيد في المشركين والعصاة بالكبائر، وقال بعضهم: وبالصغائر.

وقالت المرجئة: آيات الوعد كلها فيمن اتصف بالإيمان الذي هو التصديق، كان من كان من عاص أو طائع.

وقلنا[١] أهلَ السنة والجماعة: آيات الوعد في المؤمنين الطائعين، ومن حازته المشيئة من العصاة، وآيات الوعيد في المشركين ومن حازه الإنفاذ[٢] من العصاة[٣]، والآية الحاكمة بما قلناه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

فإن قالت المعتزلة: لمن يشاء؛ يعني: التائبين، رد عليهم بأن الفائدة في التفضيل كانت تنفسد، إذ الشرك أيضاً يُغْفَر للتائب، وهذا قاطع بحكم قوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ بأن ثَم مغفوراً له وغير مغفور، واستقام المذهب السني.

وقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ﴾ يتضمن الفرض والوجوب، كما تتضمنه لفظة «أمر» كيف تصرفت، وأما صيغة الأمر من غير اللفظة، ففيها الخلاف الذي سيأتي موضعه إن شاء الله، ونحو هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقيل: نزلت هذه الآية بسبب بنات سعد بن الربيع[٤].

---

(١) في الحمزوية وجار الله: «وقال»، وفي نجيبويه: «قالت»، فيكون: «أهل» مرفوعاً فيهما على الفاعلية، أما هنا فمنصوب على الاختصاص.

(٢) في فيض الله: «الإبعاد».

(٣) انظر عزو المذاهب الثلاثة لأهلها في: شرح المقاصد (٢/ ٢٢٨-٢٢٩)، و(٢٣٠-٢٣٧).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٢-٣٧٤)، وأبو داود (٢٨٩١-٢٨٩٢)، والترمذي (٢٠٩٢)، وابن ماجه (٢٧٢٠)، وأبو يعلى في مسنده (٢٠٣٩)، والدارقطني في سننه (٤٠٩٣-٤٤٩٥-٤٠٩٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٨٩٢-٤٩٣٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٧٠-٣٨٠)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٢١٦)، من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما =

وقال السدي: نزلت بسبب بنات عبد الرحمن بن ثابت[١] أخي حسان بن ثابت[٢].

وقيل: بسبب جابر بن عبد الله إذ عاده[٣] رسول الله ﷺ في مرضه، قاله[٤] جابر ابن عبد الله: وذكر أَن أهل الجاهلية كانوا لا يورثون إِلا من لاقى الحروب وقاتل العدو، فنزلت الآيات تبييناً أن لكلِّ أنثى وصغير[٥] حظَّه[٦].

وروي عن ابن عباس: أَن نزول ذلك كان من أجل أن المال كان للولد، والوصية للوالدين، فنسخ ذلك بهذه الآيات[٧].

و﴿مِثْلُ﴾: مرتفع بالابتداء، أَو بالصفة، تقديره: حظُّ مثل حظِّ الأنثيين[٨].

وقرأ إِبراهيم بن أَبي عبلة: (في أَولادكم أنّ للذَّكر)[٩].

= قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ بابنتيها من سعد فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قتل أبوهما معك في أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً، ولا ينكحان إلا ولهما مال، قال: فقال: «يقضي الله في ذلك»، قال: فنزلت آية الميراث، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمهما فقال: «أعط ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن، وما بقي فهو لك»، وابن عقيل في حفظه لين، وذكر الترمذي أنه لا يعرفه إلا من حديثه، قال ابن الملقن في البدر المنير (٧/ ٢١٣): ونقل عبد الحق: أن الترمذي صححه، ورأيته في النسخ المعتمدة مضروباً على ذلك.اهـ.

(١) قال في الإصابة (٤/ ٢٤٨): عبد الرحمن بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري الخزرجي، أخو حسان، قال السدي في تفسيره: مات في عهد النبي ﷺ وترك امرأة وخمسة إخوة، ... قلت: ولم أره لغيره، ولا ذكر أهل النسب لحسان أخاً اسمه عبد الرحمن.

(٢) انظر عزوه له في زاد المسير (١/ ٣٧٨).

(٣) في جار الله ونور العثمانية ونجيبويه: «دعاه».

(٤) في المطبوع والأصل: «قاله».

(٥) في النسخة الحمزوية: «ذكر».

(٦) صحيح البخاري (١٩١)، من طريق محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله به.

(٧) صحيح البخاري (٢٥٩٦)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٨) «الأنثيين»: زيادة من السليمانية.

(٩) انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ١٣٠)، وذكر في (أن) عنه التشديد والتخفيف.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾ الآية، الأولاد لفظ يجمع الذكران والإناث، فلما أراد بهذه الآية أن يخصَّ الإناث بذكر حكمهن؛ أنَّثَ الفعلَ للمعنى، ولو اتبع لفظ الأولاد لقال: كانوا، واسم (كان) مضمر، وقال بعض نحويي البصرة: تقديره: وإن كن المتروكات نساء[١].

وقوله: ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ معناه: اثنتين فما فوقهما، تقتضي ذلك قوة الكلام، وأما الوقوف مع اللفظ فيسقط معه النص على الاثنتين، ويثبت الثلثان لهما بالإجماع الذي مرت عليه الامصار والأَعصار، ولم يحفظ فيه خلاف[٢]، إلا ما روي عن عبد الله بن عباس: أَنه يرى لهما النصف[٣].

ويثبت أيضاً ذلك لهما بالقياس على الأختين المنصوص عليهما[٤].

ويثبت ذلك لهما بالحديث الذي ذكره الترمذي: أَن رسول الله ﷺ قضى للابنتين بالثلثين[٥].

ومن قال: ﴿فَوْقَ﴾: زائدة، واحتج بقوله تعالى: ﴿فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال: ١٢]؛ يريد: اضربوا منهم الأعناق، فقوله خطأٌ؛ لأن الظروف وجميع الأسماء لا يجوز في كلام العرب أن تزاد[٦] لغير معنى، ولأن قوله: ﴿فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ هو الفصيح، وليست: ﴿فَوْقَ﴾ زائدة، بل هي محكمة المعنى؛ لأَن ضربة العنق إنما يجب أن تكون فوق العظام في المفصل دون الدماغ، كما قال دريد بن الصمة: «اخفض عن الدماغ وارفع عن العظم، فهكذا كنت أَضرب أعناق الأَبطال»[٧].

---

(١) انظر: معاني القرآن للأخفش (١ / ٢٤٨)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١ / ١٩١).

(٢) انظر نقل هذا الإجماع في الأوسط لابن المنذر (٧/ ٣٨١)، والإقناع في مسائل الإجماع (٣/ ١٤٠٩).

(٣) الاستذكار (٥/ ٣٢٣)، قال ابن عبد البر: إنها رواية شاذة مخالفة برواية أخرى عنه بأن للبنتين الثلثين هي الأصح.

(٤) انظر قياس البنتين على الأختين في أخذ الثلثين من الميراث في الاستذكار (٥/ ٣٢٤).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٠٩٢)، وهو حديث عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر، الذي سبق قريباً.

(٦) في المطبوع: «يراد»، بالراء.

(٧) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٤٥٣).

وقد احتج لأخذهما الثلثين بغير هذا، وكله معارض، قال إِسماعيل القاضي: إِذا كانت البنت تأخذ مع أخيها الثلث إِذا انفرد، فأَحْرى أن تأخذ ذلك مع أُختها[١]، قال غيره: وكما كان حكم الاثنين فما فوقهما من الإِخوة للأم واحداً؛ فكذلك البنات[٢].

وقال النحاس: لغة أهل الحجاز وبني أسد: الثُّلُث والربُعُ إلى العشر[٣].

وقد قرأ الحسن ذلك كله بإِسكان الأَوسط، وقرأه الأعرج[٤].

ومذهب الزجاج: أَنها لغة واحدة، وأَن سكون العين تخفيف[٥].

وإِذا أخذ بنات الصلب الثلثين؛ فلا شيء بعد ذلك لبنات الابن، إِلا أَن يكون معهن أخ لهن، أو ابن أخ، فيرد عليهن[٦]، وعبد الله بن مسعود لا يرى لهنّ شيئاً وإِن كان الأخ أو ابن الأخ، ويرى المال كله للذكر وحده دونهن[٧].

قوله تعالى: ﴿...وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ...﴾.

قرأ السبعة سوى نافع: ﴿وَٰحِدَةً﴾ بالنصب على خبر (كان).

وقرأ نافع: ﴿واحِدَةٌ﴾ بالرفع[٨] على أن (كان) بمعنى: وقع وحضر.

---

(١) أورد هذا الاستدلال بلا نسبة ابن العربي في: أحكام القرآن (١/ ٤٣٧).

(٢) نقل هذا الدليل الزرقاني في شرحه للموطأ (٣/ ١٣٤)، ولم ينسبه لأحد.

(٣) في كتابه إعراب القرآن (١/ ٢٠٤).

(٤) عزاها للحسن ولنعيم بن ميسرة، ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٣١)، وللأعرج في البحر المحيط (٣/ ٥٣٦).

(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٠).

(٦) انظر نقل الإجماع على ذلك في: الإجماع لابن المنذر (٢٨١-٢٨٤)، والإقناع (٢٦٢٩).

(٧) مذهب ابن مسعود ذكره ابن المنذر في الأوسط (٧/ ٣٨٦)، وأخرجه البيهقي في السنن (٦/ ٢٣٠).

(٨) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٩٤).

وقرأ أَبو عبد الرحمن السلمي: (النُّصف) بضم النون، وكذلك قرأه علي بن أَبي طالب وزيد بن ثابت في جميع القرآن[١].

وقوله: ﴿وَلَدٌ﴾؛ يريد: ذكراً أو أُنثى، واحداً أو جماعة، للصلب أو لولدٍ ذَكَر؛ فإِن ذلك كيف وقع يجعل فرض الأب السدس، وإن أخذ النصف في ميراثه [مع الابنة][٢]؛ فإِنما يأخذه بالتعصيب.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ﴾ الآية، المعنى: فإن لم يكن له ولدٌ، ولا ولَدُ ولَدٍ، ذكراً كان أَو أُنثى.

وقوله: ﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ تقتضي قوة الكلام: أنهما منفردان عن جميع أهل السهام من ولد وغيره، فعلى هذا يكون قوله: ﴿وَوَرِثَهُۥٓ﴾ حكماً لهما بالمال، فإِذا ذكر وَحُدَّ بعد ذلك نصيب أحدهما؛ أخذَ النصيب الآخر، كما تقول لرجلين: هذا المال بينكما، ثم تقول لأحدهما: أَنت يا فلان لك منه الثلث؛ فقد حددت للآخر منه الثلثين بنصِّ كلامك.

وعلى أن فريضتهما خلت من الولد وغيره يجيء قول أَكثر الناس: إن للأمّ مع الانفراد الثلث من المال كله، فإِن كان معها زوج كان للأم السدس، وهو الثلث بالإِضافة إِلى الأَب[٣].

[١/ ٢٩٥] وعلى/ أَن الفريضة خلت من الولد فقط يجيء قول شريح وابن عباس: إِن الفريضة إِذا خلت من الولد؛ أخذت الأم الثلثَ من المال كله مع الزوج، وكان ما بقي للأب، ويجيء على هذا قوله: ﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ منفردين أو مع غيرهما[٤].

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿فَلِإِمِّهِ﴾ بكسر الهمزة، وهي لغة حكاها سيبويه[٥]،

(١) كما تقدم في (سورة البقرة: ٢٣٧).

(٢) ليس في المطبوع.

(٣) انظر الأوسط لابن المنذر (٧/ ٣٨٩)، و(٣٩٤).

(٤) انظر عزو قول ابن عباس وشريح في: الأوسط لابن المنذر (٧/ ٣٩٦).

(٥) لم أقف على عزوه لسيبويه، وانظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٣).

وكذلك كسر الهمزة من قوله: ﴿في بطون إمهاتكم﴾[١]، و﴿في إمها﴾[٢]، و﴿في إم الكتاب﴾[٣]، وهذا كلُّه إذا وصلا إتباعاً للكسرة أو الياء التي قبل الهمزة.

وقرأ الباقون كل هذا بضمٍّ للهمزة، وكسر حمزة[٤] الميم من ﴿إِمِّهاتكم﴾ إتباعاً لكسر الهمزة، ومتى لم يكن وصل وياء أو كسرة؛ فالضم باتفاق[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ الإِخـوةُ يَحطُّون الأم إلى السدس ولا يأخذونه، أشقاء كانوا أو للأب أو للأم، وقال من لا يعد قوله إلا في الشذوذ: إنهم يحطُّون، ويأخذون ما يحطون لأنفسهم مع الأب، روي عن ابن عباس، وروي عنه خلافه مثل قول [الناس، والعلماء من الصحابة والتابعين يجمعون على أنهم لا يأخذون][٦] السدس الذي يحجبون الأم عنه[٧].

قال قتادة: وإنما أَخذ الأب دونهم؛ لأنه يَمُونهم، ويلي نكاحهم، والنفقةَ عليهم[٨].

قال القاضي أبو محمد: هذا في الأغلب.

ومجمعون على أن أخوين فصاعداً يحجبون الأمَّ عنه، إلا ما روي عن عبد الله بن عباس: أنَّ الأخوين في حكم الواحد، ولا يحجب الأمَّ أقل من ثلاثة[٩].

---

(١) (النجم: ٣٢).
(٢) (القصص: ٥٩).
(٣) (الزخرف: ٤).
(٤) في الأصل والمطبوع: «همزة»، قال في حاشية المطبوع: «هكذا في الأصل»، والعبارة بهذا قلقة، ولعلها: «حمزة» بدلاً من: «همزة».
(٥) وكلها سبعية، التيسير للداني (ص: ٩٤).
(٦) سقط من المطبوع.
(٧) انظر هذه الأقوال في الأوسط لابن المنذر: (٧/ ٣٩١).
(٨) رواه عنه الطبري (٧/ ٤٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٨٨٣)، وانظر الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٤٤٧).
(٩) انظر قول ابن عباس وقول الجمهور في: الاستذكار (٥/ ٣٣٠-٣٣١).

واستدلَّ الجميعُ بأن أقلَّ الجمع اثنان[١]؛ لأن التثنية جمع شيء إلى مثله[٢]، فالمعنى يقتضي أنها جمع، وذكر المفسرون أن العرب قد تأتي بلفظ الجمع وهي تريدُ التثنية[٣]، كما قال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨]، وكقوله في آية الخصم: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢١-٢٢]، وكقوله: ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ [طه: ١٣٠]، واحتجوا بهذا كله في أن الإِخوةَ يدخل تحته الأَخوان.

قال القاضي أبو محمد: وهذه الآيات كلها لا حجة فيها عندي على هذه الآية؛ لأنه قد تبين في كلِّ آية منها بالنص أَن المراد اثنان، فساغ التجوز بأن يؤتى بلفظ الجمع بعد ذلك؛ إِذ معك في الأُولى: ﴿يَحْكُمَانِ﴾، وفي الثانية: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾.

وأيضاً فالحكم قد يضاف إِلى الحاكم والخصوم، وقد يتسور مع الخصم غيرهما، فهم جماعة، وأما: ﴿ٱلنَّهَارِ﴾ في الآية الثالثة؛ فالألف واللام فيه للجنس، فإِنما أراد طرفي كل يوم.

وأما إِذا ورد لفظ الجمع ولم يقترن به ما يبين المراد؛ فإِنما يحمل على الجمع، ولا يحمل على التثنية؛ لأن اللفظ مالك للمعنى، وللبنية حقٌّ.

وذكر بعض من احتج لقول عبد الله بن عباس: إِنَّ بناء التثنية يدل على الجنس والعدد كبناء الإِفراد، وبناء الجمع يدل على الجنس ولا يدل على العدد، فلا يصح أن يدخل هذا على هذا[٤].

---

(١) قد نقل هذا الاستدلال ابن المنذر عن بعض المخالفين لعثمان في الأوسط (٧/ ٣٩٣-٣٩٤)، والخلاف في أقل الجمع مشهور فذهب الشافعي وأبو حنيفة إلى أن أقل الجمع ثلاثة، وذهب مالك وداود وآخرون إلى أن أقله اثنان، انظر: شرح مختصر الروضة للطُّوفي (٢/ ٤٩٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٩)، والكتاب لسيبويه (٢/ ٤٨-٤٩).

(٣) انظر تفسير الطبري (٧/ ٤٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٨٣).

(٤) انظر الاحتجاج لقول ابن عباس في: الاستذكار (٥/ ٣٣٠).

وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿يُوصِي﴾ بإِسناد الفعل إِلى الموروث؛ إذ قد تقدم له ذكر.

وقرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿يُوصى﴾ بفتح الصاد[١] ببنية الفعل للمفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (يُوَصَّى) بفتح الصاد وتشديدها[٢]، وكل هذا في الموضعين.

وقرأ حفص عن عاصم في الأولى بالفتح، وفي الثانية بالكسر[٣].

وهذه الآية إِنما قصد بها تقديم هذين الفضلين[٤] على الميراث، ولم يقصد بها ترتيبهما في أنفسهما؛ ولذلك تقدمت الوصية في اللفظ، والدَّيْن مقدم على الوصية بإِجماع[٥].

قال القاضي أبو محمد: والذي أقول في هذا: إِنه قدَّم الوصية؛ إِذ هي أقل لزوماً من الديْن، اهتماماً بها وندباً إليها، كما قال تعالى: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف: ٤٩]، وأيضاً قدَّمها من جهة أنها مضمنها الوصية التي هي كاللازم يكونُ لكلِّ ميت؛ إِذ قد حضَّ الشرع عليها، وأخَّر الدَّيْنَ لشذوذه، وأنه قد يكون ولا يكون، فبدأ بذكر الذي لا بد منه، ثم عطف بالذي قد يقع أحياناً، ويقوي هذا كونُ العطف بـ﴿أَوْ﴾، ولو كان الديْن راتباً؛ لكان العطف بالواو.

وقُدِّمت الوصية أيضاً؛ إذ هي حظُّ مساكين وضعافٍ، وأُخِّرَ الدَّيْن؛ إذ هو حظُّ غريم يطلبه بقوة، وهو صاحبُ حق له فيه، كما قال عليه السلام: «إِنَّ لصاحب الحق مقالاً»[٦].

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٩٤).
(٢) إتحاف فضلاء البشر (١/ ٢٣٨)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٠٣).
(٣) وكلها سبعية، انظر التيسير (ص: ٩٤).
(٤) في المطبوع: «الفعلين»، وفي نجيبويه: «الفصلين».
(٥) ممن نقل الإجماع في المسألة النووي، انظر: المجموع (١٦/ ٥٢).
(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٤٦٧)، ومسلم (٤١٩٤)، من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

وأجمع العلماء على أَنه ليس لأحد أن يوصي بأكثر من الثلث، واستحبَّ كثير منهم أَلَّا يبلغَ الثلث، وأن يغضَّ الناس إلى الربع ونحوه.

قوله تعالى: ﴿...ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١ ۞ وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖ...﴾.

﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ﴾: رفع بالابتداء، والخبر مضمر، تقديره: هم المقسوم عليهم، وهم المعطون، وهذا عرض[1] للحكمة في ذلك، وتأنيس للعرب الذين كانوا يورثون على غير هذه الصفة، و﴿لَا تَدۡرُونَ﴾ عامل في الجملة بالمعنى، ومعلَّق عن العمل في اللفظ بحسب المعمول فيه؛ إِذ الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله.

و﴿نَفۡعٗا﴾ قال مجاهد والسدي وابن سيرين: معناه: في الدنيا؛ أي: إذا اضطر إلى إِنفاقهم للحاجة، نحا إِليه الزجاج[2]، وقد ينفقون دون اضطرار.

وقال ابن عباس والحسن: في الآخرة؛ أي: بشفاعة الفاضل للمفضول[3]، وقال ابن زيد فيهما: واللفظ يقتضي ذلك[4].

و﴿فَرِيضَةٗ﴾: نصب على المصدر المؤكد؛ إِذ معنى: ﴿يُوصِيكُمُ﴾: يفرض عليكم.

وقال مكي وغيره: هي حال مؤكدة[5]، ذلك ضعيف.

والعامل: ﴿يُوصِيكُمُ﴾، و﴿كَانَ﴾: هي الناقصة، قال سيبويه: لما رأوا علماً

---

(١) في فيض الله: «غرض».

(٢) انظر تفسير مجاهد (١/ ١٤٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٨٤).

(٣) أخرجه الطبري (٧/ ٤٩)، وابن أبي حاتم (٤٩١٠)، من طريق علي بن أبي طلحة، عنه.

(٤) انظر تفسير الطبري (٧/ ٤٩).

(٥) الهداية لمكي (٢/ ١٢٤٥)، ومشكل إعراب القرآن له أيضاً (١/ ١٩٢).

وحكمة قيل لهم: إن الله لم يزل هكذا، وصيغة: ﴿كَانَ﴾ لا تعطي إلا المضيّ[١]، ومن المعنى بعدُ يعلم أن الله تعالى كان كذلك، وهو يكون، لا من لفظ الآية.

وقال قوم: ﴿كَانَ﴾: بمعنى وجد ووقع، و﴿عَلِيمًا﴾: حال، وفي هذا ضعف، ومن قال: ﴿كَانَ﴾: زائدة؛ فقوله خطأ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ الآية، الخطاب للرجال، و«الولد» هاهنا: بنو الصلب، وبنو ذكورهم وإن سَفَلوا، ذُكْراناً وإناثاً، واحداً فما زاد، هذا بإجماع من العلماء[٢].

قوله تعالى: ﴿...وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ / وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ...﴾. [١/ ٢٩٦]

و«الولد» في هذه الآية كما تقدم في الآية التي قبلها، و﴿ٱلثُّمُنُ﴾ للزوجة أو للزوجات، هن فيه مشتركات بإجماع[٣]، ويلحق العول فرضَ الزوج والزوجة، كما يلحق سائر الفرائض المسماة، إلا عند ابن عباس؛ فإنه قال: يعطيان فرضهما بغير عول[٤].

و«الكلالة»: مأخوذة من تكلل النسب؛ أي: أحاط، لأن الرجل إذا لم يترك والداً ولا ولداً؛ فقد انقطع طرفاه، وبقي أن يرثه من يتكلله نسبه؛ أي: يحيط به من نواحيه كالإكليل، وكالنبات إذا أَحاط بالشيء، ومنه: روض مُكَلَّلٌ بالزهر، والإكليل: منزل القمر يحيط به فيه كواكب، ومن الكلالة قول الشاعر:

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٥)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٠٢)، وفي السليمانية: «المعنى»، بدل: «المضي».

(٢) انظر نقل الإجماع في: الأوسط لابن المنذر (٧/ ٣٩٨)، والإقناع (٣/ ١٤١٥).

(٣) انظر نقل الإجماع في: الأوسط لابن المنذر (٧/ ٣٩٨)، والإقناع (٣/ ١٤١٥).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٥٩)، وانظر الأوسط لابن المنذر (٧/ ٤٢٥-٤٢٨)، والإقناع (٣/ ١٤٤٦).

[المتقارب] فــإِنَّ أَبَــا الــمــرْءِ أَحْــمَــى له ومَوْلَـى الكَلالَـة لا يَغْضَـبُ[١]

فالأب والابن هما عمودا النسب، وسائر القرابة يكلِّلون.

وقال أبو بكر الصديق[٢] وعمر بن الخطاب[٣] وعلي بن أبي طالب[٤] وابن عباس[٥] وسليم بن عبيد[٦] وقتادة والحكم وابن زيد والزهري وأبو إِسحاق السبيعي[٧]: الكلالةُ: خلوُّ الميت عن الولد والوالد[٨]، وهذا هو الصحيح.

---

(١) البيت في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٦)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٢٧٠)، وتهذيب اللغة (٩/ ٣٣١)، بلا نسبة.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (١٩١٩١)، وابن أبي شيبة (٣٢٢٥٥)، والدارمي في سننه (٢٩٧٢)، والطبري في تفسيره (٨٧٤٥- ٨٧٤٦- ٨٧٤٧- ٨٧٤٩)، من طريق الشعبي، عن أبي بكر رضي الله عنه، والشعبي لم يسمع من أبي بكر.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٩١٩١)، والطبري في تفسيره (٨٧٤٧) من طريق الشعبي قال: إن أبا بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما قالا: الكلالة: من لا ولد له ولا والد، ولم يسمع الشعبي من عمر، وأخرجه الطبري (٨٧٦٧)، وابن أبي حاتم (٤٩٣٣)، والطحاوي في مشكل الآثار (٤٥٤٨)، والحاكم في المستدرك (٣١٨٧)، والبيهقي في السنن (١٢٦٤٤)، من طريق طاووس قال: سمعت ابن عباس يقول: كنت آخر الناس عهدا بعمر، سمعته يقول: القول ما قلت، قال: قلت: وما قلت؟ قال: الكلالة: من لا ولد له ولا والد. وهذا صحيح.

(٤) لم أقف على هذه الرواية.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٨٧٥٠- ٨٧٥١- ٨٧٥٢- ٨٧٥٣- ٨٧٥٤-٨٧٥٥)، من أوجه صحيحة عن ابن عباس.

(٦) في جار الله: ابن عتبة، وسقط منه: «ابن عباس»، ولعل الصواب كما في الطبري سليم بن عبد مكبراً؛ ففي الثقات للعجلي (ص: ١٩٩): سليم بن عبد السلولي كوفي، تابعي، ثقة، روى عنه: أبو إسحاق السبيعي، وأما سليم بن عبيد؛ فهو من بني الهجيم: شهد الجمل مع عائشة، وكان ابنه الحارث بن سليم، ويكنى أبا خالد، من سادة بني تميم سخاءً وكرماً ونبلاً، أنساب الأشراف للبلاذري (١٣/ ٦٢).

(٧) هو عمرو بن عبد الله، أبو إسحاق السبيعي الهمداني الكوفي، أحد الأعلام، وشيخ الكوفة، رأى علياً رضي الله عنه يخطب، وروى عن جماعة من الصحابة وكبار التابعين، وينفرد بالأخذ عن كثير منهم، فإنه كان إماماً، طلابة للعلم، توفي سنة (١٢٧هـ)، تاريخ الإسلام (٨/ ١٩٠).

(٨) انظر أقوالهم في تفسير عبدالرزاق (١/ ١٧٧)، وتفسير الطبري (٨/ ٥٦).

وقالت طائفة: هي خلو الميت من الولد فقط، وروي ذلك عن أبي بكر الصديق وعن عمر، ثم رجعا عنه، وروي عن ابن عباس[١]، وذلك [مستقرأ من قوله][٢] في الإِخوة مع الوالدين: إِنهم يحطون الأم، ويأخذون ما يحطونها.

قال القاضي أبو محمد: هكذا حكى الطبري[٣]، ويلزم على قول ابن عباس إذ ورثهم بأَن الفريضة كلالة: أَن يعطيهم الثلث بالنصّ.

وقالت طائفة منهم الحكم بن عتيبة: الكلالة: الخلو من الوالد[٤]، وهذان القولان ضعيفان؛ لأن من بقي والده أو ولده؛ فهو موروث بجزم نسب لا بتكلل.

وأجمعت الآن الأمة على أن الإِخوة لا يرثون مع ابن ولا مع أب، وعلى هذا مضت الأَمصار والأَعصار[٥].

وقرأ جمهور الناس: ﴿يُورَثُ﴾ بفتح الراء.

وقرأ الأعمش وأَبو رجاء: (يورِّث) بكسر الراء وتشديدها.

قال أبو الفتح بن جني: وقرأ الحسن: (يورِث) من: أورث، وعيسى: (يُورِّث) بشدِّ الراء[٦] من: ورَّث، والمفعولان على كلتا القراءتين محذوفان، التقدير: يورث وارثه ماله كلالةً، ونصب ﴿كَلَٰلَةً﴾ على الحال.

---

(١) صحيح، هذا الأثر أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٩٠٢٧)، ومن طريقه الطبري في تفسيره (٦/ ٤٦٨)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٢٢٧) عن معمر، عن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: السدس الذي حجبته الإخوة الأم لهم، إنما حجبوا أمهم عنه ليكون لهم دون أبيهم، وأما أبو بكر وعمر فلم أقف على قولهما.

(٢) في جار الله: «مستقر قوله».

(٣) انظر تفسير الطبري (٨/ ٥٧).

(٤) المصدر السابق (٨/ ٥٨).

(٥) انظر الإجماع في: الأوسط (٧/ ٤٠٢-٤٠٣)، والإقناع (٣/ ١٤١٩-١٤٢١).

(٦) ذكر المؤلف في كسر الراء قراءتين شاذتين، إحداهما: بالتخفيف، للحسن في المحتسب (١/ ١٨٢)، والثانية بالتشديد فيه لعيسى الثقفي، ولأبي رجاء، وهي له في مختصر الشواذ (ص: ٣١)، وزاد المصنف الأعمش، وفي مختصر الشواذ: أنه قرأ بالتخفيف، والحسن بالتشديد.

واختلفوا في الكلالة فيما وقعت عليه في هذه الآية؛ فقال عمر وابن عباس: الكلالة: الميت الموروث إذا لم يكن له أب[١]، ونصبها على خبر ﴿كَانَ﴾.

وقال ابن زيد: الكلالة: الوارثة بجملتها، الميت والأحياء كلهم كلالة[٢]، ونصبها على الحال، أو على النعت لمصدر محذوف، تقديره: وراثة كلالة، ويصح على هذا أن تكون ﴿كَانَ﴾ تامة بمعنى: وقع، ويصح أن تكون ناقصة وخبرها ﴿يُورَثُ﴾[٣].

وقال عطاء: الكلالة: المال[٤]، ونصب على المفعول الثاني.

قال القاضي أبو محمد: والاشتقاق في معنى الكلالة يفسد تسميةَ المال بها.

وقالت طائفة: الكلالة: الورثة، وهذا يستقيم على قراءة (يورِث) بكسر الراء، فينصب ﴿كَلَٰلَةً﴾ على المفعول الثاني[٥].

واحتج هؤلاء بحديث جابر بن عبد الله، إذ عاده رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنما يرثني كلالةٌ، أفأوصي بمالي كله؟[٦].

وحكى بعضهم أن تكون الكلالة: الورثة، ونصبها على خبر ﴿كَانَ﴾، وذلك بحذف مضاف، تقديره: ذا كلالة، ويستقيم سائر التأويلات على كسر الراء.

وقوله تعالى: [﴿أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾: عطف على «الرجل».

وقوله:][٧] ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ الآية؛ الضمير في ﴿لَهُۥ﴾: عائد على «الرجل»، واكتفى

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٥٩)، بلفظ: من لا ولد له، وفي آخر: من لا ولد له ولا والد، من طريق سفيان بن وكيع، وليس بعمدة.

(٢) انظر تفسير الطبري (٨/ ٦٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٣٦)، والتمهيد لابن عبد البر (٥/ ٢٠١).

(٣) مشكل إعراب القرآن لمكي (١ / ١٩٢)، إعراب القرآن للنحاس (١ / ٢٠٤).

(٤) انظر معاني القرآن للنحاس (٢/ ٣٦).

(٥) «الثاني»: زيادة من المطبوع.

(٦) تقدم تخريجه عند الآية رقم (١١) من (سورة النساء).

(٧) ساقط من المطبوع .

بإِعادته عليه دون «المرأة»؛ إِذ المعنى فيهما واحد، والحكم قد ضبطه العطف الأول.

وأصل «أُخْت»: أُخوة، كما أصل بنت: بنية، فضم أول «أُخْت»؛ إِذ المحذوف منها واو، وكسر أول بنت؛ إذ المحذوف ياء، وهذا الحذف والتعليل على غير قياس[(١)].

وأجمع العلماء على أن الإِخوة في هذه الآية الإِخوة لأم[(٢)]؛ لأن حكمهم منصوص في هذه الآية على صفة، وحكم سائر الإِخوة مخالفٌ له، وهو الذي في كلالة آخر السورة.

وقرأ سعد بن أبي وقاص: (ولهُ أَخٌ أو أُخْتٌ لأُمه)[(٣)].

والأنثى والذكر في هذه النازلة سواء، وشركتهم في الثلث متساوية وإِن كثروا، هذا إجماع[(٤)].

فإِن ماتت امرأة وتركت زوجاً وأماً وإخوة أَشقاء، فللزوج: النصف، وللأم: السدس، وما بقي فللإِخوة، فإِن كانوا لأمٍ فقط؛ فلهم الثلث، فإِن تركت الميتة زوجاً وأماً وأخوين لأم وإخوة لأب وأم؛ فهذه الحمارية[(٥)]:

قال قوم فيها: للإِخوة للأم: الثلث، ولا شيء للإِخوة الأشقاء، كما لو مات رجل وخلف أخوين لأم، وخلف مئةَ أخٍ لأب وأم؛ فإِنه يعطى الأَخوان الثلث، والمئة الثلثين، فيفضلون بالثلث عليهم، وقال قوم: الأمّ واحدةٌ، وهب أَباهم كان حماراً، وأشركوا بينهم في الثلث، وسموها أيضاً: المشتركة.

قال القاضي أبو محمد: ولا تستقيم هذه المسألة أن لو كان الميت رجلاً؛ لأنه يبقى للأشقاء، ومتى بقي لهم شيء؛ فليس لهم إلا ما بقي، والثلث للإِخوة للأم.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٠٤).

(٢) انظر نقل الإجماع في: الأوسط (٧/ ٤٠٢)، والإقناع (٣/ ١٤١٩).

(٣) انظر عزوها له في تفسير الطبري (٨/ ٦٢).

(٤) انظر نقل الإجماع في: الأوسط (٧/ ٤٠٢)، والإقناع (٣/ ١٤١٩).

(٥) أي: نسبة إلى الحمار؛ وذلك لقول الإخوة الأشقاء: هب أن أبانا كان حماراً، أليست الأم تجمعنا؟ انظر المغني (٦/ ١٧٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿...مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿١٢﴾ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾﴾.

﴿غَيۡرَ مُضَآرّٖ﴾: نصب على الحال، والعامل ﴿يُوصَىٰ﴾، و﴿وَصِيَّةٗ﴾ نصب على المصدر في موضع الحال، والعامل ﴿يُوصِيكُمُ﴾، وقيل: هو نصب على الخروج من قوله: ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾، أو من قوله: ﴿فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ﴾، ويصح أن يعمل ﴿مُضَآرّٖ﴾ في ﴿وَصِيَّةٗ﴾، والمعنى: أن يقع الضرر بها وبسببها، فأوقع عليها تجوزاً.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (غير مضارِّ وصيةٍ) بالإضافة[1]، كما تقول: شجاع حربٍ، وَمِدْرَهُ حَرْبٍ، وبَضَّةُ المتجرّدِ، في قول طرفة بن العبد[2]، والمعنى على ما ذكرناه من التجوز في اللفظ؛ لصحة المعنى.

[١/ ٢٩٧] وقال[3] ابن عباس: الضرار / في الوصية من الكبائر، رواه عن النبي ﷺ[4]،

(١) مختصر الشواذ (ص: ٣٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٣٧-٣٨) قال: وقد زعم بعض أهل اللغة أن هذا لحن.

(٢) جزء بيت من معلقة طرفة، تمامه:

رَحِيبٌ قِطَابُ الجَيْبِ منها رَفِيقَةٌ ... بِجَسِّ النَّدامى بَضَّةُ المُتَجَرَّدِ

جمهرة أشعار العرب (ص: ٣٢٤).

(٣) في الحمزوية: «وهو قول».

(٤) الصحيح موقوف على ابن عباس، أخرجه الطبري (٨/ ٦٦)، وابن أبي حاتم (٤٩٣٩-٥٢٠٩)، والطبراني في الأوسط (٨٩٤٧)، والعقيلي في الضعفاء (١٣٣٨) من طريق عمر بن المغيرة المصيصي عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعاً، وعمر بن المغيرة ضعيف جدّاً، قال العقيلي: لا يتابع على رفعه، رواه الناس عن داود موقوفاً، لا نعلم رفعه غير عمر. اهـ، قال الطبراني: لم يرفع هذا الحديث عن داود بن أبي هند إلا عمرو بن المغيرة. اهـ، وقد أخرجه موقوفاً:=

وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من ضارَّ في وصية؛ ألقاه الله تعالى في وادٍ في جهنم»[١].

قال القاضي أبو محمد: ووجوه المضارة كثيرة لا تنحصر، وكلها ممنوعة: يقر بحق ليس عليه، ويوصي بأكثر من ثلثه، أو لوارثه، أو بالثلث فراراً عن وارث محتاج، وغير ذلك.

ومشهور مذهب مالك وابن القاسم: أَن الموصي لا يعد فعله مضارة ما دام في الثلث، فإِن ضار الورثة في ثلثه؛ مضى ذلك[٢].

وفي المذهب قول: إِن المضارةَ تُرَدُّ وإِن كانت في الثلث، إذا عُلِمَتْ بإِقرار أو قرينة[٣]، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية [البقرة: ١٨٢].

وقوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ الآية؛ ﴿تِلْكَ﴾: إشارة إِلى القسمة المتقدمة في المواريث.

= عبد الرزاق (١٦٤٥٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٥٧٨-٣١٥٨١)، والنسائي في الكبرى (١١٠٩٢)، والطبري (٨٧٨٣-٨٧٨٤-٨٧٨٥-٨٧٨٧-٨٧٨٨)، وابن أبي حاتم (٤٩٤٠-٥٢١٠) عن غير واحد، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس موقوفاً عليه، وهو الصحيح.

(١) إسناده لين، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٦٤٥٥)، وأحمد (١٣/ ١٦٨)، وأبو داود (٢٨٦٩)، والترمذي (٢١١٧)، وابن ماجه (٢٧٠٤)، من طريق شهر بن حوشب، عن أبي هريرة به، بلفظ: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة، ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية، فتجب لهما النار»، ثم قرأ عليَّ أبو هريرة: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، وشهر بن حوشب لا يعتمد على حفظه.

(٢) انظر هذا القول في البهجة شرح التحفة للتسولي، (٢/ ٥١٢)، وقد نقل عن شرح ابن ناجي على المدونة: أنه هو الصحيح من المذهب.

(٣) هذا القول نقله ابن القاسم في المدونة (٤/ ٣٧٣) عن مالك، ونسبه الدسوقي (٤/ ٤٢٨)، أيضاً لابن القاسم.

و«الحد»: الحجز[١] المانع لأمر ما أن يدخل على غيره، أو يدخل عليه غيره، ومن هذا قولهم للبواب: حدَّاد؛ لأنه يمنع، ومنه إِحداد المرأة، وهو امتناعها عن الزينة، هذا هو الحد في هذه الآية.

وقوله: ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ يريد من تحت بنائها وأَشجارها الذي من أَجله سميت جنة؛ لأن أَنهار الجنة إِنما هي على وجه أرضها في غير أخاديد.

وحكى الطبري: أن «الحدود» عند السدي هنا: شروط الله، وعند ابن عباس: طاعة الله[٢]، وعند بعضهم: سنة الله، وعند بعضهم: فرائض الله[٣]، وهذا كله معنى واحد وعبارة مختلفة.

و﴿خَٰلِدِينَ﴾ قال الزجاج: هي حال على التقدير؛ أي: مقدرين خالدين فيها[٤]، وجمع ﴿خَٰلِدِينَ﴾ على معنى (مَنْ) بعد أن تقدم الإِفراد؛ مراعاة للفظ (مَن)، وعكس هذا لا يجوز.

وقوله: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية، قرأ نافع وابن عامر: ﴿نُدْخِلْهُ﴾، بنون العظمة، وقرأ الباقون: ﴿يُدۡخِلۡهُ﴾ بالياء فيهما جميعاً[٥].

وهذه آيتا وعد ووعيد، وتقدم الإِيجاز في ذلك، ورجى الله تعالى على التزام هذه الحدود في قسمة المواريث، وتوعد على العصيان فيها بحسب إِنكار العرب لهذه القسمة، وقد كلم فيها النبي ﷺ عيينة بن حصن وغيره[٦].

---

(١) في الأصل ونور العثمانية والسليمانية: «الحجر»، وهما بمعنى.

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٦٩)، وابن أبي حاتم (١٦٩٣) من طريق علي بن أبي طلحة عنه.

(٣) انظر الطبري (٨/ ٦٨).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٧)، وفي نور العثمانية: «الزجاجي»، بالياء.

(٥) التيسير (ص: ٩٤)، وفي النسخة الحمزوية بدل «ابن عامر»: «ابن عباس»، وهي في نور العثمانية غير واضحة.

(٦) لم أقف على شيء بهذا المعنى.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦﴾.

قوله: ﴿وَٱلَّٰتِي﴾: اسم جمع «الَّتي»، وتجمع أيضاً على «اللواتي»، ويقال: «اللائي» بالياء.

و﴿ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ في هذا الموضع: الزنا، وكل معصية فاحشة، لكن الأَلف واللام هنا للعهد.

وقرأ ابن مسعود: (بِالفاحِشَةِ) بباء الجر[١].

وقوله: ﴿مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ إضافةٌ في معنى الإِسلام؛ لأَن الكافرة قد تكون من نساء المسلمين بنسب، ولا يلحقها هذا الحكم، وجعل الله الشهادة على الزنا خاصة لا تتم إلا بأربعة شهداء تغليظاً على المدعي، وستراً على العباد، وقال قوم: ذلك ليترتب شاهدان على كلِّ واحدٍ من الزانيين.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف.

وكانت هذه أول عقوبات الزناة: الإِمساك في البيوت.

قال عبادة بن الصامت[٢] والحسن ومجاهد: حتى نُسِخَ بالأذى الذي بعده، ثم نُسِخَ ذلك بآية النور وبالرجم في الثيب[٣].

(١) انظر عزوها له في معاني القرآن للفراء (١/ ٢٥٨)، والكشاف للزمخشري (١/ ٤٨٧)، وفي المطبوع: «ببناء الجر».

(٢) عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر، الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد، شهد بدراً، والمشاهد كلّها، وكان أحد النقباء بالعقبة، وشهد فتح مصر، وكان أمير ربع المدد، وهو أول من ولي قضاء فلسطين، عاش إلى (٤٥هـ)، الإصابة (٣/ ٥٠٦). ولم أقف عليه من قول عبادة، وانظر: الجواهر الحسان للثعالبي (٢/ ١٨١).

(٣) نقله ابن أبي حاتم عنهما (٣/ ٨٩٤).

وقالت فرقة: بل كان الأذى هو الأول، ثم نسخ بالإِمساك، ولكن التلاوة أخرت وقدمت، ذكره ابن فُورك(١).

و﴿سَبِيلًا﴾ معناه: مخرجاً بأمر من أوامر الشرع، وروى حطَّان بن عبد الله الرقاشي عن عمران بن حصين أَنه قال: كنا عند النبي ﷺ، فنزل عليه الوحي، ثم أقلع عنه ووجهه محمر، فقال: «قد جعل الله لهنَّ سبيلاً، البكر بالبكر جلد مئة، وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مئة والرجم»(٢).

﴿وَٱلَّذَانِ﴾ تثنية: «الَّذي»، وكان القياس أن يقال: اللذيان كرَحيان ومصطفيان(٣).

قال سيبويه: حذفت الياء؛ ليفرق بين الأسماء المتمكنة [وبين الأسماء المُبْهَمات(٤).

قال أَبو علي: حذفت الياء تخفيفاً إِذ قد أُمن من اللبس في ﴿وَٱلَّذَانِ﴾؛ لأن النون لا تنحذف، ونون التثنية في الأسماء المتمكنة](٥) قد تنحذف مع الإضافة(٦) في: رَحَياك ومصطفيا القوم، فلو حذفت الياء؛ لاشتبه المفرد بالاثنين(٧).

وقرأ ابن كثير: ﴿اللَّذانِّ﴾ بشد النون، وتلك عوض من الياء المحذوفة، وكذلك قرأ: ﴿هذانِّ﴾ و﴿فذانِّك﴾ و﴿هاتينِّ﴾، بالتشديد في جميعها.

وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: بتخفيف جميع ذلك، وشدد أبو عمرو ﴿فذانِّك﴾ وحدها ولم يشدد غيرها(٨).

---

(١) نقله عنه القرطبي في تفسيره (٥/ ٨٤)، والمطبوع من تفسير ابن فورك ليس فيه هذا الموضع؛ لأنه يبدأ من سورة المؤمنون.

(٢) صحيح مسلم (١٦٩٠) من حديث عبادة بن الصامت، وقول المصنف: «إنه من حديث عمران بن حصين»، هكذا ورد في جميع النسخ، وتابعه عليه الثعالبي، ولعله سهو، والله أعلم.

(٣) «مصطفيان» ليست في المطبوع.

(٤) الكتاب لسيبويه (٣/ ٤١١).

(٥) ساقط من الأصل.

(٦) سقطت من الحمزوية وجار الله.

(٧) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٣/ ١٤١-١٤٢).

(٨) التيسير (ص: ٩٤)، وانظره (ص: ١٧١) أيضاً.

﴿وَٱلَّذَانِ﴾ رفع بالابتداء، وقيل: هو على معنى: فيما يتلى عليكم اللَّذان[١].

واختلف في «الأذى»:

فقال عبادة والسدي: هو التعيير[٢] والتوبيخ[٣]، وقالت فرقة: هو السب والجفاء دون تعيير[٤].

وقال ابن عباس: هو النيل باللسان واليد، وضرب النعال، وما أشبهه[٥].

قال مجاهد وغيره: الآية الأُولى في النساء عامة لهن، محصنات وغير محصنات، والآية الثانية في الرجال، وبين بلفظ التثنية صنفي الرجال ممن أحصن، وممن لم يحصن، فعقوبة النساء الحبس، وعقوبة الرجال الأذى[٦].

وهذا قول يقتضيه اللفظ، ويستوفي نصُّ الكلام أصنافَ[٧] الزناة عليه، ويؤيده من جهة اللفظ قوله في الأُولى: ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ﴾، وقوله في الثانية: ﴿مِنكُمْ﴾.

وقال السدي وقتادة وغيرهما: الآية الأُولى في النساء المحصنات؛ يريد: ويدخل معهن مَن أحصن من الرجال بالمعنى، والآية الثانية هي في الرجل والمرأة البكرين[٨].

قال القاضي أبو محمد: ومعنى هذا القول تام، إلا أن لفظ الآية يقلق عنه، وقد رجحه الطبري.

وقرأ ابن مسعود: (والَّذين يفْعَلُونه مِنْكُمْ)[٩].

---

(١) هذا كلام سيبويه، في: الكتاب (١/ ١٤٣).

(٢) في المطبوع: «التعبير».

(٣) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٨٤).

(٤) منهم مجاهد، انظر: تفسير الطبري (٨/ ٨٥).

(٥) أخرجه الطبري (٨/ ٨٥)، وابن أبي حاتم (٤٩٨٨)، من طريق علي بن أبي طلحة، عنه.

(٦) حكى قول مجاهد النحاس في الناسخ والمنسوخ (ص: ٣٠٧).

(٧) في السليمانية وفيض الله: «إعناف».

(٨) انظر تفسير الطبري (٨/ ٨٢)، وحكاه عن ابن زيد أيضاً.

(٩) لم أجدها لمن قبل المؤلف، وقد نقلها في البحر المحيط (٣/ ٥٥٩)، قال: وهي قراءة مخالفة للمصحف، ومتدافعة مع ما بعدها.

وأجمع العلماء على أن هاتين الآيتين منسوختان بآية الجلد في سورة النور، قاله الحسن ومجاهد وغيرهما[١]، إلا من قال: إن الأذى والتعيير باقٍ مع الجلد؛ لأنهما لا يتعارضان، بل ينحملان[٢] على شخص واحد، أما الحبس؛ فمنسوخ بإجماع[٣].

وآية الجلد عامة في الزناة محصنهم وغير محصنهم، وكذلك عممه رسول الله/ ﷺ في حديث حطان بن عبد الله الرقاشي الذي ذكرته آنفاً، وإن كان في صحيح مسلم فهو خبر آحاد، ثم ورد بالخبر المتواتر أن رسول الله ﷺ رجم ولم يجلد[٤]. [١/ ٢٩٨]

فمن قال: إن السنة المتواترة تنسخ القرآن؛ جعل رجم الرسول دون جلدٍ ناسخاً لجلد الثيِّب، وهذا الذي عليه الأئمة؛ أن السنة المتواترة تنسخ القرآن؛ إذ هما جميعاً وحيٌ من الله، ويوجبان جميعاً العلم والعمل[٥]، وإنما اختلفا في أن السنة نَقَصَ منها الإعجاز، وصحَّ ذلك عن النبي ﷺ في خبر ماعز[٦]، وفي حديث الغامدية[٧]، وفي حديث المرأة التي بُعث إليها أُنَيْس[٨].

ومن قال: إن السنة المتواترة لا تنسخ القرآن قال: إنما يكون حكم القرآن مؤقَّتاً[٩]، ثم تأتي السنة مستأنفة من غير أن تتناول نسخاً[١٠].

---

(١) انظر: تفسير عبد الرزاق (١/ ١٥١)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ٣٠٦)، والإجماع في معاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٩٤).

(٢) في المطبوع: «يتحملان».

(٣) انظر نقل الإجماع على ذلك في أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٥٧).

(٤) صحيح مسلم (١٦٩١).

(٥) انظر المسألة في: المحصول لابن العربي (١/ ١١٥)، والمحصول للرازي (٢/ ١٠٨).

(٦) أخرجه البخاري (٦٨٢٤) ومسلم (١٦٩٣) بنحوه من حديث ابن عباس، وأخرجه مسلم (١٦٩٢) من حديث جابر بن سمرة.

(٧) صحيح، هذه القصة أخرجها مسلم (١٦٩٥)، من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

(٨) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢١٩٠)، ومسلم (١٦٩٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٩) في الحمزوية: «موفياً»، وفي المطبوع: «موقناً».

(١٠) القائل بأن السنة المتواترة لا تنسخ القرآن هو الإمام الشافعي، انظر ذلك في: البحر المحيط للزركشي (٣/ ١٨٦).

قال القاضي أبو محمد: وهذا تخيل لا يستقيم؛ لأنا نجد السنة ترفع بحكمها ما استقر من حكم القرآن على حدِّ النسخ، ولا يردُّ ذلك نظر، ولا ينخرم منه أصل، أما إن هذه النازلة بعينها يتوجه عندي أن يقال فيها: إن الناسخ لحكم الجلد هو القرآن المتَّفق على رفع لفظه وبقاء حكمه، في قوله تعالى: (الشَّيْخُ والشَّيْخَةُ [إذا زنيا][(١)] فارْجموهما ألبَتَّةَ)، وهذا نص في الرجم، وقد قرره عمر على المنبر بمحضر الصحابة، وذكر أَنهم قرؤوه على عهد النبي ﷺ، والحديث بكماله في مسلم[(٢)].

وأيضاً فيعضد أَن ذلك من القرآن قول رسول الله ﷺ للذي قال له: فاقض بيننا يا رسول الله بكتاب الله، فقال له النبي ﷺ: «لأقضينَّ بينكما بكتاب الله»، ثم أمر أُنَيْسا برجم المرأة إن هي اعترفت[(٣)].

فدلَّ هذا الظاهر على أَن الرجم كان في القرآن، وأجمعت الأمة على رفع لفظه[(٤)].

وهاتان الآيتان ـ أعني الجلد والرجم ـ لو لم يقع بيان من الرسول لم يجب أن تنسخ إحداهما الأخرى؛ إذ يسوغ اجتماعهما على شخص واحد، وحديث عبادة المتقدم يقوي جمعهما، وقد أخذ به علي ـ رضي الله عنه ـ في شُرَاحة: جلَدَها ثُمَّ رَجَمَهَا، وقال: أجلدها بكتاب الله وأرجمها بسنَّةِ رسول الله ﷺ[(٥)]، وبه قال الحسن وإسحاق بن راهويه[(٦)].

ولكن لما بين الرسول ﷺ برجمه دون جلد؛ كان فعله بمثابة قوله مع هذه الآية: قِفُوا[(٧)] ولا تجلدوا، فيكون القرآن هو الناسخَ، والسنة هي المبينة.

---

(١) من المطبوع.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٤٤٢)، ومسلم (١٦٩١)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٣١٤-٢٣١٥)، ومسلم (١٦٩٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) انظر نقل الإجماع على نسخ لفظ آية الرجم في: المحصول لابن العربي (١/ ١٤٧).

(٥) صحيح البخاري (٦٤٢٧).

(٦) انظر مذهب الحسن وإسحاق بن راهويه في: الشرح الكبير لابن قدامة (١٠/ ١٥٧).

(٧) في المطبوع: «انفوا».

قال القاضي أبو محمد: ويصح أن نعترض من ينسخ بالسنة[١] في هذه النازلة فنقول: الناسخ من شروطه أن يستقلّ في البيان بنفسه، وإِذا لم يستقل فليس بناسخ، وآيةُ الرجم بعد أَن يُسَلَّم ثبوتها لا تستقل في النسخ بنفسها، بل تنبني[٢] مع الجلد وتجتمع، كما تضمن حديث عبادة بن الصامت، لكن إِسقاط الرسول ﷺ الجلد هو الناسخ؛ لأن فعله في ذلك هو بمنزلة قوله: لا تجلدوا الثيب.

وأَما البكر فلا خلاف أَنه يجلد[٣]، واختلف في نفيه:

فقال الخلفاء الأربعة وابن عمر ومالك والشافعي وجماعة: لا نفي اليوم[٤]، وقالت جماعة: ينفى، وقيل: نفيه سجنه، ولا تنفى المرأة ولا العبد، هذا مذهب مالك وجماعة من العلماء[٥].

وقوله: ﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآ﴾ كانت هذه العقوبة من الإِمساك والأذى إِرادة أن يتوب الزناة، وهو الرجوع عن فعل[٦] الزنا والإِصرار عليه، فأمر الله تعالى المؤمنين إِذا تاب الزانيان وأصلحا في سائر أعمالهما أَن يُكَفَّ عنهما الأذى، وجاء الأمر بهذا الكف الذي هو: ﴿أَعۡرِضُواْ﴾.

---

(١) كتبت في المطبوع: «بالنسة».

(٢) في السليمانية: «تنتهي».

(٣) نقل عدم الخلاف على ذلك ابن عبد البر في الاستذكار (٧/ ٤٨٠).

(٤) كذا في جميع النسخ، ولعل فيه تخليطا من النساخ، وأقرب منه للصواب قول القرطبي في تفسيره (٥/ ٨٧): الذي عليه الجمهور: أنه ينفى مع الجلد، قاله الخلفاء الراشدون: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وهو قول ابن عمر، وبه قال عطاء وطاووس وسفيان ومالك وابن أبي ليلى والشافعي وأحمد وإسحاق وأبو ثور. اهـ، وأما عدم النفي فمذهب أبي حنيفة، ويروى عن عمر انظر الاستذكار (٧/ ٤٨٠).

(٥) ممن قال بذلك الحسن بن حي، والشافعي في قول، والأوزاعي والطبري في العبد دون المرأة، انظر: الاستذكار (٧/ ٤٨٠).

(٦) الزيادة من السليمانية وفيض الله وجار الله ونجيبويه.

وفي قوة اللفظ غض من الزناة وإن تابوا؛ لأن تركهم إنما هو إعراض، أَلا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وليس هذا الإعراض في الآيتين أمراً[(١)] بهجرة، ولكنه متاركة[(٢)] مُعْرض، وفي ذلك احتقارٌ لهم بحسب المعصية المتقدمة، وبحسب الجهالة في الآية الأخرى، والله تعالى توّاب؛ أي: راجع بعباده عن المعاصي إلى تركها ولزوم الطاعة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾.

﴿إِنَّمَا﴾: حاصرة، وهو مقصد المتكلم بها أبداً، فقد تصادف من المعنى ما يقتضي العقل فيه الحصر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، وقد تصادف من المعنى ما لا يقتضي العقل فيه الحصر، كقوله: إنما الشجاع عنترة، فيبقى الحصر في مقصد المادح، ويتحصل من ذلك لكل سامع تحقيق هذه الصفة للموصوف بمبالغة.

وهذه الآية مما يوجب النظر فيها أنها حاصرة للتوبة[(٣)]؛ [إذ ليست التوبة إلا لهذا الصنف المذكور، والتوبة في كلام العرب: الرجوع][(٤)].

وهي في عرف الشرع: الرجوع من شر إلى خير.

وحدُّ التوبة: الندم على فارط فعل من حيث هو معصية الله عز وجل، وإن كان الندم من حيث أضرَّ ذلك الفعل في بدن أو ملك؛ فليس بتوبة.

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) في نور العثمانية: «مشاركة».

(٣) ليست في الأصل وجار الله ونجيبويه.

(٤) سقط من المطبوع.

فإِن كان ذلك الفعل مما يمكن هذا النادم فعله في المستأنف؛ فمن شروط التوبة: العزمُ على ترك ذلك الفعل في المستأنف، وإِلا فثمَّ إصرارٌ لا توبةَ معه، وإِن كان ذلك الفعل لا يمكنه، مثل أن يتوب من الزنا فيجب بأثر ذلك ونحو ذلك، فهذا لا يحتاج إلى شرط العزم على الترك.

والتوبة فرض على المؤمنين بإِجماع الأمة[١]، والإجماع هي القرينة التي حمل بها قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النور: ٣١] على الوجوب.

وتصحُّ التوبة من ذنب مع الإِقامة على غيره من غير نوعه[٢]، خلافاً للمعتزلة في قولهم: لا يكون تائباً من أقام على ذنب[٣].

وتصح التوبة وإِن نقضها التائبُ في ثاني حال بمعاودة الذنب؛ فإِن التوبةَ الأُولى طاعة قد انقضت وصحَّتْ، وهو محتاج بعد مواقعة الذنب إِلى توبة أُخرى مستأنفة، والإِيمان للكافر ليس نفس توبته، وإِنما توبته ندمه / على سالف كفره. [١/ ٢٩٩]

وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ فيه حذف مضاف، تقديره: على فضل الله ورحمته لعباده، وهذا نحو قول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل: «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»، ثم سكت قليلاً، ثم قال: «يا معاذ، أتدري ما حقُّ العباد على الله؟» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أن يدخلهم الجنة»[٤].

فهذا كله إِنما معناه: ما حقهم على فضل الله ورحمته، والعقيدة أَنه لا يجب على

---

(١) نقل الإجماع على ذلك ابن عبد البر في الاستذكار (١/ ٨٠-٨١).

(٢) نسبه ابن تيمية في: الآداب الشرعية (١/ ٦٩) لمذهب السلف والخلف ونسبه للأشاعرة عضد الدين الإيجي في المواقف (٣/ ٥١١).

(٣) انظر: عزوه لبعض المعتزلة في المواقف للإيجي (٣/ ٥١٥)، وعزوه لأبي هاشم الجبائي المعتزلي في التبصير في الدين (١/ ٨٧).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧٠١)، ومسلم (١٥٢).

الله تعالى شيء عقلاً، لكن إخباره تعالى عن أشياء أوجبها على نفسه يقتضي وجوب تلك الأشياء سمعاً، فمن ذلك تخليد الكفار في النار، ومن ذلك قبول إيمان الكافر، والتوبة لا يجب قبولها على الله تعالى عقلا، فأَما السمع فظاهره: قبول توبة التائب، قال أبو المعالي وغيره: فهذه الظواهر إنما تعطي غلبة ظن، لا قطعاً على الله بقبوله التوبة(١).

قال القاضي أبو محمد: وقد خولف أَبو المعالي وغيره في هذا المعنى، فإذا فرضنا رجلاً قد تاب توبة نصوحاً تامةَ الشروط؛ فقولُ أبي المعالي: يغلب على الظن قبول توبته، وقال غيره: يقطع على الله تعالى بقبول توبته، كما أَخبر عن نفسه عز وجل(٢).

قال القاضي أبو محمد: وكان أبي رحمة الله عليه يميل إلى هذا القول ويرجّحه، وبه أقول، والله تعالى أرحم بعباده من أن ينخرم في هذا التائب المفروض معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٥]، وقوله: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [طه: ٨٢].

و«السوء» في هذه الآية يعمُّ الكفرَ والمعاصي.

وقوله تعالى: ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ معناه: بسفاهةٍ وقلةِ تحصيلٍ أدَّى إلى المعصية، وليس المعنى أن تكونَ الجهالة أن ذلك الفعل معصية؛ لأن المتعمد للذنوب كان يخرج من التوبة، وهذا فاسدٌ إجماعاً.

وبما ذكرته في «الجهالة» قال أَصحاب رسول الله ﷺ، ذكر ذلك عنهم أَبو العالية(٣).

وقال قتادة: اجتمع أصحاب النبي ﷺ على أنَّ كلَّ معصيةٍ فهي بجهالة، عمداً

---

(١) وهو ـ كما قال التفتازاني في شرح المقاصد (٢/ ٢٣٥) ـ: محل إجماع من الأمة.
(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٧٣).
(٣) رواه عنه الطبري في تفسيره (٨/ ٨٩)، قال: إن أصحاب رسول الله كانوا يقولون: كل ذنب أصابه عبد فهو جهالة.

كانت أو جهلاً[١]، وقال به ابن عباس[٢] ومجاهد والسدي[٣].

وروي عن مجاهد والضحاك: أَنهما قالا: «الجهالةُ» هنا: العمْد[٤]، وقال عكرمة: أمور الدنيا كلها جهالة[٥].

قال القاضي أبو محمد: يريد الخاصةَ بها، الخارجةَ عن طاعة الله.

وهذا المعنى عندي جار مع قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الحديد ٢٠]، [القتال: ٣٦].

وقد تأول قوم قول عكرمة، بأنه للذين يعملون السوءَ[٦] في الدنيا.

قال القاضي أبو محمد: فكأن «الجهالة» اسم للحياة الدنيا، وهذا عندي ضعيف، وقيل: ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾؛ أي: لا يعلم كُنْهَ العقوبة، وهذا أيضاً ضعيف، ذكره ابن فُورك، وَرَدَّ عليه.

واختلف المتأولون في قوله تعالى: ﴿مِن قَرِيبٍ﴾:

فقال ابن عباس[٧] والسدي: معنى ذلك: قبل المرض والموت[٨].

وقال أبو مِـجْلَز ومحمد بن قيس والضحاك وعكرمة وابن زيد وغيرهم: معنى

---

(١) رواه عنه الطبري (٨/ ٨٩).

(٢) أخرجه الطبري (٨٨٣٧)، من طريق أبي النضر محمد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، والكلبي متهم بالكذب.

(٣) انظر تفسير مجاهد (١/ ١٤٩)، وتفسير مقاتل (١/ ٢٢١)، وتفسير الثوري (ص: ٩٢)، وتفسير الطبري (٨/ ٨٩-٩٠).

(٤) تفسير الطبري (٨/ ٩١).

(٥) تفسير الطبري (٨/ ٩١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٩٨)، (٤/ ١٣٠١).

(٦) سقط من الأصل.

(٧) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٨٨٤٥)، من طريق أبي النضر محمد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، والكلبي متهم بالكذب.

(٨) تفسير الطبري (٨/ ٩٣).

ذلك: قبل المعايَنَةِ للملائكة والسَّوق، وأَن يُغْلَبَ المرء على نفسه[١].

وروى أَبو قلابة: «إِن الله تعالى لما خلق آدم فرآه إبليس أجوف، ثم جرى له ما جرى ولُعِنَ وأُنظِر[٢]، قال: وَعِزَّتِكَ لا برحتُ من قلبه[٣] ما دام فيه الروح، فقال الله تعالى: وعزتي لا أحجبُ عنه التوبة ما دام فيه الروح»[٤].

قال القاضي أبو محمد: فابن عباس رضي الله عنه ذكر أحسنَ أوقات التوبة، والجمهور حدَّدوا آخر وقتها.

وقال إِبراهيم النخعي: كان يقال: التوبة مبسوطة لأَحدكم [ما لم][٥] يؤخذ بكَظْمه[٦].

وروى بشير بن كعب[٧] والحسن أن النبي ﷺ قال: «إِن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ويغلب على عقله»[٨].

(١) انظر هذه الآثار عنهم في تفسير الطبري (٨/ ٩٤)، وتفسير عبد الرزاق (١/ ١٥١).
(٢) ليست في نجيبويه.
(٣) في المطبوع: «من قبله».
(٤) مرسل، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٥٣٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٣٥٨)، والحسين المروزي في زوائده على زهد ابن المبارك (١٠٤٥)، والطبري (٨٨٥٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٠٧٠)، من طريق أيوب، عن أبي قلابة به.
(٥) في الحمزوية: «ما دام».
(٦) نقله ابن المبارك في الزهد (١/ ٥٣٤)، والقاسم بن سلام في الناسخ والمنسوخ (٤٢٠)، والطبري في تفسيره (٨/ ٩٥).
(٧) بشير بن كعب بن أبي أبو أيوب الحميري العدوي البصري، روى عن: أبي ذر، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، روى عنه: عبد الله بن بريدة، وقتادة، والعلاء بن زياد، وثابت البناني، وغيرهم، وكان أحد القراء الزهاد، وثقه النسائي، من التاسعة، تاريخ الإسلام (٦/ ٤٥).
(٨) رواية بشير بن كعب أخرجها الطبري (٨٨٥٧)، ورواية الحسن البصري كذلك (٨٨٥٩)، وكلاهما مرسل، وأخرج أحمد (١٠/ ٣٠٠ -٤٦١)، وعبد بن حميد (٨٤٧)، والترمذي (٣٥٣٧)، وابن حبان (٢/ ٣٩٤)، والحاكم (٤/ ٢٨٦)، وغيرهم، من طريق عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن أبيه عن =

قال القاضي أبو محمد: لأَن الرجاء فيه باق، ويصح منه الندم والعزم على ترك الفعل في المستأنف، فإِذا غُلب تعذرت التوبة؛ لعدم الندم والعزم على الترك[١].

وقوله تعالى: ﴿مِن قَرِيبٍ﴾ إنما معناه: من قريب إلى وقت الذنب[٢]، ومدة الحياة كلها قريب، والمبادر في الصحة أفضلُ وأحقُّ[٣]؛ لأملِهِ من العمل الصالح، والبعدُ كلُّ البعدِ الموت.

ومنه قول مالك بن الريب[٤]:

[الطويل] .... وأيْـنَ مَـكَانُ البُعْـدِ إلَّا مَكَانِيَا[٥]

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾؛ أي: بمن يتوب وييسره هو للتوبة، ﴿حَكِيمًا﴾ فيما ينفذه من ذلك، وفي تأخير من يؤخر حتى يهلك.

ثم نفى بقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ﴾ الآية أَن يدخل في حكم التائبين من حضره موته وصار في حيز اليأس، وحضور الموت هو غاية قربه[٦]، كما كان فرعون حين صار في غمرة الماء والغرق، فلم ينفعه ما أظهر من الإِيمان.

= مكحول، عن جبير بن نفير، عن ابن عمر به مرفوعاً إلى قوله: «يغرغر». وقال الترمذي: حسن غريب، وذكر هذا الحديث أبو زرعة الدمشقي في فوائده المعللة (رقم٨٢)، وابن عدي في مناكير عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان من الكامل (٤/ ٢٨٢)، وعنه الذهبي في الميزان (٢/ ٥٥٢).

(١) في الحمزوية: «ترك الفعل».

(٢) في نجيبويه: «الدنيا».

(٣) في السليمانية وفيض الله ونجيبويه وجار الله: «وألحق».

(٤) هو: مالك بن الريب بن حَوْط بن قُرط المازني التميمي: شاعر، من الظرفاء الأدباء الفتاك، اشتهر في أوائل العصر الأموي، ورويت عنه أخبار في أنه قطع الطريق مدة، توفي سنة (٦٠) هجرية، انظر: الأغاني (٢٢/ ٣٠٤)، ومعجم الشعراء للمرزباني (٣٦٥).

(٥) عجز بيت، صدره: يقولون لا تَبْعَدْ وهم يَدْفِنونني، انظر عزوه له في معجم الشعراء للمرزباني (ص: ٣٦٤)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٦١٢)، والاختيارين للأخفش (ص: ٦٢٦)، والعقد الفريد (٣/ ٢٠٣).

(٦) سقطت من المطبوع.

وبهذا قال ابن عباس[١] وابن زيد وجماعة المفسرين.

وقال الربيع: الآية الأولى قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ هي في المؤمنين، والآية الثانية قوله: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ﴾ الآية، نزلت في المسلمين، ثم نسخت بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]، فحتم أَلَّا يغفر للكافر، وأرجأ المؤمنين إلى مشيئته، لم ييئِّسهم من المغفرة[٢].

قال القاضي أبو محمد: وطعن بعض الناس في هذا القول بأن الآية خبر، والأَخبار لا تنسخ، وهذا غير لازم؛ لأن الآية لفظها لفظ الخبر، ومعناها تقرير حكم شرعي، فهي نحو قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، ونحو قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥].

وإِنما يضعف القول بالنسخ من حيث تنبني الآيتان، ولا يحتاج إلى تقرير نسخ[٣]؛ لأن هذه الآية لم تنف أن يغفر للعاصي الذي لم يتب من قريب، فنحتاج أَن نقول: إِن قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] نسخها، وإِنما نفت هذه الآيةُ أن يكون تائباً من لم يتب إِلا مع حضور الموت.

فالعقيدة عندي في هذه الآيات: أَن من تاب من قريب فله حكم التائب، فيغلب الظن عليه أَنه ينعم ولا يعذب، هذا مذهب / أَبي المعالي وغيره، وقال غيرهم: بل هو [١/ ٣٠٠]
مغفور له قطعاً؛ لإِخبار الله تعالى بذلك.

وأبو المعالي يجعل تلك الأخبار ظواهر مشروطة بالمشيئة، ومن لم يتب حتى حضره الموت فليس في حكم التائبين، فإِن كان كافراً فهو يخلد، وإِن كان مؤمناً فهو

---

(١) أخرجه الطبري (٨٨٦٢).

(٢) هكذا في جميع النسخ، وقريب منه في البحر المحيط (٣/ ٥٦٤)، والذي في تفسير الطبري (٨/ ١٠٠) عن الربيع أنه قال: نزلت الأولى في المؤمنين، ونزلت الوسطى في المنافقين يعني: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، والأخرى في الكفار يعني: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾.

(٣) في السليمانية: «حكم»، بدل: «نسخ».

عاص في المشيئة، لكن يغلب الخوف عليه، ويقوى الظن في تعذيبه، ويقطع من جهة السمع أن من هذه الصنيفة[١]: من يغفر الله تعالى له تفضلًا منه ولا يعذبه[٢].

وأعلم الله تعالى أيضاً أن الذين يموتون وهم كفار فلا مستعتب لهم، ولا توبة في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ إن كان الإشارة إلى الذين يموتون وهم كفار فقط؛ فالعذاب عذاب خلود، وإن كانت الإشارة إليهم وإلى من ينفذ عليه الوعيد ممن لا يتوب إلا مع حضور الموت من العصاة؛ فهو في جهة هؤلاء، عذابٌ ولا خلود معه.

و﴿أَعْتَدْنَا﴾ معناه: يسرناه وأحضرناه، وظاهر هذه الآية: أن النارَ مخلوقةٌ بعد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ١٩﴾.

اختلف المتأولون في معنى قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾:

فقال ابن عباس: كانوا في الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحقَّ بامرأته من أهَلها؛ إن شاؤوا تزوجها أحدهم، وإن شاؤوا زوجوها من غيرهم، وإن شاؤوا منعوها الزواج، فنزلت الآية في ذلك[٣].

قال أبو أمامة بن سهل[٤] بن حنيف: لما توفي أبو قيس بن الأسلت[٥]، أراد ابنه

---

(١) في الحمزوية: «الصيغة»، وفي الأصل وجار الله: «الصنيعة»، وفي نور العثمانية: «الصفة».

(٢) انظر مذهب أبي المعالي ومذهب مخالفيه ـ وهم الجمهور ـ في: لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٣٧٣).

(٣) صحيح البخاري (٤٣٠٣).

(٤) في نجيبويه: «ابن قيس»، وهو: أبو أمامة بن سهل بن حنيف الأنصاري الأوسي المدني، واسمه أسعد، وإنما يعرف بالكنية، وسمي باسم جده أسعد بن زرارة، ولد في حياة رسول الله ﷺ ورآه، وكان من علماء المدينة، توفي سنة (١٠٠هـ)، تاريخ الإسلام (٦/ ٥١٠).

(٥) أبو قيس صيفي بن الأسلت الأنصاري الشاعر، كان من الحنفاء في الجاهلية، مختلف في إسلامه، انظر: الإصابة (٧/ ٢٧٨).

أَن يتزوج امرأته، وكان لهم ذلك في الجاهلية، فنزلت الآية في ذلك[١].

ذكر النقاش أَن اسم ولد أَبي قيس: محصن[٢].

قال القاضي أبو محمد: كانت هذه السيرة في الأنصار لازمة، وكانت في قريش مباحة مع التراضي، ألا ترى أن أبا عمرو بن أمية خلَفَ على امرأة أبيه بعد موته، فولدت من أبي عمرو مسافراً وأبا معيط، وكان لها من أمية أبو العيص وغيره، فكان بنو أمية إِخوة مسافر وأبي معيط وأَعمامهما[٣].

وقال بمثل هذا القول الذي حكيت عن ابن عباس: عكرمة والحسن البصري وأبو مجلز[٤].

قال عكرمة: نزلت في كبيشة بنت معن الأَنصارية[٥]، توفي عنها أَبو قيس بن الأَسلت.

وقال مجاهد: كان الابن الأكبر أحق بامرأة أبيه إِذا لم يكن ولدَهَا.

---

(١) الصواب فيه الإرسال، أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٠٩٥)، وابن جرير (٨٨٧٠)، وابن أبي حاتم (٥٠٣٠)، وابن مردويه في «تفسيره» كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٢٤٠)، من طريق محمد بن فضيل عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن أبي أمامة، عن أبيه به، وقد حسن إسناده الحافظ في «فتح الباري» (٨/ ٢٤٧)، وقد رواه غير ابن فضيل، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن أبي أمامة مرسلاً، بدون ذكر أبيه، ورجحه الدارقطني في «العلل» (٢٦٩٤).

(٢) قال ابن سعد في الطبقات (٤/ ٣٨٣): محصن بن أبي قيس بن الأسلت، واسم أبي قيس صيفي، وكان شاعراً، واسم الأسلت عامر بن جشم بن وائل، ولم يكن لمحصن عقب، وكان العقب لأخيه عامر ابن أبي قيس، انقرضوا فلم يبق منهم أحد.

(٣) انظر: نسب قريش (ص: ٩٩) للزبيري، وتفسير الثعلبي (٣/ ٢٨١).

(٤) انظر: تفسير الثوري (ص: ٩٢)، وتفسير الطبري (٨/ ١٠٦).

(٥) قال في الإصابة (٨/ ٢٩٥): كبشة بنت معن بن عاصم الأنصارية، كانت زوج أبي قيس بن الأسلت، ويقال لها: كبيشة.

وقال السدي: كان ولي الميت إِذا سبق فألقى على امرأة الميت ثوبه؛ فهو أحق بها، وإِن سبقته فذهبت إِلى أهلها؛ كانت أحقَّ بنفسها[١].

قال القاضي أبو محمد: والروايات في هذا كثيرة بحسب السير الجاهلية، ولا منفعة في ذكر جميع ذلك؛ إِذ قد أَذهبه الله بقوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾.

ومعنى الآية على هذا القول: لا يحل لكم أن تجعلوا النساء كالمال، يورثن عن الرجال الموتى كما يورث المال، والمتلبس بالخطاب أولياء الموتى.

وقال بعض المتأولين: معنى الآية: لا يحلّ لكم عَضْلُ النساء اللواتي أَنتم أولياءُ لهنَّ وإمساكهن دون تزويج حتى يمتن فتورثَ أموالهن.

قال القاضي أبو محمد: فعلى هذا القول فالموروث مالها لا هي، وروي نحو هذا عن ابن عباس وغيره[٢]، والمتلبس بالخطاب أولياء النساء وأزواجهن إِذا حبسوهن مع سوء العشرة طماعِيَةَ أنْ يرثها[٣].

وقرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير: ﴿كَرْهًا﴾ بفتح الكاف حيث وقع في النساء وسورة التوبة وفي الأَحقاف، وقرأ حمزة والكسائي جميع ذلك بضم الكاف، وقرأ عاصم وابن عامر في النساء والتوبة بفتح الكاف، وفي الأحقاف في الموضعين بضمها[٤].

والكَرْه والكُرْه لغتان، كالضَّعف والضُّعف، والفَقْر والفُقْر، قاله أَبو علي[٥].

وقال الفراء: هو بضم الكاف: المشقة، وبفتحها: إكراهُ غير، وقاله ابن قتيبة[٦].

---

(١) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٨/ ١٠٦).

(٢) أخرجه الطبري (٨٨٨٢)، من طريق علي بن أبي طلحة عنه، وجاء هذا القول عن الزهري عند الطبري أيضاً (٨٨٨٣).

(٣) في المطبوع: «يرثوهن».

(٤) السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٢٩)، والتيسير (ص: ٩٥) وانظر: (ص: ١١٨)، و(ص: ١٩٨).

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ١٤٤).

(٦) انظر غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ١٢٢)، ومعاني القرآن للأخفش (١ / ١٨٤).

واختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾ الآية:

فقال ابن عباس وغيره: هي أيضاً في أولئك الأَولياء الذين كانوا يرثون المرأة؛ لأنهم كانوا يتزوجونها إذا كانت جميلة، ويمسكونها حتى تموت إذا كانت دَميمة[١]، وقال نحوه الحسن وعكرمة[٢].

قال القاضي أبو محمد: ويجيء في قوله: ﴿ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ خلط؛ أي: ما آتاها الرجال قبل، فهي كقوله: ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٥]، وغير ذلك، وقال ابن عباس أيضاً: هي في الأزواج؛ في الرجل يمسك المرأة ويسيء عشرتها حتى تفتدي منه، فذلك لا يحل له[٣]، وقال مثله قتادة[٤].

وقال ابن البيلماني[٥]: الفصل الأول من الآية هو في أمر الجاهلية، والثاني في العضلِ، هو في أهل الإِسلام في حبس الزوجة ضراراً؛ للفدية[٦].

وقال ابن مسعود: معنى الآية: لا ترثوا النساءَ كفعل الجاهلية، ولا تعضلوهن في الإِسلام[٧]، وقال نحو هذا القول السدي والضحاك[٨].

---

(١) هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٥٣٢)، من طريق الحسين بن داود، عن حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس بنحوه، والحسين هو: سنيد بن داود المصيصي ضعيف كما في التقريب (٢٦٤٦)، وأخرجه ابن جرير أيضاً (٦/ ٥٢٦)، وابن أبي حاتم (٥٠٢٨)، من طريق عبد الله ابن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس بنحوه، وفي نجيبويه: «ذميمة».

(٢) انظر: تفسير الطبري (٨/ ١٠٨).

(٣) أخرجه الطبري (٨٨٨٠)، من طريق عطية العوفي، عنه.

(٤) رواه عنه الطبري (٨/ ١١١).

(٥) في الحمزوية ونجيبويه: «السلماني»، وفي نور العثمانية:« السليماني»، وهو عبد الرحمن بن البيلَماني الشاعر، من أشعر شعراء اليمن، روى عن: ابن عباس، وابن عمر، وغيرهما، وعنه: ربيعة الرأي، ومحمد ابنه، لينه أبو حاتم، توفي في خلافة الوليد، تاريخ الإسلام (٦/ ٤١٤).

(٦) رواه عنه الطبري (٨/ ١٠٤).

(٧) هذا من كلام عبد الله ابن المبارك، كما أخرجه الطبري (٨٨٨٦).

(٨) رواه عنهما الطبري (٨/ ١٠٤).

وقال السدي: هذه الآية خطاب للأولياء، كالعضل المنهيِّ عنه في سورة البقرة[(١)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قلق، إلا أن يكون العضلُ من ولي وارث، فهو يؤمل موتها، وإن كان غيرَ وارث فبأي شيء يذهب؟

وقال ابن زيد: هذا العضلُ المنهي عنه في هذه الآية هو من سير الجاهلية في قريش بمكة، إذا لم يتوافق الزوجان طلقها على ألا تتزوجَ إلا بإذنه، ويُشْهِدُ عليها بذلك، فإذا خطبت؛ فإن أَعطته ورشته وإلا عضل، ففي هذا نزلت الآية[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: والذي أقول: إن العضل في اللغة: الحبس في شدةٍ ومضرَّة، والمنعُ من الفرَج في ذلك، فمن ذلك قولهم: أعضلت الدجاجة وعضلت: إذا صعب عليها وضع البيضة، ومنه أعضل الداء: إذا لحِجَ[(٣)] ولم يبرأ، ومنه: داء عضال.

ومشى عرف الفقهاء على أن العضل من الأولياء: في حبس النساء عن التزويج، وهو في اللغة أعمّ من هذا حسبما ذكرت، ويقع من وليٍّ، ومن زوج.

وأقوى ما في هذه الأقوال المتقدمة: أَن المراد الأزواج، ودليل ذلك قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ﴾، وإذا أتت بفاحشة فليس للولي حَبْسُهَا حتى يذهبَ بمالها إجماعاً من الأمة، وإنما ذلك للزوج على ما سنبين بعد إن شاء الله.

[١/ ٣٠١] وكذلك / قوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ إلى آخر الآية، يظهر منه تقوية ما ذكرته، وإن كان ذلك يحتمل أن يكون أمراً منقطعاً من الأول يُخَصّ به الأَزواج.

وأما العضل فمنهيٌّ عنه كلُّ من يتصور في نازلة عاضلاً، ومتى صح في ولي أنه عاضل نظر القاضي في أمر المرأة، وزوَّجَها ولم يلتفته، إلا الأب في بناته؛ فإنه إن كان في

---

(١) أخرجه الطبري عن السدي (٨/ ١٠٧)، ومجاهد (٨/ ١٠٨).

(٢) تفسير الطبري (٨/ ١٠٨)، وقوله: ورشته، لعله من الرشوة.

(٣) في الأصل: «نحح»، وفي الحمزوية: «ألَحَّ»، أو: «ألجَّ».

أمره إشكال[١] فلا يُعْتَرَضُ قولاً واحداً، وإِن صَحَّ عضله ففيه قولان في مذهب مالك:

أَحدهما: أنه كسائر الأولياء، يزوج القاضي من شاء التزويج من بناته وطلبه.

والقول الآخر: أنه لا يعرض له[٢].

ويحتمل قوله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أَن يكون جزماً، فتكون الواو عاطفةَ جملةِ كلامٍ، مقطوعةً من الأُولى، ويحتمل أن يكون ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾ نصباً؛ عطفاً على: ﴿تَرِثُواْ﴾، فتكون الواو مشرِّكة عاطفة فعلٍ على فعل.

وقرأ ابن مسعود: (ولا أَن تعْضُلوهُنَّ)[٣]، فهذه القراءة تقوي احتمال النصب، وأَن العضل مما لا يحل بالنص[٤]، وعلى تأويل الجزم هو نهيٌ معرض لطلب القرائن في التحريم أو الكراهية، واحتمال النصب أقوى.

واختلف الناس في معنى الفاحشة هنا:

فقال الحسن بن أَبي الحسن: هو الزنا، وإِذا زنت البكر فإِنها تجلد مئة وتنفى سنة، وتردّ إِلى زوجها ما أخذت منه.

وقال أَبو قلابة: إِذا زنت امرأة الرجل فلا بأس أن يضارَّها ويشقَّ عليها حتى تفتديَ منه.

وقال السدي: إِذا فعلن ذلك فخذوا مهورهن.

وقال عطاء الخراساني: كان هذا الحكم ثم نُسِخَ بالحدود[٥]، وهذا قول ضعيف.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: الفاحشةُ في هذه الآية: البغض والنشوز[٦]، وقاله

---

(١) في الحمزوية: «استبطان».

(٢) انظر حكم العاضل غير الأب، والأب إذا عضل بناته، وقولي المالكية في: بداية المجتهد (٢/ ١٥).

(٣) تفسير الطبري (٨/ ١١٤).

(٤) في السليمانية: «إلا بالنص».

(٥) انظر تفسير مجاهد (٢/ ٦٨١)، وأحكام القرآن للشافعي (١/ ٢١٤)، ومصنف عبد الرزاق (٦/ ٣٢٢)، وتفسير الطبري (٨/ ١١٦).

(٦) أخرجه الطبري (٨٨٩٩)، من طريق علي بن أبي طلحة عنه.

الضحاك وغيره، قالوا: فإِذا نشزت حلَّ له أن يأخذ مالها[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو مذهب مالك[٢]، إلا أني لا أحفظ له نصاً في معنى الفاحشة في هذه الآية.

وقال قوم: «الفاحشة»: البَذَاء باللسان، وسوء العشرة قولاً وفعلاً، هذا في معنى النشوز.

ومن أهل العلم من يجيز أخذَ المال من الناشز على جهة الخلع، إِلا أَنه يرى أَلا يتجاوز ما أعطاها[٣]، رُكُوناً إلى قوله تعالى: ﴿لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾.

وقال مالك وأَصحابه وجماعة من أهل العلم: للزوج أن يأخذ من الناشز جميع ما تملك[٤].

قال القاضي أبو محمد: والزنا أصعب على الزوج من النشوز والأَذى، وكل ذلك [فاحشة تُحِلُّ][٥] أَخْذَ المال.

وقرأ ابن مسعود: (إِلا أَن يفحشن، وعاشروهن)[٦].

قال القاضي أبو محمد: وهذا خلاف مفرط لمصحف الإِمام، وكذلك ذكر أَبو عمرو عن ابن عباس وعكرمة وأبيّ بن كعب[٧]، وفي هذا نظر.

وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿مُبَيَّنَة﴾، و﴿آيات مُبَيَّنات﴾ بفتح الياء فيهما.

---

(١) انظر: تفسير عبدالرزاق (١/ ١٥٢)، والطبري (٨/ ١٠٧)، فقد أورد تلك الآثار عن ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم.

(٢) انظر مذهب مالك في: «بداية المجتهد» (٢/ ٦٧).

(٣) ممن قال بذلك طاوس وعطاء والزهري، كما في: الإشراف (٣/ ٢١٣).

(٤) انظر: بداية المجتهد (٢/ ٦٧)، والأوسط (٩/ ٣١٩).

(٥) ساقط من نور العثمانية.

(٦) تفسير الطبري (٨/ ١١٦)، الماوردي في: النكت (١/ ٤٦٦).

(٧) انظر عزوها لأُبي في تفسير الثعلبي (٤/ ٢١٠)، والسمعاني (٥/ ٤٥٩)، عن أبي، وانظر نقل الداني في البحر المحيط (٣/ ٥٦٩).

وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص والمفضل عن عاصم: ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾ و﴿مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ بكسر الياء فيهما.

وقرأ نافع وأبو عمرو: ﴿مُبيِّنة﴾ بالكسر، و﴿مُبَيَّنات﴾ بالفتح[١].

وقرأ ابن عباس: (بفاحشةٍ مُبِينة) بكسر الباء وسكون الياء[٢]، من: أبان الشيء.

وهذه القراءات كلها لغات صحيحة[٣] فصيحة، يقال: بيَّنَ الشيءُ وأبان: إذا ظهر، وبان الشيء وبيَّنته.

وقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أمر للجميع، إذ لكلِّ أحدٍ عشرة، زوجاً كان أو وليّاً، ولكن المتلبس في الأغلب بهذا الأَمر الأزواج.

والعشرة: المخالطة والممازجة، ومنه قول طرفة:

فلئن شَطَّتْ نوَاها مرةً لعلى عَهْدِ حبيبٍ مُعْتَشرْ[٤] [الرمل]

جعل «الحبيب» جمعاً، كالخليط والفريق.

يقال: عاشره معاشرة، وتعاشر القوم واعتشروا، وأرى اللفظة من: أعشار الجزور؛ لأَنها مقاسمة ومخالطة ومخالقة جميلة، فأمر الله تعالى الرجال بحسن صحبة النساء، وإِلى هذا ينظر قول النبي ﷺ: «فاستمتع بها وفيها عوج»[٥].

ثم أدب تعالى عباده بقوله: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ إلى آخر الآية.

قال السدي: «الخير الكثير» في المرأة: الولد[٦]، وقال نحوه ابن عباس[٧].

---

(١) وكلها سبعية، انظر التيسير للداني (ص: ٩٥)، و(١٦٢)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ٢٣٠).
(٢) المحتسب (١/ ١٨٣).
(٣) «صحيحة»: من الحمزوية.
(٤) انظر عزوه له في المحكم والمحيط الأعظم (١/ ٣٦٠).
(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٥٣)، ومسلم (٣٧١٧)، من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.
(٦) أخرجه الطبري (٨/ ١٢٢).
(٧) أخرجه الطبري (٨٩١١)، وابن أبي حاتم (٥٠٤٥)، من طريق عطية العوفي عنه.

قال القاضي أبو محمد: ومن فصاحة القرآن العموم الذي في لفظة «شيء»؛ لأنه يطرد هذا النظر[١] في كل ما يكرهه المرء مما يجمل[٢] الصبر عليه؛ فيحسن الصبر، إِذ عاقبته إلى خير، إذا أُريد به وجه الله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾.

لما مضى في الآية المتقدمة حكم الفراق الذي سببه المرأة، وأَن للزوج أخذَ المال منها؛ عقب ذلك ذكر الفراق الذي سببه الزوج، والمنع من أخذ مالها مع ذلك، فهذا الذي في هذه الآية هو الذي يختص الزوج بإِرادته.

واختلف العلماء: إِذا كان الزوجان يريدان الفراق، وكان منهما نشوز وسوء عشرة:

فقال مالك رحمه الله: للزوج أَن يأخذ منها إِذا سببت الفراق، ولا يراعى تسبيبه هو[٣].

وقالت جماعة من العلماء: لا يجوز له أخذ المال، إِلا أن تنفرد هي بالنشوز، وبظلمه[٤] في ذلك[٥].

وقال بعض الناس: يخرج في هذه الآية جواز المغالاة بالمهور؛ لأن الله تعالى قد مثل بقنطار، ولا يمثل تعالى إِلا بمباح[٦].

وخطب عمر بن الخطاب فقال: أَلا لا تغالوا بمهورِ نسائكم؛ فإِن الرجل يُغَالي

---

(١) في الحمزوية: «اللفظ».

(٢) في الحمزوية: «يحمد»، وفي الأصل والسليمانية: «يحمل».

(٣) انظر قول مالك في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٩٩).

(٤) في الحمزوية: «تظلمه»، وفي السليمانية وفيض الله: «وتطلبه».

(٥) بل إن ابن المنذر قد حكى الإجماع عليه في: الإشراف (٣/ ٢١١).

(٦) نقل ابن عبد البر إجماع العلماء: على أن أكثر الصداق لا حد له، مستدلًا لهم بالآية المذكورة، الاستذكار (٥/ ٤٠٨).

حتى يكون ذلك في قلبه عداوة للمرأة، يقول: تجشمتُ[١] إليك عَلَق القِرْبةِ، أو عَرَقَ القربة[٢]، فيروى أن امرأة كلَّمته من وراء الناس فقالت: كيف هذا؟ والله تعالى يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ قال: فأطرق عمر ثم قال: كلُّ الناس أفقه منك يا عمر، ويروى أنه قال: امرأةٌ أصابتْ ورجلٌ أخطأ، والله المستعان، وتركَ الإنكارَ[٣].

وقال قوم: لا تعطي الآية جواز المغالاة بالمهور؛ لأن التمثيل جاء على جهة المبالغة، كأنه قال: وآتيتم هذا القدر العظيم الذي لا يؤتيه أحد.

وهذا كقوله عليه السلام: «من بنى لله مسجداً ولو كمَفحَص قطاة[٤] بنى الله له بيتاً[٥] في الجنة»[٦]، فمعلوم أنه لا يكون مسجد كمَفْحَصٍ.

---

(١) في السليمانية وفيض الله: «حشمت».

(٢) أي: شدة، فأما علقها فالذي تشد به ثم تعلق، وأما عرقها فأن تعرق من جهدها، انظر: تهذيب اللغة (١/ ١٦٢).

(٣) في ثبوت القصة نظر، أخرجها الطحاوي في شرح معاني الآثار (٤٤٢٧)، والبيهقي في السنن (١٤٧٢٥) من طريق مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن عمر رضي الله عنه وهذا منقطعٌ؛ فإن الشعبي لم يسمع من عمر.
وقد رواه أبو يعلى في مسنده كما في إتحاف الخيرة المهرة (٣٢٧٦)، من طريق مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن مسروق، عن عمر به، ومجالد على كل حال ضعيف، وقد كان يتلقن.
ورواه عبد الرزاق في المصنف (١٠٤٢٠)، وابن المنذر في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٢٤٤) من طريق قيس بن الربيع، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عمر، مختصراً، وأبو عبد الرحمن السلمي لم يسمع من عمر كما قال ابن معين، وقيس بن الربيع الأسدي سيِّئ الحفظ.
وأخرجه الزبير بن بكار كما عند ابن كثير (٢/ ٢٤٤): حدثني عمي مصعب بن عبد الله، عن جدي، قال: قال عمر بن الخطاب ـ فذكره نحو رواية أبي عبد الرحمن، وإسناده منقطعٌ، وقد أشار إلى ذلك ابن كثير، وابن حجر، وأصل قول عمر: لا تغالوا في صدقات النساء، عند أصحاب السنن، وصححه ابن حبان والحاكم، لكن ليس فيه قصة المرأة، وانظر: فتح الباري (٩/ ٢٠٤).

(٤) المفحص: هو موضعها الذي تَجْثُمُ فيه وتَبِيض كأنها تَفْحَص عنه التراب، النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٧٩١).

(٥) في نجيبويه: «مسجداً».

(٦) صحيح من حديث جابر، روي هذا الحديث عن جماعة من الصحابة: جابر، وأبي ذر، وأنس، وابن عباس، وعائشة، وغيرهم. =

وقد قال النبي ﷺ لابن أبي حَدْرَد[1] ـ وقد جاء يستعينه في مهره ـ فسأله عن المهر فقال: مئتين، فغضب رسول الله ﷺ وقال: «كأنكم تقطعون الذهب والفضة من عرض/ [٣٠٢/١]

= أما حديث جابر؛ فأخرجه ابن ماجه (٧٣٨)، وابن خزيمة (٢ / ٢٦٩)، من طريق إبراهيم بن نشيط، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين النوفليِّ، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر بن عبد الله به مرفوعاً، وهذا إسناد صحيح، وصححه غير واحد.

وأما حديث أبي ذر، فأخرجه الطبراني في المعجم الصغير (٢/ ٢٤٦)، من حديث: مؤمل بن إسماعيل، حدثنا سفيان ـ يعني ابن عيينة ـ عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر به مرفوعاً، قال الطبراني: لم يروه عن ابن عيينة إلا مؤمل، وأخرجه ابن حبان (١٦١٠)، من طريقين: عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر مرفوعاً كذلك، وصحح أبو زرعة وأبو حاتم في حديث أبي ذر أنه موقوف، وأسند ابن أبي حاتم إلى ابن مهدي قوله: حديث الأعمش: «من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة» ليس من صحيح حديث الأعمش. اهـ. العلل (٢٦١).

وهذا أيضاً يقضي على الحديث الذي رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ٢٤٠)، من طريق إسحاق بن يوسف الأزرق قال: أخبرنا شريك، عن الأعمش، عن أنس بن مالك مرفوعاً. وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن الأعمش إلا شريك، تفرد به إسحاق. اهـ.

وأما حديث ابن عباس؛ فأخرجه أحمد (٤ / ٥٤)، من طريق شعبة، عن جابر، عن عمار، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً، وهذا إسناد ساقط؛ لحال جابر هو الجعفي.

وأما حديث ابن عمر؛ فأخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ١٩٤)، من طريق الحكم بن ظهير، عن ابن أبي ليلى، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعاً، وقال: لم يرو هذا الحديث عن نافع إلا ابن أبي ليلى، ولا عن ابن أبي ليلى إلا الحكم بن ظهير. اهـ، والحكم متروك، وقد كذبه ابن معين.

وأما حديث أبي بكر فذكره ابن أبي حاتم في العلل (٣٩٠)، من رواية الحكم بن يعلى بن عطاء، عن محمد بن طلحة بن مصرف، عن أبيه، عن أبي معمر؛ يعني: عبد الله بن سخبرة، عن أبي بكر الصديق، قال أبو حاتم: هذا حديث منكر، والحكم بن يعلى متروك الحديث، ضعيف الحديث.

وأما حديث عائشة؛ فأخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢١٩)، من طريق عيسى بن المختار، عن ابن أبي ليلى عن الحكم عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن عائشة من قوله. ثم قال أبو نعيم: هكذا رواه ابن أبي ليلى، موقوفاً على عائشة، ورواه حجاج بن أرطاة، عن الحكم مرفوعاً عن أبي ذر، فرفعه مرة بعد مرة، ووقفه مرة، ولم يذكر إبراهيم. اهـ، ولا يصح الخبر عن عائشة؛ لحال محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وقد خولف في إسناده.

وأما حديث أبي ذر؛ فقد سبق.

(١) عبد الله بن أبي حدرد بن عمير بن أبي سلامة الأسلمي، أبو محمد، له ولأبيه صحبة، وقال ابن منده: لا خلاف في صحبته، وقال ابن سعد: أول مشاهده الحديبية، ثم خيبر، توفي سنة (٧١هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٤٨).

الحرَّة أو جبل...»، الحديث[١]، فاستقرأ بعض[٢] الناس من هذا منع المغالاة بالمهور.

قال القاضي أبو محمد: وهذا لا يلزم؛ لأن هذا أَحوجَ نفسه إِلى الاستعانة والسؤال، وذلك مكروهٌ باتفاق[٣]، وإِنما المغالاة المختلف فيها مع الغنى وسعة المال.

وقرأ ابن مُحيصن بوصل ألف (احداهُنَّ)[٤]، وهي لغة تحذف على جهة التخفيف، ومنه قول الشاعر:

.... وتَسْمَعُ مِنْ تَحتِ العَجَاجِ لها ازمِلاَ[٥] [الطويل]

وقول الآخر:

إنْ لَـمْ أقَاتِـلْ فَالْبِسُـونِي بُرْقُعَـا[٦] .... [الرجز]

(١) لا يصح، أخرجه أحمد في مسنده (٤٢/ ٤٧٥)، والحارث بن أبي أسامة في مسنده (٤٧٨)، والطحاوي في مشكل الآثار (٥٠٥١)، والحاكم في المستدرك (٢٧٣٠)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٦٩٩-٦٧٥١)، والبيهقي في السنن (١٤١٣٣)، من طرق عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبي حدرد الأسلمي به، وعند أحمد: عن ابن أبي حدرد، وهو بلفظ: «لو كنتم تغرفون من بطحان ما زدتم».
وقد رواه الدولابي في الكنى (١٦٢)، من طريق إسماعيل بن عياش، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم، عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي، عن أبيه، فزاد فيه عبد الله بن أبي حدرد، وإسماعيل ضعيفٌ في روايته عن الحجازيين، وهذه منها، والتيمي له مناكير، ولم يصرح بسماعه، وفي بعض الطرق: أن أبا حدرد استعان، وهي صيغة انقطاعه.
وقد رواه الطبراني في الأوسط (٧٥٦٣)، من طريق عمر بن سهل، ثنا عمر بن أصبهان، عن زيد ابن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي حدرد به، لكن ابن سهل يخالف في روايته، وابن صهبان ضعيف، فلا تثبت هذه المتابعة.

(٢) ليست في الأصل.

(٣) انظر الإجماع على كراهته لمن يجد منه بداً في: الاستذكار (٨/ ٦١١).

(٤) المحتسب (١/ ١٨٤)، ومختصر الشواذ (ص: ٣٢).

(٥) صدره: تَضِبُّ لِثَاتُ الخَيْلِ في حَجراتها، وهو بلا نسبة في المحتسب (١/ ١٨٤)، وأساس البلاغة (٢/ ٣٤)، والصحاح (٥/ ٤٠٤).

(٦) بلا نسبة في الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٢١١، ٣٠٧)، (٦/ ٣٤٠)، وإعراب القرآن للزجاج (١/ ٢٢١)، والخصائص (٣/ ١٥١).

وقد تقدم القول في قدر القنطار في سورة آل عمران.

وقرأ أَبو السمال: (منه شَيَئاً) بفتح الياء والتنوين، وهي قراءة أَبي جعفر[١].

و«البهتان»: مصدر[٢] في موضع الحال، ومعناه: مبهتاً محيراً؛ لشنعته وقبح الأحدوثة والفعلة فيه.

ثم وعظ تعالى عباده مذكراً لهم بالمودة التي بين الزوجين، الموجبة لحياطة مال المرأة؛ إِذ قد أُخذ منها العوض عما أُعْطِيَتْهُ، ﴿وَكَيْفَ﴾: في موضع نصب على الحال.

و﴿أَفْضَىٰ﴾ معناه: باشر وجاوز أقصى المجاوزة، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] بِلًى وثأَى أَفْضَى إِلَى كُلِّ كتْبَةٍ بَدَا سَيْرُهَا مِنْ ظَاهِرٍ بَعْدَ بَاطِنِ[٣]

وفي المثل: الناسُ فَوْضَى[٤] فضاً[٥]؛ أي: مختلطون يباشر أمر بعضهم بعضاً، وتقول: أفضت الحال إلى كذا؛ أي: صارت[٦] إِليه.

وقال ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم: الإِفضاء في هذه الآية: الجماع[٧]، قال ابن عباس: ولكن الله كريم يكْني[٨].

---

(١) انظر عزوها لهما في البحر المحيط (٣/ ٥٧٣)، وهي قراءة شاذة لم ترد في شيء من طرق النشر.

(٢) الزيادة من السليمانية وفيض الله ونجيبويه وجار الله.

(٣) البيت للطرماح في ديوانه (ص: ٢٦٥)، بلفظ: «من باطن بعد ظاهر»، وكذا في تفسير الطبري (٨/ ١٢٥) بلا نسبة.

(٤) في الأصل ونجيبويه: «فوض».

(٥) في تهذيب اللغة (١٢/ ٥٥)، ويقال: متاعُهم بينَهم فَوْضى فَضاً؛ أي: مختلطٌ مشترك، وانظر: معاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٩).

(٦) في الأصل: «طارت».

(٧) انظر: تفسير مجاهد (١/ ١٥١)، وتفسير مقاتل (١/ ٢٢٢)، وتفسير الطبري (٨/ ١٢٦)، وانظر تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٠٨).

(٨) صحيح، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٠٨٢٦)، والطبري في تفسيره (٨٩١٤-٨٩١٥-٨٩١٦)،=

واختلف الناس في المراد بـ«الميثاق الغليظ»:

فقال الحسن وابن سيرين وقتادة والضحاك والسدي وغيرهم: هو قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩][(١)].

وقال مجاهد وابن زيد: الميثاق الغليظُ: عقدة النكاح، وقول الرجل: نكحت، وملكت النكاح، ونحوه، فهذه التي بها تُسْتَحَلُّ الفروج[(٢)].

وقال عكرمة والربيع: الميثاق الغليظ يفسره قول النبي ﷺ «استوصوا بالنساء خيراً؛ فإنهن عوان عندكم، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلام الله»[(٣)].

وقال قوم: الميثاق الغليظ: الولد.

ومن شاذ الأقوال في هذه الآية: أَن بكر بن عبد الله المزني قال: لا يجوز أَن يؤخذ من المختلعة شيء[(٤)] قليل ولا كثير، وإِن كانت هي المريدةَ للطلاق[(٥)].

ومنها: أَن ابن زيد قال: هذه الآية منسوخة بقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [٢٢٩][(٦)].

= وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٠٦٦)، من طريق بكر بن عبد الله المزني، عن ابن عباس، وصحح إسناده الحافظ، ورواه عبد بن حميد في تفسيره كما في فتح الباري (٨/ ٢٧٢)، من طريق عكرمة، عن ابن عباس، بلفظ: الملامسة والمباشرة والإفضاء والرفث والغشيان والجماع، كله النكاح، ولكن الله يكني.

(١) وانظر الأقوال في مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٤٦٣) وتفسير الطبري (٨/ ١٢٨).

(٢) انظر: تفسير مجاهد (١/ ١٥١)، وتفسير الطبري (٨/ ١٢٩).

(٣) لا بأس به، أخرجه أحمد في مسنده (٢٤/ ٢٦٦)، وأبو داود (٣٣٣٦)، الترمذي (١١٦٣- ٢١٥٩- ٣٠٨٧)، وابن ماجه (١٨٥١)، والنسائي في الكبرى (٩١٦٩)، وغيرهم من طريق شبيب بن غرقدة البارقي، عن سليمان بن عمرو بن الأحوص، عن أبيه به، وسنده لا بأس به.

(٤) من الحمزوية والسليمانية وفيض الله.

(٥) انظر قوله في: الإشراف (٣/ ٢٢٣)، وتفسير الطبري (٨/ ١٣٠).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٨/ ١٣١).

قال القاضي أبو محمد: وليس في شيء من هذه الآيات ناسخ ولا منسوخ، وكلها ينبني بعضها مع[١] بعض.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ...﴾.

هذه الآية مخاطبة للمؤمنين من العرب في مدة نزول الآية، ومعنى الآية والتحريم الذي بعدها مستقر على المؤمنين أجمع.

وسبب الآية: أَن العرب كان منهم قبائل قد اعتادت أن يخلف الرجل على امرأة أبيه، على ما ذكرناه من أمر أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، ومن ذلك خبر أبي قيس ابن الأَسْلَت، ومن ذلك صفوان بن أُمية بن خلف؛ تزوج بعد[٢] أبيه فاختة بنت الأسود ابن المطلب بن أسد، وكانت امرأة أبيه، قتل عنها، ومن ذلك منظور بن زبَّان؛ خلف على مُلَيْكَة بنت خارجة، وكانت عند أبيه زبَّان بن سيَّار[٣]، إِلى كثير من هذا.

وقد كان في العرب من تزوج ابنته، وهو حاجب بن زرارة[٤]، تمجَّسَ وفعل هذه

---

(١) في الحمزوية ونجيبويه: «على».

(٢) في السليمانية وفيض الله: «بامرأة»، بدل: «بعد».

(٣) انظرهما في تفسير الطبري (٨/ ١٣٣)، ومنظور هو ابن زبّان بن سيّار الفزاري، كان سيِّد قومه، وهو أحد من طال حمل أمه به، تزوَّج امرأة أبيه مليكة بنت خارجة بن سنان بن أبي حارثة المزني، فولدت له، وفرق عمر بينهما، الإصابة (٦/ ١٧٤)، والأغاني (١٢/ ٢٢٥).

(٤) حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم الدارمي التميمي، والد عطارد، كان رئيس بني تميم في عدة مواطن، وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم، ووفى به، الإصابة (١/ ٦٥٦)، وفي الأغاني (١١/ ١٠٤) جملة من أخباره.

الفعلة، ذكر ذلك النضر بن شميل في كتاب المثالب[١]، فنهى الله المؤمنين عما كان عليه آباؤهم من هذه السير.

وقال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يحرِّمون ما يحرم إلا امرأة الأب، والجمع بين الأختين، فنزلت هذه الآية في ذلك[٢].

واختلف المتأولون في مقتضى أَلفاظ الآية:

فقال فرقة: قوله: ﴿مَا نَكَحَ﴾ يراد به النساء؛ أي: لا تنكحوا النساء اللواتي نكح آباؤكم، وقوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ معناه: لكن ما قد سلف فدعوه.

وقال بعضهم: المعنى: لكن ما قد سلف فهو معفوّ عنكم[٣] لمن كان واقعه، فكأنه قال تعالى: ولا تفعلوا حاشا ما قد سلف، فـ﴿مَا﴾ على هذا القول: واقعة على من يعقل من حيث هؤلاء النساء صنف من أصناف من يعقل، و﴿مَا﴾ تقع للأصناف والأوصاف ممن يعقل.

وقالت فرقة: قوله: ﴿مَا نَكَحَ﴾ يراد به فعل الآباء؛ أي: لا تنكحوا كما نكح آباؤكم من عقودهم الفاسدة، وقوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ معناه: إِلا ما تقدم منكم ووقع من تلك العقود الفاسدة؛ فمباحٌ لكم الإِقامة عليه في الإِسلام، إِذا كان مما يُقرر[٤] الإسلام عليه من جهة القرابة، ويجوِّزه الشرع إن لو ابتدئ نكاحه في الإِسلام على سنته.

وقيل: معنى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾، أي: فهو معفو عنكم.

قال القاضي أبو محمد: و﴿مَا﴾ على هذا: مصدرية.

---

(١) نقله عنه ابن قتيبة في المعارف (١/ ٦٢١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٨٩٣٨)، من طريق صالح، عن عكرمة، عن عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما.

(٣) في الحمزوية: «عنه».

(٤) في الحمزوية وجار الله: «تقدم»، وفي المطبوع ونجيبويه: «يقدر»، وفي السليمانية: «قرر».

وفي قراءة أبي بن كعب: (إِلَّا ما قد سَلفَ إلا مَنْ تابَ)[١].

قال القاضي أبو محمد: وكذلك حكاه أَبو عمرو الداني.

وقال ابن زيد: معنى الآية: النهيُ عن أَن يطأ الرجل امرأةً وطئها الآباء، إِلا ما قد سلف من الآباء في الجاهلية من الزنا، لا على وجه المناكحة؛ فذلك جائز لكم زواجهم في الإِسلام؛ لأَن ذلك الزنا كان فاحشةً ومقتا[٢]، قال ابن زيد: فزاد في هذه الآية المقت[٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنه في تأويل هذه الآية: كل امرأة تزوجها أَبوك أو ابنك، دخل أو لم يدخل؛ فهي عليك حرام[٤].

و﴿كَانَ﴾ في هذه الآية تقتضي الماضي والمستقبل، وقال المبرد: هي زائدة[٥].

وذلك خطأ، يردُّ عليه وجودُ الخبر منصوباً.

و«المقت»: البغض والاحتقار بسبب رذيلة يفعلها الممقوت، فسمى تعالى هذا النكاح مقتاً؛ إِذ هو ذا مقت يلحق فاعله.

وقال أبو عبيدة[٦] وغيره: كانت العرب تسمي الولد الذي يجيء من زوج الوالد المقتي[٧].

وقوله: ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾؛ أَي: بئس الطريق والمنهج لمن يسلكه؛ إِذ عاقبته إِلى عذاب الله.

---

(١) الشواذ للكرماني (ص: ١٣٢)، ورواها الثوري في تفسيره (ص: ٩٢)، عن عاصم، عن زر، عنه، ولم أقف على كتابه الذي ذكرها فيه الداني.

(٢) و«مقتاً»: زيادة من السليمانية وفيض الله ونجيبويه.

(٣) تفسير الطبري (٨/ ١٣٧).

(٤) أخرجه الطبري (٨٩٤٢)، وابن أبي حاتم (٥٠٧٤)، والبيهقي في السنن (٧/ ١٦٠)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

(٥) انظر: المقتضب (٤/ ١١٥-١١٦)، وخطأه الزجاج في معاني القرآن أيضاً (٢/ ٣٢-٣٣).

(٦) في الحمزوية: «ابن قتيبة»، وفي جار الله: «ابن عيينة».

(٧) مجاز القرآن (١/ ١٢١).

وقوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية، حكمٌ حرَّم الله به سبعاً من النسب، وستّاً من بين رضاع / وصهر، وألحقت السنة المتواترةُ[١] سابعة؛ وذلك الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها[٢]، ومضى عليه الإجماع[٣]. [١/ ٣٠٣]

وروي عن ابن عباس أنه قال: حرم من النسب سبع، ومن الصهر سبع، وتلا هذه الآية[٤].

وقال عمرو بن سالم مولى الأَنصار[٥] مثل ذلك، وجعل السابعة قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾[٦].

وتحريم الأُمهات عام في كل حال، لا يتخصص بوجه من الوجوه، ويسميه أهل العلم: المبهم؛ أي: لا باب فيه، ولا طريق إِليه؛ لانسداد التحريم وقوته[٧]، وكذلك تحريم البنات والأَخوات.

فالأم: كلُّ من ولدت المرء وإِن علت، والبنت كل من ولدها وإِن سفلت، [أما الأخت لأبوين أو لأب أو لأم؛ فهي التي قد][٨] جمعه وإِياها صلبٌ أو بطن، والعمة:

(١) في المطبوع والأصل ونجيبويه: «المأثورة».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥١٠٩)، ومسلم (١٤٠٨)، من حديث أبي هريرة، وقوله: «وخالتها»: زيادة من السليمانية.

(٣) في الحمزوية وجار الله: «نصَّ عليه الإجماع»، انظر الإجماع على حرمة الجمع بين المرأة وعمتها في الإقناع (١١٨٠/٣-١١٨٤).

(٤) صحيح البخاري (٥١٠٥).

(٥) لعله عمر بن سالم المدني أبو عثمان، قاضي مرو، رأى ابن عباس، وسمع من القاسم بن محمد، وغيره، وعنه مطرف بن طريف، وليث بن أبي سليم، ومهدي بن ميمون، والربيع بن مسلم، وغيرهم، من الطبقة الثانية عشرة، تاريخ الإسلام (٧/ ٤٣١).

(٦) تفسير الطبري (٨/ ١٤٢).

(٧) انظر الإجماع على حرمة هؤلاء النساء في الإقناع (٣/ ١١٧٨-١١٨٠).

(٨) في نور العثمانية بدلًا منه: «والأخت هي كل من...».

أخت الأب، والخالة أخت الأم، كذلك فيهما العموم والإِبهام، وكذلك عمة الأب وخالته، وعمة الأم وخالتها، وكذلك عمة العمة[١].

وأما خالة العمة [فينظر؛ فإِن كانت العمة أخت أب لأُمٍّ أو لأب وأم؛ فلا تحل له[٢] خالة العمة][٣]؛ لأنها أختُ الجدة، وإِن كانت العمة إنما هي أخت أب لأب فقط؛ فخالتها أجنبية من بني أخيها، تحلّ للرجال، ويجمع بينها وبين النساء.

وكذلك عمة الخالة ينظر؛ فإِن كانت الخالة أخت أم لأب، فعمتها حرام؛ لأنها أخت جد، وإِن كانت الخالة أخت أم لأم فقط؛ فعمتها أجنبية من بني أختها، وكذلك في بنات الأخ، وبنات الأخت العموم والإِبهام، سواء كانت الأخوَّةُ شقاقة[٤]، أو لأب، أو لأم[٥].

وقرأ أبو حَيْوة: (مِنَ الرِّضاعَةِ) بكسر الراء[٦].

والرضاع يحرم ما يحرم النسب، والمرضعة أم، وما تقدم من أولادها وتأخر إخوةٌ، وفحل اللبن أب، وما تقدم من أولاده وتأخر إخوةٌ[٧].

وقرأ ابن مسعود: (الَّلاي) بكسر الياء[٨].

وقرأ ابن هُرْمُز: (وأُمَّهاتكم الَّتي) بالإِفراد[٩]، كأنه من جهة الإِبهام يقع مع الواحد والجماعة.

---

(١) وحرمة نكاح هؤلاء المذكورات من بنت وأخت وخالة وعمة؛ حرمة مجمع عليها، كما في: الإقناع (٣/ ١١٧٩-١١٨٠).

(٢) من الحمزوية.

(٣) ساقط من نور العثمانية.

(٤) في الأصل ونجيبويه: «شقيقة»، وفي المطبوع: «أشقاء».

(٥) انظر الإجماع على بنات الإخوة والأخوات في: الإقناع (٣/ ١١٨٠).

(٦) كما تقدم في تفسير الآية (٢٣٣) من (سورة البقرة)، وذكر معه هناك: ابن أبي عبلة والجارود بن أبي سَبرة.

(٧) نقل ابن المنذر الإجماع على كل هذا في: الأوسط (٨/ ٥٤٨-٥٥٠).

(٨) لم أقف عليها.

(٩) الشواذ للكرماني (ص: ١٣٢).

واختلف الناس في تأْويل قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾:

فقال جُمْهورُ أَهْل العلم: هي تامة العموم فيمن دخل بها أَو لم يدخل، فبالعقد على الابنة حرمت الأم، وهذا مذهب جملة الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار(١).

وروي عن علي بن أَبي طالب: أنه قيل له في رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها، أيتزوج أمها؟ قال: نعم، هي بمنزلة الربيبة(٢).

قال القاضي أبو محمد: يريد أن قوله تعالى: ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ شرط في هذه وفي الربيبة، وروي نحوه عن ابن عباس(٣)، وروي عنه كقول الجمهور(٤).

وروي عن زيد بن ثابت أَنه كان يقول: إِذا ماتت عنده فأخذ ميراثها؛ كره أن يخلف على أمها، وإِن طلقها قبل أن يدخل بها؛ فإِن شاء فعل(٥).

وقال مجاهد: الدخول مراد في النازلتين(٦)، وقول جمهور الناس مخالف لهذا القول، وروي في ذلك عن زيد بن ثابت: أَنه قال: (أمهات نسائكم) مبهمة، وإِنما الشرط في الربائب(٧).

---

(١) منهم الحسن وطاووس والزهري وعطاء والأئمة الأربعة وغيرهم كما ذكر ذلك ابن عبد البر في: الاستذكار (٥/ ٤٥٩).

(٢) منقطع، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٦٥٢٢)، والطبري في تفسيره (٨٩٥١ -٨٩٥٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٠٨٥)، من طريق قتادة، عن خلاس بن عمرو، عن علي رضي الله عنه، وسنده منقطع، فقتادة لم يسمع من خلاس، وخلاس لم يسمع من علي رضي الله عنه، قاله أحمد، وأبو حاتم، وأبو داود، وانظر: جامع التحصيل (١٧٥).

(٣) أخرجه الطبري (٨٩٥٨)، وابن أبي حاتم (٥٠٩١)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) انظر نقل الروايتين عن ابن عباس في: الاستذكار (٥/ ٤٥٨).

(٥) أخرجه الطبري (٨٩٥٣)، بإسناد حسن عن زيد بن ثابت، رضي الله عنه.

(٦) نقله عبد الرزاق في مصنفه (١/ ٢٧٥)، وانظر الأوسط (٨/ ٤٨٢).

(٧) رواه مالك في «الموطأ» (١١١٠) رواية يحيى الليثي، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن زيد بن ثابت من قوله.

وقال ابن جريج: قلت لعطاء: أكان ابن عباس يقرأ: (وأمهات نِسَائِكم اللَّاتي دخلتمْ بِهِنَّ)؟ فقال: لا. تترا، قال حجاج: قلت لابن جريج: ما تترا؟ قال: كأنه قال: لا، لا[١].

ويرد هذا القول من جهة الإِعراب: أَنَّ المجرورَيْن[٢] إِذا اختلفا لم يكن نعتهما واحداً[٣]، ومعناه: إِذا اختلفا في العامل، وهذه الآية قد اختلف فيها جنس العامل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٢٣﴾.

«الرَّبيبة»: بنت امرأة الرجل من غيره، سميت بذلك؛ لأنه يربيها في حجره، فهي مربوبته.

وربيبة: فعيلة بمعنى مفعولة.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ ذكر الأَغلب في هذه الأمور؛ إِذ هي حالة الربيبة في الأكثر، وهي محرَّمة وإِن كانت في غير الحجر؛ لأنها في حكم أَنها في الحجر، إِلا ما روي عن علي أَنه قال: تحلُّ إِذا لم تكن في الحجر وإِن دخل بالأم، إذا كانت بعيدة عنه[٤].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٠٨١٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٦٥٢٨)، والطبري (٨٩٥٧)، من طريق حجاج بن محمد المصيصي، عن ابن جريج، عن عطاء من قوله، و(تترا) كأنها دالة على التكرار، وكتبت في المطبوع: «تترأ» بالهمز.

(٢) في الأصل: «الجريرين»، وفي الحمزوية: «الخبرين إذا اختلفا في العامل»، وفي نور العثمانية وجار الله: «الجرين».

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٤)، والزاهر (١/ ٣٠٩)، وتهذيب الأسماء للنووي (٢/ ٣٦٦).

(٤) إسناد قوي، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٠٨٣٤)، وابن المنذر كما في فتح الباري =

ويقال: «حجر» بكسر الحاء وفتحها، وهو مُقَدَّمُ ثوب الإِنسان، وما بين يديه منه في حال اللبس، ثم استعملت اللفظة في الحفظِ والسترِ؛ لأن اللابسَ إنما يحفظ طفلاً، وما أَشبه بذلك الموضع من الثوب.

واختلف العلماء في معنى قوله: ﴿دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾:

فقال ابن عباس[1] وطاووس وابن دينار: «الدخول» في هذا الموضع: الجماع، فإِن طلق الرجل بعد البناء وقبل الوطءِ؛ فإِن ابنتها له حلال[2].

وقال جمهور من العلماء منهم مالك بن أنس وعطاء بن أبي رباح وغيرهم: إِن التجريد والتقبيل والمضاجعة وجميع أَنواع التلذذ يُحَرِّمُ الابنةَ كما يحرمها الوطء[3].

و«الحلائل»: جمع حليلة، وهي الزوجة؛ لأنها تحلُّ مع الرجل حيث حل، فهي فعيلة بمعنى فاعلة.

وذهب الزجاج وقوم إِلى أنها من لفظة الحلال، فهي حليلة بمعنى: محلَّلة[4].

= (٩/ ١٥٨)، وابن أبي حاتم (٥٠٨٧)، من طريق إبراهيم بن عبيد بن رفاعة، عن مالك بن أوس الحدثاني قال: كانت عندي امرأة، فتوفيت وقد ولدت لي، فوجدت عليها، فلقيني علي بن أبي طالب فقال: مالك؟ فقلت: توفيت المرأة، فقال علي: لها ابنة؟ قلت: نعم، وهي بالطائف، قال: كانت في حجرك؟ قلت: لا، هي بالطائف، قال: فانكحها، قلت: فأين قول الله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ قال: إنها لم تكن في حجرك، إنما ذلك إذا كانت في حجرك، قال ابن كثير: هذا إسناد قوي ثابت إلى علي بن أبي طالب، على شرط مسلم، وهو قول غريب جدّاً... وحكى لي شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي أنه عَرَض هذا على الشيخ الإمام تقي الدين ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فاستشكله، وتوقف في ذلك.اهـ، والمخالفون لعلي رضي الله عنه في هذا هم جمهور العلماء كما قال ابن المنذر في: الإشراف (٣/ ٨٠).

(١) أخرجه الطبري (٨٩٥٨)، وابن أبي حاتم (٥٠٩١)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

(٢) انظر: قول ابن عباس وطاووس وعمرو بن دينار في: الإشراف (٣/ ٨١).

(٣) انظر قول مالك ومن وافقه في: الاستذكار (٥/ ٤٦٠)، وانظر مذهب عطاء في: تفسير الطبري (٨/ ١٤٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥).

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ تخصيصٌ؛ ليخرج عنه كل من كانت العرب تتبناه ممن ليس للصلب، وكان عندهم أمراً كثيراً قوي الحكم.

قال عطاء بن أبي رباح: يُتَحَدَّث ـ والله أعلم ـ أنها نزلت في محمد ﷺ حين تزوج امرأة زيد بن حارثة، فقال المشركون: قد تزوج امرأة ابنه، فنزلت الآية[١].

وحرمت حليلة الابن من الرضاع وإن لم يكن للصلب؛ بالإِجماع[٢] المستند إلى قوله ﷺ: «يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب»[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾ لفظ يعم الجمع بنكاح وبملك يمين، وأَجمعت الأمة على منع جمعهما بنكاح[٤]، وأَما بملك يمين؛ فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: أحلتهما آية، وحرمتهما آية، فأما أَنا في خاصة نَفْسي فلا أرى الجمع بينهما حسناً[٥]، وروي نحو هذا عن ابن عباس، ذكره ابن المنذر[٦]، وذكر أَن إسحاق بن راهويه حرم الجمع بينهما بالوطء، وأَن جمهور أهل

---

(١) مرسل رواه عبدالرزاق في مصنفه (٦/ ٢٨٠)، والطبري في تفسيره (٤/ ٣٢٣)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩١٣)، من طرق عن ابن جريج، عن عطاء فذكره.

(٢) نقل ابن المنذر في: الإشراف (٣/ ٨١-٨٢)، هذا القول عن جماعة من العلماء، وقال: إنه لا يعرف مخالفاً لهم في المسألة.

(٣) رواه البخاري (٢٥٠٣)، ومسلم (٣٦٥٢)، من حديث عائشة، رضي الله عنها.

(٤) انظر حكاية الإجماع في: الإشراف (٣/ ٨٣).

(٥) صحيح، أخرجه مالك في الموطأ (١١٢٢) رواية يحيى الليثي، والشافعي في مسنده (١٣٨٠)، وعبد الرزاق في المصنف (١٢٧٢٨-١٢٧٣٢)، ومسدد في مسنده كما في المطالب العالية (١٧٨٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٦٥١٢)، وابن أبي حاتم (٥٠٩٧) من طرق صحاح، عن الزهري، عن قبيصة بن ذؤيب: أن رجلاً سأل عثمان بن عفان عن الأختين من ملك اليمين هل يجمع بينهما؟ فقال عثمان: أحلتهما آية، وحرمتهما آية، وأما أنا فلا أحب أن أصنع هذا، قال: فخرج من عنده فلقي رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فقال: لو كان لي من الأمر شيء ثم وجدت أحداً فعل ذلك لجعلته نكالاً، قال مالك: قال ابن شهاب: أراه علي بن أبي طالب.

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٧٥) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وقد أخرجه ابن أبي شيبة =

العلم كرهوا ذلك، وجعل مالكاً فيمن كرهه(١).

قال القاضي أبو محمد: ولا خلاف في جواز جمعهما في الملك، وكذلك الأم وبنتها(٢).

ويجيء من قول إسحاق / أن يرجم الجامع بينهما بالوطء، وتستقرأ الكراهية [١/ ٣٠٤] من قول مالك: إِنه إذا وطئ واحدة ثم وطئ أخرى؛ وقف عنهما حتى يحرم إحداهما، فلم يُلزمه حدّاً(٣).

واختلف العلماء بعد القول بالمنع من الجمع بينهما بالوطء، إِذا كان يطأ واحدة ثم أراد أن يطأ الأخرى؛ فقال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه وابن عُمَر والحسن البصري والأَوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق: لا يجوز له وطء الثانية حتى يحرم فرج الأخرى(٤) بإِخراجها من ملكه، ببيع، أو عتق، أو بأن يزوجها(٥).

قال ابن المنذر: وفيها قول ثان لقتادة، وهو أنه إن كان يطأ واحدة وأراد وطء الأخرى؛ فإنه ينوي تحريم الأولى على نفسه، وأَلا(٦) يقربها، ثم يمسك عنها حتى يستبرئ الأولى المحرمة، ثم يغشى الثانية(٧).

قال القاضي أبو محمد: ومذهب مالك رحمه الله: إذا كان أُختان عند رجل بملك؛ فله أن يطأ أيتهما شاء، والكفُّ عن الأخرى موكول إِلى أَمانته، فإِن أراد وطء الأخرى؛

= في المصنف (١٦٢٤٥)، عن أبي الأحوص سلام بن سليم، والدارقطني في السنن (٣٧٢٨)، من طريق أبي الأحوص، عن طارق البجلي، عن قيس بن أبي حازم قال: قلت لابن عباس: أيقع الرجل على الجارية وابنتها تكونان مملوكين له، قال: حرمتهما آية، وأحلتهما آية، ولم أكن لأفعله، وإسناده حسن.

(١) الإشراف (٣/ ٨٣-٨٤).

(٢) انظر الإجماع على ذلك في: الإشراف (٣/ ٨٣).

(٣) انظر قول مالك في: الموطأ (٢/ ٤٢٥)، باب ما جاء في كراهية إصابة الأختين بملك يمين.

(٤) في السليمانية: «الأولى».

(٥) انظر كل هذه الأقوال في: الإشراف (٣/ ٨٣-٨٤).

(٦) في السليمانية: «فإن كان لم»، بدل: «وألا».

(٧) انظر نقل ابن المنذر لقول قتادة في: الإشراف (٣/ ٨٤).

فيلزمه أن يحرم على نفسه فرج الأولى[١] بفعل يفعله، من إخراج عن الملك، أو تزويج، أو عتق إلى أجل، أو إخدام طويل[٢]، فإن كان يطأ إحداهما ثم وثب على الأخرى دون أن يحرم الأولى؛ وقف عنهما، ولم يجز له قرب إحداهما حتى يحرم الأخرى، ولم يبق ذلك إلى أمانته؛ لأنه متهم فيمن[٣] قد وطئ، ولم يكن قبلُ متهماً إذ كان لم يطأ إلا الواحدة[٤].

وإن كانت عند رجلٍ أمة يطؤها، ثم تزوج أختها؛ ففيها في المذهب ثلاثة أقوال: في النكاح الثالث من المدونة: أنه يوقَفُ عنهما[٥] إذا وقع عقد النكاح حتى يحرم إحداهما، مع كراهيته لهذا النكاح؛ إذ هو عقد في موضع لا يجوز فيه الوطء، وذلك مكروه إلا في الحيض؛ لأنه أمر غالب كثير، وفي الباب بعينه قول آخر: إن النكاح لا ينعقد[٦].

وقال أشهب في كتاب الاستبراء: عقد النكاح في الواحدة تحريم لفرج المملوكة[٧].

وثبت عن النبي ﷺ: أنه نهى أن يجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها[٨]، وأجمعت الأمة على ذلك[٩]، وقد رأى بعض العلماء أن هذا الحديث ناسخ لعموم قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]؛ وذلك لأن الحديث من المتواتر، وكذلك قوله ﷺ: «يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب»[١٠]، قيل أيضاً: إنه ناسخ.

---

(١) في السليمانية وفيض الله: «الأخرى».

(٢) انظر هذه المسألة في: النوادر (٤/ ٥١٣-٥١٤).

(٣) في الأصل: «فيهن».

(٤) انظر هذه المسألة في: النوادر (٤/ ٥١٥).

(٥) في السليمانية: «عنها».

(٦) انظر هذين القولين في: المدونة (٢/ ١٩٩)، وليس فيه ذكر للحيض.

(٧) انظر قول أشهب في المدونة (٢/ ٣٨١).

(٨) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٨٢٠)، ومسلم (٣٥٠٢)، من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٩) انظر ذلك في: الإجماع لابن المنذر (٣٧٠).

(١٠) صحيح البخاري (٢٦٤٥)، من حديث عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾: استثناء منقطع، معناه: لكن ما قد سلف من ذلك ووقع وأزاله الإسلام فإن الله يغفره، والإسلام يجبُّه[(١)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿...وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾.

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾: عطفٌ على المحرمات قبل، والتَّحَصُّن: التَّمَنع، يقال: حصن المكان: إذا امتنع، ومنه الحصن، وحصنت المرأة: امتنعت بوجه من وجوه الامتناع[(٢)]، وأَحصنتْ نفسها، وأَحصنها غيرها.

و«الإحصان» تستعمله العرب في أَربعة أَشياء، وعلى ذلك تصرفت اللفظة في كتاب الله تعالى:

فتستعمله في الزواج؛ لأَن ملك الزوجة مَنَعة وحفظ.

ويستعملون الإحصان في الحرية؛ لأَن الإِماءَ كان عرفهن في الجاهلية الزنا، والحرة بخلاف ذلك، أَلا ترى إلى قول هند بنت عتبة للنبي ﷺ حين بايعته: وهل تزني الحرة؟[(٣)]، فالحرية مَنَعة وحفظ.

---

(١) في السليمانية: «يجب ما قبله».

(٢) في السليمانية: «المنع».

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٣٤١) مطولًا، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، وهو ضعيف، قال ابن كثير في التفسير (٨/ ٩٩): وهذا أثر غريب، وفي بعضه نكارة، والله أعلم، ورواه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٩)، من طريق الشعبي، وميمون بن مهران: أن نسوة أتين النبي ﷺ فيهن هند ابنة عتبة ابن ربيعة، وهي أم معاوية، يبايعنه، فلما أن قال: «ولا تشركن بالله شيئاً، ولا تسرقن» قالت هند: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل مسِّيك، فهل علي حرج أن أصيب من طعمة من غير إذنه؟ قال: رخص لها رسول الله ﷺ في الرطب، ولم يرخص لها في اليابس، قال: «ولا تزنين» قالت: وهل تزني الحرة؟... الحديث، وهو مرسل، وأصله عند البخاري (٢٠٩٧)، من حديث عائشة رضي الله عنها، دون قولها: وهل تزني الحرة.

ويستعملون الإحصان في الإسلام؛ لأنه حافظ، ومنه قول النبي ﷺ: «الإِيمانُ قَيْدُ الْفَتْكِ»[(١)].

ومنه قول الهُذَلِيِّ:

[الطويل] فَلَيْسَ كعهْد الدار يا أُمَّ مالكٍ ولكنْ أحاطَتْ بالرقابِ السَّلاسِلُ[(٢)]

ومنه قول الشاعر:

[الكامل] قالتْ هلُمَّ إلى الحديثِ فقُلْتُ لا يأْبى عليْكِ اللهُ والإسلامُ[(٣)]

ومنه قول سُحَيْم[(٤)]:

[الطويل] .... كَفَى الشَّيْبُ والإسلامُ للمَرْءِ نَاهِيَا[(٥)]

---

(١) روي هذا الحديث من رواية الزبير، وأبي هريرة، وعائشة، أما حديث الزبير؛ فأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٦٧٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٨٥٩١-٣٨٩٦٨)، وأحمد في مسنده (٣/ ٤١- ٤٥)، وغيرهم، من طرق صحاح عن الحسن البصري، قال: قال الزبير به مرفوعاً، وهذا مرسل، وروي موصولاً، ولا يصح، قاله الدارقطني في العلل (٤/ ٢٤٧).
وأخرجه أبو داود (٢٧٧١) والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٩٢) من طريق أسباط بن نصر الهمداني، ثنا إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، وأسباط ضعيف، والحاكم أيضاً من طريق حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن مروان بن الحكم قال: دخلت مع معاوية على أم المؤمنين عائشة.
واختلف فيه على حماد، فقيل عنه بدون ذكر مروان بن الحكم، علل الدارقطني (٧/ ٦٤) وعلى كل حال فعلي بن زيد هو ابن جدعان ضعيف.

(٢) البيت لأبي خراش خويلد بن مرة الهذلي، كما في الكامل (٢/ ٣٩)، والاختيارين للأخفش (ص: ٦٨٢)، الأغاني (٢١/ ٢١١).

(٣) البيت في سيرة ابن هشام (٢/ ٤١٧)، لفَضالة بن عُمير اللَّيثي، وفي الأصنام لابن الكلبي (ص: ٣١) لراشد بن عبدالله السلمي.

(٤) هو سحيم عبد بني الحسحاس، كان عبداً أسود نوبياً أعجمياً مطبوعاً في الشعر، فاشتراه بنو الحسحاس، وهم بطن من بني أسد، أدرك النبي ﷺ، وتمثل النبي ﷺ ببيت من شعره غير موزون، قيل: إن سحيماً قتل في خلافة عثمان، الأغاني (٢٢/ ٣٠٥)، الإصابة (٣/ ٢٠٧).

(٥) صدره: عُمَيْرَةَ وَدِّعْ إِنْ تَجَهَّزْتَ غادِيا، انظر عزوه له في الإنصاف (١/ ١٣٦)، وسر صناعة الإعراب =

ومنه قول أَبي حيَّة(١):

رَمَتْني وسِـتْرُ الله بَيْنـي وَبَيْنَها(٢) .... [الطويل]

فإن أَحد الأَقوال في السِّتْر: أَنه أَراد به الإسْلام.

ويستعملون الإحصانَ في العفَّة؛ لأَنها إذا ارتبط بها إنسان وظَهَرَتْ على شخْصٍ مَّا وتخلَّق بها؛ فهي مَنَعَةٌ وحفظ.

وحيثما وقعت اللفظة في القرآن فلا تجدها تخرج عن هذه المعاني، لكنها قد تقوى فيها بعض هذه المعاني دون بعض، بحسب موضع وموضع، وسيأْتي بيان ذلك في أَماكنه، إن شاء الله.

فقوله في هذه الآية: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾؛ قال ابن عباس(٣)، وأَبو قلابة، وابن زيد، ومكحول، والزهري، وأَبو سعيد الخدري: هن ذوات الأزواج(٤)؛ أي: هن محرمات إلا ما ملكت اليمين بالسباء من أَرض الحرب؛ فإنَّ تلكَ حلالٌ لِلَّذي تقع في سهمه وإِنْ كان لها زوج.

= (١/ ١٥١)، الأغاني (٢٢/ ٣٠٥)، والكتاب لسيبويه (٤/ ٢٢٥)، والبيان والتبيين (١/ ٧٩)، وقد تمثل به النبي ﷺ كما سيأتي في (سورة يس).

(١) أبو حية النميري، اسمه الهيثم بن الربيع بن زرارة بن كثير بن جناب، شاعر مجيد مقدم من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وقد مدح الخلفاء فيهما جميعاً، وكان فصيحاً مقصداً راجزاً، وكان أهوج جباناً بخيلاً كذاباً، معروفاً بذلك أجمع، الأغاني (١٦/ ٣٣١).

(٢) زاد في نسخة الحمزوية ذكر عجز البيت: ونحن بأكناف الحجاز رَميمُ، انظر عزوه له في الكامل (١/ ٢٩)، والبيان والتبيين (٣/ ٢١٣)، والحماسة (٢/ ١١٠).

(٣) صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٧١٧٧)، والطبري في تفسيره (٨٩٦١ـ٨٩٦٢)، من طريق إسرائيل، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به، ومن طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٤) انظر: تفسير عبدالرزاق (١/ ١٥٣)، وابن أبي شيبة (٣/ ٥٣٦، ٥٣٧)، وتفسير الطبري (٨/ ١٥٦).

وروى أَبو سعيد الخدري: أن الآية نزلتْ بسبب أنَّ رسول الله ﷺ بعث جيشاً إلى أَوطاس، فلقوا عدوّاً، وأَصابوا سبياً لهنَّ أَزواجٌ من المشركين، فتَأَثَّمَ المسلمون من غِشْيَانِهِن، فنزلت الآية مرخصة[١].

وقال عبد الله بن مسعود، وسعيد بن المسيب، والحسن بن أبي الحسن، وأُبَيُّ ابن كعب، وجابر بن عبد الله، وابن عباس أيضاً: معنى المحصنات: ذوات الأَزواج[٢]، فَهُنَّ حرامٌ، إلا أن يشتري الرجلُ الأَمَةَ ذات الزوج؛ فإِنَّ بَيْعَها طلاقها، [وهبتَها طلاقها، والصدقَة بها طلاقها، وأَنْ تُعتق طلاقها][٣]، وأَن تُورث طلاقها، وتطليق الزوج طلاقها.

قال ابن مسعود: إذا بيعت الأَمة ولها زوجٌ فالمشتري أحق بِبُضْعها[٤].

ومذهب مالك والشافعي وجمهور العلماء: أَن انتقال الملك في الأَمة لا يكون طلاقاً، ولا طلاق لها إلا الطلاق[٥].

وقال قوم: (المحصنات) في هذه الآية: يراد به العفائف؛ أي: كلُّ النساءِ حرامٌ، وأَلْبسَهُنَّ اسمَ الإحصان؛ إذ الشرائع في أنفسها تقتضي ذلك، ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾

---

(١) صحيح مسلم (١٤٥٦).

(٢) أثر ابن مسعود رضي الله عنهما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٦٩٠٢)، عن أبي معاوية، والطبري (٦/ ٥٥٦)، من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الله بن مسعود قال: كل ذات زوج عليك حرام إلا أن تشتريها، أو ما ملكت يمينك، ورواية إبراهيم النخعي عن ابن مسعود مرسلة، ولكنها صحيحه، أما أثر أبي بن كعب؛ فقد أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٣١٦٨)، والطبري (٦/ ٥٦٦)، من طريق سعيد، عن قتادة قال: إن أبي بن كعب قال: بيعها طلاقها، وأخرجه عبد الرزاق (١٣١٧٠)، وابن جرير أيضاً (٦/ ٥٦٦)، من طريق قتادة أن جابر بن عبد الله قال: بيعها طلاقها، وقد صح عن ابن عباس.

(٣) سقطت «الهبة» من الأصل، و«العتق» و«الصدقة» من نور العثمانية.

(٤) أخرجه ابن جرير (٨٩٨٩)، من طريق الثوري، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن ابن مسعود به، وهذا منقطع.

(٥) الاستذكار (٦/ ١٢٥-١٢٦).

قالوا: معناه: بنكاح أَو شراءٍ، كلُّ ذلك تحت مِلْك اليمين(١)، قال بهذا القول أَبو العالية، وعَبيدة السَّلْماني / ، وطاووس، وسعيد بن جبير، وعطاءُ، ورواه عَبيدة عن عمر، رضي الله عنه(٢). [١/ ٣٠٥]

وقال ابن عباس: (المُحْصَنات): العفائف من المسلمين، ومن أَهل الكتاب(٣).

قال القاضي أبو محمد: وبهذا التأْويل يرجع معنى الآية إلى تحريم الزنا.

وأسند الطبريُّ عن عروة(٤) أنه قال في تأْويل قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾: هن الحرائر، ويكون: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ معناه: بنكاح، هذا على اتصال الاستثناءِ، وإن أريد الإماء فيكون الاستثناءُ منقطعاً.

ورُوي عن أَبي سعيد الخدري أَنه قال: كان نساءٌ يأتيننا مهاجرات، ثم يهاجر أَزواجهن، فَمُنِعناهن بقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ الآية(٥).

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قولٌ يرجع إلى ما قد ذكر من الأَقوال.

---

(١) في حاشية المطبوع: لعلَّ صحة العبارة: «إذْ كلُّ ذلك تحت مِلْك اليمين».

(٢) أخرجه الطبري (٨٩٩٤)، من طريق أشعث بن سوار، عن ابن سيرين، عن عبيدة، عن عمر بن الخطاب، وسنده ضعيف؛ لضعف أشعث بن سوار، وانظر أقوال الباقين في تفسير الطبري (٨/ ١٥٩).

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٨٩٩٨) (٥/ ٥)، من طريق عتاب بن بشير، عن خصيف، عن مجاهد، عن ابن عباس، ورواية عتاب عن خصيف بن عبد الرحمن الجزري منكرة، كما قال أحمد، وانظر: تهذيب التهذيب (٧/ ٩٠).

(٤) كذا في جميع النسخ، وبعض مواضع تفسير الطبري، وفيه هنا (٨/ ١٦٣): «عزرة».

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري في التفسير (٩٠١٢)، من طريق الحسين بن داود، عن حجاج، عن ابن جريج قال: عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي سعيد الخدري، والحسين بن داود الملقب بسنيد ضعيف كما في التقريب (٢٦٤٦)، وحبيب بن أبي ثابت لم يسمع من أبي سعيد الخدري، قال علي بن المديني: حبيب بن أبي ثابت لقي ابن عباس، وسمع من عائشة ولم يسمع من غيرهما من الصحابة، رضي الله عنهم. اهـ، انظر: جامع التحصيل (١١٧).

وأَسند الطبري: أَنَّ رجلاً قال لسعيد بن جبير: أَما رأَيتَ ابن عباس حين سُئل عن هذه الآية: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ فلم يقل فيها شيئاً؟ فقال سعيد: كان ابن عباس لا يعلمها.

وأَسند أيضاً عن مجاهد أَنه قال: لو أَعلم من يفسر لي هذه الآية؛ لضربت إليه أَكباد الإِبل؛ قوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ إلى قوله: ﴿حَكِيمًا﴾[(١)].

قال القاضي أَبو محمد: ولا أَدري كيف نسب هذا القول إلى ابن عباس؟ ولا كيف انتهى مجاهد إلى هذا القول؟

ورُوي عن ابن شهاب أَنه سُئِل عن هذه الآية: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾، فقال: يُروى أَنه حرم في هذه الآية ذوات الأَزواج والعفائف من حرائر[(٢)] ومملوكات، ولم يحل شيئاً من ذلك إلا بالنكاح، أَو الشراء، والتملك[(٣)].

وهذا قول حسن، عمم لفظ «الإحصان»، ولفظ «ملك اليمين»، وعلى هذا التأويل يتخرج عندي قول مالك في الموطأ؛ فإنه قال: هُنَّ ذوات الأزواج[(٤)]، وذلك راجع إلى أَن الله حرَّم الزنا، ففسَّر الإحصان بالزواج، ثم عاد عليه بالعفة.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ بفتح الصاد في كل القرآن.

وقرأَ الكسائي كذلك في هذا الموضع وحده، وقرأَ سائِرَ ما في القرآن: ﴿المُحْصِنَات﴾ بكسر الصاد، و﴿محصِنات﴾ كذلك[(٥)].

---

(١) الأثر الأول رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (٣٧٦)، والطبري في التفسير (٩٠١٣)، بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير، وانظر: الدر المنثور (٢/ ٤٨١)، وانظر الأثر الثاني في تفسير الطبري أيضاً.

(٢) في السليمانية: «من الأحرار»، وفي فيض الله ونور العثمانية: «من أحرار».

(٣) تفسير الطبري (٨/ ١٦٤).

(٤) من رواية مالك عن سعيد بن المسيب في الموطأ (٣/ ٧٧٦) باب ما جاء في الإحصان.

(٥) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٩٥)، وفي الحمزوية بدل «ابن عامر»: «ابن عباس».

ورُوي عن علقمة أَنه قرأَ جميع ما في القرآن بكسر الصاد[١].

فَفَتْحُ الصاد هو على معنى: أَحْصَنَهُنَّ غيرهن من زوج، أَو إِسلام، أو عفة، أَو حرية.

وكسْرُ الصاد هو على معنى: أَنهن أَحصَنَّ أَنفسهن بهذه الوجوه أَو ببعضها.

وقرأَ يزيد بن قطيب: (والمُحْصُنَات) بضم الصاد[٢]، وهذا على إتباع الضمة الضمة.

وقرأ جمهور الناس: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ وذلك نصب على المصدر المؤكد.

وقرأَ أَبو حيوة، ومحمد بن السَّميفَع اليماني: (كَتَبَ اللهُ عَلَيْكُم)[٣] على الفعل الماضي المسند إلى اسم الله تعالى.

وقال عَبيدة السَّلْماني وغيره: قوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ إشارةٌ إلى ما ثبت في القرآن من قوله: ﴿مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣][٤].

وفي هذا بعد، والأَظهر أن قوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ إنما هو إشارة إلى التحريم الحاجز بين الناس وبين ما كانت العرب تفعله.

واختلفت عبارة المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾:

فقال السدي: المعنى: وأُحل لكم ما دون الخمس أَن تبتغوا بأَموالكم على وجه النكاح، وقال[٥] نحوه عَبيدة السَّلْماني.

---

(١) انظر تفسير الطبري (٨/ ١٨٧)، ونقل عنه الفراء في معاني القرآن (١/ ٢٦٠) استثناء الأول كالكسائي.

(٢) البحر المحيط (٣/ ٥٨٤)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ١٣٣) لابن وثاب، ونقل تجويزها عن الزجاج.

(٣) الشواذ للكرماني (ص: ١٣٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٨/ ١٧٠).

(٥) في الأصل: «وقرأ».

وقال عطاءٌ وغيره: المعنى: وأُحل لكم ما وراءَ من حُرِّم من سائر القرابة، فهنَّ حلالٌ لكم تزويجهن، وقال قتادة المعنى: وأُحلَّ لكم ما وراءَ ذلكم من الإِماءِ[١].

قال القاضي أَبو محمد: ولفظ الآية يعم جميع هذه الأَقوال.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿وَأَحَلَّ لَكُمْ﴾، بفتح الأَلف والحاء، وهذه مناسبة لقوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾؛ إذ المعنى: كتب الله ذلك كتاباً.

وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿وَأُحِلَّ﴾ بضم الهمزة وكسر الحاءِ[٢]، وهذه مناسبة لقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾.

والوراءُ في هذه الآية: ما يعتبر[٣] أَمره بعد اعتبار المحرمات، فهن وراءَ أُولئك[٤] بهذا الوجه.

و﴿أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم﴾ لفظ يجمع التزوج والشراءَ، و﴿أَن﴾ في موضع نصب، وعلى قراءَة حمزة: في موضع رفع، ويحتمل النصب بإسقاط الباءِ[٥].

و﴿مُّحْصِنِينَ﴾ معناه: متعففين؛ أَي: تُحصنون أنفسكم بذلك ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾؛ أَي: غير زناة، والسفاح: الزنا، وهو مأخوذ من: سفح الماءِ؛ أَي: صبِّه وسيلانه[٦]، ولزم هذا الاسم الزنا، ومنه قول النبي ﷺ حين سمع الدَّفَّاف في عرس: «هذا النكاح، لا السِّفاح، ولا نكاح السِّرِّ»[٧].

---

(١) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٨/ ١٧٠)، وانظر تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩١٨).

(٢) وافق شعبة عن عاصم الأولين، وحفص الآخرين، انظر: التيسير (ص: ٩٥).

(٣) في نور العثمانية: «ما لا يعتبر».

(٤) في السليمانية ونجيبويه: «ذلك».

(٥) في الأصل، وفي الحمزوية: «الياء».

(٦) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٨١).

(٧) ضعيف، رواه البيهقي في السنن (١٥٠٩٦)، من طريق عبد الله بن وهب عن شمر بن نمير الأموي عن حسين بن عبد الله، عن أبيه، عن جدِّه، عن علي بن أبي طالب به مرفوعاً، وشمر بن نمير مصري =

واختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾:

فقال ابن عباس[١]، ومجاهد، والحسن، وابن زيد، وغيرهم: المعنى: فإذا استمتعتم بالزوجة، ووقع الوطء [ولو مرة][٢]؛ [فقد وجب إعطاءُ الْأَجر، وهو المهر كله[٣]، ولفظة ﴿فَمَا﴾ تعطي أَنَّ بِيَسير الوطء][٤] يجب إِيتاءُ الأَجر.

ورُوي عن ابن عباس أَيضاً، ومجاهد، والسدي، وغيرهم: أَن الآية في نكاح المتعة[٥].

وقرأَ ابن عباس، وأُبي بن كعب، وسعيد بن جبير: (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهنّ أجورهن)[٦]، وقال ابن عباس لأبي نضرة: هكذا أَنزلها الله عزَّ وجلَّ[٧].

وروى الحكم بن عتيبة أَنَّ علياً رضي الله عنه قال: لولا أَن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي[٨].

= شيخ لابن وهب، قال الجوزجاني: كان غير ثقة، قاله الذهبي، انظر: المغني في الضعفاء (٢٧٩٤)، والحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب ضعيف.

(١) أخرجه الطبري (٩٠٢٨)، وابن أبي حاتم (٥١٣٣)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

(٢) من المطبوع ونور العثمانية وفيض الله، وفي نجيبويه: «ولو مرة واحدة».

(٣) انظر: تفسير الطبري (٨/ ١٧٥).

(٤) ساقط من جار الله.

(٥) رواه عبدالرزاق في مصنفه (٧/ ٤٩٧)، وابن سلام في الناسخ والمنسوخ (١١٩).

(٦) عزاها لابن عباس الطبري (٨/ ١٧٧)، وللباقين الثعلبي (٣/ ٢٨٦)، وزاد طلحة، وسقط: «إلى أجل مسمى» من نور العثمانية.

(٧) صحيح، أخرجه الطبري (٩٠٣٦- ٩٠٣٧-٩٠٣٨)، من طريق داود بن أبي هند، ومن طريق شعبة، عن أبي مسلمة، وهو سعيد بن يزيد البصري القصير، كلاهما عن أبي نضرة المنذر بن قطعة، ومن طريق شعبة، عن أبي إسحاق، عن عمير، كلاهما عن ابن عباس.

(٨) أخرجه الطبري (٩٠٤٢)، من طريق شعبة، عن الحكم بن عتيبة قال: سألته عن هذه الآية: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ إلى هذا الموضع: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ أمنسوخة هي؟ قال: لا، قال الحكم: وقال علي رضي الله عنه: لولا أن عمر رضي الله عنه نهى عن =

وقد كانت المتعة في صدر الإسلام، ثم نهى عنها النبي ﷺ.

وقال ابن المسيب: نسختها آية الميراث[(١)]؛ إذ كانت المتعة لا ميراث فيها، وقيل: قولُ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١].

وقالت عائشة رضي الله عنها: نسخها قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ [المؤمنين: ٥-٦][(٢)]، ولا زوجية مع الأجل ورفع الطلاق والعدة والميراث.

وكانت: أَن يتزوج الرجل المرأَة بشاهدين وإِذْن الوَليِّ إِلى أَجلٍ مُسَمًّى، وعلى أَلا ميراث بينهما، ويعطيها ما اتفقا عليه، فإِذا انقضت المدة فليس له عليها سبيل، وتستبرئ رحمها؛ لأَن الولد لاحقٌ فيه بلا شك، فإِن لم تحمل، حلَّت لغيره.

[١/ ٣٠٦] قال القاضي أَبو محمد: وفي كتاب النحاس في هذا خطأٌ فاحش / في اللفظ، يوهم أَنَّ الولد لا يلحق في نكاح المتعة[(٣)].

وحكى المهدوي عن ابن المسيب أَنَّ نكاح المتعة كان بلا ولي ولا شهود[(٤)]، وفيما حكاه ضعف.

= المتعة ما زنى إلا شَقِيٌّ، والحكم بن عتيبة الكندي لم يدرك علياً رضي الله عنه، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٤٠٢٩)، من طريق ابن جريج أنه قال: وأخبرني من أصدق أن علياً قال بالكوفة: لولا ما سبق من رأي عمر بن الخطاب، أو قال: من رأي ابن الخطاب لأمرت بالمتعة، ثم ما زنى إلا شقي.

(١) رواه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩١٩).

(٢) صحيح: هذا الأثر رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده كما في المطالب (١٧٢٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣٤-٤٢٧)، من طريق نافع بن عمر الجمحي، عن عبد الله بن أبي مليكة، قال: أن عائشة رضي الله عنها كانت إذا سئلت عن المتعة قالت: بيني وبينكم كتاب الله تعالى قال الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ الآية، قالت: فمن ابتغى غير ما زوجه الله تعالى أو ما ملكه، فقد عدا.

(٣) ولفظه في معاني القرآن للنحاس (٢/ ٦٠): أنها لو كانت زوجة للحقها الطلاق، وكان عليها عدة الوفاة، ولحق ولدها بأبيه، ولتوارثا.

(٤) ليس صريحاً في كلام سعيد، لكن فسره به النحاس في الناسخ والمنسوخ (ص: ٣٢٦)، وانظر: التحصيل للمهدوي (٢/ ٢٣٢).

و﴿فَرِيضَةً﴾: نصب على المصدر في موضع الحال.

واختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ الآية:

فقال القائلون بأَنَّ الآية المتقدمة أمر بإِيتاءِ مهور النساءِ إِذا دُخل بهن: إنَّ هذه إشارة إلى ما يتراضى به من حط أَو تأْخير بعد استقرار الفريضة؛ فإن ذلك الذي يكون على وجه الرضا جائز ماض.

وقال القائلون بأَن الآية المتقدمة هي أَمر المتعة: إن الإِشارة بهذه إِلى أَن ما تراضيا عليه من زيادة في مدة المتعة، وزيادة في الأَجر؛ جائز سائغ.

وباقي الآية بيِّنٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ...﴾.

قال ابن عباس[١]، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والسدي، وابن زيد، ومالك بن أَنس في المدونة: «الطَّوْلُ» هنا: السعة في المال[٢].

وقال ربيعة، وإِبراهيم النَّخَعي: الطَّوْلُ هنا: الجَلَد والصبر لمن أَحب أَمَةً وهَوِيَهَا حتى صار لذلك لا يستطيع أَن يتزوج غيرها[٣]؛ فإِن له أَن يتزوج الأمة إذا لم يملك هواها وإِن كان يجد سعة في المال لنكاح حرة، ثم يكون قوله تعالى: ﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ﴾ على هذا التأويل بياناً في صفة عدم الجَلَد.

وعلى التأويل الآخر: يكون تزوج الأَمة معلقاً بشرطين: عدم السعة في المال،

---

(١) أخرجه الطبري (٩٠٥١)، وابن أبي حاتم (٥١٣٩)، والبيهقي في السنن (١٤٣٦٨) من طريق علي ابن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

(٢) انظر تفسير مجاهد (١/ ١٥٢)، وتفسير مقاتل (١/ ٢٢٤)، وتفسير الطبري (٨/ ١٨٣)، وقول مالك لم أجده في المدونة، لكن قد نقله ابن أبي زيد في: النوادر (٤/ ٥١٨) عن ابن المواز عنه.

(٣) انظر تفسير الطبري (٨/ ١٨٣).

وخوف العَنَت، فلا يصح إِلا باجتماعهما، وهذا هو نصُّ مذهب مالك في المدونة من رواية ابن نافع، وابن القاسم، وابن وهب، وابن زياد[١]: أنَّ الحُرَّ لا يتزوج الأمة على حالٍ إِلا أَن لا يجد سعة في المال لمهر حُرَّة، وأَن يخشى العنت مع ذلك[٢].

وقال مالك في كتاب محمد: إذاوجد المهر ولكنه لا يقدر على النفقة؛ فإِنه لا يجوز له أَن يتزوج أَمةً[٣].

وقال أَصْبَغ[٤]: ذلك جائز؛ إِذْ نفقة الْأَمَةِ على أَهْلها إذا لم يَضُمَّهَا إليه.

وقال مُطَرِّف[٥]، وابن الماجِشُون[٦]: لا يَحلُّ للحُرِّ أَن ينكح أمة، ولا يُقَرُّ إِنْ وقع، إِلا أَنْ يجتمع الشرطان كما قال الله تعالى، وقاله أَصبَغ، قال: وقد كان ابن القاسم يذكر أَنه سمع مالكاً يقول: نكاحُ الأَمة حلال في كتاب الله عز وجل.

قال القاضي أَبو محمد: وهو في المدونة[٧].

---

(١) هو علي بن زياد العبسي التونسي صاحب مالك، المتوفى (١٨٤هـ) تقريباً؛ وأحد رواة الموطأ، وقد تتلمذ عليه سحنون، انظر ترجمته في: طبقات الفقهاء للشيرازي (١/ ٢٥٢).

(٢) نقله القرطبي (٥/ ١٣٧) برواية من ذكرهم المؤلف، ونقل ابن أبي زيد في النوادر (٤/ ٥١٨-٥١٩)، القول بهذين الشرطين عن مالك برواية ابن وهب، دون أن ينسب ذلك للمدونة.

(٣) انظر ما نقله عن كتاب محمد في: النوادر (٤/ ٥١٩).

(٤) هو: أبو عبد الله أصبغ بن الفرج المصري، المتوفى سنة (٢٢٥هـ)، فقيه من كبار المالكية بمصر، كان كاتب ابن وهب، وله تصانيف، وقد تفقه بابن القاسم وأشهب وابن وهب، انظر: ترتيب المدارك (٢/ ٥٦٢)، وانظر قول أصبغ في: النوادر (٤/ ٥٢٠).

(٥) هو: أبو مصعب مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار، المتوفى سنة (٢٢٠هـ)، صحب الإمام مالكاً عشرين سنة، وأخذ الفقه عنه، وعن جماعة من أصحابه، انظر ترجمته في: طبقات الفقهاء (١/ ١٤٧).

(٦) ما نسبه لمطرف وابن الماجشون وأصبغ؛ نقل ابن أبي زيد في النوادر (٤/ ٥٢١) الاتفاق عليه بين أصحاب مالك.

(٧) انظر: المدونة (٢/ ٢١٩).

وقال سحنون في غيرها: ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾، وقاله ابن مزين[(١)].

قال القاضي أبو محمد: وليس في الآية ما يلزم منه تحليل الأَمَةِ لحُرٍّ دون الشرطين.

وقال مالك: في المدونة: ليست الحرة بطَوْل تمنع من نكاح الأَمة إذا لم يجد سعةً لأُخرى، وخاف العَنَت، وقال في كتاب محمد ما يقتضي أَن الحرة بمثابة الطَّوْل[(٢)].

قال الشيخ أَبو الحسن اللَّخْمي: وهو ظاهر القرآن[(٣)]، ورُوي نحو هذا عن ابن حبيب[(٤)]، وقاله أَبو حنيفة[(٥)]، فمقتضى هذا: أَن من عنده حُرَّة فلا يجوز له نكاح أَمَة وإِنْ عدم السَّعَة، وخاف العنت؛ لأَنه طالب شهوة[(٦)] وعنده امرأَة، وقال به الطبري، واحتجَّ له[(٧)].

و﴿طَوْلًا﴾: يصحُّ في إعرابه أَن يكون مفعولاً بالاستطاعة، و﴿أَن يَنكِحَ﴾: [في موضع نصب بدل مِنْ قوله: ﴿طَوْلًا﴾، أَو][(٨)] في موضع نصب بتقدير: لأن ينكح، وفي هذا نظر.

ويصح أَن يكون ﴿طَوْلًا﴾ نصباً على المصدر، والعامل فيه «الاستطاعة»؛ لأَنها بمعنى: يتقارب، و﴿أَن يَنكِحَ﴾ على هذا: مفعول بالاستطاعة، أَو بالمصدر.

---

(١) لم أقف عليه، وهو يحيى بن إبراهيم بن مزين القرطبي، الفقيه، أحد الأعلام بالأندلس، روى عن الغاز بن القيس، وعيسى بن دينار، والقعنبي، ومطرف، وأصبغ، وكان حافظاً للموطأ قائماً عليه، مفتياً مصنفاً، توفي سنة (٢٥٩هـ)، تاريخ الإسلام (١٩/ ٣٦٧).
(٢) انظره في: النوادر (٤/ ٥١٩).
(٣) انظر قول اللخمي في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/ ١٦٣).
(٤) انظر ما روي عن ابن حبيب في: النوادر (٤/ ٥١٨).
(٥) انظر ما عزاه لأبي حنيفة في المبسوط للسرخسي (٥/ ١٢٢).
(٦) سقطت من الأصل.
(٧) انظر قول الطبري واحتجاجه في تفسيره (٨/ ١٨٤).
(٨) ساقط من نور العثمانية.

تقول: طال الرجلُ طَوْلاً ـ بفتح الطاءِ ـ إذا تفضل[١] ووجد واتسع عرفه، وطُولا ـ بضمِّ الطاءِ ـ في ضد القِصَر.

﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ﴾ في هذا الموضع: الحرائر؛ يدل على ذلك التقسيم بينهن وبين الإِماءِ، وقالت فرقة: معناه: العفائف، وهو ضعيف؛ لأَن الإِماءَ [يقَعْن تحته][٢].

وقد تقدم ذكر القراءَة في ﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾.

و﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾: صفة، فأَما من يقول في الرجل يجد طَوْلاً لحرة كتابية لا لمؤْمنة: إِنه يمتنع عن نكاح الإِماءِ، فهي صفة غير مشترطة، وإنما جاءَت لأَنها مقصد النكاح؛ إِذ الأَمَةُ مؤمنة، وهذا هو المذهب المالكي، نص عليه ابن الماجِشُون في الواضحة[٣].

ومن قال في الرجل لا يجد طَوْلا إِلا الكتابية: إِنه يتزوج الأَمة إِن شاءَ؛ فصفة ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ عنده في الآية مشترطة في إِباحة نكاح الإِماءِ، والمسأَلة مختلف فيها حسبما ذكرناه.

و﴿مَّا﴾ في قوله: ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم﴾: يصح أَن تكون مصدرية، تقديره: فمن ملك أَيمانكم، ويصح أَن يراد بها النوع المملوك؛ فهي واقعة عليه.

و«الفتاة» وإِن كانت واقعة في اللغة على الشابة أَيةً[٤] كانت؛ فعرفها في الإِماءِ، و«فتىً» كذلك، وهذه المخاطبات بالكاف والميم عامة، أي: منكم الناكحون، ومنكم المالكون؛ لأَن الرجل ينكح فتاة نفسه، وهذا التوسع في اللغة كثير.

و﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ في هذا الموضع صفة مشترطة عند مالك وجمهور أَصحابه؛ لأَنهم يقولون: لا يجوز زواج أَمة غير مسلمة بوجه[٥].

---

(١) في السليمانية: «تطول»، وفي جار الله: «انفصل»، وتكررت فيها كلمة «رجل».

(٢) في نور العثمانية بدلًا منه: «نقص تحتية».

(٣) لم أقف عليه عنه، وانظر: النوادر (٤/ ٥٨٧-٥٨٨).

(٤) في السليمانية: «أمة».

(٥) انظر: النوادر (٤/ ٥٨٧-٥٨٨)، والمعونة (١/ ٥٣٦).

وقالت طائفة من أَهل العلم منهم أصحاب الرأي: نكاح الأَمة الكتابية جائز، وقوله: ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ على جهة الوصف[(١)] الفاضل، واحتجوا بالقياس على الحرائر[(٢)]؛ وذلك أنه لما لم يمنع قوله: ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ في الحرائر من نكاح الكتابيات الحرائر؛ فكذلك لا يمنع قوله: ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ في الإِماءِ من نكاح الكتابيات الإِماءِ.

وقال أَشهب في المدونة: جائز للعبد المسلم أَن يتزوج أَمةً كتابية[(٣)].

قال القاضي أَبو محمد: فالمنع عنده أَن يفضل الزوج في الحرية والدين معاً.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾ معناه: إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ ببواطن الأُمور، ولكم ظواهرها، فإِذا كانت الفتاة ظاهرها الإِيمان فنكاحها صحيح، وَعِلْم باطنها إلى الله، وإِنما هذا لئلا يستريب مُتَحيِّزٌ بإِيمان بعض الإِماءِ، كالقريبة عهد بالسباءِ، أَو كالخرساءِ[(٤)]، وما أَشبهه.

وفي اللفظ أَيضاً تنبيه/ على أَنه ربما كان إِيمان أَمة أَفضل من إيمان بعض الحرائر؛ أَي: فلا تعجبوا بمعنى الحرية. [١/ ٣٠٧]

وقوله: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾؛ قالت طائفة: هو رفع على الابتداء والخبر، والمقصد بهذا الكلام؛ أَي: أَنكم أَيها الناس سواءٌ؛ بنو الحرائر، وبنو الإِماءِ، أَكْرَمكم [عند الله][(٥)] أَتقاكم، فهذه توطئة لنفوس العرب التي كانت تستهجن ولد الأَمة، فلما جاءَ الشرع [بجواز نكاحها][(٦)]؛ أُعلموا مع ذلك أَن ذلك التهجين لا معنى له.

---

(١) في المطبوع: «جهة الوجه».

(٢) انظر مذهب أصحاب الرأي في المبسوط (٥/ ١٠٤-١٠٥)، وهو قول أبي ميسرة كما في مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٢٩٨).

(٣) هذا القول لم أقف على نسبته لأشهب في المدونة ولا لغيره من أصحاب مالك.

(٤) في الحمزوية وجار الله: «كالحربية».

(٥) من المطبوع ونور العثمانية.

(٦) الزيادة من السليمانية وفيض الله ونجيبويه وجار الله.

وقال الطبري: هو رفع بفعل تقديره: فلينكح مما ملكت أَيمانكم بعضكم من بعض[١]، فعلى هذا في الكلام تقديم وتأخير، وهذا قول ضعيف.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿...فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٥﴾﴾.

قوله: ﴿بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ﴾ معناه: بولاية أَربابهن المالكين.

وقوله: ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ يعني: مهورهن، قاله ابن زيد وغيره[٢].

و﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ معناه: بالشرع والسُّنَّة، وهذا يقتضي أَنهن أَحق بمهورهن من السادة، وهو مذهب مالك، قال في كتاب الرهون: ليس للسيِّد أَن يأخذ مهر أَمته ويدعها بلا جهاز[٣].

قال سحنون في غير المدونة[٤]: كيف هذا وهو لا يبوِّئُه معها بيتاً؟[٥]، وقال بعض الفقهاءِ: معنى ما في المدونة: أَنه بشرط[٦] التَّبْوئة، فعلى هذا لا يكون قول سحنون خلافاً[٧].

و﴿مُحۡصَنَٰتٍ﴾ وما بعده: حالٌ، فالظاهر: أَنه بمعنى عفيفات؛ إذ غير ذلك من وجوه الإِحصان بعيد إِلا: مسلمات؛ فإِنه يقرب، والعامل في الحال: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ﴾،

---

(١) انظر تفسيره (٨/ ١٩١).

(٢) انظر تفسير مقاتل (ص: ٢٢٤)، وتفسير الطبري (٨/ ١٩٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٦١).

(٣) انظر: المدونة (٤/ ١٤٨).

(٤) في الأصل: في كتاب المدونة، وكذا في المطبوع، وأشار في الهامش للنسخة الأخرى.

(٥) انظر النوادر (٤/ ٤٨٥).

(٦) في السليمانية: «معناه في المدونة أن يشترط...».

(٧) ممن قال بذلك أبو الوليد بن رشد في البيان والتحصيل (٥/ ٥٥).

ويحتمل أَن يكون: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ﴾ كلاماً تاماً، ثم استأْنف: ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مزوَّجات ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ﴾، فيكون العامل: ﴿وَءَاتُوهُنَّ﴾، ويكون معنى الإحصان: التزويج.

و«المسافحات» من الزواني: المبتذلات اللواتي هُنَّ سوق للزنا.

و«متخذات الأَخْدان»: هُنَّ المتسترات اللواتي يَصْحَبْنَ واحداً واحداً ويزنين خفية، وهذان كانا نوعين في زنا الجاهلية، قاله ابن عباس، وعامر الشعبي، والضحاك، وغيرهم[١]، وأَيضاً فهو تقسيم عقلي، لا يعطي الوجود إِلا أَن تكون الزانية: إِمَّا[٢] لا تردُّ يدَ لامِسٍ، وإِما أَن تختص من تقتصر عليه.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ﴾ الآية؛ قرأَ نافع، وابن كثير، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿أُحۡصِنَّ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول.

وقرأَ حمزة، والكسائي على بناءِ الفعل للفاعل، واختلف على عاصم[٣].

فوجه الكلام أَن تكون القراءَة الأُولى: بالتزوُّج، والثانية: بالإِسلام أَو غيره مما هو من فِعْلهن، ولكن يدخل كل معنى منهما على الآخر.

واختلف المتأَولون فيما هو الإحصان هنا:

فقال الجمهور: هو الإسلام، فإذا زنت الأَمة المسلمة حُدَّت نصف حدِّ الحرة، وإِسلامُها هو إحصانها الذي في الآية[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (٩٠٧٤)، وابن أبي حاتم (٥١٥٢-٥١٥٣)، من طريق علي بن أبي طلحة، وابن جرير (٩٠٧٥) من طريق عطية العوفي، كلاهما عن ابن عباس، بنحوه، وانظر قول غيره في تفسير مقاتل (٢٢٥)، وتفسير الطبري (٨/ ١٩٤).

(٢) في نور العثمانية: «أمة».

(٣) وهما سبعيتان، انظر: السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٣١)، ورواية حفص كالأولين، وشعبة كالآخرين التيسير (ص: ٩٥).

(٤) منهم الأئمة الأربعة وجمع من الصحابة والتابعين، انظر الاستذكار (٧/ ٥٠٧).

وقالت فرقة: إِحصانها الذي في الآية هوالتزويج لِحُرٍّ، فإذا زنت الأَمة المسلمة التي لم تتزوج؛ فلا حَدَّ عليها، قاله سعيد بن جبير، والحسن، وقتادة[١].

وقالت فرقة: الإِحصان في الآية: التزوج[٢]، إِلا أَن الحدَّ واجبٌ على الأمة المسلمة بالسنَّةِ، وهي الحديث الصحيح في مسلم والبخاري: أَنه قيل: يا رسول الله، الأَمة إذا زنت ولم تحصن؟ فأَوجب عليها الحد[٣].

قال الزهري: فالـمتزوجة محدودة بالقرآن، والمسلمة غير الـمتزوجة محدودة بالحديث[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا الحديث والسؤال من الصحابة يقتضي أَنهم فهموا من القرآن أَن معنى: ﴿أُحْصِنَّ﴾: تزوجن، وجواب النبي ﷺ على ذلك يقتضي تقرير المعنى، ومن أَراد أَن يضعف قول من قال: إِنه الإِسلام؛ بأَن الصفة لهن بالإِيمان قد تقدمت وتقررت؛ فذلك غير لازم؛ لأَنه جائز أَن يقطع في الكلام ويزيد، فإِذا كن على هذه الحالة المتقدمة من الإِيمان؛ فإن أَتَيْنَ بفاحشة فعليهن، وذلك سائغ صحيح.

و«الفاحشة» هنا: الزنا بقرينة إلزام الحدِّ.

و﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ في هذه الآية: الحرائر؛ إذ هي الصفة المشروطة في الحد الكامل، والرجم لا يتنصف، فلم يرد في الآية بإجماع، ثم اختلف:

فقال ابن عباس[٥] والجمهور: [على الأمة نصف المئة لا غير ذلك[٦].

---

(١) انظر قولي سعيد بن جبير وقتادة في تفسير الطبري (٨/ ٢٠٢)، وقول الحسن في: الأوسط (١٢/ ٤٣٩).
(٢) ممن قال بذلك ابن عباس وطاووس وعطاء، انظر أقوالهم في: الاستذكار (٧/ ٥٠٦).
(٣) متفق عليه، البخاري (٢٠٤٦) من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد، ومسلم (٤٥٤٣)، من حديث أبي هريرة.
(٤) انظر تفسير القرطبي (٥/ ١٤٣).
(٥) أخرجه الطبري (٩١٠٨)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما.
(٦) نقل ابن عبد البر الإجماع على تنصيف الجلد في حق الأمة، انظر: الاستذكار (٧/ ٥٠٥).

وقال الطبري وجماعة من التابعين][1]: على الأَمَة نصف المئة ونصف المدة، وهي نفي ستة أشهر[2]، والإشارة بذلك[3] إلى نكاح الأَمة.

و«العنت» في اللغة: المشقة، وقالت طائفة: المقصد به هاهنا الزنا، قاله مجاهد[4].

وقال ابن عباس: ما ازْلَحَفَّ[5] ناكح الأمة عن الزنا إلا قريباً[6]، قال: والعَنَت: الزنا[7]، وقاله عطية العوفي[8]، والضحاك[9].

وقالت طائفة: الإثم، وقالت طائفة: الحد[10].

[والآية تحمل ذلك كله، وكل ما يعنت عاجلا أو آجلا][11].

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾؛ يعني: عن نكاح الإماء، قاله سعيد بن جبير، ومجاهد، والسدي، وابن عباس، رضي الله عنه[12]، وهذا ندب إلى الترك، وعِلَّتُه ما يُؤَدي إليه نكاح الإماءِ من استرقاق الولد ومهنتهن.

---

(١) ساقط من نجيبويه.

(٢) تفسير الطبري (٨/ ٢٠٣).

(٣) «بذلك»: ليست في المطبوع.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٢٠٥).

(٥) أي: ما تنَحَّى وما تباَعَد، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٧٦٧)، وفي نور العثمانية: «ازدلف».

(٦) الصحيح من قول سعيد بن جبير، أخرجه الطبري (٩١١١)، من طريق هشيم، عن العوام، عمن حدثه، عن ابن عباس، وهو ضعيف، وقد رواه هشيم قال: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير من قوله، ومثله رواه شعبة عن أبي بشر عن سعيد، وهو أصح.

(٧) أخرجه الطبري (٩١١٢-٩١١٣)، من طريقين فيهما لين عن ابن عباس، رضي الله عنهما، وروي من قول عطية العوفي والضحاك.

(٨) في المطبوع: «الحوفي».

(٩) الطبري (٨/ ٢٠٥)، وسنن سعيد بن منصور (٣/ ١٢٢٣).

(١٠) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٢٠٥).

(١١) الزيادة من السليمانية وفيض الله ونجيبويه وجار الله.

(١٢) أخرجه الطبري (٢١٢٨) (٥/ ٢٦)، وابن أبي حاتم (٥١٦٥)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، وانظر: تفسير مجاهد (١/ ١٥٢)، وسنن سعيد بن منصور (١/ ٢٢٧).

وهذه الجملة ابتداءٌ وخبر تقديره: وصَبْركم خيرٌ لكم، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: لمن فعل وتزوج.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾.

اختلف النحاة في اللام من قوله: ﴿لِيُبَيِّنَ﴾:

فمذهب سيبويه رحمه الله: أَن التقدير: لأَن يبين، والمفعول مضمر، تقديره: يريد الله هذا[١]، فإِن كانت لام الجر، أَو لام كي، فلا بد فيهما من تقدير: «أَن»؛ لأنهما لا يدخلان إِلا على الأَسماءِ.

وقال الفراءُ والكوفيون: اللام نفسها بمنزلة «أَن»[٢]، وهو ضعيف.

ونظير هذه اللام قول الشاعر:

[الطويل] أُرِيدُ لأَنْسـى ذِكْرَهَا..........[٣] ....

[١/ ٣٠٨] وقال بعض النحاة: التقدير: / إرادتي لأَنسى[٤].

و(يهديكم) بمعنى: يرشدكم، لا يتوجه غير ذلك؛ بقرينة «السُّنن».

و«السُّننُ»: الطرق ووجوه الأُمور وأَنحاؤُها.

قال القاضي أَبو محمد: ويظهر[٥] من قوة هذا الكلام: أَن شرعتنا في المشروعات

(١) الكتاب لسيبويه (٣/ ٥-٦)، باب الحروف التي تضمر فيها: (أن).
(٢) معاني القرآن للفراء (١/ ٢٦١)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٠٩)، وضعفه الزجاج في معاني القرآن (٢/ ٤٢).
(٣) لكثير عزة، كما تقدم في تفسير الآية (١٨٥) من (سورة البقرة).
(٤) منهم الزجاج، كما في معاني القرآن (٢/ ٤٢)، ولفظة: «التقدير» ليست في المطبوع.
(٥) في الأصل: «ونظيره».

كشرعة مَن قبلنا، وليس ذلك كذلك، وإِنما هذه الهداية في أَحد أَمرين:

إِمَّا في أَنَّا خوطبنا في كل قصة نهياً وأَمراً، كما خوطبوا هم أَيضاً في قصصهم، وشرع لنا كما شرع لهم، فهدينا سُننهم في ذلك وإن اختلفت أَحكامنا وأَحكامهم.

والأَمر الثاني: أَن هدينا سُنَنهم في أَنْ أَطعنا وسمعنا كما سمعوا وأَطاعوا، فوقع التماثل من هذه الجهة.

و«الذين من قبلنا»: هم المؤمنون في كل شريعة.

و«توبة الله على عبده»: هي رجوعه به عن المعاصي إِلى الطاعات، وتوفيقه له.

وحَسُنَ ﴿عَلِيمٌ﴾[١] هنا بحسب ما تقدم من سُنن الشرائع وموضوع المصالح.

و﴿حَكِيمٌ﴾؛ أَي: مصيب بالأَشياء مواضعها بحسب الحكمة والإِتقان.

وتكرير إرادة الله التوبة على عباده تقوية للإِخبار الأَول، وليس المقصد في هذه الآية إِلا[٢] الإِخبار عن إِرادة الذين يتبعون الشهوات، فقدمت إِرادة الله توطئة مظهرة لفساد إِرادة مُتَّبعي الشهوات.

واختلف المتأَولون في «متبعي الشهوات»:

فقال مجاهد: هم الزناة، وقال السدي: هم اليهود والنصارى، وقالت فرقة: هم اليهود خاصة؛ لأنهم أَرادوا أَن يتبعهم المسلمون في نكاح الأَخوات من الأَب، وقال ابن زيد: ذلك على العموم في هؤلاء، وفي كل متبع شهوة، ورجحه الطبري[٣].

وقرأَ الجمهور: ﴿مَيْلًا عَظِيمًا﴾ بسكون الياء.

وقرأ الحسن بن أَبي الحسن: (ميَلاً) بفتح الياءِ[٤].

---

(١) في السليمانية وفيض الله: «عليهم».

(٢) سقطت من نور العثمانية.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٢١٣).

(٤) لم أجدها إلا في البحر المحيط (٣/ ٦٠٣).

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾؛ المقصد الظاهر بهذه الآية: أَنَّهَا في تخفيف الله ثقل[١] ترك نكاح الإماء بإِباحة ذلك، وأَن إِخباره عن ضعف الإنسان إِنما هو في باب النساء؛ أَي: لما علمنا ضَعْفَكم عن الصبر عن النساءِ خففنا عنكم بإِباحة الإِماءِ.

وكذلك قال مجاهد، وابن زيد، وطاووس، [وقال طاووس:][٢] ليس يكون الإِنسان في شيءٍ أَضعف منه في أَمر النساء[٣].

قال القاضي أَبو محمد: ثم بعد هذا المقصد تخرج الآية في مخرج التفضل؛ لأَنها تتناول كل ما خفف الله تعالى عن عباده، وجعله الدين يسراً، ويقع الإِخبار عن ضعف الإِنسان عاماً حسبما هو في نفسه، ضعيف يستميله هواه في الأَغلب.

و﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾: رفع على ما لم يُسَمَّ فاعله، و﴿ضَعِيفًا﴾ حال.

وقرأَ ابن عباس، ومجاهد: (وخَلَقَ الإنسانَ) على بناءِ الفعل للفاعل[٤].

و﴿ضَعِيفًا﴾: حال أيضاً على هذه القراءَة، ويصحُّ أَن يكون (وخَلَق) بمعنى: جَعَلَ، فيُكسبها ذلك قوة التعدي إلى مفعولين، فيكون قوله: ﴿ضَعِيفًا﴾: مفعولاً ثانياً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾.

هذا استثناء ليس من الأَول، والمعنى: لكن إن كانت تجارة فكلوها.

وقرأَ المدنيون، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو: ﴿تجارةٌ﴾ بالرفع على تمام «كان»، وأَنها بمعنى: وقَع.

---

(١) سقطت من المطبوع والأصل ونور العثمانية، وفي السليمانية وفيض الله: «نقل».

(٢) ساقط من نجيبويه.

(٣) انظر تفسير الطبري (٨/ ٢١٥، ٢١٦)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٢٦).

(٤) وعزاها لابن عباس وآخرين الكرماني في الشواذ (ص: ١٣٣)، ولمجاهد في مختصر الشواذ (ص: ٣٢).

وقرأت فرقة ـ هي الكوفيون: حمزة، وعاصم، والكسائي ـ: ﴿تِجَـٰرَةً﴾ بالنصب[١] على نقصان «كان»، وهو اختيار أَبي عبيد[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهما قولان قويان، إِلا أَن تمام «كان» يترجح عند بعض؛ لأَنها صلة لِـ﴿أَن﴾، فهي محطوطة عن درجتها إِذا كانت سليمة من صلة وغيرها، وهذا ترجيحٌ ليس بالقوي، ولكنه حسن، و﴿أَن﴾: في موضع نصب.

ومن نصب ﴿تِجَـٰرَةً﴾ جعل اسم «كان» مضمراً، تقديره: الأموال أَموال تجارة، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إِليه مقامه، أَو يكون التقدير: إِلا أَن تكون التجارة تجارةً، ومثل ذلك قول الشاعر:

[الطويل] .... إِذَا كَانَ يَوْماً ذَا كَوَاكِبَ أَشْـنَعَا[٣]

أَي: إذا كان اليومُ يوماً، والاستثناءُ منقطع في كل تقدير، وفي قراءَة الرفع.

فأَكل الأَموال بالتجارة جائز بإجماع الأُمَّة[٤]، والجمهور على جواز الغبن في التجارة[٥]، مثال ذلك: أَن يبيع الرجل ياقوتة بدرهم، وهي تساوي مئة، فذلك جائز، ويعضده حديث النبي ﷺ: «لا يَبِعْ حاضرٌ لبادٍ»[٦]؛ لأنه إِنما أَراد بذلك أَن يبيع البادي باجتهاده، [ولا يمنع الحاضر الحاضر من][٧] رزق الله في غبنه.

وقالت فرقة: الغبْن إذا تجاوز الثلث مردود، وإِنما أُبيح منه المتقارب المتعارف في

---

(١) التيسير (ص: ٩٥).

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢١٠).

(٣) تقدم في تفسير (سورة البقرة) آية (٢٨٢).

(٤) انظر نقل الإجماع في: المغني (٤/ ٣).

(٥) منهم أبو حنيفة والشافعي، انظر هذا القول في المغني (٤/ ١٧).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٠٣٣)، ومسلم (٣٥٢٥)، من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، وفي المطبوع: «لا يبيعُ».

(٧) في نور العثمانية: «ولا يبيع الحاضر ليقصر على الحاضرين».

التجارات، وأَما المتفاحش الفادح فلا، وقاله ابن وهب من أصحاب مالك رحمه الله[١].

و﴿عَن تَرَاضٍ﴾ معناه: عن رضا، إِلا أَنها جاءَت من المفاعلة؛ إذ التجارة من اثنين.

واختلف أَهل العلم في التراضي:

فقالت طائفة: تمامه وجزمه بافتراق الأَبدان بعد عقدة البيع، أَو بأَن يقول أَحدهما لصاحبه: اختَرْ، فيقول: قد اخترت، وذلك بعد العقدة أَيضاً، فينجزم حينئذ، هذا هو قول الشافعي وجماعة من الصحابة[٢]، وحجته حديث النبي ﷺ: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، إلا بيع الخيار»[٣]، وهو حديث ابن عمر، وأَبي برزة[٤]، ورأْيهما ـ وهما الراويان ـ أَنه افتراق الأَبدان[٥].

قال القاضي أبو محمد: والتفرق لا يكون حقيقة إِلا بالأَبدان؛ لأَنه من صفات الجواهر.

وقال مالك، وأَبو حنيفة رحمهما الله: تمام التراضي: أَن يعقد البيع بالأَلسنة، فتنجزم العقدة بذلك ويرتفع الخيار[٦]، وقالا في الحديث المتقدم: إِنه التفرق بالقول، واحتج بعضهم بقوله تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠]، فهذه فرقة بالقول؛ لأنها بالطلاق.

---

(١) نقله القرطبي في تفسيره (٥/ ١٥٢).

(٢) منهم ابن عمر وأبو برزة الأسلمي، كما سيأتي، والليث والأوزاعي وأحمد وإسحاق وأبو ثور، انظر: الاستذكار (٦/ ٤٧٥).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٠٠٣)، ومسلم (٣٩٣٦).

(٤) أبو برزة الأسلمي الصحابي، اختلف في اسمه واسم أبيه، وأصح ما في ذلك نضلة بن عبيد، نزل البصرة وله بها دار، وأتى خراسان، فنزل مرو، توفي سنة (٦٠هـ)، وقيل: (٦٤هـ)، الاستيعاب (٤/ ١٦١٠).

(٥) انظر رأي ابن عمر وأبي برزة الأسلمي في: الاستذكار (٦/ ٤٧٨)، قال: ولا يعلم لهما مخالف من الصحابة.

(٦) انظر قول مالك وأبي حنيفة وما قالوه في الحديث في: الاستذكار (٦/ ٤٧٤).

قال من احتج للشافعي: بل هي فرقة بالأَبدان؛ بدليل تثنية الضمير، والطلاق لا حظَّ للمرأَة فيه، وإِنما حظُّها في فرقة البدن التي هي ثمرة الطلاق.

قال الشافعي: ولو كان معنى قوله: ﴿يَتَفَرَّقَا﴾ بالقول الذي هو العقد لبطلت الفائدة في قوله: «البيعان بالخيار»؛ لأَنه لا يُشك في أَن كل ذي سلعة مخير ما لم يعقد، فجاءَ الإِخبار لا طائل فيه[١].

قال من احتج لمالك: إِنما القصد في الحديث الإِخبار عن وجوب ثبوت[٢] العقد، فجاءَ قوله: «البيِّعان بِالْخيار» توطئة لذلك[٣]، وإِن كانت التوطئة معلومة فإِنها تُهَيِّئ النفس / لاستشعار ثبوت العقدة ولزومها. [١/ ٣٠٩]

واستدل الشافعي بقوله ﷺ: «لا يَسُم الرجل على سوم أَخيه، ولا يبع الرجل على بيع أَخيه»[٤]، فجعلها مرتبتين؛ لأن حالة البيعين بعد العقد قبل التفرق تقتضي أَن يُفْسِد مُفْسد بزيادة في السلعة، فيختار ربُّها حلَّ الصفقة الأُولى، فنهى النبي ﷺ عن ذلك الإفساد، أَلا ترى أَنه ﷺ قال: «لا يخطب رجل على خطبة أَخيه»[٥]، فهي في درجة: «لا يسم»، ولم يقل: لا ينكح على نكاح أَخيه؛ لأَنه لا درجة بعد عقد النكاح تقتضي تخييراً بإِجماع من الأمة.

قال من يحتج لمالك رحمه الله: قوله ﷺ: «لا يسُم» و«لا يبع» هي درجة واحدة كلها قبل العقد، وقال: «لا يبع» تجوزاً في: «لا يسُم»؛ إذ مآله إلى البيع، فهي جميعاً بمنزلة قوله: «لا يخطب»، والعقد جازم فيهما جميعاً[٦].

---

(١) انظر قول الشافعي في الأم (٣/ ٨).

(٢) في السليمانية وفيض الله: «ثمرة».

(٣) انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ٢٤٠).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧٢٧)، ومسلم (١٤٠٨)، من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٥٧٧)، ومسلم (٣٥٠٨)، من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٦) نسب ابن بطال في شرحه على صحيح البخاري هذا الاحتجاج للطحاوي (٦/ ٢٤٠).

قال القاضي أَبو محمد: وقوله في الحديث: «إِلا بَيْعَ الخيار» معناه عند المالكيين: المتساومان بالخيار ما لم يعقدا، فإِذا عقدا بطل الخيار، إِلا في بيع الخيار الذي عقد مِنْ أَوله على خيار مدة ما؛ فإِنه لا يبطل الخيار فيه(١).

ومعناه عند الشافعيين: المتبايعان ـ بعد عقدهما ـ مخيران ما داما في مجلسهما، إِلا بيعاً يقول فيه أَحدهما لصاحبه: اختر، فيختار؛ فإِن الخيار ينقطع بينهما وإِن لم يتفرقا، فإِن فرض بيع خيارٍ فالمعنى: إِلا بيع الخيار؛ فإِنه يبقى الخيار بعد التفرق بالأَبدان(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾، قرأَ الحسن: (ولا تُقَتِّلوا)(٣)، على التكثير، فأَجمع المتأولون أَن المقصد بهذه الآية النهي عن أَن يقتل بعض الناس بعضها، ثم لفظها يتناول أَن يقتل الرجل نفسه بقصد منه للقتل، أَو بأَن يحملها على غرر ربما مات منه، فهذا كله يتناول النهي.

وقد احتج عمرو بن العاص بهذه الآية حين امتنع من الاغتسال بالماءِ البارد خوفاً على نفسه منه، فقرر رسول الله ﷺ احتجاجه(٤).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا ﴾، اختلف المتأَولون في المشار إِليه بذلك:

فقال عطاء: ﴿ذَٰلِكَ﴾: عائد على القتل؛ لأنه أقرب مذكور.

---

(١) انظر قول المالكية في: التمهيد (١٤/ ١٢، ٢٧)، وفي المطبوع: «لا الخيار يبطل فيه».

(٢) انظر قول الشافعية في: المهذب للشيرازي (١/ ٢٥٧-٢٥٨).

(٣) معاني القرآن للنحاس (٢/ ٧١) وعزاها في إتحاف فضلاء البشر (١/ ٢٤٠) له وللمطوعي، وأبو حيان (٣/ ٢٤٢) له ولعلي.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢٩/ ٣٤٦-٣٤٧)، وأبو داود (٣٣٤-٣٣٥)، وابن حبان في صحيحه (١٣١٥)، والحاكم في المستدرك (٦٢٨-٦٢٩)، والبيهقي في السنن (١١١١)، وقد اختلف في إسناده وصلاً وانقطاعاً، وفي متنه بذكر التيمم وبدونه، وعلقه البخاري في صحيحه بصيغة التمريض، فقال: ويذكر أن عمرو بن العاص أجنب في ليلة باردة فتيمم.

وقالت فرقة: ﴿ذَٰلِكَ﴾ عائد على أَكل المال بالباطل وقتل النفس؛ لأن النهي عنهما جاءَ مُتَّسقاً مسروداً، ثم ورد الوعيد حسب النهي.

وقالت فرقة: ﴿ذَٰلِكَ﴾ عائد على كل ما نهي عنه من القضايا من أَول السورة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾.

وقال الطبري: ﴿ذَٰلِكَ﴾ عائد على ما نهي عنه من آخر وعيد، وذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾[١]؛ لأن كل ما نُهي عنه من أَول السورة قُرن به وعيد، إِلا من قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾؛ فإنه والنواهي بعده لا وعيد معها، إلا قوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾.

و«العدوان»: تجاوز الحدِّ.

و﴿نُصْلِيهِ نَارًا﴾ معناه: نُمِسُّهُ حرَّها كما تعرض الشاة المَصْلِيَّة؛ أَي: نحرقه بها.

وقرأَ الأَعمش والنخعي: (نَصْلِيه) بفتح النون[٢]، وقراءَة الجمهور بضم النون على نقل «صلي» بالهمز، وقراءة هذين على لغة من يقول: صليته ناراً بمعنى: أَصليته.

وحكى الزجاج أَنها قد قرئت: (نُصَلِّيه) بفتح الصاد وشد اللام المكسورة[٣].

ويَسيرٌ ذلك على الله عز وجل؛ لأَن حجته بالغة وحُكمه لا معقِّب له.

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٢٢٩) وقد ذكر قول عطاء والأقوال الأخرى، ونقل ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩٢٨) بعضها عن سعيد بن جبير.

(٢) نقلها عنهما وعن حميد: ابن جني في المحتسب (١/ ١٥٨)، ونقلها الفراء في معاني القرآن (١/ ٢٦٣) بلا نسبة.

(٣) غير صريح في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٤)، وهي قراءة ابن مقسم كما في الكامل (ص: ٥٢٧)، والشواذ للكرماني (ص: ١٣٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾.

﴿تَجْتَنِبُواْ﴾ معناه: تَدعون جانباً.

وقرأ ابن مسعود، وابن جبير: (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبيرَ)[١].

وقرأ المفضل عن عاصم: (يُكَفِّر)، و(وَيُدْخِلكُم) على علامة الغائب، وقرأ الباقون بالنون، والقراءَتان حسنتان[٢].

وقرأ ابن عباس: (عَنْكُمْ مِن سَيِّئَاتِكُم) بزيادة (مِنْ)[٣].

وقرأ السبعة سوى نافع: ﴿مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ بضم الميم.

وقرأ نافع: ﴿مَدْخَلاً﴾ بالفتح[٤]، وقد رواه أيضاً أبو بكر عن عاصم هاهنا، وفي الحج[٥].

ولم يختلف في سورة بني إسرائيل في: ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾، ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠] أنهما بضم الميم[٦].

قال أبو علي: ﴿مَدْخلاً﴾ بالفتح، يحتمل أن يكون مصدراً، والعامل فيه فعل يدل

---

(١) انظر عزوها لابن جبير وآخرين في مختصر الشواذ (ص: **٣٢**)، والشواذ للكرماني (ص: **١٣٤**)، ولم أجدها لابن مسعود.

(٢) الأولى ليست من طرق التيسير، انظرهما في السبعة في القراءات (ص: **٢٣٢**)، وجامع البيان للداني (٣/ ١٠٠٨).

(٣) البحر المحيط (٣/ ٦١٥)، ولم أجدها لغيره.

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: **٩٥**).

(٥) هذه رواية الكسائي عن شعبة، وليست من طرق التيسير، انظر السبعة (ص: **٢٣٢**)، وجامع البيان للداني (٣/ ١٠٠٨).

(٦) السبعة لابن مجاهد (ص: **٢٣٢**)؛ يعني: من السبعة، وإلا ففي تفسير الثعلبي (٦ / ١٢٧): أن الحسن قرأ بفتحهما.

عليه الظاهر، والتقدير: ويدخلكم فتدخلون مَدْخَلا، ويحتمل أن يكون مكاناً، فيعمل فيه الفعل الظاهر، وكذلك يحتمل ﴿مُّدْخَلًا﴾ بضم الميم للوجهين، وإذا لم يعمل الفعل الظاهر فمعموله الثاني محذوف، تقديره: ويُدخلكم الجنة[1].

واختلف أَهل العلم في الكبائر:

فقال علي بن أبي طالب: هي سبع: الإشراك بالله، وقتل النفس، وقذف المحصنات، وأَكل مال اليتيم، وأَكل الربا، والفرار يوم الزحف، والتَعَرُّبُ بعد الهجرة[2].

وقال عبيد بن عمير: الكبائر سبع، في كل واحدة منها آية في كتاب الله عز وجل[3].

قال القاضي أبو محمد: وذكر كقول علي، وجعل الآية في التعرب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ [محمد: ٢٥].

ووقع في البخاري؛ في كتاب الحدود، في باب رمي المحصنات: «اتَّقوا السَّبع الموبقات، الإشراك بالله، والسحر، وقتل النفس، وأَكل الربا، وأَكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المُحْصَنَاتِ الغافلات المؤمنات»[4].

وقال عبد الله بن عمر: هي تسع: الإشراك بالله، والقتل، والفرار، والقذف، وأَكل الربا، وأَكل مال اليتيم، وإلحاد في المسجد الحرام، والذي يستسحر، وبكاء الوالدين من العقوق[5].

---

(١) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ١٥٣-١٥٤).

(٢) هذا الأثر أخرجه أحمد في العلل والرجال (٣/ ٣١٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩٣٣)، من طريق عثمان بن المغيرة، عن مالك بن الجوين، عن علي، قال: الكبائر: الشرك بالله، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة، والسحر، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، وفراق الجماعة، ونكث الصفقة.

(٣) تفسير الطبري (٨/ ٢٣٥).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٤٦٥)، ومسلم (٢٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨)، والطبري (٩١٨٧-٩١٨٨)، من طريق طيسلة بن علي البهدلي، وثقه ابن معين.

وقال عبد الله بن مسعود، وإبراهيم النَّخعَي: هي في جميع ما نُهي عنه من أَول سورة النساء إلى ثلاثين آية منها، وهي: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ﴾[(١)]، وقال عبد الله بن مسعود: هي أَربع أَيضاً: الإِشراك بالله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، والأَمن من مكر الله[(٢)].

وروي أَيضاً عن ابن مسعود: هي ثلاث: القنوط، واليأْس، والأَمن المتقدمة[(٣)].

وقال ابن عباس أيضاً، وغيره: الكبائر: كل ما ورد عليه وعيد بنار، أَو عذاب، أَو لعنة، أَو ما أَشبه ذلك[(٤)].

وقالت فرقة من الأُصوليين: هي في هذا الموضع أَنواع الشِّرك التي لا تصلح معها الأَعمال.

وقال رجل لابن عباس: أَخبرني عن الكبائر السبع، فقال: هي إِلى السبعين أَقرب[(٥)].

[١/ ٣١٠] وقال ابن عباس: كل ما نهى الله عنه فهو كبير[(٦)]/ .

---

(١) أخرجه الطبري (٩١٦٨- ٩١٧٨) (٥/ ٣٧) بأسانيد صحيحة، عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه.

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٩٧٠١)، و(١/ ١٥٥)، والطبري (٩١٩٠-٩٢٠٠)، والطبراني في الكبير (٨٧٨٣-٨٧٨٤)، من طرق صحيحه، عن عامر بن واثلة أبي الطفيل، عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبري (٩٢١١)، من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن مسعود، رضي الله عنه، ومجاهد لم يسمع من عبد الله بن مسعود، وانظر: جامع التحصيل (٧٣٦)، ورواية الجماعة أصح.

(٤) أخرجه الطبري (٩٢١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٩٠)، من طريق علي ابن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٩٧٠٢)، والطبري (٩٢٠٣/ ٩٢٠٤)، وابن أبي حاتم (٥٢١٦) وغيرهم من طرق صحيحة، عن طاووس، عن ابن عباس، وقد رواه ابن أبي حاتم (٥٢١٧) بإسناد لا بأس به عن سعيد بن جبير قال: إن رجلاً سأل ابن عباس: كم الكبائر؟ سبعٌ هي؟ قال: هي إلى سبع مئة أقرب منها إلى سبع، وإنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار.

(٦) أخرجه ابن جرير (٩٢١٠)، من طريق عبد الله بن سعدان، عن أبي الوليد قال: سألت ابن عباس عن =

فهنا يدخل الزنا[١]، وشرب الخمر، والزور، والغيبة، وغير ذلك مما قد نُص عليه في أحاديث لم يُقصد الحصر للكبائر بها، بل ذُكر بعضها مثالاً، وعلى هذا القول أَئمة الكلام: القاضي، وأَبو المعالي، وغيرهما، قالوا: وإِنما قيل: صغيرة بالإضافة إِلى أَكبر منها، وهي في نفسها كبيرة من حيث المعصيُّ بالجميع واحد[٢].

وهذه الآية يتعاضد معها حديث رسول الله ﷺ في كتاب الوضوء من مسلم عن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرئٍ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها؛ إِلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأْت بكبيرة، وذلك الدهر كله»[٣].

واختلف العلماءُ في هذه المسأَلة؛ فجماعة من الفقهاءِ وأَهل الحديث يرون أَن الرجل إِذا اجتنب الكبائر، وامتثل الفرائض؛ كفرت صغائره، كالنظر وشبهه، قطعاً بظاهر هذه الآية، وظاهر الحديث.

وأَما الأُصوليون فقالوا: لا يجب ـ على القطع ـ تكفير الصغائر باجتناب الكبائر، وإِنما يحمل ذلك على غلبة الظن وقوة الرجاء، [والمشيئة ثابتة][٤]، ودل على ذلك أَنه لو قطعنا لمجتنب الكبائر وممتثل الفرائض بتكفير صغائره قطعاً؛ لكانت له في حكم المباح الذي يقطع بأَنه لا تباعة فيه، وذلك نقضٌ لعُرى الشريعة[٥].

= الكبائر، قال: كل شيء عُصِي الله فيه فهو كبيرة، وعبد الله بن سعدان وشيخه لم أقف لهما على ترجمة، وأخرجه ابن أبي حاتم (٥٢١٥)، من طريق أشعث بن سوار الكندي، عن عكرمة، عن عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، وأشعث بن سوار ضعيف.

(١) في نور العثمانية: «الربا».

(٢) انظر البحر المحيط في أصول الفقه (٦/ ١٥٢).

(٣) صحيح مسلم (٥٦٥) من حديث عثمان بن عفان، رضي الله عنه.

(٤) في نور العثمانية: «والمشيئة لله تعالى».

(٥) انظر: لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٧٣).

ومحمل الكبائر عند الأُصوليين في هذه الآية أَجْنَاسُ الكفر، والآية التي قَيَّدت الحكم فَتُرَدُّ إِليها هذه المُطْلَقَات كلها: قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨ و١١٦].

و﴿ كَرِيمًا ﴾: يقتضي كرم الفضيلة، ونفي العيوب، كما تقول: ثوب كريم، وكريم المَحْتِد.

وهذه آية رجاء، روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: خمس آيات من سورة النساء هي أَحبُّ إِليَّ من الدنيا جميعاً: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ ﴾ الآية، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ الآية، وقوله: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ ﴾، وقوله أيضاً: ﴿يُضَٰعِفْهَا ﴾، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ الآية[(١)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾.

سبب الآية: أَن النساءَ قلن: ليتنا استوينا مع الرجال في الميراث، وشَرِكْناهم في الغزو[(٢)]، وروي أَن أُم سلمة قالت ذلك أَو نحوه، وقال الرجال: ليت لنا في الآخرة حظاً زائداً على النساء، كما لنا عليهن في الدنيا، فنزلت الآية الكريمة[(٣)].

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ٦٦٠)، من طريق عبد الرزاق عن معمر، عن رجل، عن ابن مسعود، فذكره، والآيات كلها في (سورة النساء)، الأولى هنا، والثانية (٤٨) و(١١٦)، والثالثة (١١٠)، والرابعة (٤٠)، والخامسة (١٥٢).

(٢) رواه بمعناه الطبري في تفسيره (٩٢٣٩-٩٢٤٠-٩٢٤٢)، من قول مجاهد، ومعمر بن راشد.

(٣) مرسل، أخرجه أحمد في مسنده (٤٤/ ٣٢٠)، الترمذي (٣٠٢٢)، وأبو يعلى في مسنده (٦٩٥٩)، والطبراني في الكبير (٦٠٩)، وغيرهم من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: يغزو الرجال ولا يغزو النساء، وإنما لنا نصف الميراث فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾، قال الترمذي: هذا حديث مرسل، ورواه بعضهم عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مرسلاً أن أم سلمة قالت كذا وكذا. اهـ.

قال القاضي أَبو محمد: لأَن في تمنِّيهم هذا تحكُّماً على الشريعة، وتطرقاً إلى الدفع في صدر حكم الله، فهذا نهيٌ عن كلِّ تَمَنٍّ لخلاف حكم شرعيٍّ، ويدخل في النهي أَن يتمنى الرجل حال الآخر من دين أَو دنيا، على أَن يذهب ما عند الآخر؛ إذ هذا هو الحسد بعينه.

وقد كره بعض العلماء أَن يتمنى أَحدٌ حال رجل ينصبه في فكره وإن لم يتمنَّ زوال حاله[١]، وهذا في نعم الدنيا، وأَما في الأَعمال الصالحة؛ فذلك هو الحسن[٢].

وأَما إذا تمنَّى المرءُ على اللَّهِ من غير أَن يقرن أُمنيته بشيءٍ مما قدمناه؛ فذلك جائز، وذلك موجودٌ في حديث النبي ﷺ في قوله: «ودِدْتُ أَن أُقتل في سبيل الله، ثم أَحيا فأُقْتل»[٣]، وفي غير موضع، ولقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ الآية؛ قال قتادة معناه: من الميراث؛ لأَن العرب كانت لا تورث النساءَ[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول ضعيف.

ولفظة الاكتساب تردُّ عليه رداً بيِّناً، ولكنه يتركب على قول النساءِ: ليتنا ساوينا الرجال في الميراث، فكأَنه قيل بسببهن: لا تتمنوا هذا، فلكل نصيبه.

وقالت فرقة: معناه: من الأَجر والحسنات، فكأَنه قيل للناس: [لا تتمنوا][٥] في أَمرٍ خلاف ما حكم الله به لاختيار ترونه أَنتم؛ فإِن الله قد جعل لكل أَحد نصيباً من الأَجر والفضل بحسب اكتسابه فيما شرع له.

---

(١) ممن روي عنه الكراهة ابن عباس ومجاهد والحسن كما في شرح مشكل الآثار (١/ ٤٠٢)، وتفسير القرطبي (٥/ ١٦٢).

(٢) انظر رواية الكراهة عنهم في: تفسير الطبري (٨/ ٢٦١، و٢٦٣)، والتقييد في الأحكام لابن العربي (١/ ٥٢٦).

(٣) صحيح مسلم (٤٩٧٢) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٤) انظر تفسير مقاتل (١/ ٢١٦)، وتفسير عبدالرزاق (١/ ١٤٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٧٤).

(٥) سقط من الأصل.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا القول هو الواضح البيِّن الأَعم.

وقالت فرقة: معناه: لا تتمنَّوا خلاف ما حدَّ اللهُ في تفضيله؛ فإِنه تعالى قد جعل لكل أَحد مكاسب تختص به، فهي نصيبه، قد جعل الجهاد والإِنفاق وسعْي المعيشة وحمل الكلف كالأَحكام والإِمارة والحسبة وغير ذلك للرجال، وجعل الحمْل ومشقته وحُسْن التَّبَعُّل وحفظ غيب الزوج وخدمة البيوت للنساءِ.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا كالقول الذي قبله، إِلا أَنه فارقه بتقسيم الأَعمال.

وفي تعليقه النصيب بالاكتساب حضٌّ على العمل، وتنبيه على كسب الخير.

قرأَ جمهور السبعة: ﴿وَسۡـَٔلُواْ﴾ بالهمز وسكون السِّين.

وقرأَ الكسائي وابن كثير: ﴿وَسَلُوا﴾ أَلقيا حركة الهمزة على السين[١]، وهذا حيث وقعت اللفظة إِلا في قوله: ﴿وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ﴾ [الممتحنة: ١٠][٢]؛ فإِنهم أَجمعوا على الهمز فيه.

قال سعيد بن جبير، وليث بن أَبي سليم[٣]: هذا في العبادات، والدِّين، وأَعمال البر، ليس في فضل الدنيا[٤]، وقال الجمهور: ذلك على العموم، وهو الذي يقتضيه اللفظ.

وقوله: ﴿وَسۡـَٔلُواْ﴾ يقتضي مفعولاً ثانياً، فهو ـ عند بعض النحويين ـ في قوله: ﴿مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾، التقدير: واسأَلوا الله فضلَه، وسيبويه لا يجيز هذا؛ لأَن فيه حذف «من» في الواجب، والمفعول عنده مضمر تقديره: واسأَلوا الله الجنة، أَو كثيراً، أَو حظاً من فضله[٥].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٣٣)، والتيسير (ص: ٩٥).

(٢) والصواب أن هذا اللفظ داخل في الخلاف، بلا خلاف، وإنما استثنى ابن مجاهد قوله: ﴿وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ﴾.

(٣) ليث بن أبي سليم الكوفي، مولى بني أمية من علماء الكوفة، روى عن طاووس ومجاهد وعكرمة وجماعة، وعنه إسماعيل بن عياش وشعبة وسفيان ومعتمر وابن علية وخلق كثير، كان صاحب سنة، ولينه أبو زرعة، ومات سنة (١٤٣هـ)، تاريخ الإسلام (٩/ ٢٦٠).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٣٦)، وانظر معاني القرآن للنحاس (٢/ ٧٥)، وحلية الأولياء (٣/ ٢٨١).

(٥) كتاب سيبويه (١/ ٣٩٥).

قال القاضي أَبو محمد رحمه الله: وهذا هو الأَصح، ويحسن عندي أَن يُقدَّر المفعول: أَمانيكم؛ إِذْ ما تقدم يحسن هذا التقدير.

وقوله: ﴿بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ معناه: أن علم الله قد أَوجب الإِصابة والإِتقان والإِحكام، فلا تعارضوا بِتَمَنٍّ ولا غيره، وهذه الآية تقتضي أَن الله يعلم الأَشياءَ، والعقائدُ توجب أَنه يعلم المعدومات الجائز وقوعها وإِن لم تكن أَشياء، والآية لا تناقض ذلك، بل وقفت على بعض معلوماته، وأَمسكت عن بعض.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ /لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّـٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ [١/ ٣١١]
فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾.

«كُلٌّ»: إِنما تُستعمل مضافةً ـ ظَهَر المضاف إِليه أَو تقدر ـ فهي بمثابة: «قَبْل» و«بَعْد» ولذلك أَجاز بعض النحاة: مررْت بكلٍّ، على حدِّ «قبل» و«بعد»[(١)]، فالمقدر هنا على قول فرقة: ولكلِّ أَحدٍ، وعلى قول فرقة: ولكلِّ شيْءٍ؛ يعني: التركة.

و«المولى» في كلام العرب: لفظة يشترك فيها: القريب القرابة، والصديق، والحليف، والمعتِق، والمعتَق، والوارث[(٢)]، والعبد، فيما حكى ابن سيده[(٣)].

ويحسن هنا من هذا الاشتراك: الوَرَثَة؛ لأَنها تصلح على تأْويل: ولكلِّ أَحدٍ، وعلى تأْويل: ولكلِّ شيْءٍ، وبذلك فَسَّر قتادة، والسدي، وابن عباس، وغيرهم أَن «الموالي»:

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٥١).

(٢) سقط «الوارث» من الأصل، والحمزوية، «ومع المعتق» من نور العثمانية.

(٣) في الحمزوية وجار الله: «سيبويه»، والمثبت هو الصواب، انظر: المخصص لابن سيده (٤ / ١٧٨).

العصبة والورثة[١]، قال ابن زيد: لما أَسلمت العجم سُمُّوا موالي استعارةً وتشبيهاً[٢]، وذلك في قول الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥].

قال القاضي أَبو محمد: وقد سُمِّي قوم من العجم ببني العم.

و﴿مِمَّا﴾: متعلقة بشيءٍ، تقديره: ولكل شيءٍ مما ترك الوالدان والأَقربون جعلنا ورثة، وهي متعلقة ـ على تأْويل: ولكلِّ أَحدٍ ـ بفعل مضمر تقديره: ولكل أَحدٍ جعلنا موالي يرثون مما ترك الوالدان والأَقربون، ويحتمل على هذا أَن تتعلق (من) بـ﴿مَوَٰلِىَ﴾[٣].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ رفع بالابتداءِ، والخبر في قوله: ﴿فَـَٔاتُوهُمْ﴾.

وقرأَ نافع، وابن كثير، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿عَاقَدَت﴾ على المفاعلة؛ أَي: أَيمان هؤلاءِ عاقدت أُولئك.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿عَقَدَتْ﴾ بتخفيف القاف[٤] على حذف مفعول تقديره: عقدت أَيمانكم حلفهم أو ذمتهم.

وقرأَ حمزة في رواية علي بن كبشة عنه: (عقَّدت) مشددة القاف[٥].

واختلف المتأَولون في من المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٧٠) بلفظ: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ﴾، قال ورثة، ﴿والذين عاقدت أيمانكم﴾، قال: كان المهاجرون لما قدموا إلى المدينة يرث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمه؛ للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ﴾ نسخت، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾، إلا النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصي له، وانظر سنن سعيد بن منصور (٤/ ١٢٤٠)، وتفسير مقاتل (ص: ٢٢٦)، وتفسير الثوري (ص: ٩٣).

(٢) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (٨/ ٢٧١).

(٣) هذا معنى كلام النحاس في إعراب القرآن (١/ ٢٢١).

(٤) التيسير (ص: ٩٦).

(٥) كذا في جميع النسخ، والبحر المحيط، والصواب: «ابن كيسة» كما في جامع البيان (٣/ ١٠١١)، وهو علي بن يزيد بن كيسة أبو الحسن الكوفي، نزيل مصر، عرض على سليم، وهو أضبط أصحابه، توفي سنة (٢٠٢هـ)، غاية النهاية (١/ ٥٨٤)، وانظر: الإكمال (٧/ ١٢٤).

فقال الحسن، وابن عباس، وابن جبير، وقتادة، وغيرهم: هم الأَحلاف[(١)]، فإِن العرب كانت تتوارث بالحلف، فشدَّد الله ذلك بهذه الآية، ثم نسخه بآية الأَنفال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥].

وقال ابن عباس أَيضاً: هم الذين كان رسول الله ﷺ آخى بينهم، فإِنهم كانوا يتوارثون بهذه الآية، حتى نسخ ذلك بما تقدم[(٢)].

قال القاضي أَبو محمد: وورد لابن عباس: أَن المهاجرين كانوا يرثون الأَنصار دون ذوي رحمهم؛ للأُخوة التي آخى رسول الله ﷺ بينهم، فنزلت الآية في ذلك ناسخة[(٣)]، وبقي إِيتاءُ النصيب من النصر والمعونة، أَو من المال على جهة الندب في الوصية.

وقال سعيد بن المسيب: هم الأَبناءُ الذين كانوا يُتَبَنَّوْنَ[(٤)]، والنصيب الذي أُمر الناسُ بإِيتَائه هو الوصية، لا الميراث.

وقال ابن عباس أَيضاً: هم الأَحلاف، إِلا أَن النصيب هو المؤازرة في الحق، والنصر، والوفاءُ بالحلف، لا الميراث[(٥)].

وروي عن الحسن: أَنها في قوم يوصى لهم، فيموت الموصى له قبل نفوذ الوصية ووجوبها، فأُمر الموصى أَن يؤديها إِلى ورثة الموصى له[(٦)].

ولفظة «المعاقدة» و«الأَيمان» ترجح أَن المراد: الأَحلاف؛ لأَن ما ذكر من غير الأَحلاف، ليس في جميعه معاقدة ولا أَيمان.

---

(١) انظر تفسير مقاتل (١/ ٢٢٧)، وتفسير الثوري (٩٤)، وتفسير عبد الرزاق (١/ ١٥٧)، ومصنفه (١٠/ ٣٠٥)، وسنن سعيد بن منصور (٤/ ١٢٤٠)، وقول ابن عباس أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٦٧٦)، من طريق علي بن أبي طلحة.

(٢) صحيح البخاري (٢٢٩٢).

(٣) صحيح البخاري (٢٢٩٢).

(٤) انظر الناسخ والمنسوخ القاسم بن سلام (٣٥٥)، والطبري في تفسيره (٨/ ٢٨٠).

(٥) صحيح البخاري (٢٢٩٢).

(٦) انظر مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٢١٠)، وسنن الدارمي (٣٣٠٢).

و﴿شَهِيدًا﴾ معناه: إِن الله شهيد بينكم على المعاقدة والصلة، فَأَوفُوا بالعهد بحسب ذلك مراقبة ورهبة.

وقوله: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ﴾ الآية؛ «قوَّام»: فَعَّال، بناءُ مبالغة، وهو من القيام على الشيءِ، والاستبداد بالنظر فيه، وحفظه بالاجتهاد، فقيام الرجال على النساء هو على هذا الحدِّ، وتعليل ذلك بالفضيلة والنفقة يقتضي أَن للرجال عليهنَّ استيلاءً وملكاً ما.

قال ابن عباس: الرجال أُمراءُ على النساء[١]، وعلى هذا قال[٢] أَهل التأْويل، و﴿مَا﴾ في قوله: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ﴾: مصدرية؛ ولذلك استغنت عن العائد، وكذلك: ﴿بِمَا أَنفَقُواْ﴾.

والفضيلة: هي الغزو، وكمال الدين، والعقل، وما أَشبهه، والإِنفاق: هو المهر، والنفقة المستمرة على الزوجات.

وقيل: سبب هذه الآية: أَن سعد بن الربيع لطم زوجه حبيبة بنت زيد بن أَبي زهير، فجاءَت مع أَبيها إِلى رسول الله ﷺ، فأَمر أَن تلطمه كما لطمها، فنزلت الآية مبيحة للرجال تأْديب نسائهم، فدعاهم رسول الله ﷺ، ونقض الحكم الأول، وقال: «أَردت شيئاً، وما أَراد الله خيرٌ»، وفي طريق آخر: «أَردت شيئاً، وأَراد الله غيره»[٣].

---

(١) أخرجه الطبري (٩٣٠٠)، وابن أبي حاتم (٥٢٤٥)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما.

(٢) في السليمانية وفيض الله: «قرأ».

(٣) مرسل، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٨٠٦٤)، وأبو داود في المراسيل (٢٧٤)، والطبري (٩٣٠٤-٩٣٠٧)، وابن أبي حاتم (٥٢٤٦)، من طرق عن الحسن البصري، فذكره مرسلاً، وقد وصله ابن مردويه في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩٣)، من طريق عن محمد بن محمد الأشعث، عن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد، حدثني أبي، عن جدي، عن جعفر ابن محمد، عن أبيه، عن علي قال: أتى النبي رجل من الأنصار بامرأة له، فقالت: يا رسول الله، إن زوجها فلان بن فلان الأنصاري، وإنه ضربها فأثر في وجهها، فقال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ ذَلِكَ لَه...» =

وقيل: إن في هذا الحكم المردود نزلت: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤].

وقيل: سببها قول أُم سَلَمة المتقدم؛ أَي: لما تمنى النساءُ درجة الرجال؛ عرفن وجه الفضيلة.

والصلاح في قوله: ﴿فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ﴾ هو الصلاح في الدين.

و«القانتات» معناه: مطيعات، والقنوت: الطاعة، ومعناه: لأَزواجهن، أَو لله في أَزواجهن، وغير ذلك، وقال الزجاج: إِنها الصلاة[1]، وهذا هنا بعيد.

و﴿لِّلْغَيْبِ﴾ معناه: كل ما غاب عن علم زوجها مما استرعته[2]، وذلك يعم حال غيب الزوج وحال حضوره، وروى أَبو هريرة أَن رسول الله ﷺ قال: «خير النساءِ امرأَةٌ إِذا نظرت إِليها سرَّتك، وإِذا أَمرتها أَطاعتك، وإِذا غِبت عنها حفظتك في مالك[3] وفي نفسها»[4]، ثم قرأَ رسول الله ﷺ هذه الآية.

= الحديث، ومحمد بن محمد بن الأشعث له نسخة عن موسى بن إسماعيل بهذا الإسناد، عامتها مناكير، كلها أو عامتها. قاله ابن عدي في الكامل ترجمة: (١٧٩١).

(١) مثله في البحر المحيط (٣ / ٦١٢)، ولفظ الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧): قيمات بحقوق أزواجهم.

(٢) في السليمانية وفيض الله: «استرعيته»، وفي نجيبويه: «استرعينه».

(٣) في الأصل: «مالها».

(٤) حديث أبي هريرة أخرجه النسائي في الكبرى (٥/ ٣١٠) والحاكم (٢/ ١٧٥)، وغيرهم من طرق عن محمد بن عجلان، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة مرفوعاً، وفي رواية ابن عجلان عن المقبري كلام معروف، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٢/ ٣٢٥)، من طريق شريك ـ هو القاضي ـ عن جابر ـ هو الجعفي ـ عن عطاء ـ هو ابن أبي رباح ـ عن أبي هريرة مرفوعاً، وهذا إسناد تالف.
وقد روي نحوه أيضاً من حديث ابن عباس وأبي أمامة، أما حديث ابن عباس؛ فأخرجه أبو داود (١٦٦٦) من طريق غيلان عن جعفر بن إياس، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال عمر عن النبي ﷺ، وفيه قصة، وفي شعب الإيمان (٣/ ١٩٤)، وفي مسند أبي يعلى (٤/ ٣٧٨)، من طريق غيلان بن جامع، عن عثمان أبي اليقظان الخزاعي، عن جعفر بن إياس به، وعندهما زيادة: عثمان في إسناده،=

وفي مصحف ابن مسعود: (فالصوالح قوانتُ حوافظُ)[١]، وهذا بناءٌ يختص بالمؤنث، وقال ابن جني: والتكسير أَشبه لفظاً بالمعنى؛ إِذ هو يعطي الكثرة، وهي المقصود هنا[٢].

و﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾: الجمهور على رفع اسم الله بإِسناد الفعل إليه.

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع: ﴿اللهَ﴾ بالنصب[٣] على إِعمال: ﴿حَفِظَ﴾.

أَما قراءَة الرفع فـ﴿مَا﴾: مصدرية تقديره: يحفظ الله، ويصح أَن تكون بمعنى «الذي»، ويكون العائد الذي في ﴿حَفِظَ﴾: ضمير نصب، ويكون المعنى إِما: حفظ الله ورعايته التي لا يتم أَمر دونها، وإِما[٤] أَوامره ونواهيه للنساءِ، فكأَنها حفظه، فمعناه: أَن النساء يحفظن بإزاء ذلك[٥] وقدرته.

وأَما قراءَة ابن القعقاع ﴿بِمَا حَفِظَ اللهَ﴾ فالأَولى أَن تكون (ما) بمعنى «الذي»، وفي: ﴿حَفِظَ﴾ ضمير مرفوع، والمعنى: حافظات للغيب بطاعة وخوف وبر ودين، حفِظْنَ الله في أَوامره/ حين امْتَثَلْنَهَا، وقيل: يصح أَن تكون (ما): مصدرية، على أَن تقدير [١/ ٣١٢] الكلام: بما حَفِظْنَ الله، وينحذف الضمير، وفي حذفه قبح لا يجوز إِلا في الشعر، كما قال:

= وهو متفق على ضعفه، وأما حديث أبي أمامة؛ فأخرجه ابن ماجه (١٨٥٧) والطبرني في الكبير (٨/ ٢٢٢)، من طريق هشام بن عمار، ثنا صدقة بن خالد، ثنا عثمان بن أبي العاتكة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة: عن النبي ﷺ، وهذا إسناد تالف.
وروي الحديث مرسلاً من طريقين، فأخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٣٩٩)، من طريق ابن عيينة، عن عمرو بن يحيى بن جعدة مرسلاً، وأخرج عبد الرزاق في المصنف (١١/ ٣٠٤)، عن معمر عن عبد الكريم الجزري، عن مجاهد مرسلاً.

(١) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢١٢)، وفي معاني القرآن للفراء (١/ ٢٦٥): (فالصوالح قوانت).
(٢) المحتسب (١/ ١٨٦).
(٣) النشر (٢/ ٢٤٩)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٥٢)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٩٧).
(٤) سقط من الأصل.
(٥) في المطبوع: «بإرادته»، بدل «بإزاء ذلك»، وفي السليمانية وفيض الله ونجيبويه: «وبقدره»، بدل: «قدرته».

[المتقارب] .... فَـإِنَّ الحَـوادِثَ أَوْدَى بِهَـا[١]

يريد: أَوْدَيْن، والمعنى: يحفظن الله في أَمره حين امتثلنه.

وقال ابن جني: الكلام على حذف مضاف تقديره: بما حفظ[٢] دين الله، أَو أَمرَ الله[٣].

وفي مصحف ابن مسعود: (بما حفظ الله فأَصلحوا إِليهن)[٤].

﴿وَٱلَّتِي﴾: في موضع رفع بالابتداءِ، والخبر: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾، ويصح أَن تكون في موضع نصب بفعل مضمر تقديره: وعظوا اللواتي تخافون نشوزهن، كقوله: (والسَّارقَ والسَّارقةَ)[٥] على قراءَة من قرأَها بالنصب[٦]، قال سيبويه: النصب القياس، إلا أن الرفع أكثر في كلامهم[٧]، وحكي عن سيبويه: أن تقدير الآية عنده: وفيما يتلى عليكم اللاتي[٨].

قالت فرقة: معنى: ﴿تَخَافُونَ﴾: تعلمون وتتيقنون، وذهبوا في ذلك إلى أن وقوع النشوز هو الذي يوجب الوعظ، واحتجوا في جواز وقوع الخوف بمعنى اليقين بقول أبي محجن[٩]:

(١) عجز بيت، صدره: فإن تعهديني ولي لمَّة، وهو للأعشى كما في الكتاب لسيبويه (٢/ ٤٥)، ومجاز القرآن (١/ ٢٦٧)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٤٢٢)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٥١٣)، والأصول في النحو (٢/ ٤١٣).

(٢) في الحمزوية: «حفظن».

(٣) المحتسب (١/ ١٨٨).

(٤) تفسير الطبري (٨ / ٢٩٧)، والكشاف عن حقائق التنزيل (١ / ٥٣٨).

(٥) (المائدة: ٣٨).

(٦) عزاها الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٧٢) لعيسى ابن عمر الثقفي، وستأتي في محلها.

(٧) الكتاب (١/ ١٤٤).

(٨) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٥٥).

(٩) هو أبو محجن بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف، الشاعر الفارس، من بني ثقيف، أنساب الأشراف للبلاذري (١٣/ ٤٤٠).

[الطويل] وَلاَ تَدْفِنَنِّي فـي الفَـلاَةِ فَإِنَّنِي أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَنْ لاَ أَذُوقَهَا[١]

وقالت فرقة: الخوف هاهنا على بابه في التوقع؛ لأن الوعظ وما بعده إنما هو في دوام ما ظهر من مبادئ ما يتخوف.

و«النشوز»: أن تتعوج[٢] المرأة، وترتفع في[٣] خلقها، وتستعلي على زوجها، وهو من: نشز الأَرض، يقال: ناشز، وناشص، ومنه بيت الأَعشى:

[الطويل] تَجَلَّلَهـا شـيخٌ عِشـاءً فَأَصْبَحَتْ قُضاعِيَّة تأْتي الكواهِنَ ناشِصَا[٤]

و﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ معناه: ذكروهن [أَمر الله، واستدعوهن إِلى ما يجب عليهن بكتاب الله وسُنَّة نبيه.

وقرأَ إِبراهيم النخعي: (في المضْجَع)][٥]، وهو واحد يدلُّ على الجمع.

واختلف المتأولون في قوله: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ﴾:

فقالت فرقة: معناه: جَنِّبُوا جِمَاعَهُنَّ، وجعلوا ﴿فِي﴾ للوعاءِ على بابها دون حذف، قال ابن عباس: يضاجعها ويوليها ظهره، ولا يجامعها[٦].

وقال مجاهد: جنِّبوا مضاجعتهن، فيتقدر على هذا القول حذفٌ تقديره: واهجروهن برفض المضاجع، أَو بترك المضاجع، وقال سعيد بن جبير: هي هجرة الكلام؛ أَي: لا

---

(١) انظر عزوه له في أنساب الأشراف (١٣/ ٤٤٠)، والشعر والشعراء (١/ ٤١٤)، والعقد الفريد (٨/ ٦٣)، والأغاني (١٩/ ١٠).

(٢) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «تتعرج»، ولا معنى لها هنا، ولعلها سهو من الناسخ.

(٣) من المطبوع.

(٤) تقدم في تفسير الآية (٢٥٩) من سورة البقرة.

(٥) ساقط من جار الله، وانظر عزو القراءة للنخعي في الشواذ للكرماني (ص: ١٣٤).

(٦) أخرجه الطبري (٩٣٥٦)، وابن أبي حاتم (٥٢٧٠)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما.

تكلموهن، وأَعرضوا عنهن، فيقدر حذف تقديره: واهجروهن في سبب المضاجع حتى يراجعْنَهَا[(١)].

وقال ابن عباس أَيضاً: معناه: وقولوا لهن هجراً من القول؛ أَي: إِغلاظاً حتى يراجعن المضاجع[(٢)]، وهذا لا يصح تصريفه إِلا على من حكى: هجر وأَهجر بمعنى واحد.

وقال الطبريُّ: معناه: اربطوهن بالهجار كما يربط البعير به، وهو حبل يُشد به البعير، فهي في معنى: اضربوهن ونحوها، ورجَّح الطبري منزعه هذا، وقدح في سائر الأَقوال، وفي كلامه كله في هذا الموضع نظر[(٣)].

والضرب في هذه الآية هو ضرب الأَدب غير المبرح، وهو الذي لا يكسر عظماً، ولا يشين جارحة، وقال النبي ﷺ: «اضربوا النساءَ ـ إِذا عصينكم في معروف ـ ضرباً غير مبرح»[(٤)].

وقال عطاءٌ: قلت لابن عباس: ما الضرب غير المبرح؟ قال: بالسواك[(٥)] ونحوه[(٦)]، وروي عن ابن شهاب أَنه قال: لا قصاص بين الرجل وامرأَته إِلا في النفس[(٧)].

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٨/ ٣٠١).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٩٣٦٧)، من طريق الثوري، عن رجل، عن أبي صالح، عن عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، وفيه مبهم.

(٣) تفسير الطبري (٨/ ٣٠٩).

(٤) منقطع، أخرجه الطبري (٩٣٧٧)، عن عكرمة مولى ابن عباس قال: في قوله: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّ﴾ ضرباً غير مبرح، قال: قال رسول الله ﷺ: «اضربوهن ـ إذا عصينكم في المعروف ـ ضرباً غير مبرِّح»، وهو منقطع.

(٥) في المطبوع والأصل ونجيبويه: «بالشراك».

(٦) صحيح، أخرجه الطبري (٩٣٨٦)، من طريق ابن عيينة، عن ابن جريج، عن عطاء قال: قلت لابن عباس... بلفظ: السواك وشبهه، وعطاء هو ابن أبي رباح.

(٧) تفسير الطبري (٨/ ٢٩٢).

قال القاضي أَبو محمد: وهذا تجاوز.

قال غيره: إِلا في النفس والجراح.

وهذه العظة والهجر والضرب مراتب؛ إِن وقعت الطاعة عند إِحداها لم يتعد إِلى سائرها.

و﴿تَبۡغُواْ﴾ معناه: تطلبوا، و﴿سَبِيلًا﴾؛ أَي: إِلى الأَذى، وهو التَّعْنيت والتَّعَسُّف بقول أَو فعل، وهذا نهي عن ظلمهن بغير واجب بعد تقدير الفضل عليهن، والتمكين من أَدبهن، وحَسُن معه الاتصاف بالعُلُوِّ والكبر؛ أَي[١]: قدره فوق كل قدر، ويده بالقدرة فوق كل يد، فلا يستعلي أَحد على امرأَته، فالله بالمرصاد.

وينظر هذا إلى حديث أبي مسعود[٢]: [قال: كنت أضرب غلامي، فسمعت قائلًا يقول: اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود][٣] فصرفت وجهي، فإِذا رسول الله ﷺ يقول: «اعلم أَبا مسعود أن الله أَقدر عليك منك على هذا العبد»[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥﴾.

قسَّمت هذه الآية النساءَ تقسيماً عقلياً؛ لأَنهن إِما طائعة، وإِما ناشزة، والنُّشَّز: إِما من[٥] يرجع إِلى الطواعية، وإِما من يحتاج إِلى الحَكَمين.

اختلف المتأَولون أَيضاً في الخوف هاهنا حسب ما تقدم، ولا يبعث الحَكَمان إِلا مع شدة الخوف.

---

(١) في السليمانية: «إذ».

(٢) في المطبوع والسليمانية: «ابن مسعود» هنا، وكذلك في الحمزوية في المواضع الثلاثة.

(٣) ساقط من المطبوع.

(٤) صحيح مسلم (٤٣٩٦-٤٣٩٧).

(٥) في السليمانية وفيض الله: «أن» في الموضعين، وفي نجيبويه في الأول فقط.

و«الشقاق»: مصدر: شاق يشاق، وأُجري «البين» مجرى الأَسماءِ، وأُزيل عنه الظرفية؛ إِذ هو بمعنى: حالهما وعشرتهما وصحبتهما، وهذا من الإِيجاز الذي يدل فيه الظاهر على المقدر.

واختلف من المأْمور بالبعثة؟

فقيل: الحاكم، فإِذا أَعضل على الحاكم أَمر الزوجين، وتعاضدت عنده الحجج، واقترنت الشُّبه، واغتَمَّ وجه الإِنفاذ على أَحدهما؛ بعث حَكمين من الأَهل ليباشرا الأَمر، وخص الأَهل؛ لأَنهم مظنة العلم بباطن الأَمر، ومظنة الإِشفاق بسبب القرابة.

وقيل: المخاطب الزوجان، وإِليهما تقديم الحَكَميْن، وهذا في مذهب مالك[١]، والأَول لربيعة وغيره[٢].

واختلف الناس في المقدار الذي ينظر فيه الحَكَمان:

فقال الطبري: قالت فرقة: لا ينظر الحَكَمان إِلا فيما وكلهما به الزوجان، وصرحا بتقديمهما عليه، ترجم بهذا، ثم أَدخل عن علي غيره[٣].

وقال الحسن بن أَبي الحسن وغيره: ينظر الحكمان في الإِصلاح، وفي الأَخذ والعطاءِ، إِلا في الفرقة؛ فإِنها ليست إِليهما[٤].

وقالت فرقة: ينظر الحكمان في كل شيءٍ، ويحملان على الظالم، ويُمْضيان ما رأَياه من بقاءٍ أَو فراق، وهذا هو مذهب مالك والجمهور من العلماءِ[٥]، وهو قول

---

(١) انظر مذهب المالكية في: الاستذكار (٦/ ١٨٣).

(٢) انظر قول ربيعة في المدونة (٢/ ٢٧٠)، وقاله سعيد بن جبير والضحاك كما في: تفسير الطبري (٨/ ٣١٩-٣٢٠).

(٣) انظر قول الطبري وما أدخله عن علي في: تفسيره (٨/ ٣٢٠-٣٢١).

(٤) ممن قال بذلك غير الحسن؛ الإمام أحمد وأبو ثور وداود، انظر أقوالهم في: الاستذكار (٦/ ١٨٤).

(٥) ممن قال بذلك سعيد بن جبير والشعبي ومالك وأصحابه، وأبو حنيفة والشافعي وإسحاق، انظر الاستذكار (٦/ ١٨٤).

علي بن أَبي طالب في المدونة وغيرها[١]، وتأَول الزجاج عليه غيره[٢]، وأَنه وكل الحَكَمَيْن على الفرقة، وأَنها للإِمام[٣]، وذلك وهم من أَبي إسحاق.

واختلف المتأَولون في مَن المراد بقوله: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا﴾؟

[١/ ٣١٣] فقال مجاهد وغيره/ : المراد الحكمان؛ أَي: إِذا نصحا وقصدا الخير؛ بورك في وساطتهما[٤]، وقالت فرقة: المراد الزوجان، والأول: أظهر، وكذلك الضمير في ﴿بَيۡنَهُمَآ﴾ يحتمل الأَمرين، والأَظهر: أَنه للزوجين.

والاتصاف بـ﴿عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾ يشبه ما ذكر من إرادة الإصلاح.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾.

(الواو): لعطف جملة كلام على جملة غيرها، والعبادة: التذلُّل بالطاعة، ومنه: طريق معبد، وبعير معبد إِذا كان معلمين[٥].

و﴿إِحۡسَٰنٗا﴾: نصب على المصدر، والعامل فعل مضمر تقديره: وأَحسنوا بالوالدين إِحساناً[٦]، وما ذكر الطبري من أَنه نصب بالإِغراء[٧] خطأ.

والقيام بحقوق الوالدين اللازمة لهما من التوقير والصون والإِنفاق إِذا احتاجَا،

---

(١) انظر قول علي رضي الله عنه في المدونة (٢/ ٢٧٠)، وفي: الاستذكار (٦/ ١٨٢).

(٢) في نجيبويه والأصل ونور العثمانية بدل غيره: «غير ذلك»، وفي المطبوع: «ذلك»، دون كلمة «غير».

(٣) في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٩).

(٤) انظر تفسير مجاهد (١/ ١٥٦)، ومصنف عبدالرزاق (٦/ ٥١٤)، ومصنف ابن أبي شيبة (٤/ ١٦٨).

(٥) في نجيبويه وجار الله: «معملين».

(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٥٠)، وذكر الفراء في معاني القرآن (١/ ٢٦٦) فيه: الرفع.

(٧) تفسير الطبري (٨/ ٣٣٤)

واجبٌ[١]، وسائر ذلك مِنْ وجوه البر والألطاف، وحسن القول، والتصنُّع لهما مندوب إليه مؤكد فيه، وهو البر الذي تُفَضَّل فيه الأُم على الأَب، حسب قوله ﷺ للذي قال له: من أَبر؟ قال: «أُمك»، قال: ثم من؟ قال: «أُمك»، قال: ثم من؟ قال: «أُمك»، قال: ثم من؟ قال: «أَباك، ثم الأَقرب فالأَقرب»، وفي رواية: «ثم أَدناك أَدناك»[٢].

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (إحسانٌ): بالرفع[٣].

و«ذو القربى»: هو القريب النسب من قِبَل الأَب والأُم، وهذا من الأَمر بصلة الرحم وحفظها.

و﴿ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾: جمع يتيم، وهو فاقد الأَب قبل البلوغ، وإِن ورد في كلام العرب يتم من قِبَل الأُم؛ فهو مجاز واستعارة.

و(المساكين): المُقترون[٤] من المسلمين، الذين تَحِلُّ لهم الزكاة، وجاهروا بالسؤال.

واختلف في معنى: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، وفي معنى: ﴿ٱلْجُنُبِ﴾:

فقال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وغيرهم: الجار ذو القربى: هو الجار القريب النسب، والجار الجنب: هو الجارُ الأجنبي الذي لا قرابة بينك وبينه[٥].

---

(١) انظر الإجماع على وجوب النفقة عليهما إذا احتاجا في المغني (٨/ ١٦٩).

(٢) متفق عليه دون قوله: ثم الأقرب فالأقرب، أخرجه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨)، بلفظ: من أحق الناس بحسن صحابتي؟... وعند مسلم وحده: «ثم أدناك أدناك».

(٣) انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ١٣٤).

(٤) في المطبوع: «المفتقرون».

(٥) أخرجه الطبري (٩٤٣٧-٩٤٣٨-٩٤٤٧-٩٤٤٨-٩٤٤٩)، (٥/ ٧٨)، وابن أبي حاتم (٥٢٩٦-٥٢٩٩)، من طريقين عن عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، وحسنه ابن حجر كما في «فتح الباري» (١٠/ ٤٤١). انظر مصنف عبد الرزاق (١/ ١٥٩).

وقال نوف الشامي[(١)]: الجار ذو القربى: هو الجار المسلم، والجار الجنب: هو الجار اليهودي أَو النصراني، فهي عنده قرابة الإِسلام، وأَجنَبِيَّة الكفر[(٢)].

وقالت فرقة: الجار ذو القربى هو الجار القريب المسكن منك، والجار الجنب: هو البعيد المسكن منك، وكأَن هذا القول منتزع من الحديث: قالت عائشة: يارسول الله، إِنَّ لي جاريْن، فَإِلى أَيِّهما أُهدي؟ قال: «إِلى أَقربهما منك باباً»[(٣)].

واختلف الناس في حدِّ الجيرة:

فقال الأَوزاعي: أَربعون داراً[(٤)] من كل ناحية جيرة[(٥)]، وقالت فرقة: من سمع إِقامة الصلاة فهو جار ذلك المسجد، وبقدر ذلك في الدور، [وقالت فرقة: من سمع الأذان][(٦)].

وقالت فرقة: من ساكن رجلاً في محلة أَو مدينة فهو جاره.

والمجاورة مراتب، بعضها أَلصق من بعض، أَدناها الزوج، كما قال الأعشى:

[الطويل] أيا جارتا بيني....... ....

البيت[(٧)]، وبعد ذلك الجيرة: الخُلُط، ومنه قول الشاعر:

---

(١) هو نوف بن فضالة البكالي الشامي، ابن امرأة كعب الأحبار، روى عن: علي، وأبي أيوب الأنصاري، وكعب، وعنه: يحيى بن أبي كثير، وآخرون، كان يقص، توفي قبل المئة، تاريخ الإسلام (٦/ ٢١١)، وفي بعض نسخه: «نوفل»، باللام آخره.

(٢) انظره مع القول الذي قبله في تفسير الطبري (٨/ ٣٣٦/ ٣٣٧).

(٣) صحيح البخاري (٢١٤٠).

(٤) في نجيبويه: «ذراعاً».

(٥) انظر قول الأوزاعي في: فتح الباري (١٠/ ٤٧٠) باب حق الجوار، نسب القول الذي بعده لعلي.

(٦) ساقط من المطبوع ونور العثمانية، وفيها: «من سمع معك إقامة الصلاة».

(٧) جزء من بيت للأعشى وهو بتمامه:

أيا جارَتي بِيني فإنَّك طالِقهْ كَذَاكَ أُمُورُ الناسِ غادٍ وطارِقَهْ

انظر عزوه له في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٠٢)، ومسائل نافع بن الأزرق (ص: ٦٦)، والمحبر (ص: ٣٠٩)، والأغاني (٩/ ١٤٣)، وتهذيب اللغة (٩/ ١٨).

[البسيط] سائلْ مُجاورَ جَرْمٍ هَلْ جنيتَ لها حَرباً تُفرِّق بَيْنَ الجِيرَةِ الخُلُطِ[١]

وحكى الطبري عن ميمون بن مهران[٢]: أَن الجار ذا القربى: أُريد به جارُ القريب.

وهذا خطأٌ في اللسان؛ لأَنه جمع ـ على تأْويله ـ بين الأَلف واللام والإِضافة، وكأَن وجه الكلام: وجار ذي القربى[٣].

وقرأَ أَبو حَيْوة، وابن أَبي عبلة: (والجارَ ذا القُربَى) بنصب (الجارَ)[٤].

وحكى مكيٌّ عن ابن وهب: أَنه قال عن بعض الصحابة[٥] في الجار الجنب: إِنها زوجة الرجل[٦].

وروى المفضل عن عاصم: أَنه قرأَ: (والجار الْجَنْب) بفتح الجيم وسكون النون[٧].

---

(١) البيت لوعلة الجرمي، كما في الأغاني (٢٢ / ٢٢١)، والمعاني الكبير (٢/ ٨٨٨)، والصحاح للجوهري (٣/ ١١٢٤)، ونسبه البلاذري في أنساب الأشراف (٧/ ٣١٨) لمغفر بن حماد البارقي، ولابن الأشعث مع الحجاج فيه قصة مشهورة.

(٢) هو ميمون بن مهران الجزري الفقيه، أبو أيوب، عالم الجزيرة، روى عن: أبي هريرة، وعائشة، وابن عباس، وابن عمر، وعنه: ابنه عمر، وحجاج بن أرطاة، وخصيف، وسالم بن أبي المهاجر، والأوزاعي، وخلق كثير، توفي سنة (١١٧هـ)، تاريخ الإسلام (٧/ ٤٨٥).

(٣) انظر نقل القول وتضعيفه في تفسير الطبري (٨/ ٣٣٦).

(٤) مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٣٣)، والشواذ للكرماني (ص: ١٣٥) عن أبي حيوة، وعزاها في الكامل (ص: ٥٢٧) لهما.

(٥) في نجيبويه وجار الله: «أصحابه».

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/ ١٣٢١)، والأثر ضعيف، أخرجه الطبري في تفسيره (٩٤٧١)، عن ابن وكيع عن أبيه، عن سفيان، عن جابر، عن عامر، أو القاسم، عن علي وعبد الله ـ رضوان الله عليهما ـ في قوله: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾، قالا: هي المرأة، وسنده ضعيف؛ لضعف سفيان بن وكيع.
وأخرجه الطبري (٩٤٧٢)، من طريق هشيم، عن بعض، أصحابه، عن علي وعبد الله مثله، وسنده منقطع.
ورواه ابن جرير أيضاً (٩٤٧٣)، من طريق عطية العوفي، عن عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، قال: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾؛ يعني: الذي معك في منزلك، وعطية العوفي تقدم أنه ضعيف.

(٧) السبعة لابن مجاهد (١/ ٢٣٣).

و﴿ٱلۡجُنُبِ﴾ في هذه الآية معناه، البعيد: والجنابة: البعد، ومنه قول الشاعر ـ وهو الأَعشى ـ:

[الطويل] أَتَيْتُ حُرَيْثاً زَائِراً عَنْ جَنَابَةٍ فَكانَ حُرَيْثٌ عَنْ عَطَائِي جَامِدَا[1]

ومنه قول الآخر، وهو علقمة بن عبدة:

[الطويل] فَلاَ تَحْرمَنِّي نَائلاً عَنْ جَنَابَةٍ فَإِنِّي امْرُؤٌ وَسْطَ القبابِ غَريبُ[2]

وهو من الاجتناب، وهو أَن يُترك الشيءُ جانباً، وسئل أَعرابي عن الجار الجنب فقال: هو الذي يجيءُ فيحل حيث تقع عينك عليه.

قال أَبو علي: جُنبٌ: صفة، كناقةٍ أُجُد، ومشية سُجُح، وجُنُب التَّطَهُّر، مأْخوذ من الجَنْب[3].

وقال ابن عباس[4]، وابن جبير، وقتادة، ومجاهد، والضحاك: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ﴾ هو: الرفيق في السفر[5].

وقال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه، وابن مسعود[6]، وابن أَبي ليلى، وإِبراهيم النخعي: ﴿الصاحب بالجنب﴾: الزوجة[7].

---

(١) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ١٢٦)، والحجة لأبي علي (٣/ ١٥٩)، والكامل للمبرد (٣/ ١٢).

(٢) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ١٢٦)، والحجة لأبي علي (٣/ ١٥٧)، والكامل للمبرد (٣/ ١٣)، والمفضليات (ص: ٣٩٤).

(٣) الحجة (٣/ ١٥٨)، وفي إصلاح المنطق (ص: ٢١٨): يقال: ناقة أجد، إذا كانت قوية موثقة الخلق.

(٤) أخرجه الطبري (٩٤٥٧)، وابن أبي حاتم (٥٣٠٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥٢٤)، من طريق علي بن أبي طلحة عنه.

(٥) انظر تفسير مقاتل (١/ ٢٢٩)، والثوري (٩٥)، وعبدالرزاق (١/ ١٦٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٤٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٨٤).

(٦) أخرجه الطبري (٩٤٧١-٩٤٧٢)، وابن أبي حاتم (٥٣٠٢)، وفي إسناده جابر الجعفي، وهو ضعيف.

(٧) تفسير عبدالرزاق (١/ ١٦٠)، والطبري (٨/ ٣٤٣)، وفي نور العثمانية بدل: «أبي ليلى»: «أبي يعلى».

قال ابن زيد: هو الرجل يعتريك ويُلِمُّ بك لتنفعه[١]، وأَسند الطبري: أَن رسول الله ﷺ كان مع رجلٍ من أَصحابه وهما على راحلتين، فدخل رسول الله ﷺ غيضة، فقطع قضيبين أَحدهما معوج، وخرج فأَعطى صاحبه القويم، وحبس هو المعوج، فقال له الرجل: كنت يا رسول أَحق بهذا، فقال له: «يا فلان، إِن كل صاحب يصحب آخر فإِنه مسؤول عن صحبته ولو ساعة من نهار»[٢].

وقال المفسرون طرّاً: ابن السبيل: هو المسافر على ظهر طريقه، وسُمِّي ابنه؛ لِلزومه له، كما قيل: ابن ماءٍ للطائر الملازم للماءِ، ومنه قول النبي ﷺ: «لا يدخل الجنَّة ابن زنا»[٣]؛

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٣٤٣).

(٢) ضعيف، رواه ابن جرير في تفسيره (٩٤٨٢)، عن سهل بن موسى الرازي قال، حدثنا ابن أبي فديك، عن فلان بن عبد الله، عن الثقة عنده: أن رسول الله ﷺ كان معه رجل من أصحابه وهما على راحلتين، فذكره، وسنده ضعيف؛ لإرساله، ولجهالة من روى عنه ابن أبي فديك.

(٣) لا يصح، أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٢٩٥)، وأحمد في مسنده (١١/ ٤٧٣)، والدارمي في السنن (٢٠٩٤)، والنسائي في الكبرى (٤٩١٤-٥١٨٢)، وابن حبان في صحيحه (٣٣٨٤)، من طريق شعبة، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، عن نبيط بن شريط، عن جابان، عن عبد الله ابن عمرو عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة عاق، ولا منان، ولا ولد زنية، ولا مدمن خمر».

وقد وقع اضطراب في سند هذا الحديث، فقد اختلف على منصور بن المعتمر، فرواه شعبة، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد على الوجه الذي تقدم، وخالفه سفيان الثوري، فرواه عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابان، عن عبد الله بن عمرو، بدون ذكر نبيط بن شريط، كما عند أحمد في مسنده (١١/ ٩٣-٤٩٣)، وعبد بن حميد (٣٢٤)، والدارمي في السنن (٢٠٩٣)، والنسائي في الكبرى (٤٩١٥)، وابن حبان في صحيحه (٣٣٨٣)، وقد صحح ابن حبان كلا الوجهين، وقال البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٢٥٧): قال لي الجعفي: ثنا وهب سمع شعبة: عن منصور، عن سالم، عن نبيط عن جابان، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة ولد زنا»، وتابعه غندر، ولم يقل جرير والثوري: نبيط، وقال عبدان، عن أبيه، عن شعبة، عن يزيد، عن سالم، عن عبد الله بن عمرو قوله، ولم يصح، ولا يعرف لجابان سماع من عبد الله بن عمرو، ولا لسالم من جابان، ولا من نبيط. اهـ.

وانظر: العلل للدارقطني (١١٩١)، والقول المسدد (ص: ٤٢-٤٣)، وفي الباب عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وأبي قتادة، ولا تخلوا من مقال.

أَي: ملازمه الذي يستحق بالمثابرة عليه أَن ينسب إِليه.

وذكر الطبريُّ أَن مجاهداً فسَّره بأَنَّه: المارُّ عليك في سفره، وأَن قتادة وغيره فسَّره بأَنه الضيف[١].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا كله قول واحد.

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾؛ يريد: العبيد الأَرِقَّاءَ، ونسب المِلك إِلى اليمين؛ إِذ هي في المعتاد جارحة البطش والتَّغلب والتَّملُّك، فأُضيفت هذه المعاني ـ وإِن لم تكن بها ـ إليها تَجَوُّزاً.

والعبيد موصى بهم في غير ما حديث يطول ذكرها، ويغني عن ذلك اشتهارها.

ومعنى: ﴿لَا يُحِبُّ﴾ في هذه الآية: لا تظهر عليه آثار نعمه في الآخرة، ولا آثار [١/ ٣١٤] حَمْده في الدنيا، فهي المحبَّة التي هي صفة/ فعل، أَبْعَدَها عمَّن صفته الخُيَلاءُ والفخر، يقال: خال الرجل يخول خولاً: إِذا تكبَّر وأُعجب بنفسه، وأَنشد الطبري:

[المتقارب] فَـإِنْ كُـنْـتَ سَـيِّـدَنَـا سُـدْتَـنَـا ... وإِنْ كُنْـتَ لِلْخَالِ فَاذْهَـبْ فَخُلْ[٢]

قال القاضي أَبو محمد: ونفْي المحَبَّة عمَّن هذه صفته ضرب من التوعد، وخص هاتين الصفتين هنا؛ إِذ مقتضاهما العجب والزهو، وذلك هو الحامل على الإِخلال بالأَصناف الذين تقدم أَمر الله بالإِحسان إِليهم.

ولكل صنف نوع من الإِحسان يختص به، ولا يعوق عن الإِحسان إِليهم إِلا العجب أَو البخل، فلذلك نفى الله محبته عن المعجبين والباخلين على أَحد التأْويلين حسبما نذكره الآن بعد هذا.

(١) تفسير الطبري (٨/ ٣٤٦)، وسقط تفسير مجاهد واسم قتادة من نور العثمانية.

(٢) تفسير الطبري (٨/ ٣٤٩)، بلا نسبة، ونسب للعبدي غير مسمى في مجاز القرآن (١/ ١٢٧)، وعيون الأخبار (١/ ٤٠٩).

وقال أَبو رجاء الهروي[1]: لا تجده سَيِئ الملكة إِلا وجدته مختالًا فخوراً، ولا عاقّاً إِلا وجدته جبّاراً شقيّاً[2]، والفخر: عد المناقب تطاولاً بذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾.

قالت فرقة: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: في موضع نصب بدل من ﴿مَن﴾ في قوله: ﴿مَن كَانَ مُخۡتَالًا فَخُورًا﴾[3]، ومعناه على هذا: يبخلون بأَموالهم، ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾؛ يعني: إِخوانهم، ومن هو مَظِنَّةُ طاعتهم بالبخل بالأَموال، فلا تنفق في شيءٍ من وجوه الإِحسان إلى من ذكره.

﴿وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾، يعني: من الرزق والمال، فيجيءُ ـ على هذا ـ أَن الباخلين مَنْفِيَّة عنهم محبة الله، والآية إِذاً في المؤمنين، فالمعنى: أَحسنوا أَيها المؤمنون إِلى من سُمِّي؛ فإِن الله لا يُحب مَنْ فيه الخِلالُ المانعة من الإِحسان إِليهم من المؤمنين، وأَما الكافرون فإِنه أَعدَّ لهم ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾، ففصل توعد المؤمنين من توعد الكافرين؛ بأَن جعل الأَول عدم المحبة، والثاني عذاباً مهيناً.

وقالت فرقة: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: في موضع رفع بالابتداءِ، والخبر محذوف، تقديره بعد قوله: ﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾: مُعَذَّبون، أَو مجازون، أَو نحوه.

---

(١) عبد الله بن واقد أبو رجاء، الهروي من علماء خراسان، يروي عن: أبي هارون العبدي، وابن عون، وعنه: أسباط بن محمد، وبشر بن الوليد، وعدة، وثقه أحمد، وقال ابن عدي: مظلم الحديث، توفي قبل (١٧٠هـ)، تاريخ الإسلام (١٠/ ٣٠٣).

(٢) تفسير الطبري (٨/ ٣٥٠).

(٣) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢١٤)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١٩٧).

وقال الزجاج: الخبر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠][١]، وفي هذا تكَلُّفٌ ما، والآية على هذا كله في كفار.

وقد روي أَنها نزلت في أَحبار اليهود بالمدينة؛ فإِنهم بخلوا بالإِعلام بصفة محمد ﷺ، وبما عندهم من العلم في ذلك[٢]، وأَمروا [الناس بالبخل على جهتين: بأَن قالوا لأَتباعهم وعوامِّهم: اجحدوا أَمر محمد وابخلوا][٣] به، وبأَن قالوا للأنصار: لِمَ[٤] تنفقون أَموالكم على هؤلاءِ المهاجرين فتفتقرون عليهم؟

ونحو هذا مروي عن مجاهد، وحضرمي، وابن زيد[٥]، وابن عباس[٦].

وحقيقة البخل: منع ما في اليد، والشح: هو البخل الذي تقترن به الرغبة فيما في أَيدي الناس، وكتمان الفضل هو ـ على هذا ـ: كتمان العلم، والتوعد بالعذاب المهين لهم.

وقرأَ عيسى بن عمر، والحسن: (بالبُخُل) بضم الباءِ والخاءِ، وقرأَ الجمهور بضم الباءِ وسكون الخاءِ، وقرأَ حمزة والكسائي هنا وفي الحديد: ﴿بالبَخَل﴾ بفتح الباءِ والخاءِ.

وقرأَ ابن الزبير، وقتادة، وجماعة بفتح الباءِ وسكون الخاءِ[٧]، وهي كلها لغات.

و(أعتدنا) معناه: يَسَّرْنا وأَعدَدْنا وأَحضرْنا، والعتيد: الحاضر.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٥١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٩٤٩٨)، عن السدي فذكره بنحوه، وجاء أيضاً عن مجاهد وقتادة

(٣) سقط من الأصل.

(٤) في السليمانية: «لا».

(٥) انظر: تفسير مجاهد (١/ ١٥٧، ١٥٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٨٦)، وتفسير الماوردي (١/ ٤٨٧).

(٦) رواه بمعنى قريب من لفظ المؤلف الطبري في التفسير (٩٥٠١)، وفيه محمد بن حميد الرازي، وهو ضعيف.

(٧) انظر قراءتي الجمهور وحمزة والكسائي في التيسير (ص: ٩٦)، والأولى لعيسى في تفسير الثعلبي (٣/ ٣٠٦)، وللحسن في البحر المحيط، والثالثة شاذة، تابعه في عزوها لمن ذكر البحر المحيط (٣/ ٦٣٥)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ١٣٥)، لعبيد بن عمير، وفي مختصر الشواذ (ص: ٣٢): أنها لغة بني بكر بن وائل.

و«الْمُهِين»: الذي يقترن به خِزْي وذلٌّ، وهو أَنكى وأَشَدُّ على المعذَّب.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ الآية، قال الطبري: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: في موضع خفض عطف على: ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، ويصح أَن يكون في موضع رفع عطفاً على: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ على تأْويل من رآه مقطوعاً، ورأَى الخبر محذوفاً، وقال: إِنها نزلت في اليهود[1].

ويصحُّ أَن يكون في موضع رفع على العطف وحذف الخبر، وتقديره: بعد اليوم الآخر مُعذَّبون.

وقال مجاهد: نزلت هذه الآية في اليهود، قال الطبري: وهذا ضعيف؛ لأَنه نفى عن هذه الصنيفة[2] الإيمان بالله واليوم الآخر، واليهود ليسوا كذلك[3].

قال القاضي أَبو محمد: وقول مجاهد متجه على المبالغة والإِلزام؛ إِذ إِيمانهم باليوم الآخر كلا إِيمان، من حيث لا ينفعهم.

وقال الجمهور: نزلت في المنافقين، وهذا هو الصحيح، وإِنفاقهم: هو ما كانوا يعطون من زكاة، وينفقون في السفر مع رسول الله ﷺ رياءً ودفعاً عن أَنفسهم، لا إِيماناً بالله، ولا حبّاً في دينه.

و﴿رِئَآءَ﴾: نصب على الحال من الضمير في: ﴿يُنفِقُونَ﴾، والعامل: ﴿يُنفِقُونَ﴾، ويكون قوله: ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ﴾: في الصلة؛ لأَن الحال لا تفرق[4] إِذا كانت مما هو في الصلة.

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٣٥٦).

(٢) كذا في فيض الله والسليمانية ونجيبويه، وفي الحمزوية وجار الله: «الصيغة»، وفي المطبوع: «الصفة»، وفي الأصل ونور العثمانية: «الصنيعة».

(٣) تفسير الطبري (٨/ ٣٥٦).

(٤) في نور العثمانية: «لا تعرف».

وحكى المهدوي: أن الحال تصح أن تكون من: ﴿ٱلَّذِينَ﴾[(١)] فعلى هذا يكون: ﴿وَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ مقطوعاً ليس من الصلة، والأول أصح، وما حكى المهدوي ضعيف، ويحتمل أن يكون: ﴿وَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾: في موضع الحال؛ أي: غير مؤمنين، فتكون الواو واو الحال.

و«القَرين»: فعيل بمعنى: فاعل، من المقارنة، وهي: الملازمة والاصطحاب، وهي هاهنا مقارنة مع خُلْطة وتواد، والإنسان كله[(٢)] يقارنه الشيطان، ولكن الموافق عاص له، ومنه قيل لما يُلَزُّ[(٣)] مِنَ الإبل والبقر: قرينان، وقيل للحبل الذي يُشَدَّان به: قَرَن، قال الشاعر:

[البسيط] كَمُدْخِلٍ رأْسَه لم يُدْنُهُ أَحَدٌ بيْن القَرِينَيْن حتى لَزَّهُ الْقَرَنُ[(٤)]

فالمعنى: ومن يكن له الشيطان له مصاحباً وملازماً؛ أوشك أن يطيعه فتسوءُ عاقبته، و﴿قَرِينٗا﴾: نصب على التمييز، والفاعل[(٥)] لـ﴿سَآءَ﴾ مضمر، تقديره: ساءَ القرين قريناً، على حدِّ «بِئْس»، وقرن الطبري هذه الآية بقوله تعالى: ﴿بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾[(٦)]، وذلك مردود؛ لأن ﴿بَدَلٗا﴾ حال، وفي هذا نظر.

[١/ ٣١٥] وقوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ﴾؛ (ما): رفع بالابتداء، و(ذا):/ صلة، و﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: خبر [الابتداء، والتقدير: وأي شيءٍ عليهم؟

ويصح أن تكون (ما): اسماً بانفرادها، و(ذا): بمعنى][(٧)] (الذي) ابتداءٌ وخبر، وجواب: ﴿لَوۡ﴾ في قوله: ﴿مَاذَآ﴾، فهو جواب مقدم.

---

(١) تفسير البحر المحيط (٣/ ٦٣٧).
(٢) في السليمانية وفيض الله وجار الله: «كأنه».
(٣) في جار الله: «لما ند».
(٤) البيت لقعنب ابن أم صاحب كما في مختارات شعراء العرب لابن الشجري (ص: ٦)، والصداقة والصديق للتوحيدي (ص: ٤٩).
(٥) في السليمانية: «العامل».
(٦) تفسير الطبري (٨/ ٣٥٨).
(٧) ساقط من نور العثمانية.

قال القاضي أَبو محمد: وكأَن هذا الكلام يقتضي أَن الإِيمان متعلق بقدرتهم، ومن فعلهم، ولا يقال لأَحد: ما عليك لو فعلت، إِلا فيما هو مقدور له.

وهذه شبهة للمعتزلة، والانفصال عنها: أَن المطلوب إِنما هو تكسُّبهم واجتهادهم وإِقْبالهم على الإِيمان، وأَما الاختراع فالله المنفرد به، وفي هذا الكلام تفجع ما عليهم، واستدعاءٌ جميل يقتضي حيطة وإِشفاقاً.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا﴾: إِخبار يتضمن وعيداً، وينبه على سوءِ تواطئهم أَي: لا ينفعهم كتم مع[1] علم الله تعالى بهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾﴾.

﴿مِثۡقَالَ﴾: مفعال من الثقل، و«الذرَّة»: الصغيرة الحمراءُ من النمل، وهي أَصغر ما يكون إِذا مرَّ عليها حول؛ لأَنها تصغر وتحري[2] كما تفعل الأفعى.

تقول العرب: أَفعى حارية[3]، وهي أَشدها سماً[4]، وقال امرؤُ القيس:

مِنَ القَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ ... مِـنَ الذَّرِّ فَـوْقَ الإِتْبِ مِنْهَـا لأَثَّرَا[5] [الطويل]

فالمحول: الذي أَتى عليه الحول، وقال حسان:

---

(١) في نجيبويه: «ما».

(٢) كذا في نور العثمانية والسليمانية وفيض الله بالحاء المهملة، وهو الصواب، وفي النسخ الأخرى والبحر المحيط: «تجري».

(٣) كذا في فيض الله بالحاء، ولعلَّه الصواب، وفي النسخ الأخرى: «جارية»، والحارِية: الأَفْعَى التي كَبِرَتْ ونَقَص جِسْمُها، ولم يَبْقَ إِلَّا رأْسُها ونَفَسُها وسَمُّها، انظر: المحكم (٣/ ٤٣٣).

(٤) «سماً»: ليست في المطبوع.

(٥) انظر عزوه له في مقاييس اللغة (١/ ٥٣)، الموازنة (ص: ٢٦٨)، والصناعتين الكتابة والشعر (ص: ٣٦٠).

[الخفيف] لَـوْ يَـدِبُّ الحَوْليُّ مِنْ وَلَـدِ الذَّرْ ر عَلَيْهَـا لأندَبَتْهـا الكُلُـومُ[(١)]

وعبَّرَ عن الذَّرَّة يزيد بن هارون[(٢)] بأَنَّها دودة حمراء[(٣)]، وهي عبارة فاسدة.

وروي عن ابن عباس: الذرَّة: رأْس النملة[(٤)].

وقرأَ ابن عباس: (إِن اللهَ لا يظلمُ مثقال نملَة)[(٥)].

و﴿مِثۡقَالَ﴾: مفعول ثان لِـ﴿يَظۡلِمُ﴾، والأَول مضمر، التقدير: إِنَّ الله لا يظلم أَحداً مثقال، و«يَظْلِم»، لا يتعدى إِلا إلى مفعول واحد، وإِنما عُدِّي هنا إلى مفعولَيْن بأَن يقدر في معنى ما يتعدى إِلى مفعولين، كأَنه قال: إِن الله لا ينقص، أَو لا يَبْخَس، أَو لا يَغْصب.

ويصح أَن يكون نصب ﴿مِثۡقَالَ﴾ على أَنه بيان وصفة لمقدار الظلم المنفي، فيجيءُ على هذا نعتاً لمصدر محذوف، التقدير: إن الله لا يظلم ظلماً مثقال ذرَّة، كما تقول: إِن الأَمير لا يظلم قليلاً ولا كثيراً؛ أَي: لا يظلم ظلماً قليلاً ولا كثيراً، فعلى هذا وقف: ﴿يَظۡلِمُ﴾ على مفعول واحد، وقال قتادة عن نفسه ـ ورواه عن بعض العلماءِ ـ: لأَن تفضل حسناتي سَيِّئَاتي بمثقال ذرة أَحبُّ إِلي من الدنيا جميعاً[(٦)].

---

(١) انظر عزوه له في سيرة ابن هشام (٢/ ١٤٩)، البيان والتبيين (٣/ ٢٨٩)، وقد سقط هذا البيت من جار الله.

(٢) يزيد بن هارون بن زاذني الإمام أبو خالد السلمي، مولاهم الواسطي، سمع من: عاصم الأحول، ويحيى بن سعيد وخلق كثير، وعنه: أحمد، وابن المديني، وغيرهما، ثقة، ثبت، متعبد، حسن الصلاة جدا، توفي سنة (٢٠٦هـ)، تاريخ الإسلام (١٤/ ٤٥٥).

(٣) تفسير الطبري (٨/ ٣٦٠).

(٤) أخرجه الطبري (٩٥٠٤)، من طريق شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، وسنده فيه ضعف من أجل شبيب بن بشر، فإنه لين الحديث.

(٥) تفسير الثعلبي (٣/ ٣٠٨)، والمصاحف لابن أبي داود (١/ ١٦٥).

(٦) تفسير الطبري (٨/ ٣٦٠).

وحذفت النون من «تكن»؛ لكثرة الاستعمال، وشبهِها خفَّة بحروف المدِّ واللِّين.

وقرأ جمهور السبعة: ﴿حَسَنَةً﴾ بالنصب على نقصان «كان»، واسمها مضمر تقديره: وإن تك زِنَة الذرة حسنة، وقرأ نافع وابن كثير: ﴿حَسَنَةٌ﴾ بالرفع[١] على تمام «كان»، التقدير: وإن تقع حسنة، أَو توجد حسنة.

و﴿يُضَٰعِفۡهَا﴾: جواب الشرط.

وقرأ ابن كثير، وابن عامر: ﴿يُضَعِّفها﴾ مُشَدَّدة العين بغير أَلف[٢].

قال أَبو علي: المعنى فيهما واحد، وهما لغتان[٣].

وقرأ الحسن: (يُضْعِفها) بسكون الضاد وتخفيف العين[٤].

ومضاعفة الشيء في كلام العرب: زيادة مثله إِليه، فإِذا قلت: ضعَّفت، فقد أَتيت ببنية التكثير، وإِذا كانت صيغة الفعل دون التكثير تقتضي الطَّيَّ مرتين؛ فبناء التكثير يقتضي أَكثر من المرتين إِلى أَقصى ما تريد من العدد، وإذا قلت: ضاعَفْت فليس بِبِنْيَةِ تكثير، ولكنه فعل صيغته دالة على الطَّيِّ مرتيْن فما زاد، هذه أُصول هذا الباب على مذهب الخليل وسيبويه[٥].

وقد ذكر أَبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب المجاز: أَن «ضَاعَفْتُ» يقتضي مراراً كثيرة، و«ضَعَّفْتُ» يقتضي مرتين، وقال مثلَه الطبري، ومنه نقل[٦].

ويدلُّك على تقارب الأَمر في المعنى[٧] ما قرئ به في قوله: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا

---

(١) التيسير (ص: ٩٦).

(٢) كما تقدم، وانظر التيسير (ص: ٨١).

(٣) الحجة (٢/ ١٦١).

(٤) الشواذ للكرماني (ص: ١٣٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٤١).

(٥) الكتاب لسيبويه (٤ / ٦٨).

(٦) مجاز القرآن (١/ ١٢٧)، ولفظه: يضاعفها أضعافاً، ويضعفها ضعفين، تفسير الطبري (٨/ ٣٦٦).

(٧) في السليمانية: «الدنيا»، بدل: «المعنى».

كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، فإِنه قرئ: ﴿يُضَاعِفَهُ﴾، و﴿يُضَعِّفَه﴾، وما قرئ به في قوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠]؛ [فإِنه قُرِئَ: ﴿يُضَعَّفْ لَـهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾][(١)].

وقال بعض المتأَولين: هذه الآية خص بها المهاجرون؛ لأَن الله أَعلم في كتابه أَن الحسنة لكل مؤمن مضاعفةٌ عشر مرار، وأَعلم في هذه الآية أَنها مُضاعفة مراراً كثيرة جداً، حسب ما روى أَبو هريرة من: أَنها تضاعف أَلْفي أَلف مرة، وروى غيره من: أَنها تضاعف أَلف أَلف مرة[(٢)]، ولا يستقيم أَن يتضاد الخبران، فهذه مخصوصة للمهاجرين السابقين حسبما روى عبد الله بن عمر: أَنها لما نزلت: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] في الناس كافة، قال رجلٌ: فما للمهاجرين؟ فقال: ما هو أَعظم من هذا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ﴾[(٣)] الآية فخصوا بهذا كما خصت نفقة سبيل الله بتضعيف سبع مئة مرة، ولا يقع تضاد في الخبر.

وقال بعضهم: بل وعد بذلك جميع المؤمنين.

وروى في ذلك أَحاديث وهي: «إِن الله عزَّ وجلَّ يَجْمع الأَولين والآخرين في صعيد واحد، فينادي: هذا فلان بن فلان، فمن كان له عنده حق فليقم، قال: فيحب الإِنسان أَن يذوب[(٤)] له يومئذ الحق على أَبيه وابنه، فيأْتي[(٥)] كل من له حق فيأْخذ من

---

(١) سقط من الأصل، وسيأتي الكلام عليه في محله.

(٢) ضعيف، أخرجه أحمد في مسنده (١٣/ ٣٢٧)، وفي (١٦/ ٤٤٢)، من طريق علي بن زيد بن جدعان، عن أبي عثمان النهدي، قال: أتيت أَبا هريرة... مرفوعاً بلفظ: «ألفي ألف حسنة»، وعلي ابن زيد بن جدعان ضعيف، وقد تابعه زياد بن أبي زياد الجصاص كما عند ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٣٤-٢٧٢٩-١٠٠٣٠)، وزياد ضعيف جداً.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٤٢٩٤)، وابن أبي حاتم (٥٣٣٨- ٨١٦٨)، من طريق عطية العوفي، عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، وسنده ضعيف؛ لضعف عطية العوفي.

(٤) في جار الله: «يدور»، وفي نجيبويه: «يدوب»، وفي المطبوع: «لو كان».

(٥) في السليمانية وفيض الله: «فيأتيه».

حسناته حتى يقع الانتصاف، ولا يبقى له إلا وزن الذرَّة، فيقول الله تعالى: أَضعفوها لعبدي، واذهبوا به إلى الجنة»[١]، وهذا يجمع معاني ما روي مما لم نذكره.

والآية تعمُّ المؤمنين والكافرين؛ فأمَّا المؤمنون؛ فيجازون في الآخرة على مثاقيل الذَّرِّ فما زاد، وأَما الكافرون؛ فأما ما[٢] يفعلون من خير فتقع المكافأَة عليه[٣] بنِعَم الدنيا، ويجيئون يوم القيامة ولا حسنة لهم.

و﴿لَّدُنْهُ﴾ معناه: من عنده، قال سيبويه: ولدن: هي لابتداءِ الغاية، فهي تناسب أَحد مواضع «مِنْ»، ولذلك الْتَأَما، ودخلت «مِن» عليها[٤].

و«الأَجر العظيم»: الجنة، قاله ابن مسعود[٥]، وسعيد بن جبير، [وابن زيد][٦]، والله إذا مَنَّ بتفضُّلِه بلغ بعبده الغاية.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾.

تقدم في الآية قبلها الإِعلام بتحقيق الأَحكام يوم القيامة، فحسن بعد ذلك التنبيه على الحالة التي يحضر ذلك فيها، ويُجاءُ فيها بالشهداء / على الأُمم. [١/ ٣١٦]

(١) روي عن ابن مسعود بإسناد ضعيف، أخرجه الطبري (٩٥٠٨)، من طريق صدقة بن أبي سهل قال: حدثنا أبو عمرو، عن زاذان قال: أتيت ابن مسعود، به، وصدقة ترجم له البخاري وابن أبي حاتم، ولم يذكر فيه جرح ولا تعديل، وشيخه أبو عمرو لم أعرف من يكون، ثم قال الطبري: وحدثت عن محمد بن عبيد، عن هارون بن عنترة، عن عبد الله بن السائب قال: سمعت زاذان يقول: قال عبد الله ابن مسعود، ولم يذكر الطبري من حدثه.

(٢) في السليمانية: «الكافرون فأما»، وفي المطبوع: «الكافرون فما».

(٣) في السليمانية: «عليهم».

(٤) الكتاب لسيبويه (٤/ ٢٣٣).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٩٥١٢)، بإسناد صدقة السابق.

(٦) سقط من جار الله، وانظر: تفسير الطبري (٨/ ٣٦٨)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٢).

ومعنى الآية: إِن الله يأْتي بالأَنبياءِ شهداءَ على أُممهم بالتصديق والتكذيب، ومعنى الأُمة في هذه الآية غير المعنى المتعارف في إِضافة الأُمم إِلى الأَنبياءِ؛ فإِن المتعارف أَن تريد بأُمة محمد ﷺ جميع من آمن به، وكذلك في كل نبي، وهي هنا: جميع من بُعث إليه؛ من آمن منهم، ومن كفر.

وكذلك قال المتأولون[١]: إِن الإشارة بـ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إِلى كفار قريش وغيرهم من الكفار، وإِنما خص كفار قريش بالذكر؛ لأَن وطأَة الوعيد أَشد عليهم منها على غيرهم.

و﴿كَيْفَ﴾: في موضع نصب مفعول مقدم[٢] بفعل تقديره في آخر الآية: ترى حالهم، أَو يكونون، أَو نحوه[٣].

وقال مكي في الهداية: ﴿جِئْنَا﴾: عاملٌ في ﴿كَيْفَ﴾[٤]، وهذا خطأٌ.

وروي: أَن رسول الله ﷺ كان إِذا قرأَ هذه الآية فاضت عيناه[٥]، وكذلك ذرفت عيناه ﷺ حين قرأَها عليه عبد الله بن مسعود في الحديث المشهور[٦].

وما ذكره الطبري من شهادة أُمة محمد بتبليغ الرسل[٧]، وما جرى في معنى ذلك من القصص الذي ذكر مكي، كسؤال اللوح المحفوظ، ثم إِسرافيل، ثم جبريل، ثم الأَنبياءِ؛ فليست هذه آيته، وإِنما آيته: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٥].

و﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف، ويصح أَن يكون نصب (يوم) في هذا الموضع على

---

(١) في المطبوع: «الأولون».
(٢) في السليمانية وفيض الله وجار الله: «مقدر».
(٣) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٥٣).
(٤) الهداية (٢/ ١٣٣٠).
(٥) لعله إشارة لحديث ابن مسعود الآتي.
(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٣٠٦)، ومسلم (١٩٠٣).
(٧) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٣٦٩).

الظرف، على أَنه معربٌ من[١] الأسماءِ غير المتمكنة، ويصح أَن يكون نصبه على أَنه مبني على النصب مع الأَسماء غير المتمكنة، والودُّ إِنما هو في ذلك اليوم.

وقرأَ نافع، وابن عامر: ﴿تَسَّوَّى﴾ [بتشديد السين والواو][٢] على إدغام التاءِ الثانية من «تَتَسَوَّى».

وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿تَسَوَّى﴾ بتخفيف السين وتشديد الواو، على حذف التاءِ الثانية المذكورة، وهما بمعنىً واحد.

واختلف فيه؛ فقالت فرقة: تنشق الأَرض فيحصلون فيها، ثم تتسوى هي في نفسها عليهم وبهم، وقالت فرقة: معناه: لو تسوَّى هي معهم في أَن يكونوا تراباً كالبهائم[٣]، فجاءَ اللفظ على أَن الأرض هي المستوية معهم، والمعنى: إِنما هو أَنهم يستوون مع الأَرض، ففي اللفظ قلْب يخرج على نحو اللغة التي حكاها سيبويه: أَدخلتُ القَلَنْسُوة في رأسي، وأَدخلت فمي في الحَجَر، وما جرى مجراه[٤].

وقرأَ ابن كثير، وابن عامر، وأَبو عمرو: ﴿تُسَوَّىٰ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول الذي لم يسمَّ فاعله[٥]، فيكون الله تعالى يفعل ذلك على حسب المعنيَيْن المتقدمين.

قال أَبو علي: إِمالة الفتحة إِلى الكسرة، والأَلف إِلى الياءِ في: ﴿تُسَوَّىٰ﴾ حسنةٌ[٦].

قالت طائفة: معنى الآية: أَن الكفار لِما يرونه من الهول وشدة المخاوف؛ يودُّون أَن تُسوى بهم الأَرض، فلا ينالهم ذلك الخوف، ثم استأنف الكلام فأَخبر أَنهم

(١) في فيض الله ونجيبويه: «مع»، وفي جار الله: «معرف مع».
(٢) زيادة من السليمانية وفيض الله وجار الله ونجيبويه.
(٣) في المطبوع: «كآبائهم».
(٤) كتاب سيبويه (١/ ١٨١).
(٥) وكلها قراءات متواترة، انظر: التيسير (ص: ٩٦).
(٦) الحجة (٢/ ١٦٣).

لا يكتمون حديثاً؛ لنطق جوارحهم [بذلك كله، حين يقول بعضهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فيقول الله: كذبتم، ثم يُنْطِق جوارحهم][١]، فلا تكتُم[٢] حديثاً، وهذا قول ابن عباس، وقال فيه: إن الله إذا جمع الأَولين والآخرين ظَنَّ بعض الكفار أن الإِنكار يُنجي، فقالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، فيقول الله: كذبتم، ثم يُنْطق جوارحهم، فلا تكتم حديثاً، وهكذا فتح ابن عباس على سائل أَشكل عليه الأَمر[٣].

وقالت طائفة مثل القول الأَول، إِلا أَنها قالت: إِنما استأنف الكلام بقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾؛ ليخبر عن[٤] أَن الكتم لا ينفع وإِن كتموا، ولأن الله تعالى يعلم جميع أَسرارهم وأَحاديثهم، فمعنى ذلك: وليس ذلك المقام الهائل مقاماً ينفع فيه الكتم.

قال القاضي أَبو محمد: الفرق بين هذين القولين: أَن الأَول يقتضي أَن الكتم لا ينفع[٥] بوجه، والآخر يقتضي أَن الكتم لاينفع وقع أَو لم يقع، كما تقول: هذا مجلس لا يقال فيه باطل، وأَنت تريد: لا ينتفع به، ولا يستمع إليه.

قالت طائفة: الكلام كله متصل، ومعناه: يود الذين كفروا لو تسوى بهم الأَرض، ويودُّون أَلا يكتموا الله حديثاً، وودهم لذلك إِنما هو ندم على كذبهم حين قالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

وقالت طائفة: هي مواطن وفرق[٦]، وقالت طائفة: معنى الآية: يَودُّ الذين كفروا أَن تُسَوَّى بهم الأَرض، وأَنهم لم يكتموا الله[٧] حديثاً، وهذا على جهة الندم على

---

(١) سقط من الأصل.
(٢) في السليمانية: «يكتمون».
(٣) رواه البخاري (٤٥٣٧) معلقاً، وابن جرير (٩٥٢٠-٩٥٢١)، وابن أبي حاتم (٧١٨٠-٧١٨١) بألفاظ مختصرة، ومطولة.
(٤) من المطبوع، وفي السليمانية وفيض الله: «للخبر عن...».
(٥) في جار الله: «لا يقع».
(٦) في المطبوع: «فروق».
(٧) سقط من الأصل.

الكذب أَيضاً، كما تقول: وددت أَن أَعْزِمَ كذا، ولا يكون كذا على جهة الفداءِ؛ أَي: يفدون كتمانهم بأَن تسوى بهم الأَرض.

و﴿ٱلرَّسُولَ﴾ في هذه الآية: للجنس، شُرف بالذكر، وهو مفرد دلَّ على الجمع.

وقرأَ أَبو السمَّال، ويحيى بن يَعْمر: (وَعَصَوِا الرَّسول) بكسر الواو من: «عَصَوا»[(١)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾.

سببُ النَّهي عن قُرب الصلاة في حال سُكْر: أَن جماعةً من أَصحاب رسول الله ﷺ شربت الخمر عند أَحدهم قبل التحريم، فيهم أَبو بكر، وعمر، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، فحضرت الصلاة، فتقدمهم عليُّ بن أَبي طالب فقرأَ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، فخلط فيها بأَن قال: أَعبُد ما تعبدون، وأَنتم عابدون ما أَعبُد، فنزلت الآية، وروي أَن المصلي عبد الرحمن بن عوف[(٢)].

وجمهور المفسرين: على أَن المراد سُكْر الخمر، إِلا الضحاك؛ فإِنه قال: إِنما المراد سكر النوم[(٣)].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيفٌ.

---

(١) الكامل للهذلي (ص: ٥٠٦).

(٢) رواه عبد بن حميد في مسنده (٨٢)، وأبو داود (٣٦٧٣)، والترمذي (٣٠٢٦)، والبزار في مسنده (٥٩٨)، والطبري (٩٥٢٤-٩٥٢٥)، وابن أبي حاتم (٥٣٥٢)، وغيرهم من طريق عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعطاء اختلط بأَخَرةٍ، لكن أخرجه أبو داود من رواية الثوري عنه، وهو ممن روى عنه قبل الاختلاط، وقد وقع في رواية الطبري: أن الذي أمهم هو عبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنه.

(٣) رواه عنه الطبري في تفسيره (٥/ ٩٦)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٥٩).

والخطاب لجميع الأُمَّة الصاحين، أَما السكران ـ إِذا عدم الميز لسكره ـ فليس بمخاطب في ذلك الوقت، وإِنما هو مخاطب إِذا صحا بامتثال ما يجب عليه، وبتكفير ما ضاع في وقت سكره من الأَحكام التي تقرر[(١)] تكليفه إِياها قبل السكر، وليس في هذا تكليف ما لا يطاق على ما ذهب إِليه بعض الناس.

وقرأَت فرقة: ﴿سُكَرَىٰ﴾ جمع: سَكْران.

وقرأَت فرقة: (سَكْرى) بفتح السِّين، على مثال: فَعْلى.

وقرأَ الأَعمش: (سُكْرى) بضم السين وسكون الكاف، على مثال: فُعْلى.

وقرأَ النخعي: (سَكْرى) بفتح السِّين[(٢)].

قال أَبو الفتح: هو تكسير: «سكران» على: «سكرى»، كما قالوا: رَوْبى نياما[(٣)]، وكقولهم: هَلْكى ومَيْدى في جمع: هالك ومائد، ويحتمل أَن يكون صفة لمؤنثة واحدة، كأَن المعنى: وأَنتم جماعة سكْرى، وأَما (سُكرى) بضم السِّين؛ فصفة لواحدة، كَحُبْلى[(٤)].

[١/ ٣١٧] والسُّكْرُ: انسداد الفهم، ومنه: سكرت الماءَ / إِذا سددت طريقه.

وقالت طائفة: الصلاة هنا العبادة المعروفة حسب السبب في نزول الآية.

وقالت طائفة: الصلاة هنا المراد بها: موضع الصلاة والصلاة معاً؛ لأَنهم كانوا حينئذ لا يأْتون المسجد إِلا للصلاة، ولا يصلُّون إِلا مجتمعين، فكانا متلازمين.

---

(١) في السليمانية: «الذي يكرر».

(٢) أورد المؤلف هنا أربع قراءات: الأولى: بضم السين والمد، وهي الوحيدة المتواترة هنا، والثالثة: بالضم والقصر وعزاها للأعمش، والرابعة: بالفتح والقصر، عزاها للنخعي، ونقل ذلك عنهما في المحتسب (١/ ١٨٨)، وأما الثانية؛ فجاءت في جميع النسخ (فعلى) بالقصر، ولعل صوابها: بالفتح والمد، عزاها ابن خالويه في مختصره (ص: **٣٣**) لعيسى، والكرماني في الشواذ (ص: **١٣٥**) لنبيح والجراح وابن واقد.

(٣) وردت هذه العبارة في بيت لبشر بن أبي خازم، وتمامه:

فأَمّا تَـمِيمٌ تَـميمُ بـنُ مُـرٍّ فـأَلْفاهُمُ الـقومُ روبى نياما

كما في تهذيب اللغة (١٥ / ١٨١)، قال: وقومٌ رَوْبَى: خُثَراء الأَنْفس مُختلطون.

(٤) المحتسب لابن جني (١/ ١٨٨).

قال القاضي أَبو محمد: وإنما احتيج إلى هذا الخلاف بحسب ما يأْتي في تفسير: «عابِرِي السبيل».

ويظهر من قوله: ﴿حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ﴾ أن السكران لا يعلم ما يقول؛ ولذلك قال عثمان ابن عفان رضي الله عنه وغيره: إِن السكران لا يلزمه طلاق[١]، فأَسقط عنه أَحكام القول لهذا، ولقول النبي ﷺ لِلَّذي أَقر بالزنا: «أَسكران أَنت»؟[٢]، فمعناه: أَنه لو كان سكران[٣] لم يلزمه الِإقرار.

قال القاضي أَبو محمد: وبين طلاق السكران وإِقراره بالزنا فرقٌ، وذلك أَن الطلاق، والإِقرار بالمال، والقذف، وما أَشبه هذا؛ يتعلق به حقوق الغير من الآدميين، فيتهم السكران إِن ادَّعى أَنه لم يعلم، ويُحمل[٤] عليه حكم العالِم[٥]، والإقرار بالزنا إِنما هو حقٌّ لله تعالى، فإِذا ادعى فيه بعد الصَّحو أَنه كان غير عالم دُيِّن، وأَما أَحكام الجنايات؛ فهي كلها لازمة للسكران[٦].

---

(١) علقه البخاري في الصحيح، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٢٣٠٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٨٢٧٥)، وغيرهم، من طريق الزهري، عن أبان بن عثمان، عن أبيه، قال ابن أبي حاتم: لم يسمع الزهري من أبان، ولا يصح حديث أبان بن عثمان في طلاق السكران.اهـ، انظر الجرح والتعديل (٨/ ٧١). وأبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يسمع من أبيه كما قال الإمام أحمد، وانظر: جامع التحصيل (ترجمة رقم: ١).

وقد علقه البخاري بصيغة الجزم في صحيحه في باب الطلاق في الإغلاق والكره، والسكران والمجنون وأمرهما، والغلط والنسيان في الطلاق، والشرك وغيره، وقد قال بمثل هذا القول عكرمة وعطاء وطاووس والليث بن سعد وإسحاق وداود وغيرهم، الاستذكار (١٨/ ١٦٣-١٦٤).

(٢) مسلم (٤٥٢٧)، من حديث بريدة بن الحصيب.

(٣) في الأصل والمطبوع: «سكراناً».

(٤) في الأصل والمطبوع: «ويحكم».

(٥) إلزام السكران بالطلاق والإقرار بالمال والقذف هو مذهب الأئمة الأربعة، وجماعة من العلماء، انظر: الاستذكار (١٨/ ١٦٠-١٦٢).

(٦) ممن قال بهذا القول أبو حنيفة ومالك وأصحابهما، ولمزيد من التوسع في ذلك انظر: الاستذكار (١٨/ ١٦٢).

﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾: ابتداءٌ وخبر، جملة في موضع الحال، وحكى ابن فُورَك أَنه قيل[١]: معنى الأمر[٢]: النهي عن السكر؛ أَي: لا يكن منكم سكر فيقع قرب الصلاة؛ إِذ المرءُ مدعوٌّ إلى الصلاة دأَباً، والظاهر أَن الأمر ليس كذلك.

وقد روي أَن الصحابة ـ بعد هذه الآية ـ كانوا يشربون ويقللون إِثر الصبح وإِثر العتمة، ولا تدخل عليهم صلاة إِلا وهم صاحون[٣].

وقوله: ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ عطف على موضع هذه الجملة المنصوبة، والجُنُب: هو غير الطاهر من إِنزال أَو مجاوزة ختان، هذا قول جمهور الأُمة[٤]، وروي عن بعض الصحابة: أن لا غسل إِلا على من أَنزل[٥]، وهو من الجنابة، وهي البعد، كأَنه جانب الطُّهر، أَو من الجَنْب، كأَنه ضاجع ومسَّ بجنبه جنباً.

وقرأَت فرقة: (جَنْباً) بإِسكان النون[٦].

و﴿عَابِرِى سَبِيلٍ﴾ هو من العبور؛ أَي: الخطور والجواز، ومنه: عبر السفينة النهر، ومنه: ناقة[٧] عبر السَّير والفلاة والهاجرة[٨]؛ أَي: تعبرها بسرعة المشي[٩]، قال الشاعر ـ وهي امرأَة ـ:

---

(١) في المطبوع: «وحكي ابن فورك أنه قال».

(٢) في المطبوع: «الآية»، وفي السليمانية: «والنهي».

(٣) أخرجه الطبري (٧/ ٤٧)، من طريق معمر، عن قتادة قال: كانوا يجتنبون السُّكْرَ عند حضور الصلوات، ثم نسخ بتحريم الخمر.

(٤) نقل ابن قدامة في المغني (١/ ١٣١) اتفاق الفقهاء بعد الصحابة على ذلك، ولم يذكر مخالفاً لهم إلا داود.

(٥) روي ذلك عن عدد من الصحابة منهم عثمان بن عفان، وأبي سعيد الخدري، وأبي بن كعب، رضي الله عنهم، وانظر صحيح البخاري (١٧٧-١٧٨-٢٨٩)، وهذا الأمر كان في أول الإسلام، ثم نسخ بحديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها؛ فقد وجب الغسل»، وحديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا التقى الختانان؛ فقد وجب الغسل».

(٦) عزاها الثعلبي (٣/ ٣١٣) والكرماني (ص: ١٣٦) للنخعي.

(٧) سقط من الأصل.

(٨) في المطبوع والسليمانية: «المهاجرة».

(٩) في المطبوع: «السير».

عَيْرَانَـةٌ سُـرُحُ الْيَدَيْـنِ شِـمِلَّةٌ عُبْرُ الْهَوَاجِرِ كالهِزَفِّ الْخَاضِبِ[١] [الكامل]

وقال علي بن أَبي طالب[٢]، وابن عباس[٣]، وابن جبير، ومجاهد، والحكم، وغيرهم: عابر السبيل: هو المسافر[٤]، فلا يصح لأحد أَن يقرب الصلاة وهو جنب إِلا بعد الاغتسال، إِلا المسافر؛ فإِنه يَتَـيَمَّم، وقال ابن عباس أَيضاً، وابن مسعود[٥]، وعكرمة، والنخعي، وغيرهم: عابر السبيل: الخاطر في المسجد[٦]، وهو المقصود في الآية، وهذا يحتاج إلى ما تقدم من أَن القول بأَن الصلاة هي المسجد والمصلى.

وروى بعضهم أَن سبب نزول الآية: أَنَّ قَوْماً من الأَنصار كانت أَبواب دورهم شارعة في المسجد، فإِذا أَصابت أَحدهم الجنابة اضطر إِلى المرور في المسجد، فنزلت

(١) البيت لخويلة الرئامية، كما في أمالي القالي (١/ ١٢٧).

(٢) ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٦٧٥)، والطبري (٩٥٣٧-٩٥٤٠)، وابن أبي حاتم (٥٣٥٩-٥٣٦٠)، والبيهقي في الكبرى (١٠٧٧)، من طريق ابن أبي ليلى، عن المنهال، عن عباد بن عبد الله ـ أو: عن زر ـ عن علي، وقيل: عن ابن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله، عن علي، وابن أبي ليلى هو محمد، وهو سيئ الحفظ جداً، فالاضطراب منه، وعباد متروك.

(٣) جيد، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٦٧٧)، والطبري في تفسيره (٩٥٣٥-٩٥٣٦-٩٥٣٦) من طريق شعبة، عن قتادة، عن أبي مجلز لاحق بن حميد، عن ابن عباس، رضي الله عنه، وشعبة لم يكن يحمل عن قتادة إلا ما صرح فيه بالسماع.

(٤) انظر تفسير مجاهد (١/ ١٥٨)، وتفسير مقاتل (١/ ٢٣١)، وتفسير عبدالرزاق (١/ ١٦٣)، وتفسير الطبري (٨/ ٣٨١).

(٥) لين الإسناد، أثر ابن عباس أخرجه الطبري (٩٥٥٣)، وابن أبي حاتم (٥٣٦١) من طريق أبي جعفر الرازي، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار به، والرازي لين، وأثر ابن مسعود أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٦١٣)، والطبري في تفسيره (٩٥٥٢)، من طريق أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود به، وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن مسعود، قال: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾، قال: هو الممرُّ في المسجد، وسنده منقطع، قال أبو حاتم والجماعة: أبو عبيدةلم يسمع من أبيه شيئاً. وانظر: جامع التحصيل (٣٢٤).

(٦) تفسير الطبري (٨/ ٣٨١).

الآية في ذلك»، [ثم نزلت: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ إلى آخر الآية؛ بسبب عدم الصحابة الماء في غزوة المُرَيْسيع حين أَقام على التماس العِقْد][١]، هكذا قال الجمهور.

وقال النخعي: نزلت في قوم أَصابتهم جراح، ثم أَجنبوا، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فنزلت هذه الآية[٢]، ذكر النقاش: أَن ذلك نزل بعبد الرحمن بن عوف[٣].

و«المريض» المقصود في هذه الآية: هو الحضري، والذي يصح له التيمم هو الذي يخاف الموت لبرد الماءِ وللعلة التي به، وهذا يَتَـيَمَّم بِإجماع، إِلا ما روي عن عطاء: أَنه يتطهر وإن مات[٤].

والذي يخاف حدوث علَّة على علَّة[٥]، أَو زيادة علَّة[٦]، والذي يخاف بطء برءٍ، فهؤلاء يَتَـيَمَّمُونَ بِإِجماع من المذهب فيما حفظت[٧].

والأَسباب التي لا يجد المريض بها الماءُ هي: إِما عدم المناول، وإِما خوف ما ذكرناه.

وقال داود: كل من انطلق عليه اسم المريض فجائز له التَّيَمُّم[٨]، وهذا قول خُلْف، وإِنما هو عند علماءِ الأُمة المجدور[٩]، والمحصوب، والعلل المخوف عليها من الماء.

---

(١) ساقط من نور العثمانية، والحديث متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٣٤)، ومسلم (٣٦٧)، من حديث عائشة، رضي الله عنها.

(٢) انظر: تفسير الماوردي (١/ ٤٩٢).

(٣) لم أقف عليه مسنداً.

(٤) انظر مذهب الجمهور ومذهب عطاء في: الاستذكار (١/ ٣١٦).

(٥) في السليمانية وفيض الله ونجيبويه: «علته».

(٦) في السليمانية: «علته».

(٧) انظر: الاستذكار لابن عبد البر (١/ ٣١٥).

(٨) انظر مذهب داود في: المغني (١/ ٢٩٥)، ومذهب الجمهور في: الأوسط (٢/ ١٩-٢٢)، والمغني (١/ ٢٩٥).

(٩) في المطبوع: «المجرور».

و«المسافر» في هذه الآية: هو الغائب عن الحضر، كان السفر مما تقصر فيه الصلاة أَو لا تقصر، هذا مذهب مالك وجمهور الفقهاءِ[١]، وقال الشافعي في كتاب الإشراف: وقال قوم: لا يتيمَّم إِلا في سفر يجوز فيه التقصير[٢]، وهذا ضعيف.

قال القاضي أَبو محمد: وكذلك قالت فرقة: لا يتيمَّم في سفر معصية[٣]، وهذا أَيضاً ضعيف.

والأَسباب التي لا يجد بها المسافر الماءَ هي: إِما عدمه جملة، وإِما خوف فوات الرفيق بسبب طلبه، وإِما خوف على الرحل بسبب طلبه، وإِما خوف سباع أَو إِذاية عليه[٤].

واختلف في وقت إِيقاعه التيمُّم؛ فقال الشافعي: في أَول الوقت[٥]، وقال أَبو حنيفة وغيره: في آخر الوقت[٦]، وفرق مالك بين اليائس والعالم الطامع بإِدراكه في الوقت، والجاهل بأَمره جملة، وقال إسحاق بن رَاهويه: لا يلزم المسافر طلب الماءِ إِلا بين يديه وحوله[٧]، وقالت طائفة: يخرج في أثره الغَلْوَتين[٨] ونحوهما، وفي مذهب مالك: يمشي في طلبه ثلاثة أَميال[٩]، وقال الشافعي: يمشي في طلبه ما لم يخف فوات رفيق، أَو فوات الوقت[١٠].

---

(١) انظر مذهب الجمهور بمن فيهم مالك في: الأوسط (٢/ ٣٤-٣٥).
(٢) انظر: الأوسط (٢/ ٣٤)، وأما الإشراف؛ فلم أجد فيه هذا القول، وقد بالغ الشافعي في الأم (١/ ٦٢) في رده.
(٣) ممن نقل عنه ذلك ابن مسعود، رضي الله عنه، وعطاء، انظر نقل ذلك عنهم في: المغني (١/ ٥١).
(٤) انظر هذه الأسباب في: التلقين للقاضي عبد الوهاب (١/ ٢٩).
(٥) انظر قول الشافعي في الحاوي للماوردي (١/ ٢٨٥).
(٦) انظر قول أبي حنيفة في: المبسوط (١/ ١٠٦)، وقول من وافقه في: المغني (١/ ١٥٣).
(٧) انظر قول إسحاق في: الأوسط (٢/ ٣٥).
(٨) في السليمانية وفيض الله: «الغلوة».
(٩) لم أقف على هذا القول عند غير المؤلف.
(١٠) انظر قول الشافعي في: الأوسط (٢/ ٣٥).

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول حسن.

وأَصل ﴿ٱلْغَآئِطِ﴾: ما انخفض من الأَرض، وكانت العرب تقصد بقضاءِ حاجتها ذلك الصنف من المواضع، حتى كثر استعماله في قضاءِ الحاجة، وصار عرفه.

وقرأَ قتادة، والزهري: (مِنَ الْغَيْطِ) ساكنة الياءِ من غير أَلف[١].

قال ابن جني: هو محذوف من: فيعل[٢]، عين هذه الكلمة واو، وتأمل[٣].

وهذا اللفظ يجمع بالمعنى جميع الأَحداث الناقضة للطهارة الصغرى، واختلف الناس في حصرها، وأَنبل ما أَعتقد في ذلك أَن أَنواع الأَحداث ثلاثة: ما خرج من السبيلين معتاداً، وما أَذهب العقل، واللَّمس، هذا على مذهب مالك.

[١/ ٣١٨] وعلى مذهب أَبي حنيفة: ما خرج من النجاسات من الجسد، ولا يراعى / المخرج ولا غيره، ولا يُعد اللمس فيها.

وعلى مذهب الشافعي: ما خرج من السبيلين، ولا يراعي الاعتياد[٤].

والإِجماع من الأَحداث على تسعة: أَربعة من الذَّكر، وهي: البول، والمني، والودي، والمذي، وواحد من فرج المرأة وهو: دم الحيض، واثنان من الدبر، وهما: الريح والغائط، وذهاب العقل كالجنون، والإِغماء، والنوم الثقيل، فهذه تنقض الطهارة الصغرى إِجماعاً[٥]، وغير ذلك كاللمس، والدود يخرج من الدبر وما أَشبهه؛ مختلف فيه.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: ﴿لَٰمَسْتُمُ﴾.

---

(١) نقلها الثعلبي (٣/ ٣١٤) عن الزهري، ومختصر الشواذ (ص: ٣٣)، والمحتسب (١ / ١٨٩) عنه وعن ابن مسعود، ولم أجدها لقتادة.

(٢) في نور العثمانية: «فعيل»، والمثبت هو الموافق لما في المحتسب (١/ ١٨٩).

(٣) زيادة من السليمانية وفيض الله.

(٤) انظر هذه المذاهب في بداية المجتهد (١/ ٣٤-٣٥).

(٥) انظر نقل الإجماع على هذه النواقض في المغني (١/ ١١١، و١١٣)، والاستذكار (١/ ٣٣٨).

[وقرأ حمزة والكسائي: ﴿لمستم﴾][1]، وهي في اللغة لفظة قد تقع لِلَّمس الذي هو الجماع، وفي اللمس الذي هو جَسُّ اليد، والقبلة، ونحوه؛ إِذ في جميع ذلك لَمْسٌ.

واختلف أَهل العلم في موقعها هنا:

فمالك رحمه الله يقول: اللفظة هنا على أَتم عمومها تقتضي الوجهين[2]، فالملامس بالجماع يَتيمَّم، والملامس باليد يتيمَّم؛ لأَن اللَّمس نقض وضوءَه.

وقالت فرقة: هي هنا مُخصصة لِلَمْس اليد، والجنُب لا ذِكْر له إِلا مع الماءِ، ولا سبيل له إِلى التيمُّم، وإِنما يغتسل الجنُب، أَو يدع الصلاة حتى يجد الماءَ، روي هذا القول عن عمر، رضي الله عنه، وعن عبد الله بن مسعود وغيرهما[3].

وقال أَبو حنيفة: هي هنا مخصصة لِلَّمس الذي هو الجماع[4]، فالجنُب يتيمم، واللامس باليد لم يجر له ذكر، فليس بِحَدثٍ، ولا هو ناقضٌ لوضوءٍ، فإِذا قَبَّل الرجل امرأَته للذة لم ينتقض وضوءُه.

ومالك رحمه الله يرى أَن اللمس ينقض إِذا كان لِلَذَّة، ولا ينقض إِذا لم يقصد به اللَّذة، ولا إِذا كان لابنة أَو لأُم[5].

والشافعي رحمه الله يُعمم لفظة النساءِ، فإِذا لمس الرجل عنده أُمه أَو ابنته على أَي وجه كان؛ انتقض وضوءُه[6].

---

(١) ليس في المطبوع، وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٩٦).

(٢) انظر ما نقله عن مالك من حمل اللفظة على أتم عمومها في: الاستذكار (١/ ٢٥٥، و٢٥٨، و٣٠٣).

(٣) أما أثر عمر بن الخطاب؛ فأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٦٧٨)، وأثر عبد الله بن مسعود أخرجه أيضاً ابن أبي شيبة (١٦٧٩)، وكلاهما صحيح، وقد رجع عبد الله بن مسعود عن هذا القول، انظر عزو هذا القول لهما أيضاً في: الاستذكار (١/ ٣٠٣)، لم أقف على من قال به غيرهما.

(٤) انظر مذهب أبي حنيفة في المبسوط (١/ ٦٧-٦٨).

(٥) انظر مذهب مالك في الاستذكار (١/ ٢٥٥).

(٦) انظر مذهب الشافعي في المجموع (٢/ ٢٣-٢٤).

وعدم وجود الماء يترتب للمريض وللمسافر حسبما ذكرناه، ويترتب للصحيح الحاضر بالغلاءِ الذي يعم جميع الأَصناف، واختلف فيه:

فقال الحسن: يشتري الرجل الماءَ بماله كله ويبقى عديماً[١]، وهذا قول ضعيف؛ لأنَ دين الله يُسر، كما قال ﷺ[٢]، ويريد بنا اليُسر، ولم يجعل علينا في الدين من حرج.

وقالت طائفة: يشتري ما لم يزد على القيمة الثلث فصاعداً، وقالت طائفة: يشتري قيمة الدرهم بالدرهمين[٣] والثلاثة، ونحو هذا، وهذا كله في مذهب مالك رحمه الله[٤].

وقيل لأَشهب: أَتُشترى القربةُ بعشرة دراهم؟ فقال: ما أَرى ذلك على الناس[٥].

قال القاضي أَبو محمد: وقدر هذه المسأَلة إِنما هو بحسب غنى المشتري وحاجته، والوجه عندي: أَن يشتري مَا لَمْ يُؤْذ[٦] غلاؤُه.

ويترتب أَيضاً عدم الماءِ للصحيح الحاضر بأَن يُسجن أَو يربط، وهذا هو الذي يقال فيه: إنه لم يجد ماءً ولا تراباً، كما ترجم البخاري[٧]، ففيه أَربعة أَقوال:

فقال مالك، وابن نافع: لا يُصلي ولا يعيد، وقال ابن القاسم: يصلي ويعيد، وقال أَشهب: يُصلي ولا يُعيد، وقال أَصبغ: لا يُصلي ويقضي[٨].

وإِذا خاف الحضري فوات الوقت إِن تناول الماءَ؛ فَلِمَالِكٍ رحمه الله قولان في «المدونة»: إِنه يتيمم ولا يُعيد، وفيها: أنه يُعيد[٩]، وفي الواضحة وغيرها عنه: أنه يتناول

---

(١) انظر قول الحسن في: الأوسط (٢/ ٤٤).

(٢) وهو في صحيح البخاري (٣٩) بلفظ: «إن الدين يسر».

(٣) سقط من الأصل.

(٤) انظر نسبة هذه الأقوال لمذهب مالك في: بلغة السالك (١/ ١٢٩).

(٥) نسبه في النوادر لابن نافع (١/ ١١٢).

(٦) في السليمانية وفيض الله وجار الله: «يزد».

(٧) صحيح البخاري (١/ ٧٤).

(٨) انظر نسبة هذه الأقوال إلى من ذكر في: جامع الأمهات (ص: ٧٠)، والذخيرة للقرافي (١/ ٣٥٠)، وسقط: «ابن نافع» من الأصل.

(٩) انظر: المدونة (١/ ١٤٦)، وفي المطبوع بدل: «وفيها»: «قال».

الماءَ ويغتسل وإِن طلعت الشمس[١]، وعلى القول بأَنه يتيمم ولا يعيد: إِذا بقي من الوقت شيءٌ بقدر ما كان يتوضأُ ويصلي ركعة، فقيل: يعيد، وقيل: لا يعيد[٢].

معنى قوله: ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾ [في اللغة][٣]: اقصدوا، ومنه قول امرئ القيس:

تَيَمَّمـتِ العَيْـنَ الَّتـي عِنـدَ ضَـارجٍ   يَفِيءُ عليْهَا الظِّـلُّ عَرْمَضُهَا طَامِ[٤]   [الطويل]

ومنه قول أَعشى بني ثعلبة:

تَـيَـمَّـمْـتُ قَـيْـسـاً وَكَـمْ دُونَـهُ   مِـنَ الأَرْضِ مِنْ مَهْمَهٍ ذِي شَـزَنْ[٥]   [المتقارب]

ثم غلب هذا الاسم في الشرع على العبادة المعروفة.

و«الصعيد» في اللغة: وجه الأَرض، قاله الخليل وغيره[٦]، ومنه قول ذي الرُّمَّة:

كَأَنَّـهُ بِالضُّحَـى تَرْمِـي الصَّعِيـدَ بِـهِ   دَبَّابَةٌ فـي عِظَامِ الـرَّأسِ خُرْطُومُ[٧]   [البسيط]

واختلف الفقهاءُ فيه من أَجل تقييد الآية إِياه بالطيب:

فقالت طائفة: يتيمم بوجه الأرض، تراباً كان أَو رملاً، أَو حجارة، أَو معدناً، أَو سبخة، وجعلت «الطيب» بمعنى: الطاهر، وهذا مذهب مالك[٨].

---

(١) انظر عزو هذا القول لمالك في النوادر (١/ ١١٠).

(٢) انظر قول المالكية في المسألة في: حاشية العدوي (١/ ٢٩٣)، والفواكه الدواني (١/ ٤٢٨).

(٣) ساقط من المطبوع.

(٤) انظر عزوه له في الأغاني (٨/ ٢٠٧)، والشعر والشعراء (١/ ١١٣)، والزاهر لابن الأنباري (٢/ ٦٩)، والصحاح للجوهري (١/ ٣٢٦)، وضارج: جبل، أو موضع ببلاد بني عبس، والعَرْمَض بفتح العين والميم: الطُّحْلُب.

(٥) كما تقدم في تفسير الآية: (٢٦٧) من (سورة البقرة)، وفي الأصل: «أعشى ذي ثعلبة».

(٦) انظر: العين (١/ ٢٩٠).

(٧) انظر عزوه له في المعاني الكبير (١/ ٤٥٨)، وسيرة ابن هشام (١/ ٣٠٣)، وأساس البلاغة (١/ ٢٧٧)، ودبابة وخرطوم: يعني الخمر.

(٨) انظر ما عزاه لمذهب مالك في: النوادر (١/ ١٠٣).

وقالت طائفة منهم: «الطيب» بمعنى: الحلال[١]، وهذا في هذا الموضع قلق.

وقال الشافعي وطائفة: «الطيب» بمعنى: المنْبت[٢]، كما قال جل ذكره: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٨]، فيجيءُ «الصعيد» على هذا: التراب.

وهذه الطائفة لا تجيز التيمُّم بغير ذلك مما ذكرناه، فمكان الإِجماع: أَن يتيمَّم الرجل في تراب منبت طاهر غير منقول ولا مغصوب، ومكان[٣] الإجماع في المنع: أَن يتيمَّم الرجل على الذهب الصرف، أَو الفضة والياقوت والزمرد، أَو الأَطعمة، كالخبز واللحم وغيرهما، أَو على النجاسات[٤].

واختلف في غير هذا كالمعادن؛ فأُجيز، وهو مذهب مالك، ومُنع، وهو مذهب الشافعي[٥]، وأَشار أَبو الحسن اللخمي إلى أن الخلاف فيه موجود في المذهب[٦]، وأَما الملح فـأُجيز في المذهب المعدني والجامد، ومُنعا، وأُجيز المعدني، ومنع الجامد[٧].

والثلج: في المدونة جوازه، ولمالك في غيرها منعه[٨]، وذكر النقاش عن ابن عُلَيَّـةَ[٩]

---

(١) نقل ذلك عن سفيان، انظر الحاوي للماوردي (١/ ٢٣٤).

(٢) انظر: الاستذكار (١/ ٣٠٩-٣١٠)، ومغني المحتاج (١/ ٩٦)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٥٩٦).

(٣) في المطبوع: «وكان».

(٤) انظر هذا الإجماع في: مراتب الإجماع (١/ ٢٣).

(٥) انظر مذهب المالكية في: مواهب الجليل (١/ ٣٥١)، والشافعية في: روضة الطالبين (١/ ١٠٨-١٠٩).

(٦) انظر: مواهب الجليل (١/ ٣٥١).

(٧) انظر هذه الأقوال الثلاثة في التيمم بالملح عند المالكية في: مواهب الجليل (١/ ٣٥٢).

(٨) انظر قول مالك بجوازه في: المدونة (١/ ١٤٧-١٤٨)، وانظر قوله أيضاً بمنعه من رواية أشهب في: النوادر (١/ ١٠٧).

(٩) هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم، أبو بشر الأسدي، مولاهم، البصري، الإمام الكوفي، سمع: أيوب السختياني، وعلي بن زيد، وطائفة، وعنه: شعبة، وابن جريج، وحماد بن زيد وهم أكبر منه، كان ثقة ورعاً تقياً، وتوفي سنة (١٩٣هـ)، تاريخ الإسلام (١٣/ ٩٨).

وابن كيسان: أَنهما أَجازا التيمُّم بالمسك والزعفران[١].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا خطأٌ بحتٌ من جهات.

وأَما التراب المنقول في طبق وغيره؛ فجمهور المذهب: جواز التيمُّم به، وفي المذهب المنع، وهو في غير المذهب أَكثر، وأَما ما طبخ، كالآجر والجص؛ ففيه من المذهب قولان: الإِجازة والمنع[٢].

وفي التيمُّم على الجدار خلاف[٣]، وأَما التيمُّم على النبات والعود، فاختلف فيه في مذهب مالك؛ فالجمهور: على منع التيمم على العود[٤]، وفي مختصر الوَقَار[٥]: أَنه جائز[٦].

وحكى الطبري في لفظة «الصعيد» اختلافاً؛ أَنها الأَرض الملساءُ، وأَنها الأَرض المستوية[٧]، وأَن الصعيد: التراب، وأَنه: وجه الأَرض[٨].

وترتيب القرآن الوجه قبل اليدين، وبه قال الجمهور[٩]، ووقع في حديث / [١/ ٣١٩] عمار في البخاري في بعض الطرق: تقديم اليدين[١٠]، وقاله بعض أَهل العلم قياساً على تنكيس الوضوءِ[١١].

---

(١) انظر ما عزاه المؤلف للنقاش في: تفسير القرطبي (٥/ ٢٣٨).

(٢) انظر هذا الخلاف في مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (١/ ٣٥٣).

(٣) انظر البيان والتحصيل (١/ ١٥١-١٥٢).

(٤) انظر التاج والإكليل (١/ ٣٥٤-٣٥٥).

(٥) هو الفقيه المالكي محمد أبو بكر بن أبي يحيى زكريا الوقار، المتوفى سنة (٢٦٩هـ) تقريباً، أحد حفاظ مذهب الإمام مالك، وله كتاب في: السنة، ومختصران في الفقه، انظر ترجمته في: ترتيب المدارك (٣/ ٩١)، وفي نور العثمانية بدل «الوقار»: «الوثاء»، مكررة.

(٦) انظر ما نقله عن مختصر الوقار في: التاج والإكليل (١/ ٣٥٤).

(٧) في الأصل: «الملساء»، وكأنه تكرار.

(٨) انظر تفسير الطبري (٨/ ٤٠٨).

(٩) انظر مذهب الجمهور في: الإقناع (١/ ٢٤٣)، وانظر: مغني المحتاج للشربيني (١/ ٩٩)، ومنتهى الإرادات للبهوتي (١/ ٩٨).

(١٠) رواه البخاري (٣٤٠).

(١١) روي ذلك عن عثمان البتي كما في: الإقناع (١/ ٢٤٣)، وقد قال الحنفية بجواز تنكيس التيمم =

وتراعى في الوجه حدوده المعلومة في الوضوءِ، فالجمهور: على أن استيعابه بالمسح في التيمُّم واجب، ويتتبعه كما يصنع بالماءِ، وأَن لا يقصد ترك شيءٍ منه[١].

وأَجاز بعضهم أَن لا يتتبع كالغضون في الخُفَّين، وما بين الأَصابع في اليدين[٢]، وهو في المذهب قول محمد بن مسلمة[٣].

ومذهب مالك في المدونة: أَن التيمُّم بضربتين[٤]، وقال ابن الجهم: التيمُّم بضربة واحدة[٥]، وقال مالك في كتاب محمد: إِنْ تيمَّم بضربة أَجزأَه، وقال غيره في المذهب: يعيد في الوقت، وقال ابن نافع: يعيد أَبداً[٦].

وقال مالك في المدونة: يبدأُ بأَصابع [اليسرى على أَصابع][٧] اليمنى[٨]، ثم يُمِرُّ كذلك إلى المرفق، ثم يلوي بالكف اليسرى على باطن الذراع الأَيمن حتى يصل إِلى الكوع، ثم يفعل باليمنى على اليسرى كذلك.

فظاهر هذا الكلام: أَنه يستغني عن مسح الكف بالأُخرى، ووجه أَنهما في

= والوضوء كما في: المبسوط (١/ ٢٢١)، وكذلك المالكية كما في: منح الجليل على مختصر خليل (١/ ١٥٤)؛ لأن الترتيب عند المذهبين مسنون وليس بواجب.

(١) انظر ما نسبه للجمهور في: الإقناع (١/ ٢٤٣).

(٢) في الأصل ونجيبويه وجار الله: «وما بين الأصابع في الرأس».

(٣) هو محمد بن مسلمة بن هشام المخزومي، المتوفى سنة: (٢١٦هـ)، أحد أصحاب الإمام مالك، انظر ترجمته في: ترتيب المدارك (١/ ٣٥٨)، وطبقات الفقهاء (١/ ١٤٧)، وانظر قوله في مواهب الجليل (١/ ٣٥٥).

(٤) انظر: المدونة (١/ ١٤٥).

(٥) انظر ما نسبه لابن الجهم في: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٢٣٩)، ولفظ: «ضربة» ليس في الأصل والمطبوع.

(٦) انظر الأقوال الثلاثة في النوادر (١/ ١٠٤).

(٧) سقط من الأصل ومن الأسدية.

(٨) انظر: المدونة (١/ ١٤٥)، وفي المطبوع: «على كفيه»، ولفظة: «على» ليست في النسخ الخطية.

الإِمرار على الذراع ماسحة ممسوحة، قال ابن حبيب: يُمِرُّ بعد ذلك كفيه[١].

فهذا مع تحكيم ظاهر المدونة خلاف.

قال اللَّخْمِي ـ في كلام المدونة ـ: يريد: ثم يمسح كفه بالأخرى[٢]، فيجيءُ على تأويل أَبي الحسن كلام ابن حبيب تفسيراً.

وقالت طائفة: يبدأُ بالشمال كما في المدونة، فإذا وصل على باطن الذراع إلى الرسغ مشى على الكف، ثم كذلك باليمنى في اليسرى[٣]، ووجه هذا القول: أَلا يترك من عضو بعد التَلبُّس به موضعاً، ثم يحتاج إِلى العودة إِليه بعد غيره.

وقالت طائفة: يتناول بالتراب، كما يتناول بالماءِ في صورة الإِمرار دون رتبة.

وقال مالك في «المدونة»: يمسح يديه إِلى المرفقين، فإن مسح إِلى الكوعين؛ أَعاد في الوقت، وقال ابن نافع: يعيد أَبداً[٤]، قال غيرهما: في المذهب: يمسح إِلى الكوعين، وهذا قول مكحول وجماعة من العلماء[٥].

وفي غير المذهب: يمسح الكفين فقط، وفي ذلك حديث عن عمار بن ياسر[٦]، وهو قول الشعبي[٧]، وقال ابن شهاب: يمسح إِلى الآباط[٨].

وذكر الطبري عن أَبي بكر الصديق رضي الله عنه: أَنه قال لعائشة رضي الله عنها

---

(١) انظر ما نقله عن ابن حبيب في: النوادر (١/ ١٠٥).

(٢) انظر: كفاية الطالب شرح رسالة ابن أبي زيد (١/ ٢٩٢).

(٣) ممن قال بذلك الحنفية كما في: البحر الرائق (١/ ١٥٣)، والشافعية، كما في: الأم (١/ ٤٩)، وفي نور العثمانية: «فاليسرى».

(٤) انظر: المدونة (١/ ١٤٦)، وانظر قول ابن نافع في: البيان والتحصيل (١/ ٩٣).

(٥) الكافي في فقه أهل المدينة (١/ ١٨٢)، وانظر قول مكحول وآخرين في الحاوي للماوردي (١/ ٢٣٤).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٣٨)، ومسلم (٣٦٨).

(٧) انظر قول الشعبي وآخرين معه في الأوسط (٢/ ١٦٩).

(٨) انظر قول الزهري في: الاستذكار (١/ ٣١٢).

حين نزلت آية التيمم: إنك لمباركة، نزلت فيك رخصة، فضربنا ضربة لوجوهنا، وضربة بأَيدينا إِلى المناكب والآباط[١].

وفي مصنف أَبي داود عن الأَعمش: أَن رسول الله ﷺ مسح إِلى أَنصاف ذراعيه[٢]، ولم يقل بهذا الحديث أحدٌ من العلماء فيما حفظت.

وما حكى الدَّاوودي[٣] من أَن الكوعين فرض، والمرافق سنة، والآباط

(١) منكر جداً، رواه أبو داود (٣٢٠)، والنسائي في الكبرى (٣٠٠)، وأبو يعلى في مسنده (١٦٢٩-١٦٣٠)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٦٦٣-٦٦٤-٦٦٥-٦٦٦-٦٦٧-٦٦٨)، والبيهقي في الكبرى (١٠٤١)، من طريق الزهري عن، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عبد الله بن عباس، عن عمار بن ياسر أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَرَّسَ بِأُولاَتِ الْجَيْشِ وَمَعَهُ عَائِشَةُ زَوْجَتُهُ.
وقد اختلف في إسناده على الزهري، فقيل عنه كما تقدم، وقيل عن الزهري، عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة، عن أبيه، عن عمار، كذا رواه عنه مالك، وابن عيينة، وغيرهما، أخرجه الحميدي في مسنده (١٤٣)، وابن ماجه (٥٦٥-٥٦٦)، والنسائي في الكبرى (٣٠١)، والبزار في مسنده (١٤٠٣)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٦٦٧-٦٦٨).
وقيل: عن الزهري، عن عبيد الله بن عتبة، عن عمار بن ياسر مرسلاً، أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٦٣٧)، وأحمد في مسنده (٣١/ ١٨٤)، وأبو داود (٣١٨-٣١٩)، والبيهقي في الكبرى (١٠٣٩)، قال ابن رجب: وهذا حديث منكر جداً، لم يزل العلماء ينكرونه، وقد أنكره الزهري راويه، وقال: هو لا يعتبر به الناس: ذكره الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما.
وروي عن الزهري: أنه امتنع أن يحدث به، وقال: لم أسمعه إلا من عبيد الله، وروي عنه أنه قال: لا أدري ما هو؟
وروي عن مكحول: أنه كان يغضب إذا حدث الزهري بهذا الحديث، وعن ابن عيينة أنه امتنع أن يحدث به، وقال: ليس العمل عليه، وسأل الإمام أحمد عنه، فقال: ليس بشيء، وقال أيضاً: اختلفوا في إسناده، وكان الزهري يهابه، وقال: ما أرى العمل عليه.اهـ، انظر الكلام على سنده، وتوجيه العلماء له فتح الباري (٢/ ٥٧).
(٢) لا يصح، روى أبو داود (٣٢٢-٣٢٣-٣٢٤-٣٢٥)، والنسائي في الكبرى (٣٠٥)، من رواية سلمة بن كهيل، قال: لا أدري فيه إلى المرفقين، يعني أو إلى الكفين، فقال له منصور ذات يوم: ما تقول، فإنه لا يذكر أحد الذراعين غيرك؟ فشك سلمة وقال: لا أدري ذكر الذراعين أم لا، وأصل الحديث في الصحيحين من حديث عمار بن ياسر، وليس فيه هذه الزيادة.
(٣) هو الفقيه المالكي، أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي الطرابلسي ـ أو التلمساني ـ المغربي، =

فضيلة[١]؛ فكلام لا يعضده قياسٌ ولا دليل، وإنما عمَّمَ قوم لفظة اليد، فأَوجبوه من المناكب.

وقاس قوم على الوضوءِ فأَوجبوه من المرافق[٢]، وهنا وقف جمهور الأُمة[٣]، ووقف قوم من[٤] الحديث في الكوعين[٥]، وقيس أَيضاً على القطع؛ إِذ هو حكم شرعيٌّ وتطهير، كما هذا تطهير[٦]، ووقف آخرون مع حديث عمار في الكفَّين[٧].

واختلف المذهب في تحريك الخاتم، وتخليل الأَصابع على قولين: يجب، ولا يجب[٨].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾.

«الرؤْية» في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: من رؤْية القلب، وهي: علم بالشيءِ، وقال قوم: معناه: أَلم تعلم.

وقال آخرون: أَلم تخبُر، وهذا كله يتقارب.

= المتوفى سنة: (٤٠٢هـ)، ومؤلف كتاب النامي في شرح الموطأ، وكتاب الأموال، وكتاب الواعي في الفقه، انظر ترجمته في: الديباج المذهب (ص: ٣٥).

(١) لم أقف على من ذكره غير المؤلف.

(٢) وهذا هو: قول الليث والثوري وابن أبي سلمة، انظر قولهم في: الاستذكار (١/ ٣١٠-٣١١).

(٣) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «وعمم جمهور الأمة»، وانظر الاستذكار (١/ ٣١٠-٣١٢).

(٤) في نجيبويه ونور العثمانية وجار الله: «مع».

(٥) وهذا مذهب عكرمة ومكحول والأوزاعي، انظر مذهبهم في: الحاوي للماوردي (١/ ٢٣٤).

(٦) انظر احتجاجهم بهذا القياس في: الأوسط (٢/ ١٧١).

(٧) منهم الأوزاعي والشعبي في رواية عنهما وعطاء وإسحاق وداود والطبري وغيرهم؛ كما في الاستذكار (١/ ٣١١).

(٨) انظر اختلاف المذهب في تخليل الأصابع ونزع الخاتم في: مواهب الجليل (١/ ٣٤٩).

والرؤْية بالقلب تصل بحرف الجر، وبغير حرف الجر.

والمراد بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اليهود، قاله قتادة وغيره(١)، ثم اللفظ يتناول معهم النصارى، وقال ابن عباس: نزلت في رفاعة بن زيد بن التابوت اليهودي(٢).

و﴿أُوتُواْ﴾: أُعطوا، و«النَّصيب»: الحظ، و«الكتاب»: التوراة والإِنجيل، وإِنما جعل المعطى نصيباً في حق كل واحد منفرد؛ لأَنه لا يحصر علم الكتاب واحد بوجه.

و﴿يَشْتَرُونَ﴾: عبارة عن إِيثارهم الكفر وتركهم الإِيمانَ، فكأَنه أَخذٌ وإِعطاءٌ، هذا قول جماعة، وقالت فرقة: أَراد: الذين كانوا يعطون أَموالهم للأَحبار على إِقامة شرعهم، فهذا شراءٌ على وجهه على هذا التأْويل.

﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾ معناه: أَن تكفروا.

وقرأَ النَّخَعي: (وَتُرِيدُون أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ) بالتاءِ منقوطة من فوق في (تُرِيدُونَ)(٣).

قال القاضي أَبو محمد: وهذه الآية وما بعدها تقتضي توبيخاً للمؤمنين على استقامة(٤) قوم منهم إِلى أَحبار اليهود في سؤالٍ عن دين، أَو في موالاة، أَو ما أشبه ذلك، وهذا بيِّن في أَلفاظها، فمن ذلك: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ﴾؛ أَي: تدعوا الصواب في اجتنابهم، وتحسبوهم غير أَعداء، والله أَعلم بهم.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ﴾ خبرٌ في ضمنه التحذير منهم.

و﴿بِٱللَّهِ﴾ في قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾: في موضع رفع بتقدير زيادة الخافض، وفائدة

---

(١) انظر تفسير مقاتل (١/ ١٦٢)، وتفسير الطبري (٨/ ٤٣٥).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٩٦٨٩-٩٦٩٠)، وابن أبي حاتم (٥٣٨١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥٣٣)، بإسناد فيه محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، أورده الذهبي في الميزان (٤/ ٢٦)، وقال: لا يعرف.

(٣) البحر المحيط (٣/ ٦٥٨)، وانظر المهدوي (٢/ ٢٧٧).

(٤) في الحمزوية وجار الله: «استنابة»، وفي نور العثمانية والمطبوع: «استنامة».

زيادته: تبيين معنى الأَمر في لفظ الخبر؛ أَي: اكتفوا بالله، فالباءُ تدل على المراد من ذلك.

و﴿وَلِيًّا﴾ فعيلاً و﴿نَصِيرًا﴾ كذلك، من الولاية والنصر.

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ قال بعض المتأَولين: ﴿مِّنَ﴾ راجعة على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأُولى، فهي على هذا متعلقة بـ﴿تَرَىٰٓ﴾.

وقالت طائفة: هي مُتَعَلِّقَة بـ﴿نَصِيرًا﴾، [والمعنى: ينصركم من الذين هادوا، فعلى هذين التأْويلين لا يوقف في قوله: ﴿نَصِيرًا﴾][١].

وقالت فرقة: هي لابتداءِ الكلام، وفيه إِضمار تقديره: قوم يُحَرِّفُونَ، هذا مذهب أَبي علي[٢]، ونظيره قول الشاعر:

كأَنَّـك مِـنْ جِمـالِ بَنِـي أُقَيْـشٍ يُقَعْقَـعُ خَلْـفَ رِجْلَيْـهِ بشَـنِّ[٣] [الوافر]

وقال الفراءُ وغيره: تقديره: (مَنْ)[٤]، ومثله قول ذي الرُّمَّة:

فَظَلُّـوا وَمِنْهُـمْ دَمْعُـهُ سَـابِقٌ لَـهُ وَآخَـرُ يَثْنِي دَمْعَةَ العَيْـنِ بِاليدِ[٥] [الطويل]

فعلى هذا التأْويل يوقف في قوله: ﴿نَصِيرًا﴾، وقول سيبويه أَصوب[٦]؛/ لأن إِضمار الموصول ثقيل، وإِضمار الموصوف أَسهل. [١/ ٣٢٠]

---

(١) ساقط من نجيبويه.

(٢) الحجة لأبي علي (٢/ ٣٥) بلفظ: أي: فريق يحرفون الكلم.

(٣) البيت للنابغة كما في معاني القرآن للأخفش (١/ ٢٥٩)، والكتاب لسيبويه (٢/ ٣٤٥)، ومجاز القرآن (١/ ٤٧)، والكامل للمبرد (١/ ٣٠٢)، وبنو أُقيشٍ حيٌّ من عكل، وكانت جمالهم صعبة القياد، وتنفر من كل شيءٍ تراه، وقال ابن الكلبي: هم حيٌّ من الجن.

(٤) معاني القرآن للفراء (١/ ٢٧١)، وانظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٥٨).

(٥) انظر عزوه له في معاني القرآن للفراء (١/ ٢٧١)، وتفسير الطبري (٨/ ٤٣١)، تفسير الثعلبي (٣/ ٣٢٣)، وفي جميع النسخ آخر البيت: «باليد»، وكذا في البحر المحيط والدر المصون، وفي تفسير القرطبي وجميع المصادر: «بالهمل»، وهو الصواب.

(٦) الكتاب (٢/ ٣٤٦).

و﴿هَادُواْ﴾: مأخوذ من: هاد: إِذا تاب، أَو من: يهود[١] بن يعقوب، وغيَّره التعريب، أَو من التهوُّد، وهو: الرويد من المشي واللِّين في القول، ذكر هذه كلها الخليل[٢]، وقد تقدم شرحها وبيانها في سورة البقرة.

وتحريف الكلم على وجهين: إِما بتغيير اللفظ، وقد فعلوا ذلك في الأَقَلِّ، وإِما بتغيير التأويل، وقد فعلوا ذلك في الأَكثر، وإليه ذهب الطبري[٣]، وهذا كله في التوراة على قول الجمهور، وقالت طائفة: هو كلم القرآن، وقال مكي: كلام النبي محمد ﷺ، فلا يكون التحريف على هذا إِلا في التأويل[٤].

وقرأَ النَّخَعي [وأبو رجاء][٥]: (يُحَرِّفُونَ الْكَلَامَ) بالألف.

مَن جعل ﴿مِّنَ﴾ متعلقة بـ﴿نَصِيرًا﴾؛ جعل ﴿يُحَرِّفُونَ﴾: [في موضع الحال، ومَن جعلها منقطعة، جعل ﴿يُحَرِّفُونَ﴾][٦]: صفة.

وقوله تعالى عنهم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾: عبارة عن عُتُوِّهم في كفرهم وطغيانهم فيه.

و﴿مُسْمَعٍ﴾ لا يتصرف إِلا من «أَسمع»، و﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ يتخرج فيه معنيان:

أَحدهما: غير مأمور وغير صاغر، كأَنه قال: غير أَن تسمع مأموراً بذلك.

والآخر: على جهة الدعاءِ؛ أَي: لا سمعت، كما تقول: امض غير مصيب، وغير ذلك، فكانت اليهود إِذا خاطبت النبي بـ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ أَرادت في الباطن الدعاءَ عليه،

---

(١) في السليمانية وفيض الله: «يهوذا».
(٢) كتاب العين (٤/ ٧٦).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٤٣٦).
(٤) الهداية لمكي (٢/ ١٣٤٦).
(٥) سقط من المطبوع، ولم يعزها له إلا أبو حيان، وعزاها للنخعي في إعراب القرآن للنحاس (١ / ٤٦٠) والشواذ للكرماني (ص: ١٣٦).
(٦) سقط من الأصل.

وأَرَتْ ظاهراً أَنها تريد تعظيمه، قال نحوه ابن عباس وغيره(١).

وكذلك (راعنا)، كانوا يريدون منه في نفوسهم معنى الرُّعُونة، وحكى مكي معنى رعاية الماشية(٢)، ويُظهرون منه معنى المراعاة، فهذا معنى ليِّ اللسان.

وقال الزجاج: كانوا يريدون: اجعل اسمك لكلامنا مرعى(٣).

قال القاضي أَبو محمد: وفي هذا جفاءٌ لا يخاطب به نبي.

وفي مصحف ابن مسعود: (راعونا)(٤).

ومن قال: ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾: غير مقبول منك؛ فإِنه لا يساعده التصريف، وقد حكاه الطبري عن الحسن، ومجاهد(٥).

و﴿لَيًّا﴾ أَصله: لوْياً، قلبت الواو ياءً وأُدغمت، و(طَعْناً في الدِّينِ)؛ أَي: توهيناً له، وإِظهاراً للاستخفاف به.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا اللَّيُّ باللسان إِلى خلاف ما في القلب موجود حتى الآن في بني إِسرائيل، ويحفظ منه في عصرنا أَمثلة، إِلا أَنه لا يليق ذكرها بهذا الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ الآية، المعنى: لو أَنهم آمنوا وسمعوا وأَطاعوا.

واختلف المتأَولون في قوله: ﴿انظُرْنَا﴾:

---

(١) أخرجه الطبري (٩٦٩٨)، بإسناد ضعيف عن ابن عباس، رضي الله عنهما.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/ ١٣٤٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٥٩)، بلفظ: ارعنا سمعك؛ أي: اجعل كلامك لسمعنا مرعى، وقد اختلفت النسخ في هذه العبارة، ففي السليمانية: «اجمع مسمعك لكلامنا نرعى»، وفي فيض الله: «اجعل مسمعك»، وفي نجيبويه ونور العثمانية وجار الله: «اجعل سمعك».

(٤) عزاها له باللفظ الذي في (سورة البقرة) الطبري (٢/ ٤٦٧)، والفراء في معاني القرآن (١/ ٦٣) وابن سيده في المحكم (٢/ ٢٤٠) وعزاها الثعلبي (١/ ٢٥٢) لمصحف أبي، والسمعاني (١/ ١١٩) للحسن، ولم أجد من تعرض لها هنا في (سورة النساء).

(٥) انظر تفسير مجاهد (١/ ١٦٠)، وتفسير مقاتل (١/ ٢٣٢)، وتفسير الطبري (٨/ ٢٣٨).

فقال مجاهد، وعكرمة، وغيرهما: معناه: انتظرنا[١] بمعنى: افهمنا وتمهَّل علينا حتى نفهم عنك، ونعي قولك، وهذا كما قال الحطيئة:

[البسيط] وَقَـدْ نَظَرْتُكُمُ إِينَـاءَ صَـادِرَةٍ لِلْخِمْسِ طَالَ بِهَا حَوْزِي وَتَنْسَاسِي[٢]

وقالت فرقة: (انظر) معناه: انظر إلينا، فكأنه استدعاءُ اهْتبالٍ وتَحَفٍّ، ومنه قول ابن الرقيات[٣]:

[الخفيف] ظَاهِـرَاتُ الجَمـالِ وَالحُسْـنِ يَنْظُرْ نَ كَمَـا يَنْـظُـرُ الأَرَاكَ الظِّبَـاءُ[٤]

و﴿وَأَقْوَمَ﴾ معناه: أَعدل وأَصوب.

واللعنة: الإِبعاد، فمعناه: أَبعدهم من الهدى.

و﴿قَلِيلًا﴾: نعت، إِمَّا لإِيمان، وإِما لِنَفر أَو قوم، والمعنى مختلف:

فمن عبر بالقِلَّة عن الإِيمان قال: إِمَّا هي عبارةٌ عن عَدَمه على[٥] ما حكى سيبويه من قولهم: أَرض قَلَّما تنبت كذا[٦]، وهي لا تُنْبِتهُ جملة، وإِمَّا قلَّل الإِيمان لما قلَّت الأَشياء التي آمنوا بها فلم ينفعهم ذلك؛ وذلك أَنهم كانوا يؤمنون بالتوحيد، ويكفرون بمحمد، وبجميع أَوامر شريعته ونواهيها.

ومن عبَّر بالقِلَّة عن النفر قال: لا يؤمن منهم إِلا قليل، كعبد الله بن سلام،

(١) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٢٣٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٠٤).

(٢) انظر عزوه له في الطبري (٨/ ٢٣٧)، وتهذيب اللغة (٣/ ٣٦)، وفي المطبوع والسليمانية ونور العثمانية وفيض الله: «مَسْحِي بدل حوزي».

(٣) هو عبيد الله بن قيس أحد بني عامر بن لؤي، وإنما سُمِّي الرُّقيّات؛ لأنَّه كان يشبِّب بثلاث نسوة يقال لهنَّ جميعاً: رقيَّة، الشعر والشعراء (١/ ٥٣٠)، وفي الأغاني (٥/ ٨٣) وما بعدها جملة صالحة من أخباره، وفي الأصل: «أبي الرقيات».

(٤) انظر عزوه له في تفسير الطبري (٨/ ٤٣٨)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٢٠٤)، وأساس البلاغة (٢/ ٢٨٢).

(٥) في السليمانية وفيض الله: «كما».

(٦) نقل حكاية سيبويه أبو حيَّان في البحر المحيط (٣/ ٦٦٤).

وكعب الأَحبار، وغيرهما، وإِذا قدرت الكلام: نفراً قليلاً؛ فهو نصب في موضع الحال، وفي هذا نظر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾.

هذا خطابٌ لليهود والنصارى، و﴿لِّمَا مَعَكُم﴾ معناه: من شرع وملَّة، لا لما كان معهم من مُبدَّل ومُغيَّر.

والطامس: الداثر المغَيَّر الأَعلام، كما قال كعب بن زهير[١]:

مِـنْ كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْـرَى إِذَا عَرِقَتْ   عُرْضَتُهَا طَامِسُ الأَعْلَامِ مَجْهُولُ[٢]   [البسيط]

ومن ذلك قيل للأَعمى[٣] [المسدودِ غَرُّ عينيه][٤]: أَعمى مطموس.

وقالت طائفة: «طَمْسُ الوجوه» هنا: أَن تعفى آثار الحواس فيها، وتزال الخلقة منها، فترجع كسائر الأعضاء في الخلو من أعضاء الحواس، فيكون الرَّدُّ على الأَدبار في هذا الموضع بالمعنى؛ أَي: خُلُوه من الحواس دبراً؛ لكونه عامراً بها.

وقال ابن عباس، وعطية العَوْفي: طمْس الوجوه: أَن تُزال العينان خاصة منها،

---

(١) في المطبوع وكافة النسخ الخطية: ذو الرمة، إلا الأصل ففيه: «كعب بن زهير»، وهو الصواب، من قصيدته المعروفة: (بانت سعاد).

(٢) انظر عزوه له في تفسير الطبري (٤/ ٤٢٤)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٥٠٦)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٦٣٤)، والمحكم والمحيط الأعظم (١/ ٣٩٩)، وهو، ونضاخة: كثيرة النضخ، وهو سيلان الشيء بدرجة أكثر من النضح، والذِّفرى: العظم الشاخص خلف الأذن.

(٣) في جار الله: «الأعشى».

(٤) في المطبوع: «المسدودة عيناه»، وغر العينين: هو الشق الذي بين الجفنين، انظر: تفسير الطبري: (٨/ ٤٤٥).

وترد العينان في القفا، فيكون ذلك ردّاً على الدبر، ويمشي القَهْقَرى(١).

وحكى الطبري عن فرقة: أَن طمس الوجوه: أَن تتغير أَعلامها وتصير منابت للشعر، فذلك هو الرد على الدبر، وردَّ على هذا القول الطبري(٢).

وقال مالك رحمه الله: كان أول إِسلام كعب الأحبار أَنه مرَّ برجل من الليل وهو يقرأُ هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾، فوضع كفَّيه على وجهه، ورجع القَهْقَرى إلى بيته، فأَسْلَم مكانه وقال: والله لقد خفت أَلا أَبلغ بيتي حتى يطمس وجهي(٣).

وقال مجاهد، والحسن، والسُّدي، والضحاك: ذلك تجوز، وإِنما المراد به وجوه الهدى والرشد، وطمسها: حتم(٤) الإضلال والصدِّ عنها، والتَّصْيير إِلى الكفر، وهو الردُّ على الأَدبار(٥).

وقال ابن زيد: الوجوه: هي أَوطانهم وسكناهم في بلادهم التي خرجوا إِليها، وطمْسها: إِخراجهم منها، والرد على الأَدبار: هو رجوعهم إِلى الشام من حيث أَتوا أَولاً.

و﴿أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾: هم أهل أَيلة الذين اعتدوا في السبت في الصيد حسبما تقدم، وكانت لعنتهم أَن مُسخوا خنازير وقردة، قاله قتادة، والحسن، والسدي(٦).

و﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ في هذا الموضع: واحد الأُمور، دالٌّ على جنسها، لا واحد الأَوامر، فهي

---

(١) أخرجه الطبري (٩٧١٣)، وابن أبي حاتم (٥٤١٥)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنه، وعطية ضعيف.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٤٤٠).

(٣) انظر قول مالك في: تفسير القرطبي (٥/ ٢٤٤-٢٤٥).

(٤) في الحمزوية ونور العثمانية والمطبوع: «ختم».

(٥) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٤٤٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٠٥)، وتفسير الماوردي (١/ ٤٩٤).

(٦) انظر: قول ابن زيد وأقوال هؤلاء في تفسير الطبري (٨/ ٤٤٧).

عبارة عن المخلوقات، كالعذاب / واللعنة هنا، أو ما اقتضاه كل موضع مما[١] يختص به. [١/ ٣٢١]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ الآية، هذه مسألة الوعد والوعيد، [وهذه الآية هي الحاكمة ببيان ما تعارض من آيات الوعد والوعيد][٢]، وتلخيص الكلام فيها أن يقال: الناس أربعة أصناف:

كافرٌ مات على كفره فهذا مخلد في النار بإجماع.

ومؤمن محسنٌ لم يذنب قط، ومات على ذلك، فهذا في الجنة محتوم عليه، حسب الخبر من الله تعالى بإجماع.

وتائب مات على توبته، فهو عند أهل السُّنَّة وجمهور فقهاءِ الأُمة لاحقٌ بالمؤمن المحسن، إلا أن قانون المتكلمين: أنه في المشيئة[٣].

ومذنب مات قبل توبته، فهذا موضع الخلاف:

فقالت المرجئة: هو في الجنة بإيمانه، ولا تضره سَيِّئاتُهُ، وبنوا هذه المقالة على أن جعلوا آيات الوعيد كلَّها مخصَّصة في الكفار، وآيات الوعد عامةً في المؤمنين، تقيِّهم وعاصيهم.

وقالت المعتزلة: إذا كان صاحب كبيرة؛ فهو في النار ولا بُدَّ[٤].

وقالت الخوارج: إذا كان صاحب كبيرة أو صغيرة؛ فهو في النار مخلد، ولا إيمان له[٥]؛ لأنهم يرون كل الذنوب كبائر، وبنوا هذه المقالة على أن جعلوا آيات الوعد كلها مخصَّصة في المؤمن المحسن الذي لم يعص قط، والمؤمن التائب، وجعلوا آيات الوعيد عامة في العصاة، كفاراً كانوا[٦] أو مؤمنين.

---

(١) في المطبوع: «ما».
(٢) سقط من المطبوع.
(٣) انظر لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٣٧٣).
(٤) انظر مقالتي المرجئة والمعتزلة في: شرح المقاصد للتفتازاني (٢/ ٢٢٨-٢٢٩).
(٥) انظر قول الخوارج في: مفاتيح الغيب للرازي (١/ ٣٧٦).
(٦) زيادة من السليمانية.

وقال أَهل السُّنَّة والحق: آيات الوعد ظاهرة العموم، وآيات الوعيد ظاهرة العموم، ولا يصح نفوذ كلها لوجهه بسبب تعارضها، كقوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى * ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل: ١٥-١٦]، وقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [الجن: ٢٣].

فلا بد أَن نقول: إِنَّ آيات الوعد لفظها لفظ عموم، والمراد بها: الخصوص في المؤمن المحسن، وفي التائب[١]، وفيمن سبق في علمه تعالى العفو عنه دون تعذيب من العصاة.

وإِن آيات الوعيد لفظها عموم، والمراد بها: الخصوص في الكفرة، وفيمن سبق في علمه تعالى أَنه يعذبه من العصاة.

ونحكم بقولنا: هذه الآية النَّص في موضع النزاع، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾؛ فإِنها جَلَت الشَّك، وردَّت على الطائفتين: المرجئة، والمعتزلة، [وذلك أَن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ فصل مجمع عليه، وقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ فصل قاطعٌ بالمعتزلة][٢]، رادٌّ على قولهم ردّاً لا محيد عنه، ولو وقفنا في هذا الموضع من الكلام لصحَّ قولُ المرجئة، فجاءَ قوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ رادّاً عليهم، موجباً أَن غُفران ما دون الشرك إِنما هو لقوم دون قوم، بخلاف ما زعموه من أَنه مغفور لكل مؤمن[٣].

قال القاضي أَبو محمد: ورامت المعتزلة أَن تردَّ هذه الآية إِلى قولها بأَن قالوا: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾: هو التائب، وما أَرادوه فاسد؛ لأَن فائدة التقسيم في الآية كانت تبطل؛ إِذ التائب من الشرك يُغفر له.

قال القاضي أَبو محمد: ورامت المرجئة أَن تردَّ الآية إِلى قولها؛ بأَن قالوا: ﴿لِمَن

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) سقط من نور العثمانية.

(٣) انظر مذهب أهل السنة في: مجموع رسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير (١٦/ ١٩).

يَشَآءُ﴾: معناه: يشاءُ أَن يؤمن، لا يشاءُ أَن يغفر له(١)، فالمشيئة معلقة بالإيمان ممن يؤمن، لا بغفران الله لمن يغفر له، ويُرَدُّ ذلك بأَن الآية تقتضي ـ على هذا التأْويل ـ أَن قوله: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ عامٌّ في كافر ومؤمن، فإِذا خُص المؤمنون بقوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾، وجب أَن الكافرين لا يُغْفر لهم ما دون ذلك، ويجازون به.

قال القاضي أَبو محمد: وذلك ـ وإِن كان مما قد قيل ـ فهو مما لم يُقصد بالآية على تأويل أَحد من العلماءِ، ويُردُّ على هذا المنزع بطول التقسيم؛ لأَن الشرك مغفور أَيضاً لمن شاءَ الله أَن يؤمن.

قال القاضي أَبو محمد: ومن آيات الوعيد التي احتج بها المعتزلة قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٩٣](٢).

والآية مخرجة عنهم لوجوه منها: أَن الأَصحَّ في تأويل قوله تعالى: ﴿مُّتَعَمِّدٗا﴾ ما قاله ابن عباس: إِنه أَراد: مستَحِلّاً(٣)، وإِذا استحلَّ أَحد ما حَرَّم الله عليه؛ فقد كفر.

ويدل على ما قال ابن عباس أَنا نجد الله تعالى في أَمْر القتل إِذا ذكر القصاص لم يذكر الوعيد، وإِذا ذكر الوعيد بالنار لم يذكر القصاص، فيظهر أَنَّ القصاص للقاتل المؤمن العاصي، والوعيد للمُسْتَحِلِّ الذي في حكم الكافر، ومنها من جهة أُخرى أَن الخلود ـ إِذا لم يقرن بقوله: ﴿أَبَدٗاۚ﴾ ـ فجائز أَن يراد به الزمن المتطاول؛ إِذ ذلك معهود في كلام العرب، أَلا ترى أَنهم يُحيُّون الملوك بـ: خلَّد الله ملكك؟ ومن ذلك قول امرئ القيس:

وَهَلْ يَعِمَنْ إِلَّا سَعيدٌ مُخَلَّدٌ ... قَلِيلُ الهُمُومِ ما يَبِيتُ بأَوْجَالِ(٤) [الطويل]

---

(١) انظر قول المعتزلة والمرجئة في الآية ورد أهل السنة عليه في: لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٨٢).
(٢) انظر احتجاج المعتزلة بهذه الآية في: المواقف للإيجي (٣/ ٤٩١).
(٣) لم أجده.
(٤) انظر عزوه له في المحتسب (٢/ ١٣٠)، والزاهر للأنباري (٢/ ١٥٧)، والفاخر (ص: ٥٢)، وجمهرة الأمثال (١/ ١٤٨).

وقال عبد الله بن عمر(١): لما نزلت ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، قال بعض أصحاب النبي ﷺ: والشِّرك يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(٢).

ولما حَتَّم على أنه لا يغفر الشرك، ذكر قبح موضعه، وقَدْره في الذنوب.

والفِريةُ: أَشد مراتب الكذب قبحاً، وهو الاختلاف للعصبية(٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾.

هذا لفظ عام في ظاهره، ولم يختلف أَحدٌ من المتأَولين في أَن المراد اليهود.

واختلف في المعنى الذي به زكَّوا أنفسهم:

فقال قتادة، والحسن: ذلك قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، وقولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ [البقرة: ١١١](٤).

وقال الضحاك، والسدي: ذلك قولهم: لا ذنوب لنا، وما فعلناه نهاراً غُفر ليلاً، وما فعلناه ليلاً غُفر نهاراً، ونحن كالأَطفال في عدم الذنوب.

---

(١) في المطبوع: «ابن عمرو»، وكذا في نور العثمانية وجار الله، إلا أنه يحتمل فيهما أن تكون الواو متصلة بـ: «قال» التي بعدها.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٩٧٣٠-٩٧٣١)، عن عمار بن الحسن، عن عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، قال: أخبرني مُجَبَّر، عن عبد الله بن عمر به مرفوعاً، وسنده ضعيف من أجل أبي جعفر الرازي؛ فإنه سيئ الحفظ، ومجبر هو: عبد الرحمن بن عبد الرحمن الأصغر بن عمر بن الخطاب، ذكره ابن حجر في تعجيل المنفعة (٢/ ٢٤٠)، ولم يذكر فيه جرحاً، ولا تعديلاً.

(٣) في السليمانية ونور العثمانية: «للعصابة»، وفي الحمزوية: «للعضاية».

(٤) انظر: تفسير عبدالرزاق (١/ ١٦٤)، وتفسير الطبري (٨/ ٤٥٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٢).

وقال مجاهد، وأَبو مالك، وعكرمة: تقديمهم أَولادهم الصغار للصلاة؛ لأَنَّـهم لا ذنوب لهم(١) / . [١/ ٣٢٢]

قال القاضي أبو محمد: وهذا يبعد من مقصد الآية، وقال ابن عباس: ذلك قولهم: أَبناؤُنا الذين ماتوا يشفعون لنا، ويزكوننا(٢).

وقال عبد الله بن مسعود: ذلك ثناءُ بعضهم على بعض، ومدحهم لهم، وتزكيتهم لهم(٣).

قال القاضي أَبو محمد: فتقتضي هذه الآية الغض من المزكي لنفسه بلسانه، والإِعلام بأَن الزاكي المزكَّى: من حسنت أَفعاله، وزكَّاه الله عز وجل.

والضمير في: ﴿يُظْلَمُونَ﴾ عائد على المذكورين ممن زكَّى نفسه، أَو ممَّن يُزَكيه الله تعالى، وغير هذين الصنفين عُلم أَن الله تعالى لا يظلمهم من غير هذه الآية.

وقرأَت طائفة: (وَلَا تُظْلَمُونَ) بالتاءِ على الخطاب(٤).

و«الفتيل»: هو ما فتل، فهو فعيل بمعنى: مفعول، وقال ابن عباس(٥)، وعطاءٌ،

---

(١) انظر: تفسير مجاهد (ص: ١٦١)، وتفسير الطبري (٨/ ٤٦٢) وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٢)، وفي السليمانية وفيض الله: «عليهم»، بدل: «لهم».

(٢) أخرجه الطبري (٩٧٤٣)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، والعوفي ضعيف.

(٣) صحيح: هذا الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ١٢٨)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٨٢٤)، وغيرهم، من طريق قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، عن عبد الله: يأتي الرجل الرجل لا يملك له ولا لنفسه ضراً ولا نفعاً، فيحلف له أنك كيت، ولعله لا يتحلى منه بشيء، فيرجع وما فيه من دينه شيء، ثم قرأ عبد الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۞ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾.

(٤) هي قراءة قتادة كما في الشواذ للكرماني (ص: ١٣٧) وزاد خارجة عن نافع، والهذلي في الكامل (ص: ٥٢٨)، وزاد عبد الحميد بن بكار عن ابن عامر، وإسماعيل عن شيبة، ونافع... ونفى الداني في التيسير (ص: ٩٦) وجامع البيان (٣/ ١٠١٤) الخلاف فيها هنا.

(٥) أخرجه الطبري (٩٧٥٢)، وابن أبي حاتم (٥٤٣٥)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنه.

ومجاهد، وغيرهم: الفَتيل: هو الخيط الذي في شق نواة التمرة، وقال ابن عباس[١]، وأَبو مالك، والسدي: هو ما خرج من بين إِصبعيك أَو كفيك إِذا فتلتهما[٢].

وهذا كله يرجع إِلى الكناية عن تحقير الشيء وتصغيره، وأَن الله لا يظلمه، ولا شيءَ دونه في الصغر، فكيف بما فوقه، ونصبه على مفعول ثان بـ﴿يُظْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ﴾ الآية، يبين أَن تزكيتهم أَنفسهم كانت بالباطل والكذب، ويقوي أَن التزكية كانت بقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]؛ إِذ الافتراءُ في هذه المقالة أَمكن.

و﴿كَيْفَ﴾: يصحُّ أَن يكون في موضع نصب بـ﴿يَفْتَرُونَ﴾، ويصح أن يكون في موضع رفع بالابتداءِ، والخبرُ في قوله: ﴿يَفْتَرُونَ﴾.

و﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ خبر في مضمنه تعجُّبٌ وتعجيب من الأمر؛ ولذلك دخلت الباءُ لتدل على معنى الأَمر بالتعجب، وأَن يكتفى لهم بهذا الكذب إِثماً، ولا يطلب لهم غيره؛ إِذ هو موبق ومهلك، و﴿إِثْمًا﴾ نصب على التمييز.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية؛ ظاهرها يعم اليهود والنصارى، ولكن أَجمع المتأَولون على أَن المراد بها طائفة من اليهود، والقصص يبين ذلك.

واختلف في (الجبت) و(الطاغوت): فقال عكرمة وغيره: هما في هذا الموضع صنمان كانا لقريش، وذلك أَنَّ كعب بن الأَشرف وجماعة معه وردوا مكة محرضين على قتال رسول الله ﷺ، فقالت لهم قريش: إِنكم أَهل كتاب، ومحمد صاحب كتاب،

(١) أخرجه الطبري (٩٧٤٥-٩٧٤٦-٩٧٤٧-٩٧٤٨)، وابن أبي حاتم (٥٤٣٤)، من طرق عن عبد الله ابن عباس، رضي الله عنه، وهو صحيح.

(٢) في الحمزوية: «قبضتهما»، وانظر أقوال هؤلاء في تفسير مقاتل (٢/ ٢٦٦)، ومجاز القرآن (٦٧)، وتفسير الطبري (٨/ ٤٥٧)، وما بعده، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٠٩).

ونحن لا نأْمنكم أَن تكونوا معه إِلا أَن تسجدوا لهذين الصنمين اللَّذين لنا، ففعلوا، ففي ذلك نزلت هذه الآية[١].

وقال ابن عباس: الجِبْت هنا: حُيَيُّ بن أَخطب، والطاغوت: كعب بن الأَشرف[٢]، فالمراد على هذا بالآية[٣]: القوم الذين كانوا معهما من بني إِسرائيل لإِيمانهم بهما، واتِّباعهم لهما، وقال ابن عباس: الجِبْت: الأَصنام، والطاغوت: القوم المترجمون عن الأَصنام، الذين يضلون الناس بتعليمهم إِياهم عبادة الأَصنام[٤].

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أَنه قال: الجِبْت: السحر، والطاغوت: الشيطان[٥]، [وقاله مجاهد والشعبي.

وقال زيد بن أَسلم: الجِبْت: الساحر، والطاغوت: الشيطان][٦].

وقال سعيد بن جبير، ورفيع: الجِبْت: الساحر، والطاغوت: الكاهن.

وقال قتادة: الجِبْت: الشيطان، والطاغوت: الكاهن، وقال سعيد بن جبير أَيضاً: الجِبْت: الكاهن[٧]، والطاغوت: الشيطان.

وقال ابن سيرين: الجِبْت: الكاهن، والطاغوت: الساحر.

---

(١) أخرجه الطبري (٩٧٨٩)، عن عكرمة مرسلًا، وانظر: تفسير عبدالرزاق (١/ ١٦٥).

(٢) أخرجه الطبري (٩٧٨٢)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٣) في المطبوع: «فالمراد على هذه الآية».

(٤) أخرجه الطبري (٩٧٦٥)، وابن أبي حاتم (٥٤٦١)، من طريق عطية العوفي، عن عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، والعوفي ضعيف.

(٥) أخرجه الطبري (٥٨٣٤، ٥٨٣٥، ٩٧٦٦، ٩٧٦٧)، وابن أبي حاتم (٥٤٤٩،٥٤٤٣)، من طريق حسان بن فائد العبسي عن عمر، وحسان بن فائد ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٣٠) وقال: سمع عمر، روى عنه أبو إسحاق، يعد في الكوفيين، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣/ ٢٣٣) وقال: شيخ، وذكره ابن حبان في الثقات (٤/ ١٦٣).

(٦) ساقط من نجيبويه.

(٧) في المطبوع: «الشيطان»، بدل: «الكاهن».

وقال مجاهد في كتاب الطبري: الجِبْت: كعب بن الأَشرف، والطاغوت: الشيطان كان في صورة إِنسان[١].

قال القاضي أبو محمد: فمجموع هذا يقتضي أَن الجبت والطاغوت هو كل ما عُبد وأُطيع من دون الله، وكذلك قال مالك رحمه الله: الطاغوت: كل ما عُبد من دون الله تعالى[٢].

وذكر بعض الناس أَن الجِبْت هو من لغة الحبشة، وقال قُطْرُب: الجِبْت: أَصله الجبس، وهو الثقيل الذي لا خير عنده[٣].

وأَما الطاغوت؛ فهو مَنْ طَغى، أَصله طَغَوُوت، وزنه: فعلوت، وتاؤُه زائدة، قلب فردَّ: فَلْعوت[٤]، أَصله: طوغوت، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فانقلبت أَلفاً.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية؛ سببها: أَن قريشاً قالت لكعب ابن الأَشرف حين ورد مكة: أَنت سيدنا وسيد قومك، إِنا قوم ننحر الكَوْماءَ، ونَقْري الضيف، ونصل الرحم، ونسقي الحجيج، ونعبد آلهتنا التي وجدنا آباءَنا يعبدون، وهذا الصنبور المنبتر[٥] من قومه، قد قطع الرحم، فمن أَهدَى، نحن أَو هو؟ فقال كعب: أَنتم أَهدى منه، وأَقوم ديناً، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس[٦].

---

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١١٠)، ومع قول مجاهد في تفسير الطبري (٨/ ٤٦٢).

(٢) انظر قول مالك في: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٣٦٢).

(٣) في السليمانية: «قال الطبري»، وانظر قول قطرب في معاني القرآن للنحاس (١/ ٢٧١).

(٤) في السليمانية وفيض الله: «فلطوت»، بدل: «فلعوت».

(٥) في الأصل: «المنتتر»، في نجيبويه: «المتثر»، والمنبتر: المنقطع.

(٦) إسناده مستقيم، أخرجه النسائي في الكبرى (١١٧٠٧)، والطبري (٢٤/ ٦٥٨)، وابن حبان في صحيحه (٦٥٧٢)، من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة، عن عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت له قريش: أنت خير أهل المدينة وسيدهم، قال: نعم، قالوا: =

وحكى السدي أن أَبا سفيان خاطب كعباً بهذه المقالة[1]، فالضمير في: ﴿يَقُولُونَ﴾ عائد على كعب على ما تقدم، أَو على الجماعة من بني إِسرائيل التي كانت مع كعب؛ لأَنها قالت بقوله في جميع ذلك على ما ذكر بعض المتأَولين.

و(الذين كفروا) في هذه الآية هم قريش، والإشارة بـ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إِليهم.

و﴿أَهْدَىٰ﴾: وزنه: أَفعل، وهو للتفضيل، والَّذِينَ آمَنُوا هم النبي ﷺ وأُمته.

و﴿سَبِيلًا﴾: نصب على التمييز.

وقالت فرقة: بل المراد في الآية من بني إِسرائيل هو حُيَيُّ بن أَخطب، وهو المقصود من أَول الآيات، والمشار إِليه بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هم المراد من بني إِسرائيل، فمن قال: كانوا جماعة فذلك مستقيم لفظاً ومعنى، ومن قال: هو كعب أَو حُيَيُّ فعبر عنه بلفظ الجمع؛ لأَنه كان متبوعاً، وكان قوله مقترناً بقول جماعة.

و﴿لَعَنَهُمُ﴾ معناه: أَبعدهم من خيره ومَقَتَهُمْ، ومن يفعل الله ذلك به ويخذله فلا ناصر له من المخلوقين، وإِن نصرته طائفة فنُصرتها كَلاَ نُصْرة؛ إِذ لا تغني عنه شيئاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾.

عُرف ﴿أَمْ﴾: أَن تعطف بعد استفهام متقدم، كقولك: أَقام زيد أَم عمرو؟ فإِذا وردت ولم يتقدمها استفهامٌ؛ فمذهب سيبويه: أَنها مُضَمَّنة معنى الإِضراب عن الكلام الأَول والقطع عنه، وهي مُضَمَّنة مع ذلك معنى الاستفهام، فهي بمعنى «بل» مع أَلف

= ألا ترى إلى هذا المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن؛ يعني: أهل الحجيج وأهل السدانة، قال: أنتم خير منه، فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، ونزلت ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾.

(١) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٤٦٨).

الاستفهام، كقول العرب: إِنها لإِبلٌ أَم شاءٌ؟ فالتقدير عند سيبويه: إِنها لإِبل بل أَهي شاءٌ؟[١].

[١/ ٣٢٣] وكذلك/ هذا الموضع، تقديره: بل أَلَهُمْ نصيبٌ من المُلْك؟ وقد حُكي عن بعض النحويين أَن «أَم» يُستفهم بها ابتداءً دون تقدم استفهام[٢]، حكاه ابن قتيبة في المشكل[٣]، وهذا غير مشهور للعرب.

وقال بعض المفسرين: ﴿أَمْ﴾ بمعنى: «بل»، ولم يذكروا الأَلف اللازمة، فأَوجبوا ـ على هذا ـ حصول المُلْك للمذكورين في الآية، والتزموا ذلك وفسروا عليه، فالمعنى عندهم: بل هم ملوك أَهل دُنْيا وعُتُو وتَنَعُّم لا يبغون غيره، فهم بخلاءُ به، حريصون على أَلا يكون ظهور لسواهم.

قال القاضي أَبو محمد: والمعنى على الأَرجح الذي هو مذهب سيبويه والحذاق: أَنه استفهامٌ على معنى الإِنكار؛ أَي: أَلَهُمْ مُلْك؟ فإِذاً لو كان[٤] لَبَخِلُوا به.

وقرأَ ابن مسعود: (فَإِذاً لا يُؤْتُوا) بغير نون[٥]، على إِعمال «إِذاً»، والمصحف على إِلغائها، والوجهان جائزان، وإِن كانت صدراً من أَجل دخول الفاءِ عليها.

و«النقير»: أَعرف ما فيه أَنها النكتة التي في ظهر النواة من التمرة، ومن هنالك تنبت، وهو قول الجمهور، وقالت فرقة: هي النقطة التي في بطن النواة[٦].

---

(١) كتاب سيبويه (٣/ ١٧٢-١٧٤).

(٢) كالخليل في العين (٨/ ٤٣٥)، والجمل في النحو (١/ ٣٣٩)، وأبي عبيدة، كما في الصاحبي لابن فارس (١/ ٣٠)، والارتشاف لأبي حيَّان: (٢/ ٦٣١)، وانظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٤٤٨).

(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص: ٥٤٦).

(٤) في الأصل ونجيبويه: «كانوا».

(٥) تفسير الثعلبي (٣/ ٣٢٨)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٥٠).

(٦) انظر القولين في تفسير الطبري (٨/ ٤٧٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٠٩)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٣٧٩).

وروي عن ابن عباس أنه قال: هو نَقْر الإِنسان بإصبعه[١]، وهذا كله يجمعه أنه كناية عن الغاية في الحقارة والقلة، على مجاز العرب واستعارتها.

و(إذاً) في هذه الآية: مُلْغَاة؛ لدخول فاءِ العطف عليها، ويجوز إِعمالها، والإِلغاءُ أَفصح؛ وذلك أَنها إِذا تقدمت أُعملت قولاً واحداً، [وإذا توسطت أعملت قولاً واحداً][٢]، فإِذا دخل عليها ـ وهي متقدمة ـ فاءٌ أَو واو؛ جاز إِعمالها، والإلغاء أَفصح، وهي لغة القرآن.

وتكتب «إِذاً» بالنون وبالأَلف، فالنون هو الأَصل، كَـ«عَنْ» و«مَنْ»، وجاز كتبها بالأَلف؛ لصحة الوقوف عليها، فأشبهت نون التنوين، ولا يصح الوقوف على «عن» و«من».

وقوله تعالى: ﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ الآية؛ ﴿ أَمۡ ﴾ هذه على بابها؛ لأَن الاستفهام الذي في تقديرنا: «بل لَهُم» قد تقدمها.

اختلف المتأَولون في المراد بـ﴿ٱلنَّاسَ﴾ في هذا الموضع:

فقال ابن عباس[٣]، ومجاهد، وعكرمة، والسدي، والضحاك: هو النبي ﷺ، والفضل: النبوة فقط[٤]، والمعنى: فَلِمَ تخصُّونهم[٥] بالحسد ولا يحسدون آل إِبراهيم في جميع ما آتيناهم من هذا وغيره من الملك؟

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري في التفسير (٩٨١١)، عن سفيان بن وكيع، عن أبيه، عن يزيد بن درهم أبي العلاء قال، سمعت أبا العالية: ووضع ابن عباس طرف الإبهام على ظهر السبابة، ثم رفعهما وقال: هذا النقير، وسنده ضعيف؛ لضعف سفيان بن وكيع.

(٢) ساقط من المطبوع.

(٣) أخرجه الطبري (٩٨١٧)، وابن أبي حاتم (٥٤٧٠)، من طريق عطية العوفي، عن عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، والعوفي ضعيف.

(٤) انظر الأقوال في تفسير الطبري (٨/ ٤٧٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٨)، وتفسير الماوردي (١/ ٤٩٦).

(٥) في الحمزوية والمطبوع والسليمانية وفيض الله وجار الله: «يخصونه».

وقال ابن عباس، والسدي أَيضاً: هو النبي ﷺ، والفضل: ما أُبيح له من النساءِ فقط[١].

وسبب الآية عندهم: أَنَّ اليهود قالت [لكفار العرب][٢]: انظروا إِلى هذا الذي يقول: إِنه بعث بالتواضع، وإِنه لا يملأُ بطنه طعاماً، ليس همه إِلا في النساءِ، ونحو هذا، فنزلت الآية[٣].

والمعنى: فَلِمَ يخصونه بالحسد ولا يحسدون آل إِبراهيم؟ يعني سليمان وداود، في أَنهما أُعطيا النبوة والكتاب، وأُعطيا مع ذلك مُلْكاً عظيماً في أَمر النساءِ، وهو ما روي أَنه كان لسليمان سبع مئة امرأَة، وثلاث مئة سُـرِّيَّة، ولداود مئة امرأَة[٤]، ونحو هذا من الأَخبار الواردة في ذلك، فالمُلْك في هذا القول إِباحة النساءِ كأَنه المقصود أَولاً بالذكر.

وقال قتادة: ﴿ٱلنَّاسَ﴾ في هذا الموضع: العرب، حسدتها بنو إِسرائيل في أَن كان النبي ﷺ منها، و«الفضل» على هذا التأويل: هو محمد ﷺ[٥]، فالمعنى: لِمَ يحسدون العرب على هذا النبي ﷺ، وقد أُوتي آل إِبراهيم ﷺ ـ وهم أَسلافهم ـ أَنبياء وكتباً كالتوراة والزبور، وحكمةً وهي الفهم في الدين، وما يكون من الهدي مما لم ينص عليه الكتاب.

وروي عن ابن عباس أَنه قال: نحن الناس[٦]؛ يريد: قريشاً.

و﴿مُّلۡكًا عَظِيمًا﴾؛ أَي: ملك[٧] سليمان، قاله ابن عباس[٨]، وقال مجاهد: المُلْكُ

---

(١) أخرجه الطبري (٩٨٢٣)، بإسناد فيه عطية العوفي، وهو ضعيف.

(٢) ساقط من الأصل ونجيبويه.

(٣) أخرجه الطبري (٩٨٢٩)، وابن أبي حاتم (٥٤٧٩)، وفيه عطية العوفي.

(٤) أخرجه الطبري (٩٨٢٨)، عن السدي، فذكره.

(٥) انظر الطبري (٨/ ٤٧٩، وما بعدها)، وتفسير الماوردي (١/ ٤٩٦).

(٦) ضعيف، أخرجه الطبراني في الكبير (١١٣١٣)، وفيه يحيى الحماني، وهو ضعيف.

(٧) «ملك»: ليست في المطبوع.

(٨) أخرجه الطبري (٩٨٢٩)، من طريق عطية العوفي، عن عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما.

العظيم في الآية هو النبوة، وقال همام بن الحارث[١]، وأَبو مسلمة[٢]: هو التأييد بالملائكة.

قال القاضي أَبو محمد: والأَصوب: أَنه مُلْك سليمان، أَو أَمر النساءِ في التأويل المتقدم.

وقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ الآية، اختلف المتأَولون في عود الضمير من ﴿بِهِۦ﴾:

فقال الجمهور: هو عائد على القرآن الذي في قوله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ [النساء: ٤٧]، فأَعلم الله أَن منهم من آمن كما أَمر؛ فلذلك ارتفع الوعيد بالطمس ولم يقع، وصدَّ قومٌ ثبت الوعيد عليهم في الآخرة بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾، وقالت فرقة: الضمير عائد على إبراهيم، وحكى مكي في ذلك قصصاً ليست بالثابتة[٣]، وقالت فرقة: هو عائد على الفضل الذي آتاه الله النبي ﷺ، أَو العرب [على ما تقدم][٤].

قال القاضي أَبو محمد: وقرأَت فرقة: (صُدَّ عَنْهُ) بضم الصاد، على بناءِ الفعل للمفعول[٥].

---

(١) همام بن الحارث النخعي يروي عن: عمر، وعمار، والمقداد بن الأسود، وحذيفة وجماعة، روى عنه: إبراهيم النخعي، وسليمان بن يسار، ووبرة بن عبد الرحمن، وثقه يحيى بن معين، وقال ابن سعد: توفي زمن الحجاج، تاريخ الإسلام (٥/ ٥٣٥)، وانظر قوله في تفسير الطبري (٨/ ٤٨١)، والسمعاني (١/ ٤٣٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١١٥).

(٢) في الحمزوية: «ابن مسلمة»، وفي نجيبويه والأصل: «أبو أمامة»، ولم أجد قوله إلا في البحر المحيط (٣/ ٦٧٨).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/ ١٣٥٩-١٣٦٠).

(٤) ساقط من الأصل ونجيبويه.

(٥) شاذة، عزاها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٣٣) لابن مسعود، وابن عباس، وزاد الكرماني (ص: ١٣٧): إبراهيم.

و﴿سَعِيرًا﴾ معناه: احتراقاً وتلهُّباً، والسعير: شدة توقد النار، فهذا كناية عن شدة العذاب والعقوبة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾.

تقدم في الآيات وصف المردة من بني إِسرائيل، وذكر أَفعالهم وذنوبهم، ثم جاءَ بالوعيد النصُّ لهم بلفظ جَلِيٍّ عامٍّ لهم ولغيرهم ممن فعل فعلهم من الكفر.

والقراءَة المشهورة: ﴿نُصْلِيهِمْ﴾ بضم النون، من أصلَيْت، ومعناه: قربت من النار وألقيت فيها، وهو معنى: صَلَّيت، بتشديد اللام.

وقرأ حميد: (نَصْلِيهِمْ)[١] من: صَلَيْت، ومعناه[٢]: شويت[٣]، ومنه الحديث: أُتي رسول الله ﷺ بشاة مَصْلِيَّة؛ أَي: مشوية، وكذا وقع تصريف الفعل في العين وغيره.

وقرأ سلام، ويعقوب: ﴿نُصْلِيْهُم﴾ بضم الهاء[٤].

واختلف المتأَولون في معنى تبديل الجلود:

فقالت فرقة: تبدل عليهم جلودٌ أغيار[٥]؛ إِذ نفوسهم هي المعذبة، والجلود لا تألم في ذاتها؛ فإِنها[٦] تبدل ليذوقوا تجديد العذاب.

---

(١) انظر عزوها له في تفسير الثعلبي (٣/ ٣٣٠)، والمحتسب (١/ ١٩٠).

(٢) في المطبوع هنا زيادة: «ومعناه: صَلَيْت»، وكأنها تكرار لما قبلها وإن اختلف التشكيل.

(٣) في الأصل ونجيبويه: «أشويت».

(٤) على قاعدتهما في الباب، وانظر مذهب يعقوب في النشر في القراءات العشر (١/ ٢٧٢).

(٥) في المطبوع: «غيرها».

(٦) في نور العثمانية وفيض الله: «فإنما».

وقالت فرقة: تبديل الجلود هو إِعادة ذلك الجلد بعينه الذي كان في الدنيا، تأْكله النار ويعيده الله دأَباً لتجدد العذاب، وإِنما سماه تبديلاً؛ لأَن أَوصافه تتغير ثم يعاد، كما تقول: بدل من خاتمي هذا خاتماً، وهي فضته بعينها، فالبدل إِنما وقع في تغيير الصفات.

وقال / ابن عمر: كلما احترقت جلودهم بدلوا جلوداً بيضاءَ كالقراطيس[١]. [١/ ٣٢٤]

وقال الحسن بن أَبي الحسن: تبدل عليهم في اليوم سبعين أَلف مرة[٢].

وقالت فرقة: «الجلود» في هذا الموضع سرابيل القَطِران، سماها جلوداً؛ للزومها، فصارت كالجلود، وهي تبدل دأَباً، عافانا الله من عذابه برحمته، [حكاه الطبري][٣].

وحسُن الاتصاف بعد هذه المقدمات بالعزة والإحكام؛ لأَن الله لا يغالبه مغالب إِلا غلبه الله، ولا يفعل شيئاً إِلا بحكمة وإِصابة، لا إِله إِلا هو تبارك وتعالى.

ولَمَّا ذكر الله وعيد الكفار؛ عقَّب بوعد المؤمنين بالجنة على الإِيمان والأَعمال الصالحة.

وقرأَ ابن وثاب والنخعي: (سَيُدْخِلُهُم) بالياءِ، وكذلك (يُدْخِلُهم) بعد ذلك[٤].

وقد تقدم القول في معنى ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ في سورة البقرة.

و﴿مُّطَهَّرَةٞ﴾ معناه: من الريب[٥] والأقذار التي هي معهودات في الدنيا.

و﴿ظَلِيلًا﴾ معناه عند بعضهم: يقي الحرَّ والبرد، ويصح أَن يريد أَنه ظل لا

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (٩٨٣٣)، وابن أبي حاتم (٥٤٩٤) من طريق ثوير بن أبي فاختة، عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنه، وثوير هو سعيد بن علاقة، ضعيف.

(٢) نقله عنه ابن المبارك في الزهد (٢/ ٩٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٥٢)، وابن أبي حاتم في التفسير (٣/ ٩٨٣).

(٣) سقط من الأصل، وانظر: تفسير الطبري (٨/ ٤٨٧).

(٤) «النخعي» ليس في المطبوع، ولم أجد عزوها له إلا في البحر المحيط (٣/ ٦٨١)، وهي لابن وثاب في مختصر الشواذ (ص: ٣٣)، والشواذ للكرماني (ص: ١٣٧)، وفي نور العثمانية بدل «ابن وثاب»: «ابن ثابت».

(٥) في الحمزوية: «الذنب».

يستحيل ولا ينتقل، كما يفعل ظل الدنيا، فأَكده بقوله: ﴿ظَلِيلًا﴾ لذلك، ويصح أَن يصفه بظليل؛ لامتداده، فقد قال ﷺ: «إِن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمَّر في ظلها مئة سنة ما يقطعها»[(١)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾.

قال علي بن أَبي طالب، رضي الله عنه[(٢)]، وزيد بن أَسلم، وشهر بن حوشب، وابن زيد: هذا خطاب لولاة المسلمين خاصة[(٣)].

قال القاضي أَبو محمد: فهو للنبي ﷺ وأُمرائه، ثم يتناول مَن بعدهم.

وقال ابن جريج وغيره: ذلك خطاب للنبي ﷺ خاصة في أَمر مفتاح الكعبة حين أَخذه من عثمان بن طلحة بن أَبي طلحة العَبْدَري[(٤)]، ومن ابن عمه شيبة بن عثمان بن أَبي طلحة[(٥)]، فطلبه العباس بن عبد المطلب لتنضاف له السَّدانة إلى السِّقاية، فدخل

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦١٨٦)، ومسلم (٢٨٢٨)، من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) منقطع، أخرجه الطبري (٩٨٤١) من طريق مصعب بن سعد قال، قال علي رضي الله عنه كلماتٍ أصاب فيهن: حقٌّ على الإمام أن يحكم بما أنزل الله، وأن يؤدِّيَ الأمانة، وإذا فعل ذلك، فحقٌّ على الناس أن يسمعوا، وأن يُطيعوا، وأن يجيبوا إذا دُعوا، وسنده منقطع؛ لعدم سماع مصعب بن سعد ابن أبي وقاص من علي بن أبي طالب، كما قاله: أبو زرعة، وانظر: جامع التحصيل (٧٦٩).

(٣) انظر مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٤٢١)، والطبري (٨/ ٤٩٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٨٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٢٠).

(٤) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة واسمه عبد الله بن عبد العزَّى بن عثمان ابن عبد الدار، حاجب البيت، أسلم في هدنة الحديبية، وهاجر، وشهد الفتح مع النبيّ ﷺ، فأعطاه مفتاح الكعبة، توفي سنة (٤٢هـ)، وقيل: استشهد بأجنادين، الإصابة (٤/ ٣٧٣).

(٥) هو شيبة بن عثمان، وهو الأوقص بن أبي طلحة بن عبد الله بن عبد العزَّى بن قصي، أسلم يوم الفتح، =

رسول ﷺ الكعبة فكسر ما كان فيها من الأَوثان، وأَخرج مقام إِبراهيم، ونزل عليه جبريل بهذه الآية، قال عمر بن الخطاب: وخرج رسول الله ﷺ وهو يقرأُ هذه الآية، وما كنت سمعتها قبل منه، فدعا عثمان وشيبة، فقال لهما: خذاها خالدةً تالدةً، لا ينزعها منكم إلا ظالم(١).

وحكى مكي أن شيبة أَراد أَلا يدفع المفتاح، ثم دفعه وقال للنبي ﷺ: خذه بأَمانة الله(٢).

قال القاضي أَبو محمد: واختلف الرواة في بعض أَلفاظ هذا الخبر زيادة ونقصاناً، إِلا أَنه المعنى بعينه.

وقال ابن عباس: الآية في الولاة بأَن يعظوا النساءَ في النشوز ونحوه، ويردُّوهنَّ إِلى الأَزواج(٣)، والأظهر في الآية: أَنها عامة في جميع الناس.

ومع أَن سببها ما ذكرناه، فهي تتناول الولاة فيما إِليهم من الأَمانات في قسمة الأَموال، ورد الظلامات، وعدل الحكومات، وغيره، وتتناولهم ومن دونهم من الناس في حفظ الودائع، والتحرز في الشهادات، وغير ذلك، كالرجل يحكم في الودائع

= وكان ممن ثبت يوم حنين بعد أن كان أراد أن يغتال النبيَّ ﷺ، فقذف الله في قلبه الرُّعب، توفي سنة (٥٩هـ) أو بعدها، الإصابة (٣/ ٢٩٨).

(١) ضعيف مرسل، أخرجه الطبري (٩٨٤٦)، من طريق الحسين، عن حجاج، عن ابن جريج به، والحسين هو: سنيد بن داود المصيصي ضعيف، ورواه الطبراني في الكبير (١١٢٣٤)، وفي الأوسط (٤٨٨)، وابن عدي في الكامل (٤/ ١٣٧)، من طريق عبد الله بن مؤمل، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، وسنده ضعيف؛ لضعف عبد الله بن مؤمل، وهو على كل حال مرسل.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٩٨٤٦)، عن ابن جريج فذكره بنحوه، وانظر: الهداية لمكي (٢/ ١٣٦٥ - ١٣٦٦).

(٣) أخرجه الطبري في التفسير (٩٨٤٥)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما.

والتحرُّز في الشهادات، وغير ذلك، كالرجل يحكم في نازلة ما ونحوه، والصلاةُ والزكاة والصيام وسائر العبادات أَمانات لله تعالى، وقال ابن عباس: لم يرخص الله لموسر ولا لمعسر أَن يمسك الأَمانة(١).

و﴿نِعِمَّا﴾ أَصله: «نِعْم مَا»، سكنت الميم الأُولى وأُدغمت في الثانية، وحركت العين؛ لالتقاء الساكنين، وخصت بالكسر إِتباعاً للنون، و«ما» المردفة على «نِعْم» إِنما هي مهيئة لاتصال الفعل بها، كما هي في «ربَّما» و«مِمَّا» في قوله: وكان رسول الله ﷺ ممَّا يحرك شفتيه(٢)، وكقول الشاعر:

[الطويل] وَإِنَّـا لَمِمَّـا نَضْـرِبُ الكَبْـشَ ضَرْبَةً ... عَلَى رَأْسِهِ تُلْقِي اللِّسَانَ مِنَ الفَمِ(٣)

ونحوه، وفي هذا هي بمنزلة «ربَّما»، وهي لها مخالفة في المعنى؛ لأَن «ربما» معناها التقليل، و«مِمَّا» معناها التكثير، ومع أَن «ما» موطئة فهي بمعنى «الذي»، وما وطَّأَت إِلا وهي اسم، ولكن القصد إِنما هو لما يليها من المعنى الذي في الفعل.

وحسُنَ الاتصاف بعد هذه المقدمات بالسمع والبصر؛ لأَنها في الشاهد محصلات ما يفعل المأْمور فيما أُمر به.

وقوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾؛ لما تقدَّم إلى الولاة في الآية المتقدمة، تقدم في هذه إِلى الرعية، فأَمر بطاعته عز وجل، وهي: امتثال أَوامره ونواهيه، وطاعة رسوله، وطاعة الأُمراءِ على قول الجمهور: أَبي هريرة(٤)، وابن عباس(٥)، وابن

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٩٨٤٩)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، وعطية العوفي ضعيف.
(٢) صحيح البخاري (٥)، من حديث عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما.
(٣) البيت لأبي حية النمري كما في الكتاب لسيبويه (٣/ ١٥٦)، والمقصود بالكبش: رئيس القوم يقارع دونهم ويحميهم.
(٤) صحيح، أخرجه الطبري (٩٨٥٦)، وابن أبي حاتم (٥٥٣٢)، من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة.
(٥) متفق عليه، أخرج البخاري (٤٣٠٨)، ومسلم (١٨٣٤)، من رواية ابن جريج قال: أخبرني يعلى بن =

زيد، وغيرهم[١]، [فالأمر على هذا التأويل هو ضد النهي، ومنه لفظة الأمير][٢].

وقال جابر بن عبد الله، ومجاهد، وجماعة: أُولو الأَمر: أَهل القرآن والعلم، فالأَمر على هذا التأويل إِشارة إِلى القرآن والشريعة، أَي: أُولي هذا الأَمر وهذا الشأْن.

وحكى الطبري عن مجاهد أَنه قال: الإِشارة هنا بأُولي الأَمر إِلى أَصحاب محمد ﷺ خاصة، وحكي عن عكرمة: أَنها إِشارة إِلى أَبي بكر وعمر خاصة[٣]، وفي هذا التخصيص بُعْدٌ.

وحكى بعض من قال: إِنهم الأُمراءُ: أَنها نزلت في أُمراءِ رسول الله ﷺ، [وكان السبب: أَن رسول الله ﷺ][٤] بعث سرية فيها عمار بن ياسر، وأَميرها خالد بن الوليد، فقصدوا قوماً من العرب، فأَتاهم نذير فهربوا تحت الليل، وجاءَ منهم رجل إِلى عسكر خالد، فدخل إِلى[٥] عمار، فقال: يا أَبا اليَقْظان، إِن قومي قد فرُّوا، وإِني قد أَسلمت، فإِن كان ينفعني إِسلامي بقيت، وإِلا فررت، فقال له عمار: هو ينفعك فأَقم.

فلما أَصبحوا أَغار خالد فلم يجد سوى الرجل المذكور، فأَخذه وأَخذ ماله، فجاءَ عمار فقال: خَلِّ عن الرجل فإِنه قد أَسلم، وإِنه في أَمانٍ مني، فقال خالد: وأَنت تجير؟ فاستبا وارتفعا إِلى رسول الله ﷺ، فأَجاز أَمان عمار، ونهاه أَن يجير الثانية على أَمير، واستبَّا عند رسول الله ﷺ، فقال خالد: يا رسول الله، أَتترك هذا العبد الأَجدع

= مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: نزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩] في عبد الله بن حُذافة بن قيس بن عدي السهمي، بعثه النبي ﷺ في سرية.

(١) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٤٩٨).

(٢) ما بين معكوفين ساقط من المطبوع.

(٣) «عمر»: سقط من الأصل ونجيبويه، وهي ثابتة في كلام عكرمة في تفسير الطبري (٥/ ٥٠٢)، وليس فيه لفظ: «خاصة».

(٤) سقط من الأصل ونجيبويه.

(٥) في السليمانية وفيض الله: «على».

[١/ ٣٢٥] يسبني؟ فقال رسول الله ﷺ / : «يا خالد، لا تسب عماراً، فإنه من سبَّ عماراً سبه الله، ومن أَبغض عماراً أبغضه الله، ومن لعن عماراً[١] لعنه الله»، فغضب عمار فقام فذهب، فتبعه خالد حتى اعتذر إِليه، فتراضيا، فأَنزل الله عز وجل قوله: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[٢].

[وطاعة الرسول هي: اتباع سنته، قاله عطاءٌ وغيره، وقال ابن زيد معنى الآية: وأَطيعوا الرسول][٣].

قال القاضي أَبو محمد: يريد: وسُنَّته بعد موته.

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ﴾؛ المعنى: فإِن تنازعتم فيما بينكم، أَو أَنتم وأُمراؤُكم، ومعنى التنازع: أَن كل واحد ينتزع حجة الآخر ويذهبها.

و«الردُّ إِلى الله»: هو النظر في كتابه العزيز، و«الردُّ إِلى الرسول»: هو سؤاله في حياته، والنظر في سنته بعد وفاته ﷺ، هذا قول مجاهد، والأَعمش، وقتادة، والسدي[٤]، وهو الصحيح.

وقال قوم: معناه: قولوا: الله ورسوله أَعلم، فهذا هو الردُّ.

وفي قوله: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ بعض وعيد؛ لأَن فيه جزاء المسيءِ العاتي.

---

(١) في الأصل: «خالداً»، وهو خلاف الصواب.

(٢) أخرجه الطبري (٩٨٦١)، وابن أبي حاتم (٥٥٣١)، عن أسباط بن نصر الهمداني، عن السدي، فذكره، مرسلاً، ورواه ابن مردويه في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦/ ٢٣٥)، من طريق الحكم بن ظهير عن السدي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، مرفوعاً. والحكم بن ظهير الفزاري متروك.

(٣) ساقط من نجيبويه، وانظر القولين في تفسير الطبري (٨/ ٤٩٦)، إلا أنه سقط من قول ابن زيد: «إن كان حياً».

(٤) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٤٩٨)، وتفسير الماوردي (١/ ٤٩٩).

وخاطبهم بـ: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ وهم قد كانوا آمنوا على جهة التقرير[١]؛ ليتأكد الإلزام.

و﴿تَأْوِيلًا﴾ معناه: مآلاً، على قول جماعة، وقال مجاهد: المعنى أحسن جزاءً، وقال قتادة، والسدي، وابن زيد: المعنى: أَحسن عاقبة[٢]، وقالت فرقة: المعنى: إن الله ورسوله أَحسن نظراً وتأَولاً منكم إذا انفردتم بتأَولكم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾.

تقول العرب: «زعم فلان كذا» في الأَمر الذي يضعف فيه التحقيق، وتتقوَّى فيه شُبَهُ الإبطال، فغاية درجة الزعم إذا قوي أَن يكون مظنوناً.

يقال: زَعْمٌ بفتح الزاي، وهو المصدر، وزُعْم بضمها، وهو الاسم، وكذلك زعْم المنافقين أَنهم يؤمنون هو ممَّا قويت فيه شبهة الإبطال لسوءِ أَفعالهم، حتى صححها الخبر من الله تعالى عنهم، ومن هذا قول النبي ﷺ: «بئس مَطية الرجل: زعموا»[٣]، وقد قال الأَعشى:

---

(١) في المطبوع: «التقدير».

(٢) تفسير الطبري (٨/ ٤٩٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٩٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٢٤).

(٣) في إسناده اضطراب، وفيه إرسال، أخرجه أحمد في مسنده (٣٨ / ٤٠٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٦٢)، وأبو داود (٤٩٧٤)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٧٣)، وغيرهم من طريق الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي قلابة: أن أبا عبد الله قال لأبي مسعود ـ أو أبو مسعود ـ قال لأبي عبد الله ـ يعني: حذيفة ـ: مَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي زَعَمُوا قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ».

وقد رواه الحسن بن سفيان في مسنده كما في المقاصد الحسنة (١/ ٢٤٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٧٣)، من طريق الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني =

[المتقارب] وَنُـبِّـئْـتُ قَـيْـسـاً ولَـــمْ أَبْـلُـه كَمَـا زَعَمُـوا خَيْرَ أَهْـلِ الْيَمَنْ[١]

فقال الممدوح: وما هو إِلا الزعم، وحرَمه[٢]، وإِذا قال سيبويه: زَعَم الخليلُ فإِنما يستعملها فيما انفرد الخليل به، وكان أَقوى رتب «زعم» أَن تبقى معها عُهْدة الخبر على المخبر، و﴿أَنَّ﴾ معمولة لـ﴿يَزْعُمُونَ﴾.

وقال عامر الشعبي وغيره: نزلت الآية في منافق اسمه بِشْر، خاصم رجلاً من اليهود، فدعاه اليهودي إِلى المسلمين لعلمه أنهم لا يرتشون، وكان هو يدعو اليهودي إِلى اليهود لعلمه أَنهم يرتشون، فاتفقا بعد ذلك على أَن أتيا كاهناً كان بالمدينة فرضياه، فنزلت هذه الآية فيهما وفي صنفيهما[٣].

فالذين يزعمون أَنهم آمنوا بما أُنزل على محمد هم المنافقون، والذين يزعمون أَنهم آمنوا بما أُنزل من قبله هم اليهود، وكل[٤] قد أَمر في كتابه بالكفر بالطاغوت.

= أبو قلابة، حدثني أبو عبد الله رفعه، قال السخاوي: وسنده صحيح متصل أمن فيه من تدليس الوليد وتسويته.

ولكن رواه أحمد في مسنده (٢٨/ ٣٠٧)، والبيهقي في الكبرى (٢١٦٩٨) وغيرهم من طريق الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي قلابة، عن أبي مسعود الأنصاري، فذكره، فجعله عن أبي مسعود الأنصاري، بدل أبي عبد الله.

وقد رواه البخاري في الأدب المفرد (٧٦٣) من طريق يحيى بن عبد العزيز، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي قلابة، عن أبي المهلب، أن عبد الله بن عامر قال: يا أبا مسعود ما سمعت رسول الله ﷺ يقول في: زعموا وقال: سمعته يقول: «بئس مطية الرجل» وسمعته يقول: «لعن المؤمن كقتله»، قال السخاوي: ورجاله موثقون، فثبت اتصاله وتأكد الجزم بأنه عن أبي مسعود، اهـ.

قلت: يحيى بن عبد العزيز شبه المجهول، وانظر: الإصابة (١٠١٩٩)، والمقاصد الحسنة (١/ ٢٤٣)، والصحيحة للألباني (٢/ ٥٤٨).

(١) انظر عزوه له في الأزمنة والأمكنة (ص: ٧٥)، والحماسة المغربية (١/ ١٤١)، والموشح (ص: ٦٣)، مع اختلاف في اللفظ .

(٢) في الحمزوية: «حرمة العطاء»، وفي نجيبويه: «حدثه».

(٣) في الحمزوية ونور العثمانية والمطبوع ونجيبويه: «صنيعيهما»، والأثر رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٥٨)، والطبري (٧/ ١٩٠)، من طرق، عن داود بن أبي هند، عن عامر الشعبي، فذكره بلفظ مطول.

(٤) في المطبوع: «وكان».

و(الطَّاغُوت) هنا الكاهن المذكور، فهذا تأنيب للصنفين، وقال ابن عباس: الطاغوت هنا: هو كعب بن الأشرف[١]، وهو الذي تراضيا به، فعلى هذا إِنما يُؤنَّب صنف المنافقين وحده، وهم الذين آمنوا بما أُنزل على محمد، وبما أُنزل من قبله بزعمهم؛ لأَن اليهود لم يؤمروا في شرعهم بالكفر بالأَحبار، وكعب منهم، وذكر النقاش أَن كعباً هذا أَصله من طيِّئ وتهود[٢].

وقال مجاهد: نزلت في مؤمن ويهودي[٣]، وقالت فرقة: نزلت في يهوديين.

قال القاضي أَبو محمد: وهذان القولان بعيدان من الاستقامة على أَلفاظ الآية.

وقال السدي: نزلت في المنافقين من قريظة والنضير؛ وذلك أَنهم تفاخروا بسبب تكافؤ دمائهم؛ إِذ كانت النضير في الجاهلية تَدِي من قتلت، وتستقيد إِذا قتلت قريظة منهم، فأَبت قريظة لما جاءَ الإِسلام، وطلبوا المنافرة، فدعا المؤمنون منهم إِلى النبي ﷺ، ودعا المنافقون إِلى أَبي بردة الكاهن، فنزلت الآية فيهم[٤].

وحكى الزجاج أَن المنافق المتقدم الذكر أَو غيره اختصم عند النبي ﷺ فقضى في أَمره، فَحَرِجَ وقال لخصمه: لا أَرضى بحكمه، فذهبا إِلى أَبي بكر فقضى بينهما، فقال المنافق: لا أَرضى، فذهبا إِلى عمر، فوصفا له جميع ما فعلا، فقال لهما: اصبرا حتى أَقضي حاجة في منزلي ثم أَخرج فأَحكم بينكما، فدخل وأَخذ سيفه وخرج، فضرب المنافق حتى برد، وقال: هذا حكمي فيمن لم يرض بحكم رسول الله ﷺ، فنزلت الآية[٥].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٩٧٨٢)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما.

(٢) مثله في سيرة ابن هشام (١/ ٥١٤)، وتفسير مقاتل (١/ ٣٧٨)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ٢٨٢)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤٨٨).

(٣) انظر قول مجاهد في تفسير الطبري (٨/ ٥١٢).

(٤) تفسير الطبري (٨/ ٥١٠).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٦٩)، ومعنى برد: مات، والأثر أخرجه الواحدي في أسباب النزول (١/ ١٦٦) عن ابن عباس.

وقال الحسن: احتكم المنافقون بالقداح التي يضرب بها عند الأَوثان، فنزلت الآية[١].

و﴿يُضِلَّهُمْ﴾ معناه: يتلفهم، وجاء ﴿ضَلَـٰلًا﴾ على غير المصدر، تقديره: فيضلون ضلالاً، و﴿بَعِيدًا﴾ عبارة عن عظم الضلال وتمكنه حتى يبعد الرجوع عنه والاهتداء معه.

وقرأَ الجمهور: ﴿تَعَالَوْاْ﴾ بفتح اللام، وقرأَ الحسن فيما روى عنه قتادة (تَعَالُوا) بضمة.

قال أبو الفتح: ووجهها أَن لام الفعل من «تعاليت» حذفت تخفيفاً، وضمت اللام التي هي عين الفعل؛ وذلك لوقوع واو الجمع بعدها، كقولك: تقدموا وتأَخروا[٢]، وهي لفظة مأخوذة من العلُو، لما استعملت في دعاءِ الإِنسان وجلبه وأَشخاصه، سيقت من العلُوِّ تحسيناً للأَدب، كما تقول: ارتفع إِلى الحق، ونحوه.

و﴿رَأَيْتَ﴾: هي رؤية عين لمن صدَّ من المنافقين مجاهرة وتصريحاً، وهي رؤية قلب لمن صدَّ منهم مكراً وتجانباً[٣] ومسارقة حتى لا يعلم ذلك منه إِلا بالتأويل عليه والقرائن الصادرة عنه، فإِذا كانت رؤية عين فـ﴿يَصُدُّونَ﴾ في موضع نصب على الحال، وإِذا كانت رؤية قلب فـ﴿يَصُدُّونَ﴾ نصب على المفعول الثاني.

و﴿صُدُودًا﴾: مصدر عند بعض النحاة من «صدَّ»، وليس عند الخليل بمصدر منه، والمصدر عنده: «صَدّاً»[٤]، وإِنما ذلك لأن: فعولًا إِنما هو مصدر للأفعال/ غير [١/ ٣٢٦]
المتعدية، كجلس جلوساً، وقعد قعوداً، و«صدَّ» فعل متعدٍّ بنفسه مرةً كما قال: ﴿فَصَدَّهُمْ

(١) نقله أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٦٨٩).
(٢) انظر كلام ابن جني ونقله للقراءة في المحتسب (١/ ١٩٠).
(٣) في المطبوع ونور العثمانية والسليمانية وفيض الله: «تخابثاً».
(٤) انظر الهداية لمكي (٢/ ١٣٧٢).

عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النمل: ٢٤]، [العنكبوت: ٣٨]، ومرةً بحرف الجر كقوله تعالى: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾، وغيره، فمصدره «صدَّ»، و«صُدُود» اسمٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾.

قالت فرقة: هي في المنافقين الذين احتكموا حسب ما تقدم، فالمعنى: فكيف بهم إِذا عاقبهم الله بهذه الذنوب بنقمة منهم[1]؟ ثم حلفوا إِن أَردنا بالاحتكام إِلى الطاغوت إِلا توفيق الحكم وتقريبه، دون مر[2] الحكم وتقصي الحق.

وقالت فرقة: هي في المنافقين الذين طلبوا دم الذي قتله عمر، فالمعنى: فكيف بهم إِذا أَصابتهم مصيبة في قتل قريبهم ومثله من نقم الله تعالى؟ ثم إِنهم حلفوا ما أَرادوا بطلب دمه إِلا إِحساناً وحقاً، نحا إِليه الزجاج[3].

وموضع (كيف) نصب بفعل تقديره: فكيف تراهم؟ ونحوه، ويصح أَن يكون موضعها رفعاً، تقديره: فكيف صنيعهم؟

وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ تكذيب المنافقين المتقدم ذكرهم وتوعدهم؛ أَي: فهو مجازيهم بما يعلم.

و(أعرض عنهم)؛ يعني: عن معاقبتهم، وعن شغل البال بهم، وعن قبول أَيمانهم

---

(١) في الحمزوية والمطبوع والسليمانية وفيض الله وجار الله: «منه».

(٢) في السليمانية وفيض الله: «حل»، وفي نجيبويه بياض.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٦٩)، وانظر معاني القرآن للنحاس (٢/ ١٢٦)، وتفسير الماوردي (١/ ٥٠٢).

الكاذبة في قوله: ﴿يَحۡلِفُونَ﴾، وليس بالإِعراض الذي هو القطيعة والهجر، فإِن قوله: ﴿وَعِظۡهُمۡ﴾ يمنع من ذلك.

و(عظهم) معناه بالتخويف من عذاب الله وغيره من المواعظ.

والقول البليغ اختلف فيه: فقيل: هو الزجر والردع والكفُّ بالبلاغة من القول، وقيل: هو التوعد بالقتل إِن استداموا حالة النفاق، قاله الحسن(١)، وهذا أَبلغ ما يكون في نفوسهم.

و«البلاغة» مأخوذة من بلوغ المراد بالقول، وحكي عن مجاهد: أَن قوله: ﴿فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾: متعلق بقوله: ﴿مُّصِيبَةُۢ﴾ وهو مؤخر بمعنى التقديم(٢)، وهذا ضعيف.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ ﴾ تنبيه على جلالة الرسل؛ أَي: فأَنت يا محمد منهم، تجب طاعتك، وتتعين إِجابة الدعوة إِليك.

و﴿لِيُطَاعَ﴾: نصب بلام «كي».

و﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ معناه: بأَمر الله، وحسنت العبارة بالإِذن؛ إِذ بنفس الإِرسال تجب طاعتُه وإِن لم ينص أَمرٌ بذلك، ويصح تعلق الباءِ من قوله: ﴿بِإِذۡنِ﴾ بـ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾، والمعنى: وما أَرسلنا بأَمر الله؛ أَي: بشريعته وعبادته من رسول إِلا ليطاع.

والأَظهر تعلقها بـ﴿يُطَاعُ﴾، والمعنى: وما أَرسلنا من رسول إِلا ليطاع بأَمر الله بطاعته.

قال القاضي أَبو محمد: وعلى التعليقين فالكلام عام اللفظ خاص المعنى؛ لأَنَّنا نقطع أَن الله تبارك وتعالى قد أَراد من بعض خلقه أَلا يطيعوا، ولذلك خرَّجت طائفة معنى الإِذن إِلى العلم، وطائفة خرَّجَته إِلى الإِرشاد لقوم دون قوم، وهذا تخريج حسن؛ لأَن الله إِذا علم من أحد أَنه يؤمن، ووفقه لذلك، فكأَنه أذن له فيه.

---

(١) تفسير الثعالبي (١/ ٣٨٦).

(٢) الهداية في بلوغ النهاية (٢/ ١٣٧٦).

وحقيقة «الإِذن»: التمكين مع العلم بقدر ما مكن منه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ الآية؛ معناه: بالمعصية والنفاق ونقصها حظها من الإِيمان.

و(استغفروا الله) معناه: طلبوا مغفرته، وتابوا إليه ورجعوا[١].

و﴿تَوَّابًا﴾ معناه: راجعاً بعباده.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾.

قال الطبري: قوله: ﴿فَلَا﴾ ردٌّ على ما تقدم، تقديره: فليس الأَمر كما يزعمون أَنهم آمنوا بما أُنزل إليك، ثم استأْنف القسم بقوله: ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وقال غيره: إِنما قدَّم (لا) على القَسَم؛ اهتماماً بالنفي، وإِظهاراً لقوته، ثم كررها بعده تأكيداً للتَّهَمُّم بالنفي، وكان يصح إِسقاط ﴿لَا﴾ الثانية، ويبقى أَكثر الاهتمام بتقديم الأولى، وكان يصح إِسقاط الأُولى ويبقى معنى النفي، ويذهب معنى الاهتمام.

و﴿شَجَرَ﴾ معناه: اختلط والْتَفَّ من أُمورهم، وهو من الشجر، شبيه بالتفاف الأَغصان، وكذلك الشجير الذي امتزجت مودته بمودة صاحبه.

وقرأَ أَبو السمَّال: (شَجْر) بإِسكان الجيم[٣].

(١) «رجعوا»، ليست في المطبوع.
(٢) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٥١٨).
(٣) الهداية لمكي (٢ / ١٣٧٧).

قال القاضي أَبو محمد: وأَظنه فَرَّ من توالي الحركات، وليس بالقوي؛ لِخِفَّة الفتحة. و﴿يُحَكِّمُوكَ﴾. نصب بـ﴿حَتَّىٰ﴾؛ لأَنها هاهنا غاية مجردة، و﴿يَجِدُواْ﴾: عطف عليه.

و«الحرج»: الضيق والتكلف والمشقة، وقال مجاهد: ﴿حَرَجًا﴾: شكّاً[1].

وقوله: ﴿تَسْلِيمًا﴾: مصدر مؤكد منبئ على التحقيق في التسليم؛ لأَن العرب إِنما تردف الفعل بالمصدر إِذا أَرادت أَن الفعل وقع حقيقة، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء ١٦٤]، وقد تجيءُ به مبالغة وإِن لم يقع، ومنه:

[الطويل] .... وَعَجَّتْ عَجِيجاً مِنْ جُذَامَ المطَارِفُ[2]

وقال مجاهد وغيره: المراد بهذه الآية: من تقدم ذكره ممن أَراد التحاكم إِلى الطاغوت، وفيهم نزلت، ورجح الطبري هذا؛ لأَنه أَشبه بنَسَق الآية[3].

وقالت طائفة: نزلت في رجل خاصم الزبير بن العوام في السقي بماءِ الحرة، فقال لهما رسول الله ﷺ: «اسق يا زبير، ثم أَرسل الماءَ إلى جارك»، فغضب ذلك الرجل وقال: آن كان ابن عمتك؟ فغضب رسول الله ﷺ، واستوعب للزبير حقه، فقال: «احبس يا زبير الماءَ حتى يبلغ الجدر، ثم أَرسل الماءَ»، فنزلت الآية[4].

واختلف أَهل هذا القول في الرجل: فقال قوم: هو رجل من الأَنصار من أَهل بدر، وقال مكي وغيره: هو حاطب بن أَبي بَلْتعة[5].

---

(١) انظر تفسير مجاهد (١/ ١٦٤)، وتفسير الطبري (٨/ ٥١٨).

(٢) البيت لحميدة بنت النعمان بن بشير الأنصاري، أو لأختها هند في جمهرة أنساب العرب (ص: ٣٦٤)، والمخصص (٥/ ١٥٨)، والأغاني (٩/ ٢٦٤)، وبلا نسبة في الكتاب (٣/ ٢٤٨)، والمقتضب (٣/ ٣٦٤)، والمطارف: جمع مطرف وهو ثوب معلم الطرف.

(٣) انظر تفسير الطبري (٨/ ٥١٩).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٢٣١)، ومسلم (٦٢٥٨)، من حديث عبد الله بن الزبير، عن أبيه.

(٥) صحيح البخاري (٢٣٦٠)، وصحيح مسلم (٢٣٥٧)، وتفسير الطبري (٥/ ١٥٨)، وانظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/ ١٣٧٨).

قال القاضي أَبو محمد/ : والصحيح الذي وقع في البخاري: أَنه رجل من الأَنصار، وأَن الزبير قال: فما أَحسب أَن هذه الآية نزلت إِلا في ذلك(١). [١/ ٣٢٧]

وقالت طائفة: لما قتل عمر الرجل المنافق الذي لم يرض بحكم النبي ﷺ بلغ ذلك النبي ﷺ وعظُم عليه، وقال: «ما كنت أَظن أَن عمر يجترئ على قتل رجل مؤمن»(٢)، فنزلت الآية نافيةً لِإيمان ذلك الرجل الراد لحكم النبي ﷺ، مقيمةً(٣) عذر عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قتله.

و﴿ كَتَبْنَا ﴾ معناه: فرضنا، و﴿ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ معناه: ليقتل بعضكم بعضاً، وقد تقدم نظيره في البقرة.

وضم النون من ﴿أَنِ ﴾ وكسرها جائز، وكذلك الواو من ﴿أَوِ ٱخْرُجُواْ ﴾، وبضمها قرأَ ابن عامر، ونافع، وابن كثير، والكسائي، وبكسرها قرأَ حمزة وعاصم، وكسر أَبو عمرو النون وضم الواو(٤).

و﴿قَلِيلٌ ﴾: رفع على البدل من الضمير في ﴿فَعَلُوهُ ﴾.

وقرأَ ابن عامر وحده بالنصب: ﴿إِلا قليلاً﴾(٥)، وذلك جائز، أَجرى النفي مجرى الإِيجاب.

وسبب الآية على ما حكي: أَن اليهود قالوا ـ لما لم يرض المنافق بحكم النبي ﷺ ـ: ما رأَينا أَسخف من هؤلاءِ، يؤمنون بمحمد ويتبعونه، ويطؤُون عقبه، ثم لا يرضون بحكمه، ونحن قد أُمرنا بقتل أَنفسنا ففعلنا، وبلغ القتل فينا سبعين أَلفاً، فقال ثابت بن

---

(١) صحيح البخاري (٢٥١٨)، من حديث عائشة، رضي الله عنها.

(٢) ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٥٦٠)، من طريق عبد الله بن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عمر بن الخطاب، وإسناده ضعيف من أجل ابن لهيعة.

(٣) في السليمانية وفيض الله: «مبينة».

(٤) التيسير (ص: ٩٦).

(٥) المصدر السابق.

قيس: لو كتب ذلك علينا لفعلناه، فنزلت الآية[١] معلمةً حال أُولئك المنافقين، وأَنه لو كتب ذلك على الأُمة لم يفعلوه، وما كان يفعله إِلا قليل مؤمنون محققون، كثابت وغيره، وكذلك روي أَن رسول الله ﷺ قال: «ثابت بن قيس، عمار، وابن مسعود من القليل»[٢].

وشرَّكهم في ضمير: ﴿مِّنۡهُمۡ﴾؛ لما كان المنافقون والمؤمنون مشتركين في دعوة الإسلام وظواهر الشريعة.

وقال أَبو إسحاق السبيعي: لما نزلت: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ الآية، قال رجل: لو أُمرنا لفعلنا، والحمد لله الذي عافانا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «إِن من أُمتي رجالاً الإِيمانُ أَثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي»[٣].

وذكر مكي أَن الرجل هو أَبو بكر الصديق، رضي الله عنه[٤].

وذكر النقاش: أَنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٥].

وذكر عن أَبي بكر رضي الله عنه أَنه قال: لو كتب علينا ذلك[٦] لبدأْت بنفسي وبأَهل بيتي[٧].

---

(١) مرسل، أخرجه الطبري (٩٩٢٠) عن السدي، قال: افتخر ثابت بن قيس بن شماس، ورجل من اليهود، فذكره، وهذا مرسل.

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٢/ ٢٤٦)، عن الحسن ومقاتل: لما نزلت هذه الآية قال: عمر وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود، وناس من أصحاب النبي ﷺ وهم القليل: والله لو أمرنا لفعلنا، والحمد لله الذي عافانا، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «إنَّ من أمتي لرجالاً الإيمانُ في قلوبهم أثبت من الجبال الرواسي»، انظر: تفسير مقاتل (١/ ٢٣٩).

(٣) مرسل، أخرجه الطبري (٩٩٢١)، عن أبي إسحاق السبيعي مرسلًا، رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٥٦٥)، عن الحسن مرسلاً.

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/ ١٣٨٠).

(٥) تفسير القرطبي (٥/ ٢٧٠).

(٦) «ذلك»: زيادة من السليمانية وفيض الله.

(٧) منقطع، أخرجه ابن أبي حاتم (٥٥٦٦)، من طريق عامر بن عبد الله بن الزبير قال: لما نزلت =

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ﴾ أي: لو أَن هؤلاء المنافقين اتعظوا وأَنابوا ﴿خَيۡرًا لَّهُمۡ﴾ لكان خيراً لهم.

و﴿تَثۡبِيتًا﴾ معناه: يقيناً وتصديقاً ونحو هذا؛ أَي: يثبتهم الله، ثم ذكر تعالى ما كان يَمُنُّ به عليهم من تفضله بالأَجر، ووصْفُه إِياه بالعظم مقتضٍ ما لا يحصله بشر من النعيم المقيم.

و«الصراط المستقيم»: الإِيمان المؤدي إِلى الجنة.

وجاءَ ترتيب هذه الآية كذا، ومعلوم أَن الهداية قبل إِعطاءِ الأَجر؛ لأَن المقصد إِنما هو تعديد ما كان الله ينعم به عليهم دون ترتيب، فالمعنى: ولهديناهم قبْلُ حتى يكونوا ممن يُؤْتَى الأَجر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾﴾.

لما ذكر الله الأَمر الذي لو فعلوه لأَنعم عليهم ذكر بعد ذلك ثواب من يفعله، وهذه الآية تفسير قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٥].

وقالت طائفة: إِنما نزلت هذه الآية لما قال عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأَنصاري(١) الذي أُري الأَذان: يا رسول الله، إِذا متَّ ومتنا كنت في عِلِّيِّين، فلا نراك، ولا نجتمع بك، وذكر حزنه على ذلك، فنزلت هذه الآية(٢).

= ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ قال أبو بكر: يا رسول الله، والله لو أمرتني أن أقتل نفسي لفعلت. قال: «صدقت يا أبا بكر»، وعامر بن عبد الله بن الزبير لم يدرك أبا بكر.

(١) هو عبد الله بن زيد بن عبد ربه الخزرجي الأنصاري رائي الأذان، بدري عقبي، توفي سنة (٣٢هـ)، وقيل: قتل بأحد، الإصابة (٤/ ٨٤).

(٢) ضعيف مرسل، أخرجه الطبري (٩٩٢٤)، من طريق سعيد بن جبير قال: جاء رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ وهو محزون، وفيه محمد بن حميد الرازي، وهو ضعيف، وهو مرسل.

وحكى مكي عن عبد الله هذا: أَنه لما مات النبي ﷺ قال: اللَّهم أَعْمِني حتى لا أرى شيئاً بعده، فعمي[١]، وذكر أَن جماعة من الأنصار قالت ذلك أَو نحوه، حكاه الطبري عن ابن جبير، وقتادة، والسدي[٢].

ومعنى أَنَّهم مَعَهم: أَنهم في دار واحدة، ومتنعَّم واحد، وكل من فيها قد رزق الرضا بحاله، وذهب عنه أَن يعتقد أَنه مفضول، وإِن كنا نحن قد علمنا من الشريعة أَن أَهل الجنة تختلف مراتبهم على قدر أعمالهم، وعلى قدر فضل الله على من شاءَ.

والصِّديق: فِعِّيل من الصدق، وقيل: من الصدقة، وروي عن النبي ﷺ: «الصديقون المتصدقون»[٣].

والشهداءُ: المقتولون في سبيل الله، هم المخصوصون [بفضل الميتة][٤]، وهم الذين فرق الشرع حكمهم في ترك الغسل والصلاة؛ لأَنهم أَكرم من أَن يشفع لهم، وسمُّوا بذلك؛ لأَن الله شهد لهم بالجنة، وقيل: لأَنهم شهدوا لله بالحق في موتهم ابتغاءَ مرضاته، ولكن لفظ الشهداءِ في هذه الآية يعم أَنواع الشهداءِ.

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/ ١٣٨٤)، ولم أقف عليه مسنداً.

(٢) في المطبوع: «ابن جرير» بدل: «ابن جبير»، وهو خطأ، انظر: تفسير الطبري (٨/ ٥٣٤).

(٣) لا يصح، وفيه غرابة، أخرج الطبري (٩٩٢٣)، عن سفيان بن وكيع قال، حدثنا خالد بن مخلد، عن موسى بن يعقوب قال: أخبرتني عمتي قريبة بنت عبد الله بن وهب بن زمعة، عن أمها كريمة ابنة المقداد، عن ضباعة بنت الزبير ـ وكانت تحت المقداد ـ، عن المقداد قال: قلت للنبي ﷺ: شيء سمعته منك شككت فيه، قال: «إذا شك أحدكم في الأمر فليسألني عنه»، قال قلت: قولك في أزواجك: «إني لأرجو لهن من بعدي الصديقين» قال: من تعدون الصديقين؟ قلت: أولادنا الذين يهلكون صغاراً، قال: لا ولكن الصديقين هم المصدقون، وسفيان ضعيف، وخالد له مناكير، وفيه من لا يعرف حالهن، وفي المطبوع: «المصدقون»، بدل: «المتصدقون».

(٤) في السليمانية: «بفضل المنة»، وكذا في قال في حاشية المطبوع: «وفي بعض النسخ من الأصول زيادة لفظ الجلالة: الله بين كلمتي: فضل، والميتة، وآثرنا حذفها حتى يستقيم المعنى، ولعلها من أغلاط الناسخ»، وهي في الأصل.

و﴿رَفِيقًا﴾ موحد في معنى الجمع، كما قال: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥]، ونصبه على التمييز، وقيل: على الحال، والأَول أَصوب.

وقرأَ أَبو السمال: (وَحَسْن) بسكون السين[1]، وذلك مثل: (شَجْر بَيْنَهُم).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ ردٌّ على تقدير معترض يقول: وما الذي يوجب استواءَ أَهل الطاعة والنَّبِيِّين في الآخرة والفرق بينهم في الدنيا بَيِّن؟ فذكر الله أَن ذلك بفضله لا بوجوب عليه، والإِشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِلى كون المطيعين مع المنعم عليهم، وأَيضاً فلا نقرر الاستواءَ، بل هم معهم في دارٍ والمنازلُ متباينة.

ثم قال: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ وفيها معنى أَن يقول: فسلِّموا فعل الله وتفضله من الاعتراض عليه، واكتفوا بعلمه في ذلك وغيره؛ ولذلك أُدخلت الباءُ [على اسم الله][2]؛ لتدل على الأَمر الذي في قوله: ﴿وَكَفَىٰ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾.

هذا خطاب للمخلصين من أُمة محمد ﷺ، وأمرٌ لهم بجهاد الكفار، والخروج في سبيل الله، وحماية الشرع.

و﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ معناه: احزموا واستعدوا بأَنواع الاستعداد، فهنا يدخل أَخذ السلاح/ وغيره. [١/ ٣٢٨]

و﴿ٱنفِرُواْ﴾ معناه: اخرجوا مُجدين مصممين، يقال: نفر الرجل ينفِر ـ بكسر الفاء ـ نفيراً، ونفرت الدابة تنفُر ـ بضم الفاءِ ـ نفوراً.

(١) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٢٥).

(٢) سقط من الأصل.

و﴿ثُبَاتٍ﴾ معناه: جماعات متفرقات، فهي كناية عن السرايا.

و﴿جَمِيعًا﴾ معناه: الجيش الكثيف مع النبي ﷺ، هكذا قال ابن عباس وغيره[١].

و«الثُّبَةُ»: حكي أَنها فوق العشرة من الرجال، وزنها: فُعَلة بفتح العيْن، أَصلها: ثُبوَة، وقيل: ثُبَيَة، حذفت لامها بعد أَن تحركت وانقلبت أَلفاً حذفاً غير مقيس؛ ولذلك جمعت: ثِبُون بالواو والنون عوضاً عن المحذوف، وكسر أَولها في الجمع دلالة على خروجها عن بابها؛ لأَن بابها: أَن تجمع بالتاءِ أَبداً، فيقال: ثُبات، وتصغر: ثُبَيَّة، أَصلها: ثُبَيْوة.

أَما ثُبة الحوض ـ وهي وسطه الذي يثوب الماءُ إِليه ـ فالمحذوف منها العيْن، وأَصلها: ثُوَبة وتصغيرها: ثويْبة، وهي من: ثاب يثوب، وكذلك قال أَبو علي الفارسي في بيت أَبي ذؤيب:

[الطويل] فَلَمَّا جَلاَهَا بالأُيَام تَحَيَّزَتْ ثُبَاتاً عَلَيْهَا ذُلُّهَا واكْتِئابُهَا[٢]

إنه لفظ مفرد ليس بجمع، سيق على الأَصل؛ لأَن أَصل ثُبة: ثُبَوَة، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فانقلبت أَلفاً، فساقها أَبو ذؤَيب في هذه الحال[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ﴾؛ ﴿إِنَّ﴾: إِيجاب، والخطاب لجماعة المؤمنين، والمراد بـ(من) المنافقون، وعبَّر عنهم بـ﴿مِنكُمْ﴾؛ إِذ هم في عداد المؤمنين ومُنْتحِلون دعوتهم، واللام الداخلة على (مَن) لام التأكيد دخلت على اسم ﴿إِنَّ﴾ لما كان الخبر متقدماً في المجرور، وذلك مَهْيَع في كلامهم، كقولك: إِن في الدار لزيداً.

---

(١) أخرجه الطبري (٩٩٢٩)، وابن أبي حاتم (٥٥٨٣)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما.

(٢) انظر عزوه له في جمهرة اللغة (١/ ٢٤٨)، والمحتسب (١/ ١١٨)، وأدب الكاتب (ص: ٤٤١)، ومعجم ديوان الأدب (٤/ ٧٩).

(٣) انظر ما قاله أبو علي الفارسي في المحكم والمحيط (١٠/ ٥٨٤)، والدر المصون (١/ ١١٧٥)، واللباب (٦/ ٤٨٥).

واللام الداخلة على ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ لام قَسَم عند الجمهور، تقديره: وإِنَّ منكم لمن ـ والله ـ ليبَطِّئن، وقيل: هي لام تأكيد [بعد تأكيد][1]، و(يبطِّئن) معناه: يبطئ غيرَه؛ أَي: يثبِّطه ويحمله على التخلف عن مغازي رسول الله ﷺ.

وقرأَ مجاهد: (ليُبْطِئَنَّ) بالتخفيف في الطاءِ[2].

و﴿مُّصِيبَةٌ﴾؛ يعني: من قتل نفس[3] واستشهاد، وإِنما هي مصيبة بحسب اعتقاد المنافقين ونظرهم الفاسد، أَو على أَن الموت كله مصيبة كما شاءَ الله تعالى، وإِنما الشهادة في الحقيقة نعمة لحسن مآلها.

و﴿شَهِيدًا﴾ معناه: مشاهداً، فالمعنى: إِن المنافق يسُرُّه غيبه إِذا كانت شدة، وذلك يدل على أَن تخلفه إِنما هو فزع من القتال، ونكول عن الجهاد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ الآية، المعنى: ولئن ظفرتم وغنمتم ـ وكل ذلك من فضل الله ـ ندم المنافق أَن لم يحضر ويصب الغنيمة، وقال: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ متمنياً شيئاً قد كان عاهد أَن يفعله ثم غدر في عهده؛ لأَن المؤمن إِنما يتمنى مثل هذا إِذا كان المانع له من الحضور عذراً واضحاً، وأَمراً لا قدرة له معه، فهو يتأَسف بعد ذلك على فوات الخير.

والمنافق يعاطي المؤمنين المودة، ويعاهد على التزام كلف الإِسلام، ثم يتخلف نفاقاً وشكا وكفراً بالله ورسوله، ثم يتمنى عندما يكشف الغيب الظفر للمؤمنين، فعلى هذا يجيءُ قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾ التفاتةً بليغة، واعتراضاً بين القائل والمقول بلفظ يظهر زيادةً في قبح فعلهم.

---

(١) ساقط من المطبوع.

(٢) الهداية (٢/ ١٣٨٥)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٢٥)، والكامل (ص: ٥٢٨).

(٣) «نفس»: زيادة من السليمانية وفيض الله.

وحكى الطبري عن قتادة وابن جريج: أَنهما كانا يتأَولان قول المنافق: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ﴾ على معنى الحسد منه للمؤمنين في نيل رغيبة[١].

وقرأَ الحسن: (ليقولُنَّ) بضم اللام[٢] على معنى: ﴿مَن﴾، وضم اللام يدل على الواو المحذوفة.

ويدل مجموع هاتين الآيتين على أَن خارج المنافقين إِنما كان يقصد الغنيمة، ومتخلفهم إِنما كان يقصد الشك وتربص الدوائر بالمؤمنين.

و﴿كَأَن﴾: مضمنة معنى التشبيه، ولكنها ليست كالثقيلة في الحاجة إِلى الاسم والخبر، وإِنما تجيءُ بعدها الجمل.

وقرأَ ابن كثير، وعاصم في رواية حفص: ﴿تَكُنۢ﴾ بتاءٍ.

وقرأَ غيرهما: ﴿يَكُنْ﴾ بياءٍ[٣]، وذلك حسنٌ للفصل الواقع بين الفعل والفاعل.

وقوله: ﴿فَأَفُوزَ﴾: نصب بالفاءِ في جواب التمني.

وقرأ الحسن، ويزيد النحوي: (فَأَفُوزُ) بالرفع[٤] على القطع والاستئناف، التقدير: فَأَنا أَفوزُ، قال روح: لم يجعل لِـ(لَيْتَ) جواباً[٥]، وقال الزجاج: إِن قوله: ﴿كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ﴾ مؤَخر، وإِنما موضعه: ﴿فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾[٦].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيف؛ لأَنه يفسد فصاحة الكلام.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٧٤ وَمَا لَكُمۡ لَا

---

(١) انظر تفسير الطبري (٨/ ٥٣٩).

(٢) الهداية لمكي (١/ ١٣٨٥)، والمحتسب (١/ ١٩١).

(٣) التيسير للداني (ص: ٩٦)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٣٥).

(٤) المحتسب (١/ ١٩١).

(٥) نقل قول روح ابن جني في المحتسب (١/ ١٩١)، ولم أعرف من هو روح هذا.

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٧٦).

تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾.

هذا أَمر من الله عزَّ وجلَّ للمؤمنين الذين وصفهم بالجهاد في سبيل الله.

و﴿يَشْرُونَ﴾ معناه: يبيعون في هذا الموضع، وإِن جاءَ في مواضعَ بمعنى: يشترون، فالمعنى هاهنا يدل على أَنه بمعنى: يبيعون.

ثم وصف الله تعالى ثواب المقاتل في سبيل الله، فذكر غايتي حالتيه، واكتفى بالغايتين عما بينهما، وذلك أَن غاية المغلوب في القتال أَن يُقْتَل، وغاية الذي يَقْتُل ويَغْنَم أَن يتصف بأَنه غالب على الإِطلاق.

و«الأَجر العظيم»: الجنة.

وقـرأت[(١)] فرقة: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ﴾ بسكون لام الأمر، وقرأَت فرقة: (فَلِيُقَاتل) بكسرها[(٢)].

وقرأَ محارب بن دثار: (فَيَقْتُلْ أَو يَغْلِبْ) على بناءِ الفعلين للفاعل[(٣)].

[وقرأَ الجمهور: ﴿نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ بالنون][(٤)].

وقرأَ الأَعمش وطلحة بن مُصَرِّف: (فَسَوْفَ يُؤْتيه) بالياءِ[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ اللام [من ﴿لَكُمْ﴾][(٦)] متعلقة بما يتعلق بالمستفهم عنه من معنى الفعل، تقديره: وأَي شيءٍ موجود أَو كائن أَو نحو ذلك لكم؟ و﴿لَا تُقَٰتِلُونَ﴾: في موضع نصب على الحال تقديره: تاركين، أَو مضيعين.

---

(١) في المطبوع: «وقالت»، وسقطت هذه القراءة الأولى من نور العثمانية، وهي قراءة الجمهور.

(٢) الأولى قراء الجمهور وهي المتواترة، والثانية تقدم مثلها مراراً، انظر تفسير الآية (١٠٥) من (سورة آل عمران)، وهي شاذة.

(٣) الشواذ للكرماني (ص: ١٣٨).

(٤) سقط من الأصل.

(٥) انظر عزوها للأعمش في الشواذ للكرماني (ص: ١٣٨)، ولهما في الكامل للهذلي (ص: ٥٢٨).

(٦) سقط من المطبوع ونور العثمانية.

وقوله: ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ عطف على اسم الله تعالى؛ أَي: وفي سبيل[١] المُسْتضعفين، وقيل: عطف على «السبيل»؛ أَي: وفي المستضعفين لاستنقاذهم، ويعني بالمستضعفين: [١/ ٣٢٩] / من كان بمكة من المؤمنين تحت إِذلال كفرة قريش وأَذاهم لا يستطيعون خروجاً، ولا يطيب لهم على الأَذى إِقامة، وفي هؤلاءِ كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهم أَنج سلمة بن هشام[٢]، وعياش بن أَبي ربيعة[٣]، اللَّهم أَنج المستضعفين من المؤمنين»[٤].

و﴿ٱلْوِلْدَٰنِ﴾ بابه أَن يكون جمع وليد، وقد يكون جمع ولد، كوَرَل ووِرْلان، فهي على الوجهين عبارة عن الصبيان، والقرية هاهنا مكة بإِجماع من المتأَولين[٥].

قال القاضي أَبو محمد: والآية تتناول المؤمنين والأسرى وحواضر الشرك إِلى يوم القيامة، ووحد الظالم؛ لأَنه موضع اتخاذ الفعل، أَلا ترى أَن الفعل إِنما تقديره: الذي ظلم أَهلُها، ولما لم يكن للمستضعفين حيلة إِلا الدعاءُ؛ دعوا في الاستنقاذ، وفيما يواليهم من معونة الله تعالى، وما ينصرهم على أُولئك الظلمة من فتح الله تبارك وتعالى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ

(١) في السليمانية وفيض الله هنا زيادة اسم: «الله».

(٢) سلمة بن هشام بن المغيرة المخزوميّ، أخو أبي جهل والحارث، كان من السابقين، وحبس عن الهجرة، فقنت النبي ﷺ لاستنقاذه، شهد مؤتة وغيرها، واستشهد بمرج الصفر سنة (١٤هـ)، وقيل: بأجنادين، الإصابة (٣/ ١٣١).

(٣) عيَّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة القرشي المخزومي، أخو أبي جهل لأمه، وابن عمه، وكان من السابقين الأولين، وهاجر الهجرتين، ثم رده أبو جهل، وحبسه، فدعا له النبي ﷺ، توفي سنة (١٥هـ)، وقيل: استشهد باليمامة؛ وقيل: باليرموك، الإصابة (٤/ ٦٢٣)

(٤) صحيح البخاري (٩٦١)، من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٥) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٥٤٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٠٢)، وقال الماوردي في تفسيره (١/ ٥٠٦): هي مكة في أقوال جميع المفسرين.

خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾.

هذه الآية تقتضي تقوية قلوب المؤمنين وتحريضهم.

و﴿ٱلطَّٰغُوتِ﴾: كل ما عُبد واتُّبع من دون الله، وتدل قرينة ذكر الشيطان بعد ذلك على أَن المراد بـ﴿ٱلطَّٰغُوتِ﴾ هنا: الشيطان، وإِعلامه تعالى بضعف كيد الشيطان تقوية لقلوب المؤمنين، وتَجْرِئَة لهم على مقارعة الكيد الضعيف؛ فإِن العزم والحزم الذي يكون على حقائق الإِيمان يكسره ويهده، ودخلت ﴿كَانَ﴾ دالة على لزوم الصفة.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ﴾، اختلف المتأولون في من المراد بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ﴾:

فقال ابن عباس وغيره: كان عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أَبي وقاص، والمقداد ابن عمرو الكندي، وجماعة سواهم [من المؤمنين][1]؛ قد أَنِفُوا من الذل بمكة قبل الهجرة، وسأَلوا رسول الله ﷺ أَنْ يُبيح لهم مقاتلة المشركين، فأَمرهم الله تعالى بكف الأَيدي، وأَن لا يفعلوا، فلما كان بالمدينة وفُرض القتال شق ذلك على بعضهم، وصعب موقعه، ولحقهم ما يلحق البشر من الخَوَر والكَعِّ عن مقارعة العدو، فنزلت الآية فيهم[2].

---

(١) ليست في المطبوع والأصل.

(٢) الأشبه من قول عكرمة، أخرجه النسائي في الكبرى (٤٢٩٣-١١١١٢)، والطبري (٩٩٥١) والحاكم في المستدرك (٢٣٧٧-٣٢٠٠)، والبيهقي في الكبرى (١٨١٩٧)، من طريق علي بن الحسن بن شقيق قال: أخبرنا الحسين بن واقد، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، فذكره، لكن رواه الحسين ـ هو سنيد بن داود ـ قال: حدثنا حجاج ـ هو ابن محمد المصيصي ـ عن ابن جريج، عن عكرمة من قوله، أقول: وهذا أشبه، والحسين بن واقد له أوهام.
ولهذا الموضع نظير ذكره ابن أبي حاتم في العلل (١٧٣٤)، روى الحسين عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، ورواه ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة من قوله، فرجحه أبو حاتم؛ لأن ابن عيينة أحفظ وأعلم بعمرو من الحسين. اهـ.
وسوَّى ابن معين بين ابن عيينة وابن جريج في عمرو بن دينار، وهما مقدمان فيه، بخلاف الحسين، الذي يظهر أنه سلك الجادة في الموضعين، والله تعالى أعلم.

وقال قوم: كان كثير من العرب قد استحسنوا الدخول في دين محمد ﷺ على فرائضه التي كانت قبل القتال من الصلاة والزكاة ونحوها، والموادعة وكف الأَيدي، فلما نزل القتال شق ذلك عليهم، وجزعوا له، فنزلت الآية فيهم[١].

وقال مجاهد، وابن عباس أَيضاً: إِنما الآية حكاية عن اليهود: أَنهم فعلوا ذلك مع نبيِّهم في وقته[٢]، فمعنى الحكاية عنهم تقبيح فعلهم، ونهي المؤمنين عن فعل مثله.

وقالت فرقة: المراد بالآية: المنافقون من أَهل المدينة عبد الله بن أُبَيٍّ وأَمثاله؛ وذلك أَنهم كانوا قد سكتوا[٣] على الكره إِلى فرائض الإِسلام مع الدَّعَة وعدم القتال، فلما نزل القتال شق عليهم وصعب عليهم صعوبة شديدة؛ إِذ كانوا مكذبين بالثواب، ذكره المهدوي[٤].

قال القاضي أَبو محمد: ويُحَسِّن هذا القول أن ذكر المنافقين يطرد فيما بعدها من الآيات.

ومعنى ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾: أَمسكوا عن القتال.

و«الفريق»: الطائفة من الناس، كأَنه فارق غيره.

وقوله: ﴿يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ يعني: أَنهم كانوا يخافون الله في جهة الموت؛ [لأَنهم لا يخشون الموت إِلا منه، فلما كتب عليهم قتال الناس رأَوا أَنهم يموتون بأَيديهم، فخشوهم في جهة الموت][٥] كما كانوا يخشون الله.

وقال الحسن: قوله: ﴿كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ يدل على أَنها في المؤمنين، وهي خشية

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٦٢٠)، عن السدي بنحوه مختصراً.

(٢) أخرجه الطبري (٩٩٥٦)، من طريق عطية العوفي، عن عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، والعوفي ضعيف.

(٣) في المطبوع: «سكتوا».

(٤) لم أجده، وانظر: تفسير الماوردي (١/ ٥٠٧).

(٥) ساقط من جار الله.

خوف لا خشية مخالفة[١]، ويحتمل أَن يكون المعنى: يخشون الناس على حد خشية المؤمنين لله عز وجل.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ترجيح لا قطع.

وقوله: ﴿أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗ﴾، قالت فرقة: ﴿أَوۡ﴾ بمعنى: الواو، وفرقة: هي بمعنى: «بل»، وفرقة: هي للتخيير، وفرقة: على بابها في الشك في حق المخاطب، وفرقة: هي على جهة الإِبهام على المخاطب.

قال القاضي أَبو محمد: وقد شرحت هذه الأَقوال وغيرها[٢] في سورة البقرة في قوله: ﴿أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾ [البقرة: ٧٤]؛ لأن الموضعين سواء.

وقولهم: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ﴾، ردٌّ في صدر أَوامر الله تعالى، وقلة استسلام له.

و«الأَجل القريب» يعنون به: موتهم على فرشهم، هكذا قال المفسرون[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا يحسن إِذا كانت الآية في اليهود أَو المنافقين، وأَما إِذا كانت في طائفة من الصحابة، فإِنما طلبوا التأَخر إلى وقت ظهور الإِسلام وكثرة عددهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨﴾.

المعنى: قل يا محمد لهؤلاء: ﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ﴾؛ أَي: الاستمتاع بالحياة فيها الذي حرصتم عليه، وأَشفقتم من فقده قليلٌ؛ لأَنه فان زائل، والآخرة التي هي نعيم مؤبد خيرٌ

(١) في المطبوع: «مخافة».

(٢) في المطبوع: «كلها»، بدل: «وغيرها».

(٣) انظر: تفسير مقاتل (١/ ٢٤٢)، وتفسير الطبري (٨/ ٥٤٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٠٦).

لمن أَطاع الله واتقاه في الامتثال[١] لأوامره على المحاب والمكاره.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: ﴿تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ بالتاءِ على الخطاب، وقرأَ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: ﴿يُظْلَمُونَ﴾ بالياءِ[٢] على ترك المخاطبة وذكر الغائب.

و«الفتيل»: الخيط في شق نواة التمرة، وقد تقدم القول فيه.

و﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ﴾: جزاءٌ وجوابه، وهكذا قراءَة الجمهور.

وقرأَ طلحة بن سليمان[٣]: (يدركُكم) بضم الكافَين ورفع الفعل، قال أَبو الفتح: ذلك على تقدير دخول الفاءِ، كأَنه قال: فيدرككم الموت، وهي قراءَة ضعيفة[٤].

وهذا إِخبارٌ من الله يتضمن تحقير الدنيا، وأَنه لا منجى من الفناءِ والتنقل.

[١/ ٣٣٠] واختلف المتأَولون في قوله:/ ﴿فِي بُرُوجٍ﴾:

فالأَكثر والأَصح: أَنه أَراد البروج والحصون[٥] التي في الأرض المبنية؛ لأنها غاية البشر في التحصن والمنعة، فمثَّل الله لهم بها، قال قتادة: المعنى: في قصور محصَّنة، وقاله ابن جريج، والجمهور[٦].

---

(١) في المطبوع: «في امتثال لأوامره».

(٢) وهما متواترتان في هذا الحرف، انظر: السبعة لابن مجاهد (ص: **٢٣٥**)، والتيسير (ص: **٩٦**)، قال: ولا خلاف في الأول أنه بالياء.

(٣) هو طلحة بن سليمان السمان، مقرئ، أخذ القراءة عرضاً عن فياض بن غزوان عن طلحة بن مصرف، وله شواذ تروى عنه، روى عنه القراءة إسحاق بن سليمان أخوه وعبد الصمد بن عبد العزيز الرازي، غاية النهاية في طبقات القراء (**١/ ٣٤١**).

(٤) انظر القراءة وتوجيهها في المحتسب (**١/ ١٩٢**).

(٥) في السليمانية وفيض الله: «البروج التي في الحصون...»، وفي نجيبويه ونور العثمانية وجار الله: «البروج في الحصون ... ».

(٦) انظر: تفسير مقاتل (**١/ ٢٤٣**)، وتفسير الطبري (**٨/ ٥٥٣**)، وتفسير ابن أبي حاتم (**٣/ ١٠٠٨**)، وقول السدي عند الطبري أيضاً.

وقال السدي: هي بروج في سماء الدنيا مبنية، وحكى مكي هذا القول عن مالك، وأنه قال: أَلا ترى إِلى قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١][١].

وحكى النقاش عن ابن عباس أَنه قال: ﴿فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ معناه: في قصور من حديد[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا لا يُعطيه اللفظ، وإِنما البروج في القرآن إِذا وردت مقترنة بذكر السماءِ بروج المنازل للقمر وغيره، على ما سمتها العرب وعرفتها.

وبَرَج معناه: ظهر، ومنه البروج؛ أَي: المطولة الظاهرة، ومنه تبرُّج المرأَة.

و﴿مُّشَيَّدَةٍ﴾ قال الزجاج وغيره: معناه: مرفوعة مطولة[٣]؛ لأَن: شاد الرجل البناءَ: إِذا صنعه بالشِّيد، وهو الجِص، وأَشَادَ وشَيَّدَ: [إِذا رفعه وعلاه، ومنه: أَشاد الرجل ذكر الرجل: إِذا رفعه، وقالت طائفة: ﴿مُّشَيَّدَةٍ﴾ معناه: محسنة بالشِّيد، وذلك عندهم أَن شاد الرجل معناه: جصَّص بالشِّيد.

وشيَّد][٤] معناه: كرر ذلك الفعل، فهي للمبالغة، كما تقول: كسرت العود مرة، وكسَّرْته في مواضع منه كثيرة مراراً، وخرقْتُ الثوب وخرَّقته: إِذا كان الخرق منه في مواضع كثيرة، فعلى هذا يصح أَن تقول: شاد الرجل الجدار مرة، وشيَّد الرجل الجدار إِذا أَردت المبالغة؛ لأَن التشييد منه وقع في مواضع كثيرة، ومن هذا المعنى قول الشاعر:

شَـادَهُ مَـرْمَـراً وَجَلَّـلَـهُ كِـلْـ ... ـساً فللطَّيْـر فِـي ذُرَاهُ وُكُـورُ[٥] [الخفيف]

---

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/ ١٣٩٠).

(٢) تفسير القرطبي (٥/ ٢٨٣).

(٣) لفظه في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٧٩): شاد الرجل بناءه يشيده شيداً: إذا رفعه وإذا طلاه بالشيد، فلعل الصواب: مطلية.

(٤) سقط من الأصل.

(٥) البيت لعدي بن زيد العبادي كما في الأغاني (٢/ ١٣٢)، والشعر والشعراء (ص: ٢٢٦)، والكامل في اللغة والأدب (١/ ٨٥).

والهاءُ والميم في قوله: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ﴾ ردٌّ على الذين قيل لهم: ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾، وهذا يدل على أَنهم المنافقون؛ لأَن المؤمنين لا تليق بهم هذه المقالة، ولأَن اليهود لم يكونوا للنبي ﷺ تحت أَمر، فتصيبهم بسببه أَسواء.

ومعنى الآية: وإِن تصب هؤلاءِ المنافقين حسنة من هزم عدو، أَو غنيمة، أَو غير ذلك؛ رأَوا أَن ذلك بالاتفاق من صنع الله، لا أَنه ببركة اتباعك والإِيمان بك، وإِن تصبهم سيئة؛ أَي: هزيمة، أَو شدة جوع، وغير ذلك؛ قالوا: هذه بسببك لسوءِ تدبيرك، كذا قال ابن زيد[١]، وقيل: لشؤمك علينا، قاله الزجاج وغيره[٢].

وقوله: ﴿قُلۡ كُلّٞ﴾ إِعلام من الله تعالى أَن الخير والشر والحسنة والسيئة خلق له ومن عنده، لا رب غيره، ولا خالق ولا مخترع سواه، فالمعنى: قل يا محمد لهؤلاء: ليس الأَمر كما زعمتم من عندي، ولا من عند غيري، بل هو كله من عند الله، قال قتادة: النعم والمصائب من عند الله، قال ابن زيد: النصر والهزيمة[٣]، قال ابن عباس: السيئة والحسنة[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا كله شيءٌ واحد.

ثم وبخهم بالاستفهام عن علة جهلهم، وقلة فهمهم وتحصيلهم لما يخبرون به من الحقائق.

و«الفقه» في اللغة: الفهم، وأَوقفته الشريعة على الفهم في الدين وأُموره، وغلب عليه بعد الاستعمال في علم المسائل الأَحكامية.

---

(١) حكاه عنه الطبري (٨/ ٥٥٦)، والماوردي في تفسيره (١/ ٥٠٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٧٩).

(٣) انظر الأقوال في تفسير الطبري (٨/ ٥٥٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠١٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٣٥)، وتفسير الماوردي (١/ ٥٠٩).

(٤) أخرجه الطبري (٩٩٦٧)، وابن أبي حاتم (٥٦٥٠)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما.

والبلاغة في الاستفهام عن قلة فقههم بينة؛ لأَنك إِذا استفهمت عن علة أَمر ما فقد تضمن كلامك إِيجاب ذلك الأَمر تضمناً لطيفاً بليغاً.

ووقف أَبو عمرو، والكسائي على قوله: ﴿فَمَا﴾، ووقف الباقون على اللام في قوله: ﴿فَمَالِ﴾ اتباعاً للخط[١]، ومنعه قوم جملةً؛ لأنه حرف جر، فهي بعض المجرور، وهذا كله بحسب ضرورة وانقطاع النفس، وأَما أَن يختار أَحد الوقف فيما ذكرناه ابتداءً فلا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾.

قالت فرقة: ﴿مَّآ﴾: شرطية، ودخلت ﴿مِنْ﴾: بعدها؛ لأن الشرط ليس بواجب، فأشبه النفي الذي تدخله «من».

وقالت فرقة: ﴿مَّآ﴾ بمعنى: الذي، و﴿مِنْ﴾: لبيان الجنس؛ لأن المصيب للإنسان أشياء كثيرة: حسنة وسيئة، ورخاء وشدة، وغير ذلك، والخطاب للنبي ﷺ، وغيرُه داخل في المعنى، وقيل: الخطاب للمرء على الجملة.

ومعنى هذه الآية عند ابن عباس[٢] وقتادة والحسن والربيع وابن زيد وأبي صالح وغيرهم: القطع واستئناف الإخبار من الله تعالى، بأن الحسنة منه وبفضله، والسيئة من الإنسان بإذنابه، وهي من الله بالخلق والاختراع[٣].

---

(١) التيسير في القراءات السبع (ص: ٦١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٦٥٩)، من طريق علي بن أبي طلحة، و(٥٦٦٠)، من طريق عطية العوفي، كلاهما عن ابن عباس به.

(٣) انظر تفسير الطبري (٨/ ٥٥٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠١٠)، وتفسير الماوردي (١/ ٥٠٩).

وفي مصحف ابن مسعود[: (فمن نفسك وأنا قضيتُها عليك)، وقرأ بها ابن عباس.

وحكى أبو عمرو أنها: في مصحف ابن مسعود:][1] (وأَنا كَتَبْتُها).

وروي أَن أُبَيّاً وابن مسعود قَرَآ: (وأنا قدَّرتُها عليك)[2].

ويعضد هذا التأويل أحاديث عن النبي ﷺ معناها: أن ما يصيب ابن آدم[3] من المصائب فإنما هو عقوبة ذنوبه[4]، ومن ذلك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما نزلت: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] جزع، فقال له رسول الله ﷺ: «أَلَسْتَ تمرض؟ أَلَسْتَ تَسْقم؟ أَلَسْت تَغْتَمُّ؟»[5].

---

(١) ساقط من نور العثمانية.

(٢) لم أقف على كتاب أبي عمرو الداني، والألفاظ الثلاثة مخالفة للمصحف، انظر (كتبتُها) لابن عباس في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٢٧)، وله ولابن مسعود في الهداية لمكي (٢/ ١٣٩٣)، وعزا (قدَّرتُها) لهما في آخرين الكرماني في الشواذ (ص: ١٣٩)، و(قضيتُها) لم أجدها.

(٣) في السليمانية وفيض الله: «الإنسان».

(٤) منها ما رواه مسلم (٢٥٧٤) من حديث أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]؛ بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة ينكبها، أو الشوكة يشاكها».

(٥) لا يثبت، رواه أحمد في مسنده (١/ ٢٢٩-٢٣٠-٢٣١)، وأبو يعلى في مسنده (١٠٠-١٠١)، والطبري في تفسيره (١٠٥٢٣-١٠٥٢٨)، وابن حبان في صحيحه (٢٩١٠-٢٩٢٦)، والحاكم في المستدرك (٤٤٥٠)، وغيرهم من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي بكر بن أبي زهير، عن أبي بكر رضي الله عنه، وفي رواية: عن أبي بكر بن أبي زهير قال: أخبرت أن أبا بكر قال... وهذا ظاهر الانقطاع وابن أبي زهير، هو: معاذ الثقفي الكوفي لم يسمع من أبي بكر أصلاً، كما في جامع التحصيل (٩٣٥).

وقد رواه ابن عدي في الكامل (٥/ ١٩٢)، عن عمر بن محمد بن عيسى السذابي، ثنا محمود ابن خداش، ثنا علي بن عاصم، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ قال أبو بكر: يا رسول الله نزلت قاصمة الظهر... الحديث، وحدثنا عمر بن محمد بن عيسى، ثنا محمود بن خداش، ثنا علي ابن عاصم، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن أبي بكر، عن النبي ﷺ بمثله، قال ابن عدي: وهذا الحديث مع ما تقدم لعلي بن عاصم بهذه الأسانيد لا أعرفها إلا من =

وقال أيضاً ﷺ: «ما يصيب الرجل خدشة عود، ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عرق؛ إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر»[١]، ففي هذا بيان أن تلك كلها مجازاة على ما يقع من الإنسان.

وقالت طائفة: معنى الآية كمعنى الآية التي قبلها في قوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] على تقدير حذف «يقولون»، فتقديره: «فما لهؤلاءِ الْقَوم لا يَكَادُون يَفْقَهُون حَدِيثاً، يقولون: ما أَصَابَك مِنْ حَسَنَةٍ»، ويجيءُ القطع على هذا القول من قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ﴾.

وقالت طائفة: بل القطع في الآية من أولها [إلى آخرها][٢]، والآية مضمَّنة الإخبار أن الحسنة من الله وبفضله، وتقدير ما بعده: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾، على جهة الإنكار والتقرير[٣]، فعلى هذه المقالة ألف الاستفهام محذوفة[٤] من الكلام، وحكى هذا القول المهدوي[٥].

و﴿رَسُولًا﴾: نصب على الحال، وهي حال تتضمن معنى التأكيد.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾/، ثم تلاه بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [١/ ٣٣١]
توعدٌ للكفرة، وتهديد يقتضيه قوة الكلام؛ لأن المعنى شهيداً على من كذبه، والمعنى: أن الرسول إنما يأمر وينهى بياناً من الله تعالى وتبليغاً، فإنما هي أوامر الله ونواهيه.

= رواية علي بن عاصم عنهم. اهـ، وعلي بن عاصم بن صهيب الواسطي ضعيف، وعمر بن محمد بن عيسى السذابي؛ قال الخطيب: في بعض حديثه بعض النكارة كما في الميزان (٦٢٠٠).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٩٩٦٩)، وفي (٢١/ ٥٣٩)، بإسناد صحيح عن قتادة مرسلًا، وقد رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ١٩٢)، بإسناد صحيح عن الحسن مرسلاً.

(٢) زيادة من السليمانية.

(٣) في حاشية المطبوع: «هكذا في الأصول»، ولعلها: «والتقريع».

(٤) كتبت في المطبوع: «محذوقة».

(٥) التحصيل للمهدوي (٢/ ٣٠٠).

وقالت فرقة: سبب هذه الآية: أن رسول الله ﷺ قال: «من أحبني فقد أحب الله»[١]، فاعترضت اليهود عليه في هذه المقالة، وقالوا: هذا محمد يأمر بعبادة الله وحده، وهو في هذا القول مدّع للربوبية، فنزلت هذه الآية تصديقاً للنبي ﷺ، وتبييناً لصورة التعلق بينه وبين فضل الله تعالى.

و﴿تَوَلَّىٰ﴾ معناه: أعرض، وأصل ﴿تَوَلَّىٰ﴾ في المعنى أن يتعدى بحرف، فتقول: تولَّى فلان عن الإيمان، وتولى إلى الإيمان؛ لأن اللفظة تتضمن إقبالاً وإدباراً، لكن[٢] الاستعمال غلب عليها في كلام العرب على الإعراض والإدبار، حتى استغني فيها عن ذكر الحرف الذي يتضمنه.

و﴿حَفِيظًا﴾ يحتمل معنيين؛ أي: ليحفظهم حتى لا يقعوا في الكفر والمعاصي ونحوه، أو ليحفظ مساوئهم وذنوبهم ويحسبها عليهم، وهذه الآية تقتضي الإعراض عن من تولى والترك له، وهي قبل نزول القتال، وإنما كانت توطئة ورفقاً من الله تعالى حتى يستحكم أمر الإسلام.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ الآية، نزلت في المنافقين باتفاق من المفسرين[٣]، المعنى: يقولون لك يا محمد: أمرنا طاعة، فإذا خرجوا من عندك اجتمعوا ليلاً، وقالوا غير ما أظهروا لك.

و﴿بَيَّتَ﴾ معناه: فَعَل ليلاً، فإما أُخذ من «بات»، وإما من «البيت» لأنه ملتزم بالليل وفي الأسرار التي يُخاف شياعها، ومن ذلك قول الشاعر:

[المتقارب] أَتَــوْنــي فَــلــمْ أَرْضَ مــا بيَّــتُــوا ... وكــانــوا أَتــوْنــي بأَمــرٍ نُــكُــرْ[٤]

---

(١) غريب بهذا اللفظ، وقد أخرجه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥) بلفظ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني...» الحديث.

(٢) في السليمانية: «إلا أن»، بدل: «لكن».

(٣) انظر: تفسير مقاتل (١/ ٢٤٤)، وتفسير الطبري (٨/ ٥٦٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠١٢).

(٤) البيت لعبيدة بن همَّام كما في مجاز القرآن (١/ ١٣٣)، وتفسير الطبري (٨/ ٥٦٣)، وسماه في العين (٨/ ١٣٨): عبيد بن هلال.

ومنه قول النَّمر بن تولب:

هَبَّتْ لِتَعْذُلَنِي بليْل اسْمَعِي سَفَهاً تُبَيِّتُكِ الملامَةُ فَاهْجَعِي[١] [الكامل]

المعنى: وتقول لي: اسمع، وزيدت الياءُ إِشباعاً لتصريع القافية، [وإتباعاً للياء][٢]، كقول امرئ القيس:

أَلا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّويلُ أَلا انْجَلي[٣] .... [الطويل]

وقوله: بأمثلي.

وقرأ جمهور القراء: ﴿بَيَّتَ﴾ بتحريك التاء، وقرأَ أَبو عمرو وحمزة[٤] بإدغامها في الطاء.

وقرأَ ابن مسعود: (بيَّت مُبَيِّت منهم يا محمد)[٥].

وقوله: ﴿تَقُولُ﴾ يحتمل أن يكون معناه: تقول أنت: يا محمد، ويحتمل: تقول هي لك، و﴿يَكْتُبُ﴾ معناه على وجهين: إما يكتبه عنده حسب كتب الحفظة حتى يقع الجزاء، وإما يكتبه في كتابه إليك؛ أي: ينزله في القرآن ويعلم بها، قال هذا القول الزجّاج[٦]، والأمر بالإعراض إنما هو عن معاقبتهم ومجازاتهم، وأما استمرار دعوتهم وعظتهم فلازم.

---

(١) انظر عزوه له في تفسير الطبري (٨/ ٥٦٣)، ومجاز القرآن (١/ ١٣٣)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٤٤٣).

(٢) ليست في المطبوع.

(٣) انظر عزوه له في الأغاني (٩/ ٨٦)، والأمالي للقالي (١/ ١٥٧)، والمثل السائر (١/ ٢٤٠)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ١٤٧).

(٤) في نجيبويه: «وحده»، والقراءة لهما كما في التيسير (ص: ٩٦)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٣٥).

(٥) معاني القرآن للفراء (١/ ٢٧٩)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٧٦)، دون لفظة: «يا محمد»، ولكنها وردت في البحر المحيط (٣/ ٧٢٥).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨١).

قال الضحاك: معنى ﴿أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾: لا تخبر بأسمائهم[١]، وهذا أيضاً قبل نزول القتال على ما تقدم.

ثم أمر الله تعالى بالتوكل عليه والتمسك بعروته الوثقى؛ ثقةً بإنجاز وعده في النصر.

و«الوكيل»: القائم بالأُمور، المصلح لما يُخاف من فسادها، وليس ما غلب عليه الاستعمال العامي[٢] في الوكيل في عصرنا بأصل في كلام العرب، وهي لفظة رفيعة وضعها الاستعمال العامي، كالعريف والنقيب، وغيره.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾﴾.

المعنى: هؤلاء المنافقون الطاعنون عليك، الدافعون[٣] بغير برهان في صدر نبوتك، ألا يرجعون إلى النصفة، وينظرون موضع الحجة، ويتدبرون كلام الله تعالى؟ فتظهر لهم براهينه، وتلوح أدلته.

و«التدبر»: النظر في أعقاب الأمور وتأويلات الأَشياءِ، هذا كله يقتضيه قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾، وهذا أمر بالنظر والاستدلال، ثم عرَّف تعالى بمواقع الحجة؛ أي: لو كان من كلام البشر لدخله ما في كلام البشر [من القصور، وظهر فيه التناقض والتنافي الذي لا يمكن جمعه؛ إذ ذلك موجود في كلام البشر][٤]، والقرآن منزه عنه؛ إذ هو كلام المحيط بكل شيءٍ علماً.

---

(١) انظر معاني القرآن للنحاس (٢/ ١٣٩)، وتفسير السمعاني (١/ ٤٥٢)، وتفسير البغوي (١/ ٤٥٥).
(٢) «العامي»: زيادة من السليمانية وفيض الله، وكذا نور العثمانية إلا أن فيها: «العام».
(٣) في المطبوع: «الرافعون».
(٤) سقط من نور العثمانية.

قال القاضي أبو محمد: فإن عرضت لأحد شبهة وظن اختلافاً في شيء من كتاب الله؛ فالواجب أن يتهم نظره ويسأَل من هو أعلم منه.

وذهب الزجّاج: إلى أن معنى الآية: لوجدوا فيما نخبرك به مما يبيِّتون اختلافاً[١]؛ أي: فإذ تخبرهم به على حد ما يقع، فذلك دليلٌ على أنه من عند الله غيب من الغيوب، هذا معنى قوله، وقد بينه ابن فُورَك والمهدوي[٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ ﴾ الآية، قال جمهور المفسرين: الآية في المنافقين حسبما تقدم من ذكرهم[٣]، والآية نازلة في سرايا رسول الله ﷺ وبعوثه.

والمعنى: أن المنافقين كانوا يَشْرَهون[٤] إلى سماع ما يسوءُ النبي في سراياه، فإذا طرأت لهم شبهة أمن للمسلمين، أو فتح عليهم؛ حقروها وصغروا شأنها، وأَذاعوا بذلك التحقير والتصغير، وإذا طرأَت لهم شبهةُ خوفٍ للمسلمين أو مصيبة؛ عظموها وأذاعوا ذلك التعظيم.

و﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ معناه: أفشوه، وهو فعل يتعدى بحرف جر، وبنفسه أحياناً، تقول: أذعت كذا، وأذعت به، ومنه قول أبي الأسود:

أَذَاعُـوا بِهِ فِـي النَّاسِ حَتَّـى كَأَنَّهُ   بِعَلْيَـاءَ نَـارٌ أُوقِـدَتْ بِثُقُـوبِ[٥]   [الطويل]

وقالت فرقة: الآية نازلة في المنافقين، وفي من ضعف جلده[٦] عن الإيمان من المؤمنين، وقَلَّت تجربته.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٢).
(٢) التحصيل للمهدوي (٢/ ٣٢٦).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٥٦٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠١٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٤١).
(٤) في الحمزوية: «يشهرون»، وفي المطبوع ونور العثمانية: «يشرئبون».
(٥) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ١٣٣)، والأغاني (١٢/ ٣٠٥)، والحيوان (٥/ ٦٠١)، وفي نجيبويه: «بتقرب».
(٦) جلده ليست في الأصل والمطبوع.

قال القاضي أبو محمد: فإما أن يكون ذلك في أمر السرايا؛ فإنهم كانوا يسمعون أَقوال المنافقين فيقولونها مع من قالها، ويذيعونها مع من أذاعها، وهم غير متثبتين في صحتها، وهذا هو الدال على قلة تجربتهم، وإما أن يكون ذلك في سائر الأمور الواقعة، كالذي قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه جاءَ وقوم في المسجد يقولون: طلق رسول الله ﷺ/ نساءَه، قال: فدخَلْتُ على عائشة، فقلتُ: يا ابنة أَبي بكر، بلغ من أَمرك أَن تؤذي رسول الله ﷺ؟ فقالت: يا ابن الخطاب، عليك بِعَيْبَتك، قال: فدخلْتُ على حفصة، فقلت: يا حفصة، قد علمتِ أن رسول الله ﷺ لم يكن يحبك، ولولا أنا لطلقك، فجَعَلت تبكي. [١/ ٣٣٢]

قال: فخرجت حتى جئت إلى رسول الله ﷺ وهو في غرفة له، ورباح[١] مولاه جالس على أُسْكُفَّة الغرفة، فقلت: يا رباح، استأذن لي على رسول الله، [فنظر إلى الغرفة ثم نظر إليّ وسكت، فقلت: يا رباح، استأذن لي على رسول الله][٢]، فلعلَّه يظن أني جئت من أجل حفصة، والله لو أَمرني أن أَضرب عنقها لضربته، فنظر ثم أَشار إليّ بيده: أَن ادخل، فدخلت، وإذا رسول الله ﷺ مضطجع على حصير وقد أَثر في جنْبه، وإذا ليس في غرفته إلا قبضة من شعير، وقبضة من قَرَظ، وإذا أَفِيقان[٣] معلَّقان، فبكيت.

فقال رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا ابن الخطاب؟»، فقلت: يا رسول الله، أنت صفوة الله من خلقه ورسولُه، وليس لك من الدنيا إلا هذا، وكسرى وقيصر في الأشجار والأنهار، فقال: «أهاهنا أنت يا عمر؟ أما ترضى أن تكون [لهم الدنيا ولنا الآخرة][٤]؟»، فقلت: بلى، ثم جعلتُ أُحدثه حتى تهلَّل وابتسم، فقلت يا رسول الله: إِنهم ادعوا أَنك طلقت نساءَك، فقال: «لا»، فقلت: أَتأْذن لي أَن أُعرف الناس؟ قال: «افعل إن شئت»، قال:

---

(١) رباح مولى رسول الله ﷺ، ثبت ذكره في الصحيحين من حديث عمر، وقال البلاذريُّ: كان أسود، وكان يستأذن عليه ﷺ، ثم صيَّره مكان يسار بعد قتله، الإصابة (٢/ ٣٧٧).

(٢) سقط من الأصل.

(٣) مثنى: أَفِيق، وهو: الجلد الذي لم يدبغ.

(٤) وقعت معكوسة في الأصل، هكذا: «لنا الدنيا، ولهم الآخرة»، وهو سهو من الناسخ.

فقمت على باب المسجد، فقلت: أَلا إِن رسول الله ﷺ لم يطلق نساءه، فأنزل الله في هذه القصة: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ﴾ الآية[١]، وأنا الذي استنبطته.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ﴾ الآية.

المعنى: لو أمسكوا عن الخوض واستقصوا الأُمور من قِبل الرسول أو ـ أولي الأمر ـ وهم الأمراء، قاله السدي وابن زيد، وقيل: أهل العلم، قاله الحسن وقتادة وغيرهما[٢]، والمعنى يقتضيهما معاً لعَلِمَهُ طلابه من الأمراء[٣] والبحَثة عنه، وهم مستنبطوه، كما يستنبط الماءُ، وهو النبط؛ أي: الماءُ المستخرج من الأرض، ومنه قول الشاعر:

[الطويل]

قَرِيبٌ ثَرَاهُ ما يَنَالُ عَدُوُّه   لَهُ نَبَطاً آبِي الهَوَانِ قَطُوبُ[٤]

وهذا التأويل جارٍ مع قول عمر: أنا استنبطته ببحثي وسؤالي[٥].

وتحتمل الآية أن يكون المعنى: لعلمه المسؤولون المستنبطون، فأخبروا بعلمهم.

وقرأ أبو السمَّال: (لعلْمه) بسكون اللام، وذلك مثل: (شجْر بينهم)[٦].

والضمير في ﴿رَدُّوهُ﴾: عائدٌ على الأَمر، وفي ﴿مِنْهُمْ﴾: يحتمل أن يعود على ﴿ٱلرَّسُولِ﴾ و﴿أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ﴾، ويحتمل أن يعود على الجماعة كلها؛ أي: لعلمه البحثة من الناس.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ الآية: هذا خطاب لجميع

---

(١) متفق عليه بنحوه، أخرجه البخاري (٢٣٣٦)، ومسلم (٣٧٦٤)، من حديث عبد الله بن عباس، بلفظ قريب من هذا.

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٨/ ٥٦٩).

(٣) في الحمزوية والمطبوع والسليمانية وفيض الله: «أولي الأمر».

(٤) البيت لكعب الغنوي كما في جمهرة اللغة (ص: ٣٦٢)، وأساس البلاغة (٢/ ٢٤٣)، أو لعريقة بن مُسافع العبسي في الأصمعيات (ص: ١٠٣)، وسمط اللآلي (ص: ٣٤٢)، وبلا نسبة في الاشتقاق لابن دريد (ص: ٣٩٦)، وأمالي القالي (١/ ١١٥).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٦٩١)، من طريق ابن عباس، عن عمر رضي الله عنه به، بنحوه.

(٦) تقدم مثله مراراً.

المؤمنين باتفاق من المتأولين[١]، والمعنى: ولولا هداية الله وإرشاده لكم بالإيمان ـ وذلك فضل منه ورحمة ـ لَكُنْتُم على كفركم، وذلك هو اتباع الشيطان.

وحكى الزجاج: لولا فضل الله في هذا القرآن ورسالة محمد ﷺ[٢].

واختلف المتأولون في الاستثناء بقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ مم هو؟

فقال ابن عباس[٣] وابن زيد: ذلك مستثنى من قوله: ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ إلا قليلاً، ورجحه الطبري، وقال قتادة: ذلك مستثنى من قوله: ﴿يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ إلا قليلاً[٤].

وقالت فرقة: ذلك مستثنى من قوله: ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ إِلَّا قَلِيلاً، على سرد الكلام دون تقدير تقديم.

ثم اختلفت هذه الفرقة:

فقال الضحاك: إن الله هدى الكل منهم إلى الإيمان، فكان منهم من تمكَّن فيه حتى لم يخطر له قط خاطر شك، ولا عنَّتْ له شبهة ارتياب، فذلك هو القليل، وسائر من أسلم من العرب لم يخل من الخواطر، فلولا فضل الله بتجديد الهداية لهم؛ لضلُّوا واتَّبعوا الشيطان[٥].

قال القاضي أبو محمد: هذا معنى قول الضحاك، ويجيءُ «الفضل» معيناً؛ أي: رسالة محمد ﷺ والقرآن؛ لأن الكل إنما هدي بفضل الله على الإطلاق.

وقال قوم: المخاطب بقوله: ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ﴾ جميع المؤمنين.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٥٧٤).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٨٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٠٠١١)، وابن أبي حاتم (٥٧٠٠)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه، قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، فهو في أول الآية لخبر المنافقين.

(٤) انظر قول الطبري ونقله عن ابن زيد وقتادة في تفسيره (٨/ ٥٧٣).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٥٧٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٤٢).

وقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: إشارة إلى من كان قبل الإسلام غير متبع للشيطان على ملَّة إبراهيم، كورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نُفيل، وغيرهما.

وقال قوم: الاستثناءُ إنما هو من الاتباع؛ أي: لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ كلكم إِلَّا قَلِيلاً من الأمور كنتم لا تتبعونه فيها.

وقال قوم: قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ عبارة عن العدم، يريدون لاتَّبَعْتُم الشيطان كلكم.

قال القاضي أبو محمد: وهذا الأخير قول قلق، وليس يشبه ما حكى سيبويه من قولهم: أَرض قلَّما تنبت كذا[١]؛ أي: لا تُنْبته؛ لأن اقتران القلَّة بالاستثناءِ يقتضي حصولها، ولكن قد ذكره الطبري[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾.

هذا أمر في ظاهر اللفظ للنبي ﷺ وحده، لكن لم نجد قط في خبر أن القتال فرض على النبي ﷺ دون الأُمة مدة ما، فالمعنى ـ والله أعلم ـ أنه خطاب للنبي ﷺ في اللفظ، وهو مثال ما يقال لكل واحد في خاصة نفسه؛ أي: أنت يا محمد وكل واحد من أمتك القول له: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾، ولهذا ينبغي لكل مؤمن أن يستشعر أن يجاهد ولو وحده، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «والله لأُقاتِلَنَّهُم حتى تنفرد سالفتي»[٣]، وقول أبي بكر وقت الرِّدَّة: ولو خالفتني يميني لجاهدتها بشمالي[٤].

---

(١) في السليمانية وفيض الله: «أرضي»، وانظر كلام سيبويه على (قلما) في الكتاب (٣/ ١١٥).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٥٧٤).
(٣) أخرجه البخاري (٢٥٨١)، من حديث المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم في قصة صلح الحديبية.
(٤) لم أقف عليه.

وخلط قوم في تعلق الفاء من قوله: ﴿فَقَاتِلْ﴾ بما فيه بُعْد، والوجه: أنها عاطفة جملة كلام على جملة، وهي دالة على اطراح غير ما أمر به، ثم خص النبي ﷺ بالأمر بالتحريض؛ أي: الحث على المؤمنين في القيام بالفرض الواجب عليهم.

و﴿عَسَى﴾ إذا وردت من الله تعالى، فقال عكرمة وغيره: هي واجبة[١]؛ لأنها من البشر متوقعة مرجوة / ، ففضل الله تعالى يوجب وجوبها، وفي هذا وعدٌ للمؤمنين [١/ ٣٣٣] بغلبتهم للكفرة، ثم قوى بعد ذلك قلوبهم بأن عرفهم شدة بأس الله، وأنه أقدر على الكفرة، وأَشَدُّ تَنْكِيلاً لهم، والتنكيل: الأخذ بأنواع العذاب وترديده عليهم.

وقوله: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ الآية أصل الشفاعة والشُّفعة ونحوها من الشَّفْع، وهو الزوج في العدد؛ لأن الشافع ثان لوتر المذنب، والشَّفيع ثانٍ لوتْر المشتري.

واختلف في هذه الآية المتأولون:

فقال الطبري: المعنى من يشفع وتر الإسلام بالمعونة للمسلمين، أو من يشفع وتر الكفر بالمعونة على الإسلام، ودله على هذا التأويل ما تقدم من أمر القتال.

وقال مجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم: هي في شفاعات الناس بينهم في حوائجهم، فمن يشفع لينفع فله نصيب، ومن يشفع ليضر فله كِفْل[٢].

وقال الحسن وغيره: الشفاعة الحسنة: هي في البر والطاعة، والشفاعة السيئة: هي في المعاصي[٣]، وهذا كله قريب بعضه من بعض.

و«الكفل»: النصيب، ويستعمل في النصيب من الخير والشر، وفي كتاب الله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨].

---

(١) كما تقدم في تفسير الآية (٢١٥) من (سورة البقرة)، ورواه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٠١)، عن ابن عباس، وانظر: الدر المنثور (١/ ٥٨٧).

(٢) انظر أقوالهم وقول الطبري في تفسيره (٨/ ٥٨١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠١٨).

(٣) حكاه القرطبي في تفسيره (٥/ ٢٩٥) تبعاً لابن عطية.

و﴿مُّقِيتًا﴾ معناه: قديراً، ومنه قول الشاعر، وهو الزبير بن عبد المطلب[١]:

وَذِي ضِغْـنٍ كَفَفْـتُ النَّفْـسَ عَنْهُ   وَكُنْـتُ عَلَـى إِسَـاءَتِهِ مُقِيتَـا[٢]   [الوافر]

أي: قديراً، وعبر عنه ابن عباس ومجاهد بحفيظ وشهيد[٣]، وعبد الله بن كثير: بأنه الواصب القيِّم بالأمور[٤].

وهذا كله يتقارب، ومنه قول رسول الله ﷺ: «كفى بالمرءِ إثماً أن يضيِّع من يُقِيت»[٥] على من رواها هكذا؛ أي: من هو تحت قدرته وفي قبضته من عيال وغيره.

وذهب مقاتل بن حيَّان[٦] إلى أنه الذي يقوت[٧] كل حيوان، وهذا على أن يقال

---

(١) عم النبي ﷺ، توفي قبل البعثة، وكان شاعراً، ففي طبقات فحول الشعراء (١/ ٢٤٥): وأجمع الناس على أن الزبير بن عبد المطلب شاعر، والحاصل من شعره قليل، وفي الأغاني (٢٢/ ٦٧): أنه كان رئيس بني هاشم في حلف الفجار.

(٢) انظر عزوه له في مسائل نافع بن الأزرق (ص: ١١٥)، وتفسير الطبري (٨/ ٥٨٤)، وتفسير ابن المنذر (٢/ ٨١٥)، وهو منسوب لأبي قيس بن رفاعة في طبقات فحول الشعراء (١/ ٢٨٨)، ولأحيحة بن الجلَّاح في زاد المسير (١/ ٤٤١)، وفي المطبوع بدل «إساءته»: «مساءته».

(٣) أخرجه الطبري (١٠٠٢٤)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما.

(٤) أورده عنه الطبري (٨/ ٥٨٤).

(٥) لم أقف عليه بلفظ: «يقيت»، لكن جاء بلفظ: «يقوت» وهما بمعنًى، أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٢٨١)، والحميدي في مسنده (٥٩٩)، وأحمد في مسنده (١١/ ٣٦-٤٢٤-٤٣١)، وأبو داود (١٦٩٤)، والنسائي في الكبرى (٩١٧٦-٩١٧٧)، وابن حبان في صحيحه (٤٢٤٠)، والحاكم في المستدرك (١٥١٥-٨٥٢٦) من طريق أبي إسحاق السبيعي، قال: سمعت وهب بن جابر يقول: شهدت عبد الله بن عمرو ... وفيه حكاية، وفيها: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت».
ووهب بن جابر هو: وهب بن بيان بن جابر الخيواني، تفرد عنه أبو إسحاق السبيعي، وجهله ابن المديني والنسائي، ووثقه ابن معين، وقد رواه خيثمة بن عبد الرحمن عند مسلم (٢٣٥٩)، عن عبد الله ابن عمرو بلفظ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ».

(٦) هو مقاتل بن حيان أبو بسطام النبطي البلخي الخراز، وهو ابن دوال دوز، وهو بالفارسي الخراز، روى عن الشعبي والضحاك وخلق، وعنه إبراهيم بن أدهم وابن المبارك، وكان خيراً ناسكاً كبير القدر صاحب سنة، توفي في حدود (٢٥٠هـ)، تاريخ الإسلام (٩/ ٢٩٦).

(٧) في نجيبويه زيادة: «على».

أقات بمعنى قات[١]، وعلى هذا يجيء قوله عليه السلام: «من يُقِيت» من: أقات، وقد حكى الكسائي: أقات يُقِيت[٢]، فأما قول الشاعر:

[الخفيف]

لَيْتَ شِعْرِي، وَأَشْعُرَنَّ إِذَا مَا ... قَرَّبُوهَا مَطْوِيَّةً وَدُعِيتُ

أَلِيَ الْفَضْلُ أَمْ عَلَيَّ إذا حُو ... سِبْتُ إِنِّي عَلَى الْحِسَابِ مُقِيتُ[٣]

فقال فيه الطبري: إنه من غير هذا المعنى المتقدم، وإنه بمعنى: موقوف[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا يضعفه أن يكون بناء فاعل بمعنى بناء مفعول.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ الآية.

التحية وزنها: تفعلة من: حيي، وهذا هو الأغلب من مصدر فعل في المعتل، وروي عن مالك: أن هذه الآية في تشميت العاطس[٥]، وفيه ضعف؛ لأنه ليس في الكلام على ذلك دلالة، [أما إن الردَّ][٦] على المشمت مما يدخل بالقياس في معنى رد التحية، وهذا هو منحى مالك ـ رحمه الله ـ إن صح ذلك عنه، والله أعلم.

واختلف المتأولون:

فقالت فرقة: التحيةُ: أن يقول الرجل: سلامٌ عليك، فيجب على الآخر أن يقول: عليك السلام ورحمة الله، فإن قال البادئ: السلام عليك ورحمة الله، قال الراد: عليك السلام ورحمة الله وبركاته، فإن قال البادئ: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقد

---

(١) انظر تفسير مقاتل (١/ ٢٤٥).

(٢) انظر: معاني القرآن للكسائي (ص: ١١٧).

(٣) البيتان للسموءل بن عادياء اليهودي كما في الأصمعيات (ص: ٨٦)، ومجاز القرآن (١/ ١٣٥)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ٢٨٠).

(٤) تفسير الطبري (٨/ ٥٨٥)، بالمعنى، وفي المطبوع: «موقوت»، بدل: «موقوف»، وفي نور العثمانية: «موقف».

(٥) قال القرطبي في تفسيره (٥/ ٢٩٨): رواه ابن وهب وابن القاسم عن مالك، ونقله السيوطي في الإكليل (ص: ٩٦) ابن الفرس عنه.

(٦) في المطبوع: «أما الرَّدُّ ... فمما».

انتهى، ولم يبق للراد كيف[1] يحيي بأحسن منها، فهاهنا يقع الرد المذكور في الآية، فالمعنى عند أهل هذه القالة إِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ، فإن نقص المسلم من النهاية فحيُّوا بأحسن، وإن انتهى فردُّوا.

وقالت فرقة: إنما معنى الآية: تخيير الراد، فإذا قال البادئ: السلام عليك، فللراد أن يقول: وعليك السلام فقط، وهذا هو الرد، وله أن يقول: وعليك السلام ورحمة الله، وهذا هو التحية بأحسن منها[2].

وقال ابن عباس وغيره: المراد بالآية: إِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ، فإن كانت من مؤمن فحيوا بأحسن منها، وإن كانت من كافر فردوا على ما قال رسول الله ﷺ أن يقال لهم: وعليكم[3].

وروي عن ابن عمر وابن عباس وغيرهما: انتهى السلام إلى البركة[4].

---

(١) في المطبوع: «أن».

(٢) من المطبوع، وانظر الأقوال في تفسير الطبري (٨/ ٥٨٦).

(٣) روى البخاري (٢٧٧٧)، ومسلم (٥٧٨٤)، من حديث عائشة قالت: إن اليهود دخلوا على النبي ﷺ، فقالوا: السام عليك، فلعنتهم فقال: ما لك. قلت، أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: فلم تسمعي ما قلت: وعليكم، وفي البخاري (٥٩٠٢) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم: السام عليك، فقل: وعليك».

(٤) أما أثر عبد الله بن عمر، فأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٨٤٩٠)، من طريق ابن جريج، عن أبي الزبير، عن عبد الله بن بابيه: أنه كان مع عبد الله بن عمر، فسلم عليه رجل، فقال: سلام عليك ورحمة الله وبركاته ومغفرته، فانتهره ابن عمر، وقال: حسبك إذا انتهيت إلى: وبركاته، إلى ما قال الله عز وجل، وإسناده حسن.

وأما أثر عبد الله بن عباس؛ فأخرجه مالك في الموطأ (١٧٢٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٤٧٨)، من طريق محمد بن عمر بن عطاء قال: بينا أنا عند ابن عباس، وعنده ابنه، فجاءه سائل فسلم عليه، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه، وعدد من ذا، فقال ابن عباس: ما هذا السلام؟ وغضب حتى احمرت وجنتاه، فقال له ابنه علي: يا أبتاه إنه سائل من السؤال، فقال: إن الله حد السلام حدّاً، ونهى عما وراء ذلك، ثم قرأ إلى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ ثم انتهى، وإسناده صحيح، وروي من طرق أخرى عن ابن عباس.

وجمهور أهل العلم على أن لا يُبْدَأَ أَهلُ الكتاب بسلام[١]، فإن سلم أحد ساهياً أو جاهلاً[٢] فينبغي أن يستقيله سلامه[٣]، وشذَّ قومٌ في إباحة ابتدائهم[٤]، والأول أصوب؛ لأن به يُتصور إذلالهم.

وقال ابن عباس: كل من سلم عليك من خلق الله فرد عليه وإن كان مجوسياً[٥].

وقال عطاء: الآية في المؤمنين خاصة، ومن سلم من غيرهم قيل له: عليك، كما في الحديث[٦].

وأكثر أهل العلم على أن الابتداء بالسلام سنة مؤكدة، ورده فريضة[٧]، لأنه حق من الحقوق، قاله الحسن بن أبي الحسن وغيره[٨].

و﴿حَسِيبًا﴾ معناه: حفيظاً، وهو فعيل من الحساب، وحسنت هاهنا هذه الصفة؛ إذ معنى الآية في أن يزيد الإنسان أو ينقص، أو يوفي قدر ما يجيءُ به.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾.

---

(١) انظر مذهب الجمهور في: الاستذكار (٢٧/ ١٤١).

(٢) سقطت من الأصل.

(٣) ممن قال باستحبابه الشافعية، انظر ذلك في: روضة الطالبين (١٠/ ٢٣٠).

(٤) روي ذلك عن أبي أمامة رضي الله عنه، وعمر بن عبد العزيز وابن عيينة، انظر قولهم في: فتح الباري (١١/ ٣٩) باب التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين.

(٥) أخرجه الطبري (١٠٠٣٩)، وابن أبي حاتم (٥٧٢٩)، بإسناد صحيح، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وإن كان مجوسياً، ذلك أن الله يقول: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾، ورواية سماك عن عكرمة فيها اضطراب.

(٦) تفسير الطبري (٨/ ٥٨٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢١).

(٧) انظر مذهب الجمهور في: الاستذكار (٢٧/ ١٣٦-١٣٧).

(٨) انظر: معاني القرآن للنحاس (٢/ ١٤٩)، وانظر: الاستذكار (٢٧/ ١٣٦).

لما تقدم الإنذار والتحذير الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ تلاه مقوّياً له الإعلام بصفة الربوبية، وحال الوحدانية، والإعلام بالحشر، والبعث من القبور للثواب والعقاب إِعلاماً بِقَسَم، والمقسم به تقديره: وهو أو وحقه أو وعظمته، ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾[1]، والجمع هنا بمعنى: الحشر، فلذلك حسنت بعده إِلى؛ أي: إليه السوق والحشر، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: أصلها القيام، ولما كان قيام الحشر من أذل الحالات وأضعفها إلى أشد الأهوال وأعظمها؛ لحقته هاءُ المبالغة.

و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: تبرئة هي وما بعدها بمثابة الابتداء تطلب الخبر، ومعناه: لا ريب فيه في نفسه وحقيقة أمره، وإن ارتاب فيه الكفرة، فغير ضائر.

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾: ظاهره الاستفهام، ومعناه تقرير الخبر، والمعنى[2]: لا أَحد أَصدق من الله تعالى؛ لأن دخول الكذب في حديث البشر إنما علته الخوف/ [١/ ٣٣٤] والرجاءُ، أَو سوءُ السجية، وهذه منفية في حق الله تقدست أسماؤه.

والصدق في حقيقته أن يكون ما يجري على لسان المخبر موافقاً لما في قلبه، وللأمر المخبر عنه في وجوده، و﴿حَدِيثًا﴾ نصب على التمييز.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ الآية.

الخطاب للمؤمنين، وهذا ظاهره استفهام، والمقصد منه التوبيخ.

واختلف المتأولون فيمن المراد بـ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾؟

فقال ابن عباس: هم قوم كانوا بمكة، فكتبوا إلى أصحاب النبي ﷺ إلى المدينة، أنهم قد آمنوا وتركوا الهجرة، وأقاموا بين أظهر الكفار، ثم سافر قوم منهم إلى الشام،

---

(١) في السليمانية هنا زيادة «قيام»، وهي في فيض الله ملحقة في الهامش، وعليها تصحيح.

(٢) في المطبوع: «تقديره».

فأَعطتهم قريش بضاعات، وقالوا لهم: إنكم لا تخافون أصحاب محمد؛ لأنكم تخدعونهم بإظهار الإيمان لهم، فاتصل خبرهم بالمدينة[١]، فاختلف المؤمنون فيهم:

فقالت طائفة: نخرج إلى أعداء الله المنافقين.

وقالت طائفة: بل هم مؤمنون لا سبيل لنا إليهم، فنزلت الآية.

وقال مجاهد: بل نزلت في قوم جاؤوا إلى المدينة من مكة، فأظهروا الإسلام، ثم قالوا: لنا بضاعات بمكة، فانصرفوا إليها وأبطنوا الكفر، فاختلف فيهم أصحاب النبي ﷺ[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذان القولان يعضدهما ما في آخر الآية من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾.

وقال زيد بن ثابت: نزلت في المنافقين الذين رجعوا عن رسول الله ﷺ يوم أحد، عبد الله بن أبيٍّ وأصحابه؛ لأن أصحاب النبي ﷺ اختلفوا فيهم[٣].

وقال السدي: بل نزلت في قوم منافقين كانوا بالمدينة، فطلبوا الخروج عنها نفاقاً وكفراً، وقالوا: إنَّا اجْتَوَيْناها، وقال ابن زيد: إنما نزلت في المنافقين الذين تكلموا في حديث الإفك؛ لأن الصحابة اختلفوا فيهم[٤].

قال القاضي أبو محمد: الاختلاف في هذه النازلة كان بين أُسيد بن حُضير وسعد ابن عبادة، حسبما وقع في البخاري[٥]، وكان لكل واحد أَتباعٌ من المؤمنين على قوله،

---

(١) أخرجه الطبري (١٠٠٥٤)، وابن أبي حاتم (٥٧٤١)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما.

(٢) انظر: تفسير مجاهد (١/ ١٦٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٥٢)، وتفسير الماوردي (١/ ٥١٤).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٧٨٥)، ومسلم (٧٢٠٨)، من حديث زيد بن ثابت.

(٤) انظر القولين في: تفسير الطبري (٩/ ١٣)، وتفسير الماوردي (١/ ٥١٤).

(٥) صحيح البخاري (٤١٤١)، من حديث عائشة، رضي الله عنها.

وكل من قال في هذه الآية: إنها: فيمن كان بالمدينة يرد عليه قوله: ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾، لكنهم يخرجون المهاجرة إلى هجر ما نهى الله عنه، [وترك النفاق والخلاف، كما قال ﷺ: «والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»][١].

و﴿فِئَتَيۡنِ﴾ معناه: فرقتين، ونصبهما على الحال كما تقول: ما لك قائماً، هذا مذهب البصريين، وقال الكوفيون: نصبه بما يتضمنه (ما لكم) من الفعل، والتقدير: ما لكم كنتم فِئَتَيْنِ، أو صرتم فئتين[٢]، وهذا الفعل المقدر ينصب عندهم النكرة والمعرفة، كما تقول: ما لك الشاتم لزيد، وخطأ هذا القولَ الزجَّاجُ[٣]؛ لأن المعرفة لا تكون حالًا.

و﴿أَرۡكَسَهُم﴾ معناه: رجَّعهم في كفرهم وضلالهم، والرِّكْس: الرجيع، ومنه حديث النبي ﷺ في الاستنجاء: «فأخذ الحجرين وألقى الروثة، وقال: إنها ركس»[٤]، ومنه قول أُمية بن أبي الصلت:

فَأُرْكِسُـوا فِـي حَمِيـمِ النَّـارِ إِنَّهُـمُ ... كَانُوا عُصَاةً وَقَالُوا الإِفْكَ وَالزُّورَا[٥] [البسيط]

وحكى النضر بن شميل والكسائي: ركس وأركس، بمعنى واحد؛ أي: رجعهم[٦]، ومن قال من المتأولين: أهلكهم أو أضلهم، فإنما هي بالمعنى؛ لأن ذلك كله يتضمنه ردُّهم إلى الكفر.

---

(١) صحيح البخاري (١٠)، من حديث عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما، وما بين المعكوفتين سقط من الأصل.
(٢) زيادة من فيض الله.
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٨٨).
(٤) رواه أحمد في مسنده (٧/ ٣٢٦)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٧٤٤-٧٤٥)، والطبراني في الكبير (٩٩٥١)، وغيرهم، من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن علقمة بن قيس، عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه به، قال الحافظ: رجاله ثقات، وقد وقع في هذا الحديث اختلاف في سنده ومتنه.
(٥) انظر عزوه له في: تفسير الطبري (٩/ ٧)، ومسائل نافع بن الأزرق (ص: ١٥٥).
(٦) معاني القرآن للكسائي (ص: ١١٨)، وانظر قول النضر في تفسير السمعاني (١/ ٤٥٩).

و﴿بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ معناه: بما اجْتَرحوا من الكفر والنفاق؛ أي: إن كفرهم بخلق من الله واختراع وبتكَسُّب منهم.

وقوله: ﴿أَتُرِيدُونَ﴾ استفهام معناه الإبعاد واليأس مما أَرادوه، والمعنى: أتريدون أيها المؤمنون القائلون بأن أولئك المنافقين مؤمنون أن تَسِموا بالهدى من قد يسَّره الله للضلالة وحتَّمها عليه، ثم أَخبر تعالى أنه من يضلل فلا سبيل إلى إصلاحه، ولا إلى إرشاده.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا (٨٩)﴾.

الضمير في ﴿وَدُّواْ﴾: عائد على المنافقين، وهذا كشف من الله لخبث معتقدهم، وتحذير للمؤمنين منهم.

والمعنى: تمنوا كفركم، وهي غاية المصائب بكم، وهذا الود منهم يحتمل أن يكون عن حسد منهم لهم على ما يرون للمؤمنين من ظهور في الدنيا، فتجري الآية مع ودِّ أهل الكتاب حسداً من عند أَنفسهم، ويحتمل أمر المنافقين أن يكون أَنهم رأَوا المؤمنين على غير شيء، فودُّوا رجوعهم إلى عبادة الأَصنام، والأول أَظهر.

وقوله: ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ﴾ الآية؛ هذا نهي عن موالاتهم حتى يهاجروا؛ لأن الهجرة في سبيل الله تتضمن الإيمان.

و﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ معناه: في طريق مرضاة الله؛ لأن سبل الله تعالى كثيرة، وهي [مرضاته و][(١)] طاعاته كلها، المعنى: فإن أعرضوا عن الهجرة وتولوا عن الإيمان فخذوهم، وهذا أمر بالحمل عليهم ومجاهرتهم[(٢)] بالقتال.

---

(١) زيادة من الحمزوية.

(٢) في السليمانية وفيض الله: «ومجاهدتهم».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾﴾.

كان هذا الحكم في أول الإسلام قبل أن يستحكم أمر الطاعة من الناس، فكان رسول الله ﷺ قد هادن من العرب قبائل، كرهط هلال بن عُويمر الأسلمي، وسراقة بن مالك بن جعشم، وخزيمة بن عامر بن عبد مناف[1]، فقضت هذه الآية بأنه: من وصل من المشركين الذين لا عهد بينهم وبين النبي ﷺ إلى هؤلاء أهل العهد، فدخل في عدادهم وفعل فعلهم من الموادعة؛ فلا سبيل عليه.

قال عكرمة، والسدي، وابن زيد: ثم لما تقوى الإسلام وكثر ناصِرهُ؛ نسخت هذه الآية والتي بعدها بما في سورة براءة[2].

وقال أبو عبيدة وغيره: ﴿يَصِلُونَ﴾ في هذا الموضع معناه، ينتسبون[3]، ومنه قول الأعشى:

إِذَا اتَّصَلَتْ قَالَتْ: أَبَكْرَ بنَ وَائِلٍ وَبَكْرٌ سَبَتْهَا وَالأُنُوفُ رَوَاغِمُ[4] [الطويل]

يريد: إذا انتسبت.

قال القاضي أبو محمد: وهذا غير صحيح.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠٠٧١) عن عكرمة به، وسراقة بن مالك صحابي تقدم التعريف، أما هلال وخزيمة فلم أقف لهما على ترجمة.

(٢) انظر: تفسير عبدالرزاق (١/ ١٦٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٥٧)، وتفسير الماوردي (١/ ٥١٤).

(٣) مجاز القرآن (١/ ١٣٦).

(٤) انظر عزوه له في: مجاز القرآن (١/ ١٣٦)، والكامل للمبرد (٢/ ١٩٨)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٢٣٥)، والمحكم والمحيط (٨/ ٣٧٤).

قال الطبري: قتال رسول الله ﷺ قريشاً وهم قرابة السابقين إلى الإسلام يقضي: بأن قرابة من له ميثاق أَجْدَر/ بأن تقاتل[١]. [١/ ٣٣٥]

فإن قيل: إن النبي ﷺ لم يقاتل قريشاً إلا بعد نسخ هذه الآية، قيل: التواريخ تقضي بخلاف ذلك؛ لأن الناسخ لهذه الآية هي سورة براءة، ونزلت بعد فتح مكة وإسلام جميع قريش.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ﴾: عطف على ﴿يَصِلُونَ﴾، ويحتمل أن يكون على قوله: ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ والمعنى في العطفين مختلف، وهذا أيضاً حكم كان قبل أن يستحكم أمر الإسلام، فكان المشرك إذا اعتزل القتال، وجاء إلى دار الإسلام مسالماً كارهاً لقتال قومه مع المسلمين، ولقتال المسلمين مع قومه؛ لا سبيل عليه، وهذه نُسخت أيضاً بها في براءة.

ومعنى ﴿حَصِرَتْ﴾: ضاقت وحرجت، ومنه الحصر في القول، وهو: ضيق الكلام على المتكلم.

وقرأ الحسن وقتادة: (حصِرةً) كذا قال الطبري[٢]: وحكى ذلك المهدوي عن عاصم من رواية حفص[٣]، وحكي عن الحسن أنه قرأ: (حصِرَاتٍ)[٤].

وفي مصحف أبيٍّ سقط: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ﴾[٥].

و﴿حَصِرَتْ﴾ عند جمهور النحويين: في موضع نصب على الحال بتقدير قد حصرت[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٢٠).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٣٢)، وهي متواترة من قراءة يعقوب كما في النشر (٢/ ٢٥١).

(٣) مثله في البحر المحيط (٤/ ١٤)، والصواب كما في التحصيل للمهدوي (٢/ ٣٣٨): أنها رواية المفضل، انظر جامع البيان (٣/ ١٠١٥).

(٤) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٣١)، والشواذ للكرماني (ص: ١٤٠)، وعزاها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٣٣) للضحاك.

(٥) الهداية (٢/ ١٤١٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٥٦).

(٦) انظر: معاني القرآن للأخفش (١/ ٢٠٨)، وسر صناعة الإعراب (٢/ ٦٤١)، والخزانة (٣/ ٢٣٩).

قال القاضي أبو محمد: وهذا يصحب الفعل الماضي إذا كان في موضع الحال، والداعي إليه أن يفرَّق بين تقدير الحال وبين خبر مُسْتَأنف، كقولك: جاء زيد ركب الفرس، فإن أردت بقولك: ركب الفرس، خبراً آخر عن زيد، لم تحتج إلى تقدير: «قد»، وإن أردت به الحال من زيد قدرته بـ«قد».

قال الزجاج: ﴿حَصِرَتْ﴾ خبر بعد خبر[١]، وقال المبرد: ﴿حَصِرَتْ﴾ دعاءٌ عليهم[٢].

قال القاضي أبو محمد: وقال بعض المفسرين: لا يصح هنا الدعاء؛ لأنه يقتضي الدعاء عليهم بأن لا يقاتلوا قومهم، وذلك فاسدٌ.

قال القاضي: وقول المبرد يخرج على أن الدعاءَ عليهم بأن لا يقاتلوا المسلمين تعجيز لهم، والدعاءَ عليهم بأن لا يقاتلوا قومهم تحقير لهم؛ أي: هم أقل وأحقر، ويستغنى عنهم، كما تقول إذا أردت هذا المعنى: لا جعل الله فلاناً عليّ ولا معي أيضاً، بمعنى: أستغني عنه، وأستقل دونه.

واللام في قوله: ﴿لَسَلَّطَهُمْ﴾ جواب ﴿لَوْ﴾، وفي قوله: ﴿فَلَقَتَلُوكُمْ﴾ لام المحاذاة[٣] والازدواج؛ لأنها بمثابة الأولى، لو لم تكن الأولى كنت تقول[٤]: لو شاء الله لقاتلوكم.

والمعنى: تقرير المؤمنين على مقدار النعمة[٥] وصرفها؛ أي: لو شاء الله لقوَّاهم وجرأَهم عليكم، [فإذ قد أنعم الله عليكم بالهدنة، فاقبلوها، وأطيعوا فيها.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٩).

(٢) المقتضب (٥/ ١٢٤-١٢٥).

(٣) في الأصل ونجيبويه ونور العثمانية: «المجازاة».

(٤) سقط من الأصل.

(٥) في المطبوع: «النقمة».

وقرأت طائفة: (فَلَقَتَلوكُمْ)][(١)]، وقرأ الجحدري والحسن: (فَلَقَتَّلُوكُم)، بتشديد التاء[(٢)].

والمعنى: فإن اعتزلوكم؛ أي: هادنوكم وتَارَكُوكُمْ في القتل، و﴿ٱلسَّلَمَ﴾ هاهنا الصلح، قاله الربيع[(٣)]، ومنه قول الطِّرِمَّاح بن حكيم:

[البسيط]
وَذَاكَ أَنَّ تَمِيماً غَادَرَتْ سَلَماً ... لِلأَسْدِ كُلَّ حَصَانٍ وَعْثَةِ الكبدِ[(٤)]

وقال الربيع: ﴿ٱلسَّلَمَ﴾ هاهنا الصلح، وكذا قرأته عامة القراء.

وقرأ الجحدري: (السَّلْم) بسكون[(٥)] اللام.

وقرأ الحسن: (السِّلْم) بكسر[(٦)] السين وسكون اللام[(٧)].

فمعنى جملة هذه الآية: خذوا المنافقين الكافرين واقتلوهم حيث وجدتموهم، إلا من دخل منهم في عداد من بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ، والتزم مهادنتكم، ومن قد جاءكم وكره قتالكم وقتال قومه، وهذا بفضل الله عليكم ودفاعه عنكم؛ لأنه لو شاءَ لسلَّط هؤلاءِ الذين هم بهذه الصفة من المتاركة عليكم فَلَقَاتَلُوكُمْ، فإن اعتزلوكم؛ أي: إذا وقع هذا فلم يقاتلوكم، فلا سبيل لكم عليهم، وهذا كله والذي في سورة الممتحنة من قوله: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، منسوخٌ بما في سورة براءة، قاله قتادة وابن زيد وغيرهما[(٨)].

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) انظر عزو التشديد للحسن في الشواذ للكرماني (ص: ١٤٠)، والتحصيل للمهدوي (٢/ ٣٣٩)، وعزوا التخفيف لمجاهد.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٨).

(٤) انظر عزوه له في تفسير الطبري (٩/ ٢٣)، وفي المطبوع: «رعثة».

(٥) في جار الله: «بكسر».

(٦) في السليمانية: «بضم».

(٧) وهما شاذتان، انظر عزوهما في: التحصيل للمهدوي (٢/ ٣٣٩)، وانظر: مختصر الشواذ (ص: ٣٤).

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٥٧)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (٣٤٠).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾.

لما وصف الله فيما تقدم صفة المحقين في المتارَكة، المجدِّين في إلقاءِ السَّلَم؛ نبَّه على طائفة مخادعة مُبطِلة مُبطِنة كانوا يريدون الإقامة في مواضعهم مع أهليهم، يقولون لهم: نحن معكم وعلى دينكم، ويقولون أيضا للمسلمين إذا وفدوا وأرسلوا: نحن معكم وعلى دينكم، خُبثةً منهم وخديعة، قيل: كانت أسد وغطفانُ بهذه الصفة، وقيل: نزلت في نعيم بن مسعود الأشجعي، كان ينقل بين النبي ﷺ والكفار الأخبار، وقيل: نزلت في قوم يجيئون من مكة إلى النبي ﷺ رياء، يظهرون الإسلام، ثم يرجعون إلى قريش فيكفرون[(١)]، ففضح الله تعالى هؤلاء، وأعلم أنهم على غير صفة من تقدم.

وقوله: ﴿إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾ معناه: إلى الاختبار، حكي أنهم كانوا يرجعون إلى قومهم فيقال لأحدهم: قل: ربي الخنفساء، وربي العود[(٢)]، وربي العقرب، ونحوه، فيقولها، ومعنى ﴿أُرْكِسُوا۟﴾: رجعوا رجع ضلالة؛ أي: أهلكوا في الاختيار بما واقعوه من الكفر.

وقرأ عبد الله بن مسعود: (رُكسوا) بضم الراء من غير ألف، وحكاه عنه أبو الفتح بشد الكاف على التضعيف[(٣)]، والخلاف في ﴿ٱلسَّلَمَ﴾ حسبما تقدَّم.

وهذه الآية حضٌّ على قتل هؤلاء المخادعين إذا لم يرجعوا عن حالهم إلى حال الآخرين المعتزلين الملقين للسلم.

قال القاضي أبو محمد: وتأمل فصاحة الكلام في أن سياقه في الصنيفة المتقدمة قبل هذه سياق إيجاب الاعتزال، وإيجاب إلقاء السلم، ونفي المقاتلة، إذ كانوا محققين

---

(١) انظر الأقوال في تفسير مجاهد (١/ ١٦٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٥٧).

(٢) في نور العثمانية: «القرد».

(٣) المحتسب (١/ ١٩٢)، ونقل عنه التشديد والتخفيف الكرماني في الشواذ (ص: ١٤٠).

في ذلك، معتقدين له، وسياقه في هذه الصنيفة[١] المتأَخرة سياق نفي الاعتزال، ونفي إلقاء السلم، إذ كانوا مبطلين فيه مخادعين، والحكم سواء على السياقين؛ لأن الذين لم يجعل الله عليهم سبيلاً لو لم يعتزلوا لكان حكمهم [حكمَ هؤلاء الذين جعل عليهم السلطان المبين، وكذلك هؤلاء الذين عليهم السلطان، إذ لم يعتزلوا، لو اعتزلوا لكان حكمهم][٢] حكمَ الذين لا سبيل عليهم، ولكنهم بهذه العبارة تحت القتل إن لم يعتزلوا.

و﴿ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ مأخوذٌ من الثقاف؛ أي: ظفرتم بهم مغلوبين متمكَّناً منهم.

و«السلطان»: الحجة، قال عكرمة: حيثما وقع السلطان في كتاب الله تعالى فهو الحجة[٣].

[١/ ٣٣٦] / قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٩٢﴾.

قال جمهور المفسرين: معنى هذه الآية: وما كان في إذن الله وفي أمره للمؤمن أن يقتل مؤمناً بوجه، ثم استثنى استثناء منقطعاً ليس من الأول، وهو الذي تكون فيه «إلا» بمعنى: «لكن»، والتقدير: لكن الخطأ قد يقع.

وهذا كقول الشاعر:

[البسيط] أَمْسَى سُقَامُ خَلاءً لا أَنِيسَ بِهِ إِلا السِّباعُ ومرُّ الريحِ بالغَرَفِ[٤]

---

(١) في المطبوع: «الصيغة»، في الموضعين، وكذا في نور العثمانية في الثاني.

(٢) ساقط من نور العثمانية.

(٣) تفسير الطبري (٨/ ٣٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٠).

(٤) البيت لأبي خراش الهذلي كما في مجاز القرآن (١/ ١٣٧)، والأغاني (١٠/ ٢١٦)، والمحكم (٥/ ٤٩٧)، والصحاح (٥/ ١٩٥٠).

قال القاضي أبو محمد: سُقام: اسم واد، والغَرَف: شجر يدبغ بلِحَائه.

وكما قال جرير:

مِنَ البِيضِ لَـمْ تَظْعَنْ بَعِيداً وَلَمْ تَطَأْ عَلَى الأَرْضِ إِلا رَيْطَ بُرْدٍ مُرَجَّلِ[١] [الطويل]

وفي هذا الشاهد نظر.

ويتجه في معنى الآية وجه آخر، وهو أن تقدر «كانَ» بمعنى: استقر ووجد، كأنه قال: وما وجد وما تقرر وما ساغ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً؛ إذ هو مغلوب فيه أحياناً، فيجيء الاستثناء على هذا غير منقطع، وتتضمن الآية على هذا إعظام العمد وبشاعة شأنه، كما تقول: ما كان لك يا فلان أن تتكلم بهذا إلا ناسياً، إعظاماً للعمد والقصد مع خطر الكلام به ألبتة.

وقرأ الزهري: (خطًا) مقصوراً غير مهموز، وقرأ الحسن والأعمش مهموزاً ممدوداً[٢].

وقال مجاهد وعكرمة والسدي وغيرهم: نزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة المخزومي حين قتل الحارث بن يزيد بن نبيشة[٣]، وذلك أنه كان يعذبه بمكة، ثم أسلم الحارث وجاء مهاجراً، فلقيه عياش بالحرة، فظنه على كفره فقتله، ثم جاء فأخبر النبي ﷺ فشق ذلك عليه، ونزلت الآية، فقال له رسول الله ﷺ: «قم فحرر»[٤].

---

(١) البيت لجرير كما في مجاز القرآن (١/ ١٣٧)، والنقائض (ص: ٧٠٦)، وتفسير الطبري (٥/ ١٢٨).

(٢) انظر قراءة الزهري في المحتسب (١/ ١٩٣)، وقراءة الحسن والأعمش في الشواذ للكرماني (ص: ١٤١).

(٣) انظر: تفسير مجاهد (١/ ١٦٩)، وتفسير الطبري (٨/ ٣٣)، وهو الحارث بن يزيد بن أنيسة، ويقال: ابن نبيشة، ويقال: ابن أبي أنيسة، من بني معيص بن عامر بن لؤي القرشي العامري، ذكر قصته ابن إسحاق في السيرة، ويقال فيه أيضاً: زيد، الإصابة (١/ ٧٠٠).

(٤) أخرجه الطبري (١٠٠٨٩-١٠٠٩٠-١٠٠٩١-١٠٠٩٢)، عن مجاهد، وعكرمة، والسدي مرسلًا.

وقال ابن زيد: نزلت في رجلٍ قتله أبو الدرداء؛ كان يرعى غنماً فقتله وهو يتشهد، وساق غنمه، فعنفه[١] رسول الله ﷺ ونزلت الآية[٢].

وقيل: نزلت في أبي حذيفة بن اليمان حين قتل خطأ يوم أحد[٣]، وقيل غير هذا، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا﴾ الآية، بيَّن الله تعالى في هذه الآية حكم المؤمن إذا قتل المؤمن خطأ، وحقيقة الخطأ أن لا يقصده بالقتل، ووجوه الخطأ كثيرة لا تحصى، يربطها عدم القصد.

قال ابن عباس، والحسن، والشعبي، والنخعي، وقتادة وغيرهم: «الرقبة المؤمنة»: هي الكبيرة التي قد صلت وعقلت الإيمان، ولا يجزئ في ذلك الصغير[٤].

وقال عطاء بن أبي رباح: يجزئ الصغير المولود بين المسلمين[٥].

وقالت جماعة، منهم مالك بن أنس: يجزئ كل من يحكم له بحكم الإسلام في الصلاة عليه إن مات ودفنه[٦]، قال مالك: ومن صلى وصام أحب إلي[٧].

وأجمع أهل العلم على أن الناقص النقصان الكثير كقطع اليدين، أو الرجلين،

(١) سقطت من المطبوع.
(٢) أخرجه الطبري (١٠٠٩٣)، من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، مرسلًا.
(٣) لم أقف عليه مسنداً، ووالد حذيفة بن اليمان هو حسيل بن جابر العبسي، رضي الله عنه، انظر ترجمته في: الإصابة (٢/ ٦٦).
(٤) أخرجه الطبري (١٠٠٩٥)، وابن أبي حاتم (٥٧٨٧)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، ورواه عن ابن عباس الطبري في تفسيره (١٠٠٩٣)، من طريق عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم، مرسلاً.
(٥) انظر: تفسير الماوردي (١/ ٥١٨).
(٦) ومنهم الشافعي وأبو عبيد وهو ظاهر مذهب أحمد، انظر أقوالهم في: المغني (١٠/ ٩).
(٧) انظر قول مالك في المدونة (٢/ ٣٢٩).

أو الأعمى؛ لا يجزئ فيما حفظت، فإن كان النقصان يسيراً تتفق له معه المعيشة والتحرف[١]، كالعرج ونحوه؛ ففيه قولان[٢].

و﴿مُّسَلَّمَةٌ﴾ معناه: مؤداة مدفوعة، وهي على العاقلة فيما جاز ثلث الدية[٣].

و﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ﴾، يريد: أولياء القتيل.

وقرأ أبي بن كعب: (يَتَصدَّقُوا).

وقرأ الحسن وأبو عبد الرحمن وعبد الوارث عن أبي عمرو: (تَصَّدَّقُوا) بالتاء على المخاطبة للحاضر.

وقرأ نُبَيْح العَنْزِيُّ[٤]: (تَصَدَّقُوا) بالتاء وتخفيف الصاد[٥].

والدية من الإبل مئة على أهل الإبل عند قوم، وعند آخرين على الناس كلهم، إلا أن لا يجد الإبل أهل الذهب والفضة، فحينئذ ينتقلون إلى الذهب والفضة، يعطون منها قيمة الإبل في وقت النازلة بالغةً ما بلغت.

واختلف في المئة من الإبل: فقال علي بن أبي طالب: هي مربَّعة، ثلاثون حقة، وثلاثون جذعة، وعشرون بنت مخاض، وعشرون بنت لبون[٦].

---

(١) في نور العثمانية: «التصرف».

(٢) انظر: الاستذكار (٧/ ٣٤٣).

(٣) وهذا بإجماع العلماء، انظر: الاستذكار (٨/ ١٢٧).

(٤) هو نبيح بن عبد الله العنزي أبو عمرو، روى عن أبي سعيد الخدري وابن عمر وجابر، روى عنه الأسود بن قيس، قال أبو زرعة: كوفي ثقة لم يرو عنه غير الاسود بن قيس، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٨/ ٥٠٨)، وانظر: تهذيب التهذيب (١٠/ ٤١٧).

(٥) انظر قراءة أبي والسلمي في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٢٢)، ورواية عبد الوارث وقراءة نبيح في التحصيل للمهدوي (٢/ ٣٤٠).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٧٢٣٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٧٢٨٧)، وابن جرير الطبري (١٠١٣١-١٠١٣٢-١٠٢٣٣-١٠١٣٤)، من عدة طرق عن علي.

وقال عبد الله بن مسعود: مخمَّسة، عشرون حقة، وعشرون جذعة، وعشرون بنت مخاض، وعشرون بنت لبون، وعشرون ابن لبون ذكرا[١]، ولبعض الفقهاء غير هذا الترتيب.

وعمر بن الخطاب وغيره يرى الدية من البقر: مائتي بقرة، ومن الغنم: ألفي شاة، ومن الحُلَل: مئة حُلَّة[٢]، وورد بذلك حديث عن النبي ﷺ في مصنف أبي داود[٣].

والحُلَّة: ثوبان من نوع واحد في كلام العرب، وكانت في ذلك الزمن صفة تقاوم المئة من الإبل، فمضى القول على ذلك.

وأما الذهب: فهي ألف دينار، قررها عمر، ومضى الناس عليها، وأما الفضة: فقررها عمر اثني عشر أَلفاً[٤]، وبه قال مالك[٥]، وجماعةٌ تقول: عشرة آلاف درهم[٦].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ﴾ الآية.

المعنى عند ابن عباس[٧] وقتادة والسدي وإبراهيم وعكرمة وغيرهم: فإن كان

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٧٢٢٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٧٢٨٥)، والطبري (١٠١٣٥-١٠١٣٦-١٠١٣٧-١٠١٣٩)، من طريقين عن ابن مسعود.

(٢) قول عمر رضي الله عنه أخرجه البيهقي عن الشعبي (٨/ ٨٠)، وقال به أيضاً الحسن البصري، انظر قولهما في: الأوسط (١٣/ ١٤٨).

(٣) سنن أبي داود (٤٥٤٤-٤٥٦٦)، ورواه أيضاً أحمد في مسنده (١١/ ٦٠٢-٦٠٦)، وابن ماجه (٢٦٣٠)، وغيرهم، من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده به، وإسناده يحسنه بعض أهل العلم.

(٤) انظر: الاستذكار (٨/ ٣٨).

(٥) انظر قول مالك في: الموطأ (٢/ ٦٤٧-٦٤٨) باب العمل في الدية.

(٦) منهم أبو حنيفة كما في: المبسوط (٤/ ٤٥١-٤٥٢)، وأبو ثور وابن شبرمة وعبيد الله بن الحسن كما في الأوسط (١٣/ ١٤٦).

(٧) أخرجه الطبري (١٠١٠٨-١٠١١١-١٠١١٣)، وابن أبي حاتم (٥٧٩٧-٥٨٠٠) من طرق عن ابن عباس، رضي الله عنهما.

هذا المقتول خطأ رجلاً مؤمناً، قد آمن وبقي في قومه وهم كفرة عدو لكم؛ فلا دية فيه، وإنما كفارته تحرير الرقبة[١].

والسبب عندهم في نزولها: أن جيوش رسول الله ﷺ كانت تمر بقبائل الكفار، فربما قتل من قد آمن ولم يهاجر، أو من قد هاجر ثم رجع إلى قومه، فيقتل في حملات الحرب على أنه من الكفار، فنزلت الآية[٢].

وتسقط الدية عند قائلي هذه المقالة لوجهين:

أولهما: أن أولياء القتيل كفار، فلا يصح أن تدفع الدية إليهم يتقوَّون بها.

والآخر: أن حرمة هذا الذي آمن ولم يهاجر قليلة، فلا دية فيه، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وقالت فرقة: بل الوجه في سقوط الدية: أن الأَولياءَ كفار فقط، فسواء كان القتيل خطأ بين أَظهر المسلمين، أو بين قومه، لم يُهاجر، أو هاجر ثم رجع إلى قومه؛ كفارته التحرير، ولا دية فيه؛ لأنه لا يصح دفعها إلى الكفار.

قال القاضي أبو محمد: وقائل المقالة الأُولى يقول: إن قُتل المؤمن في بلد المسلمين وقومه حرب؛ ففيه الدية لبيت المال، والكفارة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ الآية.

[١/ ٣٣٧] المعنى / عند الحسن وجابر بن زيد وإبراهيم وغيرهم: وإن كان هذا المقتول خطأ مؤمناً من قوم معاهدين لكم؛ فعهدهم يوجب أَنهم أَحَقُّ بدية صاحبهم، فكفارته التحرير، وأداء الدية[٣].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (١/ ٢٤٨)، وتفسير ابن أبي شيبة (١/ ١٦٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٣)، وتفسير الماوردي (١/ ٥١٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٢٠٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٤٣).

وقرأ الحسن: (وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق وهو مؤمن)[١].

وقال ابن عباس[٢]، والشعبي، وإبراهيم أَيضاً: [وإن كان][٣] المقتول من أهل العهد خطأً، لا تبالي كان مؤمناً أوكافراً على عهد قومه فيه؛ الدية كدية المسلم، والتحرير[٤].

واختلف على هذا في دية المعاهد: فقال أبو حنيفة وغيره: ديته كدية المسلم[٥]، ورُوي ذلك عن أبي بكر[٦] وعمر[٧]، رضي الله عنهما.

وقال [مالك ـ رحمه الله ـ وأصحابه][٨]: ديته على نصف دية المسلم[٩].

وقال الشافعي، وأبو ثور: ديته على ثلث دية المسلم[١٠].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ يريد عند الجمهور: فمن لم يجد العتق، ولا اتسع مالُه لَهُ؛ فيجزيه صيام شهرين متتابعين في الأيام لا يتخللها فطر.

وقال مكي عن الشعبي: صيام الشهرين يجزئ عن الدية والعتق لمن لم يجدهما[١١].

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٢٢).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠١١٦)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٣) زيادة من السليمانية.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٥١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٤)، وتفسير الماوردي (١/ ٥١٩).

(٥) ممن قال به غير أبي حنيفة؛ كلٌّ من عطاء ومجاهد وعلقمة والثوري، انظر: المبسوط للسرخسي (٢٦/ ١٠١)، والأوسط (١٣/ ١٧١).

(٦) منقطع، أخرجه الطبري (١٠١٤٤)، من طريق الزهري قال: إن أبا بكر وعثمان ـ رضوان الله عليهما ـ، كانا يجعلان دية اليهودي والنصراني، إذا كانا معاهدين، كدية المسلم، وهو منقطع.

(٧) لم أقف عليه، ولكن جاء عن عمر: أنها على النصف من دية المسلم، أخرجه ابن جرير (١٠١٥٨)، حدثنا ابن المثنى قال: حدثنا عبد الأعلى قال: حدثنا داود، عن عمرو بن شعيب في دية اليهودي والنصراني، قال: جعلها عمر بن الخطاب رضي الله عنه نصف دية المسلم، ودية المجوسي ثمان مئة، وعمرو بن شعيب لم يدرك عمر، رضي الله عنه .

(٨) في نجيبويه: «أبو حنيفة»، وأشار في الهامش إلى المثبت.

(٩) انظر قولهم في: بداية المجتهد (٢/ ٤١٤).

(١٠) انظر قول الشافعي في: حاشية الجمل على المنهج (٩/ ٦٤٥)، وقول أبي ثور في: الأوسط (١٣/ ١٧٢).

(١١) الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/ ١٤٢٦)، وفي السليمانية وفيض الله: «يجد هنا».

وهذا القول وهمٌ؛ لأن الدية إنما هي على العاقلة، وليست على القاتل، والطبري حكى القول عن مسروق[١].

و﴿ تَوْبَةً ﴾ نصب على المصدر، ومعناه: رجوعاً بكم إلى التيسير والتسهيل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾.

«المتعمد» في لغة العرب: القاصد إلى الشيء.

واختلف العلماءُ في صفة المتعمد في القتل:

فقال عطاء وإبراهيم النخعي وغيرهما: هو من قتل بحديدة كالسيف أو الخنجر وسنان الرمح ونحو ذلك من المشحوذ المعد للقطع، أو بما يعلم أن فيه الموت من ثقال الحجارة ونحوه.

وقالت فرقة: المتعمد: كل من قتل بحديدة كان القتل أو بعصا أو بحجر أو بغير ذلك، وهذا قول الجمهور، وهو الأصح[٢].

ورأى الشافعي وغيره أن القتلَ بغير الحديد المشحوذ هو شبه العمد، ورأوا فيه تغليظ الدية[٣].

ومالك رحمه الله لا يرى شبه العمد، ولا يقول به في شيء، وإنما القتل عنده ما ذكره الله تعالى عمداً وخطأ لا غير[٤]، والقتل بالسم عنده عمد وإن قال: ما أردت إلا سكره[٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٥٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٥)، وتفسير الماوردي (١/ ٥١٩).

(٢) انظر: مذهب عطاء والنخعي في: الإشراف (٢/ ١٠٧)، والقولان في تفسير الطبري (٩/ ٥٧).

(٣) الأم (٦/ ١٠)، وممن قال به أيضاً غير الشافعي؛ أبو حنيفة كما في: المبسوط (٢٦/ ٦٧)، والثوري، كما في: الأوسط (١٣/ ٧٧).

(٤) انظر قول مالك في: المدونة (٤/ ٥٥٨) باب تغليظ الدية.

(٥) انظر قول مالك في: المدونة (٤/ ٦٥٦) باب ما جاء في الرجل يسقي الرجل سماً.

وقوله تعالى: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾، تقديره عند أهل السنة: فجزاؤُه إن جازاه بذلك أي هو أهل ذلك ومستحقه لعظم ذنبه، ونص على هذا أَبو مِجْلَز وأَبو صالح وغيرهما[١]، وهذا مبنيٌّ على القول بالمشيئة في جميع العصاة قاتل وغيره.

وذهبت المعتزلة إلى عموم هذه الآية، وأَنها مُخَصِّصَةٌ بعمومها؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٦، ١١٦].

وتُورِكوا في ذلك على ما روي عن زيد بن ثابت أنه قال: نزلت الشديدة بعد الهَيِّنَة[٢]؛ يريد: نزلت: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ بعد: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]، فهم يرون أن هذا الوعيد نافذٌ حتماً على كل قاتل يقتل مؤمناً، ويرونه عموماً ماضياً لوجهه، مخصصاً للعموم في قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، كأنه قال: إلا من قتل عمداً.

قال القاضي أبو محمد: وأهل الحق يقولون لهم: هذا العموم منكسرٌ غير ماضٍ لوجهه من جهتين:

إحداهما: ما أنتم معنا مجمعون عليه من الرجل الذي يشهد عليه، أو يقر بالقتل عمداً، ويأتي السلطان أو الأولياء، فيقام عليه الحد ويقتل قوداً، فهذا غير متبع في الآخرة، والوعيد غير نافذ عليه إجماعاً متركباً على الحديث الصحيح من طريق عبادة ابن الصامت: أنه من عوقب في الدنيا؛ فهو كفارة له[٣]، وهذا نقض للعموم.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٦١).

(٢) أخرجه الطبري (١٠٢٠٨-١٠٢٠٩)، وابن أبي حاتم (٥٨١٤) من طريق أبي الزناد قال: سمعت شيخاً في مسجد منى يحدث خارجة بن زيد يقول: سمعت أباك يقول: نزلت الشديدة؛ يعني: قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ الآية بعد الهينة؛ يعني: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ الآية بستة أشهر، وإسناده فيه مجهول، وأخرجه ابن أبي حاتم (٥٨١٥)، من طريق أبي الزناد، عن مجالد بن عوف، عن زيد بن ثابت به، ومجالد قال الذهبي: لا يعرف، تفرد عنه أبو الزناد.

(٣) صحيح البخاري (١٨).

والجهة الأخرى: أن لفظ هذه الآية ليس بلفظ عموم، بل لفظ مشترك يقع كثيراً للخصوص، كقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وليس حكام المؤمنين إذا حكموا بغير الحق في أمر بكفرة بوجه، وكقول الشاعر:

[الطويل]
وَمَنْ لا يَذُد عَن حَوْضِهِ بِسِلاحِهِ ... يُهَدَّم وَمَن لا يَظْلِمِ النَّاس يُظْلَمِ[1]

وهذا إنما معناه الخصوص؛ لأنه ليس كل من لا يظلم يظلم، فهذه جهة أخرى تدل على أن العموم غير مترتب، وما احتجوا به من قول زيد بن ثابت فليس كما ذكروه، وإنما أراد زيد أن هذه الآية نزلت بعد سورة الفرقان، ومراده باللَّيِّنَةِ[2] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨]، وإن كان المهدوي قد حكى عنه أنه قال: أنزلت: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ بعد قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ بأربعة أشهر، فإذا دخله التخصيص؛ فالوجه: أن هذه الآية مخصوصة في الكافر يقتل المؤمن، إمَّا على ما روي أنها نزلت في شأن مِقْيَس بن صَبَابَة، حين قتل أخاه هشام ابن صبابة[3] رجلٌ من الأنصار، فأخذ له رسول الله ﷺ الدية، ثم بعثه مع رجل من فِهْر بعد ذلك في أمر ما، فعدا عليه مِقْيس فقتله، ورجع إلى مكة مرتدّاً، وجعل ينشد:

[الطويل]
قَتَلْتُ به فِهْراً وحمَّلتُ عقلَهُ ... سَراةَ بني النجَّار أَرْبابَ فارعِ
حَلَلْتُ به وَتْري وأَدركْتُ ثَوْرَتي ... وكنت إِلى الأَوثانِ أَوَّلَ راجعِ[4]

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ١١٠)، وشرح المعلقات التسع (ص: ٢١١)، وعيار الشعر (ص: ٨٣).

(٢) كذا في جميع النسخ، ولعلها: «الهينة»؛ لأنها هي التي تقدمت في عبارته.

(٣) هشام بن صبابة بضم المهملة وموحدتين الأولى خفيفة، ابن حزن بن سيار من ليث بن بكر، أسلم وقاتل يوم المريسيع مع المسلمين حتى أمعن، فلقيه رجل من الخزرج، فظنه مشركاً فقتله، فقتله أخوه مقيس بعد أخذ ديته، ثم ارتد وأقام بمكة، الإصابة (٦/ ٤٢٢).

(٤) البيتان لمِقْيَس بن صُبابة حين قَتَل قاتل أخيه في العقد الفريد (٧/ ٢٩٧)، وتاريخ دمشق (٢٩/ ٢٩).

فقال رسول الله ﷺ: «لا أُؤَمِّنهُ في حِلٍّ ولا في حرم»، وأمر بقتله يوم فتح مكة، وهو متعلق بالكعبة[١].

وإما أن يكون على ما حُكي عن ابن عباس: أنه قال: ﴿مُّتَعَمِّدًا﴾ معناه: مستحلاً لقتله[٢]، فهذا يؤول أيضاً إلى الكفر، وفي المؤمن الذي قد سبق في علم الله أنَّه يعذبه بمعصيته على ما قدمناه من تأويل، فجزاؤه إن جازاه، ويكون قوله: ﴿خَـٰلِدًا﴾ إذا كانت في المؤمن بمعنى باقٍ مدة طويلة على نحو دعائهم للملوك بالتخليد ونحو ذلك، ويدل على هذا سقوط قوله: ﴿أَبَدًا﴾؛ فإن التأبيد لا يقترن بالخلود إلا في ذكر الكفار.

واختلف العلماء في قبول توبة القاتل:

فجماعة على أن لا تقبل توبته، وروي ذلك عن ابن عباس[٣]، وابن مسعود[٤]، وابن عمر[٥].

وكان ابن عباس يقول: الشرك والقتل مُبهمان، من مات عليهما خُلِّد[٦].

وكان يقول: هذه الآية مدنية نسخت الآية التي في الفرقان؛ إذ الفرقان مكية[٧].

والجمهور: على قبول توبته[٨]، وروي عن بعض العلماء: أنهم كانوا يقصدون

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠١٨٦)، من طريق عكرمة مرسلًا.

(٢) لم أقف عليه مسنداً، و«لقتله» زيادة من المطبوع والسليمانية وفيض الله.

(٣) صحيح البخاري (٤٣١٤).

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (١٠٢٠٥)، من طريق هشيم عن بعض أشياخه الكوفيين، عن الشعبي، عن مسروق، عن ابن مسعود في قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾، قال: إنها لمحكمة، وما تزداد إلا شدة، ولا يعرف هؤلاء الأشياخ.

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٢٦) لسعيد بن منصور، وابن المنذر، وانظر قولهم في: البيان والتحصيل (١٥/ ٤٨٠).

(٦) أخرجه الطبري (١٠٢٠٣) عن سفيان بن وكيع، وهو ضعيف.

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٦٤٢)، ومسلم (٧٧٢٦)، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنهما.

(٨) انظر قول الجمهور في: لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٣٧٠-٣٧١).

الإغلاظ والتخويف أحياناً، فيطلقون: أن لا تقبل توبة القاتل، منهم ابن شهاب/ ؛ كان [١/ ٣٣٨] إذا سأله من يفهم منه أنه قد قتل قال له: توبتك مقبولة، وإذا سأله من لم يفعل، قال له: لا توبة للقاتل[١]، ومنهم ابن عباس؛ وقع عنه في تفسير عبد بن حميد[٢]: أن رجلًا سأله أللقاتل توبة؟ فقال له: لا توبة للقاتل، وجزاؤُه جهنم، فلما مضى السائل قال له أصحابه: ما هكذا كنا نعرفك تقول إلا أن للقاتل التوبة، فقال لهم: إنني رأَيته مغضباً، وأَظنه يريد أَن يقتل، فقاموا فطلبوه وسأَلوا عنه، فإذا هو كذلك[٣].

وذكر هبة الله[٤] في كتاب الناسخ والمنسوخ له: أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، وقال: هذا إجماع الناس، إلا ابن عباس وابن عمر؛ فإنهما قالا: هي محكمة[٥].

قال القاضي أبو محمد: وفيما قاله هبة الله نظرٌ؛ لأنه موضع عموم وتخصيص، لا موضع نسخ، وإنما ركب كلامه على اختلاف الناس في قبول توبة القاتل، والله أعلم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾.

تقول العرب: «ضربتُ في الأرض» إذا سرتَ لتجارة أو غزو أو غيره مقترنةً

(١) نقله في الدر المنثور من تفسير عبد بن حميد عن ابن عباس (٢/ ٦٢٩).
(٢) عبد بن حميد بن مضر، أبو محمد الكشي، ويقال: الكسي، بكسر الكاف وسين مهملة، واسمه عبد الحميد، ولكن خفف، صنف المسند الكبير والذي وقع لنا منه منتخبه، والتفسير، وغير ذلك، وكان أحد الحفاظ بما وراء النهر، توفي سنة (٢٤٩هـ)، تاريخ الإسلام (١٨/ ٣٤١).
(٣) عزاه له السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٢٩).
(٤) هو أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري، توفي سنة: (٤١٠هـ).
(٥) انظر: الناسخ والمنسوخ له (ص: ٧٧).

بـ«في»، وتقول: «ضربتُ الأرض» دون «في» إذا قصدتَ قضاء حاجة الإنسان، ومنه قول النبي ﷺ: «لا يخرج الرجلان يضربان الغائط يتحدثان كاشفين عن فرجيهما؛ فإن الله يمقت على ذلك»[١].

وسبب هذه الآية: أن سرية من سرايا رسول الله ﷺ لقيت رجلاً له جمل ومتيع، وقيل: غنيمة، فسلم على القوم، وقال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فحمل عليه أحدهم فقتله، فشق ذلك على رسول الله، ونزلت الآية فيه[٢].

واختلف المفسرون في تعيين القاتل والمقتول في هذه النازلة:

فالذي عليه الأكثر، وهي في سيرة ابن إسحاق وفي مصنف أبي داود وغيرهما: أن القاتل مُحَلِّم[٣] بن جَثَّامة، والمقتول عامر بن الأضبط[٤]، والحديث بكماله في المصنف لأبي داود[٥]، وفي السير وفي الاستيعاب[٦].

---

(١) ضعيف، أخرجه أحمد في مسنده (١٧/ ٤١٢)، وأبو داود (١٥)، وابن ماجه (٣٤٢)، وغيرهم، من طريق عكرمة بن عمار، عن يحيى بن أبي كثير، عن هلال بن عياض عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً، وعكرمة ضعف في يحيى بن أبي كثير، فقال أبو داود: في حديثه عن يحيى بن أبي كثير اضطراب. اهـ، وقد أعل هذا الحديث بالاضطراب، وبجهالة هلال بن عياض، وقيل: عياض بن هلال، فقد رواه عكرمة مرة عن يحيى عن هلال، ومرة أخرى قال: عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة، كما عند النسائي في الكبرى (٣١)، وانظر: العلل للدارقطني (٢٢٩٤).

(٢) صحيح، أخرجه الطبري (١٠٢١٤-١٠٢١٧)، من طريق ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس.

(٣) في الحمزوية والسليمانية: «محكم»، وهو خطأ، وهو محلِّم بن جثَّامة الليثي، وهو الذي قتل عامر ابن الأضبط، وقيل: بل قتله غيره، وإنه نزل حمص ومات بها أيام ابن الزبير، وقيل: بل مات في حياة رسول الله ﷺ، ودفن فلفظته الأرض مرة بعد أخرى، الإصابة (٥/ ٥٨٤).

(٤) عامر بن الأضبط الأشجعي، ذكره ابن شاهين، وساق قصة تدل على أنه قتل حين أسلم قبل أن يلقى النبي ﷺ الإصابة (٣/ ٤٦٦).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٥٠٥) (٤/ ١٧١)، وأحمد في مسنده (٣٩/ ٣١٠)، والطبري (١٠٢١١-١٠٢١٢-١٠٢١٣)، وابن أبي حاتم (٥٨٢٦-٥٨٢٧)، وابن الجارود في المنتقى (٧٧٧)، وغيرهم، وقد وقع فيه اضطراب شديد.

(٦) انظر: الاستيعاب لابن عبدالبر (٣/ ٨٨٨)، ومغازي الواقدي (٢/ ٢٣٨)، والسيرة لابن هشام (٦/ ٣٨).

وقالت فرقة: القاتل أسامة بن زيد، والمقتول مِرْداس بن نَهِيك الغَطَفاني[١].

وقالت فرقة: القاتل أبو قتادة.

وقالت فرقة: القاتل غالب الليثي[٢]، [والمقتول مِرْداس][٣].

[وقالت فرقة: هو فُليت][٤]، وقالت فرقة: القاتل هو أبو الدرداء، ولا خلاف أن الذي لفظته الأرض حين مات هو مُحَلِّم بن جَثَّامة[٥].

وقرأ جمهور السبعة: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿فَتَثَبَّتُوا﴾ بالثاء مثلثة [والتاء][٦] في الموضعين[٧]، وفي الحجرات.

وقال قوم: (تَبَيَّنُوا) أبلغ وأشد من (تَثَبَّتُوا)؛ لأن المتثبت قد لا يتبيَّن.

وقال أبو عبيد: هما متقاربان[٨].

---

(١) مرداس بن نهيك الضَّمري، حليف لهم من بني الحرقة، وقيل: إنه أسلمي، وقيل: غطفاني، والأول أرجح، قتله أسامة بن زيد رضي الله عنه خطأ في سرية غالب بن عبد الله الليثي، إلى أرض بني ضمرة، ونزلت الآية في ذلك، على بعض الأقاويل، انظر: الإصابة (٦/ ٥٩).

(٢) غالب بن عبد الله الكناني الليثي، له صحبة، وكان على مقدمة النبي ﷺ يوم الفتح، وأمره على بعض سراياه، وله ذكر في فتح القادسية، وهو الذي قتل هرمز ملك الباب، وكان ولي خراسان زمن معاوية، ولّاه زياد، انظر: الإصابة (٥/ ٢٤٢).

(٣) سقط من الأصل.

(٤) سقط من الأصل والمطبوع، وفي الإصابة (٥/ ٣٤٥): قليب الليثي، استدركه أبو موسى، وابن فتحون، ولكن ذكره أبو موسى بقاف أوله وموحدة آخره، وابن فتحون بفاء أوله ومثناة آخره، والذي يظهر أن كلاً منهما تصحيف، وإنما هو غالب الليثي كما تقدم.

(٥) بل قال أبو عمر في الاستيعاب (٤/ ١٤٦٢): وقد قيل: إن هذا ليس محلماً؛ فإن محلماً نزل حمص، ومات بها في إمارة ابن الزبير.

(٦) زيادة من السليمانية وفيض الله.

(٧) التيسير (ص: ٩٧).

(٨) في نجيبويه: «أبو عبيدة»، في الموضعين، والكلام لأبي عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث=

قال القاضي أبو محمد: والصحيح ما قال أبو عبيد؛ لأن تَبيُّن الرجل لا يقتضي أن الشيء بان له، بل يقتضي محاولة اليقين، كما أن (تثبت) تقتضي محاولة اليقين، فهما سواء.

وقرأ نافع وابن عامر وحمزة وابن كثير في بعض طرقه: ﴿السَّلَم﴾ بتشديد السين وفتحه وفتح اللام، ومعناه: الاستسلام؛ أي ألقى بيده واستسلم لكم، وأظهر دعوتكم.

وقرأ بقية السبعة: ﴿ٱلسَّلَٰمَ﴾[1]؛ يريد سلام ذلك المقتول على السرية؛ لأن سلامه بتحية الإسلام مؤذِن بطاعته وانقياده، ويحتمل أن يراد به الانحياز والترك.

قال الأخفش: يقال: فلان سلام إذا كان لا يخالط أحداً[2].

وروي في بعض طرق عاصم: (السِّلْم) بكسر السين وشده وسكون اللام[3]؛ وهو الصلح، والمعنى المراد بهذه الثلاثة يتقارب.

وقرأ الجحدري: (السَّلْم) بفتح السين وسكون اللام[4]، والعرض: هو المتيع والجمل، أو الغنيمة التي كانت للرجل المقتول.

وقرأ أبو جعفر بن القَعْقاع وأبو حمزة واليماني: (لست مؤمَناً) بفتح الميم[5]؛ أي: لسنا نؤمِّنك في نفسك.

= (٢/ ٣٣)، وانظر: مجاز القرآن (١/ ١٣).

(١) التيسير (ص: ٩٧) دون ابن كثير، وانظر الخلاف عنه وعن عاصم في السبعة لابن مجاهد (١/ ٢٣٦) وكله خارج طرق التيسير، وفي النسخة المطبوعة من التيسير ذكر الكسائي مع نافع وحمزة، وهو خطأ مطبعي، والله أعلم.

(٢) معاني القرآن للأخفش (١/ ١٦٧).

(٣) وهي رواية أبان عنه كما في جامع البيان للداني (٣/ ١٠١٥).

(٤) مختصر الشواذ (ص: ٣٣)، والشواذ للكرماني (ص: ١٤١).

(٥) يعني: الميم الثانية، نقلها عن أبي جعفر النحاس في إعراب القرآن (٢/ ١٦٨)، ومكي في الهداية (٢/ ١٤٢٤)، وهي متواترة كما في النشر (٢/ ٢٥١)، ونقلها عنه وعن اليماني الكرماني في شواذ القراءات (ص: ١٤١)، ولم أجد من ذكر أبا حمزة، ولعله أبو حمزة الواسطي، روى القراءة عن إسحاق المسيبي، روى عنه الحروف أحمد بن جبير، انظر غاية النهاية (١/ ٢٦٧).

وقوله: ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾، عدة بما يأتي به الله على وجهه، ومن حله دون ارتكاب محظور؛ أي: فلا تتهافتوا.

واختلف المتأولون في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾:

فقال سعيد بن جبير: معناه: كنتم مستَخْفِين من قومكم بإسلامكم، خائفين منهم على أنفسكم، فمنَّ الله عليكم بإعزاز دينكم، وإظهار شريعتكم، فهم الآن كذلك، كل واحد منهم خائف من قومه، متربِّص أن يصل إليكم، فلم يصلح إذا وصل أن تقتلوه حتى تتبيَّنوا أمره[١].

وقال ابن زيد المعنى: كذلك كنتم كفرة فمَنَّ الله عليكم بأن أسلمتم، فلا تنكروا أن يكون هو كافراً ثم يسلم لحينه حين لقيكم، فيجب أن يتثبت في أمره[٢].

ويحتمل أن يكون المعنى إشارة بذلك إلى القتل قبل التثبت؛ أي: على هذه الحال كنتم في جاهليتكم لا تتثبَّتون، حتى جاء الله بالإسلام ومنَّ عليكم، ثم أكد تبارك وتعالى الوصية بالتبيُّن[٣]، وأعلم أنه خبير بما يعمله العباد، وذلك منه خبر يتضمن تحذيراً منه تعالى؛ لأن المعنى: إِنَّ الله كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً، فاحفظوا نفوسكم، وجنبوا الزلل الموبق بكم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾.

في قوله: ﴿لَّا يَسْتَوِى﴾ إبهام منه[٤] على السامع، هو أبلغ من تحديد المنزلة التي

(١) انظر: تفسير عبدالرزاق (١/ ١٧٠)، وتفسير الطبري (٩/ ٨٣).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٨٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٤١)، وتفسير الماوردي (١/ ٥٢١).
(٣) في المطبوع: «بالنَّبيِّين».
(٤) في المطبوع وجار الله: «إبهامٌ»، و«منه»: زيادة من السليمانية وفيض الله.

بين المجاهد والقاعد، فالمتأمل يمشي مع فكرته، ولا يزال يتخيل الدرجات بينهما.

و﴿ٱلْقَـٰعِدُونَ﴾: عبارة عن المتخلفين؛ إذ القعود هيئة من لا يتحرك إلى الأمر المقعود عنه في الأغلب.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ برفع الراء من ﴿غَيْرُ﴾.

وقرأ نافع وابن عامر والكسائي: ﴿غيرَ﴾ بالنصب.

واختلف عن عاصم، فروي عنه الرفع والنصب[١].

وقرأ الأعمش وأبو حيوة: (غير) بكسر الراء[٢].

فمن رفع الراء جعل ﴿غَيْرُ﴾ صفة لـ«القاعدين» عند سيبويه، كما هي عنده صفة في قوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾ [الفاتحة: ٧] بجر ﴿غَيْرِ﴾ صفةً[٣]، ومثله قول لبيد:

[الرمل] وإذا جُوزيـتَ قَرْضـاً فاجْـزِهِ إنَّمـا يَجْزِي الفتى غيرُ الجَمَلْ[٤]

[١/ ٣٣٩] / قال القاضي أبو محمد: كذا ذكره أبو علي[٥]، ويروى ليس الجمل.

ومن قرأ بنصب الراء جعله استثناء من: «القاعدين».

قال أبو الحسن: ويقوي ذلك أنها نزلت بعدها على طريق الاستثناء والاستدراك[٦].

---

(١) والمتواتر عنه من روايتي حفص وشعبة الرفع، انظر: التيسير (ص: ٩٧)، ولا ذكر لرواية النصب عنه في شيء من طرق النشر ولا جامع البيان للداني ولا سبعة ابن مجاهد ولا كامل الهذلي، وإنما اختلف رواة عاصم في ﴿غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ﴾ كما سيأتي في سورة النور [٣١].

(٢) عزاها لأبي حيوة المهدوي في التحصيل (٢/ ٣٤١)، وكذا الكرماني في الشواذ (ص: ١٤١)، وزاد آخرين، ولم أجدها للأعمش، بل نقل عنه في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٤٥) الرفع.

(٣) ليست في الأصل، وفيه في نجيبويه وجار الله بدل و«مثله»: و«منه».

(٤) انظر عزوه له في الأصول في النحو (١/ ٢٨٦)، وأساس البلاغة (١/ ١٣٨)، وجمهرة الأمثال (١/ ٥٧)، وتهذيب اللغة (٨/ ٣٤).

(٥) الحجة للقراء السبعة لأبي علي (٣/ ١٧٩).

(٦) معاني القرآن للأخفش (١/ ٢١٠).

قال القاضي أبو محمد: وقد يتحصل الاستدراك بتخصيص «القاعدين» بالصفة.

قال الزجّاج: يجوز أيضاً[١] في قراءة الرفع أن يكون على جهة الاستثناء، كأنه قال: لا يستوي القاعدون والمجاهدون إلا أولو الضرر؛ فإنهم يساوون المجاهدين[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا مردود؛ لأن ﴿أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ لا يساوون المجاهدين، وغايتهم: أن خرجوا من التوبيخ والمذمة التي لزمت القاعدين من غير عذر.

قال: ويجوز في قراءة نصب الراء أن يكون على الحال.

وأما كسر الراء؛ فعلى الصفة لـ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وروي من غير طريق أن الآية نزلت: (لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجاهِدُونَ)، فجاء ابن أم مكتوم حين سمعها، فقال: يا رسول الله هل من رخصة؟ فإني رجل[٣] ضرير البصر، فنزلت عند ذلك: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾[٤].

قال الفلتان بن عاصم[٥]: كنا قعوداً عند النبي ﷺ فأنزل عليه، وكان إذا أُوحي إليه دام بصره مفتوحة عيناه، وفرغ سمعه وبصره لما يأتيه من الله[٦]، وكنا نعرف ذلك في وجهه، فلما فرغ قال للكاتب: اكتب (لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجاهِدُونَ) إلى آخر الآية، قال: فقام الأعمى، فقال: يا رسول الله ما ذنبنا؟ قال: فأنزل الله على رسوله، فقلنا للأعمى: إنه ينزل عليه، قال: فخاف أن ينزل فيه شيء، فبقي قائماً مكانه يقول: أتوب إلى رسول الله حتى فرغ رسول الله، فقال للكاتب: اكتب: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾[٧].

---

(١) في الأصل هنا زيادة: «فجوز»، والظاهر أنها مقحمة.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٢٤).

(٣) «رجل»: زيادة من السليمانية وفيض الله.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٦٧٦)، ومسلم (٥٠٢٠)، من حديث البراء بن عازب.

(٥) في المطبوع: «الفلقان»، وهو: الفلتان ابن عاصم الجرمي، خال عاصم بن كلاب، له صحبة، يعدُّ في الكوفيين، الإصابة (٥/ ٢٨٨)، والطبقات الكبرى (٦/ ٦٠).

(٦) في نجيبويه والأصل وجار الله: «الوحي».

(٧) أخرجه أبو يعلى (١٥٨٣)، والبزار (٣٦٩٩)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٥٠٣)، =

و«أولو الضرر»: هم أهل الأعذار؛ إذ قد أضرت بهم حتى منعتهم الجهاد، قاله ابن عباس وغيره[١].

وقوله تعالى: ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ هي الغاية في كمال الجهاد.

ولما كان أهل الديوان متملكين بذلك العطاء، يصرفون في الشدائد، وتروعهم البعوث والأوامر؛ قال بعض العلماء: هم أعظم أجراً من المتطوع؛ لسكون جأشه، ونعمة باله في الصوائف[٢] الكبار ونحوها، واحتج بهذه الآية المظهرة لفضل المال مَنْ قال: إن الغنى أفضل من الفقر، وإن متعلقه بها لبيِّن.

وفسر الناس الآية على أن تكملة التفضيل فيها بـ«الدرجة» ثم بـ«الدرجات» إنما هو مبالغة وبيان وتأكيد.

وقال ابن جريج: الفضل بدرجة هو على القاعدين من أهل العذر[٣].

قال القاضي أبو محمد: لأنهم مع المؤمنين بنياتهم، كما قال النبي ﷺ في غزوة تبوك: «إن بالمدينة رجالاً ما قطعنا وادياً، ولا سلكنا جبلاً ولا طريقاً؛ إلا وهم معنا، حبسهم العذر».

قال ابن جريج: [الفضل بدرجة][٤]، والتفضيل بالأجر العظيم والدرجات، هو على القاعدين من غير أهل العذر، والْحُسْنى الجنة، وهي التي وعدها المؤمنون، وكذلك قال السدي وغيره[٥].

= والطبراني في الكبير (٨٥٦)، وابن حبان في صحيحه (٤٧١٢)، من طريق عبد الواحد بن زياد، عن عاصم بن كليب، عن أبيه، عن الفلتان بن عاصم، به، وهذا قد تفرد به عبد الواحد عن عاصم، وعاصم قال ابن المديني: لا يحتج به إذا انفرد.

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٩٥)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، بلفظ: أهل الضرر.

(٢) الصائفة: الغزوة في الصيف، انظر: المحكم والمحيط (٨/ ٣٦٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٩١).

(٤) زيادة من السليمانية.

(٥) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٩٤)، وانظر: معاني القرآن للنحاس (٢/ ١٧٢).

وقال ابن مُحَيريز[١]: الدرجات: هي درجات في الجنة سبعون، ما بين الدرجتين حضْرُ الفرس[٢] الجواد المضمر سبعين سنة، وقال بهذا القول الطبري ورجحه[٣].

وقال ابن زيد: الدرجات في الآية: هي السبع المذكورات في سورة براءة، فهي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآيات [التوبة: ١٢٠-١٢٢][٤].

فذكر فيها الموطئ الغائظ للكفار، والنيل من العدو، والنفقة الصغيرة والكبيرة، وقطع الأودية والمسافات.

قال القاضي أبو محمد: ودرجات الجهاد ـ لو حُصِرت ـ أكثر من هذه، لكن يجمعها بذل النفس والاعتمال بالبدن والمال في أن تكون كلمة الله هي العليا، ولا شك أن بحسب مراتب الأعمال ودرجاتها تكون مراتب الجنة ودرجاتها، فالأقوال كلها متقاربة، وباقي الآية وعد كريم وتأنيس.

ونصب ﴿دَرَجَاتٍ﴾: إمَّا على البدل من «الأجر»، وإمَّا على إضمار فعل على أن تكون تأكيداً لـ«الأجر»، كما تقول: لك علي ألف درهم عرفاً، كأنك قلت: أعرفها عرفاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨)

---

(١) هو عبد الله بن محيريز ابن جنادة القرشي الجمحي المكي، أبو محيريز، نزيل بيت المقدس، روى عن: عبادة بن الصامت، وأبي محذورة المؤذن وغيرهم، وعنه مكحول، والزهري وجماعة وكان كبير القدر عالماً عابداً قانتاً لله، توفي قريباً من المئة، تاريخ الإسلام (٦/ ٤٠٨).

(٢) حضر الفرس: ارتفاعه في عدوه، أحضر الفرس يحضر إحضاراً، عدا عدواً شديداً، انظر: العين للخليل (٢/ ١٢٥).

(٣) انظر قول ابن محيريز وترجيح الطبري في تفسير الطبري (٩/ ٩٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٩٧).

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةًۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾.

المراد بهذه الآية إلى قوله: ﴿مَصِيرًا﴾: جماعة من أهل مكة كانوا قد أسلموا وأظهروا للنبي ﷺ الإيمان به، فلما هاجر رسول الله ﷺ أقاموا مع قومهم، وفتن منهم جماعة فافتتنوا، فلما كان أمر بدر خرج منهم قوم مع الكفار فقتلوا ببدر، فنزلت الآية فيهم[(١)].

قال ابن عباس رضي الله عنه: كان قوم من أهل مكة قد أسلموا وكانوا يَسْتَخْفُون بإسلامهم، فأخرجهم المشركون يوم بدر، فأصيب بعضهم، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا، فاستغفروا لهم، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الآية[(٢)].

قال: فكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين بهذه الآية، أن لا عذر لهم، فخرجوا، فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة، فنزلت فيهم هذه الآية الأخرى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ الآية [العنكبوت: ١٠] فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا ويئسوا من كل خير.

ثم نزلت فيهم: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠]، فكتبوا إليهم بذلك، أن الله قد جعل لكم مخرجاً، فخرجوا فلحقهم المشركون فقاتلوهم، حتى نجا من نجا، وقتل من قتل.

---

(١) انظر: تفسير مجاهد (١/ ١٧١)، وسيرة ابن إسحاق (٣/ ٢٨٩)، وتفسير عبد الرزاق (١/ ١٧١)، وتفسير الطبري (٩/ ١٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٢٠) بنحوه.

وقال عكرمة: نزلت هذه الآية في خمسة قتلوا ببدر، وهم قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زَمْعة بن الأسود بن أسد، وقيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو العاصي بن منبه ابن الحجاج،/ وعلي بن أمية بن خلف(١). [١/ ٣٤٠]

قال النقاش: في أناس سواهم أسلموا ثم خرجوا إلى بدر، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا: غر هؤلاء دينهم(٢).

قال القاضي أبو محمد: وكان العباس ممن خرج مع الكفار، لكنه نجا وأُسر، وكان من المطعمين(٣) في نفير بدر.

قال السدي: لما أسر العباس وعقيل ونوفل(٤)؛ قال رسول الله ﷺ للعباس: «افدِ نفسك وابن أخيك»، فقال له العباس: يا رسول الله، ألم نصلِّ قبلتك ونشهد شهادتك؟ قال: «يا عباس إنكم خاصمتم فخصمتم»، ثم تلا عليه هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾(٥).

قال السدي: فيوم نزلت هذه الآية كان من أسلم ولم يهاجر فهو كافر حتى يهاجر، إلا من لا يستطيع حيلة، ولا يهتدي سبيلا(٦).

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا الذي قاله السدي نظرٌ، والذي يجري مع

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ١٠٥)، والمذكورون كلهم من قريش، قتلوا كفارا يوم بدر، والصواب: العاص بن منبه دون كنية كما في سيرة ابن هشام (١/ ٦٤١)، وسيأتي للمؤلف في (سورة الأنفال) على الصواب.

(٢) تفسير البحر المحيط (٤/ ٤٠).

(٣) في السليمانية وفيض الله: «المطعنين»، والمطعمون: هم الذين كانوا يتناوبون على إطعام جيش قريش، ينحرون يوماً عشراً ويوماً تسعاً.

(٤) في المطبوع: «نفيل»، وهو خطأ، ونوفل: هو ابن الحارث بن عبد المطلب، وعقيل: هو ابن أبي طالب، فكلاهما ابن عم النبي ﷺ.

(٥) أخرجه الطبري (١٠٢٦٥)، وابن أبي حاتم (٥٨٦٩)، عن السدي مرسلًا.

(٦) تفسير الطبري (٩/ ١٠٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ١٠٤٧)، وانظر: الدر المنثور (٢/ ٦٤٧).

الأصول أن من مات من أولئك بعد أن قبل الفتنة وارتدَّ، فهو كافر، ومأواه جهنم على جهة الخلود، وهذا هو ظاهر أمر تلك الجماعة وإن فرضنا فيهم من مات مؤمناً وأكره على الخروج، أو مات بمكة فإنما هو عاص في ترك الهجرة، مأواه جهنم على جهة العصيان دون خلود، لكن لما لم يتعين أحد أنه مات على الإيمان؛ لم يسغ ذكرهم في الصحابة، ولم يُعْتَد بما كان عرف منهم قبل، ولا حجة للمعتزلة في شيء من أمر هؤلاء على تكفيرهم بالمعاصي.

وأمَّا العباس فقد ذكر ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ: أنه أسلم قبل بدر، ولذلك قال رسول الله ﷺ فيه يوم بدر: «من لقي العباس فلا يقتله، فإنما أُخرج كرهاً»[١].

قال القاضي أبو محمد: وذكر أنه إنما أسلم وهو مأسور حين ذكر له النبي ﷺ أمر المال الذي ترك عند أم الفضل[٢]، وذكر أنه أسلم في عام خيبر، وكان يكتب إلى رسول الله ﷺ بأخبار المشركين، وكان يحب أن يهاجر، فكتب إليه رسول الله ﷺ: أن امكث بمكة، فمقامك بها أنفع لنا[٣].

قال القاضي أبو محمد: لكن عامله رسول الله ﷺ حين أُسر على ظاهر أَمره.

وقوله تعالى: ﴿تَوَفَّىٰهُمُ﴾ يحتمل أن يكون فعلاً ماضياً لم يستند بعلامة تأنيث؛ إذ تأنيث لفظ ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ غير حقيقي، ويحتمل أن يكون فعلاً مستقبلاً على معنى «تتوفاهم»، فحذفت إحدى التاءين، ويكون في العبارة إشارة إلى ما يأتي من هذا المعنى في المستقبل بعد نزول الآية.

وقرأ إبراهيم: (تُوفاهم) بضم التاء.

---

(١) رواه ابن إسحاق في السيرة كما في تفسير ابن كثير (١/ ٩١)، وسنده ضعيف.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ١٥).

(٣) ذكره ابن الأثير في أسد الغابة (١/ ٥٧٦).

قال أبو الفتح: كأنه يدفعون إلى الملائكة ويحتسبون عليهم[١].

و﴿تَوَفَّىٰهُمُ﴾ بفتح التاء معناه: تقبض أرواحهم، وحكى ابن فُورك عن الحسن أن المعنى: تحشرهم إلى النار[٢].

و﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: نصب على الحال، أي: ظالميها بترك الهجرة.

قال الزجّاج: حذفت النون من «ظالمين» تخفيفاً، كقوله تعالى: ﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥][٣].

وقول الملائكة فيهم: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ تقرير وتوبيخ، وقول هؤلاء: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ اعتذار غير صحيح؛ إذ كانوا يستطيعون الحيل، ويهتدون السبيل، ثم وقفتهم الملائكة على ذنبهم بقولهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً﴾.

و﴿ٱلْأَرْضِ﴾ في قول هؤلاء: هي أرض مكة خاصة، و﴿أَرْضُ ٱللَّهِ﴾ هي الأرض بالإطلاق.

والمراد: فتهاجروا فيها إلى موضع الأمن، وهذه المقالة إنما هي بعد توفي الملائكة لأرواح هؤلاء، وهي دالة على أنهم ماتوا مسلمين، وإلا فلو ماتوا كافرين لم يقل لهم شيء من هذا، وإنما أضرب عن ذكرهم في الصحابة؛ لشدة ما واقعوه، ولعدم تعين أحد منهم بالإيمان، ولاحتمال ردته، وتوعدهم الله تعالى بأن مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ.

ثم استثنى منهم من كان استضعافه على حقيقة، من زَمْنَى[٤] الرجال، وضَعَفة النساء والولدان، كعياش بن أبي ربيعة والوليد بن هشام[٥] وغيرهما.

---

(١) انظر عزو القراءة وتوجيهها في المحتسب (١/ ١٩٣).

(٢) تفسير القرطبي (٥/ ٣٤٥).

(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٩٤).

(٤) في فيض الله ونجيبويه: «زمناء».

(٥) هكذا في النسخ، والمعروف: أنه سلمة بن هشام.

قال ابن عباس: كنت أنا وأمي من المستضعفين، هي من النساء، وأنا من الولدان[١].

و«الحيلة»: لفظ عام لأنواع أسباب التخلص.

و«السبيل»: سبيل المدينة فيما ذكر مجاهد والسدي وغيرهما[٢].

والصواب أنه عام في جميع السبل.

ثم رجَّى الله تعالى هؤلاء بالعفو عنهم، و﴿عَسَى﴾ من الله واجبةٌ، أما إنها[٣] دالة على ثقل الأمر المعفو عنه.

قال الحسن: «عسى» من الله واجبة[٤]، وقال غيره: هي بمنزلة الوعد؛ إذ ليس يخبر بـ«عسى» عن شك ولا توقع، وهذا يرجع إلى الوجوب.

قال آخرون: هي على معتقد البشر؛ أي ظنكم بمن هذه حاله ترجِّي عفو الله عنه.

و«المراغَم»: المتحوَّل والمذهب، كذا قال ابن عباس[٥] والضحاك والربيع وغيرهم[٦].

ومنه قول النابغة الجعدي:

[المتقارب] كَطَوْدٍ يُلاذُ بِأَرْكَانِهِ عَزِيزِ المراغَمِ وَالمهْرَبِ[٧]

(١) صحيح البخاري (١٢٩١).

(٢) انظر: تفسير الماوردي (٢/ ٢٥٠).

(٣) في المطبوع: «كما أنها».

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٠٥)، وتفسير ابن زمنين (١/ ٤٠١)، وتفسير الماوردي (٢/ ٢٥٠).

(٥) هذا الأثر أخرجه ابن جرير الطبري (٧/ ٣٣٩-٤٠٠)، وابن أبي حاتم (٥٨٧٨)، من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره.

(٦) انظر: تفسير مقاتل (١/ ٢٥٢)، وتفسير عبد الرزاق (١/ ١٧٠)، وغريب الحديث للحربي (٣/ ١٠٧٧)، وتفسير الطبري (٩/ ١١٢).

(٧) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ١٣٨)، وتفسير الطبري (٩/ ١١٢)، ومقاييس اللغة (٢/ ٣٤١)، والصحاح في اللغة (١/ ٢٦١).

وقول الآخر:

إلـى بَـلَـد غَـيْـر دانـي المـحَـلِّ بعيـدِ المراغَـم والمضْطَـرَبْ[١] [المتقارب]

وقال مجاهد: المراغم: المتزَحْزَح عما يكره، وقال ابن زيد: المراغم: المهاجر، وقال السدي: المراغم: المبتغي للمعيشة[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله تفسير بالمعنى، فأمَّا الخاص باللفظة؛ فإن المراغم: موضع المراغمة، وهو أن يرغم كل واحد من المتنازعين[٣] أنف صاحبه؛ بأن يغلبه على مراده، فكفار قريش أَرغموا أُنوف المحبوسين بمكة، فلو هاجر منهم مهاجر في أرض الله؛ لأرغم أنوف قريش بحصوله في مَنَعة منهم، فتلك المنعة هي موضع المراغَمة.

وكذلك الطود الذي ذكر النابغة، من صعد فيه أمام طالب له وتوقَّل[٤]؛ فقد أرغم أنف ذلك الطالب.

وقرأ نُبيح والجراح والحسن بن عمران[٥]: (مَرْغماً) بفتح الميم وسكون الراء دون ألف[٦].

---

(١) البيت بلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٩٦)، وتهذيب اللغة (٨/ ١٣٠)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٣٧٣).

(٢) انظر: أقوالهم في تفسير الطبري (٩/ ١١٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٤٩)، وتفسير الماوردي (١/ ٥٢٢)، وفي السليمانية: «الزهري» بدل: «السدي».

(٣) في نجيبويه: «المتراغمين».

(٤) التَّوَقُّلُ في الجبل هو: الصعود فيه.

(٥) الحسن بن عمران العسقلاني شيخ، قرأ على عطية بن قيس، وروى عنه شعبة وغيره، توفي قبل (١٤٠هـ)، تاريخ الإسلام (٨/ ٣٩٩).

(٦) عزاها لنبيح والجراح الكرماني في الشواذ (ص: ١٤٢)، وللحسن بن عمران في البحر المحيط (٤/ ٤٣)، ونسبها ابن جني في المحتسب (١/ ١٩٤) لرواية الواقدي عن عباس عن الضبي، وابن خالويه في مختصر الشواذ للضبي عن أصحابه (ص: ٣٥).

قال أبو الفتح: هذا إنما هو على حذف الزوائد من: راغَم، والجماعة على «مراغم»[١].

وقال ابن عباس[٢] والربيع والضحاك وغيرهم: «السَّعَة» هنا هي: السعة في الرزق.

وقال قتادة: المعنى سعة من الضلالة إلى الهدى، ومن العَيلة إلى الغنى[٣].

وقال مالك: السعة: سعة البلاد[٤].

قال القاضي أبو محمد: والمشبه لفصاحة العرب: أن يُريد سَعَة الأرض وكثرة المعاقل، وبذلك تكون السعة في الرزق، واتساع الصدر لهمومه وفكره، وغير ذلك من وجوه الفرح، ونحو هذا المعنى قول الشاعر:

[السريع] لَكَانَ لي مُضْطَرَبٌ واسِعٌ في الأَرْضِ ذاتِ الطُّولِ والعَرْضِ[٥]

ومنه قول الآخر:

[الوافر] وكنتُ إذا خَليلٌ رامَ قَطْعي وجدتُ وَرايَ مُنْفَسَحاً عَريضاً[٦]

وهذا المعنى ظاهر من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً﴾.

[١/ ٣٤١] / وقال [مالك بن أنس][٧] رضي الله عنه: الآية تعطي أن كل مسلم ينبغي أن

---

(١) المحتسب لابن جني (١/ ١٩٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٠٣٠٥)، وابن أبي حاتم (٥٨٨٤)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٩/ ١٢١).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٥٠)، والهداية الى بلوغ النهاية (٢/ ١٤٤٣).

(٥) البيت لحطَّان بن المعلَّى الطَّائي كما في العقد الفريد (٢/ ٢٧٤)، والحماسة بشرح التبريزي (١/ ١٠١)، ومحاضرات الأدباء (١/ ٣٩٣).

(٦) البيت بلا نسبة في الأغاني (٤/ ٢٦٢)، وأمالي القالي (١/ ٤٨)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٣٢/ ٢١٩)، وزهر الآداب (١/ ١٦٢).

(٧) في نجيبويه: «أنس بن مالك».

يخرج من البلاد التي تغير فيها السنن، ويعمل فيها بغير الحق[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ حكم باقٍ في الجهاد والمشي إلى الصلاة والحج ونحوه، أما أنه لا يقال: إن بنفس خروجه ونيته حصل في مرتبة الذي قضى ذلك الفرض أو العبادة في الجملة، ولكن يقال: وقع له بذلك أجر عظيم.

وروي: أن هذه الآية نزلت بسبب رجل من كنانة، وقيل: من خزاعة من بني ليث، وقيل: من جُنْدَع[(٢)]، لما سمع قول الله عز وجل: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ قال: إني لذو مال وعبيد ـ وكان مريضاً ـ فقال: أخرجوني إلى المدينة، فأُخرج في سرير، فأدركه الموت بالتنعيم، فنزلت الآية بسببه[(٣)].

واختلف في اسمه: فحكى الطبري عن ابن جبير: أنه ضَمْرَة بن العيص، أو العيص ابن ضَمْرَة بن زِنْبَاع[(٤)].

وحكى عن السدي: أنه ضمرة بن جندب الضمري، وحكى عن عكرمة: أنه جُندب بن ضَمْرَة الجُنْدَعِي، وحكى عن ابن جبير[(٥)] أيضاً: أنه ضمرة بن بغيض الذي[(٦)] من بني ليث[(٧)].

---

(١) الهداية لمكي (٢/ ١٤٤٣).

(٢) في المطبوع: «في جندع»، وفي الحمزوية: «بني جندع»، وهم بنو جندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة، جمهرة أنساب العرب (١/ ١٨٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠٢٩٢)، عن الضحاك، فذكره.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٩/ ١١٤)، وفي السليمانية والأصل وفيض الله: «ابن جريج»، والمثبت هو الموافق لما في الطبري.

(٥) في السليمانية وفيض الله: «جابر».

(٦) عبارة غير واضحة في الأصل وجار الله، وكأنها: «الدبى»، أو «الربى»، والتصحيح من سائر النسخ.

(٧) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٩/ ١١٦)، وما بعدها.

وحكى أبو عمر بن عبد البر: أنه ضَمْرَة بن العيص[١]، وحكى المهدوي: أنه ضمرة بن نعيم، وقيل: ضمرة بن خزاعة[٢].

وقرأت الجماعة: ﴿ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾ بالجزم عطفاً على ﴿يَخْرُجْ﴾.

وقرأ طلحة بن سليمان وإبراهيم النخعي فيما ذكر أبو عمرو: (ثم يدركُه) برفع الكاف[٣].

قال أبو الفتح: هذا رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: ثم هو يدركه الموت، فعطف الجملة من المبتدأ والخبر على الفعل المجزوم بفاعله، فهما إذن جملة، فكأنه عطف جملة على جملة، وعلى هذا حمل يونس بن حبيب قول الأعشى:

[البسيط] إنْ تَرْكَبُوا فَرُكُوبُ الخَيْلِ عَادَتُنَا ... أَوْ تَنْزِلُون فَإنَّا مَعْشَرٌ نُـزُلُ[٤]

المراد: وأنتم تنزلون، وعليه قول الآخر:

[البسيط] إنْ تُذْنِبُوا ثُمَّ تَأتِينِي بَقِيَّتُكُمْ ... فَمَا عَلَيَّ بِذَنْبٍ عِنْدَكُمْ فَوتُ[٥]

المعنى: ثم أنتم تأتيني، وهذا أوجه من أن يحمله على قول الآخر:

[الوافر] أَلَـمْ يَأْتِيـكَ والأنْبـاءُ تَنْمـي[٦] ... .

(١) الاستيعاب (٢/ ٧٥٠)، وذكر الأقوال الأخرى، ثم قال: وهذا هو الصحيح، وأسند عن عكرمة قال: طلبت اسمه أربع عشرة سنة حتى وقفت عليه، وترجم له ابن حجر في الإصابة (١/ ٦١٨)، في جندع بن ضمرة، ونقل تصحيح ذلك عن ابن إسحاق والواقدي.

(٢) التحصيل للمهدوي (٢/ ٢٣٧).

(٣) انظر عزوها لطلحة وتوجيهها في المحتسب (١/ ١٩٥)، وكتاب أبي عمرو الداني لم أقف عليه.

(٤) انظر عزوه له في الأغاني (٥/ ٤٠٩)، والكتاب لسيبويه (١/ ٤٢٩)، والجمل في النحو (١/ ٢١٤)، والمحتسب (١/ ١٩٥).

(٥) البيت لرُوَيشد بن كثير الطَّائي كما في الحماسة بشرح التبريزي (١/ ٤٧).

(٦) صدر بيت لقيس بن زهير العبسي كما في النوادر لأبي زيد (ص: ٢٠٣)، والجمل في النحو =

وقرأ الحسن بن أبي الحسن وقتادة ونبيح والجراح: (ثم يدركَه) بنصب الكاف[(١)]، وذلك على إضمار «أن» كقول الأعشى:

لَنَا هَضْبَـةٌ لاَ يَنْزِلُ الذُّلُّ وَسْـطَهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا المسْتَجِيرُ فَيُعْصَمَا[(٢)] [الطويل]

أراد: فأن يعصم.

قال أبو الفتح: وهذا ليس بالسهل، وإنما بابه الشعر لا القرآن، وأنشد أبو زيد[(٣)]:

سَـأَتْـرُكُ مَـنْـزِلِي لِبَـنِي تَـميـم وَأَلْحَـقُ بِالْحِجَـازِ فَأَسْـتَرِيحَا[(٤)] [الوافر]

والآية أقوى من هذا؛ لتقدم الشرط قبل المعطوف[(٥)].

قال القاضي أبو محمد: ومن هذه الآية رأى بعض العلماء أن من مات من المسلمين وقد خرج غازياً؛ فله سهمه من الغنيمة، قاسوا ذلك على الأجر، وقد تقدَّم معنى الهجرة فيما سلف و﴿وَقَعَ﴾ عبارة عن: الثبوت وقوة اللزوم، وكذلك هي: وجب؛ لأن الوقوع والوجوب نزول في الأجرام بقوة، فشبه لازم المعاني بذلك، وباقي الآية بيِّن.

= (ص: ٢٢٣)، والفاخر (ص: ٢٢٢)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢٣)، والعمدة لابن رشيق (٢/ ٢٧٥)، وعجزه: بِمَا لَاقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَادِ.

(١) المحتسب (١/ ١٩٥)، عن الحسن والجراح.

(٢) البيت انظر عزوه للأعشى في المحتسب (١/ ١٩٦)، والمحكم (٦/ ٧٥٣)، والخزانة (٨/ ٣٤١)، وهو منسوب لطرفة في الكتاب لسيبويه (٣/ ٤٠)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٧٣)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٣٤٨)، والعمدة لابن رشيق (٢/ ٢٧٦).

(٣) في المطبوع والأصل: «ابن زيد».

(٤) تقدم في تفسير الآية (٧٢) من(سورة آل عمران).

(٥) المحتسب (١/ ١٩٦).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ ...﴾.

﴿ضَرَبْتُمْ﴾ معناه: سافرتم.

فأهل الظاهر يرون القصر في كل سفر يخرج عن الحاضرة[1]، وهي من حيث تؤتى الجمعة، وهذا قول ضعيف.

واختلف العلماء في حد المسافة التي تقصر فيها الصلاة، فقال مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وابن راهويه: تقصر الصلاة في أربعة برد، وذلك ثمانية وأربعون ميلاً[2].

وحجتهم أحاديث رويت في ذلك عن ابن عمر وابن عباس[3].

---

(١) في السليمانية وفيض الله وجار الله: «الحضارة»، وانظر مذهب أهل الظاهر في: المحلى لابن حزم (٣/ ١٨٥).

(٢) انظر قول مالك في المدونة (١/ ٢٠٧)، وقول الشافعي في الأم (١/ ٢١١)، وقول أحمد وإسحاق في رواية الكوسج (٣١٥).

(٣) لا يصح مرفوعاً، والصحيح: أنه من فعلهما، روي عن ابن عباس مرفوعاً، أخرجه الدارقطني في السنن (١٤٤٧) من طريق إسماعيل بن عياش عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه، وعن عطاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «يا أهل مكة، لا تقصروا الصلاة في أدنى من أربعة برد من مكة إلى عسفان»، وهذا إسناد ضعيف جداً، إسماعيل بن عياش لا يحتج به في غير الشاميين، وعبد الوهاب ابن مجاهد ليس شامياً، وهو ضعيف بمرة، وهو منقطع أيضاً؛ لأنه قيل: إنه لم يسمع من أبيه.
والصحيح: أن ذلك من فعل ابن عباس وابن عمر. فقد روى مالك في الموطأ (ص: **٣٣٨**) رواية يحيى، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه: أنه ركب إلى ريم فقصر الصلاة في مسيره ذلك، قال مالك: وذلك نحو من أربعة برد، وفي (ص: **٣٣٩**) عن نافع، عن سالم بن عبد الله: أن عبد الله بن عمر ركب إلى ذات النصب فقصر الصلاة في مسيره ذلك، قال مالك: وبين ذات النصب والمدينة أربعة برد.
وعلقه البخاري (١٠٨٦) فقال: وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران في أربعة برد، وهي ستة عشر فرسخاً، وقد أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٣٧) من طريق حجاج، حدثنا ليث، حدثني يزيد بن أبي حبيب عن عطاء بن أبي رباح: أن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس كانا يصليان ركعتين، ويفطران في أربعة برد فما فوق ذلك، وهو مخرج في تغليق التعليق (٢/ ٤١٥).

وقال الحسن والزهري: تقصر الصلاة في مسيرة يومين، ولم يذكرا أميالاً[١]، وروي هذا القول عن مالك[٢]، وروي عنه أيضاً: تقصر الصلاة في يوم وليلة[٣]، وهذه الأقوال الثلاثة تتقارب في المعنى.

وروي عن ابن عباس وابن عمر: أن الصلاة تقصر في مسيرة اليوم التام[٤]، وقصر ابن عمر في ثلاثين ميلاً[٥].

وعن مالك في العتبية فيمن خرج إلى ضيعته على مسيرة خمسة وأربعين ميلاً: قال: يقصر[٦]، وعن ابن القاسم في العتبية: إن قصر في ستة وثلاثين ميلًا؛ فلا إعادة عليه[٧].

وقال يحيى بن عمر[٨]: يعيد أبداً، وقال ابن عبد الحكم: في الوقت[٩].

وقال ابن مسعود[١٠] وسفيان الثوري وأبو حنيفة ومحمد بن الحسن: من سافر

(١) انظر قول الحسن والزهري في: الأوسط (٤/ ٤٠٢)، والتمهيد لابن عبد البر (٢١/ ٥٣).

(٢) انظر نسبة هذا القول لمالك في: تفسير القرطبي (٥/ ٣٥٥).

(٣) انظر نسبة هذا القول لمالك في: التمهيد لابن عبد البر (٢١/ ٥٢).

(٤) صحيح عنهما، أثر ابن عباس أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٥٢٥)، عن الثوري، عن منصور، عن مجاهد، عنه قال: إذا سافرت يوماً إلى العشاء، فأتم الصلاة فإن زدت فاقصر، وأثر ابن عمر أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٥٢٥) كذلك عن معمر وابن جريج، عن الزهري قال: أخبرني سالم أن ابن عمر كان يقصر الصلاة في مسيرة اليوم التام.

(٥) صحيح، أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٥٢٥)، عن مالك، عن ابن شهاب، عن سالم: أن ابن عمر سافر إلى ريم فقصر الصلاة، وهي مسيرة ثلاثين ميلاً.

(٦) انظر نسبة القول للعتبية برواية أشهب في: النوادر (١/ ٤٢٣).

(٧) انظر قول ابن القاسم المنسوب للعتبية في: النوادر (١/ ٤٢٣)، وفي السليمانية: «ثلاثة وأربعين».

(٨) يحيى بن عمر الفقيه البلوي الأندلسي المالكي، المتوفى سنة: (٢٨٩هـ)، انظر ترجمته في: تاريخ علماء الأندلس للأزدي (٢/ ١٨١).

(٩) انظر هذه الأقوال الأربعة في: النوادر (١/ ٤٢٢).

(١٠) ضعيف، أخرجه ابن المنذر في الأوسط (٧/ ١٢٢)، حدثنا محمد بن علي، ثنا سعيد، ثنا غياث بن بشر ـ كذا وقع، والصواب: عتاب بن بشير ـ قال أخبرنا خصيف، عن أبي عبيدة، عن ابن مسعود، فذكره، وعتاب قال أحمد: أحاديثه عن خصيف منكرة، وخصيف ضعيف.

مسيرة ثلاث قصر[١]، وقال أبو حنيفة: ثلاثة أيام ولياليها سير الإبل ومشي الأقدام[٢].

وروي عن أنس بن مالك: أنه قصر في خمسة عشر ميلاً[٣].

قال الأوزاعي: عامة العلماء في القصر على مسيرة اليوم التام، وبه نأخذ[٤].

واختلف الناس في نوع السفر الذي تقصر فيه الصلاة:

فأجمع الناس على الجهاد والحج والعمرة، وما ضارعها من صلة رحم، وإحياء نفس[٥].

واختلف الناس فيما سوى ذلك: فالجمهور على جواز القصر في السفر المباح، كالتجارة ونحوها، وروي عن ابن مسعود أنه قال: لا تقصر الصلاة إلا في حج أو جهاد[٦].

وقال عطاء: لا تقصر الصلاة إلا في سفر طاعة، وسبيل من سبل الخير، وقد روي عن عطاء أنها تقصر في كل المباح، والجمهور من العلماء على أنه لا قصر في سفر المعصية، كالباغي، وقاطع الطريق، وما في معناهما[٧].

وروي عن الأوزاعي وأبي حنيفة: إباحة القصر في جميع ذلك[٨].

---

(١) انظر ما نسبه لابن مسعود رضي الله عنه والثوري في: الأوسط (٤/ ٤٠٤-٤٠٦)، وانظر قول أبي حنيفة ومحمد بن الحسن في: المبسوط للسرخسي (١/ ٤٠١-٤٠٣) باب صلاة المسافر.

(٢) انظر قول أبي حنيفة في: المبسوط للسرخسي (١/ ٤٠٣) باب صلاة المسافر.

(٣) علقه ابن المنذر في الأوسط (٧/ ١٢٦) عن الأوزاعي حكاية عن أنس.

(٤) انظر قول الأوزاعي في: الاستذكار (٢/ ٢٤٢).

(٥) انظر الاستذكار (٢/ ٢١٨).

(٦) له عنه إسنادان لا يثبت فيهما الاتصال، أخرجه ابن أبي شيبة (٨٢٣٣) بسنده، عن عمارة بن عمير، عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: قال عبد الله... وأخرجه عبد الرزاق (٤٢٨٦) بسنده عن القاسم بن عبد الرحمن أن ابن مسعود قال: ... وصورتهما الإرسال.

(٧) انظر قولي عطاء وقول الجمهور في: الاستذكار (٢/ ٢١٨).

(٨) انظر قول الأوزاعي في: الأوسط (٤/ ٤٠٠)، وقول أبي حنيفة في: مختصر اختلاف العلماء للطحاوي (١/ ٣٥٦).

وجمهور العلماء: على أن المسافر لا يقصر حتى يخرج من بيوت القرية[١]، وحينئذ هو ضارب في الأرض، وهو قول مالك في المدونة، [وابن حبيب وجماعة المذهب[٢]، قال ابن القاسم في المدونة:][٣]، ولم يحد لنا مالك في القرب حداً.

وروي عن مالك: إذا كانت قرية يجمع أهلها فلا يقصر حتى يجاوزها بثلاثة أميال، وإلى ذلك في الرجوع، وإن كانت لا يجمع أهلها قصر إذا جاوز بساتينها[٤].

وروي عن الحارث بن أبي ربيعة[٥]: أنه أراد سفراً فصلى بهم ركعتين في منزله، وفيهم الأسود بن يزيد[٦]، وغير واحد من أصحاب ابن مسعود، وبه قال عطاء بن أبي رباح، وسليمان بن موسى[٧]، وروي عن مجاهد أنه قال: لا يقصر/ المسافر يومه الأول [١/ ٣٤٢]
حتى الليل[٨]، وهذا شاذ.

---

(١) انظر: الاستذكار (٢/ ٢٣٥).

(٢) انظر ما عزاه لابن حبيب وجماعة المذهب في: النوادر (١/ ٤١٩-٤٢١)، وقول مالك في المدونة (١/ ٢٠٦)، وهو أيضاً قول الشافعي في: الأم (١/ ٣١٥)، وأحمد وإسحاق برواية الكوسج (ص: ٣١٦)، والأوزاعي وأبي ثور في: الأوسط (٤/ ٤٠٩).

(٣) ما بين القوسين ساقط من الحمزوية، وانظر: المدونة (١/ ٢٠٦).

(٤) انظر: النوادر (١/ ٤٢٠).

(٥) الحارث بن أبي ربيعة المخزومي المكي، المعروف بالقباع، ولي إمرة البصرة لابن الزبير، روى عن: عمر، وعائشة، وأم سلمة، وغيرهم، روى عنه: الزهري، وعبد الله بن عبيد بن عمير، والوليد ابن عطاء، وعبد الرحمن بن سابط، تاريخ الإسلام (٦/ ٤٨).

(٦) الأسود بن يزيد بن قيس النخعي، الفقيه أبو عمرو، روى عن: معاذ بن جبل، وأبي موسى الأشعري، وعائشة، وقرأ القرآن على عبد الله، روى عنه: ابنه، وأخوه، وقرأ عليه: يحيى بن وثاب، وإبراهيم النخعي، وكان صواماً قواماً حجاجاً، تاريخ الإسلام (٥/ ٣٥٩).

(٧) سليمان بن موسى الأموي الدمشقي الفقيه، أحد الأعلام، أبو أيوب، روى عن واثلة، وأبي أمامة، ومالك وطائفة، وعنه ثور بن يزيد، وحفص بن غيلان، والزبيدي، وابن جريج، والأوزاعي، وسعيد ابن عبيد، توفي سنة (١١٩هـ)، تاريخ الإسلام (٧/ ٣٧٣).

(٨) انظر قول عطاء وسليمان بن موسى وقول مجاهد في: الأوسط (٤/ ٤٠٩-٤١٠).

وقد ثبت أن النبي ﷺ صلى الظهر بالمدينة أربعاً، والعصر بذي الحليفة ركعتين[١]، وليس بينهما ثلث يوم.

ويظهر من قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا﴾: أن القصر مباح، أو مخير فيه.

وقد روى ابن وهب عن مالك: أن المسافر مخير، وقاله الأبهري، وعليه حذَّاق المذهب[٢].

وقال مالك في المبسوط: القصر سنة، وهذا هو جمهور المذهب، وعليه جواب المدونة بالإعادة في الوقت لمن أتم في سفره[٣].

وقال محمد بن سُحْنون[٤] وإسماعيل القاضي: القصر فرض، وبه قال حماد بن أبي سليمان، وروي نحوه عن عمر بن عبد العزيز[٥]، وروي عن ابن عباس أنه قال: من صلى في السفر أربعاً، فهو كمن صلى في الحضر ركعتين[٦].

وحكى ابن المنذر عن عمر بن الخطاب: أنه قال: صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم، وقد خاب من افترى[٧]، ويؤيد هذا قول عائشة: فرضت الصلاة

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٥٤٧) ومسلم (٦٩٠)، من حديث أنس، رضي الله عنه.

(٢) رواية ابن وهب لم أقف عليها، وكذا الأبهري، لكنه مذهب العراقيين من أهل المذهب كما في: الاستذكار (٢/ ٢٢٤).

(٣) انظر: المدونة (١/ ٢٠٨)، وهو تحصيل المذهب كما في الاستذكار (٢/ ٢٢٤)، وأما المبسوط فلم أقف عليه.

(٤) هو الفقيه المالكي؛ محمد بن الإمام سحنون، المتوفى سنة: (٢٦٥هـ)، له كتاب المسند والجامع، انظر الديباج المذهب (ص: ٣٤).

(٥) انظر قول إسماعيل وحماد وعمر بن عبد العزيز في: الاستذكار (٢/ ٢٢٢)، وانظر قول محمد بن سحنون في: النوادر (١/ ٤٣٣).

(٦) ضعيف، أخرجه أحمد (٢٢٦٢) عن مروان بن معاوية الفزاري، حدثنا حميد بن علي العقيلي، حدثنا الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس به، وحميد ضعفه بعضهم، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٧) الصحيح: أنه منقطع، هذا الأثر قد رواه ثقات حفاظ، فجعلوه: عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عمر، =

ركعتين في الحضر والسفر، فأُقرت صلاة السفر، وزيد في صلاة الحضر[١].

واختلف العلماءُ في معنى قوله تعالى: ﴿أَن تَقْصُرُواْ﴾:

فذهب جماعةٌ من العلماءِ إلى أنه القصر إلى اثنتين من أَربع، وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال: سأل قوم من التجَّار رسول الله ﷺ، فقالوا: إنَّا نضرب في الأرض، فكيف نصلي؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾، ثم انقطع الكلام، فلما كان بعد ذلك بحَول غزا النبي ﷺ، فصلى الظهر، فقال المشركون: لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم، فهلا شددتم عليهم، فقال قائل منهم: إن لهم أخرى في إثْرها، فأنزل الله تعالى بين الصلاتين: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ إلى آخر صلاة الخوف[٢].

وذكر الطبري في سرد هذه المقالة حديث يعلى بن أمية[٣] قال: قلت لعمر بن

= ورواه بعضهم فزاد: عن الثقة بين ابن أبي ليلى وعمر، بعضهم جعل الواسطة: كعب بن عجرة، وبعضهم قال: ابن أبي ليلى سمعت عمر، وهذا الأخير وهم من يزيد بن هارون، والمحفوظ الأول، والصحيح: أن ابن أبي ليلى لم يسمع من عمر، فالصواب في الأثر الانقطاع، والله تعالى أعلم، يُنظر: السنن الكبرى للنسائي (٤٩٠-٤٩٥)، وسنن البيهقي (٣/ ١٩٩-٢٠٠)، والتمهيد (١٦/ ٢٩٥)، والعلل للدارقطني (٢/ ١١٥)، والبدر المنير (٤/ ٦٤٨)، وانظر ما حكاه ابن المنذر عن عمر في: الأوسط (٤/ ٣٨١٣٨٢)، ولكن بدون لفظ: وقد خاب من افترى.

(١) صحيح مسلم (٦٨٥) بنحوه من طريق مالك عن صالح بن كيسان، ومن طريق يونس عن ابن شهاب، كلاهما مفرقين عن عروة بن الزبير عن عائشة، وروى البخاري (٣٩٣٥) من طريق معمر، عن الزهري، عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: فرضت الصلاة ركعتين، ثم هاجر النبي ﷺ ففرضت أربعاً، وتركت صلاة السفر على الأولى، قال البخاري: تابعه عبد الرزاق عن معمر.

(٢) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (٩/ ١٢٦) من طريق عبد الله بن هاشم عن سيف، عن أبي روق، عن أبي أيوب، عن علي، وسيف هو ابن عمر التميمي، متروك، وقال ابن كثير في التفسير (٢/ ٤٠٠): هذا سياق غريب جداً، ولكن لبعضه شاهد من رواية أبي عياش الزُّرَقي، واسمه زيد بن الصامت، رضي الله عنه.

(٣) يعلى بن أمية بن أبي عبيدة التميمي الحنظلي حليف قريش، ويقال له: يعلى بن منية، أسلم يوم الفتح، وشهد حنيناً، والطائف، وتبوك، كان عامل عمر على نجران، عاش إلى بعد (٤٧هـ)، الإصابة (٦/ ٦٣٨-٥٣٩).

الخطاب: إن الله تعالى يقول: ﴿إِنۡ خِفۡتُمۡ﴾ وقد أمن الناس، فقال: عجبت مما عجبتَ منه، فسأَلت رسول الله ﷺ [عن ذلك](١)، فقال: «صدقةٌ تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته»(٢).

قال الطبري: وهذا كله قول حسن، إلا أن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ﴾ يؤذن بانقطاع ما بعدها مما قبلها، فليس يترتب من لفظ الآية، إلا أن القصر مشروط بالخوف(٣).

وفي قراءة أبي بن كعب: (أن تقصروا من الصلاة أن يفتنكم الذين كفروا)(٤)، بسقوط: ﴿إِنۡ خِفۡتُمۡ﴾، وثبتت في مصحف عثمان رضي الله عنه.

وذهب جماعة أُخرى إِلى أَن هذه الآية إنما هي مُبيحةٌ القصر في السفر للخائف من العدو، فمن كان آمناً فلا قصر له(٥).

وروي عن عائشة أنها كانت تقول في السفر: أَتِمُّوا صلاتكم، فقالوا: إن رسول الله ﷺ كان يقصر، فقالت: إنه كان في حرب وكان يخاف، وهل أنتم تخافون؟(٦).

وقال عطاء: كان يتم الصلاة من أصحاب رسول الله ﷺ عائشة [وسعد بن أَبي وقاص، وأَتم عثمان بن عفان(٧).

---

(١) ساقط من المطبوع.
(٢) صحيح مسلم (٦٨٦).
(٣) تفسير الطبري (٩/ ١٢٧).
(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الطبري (٩/ ١٢٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٧٨)، والهداية لمكي (٢/ ١٤٤٨).
(٥) تفسير الطبري (٩/ ١٢٧)، وروي ذلك عن عطاء، كما في: أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٣٠).
(٦) منكر، أخرجه الطبري في التفسير (٩/ ١٢٨)، وتهذيب الآثار (١/ ٢٦٢)، من طريق أبي عاصم عمران بن محمد الأنصاري، عن عبد الكبير بن عبد المجيد، حدثنا عمر ـ كذا ولعل الصواب: محمد ـ بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال: سمعت أبي يقول: سمعت عائشة... وهذا إسناد ضعيف، ومتن منكر، بل باطل، راجع: السلسلة الضعيفة للألباني (٤١٤١).
(٧) تفسير الطبري (٩/ ١٢٩)، والتمهيد لابن عبد البر (١١/ ١٧٢).

ولكن علَّل ذلك بعِلَل غير هذه، وكذلك عُلِّل إِتمام عائشة][1] أيضاً بغير هذا.

وقال آخرون: القصر المباح في هذه الآية: إنما هو قصر الركعتين إلى ركعة، والركعتان في السفر إنما هي تمام، وقصرها أن تصير ركعة، قال السدي: إذا صليت في السفر ركعتين فهو تمام، والقصر لا يحل، إلا أن يخاف، فهذه الآية مبيحة أن تصلي كل طائفة ركعة لا تزيد عليها شيئاً، ويكون للإمام ركعتان[2].

وروي عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: ركعتان في السفر تمام غير قصر، إنما القصر في صلاة المخافة؛ يصلي الإمام بطائفة ركعة، ثم يجيء هؤلاء [إلى مكان هؤلاء، وهؤلاء إلى مكان هؤلاء][3]، فيصلي بهم ركعة، فتكون للإمام ركعتان، ولهم ركعة ركعة[4].

وقال نحو هذا سعيد بن جبير[5] وجابر بن عبد الله وكعب من أصحاب النبي ﷺ[6]، وفعله حذيفة بطبرستان وقد سأَله الأمير سعيد بن العاصي ذلك[7].

---

(١) ساقط من نور العثمانية.

(٢) تفسير الطبري (٩/ ١٣٣).

(٣) زيادة من المطبوع.

(٤) صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٤٩)، من طريق مسعر، والطبري في التفسير (٩/ ١٣٤)، وتهذيب الآثار (١/ ٢٣٨)، من طريق شعبة، كلاهما عن سماك الحنفي، قال: سمعت ابن عمر، وفي رواية شعبة زيادة: إنما القصر صلاة المخافة، فقلت: وما صلاة المخافة؟ قال: يصلي الإمام بطائفة ركعة، ثم يجيء هؤلاء مكان هؤلاء، ويجيء هؤلاء مكان هؤلاء، فيصلي بهم ركعة، فيكون للإمام ركعتان، ولكل طائفة ركعة ركعة.اهـ.

(٥) تفسير الطبري (٩/ ١٣٤).

(٦) إسناده لين، أخرجه الطبري من طريق بقية قال: حدثنا المسعودي قال: حدثني يزيد الفقير، عن جابر.

(٧) صحيح، أخرجه أبو داود (١٢٤٦)، والنسائي (١٥٢٩)، وابن خزيمة (١٣٤٣)، وابن حبان (٢٤٢٥)، والحاكم (١٢٤٥)، من طرق، عن الثوري، عن أشعث بن أبي الشعثاء، عن الأسود بن هلال، عن ثعلبة بن زهدم الحنظلي، قال: كنا مع سعيد بن العاص بطبرستان، فقال: أيكم صلى مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف؟ قال: فقال حذيفة... وإسناده صحيح.

وروى ابن عباس: أن النبي ﷺ صلى كذلك في غزوة ذي قَرَد ركعة بكل طائفة ولم يقضوا[(١)].

وقال مجاهد عن ابن عباس: فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أَربعاً، وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة[(٢)].

---

(١) غير محفوظ، أخرجه النسائي في الكبرى (٥١٧) وابن خزيمة (١٣٤٤)، وابن حبان (٢٨٧١)، والحاكم (١/ ٣٣٤)، من طريق يحيى بن سعيد، عن الثوري، عن أبي بكر بن أبي الجهم، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ صلى بذي قَرَد، فصف الناس خلفه صفين، صف خلفه وصف مصافُّو العدو، فصلى بالذين خلفه ركعة، ثم انصرف هؤلاء إلى مكان هؤلاء، وجاء أولئك فصلى بهم ركعة ولم يقضوا.

وأخرجه البيهقي في السنن (٣/ ٢٦٢)، من طريق الحسين بن حفص عن سفيان به... إلى قوله: فصلوا مع النبي ﷺ ركعة، ثم سلم عليهم، وفي آخره: قال سفيان: فكان للنبي ﷺ ركعتين ولكل طائفة ركعة.

قال ابن رجب في فتح الباري (٦/ ٢٦): رواية: ثم سلم، فكانت للنبي ركعتين، ولكل طائفة ركعة، هذه الزيادة مدرجة من قول سفيان؛ كذلك هوَ في رواية البيهقي... وقال البخاري في المغازي: وقال ابن عباس: صلى رسول الله الخوف بذي قرد ولم يزد على ذَلِكَ، وقال الشافعي: هو حديث لا يثبت أهل العلم بالحديث مثله، قال: وإنما تركناه لاجتماع الأحاديث على خلافه، ولأنه لا يثبت عندنا مثله لشيء في بعض إسناده. انتهى.

وإذا اختلف أبو بكر بن أبي الجهم والزهري (التي فيها أنهم جميعاً صلوا ركعتين)، فالقول قول الزهري، ولعل مسلماً ترك تخريج هذا الحديث للاختلاف في متنه.

وقد صحح الإمام أحمد إسناده، قال في رواية علي ابن سعيد في صلاة الخوف: قد روي ركعة وركعتان، ابن عباس يقول: ركعة ركعة، إلا أنه كان للنبي ركعتان وللقوم ركعة، وما يروى عن النبي كلها صحاح، وقال في رواية حرب: كل حديث روي في صلاة الخوف فهو صحيح الإسناد، وكل ما فعلت منه فهو جائز.

وقد حمل بعضهم معنى رواية أبي بكر أبي الجهم على معنى رواية الزهري، وقال: إنما المراد أن الصفين صلوا مع النبي، ثم حرس أحد الصفين في الركعة الأولى، والآخر في الثانية، وإنما لم يقضوا بعد سلام النبي؛ لأنهم قضوا ما تخلفوا به عنه قبل سلامه، كما في رواية النعمان بن راشد، عن الزهري. وأما قوله: فكانت للنبي ركعتان وللقوم ركعة، فهو من قول سفيان، كما هو مصرح به في رواية البيهقي، وذلك ظن ظنه، قد خالفه غيره فيهِ». اهـ.

(٢) صحيح مسلم (٦٨٧).

وروي عن جابر بن عبد الله: [أن النبي ﷺ صلى كذلك بأصحابه يوم حارب خصفة وبني ثعلبة[١]، وروى أبو هريرة][٢]: أن النبي ﷺ صلى كذلك بين ضجنان وعُسْفان[٣].

وقال آخرون: هذه الآية مبيحة القصر من حدود الصلاة وهيئتها عند المسايفة واشتعال الحرب، فأبيح لمن هذه حاله أَن يُصلِّي إِيماءً برأسه، ويصلي ركعة واحدة حيث توجه إلى تكبيرتين إلى تكبيرة، على ما تقدم من أقوال العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩]، ورجح الطبري هذا القول، وقال: إنه يعادله قوله: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾؛ أي: بحدودها وهيئتها الكاملة[٤].

وقرأ الجمهور: ﴿تَقْصُرُوا﴾ بفتح التاء وضم الصاد.

وروى الضبي عن أصحابه: (تُقْصِروا) بضم التاءِ وكسر الصاد وسكون القاف.

[وقرأ الزهري: (تُقَصِّرُوا) بضم التاء وفتح القاف وكسر الصاد وتشديدها][٥].

---

(١) هذا الحديث علقه البخاري في صحيحه، فقال: وقال بكر بن سوادة: حدثني زياد بن نافع، عن أبي موسى: أن جابراً حدثهم، قال: صلى النبي ﷺ يوم محارب وثعلبة... الحديث، ولم يسق لفظه، ذكره ابن حجر في التغليق (٤/ ١١٥)، والفتح (٧/ ٣٢٤).
وأخرجه الطبري (٩/ ١٣٨)، وغيره من طريق عبد الله بن وهب قال: أخبرني عمرو بن الحارث، أن بكر بن سوادة حدثه عن زياد بن نافع، حدثه عن أبي موسى: أن جابر بن عبد الله حدثهم به، وتمام لفظه: لكل طائفة ركعة وسجدتين، ذكر أبو مسعود الدمشقي وغيره: أن أبا موسى هذا هو علي بن رباح اللخمي، وقيل: إنه أبو موسى الغافقي، واسمه: مالك بن عبادة، وله صحبةٌ، قال: والقول الأول أولى، وعلي ثقة، لكن زياد بن نافع مستور.

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) حسن غريب، أخرجه الترمذي (٣٠٣٥)، والنسائي (١٥٤٤)، وابن حبان (٢٨٧٢)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، من حديث عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة، وهما جبلان قرب مكة.

(٤) تفسير الطبري (٩/ ١٣٩).

(٥) سقط من الأصل، وقراءة الزهري في الكشاف للزمخشري (١/ ٥٥٨)، ورواية الضبي في الشواذ للكرماني (ص: ١٤٢).

﴿يَفۡتِنَكُمُ﴾ معناه: يمتحنكم بالحمل عليكم، وإشغال نفوسكم في صلاتكم، ونحو هذا قول صاحب الحائط: لقد أصابتني في مالي هذا فتنة(١)، وأصل الفتنة: الاختبار بالشدائد، وإلى هذا المعنى ترجع كيف تصَرَّفتْ.

و«عدو»: وصف يجري على الواحد والجماعة.

و«مبين»: مُفْعل من: أبان، المعنى: قد جَلَحُوا(٢) في عداوتكم وراموكم كل مرام.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية.

قال جمهور الأمة: الآية خطاب للنبي ﷺ، وهو يتناول الأُمراء بعده إلى يوم القيامة، وقال أبو يوسف وإسماعيل بن علية: الآية خصوص للنبي ﷺ؛ لأن الصلاة بإمامة النبي ﷺ لا عوض منها، وغيره من الأمراء منه العوض، فيصلي الناس بإمامين، طائفة بعد طائفة، ولا يحتاج إلى غير ذلك(٣).

قال القاضي أبو محمد: وكذلك جمهور العلماء على أن صلاة الخوف تُصلى في الحضر إذا نزل الخوف، وقال قوم: لا صلاة خوف في حضر، وقاله في المذهب عبد الملك بن الماجشون(٤).

وقال الطبري: ﴿فَأَقَمۡتَ لَهُمُ﴾ معناه: حدودها وهيئتها، ولم تقصر على ما أبيح قبل في حال المسايَفة(٥).

---

(١) منقطع، أخرجه مالك في الموطأ (٢٢٢)، عن عبد الله بن أبي بكر: أن أبا طلحة الأنصاري كان يصلي في حائطه، فطار دبسي فطفق يتردد يلتمس مخرجاً، فأعجبه ذلك، فجعل يتبعه بصره ساعة، ثم رجع إلى صلاته، فإذا هو لا يدري كم صلى، فقال: لقد أصابتني في مالي هذا فتنة، قال ابن عبد البر في التمهيد (١٧/ ٣٨٩): هذا الحديث لا أعلمه مروياً من غير هذا الوجه، وهو منقطع. اهـ.

(٢) في نجيبويه: «خلجوا»، وجلح في عداوته: كاشفه بها.

(٣) انظر قول الجمهور وقول أبي يوسف وابن علية في: الاستذكار (٢/ ٤٠٦).

(٤) انظر نسبة قول ابن الماجشون في: شرح الموطأ للزرقاني (١/ ٥٢١).

(٥) تفسير الطبري (٩/ ١٤١).

وقوله: ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾، أمر بالانقسام؛ أي: وسائرهم وِجاهَ العدو حذرا وتوقع حملته، وعُظم الروايات والأحاديث على أن صلاة الخوف إنما نزلت/ [١/ ٣٤٣] الرخصة فيها في غزوة ذات الرقاع، وهي غزوة محارب خصفة، وفي بعض الروايات: أنها نزلت في ناحية عسفان وضجنان، و«العدو»: خيل قريش، عليها خالد بن الوليد[(١)].

واختلف من المأمور بـ«أَخذ الأَسلحة» هنا؟ فقيل: الطائفة المصلية، وقيل: بل الحارسة.

قال القاضي أبو محمد: ولفظ الآية يتناول الكل، ولكن سلاح المصلِّين ما خف.

واختلفت الآثار في هيئة صلاة النبي ﷺ بأصحابه صلاة الخوف، وبحسب ذلك اختلف الفقهاء، فروى يزيد بن رُومان، عن صالح بن خوَّات[(٢)]، عن سَهْل بن أَبي حَثْمَة[(٣)]: أنه صلَّى مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف يوم ذات الرقاع، فَصَفَّت طائفة معه، وطائفة وِجاهَ العدو، فصلى بالذين معه ركعة، ثم ثبت قائماً، وأتموا ثم انصرفوا، فصفُّوا وِجاهَ العدو، وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته، ثم ثبت جالساً، وأتموا لأنفسهم، ثم سلم بهم[(٤)].

وروى القاسم بن محمد [عن صالح بن خوَّات][(٥)]، عن سهل هذا الحديث بعينه، إلا أنه روى أن النبي ﷺ حين صلَّى بالطائفة الأخيرة ركعة، سلم ثم قضت هي بعد سلامه[(٦)].

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ١٣١ و١٣٢ و ١٣٨ و١٤٤).

(٢) صالح بن خوات بن جبير الأنصاري المدني، روى عن: أبيه، وخاله عمر، وسهل بن أبي حثمة، وعنه: ابنه خوات، والقاسم، ويزيد بن رومان، وعامر بن عبد الله بن الزبير، وثقه النسائي، توفي قبل المئة، تاريخ الإسلام (٦/ ٨٨).

(٣) سهل بن أبي حثمة الأنصاري الأوسي، كان له سبع أو ثمان سنين عند موت النبي ﷺ، وقد حدَّث عنه، الإصابة (٣/ ١٦٣).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤١٢٩)، ومسلم (٨٤٢).

(٥) ساقط من الأصل.

(٦) أخرجه البخاري (٤١٣١)، وقد ذكره هنا بمعناه.

وبهذا الحديث أخذ مالك ـ رحمه الله ـ في صلاة الخوف، كان أولاً يميل إلى رواية يزيد ابن رومان، ثم رجع إلى رواية القاسم بن محمد بن أبي بكر[١].

وروى مجاهد وغيره عن ابن عياش الزُّرَقِيِّ[٢]، واسمه زيدُ بن الصَّامت، على خلاف فيه: أن النبي ﷺ صلَّى صلاة الخوف بعُسْفَان والعدو في قبلته، قال: فصلى بنا النبي ﷺ الظهر، فقال المشركون: لقد كانوا على حال لو أَصبنا غِرَّتهم، فقالوا: تأتي الآن عليهم صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم، قال: فنزل جبريل بين الظهر والعصر بهذه الآيات، وأخبره خبرهم، ثم قام رسول الله ﷺ فصف العسكر خلفه صفين، ثم كبر فكبروا جميعاً، ثم ركع فركعنا جميعاً، ثم رفع فرفعنا جميعاً، ثم سجد النبي ﷺ بالصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم، فلما سجدوا وقاموا سجد الآخرون في مكانهم، ثم تقدموا إلى مصاف المتقدمين وتأخر المتقدمون إلى مصاف المتأَخرين، ثم ركع فركعوا جميعا، ثم رفع فرفعوا جميعا، ثم سجد النبي ﷺ، فسجد الصف الذي يليه، فلما [سجد][٣] سجد الآخرون، ثم سلم فسلموا جميعاً، ثم انصرفوا[٤].

قال عبد الرزاق بن همام في مصنفه: وروى الثوري عن هشام[٥] مثل هذا، إلا

---

(١) انظر: الاستذكار (٢/ ٤٠١-٤٠٢).

(٢) كذا في النسخ، والصواب: أبو عياش بالشين المعجمة، الزُّرقيّ الأنصاري، اسمه زيد بن الصامت، وقيل غير ذلك، روى عن النبي ﷺ في صلاة الخوف، وقال ابن سعد: شهد أحداً وما بعدها، ويقال: إنه عاش إلى خلافة معاوية، الإصابة (٧/ ٢٤٥).

(٣) في المطبوع: «رفع».

(٤) أعل بالإرسال، أخرجه أبو داود (١٢٣٨)، والنسائي (١٥٤٩)، وابن حبان (٢٨٧٥) (٢٨٧٦)، قال الترمذي في العلل الكبير ترتيب القاضي (١٦٥): سألت محمداً قلت: أي الروايات في صلاة الخوف أصح؟ فقال: كل الروايات عندي صحيح، وكل يستعمل، وإنما هو على قدر الخوف، إلا حديث مجاهد عن أبي عياش الزرقي؛ فإني أراه مرسلاً. اهـ. يعني: ليس فيه أبو عياش الزرقي، ينظر فتح الباري لابن رجب (٦/ ٩١٠).

(٥) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد أبو المنذر، القرشي الأسدي الزبيري المدني أحد الأئمة الأعلام، روى عن عمه عبد الله بن الزبير وأبيه وزوجته فاطمة بنت المنذر بن الزبير، كان ثقة ثبتاً كثير الحديث، حجة، توفي سنة (١٤٦هـ)، تاريخ الإسلام (٩/ ٣٢٠).

أنه قال: ينكص الصف المقدم القَهْقَرى حين يرفعون رؤوسهم من السجود، ويتقدم الآخرون فيسجدون في مصاف الأولين[١]، قال عبد الرزاق: عن معمر، عن خلاد بن عبد الرحمن[٢]، عن مجاهد قال: لم يصل النبي ﷺ صلاة الخوف إلا مرتين، مرة بذات الرقاع من أرض بني سليم، ومرة بعُسْفان والمشركون بضجنان بينهم وبين القبلة[٣].

قال القاضي أبو محمد: وظاهر اختلاف الروايات عن النبي ﷺ يقتضي أنه صلى صلاة الخوف في غير هذين الموطنين، وذكر ابن عباس أنه كان في غزوة ذي قَرَد صلاة خوف[٤].

وروى عبد الله بن عمر: أن النبي ﷺ صلى بإحدى الطائفتين ركعة والطائفة الأخرى مواجهة العدو، ثم انصرفوا وقاموا في مقام أصحابهم مقبلين على العدو، وجاء أولئك فصلى بهم النبي ﷺ ركعة، ثم سلم، ثم قضى هؤلاء ركعة، وهؤلاء ركعة في حين واحد[٥].

وبهذه الصفة في صلاة الخوف أخذ أشهب رحمه الله، ومشى على الأصل في أن لا يقضي أحد قبل زوال حكم الإمام، فكذلك لا يبني، ذكر هذا عن أشهب جماعة منهم ابن عبد البر وابن يونس[٦] وغيرهما[٧]، وحكى اللخمي عنه: أن مذهبه أن يصلي الإمام

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٢/ ٥٠٣) رقم (٤٢٣٩)، وهشام هو ابن عروة بن الزبير، وهذا معضل.

(٢) خلاد بن عبد الرحمن بن جندة الصنعاني، روى عن عن سعيد بن المسيب ومجاهد وسعيد بن جبير، وعنه القاسم بن فياض ومعمر وبكار بن عبد الله اليمامي، وثقه أبو زرعة ووصفه معمر بالحفظ، من الطبقة ١٢، تاريخ الإسلام (٨/ ٨٨).

(٣) رقم (٤٢٣٥)، وهو من قول مجاهد مرسلًا.

(٤) علقه البخاري (٤١٢٥) بصيغة الجزم هكذا مختصراً، وهو من طريق أبي بكر بن أبي الجهم، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، وقد سبق الكلام عليه.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤١٣٣)، ومسلم (٨٣٩).

(٦) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس تميمي صقلي، كان فقيهاً إماماً فرضياً، وكان ملازماً للجهاد، موصوفاً بالنجدة، وألف كتاباً في الفرائض، وكتاباً جامعاً للمدونة، وتوفي سنة (٤٥١هـ)، الديباج المذهب (٢/ ٢٤٠).

(٧) انظر ما عزاه لأشهب في: الاستذكار (٢/ ٤٠٤).

بطائفة ركعة ثم ينصرفون تُجاهَ العدو، وتأتي الأخرى فيصلي بهم ركعة، ثم يسلم وتقوم التي معه تقضي، فإذا فرغوا منه صاروا تُجاهَ العدو، وقضت الأخرى[١].

وهذه سنة رويت عن ابن مسعود، ورجح ابن عبد البر القول بما روي عن ابن عمر[٢].

وروي أن سهل بن أبي حثمة قد روي عنه مثل ما روي عن ابن عمر سواء[٣].

وروى حذيفة حين حكى صلاة النبي ﷺ في الخوف: أنه صلى بكل طائفة ركعة، ولم يقض أحد من الطائفتين شيئاً زائداً على ركعة[٤].

وذكر ابن عبد البر وغيره عن جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ صلى بكل طائفة ركعتين ركعتين، فكانت لرسول الله أربعٌ، ولكل رجل ركعتان[٥].

وبهذه كان يفتي الحسن بن أبي الحسن، وهو قول يجيزه كلُّ من أَجاز اختلاف نية الإمام والمأموم في الصلاة[٦].

وقال أصحاب الرأي: إذا كانت صلاة المغرب افتتح الإمام الصلاة ومعه طائفة، وطائفة بإزاء العدو، فيصلي بالتي معه ركعتين، ثم يصيرون إلى إزاء العدو، وتأتي الأخرى

---

(١) انظر ما نقله ابن يونس واللخمي عن أشهب في: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٣٦٧).

(٢) انظر: الاستذكار (٢/ ٤٠٥).

(٣) صحيح، أخرجه الطبري (٩/ ١٤٥)، من طريق شعبة، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن صالح بن خوات، عن سهل بن أبي حثمة، عن رسول الله ﷺ، وأخرجه مالك (٢/ ٢٥٥)، عن يزيد ابن رومان، عن صالح بن خوات، عمن صلى مع رسول الله ﷺ يوم ذات الرقاع صلاة الخوف، وأخرجه من طريق مالك: البخاري (٤١٢٩)، ومسلم (٨٤١)، وانظر: الفتح (٧/ ٣٢٩)، وفي الأصل: «عن عمر»، بدل: «ابن عمر»، وهو خطأ.

(٤) صحيح، أخرجه أبو داود (١٢٤٦)، والنسائي (١٥٢٩)، وابن خزيمة (١٣٤٣)، وابن حبان (٢٤٢٥)، والحاكم (١٢٤٥)، من طرق، عن الثوري، عن أشعث بن أبي الشعثاء، عن الأسود بن هلال، عن ثعلبة ابن زهدم الحنظلي، قال: كنا مع سعيد بن العاص بطبرستان، فقال: أيكم صلى مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف؟ قال: فقال حذيفة...فذكره.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤١٣٥)، ومسلم (٨٤٣).

(٦) انظر ذلك كله في: الاستذكار (٢/ ٤٠٥).

فيدخلون مع الإمام، فيصلي بهم ركعة ثم يسلم وحده، ثم يقومون إلى إزاء العدو، وتأتي الطائفة التي صلت مع الإمام ركعتين إلى مقامهم الأول في الصلاة، فيقضون ركعة وسجدتين وُحداناً ويسلمون، ثم يجيئون إلى إزاء العدو، وتنصرف الطائفة الأخرى إلى مقام الصلاة، فيقضون ركعتين بقراءة وُحداناً ويسلمون، وكملت صلاتهم(١).

قال القاضي أبو محمد: وهذا طرد قول أَصحاب الرأي في سائر الصلوات.

وسأل مروان بن الحكم أبا هريرة: هل صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف؟ قال أبو هريرة: نعم، قال مروان: متى؟ قال أبو هريرة: عام غزوة نجد قام رسول الله ﷺ إلى صلاة العصر، فقامت معه طائفة، وطائفة أخرى مقابل العدو وظهورهم إلى القبلة، فكبر رسول الله ﷺ وكبروا جميعاً؛ الذين معه والذين إزاء العدو، ثم ركع رسول الله وركع معه الذين معه وسجدوا كذلك، ثم قام رسول الله ﷺ فصارت الطائفة التي كانت معه إلى إزاء العدو، وأقبلت الطائفة التي كانت بإزاء العدو فركعوا وسجدوا ورسول الله ﷺ قائم كما هو، ثم قاموا، فركع رسول الله ﷺ ركعة أخرى وركعوا معه، وسجد فسجدوا معه، ثم أقبلت الطائفة التي كانت بإزاء العدو فركعوا وسجدوا ورسول الله ﷺ قاعد، ثم كان السلام/ ، فسلم رسول الله ﷺ وسلموا جميعاً(٢). [١/ ٣٤٤]

وأسند أبو داود في مصنفه عن عائشة رضي الله عنها صفة في صلاة النبي ﷺ صلاة الخوف تقرب مما روي عن أبي هريرة، وتخالفها في أشياء(٣)، إلا أنها صفة في ألفاظها تداعٍ(٤) وتناقضٌ فلذلك اختصرتها.

---

(١) انظر مذهبهم في: المبسوط للسرخسي (٢/ ٤٨٤٩).

(٢) صحيح، أخرجه أبو داود (١٢٤٠)، والنسائي في الكبرى (١٩٤٤)، وابن خزيمة (١٣٦١)، وابن حبان (٢٨٧٨)، والحاكم (١/ ٣٣٧)، من طريق أبي الأسود هو محمد بن عبد الرحمن بن نوفل، أنه سمع عروة بن الزبير يحدث عن مروان بن الحكم، أنه سأل أبا هريرة.

(٣) صحيح، أخرجه أحمد (٢٦٣٥٤)، وأبو داود (١٢٤٢)، وابن خزيمة (١٣٦٣)، وابن حبان (٢٨٧٣)، والحاكم (١/ ٣٣٥)، من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، حدثني محمد بن جعفر ابن الزبير، عن عروة، عن عائشة.

(٤) في نجيبويه: «نزاع».

ومجموع ما ذكرنا في صلاة الخوف من لَدُن قول أبي يوسف وابن عُلية أحد عشر قولاً: منع[١] صلاة الخوف؛ لكونها خاصة للنبي ﷺ، وعشر صفات على القول الشهير بأنها باقية للأُمراءِ.

قوله عز وجل: ﴿...فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾.

الضمير في ﴿سَجَدُواْ﴾: للطائفة المصلية، والمعنى: فإذا سجدوا معك الركعة الأولى فلينصرفوا، هذا على بعض الهيئات المروية، وقيل[٢] المعنى: فإذا سجدوا ركعة القضاء، وهذا على هيئة سهل بن أَبي حَثْمَة.

والضمير في قوله: ﴿فَلْيَكُونُواْ﴾، يحتمل أن يكون للذين سجدوا، ويحتمل أن يكون للطائفة القائمة أولا بإزاء العدو، ويجيءُ الكلام وصاةً في حال الحذر والحرب.

وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق: (فَلِتَقُم) بكسر اللام[٣].

وقرأ الجمهور: ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ﴾ بالتاء، وقرأ أبو حيوة: (ولْيَأْتِ) بالياء[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية: إخبار عن معتقد القوم، وتحذير من الغفلة؛ لئلا ينال العدو أمله، وأسلحة: جمع سلاح.

وفي قوله تعالى: ﴿مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾: بناءُ مبالغة؛ أي: مستأصلة لا يحتاج معها إلى ثانية.

---

(١) في المطبوع: «مع».
(٢) «قيل»: ليست في الأصل.
(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٤٥)، ومختصر الشواذ (ص: ٣٥)، وقد تقدم مثلها مراراً.
(٤) وهي قراءة شاذة، انظرها في: مختصر الشواذ (ص: ٣٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ الآية ترخيص، قال ابن عباس: نزلت بسبب عبد الرحمن بن عوف، كان مريضاً، فوضع سلاحه، فعنَّفه بعض الناس[١].

قال القاضي أبو محمد: كأنهم تلقوا الأمر بأخذ السلاح على الوجوب، فرخص الله تعالى في هاتين الحالتين، ويَنْقاس عليهما كل عذر يحدث في ذلك الوقت.

ثم قوى الله تعالى نفوس المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾.

ذهب جمهور العلماء إلى أن هذا الذكر المأْمور به إنما هو إِثر صلاة الخوف، على حد ما أُمروا عند قضاء المناسك بذكر الله، فهو ذكر باللسان[٢].

وذهب قوم إلى أن ﴿قَضَيْتُمُ﴾ بمعنى: فعلتم؛ أَي: إِذا تَلَبَّسْتُم بالصلاة، فلتكن على هذه الهيئات بحسب الضرورات؛ المرض، وغيره.

وبحسب هذه الآية رتَّب ابن الموَّاز صلاة المريض فقال: يُصلِّي قاعداً فإن لم يطق فعلى جنبه الأيمن، فإن لم يُطق فعلى جنبه الأَيسر، فإن لم يطق فعلى الظهر[٣].

ومذهب مالك في المدونة: التخيير؛ لأنه قال: فعلى جنبه أو على ظهره[٤].

وحكى ابن حبيب عن ابن القاسم أنه قال: يبتدئ بالظهر، ثم بالجنب، قال ابن

(١) لا بأس به، أخرجه الطبري (٩/ ١٦٤) بإسناده، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى، عبد الرحمن بن عوف، كان جريحاً.اهـ.
(٢) تفسير الطبري (٩/ ١٦٤).
(٣) انظر قول ابن المواز في النوادر (١/ ٢٥٦).
(٤) المدونة (١/ ١٧١).

حبيب: وهو وهمٌ، قال اللخمي: وليس بوهم، بل هو أحكم في استقبال القبلة[١].

وقال سحنون: يصلي على جنبه الأيمن كما يجعل في قبره، فإن لم يقدر فعلى ظهره[٢].

والطمأنينة في الآية: سكون النفس من الخوف.

وقال بعض المتأَولين: المعنى: فإذا رجعتم من سفركم إلى الحضر؛ فأقيموها تامة أربعة[٣].

وقوله تعالى: ﴿ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ معناه: منجَّماً في أَوقات، هذا ظاهر اللفظ.

وروي عن ابن عباس: أن المعنى: فرضاً مفروضاً[٤]، فهما لفظان بمعنى واحد، كُرر مبالغة.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ﴾ يُبيِّن أَن القضاء المشار إليه قبلُ إنما هو قضاءُ صلاة الخوف.

﴿ وَلَا تَهِنُواْ ﴾ معناه: تلينوا وتضعفوا، حبل واهن؛ أي: ضعيف، ومنه: ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ ﴾ [مريم: ٤].

﴿ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ﴾: طلبهم.

وقرأ عبد الرحمن الأعرج: (أَنْ تكونوا) بفتح الألف[٥].

---

(١) انظر قول ابن حبيب في: النوادر (١/ ٢٥٧)، وكلام اللخمي لم أقف عليه، وفي المطبوع: «استخدام» القبلة، بدل: «استقبال».

(٢) انظر قول سحنون في: النوادر (١/ ٢٥٦).

(٣) حكاه الطبري (٩/ ١٦٥) عن مجاهد وقتادة، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٠٥٦)، والهداية لمكي (٢/ ١٤٥٤).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ١٦٩)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس: الموقوت: الواجب.

(٥) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب لابن جني (١/ ١٩٧)، ومختصر الشواذ (ص: ٣٥).

وقرأ يحيى بن وثاب ومنصور بن المعتمر[١]: (تِئْلَمُون) في الثلاثة[٢]، وهي لغة.

وهذا تشجيع لنفوس المؤمنين، وتحقير لأمر الكفرة.

ومن نحو هذا المعنى قول الشاعر:

القـومُ أَمثـالُـكُم لـهُـم شعـرٌ في الرأْس لا يُنْشَرون إِنْ قُتلوا[٣] [المنسرح]

ثم تأكد التشجيع بقوله تعالى: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾، وهذا برهان بيِّن، ينبغي بحسبه أن تقوى نفوس المؤمنين.

وباقي الآية بيِّن.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾﴾.

في هذه الآية تشريف للنبي ﷺ، وتفويض إليه، وتقويم أيضاً على الجادة في الحكم، وتأنيب ما على قبول ما رفع إليه[٤] في أمر بني أُبيرق بسرعة.

وقوله تعالى: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ معناه: على قوانين الشرع، إما بوحي ونص، أو بنظر جارٍ على سنن الوحي، وقد تضمن الله تعالى لأنبيائه العصمة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا

---

(١) منصور بن المعتمر السلمي الإمام العلم أبو عتاب الكوفي، روى عن أبي وائل وإبراهيم والشعبي ومجاهد وخلق، كان أثبت أهل الكوفة، لا يختلف فيه، صالح متعبد، أكره على القضاء، فقضى شهرين، وفيه تشيع يسير، توفي سنة (١٣٢هـ)، تاريخ الإسلام (٨/ ٥٤٦).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب لابن جني (١/ ١٩٨).

(٣) البيت للشداخ بن يعمر الكناني كما في الحماسة بشرح التبريزي (١/ ٥٩)، وعزاه في أنساب الأشراف (٣/ ١١٧) لجذل الطعان.

(٤) في الحمزوية: «الثقة»، بدل: «إليه».

رَّحِيمًا﴾ سببها باتفاق من المتأولين: أمر بني أُبيرق[١]، وكانوا إخوة؛ بِشْر، وبُشَيْر، ومُبَشر[٢]، وكان بشير[٣] رجلًا منافقاً يهجو أصحاب النبي ﷺ، وينحل الشعر غيره، فكان المسلمون يقولون: والله ما هو إلا شعر الخبيث، فقال شعراً يتنصَّل فيه، فمنه قوله:

[الكامل] أَفكُلَّمَا قَالَ الرِّجَالُ قَصِيدَةً نحلت وَقَالُوا ابْنُ الأَبَيْرِقِ قَالَهَا[٤]

قال قتادة بن النعمان[٥]: وكان بنو أُبيرق أَهلَ فاقة، فابتاع عمي رفاعة بن زيد[٦] حملاً من دَرْمَك الشام[٧]، فجعله في مشربة له، وفي المشْرُبة درعان له وسيفان، فعُدي على المشربة من الليل، فُنقبت وأخذ الطعام والسلاح، فلما أَصبح أَتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي، تعلم أنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه، فنقبت مشربتنا وذهب بطعامنا وسلاحنا.

[١/ ٣٤٥] فقال: فَتَحَسَّسْنَا[٨]/ في الدار وسأَلنا، فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة، ولا نراه إلا على بعض طعامكم، قال: وقد كان بنو أبيرق قالوا: ونحن نسأل

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ١٩٧).

(٢) قال في الاستيعاب (١/ ١٧١): بشر بن الحارث، وهو أبيرق بن عمرو الأنصاري الظفري، شهد أحداً هو وأخواه مبشر وبشير، فأما بشير فهو الشاعر، وكان منافقاً يهجو أصحاب رسول الله ﷺ، فسرق من رفاعة درعه، ثم ارتد، ولم يذكر لبشر نفاق.

(٣) في نجيبويه وجار الله: «بشر»، وهو خطأ، وفي نجيبويه: «ينحل الشعر وغيره»، بالعطف.

(٤) البيت لبشير بن الأبيرق كما هو واضح من القصة، انظر: سنن الترمذي (٣٠٣٦)، وتفسير الطبري (٩/ ١٧٧).

(٥) قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر، الظفري الأنصاري، يكنى أَبَا عَمْرو، عقبي، شهد بدراً والمشاهد كلها، وأصيبت عينه يَوْم أحد، فسالت حدقته، فأرادوا قطعها، ثُمَّ أتوا النَّبِيَّ ﷺ فدفع حدقته بيده حَتَّى ردها، توفي سنة (٢٣هـ)، الاستيعاب (٣/ ١٢٧٥).

(٦) رفاعة بن زيد بن عامر، الأنصاري الظفري، عم قتادة بن النعمان، هو الذي سرق سلاحه بنو أبيرق، الاستيعاب (٢/ ٤٩٩).

(٧) «الشام»: ليست في الأصل.

(٨) في الأصل: «فجسسنا».

والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل[(١)]، رجل منا له صلاح وإسلام.

فسمع ذلك لبيد، فاخترط سيفه ثم أَتى بني أُبيرق، فقال: والله ليخالطنكم هذا السيف، أو لتبينن هذه السرقة، قالوا: إليك عنا أيها الرجل، فو الله ما أنت بصاحبها، فسأَلنا في الدار حتى لم نشك أَنهم أَصحابها، فقال لي عمي: يا ابن أخي لو أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بهذه القصة، فأتيته ﷺ فقصصتُها عليه، فقال: «أَنظر في ذلك».

فلما سمع بذلك بنو أبيرق، أتوا رجلاً منهم يقال له: أسير بن عروة[(٢)]، فكلموه في ذلك، واجتمع إليه ناس من أهل الدار، فأتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، إن قتادة ابن النعمان وعمه عمدًا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة على غير بينة، قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فكلمته، قال: «عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح فرميتهم بالسرقة عن غير بينة»، قال: فرجعت وقد وددت أن أخرج عن بعض مالي ولم أكلمه، فأتيت عمي فقال: ما صنعت؟ فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ، فقال: الله المستعان، فلم نلبث أن نزل القرآن: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ الآيات[(٣)].

قال: فالخائنون: بنو أبيرق، والبريءُ المرمي: لبيد بن سهل، والطائفة التي همتْ: أسير وأصحابه[(٤)].

---

(١) لبيد بن سهل بن الحارث بن عروة بن رزاح بن ظفر الأنصاري، وقيل: هو من بني الحارث بن مازن ابن سعد العشيرة من حلفاء الأنصار، الإصابة (٥/ ٥٠٤).

(٢) في نور العثمانية: «ابن عمرو»، وهو أسير بن عروة بن سواد بن الهيثم بن ظفر الأنصاري الظفري، كان رجلاً منطيقاً ظريفاً بليغاً حلواً، وهو الذي جادل عن بني أبيرق، شهد أحداً والمشاهد بعدها، واستشهد بنهاوند، الاستيعاب (١/ ٩٩)، والإصابة (١/ ٢٣٧).

(٣) مرسل، أخرجه الترمذي (٣٠٣٦)، من طريق محمد بن سلمة الحراني، حدثنا محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن أبيه، عن جده قتادة بن النعمان به، وقال الترمذي: غريب، لا نعلم أحداً أسنده غير محمد بن سلمة الحراني، وروى يونس بن بكير وغير واحد هذا الحديث عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلاً، لم يذكروا فيه عن أبيه، عن جده.

(٤) انظر القصة في: تفسير الطبري (٩/ ١٧٧، ١٨٠).

قال القاضي أبو محمد: وقال قتادة وغير واحد من المتأولين: هذه القصة ونحوها إنما كان صاحبها طُعْمة بن أبيرق، ويقال فيه: طعيمة[١].

وقال السدي: القصة في طعمة بن أبيرق، لكن بأن استودعه يهودي درعاً فجحده إياها وخانه فيها، وطرحها في دار أَبي مليل الأنصاري[٢]، وأراد أن يرميه بسرقتها لما افتضح، وأبو مليل هو البريء المشار إليه.

وقال عكرمة: سرق طعمة بن أُبيرق درعا من مشرُبة، ورمى بسرقتها رجلاً من اليهود يقال له: زيد بن السمين[٣].

قال القاضي أبو محمد: وجملة هذا يستدير على أن قوم طعمة أتوا النبي، وكلموه في أن يذب عن طعمة ويرفع الدعوى[٤] عنه، ودفعوا هم عنه ومنهم من يعلم أنه سرق، فكانت هذه معصية من مؤمنيهم، وخلق مقصود من منافقيهم، فعصم الله رسوله من ذلك.

ونبه على مقاله لقتادة بن النعمان بقوله: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾.

قال القاضي أبو محمد: وطُعيمة بن أُبيرق صرَّح بعد ذلك بالارتداد وهرب إلى مكة، ونزل على سلافة[٥] فرماها حسان بن ثابت بشعر، فأخذت رحل طعمة ورمت به في الأبطح وقالت: اخرج عنا، أهديت إليَّ شعر حسان، فروي: أنه نزل على الحجاج

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ١٨٢)، وقد تقدم ذلك في تفسير الآية (٨٦) من (سورة آل عمران).

(٢) في المطبوع والسليمانية: «مليك»، وهو أبو مليل بن الأزعر بن زيد الأوسي الأنصاري، شهد بدراً وأحداً، الاستيعاب (٤/ ١٧٦١).

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (٩/ ١٨٦)، وزيد يهودي كما أشار المؤلف، ولم أقف له على ترجمة.

(٤) في المطبوع: «الدعوة».

(٥) سلافة بنت سعد الأنصارية الأوسية، أم عثمان بن طلحة، أسلمت بعد الفتح، كما في الإصابة (٨/ ١٨١)، وهي أيضاً أم الحارث ومسافع ابني طلحة بن أبي طلحة، وأنها نذرت أن تشرب في قحف رأس عاصم الخمر لما قتلهما بأحد، الطبقات الكبرى (٣/ ٣٥٢).

ابن عِلاط[١] وسرقه فطرده، وروي أنه نقب حائط بيت ليسرقه، فانهدم الحائط عليه فقتله، وروي: أنه اتبع قوماً من العرب فسرقهم فقتلوه[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ ذهب الطبري إلى أن المعنى: استغفر الله من ذنبك في خصامك للخائنين[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ليس بذنب؛ لأن النبي ﷺ إنما دافع عن الظاهر، وهو يعتقد براءتهم، والمعنى: استغفر للمذنبين من أمتك والمتخاصمين في الباطل، لا أن تكون ذا جدال عنهم، فهذا حدك، ومحلك من الناس أن تسمع من المتداعيين وتقضي بنحو ما تسمع، وتستغفر للمذنب.

[وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾: لفظ عام يندرج طَيَّهُ[٤] أصحاب النازلة، ويتقرر به توبيخهم][٥].

وفي[٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ رفقٌ وإبقاء؛ فإن الخوَّان: هو الذي تتكرر منه الخيانة، والأثيم: هو الذي يقصدها، فيخرج من هذا التشديد الساقط مرة واحدة، ونحو ذلك مما يجيء من الخيانة بغير قصد أو على غفلة.

و«اختيان الأنفس»: هو بما يعود عليها من الإثم والعقوبة في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى

---

(١) الحجاج بن علاط بن خالد السلمي، ثم البهزي، يكنى أبا كلاب، قدم على النبي ﷺ بخيبر فأسلم، وسكن المدينة، الإصابة (٢/ ٢٩).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ١٨٦ و١٨٧)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/ ٤٦٥-٤٦٦).

(٣) تفسير الطبري (٩/ ١٧٦).

(٤) في الحمزوية: «فيه».

(٥) ساقط من نور العثمانية.

(٦) «في»: زيادة من السليمانية وفيض الله ونجيبويه.

ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾
وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾.

الضمير في ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾: للصنف المرتكب للمعاصي مُستسرِّين بذلك عن الناس مباهتين لهم، واندرج في طيِّ هذا العموم، ودخل تحت هذه الأَنحاءِ أهل الخيانة في النازلة المذكورة، وأهل التعصب لهم والتدبير في خدع النبي ﷺ والتلبيس عليه.

ويحتمل أن يكون الضمير لأهل هذه النازلة، ويدخل في معنى هذا التوبيخ كل من فعل نحو فعلهم.

ومعنى ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾: بالإحاطة والعلم والقدرة، ﴿يُبَيِّتُونَ﴾: يدبرون ليلاً، انطلقت العبارة على كل استسرار بهذا؛ إذ الليل مَظِنة الاستتار والاختفاء.

قال الطبري: وزعم بعض الطائيين: أَن التَّبْييتَ في لغتهم: التبديل[1]، وأنشد للأسود بن عامر بن جوين[2] الطائي:

[المتقارب] وَبَـيَّـتَّ قَـوْلِـيَ عَـنْـدَ الْمَلِـ ـكِ قاتلَكَ الله عَبْداً كَنُودَا[3]

وقال أبو زيد[4]: ﴿يُبَيِّتُونَ﴾ معناه: يؤلفون.

ويحتمل أن تكون اللفظة مأخوذة من البيت؛ أي: يستسرُّون في تدبيرهم بالجدرات[5].

---

(١) في المطبوع: «التبدل».

(٢) في السليمانية وفيض الله: «جرير»، بدل: «حوين»، وسقط من جار الله، وهو الأسود بن عامر بن جوين بن عبد رضا، بضم الراء ومعجمة مقصور الطائي الشاعر، وابنه قبيصة صحابي، وفد على النبي ﷺ، كما في الإصابة (٥/ ٣١١).

(٣) انظر عزوه له مع لغة طيئ في: تفسير الطبري (٩/ ١٩٢)، وفي السليمانية وفيض الله: «كفوحا».

(٤) كذا في النسخ: «أبو زيد»، ولعل الصواب: أبو رزين، كما في تفسير الطبري (٩/ ١٩٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٠٦١).

(٥) في المطبوع: «بالجدران».

وقوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ قد تقدمت وجوه القراءات فيه في سورة آل عمران.

والخطاب بهذه الآية للقوم الذين يتعصبون لأهل الرِّيَب والمعاصي، ويندرج طيِّ هذا العموم أهل النازلة، ويحتمل أن يكون الخطاب لأهل التعصب(١) في هذه النازلة، وهو الأظهر عندي بحكم التأكيد بـ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ﴾، وهي إشارة إلى حاضرين.

وقد تقدم إعراب مثل هذه الآية في سورة آل عمران.

و«المجادلة»: المدافعة بالقول وهي من فتل الكلام وليِّه؛ إذ الجدل: الفتل.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ وعيد محض؛ أي: إن الله يعلم حقيقة الأمر، فلا يمكن أن يلبس عليه بجدال ولا غيره/ ، كما فعلتم بالنبي ﷺ؛ إذ [١/ ٣٤٦] هو بشر يقضي على نحو ما يسمع.

ولما تمكن هذا الوعيد وقضت العقول بأن لا مجادل لله، ولا وكيل يقوم بأمور العصاة عنده؛ عقب ذلك هذا الرجاء العظيم، والمهل المنفسح(٢) بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ ﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ﴾ مَنْحى من عمل السوء، وهما بمعنى واحد تكرر باختلاف لفظ مبالغة، واستغفار الله تعالى مع التحقيق في ذلك توبةٌ.

وقوله تعالى: ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ﴾ استعارة، لما كانت الرحمة والغفرانُ معدة للمستغفرين التائبين، كانوا كالواجدين لمطلوب، وكأن التوبة ورود على رحمة الله، وقرب من الله.

وقال عبد الله بن مسعود يوماً في مجلسه: كان بنو إسرائيل إذا أصاب أَحدُهم ذنباً أَصبح قد كتبت كفارة ذلك الذنب على بابه، وإذا أصاب البول شيئاً من ثيابه قرضه

---

(١) في السليمانية وفيض الله: «التعطف»، وفي جار الله: «التعصيب».

(٢) في المطبوع: «المنفسخ».

بالمقراض[١]»، فقال رجل من القوم: لقد آتى الله بني إسرائيل خيراً، فقال عبد الله: ما آتاكم الله خيرٌ مما آتاهم، جعل لكم الماء طهوراً، وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ الآية[٢].

وهذه آية وعد بشرط المشيئة، على ما تقتضيه عقيدة أهل السنة، وفضل الله مرجوٌّ وهو المستعان.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾.

تقدم القول في معنى الكسب.

والإثمُ: الحكم اللاحق عن المعصية، ونسبة المرء إلى العقوبة فيها.

وقوله: ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾؛ أي: إياها يُرْدي[٣]، وبها يحل المكروه.

وقوله تعالى: ﴿خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا﴾ ذهب بعض الناس إلى أنهما لفظان بمعنى، كُرر لاختلاف اللفظ.

وقال الطبري: إنما فرق بين الخطيئة والإثم: أن الخطيئة تكون عن عمد وعن غير عمد، والإثم لا يكون إلا عن عمد[٤].

---

(١) في الأصل ونور العثمانية ونجيبويه: «المقراضين»، والمثبت هو الموافق لما في المصادر، والمعنى واحد.
(٢) إسناده لين، أخرجه الطبري (٩/ ١٩٥)، من طريق شعبة، عن عاصم، عن أبي وائل قال: قال عبد الله، وعاصم هو ابن أبي النجود، وفي حفظه ضعف.
(٣) في نور العثمانية: «يؤذي».
(٤) تفسير الطبري (٩/ ١٩٧).

وهذه الآية لفظها عام، ويندرج تحت ذلك العمومِ وتوبيخهِ[١] أهلُ النازلة المذكورة.

وبريءُ النازلة قيل: هو لبيد بن سهل، وقيل: هو زيد بن السمين اليهودي، وقيل: أبو مليل الأنصاري[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ﴾ تشبيه؛ إذ الذنوب ثقل ووزر، فهي كالمحمولات.

و﴿بُهْتَـٰنًا﴾ معناه: كذباً على البريء.

ومنه قول النبي ﷺ: «إذا قلت في أَخيك ما فيه مما يكره سماعه؛ فقد اغتبته، فإن قلت ما ليس فيه؛ فقد بَهَتَّه»[٣]، فَرمْيُ البريءِ بهتٌ له، ونفس[٤] الخطيئة والإِثم إِثمٌ مبين، ومعصية هذا الرامي معصيتان.

ثم وقف الله تعالى نبيه ﷺ على [مقدار عصمته][٥] له، وأنها بفضل من الله ورحمة.

وقوله تعالى: ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ﴾ معناه: لجعلته همها وشغلها حتى تنفذه[٦]، وهذا يدل على أن الألفاظ عامة في غير أهل النازلة، وإلا فأهل التعصب لبني أبيرق قد وقع همهم وثبت، وإنما المعنى: ولولا عصمة الله لك لكان في الناس من يشتغل بإضلالك، ويَجْعَلُه هَمَّ نفسه؛ أي: كما فعل هؤلاء، لكن العصمة تبطل كيد الجميع، فيبقى الضلال في حيِّزهم.

ثم ضمن وعد الله تعالى له: أنهم لا يضرونه شيئاً، وقرّر عليه نعمه لديه[٧]، من

---

(١) في المطبوع: «ويتجه».

(٢) كما تقدم عن تفسير الطبري (٩/ ١٨٦و ١٩٨) وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٠٦٣)، وفي المطبوع والحمزوية وجار الله: «أبو مليك».

(٣) صحيح مسلم (٢٥٨٩).

(٤) في الأصل: «ونفي».

(٥) في الأصل والمطبوع: «هذا وعصمته».

(٦) في حاشية المطبوع: في بعض الأصول: «حتى تبعده»، فتأمل.

(٧) «لديه»: سقط من المطبوع، وقد سقط معه من الحمزوية اللفظ الذي قبله.

إنزال الكتاب المتلو، والحكمة التي بعضها خوطب به، وبعضها جعلت له سجيةً مَلَكها، وقريحة يعمل عنها، وينظر بين الناس بها، لا ينطق عن الهوى، وبهذين علَّمه ما لم يكن يعلم.

وباقي الآية بيِّن.

قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤) وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦)﴾.

الضمير في ﴿نَّجْوَاهُمْ﴾: عائد على الناس أجمع، وجاءت هذه الآيات عامة التناول(١)، وفي عمومها يندرج أصحاب النازلة، وهذا من الفصاحة والإيجاز المضمن الماضي والغابر(٢) في عبارة واحدة.

و«النجوى»: المسارَّة، مصدر، وقد تسمى به الجماعة، كما يقال: قومٌ عَدْل ورِضَا، وتحتمل اللفظة في هذه الآية أن تكون الجماعةَ، وأن تكون المصدرَ نفسه.

فإن قدرناها الجماعة فالاستثناء متصل، كأنه قال: لا خير في كثير من جماعاتهم المنفردة المتسارة إلا من.

وإن قدرنا اللفظة المصدر نفسه، كأنه قال: لا خير في كثير من تناجيهم، فالاستثناء منقطع بحكم اللفظ، ويقدر اتصاله على حذف مضاف، كأَنه قال: إِلا نجوى مَنْ.

قال بعض المفسرين: النجوى: كلام الجماعة المنفردة كان ذلك سراً أَو جهراً.

قال القاضي أبو محمد: انفراد الجماعة ضرب من الاستسرار، والغرض المقصود: أن النجوى ليست بمقصورة على الهمس في الأذن ونحوه.

---

(١) في الحمزوية: «في التاويل».

(٢) في المطبوع: «والمغاير».

و«المعروف»: لفظ عام[١] يعم الصدقة والإصلاح، ولكن خُصَّا بالذكر اهتماماً بهما؛ إذ هما عظيمَا الغَناء في مصالح العباد.

ثم وعد تعالى بالأجر العظيم على فعل هذه الخيرات بنية وقصد لرضا الله تعالى.

و﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: نصب على المصدر.

وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم والكسائي وابن عامر: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ بالنون.

وقرأ أبو عمرو وحمزة: ﴿يُؤْتيه﴾ بالياء[٢] والقراءتان حسنتان.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ الآية، لفظ عام نزل بسبب طعمة بن أبيرق؛ لأنه ارْتَدَّ وسارَ إلى مكة، فاندرج الإنحاء عليه في طي هذا العموم المتناول لمن اتصف بهذه الصفات إلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿مَا تَوَلَّىٰ﴾ وعيد بأن يترك مع فاسد اختياره في تولي الطاغوت.

وقرأ ابن أبي عبلة: (يُوَلِّه) و(يُصْلِهِ) بالياء فيهما[٣].

ثم أوجب تعالى أنه لا يغفر أن يشرك به.

وقد مضى تفسير مثل هذه الآية وما يتصل بها من المعتقد، والبعد في صفة الضلال مُقتضٍ بُعْدَ الرجوعِ إلى المحجةِ البيضاءِ، وتعذُّره[٤] - وإن بقي - غير مستحيل.

قوله تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾.

---

(١) «عام»: زيادة من السليمانية وفيض الله، وسقطت: «لفظ» من جار الله.

(٢) «ابن عامر»: زيادة من السليمانية وفيض الله، ولا بد منها، فهما سبعيتان، انظر: السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٣٧)، والتيسير (ص: ٩٧).

(٣) تابعه في البحر المحيط (٤/ ٦٧)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ١٤٣) للأعمش، والهذلي في الكامل (ص: ٥٣٠) للزعفراني، والأعمش في رواية جرير، والقطيعي عن ابن عقيل عن ابن كثير.

(٤) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «وتقديره».

[١/ ٣٤٧] الضمير في ﴿يَدۡعُونَ﴾ عائد على من تقدم ذكره من الكفرة في قوله/ : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾، و﴿إِن﴾: نافية بمعنى «ما»، و﴿يَدۡعُونَ﴾: عبارة مغنية موجزة في معنيي: يعبدون، ويتخذون آلهة.

وقرأ أبو رجاء العطاردي: (إن تدعون) بالتاء [من فوق، ورويت عن عاصم(١).

واختلف في معنى «الإناث»](٢):

فقال أبو مالك والسدي وغيرهما: ذلك لأن العرب كانت تسمي أصنامها بأَسماءٍ مؤَنَّثة، كاللات والعُزَّى ومناة ونائلة(٣).

قال القاضي أبو محمد: ويرد على هذا أنها كانت تسمي بأَسماءٍ مذكرة كثيرة.

وقال الضحاك وغيره: المراد: ما كانت العرب تعتقده من تأنيث الملائكة وعبادتهم إياها، فقيل لهم هذا على جهة إقامة الحجة من فاسد قولهم(٤).

وقال ابن عباس(٥) والحسن وقتادة: المراد: الخشب والحجارة، وهي مؤنثات لا تعقل، فيخبر عنها كما يخبر عن المؤنث من الأَشياءِ(٦)، فيجيءُ قوله: ﴿إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾ عبارة عن الجمادات، وقيل: إنما هذا لأن العرب كانت تسمي الصنم أنثى، فتقول: أنثى بني فلان.

قال القاضي أبو محمد: وهذا على اختلافه يقضي بتعييرهم بالتأنيث، وأَن التأنيث نقص وخساسة بالإضافة إلى التذكير.

---

(١) تابعه في البحر المحيط (٤/ ٦٩)، وليست في شيء من طرق التيسير ولا النشر، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ١٤٣)، وابن خالويه في المختصر (ص: ٣٥) لعائشة.

(٢) ساقط من المطبوع.

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٢٠٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٠٦٧)، والهداية لمكي (٢/ ١٤٦٩).

(٤) تفسير الطبري (٩/ ٢٠٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٠٦٧)، والهداية لمكي (٢/ ١٤٦٩)، وتفسير السمعاني (١/ ٤٧٩).

(٥) أخرج الطبري (٩/ ٢٠٨)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾، يقول: ميتاً. اهـ، أما ذكر الخشب والحجارة ففي كلام الحسن.

(٦) «من الأشياء» ليست في الأصل، وانظر تفسير الطبري (٩/ ٢٠٨)، والهداية لمكي (٢/ ١٤٦٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٠٦٧).

وقيل: معنى ﴿إِنَثًا﴾: أَوثاناً، وفي مصحف عائشة: (إِنْ يدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا أَوْثَاناً)(١).

وقرأ ابن عباس فيما روى عنه أبو صالح: (إلا أَنَثاً)(٢)؛ يريد: وثناً، فأبدل الهمزة واواً، وهو جمع جمع على ما حكى بعض الناس، كأنه جمع: وثناً على: وثان، كجمل وجمال، ثم جمع: وِثَاناً على: وُثُن، كرِهَانٍ ورُهُن، وَكمِثَال ومُثُل.

قال القاضي أبو محمد: وهذا خطأ؛ لأن: فعالاً في جمع: فعل، إنما هو للتكثير، والجمع الذي هو للتكثير لا يجمع، وإنما يجمع جموع التقليل.

والصواب أن تقول: وُثُنٌ: جمع: وَثَن دون واسطة، كأُسُد وأَسَد.

قال أبو عمرو: وبهذا قرأ ابن عمر وسعيد بن المسيب ومسلم بن جُنْدُب وعطاء(٣).

وروي عن ابن عباس أنه قرأ: (إِلَّا وَثَناً) بفتح الواو والثاء على إفراد اسم الجنس.

وقرأ ابن عباس أيضا: (وُثُناً)، بضم الواو والثاء، وقرأت فرقة: (إلا وَثْناً)(٤).

وقرأت فرقة: (إلا أَثْنا) بسكون الثاء(٥).

وقرأ النبي ﷺ: (إِلَّا أُنُثاً)، بتقديم النُّون(٦)، وهو جمع: أنيث، كغدير وغدر، ونحو ذلك.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لها في: تفسير الطبري (٩/ ٢١٠)، ومختصر الشواذ (ص: ٣٥)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٣٨٧).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها له في: المحتسب (١/ ١٩٨)، دون ذكر أبي صالح، وفي السليمانية: «أنثى»، وفي نجيبويه: «إلا أثناً».

(٣) عزاها لهم في البحر المحيط في التفسير (٤/ ٦٩)، دون ذكر أبي عمرو، وفي جار الله: «ابن المهلب»، بدل: «ابن المسيب».

(٤) هذه ثلاث قراءات شاذة بالواو، انظر نقلها عن ابن عباس بلا ضبط في: إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٨٦)، والمحتسب (١/ ١٩٨).

(٥) نقلها الطبري (٩/ ٢١٠)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٨٨)، عن ابن عباس، وابن جني في المحتسب (١/ ١٩٨)، عن عطاء بن أبي رباح.

(٦) قال ابن أبي حاتم في العلل (١٧٣١): سألت أبي عن حديث رواه كثير بن عبيد، عن بقية، عن =

وحكى الطبري: أنه جمع إناث، كثِمَارٍ وثُمر[١]، حكى هذه القراءة عن النبي ﷺ أبو عمرو الداني، قال: وقرأ بها ابن عباس وأبو حَيوة والحسن[٢].

واختلف في المعني بـ«الشيطان»؛ فقالت فرقة: هو الشيطان المقترن بكل صنم، فكأَنه موحَّد باللفظ جمع بالمعنى؛ لأن الواحد يدل على الجنس.

وقال الجمهور: المراد: إبليس، وهذا هو الصواب؛ لأن سائر المقالة به تليق.

و﴿مَّرِيدًا﴾ معناه: عاتياً صليباً في غوايته، وهو فعيل من مرد: إذا عتا وغلا في انحرافه، وتجرد للشر والغواية.

وأَصل «اللَّعْن»: الإبعاد، وهو في العرف: إِبعادٌ مقترنٌ بسخط وغضب، ويحتمل أن يكون ﴿لَّعَنَهُ﴾ صفة للشيطان، ويحتمل أن يكون خبراً عنه، والمعنى يتقارب على الوجهين.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ﴾ الآية، التقدير: وقال الشيطان، والمعنى: لأَستخْلِصنَّهم لغوايتي، ولأَخُصَّنَّهم بإضلالي، وهم الكفرة والعصاة.

والمفروض: معناه في هذا الموضع: المنحاز، وهو مأخوذ من الفرض، وهو الحزُّ في العود وغيره، ويحتمل أن يريد واجباً أن أتخذه، وبعث النار هو نصيب إبليس.

= إسماعيل بن عياش، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أن النبي ﷺ قرأ: (إن يدعون من دونه إلا أنثاً)، قال أبي: هذا كذب لا أصل له، وإن كان عن عروة فهو صالح، قال أبي: وعن عروة، عن عائشة: أنها قرأت: (إن يدعون من دونه إلا أوثاناً) صحيح، وهو غير ذاك. اهـ.

وسئل الدارقطني كما في العلل (١٤/ ١٧٦) عن حديث عائشة، عن النبي ﷺ، أنه قرأ: إن يدعون من دونه إلا أنثاً، فقال: يرويه هشام، واختلف عنه؛ فرواه الدراوَرْدي، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، موقوفاً، ورفعه بقية بن الوليد، عن إسماعيل بن عياش، عن هشام، والموقوف أصح .اهـ.

وهذا الموقوف الذي ذكره الدارقطني إنما هو بلفظ: (إلا أوثاناً) كما قال أبو حاتم، وقد أخرجه بهذا اللفظ: القاسم بن سلام في فضائل القرآن (رقم: ٢٩٨) وهو في تفسير الطبري (٩/ ٢١٠) عن هشام ابن عروة، عن أبيه: أنه كان في مصحف عائشة رضي الله عنها، وانظر: المحتسب (١/ ١٩٨).

(١) تفسير الطبري (٩/ ٢١٠).

(٢) انظر قول الداني في تفسير القرطبي (٥/ ٣٨٧).

قوله عز وجل: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾.

قوله: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ معناه: أصرفهم عن طريق الهدى.

﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾: لأُسَوِّلَنَّ لَهم.

قال القاضي أبو محمد: وهذا لا ينحصر إلى نوع واحد من الأمنية؛ لأن كل واحد في نفسه إنما تمنِّيه بقدر نصبته[1] وقرائن حاله.

ومنه قوله ﷺ: «إن الشيطان يقول لمن يركب ولا يذكر الله: تَغَنَّ، فإن لم يحسن قال له: تَمَنَّ»[2].

واللامات كلها للقسم.

والبَتْكُ: القطع، وكثر الفعل؛ إذ القطع كثير على أنحاء مختلفة، وإنما كنى عز وجل عن البَحيرة والسائبة ونحوه مما كانوا يثبتون فيه حكماً، بسبب آلهتهم وبغير ذلك.

وقرأ أبو عمرو بن العلاء: (وَلَامُرَنَّهُمْ) بغير ألف[3].

وقرأ أبيٌّ: (وَأُضِلُّهم وأُمَنِّيهم وآمرهُم)[4].

---

(١) في المطبوع ونور العثمانية ونجيبويه: «نسبته».

(٢) موقوف على ابن مسعود، أخرجه عبد الرزاق (١٠/ ٣٩٧)، عن معمر، عن منصور، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن ابن مسعود من قوله، ومن طريق عبد الرزاق أخرجه البيهقي في السنن (٥/ ٢٥٢)، ونسبه في كنز العمال (٩/ ٦٩) إلى الديلمي عن ابن عباس.

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٣٥)، وليست من طرق التيسير ولا النشر.

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: معاني الفراء (١/ ٢٨٩).

واختلف في معنى «تغيير خلق الله»:

فقال ابن عباس وإبراهيم ومجاهد والحسن وقتادة وغيرهم: أراد: يغيرون دين الله[١]، وذهبوا في ذلك إلى الاحتجاج بقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]؛ أي: لدين الله، والتبديل يقع موضعه التغيير، وإن كان التغيير أعم منه.

وقالت فرقة: تغيير خلق الله: هو أن الله تعالى خلق الشمس والنار والحجارة وغيرها من المخلوقات؛ ليعتبر بها وينتفع، فغيرها الكفار بأن جعلوها آلهة معبودة.

وقال ابن عباس[٢] أيضاً وأنس[٣] وعكرمة وأبو صالح: من تغيير خلق الله الإخصاءُ، والآية إشارة إلى إخصاء البهائم وما شاكله، فهي عندهم أشياء ممنوعة[٤].

ورخص في إخصاء البهائم جماعة [من أهل العلم][٥] إذا قصدت به المنفعة، إما السمن أو غيره[٦]، وخصها[٧] عمر بن عبد العزيز في الخيل[٨].

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢١٨)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وانظر أقوال الباقين في تفسير الطبري (٩/ ٢١٨و٢٢٠)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٠٦٩).

(٢) إسناده لين، أخرجه الطبري (٩/ ٢١٥)، من طريق حماد بن سلمة، عن عمار بن أبي عمار، عن ابن عباس، وعمار فيه لين.

(٣) في إسناده ضعف، أخرجه الطبري (٩/ ٢١٥)، عن أنس من طريق عبد الله بن داود قال: حدثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أنس، وأخرجه البغوي في حديث علي بن الجعد (١/ ٤٣٨)، عن أبي جعفر الرازي، وأخرجه الطبري كذلك من طريق وكيع، عن أبي جعفر، ثم أخرجه عن الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس من قوله، هكذا وقع، والربيع، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: الناس يتقون من حديثه ما كان من رواية أبي جعفر عنه؛ لأن في أحاديثه عنه اضطراباً.

(٤) في السليمانية وفيض الله: «مجموعة»، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٠٦٩).

(٥) زيادة من السليمانية وفيض الله ونور العثمانية.

(٦) منهم طاووس والحسن، انظر: الإشراف (٣/ ١٩٥)، وهو مذهب الحنفية كما في: المحيط البرهاني (٥/ ٢٤٤).

(٧) في السليمانية وفيض الله: «ورخصها».

(٨) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٥ ١٣)، باب كراهية خصاء البهائم.

وقال ابن مسعود والحسن: هي إشارة إلى الوشم وما جرى مجراه من التَّصَنُّع لِلْحُسْن[١]، من ذلك الحديث: لعن رسول الله ﷺ الواشمات والمستوشمات[٢] والمتَنَمِّصات والمتَفَلِّجَات، المغَيِّرات خَلْقَ الله[٣]، ومنه [قوله ﷺ: «لعن الله][٤] الواصلة والمستوصلة»[٥].

قال القاضي أبو محمد: وملاك تفسير هذه الآية: أن كل تغيير ضار فهو في الآية، وكل تغيير نافع فهو مباح، ولما ذكر الله تعالى عتو الشيطان وما توعد به من بث مكره؛ حذره تبارك وتعالى عباده، بأن شرط لمن يتخذه ولياً جزاء الخسران، وتصور الخسران إنما هو بأن أخذ هذا المتخذ حظ الشيطان، فكأنه أعطى حظ الله تبارك وتعالى فيه وتركه من أجله.

وقوله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾: المعنى: / يعدهم بأباطيله من المال والجاه، [١/ ٣٤٨] وأن لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك، لكل أحد ما يليق بحاله، ويمنيهم كذلك.

ثم ابتدأ تعالى الخبر عن حقيقة ذلك بقوله: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

ثم أخبر تعالى بمصير المتخذين الشيطان ولياً وتوعدهم بأن ﴿مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾، لا يدافعونها بحيلة، ولا يعدلون عنها، ولا ينحرفون ولا يتروَّغون.

و«المحيص»: مفعل[٦] من حاص: إذا راغ ونفر، ومنه قول الشاعر:

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (٩/ ٢٢١)، من طريق منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: لعن الله الواشرات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، وقول الحسن في تفسير الطبري (٩/ ٢٢٠و٢٢١).

(٢) في المطبوع: «والموشومات»، وفي السليمانية وفيض الله: «والموتشمات».

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٩٣١) (٥٩٤٣) (٥٩٤٨)، ومسلم (٢١٢٥).

(٤) في الأصل وجار الله: «قوله: لعن رسول الله».

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٩٣٢) (٥٩٣٤) (٥٩٣٧)، ومسلم (٢١٢٢).

(٦) في الأصل والمطبوع: «مفعول».

[الطويل] وَلَمْ نَدْرِ إِنْ حِصْنَا مِنَ المَوْتِ حَيْصَةً كَمِ الْعُمْرُ بَاقٍ والمـدَى مُتَطَاوِلُ[(١)]

ومنه الحديث: «فحاصوا حَيصةَ حمرِ الوحش إلى الأبواب»[(٢)]، [يقال: حاص الرجل من كذا][(٣)]، وجاض بالجيم والضاد المنقوطة: إذا راغ بنفور، ولغة القرآن الحاء والصاد غير منقوطة.

ولما أخبر تعالى عن الكفار الذين يتخذون الشيطان ولياً، وأعلم بغرور وعد الشيطان لهم، وأعلم بصيور أمرهم، وأنه إلى جهنم، فاقتضى ذلك كله التحذير؛ أعقب ذلك عز وجل[(٤)] بالترغيب في ذكره حالة المؤمنين، وأعلم بصَيور[(٥)] أمرهم، وأنه إلى النعيم المقيم، وأعلم بصحة وعده تعالى لهم، ثم قرر ذلك بالتوقيف عليه في قوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾.

والقيل والقول واحد، ونصبه على التمييز.

وقرأت فرقة: ﴿سَنُدْخِلُهُمْ﴾ بالنون، وقرأت فرقة: (سيُدخلهم) بالياء[(٦)].

و﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾: نصب على المصدر، و﴿حَقًّا﴾: مصدر أيضاً مُؤَكِّدٌ لما قبله.

قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾.

---

(١) البيت لجعفر بن علبة الحارثي كما في الحماسة بشرح التبريزي (١/ ١٠)؛ والتعليقات والنوادر للهجري (ص: ١٦٨)، وفي معجم الشعراء (ص: ٣٠٥): أنه لعلبة بن ماعز الحارثي.

(٢) أخرجه البخاري (٧)، وهو حديث أبي سفيان الشهير وهو عند هرقل.

(٣) ما بين المعكوفين ساقط من المطبوع.

(٤) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «أَعقب ذلك الوجل بالترغيب».

(٥) في الحمزوية: «بصيرورة»، والصَّيور: منتهى الأمر وعاقبته.

(٦) وهي قراءة شاذة عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ١٤٤) ليحيى وإبراهيم، والأولى هي المتواترة.

[اسم ﴿لَّيْسَ﴾ مضمر][1]، و«الأماني»: جمع أُمْنُويَة[2]، وزنها أُفعولة، وهي: ما يتمناه المرء ويطمع نفسه فيه، وتجمع على فعاليل[3]، فتجتمع ياءان؛ فلذلك تدغم إحداهما في الأخرى، فتجيء مشددة، وهي قراءة الجمهور.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن وأبو جعفر بن القعقاع وشيبة بن نصاح والحكم والأعرج: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِكُمْ﴾ ساكنة الياء، وكذلك في الثانية[4].

قال الفراءُ: هذا جمع على أفاعل، كما يقال: قراقير وقراقر، إلى غير ذلك[5].

واختلف الناس فيمن المخاطب بهذه الآية:

فقال ابن عباس والضحاك وأبو صالح ومسروق وقتادة والسدي وغيرهم: الخطاب لأمة محمد ﷺ[6].

قال بعضهم: سبب الآية: أن المؤمنين اختلفوا مع قوم من أهل الكتاب، فقال أهل الكتاب: ديننا أقدمُ من دينكم وأفضل، ونبينا قبلَ نبيكم، فنحن أفضل منكم، وقال المؤمنون: كتابنا يقضي على الكتب، ونبينا خاتم النبيين، أو نحو هذا من المحاورة، فنزلت الآية.

وقال مجاهد وابن زيد: بل الخطاب لكفار قريش، وذلك أنهم قالوا: لن نبعث ولا نعذب، وإنما هي حياتنا الدنيا، لنا فيها النعيم، ثم لا عذاب، وقالت اليهود: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، إلى نحو هذا من الأقوال[7]، كقولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا

---

(١) ليس في نور العثمانية.

(٢) في نجيبويه وجار الله: «أمنية».

(٣) في الأصل ونجيبويه: «أفاعيل».

(٤) وهي قراءة صحيحة، انظر عزوها لأبي جعفر في: النشر (٢/ ٢٥٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٤٠)، ولأكثر الباقين في تفسير الثعلبي (١/ ٢٢٣)، وقد تقدمت في تفسير الآية (٧٦) من (سورة البقرة).

(٥) معاني القرآن للفراء (١/ ٤٩)، وفي المطبوع والحمزوية والسليمانية وفيض الله بدل «فعائل»: «فعالل»، وفي نجيبويه: «أفاعيل»، وهما خطأ.

(٦) تفسير الطبري (٩/ ٢٢٨و٢٣٢)، مع القول الذي بعده.

(٧) تفسير الطبري (٩/ ٢٣٢ و٢٣٣).

مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ [البقرة: ١١١]، وغيره، فرد الله تعالى على الفريقين بقوله: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾.

ثم ابتدأ الخبر الصادق من قبله بقوله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ وجاء هذا اللفظ عاماً في كل سوء، فاندرج تحت عمومه الفريقان المذكوران.

واختلف المتأولون في تعميم لفظ هذا الخبر:

فقال الحسن بن أبي الحسن: هذه الآية في الكافر، وقرأ: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ [سبأ: ١٧]، قال: والآية يعني بها الكفار، ولا يعني بها أهل الصلاة، وقال: والله ما جازى الله أحداً بالخير والشر إلا عذبه، ولكنه يغفر ذنوب المؤمنين(١).

وقال ابن زيد: في قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾: وعد الله المؤمنين أن يكفر عنهم سيئاتهم، ولم يعد أولئك؛ يعني: المشركين(٢).

وقال الضحاك: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾؛ يعني: بذلك اليهود والنصارى والمجوس وكفار العرب(٣).

قال القاضي أبو محمد: فهذا تخصيص [للفظ الآية، ورأي هؤلاءِ أَن الكافر يجزى على كل سوء يعمله، وأن المؤمن قد وعده الله تكفير سَيِّئَاتِهِ.

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا ﴾ معناه: مَنْ يَكُ مُشْرِكاً(٤)، و«السوءُ» هنا: الشرك، فهو تخصيص](٥) لعموم اللفظ من جهة أخرى؛ لأن أولئك خصَّصُوا لفظ: ﴿مَن ﴾، وهذان خصصا لفظ السوء.

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٢٣٨).

(٢) المصدر السابق (٩/ ٢٣٣).

(٣) الهداية لمكي (٢/ ١٤٧٦).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٢٣٩)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وانظر قول سعيد فيه وفي تفسير السمعاني (١/ ٤٨٣).

(٥) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل.

وقال جمهور الناس: لفظ الآية عام، والكافر والمؤمن مجازَى بالسوء يعمله، فأما مجازاة الكافر فالنار؛ لأن كفره أوبقه، وأما المؤمن فبنكبات الدنيا.

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لما نزلت: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ قلت: يا رسول الله، ما أشد هذه الآية، فقال: «يا أبا بكر أما تحزن[١]، أما تمرض، أما تصيبك اللأواء؟ فهذا بذلك»[٢].

وقال عطاء بن أبي رباح: لما نزلت هذه الآية، قال أبو بكر: جاءت قاصمة الظهر، فقال النبي ﷺ: «إنما هي المصيبات في الدنيا»[٣].

وقالت بمثل هذا التأويل عائشة، رضي الله عنها[٤]، وقال به أبي بن كعب، وسأله الربيع بن زياد[٥] عن معنى الآية، وكأنه خافها، فقال له أبي: ما كنت أظنك إلا أفقهَ مما

---

(١) «أما تحزن»: ليست في الأصل.

(٢) لا يصح، أخرجه أحمد (٦٨)، وابن حبان (٢٩١٠)، والبيهقي في الشعب (٩٨٠٥)، والضياء في المختارة (٦٩)، من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي، عن أبي بكر الصديق، والثقفي عن الصديق مرسل، قاله أبو حاتم في الجرح (٩/ ٣٣٨)، ونسبه ابن أبي حاتم في المراسيل (٩٦٠) لأبي زرعة، وقد روى نحوه الترمذي (٣٠٣٩)، من حديث أبي بكر، وضعف إسناده، ثم قال: وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي بكر، وليس له إسناد صحيح أيضاً. اهـ.

(٣) ضعيف، رواه علي بن عاصم: عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، ورواه مرة أخرى: عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن أبي بكر الصديق، قال ابن طاهر المقدسي في ذخيرة الحفاظ (٤/ ١٩٨٧): هذا لا أعرفه إلا من رواية علي بن عاصم، وهو ضعيف، وذكر ابن عدي روايتي علي بن عاصم في ترجمته من الكامل (٥/ ١٩٢)، وقول المصنف: إنما هي المصيبات في الدنيا، إنما ذكره بالمعنى، وانظر: تفسير الطبري (٩/ ٢٤٧).

(٤) في إسناده غرابة، أخرجه الطبري (٩/ ٢٣٧)، من طريق حماد بن زيد، عن حجاج الصواف، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي المهلب قال: دخلت على عائشة، والإسناد رجاله ثقات أثبات، لكني لم أعرف رواية بهذا النسق، فحماد معروف بالرواية عن أيوب، ولا تعرف له رواية عن حجاج، ولا تعرف لحجاج رواية عن أيوب، بل العكس هو الموجود بندرة.

(٥) الربيع بن زياد بن أنس بن الديان، الحارثي الأمير، يكنى أبا عبد الرحمن، روى عن: أبي بن كعب، =

أرى، ما يصيب الرجلَ خدشٌ ولا غيره إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر[١].

قال القاضي أبو محمد: فالعقيدة في هذا: أن الكافر [مجازًى بالنار والمؤمن مجازًى في الدنيا غالباً][٢]، فمن بقي له سوء إلى الآخرة فهو في المشيئة، يغفر الله لمن يشاء، ويجازي من يشاء.

وقرأ الجمهور: ﴿وَلَا يَجِدۡ﴾ بالجزم عطفاً على: ﴿يُجۡزَ﴾.

وروى ابن بكار[٣] عن ابن عامر: (ولا يَجِدُ) رفع[٤] على القطع.

وقوله: ﴿مِن دُونِ﴾ لفظة تقتضي عدم[٥] المذكور بعدها من النازلة، ويفسرها بعض المفسرين بـ«غير»، وهو تفسير لا يطرد.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ دخلت ﴿مِنَ﴾ للتبعيض؛ إذ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ على الكمال مما لا يطيقه البشر، ففي هذا رِفق بالعباد، لكن في هذا البعض الفرائض وما أمكن من المندوب إليه، ثم قيد الأمر بالإيمان؛ إذ لا ينفع عمل دونه.

= أدرك الأيام النبوية، ولم يقدم المدينة إلا في أيام عمر، وولي خراسان لمعاوية، وكان الحسن البصري كاتباً له، الإصابة (٢/ ٣٨٠)، وتاريخ الإسلام (٤/ ٢٠٥).

(١) في اتصاله نظر، أخرجه الطبري (٩/ ٢٣٦)، من طريق يزيد قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: أن الربيع ابن زياد سأل أبي بن كعب، ثم رواه من طريق غندر، عن هشام الدستوائي قال: حدثنا قتادة، عن الربيع ابن زياد قال: قلت لأبي بن كعب، وقال البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٢٦٨): ربيع بن زياد، سمع أبي بن كعب ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ قال معاذ بن فضالة، عن هشام، عن قتادة أن الربيع، وقالت حفصة عن الربيع بن زياد: سمع كعباً. اهـ، فالخلاف على قتادة في وصله هذا الخبر عن الربيع.

(٢) في هذه الجملة خطأ في الأصل، والتصويب من النسخ الأخرى، إلا أن الحمزوية زادت لفظ «النار».

(٣) هو عبد الحميد بن بكار أبو عبد الله الكلاعي الدمشقي، نزيل بيروت، أخذ القراءة عرضاً عن أيوب ابن تميم القارئ، وهو أحد الذين خلفوه في القيام بالقراءة، ورواية عن الوليد بن مسلم، روى القراءة عنه العباس بن الوليد البيروتي، غاية النهاية (١/ ٣٦٠).

(٤) انظرها في جامع البيان للداني (٣/ ١٠١٦)، والشواذ للكرماني (ص: ١٤٤)، وليست من طرق التيسير.

(٥) في السليمانية وفيض الله: «عزم».

وحكى الطبري عن قوم: أن (مِن): زائدة، وضعفه[(١)] كما هو ضعيف.

وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ بفتح الياء وضم الخاء، وكذلك حيث جاء من القرآن، وروي مثل هذا عن عاصم، وقرأ أبو عمرو في هذه الآية وفي «مريم» و«الملائكة» وفي «المؤمن»[(٢)]: ﴿يُدْخَلُون﴾ بضم الياء وفتح الخاء.

وقرأ بفتح الياء من: ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠][(٣)].

و«النقير»: النكتة التي في ظهر نواة التمرة، ومنه تنبت، [وروي عن ابن عباس أن][(٤)] «النقير»: ما تنقره بأصبعك[(٥)]، وهذا كله مثال للحقير اليسير/ . [١/ ٣٤٩]

قال القاضي أبو محمد: فهنا كمل الرد على أهل الأماني والإخبار بحقيقة الأمر.

ثم أخبر تعالى إخباراً موقفاً على أنه لا ﴿أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾؛ أي: أخلص مقصده وتوَجُّهَه، وأَحسن في أَعماله، واتبع الحنيفية التي هي ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾، إمام العالم، وقدوة أهل الأديان.

ثم لما ذكر الله تعالى إبراهيم بأنه الذي يجب اتباعه؛ شرَّفه بذكر الخُلَّة، وإبراهيم ﷺ سماه الله خليلاً؛ إذ كان خلوصه وعبادته واجتهاده على الغاية التي يجري إليها

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٢٥٠).

(٢) وهي الآيات (مريم: ٦٠)، (فاطر: ٣٣)، (غافر: ٤٠).

(٣) انظر قراءة هذا الموضع في التيسير (ص: ٩٧)، وزاد: ابن كثير وحفصاً مع أبي عمرو، وشعبة مع نافع، وسيأتي بيان المعتمد للسبعة في كل موضع عند محله؛ لأن المؤلف سيعيد ذلك بشكل مختلف، وانظر السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٣٧).

(٤) في المطبوع: «وروى عاصم»، ولعله خطأ، والمثبت هو الموافق لما في الطبري (٨/ ٤٧٥)، والثعالبي (١/ ٤١٧).

(٥) إسناده لين، أخرج الطبري (٨/ ٤٧٥)، من طريق يزيد بن درهم أبي العلاء قال، سمعت أبا العالية: ووضع ابن عباس طرف الإبهام على ظهر السبابة، ثم رفعهما وقال: هذا النقير؛ ويزيد هذا لا يحتج بما ينفرد به.

المحب المبالغ، وكان لطف الله به ورحمته ونصرته له بحسب ذلك، وذهب قوم إلى أن إبراهيم سُمِّي خليلاً من الخَلَّة، بفتح الخاءِ؛ أَي: لأَنه أَنزل خَلَّته وفاقته بالله تعالى.

وقال قوم: سمي خليلاً؛ لأنه فيما روي في الحديث: جاء من عند خليل كان له بمصر، وقد حرمه الميرة التي قصد لها، فلما قرب من منزله، ملأ غرارتيه رملاً ليتأنس بذلك صِبيته، فلما دخل منزله نام كلالاً وهماً، فقامت امرأته وفتحت الغرارة، فوجدت أحسن ما يكون من الحوَّارَى، فعجنت منه، فلما انتبه قال: ما هذا؟ قالت: من الدقيق الذي سقت من عند خليلك المصري، فقال: بل هو من عند خليلي الله تعالى، فسمي بذلك خليلاً[(١)].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا ضعف، ولا تقتضي هذه القصة أَن يُسمَّى بذلك اسماً غالباً، وإنما هو شيءٌ شرَّفه الله به كما شرف محمداً ﷺ، فقد صح في كتاب مسلم وغيره: أن الله اتخذه خليلاً[(٢)].

قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٖ مُّحِيطٗا ١٢٦ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِۚ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ١٢٧﴾.

ذكر عز وجل سَعَة مُلْكه وإحاطته بكل شيء عقِب ذكر الدين وتبيين الجادة منه، ترغيباً في طاعة الله والانقطاع إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ الآية، نزلت بسبب سؤال قوم من الصحابة عن أمر النساء وأحكامهن في المواريث وغير ذلك، فأمر الله نبيه أن يقول لهم: ﴿ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾؛ أي: يبين لكم حكم ما سألتم عنه.

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٢٥١) و(٢٥٢) وذكره الواحدي في أسباب النزول (١/ ١٢٢)، من رواية الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٢)، ولفظه: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً».

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يحتمل (ما) أن تكون مصدرية[١] في موضع خفض عطفاً على الضمير في قوله: ﴿فِيهِنَّ﴾؛ أي: ويفتيكم فيما يتلى عليكم، قاله محمد[٢] ابن أبي موسى، وقال: أفتاهم الله فيما سألوا عنه، وفيما لم يسألوا عنه[٣].

ويضعف هذا التأويل ما فيه من العطف على الضمير المخفوض بغير إعادة حرف الخفض، ويحتمل أن تكون (ما) في موضع رفع عطفاً على اسم الله عز وجل؛ أي: ويفتيكم ما يتلى عليكم في الكتاب؛ يعني: القرآن.

والإشارة بهذا إلى ما تقدم من الآيات في أمر النساء، وهو قوله تعالى في صدر السورة: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣]، قالت عائشة: نزلت هذه الآية أولاً، ثم سأل ناس بعدها رسول الله ﷺ عن أمر النساء، فنزلت: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۖ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ معناه: النهي عما كانت العرب تفعله من ضم اليتيمة الجميلة الغنية بدون ما تستحقه من المهر، ومن عضل الدميمة[٥] الفقيرة أبداً، والدميمة الغنية حتى[٦] تموت فيرثها العاضل، ونحو هذا مما يقصد به الولي منفعة نفسه لا نفع اليتيمة، والذي كتب الله لهن هو توفية ما تستحقه من مهر، وإلحاقها بأقرانها.

---

(١) «مصدرية»: زيادة من السليمانية وفيض الله.

(٢) في الحمزوية: «محمد بن موسى»، وفي الأصل: «مجاهد بن أبي موسى»، قال في تهذيب التهذيب (٩/ ٤٨٣): محمد بن أبي موسى روى عن زياد الأنصاري، عن أبي بن كعب، وعنه داود بن أبي هند، قاله في ترجمة محمد بن أبي موسى الذي ذكره بن حبان في الثقات.

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٢٦٠).

(٤) صحيح، أخرجه الطبري (٩/ ٢٥٨)، من طريق يونس بن يزيد الأيلي، عن الزهري، أخبرني عروة قال: سألت عائشة.

(٥) في الأصل وفيض الله هنا: «الذميمة»، وكذلك نجيبويه في الموضعين.

(٦) في السليمانية: «التي»، بدل: «حتى»، وفي نجيبويه: «أبداً حتى».

وقرأ أبو عبد الله المدني[١]: (في يَيَامَى النِّسَاءِ) بياءين[٢]، قال أبو الفتح: والقول في هذه القراءة: أنه أراد أَيَامَى، فقلبت الهمزة ياء، كما قلبت في قولهم: باهلة بن يعصر، وإنما هو ابن أعصر؛ لأنه إنما يسمى بقوله:

[الكامل] أَبُـنَـيَّ إنَّ أَبَـاكَ غَـيَّـرَ لَـوْنَـهُ كَرُّ اللَّيَالِي واخْتِلاَفُ الأَعْصُرِ[٣]

وكما قلبت الياء همزة في قولهم: قطع الله أَدَهُ، يريدون: يده.

وأيامى: جمع أيم، أصله: أيايم، قلبت اللام موضع العين، فجاء: أيامي، ثم أبدلت من الكسرة فتحة، ومن الياء ألف.

قال القاضي أبو محمد: يشبه أن الداعي إلى هذا استثقال الضمة على الياء.

قال أبو الفتح: ولو قال قائل: كسر أيم على أيمى، على وزن: سكرى وقتلى، من حيث الأُيومة بلية تدخل كرهاً، ثم كسِّر: أيمى على أيامى؛ لكان وجهاً حسناً»[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ إن كانت الجارية غنية جميلة فالرغبة في نكاحها، وإن كانت بالعكس فالرغبة عن نكاحها.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأخذ الناس بالدرجة الفضلى في هذا المعنى، فكان إذا سأل الولي عن وليته فقيل: هي غنية جميلة، قال له: اطلب لها من هو خير منك، وأعود عليها بالنفع، وإذا قيل له: هي دميمة فقيرة، قال له: أنت أولى بها وبالستر عليها من غيرك[٥].

---

(١) في نجيبويه وجار الله: «المزني»، والمثبت هو الموافق لما في المصادر، وقد اشتهر بهذه الكنية مدنيون، منهم إسماعيل بن أبي أويس وغيره.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها له في مختصر الشواذ (ص: ٣٥)، ومع توجيهها في المحتسب (١/ ٢٠٠).

(٣) الأعصر هو: منبِّه بن سعد بن قيس عيلان، انظر عزو البيت لها وتسميته به في المبهج لابن جني (ص: ٥١)، وسمط اللآلي (١/ ٣٥٠)، والروض الأنف (١/ ١٣٤)، والمخصص (٢/ ٢٣)، وأنساب الأشراف للبلاذري (١٣/ ٩٥).

(٤) المحتسب لابن جني (١/ ٢٠١).

(٥) لم أقف عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾: عطف على ﴿يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾، والذي تُلي في: المستضعفين من الولدان هو قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ الآية [النساء: ١١]، وذلك: أن العرب كانت لا تورث الصبية ولا الصبي الصغير، وكان الكبير ينفرد بالمال، وكانوا يقولون: إنما يرث المال من يحمي الحوزة، ويرد الغنيمة، ويقاتل عن الحريم، ففرض الله لكل أحد حقه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِ﴾: عطف أيضاً على ما تقدم. [١/ ٣٥٠]

والذي تُلي في هذا المعنى هو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ﴾ [النساء: ٢] إلى غير ذلك مما ذكر في مال اليتيم.

و﴿ٱلۡقِسۡطَ﴾: العدل، وباقي الآية [وعد على فعل الخير بالجزاء الجميل][1]، بيِّن.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٢٩﴾﴾.

هذه الآية حكم من الله تعالى في أمر المرأة التي تكون ذات سنٍّ ودَمامة[2]، أو نحو ذلك مما يرغب زوجها عنها، فيذهب الزوج إلى طلاقها، أو إلى إيثار شابة عليها، ونحو هذا مما يقصد به صلاح نفسه ولا يضرها هي ضرراً يلزمه إياها، بل يعرض عليها الفرقة أو الصبر على الأثرة، فتريد هي بقاء العصمة، فهذه التي أباح الله تعالى بينهما الصلح، ورفع الجناح فيه؛ إذ الجناح في كل صلح يكون عن ضرر من الزوج يفعله حتى تصالحه[3].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصل، إلاأنه في الحمزوية ونور العثمانية قدم عليه لفظ: «بين»، وسقطت «بين» من نجيبويه وجار الله.

(٢) في الأصل ونجيبويه: «ذَمامة»، بالذال المعجمة.

(٣) في المطبوع: «تعالجه».

وأباح الله تعالى الصلح مع الخوف وظهور علامات النشوز أو الإعراض، وهو مع وقوعها مباح أيضاً.

والنشوز: الارتفاع بالنفس عن رتبة حسن العشرة.

والإعراض: أخف من النشوز، وأنواع الصلح كلها مباحةٌ في هذه النازلة؛ أن يعطي الزوج على أن تصبر هي، أو تعطي هي على أن لا يؤثر الزوج، أو على أن يؤثر ويتمسك بالعصمة، أو يقع الصلح على الصبر على الأثرة، فهذا كله مباح.

واختلف المفسرون في سبب الآية:

فقال ابن عباس وجماعة معه: نزلت في النبي ﷺ وسودة بنت زمعة، حدث الطبري بسند عن ابن عباس قال: خشيت سودة أن يطلقها رسول الله ﷺ، فقالت: لا تطلقني واحبسني مع نسائك، ولا تقسم لي، ففعل، فنزلت: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ الآية[١].

وفي المصنفات: أن سودة لما كبرت وهبت يومها لعائشة[٢]، وهذا نحو الأول.

وقال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وعَبيدة السَّلماني وغيرهم: نزلت الآية بسبب رافع بن خديج[٣] وخولة بنت محمد بن مسلمة[٤]، وذلك أنه خلا من سنها، فتزوج

(١) إسناده لين، وهو متفق عليه بدون ذكر الآية، أخرجه أبو داود الطيالسي (١٩٤٤ ترتيبه)، ومن طريقه الترمذي (٣٠٤٠)، وكذا الطبراني في المعجم الكبير (١١٧٤٦)، والبيهقي (٧/ ٢٩٧)، من طريق سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. اهـ، وفي رواية سماك عن عكرمة لين، وله شاهد في الصحيحين من حديث عائشة بدون ذكر نزول الآية، ينظر: صحيح البخاري (٢٥٩٣)، وصحيح مسلم (١٤٦٣). وانظر: تفسير الطبري (٩/ ٢٧٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٥٩٣)، ومسلم (١٤٦٣)، واللفظ له، وهو الشاهد الذي مرت الإشارة إليه في التعليق السابق.

(٣) رافع بن خديج بن رافع الأنصاري الأوسي الحارثي، كان عريف قومه بالمدينة، وشهد أُحداً والخندق، وعرض على النبي ﷺ يوم بدر فاستصغره، لكنه أَجازه يوم أُحد، توفي بالمدينة من الجرح الذي أصابه من زجِّ الرمح، سنة (٧٤هـ)، الإصابة (٢/ ٣٦٢).

(٤) هكذا ورد اسمها في تفسير البغوي (١/ ٧٠٧)، وفي تفسير مقاتل (١/ ٤١٢): خويلة، وهي في الموطأ =

عليها شابة، فآثر الشابة، فلم تصبر هي، فطلقها طلقة، ثم تراجعا، فعاد فآثر الشابة، فلم تصبر هي، فطلقها أخرى، فلما بقي من العدة يسير قال لها: إن شئت راجعتك وصبرت على الأثرة، وإن شئت تركتك حتى يخلو أجلك، قالت: بل راجعني وأصبر، فراجعها، فآثر الشابة فلم تصبر، فقال لها: إنما هي واحدة، فإما أن تَقَرِّي على ما ترين من الأثرة، وإلا طلقتك، فقَرَّت، فهذا هو الصلح الذي أنزل الله فيه: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ﴾ الآية[1].

وقال مجاهد: نزلت الآية بسبب أبي السنابل بن بَعْكك[2] وامرأته[3].

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: ﴿يَصَّالحا﴾، بفتح الياء وشد الصاد وألف بعدها، وأصلها: يتصالحا.

وقرأ حمزة والكسائي وعاصم: ﴿يُصۡلِحَا﴾، بضم الياء وسكون الصاد دون ألف[4].

وقرأ عَبيدة السَّلْماني (يُصَالحا) بضم الياء من المفاعلة.

وقرأ الجحدري وعثمان البِتِّي[5]: (يَصَّلحا)، بفتح الياء وشد الصاد[6]، أصلها: يصطلحا.

= (٣/ ٧٨٨) غير مسماة، ولم أجد لها ذكراً في كتب الطبقات، إلا أن في الإصابة (٨/ ٤٤٥): أنها أم عميس بنت مسلمة الأنصارية، أخت محمد بن سلمة.

(١) السنن الكبرى (٧/ ٧٥ و٢٩٦)، ومصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٥٠١)، ومصنف عبد الرزاق (٦/ ٢٣٨)، تفسير الطبري (٩/ ٢٧٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٠٨١)، وهي مراسيل.

(٢) أبو السنابل بن بعكك بن الحارث بن عميلة، القرشي العبدري، واسمه صبة، وهو من مسلمة الفتح، أقام بمكة حتى مات، وقيل: سكن الكوفة، وقال البخاري: لا أعلم أنه عاش بعد النبي ﷺ، الإصابة (٧/ ١٦١).

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٢٧٦)، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٣٢٨)، وتفسير مجاهد (ص: ١٧٧).

(٤) فهما سبعيتان، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢٣٨)، والتيسير (ص: ٩٧).

(٥) في نجيبويه: «التيمي»، وهو خطأ، وهو عثمان البتي الفقيه أبو عمرو البصري، بياع البتوت، واسم أبيه مسلم، وأصله من الكوفة، روى عن أنس والشعبي والحسن البصري، وثقه أحمد والدارقطني، وهو قليل الحديث لكنه من كبار الفقهاء، تاريخ الإسلام (٨/ ٤٨٥).

(٦) وهما شاذتان، انظر عزو الثانية للجحدري في مختصر الشواذ (ص: ٣٦)، وإعراب القرآن للنحاس =

قال أبو الفتح: أبدل الطاء صاداً، ثم أدغم فيها الصاد التي هي فاء، فصارت: يصلحا.

وقرأ الأعمش: (إن اصَّالحا)، وكذلك هي في قراءة ابن مسعود[١].

وقوله: ﴿صُلْحًا﴾ ليس الصلح مصدراً على واحد من هذه الأفعال التي قرئ بها، فالذي يحتمل أن يكون اسماً، كالعطاء مع: أعطيت، والكرامة مع: أكرمت.

فمن قرأ: ﴿يُصْلِحَا﴾ كان تعديه إلى الصلح كَتَعَدِّيه إِلى الأَسماءِ، كما تقول: أصلحت ثوباً.

ومن قرأَ: ﴿يصَّالحا﴾ من: تفاعل، وعرف «تفاعل» أنه لا يتعدى، فوجهه أن «تفاعل» قد جاء متعدياً في نحو قول ذي الرمة:

[الطويل] ومِنْ جَرْدَةٍ غُفْل بَسَاطٍ تَحَاسَنَتْ ... بها الوشْيَ قَرَّاتُ الرِّياح وخُورُهَا[٢]

ويجوز أن يكون الصلح مصدراً حذفت زوائده، كما قال:

[الوافر] .... وإنْ تَهْلِـكْ فذلِـكَ كانَ قَـدْرِي[٣]

أي: تقديري.

قال القاضي أبو محمد: هذا كلام أبي علي[٤]، على أَن القدْر مصدرٌ جارٍ على أَن: قَدَرْت الأمر بالتخفيف بمعنى: قدَّرت بالتشديد.

= (١/ ٢٤١)، والهداية لمكي (٢/ ١٤٨٥)، والمحتسب (١/ ٢٠١)، مع توجيهها، وتابعه في الأولى أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٨٦)، والسمينُ الحلبي في الدر المصون (٤/ ١٠٨) في نسبتها لعثمان البتي.

(١) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لابن مسعود في الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ١٨٣)، وللأعمش في الشواذ للكرماني (ص: ١٤٤).

(٢) انظر عزوه له في الحجة لأبي علي (٣/ ١٨٤)، والمعاني الكبير (٣/ ١١٩٢).

(٣) وصدره: فإن يبرأ فلم أنفث عليه، عزاه في شرح أبيات سيبويه (٢/ ٢٤٩) ليزيد بن سنان بن أبي حارثة المرّيّ، وفي المفضليات (ص: ٧٠) لرجل من عبد القيس حليف لبني شيبان.

(٤) الحجة للقراء السبعة (٣/ ١٨٤).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌ﴾ لفظ عام مطلق، يقتضي أن الصلح الحقيقي الذي تسكن إليه النفوس، ويزول به الخلاف؛ خير على الإطلاق، ويندرج تحت هذا العموم: أن صلح الزوجين على ما ذكرنا خير من الفُرقة.

وقوله تعالى: ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ معذرة عن عبيده تعالى؛ أي: لا بد للإنسان بحكم خِلْقته وجِبِلَّتِهِ من أن يشح على إرادته حتى يحمل صاحبه على بعض ما يكره، وخصص المفسرون هذه اللفظة هنا: فقال ابن جبير: هو شح المرأة بالنفقة من زوجها، وبقَسْمه لها أَيامها، وقال ابن زيد: الشُّح هنا منه ومنها[(١)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا حسن، [فإن الغالب على المرأة الشح بنصيبها من زوجها، والغالب على الزوج الشح بنصيبه من الشابة][(٢)].

و﴿ٱلشُّحَّ﴾: الضبط على المعتقدات والإرادات وفي الهمم والأموال ونحو ذلك، فما أُفرط منه ففيه بعض المذمة، وهو الذي قال تعالى فيه: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ﴾ [الحشر: ٩]، وما صار إلى حيز منع الحقوق الشرعية، أو التي تقتضيها المروءة؛ فهو البخل، وهي رذيلة، لكنها قد تكون في المؤمن، ومنه الحديث: قيل: يا رسول الله، أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: «نعم»[(٣)].

وأما الشُّحَّ ففي كل أحد، [وينبغي أن يكون][(٤)]، لكن لا يُفْرِط إِلا على الدين.

ويدلُّك على أَن الشُّح في كل أَحد قوله تعالى: ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾

---

(١) انظرهما في تفسير الطبري (٩/ ٢٨٠ و٢٨٢)، وانظر: الهداية لمكي (٢/ ١٤٨٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٠٨١).

(٢) ساقط من جار الله ونجيبويه والأصل ونور العثمانية.

(٣) مرسل، أخرجه مالك في الموطأ (١٧٩٥) رواية يحيى الليثي، عن صفوان بن سليم أنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أيكون المؤمن جباناً؟ فقال: «نعم»، فقيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ فقال: «نعم»، فقيل له: أيكون المؤمن كذاباً، فقال: لا. اهـ، قال ابن عبد البر في التمهيد (١٦/ ٢٥٣): لا أحفظ هذا الحديث مسنداً بهذا اللفظ من وجه ثابت، وهو حديث حسن.

(٤) ليس في المطبوع.

وقوله: ﴿شُحَّ نَفۡسِهِۦ﴾ فقد أثبت أن لكل نفس شحاً، وقول النبي ﷺ: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح»[(١)]، وهذا لم يُرد به واحداً بعينه، وليس يجمل أن يقال هنا: أن تصدق وأنت صحيح بخيل.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُحۡسِنُواْ﴾ ندب إلى الإحسان [في تحسين العشرة، وحمل أخلاق الزوجة والصبر على ما يكره من حالها، وتمكن الندب إلى الإحسان][(٢)] من حيث للزوج أن يشح فلا يحسن.

﴿وَتَتَّقُواْ﴾ معناه: تتقوا الله في وصيته بالنساء؛ إذ هن عَوَانٍ عند الأزواج حسبما فسَّره النبي ﷺ بقوله: «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عَوَانٍ عندكم»[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية؛ معناه: العدل التام على الإطلاق، المستوي في الأفعال والأقوال والمحبة والجماع وغير ذلك، وكان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه ثم يقول: «اللَّهُمَّ هذا فعلي فيما أَملك، فلا تُؤَاخذني فيما تملك ولا أَملك»[(٤)]؛ يعني: ميله بقلبه.

---

(١) صحيح البخاري (١٤١٩).

(٢) ما بين القوسين ليس في الأصل.

(٣) قوله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً»، أخرجه البخاري (٥١٨٥)، ومسلم (١٤٦٨)، من حديث: أبي حازم عن أبي هريرة مرفوعاً، وأما عبارة: «فإنهن عوان عندكم» فأخرجها النسائي في الكبرى (٩١٢٤)، والترمذي (١١٦٣) (٣٠٨٧)، من طريق شبيب بن غرقدة، عن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال: حدثني أبي أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ ... فذكره مطولاً، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. اهـ.
وسياق الحديثين مختلف، وذكر البخاري أصله في ترجمة عمرو بن الأحوص من التاريخ الكبير (٦/ ٣٠٥)، وسليمان لم يذكروه بجرح أو تعديل، إنما ذكره ابن حبان في الثقات (٤/ ٣١٤)، وقال ابن القطان: مجهول.

(٤) الصحيح مرسل، أخرجه أبو داود (٢١٣٦)، والترمذي (١١٤٠)، والنسائي (٣٩٤٣)، والحاكم (٢/ ١٨٨)، وغيرهم من طريق حماد بن سلمة، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن عبد الله بن يزيد الخطمي، عن عائشة به، وقال الترمذي: حديث عائشة هكذا رواه غير واحد عن حماد بن سلمة، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن عبد الله بن يزيد، عن عائشة: أن النبي ﷺ كان يقسم، ورواه حماد بن زيد وغير واحد، عن أيوب، عن أبي قلابة مرسلاً: أن النبي ﷺ كان يقسم، وهذا أصح من حديث حماد بن سلمة. اهـ. =

وكان عمر بن الخطاب يقول: اللهم قلبي فلا أملكه، وأما ما سوى ذلك فأَرجو أَن أَعدل(١).

وروي أن هذه الآية / نزلت في النبي ﷺ وميله بقلبه إلى عائشة(٢)، فوصف الله تعالى حالة البشر، وأنهم بحكم الخِلْقة(٣) لا يملكون ميل قلوبهم إلى بعض الأزواج دون بعض، ونشاطهم إليهن، وبِشْرهم معهن. [١/ ٣٥١]

ثم نهى عن الميل كل الميل، وهو أن يفعل فعلاً يقصده من التفضيل، وهو يقدر أن لا يفعله، فهذا هو ﴿كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ وإن كان في أمر حقير، فكأن الكلام: ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟﴾ النوع الذي هو كل الميل، وهو المقصود من قول أو فعل.

وقوله تعالى: ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾؛ أي: لا هي أيم، ولا ذات زوج، وهذا تشبيه بالشيء المعلق من شيء؛ لأنه لا على الأرض استقر، ولا على ما علق منه انحمل، وهذا مطردٌ في قولهم في المَثَل: ارْضَ من المرْكَبِ بالتَّعْليق(٤)، وفي عرف النحويين في تعليق الفعل، ومنه في حديث أم زرع قول المرأة: زوجي العَشَنَّق، إِنْ أَنْطِقْ أُطلَّق، وإِن أَسْكُتْ أُعَلَّقْ(٥).

= ونقله الترمذي عن البخاري في العلل الكبير (١/ ١٦٥)، وقاله أبو زرعة كما في علل ابن أبي حاتم (١٢٧٩)، والنسائي في السنن الكبرى بِذكره إرسال حماد بن زيد له، والدارقطني في علله (١٣/ ٢٧٩).

(١) مرسل أو معضل، أخرجه الطبري (٩/ ٢٨٦)، من طريق قتادة قال: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قال... وهذا إسناد ضعيف؛ لانقطاعه بين قتادة وعمر، بل هو في الغالب معضل، فإن الغالب فيما يرويه قتادة بإسناده إلى عمر أن يكون بينهما فيه رجلان أو أكثر، قاله فضيلة الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف في تكميل النفع الحديث الثامن.

(٢) مرسل، أخرجه الطبري (٩/ ٢٨٧) وابن أبي حاتم (٤/ ١٠٨٣)، من طريق حسين الجعفي، عن زائدة، عن عبد العزيز بن رفيع، عن ابن أبي مليكة من قوله.

(٣) في نجيبويه زيادة: «والجبلة»، وكأن عليها تضبيباً.

(٤) نقله ابن سلام في الأمثال (١/ ٤٤) عن الأصمعي، وانظر العين للخليل (١/ ١٦٤)، ومجمع الأمثال للميداني (١/ ٣٠١).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥١٨٩)، ومسلم (٢٤٤٨)، والعَشَنَّق: الطويل طولًا زائداً مع نحافة.

وقرأ أبيٌّ بن كعب: (فَتَذَرُوها كالمسجونة)(١).

وقرأ عبد الله بن مسعود: (فَتذَرُوهَا كَأَنَّهَا مُعَلَّقَة)(٢).

ثم قال تعالى: ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ﴾؛ أي: وإن تلتزموا ما يلزمكم من العدل فيما تملكون؛ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لما لا تملكونه، [متجاوزاً عنه](٣).

وقال الطبري: معنى الآية: غفوراً لما سلف منكم من الميل كل الميل قبل نزول الآية(٤).

قال القاضي أبو محمد: فعلى هذا فهي مغفرةٌ مُخَصَّصَة لقوم بأعيانهم، واقعوا المحظور في مدة النبي ﷺ.

وجاء في التي قبل: ﴿وَإِن تُحْسِنُواْ﴾، وفي هذه: ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ﴾ لأن الأول في مندوب إليه، وهذه في لازم؛ لأن الرجل له هنالك أن لا يحسن، وأن يشح، ويصالح بما يرضيه، وفي هذه ليس له أن لا يصلح، بل يلزمه العدل فيما يملك.

قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾.

الضمير في قوله: ﴿يَتَفَرَّقَا﴾ للزوجين اللذين تقدم ذكرهما؛ أي: إن شح كل واحد منهما فلم يتصالحا لكنهما تفرقا بطلاق، فإن الله تعالى يغني كل واحد منهما عن صاحبه

---

(١)وهي قراءة شاذة انظر: مختصر الشواذ (ص: ٣٥)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٩١).

(٢) تابعه في البحر المحيط (٤/ ٨٩)، تفسير القرطبي (٥/ ٤٠٨).

(٣) في الحمزوية: «شحاً ورغبة».

(٤) تفسير الطبري (٩/ ٢٩٢).

بفضله ولطائف صنعه، في المال والعشرة، والسعة ووجود المرادات والتمكن منها.

وذهب بعض الفقهاء المالكيين إلى أن التفرق في هذه الآية هو بالقول[(١)]؛ إذ الطلاق قول[(٢)]، واحتج بهذا على قول النبي ﷺ: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا»[(٣)]؛ إذ مذهب مالك في الحديث: أنه التفرق بالقول لا بالبدن[(٤)].

قال القاضي أبو محمد: ولا حجة في هذه الآية؛ لأن إخبارها إنما هو عن افتراقهما بالأبدان، وتراخي المدة بزوال العصمة.

والإغناء إنما يقع في ثاني حال، ولو كانت الفرقة في الآية الطلاق؛ لما كان للمرأة فيها نصيب يوجب ظهور ضميرها في الفعل، وهذه نبذة من المعارضة في المسألة.

و«الواسع» معناه: الذي عنده خزائن كل شيء.

وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ تنبيه على موضع الرجاء لهذين المفترقين، ثم جاء بعد ذلك قوله: ﴿وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ تنبيهاً على استغنائه عن العباد، ومقدمة للخبر بكونه غنياً حميداً.

ثم جاء بعد ذلك قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ مقدمة للوعيد، فهذه وجوه تكرار هذا الخبر الواحد ثلاث مرات متقاربة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ لفظ عام لكل من أُوتي كتاباً، فإن وصية الله تعالى عباده بالتقوى لم تزل منذ أوجدهم.

و«الوكيل»: القائم بالأمور، المنفذ فيها ما رآه.

وقوله تعالى: ﴿أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ مخاطبة للحاضرين من العرب، وتوقيف للسامعين لتحضر أذهانهم، وقوله: ﴿بِـَٔاخَرِينَ﴾؛ يريد: من نوعكم.

---

(١) زاد في الحمزوية وفيض الله والسليمانية: «المطلق».

(٢) انظر: بداية المجتهد (٢/ ١٧١)، والتمهيد لابن عبد البر (١٤/ ١١١٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٠٧٩) (٢٠٨٢) (٢١٠٩) (٢١١٠) (٢١١٤)، ومسلم (١٥٣٢).

(٤) انظر: الاستذكار (٦/ ٤٧٤).

وروي عن أبي هريرة: أنه لما نزلت هذه الآية ضرب رسول الله ﷺ بيده على كتف سلمان الفارسي وقال: «هم قوم هذا»[١]، وتحتمل ألفاظ الآية أن تكون وعيداً لجميع بني آدم، ويكون الآخرون من غير نوعهم، كما قد روي: أنه كان في الأرض ملائكة يعبدون الله قبل بني آدم، وقدرة الله تعالى على ما ذكر تقضي بها العقول ببدائهها[٢].

وقال الطبري: هذا الوعيد والتوبيخ هو للقوم الذين شفعوا في طُعْمة بن أُبَيرق وخاصموا عنه في أمر خيانته في الدرع والدقيق[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا تأويل بعيد، واللفظ إنما يظهر حُسْن رصفه[٤] بعمومه، وانسحابه على العالم جملة، أو العالم الحاضر.

قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ١٣٤ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّـٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥﴾.

أي: من كان لا مراد له إلا في ثواب الدنيا، ولا يعتقد أَنَّ ثَمَّ سواه؛ فليس هو كما ظن، بل عند الله تعالى ثواب الدارين، فمن قصد الآخرة أعطاه الله من ثواب الدنيا وأعطاه قصده، ومن قصد الدنيا فقط أعطاه الله من الدنيا ما قدر له، وكان له في الآخرة العذاب، والله تعالى سميع للأقوال، بصير بالأعمال والنيات.

---

(١) سنده منقطع، أخرجه الطبري (٩/ ٢٩٩) قال: حُدِّثْتُ عن عبد العزيز بن محمد، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ به، وفيه انقطاع بين الطبري وعبد العزيز بن محمد، وهو الدراوَرْدي.

(٢) في المطبوع: «ببداهتها»، وفي نور العثمانية: «ببدايها»، وفي نجيبويه: «ببدائعها».

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٢٩٨).

(٤) في الحمزوية وفيض الله والسليمانية ونجيبويه وجار الله: «وصفه».

ثم خاطب تعالى المؤمنين بقوله: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ﴾ الآية، وهذا بناءُ مبالغة؛ أي: ليتكرر منكم القيام ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ وهو العدل.

وقوله: ﴿شُهَدَآءَ﴾: نصب على خبر بعد خبر، والحال فيه ضعيفة في المعنى؛ لأنها تخصص القيام بالقسط إلى معنى الشهادة فقط، وقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ المعنى: لذات الله ولوجهه ولمرضاته.

وقوله: ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾: متعلق بـ﴿شُهَدَآءَ﴾، هذا هو الظاهر الذي فسر عليه الناس، وإن هذه الشهادة المذكورة هي في الحقوق.

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ معناه: بالوحدانية، ويتعلق قوله: ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾/ بـ﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾، والتأويل[1] الأول أَبْيَن. [١/ ٣٥٢]

وشهادة المرء على نفسه: إقرارُه بالحقائق، وقوله الحق في كل أمر، وقيامه بالقسط عليها كذلك، ثم ذكر ﴿ٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ لوجوب بِرِّهِمَا، وعِظَم قدرهما، ثم ثَنَّى بالأَقربين؛ إِذ هم مَظِنة المودة والتعصب، فجاء الأجنبي من الناس أحرى أن يقام عليه بالقسط ويشهد عليه، وهذه الآية إنما تضمنت الشهادة على القرابة، فلا معنى للتفقه منها في الشهادة لهم كما فعل بعض المفسرين، ولا خلاف بين أهل العلم في صحة أحكام هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ معناه: إن يكن المشهود عليه غنياً فلا يراعى لغناه، ولا يخاف منه، وإن يكن فقيراً فلا يراعى إشفاقاً عليه؛ فإن الله تعالى أولى بالنوعين، وأهل الحالين.

و«الغني» و«الفقير»: اسما جنس؛ فلذلك ثَنَّى الضمير في قوله: ﴿بِهِمَا﴾.

وفي قراءة أُبيٍّ بن كعب: (فالله أَوْلَى بِهِمْ) على الجمع[2].

---

(١) في نجيبويه: «القول»، مع الإشارة إلى النسخة الأخرى في هامشه.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٠٦)، معاني القرآن للفراء (١/ ٢٨٧).

وقال الطبري: ثنى الضمير؛ لأن المعنى: فالله أولى بهذين المعنيين، غنى الغني، وفقر الفقير؛ أي: وهو أنظر فيهما، وقد حدَّ حدوداً، وجعل لكل ذي حق حقه.

وقال قوم: ﴿أَوِ﴾ بمعنى الواو، وفي هذا ضعف.

وذكر السدي: أن هذه الآية نزلت في النبي ﷺ، اختصم إليه غني وفقير، فكان في ضَلْع الفقير، علماً منه أن الغني أحرى أن يظلم الفقير، فأَبى الله إِلا أَن يقوم بالقسط بين الغني والفقير[١].

قال القاضي أبو محمد: وارتبط الأمر على نحو ما قال النبي ﷺ: «فأَقضي له على نحو ما أَسمع»[٢]، أما إنه قد أُبيح للحاكم أن يكون في ضَلْع الضعيف، بأن يقيد[٣] له المقالات ويشد على عضده، ويقول له: قل حجتك، مدلاً[٤]، وينبهه تنبيهاً لا يفت في عضد الآخر، ولا يكون تعليم خصام، هكذا هي الرواية عن أشهب وغيره[٥].

وذكر الطبري: أن هذه الآية هي بسبب نازلة طُعمة بن أُبيرق، وقيام من قام في أمره بغير القسط[٦].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ نهي بيِّن، واتباع الهوى مُرْدٍ مهلك.

وقوله تعالى: ﴿أَن تَعۡدِلُواْ﴾ يحتمل أن يكون معناه: مخافةَ أن تعدلوا، ويكون العدل هنا بمعنى العدول عن الحق، ويحتمل أن يكون معناه: محبةَ أن تعدلوا، ويكون

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٣٠٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٠٨٨)، وتفسير السمعاني (١/ ٤٨٩)، وهذا مرسل.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٩٦٧) (٧١٦٩)، ومسلم (١٧١٣).

(٣) في المطبوع: «يعتد».

(٤) في فيض الله والسليمانية: «مدالًا» بدل: «مدلًا».

(٥) لم أجده.

(٦) تفسير الطبري (٩/ ٣٠٢).

العدل بمعنى القسط، كأنه قال: انتهوا خوفَ أن تجوروا، أو محبةَ أن تقسطوا، فإن جعلت العامل ﴿تَتَّبِعُواْ﴾ فيحتمل أن يكون المعنى: محبةَ أن تجوروا.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُواْ﴾ قال ابن عباس: هو في الخصمين يجلسان بين يدي القاضي، فيكون ليُّ القاضي وإعراضه لأحدهما على الآخر(١).

[فـ«اللَّيُّ» ـ على هذا ـ: مطْلُ الكلام، وجرُّه حتى يفوت فصل القضاء، وإنفاذه للذي يميل القاضي عليه، وقد شاهدت بعض القضاة يفعلون ذلك، والله حسيب الكل.

وقال ابن عباس أيضاً، ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد وغيرهم: هي في الشاهد يلوي الشهادة بلسانه ويحرفها، فلا يقول الحق فيها، أو يعرض عن أداء الحق فيها](٢).

قال القاضي أبو محمد: ولفظ الآية يعم القضاء والشهادة والتوسط بين الناس، وكل إنسان مأخوذ بأن يعدل، والخصوم مطلوبون بعدل ما في القضاة فتأمله.

وقرأ جمهور الناس: ﴿تَلْوُۥٓا۟﴾ بواوين، من: لوى يلوي، على حسب ما فسرناه.

وقرأ حمزة وابن عامر وجماعة في الشاذ: ﴿وإِن تَلُوا﴾ بضم اللام وواو واحدة(٣).

وذلك يحتمل أن يكون أصله: «تلْئُوا» على القراءَة الأُولى، هُمِزَت الواو المضمومة كما همزت في: أذؤر(٤)، وألقيت حركتها على اللام التي هي فاء «لوى»، ثم حذفت

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (٩/ ٣٠٧) من طريق جرير، هو ابن عبد الحميد، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس، وقابوس ضعيف لا يحتج به، وقد تفرد عن أبيه بأشياء لا أصل لها، قاله ابن حبان، وقال جرير نفسه: أتيناه بعد فساد.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٩/ ٣٠٧)، من طريقين أحدهما: معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وهو منقطع، والثاني: محمد بن سعد شيخ الطبري، حدثني أبي قال: حدثني عمي قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ومحمد بن سعد هو محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد ابن جنادة العوفي، وهو إسنادٌ مسلسل بالضعفاء، وما بين القوسين ساقط من الاصل.

(٣) فهما سبعيتان، كما في السبعة لا بن مجاهد (ص: ٢٣٩)، والتيسير للداني (ص: ٩٧)، ووافق حمزة الأعمش وجماعة من قرأة أهل الكوفة كما في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٤٦)، وتفسير الطبري (٩/ ٣١٠).

(٤) في المطبوع وفي فيض الله ونجيبويه وجار الله: «أدؤر»، وفي السليمانية: «أدوو».

لاجتماع ساكنين[١]، ويحتمل أن تكون (تلوا) من قولك: ولي الرجل الأمر، فيكون في الطرف الآخر من ﴿تُعْرِضُواْ﴾، كأنه تعالى قال للشهود وغيرهم: وإن وليتم الأمر أو أعرضتم عنه؛ فالله تعالى خبير بفعلكم ومقصدكم فيه، فالولاية والإِعراض طرفان، واللَّيُّ والإِعراض في طريق واحد، وباقي الآية وعيد.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾﴾.

اختلف الناس فيمن خوطب بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾:

فقالت فرقة: الخطاب لمن آمن بموسى وعيسى من أهل الكتابين؛ أي: يا من قد آمن بنبي من الأنبياء، آمِنْ بمحمد ﷺ، ورجَّح الطبري هذا القول[٢].

وقيل: الخطاب للمؤمنين على معنى: ليكن إيمانكم هكذا على الكمال والتوفية بالله تعالى وبمحمد ﷺ وبالقرآن وسائر الكتب المنزلة، ومضمن هذا الأمر الثبوت والدوام.

وقيل: الخطاب للمنافقين؛ أي: يا أيها الذين أظهروا الإيمان بألسنتهم، ليكن[٣] إيمانكم حقيقة على هذه الصورة.

وقرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر: ﴿نُزِّل﴾ بضم النون وكسر الزاي المشددة، على ما لم يسم فاعله، وكذلك قرؤوا: ﴿والكتاب الذي أُنزلَ من قبل﴾ بضم الهمزة وكسر الزاي على ما لم يُسَمَّ فاعله، وقرأ الباقون: ﴿نَزَّلَ﴾ و﴿أَنزَلَ﴾ بفتح النون والزاي وبفتح الهمزة في

---

(١) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ١٨٦).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٣١٢).

(٣) في المطبوع: «لكن»، وهو خطأ.

﴿أَنزَلَ﴾ على إسناد الفعلين إلى الله تعالى، وروي عن عاصم مثل قراءة أبي عمرو[١].

﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ المذكور أولاً هو القرآن، والمذكور ثانياً هو اسم جنس لكل ما نزل من الكتب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ﴾ إلى آخر الآية وعيد وخبر، مضمنه تحذير المؤمنين من حالة الكفر.

واختلف المتأولون في المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾:

فقالت طائفة منهم قتادة وأبو العالية: الآية في اليهود والنصارى، آمنت اليهود بموسى والتوراة ثم كفروا، وآمنت النصارى بعيسى والإنجيل ثم كفروا، ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ، ورجح الطبري هذا القول[٢].

وقال الحسن: الآية في الطائفة من أهل الكتاب التي قالت: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٧][٣].

وقال مجاهد وابن زيد: الآية في المنافقين، فإن منهم من كان يؤمن ثم يكفر، ثم يؤمن ثم يكفر، يتردد في ذلك، فنزلت هذه الآية فيمن ازداد كفراً بأَن تَمَّ على نفاقه حتى مات[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو القول المترجح.

وقول الحسن بن أبي الحسن جيد محتمل، وقول قتادة وأبي العالية ـ وهو الذي رجح الطبري ـ قول ضعيف، تدفعه ألفاظ الآية؛ وذلك أن الآية إنما هي في طائفة يتصف

(١) السبعة في القراءات (ص: ٢٣٩)، والمعتمد: أن عاصماً براوييه يقرأ بالبناء للمعلوم، انظر: التيسير (ص: ٩٨)، والنشر (٢/ ٢٨٦).
(٢) تفسير الطبري (٩/ ٣١٥ و٣١٦).
(٣) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٧٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/ ٢٩٣).
(٤) تفسير الطبري (٩/ ٣١٥ و٣١٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٧٣).

[١/ ٣٥٣] كل واحد منها بهذه الصفة من التردد بين الكفر والإيمان/ ، ثم يزداد كفراً بالموافاة، واليهود والنصارى لم يترتب في واحد منهم إلا إيمان واحد وكفر واحد، وإنما يتخيل فيهم الإيمان والكفر مع تلفيق الطوائف التي لم تتلاحق في زمان واحد، وليس هذا مقصد الآية، وإنما توجد هذه الصفة في شخص شخص في المنافقين؛ لأن الرجل الواحد منهم يؤمن ثم يكفر، ثم يوافي على الكفر، وتأمل قوله تعالى: ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾؛ فإنها عبارة تقتضي أن هؤلاء محتوم عليهم من أول أمرهم، ولذلك ترددوا.

وليست هذه العبارة مثل أن يقول: لا يغفر الله لهم، بل هي أشد، وهي مشيرة إلى استدراج من هذه حاله وإهلاكه، وهي عبارة تقتضي لسامعها أن ينتبه ويراجع قبل نفوذ الحتم عليه، وأن يكون من هؤلاء، وكل من كفر كفراً واحداً ووافى عليه؛ فقد قال الله تعالى: إنه لا يغفر له، ولم يقل: لم يكن الله ليغفر له فتأمل الفرق بين العبارتين؛ فإنه من دقيق غرائب الفصاحة التي في كتاب الله تعالى، كأن قوله: ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ﴾ حكم قد تقرر عليهم في الدنيا وهم أَحياءٌ.

قوله تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾.

في هذه الآية دليلٌ مَّا على أن التي قبلها إنما هي في المنافقين، كما ترجَّح آنفاً، وجاءَت البشارة هنا مصرحاً بقيدها، فلذلك حسن استعمالها في المكروه، ومتى جاءَت مُطْلَقة فإنما عرفها في المحبوب.

ثم نصَّ تعالى من صفة المنافقين على أشدها ضرراً على المؤمنين، وهي موالاتهم الكفار، واطِّراحهم المؤمنين، ونبه على فساد ذلك ليدعه من عسى أن يقع في نوع منه من المؤمنين غفلة أو جهالة أو مسامحة، ثم وقف تعالى على جهة التوبيخ

على مقصدهم في ذلك، أهو[1] طلب العزة والاستكثار بهم؛ أي: ليس الأمر كذلك، بل العزة كلها لله، يؤتيها من يشاء، وقد وعد بها المؤمنين، وجعل العاقبة للمتقين.

و﴿ٱلْعِزَّةَ﴾ أصلها: الشدة والقوة، ومنه الأرض العَزَازُ؛ أي: الصلبة، ومنه عَزَّنِي[2]؛ أي: غلبني بشدته، واستعز المرض إذا قوي، إلى غير هذا من تصاريف اللفظة.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ مخاطبة لجميع من أظهر الإيمان من محقق ومنافق؛ لأنه إذا أظهر الإيمان فقد لزمه أن يمتثل أوامر كتاب الله تعالى، والإشارة بهذه الآية إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨]، إلى نحو هذا من الآيات.

وقرأ جمهور الناس: ﴿نُزِّل عليكم﴾ بضم النون وكسر الزاي المشددة، قال الطبري: وقرأ بعض الكوفيين ﴿نَزَّلَ﴾ بفتح النون والزاي [مشددة[3]، على معنى: نزل الله.

وقرأ أَبو حَيْوة، وحُمَيْد: (نَزَل) بفتح النون والزاي][4] خفيفة.

وقرأ إبراهيم النخعي: (أُنْزِل) بألف على بناء الفعل للمفعول[5].

و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ في هذا الموضع: القرآن.

وفي هذه الآية دليلٌ قوي على وجوب تجنب أهل البدع وأهل المعاصي، وأن لا يجالسوا، وقد روي عن عمر بن عبد العزيز أنه أخذ قوماً يشربون الخمر، فقيل له عن أحد الحاضرين: إنه صائم، فحمل عليه الأدب، وقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾[6].

---

(١) في السليمانية ونور العثمانية: «إذ هو» بدل: «أهو».

(٢) إشارة لقوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾، (سورة ص: ٢٣).

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٣٢٢)، وهي قراءة عاصم كما في التيسير (ص: ٩٨)، وهي قراءة متواترة.

(٤) سقط من الأصل، وسقط كلام الطبري من جار الله.

(٥) انظر القراءتين الشاذتين في البحر المحيط (٤/ ١٠٢)، ولم أجدهما لمن قبل المؤلف.

(٦) تفسير الطبري (٩/ ٣٢١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٠٩٣).

وهذه المماثلة ليست في جميع الصفات، ولكنه إلزام شبَه بحكم الظاهر من المقارنة، وهذا المعنى كقول الشاعر:

[الطويل] عَنِ الْمَرْءِ لا تَسْأَل وَسَلْ عنْ قَرِينِه فكُلُّ قرينٍ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي[1]

ثم توعد تعالى المنافقين والكافرين بجمعهم في جهنم، فتأكد بذلك النهي والحذر من مجالستهم وخلطتهم.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: صفة للمنافقين، و﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾ معناه: ينتظرون دور الدوائر عليكم، فإن كان فتح للمؤمنين ادعوا فيه النصيب بحكم ما يظهرونه من الإيمان، وإن كان للكافرين نيْلٌ من المؤمنين ادعوا فيه النصيب بحكم ما يبطنونه من موالاة الكفار، وهذا حال المنافقين، و﴿نَسْتَحْوِذْ﴾ معناه: نغلب على أمركم، ونحوطكم ونحمي أمركم، ومنه قول العَجَّاج في صفة ثور وبقر:

[الرجز] يَحُوذُهُنَّ وَلَهُ حُوذِيُّ[2] ....

أي: يغلبهن على أمرهن، ويغلب الثيران عليهن، ويروى: يحوزهن بالزاي، ومن اللفظة قول لبيد في صفة عير وأُتُن:

---

(١) البيت لعدي بن زيد كما في تفسير الطبري (٨/ ٣٥٨)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٣٩٤)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٣٠٧).

(٢) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ١٤١)، وتهذيب اللغة (٥/ ١٣٤)، وتفسير الطبري (٩/ ٣٢٦)، وحاذَ إبله: ساقها سوقاً شديداً.

إِذَا اجْتَمَعَتْ وَأَحْوَذَ جَانِبَيْهَا وَأَوْرَدَهَا عَلَى عُوجٍ طِوَالِ[١] [الوافر]

أحوذ جانبيها: قهرها وغلب عليها.

وقوله تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩] معناه: غلب على أمرهم، وشذ هذا الفعل في أن لم تُعَلَّ واوه، بل استعملت على الأصل.

وقرأ أُبيّ بن كعب: (وَمَنَعْنَاكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِين)[٢].

وقرأ ابن أبي عبلة: (ونَمْنَعَكُمْ) بفتح العين[٣] على الصرف.

ثم سلى وآنس المؤمنين بما وعدهم به في قوله: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: وبينهم، وينصفكم من جميعهم، وبقوله: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾.

وقال يُسَيْع[٤] الحَضْرَمي: كنت عند علي بن أبي طالب فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، أرأيت قول الله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ كيف ذلك وهم يقاتلوننا ويظهرون علينا أحياناً؟ فقال علي رضي الله عنه: معنى ذلك: يوم القيامة يوم الحكم[٥].

وبهذا قال جميع أهل التأويل.

---

(١) انظر عزوه له في تفسير الطبري (٩/ ٣٢٦)، والعين (٣/ ٢٨٥)، والجيم (١/ ٢٠٠)، وتهذيب اللغة (٣/ ٣٢).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٩٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٤٤)، والهداية لمكي (٢/ ١٥٠٣).

(٣) وهي قراءة شاذة، تابعه في عزوها له في البحر المحيط (٤/ ١٠٤)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ٣٦) للأخفش عن بعضهم، والكرماني في الشواذ (ص: ١٤٥) لابن عمير واليماني.

(٤) في الحمزوية ونور العثمانية ونجيبويه: «سبيع»، وهو يسيع، ويقال: أسيع بن معدان الحضرمي، الكندي الكوفي، روى عن: علي بن أبي طالب، والنعمان بن بشير، روى عنه: ذر بن عبد الله، قال ابن المديني: معروف، وقال النسائي: ثقة، تهذيب الكمال (٣٢/ ٣٠٦).

(٥) إسناده لا بأس به، أخرجه الطبري (٩/ ٣٢٧) من طرق، أولها: جرير، عن الأعمش، عن ذر، عن يسيع الحضرمي: كنت عند علي بن أبي طالب... والثاني: عبد الرزاق قال: أخبرنا الثوري، عن =

و«السبيل»: الحجة والغلبة، ومخادعة المنافقين هي لأولياء الله تعالى؛ إذ يظنونهم غير أولياء، ففي الكلام حذف مضاف، وإلزام ذنب اقتضته/ أفعالهم، وإن كانت نياتهم لم تقتضه؛ لأنه لا يقصد أحد من البشر مخادعة الله تعالى. [١/ ٣٥٤]

وقوله ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾؛ أي: منزل الخداع بهم، وهذه عبارة عن عقوبة سماها باسم الذنب، فعقوبتهم في الدنيا ذلهم وخوفهم وغم قلوبهم، وفي الآخرة عذاب جهنم.

وقال السدي وابن جريج والحسن وغيرهم من المفسرين: إن هذا الخدْع: هو أن الله تعالى يعطي لهذه الأمة يوم القيامة نوراً لكل إنسان مؤمن أو منافق، فيفرح المنافقون ويظنون أنهم قد نجوا، فإذا جاؤوا إلى الصراط طَفِئَ نور كل منافق، ونهض المؤمنون بذاك، فذلك قول المنافقين: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ [الحديد: ١٣] وذلك هو الخدع الذي يجري على المنافقين[١].

وقرأ مَسلمة بن عبد الله النحوي[٢]: (وَهُوَ خَادِعْهُمْ) بإسكان العين[٣]، وذلك على التخفيف.

ثم ذكر تعالى كسلهم في القيام إلى الصلاة، وتلك حال كل من يعمل العمل كارهاً غير معتقد فيه الصواب تقية أو مصانعة.

وقرأ ابن هُرمز الأعرج: (كَسَالى) بفتح الكاف[٤].

= الأعمش، عن ذر، عن يسيع الكندي قال: جاء رجل إلى علي بن أبي طالب... والثالث: غندر، عن شعبة قال: سمعت سليمان يحدث، عن ذر، عن رجل، عن علي... والرجل هو يسيع كما في روايتي جرير والثوري عن الأعمش، والإسناد لا بأس به، في المطبوع: يكون الحكم، وأشار لها في حاشيته للنسخة الأخرى.

(١) تفسير الطبري (٩/ ٣٢٩-٣٣٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٠٩٥)، والهداية لمكي (٢/ ١٥٠٤).

(٢) مسلمة بن عبد الله بن سعد بن محارب الفهري النحوي قديم العهد، من الطبقة الرابعة، عن أبي الأسود، وكان ابن أبي إسحاق خاله، وكان حماد بن الزبرقان ويونس يفضلانه، وكان مولى لبني محارب، إنباه الرواة (٣/ ٢٦٢).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٤٤).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها له في مختصر الشواذ (ص: ٣٦)، والشواذ للكرماني (ص: ١٤٥).

وقرأ جمهور الناس[(١)]: (يرؤُّن) بهمزة مضمومة مشددة بين الراء والواو دون ألف[(٢)]، وهي على تعدية: (رأى) بالتضعيف، وهي أقوى في المعنى من: ﴿يُرَآءُونَ﴾؛ لأن معناها: يحملون الناس على أن يروهم، ويتظاهرون لهم بالصلاة وهم يبطنون النفاق، وتقليله ذكرهم يحتمل وجهين: قال الحسن: قلَّ؛ لأنه كان لغير الله[(٣)]، فهذا وجه.

والآخر: أنه قليل بالنسبة إلى خوضهم في الباطل وقولهم الزور والكفر.

و﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾ معناه: مضطربين، لا يثبتون على حال، و«التذبذب»: الاضطراب بخجل أو خوف، أو إسراع في مشي ونحوه، ومنه قول النابغة:

.... تَرَى كلَّ ملْـكٍ دُونَها يَتَذَبْذَبُ[(٤)] [الطويل]

ومنه قول الآخر:

خَيالٌ لأُمِّ السَّلْسَبِيل وَدُونَهَا مَسيرَةُ شَهْرٍ لِلْبريدِ الْمُذَبْذبِ[(٥)] [الطويل]

بكسر الذال الثانية، قال أبو الفتح: أي: المهتز القلق الذي لا يثبت ولا يتمهَّل[(٦)].

فهؤلاء المنافقون مترددون بين الكفار والمؤمنين، لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء، كما قال رسول الله ﷺ: «مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين»[(٧)].

---

(١) هكذا في جميع النسخ، ولعله سقط جزء من النص وصوابه: وقرأ جمهور الناس: ﴿يُرَآءُونَ﴾... وقرأ ابن أبي إسحاق...: (يرؤون)... إلخ.

(٢) وهي قراءة شاذة، قرأ بها عبد الله بن أبي إسحاق وأشهب العقيلي انظر: المحتسب لابن جني (١/ ٢٠٢).

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٣٣٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٠٩٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٢٢٢)، والهداية لمكي (٢/ ١٥٠٦)

(٤) البيت للنابغة الذبياني كما تقدم أول الكتاب، في شرح معنى السورة في المقدمات.

(٥) البيت للبعيث بن حريث كما في المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء (ص: ٦٨)، والحماسة بشرح التبريزي (١/ ١٤١).

(٦) المحتسب لابن جني (١/ ٢٠٣).

(٧) أخرجه مسلم (٢٧٨٤) وغيره، وتمامه: «تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة».

فالإشارة بذلك إلى حالي الكفر والإيمان، وأشار إليه وإن لم يتقدم ذكره؛ لظهور تضمن الكلام له، كما جاء ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾ [ص: ٣٢]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].

وقرأ جمهور الناس: ﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾ بفتح الذال الأولى والثانية.

وقرأ ابن عباس وعمرو بن فائد: (مُذَبْذِبينَ) بكسر الذال الثانية[1].

وقرأ أبي بن كعب: (مُتَذَبْذِبينَ) بالتاء وكسر الذال الثانية.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (مَذَبْذَبينَ) بفتح الميم والذالين[2]، وهي قراءة مردودة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ معناه: سبيل هدى ولا رشاد[3].

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾.

خطابه تعالى للمؤمنين[4]، يدخل فيه بحكم الظاهر المنافقون المظهرون للإيمان، ففي اللفظ رفق بهم، وهم المراد بقوله تعالى: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا﴾؛ لأن هذا[5] التوقيف إنما هو لمن ألم بشيء من الفعل المؤدي إلى هذه الحال، والمؤمنون المخلصون ما ألموا قط بشيء من ذلك، ويقوي هذا المنزع قوله تعالى: ﴿مِن

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب لابن جني (١/ ٢٠٣)، ومختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٣٦).
(٢) وهما شاذتان، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٣٦)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٤٥).
(٣) في نجيبويه: «ولا إرشاد».
(٤) ساقط من المطبوع وجار الله.
(٥) «هذا»: زيادة من السليمانية وفيض الله.

﴿دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: والمؤمنون العارفون المخلصون غُيَّب عن هذه الموالاة، وهذا لا يقال للمؤمنين المخلصين، بل المعنى: يا أيها الذين أظهروا الإيمان والتزموا لوازمه.

و«السلطان»: الحجة، وهي لفظة تؤنث وتذكر، والتذكير أشهر، وهي لغة القرآن حيث وقع، والسلطان إذا سمِّي به صاحب الأمر فهو على حذف مضاف، والتقدير: ذو السلطان؛ أي: ذو الحجة على الناس؛ إذ هو مدبرهم، والناظر في منافعهم.

ثم أخبر تعالى عن المنافقين أنهم فِي الدَّركِ الْأَسْفَلِ من نار جهنم، وهي أدراكٌ بعضُها فوق بعض سبعة، طبقة على طبقة، أعلاها هي جهنم، وقد تسمى جميعها باسم الطبقة العليا، فالمنافقون الذين يظهرون الإيمان ويُبطنون الكفر هم في أسفل طبقة من النار؛ لأنهم أسوأ غوائل من الكفار، وأشد تمكناً من أَذى المسلمين.

وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو: ﴿في الدَّرَكِ﴾ مفتوحة الراء.

وقرأ حمزة والكسائي والأعمش ويحيى بن وثاب: ﴿فِي ٱلدَّرْكِ﴾ بسكون الراء، واختلف عن عاصم؛ فروي عنه الفتح والسكون[١].

وهما لغتان، قال أبو علي: كالشَّمَع والشَّمْع ونحوه[٢].

وروي عن أبي هريرة وعبد الله بن مسعود وغيرهما: أنهم قالوا: المنافقون في الدرك الأسفل من النار؛ في توابيت من النار تقفل عليهم[٣].

و«النصير»: بناءُ مبالغة من النصر.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ٩٨)، وليس فيه لعاصم إلا السكون، والوجهان له في السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٣٩)، وانظر موافقة الأعمش وابن وثاب في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٢٤)، وسقط ابن عامر من المطبوع.

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ١٨٨).

(٣) إسناده لين، أخرجه الطبري (٩/ ٣٣٨)، من طريق عاصم، عن ذكوان، عن أبي هريرة، وعاصم هو ابن بهدلة، وهو ضعيف الحفظ، ومن طريق سلمة بن كهيل، عن خيثمة، عن عبد الله، ولم أعرف من خيثمة هذا، ولعله مصحف.

ثم استثنى عز وجل التائبين من المنافقين، ومن شروط التائب: أن يصلح في قوله وفعله، ويعتصم بالله؛ أي يجعله منعته وملجأه، ويخلص دينه لله تعالى، وإلا فليس بتائب.

وقال حذيفة بن اليمان بحضرة عبد الله بن مسعود: والله ليدخلن الجنة قوم كانوا منافقين، فقال له عبد الله بن مسعود: وما علمك بذلك؟ فغضب حذيفة وتنحَّى، فلما تفرقوا مر به علقمة فدعاه، وقال: أما إن صاحبكم يعلم الذي قلت، ثم تلا: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ﴾ الآية[١].

وأخبر تعالى أنهم مع المؤمنين في رحمة الله وفي منازل الجنة، ثم وعد المؤمنين الأجر العظيم.

وحذفت الياء من ﴿يُؤۡتِ﴾ في المصحف تخفيفا، قال الزجّاج: لسكونها وسكون اللام في ﴿ٱللَّهُ﴾ كما حذفت من قوله: ﴿يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ﴾، وكذلك: ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾[٢]، وأمثال هذا كثير.

و«الأجر العظيم»: التخليد في الجنة.

ثم قال تعالى للمنافقين: ﴿بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ﴾ الآية؛ أي: أي منفعة له في / ذلك أو حاجة؟ والشكر على الحقيقة لا يكون إلا مقترنا بالإيمان، لكنه ذكر الإيمان تأكيداً وتنبيهاً على جلالة موقعه. [١/ ٣٥٥]

ثم وعد الله تعالى بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾؛ أي: يتقبل أقل شيء من العمل وينميه، فذلك شكر منه لعباده، والشكور من البهائم: الذي يأكل قليلاً ويظهر به بدنه.

والعرب تقول في مثل: أشكر من بِرْوَقة[٣]؛ لأنها يقال: تخضر وتنضر بظل

---

(١) لا يثبت اتصال الخبر، أخرجه الطبري (٩/ ٣٤٢)، من طريق جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم قال: قال حذيفة، ومغيرة هو ابن مقسم الضبي، كان يدلس، ولا سيما عن إبراهيم، وهو ابن يزيد النخعي، قال أبو داود: أدخل مغيرة بينه وبين إبراهيم قريباً من عشرين رجلاً، وإبراهيم لم يذكر سماعاً.

(٢) (سورة ق: ٤١)، و(سورة العلق: ١٨)، انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٢٥)، وانظر: المقنع للداني (ص: ٤٠).

(٣) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (١/ ٢٢٥): البروق شجرة ضعيفة، وتقول العرب: هو =

السحاب دون مطر، وفي قوله: ﴿عَلِيمًا﴾ تحذير وندب إلى الإخلاص، [والله تعالى أعلم بالصواب][١].

قوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾.

«المحبة» في الشاهد: إرادة يقترن بها استحسان وميلُ اعتقاد، فتكون الأفعال الظاهرة من المحب بحسب ذلك، و﴿ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ لا يكون من الله تعالى فيه شيء من ذلك، إما أنه يريد وقوع الواقع منه ولا يحبه هو في نفسه.

و﴿ٱلْجَهْرَ﴾: كشف الشيء، ومنه الجهرة في قول الله تعالى: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: **١٥٣**]، ومنه قولهم: جُهرت البئر: إذا حُفرت حتى أخرجت ماءها.

واختلف القراء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾: فقرأ جمهور الناس: بضم الظاء وكسر اللام، وقرأ ابن أَبي إِسحاق، وزيد بن أَسلم، والضحاك بن مزاحم، وابن عباس، وابن جبير، وعطاءُ بن السائب، وعبد الأَعلى بن عبد الله بن مسلم بن يسار، [ومسلم بن يسار][٢]، وغيرهم: (إلا من ظلم) بفتح الظاء واللام[٣].

= أشكر من بَرْوَقة»، وذلك أنها إذا غابت السماء اخضرت، ويقال: إنه إذا أصابها المطر الغزير هلكت، وانظر: جمهرة اللغة لابن دريد (١/ ٣٢٢).

(١) زيادة من السليمانية، وما بعد كلام حذيفة إلى هنا متأخر في نور العثمانية عن محله.

(٢) ساقط من نجيبويه، ونور عثمانية، وهو مسلم بن يسار أبو عبد الله البصري الفقيه الزاهد، مولى بني أمية، روى عن: ابن عباس وابن عمر، وأبيه يسار، وعنه: ابن سيرين وغيره، كان ثقة فاضلاً عابداً ورعاً، تاريخ الإسلام (٦/ ٤٧٥)، وحفيده عبد الله لم أجد له ترجمة.

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب لابن جني (١/ ٢٠٣)، وانظر: معاني القرآن للنحاس (٢/ ٢٢٥).

واختلف المتأولون على القراءة بضم الظاء:

فقالت فرقة: المعنى لا يُحب الله أَن يجهر أَحد بالسوءِ من القول ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾، فلا يكره له الجهر به.

ثم اختلفت هذه الفرقة في كيفية الجهر بالسوء [من القول][1]، وما هو المباح من ذلك:

فقال الحسن: هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه، ولكن ليقل: اللهم أعنِّي عليه، اللهم استخرج لي حقي، اللهم حُلْ بيني وبين ما يريد من ظلمي[2].

وقال ابن عباس وغيره: المباحُ لمن ظُلم أَن يدعو على من ظلمه، وإن صبر فهو أحسن له، وقال مجاهد وغيره: هو في الضيف المحول رحله؛ فإنه يجهر للذي لم يكرمه بالسوء من القول، فقد رخص له أن يقول فيه، وفي هذا نزلت الآية، ومقتضاها ذكر الظلم وتبيين الظلامة في ضيافة وغيرها.

وقال ابن عباس والسدي: لا بأس لمن ظلم أن ينتصر ممن ظلمه بمثل ظلمه، ويجهر له بالسوء من القول[3].

قال القاضي رحمه الله: فهذه الأقوال على أربع مراتب:

قول الحسن: دعاء في المدافعة، وتلك أقل منازل السوء من القول.

وقول ابن عباس: الدعاءُ على الظالم بإِطلاق في نوع الدعاءِ.

وقول مجاهد: ذكر الظُّلامة والظلم.

وقول السدي: الانتصار بما يوازي الظلامة[4].

وقال ابن المستنير: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ معناه: إلا من أكره على أن يجهر بسوء من القول كفراً أو نحوه، فذلك مباح، والآية في الإكراه[5].

---

(١) زيادة من السليمانية وفيض الله.

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٣٤٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٠١)، وتفسير السمعاني (١/ ٤٩٦).

(٣) أخرج قولي ابن عباس الطبري (٩/ ٣٤٤)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٤) انظر الأقوال الأربعة في: تفسير الطبري (٩/ ٣٤٤) وما بعدها، والهداية لمكي (٢/ ١٥١١).

(٥) هو قطرب، انظر قوله: في الهداية لمكي (٢/ ١٥١٢).

واختلف المتأولون على القراءة بفتح الظاء واللام:

فقال ابن زيد: المعنى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ في فعل أو قول، فاجْهروا له بالسوءِ من القول؛ في معنى النهي عن فعله والتوبيخ والرد عليه، قال: وذلك أنه لما أخبر الله تعالى عن المنافقين أنهم في الدرك الأسفل من النار؛ كان ذلك جهرا بالسوء من القول، ثم قال لهم بعد ذلك: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ الآية، على معنى التأنيس والاستدعاء إلى الشكر والإيمان.

ثم قال للمؤمنين: لا يحب الله أن يجهر بالسوء من القول إلا لمن ظلم في إقامته على النفاق، فإنه يقال له: ألست المنافق الكافر الذي لك في الآخرة الدرك الأسفل من النار، ونحو هذا من الأقوال[1].

وقال قوم معنى الكلام: لا يحب الله أن يجهر أحد بالسوء من القول، ثم استثنى استثناءً منقطعاً، تقديره: لكن من ظلم فهو يجهر بالسوء وهو ظالم في ذلك، وإعراب ﴿مَن﴾ يحتمل في بعض هذه التأويلات النصب، ويحتمل الرفع على البدل من «أحد» المقدر.

و«سميع عليم»: صفتان لائقتان بالجهر بالسوء وبالظلم أيضاً، فإنه يعلمه ويجازي عليه.

ولما ذكر تعالى عذر المظلوم في أن يجهر بالسوء لظالمه؛ أَتْبع ذلك عرض إِبداءِ الخير وإِخفائه، والعفو عن السُّوءِ، ثم[2] وَعَدَ عليه بقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ وعداً خفياً يقتضيه البلاغة، ورغب في العفو إذ ذكر أنها صفته مع القدرة على الانتقام، ففي هذه الألفاظ اليسيرة معانٍ كثيرة لمن تأملها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ إلى آخر الآية؛ نزل في اليهود والنصارى؛ لأنهم في كفرهم بمحمد ﷺ كأنهم قد كفروا بجميع الرسل، وكفرهم

(١) تفسير الطبري (٩/ ٣٤٨ و٣٤٩)، والهداية لمكي (٢/ ١٥١٢).

(٢) «ثم»: ليست في المطبوع.

بالرسل كفر بالله، وفرقوا بين الله ورسله في أنهم قالوا: نحن نؤمن بالله ولا نؤمن بفلان وفلان من الأنبياء.

وقولهم: ﴿نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ﴾ قيل: معناه من الأنبياء، وقيل: هو تصديق بعضهم لمحمد ﷺ في أنه نبي، لكن ليس إلى بني إسرائيل، ونحو هذا من تفريقاتهم التي كانت تعنُّتاً ورَوَغاناً.

وقوله: ﴿بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: بين الإيمان والإسلام، وبين الكفر الصريح المجْلِح.

ثم أخبر تعالى عنهم أنهم هم الكافرون حقاً؛ لئلا يظن أحد أن ذلك القدر الذي عندهم من الإيمان ينفعهم، وباقي الآية وعيد.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿١٥٣﴾﴾.

لما ذكر الله تعالى أن المفرقين بين الرسل هم الكافرون حقاً؛ عقب ذلك بذكر المؤمنين بالله ورسله جميعاً، وهم المؤمنون بمحمد ﷺ؛ ليصرح بوعد هؤلاء كما صرح بوعيد أولئك، فبين الفرق بين المنزلتين.

وقرأ بعض السبعة: ﴿سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡ﴾ بالياء؛ أي: يؤتيهم الله. [١/ ٣٥٦]

وقرأ الأكثر: ﴿سَوْفَ نُؤْتِيهِم﴾ بالنون، منهم ابن كثير ونافع وأبو عمرو[١].

واختلف المتأولون في كيفية سؤال أهل الكتاب لمحمد ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء:

---

(١) الأولى لحفص عن عاصم، والثانية للباقين، وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٩٨)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٤٠).

فقال السدي: قالت اليهود: يا محمد، إن كنت صادقاً فجِئْ بكتاب من السماء كما جاء موسى بكتاب.

وقال محمد بن كعب القرظي: قد جاءَ موسى بأَلواح فيها التوراة، فجِئْ أنت بألواح فيها كتابك.

وقال قتادة: بل سألوه أن يأتي بكتاب خاص لليهود، يأمرهم فيه بالإيمان بمحمد.

وقال ابن جريج: قالت اليهود: يا محمد، لن نتابعك[١] على ما تدعونا إليه حتى تأتينا بكتاب من عند الله إلى فلان وإلى فلان أنك رسول الله[٢].

قال القاضي أبو محمد: فقول ابن جريج يقتضي أن سؤَالهم كان على نحو سؤال عبد الله بن أبي أمية المخزومي[٣] القرشي.

ثم قال تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ على جهة التسلية لمحمد ﷺ، وعرض الأسوة، وفي الكلام متروك يدل عليه المذكور، تقديره: فلا تبال يا محمد عن سؤالهم وتشَطُّطهم فإنها عادتهم، فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ.

وقرأ جمهور الناس: ﴿أَكْبَرَ﴾ بالباء المنقوطة بواحدة.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (أَكْثر) بالثاء المثلثة[٤].

وجمهور المتأولين على أن: ﴿جَهْرَةً﴾ معمول لـ﴿أَرِنَا﴾؛ أي: حتى نراه جهارا أي: عياناً رؤية منكشفة بينة، وروي عن ابن عباس أنه كان يرى أن ﴿جَهْرَةً﴾ معمول لـ﴿قَالُوٓا۟﴾، أي: قالوا جهْرَةً منهم وتصريحاً[٥]: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ﴾.

---

(١) في فيض الله ونجيبويه: «نبايعك».

(٢) انظر القول الأول والثالث في: تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٠٣)، والثاني والرابع في الهداية لمكي (٢/ ١٥١٤)، والكل في تفسير الطبري (٩/ ٣٥٧)، (٩/ ٣٥٦).

(٣) في السليمانية وفيض الله: «الزهري»، بدل: «المخزومي»، وهو خطأ.

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ١٢١).

(٥) في نجيبويه: «تضرعاً»، وقول ابن عباس لم أجده.

قال القاضي أبو محمد: وأهل السُّنَّة معتقدون أن هؤلاء لم يسألوا محالاً عقلاً، لكنه محال من جهة الشرع، إذ قد أخبر تعالى على ألسنة أنبيائه أَنه لا يُرى في هذه الحياة الدنيا، والرؤية [في الآخرة](١) ثابتة عن النبي ﷺ بالخبر المتواتر(٢).

وهي جائزة عقلاً دون تحديد ولا تكييف ولا تحيز، كما هو تعالى معلوم لا كالمعلومات، كذلك هو مرئي لا كالمرئيات، هذه حجة أهل السنة وقولهم.

ولقد حدثني أبي رضي الله عنه عن أبي عبد الله النحوي(٣): أنه كان يقول عند تدريس هذه المسألة: مثال العلم بالله حَلَقَ لِحَى المعتزلة في إنكارهم الرؤية(٤).

والجملة(٥) التي قالت: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ هي التي مضت مع موسى لحضور المناجاة، وقد تقدم قصصها في (سورة البقرة).

وقرأ جمهور الناس: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وإبراهيم النخعي: (الصَّعْقَة)(٦)، والمعنى يتقارب؛ إذ ذلك كله عبارة عن الوقع الشديد من الصوت يصيب الإنسان بشدته وهو له خمود وركود حواس.

وظُلْمهمْ: هو تَعَنُّتهم وسؤالهم ما ليس لهم أن يسألوه.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾ ترتيب في الإخبار لا في نفس الأمر، التقدير: ثم قد كان من أمرهم أن اتخذوا العجل؛ وذلك أن اتخاذ العجل كان عند أمر المضي

---

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصل.
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٥٤) (٥٧٣) (٤٨٥١) (٧٤٣٤) (٧٤٣٦)، ومسلم (٦٣٣).
(٣) لعله محمد بن خلصة أبو عبد الله النحوي الشذوني، نزيل دانية، كان كفيفاً ذكياً ظريفاً، من كبار النحاة المذكورين، والشعراء المشهورين، أخذ عن أبي الحسن بن سيده، وبرع في اللغة والنحو، بقي إلى بعد سنة (٤٦٨هـ)، تاريخ الإسلام (٣١/ ٣٥٢).
(٤) انظر: الفرق بين الفرق (١/ ٣٢٤).
(٥) في نجيبويه: «الجهلة».
(٦) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ١٤٦).

للمناجاة، فلم يكن الذين صعقوا ممن اتخذوا العجل، لكن الذين اتخذوه كانوا قد جاءتهم البينات في أمر إجازة البحر، وأمر العصا، وغرق فرعون، وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ﴾؛ يعني: بما امتحنهم به من القتل لأنفسهم، ثم وقع العفو عن الباقين منهم.

و«السلطان»: الحجة.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾.

﴿الطُّورَ﴾: الجبل اسم جنس، هذا قول، وقيل: الطُّورُ: كل جبل غير منبت، وبالشام جبل قد عرف بالطور ولزمه الاسم؛ وهو طور سيناء، وليس بالمرفوع على بني إسرائيل؛ لأن رفع الجبل كان فيما يلي فحص التيه من جهة ديار مصر، وهم ناهضون مع موسى عليه السلام، وقد تقدم في سورة البقرة قصص رفع الطور.

وقوله: ﴿بِمِيثَاقِهِمْ﴾؛ أي: بسبب ميثاقهم أن يعطوه في أخذ الكتاب بقوة والعمل بما فيه، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ هو باب بيت المقدس المعروف بباب حطة، أمروا أن يتواضعوا شكراً لله تعالى على الفتح الذي منحهم في تلك البلاد، وأن يدخلوا باب المدينة سجَّداً.

وهذا نوع من سجدة الشكر التي قد فعلها كثير من العلماء[١]، ورويت عن النبي ﷺ[٢]، وإن كان مالك بن أنس رحمه الله لا يراها[٣].

---

(١) منهم الشافعي في: الأم (١/ ٢٥٠-٢٥١)، والإمام أحمد والإمام إسحاق في: مسائل الإمام أحمد وإسحاق برواية الكوسج (٣٢٩٣)، وأبو ثور وغيرهم كما نقل ابن المنذر في: الأوسط (٥/ ٢٩٥).

(٢) روي عن النبي ﷺ من طرق لا تخلو من مقال، وفي الصحاح عن كعب بن مالك أنه سجد لله شكراً لما بشره النبي بتوبة الله عليه، وقصته مشهورة متفق عليها، أخرجها البخاري (٤١٥٦)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٣) انظر ما عزاه لمالك في: المدونة (١/ ١٩١).

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾؛ أي: على الحيتان وفي سائر الأعمال، وهؤلاء كانوا بأيلة من ساحل البحر، فأمروا بالسكون عن كل شغل في يوم السبت، فلم يفعلوا، بل اصطادوا وتصرفوا، وقد تقدم قصص ذلك.

وأخذ الله تعالى منهم الميثاق الغليظ هو على لسان موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء؛ أي: بأنهم يأخذون التوراة بقوة، ويعملون بجميع ما فيها، ويوصلونه إلى أبنائهم، ويؤدون الأمانة فيه.

وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ الآية، إخبار عن أشياء واقعوها هي في الضد مما أمروا، به وذلك أن الميثاق الذي رفع الطور من أجله نقضوه، والإيمان الذي تضمنه: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾؛ إذ ذلك التواضع إنما هو ثمرة الإيمان والإخبات، جعلوا بدله كفرهم بآيات الله، وقولهم: حبة في شعرة، وحنطة في شعيرة، ونحو ذلك مما هو استخفاف بأمر الله وكفر به، وكذلك أمروا بأن لا يعتدوا في السبت، وفي ضمن ذلك الطاعة وسماع الأمر، فجعلوا بدل ذلك الانتهاء إلى انتهاك أعظم حرمة، وهي قتل الأنبياء، وكذلك أخذ الميثاق الغليظ منهم تضمن فهمهم بقدر ما التزموه، فجعلوا بدل ذلك تجاهلهم.

[١/ ٣٥٧] / وقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾؛ أي: هي في حجب وغلف، فهي لا تفهم، وأخبر الله تعالى أن ذلك كله عن طبع منه على قلوبهم، وأنهم كذبة فيما يدعونه من قلة الفهم.

وقرأ نافع: ﴿تَعْدُّوا﴾ بسكون العين وشد الدال المضمومة، وروى عنه ورش: ﴿تَعَدُّوا﴾ بفتح العين وشد الدال المضمومة، وقرأ الباقون: ﴿لَا تَعْدُوا﴾ ساكنة العين خفيفة الدال مضمومة[1]، وقرأ الأعمش والحسن: (لا تعتدوا)[2].

---

(١) السبعة في القراءات (ص: ٢٤٠)، والأولى لقالون كما في التيسير (ص: ٩٨)، وذكر له وجهاً آخر باخفاء حركة العين.

(٢) وهي قراءة شاذة وفي البحر المحيط (٤/ ١٢٢) الأعمش والأخفش، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ١٤٦) لأبي.

وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا﴾: (ما) زائدة مؤكدة، التقدير: فبنقضهم، وحذف جواب هذا الكلام [بليغ مبهم][١]، متروك مع ذهن السامع، تقديره: لعنَّاهم وأذللناهم، وحتمنا على الموافين منهم الخلودَ في جهنم.

ثم قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾؛ أي: في أمر عيسى عليه السلام، ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا﴾؛ يعني: رميهم إياها بالزنا مع رؤيتهم الآية في كلام عيسى في المهد، وإلا فلولا الآية لكانوا في قولهم جارين على حكم البشر في إنكار حمل من غير ذكر.

و«البُهْتان»: مصدر من قولك: بهته، إذا قابله بأمر مبهت يحار معه الذهن، وهو رمي بباطل.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾.

هذه الآية والتي قبلها عدد الله تعالى فيها أقوال بني إسرائيل وأفعالهم على اختلاف الأزمان، وتعاقب القرون، فاجتمع من ذلك توبيخ خلفهم المعاصرين لمحمد ﷺ، وبيان الحجة في أن وجبت لهم اللعنة، وضربت عليهم الذلة والمسكنة.

فهذه الطائفة التي قالت: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ﴾ غير الذين نقضوا الميثاق في الطور، وغير الذين اتخذوا العجل، وقول بني إسرائيل إنما هو إلى قوله: ﴿عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾، وقوله عز وجل: ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ إنما هو إخبار من الله تعالى بصفة لعيسى، وهي الرسالة، على جهة إظهار ذنب هؤلاء المقرين بالقتل، ولزمهم الذنب وهم لم يقتلوا عيسى؛ لأنهم صلبوا ذلك الشخص على أنه عيسى، وعلى أن عيسى كذَّاب ليس برسول الله[٢]، ولكن

(١) سقط من المطبوع لفظ: «مبهم»، وفي الأصل: «منهم»، وفي الحمزوية: «يمنع منهم».
(٢) اسم الجلالة زيادة من السليمانية وفيض الله ونجيبويه، وسقطت: «كذاب» من جار الله.

لزمهم الذنب من حيث اعتقدوا أن قتلهم وقع في عيسى، فكأنهم قتلوه، وإذا كانوا قتلوه فليس يرفع الذنب عنهم اعتقادهم أنه غير رسول، كما أن قريشاً في تكذيبها رسول الله ﷺ لا ينفعهم فيه اعتقادهم أنه كذاب، بل جازاهم الله على حقيقة الأمر في نفسه.

ثم أخبر تعالى أن بني إسرائيل ما قتلوا عيسى، ولا صلبوه، ﴿وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ﴾.

واختلف الرواة في هذه القصة وكيفيتها اختلافاً شديداً أنا أختصر عيونه؛ إذ ليس في جميعه شيء يقطع بصحته؛ لأنه لم يثبت عن النبي ﷺ فيه شيء، وليس لنا متعلق في ترجيح شيء منه إلا ألفاظ كتاب الله:

فالذي لا نشك فيه أن عيسى عليه السلام كان يسيح في الأرض، ويدعو إلى الله، وكانت بنو إسرائيل تطلبه، وملكهم في ذلك الزمان يجعل عليه الجعائل، وكان عيسى قد انضوى[(١)] إليه الحواريون يسيرون معه حيث سار، فلما كان في بعض الأوقات شعر بأمر عيسى، فروي أن أحد الحواريين أُرشي عليه، فقبل الرِّشوة، ودلَّ على مكانه، فأحيط به، ثم ندم ذلك الحواري، وخنق نفسه.

وروي أن رجلاً من اليهود جعل له جعل، فما زال ينقر عنه حتى دل على مكانه، فلما أحس عيسى وأصحابه بتلاحق الطالبين بهم؛ دخلوا بيتا بمرأى من بني إسرائيل، فروي: أنهم عدُّوهم ثلاثة عشر، وروي ثمانية عشر، وحُصروا ليلاً، فروي أن عيسى فرق الحواريين عن نفسه تلك الليلة، ووجَّههم إِلى الآفاق، وبقي هو ورجل معه، فرفع عيسى وأُلقي شبهه على الرجل، فصلب ذلك الرجل، وروي أن الشبه ألقي على اليهودي الذي دل عليه فصلب.

وروي أن عيسى عليه السلام لما أُحيط بهم قال لأصحابه: أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل ويخلص هؤلاء وهو رفيقي في الجنة؟ فقال سرجس: أنا، وألقي عليه شبه عيسى.

---

(١) في السليمانية: «اجتمع»، والمعنى واحد.

ويروى أن شبه عيسى عليه السلام ألقي على الجماعة كلها، فلما أخرجهم بنو إسرائيل نقص واحد من العدة، فأَخذوا واحداً ممن أُلقي(١) عليه الشبه حسب هذه الروايات التي ذكرتها، فصلب ذلك الشخص(٢).

وروي: أن الملك والمتناولين لم يخف عليهم أمر رفع عيسى؛ لما رأوه من نقصان العدة واختلاط الأمر، فصلب ذلك الشخص، وأُبعد الناس عن خشبته أَياماً حتى تغيَّر ولم تثبت له صفة، وحينئذ دنا الناس منه، ومضى الحواريون يحدثون بالآفاق أن عيسى صلب، فهذا أيضاً يدل على أنه فرقهم وهو في البيت، أو على أن الشبه ألقي على الكل.

وروي أن هذه القصة كلها لم يكن فيها إلقاء شبه شخص عيسى على أحد، وإنما المعنى ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾؛ أي: شبه عليهم الملك الممخرق(٣)؛ ليستديم ملكه، وذلك أنه لما نقص واحد من الجماعة، وفقد عيسى؛ عمد إلى أحدهم وبطش بصلبه وفرق الناس عنه، وقال: هذا عيسى قد صلب وانحل أمره.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ يعني: اختلاف المحاولين لأخذه؛ لأنهم حين فقدوا واحداً من العدد، وتحدث برفع عيسى؛ اضطربوا واختلفوا، وعلى رواية من روى أنه ألقي شبهٌ يوشك أنه بقي في ذلك الشبه مواضع للاختلاف، لكن أجمعوا على صلب واحد على غير ثقة ولا يقين أيهم هو(٤).

قال القاضي أبو محمد: فاليقين الذي صحَّ فيه نقل الكافة عن حواسها هو أن شخصاً صُلب، وأما هل هو عيسى أم لا؟ فليس من علم الحواس، فلذلك لم ينفع في ذلك نقل كافة اليهود والنصارى/ . [١/ ٣٥٨]

ونفى الله عنهم أن يكون لهم في أمره علم على ما هو به، ثم استثنى اتباع الظن،

---

(١) في نجيبويه ونور العثمانية وجار الله: «غلب».

(٢) انظر هذه القصة بالمعنى في: تفسير الطبري (٩/ ٣٧٠-٣٧٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١١٠).

(٣) الممخرق: المموه، وهو مستعار من مخاريق الصبيان كما في تاج العروس (٢٦/ ٣٨٠).

(٤) في السليمانية: «أنه»، بدل: «أيهم»، وانظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٦٧).

وهو استثناءٌ متصل؛ إذ الظن والعلم يضمهما[١] جنس أنهما من معتقدات النفس، وقد يقول الظانُّ على طريق التَّجَوُّز: علمي في هذا الأمر أنه كذا، وهو يعني ظَنَّه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ اختلف المتأولون في عود الضمير من: ﴿قَتَلُوهُ﴾:

فقالت فرقة: هو عائد على الظن، كما تقول: قتلت هذا الأمر علماً، فالمعنى: وما صح ظنهم عندهم ولا تَحَقَّقُوهُ يقيناً، هذا قول ابن عباس[٢] والسدي وجماعة[٣].

وقال قوم: الضمير عائد على عيسى، أخبر أنهم لم يقتلوه يقيناً، فيصح لهم الإصفاق، ويثبت نقل كافتهم، ومضمن الكلام: أنهم ما قتلوه في الحقيقة جملة واحدة، لا يقيناً ولا شكاً، لكن لما حصلت في ذلك الدعوى؛ صار قتله عندهم مشكوكاً فيه.

وقال قوم من أهل اللسان: الكلام تام في قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾، و﴿يَقِينًا﴾: مصدر مؤكد للنفي[٤] في قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ المعنى: يخبركم يقيناً، أو يقص عليكم يقيناً، أو أيقنوا بذلك يقيناً.

وقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾؛ يعني: إلى سمائه وكرامته، وعيسى عليه السلام حيٌّ في السماء الثانية على ما تَضَمَّنَهُ حديث الإسراء في ذكر ابني الخالة عيسى ويحيى، ذكره البخاري في حديث المعراج، وذكره غيره[٥]، وهو هناك مقيم حتى ينزله الله لقتل الدجال، وليملأ الأرض عدلاً [كما ملئت جوراً][٦]، ويحيا فيها أربعين سنة، ثم يموت كما يموت البشر[٧].

(١) في الأصل: «يظنهما»، وفي نجيبويه: «ينظمهما».
(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٣٧٧)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.
(٣) تفسير الطبري (٩/ ٣٧٧)، والهداية لمكي (٢/ ١٥١٩).
(٤) في السليمانية وفيض الله: «للمعنى»، بدل: «للنفي».
(٥) رقم (١٦٢).
(٦) زيادة من السليمانية وفيض الله.
(٧) في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد» =

وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾، اختلف المتأولون في معنى الآية:

فقال ابن عباس(١) وأبو مالك والحسن بن أبي الحسن وغيرهم: الضمير في ﴿مَوْتِهِۦ﴾: راجع إلى عيسى(٢)، والمعنى: أنه لا يبقى من أهل الكتاب أحد إذا نزل عيسى إلى الأرض إلا يؤمن بعيسى، كما يؤمن سائر البشر، وترجع الأديان كلها واحداً [إذا نزل عيسى إلى الأرض](٣).

وقال مجاهد وابن عباس أيضاً(٤) وغيرهما: الضمير في: ﴿بِهِۦ﴾ لعيسى وفي: ﴿مَوْتِهِۦ﴾ للكتابي الذي تضمنه قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾، التقدير: وإن من أهل الكتاب أحد، قالوا: وليس يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى روح الله، ويعلم أنه نبي، ولكن عند المعاينة للموت، فهو إيمان لا ينفعه، كما لم ينفع فرعون إيمانه عند المعاينة، وقال هذا القول عكرمة والضحاك والحسن بن أبي الحسن أيضاً(٥).

= أخرجه البخاري (٢٢٢٢) (٢٤٧٦) (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥)، وفي سنن أبي داود (٤٣٢٤) وغيره من طريق قتادة، عن عبد الرحمن بن آدم، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ليس بيني وبينه نبي» ـ يعني: عيسى ـ وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع، إلى الحمرة والبياض، بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون.

وذكر ابن أبي حاتم في المراسيل (٦٣٣) عن أبيه، عن إسحاق بن منصور، عن ابن معين أنه قال: لم يسمع قتادة من عبد الرحمن مولى أم برثن، فعلى هذا يكون الإسناد منقطعاً، لكن صححه الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/ ٤٩٣)، وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٩٨-٩٩): هذا إسناد جيد قوي.

(١) صحيح، أخرجه الطبري (٩/ ٣٨٠)، من طريق سفيان، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وهو مختصر، شرحه المصنف وطوله.

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٣٨٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١١٤)، ومعاني القرآن النحاس (٢/ ٢٣٥)، وتفسير السمعاني (١/ ٥٠٠).

(٣) زيادة من السليمانية وفيض الله.

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٣٨٢)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٥) معاني القرآن للنحاس (٢/ ٢٣٦)، وتفسير السمعاني (١/ ٥٠٠).

وقال عكرمة أيضاً: الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ لمحمد ﷺ، و﴿قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ﴾ للكتابي، قال: وليس يخرج يهودي ولا نصراني من الدنيا حتى يؤمن بمحمد، ولو غرق أو سقط عليه جدارٌ فإنه يؤمن في ذلك الوقت(١).

وفي مصحف أبي بن كعب: (قَبْلَ مَوْتِهِم)(٢) ففي هذه القراءة تقوية لعود الضمير على الكتابي.

وقرأ الفياض بن غزوان: (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكتابِ)، بتشديد (إنّ)(٣).

والضمير المستتر في ﴿يَكُونُ﴾ هو لعيسى عليه السلام في جُلِّ الأقوال، ولمحمد ﷺ في قول عكرمة.

قوله تعالى: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٦١ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٦٢﴾.

قوله تعالى: ﴿فَبِظُلۡمٖ﴾: عطف على قوله: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم﴾ كأنه قال: فبنقضهم لعنَّاهم وأوجبنا عذابهم، فبظلم منهم حرمنا عليهم المطاعم، وجعل الله تعالى هذه العقوبة الدنيوية إزاء ظلم بني إسرائيل في تعنتهم وسائر أخلاقهم الذميمة.

و«الطيبات» هنا: هي الشحوم وبعض الذبائح والطير والحوت وغير ذلك.

وقرأ ابن عباس (طيبات كانت أحلت لهم)(٤).

---

(١) تفسير السمعاني (١/ ٥٠٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٢٣٦).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٨٣)، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (٢/ ١٥٢٥).

(٣) وهي قراءة شاذة، تابعه على عزوها في الدر المصون (٤/ ١٥٠)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ١٤٧) لطلحة.

(٤) وهي قراءة شاذة، انظرها في المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٩٩).

وقوله تعالى: ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ يحتمل أن يريد صدهم في ذاتهم، ويحتمل أن يريد صدهم غيرهم، وإلى هذا ذهب الطبري، وقال: هو جحدهم أمر محمد ﷺ؛ فإنهم صدوا بذلك جمعاً عظيماً من الناس عن سبيل الله[١].

﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: هو الدرهم بالدرهمين إلى أجل ونحو ذلك مما هو مفسدة، وقد نهوا عنه، فشرعوه لأنفسهم، واستمروا عليه من ذلك، ومن كراء العين ونحوه.

و«أكلُ أموال الناس بالباطل»: هو الرِّشى.

ثم استثنى الله تعالى من بني إسرائيل الراسخين في علم التوراة، الذين قد تحققوا أمر محمد ﷺ وعلاماته، وهم: عبد الله بن سلام، ومُخيريق[٢]، ومن جرى مجراهما.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: عطفٌ على «الراسخين».

و(ما أُنزلَ) إلى محمد هو: القرآن، والذي أنزل من قبله: هو التوراة والإنجيل.

واختلف الناس في معنى قوله: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ﴾ وكيف خالف إعرابها إعراب ما تقدم وتأخر، فقال أبان بن عثمان بن عفان[٣] وعائشة رضي الله عنها: ذلك من خطأ كاتب المصحف[٤].

وروي: أنها في مصحف أبيٍّ بن كعب: (والمُقيمونَ).

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٣٩١).

(٢) مخيريق النَّضري الإسرائيلي، من بني النضير، ذكر الواقدي أنه أسلم، واستشهد بأحد، وقال الواقدي والبلاذري: ويقال: إنه من بني قينقاع، ويقال: من بني القطيون، كان عالماً، وكان أوصى بأمواله للنبي ﷺ، وهي سبع حوائط، الإصابة (٦/ ٤٦).

(٣) هو أبان بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، أبو سعيد القرشي الأموي المدني، روى عن: أبيه وعن زيد بن ثابت، وعنه: ابنه عبد الرحمن، والزهري، وكان أحد فقهاء المدينة الثقات، توفي بالمدينة سنة (١٠٥هـ)، تقريباً، تاريخ الإسلام (٧/ ٢٢).

(٤) انظر قول عائشة وقول أبان في المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٢٨)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٤١٤)، والهداية لمكي (٢/ ١٥٢٩).

وقد روي أنها فيه: ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ﴾ كما هي في مصحف عثمان[١].

قال الفراء: وفي مصحف ابن مسعود: (والمُقيمون)[٢]، وكذلك روى عصمة[٣] عن الأعمش، وكذلك قرأ سعيد بن جبير، وكذا قرأ عمرو بن عبيد والجحدري وعيسى ابن عمر ومالك بن دينار، وكذلك روى يونس وهارون عن أبي عمرو[٤].

وقال آخرون: ليس ذلك من خطأ الكاتب، ولا خطأ في المصحف، وإنما هذا من قطع النعوت إذا كثرت على النصب بـ«أعني»، والرفع بعد ذلك بهم، وذهب إلى هذا المعنى[٥] بعض نحويي الكوفة والبصرة، وحكي عن سيبويه: أنه قطع على المدح[٦]، وخبر ﴿لَّٰكِنِ﴾: ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾؛ لأن المدح لا يكون إلا بعد تمام الجملة الأولى.

وهذا كقول خِرْنق بنت هفان[٧]:

[الكامل]

لا يَبْعدنْ قَوْمي الذينَ هُمُ ... سُمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ الجُزْرِ
النَّازِلينَ بِكُلِّ مُعْتَرَكٍ ... والطَّيِّبونَ مَعَاقِدَ الأُزُرِ[٨]

---

(١) عزاها له بالواو في زاد المسير (١/ ٤٩٨)، وبالياء في معاني القرآن (١/ ١٠٦)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٥٠).

(٢) انظر معاني القرآن للفراء (١/ ١٠٦)، وتفسير الطبري (٩/ ٣٩٥)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٨١).

(٣) هو عصمة بن عروة أبو نجيح الفقيمي البصري، روى القراءة عن أبي عمرو وعاصم والأعمش، روى عنه الحروف يعقوب بن إسحاق الحضرمي والعباس بن الفضل، سئل عنه أبو حاتم فقال: مجهول، غاية النهاية (١/ ٥١٢).

(٤) انظر عزوها للجحدري وعيسى وابن دينار في المحتسب (١/ ٢٠٣)، ولابن جبير في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٥٠)، ولعمرو بن عبيد وروايات عصمة ويونس وهارون في البحر المحيط (٤/ ١٣٤).

(٥) في السليمانية وفيض الله ونجيبويه جار الله: «المنحى».

(٦) الكتاب (٢/ ٦٣)، وكتبت في نور العثمانية: «مدح على القطع»، بالقلب.

(٧) وهي من بني سعد بن ضبيعة، رهط الأعشى كما في مجاز القرآن (١/ ٦٥)، وفي أمالي القالي (٢/ ١٥٨): أنها ترثي بها زوجها عمرو بن مرثد، وابنها علقمة بن عمرو، وأخويه حسان، وشرحبيل، وهي أيضاً أخت طرفة، انظر: سمط اللآلي (١/ ٧٨٠).

(٨) انظر عزوهما لها في مجاز القرآن (١/ ١٤٢)، والكتاب لسيبويه (١/ ٢٠٢)، والأصول في النحو (٢/ ٤٠)، والكامل للمبرد (٣/ ٣١).

قال القاضي أبو محمد: وقد فُرِّق بين الآية والبيت بحرف العطف الذي في الآية؛ فإنه يمنع عند بعضهم تقدير الفعل، وفي هذا نظر.

وقال قوم: قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ﴾ ليس بعطف على قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ولكن على ما في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾، والمعنى: ويؤمنون بالمقيمين الصلاة / وهم الملائكة، وقال بعضهم: بل من تقدم من الأنبياء، قالوا: ثم رجع بقوله: [١/ ٣٥٩] ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ﴾ فعطف على قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

وقال قوم: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ﴾ عطف على: ﴿مَآ أُنزِلَ﴾، والمراد بهم المؤمنون بمحمد ﷺ؛ أي: يؤمن الراسخون بهم وبما هم عليه، ويكون قوله: (المُؤْتُون)؛ أي: وهم المؤْتون.

وقال قومٌ: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ﴾: عطف على الضمير في ﴿مِنْهُمْ﴾، وقال آخرون: بل على الكاف في قوله: ﴿مِن قَبْلِكَ﴾ ويعني: الأنبياء.

وقرأت فرقة: ﴿سَنُؤْتِيهِمْ﴾ بالنون، وقرأت فرقة: ﴿سيؤتيهم﴾ بالياء[١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾.

روي عن عبد الله بن عباس: أن سبب هذه الآية أن سُكَيْناً[٢] الحبر وعدي بن زيد قالا: يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر شيئاً بعد موسى، ولا أوحى إليه، فنزلت هذه الآية تكذيباً لقولهما[٣].

---

(١) وهما سبعيتان، الياء لحمزة، والنون للباقين، انظر السبعة في القراءات (ص: ٢٤٠)، والتيسير (ص: ٩٨).

(٢) هو سكين بن أبي سكين، وهو وعدي من بني قينقاع، من أعداء النبي ﷺ، انظر خبرهم في: سيرة ابن هشام (١/ ٥١٤).

(٣) في إسناده من لا يعرف، أخرجه الطبري (٩/ ٤٠٠)، من طريق محمد بن إسحاق قال: حدثني =

وقال محمد بن كعب القرظي: لما أنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ إلى آخر الآيات [النساء: ١٥٣-١٦١]، فتليت عليهم وسمعوا الخبر بأعمالهم الخبيثة، قالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء ولا على موسى ولا على عيسى، وجحدوا جميع ذلك، فأنزل الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١](١).

و«الوحي»: إِلقاءُ المعنى في خفاء، وعرفه في الأنبياء بواسطة جبريل عليه السلام، وذلك هو المراد بقوله: ﴿كَمَآ أَوْحَيْنَآ﴾؛ أي: بملك ينزل من عند الله، ونُوح: أول الرسل في الأرض إِلى أُمة كافرة، وصرف ﴿نُوحٍ﴾ مع العجمة والتعريف؛ لخفته، و﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ عليه السلام هو الخليل، وَ(إِسْماعِيل) ابنه الأكبر، وهو الذبيح في قول المحققين، وهو أبو العرب، وَ(إِسْحاق) ابنه الأصغر، وَيَعْقُوب هو ولد إسحاق، وهو إسرائيل، وَ(الْأَسْباط): بنو يعقوب؛ يوسف وإخوته، وَ(عِيسى) هو المسيح، وَ(أَيُّوب) هو المبتلى الصابر، وَ(يُونُس) هو ابن متى.

وروى ابن جماز(٢) عن نافع: (يونس) بكسر النون(٣)، وقرأ ابن وثّاب، والنَّخَعي بفتحها(٤).

وهي كلها لغات.

وَ(هارُونُ) هو ابن عمران، وَ(سُلَيْمانُ) هو النبي الملك، و﴿دَاوُۥدَ﴾: أبوه.

= محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس به، وفي إسناده محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، لا يعرف، قاله الذهبي، وقال ابن حجر: مجهول.

(١) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٤٠١)، والهداية لمكي (٣/ ٢٠٩٩).

(٢) في نجيبويه: «ابن حبان»، وفي جار الله: «ابن حنان»، وهو سليمان بن مسلم بن جماز، أبو الربيع الزهري مولاهم، المدني، مقرئ جليل ضابط، عرض على أبي جعفر وشيبة، ثم على نافع، وأقرأ بحرف أبي جعفر ونافع، مات بعد (١٧٠هـ)، غاية النهاية (١/ ٣١٥).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظرها في: البحر المحيط (٤/ ١٣٧)، وعزاها في إعراب القرآن (١/ ٢٥٠) للحسن.

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهما في: الشواذ للكرماني (ص: ١٤٧).

وقرأ جمهور الناس: ﴿زَبُورًا ﴾ بفتح الزاي، وهو اسم كتاب داود تخصيصاً، وكل كتاب في اللغة فهو زبورٌ من حيثُ تقول: زبَرْتُ الكتاب: إذا كَتَبْتُه.

وقرأ حمزة وحده: ﴿زُبُوراً﴾ بضم الزاي[١]، قال أبو علي: يحتمل [أن يكون جمع: زبر، أوقع على المزبور اسم الزبر، كما قالوا: ضَرْب الأَمير، ونَسْج اليَمَن، وكما سُمِّي المكتوب كتاباً، ويحتمل][٢] أن يكون جمع: زبور على حذف الزيادة، كما قال: ظريف وظروف[٣]، وَكَرَوَان وكِرْوَان، وَوَرَشان وَوِرْشان، ونحو ذلك مما جمع بحذف الزيادة.

ويقوي هذا الوجه: أن التكسير مثل التصغير، وقد اطرد هذا المعنى في تصغير الترخيم نحو: أزهر وزهير، وحارث وحريث، وثابت وثبيت، فالجمع مثله في القياس وإن كان أقل منه في الاستعمال[٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾ الآية، نصب: ﴿ رُسُلًا ﴾ على المعنى؛ لأن المعنى: إنا أرسلناك كما أرسلنا نوحاً، ويحتمل أن ينصب: ﴿ رُسُلًا ﴾ بفعل مضمر تقديره: أرسلنا رسلاً؛ لأن الرد على اليهود إنما هو في إنكارهم إرسال الرسل [واطراد الوحي][٥].

وفي حرف أبي بن كعب: (وَرُسُلٌ) في الموضعين بالرفع[٦] على تقدير: «هم رُسلٌ»، ﴿قَصَصْنَٰهُمْ ﴾ معناه: ذكرنا أسماءهم وأخبارهم.

وقوله تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ ﴾ يقتضي كثرة الأنبياء دون تحديد بِعَـدَدٍ،

---

(١) فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٩٨).

(٢) ساقط من نور العثمانية.

(٣) في الحمزوية: «ظرف»، وفي حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «طريق وطروق».

(٤) في الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ١٩٣).

(٥) في المطبوع: «والمراد الوحي».

(٦) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الطبري (٩/ ٤٠٣)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٥١)، والكشاف للزمخشري (١/ ٦٢٤).

وقد قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] وقال تعالى: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨] وما يذكر من عدد الأنبياء فغير صحيح، الله أعلم بعدتهم، صلى الله عليهم.

وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ إخبارٌ بخاصة موسى، وأن الله تعالى شرفه بكلامه ثم أكد تعالى الفعل بالمصدر، وذلك منبئ في[1] الأغلب عن تحقيق الفعل ووقوعه، وأنه خارج عن وجوه المجاز والاستعارة، لا يجوز أن تقول العرب:

[الرجز] امتلأ الحَوْضُ وقال قَطْني[2] ....

قولاً، فإنما تؤكد بالمصادر الحقائق.

ومما[3] شذ قول هند بنت النعمان بن بشير[4]:

[الطويل] .... وَعَجَّتْ عَجِيجاً مِنْ جُذَامَ المَطَارِفُ[5]

وكلام الله للنبي موسى عليه السلام دون تكييف ولا تحديد، ولا تجويز حدوث ولا حروف ولا أصوات[6]، والذي عليه الراسخون في العلم: أن الكلام هو المعنى القائم في النفس، ويخلق الله لموسى أو جبريل إدراكاً من جهة السمع يتحصل به الكلام، وكما أن الله تعالى موجود لا كالموجودات، معلوم لا كالمعلومات؛ فكذلك كلامه لا كالكلام.

---

(١) في المطبوع والحمزوية وجار الله ونور العثمانية ونجيبويه: «مبني على».

(٢) لا يعرف قائله، وقد استشهد به الطبري (٢/ ٥٤٦)، والنحاس في معاني القرآن (٦/ ٢٥٠) كما تقدم.

(٣) في السليمانية: «وإنما».

(٤) هي حميدة بنت النعمان بن بشير الأنصاري الصحابي، فهي شاعرة ابنة شاعر، كانت تحت خالد بن المهاجر المخزومي، ثم طلقها، فخلف عليها روح بن زنباع، وفيه تقول هذا البيت، معجم الأدباء (٣/ ١٢٢٧)، وظاهر سمط اللآلي (١/ ١٧٩): أن هنداً لقبها.

(٥) صدره: بكى الخَزُّ من رَوْحٍ وأَنْكَرَ جِلْدَهُ، انظر نسبته لها في: الأغاني (٩/ ٢٦٤)، والمخصص (٥/ ١٥٨)، وبلاغات النساء (ص: ٩٥)، وجمهرة أنساب العرب (١/ ٣٦٤)، وجاء في محاضرات الأدباء (٢/ ٣٧٩) منسوباً للفرزدق بلفظ: بكى الخز من عوفٍ... إلخ.

(٦) تقدم التنبيه على أن الكلام صفة لله تعالى، نؤمن بها على مذهب السلف كما جاءت، دون تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل.

وما روي عن كعب الأحبار وعن محمد بن كعب القرظي ونحوهما: من أن الذي سمع موسى كان كأشد ما يسمع من الصواعق، وفي رواية أخرى: كالرعد الساكن[١]؛ فذلك كله غير مرضيٍّ عند الأصوليين.

وقرأ جمهور الأمة: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ بالرفع في اسم الله.

وقرأ يحيى بن وثاب وإبراهيم النخعي: (وَكَلَّمَ اللهَ) بالنصب[٢]، على أن موسى هو المكلِّم، وهي قراءة ضعيفة من جهة الاشتهار، لكنها مخرجة من عدة تأويلات.

قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾.

﴿رُّسُلًا﴾: بدل من الأول قبل.

و﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾: حالان؛ أي: يبشرون بالجنة من آمن وأطاع، وينذرون بالنار من كفر وعصى، وأراد الله تعالى أن يقطع بالرسل احتجاج من يقول: لو بعث إليَّ رسول لآمنت، والله تعالى عزيز لا يغالبه شيء، ولا حجة لأحد عليه، وهو مع ذلك حكيم تصدر أفعاله عن حكمة، فكذلك قطع الحجة بالرسل / حكمة منه تعالى. [١/ ٣٦٠]

وقوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ الآية، سببها قول اليهود: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]، وقال بعضهم لمحمد ﷺ: ما نعلم يا محمد أن الله أرسل إليك ولا أنزل عليك شيئاً.

---

(١) انظر قوليهما في تفسير الطبري (٩/ ٤٠٤و٤٠٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٥٨).
(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب لابن جني (١/ ٢٠٤)، ومختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص: ٣٦).

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي والجراح الحكمي: (لكنَّ اللهَ يشهد) بشد النون ونصب المكتوبة[١] على اسم (لكن).

وقوله تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾ هذه الآية من أقوى متعلقات أهل السنة في إثبات علم الله تعالى، خلافاً للمعتزلة في أنهم يقولون: عالم بلا علم، والمعنى عند أهل السنة: أنزله وهو يعلم إنزاله ونزوله، ومذهب المعتزلة في هذه الآية: أنه أنزله مقترناً بعلمه؛ أي: فيه علمه من غيوب وأوامر ونحو ذلك[٢]، فالعلم عبارة عن المعلومات التي في القرآن، كما هو في قول الخضر: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا ما نقص هذا العصفور من هذا البحر[٣]، معناه: من علم الله الذي بث في عباده.

وقرأ الجمهور: ﴿بِمَآ أَنزَلَ﴾ على بناء الفعل للفاعل.

وقرأ الحسن: (أُنزِل) بضم الهمزة على بنائه للمفعول[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَ﴾ تقوية لأمر محمد ﷺ، ورد على اليهود، قال قتادة: شهودٌ ـ والله ـ غيرُ متهمة[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ تقديره: وكفى الله شهيداً، لكن دخلت الباء لتدل على أن المراد: اكتفوا بالله.

ثم أخبر تعالى عن الكافرين الذين يصدون عن سبيل الله أنهم قد بعدوا عن الحق، وضَلُّوا ضَلالًا[٦] لا يقرب رجوعهم عنه، ولا تخلصهم معه.

---

(١) وهي اسم الجلالة، والقراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٣٦)، والشواذ للكرماني (ص: ١٤٧).
(٢) انظر ما عزاه لأهل السنة والمعتزلة في: شرح المقاصد في علم الكلام (٢/ ٧٥).
(٣) أخرجه البخاري (١٢٢) (٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠).
(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٣٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٤٨).
(٥) تفسير الطبري (٩/ ٤١٠).
(٦) زاد في المطبوع: «بعيداً».

وقرأ عكرمة وابن هُرمز: (وصُدُّوا)، بضم الصاد[١].

ثم أخبر تعالى عن الكافرين الظالمين في أن وضعوا الشيء في غير موضعه، وهو الكفر بالله، والله تعالى يستوجب منهم غير ذلك؛ لنعمه الظاهرة والباطنة أنهم بحيث لم يكن تعالى ليغفر لهم، وهذه العبارة أقوى من الإخبار المجرد بأنه لا يغفر، ومثال ذلك أنك إذا قلت: أنا لا أبيع هذا الشيء؛ فهم منك الاغتباط به، فإذا قلت: أنا ما كنت لأبيع هذا الشيء، فالاغتباط منك أكثر، هذا هو المفهوم من هذه العبارة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ هذه هداية الطرق، وليست بالإرشاد على الإطلاق.

وباقي الآية بيِّن يتضمن تحقير أمر الكفار، وأنهم لا يباليهم الله بالةً، كما ورد في الحديث، «يذهب الصالحون الأول فالأول، وتبقى حثالة كحثالة التمر والشعير لا يباليهم الله بالةً»[٢]، المعنى: إذ هم كفارٌ في آخر الزمان، وعليهم تقوم الساعة.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾.

المخاطبة بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ مخاطبة لجميع الناس، والسورة مدنية، فهذا مما خوطب به جميع الناس بعد الهجرة؛ لأن الآية دعاء إلى الشرع، ولو كانت في أمر من أوامر الأحكام ونحوها لكانت: يا أيها الذين آمنوا.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهما في: الشواذ للكرماني (ص: ١٤٨)، وزاد: أبا واقد.

(٢) البخاري (٦٤٣٤) بلفظ: «يذهب الصالحون الأول فالأول، ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر، لا يباليهم الله بالة»، قال البخاري: يقال: حفالة وحثالة.

و﴿ٱلرَّسُولُ﴾ في هذه الآية: محمد ﷺ، و«الحقّ»: هو شَرْعُهُ.

وقوله تعالى: ﴿خَيۡرٗا لَّكُمۡ﴾: منصوب [بفعل مضمر تقديره: إيتوا خيراً لكم، أو: حوزوا خيراً لكم][١].

وقوله: ﴿فَـَٔامِنُواْ﴾، وقوله: ﴿ٱنتَهُواْ﴾ بعد ذلك؛ أمر بترك الشيء والدخول في غيره، فلذلك حسنت صفة التفضيل التي هي «خير»، هذا مذهب سيبويه في نصب «خير»[٢]، ونظيره من الشعر قول عمر بن أبي ربيعة:

[السريع] فَوَاعِدِيهِ سَرْحَتَيْ مَالِكٍ أَوِ الرُّبَى بَيْنَهُمَا أَسْهَلا[٣]

أي: يأت أسهل.

وقال أبو عبيدة: التقدير: يكن الإيمان خيراً، والانتهاءُ خيراً[٤]، فنصبه على خبر «كان».

وقال الفراء: التقدير: فآمنوا إيماناً خيراً لكم[٥]، فنصبه على النعت لمصدر محذوف.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وهذا خبر بالاستغناء، وأن ضرر الكفر إنما هو نازل بهم، ولله تعالى العلم والحكمة.

ثم خاطب تعالى أهل الكتاب من النصارى بأن يدَعوا الغلو، وهو تجاوز الحد، ومنه غلاء السعر، ومنه غلوة السهم[٦].

---

(١) ساقط من نور العثمانية، وفي السليمانية: «آمنوا»، بدل: «إيتوا».
(٢) الكتاب لسيبويه (١/ ٢٨٢).
(٣) عزاه له في الكتاب لسيبويه (١/ ٢٨٢)، وتفسير الطبري (٩/ ٤١٤)، والأغاني (٩/ ٢٨٧)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٣٤)، مع اختلاف في الألفاظ، والسرحة: الشجرة، وسَرحَتا مالك: موضع بعينه، اشتهر بشجرتين نسبتا لصاحبهما.
(٤) مجاز القرآن (١/ ١٤٣).
(٥) معاني القرآن للفراء (١/ ٢٩٥).
(٦) وهي مدى رميته، انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه (١/ ١٣١).

وقوله تعالى: ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ إنما معناه: في الدين الذي أنتم مطلوبون به، فكأنه اسم جنس، وأضافه إليهم بياناً أنهم مأخوذون به، وليست الإشارة إلى دينهم المضلل، ولا[١] أمروا بالثبوت عليه دون غلو، وإنما أمروا بترك الغلو في دين الله على الإطلاق، وأَن يُوَحِّدُوا ولا يقولوا على الله إلا الحق، وإذا سلكوا ما أمروا به، فذلك سائقهم إلى الإسلام.

ثم بين تعالى أمر المسيح، وأنه: ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥ﴾؛ أي: مُكَوَّن عن كلمته التي هي: كن، وقوله: ﴿أَلْقَىٰهَآ﴾: عبارة عن إيجاد هذا الحادث في مريم.

وقال الطبري: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ﴾؛ يريد؛ البشارة التي بعث الملَك بها إليها[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾؛ أي: من جملة مخلوقاته، فـ(من) لابتداء الغاية إذا حقق النظر فيها، وقال الطبري: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾؛ أي: نفخة منه؛ إذ هي من جبريل بأمره، وأنشد قول ذي الرمة:

فَقُلْتُ له اضْمُمْهَا إِلَيْكَ وَأَحْيِهَا ... بِرُوحِكَ وَاقْتَتْهُ لها قِيتَةً قَدْرا[٣] [الطويل]

يصف سقط النار.

وقال أبيٌّ بن كعب: روح عيسى من أرواح الله التي خلقها واستنطقها بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فبعثه الله إلى مريم فدخل فيها، ثم أمرهم بالإيمان بالله ورسله؛ أي: الذين من جملتهم عيسى ومحمد عليهما السلام[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ﴾ المعنى: الله ثالث ثلاثة، [فحذف الابتداء والمضاف، كذا قدر أبو علي، ويحتمل أن يكون المقدر: المعبود ثلاثة][٥]، أو الإله

---

(١) في نور العثمانية: «وإلا».

(٢) انظر كلام الطبري السابق واللاحق في: تفسيره (٩/ ٤١٨).

(٣) انظر عزوه له في: تفسير الطبري (٩/ ٤٢١)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٤١٩)، والزاهر (٢/ ٣٧٦)، ومعجم ديوان الأدب (٣/ ٣١٣).

(٤) تفسير الطبري (٩/ ٤٢١ و٤٢٢).

(٥) ساقط من جار الله.

ثلاثة، أو الآلهة ثلاثة، أو الأقانيم ثلاثة، وكيف ما تشعب اختلاف عبارات النصارى؛ فإنه يختلف بحسب ذلك التقدير، وقد تقدم القول في معنى: ﴿ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ [١/ ٣٦١] فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ...﴾.

﴿إِنَّمَا﴾ في هذه الآية: حاصرة، اقتضى ذلك العقل[١] في المعنى المتكلم فيه، وليست صيغة ﴿إِنَّمَا﴾ تقتضي الحصر، ولكنها تصلح للحصر وللمبالغة في الصفة وإن لم يكن حصر، نحو: إنما الشجاع عنترة، وغير ذلك.

و﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ معناه: تنزيهاً له وتعظيماً عن أن يكون له ولد، كما تزعمون أنتم أيها النصارى في أمر عيسى؛ إذ نقلتم أبوة الحنان والرأفة إلى أبوة النسل.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن (إِنْ يكُون لَهُ وَلَدٌ) بكسر الألف من (إن)[٢]، وهي نافية بمعنى: ما يكون له ولد.

وقوله تعالى: ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية: إخبار يستغرق عبودية عيسى وغير ذلك من الأمور.

ثم برأ تعالى جهة المسيح عليه السلام من أقوالهم، وخلصه للذي [يليق به][٣] فقال: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ [ٱلْمَسِيحُ]﴾ الآية، والاستنكاف: إِبايةٌ بِأَنَفَةٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ زيادة في الحجة، وتقريب من الأذهان؛ أي: ولا هؤلاء الذين هم في أعلى درجات المخلوقين، لا يستنكفون عن ذلك، فكيف سواهم؟

---

(١) في جار الله ونور العثمانية ونجيبويه: «الفعل».
(٢) وهي قراءة شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٣٦)، والمحتسب لابن جني (١/ ٢٠٤).
(٣) في الحمزوية: «يدين به».

وفي هذه الآية الدليل الواضح على تفضيل الملائكة على الأنبياء، ثم أخبر تعالى عمن يستنكف][1]؛ أي: يأنف عن عبادة الله ويستكبر، بأنه سيناله الحشر يوم القيامة والرد إلى الله، وقوله: ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ﴾: عبارة وعيد.

وقرأ جمهور الناس: ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ﴾ بالياء.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (فَسَنَحْشُرُهُمْ) بنون الجماعة، (فَنُوَفِّيهِمْ)، (ونَزِيدُهُمْ)، (فَنُعَذِّبُهُمْ)، كلها بالنون[2].

قال أبو الفتح: وقرأ مسلمة: (فَسَيَحْشُرْهُمْ فَيُعَذِّبْهُم) بسكون الراء والباء على التخفيف[3].

وبيَّن الله تعالى أمر المحشورين، فأخبر عن المؤمنين العاملين بالصالحات، أنه يوفيهم أجورهم حتى لا يبخس أحد قليلاً ولا كثيراً، وأنه يزيدهم من فضله، وتحتمل هذه الزيادة أن تكون المخبر عنها[4] في أن [الحسنة بعشر][5] إلى سبع مئة ضعف، ويحتمل أن يكون التضعيف الذي هو غير مُصَرَّدٍ[6] مَحْسوب، وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

قوله تعالى: ﴿...وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾.

---

(١) ما بين معقوفتين ساقط من نور العثمانية.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب لابن جني (١/ ٢٠٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٤٨).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب لابن جني (١/ ٢٠٤).

(٤) في السليمانية وفيض الله: «بها»، بدل: «عنها».

(٥) في الأصل: «أن العشرة بعشرة».

(٦) في السليمانية: «محدد»، والمصرد: القليل.

هذا وعيد للمستنكفين الذين يَدَعُونَ عبادة اللَّهِ أَنَفَةً وتكبراً، وهذا الاستنكاف إنما يكون من الكفار عن اتباع الأنبياء وما جرى مجراه، كفعل حيي بن أخطب وأَخيه أَبي ياسر بمحمد ﷺ، وكفعل أبي جهل وغيره، وإلا فإذا فرضت أحداً من البشر عرف الله تعالى؛ فمحال أن تجده يكفر به تكبراً عليه، والعناد المجوز إنما يسوق إليه الاستكبار على البشر، ومع تقارب المنازل في ظن المتكبر.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ الآية، إشارة إلى محمد رسول الله ﷺ، و«البرهان»: الحُجَّةُ النَّيِّـرَةُ الواضحة التي تعطي اليقين التام، والمعنى: قد جاءكم مقترناً بمحمد برهان من الله تعالى على صحة ما يدعوكم إليه، وفساد ما أنتم عليه من النِّحَل[1].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾؛ يعني: القرآن فيه بيان كل شيء، وهو الواعظ الزاجر، الناهي الآمر.

ثم وعد تعالى المؤمنين بالله، المعتصمين به، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يحتمل أن يعود على الله تعالى، ويحتمل أن يعود على القرآن الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿نُورٗا مُّبِينٗا﴾ و«الاعتصام به»: التمسك بسببه وطلب النجاة والمنعة به، فهو يعصم كما تعصم المعاقل، وهذا قد فسره قول النبي ﷺ: «القرآن حبل الله المتين، من تمسك به عُصم»[2].

---

(١) في نجيبويه ونور العثمانية: «من البخل».

(٢) الموقوف أشبه، على ضعفه، رواه إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، والهجري ضعيف، وقد اختلف عليه في رفعه ووقفه، ولفظه: «إن هذا القرآن حبل الله والنور والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به»، وقد أخرجه محمد بن نصر في قيام الليل (٧٢)، والحاكم (١/ ٥٥٥)، وابن حبان في المجروحين (١/ ١٠٠)، من طرق، عن إبراهيم بن مسلم الهجري، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود مرفوعاً.
وقد رواه عن إبراهيم هكذا مرفوعاً جماعة، منهم ابن فضيل وأبو معاوية وابن الأجلح وصالح بن عمر، وخالفهم ابن عيينة وجعفر بن عون، فرويا الحديث عن إبراهيم الهجري بسنده، لكن أوقفاه، أخرجه الطبراني في الكبير (ج ٩/ رقم ٨٦٤٦)، من طريق عبد الرزاق، وهذا في مصنفه =

و«الرحمة» و«الفضل»: الجنة وتنعيمها، ﴿وَيَهْدِيهِمْ﴾، معناه: إلى الفضل، وهذه هداية طريق الجنان، كما قال تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٥]؛ لأن هداية الإرشاد قد تقدمت وتحصلت حين آمنوا بالله واعتصموا بكتابه.

و﴿صِرَاطًا﴾ نصب[١] بإضمار فعل يدل عليه: (يهديهم)، تقديره: فيعرفهم، [ويحتمل أن ينتصب كالمفعول الثاني؛ إذ (يهديهم) في معنى: يعرفهم][٢]، ويحتمل أن ينتصب على ظرفية «ما»، ويحتمل أن يكون حالاً من الضمير في: ﴿إِلَيْهِ﴾، وقيل: من فضل.

و«الصراط»: الطريق، وقد تقدم تفسيره غير مرة.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧٦)﴾.

تقدم القول في تفسير: ﴿الْكَلَالَةِ﴾ في صدر السورة، وأن المترجح أنها الوراثة التي خلت من أب وابن وابنة ولم يكن فيها عمود نسب لا عال ولا سافل، وبقي فيها من يتكَلَّل؛ أي: يحيط من الجوانب كما يصنع[٣] الإكليل.

وكان أمر الكلالة عند عمر بن الخطاب مشكلاً، فقال: ما راجعْتُ رسول الله ﷺ في شيء مراجعتي إياه في الكلالة، ولوددت أن رسول الله ﷺ لم يمت حتى يبينها[٤].

= (٣/ ٣٧٥)، والدارمي (٢/ ٥٢٣)، والشجري في الأمالي (١/ ٨٤)، والاختلاف في الرفع والوقف إنما هو من إبراهيم الهجري، قال الحافظ: لين الحديث رفع موقوفات، والموقوف أشبه، وأما قول الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه؛ فرده الذهبي بقوله: إبراهيم بن مسلم ضعيف.

(١) في الأصل: «نعت».

(٢) سقط من نور العثمانية.

(٣) في المطبوع: «يحيط».

(٤) صحيح مسلم (٥٦٧).

وقال على المنبر: ثلاث لو بينها رسول الله كان أحب إليّ من الدنيا: الجدُّ، والكلالة، والخلافة، وأبواب من الربا[(١)].

وروي عنه رضي الله عنه أنه كتب فيها كتاباً، فمكث يستخير الله فيه ويقول: اللهم إن علمت فيه خيراً فأمضه، فلما طعن دعا بالكتاب فمحي، فلم يدر أحد ما كان فيه[(٢)].

[١/ ٣٦٢] وروى الأعمش عن إبراهيم وسائر شيوخه[(٣)] / قال: ذكروا أن عمر رضي الله عنه قال: لأن أكون أعلم الكلالة أحب إليّ من جزية قصور الشام[(٤)].

وقال طارق بن شهاب: أخذ عمر بن الخطاب كتفاً وجمع أصحاب النبي ﷺ ثم قال: لأقضين في الكلالة قضاء تَحَدَّثُ به النساء في خدورها، فخرجت عليهم حية من البيت فتفرقوا، فقال عمر: لو أراد الله أن يتم هذا الأمر لأَتَمَّه[(٥)].

وقال معدان بن أبي طلحة[(٦)]: خطب عمر بالناس يوم الجمعة فقال: إني والله ما أدع بعدي شيئاً هو أَهم إِليَّ من أمر الكلالة، وقد سألت عنها رسول الله ﷺ، فما

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٥٨٨)، ومسلم (٣٠٣٢).

(٢) لا يثبت اتصاله، أخرجه عبد الرزاق (١٠/ ٣٠١)، والطبري (٩/ ٤٣٨)، من طريق معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب: أن عمر كتب كتاباً، وعمر قد توفي ولسعيد ثماني سنوات على الراجح.

(٣) في الأصل ونور العثمانية: «شيوخ».

(٤) في إسناده إبهام، أخرجه الطبري (٩/ ٤٣٩)، من طريق عثام قال: حدثنا الأعمش قال: سمعتهم يذكرون، ولا أرى إبراهيم إلا فيهم، عن عمر قال: لأن أكون أعلم الكلالة، أحب إلي من أن يكون لي مثل جزية قصور الروم، ولم يُسم الأعمش من سمعه، إلا النخعي فقد ظنه ظنّاً.

(٥) رجاله ثقات، أخرجه الطبري في الموضع السابق من طريق عثام قال: حدثنا الأعمش، عن قيس ابن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: أخذ عمر كتفاً...! وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤٨٦)، ثم قال: وهذا إسناد صحيح.

(٦) معدان بن أبي طلحة اليعمري الشامي، وثقه العجلي وغيره، روى عن: عمر، وأبي الدرداء، وعنه: الوليد بن هشام المعيطي، والسائب بن حبيش الكلاعي، وسالم بن أبي الجعد، وغيرهم، ذكره أبو زرعة في الطبقة التي تلي الصحابة، تاريخ الإسلام (٥/ ٥٢٨).

أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيها، حتى طعن في نحري، وقال: «تكفيك آية الصيف التي أنزلت في آخر سورة النساء، فإن أَعِشْ فسأَقضي فيها بقضية لا يختلف معها اثنان مِمَّنْ يقرأُ القرآن»(١).

وسئل عقبة بن عامر عن الكلالة فقال: ألا تعجبون لهذا يسألني عن الكلالة؟ وما أعضل بأصحاب رسول الله ﷺ شيء ما أعضلت بهم الكلالة(٢).

قال القاضي أبو محمد: فظاهر كلام عمر رضي الله عنه أن آية الصيف هي هذه، وروى أبو سلمة عن النبي ﷺ أنه سئل عن الكلالة فقال: «ألم تسمع الآية التي أنزلت في الصيف: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾» إلى آخر الآية [النساء: ١٢](٣).

قال القاضي أبو محمد: هذا هو الظاهر؛ لأن البراء بن عازب قال: آخر آية أنزلت على النبي ﷺ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾(٤)، وقال كثير من الصحابة: هي من آخر ما نزل.

---

(١) رجاله ثقات، أخرجه الطبري (٩/ ٤٤١)، من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة.

(٢) إسناده مستقيم، أخرجه الطبري (٩/ ٤٤٢)، من طريق إسحاق بن عيسى قال: حدثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير: أن رجلاً سأل عقبة، بهذا اللفظ.
وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٤٠٣)، والدارمي (٢/ ٤٦٢)، من طريق سعيد بن أبي أيوب قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عقبة بن عامر الجهني أنه قال: ما أعضل... وهذا أصح إسناداً من رواية ابن لهيعة.

(٣) منقطع، أخرجه الطبري (٩/ ٤٤٢)، من طريق زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق السبيعي، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وحديث أبي إسحاق عن أبي سلمة منقطع، وليس بمعروف، قاله البيهقي (٦/ ٢٢٤) عقب هذا الأثر.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤١٠٦)، ومسلم (١٦١٨)، من حديث أبي إسحاق، عن البراء بن عازب.

وقال جابر بن عبد الله: نزلت بسببي؛ عادني رسول الله ﷺ وأنا مريض، فقلت: يا رسول الله: كيف أقضي في مالي وكان لي تسع أخوات، ولم يكن لي والد ولا ولد؟ فنزلت الآية(١).

قال القاضي أبو محمد: وقول رسول الله ﷺ: «تكفيك منها آية الصيف» بيان فيه كفاية وجلاء، ولا أدري ما الذي أشكل منها على الفاروق رضي الله عنه؟ اللهم(٢) إلا أن تكون دلالة اللفظ لم تطرد له، أن كان استعمال قريش لها قليلاً، ولا محالة أن دلالة اللفظة اضطربت على كثير من الناس، ولذلك قال بعضهم: ﴿ٱلْكَلَٰلَةِ﴾: الميت نفسه، وقال آخرون: ﴿ٱلْكَلَٰلَةِ﴾: المال، إلى غير ذلك من الخلاف.

وإذا لم يكن في الفريضة والد ولا ولد، وترك الميت أختاً، فلها النصف فرضاً مسمى بهذه الآية، فإن ترك الميت بنتاً وأختاً؛ فللبنت النصف، وللأخت النصف بالتعصيب لا بالفرض المسمى، ولعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس في هذه المسألة خلاف للناس(٣).

وذكر عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال في خطبته: ألا إن آية أول سورة النساء أنزلها الله في الولد والوالد، والآية الثانية أنزلها الله في الزوج والزوجة والإخوة من الأم، والآية التي ختم بها سورة النساء أنزلها في الإخوة والأخوات من الأب والأم، والآية التي ختم بها سورة الأنفال، أنزلها الله في أولي الأرحام(٤).

وقرأ ابن أبي عبلة: (فإن للذكر مثل حظ)(٥).

---

(١) صحيح، أخرجه الطبري (٩/ ٤٣١ ٤٣٢)، من طريق أبي الزبير وابن المنكدر مفرقين عن جابر، بنحوه.
(٢) ليست في المطبوع، وهي في نجيبويه ملحقة في الهامش.
(٣) تفسير الطبري (٩/ ٤٤٣).
(٤) منقطع، أخرجه الطبري (٩/ ٤٣١)، عن قتادة قال: وذكر لنا أبا بكر الصديق قال في خطبته...
(٥) البحر المحيط (٤/ ١٥٢)، ولم أجدها لغيرهما، وهي تخالف مصحف المسلمين.

وقوله تعالى: ﴿أَن تَضِلُّواْ﴾ معناه: كراهيةَ أن تضلوا، وحذر أن تضلوا، فالتقدير: لئلا تضلوا، ومنه قول القَطامي في صفة ناقة:

رَأَيْنَا ما يَرَى البُصَرَاءُ مِنْهَا ... فَآلَيْنَا عَلَيْهَا أَنْ تُبَاعَا[١] [الوافر]

وكان عمر رضي الله عنه إذا قرأ: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ﴾؛ قال: اللهم من بينت له في الكلالة، فلم تتبين لي[٢].

(١) انظر عزوه له في معاني القرآن للفراء (١/ ٢٩٧)، وتفسير الطبري (٩/ ٤٤٦).

(٢) منقطع، أخرجه عبد الرزاق (١٠/ ٣٠٤)، ومن طريقه: الطبري (٩/ ٤٤٥)، عن معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين قال: كان عمر إذا قرأ... وعند الطبري طريق آخر، عن معمر، وابن سيرين لم يدرك عمر، وفي الأصل: «فلم يبين لي».

سُورَةُ المَائِدَةِ

/ هذه السورة مدنية بإجماع، وروي أنها نزلت عند منصرَف رسول الله ﷺ من الحديبية. [٢/ ١]

وذكر النقاش عن أبي سلمة أنه قال: لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية قال: «يا عليُّ، أشَعَرت أنه نزلت علي سورة المائدة، ونِعْمت الفائدة»[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا عندي لا يشبه كلام النبي ﷺ، ومن هذه السورة ما نزل في حجة الوداع، ومنها ما نزل عام الفتح، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ [المائدة: ٢] الآية، وكل ما نزل من القرآن بعد هجرة النبي ﷺ فهو مدني، سواء نزل بالمدينة، أو في سفر من أسفار النبي ﷺ، أو بمكة، وإنما يرسم بالمكي ما نزل قبل الهجرة.

وروي أن النبي ﷺ قال: «سورة المائدة تدعى في ملكوت الله المنقذة[٢]، تُنقذ صاحبها من أيدي ملائكة العذاب»[٣].

قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا

---

(١) لا أصل له، ذكره الديلمي في مسند الفردوس (٣٤٩٩)، من حديث عمرو بن جرير الأسدي بلا إسناد، وقال أبو بكر ابن العربي: إن هذا اللفظ لم يرد، نقله عنه القاسمي في قواعد التحديث (ص: ١٤٧). وانظر: تفسير القرطبي (٦/ ٣٠).

(٢) في فيض الله: «المبعثرة».

(٣) لم أقف عليه مسنداً، وقد كثر ذكر المفسرين له في كتبهم.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗا ...﴾.

قال علقمة: كل ما في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فهو مدني[١].

وقد تقدم القول في مثل هذا.

ويقال: «وفى» و«أوفى» بمعنى واحد، وأمر الله تعالى المؤمنين عامة بالوفاء بالعقود، وهي الربوط في القول كان ذلك في تعاهد على بِرٍّ أو في عقدة نكاح أو بيع أو غيره.

ولفظ «المؤمنين» يعم مؤمني أهل الكتاب، إذ بينهم وبين الله عقد[٢] في أداء الأمانة فيما في كتابهم من أمر محمد ﷺ.

ولفظ «العقود» يعم عقود الجاهلية المبنية على بر مثل دفع الظلم ونحوه، وأما في سائر تعاقدهم على الظلم والغارات فقد هدمه الإسلام، فإنما معنى الآية أمر جميع المؤمنين بالوفاءِ على عقْدٍ جارٍ على رسم الشريعة.

وفسر الناس لفظ (العقود) بالعهود، وذكر بعضهم من العقود أشياء على جهة المثال:

فمن ذلك قول قتادة: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ معناه: بعهد الجاهلية، روي لنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أوفوا بعقد الجاهلية ولا تُحدثوا عقداً في الإسلام»[٣].

قال القاضي أبو محمد: وفقه هذا الحديث: أن عقد الجاهلية كان يخص المتعاقدين، إذ كان الجمهور على ظلم وضلال، والإسلام قد ربط الجميع وجعل المؤْمنين إِخوةً فالذي يريد أن يختص به المتعاقدان قد ربطهما إليه الشرع مع غيرهم من المسلمين اللهم

---

(١) انظر معاني القرآن للنحاس (٢/ ٢٤٦)، وتفسير السمعاني (١/ ٣٩٣)، والهداية لمكي (٣/ ١٥٥١) الكشاف للزمخشري (١/ ١٢١).

(٢) في الأصل: عهد.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٤٥٢) من طريق سعيد، عن قتادة. وهو مرسل.

إلا أن يكون التعاهد[1] على دفع نازلة من نوازل الظلامات، فيلزم في الإسلام التعاهد على دفع ذلك، والوفاء بذلك العهد، وأما عهد خاص ـ لما عسى أن يقع ـ يختص المتعاهدون بالنظر فيه والمنفعة، كما كان في الجاهلية، فلا يكون ذلك في الإسلام.

قال الطبري: وذكر أَن فُراتَ بنَ حَيَّان العِجْلي[2] سأل رسول الله ﷺ عن حلف الجاهلية، فقال: «لعلك تسأل عن حلف [لُجيم][3] وَتَيْمِ الله»، قال: نعم يا نبي الله، قال: «لا يزيده الإسلام إلا شدة[4]».

وقال ابن عباس رضي الله عنه: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ معناه: بما أحل الله وبما حرم وبما فرض وبما حد في جميع الأشياء[5]، وقاله مجاهد وغيره.

وقال محمد بن كعب القرظي وابن زيد وغيرهما: (العقود) في الآية هي: كل ما ربطه المرء على نفسه من بيع أو نكاح أو غيره.

وقال ابن زيد وعبد الله بن عبيدة[6]: العقود خمس: عقدة الإيمان، وعقدة النكاح، وعقدة العهد، وعقدة البيع، وعقدة الحلف[7].

قال القاضي أبو محمد: وقد تنحصر إلى أقل من خمس.

---

(١) في المطبوع: «التعاقد».

(٢) فُرات بن حيان بن ثعلبة اليشكري العجلي، حليف بني سهم، سكن الكوفة، وابتنى بها داراً، وله بها عقب، الإصابة (٥/ ٢٧٣).

(٣) في المطبوع: «لخم».

(٤) هو من تمام مرسل قتادة السابق، انظر تفسير الطبري (٩/ ٤٥٢).

(٥) أخرجه الطبري (٩/ ٤٥٢)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٦) عبد الله بن عبيدة الربذي، روى عن سهل بن سعد وعبيد الله بن عبد الله، وعنه أخوه موسى بن عبيدة وصالح بن كيسان، وثقه الدارقطني، وقال ابن معين: ليس بشيء، وضعفه ابن عدي، قتل بوقعة قديد سنة (١٣٠هـ)، تاريخ الإسلام (٨/ ١٥١).

(٧) انظر هذه الأقوال كلها في تفسير الطبري (٩/ ٤٥٣).

وقال ابن جريج: قوله تعالى: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ قال: هي العقود التي أخذها الله على أهل الكتاب أن يعملوا بما جاءهم(١).

وقال ابن شهاب: قرأت كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لعمرو بن حزم(٢) حين بعثه إلى نَجْران، وفي صدره: «هذا بيان من الله ورسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾»، فكتب الآيات منها إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾(٣).

قال القاضي أبو محمد: وأصوب ما يقال في تفسير هذه الآية: أَنْ تُعَمَّم أَلفاظها بغاية ما تتناول، فيعمم لفظ «المؤمنين» جملةً، في مُظْهِر الإيمان إن لم يبطنه، وفي المؤمنين حقيقة، ويعمم لفظ (العقود) في كل ربط بقول موافق للحق والشرع.

ومن لفظ العقد قول الحطيئة:

[البسيط] قَـوْمٌ إِذَا عَقَـدُوا عَقْـداً لِجَارِهِـمُ شَدُّوا العِنَاجَ وَشَدُّوا فَوْقَهُ الكَرَبَا(٤)

وقوله تعالى: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾: خطاب لكل من التزم الإيمان على وجهه وكماله، وكانت للعرب سننٌ في الأنعام من السائبة والبحيرة والحامِ وغير ذلك، فنزلت هذه الآية رافعة لجميع ذلك.

واختلف في معنى: ﴿بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾:

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٤٥٤)، والهداية لمكي (٣/ ١٥٥٥).

(٢) عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الأنصاري، يكنى أبا الضحاك، شهد الخندق وما بعدها، واستعمله النبي ﷺ على نجران، وكتب له كتاباً فيه الفرائض والزكاة والديات، روى عنه ابنه محمد وجماعة، توفي في خلافة عمر، وقيل: بعد الخمسين، الإصابة (٤/ ٥١١).

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٤٥٤)، من طريق أبي صالح قال: حدثني الليث قال: حدثني يونس قال: قال محمد بن مسلم؛ يعني: الزهري.

(٤) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ١٤٥)، والعين (١/ ٢٣١)، وتفسير الطبري (٩/ ٤٥١)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٣٩)، وأدب الكاتب (ص: ١٨٠)، وإصلاح المنطق (ص: ٣٥)، والعِنَاجُ: خيط أو سير يُشد في أسفل الدلْو، ثم يُشد في عُروتها، والكَرَب: الحبل الذي يشد على الدلو بعد المتين، فالمتين هو الحبل الأول، والكَرَب: هو الحبل الثاني، فإذا انقطع المتين بقي الكرب.

فقال السدي والربيع وقتادة والضحاك: هي الأنعام كلها[(١)].

قال القاضي أبو محمد: كأنه قال: أحلت لكم الأنعام، فأضاف الجنس إلى أخص منه.

وقال الحسن: ﴿بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: الإبل والبقر والغنم[(٢)].

وروي عن عبد الله بن عمر أنه قال: ﴿بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: الأجنة التي تخرج عند ذبح للأمهات، فهي تؤكل دون ذكاة[(٣)]، وقال ابن عباس: هذه الأجنة من بَهِيمَة الأنْعامِ[(٤)].

قال الطبري: وقال قوم: ﴿بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: وحشها كالظباءِ وبقر الوحش والحُمُر وغير ذلك، وذكره غير الطبري عن الضحاك[(٥)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول حسن، وذلك أن الأنعام هي الثمانية الأزواج وما انضاف / إليها من سائر الحيوان يقال له أنعام بمجموعه معها وكأن المفترس من [٢/ ٢]
الحيوان كالأسد وكل ذي ناب قد خرج عن حد الإبهام[(٦)]، فصار له نظرٌ ما.

فـ﴿بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: هي الراعي من ذوات الأربع، وهذه ـ على ما قيل ـ إضافة الشيء إلى نفسه، كدار الآخرة، ومسجد الجامع، وما هي عندي إلا إضافة الشيء إلى جنسه،

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٤٥٥ و٤٥٦)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/ ١٢).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٤٥٥)، وتفسير السمعاني (٢/ ٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٨٨)، والهداية لمكي (٣/ ١٥٥٦).

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٤٥٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٣٣٦)، من طرق عن عطية العوفي، عن ابن عمر، وعطية ضعيف.

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٤٥٦) وغيره من طريق قابوس، وهو ابن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس، وأخرجه البيهقي في السنن (٩/ ٣٣٦)، من طريق قابوس عن أبي ظبيان... قال: هذا الذي حدثنا به ابن عباس، وقابوس، رديء الحفظ، وينفرد عن أبيه بما لا أصل له، لكن قال البيهقي: ورواه أيضاً طاوس عن ابن عباس رضى الله عنهما، وروينا عن عكرمة، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال فى بهيمة الأنعام: هو الجنين؛ ذكاته ذكاة أمه.

(٥) تفسير الطبري (٩/ ٤٥٧)، وحكاه عن الضحاك مكي في الهداية (٣/ ١٥٥٧).

(٦) في المطبوع: «الأنعام».

وصرح القرآن بتحليلها، واتفقت الآية وقول النبي ﷺ: «كل ذي ناب من السباع حرام»[(١)].

ويؤيد هذا المنزع الاستثناءان بعدُ:

إذ أحدهما: استثني فيه أشخاص نالتها صفات ما، وتلك الصفات واقعات كثيراً في الراعي من الحيوان.

والثاني: استثني فيه حال للمخاطبين، وهي الإحرام والحرم، والصيد لا يكون إلا من غير الثمانية الأزواج، فترتب الاستثناءان في الراعي من ذوات الأربع.

و«البهيمة» في كلام العرب: ما أبهم من جهة نقص النطق والفهم، ومنه باب مبهم، وحائط مبهم، وليل بهيم، وبَهْمة: للشجاع الذي لا يُدْرى من أَين يُؤْتَى له.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ استثناء ما تلي في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾.

و﴿مَا﴾: في موضع نصب على أصل الاستثناء، وأجاز بعض الكوفيين أن تكون في موضع رفع على البدل، وعلى[(٢)] أن تكون ﴿إِلَّا﴾ عاطفة، وذلك لا يجوز عند البصريين إلا من نكرة أو ما قاربها من أسماء الأجناس، نحو قولك: جاء الرجال إلا زيدٌ، كأنك قلت: غيرُ زيد[(٣)].

وقوله: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾، نصب ﴿غَيْرَ﴾ على الحال من الكاف والميم في قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم﴾.

وقرأ ابن أبي عبلة: ﴿غَيْرُ﴾ بالرفع ووجهها: الصفة للضمير في: ﴿يُتْلَىٰ﴾؛ لأن ﴿غيرُ مستحلّي الصيد﴾ هو في المعنى بمنزلة: غير مستحل إذا كان صيداً، أو يتخرج على الصفة ﴿بَهِيمَةُ﴾ على مراعاة معنى الكلام كما ذكرت.

---

(١) صحيح البخاري (٥٥٢٧) (٥٥٣٠)، وصحيح مسلم (١٩٣٢) (١٩٣٤)، بلفظ: نهى النبي ﷺ عن كل ذي ناب من السباع.

(٢) ليست في الأصل.

(٣) زاد في المطبوع: «بالرفع».

قال القاضي أبو محمد: وقد خلط الناس في هذا الموضع في نصب ﴿غَيْرَ﴾، وقدروا فيها تقديمات وتأخيرات، وذلك كله غير مرضيٍّ؛ لأن الكلام على اطراده متمكن استثناء بعد استثناء.

و﴿حُرُمٌ﴾ جمع: حرام، وهو المحرم، ومنه قول الشاعر:

فَقُلْتُ لَهَا فِيئِي إِلَيْكِ فَإِنَّنِي ... حَرامٌ وَإِنِّي بَعْدَ ذَاكَ لَبِيبُ[1] [الطويل]

أي: مُلَبٍّ.

وقرأ الحسن وإبراهيم ويحيى بن وثاب: (حُرْم) بسكون الراء[2]، قال أبو الحسن: هذه لغة تميمية؛ يقولون في رُسُل: رُسْلٌ، وفي كُتُب: كُتْبٌ، ونحوه[3].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ تقويةٌ لهذه الأحكام الشرعية المخالفة لمعهود أحكام العرب؛ أي: فأنت أيها السامع لنسخ تلك العهود التي عهدت تَنَبَّهْ، فإن الله الذي هو مالك الكل يحكم ما يريد لا معقب لحكمه.

وهذه الآية مما تلوح فصاحتها، وكثرة معانيها، على قلة ألفاظها لكل ذي بصر بالكلام ولمن عنده أدنى إبصار؛ فإنها تضمنت خمسة أحكام: الأمر بالوفاء[4] بالعقود، وتحليل بهيمة الأنعام، واستثناء ما تلي بعدُ، واستثناء حال الإحرام فيما يصاد، وما يقتضيه معنى الآية من إباحة الصيد لمن ليس بمحرم.

---

(١) البيت لمضرب بن كعب بن زهير كما في مجاز القرآن (٢/ ٣٠٠)، والكنز اللغوي (ص: ٥٨)، وأمالي القالي (٢/ ١٧١)، والصحاح للجوهري (١/ ٢١٧)، وتعليق من أمالي ابن دريد (ص: ١٠١) منسوباً لعمه عقبة بن زهير.

(٢) وهي قراءة شاذة انظر: المحتسب لابن جني (١/ ٢٠٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٥٠)، والشواذ للكرماني (ص: ١٤٩).

(٣) نقله القرطبي (٦/ ٣٦)، ولم أجد في كلام الأخفش، لكن مثله في المحتسب (١/ ٢٠٥)، فلعلها: أبو الفتح.

(٤) في المطبوع: «الوفاء».

وحكى النقاش أن أصحاب الكندي قالوا للكندي: أيها الحكيم، اعمل لنا مثل هذا القرآن، فقال: نعم أعمل لكم مثل بعضه، فاحتجب أياماً كثيرة، ثم خرج فقال: والله ما أقدر عليه، ولا يطيق هذا أحد، إني فتحت المصحف، فخرجت سورة المائدة، فنظرت فإذا هو قد أمر بالوفاء، ونهى عن النكث، وحلل تحليلاً عاماً، ثم استثنى استثناء بعد استثناء، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين، ولا يستطيع أحد أن يأتي بهذا إلا في أجلاد[١].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ خطاب للمؤمنين حقاً أن لا يتعدوا حدود الله في أمر من الأمور.

و«الشعائر»: جمع شعيرة؛ أي: قد أشعر الله أنها حده وطاعته، فهي بمعنى معالم الله، واختلفت عبارة المفسرين في المقصود من الشعائر الذي بسببه نزل هذا العموم في الشعائر: فقال السدي: ﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: حرم الله[٢]، وقال ابن عباس: ﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: مناسك الحج[٣].

وكان المشركون يحجون ويعتمرون، ويهدون وينحرون، ويعظمون مشاعر الحج، فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم، فقال الله تعالى: ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾[٤].

قال ابن عباس أيضاً: ﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: ما حد تحريمه في الإحرام[٥]، وقال عطاء بن أبي رباح: ﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: جميع ما أمر به، أو نهى عنه[٦]، وهذا هو القول الراجح الذي تقدم.

وقال ابن الكلبي: كان عامة العرب لا يعدون الصفا والمروة من الشعائر، وكانت قريش لا تقف بعرفات، فنهوا بهذه الآية[٧].

---

(١) تفسير القرطبي (٦/ ٣١).
(٢) تفسير الطبري (٩/ ٤٦٣)، والهداية لمكي (٣/ ١٥٦٤).
(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٤٦٣)، من طريق حجاج قال: قال ابن جريج: قال ابن عباس، وابن جريج لم يلق ابن عباس.
(٤) أخرجه الطبري عقبه من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.
(٥) أخرجه الطبري (٩/ ٤٦٤) بنحوه، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس.
(٦) تفسير الطبري (٩/ ٤٦٢)، والهداية لمكي (٣/ ١٥٦٣).
(٧) البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ١٦٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾: اسم مفرد يدل على الجنس في جميع الأشهر الحرم، وهي كما قال النبي ﷺ: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضرَ الذي بين جمادى وشعبان[١]، وإنما أضيف إلى مضر؛ لأنها كانت تختص بتحريمه، وتزيل فيه السلاح، وتنزع الأسنة من الرماح، وتسميه منصِّل الأسنة، وتسميه الأصم؛ من حيث كان لا يسمع فيه صوت السلاح.

وكانت العرب مجمعة على ذي القعدة وذي الحجة والمحرم، وكانت تطول عليها الحرمة، وتمتنع من الغارات ثلاثة أشهر، فلذلك اتخذت النسيء، وهو أن يحل لها ذلك المتكلم ـ نعيم بن ثعلبة[٢] ـ وغيره المحرم، ويحرم بدله صفر، فنهى الله عن ذلك بهذه الآية وبقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ [التوبة: ٣٧]، وجعل المحرم أول شهور السنة من حيث كان الحج والموسم غاية العام وثمرته، فبذلك يكمل، ثم يستأنف عام آخر.

ولذلك ـ والله أعلم ـ دوّن به عمر بن الخطاب الدواوين.

فمعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾؛ أي: لا تحلُّوه بقتال ولا غارة ولا تبديل، فإن تبديله استحلال لحرمته.

قال القاضي أبو محمد: والأظهر عندي: أن ﴿ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ أُريد به رجب؛ ليشتد[٣] أمره؛ لأنه إنما كان مختصاً بقريش، ثم فشا أمره في مضر، ومما يدل على هذا قول عوف بن الأحوص[٤]:

---

(١) لم أجده.

(٢) نعيم بن ثعلبة رجل من بني كنانة، كان رئيس الموسم، ينسأ الشهور، انظر خبره في أمالي القالي (١/ ٤).

(٣) في المطبوع: «ليشتهر».

(٤) عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، كان سيد قومه، وقائد حروبهم، انظر الأغاني (١١/ ١٣٣).

[الوافر] وشَهْرِ بَني أُمَيَّةَ والْهَدايا إِذا حبست مُضَرِّجهَا الدِّماءُ[١]

قال أبو عبيدة: أراد رجباً؛ لأنه شهر كانت مشايخ قريش تعظمه، فنسبه إلى بني أمية، ذكر هذا الأخفش في المفضليات، وقد قال الطبري: المراد في هذه الآية رجب مضر[٢].

[٢/ ٣] قال القاضي أبو محمد: فوجه هذا التخصيص هو كما / قد ذكرت أن الله تعالى شدد أمر هذا الشهر؛ إذ كانت العرب غير[٣] مجمعة عليه.

وقال عكرمة: المراد في هذه الآية: ذو القعدة من حيث كان أولها[٤]، وقولنا فيها: أول تقريب وتجوز؛ لأن[٥] الشهور دائرة، فالأول إنما يترتب بحسب نازلة أو قرينة ما مختصة بقوم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾ أما ﴿ٱلۡهَدۡيَ﴾ فلا خلاف أَنَّهُ ما أُهْدي من النعم إلى بيت الله، وقصدت به القربة، فأمر الله أن لا يستحل ويغار عليه.

واختلف الناس في ﴿ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾:

فحكى الطبري عن ابن عباس: أن ﴿ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾ هي الهَدْيُ المقلد، وأن ﴿ٱلۡهَدۡيَ﴾ إنما[٦] يسمى هَدْياً ما لم يقلد[٧]، فكأنه قال: ولا الهدي الذي لم يقلد [ولا المقلد][٨] منه.

---

(١) نسبه له في المفضليات (ص: ١٧٤)، ومحاضرات الأدباء (١/ ٥٦٦)، ومضرَّج من: ضرَّج الثوب بمعنى صبغه بالحمرة.

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٤٦٦)، وتفسير السمعاني (٢/ ٧)، والهداية لمكي (٣/ ١٥٦٦).

(٣) غير: ساقطة من السليمانية.

(٤) تفسير الطبري (٩/ ٤٦٦)، وتفسير السمعاني (٢/ ٧)، والهداية لمكي (٣/ ١٥٦٦).

(٥) في المطبوع: «إن».

(٦) ساقط من المطبوع.

(٧) أخرجه الطبري (٩/ ٤٦٧)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس.

(٨) في المطبوع: «والمقلد».

قال القاضي أبو محمد: وهذا الذي قال الطبري تحامل على ألفاظ ابن عباس، وليس يلزم من كلام ابن عباس أن «الهَدْيَ» إنما يقال لِمَا لَمْ يقلد، وإنما يقتضي أن الله نهى عن استحلال الهديِ جملة، ثم ذكر المقلد منه تأكيداً ومبالغة في التنبيه على الحرمة في التقليد[١].

وقال جمهور الناس: ﴿ٱلْهَدْىَ﴾: عام في أنواع ما أهدي قربة، و﴿ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾: ما كان الناس يتقلدونه أمنة لهم، قال قتادة: كان الرجل في الجاهلية إذا خرج من بيته يريد الحج يتقلد من السَّمُر قلادة، فلم يعرض له أحد بسوء؛ إذ كانت تلك علامة إحرامه وحجه.

وقال عطاء وغيره: بل كان الناس إذا خرجوا من الحرم في حوائج لهم تقلدوا من شجر الحرم ومن لحائه[٢]، فيدل ذلك على أنهم من أهل الحرم أو من حجاجه، فيأمنون بذلك، فنهى الله تعالى عن استحلال من تحرم بشيء من هذه المعاني.

وقال مجاهد وعطاء: بل الآية نهي للمؤمنين عن أن يستحلوا أخذ القلائد من شجر الحرم كما كان أهل الجاهلية يفعلون، وقاله الربيع بن أنس عن مُطَرِّف بن الشِّخِّير[٣] وغيره[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ معناه: ولا تحلوهم فتغيروا عليهم.

---

(١) قال الطبري: وقد روي عن ابن عباس أن ﴿ٱلْهَدْىَ﴾ إنما يكون هدياً ما لم يُقَلَّد، ثم ذكر بسنده إلى ابن عباس قوله: ﴿وَلَا ٱلْهَدْىَ﴾، قال: الهدي ما لم يقلَّد، وقد جعل على نفسه أن يهديه ويقلِّده، تفسير الطبري (٩/ ٤٦٧).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٤٦٨)، والثاني في تفسير السمعاني (٢/ ٧)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٩٣).

(٣) مطرف بن عبد الله بن الشخير بن عوف بن كعب، أبو عبد الله الحرشي العامري البصري، أحد الأعلام، حدث عن عثمان، وعلي، وأبيه، وعنه أخوه يزيد، والحسن، وقتادة، وكان ثقة له فضل وورع وعقل وأدب، توفي سنة (٨٧هـ)، تاريخ الإسلام (٦/ ٤٧٩).

(٤) انظر هذين القولين في تفسير الطبري (٩/ ٤٦٩)، والأول في تفسير السمعاني (٢/ ٧)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٩٣).

ونهى الله تعالى المؤمنين بهذه الآية عن أن يعِنُّوا[١] للكفار القاصدين البيتُ الحرامَ على جهة التعبد والقربة.

وكل ما في هذه الآية من نهي عن مشرك أو مراعاة حرمة له بقلائد، أو أمَّ البيت ونحوه؛ فهو كله منسوخ بآية السيف في قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وروي: أن هذه الآية نزلت بسبب الحُطَمِ بن هند البكري، أخي بني ضبيعة ابن ثعلبة[٢]، وذلك أنه قال رسول الله ﷺ يوما لأصحابه: «يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة، يتكلم بلسان شيطان»، فجاء الحطم، فخلف خيله خارجة من المدينة، ودخل على رسول الله ﷺ، فلما عرض رسول الله الإسلام ودعاه إلى الله، قال: أنظر[٣]، ولَعَلِّي أُسْلِم وأرى في أمرك غلظة ولي من أشاوره، فخرج، فقال النبي ﷺ: «لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر»، فمر بسرح من سرح المدينة، فساقه وانطلق به وهو يقول:

[الرجز]

قَـدْ لَفَّهَـا اللَّيْـلُ بِسَـوَّاقٍ حُطَـمْ   لَيْـسَ بِرَاعِـي إِبِـلٍ وَلا غَنَـمْ
وَلا بِجَـزَّارٍ عَلَـى ظَهْـرِ وَضَـمْ   بَاتُـوا نِيَامـاً وابْـنُ هِنْـد لـمْ يَنَـمْ
بَـاتَ يُقَاسِـيهَا غُـلامٌ كالزُّلَـمْ   خَدَلَّج السَّـاقَيْن خَفَّـاق القَدَمْ[٤]

---

(١) في المطبوع: «يعرضوا»، وهي بمعناها.

(٢) الحطم هو شريح بن ضبيعة، وهند أمه وهي بنت حسان بن عمرو بن مرثد، وكان غزا اليمن في جموع جمعها من ربيعة، فغنم وسبى بعد حرب كانت بينه وبين كندة، وأدرك الحطم الإسلام فأسلم، ثم ارتد بعد وفاة رسول الله ﷺ، انظر الأغاني (١٥/ ٢٤٦).

(٣) في الأصل والمطبوع ونجيبويه ولالاليه: «انظروا».

(٤) الأبيات للحطم القيسي كما في الكتاب لسيبويه (٣/ ٢٢٢)، والكامل للمبرد (١/ ٣٠١)، وتفسير الطبري (٩/ ٤٧٣)، وعزاها في الأغاني (١٥/ ٢٤٦) لرشيد بن رميض العنزي يقوله في الحطم في غزوه لليمن، قال: وبها سمي، وفي السليمانية: «سفَّها»، بدل: «لفها».

ثم أقبل الحطم من عام قابل حاجاً، وساق هدياً، فأراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه، وخف إليه ناس من أصحاب النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية(١).

قال ابن جريج: هذه الآية نهْيٌ عن الحُجَّاج أَن تُقطع سُبُلهم، ونزلت الآية بسبب الحطم، فذكر نحوه(٢).

وقال ابن زيد: نزلت الآية عام الفتح ورسول الله ﷺ بمكة، جاء أناس من المشركين يحُجُّون ويعتمرون، فقال المسلمون: يا رسول الله، إنما هؤلاء مشركون، فلن ندعهم إلا أن نغير عليهم، فنزل القرآن: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾(٣).

قال القاضي أبو محمد: فكل ما في هذه الآية مما يُتصور في مسلم حاج فهو محكم، وكل ما كان منها في الكفار فهو منسوخ.

وقرأ ابن مسعود وأصحابه: (ولا آمي البيت)(٤)، بالإضافة إلى البيت الحرام.

وقوله تعالى: ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗا﴾ قال فيه جمهور المفسرين: معناه يبتغون الفضل في الأرباح في التجارة، ويبتغون مع ذلك رضوانه في ظنهم وطمعهم، وقال قوم: إنما «الفضل» و«الرضوان» في الآية في معنى واحد، وهو رضا الله وفضله بالرحمة(٥) والجزاء، فمن العرب من كان يعتقد جزاء بعد الموت، وأكثرهم إنما كانوا

---

(١) ضعيف مرسل، أخرجه الطبري (٩/ ٤٧٣) من طريق أحمد بن المفضل قال: حدثنا أسباط، عن السدي به، أسباط والسدي فيهما كلام، وهو مرسل.
(٢) تفسير الطبري (٩/ ٤٧٤)، وسقطت هذه الفقرة من نور العثمانية.
(٣) ضعيف معضل، أخرجه الطبري (٩/ ٤٧٤) وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وروايته معضلة، وعبد الرحمن ضعيف. وانظر أسباب النزول للواحدي (١/ ١٢٦)، ولكنه ذكرها في الحديبية عن زيد بن أسلم.
(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الكشاف (١/ ٦٣٧)، ومختصر الشواذ (ص: ٣٧).
(٥) في المطبوع: «بالرجاء».

يرجون الجزاء والرضوان في الدنيا، والكسب وكثرة الأولاد، ويتقربون رجاء الزيادة في هذه المعاني[(١)].

وقرأ الأعمش: ﴿ورُضواناً﴾، بضم الراء[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: وهذه الآية استئلاف من الله تعالى للعرب، ولطف بهم؛ لتنبسط النفوس، ويتداخل الناس، ويردون الموسم، فيسمعون القرآن، ويدخل الإيمان في قلوبهم، وتقوم عندهم الحجة كالذي كان، وهذه الآية نزلت عام الفتح، ونسخ الله تعالى ذلك كله بعد عام سنة تسع إذ حج أبو بكر، ونودي الناس بسورة براءة.

قوله تعالى: ﴿...وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ...﴾.

جاءت إباحة الصيد عقب التشدد في حَرم البشرِ حسنةً في فصاحة القول.

وقوله تعالى: ﴿فَٱصْطَادُوا۟﴾ صيغة أمر، ومعناه الإباحة بإجماع من الناس[(٣)].

واختلف العلماء في صيغة «افعل» إذا وردت ولم يقترن بها بيان واضح في أحد المحتملات، فقال الفقهاء: هي على الوجوب حتى يدل الدليل على غير ذلك، وقال المتكلمون: هي على الوقف حتى تطلب القرينة، ولن يعرى أمر من قرينة[(٤)]، وقال قوم: هي على الإباحة حتى يدل الدليل، وقال قوم: هي على الندب حتى يدل الدليل، وقول الفقهاء أحوطها، وقول المتكلمين أقيسها، وغير ذلك ضعيف.

---

(١) هو معنى قول قتادة، انظر تفسير الطبري (٩/ ٤٨٠)، والهداية لمكي (٣/ ١٥٧٥).

(٢) بل هنا سبعية لأبي بكر عن عاصم كما في التيسير (ص: ٨٦)، وكان الأولى ذكر ذلك في آل عمران.

(٣) انظر الإجماع على معنى الإباحة في الآية في: الاستذكار (٧/ ٣٨٢).

(٤) انظر ما نسبه المؤلف للفقهاء والمتكلمين في البحر المحيط للزركشي (٢/ ٨٨- ٩٠).

ولفظة: (افعل) قد تجيء للوجوب، كقوله: ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأنعام: ٧٢]،/ [٢/ ٤]
وقد تجيء للندب، كقوله: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾ [الحج: ٧٧]، وقد تجيء للإباحة، كقوله: ﴿فَٱصۡطَادُواْ﴾(١)، و﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]، ويحتمل الابتغاء من فضل الله أن يكون ندباً(٢)، وقد تجيء للوعيد، كقوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: ٤٠]، وقد تجيء للتعجيز، كقوله: ﴿كُونُواْ حِجَارَةً﴾ [الإسراء: ٥٠](٣).

وقرأ أبو واقد والجراح ونبيح والحسن بن عمران: (فِاصْطَادُوا) بكسر الفاء، وهي قراءة مشكلة، ومن توجيهها: أن يكون راعى كسر ألف الوصل [إِذا بدأْتَ فقلتَ: اصطادوا، فكسر الفاء مراعاةً وتذكُّراً لكسر أَلف الوصل](٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾ معناه: ولا يكسبنكم، وجرم الرجل معناه: كسب، ويتعدى إلى مفعولين كما يتعدى: كسب، وفي الحديث: «وتكسب المعدوم»(٥).

قال أبو علي: وأجرم بالألف عرَّفه: الكسب في الخطايا والذنوب(٦).

وقال الكسائي: جرم وأجرم لغتان بمعنى واحد؛ أي: كسب(٧).

وقال قوم: ﴿يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾ معناه: يحق لكم، كما أن ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [النحل: ٦٢] معناه: حق لهم أن لهم النار(٨).

---

(١) انظر هذه الأمثلة في: الفصول في الأصول للجصاص (١/ ٢٩٩).
(٢) انظر التمثيل بالآية على الندب في: أصول البزدوي (١/ ٢٠)، وبالتي قبلها في: شرح الكوكب المنير (٣/ ١٨).
(٣) انظر هذه الأمثلة في الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٢/ ١٦٠).
(٤) سقط من الأصل، وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهم، وتوجيهها في المحتسب لابن جني (١/ ٢٠٥).
(٥) صحيح البخاري (٣) (٤٩٥٣)، وصحيح مسلم (١٦٠).
(٦) الحجة لأبي علي (٣/ ١٩٦).
(٧) نقله عنه مكي في الهداية إلى بلوغ النهاية (٣/ ١٥٦١).
(٨) القول في معاني القرآن للأخفش (١/ ٢١٥)، وتفسير الطبري (٩/ ٤٨٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٢٥٣).

وقال ابن عباس: ﴿يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾ معناه: يحملنكم(١).

قال القاضي أبو محمد: وهذه كلها أقوال تتقارب بالمعنى، فالتفسير الذي يخص اللفظة هو معنى الكسب، ومنه قول الشاعر:

[الوافر] جَريمـةُ ناهـضٍ فـي رَأْس نِيـقٍ ... ترى لِعِظَام مـا جمَعتْ صَليبًا(٢)

معناه: كاسب قوت ناهض، ويقال: فلان جريمة قومه: إذا كان الكاسب لهم.

وقرأ ابن مسعود وغيره: (يُجْرِمنَّكُمْ) بضم الياء(٣)، والمعنى أَيضاً: لا يكسبنكم.

وأما قول الشاعر:

[الكامل] وَلَقَـدْ طَعَنْـتُ أَبَـا عُيَيْنَـةَ طَعْنَـةً ... جَرَمَتْ فَزارَةُ بَعْدَها أَنْ يَغْضَبُوا(٤)

فمعناه: كسبت فزارة بعدها الغضب، وقد فسر بغير هذا مما هو قريب منه.

وقوله تعالى: ﴿شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ﴾:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿شَنَـَٔانُ﴾ متحركة النون.

وقرأ ابن عامر: ﴿شَنْآن﴾ ساكنة النون، واختلف عن عاصم ونافع(٥).

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٤٨٣)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٢) البيت لأبي خراش مرة بن خويلد الهذلي كما في الحور العين (ص: ٢٩١)، وأدب الكاتب (ص: ٦٦)، وإصلاح المنطق (١/ ٣٩)، يصف عقاباً تطعم فرخها الناهض، وهي جريمته؛ أي: كاسبة قوته، والنِّيق: أرفع موضع في الجبل، والصليب: الودك.

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٠٦)، ومختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص: ٣٧).

(٤) البيت لأبي أسماء بن الضريبة كما سيأتي للمصنف في تفسير سورة غافر في بعض النسخ، وكذا في تفسير الثعلبي (٤/ ١٠)، قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٣٥٨): أو عطية بن عفيف، زاد في تاج العروس (٣١/ ٣٩٠)، ويقال: للحوفزان، وفي الكتاب لسيبويه (٣/ ١٣٨): للفزاري غير مسمى، وسيأتي للمصنف أيضاً في سورة هود أنه لجرير، ولعله خطأ، وفي نجيبويه: «أبا عبيدة»، بدل: «عيينة».

(٥) وافق ابن عامر شعبة، وكذا إسماعيل بن جعفر والواقدي والمسيبي عن نافع، انظر السبعة (ص: ٢٤٢)، وليسوا من طرق التيسير.

يقال: شنئت الرجل شنأ ـ بفتح الشين ـ وشنآناً ـ بفتح النون ـ وشنآناً، بسكون النون، والفتح أكثر، كل ذلك: إذا أبغضته، قال سيبويه: كل ما كان من المصادر على «فعلان» بفتح العين لم يتعد فعله، إلا أن يشذ شيءٌ كالشَّنآن، وإنما عدي «شنئت» من حيث كان بمعنى «أبغضت» كما عدي ﴿ٱلرَّفَثُ﴾ بـ﴿إِلَىٰ﴾ [البقرة: ١٨٧] من حيث كان بمعنى الإفضاء[١].

قال القاضي أبو محمد: فأما من قرأ: ﴿شَنَـَٔانُ﴾ بفتح النون؛ فالأظهر فيه: أنه مصدر، كأنه قال: لا يكسبنكم بغض قوم من أجل أَنْ صدُّوكم عدواناً عليهم وظلماً لهم، والمصادر على هذا الوزن كثيرة، كالنَزَوان، والغَلَيَان، والطوَفان، والجَرَيَان وغيره، ويحتمل (الشنَـآن) بفتح النون أن يكون وصفاً، فيجيء المعنى: ولا يكسبنكم بَغِيضُ قَوم، أَو بُغَضَاءُ قوم عدواناً.

ومما جاء على هذا الوزن صفة قولهم: حمار قَطَوان: إذا لم يكن سهل السير، وقولهم: عدو وَصَمان؛ أي: ثقيل، كعدو الشيخ ونحوه، إلى غير هذا مما ليس في الكثرة كالمصادر.

ومنه ما أنشده أبو زيد:

وقَبْلك ما هابَ الرِّجالُ ظُلامَتي وَفَقَّأْتُ عيْنَ الأَشْوَس الأَبَيَانِ[٢] [الطويل]

بفتح الباء.

وأما من قرأ: ﴿شنْآن﴾ بسكون النون؛ فيحتمل أن يكون مصدراً، وقد جاءَ المصدر على هذا الوزن في قولهم: لويته دينه لياناً[٣]، وقول الأحوص:

---

(١) الكتاب لسيبويه (٤/ ١٤).

(٢) البيت لأبي المجشر الجاهلي كما في النوادر لأبي زيد (ص: ٤٢٦)، ولسان العرب (١٥/ ٤١٧)، وتاج العروس (٣٧/ ١٢)، والشَّوَس: النظر بإحدى شقي العين، وقيل: هو الذي يُصغِّر عينه ويضم أجفانه لينظر، وفي لالاليه: «الأشرس»، مع الإشارة إلى النسخة الأخرى.

(٣) في المطبوع: «لولياناً».

[الطويل] .... وَإِنْ لاَمَ فيـه ذُو الشَّـنانِ وفَنَّدا[1]

إنما هو تخفيف من: «شنْآن» الذي هو مصدر بسكون النون؛ لأنه حذف الهمزة وألقى حركتها على الساكن، هذا هو التخفيف القياسي.

قال أبو علي: من زعم أن «فعلان» إذا أسكنت عينه لم يك مصدراً؛ فقد أخطأ، وتحتمل القراءة بسكون النون أن يكون وصفاً، فقد حكي: رجل شنآن، وامرأة شنآنة، [وقياس هذا: أنه فعل متعد، وقد حكي: شنآن وشنأى، مثل: عطشان وعطشى][2]، وقياس هذا: أنه من فعل غير متعد، وقد يشتق من لفظ واحد فعل متعد، وفعل واقف، فيكون المعنى: ولا يكسبنكم بغض قوم، أو بغضاء قوم عدواناً، وإذا قدرت اللفظة مصدراً فهو مصدر مضاف إلى المفعول، ومما جاء وصفاً على فعلان ما حكاه سيبويه من قولهم: خمصان، ومن ذلك قولهم: ندمان[3].

قال القاضي أبو محمد: ومنه رحمان.

وهذه الآية نزلت عام الفتح، حين أراد المؤمنون أن يستطيلوا على قريش وألفافها من القبائل المتظاهرين على صد[4] رسول الله ﷺ وأصحابه عام الحديبية، وذلك سنة ست من الهجرة، فحصلت بذلك بغضة في قلوب المؤمنين، وحَسيكة للكفار، فقيل للمؤمنين عام الفتح وهو سنة ثمان: لا يحملنكم ذلك البغض، أو أولئك البغضاء ـ من أجل أن صدوكم ـ على أن تعتدوا عليهم؛ إذ لله فيهم إرادة خير، وفي علمه أن منهم من يؤمن كالذي كان[5].

---

(١) صدره: وما العيش إلا ما تلذ وتشتهي، انظر عزوه في مجاز القرآن (١/ ١٤٧)، والأغاني (١٢/ ١٤٧)، والعقد الفريد (٦/ ٧٠).
(٢) ساقط من الأصل والمطبوع.
(٣) في الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ١٩٧)، وما بعدها بتصرف، وانظر ما حكى عن سيبويه في الكتاب (٣/ ٦٤٦).
(٤) في المطبوع: «صدر».
(٥) تفسير الطبري (٩/ ٤٨٨).

وحكى المهدوي عن قوم: أنها نزلت عام الحديبية؛ لأنه لما صد المسلمون عن البيت مرَّ بهم قوم من أهل نجد يريدون البيت، فقالوا: نصُدُّ هؤُلاءِ كما صُددنا، فنزلت الآية[١].

وقرأ أبو عمرو وابن كثير: ﴿إِن صدُّوكُمْ﴾ بكسر الهمزة.

وقرأ الباقون: ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ بفتح الهمزة[٢]، إشارة إلى الصد الذي وقع، وهذه قراءة الجمهور، وهي أمكن في المعنى.

وكسر الهمزة معناه: إن وقع مثل ذلك في المستقبل.

وقرأ ابن مسعود: (إِنْ يَصُدُّوكُمْ)[٣]، وهذه تؤيد قراءة أبي عمرو وابن كثير.

ثم أمر الله تعالى الجميع بالتعاون: ﴿عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾؛ قال قوم: هما لفظان بمعنى، وكرر باختلاف اللفظ تأكيدا ومبالغة؛، إذ كل بر تقوى وكل تقوى بر.

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا تسامحٌ ما، والعرف في دلالة هذين اللفظين: أن «البر» يتناول الواجب والمندوب إليه، و«التقوى» رعاية الواجب، فإن جعل أحدهما بدل الآخر فَبِتَجَوُّزٍ.

ثم نهى تعالى عن التعاون على الإثم، وهو الحكم اللاحق عن الجرائم، وعن العدوان، وهو ظلم الناس، ثم أمر بالتقوى، وتوعد توعداً مجملاً بشدة العقاب.

وروي أن هذه الآية نزلت نهياً عن الطلب بذحول الجاهلية إذ أراد قوم من المؤمنين ذلك، قاله مجاهد، وقد قتل بذلك حليف لأبي سفيان من هذيل[٤].

وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ الآية، تعديد لما يتلى على الأمة مما استثني / من بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ. [٢/ ٥]

---

(١) التحصيل للمهدوي (٢/ ٤٠٩)، وليست فيه الزيادة المشار لها.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٩٨).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الطبري (٩/ ٤٨٨)، والمحتسب (١/ ٢٠٦)، والهداية لمكي (٣/ ١٥٦١).

(٤) تفسير الطبري (٩/ ٤٨٩)، الذحول: جمع ذحل، وهو الثأر.

و﴿ٱلۡمَيۡتَةُ﴾: كل حيوان له نفس سائلة، خرجت نفسه من جسده على غير طريق الذكاة المشروع، سوى الحوت والجراد، على أن الجراد قد رأى كثير من العلماء أنه لا بد من فعل فيها يجري مجرى الذكاة[١].

وقرأ جمهور الناس: ﴿ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ بسكون الياء.

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع: ﴿الميِّتة﴾ بالتشديد في الياء[٢].

قال الزجاج: هما بمعنى واحد[٣]، وقال قوم من أهل اللسان: الميت بسكون الياء ما قد مات بعد[٤]، والميِّت يقال لما قد مات ولما يموت[٥]، وهو حي بعد، ولا يقال له ميت بالتخفيف، ورد الزجاج هذا القول، واستشهد على رده بقول الشاعر:

[الخفيف] لَيْسَ مَنْ مَاتَ فاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ إِنَّمَا الْمَيْتُ ميِّتُ الأَحْيَاءِ[٦]

قال القاضي أبو محمد: والبيت يحتمل أن يتأول شاهدا عليه لا له، [وقد تأول قوم «استراح» في هذا البيت بمعنى اكتسب رائحة؛ إذ قائله جاهلي، لا يرى في الموت راحة][٧].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلدَّمُ﴾ معناه المسفوح؛ لأنه بهذا تقيد الدم في غير هذه الآية، فيرد المطلق إلى المقيد، وأجمعت الأمة على تحليل الدم المخالط للحم، وعلى تحليل الطحال ونحوه[٨].

---

(١) منهم مالك وجمهور أصحابه، انظر قولهم في: المدونة (١/ ٥٧٣)، والبيان والتحصيل (٣/ ٣٠٦).

(٢) وهي عشرية، انظر: النشر (٢/ ٢٨٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٤٤).

(٤) «بعد»: ليست في المطبوع.

(٥) في الأصل والمطبوع: «لم يمت».

(٦) تقدم في تفسير الآية (١٧٢) من (سورة البقرة)، وانظر كلام الزجاج في معاني القرآن وإعرابه له (٢/ ١٤٤).

(٧) ساقط من نور العثمانية.

(٨) انظر ما ذكره المؤلف في أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٧٩- ٨٠).

وكانت الجاهلية تستبيح الدم، ومنه قولهم: لَمْ يُحْرَم مَن فُصِدَ له[١]، والعِلْهِزُ دم ووبر، يأكلونه في الأزمات.

وَ(لَحْمُ الْخِنْزِيرِ) مقتضٍ لشحمه بإجماع[٢]، واختلف في استعمال شعره وجلده بعد الدباغ، فأجيز ومنع، وكل[٣] شيء من الخنزير حرام بإجماع، جلداً كان أو عظماً[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾؛ يعني: ما ذبح لغير الله تعالى، وقصد به صنم أو بشر من الناس، كما كانت العرب تفعل، وكذلك النصارى، وعادة الذابح أن يسمي مقصوده، ويصيح به، فذلك إهلاله، ومنه استهلال المولود إذا صاح عند الولادة، ومنه إهلال الهلال؛ أي: الصياح بأمره عند رؤيته، ومن الإهلال قول ابن أحمر:

يُـهِـلُّ بـالـفَـرْقَـدِ رُكْـبـانُـهَـا كما يُهِـلُّ الرَّاكِـبُ المُعْتَمِـرْ[٥] [السريع]

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ معناه التي تموت خنقاً، وهو حبس النفس، سواء فعل بها ذلك آدمي، أو اتفق لها ذلك في حجر[٦]، أو شجرة، أو بحبل، أو نحوه، وهذا إجماع[٧].

وقد ذكر قتادة أن أهل الجاهلية كانوا يخنقون الشاة وغيرها فإذا ماتت أكلوها[٨].

وذكر نحوه ابن عباس[٩].

---

(١) الأمثال لابن سلام (ص: ٢٣٥).

(٢) انظر الإجماع في: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٨٠).

(٣) في الحمزوية ونور العثمانية ولالاليه: «وأكل».

(٤) انظر الاختلاف في استعمال جلد الخنزير وشعره والإجماع على حرمة استعمال ما عداهما في: الإقناع (٢/ ٩٨٥).

(٥) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ١٥٠)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٤٤)، وتفسير الطبري (٩/ ٤٩٣)، والجمهرة (٢/ ٧٧٢).

(٦) يمكن أن تقرأ في بعض النسخ الخطية: «أو جحر».

(٧) لأنها أصبحت بذلك ميتة، والميتة مجمع على حرمتها، كما في: الإقناع (٢/ ٩٦٢).

(٨) تفسير الطبري (٩/ ٤٩٥).

(٩) أخرجه الطبري (٩/ ٤٩٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

و(الموقوذة): التي ترمى أو تضرب بعصا أو بحجر أو نحوه، وكأنها التي تحذف به.

وقال الفرزدق:

[الكامل] شَغَّارَةٌ تَقِذُ الفَصيلَ بِرِجْلِهَا فطَّارَةٌ لِقَوَادِمِ الأَبْكَارِ[١]

وقال ابن عباس: الْمَوْقُوذَةُ التي تُضرب بالخشب حتى يوقذها فتموت[٢].

وقال قتادة: كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك ويأكلونها[٣].

قال القاضي أبو محمد: ومن اللفظة قول معاوية: وأمَّا ابن عمر فرجل قد وقذه الورع[٤]؛ [أي: درسه][٥] وكفى أمره ونزوته.

وقال الضحاك: كانوا يضربون الأنعام بالخشب لآلهتهم حتى يقتلونها فيأكلونها[٦].

وقال أبو عبد الله الصنابحي[٧]: ليس الْمَوْقُوذَةُ إلا في مالك[٨]، وليس في الصيد وقيذ.

---

(١) انظر عزوه له في تفسير الطبري (٩/ ٤٩٦)، والكتاب لسيبويه (٢/ ٧٢)، وكتاب العين (٧/ ٤١٧)، والشغَّارة هي التي ترفع قوائمها لتضرب، وتقذ: تضرب الفصيل حتى تصرعه أو تتركه مريضاً، والفصيل: ولد الناقة.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٤٩٦)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٤٩٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٩٧).

(٤) أورده الطبري في تاريخ الرسل والملوك (٣/ ٢٦٠).

(٥) سقط من الأصل والمطبوع، وفي نور العثمانية: «قد درسه».

(٦) تفسير الطبري (٩/ ٤٩٧)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٩٧).

(٧) هو عبد الرحمن بن عسيلة أبو عبد الله المرادي الصنابحي، نزيل الشام، هاجر، فتوفي رسول الله ﷺ قبل قدومه بخمس ليال، وروى عن أبي بكر، ومعاذ، وغيرهما، روى عنه: عطاء بن يسار، ومحمود بن لبيد، وكان صالحاً، عارفاً، كبير القدر، تاريخ الإسلام (٥/ ٤٧٣).

(٨) في السليمانية وفيض الله ولالاليه: «ملك»، والمثبت هو الموافق لما في تفسير الطبري (٩/ ٤٩٧).

قال القاضي أبو محمد: وعند مالك وغيره من الفقهاء في الصيد ما حكمه حكم الوَقِيذ[١].

وهو نص في قول النبي ﷺ في المعراض: «وإذَا أَصَابَ بِعَرْضِه فَلا تَأْكُل؛ فَإِنَّهُ وَقِيذٌ»[٢].

و(المتردّية): هي التي تتردى من العلو إلى السفل فتموت، كان ذلك من جبل أو في بئر ونحوه، هي متفعِّلة من: الردى، وهو الهلاك.

وكانت الجاهلية تأكل المتردي، ولم تكن العرب تعتقد ميتة إلا ما مات بالوجع ونحو ذلك دون سبب يعرف، فأما هذه الأسباب فكانت عندها كالذكاة، فحصر الشرع الذكاة في صفة مخصوصة، وبقيت هذه كلها ميتة.

وَ(النَّطِيحَةُ): فَعِيلة بمعنى مفعولة، وهي الشاة تنطحها أخرى، أو غير ذلك فتموت.

وتأول قوم النَّطِيحَة بمعنى الناطحة؛ لأن الشاتين قد تتناطحان فتموتان.

وقال قوم: لو ذكر الشاة لقيل: والشاة النطيح، كما يقال: كف خضيب، ولحية دهين، فلما لم تذكر ألحقت الهاء لئلا يشكل الأمر، أمذكراً يريد أم مؤنثاً.

قال ابن عباس والسدي وقتادة والضحاك: النطيحة: الشاة تناطح الشاة فتموتان، أو الشاة تنطحها البقر والغنم[٣].

قال القاضي أبو محمد: وكل ما مات ضغطاً فهو نطيح.

وقرأ أبو ميسرة: (وَالْمَنْطوحَةُ)[٤].

---

(١) هذا مذهب مالك وبقية الأئمة الأربعة ومشاهير فقهاء الأمصار كما قال ابن رشد في: بداية المجتهد (١/ ٣٦٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٠٥٤) (٥٤٧٥) (٥٤٧٦) (٥٤٧٧)، ومسلم (١٩٢٩).

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٥٠٠ و٥٠١)، وقد روى أثر ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة بلفظ: الشاة تنطح الشاة.

(٤) تفسير الطبري (٩/ ٥٠٠)، وأبو ميسرة هو عمرو بن شرحبيل، تقدم التعريف به في أول الكتاب.

وقوله: ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾؛ يريد: كل ما افترسه ذو ناب وأظفار من الحيوان، كالأسد والنمر والثعلب والذئب والضبع[١] ونحوه، هذه كلها سباع.

ومن العرب من يوقف اسم «السبع» على الأسد، وكانت العرب إذا أخذ السبع شاة فقتلها، ثم خلصت منه؛ أكلوها، وكذلك إن أكل بعضها، قاله قتادة وغيره[٢].

وقرأ الحسن والفياض وطلحة بن سليمان[٣] وأبو حَيوة: (وما أكل السبْع) بسكون الباء[٤]، وهي لغة لأهل نجد، وقرأ بذلك عاصم في رواية أبي بكر عنه[٥].

وقرأ عبد الله بن مسعود: (وأكيلة السبع)، وقرأ عبد الله بن عباس: (وأكيل السبع)[٦].

واختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾:

فقال ابن عباس[٧] والحسن بن أبي الحسن وعلي بن أبي طالب[٨] وقتادة وإبراهيم النخعي وطاووس وعبيد بن عمير والضحاك وابن زيد وجمهور العلماء: الاستثناء هو من هذه المذكورات؛ فما أُدرك منها يطرف بعين، أو يمصع برجل[٩]، أو يحرك ذنباً،

(١) سقطت من الأصل ونور العثمانية.
(٢) تفسير الطبري (٩/ ٥٠٢).
(٣) في المطبوع: سليطان، ولعله خطأ، وقد تقدم في تفسير الآية (٧٨) من (سورة النساء).
(٤) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها للحسن وطلحة في تفسير الثعلبي (٤/ ١٣)، وعزاها الهذلي في الكامل (ص: ٥٣٢) للمعلى بن منصور وهارون عن أبي بكر، والأزرق عنه، والحسن، وأبي حيوة، وآخرين، وانظر عزوها للفياض في البحر المحيط (٤/ ١٧١).
(٥) في غير طرق التيسير، انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص: ٣٧).
(٦) انظر قراءة ابن عباس في تفسير الطبري (٩/ ٥٠٢)، والمحتسب (١/ ٢٠٦)، وقراءة ابن مسعود في تفسير القرطبي (٦/ ٥٠)، ونسبها الثعلبي (٤/ ١٣) والكرماني (ص: ١٥٠) لابن أبي زائدة.
(٧) أخرجه الطبري (٩/ ٥٠٢)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.
(٨) أخرجه الطبري (٩/ ٥٠٣)، من طريق الحارث وهو: ابن عبد الله الأعور، عن علي.
(٩) قال في جمهرة اللغة (٢/ ٨٨٨): ويقال: مصع الطائر بذنبه: إذا حركه.

وبالجملة ما يتحقق أنه لم تَفِض نفسه، بل له حياة، فإنه يذكى على سنة الذكاة ويؤكل، وما فَاضَت نفْسُه فهو في حكم الميتة بالوجع ونحوه على ما كانت الجاهلية تعتقده[١].

وقال مالك ـ رحمه الله ـ مرة بهذا القول[٢]، وقال أيضاً ـ وهو المشهور عنه وعن أصحابه من أهل المدينة ـ: إن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ معناه من هذه المذكورات في وقت تصح فيه ذكاتها[٣]، وهو ما لم تنفذ مقاتلها ويتحقق أنها لا تعيش، ومتى صارت في هذا الحد فهي في حكم الميتة.

قال القاضي أبو محمد: فقال بعض المفسرين / إن الاستثناء في قول الجمهور [٢/ ٦] متصل، وفي قول مالك منقطع؛ لأن المعنى عنده: لكن[٤] ما ذَكَّيْتُمْ من غير هذه فكلوه، [حتى قال بعضهم: إن المعنى عنده إلا ما ذكيتم من غير هذه فكلوه][٥].

وفي هذا عندي نظر، بل الاستثناء على قول مالك متصل، لكنه يخالف في الحال التي تصح فيها[٦] ذكاة هذه المذكورات.

وقال الطبري: إن الاستثناء عند مالك من التحريم، لا من المحرمات[٧].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذه العبارة تجوز كثير، وحينئذ يلتئم المعنى.

و«الذكاة» في كلام العرب: الذبح، قاله ثعلب، قال ابن سِيده: والعرب تقول: ذكاة الجنين ذكاة أمه[٨].

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٥٠٣ و٥٠٤)، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/ ٣٨٣).
(٢) انظر قول الجمهور وقول مالك الموافق له في: التمهيد (٥/ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢)، وقول طاووس والنخعي في: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/ ٣٨٣)، وانظر قول ابن عمير في الشرح الكبير لابن قدامة (١١/ ٥٥).
(٣) وهذا هو مذهب ابن الماجشون وابن عبد الحكم من أئمة المذهب، انظر البيان والتحصيل (٣/ ٢٩٤).
(٤) في المطبوع: «لكم»، وفي الأصل: «إلَّا».
(٥) سقط من الأصل، ونور العثمانية.
(٦) ساقط من الأصل.
(٧) انظر حكاية الطبري عن مالك في: تفسير الطبري (٩/ ٥٠٥).
(٨) المحكم والمحيط الأعظم (٧/ ١٣٣)، ونقل كلام ثعلب.

قال القاضي أبو محمد: وهذا إنما هو حديث[١].

وذكَّى الحيوان: ذبحه، ومنه قول الشاعر: يذكيها الأسل[٢].

ومما احتج به المالكيون لقول مالك: أن ما تُيقن أنه يموت من هذه الحوادث فهو في حكم الميتة؛ أنه لو لم تحرم هذه التي قد تيقن موتها إلا بأن تموت لكان ذكر الميتة أولاً يغني عنها[٣].

فمن حجة المخالف أن قال: إنما ذكرت بسبب أن العرب كانت تعتقد أن هذه الحوادث كالذكاة، فلو لم يذكر لها غير الميتة لظنت أنها ميتة الوجع حسب ما كانت هي عليه[٤].

قوله تعالى: ﴿...وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ...﴾.

قوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ﴾: عطف على المحرمات المذكورات، و﴿ٱلنُّصُبِ﴾: جمع، واحده: نصاب، وقيل: هو اسم مفرد، وجمعه: أنصاب، وهي حجارة تنصب، كان منها

---

(١) روي هذا الحديث عن جماعة من الصحابة، ولا يخلو واحد منها من مقال، فمن المحققين من ضعفها جميعاً، ومنهم من مشى بعضها، يراجع لذلك: البدر المنير (٩/ ٣٩٠)، والتلخيص الحبير (٤/ ٣٨٤).

(٢) قال ابن سيده في المحكم (٧/ ١٣٣): ومنه قوله: يذكيها الأسل، ولم يذكر أنه شعر، وفي مجالس ثعلب (١/ ٨٣): وفي الحديث: يذكيها بالأسل؛ أي: يذبحها بالحديد، وفي المصنف لعبد الرزاق (٨٦٣١): عن عمر بن الخطاب: لا ذكاة إلا في الأسل، فلعل هذا هو المشار إليه، فلعله أيضاً إنما هو حديث، وليس بشعر.

(٣) انظر احتجاج المالكية هذا في: الذخيرة للقرافي (٤/ ١٢٨).

(٤) انظر هذا الاحتجاج في: تفسير الطبري (٩/ ٥٠٧).

حول الكعبة ثلاث مئة وستون، وكان [أهل الجاهلية][١] يعظمونها ويذبحون عليها لآلهتهم، ولها أيضاً وتلطخ بالدماء، وتوضع عليها اللحوم قطعاً قطعاً؛ ليأْكل منها الناس.

قال مجاهد وقتادة وغيرهما: النُّصُب: حجارة كان أهل الجاهلية يذبحون عليها[٢].

وقال ابن عباس: ويهلون عليها[٣]، قال ابن جُرَيج: النُّصُب ليست بأَصنام، الصَّنَم يصور وينقش، وهذه حجارة تنصب[٤].

قال القاضي أبو محمد: وقد كانت للعرب في بلادها أنصاب حجارة يعبدونها، ويحكون بها أنصاب مكة، ومنها الحجر المسمى بسعد وغيره.

قال ابن جريج: كانت العرب تذبح بمكة، وينضحون بالدم ما أقبل من البيت، ويشرحون اللحم، ويضعونه على الحجارة، فلما جاء الإسلام قال المسلمون لرسول الله ﷺ[٥]: نحن أحق أن [نعظم هذا البيت][٦] بهذه الأفعال، فكأن رسول الله ﷺ لم يكره ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ [الحج: ٣٧]، ونزلت: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾[٧].

قال القاضي أبو محمد: المعنى والنية فيها تعظيم النصب.

قال مجاهد: وكان أهل مكة يبدلون ما شاؤوا من تلك الحجارة إذا وجدوا أعجب إليهم منها، قال ابن زيد: ما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وما أهل به لغير الله شيءٌ واحد[٨].

---

(١) في الأصل: «الملائكة»، وهو خطأ، والتصحيح من النسخ الأخرى.
(٢) تفسير الطبري (٩/ ٥٠٩)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/ ٣٠٥ و٣٠٦).
(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٥٠٩)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.
(٤) تفسير الطبري (٩/ ٥٠٨)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/ ٣٠٥ و٣٠٦).
(٥) «لرسول الله ﷺ»: ليست في الأصل.
(٦) في الحمزوية: «أن نعمر هذا البيت ونعظمه».
(٧) تفسير الطبري (٩/ ٥٠٨).
(٨) القولان في تفسير الطبري (٩/ ٥٠٩)، والثاني في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/ ٤٠٩).

قال القاضي أبو محمد: ما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ جزءٌ مما أُهِلَّ به لغيرِ الله، لكن خص بالذكر بعد جنسه لشهرة الأمر وشرف الموضع وتعظيم النفوس له.

وقد يقال للصنم أَيضاً: نُصُب ونَصَب[١]؛ لأنه يُنصب.

وروي أن الحسن بن أبي الحسن قرأ: (وَمَا ذُبِحَ عَلى النَّصْب) بفتح النون وسكون الصاد[٢]، وقال على الصنم.

وقرأ طلحة ابن مصرف: (عَلَى النُّصْب) بضم النون وسكون الصاد[٣].

وقرأ عيسى بن عمر: (على النَّصَب) بفتح النون والصاد.

وروي عنه أنه قرأ بضم النون والصاد كقراءة الجمهور[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِ﴾ حرَّم به تعالى طلب القِسْم، وهو النصيب، أو القَسَم بفتح القاف، وهو المصدر، ﴿بِٱلۡأَزۡلَٰمِ﴾، وهي سهام واحدها: زُلُم بضم الزاي وبفتحها، وأزلام العرب ثلاثة أنواع:

منها: الثلاثة التي كان يتخذها كل إنسان لنفسه على أحدها: افعل، والآخر: لا تفعل، والثالث مهمل لا شيء عليه، فيجعلها في خريطة معه، فإذا أَراد فعل شيء أدخل يده ـ وهي متشابهة ـ فأخرج أحدها وائتمر وانتهى بحسب ما يخرج له، وإن خرج القدح الذي لا شيء فيه أعاد الضرب، وهذه هي التي ضرب بها سراقة بن مالك بن جُعْشم حين اتبع النبي ﷺ [وأبا بكر][٥] وقت الهجرة.

---

(١) «نصب الثاني» ليست في المطبوع.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (٤/ ١٤)، وتفسير الكشاف (١/ ٦٣٨).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٣٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٢٥٨)، وتفسير القرطبي (٦/ ٥٧).

(٤) ثلاث قراءات شاذة، قراءة طلحة في مختصر الشواذ (ص: ٣٧)، وقراءة الحسن ووجها عيسى في الشواذ للكرماني (ص: ١٥٠).

(٥) ساقط من المطبوع.

والنوع الثاني: سبعة قداح كانت عند هُبل في جوف الكعبة، فيها أحكام العرب، وما يدور بين الناس من النوازل، في أحدها: العقل في أمور الديات، وفي آخر: منكم، وفي آخر: من غيركم، وفي آخر: ملصق، وفي سائرها أحكام المياه وغير ذلك.

وهي التي ضرب بها على بني عبد المطلب إذ كان نذر هو نحر أحدهم إذا أكملوا عشرة، وهو الحديث الطويل الذي في سيرة ابن إسحاق[١]، وهذه السبعة أيضاً متخذة عند كل كاهن من كُهَّان العرب وحكامهم على نحو ما كانت في الكعبة عند هبل.

والنوع الثالث: هو قِداح الميسر وهي عشرة سبعة، منها فيها خطوط لها بعددها حظوظ، وثلاثةٌ أغفالٌ، وكانوا يضربون بها مقامرة، ففيها لهو للبطالين[٢] ولعب، وكان عقلاؤهم يقصدون بها إطعام المساكين والمُعْدم في زمن الشتاء وكلب البرد، وتَعذُّر التَّحَرُّف، وكان من العرب من يستقسم بها لنفسه طلب الكسب والمغامرة، وقد شرحت أمرها بأوعب من هذا في سورة البقرة في تفسير الميسر.

فالاستقسام بهذا كله هو طلب القسم والنصيب، وهو من أكل المال بالباطل، وهو حرام، وكل مقامرة بحمام أو بنَرد أو بشَطْرنج، أو بغير ذلك من هذه الألعاب، فهو استقسام بما هو في معنى الأزلام، [حرام كلُّه.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ﴾ إشارة إلى الاستقسام بِالْأَزْلام][٣]، والفسق: الخروج من مكان مُحْتَوٍ جامع، يقال: فسقت الرطبة: خرجت من قشرها، والفأرة من جحرها، واستعملت اللفظة في الشرع / فيمن يخرج من احتواء الأمر الشرعي وجمعه وإحاطته. [٢/ ٧]

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ﴾ معناه عند ابن عباس: من أن

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق (١/ ٤).

(٢) في المطبوع: «للطالبين».

(٣) ليس في الأصل.

ترجعوا إلى دينهم[١]، وقاله السدي وعطاء[٢].

وظاهر أمر النبي ﷺ وأصحابه وظهور دينه يقتضي أن يأس الكفار عن الرجوع إلى دينهم قد كان وقع منذ زمان، وإنما هذا اليأس عندي من اضمحلال أمر الإسلام وفساد جمعه؛ لأن هذا أمر كان يترجَّاه من بقي من الكفار.

أَلا ترى إلى قول أخي صفوان بن أمية[٣] في يوم هوازن حين انكشف المسلمون وظنها هزيمة: ألا بطل السحر اليوم[٤]، إلى غير هذا من الأمثلة.

وهذه الآية نزلت في إثر حجة الوداع، وقيل في يوم عرفة [يوم الجمعة، قاله عمر بن الخطاب، رضي الله عنه][٥]، ولم يكن المشركون حينئذ إلا في حيز القلة، ولم يحضر منهم الموسم بشر، وفي ذلك اليوم امَّحى أمر[٦] الشرك من مشاعر الحج.

ويحتمل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ أن يكون إشارة إلى اليوم بعينه، لا سيما في قول الجمهور؛ عمر بن الخطاب وغيره: إنها نزلت في عشية عرفة يوم الجمعة، ورسول الله ﷺ في الموقف على ناقته، وليس في الموسم مشرك[٧].

ويحتمل أن يكون إشارة إلى الزمن والوقت، أي: في هذا الأوان يَئِسَ الكفار من دينكم.

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٥١٦)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٥١٦)، وانظر قول عطاء وغيره في تفسير ابن كثير (٢/ ١٣).

(٣) اسمه كلدة بن الحنبل، ويقال: جبلة، وهو أخوه لأمه، انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٤٤٣)، والإصابة (٥/ ٤٦٣).

(٤) إسناده مستقيم، صحيح ابن حبان (٤٧٧٤)، وغيره من طريق محمد بن إسحاق قال: حدثني عاصم ابن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله، عن أبيه.

(٥) ما بين القوسين ساقط من المطبوع والحمزوية وفيض الله، وهو في لالاليه ملحق في الهامش وعليه علامة: «صح».

(٦) في السليمانية: «أثر»، وأشار لها في هامش لالاليه، وعليها علامة: «صح».

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٥) (٤٤٠٧) (٧٢٦٨)، ومسلم (٣٠١٦) (٣٠١٧).

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعم مشركي العرب وغيرهم من الروم والفرس وغير ذلك، وهذا يقوي أن اليأس إنما هو من انحلال أمر الإسلام وذهاب شوكته، ويقوِّي أَن الإِشارة باليوم إِنما هي إلى الأوان الذي فاتحتُه يوم عرفة ولا مشرك بالموسم.

ويعضد هذا قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِ﴾، فإنما نهى المؤمنين عن خشية جميع أنواع الكفار، وأمر بخشيته تعالى التي هي رأس كل عبادة كما قال ﷺ، ومفتاح كل خير[١].

وروي عن أبي عمرو أنه قرأ: (يَيِسَ) بغير همزة، وهي قراءَة أَبي جعفر[٢].

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ تحتمل الإشارة بـ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ ما قد ذكرناه، وهذا الإكمال عند الجمهور هو الإظهار واستيعاب عظم الفرائض والتحليل والتحريم.

قالوا: وقد نزل بعد ذلك قرآن كثير، ونزلت آية الربا، ونزلت آية الكلالة، إلى غير ذلك، وإنما كمل عُظم الدين وأمر الحج أن حجوا وليس معهم مشرك.

وقال ابن عباس والسدي: هو إكمال تام، ولم ينزل على النبي ﷺ بعد ذلك اليوم تحليل ولا تحريم ولا فرض، وحكى الطبري عن بعض من قال هذا القول: أن رسول الله ﷺ لم يعش بعد نزول هذه الآية إلا إحدى وثمانين ليلة[٣].

---

(١) باطل، روى ابن أبي الدنيا في الورع (١/ ٤٣)، والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٥٩)، وأبونعيم في الحلية (٢/ ٣٨٦)، من طريق سعيدة بنت حكامة، عن أمها، عن أبيها، عن مالك بن دينار، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ أنه قال: «خشية الله رأس كل حكمة والورع سيد العمل، ومن لم يكن له ورع يحجزه عن معصية الله عز وجل إذا خلا بها؛ لم يعبأ الله بسائر عمله شيئاً»، الراوي عن مالك بن دينار هو أخوه عثمان، قال العقيلي في ضعفائه (٣/ ٢٠٠): تروي عنه ابنته حكامة أحاديث بواطيل ليس لها أصل.

(٢) وهي قراءة شاذة، ليست في شيء من طرق التيسير ولا النشر، وتابعه على عزوها لهما في: البحر المحيط (٤/ ١٧٤).

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٥١٨)، وقد روى أثر ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة عنه.

قال القاضي أبو محمد: والظاهر أنه عاش ﷺ أكثر بأَيام يسيرة.

وروي أن هذه الآية لما نزلت في يوم الحج[١] الأكبر، وقرأها رسول الله ﷺ؛ بكى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك؟» فقال: أَبكاني أَنَّا كنا في زيادة من ديننا فأَما إِذْ كمل فإِنه لم يكمل شيءٌ إِلا نقص، فقال له النبي ﷺ: «صدقت [يا عمر][٢]».

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له يهودي: آية في كتابكم تقرؤُونها لو علينا معشر اليهود نزلت؛ لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال له عمر: أية آية هي؟ فقال له: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فقال له عمر: قد علمنا ذلك اليوم؛ نزلت على رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفة يوم الجمعة[٣].

قال القاضي أبو محمد: ففي ذلك اليوم عيدان لأَهل الإِسلام إِلى يوم القيامة.

وقال داود بن أبي هند للشعبي: إن اليهود تقول: كيف لم تحفظ العرب هذا اليوم الذي كمل الله لها دينها فيه؟ فقال له الشعبي: أو ما حفظته؟ قال داود: فقلت: أي يوم هو؟ قال: يوم عرفة.

وقال عيسى بن جارية[٤] الأنصاري: كنا جلوساً في الديوان، فقال لنا نصراني مثل ما قال اليهودي لعمر بن الخطاب، فما أجابه منا أحد فلقيت محمد بن كعب القرظي، فأخبرته، فقال: هلا أجبتموه، قال عمر بن الخطاب: أُنزلت على النبي ﷺ وهو واقف على الجبل يوم عرفة[٥].

---

(١) في نجيبويه: «الجمعة».

(٢) زيادة من نجيبويه، والحديث مرسل، أخرجه الطبري (٩/ ٥١٩)، من طريق هارون بن عنترة، وهو ابن أبي وكيع، عن أبيه به.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٥) (٤٤٠٧) (٧٢٦٨)، ومسلم (٣٠١٧).

(٤) في نجيبويه: «حارثة»، وهو عيسى بن جارية المدني، روى عن جرير بن عبد الله، وجابر، وعنه زيد ابن أبي أنيسة، وعنبسة بن سعيد الرازي، وهو مقل، اختلفوا فيه، قال ابن معين: ليس بذاك، عنده مناكير، وقال أبو زرعة: لا بأس به، تاريخ الإسلام (٧/ ٤٣٩).

(٥) تفسير الطبري (٩/ ٥٢٧)، وأثر عمر تقدم تخريجه.

قال القاضي أبو محمد: وذكر عكرمة عن عمر بن الخطاب أنه قال: نزلت سورة المائدة بالمدينة يوم الاثنين[١].

وقال الربيع بن أنس: نزلت سورة المائدة في مسير رسول الله ﷺ إلى حجة الوداع[٢].

وهذا كله يقتضي أن السورة مدنية بعد الهجرة، وإتمام النعمة هو في ظهور الإِسلام، ونور العقائد، وإِكمال الدين، وسعة الأَحوال، وغير ذلك مما انتظمته هذه [النعمة في ظهور][٣] الملة الحنيفية، إلى دخول الجنة والخلود في رحمة الله، هذه كلها نعم الله المتممة قِبَلنا.

وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ يحتمل الرضا في هذا الموضع أن يكون بمعنى الإرادة، ويحتمل أن يكون صفة فعل عبارة عن إظهار الله إياه؛ لأن الرضا من الصفات المترددة بين صفات الذات وصفات الأفعال، والله تعالى قد أراد لنا الإسلام ورضيه لنا، وثَمَّ أَشياء يريد الله تعالى وقوعها ولا يرضاها.

و﴿ٱلۡإِسۡلَٰمَ﴾ في هذه الآية هو الذي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وهو الذي تفسر في سؤال جبريل النبي ﷺ[٤]، وهو الإيمان والأعمال والشُّعَب[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ﴾؛ يعني: من دعته ضرورة إلى أكل الميتة

---

(١) لا يصح، أخرجه الطبري (٩/ ٥٣٠)، من رواية ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن حنش عن ابن عباس، وهوضعيف بسبب ابن لهيعة، ولم أجده من طريق عكرمة عن عمر، بل أخرج ابن جرير (٩/ ٥٢٨و٥٣١)، عن عكرمة: أن عمر بن الخطاب قال: نزلت سورة المائدة يوم عرفة، ووافق يوم الجمعة. ثم قال: وأولى الأقوال في وقت نزول الآية، القولُ الذي روي عن عمر بن الخطاب: أنها نزلت يوم عرفة يوم جمعة، لصحة سنده، وَوَهْيِ أسانيد غيره.

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٥٣١).

(٣) ملحقة في هامش لالاليه، وعليها علامة: «صح».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٠) (٤٧٧٧)، ومسلم (٩).

(٥) في نجيبويه: «التعبد».

وسائر تلك المحرمات، وسئل رسول الله ﷺ: متى تحل الميتة للناس(١)؟ فقال: «إِذا لم تَصطبحوا، ولم تَغْتبقوا ولم تحتفئوا(٢) بها بقلًا»(٣).

قال القاضي أبو محمد: فهذا مثال في حال عدم المأكول حتى يؤدي ذلك إلى ذهاب القوى والحياة.

وقرأ ابن محيصن: (فَمَن اطُّرَّ) بإدغام الضاد في الطاء(٤)، وليس بالقياس، ولكن العرب استعملته في ألفاظ قليلة استعمالاً كثيراً.

وقد تقدم القول في أحكام الاضطرار في نظير هذه الآية في سورة البقرة.

و«المخمصة»: المجاعة التي تخمص فيها البطون؛ أي: تضمر، والخَمْص: [٢/ ٨] ضمور البطن، فالخلقة / منه حسنة في النساء، ومنه يقال: خَمْصانةٌ، وبطن خَميص، ومنه: أَخْمص القدم، ويستعمل ذلك كثيراً في الجوع والغَرْث، ومنه قول الأعشى:

[الطويل] تَبِيتُون في المَشْتَى ملاءً بُطُونُكُم وجَاراتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائصَا(٥)

(١) زيادة من السليمانية وفيض الله ولالاليه ونجيبويه.

(٢) كذا في أكثر المصادر وجميع النسخ إلا الأصل ففيه: «تختبئوا»، وفي لالاليه قريب منها، وفي نجيبويه: «تحتفوا»، وفي حاشية المطبوع: الصواب «تحتفوا»، قال الباجي في المنتقى (٣/ ١٣٨): والاحتفاء: جمع البقل وأكله، وفي عمدة القاري (٢١/ ١٤٣): لم تجتفئوا بقلاً، أَي: لم تقلوه وترموا بِهِ من جفات الْقدر... ومادته جِيم وَفَاء وهمزة، «وبها»: سقطت من لالاليه ونجيبويه.

(٣) لا يصح، أخرجه أحمد (٢١٨٩٨)، والطبري (٩/ ٥٣٨)، من طريق محمد بن القاسم الأسدي، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن أبي واقد الليثي قال: قلنا: يا رسول الله... ثم أخرجه (٩/ ٥٤٢) من طريق ابن المبارك، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية قال: قال رجل: يا رسول الله... ثم من طريق عيسى بن يونس، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن رجل قد سمي لنا: أن رجلًا قال للنبي ﷺ، والأسدي ضعيف، ومع ذلك فحسان عن أبي واقد مرسل، والأصح ما بعده، ولم يصرح حسان في طريق ابن المبارك بالسماع، والواسطة في طريق عيسى لا تعرف، فالخبر لا يصح.

(٤) وهي قراءة شاذة، تقدمت في (سورة البقرة) الآية (١٧٣).

(٥) عزاه له في مجاز القرآن (١/ ١٥٣)، ومعجم مقاييس اللغة (٢/ ٢١٩)، وجمهرة اللغة (١/ ٦٠٥)، والأغاني (٩/ ١٤٢).

أي: منطويات على الجوع قد أَضمَر بطونهن، وقوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ هو بمعنى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣]، وقد تقدم تفسيره وفقهه في سورة البقرة، والجنف: الميل.

وقرأ أبو عبد الرحمن ويحيى بن وثاب وإبراهيم النخعي: (غَيْرَ مُتَجَنِّف)[١]، دون ألف، وهي أبلغ في المعنى من: ﴿مُتَجَانِفٍ﴾، لأَن شدّ العين يقتضي مبالغة وتوغُّلاً في المعنى، وثبوتاً لحكمه، وتفاعل إنما هي محاكاة الشيء والتقرب منه، ألا ترى إذا قلت: تمايل الغصن؛ فإن ذلك يقتضي تأَوُّداً ومقاربة ميْل، وإِذا قلت: تميّل فقد ثبت حكم الميل، وكذلك تصاوَنَ الرجل وتصوَّن، وتغافل وتَغفَّل[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ نائب مناب: فلا حرج عليه إلى ما يتضمن من زيادة الوعد وترجية النفوس.

وفي الكلام محذوف يدل عليه المذكور، تقديره: فأكل من هذه المحرمات المذكورات.

وسبب نزول قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾: أن جبريل جاء إلى رسول الله ﷺ، فوجد في البيت كلباً فلم يدخل، فقال له النبي ﷺ: «ادخل»، فقال: أَنا لا أَدخل بيتاً فيه كلب، فأمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب، فقتلت حتى بلغت العوالي، فجاء عاصم بن عدي[٣] وسعد ابن خيثمة، وعُويم بن ساعدة[٤] فقالوا: يا رسول الله، ماذا يحل لنا من هذه الكلاب؟[٥].

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها للأخيرين في المحتسب (١/ ٢٠٧)، ومختصر الشواذ (ص: ٣٧)، وللأول في تفسير القرطبي (٦/ ٦٤).

(٢) في فيض الله: «تعاقل وتعقل».

(٣) عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان البلوي العجلاني، حليف الأنصار، كان سيد بني عجلان، واتفقوا على ذكره في البدريين، ولم يشهدها، بل خرج فكسر فرده النبي ﷺ من الروحاء، واستخلفه على العالية، توفي سنة (٤٥هـ)، الإصابة (٣/ ٤٦٣).

(٤) في لالاليه: «عويمر»، وفي نجيبويه: «خثيم»، وكلاهما خطأ، وهو عويم بن ساعدة بن عائش الأنصاري الأوسي، وقيل: أصله من بلي، شهد العقبة وبدراً وأحداً والمغازي كلها، توفي في حياة النبي ﷺ، وقيل: في خلافة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، الإصابة (٤/ ٦١٩).

(٥) أصح أسانيده فيه عنعنة ابن إسحاق، أخرجه الطبري (٩/ ٥٤٥)، من طريق موسى بن عبيدة =

قال القاضي أبو محمد: وروى هذا السبب أبو رافع مولى النبي ﷺ[١]، وهو كان المتولي لقتل الكلاب، وحكاه أيضاً عكرمة ومحمد بن كعب القرظي موقوفاً عليهما[٢].

وظاهر الآية: أن سائلاً سأل عما أحل للناس من المطاعم؛ لأن قوله تعالى: ﴿قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ليس الجواب على ما يحل لنا من اتخاذ الكلاب، اللهم إلا أن يكون هذا من باب إجابة السائل بأكثر مما سأل عنه، وهذا موجود كثيراً من النبي ﷺ، كجوابه في لباس المحرم وغير ذلك وهو ﷺ مبين الشرع، فإنما يجاوب مادّاً[٣] أطناب التعليم لأمته.

و﴿ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾: الحلال، هذا هو المعنى عند مالك وغيره، ولا يراعى مستلذاً كان أم لا، وقال الشافعي: ﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾: الحلال المستلذ، وكل مستقذر، كالوزغ والخنافس وغيرها، فهي من الخبائث حرام[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ﴾ تقديره: وصيدُ ما علمتم، أو: فاتخاذُ ما علمتم.

= قال: أخبرنا أبان بن صالح، عن القعقاع بن حكيم، عن سلمى أم رافع، عن أبي رافع قال: جاء جبريل... ثم أخرجه من طريق حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة: أن النبي ﷺ بعث أبا رافع في قتل الكلاب، فقتل حتى بلغ العوالي، فدخل عاصم بن عدي، الأول: فيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو متروك، والثاني: مرسل.

وقد أخرجه الحاكم (٢/ ٣٤٠)، وعنه البيهقي (٩/ ٢٣٥)، من طريق معلى بن منصور، ثنا ابن أبي زائدة، عن محمد بن إسحاق، عن أبان بن صالح، عن القعقاع بن حكيم، عن سلمى، عن أبي رافع قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتل الكلاب فقال الناس يا رسول الله ما أحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها، فأنزل الله: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.اهـ، وإسناده أصح مما سبق، لكن فيه عنعنة ابن إسحاق.

(١) هو أبو رافع القبطي مولى رسول الله ﷺ، يقال: اسمه إبراهيم، ويقال: أسلم، وكان إسلامه قبل بدر ولم يشهدها، وشهد أحداً وما بعدها، وروى عن النبي ﷺ، وعن عبد الله بن مسعود، توفي بالمدينة قبل عثمان بيسير أو بعده، الإصابة (٧/ ١١٢).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٥٤٦).

(٣) في السليمانية وفيض الله: «ما أدى».

(٤) انظر قول مالك في: أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٢٢٣)، وانظر قول الشافعي في: الأم (٢/ ٢٥٠).

وأعلى مراتب التعليم: أَن يشلى الحيوان فَيَنْشَلي، ويدعى فيجيب، ويزجر بعد ظفره بالصيد فينزجر، وأن يكون لا يأكل من صيده.

فإذا كان كلب بهذه الصفات، ولم يكن أسود بهيماً؛ فأجمعت الأمة على صحة الصيد به، بشرط أن يكون تعليم مسلم، ويصيد به مسلمٌ، هنا انعقد الإجماع[١].

فإذا انخرم شيء مما ذكرنا دخل الخلاف، فإن كان الذي يصاد به غير كلب، كالفهد وما أشبهه، وكالبازي والصقر ونحوهما من الطير؛ فجمهور الأمة على أن كل ما صاد بعد تعليم فهو جارح؛ أي: كاسب[٢].

يقال: جرح فلان واجترح: إذا كسب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]؛ أي: كسبتم من حسنة وسيئة.

وكان ابن عمر يقول: إنما يصاد بالكلاب، فأما ما صيد به من البُزاة وغيرها من الطير؛ فما أدركت ذكاته فذكِّه فهو حلالٌ لك، وإلا فلا تَطْعمه[٣]، هكذا حكى ابن المنذر.

قال: وسئل أَبو جعفر عن البازي والصقر: أيحل صيده؟ قال: لا، إِلَّا أَن تدرك ذكاته[٤].

قال: واستثنى قوم البزاة فجوزوا صيدها؛ لحديث عدي بن حاتم قال: سألت رسول الله ﷺ عن صيد البازي فقال: «إِذا أَمسك عليك فكُلْ»[٥].

(١) هذا بشرط أن يسمي الصائد عليه، انظر الإجماع في المسألة في: الإقناع (٢/ ٩٣٥).

(٢) انظر مذهب الجمهور في: الإقناع (٢/ ٩٣٩).

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٥٤٩)، من طريق ابن جريج، عن نافع، عن ابن عمر، وإسناده غاية لولا عنعنة ابن جريج.

(٤) انظر قول أبي جعفر في تفسير القرطبي (٦/ ٦٧)، نقلًا عن ابن المنذر.

(٥) منكر بهذا اللفظ، أخرجه أبو داود (٢٨٥٣)، والترمذي (١٤٦٧)، وغيرهما من طريق عيسى بن يونس، عن مجالد، عن الشعبي، عن عدي بن حاتم به، وقال الترمذي عقبه: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث مجالد عن الشعبي. اهـ. =

وقال الضحاك والسدي: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾: هي الكلاب خاصة[(١)].

فإن كان الكلب أَسود بهيماً فَكَرِهَ صَيْدَه الحسن بن أبي الحسن وقتادة وإبراهيم النخعي[(٢)]، وقال أحمد بن حنبل: ما أَعرف أَحداً يرخص فيه إذا كان بهيماً، وبه قال ابن راهويه[(٣)]، فأما عوام أهل العلم بالمدينة والكوفة؛ فيرون جواز صيد كل كلب مُعَلَّم[(٤)].

وأما أكل الكلب من الصيد؛ فقال ابن عباس[(٥)] وأبو هريرة[(٦)] والشعبي وإبراهيم النَّخَعي وسعيد بن جبير وعطاءُ بن أَبي رباح وقتادة وعكرمة والشافعي وأَحمد وإسحاق وأَبو ثور والنعمان وأصحابه: لا يؤكل ما بقي؛ لأنه إنما أمسك على نفسه ولم يمسك على ربه[(٧)].

= وسأل الترمذي البخاري عن هذا الحديث فقال: إنما رواه عيسى ابن يونس عن مجالد، ولا أعرف له طريقاً غير هذا، هذا حديث مجالد، وأنا لا أشتغل بحديث مجالد.اهـ ترتيب علل الترمذي لأبي طالب القاضي (١/ ٢٣٩)، والمعروف من حديث الشعبي عن عدي: السؤال عن صيد الكلب، وقوله ﷺ: «ما أمسك عليك فكل» كما في صحيح البخاري (٥٤٧٥) وغيره.

(١) تفسير الطبري (٩/ ٥٤٩).

(٢) انظر أقوال هؤلاء الثلاثة في: المجموع للنووي (٩/ ٩٠).

(٣) انظر قول أحمد وإسحاق في: المغني (٩/ ٢٩٧).

(٤) انظر ما نسبه لعوام أهل العلم في المدينة والكوفة في: الإقناع (٢/ ٩٣٦).

(٥) صحيح، علقه البخاري في صحيحه (٧/ ٨٧) بصيغة الجزم، وهو في مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٣٥٣) من حديث: أبي إسحاق، عن الشعبي، قال: قال ابن عباس، ثم من رواية: سعيد بن جبير، عنه، ثم من طريق الأعمش والمغيرة فرقهما، عن إبراهيم، عن ابن عباس.
وأخرجه عبد الرزاق (٤/ ٤٧٣) عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس، وروي عن ابن عباس مرفوعاً، ولا يصح، إنما هو من قوله، والمرفوع إنما هو من حديث عدي بن حاتم.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٣٥٤) عن: وكيع، عن أبي المنهال الطائي، عن عمه، عن أبي هريرة، وعم أبي المنهال لم يوثق.

(٧) انظر نسبة هذا القول إلى الشافعي في مختصر المزني (٨/ ٣٨٨-٣٨٩)، وإلى أبي حنيفة في المبسوط للسرخسي (١١/ ٢٤٣)، وإلى الباقين في المغني (٩/ ٢٥٩).

ويعضد هذا القول قول النبي ﷺ لعدي بن حاتم في الكلب المعلم: «وإذا أكل فلا تأكل؛ فإنما أمسك على نفسه»[١]، وتأول هؤلاء قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: الإِمساك التام، ومتى أكل فلم يمسك على الصائد.

وقال سعد بن أَبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وأَبو هريرة أَيضاً، وسلمان الفارسي رضي الله عنهم: إِذا أَكل الجارح أُكل ما بقي، وإِن لم تبق إِلا بضعة[٢].

وهذا قول مالك وجميع أصحابه فيما علمت[٣]، وتأولوا قوله تعالى: ﴿مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ على عموم الإمساك، فمتى حصل إمساك ولو في بضعة حَلَّ أَكلها.

وروي عن النَّخَعي، وأَصحاب الرأْي، والثوري، وحماد بن أَبي سليمان: أَنهم رخصوا فيما أَكل البازيُّ منه، خاصة في البازي[٤].

قال القاضي أبو محمد: كأنه لا يمكن فيه أكثر من ذلك؛ لأَن حدَّ تعليمه أَن يدعى فيجيب، وأن يشلى فينشلي.

وإذا كان الجارح يشرب من دم الصيد؛ فجمهور الناس على أن ذلك الصيد يؤكل، وقال عطاء: ليس شرب الدم بأكل، وكره أكل ذلك الصيد الشعبيُّ وسفيان الثوري[٥].

قال القاضي أبو محمد: وليس في الحيوان شيءٌ يقبل التعليم التام إلا الكلب شاذاً، وأكثرها يأكل من الصيد، ولذلك لم ير مالك ذلك من شروط التعليم.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٧٥) (٥٤٧٦) (٥٤٨٣)، ومسلم (١٩٢٩).

(٢) روى هذه الآثار الطبري (٥٦٠ ٥٦٤) بنحو ذلك، من طرق عن المذكورين، أما عن سلمان فليس بمتصل عنه، وأما عن سعد ففيه خلاف كثير، وأما عن أبي هريرة فإسناده: داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن أبي هريرة، وهو مستقيم، وكذلك عن ابن عمر: عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، وابن أبي ذئب: أن نافعاً حدثهم: أن عبد الله بن عمر... كلاهما صحيح، وانظر المغني (٩/ ٢٥٩).

(٣) انظر ما عزاه لمالك وأصحابه في: النوادر (٤/ ٣٤٢).

(٤) انظر ما نسبه للنخعي وحماد وأصحاب الرأي في: المغني (٩/ ٢٩٧).

(٥) انظر قول الجمهور بمن فيهم عطاء، وقول الشعبي والثوري في: المغني (٩/ ٢٩٦).

وأما الطير فقال ربيعة: ما أجاب منها إذا دُعي فهو المعلم الضَّاري[(١)].

قال القاضي أبو محمد: لأن أكثر الحيوان بطبعه ينشلي.

[٢/ ٩] وقال أصحاب أبي حنيفة: / : إذا صاد الكلب وأمسك ثلاث مرات ولاءً؛ فقد حصل منه التعليم، قال ابن المنذر: وكان النعمان لا يحد في ذلك عدداً[(٢)].

وقال غيرهم: إذا فعل ذلك مرة واحدة فقد حصل معلماً.

وإذا كان الكلب تعليم يهودي أو نصراني فَكَرِهَ الصَّيْدَ به الحسن البصري، فأما كلب المجوسي وبازُه وصقرُه فَكَرِهَ الصيد بها جابرُ بن عبد الله، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وإبراهيم النَّخَعي، والثوري، وإسحاق بن راهويه.

ومالك ـ رحمه الله ـ والشافعي، وأَبو حنيفة، وأَصحابهم: على إباحة الصيد بكلابهم إذا كان الصائد مسلماً، قالوا: وذلك مثل شفرته[(٣)].

وأما إن كان الصائد من أهل الكتاب فجمهور الأمة على جواز صيده، غير مالك رحمه الله، فإنه لم يجوز صيد اليهودي والنصراني، وفرَّق بين ذلك وبين ذبيحته، وتلا قول الله تعالى: ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾ قال: فلم يذكر الله بهذا اليهود ولا النصارى[(٤)].

وقال [ابن وهب و][(٥)] أشهب: صيد اليهودي والنصراني حلال كذبيحته، وفي كتاب محمد: لا يجوز صيد الصابئ ولا ذبيحته، وهم قوم بين اليهود والنصارى، لا دين لهم[(٦)].

(١) انظر قول ربيعة في: النوادر (٤/ ٣٤٢).

(٢) لم أجده في المطبوع من كتب ابن المنذر، لكنه منقول عن أبي حنيفة في بدائع الصنائع (٥/ ٥٣).

(٣) انظر المجموع (٩/ ٩٧)، وقول مالك في النوادر (٤/ ٣٥٢)، وقول أبي حنيفة في مختصر اختلاف العلماء للطحاوي (٣/ ١٩٤).

(٤) المدونة (١/ ٥٣٦).

(٥) ساقط من الحمزوية.

(٦) انظر قول مالك وقول ابن وهب وأشهب وقول محمد بن المواز في النوادر (٤/ ٣٥٢).

وأما إن كان الصائد مجوسياً؛ فمنع من أكل صيده مالك والشافعي وأَبو حنيفة وأَصحابهم وعطاء وابن جبير والنَّخَعي والليث بن سعد وجمهور الناس، وقال أبو ثور فيها قولين: أحدهما كقول هؤلاءِ، والآخر: أن المجوس أهلُ كتاب، وأن صيدهم جائز[١].

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم﴾ بفتح العين واللام.

وقرأ ابن عباس ومحمد ابن الحنفية: (عُلِّمتُم) بضم العين وكسر اللام[٢]؛ أي: من أمر الجوارح والصيد بها.

و﴿ٱلْجَوَارِحِ﴾: الكواسب على ما تقدم، وحكى ابن المنذر عن قوم أنهم قالوا: الْجَوارِح مأخوذ من الجرَّاح؛ أي: الحيوان الذي له ناب وظفر أو مخلب يجرح به صيده[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول ضعيف، أهل اللغة على خلافه.

وقرأ جمهور الناس: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ بفتح الكاف وشد اللام، والمكلِّب: معلِّم الكلاب ومضريها، ويقال لمن يعلم غير كلب: مكلب؛ لأنه يرد ذلك الحيوان كالكلب.

وقرأ الحسن، وأَبو زيد: (مُكْلِبين) بسكون الكاف وتخفيف اللام[٤]، ومعناه: أصحاب كلاب، يقال: أمشى الرجل: كثرت ماشيته، وأكلب: كثرت كلابه.

وقال بعض المفسرين: المكلب بفتح الكاف وشد اللام: صاحب الكلاب.

قال القاضي أبو محمد: وليس هذا بمحرر.

---

(١) انظر قول الجمهور وقولي أبي ثور في الاستذكار (٥/ ٢٨٠).
(٢) وهي قراءة شاذة انظر: تفسير القرطبي (٦/ ٦٨).
(٣) انظر نقل ابن المنذر في: تفسير الطبري (٦/ ٦٨).
(٤) في السليمانية ولالاليه ونجيبويه: «ابن زيد»، بدل «أبي زيد»، والصواب: أنه أبو رزين، كما في معاني القرآن للنحاس (٢/ ٢٦٣)، والمحتسب (١/ ٢٠٨)، والشواذ للكرماني (ص: ١٥١)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٠)، وعزاها أيضاً للحسن وآخرين.

قوله عز وجل: ﴿...فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٥﴾.

أي: تعلمونهن من الحيلة في الاصطياد والتَّأَني لتحصيل الحيوان، وهذا جزء مما علمه الله الإنسان فـ(من) للتبعيض، ويحتمل أَن تكون لابتداءِ الغاية.

وأنث الضمير في ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ مراعاة للفظ: ﴿ٱلۡجَوَارِحِ﴾؛ إذ هو جمع جارحة.

وقوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ﴾ يحتمل أن يريد: مما أَمسكن فلم يأْكلن منه شيئاً، ويحتمل أن يريد: مما ﴿أَمۡسَكۡنَ﴾ وإن أكلن بعض الصيد، وبحسب هذا الاحتمال اختلف العلماء في جواز أكل الصيد إِذا أَكل منه الجارح، وقد تقدم ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ أمر بالتسمية عند الإرسال على الصيد، وفقه الصيد والذبح في معنى التسمية واحد، فقال بعض العلماء: هذا الأمر على الوجوب، ومتى ترك المرسل أو الذابح التسمية عمداً أو نسياناً لم تؤكل[1].

وممن رويت عنه كراهية ما لم يسم عليه الله نسياناً الشعبيُّ، وابن سيرين، ونافع، وأَبو ثور[2]، ورأى بعض العلماء هذا الأمر بالتسمية على الندب، وإلى ذلك ينحو أشهب في قوله: إن ترك التسمية مستخفّاً لم تؤكل، وإن تركها عامداً لا يدري قدر ذلك لكنه غير متهاون بأمر الشريعة؛ فإنها تؤكل[3].

(١) وهو قول الشعبي وأبي ثور وداود وظاهر مذهب أحمد، كما في الشرح الكبير لابن قدامة (١١/ ٤١).
(٢) انظر التمهيد (٢٢/ ٣٠٢)، والشرح الكبير (١١/ ٢٥٠)، إلا أن المقصود بالكراهة عند بعضهم الحرمة.
(٣) انظر قول أشهب في النوادر (٤/ ٣٤٢)، وقول ابن عباس وأبي هريرة في التمهيد (٢٢/ ٣٠٢)، والشافعي في المجموع (٨/ ٤٠٨).

ومذهب مالك وجمهور أهل العلم: أن التسمية واجبة مع الذكر، ساقطة مع النسيان، فمن تركها عامداً فقد أفسد الذبيحة والصيد، ومن تركها ناسياً سمى عند الأكل، وكانت الذبيحة جائزة[١].

واستحب أكثر أهل العلم أن لا يذكر في التسمية غير الله تعالى، وأن لفظها: بسم الله، والله أكبر، وقال قوم: إن صلى مع ذلك على النبي ﷺ فجائز[٢].

ثم أمر تعالى بالتقوى على الجملة والإشارة القريبة هي إلى ما تضمنته هذه الآيات من الأوامر، وسرعة الحساب هي من أنه تبارك وتعالى قد أحاط بكل شيء علماً، فلا يحتاج إلى محاولة عد، ويحاسب جميع الخلائق دفعة واحدة.

وتحتمل الآية أن تكون وعيداً بيوم القيامة، كأنه قال: إن حساب الله لكم سريع إتيانه؛ إذ يوم القيامة قريب، ويحتمل أن يريد بـ﴿ٱلْحِسَابِ﴾ المجازاة فكأنه توعد في الدنيا بمجازاة سريعة قريبة إن لم يتق الله.

وقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ إشارة إلى الزمن والأوان، والخطاب للمؤْمنين، وتقدم القول في: ﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾: ابتداء وخبر، و﴿حِلٌّ﴾ معناه: حلال، و«الطعام» في هذه الآية: الذبائح، كذا قال أهل التفسير، وذلك أن الطعام الذي لا محاولة فيه كالبُرّ والفاكهة ونحوه، لا يضُرُّ فيه، ويُحرِّم عينَه تملُّكُ أَحد.

والطعام الذي تقع فيه محاولة على ضربين: فمنه ما محاولته صنعة لا تعلق للدين بها، كخبز الدقيق، وتعصير الزيت، ونحوه، فهذا إِن تُجنِّب من الذمي فعلى جهة التقزز[٣].

والضرب الثاني هو التذكية[٤] التي هي محتاجة إِلى الدِّين والنِّية، فلما كان القياس

---

(١) انظر قول مالك والجمهور في: التمهيد (٢٢/ ٣٠٢)، والشرح الكبير (١١/ ٤١)، والمجموع (٨/ ٣٠١).
(٢) ممن قال به الشافعية وهو بمعنى الاستحباب، انظر المجموع (٨/ ٣٠٣).
(٣) في لالاليه ونور العثمانية ونجيبويه: «التقذر».
(٤) التذكية: ساقط من المطبوع.

[٢/ ١٠] ألا تجوز ذبائحهم، كما تقول: إنهم لا صلاة لهم / ولا صوم ولا عبادة مقبولة، رخص الله تعالى في ذبائحهم على هذه الأمة، وأخرجها بالنص عن القياس.

ثم إن العلماء اختلفوا في لفظ (طعام) فقال الجمهور: وهي الذبيحة كلها، وتذكية الذمي عاملةٌ لنا في كل الذبيحة ما حل له منها وما حرم عليه؛ لأَنه مُذَكٍّ[١].

وقالت جماعة من أهل العلم: إنما أحل لنا طعامهم [من الذبيحة؛ أي: الحلال لهم؛ لأَن ما لا يحلُّ لهم لا تعمل فيه تذكيتهم، فمنعت هذه الطائفة الطريف[٢] والشحوم المحضة][٣] من ذبائح أهل الكتاب، وهذا الخلاف موجود في مذهب مالك، رحمه الله[٤].

واختلف العلماء في لفظة: ﴿أُوتُواْ﴾؛ فقالت فرقة: إِنما أحلت لنا ذبائح بني إسرائيل والنصارى الصرحاء الذين نزل عليهم التوراة والإنجيل، فمنعت هذه الفرقة ذبائح نصارى بني تغلب من العرب، وذبائح كل دخيل في هذين الدِّينين[٥].

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ينهى عن ذبائح نصارى بني تغلب [من العرب][٦]، ويقول: إنهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية إلا بشرب الخمر[٧].

قال القاضي أبو محمد: فهذا ليس بنهي عن ذبائح النصارى المحققين منهم.

وقال جمهور الأُمة: ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وابن المسيب، والشعبي، وعطاء، وابن شهاب، والحكَم، وحماد، وقتادة، ومالك ـ رحمه الله ـ وغيرهم: إن ذبيحة

(١) منهم الأئمة الأربعة وغيرهم، انظر المغني (٩/ ٣١١).
(٢) ويقال: الطريفة، قال ابن الحاج في المدخل (٢/ ٧٨): الطريفة هي: ما يوجد من الرئة ملصوقة بالشحم.
(٣) ساقط من نور العثمانية.
(٤) للتوسع في ذلك انظر: بداية المجتهد (١/ ٤٥١).
(٥) ممن روي عنه ذلك ابن عباس كما في: تفسير الطبري (٩/ ٥٧٦)، وقال به الشافعي في: الأم (٢/ ١٩٦).
(٦) ساقط من المطبوع وفيض الله.
(٧) صحيح، أخرجه عبد الرزاق (٦/ ٧٢)، والطبري (٩/ ٥٧٥)، من طريق عبيدة السلماني، عن علي.

كل نصراني حلال، سواء كان من بني تغلب أو غيرهم، وكذلك اليهود[١]، وتأولوا قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾؛ أي: ذبائحكم، فهذه رخصة للمسلمين، لا لأهل الكتاب؛ لما كان الأمر يقتضي أن شيئا قد تشرعنا فيه بالتذكية ينبغي لنا أن نحميه منهم؛ رخَّص الله تعالى في ذلك رفعاً للمشقة بحسب التجاوز.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ عطف على الطعام المحلَّل، والإحصان في كلام العرب وفي تصريف الشرع: مأخوذ من المنعة، ومنه: الحصن.

وهو مترتب بأربعة أشياء: الإسلام والعفة والنكاح والحرية، فيمتنع في هذا الموضع أن يكون الإسلام؛ لأنه قد نص أنهن من أهل الكتاب، ويمتنع أن يكون النكاح؛ لأن ذات الزوج لا تحل، ولم يبق إلا الحرية والعفة، فاللفظة تحتملهما.

واختلف أهل العلم بحسب هذا الاحتمال:

فقال مالك ـ رحمه الله ـ ومجاهد وعمر ابن الخطاب وجماعة من أهل العلم: المحصنات في هذه الآية: الحرائر، فمنعوا نكاح الأمة الكتابية[٢].

وقالت جماعة من أهل العلم: المحصنات في هذه الآية العفائف، منهم مجاهد أيضاً والشعبي وغيرهم فجوزوا نكاح الأمة الكتابية، وبه قال سفيان والسدي.

وقال الشعبي: إحصان الذمية: ألا تزني، وأن تغتسل من الجنابة.

وقال أبو ميسرة: مملوكات أهل الكتاب بمنزلة حرائرهن العفائف منهن حلالٌ نكاحهن[٣].

---

(١) انظر أقوال من ذكرهم في تفسير الطبري (٩/ ٥٧٣).

(٢) انظر قول عمر في الأوسط (٨/ ٤٧٢) وقول مالك في: الاستذكار (٧/ ٤٩٢)، وانظر قول مجاهد في تفسير الطبري (٩/ ٥٨٢).

(٣) انظر ما عزاه لهؤلاء مع قول الشعبي في تفسير الطبري (٩/ ٥٨٥)، وقول أبي ميسرة فيه (٩/ ٥٨٧).

قال القاضي أبو محمد: ومنع بعض العلماء زواج غير العفيفة بهذه الآية، وقال الحسن بن أبي الحسن: إذا اطلع الرجل من امرأته على فاحشة فليفارقها(١).

وفرق ابن عباس بين نساء أهل الحرب ونساء أهل الذمة فقال: من أهل الكتاب من يحل لنا، وهم كل من أعطى الجزية، ومنهم من لا يحل لنا، وهم أهل الحرب(٢).

وكَرِهَ مالك رحمه الله نكاح نساء أهل الحرب مخافة ضياع الولد أو تغير دينه(٣).

و«الأجور» في هذه الآية: المهور، وانتزع أهل العلم من لفظة ﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ أنه لا ينبغي أن يدخل زوج بزوجته إلا بعد أن يبذل من المهر ما يستحلها به، ومن جوز أن يدخل دون أن يبذل ذلك؛ فرأى أنه بحكم الارتباط والالتزام في حكم المؤتي.

و﴿مُحْصِنِينَ﴾ معناه متزوجين على السُّنَّة، والإحصان في هذا الموضع هو بالنكاح، والمسافِح المزاني، والسفاح الزنا، والمسافِحة هي المرأة التي لا تردُّ يد لامس، وتزني مع كل أحد، وهن أصحاب الرايات في الجاهلية، والمخادَنَة أن يكون الزانيان قد وقف كل واحد نفسه على صاحبه، وقد تقدم نظير هذه الآية وفُسِّر بأَوعب من هذا.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ يحتمل أن يكون المعنى على أن الكفر هو بنفس الإيمان، وفي هذا مجاز واستعارة؛ لأن الإيمان لا يتصور كفر به، إنما الكفر بالأمور التي حقها أن يقع الإيمان بها، وباقي الآية بيِّن.

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ

---

(١) انظر قول الحسن في تفسير الطبري (٩/ ٥٨٧)، والقول الذي قبله فيه (ص: ٥٨٤).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٥٨٨)، من طريق سفيان بن حسين، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس، وفي آخره: قال الحكم: فذكرت ذلك لإبراهيم، فأعجبه. اهـ. والحكم هو ابن عتيبة، يدلس، ولم يسمع من مقسم إلا أحاديث قليلة، عدها الإمام أحمد أربعة، ولا يمكن الجزم بسماعه هذا الخبر من مقسم.

(٣) انظر ما عزاه لمالك في المدونة (٢/ ٢١٨).

تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٦﴾﴾.

لا يختلف أن هذه الآية هي التي قالت عائشة رضي الله عنها فيها: نزلت آية التيمم[١].

وهي آية الوضوء، ولكن من حيث كان الوضوء متقرراً عندهم مستعملاً، فكأَن الآية لم تزدهم فيه إلا تلاوته، وإنما أعطتهم الفائدة والرخصة في التيمم، واستدل على حصول الوضوء بقول عائشة: فأقام رسول الله ﷺ بالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماءٌ[٢].

وآية النساء إما نزلت معها، أو بعدها بيسير، وكانت قصة التيمم في سفر رسول الله ﷺ في غزوة الْمُرَيْسيع، وهي غزوة بني المصطلق، وفيها كان هبوب الريح فيما روي[٣].

وفيها كان قول عبد الله بن أبي ابن سلول: ﴿لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾ [المنافقون: ٨][٤] القصة بطولها، وفيها وقع حديث الإفك.

ولما كانت محاولة الصلاة في الأغلب إنما هي بقيام، جاءت العبارة: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ﴾، واختلف الناس في القرينة التي أريدت مع قوله: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ﴾ فقالت طائفة: هذا لفظ عام في كل قيام، سواءٌ كان المرءُ على طهور أو محدثاً، فإنه ينبغي له إذا قام إلى الصلاة أَن يتوضأَ، وروي أَن عليَّ بن أَبي طالب كان يفعل ذلك ويقرأ الآية[٥]، وروي نحوه عن عكرمة.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٣٤)، ومسلم (٣٦٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٣٤) (٣٦٧٢) (٤٦٠٧) (٦٨٤٤)، ومسلم (٣٦٧).

(٣) انظر دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٦١)، وقيل: بل كان في غزوة أحد.

(٤) سيأتي الكلام عليه في محله، وكذلك الكلام على حديث الإفك في سورة النور.

(٥) روى ابن جرير (١٠/ ١٢) من طريق شعبة قال: سمعت مسعود بن علي الشيباني قال: سمعت عكرمة يقول: كان علي رضي الله عنه يتوضأ عند كل صلاة، ويقرأ هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ الآية، ومن طريق شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة، عن النزال، قال رأيت علياً صلى الظهر ثم قعد للناس في الرحبة، ثم أتي بماء فغسل وجهه ويديه، ثم مسح برأسه ورجليه، وقال: هذا وضوء من لم يحدث، ومن طريق هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم: أن علياً اكتال من حب فتوضأ وضوءاً فيه تجوز، فقال: هذا وضوء من لم يحدث. =

[٢/ ١١] وقال ابن سيرين: كان الخلفاءُ / يتوضؤون لكل صلاة[١].

وروي أن عمر بن الخطاب توضأ وضوءاً فيه تجوز، ثم قال: هذا وضوءُ من لم يحدث[٢].

وقال عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الغسيل[٣]: إن النبي ﷺ أُمر بالوضوءِ عند كل صلاة، فشق ذلك عليه، فأُمر بالسواك ورفع عنه الوضوء إلا من حدث[٤].

قال القاضي أبو محمد: فكان كثير من الصحابة ـ منهم ابن عمر وغيره ـ يتوضؤون لكل صلاة[٥] انتداباً إِلى فضيلة، وكذلك كان رسول الله ﷺ يفعل، ثم جمع بين صلاتين

= قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٨٣، ٨٤): هذه طرق جيدة عن علي، يقوي بعضها بعضاً. اهـ، لكن الأول هو الصريح في المراد، دون الباقيين.
وقال البخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٤٢٣): مسعود بن علي سمع عكرمة، مرسل، فلعله عنى: هذا الأثر يقصد أن عكرمة لم يصرح بشهوده علياً، والله تعالى أعلم.

(١) تفسير الطبري (١٠/ ١٢و١٣).

(٢) المعروف: أن هذا من فعل علي بن أبي طالب وقوله، أخرجه النسائي (١٣٣)، وابن خزيمة (٢٠٢)، وابن حبان (١٣٤١)، وغيرهم، وهو في صحيح البخاري (٥٦١٦) بدون قوله: هذا وضوء من لم يحدث.

(٣) صحابي ولد بعد أحد بيسير، وكان أبوه حنظلة قتل يوم أحد شهيداً، وأمه جميلة بنت عبد الله بن أبيٍّ، وقد حفظ عن النبي ﷺ، وروى عنه، وعن عمر، وعبد الله بن سلام، قتل يوم الحرَّة، وكان أمير الأنصار يومئذ، وذلك سنة (٦٣هـ)، الإصابة (٤/ ٥٨).

(٤) أخرجه أحمد (٢١٩٦٠)، وأبو داود (٤٨)، وابن خزيمة (١٥)، والحاكم (١/ ١٥٦)، وقال: على شرط مسلم، قال ابن رجب في فتح الباري (٥/ ٣٧٩): وليس كما قال. اهـ، وفي إسناده اختلاف.

(٥) أثر ابن عمر جاء عقب حديث مرفوع رواه ابن إسحاق، ثنا محمد بن يحيى بن حبان الأنصاري ثم المازني، عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر، أن أسماء بنت زيد بن الخطاب حدثت عبد الله بن عمر، أن عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الغسيل حدثها: أن رسول الله ﷺ كان أمر بالوضوء عند كل صلاة، طاهراً، كان أو غير طاهر، فلما شق ذلك على رسول الله ﷺ أمر بالسواك عند كل صلاة، ووضع عنهم الوضوء إلا من حدث، وكان عبد الله يرى أن به قوة على ذلك، ففعله حتى مات.
وأخرجه أحمد (٢١٩٦٠)، وأبو داود (٤٨)، وابن خزيمة (١٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٥٦)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، إنما اتفقا على حديث علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن النبي ﷺ كان يتوضأ لكل صلاة، فلما كان عام الفتح صلى الصلوات كلها بوضوء واحد. =

بوضوءٍ واحد، في حديث سويد[١] بن النعمان[٢]، وفي غير موطن، إلى أن جمع يوم الفتح بين الصلوات الخمس بوضوء واحد[٣]، إرادة البيان لأُمته.

وروى ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «من توضأ على طهر كتب له عشر حسنات»، وقال: إِنما رغبت في هذا[٤].

وقالت فرقة: نزلت هذه الآية رخصةً لرسول الله ﷺ؛ لأنه كان لا يعمل عملاً إلا وهو على وضوء، ولا يكلم أحداً ولا يرد سلاماً، إلى غير ذلك، فأعلمه الله بهذه الآية أَن الوضوءَ إِنما هو عند القيام إلى الصلاة فقط، دون سائر الأعمال.

قال ذلك علقمة بن الفَغْواءِ، وهو من الصحابة[٥]، وكان دليلَ رسول الله ﷺ إلى تبوك[٦].

= وأخرجه الضياء في المختارة (٣/ ٤٦٠)، وحكى الاختلاف في إسناده، فقيل كما سبق، وقيل: عن ابن إسحاق، عن محمد بن يحيى بن حبان، عن عبد الله بن عبد الله بن عمر، وقيل: عن ابن إسحاق، عن محمد بن طلحة، عن محمد بن يحيى به، بزيادة محمد بن طلحة.

(١) سويد بن النعمان بن مالك بن عامر بن مجدعة الأنصاري الأوسي، يكنى أبا عقبة، شهد بيعة الرضوان، وقد ذكر ابن سعد أنه شهد أحداً، وذكر العسكري أنه استشهد بالقادسية، وفيه نظر، الإصابة (٣/ ١٩٠).

(٢) لم أجده.

(٣) صحيح مسلم (٢٧٧).

(٤) ضعيف، أخرجه أبو داود (٦٢)، والترمذي (٥٩)، وابن ماجه (٥١٢)، من حديث: عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، عن أبي غطيف الهذلي، عن ابن عمر به مرفوعاً، قال الترمذي: وهو إسناد ضعيف. اهـ؛ يعني: لضعف الإفريقي، وجهالة أبي غطيف.

(٥) ضعيف، أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٨٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ١٨)، من طريق معاوية بن هشام، عن شيبان، عن جابر عن عبد الله بن محمد، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن عبد الله بن علقمة بن الفغواء، عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أهراق الماء إنما نكلمه فلا يكلمنا، ونسلم عليه فلا يرد علينا، حتى نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾، جابر هو الجعفي، وهو ضعيف، وشيخه لم أعرفه.

(٦) كما في الطبقات الكبرى (٤/ ٢٢١)، ونسبه: علقمة بن الفغواء بن عبيد بن عمرو، قال: قديم الإسلام، وكان يأتي المدينة كثيراً.

وقال زيد بن أَسلم والسدي: معنى الآية: إذا قمتم إلى الصلاة من المضاجع؛ يعني: النوم(١).

قال القاضي أبو محمد: والقَصْد بهذا التأْويل: أَنْ تعم الأَحداث بالذكر، ولا سيما النوم الذي هو مختلف فيه هل هو في نفسه حدث.

وفي الآية على هذا التأويل تقديم وتأخير تقديره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ من النوم ﴿أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾؛ يعني: الملامسة الصغرى ﴿فَٱغۡسِلُواْ﴾ فتمت أحكام المحدث حدثاً أصغر، ثم قال: ﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ فهذا حكم نوع آخر، ثم قال للنوعين جميعاً: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا﴾.

وقال بهذا التأويل محمد بن مسلمة ـ من أَصحاب مالك رحمه الله ـ وغيره(٢).

وقال جمهور أهل العلم: معناه: إذا قمتم إلى الصلاة مُحْدِثين، وليس في الآية على هذا تقديم ولا تأخير، بل يترتب في الآية حكم واجد الماء إلى قوله: ﴿فَٱطَّهَّرُواْ﴾، ودخلت الملامسة الصغرى في قوله: محدثين، ثم ذكر بعد ذلك بقوله: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ﴾ إلى آخر الآية حكم عادم الماء من النوعين جميعاً، وكانت الملامسة هي الجماع ولا بد؛ ليذكر الجُنُب العادم للماء كما ذكر الواجد، وهذا هو تأويل الشافعي وغيره(٣)، وعليه تجيءُ أَقوال الصحابة؛ كسعد بن أَبي وقاص، وابن عباس، وأَبي موسى الأشعري، وغيرهم(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ الغسل في اللغة: إيجاد الماء في المغسول مع إمرار شيء عليه؛ كاليد أو ما قام مقامها، وهو يتفاضل بحسب الانغمار في الماء أو التقليل منه.

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ١٢) وتفسير السمعاني (٢/ ١٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/ ٣٣١).
(٢) انظر قول ابن مسلمة في: النوادر (١/ ٣٠٣١).
(٣) انظر الأم (١/ ٢٩).
(٤) قول ابن عباس قد استفاض عنه، أخرجه الطبري (٨/ ٣٨٩)، وغيره عنه من طرق، وروي عن علي، وأبي بن كعب.

و«غسل الوجه» في الوضوء: هو بنقل الماء إليه، وإمرار اليد عليه، والوجه: ما واجه الناظر وقابله، وحدُّه في الطول: منابت الشعر فوق الجبهة إلى آخر الذقن، وعبر بعض الناس إلى تحت الذقن.

واختلف في ذي اللحية؛ فقيل: حده من اللحية إلى ما قابل آخر الذقن، وقيل: بل حدُّه فيها آخر الشعر، واختلف العلماء في تخليل اللحية على قولين[1]، وروي تخليلها عن النبي ﷺ من حديث أنس، ذكره الطبري[2].

واختلف في حدِّه عرضاً؛ فهو في المرأَة والأَمرد: من الأُذن إلى الأُذن، وفي ذي اللحية ثلاثة أقوال: فقيل: من الشعر إلى الشعر، يعني شعر العارضين، وقيل: من الأُذن إلى الأُذن، ويدخل البياض الذي بين العارض والأذن في الوجه، وقيل: يغسل ذلك البياض استحباباً[3].

واختلف في الأُذنين؛ فقيل: هما من الرأس، وقال الزهري: من الوجه[4]، وقيل: هما عضو قائم بنفسه؛ ليسا من الوجه، ولا من الرأس، وقيل: ما أقبل منهما من الوجه، وما أدبر فهو من الرأس.

---

(١) انظر الاستذكار (١/ ١٢٥)، والأوسط (٢/ ٢٨).

(٢) لا يصح في تخليل اللحية حديث، أخرجه الطبري (١٠/ ٣٧)، من طريق موسى بن أبي عائشة، عن زيد الخدري، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: رأيت النبي ﷺ توضأ فخلل لحيته، فقلت: لم تفعل هذا يا نبي الله؟ قال: «أمرني بذلك ربي». اهـ. يزيد الرقاشي ضعيف، والراوي عنه، كذا وقع في التفسير، وصوابه: زيد الجزري كما في الكامل لابن عدي (١٠/ ١٣٧)، وهو زيد بن أبي أنيسة، قاله ابن حجر في التلخيص الحبير (١/ ٢٧٥).

وقد روي الحديث عن أنس من طرق أخرى عنه، ومن حديث جماعة من الصحابة، ولكن قال عبد الله بن أحمد قال أبي: ليس يصح عن النبي ﷺ في التخليل شيء. وقال الخلال في كتاب العلل: أخبرنا أبو داود قال: قلت لأحمد: تخليل اللحية؟ قال: قد روي فيه أحاديث ليس يثبت منها حديث، وأحسن شيء فيها حديث شقيق عن عثمان، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتاب العلل: سمعت أبي يقول: لا يثبت عن النبي ﷺ في تخليل اللحية حديث. يراجع تهذيب سنن أبي داود لابن القيم (١/ ٨٢٨٣)، والسنن الكبرى للبيهقي (١/ ٥٤).

(٣) انظر هذا الخلاف في البيان والتحصيل (١/ ١٦٩)، وفي المجموع (١/ ٣٧٢).

(٤) انظر قول ابن شهاب الزهري في: الاستذكار (١/ ١٩٩).

واختلف في المضمضة والاستنشاق؛ فجمهور الأمة يرونها سنة، ولا يدخل هذان الباطنان عندهم في الوجه، وقال مجاهد: الاستنشاق شطر الوضوء، وقال حماد ابن أبي سليمان وقتادة وعطاء والزهري وابن أبي ليلى وابن راهويه: من ترك المضمضة والاستنشاق في الوضوءِ أَعاد الصلاة، وقال أحمد بن حنبل: يعيد من ترك الاستنشاق ولا يعيد من ترك المضمضة[١].

والناس كلهم على أن داخل العينين لا يلزم غسله، إلا ما روي عن عبد الله بن عمر: أنه كان ينضح الماءَ في عينيه[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾؛ اليد في اللغة تقع على العضو الذي هو من المنكب إِلى أَطراف الأصابع، ولذلك كان أبو هريرة يغسل جميعه في الوضوء أحياناً ليطيل الغرة[٣].

وحد الله تعالى موضع الغسل منه بقوله: ﴿إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ يقال في واحدها: مِرْفَق ومَرْفِق، وكسر الميم وفتح الفاء أشهر.

واختلف العلماء: هل تدخل المرافق في الغسل أم لا؟ فقالت طائفة: لا تدخل؛ لأن «إلى» غاية تحول بين ما قبلها وما بعدها، وقالت طائفة: تدخل المرافق في الغسل؛ لأن ما بعد «إلى» إذا كان من نوع ما قبلها فهو داخل فيه.

ومثَّل أَبو العباس المبرد في ذلك بأن تقول: اشتريت الفدَّان إلى حاشيته، أو بأن تقول: اشتريت الفدَّان إلى الدار، وبقوله: ﴿أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧][٤].

---

(١) انظر أقوالهم في الاستذكار (١/ ١٢٣)، إلا قتادة، وانظر قول أحمد في مسائله من رواية ابنه أبي الفضل صالح (٣/ ٢٠٥).

(٢) انظر قول الجمهور ومخالفة ابن عمر في الاستذكار (١/ ٢٦٨).

(٣) أخرج مسلم (٢٤٦) حديث أبي هريرة: أنه توضأ فغسل وجهه ويديه حتى كاد يبلغ المنكبين، ثم غسل رجليه حتى رفع إلى الساقين، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أمتي يأتون يوم القيامة غراً محجلين من أثر الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل».

(٤) نقله مكي في الهداية (٣/ ١٦٢٤).

قال القاضي أبو محمد: وتحرير العبارة في هذا المعنى أن يقال: إذا كان ما بعد «إِلَى» ليس مما قبلها، فالحدُّ أَول المذكور بعدها، وإذا كان ما بعدها من جملة ما قبلها فالاحتياط: يعطي أن الحد آخر[(١)] المذكور بعدها، ولذلك يترجح دخول المرفقين في الغسل.

والروايتان محفوظتان عن مالك بن أنس، رضي الله عنه، روى عنه أشهب: أن المرفقين غير داخلين في الحد، وروى غيره: أنهما داخلان[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ المسح: أن يمر على الشيء بشيء مبلول بالماء، وسُنَّة مسح الرأْس: أَن يؤْخذ ماءٌ باليدين، ثم يرسل، ثم يمسح الرأس بما تعلق باليدين.

واختلف في / مسح الرأس في مواضع: [٢/ ١٢]

منها هيئة المسح:

فقالت طائفة منها مالك والشافعي وجماعة من الصحابة والتابعين: يبدأ بمقدم رأسه ثم يذهب بهما إِلى قفاه، ثم يردهما إلى مقدمه[(٣)].

وقالت فرقة: يبدأ من مؤخر الرأس حتى يجيءَ إِلى المقدم، ثم يرد إلى المؤخر.

وقالت فرقة: يبدأ من وسط الرأس، فيجيء بيديه نحو الوجه، ثم يرد فيصيب باطن الشعر، فإذا انتهى إلى وسط الرأس أمرّ يديه كذلك على ظاهر شعر مؤَخر الرأْس، ثم يرد فيصيب باطنه ويقف عند وسط الرأس.

وقالت فرقة: يمسح رأسه من هنا وهنا على غير نظام، ولا مبدأ محدود حتى يعمه.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله قول بالعموم.

واختلف في رد اليدين على شعر الرأْس؛ هل هو فرض أَم سُنَّة؟ بعد الإجماع

---

(١) سقطت من نور العثمانية، والأصل.

(٢) رواية أشهب في شرح البخاري لابن بطال (١/ ٢٨٦)، والثانية لابن القاسم في: النوادر (١/ ٣٤)، وفي المطبوع: «عنه»، بدل: «غيره».

(٣) قال به أيضاً: ابن عمر وسلمة بن الأكوع، والأوزاعي والليث والثوري وأبو حنيفة وأحمد، انظر الاستذكار (١/ ١٢٣).

على أن المسحة الأولى فرض بالقرآن[١]، فالجمهور على: أنه سنة، وقيل: هو فرض.

ومن مواضع الخلاف في مسح الرأْس: قَدْرُ ما يمسح:

فقالت جماعة: الواجب من مسح الرأس عمومه[٢]، ثم اختلفوا في الهيئات على ما ذكرناه.

وقال محمد بن مسلمة: إِنْ مَسَحَ ثلثي الرأْس وتَرَكَ الثلث أجزأ، [وقال أبو الفرج المالكي[٣]، وروَى عن مالك: أنه إن مسح الثُلُث أَجْزَأَ][٤]؛ لأنه كثير في أُمور من الشرع، وقال أشهب: إِنْ مسحَ الناصية أَجزأَ[٥].

قال القاضي أبو محمد: وكلُّ مَن أَحفظ عنه إِجْزاءَ بعض الرأْس فإِنه يرى ذلك البعض من مقدم الـرأس[٦]، وذلك أنه قد روي في ذلك أحاديث في بعضها ذكر الناصية[٧]، وفي بعضها ذكر مقدم الرأس[٨]، إلا ما روي عن إبراهيم والشعبي، قالا: أي نواحي رأسك مسحت أجزأك[٩].

وكان سلمة بن الأكوع يمسح مقدم رأسه[١٠].

---

(١) انظر نقل هذا الإجماع في: مراتب الإجماع (ص: ٢٦).

(٢) ممن قال بذلك مالك وإسماعيل بن علية، انظر قولهم في: الاستذكار (١/ ١٣٠).

(٣) هو عمرو أبو الفرج بن عمرو الليثي القاضي، ويقال: بن محمد بن عبد الله البغدادي، صحب إسماعيل وتفقه معه وكان من كتابه، وولي قضاء طرسوس وأنطاكية والمصيصة والثغور، وكان فصيحاً لغويًّا فقيهاً متقدماً توفي سنة (٣٣١هـ)، الديباج المذهب (٢/ ١٢٧).

(٤) ما بين المعكوفين ساقط من المطبوع.

(٥) انظر قول محمد بن مسلمة وقول أبي الفرج وقول أشهب في: النوادر (١/ ٤٠).

(٦) منهم الشافعي وأبو حنيفة وأصحابه وأحمد وداود والأوزاعي والليث بن سعد والثوري، انظر الاستذكار (١/ ١٣١).

(٧) صحيح مسلم (٢٧٤)، من حديث المغيرة بن شعبة.

(٨) في إسناده ضعف، أخرجه أبو داود (١٤٧)، من حديث أنس بن مالك.

(٩) تفسير القرطبي (٦/ ٨٩).

(١٠) لا يصح، أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/ ٣٠٧)، عن الواقدي: قال أخبرنا حماد بن مسعدة =

وروي عن ابن عمر: أنه مسح اليافوخ فقط[١].

وقال أصحاب الرأي: إن مسح بثلاث أصابع أجزأه، وإن كان الممسوح أقل مما يمر عليه ثلاث أصابع لم يجزئ[٢].

وقال قوم: يجزئ من مسح الرأس أن يمسح مسحة بأصبع واحدة، وقال الحسن ابن أبي الحسن: إن لم تصب المرأَة إِلا شعرةً واحدة أجزأها[٣]، وحكى الطبري وغيره عن سفيان الثوري: أن الرجل إذا مسح شعرة واحدة أجزأه[٤].

ومن مواضع الخلاف في مسح الرأس: ما العضو الذي يمسح به؟ فالإجماع على استحسان المسح باليدين جميعاً[٥]، وعلى الإجزاءِ إِن مسح بواحدة[٦].

واختلف فيمن مسح بأصبع واحدة حتى عم ما يرى أنه يجزئه من الرأس؛ فالمشهور أن ذلك يجزئ، وقيل: لا يجزئ.

قال القاضي أبو محمد: ويترجح أنه لا يجزئ؛ لأنه خروج عن سنة المسح، وكأنه لعب إلا أن يكون ذلك عن ضرورة مرض، فينبغي أن لا يختلف في الإجزاء.

ومن مواضع الخلاف: عدد المسحات؛ فالجمهور على مرة واحدة، ويجزئ ذلك عند الشافعي، وثلاثاً أحب إليه[٧]، وروي عن ابن سيرين: أَنه مسح رأْسه مرتين،

= عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة به، والواقدي ليس بعمدة.

(١) إسناده مستقيم لو حفظه معمر عن أيوب، أخرجه عبد الرزاق (١/ ٦)، عن معمر، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر.

(٢) هذا قول محمد بن الحسن، وللتوسع في أقوال الحنفية في المسألة انظر: تبيين الحقائق (١/ ٣).

(٣) لم أقف عليه، وقد حكى ابن المنذر عنه في: الأوسط (٢/ ٤٢): أن مسح بعض الرأس يجزئ عن جميعه.

(٤) تفسير الطبري (١٠/ ٤٩).

(٥) في السليمانية وفيض الله: «معاً».

(٦) نقل هذا الإجماع القرطبي في تفسيره (٦/ ٨٩).

(٧) انظر قول الجمهور في: الاستذكار (١/ ١٢٩)، وانظر قول الشافعي في: الأم (١/ ٨٠)، والأوسط (٢/ ٤٠).

وروي عن أنس أنه قال: يمسح الرأس ثلاثاً، وقاله سعيد بن جبير وعطاء وميسرة[١].

و(الباء) في قوله: ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾: مؤكدة زائدة عند من يرى عموم الرأس، والمعنى عنده: وامسحوا رؤوسكم، وهي للإلزاق[٢] المحض عند من يرى إجزاء بعض الرأس، كأن المعنى: أوجدوا مسحاً برؤوسكم، فمن مسح شعرة فقد فعل ذلك، ثم اتبعوا في المقادير التي حدوها آثاراً وأَقْيِسَة بحسب اجتهاد العلماء رحمهم الله.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة: «﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾» خفضاً.

وقرأ نافع وابن عامر والكسائي: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ نصباً.

وروى أبو بكر عن عاصم الخفض، وروى عنه حفصٌ النصب[٣].

وقرأ الحسن والأعمش: (وأَرْجُلُكُمْ) بالرفع، المعنى: فاغسلوها، ورُويت عن نافع[٤].

وبِحسَب هذا المعنى اختلاف الصحابة والتابعين، فكل من قرأ بالنصب جعل العامل (اغسلوا)، وبنى على أن الفرض في الرجلين الغسل بالماء دون المسح، [وهذا هو][٥] الجمهور وعليه علم[٦] فعل النبي ﷺ وهو اللازم من قوله ﷺ ـ وقد رأى قوماً يتوضؤون وأعقابهم تلوح، فنادى بأعلى صوته ـ: «ويلٌ للأعقاب من النار»[٧].

---

(١) انظر قول ابن سيرين وأنس وسعيد بن جبير وعطاء في: الاستذكار (١/ ١٢٩)، ولميسرة في: الأوسط (١/ ٤٢).

(٢) في السليمانية: «للإلصاق».

(٣) وهي سبعية متواترة، انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ٩٦)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٤٢).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر نسبتها للحسن في المحتسب لابن جني (١/ ٢٠٨)، وللأعمش ورواية نافع في تفسير القرطبي (٦/ ٩١).

(٥) في الأصل ونجيبويه: «وهنا هو»، وكذا في لالاليه مع الإشارة للنسخة الأخرى.

(٦) سقط من المطبوع ولالاليه، وورد تركيب الجملة في السليمانية وفيض الله: «وهذا هو الذي عليه الجمهور وعلم من فعل... إلخ».

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٠) (٩٦) (١٦٣) (١٦٥)، ومسلم (٢٤٠).

ومن قرأ بالخفض جعل العامل أقرب العاملين، واختلفوا؛ فقالت فرقة منهم: الفرض في الرجلين المسح، لا الغسل[١].

وروي عن ابن عباس أنه قال: الوضوء غسلتان ومسحتان[٢].

وروي أن الحجاج خطب بالأهواز، فذكر الوضوء فقال: اغسلوا وجوهكم وأيديكم، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم، وأنه ليس شيءٌ من ابن آدم أقرب من خبثه من قدميه، فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما.

فسمع ذلك أنس بن مالك، فقال: صدق الله، وكذب الحجاج، قال الله تعالى: ﴿وامسحوا برؤوسِكم وأرجُلِكم﴾، قال: وكان أَنس إِذا مسح رجليه بَلَّهُما[٣].

وروي أَيضاً عن أنس أنه قال: نزل القرآن بالمسح، والسُّنَّة بالغسل[٤].

وكان عكرمة يمسح على رجليه وقال[٥]: ليس في الرجلين غسل، إنما نزل فيهما

---

(١) قال بذلك الشيعة، انظر قولهم في: الإقناع (١/ ٢١٤).

(٢) فيه من لم أعرفه، أخرجه الطبري (١٠/ ٥٨)، من طريق محمد بن قيس الخراساني، عن ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، ومحمد بن قيس لم أعرفه.

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٥٨)، من طريق بشر بن المفضل وابن علية عن حميد ـ هو الطويل ـ قال: قال موسى بن أنس لأنس ونحن عنده: يا أبا حمزة، إن الحجاج خطبنا... ثم روى نحوه من طريق ابن أبي عدي، عن حميد، عن موسى بن أنس قال: خطب الحجاج فقال: اغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم، ظهورهما وبطونهما وعراقيبهما، فإن ذلك أدنى إلى خبثكم، قال أنس...
وهذا اختلاف في اتصال الخبر، وحميد يدلس عن أنس كثيراً، والطريق الأول ظاهر الاتصال، بخلاف الثاني.
وقال البيهقي في السنن الكبرى (١/ ٧١): إنما أنكر أنس بن مالك القراءة دون الغسل، فقد روينا عن أنس ابن مالك عن النبي ﷺ ما دل على وجوب الغسل.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (١٠/ ٥٨)، من طريق مؤمل هو ابن إسماعيل قال: حدثنا حماد ـ هو ابن زيد ـ قال: حدثنا عاصم الأحول، عن أنس، ومؤمل سيئ الحفظ كثير الخطأ.

(٥) زيادة من السليمانية والحمزوية وفيض الله ونور العثمانية.

المسح، وقال الشعبي: نزل جبريل بالمسح، ثم قال: ألا ترى أن التيمم يمسح فيه ما كان غسلاً، ويلغى ما كان مسحاً(١).

وروي عن أبي جعفر أنه قال: امسح على رأسك وقدميك، وقال قتادة: افترض الله غَسْلَتين ومَسْحَتين(٢).

وكل من ذكرنا فقراءته: ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾ بكسر اللام، وبذلك قرأ علقمة والأعمش والضحاك وغيرهم(٣)، وذكرهم الطبري تحت ترجمة القول بالمسح.

وذهب قوم ممن يقرأ بكسر اللام إلى أن المسح في الرجلين هو الغسل(٤)، وروي عن أبي زيد أن العرب تسمي الغسل الخفيف مسحاً، ويقولون: تمسَّحْت للصلاة بمعنى: غسلت أعضائي، وقال أبو عبيدة وغيره في تفسير قوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ [ص: ٣٣]: إنه الضرب، ويقال: مسح علاوته: إذا ضربها(٥).

قال أبو علي: فهذا يقوي أن المراد بمسح الرجلين الغسل(٦).

ومن الدليل على أن مسح الرجلين يراد به الغَسْل أَن الحدَّ قد وقع فيهما بـ﴿إِلَى﴾ كما وقع في الأيدي وهي مغسولة، ولم يقع في الممسوح حدٌّ(٧).

[٢/ ١٣] قال القاضي أبو محمد: ويعترض هذا التأويل بترك الحد / في الوجه، فكان الوضوءُ مغْسُولين حُدَّ أحدهما، وممسوحين حد أحدهما.

---

(١) انظر ما نسبه لعكرمة والشعبي في: تفسير الطبري (١٠/ ٦٠).

(٢) انظر ما نسبه لقتادة في: تفسير الطبري (١٠/ ٦٠)، وقول أبي جعفر لم أقف عليه، إلا أنه قرأ بالجر، انظر الطبري (١٠/ ٦١).

(٣) وهي سبعية كما مر، وانظر عزوها لهؤلاء في تفسير الطبري (١٠/ ٦١)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٧).

(٤) نقله ابن عبد البر عن الجمهور، انظر الاستذكار (١/ ١٤٠).

(٥) مجاز القرآن (٢/ ١٨٣)، وفي السليمانية ونجيبويه بدل «علاوته»: «غلامه»، والمثبت هو الموافق لما في المصدر.

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٢١٥).

(٧) معاني القرآن للزجاج (٢/ ١٥٤).

وقال الطبري ـ رحمه الله ـ إن مسح الرجلين هو بإيصال الماء إليهما، ثم يمسح بيديه بعد ذلك فيكون المرء غاسلاً ماسحاً، قال: ولذلك كره أكثر العلماء للمتوضئ أن يدخل رجليه في الماء دون أن يمر يديه[١].

قال القاضي أبو محمد: وقد جوَّز ذلك قوم، منهم الحسن البصري وبعض فقهاءِ الأَمصار[٢].

وجمهور الأمة من الصحابة والتابعين: على أن الفرض في الرجلين الغسل، وأن المسح لا يجزئ[٣].

وروي ذلك عن الضحاك، وهو يقرأ بكسر اللام[٤].

والكلام في قوله: ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ كما تقدم في قوله: ﴿إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾.

واختلف اللغويون في ﴿ٱلْكَعْبَيْنِ﴾؛ فالجمهور: على أنهما العظمان الناتئان في جنبي الرجل.

وهذان هما حد الوضوء بإجماع فيما علمت[٥].

واختلف؛ هل يدخلان في الغسل، أم لا كما تقدم في المرفق؟

وقال قوم الكعب: هو العظم الناتئ في وجه القدم حيث يجتمع شراك النعل.

قال القاضي أبو محمد: ولا أَعلم أَحداً جعل حدَّ الوضوءِ إِلى هذا، ولكن عبد

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٦٢).

(٢) انظر قول الحسن في: تفسير الطبري (١٠/ ١٦٣)، وانظر المجموع (٢/ ٢١٤).

(٣) انظر الاستذكار (١/ ١٤٠)، ونقل ابن القطان في: الإقناع (١/ ٢١٢): أنه لا مخالف لهذا القول إلا الطبري والشيعة.

(٤) كما تقدم قريباً عن الطبري، وفي الأصل: بضم اللام، وأشار لها في هامش المطبوع، وكذا نجيبويه، وعليها علامة: «صح».

(٥) انظر نقل الإجماع في: الإقناع (١/ ٢١٤).

الوهاب في التلقين جاء في ذلك بلفظ فيه تخليط وإبهام[(١)].

قال الشافعي رحمه الله: لم أعلم مخالفاً في أن ﴿ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ هما العظمان في مجمع مفصل الساق[(٢)].

وروى الطبري عن يونس، عن أشهب، عن مالك قال: الكعبان اللذان يجب الوضوء إليهما هما العظمان الملتصقان بالساق المحاذيان للعقب، وليس الكعب بالظاهر في وجه القدم[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: ويظهر ذلك من الآية من قوله في الأيدي: ﴿إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾؛ أي: في كل يد مرفق، ولو كان كذلك في الأرجل لقيل: إلى الكعوب، فلما كان في كل رجل كعبان خصًّا بالذكر.

وألفاظ الآية تقتضي الموالاة بين الأعضاء، واختلف العلماء في ذلك، فقال ابن أبي سلمة[(٤)] وابن وهب: ذلك من فروض الوضوء في الذكر والنسيان، وقال ابن عبد الحكم: ليس بفرض مع الذكر، وقال مالك: هو فرض مع الذكر، ساقط مع النسيان[(٥)].

وكذلك تتضمن ألفاظ الآية الترتيب، واختلف فيه؛ فقال الأبهري: الترتيب سنة، وظاهر المذهب: أن التنكيس للناسي مجزئ، واختلف في العامد؛ فقيل: يجزئ ويرتب في المستقبل، وقال أبو بكر القاضي وغيره: لا يجزئ؛ لأنه عابث[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبًا﴾ الجنب: مأخوذ من الجنب؛ لأنه يمس جنبه

---

(١) التلقين (١/ ١٩)، بلفظ: والكعبان هما العظمان اللذان عند معقد الشراك، وقيل: الناتئان في طرف الساق، وهما داخلان في الوجوب.

(٢) انظر قول الشافعي في: الأم (١/ ٤٢).

(٣) تفسير الطبري (١٠/ ٤٦)، بتصرف.

(٤) في نجيبويه: «ابن مسلمة»، ولعله خطأ، فهو عبد العزيز بن أبي سلمة.

(٥) انظر هذه الأقوال الثلاثة في الموالاة في تفسير القرطبي (٦/ ٩٨).

(٦) انظر تفسير القرطبي (٦/ ٩٨).

جنب امرأة في الأغلب، ومن المجاورة والقرب قيل: ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦].

ويحتمل الجنب أن يكون من البعد؛ إذ البعد يسمى جنابة، ومنه: تجنبت الشيء: إذا بعدت عنه، فكأنه جانب الطهارة، وعلى هذا يحتمل أن يكون (الجار الجُنُب) هو البعيد الجوار، ويكون مقابلاً للصاحب بالجنب.

و(اطهروا) أمر بالاغتسال بالماء، ولذلك رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن مسعود وغيرهما: أن الجنب لا يتيمم ألبتة، بل يدع الصلاة حتى يجد الماء[١].

وقال جمهور الناس: بل هذه العبارة هي لواجد الماء[٢]، وقد ذكر الجنُب أَيضاً بعْدُ في أَحكام عادم الماء بقوله تعالى: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾؛ إذ الملامسة هنا الجماع، والطهور بالماء صفته أن يعم الجسد بالماء، وتمر اليد مع ذلك عليه، هذا هو مشهور المذهب.

وروى محمد بن مروان الطاطري[٣] وغيره عن مالك: أنه يجزئ في غسل الجنابة أن ينغمس الرجل في الماء دون تدلك[٤].

وقد تقدم في (سورة النساء) تفسير قوله عز وجل: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾، وقراءة من قرأ: (مِنَ الْغَيْطِ)[٥].

وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ الإرادة: صفة ذات،

---

(١) انظر قول عمر وابن مسعود في: الأوسط (٢/ ١٣٤).

(٢) ومعنى ذلك: أن للجنب عند انعدام الماء التيمم، وهو أمر مجمع عليه كما نقل ابن القطان في: الإقناع (١/ ٢٣٧).

(٣) في المطبوع ونور العثمانية: «الظاهري»، والصواب: أنه مروان بن محمد بن حسان الطاطري، أبو بكر الأسدي الدمشقي، روى عن مالك، والليث، وابن لهيعة، وخلق، وثقه أبو حاتم وغيره، وكان أحمد يثني عليه، توفي سنة (٢١٠هـ)، تاريخ الإسلام (١٤/ ٣٨٣).

(٤) إنما نقل ابن حزم هذا القول في المحلى (١/ ٢٧٧)، عن الشعبي والنخعي والحسن، ونقل عن مالك وجوب التدلك، وهذا هو المعروف عنه، انظر المدونة (١/ ١٣٢)، والاستذكار (١/ ٢٦١)، والأوسط (٢/ ٢٣٣)، والمجموع (٢/ ٢١٤).

(٥) انظر تفسير الآية (٤٣) من (سورة النساء).

وجاء الفعل مستقبلاً مراعاة للحوادث التي تظهر عن الإرادة؛ فإنها تجيء مُؤْتَنِفة من تطهير المؤمنين، وإتمام النعم عليهم، وتعديةُ «أراد» وما تصرف منه بهذه اللام عرفٌ في كلام العرب، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] أُرِيدُ لأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا ... تَمَثَّلُ لي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ[1]

قال سيبويه: وسألته ـ رحمه الله ـ عن هذا فقال: المعنى: إرادتي لأنسى[2]، ومن ذلك قول قيس بن سعد[3]:

[الطويل] أَرَدْتُ لِكَيْمَا يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهَا ... سَرَاوِيلُ قَيْسٍ وَالْوُفُودُ شُهُودُ[4]

ويحتمل أن يكون في الكلام مفعول محذوف تتعلق به اللام، وما قال الخليل لسيبويه أخصر وأحسن، ويعترض هذا الاحتمال في المفعول المحذوف بأن ﴿مِّنْ﴾ تصير زائدة في الواجب.

وينفصل بأن قوة النفي الذي في صدر الكلام يشفع لزيادة ﴿مِّنْ﴾، وإن لم يكن النفي واقعاً على الفعل الواقع على الحرج، ولهذا نظائر.

و«الحرج»: الضيق، والحرجة: الشجر الملتف المتضايق، ومنه قيل يوم بدر في أبي جهل: إنه كان في مثل الحرجة[5] من الرماح، ويجري مع معنى هذه الآية قول النبي

(١) البيت لكثير بن عبد الرحمن المشهور بكثير عزة كما قد تقدم في تفسير الآية (١٨٦) من (سورة البقرة).

(٢) ولفظه في الكتاب لسيبويه (٣/ ١٦١)، وسألته عن معنى قوله: أريد لأن أفعل، فقال: إنما يريد أن يقول: إرادتي لهذا.

(٣) قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري الخزرجي، كان حامل راية الأنصار مع رسول الله ﷺ، وكان من ذوي الرأي من الناس حسناً طويلاً، إذا ركب الحمار خطّت رجلاه الأرض، وكان سخيّاً كريما داهية، توفي سنة (٨٥هـ)، الإصابة (٥/ ٣٥٩).

(٤) انظر عزوه له في تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٩/ ٤٣١)، والكامل في اللغة والأدب (٢/ ٨٦)، وذكر له قصة.

(٥) إسناده جيد، أخرجه ابن هشام (١/ ٦٣٤ - ٦٣٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٨٣)، من طريق ابن إسحاق، وفي المطبوع: «الحرج»، وفي الحمزوية: «الحراج».

ﷺ: «دين الله يسر»[١]، وقوله: «بعثت بالحنيفية السمحة»[٢].

وجاء لفظ الآية على العموم، والشيء المذكور بقرب هو أمر التيمم، والرخصة فيه، وزوال الحرج في تحمل الماء أبداً، ولذلك قال أسيد: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ الآية، إعلام بما لا يوازى بشكر من عظيم تفضله تبارك وتعالى.

و﴿لَعَلَّكُمْ﴾: ترجٍّ في حق البشر.

وقرأ سعيد بن المسيب: (يُطْهِركم)، بسكون الطاء وتخفيف الهاء[٤].

قوله عز وجل: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

الخطاب بقوله: ﴿وَاذْكُرُوا﴾ إلى آخر الآية، هو للمؤمنين بمحمد ﷺ.

و﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾: اسم جنس يجمع الإسلام، وجمع الكلمة، وعزة الحياة، وغنى المال، وحسن المآل، هذه كلها نعم هذه الملة.

و«الميثاق» المذكور: هو ما وقع للنبي ﷺ في بيعات العقبة، وبيعة الرضوان،

---

(١) ضعيف، أخرجه أحمد (٢٠٦٦٩)، وأبو يعلى (٦٨٦٣)، والطبراني (١٧/ ١٤٦)، وغيرهم، من طريق عاصم بن هلال عن غاضرة بن عروة الفقيمي، عن أبيه به، وفيه قصة، قال علي بن المديني: غاضرة بن عروة الفقيمي شيخ مجهول، لم يرو عنه غير عاصم بن هلال. اهـ، وعاصم ضعفه بعضهم، ومشاه آخرون.

(٢) ضعيف، أخرجه أحمد (٢٢٢٩١)، والطبراني (٨/ ٢٢٢)، وغيرهم، من طريق علي بن يزيد ـ هو الألهاني ـ عن القاسم ـ هو ابن عبد الرحمن الشامي، عن أبي أمامة به، وفيه قصة، قال يحيى بن معين: علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة هي ضعاف كلها.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٣٤) (٣٦٧٢) (٤٦٠٧)، ومسلم (٣٦٧).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٣٧)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٣٣).

[٢/ ١٤] وكل موطن / قال الناس فيه: سمعنا وأطعنا، هذا قول ابن عباس والسدي وجماعة من المفسرين، وقال مجاهد: الميثاق المذكور: هو المأخوذ على النسم حين استخرجوا من ظهر آدم[(١)]، والقول الأول أرجح وأليق بنَمَط الكلام.

ثم أمر تعالى المؤمنين بالقيام دأباً متكرراً بالقسط، وهو العدل، وقد تقدم نظير هذا في سورة النساء، وتقدم في صدر هذه السورة نظير قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ [المائدة: ٢].

وباقي الآية بيِّن متكرر، والله المعين.

قوله عز وجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝١٠ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١١﴾.

هذه آية وعد للمؤمنين بستر الذنوب عليهم وبالجنة، فهي الأجر العظيم، و«وَعَدَ» يتعدى إلى مفعولين، ويجوز الاقتصار على أحدهما، وكذلك هو في هذه الآية، فالمفعول الثاني مقدر يفسره ويدل عليه قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾، ثم عقب تعالى بذكر حال الكفار ليبين الفرق.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية، خطاب للنبي ﷺ وأمته، والنعمة هي العاملة في ﴿إِذْ﴾، وهي نعمة مخصوصة، وهمَّ الرجل بالشيءِ: إذا أراد فعله، ومنه قول الشاعر:

[الرجز] هَلْ يَنْفَعَنْكَ الْيَومَ إِنْ هَمَّتْ بِهَمْ كثْـرةُ ما تُوصِي وتَعْقَـادُ الرَّتَمْ[(٢)]

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٩٣).

(٢) بلا نسبة، في إصلاح المنطق (ص: ٥١)، والعين (٨/ ١١٨)، والمعاني الكبير (١/ ٢٦٨)، قال: والرتم شجر، وكان الرجل إذا خرج في سفر عقد بعض أغصانه ببعض، فإذا رجع من سفره وأصابه على تلك الحال قال: لم تخني امرأتي، وإن أصابه قد انحلَّ قال: خانتني.

ومنه قول الآخر:

هَمَمْـتُ ولَـمْ أَفْعَلْ وكـدْتُ وَلَيْتَني   تَرَكْتُ علَى عُثمانَ تَبْـكي حَلائِلُه[١]   [الطويل]

واختلف الناس في سبب هذه الآية، وما النازلة التي وقع فيها الهَمُّ ببسط اليد، والكفُّ من الله تعالى؟

فقال الجمهور: إن سبب هذه الآية أنه لما قتل أهل بئر معونة نجا من القوم عمرو ابن أمية الضمري ورجل آخر معه، فلقيا بقرب المدينة رجلين من سليم قد كانا أَخذا عهداً من النبي ﷺ وانصرفا، فسألهما عمرو: مِمَّن أَنتما؟ فانْتَسَبا إِلى بني عامر رهط عامر بن الطفيل، وهو كان الجاني على المسلمين في بئر معونة، فقتلهما عمرو وصاحبه، وأتيا بسلبهما النبي ﷺ، فقال: «لقد قتلتما قتيلين لأَدِيَنَّهُمَا».

ثم شرع رسول الله ﷺ في جمع الدية، فذهب يوماً إلى بني النضير يستعينهم في الدية، ومعه أبو بكر وعمر وعلي، فكلمهم فقالوا: نعم يا أبا القاسم، انزل حتى نصنع لك طعاماً وننظر في معونتك، فنزل رسول الله ﷺ في ظل جدار، فتآمروا بينهم في قتله، وقالوا: ما ظفرتم بمحمد قط أقرب مَرَاما منه اليوم، فقال بعضهم لبعض: مَن رجل يظهر على الحائط فيصب عليه حجراً يَشْدَخه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش فيما روي، وجاء جبريل فأخبر النبي ﷺ، فقام رسول الله من المكان، وتوجه إلى المدينة، ونزلت الآية في ذلك[٢].

وفي الخبر زوائد لا تخص الآية، وقد ذكره ابن إسحاق وغيره، وهذا القول يترجح بما يأتي بعد من الآيات في وصف غدر بني إسرائيل، ونقضهم المواثيق.

---

(١) البيت لضابئ بن الحارث البرجمي، انظر عزوه له في الاشتقاق (١/ ٢١٨)، والكامل (١/ ٣٠٤)، والشعر والشعراء (١/ ٣٣٩).

(٢) مرسل ضعيف، أخرجه الطبري (١٠/ ١٠١)، من طريق ابن حميد، حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر قالا: خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير، وهو مرسل، على ما فيه من ضعف ابن حميد، وعنعنة ابن إسحاق.

وقالت جماعةٌ من العلماءِ: سبب الآية فعل الأعرابي في غزوة ذات الرقاع، وهي غزوة النبي ﷺ بني محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان، وذلك أنه نزل بواد كثير العضاه، فتفرق الناس في الظلال، وتركت للنبي ﷺ شجرة ظليلة، فعلق سيفه بها ونام، فجاء رجل من محارب فاخترط السيف، فانتبه النبي ﷺ والسيف صَلْت في يده، فقال للنبي ﷺ: أتخافني؟ فقال: «لا»، فقال له: ومن يمنعك مني؟ فقال: «الله»، فشام السيف في غمده وجلس[١].

وفي البخاري أن النبي ﷺ دعا الناس، فاجتمعوا وهو جالس عند النبي ﷺ ولم يعاقبه[٢].

وذكر الواقدي وابن أبي حاتم عن أبيه: أنه أسلم[٣]، وذكر قومٌ أَنه ضرب برأْسه في ساق الشجرة حتى مات، فنزلت الآية بسبب ذلك[٤].

وفي البخاري في غزوة ذات الرقاع: أن اسم الرجل غَوْرَث بن الحارث، بِالْغَيْن منقوطة[٥]، وحكى بعض الناس: أن اسمه: دُعْثُور بن الحارث[٦].

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ١٠٦).

(٢) صحيح بنحوه بدون ذكر الآية، أخرجه الطبري (١٠/ ١٠٥)، من طريق سعيد، عن قتادة قال: ذكر لنا... وهذا مرسل، ثم أخرجه من طريق عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، ذكره عن أبي سلمة، عن جابر.
والقصة بنحوها في صحيح البخاري من حديث جابر (٤١٣٥)، وفيها: أن اسم الرجل: غورث بن الحارث، لكن ليس فيها ذكر الآية.

(٣) مغازي الواقدي (١/ ١٩٥).

(٤) عن محمد بن كعب القرظي وغيره، وتفسير الطبري (١٠/ ٤٧٠)، والهداية لمكي (٣/ ١٨٠٧).

(٥) صحيح البخاري (٤١٣٥)، قال في الإصابة (٥/ ٢٥٢): استدركه الذهبي في التجريد، بهذا الحديث، وليس فيه تعرض لإسلامه.

(٦) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٣٥)، وذكر في الإصابة (٢/ ٣٢٤): أنه كان شجاعاً مسوَّداً في غطفان، وأنه أسلم بعد ذلك، قال: وقصته شبيهة بقصة غورث المخرّجة في الصحيح، فيحتمل التعدُّد، أو أحد الاسمين لقب إن ثبت الاتحاد.

وحكى الطبري: أن الآية نزلت بسبب قوم من اليهود أرادوا قتل النبي ﷺ في طعام، فأشعره الله بذلك، ثم أدخل الطبري تحت هذه الترجمة عن ابن عباس خلاف ما ترجم به؛ من أن قوماً من اليهود صنعوا للنبي ﷺ وأصحابه طعاماً ليقتلوه إذا أتى الطعام[١].

قال القاضي أبو محمد: فيشبه أن ابن عباس إنما وصف قصة بني النضير المتقدمة.

وقال قتادة: سبب الآية: ما همت به محارب وبنو ثعلبة يوم ذات الرقاع من الحمل على المسلمين في صلاة العصر، فأشعره الله تعالى بذلك، ونزلت صلاة الخوف، فذلك كف أيديهم عن المسلمين[٢].

وحكى ابن فُورك عن الحسن بن أبي الحسن أن الآية نزلت بسبب أَن قريشاً بعثت إِلى النبي ﷺ رجلاً ليغتاله ويقتله، فأَطلعه الله تعالى على ذلك، وكفاه شرَّه[٣].

قال القاضي أبو محمد: والمحفوظ في هذا: هو نهوض عمير بن وهب[٤] لهذا المعنى بعد اتفاقه على ذلك مع صفوان بن أمية، والحديث بكماله في سيرة ابن هشام[٥].

وذكر قوم من المفسرين ـ وأشار إليه الزجاج ـ أن الآية نزلت في معنى قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ [المائدة: ٣][٦]، فكأنه تعالى عدد على المؤمنين نعمه في أن أظهرهم، وكف بذلك أيدي الكفار عنهم التي كانوا هموا ببسطها إلى المؤمنين.

قال القاضي أبو محمد: ويحسن على هذا القول أن تكون الآية نزلت عقب غزوة الخندق، وحين هزم الله الأحزاب وكفى الله المؤمنين القتال، وباقي الآية أمر بالتقوى والتوكل.

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ١٠٥)، من طريق ضعيف جداً عن ابن عباس.
(٢) المصدر السابق (١٠/ ١٠٥ و١٠٦).
(٣) مثله في تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/ ١٤).
(٤) في نجيبويه: «ابن زيد»، وهو خطأ، وعمير تقدمت ترجمته.
(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٦٦٠).
(٦) انظر معاني القرآن للزجاج (٢/ ١٥٧).

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ / وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾. [٢/ ١٥]

هذه الآيات المتضمنة الخبر عن نقضهم مواثيق الله تعالى تقوي أن الآية المتقدمة في كف الأيدي إنما كانت في أمر بني النضير.

واختلف المفسرون في كيفية بعثة هؤلاء النقباء، بعد الإجماع على أن النقيب كبير القوم، القائم بأمورهم، الذي ينقب عنها وعن مصالحهم فيها، والنقَّاب الرجل العظيم الذي هو في الناس كلهم على هذه الطريقة ومنه، قيل في عمر: إن كان لنَقَّاباً[(١)].

فَالنُّـقَبَاءُ: [الضُّمَّان، واحدهم نقيب، وهو شاهد القوم وضمينهم[(٢)].

وقال قوم: النُّـقَبَاءُ: الأُمناءُ على قومهم، وهذا كله قريب بعضه من بعض، فالنقيب أكبر مكانة [من العريف][(٣)].

قال قتادة رحمه الله وغيره: هؤلاءِ النُّقباءُ][(٤)] قومٌ كبارٌ من كلِّ سبط، تكفَّل كل واحد بسبطه بأن يؤمنوا ويتقوا الله تعالى.

قال القاضي أبو محمد: ونحو هذا كان النقباء ليلة بيعة العقبة مع محمد ﷺ، وهي العقبة الثالثة بايع فيها سبعون رجلاً وامرأتان، فاختار رسول الله ﷺ من السبعين اثني عشر رجلاً وسماهم النقباء.

(١) تابعه تفسير القرطبي (٦/ ١١٢)، والمعروف: أنه من كلام الحجاج في ابن عباس، انظر غريب الحديث لابن سلام (٤/ ٤٧٩).
(٢) ورد في السليمانية وفيض الله ونجيبويه ولالاليه: «فالنقباء الضمان التزام من ورائهم»، هكذا.
(٣) ساقط من نجيبويه.
(٤) سقط من الأصل.

وقال الربيع والسدي وغيرهما: إنما بعث النقباءُ من بني إِسرائيل أُمناءَ على الاطلاع على الجبارين، والسَّبْر لقوتهم ومَنَعَتهم، فساروا حتى لقيهم رجل من الجبارين، فأَخذهم جميعاً فجعلهم في حجزته[١].

قال القاضي أبو محمد: في قصص طويل ضعيف مقتضاه: أنهم اطلعوا من الجبارين على قوة عظيمة، وظنوا أنهم لا قبل لهم بهم، فتعاقدوا بينهم على أَن يُخفوا ذلك عن بني إِسرائيل، وأَن يُعلموا به موسى ـ عليه السلام ـ ليرى فيه أمر ربه، فلما انصرفوا إلى بني إسرائيل خان منهم عشرة، فعرفوا قراباتهم، ومن وثقوه على سرهم، ففشا الخبر حتى اعوج أمر بني إسرائيل وقالوا: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

وأسند الطبري عن ابن عباس قال: النقباءُ من بني إسرائيل بعثهم موسى لينظروا إلى مدينة الجبارين فذهبوا ونظروا فجاؤوا بحبة من فاكهتهم وِقْر رجل، فقالوا: اقدروا قدر قوة قوم هذه فاكهتهم، فكان ذلك سبب فتنة بني إسرائيل ونكولهم[٢].

وذكر النقاش أن معنى قوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾؛ أي: ملكاً، وأن الآية تعديد نعمة الله عليهم في أن بعث لإصلاحهم هذا العدد من الملوك، قال: فما وفى منهم إلا خمسة: داود عليه السلام، وابنه سليمان، وطالوت، وحِزْقِيا[٣]، وابنه، وكفر السبعة وبدلوا[٤] وقتلوا الأنبياء، وخرج خلال الاثني عشر اثنان وثلاثون جباراً، كلهم يأخذ الملك بالسيف ويَعِيث فيهم.

والضمير في: ﴿مَعَكُمْ﴾ لبني إِسرائيل جميعاً، ولهم كانت هذه المقالة، وقال الربيع: بل الضمير للاثني عشر، ولهم كانت هذه المقالة.

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ١١١ و١١٩).
(٢) تفسير الطبري (١٠/ ١١٩)، بإسناد ضعيف جداً، عن ابن عباس.
(٣) في نجيبويه: «حزقيل».
(٤) زاد في الحمزوية: «دينهم»، وفي السليمانية وفيض الله ولالاليه: «الدين».

قال القاضي أبو محمد: والقول الأول أرجح، و﴿مَعَكُمْ﴾ معناه: بنصري وحِياطتي وتأييدي.

واللام في قوله: ﴿لَئِنْ﴾ هي المؤْذِنة بمجيءِ لام القسم، ولام القسم هي قوله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾.

والدليل على أن هذه اللام إنما هي مؤذِنة: أنها قد يستغنى عنها أَحياناً، ويتم الكلام دونها، ولو كانت لام القسم لم يترتب ذلك.

وإقامة الصلاة تَوفية شروطها، والزَّكاةَ هنا شيءٌ من المال كان مفروضاً عليهم فيما قال بعض المفسرين[١].

ويحتمل أن يكون المعنى: وأعطيتم من أَنفسكم كلَّ ما فيه زكاة لكم حسبما ندبتم إليه، وقدم هذه على الإيمان تشريفاً للصلاة والزكاة، وإذ قد علم وتقرر أنه لا ينفع عملٌ إلا بإِيمان.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (بِرُسْلِي) ساكنة السين في كل القرآن[٢].

﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ معناه: وقَّرْتُموهم وعظَّمتموهم ونصرتمُوهم، ومنه قول الشاعر:

[الوافر] وَكَـمْ مِـنْ مَاجِـدٍ لَهُـمُ كَريـمٍ وَمِـنْ لَيْـثٍ يُعَـزَّرُ في النَّـديِّ[٣]

وقرأ عاصم الجحدري: (وعَزَرْتموهم)، خفيفة الزاي حيث وقع، وقرأ في سورة الفتح: (وتَعْزروهُ) [الفتح: ٩]، بفتح التاء وسكون العين وضم الزاي[٤].

وقد تقدم في سورة البقرة تفسير الإقراض.

وتكفيرُ السَّيِّئات: تَغْطِيتها بالمحو والإذهاب، فهي استعارة.

---

(١) تفسير السمعاني (٢/ ٢١).

(٢) كما تقدم في تفسير الآية (٨٨) من (سورة البقرة).

(٣) بلا نسبة في مجاز القرآن (١/ ١٥٧)، وتفسير الطبري (١٠/ ١٢٠)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٧).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٠٨)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٧٥)، والكامل للهذلي (ص: ٥٣٣).

و﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: وسطه، ومنه: ﴿سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]، ومنه قول الأعرابي: قد انقطع سوائي[(١)]، وأوساط الطرق هي المعظم اللاحِب منها.

وسائر ما في الآية[(٢)] بيِّنٌ، والله المستعان.

قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣﴾.

يحتمل أن تكون (ما) زائدةً، والتقدير: فبنقضهم، ويحتمل أن تكون اسماً نكرة أبدل منه النقض على بدل المعرفة من النكرة، التقدير: فبفعل هو نقضهم للميثاق، وهذا هو المعنى في هذا التأويل، وقد تقدم في النساء نظير هذا، و﴿لَعَنَّٰهُمۡ﴾ معناه: بعدناهم من الخير أجمعه.

وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر: ﴿قَٰسِيَةٗ﴾ بالألف، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿قسِيَّةً﴾ دون ألف[(٣)]، وزنها: فعيلة.

فحجة الأولى قوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾ [الزمر: ٢٢][(٤)]، وقوله: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٧٤]، والقسوة: غِلَظ القلب، ونبوه عن الرقَّة والموعظة، وصلابته حتى لا ينفعل لخير[(٥)].

ومن قرأ ﴿قَسِيَّةً﴾ فهو من هذا المعنى فعيلة بمعنى: فاعلة، كشاهد وشهيد، وغير ذلك من الأمثلة.

---

(١) إشارة لقول عيسى بن عمر النحوي: ما زلت أكتب حتى انقطع سوائي؛ يعني: وسطي، مجاز القرآن (١/ ٥٠).

(٢) في السليمانية والمطبوع: «وباقي الآية».

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٩٩)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٤٣).

(٤) سقطت هذه الآية من نور العثمانية.

(٥) في السليمانية: «إلى خير».

وحكى الطبري عن قوم: أنهم قالوا: قَسِيَّةٌ: ليست من معنى: القسوة، وإنما هي كالقسي من الدراهم، وهي التي خالطها غش وتدليس، فكذا القلوب لم تصف للإيمان، بل خالطها الكفر والفساد(١)، ومن ذلك قول أبي زبيد(٢):

[البسيط] لَهَا صواهِلُ في صُمِّ السِّلام كَمَا ... صَاحَ القَسِيَّاتُ في أَيْدي الصَّياريفِ(٣)

ومنه قول الآخر:

[الطويل] فَمَا زَوَّداني غَيْرَ سَحْق عِمَامَةٍ ... وَخَمْسِمِئٍ مِنْها قَسِيٌّ وَزَائِفُ(٤)

قال أبو علي: هذه اللفظة معربة، وليست بأصل في كلام العرب(٥).

واختلف العلماء في معنى قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾: فقال قوم منهم ابن عباس: تحريفهم هو بالتأويل، ولا قدرة لهم على تبديل الألفاظ في التوراة، ولا يتمكن لهم ذلك، ويدل على ذلك بقاء آية الرجم واحتياجهم إلى أن يضع / القارئ يده عليها(٦). [٢/ ١٦]

وقالت فرقة: بل حرفوا الكلام وبدلوه أيضاً، وفعلوا الأمرين جميعاً، بحسب ما أمكنهم.

قال القاضي أبو محمد: وألفاظ القرآن تحتمل المعنيين، فقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ١٢٧ و١٢٨).

(٢) هو أبو زبيد الشاعر، واسمه حرملة بن المنذر بن معدي كرب بن حنظلة بن النعمان بن حية، الطائي، توضيح المشتبه (٩/ ١٥٦)، وفي نور العثمانية: «أبي زيد».

(٣) انظر عزوه له في الطبري (١٠/ ١٢٧)، والأمالي للقالي (١/ ٢٩)، والمعاني الكبير (٣/ ١٢٠٤)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٤٦٢).

(٤) البيت لمزرد بن ضرار أخي الشماخ كما في إصلاح المنطق (ص: ٢١٤)، والدلائل لابن ثابت (٢/ ٤٩٩)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٤٤٣).

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٢١٧).

(٦) ذكر البخاري (٩/ ١٦٠) باب قول الله تعالى ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ وقال ابن عباس: ﴿يُحَرِّفُونَ﴾: يزيلون، وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله عز وجل، ولكنهم يحرفونه يتأولونه على غير تأويله دراستهم تلاوتهم. اهـ، فقال الحافظ ابن حجر في الفتح: لم أر هذا موصولاً من كلام ابن عباس من وجه ثابت.

﴿يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ﴾ الآية [البقرة: ٧٩]، تقتضي التبديل، ولا شك أنهم فعلوا الأمرين.

وقرأ جمهور الناس ﴿ٱلۡكَلِمَ﴾ بفتح الكاف وكسر اللام، وقرأ أبو عبد الرحمن، وإِبراهيم النَّخَعي: (الكَلاَمَ)، بالألف، وقرأَ أَبو رجاءٍ: (الكِلْم)، بكسر الكاف وسكون اللام[١].

وقوله تعالى: ﴿وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ نص على سوء فعلهم بأنفسهم؛ أي: قد كان لهم حظ عظيم فيما ذكروا به فنسوه وتركوه، ثم أخبر تعالى نبيه ﷺ أنه لا يزال في مُؤْتنف الزمان يطلع عَلى خائِنَةٍ مِنْهُم، وغائلة وأمور فاسدة.

واختلف الناس في معنى: ﴿خَآئِنَةٖ﴾ في هذا الموضع:

فقالت فرقة: ﴿خَآئِنَةٖ﴾: مصدر كالعاقبة، وكقوله تعالى: ﴿فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥]، فالمعنى: على خيانة.

وقال آخرون: معناه: على فرقة خائنة، فهي اسم فاعل صفة المؤنث.

وقال آخرون: المعنى: على خائن، فزيدت الهاء للمبالغة كعلامة ونسَّابة، ومنه قول الشاعر:

[الكامل]
حَدَّثْتَ نَفْسَكَ بِالْوَفَاءِ ولَمْ تكُن ... لِلْغَدْرِ خَائِنَةً مُغِلَّ الإِصْبَعِ[٢]

وقرأ الأعمش: (عَلَى خِيَانَةٍ مِنْهُمْ)[٣].

ثم استثنى تبارك وتعالى منهم القليل، فيحتمل أَن يكون الاستثناءُ في الأَشخاص، ويحتمل أن يكون في الأفعال، وقوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡ﴾ منسوخٌ بما في بَـرَاءَة من الأمر بقتالهم حتى يؤدوا الجزية، وباقي الآية وعدٌ على الإِحسان.

---

(١) انظر القراءتين في الشواذ للكرماني (ص: ١٥٢)، والأولى في تفسير الثعلبي (٤/ ٣٨).

(٢) نسبه أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ١٥٨) للكلابي، أي: رجل من بني أبي بكر بن كلاب، وانظر قصته في الكامل (١/ ٢٨١).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر الكامل للهذلي (ص: ٣٨٠).

قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ...﴾.

(مِن): متعلقة بـ﴿أَخَذۡنَا﴾، التقدير: وأخذنا من الذين قالوا: إنَّا نصارى ميثاقهم، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَمِنَ﴾: معطوفاً على قوله: ﴿خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾ [المائدة: ١٣]، ويكون قوله: ﴿أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ﴾: ابتداء خبر عنهم، والأول أرجح.

وعلق كونهم نصارى بقولهم ودعواهم، من حيث هو اسم شرعي يقتضي نصر دين الله، وسَمَّوا به أَنفسهم دون استحقاق ولا مشابهة بين فعلهم وقولهم، فجاءت هذه العبارة موبخة لهم، مزحزحة عن طريق نصر دين الله وأنبيائه.

وقوله تعالى: ﴿فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ﴾ معناه: أثبتناها بينهم، وألصقناها، والإِغراءُ: مأْخوذ من الغِراءِ الذي يلصق به.

والضمير في: ﴿بَيۡنَهُمُ﴾ يحتمل أن يعود على اليهود والنصارى؛ لأن العداوة بينهم موجودة مستمرة، ويحتمل أن يعود على النصارى فقط؛ لأنها أمة متقاتلة، بينها الفتن إلى يوم القيامة.

ثم توعدهم الله تعالى بعقاب الآخرة؛ إِذْ إِنْبَاؤُهُم بصنعهم إِنما هو تقرير وتوبيخ مُتَقَدِّمٌ[1] للعذاب؛ إِذْ صُنْعهم كفر يوجب الخلود في النار.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾؛ لفظ يعم اليهود والنصارى، ولكن نوازل الإخفاء كالرجم[2] وغيره إنما حفظت لليهود؛ لأنهم كانوا مجاوري رسول الله ﷺ في مهاجره.

وقال محمد بن كعب القرظي: أول ما نزل من هذه السورة هاتان الآيتان في شأن

(١) «متقدم»: زيادة من نور العثمانية، ومن المطبوع، وفيه: «تقدير»، بالدال.

(٢) في المطبوع: «كالرحم».

اليهود والنصارى، ثم نزل سائر السورة بعرفة في حجة الوداع[١].

وقوله: ﴿رَسُولُنَا﴾؛ يعني: محمداً ﷺ، وفي الآية الدلالة على صحة نبوته؛ لأَن إِعلامه بِخَفيٍّ ما في كتبهم ـ وهو أُمي لا يقرأُ، ولا يصحب القرأةَ ـ دليلٌ على أن ذلك إنما يأتيه من عند الله تبارك وتعالى، وأشهر النوازل التي أخفوها فأظهرها الله على لسان نبيه أمر الرجم، وحديثه مشهور، ومن ذلك صفات محمد ﷺ إلى غير ذلك.

و﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ يعني: من التوراة، وقوله: ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ معناه: ويترك كثيراً لا يفضحكم فيه إبقاء عليكم.

وهذا المتروك هو في معنى افتخارهم ووصفهم أيام الله قبلهم، ونحو ذلك مما لا يتعين في ملة الإسلام فضحهم فيه وتكذيبهم.

والفاعل في (يَعْفُوا) هو محمد ﷺ، ويحتمل أن يستند الفعل إلى الله تعالى، وإذا كان العفو من النبي ﷺ فبأمر ربه، وإن كان من الله تعالى فعلى لسان نبيه ﷺ، والاحتمالان قريب بعضهما من بعض.

قوله عز وجل: ﴿...قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾.

قوله عز وجل: ﴿نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾، يحتمل أن يريد محمداً ﷺ والقرآن، وهذا هو ظاهر الألفاظ، ويحتمل أن يريد موسى عليه السلام والتوراة؛ أي: ولو اتبعتموها حق الاتباع لآمنتم بمحمد؛ إذ هي آمرة بذلك مبشرة به.

---

(١) البحر المحيط (٤/ ٢٠٨).

وقرأَ عبيد بن عمير، والزهري، وسلام، وحميد، ومسلم بن جندب: (بِهُ الله)، بضم الهاء حيث وقع مثله[١].

و﴿ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ معناه بالتكسب والنية والإقبال عليه، والسبل الطُّرق، والقراءَة في: (رضوان) بضم الراء وبكسرها وهما لغتان، وقد تقدم ذكر ذلك[٢].

وقرأ ابن شهاب والحسن بن أبي الحسن: (سُبْل) ساكنة الباء[٣].

و﴿ٱلسَّلَٰمِ﴾ في هذه الآية يحتمل أن يكون اسماً من أَسماءِ الله تعالى، فالمعنى: طرق الله تعالى التي أمر بها عباده وشرعها لهم، ويحتمل أن يكون مصدراً كالسلامة، فالمعنى: طرق النجاة والسلامة من النار، وقوله تعالى: ﴿وَيُخۡرِجُهُم﴾؛ يعني: المتبعين الرضوان، فالضمير على معنى «من» لا على لفظها، و﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكفر، و﴿ٱلنُّورِ﴾: الإيمان، وقوله تعالى: ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾؛ أي: يمكنهم من أقوال الإيمان وأفعاله، [ويعلم][٤] فعلهم لذلك[٥]، والتزامهم إياه، فهذا هو حد الإذن، العلم بالشيء / والتمكين منه، وقد تقدم [٢/ ١٧] شرحه في سورة البقرة، و«الصراط المستقيم»: هو دِينُ الله وتوحيده وما تركب عليه من شرعه.

ثم أخبر تعالى بكفر النصارى القائلين بأن الله هو المسيح، وهذه فرقة من النصارى، وكل فرقهم على اختلاف أقوالهم يجعل للمسيح ـ عليه السلام ـ حظاً من الألوهية.

وقد تقدم القول في لفظ «الْمَسِيح» في سورة آل عمران.

---

(١) وهي قراءة شاذة انظر عزوها لعبيد ومسلم في تفسير الثعلبي (٤/ ٣٩)، وللباقين في البحر المحيط (٤/ ٢٠٩).

(٢) في (سورة آل عمران)، إلا أن هذا الحرف خاصة ليس فيه من طرق التيسير (ص: ٨٦)، إلا الكسر، وورد الضم عن شعبة في بعض طرق النشر (٢/ ٢٣٨)، وجامع البيان (٣/ ٩٥٧)، والكامل (ص: ٥١٤)، وهو مقتضى الإطلاق المتقدم عن الأعمش.

(٣) وهي قراءة شاذة، عزاها للحسن الكرماني في الشواذ (ص: ١٥٢)، وهي رواية عن أبي عمرو، كما في جامع البيان (٣/ ١٠٢٦).

(٤) في الحمزوية: «يعلمهم».

(٥) في السليمانية: «كذلك».

ثم رد عليهم تعالى بقوله لنبيه: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾؛ أي: [لا مالك][١] ولا رادّ لإرادة الله تعالى في المسيح ولا في غيره، فهذا مما تقضي العقول معه أن من تنفذ الإرادة فيه ليس بإلهٍ.

ثم قرر تعالى ملكه في السماوات والأرض وما بينهما، فحصل المسيح عليه السلام أقل أجزاء ملك الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ إشارة إلى خلقه المسيح في رحم مريم من غير والد، بل اختراعاً، كآدم عليه السلام.

وقد تقدم في آل عمران الفرق بين قوله تعالى في قصة زكرياء: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٤٠]، وفي قصة مريم: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ عموم [معناه الخصوص في ما عدا الذات والصفات والمحالات][٢]، والشيء في اللغة: هو الموجود.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾.

في الكلام لف وإيجاز يحال المستمع على تفريقه بذهنه، وذلك أن ظاهر اللفظ يقتضي أن جميع الْيَهُود وَالنَّصارى يقولون عن جميعهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾، [وليس الأمر كذلك، بل كل فرقة تقول: خاصة نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ][٣].

---

(١) ساقط من المطبوع.

(٢) سقط من الأصل، وسقط ما بعده من نور العثمانية.

(٣) ساقط من الأصل ونجيبويه.

والبُنوة في قولهم هذا: بنوة الحنان والرأفة، وذكروا أن الله تعالى أوحى إلى إسرائيل(١) أن أول أولادك بكري، فضلوا بذلك، وقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾.

ولو صح ما رووا لكان معناه بكراً في التشريف أو النبوة ونحوه.

و(أحباء): جمع حبيب، وكانت هذه المقالة منهم عند ما دعاهم النبي ﷺ إلى الإيمان به، وخوفهم العذاب، فقالوا: نحن لا نخاف ما تقول؛ لأننا أَبْناءُ الله وَأَحِبَّاؤُهُ، وذكر ذلك ابن عباس(٢)، وقد كانوا قالوا للنبي ﷺ في غير ما موطن: نحن ندخل النار فنقيم بها أربعين يوماً، ثم تخلفوننا فيها، فرد الله عليهم بقولهم، فقال لمحمد ﷺ: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾(٣)؛ أي: لو كانت منزلتكم [منه](٤) فوق منازل البشر لما عذبكم وأنتم قد أقررتم أنه يعذبكم.

قال القاضي أبو محمد: وهذا على أن التعذيب هو بنار الآخرة، وقد تحتمل الآية أن يكون المراد: ما كان الله تعالى يعذبهم به في الدنيا؛ وذلك أن بني إسرائيل كانوا إذا أصاب الرجل منهم خطيئة أصبح مكتوباً على بابه ذكر ذنبه، وذكر عقوبته، فينفذ ذلك عليه، فهذا تعذيب في الدنيا على الذنوب ينافي أنهم أبناء وأحباء.

ثم ترك الكلام الأول وأضرب عنه غير مفسد له، ودخل في غيره؛ من تقرير كونهم بشراً كسائر الناس، والخلقُ أكرمهم أتقاهم، يهدي من يشاءُ للإيمان فيغفر له، ويورِّط من يشاء في الكفر فيعذبه، وله ملك السماوات والأرض وما بينهما، فله بحَقِّ المُلكِ أَن

---

(١) في المطبوع: «بني إسرائيل».

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٥٠)، بإسناد ضعيف، عن ابن عباس.

(٣) ضعيف مرسل، إنما روي هذا عند قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ إلى قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، أخرجه الطبري (٢/ ٢٧٧)، من طريق ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي أن رسول الله ﷺ قال... وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم، وهو ضعيف، وأبوه روايته مرسلة.

(٤) زيادة من السليمانية وفيض الله.

يفعل ما شاءَ لا معقب لحكمه، وإليه مصير العالم بالحشر والمعاد.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ﴾: خطابٌ لليهود والنصارى.

و«الرسول» في قوله: ﴿رَسُولُنَا﴾: محمد ﷺ.

وقوله: ﴿عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾؛ أي: على انقطاع من مجيئهم مدة ما، و«الفترة»: سكون بعد حركة في جرم، ويستعار ذلك في المعاني، وقد قال النبي ﷺ: «لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة»[(١)]، وقال الشاعر:

وَإِنِّـي لَتَعْرُوني لِذِكْـرَاكِ فَتْرَةٌ[(٢)] .... [الطويل]

معناه سكون بعد اضطراب.

واختلف الناس في قدر الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد ﷺ:

فقال قتادة: خمس مئة عام وستون عاماً.

وقال الضحاك: أربع مئة سنة وبضع وثلاثون سنة[(٣)].

---

(١) لهذا الحديث طرق، أمثلها ما أخرجه الترمذي (٨٦)، وابن حبان (٣٤٩)، من حديث حاتم بن إسماعيل، وتمام الرازي في فوائده (٢/ ٢٩)، من حديث صفوان بن عيسى القسام البصري، كلاهما عن ابن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، به مرفوعاً. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه. اهـ.
وأخرجه ابن خزيمة (٢١٠٥) وابن حبان (١١) من حديث: حصين بن عبد الرحمن عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو، به مرفوعاً، وهذا ذكره ابن أبي حاتم في العلل (١٩٢٧)، عن أبيه، وذكر الاختلاف في إسناده، ورجح فيه الإرسال.

(٢) ورد هذا الشطر صدراً لبيتين أحدهما عجزه: لها بين جلدي والعظام دبيبُ، وهو لعروة بن حزام كما في الشعر والشعراء (٢/ ٦٠٧)، وكذا في التذكرة الحمدونية (٢/ ١٦٥)، والتذكرة السعدية (١/ ٥٤)، والبيت الثاني عجزه: كما انْتَفَضَ العصفور بَلَّلَه الْقَطْرُ، وهو الأكثر في المصادر وهو لأبي صخر الهذلي كما في الأغاني (٥/ ٢٠٠)، والحماسة البصرية (١/ ١٤٧)، والإنصاف لابن الأنباري (١/ ٢٥٣)، والزهرة (١/ ١٠٧) لكن بلفظ: رعشة، والبيتان معاً بنسبتهما في سمط اللآلي (١/ ٤٠٠)، قال: ولا أعلمه في شعر كثيِّر وقد نسب إلى مجنون بني عامر، وجعل في تاج العروس (٢٨/ ١٠٥): صدر بيت الهذلي: إذا ذكرت يرتاح قلبي لذكرها، والله أعلم.

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (١٠/ ١٥٧)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٤٠).

وفي الصحيح: أن الفترة بينهما ست مئة سنة[١].

وهذه الآية نزلت بسبب قول اليهود: ما أنزل الله على بشر بعد موسى من شيء، قاله ابن عباس[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُواْ﴾: مفعول من أجله، المعنى: حذار أن تقولوا محتجين يوم القيامة: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾، فقد جاءكم وقامت الحجة عليكم، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو الهادي والمضل والمنعم والمعذب، لا رب غيره.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

المعنى: واذكر لهم يا محمد على جهة إعلامهم بغيب[٣] كتبهم؛ ليتحققوا نبوتك، وينتظم في ذلك ذكر[٤] نعم الله عليهم، وتلقيهم تلك النعم بالكفر، وقلة الطاعة والإنابة.

وقرأ ابن محيصن: (يا قومُ) بالرفع، وكذلك حيث وقع من القرآن، وروي ذلك عن ابن كثير[٥].

و﴿نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾ هنا: اسم الجنس، ثم عدد عيون تلك النعم، والأَنبياءُ الذين جعل

---

(١) صحيح البخاري (٣٩٤٨).

(٢) فيه من لا يعرف، أخرجه الطبري من طريق محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس قال: قال معاذ بن جبل وسعد ابن عبادة وعقبة بن وهب لليهود، وشيخ ابن إسحاق لا يعرف.

(٣) في المطبوع: «بغير».

(٤) زيادة من السليمانية ونور العثمانية وفيض الله.

(٥) وهي قراءة شاذة، انظرعزوها في الكامل للهذلي (ص: ٥٣٣)، لابن محيصن وابن جبير، عن شبل، عن ابن كثير.

فيهم أَمرُهُمْ مشهور من لدن إسرائيل إلى زمان عيسى عليه السلام، والأَنبياءُ حاطة ومنقذون من النار، وشرفٌ في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ يحتمل معاني:

أحدها: أَن يُعدِّد عليهم مُلْك مَنْ مَلَك من بني إسرائيل؛ لأن الملوك لهم شرف في الدنيا، وحاطة من نوائبها.

والمعنى الآخر: أن يريد استنقذكم من القِبْط الذين كانوا يستخدمونكم، فصرتم أَحراراً تَملكون ولا تُملكون، فهم ملوكٌ بهذا الوجه، وبنحو هذا فسر السدي وغيره، وقال قتادة إنما قال: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾؛ لأنا كنا نتحدث أنهم أول من خدمه أحد من بني آدم(١).

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف؛ لأن القبط كانوا يستخدمون بني إسرائيل.

وظاهر أمر بني آدم: أن بعضهم / كان يُسخر بعضاً مذ تناسلوا وكثروا، وإنما [٢/ ١٨] اختلفت الأمم في معنى التملك فقط.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاصي والحسن بن أبي الحسن وجماعة من أهل العلم: من كان له مسكن وامرأة وخادم فهو مَلِك، وقيل: من له مسكن لا يُدخل عليه فيه إلا بإذن فهو ملك(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال فيه أبو مالك وسعيد بن جبير: الخطاب لأمة محمد ﷺ(٣)، وهذا ضعيف.

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (١٠/ ١٦٣)، وانظر تفسير السمعاني (٢/ ٢٥)، والهداية لمكي (٣/ ١٦٥٨).

(٢) روى مسلم (٢٩٧٩)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم، قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء، قال: فإن لي خادماً، قال: فأنت من الملوك، وانظر قول الحسن في تفسير الطبري (١٠/ ١٦١ و١٦٢)، والهداية لمكي (٣/ ١٦٥٨).

(٣) تفسير الطبري (١٠/ ١٦٤)، والهداية لمكي (٣/ ١٦٥٩).

وقال جمهور المفسرين: الخطاب هو من موسى عليه السلام لقومه.

ثم اختلف المفسرون ما الذي أوتوا ولم يؤت أحد مثله؟

فقال مجاهد: المن والسلوى والحجر والغمام[١]، وقال غيره: كثرة الأنبياء.

قال القاضي أبو محمد: وعلى هذا في كثرة الأَنبياءِ، فالعالَمون على العموم والإِطلاق.

وعلى القول بأَن المؤْتى هو آيات موسى، فالعالمون مقيد بالزمان الذي كانوا فيه؛ لأن أمة محمد قد أوتيت من آيات محمد ﷺ أكثر من ذلك:

قد ظلل رسول الله ﷺ بغمامة قبل مبعثه[٢]، وكلمته الحجارة والبهائم[٣]، وأقبلت إليه الشجرة[٤]، وحن الجذع[٥].

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ١٦٥)، وتفسير الماوردي (٢/ ٢٤)، وتفسير السمعاني (٢/ ٢٥)، والهداية لمكي (٣/ ١٦٥٩).

(٢) ضعيف، أخرجه الترمذي (٣٦٢٠)، وغيره من طريق عبد الرحمن بن غزوان أبي نوح، أخبرنا يونس ابن أبي إسحاق عن أبي بكر بن أبي موسى، عن أبيه قال: خرج أبو طالب إلى الشام، وخرج معه النبي ﷺ ... وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. اهـ. وفي الحديث أشياء منكرة، وأبو نوح ضعيف.

(٣) من ذلك ما جاء من شكاية الجمل للنبي ﷺ من صاحبه أنه يجيعه ويدئبه، أخرجه أبو داود (٢٥٥١)، وأصل الحديث في صحيح مسلم من نفس الطريق بدون ذكر قصة الجمل.

ومنه ما أخرجه أبو داود (٤٥١٢) من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة، ولم يذكر أبا هريرة، قال: كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية، ولا يأكل الصدقة، زاد: فأهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية سمتها، فأكل رسول الله ﷺ منها وأكل القوم، فقال: «ارفعوا أيديكم، فإنها أخبرتني أنها مسمومة»، وهذ مرسل.

ومنه ما جاء في شهادة الضب لرسول الله ﷺ بالرسالة، أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ١٢٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٣٦)، وغيرهم.

قال الذهبي في الميزان في ترجمة: محمد بن علي بن الوليد السلمي (٣/ ٦٥١): روى أبو بكر البيهقي حديث الضب من طريقه بإسناد نظيف، ثم قال البيهقي: الحمل فيه على السلمي هذا، قلت: صدق والله البيهقي، فإنه خبر باطل. اهـ.

وتوجد أخبار أخرى بأسانيد واهية، وأما تكليم الحجارة فيدل عليه ما رواه مسلم (٢٢٧٧)، من تسليم الحجر عليه ﷺ.

(٤) صحيح مسلم (٣٠١٢).

(٥) صحيح البخاري (٢٠٩٥) (٣٥٨٤).

ونبعَ الماءُ من بين أَصابعه[١]، وشبع كثير من الناس من قليل الطعام ببركته[٢]، وانشق له القمر[٣]، وعاد العود سيفاً[٤]، ورجع الحجر المعترض في الخندق رملاً مهيلاً[٥].

قال القاضي أبو محمد: وهذه المقالة من موسى توطئة لنفوسهم[٦] حتى يتعزز ويأخذ الأمر بدخول أرض الجبارين بقوة، وينفذ في ذلك نفوذ من أعزه الله ورفع شأنه.

و﴿ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾: معناه المطهرة، وقال مجاهد: المباركة[٧].

قال القاضي أبو محمد: والبركة: تطهير من القُحوط والجوع ونحوه.

واختلف الناس في تعيينها:

فقال ابن عباس ومجاهد: هي الطور وما حوله[٨]، وقال قتادة: هي الشام، وقال ابن زيد: هي أريحاء، وقاله السدي وابن عباس أيضاً[٩]، وقال قوم: هي الغوطة وفلسطين وبعض الأردن، قال الطبري: ولا يختلف أنها بين الفرات وعريش مصر[١٠].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٦٩) (٢٠٠) (٣٥٧٢) (٣٥٧٣) وغيره، ومسلم (٢٢٧٩).
(٢) صحيح البخاري (٤١٠١).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠).
(٤) إسناده ضعيف جداً، أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ١٠٨) من طريق الواقدي قال: حدثني أسامة ابن زيد الليثي، عن داود بن الحصين، عن رجال من بني عبد الأشهل عدة، قالوا: انكسر سيف سلمة ابن أسلم بن حريش يوم بدر، فبقي أعزل لا سلاح معه، فأعطاه رسول الله ﷺ قضيباً كان في يده من عراجين ابن طاب، فقال: «اضرب به»، فإذا سيف جيد، فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيد.
(٥) صحيح البخاري (٤١٠١).
(٦) زيادة من المطبوع والحمزوية.
(٧) تفسير الطبري (١٠/ ١٦٨)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/ ٤٢).
(٨) أخرجه الطبري (١٠/ ١٦٧)، من طريق سفيان، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس، والأعمش لم يسمعه من مجاهد، والصحيح: أنه من قول مجاهد نفسه.
(٩) أخرجه الطبري (١٠/ ١٦٨)، من طريق سفيان هو ابن عيينة، عن أبي سعيد، لعل الصواب: أبو سعد، وهو البقال، وهو ضعيف مدلس، عن عكرمة، عن ابن عباس.
(١٠) انظر الأقوال كلها في تفسير الطبري (١٠/ ١٦٧)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/ ٤٢)، والهداية لمكي (٣/ ١٦٥٩).

قال القاضي أبو محمد: وتظاهرت الروايات أن دمشق هي قاعدة الجبارين.

وقوله: ﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ معناه: التي كتب الله في قضائه وقدره أنها لكم، ترثونها وتسكنونها مالكين لها، ولكن فتنتكم في دخولها بفرض[(١)] قتال من فيها عليكم تمحيصاً وتجربة، ثم حذرهم موسى عليه السلام الارتداد على الأدبار، وذلك الرجوع القَهْقَرى.

ويحتمل أن يكون تولية الدبر والرجوع في الطريق الذي جيء منه، و«الخاسر»: الذي قد نقص حظه.

ثم ذكر عز وجل عن بني إسرائيل أنهم تعنتوا ونكصوا فقالوا: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾.

و«الجبار»: فعَّال من الجبر، كأنه لقوته وغشمه وبطشه يجبر الناس على إرادته، والنخلة الجبارة: العالية التي لا تنال بيد.

وكان من خبر الجبارين: أنهم كانوا أهل قوة فلما بعث موسى الاثني عشر نقيباً مطلعين على أمر الجبارين وأحوالهم؛ رأوا لهم قوة وبطشاً، وتخيلوا أن لا طاقة لهم بهم، فجاؤوا بني إسرائيل، ونقضوا العهد بأَن أَخبروهم بحال الجَبَّارِينَ حسبما قدمناه في ذكر بعث النقباء.

ولم يف منهم إلا يوشع بن نون وكالب بن يوقنا، ثم إِن بني إِسرائيل كعُّوا وجبنوا وقالوا: كوننا عبيداً للقبط أَسهل من قتال هؤلاء، وهمَّ كثير منهم أن يقدموا رجلاً على أنفسهم، ويصير بهم إلى أرض مصر مُرْتَدِّين على الأعقاب، ونسوا أن الله تعالى إذا أيد الضعيف غلب القويَّ، وأخبروا موسى أنهم لن يدخلوا الأرض ما دام الجبارون فيها، وطلبوا منه أن يخرج الله الجبارين بجند من عنده، وحينئذ يدخل بنو إسرائيل[(٢)].

(١) في المطبوع ونور العثمانية: «بغرض».
(٢) تفسير الطبري (١٠/ ١٧٥).

قوله عز وجل: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

قرأ ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد: (يُخافون) بضم الياء[١]، وقرأ الجمهور: بفتح الياء.

وقال أكثر المفسرين: الرجلان يوشع بن نون، وهو ابن أخت موسى، وكالب بن يوقنا، ويقال فيه: كلاب[٢]، ويقال: كالوث[٣] بثاء مثلثة، ويقال في اسم أبيه: يوفيا[٤]، وهو صهر موسى على أخته، قال الطبري: اسم زوجته مريم بنت عمران[٥].

ومعنى: ﴿يَخَافُونَ﴾؛ أي: الله، وأنعم عليهما بالإيمان الصحيح، وربط الجأش والثبوت في الحق، وقال قوم: المعنى: يخافون العدو، لكن أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمَا بالإيمان والثبوت مع خوفهما.

ويقوّي التأويلَ الأول أن في قراءة ابن مسعود: (قال رجلان من الذين يخافون الله أنعم الله عليهما)[٦].

وأما من قرأَ بضم الياءِ فلقراءَته ثلاثة معان:

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٣٨)، والمحتسب (١/ ٢٠٨).
(٢) تفسير الطبري (١٠/ ١٧٦- ١٧٨).
(٣) في فيض الله: «كالوب» في الموضعين، ولم يرد فيها: «بثاء مثلثة».
(٤) في المطبوع: «قافيا»، وفي الحمزوية: «بوطيا»، وفي السليمانية: «يوفنا».
(٥) تفسير الطبري (١٠/ ١٩٧).
(٦) في تفسير الطبري (١٠/ ١٧٩): كان قتادة يقول: في بعض القراءة: (قَالَ رَجُلانِ مِنَ الذِينَ يَخَافُونَ اللهَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا).

أحدها: ما روي من أن الرجلين كانا من الجبارين آمنا بموسى واتبعاه، فكانا من القوم الذين يخافون، لكن أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمَا بالإيمان بموسى، فقالا: نحن أعلم بقومنا.

والمعنى الثاني: أنهما يوشع وكالوث، لكنهما من الذين يوقرون، ويسمع كلامهم، ويُهابون لتقْوَاهم[1] وفضلهم، فهم يخافون بهذا الوجه.

والمعنى الثالث: أن يكون الفعل من: أخاف، والمعنى: من الذين يخافون بأوامر الله ونواهيه ووعيده وزجره، فيكون ذلك مدحاً لهم على نحو المدح في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [الحجرات: ٣].

وقوله تعالى: ﴿أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا﴾: صفة للرجلين، و«الباب» هو باب مدينة الجبارين فيما ذكر المفسرون، والمعنى: اجتهدوا وكافحوا حتى تدخلوا الباب.

وقوله: ﴿فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَ﴾ ظن منهما ورجاء وقياس؛ أي: أنكم بذلك تَفُتُّون في أعضادهم، ويقع الرعب في قلوبهم فتغلبونهم.

وفي قراءة ابن مسعود: (عليهما ويلكم ادخلوا)[2]/ . [٢/ ١٩]

وقولهما: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ يقتضي أنهما استرابا بإيمانهم حين رأياهم يعصون الرسول، ويجبنون مع وعد الله تعالى لهم بالنصر.

ثم إن بني إسرائيل لجُّوا في عصيانهم، وسمعوا من العشرة النقباء الجواسيس الذين خوَّفوهم أَمر الجبارين، ووصفوا لهم قوة الجبارين وعظم خلقهم، فصمموا على خلاف أمر الله تعالى وقالُوا: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾، وهذه عبارة تقتضي كفراً.

وذهب بعض الناس إلى أن المعنى: اذهب أنت، وربك يعينك، وأن الكلام معصية لا كفر.

---

(١) ضبطت في المطبوع: «لتقَوِّيهم».

(٢) تابعه في البحر المحيط (٤/ ٢١٩)، ولم أجدها لغيرهما.

قال القاضي أبو محمد: وقولهم: ﴿فَقَـٰتِلَآ﴾ يقطع بهذا التأويل.

وذكر النقاش عن بعض المفسرين أن المراد بالرب هنا: هارون؛ لأنه كان أَسنَّ من موسى وكان معظماً في بني إِسرائيل، محبَّباً؛ لسعة خلقه، ورحب صدره، فكأنهم قالوا: اذهب أنت وكبيرك[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا تأويل بعيد، وهارون إنما كان وزيراً لموسى، وتابعاً له في معنى الرسالة، ولكنه تأْويل يخلِّص بني إِسرائيل من الكفر.

وذكر الطبري عن قتادة أنه قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ لما عزم على قتال قريش في عام الحديبية؛ جمع العسكر، وكلم الناس في ذلك، فقال له المقداد بن الأسود: لسنا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾[٢]، لكنا نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنّا معكما مقاتلون[٣].

وذكر النقاش أن الأنصار قالت هذه المقالة للنبي ﷺ[٤].

قال القاضي أبو محمد: وجميع هذا وهم، غلط قتادة ـ رحمه الله ـ في وقت النازلة، وغلط النقاش في قائل المقالة، والكلام إنما وقع في غزوة بدر حين نزل رسول الله ﷺ ذفران، فكلم الناس وقال لهم: أشيروا عليَّ أيها الناس، فقال له المقداد هذه المقالة[٥] في

---

(١) نقله عنه في البحر المحيط (٤/ ٢٢٠).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٨٦) (٢٢/ ٢١٦)، بذكر الحديبية من طريق سعيد، عن قتادة قال: ذكر لنا... وهو مرسل، لكن أخرجه البزار في مسنده (١٣/ ٣٦٨)، من طريق سليمان التيمي، عن قتادة، عن أنس. وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن قتادة، عن أنس، إلا من رواية التيمي، عن قتادة، عن أنس، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٤٢٩)، من طريق هشام بن عروة عن أبيه مرسلاً، والمحفوظ من قول المقداد ما أخرجه البخاري في باب غزوة بدر (٣٩٥٢)، وليس في صلح الحديبية.

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ١٨٦) (٢٢/ ٢١٦)، من طريق سعيد، عن قتادة قال: ذكر لنا... وهو مرسل.

(٤) لم أقف عليه، وهو غلط كما سينبه المصنف.

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٢٩٠)، وابن حبان (٤٧٢١)، والبزار (٢/ ٢٩٥)، وغيرهم من طريق =

كلام طويل، ذكر ذلك ابن إسحاق وغيره[١]، ثم تكلم من الأنصار سعد بن معاذ بنحو هذا المعنى، ولكن سبقه المقداد إلى التمثيل بالآية.

قال القاضي أبو محمد: وتمثُّل المقداد بها، وتقريرُ النبي ﷺ لذلك يقتضي أن الرب إنما أريد به الله تعالى، ويؤْنس أَيضاً في إِيمان بني إِسرائيل؛ لأَن المقداد قد قال: اذهب أنت وربك فقاتلا، وليس لكلامه معنى إلا أن الله تعالى يعينك ويقاتل معك ملائكته ونصره[٢]، فعسى أن بني إسرائيل أرادت ذلك؛ أي: اذهب أنت، ويخرجهم الله بنصره وقدرته من المدينة وحينئذ ندخلها، لكن قبحت عبارتهم لاقتران النكول بها، وحسنت عبارة المقداد؛ لاقتران الطاعة والإقدام بها.

ولما سمع موسى عليه السلام قولهم، ورأى عصيانهم؛ تبرأ إلى الله تعالى منهم، وقال داعيا عليهم: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِي﴾؛ يعني: هارون.

وقوله: ﴿وَأَخِي﴾ يحتمل أن يكون إعرابه رفعاً؛ إما على الابتداءِ، والتقديرُ: وأخي لا يملك إلا نفسه، وإما على العطف على الضمير الذي في: ﴿أَمۡلِكُ﴾ تقديره: لا أملك أنا.

ويحتمل أن يكون إعرابه نصباً على العطف على: ﴿نَفۡسِي﴾؛ وذلك لأن هارون كان يطيع موسى، فلذلك أخبر أنه يملكه.

وقرأ الحسن: (إلا نفسيَ وأخيَ) بفتح الياء فيهما[٣].

وقوله: ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا﴾ دعاء حرج، قال السدي: هي عجلة عجلها موسى عليه السلام[٤] وقال ابن عباس والضحاك وغيرهما: المعنى: افصل بيننا وبينهم بحكم وافتح،

= حميد عن أنس به، مطولاً، وأخرجه البخاري (٤٦٠٩)، من حديث ابن مسعود، وفيه مقالة المقداد وذكر الآية فقط.

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٤٠٠)، وسيرة ابن هشام (١/ ٦١٤).

(٢) في السليمانية: «ويؤيدك بنصره»، بدل: «ونصره».

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص: ١٥١).

(٤) انظر تفسير الطبري (١٠/ ١٨٩).

فالمعنى: احكم بحكم يفرق هذا الاختلاف، ويلم هذا الشعث[١].

قال القاضي أبو محمد: وعلى هذا التأويل فليس في الدعاء عجلة.

وقال قوم: المعنى: فافرق بيننا وبينهم في الآخرة، حتى تكون منزلة المطيع مفارقة لمنزلة العاصي الفاسق، ويحتمل الدعاء أن يكون معناه: فرق بيننا وبينهم بمعنى أن يقول: فقِّدنا وجوههم، وفرِّق بيننا وبينهم حتى لا نشقى بفسقهم، وبهذا الوجه تجيءُ العجلة في الدعاءِ.

وقرأ عُبيد بن عُمير: (فَافْرِق) بكسر الراء[٢].

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ﴾ المعنى: قال الله، وأضمر الفاعل في هذه الأفعال كلها إيجازاً؛ لدلالة معنى الكلام على المراد، وحرم الله تعالى على جميع بني إسرائيل دخول تلك المدينة أَرْبَعِينَ سَنَةً وتركهم خلالها يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ؛ أي: في أرض تلك النازلة، وهو فحص التيه، وهو على ما يحكى طول ثمانين ميلاً في عرض ستة فراسخ، وهو ما بين مصر والشام.

ويروى أنه اتفق أن مات كل من كان قال: إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً، ولم يدخل المدينة أحد من ذلك الجيل إلا يوشع وكالوث، ويروى أن هارون عليه السلام مات في فحص التيه في خلال هذه المدة، ولم يختلف فيها[٣].

وروي أن موسى عليه السلام مات فيه بعد هارون بثمانية أعوام، وقيل: بستة أشهر ونصف، وأن يوشع نبئ بعد كمال الأربعين سنة، وخرج ببني إسرائيل، وقاتل الجبارين، وفتح المدينة، وفي تلك الحرب وقفت له الشمس ساعة حتى استمر هزم الجبارين.

وروي أن موسى عليه السلام عاش حتى كملت الأربعون، وخرج بالناس، وحارب الجبارين ويوشع وكالب على مقدمته، وأنه فتح المدينة وقتل بيده عوج بن عناق.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٨٩)، من طريق العوفي، عن ابن عباس، وانظر أقوال الباقين فيه أيضاً.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٣٨).

(٣) في المطبوع والحمزوية: «في هذا».

يقال: كان في طول موسى عشرة أذرع، وفي طول عصاه عشرة أذرع، ونزا[١] من الأرض في السماءِ عشرة أَذرع، وحينئذ لحق كعب عوج فضربه بعصاه في كعبه فخر صريعاً.

ويروى أن عوجاً اقتلع صخرة ليطرحها على عسكر بني إسرائيل، فبعث الله هدهداً بحجر الماس، فأداره على الصخرة فتقورت، ودخلت في عنق عوج، وضربه موسى فمات.

وحكى الطبري أن طول عوج ثمان مئة ذراع، وحكي عن ابن عباس أنه قال: لمَّا خرَّ كان جسراً على النيل سنةً[٢].

قال القاضي أبو محمد: والنيل ليس في تلك الأقطار، وهذا كله ضعيف، والله أعلم.

وحكى الزجاج عن / قوم: أن موسى وهارون لم يكونا في التيه[٣]. [٢/ ٢٠]

والعامل في: ﴿أَرْبَعِينَ﴾ يحتمل أن يكون: ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾؛ أي: حرمت عليهم أَرْبَعِينَ سَنَةً ويَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ هذه المدة ثم تفتح عليهم، أدرك ذلك من أدركه، ومات قبله من مات، وخطأ أبو إسحاق أن يكون العامل ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾[٤]، وذلك منه تحامل.

ويحتمل أن يكون العامل: ﴿يَتِيهُونَ﴾، مضمراً يدل عليه: ﴿يَتِيهُونَ﴾ المتأخر، ويكون قوله: (إنها محرمة) إخباراً مستمراً، تلقوا منه أن المخاطبين لا يدخلونها أبداً، وأنهم مع ذلك يتيهون في الأرض أربعين سنة، يموت فيها من مات.

---

(١) في المطبوع: «وترامى».

(٢) لا يصح عن ابن عباس، وهو أشبه بالإسرائيليات، أخرجه الطبري (١٠/ ١٩٩)، من طريق ابن عطية قال: حدثنا قيس، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، لكن قيساً خالفه الثوري، فرواه عن أبي إسحاق، عن نوف من قوله بلفظ: فكان جسراً للناس يمرون عليه، وهذا أصح، وقيس هو ابن الربيع، تغير لما كبر، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به، ونوف هو ابن امرأة كعب الأحبار، فالخبر إسرائيلي.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٦٥).

(٤) المصدر السابق.

قال القاضي أبو محمد: والخطاب على هذا التأويل أَصعب موقفاً[١]، وأَحضر يأْساً.

وروي: أَن من كان قد جاوز عشرين سنة لم يعش إلى الخروج من التيه، وأن من كان دون العشرين عاشوا.

قال القاضي أبو محمد: كأنه لم يعش المكلفون، أشار إلى ذلك الزجاج[٢].

والتيه: الذهاب في الأرض إلى غير مقصد معلوم، ويروى أن بني إسرائيل كانوا يرحلون بالليل، ويسيرون ليلهم أجمع في تحليق ونحوه من التردد، وقلة استقامة السير، حتى إِذا أَصبحوا وجدوا جُمْلتهم في الموضع الذي كانوا فيه أول الليل.

قال مجاهد وغيره: كانوا يسيرون النهار أحياناً، والليل أحياناً، فيمسون حيث أصبحوا، ويصبحون حيث أمسوا، وذلك في مقدار ستة فراسخ[٣].

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أن يكون تيههم بافتراق الكلمة وقلة اجتماع الرأي، وأن الله تعالى رماهم بالاختلاف، وعلموا أنها قد حرمت عليهم أربعين سنة، فتفرقت منازلهم في ذلك الفحص، وأقاموا ينتقلون من موضع إلى موضع على غير نظام واجتماع، حتى كملت هذه المدة، وأذن الله بخروجهم، وهذا تيه ممكن محتمل على عرف البشر، والآخر الذي ذكر مجاهد إنما هو خرق عادة، وعجب من قدرة الله تعالى.

وفي ذلك التيه ظلل عليهم الغمام، ورزقوا المن والسلوى، إلى غير ذلك مما روي من ملابسهم، وقد مضى ذلك في سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ معناه: فلا تحزن، يقال: أسي الرجل يأسى أسى: إذا حزن، ومنه قول امرئ القيس:

وُقُوفاً بِها صَحْبي عَلَيَّ مَطيَّهُمْ يقولون لا تَهْلِكْ أَسىً وَتَجَمَّل[٤] [الطويل]

(١) في السليمانية وفيض الله: «موقعاً».
(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦٥).
(٣) تفسير الطبري (١٠/ ٢٠٠).
(٤) البيت لامرئ القيس بن حجر الكندي من معلقته، انظر الشعر والشعراء (١/ ١٢٩)، وجمهرة أشعار العرب (١/ ١١٥).

ومنه قول متمم بن نويرة[١]:

[الطويل] فَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الأَسَى يَبْعَثُ الأَسَى ... دَعُوني فَهَذَا كُلُّه قَبْرُ مالِكِ[٢]

والخطاب بهذه الآية لموسى عليه السلام، قال ابن عباس: ندم موسى على دعائه على قومه وحزن عليهم، فقال له الله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[٣].

وقال قوم من المفسرين: الخطاب بهذه الألفاظ لمحمد ﷺ ويراد بـ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ معاصروه؛ أي: هذه أفعال أسلافهم، فلا تحزن أنت بسبب أفعالهم الخبيثة معك، وردهم عليك؛ فإنها سجية خبيثة موروثة عندهم.

قوله عز وجل: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

(اتْلُ) معناه: اسرد وأَسمِعهم إِياه، وهذه من علوم الكتب الأول التي لا تعلق لمحمد ﷺ بها إلا من طريق الوحي، فهي من دلائل نبوته.

والضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾، ظاهر أمره: أَنه يُرادُ به بنو إِسرائيل؛ لوجهين:

أحدهما: أن المحاورة فيما تقدم إنما هي في شأنهم، وإقامة الحجج عليهم بسبب همهم ببسط اليد إلى محمد ﷺ.

---

(١) متمم بن نويرة التميمي، كان أعور، وأدرك الإسلام فحسن إسلامه، واستفرغ شعره في رثاء أخيه معجم الشعراء (ص: ٤٦٦).

(٢) انظر عزوه في الأمالي للقالي (٢/ ٢)، والكامل للمبرد (١/ ٢٠٧)، والحماسة بشرح التبريزي (١/ ٣٣٠)، والبيت ساقط من الأصل.

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٠٦)، بأسانيد ضعيفة.

والثاني: أن عِلْم نبأ ابْنَيْ آدَمَ إِنما هو عندهم، وفي غامض كتبهم، وعليهم تقوم الحجة في إيراده.

و«النبأ»: الخبر، وابنا آدم هما في قول جمهور المفسرين لِصُلبه، وهما قابيل وهابيل، وقال الحسن بن أبي الحسن البصري: ابنا آدم ليسا لصلبه، ولم تكن القرابين إِلا في بني إِسرائيل(١).

قال القاضي أبو محمد: وهذا وهم، وكيف يجهل صورة الدفن أَحدٌ من بني إِسرائيل حتى يقتدي بالغراب، والصحيح قول الجمهور.

وروي أن تقريبهما للقربان إنما كان تحنثاً(٢) وتطوعاً، وكان قابيل صاحب زرع، فعمد إلى أرذل ما عنده وأدناه فقربه، وكان هابيل صاحب غنم، فعمد إلى أفضل كباشه فقربه، وكانت العادة حينئذ أن يقرب المقرب قربانه ويقوم يصلي ويسجد، فإن نزلت نار وأكلت القربان فذلك دليل للقبول، وإلا كان تركه دليل عدم القبول.

فلما قرب هذان كما ذكرت فنزلت النار وأخذت كبش هابيل، فرفعته وسترته عن العيون، وتركت زرع قابيل، قال سعيد بن جبير وغيره: فكان ذلك الكبش يرتع في الجنة، حتى أهبط إلى إبراهيم في فداء ابنه(٣).

قال سائقو هذا القصص: فحسد قابيل هابيل، وقال له: أتمشي على الأرض يراك الناس أفضل مني؟ وكان قابيل أسن ولد آدم، وروي أن آدم سافر إلى مكة ليرى الكعبة، وترك قابيل وصيا على بنيه، فجرت هذه القصة في غيابه.

وروت جماعة من المفسرين، منهم ابن مسعود: أن سبب هذا التقريب: أن حواء كانت تلد في كل بطن ذكراً وأنثى، فكان الذكر يزوج أنثى البطن الآخر، ولا تحل له أُخته توأَمته، فوُلدت مع قابيل أُخت جميلة، ومع هابيل أخت ليست كذلك، فلما أراد

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٢٠٨).

(٢) في السليمانية: «تخشعاً».

(٣) تفسير الطبري (١٠/ ٢٢٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢١).

آدم تزويجهما قال قابيل: أنا أحق بأُختي، فأَمره آدم فلم يأْتمر، فاتفقوا على التقريب(١).

وروي أن آدم حضر ذلك، فتُقبل قربان هابيل، ووجب أن يأخذ أخت قابيل، فحينئذ قال له: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾.

وقول هابيل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ كلام قبله محذوف، تقديره: ولِمَ تقتلني وَأَنَا لَمْ أَجْن شيئاً ولا ذنب لي في قبول الله قرباني؟ أَما إِني أَتَّقيه وكنتُ على لاحِب الحق، وإِنَّما يَتَقَبَّلُ الله مِنَ الْمُتَّقِينَ.

قال القاضي أبو محمد: وإجماع أهل السنة في معنى هذه الأَلفاظ أَنها اتقاءُ الشرك، فمن اتقاه وهو موحِّد فأَعماله التي تَصْدُق فيها نيته مقبولة، وأما المتقي للشرك والمعاصي فله الدرجة العليا من القبول والحتم بالرحمة، علم ذلك بإخبار الله تعالى، لا أن ذلك يجب على الله تعالى عقلًا، وقال عدي بن ثابت(٢) وغيره: قُرْبَانُ / متقي هذه الأمة الصلاة. [٢/ ٢١]

واختلف الناس لم قال هابيل: ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾؟

فقال مجاهد: كان الفرض عليهم حينئذ أن لا يسل أحد سيفاً، وأن لا يمتنع من أريد قتله(٣).

وقال عبد الله بن عمرو وجمهور الناس: كان هابيل أشد قوة من قابيل، ولكنه تحرج(٤).

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو الأظهر.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٠٦)، بأسانيد ضعيفة.

(٢) هو عدي بن ثابت بن عبيد بن عازب الكوفي، وقيل غير ذلك، روى عن جده لأمه عبد الله بن يزيد الخطمي، وعن أبيه، عن جده والبراء بن عازب، كان إمام مسجد الشيعة وقاصهم، وهو صدوق، ثقة ثبت، مات سنة (١١٦هـ)، تاريخ الإسلام (٧/ ٤١٨).

(٣) انظر قول عدي في تفسير الطبري (١٠/ ٢١٢)، وقول مجاهد بعده بصفحتين (١٠/ ٢١٤).

(٤) لا يثبت، أخرجه الطبري (١٠/ ٢١٣)، من طريق عوف هو الأعرابي، عن أبي المغيرة هو القواس، عن عبد الله بن عمرو، وأبو المغيرة ذكره سليمان التيمي ولينه، وقال ابن المديني: لا أعلم أحداً روى عنه غير عوف، ووثقه ابن معين، ولم يصرح بسماعه الخبر من عبد الله بن عمرو.

ومن هنا يقوى أن قابيل إنما هو عاص لا كافر؛ لأنه لو كان كافراً لم يكن للتحرج هنا وجه، وإنما وجه التَّحرج في هذا أَن المتحرج يأْبى أَن يُقاتل موحِّداً، ويرضى بأَن يُظْلم لِيُجَازى في الآخرة، ونحو هذا فعل عثمان بن عفان، رضي الله عنه.

وقوله: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ﴾ الآية، ليست هذه بإرادة محبة وشهوة، وإنما هو تَخَيُّرٌ في شرَّيْن، كما تقول العرب في الشر: خيار، فالمعنى: إن قتلتني وسبق بذلك قدر فاختياري أن أكون مظلوماً سيستنصر الله لي في الآخرة، وتبوء معناه تمضي متحملاً.

وقوله: ﴿بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ﴾ قيل: معناه: بإثم قتلي وسائر آثامك التي أوجبت أن لا يتقبل منك، وقيل المعنى: بإثم قتلي وإثمك في العداء علي؛ إذ هو في العداء وإرادة القتل آثم ولو لم ينفذ القتل، وقيل المعنى: بإثمي أن لو قاتلتك وقتلتك، وإثم نفسك في قتالي وقتلي.

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو الإثم الذي يقتضيه قول النبي ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسَيْفَيْهما؛ فالقاتل والمقتول في النار»، قيل: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه»[1].

فكأن هابيل أراد: إني لست بحريص على قتلك، فالإثم الذي كان يلحقني لو كنت حريصا على قتلك أريد أن تحمله أنت مع إثمك في قتلي.

وقيل: المعنى: بإثمي الذي يختص لي فيما فرط لي؛ أي: يؤخذ من سيئاتي فيطرح عليك بسبب ظلمك لي تبوء بإثمك في قتلي وهذا تأويل يعضده قول النبي ﷺ: «يؤتى بالظالم والمظلوم يوم القيامة فيؤخذ من حسنات الظالم فيزاد في حسنات المظلوم حتى ينتصف، فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فتطرح عليه»[2].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١) (٦٨٧٥) (٧٠٨٣)، ومسلم (٢٨٨٨)، من حديث أبي بكرة.

(٢) أصله عند مسلم (٢٥٨١)، من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «أتدرون ما المفلس؟»، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه؛ أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار».

وقوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يحتمل أن يكون من قول هابيل لأخيه، ويحتمل أن يكون إِخباراً من الله تعالى لمحمد ﷺ.

قوله عز وجل: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾.

قراءة الجمهور: ﴿فَطَوَّعَتۡ﴾ والمعنى: أن القتل في ذاته مستصعب عظيم على النفوس، فردته هذه النفس اللجوجة الأَمَّارة بالسوءِ طائعاً منقاداً حتى واقعه صاحب هذه النفس.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن والجراح والحسن بن عمران وأبو واقد: (فطاوعت)(١).

والمعنى: كأن القتل يدعو إلى نفسه بسبب الحقد والحسد الذي أصاب قابيل، وكأن النفس تأبى لذلك(٢) ويصعب عليها، وكل جهة تريد أن تطيعها الأخرى، إلى أن تفاقم الأمر، وطاوعت النفس القتل فواقعته، وروي أنه التمس الغرة في قتله مدة(٣) حتى وجده نائماً في غنمه، فشدخ رأسه بحجر، وروي أنه جهل كيف يقتله فجاء إبليس بطائر أو حيوان غيره، فجعل يشدخ رأسه بين حجرين ليقتدي به قابيل ففعل.

وروي أنه لما انصرف قابيل إلى آدم قال له: أين هابيل؟ قال: لا أدري، كأنك وكلتني بحفظه، فقال له آدم: أفعلتها؟ والله إن دمه ليناديني من الأرض: اللهم العن أرضاً شربت دم هابيل، فروي أنه من حينئذ ما شربت أرض دماً، ثم إن آدم ﷺ بقي مئة عام لم يتبسم، حتى جاء ملك فقال له: حياك الله يا آدم وبيَّاك، فقال آدم: ما بيَّاك؟ قال: أضحكك(٤).

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهم في المحتسب (١/ ٢٠٩).

(٢) في المطبوع والحمزوية: «ذلك».

(٣) «مدة»: زيادة من السليمانية ونور العثمانية وفيض الله.

(٤) تفسير الطبري (١٠/ ٢٠٩)، والهداية لمكي (٣/ ١٦٧٨).

ويروى أن آدم عليه السلام قال حينئذ:

[الوافر]

تَغَيَّرَتِ الْبِلادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَوَجْهُ الأَرْضِ مُغْبَرٌّ قَبِيحُ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي طَعْمٍ وَلَوْنٍ وَقَلَّ بَشَاشَةَ الْوَجْهُ الْمَلِيحُ[(١)]

وكذا هو الشعر بنصب «بشاشةَ» وكف التنوين[(٢)].

وروي عن مجاهد أنه قال: علقت إحدى رجلي القاتل بساقها إلى فخذها من يومئذ إلى يوم القيامة، ووجهه إلى الشمس حيث ما دارت، عليه في الصيف[(٣)] حظيرة من نار، وعليه في الشتاء حظيرة من ثلج[(٤)].

قال القاضي أبو محمد: فإن صح هذا فهو من خسرانه الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، ومن خسرانه: ما روي عن عبد الله بن عمرو أنه قال: إنا لنجد ابن آدم القاتل يقاسم أهل النار قسمة صحيحة العذاب عليه شطر عذابهم[(٥)].

ومن خسرانه ما ثبت وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «ما قتلت نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها، وذلك أنه أول من سن القتل»[(٦)].

وقوله: ﴿فَأَصْبَحَ﴾: عبارة عن جميع أوقاته أقيم بعض الزمن مقام كله، وخصَّ الصباح

---

(١) قاله آدم لما قتل ابنه قابيل هابيل، كما في تفسير الطبري (١٠/ ٢٠٩)، والهداية لمكي (٣/ ١٦٧٩)، ومعجم الأدباء (٢/ ٥٢٦).

(٢) فتقرأ بشاشة بالفتح من غير تنوين، والوجه الرفع، وكذلك: المليح، وفي رواية: الصبيح؛ لأن الروي في القصيدة مضموم، وقد جاء هذا البيت في كثير من المصادر مضبوطاً على الإضافة، وفي ذلك خطأ عروضي، وهو ما احترز منه الشيخ بهذا التأويل.

(٣) «في الصيف»: زيادة من المطبوع والسليمانية ونور العثمانية وفيض الله.

(٤) تفسير الطبري (١٠/ ٢٠٤).

(٥) أخرجه الطبري (١٠/ ٢١٨)، من طريق حجاج قال: قال ابن جريج قال: قال مجاهد: قال عبد الله ابن عمرو، ولم يصرح بعضهم بالسماع من بعض.

(٦) صحيح البخاري (٦٨٦٧) (٧٣٢١).

بذلك؛ لأنه بدء النهار، والانبعاث إلى الأمور، [ومطية][1] النشاط، ومنه قول الربيع بن ضبع:

[المنسرح] أَصْبَحْتُ لا أَحْمِلُ السِّلاحَ[2] ....

البيت، ومنه قولُ سعد بن أَبي وقَّاص: ثم أَصبَحتْ بنو أَسد تعزرني على الإِسلام[3]، إلى غير ذلك من استعمال العرب لما ذكرناه.

وقوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَارِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾؛ روي في معناه: أن قابيل جعل أخاه في جراب ومشى به يحمله في عنقه مئة عام، وقيل: سنة واحدة، وقيل: بل أصبح في ثاني يوم قتله يطلب إخفاء أمر[4] أخيه، فلم يدر ما يصنع به، فبعث الله غراباً حياً إلى غراب ميت، فجعل يبحث في الأرض ويلقي التراب على الغراب الميت، وروي أن الله تعالى بعث غرابين فاقتتلا حتى قتل أحدهما الآخر، ثم جعل القاتل يبحث ويواري الميت.

وروي أن الله تعالى إنما بعث غراباً واحداً، فجعل يبحث ويلقي التراب على هابيل.

[٢/ ٢٢] وظاهر هذه الآية: أن هابيل هو أول ميت من بني آدم، ولذلك / جهلت سنة المواراة، وكذلك حكى الطبري عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم بما في الكتب الأول[5].

و﴿يَبْحَثُ﴾ معناه: يفتش التراب بمنقاره ويثيره، ومن هذا سميت سورة براءة: البحوث؛ لأنها فتشت عن المنافقين، ومن ذلك قول الشاعر:

[الطويل] إِنِ النَّـاسُ غَطَّوني تَغَطَّيْتُ عَنْهُمُ وإِنْ بَحَثُوني كانَ فِيهِمْ مباحِثُ[6]

---

(١) في الحمزوية والسليمانية وفيض الله: «ومظنة».
(٢) تقدم في تفسير الآية (١٠٣) من (آل عمران).
(٣) صحيح البخاري (٣٧٢٨) (٥٤١٢) (٦٤٥٣).
(٤) «أمر»: ليست في المطبوع.
(٥) تفسير الطبري (١٠/ ٢٢٨).
(٦) البيت لأبي دلامة، انظر عزوه له وقصته في العين (٨/ ٢٣٠)، والكامل للمبرد (٢/ ٣٦)، وعيون الأخبار (١/ ١٣٧).

وفي مثل: لا تكن كالباحث عن الشفرة[١].

والضمير في قوله: ﴿سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ يحتمل أن يعود على قابيل، ويراد بالأخ هابيل، ويحتمل أن يعود على الغراب الباحث، ويراد بالأخ الغراب الميت، والأول أشهر في التأويل.

و«السوأة»: العورة، وخصت بالذكر مع أن المراد مواراة جميع الجسد؛ للاهتمام بها، ولأن سترها أوكد، ويحتمل أن يراد بالسوأة هذه الحالة التي تسوء الناظر بمجموعها، وأضيفت إلى المقتول من حيث نزلت به النازلة، لا على جهة الغَضِّ منه، بل الغَض لاحقٌ للقاتل، وهو الذي أتى بالسوأة.

وقرأ الجمهور: ﴿فَأُوَارِيَ﴾ بنصب الياء.

وقرأ طلحة بن مصرف والفياض بن غزوان: (فأواري) بسكون الياء[٢]، وهي لغة، لتوالي الحركات.

ولما رأى قابيل فعل الغراب تنبه على ما يجب أن يصنع بأخيه، ورأى قصور نفسه وجهل البشر بالأمور، فقال: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ﴾ الآية، واحتقر نفسه؛ ولذلك ندم.

وقرأ الجمهور: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾، والأصل: يا ويلتي، لكن من العرب من يبدل من الياء ألفا ويفتح التاء لذلك فيقولون: يا ويْلَتَى، ويا غلامَا، ويقف بعضهم على هاء السكت فيقول: يا ويلتاه.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (ياوَيْلَتِي)[٣].

ونداء الويلة هو على معنى: احضري فهذا أوانك، وهذا هو الباب في قوله:

---

(١) قال ابن سلام في الأمثال (١/ ٤٧): أي: إنه بحث ليطلب معاشاً، فسقط على شفرة فعقرته، أو قتلته.

(٢) وهي قراءة شاذة، عزاها الهذلي في الكامل (ص: ٥٣٤) لطلحة في رواية الفياض، وابن خالويه في المختصر (ص: ٣٨) لابن مصرف.

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٣٨)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٦٥).

﴿يَـٰحَسۡرَةً﴾ [يس: ٣٠]، وفي قوله: يا عجباً، وما جرى مجراه من نداء هذه الأمور التي لا تعقل وهي معان.

وقرأ الجمهور: ﴿أَعَجَزۡتُ﴾ بفتح الجيم.

وقرأ ابن مسعود والحسن والفياض وطلحة بن سليمان: (أعجِزت)، بكسر الجيم[1]، وهي لغة.

ثم إن قابيل وارى أخاه وندم على ما كان منه من معصية الله في قتله حيث لا ينفعه الندم، واختلف العلماء في قابيل؛ هل هو من الكفار، أو من العصاة؟ والظاهر: أنه من العصاة، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله ضرب لكم ابني آدم مثلاً، فخذوا من خيرهما ودعوا الشر»[2].

قوله عز وجل: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢﴾.

جمهور الناس على أن قوله: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ﴾: متعلق بقوله: ﴿كَتَبۡنَا﴾؛ أي: بسبب هذه النازلة ومن جراها كتبنا، وقال قوم: بل هو متعلق بقوله: ﴿مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١]؛ أي: ندم من أجل ما وقع، والوقف على هذا على: ﴿ذَٰلِكَ﴾، والناس: على أن الوقف: ﴿مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾، ويقال أَجَلَ الأَمر أَجلاً وأَجْلاً: إذا جناه وجره، ومنه قول خوَّات[3]:

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: عزوها للحسن في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٦٥)، والهداية لمكي (٣/ ١٦٨٤)، ومع طلحة في الشواذ للكرماني (ص: ١٥٣)، وللباقين في البحر المحيط (٤/ ٢٣٥).

(٢) مرسل، أخرجه الطبري (١٠/ ٢٣٠)، من طريق ابن المبارك، عن عاصم الأحول، عن الحسن مرفوعاً.

(٣) هو خوَّات بن جبير بن النعمان الأوسي الأنصاري، أبو صالح، تجهز لبدر، أصابه في ساقه حجر فرد من الصفراء، وضرب له بسهمه وأجره، وشهد أحداً والمشاهد بعدها، وهو صاحب ذات النحيين، توفي سنة (٤٢هـ)، الإصابة (٢/ ٢٩١).

وَأَهْـلِ خِبَـاءٍ صَالِـحٍ ذَاتُ بَيْنِهِمْ قَدِ احْتَرَبُوا فِي عَاجِلٍ أَنَا آجِلُه[١] [الطويل]

ويقال: فعلت ذلك من أجلك بفتح الهمزة، ومن إجلك بكسرها.

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع: ﴿مِنِ اجْلِ ذَلِكَ﴾[٢]، بوصل الألف وكسر النون قبلها، وهذا على أن ألقى حركة الهمزة على النون، كما قالوا: كمِ ابلك بكسر الميم ووصل الألف، ومنِ ابراهيم بكسر النون.

و﴿كَتَبْنَا﴾ معناه: كتب بأمرنا في كتب منزلة عليهم تضمنت فرض ذلك، وخص الله تعالى: ﴿بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ بالذكر وقد تقدمتهم أمم كان قتل النفس فيهم محظوراً؛ لوجهين:

أحدهما: فيما روي أن بَنِي إِسْرائِيلَ أول أمة نزل الوعيد عليهم في قتل النفس في كتاب، وغلظ الأمر عليهم بحسب طغيانهم وسفكهم الدماء.

والآخر: لتلوح مذمتهم في أن كتب عليهم هذا وهم مع ذلك لا يَرْعَوون[٣]، ولا ينتهون، بل هَمُّوا بقتل النبي ﷺ ظلماً، فخصوا بالذكر؛ لحضورهم مخالفين لما كتب عليهم.

وقوله تعالى: ﴿بِغَيۡرِ نَفۡسٍ﴾ معناه: بغير أن تقتل نفساً فتستحق القتل، وقد حرم الله تعالى نفس المؤمن إلا بإحدى ثلاث خصال: كفر بعد إيمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس ظلماً وتعدياً، وهنا يندرج المحارب، والفساد في الأرض يجمع الزنا والارتداد والحرابة.

---

(١) انظر عزوه لخوات بن جبير في المعاني الكبير (٢/ ١١٣٠)، وتهذيب اللغة (١١/ ١٣٢)، والصحاح للجوهري (٤/ ١٦٢١)، وهو منسوب لزهير في إيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٢٩٤)، وعزاه في مجاز القرآن (١/ ١٦٣) للخنَّوت، قال: وهو توبة بن مضرِّس.

(٢) وهي قراءة عشرية، انظر عزوها له في النشر (٢/ ٢٨٧).

(٣) في المطبوع: «يرعون».

وقرأ الحسن: (أو فساداً في الأرض)، بنصب الفساد[١]، على فعل محذوف، تقديره: أو أتى فساداً، أو ركب[٢] أو أحدث فساداً، وحذف الفعل الناصب لدلالة الكلام عليه.

وقوله تعالى: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾، اضطرب لفظ المفسرين في ترتيب هذا التشبيه، فروي عن ابن عباس أنه قال: المعنى: قتل نبيّاً أَو إِمامَ عدلٍ، فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً، ومن أَحياهُ بأَن شد عضُده ونَصَره؛ فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول لا تعطيه الألفاظ.

وروي عن ابن عباس أيضاً أنه قال: المعنى: من قتل نفساً واحدة وانتهك حرمتها؛ فهو مثل من قتل الناس جميعاً، ومن ترك قتل نفس واحدة، وصان [حرمتها مخافتي واستحياها][٤] أن يقتلها؛ فهو كمن أحيا الناس جميعاً[٥].

وقال عبد الله بن عباس أيضاً: المعنى: فكأنما قتل الناس جميعاً عند المقتول، ومن أحياها واستنقذها من هلكة فكأنما أحيا الناس جميعاً عند المستنقذ[٦].

وقال ابن عباس أيضاً وغيره: المعنى من قتل نفساً فأوبق نفسه؛ فكأنه قتل الناس جميعاً؛ [إذ يصلى النار بذلك، ومن سلم من قتلها؛ فكأنه سلم من قتل الناس جميعاً][٧].

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٣٨).

(٢) «أو ركب»: زيادة من السليمانية وفيض الله.

(٣) منقطع، أخرجه الطبري (١٠/ ٢٣٢-٢٣٣)، من طريق الفضل بن موسى، عن الحسين بن واقد، عن عكرمة، عن ابن عباس، والحسين إنما يروي عن عكرمة بواسطة، وأحياناً بواسطتين.

(٤) في المطبوع: «حرمتها واستحيا من».

(٥) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٣٣) من طريق محمد بن سعد قال: حدثني أبي قال: حدثني عمي قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، وقد سبق أنه إسناد مسلسل بالضعفاء.

(٦) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٣٣)، من طريق أسباط، عن السدي، فيما ذكر عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس وعن مرة الهمداني، عن عبد الله، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ، قال ابن كثير: إن هذا الإسناد يروي به السدي أشياء فيها غرابة.

(٧) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٣٤)، من طريق وكيع، عن خصيف، عن مجاهد، عن ابن عباس، وقد روى =

وقال مجاهد: الذي يقتل النفس المؤمنة متعمداً جعل الله جزاءه جهنم، وغضب عليه، ولعَنَهُ، وأَعَدَّ له عذاباً عظيماً، يقول: لو قتل الناس جميعاً لم يزد على ذلك، ومن لم يقتل أحداً فقد حيي الناس منه(١).

وقال ابن زيد: المعنى: أي: من قتل نفساً فيلزمه من القود والقصاص ما يلزم من قتل الناس جميعاً، قال: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾؛ أي: من عفا عمن وجب له قتله، وقاله(٢) الحسن أيضاً: أي: هو العفو بعد القدرة، وقال مجاهد: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ أنقذها من حرق أو غرق، وقال قوم: لما كان المؤمنون كلهم يطلبون القاتل كان كمن قتل الناس جميعاً(٣) / . [٢/ ٢٣]

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول متداع، ولم يتخلص التشبيه إلى طرف في شيء من هذه الأقوال، والذي أقول: إن الشبه بين قاتل النفس وقاتل الكل لا يطرد من جميع الجهات، لكن الشبه قد تحصل من ثلاث جهات:

إحداها: القود بأنه واحد(٤).

والثانية: الوعيد، فقد توعد الله قاتل النفس بالخلود في النار، وتلك غاية العذاب، فإن فرضناه يخرج من النار بعد بسبب التوحيد؛ فكذلك قاتل الجميع أن لو اتفق ذلك.

والثالثة: انتهاك الحرمة، فإن نفساً واحدة في ذلك وجميع الأنفس سواء، والمنتهك في واحدة ملحوظ بعين منتهك الجميع، ومثال ذلك: رجلان حلفا على شجرتين ألا يطعما من ثمرهما شيئاً، فطعم أحدهما واحدة من ثمر شجرته، وطعم الآخر ثمر شجرته كله، فقد استويا في الحنث، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ فيه تجوز؛ لأنها عبارة عن

= نحوه الثوري وشريك عن خصيف، عن مجاهد قوله، ومثله من طرق أخرى عن مجاهد، وخصيف مضطرب الحديث، وما بين المعكوفين ساقط من الأصل.

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٢٣٤ و٢٣٥).

(٢) في السليمانية: «وقال».

(٣) انظر لهذه الأقوال تفسير الطبري (١٠/ ٢٣٨).

(٤) في المطبوع: «فإنه واحد».

الترك والإنقاذ، وإلا فالإحياء حقيقة الذي هو الاختراع إنما هو لله تعالى.

وإنما هذا الإحياء بمنزلة قول نُمرود: أنا أحيي، سمى الترك إحياء، ومحيي نفس كمحيي الجميع في حفظ الحرمة واستحقاق الحمد.

ثم أخبر الله تعالى عن بني إسرائيل أنهم جاءتهم الرسل من الله بالبينات في هذا وفي سواه، ثم لم يزل الكثير منهم بعد ذلك في كل عصر يسرفون ويتجاوزون الحدود، وفي هذه الآية إشارة إلى فعل اليهود في همهم بقتل النبي ﷺ وغيره، إلى سائر ذلك من أعمالهم.

قوله عز وجل ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾.

اقتضى المعنى في هذه الآية كون ﴿إِنَّمَا﴾ حاصرة الحصر التام.

واختلف الناس في سبب هذه الآية:

فروي عن ابن عباس والضحاك: أنها نزلت بسبب قوم من أهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهدٌ، فنقضوا العهدَ، وقطعوا السبيلَ، وأفسدوا في الأرض(١).

ويشبه أن تكون نازلة بني قريظة حين هموا بقتل النبي ﷺ.

وقال عكرمة والحسن: نزلت الآية في المشركين(٢).

وفي هذا ضعف؛ لأنَّ توبةَ المشرك نافعةٌ بعدَ القدرةِ عليه وعلى كلِّ حالٍ.

وقال أنس بن مالك، وجرير بن عبد الله، وسعيد بن جبير، وعروة بن الزبير، وعبد الله ابن عمر، وغيرهم: إنَّ الآيةَ نزلت في قوم من عُكْلٍ وَعُرَيْنَةَ قدموا على النبي ﷺ فأسلموا

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٤٣)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وانظر قول الضحاك في تفسير الطبري (١٠/ ٢٤٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٢٤٤)، والهداية لمكي (٣/ ١٦٨٩).

ثم إنهم مرضوا واستوخموا المدينة، فأمرهم النبي ﷺ أن يكونوا في لقاح الصدقة، وقال: اشربوا من ألبانها وأبوالها، فخرجوا فيها فلما صحُّوا قتلوا الرِّعاء، واستاقوا الإبل، فجاء الصريخ فأخبر بذلك النبي ﷺ، فأمر فنودي في الناس: يا خيلَ الله اركبي، فركِب رسولُ الله ﷺ على أَثرهِم فأخذوا، وقال جرير بن عبد الله: فبعثني رسول الله ﷺ في نفر من المسلمين حتى إذا أدركناهم، وقد أشرفوا على بلادهم، فجئنا بهم النبي ﷺ، قال جميع الرواة: فقطع رسولُ الله ﷺ أيديهم وأَرجلَهم من خلافٍ، وسَمَرَ أَعْينَهُم، ويروى وَسَمَلَ[١]، وتركهم في جانب الحرة يستسقون فلا يسقون[٢].

وفي حديث جرير: فكانوا يقولون: الماء، ويقول رسول الله ﷺ: «النار»، وفي بعض الروايات عن أنس: أنَّ رسولَ الله ﷺ أحرقَهُم بالنَّار بعد ما قتلهم، قال أبو قلابة: هؤلاء كفروا، وقتلوا، وأخذوا الأموالَ، وحاربوا الله ورسولَه[٣].

وحكى الطَّبريُّ عن بعض أهل العلم: أن هذه الآيَةَ نسخت فعلَ النَّبيِّ ﷺ بالْعُرَنِيينَ ووقفت الأمر على هذه الحدود[٤]، وقال بعضهم: وجعلها الله عتاباً لنبيه ﷺ على سمل الأعين، وحكي عن جماعة من أهل العلم: أن هذه الآية ليست بناسخة لذلك الفعل؛ لأنَّ ذلك وقع في مرتدين.

قال القاضي أبو محمد: لا سيَّما وفي بعض الطرق: أنهم سَمَلوا أعينَ الرُّعاةِ، قالوا: وهذه الآية هي في المحارب المؤمن، وحكى الطبريُّ عن السديِّ: أنَّ النَّبيّ ﷺ لم يَسْمُل أعينَ العرنيين، وإنما أراد ذلك فنزلت الآيةُ ناهيةً عن ذلك[٥].

---

(١) سمل عينه: فقأها بحديدة محماة، انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٣١٥).
(٢) حديث أنس أخرجه البخاري (٤١٩٢) (٥٧٢٧)، عن عبد الأعلى بن حماد، عن يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة: أن أنساً حدثهم... لكن ليس فيه ذكر الآية، أما بذكر الآية فقد أخرجه الطبري (١٠/ ٢٤٤)، من طريق روح بن عبادة، عن سعيد به، وحديث جرير أخرجه الطبري (١٠/ ٢٤٧)، وفيه: موسى بن عبيدة الربذي، وهو متروك.
(٣) أخرجه البخاري (٢٣٣) (٣٠١٨)، وغيرها.
(٤) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٢٥٢).
(٥) المصدر السابق (١٠/ ٢٥٣).

قال القاضي أبو محمد: وهذا قولٌ ضعيفٌ تخالفه الروايات المتظاهرة.

ولا خلافَ بين أهلِ العلم أنَّ حكمَ هذه الآية مترتبٌ في المحاربين من أهل الإسلام، واختلفوا فيمَن هو الذي يستحقُّ اسمَ الحرابة؟

فقال مالك بن أنس رحمه الله: المحاربُ عندنا: من حَمَلَ على النَّاسِ السِّلاحَ في مصرٍ أو في برية، فكابرهم عن أنفسهم وأموالهم دون نائرة[١] ولا ذَحْل ولا عداوة، وقال بهذا القول جماعةٌ من أهل العلم[٢].

وقال أبو حنيفة، وأصحابه، وجماعة من أهل العلم: لا يكون المحاربُ إلا القاطع على الناس في خارج الأمصار، فأمَّا في المصر فلا[٣].

قال القاضي أبو محمد: يريدون أنَّ القاطعَ في المصر يلزمه حدُّ ما اجترح من قتلٍ، أو سرقةٍ، أو غصبٍ، ونحو ذلك.

والحرابة رُتب:

أدناها إخافةُ[٤] الطريقِ فقط، لكنها توجب صفة الحرابة.

ثم بعد ذلك أن يأخذ المالَ مع الإخافةِ.

ثم بعد ذلك أنْ يقتلَ مع الإخافة.

ثم بعد ذلك أن يجمع ذلك كله.

فقال مالك ـ رحمه الله ـ وجماعة من العلماء: في أي رتبة كان المحاربُ من هذه

---

(١) في الحمزوية: «تأثير»، والنائرة: العداوة والشحناء، انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ١٧٠)، والذَّحْل: الثأْر، انظر: العين (٣/ ٢٠٠).

(٢) منهم الأوزاعي والليث وابن لهيعة، انظر قول مالك وأقوال الباقين في تفسير الطبري (١٠/ ٢٥٤-٢٥٥).

(٣) انظر بدائع الصنائع (٧/ ٩٣)، وانظر قول موافقي أبي حنيفة في: الأوسط (١٢/ ٤٠٧)، وتفسير الطبري (١٠/ ٢٥٦).

(٤) في الحمزوية: «قطع».

الرتبِ فالإمامُ مخيَّرٌ فيه في أن يعاقبَه بما رأى من هذه العقوبات[١]، واستحسن أن يأخذ في الَّذي لم يقتلْ بأيسر العقوبات.

قال القاضي أبو محمد: لا سيَّما إنْ كانت زلةً[٢]، ولم يكن صاحبَ شرورٍ معروفةٍ، وأمَّا إن قتلَ فلا بدَّ من قتله.

وقال ابن عباس رضي الله عنه، والحسن، وأبو مِـجْلَز، وقتادة وغيرهم من العلماء: بل لكلِّ رتبةٍ من الحرابة رتبةٌ من العقاب، فمن أخَافَ الطرقَ فقط فعقوبته النفيُ، ومن أخذ المالَ ولم يقتلْ فعقوبته القطعُ من خلافٍ، ومَنْ قتلَ دون أخذِ مالٍ فعقوبته القتلُ، ومَنْ جمعَ الكلَّ قُتِلَ وصُلِبَ[٣].

وحجة هذا القول: أنَّ الحرابةَ لا تخرج عن الإيمان، ودمُ المؤمنِ حرامٌ إلا بإحدى ثلاث: ارتدادٌ، أو زنا بعدَ إحصانٍ، أو قتلِ نَفْسٍ[٤]، / فالمحارب إذا لم يقتلْ فلا [٢/ ٢٤]
سبيلَ إلى قتله، وقد روي عن ابن عباس، والحسن أيضاً، وسعيد بن المسيب، وغيرهم مثل قول مالك: إن الإمام مخير.

ومن حجة هذا القول: أن ما كان في القرآن: ﴿أو... أو﴾، فإنه للتخيير، كقوله تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وكآية كفارة اليمين، وآية جزاء الصيد[٥].

قال القاضي أبو محمد: ورجَّحَ الطَّبريُّ القولَ الآخرَ[٦]، وهو أحوطُ للمفتي

---

(١) انظر المدونة (٤/ ٥٥٢)، وهو قول مجاهد وعطاء والنخعي والحسن والضحاك كما في الأوسط (١٢/ ٣٩٦).

(٢) في الحمزوية وفيض الله: «نازلة».

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٢٥٧-٢٦١)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/ ٥٤)، وتفسير السمعاني (٢/ ٣٤).

(٤) هذه إشارة إلى حديث: «لا يحل دم امرئ»، وقد سبق تخريجه في (سورة المائدة) رقم (٣٢).

(٥) انظر ما عزاه من القول والاحتجاج لابن عباس والحسن أيضاً وسعيد بن المسيب في: تفسير الطبري (١٠/ ٢٦٢-٢٦٣).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٢٦٤).

ولدَمِ المحارب، وقولُ مالكٍ: أَسدُّ للذريعةِ، وأحفظُ للنَّاسِ والطرقِ، والمخيف في حكمِ القاتل، ومع ذلك فمالكٌ يرى فيه الأخذَ بأيسر العقوبات استحساناً(١).

وذكر الطَّبريُّ عن أنس بن مالك أنَّه قال: سأل رسولُ الله ﷺ جبريلَ عليهما السلام عن الحكمِ في المحارب، فقال: مَنْ أَخَافَ السَّبيلَ، وأَخَذَ المالَ؛ فاقْطَعْ يدَه للأخذ، ورجْلَه للإخافة، وَمَنْ قَتَل فاقْتلْه، ومن جمع ذلك فاصلبه(٢).

قال القاضي أبو محمد: وبَقِي النفيُ للمُخيف فقط.

وقوله تعالى: ﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ﴾ تغليظٌ جَعَلَ ارتكابَ نهيِهِ محاربةً، وقيل: التقديرُ يحاربون عبادَ الله، ففي الكلامِ حذف مضاف.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ تبيين للحرابة؛ أي: ويسعون بحرابتهم، ويحتمل أن يكون المعنى: ويسعون فساداً منضافاً إلى الحرابة، والرابط إلى هذه الحدود إنما هو الحرابة.

وقرأ الجمهور: ﴿يُقَتَّلُوٓاْ﴾، ﴿يُصَلَّبُوٓاْ﴾، ﴿تُقَطَّعَ﴾، بالتثقيل في هذه الأفعال للمبالغة والتكثير، والتكثيرُ هنا إنما هو من جهة عدد الذين يوقع بهم كالتذبيح في بني إسرائيل في قراءة من ثقَّل: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ [البقرة: ٤٩].

وقرأ الحسن ومجاهد وابن محيصن: (يقْتلوا)، و(يصْلبوا)، (تقْطع) بالتخفيف في الأفعال الثلاثة(٣).

وأمَّا قتلُ المحاربِ: فبالسيف ضربة العنق.

---

(١) انظر استحسان مالك للأخذ بأيسر العقوبات في حق المحارب المخيف للسبيل في المدونة (٤/ ٥٥٣).

(٢) لا يثبت، أخرجه الطبري (١٠/ ٢٦٧)، من طريق الوليد بن مسلم، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب: أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس بن مالك يسأله عن هذه الآية، فكتب إليه أنس يخبره... به، وابن لهيعة ضعيف، ويزيد لم يذكر سماعاً.

(٣) وهي شاذة، انظر: عزوها لمجاهد وابن محيصن في الشواذ لابن خالويه (ص: ٣٨)، وللحسن في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٦٦).

وأمَّا صلبه: فجمهور من العلماء على أنه يقتل ثم يصلب نكالاً لغيره، وهذا قولُ الشَّافعيِّ(١)، وجمهور من العلماء: على أنه يُصلب حيّاً، ويقتل بالطَّعن على الخشبة، وروي هذا عن مالك(٢)، وهو الأظهر من الآية، وهو الأنكى في النكال.

وأمَّا القطع: فاليد اليمنى من الرُّسغ، والرجل الشمال من المفصل، وروي عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يقطع اليد من الأصابع، ويبقي الكفَّ والرجلَ من نصف القدم، ويبقي العقبَ(٣).

واختلف العلماء في النفي:

فقال السُّديُّ: هو أن يطلبَ أبداً بالخيل والرجل حتى يؤخذ، فيقام عليه حدُّ الله، ويخرج من دار الإسلام(٤).

وروي عن ابن عباس أنه قال: نفيه أن يطلبَ، وقاله أنسُ بنُ مالك(٥)، وروي ذلك عن الليث ومالك بن أنس، غير أنَّ مالكاً قال: لا يُضْطرُّ مسلمٌ إلى دخولِ دارِ الشِّركِ.

وقال سعيدُ بنُ جبير: النفيُ من دار الإسلام إلى دارِ الشِّرك(٦).

وقالت طائفةٌ من العلماء منهم عمر بن عبد العزيز: [النَّفيُ في المحاربين: أن ينفوا من بلد إلى غيره مما هو قاص بعيد(٧).

(١) انظر الأم (٦/ ٢١٣)، وهو قول أشهب كما في: بداية المجتهد (٢/ ٤٥٦).

(٢) في: المدونة (٤/ ٥٥٣) أنه قول ابن القاسم، وهو قول الأوزاعي والليث كما في الأوسط (١٢/ ٤٠٠).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٠/ ١٨٥)، عن معمر، عن قتادة أن علياً كان يقطع... وقتادة لم يسمع من علي.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٢٦٨).

(٥) أخرجه البيهقي في السنن (٨/ ٢٨٣)، عن ابن عباس، بإسناد ضعيف، ولم أقف عليه لأنس.

(٦) انظر ما عزاه لليث ومالك وسعيد بن جبير في: تفسير الطبري (١٠/ ٢٦٨-٢٧٠).

(٧) وهو أيضاً قول سعيد بن جبير كما في تفسير الطبري (١٠/ ٢٧٠)، ويحيى الأنصاري كما في: الأوسط (١٢/ ٤٠١).

وقال الشَّافعيُّ: ينفيه من عمله[١]، وقال أبو الزناد[٢]: كان النَّفيُ قديماً إلى دَهْلَك وباضِع[٣]، وهما من أقصى اليمن، وقال أبو حنيفةَ وأصحابُهُ وجَمَاعةٌ][٤]: النَّفيُ في المحاربين السجن، فذلك إخراجهم من الأرض.

قال القاضي أبو محمد: والظَّاهر: أنَّ الْأَرْضَ في هذه الآيةِ هي أرضُ النَّازلة، وقد جُنب الناس قديماً الأرض التي أصابوا فيها الذنوب، ومنه حديث: الذي ناء بصدره نحو الأرض المقدسة[٥].

وينبغي للإمام إن كان هذا المحاربُ المنفيُّ مخوفَ الجانب، يُظن أنه يعود إلى حرابةٍ وإفسادٍ؛ أن يسجنَه في البلد الذي يغرب إليه، وإن كان غيرَ مخوف الجانب تُركَ مسرّحاً، وهذا هو صريحُ[٦] مذهبِ مالكٍ: أن يغرب، ويسجن حيث يغرَّب[٧]، وهذا هو الأغلب في أنه مَـخُوف، ورجَّحَه الطَّبريُّ[٨] وهو الراجح؛ لأن نفيه من أرضِ النَّازلة أو الإسلام هو نصُّ الآية، وسجنه بعدُ بحسب الخوف منه، فإذا تاب وفهم حاله سُرح.

---

(١) ينظر؛ لعله الشعبي؛ فقد عزاه له في: الأوسط (١٢/ ٤٠١) وانظر مذهب الشافعي في المسألة في: الأم (٦/ ٢١٣).

(٢) عبد الله بن ذكوان، أبو الزناد، ويكنى أبا عبد الرحمن، الفقيه المدني، مولى قريش، سمع أنساً وأبا أمامة ابن سهل وعبد الله بن جعفر، وغيرهم، روى عنه مالك وشعيب بن أبي حمزة والليث بن سعد، وخلق، توفي سنة: (١٣١هـ)، تاريخ الإسلام (٨/ ٤٦١).

(٣) في الحمزوية: «وسواسن»، ودهلك جزيرة بين بر اليمن والحبشة، وباضع: جزيرة في بحر اليمن، انظر: معجم البلدان (١/ ٣٢٤).

(٤) ساقط من نجيبويه، وانظر مذهب أبي حنيفة في المبسوط للسرخسي (٢٠/ ٨٨).

(٥) صحيح البخاري (٣٤٧٠) وصحيح مسلم (٢٧٦٦)، وهو حديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً.

(٦) في نور العثمانية: «صحيح».

(٧) انظر أقوال أهل المذهب المالكي في المسألة في بداية المجتهد (٢/ ٣٧٤).

(٨) رجح الطبري في: تفسيره (١٠/ ٢٧٤-٢٧٥) في معنى النفي: أن المراد به هو الحبس، ولم يشترط فيه كون المحارب مخوفاً منه أم لا.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ﴾ إشارة إلى هذه الحدود التي توقع بهم، وغلَّظ الله الوعيد في ذنب الحرابة؛ بأنْ أخبر أنَّ لهم في الآخرة عذاباً عظيماً مع العقوبة في الدنيا، وهذا خارجٌ عن المعاصي التي في حديث عبادة بن الصامت في قول النبي ﷺ: «فَمَن أَصَابَ من ذلك شيئاً فعوقب به [في الدنيا][(١)] فهو له كفارةٌ»[(٢)].

قال القاضي أبو محمدٍ: ويحتمل أن يكون الخزيُ لمن عُوقب، وعذابُ الآخرة لمن سلم في الدنيا، ويجرى هذا الذنب مجرى غيره، وهذا الوعيدُ مشروطُ الإنفاذ بالمشيئة، أما إنَّ الخوفَ يغلب عليهم بحسب الوعيد وعظم الذنب.

و«الخزيُ» في هذه الآية: الفضيحةُ والذلُّ والمقتُ.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡ﴾، استثنى عز وجل التائب قبل أن يقدر عليه، وأخبر بسقوط حقوق الله عنه بقوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، واختلف الناس في معنى الآية:

فقال قتادةُ، والزهريُّ في كتاب الإشراف: ذلك لأهلِ الشِّركِ[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: من حيث رأيا الوعيد بعد العقاب، وهذا ضعيفٌ، والعلماءُ على أنَّ الآية في المؤمنين، وأنَّ المحاربَ إذا تابَ قبل القدرة عليه فقد سقط عنه حكمُ الحرابة، ولا نظر للإمام فيه، إلا كما ينظر في سائر المسلمين، فإن طلبه أحدٌ بدمٍ نظر فيه، وأقاد منه إذا كان الطالب وليّاً، وكذلك يتبع بما وجد عنده من مال الغير، وبقيمة ما استهلك من الأموال، هذا قول مالك والشافعي وأصحاب الرأي، ذكره ابن المنذر[(٤)].

---

(١) ساقط من المطبوع والأصل.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٨) (٣٨٩٢) (٤٨٩٤) (٦٨٠١)، ومسلم (١٧٠٩)، من حديث عبادة بن الصامت.

(٣) انظر الإشراف (١/ ٥٣٦)، وانظر: تفسير الطبري (١٠/ ٢٧٧-٢٧٩).

(٤) في: الإشراف (١/ ٥٣٦)، وانظر المدونة (٤/ ٥٥٤)، والمبسوط للسرخسي (٩/ ٢٣٣)، والأم (٦/ ٢١٥).

وقال قوم من الصحابة والتابعين: إنه لا يطلب من المال إلا بما وجد عنده بعينه، وأمَّا ما استهلك فلا يطلب به.

وذكر الطَّبريُّ ذلك عن مالك من رواية الوليد بن مسلم(١) عنه(٢)، وهو الظاهر من فعل علي بن أبي طالب بحارثة بن بدر الغداني(٣)، فإنه كان محارباً، ثم تاب قبل القدرة عليه، فكتب له بسقوط الأموال والدم عنه كتاباً منشوراً(٤).

وحكى الطبري عن عروة بن الزبير أنه قال: لا تقبل توبة المحارب، ولو قبلت لاجترؤوا وكان فساد كثير، ولكن لو فر إلى العدو ثم جاء تائباً لم أر عليه عقوبة(٥).

قال القاضي أبو محمد: لا أدري هل أراد ارتد أم لا؟.

وقال الأوزاعي نحوه: إلا أنه قال: إذا لحق بدار الحرب فارتدَّ عن الإسلام، أو بقي عليه ثم جاء تائباً من قبل أن يقدر عليه؛ قبلت توبته(٦).

قال القاضي أبو محمد: / والصحيح من هذا كله: مذهب الفقهاء الذي قررته آنفاً: أن حكم الحرابة يسقط ويبقى كسائر المسلمين. [٢/ ٢٥]

واختلف إذا كان المال أقل مما يقطع فيه السارق: فقال مالك: ذلك كالكثير، وقال

---

(١) هو الوليد بن مسلم الإمام أبو العباس الأموي، مولاهم الدمشقي، أحد الأعلام، حدث عن الأوزاعي، والثوري، ومالك، والليث، وعنه: الليث شيخه، وبقية، وابن وهب، وأحمد، كان ثقة كثير الحديث والعلم، توفي سنة (١٩٤هـ)، تاريخ الإسلام (١٣/ ٤٥٧).

(٢) وذكره أيضاً عن علي وأبي موسى الأشعري، والسدي ومكحول والزهري، انظر تفسير الطبري (١٠/ ٢٨٠-٢٨٢، ٢٨٣).

(٣) هو حارثة بن بدر بن حصين التميمي، الغداني، الشاعر، من فرسان بني تميم ووجوهها وساداتها، له أخبار في الفتوح، وقصة مع عمر ومع علي، وولي إمرة الخوارج، قال في الأغاني (٨/ ٣٩٥): وأحسب أنه قد أدرك النبي ﷺ في حال صباه وحداثته.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) تفسير الطبري (١٠/ ٢٨٥).

(٦) انظر قول الأوزاعي في: تفسير الطبري (١٠/ ٢٨٦-٢٨٧).

الشافعي وأصحاب الرأي: لا يقطع من المحاربين إلا من أخذ ما يقطع فيه السارق[١].

قوله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾.

هذه الآية وعظ من الله تعالى بعقب ذكر العقوبات النازلة بالمحاربين، وهذا من أبلغ الوعظ؛ لأنه يرِد على النفوس وهي خائفة وَجِلة، وعادة البشر إذا رأى أو سمع [أمرَ ممتحنٍ ببشيع][٢] المكاره أن يرق ويخشع، فجاء الوعظ في هذه الحال.

﴿وَٱبْتَغُوٓا۟﴾ معناه: اطلبوا، و﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾: القربة، وسبب النجاح في المراد.

ومن ذلك قول عنترة لامرأته:

إِنَّ الرِّجَـالَ لَهُـمْ إِلَيْـكِ وَسِـيلَةٌ ... إنْ يَأْخُذُوكِ تَكَحَّلِي وَتَخَضَّبِي[٣] [الكامل]

وأما الوسيلة المطلوبة لمحمد ﷺ فهي أيضاً من هذا؛ لأن الدعاء له بالوسيلة والفضيلة إنما هو أن يؤتاهما في الدنيا، ويتصف بهما، ويكون ثمرة ذلك في الآخرة التشفيع في المقام المحمود، ومن هذه اللفظة قول الشاعر:

إِذَا غَفَلَ الْوَاشُـونَ عُدْنَـا لِوَصْلِنَا ... وَعَـادَ التَّصَافِـي بَيْنَنَا وَالْوَسَـائِلُ [الطويل]

أنشده الطبري[٤].

---

(١) انظر قول مالك في: المدونة (٤/ ٥٥٤)، والشافعي في: الأم (٦/ ٢١٣)، وأصحاب الرأي في: المبسوط للسرخسي (٩/ ٢٣٥).

(٢) في هامش لالاليه: «أمراً مستحقاً سمع»، وعليها علامتا «خ» و«ظ»، وفي نجيبويه: «أمراً مستحق تشنيع».

(٣) البيت لعنترة كما في مجاز القرآن (١/ ١٦٥)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٨٢)، والمعاني الكبير (١/ ٩٠)، والعقد الفريد (٣/ ٣٥٤)، ولخزز بن لوذان السدوسي في البيان والتبيين (٣/ ٣١٧)، وللحارث بن لوذان في الأغاني (١٢/ ١٨٢)، ونقل الثاني عن ابن سلام، وخطَّأ الأول.

(٤) تفسير الطبري (١٠/ ٢٩٠) بلا نسبة، وكذا أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ١٦٤)، ولم أقف على قائله.

وقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾، خُص الجهاد بالذكر؛ لوجهين:

أحدهما: نباهته في أعمال البر، وأنه قاعدة الإسلام، وقد دخل بالمعنى في قوله: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾، ولكن خصه تشريفاً.

والوجه الآخر: أنها العبادة التي تصلح لكل منهي عن المحاربة، وهو معدلها من حاله وسنه وقوته وشرَه[١] نفسه، فليس بينه وبين أن ينقلب إلى الجهاد إلا توفيق الله تعالى.

واللام في قوله: ﴿لِيَفۡتَدُواْ﴾: لام كي.

وقرأ جمهور الناس: ﴿تُقُبِّلَ﴾ بضم التاء والقاف على ما لم يسم فاعله.

وقرأ يزيد بن قطيب: (تَقَبَّل) بفتحهما[٢]، على معنى: ما تقبل الله.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ﴾: إخبار عن أنهم يتمنون هذا في قلوبهم، وفي غير ما آية أنهم ينطقون عن هذه الإرادة، وقال الحسن بن أبي الحسن: إذا فارت بهم النار قربوا من حاشيتها، فحينئذ يريدون الخروج ويطمعون به، وذلك قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[٣].

قال القاضي أبو محمد: وقد تأول قومٌ هذه الإرادة أنها بمعنى: [يكادون على هذا القَصص الذي حكى الحسن، وهذا لا ينبغي أن يتأول إلا فيما لا تتأتى منه الإرادة][٤] الحقيقية، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧]، وأما في إرادة بني آدم؛ فلا، إلا على تجوز كثير.

وقرأ جمهور الناس: ﴿يَخۡرُجُواْ﴾ بفتح الياء وضم الراء.

---

(١) في السليمانية وفيض الله: «وشرة».

(٢) وهي قراءة شاذة، عزاها له في البحر المحيط (٤/ ٢٤٤)، ونقلها الكرماني في الشواذ (ص: ١٥٣)، عن اليماني.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٧).

(٤) ساقط من نجيبويه.

وقرأ يحيى بن وثاب وإبراهيم النخعي: (يُخرَجوا)، بضم الياء وفتح الراء[١].

وأخبر تعالى عن هؤلاء الكفار أنهم ليسوا بخارجين من النار، بل عذابهم فيها مقيم متأبد، وحكى الطبري عن نافع بن الأزرق الخارجي[٢] أنه قال لابن عباس: يا أعمى البصر أعمى القلب، تزعم أن قوماً يخرجون من النار، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾، فقال له ابن عباس: ويحك، اقرأ ما فوقها، هذه الآية في الكفار[٣].

قوله عز وجل: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾.

قرأ جمهور القراء: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ بالرفع.

وقرأ عيسى بن عمر وإبراهيم بن أبي عبلة: (والسارقَ والسارقةَ) بالنصب[٤].

قال سيبويه رحمه الله: الوجه في كلام العرب: النصب، كما تقول: زيداً اضربه، ولكن أبتِ العامة إلا الرفع؛ يعني: عامة القراء وجُلَّهم، قال سيبويه: الرفع في هذا وفي قوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ [النور: ٢]، وفي قول الله: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ﴾ [النساء: ١٦] هو على معنى: فيما فرض عليكم[٥].

والفاء في قوله تعالى: ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ﴾: ردت المستقل غير مستقل؛ لأن قوله: فيما

---

(١) وهي قراءة شاذة، تابعه في نقلها عنهما البحر المحيط (٤/ ٢٤٥)، وهي عن أبي واقد ونبيح والجراح أشهر، انظر تفسير الثعلبي (٤/ ٦٠)، ومختصر الشواذ (ص: ٣٨)، والشواذ للكرماني (ص: ١٥٣).

(٢) نافع بن الأزرق الحنظلي التميمي، أحد زعماء الخوارج، وهو صاحب المسائل مع ابن عباس، قتل سنة (٦٥هـ)، الأغاني (٦/ ١٥٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٢٩٤).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لعيسى في مختصر الشواذ (ص: ٣٨)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٦٠)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٧٢)، والهداية لمكي (٣/ ١٦٩٦)، وتفسير الكشاف (١/ ٦٣١)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٦٧)، ولابن أبي عبلة في البحر المحيط (٤/ ٢٤٦).

(٥) كتاب سيبويه (١/ ١٤٣-١٤٤).

فرض عليكم السارق، جملة حقها وظاهرها الاستقلال[١]، لكن المعنى المقصود ليس إلا في قوله: ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ﴾، فهذه الفاء هي التي ربطت الكلام الثاني بالأول، وأظهرت الأول هنا غير مستقل.

وقال أبو العباس المبرد ـ وهو قول جماعة من البصريين ـ : أختار أن يكون ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ رفعاً بالابتداء؛ لأن القصد ليس إلى واحد بعينه، فليس هو مثل قولك: زيداً فاضربه، إنما هو كقولك: مَنْ سرَقَ فَاقْطع يدَه[٢].

قال الزجاج: وهذا القول هو المختار[٣].

قال القاضي أبو محمد: أنزل سيبويه النوع السارق منزلة الشخص المعين.

وقرأ عبد الله بن مسعود وإبراهيم النخعي: (والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم)[٤].

وقال الخفَّاف: وجدت في مصحف أبي بن كعب: (والسُّرَّق والسُّرَّقة) هكذا ضُبطَا، بضم السين المشددة وفتح الراء المشددة فيهما، هكذا ضبطهما أبو عمرو[٥].

قال القاضي أبو محمد: ويشبه أن يكون هذا تصحيفاً من الضَّابط؛ لأن قراءة الجماعة إذا كتب: (السارق) بغير ألف وافقت في الخط هذه.

وأخذ ملك الغير يتنوع بحسب قرائنه:

فمنه الغصب: وقرينته علم المغصوب منه وقت الغصب، أو علم مشاهد غيره.

ومنه الخيانة: وقرينتها أن الخائن قد طرق له إلى المال بتصرف ما.

---

(١) في نور العثمانية: «الاستقبال».

(٢) الكامل في اللغة والأدب (٢/ ١٩٦).

(٣) معاني القرآن للزجاج (٢/ ١٧٢).

(٤) انظر عزوها لابن مسعود في معاني القرآن للفراء (١/ ٢٥٨)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٦٠)، وله أو لإبراهيم في تفسير الطبري (١٠/ ٢٩٤).

(٥) وهي قراءة شاذة، نقلها عنه في البحر المحيط (٤/ ٢٤٦).

ومنه السرقة: وقرائنها أن يؤخذ [مال لم][١] يطرق إليه على غير علم من المسروق ماله، وفي خفاء من جميع الناس فيما يرى السارق، وهذا هو الذي يجب عليه القطع وحده من بين أَخَذَة الأموال؛ لخبث هذا المنزع، وقلة العذر فيه[٢].

وحاط[٣] الله تعالى البشر على لسان نبيه بأن القطع لا يكون إلا بقرائن:

منها الإخراج من حِرْز، ومنها القدر المسروق على اختلاف أهل العلم فيه، ومنها أن يعلم السارق بتحريم السرقة، وأن تكون السرقة فيما يحل ملكه، فلفظ السَّارِق في الآية عموم / معناه الخصوص. [٢/ ٢٦]

فأما القدر المسروق فقالت طائفة: لا قطع إلا في ربع دينار فصاعداً، قال به عمر ابن الخطاب[٤] وعثمان بن عفان[٥] وعلي[٦] وعائشة[٧] وعمر بن عبد العزيز والأوزاعي والليث والشافعي وأبو ثور[٨]، وفيه حديث عن النبي ﷺ أنه قال: «القطع في ربع دينار فصاعداً»[٩].

---

(١) في السليمانية وفيض الله: «مالاً لم»، وفي حاشية السليمانية: «ما لو لم»، وفي نور العثمانية ولالاليه: «مال ثم».

(٢) انظر الإجماع على ذلك في الاستذكار (٧/ ٥٣٧)، وعلى عدم القطع في أنواع الأخذ الأخرى في: الإقناع (٤/ ١٨٩٨-١٩٠٠).

(٣) في نور العثمانية: «وخاطب».

(٤) أخرجه ابن المنذر عن عمر بسند منقطع، قاله الحافظ ابن حجر في الفتح (١٢/ ١٠٧).

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (٣/ ٤٨)، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم، عن أبيه، عن عمرة بنت عبد الرحمن أن سارقاً سرق في عهد عثمان أُترجة، فأمر بها عثمان أن تُقوَّم، فقومت بثلاثة دراهم من صرف اثني عشر درهما بدينار، فقطع عثمان يده، وصورته صورة المرسل.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة عن حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي أنه قطع يد سارق في بيضة حديد ثمنها ربع دينار، ورجاله ثقات مع انقطاعه، قاله الحافظ ابن حجر في الفتح (١٢/ ٨٣).

(٧) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٢٣٢)، عن يحيى بن سعيد، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة، وإسناده صحيح.

(٨) انظر عزو هذا القول لمن ذكرهم المؤلف في: الأوسط (١٢/ ٢٧٨-٢٧٩)، وانظر قول الشافعي في: الأم (٦/ ٢٠٤).

(٩) أخرجه بنحوه البخاري (٦٧٨٩) (٦٧٩٠) (٦٧٩١)، ومسلم (١٦٨٤).

وقال مالك رحمه الله: تقطع اليد في ربع دينار، أو في ثلاثة دراهم، فإن سرق درهمين وهي ربع دينار ـ لانحطاط الصرف ـ لم يقطع، وكذلك العروض، لا يقطع فيها إلا أن تبلغ ثلاثة دراهم، قل الصرف أو كثر[١].

وقال إسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل: إن كانت قيمة السلعة ربع دينار، أو ثلاثة دراهم؛ قطع فيها، قلَّ الصرف أو كثر[٢].

وفي القطع قول رابع، وهو أن لا قطع إلا في خمسة دراهم أو قيمتها، روي هذا عن عمر، وبه قال سليمان بن يسار وابن أبي ليلى وابن شبرمة[٣]، ومنه قول أنس بن مالك: قطع أبو بكر في مجنّ قيمته خمسة دراهم[٤].

قال القاضي أبو محمد: ولا حجة في هذا على أن الخمسة حدٌّ.

وقال أبو حنيفة وأصحابه وعطاء: لا قطع في أقل من عشرة دراهم، وقال أبو هريرة وأبو سعيد الخدري: لا تقطع اليد في أقل من أربعة دراهم، وقال عثمان البِتِّي: تقطع اليد في درهم فما فوقه[٥]، وحكى الطبري أن عبد الله بن الزبير قطع في درهم[٦]، وروي عن الحسن بن أبي الحسن أنه قال: تُقطع اليد في كل ما له قيمة، قل أو كثر، على ظاهر الآية[٧].

---

(١) انظر قول مالك في: المدونة (٤/ ٥٢٦-٥٢٧).

(٢) انظر قول إسحاق وأحمد في: مسائل أحمد وإسحاق رواية الكوسج (٢٠٥٨)، وسقط ذكر أحمد من نور العثمانية.

(٣) انظر عزو القول لمن ذكرهم المؤلف في: الاستذكار (٧/ ٥٣٥).

(٤) أخرجه النسائي (٨/ ٧٧)، من طريق شعبة عن قتادة عن أنس، وروي مرفوعاً ولا يصح.

(٥) انظر قول هؤلاء في الاستذكار (٧/ ٥٣٤-٥٣٥)، وقول أبي حنيفة في المبسوط للسرخسي (٩/ ١٦٠)، في الأصل: «درهمين فما فوقه».

(٦) ضعيف، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٦٢)، من طريق شعبة عن داود بن فراهيج قال: سمعت أبا هريرة وأبا سعيد يقولان... وداود ضعيف، وقد تغير لما كبر، وكان شعبة نفسه يضعفه، وانظر: تفسير الطبري (١٠/ ٢٩٦).

(٧) انظر قول الحسن في: الاستذكار (٧/ ٥٣٥).

وقد حكى الطبـري نحوه عن ابن عباس[١]، وهو قول أهل الظـاهر، وقول الخوارج[٢].

وروي عن الحسن أيضاً أنه قال: تذاكرنا القطع في كم يكون على عهد زياد؟ فاتفق رأينا على درهمين[٣].

وأكثر العلماء: على أن التوبة لا تسقط عن السارق القطع، وروي عن الشافعي: أنه إذا تاب قبل أن يقدر عليه وتمتد إليه يد الأحكام؛ فإن القطع يسقط عنه، قياساً على المحارب[٤].

وجمهور الناس على أن القطع لا يكون إلا على من أخرج من حرز، وقال الحسن ابن أبي الحسن: إذا جمع الثياب في البيت قطع وإن لم يخرجها[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَاقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ جمع الأيدي من حيث كان لكل سارق يمين واحدة، وهي المعرضة للقطع في السرقة أوَّلاً، فجاءت للسراق أيدٍ وللسارقات أيد، فكأنه قال: اقطعوا أيمان النوعين، فالتثنية في الضمير إنما هي للنوعين.

قال الزجاج عن بعض النحويين: إنما جعلت تثنية ما في الإنسان منه واحدٌ جمعاً، كقوله: ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم ٤]؛ لأن أكثر أعضائه فيه منه اثنان، فجعل[٦] ما كان فيه الواحد على مثال ذلك، قال أبو إسحاق: وحقيقة هذا الباب: أن ما كان في

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٢٩٦))، عنه بإسناد لا تقوم به حجة.

(٢) انظر قول أهل الظاهر في: المفهم (٧/ ٢٠٦).

(٣) انظر قول الحسن والخوارج في: الاستذكار (٧/ ٥٣٥-٥٣٦).

(٤) انظر ما نسبه للجمهور في: الشرح الكبير على متن المقنع (١٠/ ٣١٤)، وانظر ما نسبه للشافعي في: المجموع (٢٠/ ١٠٧).

(٥) انظر قول الجمهور وقول الحسن في: المحلى بالآثار (١٢/ ٣٠٢).

(٦) في نور العثمانية والمطبوع والأصل: «فحمل»، وهي أوضح، والمثبت هو الموافق للمصدر.

الشيء منه واحد لم يُثنَّ ولفِظَ به على لفظ الجمع؛ لأن الإضافة تبينه[١]، فإذا قُلتَ: أَشْبَعت بطونهما؛ علم أن للاثنين بطنين[٢].

قال القاضي أبو محمد: كأنهم كرهوا اجتماع تثنيتين في كلمة.

واختلف العلماء في ترتيب القطع:

فمذهب مالك ـ رحمه الله ـ، وجمهور الناس: أن تقطع اليمنى من يدي السارق، ثم إن عاد قطعت رجله اليسرى، ثم إن عاد قطعت يده اليسرى، ثم إن عاد قطعت رجله اليمنى، ثم إن سرق عزر وحبس[٣].

وقال علي بن أبي طالب والزهري وحماد بن أبي سليمان وأحمد بن حنبل: تقطع يده اليمنى، ثم إن سرق قطعت رجله اليسرى، ثم إن سرق عزر وحبس[٤]، وروي عن عطاء ابن أبي رباح: لا تقطع في السرقة إلا اليد اليمنى فقط ثم إن سرق عزر وحبس[٥].

قال القاضي أبو محمد: وهذا تمسك بظاهر الآية، والقول شاذ، فيلزم على ظاهر الآية أن تقطع اليد، ثم اليد.

ومذهب جمهور الفقهاء: أن القطع في اليد من الرسغ، وفي الرجل من المفصل، وروي عن علي بن أبي طالب: أن القطع في اليد من الأصابع، وفي الرجل من نصف القدم[٦].

وقوله تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا﴾ نصبه على المصدر، وقال الزجاج: مفعول من

---

(١) في نجيبويه ولالاليه: «تثنية»، والمثبت هو الموافق لما في المصدر.

(٢) معاني القرآن للزجاج (٢/ ١٧٣).

(٣) انظر قول مالك في المدونة (٤/ ٥٣٩)، وانظر عزو القول للجمهور في: الأوسط (١٢/ ٣٣٦).

(٤) انظر قول أحمد في: مسائل أحمد وإسحاق رواية الكوسج (٢١٣٤)، وانظر قول الباقين في: الأوسط (١٢/ ٣٣٧).

(٥) انظر قول عطاء في: الاستذكار (٧/ ٥٤٨)، ولا ذكر فيه للتعزير والحبس.

(٦) انظر قول الجمهور وقول علي في: الأوسط (١٢/ ٣٣٩-٣٤١)، وشرح النووي على مسلم (١١/ ١٨٥).

أجله[١]، وكذلك: ﴿نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾، والنكال: العذاب، والنَّكْل: القيد، وسائر معنى الآية بيِّن، وفيه عن بعض الأعراب حكاية.

قوله عز وجل: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٤٠ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٤١﴾.

المعنى عند جمهور أهل العلم: أن من تابَ من السرقة، فندم على ما مضى، وأقلع في المستأنف، وأصلح برد الظلامة إن أمكنه ذلك، وإلا فبإنفاقها في سبيل الله، وَأَصْلَحَ أيضاً في سائر أعماله، وارتفع إلى فوق؛ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ﴾، ويذهب عنه حكم السرقة فيما بينه وبين الله تعالى، وهو في المشيئة مرجوٌّ له الوعد، وليس تُسقِطُ عنه التوبةُ حكمَ الدنيا[٢] من القطع إن اعترف أو شهد عليه، وقال مجاهد: التوبة والإصلاح هي أن يقام عليه الحد[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا تشديد، وقد جعل الله للخروج من الذنوب بابين: أحدهما: الحد، والآخر التوبة، وقال الشافعي: إذا تاب السارق قبل أن يتلبس الحاكم بأخذه، فتوبته ترفع عنه حكم القطع، قياساً على توبة المحارب[٤].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٧٤)، والذي في النسخة المطبوعة منه: «لأنه مفعول به»، ولعله تصحيف.

(٢) في الحمزوية: «الذنب».

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٢٩٩)، وتفسير الماوردي (٢/ ٣٧)، والهداية لمكي (٣/ ١٧٠٨).

(٤) انظر قريباً منه في فتح الباري لابن حجر (١٢/ ١٠٨) باب توبة السارق.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ الآية، توقيف وتنبيه على العلة الموجبة لإنفاذ هذه الأوامر في المحاربين والسرقة، والإخبار بهذا التعذيب لقوم، والتوبة على آخرين، وهي ملكه تعالى لجميع الأشياء، فهو بحق الملك لا معقب لحكمه، ولا معترض عليه.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ الآية تسلية للنبي ﷺ، وتقوية لنفسه بسبب ما كان يلقى من طوائف المنافقين وبني إسرائيل، والمعنى: قد وعدناك النصر والظهور عليهم، فلا يَحْزُنْكَ ما يقع منهم خلال بقائهم(١).

وقرأ بعض القراء: ﴿يَحْزُنكَ﴾ بفتح الياء وضم الزاي، تقول العرب: حَزِنَ الرَّجلُ بكسر الزاي، وحَزنته بفتحها.

وقرأ بعض القراء: ﴿يُحزِنك﴾ بضم الياء وكسر الزاي(٢)؛ لأن من العرب من يقول: أحزنت الرجل، بمعنى: حزنته وجعلته / ذا حزن. [٢/ ٢٧]

وقرأ الناس: ﴿يُسَـٰرِعُونَ﴾، وقرأ الحر النحوي: (يُسرعون) دون ألف(٣).

ومعنى «المسارعة في الكفر»: البدار إلى نصره، وإقامة حججه، والسعي في إطفاء الإسلام به.

واختلف المفسرون في ترتيب معنى هذه الآيـة، وفيمن المراد بقوله: ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾، وفي سبب نزول الآية:

فأما سببها فروي عن أبي هريرة رضي الله عنه وابن عباس وجماعة: أنهم قالوا: نزلت هذه الآية بسبب الرجم(٤).

قال القاضي أبو محمد: وذلك أن يهوديّاً زنى بيهودية، وكان في التوراة رجم

(١) في نور العثمانية: «خلال نفاقهم».
(٢) وهي قراءة متواترة، وبها قرأ نافع، والأولى للباقين، كما تقدم في تفسير الآية (١٧٨) من (آل عمران).
(٣) وهي قراءة شاذة كما تقدم في تفسير الآية (١٨٧)، من (سورة آل عمران).
(٤) أخرج الطبري أثر ابن عباس (١٠/ ٣١٥)، من طريق علي بن أبي طلحة، عنه.

الزناة، وكان بنو إسرائيل قد غيروا ذلك، وردوه جلداً وتحميم وجوه؛ لأنهم لم يقيموا الرجم على أشرافهم، وأقاموه على صغارهم في القدر، فاستقبحوا ذلك، وأحدثوا حكماً سوَّوا فيه بين الشريف والمشروف، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة زنى رجلٌ من اليهود بامرأةٍ، فروي أن ذلك كان بالمدينة، وروي أنه كان في غير المدينة في يهود الحجاز، وبعثوا إلى يهود المدينة وإلى حلفائهم من المنافقين أن يسألوا رسول الله ﷺ عن النازلة، وطمعوا بذلك أن يوافقهم على الجلد والتحميم، فيشتد أمرهم بذلك.

فلما سئل رسول الله ﷺ عن ذلك؛ نهض في جملة من أصحابه إلى بيت المدراس، فجمع الأحبار هنالك، وسألهم عما في التوراة، فقالوا: إنا لا نجد فيها الرجم، فقال رسول الله ﷺ: «إن فيها الرجمَ، فانشروها» فنشرت ووضع أحدهم يده على آية الرجم، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده فإذا آية الرجم، فحكم رسول الله ﷺ فيها بالرجم وأنفذه(١).

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا الحديث اختلاف ألفاظ وروايات كثيرة، منها أنه روي أن رسول الله ﷺ مَرَّ عليه يهودي ويهودية زنيا وقد جلدا وحُـمِّما، فقال: هكذا شرعكم يا معشر يهود؟ فقالوا: نعم، فقال: لا، ثم مشى إلى بيت المدراس وفضحهم وحكم في ذينك بالرجم، وقال: لأكونن أول من أحيا حكم التوراة حين أماتوه(٢).

وروي أن الزانيين لم يكونا بالمدينة، وأن يهود فَدَك هم الذين قالوا ليهود

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٦٣٥) (٦٨٤١) وغير موضع، ومسلم (١٦٩٩)، من حديث ابن عمر.

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٦٩)، من طريق معمر، عن الزهري، قال: كنت جالساً عند سعيد بن المسيب، وعند سعيد رجل وهو يوقره، فإذا هو رجل من مزينة، وكان أبوه شهد الحديبية، وكان من أصحاب أبي هريرة، قال: قال أبو هريرة... وفيه: «فإني أحكم بما في التوراة» ثم أخرجه من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، قال: حدثني الزهري، قال: سمعت رجلاً من مزينة يحدث سعيد بن المسيب، أن أبا هريرة حدثهم، فذكر معنى هذا الحديث يزيد وينقص.

المدينة: استفتوا محمداً، فإن أفتاكم بما نحن عليه من الجلد والتجبية[١] فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا الرجم، قاله الشعبي وغيره[٢].

وقال قتادة بن دعامة وغيره: سبب الآية وذكرِ اليهود أن بني النضير كانوا غزوا بني قريظة فكان النضري إذا قتله قرظي قتل به، وإذا قتل نضري قرظياً أعطي الدية، وقيل: كانت دية القرظي على نصف دية النضري، فلما جاء رسول الله ﷺ المدينة طلبت قريظة الاستواء؛ إذ هم أبناء عم يرجعان إلى جد، وطلبت الحكومة إلى رسول الله ﷺ، فقالت النضير بعضها لبعض إن حكم بما كنا عليه فخذوه، وإلا فاحذروا[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذه النوازل كلها وقعت، ووقع غيرها مما يضارعها، ويحسن أن يكون سبباً لفضيحة اليهود في تحريفهم الكلم، وتمرسهم[٤] بالدين، والروايات في هذا كثيرة ومختلفة.

وقد وقع في بعض الطرق في حديث أبي هريرة: أنه قال في قصة الرجم: فقام رسول الله ﷺ إلى بيت مدراسهم وقمنا معه[٥].

وهذا يقتضي أن الأمر كان في آخر مدة النبي ﷺ؛ لأن أبا هريرة أسلم عام خيبر في آخر سنة ست من الهجرة، وقد كانت النضير أجليت، وقريظة[٦] قتلت، واليهود بالمدينة لا شيء، فكيف كان لهم بيت مدراس في ذلك الوقت، أو إن كان لهم بيت

---

(١) كذا في الأصل وفيض الله والطبعتين، ومثله في تفسير الثعالبي، وفي نجيبويه: «تحميم الوجه»، وفي نور العثمانية والسليمانية: «والتحميم»، وفي جار الله والحمزوية: «والتحممة».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣١٤ - و٣١٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٣١٥)، وهو مرسل.

(٤) في المطبوع: «تحرشهم»، وفي نجيبويه: «تمويههم».

(٥) اللفظ الوارد في الطريق السابق: وقام معه رجلان من المسلمين، ولم أقف على اللفظ الذي أورده المصنف.

(٦) زاد في أكثر النسخ: «وقريش» وليست في نور العثمانية، وهو الصواب.

على حال ذلة فهل كان النبي ﷺ يحتاج مع ظهور دينه إلى محاجتهم تلك المحاجَّة؟

وظاهر حديث بيت المدراس: أنه كان في صدر الهجرة، اللهم إلا أن يكون ذلك من النبي ﷺ مع عزة كلمته من حيث أراد أن يخرج حكمهم من أيدي أحبارهم بالحجة عليهم من كتابهم؛ فلذلك مشى إلى بيت مدراسهم مع قدرته عليهم، وهذا عندي يبعد؛ لأنهم لم يكونوا ذلك الوقت يحزنونه[١] ولا كانت لهم حال يسلى عنها ﷺ.

وأما اختلاف الناس فيمن المراد بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾؟

فقال السدي: نزلت في رجل من الأنصار، زعموا أنه أبو لبابة بن عبد المنذر[٢]، أشارت إليه قريظة يوم حصرهم ما الأمر، وعلى من ننزل من الحكم؟ فأشار إلى حلقه بمعنى: أنه الذبح[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيفٌ، وأبو لبابة من فضلاء الصحابة، وهو وإن كان أشار بتلك الإشارة فإنه قال: فو الله ما زالت قدماي حتى علمت أني خُنْت الله ورسوله، ثم جاء إلى مسجد النبي ﷺ في المدينة، فربط نفسه بسارية من سواري المسجد، وأقسم أن لا يبرح كذلك حتى يتوب الله عليه، ويرضى رسول الله ﷺ عنه[٤].

---

(١) في السليمانية وفيض الله ولالاليه: «يحرفونه»، وفي نجيبويه: «يحرفون».

(٢) أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري، مختلف في اسمه، أمّره النبي ﷺ على المدينة في بدر، وضرب له بسهمه وأجره، فكان يعد في البدريين، وكان أحد النقباء ليلة العقبة، توفي بعد مقتل عثمان، ويقال: عاش إلى بعد الخمسين، الإصابة (٧/ ٢٨٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٠١ و٣٠٢).

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٢٠٤)، عن سفيان، عن ابن أبي خالد قال: سمعت عبدالله بن أبي قتادة به مختصراً، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٥) من طريق ابن إسحاق قال: فحدثني والدي إسحاق بن يسار، عن معبد بن كعب بن مالك السلمي: أن رسول الله ﷺ حاصرهم خمساً وعشرين ليلة، قال البيهقي: هكذا قال ابن إسحاق بإسناده، وزعم سعيد بن المسيب أن ارتباطه بسارية التوبة كان بعد تخلفه عن غزوة تبوك، حين أعرض عنه رسول الله ﷺ، وهو عليه عاتب بما =

فإنما كانت تلك الإشارة منه زلة حمله عليها إشفاق ما على قوم كانت بينه وبينهم مودة ومشاركة قديمة، رضي الله عنه وعن جميع الصحابة.

وقال الشعبي وغيره: نزلت الآية في قوم من اليهود، أرادوا سؤال النبي ﷺ في أمر رجل منهم قتل آخر، فكلفوا السؤال رجلاً من المسلمين، وقالوا: إن أفتى بالدية قبلنا قوله، وإن أفتى بالقتل لم نقبل[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا نحو ما تقدم عن قتادة في أمر قتلى النضير وقريظة.

وقال عبد الله بن كثير ومجاهد وغيرهما: قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾ يراد به المنافقون[٢]، وقوله بعد ذلك: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾ يراد به اليهود.

وأما ترتيب معنى الآية بحسب هذه الأقوال؛ فيحتمل أن يكون المعنى: يا أيها الرسول، لا يحزنك المسارعون في الكفر من المنافقين ومن اليهود، ويكون قوله: ﴿سَمَّٰعُونَ﴾: خبر ابتداء مضمر.

ويحتمل أن يكون المعنى: لا يحزنك المسارعون في الكفر من اليهود ووصفهم بأنهم: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾ إلزاماً منه ذلك لهم من حيث حرفوا
[٢/ ٢٨] توراتهم وبدلوا أحكامها، فهم يقولون بأفواههم: نحن مؤمنون بالتوراة / وبموسى، وقلوبهم غير مؤمنة من حيث بدلوها وجحدوا ما فيها من نبوة محمد ﷺ، وغير ذلك مما هو كفر بهم.

ويؤيد هذا التأويل قوله بعد هذا: ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٤٣]،

= فعل يوم قريظة، ثم تخلف عن غزوة تبوك فيمن تخلف، والله أعلم، وفي رواية علي بن أبي طلحة، وعطية بن سعد، عن ابن عباس في ارتباطه حين تخلف عن غزوة تبوك، ما يؤكد قول ابن المسيب.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٠٢).

(٢) المصدر السابق (١٠/ ٣٠٦).

ويجيء على هذا التأويل قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ كأنه قال: ومنهم، لكن صرَّح بذكر اليهود من حيث الطائفة السماعة غير الطائفة التي تبدل التوراة على علم منها.

وقرأ جمهور الناس: ﴿سَمَّٰعُونَ﴾، وقرأ الضحاك: (سماعِين)[١]، ووجهها عندي: نصب على الذم على ترتيب من يقول: لا يحزنك المسارعون من هؤلاء، [ومن هؤلاء][٢] سماعين.

وأما المعنى في قوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾؛ فيحتمل أن يكون صفة للمنافقين ولبني إسرائيل؛ لأن جميعهم يسمع الكذب بعضهم من بعض ويقبلونه، ولذلك جاءت عبارة سماعهم في صيغة المبالغة، وإذ المراد أنهم يقبلون ويستزيدون من ذلك المسموع.

وقوله تعالى: ﴿لِلۡكَذِبِ﴾، يحتمل أن يريد: سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ، ويحتمل أن يريد: سماعون منك أقوالك من أجل أن يكذبوا[٣] عليك، وينقلوا حديثك، ويزيدوا مع الكلمة أضعافها كذباً.

وقرأ الحسن وعيسى بن عمر: (للكِذْب) بكسر الكاف وسكون الذال[٤].

وقوله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾، يحتمل أن يريد: يسمعون منهم، وذكر الطبري عن جابر: أن المراد بالقوم الآخرين يهود فَدَك[٥]، وقيل: يهود خيبر، وقيل: أهل الزانيين، وقيل: أهل الخصام في القتل والدية، وهؤلاء القوم الآخرون هم الموصوفون بأنهم لم يأتوا النبي ﷺ.

---

(١) وهي قراءة شاذة انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ١٥٤)، وفي المطبوع: «النحاس»، وهو خطأ.

(٢) ساقط من المطبوع.

(٣) في المطبوع: «يكونوا».

(٤) وهي شاذة، البحر المحيط (٤/ ٢٦١).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣١٠)

ويحتمل أن يكون ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ﴾ بمعنى: جواسيس مسترقين للكلام لينقلوه لقوم آخرين، وهذا مما يمكن أن يتصف به المنافقون ويهود المدينة.

وقيل: لسفيان بن عيينة: هل جرى للجاسوس ذكر في كتاب الله عز وجل؟ فقال: نعم، وتلا هذه الآية: ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾[١].

قوله عز وجل: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴿٤٢﴾﴾.

قرأ جمهور الناس: ﴿ٱلۡكَلِمَ﴾ بفتح الكاف وكسر اللام، وقرأ بعض الناس: (الكِلْم) بكسر الكاف وسكون اللام[٢]، وهي لغة ضعيفة في: كَلِمَة وكِلْمَة[٣].

وقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ﴾ صفة لليهود في معنى[٤] ما حرفوا من التوراة؛ إذ ذاك أخطر أمر حرفوا فيه، ويحتمل أن يكون صفة لهم وللمنافقين فيما يحرفون من الأقوال عند كذبهم؛ لأن مبادئ كذبهم لا بد أن تكون من أشياء قيلت أو فعلت، وهذا هو الكذب المزين الذي يقرب قبوله، وأما الكذب[٥] الذي لا يُرْفَد[٦] بمبدأ، فقليل الأثر في النفس.

---

(١) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ٣٨)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/ ١٢٤)، وتفسير القرطبي (٦/ ١٨١).

(٢) وهي قراءة شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ١٥١) لأبي رجاء.

(٣) «وكلمة»: زيادة من السليمانية ولالاليه.

(٤) سقطت من المطبوع.

(٥) في السليمانية وفيض الله: «الكلام».

(٦) في نور العثمانية: «لا يرفق».

وقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾؛أي: من بعد أن وضع مواضعه وقصدت به وجوهه القويمة، والإشارة بهذا قيل: هي إلى التحميم والجلد في الزنا، وقيل: هي إلى قبول الدية في أمر القتيل، وقيل: إلى إبقاء عزة النضير على قريظة، وهذا بحسب الخلاف المتقدم في الآية.

ثم قال تعالى لنبيه على جهة قطع الرجاء فيهم: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾؛ أي: لا تتبع نفسك أمرهم، والفتنة هنا: المحنة بالكفر والتعذيب في الآخرة، ثم أخبر تعالى عنهم أنهم الذين سبق لهم في علم الله ألا يطهر قلوبهم، وأن يكونوا مدنسين بالكفر.

ثم قرر تعالى لهم الخزي في الدنيا، والمعنى: بالذلة والمسكنة التي انضربت عليهم في أقطار الأرض وفي كل أمة، وقرر لهم العذاب في الآخرة بكفرهم.

وقوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾، إن كان الأول في بني إسرائيل؛ فهذا تكرار تأكيد ومبالغة، وإن كان الأول في المنافقين؛ فهذا خبر أيضاً عن بني إسرائيل.

وقوله تعالى: ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِ﴾: فعالون، بناء مبالغة؛ أي: يتكرر أكلهم له ويكثر.

و(السحت): كل ما لا يحل كسبه من المال.

وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة: ﴿السُّحْت﴾ ساكنة الحاء خفيفة، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي: ﴿السُّحُت﴾ مضمومة الحاء مثقلة، وروي عن خارجة بن مصعب عن نافع: (السَّحت) بفتح السين وسكون الحاء[1].

واللفظة مأخوذة من قولهم: سَحَتَ وأَسْحَتَ إذا استأصل وأذهب، فمن الثلاثي: قوله تعالى: ﴿فَيَسحَتَكُم بِعَذَابٍ﴾ [طه: ٦١]، ومن الرباعي: قول الفرزدق:

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٩٩)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٤٣)، وانظر فيه رواية خارجة، وليست من طرق التيسير، وفي الأصل: «بفتح السين»، وهو خطأ، والمثبت هو الموافق للمصدر، وللكامل للهذلي (ص: ٥٢٠)، والحجة لأبي علي (٣/ ٢٢١).

[الطويل] .... إِلَّا مُسْحَتاً أَوْ مُجَلَّفُ[١]

والسُّحت والسُّحُت بضم السين وتخفيف الحاء وتثقيلها، لغتان في اسم الشيء المسحوت، والسحت: بفتح السين وسكون الحاء المصدر، سمي به المسحوت، كما سمي المصيد صيداً في قوله عز وجل: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ٩٥]، وكما سمي المرهون رهناً، وهذا كثير.

قال القاضي أبو محمد: فسمي المال الحرام سحتاً؛ لأنه يذهب وتستأصله النوب، كما قال ﷺ: «من جمع مالاً من نَهَاوِش[٢] أذهبه الله في نهابير»[٣].

وقال مكي: سمي المال الحرام سحتاً؛ لأنه يذهب من حيث يسحت الطاعات؛ أي يذهب بها قليلاً قليلاً[٤]، وقال المهدوي: من حيث يسحت أديانهم[٥].

قال القاضي أبو محمد: وهذا[٦] مردودٌ؛ لأن السيئات لا تحبط الحسنات، اللهم

---

(١) البيت بتمامه:

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتاً أو مُجلّفُ

انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٢١)، العين (٢/ ٢٢٤)، جمهرة اللغة (١/ ٣٨٦)، الشعر والشعراء (١/ ٨٩)، الأغاني (١٠/ ٣١١)، جمهرة أشعار العرب (ص: ٦٩٩).

(٢) النهاوش: المظالم كما في النهاية (٥/ ٢٨٦)، وفي المطبوع: «مهاوش»، وفي السليمانية وفيض الله ونجيبويه: «تهاوش»، والنهابير: «المهالك».

(٣) ضعيف، أخرجه ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد، والقضاعي في مسند الشهاب (٤٤٢)، من طريق موسى ابن زكريا، نا عمرو بن الحصين، نا محمد بن عبد الله بن علاثة، نا أبو سلمة الحمصي أن رسول الله ﷺ قال... قال السخاوي في المقاصد الحسنة (١/ ٦٢٣): عمرو بن الحصين متروك، وأبو سلمة واسمه سليمان بن سلم، وهو كاتب يحيى بن جابر، قاضي حمص، لا صحبة له، فهو مع ضعفه مرسل، وقد عزاه الديلمي ليحيى بن جابر، هذا وهو أيضاً ليس بصحابي، وقال التقي السبكي: إنه لا يصح. اهـ.

(٤) انظر: الهداية لمكي (٣/ ١٧٢١).

(٥) انظره مع القول الذي بعده في التحصيل للمهدوي (٢/ ٤٦١)، في السليمانية: «أدبارهم»، وفي نجيبويه: «إيمانهم».

(٦) ليست في الأصل.

إلا أن يقدر أنه يشغل عن الطاعات، فهو سحتها من حيث لا تعمل، وأمَّا طاعة حاصلة فلا يقال هذا فيها.

وقال المهدوي: سمي أجر الحجام سحتاً؛ لأنه يسحت مروءة آخذه[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا أشبه.

قال الطبري: أصل السحت: كَلَبُ الجوع، يقال: فلان مسحوت المعدة: إذا كان لا يُلفى أبداً إلا جائعاً يذهب ما في معدته، فكأن الذي يرتشي، به من الشرَه مثل ما بالجائع أبداً لا يشبع[٢].

قال القاضي أبو محمد: وذلك بأنَّ الرشوة تَنْسَحِت، فالمعنى هو كما قدمناه، وفي عبارة الطبري بعض اضطراب؛ لأن مسحوت المعدة هو مأخوذ من الاستئصال والذهاب، وليس كلب الغرث أصلاً للسحت[٣].

و(السحت) الذي عني: أن اليهود / يأكلونه هو الرشا في الأحكام والأوقاف [٢/ ٢٩] التي تؤكل، ويرفد أكلها بقول الأباطيل، وخدع العامة، ونحو هذا.

وقال أبو هريرة وعلي بن أبي طالب: مهر البغي سحت، وعَسْب الفحل سحت، وكسب الحجام سحت، وثمن الكلب والخمر سحت[٤].

وقال ابن مسعود: السحت أن يهدي لك من قد أعنته في حاجته أو حقه فتقبل، قيل لعبد الله: ما كنا نعد السحت إلا الرشوة في الحكم قال: ذلك الكفر.

---

(١) انظر: التحصيل (٢/ ٤٦١).

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٣٢٤)، وفي نجيبويه ولالاليه: «البشرو» بدل: «الشره».

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٢٤).

(٤) ضعيف، أخرج الديلمي (٢/ ٢١٠) عن أبي هريرة مرفوعاً بإسناد ضعيف، ولفظه: ست خصال من السحت: رشوة الإمام، وهي أخبث ذلك كله، وثمن الكلب، وعسب الفرس، ومهر البَغِيِّ، وكسب الحجام، وحلوان الكاهن. ولم أقف عليه من قول أبي هريرة وابن مسعود.

وقد روي عن ابن مسعود وجماعة كثيرة: أن السحت هو الرشوة في الحكم(١).

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به»، قيل: يا رسول الله وما السحت؟ قال: «الرشوة في الحكم»(٢).

قال القاضي أبو محمد: وكل ما ذكر في معنى السحت فهو أمثلة، ومن أعظمها الرشوة في الحكم والأجرة على قتل النفس، وهو لفظ يعم كل كسب لا يحل.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ تخيير للنبي ﷺ ولحكام أمته بعده في أن يحكم بينهم إذا تراضوا به في نوازلهم(٣).

وقال عكرمة والحسن: هذا التخيير منسوخ بقوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩](٤).

قال ابن عباس ومجاهد: نسخ من المائدة آيتان، قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ [المائدة: ٢]، نسختها آية السيف، وقوله: ﴿أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، نسختها: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩](٥).

---

(١) روى البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٢)، من طريق سعيد بن منصور، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن حبيب بن صالح عن ابن عباس من قوله: السحت الرشوة في الحكم، ومهر البغي، وثمن الكلب... وإسناده لا بأس به، وروى الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٢٢٦) من طريق سعيد بن منصور أيضاً، ثنا حماد بن يحيى الأبح، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود: قال: الرشوة في الحكم كفر، وهي بين الناس سحت، وصحح إسناده السخاوي في المقاصد (٨٦١).

(٢) مرسل، أخرجه الطبري (١٠/ ٣٢٣)، من طريق ابن وهب قال: أخبرني عبد الرحمن بن أبي الموال، عن عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ قاله، وفي إسناده عمر بن حمزة العمري، وهو ضعيف مع إرساله.

(٣) «به»: زيادة من السليمانية وفيض الله وكذا نجيبويه، وسقطت منها: في «نوازلهم».

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٣٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٣٦)، والهداية لمكي (٣/ ١٧٢٤).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٣١)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/ ٨٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٣٥).

قال القاضي أبو محمد: وقال كثير من العلماء: هي محكمة، وتخيير الحكام باقٍ، وهذا هو الأظهر إن شاء الله.

وفقه هذه الآية: أن الأمة فيما علمتُ مجمعة على أن حاكم المسلمين يحكم بين أهل الذمة في التظالم، ويتسلط عليهم في تغييره، وينفر عن صورته كيف وقع فيغير ذلك، ومن التظالم: حبس السلع المبيعة وغصب المال وغير ذلك.

فأمَّا نوازل الأحكام التي لا ظلم فيها من أحدهم للآخر، وإنما هي دعاوى محتملة، وطلب ما يحل وما لا يحل، وطلب المخرج من الإثم في الآخرة، فهي التي هو الحاكم فيها مخير.

وإذا رضي به الخصمان فلا بدَّ مع ذلك من رضا الأساقفة أو الأحبار، قاله ابن القاسم في العتبية، قال: وأمَّا إن رضي الأساقفة دون الخصمين، أو الخصمان دون الأساقفة؛ فليس له أن يحكم[١].

قال القاضي أبو محمد: وانظر إن رضي الأساقفة لإشكال النازلة[٢] عندهم دون أن يرضى [الخصمان؛ فإنها تحتمل الخلاف، وانظر إذا رضي الخصمان ولم يقع من][٣] الأحبار نكير فحكم الحاكم، ثم أراد الأحبار، رد ذلك الحكم، وهل تستوي النوازل في هذا كالرجم في زانيين والقضاء في مال يصير من أحدهما إلى الآخر؟، وانظر إذا رضي الخصمان هل على الحاكم أن يستعلم ما عند الأحبار، أو يقنع بأن[٤] لم تقع منهم معارضته؟.

ومالك ـ رحمه الله[٥] ـ يستحب لحاكم المسلمين الإعراض عنهم وتركهم إلى دينهم[٦].

(١) انظر قول ابن القاسم في: التمهيد (١٤/ ٣٩٠).
(٢) في المطبوع: «النوازل».
(٣) ساقط من الحمزوية.
(٤) في نجيبويه: «بما».
(٥) زاد في الحمزوية: «قال».
(٦) انظر: التمهيد (١٤/ ٣٨٩).

وقال ابن عباس، ومجاهد وغيرهما: قوله تعالى: ﴿فَإِن جَآءُوكَ﴾؛ يعني: أهل نازلة الزانيين[١].

قال القاضي أبو محمد: ثم الآية بعد تتناول سائر النوازل، والله أعلم.

قوله عز وجل: ﴿وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٤٢ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٣ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾.

أمَّن الله تعالى نبيه ﷺ من ضررهم، إذ أعرض عنهم، وحقر في ذلك شأنهم، والمعنى: أنك منصور ظاهر الأمر على كل حال، وهذا نحو من قوله تعالى للمؤمنين: ﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ﴾ [آل عمران: ١١١].

قال تعالى: ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ﴾؛ أي: اخترت أن تحكم بينهم في نازلة ما؛ ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ﴾؛ أي: بالعدل، يقال: أقسط الرجل إذا عدل وحكم بالحق، وقسط إذا جار[٢]، ومنه قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا﴾ [الجن: ١٥]، ومحبةُ الله للمقسطين ما يظهر عليهم من نعمه.

ثم ذكر الله تعالى بعدُ تحكيمَهم للنبي ﷺ بالإخلاص منهم، ويبين بالقياس الصحيح: أنهم لا يحكمونه إلا رغبة في ميله في هواهم، وانحطاطه في شهواتهم، وذلك أنه قال: ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾ بنية صادقة[٣] وهم قد خالفوا حكم الكتاب الذي

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٢٥).

(٢) انظر: معاني القرآن للأخفش (١/ ١٩١).

(٣) في السليمانية: «وعندهم بينة التصادق».

يصدقون به، وبنبوة الآتي به، وتولوا عن حكم الله فيها؟ فأنت الذي لا يؤمنون بك، ولا يصدقونك أحرى بأن يخالفوا حكمك.

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: من بعد كون[١] حكم الله في التوراة في الرجم وما أشبهه من الأمور التي خالفوا فيها أمر الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ يعني: بالتوراة وبموسى، وهذا إلزام لهم؛ لأن من خالف حكم كتاب الله فدعواه الإيمان به قلقة.

وهذه الآية تُقوِّي أن قوله في صدر الآية: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾ [المائدة: ٤١]: أنه يراد به اليهود.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ الآية، قال قتادة: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ كان يقول لما أنزلت هذه الآية: «نحن اليوم نحكم على اليهود وعلى من سواهم من أهل الأديان»[٢].

و«الهدى»: الإرشاد في المعتقد والشرائع، و«النور»: ما يستضاء به من أوامرها ونواهيها.

و﴿ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾: هم من بعث من لدن موسى بن عمران، إلى مدة محمد ﷺ، هذان طرفا[٣] هذه الجماعة المذكورة في هذه الآية.

و﴿أَسۡلَمُواْ﴾ معناه: أخلصوا وجوههم ومقاصدهم لله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾: متعلق بـ﴿يَحۡكُمُ﴾؛ أي: يحكمون بمقتضى التوراة لبني إسرائيل وعليهم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ عطف على «النبيين»؛ أي: ويحكم بها الربانيون،

---

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٣٨) وهو مرسل.

(٣) في الحمزوية: «نظر».

وهم العلماء، وفي البخاري قال: الرباني: الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره[١]، وقيل: الرباني منسوبٌ إلى الرب؛ أي: عنده العلم به وبدينه، وزيدت النون في «رباني» مبالغة، كما قالوا: منظراني / ، ومخبراني، وفي عظيم الرقبة: رقباني[٢]. [٢/ ٣٠]

﴿وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾ أيضاً: العلماء واحدهم: حبر، بكسر الحاء، ويقال: بفتحها، وكثر استعمال الفتح فيه للفرق بينه وبين الحبر الذي يكتب به.

وقال السدي: المراد هنا بالربانيين والأحبار الذين يحكمون بالتوراة: ابنا صُوريا، كان أحدهم ربانيّاً، والآخر حبراً، وكانا قد أعطيا النبي ﷺ عهداً أن لا يسألهما عن شيء من أمر التوراة إلا أخبراه به، فسألهما عن أمر الرجم، فأخبراه به على وجهه، فنزلت الآية مشيرة إليهما[٣].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا نظرٌ، والرواية الصحيحة: أن ابني صوريا وغيرهما جحدوا أمر الرجم، وفضحهم فيه عبد الله بن سلام[٤].

وإنما اللفظ عام في كل حبر مستقيم فيما مضى من الزمان، وأما في مدة محمد ﷺ فلو وجد لأسلم، فلم يسم حبراً ولا ربانيّاً[٥].

وقوله تعالى: ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ﴾؛ أي: بسبب استحفاظ الله تعالى إياهم أمر التوراة، وأخذه العهد عليهم في العمل والقول بها، وعرفهم ما فيها، فصاروا شهداء عليه، وهؤلاء ضيعوا لما استحفظوا حتى تبدلت التوراة، والقرآنُ بخلاف هذا؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩][٦]، والحمد لله.

---

(١) ذكره البخاري عقب حديث: (٦٧).

(٢) انظر: كتاب سيبويه (٢/ ٨٩)، والأصول في النحو (٣/ ٨٢)، والمقتضب (٣/ ١٤٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٤٢).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٦٣٥) (٤٥٥٦) (٦٨١٩) (٦٨١٩)، ومسلم (٦٨١٩).

(٥) في الحمزوية: «يسلم حبر ولا رباني».

(٦) سقطت: «والحمد لله» من الحمزوية ونور العثمانية ونجيبويه، وهي في لالاليه ملحقة في الهامش.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ حكاية ما قيل لعلماء بني إسرائيل.

وقوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ نهي عن جميع المكاسب الخبيثة بالعلم، والتحيل للدنيا بالدين.

وهذا المعنى بعينه يتناول علماء هذه الأمة وحكامها، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ﴾ إلى آخر الآية خطاباً لأمة محمد ﷺ.

واختلف العلماء في المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾:

فقالت جماعة: المراد اليهود بالكافرين والظالمين والفاسقين، وروي في هذا حديث عن النبي ﷺ من طريق البراء بن عازب[1].

---

(١) روى الطبري (١٠/ ٣٥١) من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن البراء بن عازب قال: مُرَّ على النبي ﷺ بيهودي محمم مجلود، فدعاهم فقال: هكذا تجدون حد من زنى؟... فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أول من أحيي أمرك إذ أماتوه»! فأمر به فرجم، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، يعني: اليهود: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، يعني: اليهود: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، للكفار كلها. اهـ، وفي (١٠/ ٣٤٦) من طريق آخر عن أبي معاوية: به مرفوعاً في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، في الكافرين كلها. اهـ، وليس فيه ما نقله المصنف بقوله: فقالت جماعة: المراد اليهود بالكافرين والظالمين والفاسقين، والحديث أخرجه مسلم (١٧٠٠) من طرق أخرى عن أبي معاوية وفيه: فقال رسول الله ﷺ اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه فأمر به فرجم فأنزل الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ يقول: ائتوا محمداً ﷺ، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، في الكفار كلها.اهـ، ثم روى مسلم من طريق وكيع حدثنا الأعمش... بهذا الإسناد نحوه، إلى قوله فأمر به النبي ﷺ فرجم، ولم يذكر ما بعده من نزول الآية. اهـ.

وقالت جماعة عظيمة من أهل العلم: الآية متناولة كل من لم يحكم بما أنزل الله، ولكنه في أمراء هذه الأمة كفر معصية لا يخرجهم عن الإيمان.

وقيل لحذيفة بن اليمان: أنزلت هذه الآية في بني إسرائيل؟ فقال: نعم الإخوة[(١)] لكم بنو إسرائيل إن كان لكم كل حلوة، ولهم كل مرة، لتسلكن طريقهم قِدَّ الشراك[(٢)].

وقال الشعبي: نزلت ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] في المسلمين، و﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] في اليهود، و﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] في النصارى[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: ولا أعلم لهذا التخصيص وجهاً، إلا إن صح فيه حديث عن النبي ﷺ، أما[(٤)] أنه راعى من ذكر مع كل خبر من هذه الثلاثة؛ فلا يترتب له ما ذكر في المسلمين إلا على أنهم خوطبوا بقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ﴾.

وقال إبراهيم النخعي: نزلت هذه الآيات في بني إسرائيل، ثم رضي لهذه الأمة بها[(٥)].

قوله عز وجل: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

---

(١) في السليمانية وفيض الله: «الآخرة».

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٧٩) من طريق أبي بكر بن عياش، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن همام ابن الحارث قال: قرأ رجل عند حذيفة هذه الآية... وأبو بكر فيه لين، وأخرجه (٣/ ٥٠)، من طريق عفان بن مسلم قال: ثنا حماد بن سلمة عن فرقد، عن ربعي بن خراش، عن حذيفة، لكن بدون ذكر الآية... وقال أبو نعيم: تفرد به عن فرقد: حماد بن سلمة، ولا أعلمه رواه عنه غير عفان. اهـ، وفرقد هو السبخي، وهو ضعيف الحديث.

(٣) انظر: الطبري (١٠/ ٣٥٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٣١٥)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/ ٩٣)، والنكت للماوردي (٢/ ٤٣).

(٤) في المطبوع: «إلا»، وأشار لها في هامش الأصل.

(٥) تفسير الثعلبي (٤/ ٧٠).

«الكتْب» في هذه الآية: هو حقيقة ما[١] كتب في الألواح، وهو بالمعنى كتْب فرضٍ وإلزام، والضمير في ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ لبني إسرائيل، وفي ﴿فِيهَآ﴾ للتوراة.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ بنصب ﴿ٱلنَّفۡسَ﴾ على اسم ﴿أَنَّ﴾ وعطف ما بعد ذلك منصوباً على ﴿ٱلنَّفۡسَ﴾، ويرفعون ﴿والجروحُ قصاصٌ﴾ على أنها جملة مقطوعة، وقرأ نافع وحمزة وعاصم بنصب ذلك كله[٢].

و﴿قِصَاصٌ﴾ خبر ﴿أَنَّ﴾، وروى الواقدي[٣] عن نافع أنه رفع: (والجروحُ)[٤].

وقرأ الكسائي: ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ نصباً ورفع ما بعد ذلك.

فمن نصب ﴿وَٱلۡعَيۡنَ﴾ جعل عطف الواو مشركا في عمل «أن»، ولم يقطع الكلام مما قبله.

ومن رفع ﴿والعينُ﴾ فيحتمل[٥] ذلك من الإعراب أن يكون قطع مما قبل، وصار عطف الواو عطف جملة كلام [على جملة كلام][٦]، لا عطف تشريك في عامل.

ويحتمل أن تكون الواو عاطفة على المعنى؛ لأن معنى قوله: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾: قلنا لهم: النفس بالنفس، ومثله لما كان المعنى في قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ﴾ [الصافات: ٤٥] يمنحون كأساً من معين، عطفَ (وحوراً عيناً) على ذلك.

ويحتمل أن يعطف قوله: ﴿والعينُ﴾ على الذكر المستتر في الظرف[٧] الذي هو الخبر، وإن لم يؤكد المعطوف عليه بالضمير المنفصل كما أكد في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ﴾ [الأعراف: ٢٧].

---

(١) زيادة من الحمزوية.

(٢) وهما سبعيتان، وكذلك قراءة الكسائي، انظر: التيسير (ص: ٩٩).

(٣) في لالاليه: «أبو الواقدي».

(٤) انظر: السبعة في القراءات (١/ ٢٤٤) وهي خارج طرق التيسير.

(٥) في المطبوع: «فيتمثل».

(٦) ساقط من المطبوع.

(٧) في المطبوع: «الطرق»، ويمكن أن تقرأ عليها بعض النسخ الخطية.

وقد جاء مثله غير مؤكد في قوله تعالى: ﴿مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨].

قال القاضي أبو محمد: ولسيبويه ـ رحمه الله ـ في هذه الآية: أن العطف ساغ دون توكيد بضمير منفصل؛ لأن الكلام طال بـ(لا) في قوله: ﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ فكانت (لا) عوضاً من التوكيد، كما طال الكلام في قولهم: حضر القاضيَ اليومَ امرأةٌ[١].

قال أبو علي: وهذا إنما يستقيم أن يكون عوضاً إذا وقع قبل حرف العطف، فهناك يكون عوضاً من الضمير الواقع قبل حرف العطف، فأما إذا وقع بعد حرف العطف فلا يسد مسد الضمير، ألا ترى أنك لو قلت: حضر امرأةٌ القاضيَ اليوم لم يغن طول الكلام في غير الموضع الذي ينبغي أن يقع فيه[٢].

قال القاضي أبو محمد: وكلام سيبويه متجه على النظر النحوي، وإن كان الطول قبل حرف العطف أتم؛ فإنه بعد حرف العطف مؤثر، لا سيَّما في هذه الآية، لأن (لا) ربطت المعنى؛ إذ قد تقدمها نفي، ونفت هي أيضاً عن الآباء، فتمكن العطف.

قال أبو علي: ومن رفع ﴿والجروحُ قصاص﴾ فقطعه مما قبله؛ فإن ذلك يحتمل هذه الوجوه الثلاثة التي احتملها رفع ﴿والعينُ﴾، ويجوز[٣] أن يستأنف: والجروح ليس على أنه مما كتب عليهم في التوراة، لكن على استئناف إيجاب وابتداء شريعة، ويقوي أنه من المكتوب عليهم نصبُ من نصبه[٤].

وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قرأ: (أنِ النفسُ بالنفس)[٥]، بتخفيف (أن) ورفع (النفس) ثم رفع ما بعدها إلى آخر الآية.

---

(١) الكتاب لسيبويه (١/ ١٦٧).

(٢) الحجة في القراءات السبع (١/ ١٣١).

(٣) في نجيبويه: «ويجب».

(٤) الحجة في القراءات السبع (١/ ١٣١).

(٥) استنكره أبو حاتم، يروى هذا الحديث من طريق ابن المبارك، عن يونس بن يزيد، عن أبي علي بن يزيد أخي يونس بن يزيد، عن الزهري، عن أنس بن مالك به مرفوعاً، أخرجه أحمد (٣/ ٢١٥)، وأبو =

وقرأ أبيٌّ بن كعب بنصب ﴿ٱلنَّفۡسَ﴾ وما بعدها، ثم قرأ: (وأنِ الجروحُ قصاص)[1] بزيادة (أن) الخفيفة / ، ورفع (الجروح)[2]. [٢/ ٣١]

ومعنى هذه الآية: الخبر بأن الله تعالى كتب فرضاً على بني إسرائيل: أنه من قتل نفساً فيجب في ذلك أخذ نفسه، ثم هذه الأعضاء المذكورة كذلك، ثم استمر هذا الحكم في هذه الأمة بما علم من شرع النبي ﷺ وأحكامه، ومضى عليه إجماع الناس[3].

وذهب قوم من العلماء إلى تعميم قوله: ﴿ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾، فقتلوا الحر بالعبد، والمسلم بالذمي، والجمهور على أنه عموم يراد به الخصوص في المتماثلين، وهذا مذهب مالك[4].

وفيه الحديث عن النبي ﷺ: «لا يقتل مسلم بكافر»[5].

وقال ابن عباس رضي الله عنه: رخص الله لهذه الأمة ووسع عليها بالدية، ولم

= داود (٣٩٧٦) (٣٩٧٧)، والترمذي (٢٩٢٩)، وأبو يعلى (٣٥٦٦)، والحاكم (٢٩٢٧)، وليس عند أبي داود ذكر النصب والرفع، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، قال محمد: تفرد ابن المبارك بهذا الحديث عن يونس بن يزيد، وهكذا قرأ أبو عبيد (والعينُ بالعين) اتباعاً لهذا الحديث. اهـ، وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن الزهري إلا أبو علي بن يزيد ولا عن أبي علي إلا يونس، تفرد به ابن المبارك. اهـ، قال ابن أبي حاتم في العلل (١٧٣٠): قال أبي: هذا حديث منكر، ولا أعلم أحداً روى عن يونس بن يزيد غير ابن المبارك، وأبو علي بن يزيد مجهول، قال أبي: يرويه عقيل، عن الزهري، عن النبي ﷺ مرسلاً، قال أبي: وأهاب هذا الحديث عن النبي ﷺ جدّاً، قيل لأبي: إن أبا عبيد يقول: هو حديث صحيح، فأجاب بما وصفنا.اهـ، وهي قراءة شاذة، انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (٣/ ١٧٣٣).

(١) في الأصل: «قصص» بلا ألف ولعله خطأ.

(٢) تابعه في البحر المحيط (٤/ ٢٧٢)، وهي في الكشاف (١/ ٦٣٨)، بلا ضبط، وفي الشواذ للكرماني (ص: ١٥٥): بالتشديد والنصب.

(٣) انظر الإجماع على القصاص في هذه الأعضاء وغيرها في: الإقناع (٤/ ١٩٣٤-١٩٣٧).

(٤) وغيره، انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ٤٩٩).

(٥) صحيح البخاري (١١١) (٣٠٤٧) (٦٩٠٣) (٦٩١٥).

يجعل لبني إسرائيل دية فيما نزل على موسى وكتب عليهم[١].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذه الآية بيان لفساد فعل بني إسرائيل في تعزز[٢] بعضهم على بعض، وكون بني النضير على الضعف في الدية من بني قريظة، أو على أن لا يقاد بينهم، [بل يقنع بالدية][٣]، ففضحهم الله تعالى بهذه الآية، وأعلم أنهم خالفوا كتابهم.

وحكى الطبري عن ابن عباس: كان بين حيين من الأنصار قتال، فصارت[٤] بينهم قتلى، وكان لأحدهما طول على الآخر، فجاء النبي ﷺ فجعل الحر بالحر والعبد بالعبد، قال الثوري: وبلغني عن ابن عباس: أنه قال ثم نسختها: ﴿ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾[٥].

قال القاضي أبو محمد: وكذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ هو عموم يراد به الخصوص في جراح القود، وهي التي لا يخاف منها على النفس، فأما ما خِيف منه، كالمأمومة وكسر الفخذ ونحو ذلك؛ فلا قصاص فيها.

و«القصاص»: مأخوذ من قص الأثر، وهو اتباعه، فكأن الجاني يقتص أثره ويتبع فيما سنه فيقتل كما قتل.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ يحتمل ثلاثة معان:

أحدها: أن تكون (مَن) للمجروح أو ولي القتيل، ويعود الضمير في قوله: ﴿لَّهُۥ﴾ عليه أيضاً، ويكون المعنى: أن من تصدق بجرحه أو دم وليه، فعفا عن حقه في ذلك؛ فإن ذلك العفو كفارة له عن ذنوبه، ويعظم الله أجره بذلك، ويكفر عنه، وقال بهذا التأويل

(١) صحيح البخاري (٤٤٩٨) بنحوه.

(٢) في المطبوع ولالاليه ونجيبويه: «تعزز»، وفي الحمزوية: «تعذر».

(٣) ساقط من الحمزوية.

(٤) في فيض الله: «فطارت».

(٥) غريب جداً، أخرجه الطبري (١٠/ ٣٦٠)، من طريق خلاد الكوفي قال: حدثنا الثوري، عن السدي، عن أبي مالك به، قال سفيان: وبلغني عن ابن عباس أنه قال: نسختها: ﴿ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾، وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ١٠٩): غريب جدّاً.

عبد الله بن عمرو[(١)] وجابر بن زيد وأبو الدرداء وذكر أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ما من مسلم يصاب بشيء من جسده فيهبه؛ إلا رفعه الله بذلك درجة، وحط عنه خطيئة»[(٢)].

وذكر مكي حديثاً من طريق الشعبي: أنه يحط من ذنوبه بقدر ما عفا عنه[(٣)] من الدية[(٤)]، والله أعلم، وقال به أيضا قتادة والحسن[(٥)].

والمعنى الثاني: أن تكون (مَن) للمجروح أو ولي القتيل، والضمير في: ﴿لَّهُۥ﴾ يعود على الجارح أو القاتل إذا تصدق المجروح، أو على الجارح بجرحه وصفح عنه، فذلك العفو كفارة للجارح عن ذلك الذنب، فكما أن القصاص كفارة، فكذلك العفو كفارة، وأما أجر العافي فعلى الله تعالى، وعاد الضمير على من لم يتقدم له ذكر؛ لأن المعنى يقتضيه، قال بهذا التأويل ابن عباس[(٦)] وأبو إسحاق السبيعي ومجاهد وإبراهيم وعامر الشعبي وزيد بن أسلم.

والمعنى الثالث: أن تكون (مَن) للجارح، أو القاتل والضمير في: ﴿لَّهُۥ﴾ يعود عليه أيضاً، والمعنى: إذا جنى جانٍ، فجهل وخفي أمره، فتصدق هو بأن عرف بذلك، ومكن الحق من نفسه؛ فذلك الفعل كفارة لذنبه.

---

(١) كذا في السليمانية وفيض الله: «عمرو»، وهو الصواب، وفي النسخ الأخرى: «ابن عمر».

(٢) منقطع، أخرجه الترمذي (١٣٩٣) وغيره، وقال الترمذي عقبه: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ولا أعرف لأبي السفر سماعاً من أبي الدرداء .اهـ.

(٣) زيادة من السليمانية وفيض الله ونجيبويه، وهي في لالاليه ملحقة في الهامش.

(٤) منقطع، هذا الحديث من رواية الشعبي عن عبادة بن الصامت، ولم يسمع منه، أخرجه أحمد (٥/ ٣٢٩)، وابن جرير (١٠/ ٣٦٥)، وانظر: الهداية لمكي (٣/ ١٦٧١).

(٥) انظر قولهما وقول جابر في: تفسير الطبري (١٠/ ٣٦٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٤٦)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٧١).

(٦) صحيح، أخرجه الطبري (١٠/ ٣٦٦)، من طريق سفيان عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وسفيان سمع من عطاء قديماً قبل الاختلاط، وانظر أقوال الباقين في: تفسير الطبري (١٠/ ٣٦٦ و٣٦٧).

وذهب القائلون بهذا التأويل إلى الاحتجاج بأن مجاهداً قال: إذا أصاب رجل رجلاً، ولم يعلم المصاب من أصابه، فاعترف له المصيب؛ فهو كفارة للمصيب[١].

وروي أن عروة بن الزبير أصاب عين إنسان عند الركن وهم يستلمون، فلم يدر المصاب من أصابه، فقال له عروة: أنا أصبتك، وأنا عروة بن الزبير، فإن كان بعينك بأس فأنا بها[٢].

قال القاضي أبو محمد: وانظر أن: ﴿تَصَدَّقَ﴾ على هذا التأويل، يحتمل أن يكون من الصدقة، ومن الصدق.

وذكر مكي بن أبي طالب وغيره: أن قوماً تأولوا الآية أن المعنى: وَالْجُرُوحَ قِصاصٌ، فمن أعطى دية الجرح، وتصدق بذلك؛ فهو كفارة له إذا رضيت منه وقبلت[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا تأويل قلق.

وقد تقدَّم القول على قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ الآية.

وفي مصحف أبيّ بن كعب: (ومن يتصدق به فإنه كفارة له)[٤].

قوله عز وجل: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

---

(١) انظر: الهداية لمكي (٣/ ١٧٦٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٧١)، والهداية لمكي (٣/ ١٧٦٣).

(٣) انظر: الهداية لمكي (٣/ ١٧٦٢).

(٤) وهي قراءة شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٤/ ٢٧٧)، وفي المطبوع ونجيبويه: «فهو»، بدل: «فإنه».

﴿وَقَفَّيْنَا﴾: تشبيه، كأن مجيء عيسى كان في قفاء مجيء النبيين وذهابهم، والضمير في: ﴿ءَاثَٰرِهِم﴾ للنبيين المذكورين في قوله: ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾.

و﴿مُصَدِّقًا﴾: حال مؤكدة.

و﴿ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ بين يدي عيسى؛ لأنها جاءت قبله، كما أن رسول الله ﷺ بين يدي الساعة، وقد تقدم القول في هذا المعنى في غير موضع.

و﴿ٱلۡإِنجِيلَ﴾: اسم أعجمي ذهب به مذهب الاشتقاق من: نجل، إذا استخرج وأظهر.

والناس على قراءته بكسر الهمزة، إلا الحسن بن أبي الحسن فإنه قرأ: (الأنجيل) بفتح الهمزة، وقد تقدم القول على ذلك في أول سورة آل عمران.

والهدى: الإرشاد والدعاء إلى توحيد الله، وإحياء أحكامه، والنور: ما فيه مما يستضاء به.

و﴿مُصَدِّقًا﴾: حال مؤكدة معطوفة على موضع الجملة التي هي ﴿فِيهِ هُدًى﴾؛ فإنها جملة في موضع الحال، وقال مكي وغيره: ﴿مُصَدِّقًا﴾: معطوف على الأول[(١)].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا قلق من جهة اتساق المعاني.

وقرأ الناس: ﴿وَهُدًى وَمَوۡعِظَةً﴾ بالنصب، وذلك عطف على ﴿مُصَدِّقًا﴾.

وقرأ الضحاك: (وهدى وموعظةٌ) بالرفع[(٢)]، وذلك متجه.

وخصَّ المتقين بالذكر؛ لأنهم المقصود به في علم الله، وإن كان الجميع يدعى ويوعظ، ولكن ذلك على غير المتقين عمى وحيرة.

وقرأ أبيّ بن كعب: (وأن ليحكم) بزيادة (أن)[(٣)].

---

(١) مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٢٢٨).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٢٢٨).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٧٥)، وتفسير الكشاف (١/ ٦٧٢).

وقرأ حمزة وحده: ﴿ولِيحكمَ﴾ بكسر اللام وفتح الميم على لام كي ونصب الفعل بها، والمعنى: وآتيناه الإنجيل ليتضمن الهدى والنور والتصديق ليحكم أهله بما أنزل الله فيه.

[٢/ ٣٢] وقرأ باقي السبعة / : ﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ بسكون اللام[١] التي هي لام الأمر، وجزم الفعل، ومعنى أمره لهم بالحكم؛ أي: هكذا يجب عليهم، وحسن عقب ذلك التوقيف على وعيد من خالف ما أنزل الله، ومن القراء من يكسر لام الأمر، ويجزم الفعل[٢].

وقد تقدَّم نظير باقي الآية.

وتقريره هذه الصفات لمن لم يحكم بما أنزل الله هو على جهة التأكيد، وأصوب ما يقال فيها: أنها تعم كل مؤمن وكل كافر، فيجيء كل ذلك في الكافر على أتم وجوهه، وفي المؤمن على معنى كفر المعصية وظلمها وفسقها، وأخبر تعالى بعدُ بنزول هذا القرآن.

وقوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ يحتمل أن يريد: مضمناً الحقائق من الأمور، فكأنه نزل بها، ويحتمل أن يريد أنه أنزله بأن حق ذلك، لا أنه وجب على الله، ولكن حق في نفسه وأنزله الله تعالى صلاحاً لعباده.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يريد: من الكتب المنزلة، فهو اسم جنس.

واختلفت عبارة المفسرين في معنى (مهيمن):

فقال ابن عباس: (مُهَيْمِناً): شاهداً، وقال أيضاً: مؤتمناً[٣].

وقال ابن زيد: معناه: مصدقاً، وقال الحسن بن أبي الحسن: أميناً[٤].

وحكى الزجاج: رقيباً[٥].

---

(١) فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٩٩).

(٢) وهي قراءة شاذة، تقدمت عن الحسن وغيره مراراً.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٠/ ٣٧٨)، من طرق عن رجل من تميم، عن ابن عباس، وفيه جهالة التميمي هذا.

(٤) انظرهما في: تفسير الطبري (١٠/ ٣٨٠)، وانظر: تفسير الثعلبي (٤/ ٧٣).

(٥) معاني القرآن وإعرابه له (٢/ ١٧٩)، وفي المطبوع: «قريباً».

ولفظة[١] «المهيمن» أخص من هذه الألفاظ،؛ لأن المهيمن على الشيء هو المعنيُّ بأمره، الشاهد على حقائقه، الحافظ لحاصله، ولأن يدخل فيه ما ليس منه، والله تبارك وتعالى هو المهيمن على مخلوقاته وعباده، والوصي مهيمن على محجوريه وأموالهم، والرئيس مهيمن على رعيته وأحوالهم، والقرآن جعله الله مهيمناً على الكتب، يشهد بما فيها من الحقائق، وعلى ما نسبه المحرفون إليها، فيصحح الحقائق، ويبطل التحريف، وهذا هو شاهد ومصدق ومؤتمن وأمين.

و(مهيمن): بناء اسم فاعل، قال أبو عبيدة: ولم يجئ في كلام العرب على هذا البناء إلا أربعة أحرف، وهي: مسيطر، ومبيطر، ومهيمن، ومجيمر[٢].

وذكر أبو القاسم الزجَّاج[٣] في شرحه لصدر أدب الكتاب: ومبيقر، يقال: بَيْقر الرجل: إذا سار من الحجاز إلى الشام، ومن أفق إلى أفق، وبَيْقر أيضاً: لعب البَيْقرا، وهي لعبة يلعب بها الصبيان[٤].

وقال مجاهد: قوله تعالى: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ يعني: محمداً ﷺ، هو مؤتمن على القرآن.

[وقال الطبري: وقوله: (مهيمناً عليه) على هذا الحال من الكاف في قوله: ﴿إِلَيْكَ﴾، قال وهذا تأويل بعيد من المفهوم][٥].

قال القاضي أبو محمد: وغلط[٦] الطبري ـ رحمه الله ـ في هذه اللفظة على

(١) في المطبوع: «ولفظه».
(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٥٦)، ونصه: مهيمن، ومبيقر، ومبيطر، ومسيطر، هذه الأربعة الأحرف صفات، لها أفعالٌ ووجدنا من الأسماء ما لا ندري مصغَّرة: مُدَيْبِر ـ اسم وادٍ، ومجيمر، ومبيقر، كما تقدم في آية (آل عمران)، وفي السليمانية: «قال أبو علي»، بدل: «قال أبو عبيدة».
(٣) الصواب أنه: الزجاجي؛ لأن الزجاج كنيته أبو إسحاق، كما أن شرح خطبة أدب الكاتب لأبي القاسم الزجاجي، لا الزجاج.
(٤) انظر جمهرة اللغة (١/ ٣٢٣)، والمحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٣٩٦).
(٥) ساقط من الأصل والمطبوع، انظر كلام مجاهد، وتعقيب الطبري عليه في تفسير الطبري (١٠/ ٣٨١).
(٦) في المطبوع: «غلط».

مجاهد، فإنه فسر تأويله على قراءة الناس: (مهيمناً) بكسر الميم الثانية، فبعد التأويل.

ومجاهد ـ رحمه الله ـ إنما يقرأ هو وابن محيصن: (ومهيمَناً عليه) بفتح الميم الثانية، فهو بناء اسم المفعول[1]، وهو حال من الكتاب معطوفة على قوله: ﴿مُصَدِّقًا﴾ وعلى هذا يتجه أن المؤتمن عليه هو محمد ﷺ.

و﴿عَلَيْهِ﴾: في موضع رفع على تقدير أنها مفعول لم يسم فاعله، هذا على قراءة مجاهد، وكذلك مشى مكي رحمه الله، وتوغل في طريق الطبري في هذا الموضع[2].

قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ـ رحمه الله ـ: «مهيمن» أصله: مؤيمن، بني من أمين، أبدلت همزته هاء، كما قالوا: أرقت الماء وهرقته، قال الزجاج: وهذا حسن على طريق العربية، وهو موافق لما جاء في التفسير من أن معنى: مهيمن: مؤتمن[3].

وحكى ابن قتيبة هذا الذي قال المبرد في بعض كتبه، فحكى النقاش أن ذلك بلغ ثعلباً، فقال: إن ما قال ابن قتيبة رديء، وقال: هذا باطل، والوثوب على القرآن شديد، وهو ما سمع الحديث من قوي ولا ضعيف، وإنما جمع الكتب، انتهى كلام ثعلب[4].

قال القاضي أبو محمد: ويقال من «مهيمن»: هيمن الرجل على الشيء: إذا حفظه وحاطه وصار قائماً عليه أميناً، ويحتمل أن يكون: ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ و﴿وَمُهَيْمِنًا﴾ حالين من الكاف في ﴿إِلَيْكَ﴾، ولا يخص ذلك قراءة مجاهد وحده كما زعم مكي.

قوله عز وجل: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهما في: مختصر الشواذ (ص: ٣٩).
(٢) في الهداية لمكي (٣/ ١٧٦٨).
(٣) انظره مع كلام المبرد في: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٨٠).
(٤) كلام النقاش نقله أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٢٨٣).

قال بعض العلماء هذه ناسخة لقوله: ﴿أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: ٤٢]، وقد تقدم ذكر ذلك.

وقال الجمهور: إنه ليس بنسخ، وإن المعنى: فإن اخترت أن تحكم فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ الله، ثم حذر تعالى نبيه من اتباع أهوائهم؛ أي: شهواتهم وإرادتهم التي هي هوى وسول[1] للنفس، والنفس أمّارة بالسوء، فهواها مرد لا محالة، وحسن هنا دخول (عن) في قوله: ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾؛ لما كان الكلام بمعنى: لا تنصرف، أو لا تزحزح، بحسب أهوائهم عما جاءك.

واختلف المتأولون في معنى قوله عز وجل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾:

فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقتادة وجمهور المتكلمين: المعنى لكل أمة منكم جعلنا شرعة ومنهاجاً؛ أي: لليهود شرعة ومنهاج، وللنصارى كذلك، وللمسلمين كذلك[2].

قال القاضي أبو محمد: وهذا عندهم في الأحكام، وأما في المعتقد فالدين واحد لجميع العالم: توحيد وإيمان بالبعث وتصديق للرسل، وقد ذكر الله تعالى في كتابه عدداً من الأنبياء شرائعهم مختلفة، ثم قال لنبيه ﷺ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، فهذا عند العلماء في المعتقدات فقط، وأما أحكام الشرائع فهذه الآية هي القاضية فيها ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

قال القاضي أبو محمد: والتأويل الأول عليه الناس.

ويحتمل أن يكون المراد بقوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾: الأمم كما قدمنا، ويحتمل أن يكون المراد الأنبياء لا سيَّما وقد تقدم ذكرهم وذكر ما أنزل عليهم، وتجيء الآية

---

(١) في المطبوع والحمزوية: «رسول»، وفي نجيبويه: «سؤل»، وفي لالاليه ونور العثمانية: «سؤال».

(٢) ضعيف جدّاً، أخرجه الطبري (١٠/ ٣٨٥)، من طريق سيف بن عمر، عن أبي روق، عن أبي أيوب، عن علي، وسيف تالف.

مع هذا الاحتمال في الأنبياء تنبيهاً لمحمد ﷺ؛ أي: فاحفظ شرعتك ومنهاجك لئلا يستزلك اليهود ولا غيرهم في شيء منه، والمتأولون على أن «الشرعة» و«المنهاج» في هذه الآية لفظان بمعنى واحد، وذلك أن الشرعة والشريعة هي الطريق إلى الماء وغيره،
[٢/ ٣٣] مما يورد كثيراً / ، فمن ذلك قول الشاعر:

[البسيط] وفـي الشـرائعِ مـنْ جِـلَّانَ مُقْتَنِصٌ ... بالي الثيابِ خَفيُّ الصوتِ مُنْزَرِبُ[(١)]

أراد في الطرق إلى المياه، ومنه الشارع، وهي سكك المدن، ومنه قول الناس وفيها يشرع الباب، و«المنهاج» أيضاً: الطريق، ومنه قول الشاعر:

[الرجز] مَـنْ يَـكُ ذا شَـكٍّ فهـذا فَلْـجُ ... مـاءٌ رُواءٌ وطـريـقٌ نَـهْـجُ[(٢)]

أراد: واضحاً بيناً، [والمنهاج بناء][(٣)] مبالغة في ذلك، وقال ابن عباس وغيره: ﴿شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ معناه: سبيلاً وسنة[(٤)].

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل لفظ الآية أن يريد بالشرعة الأحكام، وبالمنهاج المعتقد؛ أي: وهو واحد في جميعكم، وفي هذا الاحتمال بعد.

القراء على: ﴿شِرۡعَةٗ﴾ بكسر الشين.

وقرأ إبراهيم النخعي ويحيى بن وثاب: (شَرعة) بفتح الشين[(٥)].

ثم أخبر تعالى بأنه لو شاء لجعل العالم أمة واحدة، ولكنه لم يشأ؛ لأنه أراد

---

(١) البيت لذي الرمة كما في العين (١/ ٢٥٢)، وفي أكثر النسخ: «مندوب»، وفي نجيبويه: «مشروب»، وفي لالاليه: «متروب».

(٢) عزاه لراجز من بني العنبر في معجم ما استعجم (٣/ ١٠٢٧)، وهو بلا نسبة في مجاز القرآن (١/ ١٦٨)، وفي أكثر النسخ: «فهذا نهج».

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٨٨)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٥) وهي شاذة انظر عزوها ليحيى في: الكشاف للزمخشري (١/ ٦٤٠)، ومختصر الشواذ (ص: ٣٨)، ولهما في الشواذ للكرماني (ص: ١٥٥).

اختبارهم وابتلاءهم فيما آتاهم من الكتب والشرائع، كذا قال ابن جريج وغيره[١]، فليس لهم إلا أن يجدّوا[٢] في امتثال الأوامر، وهو استباق الخيرات، فلذلك أمرهم بأحسن الأشياء عاقبة لهم، ثم حثهم تعالى بالموعظة والتذكير بالمعاد في قوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ والمعنى: فالبدار البدار.

وقوله تعالى: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، معناه: يظهر الثواب والعقاب فتخبرون به إخبار إيقاع، وإلا فقد نبأ الله في الدنيا بالحق فيما اختلفت الأمم فيه.

قال القاضي أبو محمد: وهذه الآية بارعة الفصاحة، جمعت المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة، وكل كتاب الله كذلك، إلا أنّا بقصور أفهامنا يبين في بعض لنا أكثر مما يبين في بعض.

قوله عز وجل: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿وَأَنِ ٱحْكُم﴾: معطوف على ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾، وقال مكي: هو معطوف على (الحق) في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٤][٣]، والوجهان حسنان.

يقرأ بضم النون من (أنُ احكم)، مراعاة للضمة في عين الفعل المضارع، ويقرأ بكسرها[٤] على القانون في التقاء الساكنين، وهذه الآية ناسخة عند قوم للتخيير الذي في قوله: ﴿أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ وقد تقدم ذكر ذلك.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٩٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٥٣).

(٢) في الحمزوية: «فليس لهم خلاف في».

(٣) انظر: الهداية لمكي (٣/ ١٧٧٢).

(٤) وهما سبعيتان، عاصم وأبو عمرو وحمزة يكسرون، والضم للباقين، انظر: التيسير (ص: ٧٨).

ثم نهاه تعالى عن اتباع أهواء بني إسرائيل؛ إذ هي مضلة، والهوى في الأغلب إنما يجيء عبارة عما لا خير فيه، وقد يجيء أحياناً مقيداً بما فيه خير، من ذلك قول عمر بن الخطاب في قصة رأيه ورأي أبي بكر في أسرى بدر، فهوي رسول الله رأي أبي بكر[١]، ومنه قول عمر بن عبد العزيز وقد قيل له: ما ألذ الأشياء عندك؟ قال: حق وافق هوى[٢].

والهوى مقصور، ووزنه: فعل، ويجمع على أهواء، والهواء ممدود ويجمع على: أهوية.

ثم حذر تبارك وتعالى من جهتهم أن يفتنوه؛ أي: يصرفوه بامتحانهم وابتلائهم عن شيء مما أنزل الله عليه من الأحكام[٣]؛ لأنهم كانوا يريدون أن يخدعوا النبي ﷺ، فقالوا له مراراً: احكم لنا في نازلة كذا بكذا ونتبعك على دينك.

[وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ قبله محذوف من الكلام يدل عليه الظاهر، تقديره لا تتبع واحذر، فإن حكموك مع ذلك واستقاموا فنعما ذلك، وإن تولوا فاعلم، ويحسن أن يقدر هذا المحذوف المعادل بعد قوله: ﴿لَفَٰسِقُونَ﴾][٤].

وقوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ﴾ الآية، وعد للنبي ﷺ فيهم، وقد أنجزه بقصة بني قينقُاع، وقصة قريظة والنضير، وإجلاء عمر أهل خيبر وفَدَك وغيرهم، وخصص تعالى إصابتهم ببعض الذنوب دون كلها؛ لأن هذا الوعيد إنما هو في الدنيا وذنوبهم فيها نوعان:

نوع يخصهم، كشرب الخمر ورباهم ورشاهم ونحو ذلك.

ونوع يتعدى إلى النبي ﷺ والمؤمنين، كمعاملاتهم[٥] للكفار، وأقوالهم في الدين، فهذا النوع هو الذي يوجد إليهم السبيل، وبه هلكوا، وبه توعدهم الله في الدنيا،

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٣٣٣).

(٣) في نور العثمانية: الاحتكام.

(٤) هذه الفقرة ساقطة من الأصل.

(٥) في الحمزوية: «كموالاتهم».

فلذلك خصص البعض دون الكل، وإنما يعذبون بالكل في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ﴾ إشارة إليهم، لكن جاءت العبارة تعمهم وغيرهم؛ ليتنبه سواهم ممن كان على فسق ونفاق وتولٍّ عن النبي ﷺ، فيرى أنه تحت الوعيد.

واختلف القراء في قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾:

فقرأ الجمهور بنصب الميم، على إعمال فعل ما يلي ألف الاستفهام بينه هذا الظاهر بعد.

وقرأ يحيى بن وثاب والسلمي وأبو رجاء والأعرج: (أفحكمُ) برفع الميم[١].

قال ابن مجاهد: وهي خطأ، قال أبو الفتح: ليس كذلك، ولكنه وجه غيره أقوى منه، وقد جاء في الشعر[٢]، قال أبو النجم[٣]:

قَـدْ أَصْبَحَـتْ أُمُّ الْخِيـارِ تَدَّعِـي ... عَلَـيَّ ذَنْبـاً كُلُّـهُ لَـمْ أَصْنَـعِ[٤] [الرجز]

برفع (كلٌّ).

قال القاضي أبو محمد: وهكذا الرواية، وبها يتم المعنى الصحيح؛ لأنه أراد التبرؤ من جميع الذنب، ولو نصب (كل) لكان ظاهر قوله: إنه صنع بعضه، وهذا هو حذف الضمير من الخبر وهو قبيح، التقدير: يبغونه، ولم أصنعه، وإنما يحذف الضمير كثيراً من الصلة، كقوله تعالى: ﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١]، وكما تقول: مررت بالذي أكرمت.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهم في: المحتسب (١/ ٢١٠)، ومختصر الشواذ (ص: ٣٩).

(٢) انظر كلامه ونقله عن ابن مجاهد في: المحتسب (١/ ٢١١).

(٣) هو أبو النجم الفضل بن قدامة العجلي، مقدم عند جماعة من أهل العلم على العجاج، وهو من طبقته، ولم يكن أبو النجم كغيره من الرجاز الذين لم يحسنوا أن يقصدوا؛ لأنه يقصد فيجيد، انظر معجم الشعراء (ص: ٣١٠).

(٤) انظر عزوه له في: مجاز القرآن (٢/ ٨٤)، وكتاب سيبويه (١/ ٨٥)، وأسرار البلاغة (ص: ٣٨٩).

ويحذف أقل من ذلك من الصفة، وحذفه من الخبر قبيح، كما جاء في بيت أبي النجم، ويتجه بيته بوجهين:

أحدهما: أنه ليس في صدر قوله ألف استفهام يطلب الفعل، كما هي في قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ﴾.

والثاني: أن في البيت عوضاً من الهاء المحذوفة، وذلك حرف الإطلاق؛ أعني: الياء في: اصنعي، فتضعف قراءة من قرأ: (أ فحكمُ) بالرفع؛ لأن الفعل بعده لا ضمير فيه، ولا عوض من الضمير، وألف الاستفهام التي تطلب الفعل، ويختار معها النصب وإن لفظ بالضمير حاضرة.

وإنما تتجه القراءة على أن يكون التقدير أفحكم الجاهلية حكم يبغون، فلا تجعل (يبغون) خبراً، بل تجعله صفة خبر موصوف محذوف، ونظيره قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ [النساء: ٤٦]، تقديره: قوم يحرفون، فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه، ومثله قول الشاعر:

[الطويل] وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا أَمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ[1]

وقرأ سليمان بن مهران: (أفحَكَمَ) بفتح الحاء والكاف والميم[2]، وهو اسم جنس، وجاز إضافة اسم الجنس هنا، على نحو قولهم: منعت العراق قفيزها ودرهمها، ومصر إِرْدَبَّها، وله / نظائر. [٢/ ٣٤]

قال القاضي أبو محمد: فكأنه قال أفحكام الجاهلية يبغون؟ إشارة إلى الكهان الذين كانوا يأخذون الحلوان، ويحكمون بحسبه وبحسب الشهوات، ثم ترجع هذه

---

(١) البيت لتميم بن مقبل كما في الحيوان (٣/ ٢١)، وكتاب سيبويه (٢/ ٣٤٦)، وتهذيب اللغة (٤/ ٥٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٠٤)، ونسبه في سمط اللآلي (١/ ٢٠) إلى العجير السلولي، ولعله خطأ.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر لسليمان ـ وهو الأعمش ـ في: المحتسب (١/ ٢١١)، ومختصر الشواذ (ص: ٣٩).

القراءة بالمعنى إلى الأولى؛ لأن التقدير: أَفَحُكْمَ حكام الْجاهِلِيَّةِ.

وقرأ ابن عامر: ﴿تبغون﴾ بالتاء على الخطاب لهم؛ أي: قل لهم، وباقي السبعة: ﴿يَبْغُونَ﴾ بالياء من تحت[1]، ويَبْغُونَ معناه: يطلبون ويريدون.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾ تقرير؛ أي: لا أحد[2] أحسن منه حكماً تبارك وتعالى، وحسن دخول اللام في قوله: ﴿لِّقَوْمٍ﴾ من حيث المعنى يبين ذلك، ويظهر لقوم يوقنون.

قوله عز وجل: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

نهى الله تعالى المؤمنين بهذه الآية عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء في النصرة والخلطة المؤدية إلى الامتزاج والمعاضدة، وحكم هذه الآية باقٍ، وكل من أكثر مخالطة هذين الصنفين فله حظه من هذا المقت الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾، وأما معاملة اليهودي والنصراني من غير مخالطة ولا ملابسة؛ فلا تدخل في النهي، وقد عامل رسول الله ﷺ يهوديّاً ورهنه درعه[3].

واختلف المفسرون في سبب هذه الآية:

فقال عطية بن سعد والزهري، وابن إسحاق وغيرهم: سببها: أنه لما انقضت بدر وشجر أمر بني قينُقاع؛ أراد رسول الله ﷺ قتلهم، فقام دونهم عبد الله بن أبي ابن سلول، وكان حليفاً لهم، وكان لعبادة بن الصامت من حلفهم مثل ما لعبد الله، فلما رأى عبادة منزع

(١) فهما سبعيتان، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢٤٤)، والتيسير (ص: ٩٩).
(٢) في الحمزوية: «لا أجد أحداً».
(٣) صحيح البخاري (٢٩١٦) (٤٤٦٧) وغير موضع، من حديث عائشة.

رسول الله ﷺ، وما سلكته يهود من المشاقة لله ورسوله؛ جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أبرأ إلى الله من حلف يهود وولائهم، ولا أوالي إلا الله ورسوله، وقال عبد الله بن أُبي: أما أنا فلا أبرأ من ولاء يهود؛ فإني لا بدَّ لي منهم، إني رجل أخاف الدوائر[١].

وحكى ابن إسحاق في السير: أنه قام إلى رسول الله ﷺ فأدخل يده في جيب درعه، وقال: يا محمد، أحسن في مواليَّ، فقال له رسول الله ﷺ: «أرسل الدرع من يدك»، فقال: لا والله، حتى تهبهم لي؛ لأنهم ثلاث مئة دارع، وأربع مئة حاسر، أفأدعك تحصدهم في غداة واحدة؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد وهبتهم لك»، ونزلت الآية في ذلك[٢].

وقال السدي: سبب هذه الآية: أنه لما نزل بالمسلمين أمر أحد فزع منهم قوم، وقال بعضهم لبعض: نأخذ من اليهود عصماً ليعاضدونا إن ألـمَّت بنا قاصمة من قريش وسائر العرب، فنزلت الآية في ذلك[٣].

وقال عكرمة: سبب الآية: أمر أبي لبابة بن عبد المنذر، وإشارته إلى قريظة أنه الذبح حين استفهموه عن رأيه في نزولهم على حكم سعد بن معاذ[٤].

قال القاضي أبو محمد: وكل هذه الأقوال محتمل، وأوقات هذه النوازل مختلفة.

وقرأ أبي بن كعب وابن عباس: (لا تتخذوا اليهود والنصارى أرباباً بعضهم)[٥].

وقوله تعالى: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾: جملة مقطوعة من النهي يتضمن التفرقة بينهم وبين المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ إنحاء على عبد الله بن أبيٍّ وكل من

---

(١) مرسل ضعيف، أخرجه ابن جرير (١٠/ ٣٩٥-٣٩٧) من طريق عطية العوفي مرسلًا.
(٢) مرسل، أخرجه ابن إسحاق في السيرة (١/ ٢٩٤) عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلًا.
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٩٧)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/ ٩٩).
(٤) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٩٨)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/ ٩٩).
(٥) وهي قراءة شاذة انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٥١٩)، في المطبوع: «والنصارى أولياء».

اتصف بهذه الصفة من موالاتهم، ومن تولاهم بمعتقده ودينه فهو منهم في الكفر، واستحقاق النقمة، والخلود في النار، ومن تولاهم بأفعاله من العضد ونحوه دون معتقد ولا إخلال بإيمان؛ فهو منهم في المقت والمذمة الواقعة عليهم وعليه.

وبهذه الآية جوز ابن عباس وغيره ذبائح النصارى من العرب، وقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾، فقال: من دخل في دين قوم فهو منهم، وسئل ابن سيرين ـ رحمه الله ـ عن رجل أراد بيع داره من نصارى يتخذونها كنيسة، فتلا هذه الآية[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ عموم، فإما أن يراد به الخصوص فيمن سبق في علم الله أن لا يؤمن ولا يهتدي، وإما أن يراد به تخصيص مدة الظلم والتلبس بفعله، فإن الظلم لا هدى فيه، والظالم من حيث هو ظالم فليس بمهديٍّ في ظلمه.

وقوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ الآية، مخاطبة محمد ﷺ والإشارة إلى عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول ومن تبعه من المنافقين على مذهبه في حماية بني قينُقاع، ويدخل في الآية من كان من مؤمني الخزرج يتابعه جهالة وعصبية، فهذا الصنف له حظه من مرض القلب.

وقراءة جمهور الناس: [(تَرى) بالتاء من فوق، فإن جعلت رؤية عين فـ: ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾: حال، وفيها الفائدة المقصودة، وإن][٢] جعلت رؤية قلب فـ: ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾: في موضع المفعول الثاني، و﴿يَقُولُونَ﴾ حال.

وقرأ إبراهيم النخعي ويحيى بن وثاب: (فيَرى) بالياء من تحت[٣]، والفاعل على هذه القراءة محذوف، ولك أن تقدر: فيرى الله، أو فيرى الرائي و﴿ٱلَّذِينَ﴾ مفعول،

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٤٠٢).

(٢) ساقط من نجيبويه.

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب لابن جني (١/ ٢١٣)، ومختصر الشواذ (ص: ٣٩).

ويحتمل أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ فاعل، والمعنى: أن يسارعوا، فحذفت «أن» إيجازاً، ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾ معناه: في نصرتهم وتأنيسهم وتجميل ذكرهم.

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞ﴾: لفظ محفوظ عن عبد الله بن أبيٍّ[(١)]، ولا محالة أنه قال بقوله منافقون كثير، والآية تعطي ذلك.

و﴿دَآئِرَةٞ﴾ معناه: نازلة من الزمان، وحادثة من الحوادث، تحوجنا إلى موالينا من اليهود، وتسمى هذه الأمور دوائر على قديم الزمان من حيث الليل والنهار في دوران، فكأن الحادث يدور بدورانها حتى ينزل فيمن نزل، ومنه قول الله تعالى: ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ [التوبة: ٩٨]، [الفتح: ٦]، و﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ [التوبة: ٩٨]، ومنه قول الشاعر:

[الرجز] .... وَالـدَّهْـرُ بِـالإِنْـسَـانِ دَوَّارِيُّ[(٢)]

وقول الآخر:

[الطويل] .... ويَعْلَـم أنَّ الدائـراتِ تَـدُورُ[(٣)]

وقول الآخر:

[الرجز] يـردُّ عنها الـقَـدَرَ المقدورَا ودائـراتٍ الدهـر أن تَـدُورَا[(٤)]

ويعضده قول النبي ﷺ: «إن الزمان قد استدار»[(٥)].

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٤٠٢-٤٠٣) من قول: عطية العوفي، وعبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت.

(٢) البيت للعجاج كما في العين (٢/ ٢٩١)، والخصائص (٣/ ٢٠٥)، وتهذيب اللغة (١٤/ ١٠٨)، والمحكم (٢/ ٤٠٠).

(٣) البيت لأبي نواس، كما في ديوان المعاني (١/ ٧١)، والمنصف لابن وكيع (ص: ٦٩٤)، والوساطة بين المتنبي وخصومه (ص: ١٩٨)، وملحق الأغاني (أخبار أبي نواس) (ص: ١٧٤)، وصدره: فتى يشتري حسن الثناء بماله، والأصل والمطبوع وفي لالاليه: «النائبات».

(٤) البيت لحميد الأرقط كما في مجاز القرآن (٢/ ١٦٩)، ونسب قريش (ص: ١٥٠)، وأنساب الأشراف (٧/ ٣٢٨).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٥٥٠)، ومسلم (١٦٧٩)، من حديث أبي بكرة مرفوعاً، وهو حديث طويل.

قال القاضي أبو محمد: / وفعل عبد الله بن أبيٍّ في هذه النازلة لم يكن ظاهره مغالبة رسول الله ﷺ، ولو فعل ذلك لحاربه رسول الله ﷺ، وإنما كان يظهر للنبي ﷺ أن يستبقيهم لنصرة محمد، ولأن ذلك هو الرأي. [٢/ ٣٥]

وقوله: إني امرؤ أخشى الدوائر؛ أي: من العرب، وممن يحارب المدينة وأهلها، وكان يبطن[١] في ذلك كله التحرز من النبي ﷺ والمؤمنين والفتَّ في أعضادهم، وذلك هو الذي أسر هو في نفسه ومن معه على نفاقه ممن يفتضح بعضهم إلى بعض، وقوله تبارك وتعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ﴾: مخاطبة للنبي ﷺ وللمؤمنين ووعد لهم، و«عسى» من الله واجبة.

واختلف المتأولون في معنى (الفتحِ) في هذه الآية:

فقال قتادة: يعني به القضاء في هذه النوازل، والفتاح القاضي، فكان هذا الوعد هو مما نزل ببني قينقاع بعد ذلك وبقريظة والنضير، وقال السدي: يعني به: فتح مكة[٢].

قال القاضي أبو محمد: وظاهر (الفتح) في هذه الآية: ظهور رسول الله ﷺ، وعلو كلمته؛ أي: فيبدو الاستغناء عن اليهود، ويرى المنافق أن الله لم يوجد سبيلاً إلى ما كان يؤمل فيهم من المعونة على أمر محمد ﷺ والدفع في صدر نبوته، فيندم حينئذ على ما حصل فيه من محادة الشرع، وتجلل ثوب المقت من الله تعالى ومن رسوله ﷺ والمؤمنين كالذي وقع وظهر بعد.

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ أَمۡرٍ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ قال السدي: المراد ضرب الجزية[٣].

قال القاضي أبو محمد: ويظهر أن هذا التقسيم إنما هو لأن الفتح الموعود به هو ما يتركب على سعي النبي وأصحابه، ويسببه جدهم وعملهم، فوعد الله تعالى إما

---

(١) في السليمانية وفيض الله: «يظن».

(٢) انظر قولي السدي وقتادة في: تفسير الطبري (١٠/ ٤٠٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٥٨)، وتفسير الماوردي (٢/ ٤٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٠٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٥٩)، وتفسير الماوردي (٢/ ٤٧).

بفتح بمقتضى تلك الأفعال، وإما بأمر من عنده يهلك أعداء الشرع، هو أيضاً فتح لا يقع للبشر فيه تسبيب، وقوله تعالى:

﴿فَيُصۡبِحُواْ﴾ معناه: يكونون كذلك طول دهرهم، وخص الإصباح بالذكر؛ لأن الإنسان في ليله مفكر متستر، فعند الصباح يرى بالحالة التي اقتضتها فِكره أو أمراضه ونحو ذلك، ومنه قول الشاعر:

[الرجز] أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السِّلَاحَ...[1] ....

إلى غير هذا من الأمثلة.

والذي أسروه هو ما ذكرناه من التمرس بالنبي ﷺ، وإعداد اليهود للثورة عليه يوماً ما.

وقرأ ابن الزبير: (فيصبح الفساق على ما أسروا في أنفسهم نادمين)[2].

قوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾.

اختلف القراء في هذه الآية، فقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع: ﴿يقولُ﴾ بغير واو عطف وبرفع اللام، وكذلك ثبت في مصاحف المدينة ومكة.

وقرأ حمزة والكسائي وعاصم: ﴿وَيَقُولُ﴾ بإثبات الواو، [ورفع اللام][3]، وكذلك ثبت في مصاحف الكوفيين، وقال الطبري: كذلك هي في مصاحفنا مصاحف أهل الشرق[4].

---

(١) تقدم في تفسير الآية (١٠٢) من (آل عمران).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في: تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٥٩)، وكتاب المصاحف (١/ ٢٠٦)، وفي المطبوع: «ابن الزهري»، وهو خطأ.

(٣) ساقط من المطبوع.

(٤) تفسير الطبري (١٠/ ٤٠٩)، وانظر أيضاً كتاب المصاحف (١/ ١٥١).

وقرأ أبو عمرو وحده: ﴿ويقولَ﴾ بإثبات الواو وبنصب اللام[١].

قال أبو علي: وروى علي بن نصر[٢] عن أبي عمرو النصب والرفع في اللام[٣].

فأما قراءة ابن كثير ونافع فمتعاضدة مع قراءة حمزة والكسائي؛ لأن الواو ليست عاطفة مفرد على مفرد، مشرِّكة في العامل، وإنما هي عاطفة جملة على جملة وواصلة بينهما، والجملتان متصلتان بغير واو؛ إذ في الجملة الثانية ذكر من الجملة المعطوف عليها؛ إذ «الذين يسارعون»، و«قالوا نخشى»، و«يصبحون نادمين»، هم الذين قيل فيهم: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ فلما كانت الجملتان هكذا حسن العطف بالواو وبغير الواو.

كما أن قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ [الكهف: ٢٢]، لما كان في كل واحدة من الجملتين ذكر مما تقدم؛ اكتفي بذلك عن الواو، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]، [الأعراف: ٣٦]، [يونس: ٢٧].

ولو دخلت الواو فقيل: «وهم فيها خالدون» كان حسناً.

قال القاضي أبو محمد: ولكن براعة الفصاحة في الإيجاز، ويدل على حسن دخول الواو قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ [الكهف: ٢٢]، فحذْفُ الواو من قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ كحذفها من هذه الآية، وإلحاقُها كإلحاقها[٤] في قوله: ﴿وَثَامِنُهُمۡ﴾.

---

(١) فهذه ثلاث قراءات سبعية متواترة، انظر: التيسير (ص: ٩٩)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ٢٤٥).

(٢) علي بن نصر بن علي بن صهبان أبو الحسن الجهضمي البصري، روى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء والمعلي بن عيسى، وأبان بن يزيد العطار، وروى عنه ابنه نصر بن علي، ومحمد بن يحيى القطعي، وعطارد بن عكرمة، توفي سنة (١٨٩هـ)، غاية النهاية (١/ ٥٨٢).

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٢٢٩)، وانظر: السبعة في القراءات (١/ ٢٤٥).

(٤) ليست في المطبوع.

قال القاضي أبو محمد: وذهب كثير من المفسرين إلى أن هذا القول من المؤمنين إنما هو إذا جاء الفتح حصلت ندامة المنافقين، وفضحهم الله تعالى، فحينئذ يقول المؤمنون ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ﴾ الآية.

وتحتمل الآية أن تكون حكاية لقول المؤمنين في وقت قول الذين في قلوبهم مرض: ﴿نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞ﴾ وعند أفعالهم ما فعلوا في حكاية بني قينقاع، فظهر فيها سرهم، وفُهم منهم أن تمسكهم بهم إنما هو إرصاد لله ولرسوله، فمقتهم النبي والمؤمنون، وترك النبي ﷺ بني قينقاع لعبد الله بن أبيٍّ رغبة[1] في المصلحة والألفة، وبحكم إظهار عبد الله أن ذلك هو الرأي من نفسه، وأن الدوائر التي يخاف إنما هي ما يخرب المدينة وعلم المؤمنون، وكل فطن أن عبد الله في ذلك بخلاف ما أبدى، فصار ذلك موطناً يحسن أن يقول فيه المؤمنون: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ﴾ الآية.

وأمَّا قراءة أبي عمرو: ﴿ويقولَ﴾ بنصب اللام فلا يتجه معها أن يكون قول المؤمنين إلا عند الفتح وظهور ندامة المنافقين وفضيحتهم؛ لأن الواو عاطفة فعل على فعل مشركة في العامل، [وتوجه عطف][2]، ﴿وَيَقُولُ﴾ مطرد[3] على ثلاثة أوجه:

أحدها: على المعنى، [وذلك أن قوله: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ﴾ [المائدة: ٥٢] إنما المعنى فيه فعسى أن يأتي الله بالفتح، فعطف قوله تعالى: / ﴿وَيَقُولَ﴾ على ﴿يَأۡتِيَ﴾ اعتماداً على المعنى][4]، وإلا فلا يجوز أن يقال: عسى الله أن يقول المؤمنون. [٢/ ٣٦]

وهكذا قوله تعالى: ﴿لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾ [المنافقون: ١٠] لما كان المعنى: أخرني إلى أجل قريب أصدق، وحمل ﴿وَأَكُن﴾ على الجزم الذي يقتضيه المعنى في قوله: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾.

---

(١) في الحمزوية ذريعة.
(٢) ساقط من نجيبويه.
(٣) سقطت من لالاليه.
(٤) ساقط من الحمزوية.

والوجه الثاني: أن يكون قوله: ﴿أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ﴾ بدلاً من اسم الله عز وجل، كما أبدل من الضمير في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: ٦٣]، ثم يعطف ﴿وَيَقُولُ﴾ على ﴿أَن يَأْتِيَ﴾ لأنه حينئذ كأنك قلت عسى أن يأتي.

والوجه الثالث: أن يعطف قوله: ﴿وَيَقُولُ﴾ على: ﴿فَيُصْبِحُواْ﴾؛ إذ هو فعل منصوب بالفاء في جواب التمني؛ إذ قوله: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ﴾ تمن وترج في حق البشر، وفي هذا الوجه نظر، وكذلك عندي في منعهم جواز «عسى الله أن يقول المؤمنون» نظر؛ إذ الله تعالى يصيرهم يقولون بنصره وإظهار دينه، فينبغي أن يجوز ذلك اعتماداً على المعنى.

وقوله تعالى: ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ نصب ﴿جَهْدَ﴾ على المصدر المؤكد، والمعنى: أهؤلاء هم المقسمون باجتهاد منهم في الأيمان ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾، ثم قد ظهر الآن منهم من موالاة اليهود وخذل الشريعة ما يكذب إيمانهم.

ويحتمل قوله تعالى: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ أن يكون إخباراً من الله تعالى، ويحتمل أن يكون من قول المؤمنين على جهة الإخبار بما حصل في اعتقادهم؛ إذ رأوا المنافقين في هذه الأحوال.

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ على جهة الدعاء؛ إما من الله تعالى عليهم، وإما من المؤمنين، وحبط العمل: إذا بطل بعد أن كان حاصلاً، وقد يقال: حبط في عمل الكفار وإن كان لم يتحصل على جهة التشبيه.

وقرأ جمهور الناس: ﴿حَبِطَتْ﴾ بكسر الباء.

وقرأ أبو واقد والجراح: (حبَطت) بفتح الحاء والباء[1]، وهي لغة.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ الآية، قال فيها الحسن بن أبي الحسن ومحمد بن كعب القرظي والضحاك وقتادة: نزلت الآية خطاباً للمؤمنين

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهما في: تفسير الثعلبي (٣/ ٣٧)، وذكر الحاء زيادة من الحمزوية.

عامة إلى يوم القيامة، والإشارة بالقوم الذين يأتي الله بهم إلى أبي بكر الصديق وأصحابه، الذين قاتلوا أهل الردة، وقال هذا القول ابن جريج وغيره(١).

قال القاضي أبو محمد: ومعنى الآية عندي: أن الله وعد هذه الأمة من ارتد منها فإنه يجيء بقوم ينصرون الدين، ويغنون عن المرتدين، فكان أبو بكر وأصحابه ممن صدق فيهم الخبر في ذلك العصر، وكذلك هو عندي أمر عليٍّ مع الخوارج.

وروى أبو موسى الأشعري أنه لما نزلت هذه الآية؛ قرأها النبي ﷺ وقال: «هم قوم هذا»(٢)؛ [يعني: أبا موسى الأشعري، وقال هذا القول عياض الأشعري(٣).

وقال شريح بن عبيد(٤): لما نزلت هذه الآية قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنا وقومي هم يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا ولكنهم قوم هذا»](٥)، وأشار

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤١١-٤١٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٦٠ و١١٦١)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/ ١٠١).

(٢) الأشبه مرسل، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ١٢٣)، والطبري (١٠/ ٤١٤-٤١٥)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٥١٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٢)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٣٧١)، وغيرهم من طريق جماعة عن شعبة، عن سماك بن حرب، عن عياض ابن عمرو الأشعري أن النبي ﷺ قاله، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وعياض ذكره بعضهم في الصحابة، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم، عن أبيه: عياض الأشعري، روى عن النبي ﷺ مرسلاً ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ والحديث وقع فيه اختلاف، فروي: عن عياض أن النبي ﷺ، وهو الأكثر مرسل، وقيل: عن عياض عن أبي موسى، يراجع علل ابن أبي حاتم (١٦٥٨).

(٣) عياض بن عمرو الأشعري، سمع: أبا عبيدة، وخالد بن الوليد، وعياض بن غنم الفهري، وجماعة، روى عنه: الشعبي، وسماك بن حرب، وأحسبه نزل الكوفة، تاريخ الإسلام (٥/ ٥٠٤)، وفي الإصابة (٤/ ٦٢٩): قال ابن حبّان: له صحبة، وقال البغوي: يشك في صحبته.

(٤) هو شريح بن عبيد المقرئي أبو الصلت الحمصي، روى عن ثوبان، وفضالة بن عبيد، ومعاوية بن مالك ابن يخامر السكسكي، وطائفة، وأرسل عن أبي ذر، وأبي الدرداء، روى عنه ثور بن يزيد، وصفوان بن عمرو، وآخرون، وثقه النسائي، تاريخ الإسلام (٧/ ٣٧٩).

(٥) ساقط من لالاليه.

إلى أبي موسى[١]، وقال مجاهد[٢] ومحمد بن كعب[٣] أيضاً: الإشارة إلى أهل اليمن، وقاله شهر ابن حَوْشب[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله عندي قول واحد؛ لأن أهل اليمن هم قوم أبي موسى، ومعنى الآية على هذا القول: مخاطبة جميع من حضر عصر النبي ﷺ على معنى التنبيه لهم والعتاب والتوعد.

وقال السدي: الإشارة بالقوم إلى الأنصار.

قال القاضي أبو محمد: وهذا على أن يكون قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ خطاباً للمؤمنين الحاضرين يعم مؤمنهم ومنافقهم؛ لأن المنافقين كانوا يظهرون الإيمان، والإشارة بالارتداد إلى المنافقين، والمعنى: أن من نافق وارتدَّ؛ فإن المحققين من الأنصار يحمون الشريعة، ويسد الله بهم كل ثلم.

وقرأ أبو عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي وعاصم: ﴿يَرْتَدَّ﴾ بإدغام الدال في الدال.

وقرأ نافع وابن عامر: ﴿يرتدِدْ﴾ بترك الإدغام[٥]، وهذه لغة أهل الحجاز، مكة وما جاورها، والإدغام لغة تميم[٦].

---

(١) مرسل، أخرجه الطبري (١٠/ ٤١٦) من طريق أبي المغيرة ـ هو عبد القدوس بن الحجاج الخولاني ـ قال: حدثنا صفوان ـ هو صفوان بن عمرو بن هرم السكسكي ـ قال: حدثنا عبد الرحمن بن جبير، عن شريح بن عبيد قال: لما أنزل الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ إلى آخر الآية، قال عمر... والإسناد لا بأس به إلا أنه مرسل، شريح تابعي، وانظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤١٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٦٠)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/ ١٠١).

(٢) ساقط من الحمزوية.

(٣) وفي لالاليه: «وقال مجاهد بن كعب».

(٤) انظر أقوال هؤلاء وقول السدي الآتي في تفسير الطبري (١٠/ ٤١٧)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/ ١٠١).

(٥) فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٩٩)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٤٥)، وسقط: «وابن كثير» من الحمزوية.

(٦) انظر: الصحاح للجوهري (٣/ ١٠٩٥).

وقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ معناه: متذللين من قبل أنفسهم غير متكبرين، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وكقوله ﷺ: «المؤمن هين لين»(١).

وفي قراءة ابن مسعود: (أذلة على المؤمنين غلظاء على الكافرين)(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾: إشارة إلى الرد على المنافقين في أنهم كانوا يعتذرون بملامة الأحلاف(٣) والمعارف من الكفار، ويراعون أمرهم.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ الإشارة بذلك إلى كون القوم يحبون الله ويحبهم، وقد تقدَّم القول غير مرة في معنى محبة الله للعبد، وأنها إظهار النعم المنبئة عن رضاه عنه، وإلباسه إياها.

و﴿وَٰسِعٌ﴾ معناه: ذو سعة فيما يملك ويعطي وينعم به.

قوله عز وجل ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

الخطاب بقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية، للقوم الذين قيل لهم: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١]، و﴿إِنَّمَا﴾ في هذه الآية: حاصرة يعطي ذلك المعنى، و(وليّ) اسم جنس.

وقرأ ابن مسعود: (إنما مولاكم الله)(٤).

---

(١) سبق تخريجه في (سورة المائدة) آية رقم (٥٤).

(٢) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٣١٣)، وضبطها الثعلبي (٤/ ٧٩)، والكرماني في الشواذ (ص: ١٥٦)، بالنصب على الحال.

(٣) في الأصل والمطبوع: «الأخلاق»، وفي نور العثمانية: «الأخلاف».

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ١٦٤)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ١٦١).

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ أي: ومن آمن من الناس حقيقةً لا نفاقاً، وهم الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ المفروضة بجميع شروطها.

﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وهي هنا لفظٌ عام للزكاة المفروضة، وللتطوع بالصدقة، ولكل أفعال البر؛ إذ هي تنمية للحسنات، مطهرة للمرء من دنس الذنوب، فالمؤمنون يؤتون من ذلك كل بقدر استطاعته.

وقرأ ابن مسعود: (آمنوا والذين يقيمون)، بواو[1].

وقوله تعالى: ﴿وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾: جملة معطوفة على جملة، ومعناه: وصفهم بتكثير الصلاة، وخص الركوع بالذكر؛ لكونه من أعظم أركان الصلاة، وهو هيئة تواضع، فعبر به عن جميع الصلاة، كما قال: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥] وهي عبارة عن المصلين، وهذا قول جمهور المفسرين، ولكن اتفق أنَّ علياً بن أبي طالب أعطى صدقة وهو راكع. / [٢/ ٣٧]

قال السدي: هذه الآية في جميع المؤمنين، ولكن علياً بن أبي طالب مرَّ به سائل وهو راكع في المسجد، فأعطاه خاتمه[2].

وروي في ذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرج من بيته وقد نزلت عليه الآية، فوجد مسكيناً، فقال له: «هل أعطاك أحدٌ شيئاً؟» فقال: نعم، أعطاني ذلك الرجل الذي يصلي خاتماً من فضة، وأعطانيه وهو راكع، فنظر النبي ﷺ، فإذا الرجل الذي أشار إليه عليُّ بن أبي طالب، فقال النبي ﷺ: «الله أكبر»، وتلا هذه الآية على الناس[3].

قال القاضي أبو محمد: وقال مجاهد: نزلت الآية في علي بن أبي طالب تصدق وهو راكع[4].

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: كتاب المصاحف (ص: ١٣٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٢٥)، والهداية لمكي (٣/ ١٧٨٧).

(٣) رويت أقوال في ذلك عن السدي وعتبة بن أبي حكيم ومجاهد وغيرهم، لا تقوم بأسانيدها حجة، وهي مراسيل ومعضلات، أخرجها الطبري في تفسيره (١٠/ ٤٢٥).

(٤) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٤/ ١٠٢)، وتفسير السمعاني (٢/ ٤٧)، وتفسير الماوردي (٢/ ٤٩).

وفي هذا القول نظرٌ، والصحيح ما قدمناه من تأويل الجمهور.

وقد قيل لأبي جعفر: نزلت هذه الآية في علي، فقال: علي من المؤمنين[١].

والواو على هذا القول في قوله: ﴿وَهُمۡ﴾: واو الحال.

وقال قوم: نزلت الآية من أولها بسبب عبادة بن الصامت وتبريه من بني قينُقاع[٢].

وقال ابن الكلبي: نزلت بسبب قوم أسلموا من أهل الكتاب، فجاؤوا فقالوا: يا رسول الله، بيوتنا بعيدة، ولا متحدث لنا إلا مسجدك، وقد أقسم قومنا أن لا يخالطونا ولا يوالونا، فنزلت الآية مؤنسة لهم[٣].

ثم أخبر تعالى أن من يتولى الله ورسوله والمؤمنين؛ فإنه غالب كل من ناوأه، وجاءت العبارة عامة ﴿فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ اختصاراً؛ لأن المتولي هو من حزب الله، وحزب الله غالب، فهذا الذي تولى الله ورسوله والمؤمنين غالب، و(من) يراد بها الجنس، لا مفرد بعينه.

والحزب: الصاغية[٤] والمنتمون إلى صاحب الحزب، والمعاونون فيما يحزب، ومنه قول عائشة في حَمنة[٥]: وكانت تحازب[٦] في أمر الإفك، فهلكت فيمن هلك[٧].

---

(١) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ٤٨).

(٢) مرسل، أخرجه ابن إسحاق في السيرة (١/ ٢٩٤)، عن أبيه إسحاق بن يسار، عن عبادة بن الوليد ابن عبادة بن الصامت به.

(٣) انظر: تفسير الماوردي (٢/ ٤٨).

(٤) صاغِيَةُ الرجل: خاصته الميَّالون لاتباعه، انظر: المخصص لابن سيده (٣/ ٣٥٠).

(٥) في الحمزوية: «جهنية»، وهو خطأ، وحمنة هي بنت جحش الأسدية، أخت أم المؤمنين زينب وإخوتهما، وأمهم أميمة بنت عبد المطلب، تزوجها مصعب بن عمير، ثم طلحة بن عبيد الله، وكانت من المبايعات، وشهدت أحداً، فكانت تسقي العطشى، الإصابة (٨/ ٨٨).

(٦) في المطبوع والحمزوية: «تحارب وهو خطأ».

(٧) أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

ثم نهى الله تعالى المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، فوسمهم لهم بوسم يحمل النفوس على تجنبهم، وذلك اتخاذهم دين المؤمنين هُزُواً وَلَعِباً.

والهزء: السخرية والازدراء.

ويقرأ: ﴿هزُؤاً﴾ بضم الزاي والهمز، و﴿هزْؤاً﴾ بسكون الزاي والهمز، ويوقف عليه ﴿هزّاً﴾ بتشديد الزاي المفتوحة، و﴿هُزُوًا﴾ بضم الزاي وتنوين الواو، و(هُزاً) بزاي مفتوحة منونة[١].

ثم بين تعالى جنس هؤلاء أنهم من أهل الكتاب اليهود والنصارى.

واختلف القراء في إعراب[٢]: ﴿وَٱلۡكُفَّارَ﴾:

فقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة: ﴿وَٱلۡكُفَّارَ﴾ نصباً.

وقرأ أبو عمرو والكسائي: ﴿والكفارِ﴾ خفضاً.

وروى حسين الجعفي[٣] عن أبي عمرو النصب[٤].

قال أبو علي: حجة من قرأ بالخفض: حمل الكلام على أقرب العاملين، وهي لغة التنزيل[٥].

قال القاضي أبو محمد: ويدخل الكفار على قراءة الخفض فيمن اتخذ دين المؤمنين هزؤاً، وقد ثبت استهزاء الكفار في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾

---

(١) القراءة بسكون الزاي مع الهمز لحمزة، وبضمها مع الواو لحفص، ومع الهمز للجمهور، فكلها سبعية، وكذلك أوجه الوقف لحمزة، وقد تقدم بيان ذلك في تفسير الآية (٦٧) من سورة البقرة.

(٢) «إعراب»: ساقطة من السليمانية وفيض الله، وهي في لالاليه ملحقة في الهامش وعليها علامة: «صح».

(٣) في المطبوع: زيادة: «عن أبي هريرة»، ولعله خطأ، وحسين تقدم التعريف به في الكلام على الفاتحة.

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير في القراءات السبع (ص: ١٠٠)، وانظر رواية الجعفي في السبعة (ص: ٢٤٥).

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٢٣٤).

[الحجر: ٩٥]، وثبت استهزاء أهل الكتاب في لفظ هذه الآية، وثبت استهزاء المنافقين في قولهم لشياطينهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤].

ومن قرأ: ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ بالنصب، حمل على الفعل الذي هو: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾، ويخرج الكفار من أن يتضمن لفظ هذه الآية استهزاءهم(١).

وقرأ أبيٌّ بن كعب: (ومن الكفار) بزيادة (من)(٢)، فهذه تؤيد قراءة الخفض.

وكذلك في قراءة ابن مسعود: (من قبلكم من الذين أشركوا)(٣).

وفرقت الآية بين الكفار، وبين الذين أوتوا الكتاب من حيث الغالب في اسم الكفار أن يقع على المشركين بالله إشراك عبادة أوثان؛ لأنهم أبعد شأواً في الكفر، وقد قال تعالى: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣]، ففرق بينهم إرادة البيان، والجمع كفر(٤).

وكان هذا لأن عباد الأوثان هم كفار من كل جهة، وهذه الفرق تلحق بهم في حكم الكفر، وتخالفهم في رتب، فأهل الكتاب يؤمنون بالله وببعض الأنبياء، والمنافقون يؤمنون بألسنتهم، ثم أمر تعالى بتقواه، ونبَّه النفوس بقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أي: حق مؤمنين.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ﴾ الآية إنحاء على اليهود، وتبيين لسوء فعلهم؛ فإنهم كانوا إذا سمعوا قيام المؤمنين إلى الصلاة قال بعضهم لبعض: قد قاموا لا قاموا، إلى غير هذا

(١) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٢٣٦).
(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٣٩)، وتفسير الطبري (١٠/ ٤٣١).
(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٣٩).
(٤) في المطبوع ونجيبويه: «والجميع كفار».

من الألفاظ التي يستخفون بها في وقت الأذان وغيره، وكل ما ذكر من ذلك فهو مثال.

وقد ذكر السدي أنه كان رجل من النصارى بالمدينة، فكان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: حرق الله الكاذب، فما زال كذلك حتى سقط مصباحٌ في بيته ليلة فأحرقه، واحترق النصراني، لعنه الله(١).

ثم ذكر تعالى أن فعلهم هذا إنما هو لعدم عقولهم، وإنما عدموها إذ لم تتصرف كما ينبغي بها، فكأنها لم توجد.

ثم أمر تعالى نبيه ﷺ أن يقول لأهل الكتاب: ﴿هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ ومعناه: هل تعدون علينا ذنباً أو نقيصةً، يقال: نقَم ـ بفتح القاف ـ ينقم بكسرها، وعلى هذه اللغة [قراءة الجمهور.

ويقال: نقِم ـ بكسر القاف ـ ينقم بفتحها، وعلى هذه اللغة](٢) قرأ أبو حَيوة وابن أبي عبلة وأبو البرهسم(٣) والنخعي(٤).

وهذه الآية من المحاورة البليغة الوجيزة، ومثلها قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ [البروج: ٨].

ونظير هذا الغرض في الاستثناء قول النابغة:

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص: ١٣٤)، وتفسير الطبري (١٠/ ٤٣٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٦٤).

(٢) ساقط من الحمزوية.

(٣) في السليمانية وفيض الله: «البرهشم»، وفي نجيبويه: «أبو إبراهيم»، والمثبت هو الصواب، واسمه عمران ابن عثمان الزبيدي الشامي صاحب القراءة الشاذة، روى الحروف عن يزيد بن قطيب السكوني، روى عنه شريح بن يزيد، غاية النهاية (١/ ٦٠٤).

(٤) وهي قراءة شاذة، تابعه في عزوها لهم في البحر المحيط (٤/ ٣٠٤)، وعزاها لإبراهيم منهم خاصة الكرماني في الشواذ (ص: ١٥٥)، وزاد يحيى، وعزاها في الكامل (ص: ٥٣٥) للحسن، والأعمش في رواية الضبي، وفي مختصر الشواذ (ص: ٣٩): ليحيى والأعمش.

[الطويل] وَلَا عَيْـبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُـيُوفَهُمْ   بِهِـنَّ فُلُولٌ مِنْ قِـرَاعِ الْكَتَائِبِ[١]

وقرأ الجمهور: ﴿أُنزِلَ﴾ بضم الهمزة، وكذلك في الثاني.

وقرأ أبو نهيك: (أنزَل) بفتح الهمزة والزاي فيهما[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ هو عند أكثر المتأولين معطوف على قوله: ﴿أَنْ ءَامَنَّا﴾، فيدخل كونهم فاسقين فيما نقموه، وهذا لا يتجه معناه.

وروي عن الحسن بن أبي الحسن أنه قال في ذلك: بفسقهم نقموا / علينا الإيمان[٣]. [٢/ ٣٨]

قال القاضي أبو محمد: وهذا الكلام صحيح في نفسه، لكنه غير مغن في تقويم معنى الألفاظ، وإنما يتجه على أن يكون معنى المحاورة: هل تنقمون منا إلا عموم[٤] هذه الحال من إنا مؤمنون وأنتم فاسقون، ويكون: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ مما قرره المخاطب لهم، وهذا كما تقول لمن تخاصمه: هل تنقم علي إلا أن صدقت أنا وكذبت أنت؟! وهو لا يقر بأنه كاذب ولا ينقم ذلك، لكن معنى كلامك: هل تنقم إلا مجموع هذه الحال؟

وقال بعض المتأولين قوله: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ﴾: معطوف على ﴿وَمَآ﴾، كأنه قال: إلا أنْ آمنَّا بالله وبكتبه وبأن أكثركم.

قال القاضي أبو محمد: وهذا مستقيم المعنى؛ لأن إيمان المؤمنين بأن أهل الكتاب المستمرين على الكفر بمحمد فسقة هو مما ينقمونه، وذكر تعالى الأكثر منهم من حيث فيهم من آمن واهتدى.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ قرأ الجمهور بفتح النون وشد الباء.

---

(١) هو الذبياني انظر عزوه له في: الكتاب لسيبويه (٢/ ٣٢٦)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٥)، والعين (٨/ ٣١٦)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٣٤).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها له في: الشواذ للكرماني (ص: ١٥٦)، وزاد نعيم بن ميسرة.

(٣) انظر عزوها له في: الكشاف للزمخشري (١/ ٦٥١).

(٤) في السليمانية وفيض الله ونجيبويه ولالاليه: «مجموع».

وقرأ ابن وثاب والنخعي: (أَنْبِئكم) بسكون النون وتخفيف الباء[١]، من: أنبأ.

وقرأ أكثر الناس: ﴿مَثُوبَةً﴾ بضم الثاء وسكون الواو.

وقرأ ابن بريدة والأعرج ونبيح وابن عمران: (مَثْوَبة) بسكون الثاء وفتح الواو[٢].

وقال أبو الفتح: هذا مما خرج عن أصله شاذّاً عن نظائره، ومثله قول العرب: الفاكهة مقودة إلى الأذى، بسكون القاف وفتح الواو، والقياس: مثابة ومقادة، وأما مثوبة بضم الثاء فأصلها: مثوبة وزنها مفعلة، بضم العين، نقلت حركة الواو إلى الثاء، وكانت قبل: مثوبة، مثل: مقولة، والمعنى في القراءتين مرجعاً عند الله؛ أي: في الحشر يوم القيامة، تقول العرب: ثاب يثوب إذا رجع، منه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥].

ومشى المفسرون في هذه الآية على أن الذين أمر أن يقول لهم: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ هم اليهود والكفار المتخذون ديننا هزؤاً ولعباً، قال ذلك الطبري، وتوبع عليه[٣]، ولم يسند في ذلك إلى متقدم شيئاً.

والآية تحتمل أن يكون القول للمؤمنين؛ أي: قل يا محمد للمؤمنين: هل أنبئكم بشرٍّ من حال هؤلاء الفاسقين في وقت الرجوع إلى الله، أولئك أسلافهم الذين لعنهم الله، وغضب عليهم، فتكون الإشارة بذلك إلى حالهم من كون أكثرهم فاسقين.

وتحتمل الآية أن يكون القول للحاضرين من بني إسرائيل، وتكون الإشارة بذلك إلى حال الحاضرين من كون أكثرهم فاسقين، ويكون قوله: (شَرٌّ) و(أَضَلُّ) صفتي تفضيل بين شيئين لهما اشتراك في الشر والضلال.

وتحتمل الآية أن يكون القول للحاضرين من بني إسرائيل والإشارة بذلك إلى إيمان المؤمنين وجميع حالهم، ويوجه التفضيل بـ(شَرٌّ) و(أَضَلُّ) على أن الاشتراك في الشر والضلال هو في معتقد اليهود، فأما في الحقيقة فلا شرَّ ولا ضلال عند المؤمنين،

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ١٥٦).

(٢) وهي قراءة شاذة انظر: المحتسب لابن جني (١/ ٢١٣) مع التوجيه، و«نبيح» ساقط من الحمزوية، وابن عمران هو الحسن، تقدم.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٤٣)، وتابعه مكي في الهداية (٣/ ١٧٩٣).

ولا شركة لهم في ذلك مع اليهود والكفار، ويكون على هذا الاحتمال قوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ الآية، يراد به جميع بني إسرائيل الأسلاف والأخلاف؛ لأن الخلف يذم ويعير بمذمات السلف إذا كان الخلف غير مراجع ولا ذام لما كان عليه سلفه، فهو في حكمه.

وفي قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود: (من غضب الله عليهم وجعلهم قردة وخنازير)[١].

واللعنة: الإبعاد عن الخير.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ﴾ هي بمعنى: صيَّر.

وقال أبو علي في كتاب الحجة: هي بمعنى خلق[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذه منه ـ رحمه الله ـ نزعةٌ اعتزاليةٌ؛ لأن قوله: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ تقديره: ومن عبد الطاغوت، والمعتزلة لا ترى أن الله يصير أحداً عابد الطاغوت.

وقد تقدَّم قصص مسخهم قردة في سورة البقرة، وأما مسخهم خنازير؛ فروي أن ذلك بسبب امرأة كانت مؤمنةً من بني إسرائيل وكفر ملك منهم في مدينة من مدنهم وكفر معه أهل مملكته، فدعت المرأةُ قوماً إلى نصرة الدين فأجابوها فخرجت بهم فهزموا، ثم فعلت ذلك ثانية وثالثة، في كل مرة يهزم جمعُها، فيئست وباتت مهمومةً، فلمَّا أصبح رأت أهلَ تلك المدينة يسعون في نواحيها خنازير، فقالت: الآن أعلم أن الله أعز دينه وآثر دينه، قال عمر بن كثير بن أفلح[٣] مولى أبي أيوب الأنصاري: ما كان مسخ بني إسرائيل خنازير إلا على يدي تلك المرأة[٤].

---

(١) وهي قراءة شاذة، تابعه عليها السمين في الدر المصون (٤/ ٣٢٧).

(٢) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٢٣٦).

(٣) هو عمر بن كثير بن أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري، عن: ابن عمر، وسفينة، وابن سفينة، ونافع مولى أبي قتادة، وعنه: يحيى بن سعيد الأنصاري، وأخوه سعد بن سعيد، وابن عون، قال النسائي: ثقة، تاريخ الإسلام (٧/ ٢٠٦)، وفي نجيبويه: «محمد بن كثير».

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٣٨)، ولفظة: «خنازير»، زيادة من السليمانية وفيض الله ونجيبويه.

وقوله تعالى: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ تقديره: ومن عبد الطاغوت، وذلك عطف على قوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾، أو معمول لـ﴿وَجَعَلَ﴾ وفي هذا يقول أبو علي: إن (جَعَلَ) بمعنى: خلق.

واختلفت القراءة في هذا الحرف:

فقرأ حمزة وحده: ﴿وعَبُد الطاغوتِ﴾ بفتح العين وضم الباء وكسر التاء من ﴿الطاغوتِ﴾[١].

وذلك أن «عبُد» لفظ مبالغة كيقظ وندس، فهو لفظ مفرد يراد به الجنس، وبني بناء الصفات؛ لأن «عبداً» في الأصل صفة وإن كان استعمل استعمال الأسماء، وذلك لا يخرجه عن حكم الصفة؛ فلذلك لم يمتنع أن يبنى منه بناء الصفات، وقرأ بهذه القراءة الأعمش ويحيى بن وثاب[٢]، ومنه قول الشاعر:

أَبَــنِــي لُــبَــيْــنَــى إِنَّ أُمَّــكُــمُ أَمَــةٌ وَإِنَّ أَبَــاكُــمُ عَــبُــدُ[٣] [الكامل]

ذكره الطبري وغيره بضم الباء[٤].

وقرأ الباقون: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ بفتح العين والباء على الفعل الماضي، وإعماله في ﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾ وقد تقدم ذكره.

وقرأ أبي بن كعب: (عَبَـدوا الطاغوت)، على إسناد الفعل الماضي إلى ضمير جمع[٥].

---

(١) وهي سبعية، انظر: التيسير فى القراءات السبع (ص: ١٠٠)، وما عداها وعدا قراءة الجمهور فهو شاذ.

(٢) انظر: تفسير الثعلبي (٤/ ٨٥).

(٣) البيت لأوس بن حجر كما في تهذيب اللغة (٢/ ١٣٩)، والصحاح للجوهري (٢/ ٥٠٣).

(٤) في تفسير الطبري (١٠/ ٤٣٩).

(٥) أورد المؤلف هنا ست عشرة قراءة شاذة، وهذه الأولى منها، وهي في المحتسب لابن جني (١/ ٢١٥)، ومختصر الشواذ (ص: ٤٠).

وقرأ ابن مسعود فيما روى عبد الغفار[١] عن علقمة عنه: (وعَبُد الطاغوتُ) بفتح العين وضم الباء ورفع التاء من (الطاغوت)[٢]، وذلك على أن يصير له أن (عبُد) كالخلق والأمر المعتاد المعروف، فهي في معنى: فقُه وشرُف وظرُف.

وقرأ ابن عباس وإبراهيم بن أبي عبلة: (وعَبَد الطاغوتِ) بفتح العين والباء وكسر التاء من (الطاغوت)[٣]، وذلك على أن المراد: عبدة الطاغوت، وحذفت الهاء تخفيفاً، ومثله قول الراجز:

[الرجز] قَـامَ وُلَاهَـا فَسَـقَوْهَا صَرْخَدَا[٤] ....

أراد: وُلاتها، فحذف تخفيفاً.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن في رواية عبَّاد[٥] عنه: (وعَبْد الطاغوتِ) بفتح العين
[٢/ ٣٩] وسكون الباء وكسر التاء[٦] من (الطاغوت) وهذا يتجه[٧] على أنه اسم جنس / مفرد يراد به جميع.

وروي عن الحسن من غير طريق عباد أنه قرأ بفتح العين والدال وسكون الباء ونصب التاء من (الطاغوتَ)، وهذه تتجه على وجهين:

---

(١) ترجم في غاية النهاية (١/ ٣٩٧)، لأربعة ممن اسمه عبد الغفار من القراء، ولم يذكر لأحد منهم رواية عن علقمة.
(٢) وهذه الثانية انظرها في المحتسب لابن جني (١/ ٢١٥).
(٣) وهذه الثالثة، انظر عزوها لابن عباس في الشواذ للكرماني (ص: ١٥٦).
(٤) البيت بلا نسبة في تفسير الطبري (١٠/ ٤٤١)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٣١٤).
(٥) ذكر في غاية النهاية (١/ ٣٥٢) ممن اسمه عباد ممن روى عن الحسن: عباد بن تميم بن غزية المازني، أسند الهذلي قراءة الحسن من طريقه، وذكر أن هاشماً البربري قرأ عليه ووهم في ذلك كله، وعباد بن راشد البزاز، ذكر الهذلي أنه قرأ على الحسن وذلك ممكن.
(٦) الرابعة، انظرها في إتحاف فضلاء البشر (١/ ٢٥٥)، ومختصر الشواذ (ص: ٣٩)، والوجه الثاني له موافق للجمهور.
(٧) زيادة من السليمانية.

أحدهما: أنه أراد: وعبدا الطاغوت، فحذف التنوين، كما حذف في قول الشاعر:

[وَلا ذَاكَـرِ اللهِ إِلَّا قَـلِـيـلا[1] .... [المتقارب]

والوجه الآخر: أن يريد: عَبَدَ، الذي هو فعل ماض، وسكن الباء على نحو ما هي في عين الفعل مسكنة في قول الشاعر][2]:

وَمَا كُلُّ مَغْبُونٍ وَلَوْ سَلْفَ صَفْقُهُ[3] .... [الطويل]

فإن اللام من «سلْف» مسكنة، ونحو هذا قراءة أبي السمَّال: (ولعْنوا بما قالوا) [المائدة: ٦٤] بسكون العين[4]، فهذه قراءاتٌ العَينُ فيها مفتوحة.

وقرأ أبو واقد الأعرابي في رواية العباس بن الفضل[5] عنه: (وعُبّادَ الطاغوتِ) بضم العين وشد الباء المفتوحة وألف بعدها وفتح الدال، وكسر التاء من (الطاغوت)[6] وذلك جمع: عابد.

وقرأ عون العقيلي[7] فيما روى عنه العباس بن الفضل أيضاً: (وعابدُ الطاغوتِ)

---

(١) البيت لأبي الأسود الدؤلي كما تقدم في تفسير الآية (١٦٨) من (سورة البقرة).

(٢) ساقط من الحمزوية.

(٣) عجزه: بِرَاجِعِ ما قد فَاتَهُ بِرَدَادِ، وهو للأخطل كما في أدب الكاتب (ص: ٥٣٨)، والمحكم (٩/ ٢٦٧)، والمنصف (١/ ٢١).

(٤) وسيأتي الكلام عليها، وقد تقدم مثلها مراراً.

(٥) هو العباس بن الفضل بن عمرو أبو الفضل الواقفي الأنصاري البصري، قاضي الموصل، أستاذ حاذق ثقة، من أكابر أصحاب أبي عمرو، وله اختيار في القراءة، كان عظيم القدر، جليل المنزلة في العلم والدين الورع ومقدماً، وتوفي سنة (١٨٦هـ)، غاية النهاية (١/ ٣٥٣).

(٦) الخامسة انظرها في المحتسب (١/ ٢١٤).

(٧) هو عون بن أبي شداد العقيلي ويقال: العبدي البصري أبو معمر، عن أنس بن مالك وهرم بن حيان ومطرف بن الشخير وأبي عثمان النهدي وجماعة، وعنه عبيس بن ميمون ونوح بن قيس وهشام الدستوائي وطائفة، وثقه ابن معين وغيره، تاريخ الإسلام (٨/ ١٩٧).

على وزن: فاعل، والدال مرفوعة[١]، قال أبو عمرو[٢]: تقديره: وهم عابد الطاغوت.

قال القاضي أبو محمد: فهو اسم جنس.

وروى عكرمة عن ابن عباس: (وعابِدو الطاغوتِ) بضمير جمع[٣]، وقد قال بعض الرواة في هذه الأخيرة: إنها تجويز لا قراءة.

وقرأ ابن بريدة: (وعَابِدَ الطاغوتِ) بفتح العين والدال وكسر الباء والتاء[٤].

وقرأ بعض البصريين: (وعِبادَ الطاغوتِ) بكسر العين وفتح الباء والدال وألف بينهما وكسر التاء[٥]، قال أبو الفتح: فيحتمل أن يكون ذلك جمع: عابد، كقائم وقيام، وصائم وصيام، وقد يجوز أن يكون جمع عبد، وقل ما يأتي: (عباد) مضافاً إلى غير الله، وأنشد سيبويه:

[الوافر] أَتُوعِدُنِـي بِقَوْمِـكَ يَا ابْـنَ حَجْلٍ أُشَـابَـاتٍ يُخَالُـونَ الْعِبَـادَا[٦]

قال أبو الفتح: يريد: عباد آدم[٧] عليه السلام، ولو أراد: عباد الله؛ فليس ذلك شيء يسب به أحد، وجميع الخلق عباد الله.

قال القاضي أبو محمد: وهذا التعليق بآدم ﷺ شاذٌّ بعيد، والاعتراض فيه باق،

---

(١) السادسة انظرها في تفسير الثعلبي (٤/ ٨٥)، والمحتسب (١/ ٢١٤).

(٢) في السليمانية: «أبو علي»، وأشار للنسخة الأخرى في الهامش، والمثبت هو الموافق لما في البحر المحيط (٤/ ٣٠٨).

(٣) السابعة انظرها في اللباب لابن عادل (٧/ ٤١٨).

(٤) الثامنة، انظرها في المحتسب (١/ ٢١٤).

(٥) التاسعة انظرها مع توجيهها في المحتسب (١/ ٢١٤).

(٦) البيت لشقيق بن جزء الباهلي في الحماسة البصرية (١/ ١٠٣)، وفرحة الأديب للأسود الغندجاني (ص: ٤٧-٤٩)، وبلا نسبة في كتاب سيبويه (١/ ٣٠٤)، والمحتسب (١/ ٢١٥)، والتبصرة (ص: ٢٦٠)، والجمل في النحو (ص: ١٧٠).

(٧) كذا في النسخ، ولفظ ابن جني في المحتسب (١/ ٢١٦): يريد: عبيداً لبني آدم، ولعل الشيخ لو نقله كما هو لم يحتج للاعتراض.

وليس هذا مما يتخيل أن [الشاعر قصده، وإنما أراد: العبيد، فساقته القافية إلى العباد؛ إذ قد يقال ذلك لمن تملك ملكة ما، وقد ذكر أن][1] عرب الحيرة من العراق إنما سمّوا العباد؛ لأنهم دخلوا في طاعة كسرى، فدانتهم مملكته.

وذكر الطبري عن بريدة الأسلمي[2] أنه كان يقرأ: (وعابِدَ الشيطان) بفتح العين والدال وكسر الباء وألف قبلها وذكر الشيطان بدل: الطاغوت[3]، فهذه قراءات فيها ألف.

وقرأ ابن عباس فيما روى عنه عكرمة، وقرأها مجاهد ويحيى ابن وثاب: (وعُبُدَ الطاغوتِ) بضم العين والباء وفتح الدال وكسر التاء[4]، وذلك جمع: عبد، كرهن ورهن، وسقف وسقف، وقال أحمد بن يحيى ثعلب: هو جمع: عابد، كشارف وشرف[5]، ومنه قول القينة:

أَلَا يَا حَمْزُ لِلشُّرُفِ النِّوَاءِ وَهُنَّ مُعقَّلاتٌ بِالْفِنَاءِ[6] [الوافر]

وقال أبو الحسن الأخفش: هو جمع عبيد[7]، وأنشد:

انسُبِ العبدَ إلى آبائِهِ أسودَ الجلدةِ من قومٍ عُبُدْ[8] [الرمل]

---

(١) ساقط من نجيبويه.

(٢) بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي، غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة، وأخباره كثيرة ومناقبه مشهورة، وكان غزا خراسان في زمن عثمان، ثم تحوَّل إلى مرو فسكنها إلى أن مات في خلافة يزيد، سنة (٦٣هـ)، الإصابة (١/ ٤١٨).

(٣) العاشرة، انظرها في تفسير الطبري (١٠/ ٤٤١).

(٤) الحادية عشرة، انظر عزوها لابن عباس في مختصر الشواذ (ص: ٤٠)، ولآخرين في المحتسب (١/ ٢١٤).

(٥) نقله في البحر المحيط (٤/ ٣٠٧)، وانظر المحتسب (١/ ٢١٥).

(٦) البيت لعبد الله بن السائب المخزومي، كما في تاريخ دمشق (٥٥/ ١٠٣)، والقصة في صحيح البخاري (٣/ ١١٤)، وصحيح مسلم (٣/ ١٥٦٨).

(٧) نقله عنه في البحر المحيط (٤/ ٣٠٧)، وانظر المحتسب (١/ ٢١٥).

(٨) البيت بلا نسبة في الكشف والبيان (٤/ ٨٥)، والصحاح في اللغة للجوهري (٢/ ٥٠٣).

وقرأ الأعمش وغيره: (وعُبَّدَ الطاغوتِ)، بضم العين وشد الباء المفتوحة وفتح الدال وكسر التاء[١]، وذلك على جمع: عابد، كضارب وضرب.

وقرأ إبراهيم النخعي وأبو جعفر بن القعقاع والأعمش في رواية هارون: (وعُبِدَ الطاغوتُ) بضم العين وكسر الباء وفتح الدال وضم التاء[٢]، كما تقول: ضُرب زيد، وضعّف الطبري هذه القراءة، وهي متجهة.

وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ: (وعُبِدت الطاغوتُ)[٣] كما تقول ضربت المرأة.

وروى علقمة عن عبدالله بن مسعود: (وعُبَدَ الطاغوتِ) بضم العين وفتح الباء والدال وكسر التاء[٤]، وهذا أيضاً بناء مبالغة، اسم مفرد يراد به هنا الجمع بُنِي كحُطَم ولبد.

وروى عكرمة عن ابن عباس: (وعُبَّدَ الطاغوتَ)، على وزن: فُعَّل، بضم الفاء وشد العين المفتوحة وفتح اللام ونصب التاء[٥]، وهذه تتخرج على أنه أراد: وعبداً منوناً ثم حذف التنوين للالتقاء، كما قال: ولا ذاكر الله[٦]، وقد تقدم نظيره.

و«الطَّاغُوت»: كل ما عبد من دون الله من وثن، أو آدمي يرضى ذلك، أو شيطان، وقد استوعبت تفسيره في سورة البقرة.

---

(١) الثانية عشرة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٣٩).

(٢) الثالثة عشرة انظر عزوها للنخعي في مختصر الشواذ (ص: ٣٩)، ولأبي جعفر النحوي في تفسير الطبري (١٠/ ٤٤٠)، وضعفها، وسماه في الشواذ للكرماني (ص: ١٥٧): محمد بن الحسن بن أبي سارة الرواسي، وانظر تفسير الثعلبي (٤/ ٨٥).

(٣) الرابعة عشرة، انظرها في معاني القرآن للنحاس (٢/ ٣٢٩).

(٤) الخامسة عشرة انظرها في المحتسب (١/ ٢١٥).

(٥) السادسة عشرة انظرها في المحتسب (١/ ٢١٤).

(٦) إشارة إلى البيت المتقدم قريباً.

و﴿مَّكَانًا﴾[(١)] يحتمل أن يريد: في الآخرة، فالمكان على وجهه، أي: المحل؛ إذ محلهم جهنم، وأن يريد: في الدنيا، فهي استعارة للمكانة والحالة.

و﴿سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾: وسطه، ومنه: قول العرب[(٢)]: قمت حتى انقطع سوائي[(٣)]، ومنه قوله تعالى: ﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]، وخط الاستقامة في السبل إنما هو متمكن غاية التمكن في الأوساط، فلذلك خص السواء بالذكر، ومن لفظ السواء قيل خط الاستواء.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

الضمير في ﴿جَآءُوكُمْ﴾: لليهود المعاصرين لمحمد ﷺ، وخاصة للمنافقين منهم، نص على ذلك ابن عباس وقتادة والسدي[(٤)].

ثم أخبر تعالى عنهم أنهم دخلوا وهم كفار، وخرجوا كذلك، لم تنفعهم الموعظة، ولا نفع فيهم التذكير، وقوله: ﴿وَهُمْ﴾ تخليص من احتمال العبارة[(٥)] أن يدخل قوم بالكفر ثم يؤمنوا، ويخرج قوم وهم كفرة، فكان ينطبق على الجميع وقد دخلوا بالكفر

---

(١) في المطبوع: «كان».
(٢) في الحمزوية: «العربي».
(٣) وهو من كلام عيسى بن عمر الثقفي كما تقدم قريباً.
(٤) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٤٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٦٥).
(٥) في المطبوع: «العبادة».

وقد خرجوا به، فأزال الاحتمال قوله تعالى: ﴿وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾؛ أي: هم بأعيانهم، ثم فضحهم تعالى بقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ﴾؛ أي: من الكفر.

وقوله تعالى لنبيه: ﴿وَتَرَىٰ﴾ يحتمل أن يكون من رؤية البصر، ويحتمل من رؤية القلب، ويكون / المفعول[1] الثاني: ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾، وعلى الاحتمال الأول ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾: حال. [٢/ ٤٠]

و﴿فِي ٱلۡإِثۡمِ﴾ معناه: في موجبات الإثم؛ إذ الإثم إنما هو الحكم اللاحق[2] المعلق بصاحب المعصية والنسبة التي يصير إليها إذا وقع الذنب، وهو من هؤلاء كفرهم.

و(العدوان) مصدر من: عدا الرجل: إذا ظلم وتجاوز الحد، والسُّحْت: هو الرشا وسائر مكسبهم الخبيث، واللام في ﴿لَبِئۡسَ﴾: لام قسم.

وقرأ أبو حَيوة: (والعِدوان) بكسر العين[3].

وقوله تعالى: ﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾ تخصيص في ضمنه توبيخ لهم إذ تركوا اللازم، قال الطبري: وكان العلماء[4] يقولون: ما في القرآن آية هي أشد توبيخاً للعلماء من هذه الآية، ولا أخوف [عليهم منها[5].

وقال الضحاك بن مزاحم: ما في القرآن آية أخوف][6] عندي منها، [أنا لا ننهى][7]، وقال نحو هذا ابن عباس[8].

---

(١) في الحمزوية: «القول».

(٢) زيادة من السليمانية وفيض الله.

(٣) الشواذ للكرماني (ص: ٦٨)، في موضع (البقرة).

(٤) في المطبوع: «كل العلماء».

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٤٩).

(٦) ساقط من الحمزوية، وفي نور العثمانية: «كثيرة».

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٤٩)، والكشاف للزمخشري (١/ ٦٨٧)، وفي الحمزوية: «إلا أنا لا ننتهي»، وليست في المصادر، وفي المطبوع: «إنا لا ننهي»، والتصويب من تفسير الطبري.

(٨) منقطع، أخرجه الطبري (١٠/ ٤٤٩) من طريق خالد بن دينار، عن ابن عباس، ولم يدركه، يروي عنه بواسطة أو واسطتين.

وقرأ الجراح وأبو واقد: (الرِّبانيون) بكسر الراء[١]، واحدهم: ربي، إما منسوب إلى علم الرب، وإما من تربية الناس بصغار العلم قبل كباره، وزيدت النون في نسبته مبالغة، كشعراني، ومنظراني، ومخبراني.

وقال الحسن: الرباني: عالم الإنجيل، والحبر: عالم التوراة[٢].

قال القاضي أبو محمد: وقوله في الرباني شاذٌّ بعيدٌ.

و(الأحبار) واحدهم: حبر بكسر الحاء وفتحها، وهم العلماء الذين لا يعنون لإصلاح الناس ولا يكلفون ذلك، والرباني: هو العالم المدبر المصلح.

وقوله تعالى: ﴿عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ﴾ ظاهر أن ﴿ٱلۡإِثۡمَ﴾ هنا يراد به الكفر، ويحتمل أن يراد به سائر أقوالهم المنكرة في النبي ﷺ والمؤمنين.

وقرأ ابن عباس: (بئس ما كانوا يصنعون) بغير لام قسم[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ هذه الآية تعديد كبيرة[٤] من أقوالهم وكفرهم؛ أي: فمن يقول هذه العظيمة[٥] فلا يستنكر عليه أن ينافق عليك يا محمد، ويسعى في رد أمر الله الذي أوحاه إليك.

وقال ابن عباس، وجماعة من المتأولين: معنى قولهم التبخيل، وذلك أنهم لحقتهم سنة وجهد، فقالوا هذه العبارة، يعنون بها أن الله بخل عليهم بالرزق والتوسعة،

---

(١) وهي شاذة، تابعه في البحر المحيط (٤/ ٣١٢)، والصواب: الربيون عزاها لهما تفسير الثعلبي (٤/ ٨٦)، ومختصر الشواذ (ص: ٤٠)، وجعلهما الكرماني في الشواذ (ص: ١١٥٨)، وجهين، وفي الحمزوية وفيض الله: «الحجاج»، بدل: «الجراح».

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٤/ ١٠٤)، وروى عنه الطبري (١٠/ ٣٤٣): الربانيون والأحبار: الفقهاء والعلماء.

(٣) وهي قراءة شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٤/ ٣١٢).

(٤) في الحمزوية: «كثير».

(٥) في الحمزوية زيادة: «الكبيرة».

وهذا المعنى يشبه ما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩]، فإنما المراد: لا تبخل، ومنه قول النبي ﷺ: «مثل البخيل والمتصدق»، الحديث[١].

وذكر الطبري والنقاش: أن هذه الآية نزلت في فنحاص اليهودي وأنه قالها[٢].

وقال الحسن بن أبي الحسن: قولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ إنما يريدون عن عذابهم[٣]، فهي على هذا في معنى قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨].

وقال السدي: أرادوا بذلك أن يده مغلولة حتى يرد علينا ملكنا[٤].

قال القاضي أبو محمد: فكأنهم عَنَوا أن قوته تعالى نقصت حتى غلبوا على ملكهم، وظاهر مذهب اليهود ـ لعنهم الله ـ في هذه المقالة التجسيم، وكذلك يعطي كثير من أقوالهم.

وقوله تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ دعاء عليهم، ويحتمل أن يكون خبراً، ويصح على كلا الاحتمالين أن يكون ذلك في الدنيا، وأن يراد به الآخرة.

وإذا كان خبراً عن الدنيا، فالمعنى: غلت أيديهم عن الخير، والإنفاق في سبيل الله، ونحوه.

وإذا كان خبراً عن الآخرة، فالمعنى: غلت في نار جهنم؛ أي: حتم هذا عليهم، ونفذ به القضاء كما حتمت عليهم اللعنة بقولهم هذا وبما جرى مجراه.

وقرأ أبو السمال: (ولعْنوا) بسكون العين[٥]، وذلك قصد للتخفيف، لا سيما هنا الهبوط من ضمة إلى كسرة.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٩١٧)، ومسلم (١٠٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٤٤٣) عن السدي وغيره.

(٣) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٤/ ١٠٥)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٨٨)، وتفسير الماوردي (٢/ ٥١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٥٣).

(٥) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الكشاف (١/ ٦٨٩)، والشواذ للكرماني (ص: ١٥٨).

وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ العقيدة في هذا المعنى: نفي التشبيه عن الله تعالى، وأنه ليس بجسم، ولا له[1] جارحة، ولا يشبه، ولا يكيف، ولا يتحيز في جهة كالجواهر، ولا تحله الحوادث، تعالى عما يقول المبطلون.

ثم اختلف العلماء فيما ينبغي أن يعتقد في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ﴾، وفي قوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، و﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١]، و﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، و﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، و﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] ونحو هذا:

فقال فريق من العلماء منهم الشعبي وابن المسيب وسفيان: يؤمن بهذه الأشياء، وتقرأ كما نصها الله، ولا يُعَن لتفسيرها ولا يشقق النظر فيها[2].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول يضطرب؛ لأن القائلين به يجمعون على أنها ليست على ظاهرها في كلام العرب، فإذا فعلوا هذا فقد نظروا، وصار السكوت عن الأمر بعد هذا مما[3] يوهم العوام، ويُتِيه الجهلة.

وقال جمهور الأمة: بل تفسر هذه الأمور على قوانين اللغة، ومجاز الاستعارة، وغير ذلك من أفانين كلام العرب، فقالوا في العين والأعين: إنها عبارة عن العلم والإدراك، كما يقال: فلان من فلان بمرأى ومسمع: إذا كان يُعنَى بأموره وإن كان غائباً عنه، وقالوا في الوجه: إنه عبارة عن الذات وصفاتها، وقالوا في اليد واليدين والأيدي: إنها تأتي مرة بمعنى القدرة كما تقول العرب: لا يد لي بكذا، ومرة بمعنى النعمة، كما يقال: لفلان عند فلان يد، وتكون بمعنى الملك، كما يقال: يد فلان على أرضه، وهذه المعاني إذا وردت عن الله تبارك وتعالى عبر عنها باليد، أو الأيدي أو اليدين استعمالاً

---

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) لم أجد نقله عنهم صريحاً، وسيأتي الكلام على مثله عند: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

(٣) سقطت من نجيبويه، وفي المطبوع: «ما».

لفصاحة العرب، ولما في ذلك من الإيجاز، وهذا مذهب أبي المعالي والحذَّاق[١].

وقال قوم من العلماء، منهم القاضي ابن الطيب: هذه كلها صفات زائدة على الذات، ثابتة لله دون أن يكون في ذلك تشبيه ولا تحديد[٢]، وذكر هذا الطبري وغيره[٣].

وقال ابن عباس في هذه الآية: ﴿يَدَاهُ﴾: نعمتاه[٤]، ثم اختلفت عبارة الناس في تعيين النعمتين:

فقيل: نعمة الدنيا، ونعمة الآخرة، وقيل: النعمة الظاهرة، والنعمة الباطنة، وقيل: نعمة المطر، ونعمة النبات.

قال القاضي أبو محمد: والظاهر أن قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ عبارة عن إنعامه على الجملة، وعبر عنه بيدين، جرياً على طريقة العرب في قولهم: فلان ينفق بكلتا يديه، ومنه قول الشاعر وهو الأعشى:

[الطويل] يَـدَاكَ يَـدَا مَجْـدٍ فَكَـفٌّ مُفِيـدَةٌ وَكَفٌّ إِذَا مَا ضُنَّ بِالْمَالِ تُنْفِقُ[٥]

ويؤيد أن اليدين هنا بمعنى الإنعام: قرينة الإنفاق.

قال أبو عمرو الداني: وقرأ أبو عبد الله: (بل يداه بسطتان)[٦]، يقال: يد بسطة؛ أي: مطلقة، وروي عنه: (بسطان)[٧].

---

(١) هذا مذهب المتأخرين من الأشاعرة، انظر تفسير الرازي (١٢/ ٣٩٦)، وتقدم بيان مذهب السلف في مثل هذا غير ما مرة.

(٢) انظر: الإنصاف للباقلاني (ص: ٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٥٤-٤٥٦).

(٤) لم أقف عليه مسنداً.

(٥) البيت للأعشى كما في تفسير الطبري (١/ ٣٧٠)، والحماسة البصرية (١/ ١٧٥)، وخزانة الأدب (٧/ ١٣٢).

(٦) وهي قراءة شاذة، ولم أقف على كتاب الداني في الشواذ، لكن عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٤٠)، لعبد الله، وابن مطرف.

(٧) هذه قراءة ابن مسعود، كما في معاني القرآن للفراء (١/ ٣١٥)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٧٥)، والكشاف (١/ ٦٥٦).

وقوله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا﴾ إعلام [٢/ ٤١] لمحمد ﷺ بأن هؤلاء اليهود من العتو والبعد عن الحق بحيث إذا سمعوا هذه الأسرار التي لهم والأقوال التي لا يعلمها غيرهم تنزل عليك؛ طغوا وكفروا، وكان قولهم[١] أن يؤمنوا؛ إذ يعلمون أنك لا تعرفها إلا من قبل الله، لكنهم من العتو بحيث يزيدهم ذلك طغياناً، وخص تعالى ذكر الكثير، إذ فيهم من آمن بالله ومن لا يطغى كل الطغيان.

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾: معطوف على قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ فهي قصص يعطف بعضها على بعض، و«العداوةُ» أخص من «البَغضَاءِ»؛ لأن كل عدو فهو يبغض، وقد يبغض من ليس بعدو، وكأن العداوة شيء مشتهر يكون عنه عمل وحرب، والبغضاء قد لا تجاوز النفوس، وقد ألقى الله الأمرين على بني إسرائيل.

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾: استعارة بليغة تنبئ عن فض جموعهم، وتشتيت آرائهم، وتفريق كلمتهم، والآية تحتمل أن تكون إخباراً عن حال أسلافهم؛ أي: منذ عصوا وعتوا وهَدَّ الله ملكهم؛ رماهم بهذه الأمور، فهم لا ترتفع لهم راية إلى يوم القيامة، ولا يقاتلون جميعاً إلا في قرى محصنة، هذا قول الربيع والسدي وغيرهما[٢].

وقال مجاهد: معنى الآية: كلما أوقدوا ناراً لحرب[٣] محمد ﷺ؛ أطفأها الله[٤]، فالآية على هذا تبشير لمحمد ﷺ والمؤمنين، وإشارة إلى حاضريه من اليهود.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ﴾ معنى «السعي» في هذه الآية: العمل والفعل، وقد يجيء السعي بمعنى الانتقال على القدم، وذلك كقوله تعالى: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]، وإن كان مالك ـ رحمه الله ـ قد قال في الموطأ: إن السعي في قوله: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: إنه

---

(١) في المطبوع: «نولهم»، وفي الحمزوية: «حقهم»، وفي السليمانية ولالاليه: «حق قولهم»، وفي نجيبويه: حق لهم.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٦٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٦٩).

(٣) في الحمزوية: «للحرب حرب».

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٦١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٦٩).

العمل والفعل[١]، ولكن غيره من أهل العلم جعله على الأقدام، وهو الظاهر بقرينة ضيق الوقت، وبالتعدية بـ﴿إِلَىٰ﴾، ويؤيده قراءة عمر بن الخطاب: (فامضوا إلى ذكر الله)[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾؛ أي: لا يظهر عليهم من أفعاله في الدنيا والآخرة ما يقتضي المحبة.

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

هذه الآية تحتمل أن يراد بها معاصرو محمد ﷺ، والأظهر أنه يراد بها الأسلاف، والمعاصرون داخلون في هذه الأحوال بالمعنى، والغرض الإخبار عن أولئك الذين أطفأ الله نيرانهم، وأذلهم بمعاصيهم، لو آمنوا بالله وكتابه واتقوا في امتثال أوامره ونواهيه؛ لكفرت سيئاتهم؛ أي: سترت وأذهبت ولأدخلوا الجنة.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾؛ أي: أظهروا أحكامها، فهي كإقامة السوق وإقامة الصلاة، وذلك كله تشبيه بالقائم من الناس؛ إذ هي أظهر هيئات المرء.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْإِنجِيلَ﴾ يقتضي دخول النصارى في لفظ: ﴿أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ في هذه الآية.

---

(١) انظر: الموطأ رواية يحيى الليثي (١/ ١٠٦).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١٢/ ٧٤٦٥)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٣١١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ معناه: من وحي وسنن على ألسنة الأنبياء.

واختلف المفسرون في معنى: ﴿مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾:

فقال ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، والسدي: المعنى: لأعطتهم السماء مطرها وبركتها، والأرض نباتها، بفضل الله تعالى[١].

وحكى الطبري والزجّاج وغيرهما: أن الكلام استعارة ومبالغة في التوسعة، كما يقال: فلان قد عمه الخير من قرنه إلى قدمه[٢]، وذكر النقاش أن المعنى: ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ﴾؛ أي: من رزق الجنة، و(من تحت أرجلهم): من رزق الدنيا[٣]؛ إذ هو من نبات الأرض.

قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ معناه: معتدلة، والقصد والاقتصاد: الاعتدال والرفق، والتوسط الحسن في الأقوال والأفعال.

قال الطبري: معنى الآية: أن من بني إسرائيل من هو مقتصد في عيسى عليه السلام، يقولون: هو عبد الله ورسوله وروح منه، والأكثر منهم غلا فيه: فقال بعضهم: هو إله، وعلى هذا مشى الروم، ومن دخل بأَخَرة في ملة عيسى عليه السلام، وقال بعضهم، وهم الأكثر من بني إسرائيل: هو آدمي لغير رشدة، فكفر الطرفان، وقال مجاهد: المقتصدة: مسلمة أهل الكتاب قديماً وحديثاً[٤].

قال القاضي أبو محمد: وعلى هذا يتخرج قول الطبري: ولا يقول في عيسى: إنه عبد رسول إلا مسلم.

وقال ابن زيد: هم أهل طاعة الله من أهل الكتاب[٥]، وهذا هو المترجح، وقد ذكر

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٦٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٧١).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٦٤)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٩١).
(٣) البحر المحيط (٤/ ٣١٩).
(٤) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٦٥).
(٥) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٦٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٧٢).

الزجَّاج وغيره أنه يعني بالمقتصدة: الطوائف التي لم تناصب الأنبياء مناصبة المتهتكين المجاهرين(١).

قال القاضي أبو محمد: وإنما يتوجه أن توصف بالاقتصاد بالإضافة إلى المتمردة، كما يقال في أبي البختري بن هشام(٢): إنه مقتصد بالإضافة إلى أبي جهل ابن هشام، لعنه الله.

ثم وصف تعالى الكثير منهم بسوء العمل عموماً، وذهب الطبري إلى أن ذلك في تكذيبهم الأنبياء، وكفر اليهود بعيسى، والجميع من أهل الكتابين بمحمد ﷺ، و﴿سَآءَ﴾ في هذه الآية هي المتصرفة، كما تقول: ساء الأمر يسوء، وقد تستعمل «ساءَ» استعمال «نِعْم» و«بئس»، كقوله عز وجل: ﴿سَآءَ مَثَلًا﴾ [الأعراف: ١٧٧] فتلك غير هذه، يحتاج في هذه التي في قوله: ﴿سَآءَ مَثَلًا﴾ من الإضمار والتقدير إلى ما يحتاج في نعم وبئس، [وفي هذا نظر](٣).

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ هذه الآية أمر من الله لرسوله(٤) بالتبليغ على الاستيفاء والكمال؛ لأنه قد كان بلغ، فإنما أمر في هذه الآية بأن لا يتوقف عن شيء مخافة أحد، وذلك أن رسالته ﷺ(٥) تضمنت الطعن على أنواع الكفرة، وبيان فساد حالهم، فكان يلقى منهم عَنَتاً، وربما خافهم أحياناً قبل نزول هذه الآية، فقال الله له: ﴿بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾؛ أي: كاملاً متمماً.

[٢/ ٤٢] ثم توعده تعالى بقوله: ﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ/ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾؛ أي: إنك إن تركت

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٩٢).
(٢) هو أبو البختري بن هشام بن الحارث بن أسد، أحد الخمسة الذي سعوا في نقض الصحيفة، قتل يوم بدر كافراً، بعد نهي النبي ﷺ عن قتله، قتله المجذر بن ذياد، انظر خبره في سيرة ابن هشام (١/ ٦٢٩).
(٣) ليست في لالاليه.
(٤) في لالاليه: «ورسوله».
(٥) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٦٥).

شيئاً فكأنما قد تركت الكل، وصار ما بلغت غير معتدٍّ به، فقوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ معناه: وإن لم تستوف، ونحو هذا قول الشاعر:

سُئِلْتَ فلم تَمْنَعْ ولَـمْ تُعْطِ نائلاً ... فسِيَّانِ لا ذَمٌّ عَلَيْكَ ولا حَمْدُ[1] [الطويل]

أي: ولم تعط ما يعد نائلاً، وإلا فيتكاذب البيت.

وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿فَمَا بَلَّغْتَ [رِسَالَتَهُۥ﴾ على الإفراد، وقرؤوا في الأنعام: ﴿حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَاتِهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤] على الجمع، وكذلك في الأعراف][2]: ﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وقرأ ابن كثير في المواضع الثلاثة بإفراد الرسالة، وقرأ نافع: ﴿رسالاته﴾ بالجمع، وكذلك في الأنعام، وأفرد في الأعراف.

وقرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر بجمع «الرسالة» في المواضع الثلاثة.

وروى حفص عن عاصم الإفراد في العقود والأنعام، والجمع في الأعراف[3].

فمن أفرد «الرسالة» فلأن الشرع كله شيء واحد، وجملة بعضها من بعض، ومن جمع فمن حيث للشرع معان كثيرة، وورد دفعاً في أزمان مختلفة.

وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: من زعم أن محمداً كتم شيئاً من الوحي فقد أعظم الفِرْية، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ الآية[4].

---

(١) البيت للحطيئة كما في الأغاني (٢/ ١٦٠)، والشعر والشعراء (١/ ٣١٣)، والعقد الفريد (١/ ٢٣٩)، وديوان المعاني (١/ ٣٩).

(٢) ساقط من نجيبويه، وبعضه ساقط من نور العثمانية أيضاً.

(٣) وكلها سبعية، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢٤٦). والعقود: يريد: سورة المائدة.

(٤) روى نحوه مطولًا: البخاري في الصحيح (٤٦١٢) (٧٥٣١)، من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي عن مسروق، عن عائشة، ومسلم (١٧٧) من طريق إسماعيل ابن عُلية، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي نحوه، وهو أتم.

وقال عبد الله بن شقيق[١]: كان رسول الله ﷺ يعتقبه أصحابه يحرسونه، فلما نزلت: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ خرج فقال: «يا أيها الناس، الحقوا بملاحقكم؛ فإن الله قد عصمني»[٢].

وقال محمد بن كعب القرظي: نزلت: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ بسبب الأعرابي الذي اخترط سيف النبي ﷺ ليقتله به[٣].

قال القاضي أبو محمد: هو غَوْرث بن الحارث، والقصة في غزوة ذات الرقاع[٤].

وقال ابن جريج: كان رسول الله ﷺ يهاب قريشاً، فلما نزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ استلقى وقال: «من شاء فليخذلني»، مرتين أو ثلاثاً[٥].

و﴿يَعْصِمُكَ﴾ معناه: يحفظك ويجعل عليك وقاية، ومنه قوله تعالى: ﴿يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٤٣]، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] فَقُلْتُ: عَلَيْكُمْ مَالِكاً إِنَّ مَالِكاً ... سَيَعْصِمُكُمْ إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ عَاصِمُ[٦]

---

(١) هو عبد الله بن شقيق العقيلي البصري، روى عن: أبيه، وعمر بن الخطاب، وعثمان، وعلي، وعائشة، وأبي ذر، وعنه: ابن سيرين، وقتادة، وأيوب السختياني، وخالد الحذاء، وعاصم الأحول، وآخرون، وثقه غير واحد، توفي سنة (١٠٨هـ)، تاريخ الإسلام (٧/ ١٣٧).

(٢) مرسل، أخرجه الطبري (١٠/ ٤٦٩)، من طريق ابن علية، عن الجريري، عن عبد الله بن شقيق مرسل، ثم أخرجه من طريق الحارث بن عبيدة أبي قدامة الإيادي قال: حدثنا سعيد الجريري، عن عبد الله بن شقيق، عن عائشة، والحارث ضعيف، وقد أخرجه من طريقه الترمذي في كتاب التفسير (٣٠٤٦) وقال: هذا حديث غريب، وروى بعضهم هذا الحديث عن الجريري عن عبد الله بن شقيق قال: كان النبي ﷺ يحرس، ولم يذكروا فيه عن عائشة. اهـ.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٧٠)، وتفسير السمعاني (٢/ ٥٣)، وتفسير الماوردي (٢/ ٥٣ و٥٤).

(٤) صحيح البخاري (٥/ ١١٥)، وانظر: فتح الباري لابن حجر (٧/ ٤٢٨).

(٥) معضل، أخرجه الطبري (١٠/ ٤٧١).

(٦) عزاه في أنساب الأشراف للبلاذري (١٣/ ٢٥٧)، لطفيل غير منسوب، وهو في مجاز القرآن (١/ ١٧١)، بلا نسبة.

وهذه العصمة التي في الآية[١] هي من المخاوف التي يمكن أن توقف عن شيء من التبليغ، كالقتل والأسر والأذى في الجسم ونحوه، وأما أقوال الكفار [من الكِهانة][٢] ونحوها؛ فليست في الآية.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إمَّا على الخصوص فيمن سبق في علم الله أنه لا يؤمن، وإما على العموم على أن لا هداية في الكفر، ولا يهدي الله الكافر في سبل كفره.

ثم أمر تعالى نبيه محمداً ﷺ أن يقول لأهل الكتاب الحاضرين معه: ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾؛ أي: على شيء مستقيم، حتى تقيموا التوراة والإنجيل، وفي إقامة هذين الإيمان بمحمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ يعني به: القرآن، قاله ابن عباس وغيره.

ثم أخبر تعالى نبيه أنه سيطغى كثير منهم بسبب نبوة محمد ﷺ ويزيده نزول القرآن والشرع كفراً وحسداً، ثم سلاه عنهم وحقرهم بقوله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: لا تحزن إذ لم يؤمنوا، ولا تبال عنهم، والأسى: الحزن، يقال: أسي الرجل يأسى أسى: إذا حزن، ومنه قول الراجز:

وانْحَلَبَتْ عيناه مِن فرْطِ الأَسَى[٣] .... [الرجز]

وأسند الطبري إلى ابن عباس قال: جاء رسول الله ﷺ رافع بن جارية[٤]، وسلام ابن مِشْكَم، ومالك بن الصيف، ورافع بن حُريملة، فقالوا: يا محمد، ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم، وأنك تؤمن بالتوراة، وبنبوة موسى، وأن جميع ذلك حق؟ قال:

---

(١) في السليمانية وفيض الله: «الأنبياء»، بدل: «الآية»، وفي المطبوع: «القصة»، بدل: «العصمة».

(٢) زيادة من السليمانية.

(٣) للعجاج كما في مجاز القرآن (١/ ١٦١)، والمحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٧١٠)، والكامل في اللغة والأدب (٢/ ١٤١).

(٤) في نجيبويه: «حارثة»، ولعله تصحيف، وهؤلاء كلهم من اليهود، وقد تقدم الكلام عن أكثرهم.

«بلى، ولكنكم أحدثتم» وغيَّرتم وكتمتم، فقالوا: إنَّا نأخذ بما في أيدينا؛ فإنه الحق، ولا نصدقك ولا نتبعك، فنزلت الآية بسبب ذلك: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية[١].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: لفظ عام لكل مؤمن من ملة محمد، ومن غيرها من الملل، فكأن ألفاظ الآية حصر بها الناس كلهم، وبينت الطوائف على اختلافها، وهذا تأويل جمهور المفسرين، وقال الزجاج: المراد بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: المنافقون، فالمعنى: إن الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم[٢].

قال القاضي أبو محمد: فكأن ألفاظ الآية عدت الطوائف التي يمكن أن تنتقل إلى الإيمان، ثم نفى عنهم الخوف والحزن، بشرط انتقالهم إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، وعلى التأويل الأول يكون قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ في حيز المؤمنين، بمعنى: ثبت واستمر، وقد تقدم تفسير «هادُوا» وتفسير «الصابئين» وتفسير «النَّصارى» في سورة البقرة.

واختلف القراء [في إعراب «الصابئين» في هذه الآية، فقرأ الجمهور: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ بالرفع وعليه مصاحف الأمصار[٣] والقراء] السبعة[٤].

---

(١) في إسناده من لا يعرف، أخرجه الطبري (١٠/ ٤٧٣) من طريق محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد ابن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، ومولى زيد لا يعرف.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٩٤).

(٣) انظر: كتاب المصاحف (١/ ٢٥٩).

(٤) إلا أن نافعاً قرأ بدون همز كما تقدم في سورة البقرة، وما بين المعكوفتين ساقط من الحمزوية.

وقرأ عثمان بن عفان وعائشة وأبي بن كعب وسعيد بن جبير والجحدري: (والصابين)[١]، وهذه قراءة بينة الإعراب.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن والزهري: (والصابيون) بكسر الباء وضم الياء دون همز[٢]، وقد تقدم ذلك في سورة البقرة.

وأما قراءة الجمهور: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ فمذهب سيبويه والخليل ونحاة البصرة: أنه من المقدم الذي معناه التأخير، وهو المراد به[٣]، كأنه قال: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً؛ فلا خوف عليهم، ولا هم يحزنون، والصابئون والنصارى كذلك، وأنشد الزجاج نظيراً في ذلك:

وإلَّا فاعْلَمُوا أنَّا وأنْتُم بُغَاةٌ مَا بَقِينَا فِي شِقَاقِ[٤] [الوافر]

فقوله: «وأنتم» مقدم في اللفظ مؤخر في المعنى؛ أي: وأنتم كذلك، وحكى الزجَّاج عن الكسائي والفراء: أنهما قالا: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾: عطف على (الذين)؛ إذ الأصل في (الَّذِينَ) الرفع، وإذ نصب ﴿إِنَّ﴾ ضعيف، وخطأ الزجّاج هذا القول وقال: «إِنَّ» أقوى النواصب، وحكى أيضاً عن الكسائي أنه قال: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾: عطف على الضمير في ﴿هَادُواْ﴾، والتقدير: هادوا هم والصابئون[٥]، وهذا / قول يرده المعنى؛ لأنه يقتضي [٢/ ٤٣] أن الصابئين هادوا، وقيل: ﴿إِنَّ﴾ بمعنى «نعم»، وما بعدها مرفوع بالابتداء.

وروي عن بعضهم أنه قرأ: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ بالهمز[٦].

واتصال هذه الآية بالتي قبلها هو أن قيل لهم ليس الحق في نفسه على ما تزعمون

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب لابن جني (١/ ٢١٧)، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (٣/ ١٨٠٩).
(٢) وهي قراءة شاذة انظر: المحتسب لابن جني (١/ ٢١٦)، وتفسير الكشاف (١/ ٦٩٤).
(٣) انظر الكتاب لسيبويه (١/ ١٢٢)، والإنصاف في مسائل الخلاف (١/ ١٨٦).
(٤) البيت لبشر بن أبي خازم كما في الكتاب لسيبويه (٢/ ١٥٦)، والإنصاف (١/ ١٥٤).
(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٩٣).
(٦) غريب، فقد تقدم للشيخ قريباً أنها قراءة الجمهور.

من أنكم أبناء الله وأحبَّاؤه، بل لستم على شيء مستقيم حتى تؤمنوا وتقيموا الكتب المنزلة، ثم استأنف الإخبار عن الحق في نفسه بأنه من آمن في كل العالم فهو الفائز الذي لا خوف عليه.

قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الآية، استئناف خبر بفعل أوائلهم، وما نقضوا من العهود، واجْتَرحوا من الجرائم؛ أي: إن العصا من العصية، وهؤلاء يا محمد من أولئك، فليس قبيح فعلهم ببدع.

و﴿كُلَّمَا﴾: ظرف، والعامل فيه: ﴿كَذَّبُواْ﴾، و﴿يَقْتُلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾ يقتضي أن هواهم كان غير الحق، وهو ظاهر هوى النفس متى أطلق، فمتى قيد بالخير ساغ ذلك، ومنه قول عمر رضي الله عنه في قصة أسارى بدر: فَهوِي رسول الله ما قال أبو بكر، ولم يَهْوَ ما قلت أنا[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُواْ﴾ معناه كذبوه فقط، يريد: الفريق من الرسل ولم يقتلوه، وفريقاً من الرسل كذبوه وقتلوه، فاكتفى بذكر القتل؛ إذ هو يستغرق التكذيب.

قوله عز وجل: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾﴾.

المعنى في هذه الآية: وظن هؤلاء الكفرة والعصاة من بني إسرائيل أن لا يكون من الله ابتلاء لهم، وأخذ في الدنيا، وتمحيص، فلجُّوا في شهواتهم، وعَمُوا فيها؛ إذ لم يبصروا الحق شُبّهوا بالصُّمّ، ونحو هذا قول النبي ﷺ: «حبُّك الشيءَ يُعمي ويُصم»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

(٢) ضعيف، أخرجه أحمد (٢١٦٩٤)، والبخاري في التاريخ الكبير (٣/ ١٧٢)، وأبو داود (٥١٣٠)، والدولابي في الكنى (١/ ٣٠٩)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٢١٢)، والطبراني في الأوسط (٤/ ٣٣٤) =

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾؛ [أي: رجع بهم إلى الطاعة والحق، و][١] قالت جماعة من المفسرين: هذه التوبة هي ردهم إلى بيت المقدس بعد الإخراج الأول، ورد ملكهم وحالهم، ثم عموا وصموا بعد ذلك حتى أخرجوا الخرجة الثانية ولم ينجبروا أبداً، وقالت جماعة: ثم تاب الله عليهم ببعث عيسى ـ عليه السلام ـ إليهم، وقالت جماعة: توبته تعالى عليهم بعث محمد ﷺ وخص بهذا المعنى كثيراً منهم؛ لأن منهم قليلاً قد آمن.

ثم توعدهم بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر: ﴿أَلَّا تَكُونَ﴾ بنصب النون.

وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿أن لا تكونُ﴾ برفع النون[٢].

ولم يختلفوا في رفع ﴿فِتْنَةٌ﴾؛ لأن (كان) هنا هي التامة، [بمعنى: وقع][٣].

فوجه قراءة النصب: أن تكون (أن) هي الخفيفة الناصبة، ووجه قراءة الرفع أن تكون المخففة من الثقيلة، وحسن دخولها؛ لأن (لا) قد وطأت أن يليها الفعل، وقامت مقام الضمير المحذوف عوضاً منه، ولا بد في مثل هذا من عوض، مثل قولك علمت أن قد يقوم زيد.

= والبزار (١٠/ ٦٢)، وغيرهم من طريق أبي بكر بن أبي مريم، عن خالد بن محمد، عن بلال بن أبي الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ، فذكره، وهذا إسناد ضعيف، من أجل أبي بكر هذا، فإنه كان اختلط مع سوء حفظه، وقد اختلفوا عليه في إسناده، فرواه جماعة عنه هكذا مرفوعاً، ورواه بعضهم عنه موقوفاً، فقال أحمد عقب الحديث: وحدثناه أبو اليمان لم يرفعه، ورفعه القرقساني محمد ابن مصعب، وقال البخاري عقبه أيضاً: وقال الوليد: عن أبي بكر، عن بلال، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ، فأسقط من السند خالد بن محمد، وهو الثقفي، وفي الحديث خلاف آخر سوى هذا، وهو ضعيف على كل حال.

(١) زيادة من السليمانية، وهو في لالاليه ملحق في الهامش.

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٠٠).

(٣) زيادة من السليمانية وفيض الله، وفي نجيبويه ولالاليه: «بمعنى تقع»، وفي نور العثمانية: «بمعنى يقع».

وقوله عز وجل: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقولك: علمت أن سوف يقوم زيد وأن لا تكون فتنة، وقوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩]، حسن فيه أن لا يكون عوض؛ لأن «ليس» ليس[١] بفعل حقيقي.

والأفعال ثلاثة ضروب:

ضرب يجري مجرى (تيقَّنت) [نحو علمت][٢] ودريت، فهذا الضرب تليه «أنّ» الثقيلة التي تناسبه في الثبوت وحصول الوقوع.

وضرب في الضد من ذلك نحو طمعت ورجوت وخفت هو مصرح بأن لم يقع، فهذا الضرب تليه «أنْ» الخفيفة؛ إذ هي تناسبه، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى﴾ [الشعراء: ٨٢]، و﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [الأنفال: ٢٦]، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، و﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا﴾ [الكهف: ٨٠]، ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟﴾ [المجادلة: ١٣] ونحو هذا.

وضرب ثالث ينجذب إلى الأول مرة، وإلى الثاني أحياناً؛ نحو: ظننت وحسبت وزعمت، فيجري مجرى: أرجو وأطمع، من حيث الظن والزعم[٣] والمحسبة أمور غير ثابتة ولا مستقرة، وقد تنزل منزلة العلم من حيث تستعمل استعماله، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦]، وقوله: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠].

وقرأ جمهور الناس: ﴿فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟﴾ بفتح العين والصاد.

وقرأ ابن وثاب والنخعي: (عُموا وصُموا) بضم العين والميم مخففة وبضم الصاد[٤].

وهذا هو على أن تجرى مجرى: زُكِم الرجل، وأزكمه الله، وحُمَّ الرجل، وأحمه

(١) سقطت من الحمزوية.

(٢) ساقط من نجيبويه.

(٣) ليس في الأصل.

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢١٧)، ومختصر الشواذ (ص: ٤٠).

الله، ولا يقال: زكمه الله، ولا حمه[١] الله، فكذلك يجيء هذا: عمي الرجل، وأعماه غيره، وصم، وأصمه غيره، ولا يقال: عميته ولا صممته.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: رجع بهم إلى الطاعة والحق، ومن فصاحة اللفظ استناد هذا الفعل الشريف إلى الله تعالى، واستناد العمى والصمم اللذين هما عبارة عن الضلال إليهم.

وقوله تعالى: ﴿كَثِيرٌ﴾ [يرتفع من إحدى ثلاث جهات:

إما على البدل من الواو في قوله: ﴿عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟﴾.

وإما على جمع الفعل[٢]، وإن تقدم على لغة من قال: أكلوني البراغيث.

وإما على أن يكون][٣]: ﴿كَثِيرٌ﴾: خبر ابتداء مضمر[٤].

ثم أخبر تعالى إخباراً مؤكداً بلام القسم عن كفر القائلين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ وهذا قول اليعقوبية من النصارى، ثم أخبر تعالى عن قول المسيح لهم وتبليغه كيف كان؟ فقال: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الآية، وهذه المعاني قول المسيح بألفاظ لغته، وهي بعينها موجودة في تبليغ محمد ﷺ في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨-١١٦]، إلى غير ذلك من الآيات، وأخبرهم عيسى عليه السلام أن الله تعالى هو ربه وربهم، فضلوا هم، وكفروا بسبب ما رأوا على يديه من الآيات، والمأوى: هو المحل الذي يسكنه المرء ويرجع إليه، وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ يحتمل أن يكون من قول عيسى عليه السلام لبني إسرائيل، ويحتمل أن يكون إخباراً مستأنفاً لمحمد ﷺ.

وقد تقدم القول في تفسير لفظة «المسيح» في سورة آل عمران.

---

(١) في نجيبويه: «صم... وأصمه... وصمه»، بدل: «حم».

(٢) في فيض الله: «الفاعل».

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) انظر مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٢٣٤).

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ / كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ [٢/ ٤٤]
كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

هذه الآية إخبار مؤكد كالذي قبله، وهو عن هذه الفرقة الناطقة بالتثليث، وهي فيما يقال الملكية، وهم فِرَقٌ، منهم النسطورية وغيرهم، ولا معنى لذكر أقوالهم في كتاب تفسير، إنما الحق أنهم على اختلاف أقوالهم[1] كفار من حيث جعلوا في الألوهية عدداً، ومن حيث جعلوا لعيسى ـ عليه السلام ـ حكماً إلهياً.

وقوله تعالى: ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ لا يجوز فيه إلا الإضافة وخفض ثَلاثَةٍ؛ لأن المعنى أحد ثلاثة، فإن قلت: زيد ثالث اثنين أو رابع ثلاثة؛ جاز لك أن تضيف كما تقدم، وجاز أن لا تضيف وتنصب: ثلاثة على معنى: زيد يربع ثلاثة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: خبر صادع[2] بالحق، وهو الخالق المبتدع المتصف بالصفات العلى، تعالى عما يقول المبطلون، ثم توعد تبارك وتعالى هؤلاء القائلين هذه العظيمة بمس العذاب، وذلك وعيد بعذاب الدنيا من القتل والسبي، وبعذاب الآخرة بعد لا يفلت منه أحد منهم.

ثم رفق جل وعلا بهم بتحضيضه إياهم على التوبة وطلب المغفرة، ثم وصف نفسه بالغفران والرحمة، استجلاباً للتائبين، وتأنيساً لهم؛ ليكونوا على ثقة من الانتفاع بتوبتهم.

ثم أخبر تعالى عن حقيقة أمر المسيح، وأنه رسول بشر، كالرسل المتقدمة قبله، و﴿خَلَتْ﴾ معناه مضت وتقدمت وصارت[3] في الخلاء من الأرض.

---

(١) في الأصل والمطبوع: «أحوالهم».
(٢) في المطبوع ونور العثمانية ولالاليه: «صادق».
(٣) سقطت من المطبوع.

وقرأ حطان بن عبد الله الرقاشي: (قد خلت من قبله رسل) بتنكير الرسل، وكذلك قرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، بالتنكير[١]، وقد مضى القول على وجه هذه القراءة هناك.

وقوله تعالى: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾: صفة ببناء مبالغة من الصدق، ويحتمل أن يكون من التصديق، وبه سمي أبو بكر رضي الله عنه لتصديقه، وهذه الصفة لمريم تدفع قول من قال: هي نبية[٢]، وقد يوجد في صحيح الحديث قصص قوم كلمتهم ملائكة في غير ما فَنٍّ[٣]، كقصة الثلاثة الأقرع والأعمى والأبرص[٤] وغيرهم، ولا تكون هنالك نبوة، فكذلك أمر مريم.

وقوله تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ تنبيه على نقص البشرية، وعلى حال من الاحتياج إلى الغذاء تنتفي معها الألوهية، وذكر مكي والمهدوي وغيرهما: أنها عبارة عن الاحتياج إلى الغائط[٥]، وهذا قول بشع، ولا ضرورة تدفع إليه حتى يقصد هذا المعنى بالذكر، وإنما هي عبارة عن الاحتياج إلى التغذي، ولا محالة أن الناظر إذا تأمل بذهنه لواحق التغذي وجد ذلك وغيره، ثم أمر تعالى محمداً ﷺ ـ وفي الضمن أمته ـ بالنظر في ضلال هؤلاء القوم وبعدهم عن سنن الحق، [وأن الآيات تبين لهم وتبرز في غاية الوضوح، ثم هم بعد ذلك يصرفون؛ أي: تصرفهم دواعيهم ويزيلهم تكسلهم عن الحق][٦].

و﴿كَيْفَ﴾ في هذه الآية ليست سؤالاً عن حال، لكنها عبارة عن حال شأنها

---

(١) وهي شاذة كما في المصاحف (١/ ٢٢٣)، «وبالتنكير»: زيادة من السليمانية وفيض الله، وفي المطبوع: «الرسل».
(٢) قال بذلك ابن حزم، انظر قوله في: الملل والنحل (٥/ ١٢-١٣).
(٣) في المطبوع: «نبوة».
(٤) أخرجه مسلم (٢٩٦٤).
(٥) التحصيل (٢/ ٤٨٧)، والهداية لمكي (٣/ ١٨١٦).
(٦) ساقط من نجيبويه.

أن يسأل عنها بـ«كيف»، وهذا كقولك: كن كيف شئت، فأنت صديق، و﴿أَنَّىٰ﴾ معناها من أي جهة، قال سيبويه: معناها: كيف، ومن أين.

و﴿يُؤْفَكُونَ﴾ معناه: يصرفون، ومنه قوله عز وجل: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: ٩]، والأرض المأفوكة: التي صرفت عن أن ينالها المطر، والمطر في الحقيقة هو المصروف، ولكن قيل: أرض مأفوكة لما كانت مأفوكاً عنها.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

أمر الله تعالى نبيه أن يوقفهم على عبادتهم شخصاً من البشر لا يملك أن يضرهم ولا أن ينفعهم.

و﴿مِن دُونِ﴾، ودون فلان، وما جاء من هذه اللفظة؛ فإنما تضاف إلى من ليس في النازلة التي فيها القول، وتفسيرها بـ«غير» أمر غير مطرد، و«الضَّر» بفتح الضاد المصدر، و«الضّر» بضمها: الاسم، وهو عدم الخير[١].

و﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ هنا: إشارة إلى تحصيل أقوالهم، و﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بنياتهم، وقال بعض المفسرين: هاتان الصفتان منبهتان على قصور البشر؛ أي: والله تعالى هو السميع العليم بالإطلاق، لا عيسى ولا غيره، وهم مقرون أن عيسى قد كان مدة لا يسمع [ولا يبصر][٢] ولا يعلم، وقال نحوه مكي[٣].

---

(١) انظر: الاشتقاق (١/ ٤٥).

(٢) زيادة من السليمانية، وهي في لالاليه ملحقة في الهامش.

(٣) انظر: الهداية لمكي (٣/ ١٨١٧).

ثم أمر تعالى نبيه محمداً أن ينهاهم عن الغلو في دينهم، والغلو تجاوز الحد، غلا السهم: إذا تجاوز الغرض المقصود واستوفى سومه من الاطراد، وتلك المسافة هي غلوته.

ولما[١] كان قوله: ﴿لَا تَغْلُوا﴾ بمعنى: لا تقولوا ولا تلتزموا، نصب ﴿غَيْرَ﴾، وليس معنى هذه الآية: جنبوا من دينكم الذي أنتم عليه الغلو، وإنما معناه: في دينكم الذي ينبغي أن يكون دينكم؛ لأن كل إنسان فهو مطلوب بالدين الحق، وحري أن يتبعه ويلتزمه، وهذه المخاطبة هي للنصارى الذين غلوا في عيسى، والقوم الذين نهي النصارى عن اتباع أهوائهم بنو إسرائيل.

ومعنى الآية: لا تتبعوا أنتم أهواءكم كما اتبع أولئك أهواءهم، فالمعنى: لا تتبعوا طرائقهم، والذي دعا إلى هذا التأويل أن النصارى في غلوهم ليسوا على هوى بني إسرائيل، هم بالضد في الأقوال، وإنما اجتمعوا في اتباع نوع الهوى، فالآية بمنزلة قولك لمن تلومه على عوج: هذه طريقة فلان، تمثله بآخر قد اعوجَّ نوعاً آخر من الاعوجاج وإن اختلفت نوازله.

ووصف تعالى اليهود بأنهم ﴿ضَلُّوا﴾ قديماً ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ من أتباعهم، ثم أكد الأمر بتكرار قوله تعالى: ﴿وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ وذهب بعض المتأولين إلى أن المعنى يا أهل الكتاب من النصارى لا تتبعوا أهواء هؤلاء اليهود الذين ضلوا من قبل؛ أي: ضل أسلافهم وهم قبل مجيء محمد، وأضلوا كثيراً من المنافقين، وضلوا عن سواء السبيل الآن بعد وضوح الحق.

وقوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾/ الآية؛ قد تقرر في [٢/ ٤٥]
غير موضع من القرآن ما جرى في مدة موسى من كفر بعضهم وعتوهم، وكذلك أمرهم مع محمد ﷺ كان مشاهداً في وقت نزول القرآن، فخصت هذه الآية أمة[٢]

(١) في المطبوع: «وكما».
(٢) زيادة من السليمانية، وهي في لالاليه ملحقة في الهامش.

داود وعيسى إعلاماً بأنهم لعنوا في الكتب الأربعة، وأنهم قد لعنوا على لسان غير موسى ومحمد عليهما السلام.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: لعنوا بكل لسان؛ لعنوا على عهد موسى في التوراة، وعلى عهد داود في الزبور، وعلى عهد عيسى في الإنجيل، وعلى عهد محمد في القرآن(١).

وروى ابن جريج أنه اقترن بلعنتهم على لسان داود أن مسخوا خنازير، وذلك أن داود ـ عليه السلام ـ مر على نفر وهم في بيت، فقال: من في البيت؟ قالوا: خنازير على معنى الانحجاب(٢)، قال: اللهم اجعلهم خنازير، فكانوا خنازير، ثم دعا عيسى على من افترى عليه وعلى أمه(٣) أن يكونوا قردة، فكانوا قردة(٤)، وقال مجاهد وقتادة: بل مسخوا في زمن داود قردة، وفي زمن عيسى خنازير، وحكى الزجّاج نحوه(٥).

قال القاضي أبو محمد: وذكر المسخ ليس مما تعطيه ألفاظ الآية، وإنما تعطي ألفاظ الآية أنهم لعنهم الله وأبعدهم من رحمته، وأُعلِم بذلك العبادُ المؤمنون على لسان داود النبي في زمنه، وعلى لسان عيسى في زمنه.

وروي عن ابن عباس أنه قال: لعن على لسان داود أصحاب السبت، وعلى لسان عيسى الذين كفروا بالمائدة(٦).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى لعنتهم، وباقي الآية بيِّن.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٤٨٩)، وابن أبي حاتم (٤/ ١١٨٢) في التفسير بإسناد تالف، سبق الكلام عنه مراراً، عن عطية العوفي عن ابن عباس.

(٢) في السليمانية وفيض الله: «الانحجار»، وفي لالاليه ونجيبويه: «الانجحاد».

(٣) «أمه» ليست في المطبوع.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٩٠).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٩٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٨٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٩٨).

(٦) لم أجده بهذا السياق، والمروي عن ابن عباس بلفظ: لعنوا بكل لسان على عهد موسى في التوراة، ولعنوا على عهد عيسى في الإنجيل ولعنوا، على عهد داود في الزبور، ولعنوا على عهد محمد ﷺ في =

قوله عز وجل: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾.

ذم الله تعالى هذه الفرقة الملعونة بأنهم: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾؛ أي: إنهم كانوا يتجاهرون بالمعاصي، وإن نهى منهم[1] ناهٍ فعن غير جدٍّ، بل كانوا لا يمتنع الممسك منهم عن مواصلة العاصي ومؤاكلته وخلطته.

وروى ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأى أخاه على ذنب نهاه عنه تعزيراً، فإذا كان من الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون خليطه وأكيله، فلما رأى الله ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى»، قال ابن مسعود: وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس، وقال: «لا والله حتى تأخذوا على يدي الظالم فتأطروه على الحق أَطْراً»[2].

= القرآن، أخرجه الطبري (١٠/ ٤٨٩) بإسناد مسلسل بالضعفاء، وبلفظ: لعنوا في الإنجيل على لسان عيسى ابن مريم، ولعنوا في الزبور على لسان داود، أخرجه الطبري من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(١) سقطت من المطبوع في موضعين.

(٢) اختلف في إسناده وصلًا وإرسالًا، وفيه انقطاع على كل حال، هذا الحديث يرويه علي بن بذيمة عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، واختلف فيه، فأخرجه أبو داود (٤٣٣٦) من طريق يونس بن راشد عن علي بن بذيمة، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود به مرفوعاً، والترمذي (٣٠٤٧) من طريق عبد الله بن عبد الرحمن ـ هو الدارمي ـ عن يزيد بن هارون، عن شريك، عن علي بن بذيمة مثله، قال الترمذي: قال عبد الله بن عبد الرحمن: قال يزيد: وكان سفيان الثوري لا يقول فيه: عن عبد الله، ثم قال: هذا حديث حسن غريب، وقد روي هذا الحديث عن محمد بن مسلم بن أبي الوضاح، عن علي ابن بذيمة، عن أبي عبيدة، عن عبد الله، عن النبي ﷺ نحوه، وبعضهم يقول: عن أبي عبيدة عن النبي ﷺ مرسل. اهـ، ثم ذكر ذلك في (٣٠٤٨)، وأخرجه ابن ماجه (٤٠٠٦) مرسلاً أيضاً، وأخرجه الطبري (١٠/ ٤٩٣) أولاً من طريق المؤمل بن إسماعيل قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا علي بن بذيمة، عن =

قال القاضي أبو محمد: والإجماع على أن النهي عن المنكر واجب لمن أطاقه، ونهى بمعروف، وأمن الضرر عليه وعلى المسلمين، فإن تعذر على أحد النهي لشيء من هذه الوجوه ففرض عليه الإنكار بقلبه، وأن لا يخالط ذا المنكر[١].

وقال حُذَّاق أهل العلم: ليس من شروط الناهي أن يكون سليماً من المعصية، بل ينهى العصاة بعضهم بعضاً[٢]، وقال بعض الأصوليين: فرض على الذين يتعاطون الكؤوس أن ينهى بعضهم بعضاً، واستدل قائل هذه المقالة بهذه الآية؛ لأن قوله: ﴿يَتَنَاهَوْنَ﴾، و﴿فَعَلُوهُ﴾ يقتضي اشتراكهم في الفعل وذمهم على ترك التناهي.

وقوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ اللام: لام قسم، وجعل الزجاج ﴿مَا﴾ مصدرية، وقال: التقدير: لبئس شيئاً فعلهم[٣].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا نظر.

وقال غيره: ﴿مَا﴾: نكرة موصوفة، التقدير: لبئس الشيء[٤] الذي كانوا يفعلون فعلًا.

وقوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا﴾ يحتمل أن يكون رؤية قلب، وعلى هذا فيحتمل أن يريد من الأسلاف المذكورين؛ أي: ترى الآن إذا خبرناك.

= أبي عبيدة، أظنه عن مسروق، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ، ثم أخرجه من طريق ابن مهدي قال: حدثنا سفيان، عن علي بن بذيمة، عن أبي عبيدة قال: قال رسول الله ﷺ، مرسلاً، وله طريق آخر عن أبي عبيدة، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٨٠) عن عيسى بن يونس، عن عبيد الله بن أبي زياد، عن سالم بن عجلان الأفطس، عن أبي عبيدة، عن عبد الله به مرفوعاً، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه على الراجح، وآخر أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ١٣٣) عن العلاء بن المسيب عن عمرو ابن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى به مرفوعا، والأول أكثر وأصح.

(١) انظر الإجماع في: الإقناع (٤/ ٢٤٩-٢٥٠).

(٢) انظر هذا المعنى في: شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٣).

(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٩٩).

(٤) سقطت من لالاليه، وأشار لسقوطها من بعض النسخ في هامش المطبوع.

ويحتمل أن يريد: من معاصري محمد ﷺ؛ لأنه كان يرى ذلك من أمورهم ودلائل حالهم.

ويحتمل أن تكون الرؤية رؤية عين، فلا يريد إلا معاصري محمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾؛ أي: قدمته للآخرة واجْتَرحته، ثم فسر ذلك قوله تعالى: ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ فـ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ﴾: في موضع رفع بدل من ﴿مَا﴾، ويحتمل أن يكون التقدير هو أن سخط الله عليهم.

وقال الزجاج: ﴿أَن﴾ في موضع نصب [على تقدير][1] بـ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّبِيِّ﴾ إن كان المراد الأسلاف فالنبي داود وعيسى، وإن كان المراد معاصري محمد فالنبي محمد ﷺ، و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هم عبدة الأوثان، وخص الكثير منهم بالفسق إذ فيهم قليل قد آمن، وذهب بعض المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ كلام منقطع من ذكر بني إسرائيل، وأنه يعني به المنافقين.

وقال مجاهد رحمه الله: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ﴾ الآية؛ يعني: بها المنافقين[3].

قوله عز وجل: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

اللام في قوله: ﴿لَتَجِدَنَّ﴾: لام الابتداء، وقال الزجَّاج: هي لام قسم، ودخلت هذه النون الثقيلة لتفصل بين الحال والاستقبال[4].

---

(١) زيادة من السليمانية وفيض الله ولالاليه والمطبوع.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٩٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٩٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٨٣).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٩٩).

قال القاضي أبو محمد: وهذا خبر مطلق منسحب على الزمن كله، وهكذا هو الأمر حتى الآن، وذلك أن اليهود مرنوا[(١)] على تكذيب الأنبياء وقتلهم، ودربوا العتو والمعاصي، ومردوا على استشعار[(٢)] اللعنة وضرب الذلة والمسكنة، فهم قد لجت[(٣)] عداواتهم، وكثر حسدهم، فهم أشد الناس عداوة للمؤمنين.

وكذلك المشركون عبدة الأوثان من العرب، والنيران من المجوس؛ لأن الإيمان إياهم كفر، وعروشَهم ثَلَّ[(٤)]، وبين أنهم ليسوا على شيء من أول أمرهم، فلم يبق لهم بقية، فعداوتهم شديدة، والنصارى أهل الكتاب يقضي لهم شرعنا بأن أول أمرهم صحيح لو لا أنهم ضلوا، فهم يعتقدون أنهم لم يضلوا، وأن هذه الملة[(٥)] لم تنسخ شرعهم، ويعظمون من
[٢/ ٤٦] أهل الإسلام من استشعروا منه صحة دين، ويستهينون من فهموا منه الفسق، فهم / إذا حاربوا فإنما حربهم أنفة وكسب، لا أن شرعهم يأخذهم بذلك، وإذا سالموا فسلمهم صاف.

ويعين على هذا أنهم أمة شريفة الخلق، لهم الوفاء والخلال الأربع التي ذكر عمرو ابن العاصي في صحيح مسلم[(٦)]، وتأمل أن النبي ﷺ سر حين غلبت الروم فارس، وذلك لكونهم أهل كتاب[(٧)]، ولم يرد ﷺ أن يستمر ظهور الروم، وإنما سر بغلبة أهل كتاب لأهل عبادة النار.

---

(١) في نجيبويه: «مردوا».

(٢) في الحمزوية: «استيعاب».

(٣) في المطبوع: «لحجت»، وفي الحمزوية ونجيبويه ولالاليه: «بجحت».

(٤) ثل: أهلك كما في القاموس المحيط (ص: ٩٧٣)، وهي غير واضحة في السليمانية، وفي فيض الله: «تل»، وفي نجيبويه: «قل».

(٥) في الأصل: «الآية»، وأشار لها في هامش المطبوع.

(٦) رقم (٢٨٩٨) بلفظ: إن فيهم لخصالًا أربعاً: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك .اهـ.

(٧) ورد بلفظ: فرح بذلك المؤمنون، أو أعجب ذلك المؤمنين، أخرجه الترمذي (٣١٩٢)، والطبري =

وانْضاف إلى ذلك أن غلب العدو الأصغر، وانحصرت[1] شوكة العدو الأكبر المخوف على الإسلام، واليهود - لعنهم الله - ليسوا على شيء من هذه الخلق، بل شأنهم الخبث والليّ بالألسنة، وفي خلال إحسانك إلى اليهودي يبغيك هو الغوائل، إلا الشاذ القليل منهم ممن عسى أن تخصص بأدب وأمور غير ما علم أولاً، ولم يصف الله تعالى النصارى بأنهم أهل ود، وإنما وصفهم بأنهم أقرب من اليهود والمشركين، فهو قرب مودة بالنسبة إلى متباعدين.

وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ إشارة إلى أن المعاصرين لمحمد ﷺ من النصارى ليسوا على حقيقة النصرانية، بل[2] كونهم نصارى قول منهم وزعم.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ معناه: ذلك بأن منهم أهل خشية، وانقطاع إلى الله وعبادة، وإن لم يكونوا على هدى، فهم يميلون إلى أهل العبادة والخشية، وليس عند اليهود، ولا كان قط أهل ديارات وصوامع وانقطاع عن الدنيا، بل هم معظمون لها، متطاولون في البنيان وأمور الدنيا، حتى كأنهم لا يؤمنون بالآخرة، فلذلك لا يرى فيهم زاهد.

ويقال: قسّ، بفتح القاف وبكسرها، وقسيس، وهو اسم أعجمي عرِّب، والقس في كلام العرب: النميمة، وليس من هذا.

= (٢٠/ ٧٣) وغيرهما من طريق الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد قال: لما كان يوم بدر، ظهرت الروم على فارس، فأعجب ذلك المؤمنين؛ لأنهم أهل كتاب، فأنزل الله: ﴿الٓمٓ * غُلِبَتِ ٱلرُّومُ * فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ قال: كانوا قد غلبوا قبل ذلك، ثم قرأ حتى بلغ ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ * بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ﴾. وقال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه.اهـ، وعطية هو العوفي ضعيف، وكان يروي عن الكلبي التفسير ويكنيه بأبي سعيد، والكلبي تالف، قال ابن كثير في التفسير (٦/ ٣٠٤): لما انتصرت فارس على الروم ساء ذلك المؤمنين، فلما انتصرت الروم على فارس فرح المؤمنون بذلك؛ لأن الروم أهل كتاب في الجملة، فهم أقرب إلى المؤمنين من المجوس. اهـ.

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٩٩).

(٢) في السليمانية وفيض الله ولالاليه زيادةُ «جاء».

وأما «الرهبان» فجمع: راهب، وهذه تسمية عربية، والرهب: الخوف، ومن الشواهد على أن الرهبان جمع قول الشاعر:

[الكامل] رُهْبَانُ مَدْيَنَ لَوْ رَأَوْكِ تَنزلُوا والْعُصْمُ مِنْ شَعَفِ الْعُقُولِ الفَادِرِ[(١)]

وقد قيل: الرهبان اسم مفرد، والدليل عليه قول الشاعر:

[الرجز] لَوْ عَايَنَتْ رُهْبَانَ دَيْرٍ فِي الْقُلَلْ تحدَّر الرُّهْبَانُ يَمْشِي وَنَزَلْ[(٢)]

قال القاضي أبو محمد: ويروى: ويزل بالياء من الزلل، وهذه الرواية أبلغ في معنى غلبة هذه المرأة على ذهن هذا الراهب.

ووصف الله تعالى النصارى بأنهم لا يستكبرون، وهذا بين موجود فيهم حتى الآن، واليهودي متى وجد غروراً طغى وتكبر، وإنما أذلهم الله وأضرعتهم الحمى، وداسهم كلكل الشريعة ودين الإسلام أعلاه الله.

وذكر سعيد بن جبير ومجاهد وابن عباس أن هذه الآية نزلت بسبب وفد بعثهم النجاشي إلى رسول الله ﷺ ليروه ويعرفوا حاله، فقرأ النبي ﷺ عليهم القرآن فبكوا وآمنوا، ورجعوا إلى النجاشي فآمن، ولم يزل مؤمناً حتى مات فصلى عليه النبي ﷺ[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: وروي أن نعش النجاشي كشف للنبي ﷺ، فكان يراه من موضعه بالمدينة، وجاء الخبر بعد مدة أن النجاشي دفن في اليوم الذي صلى فيه النبي ﷺ عليه[(٤)].

---

(١) البيت لجرير كما في تفسير القرطبي (٦/ ٢٥٨)، ولسان العرب (١/ ٤٣٧)، وهو في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٠٤)، وتفسير الطبري (١٠/ ٥٠٢)، بلا نسبة، وفي لالاليه: «البازر» بدل: «الفادر».

(٢) البيت في تفسير الطبري (١٠/ ٥٠٣)، وتهذيب اللغة (٢/ ٣٣٠) بلا نسبة، وذكر في خزانة الأدب (٧/ ٢٧٤) أن قبله: فإن عفراء من الدنيا أمل، قال: لكني لم أجده في ديوان عروة، وفي المطبوع: «تحذر».

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٤٩٩) من طريق معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٤) لم أقف عليه.

وذكر السدي: أنهم كانوا اثني عشر: سبعة قسيسين، وخمسة رهبان، وقال أبو صالح: كانوا سبعة وستين رجلاً، وقال سعيد بن جبير: كانوا سبعين، عليهم ثياب الصوف، وكلهم صاحب صومعة، اختارهم النجاشي الخيِّر فالخيِّر[(١)].

وذكر السدي: أن النجاشي خرج مهاجراً، فمات في الطريق[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف لم يذكره أحد من العلماء بالسيرة.

وقال قتادة: نزلت هذه الآيات في قوم كانوا مؤمنين، ثم آمنوا بمحمد ﷺ[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: وفرق الطبري بين هذين القولين، وهما واحد.

وروى سلمان الفارسي عن النبي ﷺ ذلك بأن منهم صديقين ورهباناً[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ﴾ الآية؛ الضمير في ﴿سَمِعُواْ﴾ ظاهره العموم، ومعناه الخصوص فيمن آمن من هؤلاء القادمين من أرض الحبشة؛ إذ هم عرفوا الحق وقالوا: آمنا، وليس كل النصارى يفعل ذلك.

وصدر الآية في قرب المودة عام فيهم، ولا يتوجه أن يكون صدر الآية خاصاً فيمن آمن؛ لأن من آمن فهو من (الذين آمنوا)، وليس يقال فيه: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾، ولا يقال في مؤمنين: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ﴾، ولا يقال: إنهم أقرب مودة، بل

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٥٠٥)

(٢) انظر الأقوال في تفسير الطبري (١٠/ ٥٠١) وما بعدها، وانظر أيضاً الهداية لمكي (٣/ ١٨٣٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٨٨).

(٣) انظره مع التفريق المشار له في تفسير الطبري (١٠/ ٥٠١).

(٤) لا يصح، أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده (١/ ٤٧٨) والبخاري في التاريخ الكبير (٨/ ١١٦) وغيرهما من طريق نصير بن زياد الطائي، نا الصلت الدهان، عن حامية بن رئاب قال: سألت سلمان عن هذه الآية: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا﴾؟ فقال: «دع القسيسين في الصوامع والخربة، أقرأنيها رسول الله ﷺ: (ذلك بأن منهم صديقين ورهباناً)»، وفي إسناده من لم يوثقوا.

من آمن فهو أهل مودة محضة، فإنما وقع التخصيص من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ﴾، وجاء الضمير عاماً؛ إذ قد تحمد الجماعة بفعل واحد منها، وفي هذا استدعاء للنصارى، ولطف من الله تعالى بهم، ولقد يوجد فيض الدموع غالباً فيهم وإن لم يؤمنوا.

وروي أن وفداً من نجران قدم على أبي بكر الصديق في شيء من أمورهم، فأمر من يقرأ القرآن بحضرتهم، فبكوا بكاء شديداً، فقال أبو بكر: هكذا كنا، ولكن قست القلوب[1].

وروي أن راهباً من رهبان ديارات الشام نظر إلى أصحاب النبي ﷺ، ورأى عبادتهم وجدهم في قتال عدوهم، فعجب من حالهم، وبكى، وقال: ما كان الذين نشروا بالمناشير على دين عيسى بأصبر من هؤلاء، ولا أجدَّ في دينهم[2].

قال القاضي أبو محمد: فالقوم الذين وصفوا بأنهم عرفوا الحق هم الذين بعثهم النجاشي ليروا النبي ﷺ ويسمعوا ما عنده، فلما رأوه قرأ عليهم القرآن، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾؛ فاضت أعينهم بالدمع من خشية [الله ورِقَّة][3] القلوب.

و«الرؤية» في الآية رؤية العين، و﴿تَفِيضُ﴾: حال من الأعين، و﴿يَقُولُونَ﴾: حال أيضاً.

و﴿ءَامَنَّا﴾ معناه: صدقنا أن هذا رسولك، والمسموع كتابك، والشاهدون محمد وأمته، قاله ابن عباس[4] وابن جريج وغيرهما، وقال الطبري: لو قال قائل: معنى ذلك: مع الشاهدين بتوحيدك من جميع العالم من تقدم ومن تأخر؛ لكان ذلك صواباً[5].

---

(١) لم أجده.

(٢) انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ١١).

(٣) ساقط من المطبوع.

(٤) أخرجه بنحوه الطبري (١٠/ ٥٠٩-٥١٠) من طريق سماك، عن عكرمة، وعن علي بن أبي طلحة، كلاهما عن ابن عباس به.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٥١٠)، وانظر قول ابن جريج فيه (١٠/ ٥٠٩).

قال القاضي أبو محمد: / هذا معنى قول الطبري، وهو كلام صحيح، وكأن ابن [٢/ ٤٧]
عباس رضي الله عنه خصص أمة محمد ﷺ؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣][١].

قوله عز وجل: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

قولهم: ﴿ وَمَا لَنَا ﴾: توقيف لأنفسهم، أو محاجة لمن عارضهم من الكفار؛ بأن قال لهم: آمنتم وعجلتم، فقالوا: وأي شيء يصدنا عن الإيمان وقد لاح الصواب، وجاء الحق المنير؟

﴿ وَمَا لَنَا ﴾: ابتداء وخبر، و﴿لَا نُؤْمِنُ ﴾: في موضع الحال، ولكنها حال هي المقصد، وفيها الفائدة، كما تقول: جاء زيد راكباً، وأنت قد سئلت: هل جاء ماشياً أو راكباً.

وفي مصحف ابن مسعود: (وما لنا لا نؤمن بالله وما أنزل إلينا ربنا)[٢].

﴿وَنَطْمَعُ ﴾ تقديره: ونحن نطمع، فالواو: عاطفة جملة على الجملة، لا عاطفة فعل على فعل.

و«القوم الصالحون»: محمد ﷺ وأصحابه، قاله ابن زيد وغيره من المفسرين[٣].

ثم ذكر الله تعالى ما أثابهم به من النعيم على إيمانهم وإحسانهم.

ثم ذكر حال الكافرين المكذبين، وأنهم قُرناء الجحيم، والمعنى: قد علم من غير ما آية من كتاب الله أنه اقتران لازم دائم أبدي.

---

(١) تتميم الآية من السليمانية وفيض الله ولالاليه.

(٢) تابعه في البحر المحيط (٤/ ٣٤٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٥١٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٨٦).

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ الآية، قال أبو مالك وعكرمة وإبراهيم النخعي وأبو قلابة وقتادة والسدي وعبد الله بن عباس رضي الله عنه وغيرهم: إنها نزلت بسبب جماعة من أصحاب النبي ﷺ، بلغت منهم المواعظ وخوف الله إلى أن حرم بعضهم النساء، وبعضهم النوم بالليل والطيب، وهمَّ بعضهم بالاختصاء، وكان منهم علي بن أبي طالب، وعثمان بن مَظْعون[١].

قال عكرمة: ومنهم ابن مسعود والمقداد وسالم مولى أبي حذيفة، وقال قتادة: رفضوا النساء واللحم، وأرادوا أن يتخذوا الصوامع[٢].

وقال ابن عباس: أخذوا الشفار ليقطعوا مذاكرهم[٣].

وطوَّل السدي في قصة الحولاء[٤] امرأة عثمان بن مظعون مع أزواج النبي ﷺ، وإخبارها بأنه لم يلم بها، فلما أعلم رسول الله ﷺ بحالهم قال: «أما أنا فأقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وآتي النساء، وأنال الطيب، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[٥].

قال الطبري: وكان فيما يتلى: (من رغب عن سنتك فليس من أمتك، وقد ضل سواء السبيل)[٦].

وقال ابن زيد: سبب هذه الآية: أن عبد الله بن رواحة ضافه ضيف، فانقلب ابن رواحة وضيفه لم يتعشَّ، فقال لزوجه: ما عشيته؟ قالت: كان الطعام قليلاً فانتظرتك،

---

(١) في صحته عنه نظر، أخرجه عنه: الطبري (١٠/ ٥١٨) من طريقين، الأول: علي بن أبي طلحة عنه، ولا يسلم من المقال، والثاني بالإسناد التالف عن عطية العوفي عنه.

(٢) انظر قول عكرمة في تفسير الطبري (١٠/ ٥١٩)، وقول قتادة فيه (١٠/ ٥١٦).

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٠/ ٥١٨)، بإسناد مسلسل بالضعفاء.

(٤) هي الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، القرشية الأسدية، أسلمت وبايعت، الإصابة (٨/ ٩٣).

(٥) منقطع، أخرجه الطبري (١٠/ ٥١٧) وهومنقطع، وانظر تطويل السدي فيه.

(٦) تفسير الطبري (١٠/ ٥١٦).

فقال: حبست ضيفي من أجلي، طعامك علي حرام إن ذقته، فقالت هي: وهو علي حرام إن ذقته إن لم تذقه، وقال الضيف: وهو عليّ حرام إن ذقته إن لم تذوقوه[١]، فلما رأى ذلك ابن رواحة قال: قربي طعامك كلوا باسم الله فأكلوا جميعاً، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال له رسول الله: «أحسنت»، ونزلت هذه الآية[٢].

وأسند الطبري إلى ابن عباس: أن الآية نزلت بسبب رجل أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني إذا أصبت من اللحم انتشرت وأخذتني شهوتي، فحرمت اللحم، فأنزل الله هذه الآية[٣].

قال القاضي أبو محمد: و«الطيبات» في هذه الآية: المستلذات، بدليل إضافتها إلى ما أحل، وبقرينة ما ذكر من سبب الآية.

واختلف المتأولون في معنى قوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾:

فقال السدي وعكرمة وغيرهما: هو نهي عن هذه الأمور المذكورة من تحريم ما أحل الله وشرع ما لم يأذن به، فقوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ تأكيد لقوله: ﴿لَا تُحَرِّمُواْ﴾.

وقال الحسن بن أبي الحسن: المعنى: ولا تعتدوا فتحلوا ما حرم الله[٤].

فالنهيان على هذا تضمَّنَا الطرفين، كأنه قال[٥]: لا تشددوا فتحرموا حلالًا، ولا تترخصوا فتحلوا حراماً، وقد تقدم القول في معنى: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ غير مرة.

---

(١) في السليمانية: «تذوقاه».

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٠/ ٥١٩) من طريق ابن وهب عن ابن زيد، هو أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه مرسلاً، وأسامة ضعيف.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٠/ ٥٢٠) من طريق عثمان بن سعد قال: حدثنا عكرمة، عن ابن عباس، وعثمان هو التميمي، ويقال: التيمي القرشي، الكاتب المعلم، أبو بكر البصري، وهو ضعيف.

(٤) انظره مع قول السدي وعكرمة في تفسير الطبري (١٠/ ٥٢١)، وتفسير الماوردي (٢/ ٥٩).

(٥) زيادة من السليمانية وفيض الله.

قوله عز وجل: ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

﴿وَكُلُوا۟﴾ في هذه الآية: عبارة عن: تمتعوا بالأكل والشرب واللباس والركوب، ونحو ذلك، وخص الأكل بالذكر؛ لأنه عُظم المقصود، وأخص الانتفاعات بالإنسان.

والرزق عند أهل السنة: ما صح الانتفاع به، وقالت المعتزلة: الرزق كل ما صح تملُّكه والحرام ليس برزق؛ لأنه لا يصح تملكه، ويرد عليهم بأنه يلزمهم أن آكل الحرام ليس بمرزوق من الله تعالى(١).

وقد خرج بعض النبلاء أن الحرام رزقٌ من قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]، قال: فذكر المغفرة مشيراً إلى أن الرزق قد يكون فيه حرام(٢).

ورد أبو المعالي في الإرشاد على المعتزلة بأنهم إذا قالوا: إن الرزق ما تملك يلزمهم أن ما ملك فهو الرزق، وملك الله تعالى الأشياء لا يصح أن يقال فيه: إنه رزق له(٣).

قال القاضي أبو محمد: وهذا الذي ألزم غير لازم، فتأمله، وباقي الآية بين.

وقد تقدم القول في سورة البقرة في نظير قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾.

---

(١) انظر قول أهل السنة وقول المعتزلة والرد عليه في: غاية الوصول في شرح لب الأصول لأبي زكريا الأنصاري (١/ ١٧٧).
(٢) انظر قولهم في: تفسير القرطبي (١/ ١٧٨).
(٣) انظر شرح المقاصد في علم الكلام (٢/ ١٦٢)، والإرشاد للجويني (ص: ٣٦٤).

وقوله تعالى: ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ﴾ معناه: شددتم.

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: ﴿عَقَّدتُّمُ﴾ مشددة القاف، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي: ﴿عقدتم﴾ / خفيفة القاف. [٢/ ٤٨]

وقرأ ابن عامر: ﴿عاقدتم﴾ بألف على وزن فاعلتم[١].

قال أبو علي: من شدد القاف احتمل أمرين: أحدهما: أن يكون لتكثير الفعل؛ لأنه خاطب جماعة، والآخر: يكون عقد مثل ضعف، لا يراد به التكثير، كما أن ضاعف لا يراد به فعل من اثنين، ومن قرأ: ﴿عقدتم﴾ فخفف القاف؛ جاز أن يراد به الكثير من الفعل والقليل، وعقد اليمين كعقد الحبل والعهد[٢]، وقال الحطيئة:

قَـوْمٌ إذا عَقَـدوا عَقْـداً لَجارِهِـمُ شَدُّوا العِناجَ وشَدُّوا فَوقَهُ الكَرَبا[٣] [البسيط]

ومن قرأ: ﴿عاقدتم﴾ فيحتمل ضربين: أحدهما أن يكون كطارقت النعل، وعاقبت اللص، والآخر: أن يراد به فاعلت الذي يقتضي فاعلين، كأن المعنى: يؤاخذكم بما عاقدتم عليه الأيمان[٤].

ويعدى «عاقَدَ» بـ«على» لما هو في معنى: عاهد، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، وهذا كما عديت: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٥٨] بـ﴿إِلَى﴾ وبابها أن تقول: ناديت زيداً، ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢]، لكن لما كانت بمعنى: دعوت إلى كذا كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣]، عديت نادى بـ﴿إِلَى﴾ .

---

(١) فهي ثلاث قراءات سبعية، وحفص كنافع، انظر السبعة (ص: ٢٤٧)، وكذا هشام كما في التيسير (ص: ١٠٠).

(٢) في الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٢٥١).

(٣) تقدم في أول السورة.

(٤) من بقية كلام أبي علي.

ثم يتسع في قوله تعالى: «عاقدتم عليه الأيمان» فيحذف الجار، ويصل الفعل إلى المفعول، ثم يحذف من الصلة الضمير الذي يعود على الموصول، وتقديره: يؤاخذكم بما عقدتموه الأيمان، كما حذف من قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤].

و﴿ٱلۡأَيۡمَٰنَ﴾ جمع: يمين، وهي الألية، سميت يميناً؛ لما كان عرفهم أن يصفقوا بأيمان بعضهم على أيمان بعض عند الألية.

وقوله تعالى: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ ﴾ معناه: فالشيء الساتر على إثم الحنث في اليمين إطعام، والضمير على الصناعة النحوية عائد على (ما)، ويحتمل ما في هذا الموضع أن تكون بمعنى: الذي، وتحتمل أن تكون مصدرية، وهو عائد مع المعنى الذي ذكرناه على إثم الحنث، ولم يجر له ذكر صريح، لكن المعنى يقتضيه.

و﴿إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ ﴾ معناه: إشباعهم مرة، قال الحسن بن أبي الحسن: إن جمعهم أشبعهم إشباعة واحدة، وإن أعطاهم أعطاهم مكوكاً مكوكاً[١].

وحكم هؤلاء أن لا يتكرر واحد منهم في كفارة يمين واحدة، وسواء أطعموا أفراداً أو جماعة في حين واحد، ولا يجزئ في شيء من ذلك ذمي.

وإن أطعم صبي فيعطى حظ كبير، ولا يجوز أن يطعم عبد، ولا ذو رحم تلزم نفقته، فإن كان ممن لا تلزم المكفر نفقته؛ فقد قال مالك: لا يعجبني أن يطعمه، ولكن إن فعل وكان فقيراً أجزأه[٢].

ولا يجوز أن يطعم منها غني، وإن أطعم جهلاً بغناه؛ ففي المدونة وغير كتاب: أنه لا يجزئ، وفي الأسدية: أنه يجزئ[٣].

واختلف الناس في معنى قوله: ﴿مِنۡ أَوۡسَطِ ﴾:

---

(١) انظر قول الحسن في: تفسير الطبري (١٠/ ٥٣٧).

(٢) انظر: المدونة (١/ ٥٩٣).

(٣) انظر: المدونة (١/ ٥٩٣)، وانظر ما عزاه لكتاب الأسدية في: تفسير القرطبي (٦/ ٢٧٧).

فرأى مالك ـ رحمه الله ـ وجماعة معه هذا التوسط في القدر، ورأى ذلك جماعة في الصنف، والوجه أن يعم بلفظ الوسط القدر والصنف، فرأى مالك أن يطعم المسكين بالمدينة مداً بمد النبي ﷺ، وذلك رطل وثلث من دقيق، وهذا لضيق المعيشة بالمدينة، ورأى في غيرها أن يتوسع، ولذلك استحسن الغداء والعشاء، وأفتى ابن وهب بمصر بمد ونصف، وأشهب بمد وثلث، قال ابن الموَّاز: ومد وثلث وسط من عيش أهل الأمصار في الغداء والعشاء.

قال ابن حبيب: ولا يجزئ الخبز قفاراً، ولكن بإدام زيت أو لبن أو لحم أو نحوه، وفي شرح ابن مزين: أن الخبز القفار يجزئ[١].

ورأى من يقول: إن التوسط إنما هو في الصنف أن يكون الرجل المكفر يتجنب أدنى ما يأكل الناس في البلد، وينحط عن الأعلى، ويكفر بالوسط من ذلك.

ومذهب المدونة: أن يراعي المكفِّر عيش البلد[٢]، وفي كتاب ابن الموَّاز: أن المراعى عيشه في أهله الخاص به[٣]، وكأن الآية على التأويل [الأول معناها: من أوسط ما تطعمون أيها الناس أهليكم في الجملة من مدينة أو صقع، وعلى التأويل][٤] الثاني معناها: من أوسط ما يطعم شخص أهله.

وقرأ الجمهور: ﴿أَهۡلِيكُمۡ﴾، وهو جمع: أهل على السلامة، وقرأ جعفر بن محمد: (من أوسط ما تطعمون أَهَاليَكم)[٥]، وهذا جمع مكسر، قال أبو الفتح: أهالٍ بمنزلة: ليال، كأن واحدها: أهلاة وليلاة، والعرب تقول: أهل وأهلة، ومنه قول الشاعر:

---

(١) انظر قول مالك في: تفسير القرطبي (٦/ ٢٧٦)، وانظر بقية الأقوال في: النوادر (٤/ ٢٤) إلا قول ابن مزين فإني لم أقف عليه.

(٢) انظر: المدونة (١/ ٥٩١).

(٣) انظر: قول ابن المواز في: النوادر (٤/ ٢٢).

(٤) ساقط من الحمزوية ونجيبويه.

(٥) وهي قراءة شاذة، انظرها مع توجيهها في المحتسب (١/ ٢١٧).

[الطويل] وأَهْلـةِ وُدٍّ قـد تَبَرَّيْـتُ ودَّهـم[١] ....

ويقال: ليلة وليلاة، وأنشد ابن الأعرابي:

[الرجز] فـي كُـلِّ مـا يَـوْمٍ وَكُـلِّ لَـيْلاَهْ حَـتَّـى يَـقُـولَ كُـلُّ رَاءٍ إذْ رَاهْ

يَا وَيْحَهُ منْ جَمَلٍ ما أَشْقَاهْ[٢]

وقرأ الجمهور: ﴿أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ﴾ [بكسر الكاف، يراد به كسوة الثياب.

وقرأ سعيد بن المسيب وأبو عبد الرحمن وإبراهيم النخعي: (أو كُسوتهم)][٣] بضم الكاف[٤].

وقرأ سعيد بن جبير ومحمد بن السمَيفَع اليماني: (أو كأسوتهم)[٥] من الأسوة، قال أبو الفتح: كأنه قال: أو بما يكفي مثلهم، فهو على حذف المضاف، بتقدير: أو ككفاية أسوتهم، قال: وإن شئت جعلت الأسوة هي الكفاية، فلم تحتج إلى حذف مضاف.

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا نظر، والقراءة مخالفة لخط المصحف، ومعناها على خلاف ما تأول جميع أهل العلم: من أن الحانث في اليمين بالله مخيَّر في الإطعام أو الكسوة أو العتق[٦]، والعلماء على أن العتق أفضل ذلك، ثم الكسوة، ثم الإطعام.

وبدأ الله تعالى عباده بالأيسر فالأيسر، ورب مدة ومسغبة يكون فيها الإطعام أفضل من العتق، لكن ذلك شاذ وغير معهود، والحكم للأغلب.

---

(١) تمامه: وأبليتهم في الحمد جهدي ونائلي، وهو لخوات بن جبير كما في المحكم والمحيط الأعظم (١٠/ ٣٠٩)، ولسان العرب (١٤/ ٧٢)، قال: ونسبه ابن بري إلى أبي الطمحان القيني، واقتصر عليه في خزانة الأدب (٨/ ٩٤) عازياً لابن السيرافي وصاحب العباب.

(٢) الأبيات بلا نسبة في المخصص (٢/ ٣٨٧)، والخصائص (١/ ٢٦٨)، وغيرهما.

(٣) ساقط من الحمزوية.

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٤٠)، تفسير الكشاف (١/ ٧٠٦).

(٥) وهي قراءة شاذة، انظرها مع توجيهها في المحتسب (١/ ٢١٨).

(٦) انظر الإجماع على ذلك في: الإقناع (٣/ ١١٢٩).

واختلف العلماء في حد الكسوة:

فراعى قوم نفس اللفظ، فإذا كان الحانث المكفر كاسياً، والمسكين مكسواً؛ حصل الإجزاء، وهذه رتبة تتحصل بثوب واحد أي ثوب كان، بعد إجماع الناس أن القلنسوة بانفرادها لا تجزئ في كفارة اليمين(١).

قال مجاهد: يجزئ في كفارة اليمين ثوب واحد فما زاد، وقال الحسن: الكسوة ثوب لكل مسكين، وقاله طاووس، وقال منصور: الكسوة ثوب قميص أو رداء أو إزار، قاله أبو جعفر وعطاء وابن عباس، وقال: قد تجزئ العباءة في الكفارة، وكذلك الشملة(٢).

وقال الحسن بن أبي الحسن: تجزئ العمامة في كفارة اليمين، وقال مجاهد: يجزئ كل شيء إلا التُّبَّان(٣)، وروي عن سلمان رضي الله عنه أنه قال: نعم الثوب التُّبَّان، أسنده الطبري(٤).

وقال الحكم بن عتيبة: تجزئ عمامة يلف بها رأسه(٥).

وراعى قوم معهود الزي والكسوة المتعارفة / ، فقال بعضهم: لا يجزئ الثوب [٢/ ٤٩]
الواحد إلا إذا كان جامعاً مما قد يتزيَّى به كالكساء والملحفة.

وقال إبراهيم النخعي: يجزئ الثوب الجامع، وليس القميص والدرع والخمار ثوباً جامعاً.

قال القاضي أبو محمد: قد يكون القميص الكامل جامعاً وزياً.

وقال بعضهم: الكسوة في الكفارة إزار وقميص ورداء، قاله ابن عمر، رضي الله

(١) لم أقف على من نقل لفظ: الإجماع، لكن نقل معناه المغني (١٠/ ٨)، والحاوي للماوردي (١٥/ ٣٢٠).
(٢) انظر قولي ابن عباس وقول بقية من ذكرهم المؤلف في: تفسير الطبري (١٠/ ٥٤٧).
(٣) انظر قول مجاهد وقول الحسن في: تفسير الطبري (١٠/ ٥٥٠).
(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (١٠/ ٥٥١) من طريق وكيع عن أويس الصيرفي، عن أبي الهيثم قال: قال سلمان، ولم أعرف أويساً ولا شيخه الذي لم يذكر سماعاً.
(٥) انظر قول الحكم في: تفسير الطبري (١٠/ ٥٥١)، وفي السليمانية: «قتيبة»، وهو خطأ، وقد سبق التعريف به.

عنه[١]، وروي عن الحسن وابن سيرين وأبي موسى الأشعري: أن الكسوة في الكفارة ثوبان لكل مسكين[٢].

وعلق مالك ـ رحمه الله ـ الحكم بما يجزئ في الصلاة، وهذا أحسن نظر، فقال: يجزئ في الرجل ثوب واحد[٣]، وقال ابن حبيب: يُكسَى قميصاً أو إزاراً يبلغ أن يلتف به مشتملاً[٤]، وكلام ابن حبيب تفسير.

قال مالك: تكسَى المرأة درعاً وخماراً[٥]، وقال ابن القاسم في العتبية: وإن كسا صغار الإناث فدرع وخمار كالكبيرة، والكفارة واحدة لا ينقص منها الصغير، قال عنه ابن الموَّاز، ولا تعجبني كسوة المراضع بحال، فأما من أمر بالصلاة فيكسوه قميصاً ويجزئه، قال ابن الموَّاز من رأيه: بل كسوة رجل كبير، وإلا لم يجزئ[٦]، قال أشهب: تعطى الأنثى إذا لم تبلغ الصلاة ثوب رجل، ويجزئ، وقاله ابن الماجشون[٧].

وقوله: ﴿أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ التحرير: الإخراج من الرق، ويستعمل في الأسر والمشقات وتعب الدنيا[٨] ونحوها، فمنه قوله تعالى عن أم مريم: ﴿إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: ٣٥]؛ أي: من شغوب الدنيا، ومن ذلك قول الفرزدق:

[الكامل] أَبَنِـي غُدانـةَ إنَّنـي حَرّرْتُكـم فوهبتُكـم لعطيَّـةَ بـن جِعـالِ[٩]

---

(١) انظر قول إبراهيم وقول ابن عمر رضي الله عنه في: تفسير الطبري (١٠/ ٥٥٠).
(٢) انظر قول أبي موسى رضي الله عنه والحسن وابن سيرين في: تفسير الطبري (١٠/ ٥٤٧).
(٣) انظر قول مالك في: الاستذكار (٥/ ٢٠٢).
(٤) انظر قول ابن حبيب في: النوادر (٤/ ٢١).
(٥) انظر قول مالك في: الاستذكار (٥/ ٢٠٢).
(٦) انظر قول ابن القاسم في العتبية، وقولي ابن المواز في: النوادر (٤/ ٢١)، وفيه تصرف.
(٧) في الحمزوية وفيض الله: «شهاب» ولعله خطأ، انظر قول أشهب في: النوادر (٤/ ٢١)، ولم أجد نسبته لابن الماجشون.
(٨) في السليمانية: «النفس».
(٩) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٠/ ٥٥٢)، وطبقات فحول الشعراء (٢/ ٤٩٢)، والاشتقاق (ص: ٢٢٩)، والحيوان (٥/ ٩٠).

أي: حررتكم[١] من الهجاء.

وخص الرقبة من الإنسان؛ إذ هو العضو الذي فيه يكون الغل والتوثق غالباً من الحيوان، فهو موضع الملك، فأضيف التحرير إليها.

واختلف الناس في صفة المعتق في الكفارة كيف ينبغي أن يكون؟

فقالت جماعة من العلماء: هذه رقبة مطلقةٌ لم تقيَّد بإيمان، فيجوز في كفارة اليمين عتق الكافر، وهذا مذهب الطبري وجماعة من العلماء[٢].

وقالت فرقة: كل مطلق في القرآن من هذا فهو راجع إلى المقيد في عتق الرقبة في القتل الخطأ، فلا يجزئ في شيء من الكفارات كافر، وهذا قول مالك ـ رحمه الله ـ وجماعة معه[٣].

وقال مالك ـ رحمه الله ـ: لا يجزئ أعمى ولا أبرص ولا مجنون، وقاله ابن شهاب وجماعة[٤].

وفي الأعور قولان في المذهب، وكذلك في الأصم وفي الخصي[٥].

ومن العلماء من رأى أن جميع هذا يجزئ، وفرق النخعي فجوز عتق من يعمل أشغاله وخدمته، ومنع عتق من لا يعمل، كالأعمى والمقعد والأشل اليدين[٦].

---

(١) في المطبوع: «حررتم».

(٢) الطبري (١٠/ ٥٧٥) وهو قول عطاء والثوري في: المغني (١٠/ ٩)، وأصحاب الرأي في: المبسوط للسرخسي (٧/ ٣-٤).

(٣) انظر المدونة (١/ ٥٩٦)، وهو قول الشافعي في: الأم (٧/ ١١٦)، وأبي عبيد في: الأوسط (١٢/ ١٩٣).

(٤) انظر قول مالك في: المدونة (٢/ ٣٢٧)، وقول الزهري فيها (٢/ ٣٣٠).

(٥) انظر قولي المالكية في الأعور والأصم في: الاستذكار (٧/ ٣٤٣)، وانظر قوليهم في الخصي في: النوادر (٤/ ٢٣).

(٦) انظر تفريق النخعي في: البحر المحيط (٤/ ٣٥٤)، وانظر الإجماع على حكم الأعمى والأشل والمقعد في: الإقناع (٣/ ١١٣٣).

قال مالك ـ رحمه الله ـ: والأعجمي عندي يجزئ من قصر النفقة وغيره أحب إليَّ[١]، قال سحنون: يريد بعد أن يجيب إلى الإسلام[٢]، فإن كان الأعجمي لم يجب، إلا أنه ممن يجبر على الإسلام، كالكبير من المجوس والصغير من الحربيين الكتابيين، فقال ابن القاسم: يجزئ عتقه وإن لم يسلم، وقال أشهب: لا يجزئ حتى يسلم[٣]، ولا يجزئ عند مالك من فيه شعبة حرية[٤]، كالمدبر وأم الولد ونحوه[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾ معناه: لم يجد في ملكه أحد هذه الثلاثة من الإطعام، أو الكسوة، أو عتق الرقبة.

واختلف العلماء في حد هذا العادم الوجد متى يصح له الصيام:

فقال الشافعي ـ رحمه الله ـ وجماعة من العلماء: إذا كان المكفر لا يملك إلا قوته وقوت عياله يومه وليلته؛ فله أن يصوم، فإن كان عنده زائداً على ذلك ما يطعم عشرة مساكين لزمه الإطعام[٦]، وهذا أيضاً هو مذهب مالك وأصحابه، قال مالك في المدونة: لا يجزئه الصيام، وهو يقدر على أحد الوجوه الثلاثة[٧].

وروي عن ابن القاسم أن من تفضُل له نفقة يوم فإنه لا يصوم، وقال ابن الموَّاز: ولا يصوم الحانث حتى لا يجد إلا قُوتَه أو يكون في البلد[٨] لا يعطف عليه فيه، وقال

---

(١) انظر قول مالك في: المدونة (١/ ٥٩٦).

(٢) انظر قول سحنون في: منح الجليل (٤/ ٢٤٩).

(٣) انظر قول ابن القاسم في: النوادر (٤/ ٢٣)، وانظر قول أشهب في: منح الجليل (٤/ ٢٤٩).

(٤) في السليمانية وفيض الله: «رق».

(٥) انظر قول مالك في: المدونة (١/ ٥٩٦).

(٦) انظر الأم (٧/ ١١٧)، وقال به أيضاً يحيى بن سعيد الأنصاري وابن المسيب والزهري، كما في: المدونة (١/ ٥٩٤).

(٧) المدونة (١/ ٥٩٤).

(٨) في السليمانية وفيض الله ونجيبويه: «بلد».

ابن القاسم في كتاب ابن مزين: إن كان للحانث فضلٌ عن قوت يومه أطعم إلا أن يخاف الجوعَ، أو يكون في بلد لا يعطف عليه فيه[١].

وقال سعيد بن جبير: إن لم يكن له إلا ثلاثة دراهم أطعم، وقال قتادة: إذا لم يكن له إلا قدر ما يكفر به صام، وقال الحسن بن أبي الحسن: إذا كان له درهمان أطعم[٢].

قال الطبري: وقال آخرون: جائزٌ لمن لم تكن عنده مئتا درهم أن يصوم وهو ممن لا يجد، وقال آخرون: جائز لمن لم يكن عنده فضل على رأس ماله الذي يتصرف به في معاشه أن يصوم[٣].

وقرأ أبي بن كعب: (فصيام ثلاثة أيام متتابعات)، وكذلك عبد الله بن مسعود وإبراهيم النخعي[٤]، وقال بذلك جماعة من العلماء منهم مجاهد وغيره[٥].

وقال مالك ـ رحمه الله ـ وغيره: إن تابع فحسن، وإن فرق أجزأ[٦].

---

(١) انظر ما نقله عن ابن المواز وهو ناقل له عن مالك، وما نقله عن كتاب ابن مزين من قول ابن القاسم في: النوادر (٤/ ٢٤).

(٢) نقله أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٣٥٤)، وقد نقل ابن المنذر عن قتادة: أنه إذا كانت للمكفر دون الخمسين من الدراهم فإن له أن يصوم، انظر قول سعيد بن جبير والحسن وقتادة في: الأوسط (١٢/ ٢٠٤).

(٣) تفسير الطبري (١٠/ ٥٥٨).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: كتاب المصاحف (١/ ١٦٦)، والهداية لمكي (٣/ ١٨٥٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٣٥٤).

(٥) منهم عطاء وعكرمة والنخعي كما في: الأوسط (١٢/ ٢٠٥)، وأصحاب الرأي كما في: المبسوط للسرخسي (٨/ ١٦٦-١٦٧)، وأحمد وإسحاق كما في: مسائل أحمد وإسحاق رواية الكوسج (ص: ١٥٧٨)، وانظر: تفسير الطبري (١٠/ ٥٥٩ و٥٦٠)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/ ١٢١)، وتفسير الماوردي (٢/ ٦٣).

(٦) المدونة (١/ ٥٩٤)، وهو قول الشافعي في: الأم (٧/ ١١٧)، والحسن وطاووس، كما في: الأوسط (١٢/ ٢٠٦).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ إشارة إلى ما ذكر من الأشياء الثلاثة.

وقوله ﴿إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ معناه: ثم أردتم الحنث أو وقعتم فيه، وباقي الآية وُصاة وتوقيف على النعمة والإيمان.

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾.

الخطاب للمؤمنين جميعاً؛ لأن هذه الأشياء شهوات وعادات قد تلبس بها في الجاهلية، وغلبت على النفوس، فكان بقي منها في نفوس كثير من المؤمنين.

فأما ﴿ٱلْخَمْرُ﴾ فكانت لم تحرم بعد.

وأما (الْمَيْسِرُ) ففيه قمار ولذة للفارغ من النفوس، ونفع أيضاً بوجه ما.

وأما (الأَنْصابُ) ـ وهي حجارة يذكُّون عندها لفضل يعتقدونه فيها، وقيل: هي الأصنام المعبودة، كانوا يذبحون لها وعندها في الجاهلية ـ فإن كانت المرادة في هذه الآية الحجارة التي يذبح عندها فقط فذلك؛ لأنه كان في نفس ضعفة المؤمنين شيء من تعظيم تلك الحجارة.

وهذا كما قالت امرأة الطفيل بن عمرو الدوسي(١) لزوجها: أتخاف على الصبية من ذي الشَّرى شيئاً؟(٢)، وذو الشَّرى: صنم لدَوس، وإن كانت المرادة في هذه الآية الأصنام فإنما قرنت بهذه الأمور ليبين النقص في هذه إذ تقرن بالأصنام، ولا يتأول أنه بقي في نفس مؤمن شيء من تعظيم الأصنام والتلبس بها حتى يقال له: اجتنبه / . [٢/ ٥٠]

(١) الطفيل بن عمرو بن طريف الدّوسي، يلقب ذا النور، بعثه النبي ﷺ إلى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة، فأحرقه بالنار، استشهد باليمامة، وقيل: باليرموك، وقيل: بأجنادين، الإصابة (٣/ ٤٢٢).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ٢٣٩).

وأما (الأَزْلامُ) فهي الثلاثة[١] التي كان أكثر الناس يتخذونها في أحدها «لا»، وفي الآخر «نعم»، والآخر غُفْلُ، وهي التي حبسها سراقة بن جعشم حين اتبع النبي ﷺ في وقت الهجرة[٢]، فكانوا يعظمونها، وبقي منها في بعض النفوس شيء.

ومن هذا القبيل هو الزجر بالطير، وأخذ الفأل منها في الكتب، ونحوه مما يصنعه الناس اليوم.

وقد يقال لسهام الميسر: أزلام، والزلم: السهم، وكان من الأزلام أيضاً ما يكون عند الكهان.

وكان منها سهام عند الأصنام، وهي التي ضرب بها على عبد الله بن عبد المطلب أبي النبي ﷺ، وكان عند قريش في الكعبة أزلام فيها أحكام، ذكرها ابن إسحاق وغيره[٣].

فأخبر الله تعالى أن هذه الأشياء ﴿رِجۡسٞ﴾، قال ابن زيد: الرجس: الشر[٤].

قال القاضي أبو محمد: الرجس[٥]: كل مكروه ذميم، وقد يقال للعذاب.

وقال ابن عباس في هذه الآية: ﴿رِجۡسٞ﴾: سخط[٦]، وقد يقال للنتن وللعذرة والأقذار: رجس، والرجز: العذاب لا غير، والركس: العذرة لا غير، والرجس يقال للأمرين.

وأمر الله تعالى باجتناب هذه الأمور، واقترنت بصيغة الأمر في قوله: ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ نصوص القرآن[٧]، ونصوص الأحاديث، وإجماع الأمة، فحصل الاجتناب في رتبة التحريم، فبهذا حرمت الخمر بظاهر القرآن ونص الحديث وإجماع الأمة[٨].

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) صحيح البخاري (٣٦٩٣).

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٥١٣ و٥١٤).

(٤) تفسير الطبري (١٠/ ٥٦٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٩٩).

(٥) زيادة من نور العثمانية، وهي في الأصل ملحقة في الهامش، وعليها علامة تصحيح.

(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٢٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٧) زيادة من السليمانية ولالاليه.

(٨) انظر الإجماع على تحريمها في: الإقناع (٢/ ٩٩١).

وقد تقدم تفسير لفظة «الْخَمْر» ومعناها، وتفسير «الْمَيْسِر» في سورة البقرة، وتقدم تفسير الأَنْصاب والاستقسام بالأزلام في صدر هذه السورة.

واختلف الناس في سبب نزول هذه الآيات:

فقال أبو ميسرة: نزلت بسبب عمر بن الخطاب، فإنه ذكر للنبي ﷺ عيوب الخمر، وما ينزل بالناس من أجلها، ودعا إلى الله في تحريمها، وقال: اللهم بيِّن لنا فيها بياناً شافياً، فنزلت هذه الآيات، فقال عمر: انتهينا، انتهينا(١).

وقال مصعب بن سعد بن أبي وقاص(٢) عن أبيه سعد قال: صنع رجل من الأنصار طعاماً، فدعانا فشربنا الخمر حتى انتشينا، فتفاخرت الأنصار وقريش، فقال كل فريق: نحن خير منكم، فأخذ رجل من الأنصار لحي جمل فضرب به أنف سعد ففزره، فكان سعد أفزر الأنف، قال سعد: ففي ذلك نزلت الآية إلى آخرها(٣).

وقال ابن عباس: نزل تحريم الخمر في قبيلتين من الأنصار؛ شربوا حتى إذا ثملوا عَرْبدوا، فلما صحوا جعل كل واحد منهم يرى الأثر بوجهه ولحيته وجسده، فيقول هذا فعل فلان بي، فحدث بينهم في ذلك ضغائن، فنزلت هذه الآيات في ذلك(٤).

---

(١) مرسل، أخرجه أبو داود (٣٦٧٠)، والنسائي (٥٥٤٠)، والترمذي (٣٠٤٩) من طريق عمرو بن شرحبيل أبي ميسرة عن عمر، وقيل: عمرو بن شرحبيل أبي ميسرة أن عمر، ورجحه الترمذي، وهو أصرح في الإرسال، وقال أبو زرعة: أبو ميسرة عن عمر مرسل.

(٢) مصعب بن سعد بن أبي وقاص أبو زرارة الزهري المدني، عن أبيه، وعلي، وطلحة بن عبيد الله، وصهيب، وابن عمر، وآخرين، وعنه: سماك بن حرب، والحكم بن عتيبة، وإسماعيل السدي، وجماعة، كان ثقة كثير الحديث، توفي سنة (١٠٣هـ)، تاريخ الإسلام (٧/ ٢٥٩).

(٣) لا بأس بإسناده، أخرجه الطبري (١٠/ ٥٦٩) من طرق عن سماك بن حرب، عن مصعب بن سعد، عن أبيه. وهو إسناد لا بأس به.

(٤) أخرجه الطبري (١٠/ ٥٧١) من طريق ربيعة بن كلثوم، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وإسناده لا بأس به، لكن يخشى من ربيعة أن كل ما روى عن أبيه عن سعيد بن جبير، يجعله عن ابن عباس؛ لأنه قال: هل كان يروى سعيد بن جبير إلا عن ابن عباس.

قال القاضي أبو محمد: وأمر الخمر إنما كان بتدريج ونوازل كثيرة، منها قصة حمزة حين جبّ الأسنِمة، وقال للنبي ﷺ: وهل أنتم إلا عبيد لأبي[1]، ومنها قراءة علي بن أبي طالب في صلاة المغرب: قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون، فنزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَـٰرَىٰ﴾ الآية [النساء: ٤٣][2].

ثم لم تزل النوازل تحزب الناس بسببها حتى نزلت هذه الآية، فحرمت بالمدينة وخمر العنب فيها قليل، إنما كانت خمرهم من خمسة أشياء: من العسل، ومن التمر، ومن الزبيب، ومن الحنطة، ومن الشعير.

والأمة مجمعة على تحريم القليل والكثير من خمر العنب التي لم تمسها نار، ولا خالطها شيء[3].

وأكثر الأمة على أن ما أسكر كثيره فقليله حرام، ولأبي حنيفة وبعض فقهاء الكوفة إباحة ما لا يسكر مما يسكر كثيره من غير خمر العنب[4]، وهو مذهب مردود.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٠٩١) (٤٠٠٣) ومسلم (١٩٧٩)، وقد تقدم.

(٢) الأصح أن المصلي كان عبد الرحمن بن عوف، هذا الخبر يرويه عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، واختلف على عطاء فيمن صلى بالقوم، فرواه حماد، عن عطاء بن السائب، عن عبد الله بن حبيب، وهو أبي عبد الرحمن السلمي: أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً وشراباً، فدعا نفراً من أصحاب النبي ﷺ، فأكلوا وشربوا حتى ثملوا، فقدموا علياً يصلي بهم المغرب... ورواه سفيان ـ هو الثوري عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن، عن علي: أنه كان هو وعبد الرحمن ورجل آخر شربوا الخمر، فصلى بهم عبد الرحمن... أخرجهما الطبري (٨/ ٣٧٦)، ورواه أبو جعفر، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة، فقدموا فلاناً، قال: فقرأ، أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٩٥٨) وأبو جعفر هو الرازي كثير الوهم، وعطاء كان قد اختلط، ورواية الثوري عنه قبل الاختلاط، فهي الأصح.

(٣) انظر الإجماع على ذلك في: الإقناع (٢/ ٩٩٧-٩٩٨).

(٤) ممن قال بذلك مع أبي حنيفة من فقهاء الكوفة: إبراهيم النخعي والثوري وابن أبي ليلى وغيرهم، انظر قول أبي حنيفة في: تبيين الحقائق (٦/ ٤٥-٤٧)، وانظر قول الباقين في: بداية المجتهد (١/ ٣٨٢-٣٨٣).

وقد خرّج قوم تحريم الخمر من وصفها بـ﴿ رِجۡسٞ ﴾[١]، وقد وصف تعالى في آية أخرى الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير بأنها ﴿ رِجۡسٌ ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، فيجيء من ذلك أن كل رجس حرام، وفي هذا نظر.

و«الاجتناب»: أن يُجعل الشيءُ جانباً أو ناحية.

ثم أعلم تعالى عباده أن الشيطان إنما يريد أن تقع العداوة بسبب الخمر، وما كان يَعْتري[٢] عليها بين المؤمنين، وبسبب الميسر؛ إذ كانوا يتقامرون على الأموال والأهل، حتى ربما بقي المقمور حزيناً فقيراً، فتحدث من ذلك ضغائن وعداوة، فإن لم يصل الأمر إلى حد العداوة كانت بغضاء، ولا تحسن عاقبة قوم متباغضين.

ولذلك قال النبي ﷺ: «ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً»[٣].

وباجتماع النفوس والكلمة يحمى الدين، ويجاهد العدو، والْبَغْضاء تنقض عُرى الدين، وتهدم عماد الحماية، وكذلك أيضاً يريد الشيطان أن يصد المؤمنين عن ذكر الله وعن الصلاة، ويشغلهم عنها بشهوات، فالخمر والميسر والقمار كله من أعظم آلاته في ذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ وعيد في ضمن التوقيف زائد على معنى: انتهوا.

ولما كان في الكلام معنى: انتهوا؛ حسن أن يعطف عليه ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ وكرر: ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ في ذكر الرسول تأكيداً، ثم حذر تعالى من مخالفة الأمر، وتوعد من تولى بعذاب الآخرة؛ أي: إنما على الرسول أن يبلغ، وعلى المرسل أن يعاقب أو يثيب، بحسب ما يعصى أو يطاع.

---

(١) ممن قال بذلك الجصاص في: أحكام القرآن (٤/ ١٢٢).

(٢) في الحمزوية: «وما يغري»، وفي هامش لالاليه: «يعتدي» وعليها علامة: «ظ».

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٠٦٤-٦٠٦٦) (٦٠٧٦) (٦٧٢٤)، ومسلم (٢٥٥٩).

قوله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾.

سبب هذه الآية ـ فيما قال ابن عباس والبراء بن عازب وأنس بن مالك ـ: أنه لما نزل تحريم الخمر، قال قوم من الصحابة: يا رسول الله، كيف بمن مات منا وهو يشربها، ويأكل الميسر، ونحو هذا من القول؟ فنزلت هذه الآية(١).

قال القاضي أبو محمد: وهذا نظير سؤالهم عمن مات على القبلة الأولى، ونزلت ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ولما كان أمر القبلة خطيراً ومَعْلماً من معالم الدين؛ تخيل قوم نقص من فاته، وكذلك لما حصلت الخمر والميسر في هذا الحد العظيم من الذم؛ أشفق قوم وتخيلوا نقص من مات على هذه المذمات، فأعلم تعالى عباده أن الذم والجناح إنما يلحق من جهة المعاصي، وأولئك الذين ماتوا قبل التحريم لم يعصوا في ارتكاب محرم بعد، بل كانت / هذه الأشياء مكروهة لم ينص عليها بتحريم، والشرع هو الذي قبحها وحسن تجنبها. [٢/ ٥١]

و«الجُناح»: الإثم والحرج، وهو كله الحكم الذي يتصف به فاعل المعصية والنسبة التي(٢) تترتب للعاصي، ﴿طَعِمُوٓا۟﴾ معناه: ذاقوا، [فصار نصاً](٣) في رتب

(١) خبر ابن عباس أخرجه أحمد (١/ ٢٣٤) (٢٠٨٨)، والترمذي (٣٠٥٢) وقال: حسن صحيح، والبزار في مسنده (١١/ ٦٧-٦٨) من طريق سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، وفي حديث سماك عن عكرمة اضطراب، وخبر أنس أخرجه الطبري (١٠/ ٥٧٨) من طريق عباد بن راشد، عن قتادة، عن أنس ابن مالك، وعباد فيه لين، وقتادة لم يصرح بالسماع، وخبر البراء بن عازب أخرجه الترمذي (٣٠٥٠)، (٣٠٥١)، وابن حبان (٥٣٥٠)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) في نجيبويه: «التسبب الذي»، وفي لالاليه ونور العثمانية: «السيئة»، مع الإشارة للنسخة الأخرى في هامشها.

(٣) في الأصل والمطبوع: «فصاعداً» بدل: «فصار نصاً».

الأكل والشرب، وقد يستعار للنوم وغيره، وحقيقته في حاسة الذوق.

والتكرار في قوله: ﴿ٱتَّقَواْ﴾ يقتضي في كل واحدة زيادة على التي قبلها، وفي ذلك مبالغة في هذه الصفات لهم، وذهب بعض المفسرين إلى أن يعيِّن المراد بهذا التكرار:

فقال قوم: الرتبة الأولى: هي اتقاء الشرك والكبائر والإيمان على كماله وعمل الصالحات، والرتبة الثانية: [هي الثبوت والدوام على الحالة المذكورة، والرتبة الثالثة][١]: هي الانتهاء في التقوى إلى امتثال ما ليس بفرض من النوافل في الصلاة والصدقة وغير ذلك، وهو الإحسان.

وقال قوم: الرتبة الأولى لماضي الزمن، والثانية للحال، والثالثة للاستقبال.

وقال قوم: الاتقاء الأول هو في الشرك والتزام الشرع، والثاني في الكبائر، والثالث في الصغائر.

قال القاضي أبو محمد: وليست هذه الآية وقفاً على من عمل الصالحات كلها، واتقى كل التقوى، بل هو لكل مؤمن وإن كان عاصياً أحياناً، إذا كان قد عمل من هذه الخصال الممدوحة ما استحق به أن يوصف بأنه مؤمن عامل للصالحات، مُتَّقٍ في غالب أمره، محسن، فليس على هذا الصنف جناح فيما طعم مما لم يحرم عليه.

وقد تأول هذه الآية قدامة بن مظعون[٢] الجمحي من الصحابة، رضي الله عنه، وهو ممن هاجر إلى أرض الحبشة مع أخويه عثمان[٣] وعبد الله[٤]، ثم هاجر إلى

---

(١) ساقط من الحمزوية.

(٢) قدامة بن مظعون بن حبيب القرشي الجمحي، يكنى أبا عمرو، كان أحد السابقين الأولين، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً، وكانت تحته صفية بنت الخطاب، وولي البحرين، لم يحدَّ أحد من أهل بدر في الخمر غيره، توفي سنة (٣٨هـ)، وقيل: بعدها، الإصابة (٥/ ٣٢٢).

(٣) عثمان بن مظعون أبو السائب، أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، شهد بدراً، وتوفي في حياة النبي ﷺ، الإصابة (٤/ ٣٨١).

(٤) عبد الله بن مظعون أخوهما، يكنى أبا محمد، أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، شهد بدراً،، وما بعدها، الإصابة (٤/ ٢٠٤).

المدينة وشهد بدرا وعُمِّر، وكان ختَن عمر بن الخطاب خال عبد الله وحفصة، ولاه عمر بن الخطاب على البحرين، ثم عزله؛ لأن الجارود[١] سيد عبد القيس قدم على عمر بن الخطاب، فشهد عليه بشرب الخمر، فقال له عمر: ومن يشهد معك؟ فقال: أبو هريرة، فجاء أبو هريرة، فقال له عمر: بم تشهد؟ قال: لم أره يشرب، ولكن رأيته سكران يقيء، فقال له عمر: لقد تنطعت في الشهادة، ثم كتب عمر إلى قدامة أن يقدم عليه، فقدم، فقال الجارود لعمر: أقم على هذا كتاب الله، فقال له عمر: أخصمٌ أنت أم شهيدٌ، قال: بل شهيدٌ، قال: قد أدَّيت شهادتك.

فصمت الجارود، ثم غدا على عمر، فقال: أقم على قدامة كتاب الله، فقال له عمر: ما أراك إلا خصماً، وما شهد معك إلا رجل واحد، قال الجارود: إني أنشدك الله، قال عمر: لتمسكن لسانك أو لأسوءنك، فقال الجارود: ما هذا والله يا عمر بالحق أن يشرب ابن عمك الخمر وتسوءني، فقال أبو هريرة: إن كنت تشك في شهادتنا فأرسل إلى ابنة الوليد فسلها، وهي امرأة قدامة، فبعث عمر إلى هند بنت الوليد ينشدها الله، فأقامت الشهادة على زوجها.

فقال عمر لقدامة: إني حادُّك، فقال: لو شربت كما يقولون لم يكن لك أن تحدني، قال عمر: لم؟ قال: لأن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ﴾ الآية، فقال له عمر: أخطأت التأويل، إنك إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم عليك، ثم حدَّه عمر، وكان مريضاً، فقال له قوم من الصحابة: لا نرى أن تجلده ما دام مريضاً، فأصبح يوماً وقد عزم على جلده، فقال لأصحابه: ما ترون في جلد قدامة؟ قالوا: لا نرى ذلك ما دام وجعاً، فقال له عمر: لأن يلقَى الله وهو تحت السياط أحب إلي من أن ألقاه وهو في عنقي، وأمر بقدامة فجُلد، فغاضب قدامةُ عمرَ وهجره إلى أن حج عمر وحج معه قدامة مغاضباً له.

---

(١) الجارود بن المعلى العبدي، أبو المنذر، كان نصرانياً فأسلم وسرَّ النبي ﷺ بإسلامه، وقربه وأدناه، فكان حسن الإسلام صليباً على دينه، قتل الجارود بأرض فارس في خلافة عمر، الإصابة (١/ ٥٥٢).

فلما كان عمر بالسقيا قافلاً[(١)] نام ثم استيقظ فقال: عجلوا علي بقدامة، فقد أتاني آت في النوم، فقال: سالم قدامة فإنه أخوك، فبعث في قدامة، فأبى أن يأتي، فقال عمر: جروه إن أبى، فلما جاء كلمه عمر واستغفر له فاصطلحا[(٢)].

قال أيوب بن أبي تميمة[(٣)]: لم يُحَدَّ أحدٌ من أهل بدر في الخمر غيره[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ﴾؛ أي: ليختبركم ليرى طاعتكم من معصيتكم، وصبركم من عجزكم عن الصيد[(٥)].

وكان الصيد أحد معايش العرب العاربة، وشائعاً عند الجميع منهم مستعملاً جداً، فابتلاهم الله فيه مع الإحرام أو الحرم، كما ابتلى بني إسرائيل في أن لا يعتدوا في السبت.

---

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٣١٥) من طريق أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، أخبرني عبد الله بن عامر بن ربيعة، وكان أبوه قد شهد بدراً: أن عمر رضي الله عنه استعمل قدامة بن مظعون على البحرين... بنحوه، وقد أخرجه البخاري في الصحيح (٤٠١٠)، من طريق شعيب، عن الزهري قال: أخبرني عبد الله بن عامر بن ربيعة، وكان من أكبر بني عدي، وكان أبوه شهد بدراً مع النبي ﷺ: أن عمر استعمل قدامة بن مظعون على البحرين، وكان شهد بدراً، وهو خال عبد الله بن عمر وحفصة. اهـ، مختصراً ليس فيه قصة شرب قدامة، لكن أخرجه في التاريخ الصغير (١/ ٤٣) من طريق شعيب أيضاً، وزاد فيه: فقدم الجارود ـ وهو سيد عبد القيس ـ على عمر من البحرين، فقال: إن قدامة بن مظعون شرب فسكر، فأقامت امرأته هند بنت الوليد على زوجها قدامة الشهادة، فذكر جلد قدامة.

(٣) هو أيوب السختياني أبو بكر بن أبي تميمة كيسان البصري، أحد الأعلام من نجباء الموالي، قال محمد ابن سلام الجمحي: أيوب مولى عنزة، وقال حماد بن زيد: كان يبيع الأدم، توفي سنة (١٣٠هـ)، تاريخ الإسلام (٨/ ٣٧٩).

(٤) «في الخمر»: ساقطة من السليمانية وفيض الله، وأيوب هو السختياني، انظر كلامه في مصنف عبد الرزاق (٩/ ٢٤٠)، وفيه: في الخمر.

(٥) في السليمانية وفيض الله: «عن الصبر».

و﴿مِّنَ﴾: تحتمل أن تكون للتبعيض، فالمعنى: من صيد البر دون البحر، ذهب إليه الطبري وغيره[١].

ويحتمل أن يكون التبعيض في حالة الحرمة؛ إذ قد يزول الإحرام ويفارق الحرم، فصيد بعض هذه الأحوال بعض الصيد على العموم، ويجوز أن تكون لبيان الجنس، قال الزجَّاج: وهذا كما تقول: لأمتحننك بشيء من الورق، وكما قال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠][٢].

وقوله: ﴿بِشَىْءٍ﴾ يقتضي تبعيضاً ما، وقد قال كثير من الفقهاء: إن الباء في قوله تعالى: ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة: ٦] أعطت تبعيضاً ما.

وقرأ ابن وثاب والنخعي: (يناله) بالياء منقوطة من تحت[٣].

وقال مجاهد: الأيدي تنال الفراخ والبيض وما لا يستطيع أن يفر، والرماح تنال كبار الصيد[٤].

قال القاضي أبو محمد: والظاهر: أن الله تعالى خص الأيدي بالذكر؛ لأنها عُظم المتصرف في الاصطياد، وهي آلة الآلات، وفيها تدخل الجوارح والحبالات، وما عمل باليد من فِخَاخ وشِباك، وخص الرماح بالذكر؛ لأنها عظم ما يجرح به الصيد، وفيها يدخل السهم ونحوه.

واحتج بعض الناس على أن الصيد للآخذ، لا للمثير بهذه الآية[٥]؛ لأن المثير لم تنل يده ولا رمحه بعد شيئاً.

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٥٨٢).
(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٠٦).
(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٤١).
(٤) تفسير الطبري (١٠/ ٥٨٣ و٥٨٤).
(٥) ممن قال بأن الصيد للآخذ لا للمثير الحنفية كما في: بدائع الصنائع (٥/ ٥٦).

وقوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ معناه: ليستمر علمه عليه وهو موجود؛ إذ قد علم تعالى ذلك في الأزل.

وقرأ الزهري: (ليُعلِم الله) بضم الياء وكسر اللام[١]؛ أي: ليعلم عباده.

و﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ قال الطبري: معناه في الدنيا حيث لا يرى العبد ربه، فهو غائب عنه[٢].

والظاهر: أن المعنى بالغيب من الناس؛ أي: في الخلوة، فمن خاف الله انتهى عن الصيد من ذات نفسه، وقد خفي له لو صاد، ثم توعد تعالى من اعتدى بعد هذا النهي الذي يأتي، وهو الذي أراد بقوله: ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾، وأشار إليه قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾، و«العذاب الأليم» هو عذاب الآخرة/. [٢/ ٥٢]

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾.

الخطاب لجميع المؤمنين، وهذا النهي هو الابتلاء الذي أعلم به قوله قبل ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾.

و﴿ٱلصَّيْدَ﴾: مصدر عُومل معاملة الأسماء، فأوقع على الحيوان المصيد، ولفظ الصيد هنا عام ومعناه، الخصوص فيما عدا الحيوان الذي أباح رسول الله ﷺ قتله في الحرم، ثبت عنه ﷺ أنه قال: «خمس فواسق، يقتلن في الحرم: الغراب، والحدأة، والفأرة، والعقرب، والكلب العقور»[٣].

---

(١) وهي قراءة شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٤/ ٣٦٣)، ولها نظائر في البقرة والكهف والجن.

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٥٨٤).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٣١٤)، ومسلم (١١٩٨)، عن عائشة رضي الله عنها.

ووقف مع ظاهر هذا الحديث سفيان الثوري والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق ابن راهويه، فلم يبيحوا للمحرم قتل شيء سوى ما ذكر[١].

وقاس مالك ـ رحمه الله ـ على الكلب العقور كلَّ ما كلب على الناس وعقرهم، ورآه داخلاً في اللفظ، فقال: للمحرم أن يقتل الأسد والنمر والفهد والذئب وكل السباع العادية مبتدئاً بها، فأما الهر والثعلب والضبع فلا يقتلها المحرم، وإن قتلها فدى[٢].

وقال أصحاب الرأي: إن بدأ السبع المحرم فله أن يقتله، وإن ابتدأه المحرم فعليه قيمته[٣].

وقال مجاهد والنخعي: لا يقتل المحرم من السباع إلا ما عدا عليه[٤].

وقال ابن عمر: ما حل بك من السباع فحلّ به، وأما فراخ السبع الصغار قبل أن تفترس فقال مالك: في المدونة: لا ينبغي للمحرم قتلها[٥]، قال أشهب في كتاب محمد: فإن فعل فعليه الجزاء، وقال أيضاً أشهب وابن القاسم: لا جزاء عليه[٦].

وثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أمر المحرمين بقتل الحيات[٧]، وأجمع الناس على إباحة قتلها.

---

(١) انظر تفصيل ذلك في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٤٩٠)، والمغني ابن قدامة (٣/ ١٦٤).

(٢) انظر ما عزاه لمالك في: الاستذكار (٤/ ١٥٠-١٥١).

(٣) انظر ما عزاه لأصحاب الرأي في: فتح القدير (٣/ ٦٨).

(٤) نقله عنهما أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٣٦٣).

(٥) المدونة (١/ ٤٤٩).

(٦) انظر قولي أشهب، وقول ابن القاسم في: النوادر (٢/ ٤٦٢-٤٦٣).

(٧) رواه مالك في الموطأ (٧٩٢) عن الزهري أن عمر بن الخطاب أمر بقتل الحيات في الحرم، وهذا منقطع، قال البيهقي في معرفة السنن (٩/ ٣٥): وروي موصولاً من أوجه عن عمر.اهـ، وروي هذا مرفوعاً من حديث ابن عباس، لكن في إسناده: عاصم بن عمر، وهو ابن حفص بن عاصم بن عمر ابن الخطاب العمري، وهوضعيف باتفاق، أخرجه الطبراني في الأوسط (٨/ ٤٩)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٧٣) (٦/ ٣٩٩) (٢/ ٢٧١)، وانظر الإجماع عليه في: الإقناع (٢/ ٨٠٣).

وثبت عن عمر رضي الله عنه إباحة قتل الزنبور[١]؛ لأنه في حكم العقرب، وقال مالك: يطعم قاتله شيئاً، وكذلك قال مالك فيمن قتل البرغوث والذباب والنمل ونحوه[٢]، وقال أصحاب الرأي: لا شيء على قاتل هذه كلها[٣].

وأما سباع الطير فقال مالك: لا يقتلها المحرم، وإن فعل فدى، وقال ابن القاسم في كتاب محمد: وأحب إلي أن لا يقتل الغراب والحدأة حتى يؤذياه، ولكن إن فعل فلا شيء عليه[٤].

قال القاضي أبو محمد: وذوات السموم كلها في حكم الحية، كالأفعى والرُّتيلاء[٥]، وما عدا ما ذكرناه فهو مما نهى الله عن قتله في الحرمة بالبلد أو الحال، وفرض الجزاء على من قتله.

و﴿حُرُمٌ﴾ جمع: حرام، وهو الذي يدخل في الحرام أو في الإحرام، وحرام، يقال للذكر والأنثى، والاثنين والجميع.

واختلف العلماء في معنى قوله: ﴿مُّتَعَمِّدًا﴾:

فقال مجاهد وابن جريج والحسن وابن زيد: معناه متعمداً لقتله، ناسياً لإحرامه[٦]، فهذا هو الذي يكفر، وكذلك الخطأ المحض يكفر، وأما إن قتله متعمداً ذاكراً لإحرامه فهذا أجلُّ وأعظم من أن يكفر، قال مجاهد: قد حل ولا رخصة له، وقاله ابن جريج[٧]،

(١) رواه عن عمر: قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب عنه به، وهو إسناد صحيح، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢١٢).

(٢) انظر قول مالك في: النوادر (٢/ ٤٦٣)، وتفسير القرطبي (٦/ ٣٠٤).

(٣) انظر قول أهل الرأي في: تبيين الحقائق (٢/ ٦٦).

(٤) انظر قول مالك في: المدونة (١/ ٤٥٠)، وقول ابن القاسم في: النوادر (٢/ ٤٦٣).

(٥) نقل القرافي في الذخيرة (٣/ ٣١٦) اتفاق الأئمة على ذلك.

(٦) انظر قولهم في تفسير الطبري (١٠/ ٨-١٠).

(٧) انظر قول مجاهد والحسن وابن جريج وابن زيد في: تفسير الطبري (١٠/ ٨-١٠).

وحكى المهدوي وغيره أنه بطل حجه، وقال ابن زيد: هذا يوكل إلى نقمة الله[١]، قال جماعة من أهل العلم منهم ابن عباس ومالك وعطاء وسعيد ابن جبير والزهري وطاووس وغيرهم: المتعمد هو القاصد للقتل، الذاكر لإحرامه، وهو يكفِّر وكذلك الناسي والقاتل خطأ يكفران[٢].

قال الزهري: نزل القرآن بالعمد، وجرت السنة في قتله خطأ أنهما يكفران[٣]، وقال بعض الناس: لا يلزم القاتل خطأ كفارة.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر: ﴿فجزاءُ مثلِ﴾، بإضافة «الجزاء» إلى ﴿مثل﴾ وخفض ﴿مثل﴾، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم: ﴿فَجَزَآءٌ﴾ بالرفع والتنوين[٤] ﴿مِّثْلُ﴾ بالرفع أيضاً[٥].

فأما القراءة الأولى فمعناها[٦]: فعليه جزاء مثل ما قتل؛ أي: قضاؤه وغرمه، ودخلت لفظة: ﴿مثل﴾ هنا كما تقول: أنا أكرم مثلك، وأنت تقصد بقولك أنا أكرمك.

ونظير هذا قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، التقدير: كمن هو في الظلمات.

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل قوله تعالى: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ﴾، أن يكون المعنى فعليه أن يجزي مثل ما، ثم وقعت الإضافة إلى المثل الذي يجزي به اتساعاً.

---

(١) انظر قول ابن زيد في تفسير الطبري (١٠/ ١٠)، والهداية لمكي (٣/ ١٨٧١)، وقول المهدوي في التحصيل (٢/ ٥٠٥).

(٢) انظر قول مالك في الموطأ (٣/ ٥١٨)، والباقين في: تفسير الطبري (١٠/ ١١)، وتفسير الثعلبي (٤/ ١٠٩)، والهداية لمكي (٣/ ١٨٧١).

(٣) تفسير الطبري (١٠/ ١١)، وتفسير الثعلبي (٤/ ١٠٩) الهداية لمكي (٣/ ١٨٧١).

(٤) زيادة من السليمانية، وهي في لالاليه وهي ملحقة في الهامش.

(٥) وهي سبعية متواترة، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢٤٧)، والتيسير (ص: ١٠٠).

(٦) في الأصل والمطبوع: «ومعناها».

وأما القراءة الثانية فمعناها فالواجب عليه أو فاللازم له جزاء مثل ما قتل و﴿ مِّثْلُ ﴾ على هذه القراءة صفة لـ(جزاء)، أي: فجزاء مماثل.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ صفة لـ(جزاء) على القراءتين كلتيهما.

وقرأ عبد الله بن مسعود: «فجزاؤه مثل ما»[(١)] بإظهار هاءٍ يحتمل أن تعود على الصيد أو على الصائد القاتل.

وقرأ أبو عبد الرحمن: ﴿فَجَزَآءٌ﴾ بالرفع والتنوين (مثلَ ما) بالنصب[(٢)].

وقال أبو الفتح: (مثل) منصوبة بنفس الجزاء أي فعليه أن يجزي مثل ما قتل.

واختلف العلماء في هذه المماثلة كيف تكون؟

فذهب الجمهور إلى أن الحكمين ينظران إلى مثل الحيوان المقتول في الخِلقة وعظم المرأى، فيجعلون ذلك من النعم جزاءه.

قال الضحاك بن مزاحم والسدي وجماعة من الفقهاء: في النعامة وحمار الوحش ونحوه بدنة، وفي الوعل والإبل ونحوه بقرة، وفي الظبي ونحوه كبش، وفي الأرنب ونحوه ثَنيَّة من الغنم، وفي اليُرْبوع حمل صغير، وما كان من جرادة ونحوها ففيها قبضة طعام، وما كان من طير فيقوم ثمنها طعاماً، فإن شاء تصدق به، وإن شاء صام لكل صاع يوماً، وإن أصاب بيض نعام فإنه يحمل الفحل على عدد ما أصاب من بكارة الإبل، فما نتج منها أهداه إلى البيت، وما فسد منها فلا شيء عليه فيه[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: حكم عمر على قبيصة بن جابر[(٤)] في الظبي بشاة[(٥)]،

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٣١٩)، إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٨٢).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظرها مع توجيهها في المحتسب (١/ ٢١٨).

(٣) انظر قول الضحاك والسدي في: تفسير الطبري (١٠/ ١٤)، وانظر أيضاً الاستذكار (٤/ ١٤٨).

(٤) قبيصة بن جابر بن وهب بن مالك الأسدي الكوفي، أبو العلاء، من كبار التابعين، توفي سنة (٦٩هـ)، تاريخ الإسلام (٥/ ٢٠٨).

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٤/ ٤٠٧)، والطبري (١٠/ ١٦ و١٧) من طريق ابن عيينة عن عبد الملك بن =

وحكم هو وعبد الرحمن بن عوف، قال قبيصة: فقلت يا أمير المؤمنين إن أمره أهون من أن تدعو من يحكم معك، قال: فضربني بالدرة حتى سابقته عدواً، ثم قال: أقتلت الصيد وأنت محرم ثم تغمص الفتوى؟[1]، / وهذه القصة في الموطأ بغير هذه الألفاظ[2]، [٢/ ٥٣]
وكذلك روي أنها نزلت بصاحب لقبيصة [بن جابر، لا بقبيصة نفسه][3]، وقبيصة هو راويها فيهما، والله أعلم.

وأما الأرنب واليُرْبوع ونحوها فالحكم فيه عند مالك: أن يقوَّم طعاماً، فإن شاء تصدق به، وإن شاء صام بدل كلِّ مدٍّ يوماً[4]، وكذلك عنده الصيام في كفارة الجزاء إنما هو كله يوم بدل مد[5]، وعند قوم صاع، وعند قوم بدل مدين.

= عمير عن قبيصة به بإسناد لا بأس به.

(١) صحيح، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٤/ ٤٠٦) عن معمر عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة به، وأخرجه من طريقه: الحاكم في المستدرك (٣/ ٣١٠)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ١٦)، عن هشيم، أنا عبد الملك بن عمير به، ثم رواه من طريق هشيم قال: أخبرنا حصين، عن الشعبي قال: أخبرني قبيصة بن جابر، نحواً مما حدث به عبد الملك، ثم من طريق وكيع، عن المسعودي، عن عبد الملك بن عمير، عن قبيصة بن جابر قال: قتل صاحب لي ظبياً وهو محرم، فأمره عمر أن يذبح شاة فيتصدق بلحمها ويسقي إهابها، وخالف المسعودي كلاً من معمر وهشيم، فجعل القصة لصاحب قبيصة، ثم من طريق ابن أبي زائدة، عن داود بن أبي هند، عن بكر بن عبد الله المزني قال: قتل رجل من الأعراب وهو محرم ظبياً، فسأل عمر، فقال له عمر: اهد شاة، ثم من طريق حصين عن الشعبي قال: قال قبيصة بن جابر: أصبت ظبياً وأنا محرم، فأتيت عمر فسألته عن ذلك، فأرسل إلى عبد الرحمن بن عوف. فقلت: يا أمير المؤمنين، إن أمره أهون من ذلك، قال: فضربني بالدرة حتى سابقته عدواً، قال: ثم قال: قتلت الصيد وأنت محرم، ثم تغمص الفتيا، قال: فجاء عبد الرحمن، فحكما شاة، تنبيه: تغمص الفتوى، بالصاد المهملة والطاء جميعاً، يعني: تحتقر، كما نص عليه أبو عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث (١/ ٣١٧)، وفي المطبوع: «تغمض»، وشرحها في الحاشية.

(٢) انظر الرواية التي في الموطأ (١/ ٤١٤).

(٣) ساقط من المطبوع، وسقطت: «نفسه» من لالاليه ونجيبويه.

(٤) انظر قول مالك في: المدونة (١/ ٤٥٠).

(٥) انظر: الكافي في فقه أهل المدينة (١/ ٣٩٣)، وفي السليمانية: «إنما هو» بدل: «كل مد يوماً».

وفي حمام الحرم عند مالك: شاة في الحمامة، وفي الحمام غيره حكومة، وليس كحمام الحرم[١].

وأما بيض النعام وسائر الطير؛ ففي البيضة عند مالك عشر ثمن أمه[٢].

قال ابن القاسم: وسواء كان فيها فرخ أو لم يكن، ما لم يستهل الفرخ صارخاً بعد الكسر؛ فإن استهل ففيه الجزاء كاملاً، كجزاء كبير ذلك الطير، قال ابن الموَّاز: بحكومة عدلين[٣].

وقال ابن وهب: إن كان في بيضة النعامة فما دونها فرخ فعشر ثمن أمه، وإن لم يكن فصيام يوم، أو مد لكل مسكين[٤].

وذهبت فرقة من أهل العلم ـ منهم النخعي وغيره ـ إلى أن المماثلة إنما هي في القيمة، يقوَّم الصيد المقتول، ثم يشترى بقيمته نده[٥] من النعم، ثم يهدى، ورد الطبري وغيره على هذا القول[٦].

و﴿ٱلنَّعَمِ﴾: لفظ يقع على الإبل والبقر والغنم إذا اجتمعت هذه الأصناف، فإذا انفرد كل صنف لم يقل: نعم إلا للإبل وحدها.

وقرأ الحسن: (من النعْم)، بسكون العين[٧]، وهي لغة.

والجزاء إنما يجب بقتل الصيد لا بنفس أخذه بحكم لفظ الآية، وذلك في المدونة

---

(١) انظر قول مالك عن الحمام في: المدونة (١/ ٤٥٠).

(٢) انظر قول مالك في بيض النعام وغيره من الطير في المدونة (١/ ٤٥٠)، والنوادر (٢/ ٤٧٧).

(٣) انظر قول ابن القاسم وقول ابن المواز في: النوادر (٢/ ٤٧٧).

(٤) لم أقف على هذا القول.

(٥) في نجيبويه: «كل».

(٦) انظر قول إبراهيم النخعي ورد الطبري عليه في: تفسير الطبري (١٠/ ٢٠).

(٧) وهي قراءة شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٤١).

ظاهر من مسألة الذي اصطاد طائراً، فنتف ريشه، ثم حبسه حتى نسل ريشه فطار، قال: لا جزاء عليه[١].

وقصر القرآن هذه النازلة على حكمين عدلين عالمين بحكم النازلة، وبالتقدير فيها، وحكم عمر وعبد الرحمن بن عوف[٢].

وأمر جريراً[٣] البجلي أن يأتي رجلين من العدول ليحكما عليه في عنز من الظباء أصابها، قال: فأتيت عبد الرحمن وسعداً، فحكما عليَّ تيساً أعفَرَ[٤]، ودعا ابنُ عمر ابنَ صفوان[٥] ليحكم معه في جزاء[٦]، وعلى هذا جمهور الناس وفقهاء الأمصار.

وقال ابن وهب ـ رحمه الله ـ في العتبية: من السنة أن يخير الحكمان من أصاب الصيد كما خيره الله في أن يخرج هدياً بالغ الكعبة، أو كفارة طعام مساكين، أو عدل ذلك صياماً، فإن اختار الهدي حكما عليه بما يريانه نظيراً لما أصاب ما بينهما، وبين أن يكون عدل ذلك شاة؛ لأنها أدنى الهدي، فما لم يبلغ شاة حكما فيه بالطعام، ثم خير في أن يطعمه،

---

(١) المدونة (١/ ٤٥٢).

(٢) مرسل، أخرجه الطبري (١٠/ ٢٨) من طريق شريك عن أشعث بن سوار، عن ابن سيرين قال: كان رجل على ناقة وهو محرم، فأتى عمر فذكر ذلك له، فحكم عليه هو وابن عوف، ثم أخرجه من طريق أيوب، عن محمد ـ هو ابن سيرين ـ وهو صحيح إلى ابن سيرين، لكنه مرسل.

(٣) في المطبوع: «أبا جرير»، وفي لالاليه: «أبا جابر»، وفي هامشه: «جرير»، وهو الصواب، وقد سبق التعريف به.

(٤) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٧) من طريق منصور، عن أبي وائل قال: أخبرني ابن جرير البجلي قال: أصبت ظبياً وأنا محرم، فذكرت ذلك لعمر... كذا وقع عند الطبري: ابن جرير، وعند المصنف: أبا جرير، وأبو وائل يروي عن جرير بن عبد الله البجلي، فالله أعلم.

(٥) عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي المكي، ولد في عهد رسول الله ﷺ، من أشراف قريش، وكان شريفاً حليماً، الإصابة (٥/ ١٣).

(٦) منقطع، أخرجه الطبري (١٠/ ٢٥)، من طريق سعيد، عن قتادة قال: ذُكر لنا... ثم أخرجه من طريق آخر عن سعيد، عن قتادة، عن أبي مجلز: أن رجلاً سأل ابن عمر... وأبو مجلز مدلس، ولم يصرح بالسماع.

أو يصوم مكان كل مد يوماً[١]، وكذلك قال مالك في المدونة: إذا أراد المصيب أن يطعم أو يصوم، وإن كان لما أصاب نظير من النعم فإنه يقوم صيده طعاماً لا دراهم، قال: وإن قوموه دراهم واشتري بها طعام لرجوت أن يكون واسعاً، والأول أصوب، فإن شاء أطعمه وإلا صام مكانه لكل مد يوماً، وإن زاد ذلك على شهرين أو ثلاثة[٢]، وقال يحيى بن عمر من أصحابنا: إنما يقال: كم من رجل يشبع من هذا الصيد فيعرف العدد، ثم يقال: كم من الطعام يشبع هذا العدد، فإن شاء أخرج ذلك الطعام، وإن شاء صام عدد أمداده[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول حسن احتاط فيه؛ لأنه قد تكون قيمة الصيد من الطعام قليلة، فبهذا النظر يكثر الطعام، ومن أهل العلم من يرى أن لا يُتجاوَز في صيام الجزاء شهران، قالوا: لأنها أعلى الكفارات بالصيام.

وقوله تعالى: ﴿هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾ يقتضي هذا اللفظ أن يشخص بهذا الهدي حتى يبلغ.

وذُكرت الْكَعْبَة؛ لأنها أم الحرم، ورأس الحرمة، والحرم كله منحر لهذا الهدي، فما وقف به بعرفة من هذا الجزاء فينحر بمنى، وما لم يوقف به فينحر بمكة، وفي سائر بقاع الحرم، بشرط أن يدخل من الحل، لا بد أن يجمع فيه بين حِلٍّ وحرم حتى يكون بالغاً الكعبة.

وقرأ عبد الرحمن الأعرج: (هدِيّاً بالغ الكعبة) بكسر الدال وتشديد الياء[٤].

و﴿هَدۡيَۢا﴾: نصب على الحال من الضمير في: ﴿بِهِۦ﴾، وقيل: على المصدر.

﴿بَٰلِغَ﴾: نكرة في الحقيقة لم تزل الإضافة عنه الشياع، فتقديره: بالغاً الكعبةَ، حذف تنويه تخفيفاً.

---

(١) انظر ما عزاه للعتبية نقلًا عن ابن وهب في: النوادر (٢/ ٤٨٠)، هذا مع اختلاف يسير في الألفاظ.
(٢) المدونة (١/ ٤٤٤).
(٣) انظر قول يحيى بن عمر في: تفسير القرطبي (٦/ ٣١٦).
(٤) وهي قراءة شاذة، انظرها في تفسير الثعلبي (٢/ ١٠٠)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٨٢)، ومختصر الشواذ (ص: ٤١).

وقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿أَوْ كَفَّـٰرَةٌ﴾ منوناً: ﴿طَعَـامُ مَسَـٰكِينَ﴾ برفع: ﴿طَعَـامُ﴾ وإضافته إلى جمع المساكين، وقرأ نافع وابن عامر: برفع «الكفارة» دون تنوين وخفض «الطعام» على الإضافة، و﴿مَسَـٰكِينَ﴾ بالجمع[١].

قال أبو علي: إعراب ﴿طَعَـامُ﴾ في قراءة من رفعه أنه عطف بيان؛ لأن الطعام هو الكفارة، ولم يضف الكفارة [إلى الطعام][٢]؛ لأنها ليست للطعام، إنما هي لقتل الصيد[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا الكلام كله مبني على أن الكفارة هي الطعام، وفي هذا نظر؛ لأن الكفارة هي تغطية الذنب بإعطاء الطعام، فالكفارة غير الطعام، لكنها به، فيتجه في رفع الطعام البدل المحض، ويتجه قراءة من أضاف الكفارة إلى الطعام على أنها إضافة تخصيص؛ إذ كفارة هذا القتل قد تكون كفارة هدي، أو كفارة طعام، أو كفارة صيام.

وقرأ الأعرج وعيسى بن عمر: ﴿أَوْ كَفَّـٰرَةٌ﴾ بالرفع والتنوين ﴿طَعَـامُ﴾ بالرفع دون تنوين (مِسْكين) على الإفراد[٤]، وهو اسم الجنس.

وقال مالك ـ رحمه الله ـ وجماعة من العلماء: القاتل مخير في الرتب الثلاث وإن كان غنياً، وهذا عندهم مقتضى ﴿أَوْ﴾، وقال ابن عباس وجماعة: لا ينتقل المكفر من الهدي إلى الطعام إلا إذا لم يجد هدياً، وكذلك لا يصوم إلا إذا لم يجد ما يطعم، وقاله إبراهيم النخعي وحماد بن أبي سليمان، قالوا: والمعنى أو كفارة طعام إن لم يجد الهدي[٥].

ومالك ـ رحمه الله ـ وجماعة معه يرى أن المقوم إنما هو الصيد المقتول، يُقوم

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٠٠)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ٢٤٨).

(٢) ساقط من المطبوع.

(٣) في الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٢٥٨).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها للأعرج في الكشاف للزمخشري (١/ ٦٧٩)، والشواذ للكرماني (ص: ١٦٠)، ولهما في البحر المحيط (٤/ ٣٦٧).

(٥) انظر: الشرح الكبير لابن قدامة (٣/ ٣٣١)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/ ١٨٧)، وفي الحمزوية: «حماد بن سلمة».

بالطعام كما تقدم(١)، وقال العراقيون: إنما يقوم الجزاء طعاماً(٢)، فمن قتل ظبياً قُوم الظبي عند مالك، وقوم عدله من الكباش أو غير ذلك عند أبي حنيفة وغيره.

وحكى الطبري عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: إذا أصاب المحرم الصيد [٢/ ٥٤] حكم عليه جزاؤه من النعم / ، فإن وجد جزاءه ذبحه فتصدق به، وإن لم يجد قُوم الجزاء دراهم، ثم قومت الدراهم حنطة، ثم صام مكان كل نصف صاع يوماً، قال: وإنما أريد بذكر الطعام تبيينُ أمر الصوم، ومن يجد طعاماً فإنما يجد جزاء، وأسنده أيضاً عن السدي(٣).

قال القاضي أبو محمد: ويعترض هذا القول بظاهر لفظ الآية؛ فإنه ينافِرُه، والهدي لا يكون إلا في الحرم كما ذكرنا قبل.

واختلف الناس في الطعام؛ فقال جماعة من العلماء: الإطعام والصيام حيث شاء المكفر من البلاد، وقال عطاء بن أبي رباح وغيره: الهدي والإطعام بمكة، والصوم حيث شئت(٤).

وقوله تعالى: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ قرأ الجمهور بفتح العين، ومعناه: نظير الشيء بالموازنة والمقدار المعنوي.

وقرأ ابن عباس وطلحة بن مصرف والجحدري: (أو عِدل) بكسر العين(٥)، قال أبو عمرو الداني: ورواه ابن عباس عن النبي ﷺ(٦).

---

(١) المدونة (٢/ ٤٤٤)، وهو قول مجاهد وعطاء وإبراهيم وأبي حنيفة وأصحابه، كما في أحكام القرآن للجصاص (٤/ ١٤٠).

(٢) المراد بالعراقيين أبو حنيفة وأصحابه، وانظر ما عزاه المؤلف لهم في: بدائع الصنائع (٢/ ١٩٨).

(٣) منقطع، أخرجه الطبري (١٠/ ٣٢) من طريق الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس، وقال شعبة :لم يسمع الحكم من مقسم إلا خمسة أحاديث، وعدها يحيى القطان، وليس هذا منها.

(٤) وقال به أيضاً الحسن ومجاهد وطاووس، انظر قولهم في: تفسير الطبري (٣/ ٧٨-٧٩).

(٥) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهم في الشواذ للكرماني (ص: ١٦١).

(٦) لم أقف على كلام الداني، وفي مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٤١): أنها نسبت للنبي ﷺ أيضاً، ولم أقف عليه مسنداً.

وقال بعض الناس: «العَدل» بالفتح: قدر الشيء من غير جنسه، وعِدله بالكسر: قدره من جنسه، نسبها مكي إلى الكسائي، وهو وهم، والصحيح عن الكسائي: أنهما لغتان في المثل[١]، وهذه المنسوبة عبارة معترضة، وإنما مقصد قائلها أن العِدل بالكسر: قدر الشيء موازنةً على الحقيقة، كعِدْلي البعير، وعدله قدره من شيء آخر موازنة معنوية، كما يقال في ثمن فرس: هذا عدله من الذهب، ولا يتجه هنا كسر العين فيما حفظت.

والإشارة بذلك في قوله: ﴿عَدْلُ ذَٰلِكَ﴾ يحتمل أن تكون إلى الطعام، وعلى هذا انبنى قول من قال من الفقهاء: الأيام التي تصام هي على عدد الأمداد أو الأصوع، أو أنصافها حسب الخلاف الذي قد ذكرته في ذلك.

ويحتم أن تكون الإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى الصيد المقتول، وعلى هذا انبنى قول من قال من العلماء: الصوم في قتل الصيد إنما هو على قدر المقتول.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: إن قتل المحرم ظبياً فعليه شاة تذبح بمكة، فإن لم يجد فإطعام ستة مساكين، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام، وإن قتل أيْلاً[٢] فعليه بقرة، فإن لم يجد فإطعام عشرين مسكيناً، فإن لم يجد صام عشرين يوماً، وإن قتل نعامة أو حمار وحش فعليه بدنة، فإن لم يجد أطعم ثلاثين مسكيناً، فإن لم يجد صام ثلاثين يوماً[٣].

قال القاضي أبو محمد: وقد تقدم لابن عباس رضي الله عنه قول غير هذا آنفاً، حكاهما عنه الطبري مسندين[٤]، ولا ينكر أن يكون له في هيئة التكفير قولان، وقال سعيد ابن جبير في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ قال: يصوم ثلاثة أيام إلى عشرة[٥].

---

(١) لم نجد هذا النقل لمكي في كتبه المتوفرة، وهي مشكل الإعراب والحجة والهداية، بل قال في الهداية (٣/ ١٨٧٧): والعدل: المثل، والعدل نصف الحمل، وقال الكسائي: هما لغتان في المثل.

(٢) الأيل: ذكر الأوعال.

(٣) تفسير الطبري (١٠/ ٣١).

(٤) سبق التعليق عليهما.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٥).

وقوله تعالى: ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ الذوق هنا: مستعار كما قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، وكما قال: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾ [النحل: ١١٢]، وكما قال أبو سفيان: ذق عقق[١].

وحقيقة الذوق إنما هي في حاسة اللسان، وهي في هذا كله مستعارة فيما بُوشر بالنفس، و«الوبال»: سوء العاقبة، والمرعى الوبيل: هو الذي يتأذى به بعد أكله، وعبر بـ﴿أَمْرِهِۦ﴾ عن جميع حاله، من قتل، وتكفير وحكم عليه، ومضي ماله، أو تعبه بالصيام.

واختلف المتأولون في معنى قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾:

فقال عطاء بن أبي رباح وجماعة معه: معناه: عفا الله عما سلف في جاهليتكم من قتلكم الصيد في الحرمة، ومن عاد الآن في الإسلام؛ فإن كان مستحلاً فينتقم الله منه في الآخرة، ويكفر في ظاهر الحكم، وإن كان عاصياً فالنقمة هي في إلزام الكفارة فقط، قالوا: وكلما عاد المحرم فهو مكفر[٢].

قال القاضي أبو محمد: ويخاف المتورعون أن تبقى النقمة مع التكفير، وهذا هو قول الفقهاء؛ مالك ونظائره وأصحابه، رحمهم الله.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: المحرم إذا قتل مراراً ناسياً لإحرامه؛ فإنه يكفِّر في كل مرة، فأما المتعمد العالم بإحرامه فإنه يكفر أول مرة، وعفا الله عن ذنبه مع التكفير، فإن عاد ثانية فلا يحكم عليه، ويقال له: ينتقم الله منك، كما قال الله[٣].

وقال بهذا القول شريح القاضي وإبراهيم النخعي ومجاهد، وقال سعيد بن جبير:

---

(١) أخرجه الحربي في غريب الحديث (١/ ٤٤)، بإسناده إلى ابن إسحاق من قوله، وينظر المؤتلف للدارقطني (٣/ ٧٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٨-٥٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٠٩)، وتفسير الماوردي (٢/ ٦٨).

(٣) جيد، أخرجه الطبري بنحوه (١٠/ ٥١) من طريقين: علي بن أبي طلحة وهشام ـ مفرقين ـ عن عكرمة، عن ابن عباس، والأول منقطع، وليس فيه ذكر المحرم الناسي، وهشام هو ابن حسان، وإسناده مستقيم.

رخص في قتل الصيد مرة، فمن عاد لم يدعه الله حتى ينتقم منه[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا القول منه رضي الله عنه وعظ بالآية، وهو مع ذلك يرى أن يحكم عليه في العودة ويكفر، لكنه خشي مع ذلك بقاء النقمة.

وقال ابن زيد: معنى الآية: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ لكم أيها المؤمنون من قتل الصيد قبل هذا النهي والتحريم، قال: وأما من عاد فقتل الصيد وهو عالم بالحرمة متعمدٌ للقتل فهذا لا يحكم عليه، وهو موكول إلى نقمة الله[٢].

ومعنى قوله: ﴿مُّتَعَمِّدًا﴾ في صدر الآية؛ أي: متعمداً للقتل ناسياً للحرمة.

قال القاضي أبو محمد: وقد تقدم ذكر هذا الفصل، قال الطبري: وقال قوم: هذه الآية مخصوصة في شخص بعينه، وأسند إلى زيد بن المعلى[٣] أن رجلًا أصاب صيداً وهو محرم، فتجوز له عنه، ثم عاد فأرسل الله عليه ناراً فأحرقته، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ تنبيه على صفتين يقتضي خوف من له بصيرة، ومن خاف ازدجر، ومن هذا المعنى قول النبي ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل»[٤].

---

(١) انظر قول إبراهيم ومجاهد وشريح، وقول سعيد بن جبير في: الاستذكار (٤/ ٣٨٠)، وتفسير الطبري (١٠/ ٥٢).

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٥٣).

(٣) في نور العثمانية: «المعالي»، وكذا في لالاليه وفي هامشه: «الملعى»، والصواب كما في تفسير الطبري (١٠/ ٥٤): زيد أبو المعلى، وهو ابن أبي مرة، رأى أنساً، وسمع الحسن، وعنه معتمر وأبو داود، وثقه ابن معين، روى له أبو داود في ذم الاحتكار، تاريخ الإسلام (٩/ ٣٩٤).

(٤) أخرجه عبد بن حميد (١٤٦٠)، والترمذي (٢٤٥٠)، والحاكم (٤/ ٣٤٣)، وصحح إسناده، من طريق أبي النضر هاشم بن القاسم قال: ثنا أبو عقيل الثقفي قال: ثنا أبو فروة يزيد بن سنان التميمي قال ثني بكير بن فيروز، يقول: سمع أبا هريرة به مرفوعاً، وقال الترمذي: هذا حديث غريب ـ وفي تحفة =

قوله عز وجل: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩٦) جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٩٧) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩٨)﴾.

[٢/ ٥٥] هذا حكم بتحليل / صيد البحر، وهو كل ما صِيد من حيتانه، وهذا التحليل هو للمحرم وللحلال[١]، والصيد هنا أيضاً يراد به الصيد، وأضيف إلى البحر لما كان منه بسببٍ، والْبَحْر الماء الكثير ملحاً كان أو عذباً، وكل نهر كبير بحر.

واختلف الناس في معنى قوله: ﴿وَطَعَامُهُ﴾ قال أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وجماعة كثيرة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم: هو ما قذف به، وما طفا عليه؛ لأن ذلك طعام لا صيد[٢]، وسأل رجل ابن عمر عن حيتان طرحها البحر، فنهاه عنها، ثم قرأ المصحف فقال لنافع: الحقه فمره بأكلها؛ فإنها طعام البحر[٣].

وهذا التأويل ينظر إلى قول النبي ﷺ: «هو الطهور ماؤه، الحِلُّ ميتته»[٤].

= الأشراف: حسن غريب ـ لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر.اهـ، يزيد بن سنان فيه كلام، وليس بالقوي، وشيخه مستور، وروى الحاكم أيضاً من طريق عبد الله بن الوليد العدني، حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أبي كعب، عن أبيه مرفوعاً، وابن عقيل فيه لين، وقد روي هذا مرسلاً ومعضلاً من طرق أخرى.

(١) انظر حكاية الإجماع على ذلك في: الاستذكار (٤/ ١٣١).

(٢) انظر قول أبي بكر وعمر في: تفسير الطبري (١١/ ٦١)، وقال به أيضاً غيرهما كما في: الاستذكار (٥/ ٢٨٣).

(٣) صحيح، أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٦/ ٣٥) من طريق أبي مصعب بن مالك، عن نافع، أن عبد الرحمن بن أبي هريرة سأل عبد الله بن عمر عما لفظ البحر فنهاه... ثم أخرجه أيضاً من طريق: ابن وهب عن الليث عن نافع بمثله.

(٤) اختلف في تصحيح إسناده، واتفقوا على صحة معناه، أخرجه مالك في الموطأ (٤٠)، وأحمد =

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وجماعة: (طعامه): كل ما ملح منه وبقي[١]، وتلك صنائع تدخله فترده طعاماً، وإنما الصيد الغريض، وقال قوم: (طَعَامُهُ): ملحه الذي ينعقد من مائه وسائر ما فيه من نبات ونحوه[٢].

وكره قوم خنزير الماء، وقال مالك ـ رحمه الله ـ: أنتم تقولون له: خنزير[٣]، ومذهبه إباحته، وقول أبي بكر وعمر هو أرجح الأقوال، وهو مذهب مالك.

وقرأ ابن عباس وعبد الله بن الحارث[٤]: (وطُعْمه) بضم الطاء وسكون العين دون ألف[٥].

و﴿مَتَٰعًا﴾: نصب على المصدر، والمعنى: متعكم به متاعاً تنتفعون به وتأْتَدِمون، و﴿لَّكُمْ﴾؛ يريد: حاضري البحر ومدنه.

﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: المسافرين، وقال مجاهد: أهل القرى هم المخاطبون، والسيارة: أهل الأمصار[٦].

= (٢/ ٢٣٧) و(٣٩٣)، والدارمي (٧٢٩ و٢٠١٧)، وأبو داود (٨٣)، وابن ماجه (٣٨٦) و(٣٢٤٦)، والترمذي (٦٩)، وقال: حسن صحيح، والنسائي (١/ ٥٠ و١٧٦)، وفي الكبرى (٥٨)، وابن خزيمة (١١١)، وابن حبان (١٢٤٣) من طريق مالك بن أنس، عن صفوان بن سليم، عن سعيد بن سلمة من آل ابن الأرزق، عن المغيرة بن أبي بردة، وهو من بني عبد الدار، فذكره، وله طرق أخرى، وقد اختلف أهل العلم في تصحيح إسناده، لحال سعيد وشيخه، وإن اتفقوا على صحة معناه، انظر البدر المنير: (١/ ٣٤٨).

(١) انظر الاستذكار (٥/ ٢٨٣)، وتفسير الطبري (١١/ ٦٦-٦٨).

(٢) ممن قال بذلك؛ عكرمة ومجاهد، انظر قولهم في: تفسير الطبري (١١/ ٦٩).

(٣) انظر الاستذكار (٥/ ٢٨٤)، «وله»: زيادة من السليمانية.

(٤) عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي، يكنى أبا محمد، ولد على عهد النبي ﷺ، وولي البصرة لابن الزبير، الطبقات الكبرى (٧/ ٧٠).

(٥) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهما في مختصر الشواذ (ص: ٤١).

(٦) تفسير الطبري (١١/ ٧٣).

قال القاضي أبو محمد: كأنه يريد أهل قرى البحر، وأن السيارة من أهل الأمصار غير تلك القرى يجلبونه إلى الأمصار.

واختلف العلماء في مقتضى قوله: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾، فتلقاه بعضهم على العموم من جميع جهاته، فقالوا: إن المحرم لا يحل له أن يصيد، ولا أن يأمر بصيد، ولا أن يأكل صيدا صِيد من أجله، ولا من غير أجله، ولحم الصيد بأي وجه كان حرام على المحرم.

وروي أن عثمان حجَّ وحج معه علي بن أبي طالب، فأتي عثمان بلحم صيد صاده حلال فأكل منه ولم يأكل علي، فقال عثمان: والله ما صِدنا ولا أمرنا ولا أشرنا، فقال علي: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾[١].

وروي أن عثمان استعمل على العَروض أبا سفيان بن الحارث، فصاد يعاقيب فجعلها في حظيرة، فمر به عثمان بن عفان، فطبخهن وقدمهن إليه، وجاء علي بن أبي طالب فنهاهم عن الأكل، وذكر نحو ما تقدم قال: ثم لما كانوا بمكة أتي عثمان فقيل له: هل لك في علي؟ أهدي له تصفيف حمار فهو يأكل منه، فأرسل إليه عثمان فسأله عن أكله التصفيف، وقال له: أما أنت فتأكل وأما نحن فتنهانا، فقال له علي: إنه صيد عام أول، وأنا حلال، فليس علي بأكله بأس، وصيد ذلك؛ يعني: اليعاقيب ـ وأنا محرم، وذبحن وأنا حرام[٢].

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١١/ ٧٤) من طريق هشيم، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث ابن نوفل، عن أبيه قال: حج عثمان، ويزيد بن أبي زياد ضعيف، كبر فتغير وصار يتلقن، وهشيم يدلس.

(٢) فيه جهالة، أخرجه الطبري (١١/ ٧٥) من طريقين عن سماك، عن صبيح بن عبد الله العبسي قال: بعث عثمان، وصبيح تفرد عنه سماك، كما في المنفردات لمسلم (٤٣٨)، ولم يوثق توثيقاً يعتد به، وروي من طرق أخرى عن علي.

وروي مثل قول علي عن ابن عباس[١] وابن عمر[٢] وطاووس وسعيد بن جبير[٣].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يرى بأسا للمحرم أن يأكل لحم الصيد الذي صاده الحلال لحلال مثله ولنفسه[٤]، وسئل أبو هريرة عن هذه النازلة، فأفتى بالإباحة، ثم أخبر عمر بن الخطاب فقال له: لو أفتيت بغير هذا لأوجعت رأسك بهذه الدرة[٥]، وسأل أبو الشعثاء[٦] ابن عمر عن هذه المسألة، فقال له: كان عمر يأكله، قال: قلت: فأنت؟ قال: كان عمر خيرا مني[٧].

[وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: ما صيد أو ذبح وأنت حلال فهو لك حلال، وما صيد أو ذبح وأنت حرام فهو عليك حرام][٨].

---

(١) إسناده جيد، أخرجه الطبري (١١/ ٧٧) من طريق بشر بن المفضل قال: حدثنا سعيد، عن يعلى بن حكيم، عن عكرمة، عن ابن عباس: أنه كان يكرهه على كل حال، ما كان محرماً.

(٢) جيد، أخرجه الطبري (١١/ ٧٨) من طريق ابن جريج وعبد الله ـ هو ابن سعيد بن أبي هند ـ مفرقين أخبرهما نافع أن ابن عمر...

(٣) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٧٨-٧٩).

(٤) أخرج ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٤٥٧) عن عباد بن العوام، عن يونس، عن الحسن، أن عمر ابن الخطاب كان لا يرى بأساً بلحم الطير إذا صيد لغيره؛ يعني في الإحرام، وهذا منقطع، وعن وكيع، عن أسامة بن زيد، عن سالم قال: سمعت أبا هريرة، عن عمر، وأسامة هو الليثي ضعيف، وسالم هو ابن سرج لا يعرف سماعه من أبي هريرة.

(٥) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (١١/ ٧٩) من طريق بشر بن المفضل قال: حدثنا سعيد قال: حدثنا قتادة: أن سعيد بن المسيب حدثه، عن أبي هريرة.

(٦) هو أبو الشعثاء المحاربي الكوفي سليم بن أسود، روى عن: حذيفة، وعائشة، وأبي هريرة، وابن عمر، وجماعة، روى عنه: ابنه الأشعث، وأبو صخرة، قال أبو حاتم: لا يسأل عن مثله، شهد مع علي مشاهده، وقتل يوم الزاوية مع ابن الأشعث، تاريخ الإسلام (٦/ ٢٣٧).

(٧) أخرجه الطبري (١١/ ٨٠) من طريق غندر، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي الشعثاء قال: سألت ابن عمر، ورواه البيهقي في السنن (٥/ ١٨٩) من طريق عبيد الله بن معاذ، عن أبيه، عن شعبة عن أبي إسحاق، سمعت أبا الشعثاء... وأبو الشعثاء هو الكندي، لم يوثق.

(٨) ساقط من الأصل، والحديث أخرجه الطبري (١١/ ٨٤) من طريقين، الأول: سماك بن حرب، عن =

قال القاضي أبو محمد: وهذا مثل قول علي بن أبي طالب، وروى عطاء عن كعب قال: أقبلت في ناس محرمين، فوجدنا لحم حمار وحشي، فسألوني عن أكله، فأفتيتهم بأكله، فقدمنا على عمر فأخبروه بذلك، فقال: قد أمَّرته عليكم حتى ترجعوا[١].

وقال بمثل قول عمر بن الخطاب عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وهو الصحيح؛ لأن النبي ﷺ أكل من الحمار الذي صاده أبو قتادة وهو حلال والنبي ﷺ محرم[٢].

قال الطبري وقال آخرون: إنما حرم على المحرم أن يصيد، فأما أن يشتري الصيد من مالك له فيذبحه فيأكله فذلك غير محرم، ثم ذكر أن أبا سلمة بن عبد الرحمن، اشترى قطاً وهو بالعرج فأكله، فعاب ذلك عليه الناس[٣].

ومالك ـ رحمه الله ـ يجيز للمحرم أن يأكل ما صاده الحلال وذبحه إذا كان لم يصده من أجل المحرم، فإن صيد من أجله فلا يأكله، وكذلك قال الشافعي، ثم اختلفا إن أكل، فقال مالك: عليه الجزاء، وقال الشافعي: لا جزاء عليه[٤].

وقرأ ابن عباس: (وحَرَّم) بفتح الحاء والراء مشددة (صيدَ) بنصب الدال (ما دمتم حَرماً) بفتح الحاء[٥]، المعنى وحرم الله عليكم.

و﴿حُرُمًا﴾ يقع للجميع والواحد، كرضا وما أشبهه، والمعنى: ما دمتم محرمين، فهي بالمعنى كقراءة الجماعة بضم الحاء والراء، ولا يختلف في أن ما لا زوال له

= عكرمة، عن ابن عباس، وسماك ضعيف في عكرمة، والثاني: بإسناده إلى عطية العوفي عن ابن عباس، وفيه مقال معروف.

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٧٨٤) عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، أن كعب الأحبار أقبل من الشام.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٧٢٥) (١٧٢٦) (٥١٧٣)، ومسلم (١١٩٦)، وفيه: أن النبي ﷺ قال لهم: كلوا، وفي رواية زيادة: فهو طعم أطعمكموها الله، وليس فيه أنه أكل منه.

(٣) انظر تفسير الطبري (١١/ ٨٤-٨٥).

(٤) انظر ما عزاه لمالك في: النوادر (٢/ ٤٥٦)، وانظر ما عزاه للشافعي في: الحاوي للماوردي (٤/ ٣٠٦).

(٥) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢١٩)، ومختصر الشواذ (ص: ٤١).

من الماء أنه صيد بحر، وفيما لا زوال له من البر أنه صيد بر، واختلف فيما يكون في أحدهما وقد يعيش ويحيا في الآخر، فقال مالك ـ رحمه الله ـ وأبو مجْلَز وعطاء وسعيد بن جبير وغيرهم: كل ما يعيش في البر وله فيه حياة فهو من صيد البر، إن قتله المحرم وداه، وذكر أبو مجْلَز في ذلك الضفادع والسلاحف والسرطان[١].

قال القاضي أبو محمد: ومن هذه أنواع لا زوال لها من الماء فهي لا محالة من صيد البحر، وعلى هذا خرج جواب مالك في الضفادع في المدونة، فإنه قال: الضفادع من صيد البحر[٢]، وروي عن عطاء بن أبي رباح خلاف ما ذكرناه، وهو أنه راعى أكثر عيش الحيوان، سئل عن ابن الماء أصيد بر أم صيد بحر؟ فقال: حيث يكون أكثر فهو منه، وحيث يفرخ فهو منه[٣].

قال القاضي أبو محمد: والصواب في ابن ماء أنه صيد بر، طائر يرعى ويأكل الحب.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ تشديد وتنبيه عقب هذا التحليل والتحريم.

ثم ذكر تعالى بأمر الحشر والقيامة مبالغة في التحذير.

ولما بان في هذه الآيات تعظيم الحرم والحرمة بالإحرام من أجل الكعبة، وأنها بيت الله / وعنصر هذه الفضائل، ذكر تعالى في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ﴾ الآية ما سنه في [٢/ ٥٦] الناس وهداهم إليه، وحمل عليه الجاهلية الجهلاء من التزامهم أن الكعبة قوام، والهدي قوام، والقلائد قوام؛ أي: أمر يقوم للناس بالتأمين وحل الحرب كما يفعل الملوك الذين هم قوام العالم، فلما كانت تلك الأمة لا ملك لها جعل الله هذه الأشياء كالملك لها.

وأعلم تعالى أن التزام الناس لذلك هو مما شرعه وارتضاه، ويدل على مقدار

---

(١) انظر قول مالك في: المدونة (١/ ٤٥٢)، وانظر قول البقية في: تفسير الطبري (١١/ ٨٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢١٣).

(٢) المدونة (١/ ٤٥٢).

(٣) انظر رواية القول الثاني عن عطاء في تفسير الطبري (١١/ ٨٨).

هذه الأمور في نفوسهم أن النبي ﷺ لما بعثت إليه قريش زمن الحديبية الحليس[١]، فرآه[٢] النبي، قال: «هذا رجل يعظم الحرمة، فالقوه بالبدن مُشعَرة»، فلما رآها الحليس عظم ذلك عليه، وقال: ما ينبغي أن يصد هؤلاء، ورجع عن رسالتهم[٣].

و﴿جَعَلَ﴾ في هذه الآية بمعنى: صير، و﴿ٱلۡكَعۡبَةَ﴾: بيت مكة، وسمي كعبة لتربيعه، قال أهل اللغة: كل بيت مربع فهو مكعب وكعبة، ومنه قول الأسود بن يَعْفر:

[الكامل] أَهْلِ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وبارِقٍ والقصْرِ ذِي الكَعَبات مِن سِنْدادِ[٤]

قالوا: كانت فيه بيوت مربعة، وفي كتاب سير ابن إسحاق: أنه كان في خثعم بيت يسمونه كعبة اليمانية[٥]، وقال قوم: سميت كعبة لنتوئها ونشوزها على الأرض، ومنه كعب ثدي الجارية، ومنه كعب القدم، ومنه كُعوب القناة.

و﴿قِيَـٰمًا﴾ معناه: أمر يقوم للناس بالأمنة والمنافع، كما الملك قوام الرعية وقيامهم، يقال ذلك بالياء كالصيام ونحوه، وذلك لخفة الياء، فتستعمل أشياء من ذوات الواو بها كدعاية[٦].

وقد يستعمل القوام على الأصل، قال الراجز:

[الرجز] .... قِوامُ دُنْيَا وَقَوَامُ دِينِ[٧]

---

(١) الحليس بن علقمة أو ابن زبان، كان سيد الأحابيش، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٢).

(٢) ساقط من الحمزوية، وفي المطبوع: «فلما رآه».

(٣) صحيح البخاري (٢٧٣٢).

(٤) البيت للأسود بن يعفر النهشلي كما في سيرة ابن هشام (١/ ٨٩)، والعين (١/ ٢٠٧)، والشعر والشعراء (١/ ٢٤٨)، والاختيارين للأخفش (ص: ٥٦١)، والأغاني (١٣/ ١٩)، والعقد الفريد (٣/ ٢٤٣).

(٥) بل هو في الصحيحين، البخاري (٣٠٢٠) (٣٠٧٦)، ومسلم (٢٤٧٦).

(٦) زيادة من السليمانية، وهي في لالاليه ملحقة في الهامش، وفي نور العثمانية: «كرعاية».

(٧) البيت لحميد الأرقط كما في مجاز القرآن (١/ ١٧٧).

وذهب بعض المتأولين إلى أن معنى قوله تعالى: ﴿قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾؛ أي: موضع وجوب قيام بالمناسك والتعبدات، وضبط النفوس في الشهر الحرام، ومع الهدي والقلائد.

وقرأ ابن عامر وحده: ﴿قِيَماً﴾ دون ألف[١]، وهذا إما على أنه مصدر كالشبع ونحوه، وأعلّ فلم يجر مجرى عوض وحول من حيث أعلّ فعله، وقد تعل الجموع لاعتلال الآحاد، فأحرى أن تعلّ المصادر لاعتلال أفعالها، ويحتمل: ﴿قيماً﴾ أن تحذف الألف، وهي مرادة، وحكم هذا أن يجيء في شعر وغير سعة.

وقرأ الجحدري: (قَيِّماً) بفتح القاف وشد الياء المكسورة[٢].

و(الشَّهرُ) هنا: اسم جنس، والمراد الأشهر الثلاثة بإجماع من العرب، وشهر مضر وهو رجب الأصم، سمي بذلك؛ لأنه كان لا يسمع فيه صوت الحديد، وسموه منصِّل الأسنة؛ لأنهم كانوا ينزعون فيه أسنة الرماح، وهو شهر قريش، وله يقول عوف بن الأحوص[٣]:

وشَـهْـرِ بَنِي أُمَـيَّـةَ والهَدَايَا إِذا حُبِسَـتْ مُضَرِّجَهَـا الدِّمَاءُ[٤] [الوافر]

وسماه النبي ﷺ شهر الله[٥]؛ أي: شهر آل الله، وكان يقال لأهل الحرم: آل الله، ويحتمل أن يسمى شهر الله؛ لأن الله سنه وشدده؛ إذ كان كثير من العرب لا يراه.

وأما (الْهَدْيِ) فكان أماناً لمن يسوقه؛ لأنه يعلم أنه في عبادة، لم يأت لحرب.

وأما (الْقَلائِد) فكذلك كان الرجل إذا خرج يريد الحج تقلد من لحاء السمر أو غيره شيئاً، فكان ذلك أماناً له، وكان الأمر في نفوسهم عظيماً مكنه الله حتى كانوا لا

---

(١) وهي قراءة متواترة انظر: التيسير (ص: ١٠٠)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ٢٤٨).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٤١).

(٣) هو عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب من سادة بني عامر بن صعصعة، انظر أخباره في الأغاني (١٢/ ١٩٩).

(٤) انظر عزوه له في المفضليات (ص: ١٧٤)، ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (١/ ٥٦٦).

(٥) حديث باطل، مرفوعاً، يراجع كتاب تبيين العجب بما ورد في فضل رجب للحافظ ابن حجر (ص: ٧).

يقدم من ليس بمحرم أن يتقلد شيئاً خوفاً من الله، وكذلك كانوا[١] إذا انصرفوا تقلدوا من شجر الحرم.

وقوله تعالى: ﴿لِّلنَّاسِ﴾ لفظ عام، وقال بعض المفسرين: أراد العرب[٢].

قال القاضي أبو محمد: ولا وجه لهذا التخصيص، وقال سعيد بن جبير: جعل الله هذه الأمور للناس وهم لا يرجون جنة، ولا يخافون ناراً، ثم شدد ذلك بالإسلام[٣].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى أن جعل هذه الأمور قياماً، والمعنى: فعل ذلك لتعلموا أن الله تعالى يعلم تفاصيل أمور السماوات والأرض، ويعلم مصالحكم أيها الناس قبل وبعد، فانظروا لطفه بالعباد على حال كفرهم.

وقوله تعالى: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ عام عموماً تاماً في الجزئيات ودقائق الموجودات، كما قال عز وجل: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩]، والقول بغير هذا إلحاد في الدين وكفر.

ثم خوف تعالى عباده ورجاهم بقوله: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ﴾ الآية، وهكذا هو الأمر في نفسه، حري أن يكون العبد خائفاً عاملاً بحسب الخوف، متقياً متأنساً بحسب الرجاء.

قوله عز وجل: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ إخبار للمؤمنين، فلا يتصور أن يقال هي

(١) زيادة من السليمانية وفيض الله ولالاليه.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٩١).

(٣) مثله في تفسير الطبري (١١/ ٩١)، عن ابن جريج، عن مجاهد، فلينظر.

آية موادعة منسوخة بآيات القتال، بل هذه حال من آمن وشهد شهادة الحق؛ فإنه إذ قد عصم من الرسول ماله ودمه؛ فليس على الرسول في جهته أكثر من التبليغ والله تعالى بعد ذلك يعلم ما ينطوي عليه صدره، وهو المجازي بحسب ذلك ثواباً أو عقاباً.

و﴿ٱلْبَلَٰغُ﴾ مصدر من: بلغ يبلغ، والآية معناها الوعيد للمؤمنين إن انحرفوا ولم يمتثلوا ما بلغ إليهم، وقوله: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى﴾ الآية لفظ عام في جميع الأمور، يتصور في المكاسب وعدد الناس والمعارف من العلوم ونحوها، فالْخَبِيثُ من هذا كله لا يفلح ولا ينجب ولا تحسن له عاقبة، و(الطَّيِّبُ) ولو قلَّ نافع جميل العاقبة، وينظر إلى هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨].

و«الخبث»: هو الفساد الباطن في الأشياء حتى يظن بها الصلاح / والطيب، [٢/ ٥٧]
وهي بخلاف ذلك، وهكذا هو الخبث في الإنسان، وقد يراد بلفظة: خبيث في الإنسان فساد نسبه، فهذا لفظ يلزم قائله على هذا القصد الحدُّ.

وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ تنبيه على لزوم الطيب في المعتقد والعمل، وخص أُولِي الْأَلْبَابِ بالذكر؛ لأنهم المتقدمون في ميز هذه الأمور، والذي لا ينبغي لهم إهمالها مع ألبابهم(١) وإدراكهم، وكأن الإشارة بهذه الأَلْبابِ إلى لب التجربة الذي يزيد على لب التكليف بالحنكة والفطنة المستنبطة، والنظر البعيد.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ الآية، اختلف الرواة في سببها: فقالت فرقة منهم أنس بن مالك وغيره: نزلت بسبب سؤال عبد الله بن حُذافة السهمي، وذلك أن رسول الله ﷺ صعد المنبر مغضباً، فقال: «لا تسألوني اليوم عن شيء إلا أخبرتكم به»، فقام رجل فقال: أين أنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «في النار»، فقام عبد الله ابن حذافة السهمي ـ وكان يطعن في نسبه ـ فقال: من أبي؟ فقال: «أبوك حُذافة»(٢).

(١) في نجيبويه والأصل: «البهائم».
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٩٢) (٩٣) (٥٤٠) (٧٠٨٩) (٧٢٩١) (٧٢٩٤)، ومسلم (٢٣٥٩).

قال القاضي أبو محمد: وفي الحديث مما لم يذكر الطبري، فقام آخر فقال: من أبي؟ فقال: «أبوك سالم مولى أبي شيبة»[١]، فقام عمر بن الخطاب فجثا على ركبتيه وقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، نعوذ بالله من الفتن، وبكى الناس من غضب رسول الله ﷺ[٢]، ونزلت هذه الآية بسبب هذه الأسئلة.

قال القاضي أبو محمد: وصعود رسول الله ﷺ المنبر مغضباً إنما كان بسبب سؤالات الأعراب والجهال والمنافقين، فكان منهم من يقول: أين ناقتي؟ وآخر يقول: ما الذي ألقى في سفري هذا؟ ونحو هذا مما هو جهالة أو استخفاف وتعنيت.

وقال علي بن أبي طالب وأبو هريرة وأبو أمامة الباهلي وابن عباس ـ في لفظهم اختلاف والمعنى واحد ـ: خطب رسول الله ﷺ الناس فقال: «أيها الناس كتب عليكم الحج»، وقرأ عليهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، قال علي: فقالوا: يا رسول الله، أفي كل عام؟ فسكت، فأعادوا، قال: «لا، ولو قلت: نعم، لوجبت».

وقال أبو هريرة: فقال عكاشة بن محصن[٣]، وقال مرة: فقال محصن الأسدي، وقال غيره: فقام رجل من بني أسد، وقال بعضهم: فقام أعرابي فقال: يا رسول الله، أفي كل عام؟ فسكت رسول الله ﷺ، ثم قال: «من السائل؟» فقيل: فلان، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: نعم لوجبت، ولو وجبت لم تطيقوه، ولو تركتموه، لهلكتم»، فنزلت هذه الآية بسبب ذلك[٤].

---

(١) لم أجده.

(٢) قول عمر هذا أخرجه البخاري في بعض المواضع السابقة.

(٣) عكّاشة بن محصن بن حرثان، الأسدي، حليف بني عبد شمس، من السابقين الأولين شهد بدراً، وقع ذكره في الصحيحين، في قوله ﷺ: «سبقك بها عكاشة»، استشهد في قتال الردة، الإصابة (٤/ ٤٣٩).

(٤) ضعيف، حديث علي أخرجه الترمذي (٢٠٢) وغيره من طريق علي بن عبد الأعلى، عن أبيه، عن أبي البختري، عن علي، وهو ضعيف منقطع، أبو البختري لم يسمع من علي، وعبد الأعلى ضعفوه.

ويقوي هذا حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال: «إن أعظم المسلمين على المسلمين جُرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته»(١).

وروي عن ابن عباس أنه قال: نزلت الآية بسبب قوم سألوا عن البحيرة والسائبة والوصيلة(٢)، ونحو هذا من أحكام الجاهلية، وقاله سعيد بن جبير(٣).

قال القاضي أبو محمد: وروي أنه لما بيَّن الله تعالى في هذه الآيات أمر الكعبة والهدي والقلائد، وأعلم أن حرمتها هو الذي جعلها إذ هي أمور نافعة قديمة من لدن عهد إبراهيم عليه السلام؛ ذهب ناس من العرب إلى السؤال عن سائر أحكام الجاهلية ليروا هل تلحق بتلك أم لا؟ إذ كانوا قد اعتقدوا الجميع سنة لا يفرقون بين ما هو من عند الله وما هو من تلقاء الشيطان والمغيِّرين لدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، كعمرو بن لُحي وغيره.

وفي عمرو بن لحي قال رسول الله ﷺ: «رأيته يجر قصبه في النار»، وكان أول من سيب السوائب(٤).

قال القاضي أبو محمد: والظاهر من الروايات: أن رسول الله ﷺ ألحت عليه الأعراب والجهال بأنواع من السؤالات حسبما ذكرناه، فزجر الله تعالى عن ذلك بهذه الآية.

و﴿أَشۡيَآءَ﴾: اسم جمع لشيء، أصله عند الخليل وسيبويه: شيئاء، مثل فعلاء، قلبت إلى لَفْعَاء؛ لثقل اجتماع الهمزتين، وقال أبو حاتم: أَشْياء وزنها أفعال وهو جمع:

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧٢٨٩)، ومسلم (٢٣٥٨).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١١/ ١١١) من طريق عتاب بن بشير، عن خصيف، عن مجاهد، عن ابن عباس، وعتاب، قال أحمد: أحاديثه عن خصيف منكرة، وقال أيضاً: روى بأخرة أحاديث منكرة، وما أرى أنها إلا من قبل خصيف.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١١/ ١١٢).

(٤) متفق عليه: البخاري (٣٥٢١) (٤٦٢٣)، ومسلم (٩٠٤)، وعمرو هو جد خزاعة، انظر قصته في سيرة ابن هشام (١/ ٧٦).

شيء، وترك الصرف فيه سماع، وقال الكسائي: لم ينصرف أَشْياء؛ لشبه آخرها بآخر حمراء، ولكثرة استعمالها، والعرب تقول: أشياوات، كما تقول: حمراوات، ويلزم على هذا أن لا ينصرف أسماء لأنهم يقولون أسماوات، وقال الأخفش: أَشْياء أصلها: أشيئاء، على وزن أفعلاء، استثقلت اجتماع الهمزتين، فأبدلت الأولى ياء لانكسار ما قبلها، ثم حذفت الياء استخفافاً، ويلزم على هذا أن يكون واحد الأشياء شيئاً، مثل هين وأهوناء[1].

وقرأ جمهور الناس: ﴿إِن تُبْدَ﴾ بضم التاء وفتح الدال وبناء الفعل للمفعول.

وقرأ مجاهد: (إن تَبدُ) بفتح التاء وضم الدال على بناء الفعل للفاعل، وقرأ الشعبي: (إن يبد لكم) بالياء من أسفل مفتوحة والدال مضمومة، (يسؤكم) بالياء من أسفل[2]؛ أي: يبده الله لكم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ قال ابن عباس: معناه: لا تسألوا عن أشياء في ضمن الإخبار عنها مساءة لكم، إما لتكليف شرعي يلزمكم، وإما لخبر يسوء، كما قيل للذي قال: أين أنا؟ ولكن إذا نزل القرآن بشيء وابتدأكم ربكم بأمر فحينئذ إن سألتم عن تفصيله وبيانه بُيِّن لكم وأُبدي[3].

قال القاضي أبو محمد: فالضمير في قوله: ﴿عَنْهَا﴾: عائد على نوعها، لا على الأولى التي نهى عن السؤال عنها، وقال أبو ثعلبة الخشني رضي الله عنه[4]: إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها،

---

(١) انظر هذه الأقوال في مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٢٣٩)، والأصول في النحو (٣/ ٣٣٧)، والمفتاح في الصرف (ص: ١٤).

(٢) وهما شاذتان انظر عزوهما لهما في مختصر الشواذ (ص: ٤١)، وزاد في الأول ابن عباس، وسقطت قراءة مجاهد من نور العثمانية.

(٣) أخرج الطبري نحو هذا (١١/ ١١٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس.

(٤) أبو ثعلبة الخشني، صحابي مشهور، معروف بكنيته، واختلف في اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً، توفي سنة (٧٥هـ)، الإصابة (٧/ ٥٠).

[٢/ ٥٨] وعفا من غير نسيان عن أشياء فلا تبحثوا عنها[١]، وكان عبيد بن عمير يقول/ : إن الله أحل وحرم، فما أحل فاستحلوا، وما حرم فاجتنبوا، وترك بين ذلك أشياء لم يحلها ولم يحرمها، فذلك عفو من الله عفاه، ثم يتلو هذه الآية[٢].

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل قوله تعالى: ﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ أن يكون في معنى الوعيد، كأنه قال: لا تسألوا، وإن سألتم لقيتم عبء ذلك وصعوبته؛ لأنكم تكلفون وتستعجلون علم ما يسوءكم، كالذي قيل له: إنه في النار.

وقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ معناه: تركها ولم يُعرف بها، وهذه اللفظة التي هي: عَفَا، تؤيد أن الأشياء التي هي في تكليفات الشرع [هي التي ذكرت][٣]، وينظر إلى ذلك قول النبي ﷺ: «إن الله قد عفا لكم عن صدقة الخيل»[٤].

(١) أصح طرقه فيه انقطاع، أخرجه الدارقطني (٥/ ٣٢٥)، والطبراني في الكبير (ح٢٢/ رقم ٥٨٩، ٢٢١، ٢٢٣)، وفي مسند الشاميين (٤/ ٣٣٨)، والبيهقي (١٠/ ١٢-١٣)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ١٧)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٦)، من طرقٍ عن داود بن أبي هند، عن مكحول، عن أبي ثعلبة الخشني مرفوعاً، وهذا الحديث حسنه النووي في الأربعين (ص: ٤٠) وغيره، وسبقه إلى هذا الحكم أبو بكر السمعاني في الأمالي، كما ذكره ابن رجب في جامع العلوم (٢/ ٨١٧)، ومكحول لم يسمع من أبي ثعلبة، قاله المزي في تحفة الأشراف (١١٨٧٣)، وذكر الدارقطني في العلل (٦/ ٣٢٤): أنه اختلف على مكحول في رفعه ووقفه، قال: رواه إسحاق الأزرق، عن داود بن أبي هند، عن مكحول، عن أبي ثعلبة مرفوعاً، وتابعه محمد بن فضيل، عن داود، ورواه حفص بن غياث، ويزيد بن هارون، عن داود، فوقفاه، وقال قحذم: سمعت مكحولاً، يقول: لم يتجاوز به، والأشبه بالصواب مرفوعاً، وهو أشهر.اهـ، فبقي الانقطاع، وهذا أفضل طرقه، وله شاهد من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٤٦١)، والصغير (١١١١) وفي إسناده: أصرم بن حوشب، وهو كذاب وضاعٌ، وروى نحوه نهشل الخراساني بنفس الإسناد، وفيه زيادة، أخرجه الدارقطني (٥/ ٥٣٧)، ونهشل كذبه ابن راهويه، وتركه النسائي وأبو حاتم، وله طرق أخرى لا تصح.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ١١٤).

(٣) زيادة من السليمانية ولالاليه ملحقة في هامشهما، وفي نور العثمانية: «الأشياء التي ذكرت هي التي في تكليفات...».

(٤) أخرج أبو داود (١٥٧٤)، والترمذي (٦٢٠)، والنسائي (٥/ ٣٧)، وأحمد (١/ ٩٨، ١١٣، ١٤٥)، =

و﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: صفتان تناسب العفو وترك المباحثة والسماحة في الأمور.

وقرأ عامة الناس: ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ بفتح السين، وقرأ إبراهيم النخعي: (قد سِالها) بكسر السين(١)، والمراد بهذه القراءة الإمالة، وذلك على لغة من قال: سلت(٢) تسأل، وحكي عن العرب: هما يتساولان(٣)، فهذا يعطي هذه أن اللغة هي من الواو لا من الهمزة فالإمالة إنما أريدت وساغ ذلك لانكسار ما قبل اللام: في: سلت كما جاءت الإمالة في: خاف، لمجيء الكسرة في خاء خفت.

ومعنى الآية: أن هذه السؤالات التي هي تعنيتات وطلب شطط واقتراحات ومباحثات قد سألتها قبلكم الأمم ثم كفروا بها، قال الطبري: كقوم صالح في سؤالهم الناقة، وكبني إسرائيل في سؤالهم المائدة، قال السدي: كسؤال قريش أن يجعل الله لهم الصفا ذهباً(٤).

قال القاضي أبو محمد: وإنما يتجه في قريش مثالاً سؤالهم آية، فلما شق لهم

= والدارمي (١/ ٣٨٣)، والدارقطني في العلل (٣/ ١٦١)، كلهم من طريق أبي إسحاق عن عاصم ابن ضمرة، عن علي مرفوعاً، وأخرجه ابن ماجه (١٧٩٠)، وأحمد (١/ ١٢١، ١٣٢، ١٤٦)، والدارقطني في السنن (٢/ ٩٨) رقم (١٨)، وفي العلل (٣/ ١٦٠)، وأبو يعلى (٢٩٩)، من طريق أبي إسحاق، عن الحارث الأعور، عن علي مرفوعاً، بلفظ: إني قد عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق، قال الترمذي: سألت محمداً عن هذا الحديث، فقال: كلاهما عندي صحيح عن أبي إسحاق، يحتمل أن يكون روى عنهما. اهـ، وقد صح الحديث من حديث أبي هريرة بلفظ: «ليس على المسلم في عبده، ولا في فرسه صدقة»، رواه الشيخان وغيرهما، وأما بلفظ: إن الله تعالى تجوَّزَ لكم عنْ صَدَقةِ الخيلِ والرَّقيقِ، فأخرجه ابن عدي في الكامل (٥/ ٢٨٧) ولا يصح.

(١) وهي قراءة شاذة انظرها في المحتسب (١/ ٢١٩)، ومختصر الشواذ (ص: ٤١).

(٢) في لالاليه: «سالت».

(٣) انظر: المحتسب (١/ ٢١٩).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١١/ ١١٦).

القمر كفروا، وهذا المعنى إنما يقال لمن سأل النبي ﷺ: أين ناقتي؟(١)، وكما قال له الأعرابي: ما في بطن ناقتي هذه؟(٢).

فأما من سأله عن الحج أفي كل عام هو؟ فلا يفسر قوله قد سألها قوم الآية بهذه الأمثلة(٣)، بل بأن الأمم قديماً طلبت التعمق في الدين من أنبيائها، ثم لم تف بما كلفت.

قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

---

(١) أخرج البخاري (٤٦٢٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل: من أبي، ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ حتى فرغ من الآية كلها.

(٢) مرسل، أخرجه الحاكم (٣/ ٤١٨-٤١٩) من طريق ابن إسحاق: حدثني يزيد بن رومان وعاصم ابن عمر بن قتادة، عن عروة بن الزبير، ومن طريق أبي علاثة حدثنا أبي، حدثنا ابن لهيعة عن أبي الأسود، عن عروة قال: لقي رسول الله ﷺ رجلاً من أهل البادية، وهو يتوجه إلى بدر، لقيه بالروحاء، فسأله القوم عن خبر الناس؟ فلم يجدوا عنده خبراً، فقالوا له: سلم على رسول الله ﷺ، فقال: أوفيكم رسول الله؟ قالوا: نعم، قال الأعرابي: فإن كنت رسول الله فأخبرني ما في بطن ناقتي هذه، فقال له سلمة بن سلامة بن وقش ـ وكان غلاماً حدثاً: لا تسأل رسول الله، أنا أخبرك، نزوت عليها، ففي بطنها سخلة منك، فقال رسول الله ﷺ: «فحشت على الرجل يا سلمة»، ثم أعرض رسول الله ﷺ عن الرجل، وفي رواية: عن سلمة، فلم يكلمه كلمة حتى قفلوا، واستقبلهم المسلمون بالروحاء يهنئونهم، فقال سلمة بن سلامة: يا رسول الله، ما الذي يهنئونك به، والله إن رأينا إلا عجائز صلعاً كالبدن المعقلة فنحرناها، فقال رسول الله: «إن لكل قوم فراسة، وإنما يعرفها الأشراف». اهـ، قال الحاكم: صحيح الإسناد وإن كان مرسلاً .اهـ.

(٣) في المطبوع: «بهذا ولا مثله».

لما سأل قوم عن هذه الأحكام التي كانت في الجاهلية هل تلحق بحكم الله في تعظيم الكعبة والحرم، أخبر[١] تعالى في هذه الآية أنه لم يجعل شيئاً منها ولا سنه[٢] لعباده، المعنى: ولكن الكفار فعلوا ذلك إذ أكابرهم ورؤساؤهم كعمرو بن لحي وغيره يفترون على الله الكذب، ويقولون: هذه قربة إلى الله وأمر يرضيه، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾؛ يعني: الأتباع ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ بل يتبعون هذه الأمور تقليداً وضلالاً بغير حجة.

و﴿جَعَلَ﴾ في هذه الآية لا يتجه أن تكون بمعنى: خلق الله؛ لأن الله تعالى خلق هذه الأشياء كلها، ولا هي بمعنى: صيَّر، لعدم المفعول الثاني، وإنما هي بمعنى: ما سنَّ ولا شرع، فتعدت تعدي هذه التي بمعناه[٣] إلى مفعول واحد.

و«البَحيرة» فعيلة بمعنى مفعولة، وبَحَر: شق، كانوا إذا أنتجت الناقة عشرة بطون شقوا أذنها بنصفين[٤] طولًا، فهي مبحورة، وتركت ترعى وترد الماء ولا ينتفع منها بشيء، ويحرم لحمها إذا ماتت على النساء، ويحل للرجال، وقال ابن عباس: كانوا يفعلون ذلك بها إذا أنتجت خمسة بطون[٥]، وقال مسروق: إذا ولدت خمساً أو سبعاً شقوا أذنها[٦].

قال القاضي أبو محمد: ويظهر مما يروَى في هذا أن العرب كانت تختلف في المبلغ الذي تبحر عنده آذان النوق، فلكلٍّ سُنَّة، وهي كلها ضلال، قال ابن سيده: ويقال: البحيرة هي التي خليت بلا راع، ويقال للناقة الغزيرة اللبن: بحيرة[٧].

---

(١) في المطبوع: «أحبر».

(٢) في المطبوع: «سنة».

(٣) في السليمانية: «التي هي بمعناها».

(٤) في المطبوع: «نصين».

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ١٢٨) من طريق العوفي، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٢٠) من طريق علي بن أبي طلحة، كلاهما عن ابن عباس.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١١/ ١٢٦).

(٧) المحكم والمحيط الأعظم (٣/ ٣٢١)، ولفظة «اللبن»: زيادة من السليمانية ولالاليه، وليست في المصدر.

قال القاضي أبو محمد: أرى أن البحيرة تصلح وتسمن ويغزر لبنها، فتشبه الغزيرات بالبحر، وعلى هذا يجيء قول ابن مقبل:

فِيهِ مِنَ الْأَخْرَجِ الْمِرْبَاعِ قَرْقَرَةٌ   هَدْرَ الدِّيَافِيِّ وَسْطَ الْهَجْمَةِ الْبُحُرِ[1]   [البسيط]

فإنما يريد: النوق العظام وإن لم تكن مشققة الآذان.

وروى السبيعي[2] عن أبي الأحوص[3] عن أبيه قال: دخلت على النبي ﷺ فقال لي: «أرأيت إبلك، ألست تنتجها مسلمة آذانها، فتأخذ الموسى فتقطع آذانها، فتقول: هذه بحر، وتقطع جلودها فتقول: هذه صرم فتحرمها عليك وعلى أهلك؟» قال: نعم، قال: «فإن ما آتاك الله لك حل، وساعد الله أشد، وموسى الله أحد»[4].

و«السائبة»: هي الناقة التي تسيب للآلهة، والناقة أيضاً إذا تابعت اثنتي عشرة إناثاً ليس فيهن ذكر سيبت، وقال رسول الله ﷺ لأكثم بن الجَوْن الخزاعي[5]: «يا أكثم، رأيت عمرو بن لُحي بن قمعة بن خَنْدَف يجر قصبه في النار، فما رأيت أشبه به منك»،

---

(١) انظر عزوه له في سيرة ابن هشام (١/ ٩١)، وتهذيب اللغة (٥/ ٢٧)، والمعاني الكبير (١/ ٣٦٣)، قال: والأخرج الظليم فيه بياض وسواد، والمرباع الراجع إلى مكانه، ويروي: المرتاع، وفي المطبوع: «الديامي»، قال في الحاشية: وفي رواية: «الزيامي»، وهي جماعة الإبل.

(٢) في الأصل والمطبوع: «الشعبي»، وهو خطأ، وسقط اسمه واسم أبي الأحوص من نور العثمانية.

(٣) أبو الأحوص عوف بن مالك بن نضلة الجشمي الكوفي، روى عن: ابن مسعود، وأبي موسى الأشعري، وعنه: مسروق ـ مع تقدمه ـ والحكم بن عتيبة، وعلي بن الأقمر، وأبو إسحاق السبيعي، وثقه ابن معين، وغيره، قتله الخوارج، تاريخ الإسلام (٦/ ٢٢٥).

(٤) إسناده مستقيم، أخرجه الطبري (١١/ ١٢٣) من طريقين، الأول: إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص عن أبيه، والثاني: شعبة، عن أبي إسحاق قال: سمعت أبا الأحوص عن أبيه، وأبو الأحوص هو الجشمي صاحب ابن مسعود، واسمه: عوف بن مالك، وأبوه هو: مالك بن نضلة، له صحبة، والإسناد مستقيم بتصريح أبي إسحاق بالسماع.

(٥) أكثم بن الجون، أو ابن أبي الجون، واسمه عبد العزى بن منقذ بن ربيعة بن أصرم، صحابي جليل، الإصابة (١/ ٢٥٨).

قال أكثم: أيضرني شبهه يا رسول الله؟ قال: «لا، إنك مؤمن وإنه كافر، هو أول من غير دين إسماعيل عليه السلام، ونصب الأوثان، وسيب السوائب»[١].

وكانت السوائب أيضاً في العرب كالقربة عند المرض يبرأ منه، والقدوم من السفر، وإذا نزل بأحدهم أمر يشكر الله عليه تقرب بأن يسيب ناقة، فلا ينتفع منها بلبن ولا ظهر ولا غيره، يرون ذلك كعتق بني آدم، ذكره السدي وغيره[٢]، وكانت العرب تعتقد أن من عرض لهذه النوق فأخذها أو انتفع منها بشيء؛ فإنه تلحقه عقوبة من الله.

و«الوَصيلة»: قال أكثر الناس: إن الوصيلة في الغنم؛ قالوا إذا ولدت الشاة ثلاثة بطون أو خمسة؛ فإن كان آخرها جدياً ذبحوه لبيت الآلهة، وإن كانت عناقاً استحيوها، وإن كان جدي وعناق استحيوهما، وقالوا: هذه العناق وصلت أخاها فمنعته من أن [٢/ ٥٩] يذبح، وعلى أن الوَصيلة في الغنم / جاءت الروايات عن أكثر الناس.

وروي عن سعيد بن المسيب أن الوصيلة من الإبل كانت الناقة إذا ابتكرت بأنثى، ثم ثنت بأخرى، قالوا: وصلت أنثيين، فكانوا يجدعونها لطواغيتهم أو يذبحونها، شك الطبري في إحدى اللفظتين[٣].

وأما «الحامي»، فإنه الفحل من الإبل إذا ضرب في الإبل [عشر سنين][٤]، وقيل:

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١١٨) من طريق محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن أبي صالح، عن أبي هريرة به مرفوعاً، ثم رواه عن هناد، عن عبدة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، بنحوه أو مثله، قال ابن كثير في التفسير (٣/ ٢٠٩): ليس هذان الطريقان في الكتب، والحديث في الصحيحين من حديث الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، مرفوعاً بلفظ: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، وكان أول من سيب السوائب»، أخرجه البخاري (٤٣٤٧)، ومسلم (٢٨٥٦/ ٥١)، وفي (٢٨٥٦/ ٥٠) بلفظ: «رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أبا بني كعب هؤلاء يجر قصبه في النار»، لكن ليس عندهما قصة أكثم.

(٢) تفسير الطبري (١١/ ١٣٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١١/ ١٣١).

(٤) في نجيبويه والأصل: «عشرين».

إذا ولد من صلبه عشر، وقيل: إذا ولد [من ولد][١] ولده، قالوا: حمي ظهره فسيبوه لم يركب ولا سخر[٢] في شيء، وقال علقمة لمن سأله في هذه الأشياء: ما تريد إلى شيء كان من عمل أهل الجاهلية وقد ذهب؟ وقال نحوه ابن زيد[٣].

قال القاضي أبو محمد: وجملة ما يظهر من هذه الأمور: أن الله تعالى قد جعل هذه الأنعام رفقاً[٤] لعباده، ونعمة عددها عليهم، ومنفعة بالغة، فكان أهل الجاهلية يقطعون طريق الانتفاع، ويذهبون نعمة الله فيها، ويزيلون المصلحة التي للعباد في تلك الإبل.

وبهذا فارقت هذه الأمور الأحباس والأوقاف؛ فإن المالك الذي له أن يهب ويتصدق له أن يصرف المنفعة في أيِّ طريق شاء من طرق[٥] البر، ولم يسد الطريق إليها جملة كما فعل بالبَحيرة والسائبة، وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا تجوز الأحباس والأوقاف، وقاسوا على البَحيرة والسائبة[٦].

والفرق بيِّن، ولو عمد رجل إلى ضيعة له فقال: هذه تكون حبساً لا يجتنى ثمرها، ولا يزرع أرضها، ولا ينتفع منها بنفع؛ لجاز أن يشبه هذا بالبَحيرة والسائبة، وأما الحبس البين طريقه واستمرار الانتفاع به؛ فليس من هذا، وحسبك بأن النبي ﷺ قال لعمر بن الخطاب في مال له: اجعله حبساً لا يباع أصله[٧]، وحبس أصحاب النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية، وقد تقدم أن المفترين هم المبتدعون،

---

(١) زيادة من السليمانية وفيض الله ونجيبويه.

(٢) في السليمانية: «ولا ينحر».

(٣) انظرهما في تفسير الطبري (١١/ ١٢٦ و١٣٢).

(٤) في السليمانية وفيض الله: «وقفاً».

(٥) «شاء»، و«طرق»، زيادة من السليمانية وفيض الله ولالاليه ونجيبويه.

(٦) انظر قول أبي حنيفة في الوقف في: المبسوط للسرخسي (١٢/ ٢٧-٢٩)، وبدائع الصنائع (٦/ ٢١٨)، والبحر الرائق (٥/ ٢١٠).

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧٧٢)، ومسلم (١٦٣٢).

وأن الذين لا يَعْقِلُونَ هم الأتباع، وكذلك نص الشعبي وغيره، وهو الذي تعطيه الآية، وقال محمد بن أبي موسى: الذين كفروا وافتروا هم أهل الكتاب، والذين لا يَعْقِلُونَ هم أهل الأوثان[(١)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا تفسير مَن انتزع ألفاظ آخر الآية عما تقدمها وارتبط بها من المعنى، وعما تأخر أيضاً من قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ والأول من التأويلين أرجح.

والضمير في قوله: ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾: عائد على الكفار المستنين بهذه الأشياء.

و﴿تَعَالَوْا﴾ نداء بيِّن، هذا أصله، ثم استعمل حيث البر وحيث ضده.

و﴿إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾؛ يعني: القرآن الذي فيه التحريم الصحيح.

و﴿حَسْبُنَا﴾ معناه: كفانا.

وقوله: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ ألف التوقيف دخلت على واو العطف، كأنهم عطفوا بهذه الجملة على الأولى والتزموا شنيع القول، فإنما التوقيف توبيخ لهم، كأنهم يقولون بعده: نعم ولو كانوا كذلك.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾، اختلف الناس في تأويل هذه الآية:

فقال أبو أمية الشعباني[(٢)] سألت أبا ثعلبة الخشني عن هذه الآية، فقال: لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «ائتمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، فإذا رأيت دنيا مؤثرة وشحاً مطاعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فعليك بخُويصة نفسك، [وذر عوامهم؛ فإن وراءكم أياماً أجر العامل فيها كأجر خمسين منكم»][(٣)].

---

(١) انظر قول الشعبي ومحمد في تفسير الطبري (١١/ ١٣٥).

(٢) أبو أمية الشعباني الدمشقي، اسمه يحمد، أدرك الجاهلية، وروى عن: معاذ، وكعب الخير، وأبي ثعلبة الخشني، تاريخ الإسلام (٦/ ٢٣٠).

(٣) ساقط من الحمزوية، والحديث في إسناده ضعف، أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٦٣)، وأبو =

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو التأويل الذي لا نظر لأحد معه؛ لأنه مستوف للصلاح، صادر عن النبي ﷺ، ويظهر من كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه بلغه أن بعض الناس تأول الآية أنها لا يلزم معها أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر، فصعد المنبر، فقال: أيها الناس، لا تغتروا بقول الله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، فيقول أحدكم: عليَّ نفسي، والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليستعملن عليكم شراركم، فليسومُنَّكم سوء العذاب(١).

وروي عن ابن مسعود أنه قال: ليس هذا بزمان هذه الآية، قولوا الحق ما قبل منكم، فإذا رد عليكم فعليكم أنفسكم(٢).

وقيل لابن عمر في بعض أوقات الفتن: لو تركت القول في هذه الأيام، فلم تأمر

= داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن حبان (٣٨٥)، والحاكم (٤/ ٣٢٢) من طريق عتبة بن أبي حكيم، عن عمه عمرو بن جارية اللخمي، عن أبي أمية الشعباني، قال: سألت أبا ثعلبة الخشني، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.اهـ، عتبة ليس بالقوي، وعمرو وأبو أمية مستوران، وإنما يعرفان بهذا الحديث، ويُذكران به.

(١) صحيح بغير هذا اللفظ، أخرجه بهذا اللفظ: الطبري (١١/ ١٤٩) من طريق أسباط عن السدي: قال أبو بكر، منقطعاً أو معضلاً، والخبر روي من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر قال: إنكم تقرؤون هذه الآية على غير موضعها: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، وإن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، عمهم الله بعقابه، وفي لفظ: والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليعمنكم الله منه بعقاب، قال ابن كثير في تفسيره (٣: ٢٥٨): «وقد روى هذا الحديث أصحاب السنن الأربعة، وابن حبان في صحيحه، وغيرهم، من طرق كثيرة، عن جماعة كثيرة، عن إسماعيل بن أبي خالد، به متصلاً مرفوعاً، ومنهم من رواه عنه به موقوفاً على الصديق، وقد رجح رفعه الدارقطني وغيره .اهـ، قال الدارقطني: يشبه أن يكون قيس بن أبي حازم كان ينشط في الرواية مرة فيسنده، ومرة يجبن عنه فيقفُه على أبي بكر.اهـ، وهذا يشير إلى صحة المرفوع والموقوف جميعاً، ونقل ابن أبي حاتم في العلل (١٧٨٨)، عن أبي زرعة قال: وأحسبُ إسماعيل بن أبي خالد كان يرفعه مرة، ويوقفه مرة. اهـ.

(٢) منقطع، هذا الأثر أخرجه الطبري (١١/ ١٣٨) من طريق أبي الأشهب، عن الحسن: أن هذه الآية قرئت على ابن مسعود... وهذا منقطع بين الحسن وابن مسعود.

ولم تَنْهَ؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال لنا: «ليُبلغ الشاهد الغائب»، ونحن شهدنا، فيلزمنا أن نبلغكم، وسيأتي زمان إذا قيل فيه الحق لم يقبل[١].

قال القاضي أبو محمد: وجملة ما عليه أهل العلم في هذا: أن الأمر بالمعروف متعين متى رجي القبول، أو رجي رد المظالم ولو بعنف ما لم يخف المرء ضرراً يلحقه في خاصته أو فتنة يدخلها على المسلمين؛ إما بشق عصا، وإما بضرر يلحق طائفة من الناس، فإذا خيف هذا فـ ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ محكمٌ واجب أن يوقف عنده.

وقال سعيد بن جبير: معنى هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾: فالتزموا شرعكم بما فيه من جهاد وأمر بمعروف وغيره، ولا يضركم ضلال أهل الكتاب إذا اهتديتم.

وقال ابن زيد: معنى الآية: يا أيها الذين آمنوا من أبناء أولئك الذين بحَّروا البحيرة، وسيَّبوا السوائب، عليكم أنفسكم في الاستقامة على الدين، ولا يضركم ضلال الأسلاف إذا اهتديتم، قال: وكان الرجل إذا أسلم قال له الكفار: سفَّهت آباءك وضللتهم، وفعلت وفعلت، فنزلت الآية بسبب ذلك[٢].

قال القاضي أبو محمد: ولم يقل أحد فيما علمت: أنها آية موادعة للكفار، وكذلك ينبغي أن لا يعارض لها شيء مما أمر الله به في غير ما آية من القيام بالقسط والأمر بالمعروف، قال المهدوي: وقد قيل هي منسوخة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٣].

[٢/ ٦٠] قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، ولا يعلم قائله، وقال بعض الناس: نزلت / بسبب ارتداد بعض المؤمنين وافتتانهم كابن أبي سرح وغيره، فقيل للمؤمنين: لا يضركم ضلالهم.

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١١/ ١٣٩) من طريق الربيع بن صبيح، عن سفيان بن عقال قال: قيل لابن عمر... والربيع فيه كلام، وقد تفرد عن سفيان هذا الذي لم يوثق، ولم يذكر سماعاً من ابن عمر.

(٢) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١١/ ١٥٢)، والهداية لمكي (٣/ ١٩٠٤).

(٣) التحصيل (٢/ ٥٢٢)، ومثله في الهداية لمكي (٣/ ١٩٠٤)، وانظر: تفسير القرطبي (٦/ ٣٤٥).

وقرأ جمهور الناس: ﴿لَا يَضُرُّكُم﴾ بضم الضاد وشد الراء المضمومة، وقرأ الحسن ابن أبي الحسن: (لا يضُـرْكم) بضم الضاد وسكون الراء، وقرأ إبراهيم: (لا يضِركم) بكسر الضاد[١].

وهي كلها لغات بمعنى ضر يضُرُّ وضار يضُور ويضِير، وقوله تعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ الآية، تذكير بالحشر وما بعده، وذلك مُسَلٍّ عن أمور الدنيا ومكروهها ومحبوبها، وروي عن بعض الصالحين أنه قال: ما من يوم إلا يجيء الشيطان فيقول: ما تأكل وما تلبس وأين تسكن؟ فأقول له: آكل الموت وألبس الكفن وأسكن القبر.

قال القاضي أبو محمد: فمن فكر في مرجعه إلى الله تعالى فهذه حاله.

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾.

قال مكي بن أبي طالب: هذه الآيات عند أهل المعاني من أشكل ما في القرآن إعراباً ومعنى وحكماً[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا كلام من لم يقع له الثَّلَج في تفسيرها، وذلك بيِّن من كتابه رحمه الله وبه نستعين.

لا نعلم خلافاً أن سبب هذه الآية أن تميماً الداري[٣] وعدي بن بداء، كانا

(١) وهما شاذتان انظرهما في المحتسب (١/ ٢١٩)، مختصر الشواذ (ص: ٤١).

(٢) انظر: الهداية لمكي (٣/ ١٩٠٦).

(٣) تميم بن أوس أبو رقيّة الدّاري، مشهور في الصّحابة، كان نصرانياً، وقدم المدينة فأسلم سنة تسع، =

نصرانيين سافرا إلى المدينة يريدان الشام لتجارتهما، قال الواقدي: وهما أخوان، وقدم المدينة أيضاً ابن أبي مارية[١] مولى عمرو بن العاص يريد الشام تاجراً، فخرجوا رفاقة فمرض ابن أبي مارية في الطريق.

قال الواقدي: فكتب وصية بيده، ودسها في متاعه، وأوصى إلى تميم وعدي أن يؤديا رحله، فأتيا بعد مدة المدينة برحله فدفعاه، ووجد أولياؤه من بني سهم وصيته مكتوبة، ففقدوا أشياء قد كتبها، فسألوهما عنها فقالا: ما ندري، هذا الذي قبضناه له، فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ، فنزلت الآية الأولى، فاستحلفهما رسول الله ﷺ بعد العصر، فبقي الأمر مدة، ثم عثر بمكة من متاعه على إناء عظيم من فضة مخوص بالذهب، فقيل لمن وجد عنده: من أين صار لكم هذا الإناء؟ فقالوا: ابتعناه من تميم الداري وعدي بن بداء، فارتُفع في الأمر إلى النبي ﷺ، فنزلت الآية الأخرى، فأمر رسول الله ﷺ رجلين من أولياء الميت أن يحلفا.

قال الواقدي: فحلف عبد الله بن عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة[٢]، واستحقا[٣].

= وذكر للنبي ﷺ قصة الجساسة والدجال، فحدث النبي ﷺ عنه بذلك على المنبر وعد ذلك من مناقبه، توفي بأرض فلسطين، الإصابة (١/ ٤٨٨)، وعدي سيأتي.

(١) بديل ـ ويقال: بريل ـ بالراء بدل الدال، ويقال: برير، براءين، ابن أبي مريم، وقيل: ابن أبي مارية السهمي مولى عمرو بن العاص، ذكر ابن بريرة في تفسيره أنه لا خلاف بين المفسرين أنه كان مسلماً من المهاجرين، الإصابة (١/ ٤٠٧).

(٢) المطلب بن أبي وداعة الحارث بن صبيرة القرشي السهمي، من مسلمة الفتح، نزل المدينة وله بها دار وبقي دهراً، الإصابة (٦/ ١٠٤).

(٣) ضعيف جداً، أخرجه الترمذي (**٣٠٥٩**) من طريق محمد بن إسحاق، عن أبي النضر، عن باذان مولى أم هانئ، عن ابن عباس، عن تميم الداري، وقال الترمذي: هذا حديث غريب وليس إسناده بصحيح، وأبو النضر الذي روى عنه محمد بن إسحاق هذا الحديث هو عندي محمد بن السائب الكلبي، يكنى أبا النضر، وقد تركه أهل الحديث، وهو صاحب التفسير، سمعت محمد بن إسماعيل يقول: محمد بن السائب =

وروى ابن عباس عن تميم الداري أنه قال: برئ الناس من هذه الآيات غيري وغير عدي بن بداء، وذكر القصة، إلا أنه قال: وكان معه جامُ[١] فضة يريد به الملك، فأخذته أنا وعدي فبعناه بألف وقسمنا ثمنه، فلما أسلمت بعد قدوم رسول الله ﷺ المدينة تأثمت من ذلك، فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر، وأديت إليهم خمس مئة، فوثبوا إلى عدي فأتوا به رسول الله ﷺ، وحلف عمرو بن العاص ورجل آخر معه، ونزعت من عدي خمس مئة[٢].

قال القاضي أبو محمد: تختلف ألفاظ هذه القصة في الدواوين، وما ذكرته هو عمود الأمر، ولم يصح لعدي صحبة فيما علمت، ولا ثبت إسلامه، وقد صنفه في الصحابة بعض المتأخرين، وضعف أمره، ولا وجه عندي لذكره في الصحابة[٣].

وأما معنى الآية من أولها إلى آخرها؛ فهو أن الله تعالى أخبر المؤمنين أن حكمه في الشهادة على الموصي ـ إذا حضره الموت ـ: أن تكون شهادة عدلين، فإن كان في سفر ـ وهو الضرب في الأرض ـ ولم يكن معه من المؤمنين أحد، فليشهد شاهدين ممن حضره من أهل الكفر، فإذا قدما وأديا الشهادة على وصيته حلفا بعد الصلاة أنهما ما كذبا ولا بدَّلا، وأن ما شهدا به حق ما كتما فيه شهادة الله، وحكم بشهادتهما، فإن عثر بعد ذلك على أنهما كذبا أو خانا ونحو هذا مما هو إثم؛ حلف رجلان من أولياء الموصي في السفر، وغرم الشاهدان ما ظهر عليهما.

= الكلبي يكنى أبا النضر، ولا نعرف لسالم أبي النضر المدني رواية عن أبي صالح مولى أم هانئ، وقد روي عن ابن عباس شيء من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه. اهـ.

(١) في السليمانية: «خاتم»، والجام: إناء.

(٢) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (٤/ ١٢٣١) من طريق محمد بن إسحاق، عن أبي النضر، عن باذان؛ يعني: أبا صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب، عن ابن عباس، عن تميم الداري به، وانظر التعليق السابق.

(٣) لما في تفسير مقاتل (١/ ٥١٤): أنه مات نصرانياً، وفي الإصابة (٤/ ٣٨٧): قال ابن حبان: له صحبة، وأنكر ذلك أبو نعيم، وغيره.

هذا معنى الآية على مذهب أبي موسى الأشعري وسعيد بن المسيب ويحيى ابن يعمر وسعيد ابن جبير وأبي مجلز وإبراهيم وشريح وعَبيدة السَّلْماني وابن سيرين ومجاهد وابن عباس وغيرهم، يقولون معنى قوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ من المؤمنين، ومعنى: ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: من الكفار[١].

قال بعضهم: وذلك أن الآية نزلت ولا مؤمن إلا بالمدينة، وكانوا يسافرون في التجارة صحبة أهل الكتاب وعبدة الأوثان وأنواع الكفرة.

واختلفت هذه الجماعة المذكورة، فمذهب أبي موسى الأشعري وشريح وغيرهما: أن الآية محكمة، وأسند الطبري إلى الشعبي أن رجلاً حضرته المنية بدُقُوقا[٢]، ولم يجد أحداً من المؤمنين يشهده على وصيته، فأشهد رجلين من أهل الكتاب، فقدما الكوفة[٣]، فأتيا أبا موسى الأشعري، فأخبراه وقدما بتركته، فقال أبو موسى الأشعري: هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في مدة النبي ﷺ، ثم أحلفهما بعد صلاة العصر، وأمضى شهادتهما[٤].

وأسند الطبري عن شريح: أنه كان لا يجيز شهادة النصراني واليهودي على مسلم إلا في الوصية، ولا تجوز أيضاً في الوصية إلا إذا كانوا في سفر[٥].

ومذهب جماعة ممن ذكر: أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢]، وبما استند إليه إجماع جمهور الناس على أن شهادة الكافر لا تجوز[٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ١٦٠-١٦٦).

(٢) دقوقا: مدينة بين إربل وبغداد معروفة، لها ذكر في الأخبار والفتوح، كان بها وقعة للخوارج، معجم البلدان (٢/ ٤٥٩).

(٣) في السليمانية: «المدينة».

(٤) تفسير الطبري (١١/ ١٦٥) وهو مرسل.

(٥) انظر أثر شريح في تفسير الطبري (١١/ ١٦٢) وأثر الشعبي فيه (١١/ ١٦٥ و١٧٤).

(٦) ممن قال بذلك الأئمة الأربعة ما عدا أبي حنيفة، والحسن وأبي ثور وغيرهم، انظر: الأوسط (٧/ ٣١٤-٣١٥)، وبداية المجتهد (٢/ ٤٦٣).

وتأول الآية جماعة من أهل العلم على غير هذا كله، قال الحسن بن أبي الحسن وقوله تعالى: ﴿مِّنكُمْ﴾؛ يريد: من عشيرتكم وقرابتكم، وقوله: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ يريد من غير القرابة والعشيرة، وقال بهذا عكرمة مولى ابن عباس وابن شهاب، قالوا: أمر الله بإشهاد عدلين من القرابة؛ إذ هم ألحن بحال / الوصية، وأدرى بصورة العدل [٢/ ٦١] فيها، فإن كان الأمر في سفر ولم تحضر قرابة أشهِد أجنبيان، فإذا شهدا فإن لم يقع ارتياب مضت الشهادة، وإن ارتيب أنهما مالا بالوصية إلى أحد أو زادا أو نقصا؛ حلفا بعد صلاة العصر ومضت شهادتهما، فإن عثر بعد ذلك على تبديل منهما واستحقاق إثم، حلف وليان من القرابة، وبطلت شهادة الأولين[١].

وقال بعض الناس: الآية منسوخة، ولا يُحلَّف شاهد، ويذكر هذا عن مالك بن أنس والشافعي وكافة الفقهاء[٢].

وذكر الطبري ـ رحمه الله ـ أن هذا التحالف[٣] الذي في الآية إنما هو بحسب التداعي[٤].

وذلك أن الشاهدين الأولين إنما يحلفان إن ارْتِيب، وإذا ارْتِيب فقد ترتبت عليهما دعوى، فتلزمهما اليمين، لكن هذا الارتياب إنما يكون في خيانة منهما، فإن عثر بعد ذلك على أنهما استحقا إثماً نظر؛ فإن كان الأمر بينا غرماً دون يمين وليين، وإن كان بشاهد واحد أو بدلائل تقتضي خيانتهما أو ما أشبه ذلك مما هو كالشاهد؛ حمل على الظالم وحلف المدعيان مع ما قام لهما من شاهد أو دليل.

---

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١١/ ١٦٧)، وتفسير الثعلبي (٤/ ١١٩)، وتفسير السمعاني (٢/ ٧٥).

(٢) تحقيق المسألة أنه لا يلزم الشاهد الحلف مع شهادته بإجماع العلماء، إلا سوار بن عبد الله، انظر الإقناع (٣/ ١٥٠٨-١٥١٠).

(٣) في المطبوع: «التخالف».

(٤) انظر: تفسير الطبري (١١/ ١٧٢).

قال القاضي أبو محمد: فهذا هو الاختلاف في معنى الآية وصورة حكمها، ولنرجع الآن إلى الإعراب والكلام على لفظة لفظة من الآية، ولنقصد القول المفيد؛ لأن الناس خلطوا في تفسير هذه الآية تخليطاً شديداً، وذكر ذلك والرد عليه يطول، وفي تبيين الحق الذي تتلقاه الأذهان بالقبول مقنع، والله المستعان.

قوله: ﴿شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾ قال قوم: الشهادة هنا بمعنى: الحضور، وقال الطبري: الشهادة بمعنى اليمين وليست بالتي تؤدى(١).

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله ضعيف، والصواب: أنها الشهادة التي تحفظ لتؤدى، ورفعهما بالابتداء والخبر في قوله: اثنان، قال أبو علي: التقدير: شهادة بينكم في وصاياكم شهادة اثنين، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وقدره غيره أولاً كأنه قال: مقيم شهادة بينكم اثنان، وأضيفت الشهادة إلى (بين) اتساعاً في الظرف بأن يعامل معاملة الأسماء، كما قال تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾ [الأنعام: ٩٤](٢).

وقرأ الأعرج والشعبي والحسن: (شهادةٌ) بالتنوين (بينكم) بالنصب(٣).

وإعراب هذه القراءة على نحو إعراب قراءة السبعة.

وروي عن الأعرج وأبي حيوة: (شهادةً) بالنصب والتنوين (بينكم) نصبٌ، قال أبو الفتح: التقدير: ليقم شهادة بينكم اثنان(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ معناه: إذا قرب الحضور، وإلا فإذا حضر الموت لم يشهد ميت، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨]، وكقوله: ﴿إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ [الطلاق: ١]، وهذا كثير.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ١٥٧).

(٢) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٢٦٤).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظرها في المحتسب (١/ ٢٢٠)، ومختصر الشواذ (ص: ٤١).

(٤) وهي قراءة شاذة انظرها مع توجيهها في المحتسب (١/ ٢٢٠).

والعامل في ﴿إِذَا﴾ المصدر الذي هو: ﴿شَهَٰدَةُ﴾، وهذا على أن تجعل: ﴿إِذَا﴾ بمنزلة «حين» لا تحتاج إلى جواب، ولك أن تجعل: ﴿إِذَا﴾ في هذه الآية المحتاجة إلى الجواب، لكن استغني عن جوابها بما تقدم في قوله: ﴿شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾؛ إذ المعنى: إذا حضر أحدكم الموت فينبغي أن يشهد.

وقوله: ﴿حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ﴾: ظرف زمان، والعامل فيه: ﴿حَضَرَ﴾، وإن شئت جعلته بدلاً من ﴿إِذَا﴾، قال أبو علي: ولك أن تعلقه بـ﴿ٱلۡمَوۡتُ﴾، ولا يجوز أن تعمل فيه: ﴿شَهَٰدَةُ﴾؛ لأنها إذا عملت في ظرف من الزمان لم تعمل في ظرف آخر منه.

وقوله: ﴿ذَوَا عَدۡلٖ﴾: صفة لقوله: ﴿ٱثۡنَانِ﴾، و﴿مِّنكُمۡ﴾: صفة أيضاً بعد صفة.

وقوله تعالى: ﴿مِنۡ غَيۡرِكُمۡ﴾: صفة لـ﴿ءَاخَرَانِ﴾.

و﴿ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ معناه: سافرتم للتجارة، تقول: ضربت في الأرض؛ أي: سافرت للتجارة، وضربت الأرضَ[(١)]: ذهبت فيها لقضاء حاجة الإنسان، وهذا السفر كان الذي يمكن أن يعدم فيه المؤمن مؤمنين، فلذلك خص بالذكر؛ لأن سفر الجهاد لا يكاد يعدم فيه مؤمنين.

قال أبو علي: قوله: ﴿تَحۡبِسُونَهُمَا﴾: صفة لـ﴿ءَاخَرَانِ﴾، واعترض بين الموصوف والصفة بقوله: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ﴾ إلى ﴿ٱلۡمَوۡتِ﴾، وأفاد الاعتراض أن العدول إلى ﴿ءَاخَرَانِ﴾ من غير الملة والقرابة حسب اختلاف العلماء في ذلك إنما يكون مع ضرورة السفر، وحلول الموت فيه، واستغني عن جواب ﴿إِنۡ﴾؛ لما تقدم من قوله: ﴿أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ﴾[(٢)].

وقال جمهور من العلماء: الصَّلاة هنا صلاة العصر؛ لأنه وقت اجتماع الناس[(٣)].

وقد ذكره النبي ﷺ فيمن حلف على سلعته وأمر باللعان فيه[(٤)].

---

(١) في نور العثمانية: «في الأرض»، ولعله خطأ.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٥).

(٣) تفسير الطبري (١١/ ١٧٤).

(٤) لا يصح، أخرجه الدارقطني في سننه (٤/ ٤١٧) من طريق الواقدي، نا الضحاك بن عثمان، عن عمران =

وقال ابن عباس: إنما هي بعد صلاة الذميين، وأما العصر فلا حرمة لها عندهما(١).

والفاء في قوله: ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾: عاطفة جملة كلام(٢) على جملة؛ لأن المعنى تم في قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾، قال أبو علي: وإن شئت لم تقدر الفاء عاطفة جملة على جملة، ولكن تجعله جزاء(٣)، كقول ذي الرمة:

[الطويل] وإنسانُ عيني يحسِرُ الماءُ مرَّةً فيبدو وتاراتٍ يَجُمُّ فيغرقُ(٤)

تقديره عندهم: إذا حسر بدا، فكذلك: إذا حبستموهما أقسما.

وقوله: ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ شرط لا يتوجه تحليف الشاهدين إلا به، ومتى لم يقع ارتياب ولا اختلاف؛ فلا يمين، أما إنه يظهر من حكم أبي موسى تحليف الذميين أنه باليمين تكمل شهادتهما، وتنفذ الوصية لأهلها وإن لم يرتب، وهذه الريبة عند من لا يرى الآية منسوخة تترتب في الخيانة وفي الاتهام بالميل إلى بعض الموصى لهما(٥) دون بعض، وتقع مع ذلك اليمين عنده، وأما من يرى الآية منسوخة فلا يقع تحليف إلا بأن يكون الارتياب في خيانة أو تعد بوجه من وجوه التعدي، فيكون التحليف عنده بحسب الدعوى على منكر، لا على أنه تكميل للشهادة.

= ابن أبي أويس قال: سمعت عبد الله بن جعفر يقول: حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لاعن بين عويمر العجلاني وامرأته... والواقدي ليس بعمدة، قال البيهقي في معرفة السنن والآثار (١٢/ ٣١٩): ويذكر عن ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب، أو غيره أن رسول الله ﷺ أمر الزوج والمرأة فحلفا بعد العصر عند المنبر، وهذا منقطع. اهـ.

(١) انظر قول ابن عباس في: تفسير الطبري (١١/ ١٧٦)، وفي السليمانية: «عندهم».

(٢) زيادة من السليمانية وفيض الله ولالاليه ونجيبويه.

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٢٦٥)، ولكلامه بقية ستأتي قريباً.

(٤) انظر عزوه له في الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٥)، والزاهر (٢/ ٧٢)، والمخصص (١/ ٩٦)، ونسبه في المحتسب (١/ ١٥٠) لكثير، ظناً.

(٥) في السليمانية ولالاليه: «لهم».

والضمير في قول الحالفين: ﴿لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا﴾: عائد على القسم، ويحتمل أن يعود على اسم الله تعالى، قال أبو علي: يعود على تحريف الشهادة.

وقوله: ﴿لَا نَشْتَرِى﴾: جواب ما يقتضيه قوله: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾؛ لأن القسم ونحوه يتلقى بما تتلقى به الأيمان، وتقديره: ﴿بِهِۦ ثَمَنًا﴾؛ أي: ذا ثمن؛ لأن الثمن لا يشترى.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٩] معناه: ذا ثمن، ولا يجوز أن يكون: ﴿نَشْتَرِى﴾ في هذه الآية بمعنى: نبيع؛ لأن المعنى يبطله / وإن كان ذلك موجوداً في اللغة في غير هذا الموضع. [٢/ ٦٢]

وخص ذي القربى بالذكر؛ لأن العرف ميل النفس إلى قرابتهم واستسهالهم في جنب نفعهم ما لا يستسهل.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ﴾، أضاف ﴿شَهَـٰدَةَ﴾ إليه تعالى من حيث هو الآمِرُ بإقامتها، الناهي عن كتمانها.

وقرأ الحسن والشعبي: (ولا نكتمْ) بجزم الميم[١].

وقرأ علي بن أبي طالب ونعيم بن ميسرة[٢] والشعبي بخلاف عنه: (شهادةً) بالتنوين (اللهَ) نصب بـ: ﴿نَكْتُمُ﴾[٣]، كأن الكلام: ولا نكتم الله شهادة، قال الزهراوي[٤]: ويحتمل أن يكون المعنى: ولا نكتم شهادة والله، ثم حذفت الواو ونصب الفعل إيجازاً.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها للشعبي في مختصر الشواذ (ص: ٤١)، ولهما في البحر المحيط (٤/ ٣٩٦).

(٢) في السليمانية: «نميرة». وهو نعيم بن ميسرة أبو عمرو الكوفي النحوي المقرئ، نزيل الري، روى عن: عكرمة، والزبير بن عدي، وعاصم وعنه: يحيى بن ضريس، وإسحاق بن سليمان، ويحيى بن يحيى، قال أحمد: لا بأس به، مات سنة (١٧٤هـ)، تاريخ الإسلام (١١/ ٣٨٥).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهم في المحتسب (١/ ٢٢١)، ومختصر الشواذ (ص: ٤١)، وتفسير الطبري (١١/ ١٧٨).

(٤) في الأصل: «الزهري»، والمثبت هو الموافق لما في البحر المحيط (٤/ ٣٩٦).

وروى يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش: (شهادةً) بالتنوين، (أَلله) بقطع الألف دون مد وخفض الهاء[١]، ورويت أيضاً عن الشعبي وغيره أنه كان يقف على الهاء من الشهادة بالسكون، ثم يقطع الألف المكتوبة من غير مد، كما تقدم، وروي عنه أنه كان يقرأ: (آلله) بمد ألف الاستفهام في الوجهين؛ أعني: بسكون الهاء من الشهادة وتحريكها منونة منصوبة، ورويت هذه التي هي تنوين الشهادة ومد ألف الاستفهام بعد عن علي ابن أبي طالب[٢].

قال أبو الفتح: أما تسكين هاء (شهادة) والوقف عليها واستئناف القسم؛ فوجه حسن؛ لأن استئناف القسم في أول الكلام أوقر له، وأشد هيبة أن يدرج في عرض القول.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وعبد الله بن حبيب والحسن البصري فيما ذكر أبو عمرو الداني: (شهادةً) بالنصب والتنوين، (آلله) بالمد في همزة الاستفهام[٣] التي هي عوض من حرف القسم: (آنَّا)، بمد ألف الاستفهام أيضاً دخلت لتوقيف وتقرير لنفوس المقسمين، أو لمن خاطبوه.

وقرأ ابن محيصن: (لملآثمين) بالإدغام[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ استعارة لما يوقع على علمه بعد خفائه اتفاقاً وبعد إن لم يرج ولم يقصد، وهذا كما يقال: على الخبير سقطت، ووقعت على كذا، قال أبو

---

(١) وهي قراءة شاذة، عزاها في جامع البيان (٣/ ١٠٣٠) لرواية إسحاق الأزرق عن شعبة، قال: وخالفه سائر أصحاب أبي بكر في ذلك.

(٢) انظر الروايتين عن الشعبي في المحتسب مع التوجيه (١/ ٢٢١)، والثانية عن علي في مختصر الشواذ (ص: ٤١).

(٣) في لالاليه: «عبد الرحمن» دون كنية، وكذا في نور العثمانية، وفيها: «عن عبد الله»، وفي باقي النسخ: «وعبد الله» بالعطف، وكلاهما خطأ؛ لأن أبا عبد الرحمن السلمي هو عبد الله بن حبيب، سبق التعريف به، وقد عزا القراءة لهما في المحتسب (١/ ٢٢١)، وزاد آخرين.

(٤) وهي قراءة شاذة تقدمت في أول السورة.

علي: و«الإثم» هنا: اسم الشيء المأخوذ؛ لأن آخِذه بأخذِهِ أَثِمَ، فسمي آثماً كما سمي ما يؤخذ بغير حق مظلمة[١]، قال سيبويه: المظلمة: اسم ما أخذ منك[٢]، وكذلك سمي هذا المأخوذ باسم المصدر.

قال القاضي أبو محمد: والذي يظهر هنا: أن الإثم على بابه، وهو الحكم اللاحق لهما والنسبة التي يتحصلان فيها بعد مواقعتهما لتحريف الشهادة، أو لأخذ ما ليس لهما، أو نحو ذلك، و﴿ٱسْتَحَقَّآ﴾ معناه: استوجباه من الله، وكانا أهلاً له، فهذا استحقاق على بابه، إنه استيجاب حقيقة، ولو كان الإثم الشيء المأخوذ؛ لم يقل فيه: استحقا؛ لأنهما ظلما وخانا فيه، فإنما استحقا منزلة السوء وحكم العصيان، وذلك هو الإثم.

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾؛ أي: فإذا عثر على فسادهما فالأوليان باليمين، وإقامة القضية آخران من القوم الذين هم ولاة الميت، واستحق عليهم حظهم، أو ظهورهم[٣]، أو مالهم، أو ما شئت من هذه التقديرات.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي: ﴿استُحق﴾ مضمومة التاء، و﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ على التثنية لأولى.

وروى قرة[٤] عن ابن كثير: ﴿ٱسْتَحَقَّ﴾ بفتح التاء، ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ على التثنية، وكذلك روى حفص عن عاصم.

---

(١) في الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٢٦٨).

(٢) الكتاب لسيبويه (٤/ ٩١).

(٣) في السليمانية وفيض الله ولالاليه ونجيبويه: «وحضورهم»، بدل: «أو ظهورهم»، وفي الحمزوية: «حقهم»، بدل: «حظهم».

(٤) كذا في السبعة لابن مجاهد (١/ ٢٤٨)، ولم يذكره في أسانيد ابن كثير، هو ولا غيره، وممن يقرب منه من مشاهير الرواة: قرة بن خالد السدوسي البصري، توفي (١٥٤هـ)، تاريخ الإسلام (٩/ ٥٧٦)، وقرة ابن حبيب توفي (٢٢٤هـ)، تاريخ الإسلام (١٦/ ٣٣٨).

وقرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿استُحق﴾ بضم التاء ﴿الأَوَّلِين﴾ على جمع أول[١].

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: ﴿ٱسْتَحَقَّ﴾ بفتح التاء (الأولان) على تثنية أول.

وقرأ ابن سيرين: (الأوليين) على تثنية أول، ونصبهما على تقدير: الأولين[٢].

فالأولين في الرتبة والقربى، قال أبو علي في قراءة ابن كثير ومن معه: لا يخلو ارتفاع ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ من أن يكون على الابتداء وقد أخر، فكأنه في التقدير: والأوليان بأمر الميت آخران يقومان، فيجيء الكلام كقولهم: تميمي أنا، أو يكون خبر ابتداء محذوف، كأنه قال[٣]: فآخران يقومان مقامهما هما الأوليان، أو يكون بدلاً من الضمير الذي في ﴿يَقُومَانِ﴾، أو يكون مسنداً إليه ﴿استُحق﴾[٤]، وأجاز أبو الحسن فيه شيئاً آخر، وهو أن يكون: ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾: صفة لـ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾؛ لأنه لما وصف خصص فوصف من أجل الاختصاص الذي صار له[٥].

قال القاضي أبو محمد: ثم قال أبو علي بعد كلامه هذا: فأما ما يسند إليه ﴿استُحق﴾ فلا يخلو من أن يكون الأنصباء، أو الوصية، أو الإثم. وسمي المأخوذ إثماً كما يقال لما يؤخذ من المظلوم: مظلمة، ولذلك جاز أن يستند إليه ﴿اسْتُحِقَّ﴾.

ثم قال بعد كلام: فإن قلت: هل يجوز أن يسند: ﴿استُحِقّ﴾ إلى ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾؛ فالقول: إن ذلك لا يجوز؛ لأن المستَحَقّ إنما يكون الوصية أو شيئاً منها، وأما الأوليان بالميت فلا يجوز أن يستحقا، فيسند ﴿استُحق﴾ إليهما.

---

(١) وكلها سبعية، انظر السبعة في القراءات (ص: ٢٤٨)، وانظرها أيضاً في التيسير (ص: ١٠١)، إلا رواية قرة فليست من طرقه.

(٢) وهما شاذتان، انظر قراءة الحسن في مختصر الشواذ (ص: ٤١)، وابن سيرين في الشواذ للكرماني (ص: ١٦٢).

(٣) زيادة من السليمانية وفيض الله ولالاليه ونجيبويه.

(٤) في الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٢٦٧).

(٥) انظر كلام الأخفش على هذه الآية في معاني القرآن له (١/ ٢٩٠).

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا الكلام نظر، ويجوز عندي أن يسند ﴿اسْتُحِقّ﴾ إلى ﴿ٱلۡأَوۡلَيَـٰنِ﴾، وذلك أن أبا علي حمل لفظة الاستحقاق على أنه حقيقي، فلم يجوزه إلا حيث يصح الاستحقاق الحقيقي في النازلة، وإنما يستحق حقيقة النصيب[١] ونحوه.

ولفظة الاستحقاق في الآية إنما هي استعارة وليست، بمعنى: استحقا إثماً، فإن الاستحقاق هنا حقيقة، وفي قوله: ﴿اسْتُحِق﴾ مستعار؛ لأنه لا وجه لهذا الاستحقاق إلا الغلبة على الحال بحكم انفراد هذا الميت وعدمه لقرابته أو لأهل دينه، فـ﴿اسْتُحِق﴾ هنا كما تقول لظالم يظلمك: هذا قد استحق علي مالي، أو منزلي بظلمه، فتشبهه بالمستحق حقيقة؛ إذ قد تسوَّر تسوُّره[٢] وتملك تملكه.

وكذلك يقال: فلان قد استحق، ومنه: شغل كذا إذا كان ذلك الأمر قد غلبه على أوقاته، وهكذا هي ﴿اسْتُحِق﴾ في الآية على كل حال وإن أسندت إلى الأنصباء ونحوه؛ لأن قوله: ﴿اسْتُحِقّ﴾ صلة لـ﴿ٱلَّذِينَ﴾، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: واقع على الصنف المناقض للشاهدين الجائرين، فالشاهدان ما استحقا قط في هذه النازلة شيئاً حقيقة استحقاق، وإنما تسوَّرا تسوُّر[٣] المستحق، فلنا أن نقدر: ﴿ٱلۡأَوۡلَيَـٰنِ﴾ ابتداء وقد أخر، فيسند ﴿اسْتُحِقَّ﴾ على هذا إلى المال، أو النصيب / ونحوه، على جهة الاستعارة. [٢/ ٦٣]

وكذلك إذا كان: ﴿ٱلۡأَوۡلَيَـٰنِ﴾ خبر ابتداء، وكذلك على البدل من الضمير في ﴿يَقُومَانِ﴾، وعلى الصفة على مذهب أبي الحسن، ولنا أن نقدر الكلام بمعنى من الجماعة التي غابت وكان حقهما[٤]، والمبتغى أن يحضر وليها، فلما غابت وانفرد هذا

---

(١) «النصيب»: ليست في الأصل، وفي نور العثمانية والسليمانية: «النصب».

(٢) في السليمانية ونور العثمانية ولالاليه: «تصور تصوره».

(٣) في السليمانية: «تصور تصوره»، وفي لالاليه: «تصورا تصور»، وفي هامشها: «تصوره»، وفي نور العثمانية: «وإنما تصور المستحق».

(٤) في نور العثمانية والمطبوع والحمزوية: «حقها».

الموصي استحقت هذه الحال، وهذان الشاهدان من غير أهل الدين ولاية[١]، وأمر الأوليين على هذه الجماعة، ثم بني الفعل للمفعول على هذا المعنى إيجازاً، ويقوي هذا الغرض أن تعدي الفعل بـ(على) لما كان باقتدار وحمل هيئته على[٢] الحال.

ولا يقال: استحق منه، أو فيه، إلا في الاستحقاق الحقيقي على وجهه، وأما استحق عليه فيقال في الحمل والغلبة والاستحقاق المستعار.

والضمير في: ﴿عَلَيۡهِمُ﴾: عائد على كل حال في هذه القراءة على الجماعة التي تناقض شاهدي الزور الآثمين، ويحتمل أن يعود على الصنف الذين منهم شاهد الزور على ما نبينه الآن إن شاء الله في غير هذه القراءة.

وأما رواية قرة عن ابن كثير: ﴿ٱسۡتَحَقَّ﴾ بفتح التاء؛ فيحتمل أن يكون: ﴿ٱلۡأَوۡلَيَـٰنِ﴾ ابتداء، أو خبر ابتداء، ويكون المعنى في الجمع أو القبيل الذي استحق القضية على هذا الصنف الشاهد بالزور، والضمير في: ﴿عَلَيۡهِمُ﴾ عائد على صنف شاهدي الزور.

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا التأويل تحويل وتحليق وصنعة في ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وعليه ينبني كلام أبي علي في كتاب الحجة، ويحتمل أن يكون المعنى: من الذين استحق عليهم القيام، والصواب من التأويل والبينُ[٣] أن الضمير في: ﴿عَلَيۡهِمُ﴾ عائد على: ﴿ٱلَّذِينَ﴾، و﴿ٱلۡأَوۡلَيَـٰنِ﴾: رفع بـ﴿ٱسۡتَحَقَّ﴾، وذلك متخرج على ثلاثة معان:

أحدها: أن يكون المراد من الذين استحق عليهم ما لهم وتركتهم شاهدا الزور، فسمى شاهدي الزور أوليين من حيث جعلتهما الحال الأولى كذلك؛ أي: صيرهم عدم الناس أولى بهذا الميت وتركته فجارا[٤] فيها.

---

(١) في السليمانية وفيض الله: «والولاية»، وفي المطبوع ولالاليه: «الولاية».

(٢) ساقط من نور العثمانية والمطبوع.

(٣) في المطبوع: «والصواب من التأويلين».

(٤) في لالاليه ونور العثمانية: «مجازاً».

والمعنى الثاني: أن يكون المراد من الجماعة الذين حق عليهم أن يكون منهم الأوليان، فـ﴿ٱسۡتَحَقَّ﴾ بمعنى: حق ووجب، كما تقول: هذا بناء قد استحق، بمعنى: حق، كعجب واستعجب ونحوه.

والمعنى الثالث: أن يجعل: استحق بمعنى: سعى واستوجب، فكأن الكلام: فآخران من القوم الذين حضر أوليان منهم فاستحقا عليهم حقهم؛ أي: استحقا لهم وسعيا فيه واستوجباه بأيمانهما وقرباهما، ونحو هذا المعنى الذي يعطيه التعدي بـ(على) قول الشاعر:

أسْعَى على حيٍّ بَني مالكٍ كلُّ امرئٍ في شأنِه ساعِ[1] [السريع]

وكذلك في الحديث: «كنت أرعى عليهم الغنم»، في بعض طرق حديث الثلاثة الذين ذكر أحدهم بره بأبويه حين انحطت عليهم الصخرة[2].

وأما قراءة حمزة فمعناها: من القوم الذين استحق عليهم أمرهم؛ أي: غلبوا عليه، ثم وصفهم بأنهم أولون؛ أي: في الذكر في هذه الآية، وذلك في قوله: ﴿ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾، ثم بعد ذلك قال: ﴿أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾؛ يعني: الآخرين اللذين يقومان مقام شاهدي التحريف، وقولهما: ﴿لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾؛ أي: لما أخبرنا نحن به وذكرناه من نص القضية أحق مما ذكراه أولاً، وحرَّفَا فيه، ﴿وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ﴾ نحن في قولنا هذا، ولا زدنا على الحد.

وقولهما: ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: تَبَرٍّ[3] في صيغة الاستعظام والاستقباح للظلم، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

---

(١) البيت لأبي قيس بن الأسلت كما تقدم في تفسير الآية (٢٠٤) من (سورة البقرة)، وفي أكثر المصادر: على جل، بدل: حي.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٢١٥) (٢٣٣٣) (٥٩٧٤)، ومسلم (٢٧٤٣)، بلفظ: «كنت أرعى عليهم».

(٣) «تبر»: ليست في الأصل.

قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنُۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾.

الإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ هي إلى جميع ما حد الله قبل من حبس الشاهدين من بعد الصلاة لليمين، ثم إن عثر على جورهما ردت اليمين وغرماً، فذلك كله يقرب اعتدال هذا الصنف فيما عسى أن ينزل من النوازل؛ لأنهم يخافون التحليف المغلظ بعقب الصلاة، ثم يخافون الفضيحة ورد اليمين، هذا قول ابن عباس، رحمه الله[1].

ويظهر من كلام السدي أن الإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إنما هي إلى الحبس من بعد الصلاة فقط، ثم يجيء قوله تعالى: ﴿أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنُۢ﴾ بإزاء ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ الآية[2]، وجمع الضمير في: ﴿يَأْتُواْ﴾، و﴿يَخَافُوٓاْ﴾؛ إذ المراد صنف ونوع من الناس.

و﴿أَوْ﴾ في هذه الآية على تأويل السدي بمنزلة قولك: تجيئني يا زيد أو تسخطني، كأنك تريد: وإلا أسخطتني، فكذلك معنى الآية: ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها، وإلا خافوا رد الأيمان، وأما على مذهب ابن عباس فالمعنى: ذلك الحكم كله أقرب إلى أن يأتوا وأقرب إلى أن يخافوا.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ معناه: على جهتها القويمة التي لم تبدل ولا حرفت، ثم أمر تعالى بالتقوى التي هي الاعتصام بالله، وبالسمع لهذه الأوامر المنجية، وأخبر أنه لا يهدي القوم الفاسقين من حيث هم فاسقون، وإلا فهو تعالى يهديهم إذا تابوا، ويحتمل أن يكون لفظ: ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ عاماً، والمراد الخصوص فيمن لا يتوب.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ ذهب قوم من المفسرين إلى أن العامل في ﴿يَوْمَ﴾ ما تقدم من قوله: ﴿لَا يَهْدِى﴾، وذلك ضعيف، ورَصْف الآية وبراعتها، إنما هو

(١) أخرج نحوه الطبري (١١/ ٢٠٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.
(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢٠٦).

أن يكون هذا الكلام مستأنفاً، والعامل مقدر؛ إما: اذكروا وإما تذكروا، وإما احذروا، ونحو هذا مما حسن اختصاره لعلم السامع به، والإشارة بهذا اليوم إلى يوم القيامة.

وخص الرسل بالذكر؛ لأنهم قادة الخلق، وفي ضمن جمعهم جمع الخلائق، وهم المكلفون أولًا، و﴿مَاذَآ أُجِبۡتُمۡ﴾/ معناه: ماذا أجابت به الأمم من إيمان أو كفر [٢/ ٦٤] وطاعة أو عصيان، وهذا السؤال للأنبياء الرسل إنما هو لتقوم الحجة على الأمم، ويبتدأ حسابهم على الواضح المستبين لكل مفطور.

واختلف الناس في معنى قولهم عليهم السلام: ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾:

فقال الطبري: ذهلوا عن الجواب لهول المطلع.

وذكر عن الحسن أنه قال: قالوا(١): لا علم لنا؛ من هول ذلك اليوم.

وعن السدي أنه قال: نزلوا منزلاً ذهلت فيه العقول فقالوا: لا علم لنا، ثم نزلوا منزلاً آخر شهدوا على قومهم.

وعن مجاهد أنه قال: يفزعون فيقولون: لا علم لنا(٢).

قال القاضي أبو محمد: وضعّف بعض الناس هذا المنزع بقوله تعالى: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، والأنبياء في أشد أهوال يوم القيامة وحالة جواز الصراط يقولون: سلِّم سلِّم، وحالهم أعظم، وفضل الله عليهم أكثر من أن تذهل عقولهم حتى يقولوا ما ليس بحق في نفسه.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: معنى الآية: لا علم لنا إلا علماً أنت أعلم به منا(٣).

قال القاضي أبو محمد: وهذا حسن، كأن المعنى: لا علم لنا يكفي وينتهي إلى الغاية.

---

(١) «قالوا»: سقطت من المطبوع والأصل.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢١٠ و٢١١).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٢١١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

وقال ابن جريج: معنى ﴿مَاذَآ أُجِبۡتُمۡ﴾: ماذا عملوا بعدكم وماذا أحدثوا؟ فلذلك قالوا: لا علم لنا[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا معنى حسن في نفسه، ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾، لكن لفظة: ﴿أُجِبۡتُمۡ﴾ لا تساعد قول ابن جريج إلا على كره، وقول ابن عباس أصوب هذه المناحي؛ لأنه يتخرج على التسليم لله تعالى ورد الأمر إليه؛ إذ قوله: ﴿مَاذَآ أُجِبۡتُمۡ﴾ لا علم عندهم في جوابه إلا بما شُوفِهوا به مدة حياتهم، وينقصهم ما في قلوب المشافهين من نفاق ونحوه، وكذلك ينقصهم ما كان بعدهم من أمتهم، والله تعالى يعلم جميع ذلك على التفصيل والكمال، فرأوا التسليم له، والخضوع لعلمه المحيط.

وقرأ أبو حيوة: (ماذا أَجبتم) بفتح الهمزة[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١١٠﴾.

يحتمل أن يكون العامل في: ﴿إِذۡ﴾ فعلاً مضمراً تقديره: اذكر يا محمد إذ جئتهم بالبينات و﴿قَالَ﴾ هنا بمعنى: يقول؛ لأن ظاهر هذا القول: أنه في القيامة تقدمة لقوله: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وذلك كله أحكام لتوبيخ الذين يتحصلون كافرين بالله في ادعائهم ألوهية عيسى.

ويحتمل أن تكون: ﴿إِذۡ﴾ بدلاً من قوله: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ١٠٩]، و«نعمة الله»

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢١١)، وتفسير الماوردي (٢/ ٧٨).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ١٦٢).

على عيسى هي بالنبوءة، وسائر ما ذكر وما علم مما لا يحصى[(١)]، وعددت عليه النعمة على أمه؛ إذ هي نعمة صائرة إليه وبسببه كانت.

وقرأ جمهور الناس: ﴿أَيَّدتُّكَ﴾ بتشديد الياء، وقرأ مجاهد وابن محيصن: (آيدتك) على وزن: فاعلتك[(٢)]، ويظهر أن الأصل في القراءتين: أيدتك، على وزن: أفعلتك، ثم اختلف الإعلال[(٣)]، والمعنى فيهما: قويتك، من الأيد، وقال عبد المطلب:

الْحَمْدُ للهِ الْأَعَزِّ الْأَكْرَمِ أَيَّدَنَا يَوْمَ زُحُوفِ الْأَشْرَمِ[(٤)] [الرجز]

و(روح القدس): هو جبريل عليه السلام، وقوله: ﴿فِي الْمَهْدِ﴾: حال، كأنه قال: صغيراً، و(كهلاً): حال أيضاً معطوفة على الأول، ومثله قوله تعالى: ﴿دَعَانَا لِجَنْبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ [يونس: ١٢]، والكهولة من الأربعين إلى الخمسين، وقيل: هي من ثلاثة وثلاثين.

و﴿الْكِتَابَ﴾ في هذه الآية: مصدر: كتب يكتب؛ أي: علمتك الخط، ويحتمل أن يريد: اسم جنس في صحف إبراهيم، وغير ذلك.

ثم خص بعد ذلك: (التوراة) و(الإنجيل) بالذكر، تشريفاً.

و(الحكمة): هي الفهم والإدراك في أمور الشرع.

وقد وهب الله الأنبياء منها ما هم به مختصون معصومون، لا ينطقون عن هوى.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ﴾ في هذه الآية حيث ما تكررت فهي عطف على الأولى التي

---

(١) في المطبوع: «تحصى».

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢١٤)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٤٩)، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (٣/ ١٩٢٥).

(٣) في السليمانية وفيض الله: «الإعمال».

(٤) لم أجده إلا عند تابعي المؤلف مثل البحر المحيط (٤/ ٤٠٦)، ونحوه.

عملت فيها: ﴿نِعۡمَتِي﴾، و﴿تَخۡلُقُ﴾ معناه: تقدر وتهيئ تقديراً[١] مستوياً متقناً، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] وَلأنْـتَ تَفْـرِي مـا خَلَقْـتَ وَبَعْـ ـضُ القَـوْمِ يخْلُقُ ثمَّ لا يَفْرِي[٢]

أي: يهيئ ويقدر ليعمل ويكمل ثم لا يفعل، ومنه قول الآخر:

[مجزوء الكامل] مَــنْ كَــانَ يَـخْـلُـقُ مَـا يَقُو لُ فَـحِيلَتِي فِـيـهِ قَلِيـلَــهْ[٣]

وكان عيسى ـ عليه السلام ـ يصوِّر من الطين أمثال الخفافيش، ثم ينفخ فيها أمام الناس، فتحيا وتطير بإذن الله، وقد تقدم هذا القصص في آل عمران.

وقرأ جمهور الناس: ﴿ كَهَيۡـَٔةِ ﴾ بالهمز، وهو مصدر من قولهم: هاء الشيء يهاء: إذا ثبت[٤] واستقر على أمر حسن، قال اللحياني: ويقال: يهيأ[٥].

وقرأ الزهري: (كهيَّة) بتشديد الياء من غير همز، وقرأ أبو جعفر بن القعقاع: ﴿كهيئة الطائر﴾[٦].

والإذن في هذه الآية كيف تكرر معناه: التمكين مع العلم بما يصنع وما يقصد من دعاء الناس إلى الإيمان.

وقوله تعالى: ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾: هو النفخ المعروف من البشر، وإنما جعل الله الأمر هكذا ليظهر تلبس عيسى بالمعجزة وصدورها عنه، وهذا كطرح موسى العصا، وكإيراد محمد ﷺ القرآن، وهذا أحد شروط المعجزات.

(١) في الأصل ونجيبويه: «تقديره»، و«متقناً» ليست في الأصل.
(٢) تقدم في تفسير الآية (٢٧) من (سورة البقرة).
(٣) تقدم في تفسير الآية (٢٧) من (سورة البقرة).
(٤) في السليمانية وفيض الله ولالاليه ونجيبويه: «ترتب».
(٥) نقلها عنه في المحكم والمحيط الأعظم (٤/ ٤٤٧)، قال: وليست بالوجه.
(٦) وقد تقدم التعليق عليها في آية آل عمران.

وقوله: ﴿فِيهَا﴾ بضمير مؤنث مع مجيء ذلك في آل عمران: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٤٩] بضمير مذكر موضعٌ قد اضطرب المفسرون فيه:

قال مكي: هو في آل عمران عائد على: ﴿الطائر﴾، وفي المائدة عائد على: «الهيئة»، قال: ويصح عكس هذا[١]، قال غيره: الضمير المذكر عائد على الطين.

قال القاضي أبو محمد: ولا يصح عود هذا الضمير لا على الطير ولا على الطين ولا على الهيئة؛ لأن الطين والطائر الذي يجيء على الطين على هيئة لا نفخ فيه ألبتة، وكذلك لا نفخ في هيئته الخاصة بجسده، وهي المذكورة / في الآية، وكذلك الطِّين المذكور في الآية إنما هو الطين العام، ولا نفخ في ذلك. [٢/ ٦٥]

وإنما النفخ في الصور المخصوصة منه التي رتبتها يد عيسى عليه السلام، فالوجه أن يقال في عود الضمير المؤنث: إنه عائد على ما تقتضيه الآية ضرورة، وذلك أن قوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ يقتضي صوراً أو أجساماً أو أشكالاً، وكذلك الضمير المذكر يعود على المخلوق الذي يقتضيه ﴿تَخْلُقُ﴾، ولك أن تعيده على ما تدل عليه الكاف في معنى المثل؛ لأن المعنى: وإذ تخلق من الطين مثل هيئة، ولك أن تعيد الضمير على الكاف نفسه فيمن يجوِّز أن يكون اسماً في غير الشعر، وتكون الكاف في موضع نصب[٢] صفة للمصدر المراد تقديره: وإذ تخلق خلقاً من الطين كهيئة الطير.

وقرأ عبد الله بن عباس: (كهيئة الطير فتنفخها فيكون)[٣].

وقرأ الجمهور: ﴿فَتَكُونُ﴾ بالتاء من فوق.

وقرأ عيسى بن عمر فيها: (فيكون) بالياء من تحت[٤].

وقرأ نافع وحده: ﴿فتكون طائِراً﴾.

---

(١) انظر: الهداية لمكي (٢/ ١٠١٧).

(٢) في المطبوع: «نصف».

(٣) وهي قراءة شاذة تابعه عليها في البحر المحيط (٤/ ٤٠٦).

(٤) تابعه في البحر المحيط (٤/ ٤٠٦)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ١٦٣) لابن حسان.

وقرأ الباقون: ﴿طَيْرًا﴾ بغير ألف، والقراءتان مستفيضتان في الناس[(١)].

فالطير: جمع طائر، كتاجر وتَجْر، وصاحب وصحب، وراكب وركب، والطائر: اسم مفرد والمعنى على قراءة][(٢)] نافع: فتكون كل قطعة من تلك المخلوقات طائراً.

قال أبو علي: ولو قال قائل: إن الطائر قد يكون جمعاً كالجامل[(٣)] والباقر، فيكون على هذا معنى القراءتين واحداً لكان قياساً، ويقوي ذلك ما حكاه أبو الحسن من قولهم: طائرة، فيكون من باب: شعيرة وشعير، وتمرة وتمر[(٤)].

وقد تقدم القول في الأكمه والأبرص، وفي قصص إحيائه الموتى في آل عمران.

و﴿تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ معناه: من قبورهم، وكف بني إسرائيل عنه ـ عليه السلام ـ هو رفعه حين أحاطوا به في البيت مع الحواريين، ومن أول ما منعه الله منهم هو الكف إلى تلك النازلة الآخرة، فهنالك ظهر عظم الكف.

و﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ هي معجزاته وإنجيله، وجميع ما جاء به.

وقرأ ابن كثير [وأبو عمر وابن عامر ونافع][(٥)]، وعاصم هنا، وفي هود والصف: ﴿إِلَّا سِحْرٌ﴾ بغير ألف.

وقرأ حمزة والكسائي في المواضع الأربعة: ﴿سَاحِر﴾ بألف[(٦)].

فمن قرأ: (سحراً) جعل الإشارة إلى البينات والحديث وما جاء به، ومن قرأ: ﴿ساحر﴾ جعل الإشارة إلى الشخص، إذ هو ذو سحر عندهم، وهذا مطرد في القرآن كله حيثما ورد هذا الخلاف.

---

(١) فهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٨٨).

(٢) ساقط من الحمزوية.

(٣) في المطبوع ونور العثمانية والحمزوية: «كالحامل».

(٤) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٣/ ٢٧٦).

(٥) زيادة من السليمانية وفيض الله، وهي زيادة ضرورية لاستكمال السبعة.

(٦) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٠١)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٤٩).

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ﴾ هو من جملة تعديد النعمة على عيسى، و﴿أَوْحَيْتُ﴾ في هذا الموضع إما أن يكون وحي إلهام، أو وحي أمر، كما قال الشاعر:

أَوْحَى لَهَا القَرَارَ فاسْتَقَرَّتِ[١] .... [الرجز]

وبالجملة: فهو إلقاء معنى في خفاء أوصَله تعالى إلى نفوسهم كيف شاء.

والرسول في هذه الآية: عيسى عليه السلام.

وقول الحواريين: ﴿وَٱشْهَدْ﴾ يحتمل أن يكون مخاطبة منهم لله تعالى، ويحتمل أن يكون لعيسى [عليه السلام، وقد تقدم تفسير لفظة الحواريين في آل عمران.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ الآية، اعتراض أثناء وصف حال قول الله لعيسى][٢] يوم القيامة، مضمن الاعتراض إخبار محمد ﷺ وأمته بنازلة الحواريين في المائدة؛ إذ هي مثال نافع لكل أمة مع نبيها؛ يُقتدَى بمحاسنه، ويزدجر عما ينقد منه من طلب الآيات ونحوه.

وقرأ جمهور الناس: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ بالياء ورفع الباء من ﴿رَبُّكَ﴾، وهي قراءة السبعة حاشا الكسائي، وهذا ليس لأنهم شكوا في قدرة الله على هذا الأمر، لكنه بمعنى: هل يفعل تعالى هذا، وهل تقع منه إجابة إليه؟ وهذا كما قال لعبد الله بن زيد[٣]:

---

(١) البيت للعجّاج كما في مجاز القرآن (١/ ١٨٢)، والعين (٣/ ٣٢٠)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٧٦).

(٢) ساقط من الحمزوية.

(٣) هو عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب الأنصاري المازني، يعرف بابن أم عمارة، وهو صاحب حديث الوضوء، وممن قتل مسيلمة الكذاب، وكان مسيلمة قد قتل أخاه حبيب بن زيد، وقتل هو يوم الحرة، سنة (٦٣هـ)، الاستيعاب (٣/ ٩١٣).

هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ؟[(١)] فالمعنى: هل يخِفُّ عليك وهل تفعله؟

أما أن في اللفظة بشاعة، بسببها قال عيسى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، وبسببها مال فريق من الصحابة وغيرهم إلى غير[(٢)] هذه القراءة:

فقرأ علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير: ﴿هل تستطيع ربَّك﴾، بالتاء ونصب الباء من ﴿رَبَّكَ﴾[(٣)].

المعنى: هل تستطيع أن تسأل ربك؟ قالت عائشة رضي الله عنها: كان الحواريون أعرف بالله من أن يقولوا: هل يستطيع ربك[(٤)].

قال القاضي أبو محمد: نزهتهم عائشة عن بشاعة اللفظ، وإلا فليس يلزمهم منه جهل بالله تعالى على ما قد تبين آنفاً، وبمثل هذه القراءة قرأ الكسائي، وزاد أنه أدغم اللام في التاء[(٥)]، قال أبو علي: وذلك حسن[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٥) بلفظ: أتستطيع، ولغيره: هل تستطيع، وفاعل «قال» هو يحيى بن عمارة، أو جده أبو حسن المازني.

(٢) «غير»: ساقطة من السليمانية.

(٣) وهي سبعية متواترة، قرأ بها الكسائي كما في التيسير (ص: ١٠١)، وعلي ومعاذ وابن عباس كما في معاني القرآن للنحاس (٢/ ٣٨٤)، وعائشة كما في معاني القرآن للفراء (١/ ٣٢٥)، وابن جبير كما في تفسير الطبري (١١/ ٢١٩).

(٤) رجاله ثقات، أخرج الطبري (١١/ ٢١٩) من طريق محمد بن بشر، عن نافع، عن ابن عمر، عن ابن أبي مليكة قال: قالت عائشة: كان الحواريون لا يشكون أن الله قادر أن ينزل عليهم مائدة، ولكن قالوا: يا عيسى هل تستطيع ربك؟ هكذا وقع الإسناد، وفيه تخليط، وصوابه: عن نافع بن عمر، وهو الجمحي، وإسناده صحيح، إلا أن ابن أبي مليكة لم يصرح بالسماع، وقد سمع من عائشة، ويروي عنها أيضاً بواسطة القاسم وغيره، لكنه لم يوصف بتدليس.

(٥) وهي سبعية متواترة، انظر: التيسير في القراءات السبع (١/ ٤٣).

(٦) في الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٢٧٣).

و﴿أَن﴾ في قوله: ﴿أَن يُنَزِّلَ﴾ على هذه القراءة: متعلقة بالمصدر المحذوف الذي هو سؤال.

و﴿أَن﴾: مفعول به؛ إذ هو في حكم المذكور في اللفظ وإن كان محذوفاً منه؛ إذ لا يتم المعنى إلا به، وقد يمكن أن يستغنى عن تقدير سؤال على أن يكون المعنى: هل يستطيع أن ينزل ربك بدعائك، أو بأثرتك عنده ونحوه هذا، فيردك المعنى، ولا بد إلى مقدر يدل عليه ما ذكر من اللفظ.

والمائدة: فاعلة من: ماد: إذا تحرك، هذا قول الزجَّاج[1]، أو من: ماد: إذا مار وأطعم، كما قال رؤبة:

نُهْـدِي رُؤُوسَ المتْرَفِينَ الأَنْدَادْ إِلَـى أَمِيـرِ المُؤْمِنِيـنَ المُمْتَادْ[2] [الرجز]

أي: الذي يستطعم ويمتاد منه.

وقول عيسى عليه السلام: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ تقرير لهم كما تقول: افعل كذا وكذا إن كنت رجلاً، ولا خلاف أحفظه في أن الحواريين كانوا مؤمنين، وهذا هو ظاهر الآية، وقال قوم قال الحواريون هذه المقالة في صدر الأمر قبل علمهم بأنه يبرئ / الأكمه [٢/ ٦٦] والأبرص ويحيي الموتى، ويظهر من قوله عليه السلام: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ إنكار لقولهم ذلك.

وذلك على قراءة من قرأ: ﴿يَسْتَطِيعُ﴾ بالياء من أسفل متوجه على أمرين: أحدهما: بشاعة اللفظ، والآخر: إنكار طلب الآيات والتعرض إلى سخط الله بها والنبوءات ليست مبنية على أن تتعنت، وأما على القراءة الأخرى فلم ينكر عليهم إلا الاقتراح وقلة طمأنينتهم إلى ما قد ظهر من آياته.

فلما خاطبهم عليه السلام بهذه المقالة صرحوا بالمذاهب التي حملتهم على

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٢٢٠).

(٢) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٣٤١)، وتفسير الطبري (١١/ ٢٢٣)، والصحاح للجوهري (٢/ ٥٤١)، وفي الحمزوية: «يمتار».

طلب المائدة، فقالوا: نريد أن نأكل منها فنشرف في العالم.

قال القاضي أبو محمد: لأن هذا الأكل ليس الغرض منه شبع البطن.

و(تطمئن قلوبنا) معناه: يسكن فكرنا في أمرك بالمعاينة لأمر نازل من السماء بأعيننا، ﴿وَنَعۡلَمَ﴾ علم الضرورة والمشاهدة أن قد صدقتنا، فلا تعترضنا الشبه التي تعرض في علم الاستدلال.

قال القاضي أبو محمد: وبهذا يترجح قول من قال: كان هذا قبل علمهم بآياته، ويدل أيضاً على ذلك أن وحي الله إليهم ﴿أَنۡ ءَامِنُواْ﴾ إنما كان في صدر الأمر، وعند ذلك قالوا هذه المقالة، ثم آمنوا ورأوا الآيات واستمروا وصبروا[1]، وهلك من كفر.

وقرأ سعيد بن جبير: (ويُعلم) بالياء مضمومة، على ما لم يسم فاعله[2].

وقولهم: ﴿وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ معناه: من الشاهدين بهذه الآية الناقلين لها إلى غيرنا الداعين إلى هذا الشرع بسببها.

قال القاضي أبو محمد: وروي أن الذي نحا بهم هذا المنحى من الاقتراح: هو أن عيسى عليه السلام قال لهم مرة: هل لكم في صيام ثلاثين يوماً لله، ثم إن سألتموه حاجة قضاها؟ فلما صاموها قالوا: يا معلم الخير، إن حق من عمل عملاً أن يطعم، فهل يستطيع ربك؟ فأرادوا أن تكون المائدة عيد[3] ذلك الصوم.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١١٥﴾.

(١) في المطبوع: «صدروا».

(٢) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٤/ ٤١٢)، وفي مختصر الشواذ (ص: ٤٢)، والشواذ للكرماني (ص: ١٦٣): سعيد بن المسيب.

(٣) في الأصل ونجيبويه: «عند».

ذكر الله تعالى عن عيسى أنه أجابهم إلى دعاء الله في أمر المائدة، فروي أنه لبس جبة شعر ورداء شعر، وقام يصلي ويبكي ويدعو.

و﴿ٱللَّهُمَّ﴾ عند سيبويه أصلها: يا ألله فجعلت الميمان بدلاً من ياء، و﴿رَبَّنَآ﴾ منادى آخر، ولا يكون صفة؛ لأن ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ يجري مجرى الأصوات من أجل ما لحقه من التغيير.

وقرأ الجمهور: ﴿تَكُونُ لَنَا﴾ على الصفة للمائدة.

وقرأ ابن مسعود والأعمش: (تكن لنا)[١]، على جواب: ﴿أَنزِلْ﴾.

و«العيد»: المجتمع واليوم المشهود، وعرفه أن يقال فيما يستدير بالسنة أو بالشهر والجمعة ونحوه، وهو من: عاد يعود، فأصله الواو، ولكن لزمته الياء من أجل كسرة العين.

وقرأ جمهور الناس: ﴿لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾.

وقرأ زيد بن ثابت وابن محيصن والجحدري: (لأولانا وأخرانا)[٢].

واختلف المتأولون في معنى ذلك، فقال السدي وقتادة وابن جريج وسفيان: ﴿لِّأَوَّلِنَا﴾ معناه: لأول الأمة، ثم لمن بعدهم حتى لآخرها يتخذون ذلك اليوم عيداً[٣].

وروي عن ابن عباس: أن المعنى: يكون مجتمعاً لجميعنا أولنا وآخرنا، قال: وأكل من المائدة حين وضعت أول الناس كما أكل آخرهم[٤].

قال القاضي أبو محمد: فالعيد على هذا لا يراد به المستدير.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لابن مسعود في معاني القرآن للأخفش (١/ ٢٩١)، ولهما في تفسير الثعلبي (٤/ ١٢٥).

(٢) وهي قراءة شاذة انظر عزوها لهم في مختصر الشواذ (ص: ٤٢)، والهداية لمكي (٣/ ١٩٣٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢٢٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٤٩)، وتفسير الثعلبي (٤/ ١٢٦).

(٤) منقطع، أخرجه الطبري (١١/ ٢٢٥) من طريق حجاج ـ هو ابن محمد المصيصي، عن ليث ـ هو ابن سعد ـ عن عقيل ـ هو ابن خالد الأيلي ـ عن ابن عباس، وعقيل لم يدرك ابن عباس.

وقوله: ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾؛ أي: علامة على صدقي وتشريفي، فأجاب الله دعوة عيسى، وقال: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، ثم شرط عليهم شرطه المتعارف في الأمم: أنه من كفر بعد آية الاقتراح عُذِّب أشدَّ عذاب.

وقرأ نافع وابن عامر وعاصم: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا﴾ بفتح النون وشد الزاي.

وقرأ الباقون: ﴿مُنْزِلُها﴾ بسكون النون[١]، والقراءتان متجهتان؛ نزّل وأنزل بمعنى واحد.

وقرأ الأعمش وطلحة بن مصرف: (قال الله: إني سأنزلها عليكم)[٢].

واختلف الناس في نزول المائدة:

فقال الحسن بن أبي الحسن ومجاهد: إنهم لما سمعوا الشرط في تعذيب من كفر استعفوها[٣] فلم تنزل، قال مجاهد: فهو مثل ضربه الله تعالى للناس لئلا يسألوا هذه الآيات.

وقال جمهور المفسرين: نزلت المائدة، ثم اختلفت الروايات في كيفية ذلك:

فروى السبيعي[٤] عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: نزلت المائدة خبزاً وسمكاً.

وقال عطية: المائدة: سمكة فيها طعم كل طعام.

قال ابن عباس: نزل خُوان عليه خبز وسمك، يأكلون منه أين ما نزلوا إذا شاؤوا[٥]، وقاله وهب بن منبه.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢٥٠).

(٢) وهي قراءة شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٤/ ٤١٥)، وفي كتاب المصاحف (١/ ١٧٦): أنها قراءة ابن مسعود.

(٣) في الحمزوية «استصعبوها».

(٤) كذا في فيض الله، وهو الموافق لما في الطبري، وفي النسخ الأخرى: «الشعبي».

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٢٢٧) من طريق العوفي عن ابن عباس.

قال إسحاق بن عبد الله: نزلت المائدة عليها سبعة أرغفة، وسبعة أحوات، قال: فسرق منها بعضهم، فرفعت[١].

وقال عمار بن ياسر: سألوا عيسى ـ عليه السلام ـ مائدة يكون عليها طعام لا ينفد، فقيل لهم: فإنها مقيمة لكم ما لم تخبئوا أو تخونوا، فإن فعلتم عذبتم قال: فما مضى يوم حتى خبؤوا وخانوا فمسخوا قردة وخنازير[٢].

وقال ابن عباس في المائدة أيضاً: كان طعام ينزل عليهم حيث ما نزلوا، وقال عمار ابن ياسر: نزلت المائدة عليها ثمار من ثمار الجنة[٣].

وقال ميسرة: كانت المائدة إذا وضعت لبني إسرائيل اختلفت عليها الأيدي بكل طعام إلا اللحم[٤].

قال القاضي أبو محمد: وكثَّر الناس في قصص هذه المائدة بما رأيت اختصاره لعدم سنده.

وقال قوم: لا يصح أن لا تنزل المائدة؛ لأن الله تعالى أخبر أنه منزلها.

قال القاضي أبو محمد: وهذا غير لازم؛ لأن الخبر مقرون بشرط يتضمنه قوله:

---

(١) انظر هذه الأقوال كلها في تفسير الطبري (١١/ ٢٢٨)، وتفسير الثعلبي (٤/ ١٢٧)، والهداية لمكي (٣/ ١٩٤١).

(٢) روي مرفوعاً، والموقوف أصح، أخرجه الترمذي (٣٠٦١) بإسناده عن الحسن بن قزعة، ثم قال: هذا حديث رواه أبو عاصم وغير واحد، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن خلاس، عن عمار، موقوفاً، ولا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة، حدثنا حميد بن مسعدة، حدثنا سفيان بن حبيب، عن سعيد بن أبي عروبة، نحوه، ولم يرفعه، وهذا أصح من حديث الحسن بن قزعة، ولا نعرف للحديث المرفوع أصلاً.

(٣) كلاهما ضعيف بمرة، أخرجهما الطبري (١١/ ٢٢٩) من طريق يوسف بن خالد قال: حدثنا نافع بن مالك، عن عكرمة، عن ابن عباس به، ويوسف بن خالد هو السمتي تالف، وروي نحو هذا القول عن مجاهد.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢٣٠)، وتفسير الثعلبي (٤/ ١٢٧).

﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾، وسائغ ما كان[١] قال الحسن: أما أن الجمهور: على أنها نزلت وكفرت جماعة منهم فمسخهم الله خنازير، قاله قتادة وغيره[٢].

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: أشد الناس عذاباً يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة والمنافقون وآل فرعون[٣].

ويذكر أن شمعون رأس الحواريين قال لعيسى حين رأى طعام المائدة: يا روح الله، أمن طعام الدنيا / هو أم من طعام الآخرة؟ قال عيسى ـ عليه السلام ـ: ألم ينهكم الله [٢/ ٦٧] عن هذه السؤالات، هذا طعام ليس من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة، بل هو بالقدرة الغالبة، قال الله له: كن، فكان، وروي أنه كان على المائدة بقول سوى الثوم والكراث[٤] والبصل، وقيل: كان عليها زيتون وتمر وحب رمان[٥].

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾.

---

(١) زيادة من السليمانية.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢٢٩) فقد ذكره مرفوعاً، وفي نسخة موقوفاً على عمار.

(٣) في إسناده مقال، أخرجه الطبري (١١/ ٢٣٣)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (٢٩٦)، وغيرهم عن الحسن بن عرفة قال: حدثنا المعتمر بن سليمان، عن عوف الأعرابي قال: سمعت أبا المغيرة القواس يقول: قال عبد الله بن عمرو، وهذا هو الصواب: أنه ابن عَمرو لا ابن عُمر كما جاء هنا وفي غير كتاب، وأبو المغيرة ذكره سليمان التيمي ولينه، وقال ابن المديني: لا أعلم أحداً روى عنه غير عوف. اهـ، وقال إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين: ثقة. اهـ، لكنه لم يذكر سماعاً.

(٤) في المطبوع: «الكرات».

(٥) الهداية لمكي (٣/ ١٩٣٥).

اختلف المفسرون في وقت وقوع هذا القول:

فقال السدي وغيره: لما رفع الله عيسى إليه قالت النصارى ما قالت، وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك، فسأله تعالى حينئذ عن قولهم فقال: ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ الآية[١].

قال القاضي أبو محمد: فتجيء ﴿قَالَ﴾ على هذا متمكنة في المضي[٢]، ويجيء قوله آخراً: ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾؛ أي: بالتوبة من الكفر؛ لأن هذا ما قاله عيسى ـ عليه السلام ـ وهم أحياء في الدنيا.

وقال ابن عباس وقتادة وجمهور الناس: هذا القول من الله إنما هو في يوم القيامة، يقول الله له على رؤوس الخلائق، فيرى الكفار تبريَه منهم، ويعلمون أن ما كانوا فيه باطل[٣].

قال القاضي أبو محمد: و﴿قَالَ﴾ على هذا التأويل بمعنى: يقول، ونزل الماضي موضع المستقبل دلالة على كون الأمر وثبوته، وقوله: آخراً: ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ معناه: إن عذبت العالم كله فبحقك، وإن غفرت وسبق ذلك في علمك فلأنك أهل لذلك، لا معقب لحكمك، ولا منازع لك،[فيقول عيسى هذا على جهة التسليم والتعزي عنهم مع علمه بأنهم كفرة قد حتم عليهم العذاب][٤]، وليس المعنى: أنه لا بد من أن تفعل أحد هذين الأمرين، بل قال هذا القول مع علمه بأن الله لا يغفر أن يشرك به.

وفائدة هذا التوقيف على قول من قال: إنه في يوم القيامة ظهور الذنب على الكفرة في عبادة عيسى، وهو توقيف له يتقرر[٥] منه بيان ضلال الضالين.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢٣٤)، وتفسير السمعاني (٢/ ٨٢)، وتفسير الماوردي (٢/ ٨٧).
(٢) في السليمانية: «المعنى».
(٣) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢٣٤ و٢٣٥)، وتفسير الماوردي (٢/ ٨٧).
(٤) ساقط من المطبوع.
(٥) في المطبوع: «يتبين».

و﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ معناه: تنزيهاً لك عن أن يقال هذا وينطق به، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ﴾ الآية، نفي يعضده دليل العقل، فهذا ممتنع عقلاً أن يكون لبشر محدث أن يدعي الألوهية، وقد تجيء هذه الصيغة فيما لا ينبغي ولا يحسن مع إمكانه، ومنه قول الصديق رضي الله عنه: ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله ﷺ[1].

ثم قال: ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥ﴾ فوفق الله عيسى ـ عليه السلام ـ لهذه الحجة البالغة.

وقوله: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي﴾ بإحاطة علم[2] الله به، وخص النفس بالذكر؛ لأنها مَظِنَّة الكتم والانطواء على المعلومات، والمعنى: أن الله يعلم ما في نفس عيسى، ويعلم كل أمره مما عسى أن لا[3] يكون في نفسه.

وقوله: ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾ معناه: ولا أعلم ما عندك من المعلومات، وما أحطت به، وذكر النفس هنا مقابلة لفظية في اللسان العربي يقتضيها الإيجاز، وهذا ينظر من طرف خفي إلى قوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٥]، فتسمية العقوبة باسم الذنب إنما قاد إليها طلب المقابلة اللفظية؛ إذ هي من فصيح الكلام، وبارع العبارة، ثم أقر عليه السلام لله تعالى بأنه ﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾، المعنى: ولا علم لي أنا بغيب، فكيف تكون لي الألوهية؟!

ثم أخبر عما صنع في الدنيا وقال في تبليغه وهو أنه لم يتعد أمر الله في أن أمرهم بعبادته وأقر بربوبيته، و﴿أَنِ﴾ في قوله: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: مفسرة لا موضع لها من الإعراب، ويصح أن تكون بدلاً من: ﴿مَا﴾.

ويصح أن تكون في موضع خفض على تقدير: بأن اعبدوا الله، ويصح أن تكون

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٨٤)، ومسلم (٤٢١).
(٢) زيادة من السليمانية وفيض الله ولالاليه ونجيبويه.
(٣) زيادة من السليمانية وفيض الله ولالاليه.

بدلاً من الضمير في: ﴿بِهِۦٓ﴾ ثم أخبر عليه السلام أنه كان شهيداً ما دام فيهم في الدنيا، فـ﴿مَّا﴾: ظرفية.

وقوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾؛ أي: قبضتني إليك بالرفع والتصيير في السماء.

و﴿ٱلرَّقِيبَ﴾: الحافظ المراعي.

قوله عز وجل: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾.

هذه الآية على قول من قال: إن توقيف عيسى ـ عليه السلام ـ كان إثر رفعه مستقيمة المعنى؛ لأنه قال عنه هذه المقالة وهم أحياء في الدنيا، وهو لا يدري على ما يوافون.

وهي على قول من قال: إن توقيفه يوم القيامة بمعنى: إن سبقت لهم كلمة العذاب كما سبقت فهم عبادك؛ تصنع بحق الملك ما شئت، لا اعتراض عليك، وإن تغفر لهم؛ أي: لو غفرت بتوبة كما غفرت لغيرهم؛ فإنك أنت العزيز في قدرتك، الحكيم في أفعالك، لا تعارض على حال، فكأنه قال: إن يكن لك في الناس معذبون فهم عبادك، وإن يكن مغفور لهم فعزتك وحكمتك تقتضي هذا كله.

وهذا عندي هو القول الأرجح، ويتقوى بما بعده، وذلك أن عيسى ـ عليه السلام ـ لما قرر أن الله تعالى له أن يفعل في عباده ما يشاء من تعذيب ومغفرة؛ أظهر الله لعباده ما كانت الأنبياء تخبرهم به، كأنه يقول: هذا أمر قد فرغ منه، وقد خلص للرحمة من خلص، وللعذاب من خلص.

فقال تبارك وتعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ / ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ فدخل تحت هذه العبارة كل [٢/ ٨٦]
مؤمن بالله تعالى، وكل ما كان أتقى فهو أدخل في العبارة، ثم جاءت هذه العبارة مشيرة إلى عيسى في حاله تلك وصدقه فيما قال، فحصل له بذلك في الموقف شرف عظيم وإن كان اللفظ يعمه وسواه، وذكر تعالى ما أعد لهم برحمته وطوله إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

وقرأ نافع وحده: ﴿هذا يومَ﴾ بنصب ﴿يومَ﴾، وقرأ الباقون: ﴿يَوۡمُ﴾ بالرفع[١] على خبر المبتدأ الذي هو ﴿هَٰذَا﴾ و﴿يَوۡمُ﴾: مضاف إلى ﴿يَنفَعُ﴾، والمبتدأ والخبر في موضع نصب بأنه مفعول القول؛ إذ القول يعمل في الجمل، وأما قراءة نافع فتحتمل وجهين: أحدهما أن يكون ﴿يومَ﴾ ظرفاً للقول، كأن التقدير: قال الله هذا القصص أو الخبر يوم.

قال القاضي أبو محمد: وهذا عندي معنى يزيل رصف الآية وبهاء اللفظ.

والمعنى الثاني: أن يكون ما بعد: ﴿قَالَ﴾ حكاية عما قبلها من قوله لعيسى وإشارة[٢] إليه، وخبر: ﴿هَٰذَا﴾ محذوف إيجازاً، وكأن التقدير: قال الله: هذا المقتص يقع أو يحدث يوم ينفع الصادقين.

قال القاضي أبو محمد: والخطاب على هذا لمحمد ﷺ وأمته، وهذا أشبه من الذي قبله، والبارع المتوجه قراءة الجماعة، قال أبو علي: ولا يجوز أن تكون: ﴿يومَ﴾ في موضع رفع على قراءة نافع؛ لأن هذا الفعل الذي أضيف إليه معرب، وإنما يكتسي البناء من المضاف إليه إذا كان المضاف إليه مبنياً نحو: ﴿مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذٍ﴾ [المعارج: ١١]، ولا يشبه الآية قول الشاعر:

[الطويل] عَلَى حِيْنَ عَاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبَا وَقُلْتُ: أَلَمَّا تَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ[٣]

لأن الماضي الذي في البيت مبني، والمضارع الذي في الآية معرب[٤].

---

(١) وهي سبعية متواترة، انظر: التيسير (ص: ١٠١)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٥٠)، وسقطت «يوم» من المطبوع.

(٢) الواو ليست في المطبوع.

(٣) البيت للنابغة كما في الكتاب لسيبويه (٢/ ٣٣٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ١٢١)، وجمهرة اللغة (٣/ ١٣١٤).

(٤) في الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٢٨٣).

وقرأ الحسن بن العباس الشامي[١]: (هذا يومٌ) بالرفع والتنوين[٢].

وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية، يحتمل أن يكون مما يقال يوم القيامة، ويحتمل أنه مقطوع من ذلك، مخاطب به محمد ﷺ وأمته، وعلى الوجهين ففيه عضد ما قال عيسى: إن تعذب الناس فإنهم عبادك، على ما تقدم من تأويل[٣] الجمهور.

كمل تفسير سورة المائدة، والله المستعان، وهو حسبي ونعم الوكيل.

(١) الحسن بن العباس بن أبي مهران الجمال شيخ عارف حاذق مصدر ثقة، إليه المنتهى في الضبط والتحرير، روى القراءة عنه ابن مجاهد وابن شنبوذ وابن المنادي والنقاش، توفي في شهر رمضان سنة (٢٨٩هـ)، غاية النهاية (١/ ٢١٦).

(٢) وهي شاذة، عزاها تفسير الثعلبي (٤/ ١٣٠)، للحسن، وفي البحر المحيط (٤/ ٤٢٢) ابن عياش، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ١٦٤)، لنبيح وأبي واقد والجراح.

(٣) في فيض الله: «قول».

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً

تفسير سورة الأنعام

قيل: هي كلها مكية، وقال ابن عباس: نزلت بمكة ليلاً جملةً واحدة[(١)]، إلا ست آيات[(٢)]، وهي: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾[(٣)].

وقال الكلبي: الأنعام كلها مكية، إلا آيتين نزلتا بالمدينة في فَنْحاص اليهودي،

---

(١) «واحدة»: زيادة من الحمزوية، وعبارة: «ليلاً جملة» ليست في نجيبويه.

(٢) الأولى رقم: (١٥١)، والثانية: (٩١)، والثالثة والرابعة: (٩٣)؛ لأنهما في مصحف ابن عباس آيتان، والخامسة: (١١٤)، والسادسة: (٢٠).

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٤٣) لابن الضريس، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: أنزلت سورة الأنعام بمكة، وأخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ (١/ ٤١٥) من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: نزلت سورة الأنعام بمكة جملة واحدة، فهي مكية، إلا ثلاث آيات منها نزلت في المدينة، فهي مدنية: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ الأنعام إلى تمام الآيات الثلاث، وسنده فيه ضعف.

وهي: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ [الأنعام ٩١]، مع ما يرتبط بهذه الآية، وذلك أنَّ فَنْحاصاً قال: ما أنزل الله على بشر من شيء(١).

وقال ابن عباس: نزلت سورة الأنعام وحولها سبعون ألف ملك لهم زَجَل يَجْأَرون بالتسبيح(٢).

وقال كعب: فاتحة التوراة: فاتحة الأنعام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى: ﴿يَعْدِلُونَ﴾، وخاتمة التوراة: خاتمة هود: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣](٣)، وقيل: خاتمتها: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ﴾ إلى: ﴿تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١](٤).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الأنعام من نجائب القرآن(٥).

وقال علي بن أبي طالب: من قرأ سورة الأنعام فقد انتهى في رضا ربه(٦).

قوله عز وجل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾.

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٥٨)، وتفسير السمعاني (٢/ ٨٥)، وينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ٤١٥).

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٢٤٠)، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، والزَّجَل: صوتٌ رفيع عال.

(٣) تفسير الطبري (١١/ ٢٥٢)، والهداية لمكي (٣/ ٢٢٤٣).

(٤) تفسير السمعاني (٢/ ٨٦).

(٥) في إسناده من لا يكاد يعرف، أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٢٤٠)، والدارمي في السنن (٣٤٠١) من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن عبد الله بن خليفة الهمداني، عن عمر رضي الله عنه، وعبد الله بن خليفة الهمداني ذكره البخاري في التاريخ الكبير (٥/ ٨٠)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٥/ ٤٥)، وابن حبان في الثقات (٣٦٨٣)، ولم يذكروا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقال الذهبي في الميزان (٤٢٩٠): لا يكاد يعرف.اهـ، وأبو إسحاق السبيعي، مدلس وقد عنعن.

(٦) لم أقف عليه في كتب فضائل القرآن.

هذا تصريحٌ بأنَّ الله تعالى هو الذي يستحق الحمد بأجمعه؛ لأنَّ الألف واللام في: ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ لاستغراق الجنس، فهو تعالى له الأوصاف السنية والعلم والقدرة والإحاطة والإنعام، فهو أهل للمحامد على ضروبها، وله الحمد الذي يستغرق الشكر المختص بأنه على النعم، ولما ورد هذا الإخبار تبعه ذكر بعض[١] أوصافه الموجبة للحمد، وهي الخلق للسماوات والأرض؛ [إذ من السماء والأرض][٢] قوام[٣] الناس وأرزاقهم.

﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾ هاهنا للجنس، فإفرادها في اللفظ بمنزلة جمعها، والبادي من هذا الترتيب أن السماء خلقت من قبل الأرض، وقد حكاه الطبري عن قتادة[٤]، وليس كذلك؛ لأن الواو لا ترتب المعاني، والذي ينبني من مجموع آي القرآن أن الله تعالى خلق الأرض ولم يَدْحُها، ثم استوى إلى السماء فخلقها، ثم دحا الأرض بعد ذلك.

﴿وَجَعَلَ﴾ هاهنا بمعنى: خلق، لا يجوز غير ذلك، وتأمَّل لم خُصت السَّماوات وَالْأَرْض بـ﴿خَلَقَ﴾، والظُّلُمات وَالنُّور بـ(جَعَلَ)؟

وقال الطبري[٥]: جَعَلَ هذه هي التي تتصرف في طرق الكلام، كما تقول: جعلت أفعل كذا، فكأنه قال: وجعل إظلامها وإنارتها[٦].

قال القاضي أبو محمد: وهذا غيرُ جيدٍ؛ لأن (جَعَلَ) إذا كانت على هذا النحو فلا بدَّ أن يرتبط معها فعل آخر، كما يرتبط في أفعال المقاربة، كقولك: كاد زيد يموت، وجعل

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) في الحمزوية: «قيام».

(٤) تفسير الطبري (١١/ ٢٥٠).

(٥) في المطبوع: قال القرطبي، وهو تصحيف بيِّنٌ، وفي الحمزوية هنا زيادة: «وهذا غير جيد»، وكأنها مقدمة عن محلها.

(٦) تفسير الطبري (١١/ ٢٥٠ و٢٥١).

زيد يجيء ويذهب، وأما إذا لم يرتبط معها فعل فلا يصح أن تكون تلك التي ذكر الطبري.

وقال السدي وقتادة والجمهور من المفسرين: ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الليل، و(النُّور): النهار[١]، وقالت فرقة: ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكفر، و(النُّور): الإيمان[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا غير جيد؛ لأنه إخراج لفظ بيِّن في اللغة عن ظاهره الحقيقي إلى باطنٍ لغير ضرورة، وهذا هو طريق اللغز[٣] الذي برئ القرآن منه.

و(النُّور) أيضاً هنا للجنس فإفراده بمثابة جمعه / . [٢/ ٦٩]

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ﴾: دالَّةٌ على قبح فعل الَّذِينَ كَفَرُوا؛ لأن المعنى أن خلقه السماوات والأرض[٤] وغيرهما قد تقرر، وآياته قد سطعت، وإنعامه بذلك قد تبيَّن، ثم بعد هذا كله عدلوا بربهم، فهذا كما تقول: يا فلان أعطيتك وأكرمتك وأحسنت إليك، ثم تشتمني؛ أي: بعد مُهْلة من وقوع هذا كله، ولو[٥] وقع العطف في هذا ونحوه بالواو لم يلزم التوبيخ كلزومه بـ(ثُمَّ).

و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في هذا الموضع: هم كل من عبد شيئاً سوى الله.

قال قتادة: هم أهل الشرك خاصة[٦].

ومن خصَّصَ من المفسرين في ذلك بعضاً دون بعض فلم يصب، إلا أنَّ السابق من حال النبي ﷺ: أنَّ الإشارةَ إلى عبدة الأوثان [من العرب][٧] لمجاورتهم له، ولفظ

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ٢٥٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٥٩)، وتفسير الثعلبي (٤/ ١٣٢).

(٢) تفسير الثعلبي (٤/ ١٣٢)، والنكت والعيون للماوردي (٢/ ٩٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/ ٨).

(٣) في فيض الله: «اللغو».

(٤) من المطبوع.

(٥) في السليمانية: «ولما».

(٦) في الأصل ونجيبويه: «صراحية»، وهي أقرب للفظ الطبري، انظر التفسير (١١/ ٢٥٤).

(٧) سقط من المطبوع.

الآية أيضاً يشير إلى المانَوِية، ويقال: الماننية العابدين للنور القائلين: إنَّ الخيرَ من فعلِ النورِ، وإنَّ الشَّرَّ من فعل الظلام[١].

وقول ابن أَبْزَى[٢]: إن المراد: أهل الكتاب بعيدٌ[٣].

و﴿يَعۡدِلُونَ﴾ معناه: يسوون ويمثلون، وعدل الشيء: قرينه ومثيله.

والمنوية: مجوس، وورد في مصنف أبي داود حديث وهو: «القدرية مجوس هذه الأمة»[٤]، ومعناه: الإغلاظ عليهم، والذم لهم في تشبيههم بالمجوس.

وموضع الشبه: هو أن المجوس تقول: الأفعالُ خيرها خلق النور، وشرها خلق الظلمة، فجعلوا خالقاً غير الله، والقدرية تقول: الإنسان يخلق أفعاله، فجعلوا خالقاً غير الله، تعالى عن قولهم.

وذهب أبو المعالي إلى أنَّ التشبيهَ بالمجوس إنما هو لقول القدرية: إن الخير من الله، وإن الشر ليس منه ولا يريده[٥].

وإنما قلنا في الحديث: إنه تغليظ؛ لأنَّه قد صرَّح أنهم من الأمة، ولو جعلهم مجوساً حقيقةً لم يُضفْهم إلى الأمة، وهذا كلُّه أن لو صحَّ الحديثُ، والله الموفق.

---

(١) المانوية: فرقة منسوبة إلى مؤسسها ماني بن فاتك، وللتوسع في معرفة اعتقاداتهم انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٤٣).

(٢) في لالاليه: «ابن أبي أبزى»، ولعله خطأ، وقد سبق التعريف به.

(٣) تفسير الطبري (١١/ ٢٥٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٦٠).

(٤) لا يصح فيه شيء، أخرجه أبو داود (٤٦٩١)، والحاكم في المستدرك (٢٨٦)، والبيهقي في السنن (١٠/ ٢٠٣) من طريق أبي حازم سلمة بن دينار، عن ابن عمر به، وإسناده منقطع؛ فإن أبا حازم لم يسمع من ابن عمر، وقد روي هذا الحديث من طرق أخرى عن ابن عمر، ولا يثبت منها شيء، وانظر المنتخب من العلل (١٥٧)، والعلل للدارقطني (٢٩٨٣)، والعلل المتناهية (١/ ١٤٤-١٤٦)، وقد رويت أحاديث في هذا الباب عن حذيفة بن اليمان، وأبي هريرة، وغيرهم لا تسلم من ضعف.

(٥) انظر ما نسبه المؤلف لأبي المعالي في: شرح النووي على مسلم (١/ ١٥٤).

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ الآية: قال مجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم: المعنى: خلق آدم من طين، والبشر من آدم؛ فلذلك قال: ﴿خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾[١].

وحكى المهدوي عن فرقة أنها قالت: بل المعنى: أن النطفة التي يخلق منها الإنسانُ أصلُها من طين، ثم يقلبها الله نطفة، وذكره مكيٌّ والزهراوي[٢].

والقول الأولُ أليقُ بالشريعة؛ لأنَّ القولَ الثاني إنما يترتب على قول من يقول بأن الطين يرجع بعد التولد والاستحالات الكثيرة نطفة، وذلك مردودٌ عند الأصوليين.

واختلف المفسرون في هذين الأجلين:

فقال الحسن بن أبي الحسن، وقتادة، والضحاك: ﴿أَجَلًا﴾: أجل الإنسان من لدن ولادته إلى موته، والأجل المسمى عنده: من وقت موته إلى حشره[٣]، ووصفه بـ﴿مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾؛ لأنه استأثر بعلم وقت القيامة.

وقال ابن عباس: ﴿أَجَلًا﴾: أجل الدنيا، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: أجل الآخرة[٤].

وقال مجاهد: ﴿أَجَلًا﴾: الآخرة، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: الدنيا[٥]، بعكس الذي قبله.

قال ابن عباس أيضاً: ﴿أَجَلًا﴾: وفاة الإنسان بالنوم، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: وفاته بالموت[٦].

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ٢٥٥)، والهداية لمكي (٣/ ١٩٥٨).
(٢) انظر الهداية لمكي (٣/ ١٩٥٩)، والتحصيل للمهدوي (٢/ ٢٥٥).
(٣) تفسير الطبري (١١/ ٢٥٧)، والهداية لمكي (٣/ ١٩٥٩).
(٤) صحيح، أخرجه الطبري (١٣٠٥٧)، وابن أبي حاتم (٧٠٩٠)، من طريق سفيان، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به، ولفظة: «أجل» زيادة من الحمزوية في الموضعين.
(٥) تفسير الطبري (١١/ ٢٥٧)، والهداية لمكي (٣/ ١٩٥٩).
(٦) أخرجه الطبري (١٣٠٦٨)، وابن أبي حاتم (٧٠٩٣-٧٠٩٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال ابن زيد: «الأجل» الأول: هو في وقت[١] أخذ الميثاق على بني آدم حين استخرجهم من ظهر آدم[٢]، وبقي أجل واحد مسمى في هذه الحياة الدنيا.

وحكى المهدوي عن فرقة: ﴿أَجَلًا﴾: ما عرف الناس من آجال الأهلة والسنين والكوائن، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: قيام الساعة، وحكي أيضاً عن فرقة: أَجَلاً مسمّى: ما عرفناه من أنه لا نبي بعد محمد ﷺ، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: الآخرة[٣].

قال القاضي أبو محمد: وينبغي أن تتأمل لفظة ﴿قَضَىٰٓ﴾ في هذه الآية، فإنها تحتمل معنيين:

فإن جعلت بمعنى: قدر وكتب، ورجعت إلى سابق علمه وقدره؛ فيقول: إن ذلك ولا بدَّ قبل خلقه آدم من طين، وتخرج ﴿ثُمَّ﴾ من معهودها في ترتيب زمني وقوع القضيتين[٤]، ويبقى لها ترتيب زمني الإخبار عنه، كأنه قال: أخبركم أنه خلقكم من طين، ثم أخبركم أنه قضى أجلاً.

وإن جعلت ﴿قَضَىٰٓ﴾ بمعنى: أوجد وأظهر، ويرجع ذلك إلى صفة فعل، فيصح أن يكون خلق آدم من طين قبل إظهار هذا الأجل وإبدائه، وتكون ﴿ثُمَّ﴾ على بابها في ترتيب زمني وقوع القضيتين.

و﴿تَمۡتَرُونَ﴾ معناه: تشكون، والمِرْية: الشك.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ﴾ على نحو قوله: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ في التوبيخ على سوء الفعل بعد مُهْلة من وضوح الحجج.

---

(١) «وقت»: سقطت من الأصل والحمزوية.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢٥٥)، والنكت والعيون للماوردي (٢/ ٩٣).

(٣) انظر التحصيل للمهدوي (٢/ ٥٥٢).

(٤) في نور العثمانية ولالاليه: «القصتين».

قوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾﴾.

قاعدة الكلام في هذه الآية: أن حلول الله تعالى في الأماكن مستحيل، وكذلك مماسته للأجرام أو محاذاته لها أو تحيزه في جهة؛ لامتناع جواز التقدر[1] عليه تبارك وتعالى، فإذا تقرر هذا فبين أن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ليس على حد قولنا: زيد في الدار، بل هو على وجه من التأويل آخر.

قالت فرقة: ذلك على تقدير صفة محذوفة من اللفظ، ثابتة في المعنى، كأنه قال: وهو الله المعبود في السماوات وفي الأرض[2]، وعبر بعضهم بأن قدر هو الله المدبر للأمر في السماوات وفي الأرض[3].

وقال الزجاج: ﴿فِى﴾: متعلقةٌ بما تضمنه اسم الله تعالى من المعاني، كما يقال: أمير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب[4].

قال القاضي أبو محمد: وهذا عندي أفضل الأقوال، وأكثرها إحرازاً لفصاحة اللفظ وجزالة المعنى، وإيضاحه: أنه أراد أن يدل على خلقه، وإيثار قدرته، وإحاطته، واستيلائه، ونحو هذه الصفات، فجمع هذه كلها في قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: الذي له هذه كلها في السماوات وفي الأرض، كأنه قال: وهو الخالق الرازق المحيي المحيط

---

(١) في المطبوع: «ذلك»، بدل: «التقدر»، وفي الحمزوية: «التقدير»، وفي الأصل ونجيبويه: «التقرر»، وفي العلمية: «التقرب».

(٢) هذا قول ابن الأنباري كما في تفسير السمعاني (٢/ ٨٧).

(٣) انظر النكت للماوردي (٢/ ٩٤).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه له (٢/ ٢٢٨).

في السماوات وفي الأرض، كما تقول: زيد السلطان في الشام والعراق، فلو قصدت ذات زيد لقلت محالاً، وإذا كان مقصد قولك: زيد الآمر الناهي الناقد المبرم الذي يعزل ويولي في الشام والعراق، فأقمت السلطان مقام هذه؛ كان فصيحاً صحيحاً، فكذلك في الآية؛ أقام لفظة ﴿ٱللَّهُ﴾ مقام تلك الصفات المذكورة.

وقالت فرقة: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾: ابتداء وخبر تم الكلام / عنده، ثم استأنف. [٢/ ٧٠]

وتعلق قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بمفعول: ﴿يَعْلَمُ﴾، كأنه قال: وهو الله يعلم سركم وجهركم في السماوات وفي الأرض، فلا يجوز مع هذا التعلق أن يكون (هُوَ) ضمير أمر وشأن؛ لأنه يرفع ﴿ٱللَّهُ﴾ بالابتداء، و﴿يَعْلَمُ﴾: في موضع الخبر، وقد فرق: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ بين الابتداء والخبر، وهو ظرف غريب من الجملة.

ويلزم قائلي هذه المقالة أن تكون المخاطبة بالكاف في قوله: ﴿سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ لجميع المخلوقين الإنس والملائكة؛ لأنَّ الإنس لا سرَّ لهم ولا جهر في السماء، فترتيب الكلام على هذا القول: وهو الله يعلم ـ يا جميع المخلوقين ـ سركم وجهركم في السماوات وفي الأرض.

وقالت فرقة: ﴿وَهُوَ﴾ ضمير الأمر والشأن، و﴿ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: ابتداء وخبر، تم الكلام عنده، ثم ابتدأ كأنه قال: ويعلم في الأرض سركم وجهركم، وهذا القول إذ قد تخلص من لزوم مخاطبة الملائكة فهو مخلص من شبهة الكون في السماء بتقدير حذف «المعبود» أو «المدبر» على ما تقدم.

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ خبر في ضمنه تحذير وزجر، و﴿تَكْسِبُونَ﴾: لفظٌ عامٌّ لجميع الاعتقادات والأفعال والأقوال.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾ الآية (ما): نافية و﴿مِّن﴾ الأولى: هي الزائدة التي تدخل على الأجناس بعد النفي، فكأنها تستغرق الجنس، و﴿مِّن﴾ الثانية: للتبعيض.

و«الآية»: العلامة والدلالة والحجة، وقد تقدَّم القول في وزنها في صدر الكتاب، وتضمنت هذه الآية مذمة هؤلاء الذين يعدلون بالله[١] سواه بأنهم يعرضون عن كل آية ترد عليهم.

ثم اقتضت الفاء في قوله: ﴿فَقَدْ﴾ أن إعراضهم عن الآيات قد أعقب أن كذبوا بالحق، وهو محمد ﷺ، وما جاء به، ثم توعدهم بأن يأتيهم عقاب استهزائهم، و(ما) بمعنى: الذي، ويصح أن تكون مصدريةً، وفي الكلام حذف مضاف تقديره: يأتيهم مضمن أنباء القرآن الذي كانوا به يستهزئون، وإن جعلت (ما) مصدرية فالتقدير: يأتيهم نبأ كونهم مستهزئين؛ أي: عقاب يخبرون أنه على ذلك الاستهزاء، وهذه العقوبات التي توعدوا بها تعم عقوبات الدنيا كبدرٍ وغيرها، وعقوبات الآخرة.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَـٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٦﴾.

هذا حضٌّ على العبرة، والرؤية هنا: رؤية القلب، و﴿كَمْ﴾: في موضع نصب بـ﴿أَهْلَكْنَا﴾، و«القرن»: الأمة المقترنة في مدة من الزمان، ومنه قوله ﷺ: «خير الناس قرني... الحديث»[٢].

واختلف الناس في مدة القرن كم هي؟

فالأكثر على: أنها مئة سنة، ويرجح ذلك الحديث الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «أرأيتكم ليلتكم هذه. فإن على رأس مئة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد»، قال ابن عمر: يريد أنها تخرم ذلك القرن[٣]، وروي أن رسول الله ﷺ

(١) في الحمزوية هنا زيادة: «ورسوله».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١١٦)، ومسلم (٢٥٣٧) من حديث عبد الله بن عمر، وفي الحمزوية: «ابن عبَّاس»، وهو خطأ.

قال لعبد الله ابن بُسْر[١]: «تعيش قرناً»، فعاش مئة سنة[٢].

وقيل: القرن: ثمانون سنة، وقيل: سبعون، وقيل: ستون، وتمسك هؤلاء بالمعترك[٣].

وحكى النقاش: أربعين، وذكر الزهراوي في ذلك أنه عن النبي ﷺ[٤].

وحكى النقاش أيضاً: ثلاثين، وحكى: عشرين، وحكى: ثمانية عشر[٥]، وهذا كله ضعيف، وهذه طبقات وليست بقرون، إنما القرن أن يكون وفاة الأشياخ ثم ولادة الأطفال، ويظهر ذلك من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ وإلى مراعاة

(١) كذا في الحمزوية، وفي المطبوع وأكثر النسخ: «بشر»، وهو عبد الله بن بسر المازني السلمي الحمصي أبو بسر، له ولأبويه وأخويه: عطية والصماء صحبة، وروى عن النبي ﷺ، وعن أبيه وروى عنه أبو الزاهرية، وخالد بن معدان، توفي سنة (٨٨هـ)، الإصابة (٤/ ٢١).

(٢) صحيح بطرقه، أخرجه بهذا اللفظ البخاري في التاريخ الأوسط (١/ ١٨٦)، وفي الكبير (١/ ٣٢٣)، والخلال في السنة (٧٧٥)، والطبراني في الأوسط (٨٤٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٩ ٤/ ٥٤٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٥٠٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧/ ١٥٥-١٥٧)، والضياء في المختارة (٧٢) من طريق محمد بن زياد الألهاني، وأخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٨٩)، والطبري في تاريخه (١/ ٤٩٥)، وابن حبان في الثقات (٤/ ١٢٦)، والدولابي في الكنىٰ (١٤٢٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧/ ١٥٥- ١٥٦) من طريق الحسن بن أيوب الحضرمي، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٤٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧/ ١٥٦) من طريق محمد ابن القاسم الحمصي، جميعهم محمد بن زياد، والحسن، ومحمد بن القاسم، عن عبد الله بن بسر به، وهو صحيح لغيره، والروايات مطولة ومختصرة.

(٣) إشارة إلى حديث: «مُعترك المنايا بين الستين إلى السبعين»، أخرجه أبو يعلى (١١/ ٤٢٢)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٢٦٤) وغيرهم، من طريق محمد بن إسماعيل بن أبي فديك، عن إبراهيم بن الفضل قال: نا المقبري، عن أبي هريرة مرفوعاً، وإبراهيم متروك، وقد روي معناه من غير وجه عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك»، أخرجه الترمذي (٢٣٣١) (٣٥٥٠) وغيره.

(٤) ولم أقف عليه، انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٨٢)، والنكت والعيون للماوردي (٥/ ٧٦) عن إبراهيم.

(٥) انظر: البحر المحيط (٤/ ٤٢٦).

الطبقات وانقراض الناس بها أشار ابن الماجشون في الواضحة في تجويز شهادة السماع في تقادم خمسة عشر عاماً فصاعداً[١].

وقيل: القرن: الزمن نفسه، وهو على حذف مضاف تقديره: من أهل قرن.

والضمير في: ﴿مَّكَّنَّٰهُمۡ﴾: عائدٌ على القرن، والمخاطبة في: ﴿لَّكُمۡ﴾ هي للمؤمنين ولجميع المعاصرين لهم من سائر الناس، فكأنه قال: ما لم نمكن يا أهل هذا العصر لكم، فهذا أَبْيَن ما فيه.

ويحتمل أن يقدر في الآية معنى القول لهؤلاء الكفرة، كأنه قال: يا محمد، قل لهم: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ﴾، وإذا أخبرت أنك قلت لغائب: أو قيل له، أو أمرت أن يقال له، فلك في فصيح كلام العرب أن تحكي الألفاظ المقولة بعينها، فتجيء بلفظ المخاطبة، ولك أن تأتي بالمعنى في الألفاظ بذكر غائب دون مخاطبة.

و﴿ٱلسَّمَآءَ﴾: المطر، ومنه قول الشاعر:

إِذَا نَـزَلَ السَّـمَاءُ بِـأَرْضِ قَـوْمٍ رَعَيْنَـاهُ وَإِنْ كَانُـوا غِضَابـاً[٢] [الوافر]

و﴿مِّدۡرَارٗا﴾: بناء تكثير[٣]، كمذكار ومئناث، ومعناه: يدر عليهم بحسب المنفعة؛ لأن الآية إنما سياقها تعديد النعم وإلا فظاهرها يحتمل النعمة، ويحتمل الإهلاك، وتحتمل الآية أن تراد السماء المعروفة على تقدير: وأرسلنا مطر السماء؛ لأن: ﴿مِّدۡرَارٗا﴾ لا يوصف به إلا المطر.

وقوله تعالى: ﴿فَأَهۡلَكۡنَٰهُم﴾ معناه: فعصوا وكفروا فَأَهْلَكْناهُمْ، و﴿وَأَنشَأۡنَا﴾ اخترعنا وخلقنا، وجمع: ﴿ءَاخَرِينَ﴾ حملاً على معنى القرن.

---

(١) انظر قول ابن الماجشون في: البيان والتحصيل (٩/ ٢٦٠).

(٢) البيت لمعاوية بن مالك بن جعفر العامري، الملقب بمعود الحكماء، كما في سمط اللآلي (١/ ١٢٨)، والأصمعيات (١/ ٢١٤).

(٣) في الأصل ونجيبويه: «تذكير».

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾.

لما أخبر عنهم عز وجل بأنهم كذبوا بكلِّ ما جاءهم من آية؛ تبع ذلك إخبار فيه مبالغة مضمنه: أنه لو جاءهم أشنع مما جاء لكذبوا أيضاً، والمعنى: لَوْ نَزَّلْنا بمرأى منهم عليك كِتاباً - أي: كلاماً - مكتوبا فِي قِرْطاسٍ؛ أي: في صحيفة، ويقال: قرطاس - بضم القاف - فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ؛ يريد: أنهم بالغوا في ميزه وتقليبه؛ ليرتفع كل ارتياب لعاندوا فيه وتابعوا كفرهم، وقالوا: هذا سحر مبين.

ويشبه أن سبب هذه الآية اقتراح عبد الله بن أبي أمية وتعنته؛ إذ قال للنبي ﷺ: لا أؤمن لك حتى تصعد إلى السماء، ثم تنزل بكتاب فيه من رب العزة إلى عبد الله بن أبي أمية، / يأمرني بتصديقك، وما أراني مع هذا كنت أصدقك[1]، ثم أسلم بعد ذلك [٢/ ٧١] عبد الله وقتل شهيداً في الطائف[2].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ الآية، حكاية عمن تشطط من العرب بأن طلب أن ينزل ملك يصدق محمداً في نبوءته، ويعلم عن الله - عزَّ وجلَّ - أنه حق، فرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾، وقال مجاهد: معناه: لقامت القيامة[3].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف.

وقال قتادة، والسدي، وابن عباس رضي الله عنه: في الكلام حذفٌ تقديره: ولو أنزلنا ملكاً، فكذبوا به؛ لقضي الأمر بعذابهم، ولم ينظروا حسبما سلف في كلِّ أمة

---

(١) ضعيف، أخرجه بلفظ مطول عن هذا ابن إسحاق في السيرة (٤/ ١٧٨)، والطبري (١٧/ ٥٥٥) بإسناد ضعيف عن ابن عباس.
(٢) كما تقدم في ترجمته في تفسير الآية (١١٦) من سورة البقرة.
(٣) معاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٠٢)، وتفسير السمعاني (٢/ ٨٩).

اقترحت بآية وكذبت بعد أن ظهرت إليها[١]، وهذا قولٌ حسنٌ.

وقالت فرقة: ﴿لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾؛ أي: لماتوا من هول رؤية الملك في صورته، ويؤيد هذا التأويل ما بعده من قوله: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا﴾؛ فإن أهل التأويل مجمعون على أن ذلك؛ لأنهم لم يكونوا يطيقون رؤية الملك في صورته، [فإذ قد تقرر أنهم لا يطيقون رؤية الملك في صورته][٢]، فالأولى في قوله: ﴿لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾؛ أي: لماتوا في[٣] هول رؤيته، ﴿يُنظَرُونَ﴾ معناه: يؤخرون، والنظرة: التأخير.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَّن﴾ الآية، المعنى: أنَّا لو جعلناه ملكاً لجعلناه ولا بدَّ في خلق رجل؛ لأنهم لا طاقة لهم على رؤية الملك في صورته، وقاله ابن عباس[٤] ومجاهد وقتادة وابن زيد[٥].

قال القاضي أبو محمد: ومما يؤيد هذا المعنى الحديث الوارد عن الرجلين اللذين صعدا على الجبل يوم بدر ليريا ما يكون في حرب النبي ﷺ للمشركين، فسمعا حس الملائكة، وقائلاً يقول في السماء[٦]: أقدم حَيْزُوم، فمات أحدهما لهول ذلك[٧]، فكيف برؤية ملك في خلقته؟ ولا يعارض هذا برؤية النبي ﷺ لجبريل وغيره في صورهم؛ لأن النبي ﷺ أُعطي قوةً غير هذه كلها ﷺ.

﴿وَلَلَبَسۡنَا﴾؛ أي: لخلطنا عليهم ما يخلطون به على أنفسهم وعلى ضعفتهم؛ أي: لفعلنا لهم في ذلك فعلاً ملبساً يطرق لهم إلى أن يلبسوا به، وذلك لا يحسن،

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢٦٧)، وفي المطبوع ولالاليه ونجيبويه: «أظهرت»، بدل: «ظهرت».
(٢) ساقط من الأصل والمطبوع، ونجيبويه، وفي فيض الله: «تقدر»، بدل: «تقرر».
(٣) في الحمزوية والمطبوع ولالاليه: «من».
(٤) أخرجه الطبري (١٣٠٨٤)، وابن أبي حاتم (٧١٢٩) بالإسناد المتقدم.
(٥) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢٦٨ و٢٦٩).
(٦) في فيض الله ولالاليه: «السحاب».
(٧) أخرجه مسلم (١٧٦٣) من حديث عمر بن الخطاب، رضي الله عنه.

ويحتمل الكلام مقصداً آخر؛ أي: للبسنا نحن عليهم كما يلبسون هم على ضعفتهم، فكنا ننهاهم عن التلبيس ونفعله بهم، ويقال: لبس الرجل الأمر يلبسه لبساً: إذا خلطه.

وقرأ ابن مُحيصن: (ولبَّسنا) بطرح اللام وشد الباء[١].

وذكر بعض الناس في هذه الآية: أنها نزلت في أهل الكتاب، وسياق الكلام ومعانيه يقتضي أنها في كفار العرب.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾.

قرئ: ﴿وَلَقَدِ﴾ بضمِّ الدالِ مراعاةً للضمَّة بعد الساكن الذي بعد الدال، وقرئ بكسر الدال على عرف الالتقاء[٢]، وهذه تسلية للنبي ﷺ بالأسوة في الرسل، وتقوية لنفسه على محاجّة المشركين، وإخبار يتضمن وعيد مكذبيه والمستهزئين به.

و(حاق) معناه: نزل وأحاط، وهي مخصوصة في الشر، يقال: حاق يحيق حَيْقاً.

ومنه قول الشاعر:

فَأَوْطَأَ جُرْدَ الْخَيْلِ عُقْرَ دِيارِهم ... وَحَاقَ بِهِمْ مِن بَأْسِ ضَبَّةَ حَائِقُ[٣] [الطويل]

وقال قوم: أصل حاق: حقَّ، فبدلت القاف الواحدة، كما بدلت النون في تظننت.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها له في الكشاف للزمخشري (٢/ ٨)، والكامل للهذلي (ص: ٥٣٨)، وفي المطبوع: «بفتح»، بدل: «بطرح».

(٢) وهما سبعيتان، فنافع وابن كثير وابن عامر والكسائي قرؤوا بضم الدال، والباقون بالكسر، انظر: التيسير (ص: ٧٨).

(٣) لم أقف على قائله، وقد استشهد به أيضاً: أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٧٢)، وابن عادل في اللباب (٨/ ٤٢).

و﴿مَّا﴾ في قوله: ﴿مَّا كَانُواْ﴾: يصح أن تكون بمعنى «الذي»، ويصح أن تكون مع الفعل بتأويل المصدر، كأنه قال: استهزاؤهم، وهذه كناية عن العقوبة، كما تُهدِّد إنساناً فتقول: سيلحقك عملك، المعنى: عاقبته، و﴿سَخِرُواْ﴾ معناه: استهزؤوا.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ﴾ الآية. حض على الاعتبار بآثار من مضى ممن فعل مثل[١] فعلهم، وقال: ﴿كَانَ﴾، ولم يقل: «كانت»؛ لأن تأنيث العاقبة ليس بحقيقي، وهي بمعنى: الآخر والمآل.

ومعنى الآية: سِيرُوا وتلقوا ممن سار؛ لأن تحصيل[٢] العبرة بآثار من مضى إنما يستند إلى حسِّ العين.

قوله عز وجل: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾.

قال بعض أهل التأويل: في الكلام حذف تقديره: قُلْ لِمَنْ ما فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ؟ فإذا تحيروا ولم يجيبوا؛ قل: لله.

وقالت فرقة: المعنى: أنه أمر بهذا السؤال، فكأنهم لما لم يجيبوا ولا تيقنوا سألوا، فقيل له: قل لله.

والصحيح: أن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أمر محمداً ﷺ بقطعهم بهذه الحجة الساطعة والبرهان القطعي الذي لا مدافعة فيه عندهم ولا عند أحد؛ ليعتقد[٣] هذا المعتقد الذي بينه وبينهم ثم يتركب احتجاجه عليه، وجاء ذلك بلفظ استفهام وتقرير في قوله: ﴿لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، والوجه في المحاجّة إذا سأل الإنسان خصمه، بأمر لا يدافعه

(١) سقط من المطبوع.
(٢) سقطت من الأصل.
(٣) في فيض الله: «ليتفقد».

الخصم فيه، أن يسبقه بعد التقرير إليه مبادرة[١] إلى الحجة، كما تقول لمن تريد غلبته بآية تحتج بها عليه: كيف قال الله في كذا؟ ثم تسبقه أنت إلى الآية فتنصها عليه، فكأن النبي ﷺ قال لهم: يا أيها الكافرون العادلون بربهم، لِمَنْ ما فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ؟ ثم سبقهم فقال: لله؛ أي: لا مدافعة في هذا عندكم ولا عند أحد.

ثم ابتدأ يخبر عنه تعالى فقال[٢]: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ معناه: قضاها وأنفذها.

وفي هذا المعنى أحاديث عن النبي ﷺ تتضمن كتب الرحمة، ومعلوم من غير ما موضع من الشريعة أن ذلك للمؤمنين في الآخرة، ولجميع الناس في الدنيا، منها:

أن الله تعالى خلق مئة رحمة، فوضع منها واحدة في الأرض، فبها يتعاطف البهائم، وترفع الفرس رجلها لئلا تطأ ولدها، وبها تتعاطف الطير والحيتان، وعنده تسع وتسعون رحمة، فإذا كان يوم القيامة صير تلك الرحمة مع التسعة/ والتسعين، وبثها في عباده[٣]. [٢/ ٧٢]

قال القاضي أبو محمد: فما أشقى من لم تسعه هذه الرحمات، تغمدنا الله بفضل منه.

ومنها حديث آخر: «أن الله ـ عز وجل ـ كتب عنده كتاباً فهو عنده فوق العرش: أن رحمتي سبقت غضبي»[٤]، ويروى: «نالت غضبي»[٥]، ومعناه: سبقت، وأنشد عليه ثابت ابن قاسم:

أَبَنِي كُلَيْبٍ إِنَّ عَمَّيَّا اللَّذا نَالا الْمُلُوكَ وَفَكَّكَا الأَغْلالا[٦] [الكامل]

---

(١) في السليمانية: «مبالغة».

(٢) زيادة من السليمانية، وهي ملحقة في هامش لالاليه.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٤٦٩)، ومسلم (٢٧٥٢) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧٤٢٢)، ومسلم (٢٧٥١) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٥) حسن، هذا اللفظ أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ١٨) من طريق الحارث بن أبي ذباب، عن عطاء بن مينا، عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٦) البيت للأخطل كما في الكتاب لسيبويه (١/ ١٨٦)، والمحتسب (٢/ ٧٩)، والجمل (١/ ٢٣٥)، والمقتضب (٤/ ١٤٦).

ويتضمن هذا الإخبار عن الله تعالى بأنه كتب الرحمة تأنيسَ الكفار، ونفيَ يأسِهم من رحمة الله إذا تابوا، وأن باب توبتهم مفتوح.

قال الزجاج: ﴿ٱلرَّحۡمَةَ﴾ هنا: إمهال الكفار وتعميرهم ليتوبوا[١].

وحكى المهدوي أن جماعة من النحويين قالت: إن ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ هو تفسير ﴿ٱلرَّحۡمَةَ﴾ تقديره: أن يجمعكم، فيكون ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ في موضع نصب على البدل من ﴿ٱلرَّحۡمَةَ﴾، وهو مثل قوله: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ [يوسف: ٣٥] المعنى: أن يسجنوه[٢].

قال القاضي أبو محمد: يلزم على هذا القول أن تدخل النون الثقيلة في الإيجاب، وهو مردودٌ، وإنما تدخل في الأمر والنهي، وباختصاص من الواجب في القسم.

وقالت فرقة ـ وهو الأظهر ـ: إن اللام لام قسم، والكلام مستأنفٌ، ويتخرج ذلك في: ﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ﴾، وقالت فرقة: ﴿إِلَىٰ﴾ بمعنى: «في»، وقيل: على بابها غاية، وهو الأرجح.

و﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾: لا شكَّ فيه؛ أي: هو في نفسه وذاته لا ريب فيه.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ الآية، قيل: إن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ منادى.

قال القاضي أبو محمد: وهو فاسدٌ؛ لأنَّ حرف النداء لا يسقط مع المبهمات، وقيل: هو نعت المكذبين الذين تقدم ذكرهم، وقيل: هو بدل من الضمير في: ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾[٣].

قال المبرد: ذلك لا يجوز؛ [لأنه إبدال من كاف المخاطبة، وذلك لا يجوز][٤]، كما لا يجوز: مررت بك زيد[٥].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٣١).

(٢) التحصيل (٢/ ٥٦٢)، ونقله القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٣٩٥) بلا تسمية.

(٣) نقله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٢) عن الأخفش.

(٤) زيادة من السليمانية وفيض الله ولالاليه.

(٥) نقله أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٤٤٨)، قال: وما ذكره ابن عطية في الردّ عليه ليس بجيد.

قال القاضي أبو محمد: وقوله في الآية: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ مخالفٌ لهذا المثال؛ لأن الفائدةَ في البدل مترقَّبة[١] من الثاني، وإذا قلت: مررت بك زيد، فلا فائدة في الثاني، وقوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ يصلح لمخاطبة الناس كافة فيفيدنا إبدال ﴿الَّذِينَ﴾ من الضمير أنهم هم المختصون بالخطاب هنا، وخصوا على جهة الوعيد، ويتضح فيها الوعيد إذا جعلنا اللام للقسم، وهو القولُ الصحيحُ، ويجيء هذا بدل البعض من الكل.

وقال الزجاج: ﴿الَّذِينَ﴾: رفع بالابتداء، وخبره: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٢]، وهذا قول حسن.

والفاء في قوله: ﴿فَهُمْ﴾: جواب على القول بأن ﴿الَّذِينَ﴾: رفع بالابتداء؛ لأن معنى الشرط حاصل تقديره: من خسر نفسه فهو لا يؤمن، وعلى القول بأن: ﴿الَّذِينَ﴾: بدل من الضمير هي عاطفة جملة على جملة.

و﴿خَسِرُوا﴾ معناه: غبنوا أنفسهم بأن وجب عليها عذاب الله وسخطه، ومنه قول الشاعر:

لاَ يأْخُذ الرِّشْوَةَ فِي حُكْمِهِ ... ولاَ يُبَالِي غَبَنَ الْخَاسِرِ[٣] [السريع]

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ﴾ الآية، ﴿وَلَهُ﴾ عطف على قوله: ﴿لِلَّهِ﴾، واللام: للملك، و﴿مَا﴾ بمعنى «الذي»، و﴿سَكَنَ﴾ هي من السكنى ونحوه؛ أي: ما ثبت وتقرر، قاله السدي وغيره.

وقالت فرقة: هو من السكون[٤]، وقال بعضهم: لأن الساكن من الأشياء أكثر من المتحرك[٥]، إلى غير هذا من القول الذي هو تخليط.

---

(١) في السليمانية: «مترتبة».

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٣١).

(٣) البيت للأعشى كما في تفسير الطبري (١١/ ٢٨٠)، ومجاز القرآن (١/ ١٨٧).

(٤) انظر القولين في: تفسير الطبري (١١/ ٢٨٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٦٩).

(٥) انظر: النكت والعيون للماوردي (٢/ ٩٧)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/ ١٣).

والمقصد في الآية: عموم كل شيء، وذلك لا يترتب إلا أن يكون ﴿سَكَنَ﴾ بمعنى: استقر وثبت، وإلا فالمتحرك من الأشياء المخلوقات أكثر من السواكن، ألا ترى إلى الفلك والشمس والقمر والنجوم السابحة والملائكة وأنواع الحيوان والليل والنهار حاصران للزمان.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: هاتان صفتان تليقان بنمط الآية من قبل أن ما ذكر قبل من الأقوال الردية عن الكفرة العادلين هو سميع لهم، عليم بمواقعها، مجاز عليها، ففي الضمير وعيد.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾.

قال الطبري وغيره: أمر أن يقول هذه المقالة للكفرة الذين دعوه إلى عبادة أوثانهم(١)، فتجيء الآية على هذا جواباً لكلامهم.

قال القاضي أبو محمد: وهذا التأويلُ يحتاج إلى سندٍ في أن هذا نزل جواباً، وإلا فظاهر الآية لا يتضمنه، والفصيح هو أنه لما قرر معهم أن الله تعالى له ما فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ، وَلَهُ ما سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهارِ، وأنه سميع عليم؛ أمر أن يقول لهم على جهة التوبيخ والتوقيف: أَغَيْرَ هذا الذي هذه صفاته أَتَّخِذُ وَلِيّاً بمعنى أن هذا خطأ ـ لو فعلته ـ بين، وتعطي قوة الكلام أن من فعله من سائر الناس بين الخطأ.

و﴿أَتَّخِذُ﴾: عامل في قوله: ﴿أَغَيْرَ﴾، وفي قوله: ﴿وَلِيًّا﴾ وتقدم أحد المفعولين.

و«الولي»: لفظ عام لمعبود وغير ذلك من الأسباب الواصلة بين العبد وربه.

ثم أخذ في صفات الله تعالى فقال: ﴿فَاطِرِ﴾ بخفض الراء نعت لله تعالى، وفطر معناه: ابتدع وخلق وأنشأ، وفطر أيضاً في اللغة: شق، ومنه: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢٨٢).

فُطُورٖ﴾ [الملك: ٣]؛ أي: من شقوق، ومن هذا انفطار السماء.

وفي هذه الجهة يتمكن قولهم: فطر ناب البعير: إذا خرج؛ لأنه يشق اللثة، وقال ابن عباس: ما كنت أعرف معنى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حتى اختصم إليَّ أعرابيان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها؛ أي: اخترعتها وأنشأتها(١).

قال القاضي أبو محمد: فحمله ابن عباس على هذه الجهة، ويصح حمله على الجهة الأخرى أنه شقَّ الأرض والبئر حين احتفرها.

وقرأ ابن أبي عبلة: (فاطرُ) برفع الراء(٢) على خبر ابتداء مضمر، أو على الابتداء.

﴿يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾: المقصود به يرزق ولا يرزق، وخص الإطعام من أنواع الرزق لمسّ الحاجة إليه وشهرته واختصاصه بالإنسان.

وقرأ يمان العماني وابن أبي عبلة: (يُطعِم)، بضم الياء وكسر العين في الثاني مثل الأول(٣)؛ يعني: الوثن أنه لا يطعم.

وقرأ مجاهد وسعيد بن جبير والأعمش وأبو حيوة وعمرو بن عبيد وأبو عمرو ابن العلاء في رواية عنه في الثاني (ولا يَطعَم) بفتح الياء(٤) على مستقبل: طعم، فهي صفة تتضمن التبرئة(٥)؛ أي: لا يأكل ولا يشبه / المخلوقين. [٢/ ٧٣]

---

(١) جيد، أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٣٤٥)، والطبري (١٣١١١)، والبيهقي في الشعب (١٥٥٩)، وابن عبد البر في التمهيد (١٨/ ٧٨) من طريق مجاهد، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال ابن كثير (١/ ٤٣): إسناده جيد.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظرها في الكامل للهذلي (ص: ٥٣٨).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لابن أبي عبلة في الكامل للهذلي (ص: ٥٣٨)، وزاد الأعمش في رواية جرير، وابن مقسم، والأصمعي عن نافع والنحوي عن يعقوب، وانظر عزوها ليمان في البحر المحيط (٤/ ٤٥٢)، ولم أقف له على ترجمة.

(٤) وهي قراءة شاذة، عزاها النحاس في إعراب القرآن (٢/ ٥)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٣/ ١٩٧٢) لسعيد بن جبير ومجاهد والأعمش، والكرماني في الشواذ (ص: ١٦٥) لعمرو بن عبيد، والبحر المحيط (٤/ ٤٥٢) للباقين.

(٥) في السليمانية وفيض الله ولالاليه: «التنزيه».

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ﴾ إلى ﴿عَظِيمٍ﴾، قال المفسرون: المعنى: أول من أسلم من هذه الأمة وبهذه الشريعة، ولا يتضمن الكلام إلا ذلك.

قالت طائفة: في الكلام حذف تقديره: وقيل لي: ولا تكونن من المشركين.

قال القاضي أبو محمد: وتلخيص الكلام في هذا: أنه ﷺ أمر فقيل له: كن أول من أسلم، ولا تكونن من المشركين، فلما أمر في الآية أن يقول ما أمر به جاء بعض ذلك(١) على المعنى، وبعضه باللفظ بعينه.

ولفظة: ﴿عَصَيْتُ﴾ عامة في أنواع المعاصي، ولكنها هاهنا إنما تشير إلى الشرك الذي نهي عنه، واليوم العظيم: هو يوم القيامة.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ بضم الياء وفتح الراء، والمفعول الذي أسند إليه الفعل هو الضمير العائد على العذاب، فهو مقدر.

وقرأ حمزة، والكسائي، وعاصم أيضاً: ﴿من يَصرِف عنه﴾(٢) فيسند الفعل إلى الضمير العائد إلى ﴿رَبِّي﴾ ويعمل في ضمير العذاب المذكور آنفاً، لكنه مفعول محذوف.

وحكي أنه ظهر في قراءة عبد الله، وهي: (من يصرفه عنه يومئذ)(٣)، وفي قراءة أبيٍّ ابن كعب: (من يصرفه الله عنه)(٤) وقيل: إنها من يصرف الله عنه.

قال أبو علي: وحذف هذا الضمير لا يحسن، كما يحسن حذف الضمير من الصلة، كقوله عز وجل: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١]، وكقوله: ﴿وَسَلَٰمٌ

(١) في الحمزوية: «الكلام».
(٢) فهما سبعيتان، والأولى لحفص، والثانية لشعبة، انظر التيسير (ص: ١٠١)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٥٤).
(٣) لم أجدها لغير المؤلف، وقد نقلها في البحر المحيط (٤/ ٤٥٤) عن أبي.
(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٤٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٧٠)، وتفسير الثعلبي (٤/ ١٣٩).

﴿عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩]، معناه: بعثه واصطفاهم فحسن هذا للطول، كما علله سيبويه، ولا يحسن هذا لعدم الصلة[١].

قال بعض الناس: القراءة بفتح الياء من ﴿يصرف﴾ أحسن؛ لأنه يناسب: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾، وكان الأولى على القراءة الأخرى: فقد رحم؛ ليتناسب الفعلان[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا توجيهٌ لفظيٌّ تعلقه خفيف، وأما بالمعنى فالقراءتان واحد، ورجح قومٌ قراءة ضم الياء؛ لأنها أقل إضماراً، وأشار أبو علي[٣] إلى تحسين القراءة بفتح الياء بما ذكرناه[٤].

وأمَّا مكي بن أبي طالب ـ رحمه الله ـ فتخبط في كتاب الهداية في ترجيح القراءة بفتح الياء، ومثل في احتجاجه بأمثلة فاسدة[٥]، والله ولي التوفيق.

و(رحم): عامل في الضمير المتصل، وهو ضمير ﴿مَّن﴾ ومستند إلى الضمير العائد إلى (ربي)، وقوله: ﴿وَذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى صرف العذاب وإلى الرحمة، والفوز والنجاة.

قوله عز وجل: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾.

﴿يَمْسَسْكَ﴾ معناه: يصبك وينلك، وحقيقة المس: هي بتلاقي جسمين، فكأن الإنسان والضر يتماسان.

و«الضّر» ـ بضم الضاد ـ: سوء الحال في الجسم وغيره، والضَّر ـ بفتح الضاد ـ: ضد النفع، وناب الضر في هذه الآية مناب الشر وإن كان الشر أعم منه فقابل الخير، وهذا

(١) في الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٢٨٦).
(٢) انظر تفسير الطبري (١١/ ٢٨٦).
(٣) في السليمانية: «أبو الحسن».
(٤) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٢٨٦).
(٥) انظر: الهداية لمكي (٣/ ١٩٧٤).

من الفصاحة، [و][(١)] عدول عن قانون التكلف والصنعة، فإن باب التكلف وترصيع الكلام أن يكون الشيء مقترناً بالذي يختص به بنوع من أنواع الاختصاص موافقة أو مضادة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨-١١٩] فجعل الجوع مع العُري، وبابه أن يكون مع الظمأ، ومنه قول امرئ القيس:

[الطويل]

كَأَنِّـي لَـمْ أَرْكَـبْ جـواداً لِلَـذَّةٍ ... وَلَـمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبـاً ذَاتَ خَلْخَالِ
وَلَمْ أَسْـبَأ الزِّقَّ الـرَّوِيَّ وَلَمْ أَقُلْ ... لِخَيْلِـيَ كُرِّي كَرَّةً بَعْـدَ إِجْفَالِ[(٢)]

وهذا كثير، قال السدي: الضر هاهنا: المرض والخير العافية[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا مثالٌ، ومعنى الآية: الإخبار عن أنَّ الأشياء كلَّها بيد الله إنْ ضَرَّ، فلا كاشف لضره غيره، وإن أصاب بخير فكذلك أيضاً، لا رادَّ له ولا مانعَ منه، هذا تقرير الكلام، ولكن وضع بدل «هذا» المقدر لفظاً أعم منه يستوعبه وغيره، وهو قوله: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، ودلَّ ظاهر الكلام على المقدر فيه.

وقوله: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ عموم؛ أي: على كلِّ شيء جائز أن يوصف الله تعالى بالقدرة عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾ الآية؛ أي: وهو عزَّ وجلَّ المستولي المقتدر.

و﴿فَوْقَ﴾: نصب على الظرف لا في المكان، بل في المعنى الذي تضمنه لفظ (القاهر)[(٤)]، كما تقول: زيدٌ فوقَ عمرٍو في المنزلة، وحقيقة «فوق» في الأماكن، وهي في المعاني مستعارةٌ شبّه بها من هو أرفع رتبةً في معنى ما، لما كانت في الأماكن تنبئ

(١) زيادة من السليمانية.

(٢) البيتان من قصيدة هي الثانية في ديوانه مطلعها: ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي، عزاها له في أساس البلاغة (١/ ٤٣)، وتهذيب اللغة (٤/ ٤١٥)، وسمط اللآلي (١/ ٣٠٢)، والإجفال: الإسراع، مصدر أجفل بمعنى: مضى مسرعاً.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٣٤٩)، والنكت والعيون للماوردي (٢/ ٩٩).

(٤) في لالاليه: «العموم»، مع الإشارة إلى النسخة الأخرى في هامشه.

حقيقة عن الأرفع، وحكى المهدوي: أنها بتقدير الحال[١]، كأنه قال: وهو القاهر غالباً.

قال القاضي أبو محمد: وهذا لا يسلم من الاعتراض أيضاً، والأولُ عندي أصوبُ.

و«العباد» بمعنى: العبيد، وهما جمعان للعبد؛ أمَا إنا نجد ورود لفظة «العباد» في القرآن وغيره في مواضع تفخيم أو ترفيع أو كرامة، وورود لفظة «العبيد» في تحقير أو استضعاف أو قصد ذم، ألا ترى قول امرئ القيس:

قُـولاَ لِـدُودَانَ عَبِيـدِ الْعَصَـا[٢] .... [السريع]

ولا يستقيم أن يقال هنا: «عباد العصا»، وكذلك الذين سموا العباد، لا يستقيم أن يقال لهم: العبيد؛ لأنهم أفخم من ذلك، وكذلك قول حمزة رضي الله عنه: وهل أنتم إلا عبيد لأبي[٣]، لا يستقيم فيه عباد.

و﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ بمعنى: المحكم، و﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: دالَّةٌ على مبالغة العلم، وهما وصفان مناسبان لنمط[٤] الآية.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿أَىُّ﴾: استفهام، وهي معربة مع إبهامها، وإنما كان ذلك؛ لأنها تلتزم الإضافة، ولأنها تتضمن علم جزء من المستفهم عنه غير معين؛ لأنك إذا قلت: أي الرجلين جاءنا؟ فقد كنت

(١) انظر التحصيل للمهدوي (٢/ ٥٦٤).

(٢) وعجزه: ما غركم بالأسد الباسل، وانظر عزوه له في البيان والتبيين (١/ ٤٢٨)، والعقد الفريد (٣/ ٣٠٤).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٠٠٣)، ومسلم (١٩٧٩)، في قصة طويلة من حديث علي بن أبي طالب، رضي الله عنه.

(٤) في الحمزوية والسليمانية ولالاليه: «لفظ»، وأشار للنسخة الأخرى في هامشها.

تعلم أن أحدهما جاء غير معين، فأخرجها هذان الوجهان عن غَمْرة الإبهام فأعربت.

وتتضمن هذه الآية أن الله ـ عز وجل ـ يقال عليه: شَيْء، كما يقال عليه: موجود، ولكن ليس كمثله ـ تبارك وتعالى ـ شيء.

و﴿شَهَٰدَةً﴾: نصب على التمييز، ويصح على المفعول بأن يحمل: ﴿أَكْبَرُ﴾ على التشبيه بالصفة المشبهة باسم الفاعل، وهذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢] في أن استفهم على جهة التوقيف، والتقدير[١]: ثم بادر [٢/ ٧٤]
إلى الجواب؛ إذ لا تتصور فيه مدافعة، وهذا كما تقول لمن تخاصمه وتتظلم منه: من أقدر من في البلد ثم تبادر، وتقول: السلطان فهو يحول بيننا، ونحو هذا من الأمثلة، فتقدير الآية: أنه قال لهم: أي شيء أكبر شهادة، [الله أكبر شهادة][٢]، فهو شهيد بيني وبينكم، فـ﴿ٱللَّهُ﴾ رفع بالابتداء، وخبره مضمر يدل عليه ظاهر الكلام، كما قدرناه، و﴿شَهِيدُۢ﴾: خبر ابتداء مضمر.

وقال مجاهد: المعنى: أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: قل لهم: أي شيء أكبر شهادة؟ وقل لهم: الله شهيد بيني وبينكم، لما عيوا عن الجواب[٣]، فـ﴿شَهِيدُۢ﴾ على هذا التأويل خبر ﴿ٱللَّهُ﴾، وليس في هذا التأويل مبادرة من السائل إلى الجواب المراد بقوله: ﴿شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾؛ أي: في تبليغي وكفركم.

وقرأت فرقة: (وأوحى إليَّ هذا القرآنَ) على الفعل الماضي، ونصب (القرآنَ)[٤]، وفي (أوحى) ضميرٌ عائدٌ على الله تعالى من قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾.

وقرأت فرقة: ﴿وَأُوحِيَ﴾ على بناء الفعل للمفعول، (القرآنُ) رفعاً، ﴿لِأُنذِرَكُم﴾ معناه: لأخوفكم به العقاب والآخرة.

---

(١) في السليمانية وفيض الله ولالاليه: «والتقرير».

(٢) ساقط من الأصل ونجيبويه.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢٨٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٧١)

(٤) وهي قراءة شاذة، قرأ بها أبو نهيك، كما في مختصر الشواذ (ص: ٤٢٩)، والشواذ للكرماني (ص: ١٦٥)، والقراءة الأخرى هي المتواترة.

﴿وَمَنۢ﴾: عطف على الكاف والميم في قوله: ﴿لِأُنذِرَكُم﴾، و﴿بَلَغَ﴾ معناه ـ على قول الجمهور ـ: بلاغ القرآن؛ أي: لأنذركم وأنذر من بلغه، ففي ﴿بَلَغَ﴾ ضمير محذوف؛ لأنه في صلة (مَنْ)، فحذف لطول الكلام.

وقالت فرقة: ومن بلغ الحلم[١]، ففي ﴿بَلَغَ﴾ على هذا التأويل ضمير مقدَّر راجع إلى (مَنْ)، وروي في معنى التأويل الأول أحاديث:

منها: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يا أيها الناس، بلغوا عني ولو آية؛ فإنه من بلغ آية من كتاب الله تعالى فقد بلغه أمر الله تعالى أخذه أو تركه»[٢]، ونحو هذا من الأحاديث، كقوله: «من بلغه هذا القرآن فأنا نذيره»[٣].

وقرأت فرقة: ﴿آاينكم﴾ بزيادة ألف بين الهمزة الأولى والثانية المسهلة، عاملة بعد التسهيل العاملة قبل التسهيل، وقرأت فرقة: ﴿أينكم﴾ بهمزتين الثانية مسهلة دون ألف بينهما، وقرأت فرقة: ﴿أائنكم﴾ استثقلت اجتماع الهمزتين، فزادت ألفاً بين الهمزتين، وقرأت فرقة: (إنكم) بالإيجاب[٤] دون تقدير، وهذه الآية مقصدها التوبيخ وتسفيه الرأي.

و﴿أُخۡرَىٰ﴾: صفة لـ﴿ءَالِهَةً﴾، وصفة جمع ما لا يعقل تجري في الإفراد مجرى الواحدة المؤنثة، كقوله: ﴿مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ﴾ [طه: ١٨]، وكذلك مخاطبته جمع ما لا يعقل، كقوله: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠]، ونحو هذا، ولما كانت هذه الآلهة حجارةً وعيداناً أجريت هذا المجرى.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢٩٠ و٢٩١)، وتفسير السمعاني (٢/ ٩٣)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٦١).

(٢) أخرجه الطبري (١٣١١٨-١٣١١٩)، وابن أبي حاتم (٧١٦٦) بإسناد حسن عن قتادة مرسلًا.

(٣) أخرج الطبري في التفسير (١٣١٢٤) من طريق أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي عن محمد بن كعب القرظي قال: في قوله: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾، قال: من بلغه القرآن، فقد أبلغه محمد ﷺ، وأبو معشر ضعيف الحديث.

(٤) لعل المقصود بالإيجاب الخبر؛ أي: عدم الاستفهام، وهي قراءة شاذة، والثلاث قبلها سبعية، الأولى لقالون وأبي عمرو، والثانية لورش وابن كثير، والثالثة لهشام، وبقيت رابعة سبعية أيضاً بتحقيقهما بلا ألف للباقين، انظر التيسير (ص: ٣٢).

ثم أمره الله تعالى أن يعلن[١] بالتبري من شهادتهم، والإعلان بالتوحيد لله عز وجل والتبري من إشراكهم.

و(إنّني): إيجاب ألحقت فيه النون التي تلحق الفعل؛ لتبقى حركته عند اتصال الضمير به في قولك: ضربني ونحوه، وظاهر الآية: أنها في عبدة الأصنام.

وذكر الطبريُّ أنه قد ورد من وجه لم يثبت صحته أنها نزلت في قوم من اليهود، وأسند إلى ابن عباس قال: جاء النحَّام بن زيد، وفَرْدَم بن كعب، وبَحْري بن عمرو[٢]، فقالوا: يا محمد، ما تعلم مع الله إلهاً غيره؟ فقال لهم: «لا إله إلا الله، بذلك أمرت»، فنزلت الآية فيهم[٣].

قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: رفع بالابتداء، وخبره: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ معناه: التوراة والإنجيل، وهو لفظٌ مفردٌ يدلُّ على الجنس، والضمير في: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾: عائدٌ في بعض الأقوال على التوحيد؛ لقرب قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الأنعام: ١٩]، وهذا استشهاد في ذلك على كفرة قريش، والعرب ليسوا[٤] بأهل الكتاب، و﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟﴾ على هذا التأويل منقطع مرفوع بالابتداء، وليس من صفة: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأولى؛ لأنه لا يصح أن يستشهد بأهل الكتاب ويذمون في آية واحدة.

---

(١) «أن يعلن»: سقط من المطبوع.

(٢) هؤلاء الثلاثة من اليهود، وفي نور العثمانية: «قردم» بالقاف، وكذا في ابن هشام (١/ ٥١٥)، وذكر أنه هو والنحام من بني قريظة، وسماه في (١/ ٥٦٠) كردماً بالكاف، وذكر أنه حليف كعب بن الأشرف، وذكر (١/ ٥١٤) أن بحرياً من بني قينقاع.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١١/ ٢٩٣) (١٣١٢٩) من طريق محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس به، وأخرجه ابن حاتم في تفسيره (٧١٦٨)، عن محمد ابن أبي محمد مرسلاً، ومحمد بن أبي محمد مجهول.

(٤) زيادة من السليمانية.

قال القاضي أبو محمد: وقد يصح ذلك؛ لاختلاف ما استشهد فيه بهم وما ذموا فيه، وأنَّ الذمَّ والاستشهاد ليس من جهة واحدة.

وقال قتادة، والسدي، وابن جريج: الضمير عائد في: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ على محمد ﷺ ورسالته[١]، وذلك على ما في قوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم﴾، فكأنه قال: وأهل الكتاب يعرفون ذلك من إنذاري والوحي إليَّ.

وتأول هذا التأويل عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يدل على ذلك قوله لعبد الله ابن سلام: إن الله أنزل على نبيه بمكة أنكم تعرفونه كما تعرفون أبناءكم، فكيف هذه المعرفة؟ فقال عبد الله بن سلام: نعم أعرفه بالصفة التي وصفه الله في التوراة، فلا أشك فيه، وأما ابني فلا أدري ما أحدثت أمه[٢].

قال القاضي أبو محمد: وتأول ابن سلام رضي الله عنه المعرفة بالابن تحقق صحة نسبه، وغرض الآية: إنما هو الوقوف على صورته فلا يخطئ الأب فيها.

وقالت فرقة: الضمير من: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾: عائدٌ على القرآن المذكور قبلُ[٣].

قال القاضي أبو محمد: ويصح أن تعيد الضمير على هذه كلها دون اختصاص، كأنه وصف أشياء كثيرة، ثم قال: أهل الكتاب يَعْرِفُونَهُ؛ أي: ما قلنا وما قصصنا[٤].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ﴾ الآية، يصح أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾: نعتاً تابعا لـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ قبله، والفاء ـ على هذا ـ من قوله: ﴿فَهُمۡ﴾: عاطفة جملة على جملة، وهذا يحسن

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢٩٥)، وروى قول قتادة ابن أبي حاتم أيضاً، تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٧٢)، وتفسير السمعاني (٢/ ٩٣)، والنكت والعيون للماوردي (٢/ ١٠٠)، والهداية لـمكي (٣/ ١٩٨٢).

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٤/ ١٤٠)، عن محمد السائب الكلبي.

(٣) انظر: معاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٠٧)، وتفسير السمعاني (٢/ ٩٣)، والنكت والعيون (٢/ ١٠١)، والهداية لمكي (٣/ ١٩٨٢).

(٤) في نور العثمانية: «نصصنا».

على تأويل من رأى في الآية قبلها أن أهل الكتاب متوعدون مذمومون لا مستشهد بهم، ويصح أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ رفعاً بالابتداء على استئناف الكلام، وخبره: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، والفاء على هذا جواب، و﴿خَسِرُوٓاْ﴾ معناه: غُبِنوها[١]، وقد تقدم.

وروي أنَّ كلَّ عبدٍ له منزل في الجنة ومنزل في النار، فالمؤمنون ينزلون منازلَ أهل الكفر في الجنة، والكافرون ينزلون منازل أهل الجنة في النار[٢]، فهاهنا هي الخسارة بينة والربح للآخرين.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ (مَنْ): استفهام مضمنه التوقيف والتقرير؛ أي: لا أحد أظلم ممن افترى.

[٢/ ٧٥] و﴿ٱفْتَرَىٰ﴾ معناه: اختلق، والمكذب بالآيات / مفتري كذِبٍ[٣]، ولكنهما مَنْحَيان من الكفر؛ فلذلك نصا مفسرين، و«الآيات»: العلامات والمعجزات ونحو ذلك.

ثم أوجب أنَّهُ ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، و«الفلاح»: بلوغ الأمل والإرادة والنجاح.

ومنه قول عبيد:

[مخلع البسيط] أَفْلِحْ بِمَا شِئْتَ فَقَدْ يُبْلَغُ بِالضَّعْـ ـفِ وَقَـدْ يُـخْـدَعُ الأَرِيــبُ[٤]

---

(١) في الحمزوية ولالاليه: «غبنوا».

(٢) أصل هذا الخبر متفق عليه، عند البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠) من حديث أنس، رضي الله عنه، قال: قال نبي الله ﷺ: «إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم»، قال: «يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟» قال: «فأما المؤمن، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله»، قال: «فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة»، قال نبي الله ﷺ: «فيراهما جميعاً»، وأخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٠٢) من قول السدي قال: ليس من كافر ولا مؤمن إلا وله في الجنة والنار منزل، فإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ودخلوا منازلهم، رفعت الجنة لأهل النار فنظروا إلى منازلهم فيها، فقيل لهم: هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله، ثم يقال: يا أهل الجنة، رِثوهم بما كنتم تعملون، فيقسم بين أهل الجنة منازلهم.

(٣) في المطبوع: «مفترٍ كذّاب».

(٤) انظر عزوه له في الطبري (١/ ٢٥٠)، ومجاز القرآن (١/ ٣٠)، والأغاني (٢/ ١٥٩)، والحيوان (٣/ ٨٩).

قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

قالت فرقة: ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، كلام تام معناه لا يفلحون جملة، ثم استأنف فقال: واذكر يوم نحشرهم.

وقال الطبري: المعنى: لا يفلح الظالمون اليوم في الدنيا، ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾: عطفاً على الظرف المقدر، والكلام متصل[(١)].

وقرأت طائفة: ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾، و﴿نَقُولُ﴾ بالنون، وقرأ حميد ويعقوب فيهما بالياء[(٢)].

وقرأ عاصم هنا وفي يونس قبل الثلاثين: ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾، و﴿نَقُولُ﴾ [يونس: ٢٨]، بالنون، وقرأ في باقي القرآن بالياء[(٣)].

وقرأ أبو هريرة: (نَحْشِرهم) بكسر الشين[(٤)]، فيجيء الفعل على هذا: حشر يحشر ويحشر، وأضاف الشركاء إليهم؛ لأنه لا شركة لهم في الحقيقة بين الأصنام وبين شيء، وإنما وقع عليها اسم الشريك بمجرد تسمية الكفرة، فأضيفت إليهم لهذه النسبة.

و﴿تَزْعُمُونَ﴾ معناه: تدعون أنهم لله.

و«الزعم»: القول الأميل إلى الباطل والكذب في أكثر كلامهم، وقد يقال: زعم بمعنى: ذكر دون ميل إلى الكذب، وعلى هذا الحدِّ يقول سيبويه: زعم الخليل، ولكن

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢٩٧).

(٢) وهي عشرية، انظر عزوها ليعقوب في النشر (٢/ ٢٩٠)، ولحميد في البحر المحيط (٤/ ٤٦٤).

(٣) وهي سبعية من رواية حفص عنه، وبقي موضع ثالث وهو في الآية (٤٠) من سورة سبأ، انظر: التيسير (ص: ١٠١).

(٤) كذا في جميع النسخ، والصواب ابن هرمز، وهو الأعرج، انظر عزوها له في المحتسب (٢/ ١١٩)، والشواذ للكرماني (ص: ١٦٥).

ذلك إنما يستعمل في الشيء الغريب الذي تبقى عهدته على قائله.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ الآية، قرأ ابن كثير في رواية شبل عنه وعاصم في رواية حفص وابن عامر: ﴿تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ برفع الفتنة، و﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ في موضع نصب على الخبر التقدير: إلا قولهم، وهذا مستقيم؛ لأنه أنث العلامة في الفعل حين أسنده إلى مؤنث، وهي الفتنة.

وقرأ نافع وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر وابن كثير أيضاً: ﴿تَكُن فِتْنَتَهُم﴾ بنصب الفتنة[١]، واسم «كان»: ﴿أَن قَالُواْ﴾، وفي هذه القراءة تأنيث: ﴿أَن قَالُواْ﴾، وساغ ذلك من حيث كان الفتنة في المعنى.

قال أبو علي: وهذا كقوله تعالى: ﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فأنث «الأمثال» لما كانت الحسنات بالمعنى[٢].

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿يكن﴾ بالياء، ﴿فتنتَهم﴾ بالنصب، واسم «كان»: ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ وهذا مستقيمٌ؛ لأنه ذكر علامة الفعل حين أسنده إلى مذكر.

قال الزهراوي: وقرأت فرقة: (يكن فتنتُهم) برفع الفتنة[٣]، وفي هذه القراءة إسناد فعل مذكر بعلامة[٤] إلى مؤنث، وجاز[٥] ذلك بالمعنى؛ لأن الفتنة بمعنى الاختبار، أو المودة في الشيء والإعجاب.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٠١)، إلا أن النصب عن ابن كثير ليس من طرقه، لكنه في السبعة في القراءات (ص: ٢٥٤).

(٢) في الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٢٨٦).

(٣) وهي قراءة شاذة، قرأ بها المفضل عن عاصم والأعمش كما في مختصر الشواذ (ص: ٤٢)، والهداية لمكي (٣/ ١٩٨٤).

(٤) في الحمزوية والسليمانية وفيض الله ولالاليه ونجيبويه: «العلامة».

(٥) في المطبوع: «وجاء».

وقرأ أبي بن كعب[١] وابن مسعود والأعمش: (وما كان فتنتهم)[٢]، وقرأ طلحة ابن مصرف: (ثم ما كان فتنتهم)[٣].

و«الفتنة» في كلام العرب: لفظة مشتركة تقال بمعنى: حب الشيء والإعجاب به، كما تقول: فتنت بكذا، وتحتمل الآية هنا هذا المعنى؛ أي: لم يكن حبهم للأصنام وإعجابهم بها واتباعهم لها لما سئلوا عنها ووقفوا على عجزها، إلا التبري منها، والإنكار لها، وهذا توبيخ لهم، كما تقول لرجل كان يدعي مودة آخر ثم انحرف عنه وعاداه: يا فلان لم تكن مودتك لفلان إلا أن شتمته وعاديته.

وتقال الفتنة في كلام العرب بمعنى: الاختبار، كما قال عز وجل لموسى ـ عليه السلام ـ: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا﴾ [ص: ٣٤].

وتحتمل الآية هاهنا هذا المعنى؛ لأن سؤالهم عن الشركاء وتوقيفهم اختبار، فالمعنى: ثم لم يكن اختبارنا لهم؛ إذ لم يفد ولا أثمر، إلا إنكارهم الإشراك، وتجيء الفتنة في اللغة على معان غير هذين لا مدخل لها في الآية، ومن قال: إن أصل الفتنة الاختبار من فتنت الذهب في النار، ثم يستعار بعد ذلك في غيره؛ فقد أخطأ؛ لأن الاسم لا يحكم عليه بمعنى الاستعارة حتى يقطع باستحالة حقيقته في الموضع الذي استعير له، كقول ذي الرمة:

.... وَلَفَّ الثُّرَيَّا فـي مُلاءَتِهِ الْفَجْرُ[٤] [الطويل]

ونحوه، والفتنة لا يستحيل أن تكون حقيقة في كل موضع قيلت عليه.

---

(١) في المطبوع: «أبي بن وكيع».

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: الهداية لمكي (٣/ ١٩٨٤)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٦)، وكتاب المصاحف (ص: ١٧٦).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٤٦٥)، وسقطت «ما» من الأصل والمطبوع.

(٤) وصدره: أقامت به حتى ذوى العود في الثرى، انظر عزوه له في الأغاني (٥/ ٢٥١)، وجمهرة اللغة (١/ ٢٣٤).

وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا﴾ خفض على النعت لاسم الله، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿ربَّنا﴾ نصب على النداء[١]، ويجوز فيه تقدير نصب المدح.

وقرأ عكرمة وسلام بن مسكين[٢]: (واللهُ ربُّنا) برفع الاسمين[٣]، وهذا على تقدير تقديم وتأخير، كأنهم قالوا: ما كنا مشركين والله ربنا.

و﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ معناه: جحود إشراكهم في الدنيا، فروي أنهم إذا رأوا إخراج من في النار من أهل الإيمان ضجوا، فيوقفون ويقال لهم: أين شركاؤكم؟ فينكرون طماعية منهم أن يفعل بهم ما فعل بأهل الإيمان.

وأتى رجل ابن عباس فقال: سمعت الله يقول: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وفي أخرى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، فقال ابن عباس: لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن قالوا: تعالوا فلنجحد، وقالوا: ما كنا مشركين، فختم الله على أفواههم، وتكلمت جوارحهم، فلا يكتمون الله حديثاً[٤].

قال القاضي أبو محمد: وعبَّر بعض المفسرين عن الفتنة هنا بأن قالوا: معذرتهم،

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٠٢)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٥٥).

(٢) سلام بن مسكين، أبو روح الأزدي، النمري، البصري، روى عن الحسن، وثابت، وقتادة، وعدة، وعنه: أبو نعيم، ومسلم بن إبراهيم، وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، توفي في آخر سنة (١٦٧هـ)، تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٤٢).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٤٢).

(٤) حسن، هذا الأثر أخرجه ابن جرير الطبري (٧/ ٤٢)، وابن أبي حاتم (٥٣٤٨-٧١٨٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٠٦) من طريق عمرو بن أبي قيس، عن مطرف بن طريف، عن المنهال ابن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، فذكره، وأخرجه البخاري معلقاً كما في الفتح (٨/ ٥٥٥-٥٥٦)، والطبراني في الكبير (١٠٥٩٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٠٩)، من طريق المنهال بن عمرو به مطولاً، ومن طريق الطبراني أخرجه الحافظ في تغليق التعليق (٤/ ٣٠١).

قاله قتادة، وقال آخرون: كلامهم، قاله الضحاك[١]، وقيل غير هذا مما هو كله في ضمن ما ذكرناه.

وقوله تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ﴾ الآية، الخطاب لمحمد ﷺ، والنظر نظر القلب، وقال: (كذبوا) في أمر لم يقع؛ إذ هي حكاية عن[٢] يوم القيامة، فلا إشكال في استعمال الماضي فيها موضع المستقبل، ويفيدنا استعمال الماضي تحقيقاً ما في الفعل وإثباتاً له، وهذا مَهْيَع في اللغة، ومنه قول الربيع بن ضبع الفزاري:

أَصْبَحْتُ لا أحملُ السِّلاحَ وَلا أَمْلِكُ رَأسَ البَعيرِ إِنْ نَفَرَا[٣] [المنسرح]

يريد: أن ينفر.

و(ضلّ عنهم) معناه: ذهب افتراؤهم في الدنيا، وكذبهم بادعائهم لله تبارك وتعالى الشركاء.

قوله عز وجل: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٥﴾. [٢/ ٧٦]

الضمير في قوله: ﴿وَمِنۡهُم﴾: عائدٌ على الكفار الذين تضمنهم قبل قوله: ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا﴾ [الأنعام: ٢٢]، وأفرد ﴿يَسۡتَمِعُ﴾ وهو فعل جماعة حملاً على لفظ: ﴿مَّن﴾.

و﴿أَكِنَّةً﴾ جمع: كنان، وهو الغطاء الجامع، ومنه كنانة السهام، والكنُّ، ومنه قوله تعالى: ﴿بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ﴾ [الصافات: ٤٩]، ومنه قول الشاعر:

إِذَا مَا انْتَضَوْهَا فِي الْوَغَى مِنْ أَكِنَّةٍ حَسِبْتَ بُرُوقَ الْغَيْثِ هَاجَتْ غُيومُهَا[٤] [الطويل]

---

(١) انظر القول الأول في تفسير الطبري (١١/ ٢٩٩) والثاني في تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٧٣).

(٢) «عن» سقطت من المطبوع.

(٣) تقدم في تفسير الآية (١٠٣) من (آل عمران).

(٤) استشهد به في البحر المحيط (٤/ ٤٦٨)، بلا نسبة، ولم أعرف قائله.

وفعال وأفعلة مَهْيَع في كلامهم.

و﴿أَن يَفۡقَهُوهُ﴾: نصب على المفعول من أجله؛ أي: كراهية أن يفقهوه، وقيل: المعنى أن لا يفقهوه، ويلزم هذا القول إضمار حرف النفي.

و﴿يَفۡقَهُوهُ﴾ معناه: يفهموه، ويقال: فقِه الرجل ـ بكسر القاف ـ: إذا فهم الشيء، وفقُه بضمها: إذا صار فقيهاً له ملكة، وفقَه: إذا غلب في الفقه غيره.

و«الوَقْر»: الثقل في السمع، يقال: وقرت أذنه، ووقرت بكسر القاف وفتحها، ومنه قول الشاعر:

[الرمل] وَكَـــلامٍ سَـيِّـئٍ قَـــدْ وُقِــرَتْ أُذُنـي مِنْـهُ وَمَـا بِي مِـنْ صَمَمْ[1]

وقد سُمع: أذن موقورة، فالفعل على هذا: وقرت.

وقرأ طلحة بن مصرف: (وِقراً) بكسر الواو[2]، كأنه ذهب إلى أن آذانهم وقرت بالصمم، كما توقر الدابة من الحمل، وهي قراءة شاذة.

وهذا عبارة عما جعل الله في نفوس هؤلاء القوم من الغلط والبعد عن قبول الخير، لا أنهم لم يكونوا سامعين لأقواله.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٍ﴾ الآية، الرؤية هنا رؤية العين؛ يريد: كانشقاق القمر وشبهه.

قال القاضي أبو محمد: ومقصد هذه الآية: أنهم في أعجز درجة، وحاولوا ردّ الحق بالدعوى المجردة.

والواو في قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا﴾: واو الحال، والباب أن يصرح معها بـ«قد»، وقد تجيء أحياناً مقدرة، وإيضاح ذلك أنه تعالى قال: ومن هؤلاء الكفرة من يستمعك وهو

---

(١) البيت للمثقب العبدي، واسمه عائذ بن محصن، عزاه له الضبي في المفضليات (ص: ٥٣)، وخزانة الأدب (٩/ ١٣٢).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٤٢).

من الغباوة في حد قلبه في كنان وأذنه صماء، وهو يرى الآيات فلا يؤمن بها، لكنه مع بلوغه الغاية من هذه القصور[١] إذا جاء للمجادلة قابل بدعوى مجردة.

و«المجادلة»: المقابلة في الاحتجاج، مأخوذ من الجدل، وهذا في قولهم إشارة إلى القرآن.

و«الأساطير»: جمع أسْطار، كأقوال وأقاويل ونحوه، وأسطار جمع سَطْر أو سَطَر، وقيل: الأساطير جمع أسطارة، وهي الترهات، وقيل: جمع أسطورة، كأعجوبة وأضحوكة، وقيل: هو اسم جمع لا واحد له من لفظه، كعبابيد وشماميط.

والمعنى: أخبار الأولين وقصصهم وأحاديثهم التي تسطر وتحكى ولا تحقق، كالتواريخ، وإنما شبهها الكفار بأحاديث النضر بن الحارث، وأبي عبد الله بن أبي أمية عن رُسْتُم والسندباد[٢]، ومجادلة الكفار كانت مرادَّتهم نورَ الله بأفواههم المبطلة.

وقد ذكر الطبري عن ابن عباس أنه مثل من ذلك قولهم: إنكم أيها المتبعون محمداً تأكلون ما قتلتم بذبحكم، ولا تأكلون ما قتل الله[٣]، ونحو هذا من التخليط الذي لا تتركب منه حجة.

[قال القاضي أبو محمد: وهذا جدال في حكم، والذي في الآية إنما هو جدال في مدافعة القرآن، فلا تتفسر الآية عندي بأمر الذبح][٤].

قوله عز وجل: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

---

(١) في السليمانية: «المقصود».

(٢) في نور العثمانية: «اسبنديار»، ولعل الصواب: «اسفندبار»، وهو ورستم من ملوك فارس القديمة، انظر تاريخ الطبري (١/ ٥٦٢).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٣١٠) (١٣١٥٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما.

(٤) سقط من الأصل.

الضمير في قوله: ﴿وَهُمْ﴾: عائدٌ على المذكورين قبل، والضمير في: ﴿عَنْهُ﴾؛ قال قتادة ومجاهد: يعود على القرآن المتقدم ذكره في قوله: ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾، وقال ابن عباس[١] وابن الحنفية والضحاك: هو عائدٌ على محمد ﷺ[٢]، والمعنى: أنهم ينهون غيرهم ويبعدون هم بأنفسهم.

و«النأي»: البعد، ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ﴾، معناه: ما يهلكون إلا أنفسهم بالكفر الذي يدخلهم جهنم، وقال ابن عباس ـ أيضاً ـ والقاسم [بن أبي برَّة][٣]، وحبيب بن أبي ثابت[٤]، وعطاء ابن دينار: المراد بقوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ أبو طالب ومن كان معه على حماية رسول الله ﷺ، وعلى الدوام في الكفر[٥]، والمعنى: وهم ينهون عنه من يريد إذايته، ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ بإيمانهم واتباعهم، فهم يفعلون الشيء وخلافه، ويقلق على هذا القول رد قوله: ﴿وَهُمْ﴾ على جماعة الكفار المتقدم ذكرها [لا جميعهم][٦]؛ لأن جميعهم لم يكن ينهى عن إذاية النبي ﷺ.

---

(١) هذا الأثر أخرجه ابن جرير الطبري (٩/ ٢٠١)، وابن أبي حاتم (٧٢٠٠-٧٢٠٧) من طريق عبد الله ابن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، فذكره.

(٢) انظر عزو القول في تفسير الطبري (١١/ ٣١٢)، والثاني في تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٧٧).

(٣) زيادة من السليمانية وفيض الله، وسيأتي مصرحاً به في (سورة لقمان).

(٤) هو حبيب بن أبي ثابت قيس بن دينار، الكوفي أحد الأعلام، روى عن: ابن عباس، وابن عمر، وأنس، وعنه: مسعر، وشعبة، وحمزة وآخرون، قال غير واحد: حبيب ثقة، توفي سنة (١٢٢هـ)، أو قبلها بقليل، تاريخ الإسلام (٧/ ٣٤١).

(٥) الصحيح: أنه منقطع، أخرجه الطبري (١١/ ٣١٤) (١٣١٧٠-١٣١٧١-١٣١٧٢)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٠٦)، وابن سعد في الطبقات (١/ ١٢٣)، وابن أبي حاتم (٧١٩٩-٧٢٠٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٤٠) من طريق الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عمن سمع من ابن عباس به، وعند الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٥) من رواية بكر بن بكار، ثنا حمزة بن حبيب، عن حبيب ابن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وبكر ضعيف، وعند الطبراني في الكبير (١٢٦٨٢) من طريق قيس بن الربيع، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ابن عباس، وقيس ليس بعمدة، والأصح رواية الثوري.

(٦) زيادة من الحمزوية.

قال القاضي أبو محمد: ويتخرج ذلك ويحسن على أن تقدر القصد ذكر ما ينعى على فريقٍ فريقٍ من الجماعة التي هي كلها مجمعة على الكفر، فخرجت العبارة عن فريق من الجماعة بلفظ يعم الجماعة؛ لأن التوبيخ على هذه الصورة أغلظ عليهم، كما تقول إذا شنعت على جماعة فيها زناة وسرقة وشربة خمر: هؤلاء يزنون ويسرقون ويشربون الخمر، وحقيقة كلامك أن بعضهم يفعل هذا، وبعضهم يفعل هذا، فكأنه قال: من هؤلاء الكفرة من يستمع وهم ينهون عن إذايته ولا يؤمنون به؛ أي: منهم من يفعل ذلك.

و(ما يشعرون) معناه: ما يعلمون علم حسّ، وهو مأخوذ من الشعار الذي يلي بدن الإنسان، والشعار: مأخوذ من الشعر، ونفي الشعور مذمة بالغة؛ إذ البهائم تشعر وتحس.

فإذا قلت: فلان لا يشعر، فقد نفيت عنه العلم النفي العام الذي يقتضي أنه لا يعلم ولا المحسوسات.

قال القاضي أبو محمد: وقرأ الحسن: (وينَوْن عنه)(١)، ألقيت حركة الهمزة على النون على التسهيل القياسي.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ الآية، المخاطبة فيه لمحمد ﷺ، وجواب (لَوْ) محذوف، تقديره في آخر هذه الآية: لرأيت هولاً أو مشقات أو نحو هذا، وحذف جوابها في مثل هذا أبلغ؛ لأن المخاطب يترك مع غاية تخيله، ووقعت ﴿إِذْ﴾ في موضع «إذا» التي هي لما يستقبل وجاز ذلك؛ لأن الأمر المتيقن وقوعه يعبر عنه كما يعبر عن الماضي الوقوع.

و﴿وُقِفُوا۟﴾ معناه: حبسوا، ولفظ هذا الفعل متعدياً وغير متعد سواء، تقول: وقفت أنا، ووقفت غيري، وقال الزهراوي: وقد فُرِّق بينهما بالمصدر؛ ففي المتعدي: وقفته وقفاً، وفي غير المتعدي: وقفت وقوفاً(٢).

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظرها في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٧).

(٢) تفسير القرطبي (٦/ ٤٠٨).

[٢/ ٧٧] قال أبو عمرو بن العلاء: لم أسمع في شيء من كلام العرب: / أوقفت فلاناً، إلا أني لو لقيت رجلاً واقفاً فقلت له: ما أوقفك هاهنا لكان عندي حسناً[١].

ويحتمل قوله: ﴿وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أن يكون دخلوها، فكان وقوفهم عليها؛ أي: فيها، قاله الطبري[٢]، ويحتمل أن يكون أشرفوا عليها وعاينوها.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿ولا نكذبُ﴾، و﴿نكونُ﴾ بالرفع في كلها[٣]، وذلك على نية الاستئناف والقطع في قوله: ﴿ولا نكذبُ ونكونُ﴾؛ أي: يا ليتنا نرد ونحن على كل حال لا نكذب ونكون، فأخبروا عن أنفسهم بهذا ولهذا الإخبار صح تكذيبهم بعد هذا، ورجح هذا سيبويه ومثله بقولك: دعني ولا أعود؛ أي: وأنا لا أعود على كل حال[٤].

ويخرج ذلك على قول آخر وهو أن يكون ﴿ولا نكذبُ ونكون﴾ داخلاً في التمني، على حدِّ ما دخلت فيه ﴿نُرَدُّ﴾، كأنهم قالوا: يا ليتنا نرد وليتنا لا نكذب وليتنا نكون، ويعترض هذا التأويل بأن من تمنى شيئاً لا يقال: إنه كاذب، وإنما يكذب من أخبر.

قال القاضي أبو محمد: وينفصل هذا الاعتراض بأن يكون قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨] حكاية عن حالهم في الدنيا كلاماً مقطوعاً مما قبله، وبوجه آخر، وهو أن المتمني إذا كانت سجيته وخلقه[٥] وطريقته مخالفة لما تمنى بعيدة منه يصح أن يقال له: كذبت، على تجوُّز، وذلك أن من تمنى شيئاً فتمنيه يتضمن إخباراً أن تلك الأمنية تصلح له ويصلح لها، فيقع التكذيب في ذلك الإخبار الذي يتضمنه التمني،

---

(١) انظره في تهذيب اللغة (٩/ ٢٥١).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣١٦).
(٣) وهي سبعية، وكذلك القراءة الأخرى التي ستأتي قريباً، انظر: التيسير (ص: ١٠٢).
(٤) الكتاب لسيبويه (٣/ ٤٤).
(٥) «وخلقه»: زيادة من السليمانية وفيض الله ونور العثمانية.

ومثال ذلك أن يقول رجل شرير: ليتني أحج وأجاهد وأقوم الليل! فجائز أن يقال لهذا على تجوُّز: كذبت؛ أي: أنت لا تصلح لهذا، ولا يصلح لك.

وروي عن أبي عمرو: أنه أدغم باء ﴿نكذب﴾ في الباء التي بعدها[١].

وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم في رواية حفص: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ وَنَكُونَ﴾ بنصب الفعلين، وذلك كما تنصب الفاء في جواب التمني، فالواو في ذلك والفاء بمنزلة، وهذا على تقدير ذكر مصدر الفعل الأول، كأنهم قالوا: يا ليتنا كان لنا رد وعدم تكذيب وكون[٢] من المؤمنين.

وقرأ ابن عامر في رواية هشام بن عمار عن أصحابه عن ابن عامر: ﴿ولا نكذبُ﴾ بالرفع، و﴿نكونَ﴾ بالنصب[٣].

ويتوجه ذلك على ما تقدم في مصحف عبد الله بن مسعود: (يا ليتنا نرد فلا نكذب بآيات ربنا ونكون) بالفاء[٤].

وفي قراءة أبي بن كعب: (يا ليتنا نرد فلا نكذب بآيات ربنا أبداً ونكون)، وحكى أبو عمرو أن في قراءة أبي: (بآيات ربنا ونحن نكون)[٥].

وقوله: ﴿نُرَدُّ﴾ في هذه الأقوال كلها معناه: إلى الدنيا، وحكى الطبري تأويلاً آخر وهو: يا ليتنا نرد إلى الآخرة؛ أي: نبعث ونوقف على النار التي وقفنا عليها مكذبين ليت ذلك ونحن في حالة لا نكذب ونكون[٦]، فالمعنى: يا ليتنا نوقف هذا الوقوف غير مكذبين بآيات ربنا كائنين من المؤمنين.

---

(١) من رواية السوسي على قاعدته في الإدغام الكبير، وقد تقدم الكلام عنها مراراً.

(٢) في الحمزوية: «ونكون».

(٣) هذا من بقية القراءات السبعية في الآية، وتقدمت إحالتها.

(٤) وهي قراءة شاذة انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣١٨)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٧٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٧).

(٥) وهي قراءة شاذة، انظرها مع حكاية أبي عمرو في البحر المحيط (٤/ ٤٧٥).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣١٩ و٣٢٠).

قال القاضي أبو محمد: وهذا التأويل يضعف من غير وجه، ويبطله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] ولا يصح أيضاً التكذيب في هذا التمني؛ لأنه تمني ما قد مضى[١]، وإنما يصح التكذيب الذي ذكرناه قبل هذا على تجوز في تمني المستقبلات.

قوله عز وجل: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨) وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠)﴾.

الضمير في ﴿لَهُم﴾: عائدٌ على من ذكر في قوله: ﴿وُقِفُوا﴾، وهذا الكلام يتضمن أنهم كانُوا يُخْفُونَ شيئاً ما في الدنيا، فظهر لهم يوم القيامة، أو ظهر لهم وباله وعاقبته، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

وحكى الزهراوي عن فرقة أنها قالت: الآية في المنافقين؛ لأنهم كانوا يخفون الكفر، فبدا لهم وباله يوم القيامة[٢].

قال القاضي أبو محمد: وتقلق العبارة على هذا التأويل؛ لأنه قال: ﴿وُقِفُوا﴾؛ يريد: جماعة كفار ثم قال: ﴿بَدَا لَهُم﴾ يريد المنافقين من أولئك الكفار، والكلام لا يعطي هذا إلا على تحامل.

قال الزهراوي: وقيل: إن الكفار كانوا إذا وعظهم النبي ﷺ خافوا وأخفوا ذلك الخوف؛ لئلا يشعر به أتباعهم، فظهر لهم ذلك يوم القيامة[٣].

قال القاضي أبو محمد: ويصح أن يكون مقصد الآية الإخبار عن هول ما لقوه، والتعظيم لما شقوا به، فعبَّر عن ذلك بأنهم ظهرت لهم مستوراتهم في الدنيا من معاص وغير ذلك، فكيف الظن على هذا بما كانوا يعلنون من كفر ونحوه؟

---

(١) قال الطبري (١١/ ٣٢٠): وهذا تأويلٌ يدفعه ظاهر التنزيل.
(٢) تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٦٣)، بغير نسبة.
(٣) تفسير القرطبي (٦/ ٤١٠) بغير نسبة.

وينظر إلى هذا التأويل قوله تعالى في تعظيم شأن يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩] ويصح أن يقدَّر الشيء الذي كانوا يخفونه في الدنيا نبوة محمد ﷺ وأقواله، وذلك أنهم كانوا يخفون ذلك في الدنيا بأن يَحْقِروه عند من يرد عليهم، ويصفوه بغير صفته، ويتلقوا الناس على الطرق، فيقولون لهم: هو ساحر، هو يفرق بين الأقارب، يريدون بذلك إخفاء أمره وإبطاله.

فمعنى هذه الآية على هذا: بل بدا لهم يوم القيامة أمرك وصدقك وتحذيرك وإخبارك بعقاب من كفر الذي كانوا يخفونه في الدنيا، ويكون الإخفاء على ما وصفناه.

وقال الزجاج: المعنى: ظهر للذين اتبعوا الغُواة ما كان الغُواة يخفون من أمر البعث(١).

قال القاضي أبو محمد: فالضميران على هذا ليسا لشيء واحد، وحكى المهدوي عن الحسن نحو هذا(٢).

وقرأ يحيى بن وثاب والنخعي والأعمش: (ولو رِدُّوا) بكسر الراء(٣)، على نقل حركة الدال من: رُدِدوا إليها.

وقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ﴾: إخبارٌ عن أمر لا يكون كيف كان يوجد، وهذا النوع مما استأثر الله بعلمه، فإن أعلم بشيءٍ منه علم، وإلا لم يتكلم فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ إما أن يكون متصلاً بالكلام ويكون التكذيب في إخبارهم على معنى أن الأمر في نفسه بخلاف ما قصدوا / ؛ لأنهم قصدوا الكذب، [٢/ ٧٨]
أو يكون التكذيب في التمني على التجوز الذي ذكرناه، وإما أن يكون منقطعاً إخباراً مستأنفاً عما هم عليه في وقت مخاطبة النبي ﷺ، والأول أصوب.

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٤٠)، ولفظة أمر زيادة من السليمانية وفيض الله ولالاليه.
(٢) التحصيل للمهدوي (٢/ ٥٧٠).
(٣) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لابن وثاب في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٨)، وللباقين في البحر المحيط (٤/ ٤٧٨).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ الآية، هذا على تأويل الجمهور ابتداء كلام وإخبار عنهم بهذه المقالة، ويحسن مع هذا أن يكون قوله قبل: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ مستأنفاً مقطوعاً خبراً عن حالهم في الدنيا التي من قولهم فيها: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ وغير ذلك، و﴿إِنۡ﴾ نافية.

ومعنى الآية: التكذيب بالحشر، والعودة إلى الله، وقال ابن زيد: قوله: ﴿وَقَالُوٓاْ﴾: معطوف على قوله: ﴿لَعَادُواْ﴾؛ أي: لَعادُوا لما نهوا عنه من الكفر، وَقالُوا: إِنْ هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا.

قال القاضي أبو محمد: وتوقيفُ الله لهم في الآية بعدها على البعث والإشارة إليه في قوله: ﴿أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّ﴾ يرد على هذا التأويل.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ﴾ الآية، بمعنى: ولو ترى إذ وقفوا، كما تقدم آنفاً من حذف جواب (لَوْ).

وقوله: ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾: معناه: على حكمه وأمره، ففي الكلام ولا بدَّ حذف مضاف.

وقوله: ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى البعث الذي كذبوا به في الدنيا، و﴿بَلَىٰ﴾: هي التي تقتضي الإقرار بما استفهم عنه منفيّاً، ولا تقتضي نفيه ولا جحده، و«نعم» تصلح للإقرار به، كما ورد ذلك في قول الأنصار للنبي ﷺ حين عاتبهم في الحظيرة عقب غزوة حنين[١]، وتصلح أيضاً «نعم» لجحده، فلذلك لا تستعمل.

وأمَّا قول الزجاج وغيره: إنها إنما تقتضي جحده وأنهم لو قالوا: «نعم» عند قوله: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ﴾ لكفروا[٢]؛ فقول خطأ، والله المستعان.

وقولهم: بلى وربنا إيمان، ولكنه حين لا ينفع، وقوله: ﴿فَذُوقُواْ﴾ استعارة بليغة، والمعنى: باشروه مباشرة الذائق؛ إذ هي من أشد المباشرات.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١)، من حديث عبد الله بن زيد.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٤٠).

قوله عز وجل: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾.

هذا استئناف إخبار عن خسارة المكذبين يتضمن تعظيم المصاب الذي حل بهم، وتستعمل الخسارة في مثل هذا؛ لأنه من أخذ الكفر واتبعه فكأنه قد أعطي الإيمان واطرحه، فأشبهت صفقة أخذ وإعطاء، والإشارة بهذه الآية إلى الذين قالوا: إنما هي حياتنا الدنيا.

وقوله: ﴿بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ معناه: بالرجوع إليه وإلى أحكامه وقدرته، كما تقول: لقي فلان أعماله؛ أي: لقي عواقبها ومآلها.

و﴿ٱلسَّاعَةُ﴾: يوم القيامة، وأدخل عليها تعريف العهد دون تقدم ذكرها؛ لشهرتها، واستقرارها في النفوس، وذيَعان ذكرها، وأيضاً فقد تضمنها قوله تعالى: ﴿بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾.

و﴿بَغْتَةً﴾ معناه: فجأة، تقول: بغتني الأمر؛ أي: فجأني، ومنه قول الشاعر:

وَلَكِنَّهـم بَانُـوا وَلَـمْ أَخْـشَ بَغْتَـةً ... وَأَفْظَعُ شَيْءٍ حِينَ يَفْجَؤُكَ البَغْتُ[١] [الطويل]

ونصبها على المصدر في موضع الحال، كما تقول: قتلته صبراً، ولا يجيز سيبويه القياس عليه، ولا تقول: جاء فلان سرعة ونحوه، ونداء الحسرة على تعظيم الأمر وتشنيعه.

قال سيبويه: وكأن الذي ينادي الحسرة أو العجب أو السرور أو الويل يقول: اقربي أو احضري، فهذا وقتك وزمنك[٢]، وفي ذلك تعظيم للأمر على نفس المتكلم وعلى سامعه إن كان ثم سامع.

وهذا التعظيم على النفس والسامع هو المقصود أيضاً بنداء الجمادات، كقولك: يا دار، ويا ربعُ، وفي نداء ما لا يعقل كقولهم: يا جمل ونحو هذا.

---

(١) البيت ليزيد بن مقسم الثقفي وهو ابن ضبة، كما في مجاز القرآن (١/ ١٩٣)، والكامل للمبرد (٣/ ١١٢)، والمصون في الأدب (ص: ٥٢)، وفي الحمزوية: «باتوا»، وفي المطبوع: «تابوا»، والمثبت هو الموافق للمصادر.

(٢) انظر معاني القرآن النحاس (٦/ ١٨٦).

و﴿فَرَّطْنَا﴾ معناه: قصرنا مع القدرة على ترك التقصير، وهذه حقيقة التفريط، والضمير في قوله: ﴿فِيهَا﴾: عائد على ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾؛ أي: في التقدمة لها، وهذا قول الحسن[١].

وقال الطبري: يعود على الصفقة التي يتضمنها ذكر الخسارة في أول الآية[٢].

ويحتمل أن يعود الضمير على الدنيا؛ إذ المعنى يقتضيها، وتجيء الظرفية أمكن، بمنزلة: زيد في الدار، وعوده على: ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ إنما معناه في أمورها والاستعداد لها، بمنزلة: زيد في العلم مشتغل.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ الآية، الواو: واو الحال، و«الأوزار» جمع: وزر، بكسر الواو: وهو الثقل من الذنوب، تقول منه: وزر يزر إذا حمل، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وتقول: وزر الرجل فهو موزور.

قال أبو عبيد: والعامة تقول: مأزور[٣]، وأما إذا اقترن ذلك بـ«مأجور»؛ فإن العرب تقول: مأزور، وقد قال رسول الله ﷺ لنساء لقيهنَّ مُقبلات من المقابر: «ارجعن مأزوراتٍ غيرَ مأجوراتٍ»[٤].

(١) انظر: تفسير القرطبي (٦/ ٤١٣).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٢٥).
(٣) معاني القرآن للنحاس (٢/ ٤١٦).
(٤) له طرق ولا يصح، أخرجه ابن ماجه (١٥٧٨)، والبزار في مسنده (٦٥٣)، وابن حبان في الثقات (٦/ ٢٨٩-٢٩٠)، وابن شاهين في ناسخ الحديث ومنسوخه (٣١١)، والبيهقي في السنن (٤/ ٧٧)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١٥٠٧)، من طريق إسماعيل بن سلمان، عن دينار أبي عمر، عن محمد ابن الحنفية، عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه به، مرفوعاً مطولاً، وإسماعيل بن سلمان الأزرق ضعيف، وله شاهد من حديث أنس بن مالك، رضي الله عنه، أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٠٥٦-٤٢٨٤)، وابن شاهين في ناسخ الحديث ومنسوخه (٣١٢)، من طريق الحارث بن زياد، عن أنس ابن مالك مرفوعاً بنحوه، والحارث بن زياد مجهول، وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٦/ ٢٠٠)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١٥٠٦)، من طريق أبي هدبة إبراهيم بن هدبة، عن أنس به، وأبو هدبة متفق على أنه كذاب، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ١٠٢)، من طريق =

قال أبو علي وغيره: فهذا للإتباع اللفظي[١].

والوزر هنا تجوُّز وتشبيهٌ بثقل الأحمال، وقوى التشبيه بأن جعله على الظهور؛ إذ هو في العادة موضع حمل الأثقال، ومن قال: إنه من الوزر، وهو الجبل الذي يلجأ إليه، ومنه الوزير، وهو المعين، فهي مقالة غير بينة.

وقال الطبري وغيره: هذا على جهة الحقيقة[٢]، ورووا في ذلك خبراً أن المؤمن يلقاه عمله في أحسن صورة وأفْوَحها[٣]، فيسلم عليه، ويقول له: طالما ركبتك في الدنيا وأجهدتك فاركبني اليوم، قال: فيحمله تمثال العمل، وأن الكافر يلقاه عمله في أقبح صورة وأنتنها فيشتمه، ويقول: أنا عملك الخبيث، طال ما ركبتني في الدنيا بشهواتك، فأنا أركبك اليوم، قال: فيحمل تمثال عمله الخبيث[٤] وأوزاره على ظهره[٥].

= إبراهيم بن هراسة، عن الثوري، عن عاصم الأحول، عن مورق، عن أنس بن مالك به، وسئل عنه الدارقطني كما في العلل (١٢/ ٢١٤) فقال: يرويه الثوري، واختلف عنه، فرواه إبراهيم بن هراسة، عن الثوري، عن عاصم، عن مورق، عن أنس، وخالفه يزيد بن أبي حكيم، فرواه عن الثوري، عن طعمة الجعفري، عن رجل، عن مورق العجلي، مرسلاً، وهو الصواب.اهـ، وإبراهيم بن هراسة أبو إسحاق الشيباني متروك الحديث، كما في التاريخ الكبير (١٠٥١)، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٦٢٩٨)، من طريق الثوري عن رجل عن مؤرق العجلي مرسلاً، ثم أخرجه عن معمر أن عمر قاله، ورواه بكار بن عبد العزيز بن أبي بكرة عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ رأى نسوة في جنازة فقال لهن: «ارجعن مأزورات غير مأجورات»، ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١/ ١٢٥)، وبكار ضعيف، والذي في الصحيح من حديث أم عطية قالت: نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا، أخرجه البخاري (١٢١٩)، ومسلم (٩٣٨).

(١) لم أجده له، وقد قاله أيضاً النحاس في إعراب القرآن (٤/ ٩٠)، وابن جني في المحتسب (٢/ ٣٣٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٢٧).

(٣) في السليمانية وفيض الله ولالاليه والمطبوع: و«أفرحها».

(٤) سقطت من المطبوع والأصل.

(٥) أخرجه الطبري (٩/ ٢١٦-٢١٧)، من طريق الحكم بن بشير، عن عمرو بن قيس الملائي من قوله، وأخرجه ابن أبي حاتم (٧٢٢٨)، من طريق عمرو بن قيس، عن أبي مرزوق به.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ إخبار عن سوء ما يأثمون، مضمن التعظيم لذلك، والإشادة به، وهذا كقول النبي ﷺ: «ألا فليبلغ الشاهد الغائب»، وقوله: «ألا هل بلغت»[١]، فإنما أراد الإشادة والتشهير[٢] وهذا كله يتضمنه «ألا».

وأما ﴿سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ فهو خبرٌ مجرد، كقول الشاعر:

[البسيط] رَضِيتَ خِطَّةَ خَسْفٍ غَيْرَ طَائِلَةٍ فَسَاءَ هَذَا رضا يَا قَيْسَ عيْلانَا[٣]

و﴿سَآءَ﴾: فعل ماض، و﴿مَا﴾: فاعلة به، كما تقول: ساءني أمر كذا، ويحتمل أن تجري ﴿سَآءَ مَا﴾ هنا مجرى «بئس»، ويقدر لها ما يقدر لـ«بئس»؛ إذ قد جاء في كتاب الله: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾ [الأعراف: ١٧٧].

[٢/ ٧٩] قوله عز وجل:/ ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

هذا ابتداء خبر عن حال الدنيا، والمعنى: أنها إذا كانت فانية منقضية لا طائل لها أشبهت اللعب واللهو الذي لا طائل له[٤] إذا تقضَّى[٥].

وقرأ الستة من القراء: ﴿وَلَلدَّارُ﴾ بلامين، و﴿ٱلْأَخِرَةُ﴾: نعت لـ(الدار).

وقرأ ابن عامر وحده: ﴿ولَدَار﴾ بلام واحدة، وكذلك وقع في مصاحف الشام بإضافة الدار إلى الآخرة[٦]، وهذا نحو: مسجد الجامع؛ أي: مسجد اليوم الجامع، فكذلك هذا ولدار الحياة الآخرة.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٧٤٠)، ومسلم (١٦٧٩)، من حديث أبي بكرة، رضي الله عنه.
(٢) في المطبوع: «التشهيد».
(٣) لم أقف على قائله، وقد استشهد به كذلك في البحر المحيط (٤/ ٤٨٤)، وفي الأصل: «غيلاناً».
(٤) في الحمزوية: «فيه».
(٥) في الحمزوية، والمطبوع ولالاليه: «انقضى».
(٦) انظر التيسير (ص: ١٠٢)، وكتاب المصاحف (ص: ١٥١).

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: ﴿يَعْقِلُونَ﴾ على إرادة الغائب.

وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم: ﴿تَعْقِلُونَ﴾ على إرادة المخاطبين، وكذلك في الأعراف[١] وفي آخر يوسف[٢]، ووافقهم أبو بكر في آخر يوسف، فأمَّا: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ في يس[٣] فقرأه نافع، وابن ذكوان بتاء، والباقون بياء[٤].

وهذه الآية تتضمن الرد على قولهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ وهو المقصود بها، ويصح أن يكون قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، على معنى: فقل لهم يا محمد إذ الحال على هذه الصفة: أَفَلا تَعْقِلُونَ.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ﴾ الآية، «قَدْ» الملازم للفعل: حرف يجيء مع التوقع إما عند المتكلم، وإما عند السامع، أو مقدراً عنده، فإذا كان الفعل خالصاً للاستقبال كان التوقع من المتكلم، كقولك: قد يقوم زيد، وقد ينزل المطر في شهر كذا، وإذا كان الفعل ماضياً أو فعل حال بمعنى المضي مثل: آيتنا هذه، فإن التوقع ليس من المتكلم، بل المتكلم موجب ما أخبر به، وإنما كان التوقع عند السامع فيخبره المتكلم بأحد المتوقعين.

و﴿نَعْلَمُ﴾ تتضمن إذا كانت من الله تعالى استمرار العلم وقدمه، فهي تعم الماضي والحال والاستقبال، ودخلت (إنّ) للمبالغة في التأكيد.

وقرأ نافع وحده: ﴿لَيُحزِنك﴾ من: أحزن، وقرأ الباقون: ﴿لَيَحْزُنُكَ﴾، من: حزن الرجل[٥].

---

(١) الآية: (١٦٩).

(٢) الآية: (١٠٩).

(٣) الآية: (٦٨).

(٤) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٠٢)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٥٦)، وسيأتي التنبيه عليها في مواضعها.

(٥) وهما سبعيتان كما مر في آل عمران، وانظر: السبعة (ص: ٢٥٧).

وقرأ أبو رجاء: (لِيحزِنْك) بكسر اللام والزاي وجزم النون[١]، وقرأ الأعمش (أنه) بفتح الهمزة: (يحزِنْك) بغير لام[٢].

قال أبو علي الفارسي: تقول العرب: حزن الرجل بكسر الزاي، يحزن حزناً وحزناً، وحزنته أنا، وحكي عن الخليل أن قولهم: حزنته ليس هو تغيير: حزن على نحو: دخل وأدخلته، ولكنه بمعنى: جعلت فيه حزناً، كما تقول: كحلته ودهنته.

قال الخليل: ولو أردت تغيير: حزن، لقلت: أحزنته[٣]، وحكى أبو زيد الأنصاري في كتاب خباة عن العرب: أحزنت الرجل[٤].

قال أبو علي: وحزنت الرجل، أكثر استعمالاً عندهم من: أحزنته، فمن قرأ: ﴿لَيُحزِنَكَ﴾ بضم الياء [وكسر الزاي][٥]؛ فهو على القياس في التغيير، ومن قرأ: ﴿لَيَحْزُنُكَ﴾، بفتح الياء وضم الزاي فهو على كثرة الاستعمال.

و﴿ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾: لفظ يعم جميع أقوالهم التي تتضمن الرد على النبي ﷺ، والدفع في صدر نبوته، كقول بعضهم: إنه كذاب، مفتر، ساحر، وقول بعضهم: إنه مجنون مسحور، وقول بعضهم: له[٦] رَئِيٌّ من الجن، ونحو هذا.

وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة: ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ بتشديد الذال وفتح الكاف.

وقرأها ابن عباس وردها على قارئ قرأ[٧] عليه: ﴿يكذِبونك﴾ بـ[تشديد الذال

---

(١) لم أجدها لغير المؤلف.

(٢) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ١٦٦).

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٣٠٤).

(٤) لم أجد هذا الكتاب.

(٥)زيادة من السليمانية وفيض الله ولالاليه.

(٦) في المطبوع: «إنه».

(٧) سقطت من المطبوع والأصل.

و][(١)] ضم الياء[(٢)]، وقال: إنهم كانوا يسمونه الأمين[(٣)].

وقرأ نافع والكسائي بسكون الكاف وتخفيف الذال، وقرأها علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وهما قراءتان مشهورتان صحيحتان[(٤)].

واختلف المتأولون في معناهما:

فقالت فرقة: هما بمعنى واحد، كما تقول: سقيت وأسقيت، وقللت وأقللت، وكثرت وأكثرت، وحكى الكسائي أنَّ العرب تقول: كذبت الرجل: [إذا نسبت الكذب إليه، وأكذبته: إذا نسبت الكذب إلى ما جاء به دون أن تنسبه إليه[(٥)]، وتقول العرب أيضاً: أكذبت الرجل][(٦)]: إذا وجدته كذاباً كما تقول: أحمدته إذا وجدته محموداً، فالمعنى على قراءة من قرأ: ﴿يُكَذِّبُونَكَ﴾ بتشديد الذال؛ أي: لا تحزن؛ فإنهم لا يكذبونك تكذيباً يضرك؛ إذ لست بكاذب في حقيقتك، فتكذيبهم كلا تكذيب[(٧)].

ويحتمل أن يريد: فإنهم لا يكذبونك على جهة الإخبار عنهم أنهم لا يكذبون، وأنهم يعلمون صدقه ونبوته، ولكنهم يجحدون عناداً منهم وظلماً، والآية على هذا لا تتناول جميع الكفار، بل تخص الطائفة التي حكى عنها أنها كانت تقول: إنا لنعلم أن محمداً صادق، ولكن إذا آمنا به فضلتنا بنو هاشم بالنبوة، فنحن لا نؤمن به أبداً، رويت هذه المقالة عن أبي جهل ومن جرى مجراه[(٨)].

---

(١) زيادة من السليمانية.

(٢) انظر نسبتها لابن عباس في: معاني القرآن للنحاس (٢/ ٤١٧)، وتفسير القرطبي (٦/ ٤١٦).

(٣) لم أقف على هذه الروايه بهذا اللفظ في كتب التفسير.

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٠٢)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٥٧)، انظر قراءة في تفسير القرطبي (٦/ ٤١٦).

(٥) نقله عنه النحاس في معاني القرآن (٢/ ٤١٩).

(٦) سقط من المطبوع.

(٧) انظر: تفصيل ذلك في تفسير الطبري (١١/ ٣٣٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٤١٧)، والحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٣٠٤).

(٨) كتاب المغازي للواقدي (١/ ٣١)، تفسير الثعلبي (٤/ ١٨٧)، والكشاف للزمخشري (٢/ ٥٩).

وحكى النقاش أن الآية نزلت في الحارث بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف[1]؛ فإنه كان يكذب في العلانية، ويصدق في السر، ويقول: نخاف أن تتخطفنا العرب ونحن أكلة رأس.

والمعنى على قراءة من قرأ: ﴿يكذِبونك﴾ بتخفيف الذال يحتمل ما ذكرناه أولاً في يكذبونك؛ أي: لا يجدونك كاذباً في حقيقتك، ويحتمل هذين الوجهين اللذين ذكرت في ﴿يُكَذِّبُونَكَ﴾ بشد الذال، وآيات الله: علاماته وشواهد نبيه محمد ﷺ.

و﴿يَجۡحَدُونَ﴾ حقيقته في كلام العرب: الإنكار بعد معرفة، وهو ضد الإقرار، ومعناه على تأويل من رأى الآية في المعاندين: مترتب على حقيقته، وهو قول قتادة والسدي وغيرهما[2]، وعلى قول من رأى أن الآية في الكفار قاطبة دون تخصيص أهل العناد يكون في اللفظة تجوُّز، وذلك أنهم لما أنكروا نبوته وراموا تكذيبه بالدعوى التي لا تعضدها حجة عبر عن إنكارهم بأقبح وجوه الإنكار، وهو الجحد تغليظاً عليهم، وتقبيحاً لفعلهم؛ إذ معجزاته وآياته نيرة يلزم كل مفطور أن يعلمها ويقربها.

قال القاضي أبو محمد: وجميع ما في هذه التأويلات من نفي التكذيب إنما هو عن اعتقادهم، وأما أقوال جميعهم فمكذبة، إما له وإما للذي جاء به.

قال القاضي أبو محمد: وكفر العناد جائز الوقوع بمقتضى النظر، وظواهر القرآن تعطيه، كقوله: ﴿وَجَحَدُواْ / بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾ [النمل: ١٤] وغيرها. [٢/ ٨٠]

وذهب بعض المتكلمين إلى المنع من جوازه، وذهبوا إلى أن المعرفة تقتضي

(١) كذا في البحر المحيط (٤/ ٤٨٧) عن النقاش، ولعل الصواب الحارث بن عامر بن نوفل، وهو الذي قتله خبيب بن عدي يوم بدر كافراً، فقتله به ابنه عقبة، وأما عمرو بن نوفل فهو جد نافع بن ظريب كاتب المصحف لعمر، انظر جمهرة أنساب العرب (١/ ١١٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٣٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٨٣).

الإيمان والجحد يقتضي الكفر، ولا سبيل إلى اجتماعهما[١]، وتأولوا ظواهر القرآن فقالوا في قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾: إنها في أحكام التوراة التي بدلوها كآية الرجم وغيرها.

قال القاضي أبو محمد: ودفع ما يتصور ويعقل من جواز كفر العناد على هذه الطريقة صعب، أما أن كفر العناد من العارف بالله وبالنبوة بعيد؛ لأنه لا داعية إلى كفر العناد إلا الحسد، ومن عرف الله والنبوة وأن محمداً ﷺ يجيئه ملك من السماء، فلا سبيل إلى بقاء الحسد مع ذلك، أمَا إنه جائز فقد رأى أبو جهل على رأس النبي ﷺ فحلاً عظيماً من الإبل قد همَّ بأبي جهل[٢]، ولكنه كفر مع ذلك.

وأسند الطبري أن جبريل ـ عليه السلام ـ وجد النبي ﷺ حزيناً فسأله، فقال: «كذبني هؤلاء»، فقال: إنهم لا يكذبونك، بل يعلمون أنك صادق، وَلكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ الله يَجْحَدُونَ[٣].

والذي عندي في كفر حيي بن أخطب ومن جرى مجراه: أنهم كانوا يرون صفات النبي ﷺ، ويعرفونها أو أكثرها، ثم يرون من آياته زائداً على ما عندهم، فيتعلقون في مغالطة[٤] أنفسهم بكلِّ شبهة، وبأضعف سبب، وتتخالج ظنونهم، فيقولون مرة: هو ذلك، ومرة: عساه لَيْسَهُ، ثم ينضاف إلى هذا[٥] حسدهم وفقدهم الرياسة، فيتزايد ويتمكن إعراضهم وكفرهم وهم على هذا، وإن عرفوا أشياء وعاندوا فيها فقد قطعوا في ذلك بأنفسهم عن الوصول إلى غاية المعرفة، وبقوا في ظلمة الجهل، فهم جاهلون بأشياء معاندون في أشياء غيرها، وأنا أستبعد العناد مع المعرفة التامة.

---

(١) أصحاب هذا القول هم الجهمية، كما في الرد على المنطقيين لابن تيمية (١/ ١٤٥).
(٢) انظر السيرة لابن إسحاق (ص: ٢٠٠).
(٣) مرسل، أخرجه الطبري (١١/ ٣٣٣) (١٣١٩٠-١٣١٩١)، بإسناد صحيح إلى أبي صالح مرسلًا.
(٤) في المطبوع: «مغالظة».
(٥) في الحمزوية: «يتطاول إلى ذلك».

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

هذه الآية تضمنت عرض الأسوة التي ينبغي الاقتداء بها على محمد رسول الله ﷺ وترجيته أن يأتيه مثل ما أتاهم من النصر إذا امتثل ما امتثلوه من الصبر.

قال الضحاك وابن جريج: عزى الله بهذه الآية نبيه[١].

وروي عن ابن عامر أنه قرأ: (وأذوا) بغير واو بعد الهمزة[٢].

ثم قوى ذلك الرجاء بقوله: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا راد لأمره وكلماته السابقات بما يكون، ولا مكذب لما أخبر به، فكأن المعنى: فاصبر كما صبروا، وانتظر ما يأتي وثق بهذا الإخبار؛ فإنه لا مبدل له، فالقصد هنا هذا الخبر، وجاء اللفظ عامّاً جميع كلمات الله السابقات.

وأما كلام الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في التوراة والإنجيل:

فمذهب ابن عباس: أنه لا مبدل لها، وإنما حرفها اليهود بالتأويل لا ببدل حروف وألفاظ، وجوز كثيرٌ من العلماء أن يكونوا بدلوا الألفاظ؛ لأنهم استحفظوها[٣] وهو الأظهر، وأمَّا القرآن فإن الله تعالى تضمن حفظه، فلا يجوز فيه التبديل، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقال في أولئك: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: فيما أنزلناه وقصصناه عليك

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٣٦).

(٢) تابعه عليها في البحر المحيط في التفسير (٤/ ٤٩٠)، وليست من طرق التيسير، في الحمزوية: «ابن عباس».

(٣) في الحمزوية: «استخرجوها».

ما يقتضي[(١)] هذا الذي أخبرناك به، وفاعل ﴿جَآءَكَ﴾ مضمر على ما ذهب إليه الطبري والرماني[(٢)]، تقديره: ولقد جاءك نبأ أو أنباء[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: والصواب عندي في المعنى: أن يقدر: جلاء، أو بيان.

وقال أبو علي الفارسي: قوله: ﴿مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ في موضع رفع بـ(جاء)، ودخل حرف الجر على الفاعل، وهذا على مذهب الأخفش في تجويزه دخول «من» في الواجب، ووجه قول الرماني أن «من» لا تزاد في الواجب[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ الآية، آية فيها إلزام الحجة للنبي ﷺ وتقسيم الأحوال عليه حتى يبين[(٥)] أن لا وجه إلا الصبر، والمضي لأمر الله تعالى، والمعنى: إن كنت تعظم تكذيبهم وكفرهم على نفسك، وتلتزم الحزن عليه، فإن كنت تقدر على دخول سِرْب في أعماق الأرض، أو على ارتقاء سُلَّم في السماء فدونك وشأنك به؛ أي: إنك لا تقدر على شيء من هذا، ولا بدَّ لك من التزام الصبر واحتمال المشقة ومعارضتهم بالآيات التي نصبها[(٦)] الله تعالى للناظرين المتأملين؛ إذ هو لا إله إلا هو لم يرد أن يجمعهم على الهدى.

وإنما أراد أن ينصب من الآيات ما يهتدي بالنظر فيه قوم ويضل آخرون؛ إذ خلقهم على الفطرة وهدى السبيل، وسبقت رحمته غضبه، وله ذلك كله بحق ملكه: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ

---

(١) في المطبوع: «يقضي».

(٢) هو عليّ بن عيسى بن علي أبو الحسن النحوي، المعروف بالرماني، حدث عن ابن دريد وابن السراج، وكان من أهل المعرفة، متفنناً في علوم كثيرة من الفقه والقرآن والنحو واللغة، وله فيها التصانيف المشهورة، توفي سنة (٣٨٤هـ)، إنباه الرواة (٢/ ٢٩٤).

(٣) انظر قول الطبري في تفسيره (١١/ ٣٣٥)، وقول الرماني في البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٤٩١).

(٤) انظر كلام أبي علي على زيادة من في الواجب في الحجة (٢/ ٩)، وكلام الأخفش في معاني القرآن له (١/ ٢٣٧).

(٥) في الحمزوية: «يتوجه»، وفي المطبوع: «يتبين».

(٦) في الحمزوية: «نصها».

﴿مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ في أن تأسف وتحزن على أمر أراده الله وأمضاه وعلم المصلحة فيه.

قال القاضي أبو محمد: وهذا أسلوب معنى الآية، واسم ﴿كَانَ﴾ يصح أن يكون الأمر والشأن، و﴿كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾: خبرها، ويصح أن يكون: ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾: هو اسم ﴿كَانَ﴾، ويقدر في: ﴿كَبُرَ﴾: ضمير، وتكون ﴿كَبُرَ﴾: في موضع الخبر، والأول من الوجهين أقيس.

و«النفق»: السِّرْب في الأرض، ومنه: نافِقاء اليربوع، و«السُّلَّم»: الشيء الذي يصعد عليه ويرتقى، ويمكن أن يشتق اسمه من السلامة؛ لأنه سببها، وجمعه: سلاليم، ومنه قول الشاعر:

[البسيط] لا يُحْزِنُ الْمَرْءَ أَحْجَاءُ البِلادِ وَلا يُبْنَى لَهُ فِي السَّماوَاتِ السَّلالِيمُ[1]

و﴿فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾؛ أي: بعلامة، ويريد إما في فعلك ذلك؛ أي: تكون الآية نفس دخولك في الأرض، أو ارتقائك في السماء، وإما في أن تأتيهم بالآية من إحدى الجهتين، وحذف جواب الشرط قبل في قوله: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ﴾، إيجاز لفهم السامع به، تقديره: فافعل، أو فدونك كما تقدم.

و﴿لَجَمَعَهُمْ﴾ يحتمل أمرين[2]، إما بأن يخلقهم مؤمنين، وإمَّا بأن يكسبهم الإيمان بعد كفرهم بأن يشرح صدورهم، / والهدى: الإرشاد. [٢/ ٨١]

وهذه الآية ترد على القدرية المفوضة[3] الذين يقولون: إن القدرة لا تقتضي أن يؤمن الكافر، وإن ما يأتيه الإنسان من جميع أفعاله لا خلق لله فيه تعالى عن قولهم.

---

(١) البيت لتميم بن أبي بن مقبل، عزاه له أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ١٩٠)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٨٥)، والمحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٥١٦)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٤٦)، والصحاح في اللغة (٦/ ١٥٩)، ورواياتهم: لا تحرز، وأحجاء البلاد: نواحيها وأطرافها، ويروى: أعناء البلاد، وهو مثله في المعنى، وفي السليمانية: «الجبال»، بدل: «البلاد»، وأشار لها في هامش لالاليه.

(٢) «أمرين»: زيادة من السليمانية.

(٣) في المطبوع: «المغرضة».

و﴿مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ يحتمل في أن لا يعلم أن الله لَوْ شاءَ لَجَمَعَهُمْ، ويحتمل في أن تهتم بوجود كفرهم الذي قدره الله وأراده، وتذهب به(١) لنفسك إلى ما لم يقدر الله به، يظهر تباين ما بين قوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، وبين قوله لنوح عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]، وقد تقرر أن محمداً ﷺ أفضل الأنبياء.

قال مكي والمهدوي(٢): والخطاب بقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ للنبي ﷺ، والمراد به أمته(٣)، وهذا ضعيفٌ لا يقتضيه اللفظ.

وقال قوم: وقِّر نوح لسنه وشيبته، وقال قوم: جاء الحمل أشد على محمد ﷺ؛ لقربه من الله تعالى ومكانته عنده، كما يحمل المعاقب(٤) على قريبه أكثر من حمله على الأجانب.

قال القاضي أبو محمد: والوجه القوي عندي في الآية: هو أن ذلك لم يجئ بحسب النبيين، وإنما جاء بحسب الأمرين اللذين وقع النهي عنهما والعتاب فيهما، وبين أن الأمر الذي نهي عنه محمد ﷺ أكبر قدراً، وأخطر مواقعة من الأمر الذي واقعه نوح ﷺ.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

هذا من النمط المتقدم في التسلية؛ أي: لا تحفل بمن أعرض، فإنما يستجيب لداعي الإيمان الذين يقيمون(٥) الآيات، ويتلقون البراهين بالقبول، فعبَّر عن ذلك

---

(١) في الحمزوية والمطبوع والسليمانية وفيض الله: «بك».

(٢) في المطبوع: «المهدي».

(٣) انظر: الهداية لمكي (٣/ ٢٠١١)، والتحصيل (٢/ ٤٧٥).

(٤) في الأصل ونجيبويه: «العاقب».

(٥) في السليمانية وفيض الله ونجيبويه ولالاليه: «يفهمون».

كله بـ﴿يَسْمَعُونَ﴾؛ إذ هو طريق العلم بالنبوة والآيات المعجزة، وهذه لفظة تستعملها الصوفية إذا بلغت الموعظة من أحد مبلغاً شافياً قالوا: سمع.

ثم قال تعالى: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ يريد: الكفار، فعبر عنهم بضد ما عبر عن المؤمنين، وبالصفة التي تشبه حالهم في العمى عن نور الله تعالى، والصمم عن وعي كلماته، قاله مجاهد وقتادة والحسن(١).

و﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ يحتمل معنيين: قال الحسن: معناه: يبعثهم الله بأن يؤمنوا حين يوقفهم(٢).

قال القاضي أبو محمد: فتجيء الاستعارة في هذا التأويل في الوجهين: في تسميتهم موتى، وفي تسمية إيمانهم وهدايتهم بعثاً، والواو على هذا مشرِّكة في العامل، عطفت: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ على ﴿ٱلَّذِينَ﴾، و﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾: في موضع الحال، وكأن معنى الآية: إنما يستجيب الذين يرشدون حين يسمعون فيؤمنون، والكفار حين يرشدهم الله بمشيئته، فلا تتأسف أنت، ولا تستعجل ما لم يقدر.

وقرأ الحسن: ﴿ثم إليه يَرجِعون﴾(٣)، فتناسبت الآية.

وقال مجاهد وقتادة: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ يريد: الكفار(٤)؛ أي: هم بمثابة الموتى حين لا يرون هدى(٥)، ولا يسمعون فيعون.

و﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: يحشرهم يوم القيامة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلى سَطْوته وعقابه يُرْجَعُونَ، وقرأت هذه الطائفة: (يرجعون) بياء، والواو ـ على هذا ـ عاطفة جملة كلام على جملة.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٤٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٨٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٤٢).

(٣) وهي قراءة عشرية قرأ بها يعقوب بفتح حرف المضارعة وكسر الجيم، على قاعدته، انظر النشر (٢/ ٢٣٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٤٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٨٥).

(٥) في فيض الله: «هذا».

و(الموتى): مبتدأ، و﴿يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾: خبره، فكأن معنى الآية: إنما يستجيب الذين يسمعون فيعون، والكفار سيبعثهم الله ويردهم إلى عقابه، فالآية على هذا متضمنة الوعيد للكفار، والعائد على: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ هو الضمير في: ﴿يَسۡمَعُونَ﴾ والضمير في: ﴿قَالُواْ﴾ عائدٌ على الكفار، و﴿لَوۡلَا﴾: تحضيض بمعنى: هلا، كما[1] قال الشاعر:

تَعـدُّونَ عَقْرَ النِّيـبِ أَفضلَ مجدِكم ... بني ضَوْطَرى لولا الكَمِيَّ المُقَنَّعَا[2] [الطويل]

ومعنى الآية: هلا أنزل على محمد بيان واضح لا يقع معه توقف من أحد، كملك يشهد له، أو كنز، أو غير ذلك من تشططهم المحفوظ في هذا، فأمر ﷺ بالرد عليهم بأن الله ـ عز وجل ـ له القدرة على إنزال تلك الآية.

و(لكن أكثرهم لا يعلمون): أنها لو نزلت ولم يؤمنوا العُوجِلوا بالعذاب، ويحتمل ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أن الله تعالى إنما جعل المصلحة في آيات معرضة للنظر والتأمل ليهتدي قوم، ويضل آخرون.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ الآية، المعنى في هذه الآية: التنبيه على آيات الله الموجودة في أنواع مخلوقاته؛ أي: قل لهم: إن الله قادر على أن ينزل آية، إلا أنكم لا تعلمون وجه الحكمة في أن لا ينزل آية مجهزة، وإنما يحيل على الآيات المنصوبة لمن فكر واعتبر، كالدواب والطير التي قد حصرت جميع الحيوان، وهي أمم؛ أي: جماعات مماثلة للناس في الخلق والرزق والحياة والموت والحشر.

ويحتمل أن يريد بالمماثلة: أنها في كونها أمماً لا غير، كما تريد بقولك: مررت برجل مثلك؛ أي: في أنه رجل، ويصح في غير ذلك من الأوصاف إلا أن الفائدة في هذه الآية، إنما تقع بأن تكون المماثلة في أوصاف غير كونها أمماً.

قال الطبري وغيره: والمماثلة في أنها يهتبل بأعمالها وتحاسب ويقتص لبعضها

---

(١) زيادة من السليمانية وفيض الله.

(٢) البيت للأشهب بن رميلة، نسبه له أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٥٢) كما تقدم في تفسير الآية (١١٦) من (سورة البقرة).

من بعض(١)، على ما روي في الأحاديث؛ أي: فإذا كان يفعل هذا بالبهائم؛ فأنتم أحرى؛ إذ أنتم مكلفون عقلاء.

وروى أبو ذر أنه انتطحت عنزان بحضرة النبي ﷺ فقال: «أتعلمون فيم انتطحتا؟» قلنا: لا، قال: «فإن الله يعلم، وسيقضي بينهما»(٢)، وقد قال مكي في المماثلة. إنها تعرُّف الله تعالى وتعبده(٣)، وهذا قول خلف.

و﴿دَآبَّةٍ﴾ وزنها: فاعلة، وهي صفة وضعت موضع الاسم، كما قالوا: الأعرج والأبرق، وأزيل منه معنى الصفة، وليست بالصفة الغالبة في قولنا: العباس والحارث؛ لأن معنى الصفة باقٍ في الصفة الغالبة.

وقرأت طائفة: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ﴾ عطفاً على اللفظ، وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة: (ولا طائرٌ) بالرفع عطفاً على المعنى، وقرأت فرقة: (ولا طير)(٤)، وهو جمع طائر.

وقوله: ﴿بِجَنَاحَيۡهِ﴾: تأكيد وبيان وإزالة للاستعارة المتعاهدة في هذه اللفظة، [٢/ ٨٢] فقد يقال: طائر / السعد والنحس، وقوله تعالى: ﴿أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣]؛ أي: عمله، ويقال: طار لفلان طائر كذا؛ أي: سهمه في المقتسمات، فقوله تعالى: ﴿بِجَنَاحَيۡهِ﴾ إخراج للطائر عن هذا كله.

وقرأ علقمة، وابن هُرمز: (فرَطنا في الكتاب) بتخفيف الراء(٥)، والمعنى واحد.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٤٤).

(٢) منقطع، أخرجه عبد الرزاق في التفسير (٢/ ٤٦)، عن معمر، عن الأعمش ذكره عن أبي ذر، بنحوه، وأخرجه الطبري (١٣٢٢٣) عن الأعمش عمن ذكره، عن أبي ذر به، وأخرجه ابن جرير (١٣٢٢٤)، من طريق منذر الثوري، عن أبي ذر به، وله شاهد من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»، أخرجه مسلم (٢٥٧٢).

(٣) الهداية لمكي (٣/ ٢٠١٣)، بلفظ: أي: يعرفون الله ويعبدونه.

(٤) الأولى في الكشاف (٢/ ٢١)، والشواذ للكرماني (ص: ١٦٦)، والثانية فيه للحسن، وفي مختصر الشواذ (ص: ٤٣) للأعرج.

(٥) وهي أيضاً قراءة شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٤٣)، وتفسير الكشاف (٢/ ٢١).

وقال النقاش: معنى: فرطنا مخففة: أخرنا، كما قالوا: فرط الله عنك المرض؛ أي: أزاله[١]، والأول أصوب، والتفريط: التقصير في الشيء مع القدرة على ترك التقصير.

و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن، وهو الذي يقتضيه نظام المعنى في هذه الآيات، وقيل: اللوح المحفوظ، ومن شيء على هذا القول عام في جميع الأشياء، وعلى القول بأنه قرآن خاص في الأشياء التي فيها منافع للمخاطبين وطرائق هدايتهم.

و﴿يُحْشَرُونَ﴾ قالت فرقة: حشر البهائم موتها، وقالت فرقة: حشرُها: بَعْثُها، واحتجوا بالأحاديث المضمنة أن الله تعالى يقتص للجمَّاء من القرناء[٢]، ومن قال: إنما هي كنايةٌ عن العدل، وليست بحقيقة، فهو قولٌ مردودٌ ينحو إلى القول بالرموز ونحوها.

قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾.

كأنه قال: وما من دابة ولا طائر ولا شيء إلا فيه آية منصوبة على وحدانية الله تعالى، ولكن الذين كذبوا بآياتنا صم وبكم لا يتلقون[٣] ذلك ولا يقبلونه، وظاهر الآية أنها تعم كل مكذب، وقال النقاش: نزلت في بني عبد الدار[٤].

قال القاضي أبو محمد: ثم انسحبت على سواهم، ثم بيَّن أن ذلك حكم من الله ـ عز وجل ـ بمشيئته في خلقه، فقال مبتدئاً الكلام: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ شرط وجوابه.

وقوله: ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ينوب عن «عُمْي»، و﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أهول عبارة، وأفصح وأوقع في النفس، و«الصراط»: الطريق الواضح.

---

(١) نقله عنه في البحر المحيط (٤/ ٥٠٣).

(٢) صحيح مسلم (٢٥٨٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في الحمزوية: «يعقلون».

(٤) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٥٠٥)، وفي المطبوع: «في عبد الدار»، دون لفظة: «بني».

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾ الآية، ابتداء احتجاج على الكفار الجاعلين لله شركاء، والمعنى: أرأيتم إذا خفتم عذاب الله، أو خفتم هلاكاً، أو خفتم الساعة، أتدعون أصنامكم وتلجئون إليها في كشف ذلك إن كنتم صادقين في قولكم: إنها آلهة؟ بل تدعون الله الخالق الرزاق فيكشف ما خفتموه إن شاء، وتنسون أصنامكم؛ أي: تتركونهم، فعبر عن الترك بأعظم وجوهه الذي هو مع الترك ذهول وإغفال، فكيف يجعل إلهاً من هذه حاله في الشدائد والأزمات؟

وقرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ بألف مهموزة على الأصل؛ لأن الهمزة عين الفعل.

وقرأ نافع بتخفيف الهمزة بَيْنَ بَيْنَ، على عرف التخفيف وقياسه، وروي عنه أنه قرأها بألف ساكنة، وحذف الهمزة[١]، وهذا تخفيف على غير قياس.

والكاف في: أرأيتك زيداً، وأرأيتكم ليست باسم، وإنما هي مجردة للخطاب كما هي في ذلك، وأبصرك زيداً ونحوه، ويدل على ذلك أنّ «رأيت» بمعنى العلم، إنما تدخل على الابتداء والخبر، فالأول من مفعوليها هو الثاني بعينه، والكاف في: أرأيتك زيداً ليست المفعول الثاني، كقوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء: ٦٢]، فإذا لم تكن اسماً صح أنها مجردة للخطاب، وإذا تجردت للخطاب صحّ أن التاء ليست للخطاب، كما هي في أنت؛ لأن علامتي خطاب لا تجتمع على كلمة واحدة[٢]، كما لا تجتمع علامتا تأنيث ولا علامتا استفهام، فلما تجردت التاء من الخطاب وبقيت علامة الفاعل فقط؛ استغني عن إظهار تغيير[٣] الجمع فيها والتأنيث؛ لظهور ذلك في الكاف[٤]،

---

(١) وهي رواية ورش عنه، وكلها سبعية، انظر السبعة في القراءات (ص: ٢٥٧)، وفي الحمزوية: «ابن عباس»، بدل: «ابن عامر».

(٢) «واحدة»: زيادة من السليمانية، وهي في لالاليه ملحقة في الهامش.

(٣) في الحمزوية: «معنى».

(٤) في المطبوع: «الكلام».

وبقيت التاء على حد واحد في الإفراد والتثنية والجمع والتأنيث، وروي عن بعض بني كلاب أنه قال: أتعلمك كان أحد أشعر من ذي الرمة[١]، فهذه الكاف صلة في الخطاب.

﴿أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ معناه: أتاكم خوفه، وأماراته[٢] وأوائله مثل الجدب والبأساء والأمراض ونحوها التي يخاف منها الهلاك، ويدعو إلى هذا التأويل أنا لو قدرنا إتيان العذاب وحلوله لم يترتب أن يقول بعد ذلك: ﴿فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ﴾؛ لأن ما قد صح حلوله ومضى على البشر لا يصح كشفه، ويحتمل أن يراد بـ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ في هذه الآية ساعة موت الإنسان.

وقوله تعالى: ﴿بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ﴾ الآية، المعنى: بل لا ملجأ لكم إلا الله، وأصنامكم مطرحة منسية، و﴿مَا﴾: بمعنى الذي تدعون إليه من أجله، ويصح أن تكون ﴿ما﴾ ظرفية، ويصح أن تكون مصدرية على حذف في الكلام، قال الزجَّاج: هو مثل: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢][٣].

والضمير في ﴿إِلَيۡهِ﴾ يحتمل أن يعود إلى الله تعالى بتقدير: فيكشف ما تدعون إليه[٤] إلى الله تعالى، [ويحتمل أن يعود على ﴿مَا﴾ بتقدير: فيكشف ما تدعون إليه][٥].

وإِنْ شاءَ استثناء؛ لأن المحنة إذا أظلت عليهم فدعوا الله[٦] في كشفها وصرفها، فهو لا إله إلا هو كاشف إن شاء، ومصيب إن شاء، لا يجب عليه شيء، وتقدَّم معنى: ﴿وَتَنسَوۡنَ﴾.

---

(١) نقله الطبري في تفسيره (١١/ ٣٥٢).

(٢) في الحمزوية: «أراكم تخوفه، وأمارته».

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٤٧).

(٤) في المطبوع وفيض الله: «فيه».

(٥) زيادة من لالايه والمطبوع.

(٦) في المطبوع: «إليه».

و﴿إِيَّاهُ﴾: اسم مضمر أجري مجرى المظهرات في أنه يضاف أبداً، وقيل: هو مبهم وليس بالقوي؛ لأن الأسماء المبهمة مضمنة الإشارة إلى حاضر، نحو: ذاك وتلك وهؤلاء، و«إيَّا» ليس فيه معنى الإشارة.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٥)﴾.

في الكلام حذف يدل عليه الظاهر تقديره: فكذبوا فأخذناهم، ومعناه: لازمناهم وتابعناهم الشيء بعد الشيء.

(البأساء): المصائب في الأموال، و(الضَّرَّاء): في الأبدان، هذا قول الأكثر، وقيل: قد يوضع كل واحد بدل الآخر، ويؤدب الله تعالى عباده / بالبأساء والضرّاء، ومن [٢/ ٨٣] هنالك أدَّب العباد نفوسهم بالبأساء في تفريق المال، والضراء في الحمل على البدن في[1] جوع وعُرْي، والترجي في (لعل) في هذا الموضع إنما هو على معتقد البشر؛ أي: لو رأى أحد ذلك الفعل[2] لرجا تضرعهم بسببه، والتضرع: التذلل والاستكانة، وفي المثل: أن الحمى أضرعتني لك[3]، ومعنى الآية: توعد الكفار وضرب المثل لهم.

و(لولا): تحضيض، وهي التي تلي الفعل بمعنى: «هلا»، وهذا على جهة المعاتبة لمذنب غائب وإظهار سوء فعله مع تحسر ما عليه.

والمعنى: إذ جاءهم أوائل البأس وعلاماته، وهو تردد البأساء والضراء.

---

(١) في فيض الله والسليمانية «من» بدل: «في».

(٢) «الفعل»: زيادة من فيض الله والسليمانية ولالاليه.

(٣) ويروى: لك يا فراش، ويروى لك يا قطيفة، أي: ألجأتني، يضرب لمن يذل في حاجة تنزل به، انظر المستقصى (١/ ٣١٣).

و﴿قَسَتْ﴾ معناه: صلبت، وهي عبارة عن الكفر ونسب التزيين إلى الشيطان، وقد قال تعالى في آية أخرى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨]؛ لأن تسبب الشيطان ووسوسته تجلب حسن الكفر(١) في قلوبهم، وذلك المجلوب الله يخلقه، فإن نسب إلى الله تعالى فبأنه خالقه، وإلى الشيطان فبأنه مسببه(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟﴾ الآية، عبر عن الترك بالنسيان إذا بلغ وجوه الترك الذي يكون معه نسيان وزوال المتروك عن الذهن.

وقرأ ابن عامر فيما روي عنه: ﴿فتَّحنا﴾ بتشديد التاء(٣).

و﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ معناه: مما كان سد عليهم بالبأساء والضراء من النعم الدنياوية، فهو عموم معناه خصوص.

و﴿فَرِحُوا۟﴾ معناه: بطروا وأشروا وأعجبوا وظنوا أن ذلك لا يبيد، وأنه دالٌّ على رضا الله عنهم، وهو استدراج من الله تعالى، وقد روي عن بعض العلماء أنه قال: رحم الله عبداً تدبر هذه الآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾(٤).

وقال محمد بن النضر الحارثي(٥): أمهل هؤلاء القوم عشرين سنة(٦).

وروى عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم الله يعطي العباد ما يشاؤون على معاصيهم؛ فذلك استدراج»، ثم تلا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟﴾ الآية كلها(٧).

---

(١) في الحمزوية: «حبس الكفر»، وفي الأصل: «حسن الفكر».

(٢) في المطبوع: «سببه».

(٣) وهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٠٢)، وفي السليمانية: «ابن عباس» بدل: «ابن عامر».

(٤) تفسير الطبري (١١/ ٣٥٩)، عن حماد بن زيد.

(٥) هو محمد بن النضر أبو عبد الرحمن الحارثي الكوفي، عابد أهل الكوفة في زمانه، روى عن الأوزاعي يسيراً، وعنه: عبد الرحمن بن مهدي، وأبو نصر التمار، من الطبقة الثامنة عشرة، تاريخ الإسلام (١١/ ٣٥٤).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٥٩ و٣٦٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٩٢).

(٧) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٤٥)، والطبري (١٣٢٤٠)، والطبراني في الكبير (٩١٣)، =

و﴿أَخَذۡنَٰهُم﴾ في هذا الموضع معناه: استأصلناهم، وسَطَونا بهم، و﴿بَغۡتَةً﴾ معناه: فجأة، والعامل فيه: ﴿أَخَذۡنَٰهُم﴾ وهو مصدر في موضع الحال، لا يقاس عليه عند سيبويه[١]، و«المبلس»: الحزين الباهت اليائس من الخير الذي، لا يُحِير جواباً لشدة ما نزل به من سوء الحال.

وقوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ﴾ الآية، «الدابر»: آخر الأمر الذي يدبره؛ أي: يأتي من خلفه، ومنه قول الشاعر:

[البسيط] فَأُهْلِكُوا بِعَذَابٍ حَصَّ دَابِرَهُمْ ... فَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ دَفْعاً وَلا انْتَصَرُوا[٢]

وقول الآخر:

[الطويل] وَقَدْ زَعَمَتْ عُلْيا بَغِيضٍ وَلفُّهَا ... بِأَنِّي وَحِيدٌ قَدْ تَقَطَّعَ دَابِرِي[٣]

وهذه كناية عن استئصال شأفتهم، ومحو آثارهم، كأنهم وردوا العذاب حتى ورد آخرهم الذي دبرهم.

وقرأ عكرمة: (فقَطَع) بفتح القاف والطاء، (دابرَ) بالنصب[٤].

وحسُن الحمد عقب هذه الآية لجمال الأفعال المتقدمة في أن أرسل الرسل، وتلطَّف في الأخذ بالبأساء والضراء، ليُتضرع إليه فيرحم وينعم، وقطع في آخر الأمر

= وفي الأوسط (٩٢٧٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٢٢٠)، وغيرهم من طريق حرملة بن عمران وابن لهيعة ـ مفرقين أحياناً وجمعهما البعض ـ عن عقبة بن مسلم التجيبي، عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: «إذا رأيت الله يعطي العبدَ من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج»، ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾.

(١) نقله عنه النحاس في إعراب القرآن (٢/ ٨)، ومكي في الهداية (٣/ ٢٠٠٢).

(٢) البيت لأمية بن أبي الصلت الثقفي كما في تفسير الطبري (١١/ ٣٦٤).

(٣) لم أقف على قائله، ولم أجد من استشهد به غير المؤلف.

(٤) وهي قراءة شاذة، تابعه على عزوها في البحر المحيط (٤/ ٥١٥)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ١٦٧) لأبي السمال وأبي البرهسم وابن قطيب.

دابر الظلمة، وذلك حسن في نفسه، ونعمة على المؤمنين، فحسن الحمد يعقب هذه الأفعال، وبحمد الله ينبغي أن يختم كل فعل وكل مقالة لا رب غيره.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

هذا ابتداء احتجاج على الكفار، و﴿أَخَذَ ٱللَّهُ﴾ معناه: أذهبه وانتزعه بقدرته، ووحد السمع؛ لأنه مصدرٌ مفردٌ يدلُّ على جمع، والضمير في: ﴿بِهِ﴾: عائدٌ على المأخوذ، وقيل: على السمع، وقيل: على الهدى الذي يتضمنه المعنى.

وقرأ الأعرج وغيره: ﴿بهُ انظر﴾ بضم الهاء، ورواها المسيبي وأبو قرّة عن نافع[1] و﴿يَصْدِفُونَ﴾ معناه: يعرضون وينفرون، ومنه قول الشاعر:

إِذَا ذَكَرْنَ حَدِيثاً قُلْنَ أَحْسَنَهُ وَهُنَّ عن كُلِّ سُوءٍ يُتَّقَى صُدُفُ[2] [البسيط]

قال النقاش: في الآية دليلٌ على تفضيل السمع على البصر؛ لتقدمته هنا، ثم احتج لذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]، وبغير ذلك[3].

والاستفهام في قوله: ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ﴾ الآية، معناه: التوقيف؛ أي: ليس ثمة إله سواه، فما بال تعلقكم بالأصنام، وتمسككم بها، وهي لا تدفع ضرراً، ولا تأتي بخير، وتصريف الآيات هو نصب العبر، ومجيء آيات القرآن بالإنذار والإعذار والبشارة ونحوه.

---

(١) انظر: السبعة في القراءات (١/ ٢٥٧)، وتقدم مثلها للأعرج قريباً، وفي الحمزوية: «فروة»، بدل: «قرة».
(٢) البيت لعدي بن الرقاع كما في تفسير الطبري (١١/ ٣٦٦)، وعزاه الخالديان في الحماسة (ص: ٩٧) للقطاميّ.
(٣) تفسير القرطبي (٦/ ٤٢٨).

قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ﴾ الآية، وعيدٌ وتهديدٌ، و﴿بَغۡتَةً﴾ معناه: لا يتقدم عندكم منها علم، و﴿جَهۡرَةً﴾ معناه: تبدو لكم مخايله ومباديه، ثم تتوالى حتى تنزل.

قال الحسن بن أبي الحسن: ﴿بَغۡتَةً﴾: ليلاً، و﴿جَهۡرَةً﴾: نهاراً[١].

قال مجاهد: ﴿بَغۡتَةً﴾: فجأة آمنين، و﴿جَهۡرَةً﴾: وهم ينظرون[٢].

وقرأ ابن مُحيصن: (هل يَهْلِك) على بناء الفعل للفاعل[٣]، والمعنى: هل تهلكون إلا أنتم؟ لأنَّ الظلم قد تبين في حيزكم، و﴿هَلۡ﴾: ظاهرها الاستفهام، ومعناها التسوية المضمنة للنفي، ولا تكون التسوية بها إلا في النفي، وتكون بالألف في نفي وفي إيجاب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ الآية، المعنى: إنما نرسل الأنبياء المخصوصين بالرسالة ليبشروا بإنعامنا ورحمتنا لمن آمن، وينذروا بعذابنا وعقابنا من كذب وكفر، ولسنا نرسلهم ليقترح عليهم الآيات، ويتابعوا شذوذَ كلِّ متعسفٍ متعمق.

ثم وعد مَن سلك طريق البشارة فآمن وأصلح في امتثال الطاعات، وأوعد الذين سلكوا طريق النذارة فكذب بآيات الله وفسق؛ أي: خرج عن الحدِّ في كفرانه وعصيانه.

وقال ابن زيد: كل فسق في القرآن فمعناه: الكذب، ذكره عنه الطبري مسنداً[٤].

و﴿يَمَسُّهُمُ﴾؛ أي: / يباشرهم ويَلْصَق بهم. [٢/ ٨٤]

وقرأ الحسن والأعمش: ﴿الْعَذاب بِّما﴾ بإدغام الباء في الباء، ورويت عن أبي عمرو[٥]، وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش: (يفسِقون) بكسر السين[٦]، وهي لغة.

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ٢٣)، وفي المطبوع: «فجأة»، بدل: «ليلًا».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٦٠).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظرها في الكامل للهذلي (ص: ٥٤٠).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٧٠).

(٥) من رواية السوسي عنه على قاعدته في الإدغام الكبير، انظر التيسير (ص: ١٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١١).

(٦) وهي قراءة شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١١)، وفي فيض الله والسليمانية: «الأعرج» بدل: «الأعمش».

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تفسير ابن عطية

المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي

تحقيق
مجموعة من الباحثين

بإشراف
إدارة الشؤون الإسلامية

الجزء الرابع
من تفسير الآية ٥٠ من الأنعام حتى الآية ٥٩ من التوبة

إصدارات
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

تفسير ابن عطية

المحرر الوجيز

مختصر

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي

□ **تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**
تأليف : الإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي
تحقيق : مجموعة من الباحثين - بإشراف إدارة الشؤون الإسلامية
الطبعة المحققة الأولى : ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

قياس القطع : ١٧ × ٢٤

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر
ص.ب ٤٢٢ الدوحة
البريد الإلكتروني : turathuna@islam.gov.qa

بسم الله الرحمن الرحیم

قوله عز وجل: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٥١﴾.

هذا من الردِّ على القائلين: لولا أنزل عليه آية، والطالبين[١] أن ينزل ملك، أو تكون له جنة أو أكثر[٢]، أو نحو هذا، والمعنى: لستُ بهذه الصفات فيلزمَني أن أجيبكم باقتراحاتكم.

وقوله: ﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ يحتمل معنيين:

أظهرهما: أن يريد أنه بشر لا شيء عنده من خزائن الله ولا من قدرته ولا يعلم شيئاً مما غيِّب عنه.

والآخر: أنه ليس بإله، فكأنه قال: لا أقول لكم إني أتصف بأوصاف إله في أن عندي خزائنه وأني أعلم الغيب، وهذا هو قول الطبري[٣].

وتعطي قوة اللفظ في هذه الآية أن الملك أفضل من البشر، وليس ذلك بلازم من هذا الموضع، وإنما الذي يلزم منه أن الملك أعظم موقعاً في نفوسهم وأقرب إلى الله، والتفضيل يعطيه المعنى عطاء خفيّاً وهو ظاهرٌ من آيات أخر، وهي مسألةُ خلافٍ، و﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ يريد القرآن وسائر ما يأتي به الملك، أي: وفي ذلك عبر وآية لمن تأمل ونظر.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي﴾ أي: قل لهم: إنه لا يستوي الناظر المفكر في الآيات مع الـمُعرِض الكافر المهمل للنظر، فالأعمى والبصير مثالان للمؤمن والكافر، أي: ففكروا أنتم وانظروا وجاء الأمر بالفكرة في عبارة العرض والتحضيض.

---

(١) في الحمزوية: «الظالمين».

(٢) في فيض الله والسليمانية ونور العثمانية ولالاليه: «أو كنز».

(٣) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٧١) وانظر: الهداية لمكي (٣/ ٢٠٢٩).

و﴿أَنذِرْ﴾ عطف على ﴿قُلْ﴾ والنبي ﷺ مأمورٌ بإنذار جميع الخلائق، وإنما وقع التحضيض هنا بحسب المعنى الذي قصد، وذلك أن فيما تقدم من الآيات نوعاً من اليأْس في الأغلب عن هؤلاء الكفرة الذين قد قال فيهم أيضاً: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، [يس: ١٠]، فكأنه قيل له هنا: قل لهؤلاء الكفرة المعرضين: كذا ودعهم ورأيهم لأنفسهم، وأنذر بالقرآن هؤلاء الآخرين الذين هم مظنة الإيمان وأهل للانتفاع، ولم يرد أنه لا ينذر سواهم، بل الإنذار العام ثابت مستقر.

والضمير في ﴿بِهِ﴾ عائد على ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾، و﴿يَخَافُونَ﴾ على بابها في الخوف، أي: الذين يخافون ما تحققوه من أن يحشروا ويستعدون لذلك، وربَّ متحقِّقٍ لشيء مَـخوف وهو لقلة النظر والحزم لا يخافه ولا يستعد له.

قال القاضي أبو محمد: وقال الطبري: وقيل: ﴿يَخَافُونَ﴾ هنا بمعنى: يعلمون[1]، وهذا غير لازم.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ يعم بنفس اللفظ كل مؤمن بالبعث من مسلم ويهودي ونصراني.

وقوله: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ يحتمل معنيين:

فإن جعلناه داخلاً في الخوف في موضع نصب على الحال، أي: يخافون أن يحشروا في حال من لا ولي له ولا شفيع، فهي مختصَّةٌ بالمؤمنين المسلمين، ولأن اليهود والنصارى يزعمون أن لهم شفعاء وأنهم أبناء الله ونحو هذا من الأباطيل.

وإن جعلنا قوله: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ إخباراً من الله تعالى عن صفة الحال يومئذ، فهي عامة للمسلمين وأهل الكتاب.

و﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ترجٍّ على حسب ما يرى البشر ويعطيه نظرهم.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٧٣).

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

المراد بـ﴿الَّذِينَ﴾ ضعفة المؤمنين في ذلك الوقت في أمور الدنيا: بلال، وعمار، وابن أم عبد، ومَرثدٌ الغنوي، وخبَّاب، وصهيب، وصُبيح، وذو الشمالين، والمقداد ونحوهم[١]. وسبب الآية: أن الكفار قال بعضهم للنبي ﷺ: نحن لشرفنا وأقدارنا لا يمكننا أن نختلط بهؤلاء، فلو طردتهم لاتبعناك وجالسناك، وَرَدَ في ذلك حديث عن ابن مسعود[٢].

وقيل: إنما قال هذه المقالة أبو طالب على جهة النصح للنبي ﷺ، قال له: لو أزلت هؤلاء لاتبعك أشراف قومك. وروي أن ملأ قريش اجتمعوا إلى أبي طالب في ذلك[٣].

وظاهر الأمر أنهم أرادوا بذلك الخديعة، فصوب هذا الرأي من أبي طالب عمر ابن الخطاب وغيره من المؤمنين فنزلت الآية[٤].

---

(١) أما صبيح، فقد ذكر في الإصابة (٣/ ٣٢٧) بعض الموالي بهذا الاسم، أشهرهم: مولى أبي العاص بن أمية، خرج إلى بدر، فمرض، ثم شهد المشاهد بعدها، وأما ذو الشمالين فاسمه كما في الإصابة (٢/ ٣٤٥): عمير ابن عبد عمرو الخزاعي، حليف بني زهرة، شهد بدراً واستشهد بها، والباقون تقدم التعريف بهم.

(٢) أخرجه الطبري (١٣٢٥٥-١٣٢٥٦) من طريق أشعث ـ وهو ابن سوار ـ عن كردوس بن العباس الثعلبي عن ابن مسعود قال: مرّ الملأ من قريش بالنبيّ ﷺ، وعنده صهيب وعمار وبلال وخبّاب، ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء من قومك؟ هؤلاء الذين منّ الله عليهم من بيننا؟ أنحن نكون تبعاً لهؤلاء؟ اطردهم عنك! فلعلك إن طردتهم أن نتّبعك! فنزلت هذه الآية: ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه وكذلك فتنا بعضهم ببعض، إلى آخر الآية، وقد رواه عن أشعث بهذا الإسناد: أبو زبيد عبثر بن القاسم، عند الطبري، وأسباط عند أحمد (٣٩٨٥) ورواه جرير ـ وهو ابن عبد الحميد ـ عن أشعث به وقال: عن عبد الله. ورواه حفص ابن غياث عن أشعث به وقال: عن ابن عباس، هكذا وقع عند الطبري، وكردوس لم يوثق.

(٣) هذا الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ٢٦٢-٢٦٣) من طريق ابن جريج، عن عكرمة من قوله بلفظ مطول.

(٤) أخرجه الطبري (١٣٢٨٣) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال ابن عباس: إن بعض الكفار إنما طلب أن يؤخر هؤلاء عن الصف الأول في الصلاة، ويكونون هم موضعهم، ويؤمنون إذا طرد هؤلاء من الصف الأول، فنزلت الآية(١).

وأسند الطبري إلى خباب بن الأرتِّ أن الأقرع بن حابس ومن شابهه من أشراف العرب قالوا للنبي ﷺ: اجعل لنا منك مجلساً لا يخالطنا فيه العبيد والحلفاء [يعرف به فضلنا](٢)، واكتب لنا كتاباً، فهمّ النبي ﷺ بذلك فنزلت هذه الآية(٣).

قال القاضي أبو محمد: وهذا تأويلٌ بعيدٌ في نزول الآية؛ لأن الآية مكية وهؤلاء الأشراف لم يفدوا إلا في المدينة، وقد يمكن أن يقع هذا القول منهم، ولكنه إن كان وقع فبعد نزول الآية بمدة، اللهم إلا أن تكون الآية مدنية.

قال خباب رضي الله عنه: ثم نزلت: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ الآية [الأنعام: ٥٤] فكنا نأتي فيقول لنا: «سلام عليكم» ونقعد معه، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ الآية [الكهف: ٢٨] فكان يقعد معنا، فإذا بلغ الوقت الذي يقوم فيه قمنا وتركناه حتى يقوم.

و﴿يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ قال الحسن بن أبي الحسن: المراد به: صلاة مكة التي كانت مرتين في اليوم بكرة وعشيّاً(٤)/ . [٢/ ٨٥]

وقيل: بل قوله: ﴿بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ عبارة عن استمرار الفعل وأن الزمن معمور به، كما تقول: الحمد لله بكرة وأصيلاً، فإنما تريد الحمد لله في كل وقت.

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢٦٣-٢٦٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) سقط من المطبوع.
(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٣٢٥٨-١٣٢٥٩)، وابن أبي حاتم (٧٣٣١) قال ابن كثير: وهذا حديث غريب فإن هذه الآية مكية والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر. اهـ.
(٤) الهداية لمكي (٣/ ٢٠٣٦)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٧٠).

والمراد على هذا التأويل: قيل: هو الصلوات الخمس، قاله ابن عباس[١]، وإبراهيم النخعي[٢]، وقيل: الدعاء وذكر الله واللفظة على وجهها.

وقال بعض القصاص: إنه الاجتماع إليهم غدوة وعشيّاً، فأنكر ذلك ابنُ المسيب وعبدُ الرحمن بن أبي عمرة[٣] وغيرهما وقالوا: إنما الآية في الصلوات في الجماعة[٤].

وقيل: قراءة القرآن وتعلمه قاله أبو جعفر، ذكره الطبري.

وقيل: العبادة، قاله الضحاك[٥].

وقرأ أبو عبد الرحمن، ومالك بن دينار، والحسن، ونصر بن عاصم، وابن عامر: ﴿بالغُدوة والعشي﴾[٦].

وروي عن أبي عبد الرحمن: (بالغدوِّ) بغير هاء.

وقرأ ابن أبي عبلة: (بالغَدَوات والعَشِيَّاتِ) بألف فيهما على الجمع[٧].

و«غُدوة»: معرفة لأنها جعلت علماً لوقت من ذلك اليوم بعينه، وجاز إدخال الألف

---

(١) أخرجه الطبري (١٣٢٦٦) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٨٢و٣٨٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٣٠).
(٣) عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري المدني القاص، روى عن: أبيه ـ وله صحبة ـ وعن عثمان، وأبي هريرة، وروى عنه: إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، وشريك بن أبي نمر، وثقه محمد بن سعد، توفي بعيد المئة. تاريخ الإسلام (٧/ ١٤٩).
(٤) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٨٣ و٣٨٤)، والهداية لمكي (٣/ ٢٠٣٦).
(٥) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٨٦)، والهداية لمكي (٣/ ٢٠٣٦).
(٦) وهي سبعية متواترة، انظر عزوها لابن عامر في التيسير (ص: ١٠٣)، وللباقين في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٩٣).
(٧) وهما شاذتان، انظر عزو الأولى في البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٥٢١)، والثانية في الشواذ للكرماني (ص: ١٦٨).

واللام عليها، كما حكى أبو زيد: لقيته فينة ـ غير مصروف ـ والفينةَ بعد الفينة[(١)]، فألحقوا لام المعرفة ما استعمل معرفة، وحملاً على ما حكاه الخليل أنه يقال: لقيته اليوم غدوة، منوناً، ولأن فيها مع تعيين اليوم إمكان تقدير معنى الشياع، ذكره أبو علي الفارسي[(٢)].

و﴿وَجْهَهُۥ﴾ في هذا الموضع معناه: جهةَ التزلف إليه، كما تقول: خرج فلان في وجه كذا، أي: في مقصد وجهة.

و﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ معناه: لم تكلف شيئاً غير دعائهم فتقدِّمَ أنت وتؤخر، ويظهر أن يكون الضمير في ﴿حِسَابِهِم﴾ و﴿عَلَيْهِم﴾ للكفار الذين أرادوا طرد المؤمنين، أي: ما عليك منهم آمنوا ولا كفروا[(٣)] فتطرد هؤلاء رعياً لذلك، والضمير في (تطردهم) عائد على الضعفة من المؤمنين، ويؤيد هذا التأويل أن ما بعد الفاء أبداً سبب ما قبلها، وذلك لا يبين إذا كانت الضمائر كلها للمؤمنين.

وحكى الطبري أن الحساب هنا إنما هو في رزق الدنيا، أي: لا ترزقهم ولا يرزقونك[(٤)].

قال القاضي أبو محمد: فعلى هذا تجيء الضمائر كلها للمؤمنين، وذكره المهدوي، وذكر عن الحسن أنه من حساب عملهم[(٥)] كما قال الجمهور.

و﴿مِنْ﴾ الأولى للتبعيض، والثانية زائدة مؤكِّدة.

وقوله: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جواب النفي في قوله: ﴿مَا عَلَيْكَ﴾، وقوله: ﴿فَتَكُونَ﴾ جواب النهي في قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾.

---

(١) نقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة (١٥/ ٣٤٣)، وابن سيده في المحكم والمحيط الأعظم (١٠/ ٤٩٨).

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٣١٩).

(٣) في المطبوع: «أو كفروا».

(٤) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٨٨).

(٥) انظر: التحصيل (٢/ ٥٩٠)، والنكت والعيون للماوردي (٢/ ١١٨).

و﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ معناه: الذين يضعون الشيء غير مواضعه.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ الآية، ﴿فَتَنَّا﴾ معناه: في هذه الآية: ابتلينا، فابتلاء المؤمنين بالمشركين هو ما يَلْقون منهم من الأذى، وابتلاء المشركين بالمؤمنين هو أن يرى الرجل الشريف من المشركين قوماً لا شرف لهم قد عظمهم هذا الدين وجعل لهم عند نبيه قدراً ومنزلة.

والإشارة بـ(ذلك) إلى ما ذكر من طلبهم أن يطرد الضعفة، و﴿لِّيَقُولُوٓاْ﴾ معناه: ليصير بحكم القدر أمرهم إلى أن يقولوا، فهي لام الصيرورة، كما قال تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] أي: ليصير مآله أن يكون لهم عدوًّا، وقول المشركين على هذا التأويل: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ هو على جهة الاستخفاف والهزء.

ويحتمل الكلام معنى آخر، وهو أن تكون اللام في ﴿لِّيَقُولُوٓاْ﴾ على بابها في لام «كي» وتكون المقالة منهم استفهاماً لأنفسهم ومباحثة لها، وتكون سببَ إيمانِ مَن سبق إيمانه منهم.

فمعنى الآية على هذا التأويل: وكذلك ابتلينا أشراف الكفار بضعفاء المؤمنين ليتعجبوا في نفوسهم من ذلك ويكون سبب نظر لمن هدي.

قال القاضي أبو محمد: والتأويل الأول أسبق(١)، والثاني يتخرج.

و﴿مَنَّ﴾ على كلا التأويلين إنما هي على معتقد المؤمنين، أي: هؤلاء منّ الله عليهم بزعمهم أن دينهم منة.

وقوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أي: يا أيها المستخفون ـ أو المتعجبون على التأويل الآخر ـ ليس الأمر أمر استخفاف ولا تعجب، فالله أعلم بمن يشكر نعمته

(١) في السليمانية: «أقيس»، بدل: «أسبق».

وبالمواضع التي ينبغي أن يوضع فيها، فجاء إعلامهم بذلك في لفظ التقرير[١] إذ ذلك بيِّن لا تمكنهم فيه معاندة.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

قال جمهور المفسرين: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ يراد بهم القوم الذين كان عُرِض طردهم فنهى الله عز وجل عن طردهم، وشفع ذلك بأن أمر بأن يسلِّم النبي ﷺ عليهم ويؤنسهم.

وقال عكرمة وعبد الرحمن[٢] بن زيد: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ يراد بهم القوم من المؤمنين الذين صوبوا رأي أبي طالب في طرد الضعفة، فأمر الله نبيَّه أن يسلِّم عليهم ويعلمهم أن الله يغفر لهم مع توبتهم من ذلك السوء وغيره.

وأسند الطبري عن ماهان[٣] أنه قال: نزلت الآية في قوم من المؤمنين استفتوا النبي ﷺ في ذنوب سلفت منهم، فنزلت الآية بسببهم[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهي على هذا تعم جميع المؤمنين دون أن تشير إلى فرقة.

وقال الفضيل بن عياض: قال قوم للنبي ﷺ: إنّا قد أصبنا ذنوباً فاستغفر لنا، فأعرض عنهم، فنزلت الآية[٥].

وقوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يعم آيات القرآن وأيضاً علامات النبوة كلها، و﴿سَلَٰمٌ

---

(١) في الأصل والمطبوع والحمزوية ونور العثمانية ونجيبويه ولالاليه: «التقدير».

(٢) في لالاليه ونور العثمانية: «عبد الله»، والمثبت هو الصواب. انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٩١).

(٣) ماهان الحنفي أبو سالم الأعور الكوفي، ويقال له: المسبح، روى عن: ابن عباس، وغيره، وعنه: عمار الدهني، وجعفر بن أبي المغيرة، وطلحة بن الأعلم، وجماعة، قال فضيل بن غزوان: كان لا يفتر من التسبيح، قتله الحجاج سنة (٨٣هـ)، وتاريخ الإسلام (٦/ ١٩٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٩١).

(٥) لم أجده مسنداً، وانظر: الهداية لمكي (٣/ ٢٠٣٤).

عَلَيْكُمْ ﴾ ابتداءٌ، والتقدير: سلامٌ ثابتٌ أو واجبٌ عليكم، والمعنى: أمنة لكم من عذاب الله في الدنيا والآخرة، وقيل: المعنى: إن الله يسلم عليكم.

قال القاضي أبو محمد: وهذا معنى لا يقتضيه لفظ الآية حكاه المهدوي[١]، ولفظه لفظ الخبر وهو في معنى الدعاء، وهذا من المواضع التي جاز فيها الابتداء بالنكرة إذ قد تخصصت.

و﴿ كَتَبَ ﴾ بمعنى: أوجب، والله تعالى لا يجب عليه شيء عقلاً، إلا إذا أَعْلَمنا أنه قد حتم بشيءٍ ما فذلك / الشيء واجب. [٢/ ٨٦]

وفي: أين هذا الكتاب اختلافٌ: قيل: في اللوح المحفوظ، وقيل: في كتاب غيره، لقوله ﷺ في «صحيح البخاري»: «إن الله تعالى كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي»[٢].

وقرأ عاصم، وابن عامر: ﴿أَنَّهُۥ﴾ بفتح الهمزة في الأولى والثانية، فـ﴿أَنَّهُۥ﴾ الأولى بدل من ﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾ و(أنه) الثانية خبر ابتداءٍ مضمرٍ[٣]، تقديره: فأمره أنه غفور رحيم، هذا مذهب سيبويه، وقال أبو حاتم: ﴿ فَأَنَّهُۥ﴾ ابتداء، ولا يجوز هذا عند سيبويه[٤].

وقال النحاس: هي عطف على الأولى وتكرير لها؛ لطول الكلام[٥]، قال أبو علي: ذلك لا يجوز؛ لأن ﴿مَنْ﴾ لا يخلو أن تكون موصولة بمعنى الذي فتحتاج إلى خبر، أو تكون شرطية فتحتاج إلى جواب، وإذا جعلنا ﴿ فَأَنَّهُۥ﴾ تكريراً للأولى وعطفاً عليها بقي المبتدأ بلا خبر، أو الشرط بلا جواب[٦].

---

(١) انظر: التحصيل (٢/ ٥٩٠).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧٤٢٢)، ومسلم (٢٧٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) في الأصل: «لمضمر»، وفي السليمانية: «محذوف».
(٤) الكتاب ٣/ ١٣٤ وما بعدها.
(٥) إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٩)، وانظر فيه الخلاف بين سيبويه وأبي حاتم والأخفش.
(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٢).

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿إنه﴾ بكسر الهمزة في الأولى والثانية، وهذا على جهة التفسير للرحمة في الأولى والقطع فيها، وفي الثانية: إما في موضع الخبر أو موضع جواب الشرط، وحكم ما بعد الفاء إنما هو الابتداء.

وقرأ نافع بفتح الأولى وكسر الثانية[١]، وهذا على أنْ أَبدل من ﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾ واستأنف بعد الفاء.

وقرأت فرقة بكسر الأولى وفتح الثانية، حكاه الزهراوي عن الأعرج[٢]، وأظنه وهماً، لأن سيبويه حكاه عن الأعرج مثل قراءة نافع.

وقال أبو عمرو الداني: قراءة الأعرج ضدُّ قراءة نافع[٣].

و«الجهالة» في هذا الموضع تعم التي تضاد العلم والتي تشبَّه بها، وذلك أن المتعمِّد لفعل الشيء الذي قد نهي عنه تسمى[٤] معصيته تلك جهالة، إذ قد فعل ما يفعله الذي لم يتقدم له علم.

قال مجاهد: من الجهالة أن لا يعلم حلالاً من حرام، ومن جهالته أن يركب الأمر[٥].

ومن هذا الذي لا يضاد العلم قول النبي ﷺ في استعاذته: «أو أجهل أو يجهل عليّ»[٦]، ومنه قول الشاعر:

---

(١) وكلها سبعية، انظر: السبعة (ص: ٢٥٨)، والتيسير (ص: ١٠٣).
(٢) وهي شاذة، انظر إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٢).
(٣) انظر قول سيبويه في الكتاب (٣/ ١٣٤)، وقول الداني في البحر المحيط (٤/ ٥٢٨).
(٤) في المطبوع: «تشمل».
(٥) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٩٣)
(٦) منقطع، أخرجه الطيالسي في مسنده (١٧١٢)، والحميدي في مسنده (٣٠٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٩٢٠٠)، وأحمد في مسنده (٦/ ٣١٨-٣٢١ رقم ٢٦٧٠٤-٢٦٧٢٩)، وعبد بن حميد في مسنده (١٥٣٦)، وأبو داود (٥٠٩٤)، والترمذي (٣٤٢٧)، وابن ماجه (٣٨٨٤)، والنسائي (٥٤٨٦-٥٥٣٩)، وفي الكبرى (٧٨٦٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٠٠) وغيرهم من طرق عن الشعبي عن أم سلمة رضي الله عنها. وقال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم: حديث صحيح =

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا[١] [الوافر]

والجهالة المشبهة ليست بعذر في الشرع جملةً، والجهالة الحقيقية يعذَر بها في بعض ما يخف من الذنوب ولا يعذر بها في كبيرة.

و«التوبة»: الرجوع، وصحتها مشروطة باستدامة الإصلاح بعدها في الشيء الذي تيب منه.

والإشارة بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدم من النهي عن طرد المؤمنين وبيان فساد منزع العارضين[٢] لذلك.

و«تفصيل الآيات»: تبيينها وشرحها وإظهارها.

واللام في قوله: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ متعلقة بفعل مضمر تقديره: ولتستبين سبيل المجرمين فصَّلناها.

وقرأ نافع: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ بالتاء، أي: النبي ﷺ، ﴿سَبِيلَ﴾ بالنصب حكاه مكي في «المشكل» له[٣].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ برفع «السبيل» وتأنيثها، وقرأ عاصم في رواية أبي بكرٍ وحمزةُ والكسائي: ﴿وَلِيَسْتَبِينَ سَبِيلُ﴾ برفع «السبيل» وتذكيرها[٤].

= على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وربما توهَّم متوهم أن الشعبي لم يسمع من أم سلمة وليس كذلك فإنه دخل على عائشة وأم سلمة جميعا ثم أكثر الرواية عنهما جميعاً. وقال الحافظ في نتائج الأفكار (١/ ١٥٩-١٦١): وقد خالف ذلك في علوم الحديث له، فقال: لم يسمع الشعبي من عائشة. وقال ابن المديني في العلل: لم يسمع الشعبي من أم سلمة. قال الحافظ: وعلى هذا فالحديث منقطع. وروي عن الشعبي عن ميمونة رضي الله عنها، ولا يصح. اهـ.

(١) البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته المشهورة: ألا هبِّي، انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٨٧)، وشرح المعلقات التسع (ص: ٣٤٧)، وعيون الأخبار (٢/ ٢١٠)، والعقد الفريد (٥/ ٣٤٤).

(٢) في السليمانية: «المعارضين» بدل: «العارضين».

(٣) مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٢٥٤) وفي المطبوع: «ولِيَسْتَبِينَ» (بالياء المثناة من تحت).

(٤) وكلها سبعية، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢٥٨)، والتيسير (ص: ١٠٣).

وعرب الحجاز تؤنث السبيل، وتميم وأهل نجد يذكِّرونها[١].

وخص ﴿سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾؛ لأنهم الذين أثاروا ما تقدم من الأقوال، وهم أهم في هذا الموضع لأنها آيات رد عليهم، وأيضاً فتبيين سبيلهم يتضمن بيان سبيل المؤمنين، وتأول ابن زيد أن قوله: ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ يُعنى به الآمرون بطرد المؤمنين الضعفة[٢].

قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يجاهرهم بالتبري مما هم فيه.

و﴿أَنْ أَعْبُدَ ﴾ هو بتأويل المصدر، التقدير: عن عبادة، ثم حذف الجارُّ فتسلط الفعل ثم وضع ﴿أَنْ أَعْبُدَ ﴾ موضع المصدر، وعبر عن الأصنام بـ﴿ٱلَّذِينَ ﴾ على زعم الكفار حين أنزلوها منزلةَ مَن يعقل، و﴿تَدْعُونَ ﴾ معناه: تعبدون، ويحتمل أن يريد: تدعون في أموركم، وذلك من معنى العبادة واعتقادها آلهة.

وقرأ جمهور الناس: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ ﴾ بفتح اللام.

وقرأ يحيى بن وثاب وأبو عبد الرحمن السلمي وطلحة بن مصرف: (ضلِلت) بكسرها[٣]، وهما لغتان.

و﴿إِذًا ﴾ في هذا الموضع متوسطة وما بعدها معتمد على ما قبلها فهي غير عاملة إلا أنها تتضمن معنى الشرط فهي بتقدير: إن فعلت ذلك.

---

(١) انظر: معاني القرآن للأخفش (٢/ ٦٤)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٩٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٠٢)، وفي الحمزوية والمطبوع وفيض الله والسليمانية: «الآمرين».

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها ليحيى وطلحة في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٣)، وللسلمي في البحر المحيط (٤/ ٥٣٠).

و«أَهْواء»: جمع هوى، وهو الإرادة والمحبة في الـمُرْدِيات من الأمور، هذا غالب استعمال الهوى، وقد تقدم.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ الآية، هذه الآية تماد في إيضاح مباينته لهم، والمعنى: قل إني على أمرٍ بيِّن فحذف الموصوف، ثم دخلت هاء المبالغة، كقوله عز وجل: ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤].

ويصح أن تكون الهاء في ﴿بَيِّنَةٍ﴾ مجردة للتأنيث، ويكون بمعنى البيان، كما قال: ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

والمراد بالآية: إني أيها المكذبون في اعتقادي ويقيني وما حصل في نفسي من العلم على بينة من ربي.

﴿وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾ الضمير ﴿بِهِ﴾ عائد على ﴿بَيِّنَةٍ﴾ في تقدير هاء المبالغة، أو على البيان التي هي ﴿بَيِّنَةٍ﴾ بمعناه في التأويل الآخر، أو على الرب، وقيل: على القرآن، وهو وإن لم يتقدم له ذكرٌ جلي فإنه بعض البيان الذي منه حصل الاعتقاد واليقين للنبي ﷺ، فيصح عود الضمير عليه.

قال القاضي أبو محمد: وللنبي ﷺ أمور أخر غير القرآن وقع له العلم أيضاً من جهتها، كتكليم الحجارة له، ورؤيته للملك قبل الوحي وغير ذلك.

وقال بعض المفسرين: الضمير في ﴿بِهِ﴾ عائدٌ على ﴿مَا﴾ والمراد بها: الآيات المقترحة على ما قال بعض المفسرين.

وقيل: المراد بها العذاب. وهذا يترجح بوجهين:

أحدهما: من جهة المعنى، وذلك أن قوله: ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾/ يتضمن أنكم [٢/ ٨٧] واقعتم ما تستوجبون به العذاب إلا أنه ليس عندي.

والآخر: من جهة اللفظ، وهو الاستعجال الذي لم يأت في القرآن استعجالهم إلا للعذاب لأن اقتراحهم للآيات لم يكن باستعجال.

وقوله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أي: القضاء والإنفاذ ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ أي: يخبر به، والمعنى: يقص القَصَص الحق، وهذه قراءة ابن كثير وعاصم ونافع وابن عباس.

وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وابن عامر: ﴿يقضي الحق﴾[١] أي: ينفذه، وتُرجح هذه القراءة بقوله: ﴿ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ لأن الفصل مناسب للقضاء، وقد جاء أيضاً الفصل والتفصيل مع القصص.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (وهو أسرع الفاصلين)[٢].

قال أبو عمرو الداني: وقرأ عبد الله وأبيّ ويحيى ابن وثاب وإبراهيم النخعي وطلحة والأعمش: (يقضي بالحق) بزيادة باء الجر.

وقرأ مجاهد وسعيد بن جبير: (يقضي الحق وهو خير الفاصلين)[٣].

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى﴾ الآية، المعنى: لو كان عندي الآيات المقترحة، أو العذاب على التأويل الآخر ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾، أي: لوقع الانفصال وتم التنازع لظهور الآية المقترحة، أو: لنزل العذاب بحسب التأويلين.

وحكى الزهراوي: أن المعنى: لقامت القيامة، ورواه النقاش عن عكرمة، وقال بعض الناس: معنى ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: لذبح الموت[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قولٌ ضعيفٌ جدّاً؛ لأن قائله سمع هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [مريم: ٣٩] وذبح الموت هنا لائق، فنقله

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٠٤)، والسبعة (ص: ٢٥٩)، وانظر النسبة لابن عباس في تفسير الطبري (١١/ ٣٩٩).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظرها في تفسير الطبري (١١/ ٣٩٨)، والهداية لمكي (٣/ ٢٠٤٢).

(٣) وهما شاذتان، انظر الأولى لابن مسعود في معاني القرآن للفراء (١/ ٣٣٨)، وكتاب المصاحف (١/ ١٧٦)، وللباقين مع الثانية في البحر المحيط (٤/ ٥٣١)، دون ذكر الداني.

(٤) انظر عزو القول الأول لعكرمة مع القول الثاني في تفسير الطبري (٢١/ ٢٦٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٦٥).

إلى هذا الموضع دون شَبَه، وأسند الطبري هذا القول إلى ابن جريج غير مقيد بهذه السورة[١]، والظن بابن جريج أنه إنما فسر الذي في يوم الحسرة.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يتضمن الوعيد والتهديد.

قوله عز وجل: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ﴾ جمع مَفْتَح، وهذه استعارةُ عبارةٍ عن التوصل إلى الغيوب، كما يتوصل في الشاهد بالمفتاح إلى المغيَّب عن الإنسان، ولو كان جمع مفتاح لقال: مفاتيح، ويظهر أيضاً أن ﴿مَفَاتِحُ﴾ جمع مفتح بفتح الميم، أي: مواضع تفتح عن المغيبات، ويؤيد هذا قول السدي وغيره: ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾: خزائن الغيب[٢]، فأمَّا مفتح بالكسر فهو بمعنى مفتاح، قال الزهراوي: ومِفتح أفصح[٣].

وقال ابن عباس وغيره: الإشارة بـ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ هي إلى الخمسة التي في آخر سورة لقمان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٤٣] الآية[٤]، لأنها تعم جميع الأشياء التي لم توجد بعد.

ثم قوَّى البيان بقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ تنبيهاً على أعظم المخلوقات

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ٣٨٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٠١)، في لالاليه: «الطبري»، بدل: «السدي» مع الإشارة إلى النسخة الأخرى في هامشه.

(٣) نقله عنه في تفسير البحر المحيط (٤/ ٥٣٥).

(٤) منقطع، أخرجه الطبري (١٣٣٠٧) من طريق عطاء الخرساني، عن ابن عباس، ولم يسمع منه كما قال أحمد، وانظر: جامع التحصيل (٥٢٢).

المجاورة للبشر، وقوله: ﴿مِن وَرَقَةٍ﴾ على حقيقته في ورق النباتات، و﴿مِن﴾ زائدة، و﴿إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ يريد على الإطلاق، وقبل السقوط ومعه وبعده، ﴿وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ﴾ يريد في أشد حال التغيب، وهذا كله وإن كان داخلاً في قوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ عند من رآها في الخمس وغيرها، ففيه البيان والإيضاح والتنبيه على مواضع العبر، أي: إذا كانت هذه المحقورات معلومة فغيرها من الجلائل أحرى.

﴿وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ﴾ عطف على اللفظ.

وقرأ الحسن وعبد الله بن أبي إسحاق: (ولا رطبٌ ولا يابسٌ) بالرفع[١] عطفاً على الموضع في ﴿وَرَقَةٍ﴾ لأن التقدير: وما تسقط ورقة.

و﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ قيل: يعني كتاباً على الحقيقة، ووجه الفائدة فيه امتحان ما يكتبه الحفظة، وذلك أنه روي أن الحفظة يرفعون ما كتبوه ويعارضونه بهذا الكتاب المشار إليه ليتحققوا صحة ما كتبوه[٢].

وقيل: المراد بقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ علم الله[٣] عز وجل المحيط بكل شيء.

وحكى النقاش عن جعفر بن محمد قولاً: أن «الورقة» يراد بها: السقط من أولاد بني آدم، و«الحبة» يراد بها: الذي ليس بسقط، و«الرطب» يراد به: الحي، و«اليابس» يراد به: الميت[٤]، وهذا قول جارٍ على طريقة الرموز، ولا يصح عن جعفر بن محمد رضي الله عنه، ولا ينبغي أن يُلتفت إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ﴾ الآية، فيها إيضاح الآيات

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٤٣)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٣).
(٢) ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٣٧٣) من طريق رجل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) في المطبوع: «على الله»، وهو خطأ.
(٤) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ١١١).

المنصوبة للنظر، وفيها ضرب مثل للبعث من القبور، لأن هذا أيضاً إماتة وبعث على نحوٍ مّا، والتوفي هو استيفاء عدد، قال الشاعر:

إِنَّ بَنِـي الأَدْرَم لَيْسُـوا مِـنْ أَحَـدْ وَلَا تَوَفَّاهُـمْ قُرَيْشٌ فِـي الْعَدَدْ[1] [الرجز]

وصارت اللفظة عرفاً في الموت، وهي في النوم على بعض التجوُّز.

و﴿جَرَحْتُم﴾ معناه: كسبتم، ومنه جوارح الصيد، أي: كواسبه، ومنه: جوارح البدن؛ لأنها كواسب النفس، ويحتمل أن يكون ﴿جَرَحْتُم﴾ هنا من الجرح، كأن الذنب جَرح في الدِّين، والعرب تقول: «جرح اللسان كجرح اليد»[2].

وروي عن ابن مسعود أو سلمان ـ شك ابن دينار ـ أنه قال: إن هذه الذنوب جراحات فمنها شوىً ومنها مقتلة، ألا وإن الشرك بالله مقتلة[3].

و﴿يَبْعَثُكُمْ﴾ يريد الإيقاظ، والضمير في ﴿فِيهِ﴾ عائد على النهار، قاله مجاهد وقتادة والسدي[4].

وذكر النوم مع الليل واليقظة مع النهار بحسب الأغلب، وإن كان النوم يقع بالنهار واليقظة بالليل فنادر، ويحتمل أن يعود الضمير على التوفِّي، أي: يوقظكم في التوفي أي في خلاله وتضاعيفه، قاله عبد الله بن كثير[5].

وقيل: يعود على الليل، وهذا قلِق في اللفظ، وهو في المعنى نحو من الذي قبله.

---

(١) البيت لمنظور الزّبيريّ كما في مجاز القرآن (٢/ ١٣٢)، وسماه في تهذيب اللغة (٥/ ٢٤٨) الوبري قال: أي: لا تجعلهم تمام عددهم.

(٢) أصله: «وجرح اللسان كجرح اليد»، وهو عجز بيت لامرئ القيس، انظر: البيان والتبيين (١/ ١٤٤)، والمعاني الكبير (٢/ ٨٢٣).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٠٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٠٦).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٠٨).

وقرأ طلحة بن مصرف وأبو رجاء: (ليقضي أجلاً مسمًّى)[١].

والمراد بالأجل: آجال بني آدم.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ يريد بالبعث والنشور.

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم﴾ أي: يُعْلمكم إعلام توقيف ومحاسبة.

قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ
ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ / وَهُوَ [٢/ ٨٨]
أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿ٱلْقَاهِرُ﴾ إن أُخذ منه صفةُ فعلٍ ـ أي: مُظهر القهر بالصواعق والرياح والعذاب ـ فيصح أن يجعل ﴿فَوْقَ﴾ ظرفية للجهة؛ لأن هذه الأشياء إنما تعاهدها العباد من فوقهم، وإن أخذ ﴿ٱلْقَاهِرُ﴾ صفة ذات بمعنى القدرة والاستيلاء فـ﴿فَوْقَ﴾ لا يجوز أن تكون للجهة، وإنما هي لعلو القدْر والشأن، على حد ما تقول: الياقوت فوق الحديد[٢].

﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ﴾ معناه: يبثهم فيكم، و﴿حَفَظَةً﴾ جمع حافظ، مثل: كاتب وكتبة، والمراد بذلك: الملائكة الموكلون بكتْب الأعمال، وروي أنهم الملائكة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «تتعاقب فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكة بالنهار»[٣] وقاله السدي وقتادة[٤].

وقال بعض المفسرين: ﴿حَفَظَةً﴾: يحفظون الإنسان من كل شيء حتى يأتي أجله، والأول أظهر.

وكلهم غير حمزة قرأ: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ على تأنيث لفظ الجمع، كقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٤٣)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٣).
(٢) تقدم أن مذهب السلف إثبات صفات الله تعالى كما جاءت دون تعطيل ولا تمثيل.
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٠٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٠٦).

وقرأ حمزة: ﴿توفَّاه رسلنا﴾[١]، وحجته: أن التأنيث غير حقيقي[٢]، وظاهر الفعل أنه ماض كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ [يوسف: ٣٠]، ويحتمل أن يكون بمعنى: تتوفاه، فتكون العلامة مؤنثة، وأمال حمزة من حيث خط المصحف بغير ألف، فكأنها إنما كتبت على الإمالة.

وقرأ الأعمش: (يتوفاه رسلنا) بزيادة ياء في أوله والتذكير[٣].

وقوله تعالى: ﴿رُسُلُنَا﴾ يريد به على ما ذكر ابن عباس وجميع أهل التأويل: ملائكةً مقترنين بملك الموت يعاونونه ويأتمرون له[٤].

وقرأ جمهور الناس: ﴿لَا يُفَرِّطُونَ﴾ بالتشديد.

وقرأ الأعرج: (يُفْرِطون) بالتخفيف[٥]، ومعناه: يجاوزون الحد مما أمروا به.

قال أبو الفتح: فكما أن المعنى في قراءة العامة: لا يقصِّرون، فكذلك هو في هذه: لا يزيدون على ما أمروا به.

ورجع اللفظ في قوله: ﴿رُدُّوٓاْ﴾ من الخطاب إلى الغيبة، والضمير في ﴿رُدُّوٓاْ﴾ عائد على المتقدم ذكرهم، ويظهر أن يعود على العباد فهو إعلام برد الكل، وجاءت المخاطبة بالكاف في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ تقريباً للموعظة من نفوس السامعين، و﴿مَوْلَىٰهُمُ﴾ لفظ عام لأنواع الولاية التي تكون بين الله وبين عبيده من الرّزق والنصرة والمحاسبة والملك وغير ذلك.

---

(١) كلاهما سبعية متواترة، انظر: التيسير (ص: ١٠٤)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٥٩)، وإمالة حمزة على قاعدته في ذوات الياء.

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٣٢١).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظرها في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٤).

(٤) منقطع، أخرجه الطبري (١٣٣٢٥-١٣٣٢٩) من طريق الحسن بن عبيد الله بن عروة النخعي عن إبراهيم النخعي، عن ابن عباس، وإبراهيم النخعي لم يسمع من أحد من الصحابة قاله ابن المديني كما في جامع التحصيل (١٣)، وأخرجه ابن جرير (١٣٣٢٦-١٣٣٣٠) من طريق الحسن بن عبيد الله ابن عروة عن ابن عباس وفي السليمانية: «وجماعة من أهل التأويل»، بدل: «جميع أهل التأويل».

(٥) وهي قراءة شاذة، انظرها مع توجيهها في المحتسب (١/ ٢٢٣).

وقوله: ﴿ٱلْحَقِّ﴾ نعت لـ﴿مَوْلَىٰهُمُ﴾، ومعناه: الذي ليس بباطل ولا مجاز.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن والأعمش: (الحقَّ) بالنصب[١]، وهو على المدح، ويصح على المصدر.

﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ ابتداء كلام مضمنه التنبيه وهز نفس السامع، و﴿ٱلْحُكْمُ﴾ تعريفه للجنس، أي: جميع أنواع التصرفات في العباد.

و﴿أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ متوجِّه على أن الله عز وجل حسابه لعبيده صادر عن علمه بهم فلا يحتاج في ذلك إلى إعداد ولا تكلف، سبحانه لا رب غيره، وقيل لعلي بن أبي طالب: كيف يحاسب الله العباد في حال واحدة؟ قال: كما يرزقهم في حال واحدة في الدنيا[٢].

قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

هذا تمادٍ في توبيخ العادلين بالله الأوثانَ، وتوقيفِهم على سوء الفعل في عبادتهم الأصنام وتركهم الذي ينجي من المهلكات ويلجأ إليه في الشدائد، و﴿مَن﴾ استفهام رفع بالابتداء.

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿مَن يُنَجِّيكُم﴾، ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم﴾ فيهما بتشديد الجيم وفتح النون.

وقرأ أبو عمرو في رواية علي بن نصر عنه، وحميد بن قيس، ويعقوب: ﴿ينْجيكم﴾ فيهما بتخفيف الجيم وسكون النون.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بالتشديد في الأولى والتخفيف في

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظرها في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٤).

(٢) لم أقف عليه مسنداً.

الثانية[١]، فجمعوا بين التعدية بالألف والتعدية بالتضعيف، كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الطارق: ١٧].

و﴿ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ يراد به شدائدهما[٢]، فهو لفظ عام يستغرق ما كان من الشدائد بظلمة حقيقية وما كان بغير ظلمة، والعرب تقول: عام أسود، ويوم مظلم، ويوم ذو كواكب، ونحو هذا، يريدون به الشدة.

قال قتادة: المعنى: من كُرب البر والبحر، وقاله الزجّاج[٣].

و﴿تَدْعُونَهُۥ﴾ في موضع الحال، و﴿تَضَرُّعًا﴾ نصب على المصدر، والعامل فيه ﴿تَدْعُونَهُۥ﴾، والتضرع: صفة بادية على الإنسان، و(خُفْيةً) معناه: الاختفاء والسر، فكأن نسق القول: تدعونه جهراً وسرّاً، هذه العبارة بمعان زائدة.

وقرأ الجميع غير عاصم: ﴿وَخُفْيَةً﴾ بضم الخاء، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿خِفية﴾ بكسر الخاء[٤].

وقرأ الأعمش: (وخِيفة)[٥] من الخوف.

وقرأ الحجازيون وأهل الشام: ﴿أنجيتنا﴾، وقرأ الكوفيون: ﴿أَنجَىٰنَا﴾ على ذكر الغائب، وأمال حمزة والكسائي الجيم[٦].

---

(١) القراءتان الأولى والثالثة سبعيتان، في التيسير (ص: ١٠٣)، والثانية عشرية ليعقوب في النشر (٢/ ٢٩٢)، وانظر قراءة حميد في البحر المحيط (٤/ ٥٤٢)، ورواية علي في السبعة (ص: ٢٥٩).

(٢) في المطبوع: «شدائدها».

(٣) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٥٨)، وانظر قول قتادة في تفسير الطبري (٢١/ ٤١٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٠٨).

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٠٣)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٥٩).

(٥) وهي قراءة شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٥).

(٦) على قاعدتهما وهما سبعيتان، وأبو عمرو مع الأولين، انظر: التيسير (ص: ١٠٣)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٥٩).

و﴿مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أي: على الحقيقة، والشكر على الحقيقة يتضمن الإيمان.

وحكى الطبري في قوله: ﴿ظُلُمَٰتِ﴾ أنه ضلال الطرق في الظلمات ونحوه(١).

وحكى المهدوي أنه ظلام الليل والغيم والبحر(٢).

قال القاضي أبو محمد: وهذا التخصيص كله لا وجه له، وإنما هو لفظ عام لأنواع الشدائد في المعنى، وخص لفظ «الظلمات» بالذكر لـمَا تقرَّر في النفوس من هول الظلمة.

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم﴾ الآية، سبق في المجادلة إلى الجواب، إذ لا محيد عنه، و(من كلِّ كرب) لفظ عام أيضاً ليتضح العموم الذي في الظلمات، ويصح أن يتأول من قوله: ﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ تخصيص الظلمات قبل، ونص عليها لهولها، وعطف في هذا الموضع بـ﴿ثُمَّ﴾ للمهلة التي تبيِّن قبح فعلهم، أي: ثم بعد معرفتكم بهذا كله وتحققكم له أنتم تشركون!

[٢/ ٨٩] قوله عز وجل: / ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

هذا إخبار يتضمن الوعيد، والأظهر من نسق الآيات أن هذا الخطاب للكفار الذين تقدم ذكرهم وهو مذهب الطبري، وقال أبيّ بن كعب وأبو العالية وجماعة معهما: هي للمؤمنين وهم المراد(٣).

قال أبي بن كعب: هي أربع خلال، وكلهن عذاب، وكلهن واقع قبل يوم القيامة، فمضت اثنتان بعد وفاة(٤) رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة، ثم لُبِسوا شيعاً وأذيق

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤١٥)، وفي المطبوع: «الطريق»، بدل: «الطرق».

(٢) انظر: التحصيل (٢/ ٦٠٤)، وفي المطبوع: «السُّدي»، بدل: «المهدوي».

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٢١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٠٩).

(٤) سقطت من المطبوع والأصل.

بعضهم بأس بعض، واثنتان واقعتان لا محالة: الخسف والرجم[١].

وقال الحسن بن أبي الحسن: بعضها للكفار وبعضها للمؤمنين: «بعثُ العذاب من فوقُ ومن تحتُ» للكفار، وسائرها للمؤمنين[٢]، وهذا الاختلاف إنما هو بحسب ما يظهر من أن الآية تتناول معانيها المشركين والمؤمنين.

وروي من حديث جابر وخالد الخزاعي[٣] أن رسول الله ﷺ لما نزلت: ﴿أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال: «أعوذ بوجهك»[٤]، فلما نزلت: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: أعوذ بوجهك، فلما نزلت: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: «هذه أهون»، أو: «هذه أيسر»[٥]، فاحتج بهذا من قال: إنها نزلت في المؤمنين.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٦٠٣)، ونعيم بن حماد في الفتن (١٧١٧)، وأحمد في مسنده (٥/ ١٣٤ رقم ٢١٢٢٧)، والطبري (١٣٣٨٠)، وابن أبي حاتم (٧٣٩٨)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٥٣)، والضياء في المختارة (١١٤٩) من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس البكري، عن أبي العالية رفيع بن مهران عن أبي بن كعب به، وأبو جعفر الرازي ضعيف ولكن تابعه ابن المبارك كما عند الطبري (١٣٣٦١) وعليه فالخبر جيد من أجل الربيع بن أنس البكري فإنه صدوق، وقوله: «فمضت اثنتان»، إلى آخره من قول رفيع (يعني أبا العالية)، فإن أبي بن كعب لم يتأخر إلى زمن الفتنة. ذكر ذلك الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٨٩)، والحافظ ابن حجر في الفتح (٨/ ٢٩٢) ثم قال: وأُعل أيضاً بأنه مخالف لحديث جابر وغيره. وأجيب بأن طريق الجمع: أن الإعاذة المذكورة في حديث جابر وغيره مقيدة بزمان مخصوص، وهو وجود الصحابة والقرون الفاضلة، وأما بعد ذلك فيجوز وقوع ذلك فيهم. اهـ.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٣٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣١٠)، وفي الحمزوية: «وبعضها»، بدل: «سائرها».

(٣) خالد الخزاعيّ، والد نافع، قيل: اسم والده نافع، كان من أصحاب الشجرة، وحديثه في الكوفيين. الإصابة (٢/ ٢٢٠).

(٤) في فيض الله والسليمانية «برحمتك» بدل: «وجهك»، في الموضعين.

(٥) حديث جابر أخرجه البخاري (٤٦٢٨)، وحديث خالد أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٣٦٧)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٣٣٣)، والطبراني في الكبير (٤١١٤) من طريق أبي مالك الأشجعي، عن نافع بن خالد الخزاعي، عن أبيه: أنّ النبي ﷺ صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود، فقال: =

وقال الطبري: وغير ممتنعٍ أن يكون النبي ﷺ تعوذ لأمته من هذه الأشياء التي تُوعِّد بها الكفار، وهوَّن الثالثة لأنها بالمعنى هي التي دعا بها فمنع[١]، حسب حديث «الموطأ» وغيره[٢].

وقد قال ابن مسعود: إنها أسوأ الثلاث[٣]، وهذا عندي على جهة الإغلاظ في الموعظة، والحقُّ أنها أيسرها كما قال ﷺ.

و﴿مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ لفظٌ عامٌّ للمنطبقَيْن على الإنسان.

وقال السدي عن أبي مالك: ﴿مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾: الرجم، ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾: الخسف، وقاله سعيد بن جبير ومجاهد[٤].

= «قد كانت صلاة رغبة ورهبة، فسألت الله فيها ثلاثاً، فأعطاني اثنتين وبقي واحدة، سألت الله أن لا يصيبكم بعذاب أصاب به مَن قبلكم، فأعطانيها. وسألت الله أن لا يسلِّط عليكم عدوّاً يستبيح بيضتكم، فأعطانيها. وسألته أن لا يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض، فمنعنيها». قال أبو مالك: فقلت له: أبوك سمع هذا من رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم، سمعته يحدث بها القوم أنه سمعها مِن في رسول الله ﷺ. قال الحافظ في الإصابة (٢/ ٢٥٧): رجاله ثقات.

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٣١) وانظر: الموطأ (١/ ٢١٢).

(٢) إسناده جيد، هذا الحديث أخرجه أحمد (٥/ ١٠٩)، والترمذي (٢١٧٥)، والنسائي في الكبرى (١٦٣٨)، والطبراني في الكبير (٣٦٢١ – ٣٦٢٣ – ٣٦٢٤)، وابن حبان في صحيحه (٧٢٣٦) بإسناد جيد، من حديث خباب بن الأرت بلفظ: أنه راقب رسول الله ﷺ الليلة كلها حتى كان مع الفجر، فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته جاءه خباب فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت نحوها! فقال رسول الله ﷺ: «أجل إنها صلاة رغب ورهب سألت ربي عز وجل فيها ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت ربي عز وجل أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم قبلنا فأعطانيها، وسألت ربي عز وجل أن لا يظهر علينا عدوا من غيرنا فأعطانيها، وسألت ربي أن لا يلبسنا شيعا فمنعنيها».

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٢٩٧) من طريق ابن زيد عن ابن مسعود، فذكره بلفظ مطول، وسنده منقطع.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤١٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣١٠)، والهداية لمكي (٣/ ٢٠٥٣)، وتفسير الثعلبي (٤/ ١٥٦).

وقال ابن عباس رضي الله عنه: ﴿مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾: ولاة الجَور، ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾: سَفِلة السوء، وخدمة السوء[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذه كلها أمثلة لا أنها هي المقصود، إذ هذه وغيرها من القحوط والغرق وغير ذلك داخل في عموم اللفظ.

و﴿يَلۡبِسَكُمۡ﴾ على قراءة السبعة[٢] معناه: يخلطكم ﴿شِيَعًا﴾ فرقاً يتشيع بعضها لبعض، واللبس: الخلط، وقال المفسرون: هو افتراق الأهواء، والقتال بين الأمة.

وقرأ أبو عبد الله المدني: (يُلبسكم) بضم الياء[٣]، من ألبس، فهو على هذا استعارة من اللباس، فالمعنى: أو يلبسكم الفتنة شيعاً.

و﴿شِيَعًا﴾ منصوب على الحال [أي: متشيعين، ويحتمل أن يكون ﴿شِيَعًا﴾ مفعولاً، كأن الناس يلبس بعضهم بعضاً][٤]، وقد قال الشاعر:

لَبِسْتُ أُنَاساً فَأَفْنَيْتُهم[٥] .... [المتقارب]

فهذه عبارة عن الخلطة والمقاساة، وإلباسِ[٦] القتل وما أشبهه من المكاره.

و(يذيق) استعارة، إذ هي من أجل حواس الاختبار، وهي استعارة مستعملة في كثير من كلام العرب وفي القرآن.

---

(١) أخرجه الطبري (١٣٣٤٩)، وابن أبي حاتم (٧٤٠٠-٧٤٠٧) بإسناد صحيح عن عامر بن عبد الرحمن عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وعامر بن عبد الرحمن هو اليحصبي ذكروه بغير جرح أو تعديل، وذكره ابن حبان في الثقات، وتابعه علي بن أبي طلحة كما عند الطبري (١٣٣٥٠)، وابن أبي حاتم (٧٤٠٨).

(٢) في نور العثمانية والأصل والمطبوع: «الستة»، وهو خطأ، بل هي قراءة العشرة كلهم.

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٤)، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (٣/ ٢٠٥٥).

(٤) سقط من المطبوع، وكذا من الأصل من «وشيعاً» الثانية.

(٥) البيت للنابغة كما في الأغاني (٥/ ١١)، وقد تقدم في تفسير الآية (١٨٧) من سورة البقرة.

(٦) كذا ضبطت في المطبوع، وكتبت في سائر النسخ: «الباس».

وقرأ الأعمش: (ونذيق) بنون الجماعة[١]، وهي نون العظمة في جهة الله عز وجل، وتقول: أذقت فلاناً العلقم، وتريد كراهية شيء صنعته به ونحو هذا.

وفي قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾ الآية، استرجاع لهم، وإن كان لفظها لفظ تعجيب للنبي ﷺ، فمضمنها أن هذه الآيات والدلائل إنما هي لاستصرافهم عن طريق غيهم.

والفقه: الفهم، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائدٌ على القرآن الذي فيه جاء تصريف الآيات، قاله السدي[٢] وهذا هو الظاهر، وقيل: يعود على النبي ﷺ، وهذا بعيد؛ لقرب مخاطبته بعد ذلك بالكاف في قوله: ﴿قَوْمُكَ﴾.

ويحتمل أن يعود الضمير على الوعيد الذي تضمنته الآية ونحا إليه الطبري[٣].

وقرأ ابن أبي عبلة: (وكذَّبتْ به قومك) بزيادة تاء[٤].

و﴿بِوَكِيلٍ﴾ معناه: بمدفوع إلى أخذكم بالإيمان والهدى، و«الوكيل» بمعنى: الحفيظ والمحاسب[٥]، وهذا كان قبل نزول الجهاد والأمر بالقتال ثم نسخ.

وقيل: لا نسخ في هذا، إذ هو خبر.

قال القاضي أبو محمد: والنسخ فيه متوجه، لأن اللازم من اللفظ ليس[٦] الآن، وليس فيه أنه لا يكون في المستأنف.

وقوله: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: غاية يعرف عندها صدقه من كذبه.

﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديدٌ محضٌ ووعيدٌ.

---

(١) وهي قراءة شاذة، عزاها له في البحر المحيط (٤/ ٥٤٤)، وانظر: الشواذ للكرماني (ص: ١٦٩).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٣٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣١٣)، والهداية لمكي (٣/ ٢٠٥٧).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٣٤).
(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (٤/ ١٥٦).
(٥) سقطت «المحاسب» من الأصل والمطبوع ونجبيويه.
(٦) سقطت من الأصل، وفي السليمانية وفيض الله ونجيبويه: «لست»، وفي لالاليه: «ليست».

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

لفظ هذا الخطاب مجرد[١] للنبي ﷺ وحده، واختلف في معناه:

فقيل: إن المؤمنين داخلون في الخطاب معه.

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو الصحيح؛ لأنَّ علة النهي وهي سماع الخوض في آيات الله تشملهم وإياه.

وقيل: بل المعنى أيضاً إنما أُريد به النبي ﷺ وحده، لأن قيامه عن المشركين كان يشق عليهم وفراقه لهم على مغاضبة[٢]، وإن لم يكن المؤمنون عندهم كذلك، فأمر النبي ﷺ أن ينابذهم بالقيام عنهم إذا استهزؤوا وخاضوا؛ ليتأدبوا بذلك ويدعوا الخوض والاستهزاء، وهذا التأويل يتركب على كلام ابن جريج يرحمه الله[٣].

و«الخوض»: أصله في الماء، ثم يستعمل بعد في غمرات الأشياء التي هي مجاهل تشبيها بغمرات الماء، و(إمَّا) شرط، وتلزمها النون الثقيلة في الأغلب، وقد لا تلزم، كما قال الشاعر:

إِمَّـا يُصِبْـكَ عَـدُوٌّ فِي مُنَـاوَأَةٍ[٤] .... [البسيط]

إلى غير ذلك من الأمثلة.

---

(١) في المطبوع: محرر.

(٢) في السليمانية: «مغاضبته»، وفي الأصل ونجيبويه: «معارضة».

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٣٦ و٤٤٠)، وفي المطبوع: «بن جرير».

(٤) تتمته: يوماً فقد كنت تستعلي وتنتصر البيت، وهو لأعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب الباهلي. انظر عزوه له في الأصمعيات (ص: ٩٠)، والمخصص (٥/ ١١٨)، والكامل للمبرد (٤/ ٥٦)، ومختارات ابن الشجري (١/ ٨)، وأمالي اليزيدي (١/ ٣): قال: ويقال: إنها للدعجاء أخت المنتشر. وفي لالاليه ونجيبويه: «مبارأة».

وقرأ ابن عامر وحده: ﴿يُنَسِّيَنَّكَ﴾ بتشديد السين وفتح النون[١] والمعنى واحد، إلا أن التشديد أكثر مبالغة، و«الذِّكرى» و«الذِّكر» واحد في المعنى، وإنما هو تأنيث لفظي، ووصفهم هنا بـ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ متمكن لأنهم وضعوا الشيء في غير موضعه.

[٢/ ٩٠] و(أَعْـرِضْ) في هذه الآية بمعنى / المفارقة، على حقيقة الإعراض وأكمل وجوهه، ويدل على ذلك ﴿فَلَا تَقْعُدْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم﴾ الآية، المراد بـ﴿يَتَّقُونَ﴾ هم المؤمنون، والضمير في ﴿حِسَابِهِم﴾ عائدٌ على ﴿ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ﴾، ومن قال: إن المؤمنين داخلون في قوله: ﴿فَأَعْرِضْ﴾ قال: إن النبي ﷺ داخل في هذا القصد بـ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾.

والمعنى عندهم على ما روي: أن المؤمنين قالوا لما نزلت ﴿فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، قالوا: إذا كنا لا نقرب[٢] المشركين ولا نسمع أقوالهم فما يمكننا طواف ولا قضاء عبادة في الحرم، فنزلت لذلك: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾.

قال القاضي أبو محمد: فالإباحة في هذا هي في القدْر الذي يحتاج إليه من التصرف بين المشركين في عبادة ونحوها، وقال بعض من يقول: إن النبي ﷺ داخل في: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ وإن المؤمنين داخلون في الخطاب الأول: إن هذه الآية الأخيرة ليست إباحة بوجه، وإنما معناها: لا تقعدوا معهم ولا تقربوهم حتى تسمعوا استهزاءهم وخوضهم، وليس نهيكم عن القعود؛ لأن عليكم شيئاً من حسابهم وإنما هو ذكرى لكم، ويحتمل المعنى أن يكون لهم لعلهم إذا جانبتموهم يتقون بالإمساك عن الاستهزاء.

وأما من قال: إن الخطاب الأول هو مجرد للنبي ﷺ لثقل مفارقته مغضباً على الكفار، فإنه قال في هذه الآية الثانية: إنها مختصة بالمؤمنين، ومعناها الإباحة، فكأنه قال: فلا تقعد معهم يا محمد، وأما المؤمنون فلا شيء عليهم من حسابهم، فإن قعدوا فليذكروهم لعلهم يتقون الله في ترك ما هم فيه.

---

(١) وهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٠٣)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٦٠).
(٢) في الحمزوية: «نعرف»، وكأنها في الأصل ونجيبويه: «نضرب»

قال القاضي أبو محمد: وهـذا القول أشار إليـه النقاش[١]، ولم يوضحه، وفيه عندي نظر.

وقال قائل هذه المقالة: إن هذه الإباحة للمؤمنين نسخت بآية النساء؛ قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ [النساء: ١٤٠] وكذلك أيضاً من قال أولاً: إن الإباحة كانت بحسب العبادات، يقول: إن هذه الآية التي في النساء ناسخة لذلك؛ إذ هي مدنية، والإشارة بقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ﴾ إليها بنفسها فتأمله، وإلا فيجب أن يكون الناسخ غيرَها.

و﴿ذِكْرَىٰ﴾ على هذا القول يحتمل أن يكون: ذكِّروهم ذكرى، ويحتمل: ولكن أعرضوا متى[٢] أعرضتم في غير وقت العبادة ذكرى، و﴿ذِكْرَىٰ﴾ على كل قول يحتمل أن تكون في موضع نصب بإضمار فعل أو رفع بإضمار مبتدأ.

وينبغي للمؤمن أن يمتثل حكم هذه الآية مع الملحدين وأهل الجدال والخوض فيه.

وحكى الطبري عن أبي جعفر أنه قال: «لا تجالسوا أهل الخصومات فإنهم الذين يخوضون في آيات الله»[٣].

قوله عز وجل: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

هذا أمر بالمتاركة[٤]، وكان ذلك بحسب قلة تُبَّاع الإسلام حينئذ، قال قتادة: ثم

(١) لم أقف عليه.

(٢) في الأصل: «حتى»، وسقط من الحمزوية ما بين ذكرى وذكرى.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٣٧).

(٤) في الحمزوية: «كان ذلك المراد بالمتاركة».

نسخ ذلك وما جرى مجراه بالقتال، وقال مجاهد: الآية إنما هي للتهديد والوعيد فهي كقوله تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ [المدثر: ١١][١]، وليس فيها نسخ لأنها متضمنة خبراً وهو التهديد.

وقوله: ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ يريد: إذ يعتقدون أن لا بعث فهم يتصرفون بشهواتهم تصرف اللاعب اللاهي، ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: خدعتهم، من الغرور: وهو الإطماع بما لا يتحصل فاغتروا بنعم الله ورزقه وإمهاله، وطمعُهم ذلك فيما لا يتحصَّل من رحمته.

قال القاضي أبو محمد: ويتخرج في (غرَّتهم) هنا وجه آخر من الغَـرِّ[٢] بفتح الغين؛ أي: ملأت أفواههم وأشبعتهم، ومنه قول الشاعر:

[الطويل]

وَلَمَّـا الْتَـقَـيْنَـا بِـالحُنيـةِ غَرَّنِـي بِمَعْرُوفِهِ حَتَّـى خَرَجْتُ أَفُوقُ[٣]

ومنه: غر الطائر فرخه، ولا يتجه هذا المعنى في تفسير غَرَّ في كل موضع.

وأضاف «الدين» إليهم على معنى أنهم جعلوا اللعب واللهو ديناً، ويحتمل أن يكون المعنى: اتخذوا دينهم الذي كان ينبغي لهم لعباً ولهواً، والضمير في ﴿بِهِۦٓ﴾ عائد على «الدِّين»، وقيل: على القرآن[٤].

و﴿أَن تُبْسَلَ﴾ في موضع المفعول، أي: لئلا تبسل، أو: كراهية أن تبسل، ومعناه: تُسْلَم، قاله الحسن وعكرمة، وقال قتادة: تحبس وتُرتَهن، وقال ابن عباس: تفضح[٥]، وقال الكلبي وابن زيد: تُجزى[٦].

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٤٤١) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣١٧).

(٢) في الأصل ونجيبويه ولالاليه: «الغرور».

(٣) البيت لبشار يهجو يزيد بن مزيد كما في الأغاني (٣/ ٢١٠)، وذكر له قصة، وفي المطبوع: «بالحلية».

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٤٢)، والهداية لمكي (٣/ ٢٠٦٣)، وفي الأصل: «الذين»، وهو خطأ.

(٥) أخرجه الطبري (١٣٤١٤)، وابن أبي حاتم (٧٤٥٣) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) انظر الأقوال كلها في تفسير الطبري (٢١/ ٤٤٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣١٨)، وتفسير السمعاني (٢/ ١١٦).

وهذه كلها متقاربة بالمعنى، ومنه قول الشَّنْفَـرَى(١):

هُنَالِـكَ لَا أَرْجُـو حَيَـاةً تَسُـرُّنِي سَمِيرَ اللَّيَالي مُبْسَلا بِالْجَرَائِـرِ(٢) [الطويل]

وقال بعض الناس: هو مأخوذ من البَسْل، أي: من الحرام، كما قال الشاعر:

بَكَرَتْ تَلُومُكَ بَعْدَوَهْنٍ فِي النَّدَى بَسْـلٌ عَلَيْكِ مَلَامَتِـي وَعِتَابِي(٣) [الكامل]

قال القاضي أبو محمد: وهذا بعيدٌ.

و﴿نَفْسٌ﴾ تدل على الجنس، ومعنى الآية: وذكِّر بالقرآن والدين وادع إليه؛ لئلا تبسل نفس التارك للإيمان بما كسبت من الكفر وآثرتْه من رفض الإسلام.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ في موضع الحال، و﴿مِن﴾ لابتداء الغاية، ويجوز أن تكون زائدة و﴿دُونِ﴾ ظرف مكان، وهي لفظة تقال باشتراك، وهي ـ في هذه الآية ـ الدالة على زوال من أضيفت إليه من نازلة القول، كما في المثل: وأُمِرَّ دُونَ عُبَيْدَةَ الوَذَمُ(٤).

و«الولي» و«الشفيع»: هما طريقا الحماية والغوث في جميع الأمور، ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ أي: وإن تُعْطِ كل فدية، ـ وإن عظمت ـ فتجعلها عدلاً لها لا يقبل منها.

وحكى الطبري عن قائل: إن المعنى ﴿وَإِن تَعْدِلْ﴾ من العدل المضاد للجور، ورد عليه وضعّفه بالإجماع على أن توبة الكافر مقبولة(٥).

---

(١) الشنفري هو الشاعر المشهور صاحب لامية العرب، وهو رجل من الأزد، انظر خبره مفصلاً في الأغاني (١٠/ ١٨٣).

(٢) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ١٩٥)، والمفضّليات (ص: ١٩٧)، والحيوان (٦/ ٤٥٠)، والأغاني (١٠/ ١٨٨)، والحماسة (ص ١٨٨).

(٣) البيت لضَمْرَة بن ضَمْرَة النهشلي كما في الفاضل للمبرد (١/ ٢٥)، والأمالي للقالي (٢/ ٢٨٣)، وأمثال العرب (١/ ١٢).

(٤) هذا المثل أصله: عجز بيت لطرفة كما في المعاني الكبير (٢/ ٨١٢)، والوَذَم: سَيْرٌ يشدُّ به أذن الدلو.

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٤٧ و٤٤٨).

قال القاضي أبو محمد: ولا يلزم هذا الرد؛ لأن الأمر إنما هو يوم القيامة، ولا تقبل فيه توبة ولا عمل، والقول نصٌّ لأبي عبيدة[١]، والعدل في اللغة: مماثل الشيء من [٢/ ٩١] غير جنسه،/ وقيل: العِدل بالكسر: المثل، والعَدل بالفتح: القيمة.

و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى الجنس المدلول عليه بقوله: ﴿تُبْسَلَ نَفْسُۢ﴾، و﴿أُبْسِلُواْ﴾ معناه: أُسلموا بما اجترحوه من الكفر، و«الحميم»: الماء الحار، ومنه الحمَّام والحَمَّة، ومنه قول أبي ذؤيب:

[الكامل] .... إِلَا الْحَمِيمَ فَإِنَّهُ يَتَبَضَّعُ[٢]

و﴿أَلِيمُۢ﴾: فعيل بمعنى مُفْعِل[٣] أي: مؤلم.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾.

المعنى: قل في احتجاجك: أنطيع رأيكم في أن ندعو من دون الله؟! والدعاء يعم العبادة وغيرها؛ لأن من جعل شيئاً موضع دعائه فإياه يعبد وعليه يتكل[٤].

﴿مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ يعني: الأصنام؛ إذ هي جمادات حجارة وخشب ونحوه، وضرر الأصنام في الدين لا يفهمه الكفار، فلذلك قال: ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ إنما الضرر الذي يفهمونه من نزول المكاره الدنياوية.

و(نُردُّ على أعقابِنا) تشبيه، وذلك أن المردود على العقب هو أن يكون الإنسان

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٩٥).

(٢) صدره: تأبى بدرتها إذا ما استغضبت، انظر عزوه له في العين (١/ ٣١٣)، والأمالي للقالي (٢/ ٢٢١)، والمعاني الكبير (١/ ١١).

(٣) في الحمزوية والسليمانية: «مفعول».

(٤) في الحمزوية والسليمانية: «يتوكل».

يمشي قُدماً وهي المشية الجيدة، فيُردُّ يمشي القهقرى، وهي المشية الدنية، فاستعمل المثل بها فيمن رجع من خير إلى شر، ووقعت في هذه الآية في تمثيل الراجع من الهدى إلى عبادة الأصنام، و﴿هَدَىٰنَا﴾ بمعنى: أرشدنا.

وقال الطبري وغيره: الرد على العقب يستعمل فيمن أمل أمراً فخاب أمله[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول قلق.

وقوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ الآية، الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف تقديره: ردّاً كردِّ الذي، و﴿ٱسْتَهْوَتْهُ﴾ استفعلته[٢] بمعنى: استدعت هواه وأمالته، قال أبو عبيدة: ويحتمل هَوِيَّه، وهو جِدُّه وركوب رأسه في النزوع إليهم، والهَويُّ من هوى يهوي يستعمل في السقوط من علو إلى أسفل، ومنه قول الشاعر:

هَـوَى ابْنِـي مِـنْ ذُرَى شَـرَفٍ فَـزَلَّـتْ رِجْـلُـهُ وَيـــدُهْ[٣] [مجزوء الوافر]

وهذا المعنى لا مدخل له في هذه الآية إلا أن تتأول اللفظة بمعنى: ألقته الشياطين في هوة، وقد ذهب إليه أبو علي، وقال: هو[٤] بمعنى: أهوى، كما أن استزلَّ بمعنى: أَزل[٥].

قال القاضي أبو محمد: والتحرير أن العرب تقول: هوى الرجل، وأهواه غيره واستهواه، بمعنى: طلب منه أن يهوي هو، أو طلب منه أن يَهوَى شيئاً، ويستعمل الهَويُّ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٥٠).

(٢) في السليمانية «استعفلته» بدل: «استفعلته».

(٣) البيت في الحماسة بشرح التبريزي (ص: ٣٧١) وهو مركب من شطري بيتين، من سبعة أبيات بلا نسبة.

(٤) المثبت من السليمانية، وأشار لها في هامش لالاليه.

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٣٢٥).

أيضاً في ركوب الرأس في النزوع إلى الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، ومنه قول شاعر الجن:

[السريع] تَهْـوِي إِلَـى مَكَّـةَ تَبْغِـي الْهُـدَى ... مَـا مُؤْمِـنُ الْجِـنِّ كأَنْجَاسِـهَا[١]

وهذا المعنى هو الذي يليق بالآية.

وقرأ الجمهور من الناس: ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾.

وقرأ الحسن: (استهوته الشياطون)[٢].

قال بعض الناس: هو لحنٌ، وليس كذلك، بل هو شاذٌّ قبيحٌ، وإنما هو محمولٌ على قولهم: سِنونَ وأَرَضونَ، إلا أن هذه في جمعٍ مسلَّمٍ و(شياطون) في جمع مكسَّر، فهذا موضع الشذوذ.

وقرأ حمزة: ﴿استهواه الشياطين﴾ وأمال ﴿ استهواه﴾ [٣].

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي والأعمش وطلحة: (استهويه الشيطان) بالياء وإفراد (الشيطان)[٤]، وذكر الكسائي أنها كذلك في مصحف ابن مسعود[٥].

وقوله: ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يحكم بأن ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ﴾ إنما هو بمعنى: استدعت هَوِيَّه الذي

(١) ورد هذا البيت ضمن عدة مقطوعات في قصة رَئِيِّ سواد بن قارب وإسلامه، أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال (ص ٢٥٦)، والمعجم الكبير (٧/ ٩٢)، وأعلام النبوة (١/ ١٨٦) والمستدرك (٣/ ٦٠٩)، وقصته كاملة في السيرة النبوية (٢/ ٣٦).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (٤/ ١٥٩)، والهداية لمكي (٣/ ٢٠٦٤)، وتقدمت في البقرة.

(٣) على قاعدته، وهي سبعية أيضاً، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢٦٠)، والتيسير (ص: ١٠٣).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ١٦٢) إلا أنه ضبطها بالتاء والإفراد حيث قال: وقرأ السلمي والأعمش وطلحة: (اسْتَهْوَتْهُ) الشيطان بالتاء وإفراد (الشيطان).

(٥) انظر عزوها لابن مسعود في كتاب المصاحف (ص: ١٧٦)، وتفسير الثعلبي (٤/ ١٥٩)، ومع الأعمش في مختصر الشواذ (ص: ٤٤).

هو الجِد في النزوع[١]، و﴿حَيۡرَانَ﴾ في موضع الحال ومؤنثه: حيرى، فهو لا ينصرف في معرفة ولا نكرة، ومعناه: ضالّاً متحيراً وهو حال من الضمير في ﴿ٱسۡتَهۡوَتۡهُ﴾ والعامل فيه ﴿ٱسۡتَهۡوَتۡهُ﴾ ويجوز أن يكون من (الذي)، والعامل فيه الرد[٢] المقدر بعد الكاف.

وقوله ﴿ٱسۡتَهۡوَتۡهُ﴾ يقتضي أنه كان على طريق فاستدعته منه.

قال القاضي أبو محمد: فسياق هذا المثل، كأنه قال: أيصلح أن يكون بعد الهدى نعبد الأصنام، فيكونَ ذلك منا ارتداداً على العقب، فيكونَ كرجل على طريق واضح فاستهوته عنه الشياطين فخرج عنه إلى دعوتهم فبقي حائراً؟

وقوله: ﴿لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٌ﴾ يحتمل أن يريد: له أصحاب على الطريق الذي خرج منه، فيشبَّه بالأصحاب على هذا المؤمنون الذين يَدْعون مَن ارتد إلى الرجوع إلى الهدى، وهذا تأويل مجاهد[٣] وابن عباس[٤]، ويحتمل أن يريد: له أصحاب ـ أي: من الشياطين الدعاة أولاً ـ يدعونه إلى الهدى بزعمهم، وإنما[٥] يوهمونه، فيشبَّه بالأصحاب على هذا الكفرةُ الذين يثبتون من ارتد عن الإسلام على ارتداده، وروي هذا التأويل عن ابن عباس أيضاً[٦].

و﴿ٱئۡتِنَا﴾ من الإتيان بمعنى المجيء، وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (إلى الهدى بيِّناً)[٧].

---

(١) في الحمزوية: «الشروع».

(٢) زيادة من فيض الله والسليمانية ونور العثمانية ولالاليه.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٥٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٢١).

(٤) أخرجه الطبري (١٣٤٢٩)، وابن أبي حاتم (٧٤٧٥) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) في نور العثمانية وفيض الله: «وبما»، وفي السليمانية ولالاليه: «ومما».

(٦) أخرجه الطبري (١٣٤٢٣)، وابن أبي حاتم (٧٤٧٣) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) في فيض الله: «يتنا» بدل: «بينا»، وفي السليمانية: «بتنا»، والمثبت هو الموافق لما في تفسير القرطبي (٧/ ١٨).

وهذه تؤيد تأويل من تأول ﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾ حقيقة إخباراً من الله، وحكى مكي وغيره أن المراد بـ(الذي) في هذه الآية عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وبـ«الأصحاب»: أبوه وأمه[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيفٌ؛ لأن في الصحيح أن عائشة رضي الله عنها لما سمعت قول قائل: إن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ [الأحقاف: ١٧] نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قالت: كذبوا والله، ما نزل فينا من القرآن شيء إلا براءتي[٢].

قال القاضي أبو محمد: حدثني أبي رضي الله عنه قال: سمعت الفقيه الإمام العالم أبا عبد الله[٣] المعروف بالنحوي المجاور بمكة يقول: من نازع أحداً من الملحدة فإنما ينبغي أن يرد عليه وينازعه بالقرآن والحديث فيكون كمن يدعو إلى الهدى بقوله: ﴿ٱئۡتِنَا﴾ ومن ينازعهم بالجدل ويحلق عليهم به فكأنه بعد عن الطريق الواضح أكثر ليرد هذا الزائغ فهو يخاف عليه أن يضل.

قال القاضي أبو محمد: وهذا انتزاعٌ حسنٌ جدّاً.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الآية، من قال إن «الأصحاب» هم من الشياطين المستهزئين وتأول إلى الهدى بزعمهم قال: إن قوله: ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ﴾ ردٌّ عليهم في زعمهم فليس ما زعموه صحيحاً وليس بهدى / بل هو نفسه كفر [٢/ ٩٢]
وضلال، وإنما الهدى هدى الله وهو الإيمان.

ومن قال: إن «الأصحاب» هم على الطريق المدعو إليها، وإن المؤمنين الداعين للمرتدين شبهوا بهم وإن ﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾ هو هدى على حقيقته، يجيء على قوله: ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ بمعنى أن دعاء الأصحاب وإن كان إلى هدى فليس بنفس دعائهم تقع الهداية وإنما يهتدي بذلك الدعاء من هداه الله تعالى بهداه.

---

(١) انظر: الهداية لمكي (٣/ ٢٠٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٢٧)، و«والله» ليست في الأصل ولا المطبوع.

(٣) في الأصل: «عبد الله»، دون كنية، و«العالم» زيادة من فيض الله والسليمانية.

و(أُمرنا لنُسلِمَ) اللام لام كي، ومعها «أن» مقدرة، ويقدر مفعول لـ(أُمرنا) مضمر تقديره: وأمرنا بالإخلاص أو بالإيمان ونحو هذا، فتقدير الجملة كلها: وأمرنا بالإخلاص لأنْ نسلم، ومذهب سيبويه في هذه أن ﴿لِنُسْلِمَ﴾ هو موضع المفعول، وأن قولك: أمرت لأقوم، وأمرت أن أقوم، يجريان سواء، ومثله قول الشاعر:

أُرِيـدُ لأَنْسَى ذِكْـرَهَـا[1]...... .... [الطويل]

إلى غير ذلك من الأمثلة، و(نسلم) يعم الدين والاستسلام.

قوله عز وجل: ﴿وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾.

﴿وَأَنْ أَقِيمُواْ﴾ يتجه أن يكون بتأويل: وإقامة، فهو عطف على المفعول المقدر في ﴿وَأُمِرْنَا﴾، وقيل: بل هو معطوف على قوله: ﴿لِنُسْلِمَ﴾ تقديره: لأنْ نسلم وَأَنْ أَقِيمُوا.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول الزجاج[2]، واللفظ يمانعه؛ وذلك أن قوله: «لأن نسلم» معرب، وقوله: ﴿وَأَنْ أَقِيمُواْ﴾ مبني، وعطف المبني على المعرب لا يجوز؛ لأن العطف يقتضي التشريك في العامل، اللهم إلا أن تجعل العطف في (أن) وحدها وذلك قلق.

وإنما يتخرج على أن يقدر قوله: ﴿وَأَنْ أَقِيمُواْ﴾ بمعنى: لنقيم، ثم خرجت بلفظ الأمر لما في ذلك من جزالة اللفظ، فجاز العطف على أن يلغى حكم اللفظ ويعول على المعنى، ويشبه هذا من جهةٍ مّا ما حكاه يونس عن العرب: [ادخُلوا الأولُ فالأولُ، برفع

---

(١) تتمته كما سيأتي للمصنف:

.... فـكـأنـمـا تـمثَّـلُ لـي ليلى بكـل سبيل

وهو لكثير عزة كما في الأغاني (٤/ ٢٦٢)، وتقدم في تفسير الآية (١٨٧) من سورة البقرة، وفي المطبوع ولالاليه ونجيبويه: «أردت..».

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٦٣).

لفظ الأول، فإنما هو بأن يقدر: «ادخلوا»، بمعنى: ليدخل الأول، وإلا فليس يجوز إلا]: ادخلوا الأولَ فالأولَ بالنصب[١].

وقال الزجّاج أيضاً: يحتمل أن يكون ﴿وَأَنْ أَقِيمُواْ﴾ معطوفاً على ﴿ٱئْتِنَا﴾[٢].

قال القاضي أبو محمد: وفيه بعدٌ.

والضمير في قوله: ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ عائدٌ على (رب العالمين) و(هو) ابتداء وما بعده خبره، وهو لفظُ خبر يتضمن التنبيه والتخويف.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ الآية، ﴿خَلَقَ﴾: ابتدع وأخرج من العدم إلى الوجود، و﴿بِٱلْحَقِّ﴾: أي: لم يخلقها باطلاً بغير معنى، بل لمعان مفيدة ولحقائق بيِّنة منها ما يحسه البشر من الاستدلال بها على الصانع ونزول الأرزاق وغير ذلك.

وقيل: المعنى: بأنْ حق له أن يفعل ذلك.

وقيل: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ معناه: بكلامه في قوله للمخلوقات: ﴿كُن﴾، وفي قوله: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصّلت: ١١].

قال القاضي أبو محمد: وتحرير القول: أن المخلوقات إنما إيجادها بالقدرة لا بالكلام، واقتران «كُنْ» بحالة إيجاد المخلوق فائدته: إظهار العزة والعظمة ونفوذ الأوامر وإعلان القصد.

ومثال ذلك في الشاهد: أن يضرب إنسان شيئاً فيكسره، ويقول في حال الكسر بلسانه: انكسر، فإن ذلك إنفاذُ عزم وإظهار قصد، ولله المثل الأعلى، لا تشبيه ولا حرف ولا صوت ولا تغير، أمره واحدةٌ كلمح البصر.

فكأن معنى الآية على هذا القول: وهو الذي خلق السماوات والأرض بقوله: «كن» المقترنة بالقدرة التي بها يقع إيجاد المخلوق بعد عدمه، فعبر عن ذلك: بـ(الحق).

---

(١) نقله مكي في مشكل إعراب القرآن (٢/ ٧٣٧)، وما بين المعكوفتين سقط من الأصل.
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٦٣).

و(يومَ يقولُ) نصب على الظرف، وهو متعلق بمعمولِ فعلٍ مضمر، تقديره: واذكر الخلق والإعادة يوم، وتحتمل الآية مع هذا أن يكون معناها: واذكر الإعادة يوم يقول الله للأجساد كن معادة، ثم يحتمل أن يتم الكلام هنا، ثم يبدأ بإخبار أنه يكون قولُه الحقُّ الذي كان في الدنيا إخباراً بالإعادة، ويحتمل أن يكون تمام الكلام في قوله ﴿فَيَكُونُ﴾، ويكون ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ ابتداء وخبراً، وعلى الاحتمال[١] الذي قبلُ فـ﴿قَوْلُهُ﴾ فاعل.

قال الزجّاج قوله: ﴿وَيَوْمَ﴾ معطوف على الضمير من قوله: ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ فالتقدير هنا على هذا القول: واتقوا العقاب أو الأهوال والشدائد يوم، وقيل: إن الكلام معطوف على قوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ والتقدير على هذا: وهو الذي خلق السماوات والأرض والمعادات إلى الحشر يوم، ولا يجوز أن تعمل هذه الأفعال ـ لا تقديرك: «اذكر» ولا «اتقوا» ولا «خَلَق» ـ في (يوم) لأن أسماء الزمان إذا بنيت مع الأفعال فلا يجوز أن تنصب إلا على الظرف، ولا يجوز أن يتعلق (يَوْمَ) بقوله: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ لأن المصدر لا يعمل فيما تقدمه[٢].

وقد أطلق قوم أن العامل «اذكر» أو «خلق».

ويحتمل أن يريد بـ﴿يَقُولُ﴾ معنى الـمُضي، كأنه قال: وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق يوم يقول، بمعنى: قال لها: ﴿كُن﴾ فـ(يوم) ظرف معطوف على موضع: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ إذ هو في موضع نصب، ويجيء تمام الكلام في قوله: ﴿فَيَكُونُ﴾، ويجيء: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ ابتداء وخبراً.

ويحتمل أن يتم الكلام في ﴿كُن﴾، ويبتدأ ﴿فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ وتكون ﴿فَيَكُونُ﴾ تامة بمعنى: يظهر، و﴿ٱلْحَقُّ﴾ صفة للقول، و﴿قَوْلُهُ﴾ فاعل.

وقرأ الحسن: (قُوله) بضم القاف[٣].

﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ ابتداء وخبر.

---

(١) في المطبوع: «وخبر أو على الاحتمال».
(٢) في المطبوع: «نقدمه».
(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٤٤).

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾: ﴿يَوْمَ﴾ بدل من الأولى على أنَّ ﴿يَقُولُ﴾ مستقبلٌ، لا على تقدير مضيه، وقيل: بل متعلق بما تضمن ﴿ٱلْمُلْكُ﴾ من معنى الفعل، أو بتقدير: ثابتٌ أو مستقر يومَ.

و﴿فِي ٱلصُّورِ﴾ قال أبو عبيدة: هو جمع صورة[(١)]، فالمعنى: يوم تعاد العوالم، وقال الجمهور: هو الصور القرن الذي قال النبي ﷺ: «إنه ينفخ فيه للصعق ثم للبعث»[(٢)]، ورجحه الطبري بقول النبي ﷺ: «إن إسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته ينظر متى يؤمر فينفخ»[(٣)].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٩٦).

(٢) جاءت أحاديث كثيرة تدل على أن الصور هو القرن الذي يُنفخ فيه، أصحها ما أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٦٢ رقم ٦٥٠٧)، وأبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٢٤٣٠)، والنسائي في الكبرى (١١٢٥٠-١١٣٩٢)، والطبري (١٨/ ١٢١)، وابن أبي حاتم (١٦٦١٩)، وابن حبان في صحيحه (٧٣١٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٤٤) من طريق: سليمان التيمي، عن أسلم العجلي، عن بشر بن شغاف، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن أعرابياً سأل النبي ﷺ ما الصور؟ قال: قرن ينفخ فيه، قال الترمذي: هذا حديث حسن، وقد روى غير واحد عن سليمان التيمي، ولا نعرفه إلا من حديثه. اهـ، وقال ابن حبان: هذا الخبر مشهور بعبد الله بن سلام، وذكر أبو يعلى ـ يعني شيخه في الإسناد ـ: عبد الله بن عمرو.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٠٨٤)، وابن حبان في صحيحه (٨٢٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠٣) من طريق: جرير بن عبد الحميد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري، وأخرجه جماعة من طريق سفيان عن الأعمش عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري، منهم عبد الرزاق في التفسير (٢٦٤٢) ومن طريقه أحمد (١٨/ ٢٢٨) وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١٣٠)، والثوري أثبت وأعلم بحديث الأعمش من جرير، وأخرجه النسائي (٦/ ٣١٦) وغيره من طريق: موسى ابن أعين، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً، وفي الباب عن عبد الله بن عباس، وأنس بن مالك، وزيد بن أرقم وغيرهم، قال الحافظ في فتح الباري (١١/ ٣٦٨): اشتهر أن صاحب الصور إسرافيل، ونقل فيه الحليمي الإجماع، ووقع التصريح به في حديث وهب بن منبه المذكور ـ يعني من قوله ـ وفي حديث أبي سعيد عند البيهقي، وفي حديث أبي هريرة عند ابن مردويه، وكذا في حديث الصور الطويل الذي أخرجه عبد بن حميد والطبري وأبو يعلى في =

وقرأ الحسن: (في الصُّوَرِ) بفتح الواو[(١)]، وهذه تؤيد التأويل الأول، وحكاها عمرو بن عبيد عن عياض[(٢)].

﴿عَـٰلِمُ﴾ رفع بإضمار مبتدأ، وقيل: نعت لـ﴿ٱلَّذِىٓ﴾.

وقرأ الحسن والأعمش: (عالم) بالخفض على النعت للضمير الذي في (له)، أو على البدل منه من قوله: (له الملكُ)، وقد رويت عن عاصم[(٣)].

وقيل: ارتفع ﴿عَـٰلِمُ﴾ بفعل مضمر من لفظ الفعل المبني للمفعول تقديره: ينفخ فيه عالم، وهذا على ما أنشد سيبويه:

لِيُبْـكَ يَزِيـدُ ضَـارِعٌ لِخُصُومَـةٍ وَآخر ممَّـنْ طَوَّحَتْـهُ الطَّوَائِحُ[(٤)] [الطويل]

/ التقدير: يبكيه ضارع، وحكى الطبري هذا التأويل الذي يشبه «ليبك يزيد» عن ابن عباس[(٥)]. [٢/ ٩٣]

ونظيرها من القرآن قراءة من قرأ: (زُيِّن لكثيرٍ من المشركين قتلُ أولادِهم شركاؤُهم) [الأنعام: ١٣٧] بضم الزاي ورفع «الشركاء»[(٦)].

= الكبير والطبراني في الطوالات وعلي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية والبيهقي في البعث من حديث أبي هريرة، ومداره على إسماعيل بن رافع، واضطرب في سنده مع ضعفه. اهـ.

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٤٤).

(٢) انظر: معاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٤٨)، وعياض هذا لم أعرفه.

(٣) وهي شاذة، عزاها للثلاثة النحاس في إعراب القرآن (٢/ ١٧)، ولعاصم وعصمة عن أبي عمرو الهذلي في الكامل (ص: ٥٤٢).

(٤) البيت لنهشل بن حري يرثي أخاه يزيد كما في مجاز القرآن (١/ ٣٤٨)، وتفسير الطبري (١٧/ ٨٦)، وفي الكتاب لسيبويه (١/ ٢٨٨) عن بعضهم أنها للحارث بن نهيك، وفي شرح أبيات سيبويه (١/ ٧٦) عن سيبويه أنه للحارث بن ضرار النهشلي، وذكر في: خزانة الأدب (١/ ٣١٠) أنه ينسب للبيد الصحابي ولمزرد أخي الشماخ ولضرار النهشلي وللحارث بن نهيك النهشلي وللمهلهل.

(٥) تفسير الطبري (١١/ ٤٦٤)، وسقط «الطبري» من المطبوع.

(٦) وهي قراءة شاذة قرأ بها السلمي، كما في المحتسب (١/ ٢٢٩)، وستأتي في محلها.

وروي عن عبد الوارث عن أبي عمرو: (يوم ننفخ في الصور) بنون العظمة[١].

و﴿ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ معناه: ما غاب عنا وما حضر، وهذا يعم جميع الموجودات.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

العامل في (إذ) فعل مضمر تقديره: واذكر أو قُصَّ.

قال الطبري: نبه الله تعالى محمداً ﷺ على الاقتداء بإبراهيم في محاجته قومه إذ كانوا أهل أصنام وكان قوم محمد أهل أصنام[٢].

قال القاضي أبو محمد: وليس يلزم هذا من لفظ الآية، أمَا إن جميع ما يجيء من مثل هذا عُرضة للاقتداء.

وقرأ السبعة وجمهور الناس: ﴿ءَازَرَ﴾ بفتح الهمزة التي قبل الألف وفتح الزاي والراء، قال السدي وابن إسحاق وسعيد بن عبد العزيز[٣]: هو اسم أبي إبراهيم[٤].

قال القاضي أبو محمد: وقد ثبت أن اسمه تارَح[٥]، فله على هذا القول اسمان، كيعقوب وإسرائيل، وهو في الإعراب على هذا بدل من «الأب» المضاف إلى الضمير[٦] في موضع خفض، وهو اسم علم.

(١) وهي قراءة شاذة، نقلها الهذلي في الكامل (ص: ٥٤٢) عن القرشي عن عبد الوارث. وفي فيض الله «معمر» بدل: «عمرو»، وهو خطأ.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٦٥).

(٣) هو أبو محمد، ويقال: أبو عبد العزيز، سعيد بن عبد العزيز التنوخي، الدمشقي، الإمام، عالم أهل دمشق في عصره، ومفتيهم بعد الأوزاعي، قرأ القرآن على: ابن عامر، وقرأ عليه: الوليد بن مسلم، وأبو مسهر، توفي سنة (١٦٧هـ)، تاريخ الإسلام (١٠/ ٢١٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٦٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٢٤)، والهداية لمكي (٣/ ٢٠٧٣).

(٥) في السليمانية: «تارخ» بدل: «تارح».

(٦) «إلى الضمير» ليست في المطبوع.

وقال مجاهد: بل هو اسم صنم[١]، وهو في موضع نصب بفعل مضمر تقديره: أتتخذ آزر أتتخذ أصناماً[٢].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا ضعف.

وقال بعضهم: بل هو صفة، ومعناه هو: المعوج المخطئ.

قال القاضي أبو محمد: ويعترض هذا بأن ﴿ءَازَرَ﴾ إذا كان صفة فهو نكرة، ولا يجوز أن تنعت[٣] المعرفة بالنكرة، ويوجه ذلك على تحامُل بأن يقال: أريدت[٤] فيه الألف واللام وإن لم يلفظ بها، وإلى هذا أشار الزجّاج؛ لأنه قدر ذلك: فقال لأبيه المخطئ[٥]، وبأن يقال: إن ذلك مقطوع منصوب بفعل تقديره: أذم المعوج أو المخطئ، وإلا تبقى فيه الصفة بهذه الحال.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيفٌ.

وقيل: نصبه على الحال، كأنه قال: وإذ قال إبراهيم لأبيه وهو في حال عوج وخطأ.

وقرأ أُبي بن كعب وابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم بضم الراء على النداء[٦]، ويصح مع هذا أن يكون ﴿آزرُ﴾ اسم أبي إبراهيم، ويصح أن يكون بمعنى المعوج والمخطئ.

وقال الضحاك: ﴿آزرُ﴾ بمعنى: شيخ[٧]. ولا يصح مع هذه القراءة أن يكون ﴿آزرُ﴾ صفة.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٦٦)، والنكت والعيون للماوردي (٢/ ١٣٤)، والهداية لمكي (٣/ ٢٠٧٣)

(٢) سقطت «أتتخذ آزر» من الأصل، وهي في لالاليه ونجيبويه مؤخرة عن «أتتخذ أصناما».

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «تنبعث».

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «زيدت».

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٦٥).

(٦) وهي قراءة عشرية، قرأ بها يعقوب كما في النشر (٢/ ٢٩٣)، وانظر باقي القراء في: المحتسب (١/ ٢٢٩).

(٧) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٧)، والهداية لمكي (٣/ ٢٠٧٤)، وفي المطبوع: «شيء»، بدل: «شيخ».

وفي مصحف أبيٍّ: (يا آزر) بثبوت حرف النداء (أتخذت أصناماً) بالفعل الماضي[١].

وقرأ ابن عباس فيما روي عنه أيضاً: (أَأَزْراً تتخذ) بألف الاستفهام وفتح الهمزة من (أَزْر) وسكون الزاي، ونصب الراء وتنوينها، وإسقاط ألف الاستفهام من ﴿أَتَتَّخِذُ﴾[٢].

ومعنى هذه القراءة: عضداً وقوة ومظاهرة على الله تعالى تتخذ، وهو من نحو قوله تعالى: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ [طه: ٣١].

وقرأ أبو إسماعيل رجل من أهل الشام بكسر الهمزة من هذا الترتيب، ذكرها أبو الفتح[٣]، ومعناها: أنها مبدلة من واو، كوسادة وإسادة، فكأنه قال: أوِزْراً ومأثماً تتخذ أصناماً؟ ونصبه على هذا بفعل مضمر، ورويت أيضاً عن ابن عباس[٤].

وقرأ الأعمش: (إِزْراً تتخذ) بكسر الهمزة وسكون الزاي دون ألف توقيف[٥].

و﴿أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ مفعولان، وذكر أن آزر أبا إبراهيم كان نجاراً محسناً ومهندساً، وكان نمرود يتعلق بالهندسة والنجارة[٦] والنجوم فحظي عنده آزر لذلك، وكان على خطة عمل الأصنام تعمل بأمره وتدبيره، ويطبع هو في الصنم بختم معلوم عنده، وحينئذ يعبد ذلك الصنم، فلما نشأ إبراهيم ابنه على الصفة التي تأتي بعدُ كان أبوه يكلفه بيعها، فكان إبراهيم ينادي عليها: من يشتري ما يضره ولا ينفعه؟ ويستخف بها ويجعلها في

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (٣/ ٢٠٧٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٤٨).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٢٣).

(٣) في المطبوع: «أبو الفتوح»، وهي قراءة شاذة، انظرها في المحتسب (١/ ٢٢٣)، وأبو إسماعيل لم أعرفه إلا أن يكون هو ابن أبي عبلة.

(٤) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (٣/ ٢٠٧٤).

(٥) وهي قراءة شاذة، انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٥٦٢).

(٦) «النجارة» زيادة من السليمانية.

الماء منكوسة، ويقول: اشربي، فلما شهر أمره بذلك وأخذ في الدعاء إلى الله تعالى قال لأبيه هذه المقالة، و﴿أَرَىٰكَ﴾ في هذا الموضع يشترك فيها البصر والقلب لأنها رؤية قلب ومعرفته، وهي متركبة على رؤية بصر.

و﴿مُّبِينٍ﴾ بمعنى: واضحٍ ظاهر، وهو من أبان الشيءُ: إذا ظهر، ليس بالفعل المتعدي المنقول من بان يَبين.

قال القاضي أبو محمد: ويصح أن يكون المنقولَ، ويكون المفعولُ[1] مقدراً تقديره: في ضلال مبينٍ كفرَكم، وقيل: كان آزر رجلاً من أهل كُوثا من سواد الكوفة، قال النقاش: وبها ولد إبراهيم عليه السلام، وقيل: كان من أهل حران[2].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية، المتقدمة تقضي[3] بهداية إبراهيم عليه السلام والإشارة هنا بـ(ذلك) هي إلى تلك الهداية، أي: وكما هديناه إلى الدعاء إلى الله وإنكارِ الكفر أريناه ملكوت، و﴿نُرِىٓ﴾ لفظها الاستقبال ومعناها المضي، وحكى المهدوي أن المعنى: وكما هديناك يا محمد فكذلك نري إبراهيم[4].

قال القاضي أبو محمد: وهذا بعيدٌ؛ إذ اللفظ لا يعطيه.

و﴿نُرِىٓ﴾ هنا متعدية إلى مفعولين لا غير، فهي إما من رؤية البصر، وإما من أرى التي هي بمعنى عرَّف، ولو كانت من أرى بمعنى أَعْلَمَ وجعلنا أعلم منقولةً من عَلِم التي تتعدى إلى مفعولين، لوجب أن تتعدى أرى إلى ثلاثة مفاعيل[5] وليس كذلك، ولا يصح أن يقال: إن الثالث محذوف؛ لأنه لا يجوز حذفه إذ هو الخبر في الجملة التي يدخل عليها عَلِمتُ في هذا الموضع، وإنما هي من عَلِم بمعنى عَرَف، ثم نقلت

(١) في الأصل: «المنقول»، وكذا لالاليه، مع الإشارة في هامشها للمثبت، وعليها علامة صح.
(٢) البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٥٦٢)، بلا نسبة.
(٣) في المطبوع والسليمانية: «تقتضي».
(٤) انظر: التحصيل (٢/ ٦٠٩)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/ ١٧٠).
(٥) في فيض الله والسليمانية ولالاليه: «مفعولين»، وهي بمعناها.

بالهمزة[١] فتعدت إلى مفعولين، ثم جعلت أرى بمنزلتها في هذه الحال.

وهذه الرؤية قيل: هي رؤية البصر، وروي في ذلك أن الله عز وجل فرَج لإبراهيم السماوات والأرضين حتى رأى ببصره الملكوت الأعلى والملكوت الأسفل، فإن صح هذا المنقول ففيه تخصيص لإبراهيم عليه السلام بما لم يدركه غيره، قبله ولا بعده، وهذا هو قول مجاهد، قال: تفرجت له السماوات والأرضون فرأى مكانه في الجنة، وبه قال سعيد بن جبير[٢]، وسلمان الفارسي[٣].

[٢/ ٩٤] وقيل: هي رؤية بصر في ظاهر الملكوت، وقع له معها من الاعتبار / ورؤية القلب ما لم يقع لأحد من أهل زمنه الذين بعث إليهم، قاله ابن عباس وغيره[٤]، ففي هذا تخصيص ما على جهة التقييد بأهل زمنه.

وقيل: هي رؤية قلب رأى بها ملكوت السماوات والأرض بفكرته ونظره، وذلك ولا بدَّ متركب على ما تقدم من رؤيته ببصره وإدراكه في الجملة بحواسه.

قال القاضي أبو محمد: وهذان القولان الأخيران يناسبان الآية؛ لأن الغاية التي نصبت له إنما هي أن يؤمن ويكونَ من جملة موقنين كثيرةٍ[٥]، والإشارة لا محالة إلى من قبله من الأنبياء والمؤمنين وبعده، واليقين يقع له ولغيره بالرؤية في

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «الهمزة».

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٧٢).

(٣) أخرجه الطبري (١٣٤٥٢) من طريق: أبي معاوية، عن عاصم عن أبي عثمان عن سلمان الفارسي بلفظ: لما رأى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض، رأى عبداً على فاحشة، فدعا عليه، فهلك. ثم رأى آخر على فاحشة، فدعا عليه فهلك. ثم رأى آخر على فاحشة، فدعا عليه فهلك. فقال: أنزلوا عبدِي لا يُهْلِك عبادِي. عاصم هو الأحول، وأبو عثمان هو النهدي، والإسناد ظاهره السلامة.

(٤) أخرجه الطبري (١٣٤٤١)، وابن أبي حاتم (٧٤٩٨) من طريق علي بن أبي طلحة، والطبري (١٣٤٤٣)، وابن أبي حاتم (٧٤٩٩) من طريق: عطية العوفي كلاهما عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) في المطبوع: «كثرة».

ظاهر الملكوت والاستدلال به على الصانع والخالق لا إله إلا هو.

و﴿مَلَكُوتَ﴾ بناء مبالغة، كجبروت ورهبوت ورحموت، وقال عكرمة: هو ملكوتي باليونانية أو بالنبطية[١]، وقرأ: (ملكوث) بالثاء مثلثة[٢].

وقرأ أبو السمال: «ملْكوت» بإسكان اللام[٣]، وهي لغة.

و﴿مَلَكُوتَ﴾ بمعنى: الملك، والعرب تقول: لفلان ملكوت اليمن؛ أي: ملكه، واللام في ﴿لِيَكُونَ﴾ متعلقة بفعل مؤخر تقديره: وليكون من الموقنين أريناه[٤].

والموقن: العالم بالشيء علماً لا يمكن أن يطرأ له فيه شك.

وقال الضحاك ومجاهد أيضاً: إن الإشارة هاهنا بـ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ هي إلى الكواكب والقمر والشمس، وهذا راجعٌ وداخلٌ فيما قدمناه من أنها رؤية بصر في ظاهر الملكوت.

وروي عن ابن عباس في تفسير: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ قال: جلَّى له الأمورَ سرَّها وعلانيتها فلم يخْفَ عليه شيء من أعمال الخلائق، فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب، قال الله تعالى: إنك لا تستطيع هذا، فرده لا يرى أعمالهم[٥].

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾﴾.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٧١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٢٦).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لعكرمة في مختصر الشواذ (ص: ٤٤).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (٣/ ٢٠٧٦).

(٤) في الحمزوية: «لما لدينا».

(٥) أخرجه الطبري (٩/ ٣٥٣)، وابن أبي حاتم (٧٤٩٩-٧٥٠٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

هذه الفاء في قوله: ﴿فَلَمَّا﴾ رابطة جملةَ ما بعدها بما قبلها، وهي ترجح أن المراد بـ«الملكوت»: هو هذا التفصيل الذي في هذه الآية.

و«جن الليل»: ستر وغطى بظلامه، ويقال: أَجَنَّ، والأول أكثر، ويشبه أن يكون الجِن والمِجَن والجنة والجَنَن ـ وهو القبر ـ مشتقة من جن إذا ستر.

ولفظ هذه القصة يحتمل أن تكون وقعت له في حال صباه وقبل بلوغه، كما ذهب إليه ابن عباس، فإنه قال: رأى كوكباً فعبده[١].

وقال ناس كثير: إن النازلة قبل البلوغ والتكليف، ويحتمل أن تكون وقعت له بعد بلوغه وكونه مكلفاً، وحكى الطبري هذا عن فرقة، وقالت: إنه استفهم على جهة التوقيف بغير ألف، قال: وهذا كقول الشاعر:

[الطويل] رَفَوْنِـي وقَالُـوا يَـا خُوَيلِدُ لَـمْ تُـرَعْ   فَقُلْتُ وأَنْكَرْتُ الوُجُـوهَ هُمُ هُمُ[٢]

يريد: أهم هم، وكما قال الآخر:

[الطويل] لَعَمْـرُكَ مَـا أَدْرِي وَإِنْ كُنْـتَ دَارِيـاً   شُعَيْثُ بْنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثُ بْنُ مِنْقَرِ[٣]

يريد: أشعيث.

---

(١) هذا الأثر أخرجه ابن جرير الطبري (٩/ ٣٥٦)، وابن أبي حاتم (٧٥١١-٧٥١٧-٧٥٢٠) في تفسيريهما، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦١٢) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره.

(٢) البيت لأبي خراش الهذلي كما في العين (٨/ ٢٨١)، والمعاني الكبير (٢/ ٩٠٢)، والعقد الفريد (١/ ١٣٣)، وتهذيب اللغة (١٥/ ١٧٥)، وفي الحمزوية ولالاليه: «رقوني»، وهو تصحيف من قعنب لما سأل الأصمعيَّ عنها، وفسرها، فقال الأصمعي: يصحف ويفسر التصحيف! خزانة الأدب (١/ ٤٤٢).

(٣) البيت للأسود بن يعفر التميمي كما في الكتاب لسيبويه (٣/ ١٧٤)، ونسبه المبرد في الكامل (٢/ ١٨١) للَّعين المنقري، وعزاه في تفسير الطبري (١١/ ٤٨٤) لأوس، وهو ابن حجر، وشعيث حي من بني منقر من تميم، والشاعر يشكك في نسبتها لهم.

قال القاضي أبو محمد: والبيت الأول لا حجة فيه عندي.

وقد حكي أن نمرود[١] جبار ذلك الزمن رأى له منجموه أن مولوداً يولد في سنة كذا في عمله يكون خراب الملك على يديه، فجعل يتبع الحبالى ويوكل بهن حراساً، فمن وضعت أنثى تركت، ومن وضعت ذكراً حمل إلى الملك فذبحه، وأن أم إبراهيم حملت به، وكانت شابَّة قوية، فسترت حملها، فلما قربت ولادتها بعثت تارَح أبا إبراهيم إلى سفر وتحيلت لمضيه إليه، ثم خرجت هي إلى غار فولدت فيه إبراهيم وتركته في الغار وقد هيأت عليه، وكانت تفتقده فتجده يتغذى بأن يمصَّ أصابعه فيخرج له منها عسل وسمن ونحو هذا، وحكي: بل كان يغذوه ملك، وحكي: بل كانت تأتيه بألبان النساء اللاتي ذبح أبناؤهن.

فشب إبراهيم أضعاف ما يشب غيره، والملك في خلال ذلك يحس بولادته ويشدد في طلبه، فمكث في الغار عشرة أعوام، وقيل: خمس عشرة سنة، وأنه نظر أول ما عقل من الغار فرأى الكوكب وجرت قصة الآية.

قال القاضي أبو محمد: وجلبتُ هذا القَصَص بغاية الاختصار في اللفظ، وقصدت استيفاء المعاني التي تخص الآية، ويضعف عندي أن تكون هذه القصة في الغار؛ لقوله تعالى في آخرها: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ وهي ألفاظ تقتضي محاجة وردّاً على قوم، وحاله في الغار بعيدة عن مثل هذا، اللهم إلا أن يتأول في ذلك أنه قالها بينه وبين نفسه، أي: قال في نفسه معنى؛ العبارة عنه: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾، وهذا كما قال الشاعر:

ثُـمَّ انْـثَـنَى وقَـالَ في التَّـفْـكِيـرِ   إنَّ الْحَيَـاةَ الْيَـوْمَ في الْكُـرُورِ[٢]   [الرجز]

قال القاضي أبو محمد: ومع هذا فالمخاطبة تبعده، ولو قال: يا قوم إني بريء من الإشراك، لصح هذا التأويل وقَوِي.

---

(١) في فيض الله: «نمروذ» بدل: «نمرود»، وكلاهما مروي.
(٢) البيت للعجاج في صفة ثور كما في الحجة للفارسي (١/ ٣٤٢).

فإن قلنا بأنه وقعت له القصة في الغار في حال الصبوة وعدم التكليف على ما ذهب إليه بعض المفسرين ويحتِمله اللفظ، فذلك ينقسم على وجهين:

إما أن يجعل قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ تصميماً واعتقاداً، وهذا باطلٌ؛ لأنَّ التصميم على الكفر لم يقع من الأنبياء صلوات الله عليهم.

وإما أن يجعله تعريضاً للنظر والاستدلال، كأنه قال: هذا المنير البهي ربي إن عضدت ذلك الدلائل، ويجيء إبراهيم عليه السلام كما قال الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ أي: مهمَل المعتقَد.

وإن قلنا بأن القصة وقعت له في حال كبره[1] وهو مكلف، فلا يجوز أن يقول: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ مصمماً ولا معرِّضاً للنظر؛ لأنها رتبة جهل أو شك وهو عليه السلام منزه معصوم من ذلك كله، فلم يبق إلا أن يقولها على جهة التقرير لقومه والتوبيخ لهم وإقامة الحجة عليهم في عبادة الأصنام، كأنه قال لهم: أهذا المنير ربي؟ أو هذا ربي؟ وهو يريد: على زعمكم، كما قال الله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾ فإنما المعنى: على زعمكم.

ثم عرَض إبراهيم عليهم من حركته وأفوله أمارة الحدوث[2]، وأنه لا يصلح أن يكون ربّاً، ثم في آخر أعظم منه وأحرى[3] كذلك، ثم في الشمس كذلك، فكأنه يقول: / فإذا بان في هذه المنيرات الرفيعة أنها لا تصلح للربوبية فأصنامكم التي هي [٢/ ٩٥] خشب وحجارة أحرى أن يَبين ذلك فيها، ويعضد عندي هذا التأويل قولُه: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

ومثل لهم بهذه الأمور؛ لأنهم كانوا أصحاب علمَيْ نجوم ونظر في الأفلاك، وهذا الأمر كله إنما[4] وقع في ليلة واحدة: رأى الكوكب ـ وهو الزهرة في قول قتادة،

(١) في الأصل والمطبوع: « كفره».

(٢) في فيض الله: «الحدث» بدل: «الحدوث»، وفي السليمانية: «الحديث».

(٣) في فيض الله ونور العثمانية والسليمانية: «وأخرى» بدل: «وأحرى».

(٤) في السليمانية: «مما» بدل «إنما».

وقال السدي: هو المشتري ـ جانحاً للغروب، فلما أفل بزغ القمر، وهو أول طلوعه، فسرى الليل أجمع، فلما بزغت الشمس زال ضوء القمر قبلها لانتشار الصباح وخفي نوره ودنا أيضاً من مغربه، فسمي ذلك أفولاً لقربه من الأفول التام على تجوُّز في التسمية، ثم بزغت الشمس على ذلك.

وهذا الترتيب يستقيم في الليلة الخامسة عشرة من الشهر إلى ليلة عشرين، وليس يترتب في ليلة واحدة ـ كما أجمع أهل التفسير ـ إلا في هذه الليالي، وبذلك التجوُّز في أفول القمر.

و«أفل» في كلام العرب معناه: غاب، يقال: أين أفلت عنا يا فلان؟ وقيل: معناه: ذهب.

قال القاضي أبو محمد: وهذا خلافٌ في عبارة فقط، وقال ذو الرمة:

مَصَابِيحُ لَيْسَتْ بِاللَّوَاتِي تَقُودُهَا نُجُومٌ وَلَا بِالآفِلَاتِ الدَّوَالِكِ[١] [الطويل]

وقال: ﴿ٱلْآفِلِينَ﴾، فجمع بالياء والنون، لمَّا قصَد قصْدَ الأربابِ ونحو ذلك، وعلى هذا يخرج قوله في الشمس: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾، فذكَّر الإشارة إليها لـمَّا قصَد قصْدَ[٢] ربه.

وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص: ﴿رَءَا﴾، بفتح الراء والهمزة، وقرأ نافع بين الفتح والكسر، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وابن عامر وحمزة والكسائي بكسرهما، وقرأ أبو عمرو بن العلاء بفتح الراء وكسر الهمزة[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾ الآية، البـزوغ في هذه الأنوار: أول الطلوع، وقد تقدم القول فيما تدعو إليه ألفاظ الآية، وكون هذا الترتيب في ليلة واحدة

---

(١) انظر عزوه له في الأزمنة لقطرب (ص: ١٧)، ومجاز القرآن (١/ ١٩٩)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٢٠).
(٢) تكررت «قصد» في أكثر النسخ هنا وكذلك في بداية المقطع التالي، فالأولى فعل، والثانية مصدر.
(٣) السبعة في القراءات (ص: ٢٦٠)، وكذا التيسير (ص: ١٠٣)، إلا قالون وهشاماً فكابن كثير، والمراد بالكسر الإضجاع.

من[1] التجوُّز في أفول القمر؛ لأن أفوله لو قدرناه مغيبَه في المغرب لكان ذلك بعد بزوغ الشمس.

وجميع ما قلناه يعطيه الاعتبار، و﴿يَهْدِنِي﴾ يرشدْني، وهذا اللفظ يؤيد قول من قال: النازلة في حال الصغر، والقوم الضالون: عبدة المخلوقات، كالأصنام وغيرهما، وإن كان الضلال أعم من هذا فهذا هو المقصود في هذا الموضع.

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٧٩ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠﴾.

لما قصَدَ قَصْدَ ربه قال: ﴿هَٰذَا﴾، فذكَّر، أي: هذا المرئيُّ أو المنير ونحو هذا، فلما أفلت الشمس[2] لم يبق شيء يمثِّل لهم به، فظهرت حجته وقوي بذلك على منابذتهم والتبري من إشراكهم.

وقوله: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ يؤيد قول من قال: النازلة في حال الكبر والتكليف.

و﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ أي: أقبلتُ بقصدي وعبادتي وتوحيدي وإيماني وغير ذلك مما يعمه المعنى المعبر عنه بـ﴿وَجْهِيَ﴾.

و﴿فَطَرَ﴾ معناه: ابتدع في أجرام.

و﴿حَنِيفًا﴾ معناه: مستقيماً، والحنف: الميل في كلام العرب، وأصله في الأشخاص، وهو في المعاني مستعار، فالمعوج في الأجرام أحنف على الحقيقة، أي: مائل، والمستقيم فيها أحنف على تجوُّز، كأنه مال عن كل جهة إلى القوام.

---

(١) في المطبوع: «مع».

(٢) «الشمس» سقطت من المطبوع.

و(حاجَّه) فاعله[١] من الحجة، قال: أتراجعوني في الحجة في توحيد الله.

وقرأت فرقة: (أتحاجونني) بإظهار النونين[٢] وهو الأصل.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي: ﴿أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّي﴾ بإدغام النون الأولى في الثانية، وقرأ نافع وابن عامر: ﴿أتحاجوني﴾ بحذف النون الواحدة[٣]، فقيل: هي الثانية، وقيل: هي الأولى، ويدل على ذلك أنها بقيت مكسورة.

قال أبو علي الفارسي: ولا يجوز أن تحذف الأولى لأنها للإعراب، وإنما حذفت الثانية التي هي توطئة لياء المتكلم كما حذفت في «ليتي»[٤]، وفي قول الشاعر:

.... يَسُوءُ الْفَالِيَاتِ إِذَا فَلَيْنِي[٥] [الوافر]

وكسرت بعد ذلك الأولى الباقية لمجاورتها للياء.

و(قد هدانِ) أي: قد أرشدني إلى معرفته وتوحيده، وأمال الكسائي ﴿هَدَىٰنِ﴾[٦]، والإمالة في ذلك حسنة، وإذا جازت الإمالة في غزا ودعا وهما من ذوات الواو فهي في ﴿هَدَىٰنِ﴾ التي هي من ذوات الياء أجوز وأحسن[٧].

وحكي أن الكفار قالوا لإبراهيم عليه السلام: خَفْ أن تصيبك آلهتنا ببرص، أو

---

(١) في فيض الله والسليمانية: «مفاعلة» بدل: «فاعله».

(٢) وهي قراءة شاذة، عزاها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ١٦٦) لعيسى بن عمر.

(٣) وهما سبعيتان، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢٦١)، وكذا التيسير (ص: ١٠٤) إلا أن لهشام تخفيف النون وتشديدها.

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٣٣٤).

(٥) عجز بيت، صدره: تراه كالثَّغَام يُعَلُّ مِسْكاً، وهو لعمرو بن معدي كرب كما في معاني القرآن للفراء (٣/ ٣٥)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٥٢٠)، ومجاز القرآن (١/ ٣٥٢)، والصحاح الجوهري (٦/ ٣٠٧)، وتهذيب اللغة (٥/ ١٨٥)، ونسبه ابن عادل في اللباب (٩/ ٥٥٠)، والسمين في الدر المصون (١/ ٢١٣٠) لعمر بن أبي ربيعة، ولعله سبق قلم منهما والله أعلم، وفي المطبوع: «الغاليات».

(٦) على قاعدته في ذلك، وهي مستثناة لحمزة، انظر: التيسير (ص: ٤٨).

(٧) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٣٣٥).

داء لإذايتك لها وتنقُّصك، فقال لهم: لست أخاف الذي تشركون به؛ لأنه لا قدرة له ولا غناء عنده، و(ما) في هذا الموضع بمعنى الذي، والضمير في ﴿بِهِۦٓ﴾ يحتمل أن يعود على الله عز وجل، فيكون على هذا في قوله: ﴿تُشۡرِكُونَ﴾ ضمير عائد على (ما)، تقدير الكلام: ولا أخاف الأصنام التي تشركونها بالله في الربوبية، ويحتمل أن يعود الضمير على (ما) فلا يحتاج إلى غيره، كأن التقدير: ما تشركون بسببه.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗا﴾ استثناء ليس من الأول، و﴿شَيۡـٔٗا﴾ منصوب بـ﴿يَشَآءَ﴾، ولما كانت قوة الكلام أنه لا يخاف ضرّاً، استثنى مشيئة ربه تعالى في أن يريده بضر(١).

و﴿عِلۡمًا﴾ نصب على التمييز، وهو مصدر بمعنى الفاعل، كما تقول العرب: تصبَّب زيد عرقاً، المعنى: تصبب عرقُ زيد، فكذلك المعنى هنا: وسع علمُ ربي كل شيء. ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ توقيف وتنبيه وإظهار لموضع التقصير منهم.

قوله عز وجل: ﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ / نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾﴾. [٢/ ٩٦]

هذه الآية إلى ﴿تَعۡلَمُونَ﴾ هي كلها من قول إبراهيم عليه السلام لقومه، وهي حجته القاطعة لهم، المعنى: وكيف أخاف الأصنام التي لا خطب لها وهي حجارة وخشب إذا أنا نبذتها ولم أعظمها، ولا تخافون أنتم الله عز وجل وقد أشركتم به في الربوبية أشياء لم ينزل بها عليكم حجة، والسلطان: الحجة، ثم استفهم على جهة التقرير: ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾ [مني ومنكم](٢) ﴿أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِ﴾ أي: من لم يشرك بالقادر العالم أحق أن يأمن؟!

(١) في الحمزوية: «في أنه يزيد نصراً».
(٢) ساقط من المطبوع.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية، ﴿ٱلَّذِينَ﴾ رفع بالابتداء، و﴿يَلۡبِسُوٓاْ﴾ معناه: يخلطوا.

و«الظلم» في هذه الآية: الشرك، تظاهرت بذلك الأحاديث عن النبي ﷺ وعن جماعة من الصحابة: أنه لما نزلت هذه الآية أشفق أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أيّنا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك كما قال لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾»[1].

وروي أن عمر بن الخطاب قرأ في المصحف، فلما أتى عليها عظُمت عليه، فلبس رداءه ومر إلى أُبيّ بن كعب، فقال: يا أبا المنذر، وسأله عنها، فقال له: إنه الشرك يا أمير المؤمنين، فسُرِّي عن عمر[2]، وجرى لزيد بن صوحان[3] مع سلمان نحو مما جرى لعمر مع أُبيّ بن كعب رضي الله عنهم[4].

وقرأ مجاهد: (ولم يلبسوا إيمانهم بشرك)، وقرأ عكرمة: (يُلبسوا) بضم الياء[5].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٢)، ومسلم (١٢٤)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) في إسناديه مقال، أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٤٩٣-١٣٤٩٤-١٣٤٩٥) من طريق علي بن زيد بن جدعان تارة عن المسيب عن عمر رضي الله عنه، وتارة عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن عمر فذكره، وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف.
وقد أخرجه الطبري (١٣٤٩٦-١٣٤٩٧) من طريق عمرو بن سالم قال: قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾، فقال عمر: قد أفلح من لم يلبس إيمانه بظلم! فقال أبيّ: يا أمير المؤمنين، ذاك الشرك! وعمرو بن سالم أبو عثمان الأنصاري قاضي مرو رأى ابن عباس وابن عمر، وروى عن أبي بن كعب مرسلاً، ووثقه أبو داود، ولم يصرح بسماعه من عمر.

(٣) زيد بن صوحان العبدي أخو صعصعة، يقال: له وفادة على النبي ﷺ، وسمع من عمر، وعلي، روى عنه أبو وائل، والعيزار بن حريث. وكان صواماً قواماً، قتل يوم الجمل. تاريخ الإسلام (٣/ ٥٠٩).

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (١٣٤٨٦) من طريق أبي الأشعر العبدي عن أبيه، عن زيد بن صوحان عن سلمان الفارسي، وأبو الأشعر وأبوه لا يعرفان. تاريخ الإسلام (٣/ ٥٠٨).

(٥) وهما شاذتان، انظرهما في البحر المحيط في التفسير (٤/ ٥٧١)، قال في الأول: ولعل ذلك تفسير معنى؛ إذ هي قراءة تخالف السواد.

و﴿ٱلْأَمْنُ﴾: رفع بالابتداء وخبره في المجرور، والجملة خبر ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾. ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ أي: راشدون، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: المراد بهذه الآية: إبراهيم خاصة[1].

وقال عكرمة: نزلت في مهاجري أصحاب محمد ﷺ خاصة، وقالت فرقة: هي من قول إبراهيم لقومه فهي من الحجة التي أوتيها، وقال ابن جريج: هي من قول قوم إبراهيم، ويجيء هذا من الحجة أيضاً أن أقروا بالحق وهم قد ظلموا في الإشراك، وقال ابن إسحاق وابن زيد وغيرهما: بل ذلك قول من الله عز وجل ابتداء حكم فصل عام لوقت محاجة إبراهيم وغيره ولكل مؤمن تقدم أو تأخر[2].

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو البيِّن الفصيح الذي يرتبط به معنى الآية ويحسُن رصفها، وهو خبر من الله تعالى.

و(تلك) إشارة إلى هذه الحجة المتقدمة وهي رفع بالابتداء، و﴿حُجَّتُنَآ﴾ خبره و﴿ءَاتَيْنَٰهَآ﴾ في موضع الحال، ويجوز أن تكون ﴿حُجَّتُنَآ﴾ بدلاً من (تلك) و﴿ءَاتَيْنَٰهَآ﴾ خبرَ (تلك) و﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ مفعول بـ﴿ءَاتَيْنَٰهَآ﴾ والضمير مفعول أيضاً بـ(آتَيْنَا) مقدم و﴿عَلَىٰ﴾ متعلقة بقوله: ﴿حُجَّتُنَآ﴾ وفي ذلك فصل كثير، ويجوز أن تتعلق ﴿عَلَىٰ﴾ بـ﴿ءَاتَيْنَٰهَآ﴾ على المعنى، إذ المعنى: أظهرناها لإبراهيم على قومه، ونحو هذا.

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: ﴿نرفع درجاتِ مَن نشاء﴾ بإضافة «الدرجات» إلى ﴿مَن﴾، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ بالتنوين[3].

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٣٥١١)، وابن أبي حاتم (٧٥٤٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٦) من طريق زياد بن علاقة، عن زياد بن حرملة، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وإسناده ضعيف لجهالة زياد بن حرملة.

(٢) انظر أقوال هؤلاء في تفسير الطبري (١١/ ٤٩٣، ٥٠٥، ٥٠٣)، وبعضهم في تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٣٢).

(٣) بالتنوين زيادة من السليمانية، وهما سَبْعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٠٣)، وفي المطبوع في الثانية: «وقرأ عامر وعاصم».

قال القاضي أبو محمد: وهما مأخذان من الكلام، والمعنى المقصود بهما واحد، و﴿دَرَجَٰتٍ﴾ على قراءة مَن نون نصبٌ على الظرف.

و﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ صفتان تليق بهذا الموضع؛ إذ هو موضع مشيئة واختيار، فيحتاج ذلك إلى العلم والإحكام، والدرجات أصلها في الأجسام، ثم تستعمل في المراتب والمنازل المعنوية.

قوله عز وجل: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

﴿وَوَهَبْنَا﴾ عطف على ﴿ءَاتَيْنَٰهَآ﴾، و﴿إِسْحَٰقَ﴾ ابنه من سارة.

و(يعقوب) هو ابن إسحاق، و﴿كُلًّا﴾ و(نوحاً) منصوبان على المفعول مقدمان على الفعل، وقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ لقدمه[1] ﷺ.

وقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ المعنى: وهدينا من ذريته، والضمير في ﴿ذُرِّيَّتِهِۦ﴾؛ قال الزجّاج: جائز أن يعود على ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ [2]، ويعترض هذا بذكر لوط عليه السلام، وهو ليس من ذرية إبراهيم بل هو ابن أخيه، وقيل: ابن أخته، ويتخرج ذلك عند من يرى الخال أباً.

وقيل: يعود الضمير على (نوح) وهذا هو الجيد[3].

و﴿دَاوُۥدَ﴾ يقال: هو ابن إيشى و(سليمان) ابنه، و(أيوب) هو فيما يقال: أيوب ابن موص بن[4] رازح بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم، و(يوسف) هو ابن يعقوب بن

---

(١) في الأصل ونجيبويه: «لقومه».

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٦٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٥٠٧).

(٤) «موص بن» ليست في المطبوع.

إسحاق، و(موسى) و(هارون) هما ابنا عمران بن يصهر بن قاهث[١] بن لاوي بن يعقوب.

ونصبُ ﴿دَاوُۥدَ﴾ يحتمل أن يكون بـ(وَهَبْنا) ويحتمل أن يكون بـ﴿هَدَيْنَا﴾، وهذه الأسماء كلها فيها العجمةُ والتعريف، فهي غير مصروفة، و«مُوسى» عند سيبويه وزنه مُفْعَل، فَعَلى هذا ينصرف في النكرة، وقيل: وزنه فُعْلَى، فعلى هذا لا ينصرف في معرفة ولا نكرة[٢].

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وعد من الله عز وجل لمن أحسن في عمله، وترغيب في الإحسان.

و(زكريا) فيما يقال هو زكريا ابن آذن[٣] بن بركنا.

و(عيسى) ابن مريم بنت عمران ابن ياشهم بن أمون بن حزقيا.

و(إلياس) هو ابن نسي[٤] بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران، وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: إدريس هو إلياس[٥].

ورد ذلك الطبري وغيره بأن إدريس هو جد نوح، تظاهرت بذلك الروايات[٦].

---

(١) في فيض الله: «ناهث».

(٢) انظر الخلاف في وزن «موسى» وصرفه في المخصص (٤/ ٤٨٦)، وتهذيب اللغة (٤/ ٣٤٦)، وسر صناعة الإعراب (١/ ٤٢٨).

(٣) في السليمانية: «أدد».

(٤) في المطبوع: «نسمي».

(٥) في إسناده جهالة، أخرجه عبد بن حميد في تفسيره ـ كما في تغليق التعليق (٤/ ٩) ـ، والطبري (١٣٥١٥)، وابن أبي حاتم (٧٥٥٦) من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن عبيدة بن ربيعة، عن ابن مسعود رضي الله عنه، بنحوه، وفي لفظ بزيادة: «ويعقوب هو إسرائيل»، وعبيدة فيه جهالة، وقد علقه البخاري في صحيحه بصيغة التمريض في كتاب الأنبياء، باب ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ...﴾، وحسنه الحافظ في فتح الباري (٦/ ٣٧٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥١٩).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٥١٠).

و(زكرياء)؛ قرأته طائفة بالمد، وقرأته طائفة بالقصر: (زكريا)[١].

وقرأ ابن عامر ـ باختلاف عنه ـ، والحسن وقتادة بتسهيل الهمزة من (الياس)[٢].

وفي هذه الآية: أن عيسى عليه السلام من ذرية نوح أو إبراهيم، بحسب الاختلاف في عود الضمير من ﴿ذُرِّيَّتِهِۦ﴾، وهو ابن ابنته، وبهذا يستدل في الأحباس على أن ولد البنت من الذرية.

و(إسماعيل) هو أكبر ولدي إبراهيم عليه السلام وهو من هاجر.

و(اليسع) قال زيد بن أسلم: هو يوشع بن نون[٣]، وقال غيره: هو اليسع بن أخطوب ابن العجوز[٤].

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَٱلۡيَسَعَ﴾.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿واللَّيْسَع﴾[٥] كأن الألف / واللام دخلت على فيعَل. [٢/ ٩٧]

قال أبو علي الفارسي: فالألف واللام في (اليسع) زائدة لا تؤثِّر معنى تعريف؛ لأنها ليست للعهد كالرجل والغلام، ولا للجنس كالإنسان والبهائم، ولا صفةً غالبة كالعباس والحارث؛ لأن ذلك يلزم عليه أن يكون (اليسع) فعلاً، وحينئذٍ يجري صفة، وإذا كان فعلاً وجب أن يلزمه الفاعل ووجب أن يحكى إذ هي جملة، ولو كان كذلك لم يجز لحاق اللام له، إذ اللام لا تدخل على الفعل، فلم يبق إلا أن تكون الألف واللام زائدة كما هي زائدة في قولهم: الخمسة العَشَر درهماً، وفي قول الشاعر:

---

(١) وهم حفص عن عاصم وحمزة والكسائي، والأولى للباقين، فهما سبعيتان، كما تقدم في آل عمران.

(٢) وهي شاذة، في هذا الموضع من قراءة الحسن وقتادة كما في الكامل للهذلي (ص: ٣٨١)، وسيأتي ما لابن عامر في «الذاريات».

(٣) انظر: الهداية لمكي (٣/ ٢٠٩٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٥١٠).

(٥) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٠٤)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٦٢).

[الرجز] يَا لَيْتَ أُمَّ الْعَمْرِ كَانَتْ صَاحِبِي[١] ....

بالعين غير منقوطة، وفي قوله:

[الطويل] وَجَدْنَا الْوَلِيـدَ بْنَ الْيَزِيـدَ مُبَارَكاً شَـدِيداً بِأَعْبَاءِ الْخِلافَةِ كَاهِلُهْ[٢]

قال: وأما (الليسع) فالألف واللام فيه بمنزلتها في الحارث والعباس؛ لأنه من أبنية الصفات، لكنه بمنزلة (اليسع) في أنه خارج عما هي عليه الأسماء الأعجمية، إذ لم يجئ فيها شيء هو على هذا الوزن كما لم يجىء منها شيء فيه لام تعريف، فهما من الأسماء الأعجمية إلا أنهما مخالفان للأسماء الأعجمية فيما ذكر[٣].

قال القاضي أبو محمد: وأما «اليزيد» فإنه لـمَّا سمي به أزيل منه معنى الفعل وأفردت فيه الاسمية فحصل علماً[٤]، وزيدت فيه الألف واللام لا لتعريف، وقال الطبري: دخلت الألف واللام إتباعاً لِلَفظ «الوليد»[٥].

و(يونس) هو ابن متّى، ويقال: يونُس ويونَس ويونِس، وكذلك: يوسُف ويوسَف ويوسِف.

وبكسر النون من (يونِس) والسين من (يوسِف) قرأ الحسن وابن مصرف وابن وثاب وعيسى بن عمر والأعمش في جميع القرآن[٦].

[و﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ معناه: عالَـمي زمانهم][٧].

---

(١) أنشده ابن الأعرابي كما في سر صناعة الإعراب (١/ ٣٦٦) والأمالي للقالي (٣/ ٣٧) وأبو زيد كما في المحكم (٨/ ٦٠٧)، قال في المخصص (٣/ ٢٧٩): ورواه ابن السكيت «أمَّ الغَمر» بالغين وهذا لا شاهد فيه، وسقط هذا البيت والتعليق عليه من نجيبويه.

(٢) البيت للرمّاح بن ميادة كما في المحكم (٩/ ٨٦)، وسر صناعة الإعراب (٢/ ٤٥١)، ونسبه الزمخشري للأخطل في الفائق (٣/ ٢٨٨).

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٣٤٥).

(٤) في المطبوع: «فحصل فيه العلمية»، وفي السليمانية: «فجعل علماً».

(٥) تفسير الطبري (١١/ ٥١١).

(٦) وهي قراءة شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٥٠)، وقد تقدم التنبيه عليه.

(٧) سقط من الأصل.

قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

والمعنى: وهدينا من آبائهم وذرياتهم وإخوانهم جماعات، فـ (مِن) للتبعيض، والمراد: من آمن منهم نبيّاً كان أو غير نبي، ويدخل عيسى عليه السلام في ضمير قوله: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ ولهذا قال محمد بن كعب: الخال أب والخالة أم[(١)].

و(اجتبيناهم) معناه: تخيرناهم وأرشدناهم وضممناهم إلى خاصتنا، وأرشدناهم إلى الإيمان والفوز برضى الله تعالى، قال مجاهد: معناه: أخلصناهم[(٢)].

و«الذرية»: الأبناء، ويُطلق على جميع البشر ذرية لأنهم أبناء، وقال قوم: إن الذرية تقع على الآباء لقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١]، يراد به نوع البشر.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ﴾ الآية، ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى النعمة في قوله: ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾، وإضافة (الهدى) إلى ﴿ٱللَّهِ﴾ إضافة ملك.

و(حبِطَ) معناه: تلف وذهب لسوءٍ غلب عليه، و﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى من تقدم ذكره.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ يراد به الصحف والتوراة والإنجيل والزبور.

و(الحكم) يراد به: اللب والفطنة والفقه في دين الله.

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٢٤٠) ولفظه: «الخال والد والعم والد».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٥١٣) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٣٦) معاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٥٥).

و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إشارة إلى كفار قريش المحادِّين[١] لرسول الله ﷺ، وإلى كل كافر في ذلك العصر، قاله قتادة وابن عباس[٢] والسدي وغيرهم[٣].

و﴿قَوۡمًا﴾ يراد به مؤمنو أهل المدينة، قاله ابن عباس[٤] وقتادة والضحاك والسدي وغيرهم[٥]، فالآية على هذا التأويل وإن كان القصد في نزولها هذين الصنفين فهي تعم الكفرة والمؤمنين إلى يوم القيامة.

وقال قتادة أيضاً والحسن بن أبي الحسن: المراد بـ«القوم» من تقدم ذكره من الأنبياء والمؤمنين، وقال أبو رجاء: المراد الملائكة[٦].

والباء في ﴿بِهَا﴾ متعلقة بقوله: ﴿بِكَٰفِرِينَ﴾ والباء في قوله: ﴿بِكَٰفِرِينَ﴾ زائدة للتأكيد.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ الآية، الظاهر في الإشارة، بـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أنها إلى المذكورين قبل من الأنبياء ومن معهم من المؤمنين المهديين، ومعنى الاقتداء: اتباع الأثر في القول والفعل والسيرة، وإنما يصح اقتداؤه بجميعهم في العقود والإيمان والتوحيد الذي ليس بينهم فيه اختلاف، وأما أعمال الشرائع فمختلفة، وقد قال عز وجل: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ [المائدة: ٤٨]، ويحتمل أن تكون الإشارة بـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى قوله: ﴿قَوۡمًا﴾.

---

(١) في الحمزوية: «المجادلين»، وفي المطبوع: «المعادين».

(٢) أخرجه الطبري (١٣٥٢٥) من طريق عطية العوفي، وابن أبي حاتم (٧٥٧١) من طريق علي بن أبي طلحة، كلاهما عن ابن عباس.

(٣) انظر قولي قتادة والسدي في تفسير الطبري (١١/ ٥١٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٣٨)، والهداية لمكي (٣/ ٢٠٩٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٣٥٢٦)، وابن أبي حاتم (٧٥٧٤) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٥١٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٣٨)، والهداية لمكي (٣/ ٢٠٩٥).

(٦) انظر القولين في تفسير الطبري (١١/ ٥١٧)، وتفسير السمعاني (٢/ ١٢٤)، والهداية لمكي (٣/ ٢٠٩٥).

قال القاضي أبو محمد: وذلك يترتب على بعض التأويلات في المراد بالقوم ويقلق على بعضها.

قال القاضي ابن الباقلاني: واختلف الناس هل كان رسول الله ﷺ قبل مبعثه متعبَّداً بشرعِ مَن كان قبله؟: فقالت طائفة: كان متعبداً، واختلف بشرع من؟:

فقالت فرقة: بشرع إبراهيم، وفرقة: بشرع موسى، وفرقة: بشرع عيسى، وقالت طائفة بالوقف في ذلك، وقالت طائفة: لم يكن متعبداً بشرع من كان قبله، وهو الذي يترجح(١).

قال القاضي أبو محمد: ولا يحمل كلام القاضي على أنه لم يكن متعبداً بشرع من كان قبله في توحيد ولا معتقد، لأنّا نجد شرعنا ينبئ أن الكفار الذين كانوا قبل النبي ﷺ كأبويه ﷺ وغيرهما في النار، ولا يدخل الله تعالى أحداً النار إلا بترك ما كلف، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وغير ذلك.

وقاعدة المتكلمين: أن العقل لا يوجب ولا يكلف وإنما يوجب الشرع.

فالوجه في هذا أن يقال: إنَّ آدم عليه السلام فمن بعده دعا إلى توحيد الله دعاء عامّاً، واستمرَّ ذلك على العالَم، فواجب على الآدمي البالغ أن يبحث على الشرع الآمر بتوحيد الله تعالى، وينظر في الأدلة المنصوبة على ذلك بحسب إيجاب الشرع النظرَ فيها، ويؤمن ولا يعبد غير الله، فمن فرضناه لم يجد سبيلاً إلى العلم بشرعٍ آمرٍ(٢) بتوحيد الله، وهو / مع ذلك لم يكفر ولا عبد صنما بل تخلى، فأولئك أهل الفترات الذين أطلق [٢/ ٩٨] عليهم أهل العلم أنهم في الجنة، وهم بمنزلة الأطفال والمجانين، ومن قصر في النظر والبحث فعبد صنماً وكفر فهذا تارك للواجب عليه مستوجب العقاب بالنار، فالنبي ﷺ قبل المبعث ومن كان معه من الناس وقبله مخاطبون على ألسنة الأنبياء قبل بتوحيد الله عز وجل، وغير مخاطبين بفروع شرائعهم؛ إذ هي مختلفة وإذ لم يَدْعهم إليها نبي.

---

(١) انظر قول الباقلاني (الأخير) والأقوال الأخرى في: التلخيص في أصول الفقه للجويني (٢/ ٢٥٨-٢٥٩)، والبحر المحيط للزركشي (٨/ ٣٩-٤١).

(٢) في المطبوع: «آخر».

وأما بعد مبعث النبي ﷺ فهل هو وأمته مخاطبون بشرع من تقدَّم؟ فقالت فرقة: لسنا مخاطبين بشيء من ذلك، وقالت فرقة: نحن مخاطبون بشرع من قبلنا.

قال القاضي أبو محمد: ومن قال من هذه الطائفة: إن محمَّداً ﷺ وأمته مخاطبون بكل شرائع من تقدم على الإطلاق، فقد أحال؛ لأن أحكام الشرائع تأتي مختلفة، وإنما يتحدق[١] قول من قال منها: إنّا متعبدون بما صح نقله من شرائع من قبلنا ولم تختلف فيه الشرائع وبالآخِر مما اختلفت فيه؛ لأنه الناسخ المتقدم، ويُرتبط[٢] في صحة نقل ذلك إلى ما وقع في القرآن في حديث رسول الله ﷺ من حكاية أحكام سالفة، كقوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾ [ص: ٤٤]، وكقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤] وكحكاية تزويج شعيب ابنته لموسى عليهما السلام، وكحديث النبي ﷺ في قضية سليمان بين المرأتين في الولد[٣]، ونحو ذلك.

ولا يقتضي قولُهم أكثر من جواز أن يتعبد بذلك، وأما وجوب أن يتعبد فغير لازم بوجه[٤]، ولا تعلق عندي أشبه في ذلك من أن يقال: إن النبي ﷺ شَرَع لأمته أن يصلي الناس صلاته إذا ذكرها، ثم مثَّل في ذلك لا على طريق التعليل بقوله عز وجل لموسى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤][٥] فننقل نحن هذا إلى غير ذلك من النوازل، ونقول: إنه كما شرع عندنا ذلك المثال في نسيان الصلاة كذلك نشرع هذه الأمثلة كلها.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قياس ضعيف، ولو ذكر النبي ﷺ قوله تعالى:

---

(١) في الحمزوية: «ينحذف»، وفي نور العثمانية والمطبوع: «يتخذون»، وفي السليمانية وفيض الله: «يتحذق»، وهي في لالاليه غير واضحة.

(٢) في المطبوع: «ويرتكز».

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٤٢٧)، ومسلم (١٧٢٠) من حديث أبي هريرة، وفي الحمزوية وفيض الله ولالاليه: «قصة».

(٤) زيادة من نور العثمانية والسليمانية وفيض الله.

(٥) أخرجه البخاري (٥٩٧) ومسلم (٦٨٤) من حديث أنس رضي الله عنه، وأخرجه مسلم (٦٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ على جهة التعليل لكانت الحجة به قوية، ولا يصح أن يقال: يصح عندنا نقل ما في الشرائع من جهة من أسلم منهم كعبد الله بن سلام وغيره صحة نقلها، وكذلك ما شرعه الحواريون لا سبيل إلى صحة شرع عيسى عليه السلام له.

وقرأ ابن كثير وأهل مكة ونافع وأبو عمرو وأهل المدينة وعاصم: ﴿ٱقۡتَدِهۡ﴾ بهاء السكت ثابتة في الوقف والوصل، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿اقتدِ قُل﴾ بحذف الهاء في الوصل وإثباتها في الوقف، وهذا هو القياس، وهي تشبه ألف الوصل في أنها تقطع في الابتداء وتوصل غير مبتدأ بها، فكذلك هذه تثبت في الوقف وتحذف في الوصل.

وقرأ ابن عامر: ﴿اقتدهِ﴾ بكسر الهاء دون بلوغ الياء.

قال ابن مجاهد: وهذا غلطٌ لأنها هاء وقف لا تعرب على حال.

قال أبو علي: ووجه ذلك أن تكون ضمير المصدر، كأنه قال: اقتد الاقتداء(١).

وقرأ ابن ذكوان على هذه: ﴿اقتدهِ﴾ بإشباع الياء بعد الهاء(٢).

وقالت فرقة: إن كسر الهاء إنما هو في هاء السكت، كما قد تسكَّن هاء الضمير أحياناً.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، ولا تجوز عليه القراءة بإشباع الياء.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾ الآية، المعنى: قل يا محمد لـهؤلاء الكفرة المعاندين: لا أسألكم على دعائي إياكم بالقرآن إلى عبادة الله وتوحيده أجرة أستكثر بها وأختص بدنياها، إنِ القرآنُ إلا موعظةٌ وذكرى ودعاء لجميع العالمين.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٩١﴾.

---

(١) في الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٣٥٣).

(٢) وكلها سبعية، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢٦٢)، والتيسير (ص: ١٠٤)، وفي السليمانية: «ابن كثير»، بدل: «ابن ذكوان».

الضمير في ﴿قَدْرِهِۦٓ﴾، و﴿قَالُوا۟﴾ قيل: يراد به العرب، قاله مجاهد وغيره، وقيل: يراد به بنو إسرائيل، قاله ابن عباس[١]، وقيل: رجل مخصوص منهم يقال له: مالك بن الصيف، قاله سعيد بن جبير، وقيل: في فنحاص، قاله السدي[٢].

و﴿قَدْرِهِۦٓ﴾ هو من توفية القدر والمنزلة، فهي عامة يدخل تحتها من لم يعرف ومن لم يعظم وغير ذلك، غير أن تعليله بقولهم: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يقضي بأنهم جهلوا ولم يعرفوا الله حق معرفته إذ أحالوا عليه بعثة الرسل، و﴿حَقَّ﴾ نصب على المصدر[٣].

ومن قال: إن المراد كفار العرب، فيجيء الاحتجاج عليهم بقوله: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ احتجاجاً بأمر مشهور منقولٍ بكافةِ قومٍ لم تكن العرب مكذِّبة لهم، ومن قال: إن المراد بنو إسرائيل، فيجيء الاحتجاج عليهم مستقيماً؛ لأنهم يلتزمون صحة نزول الكتاب على موسى عليه السلام.

وروي أن مالك بن الصيف كان سميناً، فجاء يخاصم النبي ﷺ بزعمه فقال له رسول الله ﷺ: «أَنشُدك الله ألست تقرأ فيما أنزل على موسى: إن الله يبغض الحبر السمين؟»، فغضب وقال: ﴿والله مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾[٤].

والآية على قول من قال: نزلت في قول بني إسرائيل، تلزم أن تكون مدنية، وكذلك حكى النقاش أنها مدنية[٥].

وقرأ الحسن وعيسى الثقفي وغيرهما: (ومَا قَدَّرُوا) بتشديد الدال (اللهَ حَقَّ قدَره)

---

(١) أخرجه الطبري (١٣٥٤٠)، وابن أبي حاتم (٧٥٩١-٧٥٩٣) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر الأقوال كلها في تفسير الطبري (١١/ ٥٢١)، وما بعدها.

(٣) في المطبوع: «المقدر».

(٤) مرسل، أخرجه الطبري (١٣٥٣٥)، وابن أبي حاتم (٧٥٩٧) عن سعيد بن جبير مرسلاً، وقد أخرجه الطبري (١٣٥٣٦) عن عكرمة مرسلاً.

(٥) البحر المحيط (٤/ ٥٨٠).

بفتح الدال[١]، وقرأ الجمهور في الأول بالتخفيف، وفي الثاني بإسكانه.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية، أمره الله تعالى أن يستفهم على جهة التقرير على موضع الحجة، والمراد بـ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة، و(نوراً) و(هدى) اسمان في موضع الحال بمعنى نيِّراً وهادياً، فإن جعلناه حالاً من ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ فالعامل فيه ﴿أَنزَلَ﴾ وإن جعلناه حالاً من الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ فالعامل فيه ﴿جَآءَ﴾.

وقرأ جمهور الناس: / ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ﴾ بالتاء من فوق في [٢/ ٩٩]
الأفعال الثلاثة، فمن رأى أن الاحتجاج على بني إسرائيل استقامت له هذه القراءة، وتناسقت مع قوله: ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ﴾، ومن رأى أن الاحتجاج إنما هو على كفار العرب فيضطر في هذه القراءة ـ إذ لا يمكن دفعها ـ[٢] إلى أن يقول: إنه خرج من مخاطبة قريش في استفهامهم وتقريرهم إلى مخاطبة بني إسرائيل بتوبيخهم وتوبيخ[٣] أفعالهم.

قال القاضي أبو محمد: وهذا مع بُعده أسهل من دفع القراءة، فكأنه على هذا التأويل قال لقريش: من أنزل الكتاب على موسى؟ ثم اعترض على بني إسرائيل فقال لهم خلال الكلام: تجعلونه أنتم يا بني إسرائيل قراطيس.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا ويُخفُونَ كَثِيراً﴾ بالياء في الأفعال الثلاثة[٤]، فمن رأى الاحتجاج على قريش رآه إخباراً من الله عز وجل بما فعلته اليهود في الكتاب، ويحتمل أن يكون الإخبار بذلك لقريش أو للنبي ﷺ وحده، وما أخبر به النبي ﷺ في القرآن فأمته متلقية ذلك.

---

(١) وهما شاذتان، عزا لهما الأولى ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٤٤)، وزاد أبا نوفل، وعزا الثانية لهم الكرماني في شواذ القراءات (ص: ١٧٢).

(٢) في المطبوع: «رفعها».

(٣) في السليمانية وفيض الله: «وبقبح»، وفي نجيبويه ولالاليه: «تقبيح».

(٤) والجمهور بالتاء، وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٠٤).

و﴿قَرَاطِيسَ﴾ جمع قرطاس، أي: بَطائق وأوراقاً، والمعنى: يجعلونه ذا قراطيس من حيث يكتب فيها، وتوبيخهم بالإبداء والإخفاء هو على إخفائهم آيات محمد ﷺ، والإخبار بنبوته، وجميع ما عليهم فيه حجة.

وقوله: ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾؛ قال مجاهد وغيره: هي مخاطبة للعرب(١).

فالمعنى على هذا: قصد ذكر منة الله عليهم بذلك؛ أي: علِّمتم يا معشر العرب من الهدايات والتوحيد والإرشاد إلى الحق ما لم تكونوا عالمين به ولا آباؤكم.

قال القاضي أبو محمد: وقوله: ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ﴾ يصلح على هذا المعنى لمخاطبة من انتفع بالتعليم ومن لم ينتفع به، ويصح الامتنان بتعليم الصنفين، وليس مِن شرطِ مَن علِّم أن يَعْلَم ولا بدَّ، أما إن التعليم الكامل هو الذي يقع معه التعلم.

وقالت فرقة: بل هي مخاطبة لبني إسرائيل، والمعنى على هذا يترتب على وجهين:

أحدهما: أن يقصد به الامتنان عليهم وعلى آبائهم بأن عُلِّموا من دين الله وهداياته ما لم يكونوا عالمين به؛ لأن آباء المخاطبين من بني إسرائيل كانوا علِّموا أيضاً وعلم بعضهم، وليس ذلك في آباء العرب.

والوجه الآخر: أن يكون المقصود ذمهم؛ أي: وعلِّمتم أنتم وآباؤكم ما لم تَعْلموه بعد التعليم ولا انتفعتم به لإعراضكم وضلالكم.

ثم أمره تعالى بالمبادرة إلى موضع الحجة، أي: قل لهم: الله هو الذي أنزل الكتاب على موسى، ويحتمل أن يكون المعنى: فإن جهلوا أو تحيروا أو سألوا أو نحو هذا فقل: «الله»، ثم أمره بترك من كفر وأعرض، وهذه آية منسوخة بآية القتال إن تُؤُوِّلت موادعة، وقد يحتمل أن لا يدخلها نسخ إذا جعلت تتضمن تهديداً ووعيداً مجرداً من موادعة.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢١/ ٥٢٧).

و«الخوض»: الذهاب فيما لا تُسبر حقائقه، وأصله في الماء، ثم يستعمل في المعاني المشكلة الملتبسة، و﴿يَلْعَبُونَ﴾ في موضع الحال.

قوله عز وجل: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

قوله: (هذا) إشارة إلى القرآن، و﴿مُبَارَكٌ﴾ صفة له، و﴿مُّصَدِّقُ﴾ كذلك، وحذف التنوين من ﴿مُّصَدِّقُ﴾ للإضافة وهي إضافة غير محضة لم يتعرف بها ﴿مُّصَدِّقُ﴾ ولذلك ساغ أن يكون وصفاً لنكرة، و﴿ٱلَّذِى﴾ في موضع المفعول، والعامل فيه مصدق.

ولا يصلح أن يكون ﴿مُّصَدِّقُ﴾ مع حذف التنوين منه يتسلط على ﴿ٱلَّذِى﴾، ويقدر حذف التنوين للالتقاء، وإنما جاء ذلك شاذّاً في الشعر في قوله:

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ وَلَا ذَاكِرِ اللهَ إِلَّا قَلِيلا[1] [المتقارب]

ولا يقاس عليه.

و﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ هي حال التوراة والإنجيل؛ لأن ما تقدَّم فهو بين يدي ما تأخر.

وقالت فرقة: ﴿ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ القيامة.

قال القاضي أبو محمد: وهذا غير صحيح؛ لأن القرآن هو بين يدي القيامة.

وقرأ الجمهور: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ أي: أنت يا محمد.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: ﴿ولينذر﴾ بالياء[2]، أي: القرآن بمواعظه وأوامره، واللام في (لِتُنذِر) متعلقة بفعل متأخر تقديره: ولتنذر أم القرى، ومَن حولها أنزلناه.

و﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ مكة سميت بذلك لوجوه أربعة:

منها: أنها منشأ الدين والشرع، ومنها: ما روي أن الأرض منها دحيت، ومنها:

(١) البيت لأبي الأسود الدؤلي كما تقدم في تفسير الآية (١٦٩) من سورة البقرة.
(٢) زيادة من السليمانية، وهي في لالاليه ملحقة في الهامش، والقراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٠٤).

أنها وسط الأرض وكالنقطة للقرى، ومنها: ما لحق عن الشرع من أنها قبلة كل قرية(١)، فهي لهذا كله أمٌّ وسائر القرى بنات، وتقدير الآية: لتنذر أهل أم القرى.

و(من حولها) يريد أهل سائر الأرض، و﴿حَوْلَهَا﴾ ظرفٌ العاملُ فيه فعل مضمر تقديره: ومن استقر حولها، ثم ابتدأ تبارك وتعالى مدح قومٍ، وصفهم وأخبر عنهم أنهم يؤمنون بالآخرة والبعث والنشور، ويُؤْمِنُونَ بالقرآن ويصدقون بحقيقته، ثم قوَّى عز وجل مدحهم بأنهم يحافظون على صلاتهم التي هي قاعدة العبادات وأم الطاعات.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن وأبو بكر عن عاصم: (صلواتهم) بالجمع(٢).

ومن قرأ بالإفراد فإنه مفرد يدل على الجميع، وإذا انضافت «الصلاة» إلى ضمير لم تكتب إلا بالألف، ولا تكتب في المصحف بواو إلا إذا لم تنضف إلى ضمير(٣).

قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

هذه ألفاظ عامة، فكلُّ مَن واقَعَ شيئاً مما يدخل تحت هذه الألفاظ فهو داخلٌ في الظلم الذي قد عظمه الله تعالى بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم، وقال قتادة وغيره: / المراد بهذه الآيات: مسيلمة، والأسود العنسي(٤)، وذكروا رؤية النبي ﷺ للسوارين(٥). [٢/ ١٠٠]

---

(١) في السليمانية وفيض الله: «فرقة».

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها للحسن في الشواذ للكرماني (ص: ١٧٢)، ولرواية حسين الجعفي عن شعبة فيه، وفي الكامل (ص: ٥٤٤)، وزاد روايته عن أبي عمرو أيضاً، وليست من طرق التيسير.

(٣) انظر: المقنع للداني (ص: ٦٠).

(٤) هو عبهلة بن كعب، الأسود أول من ارتد بعد حجة الوداع، وكان شعباذاً يريهم الأعاجيب، ويسبي قلوب من يستمع منطقه، فوثب هو ومذحج بنجران إلى أن صار إلى صنعاء فأخذها، حتى صفا له ملك اليمن. تاريخ الإسلام (٣/ ١٥).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٦٢١)، ومسلم (٢٢٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال السدي: المراد بها: عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري[١]، وكان يكتب للنبي ﷺ الوحي، وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة فلما نزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤]، [فقال ﷺ لابن أبي سرح: «اكتبها»][٢]، فقال عبد الله بن سعد من تلقاء نفسه: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] فقال له رسول الله ﷺ: «اكتبها فهكذا أنزلت»، فتوهم عبد الله ولحق بمكة مرتدّاً، وقال: أنا أنزل مثل ما أنزل الله[٣].

وروي عنه أيضاً أن النبي ﷺ ربما أملى عليه: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فبدلها هو: «والله سميع عليم»، فقال النبي ﷺ: «ذلك سواء» ونحو هذا[٤].

وقال عكرمة: أولها في مسيلمة، والآخِر في عبد الله بن سعد بن أبي سرح[٥].

وذكر الزهراوي والمهدوي أن الآية نزلت في النضر بن الحارث؛ لأنه عارض القرآن بقوله: والزارعات زرعاً والخابزات خبزاً، إلى غير ذلك من السخافات[٦].

قال القاضي أبو محمد: فخصَّص المتأولون في هذه الآيات ذكر قوم قد يمكن أن كانوا أسباب نزولها، ثم هي إلى يوم القيامة تتناول مَن تعرض شيئاً من معانيها كطليحة

---

(١) القرشيّ من عامر بن لؤيّ، يكنى أبا يحيى، وكان أخا عثمان من الرضاعة، أسلم وكتب الوحي لرسول الله ﷺ ثم ارتد، وأهدر دمه في فتح مكة، فأمنه عثمان، وأمّره على مصر، وله مواقف محمودة في الفتوح، ثم اعتزل الفتنة، وتوفي سنة (٣٦هـ)، الإصابة (٤/ ٩٤).

(٢) زيادة من السليمانية.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٥٣٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٤٦ و١٣٤٧)، وأسباب النزول للواحدي (ص ١٤٨).

(٤) مرسل، أخرجه الطبري (١٣٥٥٦)، وابن أبي حاتم (٧٦٢٦) عن السدي مرسلاً.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٥٣٣).

(٦) انظر: التحصيل (٢/ ٦٢٥)، ومثله في النكت والعيون للماوردي (٢/ ١٤٤) عن عكرمة.

الأسدي[١] والمختار بن أبي عبيد[٢] وسواهما.

وقرأ الجمهور: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ﴾ بتخفيف النون، وقرأ أبو حيوة: (سأُنَـزِّل) بفتح النون وتشديد الزاي[٣].

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الآية، جواب (لو) محذوف تقديره: لرأيت عجباً، أو هولاً ونحو هذا، وحذفُ هذا الجواب أبلغ من نصه؛ لأنَّ السامعَ إذا لم يُنص له الجواب يترك مع غاية تخيله، و﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لفظ عام لمن واقع ما تقدم ذكره وغير ذلك من أنواع الظلم الذي هو كفر.

و«الغمرات» جمع غمرة، وهي المصيبة المبهمة المذهلة، وهي مشبَّهة بغمرة الماء، ومنه قول الشاعر:

[الوافر] وَلَا يُـنْجِـي مِـنَ الْـغَمَــرَاتِ إِلا   بَرَاكَـاءُ الـقِـتَـالِ أَوِ الـفِــرَارُ[٤]

و(الملائكة) ملائكة قبض الروح.

و﴿بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ كناية عن مدها بالمكروه، كما قال تعالى حكاية عن ابني آدم: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى﴾ [المائدة: ٢٨].

وهذا المكروه هو لا محالة أوائلُ عذابٍ وأماراته، قال ابن عباس: يضربون وجوههم

---

(١) طليحة بن خويلد بن نوفل الأسدي، أسلم سنة تسع، ثم ارتد وتنبأ بنجد وحارب المسلمين، ثم انهزم، فلما توفي الصديق تاب وحسن إسلامه وشهد القادسية، وكان طليحة يعد بألف فارس لشجاعته وشدته، واستشهد بنهاوند. تاريخ الإسلام (٣/ ٢٣٠).

(٢) المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب، الذي خرج بالكوفة، وتتبع قتلة الحسين يقتلهم، وقال النبي ﷺ: «يكون في ثقيف كذاب ومبير» فكان أحدهما المختار، كذب على الله وادعى أن الوحي يأتيه، والآخر: الحجاج، قتل سنة (٦٧هـ). تاريخ الإسلام (٥/ ٢٢٦).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ١٨٤).

(٤) البيت لبشر بن أبي خازم كما في الاختيارين للأخفش (١/ ٩٦)، والأغاني (١٥/ ٩٢)، والمفضليات (١/ ٦١)، والصحاح (٤/ ٢٦١)، وتهذيب اللغة (٣/ ٣٧٣)، وبَراكاءُ القتال: شدته، أو ساحة الحرب، أو حيث يبتركون، أي: يجثون على ركبهم.

وأدبارهم[١]، وأما البسط لمجرد قبض النفس فإنه يشترك فيه الصالحون والكفرة، وقيل: إن المراد بسط الأيدي في جهنم، والغمرات كذلك، لكنهم لا يقضى عليهم فيموتوا.

وقوله: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ حكاية لـمَا تقوله الملائكة، والتقدير: يقولون: أخرجوا أنفسكم، ويحتمل قول الملائكة ذلك أن يريدوا: فأخرجوا أنفسكم من هذه المصائب والمحن وخلصوها إن كان ما زعمتموه حقّاً في الدنيا، وفي ذلك توبيخ وتوقيف على سالف فعلهم القبيح، قال الحسن: هذا التوبيخ على هذا الوجه هو في جهنم[٢].

ويحتمل أن يكون ذلك على معنى الزجر والإهانة، كما يقول الرجل لمن يقهره بنفسه على أمر ما: افعل كذا، لذلك[٣] الأمر الذي هو يتناوله بنفسه منه على جهة الإهانة وإدخال الرعب عليه.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ الآية، هذه حكاية عن قول الملائكة للكفرة عند قبض أرواحهم، و﴿ٱلْهُونِ﴾: الهوان، ومنه قول ذي الأصبع:

إِلَيْكَ عَنِّي فَمَا أُمِّي بِرَاعِيَةٍ ... تَرْعَى الْمَخَاضَ وَلَا أُغْضِي عَلَى الْهُونِ[٤] [البسيط]

وقرأ عبد الله بن مسعود وعكرمة: (عذاب الهَوَان) بالألف[٥].

وقوله تعالى: ﴿تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ لفظ جامع لكل نوع من الكفر، ولكنه يظهر منه ومن قوله: ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ الإنحاءُ على مَن قرب ذكره من هؤلاء الذين ادعوا الوحي وأن ينزلوا مثل ما أنزل الله، فإنها أفعال بيِّن فيها قولُ غير الحق على الله، وبُيِّن فيها الاستكبار.

---

(١) أخرجه الطبري (١٣٥٦٣)، وابن أبي حاتم (٧٦٣٥) من طريق علي بن أبي طلحة، وأخرجه الطبري (١٣٥٦٤) من طريق عطية العوفي كلاهما عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: النكت والعيون للماوردي (٢/ ١٤٥).

(٣) في السليمانية: «افعل ذلك لذلك»، وفي لالاليه: «كذلك لذلك»، وفي الأصل: «افعل كذلك الأمر».

(٤) عزاه له تفسير الطبري (١١/ ٥٤٢)، وتفسير الماوردى (٢/ ١٤٥).

(٥) وهي قراءة شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٤/ ٥٨٦).

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾.

هذه حكاية عمَّا يقال لهم بعد قبض أرواحهم، فإما عند خروجها من الأجساد، وإما يوم القيامة، كل ذلك محتمل، و﴿فُرَٰدَىٰ﴾ معناه: فرداً فرداً، والألف في آخره ألف تأنيث، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] تَـرَى النُّعَرَاتِ الـزُّرْقَ تَحْـتَ لَـبَانِهِ فُـرَادَى وَمَثْنَى أَصْعَقَتْهَا صَوَاهِلُهْ[1]

وقرأ أبو حيوة: (فراديً) منوناً على وزن فعال[2]، وهي لغة تميم.

و﴿فُرَٰدَىٰ﴾ قيل: هو جمع فَرَد بفتح الراء، وقيل: جمع فَرْد بإسكان الراء.

والمقصد في الآية توقيف الكفار على انفرادهم وقلة النصير، واحتياجهم إلى الله عز وجل بفقد الخول والشفعاء، فيكون قوله: ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ تشبيهاً بالانفراد الأول في وقت الخلقة، ويتوجه معنى آخر وهو أن يتضمن قوله: ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ زيادة معان على الانفراد، كأنه قال: ولقد جئتمونا فرادى وبأحوال كذا، والإشارة على هذا بقوله ﴿كَمَا﴾ هي إلى ما قاله النبي ﷺ في صفة من يحشر أنهم يحشرون حفاة عراة غرلاً[3].

و﴿خَوَّلْنَٰكُمْ﴾ معناه: أعطيناكم، وكان أبو عمرو بن العلاء ينشد بيت زهير:

[الطويل] هُنَالِكَ إِنْ يُسْـتَخْوَلُوا الْمَالَ يُخوِلُوا وَإِن يُسْأَلُوا يُعْطُوا وَإِنْ يَيْسِرُوا يُغْلُوا[4]

---

(١) البيت لتميم بن أُبي بن مقبل كما في تفسير الطبري (٧/ ٥٤٣)، والصحاح للجوهري (٢/ ٨٣٢)، وإصلاح المنطق (ص: ١٥٣)، وتهذيب اللغة (٢/ ٢٠٦)، والحيوان (٧/ ١٣٧)، والنُّعَرَةُ مثال الهُمَزَة: ذباب ضخم، وفي المطبوع وبعض النسخ: «أضعفتها».

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها له في الهداية لمكي (٣/ ٢١٠٧)، والشواذ للكرماني (ص: ١٧٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ومسلم (٢٨٥٩) من حديث عائشة.

(٤) انظر عزوه له مع إنشاد أبي عمرو في مجاز القرآن (٢/ ١٨٨)، وتفسير الطبري (١١/ ٥٤٦)، وغيرهما.

و﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ إشارة إلى الدنيا؛ لأنهم يتركون ذلك موجوداً.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾ الآية، توقيف على الخطأ في عبادة الأصنام وتعظيمها.

قال الطبري: وروي أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث؛ لأنه قال: سوف تشفع لي اللات والعزى[(١)].

قال القاضي أبو محمد: ومن كان من العرب يعتقد أنها تشفع وتقرِّب إلى الله زلفى ويرى[(٢)] شركتها بهذا الوجه، فمخاطبته بالآية متمكن وهكذا كان الأكثر، ومن كان منهم لا يقر بإله غيرها فليس هو في هذه الآية.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر، وحمزة: ﴿بينُكم﴾ بالرفع.

وقرأ نافع والكسائي: ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بالنصب[(٣)]، أما الرفع فعلى وجوه:

أُولاها: أنه الظرف استعمل اسماً وأسند إليه الفعل، كما قد استعملوه اسماً في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصّلت: ٥] وكقولهم فيما حكى سيبويه: أحمر بين العينين[(٤)]، ورجح هذا القول أبو علي الفارسي[(٥)].

والوجه الآخر: أن بعض المفسرين منهم الزهراوي والمهدوي وأبو الفتح وسواهم حكوا أنَّ البيْن في اللغة / يقال على الافتراق وعلى الوصل، فكأنه قال: لقد تقطع وصلكم[(٦)]. [٢/ ١٠١]

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٥٤٧).

(٢) زاد في السليمانية هنا: «زلفتها إلى الله».

(٣) وهما سبعيتان، إلا أن حفصاً روى النصب، انظر: التيسير (ص: ١٠٥)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٦٣).

(٤) الكتاب لسيبويه (١/ ١٩٥).

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٣٥٨).

(٦) المحتسب (٢/ ١٩٠)، والتحصيل (٢/ ٦٣٧).

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا عندي اعتراض؛ لأن ذلك لم يرو مسموعاً عن العرب، وإنما انتزع من الآية، والآية محتملة.

قال الخليل في «العين»: والبين: الوصل، لقوله عز وجل: ﴿لَقَد تَقَطَّع بينُكم﴾ فعلل سوق اللفظة بالآية[(١)]، والآية معرضة لغير ذلك، أمَا إن أبا الفتح قوَّى أن البين: الوصل، قال: وقد أتقن ذلك بعض المحدثين بقوله: قد أَنصف البينُ من البين[(٢)].

والوجه الثالث من وجوه الرفع: أن يكون البين على أصله في الفرقة من بان يبين: إذا بعد، ويكون في قوله: ﴿تَّقَطَّعَ﴾ تجوُّز على نحو ما يقال في الأمر البعيد في المسافة: تقطعت الفجاج بين كذا وكذا، عبارة عن بُعد ذلك، ويكون المقصد: لقد تقطعت المسافة بينكم لطولها فعبر عن ذلك بـ«البين» الذي هو الفرقة.

وأما وجه قراءة النصب: فأن يكون ظرفاً، ويكون الفعل مستنداً إلى شيء محذوف تقديره: لقد تقطع الاتصال ـ أو الارتباط ـ بينكم، أو نحو هذا.

قال القاضي أبو محمد: وهذا وجه واضحٌ وعليه فسره الناس: مجاهدٌ والسدي وغيرهما[(٣)]. وجه آخر يراه أبو الحسن الأخفش، وهو أن يكون الفعل مسنداً إلى الظرف ويبقى الظرف على حال نصبه وهو في النية مرفوع، ومثل هذا عنده قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الجن: ١١].

وقرأ ابن مسعود ومجاهد والأعمش: (تقطع ما بينكم) بزيادة (ما)[(٤)].

و(ضَلَّ) معناه: تلف وذهب.

---

(١) العين (٨/ ٣٨٠).

(٢) ولفظه في المحتسب (٢/ ١٩٠): ونظر بعض المولَّدين إلى حديث بين فقال: انتصَرَ البينُ من البَين... واشتَفَتِ العينُ مِنَ العَينِ.

(٣) تفسير الطبري (١١/ ٥٤٨و٥٤٩).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لابن مسعود في معاني القرآن للفراء (١/ ٣٤٥)، والمصاحف (١/ ١٧٦)، وتفسير الثعلبي (٤/ ١٧١)، والكشاف للزمخشري (٢/ ٤٧)، والحجة لابن خالويه (١/ ١٤٥)، وللباقين في البحر المحيط (٤/ ٥٨٩).

و﴿مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ يريد دعواهم أنها تشفع وتشارك الله في الألوهية.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ (٩٦)﴾.

هذا ابتداء تنبيه على العبرة والنظر، ويتصل المعنى بما قبله؛ لأن القصد: إن الله، لا هذه الأصنام.

وقال مجاهد وأبو مالك: هذه إشارة إلى الشق الذي في حبة البر ونواة التمر.

قال القاضي أبو محمد: والعبرة على هذا القول مخصوصة في بعض الحب وبعض النوى، وليس لذلك وجه.

وقال الضحاك وقتادة والسدي وغيرهم: هذه إشارة إلى فعل الله في أن يشقَّ جميع الحب عن جميع النبات الذي يكون منه، ويشق النوى عن جميع الأشجار الكائنة عنه.

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو الظاهر الذي يعطي العبرة التامة، فسبحان الخلَّاق العليم.

وقال الضحاك: ﴿فَالِقُ﴾ بمعنى: خالق.

وقال السدي وأبو مالك: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ إشارة إلى إخراج النبات الأخضر والشجر الأخضر من الحب اليابس والنوى اليابس، فكأنه جعل الخضرة والنضارة حياة واليبس موتاً، و(مخرجُ الميتِ من الحيِّ) إشارة إلى إخراج الحب اليابس من النبات والشجر[1].

وقال ابن عباس وغيره: بل ذلك كله إشارة إلى إخراج الإنسان الحي من النطفة

(١) انظر هذه الأقوال الأربعة كلها في تفسير الطبري (١١/ ٥٥١-٥٥٣)، وبعضها في تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٥١).

الميتة وإخراج النطفة الميتة من الإنسان الحي[١]، وكذلك سائر الحيوان والطير من البيض والحوت وجميع الحيوان.

قال القاضي أبو محمد: وهذا القول أرجح، وإنما تعلق قائلو القول الأول بتناسب تأويلهم مع قوله: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ وهما على هذا التأويل الراجح معنيان متباينان فيهما معتبر.

وقال الحسن: المعنى: يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن[٢].

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ ابتداء وخبر متضمن التنبيه.

﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ أي: تُصرفون وتُصدُّون.

و﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ أي: شاقُّه ومُظْهِره، والفلق: الصبح.

وقرأ الجمهور: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ بكسر الهمزة.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن وعيسى ابن عمر وأبو رجاء: (فالق الأصباح) بفتح الهمزة[٣] جمع صبح.

وقرأت فرقة: (فالقُ الإصباحَ) بحذف التنوين من (فَالِقُ) لالتقاء الساكنين، ونصب (الإصباحَ) بـ(فَالِقُ) كأنه أراد: فالقٌ الإصباحَ، بتنوين القاف، وهذه قراءة شاذة[٤]، وإنما جوز سيبويه مثل هذا في الشعر وأنشد عليه:

[المتقارب]
فَأَلْفَيْتُهُ غير مُسْتَعْتِبٍ ولا ذَاكِرِ اللهَ إِلَّا قَلِيلا[٥]

(١) أخرجه الطبري (١٣٥٩٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٦٥٨) من طريق السدي عمن حدثه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٣٠٧ و٣٠٨ و٢٠/ ٨٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٧)، والهداية لمكي (٩/ ٥٦٧٥).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الطبري (١١/ ٥٥٦)، والهداية لمكي (٣/ ٢١١٢)، ومختصر الشواذ (ص: ٤٥).

(٤) وبها قرأ إبراهيم النخعي، انظر: الهداية لمكي (٣/ ٢١١٢).

(٥) الكتاب لسيبويه (١/ ١٦٩)، والبيت لأبي الأسود الدؤلي تقدم الاستشهاد به والتعليق عليه مراراً.

وحكى النحاس[١] عن المبرد جواز ذلك في الكلام[٢].

وقرأ أبو حيوة وإبراهيم النخعي ويحيى بن وثاب: (فلَق الإصباحَ) بفعل ماض[٣].

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر: ﴿وجاعلُ الليلِ﴾.

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ﴾[٤]، وهذا لـمَّا كان ﴿فَالِقُ﴾ بمعنى الماضي فكأن اللفظ: فلق الإصباح وجعل، ويؤيد ذلك نصب ﴿ٱلشَّمۡسَ﴾ و(القمر).

وقرأ الجمهور: ﴿سَكَنًا﴾، وروي عن يعقوب: (ساكِناً).

قال أبو عمرو الداني: ولا يصح ذلك عنه[٥]، ونصبه بفعل مضمر إذا قرأنا: ﴿وجاعلُ﴾ لأنه بمعنى المضي، وتقدير الفعل المضمر: وجاعلُ الليلِ يجعلُه سكناً، وهذا مثل قولك: هذا معطي زيدٍ أمسِ درهماً، والذي حكاه أبو علي في هذا أنه ينتصب بما في الكلام من معنى معطي.

قرأ أبو حيوة: (والشمسِ والقمرِ) بالخفض[٦] عطفاً على لفظ: ﴿الليلِ﴾.

و﴿حُسۡبَانًا﴾ جمع حساب، كشهبان في جمع شهاب، أي: تجري بحساب، هذا

(١) في السليمانية وفيض الله: «النقاش»، ولعلها أصوب فالنحاس لم يذكر ذلك في إعراب القرآن ولا معانيه، ولم ينقله عنه تابعو المؤلف.

(٢) انظر كلام المبرد في هذا الباب في «المقتضب» (٢/ ٣١٢) فما بعدها.

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (٤/ ١٧٢)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٣).

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٠٥).

(٥) وهي شاذة، عزاها لرواية رويس عنه القرطبي (٧/ ٤٥)، وليست من طرق النشر، وانظر قول الداني في البحر المحيط (٤/ ٥٩٤).

(٦) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها له في الكامل للهذلي (ص: ٥٤٤)، والشواذ للكرماني (ص: ١٧٣)، وزاد يزيد بن قطيب السكوني.

قول ابن عباس[١] والسدي وقتادة ومجاهد[٢]، وقال مجاهد في «صحيح البخاري»: المراد: حسبان كحسبان الرحى[٣]، وهو الدولاب والعود الذي عليه دورانه.

قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾.

هذه المخاطبة تعم المؤمنين والكافرين، فالحجة بها على الكافرين قائمة، والعبرة بها للمؤمنين ممكنة متعرضة، و﴿جَعَلَ﴾ هنا بمعنى خلق؛ لدخولها على مفعول واحد، وقد يمكن أن تكون بمعنى صيَّر، ويقدر المفعول الثاني في ﴿لِتَهْتَدُوا۟﴾ لأنه يقدر: وهو الذي جعل لكم النجوم هداية.

و﴿فِى ظُلُمَٰتِ﴾ هي هاهنا على حقيقتها في ظلمة الليل بقرينة النجوم التي لا تكون إلا بالليل، ويصح أن تكون الظلمات هاهنا الشدائد في المواضع التي يتفق أن يهتدى فيها بالشمس، وذَكَر الله تعالى النجوم في ثلاث منافع[٤]، وهي قوله: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]،/ وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾، فالواجب أن يعتقد أن ما عدا هذه الوجوه[٥] من قول أهل التأثير باطل واختلاق على الله وكفر به. [٢/ ١٠٢]

---

(١) أخرجه الطبري (١٣٦٠٥)، وابن أبي حاتم (٧٦٧٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٥٥٨ و٥٥٩).

(٣) ذكره البخاري معلقاً في كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر، قال مجاهد: كحسبان الرحى، قال الحافظ في فتح الباري (٦/ ٢٩٨): وصله الفريابي في تفسيره من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٤) في السليمانية وفيض الله: «مواضع».

(٥) في المطبوع: «هذا الوجه».

و﴿فَصَّلْنَا﴾ معناه: بيَّنا وقسمنا، و﴿ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾: الدلائل، و﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ تخصيص لهم بالذكر، وتنبيه منهم لتحصيلهم الآيات المفصَّلة المنصوبة، وغيرهم تمر عليهم الآيات وهم معرِضون عنها.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ الآية، الإنشاء: ابتداء فعل الشيء، و﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يريد آدم عليه السلام.

وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ بفتح القاف على أنه موضع استقرار، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿فمستقِر﴾ بكسر القاف[1] على أنه اسم فاعل.

وأجمعوا على فتح الدال من (مستودع) بأن يقدر: موضع استيداع، وأن يقدر أيضاً مفعولاً، ولا يصح ذلك في (مستقَر) لأن استقر لا يتعدى فيبنى منه مفعول.

أما إنه روى هارون الأعور عن أبي عمرو: (ومستودِع) بكسر الدال[2].

فمن قرأ: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ على أنها موضع استقرار وموضع استيداع علَّقها بمجرور تقديره: فلكم مستقَر ومستودَع.

ومن قرأ: ﴿فمستقِرٌّ ومستودَعٌ﴾ على اسم الفاعل في (مستقِر) واسم المفعول في (مستودَع) علَّقها بمجرور تقديره: فمنكم مستقِر ومستودَع.

واضطرب المتأولون في معنى هذا الاستقرار والاستيداع:

فقال الجمهور: مستقَر في الرحم ومستودَع في ظهور الآباء حتى يقضي الله بخروجهم، وقال ابن عون[3]: مشيت إلى منزل إبراهيم النخعي وهو مريض، فقالوا:

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٠٥)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٦٣).

(٢) وهي قراءة شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٤/ ٥٩٦)، وقد نقل كافة المؤلفين في القراءات الاتفاق على الفتح فيها.

(٣) هو عبد الله بن عون بن أرطبان، أبو عون المزني مولاهم البصري، الحافظ أحد الأئمة الأعلام، روى عن سعيد بن جبير وأبي وائل وخلق سواهم، وعنه حماد بن زيد وخلق كثير، وقال ابن معين: ثقة في كل شيء، توفي سنة (١٥١هـ). تاريخ الإسلام (٩/ ٤٦٠).

قد توفِّي، فأخبرني بعضهم أن عبد الرحمن بن الأسود[١] سأله عن (مستقر ومستودع)، فقال: مستقَر في الرحم ومستودَع في الصلب.

وقال الحسن بن أبي الحسن: مستقَر في القبور ومستودَع في الدنيا[٢].

وقال ابن عباس: المستقر الأرض، والمستودع عند الرحمن[٣].

وقال ابن جبير: المستودع في الصلب والمستقر في الآخرة[٤].

والذي يقتضيه النظر أن ابن آدم هو مستودَع في ظهر أبيه وليس بمستقِر فيه استقراراً مطلقاً؛ لأنه ينتقل لا محالة، ثم ينتقل إلى الرحم، ثم ينتقل إلى الدنيا، ثم ينتقل إلى القبر، ثم ينتقل إلى المحشر، ثم ينتقل إلى الجنة أو النار فيستقر في أحدهما استقراراً مطلقاً، وليس فيها مستودع لأنه لا نُقلة له بعد، وهو في كل رتبة متوسطة بين هذين الطرفين مستقِر بالإضافة إلى التي قبلها ومستودَع بالإضافة إلى التي بعدها؛ لأن لفظ الوديعة يقتضي فيها نُقلة ولا بدَّ.

و﴿يَفْقَهُونَ﴾ معناه: يفهمون، وقد تقدم تفسير مثل هذا آنفاً.

قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

---

(١) عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد بن قيس، أبو حفص النخعي الكوفي، يروي عن: أبيه، وعمه علقمة ابن قيس، وعائشة، وابن الزبير، وعنه: الأعمش، وإسماعيل بن خالد، ومحمد بن إسحاق، وكان فقيهاً عابداً ثقة فاضلاً، توفي سنة (٩٨هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٤١٢).

(٢) انظر قول ابن عون في تفسير الطبري (١١/ ٥٦٩) وقول الحسن فيه (١١/ ٥٧١).

(٣) أخرجه الطبري (١٣٦٢٢) من طريق: يحيى بن يمان، عن سفيان، عن المغيرة، عن أبي الجبر بن تميم بن حذلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وأبو الجبر فيه جهالة، وفي المطبوع: «الرحم»، بدل «الرحمن».

(٤) انظر قول ابن جبير في تفسير الطبري (١١/ ٥٦٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٥٦)، ووقع في لالاليه: «ابن جريج»، وهو خطأ، وفي هامشه «ابن عباس أيضاً وابن جبير»، وفي الحمزوية: «في الدنيا»، بدل «الصلب».

﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ في هذا الموضع السحاب، وكل ما أظلك فهو سماء، و﴿مَآءً﴾ أصله مَوَه، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فجاء: ماه، فبدلت الهاء بالهمزة لجلَد الهمزة؛ لأن الألف والهاء ضعيفان مهموسان.

وقوله: ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ قال بعض المفسرين: أي: مما ينبت، وحسن إطلاق العموم في ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾ لأنَّ ذكر النبات قبله قد قيَّد المقصد.

وقال الطبري: والمراد بـ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾ ما ينمو من جميع الحيوانات والنبات والمعادن وغير ذلك، لأن ذلك كله يتغذى وينمو بنزول الماء من السماء[١].

والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ يعود على النبات، وفي الثاني يعود على الخضر.

و﴿خَضِرًا﴾ بمعنى: أخضر، ومنه قوله ﷺ: «الدنيا خضرة حلوة»[٢] بمعنى: خضراء.

قال القاضي أبو محمد: وكأن[٣] ﴿خَضِرًا﴾ إنما يأتي أبداً لمعنى النضارة وليس للَّون فيه مدخل، وأخضر إنما تمكُّنه في اللون، وهو في النضارة تجوُّز.

وقوله: ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ يعم جميع السنابل وما شاكلها، كالصنوبر والرمان وغيرها من جميع النبات.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ﴾ تقديره: ونخرج من النخل ﴿مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ﴾ ابتداءٌ خبره مقدم، والجملة في موضع المفعول بـ﴿نُّخْرِجُ﴾ والطلع: أول ما يخرج من النخلة في أكمامه، و﴿قِنْوَانٌ﴾ جمع قِنْو: وهو العذق بكسر العين وهي الكِبَاسة، والعرجون عوده الذي فيه ينتظم التمر.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٥٧٣)، ولفظة: «قال الطبري» ليست في الأصل.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري، واللفظ لمسلم.

(٣) في المطبوع: «وكان».

قرأ الأعرج: (قَنْوان) بفتح القاف[١]، وقال أبو الفتح: ينبغي أن يكون اسماً للجمع غير مكسر؛ لأن فَعلان ليس من أمثلة الجمع، قال المهدوي: وروي عن الأعرج ضم القاف[٢]، وذلك على أنه جمع قنو بضم القاف، قال الفراء: وهي لغة قيس وأهل الحجاز، والكسر أشهر في العرب، وقِنْو يثنى قِنْوان ويجمع قِنْوان[٣] منصرفة النون.

و﴿دَانِيَةٌ﴾ معناه: قريبة من المتناول، قاله ابن عباس[٤] والبراء بن عازب[٥] والضحاك[٦]، وقيل: قريبة بعضها من بعض.

وقرأ الجمهور: ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ بنصب جنات عطفاً على قوله: ﴿نَبَاتَ﴾، وقرأ الأعمش ومحمد بن أبي ليلى[٧]، ورويت عن أبي بكر عن عاصم: (وجناتٌ) بالرفع[٨] على تقدير: ولكم جنات، أو نحو هذا، وقال الطبري: وهو عطف على ﴿قِنْوَانٌ﴾[٩].

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها له مع توجيهها في المحتسب (١/ ٢٢٣)، وانظر أيضاً مختصر الشواذ (ص: ٤٤).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظرها في التحصيل (٢/ ٦٣١)، وتفسير الثعلبي (٤/ ١٧٤).

(٣) سقط من المطبوع: «ويجمع قنوان».

(٤) أخرجه الطبري (١٣٦٦٢)، وابن أبي حاتم (٧٧٠٥) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه الطبري (١٣٦٦٥- ١٣٦٦٦)، وابن أبي حاتم (٧٧٠٩) من طريق: سفيان، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما. ورجاله ثقات.

(٦) تفسير الطبري (١١/ ٥٧٦).

(٧) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى أبو عبد الرحمن الأنصاري الكوفي قاضي الكوفة وفقيهها وعالمها ومقرئها في زمانه، كان فقيهاً صدوقاً صاحب سنة جائز الحديث قارئاً عالماً بالقرآن، توفي سنة ١٤٨هـ. تاريخ الإسلام (٩/ ٢٧٥).

(٨) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهم في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٤)، وهي رواية الشموني وابن غالب ومحمد بن إبراهيم عن الأعشى، وحسين وأبي الأسباط عن ابن أبي حمّاد عن أبي بكر عن عاصم، كما في جامع البيان (٣/ ١٠٥٦)، وليست من طرق النشر.

(٩) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٥٧٧).

قال القاضي أبو محمد: وقوله ضعيف.

و(الزيتون والرمان) بالنصب إجماعاً عطفاً على قوله: ﴿حَبًّا﴾.

و﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ قال قتادة: معناه: تتشابه في الورق[(١)] وتتباين في الثمر، وقال الطبري: جائز أن تتشابه في الثمر وتتباين في الطعم، ويحتمل أن يريد: تتشابه في الطعم وتتباين في المنظر، وهذه الأحوال موجودة بالاعتبار في أنواع الثمرات.

وقوله تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓاْ﴾ وهو نظرُ بصرٍ تتركب[(٢)] عليه فكرةُ قلبٍ.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر وعاصم: ﴿إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ بفتح الثاء والميم، وهو جمع ثمرة كبقرة وبقر وشجرة وشجر.

وقرأ يحيى بن وثاب ومجاهد: ﴿إلى ثُمُره﴾ / بضم الثاء والميم[(٣)]، قالا: وهي أصناف المال[(٤)]. [٢/ ١٠٣]

قال القاضي أبو محمد: كأن المعنى: انظروا إلى الأموال التي تتحصل منه، وهي قراءة حمزة والكسائي، قال أبو علي: والأحسن فيه أن يكون جمع ثمرة، كخشبة وخشب وأكمة وأكم[(٥)]، ومنه قول الشاعر:

.... تَـرَى الأُكْمَ فِيهِ سُجَّداً لِلْحَوَافِرِ[(٦)] [الطويل]

---

(١) في المطبوع والأصل: «اللون»، والمثبت هو الموافق لما في تفسير الطبري (١١/ ٥٧٨)، انظره فيه مع قول الطبري الآتي.

(٢) في الحمزوية ولالاليه: «متركب»، وفي المطبوع: «يترتب»، وفي الأصل: «ثم كتب».

(٣) أبعد النجعة، فهما سبعيتان وبالثانية قرأ حمزة والكسائي انظر: التيسير (ص: ١٠٥)، وانظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٤).

(٤) انظر قراءة ابن وثاب وقوله من رواية الأعمش عنه في تفسير الطبري (١١/ ٥٧٩)، وانظر: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٧٠).

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٣٦٦).

(٦) لزيد الخيل، وصدره بجمعٍ تَضلُّ البُلْق في حَجَراته، تقدم في تفسير الآيات ٣٤، ٥٦، ٧٤ من سورة البقرة.

نظيره في المعتل: لابة ولوب وناقة ونوق وساحة وسوح، ويجوز أن يكون جمع جمع، فتقول: ثمرة وثمار وثمر، مثل حمار وحمر.

وقرأت فرقة: (إلى ثُمْره) بضم الثاء وإسكان الميم[1] كأنها ذهبت إلى طلب الخفة في تسكين الميم، والثمر في اللغة: جنى الشجرِ وما يطلع، وإن سمي الشجر ثماراً فتجوُّز.

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَيَنْعِهِۦٓ﴾ بفتح الياء، وهو مصدر ينَع ييْنِع إذا نضج، يقال: ينع وأينع، وبالنضج فسر ابن عباس هذه الآية[2]، ومنه قول الحجاج: إني لأرى رؤوساً قد أينعت[3]، وقد يستعمل ينع بمعنى: استقل واخضر ناضراً، ومنه قول الشاعر:

[المديد] فِـي قِـبَـابٍ حَـوْلَ دَسْـكَـرَةٍ ... حَـوْلَـهَـا الزَّيْتُـونُ قَـدْ يَنَعَـا[4]

وقيل في (ينعه): إنه جمع يانع مثل تاجر وتجر وراكب وركب، ذكره الطبري[5].

وقرأ ابن محيصن وقتادة والضحاك: (ويُنعه) بضم الياء[6]، أي: نضجه.

وقرأ ابن أبي عبلة واليماني: (ويانعه)[7].

وقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَأَيَـٰتٍ﴾ إيجاب تنبيه وتذكير، وتقدم تفسير مثله.

---

(١) وهي قراءة شاذة، روي أن الأعمش كان يقرأ بها، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٧٦٣-١٣٦٧٤-١٣٦٧٩) من طرق يقوي بعضها بعضا عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: معاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٦٥)، وكتاب العين (٥/ ١٠٥)، والبيان والتبيين (١/ ٣٦٦).

(٤) قال الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٧) والمبرد في الكامل (١/ ٣٠١): قال أبو عبيدة: هذا الشعر ليزيد بن معاوية أو للأحوص، زاد في لسان العرب (٨/ ٤١٥) أو عبد الرحمن بن حسان، وفي نفح الطيب (١/ ٦٦٤) أنه لعدي بن زيد يصف صنعاء.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٥٨٠).

(٦) وهي قراءة شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٤)، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (٣/ ٢١١٨).

(٧) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الطبري (١١/ ٥٨٠)، وتفسير الثعلبي (٤/ ١٧٥)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٤).

قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾.

(جَعَلوا) بمعنى: صيروا، و﴿ٱلْجِنَّ﴾ مفعول و﴿شُرَكَآءَ﴾ مفعول ثان مقدم. ويصح أن يكون قوله: ﴿شُرَكَآءَ﴾ مفعولاً أولاً و﴿لِلَّهِ﴾ في موضع المفعول الثاني، و﴿ٱلْجِنَّ﴾ بدل من قوله: ﴿شُرَكَآءَ﴾.

وهذه الآية مشيرة إلى العادلين بالله والقائلين: إن الجن تعلم الغيب العابدين للجن، وكانت طوائف من العرب تفعل ذلك وتستجير بجن الأودية في أسفارها ونحو هذا.

أما الذين خرقوا البنين، فاليهود في ذكر عزير، والنصارى في ذكر المسيح، وأما ذاكرو البنات فالعرب الذين قالوا للملائكة: بنات الله، فكأن الضمير في (جَعَلوا) و(خَرَقوا) لجميع الكفار، إذ فعل بعضهم هذا وبعضهم هذا، وبنحو هذا فسر السدي وابن زيد[(١)].

وقرأ شعيب بن أبي حمزة: (شركاء الجنِّ) بخفض النون.

وقرأ يزيد بن قطيب وأبو حيوة: (الجنِّ) و(الجنُّ) بالخفض والرفع[(٢)] على تقدير: هم الجن.

وقرأ الجمهور: ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ بفتح اللام على معنى: وهو خلقهم.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (وهو خلقهم)[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٦١)، والنكت والعيون للماوردي (٢/ ١٥٠).

(٢) وهما شاذتان، تابعه في البحر المحيط (٤/ ٦٠٣)، وعزا في مختصر الشواذ (ص: ٤٥) لأبي حيوة الرفع، ولأبي البرهسم الجر.

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٥).

والضمير في (خلَقهم) يحتمل العودة على الجاعلين ويحتملها على المجعولين.

وقرأ يحيى بن يعمر: (وخلْقهم) بسكون اللام[١] عطفاً على ﴿ٱلْجِنَّ﴾ أي: جعلوا خلْقهم الذي ينحتونه أصناماً شركاء لله.

وقرأ السبعة سوى نافع: ﴿وَخَرَقُواْ﴾ بتخفيف للراء، وهو بمعنى: اختلقوا وافتروا.

وقرأ نافع: ﴿وخرَّقوا﴾ بتشديد الراء[٢] على المبالغة.

وقرأ ابن عمر وابن عباس: (وحرَّفوا) بالفاء[٣] من التحريف كذا قال أبو الفتح، قال أبو عمرو الداني قرأ ابن عباس: (حرفوا) خفيفة الراء، وابن عمر: (حرَّفوا) مشددة الراء[٤].

وقوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ نصٌّ على قبح تقحُّمهم الـمَجهلة وافترائهم الباطل على عمى.

﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ أي: تنزه عن وصفهم الفاسد المستحيل عليه تبارك وتعالى.

و﴿بَدِيعُ﴾ بمعنى: مبدع ومخترع وخالق، فهو بناء اسم فاعل كما جاء: سميع بمعنى مُسمع.

و﴿أَنَّىٰ﴾ بمعنى: كيف ومن أين، فهي استفهام في معنى التوقيف والتقرير.

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَلَمْ تَكُن﴾ بالتاء على تأنيث علامة الفعل.

وقرأ إبراهيم النخعي بالياء على تذكيرها[٥]، وتذكير كان وأخواتها مع تأنيث اسمها

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٢٤)، ومختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٤٥)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٥).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢٦٤)، والتيسير (ص: ١٠٥).

(٣) «بالفاء»: زيادة من السليمانية وفيض الله ونجيبويه ولالاليه، وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٤٥)، والمحتسب (١/ ٢٢٤).

(٤) انظر قول ابن جني بالمعنى في المحتسب (١/ ٢٢٤)، وما ذكره الداني في البحر المحيط في التفسير (٤/ ٦٠٣)، مقتصراً عليه.

(٥) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٤٥)، وزاد: يحيى.

أسهل من ذلك في سائر الأفعال، فقولك: كان في الدار هند، أسوغ من: قام في الدار هند، وحسَّن القراءة الفصل بالظرف الذي هو الخبر، ويتجه في القراءة المذكورة أن يكون في (يَكُن) ضمير اسم الله تعالى، وتكون الجملة التي هي ﴿لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ خبر «كان»، ويتجه أن يكون في (يكن) ضمير أمر وشأن، وتكون الجملة بعده تفسيراً له وخبراً.

وهذه الآية رد على الكفار بقياس الغائب على الشاهد.

وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ لفظٌ عامٌّ لكلِّ ما يجوز أن يدخل تحته، ولا يجوز أن يدخل تحته صفات الله تعالى وكلامه، فليس هو عموماً مخصصاً على ما ذهب إليه قوم؛ لأن العموم المخصص هو أن يتناول العموم شيئاً ثم يخرجه التخصيص، وهذا لم يتناول قط هذه التي ذكرناها، وإنما هذا بمنزلة قول الإنسان: قتلت كل فارس وأفحمت كل خصم، فلم يدخل القائل قط في هذا العموم الظاهر من لفظه.

وأما قوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فهذا عموم على الإطلاق؛ لأن الله عز وجل يعلم كل شيء لا رب غيره ولا معبود سواه.

ولما تقررت الحجج وبانت الوحدانية جاء قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ الآية، تتضمن تقريراً وحكماً إخلاصاً وأمراً بالعبادة وإعلاماً بأنه حفيظ رقيب على كل فعل وقول وفي هذا الإعلام تخويف وتحذير.

قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

أجمع أهل السنة على أن الله تعالى يُرى يوم القيامة، يراه المؤمنون، وقاله ابن وهب عن مالك بن أنس(١).

---

(١) انظر قول مالك برواية أشهب في: اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/ ٤٦٨)، ونسبته لجمهور أهل السنة في الفصل في الملل (٣/ ٢).

والوجه أن يبين جواز ذلك عقلاً، ثم يستند إلى ورود السمع بوقوع ذلك الجائز، واختصار تبيين ذلك: أن يعتبر بعلمنا بالله عز وجل، فمن حيث جاز أن نعلمه لا في مكان [ولا متحيزاً ولا مقابلا][١] ولم يتعلق علمنا بأكثر من الوجود، / جاز أن نراه غير مقابل ولا محاذًى ولا مكيفاً ولا محدوداً. [٢/ ١٠٤]

وكان الإمام أبو عبد الله النحوي يقول: مسألة العلم حلقت لحى المعتزلة.

ثم ورد الشرع بذلك، وهو قوله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] وتعدية النظر بـ«إلى» إنما هو في كلام العرب لمعنى الرؤية، لا لمعنى الانتظار على ما ذهبت إليه المعتزلة[٢]، وذُكر هذا المذهب لمالك فقال: فأين هم عن قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]؟[٣].

قال القاضي أبو محمد: فقال بدليل الخطاب، ذكره النقاش، ومنه قول النبي ﷺ، فيما صح عنه وتواتر وكثر نقله: «إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر»[٤] ونحوه من الأحاديث على اختلاف ترتيب ألفاظها.

وذهبت المعتزلة إلى المنع من جواز رؤية الله تعالى يوم القيامة واستحالة ذلك بآراء مجردة، وتمسكوا بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾.

وانفصل أهل السنة عن تمسكهم بأن الآية مخصوصة في الدنيا، ورؤية الآخرة ثابتة بأخبارها، وانفصال آخر، وهو أن يفرق بين معنى الإدراك ومعنى الرؤية، ونقول: إنه عز وجل تراه الأبصار ولا تدركه، وذلك الإدراك يتضمن الإحاطة بالشيء والوصول

---

(١) في المطبوع: «ولا متميزاً ولا متقابلًا».

(٢) ممن قال بذلك من المعتزلة أبو هاشم الجبائي، انظر قوله في: الفصل في الملل لابن حزم (٣/ ٣).

(٣) انظر قول مالك في: اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/ ٤٦٨).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)، من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنهما.

إلى أعماقه وحوزه من جميع جهاته، وذلك كله محال في أوصاف الله عز وجل[١].

والرؤية لا تفتقر إلى أن يحيط الرائي بالمرئي ويبلغ غايته، وعلى هذا التأويل يترتب العكس في قوله: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ ويحسُن معناه، ونحو هذا روي عن ابن عباس[٢] وقتادة وعطية العوفي، فرقوا بين الرؤية والإدراك.

وأمَّا الطبري رحمه الله ففرق بين الرؤية والإدراك، واحتج بقول بني إسرائيل: ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، فقال: إنهم رأوهم ولم يدركوهم[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله خطأ؛ لأن هذا الإدْراك ليس بإدراك البصر بل هو مستعار منه أو باشتراك.

قال: وقال بعضهم: إن المؤمنين يرون الله تعالى بحاسة سادسة تخلق يوم القيامة[٤]، وتبقى هذه الآية في منع الإدراك بالأبصار عامة سليمة، قال: وقال بعضهم: إن هذه الآية مخصوصة في الكافرين، أي: إنه لا تدركه أبصارهم؛ لأنهم محجوبون عنه.

قال القاضي أبو محمد: وهذه الأقوال كلها ضعيفة ودعاوى ولا تستند إلى قرآن ولا حديث.

و﴿ٱللَّطِيفُ﴾ المتلطِّف في خلقه واختراعه وإتقانه، وبخلقه وعباده، و﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ المختبر لباطن أمورهم وظاهرها.

و«البصائر»: جمع بصيرة وهي ما يتفق عن تحصيل العقل للأشياء المنظور فيها،

---

(١) انظر احتجاج المعتزلة بهذه الآية وردود أهل السنة عليها في: الفصل في الملل لابن حزم (٣/ ٢-٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٣٦٩٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٢/ ١٤)، وتفسير الثعلبي (٢٠/ ٨٨)، والهداية لمكي (٢٢/ ٧٨٧٨).

(٤) نسب ابن حزم هذا القول لبعض القائلين برؤية الله في الآخرة ولم يسمهم، انظر نقله للقول في: الفصل في الملل (٣/ ٢).

بالاعتبار، فكأنه قال: قد جاءكم في القرآن والآيات طرائق إبصار الحق والـمُعِينة عليه، والبصيرة للقلب مستعارة من إبصار العين، والبصيرة أيضاً هي المعتقد المحصل في قول الشاعر:

[الكامل] رَاحُـوا بَصَائِرُهُـمْ عَلَـى أَكْتَافِهِمْ وَبَصِيرَتِي يَعْـدُو بِهَا عَتَدٌ وَأى[١]

وقال بعض الناس في هذا البيت: البصيرة طريقة الدم، والشاعر إنما يصف جماعة مشوا به في طلب دم ففتروا فجعلوا الأمر وراء ظهورهم.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ و(مَنْ عميَ) عبارة مستعارة فيمن اهتدى ومن ضل.

وقوله: ﴿وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ كان في أول الأمر وقبل ظهور الإسلام، ثم بعد ذلك كان رسول الله ﷺ حفيظاً على العالم آخذاً لهم بالإسلام والسيف.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ الآية، الكاف في قوله ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ في موضع نصب بـ﴿نُصَرِّفُ﴾ أي: ومثل ما بينا البصائر وغير ذلك نصرف الآيات، أي: نرددها ونوضحها.

وقرأت طائفة: (ولْيقولوا دَرَسْتَ) بسكون اللام[٢] على جهة الأمر، ويتضمن[٣] التوبيخ والوعيد، وقرأ الجمهور: ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ بكسر اللام على أنها لام كي وهي على هذا لام الصيرورة، كقوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] [أي: لما صار أمرهم][٤] إلى ذلك.

---

(١) البيت للأسعر الجعفي كما في تفسير الثعلبي (٣/ ٢٧٥)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٩٧)، ومجاز القرآن (١/ ٢٣٨)، والأصمعيات (ص ١٤١) والعَتَدُ: الفرس التَّام الخَلْق السريع الوثبة المعد للجري ليس فيه اضطراب ولا رخاوة، والوَأى بواو مفتوحة بعدها مدٌّ هو الفرس السريع المقتدر الخلق. يقول: إنهم تركوا دم أبيهم وجعلوه خلفهم، وفي الحمزوية: «تغدوا بها غدواتي».

(٢) وهي قراءة شاذة، قال النحاس في معاني القرآن (٢/ ٤٦٩): حكاها أبو العباس.

(٣) في السليمانية وفيض الله ولالاليه: «الذي يتضمن».

(٤) ساقط من الأصل.

وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي: ﴿دَرَسۡتَ﴾ أي: يا محمد درست في الكتب القديمة ما تجيبنا به.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿دَارَسْتَ﴾ أي: أنت يا محمد دارست غيرك في هذه الأشياء، أي: قارأته وناظرته، وهذا إشارة منهم إلى سلمان وغيره من الأعاجم واليهود.

وقرأ ابن عامر وجماعة من غير السبعة: ﴿درسَتْ﴾ بإسناد الفعل إلى الآيات[١]، كأنهم أشاروا إلى أنها ترددت على أسماعهم حتى بليت في نفوسهم وامحت.

قال أبو علي: واللام في ﴿لِيَقُولُواْ﴾ على هذه القراءة بمعنى: لئلا يقولوا؛ أي: صرِّفت الآيات وأحكمت لئلا يقولوا: هذه الأساطير قديمة قد بليت[٢] وتكررت على الأسماع، واللام على سائر القراءات لام الصيرورة[٣].

وقرأت فرقة: (دارسَتْ) كأنهم أرادوا: دارسَتْكَ يا محمد؛ أي: الجماعة المشار إليها قبل من سلمان واليهود وغيرهم.

وقرأت فرقة: (درُست) بضم الراء، وكأنها في معنى: دَرَستْ، أي: بليت.

وقرأ قتادة: (دُرِست) بضم الدال وكسر الراء وهي قراءة ابن عباس بخلاف عنه ورويت عن الحسن.

قال أبو الفتح: في (دُرِسَتْ) ضمير الآيات، ويحتمل أن يراد: عَفيت وتُنوسيت.

وقرأ أبي بن كعب: (دَرَس)، وهي في مصحف عبد الله[٤].

قال المهدوي: وفي بعض مصاحف عبد الله أيضاً: (دَرَسْنَ)، ورويت عن الحسن[٥].

---

(١) وكلها سبعية، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢٦٤)، والتيسير (ص: ١٠٥).

(٢) في الحمزوية: «تليت».

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٣٧٥).

(٤) انظر هاتين القراءتين الشاذتين مع التوجيه في المحتسب (١/ ٢٢٥)، والثانية في المصاحف (١/ ١٧٦)، وتفسير الطبري (١٢/ ٣٠).

(٥) انظر عزوها لابن مسعود في تفسير الطبري (١٢/ ٣٠)، والمحتسب (١/ ٢٢٥)، والتحصيل (٢/ ٦٥١) ولم أجد من نسبها للحسن.

وقرأت فرقة: (درَّس)، بتشديد الراء على المبالغة في «درس»[١].

وهذه الثلاثة الأخيرة مخالفة لخط المصحف.

واللام في قوله: ﴿وَلِيَقُولُوا۟﴾ وفي قوله: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ متعلقان بفعل متأخر تقديره: صرفناها.

وقرأ أُبيّ بن كعب وابن مسعود والأعمش: (ولتبيِّنه) بالتاء[٢] على مخاطبة النبي ﷺ.

وقرأه فرقة: (وليبينه) بياء[٣]، أي: الله تعالى.

وذهب بعض الكوفيين إلى أن «لا» مضمرة بعد «أن» المقدرة في قوله: ﴿وَلِيَقُولُوا۟﴾ فتقدير الكلام عندهم: وأن لا يقولوا، كما أضمروها في قوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء: ١٧٦].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قلق، ولا يجيز البصريون إضمار «لا» في موضع من المواضع[٤].

[٢/ ١٠٥] / قوله عزوجل: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾.

هذان أمران للنبي ﷺ مضمنهما الاقتصار على اتباع الوحي وموادعة الكفار. وذلك كان في أول الإسلام ثم نسخ الإعراض عنهم بالقتال والسَّوق إلى الدين طوعاً أو كرهاً، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾ في ظاهرها رد على المعتزلة القائلين:

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٢٠٠)، وفي المطبوع: «درّسن» في الموضعين.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٤٥)، و«الأعمش» زيادة من السليمانية وفيض الله ونجيبويه ولالاليه.

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٤٥).

(٤) انظر مذهبهم في معاني القرآن للنحاس (٢/ ٢٤٤)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٠٧).

إنه ليس عند الله لطف يؤمن به الكافر، وإن الكافر والإنسان في الجملة يخلق أفعاله، وهي متضمنة أن إشراكهم وغيره وقف على مشيئة الله عز وجل.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ كان في أول الإسلام، وكذلك قوله ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية، مخاطبة للمؤمنين والنبي ﷺ، وقال ابن عباس: وسببها: أن كفار قريش قالوا لأبي طالب: إما أن ينتهي محمد وأصحابه عن سب آلهتنا والغض منها، وإما أن نسُبّ إلهه ونهجوه، فنزلت الآية(١).

وحكمها على كل حال باقٍ في الأمة، فمتى كان الكافر في منعة وخيف أن يسب الإسلام أو النبي ﷺ والله عز وجل فلا يحل للمسلم أن يسب دينهم ولا صلبانهم، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك أو نحوه.

وعبر عن الأصنام وهي لا تعقل بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وذلك على معتقد الكفرة فيها، وفي هذه الآية ضرب من الموادعة.

وقرأ جمهور الناس: ﴿عَدْوًۢا﴾ بفتح العين وسكون الدال نصب على المصدر.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن وأبو رجاء وقتادة ويعقوب وسلام وعبد الله بن يزيد: (عُدُوّاً) بضم العين والدال وتشديد الواو(٢)، وهذا أيضاً نصب على المصدر وهو من الاعتداء.

وقرأ بعض المكيين: (عَدُوًّا) بفتح العين وضم الدال(٣) نصب على الحال، أي: في حال عداوة الله، وهو لفظ مفرد يدل على الجمع.

وقوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بيان لمعنى الاعتداء المتقدم.

---

(١) أخرجه الطبري (١٣٧٣٨)، وابن أبي حاتم (٧٧٦٠) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٢٦)، وفي الأصل والمطبوع ونجيبويه: «عبد الله بن زيد».

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهم في مختصر الشواذ (ص: ٤٥)، وفي المطبوع: «الكوفيين»، وهو خطأ، والمثبت هو الموافق للمصدر.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ إشارة إلى ما زين الله لهؤلاء عبدة الأصنام من التمسك بأصنامهم والذب عنها، وتزيين الله عمل الأمم هو ما يخلقه ويخترعه في النفوس من المحبة للخير أوالشر والاتباع لطرقه، وتزيين الشيطان هو بما يقذفه[١] في النفوس من الوسوسة وخطرات السوء.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم﴾ يتضمن وعداً جميلاً للمحسنين ووعيداً ثقيلاً للمسيئين.

قوله عز وجل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾.

الضمير في قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ عائد على المشركين المتقدم ذكرهم، و﴿جَهْدَ﴾ نصب على المصدر، والعامل فيه (أقسموا) على مذهب سيبويه لأنه في معناه، وعلى مذهب أبي العباس المبرد فعل من لفظه[٢].

واللام في قوله: ﴿لَئِن﴾ لام موطئة للقسم مؤذنة به، وأما اللام المتلقية للقسم فهي قوله: ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ﴾.

و﴿ءَايَةٌ﴾ يريد: علامة، وحكي أن الكفار لما نزلت: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤] أقسموا حينئذ أنها إن نزلت آمنوا، فنزلت هذه الآية[٣].

وحكي أنهم اقترحوا أن يعود الصفا ذهباً وأقسموا على ذلك، فقام رسول الله ﷺ

---

(١) في السليمانية: «يقرره».

(٢) انظر هذا الخلاف في تفسير البحر المحيط (٤/ ٦١٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٩).

يدعو في ذلك، فجاءه جبريل فقال له: إن شئت أصبح ذهباً، فإن لم يؤمنوا هلكوا عن آخرهم معاجلة كما فعل بالأمم إذا لم تؤمن بالآيات المقترحة، وإن شئت أخروا حتى يتوب تائبهم، فقال رسول الله ﷺ: «بل حتى يتوب تائبهم»، ونزلت هذه الآية[١].

وقرأ ابن مصرف: (لَيُؤْمَنَنْ) بفتح الميم والنون وبالنون الخفيفة[٢].

ثم قال تعالى: قل لهم يا محمد على جهة الرد والتخطئة[٣]: إنما الآيات بيد الله وعنده، ليست عندي فتُقترح عليّ.

ثم قال: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ فاختلف المتأولون في من المخاطب بقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ ومن المستفهم بـ(ما) التي يعود عليها الضمير الفاعل في ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾: فقال مجاهد وابن زيد: المخاطب بذلك الكفار، وقال الفراء وغيره: المخاطب بها المؤمنون[٤].

﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ معناه: وما يعلمكم وما يدريكم؟!

وقرأ قوم: ﴿يُشْعِرْكُمْ﴾ بسكون الراء[٥]، وهي على التخفيف، ويحسنها أن الخروج من كسرة إلى ضمة ثقيلٌ[٦].

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ الطبري (١٣٧٤٦) من طريق ضعيف عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً مرفوعاً، ولكن جاء عند أحمد في مسنده (١/ ٢٤٢ رقم ٢١٦٦) من طريق: سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن الحكم عن ابن عباس، قال الحافظ في تعجيل المنفعة (٢/ ٨١): كذا وقع والصواب: عمران بن الحارث أبو الحكم كما في صحيح مسلم. اهـ. وهذا قال فيه أبو حاتم: صالح الحديث.

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٧)، وسقط من نور العثمانية: «والنون»، وزاد في السليمانية: «الأولى».

(٣) في الحمزوية والسليمانية وفيض الله: «المخاطبة»، وفي المطبوع: «التغطية».

(٤) انظر القول الأول في تفسير الطبري (٢٢/ ٤٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٦٨)، وقول الفراء في معاني القرآن له (٢/ ٢١).

(٥) وهي سبعية: أحد وجهين في التيسير (ص: ٧٣) لأبي عمرو ثانيهما الاختلاس.

(٦) زيادة من السليمانية وفيض الله.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية داود الإيادي[١]: ﴿إنها﴾ بكسر الألف[٢] على القطع واستئناف الإخبار.

فمن قرأ: ﴿تؤمنون﴾ بالتاء - وهي قراءة ابن عامر وحمزة - استقامت له المخاطبة أولاً وآخِراً للكفار.

ومن قرأ: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ بالياء، وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو والكسائي[٣]، فيحتمل أن يخاطب أولاً وآخراً المؤمنين، ويحتمل أن يخاطب بقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ الكفار ثم يستأنف الإخبار عنهم للمؤمنين.

ومفعول ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ الثاني محذوف، ويختلف تقديره بحسب كل تأويل.

وقرأ نافع وعاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي وابن عامر: ﴿أَنَّهَآ﴾ بفتح الألف، فمنهم من جعلها «أن» التي تدخل على الجمل وتأتي بعد الأفعال كعلمت وظننت، وأعمل فيها ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾، والتزم بعضهم أن ﴿لَا﴾ زائدة في قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وأنّ معنى الكلام: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون أو تؤمنون، فزيدت ﴿لَا﴾ كما زيدت في قوله: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥] لأن المعنى: وحرام على قرية مهلكة رجوعهم، وكما جاءت / زائدة في قول الشاعر: [٢/ ١٠٦]

[الطويل] أَبَى جُودُهُ لا البُخْلَ وَاسْتَعْجَلَتْ بِهِ نَعَمْ مِنْ فَتىً لا يَمْنَعُ الجُودَ قَاتِلَهْ[٤]

---

(١) كذا في جميع النسخ، وتابعه في البحر المحيط (٤/ ٦١٤)، والصواب: داود الأودي كما في السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٦٥)، والحجة للفارسي (٣/ ٣٧٦)، داود بن عمرو الأودي الشامي عامل مدينة واسط، روى عن عبد الله بن أبي زكريا ومكحول وعنه هشيم وغيره، وثقه ابن معين، وقال أبو زرعة: لا بأس به، توفي بعد (١٣٠هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٤١٣).

(٢) وهي سبعية وكذلك فتحها، انظر: التيسير (ص: ١٠٦)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ٢٦٥).

(٣) وعاصم كذلك، والباقون بالتاء، وهما سبعيتان أيضاً، انظر: التيسير (ص: ١٠٦).

(٤) استشهد بهذا البيت بلا نسبة تفسير الطبري (١٢/ ٣٢٤)، والخصائص (٢/ ٢٨٥)، والحجة للفارسي (١/ ١٦٩)، وغيرها.

قال الزجاج: أراد: أبى جوده البخل، وكما جاءت زائدة في قول الشاعر:

أفَعنْك لا بَرْقٌ كأنَّ وَميضَهُ غَابٌ تَسَنَّمَهُ ضِرَامٌ مُثْقَبُ[(١)] [الكامل]

ودعا إلى التزام هذا حفظ المعنى؛ لأنها لو لم تكن زائدة لعاد الكلام عذراً للكفار وفسد المراد بالآية، وضعّف الزجّاج وغيره زيادة ﴿لَا﴾ وقال: هذا غلط[(٢)].

ومنهم من جعل ﴿أَنَّهَآ﴾ بمعنى: لعلها، وحكاها سيبويه عن الخليل[(٣)]، وهو تأويل لا يحتاج معه إلى تقدير زيادة ﴿لَا﴾.

وحكى الكسائي أنه كذلك في مصحف أبي بن كعب: (وما أدراكم لعلها إذا جاءت لا يؤمنون[(٤)])، ومن هذا المعنى قول الشاعر:

قُلْتُ لِشَيْبَانَ ادْنُ مِنْ لِقَائِهِ أَنَّا نُغَذِّي القَوْمَ مِنْ شِوَائِهِ[(٥)] [الرجز]

فهذه كلها بمعنى: «لعل»، وضعّف أبو علي هذا بأن التوقع الذي فيه لا يناسب الآية بعد، التي حكمت بأنهم لا يؤمنون، وترجَّحَ عنده في الآية أن تكون (أنَّ) على بابها، وأن يكون المعنى: قل إنما الآيات عند الله؛ لأنها إذا جاءت لا يؤمنون، فهو لا يأتي بها لإصرارهم على كفرهم، وتكون الآية نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩][(٦)] أي: بالآيات المقترحة.

قال القاضي أبو محمد: ويترتب على هذا التأويل أن تكون (ما) نافية، وقد أبى

---

(١) البيت لساعدة بن جؤية الهذلي كما في تهذيب اللغة (٣/ ١٣٧)، والصاحبي (ص: ١٢١)، وفي الحمزوية والمطبوع: «أفمنك».

(٢) انظر كلامه على هذا البيت والبيت الذي قبله في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٣).

(٣) الكتاب لسيبويه (٣/ ١٢٣).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (١/ ٣٥٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٧٤).

(٥) الرجز لأبي النجم العجليّ كما في الكتاب لسيبويه (٣/ ١١٦)، والمعاني الكبير (١/ ٣٦٣)، وتفسير الطبري (١٢/ ٤٣).

(٦) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٣٨٠).

ذلك أبو علي فتأمل، وترجح عنده أيضاً أن تكون ﴿لَا﴾ زائدة، وبسط شواهده في ذلك [في كتاب «الحجة»][1].

وحكى بعض المفسرين أن في آخر الآية حذفاً يستغنى به عن زيادة ﴿لَا﴾، وعن تأويلها بمعنى: «لعل» وتقديره عندهم: أنها إذا جاءت لا يؤمنون أو يؤمنون.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قولٌ ضعيفٌ لا يعضده لفظ الآية ولا يقتضيه، وتحتمل الآية أن يكون المعنى يتضمن الإخبار أنهم لا يؤمنون، وقيل لهم: وما يشعركم بهذه الحقيقة؟ أي: لا سبيل إلى شعوركم بها وهي حق في نفسها وهم لا يؤمنون أن لو جاءت. و(ما) استفهام على هذا التأويل.

وفي مصحف ابن مسعود: (وما يشعركم إذا جاءتهم أنهم يؤمنون)[2] بسقوط ﴿أَنَّهَآ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ﴾ المعنى على ما قالت فرقة: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم في النار وفي لهيبها في الآخرة لما لم يؤمنوا في الدنيا، ثم استأنف على هذا: ونَذَرهم في الدنيا في طُغْيناهم يَعْمهون.

وقالت فرقة: إنما المراد بالتقليب: التحويل عن الحق والهدى، والترك في الضلالة والكفر، ومعنى الآية: أن هؤلاء الذين أقسموا أنهم يؤمنون إن جاءت آية، نحن نقلب أفئدتهم وأبصارهم أن لو جاءت فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا أول مرة بما دعوا إليه من عبادة الله، فأخبر الله تعالى على هذا التأويل بصورة فعله بهم.

وقرأ أبو رجاء: (يذرهم) بالياء ورويت عن عاصم.

وقرأ إبراهيم النخعي: (ويقلب)، و(يذرهم) بالياء[3] فيهما كناية عن الله تبارك وتعالى.

---

(١) زيادة من السليمانية وفيض الله، انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٣٨١).

(٢) في المطبوع: «إذا جاءت لا يؤمنون»، وانظر عزوها له في معاني القرآن للفراء (١/ ٣٥٠)، والهداية لمكي (٣/ ٢١٤٨).

(٣) وهما شاذتان، انظر عزوهما في تفسير الثعلبي (٤/ ١٨١)، إلا عاصماً فالخلاف عنه إنما هو في حرف الأعراف.

وقرأ أيضاً فيما روى عنه مغيرة[١]: (وتَقلَّب) بفتح التاء واللام بمعنى: وتتقلب أفئدتهم وأبصارهم بالرفع فيهما، (ويذرْهم) بالياء وجزم الراء[٢].

وقالت فرقة: قوله: ﴿كَمَا﴾ في هذه الآية إنما هي بمعنى المجازاة؛ أي: لما لم يؤمنوا أول مرة نجازيهم بأن نقلب أفئدتهم عن الهدى ونطبع على قلوبهم، فكأنه قال: ونحن نقلب أفئدتهم وأبصارهم جزاء لما لم يؤمنوا أول مرة بما دعوا إليه من الشرع، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يحتمل أن يعود على الله عز وجل أو على القرآن أو على النبي ﷺ.

و(نَذَرُهم) معناه: نتركهم.

وقرأ الأعمش والهمداني: (ويذرْهم) بالياء وجزم الراء[٣] على وجه التخفيف.

و«الطغيان»: التخبط في الشر والإفراط فيما يتناوله المرء، و«العمه»[٤]: التردد والحيرة.

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢)﴾.

أخبر الله عز وجل في هذه الآية أنه لو أتى بجميع ما اقترحوه من إنزال الملائكة وإحياء موتى سلفهم، حسبما كان من اقتراح بعضهم أن يحشر قصي وغيره، فيخبر بصدق محمد، أو يجمع عليهم كل شيء يعقل أن يحشر عليهم، ما آمنوا إلا بالمشيئة

---

(١) هو المغيرة بن مقسم، أبو هاشم الضبي الكوفي الأعمى، روى القراءة عن عاصم بن أبي النجود وروى عن إبراهيم النخعي وأكثر روايته عنه، عرض عليه حمزة وأخذ عنه جرير بن عبد الحميد، توفي سنة (١٣٣هـ). غاية النهاية (٢/ ٣٠٦).

(٢) وهي قراءة شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٤/ ٦١٨).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٢٧)، وفيه الهمذاني، بالذال، وهو عيسى بن عمر غير الثقفي وسيأتي في سورة الأعراف.

(٤) في المطبوع: «العمى».

واللطف الذي يخلقه ويخترعه في نفس من شاء لا رب غيره، وهذا يتضمن الرد على المعتزلة في قولهم بالآيات التي تَضطر الكفار إلى الإيمان.

وقال ابن جريج: نزلت هذه الآية في المستهزئين(١).

قال القاضي أبو محمد: وهذا لا يثبت إلا بسند.

وقرأ نافع وابن عامر وغيرهما: ﴿قِبَلاً﴾ بكسر القاف وفتح الباء، ومعناه: مواجهة ومعاينة قاله ابن عباس وغيره، ونصبه على الحال، وقال المبرد: المعنى: ناحية، كما تقول: لي قِبل فلان دين.

قال القاضي أبو محمد: فنصبه على هذا هو على الظرف.

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وغيرهم: ﴿قُبُلًا﴾ بضم القاف وضم الباء.

وكذلك قرأ ابن كثير وأبو عمرو هنا وقرأ: ﴿الْعَذابُ قِبَلاً﴾، مكسورة القاف(٢).

واختلف في معناه:

فقال عبد الله بن يزيد(٣) ومجاهد وابن زيد: (قبُل) جمع قبيل(٤)، أي: صنفاً صنفاً ونوعاً نوعاً، كما يجمع قضيب على قضب وغيره.

وقال الفراء والزجّاج: هو جمع قبيل: وهو الكفيل؛ أي: وحشرنا عليهم كل شيء كفلاء بصدق محمد، وذكره الفارسي وضعفه(٥).

وقال بعضهم: (قُبل) بالضم بمعنى (قِبل) بكسر القاف، أي: مواجهة، كما تقول:

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٧).

(٢) الكهف: ٥٥، وكلها سبعية انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢٦٦)، والتيسير (ص: ١٠٦)، وسيأتي حرف الكهف في موضعه.

(٣) في: نور العثمانية والمطبوع: «ابن زيد»، وكذا في لالاليه وفي هامشه: «ابن يزيد»، وهو الموافق للطبري، وتقدم التعريف به.

(٤) انظر قول مجاهد وعبد الله في تفسير الطبري (١٢/ ٤٩)، وقول ابن زيد في البحر المحيط (٤/ ٦٢٢)، وفي السليمانية: «أبو يزيد».

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢) ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٨٣)، والحجة للفارسي (٣/ ٣٨٥).

قبل ودبر، ومنه قوله تعالى: ﴿قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ [يوسف: ٢٦] ومنه قراءة ابن عمر: (لِقُبُل عدتهن) [الطلاق: ١][1] أي: لاستقبالها ومواجهتها في الزمن.

وقرأ الحسن وأبو رجاء وأبو حيوة: (قُبْلاً) بضم / القاف وسكون الباء، وذلك [٢/ ١٠٧] على جهة التخفيف، وقرأ طلحة بن مصرف: (قَبْلاً) بفتح القاف وإسكان الباء، وقرأ أبيّ والأعمش: (قَبِيلاً) بفتح القاف وكسر الباء وزيادة ياء[2]، والنصب في هذا كله على الحال.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ الضمير عائد إلى الكفار المتقدم ذكرهم، والمعنى: يجهلون أن الآية تقتضي إيمانهم ولا بدَّ، فيقتضي اللفظ أن الأقل لا يجهل، فكان فيهم من يعتقد أن الآية لو جاءت لم يؤمن إلا أن يشاء الله له ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ الآية، تتضمن تسلية النبي ﷺ وعرض القدرة[3] عليه، أي: إن هذا الذي امتحنت به يا محمد من الأعداء قد امتحن به غيرك من الأنبياء ليبتلي الله أولي العزم منهم.

و﴿عَدُوًّا﴾ مفرد في معنى الجمع، ونصبه على المفعول الأول لـ﴿جَعَلْنَا﴾ والمفعول الثاني في قوله: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾، و﴿شَيَاطِينَ﴾ بدل من قوله: ﴿عَدُوًّا﴾، ويصح أن يكون المفعول الأول: ﴿شَيَاطِينَ﴾ والثاني: ﴿عَدُوًّا﴾.

وقوله: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ يريد به المتمردين من النوعين الذين هم من شيم السوء كالشياطين، وهذا قول جماعة من المفسرين، ويؤيده حديث أبي ذر أنه صلى يوماً فقال له رسول الله ﷺ: «تعوَّذْ يا أبا ذر من شياطين الجن والإنس»، قال

(١) وهي قراءة شاذة، سيأتي الكلام عليها هناك.

(٢) ثلاث قراءات شاذة، انظر قراءة الحسن في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٨)، وقراءة طلحة في الشواذ للكرماني (ص: ١٧٧)، وقراءة أبي في تفسير الثعلبي (٤/ ١٨١)، والباقين في البحر المحيط (٤/ ٦٢٢).

(٣) في الحمزوية والمطبوع ولالاليه: «القدوة».

وإن من الإنس لشياطين؟ قال: «نعم»[١].

قال السدي وعكرمة: المراد بـ«الشياطين»: الموكلون بالإنس، والشياطين الموكلون بمؤمني الجن، وزعما أن للجن شياطين موكلين بغوايتهم، وأنهم يوحون إلى شياطين الإنس بالشر والوسوسة يتعلمها بعضهم من بعض، قالا: ولا شياطين من الإنس[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قولٌ لا يستند إلى خبر ولا إلى نظر.

و﴿يُوحِي﴾ معناه: يلقيه في اختفاء، فهو كالمناجاة والسِّرار.

و﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ معناه: محسَّنه ومزيَّنه بالأباطيل، قاله عكرمة ومجاهد[٣]، و«الزخرفة» أكثر ذلك إنما يستعمل في الشر والباطل.

---

(١) طرقه واهية، أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٤٨٠)، وابن سعد في الطبقات (١/ ٣٢)، وأحمد في مسنده (٥/ ١٧٨ - ١٧٩ رقم ٢١٥٤٦-٢١٥٥٢)، والنسائي (٥٥٠٧) وفي الكبرى (٧٨٩١)، والبزار في مسنده (٤٠٣٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٢٩٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٧/ ٩٧) من طريق عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي، عن أبي عمر الشامي، عن عبيد بن الخشخاش، عن أبي ذر مرفوعاً، بألفاظ مطولة ومختصرة، وهذا إسناد ضعيف لجهالة عبيد بن الخشخاش، ولضعف أبي عمر الدمشقي، قال الدارقطني: المسعودي عن أبي عمر الدمشقي متروك، وأخرجه ابن حبان في المجروحين (٣/ ١٢٩)، وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٤٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٨)، والبيهقي في السنن (٩/ ٤) من طريق يحيى بن سعيد السعيدي، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن أبي ذر، وهذا إسناد ضعيف لضعف يحيى بن سعيد، قال ابن حبان: شيخ يروي عن ابن جريج المقلوبات وعن غيره من الثقات الملزقات لا يحل الاحتجاج به إذا انفرد. اهـ، وله طرق كثيرة لا تسلم من ضعف، ذكرها ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٢٠) وقال: فهذه طرق لهذا الحديث ومجموعها يفيد قوته وصحته، وفي الباب عن أبي أمامة رضي الله عنه أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٦٥ رقم ٢٢٢٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧٧٨٦)، والطبراني في الكبير (٧٨٧١) من طريق علي بن يزيد الألهاني عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعاً، وسنده ضعيف من أجل الألهاني.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٥١ و٥٢)، والنكت والعيون للماوردي (٢/ ١٥٨)، والهداية لمكي (٣/ ٢١٥٦).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٥٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٧٢).

و﴿غُرُورًا﴾ نصب على المصدر، ومعناه: أنهم يغرون به المضللين ويوهمون لهم أنهم على شيء، والأمر بخلاف، والضمير في قوله: ﴿فَعَلُوهُ﴾ عائدٌ على اعتقادهم العداوة، ويحتمل على الوحي الذي تضمنته ﴿يُوحِي﴾.

وقوله: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ لفظٌ يتضمن الأمر بالموادعة منسوخ بآيات القتال، قال قتادة: كل (ذَرْ) في كتاب الله فهو منسوخٌ بالقتال.

و﴿يَفْتَرُونَ﴾ معناه: يختلقون[١] ويشتقون، وهو من الفِرْية[٢] تشبيهاً بفري الأديم.

قوله عز وجل: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ معناه: لتميل، يقال: صغى يصغى، وأصلها: يَصغي بكسر الغين لكن رده حرف الحلق إلى الفتح، ويقال: صغى يصغو وأصغى يصغي وصَغِي يَصغى.

و﴿أَفْـِٔدَةُ﴾ جمع فؤاد، و«يقترفون» معناه: يواقعون ويجترحون، وهي مستعملة أكثر ذلك في الشر والذنوب ونحوه، والقراء على كسر اللام في الثلاثة الأفعال على أنها لام كي، فإما أن تكون معطوفة على ﴿غُرُورًا﴾، وإما أن تكون متعلقة بفعل مؤخر تقديره: فعلوا ذلك، أو: جعلنا ذلك، فهي لام صيرورة قاله الزجّاج[٣].

ولا يحتمل أن تكون هذه اللامات على هذه القراءة لام الأمر وضمنها الوعيد، وتبقى الألف[٤] في (لتصغى) على نحو ما جاء من ذلك في قول الشاعر:

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «يختلفون».

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «الفرقة».

(٣) انظر كلام الزجاج على هذه الآية في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٤).

(٤) في المطبوع: «الياء».

[الوافر] أَلَـمْ يَأتيـكَ.......................... ....[1]

إلى غير ذلك مما قد قرئ به.

قال أبو الفتح: قرأها الحسن بالتسكين في الثلاثة، وهي لام «كي» وهي معطوفة على قوله: ﴿غُرُورًا﴾ التقدير: لأجل الغرور ولتصغَى، وإسكان هذه اللام شاذ في الاستعمال قوي في القياس.

قال القاضي أبو محمد: ويظهر أن تحمل قراءة الحسن بسكون اللامات الثلاثة على أنها لام الأمر المضمن الوعيد والتهديد، والخط على هذه القراءة: (ولْتَصْغَ) ذكر أبو عمرو الداني أن تسكينه في اللامات الثلاثة، وكذلك قال أبو الفتح، وذُكِر أن الحسن إنما يسكن اللامين الثانية والثالثة[2].

قال القاضي أبو محمد: وذلك يخالفه خط المصحف في: ﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ﴾.

قال القاضي أبو محمد: ويتخرج[3] أن يسكن اللام في (وَلْتَصْغى) على ما ذكرناه في قراءة الجماعة.

قال أبو عمرو: وقراءة الحسن إنما هي (لَتَصْغِي) بكسر الغين[4]، وقراءة إبراهيم النخعي: (لَتُصغِي) بضم التاء وكسر الغين من أصغى يصغي، وكذلك قرأ الجراح بن عبد الله[5].

---

(١) تمامه:

أَلـم يأتيـك والأنبـاءُ تنمِـي بـما لاقـت لبـونُ بنـي زيـادِ

وهو لقيس بن زهير كما تقدم في تفسير الآية ١٠١ من سورة النساء.

(٢) هكذا وردت العبارة في جميع النسخ، وفيها تخليط، والذي في المحتسب (١/ ٢٢٧) عن الحسن تسكين الثلاث، ووافقه مختصر الشواذ (ص: ٤٦)، والشواذ للكرماني (ص: ١٧٧)، والذي نقل عنه الداني تسكين الأخيرين، ومثله في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٨).

(٣) في المطبوع: «ويتحصل».

(٤) انظر ما قاله الداني في: البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٦٢٦)، وهي قراءة شاذة.

(٥) وهي شاذة عزاها للنخعي الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٧٧) على وجهين بفتح الياء وحذفها وللجراح في البحر المحيط (٤/ ٦٢٦).

وقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ﴾ نصب بـ﴿أَبْتَغِى﴾، و﴿حَكَمًا﴾ نصب على البيان والتمييز، و﴿مُفَصَّلًا﴾ معناه: مزال الإشكال قد فصلت آياته.

وهذه الآية وإن كان معناها يعم في أن الله لا يبتغَى سواه حكماً في كلِّ شيء وفي كل قضية، فإنّا نحتاج في رصف[1] الكلام واتساق المعاني أن ننظر إلى قضية فيما تقدم تكون سبباً إلى قوله: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ فهي والله أعلم حكمه عليهم بأنهم لا يؤمنون ولو بعث إليهم كل الآيات، وحكمه بأنْ جعل للأنبياء أعداء من الجن والإنس.

و﴿حَكَمًا﴾ أبلغ من حاكم، إذ هي صيغة للعدل من الحكام، والحاكم جارٍ على الفعل فقد يقال للجائر، و﴿حَكَمًا﴾ نصب على البيان أو الحال.

وبهذه الآية خاصمت الخوارج علياً رضي الله عنه في تكفيره بالتحكيم، ولا حجة لها؛ لأن الله تعالى حكَّم في الصيد وبين الزوجين، فتحكيم المؤمنين من حكمه تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ يتضمن الإشهاد بمؤمنيهم، والطعن والتنبيه على مشركيهم وحسدتهم.

وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم: ﴿مُنَزَّلٌ﴾ بالتشديد، والباقون بالتخفيف[2].

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ أولاً هو القرآن، وثانياً اسم جنس التوراة والإنجيل والزبور والصحف، ووصفه أهل الكتاب بالعلم عموم بمعنى الخصوص، وإنما يريد علماءهم / وأحبارهم. [٢/ ١٠٨]

وقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ تثبيت ومبالغة وطعن على الممترين.

قوله عز وجل: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾.

(تَمَّتْ) في هذا الموضع بمعنى: استمرت وصحت في الأزل، ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾،

(١) في نجيبويه والمطبوع: «وصف».

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٠٦)، والسبعة في القراءات (١/ ٢٦٦).

وليس بتمام من نقص، ومثله ما وقع في كتاب «السيرة» من قولهم: وتم حمزة على إسلامه في الحديث مع أبي جهل(١)، والكلمات: ما نزل على عباده.

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿كَلِمَةُ﴾ بالإفراد هنا وفي يونس في الموضعين وفي حم المؤمن، وقرأ نافع وابن عامر جميع ذلك: ﴿كلمات﴾ بالجمع، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو هنا فقط: ﴿كلماتُ﴾ بالجمع(٢).

وذهب الطبري إلى أنه القرآن، كما يقال: كلمة فلان، في قصيدة الشعر والخطبة البليغة(٣).

قال القاضي أبو محمد: وهذا عندي بعيد معترض، وإنما القصد: العبارة عن نفوذ قوله تعالى: ﴿صِدْقًا﴾ فيما تضمنه من خبر و(عدلاً) فيما تضمنه من حكم، وهما مصدران في موضع الحال، قال الطبري: نُصبا على التمييز، وهذا غير صواب.

و﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ معناه: في معانيها، بأن يبين أحد أن خبره بخلاف ما أخبر به، أو(٤) يبين أن أمره لا ينفذ، والمثال من هذا: أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ إلى ﴿ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ [التوبة: ٨٣]، فقال المنافقون بعد ذلك للنبي ﷺ وللمؤمنين: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾، فقال الله لنبيه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥]، أي(٥): في قوله: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا﴾ لأن مضمنه الخبر بأن لا يباح لهم خروج، وأما الألفاظ فقد

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٢١٢)، عن رجل من أسلم فذكره، وأخرجه الطبري في التاريخ (١/ ٥٤٨) من طريق ابن إسحاق.

(٢) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٠٦)، وستأتي المواضع الأخرى في محلها.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٦٢).

(٤) في السليمانية: «أي».

(٥) تحرف في المطبوع إلى : «أو».

بدلتها بنو إسرائيل وغيرتها، هذا مذهب جماعة من العلماء، وروي عن ابن عباس أنهم إنما بدلوا بالتأويل[١]، والأول أرجح.

وفي حرف أبي بن كعب: (لا مبدل لكلمات الله)[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ﴾ الآية، المعنى: فامض يا محمد لما أُمرت به وانفُذ لرسالتك فإنك إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك، وذكر ﴿أَكْثَرَ﴾ لأن أهل الأرض حينئذ كان أكثرهم كافرين، ولم يكن المؤمنون إلا قلة، وقال ابن عباس: ﴿الْأَرْضِ﴾ هنا الدنيا[٣].

وحكي أن سبب هذه الآية: أن المشركين جادلوا رسول الله ﷺ في أمر الذبائح، وقالوا: تأكل ما تقتل وتترك ما قتل الله؟، فنزلت الآية[٤]، ووصفهم عز وجل بأنهم إنما يقتدون بظنونهم ويتبعون تخرصهم، والخرص الحَزْر والظن.

وقرأ جمهور الناس: ﴿يَضِلُّ﴾ بفتح الياء، وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (يُضِلُّ) بضم الياء، ورواه أحمد بن أبي شريح[٥] عن الكسائي[٦].

و﴿مَن﴾ في قوله: ﴿مَن يَضِلُّ﴾ في موضع نصب بفعل مضمر تقديره: يعلم من،

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) وهي قراءة شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٤/ ٦٢٩).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٨١٨-٢٨١٩)، وابن ماجه (٣١٧٣)، والنسائي (٤٤٣٧)، وفي الكبرى (٤٥١١-١١١٠٦)، والطبراني في الكبير (١١٦١٤-١٢٢٩٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٢٦-٢٥٧-٢٦٠)، والبيهقي في السنن (٩/ ٢٤٠-٢٤١) وغيرهم من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً، وهو صحيح بمجموعها.

(٥) لعل الصواب أنه أحمد بن أبي سريج الصباح النهشلي، أبو جعفر الرازي البغدادي، قرأ القرآن على أبي الحسن الكسائي، وأقرأه، وسمع: شعيب بن حرب، وابن علية، ووكيعاً، وجماعة، وقال النسائي: ثقة. تاريخ الإسلام (١٨/ ١٥٥).

(٦) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٤٦)، والمحتسب (١/ ٢٢٨)، والبحر المحيط (٤/ ٦٣٠).

وقيل: في موضع رفع، كأنه قال: أيٌّ يضل عن سبيله، ذكره أبو الفتح، وضعفه أبو علي[(١)].
قيل: في موضع خفض بإضمار باء الجر، كأنه قال: بمن يضل عن سبيله، وهذا ضعيف.

قال أبو الفتح: هذا هو المراد، فحذفت باء الجر، ووصل ﴿أَعْلَمُ﴾ بنفسه، قال: ولا يجوز أن يكون ﴿أَعْلَمُ﴾ مضافاً إلى ﴿مَن﴾ لأن أفعل التفضيل بعض ما يضاف إليه.

وهذه الآية خبر في ضمنه وعيد للضالين ووعد للمهتدين.

قوله عز وجل: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

القصد بهذه الآية النهي عما ذبح للنصب وغيرها، وعن الميتة وأنواعها، فجاءت العبارة أمراً بما يضاد ما قصد النهي عنه، ولا قصد في الآية إلى ما نسي فيه المؤمن التسمية أو تعمدها بالترك.

وقال عطاء: هذه الآية أمر بذكر اسم الله على الشراب والطعام والذبح وكل مطعوم[(٢)].

وقوله: ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم بأحكامه وأوامره آخذين، فإن الإيمان بها يتضمن ويقتضي الأخذ بها والانقياد لها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ﴾ الآية، (ما): استفهام يتضمن التقرير، وتقدير هذا الكلام: وأي شيء لكم في أن لا تأكلوا؟ فـ (أن) في موضع خفض بتقدير حرف الجر، ويصح أن تكون في موضع نصب على أن لا يقدر حرف جر، ويكون

(١) انظر المحتسب (١/ ٢٢٨) وسيأتي باقي كلامه، وانظر كلام أبي علي الفارسي على هذه الآية في الحجة (٣/ ٣٩٢).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٦٧).

الناصب معنى الفعل الذي في قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ تقديره: ما يجعلكم؟

﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ﴾ أي: قد بين لكم الحرام من الحلال وأزيل عنكم اللبس والشك.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: ﴿وقد فُصِّل لكم ما حُرّم عليكم﴾ على بناء الفعل للمفعول في الفعلين.

وقرأ نافع وحفص عن عاصم: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ على بناء الفعل للفاعل في الفعلين.

وقرأ أبو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي: ﴿وقد فَصَّل﴾ [على إسناد الفعل إلى الفاعل ﴿لكم ما حُرِّم﴾][١] على بناء الفعل إلى المفعول[٢].

وقرأ عطية العوفي: (وقد فَصَل) [على بناء الفعل للفاعل وفتح الصاد وتخفيفها، (ما حُرِّم)][٣] على بناء الفعل للمفعول[٤]، والمعنى: قد فصل الحرام من الحلال وانتزعه بالتبيين.

و﴿مَا﴾ في قوله: ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ﴾ يريد بها: من جميع ما حرم كالميتة وغيرها، وهي في موضع نصب بالاستثناء، والاستثناء منقطع.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا﴾ يريد الكفرة المحادين المجادلين في المطاعم بما ذكرناه من قولهم: تأكلون ما تذبحون ولا تأكلون ما ذبح الله.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿لَيَضلون﴾ بفتح الياء على معنى إسناد الضلال إليهم في هذه السورة وفي يونس: ﴿ربَّنا ليَضلوا﴾ [٨٨]، وفي سورة إبراهيم: ﴿أنداداً

---

(١) ساقط من الأصل ونجيبويه.

(٢) وكلها سبعية، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢٦٧)، والتيسير (ص: ١٠٦).

(٣) ساقط من الأصل ونجيبويه.

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٤٦)، والمحتسب (١/ ٢٢٧).

ليَضِلُّوا﴾[٣٠]، وفي الحج: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيَضِلَّ﴾[٩]، وفي لقمان: ﴿لِيَضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾[٦]، وفي الزمر: ﴿أَنْدَاداً لِيَضِلَّ﴾ [٨]، وقرأ نافع وابن عامر كذلك في هذه وفي يونس وفي الأربعة التي بعد هذه(١) يضمان الياء على معنى إسناد إضلال غيرهم إليهم، وهذه أبلغ في ذمهم؛ لأن كل مضل ضالٌّ وليس كل ضال مضلّاً.

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي في المواضع الستة: ﴿لَّيُضِلُّونَ﴾ بضم الياء(٢) على معنى إسناد إضلال غيرهم إليهم.

[٢/ ١٠٩] ثم بين عز وجل في ضلالهم أنه على أقبح الوجوه، وأنه بالهوى لا بالنظر والتأمل / .

و﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ معناه: في غير نظر، فإن لمن يَضِلُّ بنظرٍ ما بعضُ عذر لا ينفع في أنه اجتهد.

ثم توعدهم تعالى بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾.

هذا نهي عام من طرفيه؛ لأن ﴿الْإِثْمَ﴾ يعم الأحكام والنسب اللاحقة للعصاة عن جميع المعاصي، والظاهر والباطن يستوفيان جميع المعاصي.

وقد ذهب المتأولون إلى أن الآية من ذلك في مخصَّص، فقال السدي: «ظاهره»: الزنا الشهير الذي كانت العرب تفعله، و(باطنه): اتخاذ الأخدان(٣).

وقال سعيد بن جبير: «الظاهر»: ما نصَّ الله على تحريمه من النساء بقوله: ﴿حُرِّمَتْ

---

(١) في السليمانية وفيض الله: «هذين».

(٢) وكلها سبعية، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢٦٧)، والتيسير (ص: ١٠٦)، وسقط «عاصم» من لالاليه.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٧٤)، والنكت والعيون للماوردي (٢/ ١٦١)، وتفسير الثعلبي (٤/ ١٨٥)، وفي المطبوع: «الأخذان».

عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ﴾ الآية [النساء: ٢٣]، وقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾ الآية [النساء: ٢٢]، و«الباطن»: الزنا

وقال ابن زيد: «الظاهر»: التعري، و«الباطن»: الزنا[١].

قال القاضي أبو محمد: يريد التعري الذي كانت العرب تفعله في طوافها.

قال قوم: الظاهر: الأعمال، والباطن: المعتقد.

قال القاضي أبو محمد: وهذا حسن؛ لأنه عام.

ثم توعد تعالى كسبة الإثم بالمجازاة على ما اكتسبوه من ذلك وتحملوا ثقله، و«الاقتراف»: الاكتساب.

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ١٢١﴾.

المقصد بهذه الآية النهي عن الميتة؛ إذ هي جواب لقول المشركين: تتركون ما قتل الله؟ والنهي أيضاً عما ذبح للأنصاب، ومع ذلك فلفظها يعم ما تركت التسمية عليه من ذبائح الإسلام، وبهذا العموم تعلق محمد بن سيرين وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة[٢] وعبد الله بن عمر ونافع وعبد الله بن يزيد الخَطْمي والشعبي وغيرهم فيما تركت التسمية عليه نسياناً أو عمداً لم يؤكل[٣].

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٢/ ٧٤)، والنكت والعيون للماوردي (٢/ ١٦١)، وتفسير الثعلبي (٤/ ١٨٥).

(٢) عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة القرشي المخزومي، ولد بأرض الحبشة، وله رؤية وشرف، وكان من أقرأ أهل المدينة لكتاب الله وأقومهم به، قرأ على أبي بن كعب، روى عنه: ابنه الحارث، وأبو جعفر مولاه، توفي سنة (٧٦هـ). تاريخ الإسلام (٥/ ٤٦٨).

(٣) انظر قول نافع وابن سيرين والشعبي في: التمهيد (٢٢/ ٣٠٢)، وانظر قول عبد الله بن يزيد الخطمي في: تفسير الطبري (١٢/ ٨٤)، وانظر قول عبد الله بن عمر وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة في: تفسير القرطبي (٧/ ٧٥)، وعبد الله بن يزيد تقدم في سورة النساء.

وقالت طائفة عظيمة من أهل العلم: يؤكل ما ذبح ولم يسم عليه نسياناً، ولا يؤكل ما لم يسم عليه عمداً، وهذا قول الجمهور[١].

وحكى الزهراوي عن مالك بن أنس أنه قال: تؤكل الذبيحة التي تركت التسمية عليها عمداً أو نسياناً، وعن ربيعة أيضاً[٢]، قال عبد الوهَّاب: التسمية سنَّة، فإذا تركها الذابح ناسياً أكلت الذبيحة في قول مالك وأصحابه، وإذا تركها عمداً فقال مالك: لا تؤكل، فحمل بعض أصحابه قوله: لا تؤكل، على التحريم، وحمله بعضهم على الكراهة[٣]، وقال أشهب: تؤكل ذبيحة تارك التسمية عمداً إلا أن يكون مستخفّاً، وقال نحوه الطبريُّ[٤].

وذبائح أهل الكتاب عند جمهور العلماء في حكم ما ذكر اسم الله عليه من حيث لهم دين وتشرُّع[٥]، وقال قوم: نسخ من هذه الآية ذبائح أهل الكتاب، قاله عكرمة والحسن ابن أبي الحسن[٦].

والضمير في (إِنَّهُ) من قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌۗ﴾ عائدٌ على الأكل الذي تضمنه الفعل في قوله: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ﴾، ويحتمل أن يعود على ترك الذكر الذي يتضمنه قوله: ﴿لَمۡ يُذۡكَرِ﴾، و«الفسق»: الخروج عن الطاعة، هذا عُرفه في الشرع.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ الآية، قال عكرمة: عنى بالشياطين في هذه الآية مردة الإنس من مجوس فارس[٧]، وذلك أنهم كانوا يوالون قريشاً على عداوة

---

(١) انظر نسبة القول للجمهور في التمهيد (٢٢/ ٣٠١).

(٢) انظر ما حكاه الزهراوي عن مالك في: تفسير القرطبي (٧/ ٧٥)، وانظر ما نسب لربيعة في: المغني (٩/ ٣١٠).

(٣) انظر قول عبد الوهاب في: المعونة (١/ ٤٦٠).

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٨٥ و٨٨) وانظر قول أشهب في: مواهب الجليل (٤/ ٣٢٩).

(٥) انظر الإجماع على إباحة ذبائحهم ما لم يذكروا عليها غير اسم الله في: الإقناع (٢/ ٥٩٦).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٨٧).

(٧) انظر: المصدر السابق (١٢/ ٧٧).

النبي ﷺ، فخاطبوهم منبهين على الحجة التي ذكرناها في أمر الذبائح من قولهم: تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل الله؟! فذلك من مخاطبتهم هو الوحي[١] الذي عنى، و«الأولياء»: قريش، و«المجادلة»: هي تلك الحجة.

وقال ابن عباس وعبد الله بن كثير: بل ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾: الجن[٢]، واللفظة على وجهها، وكفرة الجن أولياء لكفرة قريش، ووحيهم إليهم كان بالوسوسة حتى ألهموهم لتلك الحجة، أو على ألسنة الكهان.

وقال أبو زُميل[٣]: كنت عند ابن عباس، فجاءه رجلٌ فقال: إن أبا إسحاق ـ يعني المختار ـ زعم أنه أوحي إليه الليلة، فقال ابن عباس: صدق، فنفرتُ، فقال ابن عباس: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾[٤].

ثم نهى الله عز وجل عن طاعتهم بلفظ يتضمن الوعيد، وعرض أصعب مثال في أن يشبه المؤمن بمشرك، وحكى الطبري عن ابن عباس قولا: إن الذين جادلوا بتلك الحجة هم قوم من اليهود[٥].

---

(١) تحرف في المطبوع إلى: «الحي»، وفيه: «والأولياء قرائن»، بدل «قريش» وهو تحريف أيضاً.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٨٠٨) من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعطاء لم يسمع من ابن عباس كما قاله الإمام أحمد. انظر: جامع التحصيل (٥٢٢).

(٣) هو سماك بن الوليد الحنفي أبو زميل اليمامي، نزل الكوفة، وروى عن ابن عباس، وابن عمر، ومالك ابن مرثد. وعنه عكرمة بن عمار، والأوزاعي، ومسعر، وشعبة، وغيرهم. وثقه أحمد وغيره، من الطبقة الثانية عشرة، تاريخ الإسلام (٧/ ٣٧٦).

(٤) لا بأس به، أخرجه الطبري (١٣٨٣٢) من طريق أبي حذيفة قال، حدثنا عكرمة، عن أبي زميل سماك ابن الوليد، عن ابن عباس به. وأبو حذيفة هو موسى بن مسعود، وعكرمة هو ابن عمار، والإسناد لا بأس به.

(٥) في إسناده مقال، أخرجه الطبري (١٣٨٢٥) من طريق عمران بن عيينة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعطاء بن السائب اختلط، ولا يدرى هل سمع منه عمران بن عيينة، قبل الاختلاط، أو بعده، ولكن عمران كوفي، ورواية البصريين عن عطاء بعد الاختلاط لأنه قدم عليهم في آخر عمره.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ اليهود لا تأكل الميتة، أما إن ذلك يتجه منهم على جهة المغالطة كأنهم يحتجون عن العرب.

قوله عز وجل: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾.

تقدم في هذه الآية السالفة ذكر قوم مؤمنين أمروا بترك ظاهر الإثم وباطنه وغير ذلك، وذكر قوم كافرين يضلون بأهوائهم وغير ذلك، فمثَّل الله عز وجل في الطائفتين بأن شبه الذين آمنوا بعد كفرهم بأموات أحيوا، هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما[١]، وشبه الكافرين وحيرة جهلهم بقوم في ظلمات يترددون فيها ولا يمكنهم الخروج منها؛ ليبين عز وجل الفرق بين الطائفتين والبون بين المنزلتين.

وقرأ جمهور الناس: ﴿أَوَمَن﴾ بفتح الواو، فهي ألف استفهام دخلت على واو عطف جملة على جملة، و(من) بمعنى الذي.

وقرأ طلحة بن مصرف: (أفمن) بالفاء[٢]، والمعنى قريب من معنى الواو.

والفاء في قوله: ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ عاطفة، و﴿نُورًا﴾ أمكنُ ما يُعنَى[٣] به الإيمان. و﴿يَمْشِى بِهِۦ﴾ يراد به جميع التصرف في الأفعال والأقوال.

قال أبو علي: ويحتمل أن يراد النور الذي يؤتاه المؤمنون يوم القيامة[٤].

و﴿فِى ٱلنَّاسِ﴾ متعلق بـ﴿يَمْشِى﴾، ويصح أن يتعلق بـ﴿كَانَ مَيْتًا﴾[٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٩٠ و٩١)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٨٣)، وتفسير الثعلبي (٤/ ١٨٦).

(٢) لم أجدها، وهي تخالف مصاحف المسلمين، فلعلها وهم منه أو من ناقلها.

(٣) في المطبوع: «يقي»، مع التنبيه على النسخة الأخرى في الهامش.

(٤) انظر: الحجة للفارسي (٣/ ٣٩٩).

(٥) في السليمانية وفيض الله: «بخارج منها».

وقوله تعالى: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ بمنزلة: كمن هو.

والكاف في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ﴾ / متعلقة بمحذوف يدل ظاهر الكلام عليه، [٢/ ١١٠]
تقديره: وكما أحيينا المؤمنين وجعلنا لهم نوراً كذلك زين للكافرين، ويحتمل أن يتعلق بقوله: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ أي: كهذه الحال هو التزيين.

وقرأ نافع وحده: ﴿مَيِّتاً﴾ بكسر الياء وشدها، وقرأ الباقون: ﴿مَيْتاً﴾ بسكون الياء(١).

قال أبو علي: التخفيف كالتشديد، والياء المحذوفة هي الثانية المنقلبة عن واو أعلت بالحذف كما أعلت بالقلب(٢).

وقالت طائفة: إن هذه الألفاظ التي مثَّل بها وإن كانت تعم كل مؤمن وكل كافر، فإنما نزلت في مخصوصين، فقال الضحاك: المؤمن الذي كان ميتاً فأحيي عمر بن الخطاب(٣).

وحكى المهدوي عن بعضهم أنه حمزة بن عبد المطلب(٤)، وقال عكرمة: عمار ابن ياسر(٥)، وقال الزجاج: جاء في التفسير أنه يُعنى به النبي ﷺ(٦).

قال القاضي أبو محمد: واتفقوا على أن الذي في الظلمات أبو جهل بن هشام، وإلى حاله وحال أمثاله هي الإشارة والتشبيه بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ وهذه الآية

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٠٦)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٦٨).
(٢) انظر: الحجة للفارسي (٣/ ٣٩٩).
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٨٩)، والهداية لمكي (٣/ ٢١٧٢).
(٤) انظر: التحصيل للمهدوي (٢/ ٦٦٥) وحكاه الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٥٠) والثعلبي في التفسير (٤/ ١٨٦) عن ابن عباس.
(٥) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٩٠)، والهداية لمكي (٣/ ٢١٧٢).
(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٨٨)، والهداية لمكي (٣/ ٢١٧٢).

تتضمن إنذاراً بفساد حال الكفرة المتقدم ذكرهم؛ لأنه مقتضى حال من تقدمهم من نظرائهم.

وقال عكرمة: نزلت هذه الآية في المستهزئين[١].

قال القاضي أبو محمد: يعني أن التمثيل لهم.

و﴿جَعَلْنَا﴾ في هذه الآية بمعنى: صيَّرنا، فهي تتعدى إلى مفعولين، الأول: ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ والثاني: ﴿أَكَابِرَ﴾، وفي الكلام على هذا تقديم وتأخير، تقديره: وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر، وقدم الأهم إذ لعلة كبرهم[٢] أجرموا، ويصح أن يكون المفعول الأول: ﴿أَكَابِرَ﴾ و﴿مُجْرِمِيهَا﴾ مضاف، والمفعول الثاني قوله: ﴿فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾، و﴿لِيَمْكُرُوا﴾ نصب بلام الصيرورة.

و«الأكابر» جمع أكبر كما الأفاضل جمع أفضل، ويقال: أكابرة، كما يقال: أحمر وأحامرة، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] إنَّ الأحَـامِـرَة الثَّـلاثَـةَ أَتْـلَـفَـتْ مَالـي وكُنْتُ بِهِنّ قِدْمـاً مُولَعاً[٣]

يريد: الخمر واللحم والزعفران.

و«المكر»: التخيل بالباطل والخديعة ونحوهما، وقوله: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ يريد: لرجوع وبال ذلك عليهم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: ما يعلمون، وهي لفظة مأخوذة من الشعار، وهو الشيء الذي يلي البدن، فكأن الذي لا يشعر نفي عنه أن يعلم علمَ حس، وفي ذلك مبالغة في صفة جهله؛ إذ البهائم تعلم علوم الحس، وأما هذه الآية فإنما نفي فيها الشعور في نازلة مخصوصة.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٩٤).

(٢) في الحمزوية: «لقلة كبيرهم».

(٣) البيت للأعشى كما في الفاضل (ص: ٢١)، ومقاييس اللغة (٢/ ١٠١)، وأساس البلاغة (١/ ٢١٢)، وقد فسر الثلاثة في البيت الذي بعده بقوله:

الخمر واللحم السمين وأطلي بالزعفـران فلـن أزال مبقعـا

وفي نجيبويه ولالاليه: «أهلكت» بدل: «أتلفت».

قوله عز وجل: ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾.

هذه الآية آية ذم للكفار وتوعد لهم، يقول: وإذا جاءتهم علامة، ودليل على صحة الشرع، تشططوا وتسحبوا، وقالوا: إنما يفلق لنا البحر، إنما يحيي لنا الموتى، ونحو ذلك، فرد الله عز وجل عليهم بقوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ أي: فيمن اصطفاه وانتخبه، لا فيمن كفر وجعل يتشطط على الله.

قال الزجاج: قال بعضهم: الأبلغ في تصديق الرسل أن لا يكونوا قبل المبعث مطاعين في قومهم، و﴿أَعْلَمُ﴾ معلق العمل، والعامل في ﴿حَيْثُ﴾ فعل تقديره: يعلم حيث.

ثم توعد تعالى بأن هؤلاء المجرمين الأكابر في الدنيا سيصيبهم عند الله صغار وذلة، و﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ متعلقة بـ﴿سَيُصِيبُ﴾، ويصح أن تتعلق بـ﴿صَغَارٌ﴾ لأنه مصدر، قال الزجّاج: التقدير: صغار ثابت عند الله[(١)]، قال أبو علي: وهو متعلق بـ﴿صَغَارٌ﴾ دون تقدير: ثابتٌ، ولا شيء غيره[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ﴾ الآية، (مَن): أداة شرط، و﴿يَشْرَحْ﴾ جواب الشرط.

والآية نص في أن الله عز وجل يريد هدى المؤمن وضلال الكافر، وهذا عند جميع أهل السنة بالإرادة القديمة التي هي صفة ذاته تبارك وتعالى.

---

(١) انظر كلام الزجاج هذا والذي قبله في معاني القرآن وإعرابه له (٢/ ٢٨٩).

(٢) لعله في الإغفال الذي يستدرك فيه غالباً على الزجاج، وكلامه الآتي في الحجة هو على الآية الثانية.

و«الهدى» في هذه الآية هو خلق الإيمان في القلب واختراعه، و«شرح الصدر» هو تسهيل الإيمان وتحبيبه وإعداد القلب لقبوله وتحصيله.

و«الهدى» لفظة مشتركة تأتي بمعنى الدعاء، كقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. وتأتي بمعنى إرشاد المؤمنين إلى مسالك الجنان والطرق والأعمال المفضية إليها، كقوله تعالى: ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٥] وغير ذلك.

إلا أنها في هذه الآية، وفي قوله: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨]، وفي قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] ونحوها لا يتجه حملها إلا على خلق الإيمان واختراعه، إذ الوجوه الأُخر من الهدى تدفعها قرائن الكلام مما قبل وبعد.

وقوله: ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ﴾ ألفاظ مستعارة هاهنا؛ إذ «الشرح»: التوسعة والبسط في الأجسام، وإذا كان الجِرم مشروحاً موسعاً كان معدّاً ليحل فيه، فشبه توطئة القلب وتنويره وإعداده للقبول بالشرح والتوسيع، وشبه قبوله وتحصيله للإيمان بالحلول في الجرم المشروح.

و«الصدر» عبارة عن القلب وهو المقصود؛ إذ الإيمان من خصاله، وكذلك «الإسلام» عبارة عن الإيمان إذ الإسلام أعم منه، وإنما المقصود هنا الإيمان فقط بدليل قرينة الشرح والهدى، ولكنه عبر بالإسلام إذ هو أعم، وإذ من الهدى[١] حُب الأعمال وامتثال العبادات.

وفي ﴿يَشْرَحْ﴾ ضمير عائد على المَهْديِّ[٢]، قال: وعوده على الله عز وجل أبين[٣].

---

(١) في الحمزوية: «وآكد من الهدى»، وفي المطبوع: «وأدنى الهدى».

(٢) في الحمزوية، والمطبوع: «الهدى».

(٣) فاعل «قال» هو أبو علي المذكور في أول الكلام، انظر كلامه في الحجة للقراء السبعة (٣/ ٤٠٢).

قال القاضي أبو محمد: والقول بأن الضمير عائد على الـمَهْدي[١] قول يتركب عليه مذهب القدرية في خلق الأفعال، وينبغي أن يعتقد ضعفه، وأن الضمير إنما هو عائد على اسم الله عز وجل، فإن هذا يعضده اللفظ والمعنى.

وروي عن النبي ﷺ أنه لما نزلت هذه الآية، قالوا: يا رسول الله، كيف يشرح الصدر؟ قال: «إذا نزل النور في القلب انشرح له الصدر / وانفسح»، قالوا: وهل [٢/ ١١١] لذلك علامة يا رسول الله؟ قال: «نعم: الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الفوت»[٢].

والقول في قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ كالقول في قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾.

وقوله: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ ألفاظ مستعارة تضاد شرح الصدر للإسلام، و﴿يَجْعَلْ﴾ في هذا الموضع تكون بمعنى: يحكم له بهذا الحكم، كما تقول: هذا يجعل البصرة مصراً، أي: يحكم لها بحكمها.

قال القاضي أبو محمد: وهذا المعنى يقرب من صيَّر، وحكاه أبو علي الفارسي، وقال أيضا: يصح أن يكون (جعل) بمعنى سمى، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩] أي: سمَّوهم، قال: وهذه الآية تحتمل هذا المعنى[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا الوجه يضعف في هذه الآية.

---

(١) في المطبوع: «الهدى».

(٢) في صحته نظر، أخرجه عبد الرزاق في التفسير (٢/ ٦٤)، والطبري (١٣٨٥٢-١٣٨٥٣-١٣٨٥٤)، وابن أبي حاتم (٧٨٧٢-٧٨٧٣) من طريق عمرو بن مرة، عن أبي جعفر عبد الله بن المسور بن عون ابن جعفر بن أبي طالب مرسلاً عن النبي ﷺ، وأبو جعفر هذا متروك، بل كذاب، وقد اختلف على عمرو بن مرة على أكثر من وجه، ذكر هذه الأوجه الدارقطني في العلل (٥/ ١٨٩) ورجح الرواية المرسلة، وللحديث طرق أخرى لا يخلو واحد منها من مقال، وبعضها شديد، وفي بعضها انقطاع، وقد استوعب طرقه وألفاظه ابن كثير في التفسير (٣/ ٣٣٦) وقال: فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضاً.

(٣) هذا كله من بقية كلام الفارسي في الحجة (٣/ ٤٠٥).

وقرأ جمهور الناس والسبعة سوى ابن كثير: ﴿ضَيِّقًا﴾ بكسر الياء وتشديدها، وقرأ ابن كثير: ﴿ضيقاً﴾ بسكون الياء، وكذلك قرأ في الفرقان[١].

قال أبو علي: وهما بمنزلة الميّت والميت[٢].

قال الطبري: وبمنزلة الهيّن والليّن والهين واللين، قال: ويصح أن يكون الضيق مصدراً من قولك: ضاق والأمر يضيق ضَيقاً وضِيقاً، وحكي عن الكسائي أنه قال: «الضِّيق» بشد الضاد وكسرها في الأجرام والمعاش، و«الضَّيق» بفتح الضاد: في الأمور والمعاني[٣].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿حَرَجًا﴾ بفتح الراء.

وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿حرِجاً﴾ بكسرها[٤].

قال أبو علي: فمن فتح الراء كان وصفاً بالمصدر، كما تقول: رجل قَمِنٌ بكذا وحَرىً بكذا ودَنَف، ومن كسر الراء فهو كدنِف وقمِن وفرِق[٥].

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأها يوماً بفتح الراء، فقرأها له بعض الصحابة بكسر الراء، فقال: ابغوني رجلاً من كنانة وليكن راعياً[٦] من بني مدلج، فلما جاءه قال له: يا فتى، ما الحَرَجة عندكم؟ قال: الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها راعية ولا وحشية، قال عمر: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير[٧].

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: كأن هذا الضَّيِّقَ الصدر يحاول

---

(١) الآية: (١٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٠٦).

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٤٠٠).

(٣) انظر كلام الطبري، ونقله عن الكسائي في التفسير (١٢/ ١٠٧).

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٠٦)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٦٨).

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٤٠١).

(٦) في السليمانية ونور العثمانية: «واعياً».

(٧) ضعيف، أخرجه الطبري (١٣٨٦٢) من طريق عبد الله بن عمار رجل من أهل اليمن، عن أبي الصلت الثقفي عن عمر رضي الله عنه فذكره. وهذا إسناد ضعيف، لجهالة عبد الله بن عمار اليمامي.

الصعود في السماء متى حاول الإيمان أو فكر فيه، ويجد صعوبته عليه كصعوبة الصعود في السماء، قال بهذا التأويل ابن جريج وعطاء الخراساني والسدي، وقال ابن جبير: المعنى: لا يجد مسلكاً إلا صُعُداً(١) من شدة التضايق(٢).

وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿يَصَّعَّدُ﴾ بإدغام التاء من يتصعد في الصاد.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿يصَّاعد﴾ بإدغام التاء من يتصاعد في السماء.

وقرأ ابن كثير وحده: ﴿يَصْعد﴾(٣).

وقرأ ابن مسعود والأعمش وابن مصرف: (يتصعد) بزيادة تاء.

و﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يريد به من سفل إلى علو(٤) في الهواء، قال أبو علي(٥): ولم يرد السماء الُمظلة بعينها، وإنما هو كما قال سيبويه: والقيدود: الطويل في غير سماء(٦)، يريد في غير ارتفاع صعداً، قال: ومن هذا قوله عز وجل: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] أي: في وجهة الجو.

قال القاضي أبو محمد: وهذا على غيرِ مَن تأول تقلب الوجه أنه الدعاء إلى الله عز وجل في الهداية إلى قبلة، فإن مع الدعاء يستقيم أن يقلب وجهه في السماء المظلة حسب عادة الداعين، إذ قد أَلِفوا مجيء النعم والآلاء من تلك الجهة، وتحتمل الآية أن يكون التشبيه بالصاعد في عقبة كؤود كأنه يصعد بها في الهواء.

و﴿يَصْعَد﴾ معناه: يعلو، و﴿يَصَّعَّدُ﴾ معناه: يتكلف من ذلك ما يشق عليه، ومنه

(١) في لالاليه: «صعوداً»، وأشار إلى النسخة الأخرى في هامشه.
(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٢/ ١٠٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٨٥).
(٣) وكلها سبعية متواترة، انظر: التيسير (ص: ١٠٦)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٦٨).
(٤) في الأصل: «من علو إلى سفل».
(٥) في الحجة (٣/ ٤٠٥).
(٦) الكتاب (٤/ ٣٦٥).

قول عمر بن الخطاب: «ما تصعَّدني شيء كما تصعَّدني خطبة النكاح»[١]، إلى غير ذلك من الشواهد، و﴿يصَّاعد﴾ في المعنى مثل ﴿يصَّعَّد﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾ أي: وكما كان هذا كله من الهدى والضلال بإرادة الله عز وجل ومشيئته كذلك يجعل الله الرجس.

قال أهل اللغة: «الرِّجس» يأتي بمعنى العذاب، ويأتي بمعنى النجس.

وحكى الطبري عن مجاهد أنه قال: ﴿ٱلرِّجْسَ﴾ كل ما لا خير فيه[٢]، وقال بعض الكوفيين: الرجس والنجس لغتان بمعنى[٣]، و﴿يَجْعَلُ﴾ في هذا الموضع يحسن أن تكون بمعنى يلقي، كما تقول: جعلت متاعك بعضه على بعض، وكما قال عز وجل: ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٣٧].

قال القاضي أبو محمد: وهذا المعنى في «جعل» حكاه أبو علي الفارسي، ويحسن أن تكون ﴿يَجْعَلُ﴾ في هذه الآية بمعنى: يصيِّر، ويكون المفعول[٤] الثاني في ضمن ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، كأنه قال: قرين الذين، أو: لزيم الذين، ونحو ذلك.

قوله عز وجل: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.

(هذا) إشارة إلى القرآن والشرع الذي جاء به محمد ﷺ، قاله ابن عباس[٥]، و«الصراط»: الطريق، وإضافة الصراط إلى الرب على جهة أنه من عنده وبأمره.

---

(١) منقطع، أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث (٣/ ٣٨٧) من طريق حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عمر رضي الله عنه، ورواية عروة عن عمر مرسلة كما قال أبو حاتم وأبو زرعة، انظر: جامع التحصيل (٥١٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ١١١)

(٣) انظر قول مجاهد وبعض الكوفيين في تفسير الطبري (١٢/ ١١١).

(٤) في الأصل وفيض الله: «الفعل».

(٥) أخرجه الطبري (١٣٨٨٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس قال: قوله: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾، يعني به الإسلام.

و﴿مُسْتَقِيمًا﴾ حال مؤكِّدة، وليست كالحال في قولك: جاء زيد راكباً، بل هذه المؤكدة تتضمن المعنى المقصود، و﴿فَصَّلْنَا﴾ معناه: بينا وأوضحنا.

وقوله: ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي: للمؤمنين الذين يُعِدُّون أنفسهم للنظر ويسلكون طريق الاهتداء، والضمير في قوله: ﴿لَهُمْ﴾ عائد على القوم المتذكِّرين.

و﴿ٱلسَّلَـٰمِ﴾ يتجه فيه معنيان:

أحدهما: أن ﴿ٱلسَّلَـٰمِ﴾ اسم من أسماء الله عز وجل، فأضاف الدار إليه إذ هي ملكه وخلقه.

والثاني: أنه المصدر بمعنى السلامة، كما تقول: السلام عليك، وكقوله عز وجل: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ﴾ [يونس: ١٠].

وقوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يريد: في الآخرة بعد الحشر، و﴿وَلِيُّهُم﴾ أي: ولي الإنعام عليهم، و﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: بسبب ما كانوا يقدمون من الخير ويفعلون من الطاعة والبر.

قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا / ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ [٢/ ١١٢]
خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾.

و﴿يَوْمَ﴾ نصبٌ بفعلٍ مضمر تقديره: واذكر يوم، ويحتمل أن يكون العامل ﴿وَلِيُّهُم﴾ والعطف على موضع قوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟﴾.

والضمير في ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ عائدٌ على الطائفتين الذين يجعل الله الرجس عليهم، وهم جميع الكفار جنّاً وإنساً، والذين لهم دار السلام جنّاً وإنساً، ويدل على ذلك التأكيد العام بقوله: ﴿جَمِيعًا﴾.

وقرأ حفص عن عاصم: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ بالياء، وقرأ الباقون بالنون[1]، وكلٌّ متجه.

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٠٧)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٦٩).

ثم ذكر عز وجل ما يقال للجن الكفرة، وفي الكلام فعل مضمر يدل عليه ظاهر الكلام تقديره: نقول: يا معشر الجن.

وقوله: ﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم﴾ معناه: أفرطْتم[١].

و﴿مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ يريد: في إضلالهم وإغوائهم، قاله ابن عباس[٢] ومجاهد وقتادة[٣].

وقال الكفار من الإنس ـ وهم أولياء الجن الموبَّخين ـ على جهة الاعتذار عن الجن: ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أي: انتفع.

قال القاضي أبو محمد: وذلك في وجوه كثيرة، حكى الطبري وغيره أن الإنس كانت تستعيذ بالجن في الأودية ومواضع الخوف، وكانت الجن تتعظم على الإنس وتسودها كما يفعل الرئي[٤] بالكاهن والمجير بالمستجير؛ إذ كان العربي إذا نزل وادياً ينادي: يا رب الوادي إني أستجير بك هذه الليلة، ثم يرى أن سلامته إنما هي بحفظ جني ذلك الوادي فهذا استمتاع بعضهم ببعض[٥].

قال القاضي أبو محمد: وهذا مثال في الاستمتاع ولو تُتبع لتبينَّتْ له وجوهٌ أُخر كلها دنياوية.

وبلوغ الأجل المؤجل، قال السدي: هو الموت الذي انتهى الكل منهم إليه[٦]، وقيل: هو الحشر، وقيل: هو الغاية التي انتهى جميعهم إليها من الاستمتاع، كأنهم أشاروا إلى أن ذلك بقدرك وقضائك؛ إذ لكل كتاب أجل.

---

(١) في المطبوع: «فرطتم».
(٢) أخرجه الطبري (١٣٨٨٥)، وابن أبي حاتم (٧٨٩٠) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ١١٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٨٧).
(٤) كتبت في الأصل: «الربي»، وفي المطبوع: «العربي».
(٥) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ١١٦).
(٦) انظر: المصدر السابق (١٢/ ١١٧).

وقرأ الحسن: (وبلِّغنا أجلنا) بكسر اللام مشددة[١].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ الآية، إخبار من الله عز وجل عما يقول لهم يوم القيامة إثر كلامهم المتقدم، وجاء الفعل بلفظ الماضي، وهو في الحقيقة مستقبل؛ لصحة وقوعه، وهذا كثير في القرآن وفصيح الكلام.

و﴿مَثْوَىٰكُمْ﴾ أي: موضع ثوابكم، كمقامكم الذي هو موضع الإقامة، هذا قول الزجّاج وغيره[٢].

قال أبو علي في «الإغفال»: المثوى عندي مصدر لا موضع، وذلك لعمله في الحال التي هي ﴿خَٰلِدِينَ﴾ والموضع ليس فيه معنى فعل فيكون عاملاً، والتقدير: النار ذات ثوابكم، والاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قالت فرقة: ﴿مَا﴾ بمعنى: «مَن»، فالمراد: إلا من شاء ممن آمن في الدنيا بعد أن كان من هؤلاء الكفرة[٣].

قال القاضي أبو محمد: ولما كان هؤلاء صنفاً ساغت في العبارة عنهم ﴿مَا﴾.

وقال الفراء: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: سوى، والمراد: سوى ما يشاء من زيادة في العذاب، ونحا إليه الزجّاج، وقال الطبري: إن المستثنى هي المدة التي بين حشرهم إلى دخولهم النار[٤].

قال القاضي أبو محمد: وساغ هذا من حيث العبارة بقوله: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ لا تخص بصيغتها مستقبل الزمان دون غيره.

وقال الطبري عن ابن عباس إنه كان يتأول[٥] في هذا الاستثناء: أنه مبلَغ حال هؤلاء في علم الله، ثم أسند إليه أنه قال: إن هذه الآية آية[٦] لا ينبغي لأحد أن

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ١٧٨).
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٩١).
(٣) الإغفال للفارسي (٢/ ٢١٣).
(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٩١)، وتفسير الطبري (١٢/ ١١٨).
(٥) في المطبوع: «يتناول».
(٦) «آية» ليست في نور العثمانية

يحكم على الله في خلقه لا ينزلهم جنة ولا ناراً[١].

قال القاضي أبو محمد: والإجماع على التخليد الأبدي في الكفار[٢]، ولا يصح هذا عن ابن عباس رضي الله عنه.

قال القاضي أبو محمد: ويتجه عندي في هذا الاستثناء أن يكون مخاطبة للنبي ﷺ وأمته، وليس مما يقال يوم القيامة، والمستثنى هو من كان من الكفرة يومئذ يؤمن في علم الله كأنه لما أخبرهم أنه يقال[٣] للكفار: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ استثنى لهم من يمكن أن يؤمن ممن يرونه يومئذ كافراً، وتقع ﴿مَا﴾ على صفةِ مَن يعقل، ويؤيد هذا التأويلَ اتصال قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ أي: بمن يمكن أن يؤمن منهم.

و﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ صفتان مناسبتان لهذه الآية؛ لأن تخليد هؤلاء الكفرة في النار فعل صادر عن حكمة وعلم بمواقع الأشياء.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي﴾ قال قتادة: ﴿نُوَلِّي﴾ معناه: نجعل بعضهم ولي بعض في الكفر والظلم[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا التأويل يؤيده ما تقدم من ذكر الجن والإنس واستمتاع بعضهم ببعض.

وقال قتادة أيضاً: معنى ﴿نُوَلِّي﴾: نتبع بعضهم بعضاً في دخول النار، أي: نجعل بعضهم يلي بعضاً، وقال ابن زيد: معناه: نسلط بعض الظالمين على بعض ونجعلهم أولياء النقمة منهم[٥].

قال القاضي أبو محمد: وهذا التأويل لا تؤيده ألفاظ الآية المتقدمة، أمَا إنه حفظ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٨٩٢) بالإسناد المتقدم.
(٢) انظر حكاية الإجماع على ذلك في: شرح النووي على مسلم (١٧/ ٨٣).
(٣) في المطبوع: «قال».
(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٨٨).
(٥) انظر القولين في تفسير الطبري (١٢/ ١١٩)، والأول منهما في تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٨٨).

في استعمال الصحابة والتابعين من ذلك ما روي: أن عبد الله بن الزبير لما بلغه أن عبد الملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد الأشدق، صعد المنبر فقال: إن فم الذُّبَّان[١] قتل لطيم الشيطان، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[٢].

قوله عز وجل: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ (١٣٠) ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ (١٣١) وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٣٢)﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ داخل في القول يوم الحشر، والضمير في ﴿مِّنكُمْ﴾ قال ابن جريج وغيره: عمم بظاهره الطائفتين، والمراد الواحدة تجوُّزاً، وهذا موجود في كلام العرب، ومنه قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢] وذلك إنما يخرج من الأجاج، وقال الضحاك: الضمير عائد على الطائفتين، وفي الجن رسل منهم[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف.

وقال ابن عباس: الضمير عائد على الطائفتين، ولكن رسل الجن هم رسلُ رسلِ[٤] الإنس، فهم رسل الله بواسطة إذ هم رسل رسله، وهم النذر[٥].

و﴿يَقُصُّونَ﴾ من القصص.

وقرأ عبد الرحمن الأعرج: (ألم تكن تأتيكم) بالتاء[٦] على تأنيث لفظ «الرسل».

---

(١) في فيض الله: «الزبان»، وفي السليمانية: «الزمان» وكلاهما تحريف.

(٢) الاشتقاق (١/ ٧٩)، والبيان والتبيين (١/ ٢١٠)، ولفظهم: «إن أبا ذبان...» إلخ، وأبو الذبان هو عبد الملك بن مروان بن الحكم.

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (١٢/ ١٢١)، والنكت والعيون للماوردي (٢/ ١٧٠).

(٤) «رسل» الثانية سقطت من الأصل والمطبوع.

(٥) منقطع، أخرجه الطبري في التفسير (١٣٨٩٧) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولم يسمع منه.

(٦) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها له في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٢)، والشواذ للكرماني (ص: ١٧٨).

وقولهم: ﴿شَهِدۡنَا﴾ إقرار منهم بالكفر واعتراف، أي: شهدنا على أنفسنا بالتقصير.

[٢/ ١١٣] وقوله: / ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ التفاتة فصيحة تضمنت أن كفرهم كان بأذمِّ الوجوه لهم، وهو الاغترار الذي لا يواقعه عاقل.

ويحتمل (غرَّتْهُمُ) أن يكون بمعنى: أشبعتهم وأطغتهم[١] بحلوائها كما يقال: غر الطائرُ فرخَه.

وقوله: ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ تَظْهَر ما[٢] بيْنه وبين ما في القرآن من الآيات التي تقتضي إنكار المشركين الإشراكَ مناقضةٌ، والجمع بينهما هو: إما بأنها طوائف، وإما طائفة واحدة في مواطن شتى، وإما أن يريد سبحانه بقوله هاهنا: (شَهِدُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ)، شهادة الأيدي والأرجل والجلود بعد إنكارهم بالألسنة.

قال القاضي أبو محمد: واللفظ هاهنا يبعد من هذا.

وقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن﴾ الآية، ﴿ذَٰلِكَ﴾ يصح أن يكون في موضع رفع على الابتداء، والخبر محذوف تقديره: ذلك الأمر، ويصح أن يكون في موضع نصب بتقدير: فعلنا، و﴿أَن﴾ مفعول من أجله، و﴿ٱلۡقُرَىٰ﴾ المدن، والمراد: أهل القرى.

و﴿بِظُلۡمٍ﴾ يتوجه فيه معنيان، أحدهما: أن الله عز وجل لم يكن ليهلك المدن دون نذارة، فيكون ظلماً لهم إذا لم ينذرهم، والله ليس بظلام للعبيد، والآخر: أن الله عز وجل لم يهلك أهل القرى بظلم إذ ظلموا دون أن ينذرهم، وهذا هو البيِّن القويّ. وذكر الطبري رحمه الله التأويلين[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ﴾ الآية، إخبار من الله عز وجل أن المؤمنين

---

(١) في المطبوع: «أطمعتهم»، وفي الأصل: «أطعمتهم».

(٢) زيادة من السليمانية.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ١٢٤).

في الآخرة على درجات من التفاضل بحسب أعمالهم وتفضُّل الله عليهم، والمشركين أيضاً على درجات من العذاب.

قال القاضي أبو محمد: ولكن كل مؤمن قد رضي بما أعطي غاية الرضا.

وقرأت الجماعة سوى ابن عامر: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ على لفظ كل، وقرأ ابن عامر وحده: ﴿تعملون﴾ على المخاطبة بالتاء[1].

قوله عز وجل: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأَتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

﴿ٱلْغَنِيُّ﴾ صفة ذات الله عز وجل لأنه تبارك وتعالى لا يفتقر إلى شيء من جهة من الجهات، ثم تليت هذه الصفة بقوله: ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ فأردف الاستغناء بالتفضل، وهذا أجمل تناسق، ثم عقب بهذه الألفاظ المضمنة الوعيد المحذِّرة من بطش الله عز وجل في التعجيل بذلك، وأما مع المهلة ومرور الجديدين، فكذلك عادة الله في الخلق، وأما «الاستخلاف» فكما أوجد الله تعالى هذا العالم الآدمي بالنشأة من ذرية قوم متقدمين أصلهم آدم عليه السلام.

وقرأت الجماعة: ﴿ذُرِّيَّةِ﴾ بضم الذال وشد الراء المكسورة، وقرأ زيد بن ثابت بكسر الذال وكذلك في سورة آل عمران[2].

وحكى أبو حاتم عن أبان بن عثمان أنه قرأ: (ذرية) بفتح الذال وتخفيف الراء المكسورة، وحكى عنه أبو الزناد أنه قرأ على المنبر: (ذَرْية) بفتح الذال وسكون الراء، على وزن فعلة، قال: فسألته، فقال: أقرأنيها زيد بن ثابت[3].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسر (ص: ١٠٧).

(٢) كما تقدم، وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (٤/ ١٩٢)، والهداية لمكي (٣/ ٢١٩١).

(٣) وهي شاذة، وانظر نسبتها له في: تفسير الثعلبي (٤/ ١٩٢)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٢)، والهداية لمكي (٣/ ٢١٩١).

و﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿مِّن ذُرِّيَّةِ﴾ للتبعيض، وذهب الطبري إلى أنها بمعنى قولك: أخذت من ثوبي ديناراً، بمعنى: عنه وعوضَه[١].

و﴿تُوعَدُونَ﴾: مأخوذ من الوعيد بقرينة: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾، والإشارة إلى هذا الوعيد المتقدم خصوصاً، وأما أن يكون العموم مطلقاً فذلك يتضمن إنفاذ الوعيد، والعقائد ترد ذلك، و﴿بِمُعۡجِزِينَ﴾ معناه: بناجين هرباً، أي: يعجزون طالبهم.

ثم أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يتوعدهم بقوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾ أي: فسترون عاقبة عملكم الفاسد، وصيغة افْعَل هاهنا بمعنى الوعيد والتهديد.

و﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ معناه: على حالكم وطريقتكم.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: ﴿على مكاناتكم﴾ بجمع المكانة في كل القرآن، وقرأ الجميع بالإفراد في كل القرآن[٢].

و﴿مَن﴾ يتوجه أن يكون بمعنى الذي، فتكون في موضع نصب بـ﴿تَعۡلَمُونَ﴾، ويتوجه أن يكون استفهاماً في موضع رفع بالابتداء والخبر في قوله: ﴿تَكُونُ لَهُۥ﴾.

و﴿عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ أي: مآل الآخرة، ويحتمل أن يراد مآل الدنيا بالنصر والظهور، ففي الآية إعلام بغيب، ثم جزم الحكم بـ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: لا ينجح سعيهم.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿من يكون له عاقبة﴾ بالياء هاهنا، وفي القصص على تذكير معنى العاقبة[٣].

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ١٢٦).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير للداني (ص: ١٠٧).

(٣) والباقون بالتاء، وهما سبعيتان، انظر: التيسير للداني (ص: ١٠٧)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ٢٧٠).

قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾.

الضمير في (جَعَلُوا) عائد على كفار العرب العادلين بربهم الأوثان، الذين تقدم الرد عليهم من أول السورة.

و﴿ذَرَأَ﴾: معناه: خلق وأنشأ وبث في الأرض، يقال: ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرءاً وذروءاً، أي: خلقهم، وقوله: «وجعلوا من كذا وكذا نصيباً» يتضمن بقاء نصيب آخر ليس بداخل في حكم الأول، فبيَّنه بقوله: «فَقالُوا هذا لله وَهذا لِشُرَكائِهم»، ثم اعترضهم أثناء القول بأن ذلك منهم زعم وتقَوُّل، والزعم في كثير كلام العرب أقرب إلى غير اليقين والحق.

يقال: «زَعْمٌ» بفتح الزاي وبه قرأت الجماعة، [و«زُعمٌ» بضمها، وبه قرأ الكسائي وحده في هذه الآية، و«زِعم» بالكسر، ولا أحفظ أحداً قرأ بها][(١)].

و﴿ٱلْحَرْثِ﴾ في هذه الآية يريد به: الزرع والأشجار وما يكون من الأرض.

وقوله: ﴿لِشُرَكَآئِنَا﴾ يريد به الأصنام والأوثان، وسمَّوهم شركاء على معتقدهم فيهم أنهم يساهمونهم في الخير والشر ويَكْسِبونهم ذلك.

وسبب نزول هذه الآية: أن العرب كانت تجعل من غلّاتها وزروعها وثمارها ومن أنعامها جزءاً تسميه لله وجزءاً تسميه لأصنامها، وكانت عادتها التحفِّي والاهتبال بنصيب الأصنام أكثر منها بنصيب الله، إذ كانوا يعتقدون أن الأصنام بها فقر وليس ذلك بالله، فكانوا إذا جمعوا الزرع فهبت الريح فحملت من الذي لله إلى الذي لشركائهم أقروه، وإذا

---

(١) هكذا جاء في لالاليه ونور العثمانية، وهو الصواب، انظر: التيسير (ص: ١٠٧)، وفي الأصل ونجيبويه والمطبوع: «بضمها، وقرأ الكسائي وحده في هذه الآية: «زِعم» بكسر الزاي، ولا أحفظ أحداً قرأ به»، وفي السليمانية وفيض الله: «يقال: زعم وأزعم وقرأت الجماعة بالفتح، وقرأ الكسائي وحده في هذه الآية «وزعم» بكسر الزاي...» إلخ.

[٢/ ١١٤] حملت / من الذي لشركائهم إلى الذي لله[١] ردوه، وإذا تفجر من سقي ما جعلوا لله في نصيب شركائهم تركوه، وإن كان بالعكس سدوه، وإذا لم يصيبوا في نصيب شركائهم شيئا قالوا: لا بد للآلهة من نفقة، فيجعلون نصيب الله تعالى في ذلك، قال هذا المعنى ابن عباس[٢] ومجاهد والسدي وغيرهم[٣]؛ أنهم كانوا يفعلون هذا ونحوه من الفعل، وكذلك في الأنعام، وكانوا إذا أصابتهم السنة أكلوا نصيب الله وتحاموا نصيب شركائهم.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ﴾ الآية؛ قال جمهور المتأولين: إن المراد بقوله: ﴿فَلَا يَصِلُ﴾، وقوله: ﴿يَصِلُ﴾ ما قدمنا ذكره من حمايتهم نصيب آلهتهم في هبوب الريح وغير ذلك، وقال ابن زيد: إنما ذلك في أنهم كانوا إذا ذبحوا لله ذكروا آلهتهم على ذلك الذبح، وإذا ذبحوا لآلهتهم لم يذكروا الله، فكأنه قال: فلا يصل إلى ذكر الله، وقال: فهو يصل إلى ذكر شركائهم.

و(ما) في موضع رفع، كأنه قال: ساء الذي يحكمون، ولا يتجه عندي أن يجري هنا ﴿سَآءَ﴾ مجرى نعم وبئس لأن المفسر هنا مضمر ولا بد من إظهاره باتفاق من النحاة، وإنما اتجه أن تجري مجرى بئس في قوله: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾ [الأعراف: ١٧٧]، لأن المفسر ظاهر في الكلام.

قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾.

«الكثير» في هذه الآية يراد به من كان يئد من مشركي العرب، و«الشركاء» هاهنا: الشياطين الآمرون بذلك المزينون له، والحاملون عليه أيضاً من بني آدم، الناقلين له

---

(١) كذا في السليمانية، وأشار له في هامش لالاليه، وفي صلبها وفي سائر النسخ: إلى الله.

(٢) أخرجه الطبري (١٣٨٩٩، ١٣٩٠١، ١٣٩٠٠)، وابن أبي حاتم (٧٩١١-٧٩١٢-٧٩١٣) بأسانيد يقوي بعضُها بعضاً.

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ١٣٢-١٣٤).

عصراً بعد عصر، إذ كلهم مشتركون في قبح هذا الفعل وتِباعته[١] في الآخرة، ومقصد هذه الآية الذم للوأد والإنحاء على فَعَلته.

واختلفت القراءة، فقرأت الجماعة سوى ابن عامر: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ﴾ بفتح الزاي ﴿قَتْلَ﴾ بالنصب ﴿أَوْلَٰدِهِمْ﴾ بكسر الدال ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾، وهذه أبين قراءة.

وحكى سيبويه أنه [قرأت فرقة: (وكذلك زُين) بضم الزاي (قتلُ) بالرفع (أولادِهم) بكسر الدال (شركاؤُهم) بالرفع[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهي][٣] قراءة أبي عبد الرحمن السلمي والحسن وأبي عبد الملك قاضي الجند[٤] صاحب ابن عامر[٥]، كأنه قال: زيَّنه شركاؤهم، قال سيبويه: وهذا كما قال الشاعر:

لِيُبْكَ يزيدُ ضارعٌ لِخُصومةٍ ومُخْتبطٌ مِمَّا تُطيحُ الطوَّائِحُ[٦] [الطويل]

كأنه قال: يبكيه ضارع لخصومة.

وأجاز قطرب أن يكون «الشركاء» في هذه القراءة ارتفعوا بالقتل[٧]، كأن المصدر أضيف إلى المفعول، ثم ذكر بعده الفاعل، كأنه قال: أنْ قَتَلَ أولادهم شركاؤهم، كما تقول: حبِّب إليّ ركوبُ الفرس زيدٌ، أي: أنْ ركب الفرسَ زيد.

---

(١) في المطبوع: «وتبعاته».

(٢) وهي قراءة شاذة، انظرها في الكتاب لسيبويه (١/ ٢٩٠).

(٣) ساقط من نور العثمانية.

(٤) أبو عبد الملك الشامي قاضي الجند، عرض على يحيى الذماري، وروى عنه أيوب بن تميم، وأبو عبيد، غاية النهاية (١/ ٦١٨).

(٥) عزاها للسلمي تفسير الثعلبي (٤/ ١٩٤)، وله وللحسن إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٩٨)، وللثالث جامع البيان (٣/ ١٠٦٥).

(٦) تقدم قريباً في تفسير الآية (٧٢) من هذه السورة.

(٧) المحتسب لابن جني (١/ ٢٣٠)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٥)، وفي السليمانية: «الآية»، بدل «القراءة».

قال القاضي أبو محمد: والفصيح إذا أضيف مصدر إلى مفعول أن لا يذكر الفاعل، وأيضاً فالجمهور في هذه الآية على أن الشركاء مزيِّنون لا قاتلون، والتوجيه الذي ذكر سيبويه هو الصحيح، ومنه قوله عز وجل على قراءة من قرأ: ﴿يُسَبَّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ رِجالٌ﴾ [النور: ٣٦][(١)] بفتح الباء المشددة، أي: يسبّح رجال.

وقرأ ابن عامر: ﴿وكذلك زُين﴾ بضم الزاي ﴿قتلُ﴾ بالرفع ﴿أولادَهم﴾ بنصب الدال ﴿شركائهم﴾ بخفض «الشركاء»[(٢)]، وهذه قراءة ضعيفة في استعمال العرب، وذلك أنه أضاف القتل إلى الفاعل وهو الشركاء، ثم فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول، ورؤساء العربية لا يجيزون الفصل بالظروف في مثل هذا إلا في الشعر، كقوله:

[الوافر] كما خُطَّ الكِتَابُ بِكَفِّ يَوْماً يَهُودِيٍّ يُقارِبُ أَو يُزِيلُ[(٣)]

فكيف بالمفعول في أفصح الكلام؟ ولكن وجهها على ضعفها أنها وردت شاذة في بيت أنشده أبو الحسن الأخفش[(٤)] وهو:

[مجزوء الكامل] فَزَجَجْتُها بِمِزَجَّةٍ زجَّ الْقَلوصَ أَبي مَزادَةْ[(٥)]

وفي بيت الطرماح وهو قوله:

[الطويل] يُطِفْنَ بِحُوزِيِّ المراتِعِ لم تَرُعْ بَواديهِ مِن قَرْعِ القِسِيَّ الكَنَائِنِ[(٦)]

---

(١) على قراءة ابن عامر وشعبة عن عاصم، كما سيأتي في محله.
(٢) وهي سبعية متواترة، انظر: التيسير للداني (ص ١٠٧).
(٣) البيت لأبي حية النميري كما في الكتاب لسيبويه (١/ ١٧٩)، وعيار الشعر (ص: ٧١)، والموشح (ص: ٢٩٠)، وغيرها.
(٤) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٣/ ٤١٣).
(٥) البيت لا يعرف قائله، وهو من شواهد الفراء، في معاني القرآن (٣/ ٢٧)، وابن جني في الخصائص (٢/ ٤٠٦)، والزَّج هنا: الطَّعن، والمِزَجَّة بكسر الميم: رمح قصير كالمزاريق، والقَلوص بفتح القاف: الناقة الفتية، وأبو مزادة كنية رجل.
(٦) انظر عزوه له في المعاني الكبير (٢/ ٧٢٠)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥/ ١١٦)، والحُوزيّ: المتوحد، وهو الفحل من الإبل أو البقر، وهو في الخصائص برواية: «لم يُـرَعْ بِواديه».

و«الشركاء» على هذه القراءة هم الذين يتناولون وأد بنات الغير، فهم القاتلون، والصحيح من المعنى أنهم المزينون لا القاتلون، وذلك مضمن قراءة الجماعة.

وقرأ بعض أهل الشام ورويت عن ابن عامر: (زين) بكسر الزاي وسكون الياء[١] على الرتبة المتقدمة من الفصل بالمفعول.

وحكى الزهراوي أنه قرأت فرقة من أهل الشام: (وكذلك زين) بضم الزاي (قتل) بالرفع (أولادهم) بكسر الدال (شركائهم) بالخفض[٢]، والشركاء على هذه القراءة هم الأولاد الموءودون؛ لأنهم شركاء في النسب والمواريث، وكأن وصفهم بأنهم شركاء يتضمن حرمة لهم، وفيها بيان لفساد الفعل إذ هو قتل من له حرمة.

و﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ معناه: ليهلكوهم، من الردى.

و(لِيَلْبِسوا) معناه: ليخلطوا، والجماعة على كسر الباء.

وقرأ إبراهيم النخعي: (وليلبَسوا) بفتح الباء[٣]، قال أبو الفتح: هي استعارة من اللباس، عبارة عن شدة المخالطة.

وهذان الفعلان يؤيدان أول قراءة في ترتيبنا في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ يقتضي أن لا شيء إلا بمشيئة الله عز وجل، وفيها رد على من قال بأن المرء يخلق أفعاله[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ وعيد محض.

و﴿يَفْتَرُونَ﴾ معناه: يختلقون من الكذب في تشرعهم بذلك، واعتقادهم أنها مباحات لهم.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٦٥٨).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظرها في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٣).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظرها مع توجيهها في المحتسب (١/ ٢٣١).

(٤) وهم القدرية، انظر قولهم في: العقيدة الواسطية ـ مع شرح الهراس ـ (ص: ٢٢٧).

قوله عز وجل: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

هذه الآية تتضمن تعديد ما شرَعوه لأنفسهم والتزموه على جهة القربة كذباً منهم على الله وافتراء عليه، فوصف تعالى أنهم عمدوا إلى بعض أنعامهم وهي الإبل والبقر والغنم أو الإبل بانفرادها، وأما غيرها إذا انفرد فلا يقال له / : أنعام، وإلى بعض زروعهم [٢/ ١١٥] وثمارهم، وسمي ذلك «حرث»[1] إذ عن الحرث يكون، وقالوا: هذه حجر، أي: حرام.

وقرأ جمهور الناس: ﴿حِجْرٌ﴾ بكسر الحاء وسكون الجيم.

وقرأ قتادة والحسن والأعرج: (حُجْر) بضم الحاء وسكون الجيم[2].

وقرأ ابن عباس وأبيّ وابن مسعود وابن الزبير والأعمش وعكرمة وعمرو بن دينار: (حرج) بكسر الحاء وتقديم الراء على الجيم وسكونها[3].

فالأولى والثانية بمعنى التحجير وهو المنع والتحريم، والأخيرة من الحرج وهو التضييق والتحريم.

وكانت هذه الأنعام على ما قال ابن زيد محلَّلة للرجال محرمة على النساء[4]، وقيل: كانت وقفاً لـمَطعَم سدنة بيوت الأصنام وخَدَمتها، حكاه المهدوي[5]، فذلك المراد بقوله: ﴿مَن نَّشَآءُ﴾.

وقوله: ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ أي: بتقولهم الذي هو أقرب إلى الباطل منه إلى الحق،

---

(١) هكذا كتبت في الأصل والمطبوع وجميع النسخ الخطية، على وجه الحكاية، والأولى أن تكون «حرثاً» بالنصب.
(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (٤/ ١٩٥)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٤)، والهداية لمكي (٣/ ٢١٩٩).
(٣) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهم في المحتسب (١/ ٢٣١)، وفي لالاليه: «والزبير»، دون «ابن».
(٤) تفسير الطبري (١٢/ ١٤٣).
(٥) التحصيل للمهدوي (٢/ ٦٧٢).

وزعمهم هنا هو في قولهم: ﴿حِجْرٌ﴾، وتحريمهم بذلك ما لم يحرم الله تعالى.

وقرأ ابن أبي عبلة: (بزَعَمهم) بفتح الزاي والعين[(١)]، وكذلك في الذي تقدم.

﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾: كانت للعرب سنن؛ إذا فعلت الناقة كذا وكذا من جودة النسل والمواصلة بين الإناث ونحوه حرم ظهورها فلم تركب، وإذا فعل الفحل كذا وكذا حرم ظهره، فعدد الله ذلك على جهة الرد عليهم إذ شرعوا ذلك برأيهم وكذبهم.

﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ قيل: كانت لهم سنة في أنعام ما أن لا يحج عليها، فكانت تركب في كل وجه إلا في الحج، فذلك قوله: ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾، هذا قول جماعة من المفسرين، ويروى ذلك عن أبي وائل[(٢)].

وقالت فرقة: بل ذلك في الذبائح، يريد أنهم جعلوا لآلهتهم منها نصيباً لا يذكرون الله على ذبحها.

وقوله: ﴿ٱفْتِرَآءً﴾ مصدر نصب على المفعول من أجله، أو على إضمار فعل تقديره: يفترون ذلك.

و﴿سَيَجْزِيهِم﴾: وعيد بمعارضة[(٣)] الآخرة.

والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ عائد على اسم الله.

و﴿يَفْتَرُونَ﴾: أي: يكذبون ويختلفون.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾.

هذه الآية تتضمن تعديد مذاهبهم الفاسدة، وكانت سنتهم في بعض الأنعام أن يحرِّموا ما ولدت على نسائهم ويخصصونه لذكورهم، والهاء في ﴿خَالِصَةٌ﴾ قيل: هي

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٦٥٥).

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ١٤٤).

(٣) في المطبوع ونجيبويه: «بمقارضة».

للمبالغة كما هي في راوية[1] وغيرها، وهذا كما تقول: فلان خالصتي، وإن كان باب هاء المبالغة أن يلحق بناء مبالغة كعلامة ونسابة وبصيرة ونحوه، وقيل: هي لتأنيث الأنعام إذ ما في بطونها أنعام أيضاً، وقيل: هي على تأنيث لفظ ﴿مَا﴾ لأن ﴿مَا﴾ واقعة في هذا الموضع موقع قولك: جماعة وجملة.

وقرأ جمهور القراء والناس: ﴿خَالِصَةٌ﴾ بالرفع.

وقرأ عبد الله بن مسعود وابن جبير وابن أبي عبلة والأعمش: (خالص) دون هاء[2] ورفع هاتين القراءتين على خبر الابتداء.

وقرأ ابن عباس بخلاف والأعرج وقتادة وسفيان بن حسين[3]: (خالصةً) بالنصب[4].

وقرأ سعيد بن جبير فيما ذكر أبو الفتح: (خالصاً)[5].

ونصب هاتين القراءتين على الحال من الضمير الذي في قوله: ﴿فِي بُطُونِ﴾، وذلك أن تقدير الكلام: وقالوا: ما استقر هو في بطون هذه الأنعام، فحذف الفعل وحَمَل المجرورُ الضميرَ، والحال من الضمير، والعامل فيها معنى الاستقرار، قال أبو الفتح: ويصح أن يكون حالاً من ﴿مَا﴾ على مذهب أبي الحسن في إجازته تقديم الحال على العامل فيها.

وقرأ ابن عباس أيضا وأبو حيوة والزهري: (خالصه)[6] بإضافة (خالص) إلى ضمير يعود على ﴿مَا﴾، ومعناه: ما خلص وخرج حيّاً.

---

(١) في المطبوع ونجيبويه والحمزوية ونور العثمانية والسليمانية: «رواية».

(٢) وهي قراءة شاذة، انظرها في المحتسب (١/ ٢٣٢)، وتفسير الثعلبي (٤/ ١٩٦)، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (٣/ ٢٢٠٣).

(٣) سفيان بن حسين بن حسن الواسطي أبو محمد، الحافظ، روى عن الحسن وابن سيرين وإياس بن معاوية وآخرين، وعنه شعبة وهشيم وعباد بن العوام وجماعة، وثقه جماعة، واستشهد به البخاري، توفي بعد سنة: (١٥٠هـ). تاريخ الإسلام (٩/ ٤٠٦).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظرها في المحتسب (١/ ٢٣٢)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٤)، وتفسير الثعلبي (٤/ ١٩٦).

(٥) وهي قراءة شاذة انظر مع التوجيه في المحتسب (١/ ٢٣٢).

(٦) وهي قراءة شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٤٦)، والمحتسب (١/ ٢٣٢).

والخبر على قراءة من نصب (خالصة) في قوله: ﴿لِّذُكُورِنَا﴾.

والمعنى المراد بـ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا فِى بُطُونِ﴾ قال السدي: هي الأجنة.

وقال ابن عباس[١] وقتادة والشعبي: هو اللبن، قال الطبري: واللفظ يعمهما[٢].

وقوله: ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾ يدل على أن الهاء في ﴿خَالِصَةٌ﴾ للمبالغة، ولو كانت لتأنيث لقال: ومحرمة، و﴿أَزْوَاجِنَا﴾ يريد به جماعة النساء التي هي معدة أن تكون أزواجاً، قاله مجاهد، وحكى الطبري عن ابن زيد أن المراد بـ﴿أَزْوَاجِنَا﴾ البنات[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا يبعد تحليقه على المعنى.

وقوله: ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾: كان من سنتهم أن ما خرج من الأجنة ميتاً من تلك الأنعام الموقوفة فهو حلال للرجال والنساء جميعاً، وكذلك ما مات من الأنعام الموقوفة نفسها.

وقرأ ابن كثير: ﴿وإن يكن﴾، بالياء ﴿ميتةٌ﴾، بالرفع، فلم يُلحق الفعلَ علامةَ التأنيث لما كان تأنيث الفاعل المسند إليه غير حقيقي، والمعنى: وإن وقع ميتة أو حدث ميتة.

وقرأ ابن عامر: ﴿وإن تكن﴾ بالتاء، ﴿ميتة﴾ بالرفع، فألحق الفعل علامة التأنيث لما كان الفاعل في اللفظ مؤنثاً، وأسند الفعل إلى الميتة كما فعل ابن كثير.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر عنه: ﴿تكن﴾ بالتاء ﴿ميتة﴾ بالنصب، فأنث وإن كان المتقدم مذكراً لأنه حمله على المعنى.

---

(١) أخرجه الطبري (١٣٩٣٢-١٣٩٣٣)، وابن أبي حاتم (٧٩٣٥) من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن عبد الله بن أبي الهذيل، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وفيه عنعنة أبي إسحاق وهو مدلس، وأخرجه الطبري (١٣٩٣٧)، وابن أبي حاتم (٧٩٣٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر القولين وقول الطبري في تفسير الطبري (١٢/ ١٤٨).

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (١٢/ ١٥٠).

قال القاضي أبو محمد: فالتقدير: وإن تكن النسمة أو نحوها ميتة.

وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: ﴿يَكُن﴾ بالياء ﴿مَّيۡتَةً﴾ بالنصب[١]، فذكَّروا الفعل لأنهم أسندوه إلى ضمير ما تقدم من قوله: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ وهو مذكر، وانتصبت الميتة على الخبر، قال أبو عمرو ابن العلاء: ويقوي هذه القراءة قوله: ﴿فَهُمۡ فِيهِ﴾، ولم يقل: فيها[٢].

وقرأ يزيد بن القعقاع: ﴿وإن تكن ميّتة﴾ بالتشديد[٣].

وقرأ عبد الله بن مسعود: (فهم فيه سواء)[٤].

ثم أعقب تعالى بوعيدهم على ما وصفوا أنه من القربات إلى الله تعالى وشرعوه من الباطل والإفك.

﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ أي: في عذابهم على ذلك، عَلِيمٌ بقليل ما تقوّلوه من ذلك وكثيره.

قوله عز وجل: ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٤٠ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ / وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾. [٢/ ١١٦]

هذا لفظ يتضمن التشنيع بقبح فعلهم والتعجب من سوء حالهم في وأدهم البنات وحجرهم الأنعام والحرث.

قال عكرمة: وكان الوأد في ربيعة ومضر[٥].

---

(١) وكلها سبعية، انظر: التيسير للداني (ص: ١٠٧)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ٢٧٠).

(٢) انظر كلامه في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٤).

(٣) وهي قراءة عشرية، انظر: النشر لابن الجزري (٢/ ٣٠٠).

(٤) وهي قراءة شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٤/ ٦٦٢).

(٥) تفسير الطبري (١٢/ ١٥٤).

قال القاضي أبو محمد: وكان جمهور العرب لا يفعله، ثم إن فاعليه كان منهم من يفعله خوف العيلة والإقتار، وكان منهم من يفعله غيرةً مخافة السِّباء.

وقرأ ابن عامر وابن كثير: ﴿قتّلوا﴾ بتشديد التاء على المبالغة، وقرأ الباقون: ﴿قَتَلُوٓاْ﴾ بتخفيفها[(١)].

و﴿مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾: هي تلك الأنعام والغلات التي تُوقف بغير شرع ولا مثوبة في معاد، بل بالافتراء على الله والكذب و«قَدْ ضَلُّوا» إخبارٌ[(٢)] عنهم بالحيرة، وهو من التعجب بمنزلة قوله: ﴿قَدْ خَسِرَ﴾.

و(ما كانوا) يريد: في هذه الفعلة، ويحتمل أن يريد: وما كانوا قبل ضلالهم بهذه الفعلة مهتدين، ولكنهم زادوا بهذه الفعلة ضلالاً.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ الآية، هذا تنبيه على مواضع الاعتبار و﴿أَنشَأَ﴾ معناه: خلق واخترع، و«الجنة»: مأخوذة من جَنَّ إذا ستر.

و﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾: قال ابن عباس: ذلك في ثمر العنب[(٣)]، ومنها ما عُرش وسمك، ومنها ما لم يعرش، وقال السدي: «المعروشات»: ما عرش كهيئة الكرم، وغيرُه: البساتين[(٤)].

وقيل: المعروش: هو ما يعترشه بنو آدم من أنواع الشجر، وغير المعروش: ما يحدث في الجبال والشَّعْراء[(٥)] ونحو ذلك. وقيل: المعروش: ما خلق بحائط، وغير المعروش: ما لم يخلق.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير للداني (ص: ١٠٧).

(٢) في الأصل ونجيبويه والحمزوية وفيض الله والسليمانية: «إخباراً».

(٣) منقطع، أخرجه الطبري (١٣٩٥٨) من طريق ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: قال: ما يعرش من الكروم و(غير معروشات)، قال: ما لا يعرش من الكرم، وعطاء الخراساني لم يسمع من ابن عباس شيئاً، قاله أحمد، وانظر: جامع التحصيل (٥٢٢).

(٤) تفسير الطبري (١٢/ ١٥٦).

(٥) في المطبوع: «الصحراء»، والشَّعراء: الشجر الكثير.

و﴿مُخۡتَلِفًا﴾: نصب على الحال على تقدير حصول الاختلاف في ثمرها؛ لأنها حين الإنشاء لا ثمرة فيها، فهي حال مقدَّرة تجيء بعد الإنشاء.

و﴿مُتَشَٰبِهٗا﴾: يريد: في المنظر، و(غير متشابه): في المطعم. قاله ابن جريج وغيره[١].

وقوله: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾ نصُّ الإباحة[٢]، وهو مضمن الإشارة إلى النعمة بذلك.

ويقرأ: ﴿من ثُمره﴾ بضم الثاء، وقد تقدم[٣].

﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾: قالت طائفة[٤] من أهل العلم: هي في الزكاة المفروضة، منهم ابن عباس وأنس بن مالك[٥] والحسن بن أبي الحسن وطاوس وجابر ابن زيد[٦] وسعيد بن المسيب وقتادة ومحمد ابن الحنفية والضحاك وزيد بن أسلم وابنه، وقاله مالك بن أنس[٧].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول معترض بأن السورة مكية، وهذه الآية على قول الجمهور غير مستثناة، وحكى الزجّاج أن هذه الآية قيل فيها: إنها نزلت بالمدينة[٨].

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ١٥٧).

(٢) في المطبوع: «نفس الإباحة».

(٣) انظر تفسير الآية (٩٩) من هذه السورة.

(٤) في الأصل ونجيبويه ونور العثمانية والحمزوية وفيض الله: «فقالت» وكذا لالاليه مع التنبيه في هامشها على المثبت.

(٥) أثر عبد الله بن عباس أخرجه الطبري (١٣٩٦٤-١٣٩٦٥)، وابن أبي حاتم (٧٩٥٢-٧٩٥٤) من طرق كثيرة، وهو صحيح.
وأما أثر أنس بن مالك فقد أخرجه الطبري (١٣٩٦٣)، وابن أبي حاتم (٧٩٥٣) من طريق عبد الصمد ابن عبد الوارث، عن يزيد بن درهم، عن أنس، ويزيد بن درهم أبو العلاء قد وثقه الفلاس، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال ابن عدي وذكر له هذا الأثر في الكامل (٧/ ٢٧٨): لا أعرف ليزيد بن درهم كثير رواية إلا مقاطيع عن التابعين وعن الصحابة.

(٦) في فيض الله وحاشية السليمانية: «جابر بن سعيد».

(٧) انظر قول مالك في: النوادر والزيادات (٢/ ١٠٨)، وانظر قول الباقين في: تفسير الطبري (١٢/ ١٥٨-١٦١).

(٨) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٩٧).

ومعترض أيضاً بأنه لا زكاة فيما ذكر من الرمان وجميع ما هو في معناه[١].

وقال ابن الحنفية أيضاً وعطاء ومجاهد وغيرهم من أهل العلم: بل قوله: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ﴾ ندب إلى إعطاء حقوق من المال غير إعطاء[٢] الزكاة، والسنة أن يعطي الرجل من زرعه عند الحصاد وعند الذَّرْو وعند تكديسه في البيدر، فإذا صفا وكال أخرج من ذلك الزكاة[٣].

وقال الربيع بن أنس: «حقه»: إباحة لقط السنبل[٤].

وقالت طائفة: كان هذا حكم صدقات المسلمين حتى نزلت الزكاة المفروضة فنسختها.

وروي هذا عن ابن عباس[٥] وابن الحنفية وإبراهيم والحسن، وقال السدي: [الآية في][٦] هذه السورة مكية نسختها الزكاة، فقال له سفيان: عمن؟ قال: عن العلماء[٧].

قال القاضي أبو محمد: والنسخ غير مترتب في هذه الآية، لأن هذه الآية وآية الزكاة لا تتعارض، بل تنبني هذه على الندب وتلك على الفرض.

وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي: ﴿حِصاده﴾ بكسر الحاء.

وقرأ عاصم وأبو عمرو وابن عامر: ﴿حَصَادِهِۦ﴾، بفتح الحاء[٨]، وهما لغتان في المصدر.

---

(١) انظر قول الشافعي في الحاوي للماوردي (٣/ ٢٣٤)، والباقين في المغني (٢/ ٢٩٦).

(٢) «إعطاء»: زيادة من السليمانية.

(٣) انظر قول محمد بن الحنفية في: تفسير القرطبي (٧/ ١٠٠)، وانظر قول الباقين في: تفسير الطبري (١٢/ ١٦٣).

(٤) تفسير الطبري (١٢/ ١٦٧).

(٥) أخرجه الطبري (١٣٩٧٢ -١٤٠٢٠-١٤٠٢١)، بإسناد حسن لغيره عن ابن عباس.

(٦) من المطبوع.

(٧) تفسير الطبري (١٢/ ١٦٨) وما بعدها، لكن فيه أن الذي سئل: عمن هذا التأويل؟ فأجاب: عن العلماء، هو إبراهيم وليس السدي.

(٨) وهما سبعيتان، انظر: التيسير للداني (ص: ١٠٧)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ٢٧١)، وقوله: «بكسر الحاء»، زيادة من السليمانية.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ الآية، من قال: إن الآية في الزكاة المفروضة، جعل هذا النهي عن الإسراف: إما للناس عن التمنع عن أدائها؛ لأن ذلك إسراف من الفعل، وقاله سعيد بن المسيب، وإما للولاة عن التشطط على الناس والإذاية لهم، فذلك إسراف من الفعل، وقاله ابن زيد[١].

ومن جعل الآية على جهة الندب إلى حقوق غير الزكاة ترتب له النهي عن الإسراف في تلك الحقوق؛ لما في ذلك من الإجحاف بالمال وإضاعته.

وروي أن الآية نزلت بسببٍ؛ لأن ثابت بن قيس بن شماس[٢] حصل غلة له فقال: والله لا جاءني اليوم واحد إلا أطعمته، فأمسى وليس عنده ثمرة، فنزلت هذه الآية[٣].

وقال أبو العالية: كانوا يعطون شيئاً عند الحصاد ثم تباروا فيه وأسرفوا، فنزلت الآية[٤].

ومن قال: إنها منسوخة، ترتب له النهي في وقت حكم الآية.

قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾.

﴿حَمُولَةً﴾ عطف على: ﴿جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ﴾، التقدير: وأنشأنا من الأنعام حمولة، و«الحمولة»: ما تَحمل الأثقال من الإبل والبقر عند من عادته أن يحمل عليها،

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (١٢/ ١٧٥)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٤٢٨).

(٢) ثابت بن قيس بن شمّاس بن زهير بن مالك الأنصاريّ الخزرجي، خطيب رسول الله ﷺ، استشهد يوم اليمامة. الإصابة (١/ ٥١١).

(٣) أخرجه الطبري (١٤٠٤٠) من طريق ابن جريج، عن ثابت بن قيس بن شماس فذكره، وهو منقطع.

(٤) تفسير الطبري (١٢/ ١٧٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٣٩٩)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٤٢٨).

والهاء في ﴿حَمُولَةً﴾ للمبالغة، وقال الطبري: هو اسم جمع لا واحد له من لفظه[١].

و«الفرش»: ما لا يحمل ثقلاً كالغنم وصغار البقر والإبل، هذا هو المروي عن ابن مسعود وابن عباس[٢] والحسن وغيرهم[٣]، يقال له: الفرش والفريش، وذهب بعض الناس إلى أن تسميته فَرْشاً إنما هي لوطاءته، وأنه مما يُمتهن ويُتوطأ ويُتمكن من التصرف فيه إذ قرب جسمه من الأرض.

وروي عن ابن عباس أنه قال: الحمولة: الإبل والخيل والبغال والحمير، ذكره الطبري[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا منه تفسير لنفس اللفظة لا من حيث هي في هذه الآية، ولا تدخل في الآية لغير الأنعام وإنما خصت بالذكر من جهةِ ما شَرَعت فيها العرب.

وقوله: ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ نصٌ إباحة وإزالة ما سنه الكفار من البحيرة / والسائبة وغير ذلك. [٢/ ١١٧]

ثم تابع النهي عن تلك السَّنن الآفكة بقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ وهي جمع خطوة، أي: لا تمشوا في طرقه المضلّة.

وقد تقدم في سورة البقرة اختلاف القراء في ﴿خُطُوَٰتِ﴾[٥].

ومن شاذها قراءة علي رضي الله عنه والأعرج وعمرو بن عبيد: (خُطُؤات) بضم

(١) تفسير الطبري (١٢/ ١٨١).

(٢) أثر عبد الله بن مسعود أخرجه الطبري (١٤٠٤٧، ١٤٠٥٢، ١٤٠٥٣، ١٤٠٥٤)، وابن أبي حاتم (٧٩٧٤) بإسناد صحيح عنه.

وأما أثر عبد الله بن عباس فأخرجه أيضاً الطبري (١٤٠٤٨، ١٤٠٥٨، ١٤٠٥٧)، وابن أبي حاتم (٧٩٧٥) من طرق عنه.

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ١٧٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٠١)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٥٠٤).

(٤) أخرجه الطبري (١٤٠٥٨)، وابن أبي حاتم (٧٩٧٢) من طريق علي أبي بن طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٥) انظر تفسير الآية (١٦٨) من سورة البقرة.

الخاء والطاء وبالهمزة[١]، قال أبو الفتح: وذلك جمع خطأة من الخطأ.

ومن الشاذ قراءة أبي السمال: (خَطَوات) بالواو دون همزة[٢]، وهو جمع خطوة وهي ذرع ما بين قدمي الماشي.

ثم علل النهي عن ذلك بتقرير عداوة الشيطان لابن آدم.

وقوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ﴾ اختلف في نصبها؛ فقال الأخفش علي بن سليمان: بفعل مضمر تقديره: كلوا لحم ثمانية أزواج، فحذف الفعل والمضاف وأقيم المضاف إليه مقامه[٣]، وقيل: نصب على البدل من (ما) في قوله: ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾، وقيل: نصبت على الحال، وقيل: نصبت على البدل من قوله: ﴿حَمُولَةً وَفَرۡشٗا﴾، وهذا أصوب الأقوال وأجراها مع معنى الآية، وقال الكسائي: نصبها ﴿أَنشَأَ﴾[٤].

و«الزوج»: الذكر، و«الزوج»: الأنثى، كل واحد منهما زوج صاحبه، وهي أربعة أنواع، فتجيء ثمانية أزواج، و﴿ٱلضَّأۡنِ﴾ جمع ضائنة وضائن.

وقرأ طلحة بن مصرف وعيسى بن عمر والحسن: (من الضأَن) بفتح الهمزة[٥].

وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي: ﴿وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ﴾ بسكون العين، وهو جمع ماعز وماعزة.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: ﴿ومن المعَز﴾ بفتح العين[٦] فضأن ومعز كراكب وركب وتاجر وتجر، وضأَن ومعَز كخادم وخدم ونحوه.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظرها مع توجيهها في المحتسب (١/ ٢٣٣).

(٢) انظرها في المحتسب لابن جني (١/ ٢٣٣).

(٣) معاني القرآن للأخفش (١/ ٢٥١).

(٤) إعراب القرآن النحاس (٢/ ٣٤).

(٥) وهي قراءة شاذة، انظرها في المحتسب (١/ ٢٣٤)، ومختصر الشواذ (ص: ٤٦)، وتفسير الثعلبي (٤/ ١٩٩).

(٦) وهما سبعيتان، انظر: التيسير للداني (ص: ١٠٨)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ٢٧١).

وقرأ أبان بن عثمان: (من الضأن اثنان)[١] على الابتداء والخبرِ المقدم.

ويقال في جمع ماعز: معْز ومعَز ومعيز ومِعْزى وأُمعوز.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ هذا تقسيم على الكفار حتى يتبين كذبهم على الله، أي: لا بد أن يكون حرم الذكرين فيلزمكم تحريم جميع الذكور، أو الأنثيين فيلزمكم تحريم جميع الإناث، أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين فيلزمكم تحريم الجميع، وأنتم لم تلتزموا شيئاً مما يوجبه هذا التقسيم، وفي هذه السؤالات تقرير وتوبيخ.

ثم أَتبع تقريرهم وتقريعهم وتوبيخهم[٢] بقوله: ﴿نَبِّـُٔونِي﴾؛ أخبروني ﴿بِعِلْمٍ﴾؛ أي: من جهة نبوءة أو كتاب من كتب الله، ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾.

و﴿إِن﴾ شرط وجوابه في ﴿نَبِّـُٔونِي﴾، وجاز تقديم جواب هذا الشرط لما كانت «إِنْ» لا يظهر لها عمل في الماضي، ولو كانت ظاهرة العمل لـمَا جاز تقدم الجواب.

قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾.

القول في هذه الآية في المعنى وترتيب التقسيم كالقول المتقدم في قوله: ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾، وكأنه قال: آنتم الذين تدَّعون أن الله حرم خصائص من هذه الأنعام لا يخلو تحريمه من أن يكون في الذَّكَرَيْنِ، أو في الأنثيين، أو فيما اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحامُ الْأُنْثَيَيْنِ، لكنه لم يحرم لا هذا، ولا هذا فلم يبق إلا أنه لم يقع تحريم.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا﴾ الآية، استفهام

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٤٦)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٠٠)، والهداية لمكي (٣/ ٢٢٢٠).

(٢) سقط: «تقريعهم» من المطبوع، و«توبيخهم» من لالاليه.

على جهة التوبيخ، إذ لم يبق لهم الادعاء المحال والتقوّل أنهم شاهدوا وصية الله لهم بهذا، و﴿شُهَدَآءَ﴾ جمع شهيد.

ثم تضمن قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ ذكر حال مفتري الكذب على الله وتقرير إفراط ظلمه، وقال السدي: كان الذين سيَّبوا وبحروا يقولون: الله أمرنا بهذا[١].

ثم بيّن تعالى سوء مقصدهم بالافتراء؛ لأنه لو افترى أحد فرية على الله لغير معنى لكان ظلماً عظيماً، فكيف إذا قصد بهما إضلال أمة؟ وقد يحتمل أن تكون اللام في ﴿لِّيُضِلَّ﴾ لام صيرورة، ثم جزم الحكم ـ لا رب غيره ـ بأنه ﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، أي: لا يرشدهم، وهذا عموم في الظاهر، وقد تبين تخصيصه مما يقتضيه الشرع أن الله يهدي ظلَمة كثيرةً بالتوبة.

قوله عز وجل: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾.

هذا أمر من الله عز وجل بأن يَشْرَع للناس جميعاً ويبين عن الله ما أوحي إليه، وهذه الآية نزلت بمكة ولم يكن في الشريعة في ذلك الوقت شيء محرم غير هذه الأشياء، ثم نزلت سورة المائدة بالمدينة وزِيد في المحرمات كالمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة، فإن هذه وإن كانت في حكم الميتة فكان في النظر احتمال أن تلحق بالمذكَّيات؛ لأنها بأسباب وليست حتف الأنف، فلما بيَّن النص إلحاقها بالميتة كانت زيادة في المحرمات.

ثم نزل النص على لسان رسول الله ﷺ في تحريم الحمر[٢] بوحي غير معجز، وبتحريم كل ذي ناب من السباع[٣]، فهذه كلها زيادات في التحريم، ولفظة التحريم إذا

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ١٨٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٠٤).

(٢) في الأصل ونور العثمانية وفيض الله ونجيبويه ولالاليه: «الخمر»، وفي الحمزوية: «الخترير».

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٥٣٠)، ومسلم (١٩٣٢) عن أبي ثعلبة قال: نهى النبي ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السبع.

وردت على لسان رسول الله ﷺ، فإنها صالحة أن تنتهي بالشيء المذكور إلى غاية المنع والحظر[١]، وصالحة بحسب اللغة أن تقف دون الغاية في حيز الكراهية ونحوها.

فما اقترنت به قرينة التسليم من الصحابة المتأولين، وأجمع عليه الكل منهم، ولم تضطرب فيه ألفاظ الأحاديث، وأمضاه الناس على أذلاله[٢]، وجب بالشرع أن يكون تحريمه قد وصل الغاية من الحظر والمنع، ولحق بالخنزير والميتة، وهذه صفة تحريم الخمر.

وما اقترنت به قرينة اضطراب[٣] ألفاظ الحديث، واختلفت الأمة فيه مع علمهم بالأحاديث كقوله ﷺ: «كل ذي ناب من السباع حرام»[٤]، وقد روي عنه نهي رسول الله ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع[٥]، ثم اختلفت الصحابة ومن بعدهم في تحريم ذلك، فجاز لهذه الوجوه لمن ينظر أن يحمل لفظ التحريم على / المنع الذي هو الكراهية ونحوها[٦]. [٢/ ١١٨]

وما اقترنت به قرينة التأويل، كتحريمه عليه السلام لحوم الحمر الإنسية، فتأول بعض الصحابة الحاضرين ذلك لأنها لم تخمَّس، وتأول بعضهم أن ذلك لئلا تفنى حَمولة الناس، وتأول بعضهم التحريم المحض[٧].

وثبت في الأمة الاختلاف في تحريم لحمها، فجائز لمن ينظر من العلماء أن يحمل لفظ التحريم بحسب اجتهاده وقياسه على كراهيةٍ أو نحوها.

---

(١) هذا هو مذهب الجمهور، انظر: البحر المحيط (٢/ ١٥٣).

(٢) أي: على وجوهه التي تصلح وتَسهُل وتتيسر، ووقع في الحمزوية: «ادلاله».

(٣) سقطت من المطبوع.

(٤) صحيح، أخرجه مالك في الموطأ (١٠٦٠)، ومن طريقه الشافعي في مسنده (١/ ٢٣٦)، والترمذي (١٤٧٩)، والنسائي (٤٣٢٤)، وابن ماجه (٣٢٣٣)، وابن حبان في صحيحه (٥٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٩٦١)، ومسلم (١٤٠٧) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٦) وحملها على الكراهة هو مذهب مالك، والجمهورُ على خلافه، انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/ ٤٣٧).

(٧) انظر هذه التأويلات في: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/ ٤٣٣-٤٣٦).

وروي عن ابن عامر أنه قرأ: (فيما أَوْحَى إليَّ) بفتح الهمزة والحاء[١].

وقرأ جمهور الناس: ﴿يَطْعَمُهُۥٓ﴾، وقرأ أبو جعفر محمد بن علي: (يطّعمه) بتشديد الطاء وكسر العين[٢].

وقرأ محمد ابن الحنفية وعائشة وأصحاب عبد الله: (طَعِمَه) بفعل ماض[٣].

وقرأ نافع والكسائي وأبو عمرو وعاصم: ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ﴾ بالياء ﴿مَيۡتَةً﴾ على تقدير: إلا أن يكون المطعوم.

وقرأ ابن كثير وحمزة وأبو عمرو أيضاً: ﴿إلا أن تكون﴾ بالتاء من فوق ﴿مَيۡتَةً﴾ على تقدير: إلا أن تكون المطعومة ميتة[٤].

وقرأ ابن عامر وحده ـ وذكرها مكي عن أبي جعفر ـ: ﴿إلا أن تكون﴾ بالتاء ﴿ميتةٌ﴾ بالرفع[٥] على أن تجعل ﴿تكونَ﴾ بمعنى تقع، ويحتاج على هذه القراءة أن يعطف ﴿أَوۡ دَمٗا﴾ على موضع ﴿أن تكون﴾؛ لأنها في موضع نصب بالاستثناء.

و«المسفوح»: الجاري الذي يسيل، وجعل الله هذا فرقاً بين القليل والكثير، والمنسفح[٦]: السائل من الدم والدمع ونحوه، ومنه قول الشاعر وهو طرفة:

[الوافر] إِذَا مَا عَادَهُ مِنَّا نِسَاءٌ سَفَحْنَ الدَّمْعَ مِنْ بَعْدِ الرَّنِينِ[٧]

---

(١) وهي قراءة شاذة، من رواية ابن بكّار عن أيّوب عن يحيى عنه، كما في جامع البيان (٣/ ١٠٦٨)، وفي الحمزوية: «ابن عباس».

(٢) وهي قراءة شاذة، انظرها في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٧).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لعائشة في تفسير الثعلبي (٤/ ٢٠١)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٥٠٧)، ولم أجدها للباقين.

(٤) «ميتة»: زيادة من السليمانية.

(٥) وكلها سبعية، انظر: التيسير للداني (ص ١٠٨)، وانظر ما ذكره مكي في كتابه مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٧٦).

(٦) في الحمزوية والمطبوع: «المسفوح»، وكتبت في الأصل: «المنفسح».

(٧) البيت لم أجده لطرفة، وقد عزاه تفسير الطبري (١٢/ ١٩٢)، ومختارات ابن الشجري (٢/ ٤٢) لعبيد بن الأبرص.

وقول امرئ القيس:

وإِنَّ شِفائي عَبْـرَةٌ إِنْ سَفَحْتُها[١] .... [الطويل]

فالدم المختلط باللحم والدم الخارجُ من مرق اللحم وما شاكل هذا حلال، والدم غير المسفوح هو هذا وهو معفوّ عنه، وقيل لأبي مجلز في القِدْر تعلوها الحمرة من الدم قال: إنما حرم الله المسفوح[٢]، وقالت نحوه عائشة[٣] وغيرها، وعليه إجماع العلماء[٤].

وقيل[٥]: الدم حرام لأنه إذا زايل فقد انسفح.

و«الرجس»: النتْن والحرام، يوصف بذلك الأجرام والمعاني، كما قال ﷺ: «دعوها فإنها منتنة»[٦] الحديث، فكذلك قيل في «الأزلام» و«الخمر»: رجس، والرجس أيضاً: العذاب، لغةٌ بمعنى الرجز.

وقوله: ﴿أَوۡ فِسۡقًا﴾ يريد ذبائحهم التي كانوا يختصون بها أصنامهم.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾ الآية، أباح الله فيها مع الضرورة ركوب المحظور دون بغي.

واختلف الناس فيم ذا: فقالت فرقة: دون أن يبغي الإنسان في أكله، فيأكل فوق ما

---

(١) وفي رواية أخرى: عبرة مهراقة، وعجزه: فهل عند رسمٍ دارسٍ من معوَّل، وهو من معلقة امرئ القيس، انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ١١٦)، وشرح المعلقات التسع (ص: ١٢٥)، والأصول في النحو (٣/ ٢٢٨).

(٢) انظر قول أبي مجلز في تفسير الطبري (١٢/ ١٩٣).

(٣) أخرجه الطبري (١٤٠٩٠) من طريق القاسم بن محمد، عن عائشة بلفظ: أنها كانت لا ترى بلحوم السباع بأساً، والحمرة والدم يكونان على القدر بأساً، وقرأت هذه الآية، وقال ابن كثير: صحيح غريب، انظر التفسير (٢/ ١٨٥).

(٤) انظر قول عائشة، وحكاية الإجماع على ما ذكره المؤلف من حكم الدماء في أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٧٩).

(٥) في لالاليه: «قليل».

(٦) البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

يقيم رمقه وينتهي إلى حد الشبع وفوقه، وقالت فرقة: بل دون أن يبغي في أن يكون سفره في قطع طريق أو قتل نفس، أو يكون تصرفه في معصية، فإن ذلك لا رخصة له، وأما من لم يكن بهذه الأحوال فاضطر فله أن يشبع ويتزود، وهذا مشهور قول مالك بن أنس رحمه الله[١]، وقال بالأول الذي هو الاقتصار على سد الرمق عبد الملك بن حبيب رحمه الله[٢].

وقوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إباحةٌ تعطيها[٣] قوة اللفظ.

قوله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ١٤٦﴾.

لما ذكر الله عز وجل ما حرم على أمة محمد ﷺ أعقب ذلك بذكر ما حرم على اليهود، لـمَا في ذلك من تكذيبهم في قولهم: إن الله لم يحرم علينا شيئاً وإنما حرمنا على أنفسنا ما حرمه إسرائيل على نفسه.

وقد تقدم القول في سورة البقرة في ﴿هَادُواْ﴾ ومعنى تسميتهم يهوداً.

و﴿كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ يراد به الإبل والنعام والإوز، ونحوه من الحيوان الذي هو غير منفرج الأصابع وله ظفر.

وقال أبو زيد: المراد الإبل خاصة[٤]، وهذا ضعيف التخصيص.

وذكر النقاش عن ثعلب أن كل ما لا يصيد فهو ذو ظفر، وما يصيد فهو ذو مخلب[٥].

قال القاضي أبو محمد: وهذا غير مطرد لأن الأسد ذو ظفر.

---

(١) انظر: الاستذكار (٥/ ٣٠٧)، وهو قول سعيد ومجاهد كما في تفسير الطبري (٣/ ٣٢٣).

(٢) انظر قول ابن حبيب في: مواهب الجليل (٣/ ٣٠٢)، وهو قول عكرمة والحسن كما في الاستذكار (٥/ ٣٠٨).

(٣) في المطبوع: «تعظيمها»، وهو خطأ.

(٤) تفسير الطبري (١٢/ ٢٠٠)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٠١).

(٥) تفسير البحر المحيط (٤/ ٦٧٧).

وقرأ جمهور الناس: ﴿ظُفُرٍ﴾، بضم الظاء والفاء.

وقرأ الحسن والأعرج: (ظفْر)، بسكون الفاء.

وقرأ أبو السمال قعنب: (ظِفْر)، بكسر الظاء وسكون الفاء[١].

وأخبرنا الله عز وجل في هذه الآية بتحريم الشحوم على بني إسرائيل، وهي الثروب وشحم الكلى وما كان شحماً خالصاً خارجاً عن الاستثناء الذي في الآية.

واختلف العلماء في تحريم ذلك على المسلمين من ذبائح اليهود، فحكى ابن المنذر في «الإشراف» عن مالك وغيره منع أكل الشحم من ذبائح اليهود، وهو ظاهر لفظ «المدونة»[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا على القول في قوله عز وجل: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥] بأنه المطعوم من ذبائحهم، وأما ما لا يحل لهم فلا تقع عليه ذكاة بل هو كالدم في ذبائح المسلمين.

وعلى هذا القول يجيء قول مالك رحمه الله في «المدونة» فيما ذبحه اليهودي مما لا يحل لهم كالجمل والأرنب: إنه لا يؤكل[٣].

وروي عن مالك رحمه الله كراهية الشحم من ذبائح أهل الكتاب دون تحريم[٤]، وأباح بعض الناس الشحم من ذبائح أهل الكتاب وذبحهم ما هو عليهم حرام إذا أمرهم بذلك مستنيباً[٥] أو نحوه[٦].

---

(١) وهما من الشاذ، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٤٧)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٠١)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٧).

(٢) المدونة (١/ ٥٤٤)، وما نسبه للإشراف غير موجود في المطبوع منه.

(٣) انظر: المدونة (١/ ٥٤٤).

(٤) انظر كراهية مالك لشحوم ذبيحة اليهودي في البيان والتحصيل (٣/ ٣٦٦).

(٥) في المطبوع: «مسلم»، وفي الحمزوية: «مستثنى».

(٦) هذا القول مروي عن مالك وروي عنه أيضاً خلافه، انظر بداية المجتهد (١/ ٤٥٠)، وانظر: الشرح الكبير على المقنع (١١/ ٦٢).

قال القاضي أبو محمد: وهذا على أن يجعل قوله: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ يراد به الذبائح، فمتى وقع الذبح على صفته وقعت الإباحة، وهذا قول ضعيف لأنه جرد لفظة ﴿وَطَعَامُ﴾ من معنى أن تكون مطعوماً لأهل الكتاب، وخلصها لمعنى الذبح، وذلك حَرِج لا يتوجه.

وأما الطريف[١] فحرمه قوم وكرهه قوم وأباحه قوم، وخففه مالك في «المدونة» ثم رجع إلى منعه[٢]، وقال ابن حبيب: ما كان محرماً عليهم وعلمنا ذلك من كتابنا فلا يحل لنا من ذبائحهم، وما لم نعلم تحريمه إلا من أقوالهم فهو غير محرم علينا من ذبائحهم[٣].

وقوله: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ يريد: ما اختلط باللحم في الظهر والأجناب ونحوه، قال السدي وأبو صالح: الأليات مما حملت ظهورهما[٤].

[٢/ ١١٩] ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ قيل[٥]: هو جمع حَوِيَّة / على وزن فعيلة، فوزن «حوايا» على هذا: فعائل، كسفينة وسفائن، وقيل: هو جمع حاوية على وزن فاعلة، فـ«حوايا» على هذا: فواعل، كضاربة وضوارب، وقيل: جمع حاوياء، فوزنها على هذا أيضاً فواعل، كقاصعاء وقواصع.

وأما «الحوايا» على الوزن الأول فأصلها: حوايي [اجتمع ياءان فبدلت الياء الأولى همزة فجاء: حوائي][٦] فقلب الياء الأخيرة ألفاً فانفتحت لذلك الهمزة ثم بدلت ياء، وأما على الوزنين الأخيرين فأصل «حوايا»: حواوي، وبدلت الواو الثانية همزة[٧].

---

(١) في المطبوع: «الطريق»، وتكلف لها شرحاً في الهامش، والصواب «الطريفة» بالفاء وهي: فاسد الرئة من ذبيحة اليهود كما في مواهب الجليل نقلاً عن ابن عرفة (٤/ ٣١٨)، وانظر الأقوال الثلاثة فيها في التاج والإكليل (٣/ ٢١٣).

(٢) المدونة (١/ ٥٤٤).

(٣) انظر قول ابن حبيب في: تفسير القرطبي (٧/ ١٢٧)، وفي الحمزوية: «ابن عباس»، بدل: «ابن حبيب».

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ٤٢٥).

(٥) كذا في نور العثمانية، وفي المطبوع وسائر النسخ: «قال»، دون ذكر فاعلها.

(٦) زيادة من السليمانية وفيض الله ولالاليه.

(٧) في السليمانية وفيض الله: «فأصل حوايا حوايي وبدلت الياء الثانية همزة».

والحوية: ما تحوَّى في البطن واستدار وهي المصارين والحشوة ونحوهما.

وقال مجاهد وقتادة وابن عباس[(١)] والسدي وابن زيد: ﴿ٱلۡحَوَايَآ﴾: المباعر[(٢)]، وقال بعضهم: هي المرابط[(٣)] التي تكون فيها الأمعاء وهي بنات اللبن.

وقوله: ﴿أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٍ﴾ يريد في سائر الشخص.

و﴿ٱلۡحَوَايَآ﴾ معطوف على ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتۡ﴾ فهي في موضع نصب عطفاً على المنصوب بالاستثناء، وقال الكسائي: ﴿ٱلۡحَوَايَآ﴾ معطوف على الظهور[(٤)]، كأنه قال: إلا ما حملت ظهورهما أو حملت الحوايا، وقال بعض الناس: ﴿ٱلۡحَوَايَآ﴾ معطوف على الشحوم.

قال القاضي أبو محمد: وعلى هذا تدخل ﴿ٱلۡحَوَايَآ﴾ في التحريم، وهذا قول لا يعضده اللفظ ولا المعنى بل يدفعانه.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡ﴾، ﴿ذَٰلِكَ﴾ في موضع رفع، و﴿جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡ﴾ يقتضي أن هذا التحريم إنما كان عقوبة لهم على ذنوبهم وبغيهم واستعصائهم على الأنبياء، وقوله: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ إخبار يتضمن التعريض بكذبهم في قولهم: ما حرم الله علينا شيئاً وإنما اقتدينا بإسرائيل فيما حرم على نفسه، ويتضمن إدحاض قولهم ورده عليهم.

قوله عز وجل: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٤٧ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨﴾.

يريد: فإن كذَّبوك فيما أخبرت به أن الله حرمه عليهم وقالوا: لم يحرم الله علينا

---

(١) أخرجه الطبري (١٤١٠٩)، وابن أبي حاتم (٨٠٣٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٢٠٣)، وتفسير الماوردي (٢/ ١٨٤) وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ٤٥).

(٣) في السليمانية وفيض الله ولالاليه ونجيبويه: «المرابض».

(٤) معاني القرآن للنحاس (٢/ ٥١٢).

شيئاً وإنما حرمنا ما حرم إسرائيل على نفسه ـ قال السدي: وهذه كانت مقالتهم[1] ـ فقل يا محمد على جهة التعجب من حالهم، والتعظيم لفريتهم في تكذيبهم لك مع علمهم بحقيقة ما قلت: ربُّكم ذو رحمةٍ واسعةٍ؛ إذ لا يعاجلكم بالعقوبة مع شدة جُرمكم.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كما تقول عند رؤية معصية أو أمر مَبْغي[2]: ما أحلم الله! وأنت تريد: لإمهاله على مثل ذلك، ففي قوله: ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ قوة وصفهم بغاية الاجترام وشدة الطغيان.

ثم أعقب هذه المقالة بوعيد في قوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ فكأنه قال: ولا تغتروا أيضاً بسعة رحمته، فإن له بأساً لا يرد عن المجرمين إما في الدنيا وإما في الآخرة.

وهذه الآية وما جانسها من آيات مكة مرتفع حكمه بالقتال.

وأخبر الله عز وجل نبيه عليه السلام: أن المشركين سيحتجون لصواب ما هم عليه من شركهم وتدينهم بتحريم تلك الأشياء بإمهال الله تعالى وتقريره حالهم، وأنه لو شاء غير ذلك لما تركهم على تلك الحال.

قال القاضي أبو محمد: وبيّن أن المشركين لا حجة لهم فيما ذكروه؛ لأنّا نحن نقول: إن الله عز وجل لو شاء ما أشركوا، ولكنه عز وجل شاء إشراكهم وأقدرهم على اكتساب الإشراك والمعاصي ومحبته والاشتغال به، ثم علق العقاب والثواب على تلك الأشياء والاكتسابات، وهو الذي تقتضيه ظواهر القرآن في قوله: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢، ٩٥]، ونحو ذلك، ويلزمهم على احتجاجهم أن تكون كل طريقة وكل نحلة صواباً، إذ كلها لو شاء الله لم تكن.

قال القاضي أبو محمد: وقال بعض المفسرين: إنما هذه المقالة من المشركين على جهة الاستهزاء، وهذا ضعيف، وتعلقت المعتزلة بهذه الآية فقالت: إن الله قد ذم

---

(١) حكاه الطبري في تفسيره (١٢/ ٢٠٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤١٢)، والنحاس في معاني القرآن (٢/ ٥١٣).

(٢) في السليمانية ونور العثمانية ولالاليه: «منهي»، وفي فيض الله: «منعي».

لهم هذه المقالة وإنما ذمها لأن كفرهم ليس بمشيئة الله تعالى بل هو خلق لهم[١].

قال القاضي أبو محمد: وليس الأمر على ما قالوا، وإنما ذم الله تعالى ظن المشركين أن ما شاء الله لا يقع عليه عقاب، وأما أنه ذم قولهم: لو لا المشيئة لم نكفر، فلا.

ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ وفي الكلام حذف يدل عليه تناسق الكلام، كأنه قال: سيقول المشركون كذا وكذا، وليس في ذلك حجة لهم، ولا شيء يقتضي تكذيبك ولكن كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ بنحو هذه الشبهة من ظنهم أن ترك الله لهم دليل على رضاه بحالهم.

وفي قوله: ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَا﴾ وعيد بيّن.

وليس في الآية رد منصوص على قولهم: لو «شاء الله ما أشركنا»، وإنما ترك الرد عليهم مقدراً في الكلام لوضوحه وبيانه.

وقوله: ﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ معطوف على الضمير المرفوع في ﴿أَشۡرَكۡنَا﴾، والعطف على الضمير المرفوع لا يرده قياس، بخلاف المخفوض[٢]، لكن سيبويه قد قبَّح العطف على الضمير المرفوع[٣]، ووجه قبحه: أنه لما بني الفعل عليه[٤] صار كحرف من الفعل فقبح العطف عليه لشبهه بالحرف، وذلك كقولك: قمت وزيد، لأن تأكيده فيه يبين معنى الاسمية، ويذهب عنه شبه الحرف، وحسن عند سيبويه العطف في قوله: ﴿مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ لما طال الكلام بـ(لا)[٥]، فكأن معنى الاسمية اتضح، واقتضت (لا) ما يعطف بعدها.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ الآية، المعنى: قل يا محمد للكفرة:

---

(١) انظر استدلال المعتزلة بالآية في: تفسير السمعاني (٣/ ١٧١).

(٢) في المطبوع: «المنصوب».

(٣) الكتاب لسيبويه (٢/ ٣٧٨).

(٤) عليه ليست في المطبوع والأصل.

(٥) الكتاب لسيبويه (٢/ ١٧٩).

هل عندكم من علم من قبل الله تعالى فتبينوه حتى تقوم به الحجة؟

و﴿مِّنۡ﴾ في قوله: ﴿مِّنۡ عِلۡمٖ﴾ زائدة مؤكدة، وجازت[١] زيادتها لأن الاستفهام داخل في غير الواجب.

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي: لا شيء عندكم إلا الظن، وهو أكذب الحديث.

وقرأ جمهور الناس: ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ على المخاطبة.

وقرأ إبراهيم النخعي وابن وثاب: (إن يتَّبعون) بالياء[٢] حكاية عنهم.

[٢/ ١٢٠] قال القاضي أبو محمد: وهذه قراءة / شاذة يضعفها قوله: ﴿وَإِنۡ أَنتُمۡ﴾.

و﴿تَخۡرُصُونَ﴾ معناه: تقدِّرون وتظنون وترجمون.

قوله عز وجل: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾.

ثم أعقب تعالى أمره نبيه ﷺ بتوقيف المشركين على موضع عجزهم بأمره إياه بأن يقول مبيناً مفصحاً ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ﴾ يريد: البالغة غاية المقصد في الأمر الذي يحتج فيه، ثم أعلم بأنه لو شاء لهدى العالم بأسره.

قال القاضي أبو محمد: وهذه الآية ترد على المعتزلة في قولهم: إن الهداية والإيمان إنما هي من عمل العبد لا من الله، فإن قالوا: معنى ﴿لَهَدَىٰكُمۡ﴾ لاضطركم إلى الهدى، فسد ذلك بمعتقدهم أن الإيمان الذي يريد الله من عباده ويثيب عليه ليس الذي يضطر إليه العبد، وإنما هو عندهم الذي يقع من العبد وحده.

و﴿هَلُمَّ﴾ معناها هات؛ وهي حينئذ متعدية، وقد تكون بمعنى: أقبل؛ فهي حينئذ لا

---

(١) في الأصل والمطبوع: «وجاءت».

(٢) وهي شاذة، عزاها لهما الكرماني في الشواذ (ص: ١٧٠)، وفي أكثر النسخ: «النخعي وإبراهيم»، بالعطف، والتصحيح من المطبوع.

تتعدى، وبعض العرب يجعلها اسماً للفعل، كرويدك، فيخاطِبُ بها الواحدَ والجميع والمذكَّر والمؤنث على حد واحد، وبعض العرب يجعلها فعلاً فيركب عليها الضمائر، فيقول: هلم يا زيد، وهلموا أيها الناس، وهلمي يا هند، ونحو هذا، وذكر اللغتين أبو علي في «الإغفال»(١).

وقال أبو عبيدة: اللغة الأولى لأهل العالية واللغة الثانية لأهل نجد(٢).

وقال سيبويه والخليل: أصلها: هالُمَّ، وقال بعضهم: أصلها هالْـمُم(٣)، وحذفت الألف لالتقاء الساكنين فجاء: هلمم، فحذف من قال: أصلها هالم، وأدغم من قال: أصلها هلمم على غير قياس.

ومعنى هذه الآية: قل هاتوا شهداءكم على تحريم الله ما زعمتم أنه حرمه.

ثم قال الله تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ أي: فإن افترى لهم أحد وزور شهادة أو خبراً عن نبوة ونحو ذلك فتجنب أنت ذلك ولا تشهد معهم.

وفي قوله: ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ قوة وصف شهادتهم بنهاية الزور.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ﴾ يريد: لا تنحط في شهوات الكفرة وتوافقهم على محابِّهم(٤).

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ عطف نعت على نعت، كما تقول جاءني زيد الكريم والعاقل، هذا مذهب عُظْم الناس.

وقال النقاش: نزلت في الدهرية من الزنادقة(٥).

﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [أي: يجعلون](٦) أنداداً يسوونهم به، وإن كانت في الزنادقة فعدلهم غير هذا.

---

(١) الإغفال للفارسي (٢/ ٢٢١).
(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٠٨).
(٣) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٢/ ٢٠١).
(٤) في المطبوع: «أقوالهم».
(٥) تفسير البحر المحيط (٤/ ٦٨٤).
(٦) زيادة من نجيبويه ولالاليه.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًۭٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًۭا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍۢ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾.

هذا أمر من الله عز وجل لنبيه ﷺ أن يدعو جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرم الله بشرع الإسلام المبعوث به إلى الأسود والأحمر.

و﴿تَعَالَوْا۟﴾ معناه: أقبلوا، وأصله من العلو، فكأن الدعاء لما كان أمراً من الداعي استعمل فيه ترفيع المدعو، و(تعالى) هو مطاوع عالي، إذ تفاعل هو مطاوع فاعل.

و﴿أَتْلُ﴾ معناه: أسرد وأنص؛ من التلاوة التي هي إتْباع بعض الحروف بعضاً، و﴿مَا﴾ نصب بقوله: ﴿أَتْلُ﴾ وهي بمعنى الذي، وقال الزجّاج: يصح أن يكون قوله: ﴿أَتْلُ﴾ معلقاً عن العمل و﴿مَا﴾ نصب بـ﴿حَرَّمَ﴾(١).

قال القاضي أبو محمد: وهذا قلق.

و(أن) في قوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟﴾ يصح أن تكون في موضع رفع بالابتداء(٢)، التقدير: الأمر أن، أو ذلك أن، ويصح أن تكون في موضع نصب على البدل من ﴿مَا﴾، قاله مكي وغيره(٣).

قال القاضي أبو محمد: والمعنى يبطله فتأمله، ويصح أن يكون مفعولاً من أجله، التقدير: إرادَة أن لا تشركوا به شيئاً، إلا أن هذا التأويل يخرج ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟﴾ من المتلو ويجعله سبباً لتلاوة المحرمات.

و﴿تُشْرِكُوا۟﴾: يصح أن يكون منصوباً بـ(أن)، ويتوجه أن يكون مجزوماً بالنهي وهو الصحيح في المعنى المقصود، و(أن) قد توصل بما نصبته، وقد توصل بالفعل المجزوم بالأمر والنهي.

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٠٣).

(٢) «بالابتداء» زيادة من المطبوع.

(٣) مشكل إعراب القرآن، لمكي (١/ ٢٧٧).

و﴿شَيْـًٔا﴾ عام يراد به كل معبود من دون الله.

و﴿إِحْسَـٰنًا﴾ نصب على المصدر، وناصبه فعل مضمر من لفظه تقديره: وأحسنوا بالوالدين إحساناً، والمحرمات تنفك من هذه المذكورات بالمعنى، وهي: الإشراك والعقوق وقرب الفواحش وقتل النفس.

وقال كعب الأحبار: هذه الآيات مفتتح التوراة: بِسْمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى آخر الآية[١].

وقال ابن عباس: هذه الآيات هي المحكمات التي ذكرها الله في سورة آل عمران، اجتمعت عليها شرائع الخلق ولم تنسخ قط في ملة[٢].

وقد قيل: إنها العشر الكلمات المنزلة على موسى[٣].

وإن اعترض من قال: إن ﴿تُشْرِكُوا۟﴾ منصوب بـ(أن) بعطف المجزومات عليه، فذلك موجود كثير[٤] في كلام العرب، وأنشد الطبري حجة لذلك[٥]:

حَجَّ وَأَوْصَى بِسُلَيْمَى الأَعْبُدَا   أَنْ لا تَرَى وَلا تُكَلِّمْ أَحَدَا [الرجز]

وَلا يَزَلْ شَرَابُهَا مُبَرَّدَا[٦]

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (١/ ١٥٧)، وفضائل القرآن للقاسم بن سلام (١/ ٢١٧) والأوائل للطبراني (١/ ٧١).

(٢) أخرجه الطبري (١٤١٥٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨٨) من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن عبد الله بن قيس، والحاكم أيضاً (٢/ ٣١٧) من طريق أبي إسحاق، عن عبد الله بن خليفة، عن ابن عباس به، وأبو إسحاق يدلس، وشيخه على الحالين مجهول.

(٣) انظر: تفسير مقاتل (١/ ٣١).

(٤) زيادة من السليمانية وفيض الله ولالاليه.

(٥) انظر: الطبري (١٢/ ٢١٦).

(٦) تفسير الطبري (١٢/ ٢١٦)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٠٣)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٦)، ولم ينسبوه، والشطر الثالث أورد الفراء مكانه: «ولا تمش بفضاء بعداً». والشاهد فيها أن «لا» في قوله: «أن لا ترى» نافية ومع ذلك فقد عطف الشاعر عليها الفعل مجزوماً بلا الناهية في قوله: «ولا تُكَلِّمْ» وفي قوله: «ولا يَزَلْ».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم﴾ الآية، نهي عن عادة العرب في وأد البنات، و«الولد» يعم الذكر والأنثى من البنين، و«الإملاق»: الفقر وعدم المال، قاله ابن عباس وغيره(١)، يقال: أملق الرجل، إذا افتقر(٢).

قال القاضي أبو محمد: ويشبه أن يكون معناه: أملق، أي: لم يبق له إلا الملق، كما قالوا: أترب، إذا لم يبق له إلا التراب، وأرمل إذا لم يبق له إلا الرمل، والـمَلَق: الحجارة السود، واحدته: مَلَقة.

وذكر منذر بن سعيد أن الإملاق الإنفاق(٣)، ويقال: أملق مالَه، بمعنى: أنفقه، وذكر أن علياً قال لامرأة: أملقي من مالك ما شئت(٤). وذكر النقاش عن محمد بن نعيم الترمذي(٥) أنه السَّرَف في الإنفاق، وحكى أيضاً النقاش عن مؤرِّجٍ(٦) أنه قال: الإملاق: الجوع بلغة لخم(٧).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ نهي عام عن جميع أنواع الفواحش وهي المعاصي، و﴿ظَهَرَ﴾ و﴿بَطَنَ﴾ حالتان تستوفيان أقسام ما جعلت له من الأشياء / . [٢/ ١٢١]

(١) أخرجه الطبري (١٤١٣٥)، وابن أبي حاتم (٨٠٥٩) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٢١٧).
(٣) تفسير البحر المحيط (٤/ ٦٦٥).
(٤) ذكره القرطبي في تفسيره (٧/ ١٣٢) عن علي، وذكره ابن الجزري في النهاية (٤/ ٤٥٨) من قول عبد الله بن عباس.
(٥) لم أجد ترجمة لهذا الاسم كما أورده المصنف، وقد نقل عنه في البحر المحيط (٤/ ٦٦٦) مثل ذلك.
(٦) مؤرج بن عمرو السدوسي البصري النحوي أبو فيد، أحد أئمة العربية واللغة، أخذ عن: أبي عمرو ابن العلاء، وشعبة، والخليل بن أحمد، سكن نيسابور وبث بها علومه، وأخذ عنه أهلها، وصنف غريب القرآن، توفي سنة: (٢٩٥هـ). تاريخ الإسلام (١٣/ ٤١٤).
(٧) لغات العرب الواردة في القرآن الكريم، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص: ٥).

وذهب بعض المفسرين إلى أن القصد بهذه الآية أشياء مخصَّصات، فقال السدي[١] وابن عباس: ﴿مَاظَهَرَ﴾ هو زنا الحوانيت الشهير، و(ما بَطَنَ) هو متخذات الأخدان[٢]، وكانوا يستقبحون الشهير وحده فحرم الله الجميع، وقال الضحاك: ﴿مَاظَهَرَ﴾ هو الخمر، و(ما بطن) هو الزنا، وقال مجاهد: ﴿مَاظَهَرَ﴾ هو نكاح حلائل الآباء ونحو ذلك، و(ما بطن) هو الزنا[٣]، إلى غير هذا من تخصيص لا تقوم عليه حجة، بل هو دعوى مجردة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟﴾ الآية متضمنة تحريم قتل النفس المسلمة والمعاهدة، ومعنى الآية: إِلَّا بِالْحَقِّ الذي يوجب قتلها، وقد بينته الشريعة وهو الكفر بالله، وقتل النفس، والزنا بعد الإحصان، والحرابة، وما تشعب من هذه، و﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى هذه المحرمات.

و«الوصية»: الأمر المؤكد المقرر، ومنه قول الأعشى[٤]:

أَجِـدَّكَ لَمْ تَسْـمَعْ وَصـاةَ مُحَمَّدٍ ... نَبِيِّ الإِلهِ حِينَ أَوْصَى وأَشْهَدَا[٥] [الطويل]

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ ترج بالإضافة إلينا، أي: من سمع هذه الوصية ترجَّى وقوع أثر العقل بعدها، والـمَيْز بالمنافع والمضار في الدين.

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾.

هذا نهي عن القرب الذي يعم وجوه التصرف، وفيه سد الذريعة، ثم استثنى ما

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٢١٩)، والهداية لمكي (٣/ ٢١٦٨).
(٢) أخرجه الطبري (١٤١٤٢)، وابن أبي حاتم (٨٠٦٦) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.
(٣) تفسير الطبري (١٢/ ٧٤)، والهداية لمكي (٤/ ٢٣٤٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٢٨).
(٤) في الأصل والمطبوع ونجيبويه والحمزوية: «الشاعر».
(٥) البيت لأعشى بني قيس يمدح رسول الله ﷺ انظر عزوه له في سيرة ابن هشام (١/ ٣٨٧)، ومقاييس اللغة (١/ ٣٦٥).

يحسن وهو التثمير والسعي في نمائه، قال مجاهد: ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: التجارة فيه[١]، ممن كان من الناظرين له مال يعيش به، فالأحسن إذا ثمر مال يتيم أن لا يأخذ منه نفقة ولا أجرة ولا غيرها، ومن كان من الناظرين لا مال له، ولا يتفق له نظرٌ إلا بأن ينفق على نفسه من ربح نظره وإلا دعته الضرورة إلى ترك مال اليتيم دون نظر، فالأحسن أن ينظر ويأكل بالمعروف، قاله ابن زيد[٢].

و«الأشُد»: جمع شَدٍّ وجمع شدة، وهو هنا: الحزم والنظر في الأمور وحسن التصرف فيها.

قال القاضي أبو محمد: وليس هذا بالأشد المقرون ببلوغ الأربعين، بل هذا يكون مع صغر السن في ناس كثير، وتلك الأشد هي التجارب والعقل المحنك، ولكن قد خلطهما المفسرون.

وقال ربيعة والشعبي ومالك فيما روي عنه وأبو حنيفة: «بلوغ الأشد»: البلوغ مع أن لا يثبت سَفَهٌ[٣].

وقال السدي: «الأشد»: ثلاثون سنة[٤].

وقالت فرقة: ثلاثة وثلاثون سنة[٥].

وحكى الزجاج عن فرقة: ثمانية عشرة سنة، وضعّفه ورجح البلوغ مع الرشد[٦].

وحكى النقاش أن «الأشد» هنا من خمسة عشر إلى ثلاثين، والفقه ما رجَّح الزجّاج،

---

(١) انظر: الطبري (١٢/ ٢٢١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤١٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٥١٧)، وتفسير الماوردي (٢/ ١٨٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٢٢٢).

(٣) انظر: تفسير الماوردي (٣/ ٢٤١). وانظر قول مالك في الأشد في: تفسير القرطبي (٥/ ٣٤).

(٤) حكاه عنه الطبري (١٢/ ٢٢٣).

(٥) ومنهم ابن عباس ومجاهد وقتادة. انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤١٩).

(٦) في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٤٢).

وهو قول مالك، [وقال مالك][1] رحمه الله: الرشد وزوال السفه مع البلوغ.

قال القاضي أبو محمد: وهذا أصح الأقوال وأليقها بهذا الموضع.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾ الآية، أمر بالاعتدال في الأخذ والإعطاء. و(القسط): العدل.

وقوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ يقتضي أن هذه الأوامر إنما هي فيما يقع تحت قدرة البشر من التحفظ والتحرز، لا أنه مطالب بغاية العدل في نفس الشيء المتصرف فيه.

قال الطبري: لما كان الذي يعطي ناقصاً يتكلف في ذلك مشقة، والذي يعطي زائداً يتكلف أيضاً مثل ذلك، رفع الله عز وجل الأمر بالـمَعْدلة[2] حتى لا يتكلف واحد منهما مشقة[3].

وقوله: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ﴾ يتضمن الشهادات والأحكام والتوسط بين الناس وغير ذلك، أي: ولو كان ميل الحق على قراباتكم.

وقوله: ﴿وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أن يراد جميع ما عهده الله إلى عباده، ويحتمل أن يراد به جميع ذلك مع جميع ما انعقد بين إنسانين ويضاف ذلك العهد إلى الله من حيث قد أمر بحفظه والوفاء به.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ ترجّ بحَسَبنا.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿تذَّكّرون﴾ بتشديد الذال والكاف جميعاً، وكذلك: ﴿يذَّكَّرون﴾، و﴿يذّكّر الإنسان﴾ وما جرى من ذلك مشدداً كله.

---

(١) زيادة من السليمانية وفيض الله ونجيبويه ولالاليه، وانظر: تفسير القرطبي (٧/ ١٣٥)، وما نسبه للنقاش لم أقف عليه.

(٢) في المطبوع: «بالمعادلة».

(٣) قاله بمعناه. انظر تفسيره (٨/ ٨٦).

وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر كل ذلك بالتشديد، إلا قوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [مريم: ٦٧] فإنهم خففوها.

وروى أبان وحفص عن عاصم: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ خفيفة الذال في كل القرآن[١].

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿تذْكرون﴾ بتخفيف الذال إذا كان الفعل بالتاء، وإذا كان بالياء قرأه بالتشديد، وقرأ حمزة وحده في سورة الفرقان: ﴿لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذْكُرَ﴾ [٦٢] بسكون الذال وتخفيف الكاف، وقرأ ذلك الكسائي بتشديدهما وفتحهما[٢].

قوله عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

الإشارة بـ﴿هَٰذَا﴾ هي إلى الشرع الذي جاء به محمد ﷺ بجملته، وقال الطبري: الإشارة هي إلى هذه الوصايا التي تقدمت من قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ﴾[٣].

قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾ بفتح الهمزة وتشديد النون ﴿صِرَٰطِى﴾ ساكن الياء.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿وإِنَّ﴾ بكسر الألف وتشديد النون[٤].

وقرأ عبد الله بن أبي إسحاق وابن عامر من السبعة: ﴿وَأَنَّ﴾ بفتح الهمزة وسكون النون ﴿صراطيَ﴾ مفتوح الياء[٥].

فأما من فتح الألف فالمعنى عنده كأنه قال: ولأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه، أي: اتبعوه لكونه كذا، وتكون الواو على هذا إنما عطفت جملة على جملة، ويصح غير هذا؛ أن يعطف على ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟﴾ وكأن المحرم من هذا اتباع السبل والتنكيب عن الصراط الأقوم.

---

(١) وكلها سبعية، انظر: التيسير للداني (ص: ١٠٧)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ٢٧٢).

(٢) وسيأتي الكلام على حرفي مريم والفرقان في موضعيهما.

(٣) انظر: الطبري (١٢/ ٢٢٨).

(٤) وهي سبعية متواترة، انظر: التيسير (ص: ١٠٨).

(٥) انظر: التيسير (ص: ١٠٨)، وانظر قراءة ابن أبي إسحاق في معاني القرآن للنحاس (٢/ ٥١٨).

ومن قرأ بتخفيف النون عطف على قوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ ومذهب سيبويه أنها المخففة من الثقيلة، وأن التقدير: وأنه هذا صراطي.

ومن قرأ بكسر الألف وتشديد النون فكأنه استأنف الكلام وقطعه من الأول[١].

وفي مصحف ابن مسعود: (وهذا صراطي) بحذف (أنَّ)[٢].

وقال ابن مسعود: إن الله جعل طريقاً صراطاً مستقيماً طرفه محمد / ﷺ وشرعه ونهايته الجنة، وتتشعب منه طرق، فمن سلك الجادة نجا، ومن خرج إلى تلك الطرق أفضت به إلى النار[٣]. [٢/ ١٢٢]

وقال أيضاً: خط لنا الرسول الله ﷺ يوماً خطّاً، فقال: «هذا سبيل الله»، ثم خط عن يمين ذلك الخط وعن شماله خطوطاً فقال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها»، ثم قرأ هذه الآية[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذه الآية تعم أهل الأهواء والبدع والشذوذ في الفروع، وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام، هذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد.

وتقدم القول في ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم﴾، وفي قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ﴾.

ومن حيث كانت المحرمات الأُوَل لا يقع فيها عاقل قد نظر بعقله، جاءت العبارة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، والمحرمات الأُخر شهوات وقد يقع فيها من العقلاء من لم يتذكر، وركوب الجادة الكاملة يتضمن فعل الفضائل، وتلك درجة التقوى.

---

(١) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٤٣٦).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: كتاب المصاحف (ص: ١٧٦).

(٣) أخرجه الطبري (١٤١٧٠) من طريق معمر بن راشد، عن أبان بن أبي عياش، عن ابن مسعود رضي الله عنه، بنحوه، وهو ضعيف لضعف أبان بن أبي عياش فإنه متروك.

(٤) في إسناده ضعف، أخرجه أحمد (١/ ٤٣٥-٤٦٥)، والترمذي (٢٠٢)، والنسائي في الكبرى (١١١٠٩-١١١١٠)، والبزار (١٦٧٧-١٧١٨-١٨٦٥)، والدارمي (٢٠٢)، وابن حبان (٦-٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٣٩)، وغيرهم، من طريق: عاصم بن أبي النجود، عن أبي وائل، عن عبد الله ابن مسعود به، وعاصم فيه ضعف.

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾.

﴿ثُمَّ﴾ في هذه الآية إنما مهلتها في ترتيب القول الذي أمر به محمد ﷺ كأنه قال: ثم مما قضيناه أنا آتينا موسى الكتاب، ويدعو إلى ذلك أن موسى عليه السلام متقدم بالزمان على محمد ﷺ وتلاوته ما حرم الله.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة، و﴿تَمَامًا﴾ نصب على المصدر.

وقوله: ﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾؛ مختلَف في معناه:

فقالت فرقة: ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ بمعنى الذين، و﴿أَحْسَنَ﴾ فعل ماض صلة الذين، وكأن الكلام: وآتينا موسى الكتاب تفصيلاً على المحسنين من أهل ملته وإتماماً للنعمة عندهم، هذا تأويل مجاهد[١].

وفي مصحف عبد الله: (تماماً على الذين أحسنوا)[٢]، فهذا يؤيد ذلك التأويل.

وقالت فرقة: ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ غير موصولة، والمعنى: تماماً على ما أحسن هو من عبادة ربه والاضطلاع بأمور نبوته، يريد موسى عليه السلام، هذا تأويل الربيع وقتادة[٣].

وقالت فرقة: المعنى ﴿تَمَامًا﴾ أي: تفضلاً وإكمالاً على الذي أحسن الله فيه إلى عباده من النبوءات والنعم وغير ذلك، فـ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ أيضاً في هذا التأويل غير موصولة، وهذا تأويل ابن زيد[٤].

وقرأ يحيى بن يَعْمَرَ وابن أبي إسحاق: (تماماً على الذي أحسنُ) بضم النون[٥]،

(١) حكاه عنه الطبري (١٢/ ٢٣٣)، وانظر: معاني القرآن للنحاس (٢/ ٥١٩)، وتفسير الماوردي (٢/ ١٨٩).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٤٧)، وتفسير الطبري (١٢/ ٢٣٤)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٠٥).

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ٢٣٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٢٣).

(٤) راجع: تفسير الماوردي (٢/ ١٨٩)، وتفسير الطبري (١٢/ ٢٣٣).

(٥) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٣٤)، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (٣/ ٢٢٤٧).

فجعلها صفَة تفضيلٍ ورفعها على خبر ابتداءٍ مضمرٍ تقديره: على الذي هو أحسن، وضعف أبو الفتح هذه القراءة لقبح حذف المبتدأ العائد[١].

وقال بعض نحويي الكوفة: يصح أن يكون ﴿أَحْسَنَ﴾ صفة لـ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ من حيث قارب المعرفة إذ لا تدخله الألف واللام، كما تقول العرب: مررت بالذي خيرٍ منك، ولا يجوز: بالذي عالمٍ[٢]، وخطأ الزجاج هذا القول الكوفي[٣].

و(تفصيلاً) يريد بياناً وتقسيماً.

و﴿لَعَلَّهُم﴾ ترجٍّ بالإضافة إلى البشر.

و﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ أي: بالبعث الذي الإيمانُ به نهايةُ تصديق الأنبياء صلوات الله عليهم، إذ لا تلزمه العقول بذواتها، وإنما ثبت بالسمع مع تجويز العقل له.

قوله عز وجل: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

(هذا) إشارة إلى القرآن.

و﴿مُبَارَكٌ﴾ وصف بما فيه من التوسعات، وإزالة أحكام الجاهلية وتحريماتها، وجمع كلمة العرب، وصلة أيدي متبعيه، وفتح الله على المؤمنين[٤] به، ومعناه: منمًّى خيره مكثَّر، والبركة: الزيادة والنمو.

و﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ دعاء إلى الدين.

---

(١) المحتسب (١/ ٢٣٤).

(٢) راجع معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٠٥).

(٤) في فيض الله: «الموقنين».

﴿ وَٱتَّقُواْ ﴾ الأظهر فيه أنه أمر بالتقوى العامة في جميع الأشياء، بقرينة قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾.

و﴿أَن ﴾ من قوله: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ ﴾ في موضع نصب، والعامل فيه ﴿أَنزَلۡنَٰهُ ﴾، والتقدير: وهذا كتاب أنزلناه كراهيةَ أن، وهذا أصح الأقوال وأضبطها للمعنى المقصود.

وقيل: العامل في أَنْ قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ﴾، فكأنه قال: واتقوا أن تقولوا، وهذا تأويل يتخرج على معنى: واتقوا أن تقولوا كذا، لأنه لا حجة لكم فيه، ولكنْ يَعرِض فيه قلق لقوله أثناء ذلك: ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾، وفي التأويل الأول يتسق نظم الآية.

و«الطائفتان»: اليهود والنصارى بإجماع من المتأولين، و«الدراسة»: القراءة والتعلم بها.

و(إنْ) في قوله: ﴿وَإِن كُنَّا ﴾ مخففة من الثقيلة، واللام في قوله: ﴿لَغَٰفِلِينَ ﴾ لام توكيد، هذا مذهب البصريين، وحكى سيبويه عن بعض العرب أنهم يخففونها ويبقونها على عملها[١]، ومنه قراءة بعض أهل المدينة: ﴿وإنْ كلاًّ﴾[٢]، وأما المشهور فإنها إذا خففت ترجع حرف ابتداء لا تعمل.

وأما على مذهب الكوفيين فـ(إنْ) في هذه الآية بمعنى «ما» النافية، واللام بمعنى «إلا»، فكأنه قال: وما كنا عن دراستهم إلا غافلين[٣].

قال القاضي أبو محمد: معنى هذه الآية إزالة الحجة عن أيدي قريش وسائر العرب بأنهم لم يكن لهم كتاب، فكأنه قال: وهذا القرآن يا معشر العرب أنزل حجة عليكم لئلا تقولوا: إنما أنزلت التوراة والإنجيل بغير لساننا على غيرنا، ونحن لم نعرف ذلك، فهذا كتاب بلسانكم ومع رجل منكم.

---

(١) الكتاب لسيبويه (٣/ ١٥٢).

(٢) وهي قراءة متواترة، كما سيأتي في محله.

(٣) انظر هذه المسألة في مشكل إعراب القرآن، لمكي (١/ ٢٧٨).

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ تَقُولُواْ﴾ جملة معطوفة على الجملة الأولى، وهي في غرضها من الاحتجاج على الكفار، وقطع تعلقهم في الآخرة بأن الكتب إنما أنزلت على غيرهم، وأنهم غافلون عن الدراسة والنظر في الشرع وأنهم لو نزل عليهم كتاب لكانوا أسرع إلى الهدى من الناس كلهم، فقيل لهم: قد جاءكم بيان من الله وهدى ورحمة.

ولـمَّا تقرر أن البينة قد جاءت والحجة قد قامت حسُن بعد ذلك أن يقع التقرير بقوله: فَمَنْ أشدُّ ظُلْما مِمَّنْ كَذَّبَ بهذه الآيات البينات.

﴿وَصَدَفَ﴾ معناه: حاد وزاغ[1] وأعرض.

وقرأ يحيى بن وثاب وابن أبي عبلة: (كذب) بتخفيف الذال[2]، والجمهور: ﴿كَذَّبَ﴾ / بتشديد الذال. [٢/ ١٢٣]

و﴿سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ﴾ وعيد.

وقرأت فرقة: ﴿يَصۡدِفُونَ﴾ بكسر الدال، وقرأت فرقة: (يصدُفون) بضم الدال[3].

قوله عز وجل: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨﴾.

الضمير في ﴿يَنظُرُونَ﴾ هو للطائفة التي قيل لها قبل: ﴿فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، وهم العادلون بربهم من العرب الذين مضت أكثر آيات السورة في جدالهم.

و﴿يَنظُرُونَ﴾ معناه: ينتظرون، و﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ هنا يراد بها ملائكة الموت الذين يصحبون عزرائيل المخصوص بقبض الأرواح، قاله مجاهد وقتادة وابن جريج[4].

---

(١) في المطبوع: راغ.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٣٤)، مختصر الشواذ (ص: ٤٧).

(٣) وهي قراءة شاذة، نقلها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ١٨١)، عن الحسن.

(٤) تفسير الطبري (١٢/ ٢٤٥-٢٤٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٢٦)، وانظر: معاني القرآن للنحاس (٢/ ٥٢٢).

ويحتمل أن يريد الملائكة الذين يتصرفون في قيام الساعة.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿إلا أن يأتيهم﴾ بالياء، وقرأ الباقون: ﴿تَأْتِيَهُمُ﴾ بالتاء من فوق[١].

وقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ قال الطبري: لموقف الحساب يوم القيامة، وأسند ذلك إلى قتادة وجماعة من المتأولين[٢].

وحكى الزجاج أن المراد بقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي: العذاب الذي يسلطه الله في الدنيا على من يشاء من عباده، كالصيحات والرجفات والخسف ونحوه[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا الكلام على كل تأويل فإنما هو بحذف مضاف تقديره: أمر ربك، أو بطش ربك، أو حساب ربك، وإلا فالإتيان المفهوم من اللغة مستحيل في حق الله تعالى، ألا ترى أن الله تعالى يقول: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ [الحشر: ٢]، فهذا إتيان قد وقع وهو على المجاز وحذف المضاف[٤].

وقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ أما ظاهر اللفظ لو وقفنا معه فيقتضي أنه توعدهم بالشهير الفظيع من أشراط الساعة دون أن يخص من ذلك شرطاً، يريد بذلك الإبهام الذي يترك السامع مع أقوى تخيله، لكن لما قال بعد ذلك: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾، وبينت الآثار الصحاح في البخاري ومسلم أن الآية التي معها هذا الشرط هي طلوع الشمس من المغرب[٥]، قَوِيَ أن الإشارة بقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ إنما هي إلى طلوع الشمس من مغربها.

---

(١) وهي سبعية متواترة، انظر: التيسير للداني (ص: ١٠٨).

(٢) انظر: تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٢٢)، وتفسير الطبري (١٢/ ٢٤٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٢٧)، وتفسير الماوردي (٢/ ١٩٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٠٧).

(٤) تقدم أن مذهب السلف إثبات صفات الله تعالى كما جاءت دون تعطيل ولا تمثيل.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١١٩)، ومسلم (١٥٩) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

وقال بهذا التأويل مجاهد وقتادة والسدي وغيرهم[١].

ويقوَى أيضاً أن تكون الإشارة إلى غرغرة الإنسان عند الموت أو ما يكون في مثابتها لمن لم يغرغر؛ ففي الحديث: أن توبة العبد تقبل ما لم يغرغر[٢]، وهذا إجماع[٣]؛ لأن مَن غرغر وعاين فهو في عداد الموتى، وكونُ المرء في هذه الحالة من آيات الله تعالى، وهذا على من يرى ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ المتصرفين في قيام الساعة.

قال القاضي أبو محمد: فمقصد هذه الآية تهديد الكافرين بأحوالٍ لا يخلُون منها، كأنه قال: هل ينظرون مع إقامتهم على الكفر إلا الموت الذي لهم بعده أشد العذاب، والأخذاتُ المعهودة لله عز وجل، أو الآيات التي ترفع التوبة وتُعلم بقرب القيامة.

قال القاضي أبو محمد: ويصح أن يريد بقوله: ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾ جميع ما يُقطع بوقوعه من أشراط الساعة، ثم خصص بعد ذلك بقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾ الآية التي ترتفع التوبة معها، وقد بينت الأحاديث أنها طلوع الشمس من مغربها[٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٢٤٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٢٧)، وتفسير الماوردي (٢/ ١٩٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٣٧) وابن ماجه (٤٢٥٣) وابن حبان (٦٢٨) والحاكم (٤/ ٢٨٦) من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن ابن عمر مرفوعاً، قال الترمذي: حسن غريب.اهـ، وعبد الرحمن له مناكير، وقد تفرد بهذا، وذكر هذا الحديث في ترجمته: ابن عدي في الكامل (٤/ ٢٨١) وتابعه الذهبي في الميزان على مسلم (٢/ ٥٥٢).

(٣) انظر حكاية الإجماع على ذلك في: شرح النووي (٢/ ٤٥).

(٤) من ذلك ما أخرجه الترمذي (٣٥٣٦)، والنسائي في الكبرى (١١١١٤) من حديث عاصم عن زر ابن حبيش قال: أتيت صفوان بن عسال المرادي.. وفيه: قال زر: فما برح يحدثني حتى حدثني أن الله جعل بالمغرب باباً مسيرة عرضه سبعون عاماً للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله، قال: وذلك قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾. ولم يصرح برفع هذا القدر، وأخرج الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥٣) من طريق: جرير عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله من قوله، وأخرج الطبراني في الأوسط (٢/ ٢٩٤) من طريق: العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قوله أيضاً، وفي الباب عن أبي هريرة، وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهم.

وقرأ زهير الفرقبي: (يوم يأتي) بالرفع[١]، وهو على الابتداء، والخبر في الجملة التي هي ﴿لَا يَنفَعُ﴾ إلى آخر الآية، والعائد من الجملة محذوف لطول الكلام.

وقرأ ابن سيرين وعبد الله بن عمرو وأبو العالية: (لا تنفع) بتاء[٢]، وأنّث «الإيمان» لما أضيف إلى مؤنث، أو لما نزِّل منزلة التوبة، وقال جمهور أهل التأويل كما تقدم: الآية التي لا تنفع التوبة من الشرك أو من المعاصي بعدها هي طلوع الشمس من المغرب.

وروي عن ابن مسعود أنها إحدى ثلاث: إما طلوع الشمس من مغربها، وإما خروج الدابة، وإما خروج يأجوج ومأجوج[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا فيه نظر؛ لأن الأحاديث ترده وتخصص الشمس، وروي في هذا الحديث أن الشمس تجري كل يوم حتى تسجد تحت العرش، وتستأذن فيؤذن لها في طلوع المشرق، وحتى إذا أراد الله عز وجل سد باب التوبة أمرها بالطلوع من مغربها[٤]، قال ابن مسعود وغيره عن النبي ﷺ: «فتطلع هي والقمر كالبعيرين القرينين»[٥]. ويقوى النظر أيضاً أن الغرغرة هي الآية التي ترفع معها التوبة.

وقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ يريد جميع أعمال البر فرضها ونفلها، وهذا

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٣٦)، وفي السليمانية: «زهير القرشي»، وهو خطأ، وقد سبق التعريف به.

(٢) عزاها لابن سيرين وابن عمر في مختصر الشواذ (ص: ٤٧)، ولأبي العالية في المحتسب (١/ ٢٣٦)، ولم أجدها لابن عمرو.

(٣) أخرجه الطبري (١٤٢٤٤-١٤٢٤٥) من طريق القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن جده عبد الله بن مسعود، ولم يسمع منه، كما قاله أبو حاتم وانظر جامع التحصيل (٦٢٤).

(٤) تقدم حديث أبي ذر الذي أخرجه البخاري (٣١١٩)، ومسلم (١٥٩).

(٥) أخرجه الطبري (١٤٢٣٠-١٤٢٣١-١٤٢٣٢-١٤٢٣٣)، وابن أبي حاتم (٨١٤٢)، والطبراني في الكبير (٩٠١٩) من طريق أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً، وهو صحيح.

الفصل هو للعصاة المؤمنين كما أن[1] قوله: ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ هو للكفار، والآية المشار إليها تقطع توبة الصنفين.

وقرأ أبو هريرة: (أو كسبت في إيمانها صالحاً)[2].

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ﴾ الآية، تتضمن[3] الوعيد، أي: فسترون من يحق كلامه ويتضح ما أخبر به.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ (١٥٩) مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠)﴾.

قال ابن عباس[4] والضحاك وقتادة: المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اليهود والنصارى، أي: فرقوا دين إبراهيم الحنيفي[5]، وأضيف الدين[6] إليهم من حيث كان ينبغي أن يلتزموه، إذ هو دين الله الذي ألزمه العباد، فهو دين جميع الناس بهذا الوجه، ووصفهم بالشيع إذ كل طائفة منهم لها فِرَق واختلافات، ففي الآية حض لأمة محمد على الائتلاف وقلة الاختلاف.

وقال أبو الأحوص وأم سلمة زوج النبي ﷺ: الآية في أهل البدع والأهواء والفتن ومن جرى مجراهم من أمة محمد[7]، أي: فرقوا دين الإسلام.

---

(١) من المطبوع.

(٢) لم أجد من ذكر هذه القراءة غير ابن عطية، وهي قراءة شاذة، مخالفة للرسم.

(٣) في السليمانية وفيض الله ولالاليه: «لفظ يتضمن».

(٤) أخرجه الطبري (١٤٢٦١)، وابن أبي حاتم (٨١٥٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٢٦٩-٢٧٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٣٠)، وتفسير الماوردي (٢/ ١٩٢)، وفي الأصل: «دين الحنيفية».

(٦) في المطبوع: «الذين»، وهو خطأ.

(٧) أخرجه ابن منيع في مسنده كما في المطالب العالية (٣٦٠١)، وانظر قول أبي الأحوص في تفسير الطبري (١٢/ ٢٧٢)، وفي المطبوع: «الأحوص» بلا كنية، وترجم له في الهامش، والظاهر أنه خطأ.

وقرأ علي بن أبي طالب وحمزة والكسائي: ﴿فارقوا﴾[(١)]، ومعناه: تركوا.

[٢/ ١٢٤] ثم بيّن قولُه: ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ أنهم فرقوه أيضاً، / و«الشيع»: جمع شيعة، وهي الفرقة على مقصدٍ مّا يتشايعون عليه.

وقوله: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي: لا تشفع لهم ولا لهم بك تعلق، وهذا على الإطلاق في الكفار، وعلى جهة المبالغة في العصاة والمتنطعين في الشرع، لأنهم لهم حظٌّ من تفريق الدين.

وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى آخر الآية وعيد محض، والقرينة المتقدمة تقتضي أن أمرهم إلى الله فيه وعيد، كما أن القرينة في قوله: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥] تعطي أن في ذلك الأمر رجاء، كأنه قال: وأمره في إقبال وإلى خير.

وقرأ النخعي والأعمش وأبو صالح: (فَرَقوا) بتخفيف الراء[(٢)].

وقال السدي: هذه آية لم يؤمر فيها بقتال، وهي منسوخة بالقتال[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا كلام غير متقن، فإن الآية خبر لا يدخله نسخ، ولكنها تضمنت بالمعنى أمراً بموادعة، فيشبه أن يقال: إن النسخ وقع في ذلك المعنى الذي قد[(٤)] تقرر في آيات أخر.

وقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ الآية؛ قال أبو سعيد الخدري وعبد الله بن عمر: هذه الآية نزلت في الأعراب الذين آمنوا بعد الهجرة، فضاعف الله حسناتهم للحسنة عشر، وكان المهاجرون قد ضوعف لهم الحسنة سبع مئة[(٥)].

---

(١) وهي سبعية، وكذلك ﴿فَرَّقُواْ﴾، وهي قراءة الجمهور، انظر: التيسير (ص: ١٠٨).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٣٨)، ومختصر الشواذ (ص: ٤٧).

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ٢٧٢).

(٤) زيادة من فيض الله والسليمانية.

(٥) أما أثر أبي سعيد الخدري فقد أخرجه الطبري (١٤٢٩٣) من طريق قتادة، عن أبي صديق الناجي =

قال القاضي أبو محمد: وهذا تأويل يحتاج إلى سند يقطع العذر.

وقالت فرقة: هذه الآية لجميع الأمة، أي: إن الله يضاعف الحسنة بعشرة، ثم بعد هذا المضمون قد يزيد ما يشاء، وقد يزيد أيضاً على بعض الأعمال كنفقة الجهاد.

وقال ابن مسعود ومجاهد والقاسم بن أبي بَزَّة[1] وغيرهم: الحسنة هاهنا: لا إله إلا الله، والسيئة: الكفر[2].

قال القاضي أبو محمد: وهذه هي الغاية من الطرفين.

وقالت فرقة: ذلك لفظ عام في جميع الحسنات والسيئات، وهذا هو الظاهر.

وأنّث لفظ العشر لأن الأمثال هاهنا بالمعنى حسنات، ويحتمل أن الأمثال أنث لما أضيفت إلى مؤنث، وهو الضمير، كما قال الشاعر:

مَشَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ ... أَعَالِيَهَا مَرّ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ[3] [الطويل]

فأنث.

= واسمه بكر بن عمرو، عن أبي سعيد الخدري به، وإسناده صحيح، وأما أثر عبد الله بن عمر فقد أخرجه الطبري (١٤٢٩٤)، وابن أبي حاتم (٨١٦٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عمر رضي الله عنه، والعوفي ضعيف.

(١) القاسم بن أبي بزة، أبو عبد الله، ويقال: أبو عاصم، مولى عبد الله ابن السائب بن صيفي المخزومي المكي، روى عن أبي الطفيل وسعيد بن جبير ومجاهد، وعنه حجاج بن أرطاة وشعبة ومسعر وآخرون، توفي سنة (١٢٤هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٢٠٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٤٢٧٢-١٤٢٧٣-١٤٢٧٤)، وابن أبي حاتم (٨١٦٥) في تفسيريهما من طريق جامع بن شداد، عن الأسود بن هلال، عن ابن مسعود، وإسناده صحيح، وانظر بقية الأقوال في: تفسير مجاهد (٢/ ٤٧٦)، وتفسير مقاتل (٢/ ٥٠٨)، وتفسير عبد الرزاق (٣/ ٨٦)، وتفسير الطبري (١٢/ ٢٧٦-٢٧٩)، ومعاني القرآن (٢/ ٥٢٤).

(٣) البيت لذي الرمة، كما في الكتاب لسيبويه (١/ ٥٢)، والكامل للمبرد (٢/ ١٠٥)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٢٣٤).

وقرأ الحسن وسعيد بن جبير وعيسى بن عمر والأعمش ويعقوب: ﴿فَلَهُۥ عَشْرٌ﴾ بالتنوين، ﴿أمثالُها﴾ بالرفع(١).

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «الأعمال ست: مُوْجِبة ومُوْجِبة، ومضعَّفة ومضعَّفة، ومِثْل ومِثْل؛ فلا إله إلا الله توجب الجنة، والشرك يوجب النار، ونفقة الجهاد تضعف سبع مئة ضعف، والنفقة على الأهل حسنتها بعشرة، والسيئة جزاؤها مثلها، ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة مثلها»(٢).

وقوله تعالى: ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا يوضع في جزائهم شيء في غير موضعه، وتقدير الآية: من جاء بالحسنة فله ثواب عشر أمثالها، والمماثلة بين الحسنة والثواب مترتبة إذا تدبرت.

وقال الطبري: قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ الآية، يريد: من الذين فرقوا دينهم، أي: من جاء مؤمناً فله الجنة(٣).

قال القاضي أبو محمد: والقصد بالآية إلى العموم في جميع العالم أليق باللفظ، والله أعلم(٤).

قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾.

هذا أمر من الله عز وجل أمر به نبيه ﷺ بالإعلان بشريعته والانتباه من سواها من أضاليلهم، ووصف الشريعة بما هي عليه من الحسن والفضل والاستقامة.

---

(١) وهي قراءة عشرية، قرأبها يعقوب كما في النشر (٢/ ٣٠١)، وانظر: تفسير الثعلبي (٤/ ٢١١)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٤٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٢٩١) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، مرسلًا.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٨/ ١٠٧).

(٤) زيادة من السليمانية.

و﴿ هَدَىٰنِي ﴾ معناه: أرشدني بخَلْق الهدى في قلبي.

و«الرب»: المالك، ولفظه مصدر من قولك: ربَّه يربه، وإنما هو مثل عدلٍ ورضاً في أنه مصدر وصف به، وأصله: ذو الرب، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فقيل: الرب.

وقيل: «الصراط»: الطريق.

و﴿دِينًا﴾ منصوب بـ«هَدانِي» المقدر الذي يدل عليه ﴿هَدَىٰنِي﴾ الأول، وهذا الضمير إنما يصل وحده دون أن يحتاج إلى إضمار «إلى»، إذ «هدى» يصل بنفسه إلى مفعوله الثاني وبحرف الجر، فهو فعل متردد.

وقيل: نصَبَ ﴿دِينًا﴾ فعلٌ مضمر تقديره: عرَّفني ديناً، وقيل تقديره: فاتَّبعوا ديناً، أو فالزموا ديناً، وقيل: نصب على البدل من ﴿ صِرَٰطٍ ﴾ على الموضع، لأن تقديره: هداني ربي صراطاً مستقيماً.

و﴿قِيَمًا﴾ نعت للدين، ومعناه: مستقيماً معتدلاً.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿قَيِّما﴾ بفتح القاف وكسر الياء وشدها، وأصله: قَيْوِم، عللت كتعليل سيد وميت.

وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿قِيَمًا﴾ بكسر القاف وفتح الياء على وزن فِعَل[1]، وكان الأصل أن يجيء فيه قِوَماً كعوض وحول، إلا أنه شذ كشذوذ قولهم: جياد، في جمع جواد، وثِيَرَة في جمع ثور.

و﴿مِّلَّةَ ﴾ بدل من «الدين»، والملة: الشريعة، و﴿حَنِيفًا﴾ نصب على الحال من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾، والحنف في كلام العرب: الميل، فقد يكون الميل إلى فساد كحَنَف الرجل، وكقوله: (فمَنْ خافَ من مُوصٍ حَنَفاً) [البقرة: ١٨٢] على قراءة من قرأ بالحاء غير المنقوطة[2] ونحو ذلك.

(١) وكلاهما سبعية، انظر: التيسير للداني (ص: ١٠٨).
(٢) وهي قراءة شاذة، لم أجدها لغير ابن عطية، ولم يشر لها في محلها.

وقد يكون الحنف: الميل إلى الصلاح، كقوله ﷺ: «الحنيفية السمحة»(١)، و«الدين الحنيف» ونحوه.

وقال ابن قتيبة: الحنف الاستقامة(٢)، وإنما سمي الأحنف في الرجل على جهة التفاؤل له.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ نفي للنقيصة عنه ﷺ.

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى﴾ الآية، أمر من الله عز وجل أن يعلن بأن مقصده في صلاته وطاعته من ذبيحة وغيرها، وتصرُّفَه مدة حياته، وحاله من الإخلاص والإيمان عند مماته، إنما هو لله عز وجل وإرادةَ وجهه وطلب رضاه.

وفي إعلان النبي ﷺ بهذه المقالة ما يلزم المؤمنين التأسي به حتى يلتزموا في جميع أعمالهم قصد وجه الله عز وجل، ويحتمل أن يريد بهذه المقالة أن صلاته ونسكه وحياته وموته بيد الله عز وجل وله، يصرِّفه في جميع ذلك كيف شاء، وأنه قد هداه من
[٢/ ١٢٥] ذلك إلى صراط مستقيم، ويكون قوله: ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ / [على هذا التأويل راجعاً إلى قوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ فقط أو راجعاً إلى القول الأول](٣)، وعلى هذا التأويل الأول يرجع على جميع ما ذكر من صلاة وغيرها، أي: أمرت بأن أقصد وجه الله عز وجل في ذلك وأن ألتزم العمل به.

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَنُسُكِى﴾ بضم السين، وقرأ أبو حيوة والحسن بإسكان السين(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٦)، وعبد بن حميد في المنتخب (٥٦٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٨٧) من طريق محمد بن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الأديان أحب إلى الله؟ قال: «الحنيفية السمحة»، وهو صحيح لغيره، وفي الباب عن عائشة، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة، وأبي أمامة.

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٦٤)، ولفظه: «الحنيف: المستقيم».

(٣) ساقط من الأصل، و«الأول» زيادة من الحمزوية ونجيبويه.

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لأبي حيوة والنخعي في الشواذ للكرماني (ص: ١٨٢)، وللحسن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٧٨).

وقالت فرقة: «النسك» في هذه الآية الذبائح.

قال القاضي أبو محمد: ويحسِّن تخصيص الذبيحة بالذكر في هذه الآية أنها نازلة قد تقدم ذكرها والجدل فيها في السورة.

وقالت فرقة: «النسك» في هذه الآية جميع أعمال الطاعات، من قولك: نسك فلان فهو ناسك: إذا تعبد.

وقرأ السبعة سوى نافع: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ بفتح الياء من (محيايَ)، وسكونها من (مماتي).

وقرأ نافع وحده: ﴿ومحيايْ﴾ بسكون الياء[1].

قال أبو علي الفارسي: وهي شاذة في القياس؛ لأنها جمعت بين ساكنين، وشاذة في الاستعمال، ووجهها أنه قد سمع من العرب: التقت حلقتا البطان، و: لفلان ثلثا المال[2].

وروى أبو خليد[3] عن نافع: (ومحيايِ) بكسر الياء.

وقرأ ابن أبي إسحاق وعيسى والجحدري: (ومَحييَّ)[4]، وهذه لغة هذيل، ومنه قول أبي ذؤيب:

سَبَقوا هَـوَيَّ وأَعْنَقُـوا لِهَوَاهُـمُ فتُصرِّعُوا ولِكُلِّ جَنْبٍ مَصرَعُ[5] [الكامل]

(١) وهما سبعيتان. انظر: التيسير للداني (ص ١٠٨).
(٢) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٤٤٠)، وفي السليمانية: «البطلان» بدل «البطان»، وهو خطأ.
(٣) هو عتبة بن حماد أبو خليد الحكمي الدمشقي القارئ. إمام جامع دمشق، حدث عن: الزبيدي، والأوزاعي، وابن ثوبان، وآخرين، وعنه: ابنه خليد، وسليمان بن أحمد الواسطي، ومحمد بن وهب ابن عطية. تاريخ الإسلام (١٣/ ٣٠٥).
(٤) وهما شاذتان، انظر عزو الأولى في الشواذ للكرماني (ص: ١٨٢)، والثانية في مختصر الشواذ (ص: ٤٧)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢١٢).
(٥) تقدم في أول سورة البقرة.

وقرأ عيسى بن عمر: (صلاتيَ ونسكيَ ومحيايَ ومماتيَ) بفتح الياء فيهن، وروي ذلك عن عاصم[١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: من هذه الأمة، وقال النقاش: من أهل مكة[٢].

قال القاضي أبو محمد: والمعنى واحد، بل الأول أعم وأحسن.

وقرأت فرقة: ﴿وأنا﴾ بإشباع الألف، وجمهور القراء على القراءة: ﴿وَأَنَا۠﴾ دون إشباع، وهذا كله في الوصل[٣].

قال القاضي أبو محمد: وترك الإشباع أحسن لأنها ألف وقف فإذا اتصل الكلام استغنى عنها لا سيما إذا وليتها همزة.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾.

حكى النقاش أنه روي أن الكفار قالوا للنبي ﷺ: ارجع يا محمد إلى ديننا واعبد آلهتنا واترك ما أنت عليه ونحن نتكفل لك بكل تِباعة تتوقعها في دنياك وآخرتك، فنزلت هذه الآية[٤]، وهي استفهام يقتضي التقرير والتوقيف والتوبيخ، و﴿أَبْغِى﴾ معناه: أطلب، فكأنه قال: أفيحسُن عندكم أن أطلب إلهاً غير الله الذي هو رب كل شيء؟ وما ذكرتم من كفالتكم لا يتم؛ لأن الأمر ليس كما تظنونه، وإنما كسب كل نفس من الشر والإثم عليها وحدها.

---

(١) انظر عزوها لعيسى بن عمر، ورواية الشموني في الشواذ للكرماني (ص: ١٨٢)، وللثاني عن شعبة في جامع البيان (٣/ ١٠٧٠).

(٢) انظر: تفسير البحر المحيط (٤/ ٧٠٤).

(٣) وهما سبعيتان، والأولى لنافع، كما تقدم.

(٤) مثله في تفسير مقاتل (١/ ٣٨١)، وتفسير الماوردي (٢/ ١٩٦).

و(لا تَزِرُ): أي: لا تحمل، ﴿وَازِرَةٌ﴾: أي: حاملة حمل أخرى وثقلها، والوزر أصله: الثقل، ثم استعمل في الإثم لأنه ينقض الظهر تجوُّزاً واستعارة، يقال منه: وَزَر الرجل يزِر فهو وازر، ووزِر يَوْزَر فهو موزور.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ تهديد ووعيد.

﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ أي: فيعلمكم أن العقاب على الاعوجاج تبيين لموضع الحق.

وقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ يريد ـ على ما حكى بعض المتأولين ـ من أمري في قول بعضكم هو ساحر، وبعضكم: هو شاعر، وبعضكم: افتراه، وبعضكم: اكتتبه، ونحو هذا.

قال القاضي أبو محمد: وهذا التأويل يحسُن في هذا الموضع، وإن كان اللفظ يعم جميع أنواع الاختلافات من الأديان والملل والمذاهب وغير ذلك.

و﴿خَلَٰٓئِفَ﴾: جمع خليفة أي يخلف بعضكم بعضاً.

قال القاضي أبو محمد: وهذا يتصور في جميع الأمم وسائر أصناف الناس، لأن من أتى خليفة لمن مضى، ولكنه يحسن في أمة محمد ﷺ أن يسمى أهلها بجملتهم خلائف للأمم، وليس لهم من يخلفهم إذ هم آخر الأمم وعليهم قيام الساعة.

وروى الحسن بن أبي الحسن أن النبي ﷺ قال: «توفُون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله»، ويروى: «أنتم آخرها وأكرمها على الله»(١).

وقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ لفظ عام في المال والقوة والجاه وجودة النفوس والأذهان وغير ذلك، وكل ذلك إنما هو ليختبر الله تعالى الخلق فيرى المحسن من المسيء.

ولما أخبر عز وجل بهذا، ففسح للناس ميدان العمل، وحضهم على الاستباق

---

(١) لم أقف على رواية الحسن، ولكن الحديث مشهور من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، مرفوعاً، أخرجه أحمد (٥/ ٣)، والترمذي (٣٠٠١)، وابن ماجه (٤٢٨٨)، وغيرهم وإسناده جيد.

إلى الخير، توعّد ووعد تخويفاً منه وترجية، فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾، وسرعة عقابه إما بأخذاته في الدنيا، وإما بعقاب الآخرة.

وحسن أن يوصف عقاب الآخرة بـ﴿سَرِيعُ﴾ لما كان متحقِّقاً مضمون الإتيان والوقوع، فكل آت يحكم عليه بالقرب ويوصف به.

﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: ترجية لمن أذنب وأراد التوبة، وهذا في كتاب الله كثير: اقترانُ الوعيد بالوعد لطفاً من الله تعالى بعباده.

[كمل تفسير سورة الأنعام](١)

(١) زيادة من فيض الله والسليمانية، وفي لالاليه: «كمل السفر الثاني بعون الله وحسن توفيقه وصلى على سيدنا محمد»، وفي هامشه: «بلغ مقابلة».

سورة الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الأعراف على بركة الله

وهي مكية كلها، قاله الضحاك وغيره[١].

وقال مقاتل: هي مكية إلا قوله: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [١٦٣] إلى قوله: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [١٧٢] فإن هذه الآيات مدنية[٢].

قوله عز وجل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾.

تقدم القول في تفسير الحروف المقطعة التي في أوائل السور، وذكر اختلاف المتأولين فيها، ويختص هذا الموضع زائداً على تلك الأقوال بما قاله السدي: إن ﴿الٓمٓصٓ﴾ هجاء لاسم الله الذي هو المصور[٣]، وبقول زيد بن علي: إن معناه: أنا الله الفاصل[٤].

---

(١) وهو قول الحسن وعطاء وعكرمة، انظر: تفسير الماوردي (٢/ ١٩٨)، وتفسير البغوي (٢/ ١٤٧).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٢٧).

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ٢٩١)، وتفسير: بن أبي حاتم (٥/ ١٤٣٧)، وتفسير الماوردي (٢/ ١٩٨)، وفي فيض الله: «حجاب» بدل «هجاء».

(٤) لم أقف عليه.

وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ الآية، قال الفراء وغيره: ﴿كِتَٰبٌ﴾ رفع على الخبر للحروف[١]، كأنه قال: هذه الحروف كتاب أنزل إليك، ورد الزجّاج على هذا القول بما لا طائل فيه[٢].

[٢/ ١٢٦] وقال غيره: ﴿كِتَٰبٌ﴾ رفع على خبر ابتداء مضمر تقديره: / هذا الكتاب، و﴿أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ في موضع الصفة لـ﴿كِتَٰبٌ﴾.

ثم نهى النبيَّ ﷺ أن يَبْـرَم أو يتضجر[٣] أو يستصحب من هذا الكتاب أو بسبب من أسبابه حرجاً، ولفظ النهي هو للحرج ومعناه للنبي ﷺ.

وأصل «الحرج»: الضيق، ومنه الحَرَجة: الشجر الملتف الذي قد تضايق، و«الحرج» هاهنا يعم الشك والخوف والهم وكلَّ ما يضيق الصدر، وبحسب سبب الحرج يفسر الحرج هاهنا، وتفسيره بالشك قلق.

والضمير في ﴿مِّنۡهُ﴾ عائد على «الكتاب»، أي: بسبب من أسبابه، و(من) هاهنا لابتداء الغاية، وقيل: يعود على التبليغ الذي يتضمنه معنى الآية، وقيل: على الإنذار[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا التخصيص كله لا وجه له، إذ اللفظ يعم جميع الجهات التي هي من سبب الكتاب ولأجله، وذلك يستغرق التبليغ والإنذار وتعرض المشركين وتكذيب المكذبين وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٌ مِّنۡهُ﴾ اعتراض في أثناء الكلام، ولذلك قال بعض الناس إن فيه تقديماً وتأخيراً.

وقوله: ﴿لِتُنذِرَ﴾ اللام متعلقة بـ﴿أُنزِلَ﴾.

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩).
(٢) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٣١٣)، وفي فيض الله «الحجاج» بدل «الزجاج».
(٣) في السليمانية ولالاليه: «أن يتبرم» بدل «أن يبرم»، و«يتضجر» زيادة من السليمانية.
(٤) في الأصل والحمزوية: «على الابتداء».

وقوله: ﴿وَذِكۡرَىٰ﴾: معناه تذكرة وإرشاد، و(ذِكْرى) في موضع رفع عطفاً على قوله: ﴿كِتَٰبٌ﴾، فالتقدير: هذه الحروف كتاب وذكرى، وقيل: رفعه على جهة العطف على صفة الكتاب، فالتقدير: هذه الحروف كتاب منزل إليك وذكرى، فهي عطف على «منزل» داخلة في صفة الكتاب، وقيل: (ذِكْرى) في موضع نصب بفعل مضمر تقديره: لتنذر به وتذكِّر ذكرى للمؤمنين، وقيل: نصبها على المصدر، وقيل: (ذِكْرى) في موضع خفض عطفاً على قوله: ﴿لِتُنذِرَ﴾ أي: لإنذارك وذكرى.

وقوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ الآية، قال الطبري وحكاه: التقدير: قل اتبعوا، فحذف القول لدلالة الإنذار المتقدم الذكر عليه[١].

وقالت فرقة: قوله: ﴿ٱتَّبِعُواْ﴾ أمر يعم النبي ﷺ وأمته.

قال القاضي أبو محمد: والظاهر أن يكون أمراً لجميع الناس، أي: اتبعوا ملة الإسلام والقرآن.

وقرأ الجحدري: (ابتغوا أحسن[٢] ما أنزل)، من الابتغاء، وقرأ مجاهد: (ولا تبتغوا)[٣] من الابتغاء أيضاً.

وقوله: ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾، يريد كل ما عُبد واتُّبع من دون الله، كالأصنام والأحبار والكهان والنار والكواكب وغير ذلك.

والضمير في قوله: ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ راجع على ﴿رَّبِّكُمۡ﴾، هذا أظهر وجوهه وأبينها.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٢٩٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٣٨)، وتفسير السمرقندي (١/ ٥١٩)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢١٥).

(٢) زيادة من السليمانية.

(٣) وهما شاذتان، تابعه عليهما في البحر (٥/ ١٠)، وقد عزا الثانية في مختصر الشواذ (ص: ٤٧)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢١٥)، لمالك بن دينار والجحدري، وكذا في الشواذ للكرماني (ص: ١٨٣)، وزاد لمجاهد «ولا يبتغوا» بالياء، ولم يذكروا في الأولى شيئاً.

وقيل: يعود على قوله: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ﴾، وقيل: يعود على الكتاب المتقدم الذكر.

و﴿قَلِيلًا﴾: نعت لمصدر نُصب بفعل مضمر، وقال مكي: هو منصوب بالفعل الذي بعده[١].

قال الفارسي: و﴿مَّا﴾ في قوله: ﴿مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ موصولة بالفعل وهي مصدرية[٢].

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿تذَّكَّرون﴾ بتشديد الذال والكاف.

وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذال وتشديد الكاف.

وقرأ ابن عامر: ﴿يتذكرون﴾ بالياء كناية عن غيب[٣].

وروي عنه أنه قرأ: (تتذكرون) بتاءين[٤] على مخاطبة حاضرين.

قوله عز وجل: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا
كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ
وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾.

(كَمْ): في موضع رفع بالابتداء، والخبر: ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾، ويصح أن يكون الخبر في قوله: ﴿فَجَآءَهَا﴾، و﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾ صفةٌ، ويصح أن تكون في موضع نصب بفعل مقدر بعدها تقديره: وكم أهلكنا من قرية أهلكناها، وقدر الفعل بعدها ـ وهي خبرية ـ تشبيهاً لها بالاستفهامية في أن لها في كل حال صدر الكلام.

وقالت فرقة: المراد: وكم من أهل قرية، وحذف المضاف[٥] وأقام المضاف

---

(١) مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٨١).

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٦).

(٣) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٠٩)، وفي السليمانية: «غائب» بدل «غيب».

(٤) انظر: السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٧٨)، وليست من طرق التيسير.

(٥) زيادة من المطبوع.

إليه مقام المضاف، وقالت فرقة: إنما عبر بالقرية لأنها أعظم في العقوبة إذا هلك البشر وقريتهم، وقد بيَّن في آخر الآية بقوله: ﴿أَوْ هُمْ﴾ أن البشر داخلون في الهلاك، فالآية على هذا التأويل تتضمن هلاك القرية وأهلها جميعا، وعلى التأويل الأول تتضمن هلاك الأهل ولا معنى لذكر القرية، والمراد بالآية التكثير.

وقرأ ابن أبي عبلة: (وكم من قرية أهلكناهم فجاءهم بأسنا)[١].

وقوله: ﴿فَجَآءَهَا﴾ يقتضي ظاهره أن المجيء بعد الإهلاك، وذلك مستحيل، فلم يبق إلا أن يعدل عن ظاهر هذا التعقيب، فقيل: الفاء قد تجيء بمنزلة الواو ولا تعطي رتبة.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف. وقيل: عبر عن إرادة الإهلاك بالإهلاك، قال مكي في «المشكل»: مثل قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ﴾[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا يحتج به في تأويل من قال: الفاء في هذه الآية لتعقيب القول.

وقيل: المعنى: أهلكناها بالخذلان وقلة التوفيق، فجاءها بأسنا بعد ذلك.

وقال الفراء ـ وحكاه الطبري ـ: إن الإهلاك هو مجيء البأس ومجيء البأس هو الإهلاك، فلما تلازما لم يبال أيهما قدم في الرتبة[٣]، وقيل: إن الفاء لترتيب القول فقط، فكأنه أخبر عن قرى كثيرة أنه أهلكها ثم قال: فكان من أمرها مجيء البأس.

و﴿بَيَٰتًا﴾: نصب على المصدر في موضع الحال، و﴿قَآئِلُونَ﴾ من القائلة، وإنما خص وقتي الدعة والسكون لأن مجيء العذاب فيهما أفظع وأهول لما فيه من البغت والفجأة.

و﴿أَوْ﴾ في هذا الموضع كما تقول: الناس في فلان صنفان: حامد أو ذام، فكأنه

---

(١) تابعه في البحر المحيط (٥/ ١١)، وهي مخالفة للرسم، فلعل الخطأ فيها ممن نقلها أو من رواها عنه.
(٢) النحل: ٩٨، وانظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٨٢)
(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٣٧١)، وتفسير الطبري (١٢/ ٣٠١).

قال جاءهم بأسنا فرقتين: بائتين أو قائلين، وهذا هو الذي يسمى اللف، وهو إجمال في اللفظ يفرقه ذهن المخاطب دون كلفة.

و«البأس»: العذاب، وقيل: المراد: أو وهم قائلون، فكره اجتماع حرفي العطف فحذفت الواو وهذا تكلف لأن معنى اللف باق.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ الآية، تَبيَّن في هذه الآية غايةَ البيان أن المراد في الآية قبلها أهل القرى، والدعوى في كلام العرب لمعنيين:

أحدهما: الدعاء، قال الخليل: تقول: اللهم أشركنا في صالح دعوى المسلمين(١)، ومنه قوله عز وجل: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ [الأنبياء: ١٥]، ومنه قول الشاعر: / [٢/ ١٢٧]

[الطويل] وإِنْ مَذِلَتْ رِجْلِي دَعَوْتُكِ أَشْتَفِي بِدَعْوَاكِ مِنْ مَذْلٍ بِهَا فَيَهُونُ(٢)

والثاني: الادعاء، فقال الطبري: هي في هذا الموضع بمعنى الدعاء(٣).

قال القاضي أبو محمد: ويتوجه أن يكون أيضاً بمعنى الادعاء، لأن من ناله مكروه أو حزبه حادث فمن شأنه أن يدعو، كما ذهب إليه المفسرون في فعل هؤلاء المذكورين في هذه الآية، ومن شأنه أيضاً أن يدعي معاذير وأشياء تحسِّن حاله وتقيم حجته في زعمه، فيتجه أن يكون هؤلاء بحالِ مَن يدعي معاذير ونحوها.

فأخبر الله عنهم أنهم لم تكن لهم دعوى ثم استثنى من غير الأول، كأنه قال: لم يكن دعاءٌ أو ادعاء إلا الإقرارَ والاعتراف، أي: هذا كان بدل الدعاء أو الادعاء، وتحتمل الآية أن يكون المعنى: فما آلت دعواهم التي كانت في حال كفرهم إلا إلى اعتراف.

---

(١) انظر: معاني القرآن للنحاس (٣/ ١٠)، وتفسير البغوي (٢/ ١٤٨).

(٢) البيت لكثير، كما في نثر الدرر (٦/ ٢٥٨)، ونهاية الأرب في فنون الأدب (٣/ ١٢٥)، ومذلت: بمعنى خدرت.

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ٣٠٣).

ونحو من الآية قول الشاعر:

وَقَدْ شَهِدَتْ قَيْسٌ فَمَا كَانَ نَصْرُهَا قُـتَـيْـبَـةَ إِلَّا عَضَّهَـا بِالأَبَـاهِـم[١] [الطويل]

واعترافهم وقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ هو في المدة بين ظهور العذاب إلى إتيانه على أنفسهم، وفي ذلك مهلة بحسب نوع العذاب تتسع لهذه المقالة وغيرها، وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «ما هلك قوم حتى يُعْذِروا من أنفسهم»[٢].

وفسر عبد الملك بن ميسرة[٣] هذا الحديث بهذه الآية[٤].

و﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾، واسمها ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ وقيل بالعكس.

وقوله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ الآية وعيد من الله عز وجل لجميع العالم، أخبر أنه يسأل الأمم أجمع عما بلغ إليهم عنه وعن جميع أعمالهم، ويسأل النبيين عما بلَّغوا.

قال القاضي أبو محمد: وقد نفي السؤال في آيات، وذلك هو سؤال الاستفهام الحقيقي، وقد أثبت في آيات كهذه الآية، وهذا هو سؤال التقرير، فإن الله قد أحاط علما بكل ذلك قبل السؤال، فأما الأنبياء والمؤمنون فيعْقِبهم جوابهم رحمة وكرامة، وأما الكفار ومن نفذ عليه الوعيد من العصاة فيعقبهم جوابهم عذاباً وتوبيخاً، فمن أنكر منهم قص عليه بعلم.

---

(١) البيت للفرزدق كما تقدم في تفسير الآية (١١٩) من سورة آل عمران.

(٢) الأشبه موقوف، وهو مع ذلك منقطع، أخرجه الطبري (١٤٣٢٣) قال: حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن أبي سنان عن عبد الملك بن ميسرة الزراد، عن ابن مسعود، به مرفوعا، وابن أبي حاتم (٨٢١٢) من طريق: محمد بن عيسى الدامغاني، أنبأ جرير مثله لكن موقوف، وهو أشبه، وعبد الملك بن ميسرة الهلالي بن الزراد ثقة، ولكنه لم يدرك ابن مسعود، وعليه فالحديث منقطع.

(٣) عبد الملك بن ميسرة الهلالي العامري، أبو زيد الكوفي الزراد، عن ابن عمر، وأبي الطفيل، وزيد ابن وهب، وغيرهم. وعنه زيد بن أبي أنيسة ومسعر، وشعبة، وجماعة، توفي حوالي (١٢٠هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٤١٦).

(٤) تفسير الطبري (١٢/ ٣٠٤).

وقرأ ابن مسعود وابن عباس: (فلنسألن الذين أرسلنا[1] إليهم قبلك رسلنا ولنسألن المرسلين)[2].

وقوله تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ﴾ أي: فلنسْرُدن عليهم أعمالهم قصة قصة، ﴿بِعِلْمٍ﴾ أي: بحقيقة ويقين، قال ابن عباس: يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون[3].

قال القاضي أبو محمد: يشبه أن يكون الكلام هنا استعارة، إذ كل شيء فيه مقيد.

﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ أي: ما كنا من لا يعلم جميع تصرفاتهم كالغائب عن الشيء الذي لا يعرف له حالاً.

قوله عز وجل: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾.

(الْوَزْنُ): مصدر وزن يزن، ورفعه بالابتداء، و﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبره.

و﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف منتصب بـ(الْوَزْنُ)، ويصح أن يكون ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ خبر الابتداء، و﴿ٱلْحَقُّ﴾ نعت لـ(الْوَزْنُ) والتقدير: الوزن الحق ثابت أو ظاهر يومئذ.

و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ إشارة إلى يوم القيامة والفصل بين الخلائق.

واختلف الناس في معنى الوزن والموازين، فقالت فرقة: إن الله عز وجل أراد أن يعلم عباده أن الحساب والنظر يوم القيامة هو في غاية التحرير ونهاية العدل، فمثَّل لهم في ذلك بالوزن والميزان، إذ لا يعرف البشر أمراً أكثر تحريراً منه، فاستعير للعدل وتحرير النظر لفظة الوزن والميزان، كما استعار ذلك أبو طالب في قوله:

---

(١) في السليمانية: «أرسل» بدل« أرسلنا».

(٢) لم أجد من ذكر له هذه القراءة هنا غير المصنف، وإنما نسبوا له في سورة الزخرف الآية (٤٥) أنه قرأ: «وَاسأَلْ الَّذِينَ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ رُسُلنا»، كما سيأتي في محله، انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٦١١)، تفسير الثعلبي (٨/ ٣٣٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٦٧).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٢٢١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

بِميـزَانِ قِسْـطٍ لا يَخِـسُّ شَـعِيرَةً لَهُ حَاكِمٌ مِنْ نَفْسِـهِ غَيْـرُ عَائِلِ[١] [الطويل]

وروي هذا القول عن مجاهد والضحاك وغيرهما[٢].

وكذلك استعير على قولهم الثقل والخفة لكثرة الحسنات وقلَّتها.

وقال جمهور الأمة: إن الله عز وجل أراد أن يعرض لعباده يوم القيامة تحرير النظر وغاية العدل بأمر قد عرفوه في الدنيا وعَهِدْته أفهامهم، فميزان القيامة له عمود وكفتان على هيئة موازين الدنيا[٣].

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام[٤].

وقالوا: هذا الذي اقتضاه لفظ القرآن ولم يرده نظر.

قال القاضي أبو محمد: وهذا القول أصح من الأول من ثلاث[٥] جهات:

أولها: أن ظواهر كتاب الله عز وجل تقتضيه، وحديث الرسول ﷺ ينطق به، من ذلك: قوله لبعض الصحابة وقد قال له: يا رسول الله أين أجدك في القيامة؟ فقال «اطلبني عند الحوض فإن لم تجدني فعند الميزان»[٦]، ولو لم يكن الميزان مرئيّاً محسوساً لما أحاله رسول الله ﷺ على الطلب عنده.

---

(١) تقدم في تفسير الآية (٣) من سورة النساء.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٤٠).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (١/ ٣٨٤)، وتفسير الطبري (١٢/ ٢١١)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ١١)، وتفسير الماوردي (٢/ ٢٠١).

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (١٤٣٣٣) من طريق عبد العزيز بن أبان الأموي، عن يوسف بن صهيب وموسى، عن بلال بن يحيى، عن حذيفة به، وإسناده ضعيف؛ من أجل عبد العزيز بن أبان فإنه متروك وكذبه بن معين وغيره.

(٥) «ثلاث»: من المطبوع.

(٦) أخرجه أحمد (٣/ ١٧٨)، والترمذي (٢٤٣٣) من طريق حرب بن ميمون الأنصاري أبو الخطاب حدثنا النضر بن أنس بن مالك عن أبيه مرفوعاً، وقال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. اهـ.

وجهة أخرى: أن النظر في الميزان والوزن والثقل والخفة المقترنات بالحساب لا يَفسد شيء منه ولا تختلُّ صحته، وإذا كان الأمر كذلك فلم نخرج من حقيقة اللفظ إلى مجازه دون علة؟.

وجهة ثالثة: وهي أن القول في الميزان هو من عقائد الشرع الذي لم يعرف إلا سمعاً، وإن فتحنا فيه باب المجاز غمرتنا أقوال الملحدة والزنادقة في أن الميزان والصراط والجنة والنار والحشر ونحو ذلك إنما هي ألفاظ يراد بها غير الظاهر(١).

قال القاضي أبو محمد: فينبغي أن يجرى في هذه الألفاظ إلى حملها على حقائقها.

وأما الثقل والخفة فإن الآثار تظاهرت بأن صحائف الحسنات والسيئات توضع في كفتي الميزان، فيحدث الله في الجهة التي يريد ثقلا وخفة على نحو إحداثه ذلك في جسم رسول الله ﷺ في وقت نزول الوحي عليه، ففي الصحيح من حديث زيد بن ثابت أنه قال: كنت أكتب حتى نزلت: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥]، وفخذ رسول الله ﷺ على فخذي حتى كادت أن ترض فخذي(٢)، وفي الحديث أنه كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته بركت به عجزاً عن حمله(٣) لثقل الحادث فيه.

ولا بد لنا أن نعلم أن الثقل الحادث مع الحسنات إنما يتعلق بجسم، إذ العرض لا يقوم بالعَرَض، فجائز أن يحدث الثقل في الصحائف وهو أقربها إلى الظن، وجائز أن [يحدث في غير ذلك](٤) من الأجسام المجاورة لتلك الحال.

---

(١) انظر: فضائح الباطنية للغزالي (١/ ١٥٥)، وإيثار الحق لابن الوزير (١/ ١٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٣٢).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ١١٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٥٣) من طريق علي بن المبارك الصنعاني ثنا زيد بن المبارك ثنا محمد بن ثور عن معمر عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جرانها فلم تستطع أن تتحرك وتلت قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾، وإسناده صحيح، لكن معمراً في حديثه عن هشام بن عروة اضطراب وأوهام كما قاله يحيى بن معين.

(٤) في الحمزوية: «يحدث الفعل في غير ذلك»، وفي المطبوع: «يحدث في ذلك».

وإلى حدوثه في الصحائف ذهب أبو المعالي[١].

وروويت في خبر الميزان آثار عن صحابة وتابعين في هيئته وطوله[٢] / وأحواله [٢/ ١٢٨]
لم تصح بالإسناد، فلم نر للإطالة بها وجها.

وقال الحسن فيما روي عنه: بلغني أن لكل أحد يوم القيامة ميزاناً على حدة[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول مردود، الناس على خلافه، وإنما لكل أحد وزن يختص به والميزان واحد.

وروي عن مجاهد في قوله: ﴿ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أن الموازين الحسناتُ نفسها[٤].

قال القاضي أبو محمد: وجمع لفظ الموازين إذ في الميزان موزونات كثيرة، فكأنه أراد التنبيه عليها بجمعه لفظ الميزان.

و﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ في اللغة: المدركون لبغيتهم، الناجحون في طلبهم، ومنه قول عبيد:

أَفْلِحْ بِمَا شِـئْتَ فَقَـدْ يُبْلَغُ بالضَّـ ... ـعْـفِ وَقَـدْ يُخْـدَعُ الأَرِيـبُ[٥] [مخلع البسيط]

فأما قول الشاعر:

.... والْمُسْيُ وَالصُّبْحُ لا فَلاحَ مَعَهْ[٦] [المنسرح]

فقد قيل إنه بمعنى البقاء.

قال القاضي أبو محمد: والبقاء بلوغ بغية، فالمعنيان متقاربان، ووزن الله تعالى

---

(١) لم أقف على نسبة هذا القول لأبي المعالي.
(٢) في المطبوع: «في هيئة طوله».
(٣) انظر: تفسير السمعاني (٦/ ٢٧٣).
(٤) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣١١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٤١).
(٥) في فيض الله والسليمانية ولالاليه: «لبيد» بدل «عبيد»، وهو خطأ، والبيت تقدم قريباً في تفسير الآية (٢٢) من سورة الأنعام.
(٦) البيت للأضبط ابن قريع السعدي كما تقدم في تفسير الآية (٧) من سورة البقرة.

أعمال العباد مع علمه بدقائق الأشياء وجلائلها نظيرُ كَتْبه أعمالهم في صحائفهم واستنساخه ذلك، ونظير استنطاقه جوارحهم بالشهادة عليهم إقامة للحجة وإيضاحاً، فقد تقرر في الشرع أن كلمة التوحيد ترجح ميزان مَن وُزنت في أعماله ولا بد.

فإن قال قائل: كيف تثقل موازين العصاة من المؤمنين بالتوحيد ويصح لهم حكم الفلاح ثم تدخل طائفة منهم النار وذلك شقاء لا محالة؟ فقالت طائفة: إنه توزن أعمالهم دون التوحيد فتخف الحسنات فيدخلون النار، ثم عند إخراجهم يوزن التوحيد فتثقل الحسنات فيدخلون الجنة، وأيضا فمعرفة العاصي أنه غير مخلد فلاح وإن تقدمه شقاء على جهة التأديب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ الآية، المعنى: من خفت كفة ميزان[1] حسناته فشالت، و[أولئك الذين][2] خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ، أي: بالهلاك[3] والخلود في النار وتلك غاية الخسارة.

وقوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟﴾ أي: جزاء بذلك، كما تقول: أكرمتك بما أكرمتني.

و(ما) في هذا الموضع مصدرية.

و«الآيات» هنا: البراهين والأوامر والنواهي.

و﴿يَظْلِمُونَ﴾: أي: يضعونها في غير مواضعها بالكفر والتكذيب لها.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾.

الخطاب لجميع الناس، والمراد أن النوع بجملته ممكَّن في الأرض.

---

(١) زيادة من فيض الله والسليمانية.

(٢) زيادة من السليمانية.

(٣) في فيض الله والسليمانية: «الخذلان» بدل «الهلاك».

و«المعايش»: جمع معيشة، وهي لفظة تعم المأكول الذي يعاش به، والتحرُّف الذي يؤدي إليه.

وقرأ الجمهور: ﴿مَعَٰيِشَ﴾ بكسر الياء دون همز.

وقرأ الأعرج وغيره: (معائش) بالهمز كمدائن وسفائن.

ورواه خارجة عن نافع، وروي عن ورش: (معايْش) بإسكان الياء[١].

فمن قرأ: ﴿مَعَٰيِشَ﴾، بتصحيح الياء فهو الأصوب؛ لأنها جمع معيشة وزنها مفعلة، ويحتمل أن تكون مفعلة بضم العين، قالهما سيبويه[٢]، وقال الفراء: مفعلة بفتح العين[٣]. فالياء في معيشة أصلية، وأعلت معيشة لموافقتها الفعل الذي هو يعيش في الياء[٤]، أي: في المتحرك والساكن، وصححت ﴿مَعَٰيِشَ﴾ في جمع التكسير لزوال الموافقة المذكورة في اللفظ، ولأن التكسير معنىً لا يكون في الفعل إنما تختص به الأسماء.

ومن قرأ: (معايْش)، فعلى التخفيف من ﴿مَعَٰيِشَ﴾.

ومن قرأ: (معائش) فأعلها، فذلك غلط[٥]، وأما توجيهه فعلى تشبيه الأصل بالزائد لأن معيشة تشبه في اللفظ صحيفة، فكما يقال: صحائف، قيل: معائش، وإنما همزت ياء صحائف ونظائرها مما الياء فيه زائدة لأنها لا أصل لها في الحركة، وإنما وزنها فعيلة ساكنة، فلما اضطر إلى تحريكها في الجمع بدلت بأجلد منها.

و﴿قَلِيلًا﴾ نصب بـ﴿تَشۡكُرُونَ﴾، ويحتمل أن تكون ﴿مَّا﴾ زائدة؛ لأنها لا أصل

---

(١) وليستا من طرق التيسير، انظر عزو الأولى في مختصر الشواذ (ص: ٤٨)، والثانية في الهداية لمكي (٤/ ٢٢٨٩).

(٢) الكتاب لسيبويه (٤/ ٣٥٠).

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٤٤).

(٤) في فيض الله والسليمانية ولالاليه: «البناء».

(٥) مثله في السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٧٨).

لها، ويحتمل أن تكون ﴿مَّا﴾ مع الفعل بتأويل المصدر، و﴿قَلِيلًا﴾ نعت لمصدر محذوف تقديره شكراً قليلاً شكرُكم، أو شكراً قليلاً تشكرون.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ الآية، هذه الآية معناها التنبيه على موضع العبرة، والتعجيب من غريب الصنعة وإسداء النعمة، فبدأ بالخلق الذي هو الإيجاد بعد العدم، ثم بالتصوير في هذه البِنية[1] المخصوصة للبشر، وإلا فلم يَعْرَ المخلوق قط من صورة.

واضطرب الناس في ترتيب هذه الآية، لأن ظاهرها يقتضي أن الخلق والتصوير لبني آدم قبل القول للملائكة أن يسجدوا، وقد صححت الشريعة أن الأمر لم يكن كذلك:

فقالت فرقة: المراد بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ آدم بنفسه وإن كان الخطاب لبنيه، وذلك لما كان سببُ وجود بنيه بما فُعل فيه، صح مع تجوُّز أن يقال: إنه فعل في بنيه.

وقال مجاهد: المعنى: وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ في صلب آدم، وفي وقت استخراج ذرية آدم من ظهره أمثال الذر في صورة البشر[2].

قال القاضي أبو محمد: ويترتب في هذين القولين أن تكون ﴿ثُمَّ﴾ على بابها في الترتيب والمهلة.

وقال عكرمة والأعمش: المراد: خلقناكم في ظهور الآباء وصورناكم في بطون الأمهات[3]، وقال ابن عباس والربيع بن أنس: أمَّا ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ فآدم وأمَّا ﴿صَوَّرْنَٰكُمْ﴾

(١) في المطبوع والسليمانية: «البينة».

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٣٢٠)، وانظر: معاني القرآن (٣/ ١٣)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ١١٣)، ونسبوا الأول لقتادة.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣١٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٤٢)، وتفسير الماوردي (٢/ ٢٠٢).

فذريته في بطون الأمهات[١]، [وقاله قتادة والضحاك، وقال معمر بن راشد عن بعض أهل العلم: بل ذلك كله في بطون الأمهات]، من خلق وتصوير[٢].

قال القاضي أبو محمد: وقالت هذه الفرقة: إن ﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الإخبار بهذه الجمل لا لترتيب الجمل في أنفسها[٣].

وقال الأخفش: ﴿ثُمَّ﴾ في هذه الآية بمعنى الواو[٤]، ورد عليه نحويو البصرة[٥].

وملائكة وزنه إما مفاعلة وإما معافلة وإما فعائلة[٦]، بحسب الاشتقاق الذي قد مضى ذكره في سورة البقرة، وهنالك ذكرنا هيئة السجود والمراد به، ومعنى إبليس، وكيف كان قبل المعصية.

وأما قوله في هذه الآية: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ فقال الزجّاج: هو استثناء ليس من الأول، ولكن إبليس أمر بالسجود بدليل قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَ﴾[٧].

وقال غير الزجّاج: الاستثناء من الأول[٨]؛ لأنّا لو جعلناه منقطعا على قول من قال: إن إبليس لم يكن من الملائكة، لوجب أن إبليس لم يؤمر بالسجود، إلا أن يقول قائل هذه المقالة: إن أمر إبليس كان بوجه آخر غير قوله: ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾ وذلك / بيّن الضعف. [٢/ ١٢٩]

(١) أخرجه الطبري (١٤٣٣٨)، وابن أبي حاتم (٨٢٣٣-٨٢٣٦) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه، وأخرجه ابن جرير أيضاً (١٤٣٣٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٢/ ٢١٨-٢١٩)، وما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٣) في المطبوع والحمزوية: «في نفسها».

(٤) معاني القرآن للأخفش (١/ ٣٢١).

(٥) معاني القرآن للنحاس (٣/ ١٢).

(٦) «وإما فعائلة»، ساقطة من المطبوع.

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٢٢).

(٨) مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٤١٣)، وانظر كذلك: تفسير الماوردي (١/ ١٠٢).

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع: ﴿للملائكةُ اسجدوا﴾ بضم الهاء وهي قراءة ضعيفة[١]، ووجهها أنه حذف همزة ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾، وألقى حركتها على الهاء، وذلك لا يتجه لأنها همزة محذوفة مع جر[٢] الهاء بحركة[٣]، أي شيء يلغى، والإلغاء أبداً[٤] إنما يكون في الوصل[٥].

قوله عز وجل: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ١٥ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦﴾.

﴿مَا﴾ استفهام، والمقصود به التوبيخ والتقريع، و(لا) في قوله: ﴿أَلَّا﴾ قيل: هي زائدة، والمعنى: ما منعك أن تسجد، وهي كـ«لا» في قول الشاعر:

[الطويل]
أَبى جُودُهُ لا البُخْلَ وَاسْتَعْجَلَتْ بِهِ ... نَعَمْ مِنْ فَتًى لا يَمْنَعُ الجُودَ قَاتِلَهْ[٦]

وهذا على أحد الأقوال في هذا البيت؛ فقد قيل: «لا» فيه زائدة.

وقال الزجّاج: مفعولة، والبخل بدل منها[٧].

وحكى الطبري عن يونس عن أبي عمرو بن العلاء: أن الرواية فيه: «لا البخلِ» بخفض اللام لأن «لا» قد تتضمن جوداً إذا قالها مَن أُمر بمنع[٨] الحقوق والبخل عن الواجبات[٩].

---

(١) وهي قراءة عشرية كما تقدم في حرف البقرة.
(٢) «جر»: ساقطة من المطبوع.
(٣) في فيض الله والسليمانية: «فحركة» بدل «بحركة».
(٤) زيادة من فيض الله والسليمانية.
(٥) انظر: المحتسب (١/ ٢٤٠).
(٦) تقدم في تفسير الآية (١٠٩) من سورة الأنعام.
(٧) معاني القرآن وإعرابه له (٢/ ٣٢٣)، وفي المطبوع: «مفعوله».
(٨) في الأصل: «قال»، وفي المطبوع: «إذا قالها في أمر يمنع»، وفي نجيبويه: «من أمر يمنع».
(٩) الطبري (١٢/ ٣٢٤).

ومن الأبيات التي جاءت «لا» فيها زائدة قول الشاعر:

أفعَنْـكِ لا بَـرْقٌ كأنَّ وَميضَـهُ غَـابٌ تَسَـنَّمَهُ ضِـرَامٌ مُثْقَـبُ[١] [الكامل]

وقيل في الآية: ليست (لا) زائدة، وإنما المعنى: ما منعك فأحوجك[٢] إلى أن لا تسجد، وقيل: لما كان ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ بمعنى: من أمرك؟ ومن قال لك؟ حسن أن يقول بعدها: ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾.

قال القاضي أبو محمد: وجملة هذا الغرض أن يقدر في الكلام فعل يحسن حمل النفي عليه، كأنه قال: ما أحوجك أو حملك أو اضطرك.

وجواب إبليس اللعين ليس عما[٣] سئل عنه، ولكنه جاء بكلام يتضمن الجواب والحجة عليه، فكأنه قال: منعني فضلي إذ أنا خير منه حين خلقتني من نار وخلقته من طين.

وروي عن ابن عباس أنه قال: لا أسجد وأنا خير منه وأكبر سناً وأقوى خلقاً[٤].

يقول: إن النار أقوى من الطين، وظن إبليس أن النار أفضل من الطين وليس كذلك بل هي[٥] في درجة واحدة من حيث هي جماد مخلوق، فلما ظن إبليس أن صعود النار وخفتها يقتضي فضلا على سكون الطين وبلادته، قاس أن ما خلق منها أفضل مما خلق من الطين، فأخطأ قياسه، وذهب عليه أن الروح الذي نفخ في آدم ليس من طين.

قال الطبري: ذهب عليه ما في النار من الطيش والخفة والاضطراب، وما في الطين من الوقار والأناة والحلم والتثبت[٦].

---

(١) تقدم في تفسير الآية (١٠٩) من سورة الأنعام.

(٢) في الأصل ونجيبويه: «ما أخرجك».

(٣) في السليمانية وفيض الله ولالاليه: «ليس على ما».

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (١٤٣٥٧) من طريق بشر بن عمارة وهو ضعيف، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٥) في المطبوع والسليمانية: «بل هما».

(٦) تفسير الطبري (١٢/ ٣٢٧)، وفي الأصل: «الحمل» بدل «الحلم».

قال القاضي أبو محمد: وفي كلام الطبري نظر. وروي عن الحسن وابن سيرين أنهما قالا: أول من قاس إبليس، وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس.

قال القاضي أبو محمد: قال الطبري: يعنيان: الخطأ[١]، ولا دليل من لفظهما عليه، ولا يتأول عليهما إنكار القياس، وإنما خرج كلامهما نهياً عما كان في زمنهما من مقاييس الخوارج وغيرهم، فأرادا حمل الناس على الجادة.

وقوله تعالى: ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾ الآية، أمر من الله عز وجل لإبليس بالهبوط في وقت عصيانه في السجود، فيظهر من هذا أنه إنما أهبط[٢] أولًا وأُخرج من الجنة وصار في السماء، لأن الأخبار تظاهرت أنه أغوى آدم وحواء من خارج الجنة، ثم أُمر آخِراً بالهبوط من السماء مع آدم وحواء والحية.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله بحسب ألفاظ القصة، والله أعلم.

وقوله: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾ معناه: فما يصح لك ولا يتم، وليس يقتضي هذا اللفظ أن التكبر له في غيرها على ما ذهب إليه بعض المعترضين، فقد تضمنت الآية أن الله أخبر إبليس أن الكبرياء لا يتم له ولا يصح في الجنة مع نهيه له ولغيره عن الكبرياء في كل موضع، وأما لو أخذنا ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ على معنى: فما يحسن وما يجمل، كما تقول للرجل: ما كان لك أن لا تصل قرابتك، لغُيِّر[٣] معنى الإغلاظ على إبليس.

وقوله: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ حكم عليه بضد المعصية التي عصى بها وهي الكبرياء فعوقب بالحمل عليه بخلاف شهوته وأمله، و«الصغار»: الذل، قاله السدي[٤].

ثم سأل إبليس ربه أن يؤخره إلى يوم البعث طمع أن لا يموت، إذ علم أن الموت ينقطع بعد البعث.

---

(١) انظره مع القول الذي قبله في تفسير الطبري (١٢/ ٣٢٧).

(٢) «إنما» ساقطة من المطبوع، وفي الأصل: «لما أهبط»

(٣) سقطت من نور العثمانية، وفي المطبوع: «لفتر».

(٤) تفسير الطبري (١٢/ ٣٣٠).

ومعنى ﴿أَنظِرۡنِيٓ﴾: أخرني، فأعطاه الله النظِرة إلى يوم الوقت المعلوم، فقال أكثر الناس: الوقت المعلوم هو النفخة الأولى في الصور، التي يصعق لها من في السماوات ومن في الأرض من المخلوقين، وقالت فرقة: بل أحاله على وقت معلوم عنده عز وجل يريد به يوم موت إبليس وحضور أجله دون أن يعين له ذلك، وإنما تركه في عماء الجهل به ليغمَّه ذلك ما عاش.

قال القاضي أبو محمد: وقال بعض أهل هذه المقالة: إن إبليس قتلته الملائكة يوم بدر، ورووا في ذلك أثراً ضعيفاً.

قال القاضي أبو محمد: والأول من هذه الأقوال أصح وأشهر في الشرع.

ومعنى ﴿مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾: من الطائفة التي تأخرت أعمارها كثيراً حتى جاءت آجالها على اختلاف أوقاتها، فقد عم تلك الفرقة إنظار وإن لم يكونوا أحياء مدة الدهر.

وقوله: ﴿فَبِمَآ﴾ يحتمل أن يريد به القسم، كما تقول: فبالله لأفعلن، ويحتمل أن يريد به معنى المجازاة، كما تقول: فبإكرامك لي يا زيد لأكرمنك.

قال القاضي أبو محمد: وهذا أليق المعاني بالقصة، ويحتمل أن يريد: [فمع إغوائك لي ومع ما أنا عليه من سوء الحال لأتجلدن ولأقعدن، ولا يعرض لمعنى المجازاة.

ويحتمل أن يريد بقوله][(١)]: ﴿فَبِمَآ﴾ الاستفهامَ عن السبب في إغوائه، ثم قطع ذلك وابتدأ الإخبار عن قعوده لهم، وبهذا فسر الطبري أثناء لفظه[(٢)].

و﴿أَغۡوَيۡتَنِي﴾ قال الجمهور: معناه: أضللتني من الغي، وعلى هذا المعنى قال محمد ابن كعب القرظي فيما حكى الطبري: قاتل الله القدرية لإبليس أعلم بالله منهم، يريد في أنه علم أن الله يهدي ويضل، وقال الحسن: ﴿أَغۡوَيۡتَنِي﴾: لعنتني[(٣)]، وقيل: معناه خيَّبتني.

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٣٣٠).

(٣) انظر القولين في الطبري (١٢/ ٣٣٤).

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله تفسير بأشياء لزمت إغواءه.

وقالت فرقة: ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾ معناه: أهلكتني، حكى ذلك الطبري، وقال: هو من قولك: غَوِي الفصيل يَغوَى غوىً: إذا انقطع عنه اللبن فمات، وأنشد:

[الطويل] مُعَطَّفَةُ الأَثْنَاءِ لَيْسَ فَصِيلُهَا بِرَازِئِهَا دَرّاً وَلا مَيِّتٍ غَوَى[1]

قال: وقد حكي عن بعض طيِّئ: أصبح فلان غاوياً، أي: مريضاً[2].

وقوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ﴾ يريد: على صراطك، وفي صراطك، وحذف كما [٢/ ١٣٠] يفعل في الظروف، ونحوه قول الشاعر / :

[الكامل] لَدْنٌ بِهَزِّ الْكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ فِيهِ كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ[3]

وقال مجاهد: ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ يريد به الحق، وقال عون بن عبد الله[4]: يريد طريق مكة[5].

قال القاضي أبو محمد: وهذا تخصيص ضعيف، وإنما المعنى: لأتعرضن لهم في طريق شرعك وعبادتك ومنهج النجاة فلأصدنهم عنه.

ومنه قوله ﷺ: «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه[6]، نهاه عن الإسلام وقال: تترك دين آبائك؟ فعصاه فأسلم، فنهاه عن الهجرة وقال: تدع أهلك وبلدك؟ فعصاه فهاجر،

---

(١) البيت بلا نسبة في إصلاح المنطق (ص: ١٨٩)، والزاهر للأنباري (٢/ ٢١٠) والمخصص (٢/ ١٤٨).

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٣٣٣).

(٣) البيت لساعدة بن جؤية الهذلي كما في الكتاب لسيبويه (١/ ٣٦)، والجمل في النحو (ص: ٧٠)، وإيضاح الشواهد (١/ ٢١٣).

(٤) هو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي الزاهد، أحد الأئمة، روى عن أبيه، وأخيه عبيد الله الفقيه، وعائشة، وأبي هريرة، وكان عون ثقة يرسل كثيراً، من آدب أهل المدينة وأفقههم، وكان مرجئاً، ثم تركه، مات بعد (١١٠هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٤٣٧).

(٥) انظر القولين في تفسير الطبري (١٢/ ٣٣٥).

(٦) في السليمانية: «بطريقه». وفي فيض الله: «بطرقه».

فنهاه عن الجهاد وقال: تقتل وتترك ولدك؟ فعصاه فجاهد، فله الجنة»[(١)] الحديث.

قوله عز وجل: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾.

هذا توكيد من إبليس في أنه يجدُّ في إغواء بني آدم، وهذا لم يكن حتى علم إبليس أن الله يجعل في الأرض خليفة، وعلم أنه آدم، وإلا فلا طريق له إلى علم أنسال آدم من ألفاظ هذه الآيات.

قال القاضي أبو محمد: ومقصد هذه الآية: أن إبليس أخبر عن نفسه أنه يأتي إضلال بني آدم من كل جهة وعلى كل طريق، يفسد عليه ما أمكنه من معتقده، وينسيه صالح أعمال الآخرة، ويغريه بقبيح أعمال الدنيا، فعبر عن ذلك بألفاظ تقتضي الإحاطة بهم، وفي اللفظ تجوز، وهذا قول جماعة من المفسرين.

وقال ابن عباس فيما روي عنه: أراد بقوله: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ الدنيا ﴿ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ الحق، ﴿ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾ الباطل[(٢)]، وقال ابن عباس أيضاً فيما روي عنه:

---

(١) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة (٤/ ٥٦٤)، وأحمد (٣/ ٤٨٣)، والنسائي في الكبرى (٤٣٢٧)، وابن حبان (١٠/ ٤٥٣) من طريق: محمد بن فضيل، عن موسى بن المسيب الثقفي أبي جعفر، عن سالم ابن أبي الجعد، عن سبرة بن أبي فاكه مرفوعاً، وقد اختلف في إسناد هذا الحديث، فقيل عنه مثل ما سبق وقيل: عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر بن أبي سبرة، عن النبي ﷺ. ذكر الاختلاف البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢١) وقال أبو نعيم في معرفة الصحابة (٢/ ٥٥٠): هذا مما وهم فيه طارق بن عبد العزيز بن طارق تفرد بذكر جابر، يعني عن ابن عجلان به، ورواه ابن فضيل عن موسى بن أبي جعفر عن سالم عن سبرة بن أبي فاكه وهو المشهور. اهـ، وقال الحافظ في الإصابة (١/ ٤٣٠): المحفوظ في هذا عن سالم بن أبي الجعد عن سبرة بن أبي فاكهة. اهـ، وسالم يرسل كثيراً، ولم يصرح هنا بالسماع من سبرة، وليس له عنه إلا هذا الحديث الواحد، فالحديث يصححه من لا يقول باشتراط ثبوت اللقاء، ويقف في ثبوت اتصاله من يقول بذلك، راجع السلسلة الصحيحة رقم (٢٩٧٩).

(٢) أخرجه الطبري (١٤٣٦٩)، وابن أبي حاتم (٨٢٤٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ هي الدنيا، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ هي الآخرة، ﴿ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ ﴾ الحسنات، ﴿ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ ﴾ السيئات[(١)].

وقال مجاهد: (من بين أيديهم وعن أيمانهم)، معناه: حيث يبصرون، (ومن خلفهم وعن شمائلهم: حيث لا يبصرون[(٢)].

وقوله: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ أخبر أن سعايته تفعل ذلك ظنّاً منه وتوهماً[(٣)] في خلقة آدم حين رأى خلقته من أشياء مختلفة، فعلم أنه ستكون لهم شيم تقتضي طاعته، كالغل والحسد والشهوات ونحو ذلك.

قال ابن عباس وقتادة: إلا أن إبليس لم يقل إنه يأتي بني آدم من فوقهم، ولا جعل الله له سبيلاً إلى أن يحول بينهم وبين رحمة الله وعفوه ومنّه[(٤)].

وما ظنَّه إبليس صدّقه الله عز وجل، ومنه قوله: ﴿ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [سبأ: ٢٠] فجعل أكثر العالم كفرة، ويبينه قول النبي ﷺ في الحديث: «يقول الله تعالى يوم القيامة: يا آدم أخرج بعث النار، فيقول: يا رب وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين وواحد إلى الجنة»، ونحوه مما يخص أمة محمد ﷺ: «ما أنتم في الأمم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود»[(٥)].

قال القاضي أبو محمد: وقوله: «كالشعرة» يحتمل أن يريد شعرة واحدة، وهو بعيد؛ لأن تناسب الحديث الأول يرده، ويحتمل أن يريد الشعرة التي هي للجنس،

---

(١) أخرجه الطبري (١٤٣٧٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه ابن جرير أيضاً (١٤٣٧١)، وابن أبي حاتم (٨٢٥٥-٨٢٥٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: تفسير مجاهد (١/ ٢٣٢)، وتفسير الطبري (١٢/ ٣٤٠-٣٤١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٤٤).

(٣) في السليمانية وفيض الله ولالاليه: «وتوسماً».

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (١٤٣٨٢) من طريق حفص بن عمر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه، وإسناده ضعيف؛ لضعف حفص بن عمر العدني.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

والقصد أن يشبِّههم بثور أسود قد أنبتت في خلال سواده شعرة بيضاء، ويحتمل أن يريد اللُّمعة من الشعر الأبيض، وهذا فيه بعدٌ.

و﴿شَٰكِرِينَ﴾ معناه: مؤمنين؛ لأن ابن آدم لا يشكر نعمة الله إلا بأن يؤمن، قاله ابن عباس وغيره(١).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ الضمير في ﴿مِنْهَا﴾ عائد على الجنة، و﴿مَذْءُومًا﴾ معناه: معيباً يقال: ذأمه إذا عابه، ومنه الذأم وهو العيب، وفي المثل: لن تعدم الحسناء ذاماً(٢)، أي: عيباً، وسهلت فيه الهمزة، ومنه قول قَيْلِ حمير: أردتَ أن تذيمه فمدهَتْه(٣)، يريد: فمدحته.

وحكى الطبري أنه يروى هذا البيت:

صَحِبْتُكَ إِذْ عَيْنِـي عَلَيْهَـا غِشَـاوَةٌ فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسِي أَذِيمُهَا(٤) [الطويل]

قال القاضي أبو محمد: والرواية المشهورة: ألومها.

ومن الشاهد في اللفظ قول الكميت(٥):

وهُـمُ الأَقْرَبُـونَ مِـنْ كُلِّ خَيْـر وهُـمُ الأَبْعَـدُونَ مِـنْ كُلِّ ذام(٦) [الخفيف]

---

(١) أخرجه الطبري (١٤٣٨٣)، وابن أبي حاتم (٨٢٦٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (٢/ ٣٧٧)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٠٤)، والمخصص (٣/ ٣٨٣).

(٣) القول للنعمان بن المنذر، كما في الكامل للمبرد (٣/ ١٠٨)، وأمالي القالي (٢/ ٩٩).

(٤) تفسير الطبري (١٢/ ٣٤٢) والبيت للحارث ابن خالد المخزومي، قاله لعبد الملك، كما في الأغاني (٣/ ٣١٤)، بلفظ: «ألومها».

(٥) الكميت بن زيد الأسدي الكوفي شاعر زمانه، روى عن الفرزدق وأبي جعفر الباقر، وعنه والبة بن الحباب الشاعر وحفص بن سليمان الغاضري وأبان بن تغلب وآخرون. توفي سنة: (١٢٦هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٢١٠).

(٦) ديوان الكميت، تحقيق: محمد نبيل طريفي، (ص: ٤٩٨)، ط: دار صادر بيروت (٢٠٠٠م). ولم أجده في مصدر آخر متقدم.

ومن الشاهد في (مدحور) قول الشاعر:

[الوافر] دَحَرْتُ بنـي الحصيب إلى قُدَيْد وقَـدْ كانـوا ذَوي أَشَـرٍ وفخر[١]

وقرأ الزهري وأبو جعفر والأعمش في هذه الآية: (مَذوماً) على التسهيل[٢].

و﴿ مَّدۡحُورًا ﴾: معناه: مقصيّاً مبعداً.

وقرأت فرقة: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ ﴾ بفتح اللام، وهي على هذه لام القسم المخرجة الكلام من الشك إلى القسم.

وقرأ عاصم الجحدري والأعمش: (لِـمَن تبعك) بكسر اللام[٣]، والمعنى: لأجل مـن تبعـك ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ فأدخلـه في الوعيـد معهم بحكم هـذه الكاف في ﴿مِنكُمۡ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩ ﴾.

إذا أمر الإنسان بشيء هو متلبس به فإنما المقصد بذلك أن يستمر على حاله ويتمادى في هيئته.

وقوله تعالى لآدم: ﴿ٱسۡكُنۡ﴾ هو من هذا الباب، وأكّد الضمير الذي في قوله: ﴿ٱسۡكُنۡ﴾ بقوله: ﴿أَنتَ﴾، وحينئذ جاز العطف عليه، وهو ضمير لا يجوز إظهاره ولا يترتب، والعطف على الضمير الملفوظ به لا يجوز إلا بعد تأكيده، كقولك: قمت أنت

---

(١) تفسير البحر المحيط (٧/ ٥)، والدر المصون (٥/ ٢٧٢)، ولم ينسباه لأحد، ودحره: أبعده وطرده، وقُدَيْد: مكان.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٤٣)، ومختصر الشواذ (ص: ٤٨).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لعاصم، وهو ابن أبي النجود لأنها من رواية شعبة عنه كما في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٤٧)، وعصمة كما في مختصر الشواذ (ص: ٤٨)، ولم أجدها للجحدري إلا عند البحر المحيط في التفسير (٥/ ٢٤)، جامعاً بينهما، ولا للأعمش أصلاً، ورواية شعبة هي من طريق أبي الحجاج، كما في الكامل للهذلي (ص: ٥٥١)، وليست من طرق التيسير.

وزيد، لأن الضمير بمنزلة حرف من الفعل، وهذا الضمير الذي في ﴿ٱسۡكُنۡ﴾ أضعف من الملفوظ به، فأحرى أن لا يصح العطف عليه إلا بعد التأكيد.

وقوله: ﴿فَكُلَا﴾ هو من أكل، فأصله: أأكلا، فحذفت فاء الفعل لاجتماع المثلين واستغني عن الأخرى لما تحرك ما بعدها، وحسن أيضاً حذف فاء الفعل لأنهم استثقلوا الحركة على حرف علة، وهذا بابُ كلِّ فعل أوله همزة ووزنه فَعَل كأخذ وأمر ونحوه، وكان القياس أن لا يحذف فاء الفعل، ولكن ورد استعمالهم هكذا. ويقال: قرب يقرب.

و﴿هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ الظاهر أنه أشار إلى شخص شجرة واحدة من نوع وأرادها.

ويحتمل أن يشير إلى شجرة معينة وهو يريد النوع بجملته، وعبر باسم الواحدة كما تقول: أصاب الناس الدينار والدرهم، وأنت تريد النوع.

قال القاضي أبو محمد: وعلى الاحتمالين فآدم عليه السلام إنما قصد في وقت معصية فعل ما نهي عنه [قاله جمهور المتأولين][١]، وبذلك أغواه إبليس لعنه الله بقوله: إنك لم تنه إلا لئلا تخلد / أو تكون ملكاً، فيبطل بهذا قول من قال: إن آدم إنما أخطأ [٢/ ١٣١] متأولاً، بأنْ ظن النهي متعلقاً بشخص شجرة فأكل من النوع، فلم يعذر بالخطأ.

قال القاضي أبو محمد: وذلك أن هذا القائل إنما يفرض آدم معتقِداً أن النهي إنما تعلق بشجرة معينة، فكيف يقال له مع هذا الاعتقاد: إنك لم تنه إلا لئلا تخلد، ثم يقصد هو طلب الخلود في ارتكاب غير ما نهي عنه؟ ولا فرق بين أكله ما يعتقد أنه لم ينه عنه وبين أكله سائر المباحات له.

قال القاضي أبو محمد: والهاء الأخيرة في ﴿هَٰذِهِ﴾ بدل من الياء في «هذي»[٢]، أبدلت في الوقف ثم ثبتت في الوصل هاء حملاً على الوقف، وليس في الكلام هاء تأنيث قبلها كسرة إلا هذه.

---

(١) ساقط من لالاليه.

(٢) «هذي» من المطبوع والحمزوية ولالاليه، وفي غيرها: «هذه».

وقرأ ابن محيصن: (هذي الشجرة)[١] على الأصل.

وقوله: ﴿فَتَكُونَا﴾ نصب في جواب النهي.

قال القاضي أبو محمد: وتعلق الناس بهذه الآية في مسألة الحظر والإباحة، وذلك أن مسألة الحظر والإباحة تكلم الناس فيها على ضربين، فأما الفقهاء فدعاهم إلى الكلام فيها أنه تنزل نوازل لا توجد منصوصة في كتاب الله عز وجل ولا في سنة نبيه ولا في إجماع، ويُعتم[٢] وجه استقرائها من أحد هذه الثلاثة وقياسها على ما فيها، فيرجع الناظر بعد ذلك ينظر على أي جهة يحملها من الإجازة والمنع:

فقال بعضهم: إذا نزل مثل هذا فنحمله على الحظر، ونأخذ فيه بالشدة ونستبرئ لأنفسنا، إذ الله عز وجل قد بيَّن لنا في كتابه جميع ما يجب بيانه، وأحل ما أراد تحليله، ولم يترك ذكر هذه النازلة إلا عن قصد، فاجترامنا نحن عليها لا تقتضيه الشريعة.

وقال بعضهم: بل نحملها على الإباحة؛ لأن الله عز وجل قد أكمل لنا ديننا وحرم علينا ما شاء تحريمه، ولم يهمل النص على نازلة إلا وقد تركها في جملة المباح، وبعيد أن يريد في شيء التحريم ولا يذكره لنا ويدعنا في عمى الجهالة به، فإنما نحملها على الإباحة حتى يطرأ الحظر.

وقال بعضهم: بل نحمل ذلك على الوقف أبداً، ولا نحكم فيه بحظر ولا إباحة، بل نطلب فيه النظر والقياس أبداً، وذلك أنّا نجد الله عز وجل يقول في كتابه ﴿حَرَّمَ عَلَيْكُمُ﴾ في مواضع، ويقول: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ في مواضع، فدل ذلك على أن كل نازلة تحتاج إلى شرع وأمر، إما مخصوصاً بها وإما مشتملاً عليها وعلى غيرها، ولو كانت الأشياء على الحظر لما قال في شيء: حرم عليكم، ولو كانت على الإباحة لما قال في شيء: أحل لكم[٣].

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٤٤).

(٢) تحرفت في فيض الله إلى: «يفهم».

(٣) انظر الأقوال الثلاثة في: اللمع للشيرازي (١/ ١٢٢).

قال القاضي أبو محمد: وهذا أبين الأقوال، ولم يتعرض الفقهاء في هذه المسألة إلى النظر في تحسين العقل وتقبيحه، وإنما تمسكوا في أقوالهم هذه بأسباب الشريعة وذهبوا إلى انتزاع مذاهبهم منها.

وأما الضرب الثاني من كلام الناس في الحظر والإباحة: فإن المعتزلة ومن قال بقولهم: إن العقل يحسِّن ويقبِّح نظروا في المسألة من هذه الجهة فقالوا: نفرض زمناً لا شرع فيه، أو رجلاً نشأ في برية ولم يحس قط بشرع ولا بأمر ولا بنهي، أو نقدِّر آدم عليه السلام وقت إهباطه إلى الأرض قد تُرك وعقلَه قبل أن يؤمر وينهى، كيف كانت الأشياء عليه؟ أو كيف يقتضي العقل في الزمن والرجل المفروضين:

فقال بعضهم: الذي يحسن في العقل أن تكون محظورة كلها حتى يَرِدَ الإذن باستباحتها، وذلك أن استباحتها تعدٍّ على ملك الغير، وإذا قبح ذلك في الشاهد فهو في حق الله أعظم حرمة، وذهب بعض أهل[1] هذه الفرقة إلى استثناء التنفس والحركة من هذا الحظر[2]، وقالوا: إن هذه لا يمكن غيرها[3].

قال القاضي أبو محمد: ويمكن أن يقدر الاضطرار إليها إباحة لها.

وقال بعضهم: بل يحسن في العقل أن تكون مباحة، إذ التحكم في ملك الغير بوجه لا ضرر عليه فيه كالاستظلال بالجدران ونحوه مباح، فإذا كان هذا في الشاهد جائزاً فهو في عظم قدر الله تعالى ووجوده أجوز؛ إذ لا ضرر في تصرفنا نحن في ملكه، ولا يتعلق[4] بحقه شيء من ذلك.

وقال أهل الحق والسنة في هذا النحو من النظر: بل الأمر في نفسه على الوقف

(١) زيادة من السليمانية.
(٢) في المطبوع: «الحظ».
(٣) في السليمانية: «حظرها» بدل «غيرها».
(٤) في المطبوع: «ويتعلق»، وفي الأصل: «ويتحقق».

ولا يوجب العقل تحسيناً ولا تقبيحاً بمجرده يدان به، ولا يتجه حكم الحسن والقبيح إلا بالشرع، وقال بعضهم: والعقل لم يخلُ قط من شرع، فلا معنى للخوض في هذه المسألة ولا لفرض ما لا يقع[١].

وذهبوا إلى الاحتجاج بأن آدم عليه السلام قد توجهت عليه الأوامر والنواهي في الجنة، بقوله تعالى له حين جرى الروح في جسده فعطس: «قل الحمد لله يا آدم»[٢]، وبقوله: (اسكن) و(كل) و(لا تقرب) ونحو هذا.

وقال القاضي ابن[٣] الباقلاني في «التقريب والإرشاد»: إن الفقهاء الذين قالوا بالحظر والإباحة لم يقصدوا الكون مع المعتزلة في غوايتهم، ولكنهم رأوا لهم كلاماً ملفقاً مموهاً فاستحسنوه، دون أن يشعروا بما يَؤول إليه من الفساد في القول بتحسين العقل وتقبيحه[٤].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا الكلام حمل على فقهاء الشرع واستقصار لهم، والصواب أن لا يظن بهم هذا الخلل، وإنما التمسوا على نوازلهم تعليق حكم الحظر والإباحة من الشرع، وهم مع ذلك لا يحمل عليهم أنهم يدفعون الحق في أن العقل لا يحسن ولا يقبح دون الشرع. وقد تقدم في سورة البقرة ذكر الاختلاف في الشجرة وتعيينها.

---

(١) ممن قال بذلك؛ الصيرفي وابن الصائغ من الشافعية، وهو اختيار إمام الحرمين، انظر: البحر المحيط للزركشي (١/ ١٢٦).

(٢) الصحيح أنه من قول عبد الله بن سلام، هذا الخبر أخرجه الترمذي (٣٣٦٨) والنسائي في الكبرى (٩٩٧٥) وغيرهما من طريق: صفوان بن عيسى عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً، قال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه، وقال النسائي: خالفه محمد بن عجلان فيه، ثم رواه من طريق: الليث عن ابن عجلان عن سعيد عن أبيه عن عبد الله بن سلام قوله. قال أبو عبد الرحمن (يعني النسائي): هذا هو الصواب، والآخر خطأ.

(٣) ساقطة من المطبوع.

(٤) انظر: التلخيص للجويني (٣/ ٤٧٣-٤٧٤)، والبحر المحيط للزركشي (١/ ١١٦).

قوله عز وجل: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾.

«الوسوسة»: الحديث في اختفاء همساً وسِراراً من الصوت، والوسواس: صوت الحلي فشبه الهمس به، وسمي إلقاء الشيطان في نفس ابن آدم وسوسة إذ هي أبلغ السِّرار وأخفاه، هذا في حال الشيطان معنا الآن، وأما مع آدم فممكن أن تكون وسوسة بمجاورةٍ خفية، أو بإلقاءٍ في نفس، ومن ذلك قول رؤبة:

وَسْـوَسَ يَدْعُـو جَاهِـراً رَبَّ الفَلَقْ[1] [الرجز]

فهذه عبارة عن كلام خفي.

و﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يراد به إبليس نفسه، واختلف نقلة القصص في صورة وسوسته؛ فروي أنه كان يدخل إلى الجنة في فم الحية مستخفياً بزعمه فيتمكن من الوسوسة[2]، وروي أن آدم / وحواء كانا يخرجان خارج الجنة فيتمكن إبليس منهما، وروي أن الله [٢/ ١٣٢] أقدره على الإلقاء في أنفسهما فأغواهما وهو في الأرض[3].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول ضعيف يرده لفظ القرآن.

واللام في قوله: ﴿لِيُبْدِيَ﴾ هي على قول كثير من المؤلفين لام الصيرورة والعاقبة، وهذا بحسب آدم وحواء وبحسب إبليس في هذه العقوبة المخصوصة؛ لأنه لم يكن له علم بها فيقصدها.

قال القاضي أبو محمد: ويمكن أن تكون لام «كي» على بابها بحسب قصد إبليس إلى حط مرتبتهما وإلقائهما في العقوبة غير مخصصة.

---

(١) انظر عزوه له في العين (١/ ٦٢)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٩١)، وتهذيب اللغة (١٣/ ٩٣)، وتفسير الطبري (١٢/ ٣٤٧).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (١/ ٧١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٥٠).

(٣) انظر: تفسير الماوردي (٢/ ٢١٠)

و﴿مَا وُۥرِيَ﴾ معناه: ما ستر، من قولك: وارى يواري إذا ستر، وظاهر هذا اللفظ أنها مفاعلة من واحد، ويمكن أن تقدر من اثنين؛ لأن الشيء الذي يوارِي يوارَى[١] هو أيضاً من جهة.

وقرأ ابن وثاب: (ما وري) بواو واحدة[٢].

وقال قوم: إن هذه اللفظة في هذه الآية مأخوذة من وراء.

قال القاضي أبو محمد: وهو قول يوهنه التصريف.

و«السوأة»: الفرج والدبر، ويشبه أن يسمى بذلك لأن منظره يسوء.

وقرأ الحسن ومجاهد: (من سوَّتهما) بالإفراد وتسهيل الهمزة وشد الواو، وقرأ أبو جعفر بن القعقاع وشيبة بن نِصَاحٍ والحسن والزهري: (من سوَّاتهما) بتسهيل الهمزة وتشديد الواو[٣]، وحكاها سيبويه لغة[٤]، قال أبو الفتح: ووجهها: حذف الهمزة وإلقاء حركتها على الواو، فيقولون سوة ومنهم من يشدد الواو، وقالت طائفة إن هذه العبارة إنما قصد بها أنهما كشفت لهما معائبهما[٥] وما يسوءهما ولم يقصد بها العورة.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول كان اللفظ يحتمله، إلا أن ذكر خصف الورق يرده، إلا أن يقدر الضمير في ﴿عَلَيۡهِمَا﴾ عائداً على بدنيهما إذ تمزقت عنهما ثياب الجنة، فيصح القول المذكور.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا﴾ الآية، هذا القول الذي حكي عن إبليس يدخله من هذا التأويل ما دخل الوسوسة، فممكن أن يقول هذا مخاطبة وحواراً، وممكن أن يقولها إلقاء في النفس ووحياً.

---

(١) «يوارى»: زيادة من السليمانية وفيض الله ولالاليه ونجيبويه.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٤٨).

(٣) وهما شاذتان، انظرهما مع التوجيه في المحتسب (١/ ٢٤٣).

(٤) راجع الكتاب لسيبويه (٣/ ٥٥٦).

(٥) في المطبوع: «معانيهما».

و﴿إِلَّآ أَن﴾ تقديره عند سيبويه والبصريين: إلا كراهيةَ أن، وتقديره عند الكوفيين: إلا أن لا، على إضمار «لا»[(١)].

قال القاضي أبو محمد: ويرجح قول البصريين أن إضمار الأسماء أحسن من إضمار الحروف.

وقرأ جمهور الناس: ﴿مَلَكَيْنِ﴾ بفتح اللام، وقرأ ابن عباس ويحيى بن أبي كثير والضحاك: (مَلِكين) بكسر اللام[(٢)].

ويؤيد هذه القراءة قوله في آية أخرى: ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠].

قال القاضي أبو محمد: وقال بعض الناس: يخرج من هذه الألفاظ أن الملائكة أفضل من البشر، وهي مسألة اختلف الناس فيها، وتمسك كل فريق بظواهر من الشريعة والفضل بيد الله، وقال ابن فورك: لا حجة في هذه الآية؛ لأنه يحتمل أن يريد: ملَكين في أن لا تكون لهما شهوة في طعام[(٣)].

﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ أي: حلف لهما بالله وهي مفاعلة إذ قبول المحلوف له وإقباله على معنى اليمين كالقسم، وتقريره وإن كان بادي الرأي يعطي أنها من واحد، ومثله قول الهذلي:

وَقَاسَمَهَا بِالله جَهْداً لأَنْتُمُ ... أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نَشُورُهَا[(٤)] [الطويل]

وروي في القصص أن آدم قال في جملة اعتذاره: ما ظننت يا رب أن أحداً يحلف

(١) مشكل إعراب القرآن، لمكي (١/ ٢٨٤).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهم في تفسير الثعلبي (٤/ ٢٢٣)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٤٧)، والهداية لمكي (٤/ ٢٣١١)، وفي الحمزوية: «ابن وثاب» بدل «ابن عباس»، وفي المطبوع: «يحيى بن كثير»، دون كنية، والمثبت فيهما هو الموافق للمصادر.

(٣) تفسير البحر المحيط (٥/ ٢٥)، تفسير القرطبي (٧/ ١٧٨).

(٤) تقدم في تفسير الآية (٥٦) من سورة البقرة، وفي المطبوع: «الهزلي» بدل «الهذلي»، وهو خطأ مطبعي.

حانثاً، فقال بعض العلماء خدع الشيطان آدم بالله عز وجل فانخدع، ونحن من خدعنا بالله عز وجل انخدعنا له، وروي نحوه عن قتادة[١].

واللام في قوله: ﴿لَكُمَا﴾ متعلقة بـ﴿ٱلنَّٰصِحِينَ﴾، فقال بعض الناس؛ مكي وغيره: ذلك على أن تكون الألف واللام لتعريف الجنس لا بمعنى الذي، لأنها إذا كانت بمعنى الذي كان قوله: ﴿لَكُمَا﴾ داخلاً في الصلة فلا يجوز تقديمه[٢]، وأظن أن أبا علي الفارسي خرج جواز تقديمه وهي بمعنى الذي[٣]، والظاهر أنه إن جعلت بمعنى الذي كانت اللام في قوله: ﴿لَكُمَا﴾ متعلقة بمحذوف تقديره: إني ناصح لكما من الناصحين.

وقال أبو العالية: في بعض القراءة: (وقاسمهما بالله)[٤].

قوله عز وجل: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ يريد: فغرهما بقوله وخدعهما بمكره.

قال القاضي أبو محمد: ويشبه عندي أن يكون هذا استعارةً من الرجل يدلِّي آخر من هوة بحبل قد أرمَّ، أو بسبب ضعيف يغتر به، فإذا تدلى به وتورك عليه انقطع به فهلك، فيشبه الذي يُغَر بالكلام حتى يُصدِّقه فيقع في مصيبة بالذي يدلَّى في هوة

---

(١) هذه الجملة رويت عن ابن عمر رضي الله عنه، ولم أجدها لقتادة، رواها ابن سعد في الطبقات (٤/ ١٦٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٩٤) من طريق محمد بن يزيد بن خنيس عن عبد العزيز بن أبي رواد، عن نافع به، وهذا إسناد لا بأس به.

(٢) مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٢٨٥).

(٣) في السليمانية وفيض الله: «على أن اللام بمعنى الذي».

(٤) نقلها في البحر المحيط (٥/ ٢٦)، بلا نسبة، وهي مخالفة لمصاحف المسلمين، فتحمل على التفسير.

بسببٍ ضعيف، وعلق حكم العقوبة بالذوق إذ هو أول الأكل وبه يرتكب النهي، وفي آية أخرى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ [طه: ١٢١].

وقوله تعالى: ﴿بَدَتْ﴾ قيل: تخرقت[١] عنهما ثياب الجنة وملابسها وتطايرت تبرياً منهما.

وقال وهب بن منبه: كان عليهما نور يستر عورة كل واحد منهما، فانقشع بالمعصية ذلك النور[٢]، وقال ابن عباس وقتادة: كان عليهما ظفرٌ كاسٍ، فلما عصيا تقلص عنهما فبدت سوءاتهما، وبقي منه على الأصابع قدر ما يتذكران به المعصية فيجددان الندم[٣].

و(طفقا) معناه: أخذا وجعلا، وهو فعل لا يختص بوقت كبات وظل.

و﴿يَخْصِفَانِ﴾ معناه: يلصقانها ويضمان بعضها إلى بعض، والمِخْصَف الإشفى[٤]، وضم الورق بعضه إلى بعض أشبه بالخرز منه بالخياطة.

وقرأ جمهور الناس: ﴿يَخْصِفَانِ﴾، من خصف، وقرأ عبد الله بن بريدة: (يخصِّفان) من خصف بشد الصاد، وقرأ الزهري: (يُخصِفان) من أخصف، وقرأ الحسن فيما روى عنه محبوب: (يَخَصِّفان) بفتح الياء والخاء وكسر الصاد وشدها، ورويت عن ابن بريدة وعن يعقوب[٥]، وأصلها يختصفان، كما تقول: سمعت الحديث واسَّمَّعته[٦]، فأدغمت التاء في الصاد ونقلت حركتها إلى الخاء، وكذلك الأصل في القراءة بكسر الخاء بعد هذه، لكن لما سكنت التاء وأدغمت في الصاد اجتمع ساكنان فكسرت الخاء على عرف التقاء ساكنين.

(١) في السليمانية وفيض الله ولالاليه: تمزقت.
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٤٧)، وفي السليمانية: «ابن وهب»، وهو خطأ.
(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٤٣٩٩) من طريق الحسن بن عمارة بن المضروب البجلي، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه. والحسن بن عمارة متروك وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٥٠).
(٤) وهو: المثقب.
(٥) ثلاث قراءات شاذة، انظرها في المحتسب (١/ ٢٤٥)، وانظر: مختصر الشواذ (ص: ٤٨).
(٦) في المطبوع: «واستمعته».

وقرأ الحسن والأعرج ومجاهد: (يَخِصِّفان) بفتح الياء وكسر الخاء وكسر الصاد وشدها[١]، وقد تقدم تعليلها.

[٢/ ١٣٣] قال ابن عباس / : إن الورق الذي خصفا منه ورق التين[٢].

وروى أبيّ عن النبي ﷺ أن آدم عليه السلام كان يمشي في الجنة كأنه نخلةٌ سَحُوقٌ[٣]، فلما واقع المعصية وبدت له حاله فرّ[٤] على وجهه، فأخذت شجرة بشعر رأسه، يقال: إنها الزيتونة، فقال لها: أرسليني، فقالت: ما أنا بمرسلتك، فناداه ربه: أمنِّي تفر يا آدم؟ قال: لا يا رب، ولكن أستحييك، قال: أما كان لك فيما منحتك من الجنة مندوحة عما حرمت عليك؟ قال: بلى يا رب، ولكن وعزتك ما ظننت أن أحداً يحلف بك كاذباً، قال: فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض، ثم لا تنال العيش إلا كدّا[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا﴾ الآية، قال الجمهور: إن هذا النداء نداءُ وحي بواسطة، ويؤيد ذلك أنّا نتلقى من الشرع أن موسى عليه السلام هو الذي خصص بين العالم بالكلام، وأيضاً ففي حديث الشفاعة أن بني آدم المؤمنين يقولون لموسى يوم القيامة: «أنت خصك الله

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٤٥).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٤٤٠٤-١٤٤٠٥)، وابن أبي حاتم (٨٣٠٢) من طريق ابن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه، وابن أبي ليلى هو محمد بن عبد الرحمن، سيئ الحفظ جداً.

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «سموق».

(٤) في السليمانية وفيض الله: «خر».

(٥) الأصح أنه من قول أُبي بن كعب، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٤٣٩٨) من طريق أبي بكر الهذلي، عن الحسن، عن أبي بن كعب مرفوعاً، وأبو بكر الهذلي ضعيف، وأخرجه أيضاً الطبري (١٤٤٠٣) من طريق قتادة، عن الحسن، عن أبي بن كعب موقوفاً، وقال ابن كثير (٣/ ٣٩٨): الموقوف أصحّ إسناداً، ثم ذكره عن عبد الرزاق من طريق: الحسن بن عمارة، عن المِنْهَال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قوله، والحسن متروك الحديث.

بكلامه واصطفاك برسالته اذهب فاشفع للناس»[١]، وهذا ظاهره أنه مخصِّص.

وقالت فرقة: بل هو نداء تكليم.

قال القاضي أبو محمد: وحجة هذا المذهب أنه وقع في أول ورقة من تاريخ ابن أبي خيثمة[٢] أن رسول الله ﷺ سئل عن آدم فقال: «نبيٌّ مكلَّم»[٣].

وأيضاً فإن موسى خصص من بين البشر الساكنين في الأرض، وأما آدم إذْ كان في الجنة فكان في غير رتبة سكان الأرض، فليس في تكليمه ما يفسد تخصيص موسى عليه السلام، ويؤيد أنه نداء وحي اشتراك حواء فيه، ولم يُروَ قط أن الله عز وجل كلم حواء، ويتأول قوله ﷺ: «نبي مكلّم» أنه بمعنى: موصَل إليه كلام الله تعالى.

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾ سؤال تقرير يتضمن التوبيخ.

وقوله: ﴿تِلْكُمَا﴾ يؤيد[٤] ـ بحسب ظاهر اللفظ ـ أنه إنما أشار إلى شخص شجرة.

و﴿وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ إشارة إلى الآية التي في سورة طه، في قوله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧].

---

(١) هو حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) هو أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب بن شداد النسائي ثم البغدادي الحافظ، صاحب التاريخ المشهور، كان ثقة عالماً متفنناً حافظاً، بصيراً بأيام الناس، راوية للأدب، أخذ الحديث عن أحمد وغيره، توفي سنة (٢٧٧هـ)، تاريخ الإسلام (٢٠/ ٢٥٢).

(٣) في إسناده مقال، أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٤٨٠)، وأحمد في مسنده (٥/ ١٧٨-١٧٩- رقم ٢١٥٤٦-٢١٥٥٢)، والبزار في مسنده (٤٠٣٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢٩-٣٢٩٨) وغيرهم من طرق عن المسعودي، عن أبي عمرو الشامي، عن عبيد بن الخشخاش، عن أبي ذر رضي الله عنه بلفظ مطول، قال الحافظ في تهذيب التهذيب (٧/ ٦٤): عبيد بن الخشخاش روى عن أبي ذر في الاستعاذة من شر شياطين الجن والإنس، وعنه أبو عمرو الشامي، ذكره ابن حبان في الثقات، قلت: وقال: روى عنه الكوفيون، وقال البخاري: لم يذكر سماعاً من أبي ذر، وضعفه الدارقطني. اهـ.

(٤) في السليمانية وفيض الله: «يريد».

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو العهد الذي نسيه آدم على مذهب من يجعل النسيان على بابه.

وقرأ أبيّ بن كعب: (ألم تُنهيا عن تلكما الشجرة وقيل لكما)[(١)].

وقولهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾ اعتراف من آدم وحواء عليهما السلام، وطلبٌ للتوبة والستر والتغمد بالرحمة، فطلبَ آدمُ هذا، وطلب إبليس النظِرة ولم يطلب التوبة فوكل إلى رأيه.

قال الضحاك: هذه الآية هي الكلمات التي تلقى آدم من ربه[(٢)].

قوله عز وجل: ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

المخاطب بقوله: ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾ قال أبو صالح والسدي والطبري وغيرهم: هي لآدم وحواء وإبليس والحية[(٣)]، وقالت فرقة: هي مخاطبة لآدم وذريته وإبليس وذريته.

وهذا ضعيف؛ لعدمهم في ذلك الوقت، فإن قيل: خاطبهم وأمرهم بشرط الوجود، فذلك يبعد في هذه النازلة؛ لأن الأمر بشرط الوجود إنما يصح إذا ترتب على المأمور بعد وجوده وصح معناه عليه، كالصلاة والصوم ونحو ذلك، وأما هنا فإن معنى الهبوط لا يتصور في بني آدم بعد وجودهم، ولا يتعلق بهم من الأمر به شيء.

وأما قوله في آية أخرى: ﴿ٱهۡبِطَا﴾ [طه: ١٢٣] فهي مخاطبة لآدم وإبليس، بدليل بيانه العداوة بينهما، و﴿عَدُوّٞ﴾ فرد بمعنى الجمع، تقول: قوم عدو وقوم صديق، ومنه قول الشاعر:

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: معاني الفراء (١/ ٢٩٢).

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٣٥٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٥٧-٣٥٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٨٩)، وتفسير الماوردي (٢/ ٢١٢).

لَعَمْري لَئِنْ كنْتُمْ عَلَى النَّأْيِ والْغنى بكُمْ مِثْلُ ما بي إِنَّكُمْ لَصَدِيقُ[١] [الطويل]

وعداوة الحيَّات معروفة، وروى قتادة عن النبي ﷺ: «ما سالمناهن منذ حاربناهن»[٢].

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: «من تركهن فليس منا»[٣].

وقالت عائشة: «من ترك حية خشيةً من ثأرها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[٤].

---

(١) من بيتين للصِّمَّة بن عبد الله القشيري، كما في الأغاني (٦/ ٦)، والتذكرة الحمدونية (٦/ ٥٣)، وفي السليمانية: «القلى» بدل «الغنى».

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٧)، والحميدي في مسنده (١١٥٦)، وأبو داود (٥٢٤٨) وابن حبان (٥٦٤٤)، والطبري (٧٦٣) من حديث ابن عجلان، واختلف عليه، قال الدارقطني (١١/ ١٣٨): رواه زياد ابن سعد، ويحيى القطان، وأبو عاصم النبيل، عن ابن عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة، وخالفهم ابن عيينة، فرواه عن ابن عجلان، عن بكير بن عبد الله، عن عجلان، عن أبي هريرة، ولعل محمد بن عجلان سمعه عن أبيه، واستثبته من بكير بن الأشج. اهـ، رواية ابن عيينة هذه أخرجها أحمد (٢/ ٢٧٤) قال: قرئ على سفيان... به. وأخرجها ابن حبان (١٢/ ٤٦١) من طريق: إبراهيم ابن بشار عن ابن عيينة، لكن رواية سفيان بن عيينة عند أبي داود من طريق: إسحاق بن إسماعيل عنه مثل رواية الجماعة، وقد رواه أحمد بن حنبل، عن سليمان بن حيان أبي خالد الأحمر، عن ابن عجلان، عن بكير ابن الأشج، عن عجلان، عن أبي هريرة، وله طريق آخر أخرجه أحمد (٣/ ٤٧٧) من طريق: موسى ابن مسلم الطحان الصغير، قال: سمعت عكرمة، يرفع الحديث فيما أرى إلى ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ..، ولم يجزم موسى بن مسلم راويه بأن عكرمة رفعه إلى ابن عباس، وتمام الحديث عند بعض من ذكرنا: «ومن ترك شيئاً منهن خيفة فليس منا».

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٥٦٣٨)، والطبراني في الكبير (١٣٢٠٥) مرفوعا من طريق عبد الله ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن بكير بن عبد الله بن الأشج، عن سالم عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: اقتلوا الحيات واقتلوا ذا الطفتين والأبتر فإنهما يلتمسان البصر ويستسقطان الحبل فمن لم يقتلهما فليس منا. وسنده صحيح، والحديث أصله في البخاري (٣٢٩٧)، ومسلم (٢٢٣٣) من طريق الزهري، عن سالم، به بدون لفظة «فمن لم يقتلهما فليس منا».

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ، ولكن له شواهد تشهد له منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه =

وإنما يعرِض في أمرهن حديث الفتى في غزوة الخندق، وقول النبي ﷺ: «إن جنّاً بالمدينة قد أسلموا، فمن رأى من هذه الحيات شيئا في بيته فليحرج عليه ثلاثاً، فإن رآه بعد ذلك فليقتله فإنما هو كافر»(١).

وقوله تعالى: ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ لفظ عام لزمن الحياة ولزمن الإقامة في القبور.

وبزمن الحياة فسر أبو العالية؛ وقال: هي كقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾(٢).

وبالإقامة في القبور فسر ابن عباس(٣). واللفظ يعمهما، فهي كقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المرسلات: ٢٥].

= الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ٣٧٠)، وابن عبد البر في التمهيد (١٦/ ٢٤) من طريق محمد ابن عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما سالمناهن منذ حاربناهن فمن ترك شيئاً منهن خيفة فليس منا» يعني الحيات. ومحمد بن عجلان فيه كلام، وقد استشهد به مسلم في صحيحه والله أعلم، ومنها ما أخرجه البزار في مسنده (٢٣٢٥)، وابن قانع في معجم الصحابة (٢/ ٢٥٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ٣٧١) من طريق عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث الواسطي، عن يزيد بن الحكم، عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال قال رسول الله وذكر الحيات فقال: «من خشي إربهن فليس منا»، وعبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث ـ أبو شيبة ـ الواسطي ضعيف، ويزيد بن الحكم ابن أبي العاص الثقفي البصري، من فصحاء الشعراء، ولم أر أحداً وثقه في الرواية، وهناك شاهد آخر أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣٩٦) من طريق داود بن عبد الجبار، عن إبراهيم بن جرير، عن جرير بن عبد الله البجلي، عن النبي ﷺ قال: «اقتلوا الحيات كلها من تركها خشية ثأرها فليس منا»، وداود بن عبد الجبار القرشي أبو سليمان الكوفي، قال فيه يحيى ابن معين: ليس بثقة، كان يكذب، وقال أبو حاتم: منكر الحديث، وقال أبو زرعة: منكر الحديث.، وفي الباب عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أخرجه الطبراني في الكبير (١١٨٠١)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ٣٧١)، وابن عبد البر في التمهيد (١٦/ ٢٤) بنحو حديث ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم.

(١) صحيح، هذا الحديث أخرجه مسلم (٢٢٣٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ مطول.

(٢) البقرة: ٢٢، انظر: تفسير الطبري (١/ ٥٣٨)، في حرف البقرة.

(٣) جيد، أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٢/ ٣٥٨) من طريق عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، =

وأما المتاع فهو بحسب شخصٍ شخصٍ في زمن الحياة؛ اللهم إلا أن يُقدر سكنى القبر متاعا بوجه مَّا، و«المتاعُ»: التمتع والنيل من الفوائد.

و﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: هو بحسب الجملة قيام الساعة، وبحسب مفردٍ مفردٍ بلوغُ الأجل والموت، والحين في كلام العرب الوقتُ غير معيَّن.

وروي أن آدم عليه السلام أهبط بالهند وحواء بجدة، وتمناها بمنى، وعرف حقيقة أمرها بعرفة، ولقيها بجمع، وأهبط إبليس بميسان، وقيل: بالبصرة، وقيل: بمصر، فباض فيها وفرخ، قال ابن عمر: وبسط إبليس فيها عبقريه(١).

وذكر صالح مولى التوأمة قال: في بعض الكتب: لما أهبط إبليس قال: رب أين مسكني؟ قال: مسكنك الحمَّام، ومجلسك الأسواق، ولهُوك المزامير، وطعامك ما لم

= عن السدي، عمن حدثه، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾. قال: ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾، القبور، وقد أخرجه ابن أبي حاتم (٨٣٢١) من طريق عبيد الله بن موسى، به بذكر الرجل المبهم بين السدي وابن عباس، وهو عكرمة.

(١) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ (١/ ٢٠٥)، والطبراني في الكبير (١٣٢٩٠) من طريق ابن شهاب، عن يعقوب بن عبد الله بن المغيرة بن الأخنس، عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «دخل إبليس العراق فقضى حاجته ودخل الشام فطردوه حتى بلغ سباق ودخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عبقرية»، وهذا إسناد ضعيف؛ رجاله ثقات غير يعقوب بن عبد الله؛ فإني لم أقف على ترجمة له في شيء من كتب الرجال، وقد أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٤٣١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٣١٨) عن ابن شهاب، عن يعقوب بن عتبة، بن المغيرة بن الأخنس، به، ولعله تصحف يعقوب بن عبد الله إلى يعقوب بن عتبة فإن الثاني ثقة من السادسة ولم يدرك ابن عمر، ولاسيما أن ابن عساكر قد أخرجه من طريق يعقوب الفسوي، وقد جمع بينهما الهيثمي ولم ينبه كما في مجمع الزوائد (١٠/ ٤٠) قال: أخرجه الطبراني في الكبير، والأوسط من رواية يعقوب بن عبدالله بن عتبة بن الأخنس عن ابن عمر ولم يسمع منه ورجاله ثقات، وقد أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٣١٨) من طريق عباد ابن كثير، عن سعيد، عن قتادة عن، سالم، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان أتى العراق فباض فيهم وفرخ ثم أتى مصر فبسط عبقريه وجلس ثم أتى الشام فطردوه». وعباد بن كثير الثقفي متروك، وفي السليمانية وفيض الله: «أبو عمرو» بدل «ابن عمر»، ولعله خطأ.

يذكر عليه اسمي، وشرابك المسكر، ورسلك الشهوات، وحبائلك النساء[١].

وأهبطت الحية بأصبهان، وروي أنها كانت ذات قوائم كالبعير، فعوقبت بأن ردت تنساب على بطنها[٢].

وروي أن آدم لما أهبط إلى شقاء الدنيا علِّم صنعة الحديد ثم علم صنعة[٣] الحرث، فحرث وسقى وحصد وذرى، وطحن وعجن وخبز، وطبخ وأكل، فلم يبلغ إلى ذلك حتى بلغ من الجهد ما شاء الله، وروي أن حواء قيل لها: يا حواء، كما دميت الشجرة فأنت تدمين في كل شهر[٤]، وأنت لا تحملين إلا كرهاً ولا تضعين إلا كرهاً.
[٢/ ١٣٤] قال: فرنَّت حواء عند ذلك، فقيل لها: الرنة عليك وعلى ولدك / [٥].

وفي هذه القصة من الأنباء كثير، اختصرتها إذ لا يقتضيها اللفظ.

وقوله تعالى: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ الآية، حكم من الله عز وجل أمضاه وجعله حتماً في رقاب العباد، يحيون في الأرض، ويموتون فيها، ويبعثون منها إلى الحشر أحياء، كما أنشأ أول خلق[٦] يعيده.

وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو: ﴿تُخْرَجُونَ﴾ بضم التاء وفتح الراء هنا،

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٥٥).
(٢) في السليمانية وفيض الله: «قوائمها في بطنها» بدل «تنساب على بطنها».
(٣) زيادة من السليمانية وفيض الله.
(٤) ضعيف، هذا جزء من الأثر الذي أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٣٥٥) من طريق أبي معشر، عن محمد بن قيس، من قوله، وأبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي ضعيف.
(٥) هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٣٥٦) عن القاسم بن الحسن بن يزيد الصائغ، عن الحسين ابن داود المصيصي، عن عَبَّاد بن العَوَّام، عن سفيان بن حسين، عن يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بنحوه، وهذا إسناد رجاله ثقات غير الحسن بن داود المصيصي الملقب بسنيد فإنه حافظ له تفسير، وله ما ينكر كما قال الذهبي.
(٦) في السليمانية: «مرة» بدل «خلق».

وفي الروم: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ * وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ [١٩-٢٠]، وكذلك حيث تكرر إلا في الروم: ﴿إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾ [٢٥] وفي سأل سائل: ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ﴾ [٤٣] فإن هذين بفتح التاء والياء وضم الراء، ولم يختلف الناس فيهما[(١)].

وقرأ حمزة والكسائي في الأعراف: ﴿ومنها تَخرُجون﴾ بفتح التاء وضم الراء، وفتح ابن عامر التاء في الأعراف وضمها في الباقي[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ الآية، هذا خطاب لجميع الأمم وقت النبي ﷺ، والمراد قريش ومن كان من العرب يتعرى في طوافه بالبيت، ذكر النقاش: ثقيفا وخزاعة وبني عامر بن صعصعة وبني مدلج وعامراً والحارث ابني عبد مناف[(٣)]، فإنها كانت عادَتهم رجالاً ونساء، وذلك غاية العار والعصيان، قال مجاهد: ففيهم نزلت هذه الأربع الآيات[(٤)].

وقوله: ﴿أَنزَلۡنَا﴾ يحتمل أن يريد التدريج؛ أي: لما أنزلنا المطر فكان عنه جميع ما يلبس، قال عن اللباس: أنزلنا، وهذا نحو قول الشاعر يصف مطرا:

أقْبَلَ في المُسْتَنِّ مِنْ سَحَابه ... أسْنِمَةُ الآبَالِ فِي رَبَابه[(٥)] [الرجز]

أي: بالمال، ويحتمل أن يريد خلقنا، فجاءت العبارة بـ﴿أَنزَلۡنَا﴾ كقوله: ﴿وَأَنزَلۡنَا

---

(١) إلا ما سيأتي عن الثعلبي (١٠/ ٤٢) في سورة المعارج أن الأعشى رواها عن أبي بكر عن عاصم بضم الياء وفتح الراء.

(٢) وكلها سبعية متواترة، انظر: التيسير فى القراءات السبع للداني (ص: ١٠٩)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ٢٧٩).

(٣) في السليمانية وفيض الله ولالاليه ونجيبويه: «مناة»، وانظر كلامه في تفسير البحر المحيط (٥/ ٢٩).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٦٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٢٧).

(٥) لم أقف على قائله، وأورده المبرد في الكامل (٣/ ٦٩)، والمسْتَنُّ: المضطرب، يقال: اسْتَنَّ السراب: اضطرب كأنه يسيل. والرَّباب: السحاب الأَبيض، واحدته: ربابة. والآبال: جمع الإبل.

﴿ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ﴾ [الحديد: ٥٢] وقوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ﴾ [الزمر: ٦] وأيضاً فخلقُ الله عز وجل وأفعاله إنما هي من علو في القدر والمنزلة، و﴿لِبَاسٗا﴾ عام في جميع ما يلبس ويُوارِي يستر، وفي حرف أبيّ: (سوءاتكم وزينةً ولبسُ التقوى)[1]، وفي مصحف ابن مسعود: (ولباس التقوى خير ذلكم)[2]، ويروى عنه: (ذلك)[3]، وسقطت ﴿ذَٰلِكَ﴾ الأولى.

وقرأ سكنٌ النحوي: (ولَبوس التقوى) بالواو مرفوعة السين[4].

وقرأ الجمهور من الناس: ﴿وَرِيشٗا﴾، وقرأ الحسن وزر بن حبيش[5] وعاصم فيما روي عنه وأبو عمرو أيضاً، وابن عباس وأبو عبد الرحمن السلمي ومجاهد وأبو رجاء وزيد بن علي وعلي بن الحسين وقتادة (ورياشاً)[6]، قال أبو الفتح: وهي قراءة النبي ﷺ[7]، قال أبو حاتم: رواها عنه عثمان بن عفان رضي الله عنه[8].

---

(١) لم أجد من ذكر هذه القراءة غير ابن عطية، وهي قراءة شاذة.

(٢) مختصر الشواذ (ص: ٤٨)، وفيه: «لكم» بدل «ذلكم».

(٣) نسبها له الفراء في معاني القرآن (١/ ٣٧٥).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها له في مختصر الشواذ (ص: ٤٨)، ولم أقف له على ترجمة.

(٥) هو زر بن حبيش بن حباشة، أبو مريم الأسدي الكوفي، أدرك الجاهلية، وعمِّر دهرا، حدث عن: عمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وقرأ عليهما القرآن، وأقرأه، كان من أعرب الناس، وكان ثقة كثير الحديث، توفي سنة (٨١هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٦٦).

(٦) وهي شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٢٠)، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (٤/ ٢٣٢٥)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٢٥).

(٧) ضعيف، هذا الحديث أخرجه ابن جرير الطبري (١٠/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم (٨٣٤٢) في تفسيرهما من طريق إسحاق بن إسماعيل، عن سليمان بن أرقم، عن الحسن، قال: رأيت عثمان بن عفان على منبر رسول الله ﷺ قميص قوهي محلول الزر، وسمعته يأمر بقتل الكلاب وينهى عن اللعب بالحمام، ثم قال: يا أيها الناس، اتقوا الله في هذه السرائر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والذي نفس محمد بيده ما عمل أحد قط سراً إلا ألبسه الله رداءه علانية، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر»، ثم تلا هذه الآية: (ورياشا) ولم يقرأها: ﴿وَرِيشٗا﴾، ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ قال: السمت الحسن وسليمان بن أرقم الأنصاري متروك الحديث، وانظر: القراءة في المحتسب (١/ ٢٤٦).

(٨) انظر قراءة عثمان في الكشاف (٢/ ٩٣).

وهما عبارتان عن سعة الرزق ورفاهية العيش ووجود الملبس والتمتع، وفسره قوم بالأثاث، وفسره ابن عباس بالمال[١]، وكذلك قال السدي والضحاك[٢].

وقال ابن زيد: الريش: الجمال[٣].

وقيل: الرياش جمع ريش، كبئر وبئار وذئب وذئاب ولِصْب ولِصَاب وشعب وشعاب وقيل: الرياش مصدر من راشه[٤] الله يريشه إذا أنعم عليه، والريش مصدر أيضاً من ذلك، وفي الحديث: «رجل راشه الله مالاً»[٥].

قال القاضي أبو محمد: ويشبِه أن هذا كله من معنى ريش الطائر وريش السهم، إذ هو لباسه وسترته وعونه على النفوذ، و«راش[٦] الله» مأخوذ من ذلك، ألا ترى أنها تقرن بِبَرى، ومن ذلك قول الشاعر:

فِرِشْني بخَيْرٍ طالَمَا قَدْ بريْتَنِي ... وخَيْرُ الْمَوَالي مَنْ يَرِيشُ ولا يَبْري[٧] [الطويل]

وقرأ نافع وابن عامر والكسائي: ﴿ولباسَ﴾ بالنصب عطفا على ما تقدم، وقرأ

(١) أخرجه الطبري (١٤٤٢٨)، وابن أبي حاتم (٨٣٣١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٦٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٦٦)، وتفسير الماوردي (٢/ ٢١٤).

(٤) في الأصل والمطبوع: «أراشه».

(٥) مسلم (٢٧٥٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: «أن رجلاً فيمن كان قبلكم، راشه الله مالاً وولداً، فقال لولده: لتفعلن ما آمركم به أو لأولين ميراثي غيركم، إذا أنا مت، فأحرقوني ـ وأكثر علمي أنه قال ـ ثم اسحقوني، واذروني في الريح، فإني لم أبتهر عند الله خيراً، وإن الله يقدر علي أن يعذبني، قال: فأخذ منهم ميثاقاً، ففعلوا ذلك به، وربي، فقال الله: ما حملك على ما فعلت؟ فقال: مخافتك، قال: فما تلافاه غيرها».

(٦) في السليمانية وفيض الله: «راشه».

(٧) البيت لسويد بن الصامت، كما في سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٦)، والبيان والتبيين (٣/ ٢٨٧)، وعيون الأخبار (٣/ ٩٣)، وتاج العروس (١٧/ ٢٣١)، ونسبه في لسان العرب (٥/ ٢٠٧) لعمير بن حباب، ولم أجد ذلك لغيره.

ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة ﴿وَلِبَاسُ﴾ بالرفع[١] فقيل: هو خبر ابتداء مضمر تقديره: وهو لباس، وقيل: هو مبتدأ و﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ آخر و﴿خَيْرٌ﴾ خبر ﴿ذَٰلِكَ﴾، والجملة خبر الأول، وقيل: هو مبتدأ و﴿خَيْرٌ﴾ خبره و﴿ذَٰلِكَ﴾ بدل أو عطف بيان أو صفة، وهذا أنبل الأقوال، ذكره أبو علي في «الحجة»[٢].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى جميع ما أنزل الله من اللباس والريش، وحكى النقاش أن الإشارة إلى لباس التقوى، أي: هو في العبد آية علامة وأمارة من الله أنه قد رضي عنه ورحمه[٣].

و﴿لَعَلَّهُمْ﴾: ترجٍّ بحسبهم ومبلغهم من المعرفة، وقال ابن جريج: (لِباسُ التَّقْوى): الإيمان، وقال معبد الجهني[٤]: هو الحياء[٥].

وقال ابن عباس: هو العمل الصالح[٦]، وقال أيضاً: هو السمت الحسن في الوجه[٧]، وقاله عثمان بن عفان على المنبر[٨].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير للداني (ص: ١٠٩).

(٢) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ١٢).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) معبد الجهني البصري أول من تكلم بالقدر، روى عن ابن عباس، وابن عمر، وعنه: قتادة، ومالك ابن دينار، وعوف الأعرابي، وآخرون، وثقه ابن معين، قتل سنة (٨٠هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ١٩٩)، وفي الصحابة معبد الجهني رضي الله عنه، لكنه ليس صاحب القول.

(٥) انظر القولين في تفسير الطبري (١٢/ ٣٦٦).

(٦) أخرجه الطبري (١٤٤٤٤)، وابن أبي حاتم (٨٣٣٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) ضعيف، أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٣٦٧) من طريق زياد بن عمرو الفهري، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وزياد بن عمرو أبو عمرو بن زياد القرشي الفهري مجهول. انظر: الجرح والتعديل (٣/ ٥٤٠)، والميزان (٢/ ٩٢).

(٨) ضعيف، أخرجه الطبري (١٤٤٤٦)، وابن أبي حاتم (٨٣٤٢) من طريق سليمان بن أرقم، عن الحسن البصري، عن عثمان بن عفان به، وإسناده ضعيف؛ لضعف سليمان بن أرقم.

وقال عروة بن الزبير: هو خشية الله، وقال ابن زيد: هو ستر العورة[١].

[وقيل: لِباسُ التَّقْوى الصوف، وكل ما فيه تواضع لله عز وجل، وقال الحسن: هو الورع][٢] والسمت الحسن في الدنيا[٣].

وقال ابن عباس: لِباسُ التَّـقْوى: العفة[٤].

وقال زيد بن علي: لِباسُ التَّـقْوى: السلاح وآلة الجهاد[٥].

قال القاضي أبو محمد: وهذه كلها مُثُل، وهي من لِباس التَّقْوى.

قال القاضي أبو محمد: وتتصور الصفة التي حكاها أبو علي في قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾، لأن الأسماء توصف بمعنى الإشارة، كما تقول: جاءني زيد هذا، كأنك قلت: جاءني زيد المشار إليه، فعلى هذا الحد توصف الأسماء بالمبهمات[٦].

وأما قوله فيه: عطف بيان وبدل، فهما واحد في اللفظ، إنما الفرق بينهما في المعنى والمقصد، وذلك أنك تريد في البدل كأنك أزلت الأول وأعملت العامل في الثاني على نية تكرار العامل، وتريد في عطف البيان كأنك أبقيت الأول ثم ثنَّيته بعينه في ذكر الثاني، وإنما يبين الفرق بين البدل وعطف البيان في مسألة النداء، إذا قلت: يا عبد الله زيد، فالبدل في هذه المسألة هو على هذا الحد برفع «زيد» لأنك تقدر إزالة عبد الله وإضافة «يا» إلى «زيد»، ولو عطفت عطف البيان لقلت: يا عبد الله زيداً؛ لأنك أردت بيانه ولم تقدِّر إزالة الأول، وينشد هذا البيت:

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (١٢/ ٣٦٨)، وتفسير الماوردي (٢/ ٢١٤).

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ٣٦٨)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٢٦).

(٤) لم أقف عليه مسنداً.

(٥) تفسير الطبري (١٢/ ٣٦٦)، وتفسير الماوردي (٢/ ٢١٤).

(٦) انظره مع بقية كلامه الآتي في الحجة للقراء السبعة (٤/ ١٢).

[الرجز] إِنِّـي وأَسْـطَـارٍ سُـطِـرْنَ سـطْـراً لَقَـائِـلٌ: يـا نصْـرُ نَصْراً نَصْـراً[١]

و: يا نصرُ [نصرُ نصراً][٢] الأول على عطف البيان والثاني على البدل.

قوله عز وجل: ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا / قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾. [٢/ ١٣٥]

هذه المخاطبة لجميع العالم، والمقصود بها في ذلك الوقت من كان يطوف من العرب بالبيت عراة، فقيل: كان ذلك من عادة قريش، وقال قتادة والضحاك: كان ذلك من عادة قبيلة من اليمن[٣]، وقيل: كانت العرب تطوف بالبيت[٤] عراة إلا الحمس، وهم قريش ومن والاها.

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو الصحيح؛ لأن قريشاً لما سنوا بعد عام الفيل سنناً عظموا بها حرمتهم كانت هذه من ذلك، فكان العربي إما أن يُعِيره أحد من الحمس ثوباً فيطوف فيه، وإما أن يتعرى[٥]، وإما يطوف في ثيابه ثم يلقيها، وتمادى الأمر حتى صار عند العرب قربة، فكانت العرب تقول: نطوف بالبيت[٦] عراة كما خرجنا من بطون أمهاتنا، ولا نطوف في ثياب قد تدنسنا فيها بالذنوب، ومن طاف في ثيابه فكانت سنتهم كما ذكرنا أن يرمي تلك الثياب ولا ينتفع بها، وتسمى تلك الثياب اللَّقى، ومنه قول الشاعر:

---

(١) البيت لرؤبة كما في الكتاب لسيبويه (٢/ ١٨٥)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٣٨)، والخصائص (١/ ٣٤١).

(٢) زيادة من السليمانية وفيض الله ولالاليه ونجيبويه.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٩٣)، (٨/ ١٦٢).

(٤) زيادة من السليمانية وفيض الله.

(٥) «وإما أن يتعرى»: ساقطة من المطبوع.

(٦) زيادة من السليمانية.

كفَـى حَـزَنـاً كَـرِّي عَـلَـيْـه كأَنَّـه لَقًى بَيْن أَيْدي الطَّائِفينَ حَريمُ[١] [الطويل]

وكانت المرأة تطوف عريانةً، حتى كانت إحداهن تقول:

الْـيَـوْمَ يَـبْـدُو بَعْضُـهُ أَوْ كُـلُّـهُ وَمَـا بَــدَا مِـنْـهُ فَـلَا أُحِـلُّــهُ[٢] [الرجز]

فنهى الله عز وجل عن جميع ذلك، ونودي بمكة في سنة تسع: «لا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان»[٣].

و«الفتنة» في هذه الآية: الاستهواء والغلبة على النفس، وظاهر قوله: ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ﴾ نهي الشيطان، والمعنى نهيهم أنفسهم عن الاستماع له والطاعة لأمره، كما قالوا: لا أَرينَّكَ هاهنا، فظاهر اللفظ نهيُ المتكلم نفسه، ومعناه نهي الآخر عن الإقامة بحيث يراه، وأضاف الإخراج في هذه الآية إلى إبليس وذلك تجوُّزٌ بسبب أنه كان ساعيا في ذلك ومسبِّباً له.

ويقال: أب، وللأم: أبة[٤]، وعلى هذا قيل: أبوان.

و﴿يَنزِعُ﴾: في موضع الحال من الضمير في ﴿أَخْرَجَ﴾.

وتقدم الخلاف في اللباس من قول من قال: الأظفار، ومن قال: النور، ومن قال: ثياب الجنة، وقال مجاهد: هي استعارة، وإنما أراد لبسة التقى والمنزلة[٥].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف.

---

(١) البيت لورقة بن نوفل الأسدي كما في أخبار مكة للأزرقي (١/ ١٧٥)، واللَّقَى: ما طُرح وتُرك لهوانه.

(٢) جاء في صحيح مسلم (٣٠٢٨) عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول: من يعيرني تطوافاً؟ تجعله على فرجها وتقوله، وبعده كما في الأحكام لابن العربي (٢/ ٣٠٥): جهم من الجهم عظيم ظله، كم من لبيب عقله يضله، وناظر ينظر ما يمله، قال: وهذه المرأة هي ضباعة بنت عامر ابن قرط، ونسبه لها أيضاً في الروض الأنف (١/ ٣٥١)، وجاء ذلك في قصة طلاقها من عبد الله بن جدعان وزواج هشام بن المغيرة بها في الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٥).

(٣) هذا نص حديث أخرجه البخاري (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) الكتاب لسيبويه (٢/ ٢١٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٣).

(٥) وفي المطبوع: «التقى المنزلة». أخرجه عنه الطبري (١٢/ ٣٧٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٦٠)، وانظر: تفسير الماوردي (٢/ ٢١٥).

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ﴾ الآية، زيادة في التحذير وإعلام أن الله عز وجل قد مكن الشيطان من ابن آدم في هذا القدر، وبحسب ذلك يجب أن يكون التحذر بطاعة الله تعالى.

قال القاضي أبو محمد: والشيطان موجود قد قررته الشريعة وهو جسم.

﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾ يريد: نوعه وصنفه وذريته.

و﴿حَيْثُ﴾: مبنية على الضم، ومن العرب من يبنيها على الفتح، وذلك لأنها لا[١] تدل على موضع بعينه، قال الزجاج: ما بعدها صلة لها وليست بمضافة إليه[٢].

قال أبو علي: هذا غير مستقيم، وليست ﴿حَيْثُ﴾ بموصولة إذ ليس ثَمَّ عائد كما في الموصولات، وهي مضافة إلى ما بعدها[٣].

ثم أخبر عز وجل أنه صير الشياطين أولياء، أي: صحابة ومداخلين إلى الكفرة الذين لا إيمان لهم، وذكر الزهراوي أن (جعل) هنا بمعنى وصف[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهي نزعة اعتزالية.

وقوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟﴾ وما بعده داخل في صفة الذين لا يؤمنون؛ ليقع التوبيخ بصفة قوم جعلوا مثالاً للموبَّخين إذ أشبه فعلهم فعل الممثَّل بهم، ويصح أن تكون هذه الآية مقطوعة من التي قبلها ابتداءَ إخبارٍ عن كفار العرب.

و«الفاحشة» في هذه الآية ـ وإن كان اللفظ ـ: عامّاً هي كشف العورة عند الطواف، فقد روي عن الزهري[٥] أنه قال: إن في ذلك نزلت هذه الآية، وقاله ابن عباس[٦] ومجاهد.

---

(١) «لا»: ساقطة من المطبوع.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٢٩).

(٣) لعله في كتاب الإغفال الذي يستدرك فيه على الزجاج.

(٤) تفسير البحر المحيط (٥/ ٣٣).

(٥) في السليمانية وفيض الله: «الزهراوي»، والمثبت هو الموافق لما في تفسير الطبري (١٢/ ٣٩٣)، وانظر فيه قول مجاهد (١٢/ ٣٧٨).

(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٧٨) من طريق إسرائيل بن يونس، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، =

وكان قول بعض الكفار: إن الله أمر بهذه السنن التي لنا وشرعها، فرد الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾، ثم وبخهم على كذبهم ووقفهم على قولهم ما لا علم لهم به ولا رواية لهم فيه، بل هو دعوى واختلاق.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

تضمن قوله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾: أقسطوا، ولذلك عطف عليه قوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟﴾ حملا على المعنى، والقسط: العدل والحق.

واختلف المتأولون في قوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾:

فقيل: أراد إلى الكعبة، قاله مجاهد والسدي، والمقصد على هذا شرع القبلة والأمر بالتزامها، وقيل: أراد الأمر بإحضار النية لله في كل صلاة والقصد نحوه، كما تقول: وجهت وجهي لله، قاله الربيع[1].

قال القاضي أبو محمد: فلا يؤخذ الوجه على أنه الجارحة، بل هو المقصد والمنزع.

وقيل: المراد بهذا اللفظ إباحة الصلاة في كل موضع من الأرض، أي: حيث ما كنتم فهو مسجد لكم تلزمكم عند الصلاة إقامة وجهوكم فيه لله عز وجل.

قال قوم: سببها أن قوماً كانوا لا يصلون إلا في مساجدهم في قبلتهم، فإذا حضرت الصلاة في غير ذلك من المساجد لم يصلّوا فيها.

وقوله: ﴿مُخْلِصِينَ﴾ [حال من الضمير في ﴿وَٱدْعُوهُ﴾، و﴿ٱلدِّينَ﴾ مفعول بـ﴿مُخْلِصِينَ﴾][2].

= عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعطاء بن السائب اختلط ولا أدري أسمع منه إسرائيل قبل الاختلاط أم بعده، ولم يذكر أحد من النقاد القول في سماع إسرائيل من عطاء.

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (١٢/ ٣٨١).

(٢) ما بين المعكوفتين ساقط من المطبوع.

قال الحسن بن أبي الحسن وقتادة وابن عباس ومجاهد: المراد بقوله: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ الإعلام بالبعث(١)، أي: كما أوجدكم واخترعكم كذلك يعيدكم بعد الموت، فالوقف على هذا التأويل على ﴿تَعُودُونَ ﴾، و﴿ فَرِيقًا ﴾ نصب بـ﴿هَدَىٰ ﴾(٢)، والثاني منصوب بفعل مضمر(٣) تقديره: وعذب فريقاً، أو أضل فريقاً حق عليهم.

وقال ابن عباس أيضاً(٤) وأبو العالية ومحمد بن كعب ومجاهد أيضاً وسعيد بن جبير والسدي(٥) وجابر بن عبد الله(٦) ـ وروي معناه عن النبي ﷺ ـ: «المراد بقوله: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ الإعلام بأن أهل الشقاء والكفر في الدنيا [الذين كتب](٧) عليهم هم أهل الشقاء في الآخرة، وأهلَ السعادة والإيمان الذين كتب لهم في الدنيا هم أهلها في الآخرة، لا يتبدل من الأمور التي أحكمها ودبرها وأنفذها شيء(٨)».

فالوقف في هذا التأويل في قوله: ﴿تَعُودُونَ ﴾ غير حسن، و﴿ فَرِيقًا ﴾ على هذا التأويل / نصب على الحال، والثاني عطف على الأول. [٢/ ١٣٦]

---

(١) أخرجه الطبري (١٤٤٧٨)، وابن أبي حاتم (٨٣٦٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه ابن أبي حاتم (٨٣٦٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس به، وانظر أقوال الباقين في الطبري (١٢/ ٣٨٥).

(٢) في المطبوع: «على هدى».

(٣) زيادة من السليمانية وفيض الله.

(٤) فيه إبهام، هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٣٨٢) من طريق سفيان، عن منصور بن المعتمر، قال: حدثنا أصحابنا، عن ابن عباس ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾. قال: يبعث المؤمن مؤمناً، والكافر كافراً.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٨٢-٣٨٤).

(٦) أخرجه الطبري (١٤٤٨٠) من طريق يحيى بن الضريس، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن رجل، عن جابر قال: يبعثون على ما كانوا عليه، المؤمن على إيمانه، والمنافق على نفاقه، وفي إسناده رجل مبهم.

(٧) من الحمزوية والمطبوع والسليمانه. وفي فيض الله ولالاليه: «بأنه كتب».

(٨) جاء هذا المعنى في أحاديث كثيرة منها ما أخرجه البخاري (٦٦٠٥) عن علي رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع النبي ﷺ ومعه عود ينكت في الأرض، وقال: ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة، فقال: رجل من القوم ألا نتكل يا رسول الله قال: لا اعملوا فكل ميسر ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴾.

وفـي قـراءة أبـي بـن كعـب: (تعـودون فريقين فريقـاً هـدى وفريقاً حـق عليهم الضلالة)[١].

والضمير في ﴿إِنَّهُمُ﴾ عائد على الفريق الذين حق عليهم الضلالة.

و﴿أَوْلِيَآءَ﴾: معناه: أنصاراً وأصحاباً وإخواناً.

و(يحسبون): معناه: يظنون، يقال: حسِبت أحسب حِسباناً وحسباً ومَحسبة.

قال الطبري: وهذه الآية دليل على خطأ قول من زعم أن الله تعالى لا يعذب أحداً على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها إلا أن يأتيها على علم منه بموضع الصواب[٢].

وقرأ العباس بن الفضل وسهل بن شعيب وعيسى بن عمر: (أنهم اتخذوا) بفتح الألف[٣].

قوله عز وجل: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةٗ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٖ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

هذا خطاب عام لجميع العالم، وأمروا بهذه الأشياء بسبب عصيان حاضري ذلك الوقت من مشركي العرب فيها، و«الزينة» هاهنا: الثياب الساترة، قاله مجاهد والسدي، وقال طاوس: الشملة من الزينة[٤].

قال القاضي أبو محمد: ويدخل فيها ما كان من الطيب للجمعة والسواك وبدل الثياب، وكلُّ ما وجد استحسانه في الشريعة ولم يقصد به مستعمله الخيلاء.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (١/ ٣٧٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٥٠).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٨٨).
(٣) وهي شاذة، انظر عزوها لاختيار عباس في الكامل للهذلي (ص: ٥٥١)، وله ولسهل في الشواذ للكرماني (ص: ٨٥)، وللثلاثة في البحر المحيط (٥/ ٣٩).
(٤) انظر القولين في تفسير الطبري (١٢/ ٣٩٢).

و﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ يريد: عند كل موضع سجود، فهي إشارة إلى الصلوات وستر العورة فيها، هذا هو مهم الأمر، ويدخل مع الصلاة مواطن الخير كلها، ومع ستر العورة ما ذكرناه من الطيب للجمعة وغير ذلك، وذكر مكي حديثاً أن معنى ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾: «صلوا في النعال»[١]، وما أحسبه يصح.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ﴾ نهي عما كانوا التزموه من تحريم اللحم والودك في أيام الموسم، قاله السدي وابن زيد، وتدخل مع ذلك أيضاً البحيرة والسائبة ونحو ذلك، وقد نص على ذلك قتادة وقال: إن البحيرة وما جانسها هي المراد بقوله تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ معناه: ولا تُفْرِطوا، قال أهل التأويل: يريد ولا تسرفوا بأن تحرِّموا على أنفسكم ما لم يحرم الله عز وجل.

قال ابن عباس: ليس في الحلال سرف، إنما السرف في ارتكاب المعاصي[٣].

قال القاضي أبو محمد: ويريد في الحلال القصدَ، واللفظ يقتضي النهي عن السرف مطلقاً، فمن تلبس بفعلٍ حرامٍ فتأول تلبسه به حصل من المسرفين، وتوجه

---

(١) جاءت أحاديث في هذا المعنى ولا يصح منها شيء، فمنها ما أخرجه ابن عدي في الكامل (٦/ ١٦٢) من طريق محمد بن الفضل عن كرز بن وبرة الحارثي عن عطاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «خذوا زينة الصلاة» فقالوا: يا رسول الله وما زينة الصلاة؟ قال: «البسوا نعالكم فصلوا فيها»، ومن نفس الطريق عن جابر بن عبد الله به، ومحمد بن الفضل بن عطية كذبوه، وروى العقيلي في الضعفاء (٣/ ١٤٢) من طريق عباد بن جويرية، عن الأوزاعي، عن قتادة، عن أنس عن النبي ﷺ إن كان قاله في قوله: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ قال: «صلوا في نعالكم»، وعباد بن جويرية كذاب أيضاً، وانظر: الهداية لمكي (٤/ ٢٣٤٢).

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (١٢/ ٣٩٥-٣٩٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٦٦-١٤٦٧).

(٣) أخرجه الطبري (١٤٥٢٩)، وابن أبي حاتم (٨٣٧٩) من طريق ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بلفظ: أحل الله الأكل والشرب مالم يكن سرفاً أو مخيلة.

النهي عليه، ومن تلبس بفعل مباح فإن مشى فيه على القصد وأوساط الأمور فحسن، وإن أفرط حتى دخل الضرر حصل أيضاً من المسرفين وتوجه النهي عليه.

مثَل ذلك: أن يُفْرط الإنسان في شراء ثياب ونحوها، ويستنفد في ذلك جلَّ ماله أو يعطي ماله أجمع، ويكابد بعياله الفقر بعد ذلك ونحوه، فالله عز وجل لا يحب شيئاً من هذا، وقد نهت الشريعة عنه، ولذلك وقف النبي ﷺ بالموصي عند الثلث، وقال بعض العلماء: لو حَط الناس إلى الربع، لقول النبي ﷺ: «والثلث كثير»(١).

وقد قال ابن عباس في هذه الآية: أحل الله الأكل والشرب ما لم يكن سرفاً أو مخيلة(٢).

وأمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يسألهم عمن حرم ما أحل الله على جهة التوبيخ والتقرير، وليس يقتضي هذا السؤال جواباً، وإنما المراد منه التوقيف على سوء الفعل، وذكر بعض الناس أن السؤال والجواب جاء في هذه الآية من جهة واحدة وتخيل قولَه: ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ جواباً.

قال القاضي أبو محمد: وهذا نظر فاسد ليس ذلك بجواب السؤال ولا يقتضي هذا النوع من الأسئلة جواباً.

و﴿زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ [هي: ما حسنته الشريعة وقررته، وزينة الدنيا](٣) هي: كل ما اقتضته الشهوة وطلب العلو في الأرض كالمال والبنين، وهي الزينة التي فضل الشرع عليها.

وقوله: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: قال الجمهور: يريد المحللات، وقال الشافعي وغيره: يريد المستلذات(٤).

قال القاضي أبو محمد: إلا أن ذلك ولا بد يشترط فيه أن يكون من الحلال، وإنما قاد

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧٤٢)، ومسلم (١٦٢٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.
(٢) تقدم عنه مثله قريباً.
(٣) ما بين المعكوفتين ساقط من المطبوع.
(٤) تفسير الماوردي (٢/ ٢١٩).

الشافعي إلى هذا تحريمه المستقذرات كالوزغ وغيرها، فإنه يقول: هي من الخبائث محرمة.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾؛ قرأ نافع وحده: ﴿خالصةٌ﴾ بالرفع، والباقون: ﴿خَالِصَةً﴾ بالنصب[1].

والآية تُتأول على معنيين:

أحدهما: أن يخبر أن هذه الطيبات الموجودات في الدنيا هي خالصة يوم القيامة للمؤمنين في الدنيا، وخلوصها أنهم لا يعاقبون عليها ولا يعذبون، فقوله: ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ متعلق بـ﴿ءَامَنُواْ﴾، وإلى هذا يشير تفسير سعيد بن جبير؛ فإنه قال: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ينتفعون بها في الدنيا ولا يتبعهم إثمها[2].

وقوله: ﴿خالصةٌ﴾ بالرفع خبر ﴿هِيَ﴾، و﴿لِلَّذِينَ﴾ تبيين للخلوص، ويصح أن يكون ﴿خالصةٌ﴾ خبراً بعد خبر، و﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ يريد به وقت الحساب.

وقرأ قتادة والكسائي: (قل هي لمن آمن في الحياة الدنيا)[3].

والمعنى الثاني: هو أن يخبر أن هذه الطيبات الموجودات هي في الحياة الدنيا للذين آمنوا وإن كانت أيضاً لغيرهم معهم، وهي يوم القيامة خالصة لهم، أي: لا يشركهم أحد في استعمالها في الآخرة، وهذا قول ابن عباس[4] والضحاك والحسن وقتادة والسدي وابن جريج وابن زيد[5].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير للداني (ص: ١٠٩)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ٢٨٠).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (١/ ٣٨٩)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٢٨)، وتفسير الطبري (١٢/ ٤٠١)، ومعاني القرآن (٣/ ٢٨).

(٣) تابعه على عزوها لقتادة في البحر المحيط (٥/ ٤٢) وسقط «الكسائي» من فيض الله، وهي مخالفة لمصاحف المسلمين.

(٤) أخرجه الطبري (١٤٥٤٠-١٤٥٤١)، وابن أبي حاتم (٨٤٠٠-٨٤٠٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه ابن جرير أيضاً (١٤٥٤٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.

(٥) انظر قولهم في تفسير الطبري (١٢/ ٤٠٠-٤٠١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٦٨).

فقوله: ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ على هذا التأويل متعلق بالمحذوف المقدر في قوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، كأنه قال: هي خالصة أومشتركة أو ثابتة في الحياة الدنيا للذين آمنوا، و﴿خالصةٌ﴾ بالرفع خبر بعد خبر، أو خبر ابتداء مقدر تقديره: وهي خالصة يوم القيامة، و﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [على هذا][1] يراد به استمرار الكون في الجنة.

وأما من نصب ﴿خَالِصَةً﴾ فعلى الحال من الذكر[2] الذي في قوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، التقدير: هي ثابتة أو مستقرة للذين آمنوا في حال / خلوص لهم، والعامل فيها ما في اللام من معنى الفعل في قوله: ﴿لِلَّذِينَ﴾. [٢/ ١٣٧]

وقال أبو علي في الحجة: ويصح أن يتعلق قوله: ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ بقوله: ﴿حَرَّمَ﴾ ولا يصح أن يتعلق بـ﴿زِينَةَ﴾ لأنها مصدر قد وصف، ويصح أن يتعلق بقوله: ﴿أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾، ويجوز ذلك وإن فصل بين الصلة والموصول بقوله: ﴿قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لأن ذلك كلام يشد القصة وليس بأجنبي منها جداً، كما جاء ذلك في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾ [يونس: ٢٧] فقوله: ﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾ معطوف على ﴿كَسَبُواْ﴾ داخل في الصلة، والتعلق بـ﴿أَخۡرَجَ﴾ هو قول الأخفش، ويصح أن يتعلق بقوله: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾، ويصح أن يتعلق بقوله: ﴿مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾، ويصح أن يتعلق بقوله: ﴿ءَامَنُواْ﴾[3].

قال القاضي أبو محمد: وهذا الأخير هو أصح الأقوال على هذا التأويل الأول فيما رتبناه هنا، وأما على التأويل الآخر فيضعف معنى الآية هذه المتعلقات التي ذكر أبو علي وإنما يظهر أن يتعلق هذا[4] بالمحذوف المقدر في قوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ تقدير الكلام: أي كما فصلنا هذه الأشياء المتقدمة الذكر

---

(١) زيادة من فيض الله ولالاليه ونجيبويه.

(٢) أي: الضمير المستكن في الجار والمجرور. انظر: البحر المحيط (٥/ ٤٢).

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ١٤).

(٤) زيادة من السليمانية وفيض الله.

فكذلك وعلى تلك الصورة نفصل الآيات، أي: نبين الأمارات والعلامات والهدايات لقوم لهم علم ينتفعون به.

و﴿نُفَصِّلُ﴾: معناه: نقسم ونبين؛ لأن بيان الأمور المشْبهات إنما هو في تقسيمها بالفصول[(١)].

قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

لما تقدم إنكار ما حرمه الكفار بآرائهم، أتبعه ذكر ما حرم الله عز وجل وتقديره، و﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ ما فحش وشنع، وأصله من القبح في المنظر، ومنه قول امرئ القيس:

[الطويل] وجِيدٍ كجِيدِ الرِّئْمِ ليس بفاحِشٍ إذا هي نَصَّتْهُ ولا بمُعَطَّلِ[(٢)]

ثم استعمل فيما ساء من الخلق وألفاظ الحرج والرفث، ومنه الحديث: «ليس بفاحش»؛ في صفة النبي ﷺ[(٣)]، ومنه قوله لسَلمةَ بن سلامة بن وَقْش[(٤)]: «أفحشت على الرجل»[(٥)] في حديث السير، ومنه قول الحزين[(٦)] في كثير عزة:

---

(١) بالفصول: سقطت من لالاليه.

(٢) البيت من معلقة امرئ القيس كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ١٢٧)، وشرح المعلقات التسع (ص: ١٤٧).

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى (٧/ ٤٥) من طريق: أبي عمر حفص بن عمر، ثنا شعبة قال: أنبأني أبو إسحاق، عن أبي عبد الله الجدلي، عن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن رسول الله ﷺ بفاحش ولا متفحش ولا سخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح، وإسناده جيد.

(٤) سلمة بن سلامة بن وقش أبو عوف الأنصاريّ من بني عبد الأشهل، شهد العقبة الأولى والثانية في قول جميعهم، وشهد بدراً والمشاهد بعدها، توفي سنة (٤٥هـ)، وقيل: (٣٤هـ)، الإصابة (٣/ ١٢٤).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٦١٣)

(٦) هو عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك، والحزين لقب غلب عليه، وكان هجاء خبيث اللسان ساقطاً =

قَصيرُ القميص فاحِشٌ عنْدَ بَيْـتِه[١] .... [الطويل]

وكذلك استعمل فيما شنُع وقبح في النفوس، والقبح والحسن في المعاني إنما يتلقى من جهة الشرع، والفاحش كذلك.

فقوله هنا: ﴿ الْفَواحِش ﴾؛ إنما هي إشارة إلى ما نص الشرع على تحريمه في مواضع أخر، فكل ما حرمه الشرع فهو فاحش وإن كان العقل لا ينكره، كلباس الحرير والذهب للرجال ونحوه، وقوله: ﴿مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ يجمع النوع كله لأنه تقسيم لا يخرج عنه شيء.

وهو لفظ عام في جميع الفواحش [وذهب مجاهد إلى تخصيص ذلك بأن قال: ﴿مَا ظَهَرَ﴾ الطواف عرياناً، والبواطن: الزنا[٢]، وقيل غير هذا مما يأتي على طريق المثال.

و﴿مَا﴾ بدل من ﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾][٣]، وهو بدل بعض من كل، ومجموع القِسْمين يأتي بدلَ الشيء من الشيء، وهو هو.

و(الْإِثْم) أيضاً لفظه عام لجميع الأفعال والأقوال التي يتعلق بمرتكبها إثمٌ، هذا قول الجمهور، وقال بعض الناس: هي الخمر، واحتج على ذلك بقول الشاعر:

شَـرِبْتُ الإِثْمَ حَتَّى طَارَ عَقْلِي[٤] .... [الوافر]

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول مردود؛ لأن هذه السورة مكية ولم تعن الشريعة

= يرضيه اليسير ويتكسب بالشر وهجاء الناس وليس ممن خدم الخلفاء ولا انتجعهم بمدح ولا كان يريم الحجاز حتى مات، انظر خبره في الأغاني (١٥/ ٣١٣).

(١) عجزه: يَعَضّ القُراد باسته وهو قائم، انظر عزوه له في الأغاني (٩/ ١١)، والصناعتين (١/ ٣٦١)، وسمط اللآلي (١/ ٦١٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٠٢-٤٠٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٧٠).

(٣) ساقط من لالاليه.

(٤) عجزه: كذَاكَ الإِثْمُ تذْهَبُ بالْعُقولِ، وقد استشهد به أكثر المفسرين نقلًا عن الأصمعي بلا نسبة، ولم أقف على قائله.

لتحريم الخمر إلا بالمدينة بعد أحد؛ لأن جماعة من الصحابة اصطبحوها يوم أحد وماتوا شهداء، وهي في أجوافهم، وأيضاً فبيت الشعر يقال: إنه مصنوع مختلق، وإن صح فهو على حذف مضاف، وكان ظاهر القرآن على هذا القول أن تحريم الخمر من قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٩] وهو في هذه الآية قد حرم، فيأتي من هذا أن الخمر إثم، والإثم محرَّم؛ فالخمر محرمة.

قال القاضي أبو محمد: ولكن لا يصح هذا؛ لأن قوله: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ﴾ لفظ محتمل أن يراد به أنه يلحق الخمر من فساد العقل والافتراءِ وقتلِ النفس وغير ذلك آثامٌ، فكأنه قال: في الخمر هذه الآثام، أي: هي بسببها ومعها، وهذه الأشياء محرمة لا محالة، وخرجت الخمر من التحريم على هذا، ولم يترتب القياس الذي ذهب إليه قائل ما ذكرناه.

ويعضد هذا أنّا وجدنا الصحابة يشربون الخمر بعد نزول قوله: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ﴾، وفي بعض الأحاديث: «فتركها قوم للإثم الذي فيها وشربها قوم للمنافع»(١).

وإنما حرمت الخمر بظواهر القرآن ونصوص الأحاديث وإجماع الأمة(٢).

و(الْبَغْي): التعدي وتجاوز الحد، كان الإنسان مبتدياً بذلك أو منتصراً، فإذا جاوز الحد في الانتصار فهو باغ.

وقوله: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ زيادة بيان، وليس يتصور بغي بحق، لأن ما كان بحق فلا يسمى بغياً.

﴿وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ المراد بها: الأصنام والأوثان وكل ما عبد من دون الله، و«السلطان»: البرهان والحجة.

﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: من أنه حرم البحيرة والسائبة ونحوه.

---

(١) هذا الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ٦٨٠-٦٨١) من قول سعيد بن جبير.

(٢) انظر الإجماع على حرمة الخمر في: الإقناع (٢/ ٩٩١).

وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ الآية، يتضمن الوعيد والتهديد، والمعنى: ولكل أمة ـ أي: فرقة وجماعة، وهي لفظة تستعمل في الكثير من الناس ـ أجلٌ مؤقت لمجيء العذاب إذا كفروا وخالفوا أمر ربهم، فأنتم أيتها الأمة كذلك، قاله الطبري وغيره[١].

وقرأ الحسن: (فإذا جاء آجالهم) بالجمع، وهي قراءة ابن سيرين[٢]، قال أبو الفتح: هذا هو الأظهر؛ لأن لكل إنسان أجلاً فأما الإفراد فلأنه جنس، وإضافته إلى الجماعة حسنت الإفراد، ومثله قول الشاعر:

.... في حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وقَدْ شَـجِينَا[٣] [الرجز]

[٢/ ١٣٨] / وقوله: ﴿سَاعَةً﴾ لفظ عُيِّن به الجزءُ القليل من الزمن، والمراد جميع أجزائه؛ أي: لا يستأخرون ساعة ولا أقل منها ولا أكثر، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، فإنما هي عبارة يقام الجزء فيها مقام الكل.

قال القاضي أبو محمد: وكأنه يظهر بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [إبراهيم: ١٠]، [نوح: ٤] تعارض؛ لأن تلك تقتضي الوعد بتأخير إن آمنوا والوعيد بمعاجلةٍ إن كفروا.

قال القاضي أبو محمد: والحق مذهب أهل السنة أن كل أحد إنما هو بأجل واحد لا يتأخر عنه ولا يتقدم.

وقوم نوح كان منهم من سبق في علم الله تعالى أنه يكفر فيعاجل، وذلك هو أجله المحتوم، ومنه من يؤمن فيتأخر إلى أجله المحتوم، وغيِّب عن نوح تعيين الطائفتين فندب الكل إلى طريق النجاة وهو يعلم أن الطائفة إنما تعاجل أو تؤخر بأجلها، فكأنه

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٠٤-٤٠٥).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظرها مع توجيهها في المحتسب (١/ ٢٤٦).

(٣) البيت لطفيل الغنوي كما في جمهرة اللغة (٢/ ١٠٤١)، والمحتسب (٢/ ٨٧)، ومجاز القرآن (٢/ ١٩٥)، ونسبه في لسان العرب (١٤/ ٤٢٢) لمسيب بن زيد بن مناة.

يقول: فإن آمنتم علمنا أنكم ممن قضى الله له بالإيمان والأجلِ المؤخَّر، وإن كفرتم علمنا أنكم ممن قُضي له بالأجل المعجَّل والكفر.

قال القاضي أبو محمد: وعلى هذا الحد هو دعاء محمد ﷺ العالَمَ إلى طريق الجنة، وقد علم أن منهم من يكفر فيدخل النار، وكذلك هو أمر الأسير؛ يقال له: إما أن تؤمن فتُترك، وإلا قُتلت.

وقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ الآية، الخطاب في هذه الآية لجميع العالم.

و«إن» الشرطية دخلت عليها «ما» مؤكِّدة[1]، ولذلك جاز دخول النون الثقيلة على الفعل، وإذا لم تكن «ما» لم يجز دخول النون الثقيلة.

وقرأ أبي بن كعب والأعرج: (تأتينكم)[2] على لفظ الرسل، وجاء ﴿يَقُصُّونَ﴾ على المعنى.

وكان هذا الخطاب لجميع الأمم قديمها وحديثها، هو متمكن لهم ومتحصل منه لحاضري محمد ﷺ أن هذا حكم الله في العالم منذ أنشأه.

و﴿يَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾: مستقبل وضع موضع ماض، ليُفهم أن الإتيان باق وقت الخطاب، لتقوى الإشارة بصحة النبوة إلى محمد ﷺ، وهذا على مراعاة وقت نزول الآية.

وأسند الطبري إلى أبي سيار السلمي[3] قال: إن الله تعالى جعل آدم وذريته في كفة فقال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ الآية، قال ثم نظر إلى الرسل فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢] ثم بثهم[4].

---

(١) يقصد «إن» و«ما» من قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظرها في المحتسب (١/ ٢٤٧).

(٣) اشتهر بهذه الكنية اثنان هما: أيوب بن سيار الزهري قبل (١٨٠هـ) كما في تاريخ الإسلام (١١/ ٤٦)، ومحمد بن عبد الله بن المستورد البغدادي، توفي سنة (٢٦٢هـ)، كما في تاريخ الإسلام (٢٠/ ١٧١)، ولم أجد في ترجمة أي منهما ما يدل على أنه سلمي.

(٤) في الأصل: «نبههم» بدل «بثهم»، والمثبت هو الموافق لما في تفسير الطبري (١٢/ ٤٠٦).

قال القاضي أبو محمد: ولا محالة أن هذه المخاطبة في الأزل، وقيل: المراد بالرسل محمد ﷺ.

قال القاضي أبو محمد: من حيث لا نبي بعده، فكأن المخاطبين هم المراد ببني آدم لا غير، إذ غيرهم لم ينله الخطاب، ذكره النقاش[١].

و﴿يَقُصُّونَ﴾: معناه: يسردون ويوردون.

و«الآيات»: لفظ جامع لآيات الكتب المنزلة، وللعلامات التي تقترن بالأنبياء.

وقوله: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ﴾ يصح أن تكون (مَن) شرطية، وجوابه: ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ وهذه الجملة هي في جواب الشرط الأول الذي هو﴿إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾.

ويصح أن تكون (من) في قوله: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ موصولة، وكأنه قصد بالكلام تقسيم الناس، فجعل القسم الأول ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾، والقسم الثاني: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾.

وجاء هذا التقسيم بجملته جواباً للشرط في قوله: ﴿إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾، فكأنه قال: إن أتتكم رسل فالمتقون لا خوف عليهم، والمكذبون أصحاب النار، أي: هذا هو الثمرة وفائدة الرسالة.

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: ليس ثَم نفعٌ للمفتري ولا غرض دنياوي[٢]، فالآية تبرئة[٣] للنبي ﷺ من الافتراء، وتوبيخ للمفترين من الكفار.

و(لا) في قوله: ﴿فَلَا خَوۡفٌ﴾ بمعنى «ليس».

وقرأ ابن محيصن: (فلا خوفُ) دون تنوين[٤]، ووجهه: إما أن يحذف التنوين لكثرة الاستعمال، وإما حملاً على حذفه مع (لا)، وهي تبرئةٌ ناصبة، فشبَّه[٥] حالة الرفع في

(١) لم أقف عليه.

(٢) في المطبوع: دنيوي.

(٣) في فيض الله والسليمانية: «تتريه»

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٧٦)، وقد تقدم التنبيه عليها مع بقية القراءات الأخرى التي فيها.

(٥) في الأصل ونجيبويه والحمزوية: «تشبه».

البناء بحالة النصب، وقيل: إن المراد: فلا الخوف، ثم حذفت الألف واللام وبقيت الفاء على حالها لتدل على المحذوف. ونفي الخوف والحزن يعم جميع أنواع مكاره النفس وأنكادها(١)، ويشبه أن يكون الخوف لما يستقبل من الأمور والحزن لما مضى منها.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ ﴾ هذه حالتان تعم جميع من يصد عن رسالة الرسول: إما أن يكذب بحسب اعتقاده [أنه كَذِب](٢) وإما أن يستكبر فيكذب وإن كان غير مصمم في اعتقاده على التكذيب.

قال القاضي أبو محمد: وهذا نحو الكفر عناداً.

قوله عز وجل: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

هذه آية وعيد واستفهام على جهة التقرير، أي: لا أحد أظلم منه.

و﴿ٱفْتَرَىٰ﴾ معناه: اختلق، وهذه وإن كانت متصلة بما قبلها ـ أي: كيف يجعلون الرسل(٣) مفترين، ولا أحد أظلم ممن افترى، ولا حظ للرسل إلا أن يُرحم من اهتدى ويُعذب من كفر ـ فهي أيضاً مشيرة بالمعنى إلى كل مفتر، وإلى من تقدم ذكره من الذين قالوا: ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾.

وقوله: ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ إشارة إلى جميع الكفرة، وقوله: ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال الحسن والسدي وأبو صالح: معناه: من المقرر في اللوح المحفوظ(٤)، فالكتاب عبارة

---

(١) في المطبوع: «أنكارها».

(٢) زيادة من السليمانية وفيض الله ونجيبويه ولالاليه.

(٣) في السليمانية: «أي كيف تجعلون من الرسل». وفي فيض الله: «تجعلون» بدل «يجعلون».

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٠٨-٤٠٩)، وفي السليمانية وفيض الله: «من القدر» بدل «المقرر»، وهو منقول بالمعنى.

عن اللوح المحفوظ، وقد تقرر في الشرع أن حظهم فيه العذاب والسخط.

وقال ابن عباس[١] وابن جبير ومجاهد: قوله: ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يريد: من الشقاء والسعادة التي كتبت له وعليه[٢].

قال القاضي أبو محمد: ويؤيد هذا القولَ الحديثُ المشهور الذي يتضمن أن الملك يأتي إذا خلق الجنين في الرحم فيكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد[٣].

وقال ابن عباس أيضاً[٤] ومجاهد وقتادة والضحاك: ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ يراد به: الذي تكتبه الملائكة من أعمال الخليقة من خير وشر، فينال هؤلاء نصيبهم من ذلك وهو الكفر والمعاصي.

وقال ابن عباس أيضاً[٥] ومجاهد والضحاك: / ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يراد به: من القرآن، [٢/ ١٣٩] وحظهم فيه: أن وجوههم تسودُّ يوم القيامة، وقال الربيع بن أنس ومحمد بن كعب وابن زيد: المعنيُّ بالنصيب ما سبق لهم في أم الكتاب من رزق وعمر وخير وشر في الدنيا[٦].

ورجح الطبري هذا واحتج له بقوله بعد ذلك: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ أي: عند انقضاء ذلك، فكان[٧] معنى الآية على هذا التأويل: أولئك يتمتعون ويتصرفون من الدنيا بقدر ما كتب لهم حتى إذا جاءتهم رسلنا لموتهم، وهذا تأويل جماعة في مجيء

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٥٦٦) من طريق جابر الجعفي، عن مجاهد، عن ابن عباس، وجابر الجعفي ضعيف.
(٢) انظر: الطبري (١٢/ ٤٠٩-٤١٠)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٧٤).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(٤) أخرجه الطبري (١٤٥٧٣)، وابن أبي حاتم (٨٤٣٨) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٥) هذا الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠/ ١٧٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ينالهم ما كتب عليهم. يقول: قد كتب لمن يفتري على الله أن وجهه مسود.
(٦) انظر أقوال هؤلاء مع ترجيح الطبري الآتي في تفسير الطبري (١٢/ ٤٠٧)، وما بعدها.
(٧) في المطبوع: «فكأنه».

الرسل للتوفي، وعلى هذا يترتب ترجيح الطبري الذي تقدم.

وقالت فرقة: ﴿رُسُلُنَا﴾ يريد بهم ملائكة العذاب يوم القيامة، و﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ معناه: يستوفونهم عدداً في السوق إلى جهنم.

قال القاضي أبو محمد: ويترتب هذا التأويل مع التأويلات المتقدمة في قوله: ﴿نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ لأن النصيب على تلك التأويلات إنما ينالهم في الآخرة، وقد قضى مجيء رسل الموت، وقوله حكاية عن الرسل: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ﴾ استفهامُ تقريرٍ وتوبيخ وتوقيف على خزي، وهو إشارة إلى الأصنام والأوثان وكل ما عبد من دون الله.

و﴿تَدْعُونَ﴾: معناه: تعبدون وتؤملون، وقولهم: ﴿ضَلُّواْ﴾؛ معناه: هلكوا وتلفوا وفُقدوا.

ثم ابتدأ الخبرَ عن المشركين بقوله: ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ وهذه الآية وما شاكلها تعارض في الظاهر قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، واجتماعهما إما أن يكون في طوائف مختلفة، أو في أوقات مختلفة يقولون في حال كذا وحال كذا.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

هذه حكاية ما يقول الله لهم يوم القيامة بوساطة ملائكة العذاب، وعبر عن «يقول»، بـ﴿قَالَ﴾ لتحقق وقوع ذلك وصدق القصة، وهذا كثير.

وقوله: ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ متعلق بـ﴿ٱدْخُلُواْ﴾، ويحتمل أن يتعلق بمحذوف تقديره: كائنين أو ثابتين في أمم، فيكون في موضع الحال من الضمير في ﴿ٱدْخُلُواْ﴾، وقيل: ﴿فِىٓ﴾ بمعنى «مع»، وقيل: هي على بابها وهو أصوب.

وقوله: ﴿قَدۡ خَلَتۡ﴾ صفة لـ﴿أُمَمٖ﴾.

وقوله: ﴿فِي ٱلنَّارِۖ﴾ يصح تعلقه بـ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾، ويصح أن يتعلق بـ﴿أُمَمٖ﴾ أي: في أمم ثابتة أو مستقرة [في النار][١]، ويصح تعلقه بالذِّكر الذي في ﴿خَلَتۡ﴾.

ومعنى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ﴾ على هذا التعلق أي: قد تقدمت ومضى عليها الزمن، وعُرفها فيما تطاول من الآباد، وقد تستعمل وإن لم يطل الوقت، إذ أصلها فيمن مات من الناس، أي: صاروا إلى خلاء من الأرض.

وعلى التعليقين الأولين لقوله: ﴿فِي ٱلنَّارِۖ﴾ فإنما ﴿خَلَتۡ﴾ حكاية عن حال الدنيا، أي ادخلوا في النار في جملة الأمم السالفة لكم في الدنيا الكافرة.

وقدم ذكر الجن لأنهم أعرق في الكفر، وإبليس أصل الضلال والإغواء.

وهذه الآية نص في أن كفرة الجن في النار، والذي يقتضيه النظر أن مؤمنيهم في الجنة؛ لأنهم عقلاء مكلفون مبعوث إليهم آمنوا وصدقوا، وقد بوب البخاري رحمه الله: باب في ذكر الجن وثوابهم وعقابهم[٢].

وذكر عبد الجليل أن مؤمني الجن يكونون تراباً كالبهائم[٣]، وذكر في ذلك حديثاً مجهولاً، وما أُراه يصح[٤]، والله أعلم.

و«الأخوة» في هذه الآية: أخوة الملة والشريعة، قال السدي: يتلاعن آخرها وأولها[٥].

و﴿ٱدَّارَكُواْ﴾: معناه: تلاحقوا، ووزنه تفاعلوا، أصله: تداركوا، أدغم فجلبت ألف الوصل.

---

(١) زيادة من السليمانية وفيض الله ولالاليه.

(٢) انظر: البخاري عقب حديث (٣٢٩٥).

(٣) نقله في تفسير الثعالبي (٣/ ٢٩)، وعبد الجليل هذا لم ينسبه المؤلف، والمسمون بهذا الاسم كثر.

(٤) أورده الثعلبي في تفسيره كما في المصدر السابق من طريق سفيان، عن ليث بن أبي سليم من قوله.

(٥) تفسير الطبري (١٢/ ٤١٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٧٥).

وقرأ أبو عمرو: (إِداركوا) بقطع ألف الوصل[١]، قال أبو الفتح: هذا مشكل، ولا يسوغ أن يقطعها ارتجالاً، فذلك إنما[٢] يجيء شاذّاً في ضرورة الشعر [في الاسم أيضاً، لكنه وقف مثل وقفة المستذكر ثم ابتدأ فقطع][٣].

وقرأ مجاهد بقطع الألف وسكون الدال: (أَدْرَكُوا) بفتح الراء وبحذف الألف بعد الدال[٤]، بمعنى: أدرك بعضهم بعضاً.

وقرأ حميد: (أُدرِكوا) بضم الهمزة وكسر الراء[٥]، أي: أدخلوا في إدراكها.

وقال مكي في قراءة مجاهد إنها: (ادَّرَكوا) بشد الدال المفتوحة وفتح الراء[٦]، قال: وأصله: ادتَركوا وزنها افتعلوا.

وقرأ ابن مسعود والأعمش: (تداركوا) ورويت عن أبي عمرو[٧].

وقرأ الجمهور: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ﴾ بحذف ألف ﴿إِذَا﴾ لالتقاء الساكنين.

وقوله تعالى: ﴿قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ﴾ معناه: قالت الأمة الأخيرة التي وجدت ضلالات مقررة وسنناً كاذبة مستعملة، للأولى التي شرَعت ذلك وافترت على الله وسلكت سبيل الضلال ابتداءً: ربَّنا هؤلاء طرقوا طرق الضلال وسبَّبوا ضلالنا، فآتهم عذابا مضاعفاً، أي: ثانياً زائداً على عذابنا إذ هم كافرون ومسببون كفرَنا، وتقول: ضاعفت كذا، إذا جعلته مثل الأول.

---

(١) انظرها مع التعليق في المحتسب (١/ ٢٤٧)، وهي قراءة شاذة، ليست في طرق التيسير ولا النشر.

(٢) في السيلمانية وفيض الله: «ربما».

(٣) ساقط من المطبوع.

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٥٢)، إلا أنه لم يضبطها.

(٥) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (١/ ٢٤٧)، وزاد مجاهداً ويحيى وإبراهيم إلا أن ضبطها غير كامل.

(٦) انظر: الهداية لمكي (٤/ ٢٣٥٨) وهي قراءة شاذة.

(٧) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهم في المحتسب (١/ ٢٤٧)، وللأعمش وحده في: تفسير الثعلبي (٤/ ٢٣٢).

والـلام في قولـه: ﴿لِأُولَىٰهُمۡ﴾ كأنها لام سبب، إذ القول إنما هو للرب.

ثم قال عز وجل مخبرا لهم: ﴿لِكُلّٖ ضِعۡفٞ﴾ أي: العذاب مشدد على الأول والآخر، ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾ أي: المقادير وصُور التضعيف، وهذا رد لكلام هؤلاء، إذ ليس لهم كرامة فيظهرَ إسعافهم.

وأما المعنى الذي دعوا فيه فظاهر حديث النبي ﷺ أنه حاصل، وأن كل من سن كفراً أو معصية فعليه كفل من جهة كلِّ مَن عمل بذلك بعده، ومنه حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ، قال: «ما من داع دعا إلى ضلالة إلا كان عليه وزره ووزر من اتبعه لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً»، الحديث، ذكره الليث بن سعد من آخر الجزء الرابع / [٢/ ١٤٠] من حديثه، وذكره مالك في «الموطأ» غير مسند موصل[١].

ومنه قوله: «ما تقتل نسمة ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها»[٢]، أمَا إن هؤلاء عيَّنوا في دعائهم الضعف، وقد يكون الكفل أقل أو أكثر.

وعن ابن مسعود أن الضعف هاهنا الأفاعي والحيات[٣].

وقرأ جميع السبعة غير عاصم في رواية أبي بكر: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾ بالتاء، ويحتمل ذلك أن يكون مخاطبة لهذه الأمة الأخيرة متصلة بقوله لهم: ﴿لِكُلّٖ ضِعۡفٞ﴾، ويحتمل أن يكون مخاطبة لمحمد وأمته.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٥٠٩) بلاغاً، والدارمي (٥١٣)، وابن ماجه (٢٠٥)، وانظر: المعجم المفهرس لابن حجر (١/ ٣٤٥-٣٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٢١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) لا يصح، أخرجه الطبري (١٤٥٩٧) من طريق سفيان الثوري، عن غير واحد، عن السدي، عن مرة الطيب، عن عبد الله بن مسعود به، وهذا إسناد ضعيف لجهالة من حدث الثوري وأخرجه ابن جرير أيضاً (١٤٥٩٨) من طريق عبد العزيز بن أبان، عن الثوري، عن السدي، به، وعبد العزيز بن أبان الأموي من ولد سعيد بن العاص، قال ابن معين: كذاب خبيث يضع الأحاديث.

وقرأ عاصم وحده في رواية أبي بكر: ﴿و لكن لا يعلمون﴾ بالياء[١]، وروى حفص عن عاصم مثل قراءة الجماعة[٢].

وهذه مخاطبة لأمة محمد وإخبار عن الأمة الأخيرة التي طلبت أن يشدد العذاب على أولاها، ويحتمل أن يكون خبرا عن الطائفتين حملاً على لفظة (كل)، أي: لا يعلم أحد منهم قدر ما أعد لهم من عذاب الله.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ﴾ الآية، المعنى: وقالت الأمة الأولى المبتدعة للأمة الأخيرة المتَّبِعة: أنتم لا فضل لكم علينا ولم تزدجروا حين جاءتكم النذر والرسل، بل دمتم في كفركم وتركتم النظر واستوت حالنا وحالكم فذوقوا العذاب باجترامكم، هذا قول السدي وأبي مجلز وغيرهما، فقوله: ﴿فَذُوقُوا۟﴾ على هذا من كلام الأمة المتقدمة للأمة المتأخرة، وقيل: قوله: ﴿فَذُوقُوا۟﴾ هو من كلام الله عز وجل لجميعهم.

وقال مجاهد: ومعنى قوله: ﴿مِن فَضْلٍ﴾ أي: من التخفيف[٣].

قال القاضي أبو محمد: معناه: أنه لما قال الله: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ قال الأولون للآخرين: لم تبلغوا أملاً في أن يكون عذابكم أخف من عذابنا ولا فضلتم بالإسعاف والنص عليه.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

هذه الآية عامة في جميع الكفرة قديمهم وحديثهم.

---

(١) زيادة من السليمانية.

(٢) وهما سبعيتان، التيسير (ص: ١١٠)، والسبعة (ص: ٢٨٠)، وقوله: «بالياء»، زيادة من السليمانية، وفيها أيضاً: «وحده» بعد: «الجماعة».

(٣) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٢/ ٤٢٠).

وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر: ﴿لَا تُفَتَّحُ﴾، بضم التاء الأولى وتشديد الثانية، وقرأ أبو عمرو: ﴿تُفْتَح﴾ بضم التاء وسكون الفاء وتخفيف الثانية، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿يُفْتَح﴾ بالياء من أسفل وتخفيف التاء[١].

وقرأ أبو حيوة وأبو البرهسم[٢]: (يُفَتَّح) بالياء وفتح الفاء وشد التاء، ومعنى الآية لا يرتفع لهم عمل ولا روح ولا دعاء، فهي عامة في نفي ما يوجب للمؤمنين بالله تعالى، قاله ابن عباس وغيره[٣].

وذكر الطبري في كيفية قبض روح المؤمن والكافر آثاراً[٤] اختصرتها إذ ليست بلازمة في الآية، ولِلِين أسانيدها أيضاً.

ثم نفى الله عز وجل عنهم دخول الجنة وعلَّق[٥] كونَه بكونٍ محالٍ لا يكون أبداً[٦]، وهو أن يدخل الجمل في ثقب الإبرة حيث يدخل الخيط، و﴿ٱلْجَمَلُ﴾ كما عهد و(السَّمّ) كما عهد.

وقرأ جمهور المسلمين: ﴿ٱلْجَمَلُ﴾، واحد الجمال، وقال الحسن: هو الجمل الذي يقوم بالمربد، ومرةً لما أكثروا عليه قال: هو الأشتر، وهو الجمل بالفارسية، ومرة

---

(١) وكلها سبعية، انظر: التيسير للداني (ص ٨٠)، والسبعة لابن مجاهد (ص ٢٨٠)، وسقط ذكر نافع من المطبوع.

(٢) غير مقروءة في السليمانية، وفي المطبوع وأكثر النسخ: «أبو إبراهيم»، والتصحيح من نسختي فيض الله ولالاليه، ومن البحر المحيط (٥/ ٥١) إلا أنه ضبطها: «تَفَتَّحُ»، بالتاء من أعلى مفتوحة والتشديد، ولم أجد شيئاً من ذلك لغيرهما.

(٣) أخرجه الطبري (١٤٦٠٦-١٤٦٠٧-١٤٦٠٨)، وابن أبي حاتم (٨٤٦٠-٨٤٦١) من طرق، عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) انظر تلك الروايات في تفسير الطبري (١٢/ ٤٢٢).

(٥) في الأصل ونجيبويه: «وعلى».

(٦) زيادة من السليمانية وفيض الله ولالاليه.

قال: هو الجمل ولد الناقة[١]، وقاله ابن مسعود[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذه عبارة تدل على حرج السائل لارتياب السائلين، لا شكَّ باللفظة من أجل القراءات المختلفة.

وذكر الطبري عن مجاهد عن ابن مسعود أنه كان يقرأ: (حتى يلج الجمل الأصفر)[٣].

وقرأ أبو السمال: (الجَمْلُ)، بسكون الميم[٤].

وقرأ ابن عباس وعكرمة ومجاهد وابن جبير والشعبي ومالك بن الشِّخِّير وأبو رجاء: (الجُمَّل) بضم الجيم وتشديد الميم[٥]، وهو حبل السفينة.

وقرأ سالم الأفطس[٦]، وابن جبير[٧] وابن عباس[٨] أيضا: (الجُمَل) بـ[ضم

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٤٢٩).

(٢) صحيح: هذا الأثر أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره (٩٤٨) عن هشيم، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٠/ ١٨٨-١٨٩) من طريق هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن عبد الله بن مسعود قال: هو الجمل ابن الناقة، أو زوج الناقة، ومن طريق سعيد بن منصور أخرجه الطبراني في الكبير (٨٦٩١) به، وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠/ ١٨٨) من طريق الفضيل بن عياض، عن مغيرة به.

(٣) وهي قراءة شاذة، تفسير الطبري (١٤٦٣٢).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٤٨).

(٥) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لعكرمة في تفسير الثعلبي (٤/ ٢٣٣)، وللباقين في المحتسب (١/ ٢٤٩)، وفيه أبو العلاء بن الشخير، وهو يزيد بن عبد الله بن الشخير العامري البصري، أحد الأئمة، وكان ثقة فاضلاً، توفي سنة (١٠٨هـ) كما في تاريخ الإسلام (٧/ ٢٧٨)، وأما مالك بن الشخير، فلم أجد له ذكراً إلا عند تابعي المصنف، وفي السليمانية وفيض الله: «أبو جعفر» بدل «ابن جبير».

(٦) سالم بن عجلان أبو محمد الأموي مولاهم الجزري الحراني الأفطس، روى عن سعيد بن جبير والزهري، وعنه سفيان الثوري وجماعة، قال أبو حاتم: صدوق مرجئ، قتل سنة (١٣٢هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٤٣٦)، انظر عزوها له في تفسير الطبري (١٢/ ٤٣٢).

(٧) كذا في لالاليه، وهو الصواب انظر عزوها له في معاني القرآن للنحاس (٣/ ٣٦)، والهداية لمكي (٤/ ٢٣٦٦)، وله ولابن عباس في المحتسب (١/ ٢٤٩)، وفي المطبوع وأكثر النسخ: «ابن خير»، ولم أقف له على ترجمة مناسبة.

(٨) في المطبوع: «ابن عامر» بدل «ابن عباس».

الجيم و][(١)] تخفيف الميم من (الجمل) وقالوا: هو حبل السفن، وروى الكسائي أن الذي روى تثقيل الميم عن ابن عباس كان أعجميّاً فشدد الميم لعجمته[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف؛ لكثرة أصحاب ابن عباس على القراءة المذكورة.

وقرأ سعيد بن جبير فيما روي عنه: (الجُمْل) بضم الجيم وسكون الميم، وقرأ ابن عباس أيضاً: (الجُمُل) بضم الجيم والميم[(٣)].

و«السم»: الثقب من الإبرة وغيرها، يقال: سَم وسِم وسُم[(٤)]، بفتح السين وكسرها وضمها.

وقرأ الجمهور بفتح السين.

وقرأ ابن سيرين بضمها، وقرأ أبو حيوة بضمها وبكسرها، وروي عنه الوجهان[(٥)].

و﴿ٱلْخِيَاطِ﴾ والمخيط الإبرة.

وقرأ ابن مسعود: (في سم المِخْيط) بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الياء، وقرأ طلحة: (في سم المَخيط) بفتح الميم، وكذلك أُبي على هذه الصفة[(٦)].

وبمثل هذا الحتم وغيره يُجزى الكفرة وأهل الجرائم على الله تعالى.

---

(١) زيادة من السليمانية.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٣٣).

(٣) وهما شاذتان، انظرهما في المحتسب (١/ ٢٤٩)، ومختصر الشواذ (ص: ٤٨).

(٤) زيادة من السليمانية وفيض الله ولالاليه.

(٥) وهما شاذتان، انظر قراءة ابن سيرين في الهداية لمكي (٤/ ٢٣٦٥)، ووجهي أبي حيوة في الشواذ للكرماني (ص: ١٨٦).

(٦) وهما شاذتان، انظر قراءة ابن مسعود بلا ضبط في مختصر الشواذ (ص: ٤٨)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٣٧٩)، وقراءة طلحة في الشواذ للكرماني (ص: ١٨٧)، وضبطهما في البحر المحيط (٥/ ٥٢)، وزاد في الأولى أبا رزين وأبا مجلز، ولم أجد ذكراً لأبي.

وقوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ الآية، المعنى: أن جهنم فراش لهم ومسكن ومضجع يتمهدونه، وهي لهم غواش جمع غاشية وهي ما يغشى الإنسان، أي: يغطيه ويستره من جهة فوق، قال الضحاك: المهاد الفرش، والغواشي اللحف(١).

ودخل التنوين في ﴿غَوَاشٍ﴾ عند سيبويه لنقصانه عن بناء مفاعل، فلما زال البناء المانع من الصرف بأن حذفت الياء حذفا لا للالتقاء، بل كما حذفت من قوله: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤]، و﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ [الكهف: ٦٤]، ومن قول الشاعر: ثم لا يفر(٢)، زال الامتناع، وهذا كقولهم: ذلذل(٣) بالتنوين ـ وهم يريدون: الذلاذل ـ لما زال البناء.

قال الزجاج: والتنوين في ﴿غَوَاشٍ﴾ عند سيبويه عوضٌ من الياء المنقوصة(٤)، ورد أبو علي أن يكون هذا هو مذهب سيبويه(٥). ويجوز الوقوف بياء وبغير ياء والاختيار بغير ياء.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية، هذه آية وعد مخبرة أن جميع المؤمنين هم أصحاب الجنة ولهم الخلد فيها، ثم اعترض أثناء القول بعقب الصفة التي شرطها في المؤمنين باعتراض يخفف(٦) الشرط ويرجِّي في رحمة الله ويُعلم أن دينه يسر، وهذه الآية نص في أن الشريعة لا يتقرر من تكاليفها شيء لا يطاق، وقد تقدم القول في جواز تكليف ما لا يطاق وفي وقوعه بمغنٍ عن الإعادة فيه.

و«الوسع» معناه: الطاقة، وهو القدْر الذي يتسع له قُدَر البشر.

قوله عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ
[٢/ ١٤١] لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا / لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣)﴾.

(١) انظر: تفسير مقاتل (١/ ٣٩٢)، وأخرجه الطبري (١٢/ ٤٣٦)، وانظر: تفسير الماوردي (٢/ ٢٢٣).
(٢) جزء من بيت لزهير تقدم التعليق عليه في تفسير الآية (٢٩) من سورة البقرة.
(٣) في السليمانية وفيض الله: «زلازل».
(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٣٨).
(٥) انظر كلام أبي علي على غواش في الحجة (١/ ٧٧).
(٦) في السليمانية وفيض الله: «يحقق».

هذا إخبار من الله عز وجل أنه ينقي قلوب ساكني الجنة من الغل والحقد، وذلك أن صاحب الغل متعذب به ولا عذاب في الجنة، وورد في الحديث: «الغل على باب الجنة كمبارك الإبل قد نزعه الله من قلوب المؤمنين»(١).

قال القاضي أبو محمد: ومعنى هذا الحديث إذا حمل على حقيقته: أن الله عز وجل يخلق جوهراً يجعله حيث يرى كمبارك الإبل، لأن الغل عَرَض لا يقوم بنفسه، وإن قيل: إن هذه الآية استعارة وعبر عن سقوطه عن نفوسهم، فهذه الألفاظ على جهة التمثيل كما تقول: فلان إذا دخل على الأمير ترك نخوته بالباب ملقاة، فله وجه، والأول أصوب وأجرى مع الشرع في أشياء كثيرة، مثل قوله: «يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش فيذبح»(٢) وغير ذلك.

وروى الحسن عن علي بن أبي طالب قال: فينا والله أهل بدر نزلت: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾(٣) [الحجر: ٤٧]، وروي عنه أيضاً أنه قال: فينا والله نزلت ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾، وذكر قتادة: أن علياً قال: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾(٤).

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو المعنى الصحيح، فإن الآية عامة في أهل الجنة.

و«الغل»: الحقد والإحنة الخفيَّـة في النفس وجمعه غلال، ومنه الغلول أخذٌ في

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (٧/ ٢٠٨) ولم أقف عليه مسنداً.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبري (١٤٦٦٠)، وابن أبي حاتم (٨٤٦٦) من طريق الحسن، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والحسن روايته عن علي بن أبي طالب مرسلة، وانظر: جامع التحصيل (١٣٥)، والأثر الذي بعده جزء منه.

(٤) أخرجه الطبري (١٤٦٦٢)، وابن أبي حاتم (٨٤٦٧) من طريق قتادة، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقتادة لم يسمع من علي رضي الله عنه. وهذا الأثر روي عن علي رضي الله عنه من طرق كلها فيها انقطاع.

خفاء، ومنه الانغلال في الشيء، ومنه الـمُغِلُّ بالأمانة، ومنه قول علقمة بن عَبَدة:

[البسيط] سُلاءةٌ كعَصَا النَّهْدِيِّ غُلَّ لَهَا ذُو فَيْئَةٍ مِنْ نَوَى قُرَّانَ مَعْجُومُ[1]

وقوله: ﴿مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ بيِّنٌ، لأن ما كان لاطئاً بالأرض فهو تحتَ ما كان منتصباً آخذاً في سماء.

و﴿هَدَىٰنَا﴾: بمعنى: أرشدنا، والإشارة بـ(هذا) تتجه أن تكون إلى الإيمان والأعمال الصالحة المؤدية إلى دخول الجنة، ويحتمل أن تكون إلى الجنة نفسها، أي: أرشدنا إلى طرقها، ولكل واحد من الوجهين أمثلة في القرآن.

وقرأ ابن عامر وحده ﴿ما كنا لنهتدي﴾ بسقوط الواو من قوله: ﴿وَمَا كُنَّا﴾، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام[2].

قال أبو علي: وجه سقوط الواو أن الكلام متصل مرتبط بما قبله[3].

ولما رأوا تصديق ما جاءت به الأنبياء عن الله تعالى وعاينوا إنجاز المواعيد قالوا: ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾، فقضوا بأن ذلك حق قضاءَ مَنْ يحس[4]، وكانوا في الدنيا يقضون بأن ذلك حق قضاء من يستدل، ﴿وَنُودُوٓاْ﴾ أي: قيل لهم بصياح، وهذا النداء من قبل الله عز وجل، و﴿أَن﴾ يحتمل أن تكون مفسرة لمعنى النداء بمعنى: «أي»، ويحتمل أن تكون مخففة من الثقيلة وفيها ضمير مستتر تقديره: أنه تلكم الجنة، ونحو هذا قول الأعشى:

---

(١) انظر عزوه له في المفضليات (ص: ٤٠٤)، والبيان والتبيين (٣/ ٨٢)، والاختيارين للأخفش (ص: ١٠٣)، والعين (٥/ ٢٣)، والكامل للمبرد (٣/ ٨٣)، والمعاني الكبير (١/ ١٦٧)، والسُّلاءُ بالضم ممدوداً شوكُ النخل، والنَّهْدِيُّ: الشيخ المُسِنُّ، وقُـرَّان: قرية باليمامة.

(٢) وهي سبعية، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢٨٠)، والتيسير (ص: ١١٠)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٥١).

(٣) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٢٥).

(٤) في السليمانية ونجيبويه ولالاليه: «من يحسن».

فِي فِتْيَـةٍ كَسُيُوفِ الهِنْد قَدْ عَلِمُوا أنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ[١] [البسيط]

تقديره: أنه هالك، ومنه قول الآخر:

أُكَـاشِــرُهُ وَأعْـلَــمُ أَنْ كِـلانَــا عَلَى مَا سَـاءَ صَاحِبَـهُ حَرِيصُ[٢] [الوافر]

و﴿تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾ ابتداء وصفة و﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ الخبر و﴿تِلْكُمُ﴾ إشارة فيها غيبة، فإما لأنهم كانوا وعدوا بها في الدنيا فالإشارة إلى تلك، أي: تلكم هذه الجنة، وحذفت هذه، وإما قبل أن يدخلوها، وإما بعد الدخول وهم مجتمعون في موضع منها، فكلٌّ غائب عن منزله.

وقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لا على طريق وجوب ذلك على الله، لكن بقرينة رحمته وتغمده، والأعمال أمارة من الله وطريق إلى قوة الرجاء، ودخول الجنة إنما هو بمجرد رحمة الله تعالى، والقسم فيها على قدر العمل، و(أورثتم) مشيرة إلى الأقسام.

وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر: ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ بالإظهار وكذلك في الزخرف.

وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿أورتُّموها﴾ بإدغام الثاء في التاء وكذلك في الزخرف[٣].

قوله عز وجل: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

هذا إخبار من الله عز وجل عما يكون منهم، وعبر عن معان مستقبلة بصيغة ماضية

---

(١) انظر عزوه له في الكتاب لسيبويه (٢/ ١٣٧)، وشرح المعلقات التسع (ص: ٢٦)، والأصول في النحو (١/ ٢٣٩)، وغيرها.

(٢) البيت لعدي بن زيد كما في الكتاب لسيبويه (٣/ ٧٣)، ونسبه في محاضرات الأدباء (١/ ٣٠٧) لعمرو بن جابر الحنفي.

(٣) الآية ٧٢، وهما سبعيتان، انظر: التيسير للداني (ص: ٣٧).

وهذا حسن فيما يحقق وقوعه، وهذا النداء من أهل الجنة لأهل النار تقريع وتوبيخ وزيادة في الكرب وهو بأن يشرفوا عليهم ويخلق الإدراك في الأسماع والأبصار.

وقرأ جمهور الناس: ﴿نَعَمْ﴾ بفتح العين، وقرأ الكسائي: ﴿نَعِم﴾ بكسر العين، ورويت عن عمر بن الخطاب وعن النبي ﷺ[١]، وقرأها ابن وثاب والأعمش[٢]، قال الأخفش: هما لغتان[٣]، ولم يحك سيبويه الكسر، وقال: «نعم»: عِدَة وتصديق، أي: مرة هذا ومرة هذا[٤].

وفي كتاب أبي حاتم عن الكسائي عن شيخ من ولد الزبير قال: ما كنت أسمع أشياخ قريش يقولون: إلا «نَعِم» بكسر العين، ثم فقدتها بعد[٥]، وفيه عن قتادة عن رجل من خثعم قال: قلت للنبي ﷺ: أنت تزعم أنك نبي: ؟ قال: «نَعِم» بكسر العين، وفيه عن أبي عثمان النهدي قال: سأل عمرُ عن شيء، فقالوا: نعَم، فقال عمر: النَّعَم الإبل والشاء، قولوا: نعِم، بكسر العين[٦]، قال أبو حاتم: وهذه اللغة لا تعرف اليوم بالحرمين.

وقوله: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيۡنَهُمۡ﴾ الآية قال أبو علي الفارسي والطبري وغيرهما: ﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: بمعنى: أَعْلَم مُعْلم[٧]، قال سيبويه: أذنت إعلام بتصويت[٨].

---

(١) أخرج الدوري في جزء فيه قراءات النبي (٥٠) من طريق خالد بن قيس، عن قتادة، عن رجل من خثعم، قال: دفعت إلى النبي وهو يومئذ بمنى، فقلت: أنت الذي تزعم أنك نبي الله؟ قال: «نعم» مكسورة. وسنده منقطع، وأخرج أيضاً (٥١) من طريق المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن أبي عثمان النهدي، قال: أمرنا عمر بأمر، فقلنا: نعم، فقال: «لا تقولوا: نعم، ولكن قولوا: نعِم مكسورة». وإسناده صحيح.

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٠)، وانظرعزو الثانية لعمر في لسان العرب (١٢/ ٥٧٩)، وللأعمش في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٥٤)، ولابن وثاب في البحر المحيط (٥/ ٥٥).

(٣) نقله عنه أبو علي في الحجة (٤/ ١٩).

(٤) الكتاب لسيبويه (٤/ ٢٣٤).

(٥) مثله في الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٥١)، وتاج العروس (٣٣/ ٥٢١).

(٦) لم أقف عليهما.

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٤٧)، والحجة للفارسي (٤/ ٢٣).

(٨) ولفظه في الكتاب (٤/ ٦٢): أذنت النداء والتصويت بإعلان.

وقرأ ابن كثير في رواية قنبلٍ ونافعٌ وأبو عمرو وعاصم: ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ﴾ بتخفيف ﴿أَن﴾ من الثقيلة ورفع اللعنة.

وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابن كثير في رواية البزي وشبل: ﴿أنّ لعنة﴾ بتثقيل ﴿أنّ﴾ ونصب اللعنة[1].

وكلهم قرأ التي في النور: ﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ﴾، و﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٧، ٩] بتشديد النون، غير نافع فإنه قرأهما: ﴿أنْ لعنَةُ الله﴾ و﴿أنْ غَضِبَ﴾ مخففتين[2]، [﴿لعنةُ﴾ رفعاً و﴿غَضِب﴾ فعل ماض][3] وروى عصمة عن الأعمش: (مؤذن بينهم إنَّ) بكسر الألف[4] على إضمار «قال».

قال القاضي أبو محمد: لما كان الأذان قولاً.

و«الظالمون» في هذه الآية: الكافرون، ثم ابتدأ صفتهم بأفعالهم في الدنيا ليكون علامة أن أهل هذه / الصفة هم المراد يوم القيامة بقوله: ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. [٢/ ١٤٢]

و﴿يَصُدُّونَ﴾: معناه: يعرضون، والسبيل: الطريق والمنهج، ويذكَّر ويؤنث وتأنيثها أكثر.

و(يبغونها): معناه: يطلبونها، أو يطلبون لها، فإن قدرت يطلبونها فـ ﴿عِوَجًا﴾ نصب على الحال، ويصح أن يكون من الضمير العائد على السبيل أي: معوجةً، ويصح أن يكون من ضمير الجماعة في (يَبْغُونَها) أي: معوجِّين، وإن قدرت (يَبْغُونَها): يطلبون لها ـ وهو ظاهر تأويل الطبري رحمه الله[5] ـ فـ﴿عِوَجًا﴾ مفعول بـ(يبغون).

و«العِوج» بكسر العين: في الأمور والمعاني، والعَوج بفتح العين: في الأجرام والمتنصبات.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير للداني (ص: ١١٠)، وانظر رواية شبل عن ابن كثير في كتاب السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٨١).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٨٢).

(٣) زيادة من السليمانية.

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٥٤).

(٥) انظر: الطبري (١٢/ ٤٤٨).

قوله عز وجل: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

الضمير في قوله: ﴿وَبَيْنَهُمَا﴾ عائد على الجنة والنار، ويحتمل على الجمعين إذ يتضمنهما قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَابَ ٱلنَّارِ﴾.

و«الحجاب»: هو السور الذي ذكره عز وجل في قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌ﴾ [الحديد: ١٣] قاله ابن عباس(١)، وقال مجاهد: «الْأَعْرافُ حجاب بين الجنة والنار»(٢).

وقال ابن عباس أيضاً هو: تل بين الجنة والنار(٣).

وذكر الزهراوي حديثاً أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحداً جبل يحبنا ونحبه، وإنه يقوم يوم القيامة يَمثُلُ بين الجنة والنار يحتبس عليه أقوام يعرفون كلا بسيماهم هم إن شاء الله من أهل الجنة»(٤).

---

(١) أخرج الطبري (١٢/ ٤٥١)، وابن أبي حاتم (٨٤٨٩) من طريق منصور، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الأعراف سور بين الجنة والنار، وعبد الله ابن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي أجمعوا على ثقته، وأخرجه الطبري أيضاً (١٤٦٨٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به، و(١٤٦٨١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس.

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٤٩٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٨٣).

(٣) حسن، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٢/ ٤٥١) عن محمد بن عمرو العتكي، عن أبي عاصم النبيل، عن عيسى بن ميمون المكي، عن عبيد الله بن أبي يزيد المكي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به، ومحمد بن عمرو العتكي صدوق.

(٤) الحديث مرسل، فقد أخرجه ابن أبي زمنين في تفسيره (٢/ ١٢٥) من طريق إسحاق بن عبد الله ابن الحارث بن نوفل أبو يعقوب الهاشمي، عن النبي ﷺ مرسلاً، ويشهد لنصفه الأول ما أخرجه البخاري (٢٨٨٩)، ومسلم (١٣٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه يَقُولُ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ =

وذكر حديثاً آخر عن صفوان بن سليم أن النبي ﷺ قال: «إن أحداً على ركن من أركان الجنة»(١).

و﴿ٱلۡأَعۡرَافِ﴾: جمع عُرف، وهو المرتفع من الأرض.

ومنه قول الشاعر:

كُـلُّ كِـنَـازٍ لَـحْـمُـهُ نيافِ كَالْجمَلِ الْمُوفِي عَلَى الأعْرَافِ(٢) [الرجز]

ومنه قول الشمَّاخ:

فظَلَّتْ بِأَعْرَافٍ تَغَالَى كَأَنَّهَا رِمَاحٌ نحاها وِجْهَةَ الرِّيحِ رَاكِزُ(٣) [الطويل]

ومنه عُرف الفرس وعُرف الديك لعلوهما، وقال السدي: «سمي الأعراف أعرافاً لأن أصحابه يعرفون الناس»(٤).

= ﷺ إِلَى خَيْبَرَ أَخْدُمُهُ فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ رَاجِعاً وبَدَا لَهُ أُحُدٌ قَالَ هَذا جَبَلٌ يُحِبُّنَا ونُحِبُّهُ، وفي لالاليه: «ذكر الزهري».

(١) ضعيف، هذا الحديث أخرجه أبو يعلى في مسنده (٧٥١٦)، والطبراني في الكبير (٥٨١٣)، وابن عدي في الكامل (٤/ ١٧٩) من طريق عبد الله بن جعفر، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، عن النبي ﷺ، به، وعبد الله بن جعفر والد علي بن المديني ضعيف، وقال المعلمي اليماني في تحقيق الفوائد المجموعة (١/ ٤٦٦): وله شاهد أخرجه ابن ماجه عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أحداً جبل يحبنا ونحبه وهو على ترعة من ترع الجنة وعير على ترعة من ترع النار، قلت: حديث أنس رضي الله عنه أخرجه ابن ماجه (٣١١٥) من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن مكنف، عن أنس به، ومحمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن، ومحمد بن مكنف الأنصاري مجهول.

(٢) استشهد به تفسير الطبري (١٢/ ٤٥٠)، ومجاز القرآن (١/ ٢١٥) بلا نسبة، وفيهما: «كالعلم»، بدل «الجمل»، وفي المطبوع ولالاليه: «الجبل»، وفي الأصل ونور العثمانية «يناف»، وفي نجيبويه: «بناف».

(٣) انظر عزوه له في الاختيارين (ص: ٢)، والبيان والتبيين (١/ ٤٢٥)، وتفسير الثعلبي في (٤/ ٢٣٥)، وتفسير الطبري (١٢/ ٤٤٩)، ومجاز القرآن (١/ ٢١٥)، وأساس البلاغة (١/ ٢٨٢)، والقصيدة في ديوانه (ص ٣٦)، ونَحاها: وجَّهَها، وكتبت في الأصل ونجيبويه: «لحاها»، وَوِجْهة الريح: جِهَتُها، وراكز: اسم فاعل من ركز رمحه في الأرض: إذا غرزه، يصف الحُمُر بأنها ظَلَّت واقفة بأعالي التلال كأنها رماح مركوزة في الأرض في جهة الريح.

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٥٠)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٨٤)، وانظر: الدر المنثور (٣/ ٤٦٠).

قال القاضي أبو محمد: وهذه عجمة[١] وإنما المراد على أعراف ذلك الحجاب أي: أعاليه.

وقوله: ﴿رِجَالٌ﴾؛ قال أبو مجلز لاحق بن حميد: هم الملائكة، ولفظة ﴿رِجَالٌ﴾ مستعارة لهم لـمَّا كانوا في تماثيل رجال، قال: وهم ذكور ليسوا بإناث[٢].

قال القاضي أبو محمد: وقد سمى الله رجالاً في الجن.

وقال الجمهور: هم رجال من البشر، ثم اختلفوا:

فقال مجاهد: هم قوم صالحون فقهاء علماء[٣].

وحكى الزهراوي أنهم عدول اليوم[٤]، الذين يشهدون على الناس بأعمالهم، وهم من كل أمة[٥]، وقال[٦] الزجاج[٧].

وقال قوم: هم أنبياء، وقال المهدوي: هم الشهداء[٨].

وقال شرحبيل بن سعد: هم المستشهَدون في سبيل الله، الذين خرجوا عصاة لآبائهم[٩].

وذكر الطبري في ذلك حديثاً عن النبي ﷺ وأنه تعادل عقوقهم واستشهادهم[١٠].

---

(١) في الأصل ونجيبويه: «حجة».

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٤٥٩).

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ٤٥٨).

(٤) في المطبوع والسليمانية وفيض الله ولالاليه ونجيبويه: «القيامة».

(٥) تفسير القرطبي (٧/ ٢١٢).

(٦) في المطبوع: «وقاله الزجاج».

(٧) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٤٢).

(٨) التحصيل للمهدوي (٣/ ٤٣).

(٩) تفسير الطبري (١٢/ ٤٥٧).

(١٠) ضعيف، أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٥٧)، وابن شاهين كما في الإصابة (٤/ ٣٢٩) من طريق الليث قال، حدثني خالد، عن سعيد، عن يحيى بن شبل: أن رجلاً من بني النضير أخبره، عن رجل من بني هلال: أن أباه أخبره: أنه سأل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف فقال: هم قوم غزوا في =

وقال ابن مسعود[١] والشعبي وحذيفة بن اليمان[٢] وابن عباس[٣] وابن جبير والضحاك: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم[٤].

قال القاضي أبو محمد: وقع في «مسند خيثمة بن سليمان»[٥] في آخر الجزء الخامس عشر حديث عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صؤابة دخل

= سبيل الله عصاة لآبائهم، فقتلوا، فأعتقهم الله من النار بقتلهم في سبيله، وحبسوا عن الجنة بمعصية آبائهم، فهم آخر من يدخل الجنة، وهذا إسناد مسلسل بالمجاهيل، وأخرج ابن جرير أيضاً (١٢/ ٤٥٨) من طريق أبي معشر، عن يحيى بن شبل مولى بني هاشم، عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف، فقال: «قوم قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم، فمنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار، ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة»، وأخرجه سعيد بن منصور في تفسيره (٩٥٤)، وابن أبي حاتم (٨٤٩٨) من طريق أبي معشر به، ولكنه سمى ابن عبد الرحمن المزني، فقال عمر وفي تفسير ابن منصور عمرو، ومن طريق سعيد بن منصور أخرجه البيهقي في البعث والنشور (١٠٤)، وأخرجه أيضاً (١٠٥-١٠٦) من طريق أبي معشر به، إلا أنه يرويه تارة موصولاً وتارة مرسلاً وتارة يسمي ابن عبد الرحمن عَمْراً وتارة عمر، وتارة محمد، وتارة يحيى، قال الحافظ: والاضطراب فيه عن أبي معشر وهو نجيح بن عبد الرحمن فإنه ضعيف، وقد رواه سعيد بن أبي هلال عن يحيى بن شبل فخالف أبا معشر في سنده. اهـ. انظر: الإصابة (٤/ ٣٧٢).

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٤٦٩٠) من طريق أبي بكر الهذلي، عن سعيد بن جبير، عن ابن مسعود، وأبو بكر الهذلي ضعيف.

(٢) لا يثبت، أخرجه الطبري (١٤٦٨٥- ١٤٦٨٦- ١٤٦٨٧- ١٤٦٨٨- ١٤٦٨٩)، وابن أبي حاتم (٨٤٩٩) من طريق الشعبي، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، ولا يعرف للشعبي سماع من حذيفة.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٤٦٩٢-١٤٦٩٨) من طريق قتادة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة لم يسمع من ابن عباس، وأخرجه ابن جرير أيضاً (١٤٧٠١) من طريق جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وجويبر متروك.

(٤) انظر: تلك الآثار في تفسير الطبري (١٢/ ٤٥٦٤٥٧).

(٥) هو خيثمة بن سليمان بن حيدرة، أبو الحسن القرشي الأطرابلسي، أحد الثقات المشهورين، وقال الخطيب: هو ثقة ثقة، قد جمع فضائل الصحابة، توفي سنة (٣٤٣هـ). تاريخ الإسلام (٢٥/ ٢٧٥).

الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صؤابة دخل النار»، قيل: يا رسول الله، فمن استوت حسناته وسيئاته؟ قال «أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون»[١].

وقال حذيفة بن اليمان أيضاً: هم قوم أبطأت بهم صغارهم إلى آخر الناس[٢].

قال القاضي أبو محمد: واللازم من الآية أن على أعراف ذلك السور أو على مواضع مرتفعة عن الفريقين حيث شاء الله تعالى رجالاً من أهل الجنة، يتأخر دخولهم، ويقع لهم ما وصف لهم، من الاعتبار في الفريقين.

و﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ أي: بعلامتهم وهي بياض الوجوه وحسنها في أهل الجنة، وسوادها وقبحها في أهل النار، إلى غير ذلك في حيز[٣] هؤلاء وحيز هؤلاء.

و«السيما» العلامة وهو من وسم، وفيه قلب، يقال: سيما مقصور، وسيماء ممدود، وسيمياء بكسر الميم وزيادة ياء، فوزنها عِفْلا[٤] مع كونها من وسم، وقيل: هي من سوَّم إذا علَّم، فوزنها على هذا فِعْلا.

ونداؤهم أصحاب الجنة يحتمل أن يكون وأصحاب الجنة لم يدخلوها بعد فيكون أيضاً قوله: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ محتملاً أن يعنى به أهل الجنة، وهو تأويل أبي مجلز إذ جعل أصحاب الأعراف ملائكة، ومحتملاً أن يعنى به أهل الأعراف،

---

(١) ضعيف، أخرجه ابن مردويه في تفسيره كما عند ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢١٧) من طريق سليمان بن داود، حدثنا النعمان بن عبد السلام، حدثنا شيخ لنا يقال له: أبو عباد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله ﷺ عمن استوت حسناته وسيئاته، فقال: أولئك أصحاب الأعراف، لم يدخلوها وهم يطمعون، وسليمان بن داود الشاذكوني كذبه أحمد وابن معين وانظر الجرح والتعديل (٤/ ١١٤-١١٥)، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٤/ ٣١٣) من طريق عباد بن كثير، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه به، وعباد بن كثير الثقفي ضعيف وقال ابن كثير: وهذا حديث غريب من هذا الوجه. والصؤابة: بيضة القملة.

(٢) انظر تخريج أثر حذيفة رضي الله عنه المتقدم.

(٣) في السليمانية وفيض الله: «من معرفة حيز...» إلخ.

(٤) كتبت في الحمزوية: «فعلا».

ويحتمل أن يكون نداؤهم أهل الجنة بالسلام وهم قد دخلوها، فلا يحتمل حينئذ قوله: ﴿لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾ إلا أهل الأعراف فقط، وهو تأويل السدي وقتادة وابن مسعود والحسن، وقال: «والله ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم إلا لخير أراده بهم».

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو الأظهر الأليق[1]، ولا تظهُّر لأحد مع قول النبي ﷺ.

وقوله: ﴿وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾ هي جملة مقطوعة[2]، أخبر أنهم لم يدخلوها وهم طامعون [بدخولها فكأن الجملة حال من الضمير في: ﴿وَنَادَوۡاْ﴾.

وقرأ أبو رقيش النحوي: (لم يدخلوها] وهم طامعون)[3].

وقرأ إياد بن لقيط[4]: (وهم ساخطون)[5].

وذكر بعض الناس قولاً وهو أن يقدر قوله: ﴿وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾ في موضع الحال من ضمير الجماعة في ﴿يَدۡخُلُوهَا﴾، ويكون المعنى: لم يدخلوها في حال طمع بها بل كانوا في حال يأس وخوف لكنهم عمهم عفو الله عز وجل، وقال ابن مسعود: إنما طمع أصحاب الأعراف لأن النور الذي كان في أيديهم لم يطفأ حين يطفأ كل ما بأيدي المنافقين[6].

---

(١) في لالاليه: «الأنيق».

(٢) في السليمانية وفيض الله: «معطوفة».

(٣) أبو رقيش النحوي لم أقف له على ترجمة، وقد بيض لاسمه في البحر المحيط (٥/ ٥٩)، وما بين المعكوفتين ساقط من الأصل.

(٤) هو إياد بن لقيط السدوسي الكوفي، عن البراء بن عازب، والبراء بن قيس، وعنه ابنه عبيد الله، وعبد الملك بن عمير مع تقدمه، ومسعر، والثوري، وقيس بن الربيع، وعدة. وثقه ابن معين، والنسائي، وقال أبو حاتم: صالح الحديث. تاريخ الإسلام (٧/ ٣٢٤).

(٥) تابعه عليهما في البحر المحيط (٥/ ٥٩)، ولا يعد هذا قراءة لأنه مخالف لمصاحف المسلمين، وسيأتي ما لإياد في التوبة.

(٦) أثر ابن مسعود أخرجه ابن جرير الطبري (١٠/ ٢٢٦) من طريق أبي بكر الهذلي، عن سعيد بن جبير، عن ابن مسعود فذكره.

والضمير في قوله: ﴿أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ عائد على أصحاب الأعراف، فهم يسلِّمون على أصحاب الجنة، وإذا نظروا إلى النار وأهلها دعوا الله في التخليص منها،/ قاله ابن عباس [٢/ ١٤٣] وجماعة من العلماء[١]، وقال أبو مجلز: الضمير لأهل الجنة وهم لم يدخلوها بعد.

وقوله: ﴿صُرِفَتۡ﴾ معطية ما هنالك من هول المطلع.

وقوله: ﴿رِجَالٗا﴾ يريد: من أهل النار، ويحتمل أن يكون هذا النداء وأهل النار في النار، فتكون معرفتهم بعلامات معرِّفة بأنهم أولئك الذين عرفوا في الدنيا، ويحتمل أن يكون هذا النداء وهم يحملون إلى النار، فتكون السيما التي عرفوا بها أنهم أهل النار تسويد الوجوه وتشويه الخلق، وقال أبو مجلز: الملائكة تنادي رجالاً في النار[٢]، وقال غيره: بل الآدميون ينادون أهل النار، وقيل: إن ﴿مَآ﴾ في قوله: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ﴾ استفهام بمعنى التقرير والتوبيخ، وقيل: ﴿مَآ﴾ نافية والأول أصوب.

و﴿جَمۡعُكُمۡ﴾: لفظ يعم جموع الأجناد والخَوَل وجمع المال؛ لأن المراد بالرجال أنهم جبارون ملوك يقرَّرون يوم القيامة على معنى الإهانة والخزي، وما الثانية: مصدرية.

وقرأت فرقة: (تستكثرون) بالثاء مثلثة[٣] من الكثرة.

قوله عز وجل: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ

---

(١) أثر ابن عباس أخرجه الطبري (١٤٧٣٥)، وابن أبي حاتم (٨٥٢٠) من طريق جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وجويبر ضعيف جداً، وانظر: تفسير مقاتل (١/ ٣٩٣)، والزهد لابن المبارك (١/ ٤٨٠)، والطبري (١٢/ ٤٦٦ وما بعدها)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٨٨)، ومعاني القرآن (٣/ ٣٩).

(٢) انظر قولي أبي مجلز في تفسير الطبري (١٢/ ٤٦٨)، وانظر تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٨٩).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظرها بلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٤٣)، والكشاف للزمخشري (٢/ ١٠٨).

لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

قال أبو مجلز: أهل الأعراف هم الملائكة وهم القائلون: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ إشارة إلى أهل الجنة[1].

قال القاضي أبو محمد: وكذلك يجيء قول من قال: أهل الأعراف أنبياء وشهداء.

وقال غيره: أهل الأعراف بشر مذنبون، وقوله: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ من كلام ملك بأمر الله عز وجل إشارة إلى أهل الأعراف ومخاطبة لأهل النار، وهذا قول ابن عباس[2].

وقال النقاش: لما وبخوهم بقولهم: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾، أقسم أهل النار أن أهل الأعراف داخلون النار معهم، فنادتهم الملائكة: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾، ثم نادت أصحاب الأعراف: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾[3].

وقال بعض المتأولين: الإشارة بـ(هؤلاء) إلى أهل الجنة، والمخاطبون هم أهل الأعراف والذين خوطبوا هم أهل النار، والمعنى: أهؤلاء الضعفاء في الدنيا الذين حلفتم أن الله لا يعبأ بهم قيل لهم: ادخلوا الجنة، وقد تقدم ما قال النقاش من أن القسم هو في الآخرة على أهل الأعراف.

وقرأ الحسن وابن هرمز: (أدخلوا الجنة) بفتح الألف وكسر الخاء[4]، معنى: أدخلوا أنفسكم، أو على أن تكون مخاطبة للملائكة ثم ترجع المخاطبة بعد إلى البشر في ﴿عَلَيْكُمْ﴾.

وقرأ عكرمة مولى ابن عباس: (دخلوا الجنة) على الإخبار بفعل ماض، وقرأ

(١) تفسير الماوردي (٢/ ٢٢٧).
(٢) هذا القول هو قول أبي مجلز كما في الطبري (١٤٧٤١).
(٣) تفسير البحر المحيط (٥/ ٦٠).
(٤) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهما في البحر المحيط (٥/ ٦٠).

طلحة بن مصرف وابن وثاب والنخعي: (أُدخِلوا الجنة) خبر مبني للمفعول[١].

قال القاضي أبو محمد: وترتيب كل قراءة من هذه على الأقوال في المخاطب والمخاطب بقوله تعالى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ ممكن بأيسر تناول فاختصرته إيجازاً.

وكذلك ما في الآية من الرجوع من مخاطبة فريق إلى مخاطبة غيره.

وقوله تعالى: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ معناه: لا تخافون ما يأتي ولا تحزنون على ما فات.

وذكر الطبري من طريق حذيفة: أن أهل الأعراف يرغبون في الشفاعة فيأتون آدم فيدفعهم إلى نوح، ثم يتدافعهم الأنبياء عليهم السلام حتى يأتوا محمداً ﷺ فيَشفَع لهم فيُشفَّع فيدخلون الجنة فيلقون في نهر الحياة فيبيَّضون ويسمون مساكين الجنة[٢].

قال سالم مولى أبي حذيفة: ليت أني من أهل الأعراف[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ الآية، لفظة النداء تتضمن أن أهل النار وقع لهم علم بأن أهل الجنة يسمعون نداءهم، وجائز أن يكون ذلك وهم يرونهم بإدراك يجعله الله لهم على بعد السفل من العلو، وجائز أن يكون ذلك وبينهم السور والحجاب المتقدم الذكر، وروي أن ذلك النداء هو عند إطلاع أهل الجنة عليهم.

و﴿أَنْ﴾ في قوله: ﴿أَنْ أَفِيضُوا۟﴾ مفسِّرة بمعنى «أي»، و«فاض الماء»: إذا سال وانماع، وأفاضه غيره.

وقوله: ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ إشارة إلى الطعام قاله السدي[٤]، فيقول لهم أهل الجنة: إن الله حرم طعام الجنة وشرابها على الكافرين.

---

(١) وهما شاذتان، انظرهما في المحتسب (١/ ٢٤٩)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٥٥).

(٢) أخرجه الطبري (١٤٧٤٦) من طريق السدي، عن حذيفة رضي الله عنه، وهو منقطع.

(٣) منقطع، هذا الأثر أخرجه أحمد في الزهد (ص٦٤) من طريق قتادة قال: قال سالم مولى أبي حذيفة، وذكره.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٧٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٩١).

قال القاضي أبو محمد: والأشنع على الكافرين في هذه المقالة أن يكون بعضهم يرى بعضاً، فإنه أخزى وأنكى للنفس، وإجابة أهل الجنة بهذا الحكم هو عن أمر الله تعالى.

وذكر الزهراوي: أنه روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أفضل الصدقة الصدقة[(١)] بالماء»[(٢)]، يعني: عند الحاجة إليه إذ هو ألذ مشروب وأنعشها للنفس.

واستسقى الشعبي عند مصعب فقال له: أيَّ الأشربة تحب؟ فقال: أهونها موجوداً وأعزها مفقوداً، فقال له مصعب: يا غلام هات الماء[(٣)].

---

(١) الصدقة الثانية ساقطة من المطبوع.

(٢) ضعيف، هذا الحديث أخرجه أبو يعلى في مسنده (**٢٦٧٣**)، وابن أبي حاتم في تفسيره (**٨٥٣٣**)، من طريق نصر بن علي، عن موسى بن المغيرة، عن أبي موسى الصفار في دار عمرو بن مسلم قال: سألت ابن عباس أو سئل أيُّ الصدقة أفضل؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصدقة الماء، ألم تسمع إلى أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنة قالوا: أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله»، وموسى بن المغيرة مجهول هو وشيخه أبو موسى الصفار، وانظر الجرح والتعديل (٨/ ١٦٣)، وميزان الاعتدال (٤/ ٢٢٤)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (**٣٣٨٠**) من طريق محمد بن أبي بكر المقدمي، عن موسى بن عبد العزيز، عن أبي موسى، عن ابن عباس به، وله شاهد حسن أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (**٣٣٧٩**) من طريق شعبة، عن قتادة، عن الحسن وسعيد بن المسيب أن سعد بن عبادة سأل رسول الله ﷺ إن أمي ماتت أفأتصدق عنها قال: نعم قال: فأي الصدقة أفضل؟ قال: «سقي الماء»، أو قال: «اسق الماء» فسقاية أم سعد بالمدينة اليوم، قال شعبة: قلت لقتادة: من الذي قال: سقاية أم سعد؟ قال: الحسن، والحسن البصري، وسعيد بن المسيب لم يدركا سعد بن عبادة ولكن مراسيل ابن المسيب أقوى المراسيل. وانظر: جامع التحصيل (ص٤٧)، وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (**٣٣٧٨**) من طريق داود بن عطاء عن يزيد بن عبد الملك بن المغيرة النوفلي عن أبيه عن يزيد بن خصيفة وعن يزيد بن رومان عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: ليس صدقة أعظم أجر من ماء، وداود بن عطاء المدني ضعيف، ويزيد بن عبد الملك ابن المغيرة بن نوفل بن الحارث القرشي الهاشمي النوفلي ضعيف، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (**٢/ ٣٧٦**) من طريق البيهقي به.

(٣) انظر القصة في الحيوان (**٥/ ٧٦**)، ونثر الدر في المحاضرات (**٧/ ٧٩**)، وفيهما أنها وقعت للشعبي مع قتيبة، بدل مصعب.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ الآية، أضيف «الدين» إليهم من حيث قولهم أن يلتزموه، إذ هو دين الله من حيث أمر به، ودين جميع الناس من حيث أمروا به، ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ يحتمل أن يكون من كلام أهل الجنة، ويكون ابتداء كلام الله من قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾، ويحتمل أن يكون الكلام من أوله من كلام الله عز وجل، ومعنى قوله: ﴿ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا﴾ أي: بالإعراض والاستهزاء لمن يدعوهم إلى الإسلام، ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: خدعتهم بزخرفها واعتقادهم أنها الغاية القصوى.

ويحتمل أن يكون اللفظ من الغَرِّ وهو ملء الفم، أي: أشبعتهم وأبطرتهم، وأما قوله ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾ فهو من إخبار الله عز وجل عما يفعل بهم، و«النسيان» في هذه الآية: هو بمعنى الترك، أي: نتركهم في العذاب كما تركوا النظر للقاء هذا اليوم، قاله ابن عباس وجماعة من المفسرين(١)، قال قتادة: نسوا من الخير ولم يُنسوا من الشر(٢)، وإن قدر النسيان بمعنى الذهول من الكفرة فهو في جهة ذكر الله تسمية العقوبة باسم الذنب.

وقوله: ﴿وَمَا كَانُواْ﴾ عطف على (ما) من قوله: ﴿كَمَا نَسُواْ﴾ ويحتمل أن
[٢/ ١٤٤] تقدر (ما) الثانية زائدة ويكون قوله / : (وكانوا) عطفاً على قوله: ﴿نَسُواْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ﴾ الآية، ذُكر الإعذار إليهم إثر ذكر ما يفعل بهم، واللام في قوله: ﴿وَلَقَدْ﴾ لام قسم، والضمير في ﴿جِئْنَٰهُم﴾ لمن تقدم ذكره.

وقال يحيى بن سلام(٣): تم الكلام في ﴿يَجْحَدُونَ﴾، وهذا الضمير لمكذبي محمد ﷺ ابتداء كلام آخر، والمراد بالكتاب القرآن العزيز.

---

(١) أثر ابن عباس أخرجه الطبري (١٤٧٥٨)، وابن أبي حاتم (٨٥٤٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر: تفسير مقاتل (١/ ٢٣٨)، وعبد الرزاق (٢/ ٢٣٠)، والطبري (١٢/ ٤٧٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٩٢).

(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٣٣٩).

(٣) هو يحيى بن سلام البصري، روى عن: فطر بن خليفة، وشعبة، والمسعودي، وابن أبي عروبة، والثوري، وعنه: بحر بن نصر، ومحمد ابن عبد الحكم، قال أبو حاتم: صدوق، توفي في صفر سنة (٢٠٠هـ). تاريخ الإسلام (١٣/ ٤٧٤)، وهذا الموضع من تفسيره لم يطبع.

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أن يكون اسم جنس في جميع الكتب المنزلة على تأويل من يرى الضمير في ﴿جِئْنَٰهُم﴾ لمن تقدم ذكره.

وقرأ جمهور الناس: ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ من تفصيل الآيات وتبيينها.

وقرأ ابن محيصن: (فضَّلناه) بضاد منقوطة[١].

و﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ معناه: عن بصيرة واستحقاق لذلك.

وقوله: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ مصدران في موضع الحال.

قوله عز وجل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿يَنظُرُونَ﴾: معناه ينتظرون.

والتأويل في هذا الموضع بمعنى المآل والعاقبة، قاله قتادة ومجاهد وغيرهما[٢].

وقال ابن عباس: ﴿تَأْوِيلَهُۥ﴾: مآله يوم القيامة[٣].

وقال السدي: ذلك في الدنيا وقعة بدر وغيرها، ويوم القيامة أيضاً[٤].

والمراد: هل ينتظر هؤلاء الكفار إلا مآل الحال في هذا الدين وما دعوا إليه وما صدوهم عنه وهم يعتقدون مآله جميلاً لهم؟ فأخبر الله عز وجل أن مآله يوم يأتي يقع

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٤٩)، والكشاف للزمخشري (٢/ ١٠٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٨٤).

(٢) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٣٠)، وتفسير الطبري (١٢/ ٤٧٨-٤٧٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٤٧٦٧)، وابن أبي حاتم (٨٥٥٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٤) تفسير الطبري (١٢/ ٤٧٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٩٤).

معه ندمهم، ويقولون تأسفا على ما فاتهم من الإيمان: لقد صدقت الرسل وجاءوا بالحق، فالتأويل على هذا مأخوذ من آل يؤول.

وقال الخطابي[١]: أولت الشيء: رددته إلى أوله، فاللفظة مأخوذة من الأوَّل، حكاه النقاش[٢].

قال القاضي أبو محمد: وقد قيل: أولت معناه: طلبت أول الوجوه والمعاني.

و﴿نَسُوهُ﴾ في الآية يحسن أن يكون النسيان من أول الآية بمعنى الترك، ويقرُّون بالحق ويستفهمون عن وجوه الخلاص في وقتٍ لا مستعتب لهم فيه.

وقرأت فرقة: ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ برفع الفعل على تقدير: أو هل نرد، وبنصب ﴿فَنَعْمَلَ﴾ في جواب هذا الاستفهام الأخير.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (أو نردُّ فنعملُ) بالرفع فيهما، على عطف (فنعملُ)، وقرأ ابن أبي إسحاق وأبو حيوة: (أو نردَّ فنعملَ) بنصبهما[٣].

ونصب (نرد) في هذه القراءة إما على العطف على قوله: ﴿فَيَشْفَعُواْ﴾، وإما بما حكاه الفراء من أن «أو» تكون بمعنى «حتى» كنحو قول امرئ القيس:

.... أَوْ نَمُـوتَ فنُعْـذَرَا[٤] [الكامل]

---

(١) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو سليمان الخطابي البستيّ كان يشبه بأبي عبيد القاسم بن سلام علماً وأدباً، وزهداً وورعاً، وتدريساً وتأليفاً، ومن كتبه: غريب الحديث، ومعالم السّنن في شرح سنن أبي داود، وأعلام السّنن في شرح البخاري، توفي في حدود سنة (٤٠٠هـ). إنباه الرواة (١/ ١٦٠)، واختلف في اسمه والصواب: «حَمْد» كما في سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٦).

(٢) تفسير البحر المحيط (٥/ ٦٣).

(٣) القراءة بالرفع فالنصب قراءة الجمهور وهي المتواترة، والقراءتان برفعهما ونصبهما شاذتان، انظر عزوهما في مختصر الشواذ (ص: ٤٩)، والمحتسب (١/ ٢٥١)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٥٦)، إلا أبا حيوة فلم أجده إلا في البحر المحيط (٥/ ٦٣).

(٤) معاني القرآن للفراء (٢/ ٧١)، وهذا جزء من عجز بيت تمامه:

فَقُلْتُ لَهُ: لا تَبْـكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا نُحَاوِلُ مُلْكاً أو نَمُوتَ فنُعْذَرَا =

ويجيء المعنى: أن الشفاعة تكون في أن يردوا، ثم أخبر تعالى عن خسارتهم أنفسهم واضمحلال افترائهم على الله وكذبهم في جعل الأصنام آلهة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الآية، خطاب عامٌّ يقتضي التوحيد والحجة عليه بدلائله، والرب أصله في اللغة المصلح، من رَبَّ يَرُبُّ، وهو يجمع في جهة ذكر الله تعالى: المالك والسيد وغير ذلك من استعمالات العرب، ولا يقال: الرب معرفاً إلا لله، وإنما يقال في البشر بإضافة.

وروى بكار بن الشقير: (إن ربكم اللهَ) بنصب الهاء[1].

وقوله: ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ حكى الطبري عن مجاهد أن اليوم كألف سنة[2]، وهذا كله والساعة اليسيرة سواءٌ في قدرة الله تعالى، وأما وجه الحكمة في ذلك فمما انفرد الله عز وجل بعلمه كسائر أحوال الشرائع، وما ذهب إليه من أراد أن يوجِّهَ هذا كالمهدوي وغيره تخرُّصٌ[3].

وجاء في التفسير وفي الأحاديث: أن الله ابتدأ الخلق يوم الأحد وكملت المخلوقات يوم الجمعة، ثم بقي دون خلق يوم السبت[4]، ومن ذلك اختارته اليهود لراحتها.

= انظر عزوه له في الجمل في النحو (١/ ١٣٨) الكتاب لسيبويه (٣/ ٤٧)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٥٦)، والمقتضب (٢/ ٢٨).

(١) وهي قراءة شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٤٩)، والشواذ للكرماني (ص: ١٨٨) لبعض المدنيين، ولبكار غير منسوب في البحر المحيط (٥/ ٦٤)، في الحمزوية: «بن سفين»، وفي نور العثمانية: «بن الصغير»، ولم أجد له ذكراً في القراء المعروفين، وفي الرواة بكار بن سقير قال في المؤتلف والمختلف (٣/ ١١٧٢): بصري، صالح الحديث، يروي عن أبيه.

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٤٨٢).

(٣) التحصيل للمهدوي (٣/ ٤٤).

(٤) ضعيف، أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٨٢) عن هناد بن السري، وأبو الشيخ في العظمة (٨٨٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤٣)، ومن طريق هناد بن السري، عن أبي بكر بن عياش، عن أبي سعد البقال، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود أتت النبي ﷺ فسألته عن خلق السماوات والأرض، فقال: «خلق الله الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين، وخلق =

وعلى هذا توالت تفاسير الطبري وغيره، ولليهود لعنهم الله تعالى في هذا كلامُ سوءٍ، تعالى الله عما يصفون.

ووقع حديث في كتاب مسلم بن الحجاج وكتاب «الدلائل» لثابت السَّرَقُسْطي، أن الله تعالى خلق التربة يوم السبت، وذكره مكي في «الهداية»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ معناه عند أبي المعالي وغيره من حذاق المتكلمين: بالملك والسلطان، وخص العرش بالذكر تشريفاً له، إذ هو أعظم المخلوقات، وقال سفيان الثوري: فَعَل فعلاً في العرش سماه استواء[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: والْعَرْش مخلوق معين جسم مَّا[(٣)]، هذا الذي قررته

= الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب، فهذه أربعة:
﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ لمن سأل»، قال: «وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه، فخلق في أول ساعة من هذه الثلاثة الآجال، حين يموت من مات، وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وفي الثالثة آدم، وأسكنه الجنة، وأمر إبليس بالسجود له، وأخرجه منها في آخر ساعة». ثم قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: «ثم استوى على العرش». قالوا: قد أصبت لو أتممت! قالوا: ثم استراح. فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً، فنزل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾، وهذا إسناد ضعيف؛ من أجل أبي سعد، وهو سعيد بن المرزبان أبو سعد البقال الأعور مولى حذيفة بن اليمان فإنه مجمع على ضعفه، وانظر: الجرح والتعديل (٤/ ٦٢).

(١) أخرجه مسلم (٢٧٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وليس في المطبوع من كتاب الدلائل، وانظر الهداية لمكي (٤/ ٢٤٠٣).

(٢) انظر قول أبي المعالي في: أقاويل الثقات (١/ ٩٠٩١)، وقول سفيان فيه (١/ ١٢٧)، وقد تقدم التعليق عليه في سورة البقرة.

(٣) «ما» ساقطة من السليمانية وفيض الله.

الشريعة، وبلغني عن أبي الفضيل بن النحوي أنه قال: العرش مصدر عرَش يعرُش عَرْشاً[(١)]، والمراد بقوله: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ هذا.

قال القاضي أبو محمد: وهذا خروج كثير عن ما فهم من العرش[(٢)] في غير ما حديث عن النبي ﷺ.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر: ﴿يُغْشِى﴾ من أغشى، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي: ﴿يُغشِّي﴾ بالتشديد[(٣)] من غشّى، وهما طريقان في تعدية (غشي) إلى مفعول ثان.

وقرأ حميد: (يغشَى) بفتح الياء والشين ونصب (الليلَ) ورفع (النهار)، كذا [قال أبو الفتح، و][(٤)]، قال أبو عمرو الداني: برفع (الليل) ونصب (النهار)[(٥)].

قال القاضي أبو محمد: وأبو الفتح أثبت.

و﴿حَثِيثًا﴾: معناه: سريعاً، و﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ حال من ﴿ٱلَّيْلَ﴾ بحسب اللفظ أشبه[(٦)] على قراءة الجماعة، ومن ﴿ٱلنَّهَارَ﴾ بحسب المعنى، وأما على قراءة حميد فمن النهار في الوجهين جميعاً[(٧)].

ويحتمل أن يكون حالاً منهما، ومثله قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾[مريم: ٢٧]،

---

(١) نقله عنه أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٦٥)، وفيه: «أبي الفضل» وهو الصواب، واسمه: يوسف بن محمد بن يوسف التَّوزي الأصل، التلمساني، انظر: بغية الوعاة (٢/ ٣٦٢)، والأعلام (٨/ ٢٤٧).
(٢) في السليمانية وفيض الله ولالاليه: «من الشرع».
(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير للداني (ص: ١١٠)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ٢٨٢)، وحفص كنافع ومن معه.
(٤) ساقط من الأصل.
(٥) وهي شاذة انظر رواية ابن جني في المحتسب (١/ ٢٥٣)، ومثله في الكشاف (٢/ ١٠٩)، وقول الداني في البحر المحيط (٥/ ٦٦).
(٦) زيادة من السليمانية وفيض الله.
(٧) زيادة من السليمانية وفيض الله.

فيصح أن يكون ﴿تَحۡمِلُهُۥ﴾ حالاً منها، وأن يكون حالاً منه وأن يكون حالاً منهما.

و﴿مُسَخَّرَٰتِۭ﴾: في موضع الحال.

وقرأ ابن عامر وحده من السبعة: ﴿والشمسُ والقمرُ والنجومُ مسخراتٌ﴾ بالرفع في جميعها، ونصب الباقون هذه الحروف كلها(١).

وقرأ أبان بن تغلب: (والشمسَ والقمرَ) بالنصب، و(النجومُ مسخراتٌ) بالرفع(٢).

و﴿أَلَا﴾: استفتاح كلام، فاستفتح بها في هذا الموضع هذا الخبر / الصادق المرشد. [٢/ ١٤٥]

قال القاضي أبو محمد: وأخذ المفسرون ﴿ٱلۡخَلۡقُ﴾ بمعنى المخلوقات، أي: هي له كلها وملكه واختراعه، وأخذوا (الأمر) مصدراً من أمر يأمر، وعلى هذا قال النقاش وغيره: إن الآية ترد على القائلين بخلق القرآن؛ لأنه فرق فيها بين المخلوقات وبين الكلام إذ الأمر كلامه عز وجل(٣).

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أن تؤخذ لفظة الْخَلْقِ على المصدر من خلق يخلق خلقاً، أي: له هذه الصفة إذ هو الموجِد للأشياء بعد العدم، ويؤخذ الْأَمْرُ على أنه واحد الأمور إلا أنه يدل على الجنس، فيكون بمنزلة قوله: ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣]، وبمنزلة قوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠] فإذا أخذت اللفظتان هكذا خرجتا عن مسألة الكلام.

قال القاضي أبو محمد: ولما تقدم في الآية ﴿خَلَقَ﴾ و﴿بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ تأكد في آخرها أن لَهُ الْخَلْق وَالْأَمْر المصدرين حسب تقدمهما، وكيفما تأولْتَ الآية فالجميع لله، وأسند الطبري إلى النبي ﷺ أنه قال: «من زعم أن الله تعالى جعل لأحد من العباد شيئاً من الأمر فقد كفر بما أنزل الله، لقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾»(٤).

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير للداني (ص: ١١٠).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظرها في الكامل للهذلي (ص: ٥٥٣).

(٣) انظر: البحر المحيط (٥/ ٦٨).

(٤) ضعيف. أخرجه الطبري (١٢/ ٤٨٤) من طريق بقية بن الوليد، عن عبد الغفار بن عبد العزيز =

قال النقاش: ذكر الله الإنسان في القرآن في ثمانية عشر موضعاً، في جميعها أنه مخلوق، وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعاً ليس في واحد منها إشارة إلى أنه مخلوق(١).

وقال الشعبي: ﴿ٱلْخَلْقُ﴾ عبارة عن الدنيا، ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ عبارة عن الآخرة(٢).

و﴿تَبَارَكَ﴾: معناه عظم وتعالى وكثرت بركاته، ولا يوصف بها إلا الله تعالى، و«تَبارَكَ» لا يتصرف في كلام العرب، لا يقال منه: يتبارك، وهذا منصوص عليه لأهل اللسان.

قال القاضي أبو محمد: وعلة ذلك أن «تَبارَكَ» لما لم يوصف بها غير الله تعالى لم تقتض مستقبلاً، إذ الله قد تبارك في الأزل.

وقد غلط بها(٣) أبو علي القالي(٤) فقيل له: كيف المستقبل من تبارك؟ فقال: يتبارك، فوُقف على أن العرب لم تقله(٥).

و«الرب»: السيد المصلح، و﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ جمع عالم.

= الأنصاري، عن عبد العزيز الشامي، عن أبيه، وكانت له صحبة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح وحمد نفسه، قلَّ شكره، وحَبِط عمله. ومَنْ زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيئاً فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه، لقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾، وعبد الغفار بن عبد العزيز الأنصاري الذي في هذا السند هكذا جاء عند ابن جرير الطبري، وهكذا نقله الحافظ في: الإصابة، وهكذا نقله ابن كثير في تفسيره، ولكن الذي جاء في كتب الرجال والأسانيد التي نقلها ابن حجر في مواضع أخرى من الإصابة أنه عبد الغفور بن عبد العزيز أبو الصباح الواسطي وهو ضعيف الحديث، وانظر: الجرح والتعديل (٦/ ٥٥)، وميزان الاعتدال (٢/ ٦٤١).

(١) لم أقف عليه.

(٢) تفسير البحر المحيط (٥/ ٦٨).

(٣) في السليمانية: في هذا، وفي فيض الله: «بهذا».

(٤) في السليمانية وفيض الله: «الفارسي».

(٥) لم أقف على كلامه وقد نص على عدم جواز «يتبارك»: أبو شامة في إبراز المعاني (١/ ٢)، وتفسير روح البيان (١٠/ ٥٥).

قوله عز وجل: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

هذا أمر بالدعاء وتعبد به، ثم قرن عز وجل بالأمر به صفات تحسُن معه.

وقوله: ﴿تَضَرُّعٗا﴾ معناه: بخشوع واستكانة، والتضرع لفظة تقتضي الجهر؛ لأن التضرع إنما يكون بإشارات جوارح وهيئات أعضاء تقترن بالطلب.

و(خفيةً): يريد في النفس خاصة، وقد أثنى الله عز وجل على ذلك في قوله: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾ [مريم: ٣] ونحو هذا قول النبي ﷺ: «خير الذكر الخفي»[(١)]، والشريعة مقررة أن السر فيما لم يفترض[(٢)] من أعمال البر أعظم أجراً من الجهر.

وتأول بعض العلماء التضرع والخفية في معنى السر جميعاً، فكأن التضرع فعل للقلب، ذكر هذا المعنى الحسن بن أبي الحسن، وقال: لقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض عمل يقدرون أن يكون سرّاً فيكونَ جهراً أبداً، ولقد كان المسلمون يجتهدون

---

(١) ضعيف، هذا الحديث أخرجه مسدد في مسنده كما في إتحاف الخيرة المهرة (٦/ ٣٨٨)، وعبد بن حميد في مسنده (١٣٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٢٧٩، ٣٥٥١٨)، ووكيع في الزهد (١١٤، ٣٣٣)، وأحمد (١/ ١٧٢، ١٨٠، ١٨٧)، وأبو يعلى في مسنده (٧٣١)، وابن حبان في صحيحه (٨٠٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٣٦٩) وغيرهم من طريق أسامة بن زيد، الليثي، عن محمد ابن عبد الرحمن بن لبيبة، عن سعد بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي»، وهذا إسناد ضعيف؛ فيه محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة، ويقال ابن أبي لبيبة: وردان وهو ضعيف، وقد اختلف على أسامة بن زيد، فرواه عنه جماعة، عن محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة عن سعد بن مالك به، كما تقدم، وخالفهم ابن المبارك فرواه عن أسامة بن زيد، قال: أخبرني محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، أن محمد بن عبد الرحمان بن أَبي لَبيبة أخبره.. فذكره، أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٧٢، ١٨٠) والطبراني في الدعاء (١٨٨٣) وفي رواية الطبراني أن محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة أخبره أن عمر بن سعد أخبره أنه سمع أباه يقول...

(٢) في المطبوع والحمزوية: «يعترض».

في الدعاء فلا يسمع لهم صوت، إن هو إلا الهمس بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾، وذكر عبداً صالحاً رضي فعلَه فقال: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾(١).

وقال الزجاج: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ﴾: معناه: اعبدوا ربكم، ﴿تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾ أي: باستكانة واعتقاد ذلك في القلوب(٢).

وقرأ جميع السبعة: ﴿وَخُفۡيَةً﴾ بضم الخاء.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر هنا وفي الأنعام: ﴿وخِفية﴾ بكسرها(٣)، وهما لغتان.

وقد قيل: إن ﴿خِفية﴾ بكسر الخاء بمعنى الخوف والرهبة، ويظهر ذلك من كلام أبي علي(٤).

وقرأت فرقة: (وخِيفة) من الخوف، أي: ادعوه باستكانة وخوف، ذكرها ابن سيده في «المحكم» ولم ينسبها، وقال أبو حاتم: قرأها الأعمش فيما زعموا(٥).

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ يريد: في الدعاء وإن كان اللفظ عامّاً، فإلى هذا هي الإشارة، والاعتداء في الدعاء على وجوه:

منها: الجهر الكثير والصياح كما قال رسول الله ﷺ لقوم وقد رفعوا أصواتهم بالتكبير: «أيها الناس أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً»(٦).

ومنها: أن يدعو الإنسان في أن تكون له منزلة نبي، أو يدعو في محال ونحو هذا من التشطط. ومنها: أن يدعو طالباً معصية وغير ذلك، وفي هذه الأمثلة كفاية.

---

(١) مريم: ٣، وانظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٨٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٠٠).
(٢) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٤٤).
(٣) وهما سبعيتان. انظر: التيسير للداني (ص: ١١٠).
(٤) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٣٠).
(٥) انظر نقل ما ذكر عن ابن سيده وعن أبي حاتم في البحر المحيط (٥/ ٦٩)، وقد تقدم مثلها في الأنعام.
(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وقرأ ابن أبي عبلة: (إن الله لا يحب المعتدين)[١].

والمعتدي: هو مجاوز الحد ومرتكب الحظر، وقد يتفاضل بحسب ما اعتدى فيه وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «سيكون أقوام يعتدون في الدعاء، وحسبُ المرء أن يقول: اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل»[٢].

---

(١) تابعه في البحر المحيط (٥/ ٦٩)، وليس هذا بقراءة بل خطأ من قارئه أو سامعه، والله أعلم.

(٢) جيد بشواهده، هذا الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٦١٧٠)، وفي مصنفه (٣٠٠٢٣)، وأحمد في مسنده (١/ ١٧٢-١٨٣)، وأبو يعلى في مسنده (٧١٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٥٩٥)، والطبراني في الدعاء (٥٥) من طريق شعبة، عن زياد بن مخراق، عن قيس بن عباية أبي نعامة، عن مولى لسعد بن مالك أن ابنا لسعد بن مالك دعا فذكر الجنة، فقال له سعد بن مالك: لقد سألت نعيماً طويلاً، وتعوذت من شر عظيم، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون بعدي قوم يعتدون في الدعاء» وتلا هذه الآية: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ ثم قال: بحسبك أن تقول: اللهم إني أسالك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، وزياد بن مخراق المزني ثقة، ولكنه لم يقم إسناد هذا الحديث كما قال أحمد، واضطرب فيه فقد رواه عن قيس بن عباية، عن مولى لسعد كما سلف، وتارة يرويه عن قيس بن عباية، عن ابن لسعد، وتارة عن سعد أنه سمع ابناً له، أخرجه مسدد في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٦١٧٠)، والطيالسي في مسنده (١٩٧)، وأبو داود (١٤٨٢)، والطبراني في الدعاء (٥٦)، والبيهقي في الدعوات (٢٧٧) من طريق شعبة، عن زياد بن مخراق، عن قيس بن عباية، عن ابن لسعد فذكره، وفي بعض الروايات عن قيس بن عباية أن سعداً سمع ابناً له يقول فذكره، وقد اختلف على أبي نعامة قيس بن عباية، فرواه عنه زياد بن مخراق على الوجه الذي تقدم، وخالفه يزيد بن أبان الرقاشي، وسعيد ابن إياس الجريري، فروياه عن أبي نعامة، عن عبد الله بن مغفل المزني سمع ابنه يقول وذكر الحديث بنحو رواية سعد بن مالك، فأما رواية يزيد الرقاشي فأخرجها عبد بن حميد في مسنده (٥٠٠)، وأحمد (٤/ ٨٦-٨٧)، والطبراني في الدعاء (٥٨)، وأما رواية سعيد الجريري فأخرجها ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٠٢٤)، وأحمد (٥/ ٥٥)، وأبو داود (٩٦)، وابن ماجه (٣٨٦٧)، وابن حبان في صحيحه (٦٧٦٤)، والطبراني في الدعاء (٥٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٣٩)، والبيهقي في الدعوات (٢٧٩)، والخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ١٧٦)، وله شاهد من حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه أبو داود الطيالسي (١٦٧٤)، وسنده جيد، وله شواهد أخرى ذكرها البوصيري في إتحاف الخيرة (٦٢٠٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية، ألفاظ عامة تتضمن كل إفساد قلَّ أو كثر، بعد صلاح قل أو كثر، والقصد بالنهي هو على العموم، وتخصيص شيء دون شيء في هذا تحكُّم، إلا أن يقال على جهة المثال.

قال الضحاك: معناه: لا تغوِّروا الماء المعين ولا تقطعوا الشجر المثمر ضراراً[١].

وقد ورد قطع الدينار والدرهم من الفساد في الأرض، وقد قيل: تجارة الحكام من الفساد في الأرض، وقال بعض الناس: المراد: ولا تشركوا في الأرض بعد أن أصلحها الله ببعثة الرسل وتقرير الشرائع ووضوح ملة محمد ﷺ، وقائل هذه المقالة قصد إلى أكبر فساد بعد أعظم صلاح فخصه بالذكر.

وقوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أمر بأن يكون الإنسان في حالة ترقب وتحزُّن وتأميل لله عز وجل، حتى يكون الرجاء والخوف كالجناحين للطائر يحملانه في طريق استقامة وإن انفرد أحدهما هلك الإنسان، وقد قال كثير من العلماء: ينبغي أن يغلب الخوف الرجاء طول الحياة، فإذا جاء الموت غلب الرجاء، وقد رأى كثير من العلماء أن يكون الخوف أغلب على المرء بكثير، وهذا كله طريق احتياط.

ومنه تمني الحسن البصري أن يكون الرجلَ الذي هو آخرُ من يدخل الجنة / [٢]. [٢/ ١٤٦]

وتمنى سالم مولى أبي حذيفة أن يكون من أصحاب الأعراف، لأن مذهبه أنهم مذنبون[٣].

ثم آنس قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فإنها آية وعد فيها تقييدٌ بقوله: ﴿مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

---

(١) تفسير القرطبي (٧/ ٢٢٦).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٧٠).

(٣) منقطع، هذا الأثر أخرجه أحمد في الزهد (١/ ٢٠٠)، وابن أبي الدنيا في المتمنين (٢٢) من طريق قتادة، عن سالم مولى أبي حذيفة، وهو منقطع لعدم سماع قتادة من سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه.

واختلف الناس في وجه حذف التاء من ﴿قَرِيبٌ﴾ في صفة الرحمة على أقوال:

منها: أنه على جهة النسب، أي: ذات قرب.

ومنها: أنه لما كان تأنيثها غير حقيقي جرت مجرى كفٍّ خضيبٍ ولحية دَهين.

ومنها: أنها بمعنىً مذكَّر، فذكِّر الوصف لذلك.

واختلف أهل هذا القول في تقدير المذَكَّر الذي هي بدل منه، فقالت فرقة: الغفران والعفو، وقالت فرقة: المطر، وقيل غير ذلك.

وقال الفراء: لفظة القرب إذا استعملت في النسب والقرابة فهي مع المؤنث بتاء ولا بد، وإذا استعملت في قرب المسافة ـ قال القاضي أبو محمد: أو الزمن ـ فقد تجيء مع المؤنث بتاء وقد تجيء بغير تاء، وهذا منه، ومن هذا قول الشاعر:

[الطويل] عَشِيَّةَ لا عَفْرَاءُ مِنْكَ قَرِيبَةٌ فتَدْنُو وَلا عَفْرَاءُ مِنْكَ بَعِيدُ[1]

فجمع في هذا البيت بين الوجهين.

قال القاضي أبو محمد: هذا قول الفراء في كتابه[2]، وقد مر في بعض كتب المفسرين مقيداً، وردَّ الزجّاج على هذا القول[3].

وقال أبو عبيدة: ﴿قَرِيبٌ﴾ في الآية ليس بصفة للرحمة، وإنما هو ظرف لها وموضع، فيجيء هكذا في المؤنث والاثنين والجميع، وكذلك «بعيد»، فإذا جعلوها صفة بمعنى مقرَّبة[4] قالوا: قريبة وقريبتان وقريبات[5].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٥١)، والبيت لعروة بن حزام العذري كما ذكر الفراء، وكما في تفسير الماوردي (٢/ ٢٣٢)، وسمط اللآلي (١/ ١١٤)، وانظر تفصيل قصته في الأغاني (٢٤/ ١٢٩)، وقد نسبه الطبري (١٢/ ٤٨٨)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٤٢)، لابن الورد وهو خطأ واضح، والله أعلم.

(٢) معاني القرآن للفراء (٢/ ٥١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٤٥).

(٤) في فيض الله: «مقتربة».

(٥) مجاز القرآن (١/ ٢١٦-٢١٧).

وذكر الطبري أن قوله: ﴿قَرِيبٌ﴾ إنما يراد به مقاربة الأرواح للأجساد[١]، أي: عند ذلك تنالهم الرحمة.

قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

هذه آية اعتبار واستدلال.

وقرأ نافع وأبو عمرو: ﴿الرياح﴾ بالجمع، ﴿نُشُراً﴾ بضم النون والشين، قال أبو حاتم: وهي قراءة الحسن وأبي عبد الرحمن وأبي رجاء، واختلف عنهم، والأعرج، وأبي جعفر وشيبة[٢]، ونافع وأبي عمرو وعيسى بن عمر وأبي يحيى وأبي نوفل الأعرابيين.

وقرأ ابن كثير: ﴿الريح﴾ واحدة، ﴿نُشُراً﴾ بضمهما أيضاً.

وقرأ ابن عامر: ﴿الرياح﴾ جمعاً، ﴿نُشْراً﴾ بضم النون وسكون الشين، [قال أبو حاتم][٣]: ورويت عن الحسن وأبي عبد الرحمن وأبي رجاء وقتادة وأبي عمرو.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿الريح﴾ واحدة، ﴿نَشْراً﴾ بفتح النون وسكون الشين، قال أبو حاتم: وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس وزر بن حبيش وابن وثاب وإبراهيم وطلحة والأعمش ومسروق بن الأجدع، وقال ابن جني: قراءة مسروق: (نَشْراً) بفتح النون والشين[٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٨٧).

(٢) زيادة من السليمانية وفيض الله ولالاليه.

(٣) من المطبوع وفيض الله ولالاليه ونجيبويه.

(٤) انظر: المحتسب (١/ ٢٥٥)، في المطبوع: «وقرأ ابن جني» بدل «وقال»، وهو خطأ.

وقرأ عاصم: ﴿ٱلرِّيَـٰحَ﴾ جماعة، ﴿بُشْرًا﴾ بالباء المضمومة والشين الساكنة(١).

وروي عنه: (بُشُراً) بضم الباء والشين، وقرأ بها ابن عباس والسلمي وابن أبي عبلة.

وقرأ محمد بن السَّمَيْفَع وابن قُطيب: (بُشرى)، على وزن فعلى بضم الباء، ورويت عن أبي يحيى وأبي نوفل.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: (بَشْراً) بفتح الباء وسكون الشين، قال الزهراوي: ورويت هذه عن عاصم(٢).

ومن جمع الريح في هذه الآية فهو أسعدُ، وذلك أن الرياح حيث وقعت في القرآن فهي مقترنة بالرحمة، كقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: ٤٥]، وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الروم: ٤٨].

وأكثر ذكر الريح مفردة إنما هو بقرينة عذاب، كقوله: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]، وقوله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦]، وقوله: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٤] نحا هذا المنحى يحيى بن يعمر وأبو عمرو بن العلاء وعاصم، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ كان إذا هبت الريح يقول: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»(٣).

---

(١) هذه أربع قراءات سبعية متواترة، انظرها في التيسير (ص: ١١٠)، وانظر العزو لبعض من ذكر أبو حاتم من غير السبعة في تفسير الثعلبي (٤/ ٢٤٢)، والبحر المحيط (٥/ ٧٦)، والكامل للهذلي (ص: ٥٥٣)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٥٨)، ومختصر الشواذ (ص: ٤٩).

(٢) هذه ثلاث قراءات شاذة بالباء، انظر أكثرها في المحتسب (١/ ٢٥٥)، إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٥٨)، البحر المحيط (٥/ ٧٦).

(٣) ضعيف، أخرجه مسدد في مسنده كما في المطالب العالية (٣٣٧٨)، وأبو يعلى (٢٤٥٦)، والطبراني في الكبير (١١٥٣٣) من طريق الحسين بن قيس، عن عكرمة، عن ابن عباس بلفظ: كان النبي ﷺ إذا ثارت ريح استقبلها وجثا على ركبتيه وقال: «اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا...»، وإسناده ضعيف؛ =

قال القاضي أبو محمد: والمعنى في هذا كله بيِّن، وذلك أن ريح السقيا والمطر إنما هي منتشرة لينة تجيء من هاهنا ومن هاهنا وتتفرق، فيحسن من حيث هي منفصلة الأجزاء متغايرة المهب يسيراً أن يقال لها: رياح، وتوصفَ بالكثرة، وريح الصر والعذاب عاصفة صرصر جسدٌ واحد شديدة الـمَر، مهلكة بقوتها وبما تحمله أحياناً من الصر المحرق، فيحسن من حيث هي شديدة الاتصال أن تسمى ريحاً مفردة، وكذلك أُفردت الريح في قوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢] من حيث جري السفن إنما جرت بريح متصلة كأنها شيء واحد، فأفردت لذلك ووصفت بالطيب إزالة الاشتراك بينها وبين الريح المكروهة، وكذلك ريح سليمان عليه السلام إنما كانت تجري بأمره أو تعصف في قفوله وهي متصلة، وبعد فمن قرأ في هذه الآية: ﴿الريح﴾ بالإفراد، فإنما يريد به اسم الجنس، وأيضا فتقييدها بـ(نشر) يزيل الاشتراك.

و«الإرسال في الريح»: هو بمعنى الإجراء والإطلاق والإسالة، ومنه الحديث: «فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»(١).

والريح تجمع في القليل أرواح وفي الكثير رياح؛ لأن العين من الريح واو انقلبت في الواحد ياء للكسر الذي قبلها، وكذلك في الجمع الكثير، وصحت في القليل لأنه لا شيء فيه يوجب الإعلال.

وأما ﴿نُشُراً﴾ بضم النون والشين، فيحتمل أن يكون جمع ناشر على النسب؛ أي: ذات نشر من الطي، أو نُشور من الحياة، ويحتمل ﴿نُشُراً﴾ أن يكون جمع نَشور بفتح النون وضم الشين، كرسول ورسل وصبور وصبر وشكور وشكر.

= من أجل الحسين بن قيس الرحبي فإنه متروك، وأخرجه الشافعي في مسنده (١/ ٨١) قال أخبرنا من لا أتهم أخبرنا العلاء بن راشد عن عكرمة عن بن عباس به بنحوه. قال الربيع بن سليمان: الشافعي إذا قال: أخبرني من لا أتهم يريد به إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي وإذا قال: أخبرني الثقة، يريد به يحيى بن حسان. اهـ. قلت: وإبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي متروك.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

ويحتمل ﴿نُشُراً﴾ أن يكون كالمفعول بمعنى منشور، كرَكوب بمعنى مركوب، ويحتمل أن يكون من أبنية اسم الفاعل لأنها تنشر السحاب، وأما مثال الأول في قولنا:

[٢/ ١٤٧] ناشر ونشر، فشاهد وشهد ونازل ونزل، كما قال الشاعر / :

[البسيط] .... أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُزُلُ[1]

وقاتِلٌ وقتُلٌ، ومنه قول الأعشى:

[البسيط] .... إِنَّا لأَمْثَالِكُمْ يَا قَوْمَنَا قُتُلُ[2]

وأما من قرأ: ﴿نُشْراً﴾ بضم النون وسكون الشين فإنما خفف الشين من قوله: ﴿نُشُراً﴾.

وأما من قرأ: ﴿نَشْراً﴾ بفتح النون وسكون الشين فهو مصدر في موضع الحال من ﴿الريح﴾، ويحتمل في المعنى أن يراد به من النشر الذي هو خلاف الطيّ كأن الريح مع هبوب نشر، ودون هبوب طيّ[3]، ويحتمل أن يكون من النشر الذي هو الإحياء، كما قال الأعشى:

[السريع] .... يَا عَجَباً لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ[4]

وأما من قرأ: (نَشَراً) بفتح النون والشين، وهي قراءة شاذة، فهو اسم وهو على النسب، قال أبو الفتح: أي ذوات نشر[5]، والنّشر أن تنتشر الغنم بالليل فترعى، فشبه السحاب، في انتشاره وعمومه بذلك.

وأما (بشُراً) بضم الباء والشين فجمع بشير كنذير ونذر، و﴿بُشْرًا﴾ بسكون

---

(١) البيت للأعشى كما تقدم في تفسير الآية (١٠١) من سورة النساء.

(٢) صدر البيت: كَلا زَعَمْتُمْ بِأَنَّا لا نُقَاتِلُكُمْ، وهو كالذي قبله من معلقته انظر عزوه له في شرح المعلقات التسع (ص: ٣٥)، والحجة للقراء السبعة (٤/ ٣٧)، والمخصص (٢/ ٤١٨)، وتهذيب اللغة (٣/ ٤٠٨).

(٣) هكذا في السليمانية وهامش فيض الله مصححاً، وهو ساقط من لااليه والحمزوية ونور العثمانية، وفي الأصل ونجيبويه: «كأن بقاء الريح دون هبوب طيّ»، وفي المطبوع: «كل بقاء الريح بدون هبوب طيّ».

(٤) تقدم في تفسير الآية (٢٥٩) من سورة البقرة.

(٥) في المحتسب (١/ ٢٥٦).

الشين مخفف منه و(بَشْراً) بفتح الباء وسكون الشين مصدر، و(بُشرى) مصدر أيضاً في موضع الحال.

و«الرحمة» في هذه الآية المطر، و﴿ بَيْنَ يَدَىْ ﴾: أي: أمام رحمته وقدامها، وهي هنا استعارة، وهي حقيقة فيما بين يدي الإنسان من الأجرام.

و﴿أَقَلَّتْ﴾ معناه: رفعت من الأرض واستقلت بها، ومنه: المُقِلَّة[١]، وكأن المقل يرد ما رفع قليلاً إذا قدر عليه.

و﴿ثِقَالًا﴾ معناه: من الماء، والعرب تصف السحاب بالثقل والدلح، ومنه قول قيس بن الخطيم:

[المتقارب]

بأحسنَ منها ولا مُزنةٌ دَلوحٌ تكشَّفُ أَدْجانُها[٢]

والريح تسوق السحاب من ورائها، فهو سوقٌ حقيقةً.

والضمير في ﴿سُقْنَٰهُ﴾ عائد على السحاب، واستند الفعل إلى ضمير اسم الله تعالى من حيث هو إنعام، وصفة البلد بالموت استعارة بسبب سعته وجدوبته وتصويح نباته.

وقرأ أبو عمرو وعاصم والأعمش: ﴿لبلدٍ ميْتٍ﴾ بسكون الياء وشدها الباقون[٣].

والضمير في قوله: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾ يحتمل أن يعود على السحاب أي منه، ويحتمل أن يعود على البلد، ويحتمل أن يعود على الماء وهو أظهرها، وقال السدي في تفسير هذه الآية: إن الله تعالى يرسل الرياح فتأتي بالسحاب من بين الخافقين طرف السماء والأرض حيث يلتقيان فتخرجه من ثم، ثم تنشره فتبسطه في السماء ثم تفتح أبواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم تمطر السحاب بعد ذلك[٤].

---

(١) في المطبوع: «القلة».
(٢) تقدمت نسبته له في الآية (١٩) من سورة البقرة.
(٣) وهما سبعيتان، لكن العزو غير دقيق، فالأولى لابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، والثانية للباقين، انظر: التيسير (ص: ٨٧).
(٤) تفسير الطبري (١٢/ ٤٩٣).

قال القاضي أبو محمد: وهذا التفصيل لم يثبت عن النبي ﷺ.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ يحتمل مقصدين، أحدهما: أن يراد كهذه القدرة العظيمة في إنزال الماء وإخراج الثمرات به من الأرض المجدبة هي القدرة على إحياء الموتى من الأجداث، وهذه مثال لها، ويحتمل أن يراد أن هكذا يصنع بالأموات من نزول المطر عليهم حتى يحيوا به، فيكون الكلام خبراً لا مَثَلاً.

وهذا التأويل إنما يستند إلى الحديث الذي ذكره الطبري عن أبي هريرة: «أن الناس إذا ماتوا في النفخة الأولى مطر عليهم مطر من ماء تحت العرش يقال له ماء الحيوان أربعين سنة، فينبتون كما ينبت الزرع، فإذا كملت أجسادهم نفخ فيهم الروح، ثم تلقى عليهم نومة فينامون، فإذا نفخ في الصور الثانيةَ قاموا وهم يجدون طعم النوم، فيقولون: ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾، فيناديهم المنادي: ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾»[1].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾ آية متمِّمة للمعنى الأول في الآية قبلها معرِّفة بعادة الله تعالى في إنبات الأرضين، فمن أراد أن يجعلها مثالاً لقلب المؤمن وقلب الكافر فذلك كله مرتب، لكن ألفاظ الآية لا تقتضي أن المثال قصد بذلك، والتمثيل بذلك حكاه الطبري عن ابن عباس[2] ومجاهد وقتادة والسدي[3]، وقال النحاس: هو مثال للفهيم وللبليد[4].

و﴿ٱلطَّيِّبُ﴾: هو الجيد التراب الكريم الأرض، وخص بإذن ربه مدحاً وتشريفاً،

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٩٣-٤٩٤)، برقم (١٤٧٨٤) بدون إسناد.

(٢) أخرجه الطبري (١٤٧٨٦)، وابن أبي حاتم (٨٦١٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بلفظ: فهذا مثل ضربه الله للمؤمن، يقول: هو طيب، وعمله طيب، كما البلد الطيب ثمره طيب، ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المالحة التي يخرج منها النز، فالكافر هو الخبيث، وعمله خبيث.

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ٤٩٦-٤٩٧).

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٥٨).

وهذا كما تقول لمن تغض منه: أنت كما شاء الله، فهي عبارة تعطي مبالغة في مدح أو ذم، ومن هذا قوله تعالى: ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥] على بعض التأويلات، والخبيث هو السباخ ونحوها من رديء الأرض.

وقرأ ابن أبي عبلة وأبو حيوة وعيسى بن عمر: (يخرج نباته) بضم الياء وكسر الراء ونصب التاء[١]، والنكِد: العسير القليل، ومنه قول الشاعر:

لا تُنْجِزُ الوعْدَ إنْ وَعَدْتَ وإن ... أَعْطَيْتَ أَعْطَيْتَ تَافِهاً نَكِدَا[٢] [المنسرح]

ونكد الرجل: إذا سأل إلحافاً وأخجل، ومنه قول الشاعر:

وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَهُ طَيِّباً ... لا خَيْرَ فِي المَنْكُودِ والنَّاكِدِ[٣] [السريع]

وقرأ جمهور الناس وجميع السبعة: ﴿نَكِدًا﴾ بفتح النون وكسر الكاف، وقرأ طلحة بن مصرف: (نَكْداً) بتخفيف الكاف وفتح النون[٤].

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع: ﴿نَكَدا﴾ بفتح النون والكاف[٥].

وقال الزجّاج: وهي قراءة أهل المدينة[٦].

﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾: أي: هكذا نبين الأمور.

و﴿يَشْكُرُونَ﴾ معناه: يؤمنون ويثنون بآلاء الله.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٥٨)، ومختصر الشواذ (ص/ ٤٩)، والكامل للهذلي (ص: ٥٥٣).

(٢) البيت في مجاز القرآن (١/ ٢١٧) وتفسير الطبري (١٢/ ٤٩٥) بلا نسبة.

(٣) البيت من قصيدة لأعشى همدان مطلعُها:

هل تعرف الدارَ عفا رسمُها ... بالْحَضْرِ فالروضةِ من آمِدِ

كما في الأغاني (٦/ ٥٥).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٠).

(٥) وهي قراءة عشرية، انظر: النشر لابن الجزري (٢/ ٣٠٤).

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٤٦).

قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

اللام لام القسم، قال الطبري: أقسم الله تعالى أنه أرسل نوحاً[١]، وقالت فرقة من المفسرين: سمي نوحاً لأنه كان ينوح على نفسه[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف.

قال سيبويه: نوح ولوط وهود أسماء أعجمية إلا أنها خفيفة[٣] فلذلك صرفت[٤].

وهذه نذارة من نوح لقومه، دعاهم إلى عبادة الله وحده ورفض آلهتهم المسماة وداً وسواعاً ويغوث ويعوق، وغيرها مما لم يشتهر.

وقرأ الكسائي وحده: ﴿غيرِه﴾ بالكسر من الراء، على النعت لـ﴿إِلَٰهٍ﴾، وهي قراءة يحيى بن وثاب والأعمش وأبي جعفر.

وقرأ الباقون: ﴿غَيْرُهُۥٓ﴾ بالرفع[٥].

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿هل من خالق غيرِ الله﴾ [فاطر: ٣] خفضاً، وقرأ الباقون: ﴿غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ / رفعاً[٦]. [٢/ ١٤٨]

---

(١) انظر: الطبري (١٢/ ٤٩٨).

(٢) انظر: تفسير الماوردي (٦/ ٩٨).

(٣) تحرفت في المطبوع والحمزوية ولالاليه إلى: «حقيقة».

(٤) لفظه في الكتاب (٣/ ٢٣٥): وأما نوحٌ وهودٌ ولوطٌ فتنصرف على كل حال لخفتها.

(٥) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٠)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٠٤)، وانظر إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٥٩).

(٦) وهما سبعيتان، انظر: التيسير للداني (ص: ١٨٢)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ٢٨٤).

والرفع في قراءة الجماعة هنا هو على البدل من قوله: ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ﴾ لأن موضع قوله: ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ﴾ رفع، وهو الذي رجح الفارسي[١]، ويجوز أن يكون نعتاً على الموضع لأن التقدير: ما لكم إلهٌ غيره، أو يقدر (غير) بـ«إلا» فيعرب بإعراب ما يقع بعد «إلا».

وقرأ عيسى بن عمر: (غيره) بنصب الراء[٢] على الاستثناء، قال أبو حاتم: وذلك ضعيف من أجل النفي المتقدم.

وقوله: ﴿عَذَابَ﴾؛ يحتمل أن يريد به عذاب الدنيا، ويحتمل أن يريد به عذاب الآخرة.

و﴿ٱلْمَلَأُ﴾: الجماعة الشريفة، قال الطبري: لا امرأة فيهم[٣]، وحكاه النقاش عن ثعلب في الملأ والرهط والنفر والقوم[٤]، وقيل: هم مأخوذون من أنهم يملؤون النفس والعين، ويحتمل أن يكون من أنهم إذا تمالؤوا على أمرٍ تم.

وقال سلمة بن سلامة بن وَقْش الأنصاري عند قفول رسول الله ﷺ من غزوة بدر: إنما قتلنا عجائز صلعاً، فقال له النبي ﷺ: «أولئك الملأ من قريش لو حضرت أفعالهم لاحتقرت فعلك»[٥].

والملأ: صفة غالبة وجمعه: أملاء[٦]، وليس من باب رهط وإن كانا اسمين

(١) في الحجة (٤/ ٤٠).

(٢) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٥٩)، وتضعيف أبي حاتم لم أقف عليه.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٥٠٠).

(٤) مثله عن ثعلب في خزانة الأدب (٧/ ٢٩٢)، وتفسير النقاش غير متوفر.

(٥) أورده ابن هشام في السيرة (١/ ٦٤٣-٦٤٤) عن ابن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، ويزيد بن رومان لما ارتحل رسول الله ﷺ، حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين، فقال لهم سلمة بن سلامة ما الذي تهنئوننا به؟ فو الله إن لقينا إلا عجائز صلعا كالبدن المعقلة، فنحرناها، فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: أي ابن أخي، أولئك الملأ.

(٦) كتبت في الأصل: «الملأ»، وفي نجيبويه: «الملاء».

للجمع؛ لأن رهط لا واحد له من لفظه، و«ملأ» يوجد من لفظه: مالئ، قال أحمد بن يحيى: المالئ الرجل الجليل الذي يملأ العين بجهرته[١]، فيجيء كعازب وخادم ورائح، فإن أسماء جموعها عزب وخدم وروح، وإن كانت اللفظة من تمالأ القوم على كذا فهي مفارقة باب رهط، ومنه قول علي رضي الله عنه: ما قتلتُ عثمان ولا مالأت في دمه[٢].

[وقرأ ابن عامر][٣]: (المَلَوُ) بواو وكذلك هي في مصاحف الشام[٤].

وقولهم: ﴿لَنَرَىٰكَ﴾ يحتمل أن يجعل من رؤية البصر، ويحتمل من رؤية القلب وهو الأظهر و﴿فِى ضَلَـٰلٍ﴾ أي: في إتلاف وجهالة بما تسلك.

وقوله لهم جواباً عن هذا: ﴿لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ﴾ مبالغة في حسن الأدب والإعراض عن الجفاء منهم، وتناولٌ رفيق وسعة صدر حسبما يقتضيه خلق النبوة.

وقوله: ﴿وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ﴾ تعرض لمن يريد النظر والبحث والتأمل في المعجزة.

قال القاضي أبو محمد: ونقدِّر ولا بد أن نوحاً عليه السلام وكلَّ نبي مبعوث إلى الخلق كانت له معجزة تخرق العادة، فمنهم من عرِّفنا بمعجزته ومنهم من لم نعرف.

وقرأ السبعة سوى أبي عمرو: ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ بشد اللام وفتح الباء، [وقرأ أبو عمرو وحده: ﴿أبْلِغكم﴾][٥] بسكون الباء وتخفيف اللام[٦].

---

(١) نقله ابن سيده في المحكم (١٠/ ٤١٥)، وفي نجيبويه: «بجهدته».

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٩٧٢) من طريق طاوس، عن ابن عباس، عن علي رضي الله عنه. وإسناده صحيح.

(٣) في المطبوع: «وقال ابن عباس»، وفي نجيبويه: «وقرأ ابن عباس».

(٤) انظر رسمها في المقنع (ص: ٦٢)، وفي البحر المحيط (٥/ ٨٢): «قال ابن عطية: قرأ ابن عامر الملو بالواو، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام. اهـ، وليس مشهوراً عن ابن عامر، بل قراءته كقراءة باقي السبعة بهمزة»، والظاهر أنه التبس عليه بما سيأتي في قصة صالح.

(٥) يراجع في الأصل.

(٦) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٠)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ٢٨٤).

وقوله عليه السلام: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وإن كان لفظاً عامّاً في كل ما علمه، فالمقصود منه هنا المعلومات الـمَخُوفات عليهم، لا سيما وهم لم يسمعوا قط بأمة عذبت، فاللفظ مضمن الوعيد.

قوله عز وجل: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

هذه ألف استفهام دخلت على الواو العاطفة، والاستفهام هنا بمعنى التقرير والتوبيخ، وعجبهم الذي وقع إنما كان على جهة الاستبعاد والاستمحال، هذا هو الظاهر من قصتهم.

وقوله: ﴿عَلَىٰ﴾؛ قيل: هي بمعنى «مع»، وقيل: هو على حذف مضاف تقديره: على لسان رجل منكم.

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أن يكون المجيء بنفسه في هذا الموضع يصل بـ﴿عَلَىٰ﴾ إذ كل ما يأتي من الله تعالى فله حكم النزول، فكأن ﴿جَآءَكُمْ﴾ معناه: نزل، فحسُن معه أن يقال: ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ﴾.

واللام في ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ لام «كي»، وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾ ترجّ بحسب حال نوح ومعتقده؛ لأن هذا الخبر إنما هو من تلقاء نوح عليه السلام.

وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ الآية، أخبر الله عنهم أنهم بعد تلطفه بهم كذبوه فأنجاه الله والمؤمنين به في السفينة وهي الفلك.

و﴿ٱلْفُلْكِ﴾ [لفظ واحد][(١)] للجمع والمفرد، وليس على حدِّ جنبٍ ونحوه، لكنْ فُلْكٌ للواحد كسِّر على فُلْكٍ للجميع، فضمة الفاء في الواحد ليست هي في الجمع، وفُعْلٌ بناء تكسير مثل أَسَد وأُسْد، ويدل على ذلك قولهم في التثنية: فُلْكان.

(١) ساقط من المطبوع.

وفي التفسير: أن الذين كانوا مع نوح في السفينة أربعون رجلاً، وقيل: ثمانون، وقيل: عشرة، فهم أولاده يافث وسام وحام، وفي كثير من كتب الحديث للترمذي وغيره: أن جميع الخلق الآن من ذرية نوح عليه السلام[1]، وقاله الزهري في كتاب النقاش، وفي القرآن: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾[2].

قال القاضي أبو محمد: فيحتمل أن يكون سائر العشرة أو الأربعين حسب الخلاف حفدة لنوح ومن ذريته، فتجتمع الآية والحديث، ويحتمل أن من كان في السفينة غير بنيه لم ينسُل، وقد روي ذلك[3]، وإلا لكان بين الحديث والآية تعارض.

وقوله: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يقتضي أن نوحاً عليه السلام كانت له آيات ومعجزات.

وقوله: ﴿عَمِينَ﴾ وزنه فَعِلِين وهو جمع عَمٍ وزنه فَعِلٌ، ويريد عمى البصائر.

وروي عن ابن عباس أن نوحاً بعث ابن أربعين سنة[4]، قال ابن الكلبي: بعد آدم بثمان مئة سنة، وجاء بتحريم البنات والأخوات والأمهات والخالات والعمات، وقال

---

(١) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الترمذي (٣٢٣٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٢/ ٢٧٦) من طريق قتادة عن الحسن عن سمرة: عن النبي ﷺ في قول الله ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ قال: «حام وسام ويافث»، وهذا سند ضعيف؛ من أجل عنعنة قتادة فإنه مدلس ولا يُقبل حديثه إلا إذا صرح بالتحديث، وللخلاف الذي في رواية الحسن عن سمرة.

(٢) انظر هذه الأقوال في تاريخ الطبري (١/ ١١٢)، وفي المطبوع: «وقال الزهري».

(٣) أخرج ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (٩/ ٢٤٧) عن عبد الله بن يزيد الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ ما كان مع نوح إلا أربعة أولاد؛ حام وسام ويافث وكوش، فذلك أربعة أولاد انتسلوا هذا الخلق».

(٤) ضعيف، هذا الأثر أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٦١٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٧٦٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤٥) من طريق حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف ابن مهران، عن ابن عباس رضي الله عنهما، موقوفاً، قال: بعث نوح وهو لاربعين سنة ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس ونموا، وهذا إسناد ضعيف من أجل علي بن زيد بن جدعان، فإنه ضعيف، وجاءت رواية الحاكم مرفوعة.

وهب بن منبه: بعث نوح وهو ابن أربع مئة سنة[١]، وقيل بعث ابن ثلاث مئة سنة، وقيل ابن خمسين سنة.

وروي أنه عُمِّر بعد الغرق ستين سنة، وروي أن الطوفان كان سنة ألف وست مئة من عمره عليه السلام، وأتى في حديث الشفاعة وغيره: أن نوحا أول نبي بعث إلى الناس[٢].

وأتى أيضاً أن إدريس قبل نوح ومن آبائه[٣] وذلك يجتمع بأن تكون بعثة نوح مشتهرة لإصلاح الناس وحملهم بالعذاب والإهلاك على الإيمان، فالمراد أنه أول نبي بعث على هذه الصفة.

قوله عز وجل: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ / أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾. [٢/ ١٤٩]

﴿عَادٍ﴾ اسم الحي، و﴿أَخَاهُمْ﴾ نصب بـ﴿أَرْسَلْنَا﴾، فهو معطوف على «نوح»، وهذه أيضاً نذارة من هود عليه السلام لقومه.

وتقدم الخلاف في قراءة ﴿غَيْرُهُۥٓ﴾.

وقوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ استعطاف إلى التقى والإيمان.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ الآية، تقدم القول في مثل هذه المقالة آنفاً.

---

(١) انظر القولين في الهداية لمكي (٤/ ٢٤١٤).

(٢) البخاري (٣٣٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) لا يصح، أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٤٠) من طريق الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال: أول نبي بعث في الأرض بعد آدم إدريس وهو خنوخ بن يرذ وهو اليارذ وكان يصعد له في اليوم من العمل ما لا يصعد لبني آدم في الشهر، فحسده إبليس وعصاه قومه فرفعه الله إليه مكاناً علياً. ومحمد بن السائب بن بشر الكلبي أبو النضر الكوفي متهم بالكذب. وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٢٩) من طريق الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بلفظ آخر.

و«السفاهة» مصدر عبر به عن الحال المهلهلة الرقيقة التي لا ثبات لها ولا جودة، والسفه في الثوب خفة: نسجه، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] مَشَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ أَعَالِيهَا مَرُّ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ[١]

وقولهم: ﴿لَنَظُنُّكَ﴾ هو ظن على بابه؛ لأنهم لم يكن عندهم إلا ظنون وتخرص.

وتقدم الخلاف في قوله: ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾.

وقوله: ﴿أَمِينٌ﴾ يحتمل أن يريد: على الوحي والذكر النازل من قبل الله عز وجل.

ويحتمل أن يريد: أنه أمين عليهم وعلى غيبهم وعلى إرادة الخير بهم، والعرب تقول: فلان لفلان ناصح الجيب أمين الغيب، ويحتمل أن يريد به: أمين من الأمن، أي: جهتي ذات أمن لكم من الكذب والغش.

قوله عز وجل: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

قد تقدم القول في مثل قوله ﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾ والذكر لفظ عام للمواعظ والأوامر والنواهي.

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوٓا۟﴾ الآية، تعديد للنعم عليهم.

و﴿خُلَفَآءَ﴾ جمع خليف كظريف وظرفاء، وخليفة جمعه خلائف، والعرب تقول: خليفة وخلائف، وأنشد أبو علي:

[البسيط] فَإِنْ يَزُلْ زائِلٌ يُوجَدْ خليفَتُهُ وَمَا خَلِيفُ أَبِي وَهْبٍ بمَوْجود[٢]

---

(١) تقدم التعليق على هذا البيت عند استشهاد المصنف به في الآية (١٣) من سورة البقرة.

(٢) في غير الحجة، والبيت لأوس بن حجر في أمالي اليزيدي (ص: ٥٥)، والمحكم (٥/ ١٩٧)، وإيضاح شواهد الإيضاح (٢/ ٨٤١).

قال السدي وابن إسحاق: والمعنى: جعلكم سُكَّاناً في الأرض بعد قوم نوح[١].

وقوله: ﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗ﴾ أي: في الخلقة، و«البصطة»: الكمال في الطول والعرض، وقيل: زادكم على أهل عصركم، قال الطبري: المعنى: زادكم على قوم نوح، وقاله قتادة[٢].

قال القاضي أبو محمد: واللفظ يقتضي أن الزيادة هي على جميع العالم، وهو الذي يقتضي ما يذكر عنهم، وروي أن طول الرجل منهم كان مئة ذراع، وطول أقصرهم ستون ونحو هذا.

و«الآلاء»: جمع «إلىً» على مثال مِعىً، وأنشد الزجّاج:

أبـيـض لا يـرهـبُ الـهُـزَالَ ولا يَـقْطَـعُ رِحْماً وَلا يخُـونُ إلى[٣] [المنسرح]

وقيل: واحد الآلاء: «ألاً» على مثال «قفاً»، وقيل: واحدها «إليٌ»، على مثال «حِسْيٍ»[٤]، وهي النعمة والمنة.

و﴿تُفۡلِحُونَ﴾: معناه تدركون البغية والآمال.

قال الطبري: وعاد هؤلاء فيما حدث ابن إسحاق من ولد عاد بن إرم بن عوص ابن سام بن نوح، وكانت مساكنهم الشحر من أرض اليمن، وما والى حضرموت إلى عمان[٥].

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٥٠٥).
(٢) انظر: المصدر السابق (١٢/ ٥٠٥).
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٤٨)، والبيت للأعشى كما في مجاز القرآن (١/ ٢١٨)، والزاهر (٢/ ١١٠)، والمحكم (١٠/ ٣٩٤)، ومقاييس اللغة (١/ ٢١)، وسمط اللآلي (١/ ٤٩) وغيرهم. وفي الأصل ونجيبويه: «لا يذهب الهزال»، وفي فيض الله ونور العثمانية والسليمانية: «لا يوهِب».
(٤) في السليمانية وفيض الله: «حبى».
(٥) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٤٨-٤٤٩) من طريق محمد بن حميد الرازي، عن سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق به، ومحمد بن حميد الرازي متهم.

وقال السدي: وكانوا بالأحقاف وهي الرمال، وكانت بلادهم أخصب بلاد فردها الله صحارى[١]، وقال علي بن أبي طالب: إن قبر هود عليه السلام هنالك في كثيب أحمر يخالطه مدرة ذات أراك وسدر[٢]، وكانوا قد فشَوا في جميع الأرض وملكوا كثيراً بقوتهم وعددهم وظلموا الناس، وكانوا ثلاث عشرة قبيلة، وكانوا أصحاب أوثان منها ما يسمى: صداء، ومنها صمودا، ومنها الهنا[٣]، فبعث الله إليهم هودا من أفضلهم وأوسطهم نسباً، فدعاهم إلى توحيد الله وإلى ترك الظلم.

قال ابن إسحاق: لم يأمرهم فيما يذكر بغير ذلك، فكذبوه وعتوا واستمر ذلك منهم إلى أن أراد الله إنفاذ أمره أمسك عنهم المطر ثلاث سنين، فشَقُوا بذلك، وكان الناس في ذلك الزمان إذا همهم[٤] أمر فزعوا إلى المسجد الحرام بمكة فدعوا الله فيه تعظيما له مؤمنهم وكافرهم، وأهل مكة يومئذ العماليق، وسيدهم رجل يسمى: معاوية بن بكر.

فاجتمعت عاد على أن تجهز منهم وفداً إلى مكة يستسقون الله لهم، فبعثوا قيلَ ابنَ عنزٍ[٥] ولقيم بن هزال وعثيل[٦] بن ضدس بن عاد الأكبر، ومرثد[٧] بن سعد بن

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٢٥)، وتفسير عبد الرزاق (٣/ ٢١٧)، وتفسير الطبري (١٢/ ٥٠٧).

(٢) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٥٠٧)، والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ١٣٥) من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزاعي، عن أبي الطفيل عامر ابن واثلة، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بنحوه بلفظ مطول، ومحمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزاعي ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (١/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٧/ ٢٩٧)، وابن حبان في الثقات (٥/ ٣٧٦) ولم يذكروا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٦/ ١٣٨) من طريق الأصبغ بن نباتة، عن علي رضي الله عنه به، بلفظ مطول، والأصبغ بن نباتة قال فيه ابن حبان: وهو ممن فتن بحب علي، أتى بالطامات في الروايات فاستحق من أجلها الترك.اهـ، انظر ترجمته في المجروحين (١/ ١٧٣-١٧٤)، والكامل (١/ ٤٠٧).

(٣) في المطبوع: «الهبا».

(٤) في لالاليه ونجيبويه: «دهمهم».

(٥) في المطبوع: «عير».

(٦) في المطبوع والسليمانية وفيض الله: «عقيل».

(٧) في فيض الله: «مربد».

عفير(١)، وكان هذا مؤمناً يكتم إيمانه، وجُلهمة بن الخبيري(٢) في سبعين رجلاً من قومهم.

فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجاً من الحرم، فأنزلهم وأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتا معاوية، ولما رأى معاوية طول(٣) إقامتهم وقد بعثتهم عاد للغوث، أشفق على عاد، وكان ابن أختهم أمه كلهدة بنت الخبيري أخت(٤) جلهمة، وقال: هلك أخوالي، وشق عليه أن يأمر أضيافه بالانصراف عنه، فشكا ذلك إلى قينة فقالت: له اصنع شعراً نغني به عسى أن ننبههم فقال:

[الوافر]

أَلا يَا قَيْلَ، ويْحَكَ! قُمْ فَهَيْنِمْ ... لَعَلَّ اللهَ يُصْحِبُنَا غَمَامَا
فَيَسْقِي أَرْضَ عَادٍ، إنَّ عَاداً ... قَدَ امْسَوا لا يُبِينُونَ الكَلامَا
مِنَ الْعَطَشِ الشَّدِيدِ، فَلَيْسَ نَرْجُو ... بِهِ الشَّيْخَ الكَبِيرَ وَلا الغُلامَا
وَقد كَانَتْ نِسَاؤُهُمُ بِخَيْرٍ ... فَقَدْ أَمْسَتْ نِسَاؤُهُمُ عَيَامَى
وَإنَّ الْوَحْشَ تَأتِيهِمْ جِهَاراً ... وَلا تَخْشَى لِعَادِيٍّ سِهَامَا
وَأَنْتُمْ هَا هُنَا فِيمَا اشْتَهَيْتُمْ ... نَهَارَكُمُ وَلَيْلَكُمُ التَّمَامَا
فَقُبِّحَ وَفْدُكُمْ مِنْ وَفْدِ قَوْمٍ ... وَلا لُقُّوا التَّحِيَّةَ وَالسَّلامَا(٥)

فغنت به الجرادتان فلما سمعه القوم قال بعضهم يا قوم: إنما بعثكم قومكم لما حل بهم، فادخلوا هذا الحرم وادعوا لعل الله يغيثهم فخرجوا لذلك، فقال لهم مرثد بن سعد: إنكم والله ما تسقون بدعائكم، ولكنكم إن أطعتم نبيكم وآمنتم به سقيتم، وأظهر إيمانه يومئذٍ، فخالفه الوفد، وقالوا لمعاوية بن بكر وأبيه بكر: احبسا عنا مرثدا ولا يدخل معنا الحرم، فإنه قد اتبع هوداً، ومضوا إلى مكة، فاستسقى قيلُ بن عنز، وقال: يا إلهنا

(١) في السليمانية وفيض الله: «عمير».
(٢) في المطبوع ونجيبويه ولالاليه: «الخيبري»، وفي فيض الله: «الخبيريري».
(٣) من المطبوع.
(٤) «أخت»: ساقطة من المطبوع، وفيه: «الخيبري».
(٥) الأبيات لمعاوية بن بكر كما في تفسير الطبري (١٢/ ٥١٠)، وجمهرة أشعار العرب (١/ ٦).

[٢/ ١٥٠] إن كان هود صالحاً[١] فاسقنا فإنّا قد هلكنا، فأنشأ الله سحائب / ثلاثاً: بيضاء وحمراء وسوداء، ثم ناداه مناد من السحاب: يا قيلُ، اختر لنفسك وقومك من هذا السحاب، فقال قيلُ: قد اخترت السوداء فإنها أكثرها ماء، فنودي: اخترت رماداً رِمْدِداً لا تبقي من عاد أحداً، لا والداً ولا ولداً، إلا جعلتهم همداً.

وساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيلٌ إلى عاد، حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له: المغيث، فلما رأوها قالوا: هذا عارض ممطرنا، حتى عَرفت أنها ريح امرأةٌ من عاد يقال لها: مهد[٢]، فصاحت وصَعِقت، فلما أفاقت قيل لها: ما رأيت؟ قالت: رأيت ريحاً كشهب النار، أمامها رجال يقودونها، فسخرها الله عليهم ثمانية أيام حسوماً وسبع ليال، والحسوم الدائمة، فلم تدع من عاد أحداً إلا هلك، فاعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه من الريح إلا ما يلتذ به[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قَصَص وقع في تفسير الطبري مطولاً، وفيه اختلاف فاقتضبت عيون ذلك بحسب الإيجاز.

وفي خبرهم: أن الريح كانت تدمغهم[٤] بالحجارة، وترفع الظعينة عليها المرأةُ حتى تلقيها في البحر، وفي خبرهم: أن أقوياءهم كان أحدهم يسد بنفسه مهب الريح حتى تغلبه فتلقيه في البحر، فيقوم آخر مكانه حتى هلك الجميع.

وقال زيد بن أسلم: بلغني أن ضَبُعاً ربت أولادها في حِجَاج عين رجل منهم[٥].

وفي خبرهم: أن الله بعث ـ لما هلكت عادٌ ـ طيراً، وقيل: أسداً، فنقلت جيفهم

(١) في السليمانية وفيض الله ولالاليه ونجيبويه: «صادقاً».
(٢) في المطبوع: «مهدد».
(٣) نقله عن ابن إسحاق الطبري في تفسيره (١٢/ ٥٠٨) وما بعدها.
(٤) في السليمانية: «ترمقهم».
(٥) انظر: شعب الإيمان للبيهقي (٧/ ٤٠٤).

حتى طرحتها في البحر، فذلك قوله: ﴿فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾[١].

وفي بعض ما روي من شأنهم: أن الريح لم تبعث قط إلا بمكيال إلا يومئذ فإنها عتت[٢] على الخزنة فغلبتهم، فذلك قوله: ﴿فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾[٣].

وروي أن هوداً لما هلكت عاد نزل بمن آمن معه إلى مكة، فكانوا بها حتى ماتوا، فالله أعلم أي ذلك كان.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا﴾ الآية، ظاهر قولهم وحده أنهم أنكروا أن يتركوا أصنامهم ويفردوا العبادة لله مع إقرارهم بالإله الخالق المبدع، ويحتمل أن يكونوا منكرين لله ويكون قولهم: ﴿لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾ أي: على قولك يا هود، والتأويل الأول أظهر فيهم وفي عباد الأوثان كلهم، ولا يجحد ربوبية الله تعالى من الكفرة إلا من أفرطت غباوته كإربد بن ربيعة، وإلا من ادعاها لنفسه كفرعون ونمرود.

وقوله: ﴿فَأْتِنَا﴾ تصميم على التكذيب، واحتقار لأمر النبوءة، واستعجال للعقوبة.

وتمكن قولهم: ﴿تَعِدُنَآ﴾ لما كان هذا الوعد مصرَّحاً به في الشر، ولو كان ذكر الوعد مطلقاً لم[٤] يجئ إلا في خير.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾.

---

(١) الأحقاف: (٢٥)، وانظر: تاريخ الطبري (١/ ١٣٨)، وتفسيره (١٢/ ٥٢٠).

(٢) في المطبوع: «تمت».

(٣) الحاقة: (٦)، انظر: تاريخ الطبري (١/ ١٣٨)، وتفسيره أيضاً (١٢/ ٥٢٠).

(٤) في المطبوع: «لما».

أعلمهم بأن القضاء قد نفذ وحل عليهم الرجس وهو السخط والعذاب، يقال: رجس ورجز بمعنىً واحد، قاله أبو عمرو بن العلاء[١]، وقال الشاعر:

إِذَا سَـنةٌ كانـتْ بنَجْـدٍ مُحِيطَـةً فكانَ علَيْهِمْ رِجْسُهَا وعَذابُهَا[٢] [الطويل]

وقد يأتي «الرجس» أيضاً بمعنى النتَن والقذَر، ويقال في الرجيع: رجس وركس، وهذا الرجس هو المستعار للمحرمات، أي: ينبغي أن يجتنب كما يجتنب النتن، ونحوه في المعنى قول النبي ﷺ في خبر جهجاه الغفاري[٣] وسنان بن وَبَرة الأنصاري[٤] حين دعوا بدعوى الجاهلية: «دعوها فإنها منتنة»[٥].

وقوله: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾ إنما يريد أنهم يخاصمونه في أن تسمى آلهة، فالجدل إنما وقع في التسميات لا في المسميات، لكنه ورد في القرآن: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ﴾ [يوسف: ٤٠] فهنا لا يريد إلا ذوات الأصنام، فالاسم إنما يراد به المسمى نفسه.

قال القاضي أبو محمد: ومن رأى أن الجدل في هذه الآية إنما وقع في أنفس الأصنام وعبادتها تأول هذا التأويل، والاسم قد يَرِدُ في كلام العرب بمعنى التسمية، وهذا بابه الذي استعمله به النحويون، وقد يراد به المسمى ويدل عليه ما قاربه من القول، من ذلك قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى: ١] وقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٧٨]، على أن هذا يتأول، ومنه قول لبيد:

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٥٢١).

(٢) بلا نسبة في مسائل نافع بن الأزرق (ص: ٢٨٠)، والسَّنَة: الجدب والقحط، وتكون أيضاً: الأرض المجدبة.

(٣) جهجاه بن سعيد، وقيل: ابن قيس، وقيل: ابن مسعود، الغفاريّ، شهد بيعة الرضوان، توفي بعد عثمان بقليل، الإصابة (١/ ٦٢١).

(٤) سنان بن وبرة ـ أو وبر ـ، الجهنيّ، حليف بني الحارث بن الخزرج، صاحب المنازعة مع جهجاه بالمريسيع، الإصابة (٣/ ١٥٩).

(٥) أخرجه البخاري (٤٩٠٥) من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما.

إلى الْحَوْلِ ثمَّ اسْمُ السَّلام عَلَيْكُمَا[١] .... [الطويل]

على تأويلات في البيت، وقد مضت المسألة في صدر الكتاب و«السلطان»: البرهان.

وقوله: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ الآية وعيد وتهديد.

والضمير في قوله: (أنجيناه) عائد على (هود) أي: أخرجه الله سالماً ناجياً مع من اتبعه من المؤمنين برحمة الله وفضله، وخرج هود ومن آمن معه حتى نزلوا مكة فأقاموا بها حتى ماتوا.

﴿وَقَطَعۡنَا دَابِرَ﴾ استعارة تستعمل فيمن يستأصل بالهلاك، و«الدابر»: الذي يَدْبر القوم ويأتي خلفهم، فإذا انتهى القطع والاستئصال إلى ذلك فلم يبق أحد.

وقوله: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ دال على المعجزة وإن لم تتعين لها.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ الآية، هو ثمود بن غاثن[٢] بن إرم بن سام بن نوح أخو جديس بن غاثن.

وقرأ يحيى بن وثاب: (وإلى ثمودٍ) بكسر الدال وتنوينه في جميع القرآن[٣]، وصرفه على اسم الحي، وترك صرفه على اسم القبيلة، قاله الزجاج[٤]، وقال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡ﴾ [هود: ٦٨].

فالمعنى: وأرسلنا إلى ثمود أخاهم، فهو عطف على (نوح)، و«الأخوة» هنا أخوة القرابة، وقال الزجاج: يحتمل أن تكون أخوة الآدمية[٥]، وسمي أَخاهُمْ لما بعث إليهم، وهم قوم عرب، وهود وصالح عربيان، وكذلك إسماعيل وشعيب، كذا قال النقاش[٦].

---

(١) البيت للبيد وقد تقدم التعليق عليه في تفسير البسملة.

(٢) في المطبوع: «غائن»، وفي السليمانية وفيض الله: «عانق».

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (٤/ ٢٥١)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٦١)، ومختصر الشواذ (ص: ٥٠).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٤٧).

(٥) المصدر السابق.

(٦) لم أقف عليه.

وفي أمر إسماعيل عليه السلام نظر.

[٢/ ١٥١] وصالح عليه السلام هو صالح بن عبيد بن عامر بن إرم بن سام بن نوح / ، كذا ذكر مكي، وقال وهب: بعثه الله حين راهق الحلم[١]، ولما هلك قومه ارتحل بمن معه إلى مكة، فأقاموا بها حتى ماتوا، فقبورهم بين دار الندوة والحجر.

وقوله: ﴿بَيِّنَةٌ﴾ صفة حذف الموصوف[٢] وأقيمت مقامه، قال سيبويه: وذلك قبيح في النكرة أن تحذف وتقام صفتها مقامها، لكن إذا كانت الصفة كثيرة الاستعمال مشتهِرةً، وهي المقصود في الأخبار والأمم، زال القبح، كما تقول: جاءني عبد لبني فلان، وأنت تريد: جاءني رجل عبد؛ لأن عبداً صفة، فكذلك قوله هنا: ﴿بَيِّنَةٌ﴾، المعنى: آية أو حجة أو موعظة بينة، وقال بعض الناس: إن صالحاً جاء بالناقة من تلقاء نفسه، وقالت فرقة ـ وهي الجمهور ـ: بل كانت مقترحة.

قال القاضي أبو محمد: وهذا أليق بما ورد في الآثار من أمرهم، وروي أن بعضهم قال: يا صالح إن كنت صادقاً فادع ربك يخرجْ لنا من هذه الهضبة ـ وفي بعض الروايات: من هذه الصخرة، لصخرة بالحجر يقال لها: الكاثبة[٣] ـ ناقةً عُشَراء، قال: فدعا الله، فتمخضت تلك الهضبة وتنفضت وانشقت عن ناقة عظيمة، وروي: أنها كانت حاملاً فولدت سَقْبها المشهور، وروي أنه خرج معها فصيلها من الصخرة، وروي: أن جملاً من جمال ثَمُودَ ضربها فولدت فصيلها المشهور.

وقيل: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ تشريفاً لها وتخصيصاً، وهي إضافة خلق إلى خالق.

وقال الزجاج: وقيل: إنه أخذ ناقة من سائر النوق، وجعل الله لها شرباً يوماً ولهم شربُ يومٍ، وكانت الآية في شربها وحلبها[٤].

---

(١) انظر: الهداية الى بلوغ النهاية (٤/ ٢٤٣١).

(٢) في الأصل ونجيبويه: «المضاف».

(٣) في السليمانية وفيض الله: «الكانفة».

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٤٩).

قال القاضي أبو محمد: وحكى النقاش عن الحسن أنه قال: هي ناقة اعترضها من إبلهم ولم تكن تحلب[1]، والذي عليه الناس أقوى وأصح من هذا.

قال المفسرون: وكانت خلْقاً[2] عظيماً تأتي إلى الماء بين جبلين فيزحمانها من العظم، وقاسمت ثَمُودَ في الماء يوماً بيوم، فكانت تردُ يومها فتستوفي ماء بئرهم شرباً[3]، ويحلبونها ما شاؤوا من لبن، ثم تمكث يوماً وترد بعد ذلك غِبّاً، فاستمر ذلك ما شاء الله حتى ملَّتها ثَمُودُ وقالوا: ما نصنع باللبن؟ الماء أحب إلينا منه، وكان سبب الملل فيما روي أنها كانت تَصِيفُ في بطن الوادي وادي الحجر وتشتو في ظاهره فكانت مواشيهم تفر منها فتصيف في ظهر الوادي للقيظ، وتشتو في باطنه للزمهرير، وفسدت لذلك، فتمالؤوا على قتل الناقة، فقال لهم صالح مرة: إن هذا الشهر يولد فيه مولود يكون هلاككم على يديه، فولد لعشرة نفر أولاد، فذبح التسعة أولادهم، وبقي العاشر وهو سالفِ أبو قُدارٍ، فنشأ قدار أحمر أزرق، فكان التسعة إذا رأوه قالوا: لو عاش بنونا كانوا مثل هذا، فأَحْفَظَهم إنْ قتلوا أولادهم بكلام صالح، فأجمعوا على قتله، فخرجوا وكمنوا في غار ليبيِّتوه منه، وتقاسموا لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله، فسقط الغار عليهم فماتوا، فهم الرهط التسعة الذين ذكر الله تعالى في كتابه: [وروي أن التسعة الرهط الذين ذكرهم الله في كتابه][4] هم قدار بن سالف، ومصرع[5] بن مهرج ضما إلى أنفسهما سبعة نفر وعزموا على عقر الناقة.

وروي أن السبب في ذلك أن امرأتين من ثَمُودَ من أعداء صالح جعلتا لقدار ومصرع أنفسهما وأموالهما على أن يعقرا الناقة، وكانتا من أهل الجمال، وقيل: إن قداراً شرب الخمر مع قوم، فطلبوا ماء يمزجون به الخمر فلم يجدوه لشرب الناقة، فعزموا على

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «وكان حلفا».

(٣) وردت في المطبوع هكذا: «ماء بئر همشريا»!.

(٤) ساقط من المطبوع.

(٥) في المطبوع: «مصدع».

عقرها حينئذٍ، فخرجوا وجلسوا على طريقها، وكمن لها قدار خلف صخرة، فلما دنت منه رماها بالحربة ثم سقطت فنحرها، ثم اتبعوا الفصيل فهرب منهم حتى علا ربوة ورغا ثلاث مرات واستغاث، فلحقوه وعقروه، وفي بعض الروايات أنهم وجدوا الفصيل على رابية من الأرض فأرادوه، فارتفعت به حتى لحقت به في السماء، فلم يقدروا عليه، فرغا الفصيل مستغيثاً بالله تعالى، فأوحى الله إلى صالح أن مرهم فليتمتعوا في دارهم ثلاثة أيام.

وحكى النقاش عن الحسن أنه قال: إن الله تعالى أنطق الفصيل، فنادى أين أمي؟ فقال لهم صالح: إن العذاب واقع بكم في الرابع من عقر الناقة.

وروي: أنها عقرت يوم الأربعاء، وقال لهم صالح: تحمرُّ وجوهكم غداً، وتصفرُّ في الثاني، وتسوَدُّ في الثالث، وينزل العذاب في الرابع يوم الأحد، فلما ظهرت العلامة التي قال لهم أيقنوا واستعدوا ولطخوا أبدانهم بالمن، وحفروا القبور وتحنطوا، فأخذتهم الصيحة وخرج صالح ومن آمن معه حتى نزل رملة فلسطين.

قال القاضي أبو محمد: وهذا القَصَص اقتضبتُه من كثير أورده الطبري رحمه الله رغبة الإيجاز(١).

وقال أبو موسى الأشعري: أتيت بلاد ثَمُودَ فذرعت صدر الناقة فوجدته ستين ذراعا(٢).

قال القاضي أبو محمد: وبلاد ثَمُودَ هي بين الشام والمدينة، وهي التي مر بها رسول الله ﷺ مع المسلمين في غزوة تبوك فقال: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، أن يصيبكم مثل ما أصابهم»، ثم اعتجر بعمامته وأسرع السير ﷺ(٣).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٤٧١)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٣١)، وتفسير الطبري (٨/ ٢٢٥)، وفي السليمانية وفيض الله ولالاليه ونجيبويه: «مصدر».

(٢) أخرجه الطبري (١٤٨١٦) من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن أبي موسى به، وهو منقطع.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٣٣)، ومسلم (٢٩٨٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وروي أن المسافة التي أهلكت الصيحةُ أهلها هي ثمانية عشر ميلاً، وهي بلاد الحجر ومراتعها: الجناب وحسمى إلى وادي القرى وما حوله، وقيل في قدار: إنه ولد زناً من رجل يقال له: ظبيان، وولد على فراش سالف فنسب إليه، ذكره قتادة وغيره[١].

وذكر الطبري أن رسول الله ﷺ مر بقبر فقال: «أتعرفون ما هذا؟» قالوا: لا، قال: «هذا قبر أبي رغال الذي هو أبو ثقيف، كان من ثَمُودَ فأصاب قومه البلاء وهو بالحرم فسلِم، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصابهم فدفن هنا وجعل معه غصن من ذهب»، قال: فابتدر القوم بأسيافهم فحفروا حتى أخرجوا الغصن[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا الخبر يردُّ ما في السير من أن أبا رغال هو دليل الفيل وجيشه[٣] إلى مكة، والله أعلم.

قوله عز وجل / : ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ [٢/ ١٥٢]
تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

(بَوَّأَكُمْ) معناه: مكنكم، وهي مستعملة في المكان وظروفه، تقول: تبوأ فلان منزلاً حسناً، ومنه قوله تعالى: ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١]، وقال الأعشى:

---

(١) لم أقف عليه من قول قتادة، ولكن الخبر ورد في تفسير الطبري (١٢/ ٥٣٢)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٥٤).
(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٢٩٦)، والطبري (١٤٨١٧) من طريق أبي الزبير عن جابر مرفوعاً، وحسنه الحافظ كما في فتح الباري (٦/ ٣٨١)، وانظر: الجامع لمعمر بن راشد (١١/ ٤٥٤)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٣٢)، وأخبار مكة للفاكهي (٣/ ١٩٨).
(٣) في المطبوع: «وحبيسه».

[الطويل] فَمـا بَـوَّأَ الرَّحْمَـنُ بيْتَـكَ منْـزِلاً بشَرْقي أَجْيَادِ الصَّفا والمُحَرَّمِ[١]

و«القصور»: جمع قصر، وهي الدور التي قُصِرت على بقاع من الأرض مخصوصة، بخلاف بيوت أهل[٢] العمود، وقُصرت عن الناس قصراً تامّاً، و«النحت»: النَّجْر والقَشْر في الشيء الصلب كالحجر والعود ونحوه.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (تنحَتون) بفتح الحاء[٣]، وقرأ جمهور الناس بكسرها وبالتاء من فوق، وقرأ ابن مصرف بالياء من أسفل وكسر الحاء، وقرأ أبو مالك بالياء من أسفل وفتح الحاء[٤].

وكانوا ينحتون الجبال لطول أعمارهم، و﴿تَعْثَوْاْ﴾ معناه: تفسدوا، يقال: عثا يَعثي، وعثا يعثو، وعثِيَ يَعثَى كنسِي ينسَى، وعليها لفظ الآية.

وقرأ الأعمش: (تعثوا) بكسر التاء[٥].

و﴿مُفْسِدِينَ﴾: حال، وتقدم القول في ﴿ٱلْمَلَأُ﴾.

وقرأ ابن عامر وحده في هذا الموضع: ﴿وقال الملأ﴾ بواو عطف، وهي محذوفة عند الجميع[٦].

و﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ هم الأشراف والعظماء الكفرة.

و﴿ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ يحتمل أن يكون معناه: طلبوا هيئة لنفوسهم من الكبر، أو يكون بمعنى: كبروا، كبرهم المال والجاه وأعظمهم، فيكون على هذا كبر واستكبر

---

(١) تقدم في تفسير الآية (١٢٠) من سورة آل عمران.

(٢) زيادة من فيض الله والسليمانية.

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (٤/ ٢٥١)، ومختصر الشواذ (ص: ٥٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٦١).

(٤) وهما شاذتان، تابعه عليهما في البحر المحيط (٥/ ٩٤)، وفيها غرابة لتشعب الضمائر.

(٥) وهي قراءة شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٦١).

(٦) وهما سبعيتان حسب مصاحفهم، انظر: التيسير (ص: ١١١).

بمعنىً، كعجب واستعجب، والأول هو باب استفعل، كاستوقد واسترفد، و(الذين استضعفوا) هم العامة والأغفال في الدنيا وهم أتباع الرسل.

وقولهم: ﴿أَتَعۡلَمُونَ﴾ استفهام على معنى الاستهزاء والاستخفاف، فأجاب المؤمنون بالتصديق والصرامة في دين الله، فحملت الأنفة الإشراف على مناقضة المؤمنين في مقالتهم، واستمروا على كفرهم.

قوله عز وجل: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُواْ﴾ يقتضي بتشريكهم أجمعين في الضمير أن عقر الناقة كان على تمالؤ منهم وإصفاق[1]، وكذلك روي: أن قداراً لم يعقرها حتى كان يستشير الرجال والنساء والصبيان، فلما أجمعوا تعاطى فعقر.

و(عتوا): معناه: خشنوا وصلبوا ولم يذعنوا للأمر والشرع، وصمموا على تكذيبه، واستعجلوا النقمة بقولهم: ﴿ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ وحسُن الوعد في هذا الموضع لـمَّا تقيد بأنه عذاب.

قال أبو حاتم: قرأ عيسى وعاصم: (صالحُ أيتنا) بهمز وإشباع ضم، وقرأ بتخفيف الهمزة كأنها ياء في اللفظ أبو عمرو والأعمش[2].

و﴿ٱلرَّجۡفَةُ﴾: ما تؤثره الصيحة أو الطامة التي يرجف بها الإنسان وهو أن يتزعزع

---

(١) في فيض الله والسليمانية اطباق، وفي لالاليه: اتفاق.

(٢) أما في الابتداء اتفقوا على كسر همز الوصل وإبدال فاء الفعل مدّاً له، وأما في الوصل فورش والسوسي وأبو جعفر، وما روي عن غيرهم من مثل إبدالهم بإبدال فاء الفعل مداً لضمة الحاء، وغيرهم بتحقيقها ساكنة، وذكر الفارسي في الحجة (٢/ ٤٥٣) وجهاً لأبي عمرو بالإشمام، ونقل في البحر المحيط (٥/ ٩٦)، كلام أبي حاتم، وقال في عاصم: فلعله الجحدري.

ويتحرك ويضطرب ويرتعد، ومنه قول خديجة: فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده[١].

ومنه قول الأخطل:

[البسيط] إِمَّا تَـرَيْني حَنَاني الشَّـيْبُ مِـنْ كِبَرٍ كالنَّسْرِ أَرْجُفُ والإِنْسَانُ مهدُود[٢]

ومنه إرجاف النفوس لكَريهِ الأخبار، أي: تحريكها، وروي أن صيحة ثمود كان فيها من صوت[٣] كل شيء هائل الصوت، وكانت مُفْرِطة شقت قلوبهم فجثوا على صدورهم.

و«الجاثم»: اللاطئ بالأرض على صدره مع قبض ساقيه كما يرقد الأرنب والطير، فإن جثومها على وجهها، ومنه قول جرير:

[الوافر] عَرَفْـتُ المُنْتَـأَى وَعَرَفْـتُ مِنْهَـا مَطَايَا القِـدْرِ كَالحِـدَإِ الجُثُومِ[٤]

وقال بعض المفسرين: معناه: حمماً محترقين كالرماد الجاثم.

قال القاضي أبو محمد: وحيث وجد الرماد الجاثم في شعر فإنما هو مستعار لهيئة الرماد قبل هموده وتفرقه، وذهب صاحب هذا القول إلى أن الصيحة اقترن بها صواعق محرقة.

وأخبر الله عز وجل بفعل صالح في تولِّيه عنهم وقت عقرهم الناقة، وقولهم: ﴿ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾، وذلك قبل نزول العذاب، وكذلك روي أنه عليه السلام خرج من بين أظهرهم قبل نزول العذاب، وهو الذي تقتضيه مخاطبته لهم.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٢/ ٥٤٤)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٥٢) وفي الأصل: «ممدود»، وفي نجيبويه: «محدود».

(٣) سقطت من الأصل.

(٤) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٢١٨)، وتفسير الطبري (١٢/ ٥٤٦)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٥٢)، والكامل للمبرد (٣/ ١٢٠).

وأما لفظ الآية فيحتمل أن خاطبهم وهم موتى على جهة التفجع عليهم وذكرِ حالهم، أو غير ذلك، كما خاطب رسول الله ﷺ أهلَ قليبِ بدر(١).

قال الطبري: وقيل: لم تهلك أمة ونبيُّها معها(٢). وروي أنه ارتحل بمن معه حتى جاء مكة، فأقام بها حتى مات، ولفظة التولي تقتضي اليأس من خيرهم واليقين في إهلاكهم.

وقوله: ﴿لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ عبارة عن تغليبهم الشهوات على الرأي، إذ كلام الناصح صعب مضاد لشهوة نفس الذي ينصح، [ولذلك تقول العرب](٣): أَمْرَ مُبْكياتك لا أمرَ مضحكاتك(٤).

قوله عز وجل: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

لوط عليه السلام نبي(٥) بعثه الله إلى أمة تسمى سدوم، وروي أنه ابن أخي إبراهيم عليه السلام، ونصبه إما بـ﴿أَرْسَلْنَا﴾ المتقدم في الأنبياء، وإما بفعل مضمر تقديره: واذكر لُوطاً، واستفهامه لهم هو على جهة التوقيف والتوبيخ والتشنيع.

و﴿ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ هنا إتيان الرجال في الأدبار، وروي أنه لم تكن هذه المعصية / في أمم قبلهم(٦). [٢/ ١٥٣]

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٥٤٧).
(٣) ساقط من الأصل.
(٤) الكتاب لسيبويه (١/ ٢٥٦).
(٥) زيادة من فيض الله والسليمانية ولالاليه ونجوبويه.
(٦) انظر: تفسير مقاتل (١/ ٤٠٠)، وتفسير الطبري (١٢/ ٥٤٧).

قال القاضي أبو محمد: وإن كان لفظ الآية يقتضي هذا، فقد كانت الآية تحتمل أن يراد بها: ما سبقكم أحد إلى لزومها وتشهيرها.

وروي أنهم كانوا يأتي بعضهم بعضاً، وروي أنهم إنما كانوا يأتون الغرباء، قاله الحسن البصري، قال عمرو بن دينار: ما نزَى ذكر على ذكر قبل قوم لوط[١].

وحكى النقاش: أن إبليس كان أصل عملهم بأن دعاهم إلى نفسه[٢].

وقال بعض العلماء: عامل اللواط كالزاني، وقال مالك رحمه الله وغيره: يرجم أحصن أو لم يحصن[٣].

وحرق أبو بكر الصديق رضي الله عنه رجلاً يسمى الفجاءة حين عمل عمل قوم لوط[٤].

وقرأ نافع والكسائي وحفص عن عاصم: ﴿إِنَّكُمْ﴾ على الخبر، كأنه فسر ﴿ٱلْفَٰحِشَةَ﴾.

---

(١) انظر قول الحسن في تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٥٤)، وقول عمرو فيه (٥/ ١٥١٧)، وفي تفسير الطبري (١٢/ ٥٤٨)، (٢٠/ ١٤٤).

(٢) تفسير القرطبي (٧/ ٢٤٥).

(٣) الأول قول الجمهور، انظره مع قول مالك في الاستذكار (٧/ ٤٩٣-٤٩٤).

(٤) ضعيف، أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي (١٤٠)، والآجري في ذم اللواط (٢٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٣٨٩) من طريق عبيد الله بن عمر القواريري، عن عبد العزيز بن أبي حازم، عن داود بن بكر، عن محمد بن المنكدر أن خالد بن الوليد رضي الله عنه كتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه وُجد في بعض ضواحي العرب رجل يُنكح كما تنكح المرأة، وإن أبا بكر، رضي الله عنه، جمع لذلك أناساً من أصحاب رسول الله ﷺ، كان فيهم علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أشدهم يومئذٍ قولاً، فقال: إن هذا ذنب لم تعمل به أمة من الأمم إلا أمة واحدة، فصنع بها ما قد علمتم، أرى أن تحرقوه بالنار، قال: فكتب إليه أبو بكر أن يحرق بالنار، وأخرجه البيهقي في الكبرى (٨/ ٢٣٢) من طريق ابن المنكدر وصفوان بن سليم به، وقال البيهقي: مرسل، وقد ضعفه الحافظ، وانظر الدراية في تخريج أحاديث الهداية (٢/ ١٠٣).

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر وحمزة: ﴿أإنكم﴾ باستفهام آخر، وهذا لأن الأول استفهام عن أمر مجمل والثاني عن مفسر[١]، إلا أن حمزة وعاصماً قرءا بهمزتين، ولم يهمز أبو عمرو وابن كثير إلا واحدة[٢].

و﴿ شَهْوَةً ﴾: نصب على المصدر من قولك: شَهِيْتُ الشيء أشهاه[٣]، والمعنى: تدَعون الغرض المقصود بالوطء وهو ابتغاء ما كتب الله من الولد، وتنفردون بالشهوة فقط، وقوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ﴾ إضراب عن الإخبار عنهم أو تقريرِهم على المعصية وتركٌ لذلك إلى الحكم عليهم بأنهم قوم قد تجاوزوا الحد وارتكبوا الحظر، والإسراف: الزيادة المفسدة.

وقرأ الجمهور: ﴿جَوَابَ﴾ بالنصب، وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (جوابُ) بالرفع[٤].

ولم تكن مراجعة قومه باحتجاج منهم ولا بمدافعة[٥] عقلية، وإنما كانت بكفر وصرامة وخذلان بحت في قولهم: ﴿أَخْرِجُوهُم﴾، وتعليلهم الإخراج بتطهير المخرجين، والضمير عائد على لوط وأهله وإن كان لم يجر لهم ذكر فإن المعنى يقتضيهم، وروي أنه لم يكن معه غير ابنتيه وعلى هذا عني في الضمير هو وابنتاه.

و﴿يَتَطَهَّرُونَ ﴾ معناه: يتنزهون عن حالنا وعادتنا، قال مجاهد: معناه: يَتَطَهَّرُونَ عن أدبار الرجال والنساء، قال قتادة: عابوهم بغير عيب، وذموهم بغير ذم[٦]، والخلاف في أهله حسبما تقدم.

واستثنى الله امرأة لوط عليه السلام من الناجين وأخبر أنها هلكت، و«الغابر»: الباقي هذا المشهور في اللغة، ومنه غُبَّر الحيض كما قال أبو كبير الهذلي:

---

(١) في السليمانية: «مفصل» بدل «مفسر».

(٢) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١١١).

(٣) في المطبوع: «شهاة».

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٣٣٧).

(٥) في فيض الله والسليمانية: «بموافقة»، وفي نجيبويه: «بمرافعة».

(٦) انظر القولين في تفسير الطبري (١٢/ ٥٥٠).

[الكامل] ومُـبَـرَّأ مِـنْ كُـلِّ غُـبَّـرِ حَيْضَـةٍ وَفَسَـادِ مُرْضِعَـةٍ وَدَاءٍ مُغْيِـلِ[١]

وغُبَّر اللبن في الضرع، أي: بقيته.

فقال بعض المفسرين: كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ في العذاب والعقاب، أي: مع الباقين ممن لم ينج[٢].

وقال أبو عبيدة معمر: ذكرها الله بأنها كانت ممن أسنَّ وبقي من عصره إلى عصر غيره، فكانت غابرة إلى أن هلكت مع قومها[٣].

قال القاضي أبو محمد: فكأن قوله: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ اكتفى به في أنها لم تنج ثم ابتدأ وصفها بعد ذلك بصفة لا تتعلق بها النجاة ولا الهلكة، والأول أظهر، وقد يجيء الغابر بمعنى الماضي، وكذلك حكى أهل اللغة غبر بمعنى بقي وبمعنى مضى، وأما قول الأعشى:

[السريع] عَـضَّ بِمَـا أَبْقَـى المَوَاسِـي لَـهُ مِـنْ أُمِّـه فِـي الزَّمَـنِ الغَابِـرِ[٤]

فالظاهر أنه أراد: الماضي، وذلك بالنسبة إلى وقت الهجاء[٥].

ويحتمل أن يريد: في الزمن الباقي، وذلك بالنسبة إلى الحين هو غابر بعد الإبقاء.

ويحتمل أن يعلق «في الزمن» بـ«عضَّ»، فيكون «الغابر»: الباقي على الإطلاق، والأول أظهر.

---

(١) ورد عزوه له مسنداً لعائشة رضي الله عنها في قولها للنبي ﷺ: «لو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره»، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٤٢٢)، ونسبه له في إصلاح المنطق (ص: ١٨٤)، والمعاني الكبير (١/ ٥١٩)، وجمهرة اللغة (٢/ ١١٦٥).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (١/ ٤٠١)، وتفسير الطبري (١٢/ ٥٥١ ومابعدها)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥١٩).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٢١٨)، وفي السليمانية: «استن» بدل «أسن»، واللفظ منقول بالمعنى.

(٤) عزاه له تفسير الطبري (١٢/ ٥٥١)، ومجاز القرآن (١/ ٢١٩)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٧١). وفي نجيبويه: «المرام» بدل «المواسي».

(٥) في فيض الله والسليمانية: «المنجاء»، وفي لالاليه: «النجا».

وقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم﴾ الآية، نص على إمطار وتظاهرت الآيات في غير هذه السورة أنه بحجارة، وروي أن الله عز وجل بعث جبريل فاقتلعها بجناحه، وهي ست مدن، وقيل: خمس، وقيل: أربع، فرفعها حتى سمع أهل السماء نهاق الحمير وصراخ الديكة، ثم عكسها وردَّ أعلاها أسفلها وأرسلها إلى الأرض، وتبعتهم الحجارة مع هذا فأهلكت من كان منهم في سفر أو خارجاً عن البقع المرفوعة، وقالت امرأة لوط حين سمعت الرجة: وا قوماه، والتفتت فأصابتها صخرة فقتلتها[(١)].

قوله عز وجل: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

قيل في ﴿مَدْيَنَ﴾: إنه اسم بلد وقطر، وقيل: اسم قبيلة، وقيل: هم من ولد مدين بن إبراهيم الخليل، وروي أن لوطا عليه السلام هو جد شعيب لأمه، وقال مكي: كان زوج بنت لوط[(٢)]، ومن رأى مَدْيَنَ اسم رجل لم يصرفه لأنه معرفة أعجمي، ومن رآه اسما للقبيلة أو الأرض فهو أحرى ألا يصرف.

وقوله: ﴿أَخَاهُمْ﴾ منصوب بقوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ [الأعراف: ٥٩] في أول القصص، وهذا يؤيد أن (لُوطاً) به انتصب، وأن اللفظ مستمر، وهذه الأخوة في القرابة، وقد تقدم

---

(١) مرسل، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٢/ ٥١٥-٥١٦)، وابن أبي حاتم (١١٠٩٠) في تفسيرهما من طريق يعقوب بن عبد الله أبي الحسن القمي وهو صدوق، عن جعفر بن أبي المغيرة القمي وهو صدوق، عن سعيد بن جبير بنحوه.

(٢) الهداية لمكي (٤/ ٢٤٤٣).

القول في ﴿غَيْرُهُۥ﴾ و﴿غيرِه﴾[(١)]، والبينة إشارة إلى معجزته وإن كنا نحن لم يُنص لنا عليها.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (قد جاءتكم آية من ربكم)[(٢)] مكان ﴿بَيِّنَةٌ﴾.

وقوله: ﴿فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ﴾ أمر لهم بالاستقامة في الإعطاء وهو بالمعنى في الأخذ والإعطاء، وكانت هذه المعصية قد فشت فيهم في ذلك الزمن وفحشت، مع كفرهم الذي نالتهم الرجفة بسببه.

و﴿تَبْخَسُواْ﴾ معناه: تظلموا، ومنه قولهم: تحسبها حمقاء وهي باخس، أي: ظالمة خادعة.

و﴿أَشْيَآءَهُمْ﴾ يريد: أموالهم وأمتعتهم مما يكال أو يوزن.

وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ﴾ لفظ عام في دقيق الفساد وجليله، وكذلك الإصلاح عام والمفسرون نصوا على أن الإشارة إلى الكفر بالفساد، وإلى النبوءات والشرائع بالإصلاح.

[٢/ ١٥٤] وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: نافع عند الله مكسب فوزه / ورضوانه بشرط الإيمان والتوحيد، وإلا فلا ينفع عمل دون إيمان.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ الآية، قال السدي: هذا نهي عن العشَّارين والمتقبلين ونحوِه من أخذ أموال الناس بالباطل[(٣)].

و«الصراط»: الطريق، وذلك أنهم كانوا يكثرون من هذا؛ لأنه من قبيل بخسهم ونقصهم الكيل والوزن. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: هو نهي عن السلب وقطع الطريق، وكان ذلك من فعلهم، روى في ذلك حديثاً عن النبي ﷺ[(٤)].

---

(١) «وغيره» الثانية لم ترد في السليمانية وفيض الله، والمقصود «غيره» بالجر والرفع.

(٢) تابعه في البحر المحيط (٥/ ١٠٤)، ولعلها سهو، وليس الحسن ممن يخالف المصحف.

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ٥٥٧).

(٤) فيه ضعف، هذا الحديث أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٥٥٨) عن علي بن سهل، عن حجاج المصيصي، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي هريرة أو غيره ـ شك أبو جعفر ـ مرفوعاً، وأبو جعفر الرازي هو عيسى بن أبي عيسى التيمي صدوق سيئ الحفظ، فلا يقبل تفرده، والله أعلم.

قال القاضي أبو محمد: وما تقدم قبل من النهي في شأن المال في الموازين والأكيال والبخس يؤيد هذين القولين ويشبههما، وفي هذا كله توعد للناس إن لم يتركوا أموالهم.

وقال ابن عباس[(١)]، وقتادة ومجاهد والسدي أيضاً: قوله: ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ﴾ نهي لهم عما كانوا يفعلونه من رد الناس عن شعيب[(٢)]، وذلك أنهم كانوا يقعدون على الطرقات المفضية إلى شعيب، فيتوعدون من أراد المجيء إليه ويصدونه، ويقولون: إنه كذاب فلا تذهب إليه، على نحو ما كانت قريش تفعله مع رسول الله ﷺ.

قال القاضي أبو محمد: وما بعد هذا من ألفاظ الآية يشبه هذا القول.

وقوله تعالى: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ﴾ الآية؛ المعنى: وتفتنون من آمن وتصدونه عن طريق الهدى.

و﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: المفضية إلى رحمته.

والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يحتمل أن يعود على اسم الله، وأن يعود على شعيب في قول من رأى القعود على الطرق للرد عن شعيب، وأن يعود على السبيل في لغة من يذكِّر السبيل.

وتقدم القول في مثل قوله: ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ في صدر السورة.

وقال أبو عبيدة والزجاج: كسر العين في المعاني، وفتحها في الأجرام[(٣)].

ثم عدَّد عليهم نعم الله تعالى، وأنه كثَّرهم بعد قلة عدد، وقيل: أغناهم بعد فقر، فالمعنى على هذا: إذ كنتم قليلاً قدْرُكم، ثم حذرهم ومثَّل لهم بمن امتحن من الأمم السابقة.

---

(١) أخرجه الطبري (١٤٨٤٤)، وابن أبي حاتم (٨٧١٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه ابن جرير أيضاً (١٤٨٤٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: تفسير مجاهد (١/ ٢٤٠)، وتفسير الطبري (١٢/ ٥٥٦-٥٥٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٢١)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٥٣).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٩٨)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٤٧)، وقد تقدم مثله.

قوله عز وجل: ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

المعنى: وإن كنتم يا قوم قد اختلفتم عليّ وشعبتم[١] بكفركم أمري فآمنت طائفة وكفرت طائفة، فاصبروا أيها الكفرة حتى يأتي حكم الله بيني وبينكم.

وفي قوله: ﴿فَٱصْبِرُواْ﴾ قوةُ التهديد والوعيد، هذا ظاهر الكلام، وأن المخاطبة بجميع الآية للكفار، وحكى منذر بن سعيد عن ابن عباس أن الخطاب بقوله: ﴿فَٱصْبِرُواْ﴾ للمؤمنين على معنى الوعد لهم[٢]، وقاله مقاتل بن حيان[٣].

قال النقاش: وقال مقاتل بن سليمان: المعنى: فاصبروا يا معشر الكفار[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول الجماعة.

وتقدم القول في معنى ﴿ٱلْمَلَأُ﴾ ومعنى الاستكبار.

وقولهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ﴾ تهديد بالنفي، والقرية المدينة الجامعة للناس؛ لأنها تقرَّت، أي: اجتمعت.

وقولهم: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ معناه: أو لتصيرُن، وعاد: تجيء في كلام العرب على وجهين: أحدهما: عاد الشيء إلى حال قد كان فيها قبل ذلك، وهي على هذه

(١) في السليمانية وفيض الله: «وسفهتم»، وفي نجيبويه: «شغبتم».
(٢) لم أقف عليه مسنداً.
(٣) تفسير البحر المحيط (٥/ ١٠٩)، ومقاتل تقدم التعريف به في سورة النساء.
(٤) انظر: تفسير مقاتل (١/ ٤٠٢).

الجهة لا تتعدى، فإن عدِّيت فبحرف، ومنه قول الشاعر:

إِنْ عـادَتِ العَقْـرَبُ عُدْنَـا لهَـا وكانـتِ النَّعْـلُ لهَـا حاضِـرَهْ[1] [السريع]

ومنه قول الآخر:

ألا ليْـتَ أَيّـامَ الشَّـبابِ جَديـدُ وعَصْـراً تَولَّى يا بُـثَيْـنُ يَعُودُ[2] [الطويل]

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا﴾ [الأنعام: ٢٨]، ومنه قول الشاعر:

فَـإنْ تَـكُـن الأيّـامُ أَحْسَـنَّ مَـرَّةً إلـيَّ فَقَدْ عَـادَتْ لَهُـنَّ ذُنُوبُ[3] [الطويل]

والوجه الثاني: أن تكون بمعنى صار وعاملةً عملها، ولا تتضمن أن الحال قد كانت متقدمة، ومن هذه قول الشاعر:

تِلْكَ المَـكَارِمُ لا قَعْبَـانِ مِنْ لَبَنٍ شِـيبا بِمَـاءٍ فَعَـادَا بَعْدُ أَبْـوَالا[4] [البسيط]

ومنه قول الآخر:

.... وعَـادَ رَأْسِـي كالثَّغَامَـهْ[5] [الرجز]

---

(١) البيت للفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب يذم بها رجلًا اسمه عَقْرَب، انظر قصته في الأغاني (١٦/ ١٩٦)، والحيوان (٤/ ٢١٨).

(٢) مطلع قصيدة لجميل بن عبد الله العذري، المعروف بجميل بثينة، انظر: الأمالي للقالي (٢/ ٣٠٣)، والأغاني (٨/ ١٠٨).

(٣) البيت لكعب بن سعد الغنوي، كما في الاختيارين (ص: ١٢١)، والعقد الفريد (٣/ ٢٣٤)، والأمالي للقالي (٢/ ١٥٠) قال: ويروى لسهم الغنوي، وعزاه في جمهرة أشعار العرب (١/ ٦٩) لمحمد بن كعب الغنوي، وفي تفسير الثعلبي (٢/ ٢٣٨) للطفيل الغنوي، وفي الأصمعيات (١/ ٦) لعريقة بن مُسافع العبسي، ولم أقف على عزوه للأحوص في شيء من المصادر.

(٤) البيت لأمية بن أبي الصلت يمدح سيف بن ذي يزن كما في معجم البلدان (٤/ ٢١٠)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٦١)، والروض الأنف (١/ ١٤١) ونسبه ابن إسحاق لأبيه أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي كما في السيرة النبوية (١/ ١٨٦)، والعقد الفريد (١/ ٢٧٩) ونسبه أبو الفرج في الأغاني (٥/ ١٨) للنابغة الجعدي، ثم قال في محل آخر (١٧/ ٣٠٢) وهذا خطأ، إنما هو على جهة التضمين.

(٥) نقله في تفسير الثعالبي (٣/ ٥٦) بلا نسبة، ولم أجده لغيرهما.

ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩] على أن هذه محتملة، فقوله في الآية: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ وشُعَيْبٌ عليه السلام لم يكن قط كافراً، يقتضي أنها بمعنى صار، وأما في جهة المؤمنين به بعد كفرهم فيترتب المعنى الآخر ويخرج عنه شعيب إلا أن يريدوا عودته إلى حال سكوته قبل أن يبعث، وقوله ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ توقيف منه لهم على شنعة المعصية، وطلب أن يقروا بألسنتهم بإكراه المؤمنين بالله على الإخراج ظلماً وغشماً.

والظاهر في قوله: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾ أنه خبر منه، أي: لقد كنا نواقع عظيماً ونفتري على الله الكذب في الرجوع إلى الكفر، ويحتمل أن يكون على جهة القسم الذي هو في صيغة الدعاء، مثل قول الشاعر:

بَقَّيْتُ وَفْري [وانحرفتُ عن العُلى][1] .... [الكامل]

وكما تقول: افتريت على الله إن كلَّمت فلاناً.

و﴿ٱفْتَرَيْنَا﴾ معناه: شقَقنا بالقول واختلفنا، ومنه قول عائشة: «من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية»[2].

ونجاة شعيب من ملتهم كانت منذ أول أمره، ونجاة من آمن معه كانت بعد مواقعة الكفر.

وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ يحتمل أن يريد: إلا أن يسبق علينا من الله في ذلك سابق سوء، وينفذ منه قضاء لا يردّ.

قال القاضي أبو محمد: والمؤمنون هم المجوِّزون لذلك، وشعيب قد عصمته النبوة، وهذا أظهر ما يحتمل القول.

---

(١) زيادة من السليمانية، وتمام البيت: ولقيت أضيافي بوجه عبوس، وهو للأشتر كما تقدم في تفسير الآية (١٥٦) من سورة البقرة.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ويحتمل أن يريد استثناء ما يمكن أن يتعبد الله به المؤمنين مما تفعله الكفار من القربات، فلما قال لهم: إنا لا نعود في ملتكم، ثم خشي أن يتعبد الله بشيء من أفعال الكفرة فيعارِضَ ملحد بذلك، ويقولَ: هذه عودة إلى ملتنا، استثنى مشيئة الله تعالى فيما يمكن أن يتعبد به. ويحتمل أن يريد بذلك معنى الاستبعاد كما تقول: لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب، وحتى يلج الجمل في سم الخياط، وقد علم امتناع ذلك، فهو إحالة / على مستحيل. [٢/ ١٥٥]

قال القاضي أبو محمد: وهذا تأويل إنما هو للمعتزلة الذين من مذهبهم أن الكفر والإيمان ليسا بمشيئة من الله تعالى، فلا يترتب هذا التأويل إلا عندهم، وهذا تأويل حكاه المفسرون ولم يشعروا بما فيه[١]، وقيل: إن هذا الاستثناء إنما هو تستر[٢] وتأدّب.

قال القاضي أبو محمد: ويقلق هذا التأويل من جهة استقبال الاستثناء، ولو كان في الكلام: إن شاء الله، قَوِي هذا التأويل.

وقوله: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ معناه: وسع علمُ ربنا كلَّ شيء، كما تقول: تصبب زيدٌ عرقاً، أي: تصبب عرقُ زيد، و﴿وَسِعَ﴾ بمعنى أحاط.

وقوله: ﴿افْتَحْ﴾ معناه: احكُم، والفاتح والفتاح: القاضي بلغة حمير، وقيل: بلغة مراد. وقال بعضهم:

ألا أَبْلِغْ بَنِي عُصْمٍ رَسُولاً بِأَنِّي عَنْ فُتَاحَتِكُمْ غَنِيُّ[٣] [الوافر]

وقال الحسن بن أبي الحسن: إن كل نبي أراد الله هلاك قومه أمره بالدعاء عليهم ثم استجاب له فأهلكهم، وقال ابن عباس: ما كنت أعرف معنى هذه اللفظة حتى

(١) عزا الطبري هذا التأويل للسدي (١٢/ ٥٦٢-٥٦٣).

(٢) في نجيبويه: «تسنن».

(٣) هذا البيت للأسعر الجعفي كما في تهذيب اللغة (٤/ ٢٥٩)، وفي سمط اللآلي (١/ ٢٦٤): قال أبو محمد ابن أبي سعيد: البيت لمحمد بن حمران الشويعر الجعفي، وفي جمهرة اللغة (١/ ٣٨٦) أن قائله كندي، وهو في أكثر المصادر الأخرى بلا نسبة.

سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها: «تعال أفاتحك»، أي: أحاكمك[١].

وقوله: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ استسلام لله وتمسك بلطفه[٢]، وذلك يؤيد التأويل الأول في قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

هذه المقالة قالها الملأ لِتُبَّاعهم وسائر الناس الذي يقلدونهم.

و﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾: الزلزلة الشديدة التي ينال معها الإنسانَ اهتزازٌ وارتعاد واضطراب.

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أن تكون[٣] فرقة من قوم شعيب أهلكت بالرَّجْفَة، وفرقة بالظلة، ويحتمل أن الظلة والرَّجْفَة كانتا في حين واحد.

وروي أن الله تعالى بعث شُعَيْباً إلى أهل مدين وإلى أصحاب الأيكة، وقيل: هما طائفتان، وقيل: واحدة، وكانوا مع كفرهم يبخسون الكيل والوزن، فدعاهم فكذبوه فجرت بينهم هذه المقاولة المتقدمة، فلما عتوا وطالت بهم المدة فتح الله عليهم باباً من أبواب جهنم، فأهلكهم الحر منه فلم ينفعهم ظل ولا ماء، ثم إنه بعث سحابة فيها ريح طيبة فوجدوا برد الريح وطيبها فتنادوا: عليكم الظلة، فلما اجتمعوا تحت الظلة وهي تلك السحابة انطبقت عليهم فأهلكتهم[٤].

قال الطبري: فبلغني أن رجلاً من أهل مدين يقال له: عمرو بن جلهاء، قال لما رآها:

---

(١) أخرجه الطبري (١٤٨٥٤-١٤٨٥٦)، وابن أبي حاتم (٨٧٣٣) من طريق قتادة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو منقطع، وأخرجه ابن جرير (١٤٨٥٥)، وابن أبي حاتم (٨٧٣٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، كذلك بنفس المعنى، وقد تقدم.

(٢) في المطبوع: «بلفظه».

(٣) زيادة من السليمانية وفيض الله.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨١١)، وتفسير الماوردي (٥/ ٨١).

[البسيط]

يَـا قَـوْمِ إِنَّ شُـعَيْباً مُرْسَـلٌ فَذَرُوا عنكم سُـمَيْراً وَعِمْرَانَ بْنَ شَـدَّادِ
إِنِّي أَرَى غَبْـيَةً[1] يا قَوْمِ قَدْ طَلَعَتْ تَدْعُو بِصَوْتٍ عَلَى صَمَّانَةِ الْوَادِي
وَإِنَّـه لَـنْ تَـرَوْا فِيهَـا ضَحَـاءَ غَدٍ إلا الرَّقِيـمَ يُمَشِّـي بَيْـنَ أَنْجَادِ[2]

وسمير وعمران كاهناهم، والرقيم كلبهم، وروي أن رسول الله ﷺ كان إذا ذكر شعيبا قال: «ذلك خطيب الأنبياء»، لقوله لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[3].

قال القاضي أبو محمد: يريد: لحسن مراجعته وجميلِ تلطفه.

وحكى الطبري عن أبي عبد الله البَجَلي[4] أنه قال: أبو جادٍ وهوَّز وحطي وكلمن وصعفض وقرست أسماء ملوك مدين، وكان الملك يوم الظلة كلمن، فقالت أخته ترثيه:

[مجزوء الرمل]

كَـلَـمُـن قَـدْ هَـدَّ رُكْـنِـي هُـلْـكُـهُ وَسْـطَ الـمَـحَـلَّـهْ
سَـيِّـدُ الْـقَـوْمِ أَتَـاهُ الْــ حَـتْـفُ نَـارٌ وَسْـطَ ظُـلَّـهْ
جُـعِـلَـتْ نَـاراً عَـلَـيْـهِـمْ دَارُهُـمْ كَـالـمُـضْـمَـحِـلَّـهْ[5]

---

(١) كذا في فيض الله والطبري، وفي المطبوع والحمزوية: «غيمة»، وفي الأصل ونجيبويه ولالاليه: «غيبة»، وفي نور العثمانية: «عينه»، وفي السليمانية: «غينة».

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٥٦٧) فالأبيات لرجل من أهل مدين يقال له: عمرو بن جلهاء، وكذا في تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨١٤).

(٣) هود: ٨٨، والحديث لا يصح مرفوعاً، أخرجه الطبري (١٤٨٦٤)، وابن أبي حاتم (٨٧٢٦، ١٥٩٢١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢٠) من طريق محمد بن إسحاق، عن يعقوب بن أبي سلمة الماجشون، عن النبي ﷺ مرسلاً، وفي رواية الحاكم بدون ذكر يعقوب بن أبي سلمة، وأخرجه ابن جرير (١٨٥١٢)، وابن أبي حاتم (١١١٦٢) من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين، عن سفيان الثوري من قوله، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٧٢٥) عن مالك بن أنس من قوله.

(٤) هو إسماعيل بن أبي خالد البجلي مولاهم الكوفي، أحد أئمة الحديث أبو عبد الله، سمع أبا جحيفة وابن أبي أوفى، وروى عنه الحكم بن عتيبة وشعبة والسفيانان، وكان ثقة حجة، توفي نحو (١٤٦هـ)، تاريخ الإسلام (٩/ ٦٨).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٥٦٨)، وفيه: «كلمون هد ركني»، فالأبيات لأخت كلمون تبكيه، وكذا في تفسير الثعلبي (٤/ ٢٦٣) وغيره.

قال القاضي أبو محمد: وهذه حكاية مظنون بها والله أعلم، وقد تقدم معنى ﴿ جَٰثِمِينَ ﴾.

وقوله: ﴿ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَا ﴾ لفظ فيه للإخبار عن قوة هلاكهم ونزول النقمة بهم، والتنبيه على العبرة بهم، ونحو هذا قول الشاعر:

[الطويل] كأنْ لم يَكُنْ بينَ الحَجُون إلى الصَّفَا[1] ....

و﴿يَغۡنَوۡاْ﴾ معناه: يقيموا ويسكنوا.

قال القاضي أبو محمد: وغَنِيْتُ في المكان، إنما يقال في الإقامة التي هي مقترنة بتنعم وعيش مرضي، هذا الذي استقريت من الأشعار التي ذكرت العرب فيها هذه اللفظة فمن ذلك قول الشاعر:

[الوافر] وقد نَغْنَى بها ونرى عُصوراً بها يَقْتَدْنَنَا الخُرُدَ الخِذَالا[2]

ومنه قول الآخر:

[الرمل] وَلَقَدْ يَغْنَى بِهَا جِيرَانُكِ الْـ ـمُمْسِكُو مِنْكِ بِعَهْدٍ وَوِصَالِ[3]

أنشده الطبري[4]، ومنه قول الآخر:

[الطويل] ألا حَيِّ من أجْل الحَبيبِ المَغانِيا[5] ....

---

(١) عجزه: أنيسٌ ولم يسمرْ بمكةَ سامرُ، وهو لعمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي، كما في سيرة ابن هشام (١/ ١١٤)، ومعجم الشعراء (ص: ٢٠٤)، وفي جمهرة أشعار العرب (ص: ٥٦) أنه للحارث بن مضاض، وفي المنمق (ص: ٢٩٠): بكر بن غالب بن عمرو.

(٢) البيت للمرار الأسدي كما في الكتاب لسيبويه (١/ ٧٨)، والإنصاف في مسائل الخلاف (١/ ٨٥).

(٣) البيت لعبيد بن الأبرص كما في إيضاح الشواهد (٢/ ٦٣٥) وغيره.

(٤) تفسير الطبري (١٢/ ٥٦٩)، بلا نسبة، وهو لعبيد بن الأبرص كما في الخصائص (٢/ ٢٥٨).

(٥) صدر بيت لأبي حية النميري عجزه: لبسن البلى مما لبسن اللياليا، انظر: الأغاني (١٦/ ٣٣٠)، والكامل للمبرد (١/ ١٧٦).

ومنه قول مهلهل:

غَنِيَتْ دَارُنَـا تِهَامَـةَ فـي الدَّهْــ ـــرِ وفيهـا بَنُـو مَعَـدٍّ حُلـولاً[١] [الخفيف]

ويشبه أن تكون اللفظة من الاستغناء.

وأما قوله: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤] ففيه هذا المعنى لأن المراد: كأن لم تكن ناعمة نضرة مستقلة، ولا توجد فيها علمتُ إلا مقترنة بهذا المعنى، وأما قول الشاعر:

غَنِينَـا زَمانـاً بالتَّصَعْلُكِ والغِنى وكُلّاً سقاناه بكَأسَيْهما الدهرُ[٢] [الطويل]

فمعناه: استغنينا بذلك ورضيناه، مع أن هذه اللفظة ليست مقترنة بمكان.

وقوله: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ إلى آخر الآية، كلام يقتضي أن شُعَيْباً عليه السلام وجد في نفسه لما رأى هلاك قومه حزناً وإشفاقاً إذ كان أمله فيهم غير ذلك، فلما وجد ذلك طلب أن يثير في نفسه سبب التسلي عنهم والقسوة عليهم، فجعل يعدد معاصيهم وإعراضهم الذي استوجبوا به أن لا يتأسف عليهم، فذكر أنه بلغ الرسالة ونصح، والمعنى: فأعرضوا وكذبوا، ثم قال لنفسه: لما نظرت في هذا وفكرت فيه فكَيْفَ آسى على هؤلاء الكفرة؟ ويحتمل أن يقول هذه المقالة على نحو قول النبي ﷺ لأهل قليب بدر[٣].

وقال مكي: وسار شعيب بمن معه حتى سكن مكة إلى أن ماتوا بها[٤].

و﴿ءَاسَىٰ﴾: معناه: أحزن، وقرأ ابن وثاب وطلحة بن مصرف والأعمش: (إيسى) بكسر الهمزة[٥] وهي لغة كما يقال: إخال وإيمن، قال عبد الله بن عمر لا إخاله، وقال ابنه

(١) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٢٢١).

(٢) البيت لحاتم الطائي كما في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٥٨)، والأمالي للقالي (٢/ ٢٨٦)، والعقد الفريد (١/ ٢٣٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٧٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٤) تفسير الهداية لمكي (٤/ ٢٤٥٣).

(٥) انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٠)، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (٤/ ٢٤٥٥)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٣٤٩).

[٢/ ١٥٦] عبد الله بن عبد الله بن عمر[١] في كتاب الحج: لا إيمن، / وجميع ذلك في البخاري[٢].

وهذه اللغة تطرد في العلامات الثلاث: همزة التكلم، ونون الجماعة، وتاء المخاطبة، ولا يجوز ذلك في ياء الغائب كذا قال سيبويه[٣].

وأما قولهم من وَجِل: يَيْجل، فلعله من غير هذا الباب.

قوله عزَّ وجَّل: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

هذه الآية خبر من الله عز وجل أنه ما بعث نبياً في مدينةٍ وهي القرية، إلا أخذ أهلها المكذبين له بالبأساءِ، وهي المصائب في الأموال[٤]، والهموم وعوارض الزمن، والضَّراء، وهي المصائب في البدن كالأمراض ونحوها، هذا قول ابن مسعود[٥]، وكثير من أهل اللغة.

وحكي عن السدي ما يقتضي أن اللفظتين تتداخل[٦]، فتقال كل واحدة على المعنيين[٧].

و﴿لَعَلَّهُمْ﴾ ترجٍّ بحسب اعتقاد البشر وظنونهم. ﴿يَضَّرَّعُونَ﴾ أي: ينقادون

---

(١) هو عبد الله بن عبد الله بن عمر العدوي المدني، وصي أبيه، سمع: أباه، وأبا هريرة، وعنه: عبد الرحمن ابن القاسم، والزهري، ومحمد بن جعفر بن الزبير، ومحمد بن يحيى بن حبان، وغيرهم، وثقه وكيع. توفي سنة (١٠٥هـ)، قبل أخيه سالم بعام. تاريخ الإسلام (٧/ ١٣٨).

(٢) قول ابن عمر أخرجه البخاري (١١٧٥)، وأما قول ابنه عبد الله: «لا إيمن» فهي رواية المستملي كما في عمدة القاري (٩/ ٢٨٢)، وانظر «صحيح البخاري» ـ اليونينية ـ (١٦٣٩).

(٣) الكتاب لسيبويه (٤/ ١١١).

(٤) في المطبوع: «الآمال»، في السليمانية وفيض الله ولالاليه: «المال».

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٣٤٩).

(٦) في المطبوع: «تتداخلان».

(٧) تفسير الطبري (٣/ ٣٤٩)، وكذلك (١٢/ ٥٧٢).

إلى الإيمان، وهكذا قولهم: الحمى أضرعَتْني لك[١].

ثم قال تعالى أنه بعد إنفاذ الحكم في الأولين بدّل للخلق[٢] ﴿مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ﴾، وهي البأْساءُ والضراءُ، ﴿ٱلْحَسَنَةَ﴾ وهي السراءُ والنعمة، وهذا بحسب ما عند الناس، وإلا فقد يجيءُ الأَمر كما قال الشاعر:

قَدْ يُنْعِمُ الله بالبَلْوَى وإِنْ عَظُمَتْ ويَبْتَلي الله بعضَ الْقَوْمِ بالنِّعَم[٣] [البسيط]

قال القاضي أبو محمد: وهذا إنما يصح مع النظر إلى الدار الآخرة والجزاء فيها، والنعمة المطلقة هي التي لا عقوبة فيها، والبلوى المطلقة هي التي لا ثواب عليها.

و﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ معناه: حتى كثروا، يقال: عفا النبات والريش يعفو: إذا كثر نباته وريشه[٤]، ومن هذا المعنى قول الشاعر:

وَلـكِـنَّـا نُـعِـضُّ السَّـيْـفَ مـنها بِأَسْوُقِ عَافِياتِ الشَّحْمِ كُومِ[٥] [الوافر]

وعليه قوله ﷺ: «أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى»[٦].

وعفا أيضاً في اللغة بمعنى درس وبلي، فقال بعض الناس: هي من الألفاظ التي تستعمل للضدين[٧]، وأما قول زهير:

.... علـى آثارِ مَـنْ ذَهَـبَ العَفـاءُ[٨] [الوافر]

(١) يضرب في الذل بعد العز، انظر: الأمثال لابن سلام (ص: ١٩).

(٢) في نسخة نجيبويه وفيض الله: «للخلف».

(٣) البيت لأبي تمام، كما في الموازنة (ص: ٩١)، والصناعتين (ص: ٢٢٧)، وزهر الآداب للقيرواني (١/ ١٢٤).

(٤) انظر: المخصص (٣/ ١٢٢)، باب الطين، ولفظة: «وريشه» زيادة من السليمانية.

(٥) البيت للبيد كما في مجاز القرآن (١/ ٢٢٢)، وأساس البلاغة (١/ ٦٥٩).

(٦) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٥٨٩٢)، ومسلم (٢٥٩) من حديث عبد الله بن عمر، واللفظ لمسلم.

(٧) انظر: المخصص (٤/ ١٧٨)، والأضداد للأنباري، (ص: ٨٦-٨٧).

(٨) صدر البيت: «تحمل أهلها عنها فبانوا»، انظر عزوه له في الصحاح للجوهري (٧/ ٢٨١)، والمحكم لابن سيده (١/ ٣٣٦)، وغريب الحديث لابن سلام (٤/ ٣٨٩)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٧).

فيحتمل ثلاثة معان: الدعاء بالدرس، والإخبار به، والدعاء بالنمو والنبات[١]، كما يقال: جادته الديم وسقته العهاد.

ولما بدل الله حالهم بالخير لطفاً بهم فنموا؛ رأى الخلف بعد ذلك ـ للكفر الذي هم فيه ـ أن إصابة الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء إنما هي بالاتفاق، وليست بقصد كما يخبر النبي، واعتقدوا أن ما أصابهم من ذلك إنما هو كالاتفاق الذي كان لآبائهم فجعلوه مثالاً، أي: قد أصاب هذا آباءنا فلا ينبغي لنا أن ننكره، فأخبر الله تعالى أنه أخذ هذه الطوائف التي هذا معتقدها.

وقوله: ﴿بَغۡتَةً﴾ أي: فجأة وأخذة أسفاً وبطشاً للشقاء السابق لهم في قديم علمه.

و(السرّاء) السرور والحَبْرة.

﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ معناه: وهم مكذبون بالعذاب لا يتحسسون لشيء منه ولا يستشعرونه باستذلال ولا غيره.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ﴾ الآية؛ المعنى في هذه الآية: أنهم لو كانوا ممن سبق في علم الله أن يكتسبوا الإيمان والطاعات ويتصفوا بالتقى لتبع ذلك من فضل الله ورحمته وإنعامه ما ذكر من بركات المطر والنبات، ولكنهم لما كانوا ممن سبق كفرهم وتكذيبهم، تبع ذلك أخذ الله لهم بسوء ما اجترموه، وكلٌّ مقدورٌ، والثوابُ والعقاب متعلق بكسب البشر، وبسببه استندت الأفعال إليهم في قوله: ﴿ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ﴾، وفي ﴿كَذَّبُواْ﴾.

وقرأ الستة من القراء السبعة: ﴿لَفَتَحۡنَا﴾ بتخفيف التاء، وهي قراءة الناس، وقرأ ابن عامر وحده، وعيسى الثقفي وأبو عبد الرحمن: ﴿لفتّحنا﴾ بتشديد التاء[٢].

و«فتح البركات»: إنزالها على الناس، ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ﴾[٣]، ومنه قالت الصوفية: الفتوح والبركات: النمو والزيادات، ومن السماء لجهة[٤]

---

(١) في المطبوع: «للنبات».

(٢) فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١١)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٨٦).

(٣) فاطر: ٢، وزاد في نسخة نجيبويه: «فلا ممسك لها».

(٤) في نسخة نجيبويه: «بهجة»، في الموضعين.

المطر والريح والشمس، ومن الأرض لجهة الإنبات والحفظ لما ينبت، هذا هو الذي يدركه نظر البشر ولله خدام غير ذلك لا يحصى عددهم، وما في علم الله أكثر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

هذه الآية تتضمن وعيداً للكفار المعاصرين لمحمدٍ ﷺ لأنه لما أخبر عما فعل في الأمم الخالية قال: ومن يؤمن هؤلاء أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك؟، وهذا استفهام على جهة التوقيف.

و«البأس»: العذاب، و﴿بَيَٰتًا﴾ نصب على الظرف، أي: وقتَ مبيتهم بالليل، ويحتمل أن يكون هذا في موضع الحال.

وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر: ﴿أَوْ أَمِنَ﴾ بسكون الواو وإظهار الهمزتين، وقرأ ورش عن نافع: ﴿أوَ امن﴾، بفتح الواو وإلقاء حركة الهمزة الثانية عليها، وهذه القراءة في معنى الأولى ولكن سهلت.

وقرأ عاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿أَوَأَمِنَ﴾ بفتح الواو وإظهار الهمزتين[1].

ومعنى هذه القراءة: أنه دخل ألف الاستفهام على حرف العطف، ومعنى القراءة الأولى: أنه عطف بـ(أو) التي هي لأحد الشيئين، المعنى: أَفَأَمِنُوا هذا أو هذا كما تقول: أجاء زيد أو[2] عمرو، وليست هذه (أو) التي هي للإضراب عن الأول، كما تقول: أنا أقوم أو أجلس، وأنت تقصد الإضراب عن القيام والإثبات للجلوس وتقريره.

وقولنا: التي هي لأحد الشيئين، تعم الإباحة والتخيير، كقولك: جالس الحسن

(١) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١١١)، والسبعة في القراءات (ص/ ٢٨٦).
(٢) في السليمانية: «أم».

أو ابن سيرين أو قولك: جالس الحسن أو جالس ابن سيرين.

وقوله: ﴿يَلْعَبُونَ﴾ يريد: في غاية الغفلة والإعراض.

و﴿مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ هي إضافة مخلوق إلى الخالق[1]، كما تقول: ناقة الله وبيت الله، والمراد فعل يعاقب به مكرة الكفار، وأضيف إلى الله لما كان عقوبةَ الذنب، فإن [٢/ ١٥٧] العرب/ تسمي العقوبة على أي وجه كانت باسم الذنب الذي وقعت عليه العقوبة.

وهذا نصٌّ في قوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وهذا الموضع أيضاً، كأن كفرهم بعد الرسالة وظهور دعوة الله مكر وخديعة واستخفاف، وقيل: عومل في مثل هذا وغيره اللفظ دون المعنى في مثل قوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، و«إن الله لا يَمَلُّ حتى تملوا»[2] وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾ الآية، هذه ألف تقرير دخلت على واو العطف، و﴿يَهْدِ﴾ معناه: يبين ويوضح، والهدى: الصباح، وأنشدوا على ذلك:

[البسيط] حَتَّى اسْتَبَنْتُ الهُدَى والْبِيدُ هاجِمَةٌ يَسبحنَ في الآلِ غُلْفا أوْ يُصَلِّينا[3]

ويحتمل أن يكون المبين اللهَ تعالى، ويحتمل أن يكون المبين قوله تعالى: ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ﴾ أي: علمهم بذلك.

وقال ابن عباس[4] ومجاهد وابن زيد: (يهدي) معناه: يتبين[5].

وهذه أيضاً آية وعيد، أي: ألم يظهر لوارث الأرض بعد أولئك الذين تقدم ذكرهم وما حل بهم، أنا نقدر لو شئنا أن نصيبهم إصابة إهلاك بسبب معاصيهم، كما فعل بمن

---

(١) تقدم التنبيه على مذهب السلف في الصفات.

(٢) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١١٥١)، ومسلم (٧٨٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) البيت لابن مقبل، كما تقدم في تفسير سورة الفاتحة، وهو هناك بلفظ: «يخشعن» بدل «يسبحن»، وكذا في أكثر المصادر.

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٨٠) من طريق علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس.

(٥) تفسير الطبري (١٢/ ٥٨٠).

تقدم، وكنا (نطبع) أي: [نحتم، ونختم عليها بالشقاوة، وفي هذه العبارة ذكرُ القوم الذين قصد ذكرهم وتعديد][(١)] النعمة عليهم فيما ورثوا، والوعظُ بحالِ مَن سلف من المهلكين.

و(نطبع) عطف على الماضي[(٢)]، إذ المراد به الاستقبال، ويحتمل أن يكون ﴿وَنَطْبَعُ﴾ منقطعاً؛ إخباراً عن وقوع الطبع، لا أنه متوعَّدٌ به، ويبقى التوعد بالإهلاك الذي هو بعذاب كالصيحة والغرق ونحوه.

وقرأ أبو عمرو: ﴿وَنَطْبَع عَّلى﴾ بإدغام العين في العين وإشمام الضم، ذكره أبو حاتم[(٣)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

﴿تِلْكَ﴾ ابتداء، و﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ قال قوم: هو نعت، والخبر ﴿نَقُصُّ﴾ ويؤيد هذا أنَّ القصدَ إنما هو الإخبار بالقصص.

قال القاضي أبو محمد: والظاهر عندي أن ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ هي خبر الابتداء، وفي ذلك معنى التعظيم لها ولمهلكها، وهذا كما قيل في ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ٢] إنه ابتداء وخبر، وكما قال ﷺ: «أولئك الملأ»[(٤)]، وكقول أبي الصلت[(٥)]: تلك المكارم[(٦)]، وهذا كثير.

---

(١) ساقط من نور العثمانية، وسقطت «ونختم» الثانية من المطبوع وفيض الله والسليمانية.

(٢) في المطبوع: «على أصبناهم».

(٣) على قاعدته في الإدغام الكبير، وهي قراءة متواترة رواها عنه السوسي، انظر: التيسير (ص: ٢٠).

(٤) هو ما روي من قوله ﷺ ـ في حديث طويل ـ في قتلى بدر من صناديد قريش: «أولئك الملأ الأكبر من قريش»، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٨٦) من حديث عدي بن ثابت، وفي إسناده حصين السلولي وهو ابن مخارق، متهم بالكذب.

(٥) في المطبوع: «أمية بن أبي الصلت»، وأبو الصلت والد أمية، والبيت يعزى لهما.

(٦) من بيت له وهو:

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيباً بماء فعادا بعدُ أبوالا

وقد تقدم قريباً في الآية ٨٧ من هذه السورة.

وكأن في اللفظ معنى التحسر على القرى المذكورة، والمعنى: نقص عليك من أنباء الماضين لتتبين العبر وتعلم المَثُلات التي أوقعها الله بالماضين.

ثم ابتدأ الخبر عن جميعهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ﴾.

قال القاضي أبو محمد: وهذا الكلام يحتمل أربعة وجوه من التأويل:

أحدها: أن يريد أن الرسول جاء لكل فريق منهم فكذبوه لأول أمره، ثم استبانت حجته وظهرت الآيات الدالة على صدقه مع استمرار دعوته، فلجّوا هم في كفرهم ولم يؤمنوا بما تبين به تكذيبهم من قبل، وكأنه وصفهم على هذا التأويل باللجاج في الكفر والصرامة[1] عليه، ويؤيد هذا التأويل قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

ويحتمل في هذا الوجه أن يكون المعنى: ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾؛ أي ما كانوا ليوفقهم الله إلى الإيمان؛ بسبب أنهم كذبوا قبلُ فكان تكذيبهم سبباً؛ لأن يمنعوا الإيمان بعد.

والثاني من الوجوه: أن يريد: فما كان آخرهم في الزمن والعصر ليهتدي ويؤمن بما كذب به أولهم في الزمن والعصر، بل كفر كلهم ومشى بعضهم على سنن بعض في الكفر.

قال القاضي أبو محمد: أشار إلى هذا القول النقاش[2]، فكأن الضمير في قوله: ﴿كَانُوا۟﴾ يختص بالآخِرين، والضمير في قوله: ﴿كَذَّبُوا۟﴾ يختص بالقدماء منهم.

والثالث من الوجوه: يحتمل أن يريد: فما كان هؤلاء المذكورون بأجمعهم لو ردوا إلى الدنيا ومُكنوا من العودة ليؤمنوا بما كذبوا في حال حياتهم ودعاء الرسول لهم، قاله مجاهد[3]، وقرنه بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] وهذه أيضاً صفة بليغة في اللجاج والثبوت على الكفر، بل هي غاية في ذلك.

والرابع من الوجوه: أنه يحتمل أن يريد وَصْفَهم بأنهم لم يكونوا ليؤمنوا بما قد سبق

---

(١) في الحمزوية: «والصراحة».

(٢) نقله عنه في البحر المحيط (٥/ ١٢٥).

(٣) تفسير الثعلبي (٤/ ٢٦٦).

في علم الله تعالى أنهم مكذبون به، فجعل سابق القدر عليهم بمثابة تكذيبهم بأنفسهم، لا سيما وقد خرج تكذيبهم إلى الوجود في وقت مجيء الرسل، وذكر هذا التأويل المفسرون وقرنوه بأنَّ الله عز وجل حتم عليهم التكذيب وقت أخذ الميثاق، وهو قول أبي بن كعب(١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ الآية، أخبر تعالى أنه لم يجد لأكثرهم ثبوتاً على العهد الذي أخذه على ذرية آدم وقت استخراجهم من ظهره، قاله أبو العالية عن أبي بن كعب.

ويحتمل أن يكون الكلام عبارة عن أنهم لم يصرِّفوا عقولهم في الآيات المنصوبة، ولا شكروا نعم الله ولا قادتهم معجزات الأنبياء؛ لأن هذه الأمور عهد في رقاب العقلاء كالعهود ينبغي أن يوفى بها، وأيضاً فمِن لدن آدم تقرر العهدُ الذي هو بمعنى الوصية، وبه فسر الحسن هذه الآية، فيجيء المعنى: وما وجدنا لأكثرهم التزام عهد وقبولَ وَصاةٍ، ذكره المهدوي(٢).

و﴿مِّنْ﴾ في هذه الآية زائدة، إلا أنها تعطي استغراق جنس العهد ولا تجيء هذه إلا بعد النفي، و(إن) هي المخففة من الثقيلة عند سيبويه.

واللام في قوله: ﴿لَفَٰسِقِينَ﴾ للفرق بين (إن) المخففة وغيرها، و(إن) عند الفراء هي بمعنى «ما»، واللام بمعنى «إلا»، والتقدير عنده: وما وجدنا أكثرهم إلا فاسقين(٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

---

(١) إسناده لين، أخرجه الطبري (١٢/ ٨) من طريق: حجاج، عن ابن جريج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أبي به.

(٢) انظر قول الحسن في تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٣١)، وانظر: التحصيل للمهدوي (٣/ ٧٢).

(٣) انظر القولين في مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٢٩٧)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٦٤).

[٢/ ١٥٨] الضمير في قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِم﴾ عائد على الأنبياء المتقدم ذكرهم وعلى أممهم/ .

و«الآيات» في هذه الآية عامٌّ في التسع وغيرها.

وقوله: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ المعنى: فظلموا أنفسهم فيها وبسببها، وظلموا أيضاً مُظهِرَها، ومتَّبِعي مُظْهِرِها.

وقيل: لما نزِّلت (ظلموا) منزلة كفروا وجحدوا عديت بالباء، كما قال:

[الرجز] قد قتل الله زياداً عني[١] ....

فأنزل قتل منزلة صرف.

ثم حذر الله من عاقبة المفسدين الظالمين وجعلهم مثالاً يتوعد به كفرة عصر النبي ﷺ.

و﴿فِرۡعَوۡنَ﴾ اسم كل ملك لمصر في ذلك الزمان، فخاطبه موسى بأعظم أسمائه وأحبها إليه، إذ كان من الفراعنة كالنماردة[٢] في اليونان، وقيصر في الروم، وكسرى في فارس، والنجاشي في الحبشة.

وروي أن موسى ابنُ عمران [بْنِ يَصْهُرَ][٣] بن فاهت بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن.

وروي أن اسم فرعونِ موسى عليه السلام: الوليدُ بن مصعب، وقيل: هو فرعون يوسف وأنه عمِّر نيفاً وأربع مئة سنة.

قال القاضي أبو محمد: ومن قال إن يوسف المبعوث الذي أشار إليه موسى في قوله: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر: ٣٤] هو غير يوسف الصدِّيق فليس يحتاج إلى نظر.

---

(١) البيت للفرزدق كما تقدم في أول الكتاب.

(٢) في المطبوع: «النمارذة».

(٣) من السليمانية وفيض الله.

ومن قال إنه يوسف الصديق فيعارضه ما يظهر من قصة يوسف، وذلك أنه ملك مصر بعد عزيزها، فكيف يستقيم أن يعيش عزيزها إلى مدة موسى، فينفصل أن العزيز ليس بفرعون الملك إنما كان حاجباً له.

وقرأ نافع وحده: ﴿عَلَيَّ﴾ بإضافة (على) إليه، وقرأ الباقون على سكون الياء[١].

قال الفارسي: معنى هذه القراءة أن ﴿عَلَىٰٓ﴾ وضعت موضع «الباء»، كأنه قال: حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق، كما وضعت «الباء» موضع «على» في قوله: ﴿وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ﴾ [الأعراف: ٨٦] فيتوصل إلى المعنى بهذه وبهذه[٢].

وكما تجيء «على» أيضاً بمعنى «عن»، ومنه قول الشاعر في صفة قوسه:

أَرْمِي عَلَيْهَا وَهْيَ فَرْعٌ أَجْمَعُ ... وَهْيَ ثلاثُ أَذْرُعٍ وإِصْبَعُ[٣] [الرجز]

قال القاضي أبو محمد: و﴿حَقِيقٌ﴾ عَلى هذا معناه: جدير وخليق.

وقال الطبري: قال قوم: ﴿حَقِيقٌ﴾ معناه: حريص، فلذلك وصلت بـ﴿عَلَىٰٓ﴾[٤]. وفي هذا القول بُعدٌ.

وقال قوم: ﴿حَقِيقٌ﴾ صِفة لـ﴿رَسُولٌ﴾ تم عندها الكلام، و﴿عليَّ﴾ خبر مقدم، و﴿أَن لَّآ أَقُولَ﴾ ابتداء تقدم خبره.

وإعراب ﴿أَن﴾ على قراءة مَن سكَّن الياء خفضٌ، وعلى قراءة من فتحها مشددةً رفعٌ.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١١)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٨٧).
(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٥٧).
(٣) البيت بلا نسبة في الكتاب لسيبويه (٤/ ٢٢٦)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٢١)، والمعاني الكبير (٢/ ١٠٤٢)، وقد نسب في بعض المراجع لحميد الأرقط، كما في معجم القواعد العربية للشيخ عبد الغني الدقر (٤/ ٦)، يقال: قوسٌ فرْع: غير مشقوق، وقوسٌ فِلْقٌ: مشقوق.
(٤) تفسير الطبري (١٣/ ١٤).

وقال الكسائي: في قراءة عبد الله: (حقيق بأن لا أقول)[١].

وقال أبو عمرو: في قراءة عبد الله: (حقيق أن لا أقول)، وبه قرأ الأعمش[٢].

وهذه المخاطبة إذا تأملت غاية في التلطف، ونهاية[٣] في القول اللين الذي أُمر عليه السلام به.

وقوله: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الآية، «البينة» هنا إشارة إلى جميع آياته، وهي على المعجزة هنا أدل، وهذا من موسى عرضُ نبوته ومن فرعون استدعاء خرق العادة الدال على الصدق.

وظاهر الآية وغيرها أن موسى عليه السلام لم تَنْبنِ شريعته إلا على بني إسرائيل فقط، ولم يَدْعُ فرعون وقومه إلا إلى إرسال بني إسرائيل، وذكَّره لعله يخشى أو يزَّكَّى ويوحِّد كما يذكَّر كل كافر، إذ كل نبي داع إلى التوحيد وإن لم يكن آخذاً به ومقاتلاً عليه، وأمَّا أنه[٤] دعاه إلى أن يؤمن ويلتزم جميع الشرع فلم يَرِدْ هذا نصّاً، والأمر محتمل.

وبالجملة فيظهر فرقٌ مّا بين بني إسرائيل وبين فرعون والقبط، ألا ترى أن بقية القبط ـ وهم الأكثر ـ لم يرجع إليهم موسى أبداً ولا عارضهم، وكان القبط مثل عبدة البقر وغيرهم، وإنما احتاج إلى محاورة فرعون لتملكه على بني إسرائيل.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾ الآية، روي أن موسى عليه السلام قلِق به وبمحاورته، فقال فرعون لأعوانه: خذوه، فألقى موسى العصا فصارت ثعباناً وهمَّت

---

(١) وهي شاذة. انظرها في معاني القرآن للنحاس (٣/ ٦١)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٣٨٦).

(٢) انظر عزوها لعبد الله في الكشاف للزمخشري (٢/ ١٣٧)، ومع نقل أبي عمر بن العلاء عنه في معاني القرآن للنحاس (٣/ ٦٠)، وانظر عزوها للأعمش في البحر المحيط (٥/ ١٢٩)، وفي السليمانية: «أبو عمرو الداني».

(٣) ساقط من المطبوع.

(٤) في الأصل والحمزوية ونجيبويه: «أن».

بفرعون فهرب منها، وقال السدي: إنه أحدث، وقال: يا موسى كُفَّه عني، فكفَّه، وقال نحوه سعيد بن جبير(١).

و(إذا): ظرف مكان في هذا الموضع عند المبرد من حيث كانت خبراً عن جثة(٢).

والصحيح الذي عليه الناس أنها ظرف زمان في كل موضع.

ويقال: إن الثعبان وضع أسفل لحييه في الأرض وأعلاها في أعلى(٣) شرفات القصر.

و«الثعبان»: الحية الذكر، وهو أهول وأجرأ، قاله الضحاك، وقال قتادة: صارت حية أشعر(٤) ذكراً، وقال ابن عباس: غرزت ذنبها في الأرض ورفعت صدرها إلى فرعون(٥).

وقوله: ﴿مُّبِينٌ﴾ معناه: لا تخييل فيه بل هو بينٌ أنه حقيقة، وهو من «أبان» بمعنى «بان» [أو من «أبان» المعدى من «بان»](٦).

وقوله: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ معناه: من جيبه أو كمه، حسب الخلاف في ذلك.

وقوله: ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ قال مجاهد: كاللبن أو أشد بياضاً(٧).

وروي أنها كانت تظهر منيرة شفافة كالشمس تأتلق(٨).

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ١٦).

(٢) مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٢٩٧).

(٣) من فيض الله ونور العثمانية.

(٤) في المطبوع: «شعراء»، وانظر قول الضحاك وقتادة في تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٣١)، وتفسير الطبري (١٣/ ١٥ و١٧).

(٥) لم أره بهذا اللفظ، لكن روى الطبري (١٣/ ١٦) عن ابن عباس قريباً من هذا المعنى بإسناد فيه أبو سعد البقال، وهو ضعيف.

(٦) في المطبوع: «أو من بان بمعنى سلب عن أجزائه».

(٧) تفسير الطبري (١٣/ ١٨)، بتصرف يسير.

(٨) في المطبوع والحمزوية: «تتألق».

وكان موسى عليه السلام آدمَ(١) أحمر إلى السواد، ثم كان يردُّ يده فترجع إلى لون بدنه(٢).

قال القاضي أبو محمد: وهاتان الآيتان عرَضهما موسى عليه السلام للمعارضة ودعا إلى الله بهما، وخرق العادة بهما، وتحدى الناس إلى الدين بهما، فإذا جعلنا التحدي الدعاء إلى الدين مطلقاً فبهما تحدى، وإذا جعلنا التحدي في الدعاء بعد العجز عن معارضة المعجزة وظهور ذلك فتنفرد حينئذٍ العصا بذلك؛ لأن المعارضة والعجز فيها وقعا.

قال القاضي أبو محمد: ويقال: التحدي هو الدعاء إلى الإتيان بمثل المعجزة، فهذا نحوٌ ثالثٌ، وعليه يكون تحدي موسى بالآيتين جميعاً؛ لأن الظاهر من أمره أنه عرضهما للنظر معاً وإن كان لم ينص على الدعاء إلى الإتيان بمثلها.

وروي عن فَرْقَد السَّبَخي(٣) أن فم الحية كان ينفتح أربعين ذراعاً(٤).

قوله عز وجل: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾.

[٢/ ١٥٩] الساحر كان عندهم في ذلك/ الزمن أعلى المراتب وأعظم الرجال، ولكن

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «ذا دم».

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ١٨).

(٣) هو فرقد بن يعقوب السبخي أبو يعقوب البصري الحائك، أحد العباد الأعلام، روى عن سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وربعي بن حراش، وعنه سعيد بن أبي عروبة وحماد بن سلمة وهمام، وثقه ابن معين، وقال أحمد: ليس بقوي. تاريخ الإسلام (٨/ ٢٠١).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٤١١).

وصفهم موسى بذلك ـ مع مدافعتهم له عن النبوة ـ ذم عظيم وحط، وذلك قصدوا إذ[١] لم يمكنهم أكثر.

وقولهم: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ يعنون بأنه يحكم فيكم بنقل رعيتكم في بني إسرائيل، فيفضي ذلك إلى خراب دياركم إذا ذهب الخَدَمة والعَمَرة، وأيضاً فلا محالة أنهم خافوا أن يقاتلهم، وجالت ظنونهم كل مجال، وقال النقاش: كانوا يأخذون من بني إسرائيل خرجاً كالجزية، فرأوا أن ملكهم يذهب بزوال ذلك[٢].

وقوله: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ الظاهر أنه من كلام الملأ بعضهم إلى بعض، وقيل هو من كلام فرعون لهم.

وروى كردم[٣] عن نافع: (تأمرونِ) بكسر النون، وكذلك في الشعراء[٤].

و(ما) استفهام و(ذا)[٥] بمعنى الذي، فهما ابتداء وخبر، وفي ﴿تَأْمُرُونَ﴾ ضمير عائد على «الذي» تقديره: تأمرون به. ويجوز أن تجعل ﴿فَمَاذَا﴾ بمنزلة اسم واحد في موضع نصب بـ﴿تَأْمُرُونَ﴾ ولا يضمر فيه على هذا.

قال الطبري: والسحر مأخوذ من: سحر المطر الأرض: إذا جادها حتى يقلب نباتها ويقلعه من أصوله، فهو يسحرها سحراً، والأرض مسحورة[٦].

قال القاضي أبو محمد: وإنما سحر المطرُ الطينَ إذا أفسده حتى لا يمكن فيه

---

(١) في المطبوع: «إن».

(٢) تفسير البحر المحيط (٥/ ١٢٤).

(٣) هو كردم بن خالد المغربي التونسي أبو خالد، وقيل: كردم بن خليد أبو خليد، قدم المدينة وعرض على نافع، وكان زاهداً عابداً فاضلاً، روى عنه أحمد بن جبير الأنطاكي قال الداني: ولا أعلم روى عنه أحد غيره، غاية النهاية (٢/ ٣٢).

(٤) الآية ٣٥، وهي قراءة شاذة، انظر: البحر المحيط (٥/ ١٣٤).

(٥) في المطبوع: «وإذا»، وهو خطأ.

(٦) تفسير الطبري (١٣/ ١٩).

عمل، و«السحر»: الأَخْذة التي تأخذ العين حتى ترى الأمر غير ما هو، وربما سحر الذهن، ومنه قول ذي الرمة:

[الوافر] وَسَاحِرَةِ السراب مِنَ المَرامِي تَرَقَّصُ في نَوَاشِزِهَا الأرُومُ(١)

أراد أنه يخيِّل نفسَه ماءً للعيون.

ثم أشار الملأ على فرعون بأن يؤخر موسى وهارون، ويدع النظر في أمرهما، ويجمع السحرة من كل مكان حتى تكون غلبة موسى بحجة واضحة معلومة بينة.

وقرأ ابن كثير: ﴿أرجئهُو﴾ بواو بعد الهاء المضمومة وبالهمز قبل الهاء.

وقرأ أبو عمرو: ﴿أرجئهُ﴾ بالهمز [قبل الهاء، إلا أنه اختلس ضمة الهاء](٢) دون واو بعدها.

وقرأ نافع وحده في رواية قالون: ﴿أرجِهِ﴾ بكسر الهاء، ويحتمل أن يكون المعنى: أخِّره، فسهل الهمزة، ويحتمل أن يكون من الرجاء بمعنى: أطمِعْه ورجه قاله المبرد(٣).

وقرأ ورش عن نافع: ﴿أرجهي﴾ بياء بعد كسرة الهاء.

وقرأ ابن عامر: ﴿أرجئْهِ﴾ بكسر الهاء وبهمزة قبلها(٤)، قال الفارسي: وهذا غلطٌ(٥).

وقرأ عاصم والكسائي: (أرجهُ) بضم الهاء دون همز(٦).

---

(١) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٣/ ١٩)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٦٨)، والمحكم (١٠/ ٢٩٦)، وعندهم: «العيون» بدل «السراب».

(٢) من السليمانية.

(٣) انظر عزوه له في معاني القرآن للنحاس (٣/ ٦٣).

(٤) هذه رواية ابن ذكوان عنه مع اختلاس الحركة، أما هشام عنه فقراءته مثل قراءة ابن كثير.

(٥) في الأصل: «القابسي»، وهو خطأ، انظر الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٦٣)، وقوله هذا فاسد لأنها قراءة ثابتة متواترة.

(٦) هذه قراءة شاذة، فالمتواتر عن الكسائي في هذا الحرف: «أرجهي» مثل ورش أما عاصم فرواية حفص وشعبة «أرجهْ» بلا همز مع إسكان الهاء كما سيأتي عن أبان، وهي قراءة حمزة أيضاً، انظر الأوجه التي للقراء السبعة في التيسير (ص: ١١١).

وروى أبان عن عاصم: ﴿أَرْجِهْ﴾ بسكون الهاء، وهي لغة تقف على هاء الكناية [في الوصل][١] إذا تحرك ما قبلها، ومنه قول الشاعر:

أَنْحَى عَلَيَّ الدَّهْرُ رِجْلاً وَيَدَا ... فَيُصْلِحُ الْيَوْمَ وَيُفْسِدُهْ غَدَا[٢] [الرجز]

يُقْسِمُ لا يُصْلِحُ إلا أَفْسَدَا

وقال الآخر:

لَمَّا رأَى أنْ لا دَعَهْ وَلا شِبَعْ ... مَالَ إلَى أَرْطَاةِ حِقْفٍ فَاضْطَجَعْ[٣] [الرجز]

وحكى النقاش أنه لم يكن يجالس فرعون ولد غيةٍ[٤]، وإنما كانوا أشرافاً، ولذلك أشاروا بالإرجاء ولم يشيروا بالقتل، وقالوا: إنْ قتلته دخلت على الناس شبهة، ولكن اغلبه بالحجة.

و﴿الْمَدَآئِنِ﴾ جمع مدينة، وزنها فعيلة من مَدَن، أو مفعلة من دان يدين، وعلى هذا يهمز مدائن أو لا يهمز.

و﴿حَاشِرِينَ﴾ معناه: جامعين، قال المفسرون: وهم الشرط[٥].

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر: ﴿بِكُلِّ سَاحِرٍ﴾، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾ على بناء المبالغة وكذلك في سورة يونس[٦].

---

(١) من نور العثمانية.

(٢) لدويد بن زيد بن نهد كما في طبقات فحول الشعراء (١/ ٣١)، والمؤتلف والمختلف (ص: ١٤٤)، وجمهرة الأمثال (١/ ٨٤).

(٣) البيت بلا نسبة في المحكم (١/ ١٠٠)، وتفسير الطبري (١٣/ ٢١)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٣٨٨)، وإصلاح المنطق (ص: ٧٦).

(٤) تفسير الثعالبي (٢/ ٤٣)، يقال: هو وَلَدُ غيَّة بفتح الغين وبكسرها، أي: هو ولَدُ زنْية،، وهو نقيض قولهم: ولد رَشْدَة.

(٥) تفسير الطبري (١٣/ ٢٣)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٥٤)، وتفسير الماوردي (٢/ ٢٤٥).

(٦) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٢).

وأجمعوا على ﴿سَحَّارٍ﴾ في سورة الشعراء.

وقال قتادة: معنى الإرجاء الذي أشاروا إليه: السجن والحبس(١).

وقوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ ﴾ الآية، هنا محذوفات يقتضيها ظاهر الكلام، وهي أنه بعث إلى السحرة وأمرهم بالمجيء، وقال ابن عباس: إنه بعث غلماناً فعلموا بالفرما(٢).

وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية حفص: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾ على جهة الخبر(٣).

وقرأوا في الشعراء: ﴿ أَإِنَّ لَنَا ﴾ ممدودة مفتوحة الألف، غير عاصم فإنه لا يمدها(٤).

قال أبو علي: ويجوز أن تكون على جهة الاستفهام وحذف ألفها(٥)، وقد قيل ذلك في قوله: ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء: ٢٢]، ومنه قول الشاعر:

[المنسرح] أَفْـرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الْكِـرَامَ.....(٦) ....

وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي هنا وفي الشعراء: ﴿ أَإِنَّ لَنَا ﴾ بألف الاستفهام قبل (إنَّ)، وقرأت فرقة: ﴿أئنَّ﴾ دون مد، وقرأ أبو عمرو هنا وفي الشعراء: ﴿أَيِنَّ﴾(٧).

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٢٢).

(٢) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري مطولاً (١٣/ ٢٥) وفي إسناده: سعيد بن المرزبان العبسي أبو سعد البقال الكوفي، وهو ضعيف، ولفظه: «فأعدّ فرعون علماء من بني إسرائيل، فبعث بهم إلى قرية بمصر يقال لها: «الفرما»، يعلمونهم السحر كما يعلَّم الصبيان الكِتَاب في الكتّاب» والفرما مدينة على الساحل من ناحية مصر كما في معجم البلدان (٤/ ٢٥٥).

(٣) وهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ١١٢).

(٤) وسيأتي تفصيل ذلك في محله، إن شاء الله.

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٦٥).

(٦) بقية البيت:

.... وأن أورث ذوداً شصائصاً نبلاً

وهو من أبيات لحضرمي بن عامر السدي، كما في أمالي القالي (١/ ٦٧)، والبيان والتبيين (٣/ ٢٠٨)، وأنساب الأشراف (١١/ ١٨٦)، والتعازي للمبرد (ص: ٢٥٩).

(٧) المتواتر عن أبي عمرو أنه يسهل الهمزة الثانية ويدخل قبلها ألفاً، وكذا قالون وهشام في أحد وجهيه. انظر: التيسير (ص: ٣٢).

و«الأجر» هنا: الأجرة، فاقترحوها إن غَلَبوا، فأنعم فرعون لهم بها وزادهم المنزلة والجاه، ومعناه: المقربين مني.

وروي أن السحرة الذين جاءوا إلى فرعون كانوا خمسة عشر ألفاً، قاله ابن إسحاق.

وقال ابن جريج: «كانوا تسع مئة»[١].

وذكر النقاش أنهم كانوا اثنين وسبعين رجلاً[٢].

وقال عكرمة: «كانوا سبعين ألفاً».

قال محمد بن المنكدر: «كانوا ثمانين ألفاً».

وقال السدي: مائتي ألف ونيفاً.

قال القاضي أبو محمد: وهذه الأقوال ليس لها سند يوقف عنده.

وقال كعب الأحبار: «كانوا اثني عشر ألفاً»[٣]، وقال السدي: «كانوا بضعة وثلاثين ألف رجل مع كل رجل حبل وعصاً»، وقال أبو ثمامة: «كانوا سبعة عشر ألفاً»[٤].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾ الآية، ﴿أَن﴾ في قوله: ﴿إِمَّآ أَن﴾ في موضع نصب أي إما أن تفعل الإلقاء، ويحتمل أن تكون في موضع رفع أي إما هو الإلقاء، وخير السحرةُ موسى في أن يتقدم في الإلقاء أو يتأخر.

---

(١) انظر قول ابن إسحاق وابن جريج في تفسير الطبري (١٨/ ٣٣٥)، وكذا قول السدي الثاني.

(٢) لم أقف عليه، ونقله تفسير السمعاني (٢/ ٢٠٣) عن ابن عباس، وتفسير البغوي (٣/ ٢٦٤) عن مقاتل.

(٣) انظر أقوال عكرمة وابن المنكدر وكعب في تفسير الطبري (١٣/ ٢٦)، إلا أن فيه ابن المنذر، وفي تفسير الثعلبي (٤/ ٢٦٩) وأكثر المصادر: ابن المنكدر، وتقدم قول السدي الثاني، أما قوله الأول فلم أقف عليه.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٣٥)، وأبو ثمامة هو بكر بن سوادة الجذامي المصري الفقيه، روى عن ابن عمرو بن العاص وسهل بن سعد، وعنه عمرو بن الحارث والليث، وثقه النسائي، واستشهد به البخاري، مات سنة (١٢٨هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٤٨).

قال القاضي أبو محمد: وهذا فعل الـمُدِلّ الواثق بنفسه، والظاهر أن التقدم في التخيلات والمخارق أنجح[١]، لأن بدليتهما[٢] تمضي بالنفس، فليظهر الله أمر نبوة موسى قوّى نفسه ويقينه، ووثق بالحق فأعطاهم التقدم، فنشطوا وسُرُّوا حتى أظهر الله الحق وأبطل سعيهم.

وقوله تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ نص في أن لهم فعلاً مَا زائداً على ما يحدِثونه من التزويق[٣] والآثار في العصا وسائر الأجسام التي يصرِّفون فيها صناعتهم.

و(استرهبوهم) بمعنى: أرهبوهم، أي: أفزعوهم، فكأن فعلهم اقتضى واستدعى الرهبة من الناس، ووصف الله سحرهم بالعظيم، ومعنى ذلك من كثرته.

وروي أنهم جلبوا ثلاث مئة وستين بعيراً موقرة بالحبال والعصي، فلما ألقوها تحركت وملأت الوادي يركب بعضها بعضاً، فاستهول الناس ذلك واسترهبوهم[٤].

قال الزجاج: قيل: إنهم جعلوا فيها الزئبق فكانت لا تستقر[٥].

[٢/ ١٦٠] قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ / تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ١١٧ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٨ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ١١٩ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ١٢٣ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٢٤﴾.

﴿أَنۡ﴾ في موضع نصب بـ﴿أَوۡحَيۡنَآ﴾ أي: بأن ألق، ويحتمل أن تكون مفسِّرة بمعنى «أي» فلا يكون لها موضع من الإعراب.

---

(١) في المطبوع: «والحجج».
(٢) في المطبوع: «لأن بديلتها».
(٣) في المطبوع: «التزييف»، وفي الأصل: «التزيق».
(٤) في المطبوع: «استرهبوا»، وفي نور العثمانية: «واسترهبهم».
(٥) معاني القرآن وإعرابه له (٢/ ٣٦٦).

وروي أن موسى لما كان يوم الجمع خرج متكئاً على عصاه ويده في يد أخيه، وقد صف له السحرة في عدد عظيم حسبما ذكر، فلما ألقوا واسترهبوا أوحى الله إليه، فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين، فعظم حتى كان كالجبل، وقيل: إنه طال حتى جاز النيل، وقيل: كان الجمع بالإسكندرية وطال حتى جاز مدينة البحيرة، وقيل: كان الجمع بمصر وإنه طال حتى جاز بذنبه بحر القُلْزُم.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول بعيد من الصواب مُفْرِط الإغراق، لا ينبغي أن يلتفت إليه.

وروي أن السحرة لما ألقوا وألقى موسى عصاه جعلوا يرقون وجعلت حبالهم وعصيهم تعظم، وجعلت عصا موسى تعظم حتى سدت الأفق وابتلعت الكل ورجعت بعد ذلك عصا، فعندها آمن السحرة، وروي أن عصا موسى كانت عصا آدم عليهما السلام، وكانت من الجنة، وقيل: كانت من العير(١) الذي في وسط ورق الريحان، وقيل: كانت غصناً من الخبيز(٢)، وقيل: كانت لها شعبتان.

وقيل: كانت عِصِيُّ(٣) الأنبياء مختزنة عند شعيب، فلما استرعى موسى قال له: «اذهب فخذ عصاً»، فذهب إلى البيت فطارت(٤) هذه إلى يده [فأمره شعيب بردها وأخذ غيرها، ففعل فطارت هي إلى يده](٥)، فأخبر بذلك شعيباً وتركها له.

وقال ابن عباس: إن ملكاً من الملائكة دفع العصا إلى موسى في طريق مدين(٦).

و﴿تَلْقَفُ﴾ معناه: تبتلع وتزدرد، و﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ معناه: ما صوروا فيه إفكهم وكذبهم.

---

(١) في المطبوع والأصل ونجيبويه والسليمانية: «عين»، وسيأتي الكلام عليه في سورة طه.

(٢) في نجيبويه ونور العثمانية: «الخيزي»، وفي فيض الله: «الخبيزى».

(٣) في المطبوع والأصل ونجيبويه ونور العثمانية: «عصا».

(٤) في السليمانية: «فصارت».

(٥) ساقط من نور العثمانية.

(٦) منقطع، هذا الأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١٤١) من طريق قتادة عن ابن عباس، ولم يسمع منه.

وقرأ جمهور الناس: ﴿تَلَقَّفُ﴾.

وقرأ عاصم في رواية حفص: ﴿تَلْقَفُ﴾ بسكون اللام وفتح القاف[١]، وقرأ ابن كثير في بعض ما روي عنه: ﴿هِيَ تَّلَقَّفُ﴾ بتشديد التاء[٢] على إدغام التاء في التاء من تتلقف، وهذه القراءة لا تترتب إلا في الوصل، وأما في الابتداء في الفعل فلا يمكن، وقرأ سعيد بن جبير: (تلقمُ) بالميم[٣] أي: تبتلع كاللقمة.

وروي أن الثعبان استوفى تلك الحبال والعصي أكلاً، وأعدمها الله عز وجل، ومد موسى يده إلى فمه فعاد عصا كما كان، فعلم السحرة حينئذٍ أن ذلك ليس من عند البشر، فخروا سجدا مؤمنين بالله ورسوله[٤].

وقوله تعالى: ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ ﴾ الآية، (وَقَعَ) معناه: نزل ووُجد[٥].

و﴿ٱلْحَقُّ﴾ يريد به سطوع البرهان وظهور الإعجاز واستمرار التحدي إلى الدين على جميع العالم، و﴿مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ لفظ يعم سحر السحرة وسعي فرعون وشيعته.

والضمير في قوله: ﴿ فَغُلِبُواْ ﴾ عائد على جميعهم من سحرة فرعون[٦] وشيعته.

وفي قوله: ﴿وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ﴾ إن قدَّرنا انقلاب الجمع قبل إيمان السحرة فهم في الضمير، وإن قدرناه بعد إيمانهم فليسوا في الضمير، ولا لحقهم صَغَارٌ يصفهم الله به؛ لأنهم آمنوا واستشهدوا رضي الله عنهم.

وقوله تعالى: ﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ الآيات، لما رأى السحرة من عظيم القدرة وما تيقنوا به نبوة موسى آمنوا بقلوبهم، وانضاف إلى ذلك الاستهوالُ والاستعظام

---

(١) فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٢).

(٢) وهي سبعية قرأ بها البزي عن ابن كثير على قاعدته في نظائرها، انظر: التيسير (ص: ٨٢).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها له في كتاب المصاحف (١/ ٢٢٢)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٧٠).

(٤) راجع تفسير الطبري (١٨/ ٣٣٨)، وتفسير الماوردي (٣/ ٤١٣).

(٥) في المطبوع: «وجدّ».

(٦) في المطبوع: «من سحرة ومن سعي فرعون».

والفزع من قدرة الله تعالى، فخروا سجداً لله تعالى متطارحين وآمنوا نطقاً بألسنتهم.

وتبينهم الرب بذكر موسى وهارون زوالٌ عن ربوبية فرعون وما كان يَتوهَّم فيه الجهال من أنه رب الناس.

و(هارون) أخو موسى أسنُّ منه بثلاث سنين.

وقول فرعون: ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ دليل على وهن أمره، لأنه إنما جعل ذنبهم مفارقة الإذن ولم يجعله نفس الإيمان إلا بشرط.

وقرأ عاصم في رواية حفص عنه في كل القرآن: ﴿ءَامَنتُم﴾ على الخبر، وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر: ﴿أآمنتم﴾ بهمزة ومدة على الاستفهام وكذلك في طه والشعراء.

وقرأ حمزة والكسائي في الثلاثة المواضع: ﴿أآمنتم﴾ بهمزتين الثانية ممدودة، ورواها الأعمش عن أبي بكر عن عاصم[١].

وقرأ ابن كثير في رواية أبي الإخريط[٢] عنه: (وآمنتم)، وهي على ألف الاستفهام إلا أنه سهلها واواً فأجرى المنفصل مجرى المتصل في قولهم: تودة في تؤدة.

وقرأ قنبل عن القواس: ﴿وآمنتم﴾ وهي على القراءة بالهمزتين: ﴿أآمنتم﴾ إلا أنه سهل ألف الاستفهام واواً، وترك ألف أفعلتم على ما هي عليه[٣].

والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يحتمل أن يعود على اسم الله تعالى، ويحتمل أن يعود على موسى عليه السلام، وعنفهم فرعون على الإيمان قبل إذنه، ثم ألزمهم أن هذا كان على

---

(١) انظر هذه القراءات الثلاث السبعية في التيسير (ص: ٢١٢)، وقد وافق البزي عن ابن كثير نافعاً ومن معه، وشعبةُ حمزةَ ومن معه.

(٢) هو وهب بن واضح أبو الإخريط المكي، شيخ القراء، قرأ على إسماعيل القسط، وشبل بن عباد، وتصدر للإقراء، وأخذ عنه جماعة منهم: أبو الحسن أحمد بن محمد النبال، وأبو الحسن البزي، وغيرهما، مات سنة (١٩٠هـ). تاريخ الإسلام (١٢/ ٤٤٤).

(٣) إبدال همز الاستفهام واواً روايةُ قنبل، كما في التيسير (ص: ٢١٢)، وانظر رواية أبي الإخريط والقواس في السبعة (ص: ٢٩٠).

اتفاق منهم، وروي في ذلك عن ابن عباس وابن مسعود: أن موسى اجتمع مع رئيس السحرة واسمه شمعون فقال له موسى: «أرأيت إن غلبتكم أتؤمنون بي»؟ فقال له: نعم، فعلم بذلك فرعون، فلذلك قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ ثم قال للسحرة: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم﴾ الآية، فرجع فرعون في مقالته هذه إلى الخذلان والغشم وعادة ملوك السوء إذا غولبوا.

وقرأ حميد المكي وابن محيصن ومجاهد: (لأَقْطَعن) بفتح الهمزة والطاء وإسكان القاف، (ولأَصْلُبن) بفتح الهمزة وإسكان الصاد وضم اللام، وروي بكسرها[1].

و﴿مِّنْ خِلَافٍ﴾ معناه: يمنى ويسرى.

قال القاضي أبو محمد: والظاهر من هذه الآيات أن فرعون توعد وليس في القرآن نص على أنه أنفذ ذلك وأوقعه، ولكنه روي أنه صلب بعضهم وقطع.

قال ابن عباس: «فرعون أول من صلب وقطع من خلاف»[2].

وقال ابن عباس وغيره فيهم: «أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء»[3].

وأما التوعد فلجميعهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ۚ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.

[٢/ ١٦١] / هذا تسليم من مؤمني السحرة، واتكال على الله، وثقةٌ بما عنده.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهم في مختصر الشواذ (ص: ٥٠)، والكامل للهذلي (ص: ٣٨٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٣٤) عن سفيان بن وكيع عن أبي داود الحفري وحبُّويه الرازي، و(١٨/ ٣٣٨) عن محمد بن حميد الرازي، كلاهما عن يعقوب بن عبد الله القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس به. وجعفر لينه ابن منده في سعيد بن جبير، فالله أعلم.

(٣) ذكره عنه السدي، وقد روي هذا عن جماعة من التابعين، انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٣٦).

وقرأ جمهور الناس: ﴿تَنقِمُ﴾ بكسر القاف.

وقرأ أبو حيوة وأبو البرهسم وابن أبي عبلة والحسن بن أبي الحسن: (تنقَم) بفتحها[١]، وهما لغتان، قال أبو حاتم: الوجه في القراءة كسر القاف[٢]، وكل العلماء أنشد بيت ابن الرقيات:

ما نَقَمُوا مِنْ بني أُمَيَّةَ .....[٣] .... [المنسرح]

بفتح القاف، ومعناه: وما تعد علينا ذنباً وتؤاخذنا به.

وقولهم: ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ معناه: عُمَّنا كما يعم الماء من أفرغ عليه، وهي هنا استعارة.

وقال ابن عباس: «لما آمنت السحرة اتبع موسى ست مئة ألف من بني إسرائيل»[٤].

وحكى النقاش عن مقاتل أنه قال: «مكث موسى بمصر بعد إيمان السحرة عاماً أو نحوه يريهم الآيات»[٥].

وقول ملأ فرعون: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ﴾، مقالة تتضمن إغراء فرعون بموسى وقومه، وتحريضه على قتلهم أو تغيير ما بهم حتى لا يكون لهم خروج عن دين فرعون.

ومعنى ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ﴾: أتترك.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥١)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٧٠)، وتفسير القرطبي (٧/ ٢٦١).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) بقية البيت:

.... إلا أنهم يحلمون إن غضبوا

انظر عزوه له في البيان والتبيين (٣/ ٢٣٥)، والأغاني (٤/ ٣٤١)، والشعر والشعراء (١/ ٥٣١)، والكامل (٢/ ٢٠٠)، وتهذيب اللغة (٩/ ١٦٢).

(٤) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٣/ ٤٢)، وفي إسناده سعيد بن المرزبان العبسي أبو سعد البقال الكوفي، ضعيف.

(٥) نقله في البحر المحيط (٥/ ١٤٣) عن مقاتل.

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَيَذَرَكَ﴾ [بفتح الراء][١]، ونصبُه على معنيين:

أحدهما: أن يقدر، وأن يذرك، فهي واو الصرف، فكأنهم قالوا: أتذره وأن يذرك؟ أي: أتتركه وتركك، والمعنى الآخر: أن يعطف على قوله: ﴿لِيُفْسِدُواْ﴾.

وقرأ نعيم بن ميسرة والحسن بخلاف عنه: (ويذرُك) بالرفع[٢] عطفاً على قولهم: ﴿أَتَذَرُ﴾.

[وقرأ الأشهب العقيلي: «ويذرْك» بإسكان الراء[٣] وهذا على التخفيف من (يذرك)][٤].

وقرأ أنس بن مالك: (ونذرُك) بالنون ورفع الفعل[٥] على معنى توعد منهم، أو على معنى إخبار أن الأمر يؤول إلى هذا.

وقرأ أبي بن كعب وعبد الله: (في الأرض وقد تركوك أن يعبدوك وآلهتك)[٦].

قال أبو حاتم: وقرأ الأعمش: (وقد تركك وآلهتك)[٧].

وقرأ السبعة وجمهور من العلماء: ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾ على الجمع.

قال القاضي أبو محمد: وهذا على ما روي أن فرعون كان في زمنه للناس آلهة من بقر وأصنام وغير ذلك، وكان فرعون قد شرع ذلك لهم، وجعل نفسه الإله الأعلى، فقوله على هذا فَقَالَ ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، إنما هو بمناسبة بينه وبين سواه من المعبودات.

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (١/ ٢٥٦)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٧١)، وتفسير القرطبي (٧/ ٢٦١).

(٣) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٥٦)، وتفسير القرطبي (٧/ ٢٦١).

(٤) ساقط من المطبوع.

(٥) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥١)، وتفسير القرطبي (٧/ ٢٦٢)، وفي السليمانية: «الراء» بدل «الفعل».

(٦) وهي شاذة، انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٣٧)، وكتاب المصاحف (١/ ١٧٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٦٧).

(٧) انظر قراءة الأعمش في البحر المحيط (٥/ ١٤٣).

وقيل: إن فرعون كان يعبد حجراً كان يعلقه في صدره كياقوتة أو نحوها.

قال الحسن: «كان لفرعون حنانة معلقة في نحره يعبدها ويسجد لها».

وقال سليمان التيمي: «بلغني أنه كان يعبد البقر»، ذكره أبو حاتم[١].

وقرأ ابن عباس وعلي بن أبي طالب وابن مسعود وأنس بن مالك وجماعة غيرهم: (وَإِلَهَتَكَ)[٢] أي: وعبادتك والتذلل لك، وزعمت هذه الفرقة: أن فرعون لم يُبِحْ عبادة شيء سواه، وأنه في قوله: ﴿ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[٣] إنما أراد: الأعظم والأكبر، دون مناسبة.

قال ابن عباس: «كان فرعون يُعْبَدُ ولا يَعْبُد»[٤].

وقرأ ابن كثير: ﴿سَنَقْتُل﴾ بالتخفيف و﴿يُقَتِّلُونَ﴾ بالتشديد، وخففهما جميعاً نافعٌ.

وقرأ أبو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ و﴿سَنُقَتِّلُ﴾ بالتشديد فيهما[٥] على المبالغة.

والمعنى: سنستمر على ما كنا عليه من تعذيبهم وقطعهم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾ يريد: في المنزلة والتمكن من الدنيا.

و﴿قَٰهِرُونَ﴾ يقتضي تحقير أمرهم، أي: هم أقل من أن يهتم بهم.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ

---

(١) انظر الأقوال الثلاثة في معاني القرآن للنحاس (٣/ ٦٥) بتصرف.

(٢) بكسر الهمزة وفتح اللام وبعدها ألف كما في تفسير الطبري (١٣/ ٣٨)، والهداية لمكي (٤/ ٢٤٩٨).

(٣) يعني ما حكاه الله عنه في قوله تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۞ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ النازعات: ٢٣، ٢٤.

(٤) لا يصح، هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ١٢٣-١٢٤) عن شيخه سفيان بن وكيع بن الجراح، رواه عنه مرتين، ووقع بين الإسنادين اختلاف، وسفيان فيه مقال معروف.

(٥) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١١٢)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٩٢).

فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾.

لما قال فرعون ﴿سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ وتوعَّدهم، قال موسى عليه السلام لبني إسرائيل يثبتهم ويعدهم [عن الله][1]: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْ﴾ وظاهر هذا الكلام كلِّه وعد بغيب، فكأن قوته تقتضي أنه من عند الله وليس في اللفظ شيء من ذلك.

و﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾: أرض الدنيا وهو الأظهر، وقيل: المراد هنا أرض الجنة، وأما في الثانية فأرض الدنيا لا غير.

وقرأت فرقة: (يورَثها) بفتح الراء[2].

وقرأ السبعة: ﴿يُورِثُهَا﴾ ساكنة الواو خفيفة الراء مكسورةً.

وروى حفص عن عاصم وهي قراءة الحسن: (يورِّثها) بتشديد الراء[3] على المبالغة.

و«الصبر»[4] في هذه الآية يعُمُّ الانتظار الذي هو عبادة والصبر في المناجزات.

وقولهم: ﴿مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا﴾ يعنون به الذبح الذي كان في المدة التي كان فرعون يتخوف فيها أن يولد المولود الذي يخرب ملكه، والذي من بعد مجيئه يعنون به وعيد فرعون وسائر ما كان خلال تلك المدة من الإخافة لهم.

وقال السدي وابن عباس رضي الله عنه: إنما قالت بنو إسرائيل هذه المقالة، حين

---

(١) في المطبوع: «ما عند الله».

(٢) وهي شاذة عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٥٠) لابن أبي ليلى.

(٣) انظر رواية حفص في السبعة (ص: ٢٩٢)، وليست من طرق التيسير، وقراءة الحسن في تفسير الثعلبي (٤/ ٢٧٢).

(٤) تحرفت في السليمانية إلى: «والضمير».

أَتبعهم فرعون واضطَرَّهم إلى البحر، فضاقت صدورهم ورأوا بحراً أمامهم وعدوّاً كثيفاً وراءهم فقالوا هذه المقالة[١].

قال القاضي أبو محمد: وبالجملة هو كلام يجري مع المعهود من بني إسرائيل من اضطرابهم على أنبيائهم، وقلةِ يقينهم وصبرهم على الدين.

واستعطاف موسى لهم بقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ ووعدُه لهم بالاستخلاف في الأرض يدل على أنه يستدعي نفوساً نافرة، ويقوي هذا الظنِّ في جهة[٢] بني إسرائيل سلوكُهم هذه السبيل في غير قصة.

وحكى النقاش أنهم قالوا ذلك بمصر حين كلفهم فرعون من العمل ما لا يطيقون، وروي أنه كان يكلفهم عمل الطُّوب ويمنعهم التبن ليَشُقَّ عليهم عملُه[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ تنبيه وحض على الاستقامة، وإن قدِّر هذا الوعد أنه من عند الله فيتخرج عليه قول الحسن بن أبي الحسن: «عَسى من الله واجبة»[٤].

وقد استُخلفوا في مصر في زمن داود وسليمان، وقد فتحوا بيت المقدس مع يوشع.

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾ الآية، أخبر أنه أخذ آل فرعون في تلك المدة التي كان موسى يدعوهم فيها بالسنين وهي الجدوب والقحوط، وهذه سيرة الله في الأمم، وكذلك فَعَل بقريش.

و«السنة» في كلام العرب: القحط، ومنه قول ليلى: والناس مُسْنِتُونَ[٥].

---

(١) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١٣/ ٤٤) وفي إسناده: سعيد بن المرزبان العبسي أبو سعد البقال الكوفي، وهو ضعيف.

(٢) من فيض الله ونور العثمانية.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) تفسير الماوردي (٢/ ٢٥٠).

(٥) هي ليلى الأخيلية، في قصتها مع الحجاج، كما في أمالي القالي (١/ ٨٧)، و«مسنتون» معناها: مقحطون.

[٢/ ١٦٢] وسَنة وعِضَة وما/ جرى مجراها من الأسماء المنقوصة تجمع بالواو والنون، ليس على جهة جمع السلامة، لكن على جهة العوض مما نقص، وكذلك أرض توهَّموا فيها نقص هاء التأنيث لأنه كان حقها أن تكون: أَرْضة، وأما حَرَّة وإحَرُّون فلأن التضعيف أبداً يعتل فتوهَّموه مثل النقص، وكسرُ السين من سنون وسنين وزيادة الألف في إحرين دليل على أنه ليس بجمع سلامة.

وقوله تعالى: ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ روي أن النخلة كانت لا تحمل إلا ثمرة واحدة، وقال نحوه رجاء بن حيوة[١]، وأراد الله عز وجل بهذا[٢] أن ينيبوا ويزدجروا عما هم عليه من الكفر، إذ أحوال الشدة تُرِقُّ القلوب وترغِّب فيما عند الله.

قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾.

كان القصد في إصابتهم بالقحط والنقص في الثمرات أن ينيبوا ويرجعوا، فإذا بهم قد ضلوا وجعلوها تشاؤماً بموسى، فكانوا إذا اتفق لهم اتفاق حسن في غلَّات ونحوها قالوا: هذا لنا وبسببنا وعلى الحقيقة لنا، وإذا نالهم ضر قالوا: هذا بسبب موسى وشؤمه، قاله مجاهد وغيره[٣].

وقرأ جمهور الناس بالياء وشد الطاء والياء الأخيرة: ﴿يَطَّيَّرُواْ﴾.

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٤٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٤٨)، وهو رجاء بن حيوة أبو نصر الكندي، وأبو المقدام الشامي، روى عن عبد الله بن عمرو، وعنه: إبراهيم بن أبي عبلة، وابن عون، وخلق. وكان أحد أئمة التابعين، وثقه غير واحد، مات سنة (١١٢هـ) وهو الذي نهض بأخذ الخلافة لعمر ابن عبد العزيز، وكان كالوزير لسليمان بن عبد الملك، ومناقبه كثيرة. تاريخ الإسلام (٧/ ٣٦٠).

(٢) من فيض الله والسليمانية.

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٤٧)، بتصرف.

وقرأ عيسى بن عمر وطلحة بن مصرِّف بالتاء وتخفيف الطاء: (تَطَـيَّروا)[١].

وقرأ مجاهد: (تشاءموا بموسى) بالتاء من فوق، وبلفظ الشؤم[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ﴾ معناه: حظُّهم ونصيبهم، قاله ابن عباس[٣].

وهو مأخوذ من زجر الطير، فسمي ما عند الله من القَدَر للإنسان طائراً لما كان الإنسان يعتقد أن كل ما يصيبه إنما هو بحسب ما يراه في الطائر، فهي لفظة مستعارة.

وقرأ جمهور الناس: ﴿طَٰٓئِرُهُمۡ﴾، وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (طيرهم)[٤].

وقال: ﴿أَكۡثَرَهُمۡ﴾، وجميعهم لا يعلم، إما لأن القليل علم: كالرجل المؤمن وآسية امرأة فرعون، وإما أن يراد الجميع وتجوّز في العبارة لأجل الإمكان.

ويحتمل أن يكون الضمير في قوله: ﴿طَٰٓئِرُهُمۡ﴾ لجميع العالم، ويجيء تخصيص الأكثر على ظاهره.

ويحتمل أن يريد ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ﴾ ليس قريباً أن يَعْلَم؛ لانغمارهم في الجهل، وعلى هذا فيهم[٥] قليل معدٌّ لأنْ يعلم لو وفقه الله.

و﴿مَهۡمَا﴾ أصلها عند الخليل: «ما ما»[٦] فبدلت الألف الأولى هاء.

وقال سيبويه: هي «مه ما» خلطتا وهي حرف واحد[٧]، [لمعنىً واحد][٨].

---

(١) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٦٨)، والهداية لمكي (٤/ ٢٥٠٥).

(٢) وهي شاذة، مخالفة للرسم، أقرب للتفسير، وقد تابعه عليها في البحر المحيط (٥/ ١٤٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ٤٨) من طريقين منقطعين عن ابن عباس، الأول بلفظ: مصائبهم عند الله، والثاني: الأمر من قِبَل الله.

(٤) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٠)، والمحتسب (١/ ٢٥٧)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٦٨).

(٥) تحرفت في الأصل إلى: «فهم».

(٦) تحرفت في نور العثمانية إلى: «فأمَّا».

(٧) كتاب العين (٣/ ٣٥٨)، باب الهاء مع الميم، والكتاب لسيبويه (٣/ ٥٩-٦٠) باب الجزاء.

(٨) من فيض الله والسليمانية.

وقال غيره: معناه: «مه» [أي: كفَّ][1] و«ما» جزاء، ذكره الزجَّاج[2].

وهذه الآية تتضمن طغيانهم وعتوَّهم وقطعهم على أنفسهم بالكفر البَحْت[3].

وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ الآية، قال الأخفش: ﴿الطُّوفَانَ﴾ جمع طوفانة[4].

وهذه عقوبات وأنواع من العذاب بعثها الله عليهم ليزدجروا ويُنيبوا.

و«الطُّوفان» مصدر من قولك: طاف يطوف، فهو عام في كل شيء يطوف، إلا أن استعمال العرب له كثر في الماء والمطر الشديد، ومنه قول الشاعر:

[الرمل] غَـيَّـر الـجِـدَّةَ مِـنْ عرفانه ... خُرُقُ الرِّيـحِ وَطُوفَـانُ المَطَرْ[5]

ومنه قول أبي النجم:

[الرجز] ومَـدَّ طُـوفَـانٌ فَبَـثَّ مَـدَدَا ... شَـهْراً شَـآبِيبَ وَشَـهْراً بَـرَدَا[6]

وقال ابن عباس[7] ومجاهد والضحاك: «إن ﴿الطُّوفَانَ﴾ في هذه الآية المطر الشديد، أصابهم وتوالى عليهم حتى هدم بيوتهم وضيق عليهم»[8].

وقيل: طم فيض النيل عليهم، وروي في كيفيته قصص كثير.

---

(١) من فيض الله ونور العثمانية والسليمانية.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، (٢: ٣٦٩).

(٣) البحت: الخالص الصراح، القاموس المحيط (بحت).

(٤) معاني القرآن للأخفش (١/ ٣٣٥).

(٥) البيت لحسيل بن عرفطة كما في في تفسير الطبري (١٣/ ٥٣)، وخزانة الأدب للبغدادي (٩/ ٣٠٨)، وسماه الماوردي (٢/ ٢٥٣) الحسن بن عرفطة، وفي المطبوع وأكثر المصادر: «آياتها» بدل: «عرفانه».

(٦) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٣/ ٥٤)، وفيه وفي المطبوع: «قد مد»، تفسير الماوردي (٢/ ٢٥٣)، وفيه: «وَمَرَّ طُوفَانٌ».

(٧) رواه الطبري (١٣/ ٥٠) عن ابن عباس من طرق لينة.

(٨) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٥٢)، وفي الحمزوية: «طبق»، بدل «ضيق».

وقالت عائشة عن النبي ﷺ: «إن ﴿ٱلطُّوفَانَ﴾ المراد في هذه الآية هو الموت»[١].

وقال ابن عباس في بعض ما روي عنه: هو مصدرٌ معمًّى عُني به: شيء أطافه الله بهم[٢].

و(الْجَراد) معروف، قال الأخفش: هو جمع جرادة للمذكَّر والمؤنث، فإن أردت الفصل قلت: رأيت جرادة ذكَراً[٣].

وروي: أن الله عز وجل لما والى عليهم المطر غرقت أرضهم ومنعوا الزراعة؛ قالوا: يا موسى، ادع في كشف هذا عنا ونحن نؤمن، فدعا فدفعه الله عنهم، فأنبتت الأرض إنباتاً حسناً، فطغوا وقالوا: ما نود أنا لم نمطر، وما هذا إلا إحسان من الله إلينا، فبعث الله حينئذٍ الجراد فأكل جميع ما أنبتت الأرض.

وروى ابن وهب عن مالك أنه قال: روي أنه أكل أبوابهم، وأكل الحديد والمسامير، وضَيَّق عليهم غاية التضييق، وترك الله من نباتهم ما يقوم به الرمق، فقالوا لموسى: ادع في كشف الجراد ونحن نؤمن، فدعا فكشف، فرجعوا إلى كفرهم، ورأوا أن ما أقام رمقهم قد كفاهم[٤].

فبعث الله عليهم القمَّل وهي الدَّبَى؛ صغار الجراد الذي يثب ولا يطير؛ قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة[٥]، وقيل: هو الحَمْنان وهو صغار القِرْدان، وقيل: هو البراغيث.

وقال ابن عباس: (الْقُمَّل): السوس الذي يخرج من الحنطة[٦].

---

(١) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٣/ ٥١) من طريق يحيى بن يمان، عن المنهال بن خليفة، عن الحجاج ـ هو ابن أرطاة ـ، عن الحكم بن ميناء، عن عائشة به، ويحيى كثير الخطأ، والمنهال ضعيف.

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٥٢) من طريق قابوس بن سفيان عن أبيه عن ابن عباس قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ قال: أمر الله الطوفان، ثم قرأ ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ وقابوس ضعّف لا سيما في أبيه.

(٣) نقله عنه النحاس في إعراب القرآن (٢/ ٦٨).

(٤) نقله الثعالبي (٢/ ٤٧).

(٥) تفسير الطبري (١٣/ ٥٥).

(٦) رواه الطبري (١٣/ ٥٤) عن ابن عباس بأسانيد لينة.

وقيل: الْقُمَّل [الوزغ، وحدِّثتُ أنه][1] حيوان صغير جدّاً أسود، وأنه بأرض مصر حتى الآن.

قال حبيب بن أبي ثابت: الْقُمَّل: الجعلان[2].

وقرأ الحسن: (القمْل) بفتح القاف وسكون الميم[3]، فهي على هذا بينة إذ هو القمل المعروف.

وروي: أن موسى مشى بعصاه إلى كثيب أهيل فضربه فانتشر كلُّه قملاً في مصر.

ثم إنهم قالوا: ادع في كشف هذا، فدعا ورجعوا إلى طغيانهم وكفرهم.

وبعث الله عليهم الضفادع [فكانت تدخل في فرشهم وبين ثيابهم، وإذا همَّ الرجل أن يتكلم وثب الضفدع في فمه.

قال ابن جبير: كان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع[4].

وقال ابن عباس: كانت الضفادع][5] برية، فلما أرسلت على آل فرعون سمعت وأطاعت، فجعلت تقذف أنفسها في القدور وهي تغلي، فأثابها الله بحسن طاعتها برد الماء[6].

فقالوا: ادع في كشف هذا، فدعا فكشف، فرجعوا إلى كفرهم وعتوهم، فبعث الله عليهم الدم، فرجع ماؤهم الذي يستقونه ويحصل عندهم دماً، فروي أن الرجل منهم كان يستقي من البئر فإذا ارتفع إليه الدلو عاد دماً، وروي أنه كان يستقي القِبْطي والإسرائيلي

---

(١) ساقط من المطبوع، وسقطت «وحدثت» من الأصل، وفيه وفي نجيبويه: «الزرع»، وفي فيض الله ولالاليه: «الذرع».

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٥٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٧٠).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٥٧)، ومختصر الشواذ (ص: ٥٠).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٥٧)، وفي نجيبويه: «قاله ابن جبير».

(٥) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٦) لا يصح، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٣/ ٦٣) عن محمد بن حميد الرازي، وليس بحجة.

بإناء واحد فإذا خرج الماء كان الذي يلي القبطيَّ دماً/ والذي يلي الإسرائيلي ماءً، إلى [٢/ ١٦٣]
نحو هذا وشِبهه من العذاب بالدم المنقلب عن الماء، هذا قول جماعة من المتأولين.

وقال زيد ابن أسلم: إنما سلط الله عليهم الرُّعَاف، فهذا معنى قوله: ﴿وَٱلدَّمَ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ التفصيل أصله في الأجرام: إزالة الاتصال، فهو تفريق شيئين، فإذا استعمل في المعاني فيراد أنه فرِّق بينها وأزيل اشتراكها[٢] وإشكالها، فيجيء من ذلك بيانُها.

وقالت فرقة من المفسرين: ﴿مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ يراد به: مفرَّقات بالزمن، والمعنى أنه كان العذاب يرتفع ثم يبقون مدة شهر ـ وقيل: ثمانية أيام ـ ثم يردُّ الآخر، فالمراد أن هذه الأنواع من العذاب لم تجئ جملة ولا متصلة، ثم وصفهم الله عز وجل بالاستكبار عن الآيات والإيمان، وأنهم كان لهم اجترام على الله تعالى وعلى عباده.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾.

﴿ٱلرِّجْزُ﴾: العذاب، والظاهر من الآية أن المراد بالرجز هاهنا العذاب المتقدم الذكرِ من الطوفان والجراد وغيره، وقال قوم من المفسرين: الإشارة هنا بالرجز إنما هي إلى طاعون أنزله فيهم، مات منهم في ليلة واحدة سبعون ألف قبطي، وروي في ذلك: أن موسى عليه السلام أمر بني إسرائيل بأن يذبحوا كبشاً ويضمخوا أبوابهم بالدم؛ ليكون ذلك فرقاً بينهم وبين القبط في نزول العذاب[٣].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٥٩).

(٢) في السليمانية: «اشتباكها».

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٧٠-٧١)، بتصرف يسير.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، وهذه الأخبار وما شاكلها إنما تؤخذ من كتب بني إسرائيل، فلذلك ضعِّفت.

وقولهم: ﴿بِمَا عَهِدَ﴾ يريدون: بذِمامك وماتَّتك[1] إليه، فهي تعم جميع الوسائل بين الله وبين موسى، من طاعة من موسى، ونعمةٍ من الله تبارك وتعالى.

ويحتمل أن يكون ذلك منهم على جهة القسَم على موسى.

ويحتمل أن يكون المعنى: ادع لنا ربك ماتّاً إليه بما عهد إليك.

ويحتمل أن يكون شعروا[2] أن بين الله تعالى وبين موسى في أمرهم عهداً ما أن تكون الإشارة إليه، والأول أعم وألزم، والآخر يحتاج إلى رواية.

وقولهم: ﴿لَئِن كَشَفْتَ﴾ أي: بدعائك ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ﴾ قسمٌ وجوابه، وهذا عهد من فرعون وملئه الذين إليهم الحل والعقد، ولهم ضمير الجمع في قوله: ﴿لَنُؤْمِنَنَّ﴾.

وألفاظ هذه الآية تعطي الفرق بين القبط وبين بني إسرائيل في رسالة موسى؛ لأنه لو كان إيمانهم به على حد إيمان بني إسرائيل لمَا أرسلوا بني إسرائيل ولا فارقوا دينهم[3]، بل كانوا يشاركون فيه بني إسرائيل.

وروي أنه لما انكشف العذاب قال فرعون لموسى: اذهب ببني إسرائيل حيث شئت، فخالفه بعض ملئه فرجع فنكث.

وأخبر الله عزَّ وجلَّ أنه لما كشف عنهم العذاب نكثوا عهدهم الذي أعطوه موسى.

---

(١) أي: علاقتك به، من مت إليه يمت بقرابة أو نحوها.

(٢) في المطبوع والأصل ونجيبويه: «إن كان شعر»، وفي الحمزوية ونور العثمانية وفيض الله ولالاليه: «أن يكون شعر»، وفي جميع النسخ: «عهد» بالرفع، ولكن النصب أظهر.

(٣) في السليمانية وفيض الله: «بينهم».

و﴿إِذَا﴾ هاهنا للمفاجأة، و﴿إِلَىٰٓ﴾ متعلقة بـ﴿كَشَفۡنَا﴾، والأجل يراد به: غاية كل واحد منهم بما يخصه من الهلاك والموت، هذا اللازم من اللفظ، كما تقول: أخذت كذا إلى وقت، وأنت لا تريد وقتاً بعينه. وقال يحيى بن سلام: الأجل هنا: الغرق[1].

قال القاضي أبو محمد: وإنما قال هذا القول لأنه رأى جمهور هذه الطائفة قد اتفق أن هلكت غرقاً، فاعتقد أن الإشارة هنا بـالأجل إنما هي إلى الغرق، وهذا ليس بلازم؛ لأنه لا بدَّ أنه مات منهم قبل الغرق عالَم، وهم ممن أُخر وكشف عنهم العذاب إلى أجلٍ بلغه، ودخل في هذه الآية، فأين الغرق من هؤلاء؟ وأين هو ممن بقي بمصر ولم يغرق؟.

وذكر بعض الناس أن معنى الكلام: فلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ المؤجَّل إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ، ومحصول هذا التأويل: أن العذاب كان مؤجلاً، والمعنى الأولُ أفصح لأنه تضمن توعداً مّا.

وقرأ أبو البَـرَهْسَم وأبو حيوة: (ينكِثون) بكسر الكاف[2].

و«النكث»: نقض ما أُبرم، ويستعمل في الأجسام وفي المعاني.

وقرأ ابن محيصن ومجاهد وابن جبير: (الرُّجز) بضم الراء في جميع القرآن[3].

قال أبو حاتم: إلا أن ابن محيصن كسر حرفين: (رِجْزَ الشيطان) (وَالرِّجْزَ فاهْجُرْ)[4].

قال القاضي أبو محمد: رآهما بمعنىً آخر بمثابة الرجز والنَّتْن الذي يجب التطهر منه.

و﴿ٱلۡيَمِّ﴾: البحر، ومنه قول ذي الرُّمَّة:

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين (١/ ٢١٣).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها لأبي البرهسم في الشواذ للكرماني (ص: ١٩٣)، ولأبي حيوة في البحر المحيط (٥/ ١٥٤).

(٣) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٠)، والهداية لمكي (٤/ ٢٠١٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٧١).

(٤) لم أقف عليه.

[البسيط] داوِيَّـةٌ ودُجـا لـيـلٍ كـأنَّـهمـا يَـمٌّ تَـرَاطَنُ في حَافَاتِـهِ الرُّومُ[١]

والباء في قوله: ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ باء التسبيب، ووصف الكفار بالغفلة، وهم قد كذبوا وردوا في صدر الآيات من حيث غفلوا عما تتضمنه الآيات من الهدى والنجاة، فعن ذلك غفلوا.

قوله عز وجل: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ كناية عن بني إسرائيل لاستعباد فرعون لهم وغلبته عليهم.

وقوله: ﴿مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا﴾ قال الحسن وقتادة وغيرهما: يريد أرض الشام، وقال أبو جعفر النحاس: وقيل: يراد أرض مصر[٢]، وهو قول الحسن في كتاب النقاش، وقالت فرقة: يريد الأرض كلها[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا يتجه إما على المجاز؛ لأنه ملَّكهم بلاداً كثيرة، وإما على الحقيقة في أنه ملَّك ذريتهم وهو سليمان بن داود، ولكن الذي يليق بمعنى الآية، وروي فيها، هو أنه ملَّك أبناء المستضعفين بأعيانهم مشارق الأرض ومغاربها، لا سيما بوصفه الأرض بأنها التي بارك فيها، ولا يتصف بهذه الصفة وينفرد بها أكثر من غيرها إلا أرض الشام؛ لما بها من الماء والشجر والنعم والفوائد.

---

(١) انظر عزوه له في العين (٨/ ٩٢)، والحيوان (٦/ ٤٠٦)، وسر صناعة الإعراب (٢/ ٣١٠).
(٢) قول قتادة وقول النحاس في معاني القرآن له (٣/ ٧٢).
(٣) راجع تفسير الطبري (١٣/ ٧٧)، وانظر قول النقاش وقول الحسن في البحر المحيط (٥/ ١٥٤).

وحكى الطبري عن قائل لم يسمه ـ وذكر الزهراوي أنه الفراء ـ: أن ﴿مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا﴾ نصب على الظرف؛ أي: يُستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها، وأن قوله: ﴿ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ معمول / لـ﴿أَوْرَثْنَا﴾، وضعَّفه الطبري[1]، وكذلك هو قول غير متجه. [٢/ ١٦٤]

و﴿ٱلَّتِى﴾ في موضع خفض نعت لـ﴿ٱلْأَرْضِ﴾، ويجوز أن يكون في موضع نصب نعت لمشارق ومغارب، وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: ما سبق لهم في علمه وكلامه في الأزل من النجاة من عدوهم والظهور عليه، قاله مجاهد[2].

وقال المهدوي: وهي قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥][3].

وقيل: هي قوله: ﴿رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ الآية [الأعراف: ١٢٩].

وروي عن أبي عمرو: (كلمات)[4].

و﴿يَعْرِشُونَ﴾ قال ابن عباس[5] ومجاهد: معناه: يبنون، وعرش البيت: سقفه، و«العرش»: البناء والتنضيد، وقال الحسن: هي في الكروم وما أشبهها[6].

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم بكسر الراء، وقرأ الباقون: ابن عامر وعاصم فيما روي عنه والحسن وأبو رجاء ومجاهد بضمها[7]، وكذلك في سورة النحل، وهما لغتان.

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٧٧)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٣٩٧).

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٧٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٦٣) بتصرف.

(٣) انظر: التحصيل للمهدوي (٣/ ٨٧).

(٤) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٥١)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٦٩)، لرواية عن عاصم.

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ٧٨) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٦) انظر: تفسير الثعلبي (٤/ ٢٧٣) بتصرف.

(٧) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٣) وانظر قراءة الباقين في البحر المحيط (٥/ ١٦٥)، وذكر مجاهداً في الأولين، وقد ورد ذكره في هامش السليمانية فقط، وعليه علامة تصحيح.

وقرأ ابن أبي عبلة: (يعرِّشون) و(يعكِّفون) بضم الياء فيهما وفتحة العين مشددة الراء والكاف مكسورتين[١].

قال القاضي أبو محمد: ورأيت للحسن البصري أنه احتج بقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ إلى آخر الآية، على أنه لا ينبغي أن يخرج على ملوك السوء، وإنما ينبغي أن يصبر عليهم، فإن الله تعالى يدمرهم، ورأيت لغيره أنه قال: إذا قابل الناس البلاء بمثله وَكَلهم الله إليه، وإذا قابلوه بالصبر وانتظار الفرج أتى الله بالفرج، وروي هذا القول أيضاً عن الحسن[٢].

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَجَٰوَزْنَا﴾.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (وجوَّزنا) ذكره أبو حاتم والمهدوي[٣]، والمعنى: قطعناه بهم وجزعناه، وهذه الآية ابتداء خبر عنهم.

قال النقاش: جاوزوا البحر يوم عاشوراء، وأعطي موسى التوراة يوم النحر القابل، بين الأمرين أحد عشر شهراً[٤].

وروي أن قطعهم كان من ضفة البحر إلى ضفة المناوحة[٥] الأولى، وروي أنه قطع من الضفة إلى موضع آخر[٦] منها.

قال القاضي أبو محمد: فإما أن يكون ذلك بوحي من الله وأمرٍ؛ لِيَنْفُذ أمره في فرعون وقومه، وهذا هو الظاهر، وإما بحسب اجتهاد موسى في التخلص بأن يكون بين

---

(١) وهي شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (٤/ ٢٧٣).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٦٣)، بتصرف.

(٣) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥١)، التحصيل للمهدوي (٣/ ٩٦).

(٤) تفسير الماوردي (٤/ ١٧٤)، بتصرف.

(٥) في نور العثمانية: «ضفته المباوحة»، وفي فيض الله والسليمانية: «ضفته المباربة» وفي المطبوع: «إلى الضفة المناوحة للأولى».

(٦) في نور العثمانية: «الحز».

موضعين أوعار وحائلات[١]، ووقع في كتاب النقاش أنه نيل مصر[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا خطأ لا تساعده رواية، ولا يحتمله لفظ إلا على تحامل، وإنما هو بحر القُلْزُم[٣].

و(القوم) المشار إليهم في الآية العرب[٤]، وقيل: هم الكنعانيون، وقال قتادة وقال أبو عمران الجَوْني[٥]: هم قوم من لَخْمٍ وجُذَام، والقوم في كلام العرب: الرجال خاصة، ومنه قول زهير:

وَلَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي ... أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ[٦] [الوافر]

ومنه قوله عز وجل: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ ثم قال[٧]: ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾ [الحجرات: ١١].

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر: ﴿يَعْكُفُونَ﴾ بضم الكاف، وقرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو في رواية عبد الوارث عنه: ﴿يعكِفون﴾ بكسرها[٨] وهما لغتان.

---

(١) أي: جبال لا تسلك، كما سيرد في سورة الشعراء.

(٢) تفسير الماوردي (٤/ ١٧٤).

(٣) وهو البحر الأحمر.

(٤) «العرب»، والواو بعدها ليست في نجيبويه ونور العثمانية وفيض الله والسليمانية، وهي في الأصل ملحقة في الهامش.

(٥) هكذا في أكثر النسخ الخطية، انظر عزوه لهما في تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٥٣)، وفي بعض النسخ: «وقال قتادة قال أبو عمران» دون العطف، وهو سهو لأن الناقل عن أبي عمران هو أبو قدامة وليس قتادة، وفي المطبوع والحمزوية: «قال أبو عمرو الجوني»، وهو خطأ أيضاً. وأبو عمران هو عبد الملك بن حبيب الجوني البصري رأى عمران بن حصين، وروى عن جندب بن عبد الله وأنس بن مالك، وعنه شعبة وأبان العطار والحمادان وآخرون، وثقه ابن معين وغيره، توفي سنة (١٢٨هـ)، وقيل: (١٢٣هـ). انظر: تاريخ الإسلام (٨/ ١٦٨).

(٦) انظر عزوه له في العين (٥/ ٢٣١)، ومجاز القرآن (٢/ ١٥٨)، والاشتقاق (ص: ٤٦)، والمعاني الكبير (١/ ٥٩٣)، وهو في ديوانه (ص: ١٣٦).

(٧) لفظة «ثم قال» زيادة من نسخة نجيبويه وفيض الله.

(٨) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٣)، والسبعة (ص: ٢٩٢).

و«العكوف»: الملازمة بالشخص لأمر ما والإكبابُ عليه، ومنه: الاعتكاف في المساجد، ومنه قول الراجز:

[الرجز] عكْفَ النَّبيط يلعبونَ الْفَنْـزَجَا[1] ....

و«الأصنام» في هذه الآية قيل: كانت بقراً على الحقيقة، وقال ابن جريج: كانت تماثيل بقر من حجارة وعيدان ونحوه، وذلك كان أولَ فتنة العجل[2].

قال القاضي أبو محمد: والظاهر من مقالة بني إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ أنهم استحسنوا ما رأوه من آلهة أولئك القوم، فأرادوا أن يكون ذلك في شرع موسى وفي جملة ما يتقرب به إلى الله عزَّ وجلَّ، وإلا فبعيد أن يقولوا لموسى: اجعل لنا صنماً نُفْرِده بالعبادة ونكفر بربك، فعرَّفهم موسى أن هذا جهل منهم إذ سألوا أمراً حراماً فيه الإشراك في العبادة، ومنه، يتطرق إلى إفراد الأصنام بالعبادة والكفر بالله عز وجل.

وعلى هذا الذي قلتُ يقع التشابه الذي قصه النبي ﷺ في قول أبي واقد الليثي[3] له في غزوة حنين؛ إذ مروا على دوح سدرة خضراءَ عظيمة: اجعل لنا يا رسول الله ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط. وكانت ذات أنواط سرحةً لبعض المشركين يعلقون بها أسلحتهم، ولها يوم يجتمعون إليها فيه، فأراد أبو واقد وغيره أن يَشْرَع ذلك رسولُ الله ﷺ في الإسلام، فرأى رسول الله ﷺ أنها ذريعة إلى عبادة تلك السرحة، فأنكره، وقال: «الله أكبر، قلتم والله كما قالت بنو إسرائيل: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾؛ لتتبعُنَّ سَنَن من قبلكم»[4].

قال القاضي أبو محمد: ولم يقصد أبو واقد بمقالته فساداً.

---

(١) البيت للعجاج، كما تقدم في تفسير الآية (١٢٥) من سورة البقرة.

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٨٠)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٧٣).

(٣) هو الحارث بن مالك، وقيل: ابن عوف، قيل: شهد بدراً، ولا يثبت، وقال ابن سعد: أسلم قديماً، وكان يحمل لواء بني ليث وضمرة، يوم الفتح وحنين خرج إلى مكة، فجاور بها، وتوفي سنة (٧٥هـ)، أو (٨٥هـ). الإصابة (٧/ ٣٧٠).

(٤) إسناده صحيح، هذا الحديث أخرجه الحميدي (٨٧١)، وأحمد (٥/ ٢١٨رقم ٢١٨٩٧)، والترمذي (٢١٨٠)، والنسائي في الكبرى (١١١٢١)، وأبو يعلى في مسنده (١٤٤١)، وابن حبان في صحيحه (٦٧٠٢) وغيرهم من طريق الزهري عن سنان بن أبي سنان الديلي، عن أبي واقد به.

وقال بعض الناس: بل[١] كان ذلك من بني إسرائيل كفراً، ولفظة «الإله» تقتضي ذلك، وهذا محتمل، وما ذكرته أولاً أصح عندي، والله تعالى أعلم.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ١٤١﴾.

أعلمهم موسى عن الله عز وجل بفساد حال أولئك القوم، ليزول ما استحسنوه من حالهم، فقال: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إشارة إلى أولئك القوم ﴿مُتَبَّرٞ﴾ أي: مُهْلَك مدمَّر رديُّ العاقبة، قاله السُّدي وابن زيد[٢].

و«التبار»: الهلاك وسوء العقبى، وإناء متبَّر؛ أي: مكسور، وكسارتُه تِبرٌ، ومنه: تبر الذهب لأنه كسارة.

وقوله: ﴿مَّا هُمۡ فِيهِ﴾: لفظ يعم جميع حالهم، ﴿وَبَٰطِلٞ﴾ معناه: فاسد ذاهب مضمحلٌّ.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ﴾ الآية، أمر الله موسى عليه السلام أن يُوْقفهم ويقررهم على هذه المقالة، ويحتمل أن يكون القول من تلقائه عليه السلام.

﴿أَبۡغِيكُمۡ﴾ معناه: أطلب لكم، من بغيتُ الشيء: إذا طلبته.

و﴿غَيۡرَ﴾ منصوبة بفعل مضمر، هذا هو الظاهر، ويحتمل أن ينتصب على الحال كأن تقدير الكلام: قال: أبغيكم إلهاً غيرَ الله؟ فهي في مكان الصفة فلما قدِّمت نصبت على الحال.

و﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ لفظ عام يراد به تخصيص عالَم زمانهم، لأنَّ أمة محمد ﷺ أفضل منهم بإجماع، ولقوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، اللهم إلا أن يراد بالفضل / كثرة الأنبياء منهم، فإنهم فضِّلوا في ذلك على العالمين بالإطلاق. [٢/ ١٦٥]

---

(١) من السليمانية.

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٨٤).

ثم عدَّد عليهم في هذه الآية النعم التي يجب من أجلها أن لا يكفروا به ولا يرغبوا عبادة غيره.

وقرأت فرقة: (نجَّيناكم)[١]، وقرأ جمهور الناس: ﴿أَنجَيْنَكُم﴾، وقد تقدم.

وروي عن ابن عباس: ﴿وإذ أنجاكم﴾ أي: أنجاكم الله، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام[٢].

و﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ معناه: يحمِّلونكم ويكلِّفونكم، تقول: سامه خطةَ خَسْفٍ، ونحو هذا، ومساومةُ البيع يَنظر إلى هذا، وأن كل واحد من المتساومَيْنِ يكلف صاحبه إرادته.

ثم فسر ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ بقوله: ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾.

و﴿بَلَآءٌ﴾ في هذا الموضع معناه: اختبار وامتحان.

وقوله: ﴿ذَٰلِكُم﴾ إشارة إلى سوء العذاب، ويحتمل أن يشير به إلى التنجية، فكأنه قال: وفي تنجيتكم امتحان لكم واختبار، هل يكون منكم وفاء بحسب النعمة؟!.

قال القاضي أبو محمد: والتأويل الأول أظهر.

وقالت فرقة: هذه الآية خاطب بها موسى من حضره من بني إسرائيل، وقال الطبري: بل خوطب بهذه الآية مَن كان على عهد محمد ﷺ تقريعاً لهم بما فُعل بأوائلهم وبما جازَوا به[٣].

قال القاضي أبو محمد: والأول أظهر وأبين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ

---

(١) وهي شاذة، مخالفة للرسم، تابعه عليها بلا نسبة في البحر المحيط (٥/ ١٥٩)، وتقدم عكسها في البقرة لابن أبي عبلة.

(٢) كذا في جميع النسخ: ابن عباس، والصواب ابن عامر فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٣)، والسبعة (ص: ٢٩٣)، وانظر العزو لمصحف أهل الشام في تفسير الثعلبي (٤/ ٢٧٤).

(٣) راجع تفسير الطبري (١٣/ ٨٥)، وفي الحمزوية: «وبما جوزوا».

ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾.

قرأ أبو عمرو وأبيٌّ بن كعب وأبو رجاء وأبو جعفر وشيبة: ﴿ووعدنا﴾.

وقد تقدَّم في البقرة[١].

وأخبر الله تعالى موسى عليه السلام أن يتهيأ لمناجاته ثلاثين ليلة، ثم زاده في الأجل بعد ذلك عشر ليال، فذُكر أن موسى عليه السلام أعلم بني إسرائيل بمغيبه ثلاثين ليلة، فلما زاده العشر في حال مغيبه دون أن تعلم بنو إسرائيل ذلك وجست نفوسهم للزيادة على ما أخبرهم به، فقال لهم السامري: إن موسى قد هلك وليس براجع وأضلهم بالعجل فاتَّبعوه، قاله كلَّه ابنُ جريج[٢].

وقيل: بل أخبرهم بمغيبه أربعين، وكذلك أعلمه الله تعالى، وهو المراد بهذه الآية، قاله الحسن[٣]، وهو مثل قوله: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦] وأنهم عدُّوا الأيام والليالي، فلما تم أربعون من الدهر قالوا: قد أخلف موسى، فضلوا، قال مجاهد: إن الثلاثين هي شهر ذي القعدة وإن العشر هي عشر ذي الحجة[٤]، وقاله ابن عباس[٥] ومسروق[٦].

وروي أن الثلاثين إنما وعد بأن يصومها ويتهيأ فيها للمناجاة ويستعد، وأن مدة المناجاة هي العشر، وقيل: بل مدة المناجاة الأربعون.

---

(١) الآية **٥٢**، وتقدم هناك أنها سبعية لأبي عمرو.
(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٨٠).
(٣) تفسير الرازي (٣/ ٥١١).
(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٨٦)، وتفسير الماوردي (٢/ ٢٥٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ١٧٤).
(٥) لم أجده.
(٦) تفسير الطبري (١٣/ ٨٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٤).

وإقبال موسى على الأمر والتزامه يحسِّن لفظ المواعدة، وحيث ورد أن المواعدة أربعون ليلة فذلك إخبار بجملة الأمر، وهو في هذه الآية إخبار بتفصيله كيف وقع.

و﴿أَرْبَعِينَ﴾ في هذه الآية وما بعدها في موضع الحال، ويصح أن تكون ﴿أَرْبَعِينَ﴾ ظرفاً من حيث هي عددُ أزمنة.

وفي مصحف أبي بن كعب: (وتمَّمْناها) بغير ألف وتشديد الميم[(١)].

وذكر الزجاج عن بعضهم قال: لما صام ثلاثين يوماً أنكر خُلوفَ فمه فاستاك بعودِ خَرُّوبٍ، فقالت الملائكة: إنا كنا نستنشق من فيك رائحة المسك فأفسدْتَه بالسواك، فزيدت عليه عشر ليال[(٢)].

و﴿ثَلَاثِينَ﴾ نصب على تقدير: أجَّلناه ثلاثين، أو: مناجاة ثلاثين، وليست منتصبةً على الظرف لأن المواعدة لم تقع في الثلاثين، ثم ردد الأمر بقوله: ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾، قيل: ليبين أن العشر لم تكن ساعات، وبالجملة فتأكيد وإيضاح.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ﴾ الآية، المعنى: وقال موسى حين أراد المضي للمناجاة والمغيب فيها.

و﴿ٱخْلُفْنِى﴾ معناه: كن خليفتي، وهذا استخلافٌ في حياة ـ كالوكالة التي تنقضي بعزل الموكِّل أو موته ـ لا يقتضي أنه متمادٍ بعد وفاة، فينحل على هذا ما تعلق به الإمامية في قولهم: إن النبي ﷺ استخلف علياً بقوله: «أنت مني كهارون من موسى»[(٣)]، وقال موسى: ﴿ٱخْلُفْنِى﴾ فيترتب على هذا أن علياً خليفة رسول الله ﷺ، وما ذكرناه يحُل هذا القياس.

وأمره في هذه الآية بـالإصلاح، ثم من الطرف الآخر في أن لا يتَّبع سبيل مفسد،

(١) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٥/ ١٦٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٧٢).

(٣) متفق عليه بغير هذا اللفظ، أخرجه البخاري (٣٧٠٦)، ومسلم (٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص قال النبي ﷺ لعلي: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون، من موسى، واللفظ للبخاري.

قال ابن جريج: كان من الإصلاح أن يزجر السامري ويغيِّر عليه[١].

ثم أخبر الله تعالى عن موسى عليه السلام أنه لما جاء إلى الموضع الذي حُدَّ له، وفي الوقت الذي عيَّن له، وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قال تمنياً منه، أي ربّ، أرِني أنظُرْ إليك.

وقرأ الجمهور: (كَلَّمه) بكسر الراء، وقرأ أبو عمرو وابن كثير ﴿أَرْنِي﴾ بسكون الراء[٢].

والمعنى في قوله: (كَلَّمه) أي[٣]: خلق له إدراكاً سمع به الكلام القائم بالذات، القديم الذي هو صفة ذات[٤].

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: أدنى اللهُ تعالى موسى حتى سمع صريف الأقلام في اللوح[٥].

وكلام الله عز وجلَّ لا يشبه شيئاً من الكلام الذي للمخلوقين، ولا في جهة من الجهات، وكما هو موجود لا كالموجودات، ومعلوم لا كالمعلومات، كذلك كلامه لا يشبه الكلام الذي فيه علامات الحدوث.

والواو عاطفة (كَلَّمه) على ﴿جَآءَ﴾، ويحتمل أن تكون واوَ الحال، والأولُ أبين.

وقال وَهْبُ بن منبِّهٍ: كلم الله موسى في ألف مقام، كان يُرى نور على وجهه ثلاثة أيام إثر كل مقام، وما قرب النساء منذ كلمه الله تعالى[٦].

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٨٨)، بتصرف.
(٢) فهما سبعيتان، إلا أن المأخوذ به للدوري الاختلاس، انظر: التيسير (ص: ٧٦)، وقد تقدم في حرف البقرة.
(٣) في فيض الله ونجيبويه والسليمانية: «أنه».
(٤) تقدم التنبيه على مذهب السلف في الصفات.
(٥) لم أقف على أثر ابن عباس، وقد ورد عن علي رضي الله عنه، أخرجه الطبري (١٣/ ١٢٤) وفي إسناده: أبو عمارة عن علي، ولم أعرف أبا عمارة هذا.، وانظر قول سعيد بن جبير في تفسير الطبري (١٣/ ١٢٦).
(٦) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٥٨)، وسقط أول كلام وهب من الأصل.

وجـواب (لَمَّـا) فـي قولـه ﴿قَالَ ﴾، والمعنى: أنه لمـا كلمه وخصه بهـذه المرتبة طمحت همته إلى رتبة الرؤية وتشـوَّق إلى ذلك، فسـأل ربه أن يريه نفسـه، قاله السـدي وأبو بكر الهذلي[١].

وقال الربيع: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] حتى سمع صريف الأقلام[٢].

ورؤية الله عز وجل عند الأشعرية وأهل السنة جائزة عقلاً، لأنه من حيث هو موجود تصح رؤيته، قالوا: لأن الرؤية للشيء لا تتعلق بصفة من صفاته أكثر من الوجود، إلا أن[٣] الشريعة قررت رؤية الله تعالى في الآخرة نصّاً، ومنعت من ذلك في الدنيا بظواهر من الشرع، فموسى عليه السلام لم يسأل ربه محالاً، وإنما سأل جائزاً[٤].

[٢/١٦٦] وقوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ الآية/ ليس بجوابِ مَن سأل محالاً، وقد قال تعالى لنوح: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦] فلو سأل موسى محالاً لكان في الكلام[٥] زجرٌ مّا وتبيين.

وقوله عز وجل: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ نصٌّ من الله تعالى على منعه الرؤية في الدنيا.

و﴿لَن﴾ تنفي الفعل المستقبل، ولو بقينا مع هذا النفي بمجرده لقضينا أنه لا يراه موسى أبداً ولا في الآخرة، لكن ورد من جهة أخرى بالحديث المتواتر: أن أهل الإيمان يرون الله تعالى يوم القيامة[٦]، فموسى عليه السلام أحرى برؤيته.

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٩٠-٩١)، وأبو بكر الهذلي اسمه سلمى بن عبد الله بن سلمى البصري، كان في صحابة المنصور، وكان أخبارِيّاً علامة، روى عن الحسن وعكرمة والشعبي وغيرهم، وضعفه ابن معين وأحمد، توفي سنة (١٥٧هـ)، تاريخ الإسلام (٩/ ٦٧٦).

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٩١).

(٣) في فيض الله: «لأن» بدل «إلا أن».

(٤) انظر ذلك المعنى في شرح المقاصد (٢/ ١١١).

(٥) في نور العثمانية: «الجواب».

(٦) أخرج البخاري (٧٤٣٦)، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله، قال: خرج علينا =

وقال مجاهد وغيره: إن الله عز وجل قال لموسى: لن تراني ولكن سأتجلى للجبل الذي هو أقوى منك وأشد، فإن استقر وأطاق الصبر لهيبتي فستُمْكِنك أنت رؤيتي[١].

قال القاضي أبو محمد: فعلى هذا إنما جعل الله له الجبل مثالاً، وقالت فرقة: إنما المعنى: سأتبدى لك على الجبل، فإن استقر لعظمتي فسوف تراني، وروي في كيفية وقوف موسى وانتظاره الرؤية قصص طويل اختصرتُه لبعده وكثرة مواضع الاعتراض فيه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

قال المتأولون المتكلمون[٢] كالقاضي ابن الباقلاني وغيره: إن الله عز وجل خلق للجبل حياة وحسّاً وإدراكاً يرى به، ثم تجلى له، أي: ظهر وبدا سلطانه[٣]، فاندكَّ الجبل لشدة المَطْلِع، فلما رأى موسى ما بالجبل صعق[٤]، وهذا المعنى هو المروي عن ابن عباس[٥].

= رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته». لفظ البخاري.

(١) تفسير الطبري (١٣/ ١٠٠).

(٢) ساقط من المطبوع

(٣) «سلطانه»: سقطت من نور العثمانية والسليمانية.

(٤) انظر قول الباقلاني في: تفسير القرطبي (٧/ ٢٧٨)، وفيه أن موسى صعق من رؤية ربه.

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ٩٧) وغيره من طريق الحسين بن عمرو بن محمد (ووقع مقلوباً في المطبوع) العنقزي، عن أبيه، عن أسباط بن نصر، عن السدي، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، والحسين قال أبو زرعة: كان لا يصدق.

وأسند الطبري عن حماد بن زيد[١] عن ثابت عن أنس[٢] عن النبي ﷺ أنه قرأ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ قال: فوضع الإبهام قريباً من خنصره قال: «فساخ الجبل»، فقال حميد[٣] لثابت: تقول هذا؟ فرفع ثابت يده[٤] فضرب صدر حميد، وقال: يقوله رسول الله ﷺ، ويقوله أنس، وأكتمه أنا؟[٥].

وقالت فرقة: المعنى: فلما تجلى الله للجبل بقدرته وسلطانه اندك الجبل.

قال القاضي أبو محمد: وهذا التأويل يتمسك به المعتزلة تمسكاً شديداً؛ لقولهم: «إن رؤية الله عز وجل غير جائزة»[٦]، وقائله من أهل السنة إنما يقوله مع اعتقاده جواز الرؤية، ولكنه يقول: إنه أليق بألفاظ الآية من أن تحمل الآية أن الجبل خلق له إدراك وحياة.

وقال الزجَّاج: من قال: إن التقدير فلما تجلى أمر ربه، فقد أخطأ، ولا يعرف أهل اللغة ذلك[٧]، ورد أبو علي في «الإغفال» عليه[٨].

و«الدك»: الانسحاق والتفتت.

---

(١) كذا في جميع النسخ، وهو حماد بن زيد بن درهم بن الإمام إسماعيل الأزدي مولاهم البصري الأزرق الضرير الحافظ، أحد الأعلام، مولى آل جرير بن حازم، توفي سنة (١٧٩هـ)، تاريخ الإسلام (١١/ ٩٤) والصواب هنا: حماد بن سلمة كما سيأتي عند تخريج الحديث.

(٢) «عن أنس» ساقط من نور العثمانية.

(٣) كذا في أكثر النسخ في الموضعين، وفي فيض الله هنا: «حماد»، على التكبير.

(٤) «يده» ليست في الأصل.

(٥) تفرد به حماد بن سلمة، هذا الحديث أخرجه أحمد (٣/ ١٢٥-٢٠٩ رقم ١٢٢٦٠-١٣١٧٨)، والترمذي (٣٠٧٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٨٠-٤٨١-٤٨٢)، وابن خزيمة في التوحيد (١٦٢-١٦٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٧-٢/ ٦٣٠)، والضياء في المختارة (١٦٧٢-١٦٧٥) وغيرهم من طرق عن حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس، به، قال الترمذي: حسن غريب صحيح، لا نعرفه إلا من حديث حماد. اهـ.

(٦) انظر قول المعتزلة بعدم جواز رؤية الله في الآخرة في: شرح المقاصد (٢/ ١١٢).

(٧) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٧٤).

(٨) الإغفال للفارسي (٢/ ٢٧٦-٢٧٧)، وأبو علي الفارسي معتزلي كما هو معروف، وأشار لذلك المصنف مراراً.

وقرأ النبي ﷺ وابن مسعود وأنس بن مالك والحسن وأبو جعفر وشيبة ومجاهد وابن كثير وأبو عمرو ونافع وعاصم وابن عامر: ﴿دَكًّا﴾، وقرأ حمزة والكسائي وابن عباس والربيع بن خثيم وغيرهم ﴿دَكَّاءَ﴾[١] على وزن حمراء.

و«الدكاء»: الناقة التي لا سنام لها، فالمعنى: جعله أرضاً دكاءَ تشبيهاً بالناقة.

فروي: أنه ذهب الجبل بجملته، وقيل: ذهب أعلاه وبقي أكثره، وروي: أن الجبل تفتَّت وانسحق حتى صار غباراً تذروه الرياح.

وقال سفيان: روي أنه ساخ في الأرض وأفضى إلى البحر الذي تحت الأرضين[٢].

قال ابن الكلبي: فهو يهوي فيه إلى يوم القيامة[٣]. وروي أنه انكسر ستَّ فرق فوقعت منه ثلاث بمكة: ثَبيرٌ وغارُ ثورٍ وحراءٌ، وثلاث بالمدينة: أحدٌ ووَرِقانُ ورَضْوَى، قاله النقاش، وقال أبو بكر الهذلي: ساخ في الأرض فلا يظهر إلى يوم القيامة[٤].

و﴿صَعِقًا﴾ معناه: مغشيّاً عليه، كحال من تصيبه الصعقة وهي الصيحة المفرِطة، قال الخليل: وهي الوقع الشديد من صوت الرعد[٥]، قاله ابن زيد وجماعة من المفسرين، وقال قتادة: كان موتاً[٦]، قال الزجَّاج: وهو ضعيف، ولفظة: ﴿أَفَاقَ﴾ تقتضي غير هذا[٧].

وقوله: ﴿سُبْحَنَكَ﴾ أي: تنزيهاً لك، كذا فسره النبي ﷺ[٨].

---

(١) فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٣).

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٩٨)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٧٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨١)، وفي السليمانية: «الأرض».

(٣) البحر المحيط (٥/ ١٦٧).

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٩٨)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٧٨).

(٥) كتاب العين (١/ ١٢٩).

(٦) تفسير الطبري (١٣/ ٩٧)، وتفسير الماوردي (٢/ ٢٥٨)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٧٩).

(٧) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٧٣).

(٨) لم أجده منسوباً للنبي ﷺ، وإنما روي عن ابن عباس بإسناد مشهور وحديث طويل، لكن ليس بحجة، انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢٢٧).

وقوله: ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ معناه: من أن أسألك الرؤية في الدنيا وأنت لا تبيحها.

قال القاضي أبو محمد: ويحتمِل عندي أنه لفظ قاله عليه السلام لشدة هول ما اطلع، ولم يَعْنِ به التوبة من شيء معيَّن، ولكنه لفظ يصلح لذلك المقام.

قال القاضي أبو محمد: والذي يتحرز منه أهل السنة أن تكون توبةً من سؤال المحال[(١)] كما زعمت المعتزلة.

وقرأ نافع: ﴿وَأَنَا﴾ بإثبات الألف في الإدراج[(٢)].

قال الزهراوي: والأَولى حذفها في الإدراج، وإثباتها لغةٌ شاذة خارجة عن القياس[(٣)].

وقوله: ﴿أَوَّلُ﴾ إما أن يريد به: من قومه بني إسرائيل، وهو قول ابن عباس[(٤)] ومجاهد[(٥)]، أو: من أهل زمانه إن كان الكفر قد طبق الآفاق، وإما أن يريد: أول المؤمنين بأنك لا تُرى في الدنيا، قاله أبو العالية[(٦)].

ثم إن الله تعالى قرر موسى على آلائه عنده على جهة الإخبار، وقنعه بها، وأمره بالشكر عليها، وكأنه قال: ولا تتعدَّها إلى غيرها، و«اصطفى» أصله: اصتفى، وهو افتعل من صفا يصفو، انقلبت التاء طاء لمكان الصاد، ومعناه: تخيرتك وخَصَصتك، ولا تستعمل إلا في الخير والمنن، لا يقال: اصطفاه لشر، وقوله: ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ لفظ عام والمراد الخصوص فيمن شارك موسى في الإرسال، فإن الأنبياء كلَّهم المرسلين مشاركون له بما

---

(١) لأنهم يرون أن سؤالها جائز شرعاً وهو ما فعله موسى، انظر ذلك في شرح المقاصد (٢/ ١١١).

(٢) هذا خاص بما بعده همزة مفتوحة أو مضمومة، وفي المكسورة خلاف، وقد تقدم هذا في سورة البقرة.

(٣) لم أقف عليه، ولا تنافش القراءة الصحيحة بمثل هذا.

(٤) ليس إسناده بالحجة، أخرجه الطبري (١٣/ ١٠٤) من طريق: أسباط، عن السدي، عن عكرمة، عن ابن عباس.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٢)، وتفسير الطبري (١٣/ ١٠٤).

(٦) تفسير الطبري (١٣/ ١٠٣).

هم رسل، والظاهر من الشريعة أن موسى مخصَّص بالكلام وإن كان قد روي في تكليم الله غيره أشياء بما يشاء، من أعظمها أن رسول الله ﷺ سئل عن آدم فقال: «هو نبي مكلَّم»[١].

قال القاضي أبو محمد: إلا أن ذلك قد تُؤُوِّل بأنه كان في الجنة، فيتحفظ[٢] على هذا تخصيص موسى.

ويصح أن يكون قوله: ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ عموماً مطلقاً في مجموع الدرجتين: الرسالة والكلام.

وقرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو وعاصم وابن عامر: ﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾ على الجمع إذ الذي أُرسل به ضروب.

وقرأ ابن كثير ونافع: ﴿برسالتي﴾ على الإفراد[٣] الذي يراد به الجمع، وتَحلُّ الرسالة هاهنا محل المصدر الذي هو الإرسال.

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾/ . [١٦٧/٢]

وقرأ أبو رجاء: (برسالتي وبكَلِمي).

وقرأ الأعمش: (برسالاتي وبكَلِمي)[٤].

وحكى عنه المهدوي: (وتكليمي) على وزن تفعيلي[٥].

---

(١) ضعيف، هذا الحديث أخرجه أبو داود الطيالسي (٤٨٠)، وأحمد (٥/ ١٧٨-١٧٩ ـ رقم ٢١٥٤٦- ٢١٥٥٢)، والبزار (٤٠٣٤)، والحاكم (٢/ ٣١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢٩- ٣٢٩٨) وغيرهم من طرق عن المسعودي، عن أبي عمرو الشامي، عن عبيد بن الخشخاش، عن أبي ذر رضي الله عنه مطولاً، وعبيد بن الخشخاش قال البخاري: لم يذكر سماعاً من أبي ذر. وضعفه الدارقطني.

(٢) في فيض الله: «فينحفظ»، وهي غير واضحة في بعض النسخ الخطية.

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٣)، السبعة (ص: ٢٤٦).

(٤) شاذة، تابعه على عزوها لهما في البحر المحيط في التفسير (٥/ ١٦٩)، وعزاها في إتحاف فضلاء البشر (١/ ٢٨٩) للمطوعي.

(٥) وهي شاذة، انظرها في التحصيل للمهدوي (٣/ ٩٧)، والشواذ للكرماني (ص: ١٩٣).

وقوله: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ تأديبٌ وتقنيعٌ وحملٌ على جادة السلامة، ومثالٌ لكل أحد في حاله، فإن جميع [النعم من عنده بمقدار، وكل][1] الأمور بمرأىً من الله ومسمعٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾ الآية، الضمير في ﴿لَهُۥ﴾ عائد على موسى عليه السلام، والألف واللام في ﴿ٱلْأَلْوَاحِ﴾ عوض من الضمير الذي يقدَّر وُصلة بين الألواح وموسى عليه السلام، تقديره: في ألواحه، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١]: مأواه.

وقيل: كانت الألواح اثنين، وقيل: سبعة.

وقال مجاهد وابن عباس: كانت الألواح من زمرد[2].

وقال ابن جبير: من ياقوت أحمر.

[وقال أبو العالية: من زَبَـرْجَدٍ][3].

وقال أبو العالية أيضاً: من بردٍ.

وقال الحسن: من خشب[4].

وقوله: ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ لفظة عموم والمراد به: كل شيء ينفع في معنى الشرع ويحتاج إليه في المصلحة.

وقوله: ﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ مثلُه، قال ابن جبير: ما أمروا به ونهوا عنه، وقاله مجاهد، وقال السدي: الحلال والحرام[5].

---

(١) ساقط من نور العثمانية، وهو في فيض الله ملحق في الهامش، وعليه تصحيح.
(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس، وقد جاء عن مجاهد وسعيد بن جبير في تفسير الطبري ١٣/ ١٢٧.
(٣) ساقط من المطبوع والحمزوية.
(٤) انظر هذه الأقوال لها في تفسير الطبري (١٣/ ١٢٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٤)، إلا قول الحسن ففي القرطبي (٧/ ٢٨١).
(٥) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٣/ ١٠٧)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٩)، معاني القرآن للنحاس (٣/ ٧٦).

وقوله: ﴿بِقُوَّةٍ﴾ معناه: بجدٍّ وصبر عليها واحتمالٍ لمؤنها، قاله ابن عباس[١] والسدي.

وقال الربيع بن أنس: ﴿بِقُوَّةٍ﴾ هنا: بطاعة[٢].

وقال ابن عباس: أُمر موسى أن يأخذ بأشدَّ مما أُمر به قومه[٣].

و«خُذ» أصله: «اؤخذ» حذفت الهمزة التي هي فاء الفعل على غير قياس فاستُغني عن الأول، وقوله: ﴿بِأَحْسَنِهَا﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: التفضيل، كأنه قال: إذا اعترض فيها مباحان[٤] فيأخذون الأحسن منهما، كالعفو والقصاص، والصبر والانتصار.

قال القاضي أبو محمد: هذا على القول إن أفعل في التفضيل لا يقال إلا لما لهما اشتراك في المفضَّل فيه.

وأما على القول الآخر فقد يراد بالأحسن: المأمورُ به بالإضافة للمنهي عنه؛ لأنه أحسن منه، وكذلك الناسخُ بالإضافة إلى المنسوخ، ونحو هذا، وذهب إلى هذا المعنى الطبري[٥].

قال القاضي أبو محمد: ويؤيد هذا التأويلَ أنه تدخل فيه الفرائض وهي لا تدخل في التأويل الأول، وقد يمكن أن يُتصور اشتراك في حَسَنٍ من المأمور به والمنهي عنه ولو بحسب الملاذ وشهوات النفس الأمَّارة.

والمعنى الآخر الذي يحتمله قوله: ﴿بِأَحْسَنِهَا﴾: أن يريد بـ«أحسن»: وصفَ

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ١٠٩) ولفظه: «بجد»، فقط، بإسناد فيه أبو سعد البقال وهو ضعيف جدّاً.

(٢) في السليمانية: «بطاقة»، وانظر: تفسير الطبري (١٣/ ١٠٩)، وتفسير الماوردي (٢/ ٢٦٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ١١٠) بإسناد فيه أبو سعد البقال وهو ضعيف جداً.

(٤) في السليمانية وفيض الله: «منهاجان».

(٥) تفسير الطبري (١٣/ ١١٠).

الشريعة بجملتها، فكأنه قال: قد جعلنا لكم شريعةً هي أحسن، كما تقول: الله أكبر، دون مقايسة ثم قال: فمرهم يأخذوا بأحسنها الذي شَرَعناه لهم، وفي هذا التأويل اعتراضات.

وقرأ جمهور الناس: ﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾ بغير واو، وقرأ الحسن بن أبي الحسن (سأوريكم)[١].

قال أبو الفتح: ظاهر هذه القراءة مردود، وهو أبوسعيد[٢] المأثورُ فصاحته، فوجهها: أن المراد (أريكم) ثم أُشبعت ضمة الهمزة ومُطلت حتى نشأت عنها واو، ويحسِّن احتمالَ الواو في هذا الموضع أنه موضع وعيد وإغلاظ فمكِّن الصوت فيه.

وقرأ قسامة بن زهير: (سأُورِّثكم)[٣] قاله أبو حاتم، ونسبها المهدوي إلى ابن عباس[٤].

وثبتت الواو في خط المصحف[٥]، فلذلك أشكل هذا الاختلاف، مع أنَّا لا نَتأول إلا أنها مرويات.

فأما من قرأها ﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾ فالمعنى عنده: سأعرض عليكم وأجعلكم تخشون[٦] لتعتبروا حال دار الفاسقين، و«الرؤية» هنا رؤية العين، إلا أن المعنى يتضمن الوعد للمؤمنين والوعيد للفاسقين، ويدل على أنها رؤية العين تعدِّي فعلها، وقد عدِّي بالهمزة إلى مفعولين، ولو كان من رؤية القلب لتعدى بالهمزة إلى ثلاثة مفعولِين، ولو قال قائل:

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٥١)، ومع التوجيه في المحتسب (١/ ٢٥٨)، وبغير واو من الحمزوية.

(٢) هي كنية الحسن البصري رحمه الله.

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في مختصر الشواذ (ص: ٥١)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٨٣)، وهو قسامة ابن زهير المازني البصري، حدث عن: أبي موسى الأشعري، وأبي هريرة، وعنه: قتادة وغيره، وثقه ابن سعد، وتوفي في إمرة الحجاج. تاريخ الإسلام (٦/ ٤٥٧).

(٤) انظر: التحصيل للمهدوي (٣/ ٩٧)، ونسبت لابن عباس أيضاً في المصدرين السابقين.

(٥) انظر: المقنع للداني (ص: ٥٩).

(٦) في المطبوع ونجيبويه وفيض الله: «تحسون».

المفعول الثالث يتضمنه المعنى فهو مقدَّر، أي: مدمَّرةً أو خَرِبة أو مسعَّرة على قول من قال: هي جهنم، قيل له: لا يجوز حذف هذا المفعول والاقتصار دونه؛ لأنها داخلة على الابتداء والخبر، ولو جوِّز لكان على قبح في اللسان لا يليق بكتاب الله عز وجل.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومقاتل وقتادة في كتاب النقاش: ﴿دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: مصر، والمراد: آل فرعون[١].

وقال قتادة أيضاً: ﴿دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: الشام، والمراد العمالقة الذين أُمر موسى بقتالهم.

وقال مجاهد والحسن: ﴿دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: جهنم، والمراد الكفرة بموسى عامة.

وقال النقاش عن الكلبي: ﴿دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: دور ثمود وعاد والأمم الخالية، أي: سنقصها عليكم فترونها[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾.

المعنى: سأمنع وأصدُّ، وقال سفيان بن عيينة: «الآيات» هنا: كلُّ كتاب منزل[٣].

قال القاضي أبو محمد: فالمعنى: عن فهمها وتصديقها.

وقال ابن جريج: «الآيات»: العلامات المنصوبة الدالَّة على الوحدانية[٤].

قال القاضي أبو محمد: فالمعنى: عن النظر فيها، والتفكيرِ والاستدلال بها، واللفظ

---

(١) لم أقف عليه مسنداً عن علي، ولا عن قتادة. وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣).

(٢) انظر الأقوال في تفسير الطبري (١٣/ ١١١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩١)، ومع قول الكلبي في تفسير الثعلبي (٤/ ٢٨٣).

(٣) انظر تفسير الماوردي (٢/ ٢٦١)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٨٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٧٨).

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ١١٣)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٨٤) بتصرف.

يعم الوجهين، والمتكبرون بغير حق في الأرض هم الكفرة، والمعنى في هذه الآية: سأجعل الصرف عن الآيات عقوبة للمتكبرين على تكبرهم.

وقوله: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا﴾ حتم من الله عز وجل على الطائفة التي قدَّر ألا يؤمنوا.

وقراءة الجمهور: ﴿يَرَوۡاْ﴾ بفتح الياء، قرأها ابن كثير وعاصم ونافع وأبو جعفر وشيبةُ وشِبلٌ وابن وثَّابٍ وطلحة بن مصرِّفٍ وسائر السبعة.

وقرأها مضمومة الياء مالك بن دينار[١].

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر: ﴿ٱلرُّشۡدِ﴾.

وقرأ ابن عامر في بعض ما روي عنه وأبو البَرَهْسَم: (الرُّشُد) بضم الراء والشين[٢].

وقرأ حمزة والكسائي: [﴿الرَّشَد﴾ بفتحهما[٣].

وقرأ أبو عبد الرحمن فيما ذكر أبو حاتم: (الرشاد)[٤].

وجمهور الناس][٥] على أن «الرُّشْد» بضم الراء وسكون الشين، و«الرَّشَد» بفتحهما بمعنىً واحد، وقال أبو عمرو بن العلاء: «الرُّشد» بضم الراء: الصلاح في النظر، و«الرَّشَد» بفتحهما: الدين[٦]، وأما قراءة ابن عامر[٧] بضمهما فأُتبعت الضمةُ الضمةَ.

---

(١) وهي شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (٤/ ٢٨٤).

(٢) لم أجدها لأبي البرهسم ولا في شيء من طرق ابن عامر هنا، وسيأتي ما له في «رشدا»، ورواها محمد بن جنيد عن الأعشى وعن أبي حمّاد عن أبي بكر عن عاصم كما في جامع البيان (٣/ ١١١٧) وعزاها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ١٩٤) لعيسى بن عمر قياساً.

(٣) هذه والأولى سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٣)، والسبعة في القراءات (ص: ٢٩٣).

(٤) وهي شاذة، عزاها للسلمي الكرماني في شواذ القراءات (ص: ١٩٤).

(٥) ما بين القوسين ساقط من المطبوع.

(٦) تفسير الطبري (١٣/ ١١٥).

(٧) في السليمانية: «ابن عبَّاس».

وقرأ ابن أبي عبلة: (لا يتخذوها)، و(يتخذوها)، على تأنيث السبيل[١].

و«السبيل» تؤنث وتذكر.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الصرف، أي: صَرْفُنا / إياهم وعقوبتنا لهم هي [٢/١٦٨] بكفرهم وتكذيبهم وغفلتهم عن النظر في الآيات والوقوف عند الحجج، ويحتمل أن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبرَ ابتداء تقديره: الأمر ذلك، ويحتمل أن يكون في موضع نصب بفعل تقديره: فعلنا ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ﴾ الآية، هذه الآية مؤكدة للَّتي قبلها، وسَوْقُها في جملة المكذَّب به ولقاءِ الآخرة لفظٌ يتضمن تهديداً، أي: هنالك يفتضح لهم حالهم.

و﴿حَبِطَتْ﴾ معناه: سقطت وفسدت، وأصل الحبط فيما تقدم صلاحه، ولكنه قد يستعمل في الذي كان منذ[٢] أول مرة فاسداً؛ إذ مآل العاملَيْن واحد.

وقوله: ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ﴾ استفهام بمعنى التقرير؛ أي: يستوجبون بسوء فعلهم العقوبة، وساغ أن يستعمل: ﴿حَبِطَتْ﴾ هنا إذ كانت أعمالهم في معتقداتهم جارية في طريق صلاح، فكأن الحبط فيها إنما هو بحسب معتقداتهم، وأما بحسب ما هي عليه في أنفسها ففاسدة منذ أول أمرها، ومن هذه اللفظة قول النبي ﷺ: «إن مما يُنبتُ الربيعُ ما يَقتلُ حَبَطاً أو يُلِمُّ»[٣] أي: فساداً لكثرة الأكل بعد الصلاح الذي كان أولًا.

وقرأ ابن عباس وأبو السمَّال: (حبَطت) بفتح الباء[٤].

(١) وهي شاذة، مخالفة للرسم، وقد تابعه عليها في البحر المحيط (٥/ ١٧٤).

(٢) من فيض الله والسليمانية.

(٣) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٢٨٤٢)، ومسلم (٦٤٢٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) وهي شاذة، انظرها في الهداية لمكي (٢/ ٩٨٣)، وقد تقدمت أول الكتاب.

قوله عز وجل: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾.

(اتّخَذَ) أصله: ايتخذ، وزنه: افتعل من تَخذ، هذا قول أبي علي الفارسي[١].

والضمير في ﴿بَعْدِهِۦ﴾ عائدٌ على ﴿ مُوسَىٰ ﴾؛ أي: بعد مُضيِّه إلى المناجاة، وأضاف الحليَّ إلى بني إسرائيل وإن كان مستعاراً من القبط، إذ كانوا قد تملَّكوه: إما بأن نُفِّلوه كما روي، وحكى يحيى بن سلام عن الحسن أنه قال: استعار بنو إسرائيل حلي القبط ليوم الزينة، فلما أمر موسى أن يسري بهم ليلاً تعذر عليهم ردُّ العواري، وأيضاً فخشوا أن يفتضح سُراهم[٢]، ثم إن الله نفَّلهم إياه[٣].

ويحتمل أن يضاف الحلي إلى بني إسرائيل من حيث تصرفت أيديهم فيه بعد غرق[٤] آل فرعون، ويروى أن السامري ـ واسمه: موسى بن ظفر، وينسب إلى قرية تسمى سامرة ـ قال لهارون حين ذهب موسى إلى المناجاة: يا هارون، إن بني إسرائيل قد بدَّدوا الحلي الذي استعير من القبط وتصرفوا فيه وأنفقوا منه، فلو جمعته حتى يرى موسى فيه رأيه، قال: فجمعه هارون، فلما اجتمع قال للسامري: أنت أولى الناس بأن يختزن عندك، فأخذه السامري، وكان صائغاً فصاغ منه صورة عجل ـ وهو ولد البقرة ـ جَسَداً، أي: جثة وجماداً، وقيل: كان جسداً بلا رأس، وهذا تعلُّقٌ بأن الجسد في اللغة ما عدا الرأس، وقيل: إن الله جعل له لحماً ودماً[٥].

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٧١).

(٢) في المطبوع: «سرهم».

(٣) تفسير البحر المحيط (٥/ ١٧٦)، وانظر: تفسير الطبري (١٨/ ٣٥٣)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٨٥).

(٤) في المطبوع: «بعد غزو آل فرعون»، وفي الحمزوية: «بعد فرعون».

(٥) راجع: تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٤)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٨٥).

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف؛ لأن الآثار في أن موسى بَـرَدَه بالمبارد تكذِّب ذلك.

و«الخوار»: صوت البقر، ويروى أن هذا العجل إنما خار مرة واحدة، وذلك بحيلة صناعية من السامري، أو بسحر تركَّب له من قبضه القبضة من أثر الرسول، أو بأنَّ الله أخار العجل لفَتْن بني إسرائيل.

وقرأت فرقة: (له جُؤار) بالجيم[١]، وهو الصياح، قال أبو حاتم: وشدةُ الصوت[٢].

وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وأبو عمرو والحسن وأبو جعفر وشيبة: ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ بضم الحاء وكسر اللام، وهو جمع حَلْي[٣] على مثال: ثَدْي وثُدِيّ، وأصله: حُلُويٌ، قلبت الواو ياء وأدغمت فجاء: حُلُيّ، فكسرت اللام لتناسب الياء.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿من حِلِيِّهم﴾ بكسر الحاء[٤] على ما قدمنا من التعليل، قال أبو حاتم: إلا أنهم كسروا الحاء إتباعاً لكسرة اللام، قال أبو علي: وقوَّى التغييرُ الذي دخل على الجمع على هذا التغييرِ الأخير، قال: ومما يؤكد كسر الفاء في هذا النحو من الجمع قولُهم: قِسِيّ[٥].

قال أبو حاتم: وقرأ هكذا يحيى بن وثاب وطلحة والأعمش وأصحاب عبد الله[٦].

وقرأ يعقوب الحضرمي: ﴿مِنْ حَلْيِهِم﴾ بفتح الحاء وسكون اللام[٧]، فإما أن

(١) والهمز، وبها قرأ علي بن أبي طالب وأبو السمال كما في مختصر الشواذ (ص: ٥١).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٥).

(٣) «حلي» من المطبوع.

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٣)، والسبعة (ص: ٢٩٤).

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٨٧).

(٦) نقلها عنهم في البحر المحيط (٥/ ١٧٦).

(٧) وهي عشرية، انظر: النشر (٢/ ٣٠٦).

يكون مفرداً يراد به الجميع وإما أن يكون جمع حلية، كتمرة وتمر، ومعنى الحلي: ما يتجمَّل به من حجارة وذهب وفضة.

ثم بيَّن الله تعالى سوء نظرهم[١] وقرَّر فساد اعتقادهم بقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ الآية، وذلك أن الصامت الجمادَ لا يتصف بالإلهية، والذي لا يرشد إلى خير ولا يكشف غمّاً كذلك، والضمير في: ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ عائد على العجل.

وقوله: ﴿وَكَانُوا﴾ إخبار لنا عن جميع أحوالهم ماضياً وحالاً ومستقبلاً، ويحتمل أن تكون الواو واو حال، وقد مرَّ في البقرة سبب اتخاذ العجل وبسطُ تلك الحال بما أغنى عن إعادته هاهنا.

وقرأ جمهور الناس بكسر القاف وضم السين: ﴿سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾.

وقرأت فرقة: (سَقط) بفتح السين والقاف، حكاه الزجَّاج[٢].

وقرأ ابن أبي عبلة: (أُسقط)[٣] وهي لغة حكاها الطبري بالهمزة المضمومة وسينٍ ساكنة[٤].

والعرب تقول لمن كان ساعياً لوجه أو طالباً غايةً مَّا، فعرضه ما غلبه وصده عن وجهته، وأوقفه موقف العجز عن بغيته، وتيقن أنه قد عجز: سُقط في يد فلان.

وقال أبو عبيدة: يقال لمن قَدِم على أمر وعجز عنه: سُقط في يده[٥].

قال القاضي أبو محمد: والندم عندي عرَضٌ يَعْرِض صاحبَ هذه الحال، وقد لا

---

(١) في المطبوع: «فطرتهم».

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٧٨)، وهي شاذة، عزاها الكرماني (ص: ١٩٤) لعلي، وابن خالويه (ص: ٥١) لليماني.

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ١٩٤).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ١١٨).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٢٢٨).

يعرضه[١]، فليس الندم بأصل في هذا، أمَا إن أكثر أصحاب هذه الحال يصحبهم الندم، وكذلك صحب بني إسرائيل المذكورين في الآية، والوجه الذي يصل بين هذه الألفاظ وبين المعنى الذي ذكرناه هو أن السعي أو الصرف أو الدفاع سقط في يد المشار إليه، فصار في يده لا يجاوزها ولا يكون له خارجَها تأثير.

وقال الزجاج: المعنى: أن الندم سَقَط في أيديهم[٢].

ويحتمل أن الخسران والخيبة سَقَطَ في أيديهم.

قال القاضي أبو محمد: وعلى هذا كلِّه يلزم أن يكون «سَقَط» يتعدى، فإن ﴿سُقِطَ﴾ يتضمن مفعولاً، وهو هاهنا المصدر الذي هو الإسقاط، كما يقال: ذُهِبَ بزيد، وفي هذا عندي نظر.

وأما قراءة من قرأ (سَقَط) على بناء الفعل للفاعل أو (أُسقط) على التعدية بالهمزة، فبيِّن/ في الاستغناء عن التعدي، ويحتمل أن يقال: سُقط في يديه على معنى [٢/ ١٦٩] التشبيه بالأسير الذي تكتَّف يداه، فكأن صاحب هذه الحال يستأسر[٣] ويقع ظهور الغلبة عليه في يده، أو كأن المراد: سقط بالغلب والقهر في يده.

وحُدثت عن أبي مروان بن سِرَاجٍ[٤] أنه كان يقول: قول العرب: سُقِطَ في يديه، مما أعياني معناه.

وقال الجرجاني: هذا مما دَثَر استعمالُه مثلما دَثَر استعمال قوله تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ [الكهف: ١١][٥].

---

(١) في المطبوع: «يعرض له»، وفيه: «يعرض لصاحب»، وهو أوضح، والمثبت من سائر النسخ.
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٧٨).
(٣) في نور العثمانية: «يستأنس».
(٤) هو عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج، الإمام أبو مروان الأموي مولاهم القرطبي، الوزير الحافظ إمام اللغة بالأندلس غير مدافع، روى عن: أبيه، ومكي، وجماعة، وعنه: أبو علي الصدفي، توفي قبل الخمس مئة. تاريخ الإسلام (٣٣/ ٣٠٥).
(٥) انظر القولين في البحر المحيط (٥/ ١٧٨).

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا الكلام ضعف، و«السِّقاط» في كلام العرب[١]: كثرةُ الخطأ والندمُ عليه، ومنه قول سويد بن أبي كاهل[٢]:

[الرمل] كيْـفَ يَرجـونَ سِـقاطي بَعْدَمَـا لَفَّـعَ الـرَّأْسَ مَشِـيبٌ وصَلَـع[٣]

وقول بني إسرائيل: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ إنما كان بعد رجوع موسى وتغييره عليهم، ورؤيتهم أنهم قد خرجوا عن الدين ووقعوا في الكفر.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم والحسن والأعرج وأبو جعفر وشيبة ابن نِصَاحٍ ومجاهد وغيرهم: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ بالياء في ﴿يَرْحَمْنَا﴾ وإسنادِ الفعل إلى الرب تعالى، ﴿وَيَغْفِرْ﴾ بالياء.

وقرأ حمزة والكسائي والشعبي وابن وثَّاب والجحدري وطلحة بن مصرِّفٍ والأعمش وأيوب: ﴿ترحَمْنا ربَّنا﴾ بالتاء في ﴿ترحمنا﴾ ونصب لفظة ﴿ربَّنا﴾ على جهة النداء ﴿وتغفرْ﴾ بالتاء، من فوق[٤].

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾.

يريد: رجع من المناجاة، ويروى: أنه لما قَرُب من محلة بني إسرائيل سمع أصواتهم فقال: هذه أصوات قوم لاهين، فلما تحقق عكوفهم على عبادة العجل داخَلَه

---

(١) في السليمانية: «في اللغة».

(٢) هو سويد بن أبي كاهل، واسمه غطيف بن حارثة اليشكريّ، يكنى أبا سعد، مخضرم أدرك الجاهليّة والإسلام، وكانت العرب تسمي قصيدته: العينية اليتيمة، لمَا اشتملت عليه من الأمثال، وقد عُمِّر في الإسلام إلى زمن الحجاج. الإصابة (٣/ ٢٢٢).

(٣) انظر عزوه له في المفضليات (ص: ١٩٩)، والعين (٢/ ١٤٥)، وعيون الأخبار (٢/ ١٤)، والأغاني (١٣/ ١١٢).

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٣)، والسبعة (ص: ٢٩٤).

الغضب والأسف وألقى الألواح، قاله ابن إسحاق، وقال الطبري: أخبره الله تعالى قبل رجوعه أنهم قد فُتنوا بالعجل، فلذلك رجع وهو غاضب[١].

و«الأسف» قد يكون بمعنى الغضبِ الشديد، وأكثرُ ما يكون بمعنى الحزن، والمعنيان مترتِّبان هاهنا، و(ما) المتصلة بـ(بِئْسَ) مصدرية، هذا قول الكسائي[٢]، وفيها اختلاف قد تقدم في البقرة، أي: بئس خلافتُكم لي من بعدي، ويقال: خلفه بخير أو بشر: إذا فعله بمَن ترك من بعده. ويقال: عجِل فلان الأمر: إذا سبق فيه. فقوله: ﴿أَعَجِلْتُمْ﴾ معناه: أسابقتم قضاء ربكم واستعجلتم إتياني قبل الوقت الذي قدِّر به.

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ الآية، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: كان سبب إلقائه الألواح غضبه على قومه في عبادتهم العجل، وغضبه على أخيه في إهمال أمرهم[٣].

وقال قتادة ـ إن صح ذلك عنه ـ : «بل كان ذلك لمَا رأى فيها من فضيلة أمة محمد ﷺ، فرغب أن يكون ذلك لأمته، فلما علم أنه لغيرها غضب»[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول رديء لا ينبغي أن يوصف موسى عليه السلام به، والأول هو الصحيح، وبالجملة: فكان في خُلق موسى عليه السلام ضِيقٌ، وذلك مستقِر في غير موضع، وروي أنها كانت لوحينِ[٥]، وجُمِع إذ التثنيةُ جَمْعٌ.

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ١٢٠)، وانظر فيه قول ابن إسحاق (١٣/ ١٢٣).

(٢) مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١٠٤).

(٣) هذا الأثر أخرجه الطبري (١٥١٢٨)، وابن أبي حاتم (٩٠٠٠) في تفسيرهما من طريق الأصبغ ابن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده لا بأس به.

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ١٢٤)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٨٦)، وتفسير الماوردي (٢/ ٢٦٣) بتصرف.

(٥) كذا في نور العثمانية، وفيض الله، والسليمانية: لوحين، على الصواب، وفي المطبوع وسائر المخطوطات: «لوحان».

وروي أنها كانت وِقْرَ سبعين بعيراً يقرأ منها الجزء في سنة.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف مُفْرِط، وقاله الربيع بن أنس[(١)].

وقال ابن عباس: «إن موسى لما ألقاها تكسرت، فرُفع أكثرها الذي فيه تفصيلُ كل شيء، وبقي الذي في نسخته الهدى والرحمة، وهو الذي أخذ بعد ذلك»[(٢)].

وقد تقدم القول من أي شيء كانت الألواح، وأخذُه برأس أخيه ولحيته من الخُلق المذكور، هذا ظاهر اللفظ، وروي أن ذلك إنما كان ليُسَارَّه، فخشي هارون أن يتوهم الناظر إليهما أنه لغضب، فلذلك نهاه ورَغِبَ إليه.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، والأول هو الصحيح لقوله: ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤].

وقوله: ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ استلطاف برحِم الأم، إذ هو ألصق القرابات.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم: ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ بفتح الميم: فقال الكوفيون: أصله: ابن أماه، فحذفت تخفيفاً[(٣)].

وقال سيبويه: «هما اسمان بنيا على الفتح كاسم واحد، كخمسة عشر ونحوها»[(٤)].

وقرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي: ﴿ابن أمِّ﴾ بكسر الميم[(٥)]، فكأن الأصل: ابن أمي، فحذفت الياء: إما على حدِّ حذفهم من: «لا أبال» و«لا

---

(١) تفسير الثعلبي (٤/ ٢٨٣).

(٢) إسناده صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٥١٣٧)، وابن أبي حاتم (٨٩٩٩) في تفسيرهما عن يعلى بن مسلم، من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: ألقى موسى الألواح فتكسرت فرفعت إلا سدسها.

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ١٢٩).

(٤) الكتاب (٣/ ٣٠٣).

(٥) وهما سبعيتان. انظر: التيسير (ص: ١١٣).

أدر» تخفيفاً، وإما كأنهم جَعلوا الأول والآخِر اسماً واحداً ثم أضافوا، كقولك: يا أحد عشر أقبلوا، قاله سيبويه[١]، وهذا أقيس من الحذف تخفيفاً، ثم أضافوا إلى ياء المتكلم، ثم حذفت الياء من (ابن أمي) على لغة من يقول: يا غلام، فيحذفها من المنادى، ولو لم يقدَّر جعلُ الأول والآخِر اسماً واحداً لمَا صح حذفها؛ لأن الأم ليست بمناداة.

و﴿ٱسۡتَضۡعَفُونِي﴾ معناه: اعتقدوا أني ضعيف.

وقوله: (كادوا) معناه: قاربوا ولم يفعلوا.

وقرأ جمهور الناس: ﴿فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ﴾ بضم التاء وكسر الميم ونصب ﴿ٱلۡأَعۡدَآءَ﴾.

وقرأ مجاهد فيما حكاه أبو حاتم: (فلا تَشمَت بي) بفتح التاء من فوقُ والميمِ ورفع (الأعداءُ)، [أي: لا يكون ذلك منهم لفعل تفعله أنت بي.

وقرأ حميد بن قيس: (تَشمِت) بتاء مفتوحة وميم مكسورة ورفع (الأعداءُ)]، حكاها أبو حاتم[٢].

وقرأ مجاهد أيضاً فيما حكاه أبو الفتح: (فلا تَشْمَتْ بي الأعداءَ) بفتح التاء من فوق والميم ونصب (الأعداء)، هذا على أن يعدى شمت يشمت، وقد روي ذلك. قال أبو الفتح: فلا تَشمتْ بي أنت يا رب، وجاز هذا كما قال تعالى: ﴿يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٥] ونحو ذلك، ثم عاد إلى المراد فأضمر فعلاً نصب به (الأعداء)، كأنه قال: لا تُشْمِتْ بي الأعداءَ، كقراءة الجماعة[٣].

قال القاضي أبو محمد: وفي كلام أبي الفتح هذا تكلف.

---

(١) الكتاب (٢/ ٢١٤).

(٢) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥١)، والهداية لمكي (٤/ ٢٥٦٤) وما بين القوسين ساقط من المطبوع والأصل.

(٣) انظر قراءتي مجاهد مع التوجيه في المحتسب (١/ ٢٥٩).

وحكى المهدوي عن ابن محيصن: (تَشمِتْ) بفتح التاء وكسر الميم، (الأعداءَ) بالنصب[١].

و«الشماتة»: فرحة العدو بمصاب عدوه.

وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يريد: عبدة العجل.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾.

[٢/ ١٧٠] استغفر موسى / من [فعله مع أخيه][٢]، ومن عجلته في إلقاء الألواح، واستغفر لأخيه من فعله في الصبر لبني إسرائيل، ويمكن أن الاستغفار كان لغير هذا مما لا نعلمه، والله أعلم.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ الآية، مخاطَبةٌ من الله لموسى عليه السلام لقوله: ﴿سَيَنَالُهُمْ﴾، ووقع ذلك النيل في عهد موسى عليه السلام، والغضب والذلة هو أمرهم بقتل أنفسهم، هذا هو الظاهر.

وقال بعض المفسرين: «الذلة»: الجزية[٣]، ووجهُ هذا القول: أن الغضب والذلة بقيت في عقب هؤلاء المقصودين بها أولاً، وكأن المراد: سينال أعقابَهم.

وقال ابن جريج: الإشارة في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ إلى مَن مات من عبدة العجل قبل التوبة بقتل النفس، وإلى من فرَّ فلم يكن حاضراً وقت القتل.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظرها في التحصيل للمهدوي (٣/ ٩٨)، وإتحاف فضلاء البشر (١/ ٢٩٠).

(٢) في المطبوع: «فعلة أخيه».

(٣) تفسير الثعلبي (٤/ ٢٨٦)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٢١٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٨٤).

قال القاضي أبو محمد: والغضب على هذا والذلة هو عذاب الآخرة، والغضب من الله عز وجل إن أُخذ بمعنى الإرادة فهو صفةُ ذاتٍ، وإن أخذ بمعنى العقوبة وإحلال النقمة فهو صفة فعل.

[وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾][١] المراد أولًا: أولئك الذين افتروا على الله في عبادة العجل، وتكون قوة اللفظ تعم كلَّ مفتر إلى يوم القيامة، وقد قال سفيان بن عيينة وأبو قِلَابة وغيرهما: كل صاحب بدعة أو فرية ذليل[٢]، واستدلوا بالآية.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الآية، تضمنت هذه الآية الوعد بأن الله عز وجل يغفر للتائبين، والإشارة إلى من تاب من بني إسرائيل.

وفي الآية ترتيب الإيمان بعد التوبة، والمعنى في ذلك أنه أراد: وآمنوا أن التوبة نافعة لهم منجيةٌ فتمسكوا بها، فهذا إيمان خاص بعد الإيمان على الإطلاق.

ويحتمل أن يريد بقوله: ﴿وَءَامَنُوٓاْ﴾ أي: وعملوا عمل المؤمنين حتى وافوا على ذلك، ويحتمل أن يريد التأكيد فذكر[٣] التوبة والإيمان إذ هما متلازمان، إلا أن التوبة على هذا تكون من كفر ولا بدَّ، فيجيء تابوا وآمنوا بمعنًى واحد، وهذا لا يترتب في توبة المعاصي، فإن الإيمان متقدم لتلك ولا بد، وهو وتوبة الكفر متلازمان.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ إيجابٌ ووعدٌ مُرجٍّ.

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل قوله: ﴿تَابُواْ﴾ ﴿وَءَامَنُوٓاْ﴾ أن يكون لم تُقصد رتبةُ الفعلين على عرف الواو في أنها لا توجب رتبةً، ويكون ﴿وَءَامَنُوٓاْ﴾ بمعنى: وهم مؤمنون قبلُ وبعد، فكأنه قال: ومن صفتهم أنْ آمنوا.

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ١٥٤ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ

(١) في الأصل ونجيبويه: «وكذلك قوله: نجزي المفترين».
(٢) تفسير الطبري (١٣/ ١٣٥-١٣٦)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٨٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٠).
(٣) في نجيبويه وفيض الله: «بذكر».

ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾.

معنى هذه الآية: أن موسى عليه السلام لما سكن غضبه أخذ الألواح التي كان ألقى، وقد تقدم ما روي أنه رُفع أكثرها أو ذهب في التكسر، وقوله: ﴿سَكَتَ﴾ لفظة مستعارة، شبِّه خمود الغضب بانقطاع كلام المتكلم وهو سكوته.

قال يونس بن حبيب: تقول العرب: سال الوادي يومين ثم سكت[1].

وقال الزجاج وغيره: مصدر قولك: سكت الغضب: سَكْت، ومصدر قولك: سكت الرجل: سُكوت[2]، وهذا يقتضي أنه فعل على حِدَةٍ وليس من سكوت الناس.

وقيل: إن في المعنى قلباً، والمراد: ولما سكت موسى عن الغضب، فهو من باب: أدخلت فمي في الحَجَر، وأدخلت القلنسوة في رأسي. وفي هذا أيضاً استعارة، إذ الغضب ليس يتكلمُ فيوصَفَ بالسكوت.

وقرأ معاوية بن قرة: (ولما سكن)[3].

وفي مصحف حفصة: (ولما أسكت)[4].

وفي مصحف ابن مسعود: (ولما صبر عن موسى الغضب).

قال النقاش: وفي مصحف أبيٍّ: (ولما انشقَّ عن موسى الغضب)[5].

وقوله: ﴿وَفِي نُسۡخَتِهَا﴾ معناه: وفيما ينسخ منها ويقرأ، واللام في قوله: ﴿لِرَبِّهِمۡ﴾

---

(١) نقله عنه في البحر المحيط (٥/ ١٨٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه له (٢/ ٣٧٩).

(٣) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥١)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٨٧) وفيه: «معاوية بن مغيرة».

(٤) وهي شاذة، انظر: تفسير السمعاني (٢/ ٢١٩)، وفي المطبوع: «سكت»، دون ألف ضبطها على القراءة المتواترة، وهو خطأ.

(٥) وهما شاذتان، انظر: البحر المحيط (٥/ ١٨٦)، وفي المطبوع: «اشتق»، ولابن مسعود في الشواذ للكرماني (ص: ١٩٤): «ولما تسرى».

يحتمل وجوهاً، فمذهب المبرد أنها تتعلق بمصدر، كأنه قال: الذين رَهْبَتُهم لربهم[١].

ويحتمل أنه لما تقدم المفعول ضَعُف الفعل فقوِّي على التعدي باللام، ويحتمل أن يكون المعنى: هم لأجل طاعة ربهم وخوف ربهم يرهبون العقاب والوعيد، ونحو هذا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾ الآية، معنى هذه الآية: أن موسى عليه السلام اختار من قومه هذه العِدَّة ليذهب بهم إلى موضع عبادة وابتهال ودعاء، ليكون منه ومنهم اعتذار إلى الله عز وجل من خطأ بني إسرائيل في عبادة العجل، وطلبٌ لكمال العفو عمن بقي منهم.

وروي عن علي بن أبي طالب أن اختيارهم إنما كان بسبب قول بني إسرائيل: إن موسى قتل هارون حين ذهب معه ولم يرجع، فاختار هؤلاء ليذهبوا فيكلمهم هارون بأنه مات بأَجَله[٢].

وقوله: ﴿لِّمِيقَٰتِنَا﴾ يؤيد القول الأول وينافر هذا القول، لأنها تقتضي أن ذلك كان عن توقيت من الله عز وجل وعِدَةٍ في الوقت والموضع، وتقدير الكلام: واختار موسى من قومه، فلما انحذف الخافض تعدى الفعل فنصب، وهذا كثير في كلام العرب.

واختلف العلماء في سبب الرجفةِ التي حلت بهم:

فقيل: كانت عقوبةً لهم على سكوتهم وإغضائهم على عبادة العجل، وقيل: كانت على عبادتهم العجل بأنفسهم وخفي ذلك عن موسى في وقت الاختيار حتى أعلمه الله، قاله السدي[٣].

---

(١) الهداية لمكي (٤/ ٢٥٧٥)، وفيه: «وهبتهم» بدل «رهبتهم».

(٢) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٥١٥٧-١٥١٥٨)، وابن أبي حاتم (٩٠١٨) في تفسيريهما من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن عمارة بن عبد السلولي، عن علي، به مطولاً، عمارة لم يرو عنه إلا أبو إسحاق السبيعي، وقال أبو حاتم: شيخ مجهول لا يحتج بحديثه. والأثر أورده ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٥١) وقال: غريب.

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ١٤٠) بتصرف يسير.

وقيل: كانت عقوبة لهم، لأنهم لما دَنَوا وعلموا أن موسى يسمع كلام الله قالوا له: أرنا ربك، فأخذتهم الرجفة، وقيل: كانت عقوبة لتشطُّطهم في الدعاء بأن قالوا: اللهم أعطنا ما لم تعطه أحداً قبلنا، ولا تعطيه أحداً بعدنا، فأخذتهم الرجفة.

وقيل: إنما أخذتهم لما سمعوا كلام هارون وهو ميت، وذلك أن موسى وهارون ذهبا إلى التعبد أو نحوِه، فمات هارون، فدفنه موسى وجاء، فقالت له بنو إسرائيل: أين هارون؟ فقال: مات، فقالوا: بل أنت قتلته لأنك حسدتنا على حسن خلقه وعِشرته، فاختار السبعين ليمضوا معه حتى يروا برهان ما قال لهم، فلما وصلوا قال له موسى: يا هارون، أقُتلت أم مت؟ فناداه من القبر: بل مت، فأخذت / القومَ الرجفةُ[١]. [٢/ ١٧١]

قال القاضي أبو محمد: وروي أنهم ماتوا في رجفتهم هذه، ويحتمل أن كانت كالإغماء ونحوه، و﴿ٱلرَّجۡفَةُ﴾: الاهتزاز والتقلقل للهول العظيم.

فلما رأى موسى ذلك أسف عليهم، وعلم أن أمر بني إسرائيل سيتشعب عليه إذا لم يأت بالقوم، فجعل يستعطف ربه: أي رب، لو أهلكتهم قبل هذه الحال وإياي لكان أخف[٢] عليَّ، وهذا وقتٌ هلاكُهم فيه مفسِدٌ علي مؤذٍ لي، ثم استفهم على جهة الرغبة والتضرع والتذلل.

ويحتمِل قولُه: ﴿رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَ﴾ أن يريد وقت إغضائهم على عبادة العجل، أي: وقت عبادتهم، على القول بذلك، وفي نفسه هو وقت قتله القبطي، أي: فأنت قد سترت وعفوت حينئذ، فكيف الآن إذ رجوعي دونهم فساد لبني إسرائيل، فمنحى الكلام على هذا محضُ استعطاف، وعلى التأويل الأول منحاه الإدلاء بالحجة[٣] في صيغة استعطاف، وإذا قلنا: إن سبب الرجفة كان عبادة العجل، كان الضمير في قوله:

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ١٤٢).
(٢) في المطبوع: «أحق»، وهي ساقطة من نور العثمانية.
(٣) في نجيبويه: «بالمحبة»، والمناسب لها: «الإدلال»، باللام.

﴿أَتُهْلِكُنَا﴾ له وللسبعين، و﴿السُّفَهاءُ﴾ إشارة إلى العبدة من بني إسرائيل.

وكذلك إذا كان سببها قول بني إسرائيل له: قتلت هارون.

وإذا كان سبب الرجفة طلبَهم الرؤيةَ وتشطُّطَهم في الدعاء، أو عبادتهم بأنفسهم العجل، فالضمير في قوله: ﴿أَتُهْلِكُنَا﴾ يريد به نفسه وبني إسرائيل، أي: بالتفرق والكفر والعصيان يكون هلاكهم، ويكون قوله: ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ إشارة إلى السبعين.

وروي أن السبعين لم يكن فيهم من زاد على الأربعين، ولا من قصر عن العشرين.

وروي عن علي بن أبي طالب أنهم أُحيوا وجُعلوا أنبياء كلهم(١).

وقالت فرقة: إن موسى عليه السلام لما أعلمه الله عز وجل أن السبعين عبدوا العجل تعجَّب وقال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾ أي: الأمور بيدك تفعل ما تريد.

وقيل: إن الله تعالى لما أعلم موسى بعبادة بني إسرائيل العجل وبصفته قال موسى: أي رب، ومَن أخارَه؟ قال: أنا، قال موسى: فأنت أضللتهم إن هي إلا فتنتك.

ويحتمل أن يشير بها إلى قولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ﴾ إذ كانت فتنة من الله أوجبت الرجفة.

وفي هذه الآية ردٌّ على المعتزلة(٢).

و(اغْفِرْ) معناه: استر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦)﴾.

(اكْتُبْ) معناه: أثبت واقْضِ، والكَتْب مستعمل في كل ما يخلَّد.

---

(١) انظر الأثر السابق.

(٢) وذلك أنهم يقولون: إن العباد يخلقون أفعالهم ضلالًا كانت أو هدى، وبيَّن الله في الآية على لسان موسى عليه السلام أن الهدى والضلال بيده ومن خلقه، مما يدحض قول المعتزلة المذكور، انظر: الملل والنحل لابن حزم (٣/ ٣٢).

و﴿حَسَنَةً﴾ لفظ عام في كل ما يَحسن في الدنيا من عافية وغنى وطاعة لله تعالى وغير ذلك، وحسنةُ الآخرة الجنةُ لا حسنةَ دونها، ولا مرمى وراءها.

و﴿هُدْنَآ﴾ بضم الهاء معناه: تبنا.

وقرأ أبو وَجْـزَةَ[١]: «هِدنا» بكسر الهاء[٢]، ومعناه: حركنا أنفسنا وجذبناها لطاعتك، وهو مأخوذ من هاد يهيد: إذا حرك[٣].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُ﴾ الآية، قال الله عز وجل: إن الرجفة التي أنزلت بالقوم هي عذابي أصيب به من شئت، ثم أخبر عن رحمته، ويحتمل ـ وهو الأظهر ـ أن الكلام قصد الخبر عن عذابه وعن رحمته من أول ما ابتدأ، ويندرج أمر أصحاب الرجفة في عموم قوله: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُ﴾.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن، وطاوس، وعمرو بْنُ فَائِدٍ: (مَن أساءَ)[٤] من الإساءة؛ أي: مَن عَمِل غيرَ صالح.

وللمعتزلة بهذه القراءة تعلق من وجهين: أحدهما: إنفاذ الوعيد، والآخر: خلق المرء أفعاله، وأن (أساء) لا فعل فيه لله، وهذان التعلقان فيهما احتمال ينفصل عنه، كما ينفصل عن سائر الظواهر، إلا أن القرأة أطنبوا في التحفظ من هذه القراءة.

وقال أبو عمرو الداني: لا تصح هذه القراءة عن الحسن وطاوس، وعمرو بنُ فائد رجل سوء. وذكر أبو حاتم أن سفيان بن عيينة قرأها مرة واستحسنها، فقام إليه عبد الرحمن

---

(١) هو يزيد بن عبيد، أبو وجزة السعدي المدني، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، رواها عنه محمد ابن يحيى بن قيس ومحمد بن إسحاق، وروى عنه هشام بن عروة، وكان شاعراً مجيداً كثير الشعر، توفي سنة (١٣٠هـ). غاية النهاية (٢/ ٣٨٢).

(٢) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥١)، والمحتسب (١/ ٢٦٠).

(٣) الصحاح للجوهري (٣/ ١٢٠)، والمحكم (٢/ ٢١٨).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥١)، والمحتسب (١/ ٢٦١)، والكشاف (٢/ ١٦٥).

المقبري[١] وصاح به وأسمعه، فقال سفيان: لم أدرِ ولم أفطُنْ لما يقول أهل البدع[٢].

وهذا إفراط من المقرئين[٣]، وحَمَلَهم على ذلك شحُّهم على الدين، وظنهم أن الانفصال عن تعلق المعتزلة متعذِّر.

ثم وصف الله تعالى رحمته بأنها ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فقال بعض العلماء: هو عموم في الرحمة وخصوص في قوله: ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ والمراد: مَن قد سبق في علم الله أن يرحمه دون مَن سواهم، وقال بعضهم: هو عموم في رحمة الدنيا؛ لأن الكافر والمؤمن والحيوان كله متقلب في رحمة الله الدنياوية، وقالت فرقة: قوله: ﴿وَرَحْمَتِي﴾: يراد به التوبة، وهي خاصة على هذا في الرحمة وفي الأشياء؛ لأن المراد مَن قد تقع منه التوبة.

وقال نوفٌ البِكَالي: إن إبليس لما سمع قول الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ طمع في رحمة الله، فلما سمع ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ يئس إبليس وبقيت اليهود والنصارى، فلما تمادت الصفة تبيَّن أن المراد أمة محمد ﷺ ويئس اليهود والنصارى من الآية، وقال نحوه قتادة[٤].

وقوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ أي: أقدرها وأقضيها، وقال نوف البكالي: إن موسى عليه السلام قال: يا رب، جعلتَ وفادتي لأمة محمد ﷺ، وقال نوف البكالي: فاحمدوا الله الذي جعل وفادة بني إسرائيل لكم[٥].

وقوله: ﴿يَتَّقُونَ﴾ في هذه الآية، قالت فرقة: معناه: يتقون الشرك، وقالت فرقة: يتقون المعاصي.

---

(١) في المطبوع ونور العثمانية والسليمانية: «المقري»، وكذا في البحر المحيط، ولم أقف له على ترجمة، وفي فيض الله: «فقام ابنه عبد الرحمن المقرئ»، ولم أقف لسفيان على ابن اسمه عبد الرحمن.

(٢) انظر قول الداني وما ذكر عن أبي حاتم في البحر المحيط (٥/ ١٩١).

(٣) في المطبوع: «المقربين»، وهي محتملة في بعض النسخ الخطية.

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ١٥٧)، وقول نوف في: البحر المحيط (٥/ ١٩٣).

(٥) تفسير الطبري (١٣/ ١٦٢)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٩١) بتصرف يسير.

قال القاضي أبو محمد: ومن قال: الشرك لا غير، خرج إلى قول المرجئة، ويَـرِدُ عليه من الآية شرطُ الأعمال بقوله: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، ومن قال: المعاصي ولا بد، خرج إلى قول المعتزلة، والصواب بأن تكون اللفظة عامة، ولكن ليس بأن[1] نقول: ولا بد من اتقاء المعاصي، بل بأن نقول: مع أن مُواقع المعاصي في مشيئة الله تعالى.

ومعنى: ﴿يَتَّقُونَ﴾ يجعلون بينهم وبين المتقَى وقاية وحجاباً، فذكر الله تعالى الرتبة العالية ليتسابق السامعون إليها.

وقوله: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الظاهر من قوله: ﴿يُؤْتُونَ﴾ أنها الزكاة المختصة بالمال، وخصها هنا بالذكر تشريفاً لها وجعلها مثالاً لجميع الطاعات.

وقال ابن عباس فيما روي عنه: «ويؤتون الأعمال التي يزكُّون بها أنفسهم»[2].

قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ
[٢/ ١٧٢] وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ / ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

هذه الألفاظ أخرجت اليهود والنصارى من الاشتراك الذي يظهر في قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ وخلَّصت هذه العِدَة لأمة محمد ﷺ، قاله ابن عباس[3] وابن جبير وغيرهما[4].

---

(١) في نور العثمانية: «ليس لنا أن».

(٢) في إسناده مقال، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٥٢١٣)، وابن أبي حاتم (٩٠٦٠) في تفسيريهما من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه، بلفظ: ويؤتون الزكاة قال: يطيعون الله ورسوله.

(٣) إسناده محتمل، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٥٢٠٢)، وابن أبي حاتم (٩٠٥٥) في تفسيريهما من طريق حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، بنحوه، وحماد اختلف في سماعه من عطاء قبل الاختلاط أم بعده.

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ١٦١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢١٦)، بتصرف.

و﴿يَتَّبِعُونَ﴾ معناه: في شرعه ودينه، و﴿ٱلرَّسُولَ﴾ و﴿ٱلنَّبِىَّ﴾ اسمان لمعنيين، فإن الرسول أخص من النبي، هذا في الآدميين[١] لاشتراك المَلَك في لفظة الرسول.

و«النَّبِيُّ» مأخوذ من النبأ، وقيل: لما كان طريقاً إلى رحمة الله تعالى وسبباً شبِّه بالنبيِّ الذي هو الطريق، وأنشدوا:

لأَصْبَحَ رَتْماً دُقَاقُ الْحَصى مَكَانَ النَّبيِّ مِنَ الكَاثِبِ[٢] [المتقارب]

وأصله الهمز ولكنه خفِّف، كذا قال سيبويه[٣]، وذلك كتخفيفهم خابية وهي من خبأ، واستعمل تخفيفه حتى قد روي أن رسول الله ﷺ قال: «لا تنبروا اسمي»[٤].

وقدِّم ﴿ٱلرَّسُولَ﴾ اهتماماً بمعنى الرسالة عند المخاطبين بالقرآن، وإلا فمعنى النبوءة هو المتقدم.

وكذلك رد رسول الله ﷺ على البراء بن عازب حين قال: «آمنت بكتابك الذي أنزلت وبرسولك الذي أرسلت»، فقال له رسول الله ﷺ: «لا[٥]، وبنبيك الذي أرسلت»[٦]، ليترتب الكلام كما ترتب الأمر في نفسه، لأنه نُبِئ ثم أُرسل، وأيضاً ففي العبارة المردودة تكرار الرسالة وهو معنًى واحد.

و﴿ٱلْأُمِّىَّ﴾ بضم الهمزة قيل: نسب إلى أم القرى وهي مكة.

قال القاضي أبو محمد: واللفظة على هذا مختصة بالنبي ﷺ، وغير مضمَّنة معنى

---

(١) في السليمانية: «النبيين».
(٢) لأوس بن حجر كما في إصلاح المنطق (ص: ٥٠)، والعين (٥/ ٣٥٢)، وجمهرة اللغة (٢/ ١٠٢٨)، وتهذيب اللغة (١٠/ ١٠٦)، من قصيدة يرثي بها صديقه الشاعر فضالة بن كلدة الأسدي.
(٣) الكتاب (٣/ ٤٦٠).
(٤) ذكره ابن الجوزي في غريب الحديث (٢/ ٣٨٦) ولم أقف عليه مسنداً.
(٥) من نور العثمانية وفيض الله والأصل.
(٦) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

عدم الكتابة، وقيل: هو منسوب لعدمه الكتابةَ والحساب إلى الأم، أي: هو على حال الصدر عن الأم في عدم الكتابة. وقالت فرقة: هو منسوب إلى الأُمة، وهذا أيضاً مضمن عدم الكتابة؛ لأن الأمة بجملتها غير كاتبة حتى تحدث فيها الكتابة كسائر الصنائع.

وقرأ بعض القراء فيما ذكر أبو حاتم: (الأَمِّي) بفتح الهمزة، وهو منسوب إلى الأَم، وهو القصد، أي: لأن هذا النبي مقصد للناس وموضعُ أَمٍّ يؤمونه بأفعالهم وتشرُّعهم، قال ابن جني: وتحتمل هذه القراءة أن يريد الأُمي فغير تغييرَ النسب[١].

والضمير في قوله: ﴿يَجِدُونَهُۥ﴾ لبني إسرائيل، والهاء منه لمحمد ﷺ، والمراد صفته ونعته.

وروي أن الله عز وجل قال لموسى: قل لبني إسرائيل: أجعل لكم الأرض مسجداً وطهوراً، وأجعل السكينة معكم في بيوتكم، وأجعلكم تقرءون التوراة عن ظهر قلوبكم، فأخبر موسى بني إسرائيل فقالوا: إنما نريد أن نصلي في الكنائس وأن تكون السكينة كما كانت في التابوت، وأن لا نقرأ التوراة إلا نظراً، فقيل لهم: فسنكتبها للذين يتقون، يعني أمة محمد ﷺ.

وروي عن عبد الله بن عمرو، في «البخاري» وغيره: أن في التوراة من صفة محمد ﷺ: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخَّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئةَ ولكن يعفو ويصفح، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فنقيم به قلوباً غلفاً وآذاناً صمّاً وأعيناً عُمياً»[٢]، وفي «البخاري»: «فنفتح به عيوناً عمياً وآذاناً صمّاً وقلوباً غلفاً»[٣]، ونص كعبُ الأحبارِ نحو هذه الألفاظ، إلا أنه قال: «قلوباً

(١) وهي شاذة انظرها مع التوجيه في المحتسب (١/ ٢٦٠)، وقد نسبها لابن رومي.
(٢) رواه البخاري (٢١٢٥) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.
(٣) هذا اللفظ جزء من الحديث السابق.

غلفاً[١] وآذاناً صموماً»، قال الطبري: وهي لغة حميرية، وقد رويت: «غلوفياً وصمومياً»[٢].

قال القاضي أبو محمد: وأظن هذا وهماً وعجمة.

وقوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ يحتمل أن يريد ابتداء وصف الله تعالى النبيَّ ﷺ، ويحتمل أن يجعله متعلقاً بـ﴿يَجِدُونَهُۥ﴾ في موضع الحال على تجوُّز، أي: يجدونه في التوراة آمراً بشرط وجوده.

فالمعنى الأول لا يقتضي أنهم علموا من التوراة أنه يأمرهم وينهاهم ويُحِلُّ ويُحرِّم.

والمعنى الثاني يقتضي ذلك، فالمعنى الثاني على هذا ذم[٣] لهم، ونحا إلى هذا أبو إسحاق الزجَّاج[٤]، وقال أبو علي الفارسي في «الإغفال»: ﴿يَأْمُرُهُم﴾ عندي تفسير لما كتب من ذكره، كما أن قوله تعالى: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩][٥] تفسير للمَثَل، ولا يجوز أن يكون حالاً من الضمير في ﴿يَجِدُونَهُۥ﴾ لأن الضمير للذكر والاسم، والذكر والاسم لا يأمران.

قال القاضي أبو محمد: وما قدَّمتُه من التجوُّز وشرطِ الوجود يُقرِّب ما مَنَع منه أبو علي[٦].

و﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ ما عُرف بالشرع، وكل معروف من جهة المروءة فهو معروف بالشرع، فقد قال ﷺ: «بعثت لأتمم محاسن الأخلاق»[٧] والْمُنْكَر مقابِله.

---

(١) في الحمزوية وفيض الله: «غلوفاً».

(٢) انظره مع قول كعب في تفسير الطبري (١٣/ ١٦٤).

(٣) في نجيبويه: «أذم».

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨١).

(٥) انظر: الإغفال للفارسي (٢/ ٢٨٣).

(٦) في المطبوع: «مما منع منه أبو علي»، وفيه وفي بعض المخطوطات بعده زيادة: «وانظر»، وفي السليمانية وفيض الله: « والطبري».

(٧) في صحته نظر، هذا الحديث أخرجه بهذا اللفظ البزار في مسنده (٢٦٤٨) من طريق عبد الرحمن بن أبي بكر، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم،=

و﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ قال فيها بعض المفسرين: إنها إشارة إلى البحيرة ونحوها، ومذهب مالك رحمه الله أنها المحلَّلات[١]، فكأنه وصفها بالطيب إذ هي لفظة تتضمن مدحاً وتشريفاً.

[٢/ ١٧٢] وبحسب هذا يقول في ﴿ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ إنها المحرمات، وكذلك قال ابن عباس:
[٢/ ١٧٢] ﴿ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾: وهي لحم الخنزير والربا وغيره[٢].

وعلى هذا حلل مالك المتقذرات كالحيات والخنافس والعقارب ونحوها[٣].

ومذهب الشافعي رحمه الله أن الطيبات هي من جهة الطَّعم، إلا أن اللفظة عنده ليست على عمومها؛ لأن عمومها بهذا الوجه من الطعم يقتضي تحليل الخمر والخنزير، بل يراها مختصة فيما حلله الشرع، ويرى الخبائث لفظاً عامّاً في المحرمات بالشرع وفي المتقذرات، فيحرِّم العقارب والخنافس والوزغ وما جرى هذا المجرى[٤]، والناس على هذين القولين، إلا أن في تعيين الخبائث اختلافاً ليس هذا موضعَ تقصِّيه.

= عن معاذ بن جبل رضي الله عنه به بلفظ مطول، وعبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة ضعيف، وأخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٨١ رقم ٨٩٥٢)، والبخاري في التاريخ الكبير (٧/ ١٨٨)، والبزار (٢/ ٤٧٦) والشهاب في مسنده (١١٦٥)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٩١) والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٧٠) وغيرهم من طريق الدراوردي عن محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وقد اختلف على ابن عجلان في وصل هذا الحديث، فرواه يحيى بن أيوب الغافقي المصري عنه أن القعقاع بن حكيم أخبره عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً». قال ابن عجلان: وقال رسول الله ﷺ: «بعثت لأتمم صالح الأخلاق»، قال البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٣٠): أرسل يحيى بن أيوب آخره، وللحديث طرق أخرى لا تصح ومراسيل.

(١) انظر مذهب مالك في تفسير الطيب في: أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٣٢١).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ١٦٦) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) انظر مذهب مالك في هذه المذكورات وما شابهها في المدونة (١/ ٥٤٢).

(٤) انظر مذهب الشافعي فيما ذكر في: الأم (٢/ ٢٤١).

وقوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ الآية، (يضع) كان قياسه أن يكون (يضِع) بكسر الضاد، لكن ردَّه حرفُ الحلق إلى فتح الضاد[١].

قال أبو حاتم: وأدغم أبو عمرو ﴿ويضع عَّنهم﴾ العين في العين[٢]، وأشمَّها الرفعَ[٣].

وأشبعها أبو جعفر وشيبة ونافع[٤].

وقرأ طلحة: (ويُذْهِبُ عنهم إصرَهم)[٥].

و«الإصر»: الثقل، وبه فسر هنا[٦] قتادة وابن جبير ومجاهد[٧].

و«الإصر» أيضاً: العهد، وبه فسَّر ابن عباس[٨] والضحاك والحسن وغيرهم[٩].

وقد جمعت هذه الآية المعنيين، / فإن بني إسرائيل قد كان أُخذ عليهم عهد أن [٢/ ١٧٣] يقوموا بأعمال ثقال، فوُضع عنهم بمحمد ﷺ ذلك العهدُ وثقلُ تلك الأعمال.

وحكى أبو حاتم عن ابن جبير قال: «الإصر»: شدة العبادة[١٠].

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي والناس: ﴿إِصْرَهُمْ﴾.

وقرأ ابن عامر وحده، وأيوب السَّخْتياني ويعلى بن حكيم[١١] وأبو سَراج

---

(١) راجع: الكتاب (٤/ ٥٤-٥٥).

(٢) في رواية السوسي على قاعدته في إدغام الكبير بين المتماثلين، وهي سبعية متواترة، انظر: التيسير (ص: ٢٠)

(٣) «الرفع» ليست في نجيبويه، يعني أنه يشير إلى ضمة العين الأولى، وهذا وجه للسوسي كما في التيسير (ص: ٢٨).

(٤) إن كان يقصد به إتمام الضمة، فهي القراءة المتواترة للجميع، إلا ما مر عن السوسي.

(٥) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ١٩٥)، وهي أقرب للتفسير، لمخالفتها للرسم.

(٦) في الأصل ونجيبويه ولالاليه: «فسرهما»، وفي نور العثمانية: «فسرها».

(٧) تفسير الطبري (١٣/ ١٦٧)، وتفسير الماوردي (٢/ ٢٦٩)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٩٣).

(٨) أخرجه الطبري (١٣/ ١٦٦) بإسناد ضعيف.

(٩) تفسير الطبري (١٣/ ١٦٦)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٩٣).

(١٠) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢١٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٩٠).

(١١) هو يعلى بن حكيم الثقفي مولاهم، المكي نزيل البصرة وصديق أيوب السختياني، روى عن سعيد بن =

الهذلي[١] وأبو جعفر: ﴿آصارهم﴾ بالجمع[٢]، لما كانت الأعمال كثيرة كانت أثقالها متغايرة.

ومن وحَّد الإصر فإنما هو مفرد اسم جنس يراد به الجمع.

قال أبو حاتم: في كتاب بعض العلماء: (أَصْرهم) واحد مفتوحُ الهمزة، عن نافع وعيسى والزيات، وذلك غلط، وذكرها مكي عن أبي بكر عن عاصم، وقال: هي لغة[٣].

﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ عبارة مستعارة أيضاً لتلك الأثقال كقَطْع الجِلد من أثر البول، وأن لا دية ولا بد من قتل للقاتل، وتركِ الأشغال يوم السبت، فإنه روي أن موسى عليه السلام رأى يوم السبت رجلاً يحمل قصباً فضرب عنقه[٤]، هذا قول جمهور المفسرين، وهذا مثل قولك: طوِّق فلان كذا: إذا أُلزمه، ومنه قول الشاعر:

[مجزوء الرجز] اذهَـــبْ بـهـا اذهَـــبْ بِها طُـوِّقْـتَـها طَـوْقَ الْحَـمَـامَـهْ[٥]

أي: لزمك عارُها، ومن هذا المعنى قول الهذلي:

[الطويل] فَلَيْـسَ كَعَهْـدِ الـدَّارِ يـا أُمَّ مَالِـكٍ ولكِنْ أَحَاطَتْ بالرِّقَابِ السَّلاسِـلُ

= جبير وسليمان بن يسار وعكرمة، وعنه أيوب ويحيى بن أبي كثير وابن جريج وحماد بن زيد، وثقه أحمد وغيره. تاريخ الإسلام (٨/ ٣١٥).

(١) ورد ذكره في الكامل للهذلي (ص: ١٥٤)، والمحتسب (٢/ ٢٦٨)، وسيأتي في سورة الأحقاف، ولم أقف له على ترجمة بعد.

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٣)، وانظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٧٥).

(٣) الهداية لمكي (٤/ ٢٥٩١)، ورواية المعلَّى عنه بضم الهمزة كما في جامع البيان (٣/ ١١١٨)، ومختصر الشواذ (ص: ٥١)، وليست من طرق التيسير، وكذا ما ذكر عن نافع والزيات، فلعله غلط، وقد عزا الفتحَ الكرمانيُّ في الشواذ (ص: ١٩٥) للحسن.

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٠٣) عن أبي مالك أوسعيد بن جبير.

(٥) البيت لأبي أحمد بن جحش، كما في سيرة ابن هشام (١/ ٥٠٠)، والطبقات الكبرى (٤/ ٧٧)، وأنساب الأشراف (١/ ٢٦٩).

وَعَـادَ الفَتـى كالكَهْـلِ ليْـسَ بِقَابِلٍ سِوى الحَقِّ شيئاً فاستَراحَ العَوَاذِلُ[(١)]

يريد: أوامر الإسلام ولوازم الإيمان الذي هو قيَّد الفتكَ كما قال ﷺ[(٢)].

وقال ابن زيد: إنما المراد هنا بـ(الأغلال) قول الله عز وجل في اليهود: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤]، فمن آمن بمحمد ﷺ زالت عنه الدعوة وتغليلها.

ثم أخبر تعالى عن حال المؤمنين فقال: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾.

وقرأ الجحدري وسليمان التيمي وقتادة وعيسى: (عزَروه) بالتخفيف[(٣)].

وجمهور الناس على التشديد في الزاي.

ومعناه في القراءتين: وقَّروه، والتعزير والنصر مشاهدة خاصة للصحابة، واتباع النور يشترك فيه معهم المؤمنون إلى يوم القيامة، و﴿النُّورَ﴾ كناية عن جملة الشرع.

وقوله: ﴿مَعَهُ﴾ فيه حذف مضاف، والتقدير: مع بعثه أو نبوته أو نحو هذا.

وشبِّه الشرع والهدى بالنور إذ القلوب تستضيء به كما يستضيء البصر بالنور.

و﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ معناه: الفائزون ببغيتهم، وهذا يعم معاني الفلاح، فإن من بقي فقد فاز ببغيته.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩) وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾.

---

(١) هو أبو خراش الهذلي، كما في الأغاني (١٠/ ٢١٨)، والكامل للمبرد (٢/ ٣٩)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ٩٦).

(٢) تقدم في سورة النساء آية (٩٣) بلفظ «الإيمان قيد الفتك». والفتك: أن يأتي الرجل صاحبه وهو غارٌّ غافلٌ فيشد عليه فيقتله. النهاية: (٣/ ٤٠٩).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها للجحدري وعيسى في الهداية لمكي (٤/ ٢٥٩١)، وللباقين في البحر المحيط (٥/ ١٩٦).

هذا أمر من الله عز وجل لنبيه بإشهار الدعوة والحض على الدخول في الشرع، وذلك أنه لمَّا رجَّى الأمةَ المتَّبعة للنبي الأمي التي كَتب لهم رحمتَه عقَّب ذلك بدعاء الناس إلى الاتباع الذي معه تحصل تلك المنازل، وهذه الآية خاصة بمحمد ﷺ بين الرسل، فإن محمداً ﷺ بعث إلى الناس كافة وإلى الجن، قاله الحسن[١]، وتقتضيه الأحاديث، وكل نبي إنما بعث إلى فرقة[٢] دون العموم.

ثم إنه لما أعلن بالرسالة من عند الله أردف بصفة الله التي تقتضي الإذعان له، وهي أنه ملك السماوات والأرض بالخلق والإبداع والإحياء والإماتة، لا إله إلا هو ولا معبود سواه.

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية، هو الحض على اتباع محمد ﷺ.

وقوله: ﴿ٱلَّذِى يُؤۡمِنُ﴾ يريد: الذي يصدِّق ﴿بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾، و«الكلمات» هن: الآيات المنزلة من عنده كالتوراة والإنجيل.

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بالجمع.

وقرأ عيسى بن عمر: (كلمتَه) بالإفراد[٣] الذي يراد به الجمع.

وقرأ الأعمش: (الذي يؤمن بالله وآياته) بدل: (كلماته)[٤].

وقال مجاهد والسدي: المراد بـ(كلماته) أو (كلمته) عيسى بن مريم[٥].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ أي على طمعكم وبحسب ما ترونه.

وقوله: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾ لفظ عام يدخل تحته جميع إلزامات الشريعة، جعلنا الله من متَّبعيه على ما يلزم بمنه ورحمته.

---

(١) نقله عنه في البحر المحيط (٥/ ١٩٦)، وهو أمر لا خلاف فيه بين المسلمين.

(٢) في السليمانية: «قومه».

(٣) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ١٩٦) للثقفي، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ٥٢) لمجاهد.

(٤) وهي شاذة، مخالفة للمصحف، وقد تابعه عليها في البحر المحيط (٥/ ١٩٧).

(٥) تفسير الطبري (١٣/ ١٧١-١٧٢).

وقوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ﴾ الآية: ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ معناه: يرشدون أنفسهم، وهذا الكلام يحتمل أن يريد به وصف المؤمنين المتقين من بني إسرائيل على عهد موسى وما والاه من الزمن، فأخبر أنه كان في بني إسرائيل على عتوِّهم وخلافهم مَن اهتدى واتقى وعدل، ويحتمل أن يريد الجماعة التي آمنت بمحمد ﷺ من بني إسرائيل على جهة الاستجلاب لإيمان جميعهم.

ويحتمل ما روي من أن بني إسرائيل لما تقطعوا مرت أمة منهم واعتزلت ودخلت تحت الأرض، فمشت في سَرَبٍ تحت الأرض سنةً ونصفَ سنة حتى خرجوا وراء الصين، فهم هنالك خلف واد من شَهْدٍ يقيمون الشرع ويهدون بالحق، قاله السدي وابن جريج[١]، وروي بعضه عن ابن عباس[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا حديث بعيد.

وقرأ بعض من الناس: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ بشد الطاء، وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة: (وقطَعناهم) بتخفيف الطاء، ورواها أبان عن عاصم[٣]، ومعناه: فَرَقْناهم، من القطْع.

وقرأ جمهور الناس: ﴿عَشْرَةَ﴾ بسكون الشين، [وهي لغة أهل الحجاز، وقرأ يحيى ابن وثَّاب والأعمش وطلحة بن سليمان بـخلاف: (عشَرة) بفتح الشين][٤]، وقرأت هذه الجماعة أيضاً وطلحة بن مصرِّفٍ وأبو حيوة: (عشِرة) بكسر الشين[٥]، وهي لغة تميم.

وقال أبو حاتم: والعجب أن تميماً يخففون ما كان من هذا الوزن، وأن أهل الحجاز يُشْبعون، وتناقضوا في هذا الحرف.

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ١٧٣)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٩٣-٢٩٤).

(٢) منقطع، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٥٢٥١) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولم يسمع منه.

(٣) وهي شاذة، ليست من طرق التيسير، انظر عزوها للثلاثة في الكامل (ص: ٥٥٦).

(٤) ساقط من الأصل، «وبخلاف»: ليست في نجيبويه ونور العثمانية.

(٥) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (١/ ٢٦١)، وانظر ما تقدم في الآية (٦٠) من سورة البقرة.

وقوله: ﴿أَسْبَاطًا﴾ بدل من ﴿ٱثْنَتَيْ﴾.

والتمييز الذي بين العدد محذوف مقدر: اثنتي عشرة فرقةً أو قطعةً أسباطاً، وإما أن يزول عن التمييز ويقدر: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ﴾ فرقاً ﴿ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ ثم أبدل ﴿أَسْبَاطًا﴾، والأول أحسن وأبين، ولا يجوز أن يكون ﴿أَسْبَاطًا﴾ تمييزاً؛ لأن التمييز لا يكون إلا مفرداً نكرة، وأيضاً فالسبط مذكَّر وهو قد عد مؤنثاً، على أن هذه العلة لو انفردت [لما منعت التمييز][1]، إذ السبط بمعنى الأمة، قال الطبري: وقال بعض الكوفيين: لما كان

[٢/ ١٧٤] السبط بمعنى الأمة غلَّب التأنيث[2]، وهو مثل قول الشاعر/ :

[الطويل] فَإنَّ كِلاباً هذِهِ عَشْرُ أَبْطُنٍ وَأَنْتَ بَرِيءٌ من قَبَائِلِهَا العَشْرِ[3]

قال القاضي أبو محمد: وأغفل هذا الكوفي جمع الأسباط، وإن ما ذهب إليه إنما كان يجوز لو كان الكلام: اثنتي عشرة سبطاً. والسبط في ولد إسحاق كالقبيلة في ولد إسماعيل.

وقد قال الزجَّاج وغيره: إن السِّبط من السَّبَط وهو شجر[4].

قال القاضي أبو محمد: وإنما الأظهر فيه عبراني عرِّب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾.

---

(١) في المطبوع بدلًا منه: «لمنعت».

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ١٧٥).

(٣) البيت لرجل من بني كلاب ولم يسم، انظر: الكتاب لسيبويه (٣/ ٥٦٥)، وهو في الجمل في النحو (ص: ٢٨٨)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ١٢٦)، وعيون الأخبار (٢/ ١٧٤)، والعقد الفريد (٢/ ٣١٢)، وأمالي الزجاجي (ص: ١١٨)، بلا نسبة.

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٨٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٩٢).

قد تقدَّم في سورة البقرة أمر الحجر والاستسقاء وأين كان، وأمر التظليل وإنزال المن والسلوى، وذكرنا ذلك بما يغني عن إعادته هاهنا.

و﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ﴾ معناه: انفجرت، إلا أن الانبجاس أخف من الانفجار.

وقرأ الأعمش وعيسى الهمداني: (كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رزقتُكم)[١] بتوحيد الضمير[٢].

قوله عز وجل: ﴿وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾.

المعنى: واذكر إذ قيل لهم، والمراد مَن سلف من بني إسرائيل، وذلك أنهم لما خرجوا من التيه قيل لهم: ﴿ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾.

و«القريةُ» في كلام العرب: المدينة مجتمع المنازل، والإشارة هنا إلى بيت المقدس، قاله الطبري[٣]، وقيل: إلى أريحا، و﴿حَيۡثُ شِئۡتُمۡ﴾ أي: هي ونعمُها لكم مباحة.

وقرأ السبعة والحسن وأبو رجاء ومجاهد وغيرهم: ﴿حِطَّةٞ﴾ بالرفع.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (حطةً) بالنصب[٤].

---

(١) في المطبوع: «رزقناكم»، وهو خطأ.

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها للأعمش في الشواذ للكرماني (ص: ١٩٦)، وللهمداني في البحر المحيط (٥/ ٢٠٠).

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ١٧٨).

(٤) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (١/ ٢٦٤)، فلعل له وجهين، أو الحسن الأول غيره.

الرفع على خبر ابتداء تقديره: طلبُنا حطةٌ، والنصب على المصدر؛ أي حُطَّ ذنوبنا حطةً، وهذا على أن يكلفوا قول لفظة معناها حطة، وقد قال قوم: إنما[١] كلِّفوا قولًا حسناً مضمَّنُه الإيمان وشكر الله ليكون حطةً لذنوبهم، فالكلام على هذا كقولك: قل خيراً. وتوفية هذا مذكور في سورة البقرة.

وقرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي: ﴿نَّغۡفِرۡ﴾ بالنون ﴿لَكُمۡ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمۡ ﴾ بالتاء مهموز على الجمع.

وقرأ أبو عمرو: ﴿نَّغۡفِرۡ﴾ بالنون، ﴿لكم خطاياكم﴾ نحو: قضاياكم، وهي قراءة الحسن والأعمش.

وقرأ نافع: ﴿تُغفر﴾ بتاء مضمومة ﴿لكم خطيئاتُكم﴾ بالهمز وضم التاء على الجمع، ورواها محبوب عن أبي عمرو.

وقرأ ابن عامر: ﴿تُغفر﴾ بتاء مضمومة ﴿لكم خطيئتُكم﴾ واحدة مهموزة مرفوعة[٢].

قال أبو حاتم: وقرأها الأعرج وفرقة: (تَغْفِرْ) بالتاء وفتحها، على معنى أن الحطة تَغفر، إذ هي سبب للغفران[٣].

و(بَدَّلَ) معناه: غيَّر اللفظ دون أن يذهب بجميعه، وأبدل: إذا ذهب به وجاء بلفظ آخر، والإشارة بالقول إلى قول بني إسرائيل: حبة في شعرة، أو: حنطة في شعيرة.

و«الرِّجز» الذي أرسل عليهم: طاعون، يقال: مات منه في يوم واحد[٤] سبعون ألفاً، وتقدم أيضاً استيعاب تفسير هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ ﴾ الآية، قال

---

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) هذه أربع قراءات سبعية، انظرها في التيسير (ص: ١١٤)، ومع رواية محبوب في السبعة (ص: ٢٩٥).

(٣) لم أقف عليه، وانظر بقية القراءات الشاذة هنا في الشواذ للكرماني (ص: ١٩٦)، ومختصر الشواذ (ص: ٥٢).

(٤) زيادة من نجيبويه وفيض الله ولالاله.

بعض المتأولين: إن اليهود المعاصرين[١] لمحمد ﷺ قالوا: إن بني إسرائيل لم يكن فيهم عصيان ولا معاندة لمَا أمروا به، فنزلت هذه الآية موبخة لهم ومقرِّرة ما كان من فعل أهل هذه القرية، فسؤالهم إنما كان على جهة التوبيخ.

و﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾ هنا مدين، قاله ابن عباس[٢]، وقيل: أيلة، قاله ابن عباس[٣]، وعبد الله بن كثير وعكرمة والسدي والثوري، وقال قتادة: هي مَقنا بالقاف ساكنةً، وقال ابن زيد: هي مقناة ساحل مدين، ويقال فيها: مغَنّى بالغين مفتوحةً ونونٍ مشددة، وقيل: هي طبرية، قاله الزهري[٤].

و﴿حَاضِرَةَ﴾ يحتمل أن يريد معنى الحضور، أي: البحر فيها حاضر، ويحتمل أن يريد معنى الحضارة على جهة التعظيم لها، أي: هي الحاضرةُ في مدن البحر.

و﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ معناه: يخالفون الشرع، من عدا يعدو.

وقرأ شهر بن حوشب وأبو نهيك: (يَعَدُّون)[٥].

قال أبو الفتح: أراد: يعتدون، فأسكن التاء ليدغمها في الدال، ونقل فتحها إلى العين فصار (يَعَدُّون) بفتح العين وشد الدال المضمومة.

والاعتداء منهم في السبت هو نفس العمل والاشتغال، كان صيداً أو غيرَه، إلا أنه كان في هذه النازلة بالصيد، وكان الله عز وجل ابتلاهم في أمر الحوت بأن يغيب عنهم سائر الجمعة فإذا كان يوم السبت جاءهم في الماء شارعاً، أي: مقبلاً إليهم مصطفّاً، كما تقول: أُشرعت الرماح، إذا مدت مصطفَّةً، وهذا يمكن أن يقع من الحوت بإرسال من الله

---

(١) في المطبوع وأكثر المخطوطات: «المعارضين»، والمثبت من نور العثمانية وفيض الله ولالاله.

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ١٨٠) بإسناد لين.

(٣) رواه الطبري (١٣/ ١٨٠) من عدة طرق عن ابن عباس.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ١٨٠)، وما بعدها.

(٥) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٢)، ومع التوجيه في المحتسب (١/ ٢٦٤).

كإرسال السحاب، أو بوحي وإلهام كالوحي إلى النحل، أو بإشعار في ذلك اليوم على نحوِ ما يُشعر الله الدوابَّ يوم الجمعة بأمر الساعة حسبما يقتضيه قول النبي ﷺ: «ما من دابة إلا وهي مُصيخة يوم الجمعة حتى تطلع الشمس، فَرَقاً من الساعة»(١).

ويحتمل أن يكون ذلك من الحوت شعوراً بالسلامة في ذلك اليوم على نحو شعور حمام الحرم بالسلامة.

قال رواة هذا القَصَص: فيقرب الحوت ويكثُر حتى يمكن أخذه باليد، فإذا كان ليلة الأحد غاب بجملته، وقيل: غابت كثرته ولم يبق منه إلا القليل الذي يُتعب صيدُه، قاله قتادة، ففتنهم ذلك وأضر بهم، فتطرقوا إلى المعصية بأن حفروا حفراً يخرج إليها ماء البحر على أخدود، فإذا جاء الحوت يوم السبت وحصل في الحفرة ألقوا في الأخدود حجراً فمنعوه الخروج إلى البحر، فإذا كان الأحد أخذوه. فكان هذا أولَ التطرق.

وروى أشهب عن مالك قال: زعم ابن رومان أنهم كانوا يأخذ الرجل خيطاً
[٢/ ١٧٥] ويصنع فيه وهقة(٢)، وألقاها / في ذنب الحوت، وفي الطرف الآخر من الخيط وتد مضروب، وتركه كذلك إلى الأحد، ثم تطرق الناس حين رأوا مَن صنع هذا لا يُبتلى، حتى كثر صيد الحوت ومشي به في الأسواق، وأعلن الفسقة بصيده، وقالوا: ذهبت حرمة السبت، فقامت فرقة من بني إسرائيل ونهت وجاهرت بالنهي واعتزلت(٣).

---

(١) إسناده فرد جيد، هذا الحديث أخرجه مالك (٢٤١) رواية يحيى بن يحيى، ومن طريقه الشافعي في مسنده (١/ ٧٢)، ورواه أحمد في مسنده (٥/ ٤٥٣-٢٣٧٩١)، والنسائي (١٤٣٠)، وفي الكبرى (١٧٦٦)، وابن حبان في صحيحه (٢٧٧٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤١٣) والضياء في المختارة (٣٩٦) وغيرهم من طريق محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ مطول، والتيمي له أفراد.

(٢) في نجيبويه: «رهقة»، وفي القاموس المحيط (ص: ٩٢٩): الوهق، محركة ويسكن: الحبل يرمى في أنشوطة، فتؤخذ به الدابة والإنسان.

(٣) انظر رواية أشهب عن مالك في: تفسير القرطبي (٧/ ٣٠٦).

والعامل في قوله: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ قوله: ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ وهو ظرف مقدم.

وقرأ عمر بن عبد العزيز: (حيتانهم يوم إسباتهم)[1].

وقرأ نافع وأبو عمرو والحسن وأبو جعفر والناس: ﴿يَسْبِتُونَ﴾ بكسر الباء.

وقرأ عيسى بن عمر وعاصم بخلاف: (يَسبُتون) بضمها، وقرأ الحسن بن أبي الحسن وعاصم بخلاف: (يُسبتون)[2] من أسبت: إذا دخل في السبت.

ومعنى قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ الإشارة إلى أمر الحوت وفتنتهم به، هذا على مَن وقف على ﴿تَأْتِيهِمْ﴾ ومن وقف على ﴿كَذَلِكَ﴾ فالإشارة إلى كثرة الحيتان شُرَّعاً، أي: فما أتى منها فهو قليل، و﴿نَبْلُوهُم﴾ أي: نمتحنهم لفسقهم وعصيانهم.

قال القاضي أبو محمد: وفي قَصَص هذه الآية روايةٌ وتطويل اختصرتُه واقتصرت منه على ما لا تفهم ألفاظ الآية إلا به.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾.

قال جمهور المفسرين: إن بني إسرائيل افترقت ثلاث فرق: فرقة عصت وصادت، وفرقة نهت وجاهرت وتكلمت واعتزلت، وفرقة اعتزلت ولم تعص ولم تنه، وإن هذه الفرقة لما رأت مجاهرة الناهية وطغيان العاصية وعتوَّها قالت للناهية: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ يريدون العاصية ﴿اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ﴾ على غلبة الظن، وما عُهد من فعل الله حينئذ بالأمم

(١) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٢)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٩٥)، والكشاف (٢/ ١٧١).

(٢) وهما شاذتان، انظر عزوهما لعاصم من رواية المفضل في جامع البيان (٣/ ١١٢٠)، وقراءة الحسن في الهداية لمكي (٤/ ٢٦٠٤)، ومختصر الشواذ (ص: ٥٢)، ونسب الأخرى لعلي وزاد: «يسبِّتون» لعيسى بن سليمان الحجازي.

العاصية، فقالت الناهية: موعظتُنا معذرة إلى الله، ثم اختلف بعد هذا؛ فقالت فرقة: إن الطائفة التي لم تعصِ ولم تنهَ هلكت مع العاصية عقوبةً على ترك النهي، قاله ابن عباس[١].

وقال أيضاً: ما أدري ما فُعل بهم[٢].

وقالت فرقة: بل نجت مع الناهية لأنها لم تعص ولا رضيت، قاله عكرمة والحسن وغيرهما.

وقال ابن الكلبي ـ فيما أسند عنه الطبري ـ: إن بني إسرائيل لم تفترق إلا فرقتين: فرقة عصت وجاهرت، وفرقة نهت وغيَّرت واعتزلت، وقالت للعاصية: إن الله يهلكهم ويعذبهم، فقالت أمة من العاصين للناهين ـ على جهة الاستهزاء ـ: لمَ تعظون قوماً قد علمتم أن الله مهلكهم أو معذبه[٣]؟

قال القاضي أبو محمد: والقول الأول أصوبُ، وتؤيده الضمائر في قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ﴾ فهذه المخاطبة تقتضي مخاطِباً ومخاطَباً ومَكنيّاً عنه.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿معذرةٌ﴾ بالرفع، أي: موعظتُنا معذرةٌ، أي: إقامةُ عذر.

وقرأ عاصم في بعض ما روي عنه، وعيسى بن عمر، وطلحة بن مصرِّف: ﴿مَعْذِرَةً﴾ بالنصب[٤]، أي: وعظْنا معذرةً. قال أبو علي: حجتها أن سيبويه قال: لو قال

---

(١) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٥٢٧٨)، وابن أبي حاتم (٨٤٦١) في تفسيرهما من طريق داود بن الحصين الأموي، عن عكرمة، عن ابن عباس بنحوه، وداود بن الحصين ثقة إلا في روايته عن عكرمة فإنها منكرة.

(٢) لا بأس به، هذا الأثر أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٣٩)، والطبري (١٥٢٦٩ـ١٥٢٧٣) من طرق لا بأس بها عنه.

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ١٩٥).

(٤) فهما سبعيتان، وهذه رواية حفص، أما شعبة فوافق الأولين، انظر: التيسير (ص: ١١٤)، والبحر المحيط (٥/ ٢٠٨).

رجل لرجل: معذرة إلى الله وإليك من كذا، لنَصَب[١].

قال القاضي أبو محمد: الرجل القائل في هذا المثال معتذِرٌ عن نفسه، وليس كذلك الناهون من بني إسرائيل، فتأمل.

ومعنى ﴿مُهْلِكُهُمْ﴾: في الدنيا ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ﴾: في الآخرة.

وقوله: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يقتضي الترجِّي المحض، لأنه من قول آدميين.

والضمير في قوله: ﴿نَسُوا﴾ للمَنْهيين، وهو ترك سمي نسياناً مبالغة؛ إذ أقوى منازل الترك أن يُنسى المتروك.

و﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ بمعنى الذي، ويحتمل أن يراد به الذكر نفسه. ويحتمل أن يراد به ما كان فيه الذكر.

و﴿السُّوءِ﴾ لفظ عام في جميع المعاصي، إلا أن الذي يختص هنا بحسب قَصَص الآية صيد الحوت، و﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ هم العاصون.

وقوله: ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ معناه: مؤلم موجع شديد.

وقرأ نافع وأهل المدينة أبو جعفر وشيبة وغيرهما: ﴿بيسٍ﴾ بكسر الباء وسكون الياء وكسر السين وتنوينها، وهذا على أنه فعل سمي به، كقوله ﷺ: «أنهاكم عن قيلٍ وقالٍ»[٢].

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (بِيْسَ)[٣] كما تقول: بيسَ الرجلُ، وضعَّفها أبو حاتم.

قال أبو عمرو: وروي عن الحسن: (بِئسَ) بهمزة بين الباء والسين[٤].

وقرأ نافع فيما يروِي عنه خارجة: (بَيْسٍ) بفتح الباء وسكون الياء وكسر السين منونة[٥].

---

(١) الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٩٨).

(٢) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣) من حديث المغيرة بن شعبة.

(٣) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٢)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٩٨).

(٤) إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٥٨).

(٥) وليست من الطرق، انظرها في السبعة (ص: ٢٩٦)، والمحتسب (١/ ٢٦٥).

وروى مالك بن دينار عن نصر بن عاصم: (بَيَسٍ) بفتح الباء والياء منونةً، على مثل: جَمَل وجبل[١].

وقرأ أبو عبد الرحمن المُقري[٢]: (بَئِسٍ) بفتح الباء وهمزة مكسورة وسين منونةٍ[٣]، على وزن فعِل، ومنه قول عبد الله بن قيس الرقيات:

[المديد] لَيْتَنِي أَلْقَى رُقَيَّةَ فِي خَلْوَةٍ مِنْ غَيْرِ مَا بَئِسِ[٤]

قال أبو عمرو الداني: هي قراءة نصر بن عاصم وطلحة بن مصرِّفٍ، وروي عن نصر: (بيس) بباء[٥] مكسورة من غير همز[٦].

قال الزهراوي: وروي عن الأعمش: (بَئِّسٍ) الباء مفتوحة والهمزة مكسورة مشددة والسين مكسورة منونة، وقرأت فرقة: (بَئِّسَ) كالتي قبل إلا فتح السين، ذكرها أبو عمرو الداني عما حكى يعقوب[٧].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي، ونافع في رواية أبي قرة عنه، وعاصم في رواية حفص عنه: ﴿بَئِيسٍ﴾ بياء بعد الهمزة المكسورة والسين المنونة على وزن «فَعيل».

وهذا وصف بالمصدر كقولهم: عَذير الحي، والنذير، والنكير، ونحو ذلك، وهي

---

(١) في السليمانية: «حمل وحبل»، ولم أجدها إلا في البحر المحيط (٥/ ٢٠٥)، وهي شاذة.

(٢) هو عبد الله بن يزيد، المقرئ المكي، مولى آل عمر الفاروق، أخذ الحروف عن نافع، وله اختيار في القراءة رواه عنه ابنه محمد، وكان إماماً في القرآن والحديث، كبير الشأن، روى عنه البخاري وأحمد وغيرهما، مات سنة (٢١٢هـ)، تاريخ الإسلام (١٥/ ٢٤١).

(٣) وهي شاذة، انظرها في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٧٨).

(٤) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٣/ ٢٠٢)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٩٨).

(٥) في المطبوع: «بياء».

(٦) لم أقف عليه.

(٧) وهما شاذتان، انظر عزوهما في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٧٨)، ولم أقف على نص الداني ولا الزهراوي.

قراءة الأعرج ومجاهد وأهل الحجاز وأبي عبد الرحمن ونصر بن عاصم والأعمش[١]، وهي التي رجح أبو حاتم، ومنه قول ذي الأصبع العَدَواني:

حَـنَـقـاً عَـلَـيَّ وَلَا أَرَى لِيَ مِنْهُمَا شَرّاً بَئِيسَا[٢] [مجزوء الكامل]

وقرأ أهل مكة: (بِئيس) كالأول، إلا كسر الباء على وزن فِعِيل، قال أبو حاتم: هما لغتان[٣].

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر عنه: ﴿بَيْئَس﴾ بفتح الباء وسكون الياء وفتح الهمزة على وزن فيعل، ومعناه: شديد، ومنه قول امرئ القيس بن عابس الكندي / : [٢/ ١٧٦]

كِلاهُمَا كَانَ رَئِيساً بَيْئَسَا يَضْرِبُ فِي يَوْمِ الهَيَاجِ القَوْنَسَا[٤] [الرجز]

فهي صفة كضيغم وحيدر، وهي قراءة الأعمش[٥].

وقرأ عيسى بن عمر والأعمش بخلاف عنه: (بيئِس) كالتي قبل إلا كسر الهمزة على وزن فيعِل[٦].

وهذا شاذ لأنه لا يوجد فيعِل في الصحيح، وإنما يوجد في المعتل مثل: سيد وميت.

---

(١) هذه سبعية، وكذلك قراءة نافع الأولى، ورواية أبي بكر عن عاصم وقراءة ابن عامر الآتيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٤)، والنشر (٢/ ٣٠٧).

(٢) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٢٣١)، وتفسير الطبري (١٣/ ٢٠١)، والأغاني (٣/ ٩٨)، وفي نجيبويه: «حقا».

(٣) وهي شاذة، انظرها في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٧٨).

(٤) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٣/ ٢٠٠)، وهو امرؤ القيس بن عابس بن المنذر بن امرئ القيس ابن عمرو بن معاوية الأكرمين، روى عن النبي ﷺ، وسكن الكوفة، وكان ممن ثبت على الإسلام، وأنكر على الأشعث ارتداده. الإصابة (١/ ٢٦٢).

(٥) وهي سبعية كما تقدم، وانظر عزوها للأعمش في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٧٨).

(٦) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٢) حيث نسبها لعاصم، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٩٨) ولم ينسبها.

وقال الزهراوي: روى نصر عن عاصم: (بيِّس)[١] على مثال ميت، وهذا على أنه من البوس[٢] لا أصل له في الهمز.

قال أبو حاتم: زعم عصمة أن الحسن والأعمش قرءا: (بِئْيَس) الباء مكسورة والهمزة ساكنة والياء مفتوحة على مثال خِذْيم[٣]، وضعفها أبو حاتم.

وقرأ ابن عامر من السبعة: ﴿بِئْسٍ﴾ بكسر الباء وسكون الهمزة وتنوين السين المكسورة.

وقرأت فرقة: (بَأْسٍ) بفتح الباء [والهمزة وتنوين السين المكسورة، وقرأت فرقة: (باسٍ) بفتح الباء][٤] وسكون الألف[٥].

وقرأ أبو رجاء: (بائس)[٦] على وزن فاعل.

وقرأت فرقة: (بَيَسَ) بفتح الباء والياء والسين على وزن فعل، وقرأ مالك بن دينار: (بأْسَ) بفتح الباء والسين وسكون الهمزة، على وزن فعل غير مصروف، وقرأ فرقة: (بأسٍ) مصروفاً[٧].

وحكى أبو حاتم: (بَيِّسٍ) قال أبو الفتح: هي قراءة نصر بن عاصم[٨].

وحكى الزهراوي عن ابن كثير وأهل مكة: (بِيس) بكسر الباء ويهمز همزاً خفيفاً[٩].

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٧٨).

(٢) في المطبوع وفيض الله: «البؤس»، بالهمز.

(٣) في نجيبويه وفيض الله: «حذيم»، وهي شاذة، وقد أشار لها النحاس في إعراب القرآن (٢/ ٧٨).

(٤) ساقط من نور العثمانية والسليمانية.

(٥) وهي شاذة، عزاها في المحتسب (١/ ٢٦٥) لنصر بن عاصم وجُؤيَّة بن عائذ، ورُويت عن مالك بن دينار أيضاً.

(٦) وهي شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (١/ ٢٦٥).

(٧) وكلها شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ١٩٧).

(٨) انظر: المحتسب (١/ ٢٦٥)، وهي شاذة، وفي السليمانية: «أبو جعفر» بدل «أبو الفتح».

(٩) قد نقله عنه في البحر المحيط (٥/ ٢٠٥)، وهي شاذة.

قال القاضي أبو محمد: ولم يبين هل الهمزة مكسورة أو ساكنة.

وقوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفۡسُقُونَ﴾ أي: لأجل ذلك وعقوبة عليه.

و«العتوُّ»: الاستعصاء وقلة الطواعية.

وقوله: ﴿قُلۡنَا لَهُمۡ﴾ يحتمل أن يكون [قولاً بلفظٍ من مَلَكٍ، أسمعهم ذلك فكان أذهبَ في الإغراب والهوان(١) والإصغار.

ويحتمل أن يكون](٢) عبارة عن المَقْدِرة المكوِّنة لهم قردةً.

و﴿خَـٰسِـِٔينَ﴾ مُبْعَدين كما قال رسول الله ﷺ لابن صياد: «اخسأ»(٣)، وكما يقال للكلب: اخسأ، فـ﴿خَـٰسِـِٔينَ﴾ خبر بعد خبر، هذا اختيار أبي الفتح(٤)، وضعَّف الصفة، وكذلك هو؛ لأن القصد ليس التشبيه بقِرَدة مبعدَات.

قال القاضي أبو محمد: ويجوز أن يكون ﴿خَـٰسِـِٔينَ﴾ حالاً من الضمير في ﴿كُونُوا۟﴾، والصفة أيضاً متوجهة مع ضعفها.

وروي أن الشباب منهم مسخوا قردة، والرجال الكبار مسخوا خنازير.

وروي أن مسخهم كان بعد المعصية في صيد الحوت بعامين.

وقال ابن الكلبي: إن إهلاكهم كان في زمن داود(٥).

وروي أن الناهين قسموا المدينة بينهم وبين العاصين بجدار، فلما أصبحوا ليلةَ أُهلك العاصون لم يُفتح باب مدينة العاصين حتى ارتفع النهار، فاستراب الناهون لذلك، فطلع أحد الناس على السور فرآهم ممسوخين قردة تتواثب، فصاح، فدخلوا عليهم يعرف

---

(١) في نجيبويه والسليمانية وفيض الله: «الهول».

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٣٥٤)، ومسلم (٢٩٣٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) كذا في جميع النسخ وتفسير الثعالبي (٢/ ٦٣)، ولم أجده في المحتسب.

(٥) الهداية لمكي (٤/ ٢٦٠١).

الرجل قرابته ويعرف القرد أيضاً كذلك قرابته، وينضمون[١] إلى قرابتهم فيتحسرون.

قال الزجاج: وقال قوم: يجوز أن تكون هذه القردة من نسلهم[٢].

قال القاضي أبو محمد: وتعلق هؤلاء بقول النبي ﷺ: «إن أمة من الأمم فُقِدت وما أُراها إلا الفأر؛ إذا قرب لها لبن لم تشرب»[٣]، وبقوله ﷺ في الضب[٤].

وقصص هذا الأمر أكثر من هذا، لكن اختصرته واقتصرت على عيونه.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾.

بِنْية ﴿تَأَذَّنَ﴾ هي التي تقتضي التكسُّب من أَذِنَ أي: علم ومكن، وآذن أي: أعلم، مثل كَرُم وأكرم وتكرَّم، إلا أن تعلَّم وما جرى مجرى هذا الفعل إذا كان مسنداً إلى اسم الله عز وجل لم يلحقه معنى التكسُّب الذي يلحق المحدَثين، فإنما يترتب بمعنى علم صفةٌ لا بتكسُّب، بل هي قائمة بالذات، وإلى هذا المعنى ينحو الشاعر بقوله: تَعَلَّمْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ[٥]، لأنه لم يأمره بالتعلم الذي يقتضي جهالة، وإنما أراد أن يوقفه على قوة علمه.

---

(١) في السليمانية وفيض الله: «وينظرون».

(٢) لفظه في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨٧): وقال قوم: جائز أن تكون هذه القردة المتوَلِّدةُ أصلها منهم.

(٣) صحيح، هذا الحديث أخرجه مسلم (٢٩٩٧) من حديث أبي هريرة مرفوعاً بنحوه.

(٤) صحيح، هذا الحديث أخرجه مسلم (١٩٤٩) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أُتي رسول الله ﷺ بضب فأبى أن يأكل منه وقال: «لا أدري لعله من القرون التي مسخت».

(٥) وردت في أشعار كثيرة منها قول الحارث بن ظالم:

تعلم أبيت اللعن أني فاتك ... من اليوم أو من بعده بابن جعفر

كما في الأغاني (١١/ ١٠١)، وقول أبي طالب:

تعلم أبيت اللعن أنك ماجد ... كريم فلا يشقى لديك المجانب

كما في سيرة ابن هشام (١/ ٣٣٤).

ومنه قول زهير:

تَعَلَّمْ أَنَّ شَرَّ النَّاسِ حَيٌّ يُنَادَى فِي شِعَارِهِمُ يَسَارُ[١] [الوافر]

فمعنى هذه الآية: وإذ عَلِمَ الله ليبعثن عليهم، وتقتضي قوة الكلام أن ذلك العلم منه مقترن بإنفاذٍ وإمضاء، كما تقول في أمر قد عزمت عليه غاية العزم: علم الله لأفعلن كذا، نحا إليه أبو علي الفارسي[٢].

وقال الطبري وغيره: ﴿تَأَذَّنَ﴾ معناه: أعلم[٣]، وهو قلِق من جهة التصريف، إذ نسبة تَأَذَّنَ إلى الفاعل غير نسبة أعلم، وتبيُّنُ ذلك من التعدي وغيره.

وقال مجاهد: ﴿تَأَذَّنَ﴾ معناه: قال، وروي عنه أن معناه: أمر[٤].

وقالت فرقة: معنى ﴿تَأَذَّنَ﴾: تألَّى.

قال القاضي أبو محمد: وقادهم إلى هذا القول دخول اللام في الجواب، وأما اللفظة فبعيدة عن هذا.

والضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لمن بقي من بني إسرائيل لا للضمير في ﴿لَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٦].

وقوله: ﴿مَن يَسُومُهُمْ﴾ قال سعيد بن جبير: هي إشارة إلى العذاب[٥].

وقال ابن عباس: هي إلى محمد ﷺ وأمته[٦].

---

(١) انظر عزوه له في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٨٧)، وجمهرة اللغة (٢/ ١٠٠٩)، وخزانة الأدب (٥/ ٤٥٧).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٤٠٨).

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٢٠٤).

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٢٠٤)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٩٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٥٦).

(٥) تفسير الثعلبي (٤/ ٢٩٩).

(٦) في إسناده مقال، أخرجه الطبري (١٥٢٩٩)، وابن أبي حاتم (٨٤٧٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال القاضي أبو محمد: والصحيح أنها عامة في كلِّ مَن حالُ اليهود معه هذه الحال. و﴿يَسُومُهُمْ﴾ معناه: يكلِّفهم ويحملهم.

و﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ الظاهر منه الجزية والإذلال، وقد حتم الله عليهم هذا وحط ملكهم، فليس في الأرض رايةٌ ليهودي.

وقال ابن المسيب: فيستحب أن تتعب اليهود في الجزية[1].

ولقد حُدثت أن طائفة من الروم أملقت[2] في صُقْعها، فباعت اليهود المجاورة لهم الساكنة معهم وتملَّكوهم.

ثم حَسُن في آخر هذه الآية ـ لتضمنها الإيقاع بهم والوعيد ـ أن ينبه على سرعة عقاب الله ويخوف بذلك تخويفاً عامّاً لجميع الناس، ثم رجَّى بعد ذلك لطفاً منه تبارك وتعالى.

و(قطعناهم) معناه: فرقناهم في الأرض.

قال الطبري عن جماعة من المفسرين: ليس في الأرض بقعة إلا وفيها معشر من اليهود[3].

والظاهر في المشار إليهم في هذه الآية أنهم الذين بعد سليمان وقت زوال ملكهم، والظاهر أنه قبل مدة عيسى عليه السلام؛ لأنه لم يكن فيهم صالح بعد كفرهم بعيسى عليه السلام، وفي التواريخ في هذا الفصل روايات مضطربة.

و﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾، و﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ ألفاظ محتملة، فإن أريد بها صلاح الإيمان فـ ﴿دُونَ﴾ بمعنى غير يراد بها الكفرة، وإن أريد بالصلاح / العبادة والخير [٢/ ١٧٧] وتوابع الإيمان فـ ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ يحتمل أن يكون في مؤمنين.

---

(١) انظره في تفسير الطبري (١٣/ ٢٠٧)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٩٥)، والهداية لمكي (٤/ ٢٦١٣)، كلهم بلفظ: «أن يبعث الأنباط».

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «أملكت».

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٢٠٨) وما بعدها.

و(بلوناهم) معناه: امتحنَّاهم، و(الحَسَنَاتُ): الصحة والرخاء ونحو هذا مما هو بحسب رأي ابن آدم ونظره، و(السيئاتُ) مقابلات هذه.

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾ أي: بحسب رأيكم لو شاهدتم ذلك، والمعنى: لعلهم يرجعون إلى الطاعة ويتوبون من المعصية.

قوله عز وجل: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٧٠﴾.

(خَلَفَ) معناه: حدث خَلْفهم.

و﴿خَلۡفٞ﴾ بإسكان اللام يستعمل في الأشهَر في الذم، ومنه قول لبيد:

ذَهَبَ الذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ ... وَبَقِيتُ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ[1] [الكامل]

وقد يستعمل في المدح، ومنه قول حسان:

لَنَا القَدَمُ الأُولَى إِلَيْكَ وَخَلْفُنَا ... لأَوَّلِنَا فِي طَاعَةِ الله تَابِعُ[2] [الطويل]

و«الخلَف» بفتح اللام يستعمل في الأشهر في المدح، قال أبو عبيدة والزجاج: وقد يستعمل في الذم أيضاً[3]، ومنه قول الشاعر:

أَلَا ذَلِكَ الْخَلَفُ الْأَعْوَرُ[4] ... . [مجزوء الكامل]

---

(١) انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٨٢)، والعين (٤/ ٢٦٦)، وإصلاح المنطق (ص: ١٧)، والبيان والتبيين (١/ ٢٢٣).

(٢) انظر عزوه له في سيرة ابن هشام (٢/ ٢٧١)، وتفسير الطبري (١٣/ ٢٠٩)، والمخصص (٥/ ١٢٧).

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٣٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٨٨).

(٤) البيت لموسى شهوات كما في الأغاني (٣/ ٣٥٤)، وتاريخ دمشق (١٧/ ١١٣)، وصدره: «تزوجت داود مختارة».

وقال مجاهد: المراد بـ«الخلْف» هاهنا النصارى، وضعفه الطبري[(١)].

[وقرأ جمهور الناس: ﴿وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾][(٢)].

وقرأ الحسن بن أبي الحسن البصري: (وُرِّثوا الكتاب) بضم الواو وشد الراء[(٣)].

وقوله: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ إشارة إلى الرُّشا والمكاسب الخبيثة، والعَرَض ما يَعرِض ويعنُّ ولا يثبت، و﴿ٱلْأَدْنَىٰ﴾ إشارة إلى عيش الدنيا.

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ذم لهم باغترارهم وقولِهم: ﴿سَيُغْفَرُ﴾ مع علمهم بما في كتاب الله من الوعيد على المعاصي، وإصرارِهم عليها وأنهم إذا أَمْكَنتهم ثانية ارتكبوها، فهؤلاء عَجَزةٌ كما قال ﷺ: «والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله»[(٤)]، [فهؤلاء قطعوا بالمغفرة][(٥)] وهم مصرون، وإنما يقول: سيغفر لنا، من أقلع وندم.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم﴾ الآية، تشديد في لزوم قول الحق على الله في الشرع والأحكام بين الناس وأن لا تميل الرشا بالحكام إلى الباطل.

و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ يريد به التوراة، و«ميثاقُها»: الشدائد التي فيها في هذا المعنى.

وقوله: ﴿أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ يمكن أن يريد بذلك قولَهم الباطل في حكومةٍ مما يقع بين أيديهم.

---

(١) انظره مع تضعيفه في تفسير الطبري (١٣/ ٢١٠).

(٢) ساقط من المطبوع.

(٣) وهي شاذة، انظرها في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٩٢).

(٤) ضعيف، هذا الحديث أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ٥٥)، وأبو داود الطيالسي (١٢١٨) وأحمد (٤/ ١٢٤) وفي الزهد (١/ ٣٩٥)، والترمذي (٢٤٥٩)، وابن ماجه (٤٢٦٠)، والبزار في مسنده (٣٤٨٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٢٥-٤/ ٢٨٠) من طريق أبي بكر بن أبي مريم الغساني، عن ضمرة بن حبيب، عن شداد بن أوس، به. وأبو بكر ضعيف، وقد أخرجه الطبراني في الكبير (٧١٤١)، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٦٧) من طريق آخر عن شداد، وفي إسناده: إبراهيم بن عمرو بن بكر السكسكي، وهو متروك الحديث.

(٥) ساقط من المطبوع.

ويمكن أن يريد قولهم: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ وهم قد علموا الحق في نهي الله عن ذلك.

وقرأ جمهور الناس: ﴿يَقُولُواْ﴾ بياء من تحت، وقرأ الجحدري: (تَقولوا) بتاء من فوق[١].

وقوله: ﴿وَدَرَسُواْ﴾ معطوف على قوله: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ الآيةَ بمعنى المضي، يقدر: أليس قد أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه، وبهذين الفعلين تقوم الحجة عليهم في قولهم الباطل.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: (وادَّارسوا) ما فيه[٢].

وقال الطبري وغيره: قوله: ﴿وَدَرَسُواْ﴾ معطوف على قوله: ﴿وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾[٣].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا نظر؛ لبعد المعطوف عليه، ولأن قوله: ﴿وَدَرَسُواْ﴾ يزول منه معنى إقامة الحجة بالتقدير الذي في قوله: ﴿أَلَمْ﴾.

ثم وعظ وذكَّر تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾.

وقرأ جمهور الناس: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالتاء من فوق.

وقرأ أبو عمرو وأهل مكة: ﴿يعقلون﴾ بالياء من أسفل[٤].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ عطف على قوله: ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾.

وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص وأبو عمرو والناس: ﴿يُمَسِّكُونَ﴾ بفتح الميم وشد السين.

---

(١) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٢).

(٢) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٦٧).

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٢١٥).

(٤) ووافق أبا عمرو ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف العاشر وأبو بكر شعبة بن عياش عن عاصم/ انظر: النشر (٢/ ٢٩١).

وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأبو العالية وعاصم وحده في رواية أبي بكر: ﴿يمْسِكون﴾ بسكون الميم وتخفيف السين[١].

وكلهم خفف: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠] إلا أبا عمرو فإنه قرأ: ﴿ولا تُمَسِّكوا﴾ بفتح الميم وشد السين[٢].

وقرأ الأعمش: (والذين استمسكوا)[٣] وفي حرف أبيٍّ: (والذين مسَّكوا)[٤].

[يقال: أمسك ومسَّك][٥]، وهما لغتان بمعنىً واحد، قال كعب بن زهير:

[البسيط] فَمَا تَمَسَّكُ بالعَهْدِ الَّذي زَعَمَتْ ... إِلَّا كَمَا تُمْسِكُ الماءَ الْغَرَابِيلُ[٦]

أمَا إن شد السين يجري مع التعدي بالباء.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾.

﴿نَتَقْنَا﴾ معناه: اقتلعنا ورفعنا، فكأن النتق اقتلاع الشيء، تقول العرب: نتقت الزُّبدة من فم القِربة[٧]، ومنه قول الشاعر:

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٤)، وقراءة الباقين في تفسير الثعلبي (٤/ ٣٠١).

(٢) كما سيأتي في محله.

(٣) وهي شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (٤/ ٣٠١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٤١٦).

(٤) وهي شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (٤/ ٣٠١)، والحجة لابن خالويه (ص: ١٦٧).

(٥) ليست في المطبوع.

(٦) من قصيدته المشهورة في مدح النبي ﷺ، انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٦٣٣)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٥٠٥)، والشعر والشعراء (١/ ١٥٣)، والعقد الفريد (٦/ ١٣٩)، وديوان المعاني (١/ ٤٠)، وفي نجيبويه: «الذي وعدت».

(٧) انظر تهذيب اللغة حيث قال: «ويقال: نتقْتُ السِقاء: إذا نفضْتَه لِتقلَعَ منه زُبْدَته» (٩/ ٦٦)، وكذلك المخصص (١/ ٤٦٢).

وَنَـتَـقُـوا أحْـلامَـنَـا الأثَـاقِـلا[١] [الرجز]

و«الناتِق»: الرَّحِم التي تقلع الولد من الرجل، ومنه قول النابغة:

لَمْ يُحْرَمُوا حُسْـنَ الْغِذاءِ وأُمُّهُمْ ... دَحَقَـتْ عَلَيْـكَ بِنَاتِقٍ مِـذْكَارِ[٢] [الكامل]

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بتزويج الأبكار فإنهن أنتق أرحاماً وأطيب أفواهاً»[٣] الحديث.

وقد جاء في القرآن بدل هذه اللفظة في هذه القصة بعينها: (رفعنا)[٤]، لكن ﴿نَتَقْنَا﴾ و﴿فَوْقَهُمْ﴾ أعطت الرفع بزيادة قرينة هي أن الجبل اقتلعته الملائكة وأمر الله إياه.

وروي أن موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة فقال عن الله تعالى: هذا كتاب الله أتقبلونه بما فيه؟ فإن فيه بيانَ ما أحل لكم وما حُرم عليكم وما أمركم وما نهاكم، قالوا: انشر علينا ما فيها، فإن كانت فرائضها يسيرةً وحدودُها خفيفةً قبلناها، قال: «اقبلوها بما فيها»، قالوا: لا، فراجعهم موسى فراجعوا ثلاثاً، فأوحى الله عز وجل إلى الجبل / فانقلع وارتفع فوق رؤوسهم، فقال لهم موسى عليه السلام: ألا ترون ما يقول ربي؟: [٢/ ١٧٨] لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لأرمينكم بهذا الجبل.

قال الحسن البصري: فلما رأوا إلى الجبل خرَّ كل واحد منهم ساجداً على حاجبه الأيسر، ونظر بعينه اليمنى إلى الجبل فَرَقاً أن يسقط عليه، فلذلك ليس في الأرض يهودي

---

(١) البيت لرؤبة بن العجاج كما في مجاز القرآن (١/ ٢٣٢)، والصحاح للجوهري (٤/ ١٥٥٨).

(٢) انظر عزوه له في العين (٣/ ٤٢)، والمعاني الكبير (٢/ ٩١٧)، وأمالي القالي (١/ ١٥٢)، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٣).

(٣) ضعيف، هذا الحديث روي من طرق واهية، أمثلها ما أخرجه ابن ماجه (١٨٦١)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٩٤٧)، والطبراني في الكبير (٣٥٠)، وفي الأوسط (٤٥٥)، والبيهقي في الكبرى (١٣٢٥١-١٣٢٥٢) وغيرهم من طريق محمد بن طلحة التيمي، عن عبد الرحمن بن سالم بن عتبة بن عويم بن ساعدة، عن أبيه، عن جده، به، وفي إسناده مجاهيل واضطراب.

(٤) منها قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣].

يسجد إلا على حاجبه الأيسر، يقولون: هذه السجدة التي رفعت بها عنا العقوبة[١].

و«الظلة»: ما أظل، ومنه: ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، ومنه: ﴿عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: ١٨٩]، ومنه قول أُسيد بن حضير للنبي ﷺ: «قرأت البارحة فغشي الدار مثلَ الظلة فيها أمثال المصابيح» فقال النبي ﷺ: «تلك السكينة تنزلت للقرآن»[٢].

فإن قيل: فإذا كان الجبل ظلة فما معنى: ﴿كَأَنَّهُۥ﴾؟ فالجواب: أن البشر إنما اعتادوا هذه الأجرام الأرضية ظللاً إذا كانت على عَمَدٍ، فلما كان الجبل على غير عمد قيل: ﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ أي: كأنه على عمد.

وَ(ظنّوا): قال المفسرون: معناه: أيقنوا[٣].

قال القاضي أبو محمد: وليس الأمر عندي كذلك، بل هو موضعُ غلبة الظن مع بقاء الرجاء، وكيف يوقنون بوقوعه وموسى عليه السلام يقول: إن الرمي به إنما هو بشرط أن لا يقبلوا التوراة، والظن إنما يقع ويستعمل في اليقين متى كان ذلك المتيقَّن لم يخرج إلى الحواس، وقد تبين هذا فيما سلف من هذا الكتاب.

ثم قيل لهم في وقت ارتفاع الجبل: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾، فأخذوها والتزَموا جميع ما تضمنته من شدة ورخاء فما وفوا.

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَٱذْكُرُواْ﴾، وقرأ الأعمش فيما حكى أبو الفتح عنه: (واذَّكَّـرُوا)[٤].

و﴿لَعَلَّكُمْ﴾ على ترجِّيهم، وهذا تشدُّد عليهم في حفظها والتهَمُّم بأمرها.

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٢١٩)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٠٢).

(٢) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٥٠١٨)، ومسلم (٧٩٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) انظر: تفسير الماوردي (٢/ ٢٧٦).

(٤) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (١/ ٢٦٧).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ الآية، التقدير: واذكر إذ أخذ.

وقوله: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ قال النحاة: هو بدل اشتمال من قوله: ﴿مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾[١].

وألفاظ هذه الآية تقتضي أن الأخذ إنما[٢] كان من بني آدم من ظهورهم، وليس لآدم في الآية ذكر بحسب اللفظة، وتواترت الأحاديث في تفسير هذه الآية عن النبي ﷺ من طريق عمر ابن الخطاب رضي الله عنه[٣]، وعبد الله بن عباس، وغيرهما: «أن الله عز وجل لما خلق آدم ـ وفي بعض الروايات: لما أهبط آدم إلى الأرض في دهناء من أرض السند[٤]، قاله ابن عباس، وفي بعضها أن ذلك بنعمان، وهي عرفة وما يليها، قاله أيضاً

---

(١) مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٣٠٦).

(٢) ساقط من المطبوع.

(٣) الأرجح فيه الإرسال، والموصول ليس بحجة، هذا الحديث أخرجه مالك في الموطأ (١٥٩٣) رواية يحيى بن يحيى، وأحمد (١/ ٤٤-٣١١)، وأبو داود (٤٧٠٣)، والترمذي (٣٠٧٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١٩٦)، والنسائي في الكبرى (١١١٢٦)، وابن حبان في صحيحه (٦١٦٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٠-٢/ ٣٥٤-٥٩٤) واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٩٩٠) وغيرهم من طريق مالك بن أنس، عن زيد بن أبي أنيسة، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، عن مسلم ابن يسار الجهني، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه به مرفوعاً، وقال الترمذي عقبه: مسلم لم يسمع من عمر، وقد أدخل بعضهم فيه بين مسلم وعمر رجلاً .اهـ، وقد اختلف على ابن أبي أنيسة، فرواه يزيد بن سنان عنه، فزاد: نعيم بن ربيعة الأودي بين مسلم وعمر، أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٨/ ٩٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٠١)، ويزيد هو أبو فروة الرهاوي متفق على ضعفه، وقد تابع يزيد بن سنان: عمر بن جعثم القرشي كما عند أبي داود (٤٧٠٤)، وابن جرير الطبري (١٥٣٥٨)، والبيهقي في القضاء والقدر (٦٢)، والضياء في المختارة (٢٩٠). وابن جعثم فيه جهالة، وقد رواه عنه بقية، وليس بعمدة، وقال الدارقطني في العلل (٢/ ٢٢٢): وحديث يزيد بن سنان متصل وهو أولى بالصواب، والله أعلم، وقد تابعه عمر بن جعثم فرواه عن زيد بن أبي أنيسة، كذلك قاله بقية بن الوليد عنه، لكن قال ابن عبد البر في التمهيد (٦/ ٥): زيادة من زاد في هذا الحديث نعيم بن ربيعة ليست حجة، وعلى كل حال فنعيم ابن ربيعة لم يوثقه معتبر ولا تقوم به حجة، ولا يعلم سماعه من عمر.

(٤) في الحمزوية وفيض الله ونور العثمانية والسليمانية: «الهند».

ابن عباس وغيره، مسح على ظهره»، وفي بعض الروايات: «بيمينه».

وفي بعض الروايات: «ضرب منكبه فاستخرج منها»، أي: من المسحة أو الضربة، «نَسَم بنيه»، ففي بعض الروايات: «كالذر»، وفي بعضها: «كالخردل»[(١)].

وقال محمد بن كعب: إنها الأرواح جُعلت لها مثالاتٌ[(٢)].

وروى عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس، وجعل الله لهم عقولاً كنملة سليمان، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم وأنْ لا إله غيره، فأقروا بذلك والتزموه، وأعلمهم أنه سيبعث الرسل إليهم مذكِّرةً وداعية، فشهد بعضهم على بعض»[(٣)].

قال أُبيٌّ بن كعب: وأشهَدَ عليهم السماوات السبع، فليس من أحد يولد إلى يوم القيامة إلا وقد أُخذ عليه العهد في ذلك اليوم والمقام[(٤)].

وقال السدي: أعطى الكفارُ العهدَ يومئذ كارهين على وجه التَّقِيَّـة[(٥)].

---

(١) روي مرفوعاً وموقوفاً، والموقوف صحيح بطرقه، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٥٣٤٠-١٥٣٤٩)، وابن أبي حاتم (٨٥٣٠-٨٥٣١-٨٥٣٦) والضياء في المختارة (٣١٨) وغيرهم من طرق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، مرة مرفوعاً، ومن طرق عنه من قوله، والموقوف صحيح بمجموعها، والمرفوع ليس بالمحفوظ، كما قاله النسائي في الكبرى (٦/ ٣٤٧).

(٢) انظر تفسير الطبري (١٣/ ٢٤٤).

(٣) الصحيح موقوف على عبد الله بن عمرو لا ابن عمر، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٥٣٥٥-١٥٣٥٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٥٣٢)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٩٩٣) وقد روي مرفوعاً وموقوفاً، والصحيح الموقوف، قاله ابن جرير (١٣/ ٢٥٠) وابن كثير (٣/ ٥٠٢).

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زياداته على مسند أبيه (٥: ١٣٥) من طريق: المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، مختصراً. ورواه الطبري (١٣/ ٢٣٨) والحاكم في المستدرك مطولاً (٢: ٣٢٣) من طريق أبي جعفر عيسى بن عبد الله بن ماهان، عن الربيع بن أنس به، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» .اهـ، والإسناد لا بأس به إذا كان أبو العالية سمعه من أبي بن كعب فإنه كثير الإرسال.

(٥) تفسير الطبري (١٣/ ٢٤٢).

قال القاضي أبو محمد: هذه نَخيلةُ مجموع الروايات المطولة، وكأن ألفاظ هذه الأحاديث لا تلتئم مع ألفاظ الآية، وقد أكثر الناس في رَوْم الجمع بينهما، فقال قوم: إن الآية مشيرة إلى هذا التناسل الذي في الدنيا، و﴿أَخَذَ﴾ بمعنى: أوجد على المعهود، وأن الإشهاد هو عند بلوغ المكلف وهو قد أُعطي الفهم ونصبت له هذه الصنعة الدالة على الصانع، ونحا إلى هذا المعنى الزجَّاج[١]، وهو معنى تحتمله الألفاظ، لكن يَرِدُ عليه تفسيرُ عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنه الآيةَ بالحديث المذكور، وروايتُهما ذلك عن النبي ﷺ.

وطوَّل الجرجاني في هذه المسألة، ومدار كلامه على أن المسح وإخراج الذرية هو من ظهر آدم حسب الحديث،

وقيل في الآية: «أخذ من ظهورهم» إذ الإخراج من ظهر آدم الذي هو الأصل إخراجٌ من ظهور بنيه الذين هم الفرع، إذ الفرع والأصل شيء واحد[٢]، إلى كلامٍ كثير لا يثبت للنقد.

وقال غيره: إن جميع ما في الحديث من «مَسَح بيمينه» و«ضَرَب منكبه» ونحو هذا، إنما هي عبارة عن [إيجاد ذلك النَّسَم منه، و«اليمين» عبارة عن][٣] القدرة، أو يكون الماسح مَلَكاً بأمر الله عز وجل.

فتضمن الحديث صدر القصة وإيجاد النسم من آدم، وهذه زيادة على ما في الآية.

ثم تضمنت الآية ما جرى بعد هذا من أخذ العهد، والنسمُ حضور موجودون، وهي تحتمل معنيين:

(١) راجع معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٠).
(٢) لم أقف على كلام الجرجاني.
(٣) ساقط من نور العثمانية.

أحدهما: أن يكون ﴿أَخَذَ﴾ عاملاً في عهدٍ أو ميثاقٍ تقدره بعد قوله: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، ويكون قوله: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ لبيان جنس البنوة إذ المراد من الجميع التناسل، ويشركه في لفظة ﴿بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ بنوه لصلبه وبنوه بالحنان والشفقة، ويكون قوله: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بدلاً من ﴿بَنِيٓ ءَادَمَ﴾.

والمعنى الآخر: أنه لما كانت كل نسمة هنالك لها نسبةٌ إلى التي هي من ظهرها، كان تعيين تلك النسبة كأنه(١) أخذٌ من الظهر؛ إذ ستخرج منه في المستأنف(٢)، فالمعنى: وإذ عيَّنوا بهذه النسبة وعُرفوا بها فذلك أخذٌ ما، و﴿أَخَذَ﴾ على هذا عامل في ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وليس بمعنى: مسح وأوجد، بل قد تقدم إيجادهم كما تقدم الحديث المذكور، فالحديث يزيد معنىً على الآية، وهو ذكر آدم وأول إيجاد النسم كيف كان.

وقال الطُّرْطوشي(٣): إن هذا العهد يَلزم البشرَ وإن كانوا لا يذكرونه في هذه الحياة، كما يلزم الطلاقُ مَن شهد عليه به وهو قد نسيه، إلى غير هذا مما ليس بتفسير ولا من طريقه(٤).

وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر: ﴿ذرياتهم﴾ جمع جمع.

وقرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾(٥)، والإفراد هنا جمع.

وقد تقدم القول على لفظ الذرية في سورة آل عمران.

وروي في قصص هذه الآية: أن الأنبياء عليهم السلام كانوا بين تلك النسم [أمثال السُّرُج](٦)، وأن آدم عليه السلام / رأى داود فأعجبه، فقال: من هذا؟ فقيل: نبي [٢/ ١٧٩]

---

(١) من نجيبويه ونور العثمانية والسليمانية.

(٢) في المطبوع والأصل: «فهي المستأنف».

(٣) هو الفقيه المالكي؛ أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي نسبة إلى طرطوش من بلاد الأندلس، والمتوفى سنة (٥٢٠هـ) في الإسكندرية، مؤلف كتاب الحوادث والبدع، انظر ترجمته في: الديباج المذهب (٢/ ٢٤٤-٢٤٨).

(٤) انظر قول الطرطوشي في تفسير القرطبي ٧/ ٣١٧.

(٥) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٤).

(٦) ليست في المطبوع.

من ذريتك، فقال: كم عمره؟ فقيل: ستون سنة، فقال: زيدوه من عمري أربعين سنة، فزيدت، قال: وكان عمر آدم ألفاً فلما أكمل تسع مئة وستين جاء ملك الموت، فقال له آدم: بقي لي أربعون سنة، فرجع ملك الموت إلى ربه فأخبره، فقال له: قل له إنك أعطيتها لابنك داود، فتوفي آدم عليه السلام بعد أن خاصم في الأربعين[١].

قال الضحاك بن مزاحم: من مات صغيراً فهو على العهد الأول، ومن بلغ فقد أخذه العهد الثاني. يعني: الذي في هذه الحياة المعقولة الآن[٢].

وحكى الزجاج عن قوم أنهم قالوا: إن هذه الآية عبارة عن أن كل نسمة إذا، ولدت وبلغت فنظرها في الأدلة المنصوبة عهدٌ عليها في أن تؤمن وتعرف الله[٣].

وقد تقدم ذكر هذا القول، وهو قول ضعيف مُنكَّبٌ عن الأحاديث المأثورة مطَّرِح لها.

وقوله: ﴿شَهِدۡنَآ﴾ يحتمل أن يكون من قول بعض النسم لبعض، أي: شهدنا عليكم لئلا تقولوا يوم القيامة غفلنا عن معرفة الله والإيمان به، فتكون مقالةً من هؤلاء لهؤلاء، ذكره الطبري[٤]، وعلى هذا لا يَحسُن الوقف على قوله: ﴿بَلَىٰ﴾.

ويحتمل[٥] أن يكون قوله: ﴿شَهِدۡنَآ﴾ من قول الملائكة، فيحسن الوقف على قوله: ﴿بَلَىٰ﴾.

---

(١) صححه الترمذي وغيره، هذا الحديث أخرجه الترمذي (٣٠٧٦)، وأبو يعلى في مسنده (٦٣٧٧-٦٦٥٤)، وابن حبان في صحيحه (٦١٦٧)، وابن أبي حاتم (٨٥٣٥) في تفسيره، والحاكم في المستدرك (١/ ١٣٢-٢/ ٣٥٥-٦٤٠)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٤٧) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

(٢) الهداية لمكي (٤/ ٢٦٢٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٠)، بتصرف.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٢٢٢).

(٥) في الأصل: «ويحسن».

قال السدي: المعنى: قال الله وملائكته شهدنا[1]، ورواه عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ[2].

وقرأ السبعة غير أبي عمرو: ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ على مخاطبة حاضرين، وقرأ أبو عمرو وحده: ﴿أن يقولوا﴾ على الحكاية عن غائبين، وهي قراءة ابن عباس وابن جبير وابن محيصن[3].

والقراءتان تتفسر بحسب المعنيين المذكورين.

و﴿أَن﴾ في موضع نصب على تقدير: مخافةَ أن.

قوله عز وجل: ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾.

قال القاضي أبو محمد: المعنى في هذه الآيات: أن الكفرة لو لم يؤخذ عليهم عهد ولا جاءهم رسول مذكِّر بما تضمنه العهد من توحيد الله وعبادته لكانت لهم حجتان: إحداهما: كنا غافلين، والأخرى: كنا تبعاً لأسلافنا، فكيف نهلك والذنب إنما هو لمن طرَّق لنا وأضلنا؟ فوقعت شهادة بعضهم على بعض أو شهادة الملائكة عليهم لتنقطع لهم هذه الحجج، والاختلاف في ﴿يقولوا﴾، أو﴿ تَقُولُوٓاْ﴾ بحسب الأول.

وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ تقديره: وكما فعلنا هذه الأمور وأنفذنا هذه المقادير فكذلك نفصل الآيات ونبينها لمن عاصرك وبُعثت إليه لعلهم على تَرجِّيهم

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٢٤٣)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٠٤)، بتصرف.

(٢) الأصح موقوف، أخرجه الطبري (١٣/ ٢٣٢) مرفوعاً وموقوفاً، ثم قال: ولا أعلمه صحيحاً، لأن الثقات الذين يعتمد على حفظهم وإتقانهم حدثوا بهذا الحديث عن الثوري، فوقفوه على عبد الله ابن عمرو، ولم يرفعوه. اهـ، وكذا ذكره ابن كثير في تفسيره (٣: ٥٨٦، ٥٨٩) وضعَّف رفعه، وبين أن وقفه أصح.

(٣) فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٤).

وتَرجِّيكم وبحسب نظر البشر يرجعون إلى طاعة الله ويدخلون في توحيده وعبادته.

وقرأت فرقة: (يفصِّل) بالياء[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾ الآية، (اتْلُ): معناه: قصَّ واسْرُد، والضمير في ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ عائد على حاضري محمد ﷺ من الكفار وغيرهم، واختلف المتأولون في الذي أوتي الآيات:

فقال عبد الله بن مسعود وغيره: هو رجل من بني إسرائيل بعثه موسى عليه السلام إلى ملك مدين داعياً إلى الله تعالى وإلى الشريعة، وعلَّمه من آيات الله ما يمكن أن يدعو به وإليه، فلما وصل رشاه الملك وأعطاه على أن يترك دين موسى ويتابعَ الملك على دينه، ففعل وفتن الملك به الناس وأضلَّهم[٢].

وقال ابن عباس: هو رجل من الكنعانيين الجبارين اسمه بلعم[٣]، وقيل: بلعام ابن عابر، وقيل: ابن آبر، وقيل غير هذا مما ذكرهُ تطويل، وكان في جملة الجبارين الذين غزاهم موسى عليه السلام، فلما قرب منهم موسى لجؤوا إلى بلعام وكان صالحاً مستجاب الدعوة، وقيل: كان عنده علم من صحف إبراهيم ونحوها.

وقال مجاهد: كان رشِّح للنبوءة وأعطيها، فرشاه قومه على أن يسكت ففعل[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول مردود لا يصح عن مجاهد، ومن أعطي النبوءة فقد أعطي العصمة ولا بد، ثبت هذا بالشرع[٥].

---

(١) وهي شاذة، عزاها ابن خالويه في المختصر (ص: ٥٣)، والكرماني في شواذ القراءات (ص: ١٩٦) لإبراهيم ويحيى.

(٢) لم أر عن ابن مسعود إلا قوله: رجل من بني إسرائيل يقال له: بلعم بن أبر، وإسناده مستقيم، هكذا أخرجه الطبري (١٣/ ٢٥٣)، وعزاه في الدر المنثور (٣/ ٦٠٨) لجماعة من المفسرين، وأما سائر الكلام فروي عن بعض التابعين، يراجع الدر المنثور (٣/ ٦١٣).

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٥٥) من طريق علي بن أبي طلحة عنه.

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٢٥٩)، وتفسير الماوردي (٢/ ٢٧٩).

(٥) في نور العثمانية: «ولا يثبت هذا بالشرع».

وقد نص معنى ما قلتُه أبو المعالي في كتاب «الشامل»[١].

وقيل: كان يعلم اسم الله الأعظم، قاله ابن عباس أيضاً[٢].

وهذا الخلاف في المراد بقوله: ﴿ءَايَٰتِنَا﴾.

فقال له قومه: ادع الله تعالى على موسى وعسكره، فقال لهم: وكيف أدعو على نبي مرسل؟! فما زالوا به حتى فتنوه، فخرج حتى أشرف على جبل يرى منه عسكر موسى، وكان قد قال لقومه: لا أفعل حتى أستأمر ربي، ففعل [فنهي عن ذلك، فقال لهم: قد نُهيت، فما زالوا به حتى قال: أستأمر ربي ثانية، ففعل][٣] فسكت عنه، فأخبرهم فقالوا له: إن الله لم يَدَعْ نهيك إلا وقد أراد ذلك، فخرج، فلما أشرف على العسكر جعل يدعو على موسى، فتحول لسانه بالدعاء لموسى والدعاء على قومه، فقالوا له: ما تقول؟ فقال: إني لا أملك إلا هذا، وعلم أنه قد أخطأ.

فروي أنه خرج لسانه على صدره، فقال لقومه: إني قد هلكت، ولكن لم يبق لكم إلا الحيلة، فأخرجوا النساء إلى عسكر موسى على جهة التجر[٤] وغيره، ومروهن ألا تمتنع امرأة من رجل فإنهم إذا زنوا هلكوا، ففعلوا فخرج النساء، فزنى بهن رجال بني إسرائيل، وجاء فنحاص بن العيزار بن هارون، فانتظم برمحه امرأة ورجلاً من بني إسرائيل، ورفعهما على أعلى الرمح فوقع في بني إسرائيل الطاعون فمات منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً، ثم ذكر المعتمر عن أبيه أن موسى عليه السلام قَتل بعد ذلك الرجل المنسلخ من آيات الله[٥].

قال المهدوي: روي أنه دعا على موسى أن لا يدخل مدينة الجبارين فأجيب،

---

(١) في نجيبويه: «الشمائل»، وكتاب الشامل لابن الجويني مطبوع لكن لم أهتد فيه إلى النص المذكور، وانظر: الإقناع لابن القطان (١/ ٤١-٤٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٥٨) من طريق علي بن أبي طلحة عنه.

(٣) ما بين القوسين ساقط من المطبوع.

(٤) في المطبوع: «التجرد»، وفي نور العثمانية ولالاليه: «البحر».

(٥) تفسير الطبري (١٣/ ٢٦٢).

[ودعا عليه موسى عليه السلام أن ينسى اسم الله الأعظم فأجيب[(١)].

قال الزجَّاج: وقيل: إن الإشارة إلى منافقي أهل الكتاب[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: وصواب هذا أن يقال: إلى كفار أهل الكتاب؛ لأنه لم يكن منهم منافق إنما كانوا مجاهرين، وفي هذه القصة روايات كثيرة اختصرتها/ لتعذُّر [٢/ ١٨٠] صحتها، واقتصرت منها على ما يخص ألفاظ الآية.

وقالت فرقة: المشار إليه في الآية رجل كان قد أعطي ثلاث دعوات مستجابات، فترك أن يدعو بها في مصالح العباد؛ فدعا بواحدة أن ترجع امرأته أجمل النساء، فكان ذلك، فلما رأت نفسها كذلك أبغضته واحتقرته، فدعا عليها ثانية فمسخت كلبة، فشفع لها بنوها عنده، [فدعا لها الثالثة فعادت كما كانت][(٣)]، فانصرفت إلى حالها فذهبت الدعوات[(٤)].

وقال عبد الله بن عمرو بن العاصي: المشار إليه في الآية أمية بن أبي الصلت[(٥)]، وكان قد أوتي علماً، وروي أنه جاء يريد الإسلام، فوصل إلى بدر بعد الوقعة بيوم أو نحوه، فقال: مَن قتل هؤلاء؟ فقيل: محمد ﷺ، فقال: لا حاجة لي بدينِ مَن قتل هؤلاء، فارتد ورجع، وقال: الآن حلَّت لي الخمر، وكان قد حرمها على نفسه، فمر حتى لحق بقوم من ملوك حمير فنادمهم حتى مات[(٦)].

و﴿فَٱنسَلَخَ﴾ عبارة عن البراءة منها والانفصالِ والبعد، كالسلخ من الثياب،

---

(١) التحصيل للمهدوي (٣/ ١٢٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩١).

(٣) زيادة من المطبوع.

(٤) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٨٢)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٠٧).

(٥) لا بأس بإسناده، رواه النسائي في الكبرى (١١١٣٠)، وابن جرير الطبري (١٥٤٠٢-١٥٤٠٧)، وابن أبي حاتم (٨٥٤٢) في تفسيريهما بإسناد لا بأس به عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٦) لم أقف عليه.

والجلد، و﴿فَأَتْبَعَهُ﴾: صيَّره تابعاً، كذا قال الطبري: إما لضلالة رسمها له، وإما لنفسه[١].

وقرأ الجمهور ﴿فَأَتْبَعَهُ﴾ بقطع الألف وسكون التاء، وهي راجحة لأنها تتضمن أنه لحقه وصار معه، وكذلك: ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ﴾ [الحجر: ١٨] و﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ [يونس: ٩٠]، [طه: ٧٨].

وقرأ الحسن فيما روى عنه هارون: (فاتَّبعه) بصلة الألف وشد التاء، وكذلك طلحة بن مصرف بخلاف، وكذلك الخلاف عن الحسن[٢]، على معنى: لازَمَه واتَّبعه بالإغواء حتى أغواه.

و﴿مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ أي: من الضالين.

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾.

يقول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ﴾ قالت فرقة: معناه: لأخذناه، كما تقول: رُفع الظالم: إذا هلك، والضمير في ﴿بِهَا﴾ عائد على المعصية في الانسلاخ، وابتدأ وصف حاله بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ فهي عبارة عن إمهاله وإملاء الله له.

وقال ابن أبي نجيح: ﴿لَرَفَعْنَٰهُ﴾ معناه: لتوفيناه قبل أن يقع في المعصية ورفعناه عنها[٣].

والضمير على هذا عائد على الآيات، ثم ابتدأ وصف حاله.

وقال ابن عباس وجماعة معه: معنى ﴿لَرَفَعْنَٰهُ﴾ أي: لشرَّفنا ذكره ورفعنا منزلته

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٢٦١)، بتصرف.
(٢) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ١٩٦).
(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٢٦٨)، بتصرف.

لدينا بهذه الآيات التي آتيناه ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾[١]، فالكلام متصل، ذُكر فيه السبب الذي من أجله لم يُرفع ولم يشرف كما فعل بغيره ممن أوتي هذا[٢].

و﴿أَخْلَدَ﴾ معناه: لازَمَ وتقاعس وثبت، والمخلد: الذي يثبت شبابه فلا يغشاه الشيب، ومنه: الخلد، ومنه قول زهير:

لِمَنِ الدِّيَارُ غَشِيتُهَا بِالْفَدْفَدِ كَالْوَحْيِ فِي حَجَرِ الْمَسِيلِ الْمُخْلِدِ[٣] [الكامل]

وقوله: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ يحتمل أن يريد: إلى شهواتها ولذاتها وما فيها من الملاذ، قاله السدي وغيره[٤]، ويحتمل أن يريد بها العبارةَ عن الأسفل والأخس، كما يقال: فلان في الحضيض.

[ويتأيد ذلك من جهة المعنى المعقول، وذلك أن الأرض وما ارتكز فيها هي الدنيا، وكلُّ ما عليها فان، من أخلد إليها فقد حُرم حظ الآخرة الباقية][٥].

وقوله: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ قال السدي وغيره: إن هذا الرجل عوقب في الدنيا بأنه كان يلهث كما يلهث الكلب، فشبِّه به صورة وهيئة[٦].

وقال الجمهور: إنما شبِّه به في أنه كان ضالّاً قبل أن يؤتى الآيات، ثم أوتيها فكان أيضاً ضالّاً لم تنفعه، فهو كالكلب في أنه لا يفارق اللهث في حالِ حملِ المشقة عليه أوتركِهِ دون حمل عليه، وتحرير المعنى: فالشيء الذي تتصوره النفوس من حاله هو كالذي تتصور من حال الكلب، وبهذا التقدير يحسُن دخول الكاف على ﴿كَمَثَلِ﴾.

---

(١) خبر ابن عباس لفظه: لرفعه الله تعالى بعلمه، أخرجه الطبري (١٣/ ٢٦٨) بإسناد منقطع.
(٢) في المطبوع وفيض الله ونور العثمانية: «هدى».
(٣) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٣/ ٢٧٠)، والصحاح للجوهري (٢/ ٤٦٩)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٠٨). وهو في ديوانه بشرح ثعلب (ص: ٢٦٨)، وقال ثعلب: الفدفد المرتفع فيه صلابة وحجارة، «كالوحي»: كالكتاب.
(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٢٧٠).
(٥) ساقط من نور العثمانية، وهو في فيض الله ملحق في الهامش وعليه تصحيح.
(٦) تفسير الطبري (١٣/ ٢٧٣)، بتصرف يسير.

و«اللهث»: تنفس بسرعة، وتحرُّكُ أعضاء الفم معه، وامتداد اللسان، وأكثر ما يعتري ذلك مع الحر والتعب، وهو في الفرس ضَبْحٌ، وخلقة الكلب أنه يلهث على كل حال، وذكر الطبري أن معنى ﴿إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ﴾ أي: تطرده، وحكاه عن مجاهد(١)، وابن عباس(٢).

قال القاضي أبو محمد: وذلك داخل في جملة المشقة التي ذكرنا.

وقوله: ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ﴾ أي: هذا المثلُ يا محمد مَثَلُ هؤلاء القوم الذين كانوا ضالين قبل أن تأتيهم بالهدى والرسالة، ثم جئتهم بذلك فبقُوا على ضلالتهم ولم ينتفعوا بذلك، فمثلهم كَمَثَلِ الْكَلْبِ.

وقوله: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ﴾ أي: اسرد عليهم ما يعلمون أنه من الغيوب التي لا يعلمها إلا أهل الكتب الماضية ولست منهم ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فيؤمنون.

وقوله تعالى: ﴿سَآءَ مَثَلًا﴾ قال الزجاج: التقدير: ساء مثلاً مَثَلُ القوم(٣)، لأن الذي بعد بئس ونعم إنما يتفسر من نوعه، كما تقول: بئس رجلاً زيد، ولما انحذف (مَثَل) أقيم ﴿ٱلۡقَوۡمُ﴾ مقامه، والرفع في ذلك بالابتداء، والخبر فيما تقدم.

وقرأ الجحدري: (ساء مثلُ القوم)(٤)، ورفعُ (مَثَلُ) على هذه القراءة بـ(ساءَ).

ولا تجري «ساءَ» مجرى «بِئْسَ» إلا إذا كان ما بعدها منصوباً.

قال أبو عمرو الداني: قرأ الجحدري: (مِثْلُ) بكسر الميم ورفع اللام، وقرأ الأعمش: (مَثَلُ) بفتح الميم والثاء ورفع اللام(٥).

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٢٧٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٧٢) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٩١).

(٤) وهي شاذة، انظرها في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٨١)، والهداية لمكي (٤/ ٢٦٤٥)، والشواذ للكرماني (ص: ١٩٩).

(٥) لم أقف عليه، ولم أجد من ذكر هذه القراءة إلا أبا حيان، فإنه أشار لها في البحر المحيط (٥/ ٢٢٦).

قال القاضي أبو محمد: وهذا خلاف ما ذكر أبو حاتم، فإنه قال: قرأ الجحدري والأعمش (ساء مَثَلُ)، بالرفع.

وختمت هذه الآيات التي تضمنت ضلال أقوام، والقول فيه بأن ذلك كله من عند الله، الهداية منه وبخلقه واختراعه وكذلك الإضلال. وفي الآية تعجبٌ من حال المذكورين، ومن أضل فقد [حتم][١] عليه بالخسران، والثوابُ والعقاب متعلق بكسب ابن آدم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ خبر من الله تعالى أنه خلق لسكنى جهنم والاحتراق فيها كثيراً، وفي ضمنه وعيد للكفار، و«ذرأ» معناه: خلق وأوجد مع بثٍّ ونشر.

وقالت فرقة: اللام في قوله: ﴿لِجَهَنَّمَ﴾ هي لام العاقبة، أي: ليكون أمرهم ومآلهم لجهنم.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ليس بصحيح، ولام العاقبة إنما يتصور إذا كان فعلُ الفاعل لم يُقصد به ما يصير الأمر إليه، [وهذه اللام مثلُ التي في قول الشاعر / : [٢/ ١٨١]

يـا أُمَّ فَـرْوة كفي اللَّـوم واعْتَرفي ... فَـكُلُّ وَالِـدَةٍ لِلْمَـوْتِ مَـا تَلِدُ[٢] [البسيط]

وأما هنا فالفعل قُصد به ما يصير الأمر إليه من سكناهم جهنم][٣].

وحكى الطبري عن سعيد بن جبير أنه قال: أولاد الزنا مما ذرأ الله لجهنم، ثم أسند فيه حديثاً من طريق عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ[٤].

---

(١) في المطبوع: «حكم»، وفي نور العثمانية: «ختم».

(٢) لم أجد له ذكراً خارج النص، وفي الأصل: «للمتأني»، وفي المطبوع: «للمنتأى»، وفي السليمانية وفيض الله: «للمبتلي».

(٣) ساقط من نور العثمانية والحمزوية.

(٤) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٣/ ٢٧٧) من طريق: مروان بن معاوية، عن الحسن بن عمرو، عن معاوية بن إسحاق، عن جليس له بالطائف، عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً. والمبهم لا عبرة به.

وقوله: ﴿كَثِيرًا﴾ وإن كان ليس بنص في أن الكفار أكثر من المؤمنين فهو ناظر إلى ذلك في قول النبي ﷺ: «قال الله لآدم: أخرج بعث النار، فأخرج من كل ألف تسعة وتسعين وتسع مئة»[١].

قوله عز وجل: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾.

وصفت هذه الصنيفة[٢] الكافرة المُعرِضة عن النظر في آيات الله بأن قلوبهم لا تفقه، والفقه: الفهم، وأعينهم لا تبصر، وآذانهم لا تسمع، وليس الغرض من ذلك نفيَ هذه الإدراكات عن حواسهم جملةً، وإنما الغرض نفيها في جهة مّا[٣]، كما تقول: فلان أصمٌّ عن الخنا، ومنه قول مسكينٍ الدارمي[٤]:

[أحذ الكامل]

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي السِتْر

وَأَصَمُّ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا عمداً وَمَا بِالسَّمْعِ مِنْ وَقْرِ[٥]

ومنه قول الآخر:

[الوافر]

وعَوْرَاء الكَلام صَمَمْتُ عَنْها وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ بها سَمِيعُ

وبادِرَةٍ وَزَعْتُ النَّفْسَ عَنْهَا وقد بَقِيَتْ مِنَ الْغَضَبِ الضُّلوعُ[٦]

---

(١) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) في المطبوع: «الصنفة».

(٣) ليست في نجيبويه.

(٤) مسكين الدارمى هو ربيعة بن عامر بن أنيف، من بنى دارم. ومسكين لقب، الشعر والشعراء (١/ ٥٣٦).

(٥) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٣/ ٢٧٩)، والصاحبي لابن فارس (ص: ١٩٩)، وربيع الأبرار للزمخشري (١/ ٣٩٠).

(٦) وردا بلا نسبة في تفسير الطبري (١٣/ ٢٧٩)، وفيه: «عوراء اللئام»، و«تثقت» بدل «بقيت»، وهي غير مقروءة في فيض الله.

ومنه قول الآخر في وصاة من يدخل إلى دار ملك:

[مخلع البسيط] وَادْخُـلْ إِذَا مَـا دَخَلْـتَ أَعْمَـى وَاخْرُجْ إِذَا مَا خَرَجْتَ أَخْرَسْ[١]

فكأن هؤلاء القوم لما لم ينفعهم النظر بالقلب ولا بالعين، ولا ما سمعوه من الآيات والمواعظ، استوجبوا الوصف بأنهم لا يَفْقَهُونَ ولا يُبْصِرُونَ ولا يَسْمَعُونَ.

وفسر مجاهد هذا بأن قال: لهم قلوب لا يفقهون بها شيئاً من أمر الآخرة، وأعينٌ لا يبصرون بها الهدى، وآذان لا يسمعون بها الحق[٢].

و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى من تقدم ذكره من الكفرة، وشَبَهُهم بالأنعام في أن الأنعام لا تفقه قلوبهاالأشياء ولا تعقل المقاييس، وكذلك ما تبصره لا يتحصل لها كما يجب، فكذلك هؤلاء ما يبصرونه ويسمعونه لا يتحصل لهم منه علم على ما هو به حين أبصر وسمع.

ثم حكم عليهم بأنهم أَضَلُّ، لأن الأنعام تلك هي بنيتها وخلقتها لا تقصِّر في شيء ولا لها سبيل إلى غير ذلك، وهؤلاء معدُّون للفهم، وقد خلقت لهم قوىً يصرفونها، وأعطوا طرقاً في النظر، فهم بغفلتهم وإعراضهم يُلحقون أنفسهم بالأنعام، فهم أضل على هذا، ثم بيَّن بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ الطريق الذي به صاروا أضل من الأنعام، وهو الغفلة والتقصير.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ الآيات، السبب في هذه الآية على ما روي: أن أبا جهل سمع بعض أصحاب النبي ﷺ يقرأ فيذكر الله في قراءته، ومرة يقرأ فيذكر الرحمن ونحو هذا، فقال: محمد يزعم أن الإله واحد، وهو إنما يعبد آلهة كثيرة، فنزلت هذه[٣].

و﴿ٱلۡأَسۡمَآءُ﴾ هنا بمعنى التسميات إجماعاً من المتأولين لا يمكن غيره.

---

(١) البيت لأبي الفتح البستي، كما في أحسن ما سمعت للثعالبي (ص: ٨٨)، والكشكول (٢/ ١٧٠).
(٢) تفسير البحر المحيط (٥/ ٢٢٨).
(٣) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٧٦).

و﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: مصدر وصف به، ويجوز أن تقدر ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ فُعْلى مؤنثة أحسن، فأُفرد وصف جمع[(١)] ما لا يعقل، كما قال: ﴿مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ﴾ [طه: ١٨]، وكما قال: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠]، وهذا كثير، وحُسنُ الأسماء إنما يتوجه بتحسين الشرع لإطلاقها، والنصِّ عليها، وانضاف إلى ذلك أيضاً أنها إنما تضمنت معاني حساناً شريفة.

واختلف الناس في الاسم الذي يقتضي مدحاً خالصاً ولا يتعلق به شبهةٌ ولا اشتراك، إلا أنه لم يُر منصوصاً: هل يطلق ويسمى الله به؟ فنص ابن الباقلاني على جواز ذلك، ونص أبو الحسن الأشعري على منع ذلك، والفقهاء والجمهور على المنع[(٢)].

وهو الصواب: أن لا يسمى الله تعالى إلا باسم قد أطلقته الشريعة ووقفت عليه أيضاً، فإن هذه الشريطة التي في جواز إطلاقه من أن يكون مدحاً خالصاً لا شبهة فيه ولا اشتراك أمرٌ لا يُحسِنه إلا الأقل من أهل العلوم، فإذا أبيح ذلك تسوَّر عليه من يظن بنفسه الإحسان وهو لا يحسن، فأدخل في أسماء الله ما لا يجوز إجماعاً.

واختلف أيضاً في الأفعال التي في القرآن مثل قوله: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٥] ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤] ونحو ذلك: هل يطلق منها اسم الفاعل؟ فقالت فرقة: لا يطلق ذلك بوجه[(٣)]، وجوزت فرقة أن يقال ذلك مقيداً بسببه، فيقال: الله مستهزئ بالكافرين، وماكر بالذين يمكرون بالدين[(٤)]، وأما إطلاق ذلك دون تقييد فممنوع إجماعاً[(٥)]، والقول الأول أقوى.

---

(١) في المطبوع: «جميع».

(٢) انظر قول أبي الحسن والباقلاني في المقصد الأسنى للغزالي (١/ ١٧٣)، وقول الفقهاء والجمهور في شرح المقاصد (٢/ ١٧١).

(٣) هذا هو مذهب أهل السنة كما في شرح المقاصد (٢/ ١٧١-١٧٢)، ولوامع الأنوار البهية (١/ ١٢٦).

(٤) نسبه السفاريني في لوامع الأنوار البهية (١/ ١٢٥-١٢٦) إلى بعض المتأخرين ولم يسمهم.

(٥) انظر نقل الإجماع على ذلك في: شرح المقاصد (٢/ ١٧١).

ولا ضرورة تدفع إلى القول الثاني؛ لأن صيغة الفعل الواردة في كتاب الله تغني، ومن أسماء الله تعالى ما ورد في القرآن، ومنها ما ورد في الحديث وتواتر، وهذا هو الذي ينبغي أن يعتمد عليه، وقد ورد في الترمذي حديث عن أبي هريرة، ونص فيه تسعةً وتسعين اسماً[١]، وفي بعضها شذوذ، وذلك الحديث ليس بالمتواتر، وإنما المتواتر منه قول النبي ﷺ «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مئة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة»[٢].

ومعنى «أحصاها»: عدَّها وحفظها، وتضمن ذلك الإيمانَ بها والتعظيم لها والرغبة فيها والعبرة في معانيها، وهذا حديث البخاري، والمتحصِّل منه أن لله تعالى هذه الأسماء مباحاً إطلاقُها، وورد في بعض دعاء النبي ﷺ: «يا حنَّان يا منَّان»[٣]، ولم يقع هذان الاسمان في تسمية الترمذي.

وقوله: ﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ إباحةٌ بإطلاقها.

وقوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ﴾ قال ابن زيد: معناه: اتركوهم ولا تحاجُّوهم ولا

---

(١) شاذ بذكر الأسماء، أخرجه الترمذي (٣٥٠٧)، وابن حبان في صحيحه (٨٠٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٢)، وغيرهم من طريق الوليد بن مسلم، عن شعيب، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة به مرفوعاً، قال الترمذي: وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ولا نعلم في كثير شيء من الروايات له إسناد صحيح ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث. اهـ.

(٢) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ضعيف، جاء هذان الاسمان في حديث أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٣٠)، وأبو يعلى (٤٢١٠)، وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٧٤٩-٧٥٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٦٥١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٢٠٦)، وفي البعث والنشور (٥٣) من طريق سلام بن مسكين، عن أبي ظلال، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عبداً في جهنم ينادي ألف سنة: يا حنان يا منان، فيقول الله تبارك وتعالى: يا جبريل، اذهب فأتني بعبدي هذا»، وأبو ظلال هو: هلال بن أبي هلال، ويقال: ابن أبي مالك الأزدي القسملي ضعيف، وفي الباب عن جابر بن عبد الله وأبي الدرداء رضي الله عنهم بأسانيد فيها مقال.

تعرضوا لهم[١]، فالآية على هذا منسوخة بالقتال، وقيل: معناه الوعيد، كقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١]، وقوله: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ [الحجر: ٣].

[٢/ ١٨٢] ويقال: أَلحد ولَحَد بمعنى: جار ومال وانحرف، وألحد أشهرُ/ ، ومنه قول الشاعر:

لَيْسَ الإمامُ بالشَّحيح المُلْحِدِ[٢]

قال أبو علي: ولا يكاد يسمع لاحِدٌ، وفي القرآن ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، ومنه لحد القبر المائل إلى أحد شقيه[٣].

وقرأ أبو عمرو وابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياء وكسر الحاء، وكذلك في النحل والسجدة[٤]، وقرأ حمزة الأحرف الثلاثة: ﴿يَلحَدون﴾ بفتح الياء والحاء، وكذلك ابن وثاب وطلحة وعيسى والأعمش[٥].

ومعنى الإلحاد في أسماء الله عز وجل: أن يسموا اللات نظيراً إلى اسم الله تعالى، قاله ابن عباس[٦]، والعزى نظيراً إلى العزيز، قاله مجاهد[٧]، ويسمون الله ربّاً، ويسمون أوثانهم أرباباً، ونحو هذا.

وقوله: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وعيد محض بعذاب الآخرة.

وذهب الكسائي إلى الفرق بين ألحد ولحد، وزعم أن ألحد بمعنى مال وانحرف،

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٢٨٤-٢٨٥).
(٢) الرجز لحميدٍ الأرقط، كما في أمالي القالي (٢/ ١٧)، والصحاح للجوهري (١/ ١١٨)، وخزانة الأدب للبغدادي (٥/ ٣٩٣).
(٣) الحجة للقراء السبعة (٤/ ١٠٨)، «ولاحدٌ» تحرفت في المطبوع إلى: «لأحد».
(٤) وهي حم فصلت: ٤٠، وآية النحل: ١٠٣.
(٥) فهما سبعيتان، والكسائي مع الأولين، إلا في النحل، انظر: التيسير (ص: ١١٤)، وانظر أيضاً إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٨١).
(٦) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٨٢) من طريق العوفي عن ابن عباس.
(٧) تفسير الطبري (١٣/ ٢٨٣).

ولحد بمعنى ركن وانضوى، قال الطبري: وكان الكسائي يقرأ جميع ما في القرآن بضم الياء وكسر الحاء، إلا التي في النحل فإنه كان يقرؤها بفتح الياء والحاء ويزعم أنها بمعنى الركون، وكذلك ذكر عنه أبو علي[١].

قوله عز وجل: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾.

هذه آية تتضمن الخبر عن قوم مخالفين لمن تقدم ذكرهم في أنهم أهل إيمان واستقامة وهداية، وظاهر لفظ هذه الآية يقتضي كلَّ مؤمن كان من لدن آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، قال النحاس: فلا تخلو الدنيا في وقت من الأوقات من داع يدعو إلى الحق.

قال القاضي أبو محمد: سواء بَعُدَ صوته أو كان خاملاً، وروي عن كثير من المفسرين أنها في أمة محمد ﷺ، وروي في ذلك حديث رسول الله ﷺ قال: «هذه الآية لكم»[٢]، وقد تقدم مثلها لقوم موسى.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ الآيـةَ وعيدٌ، والإشـارة إلى الكفار و﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم ﴾ معناه: سنسوقهم شيئاً بعد شيء ودرجةً بعد درجة، بالنعم عليهم والإمهال لهم حتى يغتروا ويظنوا أنهم لا ينالهم عقاب.

وقوله: ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ معناه: من حيث لا يعلمون أنه استدراج لهم، وهذه عقوبة من الله على التكذيب بالآيات، لمَّا حتم عليهم بالعذاب أملى لهم ليزدادوا إثماً.

وقرأ ابن وثاب والنخعي: (سيَستدرجهم) بالياء[٣].

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٢٨٣)، والحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ١٠٨).

(٢) مرسل، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٥٤٦٠) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة مرسلاً.

(٣) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٣)، والنخعي ليس في نجيبويه.

وقوله: (أُمْلِي) معناه: أؤخِّر مُلاوةً من الدهر؛ أي: مدة، وفيها ثلاث لغات: فتح الميم وضمها وكسرها.

وقرأ عبد الحميد عن ابن عامر: (أن كيدي)(١) على معنى: لأجل أن كيدي.

وقرأ جمهور الناس وسائر السبعة: ﴿إِنَّ كَيْدِى﴾ على القطع والاستئناف.

و﴿مَتِينٌ﴾ معناه: قوي، [قال الشاعر:

[الطويل] لإِلٍّ عَلَيْنَا واجب لا نُضِيعُهُ مَتِينٍ قُوَاهُ غَيْرِ مُنْتَكَثِ الْحَبْلِ(٢)

وروى ابن إسحاق في هذا البيت: أمين قواه](٣)، وهو من المتن الذي يحمل عليه [لقوته، ومنه](٤) قول الشاعر [وهو امرؤ القيس:

[المتقارب] لَـهَ مَتْنَتَان خَظَاتَا كَمَا أَكَبَّ على سَاعِدَيْهِ النَّمِرْ(٥)

وهما جنبتا الظهر، ومنه قول الآخر:

[الطويل] عَدلن عُدولَ اليأس وافتجَّ يبْتَلي أَفَانِينَ مِنْ أُلْهُوبِ شَدٍّ مُمَاتِنِ(٦)

ومنه قول امرئ القيس](٧):

[الطويل] ويَخْدي على صُمٍّ صِلابٍ مَلاطِسٍ شديداتِ عَقْدٍ لَيِّنات مِتَان](٨)

(١) انظرها في جامع البيان (٣/ ١١٢٥)، وليست من طرق التيسير.

(٢) البيت من قصيدة لأبي جهل عليه لعنة الله كما في سيرة ابن هشام (١/ ٥٩٧).

(٣) ساقط من نور العثمانية، وهذه هي رواية ابن هشام (١/ ٥٩٧).

(٤) ساقط من نور العثمانية.

(٥) انظر عزوه له في الجمل في النحو (ص: ٢٣٦)، والعين (٤/ ٢٩٧)، والحيوان (١/ ١٨٠)، والمعاني الكبير في أبيات المعاني (١/ ١٤٥)، والموازنة (ص: ٣٨)، والمتنة الخظاة المكتنزة اللحم، وأراد: خظاتان، ولكنه كف نونه كما قالوا في «اللذان»: «اللذا».

(٦) البيت للطِّرِمَّاح، كما في ديوانه (ص: ١٣٣)، واستشهد به الطبري (١٣/ ٢٨٨) بلا نسبة، والألهوب: ابتداء جري الفرس.

(٧) ساقط من السليمانية.

(٨) ساقط من نور العثمانية، وانظر عزو البيت له في تهذيب اللغة (١٢/ ٢٣٤)، وجمهرة اللغة (١/ ٤٦٦).

ومنه الحديث في غزوة بني المصطلق: فمتن رسول الله ﷺ بالناس[1]، أي: سار بهم سيراً شديداً لينقطع الحديث بقول ابن أبي بن سلول: لئن رجعنا إلى المدينة.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم﴾ الآية، تقرير يقارنه توبيخ للكفار، والوقف على قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ ثم ابتدأ القول بنفي ما ذكروه فقال: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ أي: بمحمد ﷺ، ويحتمل أن يكون المعنى: أو لم يتفكروا أنه ما بصاحبهم من جنة.

وسبب نزول هذه الآية فيما روي: أن رسول الله ﷺ صعد ليلاً على الصفا فجعل يدعو قبائل قريش، يا بني فلان، يا بني فلان، يحذرهم ويدعوهم إلى الله، فقال بعض الكفار حين أصبحوا: هذا مجنون بات يصوِّت حتى الصباح[2]، فنفى الله عز وجل ما قالوه من ذلك في هذا الموطن المذكور وفي غيره، فإن الجنون بعض ما رموه به حتى أظهر الله نوره، ثم أخبر أنه نذير، أي: محذِّر من العذاب، ولفظ النذارة إذا جاء مطلقاً فإنما هو في الشر، وقد يستعمل في الخير مقيداً به، ويظهر من رصف الآية أنها باعثة لهم على الفكرة في أمر محمد ﷺ، وأنه ليس به جنة، كما أحالهم بعد هذه الآية على النظر ثم بيَّن المنظور فيه، كذلك أحال هنا على الفكرة، ثم بيَّن المتفكَّر فيه.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ الآية، هذا أيضاً توبيخ للكفار وتقرير، والنظر هنا بالقلب عبرة وفكراً.

و﴿مَلَكُوتِ﴾ بناءُ عظمة ومبالغة.

وقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ لفظ يعم جميع ما ينظر فيه ويستدل به من الصنعة الدالة على الصانع، ومن نفس الإنسان وحواسه ومواضع رزقه، والشيء واقع على الموجودات.

---

(١) لم أقف عليه هذا اللفظ.

(٢) مرسل، أخرجه الطبري (١٥٤٦١)، وابن أبي حاتم (٨٥٩٢) في تفسيريهما من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة مرسلاً.

وقوله: ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ﴾ عطف على قوله: ﴿فِي مَلَكُوتِ﴾ و﴿وَأَنْ﴾ الثانية في موضع رفع بـ﴿عَسَىٰٓ﴾، والمعنى: توقيفهم على أنْ لم يقع لهم نظر في شيء من هذا، ولا في أنه قربت آجالهم، فماتوا ففات أوان الاستدراك ووجب عليهم المحذور.

ثم وقفهم بأي حديث أو أمر يقع إيمانهم وتصديقهم إذا لم يقع بأمر فيه نجاتهم ودخولهم الجنة، ونحو هذا المعنى قول الشاعر:

[الطويل] .... وَعَنْ أَيِّ نَفْسٍ بَعْدَ نَفْسِي أُقَاتِلُ[1]

والضمير في قوله: ﴿بَعْدَهُۥ﴾ يراد به القرآن، وقيل: المراد به محمد ﷺ وقصته وأمره أجمع، وقيل هو عائد على الأجل [أي بعد الأجل][2] إذ لا عمل بعد الموت.

[٢/ ١٨٣] / قوله عز وجل: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

هذا شرط وجواب مضمنَّهُ اليأس منهم والمقت[3] لهم؛ لأن المراد أن هذا قد نزل بهم وأنهم مثال لهذا.

وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر والحسن وأبو جعفر والأعرج وشيبة وأبو عبد الرحمن وقتادة: ﴿ونذرُهم﴾ بالنون ورفع الراء، وكذلك عاصم في رواية أبي بكر.

وروى عنه حفص ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ بالياء والرفع، وقرأها أهل مكة، وهذا على إضمار مبتدأ: ونحن نذرهم، أو على قطع الفعل واستئناف القول.

---

(١) البيت لضرار بن الخطاب كما في سيرة ابن هشام (١/ ٤١٥)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ٢٥٢)، والمنمق (ص: ٢٠٤).
(٢) ساقط من المطبوع.
(٣) في السليمانية: «والقنوط».

وقرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو فيما ذكر أبو حاتم بالياء والجزم، وقرأها كذلك طلحة بن مصرِّفٍ والأعمش: ﴿وَيَذَرْهُمْ﴾ بالياء وبالجزم[١]، عطفاً على موضع الفاء وما بعدها من قوله: ﴿فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ لأنه موضع جزم، ومثله قول أبي دؤاد:

فأَبْلُونِي بَلِيَّتَكُمْ لَعَلِّي أُصَالِحُكُمْ وَأَسْتَدْرِجْ نَوِيَّا[٢] [الوافر]

ومنه قول الآخر:

أَنَّى سَلَكْتَ فَإِنَّنِي لَكَ كَاشِحٌ وعَلَى انْتِقَاصِكَ في الْحَيَاةِ وَأَزْدَدِ[٣] [الكامل]

قال أبو علي: ومثله في الحمل على الموضع قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠] لأنك لو لم تلحق الفاء لقلت: أصدقْ[٤].

وروى خارجة عن نافع: (ونذرهم) بالنون والجزم[٥].

والطغيان: الإفراط في الشيء وكأنه مستعمل في غير الصلاح، والعَمَه: الحيرة.

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية، قال قتادة بن دعامة: «المراد: يسألك كفار قريش، وذلك أنَّ قريشاً قالت: يا محمد، إنَّا قَرابتك فأخبرنا بوقت الساعة»[٦].

قال ابن عباس: المراد بالآية اليهود، وذلك أن جبل بن أبي قشير وسمويل بن

---

(١) هذه ثلاث قراءات سبعية، إلا أنه خلط في أبي عمرو وشعبة فقراءتهما كقراءة حفص، انظر: التيسير (ص: ١١٥)، والسبعة (ص: ٢٩٨)، وتحبير التيسير (ص: ٣٨١)، وانظر العزو لأبي حاتم والباقين في البحر المحيط (٥/ ٢٣٦).

(٢) انظر عزوه له في الحجة لأبي علي (٢/ ٤٠١)، وتفسير الثعلبي (٢/ ١٨)، وأبو دؤاد تقدم التعريف به، وفي المطبوع: أبي داود.

(٣) ورد في تهذيب اللغة (١٥/ ٤٦٩)، والحجة لأبي علي (٢/ ٤٠١)، بلا نسبة.

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٤٠١).

(٥) «والجزم» ليست في نجيبويه، انظر عزوها له في البحر المحيط (٥/ ٢٣٦)، وليست من طرق التيسير ولا جامع البيان.

(٦) تفسير الطبري (١٣/ ٢٩٢).

زيد[١] قالا له: إن كنت نبيّاً فأخبرنا بوقت الساعة فإنّا نعرفها، فإن صدقت آمنا بك[٢].

و﴿ٱلسَّاعَةِ﴾: القيامة، موتُ كل شيء كان حينئذٍ حيّاً وبعثُ الجميع، هو كله يقع عليه اسم الساعة واسم القيامة.

و﴿أَيَّانَ﴾ معناه: متى، وهو سؤال عن زمانٍ، ولتضمنها الوقت بُنيت.

وقرأ جمهور الناس: ﴿أَيَّانَ﴾ بفتح الهمزة، وقرأ السلمي: (إيان) بكسر الهمزة[٣].

ويشبه أن يكون أصلها: أيَّ آنٍ، وهي مبنية على الفتح، وقال الشاعر:

[الرجز] أَيَّـانَ يَـقْضـي حَاجَـتي أَيَّـانـا أَمـا تَـرى لِـفـعْـلها إِبَّـانَـا[٤]

قال أبو الفتح: وزن (أيان) بفتح الهمزة فَعْلان وبكسرها فِعْلان، والنون فيهما زائدة.

و﴿مُرْسَىٰهَا﴾ رفع بالابتداء والخبر: ﴿أَيَّانَ﴾، ومذهب المبرد أن ﴿مُرْسَىٰهَا﴾ مرتفعٌ بإضمار فعل[٥]، ومعناه: مثبتها ومنتهاها، مأخوذة من أرسى يُرسي.

ثم أمر الله عز وجل بالرد إليه والتسليم لعلمه.

و﴿يُجَلِّيهَا﴾ معناه: يُظهرها، و«الجِلاء»: البينةُ الشهود، وهو مراد زهير بقوله:

[الوافر] .... يـمـيـنٌ، أو نِـفَـارٌ، أَوْ جِـلاءُ[٦]

وقوله: ﴿ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ قال السدي ومَعْمَرٌ عن بعض أهل التأويل: معناه: ثقل أن تُعلم ويُوْقف على حقيقة وقتها.

---

(١) جبل من بني قريظة كما في سيرة ابن هشام (١/ ٥١٥)، وقد ورد ذكرهما أيضاً فيه (١/ ٥٦٩)،

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٩٢) بإسناد ضعيف يتكرر.

(٣) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٥٢)، ومع التوجيه في المحتسب (١/ ٢٦٨).

(٤) البيت بلا نسبة في تفسير الطبري (١٣/ ٢٩٣)، ومجاز القرآن (١/ ٢٣٤)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣١٣)، بلفظ: «لنُجْحِها».

(٥) إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٨٣).

(٦) انظر عزوه له في العين (٨/ ٢٦٨)، والبيان والتبيين (١/ ٢٠٢)، والشعر والشعراء (١/ ١٤٠)، والعقد الفريد (٦/ ١٣١). وصدره: فإن الحقَّ مقطعُه ثلاثٌ.

وقال الحسن بن أبي الحسن: معناه: ثقلت هيئتها والفزع منها على أهل السماوات والأرض، كما تقول: خِيفَ العدو في بلد كذا وكذا.

وقال قتادة وابن جريج: معناه: ثقلت على السماوات والأرض أنفسها لتفطُّر السماوات وتبدُّل الأرض ونسف الجبال[١].

ثم أخبر تعالى خبراً يدخل فيه الكل: أنها لا تأتي إلا بغتة، أي: فجأة دون أن يتقدم منها علم بوقتها عند أحد من الناس، و﴿بَغْتَةً﴾ مصدر في موضع الحال.

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ الآية، قال ابن عباس وقتادة ومجاهد: المعنى: يسألونـك عنها كأنك حفي؛ أي: [متحفٍّ ومبتهل][٢].

وهذا ينحو إلى ما قالت قريش: إنَّا قرابتك فأخبرنا.

وقال مجاهد أيضاً والضحاك وابن زيد: معناه: كأنك حفيٌّ في المسألة عنها والاشتغال بها حتى حصَّلت علمها[٣].

وقرأ ابن عباس فيما ذكر أبو حاتم: (كأنك حفيٌّ بها)[٤].

و﴿حَفِيٌّ﴾ معناه: مهتبل[٥] مجتهد في السؤال، مبالغ في الإقبال على ما يسأل عنه.

وقد يجيء حَفِيٌّ وصفاً للسؤال، ومنه قول الشاعر:

---

(١) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (١٣/ ٢٩٥-٢٩٦).

(٢) أثر ابن عباس أخرجه الطبري (١٥٤٨٤) من طريق عبد العزيز بن أبان، عن إسرائيل بن يونس، عن سماك، عن عكرمة، عنه بلفظ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ قال: قريب منهم، وتحفَّى عليهم، وانظر قول قتادة ومجاهد في: تفسير الطبري (١٣/ ٢٩٨)، وفي المطبوع: «مهتبل»، وفي الحمزوية: «محتف ومبتهل»، وفي نجيبويه: «محتف ومهتبل».

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٢٩٩)، وتفسير الماوردي (٢/ ٢٨٥).

(٤) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٦٩)، وكتاب المصاحف (١/ ١٩٤)، والهداية لمكي (٤/ ٢٦٦٦).

(٥) في الأصل: «مبتهل».

[الطويل] فَلَمَّا الْتَقَيْنَا بيَّن السَّيْفُ بَيْنَنَا لِسَائِلَةٍ عَنَّا حَفِيٍّ سُؤَالُهَا(١)

ومن المعنى الأول الذي يجيء فيه حَفِيٌّ وصفاً للسائل قول الآخر:

[الطويل] سُؤَالَ حَفِيٍّ عَنْ أَخِيهِ كَأَنَّهُ بِذِكْرَتِهِ وَسْنَانُ أَوْ مُتَوَاسِنُ(٢)

ثم أمره ثانية بأن يسلِّم العلم تأكيداً للأمر وتهمُّماً به إذ هو من الغيوب الخمسة التي في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقيل: العلم الأول علم قيامها والثاني علم كُنْهها وحالها.

وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ قال الطبري: معناه: لا يعلمون أن هذا الأمر لا يعلمه إلا الله، بل يظن أكثرهم أنه مما يعلم البشر(٣).

قوله عز وجل: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩﴾.

هذا أمر في أن يبالغ في الاستسلام، ويتجرد من المشاركة في قدرة الله وغيبه، وأن يصف نفسه لهؤلاء السائلين بصفةٍ مَن كان بها فهو حريٌّ أن لا يعلم غيباً ولا يدَّعيه، فأخبر أنه لا يملك من منافع نفسه ومضارها إلا ما سنى الله وشاء ويسَّر، وهذا / الاستثناء منقطع، وأخبر أنه لو كان يعلم الغيب لعمل بحسب ما يأتي، ولاستعد لكل [٢/ ١٨٤] شيء استعداد من يعلم قدر ما يستعد له، وهذا لفظ عام في كل شيء، وقد خصص الناس

(١) البيت لأنيف بن زبان النبهاني الطائي، كما في الحماسة بشرح التبريزي (١/ ٤٩)، وحماسة الخالديين (ص: ٤٨).

(٢) البيت لمعطل الهذلي أحد بني رهم بن سعد بن هذيل، كما في أنساب الأشراف (١١/ ٢٥٢)، وإيضاح الشواهد (١/ ٤٦٨).

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٣٠١).

هذا، فقال ابن جريج ومجاهد: لو كنت أعلم أجلي لاستكثرت من العمل الصالح[١].

وقالت فرقة: أوقاتَ النصر لتوخيتها، وحكى مكي عن ابن عباس أن المعنى: لو كنت أعلم السنة المُجدبة لأعددت لها من المُخْصِبة[٢].

قال القاضي أبو محمد: وألفاظ الآية تعم هذا وغيرَه.

وقوله: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ﴾ يحتمل وجهين وبكليهما قيل:

أحدهما: أن (ما) معطوفة على قوله: ﴿لَاسْتَكْثَرْتُ﴾ أي: ولما مسني السوء.

والثاني: أن يكون الكلام مقطوعاً تم في قوله: ﴿لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ وابتدأ يخبر بنفي السوء عنه، وهو الجنون الذي رموه به، قال مؤرِّجٌ السَّدُوسي: السُّوءُ: الجنون بلغة هذيل[٣]، ثم أخبر بجملةِ ما هو عليه من النذارة والبشارة.

و﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يريد أنه نذير وبشير لقوم يُطلب منهم الإيمان ويُدْعَون إليه، وهؤلاء الناس أجمع.

والثاني: أن يخبر أنه نذير ويتم الكلام، ثم يبتدئ يخبر أنه بشير للمؤمنين به، ففي هذا وعد لمن حصل إيمانه.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ الآية، قال جمهور المفسرين: المراد بالنفس الواحدة آدم عليه السلام، وبقوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء.

وقوله: ﴿مِنْهَا﴾ يريد ما تقدم ذكره من أن آدم نام فاستُخرجت قُصرى أضلاعه وخلقت منها حواء، وقوله: ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ أي: ليأنس ويطمئن، وكان هذا كله في الجنة،

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٣٠٢)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣١٤).

(٢) الهداية لمكي (٤/ ٢٦٦٧).

(٣) انظر قول مؤرج في البحر المحيط (٥/ ٢٤٢)، وانظر لغة هذيل في اللغات في القرآن لابن حسنون، (ص: ٢٨).

ثم ابتدأ بحالة أخرى هي في الدنيا بعد هبوطهما، فقال: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ أي: غشيها، وهي كناية عن الجماع، و«الحمل الخفيف» هو المني الذي تحمله المرأة في فرجها.

وقرأ جمهور الناس: ﴿حَمْلًا﴾ بفتح الحاء.

وقرأ حماد بن سلمة عن ابن كثير: (حِمْلا) بكسر الحاء[١].

وقوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ أي: استمرت به، قال أيوب: سألت الحسن عن قوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ فقال: لو كنتَ امرَأً عربيّاً لعرفت ما هي، إنما المعنى: فاستمرت به[٢].

قال القاضي أبو محمد: وقدَّره قوم على القلب، كأن المراد: فاستمر بها، كما تقول: أدخلت القلنسوة في رأسي.

وقرأ يحيى بن يَعْمَرَ وابن عباس فيما ذكر النقاش: (فمرَت به) بتخفيف الراء، ومعناه: فشكَّت فيما أصابها: هل هو حمل أو مرض؟ ونحو هذا، وقرأ ابن عباس: (فاستمرَّت به).

وقرأ ابن مسعود: (فاستمرَّت بحملها).

وقرأ عبد الله بن عمرو بن العاصي: (فمارت به)[٣]، معناه: أي: جاءت به وذهبت وتصرفت، كما تقول: مارت الريح موراً.

و﴿أَثْقَلَت﴾ دخلت في الثقل، كما تقول: أصبح وأمسى، أي: صارت ذاتَ ثقلٍ، كما تقول: أتمر الرجل وألبن، إذا صار ذا تمرٍ ولبن، والضمير في ﴿دَّعَوَا﴾ يعود على آدم وحواء.

وروي في قصص هذه الآية: أن حواء لما حملت أول حمل لم تدرِ ما هو، وهذا يقوي قراءة من قرأ: (فمرَت به) بتخفيف الراء، فجزعت لذلك، فوجد إبليس إليها السبيل،

---

(١) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ١٩٩).

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٣٠٤-٣٠٥).

(٣) أربع قراءات شاذة، تابعه على الثالثة منها وعلى عزو الأولى لابن عباس في البحر المحيط (٥/ ٢٤٦)، وانظر عزوها لابن يعمر في معاني القرآن للنحاس (٣/ ١١٤)، ومع الثانية في مختصر الشواذ (ص: ٥٣)، ومع الرابعة في المحتسب (١/ ٢٧٠).

فقال لها: ما يدريك ما في جوفك؟ ولعله خنزير أو حية أو بهيمة في الجملة، وما يدريك من أين يخرج؟ أينشق له بطنك فتموتين، أو من فمك أو أنفك؟ ولكن إن أطعتني وسميتِهِ عبدَ الحارث، ـ قال القاضي أبو محمد: والحارث اسم إبليس ـ فسأخلصه لك وأجعله بشراً مثلك[١]، وإن أنت لم تفعلي قتلته لك، قال: فأخبرت حواء آدم فقال لها: ذلك صاحبنا الذي أغوانا في الجنة، لا نطيعه، فلما ولدت سمياه عبد الله، فمات الغلام[٢].

ويروى أن الله سلط إبليس على قتله، فحملت بآخر ففعل بها مثل ذلك، فحملت بالثالث فلما ولدته أطاعا إبليس فسمياه عبد الحارث حرصاً على حياته، فهذا هو الشرك الذي جعلا لله، أي: في التسمية فقط.

و﴿ صَٰلِحًا ﴾: قال الحسن: معناه: غلاما[٣]، وقال ابن عباس ـ وهو الأظهر ـ: بشراً سويّاً سليماً[٤]، ونصبه على المفعول الثاني، وفي «المشكل» لمكي: أنه نعت لمصدر، أي إيتاءً[٥] صالحاً[٦].

وقال قوم: إن المعنى في هذه الآية التبيين عن حال الكافرين، فعدد النعم التي تعم الكافرين وغيرهم من الناس، ثم قرر ذلك بفعل المشركين السيِّئ، فقامت عليهم الحجة ووجب العقاب، وذلك أنه قال مخاطباً لجميع الناس: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾، يريد آدم وحواء، أي: واستمرت حالكم واحداً واحداً كذلك، فهذه نعمة تخص كل أحد بجزء منها.

ثم جاء قوله: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا ﴾ إلى آخر الآية وصفاً لحال الناس واحداً واحداً،

(١) في السليمانية: «سويّاً».
(٢) رواه ابن جرير الطبري (١٠/ ٦٢ ٦٢٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣٢-١٦٣٣) في تفسيريهما من قول سعيد بن جبير.
(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٣٠٦)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣١٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٣٠٨).
(٤) أخرج الطبري (١٣/ ٣٠٦) بإسناد ضعيف قول ابن عباس: أشفقا أن يكون بهيمة.
(٥) في المطبوع: «أتياً»، وهي محتملة في بعض النسخ الأخرى والتصحيح من المصدر.
(٦) مشكل إعراب القرآن (١/ ٣٠٧).

أي: هكذا يفعلون، فإذا آتاهم الله الولد صالحاً سليماً كما أراداه[١]، صرفاه عن الفطرة إلى الشرك، فهذا فعل المشركين الذي قامت الحجة فيه باقترانه مع النعمة العامة.

وقال الحسن بن أبي الحسن فيما حكى عنه الطبري: «معنى هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إشارة إلى الروح الذي ينفخ في كل أحد»[٢].

قال القاضي أبو محمد: أي: خلقكم من جنس واحد وجعل الإناث منه، ثم جاء قوله: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ إلى آخر الآية وصفاً لحال الناس واحداً واحداً على ما تقدم من الترتيب في القول الذي قبله.

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾.

من قال: إن الآية المتقدمة هي في آدم وحواء، وإن الضمير في قوله: ﴿ءَاتَىٰهُمَا﴾ عائد عليهما، قال[٣]: إن الشرك الذي جعلاه هو في الطاعة، أي: أطاعا إبليس في التسمية بعبد الحارث كما[٤] كانا في غير ذلك مطيعين لله، وأسند الطبري في ذلك حديثاً من طريق سَمُرة بن جُنْدبٍ[٥]، ويحتمل أن يكون الشرك في أن جعلا عبوديته بالاسم لغيره.

---

(١) في الأصل ونور العثمانية والمطبوع ونجيبويه: «كما أراده».

(٢) لم أقف عليه في تفسير الطبري.

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «ويقال».

(٤) في المطبوع: «لكنهما».

(٥) منكر، هذا الحديث أخرجه أحمد (٥/ ١١ رقم ٢٠١١٧)، والترمذي (٣٠٧٧)، والطبري (١٥٥١٣)، والحاكم (٤٠٠٣) من طريق عمر بن إبراهيم العبدي، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة بن جندب، عن النبي ﷺ، قال: كانت حواء لا يعيش لها ولد، فنذرت لئن عاش لها ولد لتسمينه عبد الحارث، فعاش لها ولد، فسمته عبد الحارث، وإنما كان ذلك عن وحي الشيطان، وعمر بن إبراهيم العبدي، قال أحمد: يروي عن قتادة أحاديث مناكير. وقال ابن عدي: يروي عن قتادة أشياء لا يوافق عليها =

وقال الطبري والسدي في قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾: إنه / كلام [٢/ ١٨٥]
منفصل ليس من الأول، وإن خبر آدم وحواء تم في قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾، وإن هذا كلام يراد به مشركو العرب[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا تحكُّم لا يساعده اللفظ، ويتجه أن يقال: تعالى الله عن ذلك اليسير المتوهَّم من الشرك في عبودية الاسم، ويبقى الكلام في جهة أبوينا آدم وحواء عليهما السلام، وجاء الضمير في ﴿يُشْرِكُونَ ﴾ ضمير جمع لأن إبليس مدبِّرٌ معهما تسمية الولد عبد الحارث.

ومن قال: إن الآية المتقدمة إنما الغرض منها تعديد[٢] النعمة في الأزواج وفي تسهيل النسل والولادة، ثم ذكر سوء فعل المشركين بعقب ذلك، قال في الآية الأخيرة: إنها على ذلك الأسلوب، وإن قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ المراد بالضمير فيه المشركون، والمعنى في هذه الآية: فلما آتى الله هذين الإنسانين صالحاً ـ أي: سليماً ـ ذهبا به إلى الكفر، وجعلا لله فيه شركاً، وأخرجاه عن الفطرة، ولفظة الشرك تقتضي نصيبين[٣]، فالمعنى: وجعلا لله فيه ذا شرك؛ لأن إبليس أو أصنام المشركين هي المجعولة، والأصل أن الكل لله تعالى، وبهذا حل الزجاج اعتراض من قال: ينبغي أن يكون الكلام: جعلا لغيره شركا[٤].

وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿شركاً﴾ بكسر الشين وسكون الراء على المصدر، وهي قراءة ابن عباس وأبي جعفر وشيبة وعكرمة ومجاهد وعاصم وأبان بن تغلب[٥].

= وحديثه خاصة عن قتادة مضطرب. اهـ. وقال ابن كثير (٣/ ٥٢٦): شاذ، وقال الذهبي: صححه الحاكم وهو حديث منكر. اهـ.

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٣١٥).

(٢) في السليمانية وفيض الله: «تقرير».

(٣) في نور العثمانية: «نفسين».

(٤) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٩٦).

(٥) تحرفت في المطبوع والحمزوية إلى: «ثعلب».

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم: ﴿شُرَكَآءَ﴾ على الجمع[١]، وهي بينة على هذا التأويل الأخير، وقلقةٌ على قول من يقول: إن الآية الأولى في آدم وحواء، وفي مصحف أبيٍّ بن كعب (فلما آتاهما صالحاً أشركا فيه)[٢].

وذكر الطبري في قصص حواء وآدم وإبليس في التسمية بعبد الحارث، وفي صورة مخاطبتهم أشياء طويلةً لا يقتضي الاختصار ذكرها[٣].

وقرأ نافع والحسن وأبو جعفر وأبو عمرو وعاصم: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ﴾ بالياء من تحت فيهما.

وقرأ أبو عبد الرحمن: (عما تشركون) بالتاء من فوق (أتشركون ما لا يخلق) الآية[٤].

وروى بعض من قال: إن الآيات في آدم وحواء، أن إبليس جاء إلى آدم وقد مات له ولد اسمه عبد الله، فقال: إن شئت أن يعيش لك الولد فسمه عبد شمس، فولد له ولد فسماه كذلك[٥]، وإياه عنى بقوله: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا﴾، و﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ على هذا عائد على آدم وحواء[٦]، والابن المسمى عبد شمس.

ومن قال بالقول الآخر قال: إن هذه في مشركي الكفار الذين يشركون الأصنام في العبادة، وإياها أراد بقوله: ﴿مَا لَا يَخْلُقُ﴾، وعبر عنها بـ(هم) كأنها تعقل على اعتقاد الكفار فيها وبحسب أسمائها، و﴿يُخْلَقُونَ﴾ معناه: يُنحتون ويُصنعون، ويحتمل على قراءة ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ بالياء من تحت أن يكون المعنى: وهؤلاء المشركون يخلقون، أي: فكان قولهم أن يعتبروا بأنهم مخلوقون فيجعلون إلههم خالقهم لا من لا يخلق شيئاً.

---

(١) وكذا ابن عامر، فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٥)، والسبعة (ص: ٢٩٩).

(٢) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٥/ ٢٤٧).

(٣) راجع تفسير الطبري (١٣/ ٣١٦) وما بعدها.

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٣)، والأولى هي المتواترة للجميع.

(٥) رواه ابن جرير الطبري (١٠/ ٦٣٢- ٦٣٣)، وابن أبي حاتم في (٥/ ١٦٣٥) من قول ابن زيد.

(٦) زاد في الحمزوية: «وإبليس».

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ الآية، هذه تخرج على تأويل من قال: إن المراد آدم وحواء والشمس على ما تقدم، ولكن بقلق وتعسف من المتأوِّل في المعنى، وإنما تتسق هذه الآيات ويروق نظمها، ويتناصر[١] معناها على التأويل الآخر، والمعنى: ولا ينصرون أنفسهم من أمر الله وإرادته، ومن لا يدفع عن نفسه فأحرى أن لا يدفع عن غيره.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ الآية، من قال: إن الآيات في آدم عليه السلام، قال: إن هذه مخاطبة للنبي ﷺ وأمته مستأنفة في أمر الكفار المعاصرين للنبي ﷺ، ولهم الهاء والميم من ﴿ تَدْعُوهُمْ ﴾، ومن قال بالقول الآخر قال: إن هذه مخاطبة للمؤمنين والكفار على قراءة من قرأ: (يشركون) بالياء من تحت، وللكفار فقط على من قرأ بالتاء من فوق على جهة التوقيف، أي: إن هذه حال الأصنام معكم، إن دعوتموهم لم يجيبوكم إذ ليس لهم حواس ولا إدراكات.

وقرأ نافع وحده: ﴿لا يتْبعوكم﴾ بسكون التاء وفتح الباء.

وقرأ الباقون: ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بشد التاء المفتوحة وكسر الباء[٢]، والمعنى واحد.

وفي قوله تعالى: ﴿أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ﴾ عطف الاسم على الفعل؛ إذ التقدير: أم صمتُّم ومثل هذا قول الشاعر:

سَـواءٌ عَلَيْـكَ الفَقْـرُ أَمْ بِـتَّ لَيْلَةً ... بِأَهْلِ الْقِبَابِ مِنْ نُمَيْرِ بن عامِرِ[٣] [الطويل]

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾.

---

(١) في السليمانية وفيض الله: «ويتناظر».

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٦)، والسبعة (ص: ٢٩٩).

(٣) معاني القرآن للفراء (١/ ٤٠١)، وتفسير الطبري (١٣/ ٣٢١)، بدون نسبة. وفيهما: «النفر» بدل «الفقر».

قرأ جمهور الناس: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ ﴾ بتثقيل ﴿إِنَّ﴾ ورفع ﴿عِبَادٌ﴾، وهي مخاطبة للكفار في تحقير شأن أصنامهم عندهم، أي: إن هذه الأصنام مخلوقة محدَثة، إذ هي أجسام وأجرام فهي متعبدة، أي: متملكة.

وقال مقاتل: إن المراد بهذه الآية طائفة من العرب من خزاعة كانت تعبد الملائكة، فأعلمهم الله أنهم عباد أمثالهم لا آلهة(١).

وقرأ سعيد بن جبير: (إنِ الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالَكم) بتخفيف النون من (إن) على أن تكون بمعنى ما، وبنصب قوله: (عباداً) و(أمثالَكم)(٢).

والمعنى بهذه القراءة تحقير شأن الأصنام ونفي مماثلتهم للبشر، بل هم أقل وأحقر إذ هي جمادات لا تفهم ولا تعقل.

وسيبويه يرى أن «إنْ» إذا كانت بمعنى «ما» فإنها تضعف عن رتبة «ما» فيبقى الخبر مرفوعاً، وتكون هي داخلةً على الابتداء والخبر لا ينصبه(٣)، فكان الوجه عنده في هذه القراءة: (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم).

وأبو العباس المبرد يجيز أن تعمل عمل «ما» في نصب الخبر، وزعم الكسائي أن «إنْ» بمعنى «ما» لا تجيء إلا وبعدها «إلا» كقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾
[٢/ ١٨٦] [الملك: ٢٠](٤)/ .

ثم بيَّن تعالى الحجة بقوله: ﴿فَٱدۡعُوهُمۡ﴾ أي: فاختبروا، فإن لم يستجيبوا فهم كما وصفنا، وقوله تعالى: ﴿ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٌ﴾ الآية، الغرض من هذه الآية: ألهم حواسُّ الحي وأوصافه؟ فإذا قالوا: لا، حكموا بأنها جمادات، فجاءت هذه التفصيلات لذلك

---

(١) نقله عنه في البحر المحيط (٥/ ٢٤٩)، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٨١).

(٢) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٧٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٦٨)، والهداية لمكي (٤/ ٢٦٨٢).

(٣) الكتاب (٣/ ١٥٢-١٥٣).

(٤) انظر قول المبرد في المقتضب (٢/ ٣٦٢)، وقول الكسائي في تفسير القرطبي (٧/ ٣٤٣).

المجمل الذي أريد التقرير عليه، فإذا وقع الإقرار بتفصيلات القضية لزم الإقرار بعمومها وكان بيانها أقوى ولم تبق بها استرابة.

قال الزهراوي: المعنى: أنتم أفضل منهم بهذه الجوارح النافعة فكيف تعبدونهم؟[١].

قال القاضي أبو محمد: وتتقوى[٢] بهذا التأويل قراءة سعيد بن جبير، إذ تقتضي أن الأوثان ليست عباداً كالبشر.

وقوله في الآية: ﴿أَمْ﴾[٣] إضراب لكل واحدة عن الجملة المتقدمة لها، وليست «أم» المعادِلَة للألف في قوله: أعندك زيد أم عمرو؟ لأن المعادِلة إنما هي في السؤال عن شيئين أحدهما[٤] حاصل، فإذا وقع التقدير على شيئين كلاهما منفي فـ «أم» إضراب عن الجملة الأولى.

قال القاضي أبو محمد: وهذا عندي فرق معنوي، وأما من جهة اللفظ والصناعة النحوية فهي هي.

وقرأ نافع والحسن والأعرج: ﴿يَبْطِشُونَ﴾ بكسر الطاء.

وقرأ نافع أيضاً وأبو جعفر وشيبة: ﴿يبطُشون﴾ بضمها[٥].

ثم أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعجِّزهم بقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾ أي: استنجدوهم واستنفروهم[٦] إلى إضراري وكيدوني ولا تؤخروني، المعنى: فإن كانوا آلهة فسيظهر

---

(١) نقله عنه تفسير الثعالبي (٢/ ٧٥).

(٢) في السليمانية: «ويتعلق».

(٣) في نجيبويه «أم» مكررة.

(٤) في السليمانية: «كلاهما».

(٥) الأولى للسبعة، والثانية عشرية لأبي جعفر وحده كما في النشر (٢/ ٣٠٩)، ولشيبة في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٦٩).

(٦) في المطبوع: «واستنفدوهم».

فعلهم، وسماهم شركاءهم من حيث لهم نسبة إليهم بتسميتهم إياهم آلهة وشركاء لله.

وقرأ أبو عمرو ونافع: ﴿كيدوني﴾ بإثبات الياء في الوصل.

وقرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿كِيدُونِ﴾ بحذف الياء في الوصل والوقف[١].

قال أبو علي: إذا أشبه الكلامُ المنفصلَ أو كان منفصلاً أشبه القافية، وهم يحذفون الياء في القافية كثيراً قد التزموا ذلك[٢]، كما قال الأعشى:

[المتقارب] فَهَلْ يَمْنَعَنِّي ارْتِيَادِي الْبِلا دَ مِن حَذَرِ الْمَوْتِ أَنْ يَأْتِينْ[٣]

وقد حذفوا الياء التي هي لام الأمر كما قال الشاعر[٤]:

[الرمل] يَلْمَسُ الأَحْلاسَ في مَنْزِلِهِ بِيَدَيْهِ كَالْيَهُودِي الْمُصَلْ

وقوله: ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾ أي لا تؤخرون، ومنه قوله تعالى: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ الآية، لما أحالهم على الاستنجاد بآلهتهم في ضره وأراهم أن الله هو القادر على كل شيء لا تلك، عقب ذلك بالإسناد إلى الله والتوكل عليه والإعلام بأنه وليه وناصره.

---

(١) غير متقن، وهما سبعيتان، إلا أن هشاماً أثبتها في الحالين، وأبو عمرو خاصة في الوصل كما في التيسير (ص: ١١٦)، وما روي عن نافع من إثباتها وصلاً ليس في الطرق، بل من رواية ابن جماز وإسماعيل بن جعفر عنه كما في السبعة (ص: ٢٩٩).

(٢) انظر الحجة للفارسي (٤/ ١١٥).

(٣) انظر عزوه له في الكتاب لسيبويه (٣/ ٥١٣)، وعمدة الكتاب (ص: ١٧٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٨٩).

(٤) في المطبوع وأكثر النسخ: «الأعشى» والمثبت من فيض الله، فالبيت للبيد بن ربيعة كما في تهذيب اللغة (١٢/ ٣١٦)، والأزمنة والأمكنة (ص: ٣٧٦)، وشرح الحماسة للمرزوقي (ص: ١٢٧٦)، وأساس البلاغة (٢/ ١٨٠)، وخزانة الأدب للبغدادي (٣/ ٣٦٨).

وقرأ جمهور الناس والقَرَأة: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ بياء مكسورة مشدَّدة وأخرى مفتوحة.

وقرأ أبو عمرو فيما روي عنه: (إن وليَّ الله) بياء واحدة مشددة ورفع (الله)[١].

قال أبو علي: لا تخلو هذه القراءة من أن تدغم الياء التي هي لام الفعل في ياء الإضافة، أو تحذف الياء التي هي لام الفعل وتدغم ياء فعيل في ياء الإضافة، ولا يجوز أن تدغم الياء التي هي لام الفعل في ياء الإضافة؛ لأنه إذا فعل ذلك انفك الإدغام الأول، فليس إلا أنه حذف لام الفعل وأدغم ياء فعيل في ياء الإضافة[٢].

وقرأ ابن مسعود: (الذي نزَّل الكتاب بالحق وهو يتولى الصالحين)[٣].

وقرأ الجحدري فيما ذكر أبو عمرو الداني: «إن وليَّ اللهِ» على الإضافة[٤]، وفسر ذلك بأن المراد جبريل عليه السلام، وذكر القراءة غير منسوبة أبو حاتم وضعَّفها، وإن كانت ألفاظ هذه الآية تلائم هذا المعنى وتصلح له، فإن ما قبلها وما بعدها يدافع ذلك.

قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾.

الضمير في قوله: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ عائد على اسم الله تعالى، وهذا الضمير مصرِّح بما ذكرناه من ضعف قراءة من قرأ (إن وليَّ اللهِ) أنه جبريل عليه السلام، وهذه الآية أيضاً بيان لحال تلك الأصنام وفسادها وعجزها عن نصرة أنفسها فضلاً عن غيرها.

---

(١) عزاها في السبعة (ص: ٣٠٠)، لرواية ابن سعدان عن اليزيدي عنه، وليست من طرق التيسير، وانظر: النشر (٢/ ٢٧٤).

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ١١٧).

(٣) لم أجد من ذكر هذه القراءة غير ابن عطية، وهي مخالفة لمصاحف المسلمين.

(٤) وهي شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٨٥)، والهداية لمكي (٤/ ٢٦٨٤)، وتضعيف أبي حاتم في البحر المحيط (٥/ ٢٥٣).

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ﴾ الآية، قالت فرقة: المخاطبة للنبي ﷺ وأمته، والهاء والميم في قوله: ﴿تَدۡعُوهُمۡ﴾ للكفار، ووصفَهم بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون إذ لم يتحصل لهم عن النظر والاستماع فائدة ولا حصلوا منه بطائل، قاله السدي ومجاهد.

وقال الطبري: المراد بالضمير المذكور الأصنام، ووصفهم بالنظر كناية عن المحاذاة والمقابلة وما فيها من تخييل النظر، كما تقول: دار فلان تنظر إلى دار فلان[١].

ومعنى الآية على هذا تبيين جمودية الأصنام وصغر شأنها، وذهب بعض المعتزلة إلى الاحتجاج بهذه الآية على أن العباد ينظرون إلى ربهم ولا يرونه[٢]، ولا حجة لهم في الآية لأن النظر في الأصنام مجاز محض.

قال القاضي أبو محمد: وإنما تكرر القول في هذا وترددت الآيات فيه لأن أمر الأصنام وتعظيمها كان متمكناً من نفوس العرب في ذلك الزمن ومستولياً على عقولها، فأوعب القول في ذلك لطفاً من الله تعالى بهم.

وقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ الآية، وصية من الله عز وجل لنبيه ﷺ تعم جميع أمته، وأمْرٌ بجميع مكارم الأخلاق.

وقال الجمهور في قوله: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾: إن معناه: اقبل من الناس في أخلاقهم وأقوالهم ومعاشرتهم ما أتى عفواً دون تكلف، فـ﴿ٱلۡعَفۡوَ﴾ هنا الفضل والصفو الذي تهيأ دون تحرُّج، قاله عبد الله بن الزبير في مصنف البخاري[٣]، وقاله مجاهد وعروة[٤]، ومنه قول حاتم الطائي:

[الطويل] خُذِي الْعَفْوَ منّي تَسْتَديمي مَوَدَّتي ... ولا تنْطقي في سَوْرَتي حين أَغْضَبُ[٥]

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (١٣/ ٣٢٤-٣٢٥).
(٢) انظر احتجاجهم هذا في مفاتيح الغيب للرازي (٣٠/ ٢٠٠).
(٣) أخرجه البخاري (٤٦٤٣) بلفظ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ قال: ما أنزل الله إلا في أخلاق الناس.
(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٣٢٦-٣٢٧)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣١٨)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٢٢٣).
(٥) لم أجد من عزاه لحاتم الطائي، وهو لأسامة بن خارجة الفزازي في الموشّى (ص: ١٤٩)، والأغاني =

وقال ابن عباس[١] والضحاك والسدي: «هذه الآية في الأموال»[٢].

وقيل: هي قبل[٣] فرض الزكاة، أُمر بها ﷺ أن يأخذ ما سهل من أموال الناس وعفا، أي: / فضل وزاد من قولهم، عفا النباتُ والشعر، أي: كثر، ثم نزلت الزكاة [٢/ ١٨٧] وحدودها فنسخت هذه الآية.

وذكر مكي عن مجاهد أن ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ معناه: خذ الزكاة المفروضة[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا شاذ.

وقوله: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ معناه: بكل ما عرفتْه النفوس مما لا تردُّه الشريعة، ويروى أن النبي ﷺ قال لجبريل: «ما هذا العرف الذي أمر به؟ قال: لا أدري حتى أسأل العالِم، فرجع إلى ربه فسأله ثم جاءه فقال له: يا محمد هو أن تعطي مَن حَرَمك، وتصلَ مَن قطعك، وتعفوَ عمن ظلمك»[٥].

قال القاضي أبو محمد: فهذا نصبُ غاياتٍ، والمراد: فما دون هذا من فعل الخير.

وقرأ عيسى الثقفي فيما ذكر أبو حاتم: (بالعُرُف) بضم الراء[٦].

و«العُرْف» و«العُرُف» بمعنى المعروف.

وقوله: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ حكم مترتب محكم مستمر في الناس ما بقوا، هذا قول الجمهور من العلماء، وقال ابن زيد في قوله ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ ـ إلى ـ ﴿ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾:

= (٢٠/ ٣٧٦)، وبهجة المجالس (ص: ١٨٦)، وتاريخ دمشق (٩/ ٥٧)، ولمالك بن أسماء في محاضرات الأدباء (٢/ ٨٣)، ولعَامر بن عَمْرو بن البكاء في الحماسة البصرية (٢/ ٧١)، وقد نسبه ابن قتيبة في عيون الأخبار (٤/ ٧٦) لأبي الأسود، وضعفه في الأغاني، فلعله إنما تمثل به كما قيل في شريح.

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٣٢٨) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٣١٦)، فقد نقله عن الضحاك والسدي.

(٣) سقطت من الأصل.

(٤) الهداية (٤/ ٢٦٨٨).

(٥) معضل، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٥٥٤٧ - ١٥٥٤٨) بإسناده عن ابن عيينة عن رجل سماه عن النبي ﷺ.

(٦) وهي شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (٤/ ٣١٨)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٨٦).

إنما أُمر النبي ﷺ بذلك مداراة لكفار قريش، ثم نسخ ذلك بآية السيف[١].

قال القاضي أبو محمد: وحديث الحر بن قيس حين أَدخل عمَّه عيينة بن حصن على عمر دليل على أنها محكمة مستمرة، لأن الحر احتج بها على عمر فقررها ووقف عندها[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ وصية من الله تعالى لنبيه ﷺ تعم أمته رجلاً رجلاً[٣]، والنزغ حركة فيها فساد، وقلَّما تستعمل إلا في فعل الشيطان؛ لأن حركاته مسرعة مفسدة، ومنه قول النبي ﷺ: «لا يشر أحدكم على أخيه بالسلاح، لا يَنْزِغ الشيطان في يده»[٤].

والمعنى في هذه الآية: فإما تُلِمَّنَّ بك لَمةٌ من الشيطان فاستعذ بالله، ونزغ الشيطان عام في الغضب وتحسينِ المعاصي واكتسابِ الغوائل وغير ذلك.

وفي مصنف الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن للمَلَك لَمةً وإن للشيطان لَمةً»[٥].

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٣٢٨)، وتفسير الماوردي (٢/ ٢٨٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٣١٩).

(٢) صحيح، هذا الأثر أخرجه البخاري (٤٦٤٢) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في السليمانية: وامرأة.

(٤) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم (٢٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) الصحيح موقوف، هذا الحديث أخرجه الترمذي (٢٩٨٨)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٩٨٥)، والبزار (٢٠٢٧)، والطبري (٦١٧٠)، وابن حبان (٩٩٧) وغيرهم من طريق أبي الأحوص سلام ابن سليم، عن عطاء بن السائب، عن مرة، عن عبد الله بن مسعود، مرفوعاً، وقد تفرد أبو الأحوص برفعه، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعلمه مرفوعاً إلا من حديث أبي الأحوص. اهـ. وانظر ترتيب العلل له (٤٢٨) وقال أبو زرعة: الناس يوقفونه عن عبد الله، وهو الصحيح. وقال أبو حاتم: رواه حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن مرة، عن عبد الله، موقوفاً. قلت ـ ابن أبي حاتم ـ: فأيهما الصحيح؟ قال: هذا من عطاء بن السائب كان يرفع الحديث مرة ويوقفه أخرى، والناس يحدثون من وجوه عن عبد الله، موقوفاً، ورواه الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن مسعود موقوفاً، وذكر أشياء من هذا النحو، موقوفاً. اهـ. العلل (٢٢٢٤)، قلت: أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٠١) من طريق حماد بن زيد عن عطاء به موقوفاً.

قال القاضي أبو محمد: وهاتان اللَّمتان هما الخواطر من الخير والشر، [فالآخذ بالواجب يَلْقَى لمة الملك بالاستدامة والامتثال، ولمةَ الشيطان بالرفض والاستعاذة بالله.

و«استعاذ» هنا معناه: طلب أن يعاذ، وعاذ معناه: لاذ وانضوى واستجار][1].

و﴿ سَمِيعٌ ﴾ في هذه الآية يصلح مع الاستعاذة، ويصلح أيضاً مع ما يقول فيه الكفار من الأقاويل فيغضبه الشيطان لذلك، و﴿عَلِيمٌ ﴾ كذلك.

وبهذه الآية تعلَّق ابن القاسم في قوله: إن الاستعاذة عند القراءة: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم»[2].

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾.

﴿ٱتَّقَوۡاْ ﴾ هاهنا عامة في اتقاء الشرك واتقاء المعاصي، بدليل أن اللفظة إنما جاءت في مدح لهم، فلا وجه لقصرها على اتقاء الشرك وحده، وأيضاً فالمتقي العائذُ قد يمسُّه طائف من الشيطان إذ ليست العصمة إلا للأنبياء عليهم السلام.

وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة: ﴿طَٰٓئِفٞ ﴾.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ﴿طيْفٌ﴾[3].

وقرأ سعيد بن جبير: (طيِّفٌ)[4]، واللفظة إما من طاف يطوف، وإما من طاف

(١) ساقط من المطبوع.

(٢) لم أقف عليه، وقد تقدم عنه في أول الكتاب لفظ مغاير لهذا.

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٦)، والسبعة (ص: ٣٠١).

(٤) وهي شاذة، بتشديد الياء، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٣)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٧١)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣١٩).

يطيف بفتح[١] الياء، وهي ثابتة عن العرب، وأنشد أبو عبيدة في ذلك:

[الكامل] أَنَّى أَلَـمَّ بِـكَ الخَيَـالُ يَطِيـفُ ومَطافُـه لـكَ ذُكْرَةٌ وشُـغوفُ[٢]

فـ﴿طَـٰٓئِفٌ﴾ اسم فاعل كقائل مِن «قال يقول»، وكبائع من «باع يبيع»، و(طيِّف) اسم فاعل أيضاً كميِّت من «مات يموت»[٣]، أو كبيِّع وليِّن من «باع يبيع» و«لان يلين».

و﴿طيْف﴾ يكون مخففاً أيضاً من (طيِّـف) كميْت من ميِّت، وإذا قدرنا اللفظة من طاف يَطيف فـ ﴿طيف﴾ مصدر، وإلى هذا مال أبو علي الفارسي، وجعل الطائف كالخاطر والطيف كالخطرة[٤]، وقال الكسائي: الطيف اللمم، والطائف ما طاف حول الإنسان[٥].

قال القاضي أبو محمد: وكيف هذا وقد قال الأعشى:

[الطويل] وَتُصْبحُ عَنْ غِبِّ السُّـرَى وكأَنَّمَا أَلَـمَّ بِهَا مِنْ طَائِفِ الجِنِّ أَوْلَقُ[٦]

ومعنى الآية: إذا مسهم غضب وزيَّن الشيطان معه ما لا ينبغي.

وقوله: ﴿تَذَكَّرُواْ﴾ إشارة إلى الاستعاذة المأمور بها قبل، وإلى ما الله عز وجل من الأوامر والنواهي في النازلة التي يقع تعرض الشيطان فيها.

وقرأ ابن الزبير: (من الشيطان تأمَّلوا فإذا هم).

وفي مصحف أبي بن كعب: (إذا طاف من الشيطان طائف تأملوا)[٧].

(١) تحرفت في السليمانية وفيض الله إلى: «بضم».

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٥٧)، ونسبه لكعب بن زهير رضي الله عنه، وكذا الجوهري في الصحاح (٢/ ٦٦٤).

(٣) «يموت» ليست في المطبوع.

(٤) الحجة (٤/ ١٢١).

(٥) معاني القرآن للنحاس (٣/ ١٢٠).

(٦) تقدم في تفسير الآية (٢٧٤) من سورة البقرة.

(٧) وهما شاذتان، تابعه عليهما في البحر المحيط (٥/ ٢٥٩).

وقال النبي ﷺ: «إن الغضب جند من جند الجن، أما ترون حمرة العين وانتفاخ العروق؟ فإذا كان ذلك فالأرضَ الأرضَ»(١).

وقوله: ﴿مُّبۡصِرُونَ﴾ من البصيرة، أي: فإذا هم قد تبينوا الحق ومالوا إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ﴾، في هذه الضمائر احتمالات، قال الزجاج: هذه الآية متصلة في المعنى بقوله: ﴿وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ﴾(٢).

قال القاضي أبو محمد: في هذا نظر.

وقال الجمهور: إن الآية مقدَّرةٌ(٣) موضعَها، إلا أن الضمير في قوله: ﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ﴾ عائد على الشياطين، والضمير في قوله: ﴿يَمُدُّونَهُمۡ﴾ عائد على الكفار، وهم المراد بالإخوان.

و﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ في الآية قبلَ هذه للجنس، فلذلك عاد عليهم هاهنا ضمير جمع، فالتقدير على هذا التأويل: وإخوان الشياطين يمدونهم الشياطين في الغي، [وعلى هذا فسر الطبري](٤)، قال قتادة: إن الضمير في الهاء والميم للكفار(٥).

قال القاضي أبو محمد: فتجيء الآية على هذه معادِلة للَّتي قبلها، أي: إن المتقين حالهم كذا وكذا وهؤلاء الكفار يمدهم إخوانهم من الشياطين ثم لا يقصرون.

وقوله: ﴿فِي ٱلۡغَيِّ﴾ يحتمل أن يتعلق بقوله: ﴿يَمُدُّونَهُمۡ﴾، وعليه يترتب التأويل الذي ذكرنا أولاً عن الجمهور.

---

(١) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الطيالسي (٢١٥٦)، وأحمد (٣/ ١٩)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٦٨٤)، والترمذي (٢١٩١)، وأبو يعلى (١١٠١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٠٥) وغيرهم من طرق عن علي ابن زيد بن جدعان، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً بلفظٍ أطول من هذا، وعلي ضعيف.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٩٦).

(٣) في المطبوع: «مقررة».

(٤) ساقط من المطبوع.

(٥) انظر القولين في تفسير الطبري (١٣/ ٣٣٩).

ويحتمل أن يتعلق بالإخوان، فعلى هذا يحتمل أن يعود الضميران جميعاً على الكفار كما ذكرناه عن قتادة، ويحتمل أن يعودا جميعاً على الشياطين، ويكون / المعنى: [٢/ ١٨٨] وإخوان الشياطين في الغي بخلاف الإخوة في الله يمدون الشياطين، أي: بطاعتهم لهم وقبولهم منهم، ولا يترتب هذا التأويل على أن يتعلق ﴿فِى ٱلْغَىِّ﴾ بالإمداد لأن الإنس لا يُغوون الشياطين.

والمراد بهذه الآية وصف حالة الكفار مع الشياطين كما وصف حالة المتقين معهم قبل.

وقرأ جميع السبعة غير نافع: ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ من مَدَدْتُ، وقرأ نافع وحده: ﴿يُمِدُّونهم﴾ بضم الياء من أمددتُ[(١)]، فقال أبو عبيد وغيره: مد الشيءَ إذا كانت الزيادة من جنسه، وأَمدَّه [إذا كانت من][(٢)] شيء آخر[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا غير مطَّرد.

وقال الجمهور: هما بمعنًى واحد إلا أن المستعمل في المحبوب (أمد)، فمنه قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ [المؤمنون: ٥٥]، وقوله: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ﴾ [الطور: ٢٢]، وقوله: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ [النمل: ٣٦]، والمستعمل في المكروه (مد)، فمنه قوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥].

ومدُّ الشيطانِ للكفرة في الغي هو التزيين لهم والإغواء المتتابع، فمن قرأ في هذه الآية: ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ بضم الميم فهو على المنهاج المستعمل، ومن قرأ: ﴿يُمِدونهم﴾ فهو مقيد بقوله: ﴿فِى ٱلْغَىِّ﴾، كما يجوز أن تقيد البشارة فتقول: بشَّرته بِشَرٍّ.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٦)، والسبعة (ص: ٣٠١).

(٢) ساقط من الأصل والحمزوية.

(٣) في المطبوع وأكثر النسخ: «أبو عبيدة»، ولم أجده له، والمثبت من فيض الله، وهو الموافق لما في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٨٧).

وقرأ الجحدري: (يمادُّونهم)[١].

وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ عائد على الجمع، أي: هؤلاء لا يقصرون في الطاعة للشياطين والكفر بالله عز وجل.

وقرأ جمهور الناس: ﴿يُقْصِرُونَ﴾ من أَقْصَرَ.

وقرأ ابن أبي عبلة وعيسى بن عمر: (يَـقْصُرون)[٢] من قَصَر.

وقوله: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ﴾ سببها فيما روي: أن الوحي كان يتأخر عن النبي ﷺ أحياناً، فكان الكفار يقولون: هلا اجتبيتها[٣]، ومعنى اللفظة في كلام العرب: تخيَّرتها واصطفيتها.

وقال ابن عباس[٤] وقتادة ومجاهد وابن زيد وغيرهم: المراد بهذه اللفظة: هلا اخترتها واختلقتها من قِبَلك ومن عند نفسك[٥]، والمعنى: إذ كلامك كله كذلك، على ما كانت قريش تزعمه.

وقال ابن عباس أيضاً[٦]، والضحاك: المراد هلا تلقيتها من الله وتخيرتها عليه، إذ تزعم أنك نبي وأن منزلتك عنده منزلة الرسالة، فأمره الله عز وجل أن يجيب بالتسليم لله تعالى، وأن الأمر في الوحي إليه ينزله متى شاء لا معقب لحكمه في ذلك، فقال: ﴿قُلْ

---

(١) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٧١)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٨٧).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها لهما بضم الصاد في الشواذ للكرماني (ص: ٢٠١)، وكذا لعيسى في تفسير الثعلبي (٤/ ٣٢٠)، وضبطت له في مختصر الشواذ (ص: ٥٣) بفتح الياء وكسر الصاد، وضبطت في الكامل (ص: ٥٥٨) منسوبة لابن أبي عبلة بالتشديد.

(٣) لم أجده.

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ٣٤٢) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (١٣/ ٣٤١)، وكذا قول الضحاك الآتي.

(٦) أخرجه الطبري (١٣/ ٣٤٢) من طريق: العوفي عن ابن عباس.

﴿إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾، ثم أشار بقوله هذا إلى القرآن، ثم وصفه بأنه ﴿بَصَآئِرُ﴾ أي: علامات هدىً وأنوارٌ تضيء القلوب.

وقالت فرقة: المعنى: هذا ذو بصائر، ويصح الكلام دون أن يقدَّر حذف مضاف؛ لأن المشار إليه بهذا إنما هو سور وآيات وحِكَم، وجازت الإشارة إليه بهذا من حيث اسمه مذكَّرٌ، وجاز وصفه بـ﴿بَصَآئِرُ﴾ من حيث هو سور وآيات.

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لهؤلاء خاصة، قال الطبري: وأما من لا يؤمن فهو عليه عمىً عقوبةً من الله تعالى[١].

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾.

ذكر الطبري وغيره أن سبب هذه الآية هو أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا بمكة يتكلمون في المكتوبة بحوائجهم، ويصيحون عند آيات الرحمة والعذاب، ويقول أحدهم إذا أتاهم: صليتم؟ وكم بقي؟ فيخبرونه، ونحو هذا، فنزلت الآية أمراً لهم بالاستماع والإنصات في الصلاة[٢].

وأما قول من قال: إنها في الخطبة، فضعيف، لأن الآية مكية، والخطبة لم تكن إلا بعد هجرة النبي ﷺ من مكة، وكذلك ما ذكر الزهراوي أنها نزلت بسبب فتى من الأنصار كان يقرأ في الصلاة والنبي ﷺ يقرأ[٣].

فأما الاستماع والإنصات عن الكلام في الصلاة فإجماع[٤].

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٣٤٤)، بتصرف.

(٢) أخرج الطبري (١٣/ ٣٥٤) وما بعدها آثاراً بعضها عن صحابة بأسانيد لينة، وبعضها مراسيل. ولكن روى عن جماعة من التابعين بأسانيد صحيحة أن الآية نزلت في الصلاة المكتوبة.

(٣) مرسل، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٥٥٨٣) من طريق الزهري مرسلًا.

(٤) انظر الإجماع على ذلك في: الإقناع (١/ ٣٩٥، ٤٢٥).

وأما الإمساك والإنصات عن القراءة فقالت فرقة: يمسك المأموم عن القراءة جملةً قرأ الإمام جهراً أو سرّاً[١].

وقالت فرقة: يقرأ المأموم إذا أسرَّ الإمام ويمسك إذا جهر[٢].

وقالت فرقة: يمسك الـمأموم في جهر الإمام عن قراءة السورة، ويقرأ فاتحة الكتاب[٣].

قال القاضي أبو محمد: ومع هذا القولِ أحاديث صحاحٌ عن النبي ﷺ[٤].

فهذه الآية واجبة الحكم في الصلاة: أن ينصت عن الحديث وما عدا القراءة، وواجبة الحكم أيضاً في الخطبة من السنة، لا من هذه الآية، ويجب من الآية الإنصات إذا قرأ الخطيب القرآن أثناء الخطبة[٥]، وحكم هذه الآية في غير الصلاة على الندب، أعني: في نفس الإنصات والاستماع إذا سمع الإنسان قراءة كتاب الله عز وجل[٦].

وأما ما تتضمنه الألفاظ وتعطيه من توقير القرآن وتعظيمه فواجب في كل حالة.

و«الإنصات»: السكوت، و﴿لَعَلَّكُمْ﴾ على ترجِّي البَشَر.

قال القاضي أبو محمد: ولم نستوعب اختلاف العلماء في القراءة خلف الإمام، إذ ألفاظ الآية لا يتعرض لذلك، لكن لما عنَّ ذلك في ذكر السبب ذكرنا منه نبذة.

وذكر الطبري عن سعيد بن جبير أنه قال في قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ

---

(١) ممن قال بذلك: سفيان الثوري وسفيان بن عيينة، كما في في: الأوسط (٣/ ٢٥٧).
(٢) ممن قال بذلك مالك في المدونة (١/ ١٦٤)، والزهري وابن المبارك كما في الأوسط (٣/ ٢٦١).
(٣) ممن قال بذلك الأوزاعي وابن عون وأبو ثور، كما في الأوسط (٣/ ٢٦٣).
(٤) يشير إلى حديث عبادة بن الصامت مرفوعاً: «لا صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ» أخرجه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٤).
(٥) مذهب الجمهور وجوب الإنصات لخطبة الإمام في الجمعة، وقال سعيد بن جبير والشعبي وإبراهيم النخعي: لا يجب الإنصات إلا عند قراءة الخطيب القرآن، انظر: بداية المجتهد (١/ ١٦١-١٦٢).
(٦) حكى ابن المنذر في الأوسط (٣/ ٢٥٩) إجماع العلماء على أن الاستماع للقرآن خارج الصلاة غير واجب.

﴿فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ قال: الإنصات يوم الأضحى، ويوم الفطر، ويوم الجمعة، وفيما يجهر به الإمام من الصلاة[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول جمع فيه ما أوجبته هذه الآية وغيرها من السنة في الإنصات.

قال الزجَّاج: ويجوز أن يكون ﴿فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ اعملوا بما فيه ولا تجاوزوه[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ﴾ الآية، مخاطبة للنبي ﷺ تعم جميع أمته، وهو أمر من الله عز وجل بذكره وتسبيحه وتقديسه والثناء عليه بمحامده، والجمهور على أن الذكر لا يكون في النفس، ولا يراعى إلا بحركة اللسان، ويدل على ذلك من هذه الآية قوله: ﴿وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾، فهذه مرتبة السر والمخافتة باللفظ.

[٢/ ١٨٩] و﴿تَضَرُّعٗا﴾ معناه: / تذللاً وخضوعاً.

و(خيفةً) أصلها: خِوْفة، بدلت الواو ياء لأجل الكسرة التي تقدمتها.

وقوله: ﴿بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ معناه: دأباً، وفي كل يوم، وفي أطراف النهار، وقالت فرقة: هذه الآية كانت في صلاة المسلمين قبل فرض الصلوات الخمس، وقال قتادة: (الغدو) صلاة الصبح و(الْآصال) صلاة العصر[٣].

و«الْآصال» جمع أُصُل، والأُصُل جمع أصيل، وهو العشيُّ، وقيل: الْآصال جمع أصيل دون توسط، كأيمان جمع يمين، وآصال أيضاً جمعه أصاييل[٤]، فهو جمعُ جمعِ[٥] الجمع.

وقرأ أبو مجلز: (والإيصال)[٦]، مصدر كالإصباح والإمساء، ومعناه: إذا دخلت

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٣٤٢).
(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٨).
(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٣٥٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٣٣٤)، وتفسير الماوردي (٢/ ٢٩١).
(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «أصايل».
(٥) «جمع» الثانية ليست في المطبوع، وهي في فيض الله ملحقة في الهامش وعليها تصحيح.
(٦) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٧١)، ومختصر الشواذ (ص: ٥٣).

في الأصيل، وفي الطبري: قال أبو وائل لغلامه: هل آصَلْنا بعدُ؟[١].

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ تنبيه، ولما قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ جعل بعد ذلك مثالاً من اجتهاد الملائكة ليبعث على الجد في طاعة الله عز وجل.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ يريد الملائكة.

وقوله: ﴿عِندَ﴾ إنما يريد في المنزلة والتشريف والقرب في المكانة، لا في المكان، فهم بذلك عنده، ثم وصف تعالى حالهم من تواضعهم وإدمانهم للعبادة والتسبيح والسجود.

وفي الحديث: «أطَّت السماء وحُقَّ لها أن تئط، ما فيها موضعُ شبر إلا وفيه ملكٌ قائم أو راكع أو ساجد»[٢].

وهذا موضع سجدة[٣]، وقال النخعي في كتاب النقاش: إن شئت ركعت وإن شئت سجدت[٤].

[كملت سورة الأعراف بتوفيق من الله والحمد لله رب العالمين][٥]

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٣٥٥)

(٢) لا يصح مرفوعاً، هذا الحديث أخرجه الترمذي (٢٣١٢) وغيره من طريق: إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن مورق العجلى، عن أبي ذر به مرفوعاً، ومورق لم يسمع من أبي ذر، قاله أبو زرعة، كما في المراسيل لابن أبي حاتم (ص٢١٦) وبين وفاتيهما (٦٨) سنة.
وقال الترمذي عقبه: «حسن غريب»، ويروى عن أبي ذر موقوفاً، ويروى نحو هذا عن مجاهد أيضاً من قوله، أخرجه عبد بن حميد، كما في الدر المنثور (٧/ ١٣٦)، وأخرجه البزار في «مسنده» (٣٢٠٨)، والطبراني (٣١٢٢)، والطحاوي في «شرح المشكل» (١١٣٤) من طريق عبد الوهاب بن عطاء، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن صفوان بن محرز، عن حكيم بن حزام، قال ابن كثير (٥/ ٣٣٦): «غريب ولم يخرجوه، رواه ابن أبي حاتم من طريق يزيد بن زُرَيْع، عن سعيد، عن قتادة مرسلاً».

(٣) انظر: الاستذكار (٢/ ٥٠٤)، والمغني ١ (/ ٣٥٩).

(٤) لم أقف عليه، وقد نقل ابن المنذر في الأوسط (٥/ ٢٨٥) عن النخعي أنه إذا كانت القراءة في صلاة، وكانت السجدة في ختام سورة، فإنه يجزئه عنها الركوع.

(٥) زيادة من المطبوع.

سورة الأنفال

هي مدنية كلُّها، كذا قال أكثر الناس، وقال مقاتل: هي مدنيةُ غيرَ آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[1] الآية كلها.

وهذه الآية نزلت في قصة وقعت بمكة، ويمكن أن تنزل الآية في ذلك بالمدينة، ولا خلاف في هذه السورة أنها نزلت في يوم بدر وأمر غنائمه.

قوله عز وجل: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾.

«النفَل» و«النفْل» و«النافلة» في كلام العرب: الزيادة على الواجب، وسميت الغنيمة نفلاً؛ لأنها زيادة على القيام بالجهاد وحماية الدين[2] والدعاء إلى الله عز وجل، ومنه قول لبيد:

إِنَّ تَقْـوَى رَبِّنـا خَيْـرُ نَفَـلْ[3] .... [المديد]

أي: خير غنيمة، وقول عنترة:

إنَّـا إذا احْمَرَّ الوغَى نـروي القَنَا ... ونَعِـفُّ عِنْـدَ مَقَاسِـمِ الأَنْفَالِ[4] [الكامل]

---

(١) الأنفال: ٣٠، انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٩٧).

(٢) في التركية، ونور العثمانية: «الحوزة»، وفي نجيبويه: «حمية الحوزة».

(٣) وعجز البيت: «وبإذن الله رَيْثي وعَجَلْ»، انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٢١)، ومجاز القرآن (١/ ٢٤٠).

(٤) انظر عزوه له في منتهى الطلب لابن المبارك (ص: ٤٨)، وتفسير القرطبي (٧/ ٣٦٢)، وهو في الديوان (ص: ٦٧).

والسؤال في كلام العرب يجيء لاقتضاء معنًى في نفس المسئول، وقد يجيء لاقتضاء مال أو نحوه، والأكثر في هذه الآية أن السؤال إنما هو عن حكم الأنفال، فهو من الضرب الأول، وقالت فرقة: إنما سألوه الأنفال نفسها أن يعطيهم إياها.

واحتجوا في ذلك بقراءة سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود وعلي بن الحسين وأبي جعفر محمد بن علي وزيد بن علي وجعفر بن محمد وطلحة بن مصرِّفٍ وعكرمة والضحاك وعطاء: (يسألونك الأنفال)[١]، وقالوا في قراءة من قرأ ﴿عَنِ﴾: إنها بمعنى «مِن»، فهذا الضرب الثاني من السؤال.

واختلف الناس في المراد بـ﴿الأنفال﴾ في هذه الآية:

فقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وعطاء وابن زيد: هي الغنائم مجملة.

قالوا: وذلك أن سبب الآية ما جرى يوم بدر، وهو أن أصحاب رسول الله ﷺ افترقوا يوم بدر ثلاث فرق: فرقة أقامت مع رسول الله ﷺ في العريش الذي صنع له وحمته وآنسته، وفرقة أحاطت[٢] بعسكر العدو وأسلابهم لما انكشفوا، وفرقة اتبعوا العدو فقتلوا وأسروا.

وقال ابن عباس في كتاب الطبري: وكان رسول الله ﷺ قد حرض الناس قبل ذلك فقال: «من قتل قتيلاً أو أسر أسيراً فله كذا وله كذا»، فسارع الشبان وبقي الشيوخ عند الرايات، فلما انجلت الحرب واجتمع الناس رأت كل فرقة الفضل لنفسها، وقالت: نحن أولى بالمغنم، وساءت أخلاقهم في ذلك، فنزلت الآية بأن الغنائم لله وللرسول فكفُّوا، فقسمه حينئذ رسول الله ﷺ على السواء[٣].

---

(١) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٧٢)، ومختصر الشواذ (ص: ٥٤)، وفي المطبوع: «عن الأنفال» وهو خطأ.

(٢) في المطبوع: «أطاحت».

(٣) تفرد به داود ابن أبي هند واختلف عليه، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٥٦٥٠-١٥٦٥٣) من أربع =

وأسند الطبري وغيره عن أبي أمامة الباهلي، قال: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال فقال: فينا أهلَ بدر نزلت حين اختلفنا وساءت أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا، فجعله إلى رسول الله ﷺ وقسمه عليه السلام [بين المسلمين][(١)] عن بَواء[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: يريد عن سواء.

فكان في ذلك تقوى الله وطاعةُ رسوله ﷺ وصلاح ذات البين.

ومما جرى أيضاً يوم بدر فقيل: إنه سببٌ، ما أسنده الطبري عن سعد بن أبي وقاص، قال:

«لما كان يوم بدر قُتل أخي عميرٌ[(٣)]، وقَتلتُ سعيدَ بن العاصي[(٤)] وأخذت سيفَه، وكان يسمى ذا الكثيفة، فجئت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، هذا السيف قد شفى الله به من المشركين فأعطنيه، فقال: «ليس هذا لي ولا لك، فاطرحه في القبَض»، فطرحته، فرجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي، قال: فما جاوزت إلا قريباً حتى نزلت عليه سورة الأنفال، فقال: «اذهب فخذ سيفك فإنك سألتني السيف وليس لي، وإنه قد صار لي فهو لك»[(٥)].

= طرق عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس بنحوه وليس فيه: «وساءت أخلاقهم في ذلك»، ثلاثة منها موصولة، والرابع عن عكرمة مرسل، والظاهر أن الاضطراب من داود.

(١) من نور العثمانية، والسليمانية، ولالاله.

(٢) منقطع، هذا الحديث أخرجه أحمد (٥/ ٣٢٢)، والطبري (١٥٦٥٥)، والحاكم (٢/ ١٤٨) وغيرهم من طريق محمد بن إسحاق، عن عبد الرحمن، عن سليمان بن موسى، عن مكحول، عن أبي أمامة الباهلي، عن عبادة بن الصامت به، ولا يصح لمكحول سماع من أبي أمامة، قاله أبو حاتم وغيره، على افتراض صحة الطريق إليه.

(٣) هو عمير بن أبي وقاص، أسلم قديماً، وهاجر وشهد بدراً واستُشهد بها رضي الله عنه، قتله عمرو ابن عبد ودّ العامري. الإصابة (٤/ ٦٠٢).

(٤) هو أبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية، كان من أشراف قريش، وقتل يوم بدر كافراً. أنساب الأشراف للبلاذري (١/ ١٤١).

(٥) منقطع، هذا الحديث أخرجه أحمد (١/ ١٨٠-١٥٥٦)، والطبري (١٥٦٥٩) وغيرهم من طريق =

قال القاضي أبو محمد: وفي بعض طرق هذا الحديث، قال سعد: فقلت لما قال لي ضعه في القبَض: إني أخاف أن تعطيه من لم يُبْلِ بلائي، قال: فإذا رسول الله ﷺ خلفي، قال: فقلت أخاف أن يكون نزل فيّ شيء، فقال: «إن السيف قد صار لي» فأعطانيه، ونزلت ﴿يَسْـَٔلُونَكَ / عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [١]. [٢/ ١٩٠]

وأسند الطبري أيضاً عن أبي أسيد مالك بن ربيعة قال: أصبتُ سيف ابن عائد يوم بدر، وكان يسمى المرزبان، فلما أمر رسول الله ﷺ الناس[٢] أن يردوا ما في أيديهم من النفل، أقبلت به فألقيته في النفل، وكان رسول الله ﷺ لا يمنع شيئاً يُسأله، فرآه الأرقم المخزومي[٣] فسأله رسول الله ﷺ فأعطاه إياه[٤].

قال القاضي أبو محمد: فيجيء من مجموع هذه الآثار أن نفوس أهل بدر تنافرت ووقع فيها ما يقع في نفوس البشر من إرادة الأثر، لا سيما مَن أبلى، فأنزل الله عز وجل الآية، فرضي المسلمون وسلَّموا، فأصلح الله ذات بينهم ورد عليهم غنائمهم.

وقال بعض أهل هذا التأويل عكرمةُ ومجاهدٌ: كان هذا الحكم من الله لرفع الشغب، ثم نسخ بقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنفال: ٤١][٥].

= محمد بن عبيد الله الثقفي، عن سعد بن أبي وقاص، به، وسنده منقطع؛ لأن محمد بن عبيدالله لم يدرك سعداً.

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٣٧٢) من طريقين لينين عن مصعب بن سعد، عن أبيه، به.

(٢) من نجيبويه والسليمانية وفيض الله.

(٣) هو الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، صاحب دار الأرقم، أسلم قديماً وشهد المشاهد وتوفي سنة (٥٥هـ). الإصابة (١/ ١٩٧).

(٤) في أسانيده مقال، أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٩٧-١٦٠٥٦)، من طريق عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أبا أُسيد كان يقول: أصبت يوم بدر سيف ابن عايذ المرزبان، الحديث. وإسناده منقطع؛ لأن عبد الله بن أبي بكر لم يدرك أبا أُسيد، بينهما بعض بني ساعدة كما عند أحمد أيضاً (٣/ ٤٩٧- ١٦٠٥٦) والطبري (١٥٦٦٠)، وهذا البعض لا يعرف، وله شاهد بنحوه من حديث الأرقم بن أبي الأرقم أخرجه الطبري (١٥٦٦١) والطبراني في الأوسط (٦٠٣٦) وفي إسناده يحيى بن عمران وهو مجهول.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٣٨١)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٢٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ١٢٨).

وقال ابن زيد: لم يقع في الآية نسخ، وإنما أخبر أن الغنائم لله من حيث هي مِلْكُه ورزقه، وللرسول من حيث هو مبين بها أحكام الله والصادع بها، ليقع التسليم فيها من الناس(١).

وحكم القسمة نازل خلال ذلك، ولا شك في أن الغنائم وغيرها والدنيا بأسرها هي لله وللرسول.

قال القاضي أبو محمد: وقال ابن عباس أيضاً: ﴿الْأَنْفال﴾ في الآية: ما يعطيه الإمام لمن رآه من سيف أو فرس أو نحوه(٢)، وهذا أيضا يحسن مع الآية ومع ما ذكرناه من آثار يوم بدر.

وقال علي بن صالح بن حي(٣) والحسن فيما حكى المهدوي: ﴿الأَنْفال﴾ في الآية ما تجيء به السرايا خاصة(٤).

قال القاضي أبو محمد: وهذا القول بعيد عن الآية، غيرُ ملتئم مع الأسباب المذكورة، بل يجيء خارجاً عن يوم بدر.

وقال مجاهد: ﴿الأَنْفال﴾ في الآية الخمسُ، قال المهاجرون: لمَ يُخْرَج منا هذا الخمس؟ فقال الله تعالى: هو لله وللرسول(٥)، وهذا أيضاً قول قليلُ التناسب مع الآية.

---

(١) انظر: نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (٣/ ١٨٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٣٦٣) من طريق العوفي عن ابن عباس، ومن طريق الزهري واختلف عنه، فقيل: عنه عن ابن عباس مرسلاً، وقيل: عنه عن القاسم بن محمد قال: قال ابن عباس، وقيل: عنه عن القاسم بن محمد سمعتُ رجلاً سأل ابن عباس.

(٣) تحرفت في الأصل إلى: «جني»، وهو علي بن صالح بن حي الهمداني الكوفي، أبو الحسن، من علماء الكوفة، وكان هو والحسن توأمين، روى عن سلمة بن كهيل وسماك وجماعة، وعنه أخوه الحسن ووكيع وآخرون، وثقه أحمد، توفي سنة (١٥٤هـ). تاريخ الإسلام (٩/ ٥٣٠).

(٤) انظر: التحصيل للمهدوي (٣/ ١٥٨)، وقول الحسن في تفسير الماوردي (٢/ ٢٩٢)، وقول علي ابن صالح في تفسير الطبري (١٣/ ٣٦٣).

(٥) تفسير الطبري (١٣/ ٣٦٥)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٢٦)، وتفسير الماوردي (٢/ ٢٩٢).

وقال ابن عباس وعطاء أيضا: ﴿الأنفال﴾ في الآية: ما شذ من أموال المشركين إلى المسلمين، كالفرس العائر[١]، والعبد الآبق، هو للنبي ﷺ يصنع فيه ما شاء[٢].

وقال ابن عباس أيضاً: ﴿الأنفال﴾ في الآية: ما أصيب من أموال المشركين بعد قسمة الغنيمة، هو لله ورسوله.

قال القاضي أبو محمد: وهذان القولان لا تخرج بهما الآية عن الأسباب التي رويت في يوم بدر، ولا تختص الآية بيوم بدر على هذا، وكأن هاتين المقالتين إنما هما فيما ناله الجيش دون قتال، وبعد تمام الحرب وارتفاع الخوف، وأولى هذه الأقوال وأوضحها القول الأول الذي تظاهرت الروايات بأسبابه، وناسبه الوقت الذي نزلت الآية فيه.

وحكى النقاش عن الشعبي أنه قال: ﴿الأنفال﴾: الأسارى[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا إنما هو على جهة المثال، فيعني[٤] كل ما يغنم.

ويحسن في تفسير هذه الآية أن نذكر شيئاً من اختلاف العلماء في تنفيل الإمام لمن رآه من أهل النجدة والغَناء، وما يجوز من ذلك وما يمتنع، وما لهم في السَّلَب من الاختلاف:

فقالت فرقة: لا نفل بعد النبي ﷺ[٥].

وقال الجمهور: النفل باق إلى يوم القيامة، ينفِّل إمام الجيش ما رآه لمن رآه، لكن بحسب الاجتهاد والمصلحة للمسلمين؛ ليحض الناس على النجدة وينشطهم إلى مكافحة العدو والاجتهاد في الحرب، ثم اختلفوا:

فقال ابن القاسم عن مالك في «المدونة»: إنما ينفِّل الإمام من الخمس لا من

---

(١) في الأصل والحمزوية: «الغائر» بالغين.

(٢) هذا القول والذي بعده راجعان إلى القول السابق الذي مر تخريجه، أوردهم جميعاً الطبري في سياق واحد.

(٣) لم أقف عليه، وفي تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٥٣) عنه أن الأنفال ما أصابت السرايا.

(٤) ساقط من الأصل، وفي نور العثمانية: «فمعنى»، وفي فيض الله والسليمانية: «فيغني».

(٥) قال بذلك عمرو بن شعيب، انظر نسبة القول له في المغني (٩/ ١٨٣).

جملة الغنيمة، وينفل في أول المغنم وفي آخره بحسب اجتهاده[١].

وقالت فرقة: إنما ينفل الإمام قبل القتال، وأما إذا اجتمعت الغنائم فلا نفل[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا إنما يكون على هذا القول بأن يقول الإمام: من قتل قتيلاً فله كذا وكذا[٣]، أو يقول لسرية: إن وصلتم إلى موضع كذا فلكم كذا.

وقال الشافعي وابن حنبل: لا نفل إلا بعد الغنيمة قبل التخميس[٤].

وقال إبراهيم النخعي: ينفل الإمام متى شاء قبل التخميس وبعده[٥].

وقال أنس بن مالك ورجاء بن حيوة ومكحول والقاسم وجماعة منهم الأوزاعي وأحمد وإسحاق وعدي بن عدي: لا نفل إلا بعد إخراج الخمس، ثم ينفل الإمام من أربعة الأخماس، ثم يقسم الباقي بين الناس[٦].

وقال ابن المسيب: إنما ينفل الإمام من خمس الخمس.

وقال مالك رحمه الله: لا يجوز أن يقول الأمير: من هدم كذا من الحصن فله كذا، ومَن بلغ إلى كذا فله كذا، ولا أحب لأحد أن يسفك دماً على مثل هذا.

قال سَحْنون: فإن نزل ذلك لزمه فإنه مبايعة[٧].

---

(١) انظر قول ابن القاسم عن مالك في المدونة (١/ ٥١٧).

(٢) قال بذلك القاسم بن عبد الرحمن والأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز، كما في الاستذكار (٥/ ٦٩،٤٤).

(٣) في نور العثمانية والسليمانية: «فله سلبه».

(٤) انظر قول الشافعي في الأم (٤/ ١٨٣)، وانظر قول أحمد في مسائل أحمد وإسحاق برواية الكوسج (٢٢٥٥).

(٥) وبعده زيادة من الحمزوية والسليمانية، وهي الموافق لما في الأوسط (٦/ ١١٤)، والمغني (٩/ ١٨٧) عنه.

(٦) انظر قول من ذكرهم المؤلف في المغني (٩/ ١٨٧)، والأوسط (٦/ ١١٢).

(٧) في التركية: «فإنها مبالغة»، انظر قول سعيد وقول مالك في الاستذكار (٥/ ٤٥، ٦٠)، وقول سحنون في النوادر (٣/ ٢٣٠).

وقال مالك رحمه الله: لا يجوز أن يقول الإمام لسرية: ما أخذتم فلكم ثلثه، قال سَحْنون: يريد: ابتداءً، فإن نزل مضى ولهم أنصباؤهم في الباقي[١].

وقال سَحْنون: إذا قال الإمام لسرية: ما أخذتم فلا خمس عليكم فيه، فهذا لا يجوز، فإن نزل رددتهُ لأن هذا حكم شاذ لا يجوز ولا يمضى[٢].

ويستحب على مذهب مالك إن نفل الإمام أن ينفل ما يظهر كالعمامة والفرس[٣] والسيف[٤]، وقد منع بعض العلماء أن ينفل الإمام ذهباً أو فضة أو لؤلؤاً أو نحو هذا[٥].

وقال بعضهم: النفل جائز من كل شيء[٦]، وأما السلب فقال مالك رحمه الله: الأسلاب من المغنم تقسم على جميع الجيش إلا أن يشرط الإمام، وقاله غيره[٧].

وقال الليث والأوزاعي والشافعي وأحمد وأبو ثور وأبو عبيد وابن المنذر: السلب حق للقاتل بحكم النبي ﷺ، قال الشافعي وأحمد وأبو عبيد وابن المنذر: قاله الإمام أولم يقله[٨].

وقال مالك: إذا قال الإمام: من قتل قتيلاً فله سَلَبُه، فذلك لازم، ولكنه على قدر

---

(١) انظر: النوادر والزيادات (٣/ ٢٢٤-٢٢٥).

(٢) انظر قول سحنون في مواهب الجليل (٤/ ٥٧١).

(٣) في السليمانية: «والقوس».

(٤) انظر في ذلك النوادر (٣/ ٢٢٦).

(٥) منهم فقهاء الشام كالأوزاعي ومكحول ورجاء بن حيوة وغيرهم، كما في الأوسط (٦/ ١١٥)، والنوادر (٣/ ٢٢٦).

(٦) ممن قال بذلك أحمد وإسحاق، كما في مسائل أحمد وإسحاق رواية الكوسج (٢٢٣١).

(٧) انظر: المدونة (١/ ٥١٧)، والنوادر (٣/ ٢٢٣)، وهو قول الحسن البصري وإبراهيم النخعي، كما في: الأوسط (٦/ ١١٥، ١٢٤).

(٨) انظر قول الشافعي في الأم (٤/ ١٨٤)، وقول أحمد في رواية الكوسج (٢٢٥٥)، والباقين في الأوسط (٦/ ١٢٢-١٢٣).

اجتهاد الإمام وبسبب الأحوال والضيقات[١] واستصراخ الأنجاد[٢].

وقال الشافعي وابن حنبل: تُخرج الأسلاب من الغنيمة ثم تخمَّس بعد ذلك، وتعطى الأسلاب للقتلة، وقال إسحاق ابن راهويه: إن كان السَّلَب يسيراً فهو للقاتل وإن كان كثيراً خمِّس[٣]، وفعله عمر بن الخطاب مع البراء بن مالك حين بارز المرزُبان فقتله، فكانت قيمة منطقته / وسواريه ثلاثين ألفاً، فخمِّس ذلك[٤]، وروي في ذلك [٢/ ١٩١] حديث عن النبي ﷺ هو حديث عوف بن مالك[٥] في مصنف أبي داود[٦].

وقال مكحول: السلب مغنم وفيه الخمس، وروي نحوه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٧].

---

(١) في الحمزوية: «والصفات». وفي نجيبويه: «والضيفات»، وفي السليمانية: «والضينقات».

(٢) انظر قول مالك في المدونة (١/ ٥١٧).

(٣) انظر قول الشافعي في الأم (٤/ ١٨٣)، وانظر قول أحمد وإسحاق في مسائل أحمد وإسحاق رواية الكوسج (٢٢٥٥).

(٤) اختلف في وصله وإرساله، وصحح الدارقطني المتصل، هذا الخبر رواه محمد بن سيرين واختلف عليه، فروي عن هشام بن حسان وأيوب السختياني وابن عون ـ مفرقين ـ عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك به، وقال عبد الرزاق (٥/ ٢٣٣): عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال: بارز البراء بن مالك.. وهذا مرسل، وقال ابن زنجوية في الأموال (٢/ ٤٦٩): حدثنا حميد ثنا النضر ابن شميل، أخبرنا ابن عون، عن ابن سيرين، قال: بارز البراء.. مرسل، وقال أبو عبيد في الأموال (٢٢١٩): قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا ابن عون، ويونس، وهشام، عن ابن سيرين، قال: بارز البراء..، كذلك أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ ٣٧١)، قال الدارقطني في العلل (٢/ ١٩٩): يرويه ابن عون وهشام بن حسان، عن ابن سيرين، عن أنس، عن عمر، ورواه هشيم، عن ابن عون ويونس وهشام وأشعث، عن ابن سيرين مرسلاً عن عمر، والمتصل صحيح والله أعلم. اهـ.

(٥) زاد في السليمانية: «الأشجعي»، وفي نور العثمانية: «مالك بن عوف الأشجعي»، وهو عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي، أسلم عام خيبر، وشهد الفتح، وكانت معه راية أشجع، وسكن دمشق، مات سنة (٧٣هـ)، الإصابة (٤/ ٦١٧).

(٦) بل أخرجه مسلم (١٧٥٣)، بالإضافة إلى أبي داود (٢٧٢١).

(٧) انظر قول مكحول في سنن سعيد بن منصور (٢/ ٣١٠)، ومع قول عمر في الأوسط لابن المنذر (١١/ ١١٠).

قال القاضي أبو محمد: يريد: يخمَّس على القاتل وحده.

وقال جمهور الفقهاء: لا يعطى القاتل السلب إلا أن يقيم البيِّنة على قتله[١]، قال أكثرهم: ويجزئ شاهد واحد[٢] بحكم حديث أبي قتادة[٣].

وقال الأوزاعي: يعطاه بمجرد دعواه[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف.

وقال الشافعي: لا يعطى القاتل إلا إذا كان قتيلُه[٥] مقبلًا مشيحاً[٦] مبارزاً، وأما من قَتَل منهزماً فلا، وقال أبو ثور وابن المنذر صاحب «الإشراف»: للقاتل السلب منهزماً كان القتيل أو غيرَ منهزم[٧].

قال القاضي أبو محمد: وهذا أصح؛ لحديث سلمة بن الأكوع في اتباعه ربيئة الكفار في غزوة حنين وأخذه بخطام بعيره وقتله إياه وهو هارب، فأعطاه رسول الله ﷺ سلبه[٨].

وقال ابن حنبل: لا يكون السلب للقاتل إلا في المبارزة فقط[٩].

واختلفوا في السلب: فأما السلاح وكل ما يحتاج للقتال فلا أحفظ فيه خلافاً أنه من السلب، وفرسُه إن قاتل عليه وصرع عنه، وقال أحمد بن حنبل في الفرس: ليس من

---

(١) منهم الشافعي كما في شرح النووي على مسلم (١٢/ ٥٩)، وأحمد كما في المغني (٩/ ١٩٥).

(٢) وبهذا قال الليث وجماعة من أصحاب الحديث، كما في الاستذكار (٥/ ٦٤)، والأوسط (٦/ ١١٨-١١٩).

(٣) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٣١٤٢)، ومسلم (١٧٥١).

(٤) انظر قول الأوزاعي في الأوسط (٦/ ١١٩).

(٥) في الأصل ونجيبويه: «قتله».

(٦) في المطبوع: «مضحيا» وفي نور العثمانية وفيض الله والسليمانية: «شجيعاً».

(٧) انظر قول الشافعي في الأم (٤/ ١٨٤)، وقول أبي ثور وابن المنذر في الأوسط (٦/ ١٢١-١٢٢).

(٨) أخرجه مسلم (١٧٥٤).

(٩) انظر قول أحمد في مسائل إسحاق (١٦٢٨).

السلب، وكذلك إن كان في هميانه أو منطقته دنانير أو جوهر أو نحو هذا مما يعدُّه فلا أحفظ خلافاً أنه ليس من السلب[١].

واختلف فيما يتزين به للحرب ويهول فيها كالتاج والسوارين والأقراط والمناطق المثقلة بالذهب والأحجار، فقال الأوزاعي: ذلك كله من السلب، وقالت فرقة: ليس من السلب، وهذا كله[٢] مروي عن سَحنون رحمه الله إلا المنطقة فإنها عنده من السلب.

قال ابن حبيب في «الواضحة»: والسواران من السلب[٣].

وتردد[٤] الشافعي: هل هذه كلها من السلب أو لا؟[٥].

قال القاضي أبو محمد: وإذا قال الإمام: من قتل قتيلاً فله سلبه، فقتل ذميٌّ قتيلاً فالمشهور أن لا شيء له، وعلى قول أشهب: يُرضخ لأهل الذمة من الغنيمة؛ يلزم أن يعطى السلب[٦]، وإن قتل الإمام بيده بعد هذه المقالة قتيلًا فله سلبه[٧].

قال القاضي أبو محمد: وأما الصَّفيُّ فكان خالصاً لرسول الله ﷺ.

وقوله عز وجل: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ معناها في الكلام، اجعل بينك وبين المحذور وقاية.

وقوله: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ تصريح بأنه شجر بينهم اختلاف ومالت النفوس إلى التشاحِّ، و﴿ذَاتَ﴾ في هذا الموضع يراد بها نفس الشيء وحقيقته، والذي يفهم من ﴿بَيْنِكُمْ﴾ هو معنًى يعم جميع الوُصَل والالتحامات والمودات، وذاتُ

---

(١) نقل عدم الخلاف فيهما أيضاً القرطبي، في تفسيره (٨/ ٩)، وانظر قول أحمد في مسائل أحمد برواية إسحاق بن هانئ (١٦٢٩).

(٢) من نور العثمانية.

(٣) انظر قول الأوزاعي في الأوسط (٦/ ١٣١)، وقول سحنون وابن حبيب في النوادر (٣/ ٢٢٧).

(٤) في الأصل والحمزوية والتركية وفيض الله ونور العثمانية: «ويرجح»، وفي نجيبويه: «وترجح».

(٥) انظر: الأم (٤/ ١٤٢-١٤٣).

(٦) انظر مشهور مذهب مالك في النوادر (٣/ ٢٢٥)، وقول أشهب في النوادر (٣/ ٢٠١).

(٧) انظر في ذلك: النوادر (٣/ ٢٢٩)، والسير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني (٢/ ٦٦٣)، وغيرهما.

ذلك هي المأمور بإصلاحها، أي: نفسُه وعينُه، فحض الله عز وجل على إصلاح تلك الأجزاء، فإذا صلحت تلك حصل إصلاح ما يعمها وهو البين الذي لهم.

وقد تستعمل لفظة الذات على أنها لزيمةٌ[١] ما تضاف إليه وإن لم تكن عينَه ونفسَه، وذلك في قوله: ﴿عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الأنفال: ٤٣]، و﴿ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ﴾ [الأنفال: ٧] فإنها هاهنا مؤنثة، وقولهم: الذئب مغبوط بذي بطنه، وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: إنما هو ذو بطن بنت خارجة[٢].

ويحتمل «ذات البين» أن تكون هذه، وقد تقال الذات أيضاً بمعنًى آخر وإن كان يَقْرُب من هذا، وهو قولهم: فعلت كذا ذات يوم، ومنه قول الشاعر

[البسيط] لَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ ذَاتَ الْعِشَاءِ وَلَا تَسْرِي أَفاعِيهَا[٣]

وذكر الطبري عن بعضهم أنه قال: ﴿ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾: الحال التي لبينكم[٤]، كما ذات العشاء: الساعة التي فيها العشاء[٥].

قال القاضي أبو محمد: ورجحه الطبري، وهو قول بيِّن الانتقاض.

وقال الزجاج: البينُ هاهنا الوَصْل، ومثله قوله عز وجل: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنُكُمۡ﴾ [الأنعام: ٩٤][٦].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا كله نظر.

---

(١) لزيمة بمعنى: ملازمة، ومنه قولهم: «إنها لزيم اللحم، إذا كانت مكتنزة». كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني (ص: ٩٦).

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (١٤٣٨) رواية يحيى بن يحيى، من حديث عائشة.

(٣) عزاه في سيرة ابن هشام (٢/ ١٢٩) لهبيرة بن أبي وهب المخزومي، وفي المعاني الكبير (١/ ٢٣٣) لجنوب الهذلية أخت عمرو ذي الكلب، وفي بلاغات النساء (ص: ٢٠٣) لرابطة البهرية ترثي أخاها وقتلته هذيل، وفي الحيوان (٢/ ٢٩٠) للهذليّ، وهو أَبُو ذُؤَيْب كما في الحماسة البصرية (٢/ ٣٥٢).

(٤) في الحمزوية ونجيبويه ونور العثمانية: «بينكم»، وهو أحسن.

(٥) تفسير الطبري (١٣/ ٣٨٤).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٠٠).

وقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ لفظ عام، وسببه: الأمر بالوقوف عند ما يُنْفذه رسول الله ﷺ في الغنائم.

وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: كاملي الإيمان، كما تقول لرجل: إن كنت رجلاً فافعل كذا، أي: إن كنت كامل الرجولية، وجواب الشرط في قوله المتقدم: ﴿وَأَطِيعُواْ﴾، [هذا عند سيبويه](١)، ومذهب أبي العباس أن الجواب محذوف متأخرٌ يدل عليه المتقدمُ تقديره: إن كنتم مؤمنين أطيعوا، ومذهبه في هذا أن لا يتقدم الجوابُ الشرطَ.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾.

﴿إِنَّمَا﴾ لفظ لا تفارقه المبالغة والتأكيد حيث وقع، ويصلح مع ذلك للحصر، فإذا دخل في قصة وساعد معناها على الانحصار صح ذلك وترتب، كقوله: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾(٢) [الكهف: ١١٠]، وغير ذلك من الأمثلة، وإذا كانت القصة لا تتأتى للانحصار بقيت ﴿إِنَّمَا﴾ للمبالغة والتأكيد فقط، كقوله عليه السلام: «إنما الربا في النسيئة»(٣)، وكقولهم: إنما الشجاع عنترة.

وأما من قال: إنما هي لبيان الموصوف، فهي عبارة فاترة؛ إذ بيان الموصوف يكون في مجرد الإخبار دون ﴿إِنَّمَا﴾.

وقوله هاهنا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ظاهرها أنها للمبالغة والتأكيد فقط، أي: الكاملون.

و﴿وَجِلَتْ﴾: معناه فزعت ورقَّت وخافت، وبهذه المعاني فسَّرت العلماء.

وقرأ ابن مسعود: (فَرِقت)، وقرأ أبي بن كعب: (فزعت)(٤)، يقال: وجل يوجَل

---

(١) ساقط من المطبوع، وانظر قول سيبويه مع قول المبرد الذي بعده في البحر المحيط (٥/ ٢٧٠).

(٢) لعل المراد: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [طه: ٩٨]، فإن الذي في الآية المذكورة ﴿أَنَّمَا...﴾.

(٣) أخرجه مسلم (١٥٩٦) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

(٤) وهما شاذتان، انظر الأولى في تفسير الثعلبي (٤/ ٣٢٧)، ومع الثانية في البحر المحيط (٥/ ٢٧٠).

ويَاجَل وييجَل، وهي شاذة ويِيْجَل بكسر الياء الأولى، ووجه هذه: أنهم لما أبدلوا الواو ياء لم يكن لذلك وجه قياس، فكسروا الياء الأولى ليجيء بدلَ الواو ياءٌ لعلة، حكى هذه اللغات الأربع سيبويه رحمه الله(١).

و﴿تُلِيَتْ﴾ معناه: سردت وقرئت، و«الآيات» هنا: القرآن المتلو، وزيادة الإيمان على وجوه كلها خارج عن نفس / التصديق، منها: أن المؤمن إذا كان لم يسمع حكماً من [٢/١٩٢] أحكام الله في القرآن فنزل على النبي ﷺ فسمعه فآمن به، زاد إيماناً إلى سائر ما قد آمن به، إذ لكل حكم تصديق خاص، وهذا يترتب فيمن بلغه ما لم يكن عنده من الشرع إلى يوم القيامة، وتترتب زيادة الإيمان بزيادة الدلائل، ولهذا قال مالك: الإيمان يزيد ولا ينقص(٢)، وتترتب بزيادة الأعمال البرة على قول من يرى لفظة الإيمان واقعة على التصديق والطاعات، وهؤلاء يقولون: يزيد وينقص.

وقوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ عبارة جامعة لمصالح الدنيا والآخرة إذا اعتُبِرت وعُمل بحسبها في أن يمتثل الإنسان ما أُمر به، ويبلغَ في ذلك أقصى جهده دون عجز، وينتظر بعدُ ما تُكفِّل له به من نصر أو رزق أو غيره، وهذه أوصاف جميلة وصف الله بها فضلاء المؤمنين، فجعلها غاية للأمة يستبق إليها الأفاضل، ثم أتبع ذلك وعدهم ووسمهم(٣) بإقامة الصلاة ومدحهم بها حضّاً على ذلك.

وقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ قال جماعة من المفسرين: هي الزكاة.

قال القاضي أبو محمد: وإنما حملهم على ذلك اقتران الكلام بإقامة الصلاة، وإلا فهو

---

(١) الكتاب (٤/ ١١١-١١٢).

(٢) وقد بين الشيخ زروق الخلاف في ذلك بقوله: زيادة الإيمان ونقصانه مختلف فيه على ثلاثة أقوال، ثالثها: يزيد ولا ينقص، وكلها منقولة عن مالك، وفي «شامل» إمام الحرمين: كل من أطلق الإيمان على فعل الطاعة زاد ونقص، وكان مالك يقول: يزيد، ولا يقول: ينقص، ثم لما سأله ابن نافع عند موته قال: قد أبرمتمونا، وإذا تدبرت هذا الأمر، فما شيء يزيد إلا وهو ينقص، قال ابن رشد: وهو الصحيح، قلت: وهو مذهب البخاري، وقد انتصر له بظواهر القرآن والسنة. انظر شرحه للرسالة (١/ ٧١).

(٣) في التركية: «رسمهم».

لفظ عام في الزكاة ونوافل الخير وصلات المستحقين، ولفظ ابن عباس في هذا المعنى محتمل.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ يريد: كل المؤمنين، و﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد، كذا نص عليه سيبويه(١)، وهو المصدر غير المنتقل، والعامل فيه: أحقُّ ذلك حقّاً.

وقوله: ﴿دَرَجَٰتٌ﴾ ظاهره ـ وهو قول الجمهور ـ أن المراد مراتب الجنة ومنازلها ودرجاتها على قدر أعمالهم، وحكى الطبري عن مجاهد أنها درجات أعمال الدنيا(٢).

وقوله: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ يريد به مآكل الجنة ومشاربها، و﴿كَرِيمٌ﴾ صفة تقتضي رفع المذامِّ، كقولك: ثوب كريم وحسب كريم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧﴾.

اختلف الناس في الشيء الذي تتعلق به الكاف من قوله: ﴿كَمَآ﴾ حسبما نبيِّن من الأقوال التي أنا ذاكرها بعدُ بحول الله، والذي يلتئم به المعنى ويحسن سرد الألفاظ قولان، وأنا أبدأ بهما:

قال الفراء: التقدير: امض لأمرك في الغنائم ونفِّل من شئت وإن كرهوا، كما أخرجك ربك، هذا نص قوله في «هداية» مكي رحمه الله(٣).

والعبارة بقوله: امض لأمرك ونفِّل من شئت، غير محرَّرة.

وتحرير هذا المعنى عندي أن يقال: إن هذه الكاف شبَّهت هذه القصة التي هي إخراجه من بيته بالقصة المتقدمة التي هي سؤالهم عن الأنفال، [كأنهم سألوا عن

(١) في الكتاب (١/ ٣٧٠).
(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٣٨٩).
(٣) الهداية لمكي (٤/ ٢٧٣٤).

النفل](١)، وتشاجروا، فأخرج الله ذلك عنهم، فكانت فيه الخيرة، [كما كرهوا في هذه القصة انبعاث النبي ﷺ، فأخرجه الله من بيته فكانت في ذلك الخيرة](٢)، فتشاجُرهم في النفل بمثابة كراهيتهم هاهنا للخروج، وحكم الله في النفل بأنه لله وللرسول دونهم هو بمثابة إخراجه نبيَّه ﷺ من بيته.

ثم كانت الخيرة في القصتين فيما صنع الله، وعلى هذا التأويل يمكن أن يكون قوله: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾ كلاماً مستأنفا يراد به الكفار، أي: يجادلونك في شريعة الإسلام من بعد ما تبين الحق فيها، كأنما يساقون إلى الموت في الدعاء إلى الإيمان.

قال القاضي أبو محمد: وهذا الذي ذكرت من أن ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾ في الكفار منصوص.

والقول الثاني: قال مجاهد والكسائي وغيرهما: المعنى في هذه الآية: كما أخرجك ربك من بيتك على كراهية من فريق منهم كذلك يجادلونك في قتال كفار مكة، ويودون غير ذات الشوكة، من بعد ما تبين لهم أنك إنما تفعل ما أُمرت به لا ما يريدون هم(٣).

قال القاضي أبو محمد: والتقدير على هذا التأويل: يجادلونك في الحق مجادلةً ككراهتهم إخراج ربك إياك من بيتك، فالمجادلة على هذا التأويل بمثابة الكراهية، وكذلك وقع التشبيه في المعنى، وقائل هذه المقالة يقول: إن المجادلين هم [المؤمنون، وقائل المقالة الأولى يقول: إن المجادلين هم](٤) المشركون، فهذان قولان مطردان يتم بهما المعنى ويحسن رصف اللفظ.

وقال الأخفش: الكاف نعت لـ﴿حَقًّا﴾، والتقدير: هم المؤمنون حقّاً كما أخرجك(٥).

قال القاضي أبو محمد: والمعنى على هذا التأويل كما تراه لا يتناسق.

---

(١) ساقط من نجيبويه.

(٢) ساقط من المطبوع.

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٣٩٢)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٢٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ١٣١-١٣٢).

(٤) ساقط من التركية.

(٥) الهداية لمكي ٤/ ٢٧٣٢.

وقيل: الكاف في موضع رفع، والتقدير: كما أخرجك ربك فاتقوا الله، كأنه ابتداء وخبر[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا المعنى وضعه هذا المفسر، وليس من ألفاظ الآية في وِرْدٍ ولا صَدَرٍ.

وقال أبو عبيدة: هو قسَم، أي: لهم درجات ومغفرة ورزق كريم كما أخرجك، بتقدير: والذي أخرجك، فالكاف في معنى الواو، و(ما) بمعنى الذي[٢].

وقال الزجَّاج: الكاف في موضع نصب، والتقدير: الأنفال ثابتة لك ثباتاً كما أخرجك ربك[٣].

وقيل: الكاف في موضع رفع، والتقدير: لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم هذا وعد حق كما أخرجك.

وقيل: المعنى: وأصلحوا ذات بينكم ذلك خير لكم كما أخرجك، والكاف نعت لخبر ابتداءٍ محذوف.

وقيل: التقدير: قل الأنفال لله والرسول كما أخرجك، [وهذا نحوُ أول قول ذكرتُه.

وقال عكرمة: التقدير: وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين كما أخرجك][٤] ربك؛ أي: الطاعةُ خير لكم كما كان إخراجك خيراً لكم[٥].

وقوله: ﴿مِنۢ بَيۡتِكَ﴾ يريد: من المدينة يثرب، قاله جمهور المفسرين.

---

(١) الهداية لمكي (٤/ ٢٧٣٢).
(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٤٠).
(٣) معاني القرآن وإعرابه له (٢/ ٤٠٠)
(٤) ساقط من نجيبويه.
(٥) تفسير الطبري (١٣/ ٣٩١).

وقال ابن بكير: المعنى: كما أخرجك من مكة وقت الهجرة[١].

وقرأ عبد الله بن مسعود: (في الحق بعد ما بُيِّن)، بضم الباء من غير تاء[٢].

[٢/١٩٣] والضمير في قوله: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾، قيل: هو للمؤمنين / وقيل: للمشركين، فمن قال: للمؤمنين، جعل الْحَق قتال مشركي قريش، ومن قال: للمشركين، جعل الْحَقّ شريعة الإسلام.

وقوله: ﴿إِلَى ٱلۡمَوۡتِ﴾ أي: في سَوقهم[٣] إلى القتال، على أن المجادلين المؤمنون، أو في دعائهم إلى الشرع على أنهم المشركون.

وقوله: ﴿وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾ حال تزيد في فزع المسوق[٤]، وتقتضي شدة حاله.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ﴾ الآية، في هذه الآية قَصَصٌ حسن أنا أختصره إذ هو مستوعب في كتاب سيرة رسول الله ﷺ لابن هشام[٥].

واختصاره: أن رسول الله ﷺ لما بلغه ـ وقيل: أوحي إليه ـ أن أبا سفيان بن حرب قد أقبل من الشام بالعير التي فيها تجارة قريش وأموالها، قال لأصحابه: إن عير قريش قد عنَّت لكم، فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفِّلَكُموها، قال: فانبعث معه مَن خف، وثقل قوم وكرهوا الخروج، وأسرع رسول الله ﷺ لا يلوي على مَن تعذر ولا ينتظر من غاب ظهره.

فسار في ثلاث مئة وثلاثة عشر من أصحابه بين مهاجريٍّ وأنصاري، وقد ظن الناس بأجمعهم أن رسول الله ﷺ لا يلقى حرباً فلم يكثر استعدادهم، وكان أبو سفيان

---

(١) ورد هذا القول في تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ١٦٦)، وتفسير الماوردي (٢/ ٢٩٥)، وتفسير السمعاني (٢/ ٢٤٨)، بلا نسبة.

(٢) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٣).

(٣) في نجيبويه: «تسوقهم».

(٤) في المطبوع: «السوق».

(٥) راجع سيرة ابن هشام (١/ ٦٦٧)، وما بعدها.

في خلال ذلك يستقصي ويَحْذَر، فلما بلغه خروج رسول الله ﷺ بعث ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة يستنفر أهلها، ففعل ضمضم، فخرج أهل مكة في ألف رجل أو نحو ذلك، فلما بلغ رسولَ الله ﷺ خروجُهم، أوحى الله إليه وحياً غير متلو يَعِدُه إحدى الطائفتين، فعرَّف رسول الله ﷺ أصحابه بذلك، فسُرُّوا وودوا أن تكون لهم العير التي لا قتال معها.

فلما علم أبو سفيان بقرب رسول الله ﷺ أخذ طريق الساحل وأبعد وفات ولم يبق إلا لقاء أهل مكة، وأشار بعض الكفار على بعض بالانصراف، وقالوا: هذه عِيرنا قد نجت فلننصرف، فحرَّش أبو جهل ولجَّ حتى كان أمر الوقعة.

وقال بعض المؤمنين: نحن لم نخرج لقتال ولم نستعد له، فجمع رسول الله ﷺ أصحابه وهو بواد يسمى ذفران[1]، وقال: «أشيروا عليَّ أيها الناس»، فقام أبو بكر فتكلم فأحسن وحرَّض على لقاء العدو، فأعاد رسول الله ﷺ الاستشارة، فقام عمر بمثل ذلك، فأعاد رسول الله ﷺ الاستشارة، فتكلم المقداد الكندي فقال: لا نقول لك يا رسول الله: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن نقول: إنا معكما مقاتلون، والله لو أردت بنا برك الغماد[2] ـ قال القاضي أبو محمد: وهي مدينة بالحبشة[3] ـ لقاتلنا معك من دونها، فسُرَّ رسول الله ﷺ بكلامه ودعا له بخير، ثم قال: «أشيروا علي أيها الناس» فكلمه سعد بن معاذ، وقيل: سعد بن عبادة.

قال القاضي أبو محمد: ويمكن أنهما جميعاً تكلما في ذلك اليوم.

فقال: يا رسول الله، كأنك تريدنا معشر الأنصار؟ فقال النبي ﷺ: «أجل»، فقال:

(١) وهو واد قرب وادي الصفراء، كما في معجم البلدان (٣/ ٦)، وفي التركية: «ذقران».
(٢) أخرج نحو قصة المشورة: مسلم (١٧٧٩) من حديث أنس.
(٣) وهو موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل: بلد باليمن دفن عنده عبد الله بن جدعان، معجم البلدان (١/ ٣٩٩).

إنا قد[١] آمنا بك واتبعناك وبايعناك[٢]، فامض لأمر الله، فوالله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك. فقال النبي ﷺ: «امضوا على بركة الله فكأني أنظر إلى مصارع القوم»[٣]، فالتقوا وكانت وقعة بدر.

وقرأ مسلمة بن محارب: (وإذ يَعِدْكم) بجزم الدال[٤]، قال أبو الفتح: ذلك لتوالي الحركات.

وقرأ ابن محيصن: (وإذ يعدكم اللهُ احْدى الطائفتين) بوصل الألف من (اِحْدَى) وصلة الهاء بالحاء[٥].

و﴿ٱلشَّوۡكَةِ﴾ عبارة عن السلاح والحدة، ومنه قول الأعور: إن العَرْفَجَ قد أَدْبَى[٦].

وقرأ أبو عمرو فيما حكى أبو حاتم: ﴿الشَّوْكَة تَّكُونُ﴾ بإدغام التاء في التاء[٧].

ومعنى الآية: وتودون العير وتأبون قتال الكفار.

وقوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ﴾، الآية، المعنى: ويريد الله أن يُظهر الإسلام ويعلي دعوة الشرع.

وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع بخلاف عنهم: (بكلمته) على الإفراد[٨] الذي يراد به

---

(١) من نجيبويه وفيض الله.

(٢) من نور العثمانية والسليمانية وفيض الله.

(٣) مسلم (١٧٧٩) من حديث أنس، وكذا سيرة ابن هشام (١/ ٦٠٧).

(٤) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (١/ ٢٧٣).

(٥) وهي شاذة، انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٩٦)، وقد تقدم مثلها.

(٦) من كلام لرجل من بني العنبر كان أسيراً في بكر بن وائل، انظر قصته في الأمالي لأبي علي القالي (١/ ٨)، قال أبو علي: «أما قوله: قد أدبى العرفج، فإنه يريد أن الرجال قد استلأموا، أي: لبسوا الدروع». وهذا كناية عن السلاح والاستعداد للحرب.

(٧) وهي رواية السوسي على قاعدته في الإدغام الكبير، انظر: التيسير (ص: ٢٠).

(٨) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٥٤)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٠٢)، لسلمة بن محارب، ولم أجدها لمن ذكر.

الجمع، والمعنى في قوله: ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ إما أن يريد: بأوامره وأمره[١] للملائكة والنصر لجميع[٢] ما يظهر الإسلام [أن يكون][٣]، وإما أن يريد: بكلماته التي سبقت في الأزل، والمعنى قريب.

و«الدابر»: الذي يَدْبر القومَ، أي: يأتي في آخرهم، فإذا قطع فقد أتى على آخرهم بشرط أن يبدأ الإهلاك من أولهم، وهي عبارة في كل من أتى الهلاك عليه.

قوله عز وجل: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ أي: ليُظْهِر ما يجب إظهاره وهو الإسلام ﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ أي: الكفر، ﴿وَلَوْ كَرِهَ﴾ أي: وكراهيتُهم واقعة، فهي جملة في موضع الحال.

وقوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ الآية، ﴿إِذْ﴾ متعلقة بفعل، تقديره: واذكر إذ، وهو الفعل الأول الذي عمل في قوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ﴾.

وقال الطبري: هي متعلقة بـ﴿لِيُحِقَّ﴾ و(يبطل)[٤].

قال القاضي أبو محمد: ويصح أن يعمل فيها ﴿يَعِدُكُمُ﴾، فإن الوعد كان في وقت الاستغاثة.

وقرأ أبو عمرو بإدغام الذال في التاء، واستحسنها أبو حاتم[٥].

و﴿تَسْتَغِيثُونَ﴾ معناه: تطلبون الغوث[٦]، وليس يَبِين من ألفاظ هذه الآية أن

---

(١) ساقط من المطبوع والتركية.
(٢) في نجيبويه: «بجميع».
(٣) ساقط من المطبوع.
(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٤٠٨).
(٥) انظر قراءة أبي عمرو في التيسير (ص: ٤٢)، وقد وافقه هشام وحمزة والكسائي.
(٦) من نجيبويه ونور العثمانية والسليمانية.

المؤمنين علموا قبل القتال بكون الملائكة معهم، فإنَّ (استجاب) يمكن أن يقع في غيبه تعالى، وقد روي أنهم علموا ذلك قبل القتال، ومعنى التأنيس وتقويةِ القلوب يقتضي ذلك.

وقرأ جمهور الناس: ﴿أَنِّي﴾ بفتح الألف، وقرأ أبو عمرو في بعض ما روي عنه وعيسى ابن عمر بخلاف عنه: (إني) بكسر الألف[1]، أي: قال إني.

و﴿مُمِدُّكُم﴾، أي: مكثِّركم ومقوِّيكم، من أمددت.

وقرأ جمهور الناس: ﴿بِأَلْفٍ﴾.

وقرأ عاصم الجحدري: (بآلُف) على مثل فَلْسٍ وأَفْلُسٍ، فهي جمع أَلْفٍ، والإشارة بها إلى الآلاف المذكورة في آل عمران، وقرأ عاصم الجحدري أيضاً: (بآلاف)[2].

و﴿مُرْدَفِينَ﴾ معناه: متبَعين، ويحتمل أن يراد بالمردَفين المؤمنين، أي: أُردفوا بالملائكة فـ﴿مُرْدَفِينَ﴾ على هذا حال من الضمير في قوله: ﴿مُمِدُّكُم﴾ / . [٢/ ١٩٤]

ويحتمل أن يراد به الملائكة، أي: أُرْدِف بعضُهم ببعض.

وهذه القراءة بفتح الدال، وهي قراءة نافع وجماعة من أهل المدينة وغيرهم، وقرأ سائر السبعة غير نافع: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ بكسر الدال، وهي قراءة الحسن ومجاهد[3]، والمعنى فيها: تابعٌ بعضُهم بعضاً، وروي عن ابن عباس: خلف كل ملكٍ ملكٌ[4]، وهذا معنى التتابع، يقال: رَدِفَ وأَرْدَفَ: إذا أَتْبعَ وجاء بعد الشيء، ويحتمل أن يراد: مردِفين المؤمنين.

ويحتمل أن يراد: مردِفين بعضَهم بعضاً، ومن قال: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ بمعنى: أن كل ملك أردف ملكاً وراءه، فقولٌ ضعيف لم يأت بمقتضاه رواية.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لعيسى في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٩١)، وله ولأحمد عن أبي عمرو مختصر الشواذ (ص: ٥٣).

(٢) انظر عزوهما له في الشواذ للكرماني (ص: ٢٠٢)، وزاد وجهاً ثالثاً: «ألؤف»، على وزن أعلف، وكلها شاذة.

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٦).

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ٤١٢) بنحوه ومعناه من عدة طرق عن ابن عباس.

وقرأ رجل من أهل مكة رواه عنه الخليل: (مَرَدِّفين) بفتح الراء وكسر الدال وشدها، وروي عن الخليل أنها بضم الراء كالتي قبلها في غير ذلك، وقرأ بعض الناس بكسر الراء مثلهما [في غير][١] ذلك، حكى ذلك أبو عمرو عن سيبويه[٢]، وحكاه أبو حاتم قال: كأنه أراد: مرتدفين، فأدغم وأتبع الحركة، ويحسن مع هذه القراءة كسر الميم، ولا أحفظه قراءة.

وأنشد الطبري شاهداً على أن أردف بمعنى: جاء تابعاً، قولَ الشاعر:

إِذَا الْـجَوْزَاءُ أَرْدَفَـتِ الـثُّـرَيَّـا ظَنَنْـتُ بِـآلِ فَاطِمَـةَ الظُّـنُونَـا[٣] [الوافر]

والثريا تطلع قبل الجوزاء.

وروي في الأشهر أن الملائكة قاتلت يوم بدر، واختلف في غيره من مشاهد رسول الله ﷺ، وقيل: لم تقاتل يوم بدر وإنما وقفت وحضرت، وهذا ضعيف.

وحكى الطبري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: نزل جبريل في ألف ملك على ميمنة النبي ﷺ وفيها أبو بكر، ونزل ميكائيل في ألف ملك في الميسرة وأنا فيها[٤].

وقال ابن عباس: كانا في خمس مئة خمس مئة[٥].

---

(١) في نجيبويه: «وغير». ومعنى الكلام: أن الراء إذا ضمت فإتباعاً لحركة الميم قبلها، وإذا كسرت فإتباعاً لحركة الراء بعدها.

(٢) انظر الأوجه الثلاثة عن الخليل في المحتسب (١/ ٢٧٣)، وانظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٣)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٩١).

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٤١٤)، والبيت لخزيمة بن نهد، كما في الأغاني (١٣/ ٨٥)، والصحاح (٥/ ٥٠)، وتهذيب اللغة (٩/ ٧١).

(٤) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٥٧٥٦) من طريق عبد العزيز بن عمران، عن الزمعي ـ هو موسى ابن يعقوب ـ، عن أبي الحويرث، عن محمد بن جبير، عن علي رضي الله عنه به، وعبد العزيز متروك.

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ٤٢٣) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مطولاً، وفيه: وأمد الله نبيه بألف من الملائكة، فكان جبريل عليه السلام في خمس مئة من الملائكة مجنبة، وميكائيل في خمس مئة مجنبة.

وقال الزجَّاج: قال بعضهم: إن الملائكة خمسة آلاف، وقال بعضهم: تسعة آلاف[١].

وفي هذا المعنى أحاديث هي مستوعبة في كتاب السير.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ الآية، الضمير في ﴿جَعَلَهُ﴾ عائدٌ على الوعد.

قال القاضي أبو محمد: وهذا عندي أمكنُ الأقوال من جهة المعنى.

وقال الزجَّاج: الضمير عائد على المدد، ويحتمل أن يعود على الإمداد، وهذا يحسُن مع قول مَن يقول: إن الملائكة لم تقاتل وإنما آنست بحضورها مع المسلمين.

قال القاضي أبو محمد: وهذا عندي ضعيف ترده الأحاديث الواردة بقتال الملائكة، وما رأى من ذلك أصحابُ النبي ﷺ كابن مسعود وغيره[٢].

ويحتمل أن يعود على الإرداف وهو قول الطبري[٣]، وهذا أيضاً يجري مجرى القول الذي قبله، ويحتمل أن يعود على الألْف وهذا أيضاً كذلك، لأن البشرى بالشيء إنما هي عن ما لم يقع بعد، و«البشرى» مصدر من بَشَرْت، و«الطمأنينة»: السكون والاستقرار.

وقوله: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ توقيف على أن الأمر كله لله، وأن تكسُّب المرء لا يغني إذا لم يساعده القدر، وإن كان مطلوباً بالجِدِّ كما ظاهَرَ رسول الله ﷺ بين درعين[٤].

---

(١) انظره مع النص الذي بعده عنه في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٠٣-٤٠٣).

(٢) ذكر ابن هشام في السيرة (١/ ٦٣٢) روايات فيها أن بعض الصحابة شاهدوا الملائكة ببدر، ولم يذكر منهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٤١٧).

(٤) أصح طرقه مرسل صحابي وهو حجة عند الأكثر، روي هذا من حديث السائب بن يزيد وسعد بن أبي وقاص، أما حديث السائب فرواه سفيان بن عيينة عن يزيد بن خصيفة، واختلف على سفيان، فقيل: عنه عن يزيد عن السائب أن النبي...، (النسائي ٥/ ١٧١) وقيل: عن السائب بن يزيد عمن حدثه: عن طلحة بن عبيد الله أن النبي... (أبو يعلى ٢/ ٢٤). وقيل: عن السائب بن يزيد عن رجل قد سماه: أن رسول الله...، (أبو داود ٢٥٩٠). وقيل: عن السائب بن يزيد عن رجل من بني تميم=

وهذه القصة كلها من قصة[١] الكفار وغلبة المؤمنين لهم تليق بها من صفات الله عز وجل العزةُ والحكمة إذا تؤمل ذلك.

قوله عز وجل: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾.

العامل في ﴿ إِذْ ﴾ هو العامل الذي عمل في قوله: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ﴾ بتقدير تكراره؛ لأن الاشتراك في العامل الأول نفسِه لا يكون إلا بحرف عطف، وإنما القصد أنْ تعدَّد نعمة الله تعالى على المؤمنين في يوم بدر، فقال: واذكروا [إذ فعلنا بكم كذا][٢] إذ فعلنا كذا.

وقال الطبري: العامل في ﴿إِذْ﴾ قوله: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ ﴾[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا مع احتماله فيه ضعف، ولو جُعل العامل في ﴿إِذْ﴾ شيئاً قريباً مـما قبلها لكان الأَولى في ذلك أن يعمل في ﴿إِذْ﴾ ﴿ حَكِيمٌ ﴾، لأن إلقاء النعاس عليهم وجَعْلَه أمنة حكمةٌ من الله عز وجل.

= يقال له معاذ: أن رسول الله... (أبو يعلى ٢/ ٢٤). وقيل: عن السائب بن يزيد إن شاء الله أن النبي...، وقاله سفيان مرة فلم يستثن فيه (أحمد في المسند ٣/ ٤٤٩). وقيل: عن السائب بن يزيد، عن رجل من بني تميم، عن طلحة بن عُبَيْد الله أن النبي ﷺ (تاريخ ابن أبي خيثمة ٣/ ٢٧٧)، ذكر الدارقطني الوجه الأول ونسبه لأصحاب ابن عيينة خلافاً لمن رواه على الوجه الثاني، ومال إلى أن الصواب الأول، وهو من رواه من حديث السائب مرفوعاً بلا واسطة بينه وبين النبي ﷺ، وهذا مرسل صحابي، السائب كان طفلاً يوم أحد، وأما حديث سعد فأخرجه البزار (١/ ١٩٨) من طريق: إسحاق بن محمد الفروي قال: نا عبد الله ابن جعفر، عن إسماعيل بن محمد بن سعد، عن عامر بن سعد، عن أبيه سعد أن رسول الله ﷺ، وإسناده لا بأس به لولا الفروي وفيه لين، وضعفه قوم، قال البزار: لا نعلمه عن سعد إلا من هذا الوجه.

(١) في التركية، والسليمانية: «قتل»، وفي نور العثمانية: «قبل»، وهي ساقطة من نجيبويه.

(٢) زيادة من نجيبويه، زاد في الحمزوية والتركية: «وإذ فعلنا كذا» ثالثة.

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٤١٩).

وقرأ نافع: ﴿يُغْشِيكم﴾ بضم الياء وسكون الغين، وهي قراءة الأعرج وأبي حفص وابن نِصَاح، وقرأ عاصم وحمزة وابن عامر والكسائي: ﴿يُغَشِّيكُمُ﴾ بفتح الغين وشد الشين المكسورة، وهي قراءة عروة بن الزبير وأبي رجاء والحسن وعكرمة وغيرهم.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿يَغْشاكم﴾ بفتح الياء وألف بعد الشين، وهي قراءة مجاهد وابن محيصن وأهل مكة: ﴿النعاسُ﴾ بالرفع[1].

وحجة من قرأ: ﴿يَغْشاكم﴾ [2] إجماعهم في آية أحد على ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وحجة من قرأ ﴿يُغَشِّيكُمُ﴾ أن يجيء الكلام متسقا مع (يُنَـزِّلُ)[3].

ومعنى ﴿يُغَشِّيكُمُ﴾: يغطيكم به ويُفْرغه عليكم، وهذه استعارة، و﴿ٱلنُّعَاسَ﴾ أخف النوم، وهو الذي قد يصيب الإنسان وهو واقف أو ماش، وينص على ذلك قَصَص هذه الآية أنهم إنما كان بهم خفقٌ في الرؤوس، وقول النبي ﷺ: «إذا نعس أحدكم في صلاته»[4] الحديث.

وينص على ذلك قول الشاعر:

[الكامل] وَسْنانُ أَقْصَدَهُ النُّعاسُ فرَنَّقتْ ... في عَيْنِهِ سِنَةٌ ولَيْسَ بِنائِمِ[5]

وقوله: ﴿أَمَنَةً﴾ مصدر من أمِن الرجل يأمن أمْناً وأَمَنةً وأماناً، والهاء فيها لتأنيث المصدر كما هي في المساءة[6] والمشقة.

---

(١) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١١٦)، وانظر العزو لغيرهم في البحر المحيط (٥/ ٢٨١)، وأبو حفص لم أعرفه.
(٢) زاد في الحمزوية: «بفتح الياء وألف بعد الشين».
(٣) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ١٢٦).
(٤) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٢١٢) ومسلم (٧٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٥) تقدم في تفسير آية الكرسي (٢٥٥) من سورة البقرة.
(٦) في نجيبويه: «المسارة».

وقرأ ابن محيصن: (أمْنة) بسكون الميم[١].

وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: النعاس عند حضور القتال علامةُ أمن من العدو، وهو من الله، وهو في الصلاة من الشيطان[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا طريقُه الوحي، فهو لا محالة إنما يُسنده.

وقوله: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ تعديد أيضاً لهذه النعمة في المطر، فقال بعض المفسرين وحكاه الطبري عن ابن عباس وغيره، وقاله الزجَّاج: إن الكفار يوم بدر سبقوا المؤمنين إلى ماء بدر فنزلوا عليه، وبقي المؤمنون لا ماء لهم، فوجست نفوسهم وعطشوا / وأجنبوا وصلَّوا كذلك، فقال بعضهم في نفوسهم ـ بإلقاء الشيطان إليهم ـ: [٢/ ١٩٥] نزعم أنَّا أولياء الله وفينا رسول الله ﷺ وحالنا هذه والمشركون على الماء؟ فأنزل الله المطر ليلة بدر السابعة عشرة من رمضان حتى سالت الأودية، فشرب الناس وتطهروا وسقوا الظَّهر، وتدمَّثت السَّبخة التي كانت بينهم وبين المشركين حتى ثبتت فيها أقدام المسلمين وقت القتال، وكانت قبل المطر تسوخ فيها الأرجل، فلما نزل الطش[٣] تلبدت[٤].

قالوا: فهذا معنى قوله: ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ أي: من الجنابة، ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: عذابه لكم بوساوسه المتقدمة الذكر، و«الرجز»: العذاب.

وقرأ أبو العالية: (رجس الشيطان) بالسين[٥]، أي: وساوسه التي تُـمقت وتُـتقذر.

وقرأ ابن محيصن: (رُجز) بضم الراء[٦].

---

(١) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (١/ ٢٧٣).

(٢) ضعيف، هذا الأثر أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٤٢١٩) والطبري (٨٠٨٣-١٥٧٥٨) وغيرهم من طريق: عاصم، عن أبي رزين، عن عبد الله، وعاصم هو ابن أبي النجود ضعيف.

(٣) في السليمانية وفيض الله: «المطر»، وهما بمعنىً إلا أن الطش أخف.

(٤) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٤٠٣-٤٠٤)، وانظر قول ابن عباس في تفسير الطبري (١١/ ٦٤).

(٥) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٧٥).

(٦) وهي شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (٤/ ٣٣٣).

وقرأ عيسى بن عمر: (ويُذْهِبْ) بجزم الباء[١].

﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ ﴾ أي: بتنشيطها وإزالة الكسل عنها وتشجيعها على العدو، ومنه قولهم: رابط الجأش، أي: ثابت النفس عند جأشها في الحرب.

﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ أي: في الرملة الدهِسة[٢] التي كان المشي فيها صعباً.

قال القاضي أبو محمد: والصحيح من القول وهو الذي في سير ابن إسحاق وغيرها: أن المؤمنين سبقوا إلى الماء ببدر، وفي هذا وقع كلام حباب بن المنذر الأنصاري[٣] حين نزل رسول الله ﷺ على أول ماء، فقال له حباب: أبِوَحْي يا رسول الله هذا المنزل فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخرَ عنه، أم هو عندك الرأي والمكيدة؟[٤] الحديث المستوعب في السيرة.

قال القاضي أبو محمد: ولكن نزول المطر كان قبل وصولهم إلى الماء، وذلك أن القوم من المؤمنين لحقتهم في سفرهم الجنابات وعدموا الماء قريبَ بدرٍ، فصلَّوا كذلك، فوقع في نفوسهم من ذلك، ووسوس الشيطان لهم في ذلك مع تخويفه لهم من كثرة العدو وقلَّتهم، وهذا قبل الترائي بالأعين، وأيضاً فكانت بينهم وبين ماء بدر مسافة طويلة من رمل دهسٍ لين تسوخ فيه الأرجل، وكانوا يتوقعون أن يسبقهم الكفار إلى ماء بدر فتحرَّضوا[٥] هم أن يسبقوهم إليه، فأنزل الله تلك المطرة فسالت الأودية، فاغتسلوا

---

(١) وهي شاذة، عزاها له وللحسن وأبي عمرو الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٠٣).

(٢) في الحمزوية: «الدمثة»، وفي نجيبويه: «المدهسة»، وفي نور العثمانية والسليمانية: «الدهشة». والدهسة: المكان اللين.

(٣) هو الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري الخزرجي ثم السلمي، شهد بدراً، وهو صاحب الرأي فيها، وهو الذي قال يوم السقيفة: أنا جذيلها المحكَّك وعذيقها المرجَّب، توفي في خلافة عمر وقد زاد على الخمسين، الإصابة (٢/ ٩).

(٤) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الحاكم (٣/ ٤٨٣) من طريق أبي حفص الأعشى عمرو بن خالد، عن بسام الصيرفي، عن عامر بن واثلة، عن حباب بن المنذر قال: أشرت على رسول الله ﷺ. قال الذهبي: حديث منكر، وانظر: سيرة ابن هشام (١/ ٦٢٠).

(٥) في التركية وفيض الله: «ويحرصون أن تسبقون». وفي نجيبويه: «ويحرصوا»، وفي السليمانية: و«يحرضون».

وطهَّرهم الله فذهب رجز الشيطان، وتدمثت الطريق وتلبدت تلك الرملة فسهل المشي فيها، وأَمْكَنهم الإسراع حتى سبقوا إلى الماء.

ووقع في السِّير أن ما أصاب المشركين من ذلك المطر بعينه صعَّب عليهم طريقهم، [فسُرَّ المؤمنون][١] وتبينوا من فعل الله بهم ذلك قصد المعونة لهم، فطابت نفوسهم واجتمعت وتشجعت، فذلك الربط على قلوبهم وتثبيتُ الأقدام منهم على الرملة اللينة، فأمكنهم لحاق الماء قبل المشركين[٢].

قال القاضي أبو محمد: هذا أحد ما يحتمله قوله: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾، والضمير في ﴿بِهِ﴾ على هذا الاحتمال عائد على الماء.

ويحتمل أن يعود الضمير في ﴿بِهِ﴾ على ربط القلوب، فيكون تثبيت الأقدام عبارةً عن النصر والمعونة في موطن الحرب، وبيِّنٌ أن الرابط الجأش تثبت قدمه عند مكافحة الهول.

قال القاضي أبو محمد: ونزول الماء كان في الزمن قبل تغشية النعاس، ولم يترتب ذلك في الآية إذ القصد فيها تعديدُ النعم فقط.

وحكى أبو الفتح أن الشعبي قرأ: (وينزِّل عليكم من السماء ما) ساكنة الألف (لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) قال: وهي بمعنى الذي[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف.

وقرأ ابن المسيب: (ليُطْهِركم به) بسكون الطاء[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ الآية، العامل في ﴿إِذْ﴾ العامل الأول على ما تقدم فيما قبلها، ولو قدَّرناه قريباً لكان قولَه: ﴿وَيُثَبِّتَ﴾ على تأويل عود

---

(١) ساقط من الأصل، وهي في فيض الله ملحقة في الهامش وعليها تصحيح.

(٢) راجع سيرة ابن هشام (١/ ٦١٩).

(٣) انظر: المحتسب (١/ ٢٧٤)، وهي شاذة، و«الألف» ليس في التركية.

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٣).

الضمير على الربط، وأما على عوده على الماء فيقلق أن تعمل ﴿وَيُثَبِّتَ﴾ في ﴿إِذْ﴾ ووحي الله إلى الملائكة: إما بإلهام، أو بإرسال بعض إلى بعض.

وقرأ عيسى بن عمر بخلاف عنه: (إني معكم) بكسر الألف[١] على استئناف إيجاب[٢] القصة، وقرأ جمهور الناس: ﴿أَنِّي﴾ بفتح الألف على أنها معمولة لـ﴿يُوحِي﴾.

ووجه الكسر أن الوحي في معنى القول.

وقوله: ﴿فَثَبِّتُوا﴾ يحتمل أن يكون بالقتال معهم على ما روي، ويحتمل بالحضور في حيزهم والتأنيس لهم بذلك، ويحتمل أن يريد: فثبِّتوهم بأقوال مُؤْنسة مقوِّية للقلب، وروي في ذلك أن بعض الملائكة كان في صورة الآدميين، فكان أحدهم يقول للذي يليه من المؤمنين: لقد بلغني أن الكفار قالوا: لئن حمل المسلمون علينا لننكشفن، ويقول آخر: ما أرى الغلبة والظفر[٣] إلا لنا، ويقول آخر: أَقدِمْ يا فلان، ونحو هذا من الأقوال المثبِّتة[٤].

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أيضاً أن يكون التثبيت الذي أمر به: ما يلقيه الملك في قلب الإنسان بلَمَّته من توهُّم الظفر واحتقار الكفار، ويُجري عليه من خواطر تشجيعه، ويقوِّي هذا التأويلَ مطابقةُ قوله تعالى: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ وإن كان إلقاء الرعب يطابق التثبيت على أيِّ صورة كان التثبيت، ولكنه أشبهُ بهذا إذ هي[٥] من جنس واحد.

قال القاضي أبو محمد: وعلى هذا التأويل يجيء قوله: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ

---

(١) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٠٣).

(٢) في المطبوع والحمزوية: «إيجاد».

(٣) في نجيبويه: «والظهور».

(٤) راجع تفسير الطبري (١٣/ ٤٢٨)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٣٣).

(٥) في المطبوع: «هما».

كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ مخاطَبةً للملائكة، ثم يجيء قوله تعالى: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ لفظُه لفظ الأمر ومعناه الخبر عن صورة الحال، كما تقول إذا وصفتَ حرباً لمن تخاطبه: لقينا القوم وهزمناهم فاضرب بسيفك حيث شئت واقتل وخذ أسيرك، أي: هذه كانت صفةَ الحال.

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أن يكون ﴿سَأُلْقِى﴾ إلى آخر الآية خبراً يخاطِب به المؤمنين عما يفعله في الكفار في المستقبل كما فعله في الماضي، ثم أمرهم بضرب الرقاب والبنان تشجيعاً لهم وحضّاً على نصرة الدين.

وقرأ الأعرج: ﴿الرُّعُب﴾ بضم العين[١]، والناسُ على تسكينها.

واختلف الناس في قوله: ﴿فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾:

فقال الأخفش: ﴿فَوْقَ﴾ زيادة[٢]، وحكاه الطبري عن عطية أن المعنى: فاضربوا الأعناق[٣]، وقال غيره: هي[٤] بمعنى «على» / . [٢/ ١٩٦]

وقال عكرمة مولى ابن عباس: هي على بابها، وأراد الرؤوس؛ إذ هي فوق الأعناق[٥].

وقال المبرد: وفي هذا إباحة ضرب الكافر في الوجه[٦].

قال القاضي أبو محمد: وهذا التأويل أنبلها، ويحتمل عندي أن يريد بقوله: ﴿فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ وصف أبلغ ضربات العنق وأحكمِها، وهي الضربة التي تكون فوق عظم العنق ودون عظم الرأس في الـمَفْصِل.

ويَنظُر إلى هذا المعنى قول دريد بن الصمة [الجشمي لابن الدَّغِنة][٧] السلمي

---

(١) وهي سبعية، قرأ بها ابن عامر والكسائي كما في التيسير (ص: ٩١)، وقد تقدم.
(٢) راجع معاني القرآن له (١/ ٣٤٦).
(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٤٢٩).
(٤) من التركية.
(٥) تفسير الثعلبي (٤/ ٣٣٤)، وتفسير الماوردي (٢/ ٣٠١)، وتفسير أبن أبي حاتم (٧/ ٣٤).
(٦) مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٣١٢).
(٧) زيادة من المطبوع، وفي نجيبويه زيادة: «لربيعة بن رفيع»، وفي فيض الله: «للسلمي».

حين قال له: «خذ سيفي وارفع به عن العظم واخفض عن الدماغ، فهكذا كنت أضرب أعناق الأبطال»[(١)].

ومثله قول الشاعر:

[الوافر] جَعلْتُ السَّيْف بيْن الْجِيدِ مِنْهُ وبيْن أَسيلِ خدَّيْهِ عِذاراً[(٢)]

فيجيء على هذا ﴿فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ متمكناً.

وقال ابن قتيبة: ﴿فَوْقَ﴾ في هذه الآية بمعنى دون[(٣)]، وهذا خطأ بين، وإنما دخل عليه اللبس من قوله تعالى: ﴿مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦] أي: فما دونها.

قال القاضي أبو محمد: وليست ﴿فَوْقَ﴾ هنا بمعنى (دون)، وإنما المراد: فما فوقها في القلة والصغر، فأشبه المعنى (دون).

و«البَنان» [قالت فرقة: هي المفاصل حيث كانت من الأعضاء، فالمعنى على هذا: واضربوا منهم في كل موضع][(٤)]، وقالت فرقة: البنان الأصابع، وهذا هو القول الصحيح، فعلى هذا التأويل وإن كان الضرب في كل موضع مباحاً فإنما قصد أبلغ المواضع؛ لأن المُقاتل إذا قُطع بنانه استأسر ولم ينتفع بشيء من أعضائه في مكافحة وقتال.

قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا

---

(١) القصة أوردها ابن هشام كاملة في السيرة النبوية (٢/ ٤٥٣).

(٢) البيت لشمعلة، كما في العقد الفريد (٦/ ٤٣)، ونهاية الأرب للنويري (١٥/ ٢٨٩)، وفي بعض ألفاظه اختلاف.

(٣) قاله في آية البقرة، في أدب الكاتب (ص: ٢١١)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١٢٠)، وتابع المؤلف على نقله عنه هنا في البحر المحيط (٥/ ٢٨٦)، وفي زاد المسير (٢/ ١٩٤) عنه أنها هنا بمعنى على، وهو ظاهر كلامه في غريب القرآن (ص: ١٧٧).

(٤) سقط من التركية.

لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾.

هذا الخطاب للنبي ﷺ، والمؤمنون داخلون فيه بالمعنى، والضمير في (أَنَّهُمْ) عائد على ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

و﴿شَآقُّوا۟﴾ معناه: خالفوا ونابذوا وقطعوا، وهو مأخوذ من الشق وهو القطع والفصل بين شيئين، وهذه مفاعلة، فكأن الله لمَّا شَرَع شرعاً وأمر بأوامر، وكذَّبوا هم وصدوا، تباعد ما بينهم وانفصل وانشق، والشق مأخوذ من هذا لأنه مع شقه الآخر تباعَدَا وانفصلا.

وعبر المفسرون عن قوله: ﴿شَآقُّوا۟﴾ أي: صاروا في شِقٍّ غيرِ شِقِّه.

قال القاضي أبو محمد: وهذا وإن كان معناه صحيحاً، فتحرير الاشتقاق إنما هو ما ذكرناه، والمثال الأول إنما هو الشَّق بفتح الشين.

وأجمعوا على الإظهار في: ﴿يُشَاقِقِ﴾ إتْباعاً لخط المصحف.

وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ جواب الشرط تضمن وعيداً وتهديداً.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ المخاطبة للكفار، أي: ذلكم الضرب والقتل وما أوقع الله بهم يوم بدر، فكأنه قال: الأمر ذلكم فذوقوه، وكذا فسره سيبويه[١].

وقال بعضهم: يحتمل أن يكون ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ في موضع نصب، كقوله: زيداً فاضربه.

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَأَنَّ﴾ بفتح الألف، فإما على تقدير: وحتمٌ أنَّ، فيقدَّر على ابتداء محذوف تكون (أنَّ) خبرَه[٢]، وإما على تقدير: واعلموا أنَّ، فهي على هذا في موضع نصب.

وروى سليمان عن الحسن بن أبي الحسن: (وإنَّ) على القطع[٣] والاستئناف.

(١) في الكتاب (٣/ ١٢٥).

(٢) في التركية هنا زيادة: «وقال سيبويه: التقدير: الأمر ذلكم».

(٣) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٣)، والكامل للهذلي (ص: ٣٨٥)، دون ذكر سليمان، وفي نجيبويه: «سليم».

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا ﴾ الآية، ﴿ زَحْفًا ﴾ يراد به: متقابلي الصفوف والأشخاص، أي: يزحف بعضهم إلى بعض، وأصل الزحف: الاندفاع على الأَلْيَة، ثم سمي كلُّ ماش إلى آخر في الحرب رويداً زاحفاً، إذ في مشيته من التماهل والتباطؤ ما في مشي الزاحف، ومن الزحف الذي هو الاندفاع قولهم لنار العَرْفَج وما جرى مجراه في سرعة الاتقاد: نار الزحفتين، ومن التباطؤ في المشي قولُ الشاعر:

[البسيط] كَأَنَّهُنَّ بِأَيْدِي الْقَوْم في كَبَدٍ طيْرٌ تكشَّفُ عنْ جُونٍ مَزاحيف[1]

ومنه قول الفرزدق:

[البسيط] عَلى عَمائِمنا تُلْقَى وأَرْحلنا عَلى زواحفَ تُزْجَى، مُخُّها رِيرُ[2]

ومنه قول الآخر:

[الكامل] لِمَن الظَّعَائنُ سَيْرُهُنَّ تَزَحُّفُ[3] ....

ومن التزحُّف بمعنى التدافع قول الهذلي [في صفة منهلٍ][4]:

[الوافر] كَأَنَّ مزاحِف الحيَّاتِ فيهِ قُبَيْل الصُّبْح آثارُ السِّيَاطِ[5]

وأمر الله عز وجل في هذه الآية أن لا يولي المؤمنون أمام الكفار، وهذا الأمر

---

(١) البيت لأبي زبيد كما في أمالي القالي (١/ ٢٩)، والصحاح للجوهري (٧/ ٢٢٣)، والمعاني الكبير (٣/ ١٢٠٤).

(٢) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٢٤١)، والعين (٣/ ١٦٣)، والشعر والشعراء (١/ ٩٠)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ١٧)، وأشارا إلى قصة الرواية الأخرى: على زواحف نزجيها محاسير، وعليها درج في المطبوع، وانظر: خزانة الأدب للبغدادي (١/ ٢٣٨).

(٣) عجزه: «عوم السفين إذا تقاعس مجدف»، وهو لأعشى همدان كما في الأغاني (٦/ ٧٤)، والفرج بعد الشدة للتنوخي (٢/ ١٢٣).

(٤) زيادة من الحمزوية والتركية.

(٥) وهو المتنخل ابن عويمر، انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٤٨٥)، والأغاني (٢٤/ ٩٦)، والشعر والشعراء (٢/ ٦٤٧).

مقيد بالشريطة المنصوصة في مثلي المؤمنين، فإذا لقيت فئة من المؤمنين فئة هي ضعف المؤمنة من المشركين فالفرض أن لا يفروا أمامهم، فالفرار هناك كبيرة موبقة بظاهر القرآن والحديث، وإجماعِ الأكثر من الأمة، والذي يراعى العددُ حسب ما في كتاب الله عز وجل، وهذا قول جمهور الأمة.

وقالت فرقة منهم ابن الماجشون في الواضحة: يراعى أيضاً الضعفُ والقوة والعُدَّة[١]، فيجوز على قولهم أن تفر مئة فارس [أمام مئة فارس][٢] إذا علموا أن عند المشركين من العُدَّة والنجدة والبسالة ضعفُ ما عندهم، وأمام [أقل أو أكثر][٣] بحسب ذلك.

وأما على قول الجمهور فلا يحل فرار مئة إلا [أمام ما زاد][٤] على مئتين[٥].

والعبارة بالدُّبر في هذه الآية متمكِّنة الفصاحة، لأنها بشعة على الفار ذامة له.

وقرأ الجمهور: ﴿دُبُرَهُۥ﴾ بضم الباء، وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (دبْره) بسكون الباء[٦].

واختلف المتأولون في المشار إليه بقوله: ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ فقالت فرقة: الإشارة إلى يوم بدر وما وليه، وفي ذلك اليوم وقع الوعيد بالغضب على من فر، ونُسخ بعد ذلك حكم الآية بآية الضِّعف، وبقي الفرار من الزحف ليس بكبيرة، وقد فر الناس يوم أحد فعفا الله عنهم، وقال فيهم يوم حنين: ﴿ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥] ولم يقع على ذلك تعنيف.

---

(١) انظر قول ابن الماجشون في النوادر (٣/ ٥٠).

(٢) ساقط من المطبوع ونجيبويه.

(٣) في الأصل: «قل أو كثر»، وفي نجيبويه: «أقل وأكثر».

(٤) ساقط من الأصل.

(٥) قال به جمهور المالكية كما في النوادر (٣/ ٥١)، والشافعية كما في حاشية عميرة (٤/ ٢١٩)، والحنابلة كما في المغني (٩/ ٢٥٤).

(٦) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٣)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٣٦).

قال القاضي أبو محمد: وقال الجمهور من الأمة: الإشارة بـ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ إلى يوم اللقاء الذي يتضمنه قوله: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ﴾ وحكم الآية باق إلى يوم القيامة بشرط الضِّعف الذي بيَّنه الله تعالى في آية أخرى، وليس في الآية نسخ، وأما يوم أحد فإنما فر الناس / من أكثر من ضعفهم ومع ذلك عنِّفوا لكون رسول الله ﷺ فيهم وفرارِهم عنه، وأما يوم حنين فكذلك مَن فر إنما انكشف أمام الكثرة، ويحتمل أن عفو الله عمن فر يوم أحد كان عفواً عن كبيرة. [٢/ ١٩٧]

و﴿مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ يراد به: الذي يرى أن فعله ذلك أنكى للعدو وأَعْوَدُ عليه بالشر، ونصبه على الحال، وكذلك نصب ﴿مُتَحَيِّزًا﴾[1]، وأما الاستثناء فهو من المولِّين الذين يتضمنهم (مَنْ)، وقال قوم: الاستثناء هو من أنواع التولي.

قال القاضي أبو محمد: ولو كان ذلك لوجب أن يكون: إلا تحرفاً... وتحيزاً.

و«الفئة» هاهنا: الجماعة من الناس الحاضرةُ للحرب، هذا على قول الجمهور في أن الفرار من الزحف كبيرة[2].

وأما على القول الآخر فتكون الفئة: المدينة والإمام وجماعة المسلمين حيث كانوا، روي هذا القول عن عمر رضي الله عنه، وأنه قال: أنا فئتكم أيها المسلمون[3].

قال القاضي أبو محمد: وهذا منه على جهة الحيطة على المؤمنين، إذ كانوا في ذلك

---

(١) في نور العثمانية والسليمانية: «متحرفاً».

(٢) وهو مذهب المالكية كما في حاشية الدسوقي (٢/ ١٧٩)، وقد حكاه السمعاني في تفسيره عن الجمهور (٢/ ٢٥٤).

(٣) أسانيده لا تخلو من مقال، هذا الأثر أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٥٤٢-٥٤٩) والطبري (١٥٨١٤) من طريق سليمان التيمي، عن أبي عثمان قال: لما قتل أبو عبيد، جاء الخبر إلى عمر فقال: يا أيها الناس، أنا فئتكم. وأبو عثمان مجهول، وأخرجه عبد الرزاق (٥/ ٥٢٥) من طريق: أبي الزبير عن غير واحد أن عمر بن الخطاب قاله، وأخرجه الطبري أيضاً من طريق ابن المبارك، عن معمر وسفيان الثوري وابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: قال عمر رضي الله عنه: أنا فئة كل مسلم. وهذا مرسل.

الزمن يثبتون لأضعافهم مراراً، [وفي «مسند ابن أبي شيبة»[١] من طريق عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال لجماعة فرت في سرية من سراياه: «أنا فئة المسلمين» حين قدموا عليه][٢].

وفي «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اتقوا السبع الموبقات»، وعدد فيها الفرار من الزحف[٣].

و﴿بَآءَ﴾ بمعنى: نهض متحمِّلاً للثقل المذكور في الكلام، غضباً كان أو نحوه، والغضب من صفات الله عز وجل إذا أُخذ بمعنى الإرادة فهي صفةُ ذاتٍ، وإذا أخذ بمعنى إظهار أفعال الغاضب على العبد فهي صفةُ فعلٍ، وهذا المعنى أشبه بهذه الآية.

و«المأوى»: الموضع الذي يأوي إليه الإنسان.

قوله عز وجل: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾.

هذه مخاطبة للمؤمنين أعلم الله بها أن القتلة من المؤمنين ليسوا هم مستبدين بالقتل، [لأن القتل][٤] بالإقدار عليه، والخلق والاختراع في جميع حالات القاتل إنما

---

(١) هو أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي مولاهم الكوفي الحافظ، روى عن شريك وهشيم وابن المبارك وابن عيينة وغندر وخلق، وعنه البخاري ومسلم وأبو داود وخلق، مات سنة (٢٣٥هـ). طبقات الحفاظ للسيوطي (ص: ١٩٢).

(٢) ساقط من التركية. وهي سرية مؤتة حين عيرهم الناس بالفرار، رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٦٨٦)، والحميدي في مسنده (٧٠٤)، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٨، ٧٠، ٨٦، ١٠٠، ١١٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٢)، وأبو داود (٢٦٤٧)، والترمذي (١٧١٦)، وأبو يعلى في مسنده (٥٥٩٦-٥٧٨١)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٩٠٠)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٧٦) وغيرهم من طريق يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن ابن عمر به، ويزيد بن أبي زياد ضعيف.

(٣) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) ساقط من المطبوع.

هي لله تعالى ليس للقاتل فيها شيء، وإنما يشاركه بتكسبه وقصده، وهذه الألفاظ تَرِدُ على من يقول بأن أفعال العباد خلقٌ لهم.

وسبب هذه الآية فيما روي: أن أصحاب رسول الله ﷺ لما صدروا عن بدر ذكر كل واحد منهم ما فعل، فقال: قتلت كذا، وفعلت كذا، فجاء من ذلك تفاخر ونحو ذلك، فنزلت الآية(١).

وقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ يراد به ما كان رسول الله ﷺ فعله يومئذ، وذلك أنه أخذ قبضات من حصًى وتراب، فرمى بها في وجوه القوم وتلقاءهم ثلاث مرات فانهزموا عند آخر رمية، ويروى أنه قال يوم بدر: «شاهت الوجوه»(٢)، وهذه الفعلة أيضاً كانت يوم حنين بلا خلاف(٣)، وروي أن التراب الذي رمى به لم يبق كافر إلا دخل في عينيه منه شيء، وروي أنه رمى بثلاثة أحجار فكانت الهزيمة مع الحجر الثالث(٤).

قال القاضي أبو محمد: فيحتمل قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ ما قلناه في قوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾، وذلك منصوص في

---

(١) مرسل، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٣/ ٤٤٢) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد مرسلاً.

(٢) ورد هذا من حديث: إبراهيم بن يحيى الشجري: ثني أبي، عن موسى بن يعقوب الزمعي، عن عبد الله بن يزيد مولى الأسود بن سفيان، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة، عن حكيم بن حزام به، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٠٣)، والشجري وأبوه ضعيفان، والوالد كان يتلقن، ورواه: ابن إسحاق، قال: حدثنا يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، قال: حدثني الزهري، ومحمد ابن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، وغيرهم من علمائنا، فذكر الحديث في يوم بدر.. أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٧٨)، وليس هذا الإسناد بالحجة، وجمع الشيوخ وعدم تمييز رواية بعضهم من بعض مظنة الخلل، والله أعلم، والمحفوظ أن هذه العبارة قالها النبي ﷺ في غزوة حنين، كما سيأتي.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٧٧) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

(٤) مرسل، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٣/ ٤٤٤) من طريق سعيد عن قتادة مرسلاً.

الطبري وغيره[١]، وهو خارج في[٢] كلام العرب على معنى: وما رميت الرمي الكافي إذ رميت، ونحوُه قول العباس بن مرداس[٣]:

[المتقارب]
.... فَلَمْ أُعْطَ شيئاً ولَمْ أُمْنَعِ[٤]

أي: لم أُعط شيئا مرضياً [وهذا كثير][٥].

ويحتمل أن يريد: وما رميت الرعب في قلوبهم إذ رميت حصياتك، ولكن الله رماه، وهذا أيضاً منصوص في المهدوي وغيره[٦]، ويحتمل أن يريد: وما أغنيت إذ رميت حصياتِكَ ولكن الله رمى، أي: أعانك وأظفرك، والعرب تقول في الدعاء: رمى الله لك، أي: أعانك وصنع لك، وحكى هذا أبو عبيدة في كتاب «المجاز»[٧].

وقرأت فرقة: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ بتشديد النون، وفرقة: ﴿ولَكِنِ اللهُ﴾ بتخفيفها ورفع الهاء من ﴿اللهُ﴾[٨].

و(لِيُبْلِي) أي: ليصيبهم ببلاء حسن، فظاهر وصفه بالحسن يقتضي أنه أراد الغنيمة والظفر والعزة، وقيل: أراد الشهادة لمن استُشهد يوم بدر، وهم أربعة عشر رجلاً، منهم

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٤٤٢).

(٢) في المطبوع: «عن».

(٣) هو العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس السلمي، شهد مع النبي ﷺ الفتح وحنيناً، وكان من المؤلفة قلوبهم، وله أبيات يتقالُّ فيها ما ناله من غنائم حنين، وكان شاعراً محسناً مشهوراً بذلك. الاستيعاب (٢/ ٨١٨)، والإصابة (٣/ ٥١٢).

(٤) صدر البيت: «وقد كنتُ في الحرب ذا تُدْرَإٍ»، انظر عزوه له في سيرة ابن هشام (٢/ ٤٩٤)، والشعر والشعراء (٢/ ٧٣٦).

(٥) زيادة من التركية.

(٦) التحصيل للمهدوي (٣/ ١٦٤).

(٧) مجاز القرآن (١/ ٢٤٤).

(٨) وهما سبعيتان، والثانية لابن عامر وحمزة والكسائي، انظر: التيسير (ص: ٧٥).

عبيدة بن الحارث بن المطلب[١] ومِهْجَع مولى عمر[٢]، ومعاذ وعمرو ابنا عفراء[٣]، وغيرهم[٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لاستغاثتكم، ﴿عَلِيمٌ﴾ بوجه الحكمة في جميع أفعاله [لا إله إلا هو][٥].

وحكى الطبري: أن المراد بقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾: رميُ رسول الله ﷺ الحربة على أبي بن خلف يوم أحد[٦].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف؛ لأن الآية نزلت عقب بدر، وعلى هذا القول تكون أجنبيةً مما قبلها وما بعدها وذلك بعيد.

وحكي أيضاً أن المراد السهم الذي رمى به رسول الله ﷺ في حصن خيبر فصار في الهويِّ حتى أصاب ابن أبي الحقيق فقتله وهو على فراشه[٧]، وهذا فاسد، وخيبر فتحُها بعد

---

(١) هو عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطَّلبي، أسلم قديماً هو وأخواه، وكان رأس بني عبد مناف حينئذ، وكان مع النبيّ ﷺ بمكة، ثم هاجر، وشهد بدراً، وبارز فيها واستشهد. الإصابة (٤/ ٣٥٢).

(٢) هو مهجع [بن صالح] العكّي مولى عمر بن الخطاب، قال ابن هشام: أصله من عك، فأصابه سباء فمنَّ عليه عمر فأعتقه، وكان من السّابقين إلى الإسلام، وشهد بدراً، واستشهد بها، وكان أول من قتل ذلك اليوم. الإصابة (٦/ ١٨٢).

(٣) الصواب أن ابني عفراء اللذين استشهدا يومئذ هما عوف ومعوذ كما في سيرة ابن هشام (١/ ٧٠٨)، انظر ترجمة معوذ في الإصابة (٦/ ١٥٢)، وعوف فيها (٤/ ٦١٤)، ويقال فيه: عوذ، وأبوهما الحارث ابن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاريُّ الخزرجيُّ، قال في الاستيعاب (٣/ ١٤٠٨): قتل عوف ومعوذ ببدر شهيدين، وشهد معاذ بعدَ بدر أحداً، والخندق والمشاهد كلها في قول بعضهم، وذكر أنه عاش إلى زمن عثمان، وقيل: مات في خلافة علي، وأما عمرو فلا ذكر له فيهم أصلاً.

(٤) وعددهم أربعة عشر، انظر أسماءهم في سيرة ابن هشام (١/ ٧٠٨).

(٥) ساقط من الأصل ومن نجيبويه.

(٦) مرسل، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٣/ ٤٤٦) من طريق معمر، عن الزهري مرسلاً.

(٧) غريب، هذا الأثر روي عن عبد الرحمن بن جبير من قوله، واستغربه ابن كثير في التفسير (٢/ ٢٩٧) وقال: «سياق الآية في سورة الأنفال في قصة بدر لا محالة، وهذا مما لا يخفى على أئمة العلم».

أحد بكثير، والصحيح في قتل ابن أبي الحقيق غير هذا، فهذان القولان ضعيفان لما ذكرناه.

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى ما تقدم من قتل الله ورميه إياهم، وموضع ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ من الإعراب رفع، قال سيبويه: التقدير: الأمر ذلكم[١]، وقال بعض النحويين: يجوز أن يكون في موضع نصب بتقدير: فَعَلَ ذلك[٢].

و(أَنَّ) معطوف على ﴿ذَٰلِكُمْ﴾، ويحتمل أن يكون خبرَ ابتداءٍ مقدَّرٍ تقديره: وحتمٌ وسابقٌ وثابتٌ ونحو هذا.

وقرأت فرقة: (وإن) بكسر الهمزة[٣] على القطع والاستئناف.

و﴿مُوهِنُ﴾ معناه: مضعف مبطل، يقال: وهَن الشيء، مثل وعد يَعِدُ، ويقال: وهِن يهِن[٤]، مثل ولي يلي، وقرئ: (فَما وَهِنُوا لِما أَصابَهُمْ) [آل عمران: ١٤٦][٥] بكسر الهاء.

وقرأ حمزة والكسائي وابن عامر وأبو بكر عن عاصم: ﴿مُوهِنٌ كَيدَ﴾ من أوهن، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿موَهِّنٌ كيدَ﴾ من وهن، وقرأ حفص عن عاصم: ﴿مُوهِنُ كَيْدِ﴾ بكسر الدال والإضافة[٦]، وذكر الزجّاج أن فيها أربعة أوجه فذكر هذه القراءات الثلاث، وزاد: (موهِّنُ كيدِ) بتشديد الهاء والإضافة، إلا أنه لم ينص أنها قراءة[٧].

قوله عز وجل: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾.

---

(١) الكتاب (٣/ ١٢٥).

(٢) «ذلك» ليست في المطبوع.

(٣) شاذة، لم أجد من ذكرها، وانظر ما في الشواذ للكرماني (ص: ٢٠٣) عن الحسن.

(٤) «يهن» ليست في المطبوع.

(٥) هي قراءة الحسن كما في المحتسب (١/ ١٧٤).

(٦) وكلها سبعية، انظر: التيسير (١/ ١١٤)، والسبعة (ص: ٣٠٤).

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٠٧).

قال بعض المتأولين: هذه الآية مخاطبة للمؤمنين الحاضرين يوم بدر، قال الله لهم: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ [أي: تطلبوا الفتح][١] ـ وهو الحكم بينكم وبين الكافرين ـ فقد جاءكم، وقد حكم الله لكم، وإن تنتهوا عما فعلتم من الكلام في أمر الغنائم وما شجر بينكم فيها، وعن تفاخركم بأفعالكم من قتلٍ وغيره فهو خيرٌ لكم، وإن تعودوا لهذه الأفعال نعد لتوبيخكم، ثم أعلمهم أن الفئة وهي الجماعة لا تغني وإن كثرت إلا بنصر الله تعالى ومعونته، ثم آنسهم بقوله وإيجابه أنه مع المؤمنين.

وقال أكثر المتأولين: هذه الآية مخاطبة للكفار أهل مكة، وذلك أنه روي أن أبا جهل كان يدعو أبداً في محافل قريش، ويقول: اللهم أقطعُنا للرحم وآتانا بما لا يُعرف فأهلكه واجعله المغلوب، يريد محمداً ﷺ وإياهم[٢]، وروي أن قريشاً لما عزموا على الخروج إلى حماية العير تعلقوا بأستار الكعبة واستفتحوا.

وروي أن أبا جهل قال صبيحة يوم بدر: اللهم انصر أحب الفئتين إليك، وأظهر خير الدينين عندك، اللهم أقطعُنا للرحم فأَحِنْه الغداة[٣]، ونحو هذا، فقال لهم الله: إن تطلبوا الفتح [فقد جاءكم][٤]، أي: كما ترونه عليكم لا لكم.

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا توبيخ، ثم قال لهم: ﴿ وَإِن تَنتَهُوا۟ ﴾، عن كفركم وغيِّكم ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾، ثم أخبرهم أنهم إن عادوا للاستفتاح عاد بمثل الوقعة يوم بدر عليهم، ثم أعلمهم أن فئتهم لا تغني شيئاً وإن كانت كثيرة، ثم أعلمهم أنه مع المؤمنين.

---

(١) أكمل في المطبوع الآية بذكر: الفتح، وسقط منه ما بين القوسين، والمعنى ثابت في الحمزوية.

(٢) مرسل صحابي صغير، هذا الحديث أخرجه أحمد (٥/ ٤٣١)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٦٣١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٨) وغيرهم من طريق الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعير به، وعبد الله قيل: له رؤية فقط وهو صغير.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٩٢) من قول الضحاك، و«أحنه» أي: أهلكه، من الحَيْن وهو الموت.

(٤) ساقط من المطبوع.

وقالت فرقة من المتأولين: قوله: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾، هي مخاطَبة للمؤمنين، وسائر الآية مخاطبة للمشركين، كأنه قال: وأنتم أيها الكفار إن تنتهوا فهو خير لكم.

وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر وأبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿وإنَّ الله﴾ بكسر الهمزة على القطع، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص: ﴿وَأَنَّ﴾ بفتح الألف[١]، فإما أن يكون في موضع رفع على خبر ابتداء محذوف، وإما في موضع نصب بإضمار فعل.

وما ذكره الطبري من أن التقدير: لكثرتها ولأن الله مع المؤمنين، محتمل المعنى.

وفي قراءة ابن مسعود: (ولو كثرت والله مع المؤمنين)[٢] وهذا يقوي قراءة من كسر الألف من (إنَّ).

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية، الخطاب للمؤمنين المصدِّقين، جدِّد عليهم الأمر بطاعة الله والرسول ونُهوا عن التولي عنه، وهذا قول الجمهور، ويكون هذا متناصراً مع قول من يقول: إن الخطاب بقوله: ﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ هو للمؤمنين، فيجيء الكلام من نمط واحد في معناه.

وأما على قول من يقول: إن المخاطبة بقوله: (إن تنتهوا) هي للكفار، فيرى أن هذه الآية إنما نزلت بسبب اختلافهم في النفل ومجادلتهم في الحق، وكراهيتهم خروجَ رسول الله ﷺ، وتفاخُرِهم بقتل الكفار والنكاية فيهم.

وقالت فرقة: الخطاب بهذه الآية إنما هو للمنافقين، والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم فقط.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٤)، والسبعة (ص: ٣٠٥).

(٢) وهي شاذة، انظر: كتاب المصاحف (ص: ١٧٧)، والحجة لابن خالويه (١/ ١٧٠)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٤١).

قال القاضي أبو محمد: وهذا وإن كان محتملاً على بُعدٍ فهو ضعيف[١] جدّاً، لأجل أن الله وصف من خاطب في هذه الآية بالإيمان، والإيمان التصديق، والمنافقون لا يتصفون من التصديق بشيء.

وقيل: إن الخطاب لبني إسرائيل، وهذا أجنبي من الآية.

و﴿تَوَلَّوْا﴾ أصله: تتولوا؛ لأن تفعل دخلت عليه تاء المخاطب بالفعل المستقبل فحذفت الواحدة، والمحذوفة هي تاء تَفعَّل، والباقية هي تاء العلامة، لأن الحاجة إليها هنا أمسُّ ليبقى الفعل مستقبلاً.

وقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ يريد دعاءه لكم بالقرآن والمواعظ والآيات، وقوله: ﴿كَالَّذِينَ قَالُوا﴾ يريد الكفار، فإما من قريش لقولهم: ﴿سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأنفال: ٨]، وإما الكفار على الإطلاق الذين يقولون: سمعنا القرآن وعلمنا أنه سحر أو شعر وأساطير بحسب اختلافهم.

ثم أخبر الله عنهم خبراً نفى به أنهم سمعوا؛ أي: فهموا ووعوا، لأنه لا خلاف أنهم كانوا يسمعون التلاوة بآذانهم ولكن صدورهم مطبَـقة لم يشرحها الله عز وجل لتلقي معاني القرآن والإيمان به.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤)﴾.

المقصود بهذه الآية أن يبين أن هذه الصنيفة العاتية من الكفار هي شر الناس عند الله عز وجل، وأنها في أخس المنازل لديه، وعبر بالدَّوَابِّ ليتأكَّدَ ذمُّهم، وليفضِّل عليهم

(١) في نجيبويه: «بعيد».

الكلب العقور والخنزير ونحوهما من السباع[١]، والخمسُ الفواسقُ وغيرها.

و﴿ٱلدَّوَآبِّ﴾ كل ما دب، فهو جميع الحيوان بجملته.

وقوله: ﴿ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ﴾ عبارة عما في قلوبهم وقلةِ انشراح صدورهم وإدراك عقولهم، فلذلك وصفهم بالصمم والبكم وسلب العقل، وروي أن هذه الآية نزلت في طائفة من بني عبد الدار[٢]، وظاهرها العموم فيهم وفي غيرهم ممن اتصف بهذه الأوصاف.

ثم أخبر تعالى بأن عدم سمعهم وهداهم إنما هو بما علمه الله منهم وسبق من قضائه عليهم، فخرج ذلك في عبارة بليغة في ذمهم في قوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾؛ والمراد: / لأسمعهم إسماع تفهيم وهدًى، ثم ابتدأ عز وجل الخبر عنهم [٢/ ١٩٨]
بما هم عليه من حتمه عليهم بالكفر فقال: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ أي: ولو أفهمهم ﴿لَتَوَلَّوا۟﴾ بحكم القضاء السابق فيهم ولأعرضوا عما تبيَّن لهم من الهدى، وحكى الطبري عن فرقة أنها قالت: «المعنيُّ بهذه الآية المنافقون»، وضعفه الطبري[٣]، وكذلك هو ضعيف.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية، هذا الخطاب للمؤمنين المصدقين بلا خلاف، و﴿ٱسْتَجِيبُوا۟﴾ بمعنى: أجيبوا، ولكن عُرْف الكلام أن يتعدى استجاب بلام ويتعدى أجاب دون لام، وقد يجيء تعدي استجاب بغير لام، والشاهد قول الشاعر:

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى ... فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ[٤] [الطويل]

---

(١) في المطبوع وأكثر النسخ: «السبع»، وفي التركية: «السبعة»، وسقطت منها «الخمس»، والمثبت من فيض الله.

(٢) روي من طرق عن مجاهد قال: قال ابن عباس، أخرجها الطبري (١٣/ ٤٦٠).

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٤٦٣).

(٤) تقدم، في تفسير الآية (١٧) من سورة البقرة.

وقوله: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ قال مجاهد والجمهور: المعنى: للطاعة وما تضمنه القرآن من أوامر ونواهٍ[١]، وهذا إحياء مستعار لأنه من موت الكفر والجهل. وقيل: الإسلام، وهذا نحو الأول، ويضعَّف من جهةِ أن من آمن لا يقال له: ادخل في الإسلام.

وقيل: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ معناه: للحرب وجهاد العدو، وهو يحيي بالعزة والغلبة والظفر، فسمي ذلك حياة، كما تقول: حييتْ حالُ فلان: إذا ارتفعت، ويُحيي[٢] أيضاً كما يُحيي الإسلام والطاعة وغير ذلك بأنه يؤدي إلى الحياة الدائمة في الآخرة.

وقال النقاش: المراد: إذا دعاكم للشهادة[٣].

قال القاضي أبو محمد: فهذه صلة حياة الدنيا بحياة الآخرة.

وقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ يحتمل وجوهاً:

ومنها: أنه لما أمرهم بالاستجابة في الطاعة حضهم على المبادرة والاستعجال، فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ بالموت والقبض، أي: فبادروا بالطاعات، ويلتئم مع هذا التأويل قوله: ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، أي: فبادروا بالطاعات وتزودوها ليوم الحشر.

ومنها: أن يقصد بقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ إعلام أن قدرة الله وإحاطته وعلمه والجةٌ بين المرء وقلبه، حاصلة هناك حائلة بينه وبين قلبه.

قال القاضي أبو محمد: فكأن هذا المعنى يحض على المراقبة والخوف لله المطلع على الضمائر، ويشبه على هذا التأويل هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، حكي هذا التأويل عن قتادة[٤].

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٤٦٤)، وتفسير الماوردي (٢/ ٣٠٧)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٤٢).

(٢) في نجيبويه: «وتجيء».

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٤٧١)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٤٣)، وتفسير الماوردي (٢/ ٣٠٨).

ويحتمل أن يريد تخويفهم إن لم يمتثلوا الطاعات ويستجيبوا لله وللرسول بما حل بالكفار الذين أرادهم بقوله: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾، لأن حتمه عليهم بأنهم لو سمعوا وفهموا لم ينتفعوا يقتضي أنه قد كان حال بينهم وبين قلوبهم، فكأنه قال للمؤمنين في هذه الأخرى: استجيبوا لله وللرسول ولا تأمنوا إن لم تفعلوا أن ينزل بكم ما نزل بالكفار من الحول [بينهم وبين قلوبهم](١)، فنبه على ما جرى على الكفار بأبلغ عبارة وأعلقها بالنفس.

ومنها: أن يكون المعنى ترجيةً لهم بأن الله يبدل الخوف الذي في قلوبهم من كثرة العدو فيجعله جرأة وقوة، وبضد ذلك الكفار، فإن الله هو مقلِّب القلوب، كما كان قَسَمُ النبي ﷺ(٢)، قال بعض الناس: ومنه: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، أي: لا حول عن(٣) معصيةٍ ولا قوة على طاعة إلا بالله.

وقال المفسرون في ذلك أقوالاً هي أجنبية من ألفاظ الآية حكاها الطبري، منها: أن الله يحول بين المؤمن [والكفر، وبين الكافر] والإيمان، ونحو هذا(٤).

وقرأ ابن أبي إسحاق: (بين المِرء) بكسر الميم، ذكره أبو حاتم(٥).

قال أبو الفتح: وقرأ الحسن والزهري: (بين المَرِّ) بفتح الميم وشد الراء المكسورة(٦).

و﴿تُحْشَرُونَ ﴾ أي: تبعثون يوم القيامة.

---

(١) في نجيبويه: «بينكم وبين قلوبكم».
(٢) صحيح، هذا الحديث أخرجه البخاري (٧٣٩١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.
(٣) في المطبوع: «على»، وأشار في هامش فيض الله إلى نسخة أخرى فيها: «لا حول عن معصيتك، ولا قوة على طاعتك».
(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٤٧٢)، وهذا لفظه، وفي المطبوع: «والكافر وبين الكفر».
(٥) وهي شاذة، انظرها في البحر المحيط (٥/ ٣٠٣)، وفي مختصر الشواذ (ص: ٢٠٤) عنه ضمُّ الميم.
(٦) كذا في السليمانية وفيض الله: «الزهري»، وهو الموافق لما في المحتسب (١/ ٢٧٦)، والبحر المحيط (٥/ ٣٠٣)، وهي شاذة، وفي المطبوع وباقي النسخ: «الزبيدي».

وروي من طريق مالك بن أنس والنسائي[١] أن رسول الله ﷺ دعا أبيَّ بن كعب وهو في الصلاة فلم يجب وأسرع في بقية صلاته، [فلما فرغ جاءه، فقال][٢] له رسول الله ﷺ: «أما سمعت فيما يوحى إلي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾»، فقال أبيٌّ: لا جرم يا رسول الله، لا تدعوني أبداً إلا أجبتك، الحديث بطوله واختلاف ألفاظه[٣].

وفي البخاري ومسلم أن ذلك وقع مع أبي سعيد بن المعلّى[٤].

وروي أنه وقع نحوه مع حذيفة بن اليمان في غزوة الخندق[٥].

---

(١) ساقط من نجيبويه.

(٢) في المطبوع: «فلما جاءه قال».

(٣) في إسناده اضطراب، وهذه العبارة غير محفوظة فيه، رواه بهذا اللفظ: خالد بن مخلد القطواني، حدثني محمد بن جعفر بن أبي كثير وهو أخو إسماعيل، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: مر رسول ﷺ على أبي بن كعب وهو قائم يصلي، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٥٣) ثم قال: ورواه عبد الحميد بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي ابن كعب بمعناه فى قصة «الفاتحة» دون قصة الإجابة، ورواه جهضم بن عبد الله عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة، وخالفهم مالك بن أنس فرواه عن العلاء عن أبي سعيد مولى عامر بن كريز أن رسول الله ﷺ قال لأبي بن كعب، فذكره مرسلاً، ورواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة. اهـ. ورواه الترمذي (٢٨٧٥) من طريق عبد العزيز الدراوردي، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٥١) من طريق روح بن القاسم، وابن خزيمة (٢/ ٣٧) من طريق روح وحفص بن ميسرة مفرَّقين، جميعاً عن العلاء به، وليس فيه عبارة: «لا جرم لا تدعوني إلا أجبتك»، والحديث قد اختلف في إسناده اختلافاً كثيراً، ومختصراً ومطولاً، ومداره على العلاء بن عبد الرحمن، يراجع العلل للدارقطني (٩/ ١٤) والمحفوظ في هذا الحديث ما يأتي.

(٤) صحيح، أخرجه البخاري (٤٤٧٤) من حديث أبي سعيد بن المعلى، ولم يخرجه مسلم، قال في الإصابة (٧/ ١٤٧): أبو سعد بن أوس بن المعلَّى بن لوذان بن حارثة بن عدي الأنصاري الأوسي، ويقال: اسمه الحارث، توفي سنة (٩٤هـ).

(٥) لم أقف عليه.

قوله عز وجل: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾.

هذه الآية تحتمِل تأويلات، أسبقُها إلى النفس أن يريد الله أن يحذِّر جميع المؤمنين من فتنة إن أصابت لم تخص الظَّلَمة فقط، بل تصيب الكل من ظالم وبريء.

وهذا التأويلَ تأول فيها الزبيرُ بن العوام رضي الله عنه، فإنه قال يوم الجمل: وما علمت أنّا أُرِدنا بهذه الآية إلا اليوم، وما كنت أظنها إلا فيمن خوطب بها ذلك الوقت[(١)].

وكذلك تأول الحسن البصري، فإنه قال: هذه الآية في علي وعمار وطلحة والزبير[(٢)].

وكذلك تأول ابن عباس، فإنه قال: أمر الله المؤمنين في هذه الآية أن لا يُقروا المنكر بين أظهرهم فيعمَّهم العذاب[(٣)]، وبيَّنه القتبي فيما ذكر مكي عنه بياناً شافياً[(٤)].

قال القاضي أبو محمد: فيجيء قوله: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ على هذا التأويل صفة لـ﴿فِتۡنَةٗ﴾، فكان الواجب إذا قدرنا ذلك أن يكون اللفظ: «لا تصيب»، وتلطف لدخول النون الثقيلة في الخبر عن الفتنة، فقال الزجّاج: زعم بعض النحويين أن الكلام جزاء[(٥)] فيه طرفٌ من النهي، قال: ومثله قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾

---

(١) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٣/ ٤٧٤) وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٢) من طريق قبيصة ثنا سفيان، عن أبي شعيب الصلت بن دينار، عن عقبة بن صهبان قال: سمعت الزبير، به. قبيصة ضعف في الثوري، والصلت متروك.

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٤٧٣)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٤٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ٤٧٤) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) الهداية لمكي (٤/ ٤٧٢٩).

(٥) في التركية ونجيبويه وجار الله وأحمد٣ ونور العثمانية: «أن الكلام جرى»، وفي الأسدية: «أن الكلام خبر»، والمثبت من الأصل والمطبوع، وهو الموافق لما في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤١٠).

[النمل: ١٨] [فالمعنى: إن تدخلوا لا يحطمنكم][(١)] فكذلك هذا: إِن تَتَّقُوا لا تُصِيبَنَّ، وقال قوم: هو خبر بمعنى الجزاء فلذلك أمكن دخول النون.

[٢/ ١٩٩] وقال المهدوي: وقيل: هو جواب قسم / مقدر تقديره: واتقوا فتنة والله لا تصيبن، ودخلت النون مع (لا) حملاً على دخولها مع اللام فقط[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا القول تكرُّهٌ، لأن جواب القسم إذا دخلته «لا» أو كان منفيًّا في الجملة لم تدخل النون، وإذا كان موجَباً دخلته اللام والنون الشديدة، كقوله: والله [لا يقوم زيد، والله][(٣)] ليقومن زيد، هذا هو قانون الباب، ولكن معنى هذه الآية يستقيم مع التكره الذي ذكرناه.

والتأويل الآخر في الآية هو أن يكون قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً﴾ خطاباً عامّاً لجميع المؤمنين مستقلّاً بنفسه تم الكلام عنده ثم ابتدأ نهي الظلمة خاصةً عن التعرض للظلم فتصيبهم الفتنة خاصة، وأخرج النهي على جهة المخاطبة للفتنة [فهو نهي محوَّل][(٤)]، والعرب تفعل هذا كما قالوا: لا أَرَينَّكَ هاهنا، يريدون: لا تُقِمْ هاهنا فتقعَ مني رؤيتُك، ولم يريدوا نهي الإنسان الرائي نفسَه، فكذلك المراد في الآية: لا يقعْ من ظَلَمتكم ظلمٌ فتقعَ في الفتنة إصابتُهم، نحا إليه الزجّاج، وهو قول أبي العباس المبرد، وحكاه النقاش عن الفراء[(٥)].

ونهي الظلمة هاهنا بلفظ مخاطبة الجمع كما تقول لقوم: لا يفعلْ سفهاؤكم كذا وكذا، وأنت إنما تريد نهي السفهاء فقط.

و﴿خَآصَّةً﴾ نعت لمصدر محذوف تقديره: إصابةً خاصةً، فهي نصب على

---

(١) ساقط من الأسدية ونور العثمانية وجار الله.

(٢) التحصيل للمهدوي (٣/ ١٨٢).

(٣) ساقط من التركية.

(٤) في الأسدية: «فهي نهي قول».

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤١٠).

الحال لما انحذف المصدر، وهي من الضمير في ﴿تُصِيبَنَّ﴾ وهذا الفعل هو العامل.

ويحتمل أن تكون ﴿خَآصَّةً﴾ حالاً من الضمير في ﴿ظَلَمُواْ﴾ ولا يحتاج إلى تقدير مصدر محذوف، والأول أمكن في المعنى.

وقرأ علي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وأبو جعفر محمد بن علي والربيع بن أنس وأبو العالية وابن جَمَّاز: (لَتُصيبن)[1] باللام على جواب قسم، والمعنى على هذا وعيد الظلمة فقط.

قال أبو الفتح: يحتمل أن يراد بهذه القراءة: «لا تصيبن» فحذف الألف من «لا» تخفيفاً واكتفاء بالحركة، كما قالوا: أَمَ والله، ويحتمل أن يراد بقراءة الجماعة ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ لتصيبن، فمطلت حركة اللام فحدثت[2] عنها ألف.

قال القاضي أبو محمد: وهذا تنطُّع في التحميل[3].

وحكى النقاش هذه القراءة عن الزبير بن العوام، وهذا خلاف لما حكى الطبري وغيره من تأويل الزبير في الآية.

وحكى النقاش عن ابن مسعود أنه قرأ: (واتقوا فتنةً أن تصيبَ)[4].

وقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ وعيد يلتئم مع تأويل الزبير والحسن التئاماً حسناً، ويلتئم مع سائر التأويلات بوجوه مختلفة.

وروي عن علي بن سليمان الأخفش أن قوله: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ هي: لا يصيبن، على معنى الدعاء، ذكره الزهراوي[5].

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهم مع التوجيه في المحتسب (١/ ٢٧٦) والمتواتر من رواية ابن جماز ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ كقراءة الجماعة.

(٢) في التركية: «فحدث»، وفي الأسدية وأحمد٣: «فحذفت عنها اللام».

(٣) في الأسدية: «العمل»، وفي نور العثمانية: «التحصيل»، وفي أحمد٣: «وهذا يتضح»، بدل «تنطع».

(٤) وهي قراءة شاذة. انظر: البحر المحيط (٥ / ٣٠٥)، وذكرها ابن العربي في الأحكام (٢ / ٣٩٢) بلا نسبة.

(٥) لم أقف عليه، والذي في معاني القرآن للأخفش (١/ ٣٤٧) أنه ليس بجواب ولكنه نَهْيٌ بعدَ أمر.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ الآية، هذه آية تتضمن تعديد[١] نعم الله تعالى على المؤمنين، و﴿إِذْ﴾ ظرف لمعمول ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ﴾، تقديره: [﴿وَٱذْكُرُوٓاْ﴾ حالكم الكائنة أو الثابتة][٢] ﴿إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾، ولا يجوز أن تكون ﴿إِذْ﴾ ظرفاً للذكر، وإنما يعمل الذكر في ﴿إِذْ﴾ لو قدرناها مفعولة.

واختلف الناس في الحال المشار إليها بهذه الآية، فقالت فرقة هي الأكثر: هي حال مكة في وقت بداءة الإسلام، والناس الذين يُخاف تخطُّفُهم كفار مكة، و«المأوى» على هذا التأويل المدينة والأنصار، و«التأييد بالنصر» وقعة بدر وما انجر معها في وقتها، و﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الغنائم وسائر ما فتح الله عليهم به، وقالت فرقة: الحال المشار إليها هي حال رسول الله ﷺ [وأصحابه في غزوة بدر، والناس الذين يخاف تخطفهم على هذا عسكر مكة وسائر القبائل المجاورة، فإن رسول الله ﷺ][٣] كان يتخوف من بعضهم، و«المأوى» على هذا المدينةُ[٤]، و«التأييد بالنصر» هو الإمداد بالملائكة والتغليبُ على العدو، و﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الغنيمة.

قال القاضي أبو محمد: وهذان قولان يناسبان وقت نزول الآية؛ لأنها نزلت عقب بدر. وقال وهب بن منبه وقتادة: الحال المشار إليها حال العرب قاطبة، فإنها كانت أعرى الناس أجساماً وأجوعهم بطوناً وأقلهم رجالاً[٥] ونعما، والناس الذين يخاف تخطفهم على هذا التأويل: فارس والروم[٦]، والمأوى على هذا هو النبوءة والشريعة، والتأييد بالنصر هو فتح البلاد وغلبة الملوك، والطَّيِّبات هي نعم المآكل والمشارب والملابس.

قال القاضي أبو محمد: وهذا التأويل يرده أن العرب كانت في وقت نزول هذه

---

(١) ساقطة من الأسدية، وفي نجيبويه: «تقرير».
(٢) ساقط من الأسدية.
(٣) ساقط من التركية.
(٤) «المدينة»: زيادة من جار الله.
(٥) في الأصل ونجيبويه: «حالا».
(٦) تفسير الطبري (١٣/ ٤٧٨) بتصرف.

الآية كافرة إلا القليل، ولم تترتب الأحوال التي ذكر هذا المتأول، وإنما كان يمكن أن يخاطب العرب في هذه الآية في آخر زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإنْ تمثَّلَ أحد بهذه الآية لحالة العرب فتمثُّله صحيح، وأما أن تكون حالة العرب هي سببَ الآية فبعيد لما ذكرناه.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ترجٍّ بحسب البشر متعلق بقوله: ﴿وَاذْكُرُوا﴾.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩) وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠)﴾.

هذا خطاب لجميع المؤمنين إلى يوم القيامة، وهو يجمع أنواع الخيانات كلها قليلها وكثيرها، قال الزهراوي: والمعنى: لا تخونوا بغُلول الغنائم[(١)].

وقال الزهري وعبدالله بن أبي قتادة: سبب نزولها أمر أبي لبابة[(٢)]، وذلك أنه أشار لبني قريظة حين سفر إليهم إلى حلقه، يريد بذلك إعلامهم أنه ليس عند رسول الله ﷺ إلا الذبح، أي: فلا تنزلوا، ثم ندم وربط نفسه بسارية من سواري المسجد حتى تاب الله عليه، الحديث المشهور، وحكى الطبري أنه أقام سبعة أيام لا يذوق شيئاً حتى تيب عليه[(٣)].

وحكي أنه كان لأبي لبابة عندهم مال وأولاد، فلذلك نزلت: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) مرسلان، خبر الزهري رواه الطبري (١٣/ ٤٨١) من طريق أبي سفيان المعمري، عن معمر، عنه، به. وخبر عبد الله بن أبي قتادة رواه الطبري (١٣/ ٤٨٢) وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٤) من طريق ابن عيينة قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، قال: سمعت عبد الله، به، وفي جار الله والمطبوع: «الزهراوي»، بدل «الزهري»، وفي التركية والأسدية: «ابن قتادة»، دون الكنية.

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٤٨١-٤٨٢).

أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، وقال طاوس وعطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله: سببها أن رجلاً من المنافقين كتب إلى أبي سفيان بن حرب بخبر من أخبار رسول الله ﷺ فنزلت الآية(١).

فقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ معناه: أظهَروا الإيمان / ، ويحتمل أن يخاطب المؤمنين حقّاً أن لا يفعلوا فعل ذلك المنافق، وحكى الطبري عن المغيرة بن شعبة أنه قال: أنزلت هذه الآية في قتل عثمان رضي الله عنه (٢). [٢/ ٢٠٠]

قال القاضي أبو محمد: يشبه أن يمثَّل بالآية في قتل عثمان رحمه الله، فقد كانت خيانة لله وللرسول والأمانات، و«الخيانة»: التنقُّص للشيء باختفاء، وهي مستعملة في أن يفعل الإنسان خلاف ما ينبغي من حفظ أمرٍ مَّا، مالاً كان أو سرّاً، أو غير ذلك.

والخيانة لله تعالى هي في تنقص أوامره في سر، وخيانة الرسول: تنقص ما استحفظ، وخيانات الأمانات هي تنقصها وإسقاطها.

و«الأمانة»: حال للإنسان يؤمَن بها على ما استُحفظ، فقد اؤتمن على دينه وعبادته وحقوق الغير، وقيل: المعنى: وتخونوا ذوي أماناتكم، وأظن الفارسي أبا علي حكاه.

وقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: يريد أن ذلك لا يضر منه إلا ما كان عن تعمد.

وقوله: ﴿فِتْنَةٌ﴾ يريد: محنة واختباراً وابتلاء ليرى كيف العمل في جميع ذلك.

وقوله ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ يريد: [فوز الآخرة](٣)، فلا تَدَعوا حظكم منه للحيطة على أموالكم وأبنائكم، فإن المدخور للآخرة أعظم قَدْراً من مكاسب الدنيا.

---

(١) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٣/ ٤٨٠) من طريق شبابة بن سوار قال: حدثنا محمد بن المحرم قال: لقيت عطاء، به، ومحمد متروك منكر الحديث، وذكرُ «طاوس» زيادة من الأسدية.

(٢) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٣/ ٤٨٢) من طريق يونس بن الحارث الطائفي، وهو ضعيف.

(٣) ساقطة من التركية.

وقوله تعالى: ﴿وَتَخُونُوٓا۟﴾ قال الطبري: يحتمل أن يكون داخلاً في النهي، كأنه[١] قال: لا تخونوا الله والرسول، ولا تخونوا أماناتكم، فمكانه على هذا جزمٌ[٢].

ويحتمل أن يكون المعنى: ﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ فذلك خيانة لأماناتكم، فموضعه على هذا نصب على تقدير: وأن تخونوا أماناتكم، كما قال الشاعر:

لا تَنْهَ عن خلُق وتأتيَ مثلَه عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ[٣] [الكامل]

وقرأ مجاهد وأبو عمرو بن العلاء فيما روي عنه أيضاً: (وتخونوا أمانتكم)[٤] على إفراد الأمانة.

وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الآية، وعد للمؤمنين بشرط الاتقاء والطاعة له.

و﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ معناه: فرقاً بين حقكم وباطلِ من ينازعكم، أي: بالنصرة[٥] والتأييد عليهم، والفرقان: مصدر، من: فرق بين الشيئين: إذا حال بينهما، أو خالف حكمهما، ومنه قوله: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] وعبَّر قتادة وبعض المفسرين عن الفرقان هاهنا بالنجاة، وقال السدي ومجاهد: معناه: مخرجاً[٦]، ونحو هذا مما يعمُّه ما

(١) في التركية: «كأنه على هذا جزم».

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٤٨٤)، بالمعنى، وفي التركية: «فكأنه»، بدل: «مكانه».

(٣) البيت للمتوكل بن عبد الله بن نهشل بن مسافع الليثي كما في الجمل في النحو (ص: ٩٥)، والأغاني (١٢ / ١٨٨)، والعقد الفريد (٢/ ٢٢٩)، وجمهرة الأمثال للعسكري (٢/ ٣٧٧)، وإيضاح الشواهد (١/ ٣٤٨)، ونسب في تاريخ دمشق (٢٤/ ٤٦٧) للطرماح، وفي شرح أبيات سيبويه (٢/ ١٧٨) لحسان، وفي خزانة الأدب (٨/ ٥٦٧) أن سيبويه نسبه للأخطل قال: والصحيح أنه لأبي الأسود الدؤلي.

(٤) نقلها الزمخشري في الكشاف (٢ / ٢١٤) عن مجاهد، ولم ترد عن أبي عمرو في شيء من طرق التيسير ولا النشر.

(٥) في نجيبويه وجار الله ونور العثمانية: «بالنصر».

(٦) انظر القولين في تفسير الطبري (١٣/ ٤٨٩-٤٩٠).

ذكرناه، وقد يوجد للعرب استعمال الفرقان كما ذكر المفسرون، فمن ذلك قول مُزَرِّد ابن ضرار[١]:

[الخفيف] بــادَرَ الأُفْـقَ أن يغـيـبَ فلـمّـا أظلـم اللّيـلُ لـم يجـد فرقانا[٢]

وقال الآخر:

[الرجز] ما لـك من طـول الأسـى فُرقانُ بعـد قَطيـنٍ رحلـوا وبانـوا[٣]

وقال الآخر:

[الطويل] وكيف أرجّي الخلدَ والموتُ طالبي ومالِيَ مـن كأس المنيَّـةِ فرقانُ[٤]

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية، يشبه أن يكون قوله ﴿وَإِذْ﴾ معطوفاً على قوله: ﴿إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾، وهذا تذكير بحال مكة وضيقها مع الكفرة وجميل صنع الله تعالى في جمعها، ويحتمل أن يكون ابتداء كلام، وهذا كله على أن الآية مدنية كسائر السورة، وهذا هو الصواب، وحكى الطبري عن عكرمة ومجاهد أن هذه الآية مكية، وحكي عن ابن زيد أنها نزلت عقب كفاية الله رسولَهُ المستهزئين بما أحلَّه بكل واحد منهم، الحديث المشهور[٥].

ويحتمل عندي قول عكرمة ومجاهد: هذه مكية، أنْ أشارا إلى القصة لا إلى الآية.

و«المكر»: المخاتلة والتَّدَاهي، تقول: فلان يمكر بفلان: إذا كان يستدرجه ويسوقه

(١) هو مزرد بن ضرار الغطفاني اسمه يزيد، وهو أخو الشماخ أسنُّ منه، ولقب مزرداً ببيت قاله، وله أشعار وشهرة وكان هجاءً، انظر: معجم الشعراء (ص: ٤٩٦)، وفي الإصابة (٦/ ٦٨) أنه قدم على النبيّ ﷺ وأنشده شعراً.

(٢) نسبه له في البحر المحيط (٥/ ٣٠٨) .

(٣) تفسير القرطبي (٧/ ٣٩٦)، والبحر المحيط (٥/ ٣٠٨)، بلا نسبة.

(٤) تفسير القرطبي (٧/ ٣٩٦)، والبحر المحيط (٥/ ٣٠٨)، بلا نسبة.

(٥) انظر الإحالتين في تفسير الطبري (١٣/ ٤٩٩-٥٠٢)، والقصة المشار إليها هنا هي قصة مؤامرة قريش على قتل النبي ﷺ.

إلى هوة وهو يظهر جميلاً وتستراً بما يريد، ويقال: أصل المكر الفتل[١]، قاله ابن فورك[٢]، فكأن الماكر بالإنسان يفاتله حتى يوقعه.

ومن المكر الذي هو الفتل قولهم للجارية المعتدلة اللحم: ممكورة[٣].

فمكر قريش بالنبي ﷺ كان تدبيرَهم ما يسوءه، وسعيَهم في فساد حاله وإطفاء نوره، وتدبير قريش على رسول الله ﷺ هذه الخصال الثلاث لم يزل قديماً من لدن ظهوره، لكن إعلانهم لا يسمى مكراً وما استسروا به هو المكر.

وقد ذكر الطبري بسنده أن أبا طالب قال للنبي ﷺ: يا محمد، ماذا يدبِّر[٤] فيك قومك؟ ، قال: «يريدون أن أقتل أو أسجن أو أخرج»، قال أبو طالب: من أعلمك هذا؟ قال: ربي، قال [أبو طالب: صادق][٥] فاستوصِ به خيراً، فقال النبي ﷺ: «بل هو يا عم يستوصي بي خيراً»[٦].

قال القاضي أبو محمد: وهذا المكر الذي ذكره الله في هذه الآية هو بإجماع من المفسرين إشارةٌ إلى اجتماع قريش في دار الندوة بمحضر إبليس في صورة شيخ نجدي

---

(١) في نجيبويه وجار الله ونور العثمانية في الموضعين: «القتل»، وكذا: «يقاتله»، بدل «يفاتله».
(٢) لم أقف عليه.
(٣) قال في المعاني الكبير (١/ ٢٥٠): يقال: امرأة ممكورة، إذا كانت ممتلئة.
(٤) في نجيبويه: «يريد».
(٥) في نجيبويه وجار الله ونور العثمانية: «إن ربك لرب صدق».
(٦) منكر، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٣/ ٤٩٢) من طريق عبد المجيد بن أبي رواد، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن المطلب بن أبي وداعة: أن أبا طالب، به، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٨) من طريق: هشام بن يوسف، عن ابن جريج: أخبرني عطاء، عن عبيد بن عمير أن أبا طالب، قال ابن كثير في تفسيره (٤: ٤٦، ٤٧): «ذكر أبي طالب في هذا غريب جدّاً، بل منكر؛ لأن هذه الآية مدنية. ثم إن هذه القصة، واجتماع قريش على هذا الائتمار والمشاورة على الإثبات أو النفي أو القتل، إنما كانت ليلة الهجرة سواء. وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو من ثلاث سنين، لما تمكنوا منه واجترؤوا عليه بسبب موت عمه أبي طالب، الذي كان يحوطه وينصره ويقوم بأعبائه». اهـ.

على ما نص ابن إسحاق في سِيَره، الحديثَ بطوله، وهو الذي كان خروج رسول الله ﷺ من مكة بسببه، ولا خلاف أن ذلك كان بعد موت أبي طالب، ففي القصة أن أبا جهل قال: الرأي أن نأخذ من كل بطن في قريش فتى قويّاً جلداً، فيجتمعون ثم يأخذ كل واحد منهم سيفاً ويأتون محمداً في مضجعه فيضربونه ضربة رجل واحد، فلا يقدر بنو هاشم على قتال قريش بأسرها، فيأخذون العقل ونستريح منه، فقال النجدي: صدق الفتى، هذا الرأي لا أرى غيره، فافترقوا على ذلك، فأخبر الله بذلك نبيه ﷺ، وأذن له في الخروج إلى المدينة، فخرج رسول الله ﷺ من ليلته، وقال لعلي بن أبي طالب: «التفّ في بردي الحضرميِّ واضطجع في مضجعي فإنه لا يضرك شيء»، ففعل علي، وجاء فتيان قريش فجعلوا يرصدون الشخص، وينتظرون قيامه فيثورون به، فلما قام رأوا عليّاً، فقالوا له: أين صاحبك؟ قال: لا أدري[١].

وفي السير: أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم في طريقه، فطمس الله عيونهم عنه، وجعل على رأس كل واحد منهم تراباً، ومضى لوجهه، فجاءهم رجل فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمداً، قال: إني رأيته الآن جائياً من ناحيتكم، وهو لا محالة وضع التراب على رؤوسكم، فمد كل واحد يده إلى رأسه، وجاؤوا إلى مضجع النبي ﷺ فوجدوا عليّاً[٢] فركبوا وراءه حينئذ كل صعب وذلول وهو بالغار[٣].

[٢/ ٢٠١] ومعنى ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾: ليسجنوك/ فتُثْبَتَ، قاله السدي وعطاء وابن أبي كثير، وقال ابن عباس[٤] ومجاهد: معناه: ليوثقوك، وقال الطبري: وقال آخرون: المعنى: ليسحروك[٥].

---

(١) في صحته نظر، هذا الأثر أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٦) من طريق محمد بن إسحاق، عن ابن أبي ليلى، عن مجاهد، عن ابن عباس. ولا يُعلم فيه الاتصال في موضعين، والطبري (١٣/ ٤٩٨) من طريق أسباط، عن السدي به. وهذا مرسل.

(٢) «فوجدوا عليا»: ساقطة من الأسدية.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٤).

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ٤٩١) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٣/ ٤٩١-٤٩٢).

وقرأ يحيى بن وثاب فيما ذكر أبو عمرو الداني: (لِيُثَبِّتوك)، وهذه أيضا تعدية بالتضعيف، وحكى النقاش عن يحيى بن وثاب أنه قرأ: (ليبَيِّتوك)[١] من البيات[٢]، وهذا أخذ مع القتل، فيضعَّف من هذه الجهة، وقال أبو حاتم: معنى ﴿لِيُثۡبِتُوكَ﴾ أي: بالجراحة، كما يقال: أثبتتْه الجراحة، وحكاه النقاش عن أهل اللغة، ولم يسم أحداً[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ﴾ معناه: يفعل أفعالا، منها: تعذيب لهم وعقوبة[٤]، ومنها: ما هو إبطال لمكرهم ورد له ودفع في صدره حتى لا ينجع، فسمى ذلك كله باسم الذنب الذي جاء ذلك من أجله، ولا يحسن في هذا المعنى إلا هذا، وأما أن ينضاف المكر إلى الله عز وجل على ما يفهم منه في اللغة فغير جائز أن يقال.

وقد ذكر ابن فورك في هذا ما يقرب من هذا الذي ضعَّفناه، وإنما[٥] قولنا ﴿وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ﴾ كما تقول في رجل شتم الأمير فقتله الأمير: هذا هو الشتم، فتسمِّي العقوبة باسم الذنب.

وقوله: ﴿خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ أي: أقدرُهم وأعزهم جانباً.

قال القاضي أبو محمد: وفي هذه الجهة ـ أعني القدرة والعزة ـ يقع التفضيل؛ لأن مكَرة الكفار لهم قدرة مّا، فوقع التفضيل لمشاركتهم بها، وأما من جهة الصلاح الذي فيما يعلمه[٦] الله تعالى فلا مشاركة للكفار بصلاح، فيتعذر التفضيل على مذهب سيبويه والبصريين[٧] إلا على ما قد بيناه في ألفاظ العموم مثل خير وأحب ونحو هذا، إذ لا يخلو من اشتراك ولو على معتقَدٍ من فرقة أو من واحد.

---

(١) وهما شاذتان، نقلهما عنه وعن النخعي في الشواذ للكرماني (ص: ٢٠٤)، ونقل الأولى في مختصر الشواذ (ص: ٥٤).

(٢) في الأسدية والتركية: «ليثبتوك من الثبات».

(٣) انظر قول أبي حاتم في تفسير القرطبي (٧/ ٣٩٧)، وقول النقاش لم أقف عليه.

(٤) ساقط من المطبوع.

(٥) في التركية والأسدية: «وأما».

(٦) في التركية والأسدية ونجيبويه وجار الله ونور العثمانية: «يفعله».

(٧) انظر: مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٥٢٠).

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾.

الضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ عائد على الكفار، و«الآيات» هنا: آيات القرآن خاصة بقرينة قوله ﴿تُتْلَىٰ﴾، و﴿قَدْ سَمِعْنَا﴾ يريد: وقد سمعنا هذا المتلوَّ لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مثله، وقد سمعنا نظيره، على ما روي أن النضر سمع أحاديث أهل الحيرة من العبَّاد، فلو نشاء لقلنا مثله من القصص والأنباء، فإن هذه إنما هي أساطيرُ مَن تقدم، أي: قصصهم المكتوبة المسطورة.

و﴿أَسَٰطِيرُ﴾ جمع أسطورة، ويحتمل أن يكون جمع أسطار.

ولا يكون جمع أسطُرٍ كما قال الطبري[١]، لأنه كان يجيء: أساطر دون ياء، هذا هو قانون الباب، وقد شذ منه شيء كصَيْرَف قالوا في جمعه: صياريف.

والذي تواترت به الروايات عن ابن جريج والسدي وابن جبير: أن الذي[٢] قال هذه المقالة هو النضر بن الحارث[٣]، وذلك أنه كان كثير السفر إلى فارس والحيرة، فكان قد سمع من قصص الرهبان والأناجيل، وسمع من أخبار رستم وإسبنديار، فلما سمع القرآن ورأى فيه من أخبار الأنبياء والأمم، قال: لو شئتُ لقلت مثل هذا، وكان النضر من مردة قريش النائلين من رسول الله ﷺ، ونزلت فيه آيات من كتاب الله، وقتله رسول الله ﷺ صبراً بالصفراء منصَرَفَه من بدر في موضع يقال له: الأثيل[٤].

وكان أَسَرَه المقداد، فلما أمر رسول الله ﷺ بضرب عنقه قال المقداد: أسيري يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «إنه كان يقول في كتاب الله ما قد علمتم»، ثم أعاد

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٥٠٣).
(٢) «ابن جبير»: ساقط من الأسدية، وفيها: «أن النبي قال».
(٣) تفسير الطبري، (١٣/ ٥٠٣-٥٠٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٩).
(٤) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٠٠).

الأمر بقتله فأعاد[١] المقداد مقالته، حتى قال رسول الله ﷺ: «اللهم أَغْنِ المقداد من فضلك»، فقال المقداد: هذا الذي أردتُ، فضرب عنق النضر[٢].

وحكى الطبري عن سعيد بن جبير أن رسول الله ﷺ قتل يوم بدر صبراً ثلاثة نفر، المُطْعِم بن عدي، والنضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا وهم عظيم في خبر المطعم، فقد كان مات قبل يوم بدر، وفيه قال النبي ﷺ: «لو كان المطعم حيّاً وكلمني في هؤلاء النَّـتْنَى لتركتُهم له» يعني أسرى بدر[٤].

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ الآية، روي عن مجاهد وابن جبير وعطاء والسدي: أن قائل هذه المقالة هو النضر بن الحارث[٥]، الذي تقدم ذكره، وفيه نزلت هذه الآية.

قال القاضي أبو محمد: وترتب أن يقول النضر بن الحارث مقالةً وينسبها القرآن إلى جميعهم، لأن النضر كان فيهم موسوماً بالنبل والفهم مسكوناً إلى قوله، فكان إذا قال قولاً قاله منهم كثير واتبعوه عليه حسبما يفعله الناس أبداً بعلمائهم وفقهائهم.

والمشار إليه بـ﴿هَٰذَا﴾ هو القرآن وشرعُ محمد ﷺ، والذي حملهم على هذه المقالة هو الحسد، وذلك أنهم استبعدوا أن يكرم الله عليهم محمداً ﷺ هذه الكرامة، وعميت بصائرهم عن الهدى، وصمموا على أن هذا ليس بحق، فقالوا هذه المقالة، كما

---

(١) ساقط من المطبوع.

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٥٠٤) عن سعيد بن جبير مختصراً مرسلًا، وانظر تفصيل ذلك في سيرة ابن هشام (١/ ٧١٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ٥٠٤) عن سعيد بن جبير مختصراً مرسلًا، وفي الأسدية: «فنان بن جبير»، بدل: «سعيد».

(٤) صحيح، هذا الحديث أخرجه البخاري (٣١٣٩) (٤٠٢٤) من حديث جبير بن مطعم.

(٥) تفسير الطبري (١٣/ ٥٠٥-٥٠٧).

يقول الإنسان لأمر قد تحقق بزعمه أنه لم يكن: إن كان كذا وكذا ففعل الله بي وصنع.

وحكى ابن فورك أن هذه المقالة خرجت مخرج العناد مع علمهم بأنه حق[١].

وكذلك ألزم بعض أهل اليمن معاوية بن أبي سفيان القصة المشهورة في باب الأجوبة، وحكاه الطبري عن محمد بن قيس ويزيد بن رومان[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا بعيد من التأويل، ولا يقول هذا على جهة العناد عاقل.

ويجوز في العربية رفع ﴿ٱلْحَقَّ﴾ على أنه خبر ﴿هُوَ﴾، والجملة خبر ﴿كَانَ﴾، قال الزجَّاج: ولا أعلم أحداً قرأ بهذا الجائز[٣]، وقراءة الناس إنما هي بنصب ﴿ٱلْحَقَّ﴾ على أن يكون خبر ﴿كَانَ﴾ ويكون ﴿هُوَ﴾ فصلاً، فهو حينئذ اسم وفيه معنى الإعلام بأن الذي بعده خبرٌ ليس[٤] بصفة.

و(أَمْطَرَ) إنما يستعمل في المكروه، ومَطَر في الرحمة، كذا قال أبو عبيدة[٥].

قال القاضي أبو محمد: ويعارض هذا قوله: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤] لأنهم ظنوها سحابةَ رحمةٍ، وقولهم: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ مبالغة وإغراق، وهذان النوعان اللذان اقترحوهما هما[٦] السالفان في الأمم عافانا الله / وعفا عنا ولا أضلنا [بمَنِّه ويُمْنه][٧]. [٢/ ٢٠٢]

قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٣١١).

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٥١٢).

(٣) زاد في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤١١): ولا اختلاف بين النحويين في إجازتها ولكن القراءة سُنَّة لا يقرأ فيها إلا بقراءة مَرْوية.

(٤) في أحمد٣ والتركية والأسدية وجار الله ونور العثمانية: «وليس».

(٥) مجاز القرآن (١/ ٢٤٤).

(٦) «هما»: ساقطة من التركية والأسدية.

(٧) ساقط من جار الله.

قالت فرقة: نزلت هذه الآية كلها بمكة، وقالت فرقة: نزلت كلها بعد وقعة بدر حكاية عما مضى، وقال ابن أَبْزَى: نزل قوله ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ بمكة إثر قولهم ﴿أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال: ٣٢]، ونزل قوله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ عند خروج النبي ﷺ عن مكة في طريقه إلى المدينة، وقد بقي بمكة مؤمنون يستغفرون، ونزل فيهم[١] قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ ﴾[٢] إلى آخر الآية بعد بدر عند ظهور العذاب عليهم[٣].

قال القاضي أبو محمد: وأجمع المتأولون على أن معنى قوله ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾، أن الله عز وجل لم يعذب قط أمة ونبيها بين أظهرها، فما كان ليعذب هذه الأمة وأنت فيهم، بل كرامتك لديه أعظم، قال ـ أُراه عن أبي زيد ـ سمعت من العرب من يقول: ما كان الله لَيعذبهم بفتح اللام، وهي لغة غير معروفة ولا مستعملة في القرآن[٤].

واختلفوا في معنى قوله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ فقال ابن عباس وابن أبزى وأبو مالك والضحاك ومقاتل ما مقتضاه: إن الضمير في قوله ﴿مُعَذِّبَهُمْ ﴾ يعود على كفار مكة والضمير في قوله: ﴿ وَهُمْ ﴾ عائد على المؤمنين الذين بقوا بعد رسول الله ﷺ بمكة[٥]، أي: وما كان الله ليعذب الكفار والمؤمنون بينهم يستغفرون[٦].

قال القاضي أبو محمد: ويدفع في صدر هذا القولِ أن المؤمنين الذين رُدَّ الضمير عليهم لم يجر لهم ذكر.

وقال ابن عباس أيضاً ما مقتضاه أن يقال: الضميران عائدان على الكفار، وذلك

(١) زيادة من الأسدية.
(٢) «ما لهم»: ساقطة من الأسدية.
(٣) تفسير الثعلبي (٤/ ٣٥٢).
(٤) سر صناعة الإعراب (٢/ ١٣).
(٥) انظر تفسير الطبري (١٣/ ٥١٤)، و«مقاتل» زيادة من الأسدية، وسقط منها: «ما مقتضاه».
(٦) كلمة «يستغفرون»: ساقطة من التركية.

أنهم كانوا يقولون في دعائهم: غفرانك، ويقولون: لبيك لا شريك لك، ونحو هذا مما هو دعاء واستغفار، فجعله الله أمنة من عذاب الدنيا[١]، وعلى هذا تركَّب[٢] قول أبي موسى الأشعري وابن عباس: إن الله جعل من عذاب الدنيا أَمَنتين: كونُ الرسول ﷺ مع الناس، والاستغفارُ، فارتفعت الواحدة وبقي الاستغفار إلى يوم القيامة[٣].

وقال قتادة: الضمير للكفار[٤]، وقوله: ﴿وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾: جملة في موضع الحال أنْ لو كانت، فالمعنى: وما كان الله معذبهم وهم بحال توبة واستغفار من كفرهم أن لو وقع ذلك منهم، واختاره الطبري[٥]، ثم حسن الزجر والتوقيف بعد هذا بقوله: ﴿وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾.

وقال الزجَّاج ما معناه: إن الضمير في قوله: ﴿وَهُمۡ﴾ عائد على الكفار[٦]، والمراد به من قد سبق له في علم الله أن يُسْلم ويستغفر، فالمعنى: وما كان الله ليعذب الكفار وفيهم مَن يستغفر ويؤمن في ثاني حال، وحكاه الطبري عن ابن عباس[٧].

وقال مجاهد في كتاب الزهراوي: المراد بقوله: ﴿وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ ذريةُ المشركين يومئذ الذين سبق لهم في علم الله أن يكونوا مؤمنين، فالمعنى: وما كان الله ليعذبهم وذريتهم

---

(١) إسناده لا بأس به، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٣/ ٥١١) عن أحمد بن منصور الرمادي قال: حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا عكرمة، عن أبي زميل، عن ابن عباس، وأبو حذيفة هو موسى بن مسعود النهدي، وعكرمة هو ابن عمار اليمامي، وأبو زميل هو سماك بن الوليد الحنفي.

(٢) في الأسدية: «ترتب».

(٣) إسناده لا بأس به، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٣/ ٥١١) من طريق عكرمة بن عمار، عن أبي زميل، عن ابن عباس به.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥١٤)، وفي التركية ونجيبويه وجار الله ونور العثمانية: «الضميران».

(٥) انظر: المصدر السابق (١٣/ ٥١٧).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤١٢).

(٧) أخرجه الطبري (١٣/ ٥١٦) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

يستغفرون ويؤمنون، فنسب الاستغفار إليهم، إذ ذريتهم منهم، وذكره مكي ولم ينسبه[(١)].

وفي الطبري عن فرقة أن معنى ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يصلُّون، وعن أخرى: يُسْلمون، ونحو هذا من الأقوال التي تتقارب مع قول قتادة[(٢)].

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ توعدٌ بعذاب الدنيا، فتقديره: وما يُعْلِمهم[(٣)] أو يدريهم، ونحو هذا من الأفعال التي توجب أن تكون أن في موضع نصب.

وقال الطبري: تقديره: وما يمنعهم من أن يعذَّبوا[(٤)].

والظاهر في قوله: ﴿وَمَا﴾ أنها استفهام على جهة التقرير والتوبيخ والسؤال، وهذا أفصح لهم في القول وأقطع لهم في الحجة، ويصح أن تكون (ما) نافية ويكون القول إخباراً، أي: وليس لهم ألا يعذبوا وهم يصدون.

وقوله: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ على التأويلين جملة في موضع الحال.

و﴿يَصُدُّونَ﴾ في هذا الموضع معناه: يمنعون غيرهم، فهو متعدٍّ كما قال:

صَدَدْتِ الكأس عَنَّا أَمَّ عَمْرو[(٥)] .... [الوافر]

وقد تجيء صدَّ غير متعدٍّ كما أنشد أبو علي:

صَدَّتْ خُلَيْدةُ عَنَّا مَا تُكَلِّمُنَا[(٦)] .... [البسيط]

---

(١) الهداية (٤/ ٢٨١٠)، وانظر قول مجاهد في تفسير الثعلبي (٤/ ٣٥٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ١٥١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥١٥-٥١٦).

(٣) في الأسدية والتركية: «وما يملكهم». وفي نجيبويه وجار الله: «وما يهلكهم».

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٥١٧).

(٥) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم، وتمامه: وكان الكأس مجراها اليمينا. انظر الجمل في النحو (ص: ٧١)، والكتاب لسيبويه (١/ ٤٠٤)، وشرح المعلقات التسع (ص: ٣١٠)، ومعجم الشعراء (ص: ٢٠٥)، والأمثال لابن سلام (ص: ٢٨٢).

(٦) هكذا جاء في الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٤/ ١٤٧) غير منسوب، ويقرب منه قول =

والضمير في قوله ﴿أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ عائد على الله عز وجل من قوله ﴿يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾، أو على ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، كل ذلك جيد، روي الأخير عن الحسن[١]، والضمير الآخر تابع للأول.

وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ معناه: لا يعلمون أنهم ليسوا بأوليائه بل يظنون أنهم أولياؤه، وقوله: ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾، ونحن نجد كلَّهم بهذه الصفة، لفظ خارج إما على أن تقول: إنه لفظُ خصوص أريد به العموم، وهذا كثير في كلام العرب، ومنه حكى سيبويه من قولهم: قلَّ مَن يقول ذلك، وهم يريدون: لا يقوله أحد[٢].

وإما أن تقول: إنه أراد بقوله ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾ أن يُعْلم ويُشعر أن بينهم وفي خلالهم قوماً قد جنحوا إلى الإيمان ووقع لهم علم وإن كان ظاهرهم الكفر، فاستثناهم من الجميع بقوله: ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾ وكذلك كانت حال مكة وأهلها، فقد كان فيهم العباس وأم الفضل وغيرهما، وحكى الطبري عن عكرمة قال الحسن بن أبي الحسن: إن قوله ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾، ناسخ لقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٣].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا نظر، لأنه خبر لا يدخله نسخ.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

قرأ الجمهور: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ﴾ بالرفع ﴿عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً﴾ بالنصب ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ كذلك.

وروي عن عاصم أنه قرأ: (صلاتَهم) بالنصب (إلا مكاءٌ وتصديةٌ) بالرفع، ورويت عن سليمان الأعمش بخلاف عنه فيما حكى أبو حاتم.

= الأعشى في معلقته: صدت هريرة عنا ما تكلِّمنا... جهلاً بأم خليد حبلَ مَن تَصِل، انظر: شرح المعلقات التسع (ص: ٢٣)، والصناعتين (ص: ٨٤).

(١) لم أقف على هذا القول للحسن.

(٢) الكتاب لسيبويه (٢/ ٣١٤).

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٥١٧)، وفيه: «عن عكرمة والحسن».

وذكر أبو علي عن الأعمش أنه قال في قراءة عاصم: أفإن لحن عاصم تلحن أنت؟ قال أبو الفتح: وقد روي الحرف كذلك عن أبان بن تغلب(١).

قال قوم: وهذه القراءة خطأ لأنه جعل الاسم نكرة والخبر معرفة، قال أبو حاتم: فإن قيل: إن المكاء والتصدية اسم جنس، واسم الجنس/ معرفاً ومنكَّراً واحد في التعريف، قيل: إن استعماله هكذا لا يجوز إلا في ضرورة الشعر، كما قال حسان: [٢/ ٢٠٣]

كأنَّ سبيئَةً من بيت رأْسٍ يكونُ مِزاجَها عَسلٌ وماءُ(٢) [الوافر]

ولا يقاس على ذلك، فأما أبو الفتح فوجَّهَ هذه القراءة بما ذكرناه من تعرُّف اسم الجنس، وبعد ذلك يرجح قراءة الناس(٣).

قال أبو علي الفارسي: وإنما ذهب من ذهب إلى هذه القراءة لمَّا رأى الصلاة مؤنثة ورأى الفعل المسند إليها ليس فيه علامة تأنيث، فأراد تعليقه بمذكَّر وهو المكاء، وأخطأ في ذلك، فإن العرب تعلق الفعل لا علامة فيه بالمؤنث، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٦٧]، وقوله: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ [النمل: ٥١] و﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٨٦-١٠٣]، [النمل: ١٤] ونحو هذا مما أسند فيه الفعل دون علامة إلى المؤنث(٤).

و«المكاء» على وزن الفُعال: الصفير، قاله ابن عباس(٥) والجمهور، فقد يكون

---

(١) انظر كلام أبي الفتح في المحتسب (١ / ٢٧٨)، وكلام أبي علي في الحجة (٤/ ١٤٥)، وكلام أبي حاتم في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٩٧)، وانظر أيضاً: السبعة لابن مجاهد (ص: ٣٠٥)، والهداية لمكي (٤/ ٢٨١٤)، ومشكل إعراب القرآن (١ / ٣١٥) وهي شاذة.

(٢) انظر عزوه له في الكتاب لسيبويه (١/ ٤٩)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٢١٥)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٤٢٢).

(٣) المحتسب لابن جنى (١ / ٢٧٨).

(٤) انظر: الحجة (٤/ ١٤٥).

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ٥٢٢) من طريق علي بن أبي طلحة والعوفي -مفرقين- عن ابن عباس.

بالفم، وقد يكون بالأصابع والكف في الفم، قاله مجاهد وأبو سلمة بن عبد الرحمن(١)، وقد يشارك الأنف، يقال: مكا يمكو، إذا صَفَر، ومنه قول عنترة:

[الكامل] وحَليـلِ غانيـةٍ ترَكـتُ مُجَـدَّلاً   تَمكُو فَريصَتُهُ كشـدْقِ الأعلَمِ(٢)

ومنه قول الشاعر:

[مجزوء الكامل] .... فكَأَنَّمـا   يـمْـكُـو بـأعـصـمَ عـاقـلِ(٣)

يصف رجلاً فر له حيوان، ومنه قول الطِّرِمَّاح:

[الكامل] فَنَحَـا لأُولاهـا بِطَعْنَـةِ مُحْفَـظٍ   تَمْكُـو جَوَانِبُهَـا مِـنَ الإنْهَـارِ(٤)

ومكت استُ الدابة: إذا صفرت، يقال: ولا تمكو إلا استٌ مكشوفة، ومن هذا قيل للاست: مَكْوَة، قال أبو علي: فالهمزة في ﴿مُكَآءً﴾ منقلبة عن واو(٥).

قال القاضي أبو محمد: ومن هذا قيل للطائر: المُكَّاء؛ لأنه يمكو أي: يَصْفِر في تغريده، ووزنه فُعَّال بشد العين كخُطَّاف، والأصوات في الأكثر تجيء على فُعَال بتخفيف العين كالبكاء والصراخ والدعاء والجؤار والنباح ونحوه.

وروي عن قتادة أن المكاء صوت الأيدي(٦)، وذلك ضعيف.

وروي عن أبي عمرو أنه قرأ: (إلا مكاً) بالقصر(٧).

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٥٢٤)، وفي المطبوع: «وقال مجاهد...» إلخ.

(٢) انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٢٣)، والعين (٢/ ١٥٢)، وشرح المعلقات التسع (ص: ٢٣٨)، والحيوان (٣/ ١٤٨).

(٣) استشهد به بلا نسبة في مجاز القرآن (١/ ٢٤٦)، والبيت بتمامه عنده:

ومـكـا بـهـا فـكـأنـمـا   يـمـكـو بـأعـصـم عـاقـل

(٤) انظر عزوه له في المعاني الكبير (٢/ ٩٨٣)، وتفسير الطبري (١٣/ ٥٢١).

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ١٤٦).

(٦) تفسير الطبري (١٣/ ٥٢٦)، وفي التركية والأسدية وجار الله ونور العثمانية: «ضرب الأيدي».

(٧) هي شاذة، لم ترد هذه القراءة عنه في شيء من طرق التيسير ولا النشر، وقد نقلها عنه اللباب في علوم =

و«التصدية» عبَّر عنها أكثر الناس بأنها التصفيق، وقتادة بأنه الضجيج والصياح، وسعيد بن جبير بأنها الصد والمنع[(١)]، ومن قال: إنها التصفيق، قال: إنما كان للمنع[(٢)] عن ذكر الله ومعارضة لقراءة رسول الله ﷺ للقرآن، والتصدية يمكن أن تكون من صدى يصدى: إذا صوَّت، والصَّدى: الصوت، ومنه قول الطِّرِمَّاح يصف الأروية:

لهَـا كلَّمَـا رِيعَـتْ صَـدَاةٌ ورَكْـدَةٌ بِمُصْدانَ أَعْلى ابنيْ شَمام البَوائن[(٣)] [الطويل]

فيلتئم على هذا الاشتقاق قول من قال: هو التصفيق، وقول من قال: هو الضجيج، ولا يلتئم عليه قول من قال: هو الصدُّ والمنع، إلا أن يجعل التصويت[(٤)] إنما يقصد به المنع، ففسر اللفظ بالمقصود لا[(٥)] بما يخصه من معناه

ويمكن أن تكون التصدية من صدَّ يَصُد، استعمل الفعل مضعَّفًا للمبالغة والتكثير، لا ليعدى، فقيل: صدَّد، وذلك أن الفعل الذي يتعدَّى إذا ضعف فإنما يضعف للتكثير، إذ التعدي حاصل قبل التضعيف، وذلك نحو قوله: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ [يوسف: ٢٣]، والذي يضعف ليعدى هو كقولهم علَّم وغرَّم، فإذا قلنا في صدَّ: صدَّدَ، ففعَّل في الصحيح يجيء[(٦)] مصدرُه في الأكثر على تفعيل، وفي الأقل على تفعلة، مثل كمَّل تكميلا وتكملة وغير ذلك، بخلاف المعتل فإنه يجيء في الأكثر على تفعلة، مثل عزَّى وتعزية، وفي الشاذ على تفعيل، مثل قول الشاعر:

= الكتاب (٩ / ٥١١)، والدر المصون في علم الكتاب المكنون (١ / ٢١٠٥)، وأوردها البيضاوي (١/ ١٠٦) بلا نسبة.

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٥٢٦).

(٢) في الأصل: «المنع».

(٣) انظر عزوه له في سيرة ابن هشام (١/ ٦٧٠)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٦٨)، وفي المطبوع: «مصران»، وفي نجيبويه: «وركضة»، بدل «ركدة».

(٤) في الأسدية ونجيبويه: «التصدية».

(٥) في الأصل: «وبما يخصه من معناه».

(٦) في الأسدية: «هي»، بدل: «يجيء».

[الرجز] بـــات يُـنـزِّي دلوهـا تَـنْـزِيّـا[1] ....

وإذا كان فعل في الصحيح يتسق فيه المِثْلان رُفض فيه تَفْعِلة مثل قولنا: تصدية، وصِيْر إلى قوله: تفعيل، لتَحُول الياء بين المِثْلين، كتخفيف وتشديد، فلما سلكوا في مصدر صدَّد المسلك المرفوض أُصلِح ذلك بأن أبدل أحد المثلين ياء، كبدلهم في تظنَّنْتُ ونحوِه، فجاء تصدية، فعلى هذا الاشتقاق يلتئم قول من قال: التصدية: الصد عن البيت والمنع.

ويمكن أن تكون التصدية من صدَّ يصِد بكسر الصاد في المستقبل، إذا ضج[2]، ويبدل أيضاً على هذا أحد المثلين، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧] بكسر الصاد، ذكره النحاس[3].

وذهب أكثر المفسرين إلى أن المكاء والتصدية إنما أحدثها الكفار عند مبعث رسول الله ﷺ لتقطع عليه وعلى المؤمنين قراءتهم وصلاتهم ويخلَّط عليهم، فكان المصلي [إذا قام يقرأ من المؤمنين][4] اكتنفه من الكفار عن يمينه وشماله من يمكو ويصدي حتى تختلط عليه قراءته، فلما نفى الله تعالى ولايتهم للبيت أمكن أن يعترض معترض بأن يقول: وكيف لا نكون أولياءه ونحن نسكنه ونصلي عنده؟ فقطع الله هذا الاعتراض بأن قال: وما كان صلاتهم عند البيت إلا المكاء والتصدية، وهذا كما يقول رجل: أنا أفعل الخير، فيقال له: ما فعلك الخير إلا أن تشرب الخمر وتقتل، أي: هذه عادتك وغايتك.

قال القاضي أبو محمد: والذي مر بي من أمر العرب [في غير ما ديوانٍ أن المكاء والتصدية كان من فعل العرب][5] قديماً قبل الإسلام على جهة التقرب به والتشرع.

---

(١) بلا نسبة في تهذيب اللغة (٦/ ٥٣)، وهو في العين (٣/ ٤٠١)، وأمالي القالي (١/ ٢٠) وغيرهما بلفظ: باتت تنزي. وبعده: كما تنزِّي شهلة صبيّا.

(٢) في التركية والأسدية وجار الله ونور العثمانية: «صح»، والمثبت هو الموافق للمصدر.

(٣) معاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٧٦).

(٤) في نجيبويه: «من المؤمنين إذا قام يقرأ».

(٥) ساقط من الأسدية.

ورأيت عن بعض أقوياء العرب أنه كان يمكو على الصفا فيسمع من جبل حراء، وبينهما أربعة أميال، وعلى هذا يستقيم تعييرهم[١] وتنقُّصهم بأن شرعهم وصلاتهم[٢] وعبادتهم[٣] لم تكن رهبة ولا رغبة، إنما كانت مكاء وتصدية من نوع اللعب، ولكنهم كانوا يتزيدون فيها وقت النبي ﷺ ليشغلوه وأمته عن القراءة والصلاة.

وقوله: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ إشارة إلى عذابهم ببدر بالسيف، قاله ابن جريج والحسن والضحاك[٤]، فيلزم من هذا أن هذه الآية الأخيرة نزلت بعد بدر ولا بد.

قال القاضي أبو محمد: والأشبه أن الكل نزل بعد بدر حكايةً عما مضى، والله ولي التوفيق برحمته.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

[٢/ ٢٠٤] قال بعض الرواة منهم / ابن أبزى وابن جبير والسدي ومجاهد: سبب نزول هذه الآية أن أبا سفيان أنفق في غزوة أحد على الأحابيش وغيرهم أربعين أوقية من الذهب أو نحو هذا، وأن الآية نزلت في ذلك[٥].

وقال ابن شهاب، ومحمد بن يحيى بن حَبَّان، وعاصم بن عمر بن قتادة[٦]،

---

(١) في الأسدية والتركية ونور العثمانية: «تعبيرهم».

(٢) في التركية: «ضلالهم».

(٣) ساقطة من نجيبويه.

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٥٢٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٩٧)، وتفسير الماوردي (٢/ ٣١٦).

(٥) تفسير الطبري (١٣/ ٥٣١)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٥٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٨٤)، وفي التركية: «ابن جريج»، بدل «ابن جبير».

(٦) عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الظفري، المدني، روى عن جابر، ومحمود بن لبيد، وعنه بكير ابن الأشج، ومحمد بن عجلان، وجماعة، وكان ثقة عارفاً بالمغازي، واسع العلم، وثقه أبو زرعة والنسائي، توفي سنة (١٢٠هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٣٨٩).

والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ[١]: إنه لما قُتل مَن قُتل ببدر اجتمع أبناؤهم وقرابتهم وقالوا لمن خلص ماله في العير: إن محمداً قد نال منا ما ترون، ولكن أعينونا بهذا المال[٢] الذي كان سبب الواقعة، فلعلنا أن ننال منه ثأراً، ففعلوا، فنزلت الآية في ذلك[٣].

قال القاضي أبو محمد: وعلى القولين فإنما أُنفق المال في غزوة أحد، فأخبر الله تعالى في هذه الآية خبراً لفظه عام في الكفار، والإشارة به إلى مخصوصين، أنهم ينفقون أموالهم يقصدون بذلك الصد عن سبيل الله والدفع في صدر الإسلام.

ثم أخبر خبراً يخص المشار إليهم أنهم ينفقونها ثم تكون عليهم حسرة، إذ لا تتم لهم إرادةٌ ويذهب المال باطلاً، و«الحسرة»: التلهف على الفائت، ويحتمل أن تكون الحسرة في يوم القيامة، والأول أظهر، وإن كانت حسرة القيامة راتبةً عليهم.

ثم أخبر أنهم يُغلبون بعد ذلك كله، بأن تكون الدائرة عليهم، وهذا من إخبار القرآن بالغيوب لأنه أخبر بما يكون قبل أن يكون، فكان كما أخبر، قال ابن سلام: بيَّن الله عز وجل أنهم يَغلبون قبل أن يقاتلوا بسنة، حكاه الزهراوي[٤].

ثم أخبر تعالى عن الكافرين أنهم يُجمعون إلى جهنم، و«الحشر»: جمع الناس والبهائم، إلى غير ذلك مما يجمع ويُحضَر، ومنه قوله: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ [الأنعام: ١١١].

ومنه في التفسير: أن السلوى طائر كانت الجَنوب تحشره على بني إسرائيل[٥].

---

(١) هو الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، ويكنى أبا محمد، الأنصاري الأشهلي المدني من أهلها، تابعي ثقة قليل الحديث، روى عن ابن عباس وأنس، وعنه ابنه محمد وابن إسحاق ويحيى بن صالح، توفي سنة (١٢٦هـ). التحفة اللطيفة (١/ ٢٩٨).

(٢) في الأسدية: «أعينونا بقوة وبهذا امال».

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٨٦).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٩٦)، وتفسير الماوردي (١/ ١٢١)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ١٣).

والقوم الذين جلبهم أبو سفيان وأنفق المال عليهم هم الأحابيش من كنانة، ولهم يقول كعب بن مالك:

[الطويل]

وَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ البَحْرِ وَسْطَه ... أَحَابِيشُ، مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ
ثَلاثَةُ آلافٍ، ونَحْنُ نَصِيَّةٌ ... ثَلاثُ مِئِينَ إن كَثُرْنَ، فَأَرْبَعُ[1]

وقال الضحاك وغيره: إن هذه الآية نزلت في نفقة المشركين الخارجين إلى بدر، الذين كانوا يذبحون يوماً عشراً ويوماً تسعاً من الإبل[2]، وحكى نحو هذا النقاش[3].

قوله عز وجل: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾.

قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر: ﴿لِيَمِيزَ﴾ بفتح الياء وكسر الميم، وهي قراءة الأعرج وأبي جعفر وشيبة بن نِصَاحٍ وشِبْلٍ وأبي عبد الرحمن والحسن وعكرمة ومالك بن دينار، تقول: مِزْتُ الشيء، والعرب تقول[4]: مزته فلم يتميز لي، حكاه يعقوب[5]، وفي شاذ القراءة: (وانمازوا اليوم)[6]، وأنشد أبو زيد:

---

(١) انظر عزوهما له في سيرة ابن هشام (٢/ ١٣٤)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ٢٢٠)، وفي نور العثمانية: «عصيبة»، وفي الأسدية: «قصيبة».

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٥٣٣)، وتفسير الماوردي (٢/ ٣١٦).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) «والعرب تقول»: ساقطة من الأسدية.

(٥) هو ابن السكيت، كما تقدم في تفسير الآية (١٧٩) من آل عمران.

(٦) وهي قراءة شاذة في قوله تعالى: ﴿وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ﴾ الآية (٥٩) من يس، وسيأتي الكلام عليها في محله.

[البسيط] لمَّـا ثَـنَـى اللهُ عنـي شـرَّ عَـدْوتــه وانمزت لا منشئاً ذُعْراً ولا وجلا[(١)]

وهو مطاوع[(٢)] ماز، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿لِيُمَيِّزَ﴾ بضم الياء [وفتح الميم وشد الياء][(٣)]، وهي قراءة قتادة وطلحة بن مصرِّفٍ والأعمش والحسن أيضاً وعيسى البصري[(٤)]، تقول: ميَّزْتُ أميِّز: إذا فرقتَ بين شيئين فصاعداً، وفي القرآن: ﴿تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨]، فهو مطاوع ميَّز، ومعناه: تتفصل.

وقال ابن عباس رضي الله عنه والسدي: المعنيُّ بـ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾ الكفار وبـ﴿ٱلطَّيِّبِ﴾ المؤمنون[(٥)].

قال القاضي أبو محمد: واللام على هذا التأويل من قوله: ﴿لِيَمِيزَ﴾ متعلقة بـ﴿يُحْشَرُونَ﴾، والمعنى أن الله يحشر الكافرين إلى جهنم ليميز الكافرين من المؤمنين بأن يجمع الكافرين جميعاً فيلقيهم في جهنم، ثم أخبر عنهم أنهم الخاسرون، أي: الذين خابت سعايتهم وتبَّت أيديهم وصاروا إلى النار.

وقال ابن سلام والزجَّاج: المعنيُّ بـ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾: المال الذي أنفقه المشركون في الصد عن سبيل الله، و﴿ٱلطَّيِّبِ﴾: هو ما أنفقه المؤمنون في سبيل الله[(٦)].

قال القاضي أبو محمد: واللام على هذا التأويل من قوله: ﴿لِيَمِيزَ﴾ متعلقة بـ﴿يُغْلَبُونَ﴾، والمعنى: أن الكفار ينفقون أموالهم فتكون عليهم حسرة ثم يغلبون مع نفقتها، وذلك ليميز الله الفرق بين الخبيث والطيب فيخذل أهل الخبيث وينصر أهل الطيب.

---

(١) استشهد به هكذا الفارسي في الحجة (٣/ ١١٠)، وهو لمالك بن الريب كما في الأغاني (٢٢/ ٢٩٤) بلفظ: رقدت لا مثبتاً ذعراً، لا بعلاً، وفي المطبوع وأحمد٣: «شر دعوته».

(٢) في نجيبويه وأحمد٣ وجار الله: «مضارع»، وفي نور العثمانية: «ميز»، بدل «ماز».

(٣) ساقط من التركية.

(٤) وهما قراءتان سبعيتان، كما تقدم في تفسير الآية (١٧٩) من آل عمران، وسقط ذكر شبل من التركية.

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ٥٣٤) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: فميز أهل السعادة من أهل الشقاوة.

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤١٢)، وهذا القسم من تفسير يحيى بن سلام لم يطبع.

وقوله تعالى على هذا التأويل: ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ إلى قوله: ﴿فِى جَهَنَّمَ﴾ مترتب على ما روي عن رسول الله ﷺ: «أن الله تعالى يخرج من الأموال ما كان صدقة أو قربة يوم القيامة[١] ثم يأمر بسائر ذلك فيلقى في النار»[٢].

وحكى الزهراوي عن الحسن أن الكفار يعذبون بذلك المال، فهي كقوله: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]، وقاله الزجّاج[٣].

وعلى التأويلين فقوله: ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾ إنما هي عبارة عن جمع ذلك وضمه وتأليف أشتاته وتكاثفه بالاجتماع.

و(يَرْكُمَهُ) في كلام العرب: يكثفه، ومنه: سحاب مركوم وركام، ومنه قول ذي الرمة:

.... زُعْ بالزِّمام وجَوْزُ اللَّيل مَرْكومُ[٤] [البسيط]

وقوله: ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ﴾ بمعنى: يلقي، قاله أبو علي[٥]، و﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ على هذا التأويل يراد به المنافقون من الكفار، ولفظة الخسارة تليق بهم من جهة المال وبغير ذلك من الجهات.

وقوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ الآية، أمر من الله عز وجل لنبيه ﷺ أن يقول للكفار هذا المعنى الذي تضمنته ألفاظ قوله: ﴿إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾.

وسواء[٦] قاله النبي ﷺ في هذه العبارة أو غيرها.

---

(١) في نجيبويه وأحمد٣ ونور العثمانية وجار الله وردت عبارة «يوم القيامة» بعد قوله: «يخرج».

(٢) لم أقف عليه.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤١٣)، وكلام الزهراوي لم أقف عليه..

(٤) صدره: ومائلٍ فوقَ ظهرِ الرّحْلِ قلتُ له، عزاه له في العين (٢/ ٢٠٧)، وإصلاح المنطق (ص: ١٨٥)، وأدب الكاتب (ص: ٣٤٦).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٥).

(٦) في الأسدية: «وهذا».

ولو كان الكلام كما ذكر الكسائي أنه في مصحف ابن مسعود: (قل للذين كفروا إن تنتهوا[١] يغفر لكم)[٢] لمَا تأدت الرسالة إلا بتلك الألفاظ بعينها، هذا بحسب ما تقتضيه الألفاظ.

وقوله: ﴿إِن يَنتَهُواْ﴾ يريد به: عن الكفر ولا بد، والحامل على ذلك جواب الشرط: ﴿يُغْفَرْ / لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾، ومغفرة ما قد سلف لا تكون إلا لمنْتَهٍ عن الكفر. [٢/ ٢٠٥]

وقوله: ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ يريد به: إلى القتال؛ لأن لفظة عاد يعود إذا جاءت مطلقة فإنما تتضمن الرجوع إلى حالة قد كان الإنسان عليها ثم تنقّل عنها.

ولسنا نجد في هذه الآية لهؤلاء الكفار حالة تشبه ما ذكرنا إلا القتال، ولا يصح أن يتأول ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ إلى الكفر؛ لأنهم لم ينفصلوا عنه وإنما قلنا في «عاد»: إذا كانت مطلقة؛ لأنها قد تجيء في كلام العرب داخلة على الابتداء والخبر بمنزلة صار، وذلك كما تقول: عاد زيد ملكاً تريد: صار، ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

[البسيط] تلكَ المكارمُ لا قعبانِ منْ لبنٍ ... شِيبَا بماءٍ، فعادا بعد أبوالا[٣]

وهذه لا تتضمن الرجوع إلى حالة قد كان العائد عليها قبلُ، لكنها مقيدة بخبرها لا يجوز الاقتصار دونه، فحكمها حكم صار.

وقوله: ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ عبارة تجمع الوعيد والتهديد والتمثيل بمن هلك من الأمم في سالف الدهر بعذاب الله حين صدَّ في وجه نبيه، وبمن هلك في يوم بدر بسيف الإسلام والشرع، والمعنى: فقد رأيتم ببدر وسمعتم عن الأمم ما حل.

قال القاضي أبو محمد: والتخويف عليهم بقصة بدر أشد، إذ هي القريبة منهم

(١) كتبت في المطبوع: «ينتهوا».
(٢) نقلها عنه الزمخشري في الكشاف (٢/ ٢١٩).
(٣) تقدم في تفسير الآية (٨٧) من سورة الأعراف، وهو منسوب هنا في أكثر النسخ لأبي الصلت، وفي الأسدية لابنه أمية.

والمعايَنة عندهم، وعليها نص ابن إسحاق والسدي[١].

وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ الآية، أمر من الله عز وجل فرض به على المؤمنين أن يقاتلوا الكفار، و«الفتنة»: قال ابن عباس وغيره: معناها الشرك[٢].

وقال ابن إسحاق: معناها: حتى لا يفتن أحد عن دينه، كما كانت قريش تفعل بمكة بمن أسلم كبلال وغيره[٣]، وهو مقتضى قول عروة بن الزبير في جوابه لعبد الملك بن مروان حين سأله عن خروج رسول الله ﷺ من مكة مهاجراً[٤].

وقوله: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ أي: لا يشرك معه صنم ولا وثن ولا يعبد غيره، وقال قتادة: حتى تستوسق[٥] كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله[٦].

قال القاضي أبو محمد: وهذه المعاني تتلازم كلها.

وقال الحسن: حتى لا يكون بلاء[٧].

وهذا يلزم عليه القتال في فتن المسلمين الفئةَ الباغية، وعلى سائر ما ذكرناه من الأقوال يكون المعتزل في فسحة، وعلى هذا جاء قول عبد الله بن عمر رضي الله عنه: أما نحن فقد قاتلنا حتى لم تكن فتنةٌ، وأما أنت وأصحابك فتريدون أن [نقاتل حتى] تكون فتنةٌ[٨].

قال القاضي أبو محمد: فمذهب ابن عمر أن الفتنة الشركُ في هذه الآية، وهو

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٥٣٧).
(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٥٣٨) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٧٠١).
(٤) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٤٦٧).
(٥) في التركية: «يستوسق». وفي نجيبويه: «تستوثق».
(٦) تفسير الطبري (١٣/ ٥٣٨)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٥٦).
(٧) تفسير الطبري (١٣/ ٥٣٨).
(٨) صحيح، هذا الأثر أخرجه البخاري (٤٥١٣) عن ابن عمر، وما بين المعكوفتين ساقط من الأسدية، وفي نجيبويه: «تقاتلوا».

الظاهر، وفسر هذه الآيةَ قولُ النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا[١]: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[٢].

ومن قال: المعنى: حتى لا يكون شركٌ، فالآية عنده يراد بها الخصوص فيمن لا يقبل منه جزية، قال ابن سلام: وهي في مشركي العرب[٣].

قال الله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ أي: عن الكفر فإن الله بصير بعملهم مُجازٍ عليه، عنده ثوابه وجميل المعاوضة[٤] عليه.

وقرأ يعقوب بن إسحاق وسلام بن سليمان[٥]: ﴿بما تعملون﴾ بالتاء[٦]، أي: في قتالكم وجِدِّكم وجِلادكم[٧] عن دينه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ الآية، معادل لقوله: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾، والمعنى: فإن انتهوا عن الكفر فالله مجازيهم، أو مجازيكم على قراءة ﴿تعملون﴾، وإن تولوا [ولم ينتهوا][٨] فاعلموا أن الله ينصركم عليهم، وهذا وعد محض بالنصر والظفر، أي: فجدُّوا.

و«المولى» هاهنا: المُوالي والمُعِين، والمولى في اللغة على معان هذا هو الذي يليق بهذا الموضع منها، والمولى الذي هو السيد المقترن بالعبد يعم المؤمنين والمشركين.

---

(١) في الأصل: «يقاتلوا»، وهو تصحيف واضح.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٥) (٣٩٢) (١٣٩٩) (٢٩٤٦) (٦٩٢٤) (٧٢٨٤) ومسلم (٢٠-٢٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) تفسير ابن أبي زمنين (١/ ٢٣٢).

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «المقارضة».

(٥) في الأسدية: «سليمان بن يسار»، بدل: «سلام بن سليمان»، ويعقوب هو الحضرمي أحد العشرة، وسلام هو الطويل تقدم التعريف به.

(٦) تابعه في البحر المحيط (٥/ ٣١٩)، وهي عشرية من رواية رويس عن يعقوب كما في النشر (٢/ ٢٧٦).

(٧) في جار الله ونجيبويه: «وجدالكم». مع الإشارة في الهامش إلى أن في نسخة أخرى عبارة: «وجلادكم»، وفي نور العثمانية: «خلافهم».

(٨) ساقط من المطبوع.

قوله عز وجل: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١﴾.

موضع (أنَّ) الثانية رفع، التقدير: فحكمُه أنَّ، فهي في موضع خبر الابتداء، و«الغنيمة» في اللغة: ما يناله الرجل أو الجماعة بسعي، من ذلك قول الشاعر:

وقـد طَوَّفْـتُ فـي الآفـاقِ حَتـى ... رَضيتُ مِـنَ الغَنيمَـةِ بالإيابِ[1] [الوافر]

وقال آخر:

ومُطْعَمُ الغُنْمِ يـومَ الغُنْم مُطْعَمُهُ ... أنَّى تَوَجَّهَ والمحْرومُ مَحْرُومُ[2] [البسيط]

ومنه قول النبي ﷺ في الرهن: «له غُنْمُه وعليه غُرمه»[3]، وقوله: «الصيام في الشتاء هو الغنيمة الباردة»[4]، فالشيء الذي يناله المسلمون من عدوهم بالسعي

---

(١) البيت لامرئ القيس في مجاز القرآن (٢/ ٢٢٤)، والبيان والتبيين (٣/ ١٧٠)، والشعر والشعراء (١/ ١١٤)، والكامل (٢/ ١٠٦).

(٢) البيت لعلقمة الفحل كما في المفضليات (ص: ٤٠١)، والحيوان (٧/ ٨٧)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٢٢)، والاختيارين (ص: ٦٤٠).

(٣) في المطبوع: «مخرجه»، وهذا الحديث روي متصلاً ومرسلاً، والمحفوظ المرسل، قال ابن عبد البر في التمهيد (٦/ ٤٣٠): «هذا الحديث عند أهل العلم بالنقل مرسل، وإن كان قد وصل من جهات كثيرة فإنهم يعللونها» وقال أيضاً (٦/ ٤٢٦): «اختلف في قوله «له غُنمه وعليه غرمه» فقيل: هي مدرجة من قول سعيد بن المسيب، قال: ورفعها ابن أبي ذئب ومعمر وغيرهما مع كونهم أرسلوا الحديث، على اختلاف على ابن أبي ذئب، ووقفها غيرهم. وقد روى ابن وهب هذا الحديث فجوده وبين أن هذه اللفظة من قول ابن المسيب، وكذا أبو داود في المراسيل [رقم ١٨٦] قوى أنه من قوله» .اهـ. ويراجع في تخريجه كتاب البدر المنير (٦/ ٦٣٧).

(٤) مرسل وصح عن أبي هريرة من قوله، هذا الحديث أخرجه أحمد (٤/ ٣٣٥)، والترمذي (٧٩٧)، وابن خزيمة (٢١٤٥) من طريق: أبي إسحاق، عن نمير بن عريب، عن عامر بن مسعود مرفوعاً، قال أبو عيسى: هذا حديث مرسل، عامر بن مسعود لم يدرك النبي ﷺ. اهـ. ونقله الترمذي عن البخاري كما في ترتيب العلل (٢١٨). ونمير لا يعرف إلا في هذا الحديث ولم يوثق توثيقاً معتبراً. =

وإيجاف الخيل والركاب غنيمة، ولزم هذا الاسم هذا المعنى حتى صار عُرفاً له.

و«الفيء»: مأخوذ من فاء يفيء إذا رجع، وهو كل ما دخل على المسلمين من غير حرب ولا إيجاف، كخراج الأرض وجزية الجماجم وخُمس الغنيمة ونحو هذا.

قال القاضي أبو محمد: والزكوات أيضاً مالٌ على حِدَته، أحكامه منفردة دون أحكام هذين، قال سفيان الثوري وعطاء بن السائب: «الغنيمة ما أخذ عنوةً والفيء ما أخذ صلحاً»، وهذا قريب مما بيناه.

وقال قتادة: الفيء والغنيمة شيء واحد فيهما الخمس، وهذه الآية التي في الأنفال ناسخة لقوله في سورة الحشر: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ﴾[٧]، وذلك أن تلك كانت الحكمَ أولاً، ثم أعطى الله أهلها الخمس فقط وجعل الأربعة الأخماس في المقاتلين[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول ضعيف نص العلماء على ضعفه، وأنْ لا وجه له من جهات: منها أن هذه السورة نزلت قبل سورة الحشر، هذه ببدر، وتلك في بني النضير [وقرى عرينة، ولأن الآيتين متفقتان وحكم الخمس وحكم تلك الآية واحد لأنها نزلت في بني النضير][٢] حين جلوا[٣] وهربوا، وأهل فدك حين دعوا إلى صلح ونال المسلمون مالهم دون إيجاف، وحكى ابن المنذر عن الشافعي أن في الفيء الخمس، وأنه كان في قرى عرينة زمن النبي / ﷺ، وأن أربعة أخماسها كان للرسول ﷺ خاصة دون المسلمين يضعها حيث شاء[٤]. [٢/ ٢٠٦]

= وله شاهد عند ابن أبي عاصم والطبراني وغيرهما من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن أنس مرفوعاً، وسعيد ضعيف عند أكثرهم وقد رواه همام عن قتادة فجعله عن أنس عن أبي هريرة موقوفاً، أخرجه البيهقي وأبو نعيم وعبد الله بن أحمد وهو أصح. انظر: المقاصد الحسنة (١/ ٤٠٣).

(١) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (١٣/ ٥٤٥)، وتفسير الماوردي (٢/ ٣١٩)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٥٧).

(٢) ساقط من التركية، وفي نجيبويه: «قرى عربية».

(٣) في الأسدية والتركية: «حلوا».

(٤) انظر: الأوسط (٦/ ٤٢٣-٤٢٤)، وانظر أيضاً: الأم (٤/ ١٧٦-١٧٧).

وقال أبو عبيد: هذه الآية ناسخة لقوله في أول السورة: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، ولم يخمِّس رسول الله ﷺ غنائم بدر، فنسخ حكمه في ترك التخميس بهذه الآية[1].

قال القاضي أبو محمد: ويظهر من قول علي بن أبي طالب في البخاري: كانت لي شارفٌ من نصيبي من المغنم ببدر، وشارف أعطانيها رسول الله ﷺ من الخمس حينئذ[2]، أن غنيمة بدر خمَّست، فإن كان ذلك فسد قول أبي عبيدة.

ويحتمل أن يكون الخمس الذي ذكره علي بن أبي طالب من إحدى الغزوات التي كانت بين بدر وأحد، فقد كانت غزوة بني سليم وغزوة السَّوِيق وغزوة ذي أَمَر وغزوة بُحران[3] ولم يحفظ فيها قتال، ولكن يمكن أن غُنمت فيها غنائم، والله أعلم.

وقوله في هذه الآية: ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ ظاهره عام ومعناه الخصوص، فأما الناضُّ والمتاع والأطفال والنساء وما لا يؤكل لحمه من الحيوان ويصح تملُّكه فليس للإمام في جميع ذلك ـ ما كثر منه وما قل كالخائط والمخيط ـ إلا أن يأخذ الخمس ويقسم الباقي في أهل الجيش[4]، وأما الأرض فقال فيها مالك: يقسمها[5] الإمام إن رأى ذلك صواباً، كما فعل النبي ﷺ بخيبر، ولا يقسمها إن أداه اجتهاده إلى ذلك كما فعل عمر بأرض مصر وسواد الكوفة[6].

قال القاضي أبو محمد: لأن فعل عمر ليس بمخالف لفعل النبي ﷺ، إذ ليست النازلة واحدة بحسب قرائن الوقتين وحاجة الصحابة وقلتهم، وهذا كله انعكس في زمان عمر.

---

(١) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص: ٢١٧)، وفي المطبوع: «أبو عبيدة» في الموضعين، وهو خطأ.

(٢) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٢٠٨٩) (٣٠٩١) (٤٠٠٣)، ومسلم (١٩٧٩).

(٣) «بحران» من المطبوع وجار الله، وفي باقي النسخ: «نجران»، وهو خطأ. وبُحران: موضع بناحية الفُرع، وبين الفرع والمدينة ثمانية برد.

(٤) في التركية: «الخمس».

(٥) في الأسدية: «يضمها».

(٦) انظر قول مالك في البيان والتحصيل (٢/ ٥٣٩).

وأما الرجال ومن شارف البلوغ من الصبيان، فالإمام عند مالك وجمهور العلماء مخيَّر فيهم على خمسة أوجه:

منها: القتل، وهو مستحسن في أهل الشجاعة والنكاية.

ومنها: الفداء، وهو مستحسن في ذي المنصب الذي ليس بشجاع ولا يخاف منه رأي ولا مكيدة؛ لانتفاع المسلمين بالمال الذي يؤخذ منه.

ومنها: المن، وهو مستحسن فيمن يرجى أن يحنو على أسرى المسلمين ونحو ذلك من القرائن.

ومنها: الاسترقاق، ومنها ضرب الجزية والترك في الذمة[١].

وأما الطعام والغنم ونحوهما مما يؤكل فهو مباح في بلد العدو، ويأكله الناس، فما بقي منه كان في المغنم[٢].

قال القاضي أبو محمد: وأما أربعة أخماس ما غنم فيقسمه الإمام على الجيش، ولا يختص بهذه الآية ذكر القسمة فأنا أختصره هنا.

وأما الخمس فاختلف العلماء فيه، فقال مالك رحمه الله: الرأي فيه للإمام يلحقه ببيت الفيء، ويعطي من ذلك البيت لقرابة رسول الله ﷺ ما رآه، كما يعطي منه اليتامى والمساكين وغيرهم، وإنما ذُكر مَن ذُكر على وجه التنبيه عليهم لأنهم من أهم من يدفع إليه[٣]، قال الزجَّاج محتجّاً لمالك: قال الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[٤].

---

(١) انظر ما عزاه لمالك والجمهور في بداية المجتهد (١/ ٣٠٦).

(٢) انظر حكاية الإجماع على ذلك في الاستذكار (٥/ ٥١-٥٢).

(٣) انظر قول مالك في البيان والتحصيل (٣/ ٨٠).

(٤) البقرة (٢١٥)، وانظر الاحتجاج المذكور في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤١٦).

وللرجل[١] بإجماع أن ينفق في غير هذه الأصناف إذا رأى ذلك[٢].

وقالت فرقة: كان الخمس يقسم على ستة أقسام: قسم لله وهو مردود على فقراء المسلمين أو على بيت الله، وقسم للنبي ﷺ، وقسم لقرابته، وقسم لسائر من سمي، حكى القول منذر بن سعيد، ورُد عليه[٣].

قال أبو العالية الرياحي: كان النبي ﷺ يقبض من خمس[٤] الغنيمة قبضة فيجعلها للكعبة فذلك لله، ثم يقسم الباقي على خمسة، قسْم له وقسم لسائر مَن سُمي[٥].

وقال الحسن بن محمد[٦] وابن عباس[٧] وإبراهيم النخعي وقتادة والشافعي[٨]: قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ استفتاح كلام، كما يقول الرجل لعبده: قد أعتقك الله وأعتقتك[٩]، على جهة التبرك وتفخيم الأمر، والدنيا كلها لله، وقسم الله وقسم الرسول واحد.

وكان الرسول ﷺ يقسم الخمس على خمسة أقسام كما تقدم.

وقال ابن عباس أيضاً فيما روى عنه الطبري: الخمس مقسوم على أربعة أقسام، وسهم الرسول ﷺ، لقرابته وليس لله ولا للرسول شيء[١٠].

---

(١) في المطبوع: «وللإمام».

(٢) انظر الإجماع عليه في الإقناع (٣/ ١٠٥٦).

(٣) لم أقف عليه، وقد حكاه ابن المنذر في الأوسط (٦/ ٨٧) عن بعض أهل الكلام لم يسمهم.

(٤) ساقط من نجيبويه.

(٥) مرسل، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٣/ ٥٥٠، ٥٥١) عنه، وهو مرسل.

(٦) «بن محمد»: ليس في الأسدية، وهو الحسن بن محمد بن الحنفية أبو محمد، كان هو المقدم في الهيئة والفضل، وهو أول من تكلم في الإرجاء، وكان من ظرفاء بني هاشم وعقلائهم، وقال العجلي: هو تابعي ثقة، توفي سنة (٩٥هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٣٣١).

(٧) إسناده تالف، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٣/ ٥٤٨-٥٤٩) بإسناد تالف، فيه نهشل بن سعيد.

(٨) كذا في جميع النسخ، ولعله الشعبي، انظر نسبة هذا القول للشعبي والحسن بن محمد بن الحنفية وعطاء في الأوسط (٦/ ٨٦).

(٩) سقطت من نجيبويه.

(١٠) أخرجه الطبري (١٣/ ٥٥١) من طريق معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس. وفيه مقال.

وقالت فرقة: قسم [الرسول ﷺ، بعد موته][(١)] مردود على أهل الخمس؛ القرابةِ وغيرها.

وقالت فرقة: هو مردود على الجيش أصحاب الأربعة الأخماس[(٢)].

وقال علي بن أبي طالب: يلي الإمامُ سهمَ الله ورسوله[(٣)].

وقالت فرقة: هو موقوف لشراء العُدَد والكُرَاع[(٤)] في سبيل الله، وقال إبراهيم النخعي: وهو الذي اختاره أبو بكر وعمر فيه[(٥)]، وقال أصحاب الرأي: الخمس بعد النبي ﷺ، مقسوم ثلاثة أقسام: قسم لليتامى، وقسم للمساكين وقسم لابن السبيل، ورسول الله ﷺ لم يورث، فسقط سهمه وسهم ذوي القربى، وحجتهم فيه منع أبي بكر وعمر وعثمان لذوي القربى[(٦)].

قال القاضي أبو محمد: ولم يثبت المنع، بل عُورض بنو هاشم بأن قريشاً قربى، وقيل: لم يكن في مدة أبي بكر مغنم.

وقال الشافعي: يعطى أهل الخمس منه ولا بد، ويفضِّل الإمام أهل الحاجة ولكن لا يحرم صنفاً منهم حرماناً تامّاً[(٧)].

وقول مالك رحمه الله: إن للإمام أن يعطي الأحوجَ وإن حَرَم الغير[(٨)].

---

(١) ساقط من الأسدية.

(٢) انظر قول الفرقتين في الأوسط (٦/ ٩٤-٩٥)، ولم يسم ابن المنذر أحداً من هاتين الفرقتين.

(٣) انظر قول علي رضي الله عنه في تفسير الطبري (١٣/ ٥٥٨)، وهو من طريق عمران بن ظبيان، وهو ضعيف لا يحتج به.

(٤) في الأصل: «وللكراء».

(٥) انظر قول هذه الفرقة في الأوسط (٦/ ٩٦)، وانظر قولها وقول إبراهيم في تفسير الطبري (١٣/ ٧٥٧).

(٦) انظر ما نسبه لأصحاب الرأي من قول واحتجاج في أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٢٤٥-٢٤٧).

(٧) انظر مذهب الشافعي في الحاوي للماوردي (٨/ ٤٣٧-٤٣٩).

(٨) انظر مذهب مالك في المسألة في البيان والتحصيل (٣/ ٨٠).

قال القاضي أبو محمد: وكان رسول الله ﷺ مخصوصاً من الغنيمة بثلاثة أشياء: كان له خمس الخمس، وكان له سهم رجل في سائر الأربعة الأخماس، وكان له صَفِيٌّ يأخذه قبل القسمة، دابةٌ، أو سيف، أو جارية، ولا صَفيَّ لأحد بعده بإجماع، إلا ما قال أبو ثور من أن الصفيَّ باق للإمام، وهو قول معدود في شواذ / الأقوال[١]. [٢/ ٢٠٧]

و«ذوو القربى»: قرابة رسول الله ﷺ، فقال علي بن الحسين [وعبد الله بن الحسن][٢] وعبد الله بن عباس: هم بنو هاشم فقط[٣]، فقال مجاهد: كان آل محمد ﷺ لا تحل لهم الصدقة، فجعل لهم خمس الخمس[٤]، [قال ابن عباس: ولكن أبى ذلك علينا قومنا، وقالوا: قريش كلها قربى][٥]، وقال الشافعي: هم بنو هاشم وبنو المطلب فقط[٦]، وقد قال رسول الله ﷺ لعثمان بن عفان وجبير بن مطعم في وقت قسمة سهم ذوي القربى من خيبر على بني هاشم وبني المطلب: إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد، ما فارقونا في جاهلية ولا في الإسلام[٧].

قال القاضي أبو محمد: كانوا مع بني هاشم في الشعب.

---

(١) انظر حكاية الإجماع وخلاف أبي ثور في الإقناع (٣/ ١٠٥٥-١٠٥٦)، والأوسط (٦/ ٩٧).

(٢) ساقط من نور العثمانية، وفي الأصل: «الحسين» بدل «الحسن»، وهو عبد الله بن حسن بن حسن ابن علي ابن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت حسين بن علي، ثقة من العبَّاد، وكان له شرف وعارضة وهيبة ولسان شديد، توفي سنة (١٤٤هـ). تاريخ الإسلام (٩/ ١٩١).

(٣) تفسير الثعلبي (٤/ ٣٥٨).

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٥٥٣).

(٥) ساقط من التركية، والأثر ضعيف، أخرجه الطبري (١٣/ ٥٥٥) من طريق عبد الله بن نافع، عن أبي معشر، عن سعيد المقبري قال: كتب نجدة إلى ابن عباس يسأله عن ذي القربى، قال: فكتب إليه ابن عباس...، عبد الله بن نافع هو الصائغ، وأبو معشر هو نجيح السندي.

(٦) انظر قول الشافعي في الأم (٤/ ١٤٧).

(٧) صحيح، هذا الحديث أخرجه البخاري (٣١٤٠) (٣٥٠٢) (٤٢٢٩)، وقد سقط أول الحديث من التركية.

وقالت فرقة: قريش كلها[١] ذوو قربى، وروي عن علي بن الحسين وعبد الله بن محمد بن علي أنهما قالا: الآية كلها في قريش، والمراد يتامى قريش ومساكينها[٢].

وقالت فرقة: سهم القرابة بعد النبي ﷺ موقوف على قرابته، وقد بعثه إليهم عمر ابن عبد العزيز، إلى بني هاشم وبني المطلب فقط.

وقالت فرقة: هو لقرابة الإمام القائم بالأمر، وقال قتادة: كان سهم ذوي القربى طعمة لرسول الله ﷺ ما كان حيّاً، فلما توفي جُعل لولي الأمر بعده، وقاله الحسن بن أبي الحسن البصري[٣]، وحكى الطبري أيضاً عن الحسن أنه قال: اختلف الناس في هذين السهمين بعد وفاة النبي ﷺ، فقال قوم: سهم النبي ﷺ للخليفة، وقال قوم: سهم النبي ﷺ لقرابة النبي ﷺ، وقال قوم: سهم القرابة لقرابة الخليفة، فاجتمع رأيهم أن يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعُدَّة، فكان على ذلك مدة أبي بكر رضي الله عنه، قال غير الحسن: وعمر[٤].

و(اليتامى): الذين فقدوا آباءهم من الصبيان، واليتم في بني آدم من قِبَل الآباء وفي البهائم من قِبَل الأمهات، [وفي الطيور من قِبَل الأبوين][٥].

و(المساكين): الذين لا شيء لهم، وهو مأخوذ من السكون وقلة الحراك.

و(ابن السبيل): الرجل المجتاز[٦] الذي قد احتاج في سفر، وسواء كان غنيّاً في بلده أو فقيراً فإنه ابن السبيل، يسمى بذلك إما لأن السبيل تُبْرِزه فكأنها تَلِدُه، وإما لملازمة السبيل

---

(١) في التركية وأحمد٣: «بأسرها»، وفي نحيبويه: «بأسرها كلها ذوو قربى».

(٢) لم أقف على هذا القول لهما، وهو خلاف ما تقدم عنهما.

(٣) انظر قول قتادة في تفسير الطبري (١٣/ ٥٥٧)، وانظر قول الحسن في مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٧٠٠).

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٥٥٨)، وروى أنها كانت في زمن عمر عن الحسن أيضاً.

(٥) زيادة من الأسدية، وقد تقدم مثله مكرراً.

(٦) في نجيبويه: «المحتاج».

كما قالوا: ابن ماء، وأخو سفر، ومنه قوله ﷺ: «لا يدخل الجنة ابن زنًى»[١]، وقد تقدم هذا.

قال القاضي أبو محمد: وقد اقتضبتُ فقه هذه الآية حسب الاختصار والله المستعان.

و(ما) في قوله: ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ بمعنى الذي، وفي قوله: ﴿غَنِمْتُم﴾ ضمير يعود عليها، وحكي عن الفراء أنه جوَّز أن تكون (ما) شرطيةً بتقدير: أنه ما، وحذفُ هذا الضمير لا يجوز عند سيبويه إلا في الشعر[٢]، ومنه:

إنَّ مَنْ يدخـلِ الكنيسـةَ يوماً[٣] .... [الخفيف]

قرأ الجمهور: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ﴾ بفتح الهمزة، وقرأ الجعفي عن أبي بكر عن عاصم، وحسين عن أبي عمرو: (فإن) بكسر الهمزة[٤].

وقرأ الحسن: (خُمْسَه) بسكون الميم[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ الآية، قال الزجّاج عن فرقة: المعنى: فاعلموا أن الله مولاكم إن كنتم، و﴿إِن﴾ متعلقة بهذا الوعد، وقال أيضاً عن فرقة: إنها متعلقة بقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾[٦].

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو الصحيح، لأن قوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾ يتضمن الأمر

---

(١) لا يصح، هذا الحديث روي عن أبي هريرة من طريق مجاهد، واختلف على مجاهد فيه اختلافاً كثيراً، وقد ساق النسائي هذا الخلاف في السنن الكبرى (٣/ ١٧٧). وروي أيضاً عن عبد الله بن عمرو، أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٢٥٧) من طريق سالم عن نبيط، عن جابان، عن عبد الله بن عمرو، وذكر البخاري أيضاً الاختلاف في إسناده، وأعله بالانقطاع في مواضع.

(٢) في نجيبويه زيادة: «ضرورة»، والمراد مذهبهما في مثل هذا، ومثله في البحر المحيط (٥/ ٣٢٦).

(٣) تمامه: يَلْقَ فيها جآذراً وظباءَ، وهو للأخطل كما في خزانة الأدب (١/ ٤٥٨) عن ابن السِّيد في شرح أبيات الجمل.

(٤) عزاها الهذلي في الكامل (ص: ٥٥٩) وغيره لرواية هارون، والجعفي، واللؤلؤي، وخارجة عن أبي عمرو، ولم أجدها لعاصم.

(٥) انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٢٠٥).

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤١٦).

بانقياد وتسليم لأمر الله في الغنائم، فعلق ﴿إِن﴾ بقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾، على هذا المعنى، أي: إن كنتم مؤمنين بالله فانقادوا وسلِّموا لأمر الله فيما أَعْلَمَكم به من حال قسمة الغنيمة.

وقوله: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا﴾ عطف على قوله: ﴿بِٱللَّهِ﴾، والمشار إليه بـ(ما) هو النصر والظهور الذي أنزله الله يوم بدر على نبيه وأصحابه، أي: إن كنتم مؤمنين بالله وبهذه الآيات العظائم الباهرة التي أنزلت يوم بدر، ويحتمل أن تكون الإشارة إلى قرآن نزل يوم بدر أو في قصة يوم بدر على تكرُّهٍ في هذا التأويل الأخير.

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أن يكون المعنى: واعلموا أنما غنمتم يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فإنَّ خمسه لكذا وكذا إن كنتم آمنتم، أي فانقادوا لذلك وسلِّموا، وهذا تأويل حسن في المعنى، ويُعترض فيه الفصلُ بين الظرف وما تعلق به بهذه الجملة الكثيرة من الكلام.

و﴿يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾: معناه: يوم الفرق بين الحق والباطل بإعزاز الإسلام وإذلال الشرك.

و﴿ٱلۡفُرۡقَانِ﴾: مصدر من فَـرَق يَفْرُق.

و﴿ٱلۡجَمۡعَانِ﴾: يريد: جمع المسلمين وجمع الكفار، وهو يوم الوقعة التي قتل فيها صناديد قريش ببدر، ولا خلاف في ذلك، وعليه نص ابن عباس[١] ومجاهد ومقسم والحسن بن علي وقتادة وغيرهم[٢]، وكانت يوم الجمعة السابعَ عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة هذا قول جمهور الناس.

وقال أبو صالح: لتسع عشرة، وشك في ذلك عروة بن الزبير، وقال: لتسع عشرة أو لسبع عشرة[٣]، والصحيح ما عليه الجمهور.

وقوله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾، يعضد أن قوله: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٥٦١) من طريق علي بن أبي طلحة والعوفي ـ مفرقين ـ عن ابن عباس.
(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٥٦٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ١٥٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٧٠٦).
(٣) انظر قول أبي صالح وعروة في تفسير الطبري (١٣/ ٥٦١).

عَبۡدِنَا﴾ يراد به النصر والظفر، أي: الآيات والعظائم من غلبة القليل الكثيرَ، وذلك بقدرة الله تعالى الذي هو على كل شيء قدير.

قوله عز وجل: ﴿إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾.

العامل في ﴿إِذۡ﴾ قوله: ﴿ٱلۡتَقَى﴾، و(الْعُدْوَة): شفير الوادي وحرفُه الذي يتعذر المشي فيه بمنزلة رحا[1] البئر؛ لأنها عَدَتْ ما في الوادي من ماء ونحوه أن يتجاوز الوادي، أي: منعته، ومنه قول الشاعر:

عَدَتْنِي عَنْ زِيَارَتِكِ العَوَادِي ... وَحَالَتْ دُونَهَا حَرْبٌ زَبُونُ[2] [الوافر]

ولأنها ما عدا الوادي، أي: جاوزه، وتسمى الضَّفةُ والفضاء / المسايرُ للوادي عدوةً للمجاورة، وهذه هي العدوة التي في الآية. [٢/ ٢٠٨]

وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿بِٱلۡعُدۡوَةِ﴾، بضم العين، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿بالعِدوة﴾، بكسر العين[3]، [وهما لغتان.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن وقتادة وعمرو: (بالعَدْوة) بفتح العين][4]، ويمكن أن تكون تسميةً بالمصدر، قال أبو الفتح: الذي في هذا أنها لغة ثالثة كقولهم: في اللبن رَغْوة ورُغْوة ورِغْوة، وروى الكسائي: كلَّمته بحَضرة فلان وحُضرته وحِضرته، إلى سائر نظائرَ ذكر أبو الفتح كثيراً منها[5].

---

(١) في المطبوع والتركية: «رجا»، وفي نجيبويه: «رجاء».
(٢) البيت للنابغة كما في سمط اللآلي (١/ ٥٨)، وهو في أمالي القالي (١/ ١٢) بلا نسبة.
(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٦)، والسبعة في القراءات (ص: ٣٠٦).
(٤) انظر عزوها لهم في المحتسب (١ / ٢٧٩)، ولم ينسب عمراً، وهو في أحمد٣: «عمر»، وما بين المعكوفتين ساقط من الأسدية.
(٥) انظر: المحتسب (١/ ٢٨٠).

وقوله: ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ و﴿ٱلۡقُصۡوَىٰ﴾: إنما هو بالإضافة إلى المدينة.

وفي حرف ابن مسعود: (إذ أنتم بالعدوة العليا وهم بالعدوة السفلى)(١).

ووادي بدر آخذ بين الشرق والقبلة منحرفٌ إلى البحر الذي هو قريب من ذلك الصُّقع، والمدينة من الوادي من موضع الوقعة منه في الشرق وبينهما مرحلتان، حدثني أبي أنه رأى هذه المواضع على ما وصفتُ، وقال ابن عباس: بدر بين مكة والمدينة(٢).

و«الدُّنْيا» من الدنوِّ، و«الْقُصْوى» من القصوِّ، وهو البعد، وكان القياس أن تكون: القصيا، لكنه من الشاذ، وقال الخليل في «العين»: شذت لفظتان وهما القصوى والفتوى، وكان القياس فيهما بالياء كالدنيا والعليا(٣).

و(الرَّكْبُ) بإجماع من المفسرين: عِير أبي سفيان، ولا يقال: ركب، إلا لركاب الإبل وهو من أسماء الجمع، وقد يجمع راكب عليه، كصاحب وصحب، وتاجر وتجر، ولا يقال ركبٌ لما كثر جدّاً من الجموع، وقال القتبي: الركب العشرة ونحوها(٤)، وهذا غير جيد لأن النبي ﷺ، قد قال: «والثلاثة ركب»(٥) الحديث.

---

(١) انظر: تفسير الماتريدي (٥/ ٢٢٤).

(٢) قاله العوفي عن ابن عباس، أخرجه الطبري (١٣/ ٥٦٢).

(٣) كتاب العين (٥ / ١٨٧).

(٤) أدب الكاتب (ص: ١٧٥)، والقتبي هو ابن قتيبة، ويقال أيضاً: القتيبي، وفي الأسدية: العتبي. وفي التركية: العتيبي، وكلاهما خطأ.

(٥) إسناده مختلف في الاحتجاج به، هذا الحديث أخرجه مالك في الموطأ (٦٠٥)، وأحمد (٢/ ١٨٦) (٦٧٤٨) من طريق: مسلم بن خالد، يعني الزنجي. وأبو داود (٢٦٠٧) والترمذي (١٦٧٤) والنسائي في الكبرى (٥/ ٢٦٦) من طريق مالك، كلاهما ـ مالك ومسلم ـ عن: عبد الرحمن بن حرملة، وأخرجه ابن خزيمة (٢٥٧٠) من طريق ابن عجلان، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، وفي الاحتجاج بهذا الإسناد خلاف معروف، وقد أخرجه أحمد (٢/ ٢١٤) (٧٠٠٧) من طريق: إسماعيل بن عياش، عن عبد الرحمن ابن حرملة، عن عمرو بن شعيب، قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه، أنه سمع النبي ﷺ، =

وقوله: ﴿أَسۡفَلَ﴾ في موضع خفض تقديره في مكان أسفل كذا قال سيبويه، قال أبو حاتم: نصب ﴿أَسۡفَلَ﴾ على الظرف، ويجوز: الركبُ أسفلُ، على معنى: وموضع الركب أسفلُ، أو الركبُ مستقراً أسفلُ(١).

قال القاضي أبو محمد: وكان الركب، ومدبر أمره أبو سفيان بن حرب، قد نكّب عن بدر حين نُذر بالنبي ﷺ، وأخذ سِيف البحر، فهو أسفلُ بالإضافة إلى أعلى الوادي من حيث يأتي.

وقال مجاهد في كتاب الطبري: أقبل أبو سفيان وأصحابه من الشام تجاراً لم يشعروا بأصحاب بدر، ولم يشعر أصحاب محمد ﷺ بكفار قريش، ولا كفار قريش بمحمد ﷺ وأصحابه، حتى التقوا على ماء بدر [من يسقي لهم كلهم]، فاقتتلوا فغلبهم أصحاب محمد ﷺ فأسروهم(٢).

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا تعقب، وكان مِن هذه الفرق شعور يَبين من الوقوف على القصة بكمالها.

وقوله: ﴿وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ﴾ قال الطبري وغيره: المعنى: لو تواعدتم على الاجتماع ثم علمتم كثرتهم وقلتكم لخالفتم ولم تجتمعوا معهم(٣).

وقال المهدوي: المعنى: أي لاختلفتم بالقواطع والعوارض القاطعة بين الناس(٤).

قال القاضي أبو محمد: وهذا أنبل وأصح(٥)، وإيضاحه: أن المقصد من الآية

= يقول... الحديث، ورواية إسماعيل عن غير الشاميين فيها نكارة، وعبد الرحمن مدني، وقوله: عن أبيه، هو محمد جد عمرو بن شعيب، ولم يسمع من النبي ﷺ، فقوله في الإسناد: أنه سمع النبي ﷺ، وهم.

(١) انظر كلام سيبويه في الكتاب لسيبويه (٣/ ٢٨٩)، وأبو حاتم غير متوفر.

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٥٦٤)، وما بين المعكوفتين ساقط من الأسدية.

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٥٦٥) بتصرف.

(٤) التحصيل للمهدوي (٣/ ١٨٧).

(٥) في الأسدية: «وأوضح».

تبيين نعمة الله وقدرته في قصة بدر، وتيسيرِه ما يسر من ذلك، فالمعنى: إذ هيأ الله لكم هذه الحال، ولو تواعدتم لها لاختلفتم إلا مع تيسير الله الذي تمم ذلك، وهذا كما تقول لصاحبك في أمر سناه الله دون تعب كثير: ولو بنينا على هذا وسعينا فيه لم يتم هكذا.

ثم بين تعالى أن ذلك إنما كان بلطف الله عز وجل؛ ﴿لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا﴾؛ أي: ليُنفِذ ويظهر أمراً قد قدره في الأزل؛ ﴿مَفْعُولاً﴾ لكم بشرط وجودكم في وقت وجودكم، وذلك كله معدوم عنده.

وقوله تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ الآية، قال الطبري: المعنى: ليُقتل من قُتل من كفار قريش وغيرهم ببيان من الله وإعذار بالرسالة، ﴿وَيَحْيَىٰ﴾ أيضاً ويعيش من عاش عن بيان منه أيضاً وإعذارٍ لا حجة لأحد عليه، فالهلاك والحياة على هذا التأويل حقيقتان، وقال ابن إسحاق وغيره: معنى ﴿لِّيَهْلِكَ﴾ أي: ليكفر، ﴿وَيَحْيَىٰ﴾ أي: ليؤمن[(١)]، فالحياة والهلاك على هذا مستعارتان، والمعنى: أن الله تعالى جعل قصة بدر عبرة وآية ليؤمن من آمن عن وضوح وبيان ويكفر أيضاً من كفر عن مثل ذلك.

وقرأ الناس: ﴿لِّيَهْلِكَ﴾ بكسر اللام الثانية، وقرأ الأعمش: (ليَهْلَك) بفتح اللام، ورواها عصمة عن أبي بكر عن عاصم[(٢)]، والبينة صفة، أي: عن قضيةٍ[(٣)] بينة.

واللام الأولى في قوله: ﴿لِّيَهْلِكَ﴾ رد على اللام في قوله: ﴿لِّيَقْضِيَ﴾.

وقرأ ابن كثير في رواية قنبل وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: ﴿مَنْ حَيَّ﴾ بياء واحدة مشددة.

وقرأ نافع وابن كثير في رواية البَزِّي وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿مَن حَيِيَ﴾ بإظهار الياءين وكسر الأولى وفتح الثانية[(٤)].

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٥٦٨)، بتصرف، وفي التركية: «أبو إسحاق»، وهو خطأ.

(٢) انظر عزوها لرواية عصمة في الكامل للهذلي (ص: ٥٥٩)، وللأعمش في الشواذ للكرماني (ص: ٢٠٦).

(٣) في الأسدية: «من صفة».

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٦)، والسبعة في القراءات (ص: ٣٠٦).

فمن قرأ ﴿حَيِيَ﴾ فلأن الياء قد لزمتها الحركةُ فصار الفعل بلزوم الحركة لها مشبَّهاً بالصحيح، مثل: عضَّ وشمَّ وهمَّ وكرَّ[1] ونحوه، ألا ترى أن حذف الياء من جَوَارٍ ونحوِه في الجر والرفع لا يطرد في حال النصب إذا قلت: رأيت جواريَ؛ لمشابهتها بالحركة سائر الحروف الصحاح، ومنه قوله: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [القيامة: ٢٦].

وعلى نحو «حيّ» جاء قول الشاعر:

عَـيُّـوا بـأَمْـرِهِـمُ كَـمـا عَـيَّـتْ بِـبَـيْـضَتِهـا الحَـمـامَـه[2] [مجزوء الكامل]

ومنه قول لبيد:

سَـأَلـتنِـي جـارتي عَـن أمـتِي وَإِذا مَـا عـيَّ ذُو اللـب سـأَلْ[3] [الرمل]

وقول المتلمِّس:

فهـذا أوانُ العِـرض حَـيَّ ذُبابُـهُ زنابيـره والأزرقُ المتلمِّـسُ[4] [الطويل]

ويروى: جُنَّ ذبابُه، قال أبو علي وغيره: هذا أن كل موضع تلزم الحركةُ فيه ياء مستقبلية فالإدغام [في ماضيه جائز، ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٣]، [القيامة: ٤٠] لا يجوز الإدغام][5] فيه لأن حركة النصب غير لازمة، ألا ترى أنها تزول في الرفع وتذهب في الجزم، ولا يلتفت إلى ما أنشد بعضهم لأنه بيت مجهول:

---

(١) «همَّ»: زيادة من الأسدية، و«كرَّ» ساقطة من المطبوع والأصل..

(٢) البيت لعبيد الأبرص كما في الحيوان (٣/ ٩٤)، وأدب الكاتب (ص: ٦٧)، والأغاني (٩/ ١٠٠)، وإيضاح شواهد الإيضاح (٢/ ٨٩٨)، والمفصل في صنعة الإعراب (ص: ٥٤٢)، ونسبه في الصحاح (٦/ ٢٣٢٣) لابن مفرغ، ولعله خطأ إذ لم يتابع عليه.

(٣) لم أجد من عزاه للبيد، وهو منسوب في شرح أدب الكاتب (ص: ٩١)، والحماسة البصرية (١/ ٢٧١) للنَّابغَة الجعدي.

(٤) انظر عزوه له في طبقات فحول الشعراء (١/ ١٥٦)، والحيوان (٣/ ١٨٦)، والشعر والشعراء (١/ ١٧٩)، والاشتقاق (ص: ٣١٧).

(٥) ساقط من التركية.

[الكامل] وكأنها بين النساءِ سَبيكةٌ تَمْشِي بِسُدَّةِ بَيْتِها فَتُعِيّ[(١)]

[٢/ ٢٠٩] قال أبو علي: وأما في قراءة من / قرأ: ﴿حيي﴾، فبَيَّنَ ولم يُدغم، فإن سيبويه قال: أخبرنا بهذه اللغة يونس، قال: وسمعنا بعض العرب يقول: أحيياء، قال أبو حاتم: القراءة إظهار الياءين والإدغام حسن، فاقرأ كيف تعلمت فإن اللغتين مشهورتان في كلام العرب، والخط فيه ياء واحدة[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذه اللفظة استوعب أبو علي القول فيما تَصَرَّف من حيي، كالحي الذي هو مصدر منه وغيرِه.

قوله عز وجل: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾.

قال المهدوي: ﴿إِذْ﴾ نصب بتقدير: واذكر[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: أو بدل من ﴿إِذْ﴾ المتقدمة وهو أحسن.

وتظاهرت الروايات أن هذه الآية نزلت في رؤيا رآها رسول الله ﷺ، رأى فيها عدد الكفار قليلاً فأخبر بذلك أصحابه، فقويت نفوسُهم وحرصوا على اللقاء، فهذا معنى قوله: ﴿فِى مَنَامِكَ﴾ أي: في نومك، قاله مجاهد وغيره[(٤)].

وروي عن الحسن: أن معنى قوله: ﴿فِى مَنَامِكَ﴾ أي: في عينك، إذ هي موضع

---

(١) البيت بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (١/ ٤١٢)، وتهذيب اللغة (٣/ ١٦٥)، وانظر جهالته في معاني القرآن للزجاج (٢/ ٤١٨).

(٢) الحجة للقراء للفارسي (٤/ ١٤٣)، وقوله: «قال أبو علي» ساقط من نور العثمانية.

(٣) التحصيل للمهدوي (٣/ ١٨٧).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٧٠٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ١٦٠).

النوم[١]، وعلى هذا التأويل تكون الرؤية في اليقظة.

قال القاضي أبو محمد: وهذا القول ضعيف، وعليه فسر النقاش وذكره عن المازني[٢].

والضمير على التأويلين من قوله: ﴿يُرِيكَهُمُ﴾ عائد على الكفار من أهل مكة، ومما يضعف ما روي عن الحسن: أن معنى هذه الآية يتكرر في التي بعدها، لأن النبي ﷺ مخاطب في الثانية أيضاً، وقد تظاهرت الرواية أن النبي ﷺ انتبه وقال لأصحابه: «أبشروا فلقد نظرت إلى مصارع القوم»[٣]، ونحو هذا، وقد كان علم أنهم ما بين التسع مئة إلى الألف، فكيف يراهم ببصره بخلاف ما علم، والظاهر أنه رآهم في نومه قليلاً قدرُهم وحالُهم وبأسُهم مهزومين مصروعين.

ويحتمل أنه رآهم قليلا عددُهم، فكان تأويل رؤياه انهزامهم، فالقلة والكثرة على الظاهر مستعارة في غير العدد، كما قالوا: «المرء كثير بأخيه»، إلى غير ذلك من الأمثلة.

و«الفشل»: الخَوَر عن الأمر، إما بعد التلبس، وإما بعد العزم على التلبس.

و(لتنازعتم) أي: لتخالفتم، و﴿فِي ٱلْأَمْرِ﴾ يريد: في اللقاء والحرب[٤].

و﴿سَلَّمَ﴾ لفظ يعم كل متخوف[٥] اتصل بالأمر أو عرض في وجهه، فسلم الله من

---

(١) تفسير الماوردي (٢/ ٣٢٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٧٠٩)، وفي الأسدية: «إذ هي موضع الغمة من النوم».

(٢) انظر: البحر المحيط (٥/ ٣٣٠).

(٣) صحيح، هذا الحديث أخرجه مسلم (٢٨٧٣) من طريق: سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس عن عمر، بلفظ: «مصارع أهل بدر».

وروي عن عبد الله بن مسعود، أخرجه النسائي في الكبرى (٥/ ١٨٧) والطبراني في الكبير (١٠/ ١٤٧) والبيهقي في الدلائل (٣/ ٣٢)، وغيرهم من طريق: أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله به.

(٤) في نجيبويه: «وفج الحرب».

(٥) في الأسدية: «منحرف»، وفي أحمد٣ وجار الله: «مخوف».

ذلك كله، وعبر بعض الناس أن قال: سلَّم لكم أمركم، ونحو هذا مما يندرج فيما ذكرناه.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: بإيمانكم وكفركم، فيجازي بحسب ذلك.

وقرأ الجمهور من الناس: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ بشد النون ونصب المكتوبة.

وقرأت فرقة: (ولكنِ اللهُ) برفع المكتوبة[١].

وقوله: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ﴾ الآية، و﴿إِذِ﴾: عطف على الأولى، وهذه الرؤية هي في اليقظة بإجماع، وهي الرؤية التي كانت حين التقوا ووقعت العين على العين، والمعنى: أن الله تعالى لما أراد من إنفاذ قضائه في نصرة الإسلام وإظهاره قلَّل كل طائفة في عيون الأخرى، فوقع الخلل في التخمين والحَزْرِ الذي يستعمله الناس في هذا [لتجسر كل طائفة على الأخرى وتتسبَّبَ أسبابُ الحرب، وروي في هذا][٢] عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «لقد قلت ذلك اليوم لرجل إلى جنبي: أتظنهم سبعين؟ قال: بل هم مئة، قال: فلما هزمناهم أسرنا منهم رجلاً، فقلنا: كم كنتم؟ قال: ألفاً»[٣].

قال القاضي أبو محمد: ويَرِدُ على هذا المعنى في التقليل ما روي أن رسول الله ﷺ حين سأل عما ينحرون كل يوم، فأُخبر أنهم يوماً عشراً ويوماً تسعاً، قال: «هم ما بين التسع مئة إلى الألف»[٤]، فإما أن عبد الله ومن جرى مجراه لم يعلم بمقالة رسول الله ﷺ، وإما أن نفرض التقليل الذي في الآية تقليلَ القَدْرِ والمهابة والمنزلة من النجدة.

---

(١) وهي لفظ الجلالة، والقراءة شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٥٥) لمسلم بن جندب.

(٢) ساقط من الأسدية، وفي الأصل بدل «لتجسر»: «لتسجر»، وهو سبق قلم، وفي المطبوع: «التجسس»، وهو خطأ.

(٣) أخرج ابن سعد في الطبقات (٢/ ٢١) من طريق أبي إسحاق، عن أبي عبيدة بن عبد الله، عن أبيه قوله: لما أسرنا القوم يوم بدر قلنا: كم كنتم؟ قالوا: كنا ألفاً.

(٤) لا بأس به، هذا الحديث أخرجه أحمد (٩٤٨) وغيره من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة ابن مضرب عن علي به. وروي عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير مرسلاً، أخرجه الطبري في التفسير (٦/ ٢٣٥٢٣٦). وروي عن يزيد بن رومان من قوله كما في دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٢٢).

وتقدم القول في مثل قوله: ﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾، و«الأمر» المفعول المذكور في الآيتين هو للقصة بأجمعها، وذهب بعض الناس إلى أنهما لمعنيين من معاني القصة، والعمومُ أولى.

وقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ تنبيه على أن الحول بأجمعه لله، [وأن كل][(١)] أمر فله وإليه.

وقرأ الحسن وعيسى بن عمر والأعمش: ﴿تَرْجِع﴾ بفتح التاء وكسر الجيم، قال أبو حاتم: وهي قراءة عامة الناس.

وقرأ الأعرج وابن كثير وأبو عمرو ونافع وغيرهم: ﴿تُرْجَعُ﴾ بضم التاء وفتح الجيم[(٢)].

قوله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾.

هذا أمر بما فيه داعية النصر وسبب العز، وهي وصية من الله متوجهة بحسب التقييد[(٣)] الذي في آية الضعف، ويجري مع معنى الآية قول النبي ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاثبتوا»[(٤)].

---

(١) في الأسدية: «وإن كان»، وفي التركية: «ورد كل».

(٢) لم أجد من نقل كلام أبي حاتم، ولعله يقصد قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣]، خاتمة هود، وإلا فلا، والقراءتان هنا سبعيتان، بقي عليه من أهل الثانية عاصم، والأولى للباقين، كما مر في البقرة، انظر: السبعة (ص: ١٨١)، والتيسير (ص: ٨٠).

(٣) في الأسدية: «التفسير».

(٤) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٢٩٦٦) (٧٢٣٧) ومسلم (١٧٤٢) بنحوه.

قال القاضي أبو محمد: وهكذا ينبغي أن يكون المسلم في ولاية الإمارة والقضاء لا يطلب ولا يتمنى، فإن ابتلي صبر على إقامة الحق، و«الفئة»: الجماعة، أصلها: فِئْوَة، وهي من فَأَوْتُ أي: جمعت، ثم أمر الله تعالى بإكثار ذكره هنالك إذ هو عصمة المستنجد ووَزَرُ المستعين، قال قتادة: افترَضَ الله ذكره عند [أشغل ما يكونون، عند] الضراب بالسيوف[1].

قال القاضي أبو محمد: وهذا الذكر خفي؛ لأن رفع الأصوات في موطن القتال رديء مكروه إذا كان إلغاطاً[2]، فأما إن كان من الجمع عند الحملة[3] فحسن فاتٌّ في عضد العدو، وقال قيس بن عُبَادٍ[4]: كان أصحاب رسول الله / ﷺ يكرهون الصوت عند ثلاث: عند قراءة القرآن، وعند الجنازة، وعند القتال[5]. [٢/ ٢١٠]

وقال النبي ﷺ: «اطلبوا إجابة الدعاء عند القتال وإقامةِ الصلاة ونزولِ الغيث»[6].

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٥٧٤)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٦٣)، وما بين المعكوفتين ساقط من الأسدية، و«أشغل»: ساقطة من التركية.

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «ألفاظا».

(٣) في الأصل وأحمد٣: «الجملة».

(٤) في الأسدية: «عباده»، وهو قيس بن عباد أبو عبد الله القيسي الضُّبعي البصري، روى عن: عمر، وعلي، وأبي، وروى عنه: الحسن، وابن سيرين، كان كثير العبادة والغزو، ولكنه شيعي، قال ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث، قتل قبيل المئة. تاريخ الإسلام (٦/ ١٧٣)

(٥) مرسل، أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ٨٣) وعنه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٤٧٤) عن همام، عن قتادة، عن الحسن، عن قيس بن عباد، ووقع في الزهد: عبادة، خطأ، وقيس مخضرم ليست له صحبة، وأخرج عبد الرزاق (٣/ ٤٥٣) عن معمر عن قتادة عن الحسن قال: أدركت أصحاب رسول الله ﷺ يستحبون خفض الصوت عند الجنائز وعند قراءة القرآن وعند القتال، وبه نأخذ.

(٦) لا يصح، هذا الحديث أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٦٠) من طريق الوليد بن مسلم، عن عفير بن معدان، حدثنا سليم بن عامر، عن أبي أمامة سمعه يحدث عن رسول الله ﷺ بنحوه. وعفير ضعيف باتفاق، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٣٤١) من طريق عبد العزيز بن عمرهو ابن عبد العزيز الأموي، حدثني يزيد بن يزيد بن جابر، عن مكحول، عن بعض أصحاب النبي ﷺ به، ومكحول كثير الإرسال.

وقال ابن عباس: يكره التلثم عند القتال[١].

قال القاضي أبو محمد: ولهذا والله أعلم يَتسنَّن[٢] المرابطون بطرحه عند القتال على ضنانتهم به.

و﴿تُفْلِحُونَ﴾ معناه: تنالون بغيتكم وتبلغون آمالكم، وهذا مثلُ قول لبيد:

[مخلع البسيط] أَفْلِحْ بِمَا شِئْتَ فَقَدْ يُبْلَغُ بالضْـ ضَعفِ وقد يُخدَعُ الأَرِيبُ[٣]

وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية، استمرار على الوصية لهم والأخذِ على أيديهم في اختلافهم في أمر بدر وتنازعهم، و﴿فَتَفْشَلُوا﴾ نصب بالفاء في جواب النهي.

قال أبو حاتم في [كتابه عن إبراهيم][٤]: (فتفشِلوا) بكسر الشين، وهذا غير معروف[٥].

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَتَذْهَبَ﴾ بالتاء من فوق ونصب الباء.

وقرأ هبيرة[٦] عن حفص عن عاصم: (وتَذهبْ ريحُكم) بالتاء وجزم الباء.

وقرأ عيسى بن عمر: (ويَذهبْ) بالياء من تحت وبجزم (يذهبْ).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٣٤٧) من طريق وكيع، عن سفيان، عن عطاء بن السائب قال: كان يكره التلثم في ثلاث: في القتال، وفي الجنائز، وفي الصلاة. ولم أجده من كلام ابن عباس.

(٢) في المطبوع: «يتيمن».

(٣) لم أجد من نسبه له، والصواب أنه لعبيد الأبرص، من معلقته، انظر: جمهرة أشعار العرب (ص: ٣٨٢)، وشرح المعلقات التسع (ص: ١٠٥)، ومجاز القرآن (١/ ٣٠)، وغريب الحديث للقاسم ابن سلام (٤/ ٣٨)، والحيوان (٣/ ٤٣)، والشعر والشعراء (١/ ٢٦١).

(٤) في الأصل والتركية: «كتاب عن إبراهيم»، وفي نور العثمانية: «كتابي إبراهيم»، وفي المطبوع: «كتاب إبراهيم».

(٥) نقله عنه في البحر المحيط (٥/ ٣٣٢)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ٥٥) للحسن، وهي شاذة.

(٦) هو هبيرة بن محمد التمار الأبرش، قرأ القرآن على حفص صاحب عاصم، وتصدر للإقراء، قرأ عليه: حسنون بن الهيثم الدويري، والخضر بن الهيثم الطوسي، وأحمد بن علي الخزاز، وغيرهم، كنيته أبو عمر. تاريخ الإسلام (١٧/ ٣٨٨).

وقرأ أبو حيوة: (ويَذهبَ) بالياء من تحت ونصب الباء، ورواها أبان وعصمة عن عاصم[١].

والجمهور على أن الريح هنا مستعارةٌ والمراد بها النصر والقوة، كما تقول: الريح لفلان، إذا كان غالباً في أمر، ومن هذا المعنى قول الشاعر وهو عبيد بن الأبرص:

[البسيط] كَمَا حَمَيْنَاكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ شَـطَبٍ وَالفَضْلُ لِلقَوْمِ مِنْ رِيحٍ وَمِنْ عَدَدِ[٢]

وقال مجاهد: الريح: النصر والقوة، وذهبت ريح أصحاب محمد ﷺ حين نازعوه يوم أحد[٣]، وقال زيد بن علي: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ معناه: الرعبُ من قلوب عدوكم[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا حسن بشرط أن يَعلم العدو بالتنازع، وإذا لم يعلم فالذاهب قوةُ المتنازعين فينهزمون، وقال شاعر الأنصار:

[البسيط] قَـدْ عوَّدَتْهـم ظُباهم أَنْ تَكُـونَ لَهُمْ رِيحُ الْقِتَالِ وَأَسْلَابُ الَّذِينَ لَقُوا[٥]

ومن استعارة الريح قولُ الآخر:

[الوافر] إِذَا هَـبَّـتْ رِيَاحُـكَ فَـاغْتَـنِمْهَـا فَـإِنَّ لِـكُـلِّ خَافِقَـةٍ سُـكُـونُ[٦]

وهذا كثير مستعمل.

---

(١) ثلاث قراءات شاذة، انظر الأولى في جامع البيان (٣/ ١١٣٨)، والثالثة لأبان وعصمة في الكامل للهذلي (ص: ٥٥٩)، والكل في البحر المحيط (٥/ ٣٣٢)، وانظر: الشواذ للكرماني (ص: ٢٠٦)، وما بين المعكوفتين ساقط من الأسدية.

(٢) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٣/ ٥٧٥)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٦٤)، ومعجم البلدان (٣/ ٣٤٣).

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٥٧٦)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٦٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ١٦٢).

(٤) تفسير الثعلبي (٤/ ٣٦٣).

(٥) البيت لضرار بن الخطاب الفهري، كما في سيرة ابن هشام (٢/ ١٤٥)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢٤/ ٣٩٩)، وليس أنصاريّاً.

(٦) بلا نسبة في تفسير الثعلبي (٤/ ٣٦٤)، والتمثيل والمحاضرة (ص: ٢٤١)، ومحاضرات الأدباء (١/ ٢٢١).

وقال ابن زيد وغيره: الريح على بابها[١]، وروي في ذلك أن النصر لم يكن قط إلا بريح تهب فتضرب في وجوه الكفار، واستند بعضهم في هذه المقالة إلى قوله ﷺ: «نصرت بالصبا»[٢]، وقال الحكم: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ يعني الصبا، إذ بها نصر محمد ﷺ وأمته[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا إنما كان في غزوة الخندق خاصة.

وقوله: ﴿وَاصْبِرُوا﴾ إلى آخر الآية، تتميم في الوصية وعِدَةٌ مُؤْنِسة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم﴾ الآية، آية تتضمن الطعن على المشار إليهم وهم كفار قريش، وخرج ذلك [على طريق النهي عن سلوك سبيلهم، والإشارة هي إلى كفار قريش][٤] بإجماع.

و«البطر»: الأشر، وغمط[٥] النعمة، والشغل بالمرح[٦] فيها عن شكرها، و«الرياء»: المباهاة، والتصنُّع بما يراه غيرك، وهو فِعَال من راءى يرائي سهِّلت همزته.

وروي أن أبا سفيان لما أحس أنه قد تجاوز بعيره الخوف من النبي ﷺ وأصحابه، بعث إلى قريش فقال: إن الله قد سلم عيركم التي خرجتم إلى نصرتها، فارجعوا سالمين قد بلغتم مرادكم، فأتى رأي الجماعة على ذلك، فقال أبو جهل: والله لا نفعل حتى نأتي بدراً ـ وكانت بدر سوقاً من أسواق العرب لها يوم موسم ـ فننحرَ عليها الإبل، ونشرب الخمر، وتعزف علينا القِيَان، ويسمع بنا العرب ويهابنا الناس[٧].

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٥٧٧)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٦٣)، وتفسير الماوردي (٢/ ٣٢٤).

(٢) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٠٣٥) (٣٢٠٥) (٣٣٤٣) (٤١٠٥) ومسلم (٩٠٠٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) تفسير القرطبي (٨/ ٢٥).

(٤) ساقط من التركية.

(٥) في نجيبويه: «وغمص».

(٦) في نجيبويه: «بالمزح».

(٧) مرسل، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٣/ ٥٧٣) من طريق أبان هو ابن يزيد العطار، عن هشام بن عروة، عن عروة به مرسلاً، ثم رواه عن ابن حميد قال: حدثنا سلمة قال: حدثني ابن إسحاق =

قال القاضي أبو محمد: فهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «اللهم إن قريشاً أقبلت بفخرها وخيلائها تحادُّك وتكذِّب رسولك، اللهم فأَحِنْها الغداة»[١]، وقال محمد بن كعب القرظي: خرجت قريش بالقِيَان والدفوف[٢].

وقوله: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، أي: غيرَهم.

قال القاضي أبو محمد: لأنهم أحرى بذلك من أن يقتصِر صدُّهم على أنفسهم.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ آية تتضمن الوعيد والتهديد لمن بقي من الكفار، ونفوذَ القدَر فيمن مضى بالقتل.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾.

التقدير: واذكروا إذ، والضمير في ﴿لَهُمُ﴾ عائد على الكفار، و﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: إبليس نفسه.

وحكى المهدوي وغيره: أن التزيين في هذه الآية وما بعده من الأقوال هو بالوسوسة والمحادثة في النفوس[٣].

قال القاضي أبو محمد: ويضعِّف هذا القول أن قوله: ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ ليس مما يلقى بالوسوسة.

= في حديث ذكره، قال: حدثني محمد بن مسلم، وعاصم بن عمر، وعبد الله بن أبي بكر، ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا، عن ابن عباس به، والأول أصح.

(١) هو بالإسناد السابق، وقد رواه البيهقي في الدلائل (٣/ ٤)، ومعنى «أحنها»: أهلكها.

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٥٨١).

(٣) هذا القول حكاه المهدوي على سبيل التوهين والتضعيف، انظر: التحصيل (٣/ ١٩).

وقال الجمهور في ذلك بما روي وتظاهر: أن إبليس جاء كفار قريش ـ ففي السير لابن هشام أنه جاءهم بمكة، وفي غيرها أنه جاءهم وهم في طريقهم إلى بدر ـ وقد لحقهم خوف من بني بكر وكنانة لحروب كانت بينهم، فجاءهم إبليس في صورة سراقة ابن مالك بن جُعْشُمٍ وهو سيد من ساداتهم، فقال لهم: إني جار لكم، ولن تخافوا من قومي، وهم لكم أعوان على مقصدكم، ولن يغلبكم أحد، فسُرُّوا عند ذلك ومضوا لطيتهم[١]، وقال لهم: أنتم تقاتلون عن دين الآباء ولن تعدموا نصراً[٢].

فروي أنه لما التقى الجمعان كانت يده في يد الحارث بن هشام، فلما رأى الملائكة نكص، فقال له الحارث: أتفر يا سراقة؟ فلم يلو عليه، ويروى أنه قال له ما تضمنت الآية[٣].

وروي أن عمير بن وهب أو الحارث بن هشام قال له: أين يا سُرَاق؟ فلم يلو، [ومَثَلَ عدو الله، ودفع في صدر الحارث][٤]، / فذهب، ووقعت الهزيمة، فتُحُدِّث أن [٢/ ٢١١]
سراقة فر بالناس، فبلغ ذلك سراقة بن مالك، فأتى مكة فقال لهم: والله ما علمت بشيء من أمركم حتى بلغتني هزيمتكم، ولا رأيتكم ولا كنت معكم[٥].

وحكى الطبري عن ابن عباس أنه قال: جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايتُه في صورة رجل من بني مُدْلج، فقال: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ الآية[٦].

و﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف، والعامل فيه معنى نفي الغلبة، ويحتمل أن يكون العامل متعلَّقُ ﴿لَكُمُ﴾، وممتنع أن يعمل ﴿غَالِبَ﴾ لأنه كان يلزم أن يكون: لا غالباً.

---

(١) في الأسدية: «لطلبتهم»، والطية: النية والحاجة.
(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٦٦٣).
(٣) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٦٦٣)، وتفسير الطبري (١٣/ ٧).
(٤) «ودفع في صدر الحارث» زيادة من المطبوع، وما قبلها ساقط منه.
(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٦٦٣).
(٦) هذا الأثر أخرجه الطبري (١٣/ ٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

وقوله: ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ معناه: فأنتم في ذمتي وحماي.

و﴿تَرَآءَتِ﴾: تفاعلت من الرؤية، أي: رأى هؤلاء هؤلاء.

وقرأ الأعمش وعيسى بن عمر: (ترأَت) مقصورة، وحكى أبو حاتم عن الأعمش أنه أمال والراء مرققة ثم رجع عن ذلك[١].

وقوله: ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾ معناه: رجع من حيث جاء، وأصل النكوص في اللغة: الرجوع القهقرى، وقال زهير:

[البسيط] هم يضرِبُـون حَبِيكَ البَيْضِ إذْ لَحِقُوا لَا يَنْكُصُون إِذا مَا استُلحِمُوا وحَمُوا[٢]

كذا أنشد الطبري، وفي رواية الأصمعي: إذا ما استلأموا، وبذلك فسر الطبري هذه الآية[٣]، وفي ذلك بعدٌ، وإنما رجوعه في هذه الآية مشبَّه بالنكوص الحقيقي.

وقال اللغويون: النكوص: الإحجام عن الشيء، يقال: أراد أمراً ثم نكص عنه.

وقال تأبّط شرّاً:

[البسيط] لَيْسَ النُّكُوصُ عَلَى الْأَدْبَارِ مَكْرُمَةً إِنَّ الْمَكَارِمَ إِقْدَامٌ عَلَى الْأَسَلِ[٤]

قال القاضي أبو محمد: فليس هنا قهقرى بل هو فرار.

وقال مؤرِّجٌ: نكص هي رجع بلغة سليم[٥].

قال القاضي أبو محمد: وقوله: ﴿عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾ يبين أنه إنما أراد الانهزام والرجوع في ضد إقباله[٦].

---

(١) عزاها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٠٦) لعيسى بلفظ: «ترايت»، ولم أجد فيها للأعمش شيئاً.
(٢) انظر عزوه له في مسائل نافع بن الأزرق (ص: ١٧٣)، وتفسير الطبري (١٣/ ١١).
(٣) تفسير الطبري (١٣/ ١١).
(٤) انظر عزوه له في البحر المحيط (٥/ ٣٢٢). والأسل: الرماح والنبل.
(٥) تفسير القرطبي (٨/ ٢٧).
(٦) في الأسدية: «في صد أفعاله».

وقوله: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ﴾ هو خذلانه لهم وانفصاله عنهم.

وقوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾ يريد الملائكة، وهو الخبيث إنما شرط أن لا غالب من الناس، فلما رأى الملائكة وخَرْقَ العادة خاف وفرَّ.

وفي «الموطأ» وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «ما ريء الشيطان في يوم أقلَّ ولا أحقر ولا أصغر منه في يوم عرفة، لما يرى من نزول الرحمة إلا ما رأى يوم بدر»، قيل: وما رأى يا رسول الله؟ قال: «رأى الملائكة يَزَعُها جبريل»[1].

وقال الحسن: رأى إبليس جبريل يقود فرسه بين يدي النبي ﷺ، وهو معتجرٌ ببردة وفي يده اللجام[2].

وقوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ قيل: إن هذه معذرة منه كاذبةٌ، ولم تلحقه قط مخافة، قاله قتادة وابن الكلبي[3]، وقال الزجّاج وغيره: بل خاف مما رأى من الأمر وهَوْلِهِ وظن[4] أنه يومه الذي أُنظر إليه[5]، ويقوي هذا أنه رأى خرق العادة ونزول الملائكة للحرب، وحكى الطبري بسنده أنه لما انهزم المشركون يوم بدر، حين رمى رسول الله ﷺ بقبضة من التراب وجوه الكفار، أقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس، فلما رآه إبليس ـ وكانت يده في يد رجل من المشركين ـ انتزع يده ثم ولى مدبراً، فقال له الرجل: أيْ سراقةُ، تزعم أنك لنا جار؟ فقال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾ الآية[6]، ثم ذهب.

وقوله تعالى: ﴿إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ الآية، العامل في ﴿إِذۡ﴾: ﴿زَيَّنَ﴾ أو ﴿نَكَصَ﴾، لأن ذلك الموقف كان ظرفاً لهذه الأمور كلها.

---

(١) مرسل، أخرجه مالك في الموطأ (٩٤٤) عن إبراهيم بن أبي عبلة عن طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلًا.
(٢) تفسير الطبري (١٣/ ١١).
(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٩)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٦٦).
(٤) «وظن»: زيادة من الأسدية.
(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٢١)، بتصرف.
(٦) أخرجه الطبري (١٣/ ٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

وقال المفسرون: إن هؤلاء الموصوفين بالنفاق ومرض القلوب إنما هم من أهل عسكر الكفار لمَّا أشرفوا على المسلمين ورأوا قلتهم وقلة عددهم، قالوا مشيرين إلى المسلمين: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡ﴾ أي: اغتروا فأدخلوا نفوسهم فيما لا طاقة لهم به.

قال القاضي أبو محمد: والنفاق أخص من مرض القلب، لأن مرض القلب مطلق على الكافر، وعلى من اعترضته شبهة، وعلى من بينهما.

وكنَّى بالقلوب عن الاعتقادات، إذ القلوب محلُّها، وروي في نحو هذا التأويلِ عن الشعبي: أن قوماً ممن كان الإسلام داخَلَ قلوبَهم خرجوا مع المشركين إلى بدر، منهم من أُكره ومنهم من داجى[(١)] وداهن، فلما أشرفوا على المسلمين ورأوا قلتهم ارتابوا واعتقدوا أنهم مغلوبون، فقالوا: غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ[(٢)]، قال مجاهد: منهم قيس ابن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكِهِ بن المغيرة، والحارث بن زَمْعَةَ بن الأسود، وعلي بن أمية بن خلف، والعاصي بن منبِّه[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: ولم يُذكر أحدٌ ممن شهد بدراً بنفاق، إلا ما ظهر بعد ذلك من معتِّب بن قُشيرٍ أخي بني[(٤)] عمرو بن عوف، فإنه القائل يوم أحد: ﴿لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقد يحتمل أن يكون منافقو المدينة لما وصلهم خروج قريش في قوة عظيمة قالوا عن المسلمين هذه المقالة، فأخبر الله بها نبيه في هذه الآية.

ثم أخبر الله عز وجل بأن من توكل على الله واستند إليه، فإن عزة الله تعالى وحكمته كفيلة بنصره وشد أعضاده[(٥)]، وخرجت العبارة عن هذا المعنى بأوجز لفظ وأبلغه.

---

(١) ساقط من نجيبويه، وفي جار الله: «ذابن»، وفي أحمد٣: «جا وداهن»، قال في القاموس المحيط (ص: ١٢٨٢): والمداجاة: المداراة.

(٢) انظر تفسير الطبري (١٣/ ١٣).

(٣) في الأصل: «أمية»، وهو خطأ، وانظر: تفسير الطبري (١٣/ ١٣).

(٤) ساقط من المطبوع.

(٥) في نجيبويه: «أعضائه».

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾.

هذه الآية تتضمن التعجيب مما حل بالكفار يوم بدر، قاله مجاهد وغيره[١]، وفي ذلك وعيد لمن بقي منهم، وحذفُ جواب (لَوْ) إبهام بليغ.

وقرأ جمهور السبعة والناس: ﴿يَتَوَفَّى﴾ بالياء، فأُسند فعلٌ فيه علامة التذكير إلى مؤنث في اللفظ، وساغ ذلك إذ التأنيث غير حقيقي، وارتفعت ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ بـ﴿يَتَوَفَّى﴾، وقال بعض من قرأ هذه القراءة: إن المعنى: إذ يتوفى الله الذين كفروا، و﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ رفعٌ بالابتداء، و﴿يَضْرِبُونَ﴾ خبره، والجملة في موضع الحال.

قال القاضي أبو محمد: ويضعِّف هذا التأويلَ سقوطُ واو الحال، فإنها في الأغلب تلزم مثل هذا.

وقرأ ابن عامر من السبعة والأعرج: ﴿تَتَوفى﴾ بالتاء[٢] على الإسناد إلى لفظ الملائكة.

و﴿يَضْرِبُونَ﴾: في موضع الحال.

وقوله: ﴿وَأَدْبَـٰرَهُمْ﴾ قال جمهور المفسرين: يريد أستاههم، ولكن الله كريم كنى.

وقال ابن عباس والحسن: أراد ظهورهم وما أدبر منهم، ومعنى هذا/ أن الملائكة كانت [٢/ ٢١٢] تلحقهم في حال الإدبار فتضرب أدبارهم، فأما في حال الإقبال فبيِّنٌ تمكُّنُ ضرب الوجوه[٣]،

(١) راجع تفسير الطبري (١٣/ ١٦).
(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٦).
(٣) «الحسن» ليست في الأصل والمطبوع، والأثر أخرجه الطبري (١٣/ ١٦) من طريق حجاج، عن ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو منقطع.

وروى الحسن أن رجلاً قال: يا رسول الله، رأيت في ظهر أبي جهل مثل الشراك، فقال رسول الله ﷺ: «ذلك ضرب الملائكة»[١].

وعبر بجمع الملائكة، وملكُ الموت واحد، إذ له على ذلك أعوان من الملائكة.

وقوله: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ قيل: كانوا يقولون للكفار حينئذ هذا اللفظ، فحذف يقولون اختصاراً، وقيل: معناه: وحالهم [يوم القيامة][٢] أن يقال لهم هذا.

و﴿ٱلْحَرِيقِ﴾: فعيل من الحرق.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ يحتمل أن يكون من قول الملائكة في وقت توفيهم[٣] لهم على الصورة المذكورة، ويحتمل أن يكون كلاماً مستأنفاً تقريعاً من الله عز وجل للكافرين حيِّهم وميتهم.

و(أنّ): يصح أن تكون في موضع رفع على تقدير: والحكمُ أنَّ، ويصح أن تكون في موضع [خفض عطفاً على (ما) في قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾، وقال مكي والزهراوي: ويصح أن تكون في موضع] نصب بإسقاط الباء، تقديره: وبأنَّ، فلما حذفت الباء حصلت[٤] في موضع نصب[٥].

قال القاضي أبو محمد: وهذا غير متجه ولا بيِّنٍ إلا أن تنصب بإضمار فعل.

وقوله: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ الآية، «الدأب»: العادة في كلام العرب، ومنه قول امرئ القيس:

---

(١) هذا مرسل، أخرجه الطبري عقب رواية ابن جريج عن ابن عباس السابقة.

(٢) ساقط من المطبوع.

(٣) في الأصل والمطبوع: «توفيتهم»، وسقطت «وقت» من جار الله.

(٤) في التركية: «دخلت»، وفي جار الله: «حلت»، وفي هامشها: «جعلت»، وما بين المعكوفتين ساقط من التركية.

(٥) انظر: مشكل إعراب القرآن لمكي (١ / ٣١٧)، والتحصيل للمهدوي (٣/ ١٩٩).

كدأبـكَ مـن أمِّ الْحُوَيْـرِثِ قبْلها وجَارَتِهـا أمِّ الرَّبـابِ بِمَأسَـلِ[(١)] [الطويل]

ويروى: كدينك، ومنه قول خِراش بن زهير العامري:

وما زالَ ذاكَ الدَّأْبُ حتَّى تَخَاذَلَتْ هَوَازِنُ وارْفَضَّتْ سُلَيْمٌ وعَامِرُ[(٢)] [الطويل]

وهو مأخوذ من دَأَبَ على العمل: إذا لزمه، ومنه قول النبي ﷺ، لصاحب الجمل الذي هش إليه وأقبل نحوه وقد ذل ودمعت عيناه: «إنه شكا إليَّ أنك تُجيعه وتُدْئبه»[(٣)].

فكأن العادة دُؤوبٌ مَّا.

وقال جابر بن زيد وعامر الشعبي ومجاهد وعطاء: المعنى: كسَنَن آل فرعون[(٤)].

ويحتمل أن يراد: كعادة آل فرعون وغيرهم، فتكون عادة الأمم بجملتها لا على انفراد أمة، إذ آل فرعون لم يكفروا وأهلكوا مراراً بل لكل أمة مرةٌ واحدة.

ويحتمل أن يكون المراد: كعادة الله فيهم، فأضاف العادة إليهم إذ لهم نسبة إليها كما يضاف المصدر إلى الفاعل وإلى المفعول.

والكاف من قوله: ﴿كَدَأْبِ﴾ يجوز أن يتعلق بقوله: ﴿وَذُوقُواْ﴾ وفيه بعدٌ، والكاف على هذا في موضع نصب نعت لمصدر محذوف، [ويجوز أن تتعلق بقوله: ﴿قَدَّمَتْ

---

(١) تقدم في تفسير سورة الفاتحة.

(٢) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٢٤٨)، والأغاني (٢٢/ ٧٤)، وفي المفضليات (ص: ٣٦٤) والأصمعيات (ص: ٢١٧) أنه لعوف بن الأحوص.

(٣) هذا الحديث أخرجه أحمد (١٧٥٤)، وأبو داود (٢٥٥١)، والحاكم (٢/ ١٠٩)، وغيرهم من طرق عن: مهدي بن ميمون، وأحمد أيضاً من طريق جرير بن حازم، كلاهما عن محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب، عن الحسن بن سعد مولى الحسن بن علي، عن عبد الله بن جعفر قال: أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم فأسر إليَّ حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس... وفيه قصة الجمل، والحديث أخرجه مسلم (٣٤٢)، والدارمي (٦٦٩و٧٦١)، وابن ماجه (٣٤٠)، وابن خزيمة (٥٣)، من طرق أخرى عن مهدي به، وليس فيها قصة الجمل.

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ١٩).

﴿أَيۡدِيكُمۡ﴾ وموضعها أيضاً على هذا نصب كما تقدم][1]، ويجوز أن يكون معنى الكلام: الأمرُ مثل دأب آل فرعون، فتكون الكاف في موضع خبر الابتداء.

وقوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ﴾ معناه: أهلكهم وأتى عليهم، بقرينة قوله: ﴿بِذُنُوبِهِمۡ﴾.

ثم ابتدأ الإخبار بقوة الله تعالى وشدة عقابه.

قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٥٣﴾ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ في موضع رفعٍ على خبر الابتداء، تقديره عند سيبويه: الأمر ذلك، ويحتمل أن يكون التقدير: وجب ذلك، والباء باء السبب.

وقوله: ﴿لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا﴾ جزم بـ﴿لَمۡ﴾ وجزمه بحذف النون، والأصل: «يكون»، فإذا دخلت «لم» جاء: لم يكنْ، ثم قالوا: لم يكُ مغيراً، كأنهم قصدوا التخفيف فتوهَّموا دخول «لم» على «يكن» فحذفت النون للجزم، وحسُن ذلك فيها لمشابهتها حروف اللين التي تحذف للجزم، كما قالوا: لم أُبال، ثم قالوا: لم أُبل، فتوهموا دخول لم على أبال.

ومعنى هذه الآية: الإخبار بأن الله عز وجل إذا أنعم على قوم نعمة، فإنه بلطفه ورحمته لا يبدأ بتغييرها وتكديرها حتى يجيء ذلك منهم، بأن يغيِّروا حالهم التي تراد وتحسُن[2] منهم، فإذا فعلوا ذلك، وتلبسوا بالتكسُّب للمعاصي أو الكفر الذي يوجب عقابهم، غيَّر الله نعمته عليهم بنقمته منهم.

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) في جار الله: «يراد أن يحسن»، وفي أحمد٣: «تراد أو تحسن».

ومثال هذا نعمة الله على قريش بمحمد ﷺ، فكفروا وغيروا ما كان يجب أن يكونوا عليه، فغيَّر الله تلك النعمة بأن نقلها إلى غيرهم من الأنصار، وأحل بهم عقوبته.

وقوله: ﴿وَأَنَّ﴾ عطف على الأولى.

و﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: لكل وبكل ما يقع من الناس في تغييرِ ما بأنفسهم لا يخفى عليه من ذلك سر ولا جهر.

وقوله: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ الآية، الكاف من ﴿كَدَأْبِ﴾ في هذه الآية متعلقة بقوله: ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟﴾، وهذا التكرير هو لمعنًى ليس للأول، إذ الأول دأب في أن هلكوا لما كفروا، وهذا الثاني دأب في أن لم تغيَّر نعمتهم حتى غيروا ما بأنفسهم.

وقد ذكرنا متعلقات الكاف في الآية الأولى.

والإشارة بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ إلى قوم هود وصالح ونوح وشعيب وغيرهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾ إلى ﴿يَتَّقُونَ﴾؛ المعنى المقصود تفضيل الدواب الذميمة كالخنزير والكلب العقور على الكافرين الذين حتم[1] عليهم بأنهم لا يؤمنون، وهذا الذي يقتضيه[2] اللفظ، وأما الكافر الذي يؤمن فيما يستأنفه من عمره فليس بشر الدواب.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾ يحتمل أن يريد أن الموصوف بـ﴿شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾ هم الذين لا يؤمنون المعاهدون من الكفار، فكانوا شر الدواب على هذا بثلاثة أوصاف: الكفر، والموافاة عليه، والمعاهدة مع النقض، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ على هذا بدل البعض من الكل.

ويحتمل أن يريد بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ﴾: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأولى، فتكون بدلَ الشيء

---

(١) في الأسدية والتركية وأحمد٣ ونجيبويه: «ختم».

(٢) في الأسدية: «لا يقتضيه».

من الشيء وهما لعيْن واحدة، والمعنى على هذا: الذين عاهدتَ فرقةً أو طائفة منهم.

ثم ابتدأ يصف حال المعاهدين بقوله: ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾.

[٢/ ٢١٣] و«المعاهدة» في هذه الآية: / المسالمة وترك الحرب.

وأجمع المتأولون أن الآية نزلت في بني قريظة، وهي بعدُ تعم كلَّ من اتصف بهذه الصفة إلى يوم القيامة، ومن قال: إن المراد بالدَّوَابّ الناس؛ فقول لا يستوفي المذمة، ولا مِرْية في أن الدواب تعم الناس وسائر الحيوان، وفي تعميم اللفظة في هذه الآية استيفاء المذمة.

وقوله: ﴿فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ يقتضي أن الغدر قد كان وقع منهم وتكرر ذلك.

وحديث قريظة هو أنهم عاهدوا رسول الله ﷺ على ألا يحاربوه ولا يُعِينوا عليه عدوّاً من غيرهم، فلما اجتمعت الأحزاب على النبي ﷺ بالمدينة غلب على ظن بني قريظة أن النبي ﷺ مغلوب ومستأصَل، وخدع حيي بنُ أخطب النضريُّ كعبَ بن أسد القرظيَّ صاحبَ عقد بني قريظة وعهدِهم، فغدروا ووالوا قريشاً وأمدوهم بالسلاح والأدراع، فلما انجلت تلك الحال عن النبي ﷺ، أمره الله بالخروج إليهم وحربهم، فاستُنزلوا، وضربت أعناقهم بحكم سعد بن معاذ، واستيعابُ القصة في سيرة ابن هشام(١).

وإنما اقتضبتُ منها ما يخص تفسير الآية.

قوله عز وجل: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

دخلت النون مع (إما) تأكيداً، ولتفرِّق بينها وبين (إما) التي هي حرف انفصال، في قولك: جاءني إما زيد وإما عمرو.

---

(١) راجع سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٩-٢٤٠).

و﴿ تَثْقَفَنَّهُمْ ﴾ معناه: تأسرهم وتحصِّلهم في ثقافك، أو: تلقاهم بحالٍ ضعفٍ تقدر عليهم فيها وتغلبهم، وهذا لازم من اللفظ لقوله: ﴿فِي ٱلْحَرْبِ﴾، وقيل: ثقف: أخذ بسرعة، ومن ذلك قولهم: رجل ثَقِفٌ لَقِفٌ[١]، وقال بعض الناس: معناه: تصادفنهم، إلى نحو هذا من الأقوال التي لا ترتبط في المعنى، وذلك أن المصادف[٢] قد يُغلب فيمْكِن التشريد[٣] به، وقد لا يُغلب، والثِّقاف في اللغة: ما تشد به القناة ونحوها، ومنه قول الشاعر:

إن قَـنـاتـي لنَـبْـعٌ مـا يـؤيِّـسُـهـا عضُّ الثِّقاف ولا دهْـنٌ ولا نَارُ[٤] [البسيط]

وقال آخر:

تَدْعُو قُعَيْناً وَقَدْ عَضَّ الْحَدِيدُ بِهَا عَضَّ الثِّـقَافِ عَلَى صُمِّ الْأَنَابِيبِ[٥] [البسيط]

وقوله: ﴿فَشَرِّدْ﴾ معناه: طرِّد وخوِّف وأبعده عن مثل فعلهم، والشريد: المبعد عن وطن أو نحوه، والمعنى: بِفعْلٍ تفعَله بهم من قتل أو نحوه، يكون تخويفاً لمن خلفهم، أي: لمن يأتي بعدهم بمثل ما أتوا به، وسواء كان معاصراً لهم أم لا، وما تقدم الشيء فهو بين يديه، وما تأخر عنه فهو خلفه، فمعنى الآية: فإن أسرت هؤلاء الناقضين[٦] في حربك لهم فافعل بهم من النقمة ما يكون تشريداً لمن يأتي خلفهم في مثل طريقتهم.

والضمير في ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ عائد على الفرقة المشردة.

وقال ابن عباس: المعنى: نكِّل بهم مَن خلفهم[٧].

---

(١) قال في العين (٥/ ١٦٤): رجل لَقْفٌ ثَقْفٌ، أي: سريع الفهم لما يرمى إليه من كلام.

(٢) في الأسدية: «الصاحب».

(٣) في الأسدية: «النصر».

(٤) البيت للطريف العنبري كما في أمالي القالي (١/ ٧٢).

(٥) تقدم في تفسير الآية (١١٣) من سورة آل عمران.

(٦) في الأسدية وجار الله: «المنافقين». وفي نجيبويه: «المناقضين».

(٧) أخرجه الطبري (١٤/ ٢٣) من طريق علي بن أبي طلحة والعوفي ـ مفرقين ـ عن ابن عباس.

وقالت فرقة: (شرد بهم) معناه: سمِّع بهم، حكاه الزهراوي عن أبي عبيدة[١]، والمعنى متقارب لأن التسميع بهم في ضمن ما فسرناه أولاً.

وفي مصحف عبد الله: (فشرذْ) بالذال منقوطة، وهي قراءة الأعمش[٢]، ولم يحفظ (شرذ) في لغة العرب، ولا وجه لها، إلا أن تكون الذال المنقوطة تبدل من الدال، كما قالوا: لحم خراديل وخراذيل.

وقرأ أبو حيوة ـ وحكاها المهدوي عن الأعمش بخلاف عنه ـ : (مِنْ خَلْفِهِم) بكسر الميم من قوله: (مِن)، وخفض الفاء من قوله: (خلفِهم)[٣].

والترجي في قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ بحسب البشر، و﴿يَذَّكَّرُونَ﴾: معناه: يتعظون.

وقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾ الآية، قال أكثر المؤلفين في التفسير: إن هذه الآية هي في بني قريظة، وحكاه الطبري عن مجاهد[٤].

والذي يظهر[٥] من ألفاظ القرآن أن أمر بني قريظة قد انقضى عند قوله: ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾، ثم ابتدأ تبارك وتعالى في هذه الآية بأمره بما يصنعه في المستقبل مع من يخاف منه خيانة إلى سالف الدهر، وبنو قريظة لم يكونوا في حدِّ مَن تُخاف خيانته فتُرتَّبَ فيهم هذه الآية، وإنما كانت خيانتهم ظاهرةً مشتهِرة، فهذه الآية هي عندي فيمن يُستقبل حاله من سائر الناس غير بني قريظة.

---

(١) لم أقف عليه، ولفظ أبي عبيدة معمر في مجاز القرآن (١/ ٢٤٨): فأخِفْ واطرد بهؤلاء الذين تثقفنهم الذين بعدهم، وفرّق بينهم.

(٢) انظر عزوها لابن مسعود في تفسير الثعلبي (٤ / ٣٦٩)، والكشاف للزمخشري (٢ / ٢١٩)، وللأعمش في المحتسب (١ / ٢٧٩).

(٣) نقلها عن أبي حيوة في الكشاف (٢ / ٢١٩)، وعن الأعمش الثعلبي (٤ / ٣٦٩)، وانظر: التحصيل للمهدوي (٣/ ١٩٩).

(٤) تفسير الطبري (١٤/ ٢٦).

(٥) في نجيبويه زيادة: «لي».

و«خوف الخيانة» هو بأن تبدو جنادع الشر[١] من قبل المعاهدين، وتتصلَ عنهم أقوال، وتُتحسَّسَ من تلقائهم مبادئ الغدر، فتلك المبادئ معلومة، والخيانةُ التي هي غايتهم مخوفةٌ لا متيقَّنة، وحينئذ ينبذ إليهم على سواء، فإن التزموا السلم على ما يجب وإلا حوربوا، وبنو قريظة نبذوا العهد مرتين[٢].

وقال يحيى بن سلام: (تخاف) في هذه الآية بمعنى: تعلم[٣].

قال القاضي أبو محمد: وليس كذلك.

وقوله: ﴿خِيَانَةً﴾ يقتضي حصول عهد، لأن من ليس بينك وبينه عهد فليست محاربته لك خيانة، فأَمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ إذا أحس من أهل عهد ما ذكرنا، وخاف خيانتهم، أن يلقي إليهم عهدهم، وهو النبذ.

ومفعول قوله: ﴿فَأَنْبِذْ﴾ محذوف تقديره: فانبذ إليهم عهدَهم.

قال القاضي أبو محمد: وتقتضي قوة هذا اللفظ الحضَّ على حربهم ومناجزتهم[٤] إن لم يستقيموا.

وقوله: ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ قيل: معناه: حتى يكون الأمر في بيانه والعلم به على سواء منك ومنهم، فتكونون فيه ـ أي: في استشعارٍ للحرب ـ سواءً، وقيل: معنى قوله: ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي: على مَعْدَلة، أي: فذلك هو العدل والاستواء في الحق، قال المهدوي: معناه: جهراً لا سرّاً[٥].

قال القاضي أبو محمد: وهذا نحو الأول.

وقال الوليد بن مسلم: ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: معناه: على مهل، كما قال تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ

---

(١) جنادع الشر: أوائله، ومقدماته.

(٢) في نجيبويه وأحمد٣ وجار الله ونور العثمانية: «مبتدئين»، وأشار لها في هامش المطبوع.

(٣) البحر المحيط (٥/ ٣٤٠).

(٤) ساقط من التركية، وزاد في الأسدية: «ومناحرهم».

(٥) التحصيل للمهدوي (٣/ ١٩٥).

ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ١-٢][١].

قال القاضي أبو محمد: واللغة تأبى هذا القول، وذكر الفراء أن المعنى: انبذ إليهم [على اعتدال وسواء][٢] من الأمر[٣]، أي: بيِّن لهم على قَدْر ما ظهر منهم، لا تُفْرِطْ ولا تَفْجَأْ بحرب، بل افعل بهم مثلما فعلوا بك.

قال القاضي أبو محمد: يعني موازنةً ومقايسة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ يحتمل أن يكون طعناً على الخائنين من الذين عاهدهم النبي ﷺ، ويحتمل أن يريد: فانبذ إليهم على سواء حتى تَبعد عن الخيانة، فإن الله لا يحب الخائنين / ، فيكون النبذ على هذا التأويل لأجل أن الله لا يحب الخائنين. [٢/ ٢١٤]

و«السواء» في كلام العرب قد يكون بمعنى العدل والمعدلة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران ٦٤] ومنه قول الراجز:

[الرجز] فَاضْـرِبْ وُجُـوهَ الْغُـدَّرِ الْأَعْدَاءِ   حَتَّـى يُجِيبُـوك إِلَـى السَّـوَاءِ[٤]

وقد يكون بمعنى الوسَط، ومنه قوله تعالى: ﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥].

ومنه قول حسان بن ثابت:

[الكامل] يَـا وَيْـحَ أَنْصـارِ النبـيّ وَرَهْطـهِ   بَعْدَ المُغَيَّبِ فِي سَواءِ المُلْحَدِ[٥]

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي: ﴿ولا تَحسِبَن﴾ بالتاء مخاطبةً للنبي ﷺ، وبكسر السين

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٢٦)، وتفسير الماوردي (٢/ ٣٢٨)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٦٩).
(٢) ساقط من الأسدية.
(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٨٦).
(٤) الرجز لظبيان بن عمارة كما في تاريخ الطبري (٤/ ٥٧٠).
(٥) تقدم في تفسير الآية (١٠٤) من سورة البقرة.

غيرَ عاصم فإنه فتحها[١]، و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ مفعول أول، و﴿سَبَقُوٓاْ﴾ مفعول ثان، والمعنى: فاتوا بأنفسهم وأنجوها ﴿إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ﴾ بكسر ألف (إنَّ) على القطع[٢] والابتداء.

و﴿يُعۡجِزُونَ﴾: معناه: مفلتون ويُعْجِزون طالبهم، فهو معدَّى عَجَز بالهمزة، تقول: عَجَزَ زيد وأعجزه غيره وعجَّزه أيضاً، قال سويد:

وأعْـجَـزَنَـا أبـو ليـلَـى طُـفيـلٌ صحيحَ الجِلد من أثرِ السِّلاحِ[٣] [الوافر]

وروي أن الآية نزلت فيمن أفلت من الكفار في حرب النبي ﷺ، كقريش في بدر وغيرهم، فالمعنى: لا تظنهم ناجين بل هم مدرَكون.

وقيل: معناه: لا يعجزون في الدنيا، وقيل: المراد: في الآخرة.

قال أبو حاتم: وقرأ مجاهد وابن كثير وشبلٌ: (ولا تِحْسَبَن) بكسر التاء[٤]، وقرأ الأعرج وعاصم وخالد بن إلياس[٥]: ﴿تَحسَبن﴾ بفتح التاء من فوق وبفتح السين[٦].

---

(١) انظر: السبعة لابن مجاهد (١ / ٣٠٧) ومثله للداني في التيسير (ص ٨٤) بالمفهوم، إلا حفصاً عن عاصم فإنه بالياء كما سيأتي.

(٢) في الأسدية: «على الوصل».

(٣) تابعه في البحر المحيط (٥/ ٣٤١)، والصواب أنه للشويعر، على اختلاف في اسمه، انظر المؤتلف والمختلف (ص: ١٨٢)، العمدة في محاسن الشعر (١/ ١١٥)، البيان والتبيين (٢/ ٩)، وفي حماسة الخالديين (ص: ٩٤) له أو لعمر بن لَجَأٍ، وفي أكثر المصادر: وأفلتنا.

(٤) لم أجد من نقلها عنهم، وليست في شيء من طرق التيسير، وقد تقدمت قراءات هذا الحرف في أول ورود له بآل عمران.

(٥) هو خالد بن إلياس أبو الهيثم العدوي المدني، روى عن صالح مولى التوأمة، والمقبري، وجماعة، القعنبي، والواقدي، وأحمد ابن يونس، قال أبو حاتم: منكر الحديث، ضعيف، وقال النسائي: متروك، من الطبقة السابعة عشرة، تاريخ الإسلام (١٠/ ١٦٤).

(٦) هذه رواية أبي بكر عن عاصم وهي سبعية، وقد تقدمت الإشارة إليها، ولعل هذا العزو من بقية كلام أبي حاتم لذلك تكررت ....

وقرأ الأعمش: (ولا يَحسَب) بفتح السين والياء من تحت وحذف النون[١].

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع وأبو عبد الرحمن وابن محيصن وعيسى: (ولا يَحسِبنّ) بياء من تحت وسين مكسورة ونون مشددة[٢].

وقرأ حفص عن عاصم وابنُ عامر وحمزةُ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء على الكناية عن غائب وبفتح السين[٣]، فإما أن يكون في الفعل ضمير النبي ﷺ، أو يكونَ التقدير: ولا يحسبن أحد، ويكونُ قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ مفعولاً أولاً و﴿سَبَقُوٓاْ﴾ مفعولاً ثانياً.

وإما أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ هم الفاعلون[٤]، ويكون المفعول الأول مضمراً، و﴿سَبَقُوٓاْ﴾ مفعول ثان، وتقدير هذا الوجه: ولا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سبقوا.

وإما أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ هو الفاعل وتُضمر «أن» فيكون التقدير: ولا يحسبن الذين كفروا أنْ سبقوا، وتسد «أنْ سبقوا» مسد المفعولين، قال الفارسي: ويكون هذا كما تأوله سيبويه في قوله عز وجل قال: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ﴾ [الزمر: ٦٤] التقدير: أن أعبد[٥].

قال القاضي أبو محمد: ونحوه قول الشاعر:

[الطويل] أَلا أيُّهذا الزَّاجِري أحضُرُ الوَغى[٦] ....

(١) هذه قراءة ابن مسعود كما سيأتي، وتابعه في عزوها للأعمش في البحر المحيط (٥/ ٣٤٢).

(٢) هذه القراءة بهذا التركيب شاذة، ليست في شيء من طرق النشر، وانظر عزوها لمن ذكر في البحر المحيط (٥/ ٣٤٢).

(٣) هذه أيضاً سبعية، ووافق المذكورين أبو جعفر، وبقيت ثالثة سبعية بالتاء وكسر السين للجمهور، وقد تقدمت في أول الكلام، وانظر التيسير (ص: ١١٧).

(٤) هكذا في جميع النسخ بالرفع، وله وجه في العربية، ولكن الأولى النصب.

(٥) «التقدير أن أعبد»: ساقطة من التركية والأسدية، وانظر الكتاب لسيبويه (١ / ١٩٧)، والحجة لأبي علي (٤/ ١٥٥).

(٦) هو لطرفة من معلقته، وتمامه: وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي، انظر: شرح المعلقات التسع (ص: ٦٣)، والمقتضب (٢/ ٨٥).

قال أبو علي: وقد حذفت[(١)] «أنْ»، وهي مع صلتها في موضع الفاعل، وأنشد أحمد ابن يحيى في ذلك:

وَمَا رَاعنا إلَّا يسيرُ بشرطةٍ ... وعهدي بِهِ قَيناً يَفُشُّ بِكيرِ[(٢)] [الطويل]

وقرأ ابن عامر وحده من السبعة: ﴿أَنهم لا يعجزون﴾ بفتح الألف من ﴿أنهم﴾[(٣)]، ووجهُه: أن يقدر بمعنى: لأنهم لا يعجزون، أي: لا تحسبن عليهم النجاة لأنهم لا ينجون.

وقرأ الجمهور: ﴿يُعۡجِزُونَ﴾ بسكون العين.

وقرأ بعض الناس فيما ذكر أبو حاتم: (يُعَجِّزون) بفتح العين وشد الجيم[(٤)].

وقرأ ابن محيصن: (يُعْجِزونِ) بكسر النون[(٥)] [ومنحاها: يعجزوني][(٦)] بإلحاق الضمير.

قال الزجَّاج: الاختيار فتح النون، ويجوز كسرها على أن المعنى: أنهم لا يعجزونني، وتحذف النون الأولى لاجتماع النونين[(٧)]، كما قال الشاعر:

تراه كالثَّغَام يُعَلُّ مِسْكاً ... يسوء الفاليـاتِ إذا فَلَيْنِي[(٨)] [الوافر]

قال القاضي أبو محمد: البيت لعمرو بن معد يكرب.

وقال أبو الحسن الأخفش في قول متمِّم بن نُويرة:

---

(١) في التركية: «حذف».

(٢) البيت لرجل من بني أسد يقال له: معاوية بن خليل النصري، كما في خزانة الأدب (٨/ ٥٨٤).

(٣) انظر: التيسير (ص: ١١٧).

(٤) لم أقف عليه، وهي شاذة، عزاها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٠٧) لابن محيصن وجها.

(٥) عزاها له الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٠٧).

(٦) ساقط من التركية.

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٢٢).

(٨) البيت لعمرو بن معد يكرب كما في الكتاب لسيبويه (٣/ ٥٢٠)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٩٠)، ومجاز القرآن (١/ ٣٥٢).

[الكامل] ولقـد علمـتُ ولا محالـة أَننـي لِلحادِثـاتِ فهلْ تَرَيْنِـي أَجْزَعُ[١]

هذا يجوز على الاضطرار، فقال قوم: حَذَف النونَ الأولى، وحذفُها لا يجوز لأنها موضع الإعراب، وقال أبو العباس المبرد: أرى فيما كان مثلَ هذا حذفَ الثانية، وهكذا كان يقول في بيت عمرو بن معد يكرب[٢].

وفي مصحف عبد الله: (ولا يَحسَب الذين كفروا أنهم سبقوا إنهم لا يعجزون)[٣]، [قال أبو عمرو الداني: بالياء من تحت وبغير نون في (يحسب)][٤].

قال القاضي أبو محمد: وذكرها الطبري بنون[٥].

قوله عز وجل: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝٦٠ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦١﴾.

المخاطبة في هذه الآية لجميع المؤمنين، والضمير في قوله: ﴿لَهُم﴾ عائد على الذين يُنبذ إليهم العهد، أو على الذين لا يعجزون على تأويل مَن تأول ذلك في الدنيا.

ويحتمل أن يعيده على جميع الكفار المأمور بحربهم في ذلك الوقت، ثُمَّ استمرت الآية في الأمة عامة، إذ الأمر قد توجه بحرب جميع الكفار.

وقال عكرمة مولى ابن عباس: القوة: ذكور الخيل، والرباط: إناثها[٦]، وهذا قول ضعيف.

---

(١) انظر عزوه له في المفضليات (ص: ٥٣)، والوساطة بين المتنبي وخصومه (ص: ٣١٩).
(٢) لم أجد من نقل هذا عنهما.
(٣) انظر المصاحف (ص: ١٧٧)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٠٢)، والهداية لمكي (٤/ ٢٨٦٠).
(٤) ساقط من الأسدية.
(٥) تفسير الطبري (١٤/ ٢٨).
(٦) تفسير الطبري (١٤/ ٣٤)، وتفسير الماوردي (٢/ ٣٢٩)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٦٩).

وقالت فرقة: القوة الرمي، واحتجت بحديث عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي» ثلاثاً[١].

وقال السدي: القوة السلاح، وذهب الطبري إلى عموم اللفظة، وذكر عن مجاهد أنه رُئي يتجهز وعنده جُوالق فقال: [هذا من القوة[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو الصواب.

والْخَيْل والمركوب في الجملة]، والمحمولُ عليه من الحيوان، والسلاح كلُّه، والملابس الباهية[٣]، والآلات والنفقات، كلها داخلة في القوة، وأُمر المسلمون بإعداد ما استطاعوا من ذلك.

ولما كانت الخيل هي أصلَ الحروب وأوزارَها، والتي عقد الخير في نواصيها، وهي أقوى القوة وحصونُ الفرسان، خصها الله بالذكر تشريفاً، على نحو قوله / : ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] وعلى نحو قوله: ﴿فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] وهذا كثير. [٢/ ٢١٥]

ونحوه قول رسول الله ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»، هذا في البخاري وغيره[٤]، وقال في صحيح مسلم: «جعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً»[٥].

فذكرت التراب على جهة التحفي به إذ هو أعظم أجزاء الأرض مع دخوله في عموم الحديث الآخر.

---

(١) رواه البخاري (٤٣٨) ومسلم (٥٢١).

(٢) انظر قول الطبري وقولي مجاهد والسدي في تفسير الطبري (١٤/ ٣٤).

(٣) ما بين القوسين ساقط من أحمد٣.

(٤) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٤٣٨) ومسلم بنحوه (٥٢١) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٥) مسلم رقم (٥٢٢) بلفظ: «وجعلت تربتها لنا طهوراً».

ولما كانت السهام من أنجع ما يتعاطى في الحرب، وأنكاه في العدو، وأقربه تناولاً للأرواح، خصها رسول الله ﷺ بالذكر والتنبيه عليها، وقد روي عنه ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى يدخل بالسهم الواحد الثلاثة من المسلمين الجنة، صانعه، والذي يحتسب في صنعته، والذي يرمي به»(١)، وقال عمرو بن عبسة(٢): سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن رمى بسهم في سبيل الله أصاب العدو أو أخطأ فهو كعتق رقبة»(٣).

---

(١) في إسناده خلاف كثير، وروي مرسلاً، هذا الحديث أخرجه أحمد (٤/ ١٤٤) (٤/ ١٤٨)، والدارمي (٢٤١٠)، وابن ماجه (٢٨١١)، والترمذي (١٦٣٧)، وابن خزيمة (٢٤٧٨) من طريق: أبي سلام وزيد ابن سلام مفرقين عن عبد الله بن زيد الأزرق عن عقبة بن عامر الجهني مرفوعاً، وقد وقع فى إسناد هذا الحديث اختلاف، واختلف في الراوي عن عقبة: هل اسمه خالد أو عبد الله؟ وفي أبيه: هل هو زيد أو يزيد؟ وأخرجه أحمد (٤/ ١٤٦) (٤/ ١٤٨)، وأبو داود (٢٥١٣)، والنسائي (٦/ ٢٨) (٦/ ٢٢٢)، والحاكم (٢/ ٩٥) من طرق عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: ثني أبو سلام الدمشقي، عن خالد بن زيد الجهني عن عقبة بن عامر مرفوعاً، تراجع ترجمة خالد بن زيد ـ ويقال: ابن يزيد ـ الجهني من تهذيب الكمال ففيها ذكر الخلاف مفصلاً، وعلى كل حال فالراوي عن عقبة لا يعرف حاله، والحديث أخرجه الترمذي (١٦٣٧) من طريق: محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين: أن رسول الله ﷺ، مرسل.

(٢) في الأصل ونجيبويه: «عنبسة»، وهو خطأ، فهو عمرو بن عبسة بن خالد السلمي، أبو نجيح، أسلم قديماً بمكة، ثم رجع إلى بلاده، إلى أن هاجر بعد خيبر، فشهد ما بعدها، وتوفي في أواخر خلافة عثمان. الإصابة (٤/ ٥٤٥).

(٣) لا بأس به في الجملة، روي من عدة طرق عن عمرو بن عبسة، بعضها مرسلة، هذا الحديث أخرجه النسائي (٦ / ٢٧) من طريق خالد بن زيد أبي عبد الرحمن الشامي، عن شرحبيل بن السمط، عن عمرو بن عبسة به مرفوعاً. وشرحبيل روايته عن عمرو مرسلة قاله المزي في التهذيب، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٢٣٨) من طريق يزيد بن السمط، عن النعمان بن المنذر، عن مكحول، عن عمرو بن عبسة به مرفوعاً. مكحول كثير الإرسال ولا يعرف سماعه من عمرو، وفي (٢/ ١٤٠) من طريق الوليد بن مسلم، عن حريز بن عثمان، عن سليم بن عامر، عن عمرو بن عبسة مرفوعاً: «من رمى بسهم في سبيل الله أخطأ أو أصاب كان له كعتق رقبة من ولد إسماعيل». وزيادة: «من ولد إسماعيل» منكرة، وأخرجه ابن ماجه (٢/ ٩٤٠) وغيره من طريق عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن سليمان بن عبد الرحمن القرشي، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن عمرو =

وقال رسول الله ﷺ: «ارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إليَّ من أن تركبوا»[١].

و﴿رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾: جمع ربْط ككلب وكلاب، ولا يكثر ربطها إلا وهي كثيرة.

ويجوز أن يكون الرباط مصدراً من ربط، كصاح صياحاً، ونحوِه؛ لأن مصادر الثلاثي غيرِ المزيد لا تنقاس، وإن جعلناه مصدراً من رابط فكأن ارتباط الخيل واتخاذها يفعله كل واحد لفعلِ آخَرَ له، فترابَطَ المؤمنون بعضهم بعضاً، فإذا ربط كل واحد منهم فرساً لأجل صاحبه فقد حصل بينهم رباط، وذلك الذي حضَّ في الآية عليه، وقد قال ﷺ: «من ارتبط فرساً في سبيل الله فهو كالباسط يده بالصدقة لا يقبضها»[٢]، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وقرأ الحسن وعمرو بن دينار وأبو حيوة: (ومن رُبُط) بضم الراء والباء[٣]، وهو جمع

= ابن عبسة مرفوعاً، وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٤/ ٥٠) من طريق إسماعيل بن عياش، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، عن شهر بن حوشب أنه لقي أبا أمامة الباهلي فسأله عن حديث عمرو بن عبسة السلمي حين حدث شرحبيل بن السمط وأصحابه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول... قال شهر: فحدثني أبو أمامة عن عمرو بن عبسة بهذا الحديث سمعه من رسول الله ﷺ، قال ابن عبد البر: إسماعيل بن عياش أجمعوا أنه ليس بحجة فيما ينفرد به.

(١) هو جزء من حديث عقبة بن عامر الذي مر.

(٢) لم أجده بهذا السياق، وإنما المعروف بلفظ: «الخيل معقود في نواصيها الخير، وأهلها معانون عليها، والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة»، أخرجه ابن حبان (٤٦٧٤)، والحاكم (٢/ ١٠٠) وغيرهما من طريق معاوية بن صالح قال: حدثني نعيم بن زياد أنه سمع أبا كبشة صاحب النبي ﷺ به مرفوعاً. وبلفظ: «المنفق على الخيل كالباسط يده بالصدقة لا يقبضها»، أخرجه أبو داود (٤٠٨٩) من طريق: هشام بن سعد عن قيس بن بشر التغلبي قال: أخبرني أبي قال: كان بدمشق رجل من أصحاب النبي ﷺ يقال له: ابن الحنظلية... مر بنا ونحن عند أبي الدرداء فقال له أبو الدرداء كلمة تنفعنا ولا تضرك... فقاله مرفوعاً، وهشام لا يحتج به، والحديث متفق عليه بلفظ: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم»، أخرجه البخاري (٢٨٥٢) و(٣١١٩) ومسلم (١٨٧٣) دون ما بعده من الزيادة.

(٣) عزاها للحسن في مختصر الشواذ (ص: ٥٥)، وللثلاثة الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٠٧).

رباط، ككتاب وكتب، كذا نصَّه المفسرون، وفي جمعه وهو مصدر غير مختلف نظر.

و﴿تُرۡهِبُونَ﴾: معناه: تُفزِعون وتُخَوِّفون، والرهبة الخوف، قال طُفَيل الغَنَوي:

[البسيط] وَيْـلُ امِّ حَـيٍّ دَفَعْتُـمْ فِـي نُحُورِهِمُ ... بَنِي كِلابٍ غَدَاةَ الرُّعْبِ والرَّهَبِ[1]

ومنه راهب النصارى، يقال: رهب إذا خاف، فـ﴿تُرۡهِبُونَ﴾ معدًّى بالهمزة.

وقرأ الحسن ويعقوب: ﴿تُرَهِّبون﴾ بفتح الراء وشد الهاء [معدًّى بالتضعيف][2]، ورويت عن أبي عمرو بن العلاء، قال أبو حاتم: وزعم عمرو أن الحسن قرأ: (يرهبون) بالياء من تحت وخففها، [فهو على هذا المعدَّى بالتضعيف][3].

وقرأ ابن عباس وعكرمة (تخزون به عدو الله)[4].

قال القاضي أبو محمد: ذكرها الطبري تفسيراً لا قراءة، وأثبتها أبو عمرو الداني قراءةً.

وقوله: ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ ذكر الصفتين، وإن كانت متقاربة، إذ هي متغايرة المنحى، وبذكرهما يتقوى الذم وتتضح وجوه بغضنا لهم.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: (عدُوّاً لله) بتنوين (عدو) وبلام في المكتوبة[5].

والمراد بهاتين الصفتين من قَرُبَ وصاقب[6] من الكفار وكانت عداوته متحركة بعد.

---

(١) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١ / ٢٤٩)، وتفسير الطبري (١٤/ ٣٥).

(٢) ساقط من التركية وجار الله ونور العثمانية، وهي عشرية من رواية رويس عن يعقوب كما في النشر (٢/ ٢٧٧)، أما روح فالمتواتر عنه التخفيف كالجماعة، وعزاها ليعقوب والحسن ويموت عن أبي عمرو الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٠٧).

(٣) ساقط من التركية، وهي شاذة، عزاها له في الشواذ للكرماني (ص: ٢٠٧)، أما عمرو المذكور فلم أعرفه.

(٤) وهي شاذة مخالفة للرسم، انظرها في تفسير الطبري (١٤/ ٣٥).

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في مختصر الشواذ (ص: ٥٥)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٠٧).

(٦) في نجيبويه: «وصافت»، وصاقَبَ بمعنى قارب ووزنِها.

ويجوز أن يراد بها جميع الكفار، ويَبين هذا من اختلافهم في قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ﴾ الآية، قال مجاهد: الإشارة بقوله: ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ إلى قريظة، وقال السدي: الإشارة إلى أهل فارس، وقال ابن زيد: الإشارة إلى المنافقين[١]، وقالت فرقة: الإشارة إلى الجن، وقالت فرقة: هم كل عدو للمسلمين غير الفرقة التي أمر النبي ﷺ أن يشرد بهم من خلفهم.

قال القاضي أبو محمد: وهذا الخلاف إنما ينبغي أن يترتب على ما يَتَوجه من المعنى في قوله ﴿لَا تَعۡلَمُونَهُمُ﴾ فإذا حملنا قوله: ﴿لَا تَعۡلَمُونَهُمُ﴾ على عمومه، ونفينا علم المؤمنين بهذه الفرقة المشار إليها جملة واحدة، وكان العلم بمعنى المعرفة لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد، لم يثبت من الخلاف في قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ إلا قولُ من قال: الإشارة إلى المنافقين، وقولُ من قال: الإشارة إلى الجن.

وإذا جعلنا قوله: [﴿لَا تَعۡلَمُونَهُمُ﴾ مجازاً بيِّناً][٢] أو نحو هذا مما نقيِّد[٣] به نفيَ العلم عنهم، حسنت الأقوال، وكان العلم متعدِّياً إلى مفعولين.

قال القاضي أبو محمد: هذا الوجه أشبه عندي، ورجح الطبري أن الإشارة إلى الجن، وأسند في ذلك ما روي من أن «صهيل الخيل ينفِّر الجن، وأن الشيطان لا يدخل داراً فيها فرس للجهاد»[٤]، ونحو هذا، وفيه على احتماله نظر.

وكان الأهم في هذه الآيات أن يبرز معناها في كل ما يقوي المسلمين على عدوهم من الإنس، وهم المحاربون والذين يدافعون[٥] على الكفر، ورهبتُهم من المسلمين هي النافعة للإسلام وأهله، ورهبة الجن وفزعهم لا غَناء له في ظهور الإسلام، [بل هو

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٤/ ٣٥-٣٦)، وتفسير الماوردي (٢/ ٣٣٠)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٦٩).

(٢) في نجيبويه بدله: «لا تعلمونهم بمعنى لا تعلموهم محاربين».

(٣) في الأصل: «نغير»، وفي المطبوع: «نفيد»، وفي الحمزوية: «يبعد»، وفي السليمانية: «يعيد».

(٤) تفسير الطبري (١٤/ ٣٧).

(٥) في نجيبويه: «يراجعون».

تابع لظهور الإسلام][(١)] وهو أجنبي جدّاً، والأَولى أن يتأول أن المسلمين إذا ظهروا وعزُّوا هابهم مَن جاورهم من العدو المحارب لهم، فإذا اتصلت حالُهم تلك بمن بَعُدَ من الكفار داخلته الهيبة وإن لم يقصد المسلمون إرهابهم، فأولئك هم الآخرون.

ويحسن أن يقدر قوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ بمعنى: لا تعلمونهم فازعين راهبين، ولا تظنون ذلك بهم، والله تعالى يعلمهم بتلك الحالة، ويحسن أيضاً أن تكون الإشارة إلى المنافقين على جهة الطعن عليهم والتنبيه على سوء حالهم، وليستريب بنفسه كلُّ من يعلم منها نفاقاً إذا سمع الآية، ولفزعهم ورهبتهم غناءٌ كثير في ظهور الإسلام وعلوه.

وقوله: ﴿مِن دُونِهِمْ﴾ بمنزلة قولك: دون أن يكون هؤلاء، فـ«دون» في كلام العرب و«من دون» يقتضي عدم المذكور بعدها من النازلة التي هي فيها القول، ومنه المثل: «وأمرٌّ دون عبيدة الوذمُ»[(٢)].

ثم تفضل تعالى بعِدَة المؤمنين على إنفاقهم في سبيل الله بأن النفقة لا بد أن توفى، أي: تجازى ويثاب عليها، ولزوم هذا هو في الآخرة، وقد يمكن أن يجازي الله تعالى بعض المؤمنين في الدنيا مجازاةً مضافةً إلى مجازاة الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ الآية، الضمير في ﴿جَنَحُواْ﴾ هو للَّذين نبذ إليهم على سواء، وجنح الرجل إلى الأمر: إذا مال إليه وأعطى يده فيه، ومنه قيل للأضلاع: جوانح؛ لأنها مالت على الحشوة، وللخِباء: جناح، وجنحت الإبل: إذا
[٢/ ٢١٦] مالت أعناقُها في السير، وقال ذو الرُّمة / :

[الطويل] إِذا مَال فَوق الرَّحْـل أَحْيَيْتِ روحه بِذِكْراك والعِيسُ المَراسيلُ جُنَّحُ[(٣)]

(١) ساقط من المطبوع

(٢) أصله عجز بيت لطرفة بن العبد، وصدره: ولقد هممتُ بذاك إذ حُبستْ، كما تقدم في تفسير الآية (٢٨) من سورة آل عمران.

(٣) انظر عزوه له في الشعر والشعراء (١/ ٢٢)، وتهذيب اللغة (٤/ ٩٤)، وحماسة الخالديين (ص: ٨١)، وأساس البلاغة (٢/ ٢٣٣).

وجَنح الليل: إذا أقبل وأمال أطنابه على الأرض، ومنه قول النابغة:

جَوَانِـح قَـدْ أَيْقَـنَّ أَنَّ قَبِيلَـهُ إِذَامَاالتَقَى الجمْعانِأَوَّلُ غَالِبِ[1] [الطويل]

أي: موائل، وقال لبيد:

جُنُـوح الْهَـالِكِـيِّ عَـلَـى يَـدَيْهِ مُكِبّـاً يَجْتَلِـي نُقَـبَ النِّصَـالِ[2] [الوافر]

وقرأ جمهور الناس: ﴿لِلسَّلْمِ﴾ بفتح السين وشدها، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿لِلسِّلْمِ﴾ بكسرها وشدها[3] وهما لغتان في المسالمة.

ويقال أيضاً: السَّلَم بفتح السين واللام، ولا أحفظها قراءة.

وقرأ جمهور الناس: ﴿فَاْجْنَحْ﴾ بفتح النون وهي لغة تميم، وقرأ الأشهب العقيلي: (فاجنُح)[4]، وهي لغة قيس بضم النون، قال أبو الفتح: وهذه القراءة هي القياس، لأن «فَعَلَ» إذا كان غيرَ متعد فمستقبله «يفعُل» بضم العين أقيس: قعَد يقعُد، أقيس من جلس يجلِس.

وعاد الضمير في ﴿لَهَا﴾ مؤنثاً إذ (السلم) بمعنى المسالمة والهدنة، وقيل: (السلم) مؤنثةٌ كالحرب ذكره النحاس، وقال أبو حاتم: يذكَّر السلم[5].

وقال قتادة والحسن بن أبي الحسن وعكرمة وابن زيد: هذه الآية منسوخة بآيات القتال في براءة[6].

قال القاضي أبو محمد: وقد يحتمل ألا يترتب نسخها بها بأن يُعنى بهذه مَن تجوز مصالحته، وتبقى تلك التي في براءة في عبدة الأوثان، وإلى هذا ذهب الطبري.

---

(١) انظر عزوه له في الحيوان (٦/ ٤٨٣)، والشعر والشعراء (١/ ١٦٧)، وتفسير الطبري (١٤/ ٤٠)، وعيار الشعر (ص: ٤٤).

(٢) انظر عزوه له في العين (٥/ ٢٨٤)، وسيرة ابن هشام (١/ ٦٧٤)، وتهذيب اللغة (٤/ ٩٣).

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير للداني (ص: ١١٧).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها له مع التوجيه في المحتسب (١ / ٢٧٩).

(٥) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٠٣).

(٦) انظر: قولهم في تفسير الطبري (١٤/ ٤١)، مع قول الطبري الآتي.

وما قالته الجماعة صحيح أيضاً إذْ كان الجنوح إلى سلم العرب مستقرّاً في صدر الإسلام، فنسخت ذلك آية براءة ونُبذت إليهم عهودهم.

وروي عن ابن عباس أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ الآية [محمد: ٣٥][(١)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول بعيد من أن يقوله ابن عباس رضي الله عنه، لأن الآيتين مدنيتان[(٢)].

وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أمر في ضِمْنِه وعد[(٣)].

قوله عز وجل: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

الضمير في قوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ﴾ عائد على الكفار الذين قيل فيهم: ﴿وَإِن جَنَحُواْ﴾.

وقوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ﴾ يريد: بأن يظهروا له السلم ويبطنوا الغدر والخيانة، أي: فاجنح وما عليك من نياتهم الفاسدة.

﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: كافيك ومعطيك نصرةً وإظهاراً، وهذا وعد محض.

و﴿أَيَّدَكَ﴾ معناه: قوَّاك، ﴿وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يريد: بالأنصار، بقرينة قوله: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ الآية، وهذه إشارة إلى العداوة التي كانت بين الأوس والخزرج في

---

(١) لم أجده.

(٢) في الأصل: «مبينتان»، وفي نجيبويه: «منبئتان»، وفي الحمزوية: «مثبتتان».

(٣) في المطبوع: «وعيد».

حروب بُعاث، فألف الله تعالى قلوبهم على الإسلام وردهم متحابين في الله، وعدِّدت هذه النعمة تأنيساً لمحمد ﷺ، أي: كما لطف بك ربك أولاً فكذلك يفعل آخِراً.

وقال ابن مسعود: نزلت هذه الآية في المتحابين في الله(١).

[وقال مجاهد: إذا تراءى المتحابان](٢) فتصافحا وتضاحكا تحاتَّتْ خطاياهما، فقال له عَبْدة بن أبي لُبابة(٣): إن هذا ليسير(٤)، فقال له: لا تقل ذلك، فإن الله يقول: ﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾، قال عبدة: فعرفت أنه أفقه مني(٥).

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله تمثُّل حسن بالآية، لا أن الآية نزلت في ذلك، بل تظاهرت أقوال المفسرين أنها في الأوس والخزرج كما ذكرنا، ولو ذهب ذاهب إلى عموم المؤمنين في المهاجرين والأنصار، وجعل التأليف ما كان من جميعهم من التحابِّ حتى تكون ألفة الأوس والخزرج جزءاً من ذلك لساغ ذلك، وكل تألُّف في الله فتابعٌ لذلك التألف الكائن في صدر الإسلام.

وقد روى سهل بن سعد عن النبي ﷺ، أنه قال: «المؤمن مألفةٌ، لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلَف»(٦).

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (١٤/ ٤٧) من طريق عبيد الله بن موسى قال: حدثنا فضيل بن غزوان قال: أتيت أبا إسحاق فسلمت عليه فقال: حدثني أبو الأحوص، عن عبد الله، قال: نزلت هذه الآية في المتحابين في الله: ﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾ .اهـ، وإسناده صحيح.

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) عبدة بن أبي لبابة الأسدي ثم الغاضري مولاهم، أبو القاسم الكوفي التاجر أحد العلماء الأثبات، حدث عن ابن عمر وسويد بن غفلة وعلقمة وأبي وائل وزر بن حبيش، وعنه الأوزاعي وشعبة والسفيانان وآخرون، توفي سنة (١٢٨هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ١٧١).

(٤) تحرفت في نجيبويه إلى: «لعسير».

(٥) تفسير الطبري (١٤/ ٤٦).

(٦) الأشبه أنه من قول ابن مسعود، روي هذا الحديث عن أبي حازم، واختلف عليه؛ فرواه مصعب بن ثابت، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، عن النبي ﷺ، ورواه أبو صخر، عن أبي حازم، عن أبي =

قال القاضي أبو محمد: والتشابه هو سبب الألفة، فمن كان من أهل الخير ألف أشباهه وألفوه.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: قال النقاش: نزلت هذه الآية بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال(١)، وحكي عن ابن عباس أنها نزلت في الأوس والخزرج خاصة، قال: ويقال: إنها نزلت حين أسلم عمر وكمل المسلمون أربعين، قاله ابن عمر وأنس(٢).

قال القاضي أبو محمد: فهي على هذا مكية.

و﴿حَسْبُكَ﴾ في كلام العرب وشَرْعُكَ بمعنى: كافيك ويكفيك، والمُحْسِب(٣): الكافي.

وقالت فرقة: معنى هذه الآية: يكفيك الله ويكفيك من اتبعك من المؤمنين، فـ (مَن) في هذا التأويل [رفع عطفاً على اسم الله عز وجل.

وقال عامر الشعبي وابن زيد: معنى الآية: حسبك الله وحسبُ مَن اتبعك من

= صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ، فذكره، ورواه عبد الرحمن المسعودي وغيره، عن أبي حازم، عن عون بن عبد الله قال: قال عبد الله بن مسعود، فذكره مرسلاً موقوفاً، ورواه عبد العزيز ابن أبي حازم، عن أبي حازم، عن عون من قوله، قاله البيهقي في الآداب (١٥٩)، وذكر الدارقطني (٥/ ٢٣٢) نحواً من هذا الخلاف في العلل، ثم قال: أشبهها بالصواب حديث ابن مسعود. اهـ. يعني الموقوف، وكذلك فهم عنه ونقله ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٢٥٨)، وفي التركية: «سهل عن سعد»، بدل «بن» وهو خطأ.

(١) تفسير الثعالبي (٢/ ١٠٩).

(٢) وفي التركية: «قاله عمر»، وأثر أنس وابن عمر لم أجده، لكن أخرج الطبراني في الكبير (١٢/ ٦٠) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤/ ٤٠) من طريق: إسحاق بن بشر الكاهلي، ثنا خلف بن خليفة، عن أبي هاشم الرماني، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أسلم مع النبي ﷺ تسعة وثلاثون رجلاً وامرأة، وأسلم عمر تمام الأربعين، فأنزل الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾. وهذا خلاف ما نسبه المصنف لابن عباس، فإني لم أجده، وإسحاق بن بشر تالف، اتهم بالكذب.

(٣) في نجيبويه: «والمحاسب».

المؤمنين[١]، فـ (مَن) في هذا التأويل][٢] في موضع نصب عطفاً على موضع الكاف، لأن موضعها نصب على المعنى ليكفيك التي سدَّت ﴿حَسْبُكَ﴾ مسدّها.

ويصح أن تكون (مَن) في موضع خفضٍ بتقدير محذوف، كأنه قال: وحسبُ، وهذا كقول الشاعر:

أكُلَّ امرِئٍ تَحْسَبِينَ امْرَأً ... ونارٍ تَوَقَّدُ باللَّيْلِ نارَا[٣] [المتقارب]

التقدير: وكلَّ نار، وهذا الوجه من حذف المضاف مكروه، بابه ضرورة الشعر، ويروى البيت: وناراً، ومن نحو هذا قول الشاعر:

إذَا كَانَتِ الهَيْجَاءُ وانْشَقَّتِ العَصَا ... فَحَسْبُكَ والضَّحَّاكَ سَيْفٌ مُهَنَّدُ[٤] [الطويل]

يروى: الضحاكُ مرفوعاً، والضحاكَ منصوباً، والضحاكِ مخفوضاً.

فالرفع عطف على قوله: سيف، بِنِية التأخير كما قال الشاعر:

.... عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ السَّلامُ[٥] [الوافر]

ويكون الضحاك على هذا مُحسِباً للمخاطب.

[والنصبُ عطفاً على موضع الكاف من قوله: «حسبك»، والمهند على هذا مُحْسِبٌ للمخاطب][٦].

---

(١) تفسير الطبري (١٤/ ٤٩).

(٢) ساقط من التركية.

(٣) البيت لأبي دؤاد كما في الكتاب لسيبويه (١/ ٦٦)، والأصمعيات (ص: ١٩١)، ونسبه في الكامل (١/ ٢٢٩) لعدي بن زيد.

(٤) البيت لجرير كما في ذيل الأمالي (ص ١٤٠).

(٥) نسبه في الجيم (١/ ١٢٠) للأصبغ الكلبي، وصدره عنده: ألَا يا أيُّها المَحجوبُ عَنَّا، وفي أكثر المصادر أن صدره: ألا يا نخلة من ذات عرق، وهذا الأخير قال في خزانة الأدب (١/ ٤٠١): لا يعرف قائله، وقيل: هو للأحوص.

(٦) ساقط من نجيبويه.

والخفضُ[١] على تقدير محذوف كأنه قال: فحسبك وحسبُ الضحاكِ.

قوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ
صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن / مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا [٢/ ٢١٧]
يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ
يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

قوله: ﴿حَرِّضِ﴾ معناه: حُثَّهم وحُضَّهم.

قال النقاش: وقرئت: (حرِّص) بالصاد غير منقوطة، والمعنى متقارب[٢].

والحارض: الذي هو القريب من الهلاك لفظةٌ مباينة لهذه ليست منها[٣] في شيء، وقالت فرقة من المفسرين: المعنى: حرض على القتال حتى يَبين لك فيمن تركه أنه حارض.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول غير ملتئم ولا لازمٍ من اللفظ، ونحا إليه الزجَّاج[٤].

و﴿ٱلْقِتَالِ﴾ مفترضٌ على المؤمنين بغير هذه الآية، وإنما تضمنت هذه الآية أمر النبي ﷺ بتحريضهم على أمر قد وجب عليهم من غير هذا الموضع.

وقوله: ﴿إِن يَكُن﴾ إلى آخر الآية في لفظ خبرٍ ضمنه وعدٌ بشرطٍ؛ لأن قوله: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ﴾ بمنزلة أن يقال: إن يصبر منكم عشرون يغلبوا، وفي ضمنه الأمر بالصبر.

وكسرت العين من ﴿عِشْرُونَ﴾ لأن نسبة عشرين من عشرة نسبة اثنين من واحد،

---

(١) في الأصل والمطبوع: «والضحاكِ»، بدل «والخفض»، فتضبط بالجر.
(٢) لم أجد من نقله عنه، والقراءة بالصاد عزاها أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٥١٢) للأعمش.
(٣) في نجيبويه: «من هذه».
(٤) راجع معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٣).

فكما جاء أول اثنين مكسوراً كسرت العين من عشرين، ثم اطَّرد في جموع أجزاء العشرة، فالمفتوح كأربعة وخمسة وسبعة فُتِح أول جمعه، والمكسورُ كستة وتسعة كُسر أول جمعه، هذا قول سيبويه، وذهب غيره إلى أن عشرين جمع عِشْرِ الإبل وهو وِردُها للتسع، فلما كان في عَشرةٍ وعَشرةٍ: عِشرٌ وعِشرٌ ويومان من الثالث، جمع ذلك على عِشْرِين، كما قال امرؤ القيس:

.... ثَلَاثُونَ شهراً فِي ثَلَاثَة أَحْوَالِ[١] [الطويل]

لما كان في الثلاثين حولٌ وحولٌ وبعضُ الثالث.

وتظاهرت الروايات عن ابن عباس وغيره من الصحابة بأن ثبوت الواحد للعشرة كان فرضاً من الله عز وجل على المؤمنين، ثم لما شقَّ ذلك عليهم حُط الفرض إلى ثبوت الواحد للاثنين.

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو النسخ؛ لأنه رفعُ حكمٍ مستقرٍّ بحكمٍ آخر شرعي، وفي ضمنه التخفيف، إذ هذا من نسخ الأثقل بالأخف.

وذهب بعض الناس إلى أن ثبوت الواحد للعشرة إنما كان على جهة ندب المؤمنين إليه، ثم حُط ذلك حين ثقل عليهم إلى ثبوت الواحد للاثنين، وروي أيضاً هذا عن ابن عباس[٢].

قال كثير من المفسرين: وهذا تخفيفٌ لا نسخٌ، إذ لم يستقر لفرض العشرة حكم شرعي.

قال مكي: وإنما هو كتخفيف الفطر في السفر، وهو لو صام لم يأثم وأجزأه[٣].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا نظر، ولا يمتنع كون المنسوخ مباحاً، [من

---

(١) تقدم في تفسير الآية (١٩٧) من سورة البقرة.

(٢) رواه العوفي وحده عن ابن عباس، أخرجه الطبري (١٤/ ٥٣) وهو مخالف لما استفاض عن ابن عباس وحكاه المصنف قبله.

(٣) الهداية لمكي (٤/ ٢٨٧٥).

أن يقال][1]: نسخ، واعتُبِر ذلك في صدقةِ النجوى[2]، وهذه الآية؛ التخفيفُ فيها نسخٌ للثبوت للعشرة، وسواء كان الثبوت للعشرة فرضاً أو ندباً؛ هو حكم شرعي على كل حال.

وقد ذكر القاضي ابن الطيب أن الحكم إذا نُسخ بعضُه أو بعضُ أوصافه أو غُيِّر عددُه فجائز أن يقال له: نسخٌ، لأنه حينئذ ليس بالأول بل هو غيره، وذكر في ذلك خلافا[3].

قال القاضي أبو محمد: والذي يظهر في ذلك أن النسخ إنما يقال حينئذ على الحكم الأول مقيَّداً لا بإطلاقٍ، واعتُبر ذلك في نسخ الصلاة إلى بيت المقدس.

وقرأ حمزة والكسائي وعاصم: ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ﴾ في الموضعين بياء، على تذكير العلامة، ورواها خارجة عن نافع.

قال القاضي أبو محمد: وهذا بحسب المعنى؛ لأن الكائن في تلك المئة إنما هم رجال، فذلك في الحمل على المعنى كقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، [إذ أمثالها حسنات][4].

وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر: ﴿إن تكن منكم مئة﴾ بالتاء في الموضعين على تأنيث العلامة.

قال القاضي أبو محمد: وهذا بحسب اللفظ والمقصد، كأنه قال: إن تكن فرقة عددها مئة.

وقرأ أبو عمرو بالياء من تحت في صدر الآية، وبالتاء من فوق في آخرها، ذهب في الأولى إلى مراعاة ﴿يَغْلِبُوٓاْ﴾، وفي الثانية إلى مراعاة ﴿صَابِرَةٌ﴾[5].

---

(١) في نجيبويه: «وأن يقال».

(٢) إشارة إلى الآية (٩) من سورة المجادلة.

(٣) لم أقف على قول الباقلاني بلفظه، انظر في هذا الموضوع: المسودة في أصول الفقه (١/ ١٨٧).

(٤) ساقط من نور العثمانية، وهي في جار الله ملحقة في الهامش.

(٥) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١١٧)، ورواية خارجة في السبعة (ص: ٣٠٨)، وقوله: «من فوق» و«من تحت» زيادة من الأسدية.

قال أبو حاتم: وقرأ: (إن تكن) بالتاء من فوق (منكم عشرون صابرون) الأعرج، وجعلها كلها على التاء[١].

قال القاضي أبو محمد: إلا قوله: ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ﴾ فإنه لا خلاف في الياء من تحت.

قوله: ﴿لَّا يَفْقَهُونَ﴾ معناه: لا يفهمون مراشدهم ولا مقصدَ قتالهم، لا يريدون به إلا الغلبة الدنياوية، فهم يخافون الموت إذا صبر لهم، ومن يقاتل ليَغلب أو يُستشهَد[٢] فيصيرَ إلى الجنة أثبت قدماً لا محالة.

وروى المفضَّل عن عاصم: (وعُلِم) بضم العين وكسر اللام على البناء للمفعول[٣].

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي وابن عمرو[٤] والحسن والأعرج وابن القعقاع وقتادة وابن أبي إسحاق: ﴿ضُعْفا﴾ بضم الضاد وسكون العين.

وقرأ عاصم وحمزة وشيبة وطلحة: ﴿ضَعْفًا﴾ بفتح الضاد وسكون العين، وكذلك اختلافهم في سورة الروم[٥].

وقرأ عيسى بن عمر: (ضُعُفا) بضم الضاد والعين، وذكره النقاش[٦].

وهي مصادر بمعنًى واحد، قال أبو حاتم: مَن ضم الضاد جاز له ضم العين وهي

---

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير (٥/ ٣٥١)، وفي التركية: «على ثناه»، وفي الأسدية: «على ما».
(٢) في جار الله: «واستشهد».
(٣) انظر الكامل للهذلي (ص: ٥٦٠).
(٤) في جار الله ونور العثمانية وأحمد٣: «ابن عمر».
(٥) الآية (٥٤)، كما سيأتي ذلك في محله إن شاء الله تعالى، وهما سبعيتان، نقل الضم عن الخمسة الأولين والفتح عن حمزة وعاصم الداني في التيسير (ص: ١١٧)، ونقل الكل أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٣٥١) إلا عن شيبة وطلحة فلم أقف على شيء لهما هنا، ونقلها عن أبي جعفر بن القعقاع بالفتح أيضاً الثعلبي (٤/ ٣٧١)، وليس ذلك في شيء من طرقه، بل المتواتر عنه «ضعفاء» بالمد كما سيأتي.
(٦) نقلها عن عيسى ابن عادل في اللباب (٩/ ٥٦٥).

لغة، وحكى سيبويه: الضَّعف والضُّعف لغتان بمنزلة الفَقر والفُقر(١)، حكى الزهراوي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: ضم الضاد لغة أهل الحجاز، وفتحها لغة تميم، ولا فرق بينهما في المعنى(٢)، وقال الثعالبي(٣) في كتاب «فقه اللغة» له: الضَّعف بفتح الضاد في العقل والرأي، والضُّعف بضمها في الجسم(٤).

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول تردُّه القراءة، وذكره أبو غالب بن التيَّاني غير منسوب(٥).

وقرأ أبو جعفر ابن القعقاع أيضا: ﴿ضُعَفَاءَ﴾ بالجمع، كظريفٍ وظرفاء، وحكاها النقاش عن ابن عباس(٦).

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ لفظُ خبر في ضمنه وعدٌ وحضٌّ على الصبر، ويلحظ منه وعيد لمن لم يصبر بأنه يُغلب.

قوله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾.

[٢/ ٢١٨] / هذه الآية تتضمن عندي معاتبةً من الله عز وجل لأصحاب نبيه ﷺ، والمعنى:

---

(١) الكتاب لسيبويه (١ / ٣٤١)، وكلام أبي حاتم لم أجده.

(٢) نقله عن أبي عمرو: النحاس في إعراب القرآن (٢ / ١٠٤)

(٣) هو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي النيسابوري، الأديب الشاعر، صاحب التصانيف الأدبية، توفي سنة (٤٣٠هـ). تاريخ الإسلام (٢٩/ ٢٩١).

(٤) فقه اللغة (١ / ٣٣)، ولفظة «بضمها» زيادة من المطبوع.

(٥) لم أقف عليه، وهو أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التَّيَّانيّ الأندلسيّ المرسيّ اللغويّ، كان إماماً في اللغة، ثقة في إيرادها، مذكوراً بالديانة والعفّة والورع، وله كتاب مشهور فى اللغة، لم يؤلّف مثله اختصاراً أو إكثاراً، توفي (٤٣٦هـ). إنباه الرواة (١/ ٢٩٤).

(٦) فهي قراءة عشرية عزاها له في النشر (٢ / ٢٧٧)، وانظر نقل النقاش في اللباب (٩ / ٥٦٥).

ما كان ينبغي لكم أن تفعلوا هذا الفعل الذي أوجب أن يكون للنبي أسرى قبل الإثخان، ولهم هو الإخبار، ولذلك استمر الخطاب بـ﴿تُرِيدُونَ﴾، والنبي ﷺ لم يأمر باستبقاء الرجال وقت الحرب، ولا أراد قط عَرَض الدنيا، وإنما فعله جمهور مباشري الحرب، وجاء ذكر النبي ﷺ مشيراً في الآية إلى دخول النبي ﷺ في العتب حين لم ينه عن ذلك حين رآه من العريش، وأنكره سعد بن معاذ، ولكنه ﷺ شغله بغت الأمر وظهور النصر، فترك النهي عن الاستبقاء، ولذلك بكى هو وأبو بكر حين نزلت هذه الآية.

ومر كثير من المفسرين على أن هذا التوبيخ إنما كان بسبب إشارة مَن أشار على النبي ﷺ بأخذ الفدية، وذلك أن رسول الله ﷺ لما جمع أسرى بدر استشار فيهم أصحابه، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، هم قرابتك، ولعل الله أن يهديهم بعدُ إلى الإسلام، ففادهم واستَبْقِهم ويتقوى المسلمون بأموالهم، وقال عمر بن الخطاب: لا يا رسول، الله بل نضرب أعناقهم فإنهم أئمة الكفر، وقال عبد الله بن رواحة: بل نجعلهم في وادٍ كثير الحطب [ثم نضرمه عليهم ناراً][١]، وقد كان سعد بن معاذ قال ـ وهو مع رسول الله ﷺ في العريش، وقد رأى الأسر ـ: لقد كان الإثخان في القتل أحبَّ إليَّ من استبقاء الرجال، فأخذ رسول الله ﷺ بقول أبي بكر ومال إليه[٢]، فنزلت هذه الآية مخبرة أن الأَولى والأهْيَبَ على سائر الكفار كان قتلَ أسرى بدر.

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية والمسلمون قليل، فلما كثروا واشتد سلطانهم نزل في الأسر: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤٧][٣].

وذكر الطبري وغيره أن رسول الله ﷺ لما تكلم أصحابه في الأسرى بما ذكر دخل ولم يجبهم، ثم خرج، فقال: «إن الله تعالى يلين قلوب رجال، ويشدد قلوب رجال

---

(١) ساقط من الأسدية.

(٢) صحيح، هذا الحديث أخرجه مسلم (١٧٦٣) من طريق عكرمة بن عمار قال: ثنا سماك الحنفي أبو زميل قال: حدثني عبد الله بن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب به.

(٣) هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ٥٩) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مَثَلك يا أبا بكر مَثَلُ إبراهيم، قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، ومَثَلُ عيسى، قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، ومثلُك يا عمر مثل نوح، قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، ومثل موسى، قال: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]»، ثم قال رسول الله ﷺ: «أنتم اليوم عالةٌ، فلا يُفلتن منهم رجل إلا بفدية أو ضرب عنق»[١]، وفي هذا الحديث قال عمر: فهوِيَ رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلتُ[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذه حجة على ذكر الهوى في الصلاح.

وقرأت فرقة: (ما كان للنبيِّ) معرَّفا[٣]، وقرأ جمهور الناس: ﴿لِنَبِىٍّ﴾.

وقرأ أبو عمرو بن العلاء وحده: ﴿أن تكونَ﴾ على تأنيث العلامة مراعاة لِلَفظ الأسرى، وقرأ باقي السبعة وجمهورُ الناس: ﴿أن يَكون﴾ بتذكير العلامة مراعاة لمعنى الأسرى[٤].

وقرأ جمهور الناس والسبعة: ﴿أَسْرَىٰ﴾، وقرأ بعض الناس: ﴿أُسَارَى﴾، ورواها المفضل عن عاصم، وهي قراءة أبي جعفر[٥].

والقياس والباب أن يجمع أسير على أسْرى، وكذلك كلُّ فعيل بمعنى مفعول، [وشُبه به فعيل وإن لم يكن بمعنى مفعول][٦]، كمريض ومرضى، إذا كانت أيضاً أشياء سبيلُ الإنسان أن يُجبر عليها وتأتيه غلبةً فهو فيها بمنزلة المفعول.

---

(١) فيه انقطاع، هذا الحديث أخرجه أحمد (٣٦٣٢ - ٣٦٣٤)، والحاكم (٣: ٢١، ٢٢)، والطبري (١٤/ ٦١) من طريق الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، ولم يسمع منه، ولفظ: «عالة» زيادة من التركية.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) وهي شاذة قال في البحر المحيط (٥/ ٣٥٢): وبها قرأ أبو الدرداء وأبو حيوة.

(٤) فهما سبعيتان. انظر: التيسير للداني (ص: ١١٧).

(٥) وهي عشرية، انظر: النشر (٢ / ٢٧٧)، وانظر رواية المفضل في جامع البيان للداني (٣/ ١١٤٤).

(٦) ساقط من التركية.

وأما جمعه على أسَارى فشبيه بكُسالى في جمع كسلان، وجُمِع أيضاً كسلان على كسْلى تشبيهاً بأسْرى في جمع أسير، قاله سيبويه[١]، وهما شاذان، وقال الزجّاج: أسارى جمع أسرى فهو جمع الجمع[٢].

وقرأ جمهور الناس: ﴿يُثْخِنَ﴾ بسكون الثاء، وقرأ أبو جعفر ويحيى بن يعمر ويحيى بن وثَّاب: (يُثَخِّن) بفتح الثاء وشد الخاء[٣]، ومعناه في الوجهين: يبالغ في القتل، والإثخان إنما يكون في القتل والجراحة وما كان منها.

ثم أمر مخاطبةً أصحابَ النبي ﷺ فقال: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: مالها الذي يعنُّ ويَعْرِض، والمراد: ما أُخذ من الأسرى من الأموال، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ أي: عَمَلَ الآخرة، فحُذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

وقرأ ابن جمَّاز: (الآخرةِ) بالخفض[٤] على تقدير المضاف، ويَنظر ذلك لقول الشاعر:

أكُـلَّ امـرئٍ تَحْسَبِينَ امْـرَأً ونـارٍ تَـوَقَّـدُ باللَّيْلِ نـارَا[٥] [المتقارب]

على تقدير: وكلَّ نار، وذكر الطبري وغيره أن رسول الله ﷺ قال للناس: «إن شئتم أخذتم فداء الأسرى ويقتل منكم سبعون في الحرب على عددهم، وإن شئتم قُتلوا وسلمتم»، فقالوا: نأخذ المال ويُستشهَد منا سبعون[٦].

---

(١) الكتاب لسيبويه (٣/ ٦٥٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٢٥).

(٣) وهي شاذة، نقلها في الكامل (ص: ٥٦٠) عن أبي جعفر من رواية ميمونة والقورسي، وعن الباقين في البحر المحيط (٥/ ٣٥٢).

(٤) نقلها عنه ابن جنى في المحتسب (١ / ٢٨٠)، والسمين في الدر المصون (١ / ٢١٣٩)، وليست في شيء من طرق النشر.

(٥) تقدم قريباً.

(٦) مرسل، أخرجه (٧/ ٣٧٥) من طريق: ابن سيرين عن عبيدة السلماني مرسلًا.

وذكر عبد بن حميد بسنده أن جبريل نزل على النبي ﷺ بتخيير الناس هكذا[١].

قال القاضي أبو محمد: وعلى الروايتين فالأمر في هذا التخيير[٢] من عند الله، فإنه إعلام بغيب، وإذا خيِّروا فكيف يقع التوبيخ بعدُ بقوله تعالى: ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، والذي أقول في هذا إن العتب لأصحاب النبي ﷺ بقوله: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ إلى قوله: ﴿عَظِيمٌ﴾ إنما هو على استبقاء الرجال وقت الهزيمة رغبةً في أخذ المال منهم، وجميع العتب إذا نظر فإنما هو للناس، وهناك كان عمر يقتل ويحض على القتل ولا يرى الاستبقاء، وحينئذ قال سعد بن معاذ: الإثخان أحب إليَّ من استبقاء الرجال، وبذلك جعلهما رسول الله ﷺ ناجِيَيْنِ من عذاب أن لو نزل.

ومما يدل على حرص بعضهم على المال قول المقداد حين أمر رسول الله ﷺ بقتل عقبة بن أبي معيط: أسيري يا رسول الله[٣]، وقول مصعب بن عمير للَّذي يأسر أخاه: شد يدك عليه فإن له أما موسرة[٤]، إلى غير ذلك من قصصهم.

---

(١) اختلف في هذا الحديث وصلاً وإرسالاً، هذا الحديث أخرجه الترمذي (١٦٥٧)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٢٠٠)، والطبري (٧/ ٣٧٦) من طريق ابن أبي زائدة، عن الثوري، عن هشام، عن ابن سيرين عن عبيدة السلماني، عن علي مرفوعاً، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من حديث الثوري لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي زائدة، وروى أبو أسامة عن هشام عن ابن سيرين عن عبيدة عن علي عن النبي ﷺ نحوه، وروى ابن عون عن ابن سيرين عن عبيدة عن النبي ﷺ مرسلاً. اهـ. وقد سبق عن ابن سيرين عن عبيدة مرسلاً بدون ذكر جبريل عليه السلام، فالظاهر أن المحفوظ في هذا الخبر هو الإرسال كما قال الدارقطني في العلل (٤/ ٢١): المرسل أشبه بالصواب.

(٢) في نجيبويه: «التأخير».

(٣) مرسل، هذا الحديث أخرجه أبو داود في المراسيل (٣٣٧)، وابن زنجويه في الأموال (١/ ٤٤٢) من طريق: هشيم، أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير به مرفوعاً مرسلاً.

(٤) ضعيف، ذكره الزيلعي في نصب الراية (٣/ ٤٠٣) نقلًا عن الواقدي في المغازي قال: حدثني أيوب بن النعمان، قال: وأسر يومئذ أبو عزيز بن عمير، وهو أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه، وقع في يد محرز بن فضلة، فقال مصعب لمحرز: اشدد يديك به، فإن له أمّاً بمكة كثيرة المال، فقال له أبو عزيز: هذه وصاتك بي يا أخي؟ فقال: إن محرزاً أخي دونك، فبعثت أمه عنه بأربعة آلاف، وهذا إسناد لا تقوم به حجة فهو ضعيف معضل.

فلما تحصَّل الأسرى وسيقوا إلى المدينة / ، وأنفذ رسول الله ﷺ القتلَ في النضر [٢/ ٢١٩]
وعقبة[١]، والمنَّ في أبي عَزة[٢] وغيره، وجعل يرتئي في سائرهم، نزل ذلك التخيير من الله تعالى، فاستشار رسول الله ﷺ حينئذ، فمر عمر رضي الله عنه على أول رأيه في القتل، ورأى أبو بكر رضي الله عنه المصلحة في قوة المسلمين بمال الفداء، ومال رسول الله ﷺ إلى رأي أبي بكر، وكلا الرأيين اجتهاد بعد تخيير، فلم ينزل على شيء من هذا عتب، وذكر المفسرون أن الآية نزلت بسبب هذه المشورة والآراء، وذلك معترض بما ذكرته.

وكذلك ذكروا في هذه الآيات تحليل المغانم [لهذه الأمة][٣]، ولا أقول ذلك، لأن حُكم الله تعالى بتحليل المغنم لهذه الأمة قد كان تقدم قبل بدر، وذلك في السرية التي قتل فيها عمرو بن الحضرمي، وإنما المبتدَع في بدرٍ استبقاءُ الرجال لأجل المال، والذي مَنَّ[٤] الله به فيها إلحاق فدية الكافر بالمغانم التي قد تقدم تحليلها.

ووجه ما قال المفسرون: أن الناس خُيِّروا في أمرين، أحدهما غير جيد على جهة الاختبار لهم، فاختاروا المفضول، فوقع العتب، ولم يكن تخييراً في مستوِيين، وهذا كما أُتي رسول الله ﷺ ليلة الإسراء بإناءين فاختار الفاضل[٥].

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤/ ١٣٥) من طريق حصين بن نمير، عن سفيان بن حسين، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قتل رسول الله ﷺ يوم بدر ثلاثة صبراً... وقال: لم يرو هذا الحديث عن أبي بشر إلا سفيان بن حسين، تفرد به حصين بن نمير. اهـ. وحكاه الشافعي وابن إسحاق بلا إسناد.

(٢) مشهور في كتب السير وليس له إسناد صحيح، قصة المن على أبي عزة أخرجها البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٦٥) عن سعيد بن المسيب به مرسلاً، وفي إسناده الواقدي، وذكرها الشافعي عن بعض من أدركه من أهل العلم بالمغازي، وذكرها ابن إسحاق حكاية من قوله، ولم أقف لها على إسناد يصح، وهو أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي، منَّ عليه رسول الله ﷺ يوم بدر، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة، ثم حرض على المسلمين في غزوة أحد فهدر دمه، وقتل يومئذ كافراً، انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٦١).

(٣) من المطبوع.

(٤) في التركية: «سن».

(٥) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٣٨٨٧) ومسلم (١٦٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

و﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ صفتان من قِبل الآية؛ لأن بالعزة والحكمة يتم مراده على الكمال والتوفية.

وقال أبو عمرو بن العلاء: الأسرى هم غير الموثَّقين عندما يؤخذون، والأسارى هم الموثقون ربطاً(١).

قال القاضي أبو محمد: وحكى أبو حاتم أنه سمع هذا من العرب، وقد ذكره أيضاً أبو الحسن الأخفش، وقال: العرب لا تعرف هذا، وكلاهما عندهم سواء(٢).

وقوله تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ الآية، قالت فرقة: الكتاب السابق هو القرآن، والمعنى: لولا الكتاب الذي سبق فآمنتم به وصدَّقتم لمسكم العذاب؛ لأَخْذِكم هذه المفاداةَ، وقال سعيد بن جبير ومجاهد والحسن أيضاً وابن زيد: الكتاب السابق هو مغفرة الله لأهل بدر ما تقدم من ذنوبهم أو تأخر(٣).

وقال الحسن وابن عباس وأبو هريرة وغيرهم: الكتاب هو ما قد كان الله قضاه في الأزل من إحلال الغنائم والفداء لمحمد ﷺ وأمته، وكانت في سائر الأمم محرَّمة(٤).

وقالت فرقة: الكتاب السابق هو عفو الله عنهم في هذا الذنب معيناً.

وقالت فرقة: الكتاب السابق هو أن الله عز وجل قضى أن لا يعاقب أحداً بذنب أتاه بجهالة، وهذا قول ضعيف تعارضه مواضع من الشريعة.

وذكر الطبري عن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب أن الكتاب السابق هو أن لا يعذب أحداً بذنب إلا بعد النهي عنه، ولم يكونوا نُهوا بعد(٥).

وقالت فرقة: الكتاب السابق هو ما قضاه الله من محو الصغائر باجتناب الكبائر.

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٣٣٧)، وتفسير الثعلبي (١/ ٢٣٠)، وذكر عن النقاش أن الأصمعي أنكره.
(٢) انظر كلامه في معاني القرآن له (١/ ١٤٠).
(٣) انظر أقوالهم وقول الحسن الآتي في تفسير الطبري (١٤/ ٦٩-٧٠)، وتفسير الماوردي (٢/ ٣٣٢).
(٤) رواه العوفي عن ابن عباس، وروي عن أبي هريرة بإسناد تالف، أخرجهما الطبري (١٤/ ٦٥-٦٦).
(٥) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٧٠).

وذهب الطبري إلى دخول هذه المعاني كلها تحت اللفظ وأنه يعمها، ونكَّب عن تخصيص معنًى دون معنًى[١].

واللام في ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ جواب ﴿لَّوْلَا﴾.

و﴿كِتَٰبٌ﴾ رفع بالابتداء، والخبر محذوف، وهكذا حال الاسم الذي بعد ﴿لَّوْلَا﴾، وتقديره عند سيبويه: لولا كتاب من الله سابق تدارككم[٢].

و(مَا) من قوله: ﴿فِيمَآ﴾ يراد بها إما الأسرى وإما الفداء، وهي موصولة، وفي ﴿أَخَذْتُمْ﴾ ضمير عائد عليها، ويحتمل أن تكون مصدرية فلا تحتاج إلى العائد.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «لو نزل في هذا الأمر عذاب لنجا منه عمر بن الخطاب»، وفي حديث آخر: «وسعد بن معاذ»[٣]، وذلك أن رأيهما كان أن يُقتل الأسرى.

وقوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ الآية، نصٌّ على إباحة المال الذي أخذ من الأسرى وإلحاقٌ له بالغنيمة التي كان تقدَّم تحليلها.

وقوله: ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ حالان من (ما) في قوله: ﴿مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾، [ويصح أن يكونا من الضمير الذي في ﴿غَنِمْتُمْ﴾][٤] ويحتمل أن يكون ﴿حَلَٰلًا﴾ مفعولًا بـ(كلوا).

و(اتقو الله) [معناه في التشرع[٥] حسب إرادة البشر وشهوته في نازلة أخرى.

وجاء قوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾][٦] اعتراضاً فصيحاً في أثناء الكلام، لأن قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ هو متصل بالمعنى بقوله: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾.

---

(١) تفسير الطبري (١٤/ ٧٠، ٧١).

(٢) إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٠٥).

(٣) أخرجهما الطبري (١٤/ ٧١) الأولى عن ابن زيد، والثانية عن ابن إسحاق، وكلاهما منقطع.

(٤) ساقط من الأصل.

(٥) في المطبوع وأحمد٣ وجار الله: «التسرع».

(٦) ساقط من نور العثمانية وهو ملحق في هامش جار الله.

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٧١﴾.

روي أن الأسرى ببدر أعْلموا رسول الله ﷺ أنهم لهم ميلٌ إلى الإسلام وأنهم يؤمِّلونه، وأنهم إن فُدوا ورجعوا إلى قومهم التزموا جلبهم إلى الإسلام وسعوا في ذلك ونحو هذا الغرض، ففي ذلك نزلت هذه الآية، وقال ابن عباس: الْأَسْرى في هذه الآية عباس وأصحابه، قالوا للنبي ﷺ: آمنا بما جئت به، وأشهد إنك لرسول الله، لننصحن لك على قومنا، فنزلت هذه الآية[1].

وقرأ جمهور الناس: ﴿مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾، وقرأ أبو عمرو وحده من السبعة: ﴿من الأُسَارى﴾ وهي قراءة أبي جعفر[2]، وقتادة ونصر بن عاصم وابن أبي إسحاق، واختلف عن الحسن بن أبي الحسن وعن الجحدري[3].

وقرأ ابن محيصن: (من لَّسْرى) بالإدغام[4].

ومعنى الكلام: إن كان هذا عن جِدٍّ منكم وعلم الله من نفوسكم الخير والإسلام فإنه سيجبر عليكم أفضل مما أَعطيتم فديةً، وسيغفر لكم جميع ما اجترحتموه.

وقرأ الأعمش: (يُثِبْكُم خيراً)[5].

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ٧٤) من طريق: حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس. وعطاء لم يدرك ابن عباس.

(٢) انظر: التيسير للداني (ص: ١١٧)، والنشر (٢ / ٢٧٧).

(٣) انظر عزوها لهؤلاء في تفسير البحر المحيط (٥ / ٣٥٦)، وفي الأصل: «الحجازي»، بدل «الجحدري».

(٤) وهي شاذة، انظرها في الكامل (ص: ٣٨٠)، وتقدمت لها نظائر، وفي البحر المحيط (٥/ ٣٥٦) عنه: «من أسرى»، منكراً.

(٥) وهي شاذة مخالفة للرسم، انظر: الكشاف (٢/ ٢٣٨)، ومختصر الشواذ (ص: ٥٦)، وفي الأصل: «يثيبكم».

وقرأ جمهور الناس: ﴿أُخِذَ﴾ بضم الهمزة وكسر الخاء، وقرأ شيبة بن نِصَاحٍ وأبو حيوة: (أَخَذ) بفتحها[١]، وروي أن أسرى بدر افتدُوا بأربعين أوقية، أربعين أوقية، إلا العباس فإنه افتدي بمئة أوقية[٢]، قال القاضي أبو محمد: والأوقية أربعون درهماً.

وقال قتادة: فادَوهم بأربعة آلاف أربعة آلاف، وقال عَبيدة السَّلْماني: كان فداء أسرى بدر مئة أوقية، والأوقية أربعون درهماً، ومن الدنانير ستة دنانير[٣].

وروي أن العباس بن عبد المطلب قال: فيَّ وفي أصحابي نزلت هذه الآية، وقال حين أعطاه رسول الله ﷺ من مال البحرين ما قدر أن يُقِلَّ: هذا خير مما أُخِذ مني، وأنا أرجو بعدُ[٤] أن يغفر الله لي، وأسند الطبري أيضاً إلى العباس أنه قال / : فيَّ نزلت حين [٢/ ٢٢٠] أعلمت رسول الله ﷺ بإسلامي، وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي أخذت مني قبل المفاداة، فأبى وقال: «ذلك فيءٌ»، فأبدلني الله من ذلك عشرين عبداً كلهم تاجر بمالي[٥].

وروي عن العباس أنه قال: ما أود أن هذه الآية لم تنزل ولي الدنيا بأجمعها، وذلك أن الله قد آتاني خيراً مما أخذ مني، وأنا أرجو أن يغفر لي[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ﴾ الآية، قولٌ أُمر أن يقوله للأسرى ويُورِد معناه عليهم، والمعنى: إن أخلصوا فُعل بهم كذا، وإن أبطنوا خيانةَ ما

---

(١) وهي شاذة عزاها الهذلي في الكامل (ص: ٣٨٦) لهما وللقورسي، والأنطاكي عن أبي جعفر، وابن أبي عبلة، وأبالة عن عاصم.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١١٢)، وذكره ابن إسحاق من قوله، كما في دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ١٤٨)، لكن روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: كان العباس أسر يوم بدر، فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب، أخرجه الطبري (١٤/ ٧٤).

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ٦٧).

(٤) زيادة من نجيبويه وجار الله ونور العثمانية.

(٥) هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ٧٣) من طريق ابن إسحاق، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قال العباس.

(٦) ذكره سعيد عن قتادة، رواه الطبري (١٤/ ٧٣).

رغبوا[١] أن يؤتمنوا عليه من العهد فلا يَسُرُّهم ذلك، ولا يسكنوا إليه، فإن الله بالمرصاد لهم الذي خانوه قبلُ بكفرهم وتركهم النظر في آياته، وهو قد بينها لهم [وجعل لهم][٢] إدراكاً يحصِّلونها به، فصار ذلك كعهد متقرِّرٍ، فجَعل جزاءَهم على خيانتهم إياه أن مَكَّن منهم المؤمنين وجعلهم أسرى في أيديهم.

وقوله: ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ صفتان مناسبتان، أي: عليم بما يُبطنونه من إخلاص أو خيانة، حكيم فيما يجازيهم به.

قال القاضي أبو محمد: وأما تفسير قتادة هذه الآية بقصة عبد الله بن أبي سَرْحٍ فينبغي أن يحرَّر، فإنْ جُلبت قصة عبد الله بن أبي سرح على أنها مثال كما يمكن أن تجلب أمثلة في عصرنا من ذلك فحسنٌ، وإن جلبت على أن الآية نزلت في ذلك فخطأ، لأن ابن أبي سرح إنما تبين أمره في يوم فتح مكة، وهذه الآية نزلت عقيب بدر[٣].

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾ ﴾.

مقصد هذه الآية وما بعدها تبيينُ منازل المهاجرين والأنصار والمؤمنين الذين لم يهاجروا، والكفارِ والمهاجرين بعد الحديبية، وذكرُ نسب بعضهم من بعض، فقدم أولاً ذكر المهاجرين وهم أصل الإسلام، وانظر تقديم عمر لهم في الاستشارة.

و(هاجر) معناه: هجر أهله وقرابته وهجروه.

و(جاهدوا) معناه: أجهدوا أنفسهم في حرب مَن أجهد نفسه في حربهم.

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «زعموا».

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) هذا رد على قول قتادة، وهو في تفسير الطبري (١٤/ ٧٦)، ولفظة «قتادة» ليست في المطبوع.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾: هم الأنصار، وآوى معناه: هيأ مأوًى وهو الملجأ والحرز، فحكم الله على هاتين الطائفتين بأن بَعْضَهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ، فقال كثير من المفسرين: هذه الموالاة هي المؤازرة والمعاونة واتصال الأيدي، وعليه فسر الطبري الآية[(١)]، وهذا الذي قالوا لازم من دلالة اللفظ، وقال ابن عباس[(٢)] وقتادة ومجاهد وكثير منهم: إن هذه الموالاة هي في الميراث، وذلك أن النبي ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار، وكانت بين الأنصار أخوة النسب، وكانت أيضاً بين بعض المهاجرين، فكان المهاجريُّ إذا مات ولم يكن له بالمدينة وليٌّ مهاجريٌّ ورثه أخوه الأنصاري، وإن كان له وليٌّ مسلم لم يهاجر، [وكان المسلم الذي لم يهاجر][(٣)] لا ولاية بينه وبين قريبه المهاجري، لا يرثه، قال ابن زيد: واستمر أمرهم كذلك إلى فتح مكة، ثم توارثوا بعد ذلك لما لم تكن هجرة[(٤)].

قال القاضي أبو محمد: فذهبت هذه الفرقة إلى أن هذا هو مقصد الآية، ومن ذهب إلى أنها في التآزر والتعاون فإنما يحمل نفي الله تعالى ولايتهم عن المسلمين على أنها صفة الحال، لا أن الله حكم بأنْ لا ولاية بين المهاجرين وبينهم جملةً واحدة، وذلك أن حالهم إذا كانوا متباعدي الأقطار تقتضي أن بعضهم إن [حَزَبه حازب][(٥)] لا يجد الآخر ولا ينتفع به. فعلى هذه الجهة نفي الولاية، وعلى التأويلين ففي الآية حضٌّ للأعراب على الهجرة، قاله الحسن بن أبي الحسن[(٦)].

ومن رأى الولاية في الموارثة فهو حكم من الله بنفي الولاية في الموارثة، قالوا: ونسخ ذلك قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾.

---

(١) راجع التفسير (١٤/ ٧٧-٧٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ٧٨) من طريق علي بن أبي طلحة والعوفي -مفرقين- عن ابن عباس.

(٣) ساقط من التركية.

(٤) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٤/ ٧٩)، وما بعدها، وتفسير الماوردي (٢/ ٣٣٤).

(٥) في نجيبويه: «حربه حارب» وكذا نور العثمانية.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٨٠).

وقرأ جمهور السبعة والناس: ﴿وَلَٰيَتِهِم﴾ بفتح الواو، و﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ [الكهف: ٤٤] أيضاً بالفتح، وقرأ الكسائي: ﴿وَلايتهم﴾ بفتح الواو و﴿الوِلاية﴾ بكسر الواو، [وقرأ الأعمش وابن وثاب: ﴿وِلايَتهم﴾، و﴿الوِلاية﴾ بكسر الواو][١]، وهي قراءة حمزة[٢].

قال أبو علي: والفتح أجود لأنها في الدين، قال أبو الحسن الأخفش: والكسر فيها لغة، وليست بذلك، ولحَّن الأصمعيُّ الأعمشَ[٣]، وأخطأ عليه لأنها إذا كانت لغة فلمَ يلحَّن؟

قال القاضي أبو محمد: لا سيما ولا يظن به إلا أنه رواها.

قال أبو عبيدة: الولاية بالكسر هي من: ولَّيتُ الأمر إليه، فهي في السلطان، والوَلاية هي من المولى[٤]، يقال: مولًى بيِّن الوَلاية، بفتح الواو.

وقوله: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ﴾ يعني إن استدعى هؤلاء المؤمنون الذين لم يهاجروا نصركم على قوم من الكفرة فواجب عليكم نصرُهم، إلا إن استنصروكم على قوم كفار قد عاهدتموهم أنتم وواثقتُموهم على ترك الحرب فلا تنصروهم عليهم؛ لأن ذلك غدر ونقض للميثاق وتركٌ لحفظ العهد والوفاءِ به، والقراءة: ﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ برفع الراء، ويجوز: فعليكم النصرَ على الإغراء، ولا أحفظه قراءة.

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، على مخاطبة المؤمنين، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي والأعرج: (بما يَعملون) بالياء على [الذِّكر، يعني] ذكر الغائب[٥].

---

(١) ساقط من الأسدية، وسقط «ابن وثاب» من نجيبويه.

(٢) القراءات سبعية، انظر: التيسير (ص ١١٧)، وإعراب القرآن للنحاس (٢ / ١٠٦)، وسيأتي الكلام على آية الكهف.

(٣) انظر ذلك كله في الحجة للفارسي (٤/ ١٦٦)، وانظر: معاني القرآن للأخفش (١/ ٣٥٢).

(٤) مجاز القرآن (١ / ٤٥).

(٥) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٢٠٧)، وما بين المعكوفتين زيادة من الأسدية.

قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥)﴾.

هذا حكمٌ بأن الكفار وَلايتهم واحدة، وذلك بجمع الموارثة والمعاونة والنصرة، وهذه العبارة ترغيب / وإقامة للنفوس، كما تقول لمن تريد أن يستطلع: عدوك مجتهد، [٢/ ٢٢١] أي: فاجتهد أنت، وحكى الطبري في تفسير هذه الآية عن قتادة أنه قال: أبى الله أن يقبل إيمان من آمن ولم يهاجر، وذلك في صدر الإسلام، وذلك أيضاً مذكور مستوعَبٌ في تفسير قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[١].

والذي يظهر من الشرع أن حكم المؤمن التارك للهجرة مع علمه بوجوبها حكمُ العاصي لا حكمُ الكافر، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ إنما هي فيمن قتل مع الكفار، وفيهم قال رسول الله ﷺ: «أنا بريء من مسلم أقام بين المشركين، لا تراءى نارهما»[٢] الحديث، على اختلاف ألفاظه، وقول قتادة إنما هو فيمن كان يقيم[٣] متربصاً يقول: من غلب كنت معه، وكذلك ذكر في كتاب الطبري والكَشِّي[٤].

---

(١) النساء: ٩٧، وانظر معنى ما قال في تفسير الطبري (٩/ ١٠٧).

(٢) مرسل، هذا الحديث أخرجه أبو داود (٢٦٤٧)، والترمذي (١٦٠٤، ١٦٠٥)، والنسائي (٢/ ٢٤٥) من حديث قيس بن أبي حازم، عن جرير، ورجحوا جميعا المرسل، ونقله الترمذي عن البخاري كما في ترتيب العلل الكبير له (٤٨٣) وكذا الدارقطني كما في علله (١٣/ ٤٦٦)، وفي نجيبويه: «لا تتراءى نارا»، وفي الأصل: «الحرب» بدل «الحديث»، والتصحيح من النسخ الأخرى.

(٣) في المطبوع: «يقوم».

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٨٥)، والكشي هو عبد بن حميد، تقدم التعريف به، ولم أقف على تفسيره هذا.

والضمير في قوله: ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ﴾ قيل: هو عائد على الموارثة والتزامها.

قال القاضي أبو محمد: وهذا لا تقع الفتنة عنه إلا عن بُعدٍ وبوساطةٍ كثيرة، وقيل: هو عائد على المؤازرة والمعاونة واتصال الأيدي، وهذا تقع الفتنة عنه عن قرب، فهو آكد من الأول، ويظهر أيضاً عودُه على حفظ العهد والميثاق الذي يتضمنه قوله: ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌۗ﴾، وهذا إن لم يفعل فهي الفتنة نفسها، ويظهر أن يعود الضمير على النصر للمسلمين المستنصِرين في الدين، ويجوز أن يعود الضمير مجملاً على جميع ما ذكر.

و«الفتنة»: المحنة بالحرب وما انجرَّ[١] معها من الغارات والجلاء والأسر.

و«الفساد الكبير»: ظهور الشرك.

وقرأ جمهور الناس: ﴿كَبِيرٌ﴾ بالباء المنقوطة واحدة، وقرأ أبو موسى الحجازي[٢] عن الكسائي بالثاء منقوطة مثلثة[٣].

وروى أبو حاتم المدني[٤] أن رسول الله ﷺ قرأ: (وفساد عريض)[٥].

---

(١) في المطبوع: «وما أُنجز».

(٢) هو عيسى بن سليمان المعروف بالشيزري الحنفي، مقرئ عالم نحوي معروف، كان من قدماء أصحاب الكسائي وكان نحويّاً عالماً بوجوه القراءات، وكان محدثاً أيضاً. غاية النهاية (١/ ٦٠٨).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في مختصر الشواذ (ص: ٥٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٠٩).

(٤) كذا في جميع النسخ، ولعل الصواب: أبو حاتم المزني قال في الإصابة (٧/ ٦٨): قال الترمذيّ وابن حبّان وابن السّكن: له صحبة؛ وأورده أبو داود في المراسيل، فهو عنده تابعي، وزعم ابن قانع أن اسمه عقيل بن مقرن.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٢٩٩) وغيره من طريق: عبد الله بن مسلم بن هرمز عن محمد بن عبيد وسعيد بن عبيد عن أبي حاتم المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، وإلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض». اهـ، وعبد الله بن هرمز ضعيف، وأبو حاتم المزني اختلف في صحبته، فأثبتها البخاري والترمذي وقدم ذلك ابن حجر ونفاها أبو زرعة وكذا صنع أبو داود حينما أخرج هذا الحديث في المراسيل إلا أن الإمام الترمذي حسنه في الجامع (١٠٨٤) ويظهر أنه حسنه بشاهده عن أبي هريرة مع أن الراجح فيه الإرسال، لا بهذا السند وحده. ويراجع ترتيب علل الترمذي للقاضي (١/ ١٥٤).

وقرأت فرقة: (والذين كفروا بعضهم أولى ببعض)[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ﴾ الآية، آية تضمنت تخصيص المهاجرين والأنصار وتشريفهم بهذا الوصف العظيم.

و﴿حَقًّا﴾ نصب على المصدر المؤكِّد لما قبله، ووصفُ الرزق بالكريم، معناه أنه لا يستحيل نجواً[٢]، والمراد به طعام الجنة، كما ذكر الطبري وغيره[٣]، ولازِمُ اللفظ نفيُ المذمات عنه، وما ذكروه فهو في ضمن ذلك.

وقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدُ﴾ يريد به: من بعد الحديبية وبيعة الرضوان، وذلك أن الهجرة من بعد ذلك كانت أقلَّ رتبة من الهجرة قبل ذلك، وكان يقال لها: الهجرة الثانية، لأن الحرب وضعت أوزارها نحو عامين، ثم كان فتح مكة، وبه قال ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح»[٤].

وقال الطبري: المعنى: من بعد ما بينْتُ لكم حكم الولاية[٥].

قال القاضي أبو محمد: فكان الحاجز بين الهجرتين نزول الآية، فأخبر الله تعالى في هذه الآية بأنهم من الأولين في المؤازرة وسائر أحكام الإسلام.

وقوله تعالى: ﴿وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ﴾ لفظ يقتضي أنهم تبعٌ لا صَدْرٌ، وقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡ﴾ كذلك، ونحوه قول النبي ﷺ: «مولى القوم منهم، وابنُ أخت القوم منهم»[٦].

(١) تابعه في البحر المحيط (٥/ ٣٥٨)، وهذا مخالف للمصحف، وليس بقراءة، بل لعله التباس وغلط.

(٢) في التركية: «بجوار»، وفي الأسدية: «نحوا»، والنجو: ما يخرج من البطن.

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ٨٨).

(٤) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٢٧٨٣) (٢٨٢٥) ومسلم (١٨٦٤).

(٥) تفسير الطبري (١٤/ ٨٩).

(٦) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٣٥٢٨) (٦٧٦٢) ومسلم (١٠٥٩) بلفظ: «ابن أخت القوم منهم»، وأخرجه البخاري أيضاً (٦٧٦١) بلفظ: «مولى القوم من أنفسهم»، أما لفظ: «مولى القوم منهم» فأخرجه أبو داود (١٦٥٠) والنسائي (٢/ ٥٨) من حديث أبي رافع، وحكى الدارقطني في العلل (٧/ ١٢) الخلاف في وصله وإرساله.

وقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾ إلى آخر السورة، قال مَن تقدم ذكره: هي في المواريث، وهي ناسخةٌ للحكم المتقدم ذكرُه من أن يرث المهاجريُّ الأنصاريَّ، ووجب بهذه الآية الأخيرة أن يرث الرجل قريبه وإن لم يكن مهاجراً معه.

وقالت فرقة منها مالك بن أنس رحمه الله: إن الآية ليست في المواريث، وهذا فرار عن توريث الخال والعمة ونحو ذلك[١].

وقالت فرقة: هي في المواريث إلا أنها نسخت بآية المواريث المبينة.

وقوله: ﴿فِي كِتَابِ ٱللَّهِ﴾، معناه: القرآن، أي: ذلك مثبت في كتاب الله، وقيل: المعنى: في كتاب الله السابق في اللوح المحفوظ.

و﴿عَلِيمٌ﴾ صفة مناسبة لنفوذ هذه الأحكام. [والله أعلم][٢].

كمل تفسير سورة الأنفال.

(١) انظر مذهب مالك في الموطأ (٢/ ٥١٧)، ووافقه زيد بن ثابت كما في الأوسط (٦/ ٥٨٧)، والشافعي كما في الأم (٤/ ٨٠-٨١).
(٢) زيادة من الأسدية.

تفسير سورة براءة

هذه السورة مدنية إلا آيتين: قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] إلى آخرها.

وتسمى: سورة التوبة، قاله حذيفة وغيره، وتسمى: الفاضحة، قاله ابن عباس، وتسمى: الحافرة لأنها حفرت عن قلوب المنافقين، قال ابن عباس: مازال ينزل ومنهم، ومنهم، حتى ظن أنه لا يبقى أحد(١).

وقال حذيفة: هي سورة العذاب(٢)، قال ابن عمر: كنا ندعوها: المقشقشة(٣).

قال الحارث بن يزيد: كانت تدعى: المبعثِرة، ويقال لها: المثيرة، ويقال لها: البَحُوث(٤).

وقال أبو مالك الغِفاري: أول آية نزلت من براءة: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١](٥).

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور (٥/ ٢٣٢) من طريق هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة، قال: بل هي الفاضحة ما زالت تنزل ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى أحد منهم إلا ذكر فيها. اهـ، وهشيم مدلس ولم يصرح بالسماع.

(٢) هذا الأثر أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦١) والطبراني في الأوسط (٢/ ٨٦) من طريق: الأعمش عن عبد الله بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن حذيفة، وعبد الله بن سلمة الظاهر أنه المرادي الكوفي، وقد ضَعُف وتَغير.

(٣) لم أقف عليه مسنداً، وفي الأسدية: «أبو هريرة» بدل «ابن عمر»، وفي الأصل والأسدية: «المشققة».

(٤) تكرر هذا الاسم في التابعين، ولم أقف على نسبة القول له، لكن نقله الثعلبي (٥/ ٦٤) والبغوي (٢/ ٣٦٥)، عن قتادة.

(٥) انظر: معاني القرآن للنحاس (٣/ ٢١١)، وفي التركية: «مالك» دون كنية.

وقال سعيد بن جبير: كانت براءة مثل سورة البقرة في الطول[١].

واختلف لمَ سقط سطر: «بسم الله الرحمن الرحيم» من أولها، فقال عثمان بن عفان: أشبهت معانيها معاني الأنفال، وكانت تُدعى القرينتين[٢] في زمن رسول الله ﷺ، فلذلك قرنْتُ بينهما، ولم أكتب «بسم الله الرحمن الرحيم»، ووضعتها في السبع الطول[٣].

وقال علي بن أبي طالب لابن عباس رضي الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم أمان وبشارة، وبراءة نزلت بالسيف ونبذ العهود، فلذلك لم تبدأ بالأمان[٤].

قال القاضي أبو محمد: ويعزى هذا القول للمبرد، وهو لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وهذا كما يبدأ المخاطب الغاضب: أما بعد، دون تقريظ ولا استفتاح بتبجيل.

وروي أن كتبة المصحف في مدة عثمان اختلفوا في الأنفال وبراءة: هل هي سورة واحدة أو هما سورتان؟ [فتركوا فصلاً بينهما مراعاة لقول من قال: هما سورتان][٥]، ولم يكتبوا «بسم الله الرحمن الرحيم» مراعاة لقول من قال منهم: هما واحدة، فرضي جميعهم بذلك.

قال القاضي أبو محمد: وهذا القول يضعِّفه النظر أن يختلف في كتاب الله هكذا.

---

(١) تفسير السمعاني (٢/ ٢٨٤).

(٢) في الأسدية: «العويلتين».

(٣) ضعيف، هذا الأثر أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ (ص٤٧٨) بإسناده وفيه يزيد الفارسي وهو مجهول.

(٤) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣١) وابن الأعرابي في معجمه (٢/ ٥٧) من طريق محمد بن زكريا الغلابي، عن يعقوب بن جعفر بن سليمان الهاشمي، نا جعفر بن سليمان، عن أبيه سليمان بن علي الهاشمي، عن علي بن عبد الله بن عباس ـ وليس علي بن أبي طالب ـ، عن أبيه به، ومحمد بن زكريا الغلابي ضعيف جدّاً.

(٥) ساقط من الأسدية.

وروي عن أبيّ بن كعب أنه قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بوضع بسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة، ولم يأمرنا في هذا بشيء، فلذلك لم نضعه نحن[١].

وروي عن مالك [أنه قال: بلغنا][٢] أنها كانت نحو سورة البقرة، ثم نسخ ورفع كثير منها وفيه البسملة، فلم يروا بعدُ أن يضعوه في غير موضعه[٣].

وسورة براءة من آخر ما نزل على النبي ﷺ، وحكى عمران بن حُدَيرٍ[٤] أن أعرابيّاً سمع سورة براءة، فقال: أظن هذه من آخر ما أنزل الله على رسوله، فقيل له: لم تقول ذلك؟ فقال: أرى أشياء تنقض وعهوداً تنبذ[٥] / . [٢/ ٢٢٢]

قوله عز وجل: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾.

﴿بَرَآءَةٌ﴾: رفع على خبر ابتداء مضمر تقديره: هذه الآيات براءة، ويصح أن ترتفع بالابتداء، والخبرُ في قوله: ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ﴾ وجاز الابتداء بالنكرة لأنها موصوفة فتعرفت تعريفاً مّا، وجاز الإخبار عنها.

---

(١) لم أقف عليه ولا على الذي قبله.

(٢) ساقط من نجيبويه.

(٣) هذا قول ابن عجلان، نقله عنه ابن العربي في أحكام القرآن (٢/ ٤٤٥)، بعد أن نقل عن مالك أنه لما سقط أولها سقطت معه.

(٤) هو عمران بن حدير أبو عبيدة السَّدوسي البصري، سمع عبد الله بن شقيق وأبا عثمان النهدي وأبا مجلز وجماعة، وعنه الحمادان ومعتمر بن سليمان ووكيع ويزيد بن هارون، قال أحمد: بخ بخ، ثقة، مات سنة (١٤٩هـ). تاريخ الإسلام (٩/ ٢٣٢).

(٥) عيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ١٨٩).

وقرأ عيسى بن عمر: (براءةً) بالنصب[١] على تقدير: التزموا براءةً، ففيها معنى الإغراء.

و﴿ بَرَآءَةٌ ﴾: معناها: تخلُّص وتبرؤ من العهود التي كانت بينكم وبين الكفار البادئين بالنقض، تقول: برئت إليك من كذا، فبرئ الله تعالى ورسوله بهذه الآية إلى الكفار من تلك العهود التي كانت ونقضَها الكفار.

وقرأ أهل نجران: (مِنِ) بكسر النون مِن (مِنْ)[٢].

وهذه الآية حكمٌ من الله عز وجل بنقض العهود والموادَعات التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين طوائف المشركين الذين ظهر منهم أو تُحسِّسَ من جهتهم نقض، ولما كان عهد رسول الله ﷺ لازماً لجميع أمته حسن أن يقول: ﴿عَـٰهَدتُّم ﴾.

قال ابن إسحاق وغيره من العلماء: كانت العرب قد وافقها رسول الله ﷺ عهداً عامّاً على أن لا يُصَدَّ أحد عن البيت الحرام ونحو ذلك من الموادعات، فنقض ذلك بهذه الآية وأَجَّلَ لجميعهم أربعة أشهر:

فمن كان له مع النبي ﷺ عهدٌ خاص وبقي منه أقلُّ من الأربعة الأشهر بلغ به تمامها[٣].

ومن كان أمده أكثر من أربعة أشهر أتم له عهده، إلا إن كان ممن تُحسس منه نقض فإنه قُصر على أربعة أشهر.

ومن لم يكن له عهد خاص فُرضت له الأربعة الأشهر، يسيح فيها في الأرض[٤]، أي

---

(١) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٦).

(٢) نقلها في المحتسب (١ / ٢٨٢) وقال: حكاها سيبويه، وفي الأسدية: «الكوفة» بدل «نجران».

(٣) في الأسدية: «عامها».

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٥٤٣)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٦).

يذهب مسرَّحاً آمناً كالسيح[١] من الماء، وهو الجاري المنبسط، ومنه قول طرفة بن العبد:

لَـوْ خِفْـتُ هَـذَا مِنْـكَ مَـا نِلْتَنِـي حَتَّى تَـرَى خَيْلاً أَمَامِي تَسِيحْ[٢] [السريع]

وهذا ينبئ عن أن رسول الله ﷺ استشعر من الكفار نقضاً وتربصاً به إلا من الطائفة المستثناة.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: أول الأشهر الأربعة شوال، وحينئذ نزلت الآية، وانقضاؤها عند انسلاخ الأشهر الحرم وهو انقضاء المحرم بعد يوم الأذان بخمسين يوماً فكان أجل من له عهد أربعةَ أشهر من يوم نزول الآية، وأجل سائر[٣] المشركين خمسون ليلة من يوم الأذان[٤].

قال القاضي أبو محمد: اعترض هذا بأن الأجل لا يلزم إلا من يوم سُمع، ويحتمل أن البراءة قد كانت سمعت من أول شوال، ثم كرِّر إشهارها مع الأذان يوم الحج الأكبر.

وقال السدي وغيره: بل أولها يوم الأذان وآخرها العشر[٥] من ربيعٍ الآخِر[٦].

وهي الحُرُم، استعير لها الاسم لهذه الحرمة والأمن الخاص الذي رسمه الله وألزمه فيها، وهي أجل الجميع ممن له عهدٌ وتُحسِّسَ منه نقضٌ وممن لا عهد له.

وقال الضحاك وغيره من العلماء: كان من العرب من لا عهد بينه وبين رسول الله ﷺ جملة، وكان منهم من بينه وبينهم عهدٌ وتحسس منهم النقض، وكان منهم من بينه وبينهم عهد ولم ينقضوا، فقوله: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ هو أجل ضربه لمن

(١) في التركية: «كالمسيح».
(٢) انظر عزوه في البحر المحيط (٥/ ٣٦٧).
(٣) في الأسدية: «نزول». وسقطت من نجيبويه.
(٤) لم أقف عليه مسنداً.
(٥) في الأصل والمطبوع: «العشرون»، وفي أحمد٣ ونجيبويه: «العشر الأول»، والمثبت من النسخ الأخرى، وهو الموافق لما في المصدر.
(٦) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٤٦).

كان بينه وبينهم عهد وتحسس منهم نقضه، وأول هذا الأجل يوم الأذان وآخِرُه انقضاء العشر الأول من ربيع الآخر[١].

وقوله: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾، هو حكم مباين للأول حكم به في المشركين الذين لا عهد لهم البتة، فجاء أجلُ تأمينهم خمسين يوماً، أولها يوم الأذان وآخرها انقضاء المحرم.

وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾ يريد به الذين لهم عهد ولم ينقضوا ولا تُحسِّس منهم نقض، وهم فيما روي: بنو ضَمْرةَ من[٢] كنانة عاهد لهم المخشي[٣] بن خويلد، وكان تبقَّى من عهدهم يوم الأذان تسعةُ أشهر.

وحكى الطبري عن فرقة أنها قالت: إنما أجَّل الله أربعة أشهر مَن كان عهده ينصرم عند انقضائها أو قبله[٤]، والمعنى: فقل لهم يا محمد: سيحوا، وأما من كان له عهد يتمادى بعد الأربعة الأشهر فهم الذين أمر الله لهم بالوفاء لهم[٥].

وقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾، معناه: واعلموا أنكم لا تُفلتون[٦] الله ولا تُعجزونه هرباً من عقابه.

ثم أعلمهم بحكمه بخزي الكافرين، وذلك حتم إما في الدنيا وإما في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ ﴾ الآية، و(أذانٌ) معناه: إعلام وإشهار، و﴿ٱلنَّاسِ﴾ هاهنا عام في جميع الخلق.

---

(١) تفسير الطبري (١٤/ ٩٨)، بتصرف.

(٢) في الأسدية: «ابن».

(٣) في الأسدية: «الحسن»، وفي المطبوع: «المحشر»، وفي الأصل: «المخش»، وفي نجيبويه: «المحمش»، والذي في جمهرة أنساب العرب لابن حزم (١/ ١٨٥)، وأنساب الأشراف للبلاذري (١١/ ١٢٠) أنه عمارة بن مخشي بن خويلد.

(٤) في الأسدية: «بكره».

(٥) تفسير الطبري (١٤/ ٩٨)، بتصرف.

(٦) في المطبوع وأحمد٣: «تغلبون».

و﴿يَوۡمَ﴾ منصوب على الظرف والعاملُ فيه (أَذانٌ)، وإن كان قد وصف فإن رائحة الفعل باقية، وهي عاملة في الظرف، وقيل: لا يجوز ذلك إذ قد وُصف المصدر فزالت عنه قوة الفعل. ويصح أن يعمل فيه فعل مضمر تقتضيه الألفاظ، وقيل: العامل فيه صفة الأذان، وقيل: العامل فيه ﴿مُخۡزِى﴾.

قال القاضي أبو محمد: وهذا بعيد.

و﴿يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾: قال عمر[(١)] وابن عمر وابن المسيب وغيرهم: هو يوم عرفة[(٢)]، وقاله علي[(٣)].

وروي عنه أيضاً أنه يوم النحر[(٤)]، وروي ذلك عن أبي هريرة وجماعة غيرهم[(٥)].

وروي ذلك عن النبي ﷺ[(٦)].

---

(١) هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ١١٤) من طريق عمر بن الوليد الشني قال: حدثنا شهاب بن عباد العصري، عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب. وإسناده لا يحتج به.

(٢) قول ابن عمر لم أقف عليه.

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ١١٣) من طريق: حيوة بن شريح قال: أخبرنا أبو صخر: أنه سمع أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول: سمعت أبا الصهباء البكري وهو يقول: سألت علي بن أبي طالب، والإسناد ليس بذاك القوي.

(٤) صحيح، أخرجه الطبري (١٤/ ١١٣) من طريق أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي، و(١٤/ ١١٨) من طريق شعبة، عن الحكم قال: سمعت يحيى بن الجزار يحدث عن علي، و(١٤/ ١٢١) من طريق هشيم، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن علي.

(٥) صحيح، أخرجه البخاري (٣١٧٧) من حديث: حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: بعثني أبو بكر رضي الله عنه فيمن يؤذن يوم النحر بمنى: «لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان». ويوم الحج الأكبر يوم النحر، وإنما قيل: الأكبر من أجل قول الناس الحج الأصغر. وقوله: «ويوم الحج الأكبر هو يوم النحر..» إلخ هو من قول حميد بن عبد الرحمن كما في رواية البخاري (٤٦٥٧) ورواية مسلم (١٣٤٧).

(٦) أخرجه أبو داود (١٩٤٥) وغيره من طريق هشام بن الغاز الجرشي، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعاً، وقد علقه البخاري في الصحيح (١٧٤٢) بصيغة الجزم فقال: وقال هشام بن الغاز: فذكره، وأخرجه النسائي (٢/ ٤٤٤) وغيره من طريق شعبة، عن عمرو بن مرة، عن مرة الهمداني، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ مرفوعاً.

وقال منذر بن سعيد وغيره: كان الناس يوم عرفة مفترقين، [إذ كانت الحمس تقف بالمزدلفة، وكان الجمع يوم النحر بمنى، فلذلك كانوا يسمونه الحج الأكبر، أي: من الأصغر الذي هم فيه مفترقون](١).

قال القاضي أبو محمد: وهذا زال في حجة أبي بكر لأنه لم يقف أحد بالمزدلفة.

وقد ذكر المهدوي: أن الحمس ومن اتبعها وقفوا بالمزدلفة في حجة أبي بكر(٢).

والذي تظاهرت به الأحاديث في هذا المعنى: أن عليا أذَّن بتلك الآية يوم عرفة إثر خطبة أبي بكر، ثم رأى أنه لم يَعلم الناس بالإسماع فتتبعهم بالأذان بها يوم النحر، وفي ذلك اليوم بعث معه أبو بكر من يعينه بالأذان بها كأبي هريرة وغيره(٣)، وتتبعوا بها أيضاً أسواق العرب كذي المجاز وغيره.

فمن هنا يترجح قول سفيان: إن ﴿يَوْمَ﴾ في هذه الآية بمعنى أيام(٤).

وبسبب ذلك قالت طائفة: ﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ عرفة، حيث وقع أول الأذان، وقالت طائفة أخرى: هو يوم النحر حيث وقع إكمال الأذان، واحتجوا أيضاً بأنه من فاته الوقوف يوم عرفة فإنه يجزيه الوقوف ليلة النحر(٥)، فليس يوم عرفة على هذا يوم الحج الأكبر.

[٢/ ٢٢٣] قال القاضي أبو محمد / : ولا حجة(٦) في هذا.

---

(١) ساقط من الأسدية، وانظر: البحر المحيط (٥/ ١٠).

(٢) التحصيل للمهدوي (٣/ ٢٢٣).

(٣) روي تأذين أبي هريرة بأسانيد جيدة، لكن في بعضها أن عهد من له عهد مع رسول الله ﷺ إلى أربعة أشهر، وهو وهم كما نبه عليه ابن جرير في تفسيره (١٤/ ١٠٥)، لأن المحفوظ أن عهد كل معاهد إلى الأجل المضروب له.

(٤) تفسير الطبري (١٤/ ١٢٧)، تفسير الماوردي (٢/ ٣٣٩)، تفسير الثعلبي (٥/ ١٠).

(٥) انظر: المبسوط للسرخسي (٤/ ٥٥)، ومواهب الجليل (٤/ ١٣١-١٣٢)، ومغني المحتاج (١/ ٤٩٨)، والمغني (٣/ ٢١١).

(٦) في الأصل: «والحجة».

وقال سفيان بن عيينة: المراد أيام الحج كلها، كما تقول: يوم صِفِّين، ويوم الجمل، يريد جميع أيامه، وقال مجاهد: ﴿يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾: أيام منى كلها، ومجامع المشركين حيث[١] كانوا بذي المجاز وعكاظ ومجنة حين نودي فيهم ألا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا كما قال عثمان لعمر حين عرض عليه زواج حفصة: إني قد رأيت ألا أتزوج يومي هذا[٣]، وكما ذكر سيبويه: أنك تقول لرجل: ما شغلك اليوم؟ وأنت تريد: في أيامك هذه[٤].

واختلف لم وُصف بالأكبر؟ فقال الحسن بن أبي الحسن وعبد الله بن الحارث بن نوفل: لأنه حج ذلك العام المسلمون والمشركون، وصادف أيضاً عيد اليهود والنصارى[٥].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف أن يصفه الله في كتابه بالكبر لهذا.

وقال الحسن أيضاً: إنما سمي أكبر لأنه حج فيه أبو بكر ونُبذت فيه العهود[٦].

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو القول الذي يشبه نظر الحسن، وبيانه: أن ذلك اليوم كان المفتتحَ بالحق وإمارة الإسلام بتقديم رسول الله ﷺ، ونبذت فيه العهود، وعَزَّ فيه الدين وذل الشرك، ولم يكن ذلك في عام ثمان حين ولى رسول الله ﷺ الحجَّ عتابَ ابن أسيد، بل كان أمر العرب على أوله، فكل حج بعد حج أبي بكر فمتركِّب عليه، فحقه لهذا أن يسمى أكبر.

وقال عطاء بن أبي رباح وغيره: الحج أكبر بالإضافة إلى الحج الأصغر، وهي

(١) سقطت من جار الله، وفي الأسدية وأحمد٣ ونجيبويه ونور العثمانية: «حين».
(٢) تفسير الطبري (١٤/ ١٢٧)، تفسير الثعلبي (٥/ ١٠).
(٣) صحيح، هذا الأثر أخرجه البخاري (٤٠٠٥) (٥١٢٢) (٥١٢٩) من حديث ابن عمر.
(٤) لم أجد من نقل عنه هذا المثال هكذا.
(٥) تفسير الطبري (١٤/ ١٢٨)، وتفسير الماوردي (٢/ ٣٣٩)، وتفسير الثعلبي (٥/ ١٠).
(٦) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٢٩).

العمرة، وقال الشعبي: بالإضافة إلى العمرة في رمضان فإنها الحج الأصغر، وقال مجاهد: الحج الأكبر القران والأصغر الإفراد[١]، وهذا ليس من هذه الآية في شيء، وقد تقدم ما ذكره منذر بن سعيد، ويتجه أن يوصف بالأكبر على جهة المدح لا بإضافة إلى أصغرَ معيَّنٍ، بل يكون المعنى: الأكبر من سائر الأيام فتأمله.

واختصار ما تحتاج إليه هذه الآية على ما ذكر مجاهد وغيره من صورة تلك الحال: أن رسول الله ﷺ افتتح مكة سنة ثمان، فاستعمل عليها عتاب بن أسيد، وقضى أمر حنين والطائف وانصرف إلى المدينة فأقام بها حتى خرج إلى تبوك، ثم انصرف من تبوك في رمضان سنة تسع فأراد الحج، ثم نظر في أن المشركين يحجون في تلك السنة ويطوفون عراة، فقال: لا أريد أن أرى ذلك، فأمر أبا بكر على الحج بالناس وأنفذه، ثم أتبعه علي بن أبي طالب على ناقته العضباء، وأمره أن يؤذن في الناس بأربعة أشياء، وهي: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، [وفي بعض الروايات: ولا يدخل الجنة كافر][٢]، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو إلى مدته، وفي بعض الروايات: ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فأجله أربعة أشهر يسيح فيها، فإذا انقضت فَإِنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ.

قال القاضي أبو محمد: وأقول: إنهم كانوا ينادون بهذا كله، فهذا للَّذين لهم عهد وتُحسس منهم نقضُه، والإبقاء إلى المدة لمن لم يُخبر منه نقض، وذكر الطبري أن العرب قالت يومئذ: نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك إلا من الطعن والضرب، فلام بعضهم بعضاً وقالوا: ما تصنعون وقد أسلمت قريش؟ فأسلموا كلهم ولم يسح أحد[٣].

قال القاضي أبو محمد: وحينئذ دخل الناس في دين الله أفواجاً.

---

(١) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (١٤/ ١٢٩)، وتفسير الماوردي (٢/ ٣٣٩).
(٢) ساقط من الأسدية.
(٣) تفسير الطبري (١٤/ ١٠٩).

وكان رسول الله ﷺ قد أمر عليا أن يقرأ على الناس الأربعين آيةً صدر سورة براءة[١]، وقيل: ثلاثين، وقيل: عشرين، وفي بعض الروايات: عشر آيات، وفي بعضها: تسع آيات، ذكرها النقاش[٢]، وقال سليمان بن موسى الشامي: ذلك ثمان وعشرون آية[٣].

فلحق عليٌّ أبا بكر في الطريق، فقال له أبو بكر: أمير أو مأمور؟، فقال: بل مأمور، فنهضا حتى بلغا الموسم، فلما خطب أبو بكر بعرفة قال: قم يا علي فأدِّ رسالة رسول الله ﷺ، فقام علي ففعل، قال: ثم وقع في نفسي أن جميع الناس لم يشاهدوا خطبة أبي بكر، فجعلت أتتبع الفساطيط يوم النحر[٤].

وقرأ جمهور الناس: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ﴾ بفتح الألف على تقدير: بأن الله.

وقرأ الحسن والأعرج: (إِن الله) بكسر الألف[٥] على القطع، إذ الأذان في معنى القول.

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ بالرفع على الابتداء [وحذف الخبر، وتقديره: ورسولُه بريء منهم، وهو عند شيخنا الفقيه الأستاذ أبي الحسن بن الباذش رحمه الله معنى العطف على الموضع، أي: تُؤنِّس بالجملة الأولى التي هي من ابتداء وخبر فعطفت عليها هذه الجملة، وقيل: هو معطوف على موضع المكتوبة قبل دخول ﴿أَنَّ﴾ التي لا تغير معنى الابتداء][٦]، بل تؤكده، وإذ قد قرئت بالكسر لأنه لا يعطف على موضع ﴿أَنَّ﴾ بالفتح.

---

(١) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الدارمي (١/ ١٤١)، والنسائي (٥/ ٢٤٧)، وابن حبان (٦٦٤٥) وغيرهم من طريق: ابن جريج قال: حدثني عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن أبي الزبير، عن جابر به مرفوعاً. لكن ليست فيه بعض الألفاظ، وضعفه النسائي بعد إخراجه بابن خثيم.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ١١٢)، وسليمان تقدم التعريف به في سورة النساء.

(٤) أخرج الطبري (١٤/ ١٠٧) نحوه بإسناد لين، وقول علي الآتي لم أقف عليه.

(٥) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٥٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٠٩).

(٦) ساقط من الأسدية، وانظر كلام أبي الحسن في البحر المحيط (٥/ ٣٦٧)، وقد سبق التعريف به.

وانظره فإنه مختلَف في جوازه، لأن حكم «أنَّ» رفعُ حكم الابتداء إلا في هذا الموضع وما أشبهه، وهذا قول أبي العباس وأبي علي رحمهما الله[١].

ومذهب الأستاذ على مقتضى كلام سيبويه: أنْ لا موضع لما[٢] دخلت عليه، إذ هو معرب قد ظهر فيه عمل العامل، ولأنه لا فرق بين «أنَّ» وبين «ليت» و«لعل»، والإجماع على أنْ لا موضع لما دخلت عليه هذه.

وقيل: هو عطف على الضمير المرفوع الذي في ﴿بَرِيٓءٌ﴾، وحسَّن ذلك أن المجرور قام مقام التوكيد، كما قامت (لا) في قوله تعالى: ﴿مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وقرأ ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر: (رسولَه) بالنصب[٣] عطفاً على لفظ المكتوبة.

وبهذه الآية امتحن معاويةُ أبا الأسود حتى[٤] وضع النحو، إذ جعل قارئاً يقرأ بخفض: (ورسولِه)[٥]، والمعنى في هذه الآية: بريء من عهودهم وأديانهم براءةً عامة تقتضي المحارجة[٦] وإعمال السيف.

وقوله ﴿فَإِن تُبۡتُمۡ﴾ أي: عن الكفر، ووعدهم مع شرط التوبة وتوعَّدهم مع شرط التولي، وجاز أن تدخل البشارة في المكروه لمَّا جاء مصرحاً به مرفوع الإشكال.

قوله عز وجل: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٤ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾.

---

(١) راجع مشكل إعراب القرآن لمكي (١ / ٣٢٣).

(٢) في الأسدية: «لأن لا موضع لها».

(٣) وهي شاذة عزاها لهما النحاس في إعراب القرآن (٢ / ١٠٩).

(٤) في التركية: «حين».

(٥) انظر تفصيل القصة في المحكم في نقط المصاحف (ص: ٣).

(٦) في التركية والأسدية: «المخارجة»، وفي أحمد٣: «المحاربة».

هذا هو الاستثناء / الذي تقدم ذكره في المشركين الذين بقي من عهدهم تسعة [٢/ ٢٢٤] أشهر وكانوا قد وفوا بالعهد على ما يجب.

وقال قتادة: هم قريش الذين عوهدوا زمن الحديبية[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا مردود بإسلام قريش في الفتح قبل الأذان بهذا كله.

وقال ابن عباس: قوله: ﴿إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾: إلى الأربعة الأشهر التي في الآية قبلُ[٢].

وقرأ الجمهور: ﴿يَنقُصُوكُمْ﴾ بالصاد غير منقوطة.

وقرأ عطاء بن يسار وعكرمة وابن السميفع: (ينقضُوكم)[٣] بالضاد من النقض، وهي متمكِّنة مع العهد[٤]، ولكنها قلقة في تعديها إلى الضمير، ويحسِّن ذلك أن النقض نقض وفاء وحق للمعاهد، وكذلك تعدِّي (أتمُّوا) بـ(إلى) لما كان العهد في معنى ما يؤدى ويبرأ[٥] به، وكأنهم ينقضون العهد.

و﴿يُظَٰهِرُواْ﴾: معناه: يعاونوا، و«الظهير»: المعين، وأصله من الظهر، كأن هذا يُسند ظهره إلى الآخر والآخر كذلك.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ تنبيه على أن الوفاء بالعهد من التقوى.

وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ الآية، الانسلاخ: خروج الشيء عن الشيء

(١) تفسير الطبري (١٤/ ١٣٣)، وتفسير الثعلبي (٥/ ١٣).

(٢) أخرج الطبري (١٤/ ١٣٣) من طريق العوفي عن ابن عباس قوله: مدةُ من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل «براءة» أربعة أشهر، من يوم أذن ببراءة إلى عشر من شهر ربيع الآخر، وذلك أربعة أشهر. فإن نقض المشركون عهدهم وظاهروا عدوّاً فلا عهد لهم، وإن وفوا بعهدهم الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ، ولم يظاهروا عليه عدوّاً، فقد أمر أن يؤدي إليهم عهدهم ويفي به. اهـ. و«قبل»: زيادة من الأسدية والتركية وجار الله.

(٣) عزاها لعطاء النحاس في معاني القرآن (٣/ ١٨٥)، ولعكرمة في المحتسب (١/ ٢٨٢)، وللثلاثة في البحر المحيط (٥/ ٣٧١).

(٤) في المطبوع: «العمل».

(٥) في الأسدية: «ويراد».

المتلبس به، كانسلاخ الشاة عن الجلد والرُّجل عن الثياب، ومنه قوله تعالى: ﴿نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧] فشبه انصرام الأشهر بأسمائها وأحكامها من الزمن[١] بذلك.

وقد تقدم القول فيمن جُعل له انقضاء الأشهر الحرم أجلاً، وما المعني بالْأَشْهُر الْحُرُم، بما أغنى عن إعادته.

وقوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: أمر بقتال المشركين، فخرج الأمر بذلك بلفظ (اقتلوا) على جهة التشجيع وتقوية النفس، أي: هكذا يكون أمركم معهم.

وهذه الآية نسخت كل موادعة في القرآن أو مهادنة وما جرى مجرى ذلك، وهي على ما ذكر مئة آية وأربع عشرة آية.

وقال الضحاك والسدي وعطاء: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤٧]، وقالوا: لا يجوز قتل أسير البتة صبراً[٢] إما أن يمن عليه، وإما أن يفادى، وقال قتادة ومجاهد، وغيرهما: قوله: ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ منسوخ بهذه الآية، وقالوا: لا يجوز المن على أسير ولا مفاداته، ولا شيء إلا القتل، وقال ابن زيد: هما محكمتان[٣].

قال القاضي أبو محمد: ولم يفسر أكثر من هذا، وقوله هو الصواب، والآيتان لا يشبه معنى واحدة معنى الأخرى، وذلك أن هذه الآية قوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ ﴿وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ﴾ أفعال إنما تُمتثل مع المحارب المرسل المناضل، وليس للأسير فيها ذكر ولا حكم، وإذا أُخذ الكافر خرج عن درجات هذه الآية وانتقل إلى حكم الآية الأخرى، وتلك الآية لا مدخل فيها لغير الأسير، فقول ابن زيد هو الصواب.

وقوله: ﴿وَخُذُوهُمۡ﴾ معناه الأسر.

---

(١) في التركية: «المؤمن».

(٢) «صبرا» سقطت من الأصل.

(٣) انظر نسبة الأقوال لهم في الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٤٩٤)، و(ص: ٦٧١)، والهداية لمكي (٤/ ٢٩٣٢).

وقوله: ﴿كُلَّ مَرۡصَدٖ﴾ معناه: في مواضع الغِرَّة حيث يُرصدون، وقال النابغة:

أَعَـاذِلُ إنَّ الجَهْلَ مـن لَذَّةِ الفتى وإنَّ المَنَايَا للنُّفـوس بِمَرْصَدِ[١] [الطويل]

ونصب ﴿كُلَّ﴾ على الظرف، وهو اختيار الزجّاج، أو بإسقاط الخافض التقدير: في كلِّ مرصد، أو على كلِّ مرصد، وحكى سيبويه: ضُرِبَ الظَّهرَ والبطنَ[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ يريد: من الكفر، فهي متضمنة الإيمان، ثم قرن بها إقامة الصلاة [وإيتاء الزكاة تنبيهاً على مكان الصلاة][٣] والزكاة من الشرع.

وقوله: ﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ﴾ تأمين، وقال أنس بن مالك: كذا هو دين الله الذي جاءت به الرسل، وهو من آخر ما نزل قبل اختلاف الأهواء، وفيه قال النبي ﷺ: «من فارق الدنيا مخلصاً لله تعالى مطيعاً له لقي الله وهو عنه راض»[٤]، ثم وعد بالمغفرة في صيغة الخبر عن أوصافه تعالى.

قوله عز وجل: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ٦ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧﴾.

أُمر رسول الله ﷺ في هذه الآية بعد الأمر بقتال المشركين بأن يكون متى طَلب

---

(١) لم أجده له، بل هو لعدي بن زيد كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ٣٩١)، والزاهر (٢/ ١٧)، وفيهما: «للرجال» بدل «للنفوس».

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢ / ٢٠٣).

(٣) ساقط من الأسدية.

(٤) ضعيف، هذا الحديث أخرجه ابن ماجه (٧٠)، والحاكم (٢/ ٣٦٢)، والبزار (٢/ ٢٩٢) وغيرهم من طريق: أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك. والربيع بن أنس ضعيف، قال ابن حبان في الثقات: الناس يتقون حديثه ما كان من رواية أبي جعفر عنه لأن في أحاديثه عنه اضطراباً كثيراً. اهـ.

مشرك عهداً يأمن به حتى يسمع القرآن ويرى حال الإسلام أن يعطيه ذلك، وهي الإجارة، وهو من الجوار، ثم أمر بتبليغه المأمن إذا لم يرض الإسلام ولم يُهْدَ إليه، قال الحسن: هي محكمة سنَّة إلى يوم القيامة، وقاله مجاهد.

وقال الضحاك[١] والسدي: هذا منسوخ بقوله: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، وقال غيرهما: هذه الآية إنما كان حكمها مدة الأربعة الأشهر التي ضربت لهم أجلاً[٢].

وقوله سبحانه: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ يعني: القرآن، وهي إضافة صفة إلى موصوف، لا إضافة خَلْق إلى خالق، والمعنى: ويفهمَ أحكامه وأوامره ونواهيه، فذكر السماع بالأذان إذ هو الطريق إلى الفهم، وقد يجيء السماع في كلام العرب مستعملاً بمعنى الفهم، كما تقول لمن خاطبته فلم يقبل منك: أنت لم تسمع قولي، تريد: لم تفهمه، وذلك في كتاب الله تعالى في عدة مواضع.

و﴿أَحَدٌ﴾ في هذه الآية مرتفع بفعل يفسره قوله: ﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾ ويضعَّف فيه الابتداء؛ لولاية[٣] الفعل لـ(إنْ).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى هذا اللطف في الإجارة والإسماع وتبليغ المأمن.

و﴿لَّا يَعْلَمُونَ﴾ نفي علمهم بمراشدهم في اتباع محمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ الآية لفظ استفهام وهو على جهة التعجب والاستبعاد، أي: على أيِّ وجه يكون للمشركين عهد وهم قد نقضوا وجاهروا بالتعدي؟ ثم استثنى من عموم المشركين القومَ الذين عوهدوا عند المسجد الحرام، أي: في ناحيته وجهته.

وقال ابن عباس فيما روي عنه: المعنيُّ بهذا قريش[٤].

---

(١) في الأصل: «والضحاك» دون لفظ «قال».

(٢) انظر: تفسير الثعلبي (٥/ ١٣)، الهداية لمكي (٤/ ٢٩٣٢).

(٣) في نجيبويه: «لدلالة».

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ١٤٣) من طرق عن ابن عباس.

وقال السدي: المعنيُّ بنو خزيمة[١] بن الدئل، وقال ابن إسحاق: هي قبائل بني بكر، [كانوا دخلوا وقت الحديبية في المدة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش، فلم يكن نَقَضَ إلا قريشٌ وبنو الدئل من بني بكر][٢]، فأُمر المسلمون بإتمام العهد لمن لم يكن نَقَض.

وقال قوم: المعني خزاعة، قاله مجاهد[٣]، وهو مردود بإسلام خزاعة عام الفتح.

وقال بعض من قال: إنهم قريش: إن هذه الآية نزلت فلم يستقيموا بل نقضوا، فنزل تأجيلهم أربعة أشهر بعد ذلك، وحكى الطبري هذا القول عن ابن زيد، وهو ضعيف متناقض، لأن قريشاً وقت الأذان / بالأربعة الأشهر لم يكن منهم إلا مسلم، [٢/ ٢٢٥] وذلك بعد فتح مكة بسنة، وكذلك خزاعة، قاله الطبري وغيره[٤].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ يريد به المُوفين بالعهد من المؤمنين، فلذلك جاء بلفظ مغترق[٥] الوفاء بالعهد متضمن الإيمان.

قوله عز وجل: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾.

بعد ﴿كَيْفَ﴾ في هذه الآية فعل مقدر ولابد، يدل عليه ما تقدم، فيحسن أن يقدر: كيف يكون لهم عهد ونحوه قول الشاعر:

---

(١) في الأصل «جزيمة»، وفي جار الله ونور العثمانية والمطبوع: «جذيمة».

(٢) ساقط من الأسدية.

(٣) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٤/ ١٤١)، بتصرف، وتفسير الماوردي (٢/ ٣٤٢).

(٤) انظر القولين في تفسير الطبري (١٤/ ١٤٣) بتصرف.

(٥) في الأسدية: «مستغرق».

[الطويل] وخَبَّرْتُماني أَنما المَوْتُ بالقُرى فكيفَ وهاتا هَضْبَةٌ وقَلِيبُ[1]

وفي ﴿كَيْفَ﴾ هنا تأكيد للاستبعاد الذي في الأولى.

و﴿لَا يَرْقُبُواْ﴾ معناه: لا يراعوا ولا يحافظوا، وأصل الارتقاب بالبصر، ومنه الرَّقيب في الميسر وغيره، ثم قيل لكل من حافظ على شيء وراعاه: راقبه وارتقبه.

وقرأ جمهور الناس: ﴿إِلًّا﴾، وقرأ عكرمة مولى ابن عباس بياء بعد الهمزة خفيفة اللام: (إِيلاً)، وقرأت فرقة: (أَلّاً) بفتح الهمزة[2].

فأما من قرأ ﴿إِلًّا﴾ فيجوز أن يراد به الله عز وجل، قاله مجاهد وأبو مجلز[3]، وهو اسمه بالسريانية وعُرِّب، ومن ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين سمع كلام مسيلمة فقال: هذا كلام لم يخرج من إلٍّ[4]، ويجوز أن يراد به العهد، [والعرب تقول للعهد][5] والحلف والجوار ونحو هذه المعاني إلًّا، ومنه قول أبي جهل:

[الطويل] لِإِلٍّ عَلَيْنَا وَاجِبٍ لَا نُضِيعُهُ أَمِين قُوَاهُ غَيْر مُنْتَكِثِ الْحَبْلِ[6]

ويجوز أن يراد به القرابة، فإن القرابة في لغة العرب يقال لها: إلٌّ، ومنه قول ابن مُقْبِلٍ:

[الرمل] أَفْسَدَ النَّاسَ خُلُوفٌ خَلَفُوا قَطَعُوا الإِلَّ وَأَعْرَاقَ الرَّحِمْ[7]

---

(١) البيت لكعب بن سعد الغنوي، كما في الكتاب لسيبويه (٣/ ٤٨٧)، والأصمعيات (ص: ٩٧)، والحيوان (٣/ ٢٦).

(٢) انظر قراءة عكرمة في المحتسب (١ / ٢٨٢)، والقراءة الأخرى عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٥٦) للكلبي.

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ١٤٦).

(٤) لم أقف عليه مسنداً.

(٥) ساقط من الأسدية والتركية.

(٦) انظر عزوه له في سيرة ابن هشام (١/ ٥٩٧)، وأبو جهل هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي، قتل يوم بدر كافراً.

(٧) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٤/ ١٤٨)، وفي نور العثمانية: «أعناق»، بدل «أعراق».

أنشده أبو عبيدة على القرابة[١]، وظاهره أنه في العهود، ومنه قول حسان:

لَعَمْـرُك إنّ إلَّـكَ فـي قُـرَيـشٍ ... كإِلّ السَّـقْب مـن رَأْل النَّعـامِ[٢] [الوافر]

وأما من قرأ: (أَلّاً) بفتح الهمزة فهو مصدر من فعل الإل الذي هو العهد.

ومن قرأ (إيلاً) فيجوز أن يراد به الله عز وجل، فإنه يقال: (إلٌّ) و(إيل)، وفي البخاري قال[٣]: جَبْرَ، ومِيْكَ، وسَرَافِ: عبد بالسريانية، وإيل: الله عز وجل[٤]، ويجوز أن يريد (إِلّاً) المتقدمَ فأبدل من أحد المثلين ياء، كما فعلوا ذلك في قولهم: أمَّا وأيما، ومنه قول سعد بن قُرْطٍ يهجو أمه:

يَـا لَيْتَمَـا أُمُّنَـا شَـالَتْ نَعَامَتُهَـا ... أَيْمَـا إلَـى جَنَّـةٍ أَيْمَـا إلَى نَـارِ[٥] [البسيط]

ومنه قول عمر بن أبي ربيعة:

رأتْ رَجُلاً أيْمَا إذا الشَّمْسُ عارَضَتْ ... فيَضْحَى وأيْمَا بالعشِيِّ فيَخْصَرُ[٦] [الطويل]

وقال آخر:

لَا تُـفْـسِـدُوا آبَـالَـكُـمْ ... أيـمـا لـنـا أيـمـا لَـكُـمْ[٧] [مجزوء الرجز]

---

(١) لم أجده في كتبه المتوفرة.

(٢) انظر عزوه له في الحيوان (٤/ ٤٣٥)، الشعر والشعراء (١/ ٣٥١)، تفسير الطبري (١٤/ ١٤٩).

(٣) في المطبوع وجار الله زيادة: «الله».

(٤) صحيح البخاري في كتاب التفسير قبل حديث (٤٤٨٠)، باب: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ عن عكرمة.

(٥) انظر عزوه له في المحتسب (١/ ٢٨٤)، والحماسة بشرح التبريزي (٢/ ٤١١)، وسماه في أشعار النساء (ص: ٩٠): النحيف، قال: وهو من بني جذيمة، وكان شريراً ضعيفاً، وكان بها عاقاً، ونسبه في الصحاح للجوهري (٦/ ٢٢٧٢) للأحوص.

(٦) انظر عزوه له بهذا اللفظ في الكامل للمبرد (١/ ٦١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١١/ ٢٥)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٠).

(٧) أنشده في المحتسب (١/ ٢٨٤) بلا نسبة، وقال: رويناه عن قطرب.

قال أبو الفتح: ويجوز أن يكون مأخوذاً من آل يؤول: إذا ساس[١].

قال القاضي أبو محمد: كما قال عمر بن الخطاب: قد أُلنا وإيل علينا[٢].

فكأن المعنى على هذا: لا يرقبون فيكم سياسة ولا مداراة ولا ذمة، وقلبت الواو ياء لسكونها والكسرة قبلها.

و«الذمة» أيضاً بمعنى المتات[٣] والحلف والجوار، ونحوه قول الأصمعي: الذمة كل ما يجب أن يحفظ ويحمى[٤]، ومن رأى في الإل أنه العهد جعلها لفظتين مختلفتين لمعنًى واحد أو متقارب، ومن رأى الإل لغير ذلك فهما لفظان لمعنيين.

﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ معناه: تأبى أن تذعن لما يقولونه بالألسنة، وأبى يأبَى شاذ، لا يحفظ فعَل يفعَل بفتح العين في الماضي والمستقبل، وقد حُكي ركَن يركَن.

وقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾ يريد به الكل، أو يريد استثناء من قُضي له بالإيمان، كل ذلك محتمل.

وقوله تعالى: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الآية، اللازم من ألفاظ هذه الآية أن هذه الطائفة الكافرة الموصوفة بما تقدم، لما تركت آياتِ الله ودينه، وآثرت الكفر وحالَها في بلادها، كان[٥] ذلك كالشراء والبيع، لمَّا كان تركاً لَمَا قد مكِّنوا منه وأخذاً لما يمكن نبذه، وهذه نزعة مالك رحمه الله في منع اختيار المشتري فيما تختلف آحاد جنسه ولا يجوز التفاضل فيه، وقد تقدم ذكر ذلك في سورة البقرة[٦].

---

(١) المحتسب لابن جني (١/ ٢٨٢).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) بتاءين، من مت إليه بكذا يمُت، وفي نور العثمانية: «الثبات»، وفي المطبوع وأحمد٣: «المتاب».

(٤) انظر البحر المحيط (٥/ ٣٦٤)، وفي غريب الحديث للقاسم بن سلام (١/ ٤٢) عنه: الذمة: القليلة الماء.

(٥) في المطبوع: «كل».

(٦) انظر المسألة في: المدونة (٣/ ١٣٤)، وتفسير ابن عرفة (١/ ١٥٥).

وقوله: ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾ يريد: صدوا أنفسهم وغيرهم، ثم حكم عليهم بأن عملهم سيئ، و﴿سَآءَ﴾ في هذه الآية إذ لم يذكر مفعولُها يحتمل أن تكون مضمنة كبئس، فأما إذا قلت: ساءني فعل زيد، فليس تضمين بوجه، وإن قدرت في هذه الآية مفعولاً زال التضمين، وروي أن أبا سفيان بن حرب جمع بعض العرب على طعام، وندبهم إلى وجه من وجوه النقض، [فأجابوا إلى ذلك] فنزلت الآية، وقال بعض الناس: هذه في اليهود[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا القول وإن كانت ألفاظ هذه الآية تقتضيه، فما قبلها وما بعدها يرده ويتبرأ منه، ويختلُّ أسلوب القول به.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَرۡقُبُونَ﴾ الآية، وصف لهذه الطائفة المشترية يضعف ما ذهب[٢] إليه من قال إن قوله: ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ هو في اليهود.

وقوله تعالى: ﴿فِي مُؤۡمِنٍ﴾ إعلام بأن عداوتهم إنما هي بحسب الإيمان فقط، وقوله أولاً: ﴿فِيكُمۡ﴾ كان يحتمل أن يظن ظانٌّ أن ذلك للإحَن التي وقعت، فزال هذا الاحتمال بقوله: ﴿فِي مُؤۡمِنٍ﴾، ثم وصفهم تعالى بالاعتداء، والبداءة[٣] بالنقض للعهود، والتعمق في الباطل.

قوله عز وجل: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١١ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾.

﴿تَابُواْ﴾ رجعوا عن حالهم، والتوبة منهم تتضمن الإيمان، ثم قرن تعالى بإيمانهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، قال ابن عباس: حرمت هذه / الآية دماء أهل القبلة[٤]. [٢/ ٢٢٦]

(١) روى نحوه الطبري (١٤/ ١٥١) من طريقين عن مجاهد بلفظ: أطعم حلفاءه، وما بين القوسين ساقط من الأسدية.

(٢) في الأسدية: «يضعف بخلاف ما دسه إليه...» إلخ.

(٣) في الأسدية: «البراءة».

(٤) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ١٥٢) من طريق ليث هو ابن أبي سليم، عن رجل، عن ابن عباس.

وقال ابن زيد: قرن الله الصلاة بالزكاة ولم يرض بإحداهما دون الأخرى[١].

قال القاضي أبو محمد: وعلى هذا مر أبو بكر رضي الله عنه وقت الردة.

و«الأخوة في الدين» هي أخوة الإسلام، وجمع الأخ منها إخوان، وجمعه من النسب إخوة، قاله بعض اللغويين، وقد قيل إن الأخ من النسب يجمع على إخوان أيضاً، وذلك ظاهر من قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ﴾ [النور: ٦١] ويبين ذلك قوله تعالى في آخر الآية: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾، وكذلك قوله في هذه السورة: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٤] فأما الأخ من التوادِّ ففي كتاب الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال أبو هريرة في البخاري: كان إخوتي من المهاجرين يشغلهم الصفق بالأسواق[٢].

فيصح من هذا كله أن الأخ يجمع إخوة وإخواناً، سواء كان من نسب أو مودة، وتفصيل الآية: بيانها وإيضاحها.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم﴾ الآية، «النكث»: النقض، وأصله في كل ما فُتل[٣] ثم حُل، فهي في الأيمان والعهود مستعارة.

وقوله: ﴿وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ أي: بالاستنقاص والحرب وغير ذلك مما يفعله المشرك.

وهذه استعارة، ومنه قول النبي ﷺ حين أمر أسامة: «إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل»[٤]، الحديث.

---

(١) تفسير الطبري (١٤/ ١٥٣)، بتصرف.

(٢) متفق عليه، هذا الأثر أخرجه البخاري (١١٨) ومسلم (٢٤٩٣).

(٣) في المطبوع: «قبل».

(٤) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٤٢٥٠) ومسلم (٢٤٢٦).

قال القاضي أبو محمد: ويليق هنا ذكر شيء من طعن الذمي في الدين، فالمشهور من مذهب مالك رحمه الله أنه: إذا فعل شيئاً من ذلك؛ مثل تكذيب الشريعة وسبِّ النبي ﷺ ونحوه قُتل، وقيل: إذا كفر وأعلن[١] بما هو معهود من معتقده وكفره أدِّب على الإعلان وترك، وإذا كفر بما ليس من معهود كفره كالسب ونحوه قتل[٢]، وقال أبو حنيفة في هذا: إنه يستتاب[٣].

واختلف إذا سب الذمي النبي ﷺ ثم أسلم تَقيَّة القتل فالمشهور من المذهب أنه يترك[٤]، وقد قال ﷺ: «الإسلام يجبُّ ما قبله»[٥]، وفي «العُتْبية» أنه يقتل[٦]، ولا يكون أحسن حالاً من المسلم.

وقوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ أي: رؤوسهم وأعيانهم الذين يقودون الناس إليه، وقال قتادة: المراد بهذا أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وغيرهما[٧].

قال القاضي أبو محمد: وهذا إن لم يُتأول أنه ذكرهم على جهة المثال ضعيف؛ لأن الآية نزلت بعد بدر بكثير، وروي عن حذيفة أنه قال: لم يجئ هؤلاء بعدُ[٨].

---

(١) في الأسدية: «وأمكن أن يكون ما هو معهود...» إلخ.
(٢) انظر ما عزاه المؤلف لمذهب مالك في التاج والإكليل (٣/ ٣٨٥).
(٣) انظر قول أبي حنيفة في بدائع الصنائع (٧/ ١١٣).
(٤) انظر ذلك في التاج والإكليل (٣/ ٣٨٥).
(٥) في الصحيح بغير هذا اللفظ، هذا الحديث روي بهذا اللفظ من حديث عمرو بن العاص، رواه يزيد بن أبي حبيب، واختلف عليه فيه على ثلاثة أوجه، يراجع مسند أحمد (٤/ ١٩٨) (٤/ ٢٠٤) (٤/ ٢٠٥) والبيهقي في الكبرى (٩/ ١٢٣)، وأخرج مسلم (١٢١) حديث عمرو بلفظ: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله»، وكثير من الفقهاء وغيرهم يعزون هذا الحديث باللفظ الأول لمسلم (١٢١) وهو غلط.
(٦) انظر ما عزاه للعتبية في النوادر (١٤/ ٥٢٧).
(٧) تفسير الطبري (١٤/ ١٥٤).
(٨) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ١٥٦) من طريق: حبيب بن حسان، عن زيد بن وهب قال: كنت عند حذيفة.. وحبيب بن حسان، هو حبيب بن أبي الأشرس، وهو منكر الحديث متروك.

قال القاضي أبو محمد: يريد لم ينقرضوا، فهم يحيون أبداً ويقاتلون، وأصوب ما في هذا أن يقال: إنه لا يعنى بها معين، وإنما وقع الأمر بقتال أئمة الكفر الناكثين بالعهود من الكفرة إلى يوم القيامة دون تعيين، واقتضت حال [الكفار ـ أعني](١) كفار العرب ومحاربي رسول الله ﷺ ـ أن تكون الإشارة إليهم أولاً بقوله: ﴿أَيِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ وهم حصلوا حينئذ تحت اللفظة، إذ الذي يتولى قتال النبي ﷺ والدفعَ في صدر شريعته هو إمام كل من يكفر بذلك الشرع إلى يوم القيامة، ثم تأتي في كل جيل من الكفار أئمة خاصة بجيل جيل.

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: ﴿ أيمة ﴾ بهمزة واحدة وبعدها ياء مكسورة، وقد روي عن نافع مد الهمزة، وروى عنه ابن أبي أويس: أئمة بهمزتين وأصلها: أأممة وزنها أفعلة جمع إمام كعماد وأعمدة، نقلت حركة الميم إلى الهمزة التي هي فاء الفعل وأدغمت الميم في الميم الأخرى، وقلبت الهمزة ياء لانكسارها ولاجتماع همزتين من كلمة واحدة.

وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿أَيِمَّةَ﴾ والتعليل واحد، إلا أنهم لم يقلبوا الهمزة ياء، وقرأ المسيبي عن نافع: ﴿ آئمة ﴾ بهمزة ممدودة، وقرأ هشام عن ابن عامر بمدة بين الهمزتين(٢).

وقرأ الناس الجمُّ الغفير: ﴿لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ على جمع يمين، وليس المراد نفي الأيمان جملة، وإنما المعنى: لا أيمان لهم يوفى بها ويُبر، وهذا المعنى يشبه الآية، وقرأ الحسن وعطاء وابن عامر وحده من السبعة: ﴿ لا إيمان لهم﴾(٣)، وهذا يحتمل وجهين، أحدهما: لا تصديق(٤)، قال أبو علي: وهذا غير قوي لأنه تكرير، وذلك أنه

---

(١) زيادة من الأسدية.

(٢) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١١٧)، والسبعة (ص: ٣١٢)، وفي المطبوع: «عن أبي عامر»، وهو سبق قلم.

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٧)، والسبعة (ص: ٣١٢).

(٤) في التركية: «أحدهما التصديق».

وصف أئمة الكفر بأنهم لا إيمان لهم، فالوجه في كسر الألف أنه مصدر من آمنه[١] إيماناً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤] فالمعنى أنهم لا يؤمَّنون كما يؤمَّن أهل الذمة الكتابيون، إذ المشركون لم يكن لهم إلا الإسلام أو السيف، قال أبو حاتم: فسر الحسن قراءته: لا إسلام لهم[٢].

قال القاضي أبو محمد: والتكرير الذي فر أبو علي منه متجه؛ لأنه بيانُ المُهِم الذي يوجب قتلهم.

قوله عز وجل: ﴿أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

قوله: ﴿أَلَا تُقَـٰتِلُونَ﴾ عَرْض وتحضيض.

وقوله: ﴿وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: قال الحسن بن أبي الحسن: المراد: من المدينة[٣]، وهذا مستقيم كغزوة أحد والأحزاب وغيرهما، وقال السدي: المراد: من مكة[٤]، فهذا على أن يكون المعنى: همُّوا وفعلوا، أو على أن يقال: هموا بإخراجه بأيديهم فلم يصلوا إلى ذلك بل خرج بأمر الله عز وجل، وهذا يجري مع إنكار النبي ﷺ على أبي سفيان بن الحارث قوله:

.... ورَدَّني إِلَى الله مَنْ طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَـرَّدِ[٥] [الطويل]

---

(١) في التركية ونجيبويه وجار الله: «أمنته».

(٢) البحر المحيط (٥/ ٣٨١)، ومثله عن الحسن في تفسير الطبري (١٤/ ١٥٧).

(٣) تفسير ابن أبي زمنين (١/ ٢٤٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٥٩).

(٥) تقدم في تفسير الآية (١٩٥) من سورة آل عمران، وجاء أول البيت في نجيبويه: «هداني هاد غير نفسي» إلخ، وفيه روايات أخرى.

ولا ينسب الإخراج إليهم إلا إذا كان الكلام في طريق تذنيبهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وقوله: ﴿مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمد: ١٣] والأول هو على أن ما فعلوا به من أسباب الإخراج هو الإخراج.

وقوله: ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ قيل: يراد أفعالهم بمكة بالنبي ﷺ وبالمؤمنين، وقال مجاهد: يراد به ما بدأت به قريش / من معونة بني بكر حلفائهم على خزاعة حلفاء [٢/ ٢٢٧] رسول الله ﷺ، فكان هذا بدء النقض، وقال الطبري: يعني فعلهم يوم بدر[١].

وقوله: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ استفهام على معنى التقرير والتوبيخ.

وقوله: ﴿فَٱللَّهُ﴾ مرتفع بالابتداء و﴿أَحَقُّ﴾ خبره، و﴿أَن تَخْشَوْهُ﴾ بدل من اسم الله بدلَ اشتمال، أو في موضع نصب على إسقاط خافض تقديره: بأن تخشوه، ويجوز أن يكون ﴿ٱللَّهُ﴾ ابتداء و﴿أَحَقُّ﴾ ابتداء ثان و﴿أَن تَخْشَوْهُ﴾ خبر الثاني، والجملة خبر الأول.

وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ كما تقول: افعل كذا إن كنت رجلاً، [أي: رجلاً][٢] كاملاً، فهذا معناه: إن كنتم مؤمنين كاملي الإيمان، لأن إيمانهم قد كان استقر.

وقوله: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية، قررت الآيات قبلها أفعال الكفرة، ثم حضض على القتال مقترناً بذنوبهم[٣] لتنبعث الحمية مع ذلك، ثم جزم الأمر بقتالهم في هذه الآية مقترناً بوعد وكيد يتضمن النصرة عليهم والظفر بهم.

وقوله: ﴿يُعَذِّبْهُمُ﴾ معناه: بالقتل والأسر، وذلك كله عذاب.

و(يخزهم) معناه: يذلهم على ذنوبهم، يقال: خَزِي الرجل يَخْزَى خِزْياً: إذا ذل من حيث وقع في عار، وأخزاه غيره وخزِي خَزاية: إذا استحيا.

وأما قوله: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ فإن الكلام يحتمل أن يريد [جماعة

---

(١) تفسير الطبري (١٤/ ١٥٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٦٢).

(٢) ساقط من نجيبويه.

(٣) في الأسدية: «ببعذهم».

المؤمنين، لأن كل ما يهدُّ من الكفر هو شفاء من هم صدورهم، أعني صدور المؤمنين.

ويحتمل أن يريد][(١)] تخصيص قوم من المؤمنين، وروي أنهم خزاعة، قاله مجاهد والسدي[(٢)].

ووجه تخصيصهم أنهم الذين نقض فيهم العهد ونالتهم الحرب، وكان يومئذ في خزاعة مؤمنون كثير، ويقتضي ذلك قول الخزاعي المستنصر بالنبي ﷺ:

ثُمَّتَ أَسْلَمْنا فلَم نَنْزِع يَدَا .... [الرجز]

وفي آخر الرجز:

وقَتَّلُونَا رُكَّعاً وَسُجَّدَا[(٣)] .... [الرجز]

وقرأ جمهور الناس: ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [على إسناد الفعل إلى الله عز وجل.

وقرأت فرقة: (ويَذهَب غيظُ قلوبهم)[(٤)] على إسناد الفعل إلى الغيظ.

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَيَتُوبُ ﴾ بالرفع على القطع مما قبله، والمعنى: أن الآية استأنفت الخبر بأنه قد يتوب على بعض هؤلاء الكفرة الذين أمر بقتالهم.

قال أبو الفتح: وهذا أمر موجود سواء قوتلوا أو لم يقاتلوا، فلا وجه لإدخال التوبة في جواب الشرط الذي في ﴿قَٰتِلُوهُمْ ﴾ على قراءة النصب، وإنما الوجه الرفع على الاستئناف والقطع[(٥)].

---

(١) ساقط من التركية، وقوله: «صدورهم أعني» زيادة من الأسدية.

(٢) تفسير الطبري (١٤/ ١٦٠)، تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٦٣).

(٣) الأبيات لعمرو بن سالم الخزاعي، انظر: جمهرة أشعار العرب (ص: ٣٨)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٣٩٤)، وتاريخ الطبري (٣/ ٤٥).

(٤) وهي شاذة، نقلها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢١٠) عن ابن عمير.

(٥) المحتسب (١/ ٢٨٥).

وقرأ الأعرج وابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي وعمرو بن عبيد وأبو عمرو فيما روي عنه: (ويتوبَ) بالنصب[١] على تقدير: وأن يتوب، ويتوجه ذلك عندي إذا ذهبت إلى أن التوبة إنما يراد بها هنا أن قتل الكافرين والجهاد في سبيل الله هو توبة لكم أيها المؤمنون وكمالٌ لإيمانكم، فتدخل التوبة على هذا في شرط القتال.

و﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ صفتان نسبتهما إلى الآية واضحة.

قوله عز وجل: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿أَمْ﴾ في هذه الآية ليست المعادلة، وإنما هي المتوسطة في الكلام، وهي عند سيبويه التي تتضمن إضراباً عن اللفظ الأول لا عن معناه، واستفهاماً، فهي تسد مسد بل وألف الاستفهام، وهي التي في قولهم: إنها لإبل أم شاءٌ، التقدير: بل أهي شاء.

وقوله: ﴿أَن تُتْرَكُوا۟﴾ يسد عند سيبويه مسد مفعولي حَسِبَ، وقال المبرد: ﴿أَن﴾ وما بعدها مفعول أول والثاني محذوف[٢].

قال القاضي أبو محمد: كأن تقديره: مهمَلِينَ، أو سُدىً ونحو ذلك.

وقوله: ﴿وَلَمَّا﴾ هي (ما) دخلت عليها (لم) وفيها مبالغة، ومعنى الآية: أظننتم أن تتركوا دون اختبار وامتحان؟ فـ(لَمَّا) في هذه الآية بمنزلة قول الشاعر:

[الطويل] بأَيْدِي رِجالٍ لم يَشِيمُوا سُيوفَهُمْ ولم تَكْثُرِ القَتْلَى بها حِينَ سُلَّتِ[٣]

(١) انظر عزوها لهم مع التوجيه في المحتسب (١/ ٢٨٥)، قال في النشر (٢/ ٢٧٨): وانفرد بها ابن العلاف عن النخاس عن رويس.
(٢) انظر: مشكل إعراب القرآن لمكي (١ / ٣٢٥).
(٣) البيت للفرزدق كما في المعاني الكبير (٢/ ٨٩٩)، والكامل للمبرد (١/ ٢٤٤)، والحجة للفارسي =

قال القاضي أبو محمد: والمراد بقوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ﴾: لما يعلم ذلك موجوداً كما علمه أزلاً[١] بشرط الوجود، ولما يظهر فعلكم واكتسابكم الذي يقع عليه الثواب والعقاب، ففي العبارة تجوُّزٌ، وإلا فحتمٌ أنه قد علم الله في الأزل الذين وصفهم بهذه الصفة مشروطاً وجودهم، وليس يحدث له علم تبارك وتعالى عن ذلك.

و﴿وَلِيجَةً﴾: معناه: بطانة ودخيلة، وقال عبادة بن صفوان الغنوي:

وَلَائِجُهُمْ فِي كُلِّ مَبْدًى وَمَحْضَرٍ إِلَى كُلِّ مَنْ يُرْجَى وَمَنْ يَتَخَوَّفُ[٢] [الطويل]

وهو مأخوذ من الولوج، فالمعنى: أمراً باطناً مما ينكره الحق، وهذه الآية مخاطبة للمؤمنين معناها أنه لا بد من اختبارهم، فهي كقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ [البقرة: ٢١٤] وكقوله: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١-٢].

وفي هذه الآية طعن على المنافقين الذين اتخذوا الولائج لا سيما عندما فرض القتال.

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء على المخاطبة، وقرأ الحسن ويعقوب في رواية رويس وسلام بالياء[٣] على الحكاية عن الغائب.

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية، معناه: ما كان للمشركين بحق الواجب أن يعمروا، وهذا هو الذي نفى الله عز وجل، وإلا فقد عَمَروا مساجده قديماً وحديثاً وتغلباً وظلماً.

= (٤/ ٢٩٥)، ونسبه في الاستيعاب (١/ ٣٩٤) لسليمان بن قنة الخزاعي، في رثاء الحسين بن علي، قال: وقيل: إنها لأبي الرميح الخزاعي، واشار في هامش أحمد٣ إلى أن في نسخة: «الأعشى» بدل «الشاعر»، ولعلها خطأ، إذ لم نجد من نسبه له.

(١) في الأسدية وأحمد٣: «أولا»، وكذا في نجيبويه مع الإشارة في الهامش للنسخة الأخرى.

(٢) انظر عزوه له في البحر المحيط (٥/ ٣٨٤)، وعبادة بن صفوان هذا لم أقف له على ترجمة.

(٣) وهي شاذة عزاها لهم إلا سلاماً في البحر المحيط (٥/ ٣٨٥)، وعزاها الهذلي في الكامل (ص: ٥٦١) لعباس عن أبي عمرو، والوليد بن حسان عن يعقوب، والكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢١٠) للحسن والحسن بن عمران وعباس، وليست في شيء من طرق النشر.

وقرأ حماد بن سلمة[1] عن ابن كثير والجحدري: (مسْجدَ الله) بالإفراد في الموضعين، وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي والأعرج وشيبة وأبو جعفر ومجاهد وقتادة وغيرهم: ﴿مَسَٰجِدَ﴾ بالجمع في الموضعين، وقرأ ابن كثير أيضا وأبو عمرو: ﴿مسْجد﴾ بالإفراد في هذا الموضع الأول و﴿مَسَٰجِدَ﴾ بالجمع في الثاني[2]، كأنه ذكر أولاً الذي فيه النازلة ذلك الوقت، ثم عُمت المساجد ثانياً في الحكم الثابت ما بقيت الدنيا، ولفظ الجمع يقتضي عموم المساجد كلها، ويحتمل / أن يراد به المسجد [٢/ ٢٢٨] الحرام في الموضعين وحده على أن يقدَّر كلُّ موضعِ سجودٍ فيه مسجداً ثم يُجمع.

ولفظ الإفراد في الموضعين يقتضي خصوص المسجد الحرام وحده، ويحتمل أن يراد به الجنس فيعم المساجد كلَّها، ولا يمنع من ذلك إضافته كما ذهب إليه من لا بصر له.

وقال أبو علي: الثاني في هذه القراءة يراد به الأول، وسائر المساجد كلها حكمها حكم المسجد الحرام[3].

وقوله: ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ إشارة إلى حالهم، إذ أقوالهم وأفعالهم تقتضي الإقرار بالكفر والتحلي به، وقيل: الإشارة إلى قولهم في التلبية: إلا شريكاً هو لك، ونحو ذلك، وحكى الطبري عن السدي أنه قال: الإشارة إلى أن النصراني كان يقول: أنا نصراني، واليهودي كذلك، والوثني يقول: أنا مشرك[4].

قال القاضي أبو محمد: وهذا لم يحفظ، ثم حكم الله تعالى عليهم بأن أعمالهم حَبِطَتْ أي: بطلت، ولا أحفظها تستعمل إلا في السعي[5] والعمل، ويشبه أن يكون من

---

(١) في نجيبويه: «أبي سليمان»، وفي الأسدية: «ابن أبي سلمة»، وقد سبق التعريف به.

(٢) انظر الوجه الأول لابن كثير في السبعة (ص: ٣١٣)، والكامل للهذلي (ص: ٥٦١)، والأخيرتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٨)، و«ابن عامر»: ساقطة من الأسدية.

(٣) الحجة للقراء السبعة للفارسي (٤/ ١٧٩).

(٤) تفسير الطبري (١٤/ ١٦٦)، بتصرف.

(٥) في الأسدية: «المعنى».

الحَبَط وهو داء قاتل يأخذ السائمة إذا رعت وبيلاً، وهو الذي في قول رسول الله ﷺ: «إن مما يُنبت الربيع ما يقتل حَبطاً أو يُلِمُّ»[(١)] الحديث.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾.

المعنى في هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ بالحقِّ لهم والواجب، ولفظ هذه الآية الخبر وفي ضمنها أمرُ المؤمنين بعمارة المساجد.

وقد قال بعض السلف: إذا رأيتم الرجل يعمر المسجد فحسِّنوا به الظن[(٢)].

وروى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان»[(٣)]، وقد تقدم القول في قراءة مسجد.

وقوله: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يتضمن الإيمان بالرسول إذ لا يتلقى ذلك إلا منه.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ حذفت الألف من «يخشى» للجزم، قال سيبويه: واعلم أن الأخير إذا كان يسكن في الرفع حذف في الجزم لئلا يكون الجزم بمنزلة الرفع[(٤)].

ويريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة، وهذه مرتبة العدل بين الناس، ولا محالة أن

---

(١) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٤٦٥) (٢٨٤٢) ومسلم (١٠٥٢) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) تفسير القرطبي (٨/ ٩٠).

(٣) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الترمذي (٢٦١٧ و٣٠٩٣) وابن ماجه (٨٠٢) من طريق رشدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث، عن درَّاج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري به مرفوعاً. وهو إسناد ضعيف.

(٤) الكتاب لسيبويه (١/ ٢٣).

الإنسان يخشى غيره ويخشى[١] المحاذير الدنياوية، وينبغي أن يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه، و«عسى» من الله واجبة حيثما وقعت في القرآن، ولم يرجِّ اللهُ بالاهتداء إلا مَن حصل في هذه المرتبة العظيمة من العدالة، ففي هذا حض بليغ على التقوى.

وقرأ الجمهور: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾.

وقرأ ابن الزبير وأبو وجزة ومحمد بن علي وأبو جعفر القارئ: ﴿أجعلتم سُقاة الحاجِّ وعَمَرة المسجد الحرام﴾[٢].

وقرأها كذلك ابن جبير إلا أنه نصب (المسجد) على إرادة التنوين في (عمرة)[٣].

وقرأ الضحاك وأبو وجزة وأبو جعفر القارئ: (سُقاية الحاج) بضم السين (وعمرة)[٤].

فأما من قرأ: ﴿سِقَايَةَ ... وَعِمَارَةَ﴾ ففي الكلام عنده محذوف إما في أوله وإما في آخره[٥]، فإما أن يقدر: أجعلتم أهل سقاية، وإما أن يقدر: كفعلِ مَن آمن بالله.

وأما من قرأ: ﴿سُقاة... وعَمَرة﴾ فنمط قراءته مستوٍ.

وأما قراءة الضحاك فجمع ساقٍ إلا أنه ضُمَّ أولُه كما قالوا: عِرْف وعُراف وظِئر وظُؤار، وكان قياسه أن يقال: سُقاء، وإن أُنث كما أنث من الجموع حجارة وغيره،

---

(١) في الأسدية: «ولا يخشى».

(٢) انظر عزو الأولى لأبي جعفر في النشر (٢/ ٢٧٨) حيث قال: انفرد بها الشطوي عن ابن هارون في رواية ابن وردان،.. وهي رواية ميمونة والقورسي عن أبي جعفر، وأحمد بن جبير الأنطاكي عن ابن جماز، وعزاها له وللباقين في المحتسب (١/ ٢٨٥).

(٣) وهي شاذة عزاها له في مختصر الشواذ (ص: ٥٦).

(٤) انظر عزوها للضحاك في الشواذ للكرماني (ص: ٢١١)، وليست في طرق النشر، وفي الأسدية: «أبو وفرة»، بدل «وجزة».

(٥) في جار الله: «إما في أوله بتقدير أجعلتم أهل سقاية...».

[فكان القياس سقية[١] من أول مرة[٢] على التأنيث، قاله ابن جني][٣].

وسِقايَةُ الْحاجِّ كانت في بني هاشم، وكان العباس يتولاها، قال الحسن: ولما نزلت هذه الآية قال العباس: ما أراني إلا أترك السقاية، فقال النبي ﷺ: «أقيموا عليها فإنها لكم خير»[٤].

و(عِمارَةُ الْمَسْجِدِ) [قيل: هي حفظه من الظلم فيه ويقول هُجْرا، وكان ذلك إلى العباس، وقيل][٥]: هي السِّدانة خدمةُ البيت خاصةً، وكانت في بني عبد الدار، [وكان يتولاها عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عبد الدار][٦]، وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة المذكور، هذان هما اللذان دفع إليهما رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة في ثاني يوم الفتح بعد أن طلبه العباس وعلي رضي الله عنهما، وقال ﷺ لعثمان وشيبة: «يوم وفاء وبر، خذوها خالدة تالدة لا ينازعكموها إلا ظالم»[٧].

قال القاضي أبو محمد: يعني السدانة، واختلف الناس في سبب نزول هذه الآية فقيل: إن كفار قريش قالوا لليهود: إنَّا نسقي الحجيج ونعمر البيت، أفنحن أفضل أم

---

(١) في التركية ونجيبويه وجار الله ونور العثمانية: «سقاية».

(٢) في التركية والأسدية وجار الله ونور العثمانية: «أمره».

(٣) المحتسب (١/ ٢٨٦)، وما بين المعكوفتين ساقط من المطبوع، وكذا من أحمد٣ من قوله: «وقراءة الضحاك».

(٤) مرسل، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ١٧١) من طريق عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن عمرو، عن الحسن قال: نزلت في علي، وعباس، وعثمان، وشيبة، تكلموا في ذلك...، وعمرو هو ابن دينار، والحسن هو ابن محمد بن على بن أبي طالب، وهذا مرسل.

(٥) ساقط من التركية، في نجيبويه: «أيقول عجرا»، بدل «هجرا».

(٦) ساقط من الأسدية، والمعروف أنه عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، انظر: نسب قريش (١ / ٨٠).

(٧) هذا الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ١٥٥) من حديث عبد الله بن المؤمل عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس مرفوعاً، وابن المؤمل ضعيف، وأورده ابن عدي في ترجمته من الكامل (٤/ ١٣٧).

محمد (ﷺ) ودينه؟ فقالت لهم أحبار اليهود: بل أنتم، فنزلت الآية في ذلك.

وقيل: إن الكفار افتخروا بهذه الأشياء فنزلت الآية في ذلك(١).

وأسند الطبري إلى النعمان بن بشير(٢) أنه قال: كنت عند منبر النبي ﷺ في نفر من أصحابه، فقال أحدهم: ما أتمنى بعد الإسلام إلا أن أكون ساقي الحاج، وقال الآخر: إلا أن أكون خادم البيت وعامره، وقال الثالث: إلا أن أكون مجاهداً في سبيل الله، فسمعهم عمر بن الخطاب فقال: اسكتوا حتى أدخل على النبي ﷺ فأستفتيه، فدخل عليه فاستفتاه فنزلت الآية في ذلك(٣).

وقال ابن عباس والضحاك: إن المسلمين عيروا أسرى بدر بالكفر، فقال العباس: بل نحن سقاة الحاج وعمرة البيت، فنزلت الآية في ذلك(٤).

وقال مجاهد: أمروا بالهجرة فقال العباس: أنا أسقي الحاج، وقال عثمان بن طلحة: أنا حاجب للكعبة فلا نهاجر، فنزلت: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾(٥)، وقال مجاهد: وهذا كله قبل فتح مكة(٦)، وقال محمد / بن [٢/ ٢٢٩]
كعب: إن العباس وعلياً وعثمان بن طلحة تفاخروا، فقال العباس: أنا ساقي الحاج، وقال عثمان: أنا عامر البيت ولو شئت بتُّ فيه، وقال علي: أنا صاحب جهاد الكفار مع النبي ﷺ، والذي آمنت وهاجرت قديماً، فنزلت الآية في ذلك(٧).

---

(١) قاله بنحوه: قتادة، أخرجه الطبري (٨/ ٤٧٠) عنه قال: «ذكر لنا».

(٢) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجيّ، مشهور. له ولأبيه صحبة، كان أوّل مولود في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة بأربعة عشر شهراً، استعمله معاوية على الكوفة، ثم نقله معاوية إلى حمص، ولما مات معاوية بن يزيد، دعا إلى ابن الزّبير ثم دعا إلى نفسه، فواقعه مروان بن الحكم بعد أن واقع الضّحاك بن قيس، فقتل النّعمان، وذلك في سنة (٦٥هـ). الإصابة (٦/ ٣٤٦)

(٣) صحيح، هذا الحديث أخرجه مسلم (١٨٧٩)، وانظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٧٠).

(٤) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ١٧٠) من طريقين ضعيفين عن ابن عباس.

(٥) تفسير الطبري (١٤/ ١٧٦).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٧٦)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٢٤٤).

(٧) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ١٧١) من طريق ابن وهب قال، أخبرتُ عن أبي صخر =

قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

لما حكم الله تعالى في الآية المتقدمة بأن الصنفين لا يستوون، بَيَّن ذلك في هذه الآية الأخيرة وأوضحه، فعدَّد الإيمان والهجرة والجهاد بالمال والنفس، وحكَمَ أن أهل هذه الخصال أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ الله من جميع الخلق، ثم حكم لهم بالفوز برحمته ورضوانه، و«الفوز»: بلوغ البغية إما في نيل رغبته أو نجاة من مهلكة، ويَنظر إلى معنى هذه الآية الحديث الذي جاء: «دعوا لي أصحابي، فلو أن أحدَكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلَغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفه»(1).

قال القاضي أبو محمد: لأن أصحاب هذه الخصال على سيوفهم انبنى الإسلام، وهم رَدوا الناس إلى الشرع.

وقوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم﴾ الآية، هذه آية وعد، وقراءة الناس: [﴿يُبَشِّرُهُمْ﴾ بضم الياء وكسر الشين المشددة، وقرأ الأعمش وطلحة بن مصرِّف وحميد بن هلال](2): ﴿يَبْشُرهم﴾ بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين خفيفة(3).

= قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: افتخر طلحة... ولم يذكر ابن وهب من أخبره، ولا ذُكر سماع محمد بن كعب القرظي للخبر.

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤٠) بلفظ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم...» بمثله.

(2) ساقط من التركية، وهو حميد بن هلال العدوي عدي تميم، بصري نبيل، روى عن عبد الله بن مغفل، وأنس بن مالك، وعنه أيوب، وشعبة، وجرير بن حازم، ما كان بالبصرة أحد أجل منه، وموته قريب من موت قتادة. تاريخ الإسلام (٧/ ٣٥١).

(3) «خفيفة» ليست في نجيبويه، والقراءتان سبعيتان، والثانية لحمزة والكسائي على قاعدتهما، كما تقدم في =

وأسند الطبري إلى جابر بن عبد الله أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله عز وجل: أعطيتكم أفضل من هذا[١]، فيقولون: ربنا أيُّ شيء أفضلُ من هذا؟ قال: رضواني»[٢]، وفي البخاري في كتاب السنة منه: «فلا أسخط عليكم أبدا»[٣].

وقرأ الجمهور: ﴿وَرِضْوَٰنٍ﴾ بكسر الراء، وقرأ عاصم وعمرو: ﴿ورُضوان﴾ بضم الراء[٤]، وقرأ الأعمش بضم الراء والضاد جميعاً، قال أبو حاتم: لا يجوز هذا.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ﴾ الآية، ظاهر هذه المخاطبة أنها لجميع المؤمنين كافة، وهي باقية الحكم إلى يوم القيامة، وروت فرقة أن هذه الآية إنما نزلت في الحض على الهجرة ورفض بلاد الكفر، فالمخاطبة على هذا هي للمؤمنين الذين كانوا في مكة وغيرها من بلاد العرب، خوطبوا بأنْ لا يوالوا الآباء والإخوة فيكونون لهم تبعاً في سكنى بلاد الكفر.

ولم يذكر الأبناء في هذه الآية إذ الأغلب من البشر أن الأبناء هم التبع للآباء، و«إخوان» في هذه الآية جمع أخ النسب، وكذلك هو في قوله تعالى: ﴿أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ﴾ [النور: ٦١].

وقرأ عيسى بن عمر: (أَن استحبوا) بفتح الألف من (أنْ)[٥]، وقرأ الجمهور: ﴿إِنِ﴾ بكسر الألف على الشرط.

= آل عمران، انظر: التيسير (ص: ٨٧)، فما ذكر هنا إبعاد للنجعة، وقد تابعه عليه في البحر المحيط (٥/ ٣٩٠)، وما هناك تخليط.

(١) في نجيبويه وجار الله زيادة: «كله».

(٢) رواه الطبري موقوفاً على جابر (١٤/ ١٧٦)، وروي مرفوعاً، ويغني عنه ما أخرجه الشيخان بنحوه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٦٥٤٩) (٧٥١٨) ومسلم (٢٨٢٩).

(٤) تقدم أن ضم الراء رواية شعبة في كل القرآن عدا الحرف الثاني من المائدة، انظر: التيسير (ص: ٨٦)، وتقدم أيضاً أن قراءة الأعمش بضم الضاد شاذة.

(٥) وهي شاذة، عزاها له وهو الهمداني ولعبيد بن عمير الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢١١).

و﴿ ٱسْتَحَبُّواْ ﴾ متضمَّنة معنى: فضلوا وآثروا، ولذلك تعدت بـ﴿ عَلَى ﴾، ثم حكم الله عز وجل بأن من والاهم واتبعهم في أغراضهم فإنه ظالم، أي: واضع للشيء غير موضعه، وهذا ظلم المعصية لا ظلم الكفر.

قوله عز وجل: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

هذه الآية تقوِّي مذهب من رأى أن هذه والتي قبلها إنما مقصودها الحض على الهجرة.

وفي ضمن قوله: ﴿فَتَرَبَّصُواْ ﴾ وعيد بيِّن.

وقوله: ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ قال الحسن: الإشارة إلى عذاب أو عقوبة من الله، وقال مجاهد: الإشارة إلى فتح مكة[(١)]، والمعنى: فإذا جاء الله بأمره فلم تسلبوا ما يكون لكم أجرا ومكانة في الإسلام.

قال القاضي أبو محمد: وذُكر الأبناء في هذه الآية لَمَّا جَلبت ذكرَهم المحبة، والأبناء صَدْرٌ في المحبة، وليسوا كذلك في أنْ [يتبعهم آباؤهم في آرائهم][(٢)] كما في الآية المتقدمة.

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾.

وقرأ عاصم وحده بخلاف عنه وأبو رجاء وأبو عبد الرحمن وعصمة: ﴿وعشيرَاتُكم﴾[(٣)].

---

(١) انظر قول مجاهد في تفسير الطبري (١٤/ ١٧٨)، والقولين في تفسير الماوردي (٢/ ٣٤٩).

(٢) في الأصل ونجيبويه ونور العثمانية وجار الله: تتبع آراؤهم، وفي التركية وأحمد٣: تتبعهم آباؤهم.

(٣) وهي سبعية من رواية شعبة كما في التيسير (ص: ١١٨)، وغير حفص كما في جامع البيان (٣/ ١١٥٠)، عزاها لأبي رجاء في تفسير الثعلبي (٥/ ٢١)، وللسلمي في الدر المصون (٦/ ٣٤).

وحَسُن هذا الجمع إذ لكل أحد عشيرة [تختص به، ويحسِّن الإفراد أن أبا الحسن الأخفش قال: إنما تجمع العرب عشائر](١)، ولا تكاد تقول: عشيرات(٢).

و﴿ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا﴾: معناه: اكتسبتموها، وأصل الاقتراف والمقارفة: مقارَبة الشيء.

﴿وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا﴾ بيِّن في أنواع المال، وقال ابن المبارك: الإشارة إلى البنات اللواتي لا يتزوجن ولا يوجد لهن خاطب(٣).

و(مساكن) جمع مسكن بفتح الكاف مَفعل من السكنى، وما كان من هذا معتلَّ الفاء فإنما يأتي على مِفعل بكسر العين كموعد وموطن، والمساكن: القصور والدور.

و﴿أَحَبَّ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾، وكان الحجاج بن يوسف يقرؤها: (أحبُّ) بالرفع، وله في ذلك خبر مع يحيى بن يَعْمَرَ، سأله الحجاج: هل تسمعني ألحن؟ قال: نعم، في هذا الحرف، وذكر له رفع (أحب) فنفاه(٤).

قال القاضي أبو محمد: وذلك خارج في العربية على أن يضمر في «كَانَ» الأمر والشأن، ولم يقرأ بذلك.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ عموم لفظ يراد به الخصوص فيمن يوافي على فسقه، أو عموم مطلق على أنه لا هداية من حيث الفسق.

قوله عز وجل: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ۝٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ

---

(١) ساقط من التركية.
(٢) تفسير البغوي (٢/ ٣٢٨)، وزاد المسير (٢/ ٢٤٥).
(٣) تفسير السمعاني (٢/ ٢٩٨).
(٤) انظر القراءة في الشواذ للكرماني (ص: ٢١١)، والقصة في طبقات فحول الشعراء (١/ ١٣)، وتاريخ دمشق (١٢/ ١٥١).

جُنُودًا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾﴾.

هذه مخاطبة لجميع المؤمنين يعدِّد الله نعمه عليهم.

و﴿مَوَاطِنَ﴾ جمع موطِن بكسر الطاء، و«الموطن»: موضع الإقامة أو الحلول؛ لأنه أول الإقامة، والمواطن المشار إليها: بدر والخندق والنضير وقريظة، ولم يصرِف ﴿مَوَاطِنَ﴾ / لأنه جمع، ونهايةُ جمع[1]. [٢/ ٢٣٠]

و(يوم): عطفٌ على موضع قوله: ﴿فِي مَوَاطِنَ﴾، أو على لفظِهِ بتقدير: وفي يوم، فانحذف حرف الخفض، و﴿حُنَيۡنٍ﴾: واد بين مكة والطائف قريبٌ من ذي المَجاز، [وصرف حين][2] أريد به الموضع والمكان، ولو أريد به البقعة لم يصرف، كما قال الشاعر:

[الكامل] نصروا نبيَّهمُ وشَدُّوا أَزْرَهُ ... بِحُنَيْنَ يوم تواكُلِ الأبْطَالِ[3]

وقوله: ﴿إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ﴾ روي أن رسول الله ﷺ قال حين رأى جملته اثني عشر ألفاً قال: «لن نُغلب اليوم من قلة»، وروي أن رجلاً من أصحابه قالها[4]،

(١) «جمع»: ساقطة من الأسدية.

(٢) في نجيبويه: «وصرف حنين لأنه».

(٣) البيت لحسان كما في معجم ما استعجم (٢/ ٤٧٢)، والإنصاف لابن الأنباري (٢/ ٤٠٤).

(٤) لا يصح، لم أجد هذا القول منسوباً للنبي ﷺ إلا هكذا، والمنقول في هذا أنه من قول بعض المسلمين، ومع ذلك لا يثبت، أخرجه البيهقي في دلائل النبوة من رواية الربيع بن أنس مرسلاً: أن رجلا قال يوم حنين: لن نغلب اليوم من قلة، فشق ذلك على رسول الله، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ﴾، ورواه البزار (١٣/ ١٢٨) من طريق علي بن عاصم، حدثنا سليمان التيمي، عن أنس، قال: قال غلام منا من الأنصار يوم حنين: لن نهزم اليوم من قلة، فما هو إلا أن لقينا عدونا فانهزم القوم، قال البزار: وهذا الحديث لا نعلم أحداً رواه بهذا اللفظ إلا سليمان التيمي، عن أنس، ولا نعلم رواه عن سليمان إلا علي بن عاصم. اهـ. وعلي بن عاصم بن صهيب ضعيف، وروى الطبري (١٤/ ١٨١) من طريق: أحمد بن المفضل قال: حدثنا أسباط، عن السدي: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ﴾ الآية: أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين قال: يا رسول الله، لن نغلب اليوم من قلة... وهذا مرسل.

فأراد الله إظهار العجز، فظهر حين فر الناس، ثم عطف القَدَر بنصره.

وقوله: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: بقَدْرِ ما هي رحبة واسعة لشدة الحال وصعوبتها، فـ(ما) مصدرية.

وقوله: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ يريد فرار الناس عن النبي ﷺ.

قال القاضي أبو محمد: واختصار هذه القصة: أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة وكان في عشرة آلاف من أصحابه، وانضاف إليه ألفان من الطلقاء فصار في اثني عشر ألفاً، سمع بذلك كفار العرب فشق عليهم، فجمعت له هَوازنُ وألفافُها وعليهم مالك ابن عوف النَّصْري[١]، وثَقيفٌ وعليهم عبد ياليل بن عمر[٢]، وانضاف إليهم أخلاط من الناس حتى كانوا ثلاثين ألفاً، فخرج إليهم رسول الله ﷺ حتى اجتمعوا بحنين، فلما تصافَّ الناس حمل المشركون من مجاني الوادي، فانهزم المسلمون.

قال قتادة: ويقال: إن الطلقاء من أهل مكة فروا وقصدوا إلقاء الهزيمة في المسلمين[٣].

وكان رسول الله ﷺ على بغلة شهباء[٤]، وقال أبو عبد الرحمن الفهري[٥]: كنت مع النبي ﷺ يومئذ، وكان على فرس قد اكتنفه العباسُ عمه، وابنُ عمه أبو سفيان بن الحارث بن

---

(١) تحرفت في أحمد٣ إلى: «النضري»، وفي الأسدية إلى: «النظري».

(٢) هو عبد ياليِل بن عمرو بن عُمير بن عوف الثقفي كان أبوه عظيم القريتين، وسيد ثقيف، يكنى أبا مسعود، وهو أبو كنانة وحبيب وعمرو، وعمُّ عروة، انظر خبره في الجوهرة في نسب النبي ﷺ (١/ ٤١٠)، وأنساب الأشراف للبلاذري (١٣/ ٤٤٠).

(٣) «في المسلمين»: ساقطة من الأسدية.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٨٠).

(٥) هو يزيد بن أنيس بن عبد الله الفهري القرشي المحاربي، أبو عبد الرحمن، مشهور بكنيته، وقيل: اسمه عبد. وقيل: كردوس. وقيل: الحارث، صحابي شهد فتح مصر، واختط بها، وله بها عقب، ولا رواية له بمصر، وروى عنه أبو همام. الإصابة (٦/ ٥٠٨).

عبد المطلب، وبين يديه أيمن بن أم أيمن[١]، وثَمَّ قتل رحمه الله[٢]، فلما رأى رسول الله ﷺ شدة الحال نزل عن بغلته إلى الأرض، قاله البراء بن عازب[٣]، واستنصر الله عز وجل، فأخذ قبضة من تراب وحصىً، فرمى بها وجوه الكفار، وقال: «شاهت الوجوه»[٤].

وقال أبو عبد الرحمن: تطاول من فرسه فأخذ قبضة التراب ونزلت الملائكة لنصره، ونادى رسول الله ﷺ: يا للأنصار، وأمر رسول الله ﷺ العباس[٥] أن ينادي: أين أصحاب الشجرة؟ أين أصحاب سورة البقرة؟ ، فرجع الناس عُنُقاً واحداً وانهزم المشركون[٦].

قال يعلى بن عطاء[٧]: فحدثني أبناؤهم عن آبائهم قالوا: لم يبق منا أحد إلا دخل في عينيه من ذلك التراب[٨]، واستيعاب هذه القصة في كتاب السير.

وظاهر كلام النحاس أن رسول الله ﷺ كان في أربعة عشر ألفاً[٩]، وهذا غلط.

و﴿مُّدۡبِرِينَ﴾ نصب على الحال المؤكِّدة، كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا﴾ [البقرة: ٩١]، والمؤكِّدة: هي التي يدل ما قبلها عليها كدلالة التولي على الأدبار.

---

(١) هو أيمن بن عبيد بن زيد بن عمرو الخزرجي، وقيل: الحبشي، أخو أسامة بن زيد لأمّه، استشهد يوم حنين: الإصابة (١/ ٣١٦).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٤٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٣٠) ومسلم (١٧٧٦).

(٤) صحيح، هذا الحديث أخرجه مسلم (١٧٧٧).

(٥) كلمة «العباس»: ساقطة من الأسدية.

(٦) صحيح، هذا الحديث أخرجه النسائي (٥/ ١٩٤، ١٩٧) من طريق الزهري عن كثير بن العباس بن عبد المطلب، عن أبيه. وأخرجه مسلم (١٧٧٥) بلفظ: «أين أصحاب السمرة».

(٧) هو يعلى بن عطاء العامري الطائفي نزيل واسط، روى عن: أبيه، ووكيع بن عدس، وعمارة بن حديد، وعمرو بن الشريد، وجماعة، وعنه: شعبة، وحماد بن سلمة، وشريك، وأبو عوانة، وهشيم، وثقه أحمد، توفي سنة (١٢٠هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٥٠٧).

(٨) تفسير الثعلبي (٥/ ٢٣)، وانظر القصة كاملة في سيرة ابن هشام (١/ ٦٢٨).

(٩) معاني القرآن للنحاس (٣/ ١٩٤).

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ ﴾ الآية: ﴿ ثُمَّ ﴾ هاهنا على بابها من الترتيب، و«السكينة»: النصر الذي سكنت إليه ومعه النفوس والحال، والإشارة بالمؤمنين إلى الأنصار على ما روي، وذلك أن رسول الله ﷺ نادى في ذلك اليوم: «يا معشر الأنصار»، فانصرفوا[١] وهم رَدُّوا الهزيمة، والجنود: الملائكة، والرعب: قال أبو حاجر يزيد بن عامر[٢]: كان في أجوافنا مثلُ ضربة الحجر في الطَّسْت من الرعب[٣].

و«عذاب الذين كفروا»: هو القتل الذي استحرَّ فيهم، والأسرُ الذي تمكن في ذراريهم، وكان مالك بن عوف النَّصْري قد أخرج الناس بالعيال والذراري ليقاتلوا عليها، فخطأه في ذلك دريد بن الصمة، وقال لمالك بن عوف: راعي ضأن، وهل يردُّ المنهزم شيء؟[٤].

وفي ذلك اليوم قتل دريد بن الصمة القِتْلَةَ المشهورة، قتله ربيعة بن رفيع بن أهبان السلمي، ويقال: ابن الدَّغِنَّة[٥].

وقوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ إعلامٌ بأن من أسلم وتاب من الكفار الذين نجوا ذلك اليوم فإنهم مقبولون مسلمون موعودون بالغفران والرحمة.

قوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾.

---

(١) أي: عادوا وكروا على جيش المشركين.

(٢) هو يزيد بن عامر بن الأسود بن حبيب بن سواءة بن عامر بن صعصعة، أبو حاجر السّوائي، له صحبة، روى عن النبيِّ ﷺ في الصَّلاة، وكان شهد حنيناً مع المشركين ثم أسلم، الإصابة (٦/ ٥٢٣).

(٣) روى نحوه عبد بن حميد في مسنده (٤٣٩) والبخاري في التاريخ الكبير (٨/ ٣١٦) من طريق سعيد بن السائب الطائفي، قال: حدثنا أبي السائب بن يسار، قال: سمعت يزيد بن عامر السوائي به، والسائب ترجمه البخاري (٤/ ١٥٥) بهذه الرواية، ولم أر من وثقه.

(٤) انظر القصة كاملة في شأن غزوة حنين في سيرة ابن هشام (٢/ ٤٣٧)، و«راعي ضأن»: ساقط من التركية.

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٤٥٢)، وفي الأصل: «الدغية»، وهو خطأ، وهو ربيعة بن رفيع بن ثعلبة ابن ضبيعة السلميّ، كان يقال له: ابن الدغنّة، وهي أمُّه، وهو الذي قتل دريد بن الصمة في غزوة حنين. الإصابة (٢/ ٣٨٦).

قال قتادة ومعمر بن راشد وغيرهما: صفة المشرك بالنجس إنما كانت لأنه جُنُب، إذ غُسله من الجنابة ليس بغسلٍ(١)، وقال ابن عباس وغيره: بل معنى الشرك هو الذي نجَّسه كنجاسة الخمر(٢)، قال الحسن البصري: مَن صافح مشركاً فليتوضأ(٣).

قال القاضي أبو محمد: فمن قال: بسبب الجنابة، أوجب الغسل على مَن يُسلم من المشركين، ومَن قال بالقول الآخر لم يوجب الغسل(٤)، والمذهب كله على القول بإيجاب الغسل إلا ابن عبد الحكم فإنه قال: ليس بواجب(٥).

وقرأ أبو حيوة: (نِجْس) بكسر النون وسكون الجيم(٦).

ونص الله تعالى في هذه الآية على المشركين وعلى المسجد الحرام، فقاس مالك رحمه الله وغيره جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم على المشركين، وقاس سائرَ المساجد على المسجد الحرام، ومنع من دخول الجميع في جميع المساجد، وكذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله، ونزع في كتابه بهذه الآية(٧)، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ [النور: ٣٦].

وقال الشافعي: هي عامةٌ في الكفار خاصةٌ في المسجد الحرام، فأباح دخول اليهود

---

(١) انظر قول قتادة ومعمر في تفسير الطبري (١٤/ ١٩١)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢٧).

(٢) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٧٧٥) من طريق بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ قال: النجس: الكلب والخنزير. وهذا الإسناد واهٍ. قال الطبري (١٤/ ١٩١): وقال آخرون: معنى ذلك: ما المشركون إلا رجس خنزير أو كلب، وهذا قول روي عن ابن عباس من وجه غير حميد، فكرهنا ذكره.

(٣) انظر قول الحسن في مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٢٤٧)، في المصافحة عند السلام من رخص فيها.

(٤) للتوسع في أقوال العلماء في المسألة انظر: المغني (١/ ١٣٢).

(٥) انظر مذهب مالك في الكافي (١/ ١٥٢)، وانظر قول ابن عبد الحكم في تفسير القرطبي (٨/ ١٠٣).

(٦) وهي شاذة ذكرها في البحر المحيط (٥/ ٣٩٨)، وعزاها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢١١) للحسن بن عمران.

(٧) انظر ما عزاه لمالك وقول عمر بن عبد العزيز في المسألة في شرح البخاري لابن بطال (٢/ ١١٧).

والنصارى والوثنيين في سائر المساجد[١]، ومن حجته حديث ربط ثُمامة بن أُثال[٢].

وقال أبو حنيفة: هي خاصةٌ في عبدة الأوثان وفي المسجد الحرام، فأباح دخول اليهود والنصارى في المسجد الحرام وغيره، ودخول عبدة الأوثان في سائر المساجد[٣].

[٢/ ٢٣١] وقال عطاء: وصفُ المسجد بالحرام ومنع القرب منهم / يقتضي منعهم من جميع الحرم[٤].

قال القاضي أبو محمد: وقوة قوله: ﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ﴾ يقتضي أمر المسلمين بمنعهم، وقال جابر بن عبد الله وقتادة: لا يقرب المسجدَ الحرام مشركٌ إلا أن يكون صاحبَ جزية أو عبداً لمسلم[٥]، وعبدة الأوثان مشركون بإجماع[٦]، واختلف في أهل الكتاب: فمذهب عبد الله بن عمر وغيره أنهم مشركون، وقال جمهور أهل العلم: ليسوا بمشركين[٧]، وفائدة هذا الخلاف تتبين في فقه مناكحهم وذبائحهم وغير ذلك.

وقوله: ﴿بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَا﴾ يريد: بعد عام تسع من الهجرة، وهو عام حجَّ أبُو بكر بالناس وأذَّن عليٌّ بسورة براءة.

وأما قوله: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ﴾ قال عمرو بن فائد: المعنى: وإذ خفتم[٨].

قال القاضي أبو محمد: وهذه عُجمة، والمعنى بارع بـ(إن).

---

(١) انظر ما عزاه للشافعي من قول واحتجاج في الحاوي للماوردي (٢/ ٢٦٩).
(٢) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٤٦٢) (٤٦٩) (٢٤٢٢) ومسلم (١٧٦٤) من حديث أبي هريرة.
(٣) أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٢٧٩).
(٤) تفسير الطبري (١٤/ ١٩١).
(٥) انظر ما عزاه لجابر وقتادة في الحاوي للماوردي (١٤/ ٣٣٤).
(٦) انظر الإجماع على ذلك في الإقناع (٣/ ١٠٧٣).
(٧) انظر قول ابن عمر والجمهور في الاستذكار (٥/ ٤٧٦).
(٨) تفسير الطبري (١٤/ ١٩٣).

وكان المسلمون لما مَنَع المشركون من الموسم، وهم كانوا يجلبون الأطعمة والتجارات، قذف الشيطان في نفوسهم الخوف من الفقر، وقالوا: من أين نعيش؟ فوعدهم الله بأن يغنيهم من فضله، قال الضحاك: ففتح عليهم باب أخذ الجزية من أهل الذمة، بقوله: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾[1].

وقال عكرمة: أغناهم بإدرار المطر عليهم[2].

قال القاضي أبو محمد: وأسلمت العرب فتمادى حجهم وتَجْرهم، وأغنى الله من فضله بالجهاد والظهور على الأمم.

و«العيلة»: الفقر، يقال: عال الرجل يعيل عيلة: إذا افتقر، قال الشاعر:

وَمَـا يَـدْرِي الفَقِيـرُ مَتَـى غِنَـاهُ ... وَمَا يَـدْرِي الغَنِـيُّ مَتَـى يَعِيلُ[3] [الوافر]

وقرأ علقمة وغيره من أصحاب ابن مسعود: (عَائِلَة)[4]، وهو مصدر كالقائلة من قال يَقيل، وكالعاقبة والعافية، ويحتمل أن تكون نعتاً لمحذوف تقديره: حالاً عائلة، وحكى الطبري أنه يقال: عال يعول، إذا افتقر[5].

قوله عز وجل: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

هذه الآية تضمنت قتال أهل الكتاب من اليهود والنصارى حتى يُقتلوا أو يؤدوا الجزية، قال مجاهد: وعند نزول هذه الآية أخذ رسول الله ﷺ في غزو الروم، ومشى

---

(١) تفسير الطبري (١٤/ ١٩٥)، وتفسير الثعبي (٥/ ٢٥)، بتصرف.
(٢) تفسير الطبري (١٤/ ١٩٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٧٧).
(٣) البيت لأحيحة بن الجلاح كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ٥١٧)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٩)، وحماسة الخالديين (ص: ٢٠).
(٤) وهي شاذة، نقلها عنه النحاس في معاني القرآن (٣/ ١٩٦) عن مصحف ابن مسعود.
(٥) تفسير الطبري (١٤/ ١٩٣).

نحو تبوك[١]، ومَن جعل أهل الكتاب مشركين فهذه الآية عنده ناسخة بما فيها من أخذ الجزية لقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥].

ونفى عنهم الإيمان بالله واليوم الآخر من حيث تركوا شرع الإسلام الذي يجب عليهم الدخولُ فيه، فصار جميع ما لهم في البعث وفي الله عز وجل من تخيلات واعتقادات لا معنى لها، إذ تلقوها من غير طريقها، وأيضاً فلم تكن اعتقاداتهم مستقيمةً لأنهم تشعبوا وقالوا: عزيرٌ ابن الله، والله ثالث ثلاثة، وغير ذلك، ولهم أيضاً في البعث آراء كشراء منازل الجنة من الرهبان، وقول اليهود في النار: نكون فيها أياماً بعد[٢]، ونحو ذلك.

وأما قوله: ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ فبيِّن، ونصٌّ على مخالفتهم لمحمد ﷺ.

وأما قوله: ﴿وَلَا يَدِينُونَ﴾ فمعناه: ولا يطيعون ويمتثلون، ومنه قول عائشة: ما عقلت أبوي إلا وهما يدينان الدِّين[٣]، والدينُ في اللغة لفظة مشتركة، وهي هاهنا الشريعة، وهي مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وأما قوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فنص في بني إسرائيل وفي الروم، وأجمع الناس على ذلك[٤]، وأما المجوس فقال ابن المنذر: لا أعلم خلافاً في أن الجزية تؤخذ منهم[٥].

قال القاضي أبو محمد: وروي أن رسول الله ﷺ قال: «سُنُّوا بهم سنة أهل الكتاب»[٦]، فقال كثير من العلماء: معنى ذلك في أخذ الجزية منهم، وليسوا أهل

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٢٠٠)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢٨).
(٢) في نجيبويه: «تعد»، وفي نور العثمانية: «معدودات»، وفي المطبوع وأحمد٣: «بعدد»، وكلها صواب.
(٣) صحيح، هذا الحديث أخرجه البخاري (٤٧٦) (٢٢٩٧) (٣٩٠٥) (٦٠٧٩).
(٤) انظر الإجماع على أخذ الجزية ممن ذكرهم المؤلف في الإقناع (٣/ ١٠٧١).
(٥) انظر قول ابن المنذر في الإجماع (١/ ٦٢).
(٦) منقطع ومعناه صحيح، أخرجه مالك في الموطأ (٩٦٨) قال: عن جعفر بن محمد بن علي، عن أبيه، أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال: ما أدري كيف أصنع في أمرهم. فقال عبد الرحمن بن عوف: =

الكتاب[١]، فعلى هذا لم يتعدَّ التشبيه إلى ذبائحهم ومناكحهم، وهذا هو الذي ذكره ابن حبيب في «الواضحة»[٢]، وقال بعض العلماء: معناه: سنوا بهم سنة أهل الكتاب إذ هم أهل كتاب، فعلى هذا يتجه التشبيه في ذبائحهم وغيرها، والأول هو قول مالك وجمهور أصحابه[٣]، وروي أنه قد كان بعث في المجوس نبي اسمه زرادشت[٤].

وأما مجوس العرب فقال ابن وهب: لا تقبل منهم جزية، ولا بد من القتال أو الإسلام، وقال سَحْنون وابن القاسم وأشهب: تؤخذ الجزية من مجوس العرب والأمم كلها[٥].

وأما عبدة الأوثان من العرب فلم يستثن الله فيهم جزية، ولا بقي منهم على الأرض بشر، قال ابن حبيب: وإنما لهم القتال أو الإسلام، وهو قول أبي حنيفة[٦].

قال القاضي أبو محمد: ويوجد لابن القاسم أن الجزية تؤخذ منهم، وذلك أيضاً في «التفريع» لابن الجلاب وهو احتمال لا نص[٧]، وأما أهل الكتاب من العرب فذهب

= أشهد لسمعت من رسول الله ﷺ يقول... قال ابن عبد البر في التمهيد (٢/ ١١٤): هذا حديث منقطع؛ لأن محمد بن علي لم يلق عمر ولا عبد الرحمن بن عوف، رواه أبو علي الحنفي عن مالك فقال فيه: عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده، وهو مع هذا أيضاً منقطع؛ لأن علي بن حسين لم يلق عمر ولا عبد الرحمن بن عوف، قال أبو الحسن علي بن عمر: لم يقل في هذا الإسناد عن جده ممن حدث به غير أبي علي الحنفي، وكان ثقة، وهو في الموطأ: جعفر عن أبيه أن عمر. قال أبو عمر: وهو مع هذا كله منقطع، ولكن معناه متصل من وجوه حسان. اهـ.

(١) قد نقل ابن عبد البر إجماع العلماء على هذا القول، انظر: التمهيد (٢/ ١١٦).

(٢) انظر ما عزاه لابن حبيب في: النوادر (٣/ ٣٥٥).

(٣) انظر ما عزاه لمالك وجمهور أصحابه في: الاستذكار (٣/ ٢٤٢).

(٤) تفسير القرطبي (٨/ ١١١).

(٥) انظر هذه الأقوال مجتمعة في: النوادر (٣/ ٤٣).

(٦) انظر قول ابن حبيب في: النوادر (٣/ ٣٥٥)، ومذهب أبي حنيفة في: مختصر اختلاف العلماء للطحاوي (٣/ ٤٨٤).

(٧) انظر: التفريع (١/ ٣٦٣)، وانظر ما نسبه لابن القاسم في: النوادر (٣/ ٤٣).

مالك رحمه الله إلى أن الجزية تؤخذ منهم[١]، وأشار إلى المنع من ذلك أبو حنيفة[٢].

وأما السامرة والصابئون فالجمهور على أنهم من اليهود والنصارى تؤخذ منهم الجزية وتؤكل ذبائحهم، وقالت فرقة: لا تؤكل ذبائحهم، وعلى هذا لا تؤخذ الجزية منهم، ومنع بعضهم الذبيحة مع إباحة أخذ الجزية منهم.

وأما عبدة الأوثان والنيران وغير ذلك فجمهور العلماء على قبول الجزية منهم، وهو قول مالك في «المدونة»[٣]، وقال الشافعي وأبو ثور: لا تؤخذ الجزية إلا من اليهود والنصارى والمجوس فقط[٤].

ومذهب مالك رحمه الله: أن الجزية لا تؤخذ إلا من الرجال البالغين الأحرار العقلاء، وهو قول الشافعي وأبي حنيفة، ولا تضرب على الصبيان والنساء والمجانين[٥]، ولا تضرب على رهبان الديارات والصوامع المنقطعين، قال مالك في «الواضحة»: وأما إن كانت قد ضربت عليهم ثم انقطعوا بعد ذلك فلا تسقط عنهم، وأما رهبان الكنائس فتضرب عليهم[٦]، واختلف في الشيخ الفاني، ومن راعى أن علتها / الإذلال أمضاها [٢/ ٢٣٢]
في الجميع.

وقال النقاش: العقوبات الشرعية تكون في الأموال والأبدان، فالجزية من عقوبات الأموال[٧].

(١) انظر ما نسبه لمالك في: التمهيد (٢/ ١١٨).
(٢) المعروف عنه هو القول بجواز أخذ الجزية من كتابيي العرب، كما في: أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٢٨٣).
(٣) المدونة (١/ ٤٩٦).
(٤) انظر قول الشافعي في: الحاوي للماوردي (١٤/ ١٥٢)، وانظر قول أبي ثور في: المهذب (٢/ ٤٤).
(٥) وهذا محل إجماع من العلماء، كما في المغني (٩/ ٢٧٠)، والإقناع (٣/ ١٠٧٩).
(٦) انظر قول مالك في النوادر (٣/ ٣٥٩).
(٧) قول النقاش هذا لم أقف على من ذكره غير المؤلف.

وأما قَدْرُها فذهب مالك رحمه الله وكثير من أهل العلم على ما فرضه عمر رضي الله عنه[١]، وذلك أربعة دنانير على أهل الذهب وأربعون درهماً على أهل الفضة، وفَرَضَ عمر رضي الله عنه ضيافة وأرزاقاً وكسوة، قال مالك في «الواضحة»: ويُحط ذلك عنهم اليوم لمَا حدث عليهم من اللوازم[٢]، فهذا أحد[٣] ما ذكر عن عمر، وبه أخذ مالك[٤]، قال سفيان الثوري: رُويت عن عمر ضرائب مختلفة[٥].

قال القاضي أبو محمد: وأظن ذلك بحسب اجتهاده رضي الله عنه في يُسرهم وعسرهم، وقال الشافعي وغيره: قدر الجزية دينار على الرأس[٦]، ودليل ذلك أمر رسول الله ﷺ معاذاً بذلك وأخذه جزية اليمن كذلك، أو قيمته مَعافِرَ، وهي ثياب[٧].

وقال كثير من أهل العلم: ليس لذلك في الشرع حدٌّ محدود، وإنما ذلك إلى اجتهاد الإمام في كل وقت وبحسب قوم قوم، وهذا كله في العنوة، وأما الصلح فهو ما صولحوا عليه من قليل أو كثير، واختلف في المذهب في العبد الذي يعتقه الذمي أو

---

(١) وهذا القدر مجمع على إجزائه في قدر الجزية، واختلف فيما دونه، انظر ذلك في: الإقناع (٣/ ١٠٧٥).

(٢) انظر قول مالك المنسوب للواضحة في: النوادر (٣/ ٣٥٨).

(٣) في جار الله ونور العثمانية: «آخر».

(٤) انظر قول مالك بموافقة عمر في: الاستذكار (٣/ ٢٤٥).

(٥) انظر قول الثوري في: الاستذكار (٣/ ٢٤٦).

(٦) انظر ما عزاه للشافعي في: الحاوي للماوردي (١٤/ ٦٦٢).

(٧) اختلف في اتصاله وانقطاعه، هذا الحديث أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٠)، والدارمي (١٦٣٠)، وأبو داود (١٥٧٧)، والترمذي (٦٢٣)، والنسائي (٥/ ٢٥)، وابن خزيمة (٢٢٦٧) من طريق: أبي وائل، وإبراهيم ـ مفرقين ـ عن مسروق عن معاذ به، ورواه أحمد (٥/ ٢٣٣) من طريق: أبي بكر ابن عياش، و(٥/ ٢٤٧) والدارمي (١٦٣١) (١٦٣٢) وأبو داود (١٥٧٦) و(٣٠٣٨) والنسائي (٥/ ٢٦) و(٥/ ٤٢) من طريق: عاصم، والأعمش ـ مفرقين ـ عن أبي وائل، عن معاذ، فذكره ليس فيه «مسروق»، وحكى الدارقطني الخلاف في العلل (٦/ ٦٦) وقال: «المحفوظ عن أبي وائل: عن مسروق، عن معاذ، و: عن إبراهيم مرسلاً». اهـ، وفي سماع مسروق من معاذ خلاف، والأكثر على عدم إثباته، يراجع البدر المنير لابن الملقن (٥/ ٤٢٩).

المسلم: هل تلزمه جزية أم لا؟ [١]، وقال ابن القاسم: لا ينقص أحد من أربعة دنانير كان فقيراً أو غنيّاً [٢]، وقال أصبغ: يُحط الفقير بقدر ما يرى من حاله [٣]، وقال ابن الماجشون: لا يؤخذ من الفقير شيء [٤].

و﴿ٱلْجِزْيَةَ﴾ وزنها فِعلة، من جزى يجزي: إذا كافى عن ما أسدي إليه، فكأنهم أعطوها جزاءَ ما منحوا من الأمن، وهي كالقِعْدة والجِلْسة، ومن هذا المعنى قول الشاعر:

[الكامل]
يَجْزِيـك أو يُثْنِـي عليـكَ وإنَّ مَـنْ ... أثْنى عليك بما فَعَلْتَ كَمَنْ جَزَى [٥]

وقوله تعالى: ﴿عَن يَدٍ﴾ يحتمل تأويلات:

منها: أن يريد سَوق الذِّمي لها بيده لا مع رسول، ليكون في ذلك إذلالٌ له.

ومنها: أن يريد: عن نعمة منكم قِبَلهم في قبولها منهم وتأمينهم، واليد في اللغة النعمة والصنع الجميل.

ومنها: أن يريد: عن قوة منكم عليهم وقهر [لا تبقى لهم معه راية ولا معقل] [٦]، واليد في كلام العرب: القوة، يقال: فلان ذو يد، ويقال: ليس لي بكذا وكذا يد، أي: قوة.

ومنها: أن يريد أن ينقدوها ولا يؤخِّروا بها، كما تقول: بعته يداً بيد.

---

(١) انظر الاختلاف في عتق الذمي للعبد في: الذخيرة للقرافي (٣/ ٤٥٢)، وانظر الاختلاف في عتق المسلم له في: النوادر (٣/ ٣٥٩).
(٢) انظر قول ابن القاسم في: تفسير القرطبي (٨/ ١١٢).
(٣) ما نسبه المؤلف لأصبغ لم أقف عليه.
(٤) انظر قول ابن الماجشون في: النوادر (٣/ ٣٥٩).
(٥) البيت لورقة بن نوفل كما في جمهرة نسب قريش (ص: ٤١٠)، وأنساب الأشراف (٩/ ٤٥٧)، وسمط اللآلي (١/ ٢٠٦)، ونسبه في الشعر والشعراء (١/ ٣٦٩)، والعقد الفريد (١/ ٢٣٥) لزهير بن جناب، وفي الأغاني (٣/ ١٠٨) الصحيح أنه لغريض اليهودي وهو السموأل بن عادياء أو لابنه سعية بن غريض، وقيل: إنه لزيد بن عمرو بن نفيل، وقيل: لورقة، وقيل: لزهير، وقيل: لعامر بن المجنون الجرمي.
(٦) ساقط من التركية.

ومنها: أن يريد: عن استسلام منهم وانقياد، على نحو قولهم: ألقى فلان بيده، إذا عجز واستسلم.

وقوله: ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ لفظ يعم وجوهاً لا تنحصر لكثرتها، ذُكر منها عن عكرمة: أن يكون قابضُها جالساً والدافع من أهل الذمة قائم[١]، وهذا ونحوه داع إلى صَغارهم.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠﴾.

الذي كثر في كتب أهل العلم أن فرقة من اليهود تقول هذه المقالة، وروي أنه لم يقلها إلا فنحاص، وقال ابن عباس: قالها أربعة من أحبارهم: سلام بن مِشْكم، ونعمان ابن أَوْفَى[٢]، وشاس بن قيس، ومالك بن الصَّيف[٣].

وقال النقاش: لم يبق يهودي يقولها بل انقرضوا[٤].

قال القاضي أبو محمد: فإذا قالها واحد فيتوجه أن يَلزم الجماعةَ شنعةُ المقالة لأجل نباهة القائل فيهم، وأقوال النبهاء أبداً مشهورة في الناس يُحتج بها، فمن هنا صح أن تقول الجماعة قول نبيها[٥].

---

(١) تفسير الطبري (١٤/ ٢٠٠)، وتفسير الماوردي (٢/ ٣٥١)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٣٠).
(٢) في نجيبويه: «أويس»، وهو نعمان بن أوفى بن عمرو من بني قينقاع، وكان ممن تعوذ بالإسلام، ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق، من أحبار يهود. سيرة ابن هشام (١/ ٥٢٧).
(٣) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ٢٠٢) من طريق: محمد بن إسحاق قال، حدثني محمد ابن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال، حدثني سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس، وهو إسناد لا تقوم به حجة وقد مر الكلام عليه مراراً.
(٤) البحر المحيط (٥/ ٤٠٢).
(٥) تحرفت في المطبوع إلى: «نبيها».

وقرأ عاصم والكسائي: ﴿عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ بتنوين ﴿عُزَيۡرٌ﴾، [والمعنى أن ابناً على هذا خبر ابتداء عن ﴿عُزَيۡرٌ﴾][١]، وهذا هو أصح المذاهب لأن هذا هو المعنى المنعيّ[٢] عليهم، و«عُزَيْرٌ» ونحوه ينصرف عجميّاً كان أو عربيّاً.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر: ﴿عزيرُ[٣] ابن الله﴾ دون تنوين ﴿عزير﴾، فقال بعضهم: ﴿ابن﴾ خبر عن ﴿عزيرُ﴾، وإنما حذف التنوين من ﴿عزيرُ﴾ لاجتماع الساكنين، ونحوه قراءة من قرأ: (أَحَدُ الله الصَّمَدُ)[٤]، قال أبو علي: «وهو كثير في الشعر»[٥]، وأنشد الطبري في ذلك:

[الرجز]

لَتَجِدَنِّي بِالأَمِيرِ بَرّاً ... وَبِالقَنَاةِ مِدْعَساً مِكَرَّا

إذَا غُطَيْفُ السُّلَمِيُّ فَرَّا[٦]

قال القاضي أبو محمد: فالألف على هذه القراءة والتأويل ثابتة في «ابن».

وقال بعضهم: ﴿ابن﴾ صفة لـ﴿عزيرُ﴾، كما تقول: زيد بن عمرو، وجعلت الصفة والموصوف بمنزلة اسم واحد، وحذف التنوين إذا جاء الساكنان كأنهما التقيا من كلمة واحدة، والمعنى: عزيرُ ابن الله معبودنا وإلهنا، أو المعنى: معبودنا أو إلهنا عزير ابن الله.

قال القاضي أبو محمد: وقياس هذه القراءة والتأويل أن يحذف الألف من ﴿ابن﴾ لكنها تثبت في خط المصحف، فيترجح من هذا كله أن قراءة التنوين في ﴿عُزَيۡرٌ﴾ أقواها.

---

(١) ساقط من التركية.

(٢) تحرفت في نجيبويه إلى: «المنفي».

(٣) وهما سبعيتان، وحمزة بالثانية، انظر: التيسير (ص: ١١٨).

(٤) الإخلاص: ١، ٢، وسيأتي الخلاف فيها في محله.

(٥) وهي شاذة عزاها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٨٣) لنصر بن عاصم وأبي عمرو، ورويت عن عمر.

(٦) الأبيات بلا نسبة في تفسير الطبري (١٤/ ٢٠٥)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٤٣١)، وجمهرة اللغة (٢/ ٦٤٤).

وحكى الطبري وغيره أن بني إسرائيل أصابتهم فتن وجلاء[١]، وقيل: مرض، وأذهب الله عنهم التوراة في ذلك ونسوها، وكان علماؤهم قد دفنوها أول ما أحسوا بذلك البلاء، فلما طالت المدة فُقدت التوراة جملة فحفَّظها الله عزيراً كرامة منه له، فقال لبني إسرائيل: إن الله قد حفَّظني التوراة، فجعلوا يدرسونها من عنده، ثم إن التوراة المدفونة وجدت، فإذا هي مساوية لما كان عزير يدرِّس، فضلوا عند ذلك وقالوا: إن هذا لن يتهيأ لعزير إلا وهو ابن الله.

وظاهر قول النصارى: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ أنها بنوة النسل كما قالت العرب في الملائكة، وكذلك يقتضي قولُ الضحاك والطبري وغيرهما[٢]، وهذا أشنع في الكفر، قال أبو المعالي: أطبقت النصارى على أن المسيح إله، وأنه ابن الإله[٣].

قال القاضي أبو محمد: ويقال: إن بعضهم يعتقدها بنوة حُنُوٍّ[٤] ورحمة، وهذا المعنى أيضاً لا يحل أن تطلق البنوة عليه، وهو كفر لمكان الإشكال الذي يدخل [من جهة][٥] التناسل.

[٢/ ٢٣٣] وكذلك كفرت اليهود في قولهم: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ /، وقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ﴾[٦]، وإنما توجد في كلام العرب استعارة البنوة عبارة عن نِسب وملازمات تكون بين الأشياء إذا لم يُشْكل الأمر وكان أمر النسل [بيِّن الاستحالة][٧]، من ذلك قول عبد الملك

---

(١) في المطبوع: «بلاء».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٩).

(٣) انظر قول أبي المعالي في: تفسير القرطبي (٨/ ١١٧).

(٤) في نجيبويه: «دنو».

(٥) ساقط من نجيبويه.

(٦) في نجيبويه زيادة: «وأحباؤه».

(٧) «بين»: ساقطة من الأصل، وفيه: «لاسحالة».

ابن مروان: «وقد زبنتنا الحرب وزبنَّاها[١]، فنحن بنوها وهي أمنا»[٢]، يريد: للملازمة، ومن ذلك [قول حُريث بن مخفض[٣]:

[الطويل] بَنُـو الْمَجْـدِ لَمْ تَقْعُـدْ بِهِـمْ أُمَّهَاتُهُمْ وَآبَاؤُهُـمْ آبَـاءُ صـدقٍ فَأَنْجَبُـوا[٤]

ومن ذلك][٥]: ابن نعش[٦]، وابن ماء، وابن السبيل، ونحو ذلك، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] والْأَرْضُ تحملنـا وَكَانَـتْ أُمَّنَـا[٧] ....

ومنه أحد التأويلات في قوله ﷺ: «لا يدخل الجنة ابن زناً»[٨] أي: مُلازِمُه، [والتأويل الآخر أن[٩] لا يدخلها مشكِلُ الأمر][١٠]، والتأويلان في قول النصارى: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾، كما تقدم من الصفة والخبر، إلا أن شَغَب التنوين ارتفع هاهنا.

و﴿عُزَيْرٌ﴾: نبي من أنبياء بني إسرائيل.

وقوله: ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ يتضمن معنيين:

أحدهما: إلزامهم المقالة والتأكيد في ذلك كما قال: ﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩]، وكقوله: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨].

---

(١) في الأصل: «زينتنا الحرب وزيناها».

(٢) نقله عنه في أمالي القالي (١/ ١١)، وفي جار الله قول الشاعر بدل «عبد الملك».

(٣) في المطبوع: «محصن»، وحُرَيْث شاعر مخضرم، له في الجاهلية أشعار، طبقات فحول الشعراء (١/ ١٩٢)، واختلف في اسم أبيه، وصحح ابن دريد أنه: «محفِّض» بالحاء المهملة والفاء المشددة المكسورة، والضاد المعجمة. وقد روي في ذلك قصة انظرها في خزانة الأدب (٦/ ٣٣).

(٤) انظر عزوها له في طبقات فحول الشعراء (١/ ١٩٤)، وفي المطبوع: «أبناء صدق».

(٥) ساقط من التركية.

(٦) في التركية والأسدية: «يعش»، ولعله يقصد بنات نعش.

(٧) البيت لأمية بن أبي الصلت، وتمامه: فيها معايشنا ومنها نولد، انظر: تفسير الثعلبي (١/ ١٢٧)، والمخصص (٤/ ١١٧)، وفيهما: «معقلنا».

(٨) سبق تخريجه عند الآية رقم (٢٤٣) من سورة البقرة.

(٩) سقطت «أن» من نجيبويه

(١٠) ساقط من التركية.

والمعنى الثاني في قوله: ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: هو ساذج لا حجة عليه ولا برهان، غايةُ بيانه أن يقال بالأفواه قولاً مجرداً [نفس دعوى][١].

و﴿يُضاهُونَ﴾: قراءة الجماعة، ومعناه: يحاكون ويبارون ويماثلون.

وقرأ عاصم وحده من السبعة وطلحة بن مصرِّفٍ: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ بالهمز على أنه من ضاهأ، وهي لغة ثقيف، بمعنى: ضاهى[٢].

قال القاضي أبو محمد: ومن قال: إن هذا مأخوذ من قولهم: امرأة ضهياء[٣]، وهي التي لا تحيض، وقيل: التي لا ثدي لها، سميت بذلك لشبهها بالرجال، فقوله خطأ، قاله أبو علي[٤]؛ لأن الهمزة في ضاهأ أصلية وفي ضهياء زائدة، كحمراء.

وإن كان الضمير في ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ لليهود والنصارى جميعاً فالإشارة بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ﴾ هي إما لمشركي العرب إذ قالوا: الملائكة بنات الله، وهم أول كافر، وهو قول الضحاك[٥]، وإما لأمم سالفة قبلهما، وإما للصدر الأول من كفرة اليهود والنصارى، ويكون ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ لمعاصري محمد ﷺ، وإن كان الضمير في ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ للنصارى فقط كانت الإشارة بـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ﴾ إلى اليهود، وعلى هذا فسر الطبري، وحكاه الزهراوي عن قتادة[٦].

وقوله: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ دعاء عليهم عامٌّ لأنواع الشر، ومعلوم أن من قاتله الله فهو المغلوب المقتول، وحكى الطبري عن ابن عباس أن المعنى: لعنهم الله[٧].

---

(١) ساقط من نجيبويه.

(٢) والقراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٨)، والسبعة في القراءات (ص: ٣١٤).

(٣) في التركية: «ضيهاء»، في الموضعين.

(٤) الحجة للقراء السبعة (٤/ ١٨٧).

(٥) البحر المحيط (٥/ ٤٠٣).

(٦) في نجيبويه: «وقتادة»، انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٢٠٥)، وفيه أيضاً قول قتادة (١٤/ ٢٠٦)، ولم أقف على ما حكاه الزهراوي.

(٧) أخرجه الطبري (١٤/ ٢٠٧) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

و﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾: مقصده أنى توجَّهوا، أو أنى ذهبوا، وبدل[١] مكان هذا الفعل المقصود فعل سوء [يحق لهم][٢]، وذلك فصيح في الكلام كما تقول: لعن الله الكافر أنى هلك، كأنك تحتم عليه بهلاك، وكأنه حتم عليهم في هذه الآية بأنهم يؤفكون، ومعناه: يحرمون ويصرفون عن الخير، والأرض المأفوكة: التي لم يصبها مطر.

قال أبو عبيدة: ﴿يُؤْفَكُونَ ﴾ معناه: يُحدُّون[٣].

قال القاضي أبو محمد: يريد من قولك: رجل محدود، أي: محروم لا يصيب خيراً، وكأنه من الإفك الذي هو الكذب، فكأن المأفوك هو الذي تكذبه أراجيه فلا يَلقى خيراً.

ويحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ ابتداءَ تقريرٍ، أي: بأي سبب ومن أيِّ جهة يصرفون عن الحق بعد ما تبين لهم، و«قاتل» في هذه الآية بمعنى: قتل، وهي مفاعلة من واحد وهذا كله بيِّن.

قوله عز وجل: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

واحد الأحبار: حِبر بكسر الحاء، ويقال: حَبر بفتح الحاء، والأول أفصح، ومنه مداد الحِبر، [والحبر بالفتح: العالم][٤]، وقال يونس بن حبيب: لم أسمعه إلا بكسر

---

(١) «بدل»: ساقطة من الأسدية، وفي نجيبويه: و«يدل».

(٢) في المطبوع: «يحل بهم».

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٥٧).

(٤) في نجيبويه وأحمد٣ وجار الله ونور العثمانية بدلًا منه: «أي مداد العالم».

الحاء، وقال الفراء: سمعت فتح الحاء وكسرها في العالِم، وقال ابن السكيت: الحبر بالكسر: المداد، والحبر بالفتح: العالم[(١)].

و«الرهبان»: جمع راهب وهو الخائف، من الرهبة، وسماهم أَرْباباً هم لا يعبدونهم لكن من حيث تلقوا الحلال والحرام من جهتهم، وهو أمر لا يُتلقى إلا من جهة الله عز وجل، ونحوُ هذا قال ابن عباس[(٢)] وحذيفة بن اليمان[(٣)] وأبو العالية[(٤)].

وحكى الطبري أن عدي بن حاتم قال: جئت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب ذهب، فقال: «يا عدي، اطرح هذا الصليب من عنقك»، فسمعته يقرأ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، فقلت: يا رسول الله، وكيف [ذلك ونحن][(٥)] لم نعبدهم؟ فقال: «أليس تستحلُّون ما أَحَلَّوا وتحرِّمون ما حرَّموا»، قلت: نعم، قال: «فذاك»[(٦)].

و(المسيح) عطف على الأحبار والرهبان، و﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ نصب على المصدر، والعامل فيه فعلٌ من المعنى لأنه ليس من لفظ سبحان فعل، والتقدير: أنزِّهه تنزيهاً، فمعنى ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهاً له.

واحتج مَن يقول: إن أهل الكتاب مشركون، بقوله تعالى: ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾،

---

(١) انظر قولي يونس والفراء في تفسير الطبري (١٤/ ٢٠٨، ٢٠٩)، وقول ابن السكيت في إسفار الفصيح (٢/ ٦٦٩).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ٢١٢) من طريق العوفي والسدي عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ٢١١) من طريق سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي البختري، عن حذيفة. وهو منقطع.

(٤) تفسير الطبري (١٤/ ٢١٢)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٣٤).

(٥) ساقط من الأصل والمطبوع والحمزوية.

(٦) إسناده لين، هذا الحديث أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) وغيره من طريق عبد السلام بن حرب، عن غطيف بن أعين، عن مصعب بن سعد، عن عدي بن حاتم. وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث. اهـ.

والغير يقول: إن اتخاذ هؤلاء الأرباب ضربٌ ما من الإشراك، وقد يقال في المُرائي: إنه أشرك، وفي ذلك آثار.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ الآية، نُور الله في هذه الآية: هداه الصادر[١] عن القرآن والشرع المثبت في قلوب الناس، فمن حيث سماه نوراً سمَّى محاولةَ إفساده والصدِّ في وجهه إطفاءً، وقالت فرقة: «النور»: القرآن.

قال القاضي أبو محمد: ولا معنى لتخصيص شيء مما يدخل تحت المقصود بالنور.

وقوله: ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ عبارة عن قلة حيلتهم وضعفها، أخبر عنهم أنهم يحاولون مقاومة أمر جسيم بسعي ضعيف، فكان الإطفاء بنفخ الأفواه، ويحتمل أن يراد: / [٢/ ٢٣٤] بأقوال لا برهان عليها، فهي لا تجاوز الأفواه إلى فهم سامع.

وقوله: ﴿وَيَأْبَى﴾ إيجاب يقع بعده أحياناً «إلا»، وذلك لوقوعه هو موقعَ الفعل المنفي، لأن التقدير: ولا يريد الله إلا أن يتم نوره، وقال الفراء: هو إيجاب فيه طرف من النفي، ورد الزجاج على هذه العبارة وبيانه ما قلناه[٢].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ الآية، ﴿رَسُولَهُۥ﴾ يراد به محمد ﷺ، وقوله: ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾ يعم القرآن وجميع الشرع، وقوله: ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ إشارة إلى الإسلام والملة بجمعها، وهي الحنيفية.

وقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ قال أبو هريرة[٣] [وأبو جعفر محمد][٤] بن علي وجابر بن

---

(١) في المطبوع: «هو الصادر».

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٤٣٣)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٤٤).

(٣) أخرج الطبري (١٤/ ٢١٥) عن محمد بن بشار عن يحيى بن سعيد القطان قال: حدثنا شقيق قال: حدثني ثابت الحداد أبو المقدام، عن شيخ، عن أبي هريرة في قوله: ﴿ليظهره على الدين كله﴾، قال: حين خروج عيسى ابن مريم. وأخرج مثله في (٢٣/ ٣٦١) عن ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي المقدام ثابت بن هرمز، عن أبي هريرة، وأخشى أن يكون شقيق في الإسناد الأول صوابه سفيان كما في الإسناد الثاني، وهو الثوري، والإسناد الأول هو الأصح، بذكر الشيخ عن أبي هريرة، وهو مبهم.

(٤) في جار الله: «جعفر بن محمد».

عبد الله ما معناه: إن الضمير عائد على الدين، وإظهاره عند نزول عيسى ابن مريم، وكونِ الأديان كلِّها راجعةً إلى دين الإسلام، فذلك إظهاره[١].

قال القاضي أبو محمد: فكأن هذه الفرقة رأت الإظهار على أتم وجوهه، أي: حتى لا يبقى معه دين آخر، وقالت فرقة: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ﴾ أي: ليجعله أعلاها وأظهرها، وإن كان معه غيره كان دونه.

قال القاضي أبو محمد: فهذا لا يحتاج إلى نزول عيسى، بل كان هذا في صدر الأمة، وهو حتى الآن إن شاء الله، وقالت فرقة: الضمير عائد على الرسول، ومعنى ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾: ليطلعه ويعلِّمه الشرائع كلها والحلال والحرام.

قال القاضي أبو محمد: وهذا التأويل وإن كان صحيحاً جائزاً فالآخر أبرع منه وأليق بنظام الآية، وأجرى مع كراهية المشركين.

وخُصَّ الْمُشْرِكُونَ هنا بالذكر لما كانت كراهيةً مختصةً بظهور دين محمد ﷺ، فذكر العُظم والأول ممن كره ذلك وصَدَّ فيه، وذُكِر الكافرُون في الآية قبلُ لأنها كراهيةُ إتمام نور الله في قديم الدهر وفي باقيه، فعم الكفرة من لدن خلق الدنيا إلى انقراضها إذ قد وقعت الكراهية والإتمام مراراً كثيرة.

قوله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

المراد بهذه الآية بيان نقائص المذكورين، ونهيُ المؤمنين عن تلك النقائص

(١) أخرج سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٢٤٦) عن عمرو بن ثابت عن أبيه عن أبي جعفر عن جابر بن عبد الله مثله، وعمرو بن ثابت هو ابن هرمز الحداد متروك الحديث، وانظر: تفسير الطبري (١٤/ ٢١٤).

مترتب ضمن ذلك، واللام في ﴿لَيَأْكُلُونَ﴾ لام التأكيد، وصورة هذا الأكل هي بأنهم يأخذون من أموال أتباعهم ضرائب وفروضاً باسم الكنائس والبيع، وغير ذلك مما يوهمونهم أن النفقة فيه من الشرع والتزلف[١] إلى الله، وهم خلال ذلك يحتجبون[٢] تلك الأموال، كالذي ذكره سلمان في كتاب السير عن الراهب الذي استخرج كنزه[٣].

وقيل: كانوا يأخذون منهم من غلَّاتهم وأموالهم ضرائب باسم حماية الدين والقيام بالشرع، وقيل: بل[٤] كانوا يرتشون في الأحكام، ونحو ذلك.

قال القاضي أبو محمد: وقوله تعالى: ﴿بِالْبَاطِلِ﴾، يعم هذا كلَّه.

وقوله: ﴿وَيَصُدُّونَ﴾، الأشبه هنا أن يكون معدًّى، أي: يصدون غيرهم، وهذا الترجيح إنما هو لنباهة منازلهم في قومهم، وصدَّ يستعمل واقفاً ومتجاوزاً[٥]، ومنه قول الشاعر:

[الوافر] صَدَدتِ الكأسَ عَنّا، أُمَّ عَمرٍ وكانَ الكأسُ مَجراها اليَمِينَا[٦]

و﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الإسلام وشريعة محمد ﷺ، ويحتمل أن يريد: ويصدون عن سبيل الله في أكلهم الأموال بالباطل، والأول أرجح.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ﴾ ابتداء، وخبره: ﴿فَبَشِّرْهُم﴾، ويجوز أن يكون ﴿وَالَّذِينَ﴾ معطوفاً على الضمير في قوله: (يأكلون) على نظر في ذلك، لأن الضمير لم يؤكد.

وأسند أبو حاتم إلى علباء بن أحمر أنه قال: لما أَمَر عثمان بكتب المصحف

---

(١) في الأسدية: «التألف».
(٢) في نجيبويه: «يحتجنون»، وكذا في المطبوع.
(٣) هذه قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه. سيرة ابن هشام (١/ ٢١٥).
(٤) زيادة من الأسدية.
(٥) أي: لازماً ومتعدياً، فاللازم: صدَّ صدوداً، أي: أعرض، والمتعدي: صده صدّاً، أي: منعه وصرفه.
(٦) البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته، انظر: جمهرة أشعار العرب (ص: ٢٧٤)، والجمل (ص: ٧١)، والكتاب لسيبويه (١/ ٤٠٤).

أراد أن ينقص الواو في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ﴾ فأبى ذلك أبي بن كعب، وقال: لتُلحِقنَّها أو لأضعن سيفي على عاتقي فألحقها[١].

قال القاضي أبو محمد: وعلى إرادة عثمان يجري قول معاوية: إن الآية في أهل الكتاب، وخالفه[٢] أبو ذر فقال: بل هي فينا، فشكاه إلى عثمان، فاستدعاه من الشام ثم خرج إلى الرَّبَذة[٣].

والذي يظهر من الألفاظ أنه لما ذكر نقص[٤] الأحبار والرهبان الآكلين المال بالباطل، ذكر بعد ذلك [بقول عام نقص الكافرين][٥] المانعين حق المال.

وقرأ طلحة بن مصرف: (الذين يكنزون) بغير واو[٦].

و﴿يَكۡنِزُونَ﴾ معناه: يجمعون ويحفظون في الأوعية، ومنه قول المنخل الهذلي[٧]:

لا دَرَّ دَرِّيَ إنْ أَطْعَمْتُ نَازِلَهُمْ ... قِرْفَ الْحَتِيِّ وعِنْدِي الْبُرُّ مَكْنُوزُ[٨] [البسيط]

أي: محفوظ في أوعيته، وليس من شروط الكنز الدفنُ لكن كثر في حَفَظة المال أن يدفنوه حتى تعورف في المدفون اسم الكنز، ومن اللفظة قولهم: رجل مكتنز الخلق، أي: مجتمع، ومنه قول الراجز:

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٧٩) لابن الضريس ولم يذكر إسناده.

(٢) في نجيبويه: «وخالف».

(٣) أخرجه البخاري (١٤٠٦).

(٤) في الحمزاوية والمطبوع وجار الله ونور العثمانية: «بعض».

(٥) في التركية والأسدية وجار الله: «بقول عام بعض الكافرين»، وفي نجيبويه: «بقول عام نقص الكانزين»، وفي نور العثمانية: «قول عاص بعض الكافرين»، وفي المطبوع وأحمد٣: «مقولة نقص الكانزين».

(٦) وهي مخالفة للرسم، تابعه عليها في البحر المحيط (٥/ ٤١١)، والدر المصون (٦/ ٤١).

(٧) لعل الصواب المتنخل، كما تقدم، أما المنخل فيشكري.

(٨) عزاه له في المعاني الكبير (١/ ٣٨٤)، وجمهرة اللغة (١/ ٦٧)، والكتاب لسيبويه (٢/ ٨٩)، وفي الحيوان (٥/ ١٥٤) أنه أبو ذؤيب.

[الرجز] على شَـدِيـدٍ لـحـمُـهُ كِـنَـاز   بَـاتَ يُـنَـزِّيـنِي عـلـى أوفَـازِ[١]

والتوعد في الكنز إنما وقع على منع الحقوق منه، ولذلك قال كثير من العلماء: الكنز هو المال الذي لا تؤدى زكاته وإن كان على وجه الأرض، وأما المدفون إذا أخرجت زكاته فليس بكنز[٢]، كما قال رسول الله ﷺ: «كل ما أديتَ زكاته فليس بكنز»[٣]، وهذه الألفاظ مشهورة عن ابن عمر[٤].

وروي هذا القول عن عكرمة والشعبي والسدي ومالك[٥] وجمهور أهل العلم[٦].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة، وما زاد عليها فهو كنز وإن أديت زكاته[٧]، وقال أبو ذر وجماعة معه: ما فَضَل من مال الرجل عن حاجة نفسه فهو كنز[٨]، وهذان القولان يقتضيان أن الذم في حبس المال لا في منع زكاته فقط، ولكن قال عمر بن عبد العزيز: هي منسوخة بقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣] فأتى فرضُ الزكاة على هذا كله[٩].

---

(١) البيتان من رجز لأبي نخيلة يمدح خباز سليمان بن صعصعة، انظر بقيته في الأغاني (٢٠/ ٤١٦).
(٢) انظر: الاستذكار (٣/ ١٧٢)، وما بعدها.
(٣) لا يصح مرفوعاً، هذا الحديث روي من حديث ابن عمر وجابر وأم سلمة، أما الأولان فالمحفوظ فيهما الوقف عليهما، قاله البيهقي في حديث ابن عمر (السنن الكبرى ٤/ ٨٣) وقاله أبو زرعة في حديث جابر (علل الرازي ٦٤٧). وأما حديث أم سلمة فأخرجه أبو داود (١٥٦٦) من طريق ثابت ابن عجلان عن عطاء عن أم سلمة، وثابت فيه لين، وعطاء بن أبي رباح لم يسمع من أم سلمة، قاله أحمد وابن المديني، وهذا الكلام ثبت من قول ابن عمر كما سيأتي.
(٤) صحيح، هذا الأثر أخرجه البخاري (١٤٠٤) عن ابن عمر بلفظ: «من كنزها ـ يعني الذهب والفضة ـ فلم يؤد زكاتها فويل له».
(٥) في الأسدية: «قتادة»، بدل: «مالك».
(٦) نقله ابن عبد البر عن جماهير العلماء، انظر: الاستذكار (٣/ ٣٧٢-٣٧٤).
(٧) إسناده صالح وهو غريب، هذا الأثر أخرجه عبد الرزاق (٤/ ١٠٩) والطبري (١٤/ ٢١٩) من طريق: أبي حصين، عن أبي الضحى، عن جعدة بن هبيرة، عن علي. وإسناده مستقيم، لكن قال ابن كثير (٤/ ١٣٩): غريب.
(٨) انظر قول أبي ذر في الاستذكار (٣/ ١٧٣).
(٩) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٨٩).

قال القاضي أبو محمد: كان مضمن الآية: / لا تجمعوا مالاً فتعذَّبوا، فنسخه [٢/ ٢٣٥] التقرير الذي في قوله: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾.

والضمير في قوله: ﴿يُنفِقُونَهَا﴾ يجوز أن يعود على الأموال والكنوز التي يتضمنها المعنى، ويجوز أن يعود على الذهب والفضة إذ هما أنواع، وقيل: عاد على الفضة، واكتُفي بضمير الواحد عن ضمير الآخر إذا فهم المعنى، وهذا نحو قول الشاعر:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا، وأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ، والرَّأْيُ مُخْتَلِفُ[١] [المنسرح]

ونحو قول حسان:

إِنَّ شَرْخَ الشَّبَابِ والشَّعَرَ الأسْـ ـوَدَ مَا لَمْ يُعَاصَ كانَ جُنُونَا[٢] [الخفيف]

وسيبويه يكره هذا في الكلام، وقد شبَّه كثير من المفسرين هذه الآية بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الجمعة: ١١]، وهي لا تشبهها، لأن ﴿أَوۡ﴾ قد فصَلت التجارة عن اللهو وحسَّنت عود الضمير على أحدهما دون الآخر.

و«الذهب» تؤنث وتذكر، والتأنيث أشهر، وروي أن أصحاب النبي ﷺ قالوا: قد ذم الله كسب الذهب والفضة، فلو علمنا أيَّ المال خير حتى نكسبه، فقال عمر: أنا أسأل لكم رسول الله ﷺ عن ذلك، فسأله، فقال: «لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة تُعين المؤمن على دينه»[٣]، وروي أن النبي ﷺ قال لما نزلت الآية: «تبّاً للذهب تبّاً

---

(١) البيت لعمرو بن امرىء القيس من الخزرج كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ٥٣٠)، ومجاز القرآن (١/ ٣٩)، والبيان والتبيين (٣/ ٦٩)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ١٨٦) عن سيبويه، وفي الكتاب نسبته (١/ ٧٤) لقيسِ بن الخَطيم، والقولان في إيضاح الشواهد (١/ ١٦٧)، ونسب لمرار الأسدي في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٦٣)، ولدِرْهَم بن زيد الأنصاريّ في الإنصاف (١/ ٧٩).

(٢) البيت لحسّان بن ثابت كما في مجاز القرآن (١/ ٢٥٨)، والإبل (ص: ٨٣)، والكنز اللغوي (ص: ٩١)، والجراثيم (١/ ١٤٨)، والكامل للمبرد (٣/ ٨٤)، وجمهرة اللغة (١/ ٩٢)، والحيوان (٣/ ٥٥)، وقال: أو لابنه عبد الرحمن بن حسّان.

(٣) منقطع، هذا الحديث أخرجه أحمد (٥/ ٢٨٢) من طريق وكيع: حدثنا عبد الله بن عمرو بن مرة، عن أبيه، عن سالم بن أبي الجعد، عن ثوبان مرفوعاً، وفي (١٤/ ٢٢١) عن ابن بشار قال: حدثنا مؤمل قال =

للفضة»[١]، فحينئذ أشفق أصحابه وقالوا ما تقدم.

[والفاء في قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ جواب لما في قوله][٢]: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ من معنى الشرط، وجاءت البشارة مع العذاب لما وقع التصريح بالعذاب، وذلك أن البشارة تقيَّد بالخير والشر، فإذا أطلقت لم تحمل إلا على الخير فقط، وقيل: بل هي أبداً للخير، فمتى قيدت بشرٍّ فإنما المعنى: أقم لهم مقام[٣] البشارة عذاباً أليماً، وهذا نحو قول الشاعر:

[الوافر] وخيلٍ قد دلَفتُ لها بخيلٍ تحيةُ بينِهم ضربٌ وَجيعُ[٤]

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾ الآية ﴿يَوْمَ﴾ ظرف والعامل فيه ﴿أَلِيمٍ﴾.

وقرأ جمهور الناس: ﴿يُحْمَىٰ﴾ بالياء بمعنى: يحمى الوقود.

= حدثنا إسرائيل، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، عن ثوبان، بمثله، وأخرجه الترمذي (٣٠٩٤) في كتاب التفسير، من طريق عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن منصور، بنحوه، وقال: هذا حديث حسن. سألت محمد بن إسماعيل (البخاري) فقلت له: سالم بن أبي الجعد سمع ثوبان؟ فقال: لا. اهـ، قال ابن كثير في التفسير (٤/ ١٣٩): ولهذا رواه بعضهم عنه مرسلاً. اهـ، وأخرجه الطبري (١٤/ ٢٢٠) عن محمد بن بشار قال: حدثنا مؤمل قال: حدثنا: سفيان، عن منصور، عن الأعمش وعمرو بن مرة، عن سالم بن أبي الجعد... قال عمر...، وسالم لم يدرك عمر.

(١) في صحته نظر، روي هذا الحديث عن ثوبان وعلي وصاحبٍ لعبد الله بن الهذيل، أما عن ثوبان فقد جاء هذا اللفظ في بعض طرق حديثه السابق، وقد سبق تخريجه، وأما حديث الصاحب فأخرجه أحمد (٥/ ٣٦٦) من طريق شعبة: حدثني سالم بن عبد الله، أخبرنا عبد الله بن أبي الهذيل، حدثني صاحب لي أن رسول الله ﷺ قال...، قال: وحدثني صاحبي أنه انطلق مع عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله...، وأما عن علي فأخرجه عبد الرزاق، عن الثوري، عن أبي حصين، عن أبي الضحى، عن جعدة بن هبيرة، عن علي رضي الله عنه مرفوعاً، عزاه إلى عبد الرزاق: الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٧١)، وقال بعد أن أورد هذه الروايات السابقة: الحاصل أنه حديث ضعيف لما فيه من الاضطراب.

(٢) ساقط من الأسدية.

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) تقدم في تفسير الآية (٢٠٤) من سورة البقرة.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (تحمى) بالتاء من فوق[١]، بمعنى: تحمى النار، والضمير في ﴿عَلَيْهَا﴾ عائد على الكنوز أو الأموال حسبما تقدم.

وقرأ قوم: (جباهُّم) بالإدغام، وأَشمُّوها الضمَّ، حكاه أبو حاتم[٢].

ووردت أحاديث كثيرة في معنى هذه الآية من الوعيد، لكنها مفسَّرة في منع الزكاة فقط لا في كسب المال الحلال وحفظه، ويؤيد[٣] ذلك حالُ الصحابة وأموالهم رضي الله عنهم.

فمن تلك الأحاديث قوله ﷺ: «من ترك بعده كنزاً لم يؤدِّ زكاته مثِّل له يوم القيامة شجاعا أقرع»[٤] الحديث.

وأسند الطبري قال: كان نعل سيف[٥] أبي هريرة من فضة، فنهاه أبو ذر، وقال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها»[٦].

وأسند إلى أبي أمامة الباهلي قال: مات رجل من أهل الصفة فوجد في برده دينار، فقال رسول الله ﷺ: «كية»، ثم مات آخر، فوجد له ديناران، فقال رسول الله ﷺ: «كيتان»[٧].

---

(١) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في شواذ القراءات (ص: ١١٢)، وعزاها في الكامل (ص: ٥٦٢) لعبد الحميد بن بكار عن ابن عامر.
(٢) لم أقف عليه، ونقل الإدغام في مختصر الشواذ (ص: ٥٦) عن رواية لأبي عمرو.
(٣) في المطبوع: «يؤدي».
(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٤٠٣) (٤٥٦٥) (٤٦٥٩) (٦٩٥٧) من حديث أبي هريرة، ومسلم (٩٨٨) من حديث جابر مطولاً.
(٥) «سيف»: ساقطة من التركية.
(٦) فيه نظر، هذا الحديث أخرجه البخاري في تاريخه (٦/ ٥٩) ترجمة: عبد الواحد الثقفي، والطبري في تهذيب الآثار (١/ ٢٥٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٤٤)، من طريق شعبة، وقد وقع في اسم شيخ شعبة خلاف، ساقه البخاري وقال في ترجمته: فيه نظر.
(٧) اختلف في إسناده، هذا الحديث أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ١٢٦) من طريق سعيد وشيبان ـ مفرقين ـ عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة به، وأخرجه أحمد (٣٦/ ٥٠٧) والطبراني =

قال القاضي أبو محمد: وهذا إما لأنهما كانا يعيشان من الصدقات وعندهما التبر، وإما لأن هذا كان في صدر الإسلام، ثم قرر الشرع ضبط المال وأداء حقه، ولو كان ضبط المال ممنوعاً لكان حقه أن يخرج كله لا زكاتُه فقط، وليس في الأمة مَن يُلزم هذا.

وقوله: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾ إشارة إلى المال الذي يكوى به، ويحتمل أن تكون إلى الفعل النازل بهم، أي: هذا جزاء ما كنزتم.

وقال ابن مسعود: «والله لا يمس دينار ديناراً بل يُمَدُّ الجلد حتى يُكوى بكل دينار وبكل درهم»(١).

وقال الأحنف بن قيس: دخلت مسجد المدينة وإذا رجل خشن الهيئة رثُّها، يطوف في الخلق وهو يقول: «بشر أصحاب الكنوز بكيٍّ في جباهم وجنوبهم وظهورهم»، ثم انطلق يتذمر وهو يقول: وما عسى تصنع في قريش(٢).

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

= (٨/ ٢٦٠) من طريق: شعبة عن قتادة قال: سمعت أبا الجعد مولى بني ضبيعة يحدث عن أبي أمامة به، ورواه أبو بكر بن أبي شيبة (٣/ ٣٧٢) وأحمد في مسنده (٣٦/ ٥١٥) وغيرهما من طريق شعبة عن عبد الرحمن من أهل حمص من بني العداء من كندة قال: سمعت أبا أمامة، وروى جعفر بن سليمان عن عتيبة عن بريد بن أصرم قال: سمعت علياً، به مرفوعاً، ذكره البخارى في التاريخ الكبير (٢/ ١٤٠): وقال: إسناده مجهول.

(١) رجاله رجال الصحيح، أخرجه الطبري (١٤/ ٢٣٣) وغيره من طريق الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود، وقد رواه ابن مرْدُويه، عن أبي هريرة مرفوعاً، ولا يصح رفعه، قاله ابن كثير في التفسير (٤/ ١٤١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٤٠٧)، ومسلم (٩٩٢). والمراد بالرجل أبو ذر.

هذه الآية والتي بعدها تتضمن ما كانت العرب شَرَعته في جاهليتها من تحريم شهور الحِل [وتحليلِ شهور الحرمة][١]، وإذا نص ما كانت العرب تفعله تَبيَّنَ معنى الآيات: فالذي تظاهرت به الروايات وينفك عن مجموع ما ذكر الناس، أن العرب كانت لا عيش لأكثرها إلا من الغارات وإعمال سلاحها، فكانوا إذا توالت عليهم حرمة ذي القعدة وذي الحجة والمحرم صعب عليهم وأملقوا.

وكان [بنو فقيم من كنانة][٢] أهل دين في العرب وتمسك بشرع إبراهيم عليه السلام، فانتدب منهم القلمَّس وهو حذيفة بن عبد فقيم[٣]، فنسأ الشهور للعرب، ثم خلفه على ذلك ابنه عباد بن حذيفة، ثم خلف ابنه قلع بن عباد، ثم خلفه ابنه أمية بن قلع، ثم خلفه ابنه عوف بن أمية، ثم خلفه ابنه أبو ثمامة جنادة بن عوف وعليه قام الإسلام[٤]، وذكر الطبري وغيره أن الأمر كان في عدوان قبل بني مالك بن كنانة[٥].

وكانت صورة فعلهم: أن العرب كانت إذا فرغت من حجها جاء إليه من شاء منهم مجتمعين، فقالوا: أنسئنا شهراً، أي: أخِّر عنا حرمة المحرم فاجعلها في صفر، فيُحل لهم المحرم، فيُغِيْرون فيه ويعيشون، ثم يلتزمون حرمة صفر ليوافقوا عدة الأشهر الأربعة[٦].

قال مجاهد: ويسمون ذلك الصفر: المحرم، ثم يسمون ربيعاً الأول صفراً، وربيعاً الآخر ربيعاً الأول، وهكذا في سائر الشهور يستقبلون سنتهم من المحرم الموضوع لهم، فيسقط على هذا حكم المحرم الذي / حلل لهم، وتجيء السنة من ثلاثة عشر شهراً أولها [٢/ ٢٣٦]

---

(١) ساقط من الأسدية.

(٢) ورد مكانه في الأسدية: «وكان بنو معب». وورد في نجيبويه: «بنو فقيم وكنانة».

(٣) في نجيبويه وأحمد٣: «بن فقيم»، وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة.

(٤) انظر نسب القلمس وتوارث ذلك في أبنائه بهذا الترتيب في سيرة ابن هشام (١/ ٤٤).

(٥) راجع تفسير الطبري (١٤/ ٢٤٦)، ولم أجد فيه كلمة: «عدوان».

(٦) في نجيبويه زيادة: «الحرم».

المحرم المحلل، ثم[١] المحرم الذي هو في الحقيقة صفر، ثم استقبال السنة كما ذكرنا[٢].

ففي هذا قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ عِـدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ أي: ليست ثلاثة عشر شهراً، قال الطبري: حدثني ابن وكيع[٣]، عن عمران بن عيينة[٤]، عن[٥] حصين[٦]، عن أبي مالك قال: كانوا يجعلون [السنة ثلاثة عشر شهراً، قال مجاهد: ثم كانوا يحجون][٧] في كل شهر عامين وِلاءً، وبعد ذلك يبدلون فيحجون عامين وِلاءً، ثم كذلك حتى كانت حجة أبي بكر في ذي القعدة حقيقة، وهم يسمونه ذا الحجة، ثم حج رسول الله ﷺ سنة عشر في ذي الحجة حقيقة[٨]، فذلك قوله: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حُرُمٌ: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان»[٩].

وفي حديث ابن عمر: أن رسول الله ﷺ خطب في حجة الوداع، فساق الحديث فقال

---

(١) «ثم»: ساقطة من الأسدية.

(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٢٤٧).

(٣) هو أبو محمد، سفيان بن وكيع بن الجراح، الرؤاسي، الكوفي، شيخ الطبري، توفي سنة (٢٤٧هـ)، من العاشرة، كان صدوقاً، إلا أنه ابتلي بوراقه، فأدخل عليه ما ليس من حديثه فنُصح فلم يقبل، فسقط حديثه. المعجم الصغير لرواة الطبري (١/ ٢٠٤).

(٤) هو عمران بن عيينة بن أبي عمران، أبو الحسن الهلالي الكوفي، أخو سفيان الإمام، روى عن: حصين بن عبد الرحمن، وعطاء بن السائب، وعنه زيد بن الحراش، وآخرون، قال ابن معين: صالح الحديث، وضعفه أبو حاتم وأبو زرعة. تاريخ الإسلام (١٣/ ٣٢١).

(٥) تحرفت في المطبوع إلى: «بن».

(٦) هو حصين بن عبد الرحمن، تقدم التعريف به.

(٧) ساقط من الأسدية.

(٨) تفسير الطبري (١٤/ ٢٤٩).

(٩) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٣١٩٧) (٤٤٠٦) (٥٥٥٠) (٧٤٤٧) ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة.

فيه: «أولهن رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم»[١].

قال القاضي أبو محمد: ويجيء في أكثر الكتب أنهم كانوا يجعلون حرمة المحرم في صفر، ويُسكت عن تمام القصة، والذي ذكرناه هو بيانها، وأما كون المحرم أول السنة العربية الشرعية[٢]، وكان حقه ـ إذ التاريخ من الهجرة ـ أن يكون أولُ السنة في ربيع الأول، فإن ذلك فيما يرون لأن عمر بن الخطاب دوَّن ديوان المسلمين، وجعل تاريخه المحرم، إذ قبله انقضاء الموسم والحج، فكان الحج خاتمة للسنة، واعتدَّ بعام الهجرة، وإن كان قد نقص من أوله شيء.

ولما كانت سَنةُ العرب هلاليةً بُدِئ العامُ من أول شهرٍ، ولم يكن في الثاني عشر من ربيع الأول الذي هو يوم دخول النبي ﷺ المدينة، ولا كان عند تمام الحج لأنه في كسرِ شهرٍ.

وأما الأربعة الحرم فهي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، ومعنى قول النبي ﷺ: «ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان»[٣]، قصد التفريق بينه وبين ما كانت تفعله قبائل ربيعة بأسرها، فإنها كانت تجعل رجبها رمضان وتحرمه ابتداعاً منها، وكانت قريش ومن تابعها في ذلك من قبائل مضر على الحق، فقرَّ رسول الله ﷺ ذلك ونسبه إلى مضر إذ كان حكمه وتحريمه إنما كان من قِبَل قريش، وفي المفضليات لبعض شعراء الجاهلية:

وشَـهْرِ بَنِـي أُمَيَّـةَ والهَدَايَـا[٤] .... [الوافر]

البيتَ، قال الأصمعي: يريد رجباً[٥].

---

(١) ضعيف، هذا الحديث أخرجه البزار (١٢/ ٢٩٨)، وعبد بن حميد (١/ ٢٧٠) بسند فيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف.

(٢) كلمة «العربية» سقطت من نجيبويه، وكلمة «الشرعية» ساقطة من المطبوع.

(٣) سبق تخريجه قريباً.

(٤) المفضليات (ص: ١٧٣)، والبيت لعوف بن الأحوص، كما تقدم في تفسير أول سورة المائدة.

(٥) لم أجده، وتقدم مثله عن أبي عبيدة في المائدة.

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع: ﴿اثنا عْشر شهراً﴾ بسكون العين وذلك تخفيف لتوالي الحركات، [وكذلك قرأ: ﴿أحد عْشر﴾ [يوسف: ٤] و﴿تسعة عْشر﴾[المدثر: ٣٠]][١].

وقوله: ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: فيما كتبه وأثبته في اللوح المحفوظ أو غيره، فهي صفةُ فعلٍ مثل خلقه ورزقه وليست بمعنى قضائه وتقديره لأن تلك هي قبل خلق السماوات والأرض، والكتاب الذي هو المصدر هو العامل في ﴿يَوۡمَ﴾.

و﴿فِي﴾ في قوله: ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ متعلقة بـ: مستقرةً أو ثابتةً ونحوِه، ويقلق[٢] أن يكون الكتاب القرآن في هذا الموضع، وتأمل، ولا يتعلق[٣] ﴿فِي﴾ بـ﴿عِدَّةَ﴾ للتفرقة بين الصلة والموصول بخبر ﴿إِنَّ﴾.

وقوله: ﴿مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ نص على تفضيل هذه الأربعة وتشريفها، قال قتادة: اصطفى الله من الملائكة والبشر رسلاً، ومن الشهور المحرم ورمضان، ومن البقع المساجد، ومن الأيام الجمعة، ومن الليالي ليلة القدر، ومن الكلام ذكرَه، فينبغي أن يعظَّم ما عظَّم الله[٤].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾: قالت فرقة: معناه: الحساب المستقيم، وقال ابن عباس فيما حكى المهدوي: معناه: القضاء المستقيم[٥].

قال القاضي أبو محمد: والأصوب عندي أن يكون ﴿ٱلدِّينُ﴾ [٦] هاهنا على أشهَر وجوهه، أي: ذلك الشرع والطاعة لله.

---

(١) وهي عشرية، انظر: النشر (٢ / ٢٧٩)، وما بين القوسين ساقط من الأسدية، وفي الأسدية زيادة: «وسبعة عشر»، وجاءت في التركية بدل: «تسعة عشر»، وذلك كله خطأ.
(٢) في الأسدية: «ويعلق».
(٣) في الأسدية: «ولا يتأول».
(٤) تفسير الطبري (١٤/ ٢٣٩).
(٥) التحصيل للمهدوي (٣/ ٢٤٨).
(٦) في الاسدية: «المعنى».

و﴿ ٱلْقَيِّمُ ﴾ أي: القائم المستقيم، وهو مِن قام يقوم بمنزلةِ سيدٍ مِن ساد يسود، أصله: قَيْوِم.

وقوله: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ الضمير عائد على الاثْنا عَشَرَ شَهْراً، أي: لا تظلموا أنفسكم بالمعاصي في الزمن كله، وقال قتادة: الضمير عائد على الأربعة الأشهر[(١)].

ونُهي عن الظلم فيها تشريفاً لها بالتخصيص والذكر، وإن كان منهيّاً عنه في كل الزمن، وزعم النحاة أن العرب تكني عما دون العشرة من الشهور: فيهن، وعما فوق العشرة: فيها، وروي عن الكسائي أنه قال: إني لأتعجب من فعل العرب هذا، وكذلك يقولون فيما دون العشرة من الليالي: خلون، وفيما فوقها: خلت[(٢)].

وقال الحسن: معنى ﴿ فِيهِنَّ ﴾ أي: بسببهن ومن جرَّاهن في أن تُحلوا حرامها وتبدلوه بما لا حرمة له[(٣)]، وحكى المهدوي أنه قيل: لا تظلموا فيهن أنفسكم بالقتل[(٤)]، ثم نُسخ بفرض القتال في كل زمن[(٥)]، قال سعيد بن المسيب في كتاب الطبري: كان رسول الله ﷺ، يحرم القتال في الأشهر الحرم بما أنزل الله في ذلك حتى نزلت براءة[(٦)].

قال القاضي أبو محمد: وقوله: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ معناه: فيهن، فأحرى في غيرهن.

وقوله: ﴿ كَآفَّةً ﴾: معناه: جميعاً، وهو مصدر في موضع الحال، قال الطبري: كالعاقبة والعافية[(٧)].

---

(١) تفسير الطبري (١٤/ ٢٣٨)، وتفسير الماوردي (٢/ ٣٦٠).

(٢) تفسير القرطبي (٨/ ١٣٥)، وانظر القاعدة في معاني القرآن للفراء (١/ ٤٣٥)، وأدب الكاتب (ص: ٢٧١).

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ٢٣٩) وتفسير الماوردي (٢/ ٣٦٠) بتصرف.

(٤) في نجيبويه: «بالقتال».

(٥) التحصيل للمهدوي (٣/ ٢٤٦)، وفيه: «بالقتال».

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٢٣٦).

(٧) تفسير الطبري (١٤/ ٢٤٢).

فهو على هذا كما تقول: خاصةً وعامةً، ويظهر أيضاً أنه من كفَّ يكُف، أي: جماعة تكفُّ مَن عارضها، وكذلك نقل الكافة، أي: تكفُّ من خالفها، فاللفظة على هذا اسم فاعل.

وقال بعض الناس: معناه: يكف بعضهم بعضاً عن التخلُّف، وما قدمناه أعم وأحسن.

وقال بعض الناس: كان الفرض بهذه الآية قد توجه على الأعيان ثم نسخ ذلك بعد وجعل فرض كفاية.

قال القاضي أبو محمد: وهذا الذي قالوه لم يُعلم قط من شرع النبي ﷺ، أنه ألزم الأمة جميعاً النَّفْر، وإنما معنى الآية الحضُّ على قتالهم[1] والتحزب عليهم وجمع الكلمة، ثم قيدها بقوله: ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ فبحسب قتالهم واجتماعهم لنا[2] يكون فرض اجتماعنا لهم، وأما الجهاد الذي ينتدب إليه فإنما هو فرض على الكفاية، إذا قام به بعض الأمة / سقط عن الغير[3]. [٢/ ٢٣٧]

وقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ خبر في ضمنه أمرٌ بالتقوى، ووعدٌ عليها بالنصر والتأييد.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧﴾.

﴿ٱلنَّسِيٓءُ﴾ على وزن فعيل مصدر بمعنى التأخير، تقول العرب: أنسأ الله في أجَلك، ونسأ في أجلك، ومنه قول النبي ﷺ: «مَن سرَّه النَّسَأ في الأجل والسعة في الرزق فليصل رحمه»[4].

---

(١) في المطبوع «قتلاهم».

(٢) في الأسدية: «لئلا»، وفي جار الله: «لما».

(٣) انظر الإجماع على ذلك في: الإقناع (٣/ ١٠١٣).

(٤) متفق عليه بغير هذا اللفظ، هذا الحديث أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٧٩ (٢٢٧٦٣) من طريق =

وقرأ جمهور الناس والسبعة: ﴿ٱلنَّسِيٓءُ﴾، كما تقدم.

وقرأ ابن كثير فيما روي عنه وقوم معه في الشاذ: ﴿النسِيُّ﴾ مشدد الياء[١].

وقرأ فيما روي عنه، وجعفر[٢] بن محمد والزهري: (النَّسْء).

وقرأ أيضاً فيما روي عنه: (النِّسْءُ) على وزن النسع[٣]، وقرأت فرقة: (النَّسْي)[٤].

فأما ﴿ٱلنَّسِيٓءُ﴾ بالمد والهمز فقال أبو علي: هو مصدر مثل النذير والنظير والنكير وعذير الحي، ولا يجوز أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول؛ لأنه يكون المعنى: إنما المؤخَّر زيادة، والمؤخَّر الشهر ولا يكون الشهر زيادةً في الكفر[٥].

قال القاضي أبو محمد: وقال أبو حاتم: هو فعيل بمعنى مفعول، وينفصل عن إلزام أبي علي بأن يقدر مضاف، كأن المعنى: إنما إنساء النسيء، وقال الطبري: هو من معنى الزيادة، أي: زيادتهم في الأشهر، وقال أبو وائل: كان النسيء رجلاً من بني كنانة[٦].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف.

= ميمون أبي محمد المزني التميمي: حدثنا محمد بن عباد المخزومي، عن ثوبان مرفوعاً، وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٦/ ٢٩٢) من طريق: يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك مرفوعاً، ويزيد ضعيف وميمون فيه كلام، والحديث أخرجه البخاري (٢٠٦٧) (٥٩٨٥) ومسلم (٢٥٥٧) بلفظ: «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه».

(١) هذه قراءة سبعية من رواية ورش عن نافع، كما في التيسير (ص: ١١٨)، وانظر عزوها لابن كثير في السبعة (ص: ٣١٤).

(٢) في المطبوع وجار الله: «فيما روى عنه جعفر...»، ولعله خطأ، وسقط هو والزهري من نور العثمانية.

(٣) في التركية: «على وزن المنع».

(٤) هذه ثلاث قراءات شاذة، عزا الثانية لابن كثير في مختصر الشواذ (ص: ٥٦)، وعزا له الأولى أيضاً، وعزاها الثعلبي (٥/ ٤٤) لأبي عبد الرحمن وطلحة والأشهب وشبل، ولم أجدها لمن ذكر المؤلف لكن عزا لهم الكرماني في شواذ القراءات (ص: ١١٣) الثالثة.

(٥) الحجة لأبي علي (٤/ ١٩٣)، وليست فيه كلمة: النظير، وهي زيادة فقط من نجبويه وجار الله.

(٦) انظر قول الطبري وأبي وائل في تفسير الطبري (١٤/ ٢٤٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٩٤)، وقول أبي حاتم في الدر المصون (٦/ ٤٦).

وأما ﴿النسيُّ﴾ فهو الأول بعينه خففت الهمزة، وقيل: قلبت الهمزة ياء وأدغمت الياء في الياء.

وأما (النَّسْء) فهو مصدر من نسأ: إذا أخَّر.

وأما (النَّسْي) فقيل: تخفيف همزة النسيء، وذلك على غير قياس، وقال الطبري: هو مصدر من نسي ينسى إذا ترك(١).

قال القاضي أبو محمد: والنسيء هو فعل العرب في تأخيرهم الحرمة.

وقوله: ﴿زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ أي: جارٍ مع كفرهم بالله وخلافٌ منهم للحق، فالكفر متكثر بهذا الفعل الذي هو باطل في نفسه.

قال القاضي أبو محمد: ومما وجد في أشعارها من هذا المعنى قول بعضهم:

[مجزوء الرمل] .... وَمِنَّا مـنْسِئُ الـشَّهْرِ الْـقَـلَـمَّـسْ(٢)

وقال الآخر:

[الكامل] نسؤوا الشـهورَ بها وكانوا أهلَها مـن قبلكم والعـزُّ لم يتحـوَّلِ(٣)

ومنه قول جذل الطعان(٤):

[الوافر] لَقَـدْ عَلِمَـتْ مَعَـدٌّ أَنَّ قَوْمِـي كِـرَامُ النَّـاسِ أَنَّ لَهُـمْ كِرَامَـا

---

(١) في جار الله: «إذا أخر»، وهي الموافق لما في تفسير الطبري (١٤/ ٢٤٣)؛ أنه يعني الزيادة، أو التأخير.

(٢) بلا نسبة في تفسير الطبري (١٤/ ٢٥٠)، بلفظ: «الشهور»، وكذا هي في أكثر النسخ الخطية، إلا أنها غير مستقيمة في الوزن.

(٣) عزاه في سمط اللآلي (١/ ١٢) لأميّة بن الأسكر الليثي شاعر جاهلي إسلامي، قال: وقيل: إنه للشويعر ربيعة بن عبس الليثي.

(٤) هو عمير بن قيس أحد بني فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٤٥)، ومعجم الشعراء (ص: ٢٤٣)، وأنساب الأشراف (١١/ ٨٩)، قال: وهو جذل الطعان، أي: أصله، ويقال: شبه بأصل الشجرة لثباته للطعان.

فَـأَيُّ الـنَّـاسِ فَـاتُـونَـا بِـوِتْـرٍ   وَأَيُّ الـنَّـاسِ لَـمْ نُـعْلِـكْ لِجَامَا
أَلَـسْـنَـا الـنَّـاسِـئِـينَ عَـلَى مَعَـدٍّ   شُـهُـورَ الْحِـلِّ نَجْعَلُهَـا حَرَامَا(١)

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر: ﴿يَضِل﴾ بفتح الياء وكسر الضاد.

وقرأ ابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة وعمرو بن ميمون: ﴿يُضِل﴾ بضم الياء [وكسر الضاد(٢)، فإما على معنى: يُضِل الله، وإما على معنى: يضل به الذين كفروا أتباعهم، فـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في التأويل الأول في موضع نصب، وفي الثاني في موضع رفع.

وقرأ عاصم أيضا وحمزة والكسائي وابن مسعود فيما روي عنه: ﴿يُضَلُّ﴾ بضم الياء](٣) وفتح الضاد على المفعول الذي لم يسم فاعله(٤)، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ﴾ للتناسب في اللفظ.

وقرأ أبو رجاء: (يَضَل)(٥) من ضل يَضَلُّ على وزن فَعُل بكسر العين يَفْعَل بفتحها، وهي لغتان، يقال: ضل يضِل وضل يضَل، والوزن الذي ذكرناه يفرق بينهما، وكذلك يروى قول النبي ﷺ: «حتى يضل الرجل أن يدريَ كم صلى»(٦)، بفتح الضاد وكسرها.

وقوله: ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ معناه: عاماً من الأعوام، وليس يريد أن

---

(١) انظر عزو الأبيات له في سيرة ابن هشام (١/ ٤٥)، والأوائل للعسكري (ص: ٥٦)، وسمط اللآلي (١/ ١١).

(٢) وهي عشرية ليعقوب، كما في النشر (٢/ ٢٧٩)، وانظر عزوها للحسن وأبي رجاء في مختصر الشواذ (ص: ٥٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١١٨)، ولهما ولقتادة ومجاهد في تفسير الثعلبي (٥/ ٤٥)، وللكل في البحر المحيط (٥/ ٤١٧).

(٣) ما بين المعقوفين سقط من الأصل.

(٤) وهي والأولى سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٨)، والسبعة في القراءات (ص: ٣١٤).

(٥) وهذه شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٢١٤).

(٦) المشهور والمعروف في هذا الحديث: «يظل» بالظاء المشالة، كذا هو عند البخاري (٦٠٨) (١٢٣١) ومسلم (٣٨٩) وحكى الداودي أنها رويت بالضاد. يراجع المنتقى شرح الموطأ (١/ ١٦٠).

تلك كانت مداولة في الشهر بعينه عام حلال وعام حرام.

قال القاضي أبو محمد: وقد تأول بعض الناس القصة أنهم كانوا إذا شق عليهم توالي الأشهر الحرم أُحل لهم المحرم وحرم عليهم صفر بدلاً منه، ثم مشت الشهور مستقيمة على أسمائها المعهودة، فإذا كان من قابل حُرم المحرم على حقه وأحل صفر، ومشت الشهور مستقيمة، ورأت هذه الطائفة أن هذه كانت حالة القوم.

قال القاضي أبو محمد: والذي قدمناه قبلُ أليق بألفاظ الآيات، وقد بينه مجاهد وأبو مالك، وهو مقتضى قول النبي ﷺ: «إن الزمان قد استدار»[١] مع أن هذا الأمر كلَّه قد تَقضَّى، والله أعلم أيَّ ذلك كان[٢].

وقوله: ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ﴾ معناه: ليوافقوا، و«المواطأة»: الموافقة، تواطأ الرجلان على كذا: إذا اتفقا عليه، ومعنى ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾: ليحفظوا في كل عام أربعة أشهر في العدد.

قال القاضي أبو محمد: فأزالوا الفضيلة التي خص الله بها الأشهر الحرم وحدها بمثابة أن يفطر أحد رمضان ويصوم شهراً من السنة بغير مرض أو سفر.

وقوله: ﴿زُيِّنَ﴾ يحتمل هذا التزيين أن يضاف إلى الله عز وجل والمراد به خلقه لكفرهم وإقرارهم عليه وتحبيبه لهم، ويحتمل أن يضاف إلى مُغويهم ومضلِّهم من الإنس والجن، ثم أخبر تعالى أنه لا يهديهم ولا يرشدهم، وهو عموم معناه الخصوص في الموافين، أو عموم مطلق لكن لا هداية من حيث هم كفار[٣].

قال القاضي أبو محمد: وذكر أبو علي البغدادي في أمر النسيء أنه كان إذا صدر الناس من منى قام رجل يقال: له نعيم بن ثعلبة، فيقول: أنا الذي لا أُعاب ولا يردُّ لي

---

(١) في نجيبويه زيادة: «كهيئته» وهي في جار الله ملحقة في الهامش وعليها علامة صح، والحديث تقدم تخريجه قريباً.

(٢) من هنا إلى قوله: «من الصدقة»، في تفسير الآية: (٦٠)، سقط ما يقابله من الأسدية في التصوير.

(٣) في نجيبويه: «كافرون».

قضاء، فيقولون: أنسئنا شهراً، أي: أخِّر عنا حرمة المحرم فاجعلها في صفر[(١)].

قال القاضي أبو محمد: واسم نعيم لم يعرف في هذا، وما أرى ذلك إلا كما حكى النقاش من بني فقيم كانوا يسمَّون القَلامِس؛ واحدهم قَلَمَّس، وكانوا يُفْتون العرب في الموسم، يقوم كبيرهم في الحِجْر، ويقوم آخر عند الباب، ويقوم آخر عند الركن، فيفتون.

قال القاضي أبو محمد: فهم على هذا عِدَّة، منهم نعيم وصفوان، ومنهم ذرية القلمس حذيفة وغيرهم.

قال القاضي أبو محمد: وقال رسول الله ﷺ: «لا عَدْوَى ولا هامَةَ ولا صَفَرَ»[(٢)]، فقال بعض الناس: إنه يريد بقوله: «لا صفر» هذا النسيء، وقيل غيرُ ذلك.

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ / وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٣٩﴾. [٢/ ٢٣٨]

هذه الآية هي بلا اختلاف نازلة عتاباً على تخلُّفِ مَن تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وكانت سنةَ تسع من الهجرة بعد الفتح بعام، غزا فيها الرومَ في عشرين ألفاً بين راكب وراجل، وتخلف عنه قبائل من الناس ورجال من المؤمنين كثير ومنافقون، فالعتاب في هذه الآية هو للقبائل وللمؤمنين الذين كانوا بالمدينة، وخص الثلاثة كعب ابن مالك ومُرَارة بن الربيع[(٣)] وهلال بن أمية[(٤)] بذلك التذنيب الشديد بحسب مكانهم

(١) الأمالي لأبي علي القالي (١/ ٤)، وهو البغدادي.
(٢) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٥٧١٧) (٥٧٥٧) (٥٧٧٠) ومسلم (٢٢٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) مرارة بن الربيع الأنصاري الأوسيّ من بني عمرو بن عوف، ويقال: إن أصله من قضاعة، صحابي مشهور، شهد بدراً على قول، هو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم. انظر: الإصابة (٦/ ٥٢).
(٤) هو هلال بن أميّة بن عامر الأنصاريّ الواقفيّ، شهد بدراً وما بعدها، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم. الإصابة (٦/ ٤٢٨).

من الصحبة إذ هم من أهل بدر وممن يُقتدى بهم، وكان تخلفهم لغير علة حسب ما يأتي.

وقوله: ﴿مَا لَكُمْ﴾ استفهام بمعنى التقرير والتوبيخ.

وقوله: ﴿قِيلَ﴾، يريد النبي ﷺ، إلا أن صرفه الفعل [لما لم يسمَّ][1] فاعله يقتضي إغلاظاً ومخاشنة مّا، و«النَّفْر»: هو التنقل بسرعة من مكان إلى مكان لأمر يحدث، يقال في ابن آدم: نفر إلى الأمر يَنْفِر نفيراً ونَفْراً، ويقال في الدابة: نفرت تنفُر بضم الفاء نفوراً.

وقوله: ﴿اثَّاقَلْتُمْ﴾ أصله: تثاقلتم، أدغمت التاء في الثاء فاحتيج إلى ألف الوصل، كما قال: ﴿فَادَّارَأْتُمْ﴾ [البقرة: ٧٢] وكما تقول: ازَّيَّن، وكما قال الشاعر:

[البسيط] تُولِي الضجيعَ إِذَا ما استافها خَصِرا عَذْبَ المذاقِ إِذَا ما اتَّابع الْقُبُلُ[2]

وقرأ الأعمش فيما حكى المهدوي وغيره: (تَثَاقلتم) على الأصل[3]، وذكرها أبو حاتم: (تَتَثاقلتم) بتاءين ثم ثاء مثلثة، وقال: هي خطأ أو غلط، وصوَّب (تثاقلتم) بتاء واحدة وثاء مثلثة أنْ لو قرئ بها[4].

وقوله: ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ عبارة عن تخلفهم ونكولهم وتركهم الغزو لسكنى ديارهم والتزام نخلهم وظلالهم، وهو نحو من ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وقوله: ﴿أَرَضِيتُم﴾ تقرير، يقول: أرضيتم نَزْرَ الدنيا على خطير الآخرة وحظها الأسعد.

ثم أخبر فقال: إن الدنيا بالإضافة إلى الآخرة قليلٌ نزرٌ، فتعطي قوة الكلام التعجب من ضلال من يرضى النزر الفاني[5] بدل الكثير الباقي.

---

(١) في المطبوع: «لا يسمى».

(٢) البيت بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (١/ ٤٣٨)، وتفسير الطبري (٢/ ٢٢٤).

(٣) التحصيل للمهدوي (٣/ ٢٥٨)، والكشاف للزمخشري (٢/ ٢٧١) وهي شاذة.

(٤) لم أجده.

(٥) زيادة من نجيبويه.

وقوله: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ﴾ الآية، ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ شرط وجواب، وقوله: ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾ لفظ عام يدخل تحته أنواع عذاب الدنيا والآخرة، والتهديدُ[١] بعمومه أشد تخويفاً.

وقالت فرقة: يريد: يعذبكم بإمساك المطر عنكم، وروي عن ابن عباس أنه قال: استنفر رسول الله ﷺ قبيلة من القبائل فقعدت، فأمسك الله عنها المطر وعذبها به[٢].

و(أليم) بمعنى: مُؤْلِم، بمنزلة قول عمرو بن معد يكرب:

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعي السَّمِيعُ[٣] .... [الوافر]

[بمعنى: المسمع][٤].

وقوله: ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ توعُّد بأن يبدل لرسول الله ﷺ قوماً لا يقعدون عند استنفاره إياهم.

والضمير في قوله: ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا﴾ عائد على الله عز وجل، أي: لا ينقص ذلك من عزه وعز دينه، ويحتمل أن يعود على النبي ﷺ وهو أليق.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: على كل شيء مقدور، وتبديلُهم منه ليس بمحال[٥] ممتنع.

قوله عز وجل: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ

---

(١) في الأصل: «في التهديد».

(٢) ضعيف، هذا الحديث أخرجه أبو داود (٢٥٠٨)، والطبري (١٤/ ٢٥٣)، والحاكم (٢/ ١١٤) من طريق: زيد بن الحباب قال: حدثني عبد المؤمن بن خالد الحنفي قال: حدثني نجدة الخراساني قال: سمعت ابن عباس به. ونجدة فيه جهالة.

(٣) تقدم في تفسير الآية (١٠) من سورة البقرة.

(٤) سقط من المطبوع، وفي الأصل والحمزوية: «المستمع».

(٥) في نجيبويه: بحال.

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

هذا أيضاً شرط وجواب، والجواب أيضاً[١] في الفاء من قوله: ﴿فَقَدۡ﴾ وفيما بعدها.

قال النقاش: هذه أول آية نزلت من سورة براءة[٢].

ومعنى الآية: أنكم إن تركتم نصره فالله متكفل به، إذ قد نصره في موضع القلة والانفراد وكثرة العدو، فنصرُه إياه اليوم أحرى منه حينئذ.

وقوله: ﴿إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يريد: فعلوا من الأفاعيل ما أدَّى إلى خروجه، وأسند الإخراج إليهم إذ المقصودُ تذنيبهم، ولما كان مقصد أبي سفيان بن الحارث الفخر[٣] في قوله: مَنْ طَـرَّدْتُ كُلَّ مُطَـرَّدِ[٤]، لم يقرِّره النبي ﷺ[٥].

والإشارة إلى خروج رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة وفي صحبته أبو بكر، واختصار القصة: أن رسول الله ﷺ كان ينتظر أمر الله عز وجل في الهجرة من مكة [إلى المدينة][٦]،

---

(١) زيادة من جار الله وأحمد٣.

(٢) تفسير القرطبي (٨/ ١٤٢).

(٣) سقط من الأصل.

(٤) هذا جزء من بيت لأبي سفيان بن الحارث رضي الله عنه تقدم التعليق عليه في تفسير الآية (١٩٥) من سورة آل عمران.

(٥) صححه الحاكم على شرط مسلم، هذا الحديث أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/ ٥١) من طريق عبيد الله ابن موسى قال: أخبرنا عمرو بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق قال: كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يهجو أصحاب رسول الله...، وهذا مرسل، ثم أخرجه من طريق علي بن عيسى النوفلي عن أبيه عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث عن أبيه عبد الله بن الحارث بن نوفل أن أبا سفيان بن الحارث كان يشبه بالنبي ﷺ، وأنه كان أتى الشام، والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٦) من طريق: ابن إسحاق قال: حدثني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله عنه: قال: مضى رسول الله ﷺ وأصحابه عام الفتح... قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. اهـ.

(٦) زيادة من نجيبويه.

وكان أبو بكر حين ترك ذمة ابن الدَّغِنَّة قد أراد الخروج من مكة، فقال له رسول الله ﷺ: «اصبر فلعل الله أن يسهل في الصحبة»، فلما أذن الله لرسوله في الخروج تجهز من دار أبي بكر وخرجا، فبقيا في الغار الذي في جبل ثور في غربي مكة ثلاث ليال، وخرج المشركون في أثرهم حتى انتهوا إلى الغار فطمس عليهم الأثر، وقال أبو بكر للنبي ﷺ: [يا رسول الله][(١)]، لو نظر أحدهم لقدمه لرآنا، فقال له النبي ﷺ: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[(٢)].

ويروى أن العنكبوت نسجت على باب الغار، ويروى أن الحمامة عششت عند باب الغار، ويروى أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يجعل ثماماً في باب الغار، فتخيله المشركون نابتاً وصرفهم الله عنه[(٣)]، ووقع في «الدلائل» في حديث النبي ﷺ أنه نبتت على باب الغار راءة أمرها الله بذلك في الحين[(٤)]، قال الأصمعي: جمعها راء، وهي من نبات السهل[(٥)].

وروي أن أبا بكر لما دخل الغار خرق رداءه فسدَّ به كوى[(٦)] الغار لئلا يكون فيها حيوان يؤذي النبي ﷺ، وروي أنه بقيت واحدة فسدَّها برجله فوقى الله تعالى[(٧)]، وكان يروح عليهما باللبن عامر بن فُهَيْرَةَ مولى أبي بكر[(٨)].

---

(١) زيادة من التركية وجار الله ونور العثمانية.

(٢) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٤٦٦٣) ومسلم (٢٣٨١) من حديث أنس عن أبي بكر.

(٣) ذكر العنكبوت والحمام في حديث الغار لا يصح سنداً ومتناً، تراجع السلسلة الضعيفة للألباني (١١٢٨، ١١٢٩).

(٤) ليس في المطبوع منه، ولم أجده لغير المؤلف.

(٥) غريب الحديث لإبراهيم الحربي (٢/ ٧٨٦)، تهذيب اللغة (١٥/ ٢٣٥).

(٦) كتبت في المطبوع: «كواء».

(٧) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الدينوري في المجالسة (٢٢٣٨) وعزاه في كنز العمال (٣٥٦١٥) لأبي الحسين بن بشران في فوائده، والبيهقي في الدلائل، واللالكائي في السنة، وابن عساكر، وهو من طريق: الفرات بن السائب، عن ميمون بن مهران، عن ضبة بن محصن العنزي، قال: قلت لعمر ابن الخطاب...، والفرات متروك منكر الحديث.

(٨) صحيح، هذا الحديث أخرجه البخاري (٣٩٠٥) (٤٠٩٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقوله: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ معناه: أحد اثنين، وهذا كثالث ثلاثة، ورابع أربعة، فإذا اختلف اللفظ فقلت: رابع ثلاثة، فالمعنى: صيَّر الثلاثة بنفسه أربعة.

وقرأ جمهور الناس: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ بنصب الياء من ﴿ثَانِيَ﴾، قال أبو حاتم: لا نعرف / غير[1] هذا. [٢/ ٢٣٩]

وقرأت فرقة: (ثانيْ اثنين) بسكون الياء [من (ثانيْ)، قال أبو الفتح: حكاها أبو عمرو بن العلاء، ووجهُها أنه سكن الياء][2] تشبيهاً لها بالألف.

قال القاضي أبو محمد: فهذه كقراءة الحسن[3]: (ما بقيْ من الربا)، وكقول جرير:

[البسيط] هُـوَ الْخَلِيفَـةُ فَارْضَـوْا مَا رَضَـيْ لَكُمُ مَاضي الْعَزِيمَةِ مَا فِي حُكْمِهِ جَنَفُ[4]

وصاحبه: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وروي أن أبا بكر الصديق قال يوماً وهو على المنبر: أيكم يحفظ سورة التوبة، فقال رجل: أنا، فقال: اقرأ، فقرأ، فلما انتهى إلى قوله: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ بكى وقال: أنا والله صاحبه[5].

وقال الليث: ما صحب الأنبياءَ مثلُ أبي بكر الصديق.

وقال سفيان بن عُيينةَ: خرج أبو بكر بهذه الآية من المعاتبة التي في قوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾[6].

---

(١) ساقطة من نجيبويه.

(٢) ساقط من التركية، والقراءة شاذة انظرها مع التوجيه في المحتسب (١/ ٢٨٩).

(٣) زيادة من التركية وجار الله ونور العثمانية.

(٤) تقدم عزوه له في تفسير الآية (٢٧٨) من سورة البقرة.

(٥) هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ٢٦٠) وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٠٠) من طريق ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبيه: أن أبا بكر الصديق رحمة الله تعالى عليه حين خطب... وظاهره الإرسال.

(٦) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ١٤٣).

قال القاضي أبو محمد: أقول بل خرج منها كلُّ مَن شاهد غزوة تبوك ولم يتخلف، وإنما المعاتبة لمن تخلف فقط، أمَا إن هذه الآية منوِّهةٌ بأبي بكر حاكمة بقدمه[١] وسابقته في الإسلام رضي الله عنه.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ يريد به النصر والإنجاء واللطف.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ الآية، قال حبيب بن أبي ثابت: الضمير في ﴿عَلَيۡهِ﴾ عائد على أبي بكر، لأن النبي ﷺ لم يزل ساكن النفس ثقةً بالله عز وجل[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قولُ مَن لم ير السكينة إلا سكون النفس والجأش.

وقال جمهور الناس: الضمير عائد على النبي ﷺ، وهذا أقوى.

و«السكينة» عندي إنما هي ما ينزله الله على أنبيائه من الحياطة لهم، والخصائصِ التي لا تصلح إلا لهم، كقوله تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ إلى آخر الآية يراد به ما صنعه الله لنبيه إلى وقت تبوك من الظهور والفتوح، لا[٣] أن تكون هذه الآية تختص بقصة الغار والنجاة إلى المدينة، فعلى هذا تكون الجنود الملائكة النازلين ببدر وحنين.

ومن رأى أن الآية مختصة بتلك القصة قال: الجنود ملائكة بشروه بالنجاة وبأن الكفار لا ينجح لهم سعي.

وفي مصحف حفصة: (فأنزل الله سكينته عليهما وأيدهما)، وقرأ مجاهد: (وآيده) بألفين[٤]، والجمهور: ﴿وَأَيَّدَهُۥ﴾ بشد الياء.

---

(١) في المطبوع: «وتقدمه».

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٠١).

(٣) في التركية: «إلا».

(٤) انظر قراءة حفصة في تفسير السمعاني (٢/ ٣١٢)، وقراءة مجاهد في تفسير الثعلبي (٥/ ٤٨)، كتبت في جار الله: «آيدهما».

وقوله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ يريد بإدحارها ودحضها وإذلالها.

﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ قيل: يريد «لا إله إلا الله»، وقيل: الشرع بأسره.

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَكَلِمَةُ﴾ بالرفع على الابتداء، وقرأ الحسن بن أبي الحسن ويعقوب: ﴿وكلمةَ﴾ بالنصب[١] على تقدير وجَعَل كلمةَ، قال الأعمش: ورأيت في مصحف أنس بن مالك المنسوبِ إلى أبيٍّ بن كعب: (وجعل كلمتَه هي العليا)[٢].

قوله عز وجل: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

هذا أمر من الله عز وجل لأمة محمد ﷺ بالنفْر إلى الغزو، فقال بعض الناس: هذا أمر عام لجميع المؤمنين تَعَيَّن به الفرض[٣] على الأعيان في تلك المدة، ثم نسخه الله عز وجل بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]، روي ذلك عن الحسن وعكرمة[٤].

وقال جل الناس: بل هذا حضٌّ، والأمر في نفسه موقوف على فرض الكفاية، ولم يُقصد بالآية فرضُه على الأعيان.

وأما قوله: ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ فنصبٌ على الحال من الضمير في قوله: ﴿ٱنفِرُواْ﴾،

---

(١) وهي قراءة عشرية، انظر عزوها ليعقوب في النشر (٢/ ٢٧٩)، وموافقة الحسن والمطوعي في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٠٤).

(٢) وهي مخالفة للمصحف، تابعه عليها في البحر المحيط في التفسير (٥/ ٤٢٢).

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «فعبر عنه بالفرض».

(٤) ورد في الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/٥٠٣) أن الحسن وعكرمة قالا: إن قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ قال نسختها ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ الآية. ولم أجد لهما غير هذا.

ومعنى الخفة والثقل هنا مستعار لمن يمكنه السفر بسهولة ومن يمكنه بصعوبة، وأما من لا يمكنه كالعُمْي ونحوهم فخارج عن هذا.

وروي أن ابن أم مكتوم جاء إلى النبي ﷺ فقال: أعليّ أن أنفر؟ فقال له: «نعم»، حتى نزلت: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١][(١)].

وذكر الناس من معاني الخفة والثقل أشياءَ لا وجه لتخصيص بعضها دون بعض، بل هي وجوه متفقة:

فقيل: الخفيف: الغني، والثقيل: الفقير، قاله مجاهد.

وقيل: الخفيف: الشاب، والثقيل: الشيخ، قاله الحسن وجماعة.

وقيل: الخفيف: النشيط، والثقيل: الكاسل، قاله ابن عباس[(٢)] وقتادة[(٣)].

وقيل: المشغول ومن لا شغل له، قاله الحكم بن عيينة وزيد بن علي[(٤)].

وقيل: الذي له ضيعة[(٥)] هو الثقيل ومن لا ضيعة له هو الخفيف، قاله ابن زيد[(٦)].

وقيل: الشجاع هو الخفيف، والجبان هو الثقيل، حكاه النقاش[(٧)].

وقيل: الراجل هو الثقيل، والفارس هو الخفيف، [قاله الأوزاعي][(٨)].

قال القاضي أبو محمد: وهذان الوجهان الآخران ينعكسان، وقد قيل ذلك ولكنه بحسب وطأتهم على العدو، فالشجاع هو الثقيل، وكذلك الفارس، والجبان

(١) لم أقف عليه مسنداً، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٦١).
(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ٢٦٦) من طريق العوفي عن ابن عباس.
(٣) انظر أقوال مجاهد والحسن وقتادة في تفسير الطبري (١٤/ ٢٦٦)، وانظر: تفسير الماوردي (٢/ ٣٦٥).
(٤) تفسير الثعلبي (٥/ ٤٩). وفيه الحكم بلا نسبة والظاهر أنه بن عتيبة، وفي جميع النسخ ابن عيينة ولعله خطأ، وقد تقدم مثله.
(٥) في جار الله: صنعة في الموضعين.
(٦) تفسير الطبري (١٤/ ٢٦٦)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٤٩).
(٧) تفسير القرطبي (٨/ ١٥٠).
(٨) ساقط من التركية، وانظر: تفسير الماوردي (٢/ ٣٦٥).

هو الخفيف، وكذلك الراجل، وكذلك ينعكس الفقير والغني، فيكون الغني هو الثقيل بمعنى صاحب الشغل، ومعنى هذا أن الناس أُمروا جملة.

وهذه الأقوال إنما هي على معنى المثال في الثقل والخفة.

وقال أبو طلحة: ما أسمع اللهَ عذر أحداً، وخرج إلى الشام فجاهد حتى مات[١].

وقال أبو أيوب[٢]: ما أجدني أبداً إلا ثقيلًا أو خفيفاً[٣].

وروي أن بعض الناس رأى في غزوات الشام رجلاً سقط حاجباه على عينيه من الكبر، فقال له: يا عم، إن الله قد عذرك، فقال: يا ابن أخي، إنَّا قد أمرنا بالنفر خفافاً وثقالاً[٤].

وأسند الطبري عمن رأى المقداد بن الأسود بحمص وهو على تابوت صرَّافٍ وقد فَضَل على التابوت من سِمَنه وهو يتجهز للغزو، فقال له: لقد عذرك الله، فقال: أتت علينا سورة البعوث: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[٥]، وروي: سورة البحوث.

وقوله تعالى: ﴿بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ وصفٌ لأكمل ما يكون من الجهاد

---

(١) هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ٢٦٢) وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩/ ٤٢٢) من طريق ابن عيينة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أنس، عن أبي طلحة. وابن جدعان ضعيف، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٠٩) إلى جماعة من المصنفين.

(٢) في جار الله: «أبو الدرداء».

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ٢٦٢) وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩/ ٤٢٢) من طريق ابن عيينة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أنس، عن أبي طلحة. وابن جدعان ضعيف.

(٤) تفسير الطبري (١٤/ ٢٦٤).

(٥) إسناده فيه جهالة، أخرجه الطبري (١٤/ ٢٦٧) من طريق: الوليد بن مسلم قال: حدثنا حريز بن عثمان، عن راشد بن سعد، عمن رأى المقداد بن الأسود، ثم رواه من طريق: بقية بن الوليد قال: حدثنا حريز قال: حدثني عبد الرحمن بن ميسرة قال: حدثني أبو راشد الحبراني قال: وافيت المقداد ابن الأسود، والوليد بن مسلم مقدم على بقية، وراشد بن سعد كثير الإرسال، ولم يسم من روى عنه.

وأنفعِه[١] عند الله تعالى، فحض على كمال الأوصاف، وقدِّمت الأموال في الذكر إذ هي أول مَصْرِفٍ وقت التجهُّز فرتب الأمر كما هو في نفسه، ثم أخبر أن ذلك لهم خير للفوز برضى الله وغلبة العدو ووراثة الأرض.

وفي قوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تنبيه وهزٌّ للنفوس.

وقوله: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ الآية، ظاهر هذه الآية وما يحفظ من قصة تبوك: أن الله لما أمر رسوله بغزو الروم ندب الناسَ، وكان ذلك في شدة من الحر وطيب من الثمار والظلال، فنفر / المؤمنون، واعتذر منهم لا محالة فريق لا سيما من القبائل المجاورة [٢/ ٢٤٠] للمدينة، ويدل على ذلك قوله في أول هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾، لأن هذا الخطاب ليس للمنافقين خاصة بل هو عام، واعتذر المنافقون بأعذار كاذبة، وكانوا بسبيلِ كسلٍ مُفْرِطٍ وقصدٍ للتخلف، وكانت أعذار المؤمنين حقيقة ولكنهم تركوا الأَولى من التحامل[٢]، فنزل ما سلف من الآيات في عتاب المؤمنين، ثم ابتدأ من هذه الآية ذكر المنافقين وكشف ضمائرهم، فيقول: لو كان هذا الغزو لعرض ـ أي: لمال وغنيمة تنال قريباً بسفرٍ قاصد يسير ـ لبادروا إليه، لا لوجه الله ولا لظهور كلمته، ولكن بعدت عليهم الشقة في غزو الروم، أي: المسافة الطويلة.

وذكر أبو عبيدة أن أعرابيّاً قدم البصرة، وكان قد حمل حَمالةً فعجز عنها، وكان معه ابن له يسمى الأحوص فبادر الأحوص، أباه بالقول، فقال: إنَّا مَن تعلمون وأبناء سبيل، وجئنا من شُقَّة ونطلب في حق وتُنطوننا ويجزيكم الله، فتهيأ أبوه ليخطب، فقال له: يا إياك، إني قد كفيتك[٣].

قال القاضي أبو محمد: «يا» تنبيهٌ، و«إياك» نهي.

---

(١) في الأصل والحمزوية: «وأنفسه».

(٢) في نجيبويه: «التجامل».

(٣) مجاز القرآن (١/ ٢٦٠)، وفيه: «الأخوص الرياحي» بدل «الأحوص»، ولم أعرفه.

وقرأ عيسى بن عمر: (الشِّقة) بكسر الشين[(١)].

وقرأ الأعرج: (بعِدت) بكسر العين[(٢)]، وحكى أبو حاتم أنها لغة بني تميم في اللفظتين[(٣)].

وقوله: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ يريد المنافقين، وهذا إخبار بغيب، وقوله: ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ يريد: عند تخلفهم [مجاهرةً وكفرِهم][(٤)]، فكأنهم يوجبون على أنفسهم الحتم بعذاب الله.

ثم أخبر أن الله الذي هو أعدل الشاهدين يعلم كذبهم، وأنهم كانوا يستطيعون الخروج ولكنهم تركوه كفراً ونفاقاً، وهذا كله في الجملة لا بتعيينِ شخص، ولو عيِّن لقتل بالشرع.

وقرأ الأعمش على جهة التشبيه بواو ضمير الجماعة: (لوُ استطعنا) بضم الواو، ذكره ابن جني، ومثَّله بقوله تعالى: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾ [التوبة: ٤٨]، ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ [البقرة: ٩٤]، ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ [البقرة: ١٦][(٥)] وما أشبهه.

قوله عز وجل: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

هذه الآية في صنفٍ مبالغٍ في النفاق، واستأذنوا دون اعتذار، منهم عبد الله بن أبيٍّ والجدُّ بن قيس ورفاعة بن التابوت ومَن اتبعهم، فقال بعضهم: إيذن لي ولا تفتني،

---

(١) وهي شاذة، انظر: محتصر الشواذ (ص: ٥٨)، في نور العثمانية: «قال» بدل «قرأ».

(٢) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٢١٤)، وزاد أبان بن تغلب.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في نجيبويه: «بمجاهرة كفرهم»، وفي نور العثمانية: «مجاهدة وكفرهم».

(٥) انظر القراءة وتوجيهها في المحتسب (١/ ٢٩٢).

وقال بعضهم: إيذن لنا في الإقامة، فأذن لهم رسول الله ﷺ استيفاءً[1] منه ﷺ، وأخذاً بالأسهل من الأمور، وتوكُّلاً على الله، وقال مجاهد: إنَّ بعضهم قال: نستأذنه، فإن أذن في القعود قعدنا وإلا قعدنا، فنزلت الآية في ذلك[2].

وقالت فرقة: إن رسول الله ﷺ، أذن لهم دون أن يؤمر بذلك، فعفي عنه ما يلحق من هذا، وقدِّم له ذكر العفو قبل العتاب إكراماً له ﷺ، وقال عمرو بن ميمون الأودي[3]: إن رسول الله ﷺ صدع[4] برأيه في قصتين دون أن يؤمر فيهما بشيء: هذه، وأمر أسارى بدر، فعاتبه الله فيهما[5].

وقالت فرقة: بل قوله في هذه الآية: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ استفتاح كلام، كما تقول: أصلحك الله وأعزك الله، ولم يكن منه ﷺ ذنبٌ يُعفى عنه فيه، لأن صورة الاستنفار وقبول الإعذار مصروفة إلى اجتهاده، وأما قوله: ﴿لِمَ أَذِنتَ﴾ فهي على معنى التقرير.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ يريد في استئذانك، وأنك لو لم تأذن لهم خرجوا معك.

وقوله: ﴿وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ يريد في أنهم استأذنوك يظهرون لك أنهم يقفون عند حدك وهم كذبة قد عزموا على العصيان أذنت لهم أو لم تأذن، وقال الطبري: معناه حتى تعلم الصادقين في أن لهم عذرا والكاذبين في أن لا عذر لهم[6].

قال القاضي أبو محمد: وعلى هذا التأويل يختلط المتعذِّرون، وقد قدمنا أن فيهم مؤمنين كالمستأذنين وهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، والأول أصوب والله أعلم.

---

(١) في المطبوع: «استبقاء منه عليهم». وفي نجيبويه ونور العثمانية: «استبقاء منه».
(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٢٧٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٠٥).
(٣) في نور العثمانية: «الأزدي»، وفي السليمانية: «الأسدي»، وفي نجيبويه: «الأوجه».
(٤) في نور العثمانية: «صرح».
(٥) تفسير الطبري (١٤/ ٢٧٣)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٥٠).
(٦) تفسير الطبري (١٤/ ٢٧٣)، بتصرف.

وأدخل الطبري أيضاً في تفسير هذه الآية عن قتادة أن هذه الآية نزلت بعدها الآية الأخرى في سورة النور: ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ [النور: ٦٢][١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا غلط، لأن آية النور نزلت سنة أربع من الهجرة في غزوة الخندق في استئذان بعض المؤمنين رسولَ الله ﷺ في بعض شأنهم في بيوتهم في بعض الأوقات، فأباح الله له أن يأذن، فتباينت الآيتان في الوقت والمعنى.

وقوله: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾ الآية، نفى عن المؤمنين أن يستأذنوا رسول الله ﷺ في التخلف دون عذر كما فعل الصنف المذكور من المنافقين.

وقوله: ﴿أَن يُجَـٰهِدُوا۟﴾ يحتمل أن تكون ﴿أَن﴾ في موضع نصب على معنى: لا يستأذنون في التخلف كراهيةَ أن يجاهدوا، قال سيبويه: ويحتمل أن تكون في موضع خفض[٢].

قال القاضي أبو محمد: على معنى: لا يحتاجون إلى أن يستأذنوا في أن يجاهدوا بل يمضون قدماً، أي: فهم أحرى ألا يستأذنوا في التخلف.

ثم أخبر بعلمه تعالى بالمتقين، وفي ذلك تعيير للمنافقين وطعن عليهم بيِّن.

قوله عزَّ جلّ: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

هذه الآية تنص على أن المستأذنين إنما هم مخلصون للنفاق، ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ معناه: شكّت، والريب نحو الشك، و﴿يَتَرَدَّدُونَ﴾ أي: يتحيرون لا يتجه لهم هدًى، ومن هذه الآية نزعَ أهلُ الكلام في حدِّ الشَّك أنه ترددٌ بين أمرين.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٢٧٣).

(٢) لعله يقصد أن هذا مذهبه في مثل هذا، أما هذه الآية فلم أجد له فيها شيئاً خاصّاً بها.

والصواب في حده أنه توقف بين أمرين، والتردد في الآية إنما هو في ريب هؤلاء المنافقين؛ إذ كانوا تخطر لهم صحة أمر النبي ﷺ أحياناً، وأنه غير صحيح أحياناً، ولم يكونوا شاكِّين طالبين للحق؛ لأنه كان يتضح لهم لو طلبوه، بل كانوا مذبذبين لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء كالشاة العائرة[١] بين الغنمين، وأيضاً فبين الشك والريب فرقٌ مّا، وحقيقة الريب إنما هو الأمر يستريب به الناظر فيخلط عليه عقيدته، فربما أدى إلى شكٍّ وحيرةٍ، وربما أدَّى إلى علم ما في[٢] النازلة التي هو فيها، ألا ترى أن قول الهذلي:

كَـأَنَّـنِـي أَرَبْـتُـهُ بِـرَيْـبِ[٣] [الرجز]

لا يتجه أن يفسر بشك.

قال الطبري: وكان جماعة من أهل العلم يرون أنَّ هاتين الآيتين منسوختان بالآية التي ذكرنا في سورة النور، وأسند عن الحسن وعكرمة أنهما قالا في قوله: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٤٤] إلى قوله: ﴿فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾: نسختها الآية التي في النور: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٦٢][٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا غلطٌ وقد تقدَّم ذكره.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ﴾ الآية، حجةٌ على المنافقين، أي: ولو

---

(١) تحرفت في نجيبويه إلى: «العائدة».

(٢) «ما» في ساقطة من المطبوع.

(٣) البيت لخَالِد بن زُهَيْر الهذلي كما في جمهرة اللغة (١/ ٣٣٢)، وأمالي القالي (٢/ ٢٠٨)، وتفسير الطبري (١٥/ ٣٧٠).

(٤) انظر ما عزاه للطبري من قول وإسناد عن الحسن وعكرمة في تفسيره (١٤/ ٢٧٦).

أرادوا الخروج بنياتهم لنظروا في ذلك واستعدوا له قبل كونه، والعُدَّة: ما يُعَدُّ للأمر ويروى له من الأشياء.

وقرأ جمهور الناس: ﴿عُدَّةً﴾ بضم العين وتاء تأنيث.

وقرأ محمد بن عبد الملك بن مروان وابنه معاوية بن محمد[(١)]: (عُدَّهُ) بضم العين وهاء إضمار[(٢)]، يريد: عدته، فحذفت تاء التأنيث لما أضاف، كما قال: ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾، يريد: وإقامة الصلاة، هذا قول الفراء[(٣)]، وضعفه أبو الفتح، وقال: إنما حذف تاء التأنيث وجعل هاء[(٤)] الضمير عوضاً منها[(٥)].

وقال أبو حاتم: هو جمع عُدَّة على عُدٍّ، كبُرَّةٍ وبُرٍّ، ودُرةٍ ودُرٍّ، والوجه فيه: عددٌ، ولكن لا توافق خط المصحف[(٦)].

وقرأ عاصم فيما روى عنه أبان، وزر بن حبيش: (عِدَّه) بكسر العين وهاء[(٧)] إضمار، وهو عندي اسم لما يُعدُّ كالذِّبح والقِتل؛ لأن العدو سمي قِتلاً إذ حقُّه أن يقتل، هذا في معتقد العرب حين سمته.

و﴿ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾ نفوذهم لهذه الغزوة.

و«التثبيط»: التكسيل، وكَسْرُ العزم.

---

(١) محمد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو جعفر الواسطي الدمشقي، روى عن يزيد بن هارون، وغيره، وعنه: أبو داود، وابن ماجه، وجماعة، ووثقه الدارقطني وأبو حاتم، توفي سنة (٢٦٦هـ). تاريخ الإسلام (٢٠/ ١٧٢)، ومعاوية ابنه لم أجد له ذكراً.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لمحمد في المحتسب (١/ ٢٩٢)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ٥٨) لمعاوية بن أبي سفيان.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ٢١٣).

(٤) في نجيبويه: «هذا».

(٥) انظر: المحتسب لابن جني (١/ ٢٩٢).

(٦) البحر المحيط في التفسير (٥/ ٤٢٨).

(٧) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٨).

وقوله: ﴿وَقِيلَ﴾ يحتمل أن يكون حكاية عن الله تعالى، أي: قال الله في سابق قضائه: ﴿اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾.

ويحتمل أن يكون حكاية عنهم، أي: كانت هذه مقالة بعضهم لبعض إمَّا لفظاً وإمَّا معنًى، فحكي في هذه الألفاظ التي تقتضي لهم مذمة إذ القاعدون النساء والأطفال.

ويحتمل أن يكون عبارة عن إذن محمد ﷺ لهم في القعود، أي: لما كره الله خروجهم يسَّر أن قلت لهم: ﴿اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾، و«القعود» هنا: عبارة عن التخلف والتراخي، كما هو في قول الشاعر:

.... وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي[1] [البسيط]

وليس للهيئة في هذا كله مدخل، وكراهيةُ الله انبعاثهم رفقٌ بالمؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ﴾ الآية، خبر بأنهم لو خرجوا لكان خروجهم مضرة، وقوله: ﴿إِلَّا خَبَالًا﴾ استثناء من غير الأول، وهذا قول من قدَّر أنه لم يكن في عسكر رسول الله ﷺ خبال فيزيدَ المنافقون فيه، فكأن المعنى: ما زادوكم قوة ولا شدة لكن خبالاً.

ويحتمل أن يكون الاستثناء غير منقطع، وذلك أنَّ عسكر رسول الله ﷺ في غزوة تبوك كان فيه منافقون كثير، ولهم لا محالة خبال، فلو خرج هؤلاء لالتأموا مع الخارجين فزاد الخبال، والخبال: الفساد في الأشياء المؤتلفة الملتحمة، كالمودات وبعض[2] الأجرام، ومنه قول الشاعر:

أَبَنِي لُبَيْنَى لَسْتُمُ بِيَدٍ إِلَّا يَداً مَخْبُولَةَ الْعَضُدِ[3] [السريع]

---

(١) صدره: دع المكارم لاترحل لبغيتها، وهو للحطيئة كما في العين (١/ ١٤٣)، والعقد الفريد (٢/ ٣٣٥)، والأغاني (٢/ ١٧٧).

(٢) في التركية: «نقص».

(٣) البيت لأوس بن حجر، كما في تهذيب اللغة (٧/ ١٨١)، ومجمل اللغة لابن فارس (ص: ٣١٢)، وأساس البلاغة (١/ ٢٣٠).

وقرأ ابن أبي عبلة: (ما زادكم) بغير واو[١].

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَلَأَوْضَعُواْ﴾ ومعناه: لأسرعوا السير.

و﴿خِلَٰلَكُمْ﴾ معناه: فيما بينكم من هنا إلى هنا سداً لموضع[٢] الخلة بين الرجلين، و«الإيضاع»: سرعة السير. وقال الزجَّاج: ﴿خِلَٰلَكُمْ﴾ معناه: فيما يُخِلُّ بكم[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيفٌ، وماذا يقول في قوله: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ [الإسراء: ٥]؟.

وقرأ مجاهد ـ فيما حكى النقاش عنه ـ: (ولأوفضوا)[٤]، وهو أيضاً بمعنى الإسراع، ومنه قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣].

وحكي عن الزبير أنه قرأ: (ولأرقصوا)[٥]، قال أبو الفتح: هذه من رَقَصَ البعير: إذا أسرع في مشيه، رَقَصاً ورَقَصاناً، ومنه قول حسان بن ثابت:

[الكامل]
بِزُجَاجَـةٍ رَقَصت بِمَا فِـي قَعْرِهَا ... رَقَصَ القَلُوصِ بِرَاكِبٍ مُسْتَعْجِلِ[٦]

ووقعت: (ولا أوضعوا)، بألف بعد (لا) في المصحف، وكذلك وقعت في قوله: ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل: ٢١][٧]، قيل: وذلك لخشونة هجاء الأولين.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٢١٥).

(٢) في المطبوع والأصل ونور العثمانية: «يسد الموضع الخلة».

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٥١).

(٤) وهي شاذة، انظرها في: البحر المحيط (٥/ ٤٣٠)، ونقلها الكرماني (ص: ٢١٥) عن ابن الزبير في أحد أوجهه.

(٥) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٩٣)، مع التوجيه، وفي الحمزاوية والمطبوع وأحمد٣: «ولأرفضوا»، وكذلك «رفضاً ورفضاناً» فيهن وفي نور العثمانية.

(٦) انظر عزوه له في العين (٥/ ٦٢)، وجمهرة اللغة (٢/ ٧٤٢)، والأغاني (١٧/ ١٧٧)، وسقط الشطر الأول من الأصل.

(٧) انظر: المحكم في نقط المصاحف للداني (١/ ١٧٤).

قال الزجَّاج: وإنما وقعوا في ذلك؛ لأن الفتحة في العبرانية وكثيرٍ من الألسنة تكتب ألفاً[١].

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أن تُمطل حركة اللام فيحدثَ[٢] ألف بين اللام والهمزة التي من (أوضع).

وقوله: ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ أي: يطلبون لكم الفتنة.

وقوله: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ﴾ قال سفيان بن عيينة، والحسن، ومجاهد، وابن زيد[٣]: معناه: جواسيس يستمعون الأخبار وينقلونها إليهم، ورجحه الطبري[٤].

قال النقاش: بناء المبالغة يضعِّف هذا القول[٥].

وقال جمهور المفسرين: معناه: وفيكم مطيعون سامعون لهم.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ توعدٌ لهم ولمن كان من المؤمنين على هذه الصفة.

قوله عز وجل: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٥١).
(٢) في التركية ونجيبويه: «فتحذف».
(٣) في نجيبويه: «ابن ربيعة» بدل «ابن زيد».
(٤) انظر قول سفيان بن عيينة في: تفسير السمعاني (٢/ ٣٨)، وانظر قول الحسن في: النكت للماوردي (٢/ ٣٦٩)، وانظر قول مجاهد وابن زيد وترجيح الطبري له في: تفسير الطبري (١٤/ ٢٨١-٢٨٢).
(٥) لم أقف عليه.

في هذه الآية تحقيرُ شأنِهِم، وذلك أنه أخبر أنهم قديماً[(١)] سعوا على الإسلام فأبطل الله سعيهم / ، ومعنى قوله: ﴿مِن قَبۡلُ﴾ ما كان من حالهم من وقت هجرة رسول الله ﷺ ورجوعهم عنه في أحد وغيرها، ومعنى ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ﴾: دبَّروها ظَهراً لبطن، ونظروا في نواحيها وأقسامها وسعوا بكل حيلة. [٢/ ٢٤٣]

وقرأ مسلمة بن مُحارِبٍ[(٢)]: (وقلَبوا لك) بالتخفيف في اللام[(٣)].

و﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾: الإسلام ودعوته، وقوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي﴾ نزلت في الجَدِّ بن قيس، وذكر أن رسول الله ﷺ، لما أمر بالغزو إلى بلاد الروم حرض الناس فقال للجد بن قيس: «هل لك العامَ في جِلَاد بني الأصفر؟»[(٤)]، وقال له وللناس: «اغزوا تغنموا بنات الأصفر»، فقال له الجد بن قيس: ائذن لي في التخلف ولا تفتنِّي بذكر بنات الأصفر، فقد علم قومي أني لا أتمالك عن النساء إذا رأيتهن[(٥)]، ذكر ابن إسحاق نحو هذا من القول الذي فيه فتور كثير وتخلُّف في الاعتذار.

وأسند الطبري أن رسول الله ﷺ قال: «اغزوا تبوك تغنموا بنات الأصفر»، فقال الجد: ائذن لي ولا تفتنا بالنساء[(٦)].

---

(١) في الأصل: «ربما»، بدل «قديماً».

(٢) في التركية: «مسيلمة»، وهو خطأ، وقد تقدم التعريف به قريباً في سورة الأنفال.

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٨).

(٤) ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٩٦٠٠)، من طريق عبد الرحمن بن بشير، عن محمد ابن إسحاق، ثنا سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً به، وعبد الرحمن بن بشير ـ وهو أبو أحمد الشيباني ـ: منكر الحديث، يروي عن ابن إسحاق غير حديث منكر قاله أبو حاتم، ثم إنه خولف فيه، فقد رواه سلمة بن الفضل الرازي، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، وغيره من مشايخه، به معضلاً، أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤/ ٢٨٧) عن ابن حميد، عن سلمه به، وسلمة بن الفضل هذا تكلموا فيه، لكن ثبتوه في ابن إسحاق، والحديث يُروى من طرق أخرى كلها مراسيل ومعضلات، ولا يصح منها شيء.

(٥) ضعيف، هذا الأثر أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤/ ٢٨٧) من طريق مجاهد به مرسلًا.

(٦) ضعيف، وهو الأثر نفسه المتقدم آنفاً.

وهذا منزعٌ غير الأول إذا نظر، وهو أشبه بالنفاق والمحادَّة.

وقال ابن عباس: إنَّ الجد قال: ولكني أعينك بمالي[١].

وتأول بعض الناس قوله: ﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ أي: لا تصعِّب عليَّ حتى أحتاج إلى مواقعة معصيتك ومخالفتك، فسهِّل أنت عليّ ودعني غير مجلح[٢]، وهذا تأويل حسن واقف مع اللفظ، لكن تظاهر ما روي من ذكر بنات الأصفر، وذلك معترض في هذا التأويل.

وقرأ عيسى بن عمر: (ولا تُفتنِّي) بضم التاء الأولى[٣]، قال أبو حاتم: هي لغة بني تميم. والأصفر: هو الروم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما السلام، وكان أصفر اللون، فيقال للروم: بنو الأصفر، ومن ذلك قول أبي سفيان: أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر[٤]، ومنه قول الشاعر:

وَبَنُـو الأَصْفَـرِ الْكِرَامُ مُلُـوكُ الرْ ... رُومِ لَـمْ يَبْـقَ مِنْهُـمُ مَذْكُـورُ[٥] [الخفيف]

وذكر النقاش والمهدوي أن الأصفر رجلٌ من الحبشة وقع ببلاد الروم، فتزوج وأنسل بناتٍ لهنَّ جمالٌ[٦] وهذا ضعيفٌ.

---

(١) ضعيف، أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤/ ٢٨٧) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وهذا منقطع.

(٢) في التركية: «ملجلج»، وفي هامش أحمد٣: «غير محتاج».

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له مع قول أبي حاتم في البحر المحيط (٥/ ٤٣١)، ونسبها في مختصر الشواذ (ص: ٥٨) لإسماعيل المكي.

(٤) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) من حديث أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه.

(٥) البيت لعدي بن زيد العبادي كما في الشعر والشعراء (١/ ٢١٩)، والعقد الفريد (٣/ ١٤١)، والأغاني (٢/ ١٣١).

(٦) انظر: التحصيل للمهدوي (٣/ ٢٥٣)، وقول النقاش لم أقف عليه.

وقوله: ﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْ﴾ أي: في الذي أظهروا الفرار منه بما تبين لك وللمؤمنين من نفاقهم، وصح عندكم من كفرهم وفسد مما[١] بينكم وبينهم.

و﴿سَقَطُواْ﴾ عبارة منبئة عن تمكن وقوعهم، ومنه: على الخبير سقطت، ثم قال: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ وهذا توعُّدٌ شديدٌ لهم؛ أي: هي مآلهم ومصيرهم، كيف ما تقلبوا في الدنيا فإليها يرجعون، فهي محيطة بهذا الوجه.

وقوله تعالى: ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ﴾ الآية أخبر تعالى عن معتقدهم وما هم عليه، والحسنة ـ هنا بحسب الغزوة ـ: هي الغنيمة والظفر، والمصيبة: الهزم[٢] والخيبة، واللفظ عام بعد ذلك في كل محبوب ومكروه.

ومعنى قوله: ﴿قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ﴾ أي: قد حزمنا نحن في تخلفنا ونظرنا لأنفسنا.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ﴾ الآية أمر الله عز وجل نبيه ﷺ في هذه الآية أن يردَّ على المنافقين ويفسد عليهم فرحهم، بأن يُعْلمهم أن الشيء الذي يعتقدونه مصيبةً ليس كما اعتقدوه، بل الجميع مما قد كتبه الله عز وجل للمؤمنين، فإما أن يكون ظفراً وسروراً في الدنيا، وإما أن يكون ذخراً للآخرة.

وقرأ طلحة بن مصرِّفٍ: (قُلْ هَلْ يُصِيبنَا)، ذكره أبو حاتم[٣]، وعند ابن جني: وقرأ طلحة بن مصرف وأَعْيَنُ قاضي الري[٤]: (قل لن يُصيِّبنا) بشد الياء التي بعد الصاد

(١) في التركية، وأحمد٣، والمطبوع: «ما»، وفي نجيبويه: «في» بدل «مما».

(٢) في نجيبويه: «الندم».

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها له في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٢٢)، تفسير الثعلبي (٥/ ٥٣)، وعزاها لمصحف ابن مسعود.

(٤) هو أعين بن عبد الله قاضي الري، روى عن أبي الطفيل، روى عنه عمرو بن أبي قيس، قال أبو محمد: أعين بن زيد الرازي السوي روى عن أبي ثور وإبراهيم بن المنذر روى عنه علي بن الحسين وسمعت منه وهو صدوق. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢/ ٣٢٥).

وكسرها، كذا ذكر أبو الفتح[١] وشَرَح ذلك، وهو وهمٌ، والله أعلم.

قال أبو حاتم: قال عمرو بن شقيق[٢]: سمعت أعين قاضي الري يقرأ: (قل لن يصيبنَّا) النون مشددة، قال أبو حاتم: ولا يجوز ذلك؛ لأنَّ النون لا تدخل مع (لن)، ولو كانت لطلحة بن مصرف لجازت؛ لأنها مع (هل)، قال الله عز وجل: ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾[٣].

وقوله: ﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ يحتمل أن يريد: ما قضى وقدَّر.

ويحتمل أن يريد: ما كتب الله لنا في قرآننا وأنزله علينا من أنَّا إما أن نظفر بعدونا، وإما أن نُستشهَد فندخل الجنة.

قال القاضي أبو محمد: وهذا الاحتمال يرجع إلى الأول، وقد ذكرهما الزجَّاج[٤].

وقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ معناه: مع سعيهم وجِدِّهم، إذ لا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا قول أكثر العلماء، وهو الصحيح، والذي فعله رسول الله ﷺ مدة عمره، ومنه مظاهرته بين درعين[٥].

وتَخبَّطَ الناسُ في معنى التوكل في الرزق، فالأشهر والأصح أن الرجل الذي يمكنه التحرُّفُ الحلال المحض الذي لا تدخله كراهية ينبغي له أن يمتثل منه ما يصونه

---

(١) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٩٤)، وكذا في مختصر الشواذ (ص: ٥٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٢١٥).

(٢) كذا في نور العثمانية: بن شقيق، وهو أبو حبيب، السدوسي، البصري، سمع شقيق بن عبد الله، سمع منه محمد بن المثنى، انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٦/ ٣٤٣)، وفي المطبوع وأكثر النسخ الخطية: بن شفيق، ولم أجد له ترجمة، وانظر: البحر المحيط (٥/ ٤٣٢).

(٣) الحج: ١٥، وانظر مثل هذا في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٢٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٥٢).

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (٧/ ٣٠٨-٣٠٩)، من طريق ابن إسحاق، عن عدد من مشايخه، به. وهذا إسناد ضعيف لإعضاله.

ويحمله، كالاحتطاب ونحوه، وقد قرن الله تعالى الرزق بالتسبب، ومنه: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [مريم: ٢٥]، ومنه قول النبي ﷺ في الطير: «تغدو خماصاً»(١) الحديثَ، ومنه قوله: «قيِّدها وتوكل»(٢).

وذهب بعض الناس إلى أنَّ الرجلَ القويَّ الجلدَ إذا بلغ من التوكلِ إلى أن يدخلَ غاراً أو بيتاً يجهل أمرَه فيه، ويبقى في ذكر الله متوكلاً، يقول: إن كان بقي لي رزقٌ فسيأتي الله به، وإن كان رزقي قد تمَّ متُّ. أن ذلك حسن بالغ [عند قوم](٣).

---

(١) صحيح، هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٣٢)، والترمذي (٢٣٤٤)، وغيرهما من طريق حيوة بن شريح، قال: أخبرني بكر بن عمرو، أنه سمع عبد الله بن هبيرة، يقول: إنه سمع أبا تميم الجيشاني يقول: سمع عمر رضي الله عنه يقول، فذكره مرفوعاً. وهذا إسناد صحيح.

(٢) جوده العراقي والذهبي وحسنه جماعة، هذا الحديث روي عن أنس وابن عمر وعمرو بن أمية الضمري، أما عن أنس فأخرجه الترمذي (٢٥١٧) عن عمرو بن علي: حدثنا يحيى بن سعيد القطان: حدثنا المغيرة بن أبي قرة السدوسي قال سمعت أنس بن مالك يقول: قال رجل يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل؟ قال: «اعقلها وتوكل»، قال عمرو بن علي: قال يحيى: وهذا عندي حديث منكر، قال الترمذي: وهذا حديث غريب من حديث أنس لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقد روي عن عمرو بن أمية الضمري عن النبي ﷺ نحو هذا. وأما حديث أنس فرواه الخطيب في غرائب مالك من طريق محمد بن عبد الرحمن بن بحير بن ريسان، نا إسحاق بن محمد البيروتي، نا مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر قال: قلت: يا رسول الله أرسل وأتوكل؟ فقال: «قيد وتوكل»، قال الخطيب: غير محفوظ عن مالك، وابن ريسان متروك، ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق (٨/ ٢٧٩)، وأما حديث عمرو بن أمية الضمري فأخرجه ابن حبان (٧٣١)، والحاكم (٣/ ٧٢٢، رقم ٦٦١٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٨٠، رقم ١٢١٠) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/ ٢١٥، رقم ٩٧٠) من طريق حاتم بن إسماعيل قال: حدثنا يعقوب بن عبدالله، عن جعفر بن عمرو بن أمية، عن أبيه قال: قال رجل للنبي ﷺ: أرسل ناقتي وأتوكل؟ قال: «اعقلها وتوكل»، قال ابن حبان: «يعقوب هذا: هو يعقوب بن عمرو بن عبدالله بن عمرو بن أمية الضمري من أهل الحجاز مشهور مأمون». وهذا الإسناد جوده العراقي والذهبي وحسنه جماعة.

(٣) في التركية ونور العثمانية ونجيبويه: «أعلى الدرجات»، وهذا المذهب نسبه النووي في شرح مسلم (٣/ ٩١) لبعض السلف والمتصوفة.

وحدثني أبي رضي الله عنه أنه كان في الحرم رجل ملازم يُخرج من جيبه المرةَ بعد المرة بطاقة ينظر فيها ثم يصرفها، ويبقى على حاله حتى مات في ذلك الموضع، فقرأت البطاقة فإذا فيها مكتوب: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨][١].

قال القاضي أبو محمد: وهذه الطريقة لا يراها جلُّ أهل العلم، بل ينبغي أن يسعى الرجل لقدر القوت سعياً جميلاً لا يواقع فيه شبهة، فإن تعذر عليه جميع ذلك وخرج إلى حد الاضطرار، فحينئذ إن تسامَحَ في السؤال وأكل الميتة وما أمكنه من ذلك فهو له مباح[٢]، وإن صبر واحتسب نفسه كان في أعلى رتبة عند قوم، ومن الناس من يرى أن فرضاً عليه إبقاء رمقه[٣].

/ وأمَّا من يختار الإلقاء باليد ـ والسعيُ ممكن ـ فما كان هذا قط من خلق [٢/ ٢٤٤]
الرسول ﷺ ولا الصحابة ولا العلماء[٤]، والله سبحانه الموفق للصواب.

ومن حجج من يقول بالتوكل: حديث النبي ﷺ في قوله: «يدخل الجنة سبعون ألفا من أمتي بلا[٥] حساب، وهم الذين لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطببون، وعلى ربهم يتوكلون»[٦].

وفي هذا الحديث أن رسول الله ﷺ دعا لعكاشة بن محصن أن يكون منهم، فقيل: ذلك لأنه عرف منه أنه معدٌّ لذلك، وقال للآخر: «سبقك بها عكاشة»، وردَّت الدعوة،

---

(١) وقد أورد الغزالي في الإحياء (٤/ ٧٣) قريبا من هذه القصة عن رجل دون أن يسميه أو يحدد مكانه.
(٢) انظر الإجماع على ذلك في: الإقناع (٢/ ٩٨٠).
(٣) ممن قال بذلك ابن حزم وغيره، انظر في ذلك: المراتب لابن حزم (ص: ١٥٥).
(٤) انظر: شرح النووي على مسلم (٣/ ٩١).
(٥) في التركية: بغير.
(٦) متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري (٥٣٧٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ومسلم (٣٧١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

فقيل: ذلك لأنه كان منافقاً، وقيل: بل عرف منه أنه لا يصح لهذه الدرجة من التوكل.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

فالمعنى في هذه الآية: الردُّ على المنافقين في معتقدهم في المؤمنين، وإزالةُ ظنهم أن المؤمنين تنزل بهم مصائب، والإعلام بأنها حسنى كيف تصرَّفتْ.

و﴿تَرَبَّصُونَ﴾ معناه: تنتظرون، و«الحسنيان»: الشهادة والظفر.

وقرأ ابن محيصن: (إلا احدى الحسنيين) بوصل ألف (إِحْدَى)[1].

قال القاضي أبو محمد: وهذه لغة ليست بالقياس، وهذا مثل قول الشاعر:

[الكامل] يَا ابَا الْمُغِيـرَةِ رُبَّ أَمْرٍ مُعْضِلٍ[2] ....

وقول الآخر:

[الرجز] إِنْ لَـمْ أُقَاتِـلْ فَالْبِسِـينِي بُرْقُعَا[3] ....

وقوله: ﴿بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ يريد الموت بأخذات الأسف، ويحتمل أن يكون توعُّداً بعذاب الآخرة.

وقوله: ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ يريد القتل، وقيل: ﴿بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ يريد أنواع المصائب والقوارع.

وقوله: ﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ وعيدٌ وتهديدٌ.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٩٥).

(٢) عجزه: فرجتُه بالنكر مني والدّها، وهو لأبي الأسود كما في الحجة للقراء السبعة (٣/ ٣٠٧)، وإيضاح الشواهد (١/ ٢٧٤).

(٣) تقدم في تفسير الآية (٢٠) من سورة النساء.

وقوله: ﴿قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا﴾ سببها: أنَّ الجدَّ بنَ قيس حين قال: ائْذَنْ لِي ولا تَفْتِنِّي، وقال: إني أعينك بمال، فنزلت هذه الآية فيه[١]، وهي عامةٌ بعده، والطوع والكره يعمان كلَّ إنفاق.

وقرأ ابن وثاب والأعمش: ﴿كُرها﴾ بضم الكاف[٢].

قال القاضي أبو محمد: ويتصل هاهنا ذكر أفعال الكافر إذا كانت بِرّاً، كصلة القرابة، وجبر الكسير[٣]، وإغاثة المظلوم: هل ينتفع بها أم لا؟:

فاختصار القول في ذلك: أن في «صحيح مسلم» عن النبي ﷺ أنه قال: «إن ثواب الكافر على أفعاله البَرَّة هو في الطُّعمة يُطْعَمها»[٤] ونحو ذلك، فهذا مقنعٌ لا يحتاج معه إلى نظر.

وأَمَّا ما ينتفع بها في الآخرة فلا، دليلُ ذلك أنَّ عائشةَ أمَّ المؤمنين قالت للنبي ﷺ: يا رسول الله، أرأيت عبد الله بن جُدْعان[٥]، أينفعه ما كان يُطْعِم ويصنع من خير؟ فقال: «لا، إنه لم يقل يوماً: ربِّ اغفرْ لي خطيئتي يوم الدين»[٦]،

ودليلٌ آخر في قول عمر رضي الله عنه لابنه: ذاك العاصي بنُ وائل، لا جزاه الله خيرا[٧]، وكان هذا القول بعد موت العاصي... الحديثَ بطوله.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٢٩٤)، من طريق ابن جريج عن ابن عباس، وهو منقطع.

(٢) وهي قراءة متواترة سبعية لحمزة والكسائي، انظر: السبعة (ص: ٢٢٩)، والتيسير (ص: ٩٥).

(٣) في التركية ونور العثمانية: «الكسر».

(٤) مسلم، أخرجه (٢٨٠٨) من حديث أنس بن مالك، مرفوعاً: «إن الكافر إذا عمل حسنة أُطعم بها طعمة من الدنيا».

(٥) هو عبد الله بن جدعان التيمي سيد قريش في الجاهلية، وأحد الأجواد، وفي داره كان حلف الفضول. نسب قريش (ص: ٢٩١).

(٦) مسلم، هذا الحديث أخرجه مسلم (٢١٤) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٧) ضعيف، هذا الأثر ذكره ابن هشام في السيرة ص (٣٠٨)، قال: «وحدثني بعض أهل العلم...»، فذكره، وهذا معضل.

ودليل ثالث في حديث حكيم بن حزام على أحد التأويلين: أعني في قول النبي ﷺ: «أسلمتَ على ما سلف لك من خير»[(١)]، ولا حجة في أمر أبي طالب وكونه في ضحضاح من نار؛ لأن ذلك إنما هو بشفاعة محمد ﷺ، وبأنه وجده في غمرة من النار فأخرجه[(٢)].

ولو فرضنا أن ذلك بأعماله لم يحتج إلى شفاعة، وأَمَّا أفعالُ الكافرِ القبيحةُ فإنها تزيد في عذابه، وبذلك هو تفاضلهم في عذاب جهنم[(٣)].

وقوله: ﴿أَنفِقُواْ﴾ أمرٌ في ضمنه جزاءٌ، وهذا مستمرٌّ في كلِّ أمرٍ معه جوابٌ، فالتقدير: إن تنفقوا لم[(٤)] يتقبل منكم، وأَمَّا إذا عري الأمرُ من جواب فليس يصحبه تضمن الشرط.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

يحتمل أن يكون معنى الآية: وما منعهم الله من أن تقبل إلا لأجل أنهم كفروا بالله، فـ ﴿أَن﴾ الأولى على هذا في موضع خفضٍ نَصَبها الفعل حين زال الخافض، و(أنَّ) الثانية في موضع نصب مفعول من أجله.

ويحتمل أن يكون التقدير: وما منعهم الله قبولَ نفقاتهم إلا لأجل كفرهم، فالأُولى

---

(١) متفق عليه، هذا الحديث البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (١٩٤) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٣٦٧٠)، ومسلم (٣٥٧) من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

(٣) انظر حكاية الإجماع على ذلك في: شرح النووي على مسلم (٣/ ٨٧).

(٤) في التركية ونور العثمانية ونجيبويه: «لن».

على هذا في موضع نصب، ويحتمل أن يكون المعنى: وما منعهم قبولَ نفقاتهم إلا كفرُهم، فالثانية في موضع رفعٍ فاعلةٌ[١].

وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم: ﴿أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ﴾ بالتاء.

وقرأ حمزة والكسائي ونافع فيما روي عنه: ﴿أن يقبل منهم نفقاتهم﴾ بالياء[٢].

وقرأ الأعرج بخلاف عنه: (أن تقبل منهم نفقتُهم) بالتاء من فوق وإفراد النفقة[٣].

وقرأ الأعمش: (أن يقبل منهم صدقاتهم)[٤].

وقرأت فرقة: (أن نقبل منهم نفقتهم) بالنون ونصب النفقة[٥].

و﴿كُسَالَىٰ﴾ جمع كسلان، وكسلان إذا كانت مؤنثته كَسْلَى فهو لا ينصرف بوجه، وإن كانت مؤنثته كسلانة فهو ينصرف في النكرة.

ثم أخبر عنهم تعالى أنهم لا ينفقون نفقة[٦] إلا على كراهية؛ إذ لا يقصدون بها وجه الله ولا محبة المؤمنين، فلم يبق إلا فقدُ المال وهو من مكارههم لا محالة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ﴾ الآية، حقر هذا اللفظُ شأنَ المنافقين، وعلل إعطاء الله لهم الأموالَ والأولاد بإرادته تعذيبَهم بها.

واختلف في وجه التعذيب:

---

(١) انظر الاحتمالين في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٢٣).

(٢) وهما سبعيتان وبقي عليه أبو عمرو ممن قرأ بالتاء، انظر: التيسير (ص: ١١٨)، وأما الياء عن نافع فمن رواية أبي عبيد عنه وعن عاصم كما في جامع البيان (٣/ ١١٥٣)، قال: وهو غلط منه عليهما.

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٨).

(٤) مخالفة للمصحف، وقد عزاها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢١٦) لابن مسعود بالإفراد، أما الأعمش فعزا له مثل ما للأعرج.

(٥) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٥/ ٤٣٥) ولم ينسبها لمعين.

(٦) في الأصل: «دومة».

فقال قتادة: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، فالمعنى: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة.

وقال الحسن: الوجه في التعذيب أنه بما ألزمهم فيها من أداء الزكاة والنفقة في سبيل الله.

قال القاضي أبو محمد: فالضمير في قوله: ﴿بِهَا﴾ عائدٌ في هذا القول على الأموال فقط.

وقال ابن زيد وغيره: التعذيب هو بمصائب الدنيا ورزاياها، هي لهم عذابٌ؛ إذ لا يؤجرون عليها[(١)].

وهذا القول وإن كان يستغرق قولَ الحسن، فإنَّ قولَ الحسن يتقوى تخصيصُه بأن تعذيبهم بإلزام الشريعة أعظم من تعذيبهم بسائر الرزايا، وذلك لاقتران الذلة والغلبة بأوامر الشريعة لهم / . [٢/ ٢٤٥]

قوله: ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾ يحتمل أن يريد: ويموتون على الكفر، ويحتمل أن يريد: وتزهق أنفسهم من شدة التعذيب الذي ينالهم.

وقوله: ﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ جملةٌ في موضع الحال على التأويل الأول، وليس يلزم ذلك على التأويل الثاني.

وقوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ﴾ الآية أخبر الله تعالى عن المنافقين أنهم يحلفون أنهم من المؤمنين في الدين والشريعة، ثم أخبر تعالى عنهم على الجملة لا على التعيين أنهم ليسوا من المؤمنين، وإنما هم يفزعون منهم فيُظهرون الإيمان وهم يبطنون النفاق.

و«الفَرَق»: الخوف، والفَرُوقة: الجبان، وفي المثل: [أو فَرَقٌ خيرٌ من حُبين][(٢)].

---

(١) انظر أقوال كل من قتادة والحسن وابن زيد في: تفسير الطبري (١٤/ ٢٩٦، ٢٩٥).

(٢) «أو» ليست في المطبوع، وفي نجيبويه: «فروق»، وفي الفاخر (ص: ٢٩٦) أن الحجاج قال للغضبان ابن القبعثرى الشيباني: أتحبني يا غضبان؟ قال: أو فرق خير لك من الحب. فذهبت مثلاً، في قصة مشهورة، وانظر الأمثال لابن سلام (ص: ٣٠٩).

قوله عز وجل: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ۝٥٧ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩﴾.

«الملجأ» من لجأ يلجأ: إذا أوى واعتصم.

وقرأ جمهور الناس: ﴿أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ﴾ بفتح الميم.

وقرأ سعيد بن عبد الرحمن بن عوف: (أو مُغارات) بضم الميم[1]، وهي الغِيْران في أعراض الجبال، ففتحُ الميم من غار الشيء: إذا دخل، كما تقول: غارت العين، إذا دخلت في الحِجَاج، وضمُّ الميم من أغار الشيء غيرَه: إذا أدخله، فهذا وجه من اشتقاق اللفظة، وقيل: إن العرب تقول: غار الرجل وأغار بمعنًى واحد؛ أي: دخل.

قال الزجّاج: إذا دخل الغور فيحتمل أن تكون اللفظة أيضاً من هذا[2].

قال القاضي أبو محمد: ويصح في قراءة ضم الميم أن تكون من قولهم: حبلٌ[3] مُغار؛ أي: مفتول[4]، ثم يستعار ذلك في الأمر المحكم المبروم، فيجيء التأويل على هذا: لو يجدون عصرة أو أموراً مرتبطةً مشددةً تعصمهم منكم أو مدخلاً لولوا إليه.

وقرأ جمهور الناس: ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ أصله: مُفْتَعل، وهو بناء تأكيد ومبالغة،

---

(١) وهي قراءة شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٥٨)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٥٤)، لعبد الرحمن ابن عوف، وعزاها في المحتسب (١/ ٢٩٥) لابنه سعد بن عبد الرحمن بن عوف، وهو أبو إبراهيم المشهور، وأما سعيد فلم أقف له على ذكر.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٥٤).

(٣) في الأصل ونجيبويه ونور العثمانية والسليمانية: «جبل».

(٤) في الأصل: «مقبول».

ومعناه: السَّرَب والنفق في الأرض، وبما ذكرناه في الملجأ والمغارات والمدخل، فسَّر ابنُ عباس رضي الله عنه [١].

وقال الزجَّاج: المدخل معناه: قوماً يُدخلونهم في جملتهم [٢].

وقرأ مسلمة بن محارب والحسن وابن أبي إسحاق وابن محيصن وابن كثير بخلاف عنه: (أو مَدْخَلاً) [٣] فهذا من دخل.

وقرأ قتادة وعيسى بن عمر والأعمش: (أو مدَّخَّلاً) بتشديدهما [٤].

وقرأ أبي بن كعب: (مندخلاً) بنون [٥].

قال أبو الفتح: هذا كقول الشاعر:

[البسيط] ولا يَدِي في حَمِيتِ السَّمْنِ تَنْدَخِلُ [٦] ....

قال القاضي أبو محمد: وقال أبو حاتم: قراءة أبيٍّ بنِ كعب: (متَدخَّلاً) بتاء مفتوحة [٧]، وروي عن الأعمش وعيسى: (مُدْخَلًا) بضم الميم [٨] فهو من أدخل.

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ٢٩٧) من طريق علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٥٥).

(٣) أورد المؤلف هنا خمس قراءات شاذة: هذه هي الأولى وهي بفتح الميم، لقوله «من دخل»، عزاها في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٢٣) للحسن وابن أبي إسحاق وابن محيصن، وتفسير الثعلبي (٥/ ٥٥) للحسن، وتابعه على الباقين في البحر المحيط (٥/ ٤٣٨).

(٤) وهي القراءة الثانية، عزاها لهم في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٢٣).

(٥) وهي القراءة الثالثة، انظر: المحتسب (١/ ٢٩٥)، وفي التركية: «منداخلا»، و«بنون»: ساقطة من الأصل.

(٦) البيت للكميت كما في أدب الكاتب (ص: ٤٥٦)، والمعاني الكبير (٣/ ١٢٥٨)، وفي نجيبويه: «صميت»، وفي نور العثمانية والتركية: «الشمس» بدل «السمن».

(٧) وهي القراءة الرابعة. انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٥٨)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٢٣)، وتفسير الكشاف (٢/ ٢٨١).

(٨) وهي القراءة الخامسة، ذكرها بلا نسبة الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٥)، ونقلها عنه النحاس في إعراب القرآن (٢/ ١٢٣)، ومكي في الهداية (٤/ ٣٠٣٣)، وعزاها للمذكورَيْن ولمحبوب عن الحسن في البحر المحيط (٥/ ٤٣٨).

وقرأ الناس: ﴿لَّوَلَّوۡاْ﴾، وقرأ جدُّ أبي عبيدة بنِ قرمل[١]: (لوالوا)[٢] من الموالاة، وأنكرها سعيد بن مسلم[٣]، وقال: أظن: (لوألوا) بمعنى: للجؤوا[٤].

وقرأ جمهور الناس: ﴿يَجۡمَحُونَ﴾ معناه: يسرعون مصمِّمين غير منثنين، ومنه قول مهلهل:

لَقَـدْ جَمَحْتُ جِمَاحـاً فِـي دِمَائِهِمُ حتَّى رَأَيْتُ ذَوِي أَحْسَابِهِمْ خَمَدُوا[٥] [البسيط]

وقرأ أنس بن مالك: (يَجْمِزون)[٦]، ومعناه: يهربون، ومنه قولهم في حديث الرجم: «فلما أذلقته الحجارة جمز»[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ﴾ الآية الضمير في قوله: ﴿وَمِنۡهُم﴾ عائدٌ على المنافقين.

وأسند الطبري إلى أبي سعيد الخدري أنه قال: جاء ابن ذي الخُوَيْصِرة

---

(١) هو معاوية بن قرمل بفتح القاف والميم بينهما راء ساكنة، المحاربي، قال أبو عمر: مذكور في الصحابة، وقال ابن السكن وابن مندة: يقال له صحبة، وذكرا أنه كان مع خالد بن الوليد حين غزا الشام، الإصابة (٦/ ١٢٥).

(٢) وهي شاذة، نقلها في المحتسب (١/ ٢٩٨)، عن ابن أبي عبيدة بن معاوية بن قرمل، عن أبيه، عن جده وكانت له صحبة، وعزاها في تفسير الثعلبي (٥/ ٥٥) للأعمش والعقيلي، وفي مختصر الشواذ (ص: ٥٨) عن معاوية بن عبد الكريم: (لوالّوا) بالمد والتشديد.

(٣) في نجيبويه: «بن أسلم»، ولعله سعيد بن مسلم، القرشي البصري، عن: محمد بن زياد الجمحي، وعبد الله بن سلام، وعنه: موسى بن إسماعيل، ومحمد بن سليمان، لوين، محله الصدق. تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٢١)، والله أعلم.

(٤) في نجيبويه: «لنجوا»، وانظر اعتراض سعيد هذا في البحر المحيط (٥/ ٤٣٨).

(٥) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٤/ ٢٩٨)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٥٥).

(٦) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٩٦)، والكشاف (٢/ ٢٨١).

(٧) صحيح البخاري (٥٢٧٠) وغيره.

التميمي[١] رسولَ الله ﷺ يقسم قسماً فقال: اعدل يا محمد... الحديث المشهور بطوله، وفيه قال أبو سعيد: فنزلت في ذلك: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[٢].

وروى داود ابن أبي عاصم[٣]: أنَّ النبي ﷺ أتي بصدقة فقسمها، ووراءه[٤] رجلٌ من الأنصار، فقال: ما هذا بالعدل، فنزلت الآية[٥].

قال القاضي أبو محمد: وهذه نزعةُ منافقٍ، وكذلك روي من غير ما طريق أنَّ الآيةَ نزلت بسبب كلام المنافقين؛ إذ لم يعطوا بحسب شطط آمالهم.

و﴿يَلْمِزُكَ﴾ معناه: يَعيبك ويأخذ منك في الغِيبة، ومنه قول الشاعر:

[البسيط] إِذَا لَقَيْتُـكَ تُبْـدِي لِـي مُكَاشَـرَةً وَإِنْ أُغَيَّـبْ فَأَنْتَ الْهَامِـزُ اللُّمَزَه[٦]

ومنه قول رؤبة:

[الرجز] فِـي ظِـلِّ عَصْـرَيْ بَاطِلِي وَلَمْـزِي[٧]

والهمز أيضاً في نحو ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

وقيل لبعض العرب: أتهمز الفأرة؟ فقال: إنما تهمزها الهرة[٨].

---

(١) كذا في جميع النسخ، والصواب أنه ذو الخويصرة نفسه، واسمه حرقوص بن زهير انظر الإصابة (٢/ ٣٤٣).

(٢) البخاري، أخرجه بهذا اللفظ (٦٥٣٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) هو داود بن أبي عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي الطائفي ثم المكي، روى عن: ابن عمر، وسعيد ابن المسيب، وعنه قتادة، وابن جريج، وقيس بن سعد، وآخرون، وثقه أبو زرعة وغيره، علق له البخاري في صحيحه. تاريخ الإسلام (٧/ ٧٤).

(٤) في التركية: «ورآه».

(٥) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٤/ ٣٠٢) من طريق داود بن أبي عاصم، به مرسلًا.

(٦) البيت لزياد الأعجم كما في مجاز القرآن (٢/ ٣١١)، تفسير الطبري (٢٤/ ٥٩٥)، إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٤٢).

(٧) البيت لرؤبة كما في سيرة ابن هشام (١/ ٣٥٧)، وتفسير الطبري (١٤/ ٣٠٠).

(٨) عيون الأخبار (٢/ ١٧٣)، وفي الكامل (١/ ٣٠٦) أن الأصمعي سأل أعرابيّاً فأجابه بذلك.

قال أبو علي: فجعل الأكل همزاً، وهذه استعارة، كما استعار حسان بن ثابت الغرث في قوله:

.... وتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ[١] [الطويل]

تركيباً على استعارة الأكل في الغيبة[٢].

قال القاضي أبو محمد: ولم يجعل الأعرابي الهمز الأكل، وإنما أراد ضربها إياها بالناب والظفر.

وقرأ جمهور الناس: ﴿يَلْمِزُكَ﴾ بكسر الميم، وقرأ ابن كثير فيما روى عنه حماد بن سلمة: ﴿يلمُزك﴾ بضم الميم، وهي قراءة أهل مكة وقراءة الحسن وأبي رجاء وغيرهم[٣].

وقرأ الأعمش: (يلمِّزك)[٤]، وروى أيضاً حماد بن سلمة عن ابن كثير: (يلامزك)[٥]، وهي مفاعلة من واحد؛ لأنه فعل لم يقع من النبي ﷺ.

وقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ الآية، وصفٌ للحال التي ينبغي أن يكون عليها المستقيمون، يقول تعالى: ولو أن هؤلاء المنافقين رضوا قسمة الله الرزق لهم، وما أعطاهم على يدي رسوله، ورجَوا أنفسهم فضل الله ورسوله، وأقروا بالرغبة إلى الله، لكان خيراً لهم وأفضل مما هم فيه، وحُذف الجواب من الآية لدلالة ظاهر الكلام عليه، وذلك من فصيح الكلام وإيجازه.

---

(١) انظر عزوه له في سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٦)، جمهرة اللغة (١/ ٥٤٣)، العقد الفريد (٤/ ١٣١)، الأغاني (٤/ ١٥٩). وورد ضمن خبر في صحيح البخاري (٤١٤٦)، ومسلم (٢٤٨٨)، وصدره: حصانٌ رزانٌ ما تُزنُّ بريبة.

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١٩٧).

(٣) هذه قراءة عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٢٧٩)، وانظر عزوها لرواية حماد في السبعة لابن مجاهد (ص: ٣١٥)، والكامل للهذلي (ص: ٥٦٣)، وللحسن والأعرج وأبي رجاء وسلام في تفسير الثعلبي (٥/ ٥٦).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها له في مختصر الشواذ (ص: ٥٨).

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في الحجة للفارسي (٤/ ١٩٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٢١٧).

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تفسير ابن عطية

المحرر الوجيز

مختصر

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي

تحقيق
مجموعة من الباحثين

بإشراف
إدارة الشؤون الإسلامية

الجزء الخامس
من تفسير الآية ٦٠ من التوبة حتى نهاية الحجر

إصدارات
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

تفسير ابن عطية

المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي

□ **تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**
تأليف : الإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي
تحقيق : مجموعة من الباحثين - بإشراف إدارة الشؤون الإسلامية
الطبعة المحققة الأولى : ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

قياس القطع : ١٧ × ٢٤

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر
ص.ب ٤٢٢ الدوحة
البريد الإلكتروني : turathuna@islam.gov.qa

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿إِنَّمَا﴾ في هذه الآية حاصرةٌ تقتضي وقوف الصَّدَقات على الثمانية الأصناف، وإنما اختلف في صورة القسمة:

فقال مالك وغيره: ذلك على قدر اجتهاد الإمام وبحسب أهل الحاجة(١).

وقال الشافعي وغيره: هي ثمانية أقسام على ثمانية أصناف، لا يخلُّ بواحد منها، / إلا أن الْمُؤَلَّفَة انقطعوا(٢). [٢/ ٢٤٦]

قال القاضي أبو محمد: ويقول صاحب هذا القول: إنه لا يجزئ المتصدقَ والقاسمَ من كل صنف أقلُّ من ثلاثة(٣)، وأَمَّا الفقير والمسكين فقال الأصمعي وغيره: الفقير أبلغ فاقة، وقال غيرهم: المسكين أبلغ فاقة(٤).

قال القاضي أبو محمد: ولا طريق إلى هذا الاختلاف ولا إلى الترجيح إلا النظر في شواهد القرآن والنظرُ في كلام العرب وأشعارها:

فمن حجة الأولين: قول الله عز وجل: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الكهف: ٧٩]، واعترض هذا الشاهد بوجوه منها:

أن يكون سماهم مساكين بالإضافة إلى الغاصب، وإن كانوا أغنياء على جهة الشفقة(٥)، كما تقول في جماعة تُظلم: مساكين لا حيلة لهم، وربما كانوا مياسير.

---

(١) وهو أيضاً قول حذيفة وابن عباس وأبي حنيفة والثوري. انظر: الاستذكار (٣/ ٢٠٧)، وأحكام القرآن للجصاص (١/ ٣٧١).

(٢) انظر قول الشافعي في: الأم (٢/ ٨٣-٨٥).

(٣) انظر ذلك في: الحاوي للماوردي (٨/ ٤٨٤).

(٤) انظر قول الأصمعي وغيره في الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٢٨)، وتهذيب اللغة (٩/ ١٠٢).

(٥) في المطبوع: «الشفعة».

ومنها: أنه قد قرئ: (لمسَّاكين) بشد السين[١]، بمعنى: دبَّاغين يعملون المُسوك[٢]، قاله النقاش وغيره[٣].

ومنها: أن تكون إضافتها إليهم ليست بإضافة مِلْكٍ، بل كانوا عاملين بها، فهي كما تقول: سَرج الفرس [وباب الدَّار][٤].

ومن حجة الآخرين قول الراعي:

[البسيط] أَمَّـا الْفَقِيـرُ الَّـذِي كَانَـتْ حَلُوبَتُـهُ وَفْـقَ الْعِيَـالِ فَلَمْ يُتْـرَكْ لَهُ سَـبَدُ[٥]

وقد اعترض هذا الشاهد بأنه إنما سماه فقيراً بعد أن صار لا حَلوبة له، وإنما ذكر الحلوبة بأنها كانت، وهذا اعتراض يرده معنى القصيدة ومقصد الشاعر بأنه إنما يصف سعاية أتت على مال الحي بأجمعه، فقال: أما الفقير فاستؤصل ماله فكيف بالغني مع هذه الحال؟

وذهب من يقول: إنَّ المسكين أبلغ فاقة، إلى أنه مشتق من السكون، وأنَّ الفقير مشتق من فَقَار الظهر، كأنه أصيب فَقَاره ففيه لا محالة حركة[٦].

وذهب من يقول: إن الفقير أبلغ فاقة، إلى أنه مشتق من فقرتُ البئر: إذا نزعت جميع ما فيها، وأن المسكين من السكن[٧].

قال القاضي أبو محمد: ومع هذا الاختلاف فإنهما صنفان يعمهما الإقلال

---

(١) كما سيأتي في محله.

(٢) جمع المَسْك، وهو الجلد. «القاموس» (مسك).

(٣) لم أقف عليه، وانظر أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٢٤٢).

(٤) من التركية ونور العثمانية ونجيبويه.

(٥) انظر عزوه له في طبقات فحول الشعراء (٢/ ٥١١)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٣٢)، والحيوان (٥/ ٢٧٦)، وأدب الكاتب (ص: ٣٤).

(٦) استدل بذلك الحنفية كما في: أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٣٢٢-٣٢٣).

(٧) استدل بذلك الشافعية كما في: الحاوي للماوردي (٨/ ٤٨٨-٤٩٠).

والفاقة، فينبغي أن يبحث على الوجه الذي من أجله جعلهما الله اثنين، والمعنى فيهما واحد، وقد اضطرب الناس في هذا:

فقال الضحاك بن مزاحم: الفقراء هم من المهاجرين، وَالْمَساكِين من لم يهاجر.

وقال النخعي نحوه، قال سفيان: يعني لا يعطَى فقراء الأعراب منها شيئاً.

قال القاضي أبو محمد: والمسكين: السائل يعطى في المدينة وغيرها، وهذا القول هو حكاية الحال وقت نزول الآية، وأما منذ زالت الهجرة، فاستوى الناس، وتعطى الزكاة لكلِّ متصفٍ بفقر.

وقال عكرمة: الفقراء من المسلمين، وَالْمَساكِين من أهل الذمة، ولا تقولوا الفقراء المسلمين: مساكين[1].

وقال الشافعي في كتاب ابن المنذر: الفقير من لا مال له ولا حرفة، سائلاً كان أو متعفِّفاً، والمسكين الذي له حرفة أو مال، ولكن لا يغنيه ذلك سائلاً كان أو غير سائل[2].

وقال قتادة بن دِعامةَ: الفقير الزَّمِن المحتاج، والمسكين الصحيح المحتاج.

وقال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والزهري، وابن زيد، وجابر بن زيد، ومحمد ابن مسلمة: المساكين: الذين يسعون ويسألون، والفقراء هم الذين يتصاونون[3].

وهذا القول الأخير إذا لخِّص وحرِّر أحسنُ ما يقال في هذا.

وتحريره: أن الفقير هو الذي لا مال له إلا أنه لم يذل ولا بذل وجهه، وذلك إما لتعففٍ مُفْرِطٍ، وإما لبُلغة تكون له كالحلُوبة وما أشبهها، والمسكين هو الذي يقترن بفقره تذلل وخضوع وسؤال، فهذه هي المسكنة، فعلى هذا كلُّ مسكينٍ فقيرٌ وليس كلُّ

---

(١) انظر قول الضحاك وإبراهيم النخعي وسفيان وعكرمة في: تفسير الطبري (١٤/ ٣٠٧-٣٠٨).

(٢) انظر: الإشراف لابن المنذر (٣/ ٨٩)، والحاوي للماوردي (٨/ ٤٨٧).

(٣) انظر قول محمد بن مسلمة في: تفسير القرطبي (٨/ ١٧١)، وقول الباقين في: تفسير الطبري (١٤/ ٣٠٥-٣٠٦).

فقيرٍ مسكيناً، ويقوي هذا أن الله تعالى قد وصف بني إسرائيل بالمسكنة، وقرنها بالذلة مع غناهم، وإذا تأملت ما قلناه بانَ أنهما صنفان موجودان في المسلمين، ويقوي هذا قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] وقيل لأعرابي: أفقير أنت؟ فقال: إني والله مسكين[١].

وقال النبي ﷺ: «ليس المسكين بهذا الطوّاف الذي ترده اللقمة واللقمتان، ولكن المسكين هو الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يُفطن له فيُتصدق عليه»[٢]، اقرأوا إن شئتم: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾.

فدلَّ هذا الحديث على أن المسكين في اللغة هو الطوّاف، وجرى تنبيه النبي ﷺ في هذا الحديث على المتصاون مجرى تقديم الفقراء في الآية لمعنى الاهتمام؛ إذ هم بحيث إن لم يُتهمَّمْ بهم هلكوا، والمسكين يُلحُّ ويذكِّر بنفسه.

وأما «العامل» فهو الرجل الذي يستنيبه الإمام في السعي على الناس وجمع صدقاتهم، وكلُّ من يُصرِّف من عون لا يُستغنى عنه فهو من الْعامِلِينَ؛ لأنه يحشر الناس على السعي.

وقال الضحاك: للعاملين ثمن ما عملوا على قسمة القرآن[٣].

وقال الجمهور: لهم قدر تعبهم ومؤنتهم، قاله مالكٌ والشافعي في كتاب ابن المنذر[٤]، فإن تجاوز ذلك ثمن الصدقة فاختلف:

---

(١) إصلاح المنطق (ص: ٢٣٢)، نقلاً عن يونس.

(٢) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٤٢٦٥)، ومسلم (١٠٣٩) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، به مرفوعاً.

(٣) انظر قول الضحاك في: تفسير الطبري (١٤/ ٣١١).

(٤) انظر نسبة القول للجمهور ولمالك معهم في: الاستذكار (٣/ ٢١١)، وانظر قول الشافعي في: الحاوي للماوردي (٨/ ٥٢١)، وانظر: «الإشراف» لابن المنذر (٣/ ٩٠).

فقيل: يتم لهم ذلك من سائر الأنصباء، وقيل: بل يتم لهم ذلك من خمس الغنيمة.

واختلف إذا عمل في الصدقات هاشمي، فقيل: يعطى منها عمالته، وقيل: بل يعطاها من الخمس.

ولا يجوز للعامل قبول الهدية والمصانعة ممن يسعى عليه، وذلك إن فعله رُد في بيت المال، كما فعل النبي ﷺ بابن اللُّتْبِية[١] حين استعمله على الصدقة، فقال: هذا لكم وهذا أهدي لي، فقال النبي ﷺ: «هلا قعدت في بيت أبيك وأمك حتى تعلم ما يُهدى لك» وأخذ الجميع منه[٢].

قال القاضي أبو محمد: وتأمَّلْ عمالة الساعي: هل يأخذها قبل العمل أو بعده؟ وهل هي إجارة أو هي جُعل؟ وهل العمل معلوم، أو هو يتتبع وإنما يعرف قَدْره بعد الفراغ؟

وأما (الْمُؤَلَّفَة قُلُوبُهُمْ) فكانوا صنفين: مسلمين وكافرين متساترين[٣]، قال يحيى بن أبي كثير: كان منهم أبو سفيان بن حرب بن أمية، والحارث بن هشام، وصفوان ابن أمية، وسهيل بن عمرو[٤]، وحكيم بن حزام، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعُيينة، والأقرع، ومالك بن عوف، والعباس بن مرداس، والعلاء بن جارية الثقفي[٥].

---

(١) هو عبد الله بن اللّتبيّة بن ثعلبة الأزدي، بعثه النبيّ ﷺ على الصدقات وهو في أكثر الروايات غير مسمًّى، الإصابة (٤/ ١٨٨).

(٢) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٦٢٦٠)، ومسلم (١٨٣٢) من حديث أبي حميد الساعدي، رضي الله عنه، مرفوعاً.

(٣) في المطبوع: «مساترين». وفي نجيبويه: «مستارين».

(٤) هو سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ القرشي العامريُّ خطيب قريش، أبو يزيد، صحابي مشهور، وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية، أسلم يوم الفتح، وشهد الفتوح، مات بالطاعون سنة (١٨هـ)، ويقال: قتل باليرموك. الإصابة (٣/ ١٧٧).

(٥) انظر ترجمته في الإصابة (٤/ ٤٤٥)، وانظر قول يحيى بن أبي كثير في: تفسير الطبري (١٤/ ٣١٣).

[٢/ ٢٤٧] قال القاضي أبو محمد / : وأكثر هؤلاء من الطلقاء الذين ظاهِرُ أمرهم يوم الفتح الكفرُ، ثم بَقُوا مظهِرين الإسلام حتى وثقه الاستئلاف في أكثرهم، واستئلافُهم إنما كان لتجلب إلى الإسلام منفعة أو تدفع عنه مضرة، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه [١]، والحسن والشعبي وجماعة من أهل العلم: انقطع هذا الصنف بعزة الإسلام وظهوره، وهذا مشهورُ مذهب مالك رحمه الله[٢]، قال عبد الوهاب: إن احتيج إليهم في بعض الأوقات أعطوا من الصدقة[٣].

قال القاضي أبو محمد: وقول عمر عندي إنما هو لمعنيين، فإنه قال لأبي سفيان حين أراد أخذ عطائه القديم: «إنما تأخذ كرجل من المسلمين فإن الله قد أغنى عنك وعن ضربائك»[٤]، يريد في الاستئلاف، وأما أن ينكر عمر الاستئلاف جملة وفي ثغور الإسلام فبعيد، وقال كثير من أهل العلم: الْمُؤَلَّفَة قُلُوبُهُمْ موجودون إلى يوم القيامة[٥].

قال القاضي أبو محمد: وإذا تأمَّلْتَ الثغور وجدتَ فيها الحاجة إلى الاستئلاف.

وقال الزهري: الْمُؤَلَّفَة: كل من أسلم من يهودي أو نصراني وإن كان غنيّاً[٦].

قال القاضي أبو محمد: يريد: لتُبسط نفسه ويحبَّب دين الإسلام إليه.

---

(١) منقطع، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ٣١٥) من طريق حبان بن أبي جبلة، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهذا إسناد منقطع، حبان بن أبي جبلة لم يدرك عمر.

(٢) انظر قول الحسن والشعبي في: تفسير الطبري (١٤/ ٣١٥)، وقول مالك في: البيان والتحصيل (٢/ ٣٥٩).

(٣) انظر قول عبد الوهاب في: المعونة (١/ ٢٦٩).

(٤) لم أقف عليه مسنداً.

(٥) ممن قال بذلك أحمد كما في: اختلاف الأئمة العلماء لابن هبيرة (١/ ٢١٦)، والشافعي كما في: الحاوي للماوردي (٨/ ٥٢٣).

(٦) انظر قول الزهري في: تفسير الطبري (١٤/ ٣١٤).

وأما ﴿ٱلرِّقَابِ﴾: فقال ابن عباس[1]، والحسن، ومالك، وغيره: هو ابتداءُ العتق، وعون المكاتب بما يأتي على حريته[2].

واختلف هل يعان بها المكاتب في أثناء نجومه بالمنع والإباحة، واختلف على القول بإباحة ذلك إن عجز فقيل: يُردُّ ذلك من عند السيد، وقيل: يمضي؛ لأنه كان يوم دفعه بوجه مترتب.

وقال الشافعي: معنى ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾: في المكاتبين، ولا يبتدأ منها عتقُ عبد، وقاله الليث وإبراهيم النخعي وابن جبير[3]؛ وذلك أن هذه الأصناف إنما تعطى إما لمنفعة المسلمين أو لحاجة في أنفسها، والعبد ليس له واحدة من هاتين العلتين، والمكاتب قد صار من ذوي الحاجة.

وقال الزهري: سهم الرقاب نصفان: نصف للمكاتبين، ونصف يُعتق منه رقابٌ

---

(١) قال البخاري في صحيحه: باب قول الله تعالى ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ويذكر عن ابن عباس: يعتق من زكاة ماله ويعطي في الحج. اهـ، قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٣/ ٣٣١): وصله أبو عبيد في كتاب الأموال من طريق حسان بن أبي الأشرس عن مجاهد عنه: أنه كان لا يرى بأساً أن يعطي الرجل من زكاة ماله في الحج وأن يعتق منه الرقبة، أخرجه عن أبي معاوية عن الأعمش عنه، وأخرج عن أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال: أعتقْ من زكاة مالك، وتابع أبا معاوية عبدة بن سليمان، رويناه في فوائد يحيى بن معين رواية أبي بكر بن علي المروزي عنه عن عبدة عن الأعمش عن بن أبي الأشرس، ولفظه: كان يخرج زكاته ثم يقول: جهزوا منها إلى الحج، وقال الميموني: قلت لأبي عبد الله: يشتري الرجل من زكاة ماله الرقاب فيعتق ويجعل في ابن السبيل؟ قال: نعم، ابن عباس يقول ذلك ولا أعلم شيئاً يدفعه، وقال الخلال: أخبرنا أحمد بن هاشم قال: قال أحمد: كنت أرى أن يعتق من الزكاة ثم كففت عن ذلك لأني لم أره يصح. قال حرب: فاحتج عليه بحديث ابن عباس فقال: هو مضطرب، انتهى وإنما وصفه بالاضطراب للاختلاف في إسناده على الأعمش كما ترى ولهذا لم يجزم به البخاري.اهـ

(٢) انظر قول الحسن في: القرطبي (٨/ ١٨٢)، وقول مالك في: النوادر (٢/ ٢٨٤).

(٣) انظر قول الليث في: فتح الباري (٣/ ٣٣٢)، وانظر قول الشافعي وابن جبير وإبراهيم في: الحاوي للماوردي (٨/ ٥٠٣).

مسلمون ممن صلى[١]، قال ابن حبيب[٢]: ويفدى منه أسارى المسلمين، ومنع ذلك غيرُه[٣].

وأمَّا «الغارم» فهو: الرجل يركبه دين في غير معصية ولا سَفَهٍ، كذا[٤] قال العلماء، فهذا يؤدى عنه دينه وإن كانت له عُروض تقيم رمقه وتكفي عيالَه، وكذلك الرجل يتحمل بحَمالة في دياتٍ أو إصلاح بين القبائل ونحو هذا[٥]، وهو أحد الخمسة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة: لعامل عليها، أو غاز في سبيل الله، أو رجل تحمل بحمالةٍ، أو من أهديت له، أو من اشتراها بماله»[٦].

قال القاضي أبو محمد: وقد سقط الْمُؤَلَّفَة من هذا الحديث، [قال ابن حبيب:][٧] ولا يؤدَّى من الصدقة دين ميت، ولا يعطى منها من عليه كفارة ونحو ذلك من حقوق الله[٨].

---

(١) انظر قول الليث والزهري في: فتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٣٢)، وقول الباقين في: الحاوي للماوردي (٨/ ٥٠٣).

(٢) «قال ابن حبيب» ساقط من المطبوع.

(٣) انظر قول ابن حبيب وقول غيره من المالكية في: النوادر (٢/ ٢٨٥).

(٤) «كذا»: من التركية ونجيبويه ونور العثمانية وأحمد٣، والمعنى يستقيم دونها.

(٥) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٥٣٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/ ٣٢٧)، والحاوي للماوردي (٨/ ٥٠٨).

(٦) معضل، هذا الحديث أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤/ ١٠٩)، وعنه الإمام أحمد (١٨/ ٩٦)، ومن طريقه أبو داود (١٦٣٣) وحكى الخلاف في إسناده، وابن ماجه (١٨٤١)، كلهم من طريق معمر، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، مرفوعاً، به، قلت: وهذا السند، وإن كان ظاهره الصحة، إلا أنه معلول؛ فقد رواه عبد الرحمن بن مهدي، عن الثوري، عن زيد بن أسلم، قال: حدثني الثبت عن النبي ﷺ، ولم يسم الرجل، رواه الدارقطني في العلل (١١/ ٢٧٠-٢٧١)، وأبو حاتم وأبو زرعة الرازيان، كما في علل ابن أبي حاتم (٦٤٢) وقد ذهبوا جميعاً إلى ترجيح رواية الثوري المعضلة، وقد صحح الطريق المبهمة المرسلة كلٌّ من: أبي حاتم وأبي زرعة الرازيين، والدارقطني، كما في المصادر السابق ذكرها لهم.

(٧) زيادة من نور العثمانية ونجيبويه.

(٨) انظر هذا المعنى في: التاج والإكليل (٢/ ٣٥٠).

وإنما «الغارم» من عليه دين يسجن فيه، وقد قيل في مذهبنا وغيره: يؤدى دين الميت من الصدقات، قاله أبو ثور[١].

وأما (فِي سَبِيلِ الله) فهو المجاهد يجوز أن يأخذ من الصدقة لينفقها في غزوه وإن كان غنيّاً، قال ابن حبيب: ولا يعطى منها الحاجُّ إلا أن يكون فقيراً فيعطى لفقره، وقال ابن عباس، وابن عمر[٢]، وأحمد وإسحاق: يعطى منها الحاج وإن كان غنيّاً، والحج في سبيل الله[٣]، ولا يعطى منها في بناء مسجد ولا قنطرة ولا شراء مصحف ونحو هذا.

وأما (ابْنِ السَّبِيلِ) فهو الرجل في السفر والغربة يعدم[٤]، فإنه يعطى من الزكاة وإن كان غنيّاً في بلده[٥]، وسمي المسافر ابن السبيل لملازمته السبيل، كما يقال للطائر: ابن ماء لملازمته له، ومنه عندي قولهم: ابن جلا، وقد قيل فيه غير هذا، ومنه قولهم: بنو الحرب، وبنو المجد.

ولا يعطى بنو هاشم من الصدقة المفروضة، قال ابن الماجِشُون، ومطرِّفٌ، وأَصْبَغُ، وابن حبيب: ولا من التطوع، ولا يعطى مواليهم؛ لأن مولى القوم منهم، وقال ابن القاسم: يعطى بنو هاشم من صدقة التطوع، ويعطى مواليهم من الصدقتين[٦].

---

(١) انظر: المجموع (٦/ ٢١١) وهو قول ابن حبيب كما في: التاج والإكليل (٢/ ٣٥٠).

(٢) أما أثر ابن عباس، فرواه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه الأموال (١٩٦٥) قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن حسان بن أبي الأشرس، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنه، به، قلت: وهذا إسناد صحيح لو سلم من تدليس الأعمش، فإنه قد عنعنه، وقال أبو عبيد: أبو معاوية انفرد بذكر الحج في حديثه دون غيره، وأما أثر ابن عمر رضي الله عنه، فرواه أيضاً أبو عبيد في الأموال (١٩٧٦)، قال: سمعت إسماعيل بن إبراهيم ومعاذاً يحدثانه عن ابن عون، عن أنس بن سيرين، عن ابن عمر، رضي الله عنه، وهذا إسناد صحيح.

(٣) انظر قول أحمد وإسحاق في: المغني (٦/ ٣٣٤)، أما قول ابن حبيب فهو قريب مما تقدم عنه.

(٤) في الأسدية: «يغرم»، وفي التركية: «يقدم».

(٥) انظر الإجماع على ذلك في: الإقناع (٢/ ٦٩٩).

(٦) انظر قول ابن القاسم في: النوادر (٢/ ٢٩٦-٢٩٧)، وانظر قول الباقين في: تفسير القرطبي (٨/ ١٩١).

ومن سأل من الصدقة، وقال: إنه فقيرٌ، فقالت فرقة: يعطى دون أن يكلَّف بينةً على فقره(١)، بخلاف حقوق الآدميين يدَّعي معها الفقر فإنه يكلف البينة لأنها حقوق الناس يؤخذ لها بالأحوط، وأيضاً فالناس إذا تعلقت بهم حقوق آدمي محمولون على الغنى حتى يثبت العدم(٢)، ويظهر ذلك من قوة(٣) قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، أي: إن وقع، فيعطي هذا أن الأصل الغنى، فإن وقع ذو عسرة فنظرة.

وقالت فرقة: الرجل الصحيح الذي لا يُعلم فقره لا يعطى إلا أن يُعلم فقره، وأما إن ادعى أنه غارم أو مكاتب أو ابن سبيل أو في سبيل الله أو نحو ذلك مما لم يعلم منه، فلا يعطى إلا ببينة قولاً واحداً(٤).

وقد قيل في الغارم: تباع عروضه وجميع ما يملك، ثم يعطى بالفقر(٥)، [وهو عندي ليس بشيء، وهو خلاف نصِّ الكتاب؛ لأنه إذا كان كذلك لم يكن للغرامة معنًى، ولا تأخير في استحقاق الصرفة، فكان يكونُ ذكرُ الغارم في كتاب الله بغير معنًى](٦).

ويعطي الرجل قرابته الفقراء، وهم أحق من غيرهم، فإن كان قريبه غائباً في موضع تُقصر إليه الصلاة فجاره الفقير أولى، وإن كان في غيبة لا تقصر إليه الصلاة فقيل: هو أولى من الجار الفقير، وقيل: الجار أولى، ويعطي الرجل قرابته الذين لا تلزمه نفقتهم، وتعطي المرأة زوجها، وقال بعض الناس: ما لم ينفق ذلك عليها(٧)، ويعطي الرجل زوجته إذا كانت من الغارمين(٨).

---

(١) ممن قال بذلك الشافعي، كما في: الحاوي للماوردي (٨/ ٤٩٢).

(٢) انظر في ذلك: حاشية الدسوقي (٣/ ٢٧٨)، وغمز عيون البصائر (٢/ ٢٥٥)، وقواعد الأحكام للعز ابن عبد السلام (١/ ١٠١).

(٣) «قوة»: سقطت من الأصل والمطبوع.

(٤) ممن قال بذلك الحنابلة كما في: الشرح الكبير لابن قدامة (٢/ ٧٠٦)، وانظر: الذخيرة (٣/ ١٥٠).

(٥) انظر نسبة هذا القول للشافعي في: الاستذكار (٣/ ٢١٢).

(٦) سقط من الأصل ونور العثمانية.

(٧) انظر أقوال العلماء في هذا في: النوادر (٢/ ٢٩٤-٢/ ٢٩٥).

(٨) قال به اللخمي، انظر ذلك في: التاج والإكليل (٢/ ٣٥٤).

واختلف في ولاء الذي يُعتق من الصدقة:

فقال مالك: ولاؤه لجماعة المسلمين[١]، وقال أبو عبيد: ولاؤه للمعتِق.

وقال عبيد الله بن الحسن: يجعل ماله في بيت الصدقات.

وقال الحسن، وأحمد، وإسحاق: ويعتق من ماله رقاب[٢].

وإذا كان لرجل على معسر دين فقيل: يتركه له ويقطع[٣] ذلك من صدقته، وقيل: لا يجوز[٤] ذلك جملة، وقيل: إن كان ممن لو رفعه للحاكم أمكن أن يؤديه جاز ذلك، وإلا لم يجز لأنه قد تَوَى[٥].

وأمَّا السبيل: فهو الذي قدمنا ذكره، يعطى الرجل الغازي وإن كان غنيّاً.

وقال أصحاب الرأي: لا يعطى الغازي في سبيل الله إلا أن يكون منقطعاً به. قال ابن المنذر: وهذا خلاف ظاهر القرآن وحديث رسول الله ﷺ[٦].

أما القرآن فقوله: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وأمَّا الحديث فقوله: «إلا لخمسة: لعامل عليها، أو غاز في سبيل الله»[٧].

---

(١) انظر قول مالك في: المدونة (١/ ٣٤٥).

(٢) انظر أقوال أبي عبيد وبقية من ذكرهم المؤلف في: المغني (٦/ ٣٣١).

(٣) في الأسدية: ولا يقطع.

(٤) في الأسدية والتركية: «يجز»، وفي نجيبويه: «يجزئ».

(٥) في التركية: «ثوى»، قال في هامشه: «أي هلك»، وفي نجيبويه: «توتى»، وفي المطبوع وأحمد٣: «توفى».

(٦) انظر ما نسبه المؤلف لأصحاب الرأي في: بدائع الصنائع (٢/ ٤٦)، وما عزاه لابن المنذر في الإشراف (٣/ ٩٤).

(٧) اختلف في وصله وإرساله، والثاني أكثر، أخرجه مالك في الموطأ (٩١٩) ومن طريقه أبو داود (١٦٣٥) وغيره عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة: لغاز في سبيل الله، أو لعامل عليها، أو لغارم، أو لرجل اشتراها بماله، أو لرجل كان له =

وأما صورة التفريق: فقال مالك وغيره: على قدْر الحاجة ونظرِ الإمام، يضعها في أي صنف رأى، وكذلك المتصدِّق، وقاله حذيفة بن اليمان / ، وسعيد بن جبير، وإبراهيم، وأبو العالية[١]. [٢/ ٢٤٨]

قال الطبري: وقال بعض المتأخرين: إذا قَسَم المتصدق قسم في ستة أصناف؛ لأنه ليس ثَمَّ عامل ولأنَّ المؤلفة قلوبهم قد انقطعوا، فإنْ قسم الإمام ففي سبعة أصناف، وقال الشافعي وعكرمة والزهري: هي ثمانية أقسام لثمانية أصناف لا يخلُّ بواحد منها[٢].

واحتج الشافعي بقول رسول الله ﷺ للرجل الذي سأله: «إن الله تعالى لم يرض في الصدقات بقَسْم نبي ولا غيره حتى قسمها بنفسه فجعلها ثمانية أقسام لثمانية أصناف، فإن كنت واحداً منها أعطيتك»[٣].

قال القاضي أبو محمد: والحديث في مصنف أبي داود[٤].

وقال أبو ثور: إذا قسمها الإمام لم يُخِلَّ بصنف منها، وإن أعطى الرجلُ صدقته

= جار مسكين فتصدق على المسكين فأهداها المسكين للغني. اهـ. وهذا مرسل، قال أبو داود (١٦٣٦): ورواه ابن عيينة عن زيد كما قال مالك، ورواه الثوري عن زيد قال: حدثني الثبت عن النبي ﷺ، ووصله عبد الرزاق عن معمر عن زيد فجعله عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً، أخرجه أبو داود (١٦٣٦) وغيره.

(١) انظر قول مالك في: بداية المجتهد (١/ ٢٧٥)، وانظر قول البقية في: تفسير الطبري (١٤/ ٣٢٢-٣٢٣).

(٢) انظر ما نسبه للطبري في: تفسيره (١٤/ ٣٢٣-٣٢٤)، وانظر قول الشافعي في: الحاوي للماوردي (٨/ ٤٧٨)، وانظر قول عكرمة في: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/ ٤٥٧)، وانظر قول الزهري في: المغني (٢/ ٢٧٩).

(٣) انظر الاحتجاج بهذا الحديث لمذهب الشافعي في: الحاوي للماوردي (٨/ ٤٨٠).

(٤) ضعيف، أخرجه أبو داود (١٦٣٢) من طريق: عبد الرحمن بن زياد أنه سمع زياد بن نعيم الحضرمي أنه سمع زياد بن الحارث الصدائي قال: أتيت رسول الله ﷺ فبايعته، فذكر حديثاً طويلاً قال: فأتاه رجل فقال: أعطني من الصدقة، وعبد الرحمن بن زياد هو الإفريقي ليس بعمدة وقد انفرد بهذا.

صنفاً دون صنف أجزأه ذلك، وقال النخعي: إذا كان المال كثيراً قسم على الأصناف كلها، وإذا كان قليلاً أعطاه صنفاً واحداً[١].

وقالت فرقة من العلماء: من له خمسون درهماً فلا يعطى من الزكاة، وقال الحسن وأبو عبيد: لا يعطى من له أوقية، وهي أربعون درهما، [قال الحسن: وهو غني][٢].

وقال الشافعي: قد يكون الرجل الذي لا قَدْر له غنيّاً بالدرهم مع سعيه وتحيُّله، وقد يكون الرجل له القدر والعيال ضعيف النفس والحيلة فلا تغنيه آلاف[٣].

وقال أبو حنيفة: لا يأخذ الصدقة من له مائتا درهم، ومن كان له أقلُّ فلا بأس أن يأخذ[٤].

قال سفيان الثوري: لا يدفع إلى أحد[٥] من الزكاة أكثر من خمسين درهماً، إلا أن يكون غارماً[٦]، وقال أصحاب الرأي: إن أعطي ألفاً وهو محتاج أجزأ ذلك[٧].

وقال أبو ثور: يعطى من الصدقة حتى يغنى ويزول عنه اسم المسكنة[٨]، ولا بأس أن يعطى الفقير الألف وأكثر من ذلك.

وقال ابن المنذر: أجمع أكثر من يحفظ عنه من أهل العلم أن من له دار وخادم لا

---

(١) انظر قول أبي ثور في شرح العيني لأبي داود (٦/ ٣٦٨)، وانظر قول النخعي في: الحاوي للماوردي (٨/ ٤٧٨).

(٢) في الأسدية: «إلا إذا كان غنيّاً»، وهذا قول أحمد وإسحاق والنخعي والثوري وابن المبارك، انظر الكل في: المغني (٢/ ٢٧٧).

(٣) في الأسدية، والتركية: «الألف»، وانظر: الحاوي للماوردي (٨/ ١٣١٢).

(٤) بدائع الصنائع (٢/ ٤٨).

(٥) في نجيبويه: «لا يدفع الواحد».

(٦) انظر قول الثوري في: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/ ٤٤٤).

(٧) انظر مذهبهم في تحفة الفقهاء للسمرقندي (١/ ٣٠١)، وبدائع الصنائع (٢/ ٤٨).

(٨) انظر قول أبي ثور في: الاستذكار (٣/ ٢١٠).

يستغني عنهما أن يأخذ من الزكاة وللمعطي أن يعطيه[١].

[وقال مالك][٢]: إن لم يكن في ثمن الدار والخادم فضلة عمَّا يحتاج إليه منهما جاز له الأخذ، وإلا لم يجز[٣].

وأما الرجل يعطي الآخر وهو يظنه فقيراً فإذا هو غني، فإنه إن كان بفَوْرٍ[٤] ذلك أخذها منه، فإن فاتت نظر: فإن كان الآخِذُ غَرَّ[٥] وأخذها مع علمه بأنها لا تحل له ضمنها على كل وجه، وإن كان لم يَغُرّ بل اعتقد أنها تجوز له، أو لم يتحقق مقصد المعطي نظر: فإن كان[٦] أكلها أو لبسها [أو انتفع بها][٧] ضمنها، وإن كانت تلفت لم يضمن.

واختلف في إجزائها عن المتصدق: فقال الحسن وأبو عبيدة: تجزئه، وقال الثوري وغيره: لا تجزئه[٨].

وأهل بلد[٩] الصدقة أحقُّ بها، إلا أن تفضل فضلة فتنقل إلى غيرها بحسب نظر الإمام، قال ابن حبيب في «الواضحة»: أما الْمُؤَلَّفَة فانقطع سهمهم، وأما سبيل الله فلا بأس أن يعطي الإمام الغزاة إذا قلَّ الفيء في بيت المال[١٠].

قال القاضي أبو محمد: وهذا الشرط فيه نظر.

---

(١) الإشراف (٣/ ١٠١-١٠٢)، وفيه: «دار أو خادم».

(٢) في الأسدية: «وإن كان مالك يقول»، وفي التركية: «وكان مالك يقول»، وهو الموافق لما في «الإشراف».

(٣) الإشراف (٣/ ١٠٢)، والاستذكار (٣/ ٢٠١٠).

(٤) في الأسدية والمطبوع: «تعود»، وفي التركية: «يفوز»، وفي نور العثمانية: «يقول»، وكلها تحريف.

(٥) في الأسدية: «غرواً»، وفي المطبوع: «غنيا».

(٦) في الأسدية: «لم يكن»، وهو خطأ.

(٧) زيادة من نجيبويه ونور العثمانية.

(٨) انظر قول الحسن وأبي عبيدة وقول الثوري ومن معهم من العلماء في المغني (٢/ ٢٨٠-٢٨١).

(٩) «بلد»: سقطت من الأصل.

(١٠) غير متوفر ولم أجد من نقله عنه.

قال ابن حبيب: وينبغي للإمام أن يأمر السعاة بتفريقها بالمواضع التي جبيت فيها، ولا يحمل منه شيء إلى الإمام إلا أن يرى ذلك لحاجة أو فاقة نزلت بقوم[١].

قال مالك: ومن له مزرعة أو شيء في ثمنه إذا باعه ما يغنيه لم يجز له أخذ الصدقة[٢].

وهذه جملة من فقه الآية كافيةٌ على شرطنا في الإيجاز، والله الموفق برحمته.

وقوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: موجَبةً محدودة، وهو مأخوذ من الفرض في الشيء بمعنى الحز والقطع لثبوت ذلك ودوامه، شبِّه به ما يفرض من الأحكام.

ونصب ﴿فَرِيضَةً﴾ على المصدر، ثم وصف نفسه تعالى بصفتين مناسبتين لحكم هذه الآية؛ لأنه صدر عن علم منه بخلقه، وحكمة منه في القسمة بينهم.

قوله عز وجل: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾.

الضمير في قوله: ﴿وَمِنْهُمُ﴾ عائد على المنافقين، و﴿يُؤْذُونَ﴾ لفظٌ يعم جميع ما كانوا يفعلونه ويقولونه في جهة رسول الله ﷺ من الأذى، وخص بعد ذلك من قولهم: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾، وروي أن قائل هذه اللفظة: نبتل بن الحارث[٣]، وكان من مردة المنافقين،

(١) انظر قول ابن حبيب في: النوادر (٢/ ٢٩١).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وللتوسع في مذهبه في المسألة انظر: المدونة (١/ ٣٤٧)، مواهب الجليل (٣/ ٢٢٦).

(٣) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ٣٢٥)، عن محمد بن إسحاق به معضلاً، وهو نبتل بن الحارث بن قيس بن ضبيعة الأنصاريّ الأوسيّ، ذكره ابن الكلبيّ ثم البلاذريّ في المنافقين، وذكر ابن إسحاق أنه الذي نزلت فيه الآية. الإصابة (٦/ ٣٢٩).

وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث»(١)، وكان ثائر الرأس، منتفش الشعرة، أحمر العينين، أسفع الخدين مشوَّهاً.

وروي عن الحسن البصري ومجاهد أنهما تأولا أنهم أرادوا بقولهم: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾، أي: يسمع منا معاذيرنا وتنصُّلنا(٢) ويقبله؛ أي: فنحن لا نبالي عن أذاه ولا الوقوعِ فيه، إذ هو سمَّاع لكل ما يقال من اعتذار ونحوه، فهذا تنقُّص بقلة الحَزَامة(٣) والانخداع(٤).

وروي عن ابن عباس وجماعة معه أنهم أرادوا بقولهم: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾؛ أي: يسمع كل ما ينقل إليه عنا ويصغي إليه ويقبله(٥)، فهذا تشكٍّ منه ووصفٌ بأنه يَسُوغ عنده الأباطيلُ والنمائم.

ومعنى ﴿أُذُنٌ﴾: سمَّاع، ويسمى الرجل السمَّاع لكل قول أُذُناً إذا كثر منه استعمال الأذن، فهذه تسمية الشيء بالشيء إذا كان منه بسبب، كما يقال للربيئة: عين، وكما يقال للمسنة من الإبل التي قد بزل نابها: نابٌ، وقيل: معنى الكلام: ذو أذن؛ أي: ذو سماع.

وقيل: إن قوله: ﴿أُذُنٌ﴾ مشتق من قولهم: أَذِن للشيء، إذا استمع، كما قال الشاعر، وهو عدي بن زيد:

[الرمل] أَيُّـهَـا الْقَلْـبُ تَعَـلَّـلْ بِـدَدَنْ   إِنَّ هَمِّـي فِـي سَـمَاعٍ وَأَذَنْ(٦)

---

(١) ضعيف، هذا الحديث ذكره ابن إسحاق في السيرة ص (٤٤٦ ابن هشام) به معضلاً، ولم أقف له على إسناد عند غيره.

(٢) في الأسدية: «تنملنا»، وفي نور العثمانية: «ونقلنا».

(٣) في التركية: «الخزاية».

(٤) في الأسدية: «الانخراع».

(٥) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٢٦) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، فيه أيضاً قول الحسن ومجاهد.

(٦) انظر عزوه له في غريب الحديث لابن سلام (١/ ٤٠)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٤٢)، وتهذيب اللغة (١٥/ ١٥).

وفي التنزيل: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ٢-٥] ومن هذا قول النبي ﷺ: «ما أَذِنَ الله لشيء كأَذَنه لنبي يتغنَّى بالقرآن»[١]، ومن هذا قول الشاعر:

فِي سَمَاعٍ يَأْذَنُ الشَّيْخُ لَهُ   وَحَدِيثٍ مِثْلِ مَاذِيٍّ مُشَارِ[٢] [الرمل]

ومنه قول الآخر:

صُمٌّ إِذَا سَمِعُوا خَيْراً ذُكِرْتُ بِهِ   وَإِنْ ذُكِرْتُ بسوء عِنْدَهُمْ أَذِنُوا[٣] [البسيط]

/ وقرأ نافع: ﴿أُذْن﴾ بسكون الذال فيهما، وقرأ الباقون: ﴿أُذُنٌ﴾ بضم الذال [٢/ ٢٤٩] فيهما[٤]، وكلهم قرأ بالإضافة إلى ﴿خَيْرٍ﴾ إلا ما روي عن عاصم.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن ومجاهد وعيسى بخلاف: (قل أذنٌ خيرٌ) برفع (خيرٌ) وتنوين (أذنٌ)، وهذا يجري مع تأويل الحسن الذي ذكرناه، أي: من يقبل معاذيركم خير لكم، ورويت هذه القراءة عن عاصم[٥].

ومعنى ﴿أُذُنُ خَيْرٍ﴾ على الإضافة؛ أي: سمَّاعُ خير وحقٍّ.

وَ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ معناه: يصدِّق بالله. ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: معناه: ويصدق المؤمنين، واللام زائدة، كما هي في قوله: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢].

---

(١) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٤٧٣٥)، ومسلم (٧٩٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٢) البيت لعدي بن زيد كما في غريب الحديث لابن سلام (٣/ ٣٢٣)، وجمهرة اللغة (٢/ ٧٣٥)، والعقد الفريد (٦/ ٢٦٣).

(٣) البيت لقعنب ابن أم صاحب كما في عيون الأخبار (٣/ ٩٦)، وأنساب الأشراف (١٣/ ٤١٢)، وأمالي القالي (١/ ١٢٢).

(٤) وهما سبعيتان، انظر السبعة لابن مجاهد (ص: ٣١٥).

(٥) من رواية الأعشى والجعفي عن أبي بكر عنه كما في جامع البيان (٣/ ١١٥٣)، والبرجمي كما في المبسوط (ص: ٢٢٧)، وانظر عزوها فيه لعيسى وقتادة والأشهب، وللحسن في تفسير الطبري (١٤/ ٣٢٥)، ولمجاهد وزيد بن علي في البحر المحيط (٥/ ٤٤٨).

وقال المبرد: هي متعلقة بمصدر مقدر من الفعل، كأنه قال: وإيمانُه للمؤمنين، أي: تصديقه[١]، وقيل[٢]: يقال: آمنت لك، بمعنى: صدقتك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧].

قال القاضي أبو محمد: وعندي أن هذه التي معها اللام في ضمنها باء، فالمعنى: ويصدِّق للمؤمنين بما يخبرونه، وكذلك: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ بما نقوله لك، والله المستعان.

وقرأ جميع السبعة إلا حمزة: ﴿وَرَحۡمَةٌ﴾ بالرفع عطفاً على ﴿أُذُنُ﴾.

وقرأ حمزة وحده: ﴿ورحمةٍ﴾ بالخفض، عطفاً على ﴿خَيۡرٖ﴾، وهي قراءة أبي ابن كعب وعبد الله والأعمش[٣].

وخصص الرحمة لِلَّذِينَ ءَامَنُوا؛ إذ هم الذين نجوا بالرسول وفازوا به، ثم أوجب تعالى للذين يؤذون رسول الله العذاب الأليم وحتم عليهم به.

وقوله تعالى: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ﴾ الآية، ظاهر هذه الآية أن المراد بها جميع المنافقين الذين يحلفون لرسول الله ﷺ وللمؤمنين بأنهم منهم في الدين، وأنهم معهم في كل أمر وكلِّ حزب[٤]، وهم في ذلك يبطنون النفاق ويتربصون الدوائر، وهذا قول جماعة من أهل التأويل.

وقد روت فرقة أنها نزلت بسبب رجل من المنافقين قال: إن كان ما يقول محمد

---

(١) انظر مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٣٣١).

(٢) من الأسدية والتركية ونور العثمانية.

(٣) انظر: التيسير للداني (ص: ١١٨)، وتابعه في الباقين في البحر المحيط (٥/ ٤٤٩)، وانظر: تفسير الثعلبي (٥/ ٦٣).

(٤) في التركية: «حرف»، وفي نجيبويه ونور العثمانية وأحمد٣: «حرب».

(ﷺ) حقّاً فأنا[١] شر من الحمر، فبلغ قولُه رسولَ الله ﷺ، فدعاه ووقَفه على قوله ووبخه، فحلف مجتهداً أنه ما فعل، فنزلت الآية في ذلك[٢].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [مذهب سيبويه أنهما جملتان حذفت الأولى لدلالة الثانية عليها، والتقدير عنده: والله أحق أن يرضوه، ورسوله أحق أن يرضوه][٣]، وهذا كقول الشاعر:

نَـحْـنُ بِـمَـا عِـنْـدَنَـا وَأَنْـتَ بِمَـا عِنْـدَكَ رَاضٍ وَالْرَأْيُ مُخْتَلِفُ[٤] [المنسرح]

ومذهب المبرد أن في الكلام تقديماً وتأخيراً[٥]، وتقديره: والله أحق أن يرضوه ورسولُه.

قال: وكانوا يكرهون أن يجمع الرسول مع الله في ضمير، حكاه النقاش عنه[٦].

وليس هذا بشيء، وفي مصنف أبي داود أنَّ النبي ﷺ قال: «من يطع الله ورسوله فقد رَشَدَ، ومَن يَعْصِهما[٧]»، فجمع في ضمير، وقوله ﷺ في الحديث الآخر: «بئس

(١) في الأسدية: «لنحن».
(٢) ذكره قتادة مرسلاً، أخرجه الطبري (١٤/ ٣٢٩).
(٣) ساقط من الأصل، وسقط: «ورسوله أحق أن يرضوه» من التركية، وسقطت أيضاً من الآية من المطبوع.
(٤) البيت لعمر بن امرئ القيس الأنصاري الخزرجي كما في مجاز القرآن (١/ ٣٩)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٥٣٠)، والبيان والتبيين (٣/ ٦٩)، أو قيسِ بن الخَطيم كما في الكتاب لسيبويه (١/ ٧٤)، أو مرّار الأَسَدي كما في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٦٣).
(٥) انظر إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٣٥)، والهداية لمكي (٤/ ٣٠٥٣)، مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٣٣١).
(٦) لم أقف عليه، لكن انظر شرح النووي على مسلم (٦/ ١٥٩)، وفتح الباري (١٥-١/ ٦٠).
(٧) زاد في المطبوع: «فقد غوى»، وليست في رواية أبي داود التي أحال عليها المصنف، والحديث صحيح، أخرجه أبو داود (٤٩٨٣) من طريق وكيع عن الثوري عن عبد العزيز بن رفيع عن تميم الطائي عن عدي بن حاتم أن خطيباً خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما. فقال: «قم ـ أو قال: اذهب ـ فبئس الخطيب أنت»، وقد أخرجه مسلم (٢٠٤٧) من نفس الطريق =

الخطيب أنت»[(١)]، إنما ذلك لأنه وقف في يعصهما فأدخل العاصي في الرشد.

وقيل: الضمير في ﴿يُرْضُوهُ﴾[(٢)] عائد على المذكور كما قال رؤبة:

[الرجز] فِيهَا خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقْ كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوْلِيعُ الْبَهَقْ[(٣)]

وقوله: ﴿إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: على قولهم ودعواهم.

وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾ الآية، قوله: ﴿أَلَمْ﴾ تقريرٌ ووعيدٌ.

وفي مصحف أبي بن كعب: (ألم تعلم)[(٤)] على خطاب النبي ﷺ، وهو وعيدٌ لهم.

وقرأ الأعرج والحسن: (ألم تعلموا) بالتاء[(٥)].

و﴿يُحَادِدِ﴾ معناه: يخالف ويشاقّ، وهو أن يعطي هذا حدَّه[(٦)] لهذا، وهذا حدَّه لهذا.

وقال الزجَّاج: هو أن يكون هذا في حدٍّ وهذا في حدٍّ[(٧)].

وقوله: ﴿فَأَنَّ﴾ مذهب سيبويه أنها بدل من الأولى، وهذا معترَض بأن الشيء لا يبدل منه حتى يُستوفى، والأُولى في هذا الموضع لم يأت خبرها بعد، إذ لم يتم جواب الشرط، وتلك الجملة هي الخبر، وأيضاً فإن الفاء تمانع البدل، وأيضاً فهي في معنًى آخر غير الأول فيقلق[(٨)] البدل، وإذا تُلطِّف للبدل فهو بدل الاشتمال.

= لكن فيه: «ومن يعصهما فقد غوى» فقال رسول الله ﷺ: «بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله» زاد ابن نمير: «فقد غوى».

(١) هو نفس الحديث السابق.

(٢) في الأسدية: «يرضونه».

(٣) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٤٣)، والمحتسب (٢/ ١٥٤)، والصحاح للجوهري (٣/ ١٣٠٤)، ديوان المعاني (٢/ ١٣٠).

(٤) وهي شاذة مخالفة للمصحف، تابعه عليها في البحر المحيط (١١/ ٨٣٣) طبعة الرسالة.

(٥) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ٢١٧)، وعزاها الثعلبي (٥/ ٦٤) للسلمي.

(٦) في الأسدية: حقه.

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٥٨).

(٨) تحرفت في الأسدية إلى: «متعلق».

وقال غير سيبويه: هي مجردة لتأكيد الأولى[١]، وقالت فرقة من النحاة: هي في موضع خبر ابتداء تقديره: فواجبٌ أن له، وقيل: المعنى: فله أن له.

وقالت فرقة: هي ابتداء، والخبر مضمر تقديره: فأن له نار جهنم واجب، وهذا مردودٌ؛ لأن الابتداء بـ(أنَّ) لا يجوز مع إضمار الخبر، قاله المبرد.

وحُكي عن أبي علي الفارسي قولٌ يقرب معناه من معنى القول الثالث من هذه الآية التي ذكرنا لا أقف الآن على لفظه[٢].

وجميع القراء على فتح (أنَّ) الثانية.

وحكى الطبري عن بعض نحويي البصرة أنه اختار في قراءتها كسر الألف[٣].

وذكر أبو عمرو الداني أنها قراءة ابن أبي عبلة[٤].

ووجهُه في العربية قوي؛ لأن الفاء تقتضي القطع والاستئناف، ولأنه[٥] يصلح في موضعها الاسم ويصلح الفعل، وإذا كانت كذلك وجب كسرها.

قوله عز وجل: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (٦٤) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦)﴾.

قوله: ﴿يَحْذَرُ﴾ خبر عن حال قلوبهم، وحذرُهم إنما هو أن تتلى سورة، ومعتقدهم

---

(١) في نجيبويه: «التأكيد الأول».

(٢) راجع جميع أوجه الإعراب المذكورة هنا في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٢٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٣٣٠)، وأجازه الخليل وسيبويه كما في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٢٥).

(٤) انظر قول الداني في: البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٤٥٢)، وهي قراءة شاذة.

(٥) «ولأنه»: ساقطة من نجيبويه، وفي مكانها: «ولا».

هل تنزل أم لا ليس بنص في الآية لكنه ظاهر، فإنْ حمل على مقتضى نفاقهم واعتقادهم أن ذلك ليس من عند الله فوجه بيِّن، وإن قيل: إنهم يعتقدون نزول ذلك من عند الله وهم ينافقون مع ذلك فهذا كفر عناد.

وقال الزجَّاج وبعض من ذهب إلى التحرز من هذا الاحتمال: معنى ﴿ يَحۡذَرُ ﴾: الأمرُ وإن كان لفظه لفظَ الخبر، كأنه يقول: ليَحْذرْ[١].

وقرأ أبو عمرو وجماعة معه: ﴿أن تَنْزِل﴾ ساكنة النون خفيفة الزاي، وقرأ بفتح النون مشددة الزاي الحسن والأعرج وعاصم والأعمش وعيسى[٢].

و﴿أَن﴾ من قوله: ﴿أَن تُنَزَّلَ﴾ مذهب سيبويه أن ﴿ يَحۡذَرُ ﴾ عامل فيها فهي مفعوله[٣].

وقال غيره: حذِر إنما هي من هيئات النفس التي لا تتعدى مثل: (فزع) وإنما التقدير: يحذر المنافقون من أن تنزل عليهم سورة.

وقوله: ﴿قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ﴾ لفظه الأمر ومعناه التهديد، ثم ابتدأ الإخبار عن أنه يُخرج لهم إلى حيز الوجود ما يَحْذَرونه، وفَعل ذلك تبارك وتعالى في سورة براءة فهي تسمى الفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين.

وقال الطبري: كان المنافقون إذا عابوا رسول الله ﷺ وذكروا شيئاً من أمره قالوا: لعل الله لا يفشي سرنا، فنزلت الآية في ذلك[٤] / . [٢/ ٢٥٠]

قال القاضي أبو محمد: وهذا يقتضي كفر العناد الذي قلناه.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٥٩).

(٢) غير متقن، فهما سبعيتان، التخفيف لأبي عمرو وابن كثير على قاعدتهما، والتشديد للجمهور، كما مر في سورة البقرة الآية (٨٩).

(٣) انظر إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٢٦).

(٤) انظر تفسير الطبري (١٤/ ٣٣١-٣٣٢).

وقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ ﴾ الآية، نزلت على ما ذكر جماعة من المفسرين في وديعة بن ثابت[١]؛ وذلك أنه مع قوم من المنافقين كانوا يسيرون في غزوة تبوك، فقال بعضهم لبعض: هذا يريد أن يفتح قصورَ الشام ويأخذ حصونَ بني الأصفر، هيهات هيهات، فوقفهم رسول الله ﷺ على ذلك، وقال لهم: «قلتم كذا وكذا»، فقالوا: ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾[٢]، يريدون: كنا غير مجدِّين.

وذكر ابن إسحاق أن قوماً منهم تقدموا النبي ﷺ، وقال بعضهم: كأنكم والله غداً في الحبال أسرى لبني الأصفر، إلى نحو هذا من القول، فقال النبي ﷺ لعمار بن ياسر[٣]: «أدرِكِ القوم فقد احترقوا، وأخبِرْهم بما قالوا»، ونزلت الآية[٤].

وروي أنَّ وديعة بن ثابت المذكور قال في جماعة من المنافقين: ما رأيتُ كقرائنا هؤلاء، لا أرغبَ بطوناً ولا أكثر كذباً ولا أجبنَ عند اللقاء، فعنفهم رسول الله ﷺ على هذه المقالة، فقالوا: ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾[٥]، ثم أمره بتقريرهم: ﴿ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾، وفي ضمن هذا التقرير وعيد.

وذكر الطبري عن عبد الله بن عمر أنه قال: «رأيت قائل هذه المقالة وديعة متعلقاً بحَقَب ناقة رسول الله ﷺ يماشيها والحجارة[٦] تَنْكُبه، وهو يقول: ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ

---

(١) من بني أمية بن زيد بن مالك، وهو ممن بنى مسجد الضرار، وممن قال: إنما كنا نخوض ونلعب، سيرة ابن هشام (١/ ٥٢٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٣٢) من طريق ابن إسحاق به معضلاً، و(١٤/ ٣٣٤) من قول قتادة.

(٣) «لعمار بن ياسر» ساقط من المطبوع.

(٤) نقله ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٧٢) عن ابن إسحاق بلا إسناد.

(٥) إسناده مستقيم، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٤/ ٣٣٣)، وابن أبي حاتم (١٠٠٤٧) من طريق عبد الله بن وهب، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، مرفوعاً به، وهشام بن سعد، وإن كان متكلَّماً فيه، إلا أنه من أثبت الناس في زيد بن أسلم، كما قال أبو داود، انظر تهذيب الكمال (٣٠/ ٢٠٨).

(٦) «والحجارة» ساقطة من المطبوع.

وَنَلۡعَبُ﴾، والنبي يقول: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ﴾»[١].

وذكر النقاش أن هذا المتعلِّق كان عبدَ الله بن أبيٍّ ابنَ سلولَ[٢]، وذلك خطأ؛ لأنه لم يشهد تبوك.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ﴾ الآية؛ المعنى: قل لهم يا محمد: لا تعتذروا؛ على جهة التوبيخ، كأنه قال: لا تفعلوا ما لا ينفع.

ثم حكم عليهم بالكفر فقال: قل لهم: ﴿قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ الذي زعمتموه ونطقتم به، وقوله: ﴿عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ﴾ يريد فيما ذكر المفسرون رجلاً واحداً قيل: اسمه: [مُخَشِّنُ بن حُميِّر][٣] قاله ابن إسحاق، وقال ابن هشام ومقاتل[٤]: ويقال فيه: مُخْشِي[٥]، وقال خليفة بن خياط[٦] في «تاريخه»: «مُخاشن بن حميِّر»[٧]، وذكر ابن عبد البر: مُخاشن[٨] الحِمْيَري.

وذكر جميعهم أنه استشهد باليمامة[٩] وكان قد تاب وتسمى عبد الرحمن، فدعا الله

---

(١) بقية الحديث السابق. والحقب: حبل يشد به الرحل في بطن البعير. «القاموس» (حقب).

(٢) وأخرج هذه الرواية العقيلي في الضعفاء (١/ ٩٤) من طريق إسماعيل بن مخراق، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، وقال: ليس له أصل من حديث مالك.

(٣) في الأصل: «بن حفير»، وفي الأسدية: «محشر بن محير»، وفي نور العثمانية: «محسن بن جبير»، وهو منافق من أشجع، حليف بني سلمة.

(٤) من المطبوع، وأحمد٣.

(٥) قاله ابن هشام في السيرة (٢/ ٥٢٤).

(٦) هو أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة خليفة بن خياط الشيباني العصفري البصري المعروف بشباب، صاحب الطبقات، مستقيم الحديث، صدوق، من متيقظي الرواة، توفي سنة (٢٤٠هـ). غاية النهاية (١/ ٢٧٥)، وتاريخ الإسلام (١٧/ ١٥٣).

(٧) انظر: تاريخ خليفة بن خياط (ص: ١١٤)، وفيه: «مخاش الحميري».

(٨) في الأسدية: «محاسن»، وفي نور العثمانية: «مخشي».

(٩) انظر: الاستيعاب (٤/ ١٤٦٥)، وسيرة ابن هشام (٥/ ٢٠٥)، وتاريخ خليفة بن خياط (ص: ١١١-١١٤).

أن يُستشهد، ويُجهل أمره، فكان ذلك باليمامة ولم يوجد جسده[١]، وذكر أيضاً ابن عبد البر: مُخشِّي[٢] بن حمير بضم الحاء وفتح الميم وسكون الياء، ولم يتقن القصة[٣]، وقد كان مخشي[٤] مع المنافقين الذين قالوا: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾، فقيل: كان منافقاً ثم تاب توبة صحيحة، وقيل: كان مسلماً مخلصاً إلا أنه سمع كلام المنافقين فضحك لهم ولم ينكر عليهم فعفا الله عنه في كلا الوجهين، ثم أوجب العذاب لباقي المنافقين الذين قالوا ما تقدم.

وقرأ جميع السبعة سوى عاصم: ﴿إن يُعفَ عن طائفة﴾ بالياء [من تحت]، ﴿تُعذَّب﴾ بالتاء [من فوق][٥].

وقرأ الجحدري: (إنْ يَعفُ) بالياء [المفتوحة][٦] على تقدير: [إن يعفُ الله][٧] (يعذِّب) الله (طائفةً) بالنصب[٨].

وقرأ عاصم وزيد بن ثابت وأبو عبد الرحمن: ﴿إِن نَّعْفُ﴾ بالنون، ﴿نُعَذِّبْ﴾ بنون الجميع أيضاً[٩].

وقرأ مجاهد: (إن تُعفَ) بالتاء المضمومة على تقدير: إن تعف هذه الذنوبُ (تُعذَّب) بالتاء أيضاً[١٠].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٥/ ٢٠٥-٢٠٦)، والروض الأنف (٤/ ٣٠٠).

(٢) في غير التركية: «محشي»، وهكذا ضبطه بالمعجمة: الأمير ابن ماكولا: في «الإكمال» (٧/ ١٧٦) باب مَخَش، ومَخْشي، قال: وأما «مخشي» بسكون الخاء وكسر الشين المخففة وبعدها ياء: فهو مخشي بن حمير الأشجعي حليف بني سلمة كان من المنافقين...، وهكذا ضبطه ابن حجر في «الإصابة» (٦/ ٤٤).

(٣) انظر الترجمتين في: الاستيعاب (٣/ ١٣٨١)، و(٤/ ١٤٦٥).

(٤) «مخشي» من التركية، وفي نجيبويه: «محشن»، وفي الباقي: «محشي».

(٥) «من فوق» زيادة من الأسدية، وكذا «من تحت» التي قبلها.

(٦) زيادة من نور العثمانية والمطبوع ونجيبويه.

(٧) زيادة من نور العثمانية والمطبوع ونجيبويه.

(٨) وهي شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٢٦).

(٩) وهي والأولى سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٨)، وانظر عزوها للباقيَيْن في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٢٦).

(١٠) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٩٨)، مختصر الشواذ (ص: ٥٨).

قوله عز وجل: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

هذا ابتداء إخبار عنهم وحكمٌ من الله تعالى عليهم بما تضمنته الآية، فقوله: ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ يريد: في الحكم والمنزلة من الكفر، وهذا نحو قولهم: الأذنان من الرأس يريدون في حكم المسح، وإلا فمعلوم أنهما من الرأس، ولمَّا تقدم قبل: ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ حَسُن هذا الإخبار.

وقوله: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾ يريد: بالكفر وعبادة غير الله وسائر ذلك من الآية؛ لأن المنافقين الذين نزلت هذه الآيات فيهم لم يكونوا أهل قدرة ولا أفعالٍ ظاهرة، وذلك بسبب ظهور الإسلام وكلمة الله عز وجل، والقبض: هو عن الصدقة وفعل الخير.

وقوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ أي: تركوه حين تركوا نبيه وشرعته، فتركهم حين لم يهدهم ولا كفاهم عذاب النار، وإنما يعبر بالنسيان عن الترك مبالغةً إذ أبلغ وجوه الترك الوجه الذي يقترن به نسيان، وعلى هذا يجيء: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧] ثم حكم عليهم عز وجل بالفسق، وهو فسوق الكفر المقتضي للخلود في النار.

وكان قتادة يقول: ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾، أي: من الخير ولم ينسهم من الشر(١).

(١) انظر قول قتادة في: تفسير الطبري (١٤/ ٣٣٩).

وقوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ الآية، لما قيَّد الوعد بالتصريح بالشرِّ صح ذلك وحَسُن، وإن كانت آيةَ وعيد محض.

و(الْكُفَّار) في هذه الآية: المعلنون.

وقوله: ﴿هِىَ حَسْبُهُمْ ﴾ أي: كافيتُهم وكافية جُرمهم وكفرهم نكالاً وجزاء، فلو تمنى أحد لهم عذاباً لكان ذلك عنده حسباً لهم.

﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ معناه: أبعدهم عن رحمته، و﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ معناه: مؤبد لا نُقلة له.

وقوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ الآية أمر الله نبيه أن يخاطب بها المنافقين، فيقول لهم: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾، والمعنى: أنتم كالذين، أو: مَثَلُكم مَثَلُ الذين من قبلكم.

وقال الزجّاج: المعنى: وعداً كما وعد الذين من قبلكم، فهو متعلق بـ﴿ وَعَدَ ﴾[(١)].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا قلَق.

ثم قال: ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ ﴾ وأعظمَ فعصوا فأُهلكوا، فأنتم أحرى بالإهلاك لمعصيتكم وضعفكم، والخلاق: الحظ من القدْر والدين وجميعُ حال المرء، وخلاق المرء: الشيء الذي هو به خليق، والمعنى: عَجِلوا حظَّهم في دنياهم وتركوا باب الآخرة فاتبعتُموهم أنتم.

قال القاضي أبو محمد: وأورد الطبري في تفسير هذه الآية قوله ﷺ: «لتتَّبعُنَّ سَنَن مَن[(٢)] قبلَكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جُحر ضب لدخلتموه»[(٣)]، / [٢/ ٢٥١]
وما شاكل هذا الحديثَ مما يقتضي اتباع أمة محمد ﷺ لسائر الأمم، وهو معنًى لا يليق بالآية جدّاً، إذ هي مخاطَبةٌ لمنافقين كفارٍ أعمالهم حابطةٌ، والحديث مخاطَبةٌ لموحدين يتبعون سَنَن مَن مضى في أفعال دنياوية لا تخرج عن الدين.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٦٠).

(٢) في الأسدية: «لتتبعن سبل الذين».

(٣) البخاري، أخرجه (٣٢٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، مرفوعاً به.

وقوله: ﴿وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ﴾ أي: خلَّطتم كالذي خلَّطوا، وهو مستعار من الخوض في المائعات، ولا يستعمل إلا في الباطل؛ لأن التصرف في الحقائق إنما هو على ترتيب ونظام، وأمور الباطل إنما هي خوض، ومنه قول النبي ﷺ: «ربَّ متخوِّضٍ في مال الله له النار يوم القيامة»[١].

ثم قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ فيحتمل أن يراد بـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: القومُ الذين وصفهم بالشدة وكثرة الأموال والاستمتاع بالخلاق، والمعنى: وأنتم أيضاً كذلك يعتريكم بإعراضكم عن الحق، ويحتمل أن يريد بـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: المنافقين المعاصرين لمحمد ﷺ، ويكون الخطاب لمحمد ﷺ، وفي ذلك خروج من خطاب إلى خطابٍ غيرِ الأول.

وحبِط العمل وما جرى مجراه يَحبَط حَبْطاً: إذا بطل بعد التعب فيه، وحَبِط البطن حبَطا بفتح الباء وهو داء في البطن، ومنه قول النبي ﷺ: «إن مما ينبت الربيع ما يقتل حَبَطاً أو يُلمُّ»[٢].

وقوله: ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ معناه إذا كان في المنافقين: ما يصيبهم في الدنيا من المقت من المؤمنين وفسادِ أعمالهم وغمصِهم عليهم[٣]، وفي الآخرة بأن لا تنفع ولا يقع عليها جزاء، ويقوِّي أن الإشارة بـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى المنافقين قولُه في الآية المستقبلة: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ﴾ فتأمله.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٧٠ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ

(١) ضعيف، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٩٦) من طريق: أبي عقيل يحيى بن المتوكل عن عمر بن نافع عن أبيه عن ابن عمر مرفوعاً في حديث طويل. ويحيى هذا ضعيف.

(٢) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٢٦٨٧)، ومسلم (١٠٥٢) من حديث أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) و«غمصهم عليهم»: ساقطة من المطبوع، وفي نجيبويه وأحمد٣: و«غمضهم».

يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾.

يقول عز وجل لنبيه ﷺ: ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر الأمم السالفة التي عصت الله بتكذيب رسله فأهلكها.

﴿وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾: قبيلتان، ﴿وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ﴾: نمرود وأصحابه وتُبَّاع دولته، ﴿وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ﴾: قومُ شعيب، ﴿وَالْمُؤْتَفِكَـٰتِ﴾: أهل القرى الأربعة ـ وقيل: السبعة ـ الذين بُعِث إليهم لوط ﷺ.

ومعنى (الْمُؤْتَفِكات): المنصرفات والمنقلبات أُفكت فائتَفكَتْ[1]، لأنها جُعل أعاليها أسفلَها، وقد جاءت في القرآن مفردة تدل على الجمع، ومن هذه اللفظة قول عمران بن حِطَّان[2]:

بِمَنْطِقٍ مُسْتَبِينٍ غَيْرِ مُلْتَبِسٍ   بِهِ اللِّسَانُ وَإِنِّي غَيْرُ مُؤْتَفِكِ[3]   [البسيط]

أي: غير منقلبٍ منصرف مضطرب، ومنه يقال للريح: مؤتفكة لتصرُّفها، ومنه: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[4] والإفك: صرف القول من الحق إلى الكذب.

والضمير في قوله: ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ عائد على هذه الأمم المذكورة، وقيل:

---

(١) في الأصل: فانتفكت، وفي التركية: فاتفكت.

(٢) هو عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي البصري، أحد رؤوس الخوارج، روى عن عائشة، وأبي موسى الأشعري، وابن عباس، روى عنه: محمد بن سيرين، ويحيى بن أبي كثير، وقتادة، وكان من أشعر الناس، توفي سنة (٨٤هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ١٥٤).

(٣) انظر عزوه له في البحر المحيط (٥/ ٤٥٨)، وفي الأسدية والتركية: «رأي»، وفي نجيبويه: «ورأيي»، وفي نور العثمانية: غير مستلين.

(٤) المائدة: ٧٥، التوبة: ٣٠، العنكبوت: ٦١، الزخرف: ٨٧، المنافقون: ٤.

على (الْمُؤْتَفِكاتِ) خاصة، وجعل لهم رسلاً وإنما كان نبيهم واحداً؛ لأنه كان يرسل إلى كل قرية رسولاً داعياً، فهم رسُل رسول الله، ذكره الطبري[١]، والتأويل الأول في عود الضمير على جميع الأمم أبْين.

وقوله: ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ يريد: بالمعجزات وهي بينةٌ في أنفسها بالإضافة إلى الحق لا بالإضافة إلى المكذبين بها.

ولما فرغ من ذكر المنافقين بالأشياء التي ينبغي أن تَصرف عن النفاق وتَنهى عنه، عقَّب ذلك بذكر المؤمنين بالأشياء التي ترغِّب في الإيمان وتنشِّط إليه، تلطفاً منه تعالى بعباده لا رب غيره، وذُكرت هنا الولاية إذ لا ولاية بين المنافقين، ولا شفاعة لهم ولا يدعو بعضهم لبعض، وكأن المراد هنا الولاية في الله خاصة.

وقوله: ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ يريد: بعبادة الله وتوحيده وكلِّ ما اتبع ذلك.

وقوله: ﴿عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ يريد: عن عبادة الأوثان وكل ما اتبع ذلك.

وذكر الطبري عن أبي العالية أنه قال: كلُّ ما ذكر الله في القرآن من الأمر بالمعروف فهو دعاء من الشرك إلى الإسلام، وكل ما ذكر من النهي عن المنكر فهو النهي عن عبادة الأوثان والشياطين[٢].

وقال ابن عباس في قوله: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: «هي الصلوات الخمس»[٣].

قال القاضي أبو محمد: وبحسب هذا تكون الزَّكاةُ المفروضة، والمدح عندي بالنوافل أبلغ، إذ من يقيم النوافل أحرى بإقامة الفرض.

وقوله: ﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ جامع للمندوبات.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٣٤٦).

(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٣٤٨).

(٣) رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، أخرجه الطبري (١٤/ ٣٤٨).

والسين في قوله: ﴿سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾ مُدْخِلةٌ في الوعد مهلةً لتكون النفس تنعم برجائه وفضله تعالى زعيم بالإنجاز.

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الآية؛ وعدُه في هذه الآية صريحٌ نصٌّ في الخير.

وقوله: ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ إما من تحت أشجارها، وإما من تحت علِّياتها، وإما من تحت مجالسها بالإضافة إلى مبدأ[1]، كما تقول في دارين متجاورتين متساويتي المكان: هذه تحت هذه.

وذكر الطبري في قوله: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ عن الحسن أنه قال: سألت عنها عمران بن الحصين وأبا هريرة فقالا: على الخبير سقطت، سألنا عنها رسول الله ﷺ فقال: «قصر في الجنة من اللؤلؤ فيه سبعون داراً من ياقوتة حمراء، في كلِّ دارٍ سبعون بيتاً من زمردة خضراء، في كلِّ بيت سبعون سريراً»[2].

قال القاضي أبو محمد: ونحو هذا مما يشبه هذه الألفاظ أو يقرُب منها، فاختصرتها طلبَ الإيجاز.

وأما قوله: ﴿فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖ﴾ فمعناه: في جنات إقامة وثبوت، يقال: عَدَن الشيءُ في المكان: إذا أقام به وثبت، ومنه المَعْدِن، أي: موضع ثبوت الشيء، ومنه قول الأعشى:

[المتقارب] وَإِنْ يَسْتَضِيفُوا إِلَى حِلْمِهِ ... يُضَافُوا إِلَى رَاجِحٍ قَدْ عَدَنْ[3]

هذا الكلام اللغوي، وقال كعب الأحبار: جَنَّات عَدْنٍ هي بالفارسية: جنات الكروم / والأعناب[4]. [٢/ ٢٥٢]

قال القاضي أبو محمد: وأظن هذا وهماً اختلط بالفردوس.

---

(١) في المطبوع: «إلى هذا».

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٣/ ٣٤٩) من طريق جسر، عن الحسن به، وجسر هو ابن فرقد ضعيف.

(٣) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٢٦٤)، تفسير الطبري (١٤/ ٣٥٠).

(٤) انظر قول كعب في: تفسير الطبري (١٤/ ٣٥٢)، وفيه (السريانية) بدل (الفارسية).

وقال الضحاك: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ هي مدينة الجنة وعُظْمُها، فيها الأنبياء والعلماء والشهداء وأئمة العدل، والناس حولهم بعدُ، والجنات حولها.

وقال ابن مسعود: «عدن: هي بُطنَانُ الجنة وسرتها»[١].

وقال عطاء: عدن: نهر في الجنة جناته على حافته، وقال الحسن: عدن: قصر في الجنة لا يدخله إلا نبي أو صِدِّيق أو شهيد أو حَكَمٌ عدل، ومد بها صوته[٢].

قال القاضي أبو محمد: والآية تأبى هذا التخصيصَ، إذ قد وعد الله بها جميع المؤمنين.

وأما قوله: ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ فروي فيه أن الله عز وجل يقول لعباده إذا استقروا في الجنة: «هل رضيتم؟ فيقولون: وكيف لا نرضى يا ربنا؟ فيقول: إني سأعطيكم أفضل من هذا كله، رضواني أرضى عنكم فلا أسخط عليكم أبداً» الحديث[٣].

وقوله: ﴿أَكۡبَرُۚ﴾ يريد: أكبر من جميع ما تقدم، ومعنى الآية والحديث متفق.

وقال الحسن بن أبي الحسن: وصل إلى قلوبهم برضوان الله من اللذة والسرور ما هو ألذ عندهم وأقرُّ لأعينهم من كل شيء أصابوه من لذة الجنة[٤].

قال القاضي أبو محمد: ويظهر أن يكون قوله تعالى: ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ إشارةً إلى منازل المقرَّبين الشاربين من تسنيم، والذين يُرون كما يُرى النجم الغابر[٥] في الأفق، وجميع من في الجنة راضٍ والمنازل مختلفة، وفضل الله تعالى متسع.

---

(١) صحيح، هذا الأثر أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٤٠٣٣)، وابن جرير (١٤/ ٣٥٣) كلهم من طريق منصور بن المعتمر، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهذا إسناد صحيح، وفي لسان العرب (١٣/ ٥٥): بطنان الجنة: وسطها.

(٢) انظر قول الضحاك والحسن وعطاء في: تفسير الطبري (١٤/ ٣٥٣-٣٥٥).

(٣) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٦١٨٣) ومسلم (٢٨٢٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) انظر قول الحسن في: تفسير ابن أبي زمنين (١/ ٢٥٦).

(٥) في المطبوع: «الغائر».

و﴿ٱلْفَوْزُ﴾: النجاة والخلاص، ومن أُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ، والمقربون هم في الفوز العظيم، والعبارة عندي عن حالهم بسرورٍ وكمال أجودُ من العبارة عنها بلذة، واللذة أيضاً مستعملة في هذا مع الحاسة[١].

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾.

قوله: ﴿جَٰهِدِ﴾ مأخوذ من بلوغ الجهد، وهي مقصود بها المكافحة والمخالفة، وتتنوع بحسب المجاهَد، فجهاد الكافر المعلن بالسيف، وجهاد المنافق المتستر باللسان والتعنيف والاكفهرار في وجهه، ونحو ذلك، ألا ترى أن من ألفاظ الشرع قوله ﷺ: «والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله»[٢].

فجهاد النفس إنما هو مصابرتها وأَخْذُها[٣] باتباع الحق وترك الشهوات، فهذا الذي يليق بمعنى هذه الآية، لكِنَّا نجلب أقوال المفسرين نصّاً لتكون معرضة للنظر.

قال الزجّاج ـ وهو متعلق في ذلك بألفاظ ابن مسعود ـ: أمر في هذه الآية بجهاد الكفار والمنافقين بالسيف، وأبيح له فيها قتل المنافقين[٤]، قال ابن مسعود: «إن قدر

---

(١) «مع الحاسة» زيادة من نجيبويه والتركية، وفي الأسدية: «بحاسة».

(٢) صحيح، أخرجه ابن المبارك في الزهد (٨٢٦)، ومن طريقه الإمام أحمد (٢٣٩٥٨)، وابن حبان في صحيحه (١١/ ٢٠٣) مطولاً عن هذا، عن ليث بن سعد، قال: أخبرني أبو هانئ الخولاني، عن عمرو بن مالك الجنبي، قال: حدثني فضالة بن عبيد رضي الله عنه، مرفوعاً به، وأخرجه الترمذي (١٧١٥)، من طريق حيوة بن شريح، عن أبي هانئ الخولاني به. وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) «وأخذها»: سقطت من الأصل والمطبوع.

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٦١).

وإلا فباللسان، وإلا فبالقلب والاكفهرارِ في الوجه»[١].

قال القاضي أبو محمد: والقتل لا يكون إلا مع التجليح، ومن جلَّح خرج عن رتبة النفاق. وقال ابن عباس: المعنى: جاهد المنافقين باللسان[٢].

وقال الحسن بن أبي الحسن: المعنى: جاهد المنافقين بإقامة الحدود عليهم، قال: وأكثر ما كانت الحدود يومئذ تصيب المنافقين[٣].

قال القاضي أبو محمد: ووجه ترك رسول الله ﷺ المنافقين بالمدينة أنهم لم يكونوا مجلِّحين، بل كان كلُّ مغموصٍ عليه إذا وقف ادعى الإسلام، فكان في تركهم إبقاءٌ وحياطة للإسلام، ومخافة أن تنفر العرب إذا سمعت أن محمداً ﷺ يقتل من يُظهر الإسلام، وقد أوعبتُ[٤] هذا المعنى في صدر سورة البقرة، ومذهب الطبري: أن النبي ﷺ كان يعرفهم ويسترهم[٥].

وأما قوله تعالى: ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ فلفظة عامة تتصرف في الأفعال والأقوال واللحظات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ومنه قول النسوة لعمر بن الخطاب: «أنت أفظ من رسول الله ﷺ»[٦].

ومعنى الغلظ: خشن [الجانب، فهي ضدُّ قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ

---

(١) لا بأس به، هذا الأثر أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٣٧٧)، والطبري (١٤/ ٣٥٨)، كلاهما من طريق علي بن الأقمر، عن عمرو ـ أو: عمر ـ بن أبي جندب، عن ابن مسعود، رضي الله عنه به، وعمرو، أو: عمر بن أبي جندب، قال فيه أبو حاتم: لا بأس بحديثه، وقال أبو داود: ثقة، انظر: تهذيب الكمال (٢١/ ٥٦٦).

(٢) منقطع، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ٣٥٨-٣٥٩)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.

(٣) انظر قول الحسن في: تفسير الطبري (١٤/ ٣٥٨).

(٤) في الأصل: «أوجبت»، وفي نور العثمانية: «أوعيت».

(٥) انظر مذهب الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٦٠).

(٦) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٣١٢٠)، ومسلم (٢٣٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه به.

﴿ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، ثم جسَّرت الآية][1] المؤمنين عليهم في عقب الأمر بإخباره أنهم في جهنم، والمعنى: هم أهل لجميع ما أُمرت أن تفعل بهم.

والمأوى: حيث يأوي الإنسان ويستقر.

وقوله: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾ الآية، هذه الآية نزلت في الجُلَاس بن سويد ابن الصامت، وذلك أنه كان يأتي من قُبَاءٍ ومعه ابن امرأته عمير بن سعد فيما قال ابن إسحاق، وقال عروة: اسمه مصعب، وقال غيره: وهما على حمارين، وكان رسول الله ﷺ قد سمى قوماً ممن اتهمهم بالنفاق، وقال: إنهم رجس، فقال الجلاس للذي كان يسير معه: والله ما هؤلاء الذين سمى محمد إلا كبراؤنا وسادتنا، ولئن كان ما يقول محمد حقّاً لنحن شرٌّ من حمرنا هذه، فقال له ربيبه أو الرجل الآخر: والله إنه لحق، وإنك لشرٌّ من حمارك.

ثم خشي الرجل من أن يلحقه في دينه دَرَكٌ، فخرج وأخبر رسول الله ﷺ بالقصة، فأرسل النبي ﷺ في أثر الجُلاس[2] فقرره، فحلف بالله ما قال، فنزلت هذه الآية[3].

والإشارة بـ﴿كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ إلى قوله: إن كان ما يقول محمد حقّاً فنحن شر من الحمر؛ لأن التكذيب في قوة هذا الكلام، قال مجاهد: وكان الجلاس لما قال له صاحبه: إني سأخبر رسول الله ﷺ بقولك، همَّ بقتله، ثم لم يفعل عَجْزاً عن ذلك، فإلى هذا الإشارة بقوله: ﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾[4].

وقال قتادة بن دِعامةَ: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبيٍّ ابنِ سلولَ، وذلك أن سنان ابن وَبَرَةَ الأنصاري والجَهْجاهَ الغفاري كسع[5] أحدُهما رِجْل الآخر في غزوة

---

(١) ساقط من التركية، وفي الأسدية: «فسرت الآية»، وفي الحمزوية: «حذرت»، وفي المطبوع «خبرت».

(٢) في التركية: «إلى الجلاس»، وفي الأسدية: «فأخبر النبي ﷺ بالجلاس».

(٣) مرسل، أخرجه الطبري (١٤/ ٣٦١) من طريق أبي معاوية الضرير، عن هشام بن عروة بن الزبير، عن أبيه به مرسلاً.

(٤) انظر قول عروة وابن إسحاق وقول مجاهد في نزول الآية في الجلاس بن سويد؛ في: تفسير الطبري (١٤/ ٣٦١-٣٦٣).

(٥) قال في القاموس المحيط (ص: ٧٥٩): كسعه، كمنعه: ضرب دبره بيده، أو بصدر قدمه.

المُريسيع، فتثاوروا، فصاح جهجاه بالأنصار وصاح سنان بالمهاجرين، فثار الناس، فهدَّن رسول الله ﷺ الأمر، فقال عبد الله بن أبيٍّ ابنُ سلولَ: ما أرى هؤلاء إلا قد تداعوا علينا، ما مَثَلُنا ومثلُهم إلا كما قال الأُوَل / : سمِّن كلبك يأكلْك، ولئن رجعنا إلى المدينة [٢/ ٢٥٣] ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فوقفه فحلف أنه لم يقل ذلك، فنزلت الآية مُكذِّبةً له[١].

والإشارة بـكَلِمَةِ الْكُفْرِ إلى تمثيله: «سمِّن كلبك يأكلك».

قال قتادة والإشارة بـ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ إلى قوله: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾[٢].

وقال الحسن: همَّ المنافقون من إظهار الشرك ومكابرة النبي ﷺ بما لم ينالوا[٣].

وقال تعالى: ﴿بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ ولم يقل: بعد إيمانهم؛ لأن ذلك لم يتجاوز ألسنتهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ معناه: أن رسول الله ﷺ أنفذ لعبد الله بن أبيٍّ ابنِ سلولَ ديةً كانت قد تعطلت له[٤]، ذكر عكرمة أنها كانت اثني عشر ألفاً[٥]، وقيل: بل كانت للجلاس.

قال القاضي أبو محمد: وهذا بحسب الخلاف المتقدم فيمن نزلت الآية من أولها.

وتقدم اختلاف القراء في ﴿نَقَمُوٓاْ﴾ في سورة الأعراف، وقرأها أبو حيوة وابن أبي عبلة بكسر القاف[٦]، وهي لغة.

---

(١) قاله قتادة مرسلاً، أخرجه الطبري (١٤/ ٣٦٤).

(٢) انظر قول قتادة في تفسير الطبري (١٤/ ٣٦٤، ٣٦٦)، وانظر تسمية الرجلين في مغازي الواقدي (٢/ ٤١٥).

(٣) انظر قول الحسن في أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٣١٥).

(٤) أرسله قتادة أيضاً (١٤/ ٣٦٧).

(٥) انظر قول عكرمة في تفسير الطبري (١٤/ ٣٦٦-٣٦٧).

(٦) وهي قراءة شاذة، تقدمت الإشارة لها في تفسير الآيتين (٥٨) من المائدة، و(٧٣) من الأعراف.

وقوله: ﴿إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ استثناء من غير الأول كما قال النابغة:

[الطويل]

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سِيوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ[١]

فكأن الكلام: وما نقموا إلا ما حقُّه أن يُشكر.

وقال مجاهد في قوله: ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْ﴾: إنها نزلت في قوم من قريش أرادوا قتل رسول الله ﷺ[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا لا يناسب الآية.

وقالت فرقة: إنَّ الجُلَاس هو الذي همَّ بقتل رسول الله ﷺ[٣]، وهذا يشبه الآية إلا أنه غير قوي السند.

وحكى الزجَّاج أن اثني عشر من المنافقين هموا بذلك فاطلع الله عليهم[٤].

وذكرُ رسول الله ﷺ في إغنائهم من حيث كثرت أموالهم من الغنائم، فرسول الله ﷺ سببٌ في ذلك، وعلى هذا الحدِّ قال رسول الله ﷺ للأنصار: «كنتم عالةً فأغناكم الله بي»[٥].

ثم فتح عز وجل لهم باب التوبة رفقاً بهم ولطفاً في قوله: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾.

وروي أن الجلاس تاب من النفاق فقال: «إن الله قد ترك لي باب التوبة» فاعترف وأخلص، وحسنت توبته[٦].

والعذاب الأليم اللاحق بهم في الدنيا: هو المقت والخوف والهجنة[٧] عند المؤمنين.

---

(١) تقدم عزوه له في تفسير الآية (٥٨) من المائدة.

(٢) انظر قول مجاهد في: تفسير الطبري (١٤/ ٣٦٦).

(٣) قاله عروة بن الزبير كما في: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٣٤٠).

(٤) انظر قول الزجاج في كتابه: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦١).

(٥) أخرجه البخاري (٤٣٣٠) ومسلم (١٠٦١).

(٦) أرسله عروة بن الزبير أيضاً، أخرجه الطبري (١٤/ ٣٦٨).

(٧) في الأسدية: «المحنة». وفي نجيبويه: «واللجنة».

قوله عز وجل: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾.

هذه الآية نزلت في ثعلبة بن حاطب الأنصاري(١)، قال الحسن: وفي مُعتِّب بن قُشيرٍ معه(٢)، واختصار ما ذكره الطبري وغيره من أمره: أنه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعل لي مالاً، فإني لو كنت ذا مال لقضيت حقوقه وفعلت فيه الخير، فرادَّه رسول الله ﷺ، وقال: «قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه»، فعاود، فقال له النبي ﷺ: «ألا تريد أن تكون مثل رسول الله ﷺ، ولو دعوتُ الله أن يسيِّر الجبال معي ذهباً لسارت»، فأعاد عليه حتى دعا له رسول الله ﷺ بذلك، فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت به المدينة، فتنحى عنها وكثرت غنمه، فكان لا يصلي إلا الجمعة، ثم كثرت حتى تنحى بعيداً [فترك الصلاة](٣) ونجم نفاقُه، ونزل خلال ذلك فرض الزكاة على رسول الله ﷺ، فبعث مصدِّقين بكتابه في أخذ زكاة الغنم، فلما بلغوا ثعلبة وقرأ الكتاب قال: هذه أخت الجزية، ثم قال لهم: دعوني حتى أرى رأيي.

فلما أتوا رسول الله ﷺ وأخبروه، قال: «ويح ثعلبة» ثلاثاً، ونزلت الآية فيه، فحضر القصة قريب لثعلبة، فخرج إليه، فقال: أدرك أمرك، فقد نزل كذا وكذا، فخرج ثعلبة حتى أتى رسول الله ﷺ فرغب أن يؤدي زكاته، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وقال: «إن الله أمرني أن لا آخذ زكاتك».

---

(١) هو ثعلبة بن حاطب، أو ابن أبي حاطب الأنصاري، ذكره ابن إسحاق فيمن بنى مسجد الضرار، ومات في خلافة عثمان. الإصابة (١/ ٥١٦)، قال: وأما ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد الأوسي الأنصاري البدري، فإنه استشهد بأحد.

(٢) انظر كل هذا في: تفسير الطبري (١٤/ ٣٧٠)، ومعتب تقدم التعريف به آل عمران، الآية (١٥٥).

(٣) زيادة من نور العثمانة ونجيبويه.

فبقي كذلك حتى توفي رسول الله ﷺ، ثم ورد ثعلبة على أبي بكر، ثم على عمر، ثم على عثمان يرغب إلى كل واحد منهم أن يأخذ منه الزكاة، فكلهم رد ذلك وأباه اقتداء برسول الله ﷺ.

فبقي ثعلبة كذلك حتى هلك في مدة عثمان[1].

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ نصُّ المعاقبة على الذنب بما هو أشد منه.

وقوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ يقتضي موافاتهم على النفاق، ولذلك لم يقبل الخلفاء رضي الله عنهم رجوع ثعلبة لشهادة القرآن عليه بالموافاة، ولولا الاحتمال في أنه نفاق معصية لوجب قتله.

وقرأ الأعمش: (لنصدقنَّ) بالنون الثقيلة مثل الجماعة: (ولنكونن) خفيفة النون[2].

والضمير الذي في قوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ يعود على الله عز وجل، ويحتمل أن يعود على البخل المضمن في الآية، ويضعِّف ذلك الضميرُ في ﴿يَلْقَوْنَهُۥ﴾.

وقوله: ﴿نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ يحتمل أن يكون نفاق كفر، ويكون تقريرُ ثعلبة بعد هذا النصِّ والإبقاءُ عليه لمكان إظهاره الإسلام وتعلقه بما فيه احتمال، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿نِفَاقًا﴾ يريد به نفاق معصية وقلة استقامة، فيكون تقريره صحيحاً، ويكون ترك [قبول النبي ﷺ][3] الزكاةَ منه عقاباً له ونكالاً.

---

(١) ضعيف جداً، أخرجه ابن جرير (١٤/ ٣٧٠)، وابن أبي حاتم (١٠٤٠٦) من طريق هشام بن عمار، ثنا معان بن رفاعة السلمي، عن علي بن يزيد الألهاني، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف جداً من أجل علي بن يزيد الألهاني، وهو متروك الحديث.

(٢) وهي قراءة شاذة، عزاها له مختصر الشواذ (ص: ٥٨)، والشواذ للكرماني (ص: ٢١٨)، في الحرفين، ولم أجد أحداً تابع المصنف.

(٣) من الأسدية وفي المطبوع: «في أول».

وهذا نحو ما روي أن عاملاً[(١)] كتب إلى عمر بن عبد العزيز: إن فلاناً يمنع الزكاة، فكتب إليه أن دعه واجعل عقوبته أن لا يؤدي الزكاة مع المسلمين[(٢)]، يريد لما يلحقه من المقت في ذلك.

وقرأ الحسن والأعرج، وأبو عمرو، وعاصم، ونافع وسائرهم: ﴿يَكْذِبُونَ﴾ خفيفة.

وقرأ أبو رجاء: (يُكَذِّبون) مشددة[(٣)].

وذكر الطبري في هذه الآية ما يناسبها من حديث رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه كان منافقاً خالصاً: إذا وعد أخلف، وإذا حدَّث كَذَب، وإذا اؤتمن خان»، وفي حديث آخر: «و إذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر[(٤)]»، / ونحو هذا من الأحاديث[(٥)]. [٢/ ٢٥٤]

ويظهر من مذهب البخاري وغيره [من أهل العلم أن هذه الخلال][(٦)] الذميمةَ منافقٌ من اتصف بها إلى يوم القيامة[(٧)].

وروي أن عمرو بن العاص لما احتُضر قال: «زوِّجوا فلاناً فإني قد وعدته، لا ألقى الله بثلث النفاق»[(٨)]، وهذا ظاهر كلام الحسن بن أبي الحسن.

---

(١) في الأسدية: «غلاماً».

(٢) أخرجه مالك في: الموطأ (باب ما جاء في أخذ الصدقات والتشديد فيها ـ ٦٠٧)، (١/ ٢٧٠).

(٣) من المطبوع، وكذا خفيفة، وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٨)، وزاد الحسن، والأولى هي المتواترة.

(٤) متفق عليه، أما اللفظ الأول، فأخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (١٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به، وأما اللفظ الثاني، فأخرجه البخاري (٢٣٢٧)، ومسلم (١٠٦) من حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما، مرفوعاً به.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٣٧٦-٣٧٨).

(٦) في الأسدية: أن أهل هذه الحالة.

(٧) انظر في ذلك: صحيح البخاري (١/ ٢١)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ٨٩).

(٨) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ٣٧٨)، وابن عدي في كامله (٦/ ١٤٣)، كلاهما من طريق شبابة بن سوار، ثنا محمد المحرم، قال: سمعت الحسن، عن عبد الله بن عمرو، عن أبيه، =

وقال عطاء بن أبي رباح: «قد فعل هذه الخلالَ إخوةُ يوسف، ولم يكونوا منافقين، بل كانوا أنبياء، وهذه الأحاديث إنما هي في المنافقين في عصر النبي ﷺ الذين شهد الله عليهم»، وهي هذه الخصال في سائر الأمة معاصٍ لا نفاق، وذكر الطبري أن الحسن رجع إلى هذا[(١)].

قال القاضي أبو محمد: ولا محالة أنها كانت مع التوحيد والإيمان بمحمد ﷺ معاص، لكنها من قبيل النفاق اللغوي، وذكر الطبري عن فرقة أنها قالت: كان العهد الذي عاهد الله عليه هؤلاء المنافقُون شيئاً نووه في أنفسهم ولم يتكلموا به[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا فيه نظر.

وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾ الآية لفظ به تعلق من قال في الآية المتقدمة: إن العهد كان من المنافقين بالنية لا بالقول.

وقرأ الجمهور: ﴿يَعْلَمُوٓاْ﴾ بالياء من تحت.

وقرأ أبو عبد الرحمن والحسن: (ألم تعلموا) بالتاء من فوق[(٣)].

وهذه الآية تناسب حالهم؛ وذلك أنها تضمنت إحاطة علم الله بهم وحصره لهم، وفيها توبيخهم على ما كانوا عليه من التحدث في نفوسهم من الاجتماع على ثلب[(٤)]

= به، وهذا إسناد ضعيف جداً، محمد بن المحرم ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢٤٨)، وقال: منكر الحديث، ثم أشار إلى حديثه هذا، وله طريق آخر من رواية الأوزاعي، عن هارون بن رئاب، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن أبيه به، أخرجه الطبري (١٤/ ٣٧٨)، والفريابي في صفة النفاق (١٨)، كلاهما من طريق الأوزاعي به، وهذا إسناد مرسل، قال الذهبي في السير (٨/ ٣٩٦): هارون ثقة، لكنه لم يلحق عبد الله بن عمرو.

(١) انظر ما عزاه المؤلف للحسن وعطاء في: تفسير الطبري (١٤/ ٣٧٨).

(٢) انظر تفسير الطبري (١٤/ ٣٨٠)، وفي نور العثمانية والأسدية: «المنافقين» بالنصب، على أن «الله» فاعل.

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها للسلمي في مختصر الشواذ (ص: ٥٨)، وأما الحسن فسيأتي خلافه في الحرف الذي في آخر السورة.

(٤) سقطت من نور العثمانية وضبب عليها في أحمد٣، وفي الأسدية: «بيت»، وفي التركية: «ثلث».

الإسلام، وراحة بعضهم مع بعض في جهة النبي ﷺ وشرعه، فهي تعم المنافقين أجمع، وقائل المقالة المذكورة ذهب إلى أنها تختص بالفرقة التي عاهدت.

قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ﴾ رد على الضمائر في قوله: ﴿يَكۡذِبُونَ﴾، وقوله: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ﴾ وقوله: ﴿سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ﴾، و﴿يَلۡمِزُونَ﴾ معناه: ينالون بألسنتهم.

وقرأ السبعة: ﴿يَلۡمِزُونَ﴾ بكسر الميم، وقرأ الحسن، وأبو رجاء، ويعقوب، وابن كثير فيما روي عنه: ﴿يلمُزون﴾ بضم الميم[1].

و﴿ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾ لفظة عموم في كلِّ متصدقٍ، والمراد به الخصوص فيمن تصدق بكثير، دلَّ على ذلك قوله عطفاً على الْمُطَّوِّعِينَ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ﴾ ولو كان الَّذِينَ لا يَجِدُونَ قد دخلوا في الْمُطَّوِّعِينَ لما ساغ عطف الشيء على نفسه، وهذا قول أبي علي الفارسي في قوله عز وجل: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] فإنه قال: المراد بالملائكة: مَنْ عدا هذين[2]، وكذلك قال في قوله: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخۡلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]، وفي هذا كلِّه نظر؛ لأن التكرار لقصد التشريف يسوِّغ هذا مع تجوُّز العرب في كلامها.

وأصل ﴿ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾: المتطوعين، فأبدل التاء طاء وأدغم، وأما المتصدق بكثير الذي كان سبباً للآية فأكثر الروايات أنه عبد الرحمن بن عوف، تصدق بأربعة

(١) فهي عشرية قرأ بها يعقوب، كما في النشر (٢/ ٢٨٠) وعزاها في السبعة (ص: ٣١٥) لشبل عن ابن كثير وأهل مكة، وفي إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٠٤) للحسن، ولم أجدها لأبي رجاء.
(٢) لم أجده له بهذا اللفظ، وانظر كلامه على هذه الآية في الحجة له (٢/ ١٦٣).

آلاف وأمسك مثلها، فقال له النبي ﷺ: «بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أنفقت»(١).

وقيل: هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه تصدق بنصف ماله(٢).

وقيل: عاصم بن عدي تصدق بمئة وسق(٣).

وأما المتصدق بقليل فهو أبو عقيل حبحاب(٤) الأراشي، تصدق بصاع من تمر، وقال: «يا رسول الله، جررت البارحة بالجرير(٥) وأخذت صاعين تركت أحدهما لعيالي وأتيت بالآخر صدقة، فقال المنافقون: «الله غني عن صدقة هذا».

وقال بعضهم: إن الله غني عن صاع أبي عقيل(٦).

وقيل: إن الذي لُمِز في القليل أبو خيثمة(٧)، قاله كعب بن مالك صاحب النبي ﷺ(٨).

وتصدق عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف، وقيل: بأربع مئة أوقية من فضة،

---

(١) مرسل، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٤/ ٣٨٣) من طريق عطية بن سعد العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وعطية ضعيف الحديث، شيعي مدلس، وقد عنعنه، وأخرجه البزار في مسنده (١٥/ ٢٣٤)، قال: حدثنا طالوت بن عباد، قال: نا أبو عوانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال البزار: هكذا قال طالوت، وحدثناه أبو كامل قال: نا أبو عوانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ...فذكره مرسلاً، قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه، ولم نسمع أحداً أسنده من حديث عمر بن أبي سلمة إلا طالوت عن أبي عوانة.

(٢) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٤/ ٣٩٢)، من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، معضلاً به.

(٣) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٤/ ٣٨٧)، من طريق ابن إسحاق، معضلاً به.

(٤) في الأسدية ونجيبويه: «حنحاب»، وهو أبو عقيل الأنصاري صاحب الصاع، ويقال له: الحثحاث. الإصابة (٧/ ٢٣٣)، ثم ترجم بعده لأبي عقيل البلوي الذي شهد بدراً، وذلك يقتضي أنه ليس هو.

(٥) في المطبوع: «الحرير»، والجرير: الحبل.

(٦) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٤/ ٣٨٨) بإسناد فيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو متروك الحديث.

(٧) هو أبو خيثمة الأنصاري، اسمه مالك بن قيس، قيل: هو أحد من تصدَّق بصاع، فلمزه المنافقون. الإصابة (٧/ ٩٣)

(٨) مسلم، أخرجه (٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، مرفوعاً به.

وقيل: أقل من هذا، فقال المنافقون: ما هذا إلا رياء، فنزلت الآية في هذا كله[١].

وقولـه: ﴿فَيَسْخَرُونَ﴾ معنـاه: يسـتهزئون ويسـتخفُّون، وهـو معطـوف علـى ﴿يَلْمِزُونَ﴾. واعتـرض ذلـك بأن المعطوف على الصلة فهو مـن الصلة، وقد دخل بيـن هذا المعطوف والمعطوف عليـه قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ﴾ وهذا لا يلزم؛ لأن قوله: ﴿وَالَّذِينَ﴾ معمول للذي عمل في ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ فهو بمنزلة قوله: جاءني الذي ضرب زيداً وعمراً فقتلهما.

وقوله: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ تسمية العقوبة باسم الذنب، وهي عبارة عمَّا حل بهم من المقت والذل في نفوسهم، وقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ معناه: مؤلم، وهي آيةُ وعيدٍ محضٍ.

وقرأ جمهور الناس: ﴿جُهْدَهُمْ﴾ بضم الجيم، وقرأ الأعرج، وجماعة معه: (جَهدهم) بالفتح[٢].

وقيل: هما بمعنًى واحد، وقاله أبو عبيدة[٣].

وقيل: هما لمعنيين: الضم في المال والفتح في تعب الجسم، ونحوه عن الشعبي[٤].

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾ يصح أن يكون خبر ابتداء تقديره: هم الذين، ويصح أن يكون ابتداء وخبره: ﴿سَخِرَ﴾، وفي ﴿سَخِرَ﴾ معنى الدعاء عليهم، ويحتمل أن يكون خبراً مجرداً عن الدعاء، ويحتمل أن يكون ﴿الَّذِينَ﴾ صفةً جاريةً على ما قبلُ كما ذكرت أول الترجمة.

وقوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون لفظ أمر ومعناه الشرط، بمعنى: إن تستغفر أو لم تستغفر

---

(١) وقد سبق تخريج الأحاديث والآثار في ذلك كله.

(٢) وكذا عطاء ومجاهد وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٩).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٤٧).

(٤) تفسير الطبري (١٤/ ٣٩٣).

لن يغفر الله لهم، فيكون مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ [التوبة: ٥٣] وبمنزلة قول الشاعر:

أَسِيئي لَنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةً لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةً إِنْ تَقَلَّتِ[١] [الطويل]

وإلى هذا المعنى ذهب الطبري وغيره في معنى الآية[٢].

والمعنى الثاني الذي يحتمله اللفظ: أن يكون تخييراً، كأنه قال له: إن شئت فاستغفر، وإن شئت لا تستغفر، ثم أعلمه أنه لا يغفر لهم وإن استغفر سَبْعِينَ مَرَّةً.

وهذا هو الصحيح، لقول رسول الله ﷺ وتبيينه ذلك، وذلك أن عمر بن الخطاب سمعه بعد نزول هذه الآية يستغفر لهم، فقال له: يا رسول الله، أتستغفر للمنافقين وقد أعلمك الله أنه لا يغفر لهم؟ ، فقال له / : «يا عمر، إن الله قد خيَّرني فاخترت، ولو [٢/ ٢٥٥] علمتُ أني إذا زدت على السبعين يغفر لهم لزدت»[٣]، ونحو هذا من مقاولة[٤] عمر في وقت إرادة النبي ﷺ الصلاة على عبد الله بن أبي ابن سلول، وظاهر صلاته عليه أن كفره لم يكن يقيناً عنده، ومحال أن يصلي على كافر، ولكنه راعى ظواهره من الإقرار ووكَلَ سريرته إلى الله عز وجل، وعلى هذا كان ستر المنافقين من أجل عدم التعيين بالكفر.

وفي هذه الألفاظ التي لرسول الله ﷺ رفض إلزام دليل الخطاب، وذلك أن دليلَ الخطابِ يقتضي أنَّ الزيادةَ على السبعين يغفر معها، فقال رسول الله ﷺ: «ولو علمتُ...»، فجعل ذلك مما لا يعلمه، ومما ينبغي أن يتعلم ويطلب علمه من الله عز وجل، ففي هذا حجة عظيمة للقول برفض دليل الخطاب، وإذا ترتب كما قلنا التخيير في هذه الآية صح أن ذلك التخيير هو الذي نسخ بقوله تعالى في سورة المنافقون:

---

(١) لكثير عزة، كما في الشعر والشعراء (١/ ٥٠٥)، وأمالي القالي (٢/ ١٠٩)، والعقد الفريد (٣/ ١٢٥)، والأغاني (٩/ ٣٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٣٩٤).

(٣) البخاري، أخرجه (١٣٠٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٤) في الأسدية: «مقالة».

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المنافقون: ٦].

ولمالك رحمه الله مسائل تقتضي القول بدليل الخطاب:

منها: قوله: إن المدرك للتشهد وحده لا تلزمه أحكام الإمام(١)، لأنَّ النبيَّ ﷺ، قال: «من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة»(٢)، فاقتضى دليلُ الخطاب أن من لم يدرك ركعة فليس بمدرك.

وله مسائل تقتضي رفضَ دليل الخطاب:

منها: قول النبي ﷺ: «وفي سائمة الغنم الزكاة»(٣)، فدليل الخطاب أن لا زكاة في غير السائمة، ومالك يرى الزكاة في غير السائمة(٤).

ومنها: أن الله عزَّ وجلَّ يقول في الصيد: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ [المائدة: ٩٥]، فقال مالك: حكم المخطئ والمتعمد سواء(٥)، ودليل الخطاب يقتضي غير هذا(٦).

وأما تمثيله بالسبعين دون غيرها من الأعداد؛ فلأنه عددٌ كثيراً ما يجيء غاية وتحقيقاً(٧) في الكثرة، ألا ترى إلى القوم الذين اختارهم موسى، وإلى أصحاب العقبة.

---

(١) انظر قول مالك في: البيان والتحصيل (٢/ ١٧٠-١٧١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٣) لفظه عند أبي داود (١٥٦٩): وفى سائمة الغنم إذا كانت أربعين ففيها شاة إلى عشرين ومئة فإذا زادت على عشرين ومئة ففيها شاتان إلى أن تبلغ مئتين فإذا زادت على مئتين ففيها ثلاث شياه إلى أن تبلغ ثلاث مئة فإذا زادت على ثلاث مئة ففى كل مئة شاة شاة.

(٤) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/ ٤٦٨-٤٦٩).

(٥) انظر: الاستذكار (٤/ ٣٧٩-٣٨٠).

(٦) انظر مذهب مالك في المقدمة لابن القصار (ص٢٣١).

(٧) في الأسدية، والتركية، والمطبوع: «مقنعاً»، ومثله في «البحر المحيط» (٥/ ٤٧٢) نقلاً عن ابن عطية، وستتكرر بهذا اللفظ قريباً، ولعلها من قولهم: شاهد مقنع كمُقْعد، أي: عدل يُقنع به. انظر: «تاج العروس» (قنع).

وقد قال بعض اللغويين[١]: إنَّ التصريفَ الذي يكون من السين والباء والعين فهو شديد الأمر[٢]، ومن ذلك السبعة فإنها عدد مقنع، هي في السماوات وفي الأرض وفي خلق الإنسان وفي رزقه وفي أعضائه التي بها يطيع الله وبها يعصيه، وبها ترتبت أبواب جهنم فيما ذكر بعض الناس، وهي عيناه وأذناه ولسانه وبطنه وفرجه ويداه ورجلاه، وفي سهام الميسر وفي الأقاليم، وغير ذلك، ومن ذلك السَّبعُ والعَبوس والعنبس[٣] ونحو هذا من القول.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى امتناع الغفران.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ إما من حيث هم فاسقون، وإما أنه لفظ عموم يراد به الخصوص فيمن يوافي على كفره.

قوله عز وجل: ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

هذه آية تتضمن وصف حالهم على جهة التوبيخ لهم وفي ضمنها وعيد.

وقوله: ﴿ٱلۡمُخَلَّفُونَ﴾ لفظٌ يقتضي تحقيرهم، وأنهم الذين أبعدهم الله من رضاه، فهي أمكَنُ في هذا من أن يقال: «المتخلفون»، ولم يفرح إلا منافق، فخرج من ذلك الثلاثة وأصحاب العذر، و«مقعد» مصدر بمعنى القعود، ومثله:

مَنْ كَانَ مَسْرُوراً بِمَقْتَلِ مَالِكٍ[٤] .... [الكامل]

---

(١) في الأسدية: «المفسرين».

(٢) في الأسدية والتركية: «الأسر».

(٣) وهو الأسد، وفي الأسدية: «العنبوس»، وفي التركية: «وجهه»، بدل «فرجه».

(٤) البيت للربيع بن زياد العبسي، كما تقدم في أول تفسير سورة آل عمران.

وقوله: ﴿خِلَٰفَ﴾ معناه: بَعْدَ، وأنشد أبو عبيدة في ذلك:

[الكامل] عَقَبَ الرَّبِيعُ خِلَافَهُمْ فَكَأَنَّمَا ... بَسَطَ الشَّوَاطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرا[١]

يريد: بعدهم، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] فَقُلْ لِلَّذِي يَبْقَى خِلَافَ الَّذِي مَضَى ... تَأَهَّبْ لِأُخْرَى مِثْلِهَا فَكَأَنْ قَدِ[٢]

وقال الطبري: هو مصدر خالف يخالف[٣].

قال القاضي أبو محمد: فعلى هذا هو مفعول له، والمعنى: فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ لخلاف رسول الله ﷺ، أو مصدر ونَصْبُه في القول الأول كأنه على الظرف، وكراهيتهم لما ذكر هي شحٌّ[٤]، إذ لا يؤمنون بالثواب في سبيل الله فهم يَضِنُّون[٥] بالدنيا.

وقولهم: ﴿لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾ كان لأن غزوة تبوك كانت في وقت شدة الحرِّ وطيب الثمار والظلال، قاله ابن عباس[٦] وكعب بن مالك[٧]، والناس، فأقيمت عليهم الحجة بأن قيل لهم: فإذا كنتم تجزعون من حرِّ القيظِ فنارُ جهنَّمَ هي التي أشد أحرى أن تجزعوا منها، لو قد فقهتم.

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٢٦٤) ونسبه للحارث بن خالد، وكذا تفسير الثعلبي (٥/ ٧٨)، وفي المطبوع: «نشط»، بدل بسط.

(٢) ورد هذا البيت في قصيدة لمالك بن القين الخزرجي في الاختيارين (ص: ١٦١)، وفي عيون الأخبار (٣/ ١٣١) من أبيات ليزيد بن عبدالملك، وفي الجليس الصالح الكافي (ص: ٦٧٣)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (١٦/ ٢٧٩) أنه لرجل من تميم.

(٣) انظر قول الطبري في: تفسيره (١٤/ ٣٩٨).

(٤) تحرفت في الأسدية إلى: «نسخ».

(٥) في العثمانية: «يظنون».

(٦) أخرجه ابن جرير (١٤/ ٤٠٠)، وابن أبي حاتم (١٠٥٠٤) من طريق عطية بن سعد العوفي عنه.

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧٨٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

وقرأ ابن عباس وأبو حيوة: (خَلْف) وذكرها يعقوب ولم ينسبها[١]، وقرئ: (خُلْف) بضم الخاء[٢].

ويقوي قول الطبري: إن لفظةَ الخلافِ هي مصدرٌ من خالف، ما تظاهرت به الرواياتُ من أنَّ رسول الله ﷺ أمرهم بالنفر فعصوا وخالفوا وقعدوا مستأذنين، وغير مستأذنين[٣].

وقال محمد بن كعب: قال: ﴿لَا تَنفِرُوا فِي ٱلْحَرِّ﴾ رجل من بني سلمة[٤].

وقال ابن عباس: قال رجل: يا رسول الله، الحر شديد فلا تنفر في الحر[٥].

قال النقاش: وفي قراءة عبد الله: (يعلمون) بدل ﴿يَفْقَهُونَ﴾[٦].

وقال ابن عباس[٧]، وأبو رَزينٍ والربيع بن خُثَيمٍ وقتادة وابن زيد: قوله: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ إشارة إلى مدة العمر في الدنيا، وقوله: ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ إشارة إلى تأبيد الخلود في النار[٨].

فجاء بلفظ الأمر ومعناه الخبر عن حالهم، ويحتمل أن يكون صفةَ حالهم، أي: هم لمَا هم عليه من الخطر مع الله، وسوء الحال، بحيث ينبغي أن يكون ضحكهم قليلاً وبكاؤهم من أجل ذلك كثيراً، وهذا يقتضي أن يكون وقت الضحك والبكاء في الدنيا

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لأبي حيوة في مختصر الشواذ (ص: ٥٩)، وعزاها في تفسير الثعلبي (٥/ ٧٨) لعمرو بن ميمون.
(٢) وهي أيضاً شاذة انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٤٧٤) ولم ينسبها لقارئ معين، وفي نجيبويه: وقرأ خلف.
(٣) ساقط من المطبوع ونور العثمانية.
(٤) انظر قول محمد بن كعب في تفسير الطبري (١٤/ ٤٠٠).
(٥) أخرجه الطبري (١٤/ ٤٠٠) من طريق العوفي عن ابن عباس.
(٦) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (٥/ ٧٨).
(٧) أخرجه الطبري (١٤/ ٤٠٣) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٨) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري (١٤/ ٤٠١-٤٠٣)، وفي نجيبويه: «وأبو زيد»، بدل «وأبو رزين».

[٢٥٦] / على نحو قوله ﷺ، لأمته: «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً»[١].

وروي أن رسول الله ﷺ لما قال هذا الكلام أوحى الله إليه: «يا محمد، لا تُقنط عبادي»[٢].

و﴿جَزَآءَۢ﴾ متعلقٌ بالمعنى الذي تقديره: وَلْيَبْكُوا كَثِيراً إذ هم معذَّبون جَزاءً.

وقوله: ﴿يَكۡسِبُونَ﴾ نص في أنَّ التكسب هو الذي يتعلق به العقاب والثواب.

وقوله: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾ الآية، «رجع» يستوي مجاوزه وغير مجاوزه[٣]، وقوله تعالى: (إِنْ) مبيِّنةٌ أن النبي ﷺ لا يعلم بمستقبلات أمره من أَجَلٍ وسواه، وأيضاً فيحتمل أن يموتوا هم قبل رجوعه. وأمرُ الله عز وجل لنبيه ﷺ بأن يقول لهم: ﴿لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ﴾ هو عقوبة لهم، وإظهارٌ لدناءة منزلتهم وسوء حالهم، وهذا هو المقصود في قصة ثعلبة بن حاطب التي تقدمت في الامتناع من أخذ صدقته، ولا خزي أعظم من أن يكون إنسان قد رفضه الشرع ورده كالجمل الأجرب.

وقوله: ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٖ﴾ يقتضي عندي أن المراد: رؤوسهم والمتبوعون، وعليها وقع التشديد بأنها لا تخرج ولا تقاتل عدوّاً، وكرر معنى قتال العدو؛ لأنه عُظْمُ الجهاد وموضع بارقة السيوف التي تحتها الجنة، ولولا تخصيص الطائفة لكان الكلام: فإن رجعك الله إليهم، ويشبه أن تكون هذه الطائفة قد حُتم عليها بالموافاة على النفاق، وعيِّنوا للنبي ﷺ، وإلا فكيف يترتب ألا يصلي على موتاهم إن لم يعينهم الله؟

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٦٣١) ومسلم (٩٠١) من حديث عائشة، والبخاري (٦٦٣٧) من حديث أبي هريرة.

(٢) ضعيف جداً، هذا الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ٨٩) من طريق سلام الطويل، عن الأجلح بن عبد الله الكندي، عن عدي بن عدي الكندي، قال: قال عمر بن الخطاب، فذكره مرفوعاً، قلت: وهذا إسناد ضعيف جداً، ففيه سلام الطويل، وهو ابن سلم السعدي، متروك الحديث.

(٣) «وغير مجاوزه» ساقط من المطبوع.

وقوله: ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ نصٌّ في موافاتهم، ومما يؤيد هذا ما روي أن النبي ﷺ، عيَّنهم لحذيفة بن اليمان[١] وكانت الصحابة إذا رأوا حذيفة تأخر عن الصلاة على جنازة رجل تأخروا هم عنها[٢].

وروي عن حذيفة أنه قال يوماً: بقي من المنافقين كذا وكذا، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أَنشدك الله أنا منهم؟». فقال: لا، ووالله لا أَمَّنتُ منها أحداً بعدك[٣].

---

(١) أخرج مسلم (٢٧٧٩) من حديث قيس بن عباد عن حذيفة عن عمار قال: حذيفة أخبرني عن النبي ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: «في أصحابي اثنا عشر منافقاً..» لكن ليس فيه تعيينهم، وأخرج البخاري (٤٦٥٨) من طريق: زيد بن وهب قال: كنا عند حذيفة فقال ما بقي من المنافقين إلا أربعة... فهذا يدل أنه يعرفهم بأعيانهم.

(٢) أخرج أبو داود الطيالسي في مسنده (١/ ١٤٩) قال: حدثنا قيس، عن أبي إسحاق، عن هبيرة، قال: شهدت عليًّا رضي الله عنه وسئل عن حذيفة، فقال: سأل عن أسماء المنافقين فأخبر بهم، وإسناده لين بسبب هبيرة، وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال حذيفة بن اليمان: فقال النبي ﷺ: «فإني مسر إليك سرّاً لا تحدثن به أحداً أبداً، أني نهيت أن أصلي على فلان وفلان» رهط ذوي عدد من المنافقين، قال: فلما توفي رسول الله ﷺ واستخلف عمر رضي الله عنه كان إذا مات الرجل من صحابة النبي ﷺ ممن يظن عمر أنه من أولئك الرهط أخذ بيد حذيفة فقاده، فإن مشى معه صلى عليه، وإن انتزع من يده لم يصل عليه وأمر من يصلي عليه. وهذا مرسل، ورواه الليث عن عقيل عن ابن شهاب أنه قال: أخبرني عروة بن الزبير قال بلغنا: أن رسول الله ﷺ حين غزا تبوك... بمعنى السابق، وهو مرسل أيضاً. كلاهما في السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ٢٠٠-٢٠١)، وأخرج الطبري (١٤/ ٤٣٣) من طريق قتادة قال: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا مات رجل يرى أنه منهم، نظر إلى حذيفة، فإن صلى عليه، وإلا تركه، وهذا منقطع.

(٣) صحيح، أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢/ ٢٧٦) من طريق: وكيع نبأنا ابن أبي خالد قال: سمعت زيد بن وهب الجهني يحدث عن حذيفة قال: مر بي عمر بن الخطاب بنحوه، وأخرجه ابن زنجويه في الأموال (٧٧١) من طريق صدقة بن خالد، حدثني زيد بن واقد، عن بسر بن عبيد الله، يرويه عن عائذ الله أبي إدريس، أن عمر بن الخطاب قال لحذيفة بنحوه، قال البخارى: لم يسمع أبو إدريس من عمر. كما في تهذيب التهذيب (٥/ ٨٦)، وقاله قتادة مرسلاً بلفظ: ذكر لنا، أخرجه الطبري (١٤/ ٤٤٣).

وقرأ جمهور الناس: ﴿معيْ﴾ بسكون الياء في الموضعين، وقرأ عاصم فيما قال المفضل: ﴿مَعِيَ﴾ بحركة الياء في الموضعين[١].

وقوله: ﴿أَوَّلَ﴾ هو بالإضافة[٢] إلى وقت الاستئذان.

والخالفون: جميع من تخلف من نساء وصبيان وأهلِ عذرٍ غُلِّب المذكَّر فجمع بالياء والنون وإن كان ثَمَّ نساء، وهو جمع خالف، وقال قتادة: «الخالفون: النساء»، وهذا مردودٌ.

وقال ابن عباس: «هم الرجال»[٣].

وقال الطبري: يحتمل قوله: ﴿مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ أن يريد: مع الفاسدين، فيكون ذلك مأخوذاً من خَلَف الشيءُ: إذا فسد، ومنه: خُلوف فم الصائم[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا تأويلٌ مقحَمٌ، والأول أفصح وأجرى على اللفظة.

وقرأ مالك بن دينار وعكرمة: (مع الخَلِفين)[٥] وهو مقصورٌ[٦] من ﴿ٱلْخَٰلِفِينَ﴾، كما قال: «عَرِدَا وبَرِدَا»[٧] يريد: عَارداً وبارداً، وكما قال الآخر:

[الرجز] .... مِثْـلُ النَّـقَـا لَبَّـدَهُ بَـرْدُ الظِّلَـلِ[٨]

يريد: الظلال.

---

(١) في المطبوع «الفضل»، وفيه تخليط، فقد انفرد بفتح الثانية حفص، وبتسكين الأولى شعبة والأخوان، انظر: التيسير (ص: ١٢٠).

(٢) «بالإضافة» من نجيبويه، وفي الباقي: «الإضافة».

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ٤٠٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) انظر قول قتادة والطبري في: تفسير الطبري (١٤/ ٤٠٣-٤٠٥).

(٥) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لمالك في المحتسب (١/ ٢٩٨)، مختصر الشواذ (ص: ٥٩)، ولهما في البحر المحيط (٥/ ٤٧٧).

(٦) في المطبوع: مقصود.

(٧) يشير بهذا إلى الأبيات التي تقدمت في تفسير سورة آل عمران: (١٤٥) وهي: أَصْبَحَ قَـلْبي صَـرِدا... إلخ.

(٨) استشهد به بلا نسبة أبو حيان في «البحر» (٥/ ٤٧٧)، والسمين في الدر المصون (٦/ ٩٣)، وأورده =

قوله عز وجل: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

هذه الآية نزلت في شأن عبد الله بن أبيٍّ ابنِ سَلُولَ وصلاةِ رسول الله ﷺ عليه.

فروى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ لما تقدم ليصلي عليه جاءه جبريلُ عليه السلام، فجذبه بثوبه وتلا عليه: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ الآية فانصرف رسول الله ﷺ، ولم يصل عليه[١]، وتظاهرت الروايات أن رسول الله ﷺ صلى عليه، وأن الآية نزلت بعد ذلك[٢]، وفي كتاب الجنائز من البخاري من حديث جابر، قال: أتى رسولُ الله ﷺ عبدَ الله ابن أبيٍّ بعد ما أدخل حفرته، فأمر به فأخرج ووضعه على ركبته ونفث عليه من ريقه، وألبسه قميصه[٣]، وروي في ذلك أنَّ عبد الله بنَ أبي بعث إلى رسول الله ﷺ في مرضه ورغب إليه أن يستغفر له وأن يصلي عليه[٤].

= ابن جني في «المحتسب» (١/ ٢٩٩)، والخصائص (٣/ ١٣٤)، والمظفر العلوي في نضرة الإغريض (ص ٤٨)، وصاحب اللسان: (طلل) بلفظ: «الطِّلل»، والشاهد باق فيه، وانظر كلام صاحب اللسان.

(١) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٤/ ٤٠٧)، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ١٤٤)، كلاهما من طريق يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً به، ويزيد الرقاشي هو ابن أبان، متفق على تضعيفه.

(٢) البخاري، أخرجه (١٣٠٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه به.

(٣) البخاري، أخرجه (١٢٨٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه به.

(٤) مسلم، أخرجه (٢٤٠٠) من حديث عبد الله بن عمر، إلا أن فيه أن عبد الله بن عبد الله دعا رسول الله ﷺ بعد وفاة أبيه، وأما الرواية التي فيها أنه في مرضه فرواها الطبري (١٤/ ٤٠٩)، من طريق قتادة، معضلاً، به.

وروي أنَّ ابنه عبد الله بن عبد الله[1] جاء رسول الله ﷺ بعد موت أبيه فرغب في ذلك، وفي أن يكسوه قميصه الذي يلي بدنه ففعل، فلما جاء رسول الله ﷺ ليصلي عليه قام إليه عمر رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه وقد نهاك الله عن الاستغفار لهم؟ وجعل يعدِّد أفعال عبد الله، فقال له رسول الله ﷺ: «أخِّر عني يا عمر، فإني خُيرت، ولو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت»[2]، وفي حديث آخر: «إن قميصي لا يغني عنه من الله شيئاً، وإني لأرجو أن يُسْلِم بفعلي هذا ألف رجل من قومي»[3]، كذا في بعض الروايات، يريد: من منافقي العرب، والصحيح أنه قال: «رجال من قومه»[4].

فسكت عمر وصلى رسول الله ﷺ على عبد الله، ثم نزلت هذه الآية بعد ذلك، وصلى عليه رسول الله ﷺ لموضع إظهاره الإيمان، ومُحال أن يصلي عليه وهو يتحقق كفره، وبعد هذا والله أعلم عيَّن له من لا يصلي عليه.

ووقع في «معاني» أبي إسحاق[5] وفي بعض كتب التفسير: «فأسلم وتاب بهذه الفعلة من رسول الله ﷺ والرغبةِ من عبد الله ألفُ رجل من الخزرج»[6].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيفٌ، قاله من لم يعرف عِدَّة الأنصار.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ﴾ الآية، تقدَّم تفسير مثل هذه الآية، والخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته؛ إذ هو بإجماع ممن لا تفتنه زخارف الدنيا.

(١) عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول، كان أبوه رأس المنافقين، وكان اسمه الحباب، وبه يكنى أبوه، فسمَّاه النبيُّ ﷺ عبد الله، قيل: إنه شهد بدراً وأحداً والمشاهد، وقد استشهد باليمامة سنة (١٢هـ). الإصابة (٤/ ١٣٣).

(٢) البخاري، أخرجه (١٣٠٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه به.

(٣) لم أقف عليه مسنداً بهذا اللفظ.

(٤) معضل، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٤/ ٤٠٩)، من طريق قتادة، معضلاً به.

(٥) في المطبوع: مغازي، وهو خطأ، والمقصود معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج، انظره (٢/ ٤٦٣).

(٦) انظر تفسير السمعاني (٢/ ٣٣٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٥٦٠).

ويحتمل أن يكون معنى / الآية: ولا تعجبك أيها الإنسان، والمراد الجنس، [٢/ ٢٥٧] ووجه تكريرها تأكيد هذا المعنى وإيضاحه؛ لأنَّ الناسَ كانوا يُفتنون بصلاح حال المنافقين في دنياهم.

وقوله: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ﴾ الآية، العاملُ في (إِذا): ﴿ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ﴾، والسورة المشار إليها هي براءة فيما قال بعضهم، ويحتمل أن يكون إلى كل سورة فيها الأمر بالإيمان والجهاد مع الرسول، وسورة القرآن أُجمِع على ترك همزها في الاستعمال.

واختلف هل أصلها الهمز أم لا:

فقيل: أصلها الهمز، فهي من أسأر: إذا بقيت له قطعة من الشيء، فالسورة: قطعة من القرآن.

وقيل: أصلها أن لا تُهمز، فهي كسورة البناء، وهي ما يبنى منه شيئاً بعد شيء، فهي الرتبة بعد الرتبة، ومن هذا قول النابغة:

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَـاكَ سُـورَةً ... تَرَى كُلَّ مَلْـكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ[١] [الطويل]

وقد مضى هذا كله مستوعَباً في صدر هذا الكتاب.

و﴿أَنۡ﴾ في قوله: ﴿أَنۡ ءَامِنُواْ﴾ يحتمل أن تكون مفسِّرة بمعنى: «أي» فهي على هذا لا موضع لها، ويحتمل أن يكون التقدير: بأنْ، فهي في موضع نصب.

و﴿ٱلطَّوۡلِ﴾ في هذه الآية: المال، قاله ابن عباس[٢] وابن إسحاق وغيرهما[٣].

والإشارة بهذه الآية إلى الجَد بن قيس وعبدالله بن أبيٍّ ومعتِّب بن قُشيرٍ ونظرائهم.

---

(١) تقدم في الكلام على تعريف السورة أول الكتاب.

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ٤١٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٦٨٣) من طريق الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس، به. وكلاهما فيه مقال معروف.

(٣) انظر قول ابن إسحاق في: تفسير الطبري (١٤/ ٤١١-٤١٢).

والقاعدون: الزَّمْنَى وأهل العذر في الجملة، ومن تُرك لضبط المدينة؛ لأن ذلك عذر.

وقوله: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ الآية، تقريع وإظهارُ شُنعة، كما يقال على وجه التعيير: رضيت يا فلان كذا[١].

و﴿ٱلْخَوَالِفِ﴾: النساء، جمع خالفة، هذا قول جمهور المفسرين.

وقال أبو جعفر النحاس: يقال للرجل الذي لا خير فيه: خالفة[٢]، فهذا جمعه بحسب اللفظ، والمراد: أَخِسَّة الناس وأخلافهم.

وقال النضر بن شميل في كتاب النقاش: الْخَوالِف: من لا خير فيه[٣].

وقالت فرقة: الْخَوالِف جمع خالف، فهو جارٍ مجرى فوارس ونواكس وهوالك.

﴿وَطُبِعَ﴾ في هذه الآية مستعار، ولما كان الطبع على الصَّوَّان والكتاب مانعاً منه وحفاظاً عليه، شبِّه القلب الذي قد غشيه الكفر والضلال حتى منع الإيمان والهدى منه بالصَّوان المطبوع عليه، ومن هذا استعارة القفل[٤] والكنان للقلب.

و﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ معناه: لا يفهمون.

قوله عز وجل: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾.

---

(١) في الأسدية والتركية: «بكذا».

(٢) إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٢٩).

(٣) نقله في البحر المحيط (٥/ ٤٨٠).

(٤) في التركية: «العقل»، وفي نور العثمانية: «القلب»، وفي المطبوع: «الغفل»، وكلها تحريف، وأراد بالقفل قوله تعالى: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾.

الأكثر في «لكِنْ» أن تجيء بعد نفي، وهو هاهنا في المعنى؛ وذلك أن الآية السالفةَ معناها أن المنافقين لم يجاهدوا، فحسُن بعدها: لكن الرسولُ والمؤمنون جاهدوا.

و﴿ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ جمع خَيرة: وهو المستحسن من كلِّ شيءٍ، وكثر استعماله في النساء، فمن ذلك قوله عز وجل: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] ومن ذلك قول الشاعر أنشده الطبري:

وَلَقَدْ طَعَنْتُ مَجَامِعَ الرَّبَلاتِ ربلات هِنْدٍ خَيْرَةِ الْمَلِكَاتِ[1] [الكامل]

و﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الذين أدركوا بغيتهم من الجنة، والفلاح يأتي بمعنى إدراك البغية، من ذلك قول عبيد:

أَفْلِحْ بِمَا شِئْتَ فَقَدْ يُبْلَغُ بِالضْـ ـضَعْفِ وَقَدْ يُخْدَعُ الأَرِيبُ[2] [مخلع البسيط]

ويأتي بمعنى البقاء، ومن ذلك قول الشاعر:

لِكُلِّ هَمٍّ مِنَ الْهُمُومِ سَعَهْ والْمُسْيُ وَالصُّبْحُ لَا فَلَاحَ مَعَهْ[3] [المنسرح]

أي: لا بقاء.

قال القاضي أبو محمد: وبلوغ البغية يعم لفظة الفلاح حيث وقعت، فتأملْه.

و﴿أَعَدَّ﴾ معناه: يسَّر وهيأ، وقوله: ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ يريد: من تحت مبانيها وأعاليها.

والْفَوْزُ: حصول الإنسان على أمله، وظفره ببغيته، ومن ذلك فوز سهام الأيسار.

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ الآية، اختلف المتأولون في هؤلاء الذين جاءوا: هل كانوا مؤمنين أو كافرين؟:

---

(١) عزاه في مجاز القرآن (١/ ٢٦٧) لرجل جاهلي من بني عدي عدي تميم، وسقط الشطر الأول من الأصل.

(٢) ورد منسوبا في المطبوع وأكثر النسخ هنا للبيد، والصواب أنه لعبيد بن الأبرص كما تقدم للمؤلف في الآية (٢٢) من سورة الأنعام.

(٣) تقدم في أول سورة البقرة.

فقال ابن عباس وقومٌ معه منهم مجاهد: كانوا مؤمنين وكانت أعذارهم صادقةً، وقرأ: ﴿وجاء المُعْذِرون﴾ بسكون العين[١]، وهي قراءة الضحاك وحميد الأعرج وأبي صالح وعيسى بن هلال[٢].

وقرأ بعض قائلي هذه المقالة: (المعذِّرون) بشد الذال، قالوا: وأصله: المعتذرون، فقلبت التاء ذالاً وأدغمت.

ويحتمل المعتذرون في هذا القول معنيين: أحدهما: المعتذرون بأعذار حق، والآخر أن يكون: الذين قد بلغوا عذرهم من الاجتهاد في طلب الغزو معك فلم يقدروا، فيكون مثلَ قول لبيد:

[الطويل] .... وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرْ[٣]

وقال قتادة وفرقة معه: بل الذين جاؤوا كفرة، وقولُهم وعذرهم كذب[٤].

وكل هذه الفرقة قرأ: ﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ بشد الذال[٥]، فمنهم من قال: أصله: المعتذِرون، نقلت حركة التاء إلى العين وأدغمت التاء في الذال، والمعنى: معتذِرون بكذب.

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٤/ ٤١٦)، وابن أبي حاتم (١٠٦٩٢) من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، به. وهي قراءة عشرية قرأ بها يعقوب النشر (٢/ ٣١٥)، وانظر عزوها لبعض من ذكر في تفسير الثعلبي (٥/ ٨٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٣٠)، ولكلهم في البحر المحيط (٥/ ٤٨١).

(٢) عيسى بن هلال الصدفي المصري، روى عن: عبد الله بن عمرو، وعنه: دراج أبو السمح، وكعب بن علقمة، ويزيد بن أبي، وعياش بن عباس المصريون، توفي قبيل المئة. تاريخ الإسلام (٦/ ٤٤٩).

(٣) صدره: إلى الحول ثم اسم السلام عليكما، تقدم أول الكتاب، وفي التركية ونور العثمانية: «عروة ابن الورد»، بدل لبيد وهو خطأ.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٤١٧-٤١٨).

(٥) ضبطت قراءة قتادة في مختصر الشواذ (ص: ٥٩) بفتح الذال وشدها، وهي قراءة شاذة، أما المقصودة هنا فهي قراءة الجماعة كما يظهر من سياق الكلام، وانظر كلام الآلوسي في شرح هذه الآية.

ومنهم من قال: هو من التعذير؛ أي: الذين يعذِّرون الغزو ويدفعون في وجه الشرع. فالآية إلى آخرها في هذا القول[1] إنما وصفت صنفاً واحداً في الكفر ينقسم إلى أعرابي وحضري، وعلى القول الأول وصفت صنفين: مؤمناً وكافراً.

قال أبو حاتم: وقال بعضهم: سألت مسلمة فقال: «المعَّذِّرون» بشد العين والذال[2].

قال أبو حاتم: «أراد: المعتذرين[3]. والتاء لا تدغم في العين؛ لبعد المخارج، وهي غلطٌ عنه أو عليه». قال أبو عمرو: «وقرأ سعيد بن جبير: (المعتذرون) بزيادة تاء»[4].

وقرأ الحسن بخلاف عنه وأبو عمرو ونافع والناس: ﴿كَذَبُواْ﴾ بتخفيف الذال.

وقرأ الحسن ـ وهو المشهور عنه ـ وأُبَيٌّ بن كعب ونوحٌ وإسماعيل[5]: (كذَّبوا) بتشديد الذال[6]، والمعنى: لم يصدِّقوه تعالى ولا رسولَه وردوا عليه أمره.

ثم توعد في آخر الآية الكافرين بـ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فيحتمل أن يريد: في الدنيا بالقتل والأسر، ويحتمل أن يريد: في الآخرة بالنار.

وقوله: ﴿مِنۡهُمۡ﴾ يريد أن المعذِّرين كانوا مؤمنين، ويرجحه بعضَ / الترجيح فتأمله. [٢/ ٢٥٨]

---

(١) أي: على قول قتادة ومن معه بأن الجائين كفرة.

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها لمسلمة في تفسير الثعلبي (٥/ ٨٠)، وقد ذكر في غاية النهاية (٢/ ٢٩٨): مسلمة بن عبد الله بن محارب، أبو عبد الله الفهري البصري النحوي، له اختيار في القراءة، ومسلمة ابن محارب بن دثار السدوسي الكوفي، الذي تقدم.

(٣) في نجيبويه: «المتعذرون»، انظر كلامه في البحر المحيط (٥/ ٤٨١).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٢١٩).

(٥) إسماعيل إن كان راوي نافع فقد تقدم، وأما نوح فلعله نوح القارئ، ذكره الحافظ أبو عمرو وقال: قال محمد بن الحسن النقاش: ثم كان بعد أبي عمرو بن العلاء ـ يعني من رواة الحروف المتصدرين ـ نوح القارئ، وذكر جماعةً، غاية النهاية (٢/ ٣٤٣).

(٦) وهي شاذة، انظر عزوها لأُبيٍّ والحسن في تفسير الثعلبي (٥/ ٨٠)، وللباقيَيْنِ في البحر المحيط (٥/ ٤٨٢).

وضعَّف الطبري قول من قال: إن (المعذِّرين) من التعذير، وأنحى عليه، والقولُ منصوص ووجهه بيِّن والله المعين.

وقال ابن إسحاق: «المعذِّرون نفر من بني غِفارٍ منهم خُفُاف بن إيماء بن رَحَضَةَ»[(١)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا يقتضي أنهم مؤمنون.

قوله عز وجل: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

يقول تعالى: ليس على أهل الأعذار الصحيحة من ضعف أبدان أو مرض أو زمانة أو عدم نفقة إثم، والحرج: الإثم.

وقوله: ﴿إِذَا نَصَحُواْ﴾ يريد: بنياتهم وأقوالهم سرّاً وجهراً.

وقرأ أبو حيوة: (نصحوا الله ورسولَه) بغير لام وبنصب الهاء من المكتوبة[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ في لائمةٍ تناط بهم، أو تذنيب أو عقوبة، ثم أكد الرجاء بقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقرأ ابن عباس: (والله لأهل الإساءة غفور رحيم)[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا على جهة التفسير أشبهُ منه على جهة التلاوة؛ لخلافه المصحف.

---

(١) انظر تضعيف الطبري وقول ابن إسحاق؛ في تفسير الطبري (١٤/ ٤١٦-٤١٨)، وخفاف، مشهور، وله ولأبيه صحبة، كان إمام بني غفار وخطيبهم، وشهد الحديبية، مات في زمن عمر الإصابة (٢/ ٢٨٢).

(٢) وهي قراءة شاذة، فيها مخالفة للمصحف، تابعه عليها في البحر المحيط (٥/ ٤٨٢)، ويعني بالمكتوبة اسم الجلالة.

(٣) وهي شاذة، انظرها في تفسير السمعاني (٢/ ٣٣٨): هي على وجه التفسير.

واختلف فيمَنِ المرادُ بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾:

فقالت فرقة: نزلت في بني مُقَرِّن.

قال القاضي أبو محمد: وبنو مقرِّنٍ ستةُ إخوة صحبوا النبي ﷺ، وليس في الصحابة ستة إخوة غيرهم، [وقيل: كانوا سبعة][(١)].

[وقيل: نزلت في عائذ بن عمرو][(٢)].

وقيل: نزلت في عبد الله بن مغفَّلٍ المزني[(٣)]، قاله ابن عباس[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ﴾ الآية، اختلف فيمن نزلت هذه الآية:

فقيل: نزلت في عِرْباض بن ساريةَ[(٥)]، وقيل: نزلت في عبد الله بن مغفَّلٍ، وقيل: في عائذ بن عمرو، وقيل: في أبي موسى الأشعري ورهطِه.

وقيل: في بني مقرِّنٍ، وعلى هذا جمهور المفسرين.

وقيل: نزلت في سبعة نفر من بطون شتى، فهم البكاؤون؛ وهم: سالم بن عمير

---

(١) ساقط من نور العثمانية.

(٢) زيادة من نجيبويه والتركية وأحمد٣، وهو عائذ بن عمرو بن هلال المزني، أبو هبيرة، كان ممن بايع تحت الشجرة كما ثبت في البخاري، وله عند مسلم في الصحيح حديثان غير هذا، وسكن البصرة، ومات في إمارة ابن زياد. الإصابة (٣/ ٤٩٤).

(٣) عبد الله بن مغفَّل بن عبد غنم المزني، سكن البصرة، وهو أحد البكاءين في غزوة تبوك، وشهد بيعة الشجرة، ثبت ذلك في الصحيح. وهو أحد العشرة الذين بعثهم عمر ليفقِّهوا الناس بالبصرة، ومات بالبصرة سنة (٥٥هـ)، وقيل: بعدها. الإصابة (٤/ ٢٠٦).

(٤) أخرجه ابن جرير (١٤/ ٤٢٠)، وابن أبي حاتم (١٠٧١٢)، في تفسيرهما من طريق عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٢٠٢) بإسناد فيه أبو جعفر الرازي، وهو ضعيف.

(٥) هو العرباض بن سارية السلمي أبو نجيح، صحابي مشهور من أهل الصفَّة، روى عن النبيِّ ﷺ، وعن أبي عبيدة بن الجراح، وعنه أبو أمامة الباهلي، وآخرون، كان قديم الإسلام جدّاً، توفي في فتنة ابن الزبير، أو بعدها سنة (٧٥هـ). الإصابة (٤/ ٣٩٩).

من بني عمرو بن عوف[(١)]، وحرمي بن عمرو[(٢)] من بني واقف، وأبو ليلى عبد الرحمن [بن كعب][(٣)] من بني مازن بن النجار، وسليمان بن صخر[(٤)] من بني المعلى، وأبو رعيلة عبد الرحمن بن زيد[(٥)] من بني حارثة، وهو الذي تصدق بعِرضه فقبل الله منه، وعمرو بن غنمة[(٦)] من بني سلمة، وعائذ[(٧)] بن عمرو المزني، وقيل: عبد الله بن عمرو المزني[(٨)]، قال هذا كلَّه محمد بنُ كعب القرظي، وقال مجاهد: «البكاؤون: هم بنو مكدر[(٩)] من مزينة»[(١٠)].

(١) هو سالم بن عمير، ويقال: ابن عمرو، بن ثابت بن النّعمان بن أميّة الأنصاريّ الأوسيّ، أحد البكّاءين، شهد العقبة وبدراً وما بعدها، ومات في خلافة معاوية، الإصابة (٣/ ٨).

(٢) في نجيبويه: «حرمي بن عوف»، وفي الطبقات الكبرى (٢/ ١٢٥): «هرمي بن عمرو»، وفي الإصابة (٦/ ٤١٩): هرم، أو هرمي بن عبد الله الأنصاري أحد البكّاءين من بني مالك بن الأوس، كان قديم الإسلام، شهد الخندق والمشاهد بعدها.

(٣) من الأسدية ونور العثمانية والتركية ونجيبويه، وهو عبد الرحمن بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول الأنصاري المازني، أبو ليلى، شهد أحداً والخندق وما بعدها، وهو أحد البكاءين، مات في آخر زمن عمر. الإصابة (٤/ ٢٩٧).

(٤) لم أجد من ذكره إلا تفسير السمرقندي (٢/ ٨١)، وفي نور العثمانية وتفسير الطبري (١٤/ ٤٢٣): «سلمان بن صخر»، وفي الإصابة (٣/ ١٢٦) في ترجمة سلمة بن صخر: يقال فيه: سلمان، ولم يذكر أنه من البكائين.

(٥) في تفسير الطبري (١٤/ ٤٢٣): «عبد الرحمن بن يزيد، أبو عبلة»، ولا ذكر لأحد منهما في الإصابة، لكن ذكر (٤/ ٤٤٩) أن المتصدق بعرضه: علبة بن زيد بن عمرو الأنصاري الأوسي، قال: ذكره ابن إسحاق وابن حبيب في البكَّاءين، وفي نور العثمانية: «أبو زغيلة».

(٦) كذا في تفسير الطبري (١٤/ ٤٢٣)، وفي الإصابة (٤/ ٥٥٢) أنه عمرو بن عنمة بمهملة ونون مفتوحتين، ابن عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري، ذكره موسى ابن عقبة وغيره فيمن شهد بدراً، وفي البكاءين، وكذا ابن إسحاق.

(٧) في نجيبويه: «عائد».

(٨) هو عبد الله بن عمرو بن هلال المزني قال البخاريّ: له صحبة، وهو والد علقمة وبكر، وذكره ابن جرير من طريق أبي معشر، عن محمد بن كعب وغيره في تسمية البكّاءين. الإصابة (٤/ ١٦٩).

(٩) في نجيبويه: «مكذر»، وفي نور العثمانية: «مكرر»، ولفظ الطبري (١٤/ ٤٢١): «بنو مقرن»، وهو الموافق لما تقدم قريباً.

(١٠) انظر القولين في تفسير الطبري (١٤/ ٤٢٠-٤٢٣).

ومعنى قوله: ﴿لِتَحۡمِلَهُمۡ﴾ أي: على ظهرٍ يُركب ويُحمل عليه الأثاث، وقال بعض الناس: «إنما استحملوه النعال»، ذكره النقاش عن الحسن بن صالح[١]، وهذا بعيدٌ شاذٌّ.

والعامل في ﴿إِذَا﴾ يحتمل أن يكون: ﴿قُلۡتَ﴾، ويكونُ قوله: ﴿تَوَلَّواْ﴾ مقطوعاً، ويحتمل أن يكون العامل ﴿تَوَلَّواْ﴾، ويكون تقدير الكلام: فقلت، أو يكون قوله: ﴿قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ بمنزلة: وجدوك في هذه الحال.

وفي الكلام اختصارٌ وإيجازٌ ولا بدَّ، [يدل ظاهر الكلام][٢] على ما اختصر منه.

وقال الجرجاني في «النظم» له: إن قوله: ﴿قُلۡتَ﴾ في حكم المعطوف، تقديره: وقلتَ[٣].

و﴿حَزَنًا﴾ نصب على المصدر.

وقرأ معقل بن هارون: (لنحملهم) بنون الجماعة[٤].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾.

قوله في هذه الآية: ﴿إِنَّمَا﴾ ليس بحصرٍ، وإنما هي للمبالغة فيما يريد تقريره،

---

(١) انظر قول الحسن بن صالح في: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٣٧٦)، وهو الحسن بن صالح بن حي الفقيه، أبو عبد الله الهمداني الكوفي العابد، أحد الأعلام، أخو علي، مات سنة (١٦٩هـ). وكان من كبار الفقهاء، تاريخ الإسلام (١٠/ ١٣١).

(٢) في الأسدية: «يدل أعني ظاهر هذا الكلام».

(٣) نقله في البحر المحيط (٥/ ٤٨٤).

(٤) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٥/ ٤٨٤)، وتابِعوه، ولم أجد لمعقل هذا ذكراً، والذي في مختصر الشواذ (ص: ٥٩): عزوها لعبد الله بن معقل.

على نحو قولك: إنما الشجاع عنترة، ويقضي بذلك أنا نجد السبيل في الشرع على غير هذه الفرقة موجوداً.

و﴿ٱلسَّبِيلُ﴾ قد توصَل بـ«عَلَى» و«إِلى»، فتقول: لا سبيل على فلان، ولا سبيل إلى فلان، غير أن وصولها بـ«عَلَى» يقتضي أحياناً ضُعف(١) المتوصل إليه وقلة منعته؛ فلذلك حَسُنت في هذه الآية، وليس ذلك في (إلى)، ألا ترى أنك تقول: فلانٌ لا سبيل له إلى الأمر(٢) ولا إلى طاعة الله، ولا يحسن في شبه هذا «على».

و﴿ٱلسَّبِيلُ﴾ في هذه الآية سبيل العاقبة(٣). وهذه الآية نزلت في المنافقين المتقدم ذكرُهم: عبدالله بن أبيٍّ، والجَدُّ بن قيس، ومعتِّب وغيرهم، وقد تقدَّم نظير تفسير الآية.

وقوله: ﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ﴾ الآية، هذه المخاطبة للنبي ﷺ، وشُرِك معه المسلمون في بعض؛ لأن المنافقين كانوا يعتذرون أيضاً إلى المؤمنين، ولأن إنباء الله أيضاً تحصَّل للمؤمنين، وقوله: ﴿رَجَعۡتُمۡ﴾ يريد من غزوة تبوك.

وقوله: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ﴾ معناه: لن نصدِّقكم، ولكن لفظة ﴿نُّؤۡمِنَ﴾ تتصل بلام أحياناً كما تقدم في قوله: ﴿وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١].

و(نبَّأ) في هذه الآية قيل: هي بمعنى عرَّف لا تحتاج إلى أكثر من مفعولين، فالضمير مفعولٌ أول(٤)، وقوله: ﴿مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡ﴾ مفعول ثان على مذهب أبي الحسن في زيادة (مِنْ) في الواجب، فالتقدير: قد نبأنا الله أخبارَكم(٥).

---

(١) في أحمد٣: «ضعة»، وفي الأسدية: «صيغة»، وفي نور العثمانية والتركية: «صفة»، وكذا في الأصل، مع الإشارة في هامشه للمثبت.

(٢) في الأسدية ونور العثمانية والتركية: «الأمير».

(٣) في الأصل ونور العثمانية: «المعاقبة».

(٤) في الأصل هنا زيادة: «نعت لمحذوف»، وعليها تضبيب وتصحيح.

(٥) انظر: الحجة للفارسي (٢/ ٩).

وهو على مذهب سيبويه نعت لمحذوف هو المفعول الثاني، تقديره: قد نبأنا الله جُملةً من أخباركم.

وقيل: (نبَّأ) بمعنى: أَعْلَم، يحتاج إلى ثلاثة مفاعيل، فالضمير واحد، و﴿مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ ثانٍ حسب ما تقدم من القولين، والثالث محذوف يدل الكلام عليه، تقديره: قد نبأنا الله من أخباركم كذباً، أو نحوه، وحذف هذا المفعول مع الدلالة عليه جائزٌ بخلاف الاقتصار، وذلك أن الاقتصار إنما يجوز إما على المفعول الأول ويسقط الاثنان إذ هما الابتداء والخبر، وإما على الاثنين الأخيرين ويسقط الأول، وأما أن يقتصر على المفعولين الأولين ويسقط الثالث دون دلالة عليه، فذلك لا يجوز، ويجوز حذفه مع الدلالة عليه.

والإشارة بقوله: ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ [التوبة: ٤٧] ونحوِ هذا/ ، وقوله: ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ﴾ توعُّد معناه: [٢/ ٢٥٩]
وسيراه في حال وجوده، ويقع الجزاء منه عليه إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر.

وقوله: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ يريد: البعث من القبور، والْغَيْب والشهادة يعمان جميع الأشياء، وقوله: ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ معناه: التخويف ممن لا تخفى عليه خافية.

قوله عز وجل: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾.

قيل: إن هذه الآية من أول ما نزل في شأن المنافقين في غزوة تبوك، وذلك أن بعض المنافقين اعتذروا إلى النبي ﷺ، واستأذنوه في القعود قبل مسيره فأذن لهم، فخرجوا من عنده وقال أحدهم: والله ما هو إلا شحمةٌ لأول آكلٍ، فلما خرج رسول الله ﷺ نزل فيهم القرآن، فانصرف رجل من القوم، فقال للمنافقين في مجلس منهم: والله لقد

نزل على محمد ﷺ فيكم قرآن، فقالوا له: وما ذلك؟ فقال: لا أحفظ إلا أني سمعت وصفكم فيه بالرجس، فقال لهم مَخْشيٌّ[١]: والله لوددت أن أجلد مئة جلدة ولا أكون معكم، فخرج حتى لحق برسول الله ﷺ، فقال له: «ما جاء بك؟» فقال: وجهُ رسول الله ﷺ تسفعه الريح وأنا في الكنِّ، فروي أنه ممن تاب[٢].

وقوله: ﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡ﴾ أمرنا بانتهارهم وعقوبتِهم بالإعراض والوصمِ بالنفاق.

وهذا مع إجمالٍ لا مع تعيين مصرِّح من الله ولا من رسوله، بل كان لكل واحد منهم ميدان المغالطة مبسوطاً.

وقوله: ﴿رِجۡسٞ﴾ أي: نَتْنٌ وقَذَرٌ، وناهيك بهذا الوصف محطة دنياوية، ثم عطف بمحطة الآخرة فقال: ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ﴾ أي: مسكنهم، ثم جعل ذلك جزاء بتكسبهم المعاصي والكفر مع أن ذلك مما قدَّره الله وقضاه لا رب غيره ولا معبود سواه.

وأسند الطبري عن كعب بن مالك أنه قال: «لما قدم رسول الله ﷺ من تبوك جلس للناس، فجاءه المخلَّفون يعتذرون إليه ويحلفون، وكانوا بضعةً وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم، ووَكَل سرائرهم إلى الله تعالى»[٣].

وقوله: ﴿يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ﴾ هذه الآية والتي قبلها مخاطَبَةٌ للمؤمنين مع الرسول، والمعنى: يحلفون لكم مُبْطِلين ومقصدهم أن ترضوا، لا أنهم يفعلون ذلك لوجه الله ولا للبر.

وقوله: ﴿فَإِن تَرۡضَوۡاْ﴾ إلى آخر الآية شرط يتضمن النهي عن الرضى عنهم،

---

(١) في الأسدية: «محشي»، وفي نجيبويه: «مخشن»، وقد تقدم ذكر الخلاف في اسمه قريباً.

(٢) هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ٤٢٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، مرفوعاً به.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤١٥٦) ومسلم (٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، مرفوعاً.

وحكم هذه الآية يستمر في كل مغموصٍ[١] عليه ببدعة ونحوها، فإن المؤمن ينبغي أن يبغضه ولا يرضى عنه لسبب من أسباب الدنيا.

وقوله: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ الآية، ﴿ٱلْأَعْرَابُ﴾ لفظة عامة ومعناها الخصوص فيمن استثناه الله عز وجل، وهذا معلومٌ بالوجود وكيف كان الأمر، وإنما انطلق عليهم هذا الوصف بحسب بعدهم عن الحواضر ومواضع العلم والأحكام والشرع.

وهذه الآية إنما نزلت في منافقين كانوا في البوادي، ولا محالة أن خوفهم هناك أقل من خوف منافقي المدينة، فألسنتهم لذلك مطلَقةٌ ونفاقهم أنجمُ.

وأسند الطبري: أن زيد بن صُوحان[٢] كان يحدث أصحابه بالعلم وعنده أعرابي، وكان زيد قد أصيبت يده اليسرى يوم نهاوند، فقال الأعرابي: والله إن حديثك ليعجبني، وإن يدك لتَريبُني، وقال زيد: وما يَرِيبُك من يدي وهي الشمال؟ فقال الأعرابي: والله ما أدري اليمين تقطعون أم الشمال؟ فقال زيد: صدق الله: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾[٣].

﴿وَأَجْدَرُ﴾ معناه: أحرى وأَقْمَنُ، والحدود هنا: السنن والأحكام ومعالم الشريعة.

قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾.

هذا نصٌّ في المنافقين منهم، ومعنى ﴿يَتَّخِذُ﴾ في هذه الآيات، أي: يجعل

(١) في نجيبويه: «مغموض».
(٢) في الأسدية ونجيبويه: «مرجان»، وقد تقدم في سورة الأنعام.
(٣) انظر تفسير الطبري (١٤/ ٤٢٩).

مقصده ولا ينوي فيه غير ذلك، وأصل المغرم: الدَّين، ومنه تعوُّذ رسول الله ﷺ من المغرم والمأثم(١)، ولكن كثر استعمال المغرم فيما يؤديه الإنسان مما لا يلزمه بحق، وفي اللفظ معنى اللزوم، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] أي: مكروهاً لازماً.

و﴿ٱلدَّوَآئِرَ﴾: المصائب التي لا مخلص للإنسان منها، فهي تحيط به كما تحيط الدائرة، وقد يحتمل أن تشتق من دَور الزمان، والمعنى: ينتظر بكم ما تأتي به الأيام وتدور به.

ثم قال على جهة الدعاء: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ وكل ما كان بلفظ دعاء من جهة الله عز وجل فإنما هو بمعنى إيجاب الشيء، لأنَّ الله لا يدعو على مخلوقاته وهي في قبضته، ومن هذا: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]، فهي كلها أحكام تامة تضمنها خبره تعالى.

وقرأ الجمهور من السبعة وغيرهم: ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ بفتح السين.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن محيصن ـ واختلف عنه ـ وعاصم والأعمش بخلاف عنهما: ﴿دائرة السُّوء﴾ بضم السين، واختلف عن ابن كثير(٢).

وقيل: الفتح المصدر، والضم الاسم، واختلف الناس فيهما، وهو اختلاف يَقْرُبُ بعضُه من بعض، والفتح في السين يقتضي وصف الدائرة بأنها سيئة.

وقال أبوعلي: معنى الدائرة يقتضي معنى السوء، فإنما هي إضافةُ بيانٍ وتأكيد، كما قالوا: شمس النهار، ولحيا رأسه(٣).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧٩٨) ومسلم (٥٨٩) من حديث عائشة، رضي الله عنها، مرفوعاً به.

(٢) فيه تخليط، فالقراءتان سبعيتان، والثانية لابن كثير وأبي عمرو خاصة كما في التيسير (ص: ١١٩)، وانظر موافقة ابن محيصن والوجه الثاني لابن كثير من رواية شبل في السبعة لابن مجاهد (ص: ٣١٦)، والخلاف فيها عن عاصم ليس من طرق التيسير ولا النشر.

(٣) في الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٢٠٧).

قال القاضي أبو محمد: / ولا يقال: رجل سَوء، إلا بفتح السين، هذا قول أكثرهم، وقد حكي: رجل سُوء، بضم السين، وقد قال الشاعر: [٢/ ٢٦٠]

وَكُنْتَ كَذِئْبِ السَّوْءِ لَمَّا رَأَى دَماً بِصَاحِبِهِ يَوماً أَحَالَ عَلَى الدَّمِ[١] [الطويل]

ولم يختلف القراء في فتح السين من قوله: ﴿مَاكَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٍ﴾ [مريم: ٢٨][٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾ الآية، قال قتادة: هذه ثَنِيَّةُ الله تعالى من الأعراب[٣].

﴿وَيَتَّخِذُ﴾ في هذه الآية أيضاً هي بمعنى: يجعله مقصداً، والمعنى: ينوي بنفقته في سبيل الله القربةَ عند الله عز وجل، واستغنامَ دعاء الرسول ﷺ، ففي دعائه لهم خير الآخرة في النجاة من النار وخير الدنيا في أرزاقهم ومنح الله لهم، فـ(صَلَوات) على هذا عطف على (قُرُبات).

ويحتمل أن يكون عطفاً على ﴿مَا يُنفِقُ﴾ أي: ويتخذ بالأعمال الصالحة صلوات الرسول قربةً، والأول أبين.

و﴿قُرُبَٰتٍ﴾ جمع قُرْبة أو قُرُبة بسكون الراء وضمها وهما لغتان، والصلاة في هذه الآية: الدعاء إجماعا، وقال بعض العلماء: الصلاة من الله رحمة، ومن النبي والملائكة دعاء، ومن الناس عبادة.

والضمير في قوله: ﴿إِنَّهَا﴾ يحتمل أن يعود على النفقة، وهذا في انعطاف الصلوات على القربات، ويحتمل أن يعود على الصلوات، وهذا في انعطافه على ﴿مَا يُنفِقُ﴾.

---

(١) البيت للفرزدق كما في طبقات فحول الشعراء (٢/ ٣٦٢)، والحيوان (٦/ ٤٧١)، والمعاني الكبير (١/ ١٨٥)، الأغاني (٦/ ٨٢).

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٣٢) حيث ذكر أنهم أجمعوا على فتح السين.

(٣) انظر قول قتادة في: تفسير الطبري (١٤/ ٤٣٣)، وفي أحمد٣: «هذا تنبيه من الله أن من الأعراب من يتخذ...»، ولعله خطأ.

وقرأ نافع: ﴿قرُبة﴾ بضم الراء، واختلف عنه، وعن عاصم والأعمش.

وقرأ الباقون: ﴿قُرْبَةٌ﴾ بسكون الراء[١] ولم يختلف في (قُرُبات).

ثم وعد تعالى بقوله: ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ﴾ الآية، وروي أن هذه الآية نزلت في بني مقرِّنٍ من مزينة، وقاله مجاهد[٢].

وأسند الطبري إلى عبد الرحمن بن مغفل بن مقرن[٣] أنه قال: كنا عشرة ولد مقرن، فنزلت فينا: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ...﴾ إلى آخر الآية[٤].

قال القاضي أبو محمد: وقوله: عشرة ولد مقرن يريد الستة أولاد مقرن لصلبه، أو السبعة على ما في الاستيعاب من قول سويد بن مقرن[٥]، وبَنِيهِم؛ لأن هذا هو الذي في مشهور دواوين أهل العلم.

قوله عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

---

(١) فهما سبعيتان، والضم لنافع في التيسير (ص: ١١٩)، من رواية ورش، ولعاصم في جامع البيان (٣/ ١١٥٦) من رواية المفضل.

(٢) انظر قول مجاهد في تفسير الطبري (١٤/ ٤٣٣).

(٣) هو عبد الرحمن بن مغفّل بن مقرّن المزني، استدركه ابن الأثير على الاستيعاب لأن ظاهر سياق الطبري يقتضي أن يكون له صحبة، وهذا صحيح في نزولها في بني مقرن، وأما عبد الرحمن فلا صحبة له ولا رؤية، بل هو تابعي، يكنى أبا عاصم. الإصابة (٥/ ١٨٧)

(٤) لا بأس به، أخرجه الطبري (١٤/ ٤٣٣) من طريق: البختري بن المختار العبدي قال: سمعت عبد الرحمن بن معقل، وهذا هو الصواب وليس: ابن مغفل كما أثبت هنا.

(٥) الاستيعاب (٢/ ٦٨٠)، قال: وهو سويد بن مقرن بن عائذ المزني، أخو النعمان بن مقرن، يكنى أبا عدي، وقيل: أبا عمرو، يعد في الكوفيين، وبالكوفة مات، روى عنه الكوفيون، وانظر أيضاً: الإصابة (٣/ ١٩٠).

قال أبو موسى الأشعري[١] وابن المسيب وابن سيرين وقتادة: (السَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ): من صلى القبلتين[٢]، وقال عطاء: (السَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ): من شهد بدراً[٣].

قال القاضي أبو محمد: وحوِّلت القبلة قبل بدر بشهرين.

وقال عامر بن شراحيل الشعبي: (السَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ) من أدرك بيعة الرضوان، ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ يريد سائر الصحابة[٤].

ويدخل في هذا اللفظ التابعون وسائر الأمة لكن بشريطة الإحسان، وقد لزم هذا الاسم الطبقة التي رأت من رأى النبي ﷺ، ولو قال قائل: إن السابقين الأولين هم جميع من هاجر إلى أن انقطعت الهجرة لكان قولاً يقتضيه اللفظ، وتكون ﴿مِنَ﴾ لبيان الجنس.

﴿وَالَّذِينَ﴾ في هذه الآية عطف على قوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ﴾.

وقرأ عمر بن الخطاب والحسن بن أبي الحسن، وقتادة، وسلام، وسعيد، ويعقوب ابن طلحة[٥] وعيسى الكوفي: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصارُ﴾ برفع الراء[٦] عطفاً على ﴿وَالسَّابِقُونَ﴾، وكذلك ينعطف على كلتا القراءتين قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ وجعل الأتباع عديلاً[٧] للأنصار.

وأسند الطبري أنَّ زيدَ بنَ ثابت سمعه فرادَّه [فبعث عمر في [طلب] أبي بن كعب

(١) ضعيف، هذا الأثر أخرجه ابن جرير (١٤/ ٤٣٦)، وابن أبي حاتم (١٠٣٠٠)، في تفسيريهما، كلاهما من طريق عثمان بن المغيرة، عن مولى لأبي موسي، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، به، وهذا إسناد ضعيف، من أجل إبهام اسم راويه عن أبي موسى.

(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٤٣٥).

(٣) النكت والعيون (٢/ ٣٩٥).

(٤) تفسير الطبري (١٤/ ٤٣٥).

(٥) لم أقف على ترجمة لهذا الاسم إلا أن يكون ابن طلحة بن عبيد الله، والظاهر أن الأصل: يعقوب وطلحة، بالعطف فتصحف.

(٦) وهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٢٨٠)، وانظر عزوها لمن ذكر في المحتسب (١/ ٣٠٠).

(٧) في التركية ونجيبويه ونور العثمانية: «صفة».

فسأله فقال أُبيُّ بنُ كعب: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾][١]، فقال عمر: ما كنا نرى إلا أنّا قد رُفِعنا رفعة لا ينالها معنا أحد، فقال أبي: إن مصداق هذا في كتاب الله في أول سورة الجمعة: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡ﴾ [الجمعة: ٣] وفي سورة الحشر: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠] وفي سورة الأنفال في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡ﴾ [الأنفال: ٧٥] فرجع عمر إلى قول أُبيّ[٢].

ونبَّهتْ هذه الآية من التابعين وهم الذين أدركوا أصحاب رسول الله ﷺ كما نبَّه من ذكرهم قوله ﷺ: «اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار»[٣]، فتأمله.

وقرأ ابن كثير: ﴿من تحتها الأنهار﴾، وقرأ الباقون: ﴿تَحۡتَهَا﴾ بإسقاط من[٤].

ومعنى هذه الآية: الحكم بالرضى عنهم بإدخالهم الجنة وغفر ذنوبهم، والحكم برضاهم عنه في شكرهم وحمدهم على نعمه وإيمانهم به وطاعتهم له، جعلنا الله من الفائزين برحمته ومَنِّه[٥].

﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ الآية، مخاطَبَةٌ للنبي ﷺ شُرك في بعضها أمته، والإشارة بقوله: ﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ هي إلى جُهينة ومُزينة وأَسْلَم وغِفار

---

(١) ساقط من الأصل. وثمة إشكال في هذا السياق وما بعده لعل سببه سقط أو تحريف، وتوضيح هذا في «تفسير القرطبي» حيث قال: «قرأ عمر: «والأنصارُ» رفعاً، «الذين» بإسقاط الواو نعتاً للأنصار، فراجعه زيد بن ثابت فسأل عمر أبي بن كعب...».

(٢) منقطع، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٨/ ٤٣٨، ٤٣٩)، من طريق محمد بن كعب القرظي، عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، به، ومحمد بن كعب، كثير الإرسال عن الصحابة، ولم أر من ذكر له رواية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم، (٢٥٠٦) بنحوه من حديث زيد بن أرقم مرفوعاً بلفظ: «اللهم اغفر للأنصار»، وأما بلفظ: «اللهم ارحم الأنصار».. فأخرجه أحمد (١٨/ ٢٥٣٢٥٥) من طريق محمد بن إسحاق، قال: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٤) وهي سبعية متواترة، انظر: التيسير (ص: ١١٩)، والسبعة لابن مجاهد (١/ ٣١٧).

(٥) من نور العثمانية والأسدية والتركية والمطبوع.

وعُصية ولحْيان وغيرهم من القبائل المجاورة للمدينة، فأخبر الله عن منافقيهم، وتقدير الآية: ومن أهل المدينة قوم أو منافقون، هذا أحسن ما حمله اللفظ.

و﴿مَرَدُواْ﴾ قال أبو عبيدة: معناه: مَرَنوا عليه ولجُّوا فيه[١]، وقيل غيرُ هذا مما هو قريب منه، وقال ابن زيد: أقاموا عليه لم يتوبوا كما تاب الآخرون[٢].

والظاهر من معنى اللفظ أن التمرد في الشيء، أو المرود عليه، إنما هو اللَّجاج والاستهتار به، والعتوُّ على الزاجر، وركوبُ الرأس في ذلك، وهو مستعمل في الشر لا في الخير، ومن ذلك قولهم: شيطان مارد ومَرِيد، ومن هذا سميت مراد لأنها تمردت.

وقال بعض الناس: يقال: تمرَّد الرجل في أمر كذا: إذا تجرد له، وهو من قولهم: شجرةٌ مَرْداءُ؛ إذا لم يكن عليها ورق، ومنه: ﴿صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ﴾ [النمل: ٤٤] ومنه قولهم: تَمرَّدَ ماردٌ وعَزَّ الأَبْلَق[٣]، ومنه: الأمرد الذي لا لحية له، فمعنى ﴿مَرَدُواْ﴾ في هذه الآية: لجُّوا فيه واستهتروا[٤] به وعتوا على زاجرهم، ثم نفى عز وجل علم نبيه بهم على التعيين.

وأسند الطبري عن قتادة في قوله: ﴿لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡ﴾ قال: فما بال أقوام يتكلفون عِلْمَ الناس فلانٌ في الجنة فلان في النار، فإذا سألت أحدهم عن نفسه قال: لا أدري، أنت لعمري بنفسك أعلم منك بأعمال الناس، ولقد تكلفت شيئاً ما تكلفه الرسل، قال نبي الله نوح ﷺ: ﴿وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١٢] وقال نبي الله شعيب / ﷺ: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ [هود: ٨٦]، وقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡ﴾[٥]. [٢/ ٢٦١]

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٦٨) بتصرف، وانظر أيضاً زاد المسير (٢/ ٢٩٢)، وفي أحمد٣: «ثبتوا عليه»، مع الإشارة للنسخة الأخرى.

(٢) انظر قول ابن زيد في: تفسير الطبري (١٤/ ٤٤٠).

(٣) مثل قالته الزباء لما حاصرت مارداً حصنَ دومة الجندل فامتنع منها، والأبلقَ حصنَ تيماء فامتنع منها. الأمثال للضبي (ص: ١٤٣).

(٤) في نجيبويه: «واشتهروا»، وفي نور العثمانية: «واستهزؤوا».

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٤٤١).

قال القاضي أبو محمد: وقوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾، في مصحف أنس بن مالك: (سيعذبهم) بالياء[١]، والكلام على القراءتين وعيدٌ.

واللفظ يقتضي ثلاثة مواطن من العذاب، ولا خلاف بين المتأولين أن العذاب العظيم الذي يردُّون إليه هو عذاب الآخرة، وأكثر الناس أن العذاب المتوسط هو عذاب القبر[٢].

واختلف في عذاب المرة الأولى:

فقال مجاهد وغيره: هو عذابهم بالقتل والجوع[٣]، وهذا بعيدٌ؛ لأنَّ منهم من لم يصبه هذا.

وقال ابن عباس أيضاً: «عذابهم هو بإقامة حدود الشرع عليهم مع كراهيتهم فيه»[٤].

وقال ابن إسحاق: عذابهم هو همهم بظهور الإسلام وعلوِّ كلمته[٥].

وقال ابن عباس وهو الأشهر عنه: «عذابهم هو فضيحتهم ووصمهم بالنفاق»[٦].

وروي في هذا التأويل أن رسول الله ﷺ خطب يوم جمعة فندد بالمنافقين وصرح، وقال: «اخرج يا فلان من المسجد فإنك منافق، [واخرج أنت يا فلان، واخرج أنت يا فلان»، حتى أخرج جماعة منهم، فرآهم عمر يخرجون من المسجد][٧] وهو مقبل إلى الجمعة، فظن أن الناس انتشروا وأن الجمعة فاتته، فاختبأ منهم حياء، ثم وصل إلى

---

(١) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٥/ ٤٩٨)، ولا يسمى مثل هذا مصحفاً، لأنه موافق للرسم.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٤٤١).

(٣) وقال بهذا يحيى بن آدم، انظر قولهما في: تفسير الطبري (١٤/ ٤٤٢).

(٤) هذا الأثر ذكره الطبري (١٤/ ٤٤٤)، فقال: ذكر ذلك عن ابن عباس من وجه غير مرتضًى، ولم يذكر له إسناداً.

(٥) انظر قول ابن إسحاق في: تفسير الطبري (١٤/ ٤٤٤).

(٦) روي عنه مرفوعاً، وهو الحديث الآتي.

(٧) سقط من الأصل.

المسجد فرأى أن الصلاة لم تُقض وفهم الأمر[١].

قال القاضي أبو محمد: وفعلُ النبيِّ ﷺ هذا بهم هو على جهة التأديب اجتهاداً منه فيهم، ولم يسلخهم ذلك من الإسلام وإنما هو كما يُخرج العصاة والمتهمون، ولا عذاب لهم[٢] أعظم من هذا، وكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يتكلم فيهم على الإجمال دون تعيين، فهذا أيضاً من العذاب.

وقال قتادة وغيره: العذاب الأول هي علل وأدواءٌ أخبر الله نبيه ﷺ أنه يصيبهم بها[٣].

وأسند الطبري في ذلك عن قتادة أنه قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ أسرَّ إلى حذيفة باثني عشر رجلاً من المنافقين، وقال: «ستة منهم تكفيهم[٤] الدُّبيلة؛ سراج من نار جهنم تأخذ في كتف أحدهم حتى تفضي إلى صدره، وستة يموتون موتاً»[٥]، ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا مات رجل ممن يظن أنه منهم نظر إلى حذيفة فإن صلَّى صلى عليه عمرُ عليه وإلا ترك، وذكر لنا أن عمر رضي الله عنه قال لحذيفة: أنشدك بالله أمنهم أنا؟ قال: لا والله، ولا أؤمِّن منها أحداً بعدك؟[٦].

وقال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾: أما عذاب الدنيا: فالأموال والأولاد، لكل صنفٍ عذابٌ، فهو مرتان، وقرأ قول الله تعالى: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [التوبة: ٥٥].

---

(١) ضعيف، هذا الحديث أخرجه ابن جرير (١٤/ ٤٤١)، وابن أبي حاتم (١٠٣٠٣)، في تفسيرهما، والطبراني في الأوسط (١/ ٢٤١)، كلهم من طريق أسباط، عن السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس رضي الله عنهما، مرفوعاً به، قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن السدي إلا أسباط بن نصر، وهذا إسناد ضعيف من أجل أسباط بن نصر، وهوضعيف الحديث.

(٢) من الأسدية.

(٣) انظر قول قتادة في تفسير الطبري (١٤/ ٤٤٣)

(٤) في الأصل: «تكفهم»، وفي أحمد٣ ونجيبويه: «تكفيكهم».

(٥) هو جزء من من مرسل قتادة الآتي ذكره.

(٦) سبق تخريجه قريباً.

وقال ابن زيد أيضاً: المرتان هي في الدنيا: الأولى: القتل والجوع[١] والمصائب، والثانية: الموت؛ إذ هو للكفار عذاب.

وقال الحسن: الأولى: هي أخذ الزكاة من أموالهم، والعذاب العظيم هو جميع ما بعد الموت[٢]، وأظن الزجَّاج أشار إليه[٣].

قوله عز وجل: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾.

المعنى: ومن هذه الطوائف آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ، واختلف في تأويل هذه الآية، فقال ابن عباس فيما روي عنه[٤]، وأبو عثمان: هي في الأعراب، وهي عامة في الأمة إلى يوم القيامة فيمن له أعمال صالحة وسيئة، فهي آيةُ ترجٍّ على هذا، وأسند الطبري في[٥] هذا عن حَجَّاج بن أبي زينب[٦] قال: سمعت أبا عثمان يقول: ما في القرآن آيةٌ أرجى عندي لهذه الأمة من قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ﴾[٧].

وقال قتادة[٨]: بل نزلت هذه الآية في أبي لُبابة الأنصاري خاصةً في شأنه مع بني قريظة، وذلك أنه كلمهم في النزول على حكم الله ورسوله فأشار هو لهم إلى حلقه،

(١) في نجيبويه: «والجرح».
(٢) انظر قول ابن زيد في: تفسير الطبري (١٤/ ٤٤٤)، وقول الحسن في: النكت والعيون (٢/ ٣٩٧).
(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج وإعرابه (٢/ ٤٦٧).
(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ٤٥٢) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس.
(٥) من الأسدية والتركية.
(٦) هو حجاج بن أبي زينب الواسطي صدوق. يروي عن أبي عثمان النهدي، روى عنه: هشيم ويزيد، وحديثه حسن فقد لين، ولكن روى له مسلم، مات في حدود (١٤٠هـ)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٥٢٠).
(٧) انظر قول أبي عثمان في تفسير الطبري (١٤/ ٤٥٢).
(٨) في التركية ونجيبويه: «مجاهد»، وهو مروي من قولهما معاً.

يريد أن النبي ﷺ يذبحهم إن نزلوا، فلما افتَضَح تاب وندم وربط نفسه في سارية من سواري المسجد، وأقسم أن لا يَطعم ولا يشرب حتى يعفو الله عنه أو يموت، فمكث كذلك حتى عفا الله عنه ونزلت هذه الآية، وأمر رسول الله ﷺ بحله[١]، ذكر هذا القول الطبري عن مجاهد[٢]، وذكره ابن إسحاق في كتاب السير أوعب وأتقن[٣].

وقالت فرقة عظيمة: بل نزلت هذه الآية في شأن المتخلفين عن غزوة تبوك، فكان عملهم السيِّئُ التخلُّفَ بإجماع من أهل هذه المقالة[٤].

واختلفوا في الصالح، فقال الطبري وغيره: الاعتراف والتوبة والندم، وقالت فرقة: بل الصالح غزوهم فيما سلف من غزو النبي ﷺ[٥].

ثم اختلف أهل هذه المقالة في عدد القوم الذين عُنوا بهذه الآية، فقال ابن عباس: كانوا عشرة رهط ربط منهم أنفسهم سبعة، وبقي الثلاثة الذين خلِّفوا دون ربط وهم المذكورون بعد هذا[٦].

وقال زيد بن أسلم: كانوا ثمانية منهم كَرْدَمٌ ومِرداسٌ[٧] وأبو قيس وأبو لبابة[٨]، وقال

---

(١) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٤/ ٤٥١)، من طريق مجاهد معضلاً به.

(٢) انظر قول مجاهد وقول قتادة أن الآية نزلت في تخلف أبي لبابة عن غزوة تبوك في: تفسير الطبري (١٤/ ٤٥٠).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٤٤٧ - ٤٥٣).

(٥) انظر قول الطبري في: تفسيره (١٤/ ٤٤٦)، وانظر القول الآخر المخالف له في النكت والعيون (٢/ ٣٩٨)، وهو قول السدي.

(٦) أخرجه ابن جرير (١٤/ ٤٤٧)، وابن أبي حاتم (١٠٣٠٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.

(٧) ذكرهما الطبري غير منسوبين، ولم يرد لأي منهما ذكر في الإصابة بهذا الوصف، وكذا أبو قيس.

(٨) انظر قول زيد بن أسلم في: تفسير الطبري (١٤/ ٤٤٩).

قتادة: كانوا سبعة(١)، وقال ابن عباس أيضاً وفرقة: كانوا خمسة(٢)، وكلهم قال: كان فيهم أبو لبابة، وذكر قتادة فيهم الجدَّ بن قيس(٣)، وهو فيما أعلم وهم لأن الجد لم تُرْوَ له توبة.

وأما قوله: ﴿وَءَاخَرَ﴾ فهو بمعنى: بآخر، وهما متقاربان، وعَسَى من الله واجبة.

وروي في خبر الذين ربطوا أنفسهم: أن رسول الله ﷺ لما دخل المسجد فرآهم، قال: «ما بال هؤلاء؟» فقيل له: إنهم تابوا وأقسموا أن لا ينحلوا حتى يحلهم رسول الله ﷺ ويعذرهم، فقال رسول الله ﷺ: «وأنا والله لا أحلهم ولا أعذرهم إلا أن يأمرني الله بذلك، فإنهم تخلفوا عني وتركوا جهاد الكفار مع المؤمنين»(٤).

وقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ الآية، روي أن أبا لبابة والجماعة التائبة التي ربطت أنفسها، وهي المقصودة بقوله: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾، جاءت رسول الله ﷺ لما تيب عليها فقالت: يا رسول الله، إنَّا نريد أن نتصدق بأموالنا زيادة في توبتنا، فقال رسول الله ﷺ: «إني لا أَعْرِضُ(٥) لأموالكم إلا بأمر من الله»، فتركهم حتى نزلت هذه الآية، فهم المراد بها، فروي أن رسول الله ﷺ / أخذ ثلث أموالهم مراعاة لقوله تعالى: ﴿مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾، فهذا هو الذي تظاهرت به أقوال المتأولين، ابنُ عباس رضي الله عنه وغيره(٦). [٢/ ٢٦٢]

وقالت جماعة من الفقهاء: المراد بهذه الآية الزكاة المفروضة(٧)، فقوله على هذا: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾، ضميره لجميع الناس، وهو عموم يراد به الخصوص، إذ

(١) انظر قول قتادة في: تفسير الطبري (١٤/ ٤٥٠).
(٢) هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ٤٤٨)، من طريق عطية بن سعد العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.
(٣) انظر تفسير الطبري (١٤/ ٤٥٠).
(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ٤٤٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، مرفوعاً به.
(٥) في الأسدية: «أعترض».
(٦) أخرجه الطبري (١٤/ ٤٥٤) من طريقين، أحدهما عن عطية العوفي، والآخر عن علي بن أبي طلحة، كلاهما عن ابن عباس.
(٧) الاستذكار (٣/ ١٢٦).

يخرج[١] من الأموال الأنواع التي لا زكاة فيها كالثياب والرباع ونحوه.

والضمير الذي في ﴿أَمْوَٰلِهِمْ﴾ أيضاً كذلك عموم يراد به خصوص، إذ يخرج منه العبيد وسواهم.

وقوله: ﴿صَدَقَةً﴾: مجمل يحتاج إلى تفسير، وهذا يقتضي أن الإمام يتولى أخذ الصدقات وينظر فيها، و﴿مِنْ﴾ في هذه الآية للتبعيض، هذا أقوى وجوهها.

وقوله: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ أحسن ما يحتمل أن تكون هذه الأفعال مسندة إلى ضمير النبي ﷺ، ويحتمل أن تكون في موضع الحال من الضمير في ﴿خُذْ﴾.

ويحتمل أن تكون من صفة الصدقة، وهذا مترجح بحسب رفع الفعل، ويكون قوله ﴿بِهَا﴾ أي: بنفسها، أي: يقع تطهيرهم من ذنوبهم بها.

ويحتمل أن يكون ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ صفة للصدقة، وَ(تُزَكِّيهِمْ) مسنداً إلى النبي ﷺ.

ويحتمل أن يكون حالاً من الصدقة، وذلك ضعيف لأنها حال من[٢] نكرة.

وحكى مكي أن يكون ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ من صفة الصدقة، وقوله: ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ حالاً من الضمير في ﴿خُذْ﴾[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا مردود لمكان واو العطف، لأن ذلك يتقدر: خذ من أموالهم صدقةً مطهِّرةً ومزكِّياً بها، وهذا فاسد المعنى، ولو لم يكن في الكلام واو العطف جاز.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (تطْهرهم) بسكون الطاء[٤].

وقوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ معناه: ادع لهم فإن في دعائك لهم سكوناً لأنفسهم وطمأنينة ووقاراً، فهذه عبارة عن صلاح المعتقد، وحكى مكي والنحاس وغيرهما أنه

---

(١) في التركية: «إذ لا يخرج»، وهو خطأ.

(٢) «من» ساقطة من المطبوع.

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٣٣٥).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٥٩)، والمحتسب (١/ ٣٠١).

قيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٥٥][١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا وهم بعيد، وذلك أن تلك في المنافقين الذين لهم حكم الكافرين، وهذه في التائبين من التخلف الذين لهم حكم المؤمنين فلا تناسخ بين الآيتين.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ونافع وابن عامر: ﴿إن صلواتِك﴾ بالجمع، وكذلك في هود وفي المؤمنين[٢].

وقرأ حفص عن عاصم وحمزة والكسائي: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ﴾ بالإفراد، وكذلك قرأ حمزة والكسائي في هود وفي المؤمنين.

وقرأ عاصم في المؤمنين وحدها جمعاً، ولم يختلفوا في سورة الأنعام و﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾[٣]، وهو مصدر أفردتْه فرقة [وجمعته فرقة][٤].

وقوله: ﴿سَمِيعٌ﴾ لدعائك ﴿عَلِيمٌ﴾ أي: بمن يهدي ويتوب عليه[٥]، وغير ذلك مما تقتضيه هاتان الصفتان.

وروي أن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية فعل ما أُمر به من الدعاء والاستغفار لهم[٦].

قال ابن عباس: ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾: رحمة لهم[٧].

وقال قتادة: ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ أي: وقار لهم[٨].

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ٥٢٣)، والهداية لمكي (٤/ ٣١٤٤).

(٢) الآيات (٨٧) من سورة هود، و(٢) من سورة المؤمنين.

(٣) الآيات رقم (٩٢) من سورة الأنعام، و(٢٣) من سورة المعارج.

(٤) سقط من الأصل ونجيبويه، وكلها سبعية، انظر السبعة لابن مجاهد (ص: ٣١٧).

(٥) في الأسدية: «بمن يهتدي ويتوب إليه».

(٦) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٤/ ٤٥٦) من طريق الضحاك بن مزاحم، مرسلاً به.

(٧) هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ٤٥٧)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.

(٨) تفسير الطبري (١٤/ ٤٥٧).

قال القاضي أبو محمد: وإنما معناه: أن من يدعو له النبي ﷺ فإنه تطيب نفسه ويقوى رجاؤه، ويروى[١] أنه قد صحت وسيلته إلى الله تعالى، وهذا بيِّن.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

قرأ جمهور الناس: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾ على ذكر الغائب.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن بخلاف عنه (ألم تعلموا) على معنى: قل لهم يا محمد: ألم تعلموا، وكذلك هي في مصحف أبي بن كعب بالتاء من فوق[٢].

والضمير في ﴿يَعْلَمُوٓاْ﴾ قال ابن زيد: يراد به الذين لم يتوبوا من المتخلفين[٣]، وذلك أنهم لما تيب على بعضهم قال الغير: ما هذه الخاصة التي خص بها هؤلاء؟ فنزلت هذه الآية، ويحتمل أن يكون الضمير في ﴿يَعْلَمُوٓاْ﴾ يراد به الذين تابوا وربطوا أنفسهم، وقوله ﴿هُوَ﴾ تأكيد لانفراد الله بهذه الأمور وتحقيق ذلك، لأنه لو قال: إن الله يقبل التوبة، لاحتمَل ذلك أن يكون قبولُ رسوله قبولاً منه، فبينت الآية أن ذلك مما لا يصل إليه نبي ولا ملك.

وقوله: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ معناه: يأمر بها ويَشْرَعها، كما تقول: أخذ السلطان من الناس كذا، إذا حملهم على أدائه، وقال الزجَّاج: معناه: ويقبل الصدقات[٤].

وقد وردت أحاديث في أخذ الله صدقة من[٥] عبيده؛ منها: قوله ﷺ الذي رواه

---

(١) لعل الصواب: «ويرى».

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها للحسن في الشواذ للكرماني (ص: ٢٢٠)، وزاد السلمي، ولأُبيٍّ في مختصر الشواذ (ص: ٥٩)، وزاد عليّاً وأنساً، ومثل هذا لا يسمى مصحفاً إذ لا مخالفة فيه للرسم، لأن المصاحف لم تكن منقوطة.

(٣) انظر قول ابن زيد في: تفسير الطبري (١٤/ ٤٥٩).

(٤) انظر قول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه له (٢/ ٤٦٧).

(٥) من المطبوع.

عبد الله بن أبي قتادة المحاربي[١] عن ابن مسعود عنه: «إن العبد إذا تصدق بصدقة وقعت في يد الله قبل أن تقع في يد السائل»[٢]، ومنها: قوله ﷺ الذي رواه أبو هريرة: «إن الصدقة تكون قدر اللقمة يأخذها الله بيمينه فيُربِّيها لأحدكم كما يربِّي أحدكم فَلُوَّه أو فصيله، حتى تكون مثل الجبل»[٣]، ونحو هذا من الأحاديث التي هي عبارة عن القبول والتحفِّي بصدقة العبد، فقد يحتمل أن تخرج لفظة ﴿وَيَأۡخُذُ﴾ على هذا.

ويتعلق بهذه الآية القول في قبول التوبة، وتلخيص ذلك: أن قبول التوبة من الكفار يُقطع به عن الله عز وجل إجماعاً[٤]، وهذه نازلة هذه الآية، وهذه الفرقة التائبة من النفاق تائبة من كفر، وأما قبول التوبة من المعاصي فيُقطع بأن الله تعالى يقبل من طائفة من الأمة توبتهم، واختلف: هل تقبل توبة الجميع؟

وأما إذا عُيِّن إنسان تائب فيرجى قبولُ توبته ولا يقطع بها على الله.

وأما إذا فرضنا تائباً غير معيَّن صحيحَ التوبة، فهل يُقطع على الله بقبول توبته أم لا؟ فاختلف؛ فقالت فرقة فيها الفقهاء والمحدثون، وهو كان مذهبَ أبيٍّ رضي الله عنه: يقطع على الله بقول توبته؛ لأنه تعالى أخبر بذلك عن نفسه، وعلى هذا يلزم أن تُقبل توبة جميع التائبين.

---

(١) هو عبد الله بن قتادة ـ وقيل: ابن أبي قتادة، والأول أصح ـ المحاربي، الكوفي، من السابعة، سكت عنه البخاري، وابن أبي حاتم، وذكره ابن حبان في الثقات. المعجم الصغير لرواة الطبري (١/ ٣٢٣)، وتعجيل المنفعة (١/ ٧٦١).

(٢) هو موقوف، وفي إسناده جهالة، هذا الأثر أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٨٥)، ومن طريقه ابن جرير (١٤/ ٤٦٠) عن الثوري، عن عبد الله بن السائب، عن عبد الله بن قتادة، عن ابن مسعود به من قوله، وعبد الله بن قتادة هذا هو المحاربي، لا يكاد يعرف إلا بهذا الإسناد، وهذا الأثرِ الموقوف، ذكره به البخاري في التاريخ الكبير (٥/ ١٧٥) ففيه جهالة، والأثر موقوف وليس بمرفوع.

(٣) متفق عليه، أخرجه بنحوه البخاري (١٤١٠) (٧٤٣٠)، ومسلم (١٠١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٤) انظر الإجماع في: لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٧٢)، وانظر القطع بذلك في: شرح النووي على مسلم (١٧/ ٦٠).

وذهب أبو المعالي وغيره من الأئمة إلى أن ذلك لا يُقطع به على الله تعالى، بل يقوى فيه الرجاء[١].

ومن حجتهم: أن الإنسان إذا قال في الجملة: إني أغفر[٢] لمن ظلمني، ثم جاء مَن قد سبَّه وآذاه، فله تعقُّب حقه، وبالغفران لقوم يصدق وعده ولا يلزمه الغفران لكل ظالم، ونحو هذا من القول، والقول الأول أرجح / والله الموفق للصواب. [٢/ ٢٦٣]

وقوله تعالى: ﴿عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ هي بمعنى (من)، وكثيراً ما يتوصَّل في موضع واحد بهذه وهذه، تقول: لا صدقة إلا عن غنًى، ومن غنى، وفعل فلان ذلك من أشره وبطره، [وعن أشره وبطره][٣].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ﴾ تقرير، والمعنى: حق لهم أن يعلموا.

وقوله: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ﴾ الآية، صيغةُ أمر مضمنها الوعيد.

وقال الطبري: المراد بها الذين اعتذروا من المتخلفين وتابوا[٤].

والظاهر أن المراد بها الذين اعتذروا ولم يتوبوا وهم المتوعَّدون، وهم الذين في ضمير قوله: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ﴾ إلا على الاحتمال الثاني من أن الآيات كلَّها في الذين خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً. ومعنى[٥]: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ﴾، أي: موجوداً معرَّضاً[٦] للجزاء عليه بخير أو شر.

وأما الرسول والمؤمنون فرؤيتهم رؤيةُ حقيقةٍ لا تجوُّزٍ، وقال ابن المبارك: رؤية

---

(١) انظر قول أبي المعالي وقول مخالفيه في: شرح النووي على مسلم (١٧/ ٦٠).

(٢) في الأصل: «لا أغفر»، وهو خطأ.

(٣) ساقط من الأصل ونور العثمانية.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٤٦٢).

(٥) في النسخ: «والمعنى»، والصواب المثبت. انظر: «تفسير الثعالبي» (٢/ ١٥٢).

(٦) في المطبوع وأحمد٣: «متعرضاً».

المؤمنين هي شهادتهم على المرء بعد موته، وهي ثناؤهم عند الجنائز، وقال الحسن ما معناه: أنهم حذروا من فراسة المؤمن[١] التي قال فيها النبي ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله»[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يريد البعث من القبور، و«الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ» معناه: ما غاب وما شوهد، وهي حالتان تعم كل شيء.

وقوله: ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ عبارة عن حضور الأعمال وإظهارها للجزاء عليها وهذا وعيد.

قوله عز وجل: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾.

قوله: ﴿وَآخَرُونَ﴾ عطف على قوله أولاً: ﴿وَآخَرُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

---

(١) لم أقف عليهما، وانظر معنى قول ابن المبارك في تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٧٧)، وقول الحسن في تفسير الهروي عند هذه الآية.

(٢) لا يصح مرفوعاً، هذا الحديث روي عن أبي سعيد الخدري وأبي أمامة الباهلي، أما حديث أبي سعيد فأخرجه البخاري في تاريخه الكبير (٧/ ٣٥٤)، وعنه الترمذي (٣٣٩٢)، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ١٢٩)، من طريق عمرو بن قيس، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً به، قلت: وعطية هو العوفي، ضعيف، شيعي، مدلس، وقد عنعنه، ثم أخرجه العقيلي من طريق سفيان، عن عمرو بن قيس، قال: كان يقال: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل. قال العقيلي: وهذا أولى. وكذا أعله الخطيب في تاريخه (٣/ ١٩١).

وأما حديث أبي أمامة فأخرجه ابن عدي في كامله (٤/ ٢٠٧)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٣١٢) كلاهما من طريق أبي صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، قال: حدثني معاوية بن صالح، عن راشد بن سعد، عن أبي أمامة، مرفوعاً به، قال ابن عدي: ولا أعلم يرويه عن راشد بن سعد غير معاوية بن صالح، وعن معاوية: أبو صالح، ومثله قال الطبراني في أوسطه، وعبد الله بن صالح، صدوق سيئ الحفظ، ولا يُعتمد عليه فيما تفرد فيه من مرويات، هذا، والحديث يُروى من طرق أخرى، كلها شديدة الضعف.

وقرأ نافع والأعرج وابن نِصَاح وأبو جعفر وطلحة والحسن وأهل الحجاز: ﴿مُرْجَوْنَ﴾ من أرجى يرجي دون همز.

وقرأ أبو عمرو وعمر[١] وعاصم وأهل البصرة: ﴿مرجؤون﴾ من أرجأ يُرْجِئ بالهمز، واختلف عن عاصم[٢]، وهما لغتان، ومعناهما التأخير، ومنه: المرجئة؛ لأنهم أخروا الأعمال، أي: أخروا حكمها ومرتبتها[٣]، وأنكر المبرد ترك الهمز في معنى التأخير[٤]، وليس كما قال.

والمراد بهذه الآية فيما قال ابن عباس[٥] وعكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وابن إسحاق: الثلاثة الذين خلِّفوا، وهم: هلال بن أمية الواقفي ومُرَارة بن الربيع العامري وكعب بن مالك[٦]، ونزلت هذه الآية قبل التوبة عليهم.

وقيل: إنها نزلت في غيرهم من المنافقين الذين كانوا معرضين للتوبة مع بنائهم مسجد الضرار، وعلى هذا يكون ﴿الذين اتخذوا﴾ بإسقاط واو العطف بدلاً من (آخَرُونَ)، أو خبر ابتداء تقديره: هم الذين، فالآية على هذا فيها[٧] ترجٍّ لهم واستدعاءٌ إلى الإيمان والتوبة.

---

(١) زيادة من نجيبويه.

(٢) فروى حفص عنه بدون همز، ومعه نافع والأخوان، وأبو بكر عنه والباقون بهمزة مضمومة، انظر: التيسير (ص: ١١٩).

(٣) انظر ذلك في: التبصير في الدين لأبي المظفر الإسفرائيني (١/ ٩٧)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٣٨).

(٤) انظر: الهداية لمكي (٤/ ٢٤٨٤).

(٥) هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ٤٦٥) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس.

(٦) انظر قول ابن إسحاق في: السيرة النبوية لابن كثير (٤/ ١١)، وانظر قول الباقين في: تفسير الطبري (١٤/ ٤٦٥).

(٧) تحرفت في المطبوع إلى: «فيما».

و﴿عَلِيمٌ﴾ معناه: بمن يهدي إلى الرشد، و﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يُنْفِذه مَن تنعيم من شاء وتعذيب من شاء، لا رب غيره ولا معبود سواه.

وقرأ عاصم وعوام القراء والناس في كل قطر إلا بالمدينة: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾.

وقرأ أهل المدينة نافع وأبو جعفر وشيبة وغيرهم: ﴿الذين اتخذوا﴾ بإسقاط الواو، وكذلك في مصحفهم، قاله أبو حاتم.

وقال الزهراوي: وهي قراءة ابن عامر، وهي في مصاحف أهل الشام بغير واو[١].

فأما من قرأ بالواو فذلك عطف على قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ أي: ومنهم الذين اتخذوا، وأما من قرأ بإسقاطها فرفع ﴿الَّذِينَ﴾ بالابتداء.

واختلف في الخبر؛ فقيل الخبر: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾، قاله الكسائي، ويتجه بإضمارٍ إما في أول الآية وإما في آخرها، بتقدير: لا تقم في مسجدهم. وقيل: الخبر: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ﴾، قاله النحاس[٢] وهذا أفصح. وقد ذكرتُ كون ﴿الَّذِينَ﴾ بدلاً من (آخَرُونَ) آنفاً، وقال المهدوي: الخبر محذوف تقديره: معذَّبون، أو نحوه[٣].

وأما الجماعة المرادة بـ(الَّذِينَ اتَّخَذُوا) فهم: منافقو بني غَنْم بن عوف وبني سالم بن عوف، وأسند الطبري[٤] عن ابن إسحاق عن الزهري وغيره أنه قال: أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك حتى نزل بذي أوان بلدٍ بينه وبين المدينة ساعةٌ من نهار، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا: يا رسول الله، إنَّا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المَطيرة، وإنَّا نحب أن

---

(١) في نجيبويه: «ابن عباس»، وهو خطأ، انظر العزو لابن عامر ونافع في التيسير (ص: ١١٩)، وانظر كتاب المصاحف (ص: ١٥٢).

(٢) انظر القولين في: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٣٤).

(٣) انظر قول المهدوي في: التحصيل (٣/ ٣٠٤).

(٤) في تفسيره (١٤/ ٤٦٨).

تأتينا فتصليَ لنا فيه، فقال: «إني على جناح سفر وحال شغل، ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه»، فلما قفل[١] ونزل بذي أوان، نزل عليه القرآن في شأن مسجد الضرار، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدُّخْشُم[٢] ومعن بن عدي[٣] أو أخاه عاصم بن عدي، فقال: «انطلقا إلى هذا المسجد الظالمِ أهلُه، فاهدماه وحرِّقاه»، فانطلَقا مسرعين ففعلا وحرَّقاه بنارِ سَعَفٍ[٤].

وذكر النقاش «أن رسول الله ﷺ بعث لهدمه وتحريقه عمار بن ياسر ووحشيّاً[٥] مولى المطعم بن عدي»[٦].

وكان بانوه اثني عشر رجلاً: خِذَام بن خالد[٧]، ومن داره أُخرج مسجد الشقاق، وثعلبة بن حاطب، ومعتِّب بن قشير، وأبو حبيبة بن الأزعر[٨]، وعبَّاد بن حُنيف أخو

(١) في الأصل والمطبوع: «أقبل».

(٢) مالك بن الدخشم الأنصاري الأوسي، من بني عوف بن عمرو بن عوف، شهد بدراً عند الجميع، وهو الذي أسر سهيل بن عمرو يومئذ، ثم أرسله النبيّ ﷺ مع معن بن عدي فأحرقا مسجد الضرار. الإصابة (٥/ ٥٣٤).

(٣) معن بن عدي بن الجدّ بن العجلان البلوي، حليف الأنصار، شهد أحداً، وقتل يوم اليمامة شهيداً. الإصابة (٦/ ١٥١).

(٤) هذا الحديث أخرجه الطبري (١٤/ ٤٦٨)، من طريق الزهري، وغيره معضلاً به.

(٥) وحشي بن حرب الحبشي، مولى بني نوفل، قاتل حمزة، أسلم وشارك في قتل مسيلمة، وشهد اليرموك، ثم سكن حمص، ومات بها، روى عنه ابنه حرب، وعبد الله بن عدي بن الخيار، وجعفر ابن عمرو الضّمريّ، وعاش إلى خلافة عثمان. الإصابة (٦/ ٤٧٠).

(٦) لم أجده.

(٧) خذام بن خالد، من بني عبيد بن زيد، أحد بني عمرو بن عوف، سيرة ابن هشام (٢/ ٥٣٠).

(٨) هو أبو حبيبة الأدرع بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة الأنصاري، ذكره منهم ابن هشام (٢/ ٥٣٠)، وفي الإصابة (٧/ ٧٢): استدركه يحيى بن عبد الوهّاب بن منده على جده، وقال: إنه ممن شهد أحداً.

سهل بن حُنيف[١]، وجارية بن عامر[٢] وابناه مجمِّع بن جارية[٣]، وهو كان إمَامهم، وحلف لعمر بن الخطاب في خلافته أنه لم يشعر بأمرهم، وزيد بن جارية[٤]، ونَبتل بن الحارث، وبَحْزَج[٥] وهو من بني ضُبيعة، وبِجَاد بن عثمان[٦]، ووديعة بن ثابت.

وبحزج منهم هو الذي حلف لرسول الله ﷺ: ما أردت إلا الحسنى والتوسعة علينا وعلى من عجز أو ضَعُفَ عن المسير إلى مسجد قباء[٧].

وقرأ ابن أبي عبلة: (ما أردنا إلا الحسنى)[٨].

والآية تقتضي شرح شيء من أمر هذه المساجد، فروي أن رسول الله ﷺ لما قدم

---

(١) عبّاد بن حنيف بن واهب بن العكيم، أخو عثمان وسهل الأنصاريّ الأوسيّ، ذكره أبو عبيد مع إخوته. الإصابة (٣/ ٤٩٧)، وفي الأسدية: «وأخوه»، وأما سهل فهو من السّابقين وشهد بدراً، والمشاهد كلَّها، وثبت يوم أحد واستخلفه عليٌّ على البصرة بعد الجمل، ثم شهد معه صِفّين، مات سنة (٣٨هـ). الإصابة (٣/ ١٦٥).

(٢) في الأصل ونجيبويه والمطبوع: «ابن عمرو»، وفي التركية: «حارثة»، والمثبت هو الموافق لما في سيرة ابن هشام (٢/ ٥٣٠).

(٣) مجمّع بن جارية بن عامر بن مجمّع بن العطّاف بن ضبيعة الأنصاري الأوسي، كان حدَثاً قد جمع القرآن، وكان أبوه ممن اتخذ مسجد الضّرار، فكان مجمع يصلّي بهم فيه، ثم إنه حلف بعد ذلك لعمر: ما علمت بشيء من أمرهم. الإصابة (٥/ ٥٧٧).

(٤) هو زيد بن جارية بن عامر بن مجمّع الأوسي، روى ابن مندة أنّه ممن استصغرهم النبي ﷺ يوم أحد. الإصابة (٢/ ٤٩٣).

(٥) في الأسدية: «خرج»، وفي نجيبويه: و«مخرج»، والمثبت هو الموافق لما في سيرة ابن هشام (٢/ ٥٣٠)، وذكر أنه من بني ضبيعة.

(٦) هو بجاد بن عثمان بن عامر بن مجمّع الأوسي من بني ضبيعة، ذكره منهم ابن هشام في السيرة (٢/ ٥٣٠).

(٧) ضعيف، هذا الحديث أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٦٦)، بإسناد فيه عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً به، وعطية العوفي ضعيف الحديث، شيعي، مدلس، وقد عنعنه.

(٨) في المطبوع: «إن أردنا»، وهو خطأ، وهي مخالفة للرسم، لم أجد من ذكرها، ولو رويت عنه فإنما هي تفسير.

المدينة وقت الهجرة بنى مسجداً في بني عمرو بن عوف وهو مسجد قُباء، وقيل: وجده مبنيّاً قبل وروده، وقيل: وجده موضع صلاة فبناه وتشرَّف القوم / بذلك، فحسدهم من [٢/ ٢٦٤] حينئذ رجال من بني عمهم من بني غَنْم بن عوف وبني سالم بن عوف، فكان فيهم نفاق.

وكان موضع مسجد قباء مربطاً لحمار امرأة من الأنصار اسمها لية[١]، فكان المنافقون يقولون: والله لا نصبر على الصلاة في مربط حمار لية، ونحو هذا من الأقوال.

وكان أبو عامر عبد عمرو المعروف بالراهب منهم، وكانت أمه من الروم، فكان يتعبد في الجاهلية فسمي الراهب، وهو أبو حنظلة غسيلِ الملائكة، وكان سيداً نظيراً وقريباً من عبد الله بن أبيٍّ ابنِ سلولَ، فلما جاء الله بالإسلام نافق ولم يزل مجاهراً بذلك، فسماه رسول الله ﷺ «الفاسق»، ثم خرج في جماعة من المنافقين فحزَّب على رسول الله ﷺ الأحزاب، فلما ردهم الله بغيظهم أقام أبو عامر بمكة مُظهِراً لعداوته، فلما فتح الله مكة هرب إلى الطائف، فلما أسلم أهل الطائف خرج هارباً إلى الشام يريد قيصر مستنصراً به على رسول الله ﷺ، وكتب إلى قومه المنافقين منهم أن ابنوا مسجداً مقاومة لمسجد قباء وتحقيراً له، فإني سآتي بجيش من الروم أخرج به محمداً وأصحابه من المدينة، فبنوه، وقالوا: سيأتي أبو عامر ويصلي فيه ويتخذه متعبداً ويسرُّ به، ثم إن أبا عامر هلك عند قيصر ونزل القرآن في أمر مسجد الضرار، فذلك قوله: ﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يعني: أبا عامر، وقولهم: سيأتي أبو عامر[٢].

وقرأ الأعمش: (للذين حاربوا الله)[٣].

---

(١) في نجيبويه: «لبة»، وفي الإصابة (٨/ ٣٠٨) أن اسمها «لينة»، ولم يترجم لها بأكثر من أنها صاحبة مكان قباء.

(٢) انظر تفسير الآية في: تفسير الطبري (١٤/ ٤٦٨)، وانظر قصة أبي عامر في: السيرة النبوية لابن كثير (٤/ ٣٨).

(٣) كذا في تفسير الثعلبي (٥/ ٩٤)، وفي مختصر الشواذ (ص: ٥٩)، والشواذ للكرماني (ص: ٢١٩): «لمن حاربوا»، وكلاهما شاذة.

وقوله: ﴿ضِرَارًا﴾ أي: داعيةً للتضارِّ من جماعتين، فلذلك قال: ﴿ضِرَارًا﴾، وهو في الأكثر[١] مصدرُ ما يكون من اثنين وإن كان المصدر الملازم لذلك مفاعَلةً كما قال سيبويه، ونصب ﴿ضِرَارًا﴾ وما بعده على المصدر في موضع الحال، ويجوز أن يكون على المفعول من أجله.

وقوله: ﴿بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يريد: بين الجماعة التي كانت تصلي في مسجد قباء، فإن من جاوز[٢] مسجدهم كانوا يصرِفونه إليه، وذلك داعية إلى صرفه عن الإيمان.

وقيل: أراد بقوله: ﴿بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ جماعةَ مسجد رسول الله ﷺ، وهذا بحسب الخلاف في المسجد المؤسس على التقوى وسيأتي ذلك.

قال النقاش: يلزم من هذا أن لا يصلَّى[٣] في كنيسة ونحوها؛ لأنها بنيت على شرٍّ من هذا كله[٤]، وقد قيل في هذا: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾.

قال القاضي أبو محمد: وهذا تفقُّهٌ غير قوي.

والإرصاد: الإعداد والتهيئة، والذي حارب الله ورسوله هو أبو عامر الفاسق.

وقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ يريد في غزوة الأحزاب وغيرها، والحالف المراد في قوله: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ﴾ هو بحزج ومن حلف من أصحابه.

وكسرت الألف من قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ لأن الشهادة في معنى القول.

وأسند الطبري عن شقيق أنه جاء ليصلي في مسجد بني غاضرة فوجد الصلاة قد فاتته، فقيل له: إن مسجد بني فلان لم يصلَّ فيه بعد، فقال: لا أحب أن أصلي فيه فإنه بني على ضرار، وكل مسجد بني ضراراً ورياء وسمعةً فهو في حكم مسجد الضرار[٥].

---

(١) في المطبوع: «الأصل».

(٢) في نجيبويه: «جاور».

(٣) في المطبوع زيادة: «عليه»، وهو خطأ.

(٤) انظر قول النقاش في: تفسير القرطبي (٨/ ٢٥٤).

(٥) انظر الرواية عن شقيق في: تفسير الطبري (١٤/ ٤٧٤)، وفي التركية: «سفيان».

وروي أن مسجد الضرار لما هُدم وأحرق اتُّخذ مزبلة ترمى فيه الأقذار والقمامات[(١)].

قوله عز وجل: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾.

روي أن رسول الله ﷺ لما نزلت: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ كان لا يمر بالطريق التي فيها المسجد، وهذا النهي إنما هو لأن البانين لمسجد الضرار قد كانوا خادعوا رسول الله ﷺ وقالوا: بنينا مسجداً للضرورات والسيل الحائل بيننا وبين قومنا، فنريد أن تصلي لنا فيه وتدعو بالبركة، فهمَّ رسول الله ﷺ بالمشي معهم إلى ذلك، واستدعى قميصه لينهض، فنزلت الآية ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾[(٢)].

وقوله: ﴿لَّمَسْجِدٌ﴾؛ قيل إن اللام لام قسم، وقيل: هي لام الابتداء، كما تقول: لَزيدٌ أحسن الناس فعلاً، وهي مقتضيةٌ تأكيداً.

وقال ابن عباس وفرقة من الصحابة والتابعين: المراد بالمسجد الذي أُسس على التقوى هو مسجد قُباء[(٣)].

وروي عن ابن عمر[(٤)] وأبي سعيد الخدري[(٥)] وزيد بن ثابت: أنه مسجد رسول الله ﷺ

---

(١) انظر رواية ذلك في: تفسير الطبري (١٤/ ٤٧٤).

(٢) منقطع، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٤/ ٤٧٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً به.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٧٦)، وابن جرير (١٤/ ٤٧٨)، في تفسيريهما بنفس الإسناد السابق.

(٤) في الأصل والمطبوع: عن عمر، وهو خطأ، فالأثر لا يعرف إلا من طريق ابن عمر، كما ذكره البخاري في التاريخ الكبير (٦/ ٧٠)، والطبري (١١/ ٢٠٠) ولم أقف على من عزاه لعمر.

(٥) ضعيف، أثر أبي سعيد أخرجه الطبري (١٤/ ٤٧٦) بإسناد فيه سفيان بن وكيع، وهو متفق على تضعيفه، ويغني عنه ما أخرجه مسلم في صحيحه (١٣٩٨) عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً، =

بالمدينة[(١)]، ويليق القول الأول بالقصة، إلا أن القول الثاني روي عن رسول الله ﷺ، ولا نظر مع الحديث.

وأسند الطبري في ذلك عن أبي سعيد الخدري أنه قال: اختلف رجل من بني خدرة[(٢)] ورجل من بني عمرو بن عوف، فقال الخُدْري: هو مسجد الرسول، وقال الآخر: هو مسجد قباء، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه، فقال: «هو مسجدي هذا، وفي الآخَر خيرٌ كثير»[(٣)].

إلى كثير من الآثار في هذا عن أبي بن كعب[(٤)] وسهل بن سعد[(٥)].

= وستأتي الإشارة إليه، وكذلك أخرجه البخاري (٣٦٩٤) من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه، وفي كليهما أن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد الرسول ﷺ..

(١) أثر ابن عمر أخرجه الطبري (١٤/ ٤٧٦) عن سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبو معاوية، عن إبراهيم ابن طهمان، عن عثمان بن عبيد الله قال: أرسلني محمد (كذا وصوابه محرر) بن أبي هريرة إلى ابن عمر أسأله، ثم أخرجه من طريق الدراوردي، عن عثمان بن عبيد الله، عن ابن عمر، وزيد بن ثابت، وأبي سعيد قالوا: المسجد الذي أسس على التقوى مسجد الرسول ﷺ.

(٢) في نجيبويه: «خزرة»، وفيه: «الخزري»، والمثبت هو الموافق لما في المصدر.

(٣) أصله في مسلم بغير هذا السياق، هذا الحديث أخرجه بهذا اللفظ الطبري (١٤/ ٤٨١) بإسناد صحيح إلى أبي سعيد الخدري مرفوعاً به، وأصله عند مسلم في صحيحه (١٣٩٨) بدون ذكر هذين الرجلين والخلاف بينهما.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (١٤/ ٤٨٠) مرفوعاً بإسناد فيه عبد الله بن عامر الأسلمي، وهو ضعيف متفق على تضعيفه.

(٥) غير محفوظ، أخرجه الإمام أحمد (٣٧/ ٤٦٤) مرفوعاً أيضاً من طريق ربيعة بن عثمان التيمي، وذكره الدارقطني في علله (١١/ ٢٧٢)، من طريق أسامة بن زيد، كلاهما عن عمران بن أبي أنس، عن سهل ابن سعد رضي الله عنه، مرفوعاً به، وكل من ربيعة بن عثمان التيمي، وأسامة بن زيد ضعيفا الحديث، وإن كان ربيعة أحسن حالاً منه، وقد خالفهما الليث بن سعد، فرواه عن عمران بن أبي أنس، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه، مرفوعاً به، رواه الطبري (١٤/ ٤٨١)، وذكره الدارقطني في علله (١١/ ٢٧٢)، قال الدارقطني: ويشبه أن يكون القول قول ا لليث، عن عمران بن أبي أنس، والله أعلم.

ومسجد رسول الله ﷺ، كان في بقعته نخل وقبور مشركين ومربد ليتيمين كانا في حِجْر أسعد بن زرارة، وبناه رسول الله ﷺ ثلاث مرات، الأولى بالسميط وهي لبنة أمام لبنة، والثانية بالصَّعيدة، وهي لبنة ونصفٌ في عرض الحائط، والثالثة بالأنثى والذكر، وهي لبنتان تعرض عليهما لبنتان، وكان في طوله سبعون ذراعاً، وكان عَمَدُه النخل، وكان عريشاً يَكِفُ في المطر، وعُرِض على رسول الله ﷺ بنيانه ورفعه فقال: «لا، بل يكون عريشاً كعريش أخي موسى، كان إذا قام ضرب رأسه في سقفه»[١].

وكان رسول الله ﷺ ينقل فيه اللَّبِن على صدره، ويقال: إن أول من وضع في أساسه حجراً رسول الله ﷺ، ثم وضع أبو بكر حجراً، ثم وضع عمر حجراً، ثم وضع عثمان حجراً، ثم رمى الناس بالحجارة، فتفاءل بذلك بعض الصحابة في أنها الخلافة فصدق فألُه[٢].

قوله: ﴿مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ﴾ قيل: معناه: منذ أول يوم، وقيل: معناه: من تأسيس أول يوم، وإنما دعا إلى هذا الاختلاف أن من أصول النحويين أن (مِن) لا تجرُّ بها الأزمان، وإنما تجر الأزمان / بمنذ، تقول: ما رأيته منذ يومين أو سنة أو يوم، ولا تقول: من شهر، ولا: من سنة، ولا: من يوم، فإذا وقعت «من» في الكلام وهي تلي زمناً فيقدر مضمر يليق أن تجره «مِن» كقول الشاعر: [٢/ ٢٦٥]

لِمَنِ الدِّيارُ بقُنَّةِ الحِجْرِ ... أَقْوَيْنَ من حِجَجٍ ومن دَهْرِ[٣] [الكامل]

ومن شهر روايةٌ، فقدَّروه: من مرِّ حجج، ومن مرِّ دهر.

---

(١) لم أقف عليه مسنداً، هذا الحديث بهذا اللفظ لم أقف له على إسناد، بل ذكره بعضهم عن شهر بن حوشب، معضلاً به، وأخرجه بنحوه البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٤٢) من طريق الحسن البصري، مرسلاً به.

(٢) لم أجده.

(٣) البيت لزهير كما في البيان والتبيين (٢/ ١٧٧)، الشعر والشعراء (١/ ١٣٩)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٧٨).

ولما كان قوله: ﴿أَوَّلِ يَوْمٍ﴾؛ يوماً، وهو اسم زمان، احتاجوا فيه إلى تقديرٍ: من تأسيسِ، ويحسن عندي أن يُستغنى في هذه الآية عن تقديرٍ، وأن تكون ﴿مِنْ﴾ تجر لفظة ﴿أَوَّلِ﴾ لأنها بمعنى البداءة، كأنه قال: من مبتدأ الأيام، وهي هاهنا تقوم مقام المَرِّ في البيت المتقدم، وهي كما تقول: جئت من قبلك ومن بعدك، وأنت لا تدل بهاتين اللفظتين إلا على الزمن، وقد حكي لي هذا الذي اخترته عن بعض أئمة النحو[١].

ومعنى ﴿أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ أي: بصلاتك وعبادتك.

وقرأ جمهور الناس: ﴿أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ﴾ بكسر الهاء.

وقرأ عبد الله بن زيد: (أن تقوم فيهِ فيهُ) بضم الهاء الثانية[٢] على الأصل، ويحسِّنه تجنُّبُ تكرار لفظ واحد، وقال قتادة وغيره: الضمير عائد على مسجد الرسول، والرجال جماعة الأنصار[٣].

وروي أن رسول الله ﷺ قال لهم: «يا معشر الأنصار، إني رأيت الله أثنى عليكم بالطهور فماذا تفعلون؟»، فقالوا: يا رسول الله، إنا رأينا جيراننا من اليهود يتطهرون بالماء ـ يريدون الاستنجاء بالماء ـ ففعلنا نحن ذلك، فلما جاء الإسلام لم ندعه، فقال رسول الله ﷺ: «فلا تَدَعوه أبدا»[٤].

---

(١) هذا مذهب البصريين وأما الكوفيون فيجيزون ذلك، انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف (١/ ٣٧٠)

(٢) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٠١).

(٣) انظر قول قتادة في: تفسير الطبري (١٤/ ٤٨٣).

(٤) في إسناده اضطراب ولين، هذا الحديث رواه شهر بن حوشب، واختلف عليه، فرواه سلمة بن رجاء عن مالك بن مغول، عن سيار أبي الحكم، عن شهر، عن محمد بن عبد الله بن سلام، عن أبيه، به، ورواه غير سلمة عن مالك بدون ذكر: أبيه. أخرج هذا أحمد (٣٩/ ٢٥٤)، والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ١٨) في ترجمة محمد، ونعت الدارقطني هذا بالإرسال؛ لأن محمد بن عبد الله ابن سلام إنما له رؤية فقط، ورواه عبيد الله بن تمام، عن داود بن أبي هند، عن شهر، عن أبي هريرة، وغيره يرويه عن داود عن شهر مرسلاً، وشهر تكلِّم فيه، ويكثر الاختلاف عليه والاضطراب منه، وينظر: العلل للدارقطني (٨/ ٣٣٤)، وتعجيل المنفعة (٢/ ١٨٦).

وقال عبد الله بن سلام وغيره ما معناه: «إن الضمير عائد على مسجد قباء»[١] والمراد بنو عمرو بن عوف، وروي أن رسول الله ﷺ إنما قال المقالة المتقدمة لبني عمرو ابن عوف[٢].

والأول أكثر.

واختلف أهل العلم في الأفضل بين الاستنجاء بالماء أو بالحجارة، فقيل هذا، وقيل هذا.

ورأت فرقة من أهل العلم الجمع بينهما فينقي بالحجارة ثم يُتبع بالماء[٣].

وحدثني أبي رضي الله عنه أنه بلغه أن بعض علماء القيروان كانوا يتخذون في متوضياتهم أحجاراً في تراب ينقون بها، ثم يستنجون بالماء أخذاً بهذا القول.

قال القاضي أبو محمد: وإنما يتصور الخلاف في البلاد التي يمكن فيها أن تنقي الحجارة، وابن حبيب لا يجيز الاستنجاء بالحجارة حيث يوجد الماء[٤]، وهو قول شذ فيه.

وقرأ جمهور الناس: ﴿يَتَطَهَّرُواْ﴾.

وقرأ طلحة بن مصرف والأعمش: (يطَّهَّروا) بالإدغام.

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (المتطهِّرين) بالتاء[٥].

وأسند الطبري عن عطاء أنه قال: أحدثَ قوم من أهل قباء الاستنجاء بالماء، فنزلت الآية فيهم[٦].

---

(١) انظر قول ابن سلام ومن معه في: تفسير الطبري (١٤/ ٤٨٤).

(٢) مرسل، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٤/ ٤٨٨) من طريق عروة بن الزبير مرسلاً به.

(٣) وهو اختيار أكثر الفقهاء، انظر البحر الرائق (١/ ٢٥٤)، وشرح الخرشي (١/ ١٤٨)، والمجموع (٢/ ١٠٠)، والمغني (١/ ١٥٩).

(٤) انظر قول ابن حبيب في: النوادر (١/ ٢٥).

(٥) وهما شاذتان، تابعه عليهما في البحر المحيط (٥/ ٥٠٥)، وعزا الكرماني (ص: ٢٢٠) الإدغام فيهما لطلحة، والإظهار فيهما لأبي.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٤٩٠)، وفيه «الوضوء» بدل: «الاستنجاء».

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «منهم عويم بن ساعدة»[١] ولم يسمَّ أحدٌ منهم غير عويم.

وقوله: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾ الآية، استفهام بمعنى تقرير، وقرأ نافع وابن عامر وجماعة: ﴿أُسِّس بنيانُه﴾ على بناء ﴿أسس﴾ للمفعول ورفع (بنيان) فيهما، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي وجماعة: ﴿أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾ على بناء الفعل للفاعل ونصب (بنيان) فيهما[٢].

وقرأ عمارة بن ضبا[٣] ـ رواه يعقوب ـ الأول على بناء الفعل للمفعول، والثاني على بنائه للفاعل، والآية تتضمن معادَلةً بين شيئين، فإما بين البناءين وإما بين البانين[٤]، فالمعادلة الأولى هي بتقدير: أَبِنَاءُ مَن أسس.

وقرأ نصر بن علي[٥]، ورويت عن نصر بن عاصم: (أ فمَن أسُّ بنيانِه) على إضافة (أس) إلى (بنيان).

وقرأ نصر بن عاصم وأبو حيوة أيضاً: (أَسَاسُ بنيانِه)[٦].

---

(١) مرسل، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٤/ ٤٨٨) من طريق عروة بن الزبير مرسلاً به.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١١٩).

(٣) في التركية: «حنباء»، وفي أحمد٣: «ابن ضب»، وفي تفسير الثعلبي (٥/ ٩٥): «بن صايد»، وفي البحر المحيط (٥/ ٥٠٥) وتابعيه: «بن عائذ»، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٢٢٠): «عبادة بن عبد الله بن صياد»، مع اختلاف بينهم في ضبط قراءته، ولم أقف على ترجمة لأحد ممن ذكر إلا أنه يتلفق منها: عمارة بن عبد الله ابن صياد ويكنى أبا أيوب، وكان ثقة قليل الحديث، وكان مالك بن أنس لا يقدم عليه أحداً في الفضل، وروى عنه، توفي في خلافة مروان بن محمد، انظر: الطبقات الكبرى متمم التابعين (ص: ٣٠٢).

(٤) لعل الصواب: «البانِيَيْن».

(٥) لعله نصر بن علي بن صهبان الجهضمي بصري صدوق، روى عن جده لأمه أشعث بن عبد الله الحداني والنضر بن شيبان، وعنه أبو داود وأبو نعيم وعبيد الله بن موسى، وهو مقل. تاريخ الإسلام (٩/ ٦٤٩)، أو حفيده نصر بن علي الجهضمي شيخ السنة.

(٦) وهي قراءة شاذة، انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ١٠٣)، وفي مختصر الشواذ (ص: ٥٩) منسوبة لليماني.

وقرأ نصر بن عاصم أيضاً: (أُسُسُ بنيانِه) على وزن فُعُل بضم الفاء والعين، وهو جمع أساس، كقَذَالٍ وقُذُل، حكى ذلك أبو الفتح[١].

وذكر أبو حاتم أن هذه القراءة لنصر إنما هي: (أَسَسُ) بهمزة مفتوحة وسين مفتوحة وسين مضمومة[٢]، وعلى الحكايتين فالإضافة إلى البنيان.

وقرأ نصر بن علي أيضا: (آساس)[٣] على جمع أُسٍّ.

والبنيان مصدر، يقال: بنى يبني بناءً وبنياناً، كالغفران والطغيان، فسمي به المبنيُّ مثل الخلق إذا أردت به المخلوق، وقيل: هو جمع واحدُه بنيانة، وأنشد في ذلك أبو علي:

كبُنْيانةِ القاريِّ موضعُ رحلها وآثارُ نِسْعَيْها من الدَّفِّ أَبْلَقُ[٤] [الطويل]

وقرأ الجمهور: ﴿عَلَىٰ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾، وقرأ عيسى بن عمر: (على تقوًى) بتنوين الواو[٥]، حكى هذه القراءة سيبويه، وردها الناس، قال أبو الفتح: قياسها أن تكون الألف للإلحاق كأرطًى ونحوه[٦].

وأما المراد بالبنيان الذي أسس على التقوى والرضوان، فهو في ظاهر اللفظ وقولِ الجمهور: المسجد المذكور قبل، ويطرد فيه الخلاف المتقدم.

وروي عن عبد الله بن عمر أنه قال: المراد بالمسجد المؤسس على التقوى هو مسجد رسول الله ﷺ، والمراد بأنه أسس على تقوى من الله وَرِضْوانٍ[٧] هو مسجد قباء[٨].

---

(١) انظره مع قراءة النصرين في المحتسب (١/ ٣٠٣) وهي شاذة.
(٢) انظر قول أبي حاتم في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٣٥)، وهي شاذة.
(٣) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٠٣).
(٤) البيت لكعب بن زهير كما في الأغاني (١٧/ ٨٩)، ونسبه الفارسي في الحجة (٤/ ٢١٩) لأوس، وفيهما: «كبنيانة القرئي».
(٥) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٠٤)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٩٥).
(٦) انظر قول سيبويه وقول أبي الفتح في المحتسب (١/ ٣٠٤).
(٧) في الأصل هنا زيادة: «خير».
(٨) لم أقف عليه.

وأما البنيان الذي أسس عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ فهو مسجد الضرار بإجماع.

والشَّفا: الحاشية والشفير.

والجُرف حول البئر ونحوِه مما جرفته السيولُ والنُّدْوَّةُ والبِلَى.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي وجماعة: ﴿جُرُفٍ﴾ بضم الراء.

وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وجماعة: ﴿جرْف﴾ بسكون الراء، واختلف عن عاصم[١].

وهما لغتان، وقيل: الأصل ضم الراء، وتخفيفها بعد ذلك مستعمل.

و﴿هَارٍ﴾ معناه: متهدم منهال، وهو من هارَ يَهُور، ويقال: هارَ يَهار ويَهير، وأصله: هائر أو هاور، فقيل: قلبت راؤه[٢] قبل حرف العلة فجاء: هارو أو هاري، فصنع به ما صنع بقاضٍ وغازٍ، وعلى هذا يقال في حال النصب: هارياً، ومثله: في يومٍ راحٍ، أصله: رائحٌ، ومثله: شاكي السلاح، أصله: شائكٌ، ومثله قول العجَّاج:

[الرجز] لَاثٍ بِهِ الْأَشَاءُ وَالْعُبْرِيُّ[٣]

أصله: لائثٌ، ومثله قول الشاعر

[الكامل] .... خَفَضُوا أَسِنَّتَهم فكلٌّ ناعِ[٤]

على أحد الوجهين: فإنه يحتمل أنه من نَعَى يَنْعَى، والمراد أنهم يقولون: يا ثارات فلان، ويحتمل أن يريد فكلهم نائع، أي: عاطش كما قال عُمير بن شُييم:

---

(١) فروى عنه حفص ضم الراء وأبو بكر إسكانه، وهما سبعيتان. انظر: التيسير (ص: ١١٩).

(٢) في نجيبويه: «واوه».

(٣) للعجاج كما في الكتاب لسيبويه (٣/ ٤٦٦)، ومجاز القرآن (١/ ٢٦٩)، والكنز اللغوي (ص: ١٤)، وتهذيب اللغة (٣/ ١٩).

(٤) للأجدع بن مالك بن أمية الهمداني كما في التنبيه على أوهام أبي علي (ص: ٢٥)، وسمط اللآلي (١/ ١٠٩). وصدره: خيلان من قومي ومن أعدائهم.

.... والأسَـلَ النِّـيَاعـا[١] [الوافر]

وقيل في ﴿هارٍ﴾: إن / حرف علته حذف حذفاً، فعلى هذا يجري بوجوه الإعراب، فتقول: جرفٌ هارٌ، ورأيت جرفاً هاراً، ومررت بجرفٍ هارٍ. [٢/ ٢٦٦]

واختلف القراء في إمالة ﴿هَـارٍ﴾[٢] و(انهار).

وتأسيس البناء على تقوى إنما هو بحسن النية فيه، وقصدِ وجه الله تعالى وإظهار شرعه، كما صنع بمسجد النبي ﷺ وفي مسجد قباء.

والتأسيس عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ، إنما هو بفساد النية، وقصد الرياءِ والتفريقِ بين المؤمنين.

فهذه تشبيهاتٌ صحيحة بارعة.

و﴿خَيْرٌ﴾ في هذه الآية تفضيل، ولا شركة بين الأمرين في خير إلا على معتقد باني مسجد الضرار، فبحسب ذلك المعتقدِ صح التفضيل.

وقوله: ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ الظاهر منه وما صح من خبرهم وهدم رسول الله ﷺ مسجدهم أنه خارجٌ مخرجَ المثل، أي: مَثَلُ هؤلاء المضارِّين من المنافقين في قصدهم معصيةَ الله وحصولِهم من ذلك على سخطه كمن ينهار بنيانه في نار جهنم، ثم اقتضب الكلام اقتضاباً يدل عليه ظاهره، وقيل: بل ذلك حقيقةٌ، وإن ذلك المسجد بعينه انهار في نار جهنم، قاله قتادة وابن جريج[٣].

---

(١) عمير هو القطامي، وفي الأصل: عامر، وهو خطأ، وأوله: «لعَمْرُ بني شهاب ما أقاموا صدورَ الخيل...» إلخ، انظر عزوه له في المخصص (٤/ ٢١٨)، وعزاه الجوهري في الصحاح (٣/ ١٢٩٤)، والبكري في سمط اللآلي (١/ ٨٣٦) لدريد ابن الصمة، وهو الصواب.

(٢) قال في التيسير (ص: ١١٩): «ابن كثير وحمزة وحفص وهشام والنقاش عن الأخفش: بالفتح، وورش بين اللفظين، والباقون بالإمالة»، وأما «انهار» فلم يُملها أحد، ولعلها وردت خطأ أو بدل كلمة أخرى.

(٣) انظر قول قتادة وابن جريج في: تفسير الطبري (١٤/ ٤٩٢).

وروي عن جابر بن عبد الله وغيره أنه قال: رأيتُ الدخان يخرج منه على عهد رسول الله ﷺ[(١)]، وروي في بعض الكتب أن رسول الله ﷺ رآه حين انهار حتى بلغ الأرض السابعة، ففزع لذلك رسول الله ﷺ[(٢)].

وروي أنهم لم يصلُّوا فيه أكثر من ثلاثة أيام؛ أكملوه يوم الجمعة وصلَّوا فيه يوم الجمعة وليلة السبت، وانهار يوم الاثنين، وهذا كله بإسناد لين[(٣)]، وما قدمناه أصوبُ وأصح، وكذلك بقي أمره والصلاة فيه من قَبْل سفر رسول الله ﷺ إلى تبوك إلى أن قفل ﷺ.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: طعنٌ على هؤلاء المنافقين وإشارة إليهم، والمعنى: لا يهديهم من حيث هم الظالمون، أو يكون المراد الخصوص فيمن يوافي على ظلمه.

وأسند الطبري عن خلف بن ياسين[(٤)] أنه قال: «رأيت مسجد المنافقين الذي ذكر الله في القرآن، فرأيت فيه مكاناً يخرج منه الدخان، وذلك في زمن أبي جعفر المنصور»[(٥)]، وروي شبيهٌ بهذا أو نحوه عن ابن جريج أسنده الطبري[(٦)].

---

(١) إسناده مستقيم، أخرجه ابن جرير (٤/ ٤٩٣) والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٣٨) من طريق عبد العزيز ابن المختار، عن عبد الله بن داناج، عن طلق بن حبيب، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، به، قال الحاكم: هذا إسناد صحيح، وعنده تصريح طلق بالسماع من جابر.

(٢) لم أقف عليه مسنداً، ولا إخاله إلا منكراً.

(٣) الطبري (١٤/ ٤٩٣) من قول ابن جريج بلا إسناد.

(٤) خلف بن ياسين بن معاذ الزيات، الكوفي، الواسطي، قليل الحديث، يروي عن المجاهيل. المعجم الصغير لرواة الطبري (١/ ١٥٤).

(٥) أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس القرشي الهاشمي العباسي، أمير المؤمنين، روى عن أبيه ورأى جده، كان كامل العقل، جيد المشاركة في العلم والأدب، فقيه النفس، خليقاً للإمارة، توفي سنة (١٥٨هـ). تاريخ الإسلام (٩/ ٤٦٥).

(٦) انظر ما أسنده الطبري عن خلف وابن جريج في: تفسير الطبري (١٤/ ٤٩٣).

قوله عز وجل: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾.

الضمير في ﴿بُنْيَٰنُهُمُ﴾ عائد على المنافقين البانين للمسجد ومَن شاركهم في غرضهم.

وقوله: ﴿ٱلَّذِى بَنَوْا۟﴾ تأكيد وتصريحٌ بأمر المسجد ورفعٌ للإشكال، والريبة: الشك، وقد يسمى ريبةً فسادُ المعتقَد واضطرابُه والاعتراض في الشيء والتحفظ[1] فيه والحزازة من أجله وإن لم يكن شكّاً، فقد يرتاب مَن لا يشك، ولكنها في معتاد اللغة تجري مع الشك، ومعنى الريبة في هذه الآية أمر يعم الغيظ والحنق ويعم اعتقاد صواب فعلهم، ونحو هذا مما يؤدي كله إلى الريبة في الإسلام، فمقصد الكلام: لا يزال هذا البنيان الذي هدم لهم يُبْقي في قلوبهم حزازة وأثرَ سوء، وبالشك فسر ابن عباس الريبة هنا، وفسرها السدي بالكفر، وقيل له: أفكَفَر مجمَّع بن جارية؟ قال: لا، ولكنها حزازة[2].

قال القاضي أبو محمد: ومجمع رحمه الله قد أقسم لعمر أنه ما علم باطن القوم ولا قصد سوءاً، والآية إنما عنت مَن أبطن سوءاً، فليس مجمعٌ منهم، ويحتمل أن يكون المعنى: لا يزالون مريبين بسبب بنائهم الذي اتضح فيه نفاقهم، وجملة هذا: أن الريبة في الآية تعم معاني كثيرةً يأخذ كل منافق منها بحسب قَدْره من النفاق.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي: ﴿إلا أن تُقَطَّع قلوبهم﴾، بضم التاء وبناء الفعل للمفعول.

---

(١) في الأسدية والتركية والمطبوع: «التخبط».

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ٤٩٥) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وانظر فيه قول السدي أيضاً.

وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم بخلاف عنه: ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ﴾ بفتح التاء على أنها فاعلة[١].

وقرأ الحسن بن أبي الحسن ومجاهد وقتادة ويعقوب: ﴿إلى أن تَقَطَّع﴾[٢] على معنى: إلى أن يموتوا.

وقرأ بعضهم: (إلى أن تُقْطَع)[٣]، وقرأ أبو حيوة: (إلا أن يُقَطِّع) بالياء مضمومة وكسر الطاء ونصب «القلوب»[٤]، أي: بالقتل.

وأما على القراءة الأولى فقيل: بالموت، قاله ابن عباس[٥] وقتادة وابن زيد وغيرهم[٦].

وقيل: بالتوبة، وليس هذا بالظاهر إلا أن يتأول: أو يتوبوا توبةً نصوحاً يكون معها من الندم والحسرة على الذنب ما يقطِّع القلوبَ همّاً وفكرةً.

وفي مصحف ابن مسعود: (ولو قطِّعت قلوبهم)، وكذلك قرأها أصحابه[٧].

وحكاها أبو عمرو: (وإن قطعت) بتخفيف الطاء.

وفي مصحف أبيٍّ: (حتى الممات)، وفيه: (حتى تقطَّع قلوبهم)[٨].

---

(١) انظر: التيسير فى القراءات السبع (ص: ١٢٠) إلا أن شعبة عن عاصم وافق الأولين وحفص الأخيرين.

(٢) وهي عشرية ليعقوب، انظر: النشر (٢/ ٣١٦)، وانظر قراءة الباقين في تفسير القرطبي (٨/ ٢٦٦)، ويعقوب ليس في المطبوع.

(٣) وهي شاذة عزاها في تفسير الثعلبي (٥/ ٩٦) ليعقوب، وليست من طرق النشر.

(٤) عزاها له في البحر المحيط (٥/ ٥٠٨)، وعزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٢٢١) بالتاء.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٨٣٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٤٩٥).

(٧) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهم في تفسير الثعلبي (٥/ ٩٦) وكتاب المصاحف (١/ ١٧٧)، وتفسير الطبري (١٤/ ٤٩٧).

(٨) من أحمد٣، وكلها شاذة، انظر قراءة أبي الأولى في الحجة للفارسي (٤/ ٢٣١)، والثانية ونقل أبي عمرو في البحر المحيط (٥/ ٥٠٨).

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ﴾ الآية، هذه الآية نزلت في البيعة الثالثة وهي بيعة العقبة الكبرى، وهي التي أناف فيها رجال الأنصار على السبعين، وكان أصغرَهم سنّاً عقبةُ بن عمرو، وذلك أنهم اجتمعوا مع رسول الله ﷺ عند العقبة فقالوا: «اشترِطْ لك ولربك»، والمتكلِّم بذلك عبد الله بن رواحة، فاشترط رسول الله ﷺ حمايته مما يحمون منه أنفسهم، واشترط لربه التزام الشريعة وقتال الأحمر والأسود في الدفع عن الحوزة، فقالوا: ما لنا على ذلك؟ قال: «الجنة»، فقالوا: «نعم، ربح البيع لا نُقيل ولا نقال»، وفي بعض الروايات: «ولا نستقيل» فنزلت الآية في ذلك[١].

ثم الآية بعد ذلك عامة في كلِّ مَن جاهد في سبيل الله من أمة محمد ﷺ إلى يوم القيامة، وقال بعض العلماء: ما من مسلم إلا ولله في عنقه هذه البيعة وفَى بها أو لم يفِ[٢]، وفي الحديث: «إن فوق كل بِرٍّ بِرّاً، حتى يبذل العبد دمه، فإذا فعل ذلك فلا بِرَّ فوق ذلك»[٣].

وهذا تمثيل من الله عز وجل جميلَ صنعه بالمبايعة، وذلك أن حقيقة المبايعة أن تقع بين نفسين بقصدٍ منهما وتملك صحيح، وهذه القصةُ وهب الله عباده أنفسَهم وأموالهم ثم أمرهم ببذلها في ذاته، ووعدهم على ذلك ما هو خير/ منها، فهذا غاية التفضل، ثم شبه القصة بالمبايعة. [٢/ ٢٦٧]

وأسند الطبري عن كثير من أهل العلم أنهم قالوا: ثامَنَ الله تعالى في هذه الآية عباده فأعلى لهم، وقاله ابن عباس والحسن بن أبي الحسن[٤].

وقال ابن عيينة: معنى الآية: اشترى منهم أنفسهم ألا يُعْمِلوها إلا في طاعة الله،

---

(١) مرسل، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٤/ ٤٩٩)، من طريق محمد بن كعب القرظي، مرسلاً، به.
(٢) هو قول شمر بن عطية، كما في تفسير الطبري (١٤/ ٤٩٩).
(٣) ضعيف مرسل، هذا الحديث أخرجه هناد في الزهد (٩٧٩)، بإسناد ضعيف إلى الحسن البصري، مرسلاً به.
(٤) انظر إسناد الطبري للقول عن ابن عباس والحسن، في: تفسير الطبري (١٤/ ٤٩٩).

وأموالَهم أن لا ينفقوها إلا في سبيل الله[١]، فالآية على هذا أعم من القتل في سبيل الله، ومبايعةُ الخلفاء هي منتزعة من هذه الآية، كان الناس يعطون الخلفاء طاعتهم ونصائحهم وجِدَّهم، ويعطيهم الخلفاء عدلهم ونظرهم والقيام بأمورهم، وحدثني أبي رضي الله عنه أنه سمع الواعظ أبا الفضل بن الجوهري يقول على المنبر بمصر: ناهيك من صفقةٍ البائعُ فيها رب العلى، والثمن جنة المأوى، والواسطة محمد المصطفى ﷺ.

وقوله: ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ مقطوعٌ ومستأنف، وذلك على تأويل سفيان ابن عيينة.

وأما على تأويل الجمهور من أن الشراء والبيع إنما هو مع المجاهدين فهو في موضع الحال.

وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وأبو عمرو والحسن وقتادة وأبو رجاء وغيرهم: ﴿فَيَقۡتُلُونَ﴾ على البناء للفاعل، ﴿وَيُقۡتَلُونَ﴾ على البناء للمفعول.

وقرأ حمزة والكسائي والنخعي وابن وثاب وطلحة والأعمش بعكس ذلك[٢].

والمعنى واحدٌ، إذ الغرض أن المؤمنين يقاتلون فيوجد فيهم مَن يَقتل، وفيهم من يُقتل وفيهم من يجتمع له، وفيهم من لا تقع له واحدة منهما، وليس الغرض أن يجتمع ولا بد لكل واحد واحد، وإذا اعتبر هذا بان.

وقوله سبحانه: ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾ مصدر مؤكِّد؛ لأن ما تقدم من الآية هو في معنى الوعد[٣]، فجاء هو مؤكِّداً لما تقدم من قوله: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾.

وقال المفسرون: يظهر من قوله: ﴿فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ أن كل أمة أمرت بالجهاد ووعدت عليه.

---

(١) انظر قول ابن عيينة في تفسير الآية في: البحر المحيط (٥/ ٥٠٩).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٠)، وانظر قراءة النخعي ومن معه في تفسير الثعلبي (٥/ ٩٧).

(٣) في الأسدية: «الدعاء».

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أن ميعاد أمة محمد ﷺ تقدم ذكره في هذه الكتب.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ استفهام على جهة التقرير، أي: لا أحد أوفى بعهده من الله، وقوله: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟﴾ فعل جاء فيه استفعل بمعنى أَفْعَلَ وليس هذا من معنى طلب الشيء، كما تقول: استوقد ناراً، واستهدى مالاً، واستدعى نصرا بل هو كعجب واستعجَبَ، ثم وصف تعالى ذلك البيع بأنه الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، أي: أنه الحصول على الحظ الأغبط من حط الذنوب ودخول الجنة بلا حساب.

قوله عز وجل: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾.

هذه الأوصاف هي من صفات المؤمنين الذين ذكر الله أنه اشترى منهم أنفسهم[١]، وارتفعت هذه الصفات لما جاءت مقطوعة في ابتداء آية على معنى: هم التائبون، ومعنى الآية على ما تقتضيه أقوال العلماء والشرع: أنها أوصاف الكَمَلة من المؤمنين ذكرها الله تعالى ليستبِق إليها[٢] أهل التوحيد حتى يكونوا في أعلى رتبة، والآية الأولى مستقلة بنفسها يقع تحت تلك المبايعة كلُّ موحِّد قاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وإن لم يتصف بهذه الصفات التي هي في هذه الآية الثانية أو بأكثرها.

وقالت فرقة: بل هذه الأوصاف جاءت على جهة الشرط، والآيتان مرتبطتان، فلا يدخل في المبايعة إلا المؤمنون الذين هم على هذه الأوصاف ويبذلون أنفسهم في سبيل الله.

وأسند الطبري في ذلك عن الضحاك بن مزاحم: أن رجلاً سأله عن قول الله عز وجل:

---

(١) المثبت من المطبوع.

(٢) تحرفت في التركية إلى: «ليستبين إليه».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ﴾، وقال الرجل: ألا أحمل على المشركين فأقاتلَ حتى أقتل، فقال الضحاك: ويلك، أين الشرط ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾ الآية؟[١].

وهذا القول تحريج وتضييق والله أعلم، والأول أصوب.

والشهادة ماحية لكل ذنب إلا لمظالم العباد، وقد روي أن الله تعالى يحمل عن الشهيد مظالم العباد ويجازيهم عنه، ختم الله لنا بالحسنى.

وقالت فرقة: إن رفع «التائبين» إنما هو على الابتداء وما بعده صفة، إلا[٢] قوله: ﴿ٱلْـَٔامِرُونَ﴾ فإنه خبر الابتداء، كأنه قال: هم الآمرون، وهذا حسن إلا أن معنى الآية ينفصل[٣] من معنى التي قبلها، وذلك قلق فتأمله.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (التائبين العابدين) إلى آخرها[٤].

ولذلك وجهان: أحدهما: الصفة للمؤمنين على إتباع اللفظ، والآخر: النصب على المدح.

و﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾: لفظ يعم الرجوع من الشر إلى الخير كان ذلك من كفر أو معصية، والرجوع من حالة إلى ما هي أحسن منها، وإن لم تكن الأولى شرّاً بل خيراً، وهكذا كانت توبة النبي ﷺ واستغفاره سبعين مرة في اليوم[٥].

والتائب هو المقلع عن الذنب، العازم على التمادي على الإقلاع، النادمُ على ما سلف.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٥٠٠).

(٢) في نجيبويه: «إلى».

(٣) في التركية: يتفصَّل.

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (٥/ ٩٨)، والمحتسب (١/ ٣٠٤)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٣٨).

(٥) البخاري، أخرجه (٥٩٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.

والتائب عن ذنب يسمى تائباً وإن قام على غيره، إلا أن يكون من نوعه فليس بتائب، والتوبة ونقضها دائباً[1] خير من الإصرار، ومن تاب ثم نقض ووافى على النقض فإن ذنوبه الأولى تبقى عليه؛ لأن توبته منها عَلِمَ الله أنها منقوضة، ويحتمل الأمر غير ذلك، والله أعلم.

وقال الحسن في تفسير الآية: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾ معناه: من الشرك[2].

و﴿ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾: لفظ يعم القيامَ بعبادة الله والتزام شرعه وملازمةَ ذلك والمثابرةَ عليه والدوام، والعابد هو المحسن الذي فسَّر رسول الله ﷺ في قوله: «أن تعبد الله كأنك تراه»[3] الحديث، وبأدنى عبادة يؤديها المرء المسلم يقع عليه اسم عابد ويحصل في أدنى رتبته، وعلى قدْر زيادته في العبادة يحصل الوصف.

و﴿ٱلْحَـٰمِدُونَ﴾: معناه: الذاكرون لله بأوصافه الحسنى في كل حال وعلى السراء والضراء، وحمدُه[4] لأنه أهل لذلك، وهو أعم من الشكر، إذ الشكر إنما هو على النعم الخاصة بالشاكر.

و﴿ٱلسَّـٰٓئِحُونَ﴾: معناه: الصائمون، وروي عن عائشة أنها قالت: سياحة هذه الأمة / الصيام، وأسنده الطبري[5]، وروي أنه من كلام النبي ﷺ[6]. [٢/ ٢٦٨]

(١) في التركية: «دائماً».
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٥٠١).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٨) من حديث عمر رضي الله عنه، مرفوعاً به.
(٤) في نجيبويه: «وحده».
(٥) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٥٠٦).
(٦) المحفوظ مرسل، هذا الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢٩٣) من طريق جنيد بن حكيم الدقاق، ثنا حامد بن يحيى البلخي، ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عبيد بن عمير، عن أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف من أجل جنيد بن حكيم الدقاق، قال الدارقطني (رواية الحاكم ٧٣): «ليس بالقوي»، ثم إنه خولف فيه، فقد رُوي عن ابن عيينة، عن عمرو، عن عبيد ابن عمير عن النبي ﷺ مرسلاً، ذكره البيهقي في الشعب (٣/ ٢٩٣)، وقال: وهو المحفوظ.

وفي الحديث: «إن لله ملائكةً سيَّاحين مشَّائين في الآفاق يبلِّغوني صلاة أمتي عليَّ»(١)، ويروى الحديث: «صيَّاحين»(٢) بالصاد من الصياح.

والسياحة في الأرض مأخوذ من السيح، وهو الماء الجاري على الأرض إلى غير غاية.

وقال بعض الناس ـ وهو في كتاب النقاش ـ : ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ هم الجائلون بأفكارهم في قدرة الله وملكوته(٣)، وهذا قول حسن، وهي من أفضل العبادات.

ومن ذلك قول معاذ بن جبل: اقعد بنا نؤمنْ ساعة(٤).

ويروى أن بعض العبَّاد أخذ القدح ليتوضأ لصلاة الليل فأدخل أصبعه في أذن القدح وجعل يفكر حتى طلع الفجر، فقيل له في ذلك، فقال: أدخلت أصبعي في أذن القدح فتذكرت قول الله تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ [غافر: ٧١] وفكرت: كيف أتلقى الغُلَّ؟ وبقيت في ذلك ليلي أجمع(٥).

[ويروى أمر الرجل في مسجد الإقدام والشعر الذي أنشده ما ذكره](٦).

و﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ هم المصلُّون الصلواتِ الخمسَ، كذا قال أهل العلم، ولكن لا يختلف في أن مَن يُكثر النوافل هو أدخلُ في الاسم وأغرق في الاتصاف.

---

(١) إسناده لا بأس به، هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد (٧/ ٣٤٣)، والنسائي (٣/ ٤٣) من طريق الثوري، عن عبد الله بن السائب، عن زاذان، عن ابن مسعود رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٣) انظر قول النقاش في: تفسير القرطبي (٨/ ٢٧٠).

(٤) صحيح، هذا الأثر أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٣٦٥) من طريق الأعمش، عن جامع بن شداد، عن الأسود بن هلال المحاربي قال: قال لي معاذ: اجلس بنا نؤمن ساعة، وجزم به البخاري تعليقاً في أول كتاب الإيمان.

(٥) تقدم آخر سورة آل عمران.

(٦) ما بين معقوفين زيادة من نور العثمانية ونجيبويه، وقد تقدم كذلك.

وقوله: ﴿ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ هو أمر فُرض على أمة محمد ﷺ بالجملة[١]، ثم يفترق الناس فيه مع[٢] التعيين:

فأما ولاة الأمر والرؤساء فهو فرض عليهم في كل حال.

وأما سائر الناس فهو فرض عليهم بشروط: منها أن لا تَلحقه مَضرةٌ، وأن يعلم أن قوله يسمع ويعمل به ونحو هذا، ثم مَن تحمَّل بعدُ في ذات الله مشقةً فهو أعظم أجراً.

وأسند الطبري عن بعض العلماء أنه قال: حيثما ذكَر الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو الأمر بالإسلام والنهي عن الكفر[٣].

قال القاضي أبو محمد: ولا شك أنه يتناول هذا، وهو أحرى أن يتناول ما دونه، فتعميم اللفظ أولى.

وأما هذه الواو التي في قوله: ﴿وَٱلنَّاهُونَ﴾ ولم يتقدم في واحدة من الصفات قبلُ، فقيل: معناها الربطُ بين هاتين الصفتين وهي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ هما من غير قبيل الصفات الأُوَل.

قال القاضي أبو محمد: لأن الأُوَل فيما يخص المرء، وهاتان فيما بينه وبين غيره، ووجب الربط بينهما لتلازمهما وتناسبهما، وقيل: هي زائدة، وهذا قول ضعيف لا معنى له.

وقيل: هي واو الثمانية لأن هذه الصفة جاءت ثامنة في الرتبة، ومن هذا قوله في أبواب الجنة: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، وقوله: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، ومن هذا قوله: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥].

قال القاضي أبو محمد: على أن هذه تُعترض حتى لا يلزمُ أن يكون واوَ ثمانية،

---

(١) انظر حكاية الإجماع على ذلك في: الاستذكار (٥/ ١٧)، وشرح النووي على مسلم (٢/ ٢٢).

(٢) في التركية: «على».

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٥٠٧).

لأنها[(١)] فرقت بين فصلين يعمان بمجموعهما جميع النساء، ولا يصح أن يكون: ثَـيِّباتٍ أبكَاراً، فهي فاصلةٌ ضرورةً، وواو الثمانية قد ذكرها ابن خالويه، في مناظرته لأبي علي الفارسي في معنى قوله: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] وأنكرها أبو علي[(٢)].

وحدثني أبي رضي الله عنه عن الأستاذ النحوي أبي عبد الله الكفيف المالقي ـ وكان ممن استوطن غرناطة وأقرأ فيها في مدة ابن حبُّوس[(٣)] ـ أنه قال: هي لغة فصيحة لبعض العرب، من شأنهم أن يقولوا إذا عدُّوا: واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية تسعة عشرة، فهكذا هي لغتهم، ومتى ما جاء في كلامهم أمر ثمانية أدخلوا الواو[(٤)].

وقوله: ﴿وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ لفظٌ عام تحته إلزام[(٥)] الشريعة والانتهاء عما نهى الله عنه في كل شيء وفي كل فن.

وقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: هو لفظ عام أمر به النبي ﷺ أن يبشر أمته جميعاً بالخير من الله، وقيل: بل هذه الألفاظ خاصةٌ لمن لم يَغْزُ، أي: لمَّا تقدم في الآية وعد المجاهدين وفضلهم أُمر أن يبشر سائر الناس ممن لم يغز بأن الإيمان مخلِّص من النار، والحمد لله رب العالمين.

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ الآية، يقتضي التأنيبَ ومنع الاستغفار للمشركين مع اليأس عن إيمانهم: إما بموافاتهم على الكفر وموتهم، ومنه قول عمر بن الخطاب

(١) في المطبوع: «أنها».
(٢) لم أقف على هذه المناقشات.
(٣) في الأسدية: «عبوس»، وفي التركية: «حبوش»، ولعله باديس بن حبوس صاحب غرناطة الذي أخذ مالقة من بني علي بن حمود سنة (٤٤٧هـ)، فانقضى بذلك أمر العلويين بالأندلس، انظر: الكامل في التاريخ (٧/ ٦٣٧).
(٤) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ٢٧٢).
(٥) في الأسدية ونور العثمانية والتركية: «التزام».

في العاصي بن وائل: «لا جزاه الله خيراً»(١)، وإما بنص من الله تعالى على أحد كأبي لهب وغيره فيمتنع الاستغفار له وهو حي.

واختلف المفسرون في سبب هذه الآية، فقال الجمهور ومداره على ابن المسيب وعمرو بن دينار: «نزلت في شأن أبي طالب، وذلك أن رسول الله ﷺ دخل عليه حين احتُضر ووعظه وقال: «أي عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاجُّ لك بها عند الله تعالى»، وكان بالحضرة أبو جهل وعبد الله بن أبي(٢) أمية، فقالا له: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب، فقال أبو طالب: يا محمد، والله لولا أني أخاف أن يعيَّر بها ولدي من بعدي لأقررت بها عينَك، ثم قال: أنا على ملة عبد المطلب، ومات على ذلك، إذ لم يَسمع منه النبي ﷺ ما قال للعباس، فنزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] فقال رسول الله ﷺ: «والله لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك»، فكان يستغفر له حتى نزلت هذه الآية، فترك رسول الله ﷺ الاستغفار لأبي طالب»(٣).

وروي أن المؤمنين لما رأوا رسول الله ﷺ يستغفر لأبي طالب جعلوا يستغفرون لموتاهم(٤)، فلذلك دخلوا في التأنيب والنهي.

والآية على هذا ناسخةٌ لفعل النبي ﷺ، إذ أفعاله في حكم الشرع المستقر.

---

(١) ضعيف، هذا الأثر ذكره ابن هشام في السيرة ص (٣٠٨)، قال: «وحدثني بعض أهل العلم...»، فذكره، وهذا معضل.

(٢) في الأصل والمطبوع: «بن أمية» وهو خطأ.

(٣) ضعيف، هذا الحديث أخرجه ابن إسحاق في السيرة ص (٣٦٣ ابن هشام)، بإسناد فيه من لم يسم، والحديث أصله من غير ذكر قصة العباس، ونفي سماع النبي ﷺ له، عند البخاري في صحيحه (١٢٩٤)، من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٤) معضل، هذا الحديث أخرجه ابن سعد في طبقاته الكبرى (١/ ١٢٣١٢٤) من طريق عمرو بن دينار، معضلاً به.

وقال فضيل بن عطية[١] وغيره: «إن رسول الله ﷺ لما فتح مكة أتى قبر أمه فوقف عليه حتى سخنت عليه الشمس، وجعل يرغب في أن يؤذَن له في الاستغفار لها، فلم يؤذن له، فأخبر أصحابه أنه أُذن له في زيارة قبرها، ومُنع أن يستغفر لها»، فما رُئي باكياً أكثر من يومئذ، ونزلت الآية في ذلك[٢].

وقالت فرقة: «إنما[٣] نزلت بسبب قول رسول الله ﷺ في المنافقين: «والله لأزيدن على السبعين»[٤]، وقال ابن عباس[٥] وقتادة وغيرهما: إنما نزلت الآية بسبب جماعة من المؤمنين قالوا: نستغفر لموتانا كما استغفر إبراهيم ﷺ لأبيه، فنزلت الآية في ذلك[٦].

وعلى كل حال ففي ورود النهي عن الاستغفار للمشركين موضع اعتراض بقصة إبراهيم صلى الله على نبينا وعليه، فنزل رفع ذلك الاعتراض في الآية التي بعدها.

---

(١) مثله في البحر المحيط (٥/ ٥١٢) عن فضيل هكذا، ولم أجد له ذكراً، وفي أحمد٣: «فضل»، وهو الفضل ابن عطية بن عمرو بن خالد المروزي مولى بني عبس، روى عن سالم وعطاء، وعنه ابنه محمد وغيره، وثقه بن معين وأبو داود وإسحاق وأبو زرعة وابن حبان، وقال: إلا من رواية ابنه عنه لأن ابنه في الحديث ليس بشيء. وقال ابن عدي: روى عنه ابنه مناكير، والبلاء منه، تهذيب التهذيب (٨/ ٢٨١)، ولعل الصواب كما سيأتي في التخريج: فضيل عن عطية، وفضيل هذا هو فضيل بن مرزوق، أبو عبد الرحمن، الكوفي، العنزي مولاهم، الأغر، روى عن: عدي بن ثابت، وعطية العوفي، وروى عنه: أبو أسامة، ووكيع، وجماعة، وثقه ابن عيينة، وابن معين، وضعفه النسائي وغيره، وقال الهيثم بن جميل: كان من أئمة الهدى زهداً وفضلاً، توفي قبل (١٧٠هـ). تاريخ الإسلام (١٠/ ٣٩٦).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٤/ ٥١١) عن أحمد بن إسحاق قال: حدثنا أبو أحمد قال: حدثنا فضيل عن عطية قال: لما قدم رسول الله ﷺ مكة وقف على قبر أمه، وفضيل هو ابن مرزوق كما للحافظ في الفتح (٨/ ٥٠٨) وعطية هو العوفي، وهذا مرسل على ضعفه.

(٣) في الأسدية، والتركية: إنها.

(٤) البخاري، أخرجه (١٣٠٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٥) هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ٥١٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

(٦) انظر هذه الأقوال في: تفسير الطبري (١٤/ ٥١١).

وقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ﴾ يريد: من بعد الموت على الكفر، فحينئذ تبيَّن أنهم أصحاب الجحيم، أي: سكانها وعَمَرتها، والاستغفار للمشرك الحي جائز إذ يرجى إسلامه.

/ ومن هذا قول أبي هريرة رضي الله عنه: «رحم الله رجلاً استغفر لأبي هريرة ولأمه، قيل له: ولأبيه، قال: لا، إن أبي مات كافراً»[(١)]. [٢/ ٢٦٩]

وقال عطاء بن أبي رباح: «الآية في النهي عن الصلاة على المشركين، والاستغفار هاهنا يراد به الصلاة»[(٢)].

قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ١١٤ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ١١٥ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١١٦﴾.

المعنى: لا حجة أيها المؤمنون في استغفار إبراهيم الخليل لأبيه، فإن ذلك لم يكن إلا عن موعدة، واختلف في ذلك فقيل: عن موعدة من إبراهيم في أن يستغفر لأبيه، وذلك قوله: ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ [مريم: ٤٧]، وقيل: عن موعدة من أبيه له في[(٣)] أنه سيؤمن، فكان إبراهيم قد قَوِيَ طمعه في إيمانه، فحمله على الاستغفار له حتى نهي عنه.

وقرأ طلحة: (وما يستغفر إبراهيم) وروي عنه: (وما استغفر إبراهيم)[(٤)].

---

(١) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ٥١٧)، عن ابن وكيع، عن أبيه، عن عصمة بن زامل، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، به، وهذا إسناد ضعيف، فابن وكيع، هو سفيان، متفق على تضعيفه، وكذلك عصمة بن زامل، عن أبيه، قال الدارقطني (رواية البرقاني ٧٢): هذا إسناد بدوي، يخرج اعتباراً.

(٢) انظر قول عطاء في: تفسير الطبري (١٤/ ٥١٦).

(٣) في المطبوع: «من».

(٤) وكلاهما قراءة شاذة، مخالفة للرسم، انظر: المحتسب (١/ ٣٠٥)، والكشاف (٢/ ٣١٥).

و﴿مَّوۡعِدَةٖ﴾ مفعلة من الوعد، وأما تبينه أنه عدو لله قيل: ذلك بموت آزر على الكفر، وقيل: ذلك بأنه نهي عنه وهو حي، وقال سعيد بن جبير: ذلك كله يوم القيامة[١]، وذلك أن في الحديث: «أن إبراهيم يلقاه فيعرفه ويتذكر قوله: ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾، فيقول له: الزم حقوي فلن أدعك اليوم لشيء، فيلزمه حتى يأتي إلى الصراط، فيلتفت إليه فإذا هو قد مسخ ضِبْعاناً أمذرَ[٢] فيتبرأ منه حينئذ[٣]، وربطُ أمر الاستغفار بالآخرة ضعيف.

وقوله: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ ثناء من الله تعالى على إبراهيم، و«الأواه»:

قال ابن مسعود: هو الدَّعّاء[٤].

وقيل: هو الداعي بتضرع.

وقيل: هو الموقن، قاله ابن عباس[٥].

وقيل: هو الفقيه[٦]، وقيل: هو الرحيم، قاله ابن مسعود أيضاً[٧].

وقيل: هو المؤمن التواب، وقيل: هو المسبِّح، وقيل: هو الكثير الذكر لله عز وجل.

وقيل: هو التلّاء للقرآن.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٥١٨).

(٢) «أمدر» من الأسدية والمطبوع: وفي باقي النسخ: «أمذر»، وهو خطأ، والضبعان ذكر الضبع، والأمدر من الضباع: الذي في جسده لُسحٌ من سَلْحه.

(٣) مرسل، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٤/ ٥٢١)، من طريق سعيد بن جبير، مرسلاً به.

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ٥٢٣)، من طريق عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود به، وعاصم ضعيف الحديث، إنما خرج له الشيخان مقروناً أو متابعة.

(٥) أخرجه ابن جرير (٤/ ٥٢٧-٥٢٨) من طريق مسلم، عن مجاهد، عن ابن عباس به، مسلم هو ابن كيسان الضبي الملائي، ضعيف الحديث، وأخرجه الطبري (١٤/ ٥٢٨) من طريق قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس به. وقابوس أيضاً ضعيف.

(٦) «وقيل هو الفقيه» ساقطة من المطبوع.

(٧) أخرجه الطبري (١٤/ ٥٢٤) من طريق سفيان، عن مسلم البطين، عن أبي العبيدين، عن ابن مسعود رضي الله عنه، به. وهذا إسناد صالح.

وقيل: هو الذي يقول من خوفه لله عز وجل أبداً: أوَّاه، [ويكثر ذلك][١].

وروي أن أبا ذر سمع رجلاً يكثر ذلك في طوافه، فشكاه إلى رسول الله ﷺ، فقال: «دعه فإنه أوَّاه»[٢].

والتأوه: التفجُّع الذي يَكثُر حتى ينطق[٣] الإنسان معه بـ«أوَّهْ»، ويقال: أوْهِ، فمن الأول قول رسول الله ﷺ لبلال في بيع أو شراء أنكره عليه: «أوه، ذلك الربا بعينه»[٤] ومن الثاني قول الشاعر:

فَـأَوْهِ لِذِكْرَاهـا إذَا مَـا ذَكَرْتُهـا ... ومِنْ بُعْـدِ أَرْضٍ بيننا وسَـمَاءِ[٥] [الطويل]

ومن هذا المعنى قول المثقِّب العبدي[٦]:

إذا مـا قمـتُ أَرْحَلُهـا بلَيْـلٍ ... تـأَوَّهُ آهَـةَ الرجـلِ الحزيـنِ[٧] [الوافر]

ويروى: أهَّة، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «أَوَّهْ لأفراخ محمد»[٨].

و﴿حَلِيمٌ﴾ معناه: صابر محتمل عظيم العقل، والحلم: العقل.

---

(١) زيادة من الأسدية والتركية والمطبوع ونجيبويه، وانظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٤/ ٥٢٣-٥٣١).

(٢) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٤/ ٥٣٠) وفي إسناده من لم يُسم.

(٣) في التركية: «ينطق به».

(٤) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٢١٨٨) ومسلم (١٥٩٤) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً به.

(٥) البيت في الأصول في النحو (٣/ ٣٣٠)، والمحتسب (١/ ٣٩)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٢٢٥)، بلا نسبة.

(٦) اسمه عائذ بن محصن بن ثعلبة بن واثلة بن عدي بن زهر بن منبه بن نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، وقيل: اسمه شأس بن عائذ، وقيل: نهار بن شأس، وسمي المثقب ببيت قاله، ويكنى أبا ماثلة، وهو جاهلي من شعراء البحرين. معجم الشعراء (ص: ٣٠٣)

(٧) انظر عزوه له في المفضليات (ص: ٢٨٧)، والعين (٤/ ١٠٤)، ومجاز القرآن (١/ ٢٧٠)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٢٨).

(٨) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الخطابي في غريب الحديث (١/ ٢٥٠) من حديث معاذ بن جبل، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا﴾ الآية، معناه التأنيس للمؤمنين، وقيل: إن بعضهم خاف على نفسه من الاستغفار للمشركين دون أمر من الله تعالى فنزلت الآية مؤنسة، أي: ما كان الله بعد أن هدى إلى الإسلام وأنقذ من النار ليحبط ذلك ويضل أهله لمواقعتهم ذنباً لم يتقدم منه نهي عنه، فأما إذا بيَّن لهم ما يتقون من الأمور ويتجنبون من الأشياء فحينئذ مَن واقَعَ بعد النهي استوجب العقوبة، وقيل: إن هذه الآية إنما نزلت بسبب قوم من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا غيَّباً فحولت القبلة فصلوا قبل أن يصلهم ذلك إلى بيت المقدس، وآخرين شربوا الخمر بعد تحريمها قبل أن يصل إليهم، فخافوا على أنفسهم وتكلموا في ذلك فنزلت الآية[(١)]، والقول الأول أصوب وأليق بالآية.

وذهب الطبري إلى أن قوله: ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ إشارة إلى أنه يجب أيها المؤمنون ألا تجزعوا من عدو وإن كثر، ولا تهابوا أحداً، فإن الموت المَخُوف والحياة المحبوبة إنما هما بيد الله تعالى[(٢)].

والمعنى الذي قال صحيح في نفسه، ولكن قوله إن القصد بالآية إنما هو لهذا قول يبعد.

والظاهر في الآية إنما هو: لمَّا نصَّ في الآية المتقدمة نعمته وفضلَه على عبيده في أنه متى منَّ عليهم بهداية ففضلُه أسبغ من أن يصرفهم ويضلهم قبل أن تقع منهم معصية ومخالفةُ أمرٍ، أتبع ذلك بأوصاف فيها تمجيد الله عز وجل وتعظيمه وبعث النفوس على إدمان شكره والإقرار بعبوديته.

قوله عز وجل: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ

---

(١) لم أقف عليه مسنداً.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٥٣٨).

وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

التوبة من الله: رجوعه بعبده من حالة إلى أرفع منها، فقد تكون في الأكثر [رجوعاً من حالة المعصية إلى حالة الطاعة، وقد تكون][1] رجوعاً من حالة طاعة إلى أكمل منها، وهذه توبته في هذه الآية على النبي ﷺ؛ لأنه رجع به من حاله قبل تحصيل الغزوة وأجرها وتحمل مشقاتها إلى حاله بعد ذلك كله، وأما توبته على المهاجرين والأنصار فحالها معرَّضة لأن تكون من تقصير إلى طاعة وجِدٍّ في الغزو ونصرة الدين، وأما توبته على الفريق الذي كاد أن يزيغ فرجوع من حالة محطوطة إلى حال غفرانٍ ورضاً.

و﴿ٱتَّبَعُوهُ﴾ معناه: دخلوا في أمره وانبعاثه، ولم يرغبوا بأنفسهم عن نفسه.

وقوله: ﴿فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾، يريد: في وقت العسرة، فأنزل الساعة منزلة المدة والوقت والزمن، وإن كان عرف الساعة في اللغة أنه لمَا قلَّ من الزمن كالقطعة من النهار، ألا ترى قوله ﷺ في رواح يوم الجمعة: في الساعة الأولى، وفي الثانية، الحديث[2]، فهي هنا بتجوُّز، ويمكن أن يريد بقوله: ﴿فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾: الساعة التي وقع فيها عزمهم وانقيادهم لتحمل المشقة، إذ السفرة كلها تَبَعٌ لتلك الساعة، وبها وفيها يقع الأجر على الله، وترتبط النية، فمن اعتزم على الغزو وهو معسر فقد اتبع في ساعة العسرة، ولو اتفق أن يطرأ لهم غنًى في سائر / سفرتهم لمَا اختل كونهم متَّبِعين في ساعة عسرة. [٢/ ٢٧٠]

والْعُسْرَة: الشدة وضيق الحال والعدم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، وهذا هو جيش العسرة الذي قال رسول الله ﷺ فيه: «من جهز جيش العسرة فله الجنة»[3]، فجهزه عثمان بن عفان رضي الله عنه بألف جمل وألف دينار.

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٨٤١) ومسلم (٨٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٣) البخاري، علقه (٢٧٧٨) من طريق أبي عبد الرحمن: أن عثمان رضي الله عنه حين حوصر أشرف عليهم وقال: أنشدكم الله...، ووصله الدارقطني والبيهقي. انظر: «فتح الباري» (٥/ ٤٠٤).

وروي أن رسول الله ﷺ، قلَّب الدنانير بيده وقال: «وما على عثمان ما عمل بعد هذا»[١].

وجاء أيضاً رجل من الأنصار بسبع مئة وسق من تمر[٢].

وقال مجاهد وقتادة: إن العسرة بلغت بهم في تلك الغزوة ـ وهي غزوة تبوك ـ إلى أن قسموا التمرة بين رجلين، ثم كان النفر يأخذون التمرة الواحدة فيمضغها[٣] أحدهم ويشرب عليها الماء ثم يفعل كلهم بها ذلك[٤].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «وأصابهم في بعضها عطش شديد حتى جعلوا ينحرون الإبل ويشربون ما في كروشها من الماء، ويعصرون الفرث، حتى استسقى لهم رسول الله ﷺ، فرفع يديه يدعو فما رجعهما حتى انسكبت سحابة

---

(١) إسناده ليس بالقائم، أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد (٣٤/ ٢٣١)، والترمذي (٤٠٣٤)، والطبراني في الأوسط (٩/ ٩٤) وغيرهم من طرق عن ضمرة بن ربيعة، عن عبد الله بن شوذب، عن عبد الله بن القاسم، عن كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة، عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه، مرفوعاً به، قال الترمذي: «حديث حسن غريب من هذا الوجه»، وقال الطبراني: «لم يروِ هذا الحديث عن ابن شوذب إلا ضمرة، ولا يروى عن عبد الرحمن بن سمرة إلا بهذا الإسناد»، وضمرة له مناكير، وعبد الله بن القاسم مختلف في تعيينه، وكثير لم يوثق توثيقاً معتبراً، وأخرجه الترمذي قبله والطبراني في الأوسط (٦/ ٩٧) وغيرهما بغير قصة الدنانير من حديث: السكن بن المغيرة ويكنى أبا محمد مولى لآل عثمان، حدثنا الوليد بن أبي هشام، عن فرقد أبي طلحة، عن عبد الرحمن بن خباب به مرفوعاً. وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث السكن ابن المغيرة. ونحوه قال الطبراني. وأيضاً فرقد أبو طلحة مجهول.

(٢) ضعيف، هذا الحديث أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٢/ ٢٨)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، مرفوعاً به، وفي إسناده عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني، عن أبيه، وكلاهما ضعيفان، تنبيه: الحديث جاء فيه أن الأنصاري، وهو عاصم الأنصاري، تصدق بتسعين وسقاً، وليس كما أورده المصنف هاهنا: سبع مئة وسق.

(٣) في الأسدية والتركية ونور العثمانية: «فيمصها».

(٤) انظر قول مجاهد وقتادة في: تفسير الطبري (١٤/ ٥٤٠-٥٤١).

فشربوا وادخروا ثم ارتحلوا، فإذا السحابة لم تخرج عن العسكر، وحينئذ قال رجل من المنافقين: وهل هذه إلا سحابة مرت»(١).

وكانت الغزوة في شدة الحر، وكان الناس كثيراً، فقلَّ الظَّهر، فجاءتهم العسرة من جهات، ووصل رسول الله ﷺ إلى أوائل بلد العدو فصالحه أهل أذرح(٢) وأيلة وغيرهما على الجزية ونحوها، وانصرف(٣).

وأما الزيغ الذي كادت قلوب فريق منهم أن تواقعه فقيل: همت فرقة بالانصراف لمَا لقوا من المشقة والعسرة، قاله الحسن(٤).

وقيل: زيغها إنما كان بظنون لها ساءت في معنى عزم رسول الله ﷺ على تلك الغزوة لمَا رأته من شدة العسرة، وقلة الوفر، وبُعد الشُّقة، وقوة العدو المقصود.

وقرأ جمهور السبعة وأبو بكر عن عاصم: ﴿تَزيغ﴾ بالتاء من فوق على لفظ القلوب، وروي عن أبي عمرو أنه كان يدغم الدال في التاء، وقرأ حمزة وحفص عن عاصم والأعمش والجحدري: ﴿يَزِيغُ﴾ بالياء(٥) على معنى جمع القلوب.

---

(١) هذا الحديث أخرجه ابن إسحاق في السيرة ص (١٠٢٨)، من طريق محمود بن لبيد، عن رجال من بني عبد الأشهل، به.

(٢) في المطبوع: «أذرج» بالذال، وفي أحمد٣: «أحرح»، وفي أكثر النسخ الخطية: «أدرج»، وفي معجم البلدان (١/ ١٢٩): أذرح: اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة، ثم من نواحي البلقاء وعمَّان مجاورة لأرض الحجاز.

(٣) معضل، هذا الحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٢٨٠)، من طريق موسى بن عقبة، معضلاً به.

(٤) نقله عنه في البحر المحيط (٥/ ٥١٨).

(٥) فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٠)، وموافقة الأعمش في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٠٨) والجحدري في تفسير الثعلبي (٥/ ١٠٥)، وانظر إدغام أبي عمرو للكبير على قاعدته في التيسير (ص: ٢٥).

وقرأ ابن مسعود: (من بعد ما زاغت قلوب فريق)، وقرأ أبي بن كعب: (من بعد ما كادت تزيغ)[(١)].

وأما ﴿كَادَ﴾ فيحتمل أن يرتفع بها ثلاثة أشياء:

أولها وأقواها: القصة والشأن، هذا مذهب سيبويه، وترتفع القلوب على هذا بـ﴿تزيغ﴾.

والثاني: أن يرتفع بها ما يقتضيه ذكر المهاجرين والأنصار أولاً، ويقدر ذلك: القوم، فكأنه قال: من بعد ما كاد القوم تزيغ قلوب فريق منهم.

والثالث: أن يرتفع بها القلوب، ويكون في قوله: ﴿تزيغ﴾ ضمير القلوب، وجاز ذلك تشبيهاً بـ﴿كَانَ﴾ في قوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] وأيضاً فلأن هذا التقديمَ للخبر يراد به التأخير، وشبِّهت ﴿كَادَ﴾ بـ﴿كَانَ﴾ للُزوم الخبر لها، قال أبو علي: ولا يجوز ذلك في عسى[(٢)].

ثم أخبر عز وجل أنه تاب أيضاً على هذا الفريق وراجع به، وآنس بإعلامه للأمة بأنه رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، والثلاثة هم كعب بن مالك وهلال بن أمية الواقفي ومُرارة ابن الربيع العامري، ويقال: ابن ربيعة، ويقال: ابن ربعي، وقد خرَّج حديثهم بكماله البخاري ومسلم[(٣)]وهو في السِّير[(٤)]، فلذلك اختصرنا سَوقه، وهم الذين تقدم فيهم: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ [التوبة: ١٠٦].

ومعنى ﴿خُلِّفُواْ﴾: أخروا وتُرك أمرهم ولم تقبل منهم معذرة ولا ردت عليهم، فكأنهم خلفوا عن المعتذرين، وقيل: معنى ﴿خُلِّفُواْ﴾: أي عن غزوة تبوك، قاله قتادة[(٥)]،

(١) وهما شاذتان، انظر الأولى في كتاب المصاحف (ص: ١٧٧)، والثانية في البحر المحيط (٥/ ٥١٩).

(٢) انظره مع جميع ما ذكر من أحوال كاد في الحجة للفارسي (٤/ ٢٣٥).

(٣) البخاري (٤١٥٦) ومسلم (٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

(٤) انظر سيرة ابن هشام (٥/ ٢١٣).

(٥) تفسير الطبري (١٤/ ٥٤٦).

وهذا ضعيف وقد رده كعب بن مالك بنفسه وقال: «معنى خُلِّفُوا تركوا عن قبول العذر وليس بتخلفنا عن الغزو»(١)، ويقوي ذلك من اللفظة(٢) جعلُه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ﴾ غايةً للتخليف ولم يكن ذلك عن تخليفهم عن الغزو، وإنما ضاقت عليهم الأرض عن تخليفهم عن قبول العذر.

وقرأ الجمهور: ﴿خُلِّفُواْ﴾ بضم الخاء وشد اللام المكسورة.

وقرأ عكرمة بن هارون المخزومي(٣) وزر بن حبيش وعمرو بن عبيد وأبو عمرو أيضا: (خَلَفوا) بفتح الخاء واللام غير مشددة(٤).

وقرأ أبو مالك: (خُلِفوا) بضم الخاء وتخفيف اللام المكسورة(٥).

وقرأ أبو جعفر محمد بن علي وعلي بن الحسين وجعفر بن محمد وأبو عبد الرحمن: (خالفوا) والمعنى قريب من التي قبلها(٦)، وقال أبو جعفر: ولو خلِّفوا لم يكن لهم ذنب(٧).

وقرأ الأعمش: (وعلى الثلاثة المخلفين)(٨).

---

(١) في الحديث المشار له سابقاً، وانظر هذه اللفظة في البخاري (٤١٥٦)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٢) «من اللفظة» ساقطة من المطبوع.

(٣) كذا في جميع النسخ، وتابعه في البحر المحيط (٥/ ٥١٩)، وتابعيه، والصواب: عكرمة بن خالد بن العاص، أبو خالد المخزومي المكي، كما في مختصر الشواذ (ص: ٦٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٢٦٥)، وهو تابعي ثقة جليل حجة، روى القراءة عرضاً عن أصحاب ابن عباس ولا يبعد أن يكون عرض عليه فقد روى عنه كثيراً، توفي سنة (١١٥هـ). غاية النهاية (١/ ٥١٥).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهم في المحتسب (١/ ٣٠٥)، ومختصر الشواذ (ص: ٦٠)، وفي نجيبويه: «وزيد»، بدل «زر».

(٥) وهي شاذة، تابعه في البحر المحيط (٥/ ٥١٩)، وفي معاني القرآن للنحاس (٣/ ٢٦٤): كان أبو مالك يقول: خلفوا عن التوبة.

(٦) وهي شاذة، انظر عزوها للأربعة في المحتسب (١/ ٣٠٥).

(٧) نقله عنه في البحر المحيط (٥/ ٥١٩).

(٨) وهي شاذة مخالفة للرسم، انظر عزوها له في تفسير الثعلبي (٥/ ١٠٥)، والكشاف للزمخشري (٢/ ٣١٨).

وقوله: ﴿بِمَا رَحُبَتۡ﴾ معناه: برُحْبها، كأنه قال: على ما هي في نفسها رحبة، فـ(ما) مصدرية، ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ استعارة لأن الغم والهم ملأها، وَ(ظَنُّوا) في هذه الآية بمعنى: أيقنوا وحصل علم لهم[١].

وقوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ لما كان هذا القول في تعديد نعمه بدأ في ترتيبه بالجهة التي هي عن الله عز وجل ليكون ذلك منبهاً على تلقِّي النعمة من عنده لا رب غيره، ولو كان القول في تعديد ذنب لكان الابتداء بالجهة[٢] التي هي عن المذنب[٣] كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف: ٥] ليكون هذا أشدَّ تقريراً للذنب عليهم، وهذا من فصاحة القرآن وبديع نظمه ومعجز اتساقه.

وبيان هذه الآية ومواقع ألفاظها إنما يكمل مع مطالعة حديث الثلاثة الذين خلِّفوا في الكتب التي ذكرنا، وإنما عظُم ذنبهم واستحقوا عليه ذلك لأن الشرع يطلبهم[٤] من الجد فيه بحسب منازلهم منه وتقدمهم فيه إذ هم أسوة وحجة للمنافقين والطاعنين[٥]، إذ كان كعب من أهل العقبة وصاحباه من أهل بدر.

وفي هذا ما يقتضي أن الرجل العالم والمقتدى به أقلُّ عذراً في السقوط من سواه، وكتب الأوزاعي رحمه الله إلى المنصور أبي جعفر في آخر رسالة: «واعلم أن قرابتك من رسول الله ﷺ لن تزيد حق الله عليك إلا عظماً، ولا طاعته إلا وجوباً، ولا الناسَ فيما خالف ذلك منك إلا إنكاراً، والسلام»[٦]، ولقد أحسن القاضي التنوخي في قوله:

[الكامل] .... وَالْعَيْـبُ يَعْلَـقُ بالكبيـر كبيـر[٧]

---

(١) في أحمد٣ والمطبوع: «علما لهم»، بالنصب.
(٢) في نجيبويه: «بالجملة».
(٣) في الأسدية: «الموت»، وفي نجيبويه وأحمد٣: «الذنب».
(٤) في المطبوع: «يطالبهم».
(٥) في التركية: «الطاغين».
(٦) انظر رسالة الأوزاعي في: تاريخ ابن عساكر (٣٥/ ٢١٣)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٢٥).
(٧) صدره: لولا الحياء وأنني مشهور، انظر عزوه له البحر في المحيط (٥/ ٥٢١)، ونسبه في زهر =

وفي بعض طرق حديث الثلاثة: أن رسول الله ﷺ كان ليلة نزول توبتهم في بيت أم سلمة، وكانت لهم صالحةً، فقال لها رسول الله ﷺ: «يا أمَّ سلمة: تيب على كعب بن مالك وصاحبيه»، فقالت: يا رسول الله، ألا أبعث إليهم؟ فقال: «إذاً يَحطمكم الناس سائر الليلة فيمنعوكم النوم»(١).

وقوله تعالى /: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، هذا [٢/ ٢٧١] الأمر بالكون مع أهل الصدق حسن بعد قصة الثلاثة حين نفعهم الصدق، وذهب بهم عن منازل المنافقين، فجاء هذا الأمر اعتراضاً في أثناء الكلام إذ عنَّ في القصة ما يجب التنبيه على امتثاله، وقال ابن جريج وغيره: الصدق في هذه الآية هو صدق الحديث(٢)، وقال نافع والضحاك ما معناه: أن اللفظ أعم من صدق الحديث(٣)، وهو بمعنى الصحة في الدين والتمكن في الخير، كما تقول العرب: عُود صدقٍ، ورجل صدق، وقالت هذه الفرقة: كونوا مع محمد وأبي بكر وعمر وأخيار المهاجرين الذين صدَقوا الله في الإسلام، و﴿مَعَ﴾ في هذه الآية تقتضي الصحبة في الحال والمشاركة في الوصف المقتضي للمدح.

وقرأ ابن مسعود وابن عباس: و(كونوا من الصادقين)(٤)، ورويت عن النبي ﷺ(٥).

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يتأوله في صدق الحديث، وروي عنه أنه قال:

= الآداب وثمر الألباب (٣/ ٨٨٣) للفقيه منصور بن إسماعيل بن عيسى بن عمر التيمي، قال: على أنّ أكثر الناس يرويه لإبراهيم بن المهدي، وهو الصحيح.

(١) البخاري، أخرجه (٤٤٠٠) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٢) انظر قول ابن جريج في: النكت والعيون (٢/ ٤١٤).

(٣) انظر قول نافع والضحاك في: تفسير الطبري (١٤/ ٥٥٨).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لابن مسعود في تفسير الطبري (١٤/ ٥٥٩)، ولابن عباس في البحر المحيط (٥/ ٥٢٢).

(٥) لم أجده.

«الكذب لا يصلح منه جدٌّ ولا هزل، اقرؤوا إن شئتم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾»[١].

قوله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

هذه معاتبة للمؤمنين من أهل يثرب وقبائل العرب المجاورة لها على التخلف عن رسول الله ﷺ في غزوه، وقوة الكلام تعطي الأمر بصحبته أنَّى توجَّهَ[٢] غازياً، وبذلَ النفوس دونه.

واختلف المتأولون فقال قتادة: كان هذا الإلزام خاصّاً مع النبي ﷺ ووجوب النفر إلى الغزو إذا خرج هو بنفسه، ولم يبق هذا الحكم مع غيره من الخلفاء[٣].

وقال زيد بن أسلم: كان هذا الأمر والإلزام في قلة الإسلام والاحتياج إلى اتصال الأيدي، ثم نسخ عند قوة الإسلام بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله في الانبعاث إلى غزو العدو على الدخول في الإسلام، وأما إذا ألَمَّ العدو بجهة فمتعيِّن على كل أحد القيامُ بذبه ومكافحته[٥].

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ﴾ فمعناه: أن لا يتحمل رسول الله ﷺ في الله

(١) فيه انقطاع، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ٥٥٩-٥٦٠)، من طريق أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه رضي الله عنه، به. وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه على الراجح، انظر: جامع التحصيل (٣٢٤).

(٢) في المطبوع: «إلى توجُّهه».

(٣) انظر قول قتادة في تفسير الطبري (١٤/ ٥٦٢).

(٤) انظر قول زيد بن أسلم في: تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٠٧).

(٥) انظر حكاية الإجماع على ذلك في: الإقناع (٣/ ١٠١٥).

مشقة ويجودَ بنفسه في سبيل الله فيقعَ منهم شح على أنفسهم ويكعُّون[1] عما دخل هو فيه.

ثم ذكر تعالى لِم لَم يكن لهم التخلف عن رسول الله ﷺ، بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الآية.

والنصَب: التعب، ومنه قول النابغة:

كِلِينِـي لِهَـمٍّ يـا أمَيْمَـةَ نَاصِبِ[2] .... [الطويل]

أي: ذي نَصَبٍ، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢].

والمخمصة مفعلة من خموص[3] البطن وهي ضموره، واستعير ذلك لحالة الجوع إذ الخموص ملازم له، ومن ذلك قول الأعشى:

تَبِيتُـونَ فِي المَشْـتَى مِـلاءً بُطُونُكُـمْ وَجَارَاتُكُـمْ غَرْثَـى يَبِتْـنَ خَمَائِصَا[4] [الطويل]

ومنه أخمص القدم، والخمصانة من النساء.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾ أي: ولا ينتهون من الأرض منتهًى مؤذياً للكفار، وذلك هو الغائظ[5]، ومنه في «المدونة»: «كنا لا نتوضأ من موطئ» من قول ابن مسعود[6].

---

(١) في الأسدية ونجيبويه: «يكفون».

(٢) تمامه: وليل أقاسيه بطيء الكواكب، انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ١٨٤)، والعين (١/ ١٣٧)، والكتاب لسيبويه (٢/ ٢٠٧).

(٣) في المطبوع: «خمص».

(٤) تقدم في تفسير الآية (٣) من سورة المائدة.

(٥) في المطبوع: الغائط.

(٦) المدونة (١/ ١٢٧)، والأثر منقطع، أخرجه أبو داود (٢٠٤)، وابن ماجه (١٠٤١) وابن خزيمة (٣٧) من طريق أبي معاوية، وشريك، وجرير، وعبد الله بن إدريس، وسفيان - مفرقين ـ عن الأعمش، عن شقيق أبي وائل، عن ابن مسعود به، قال أبو داود: قال إبراهيم بن أبي معاوية فيه: عن الأعمش، عن شقيق، عن مسروق، أو حدثه عنه. قال: قال عبد الله. وقال هناد: عن شقيق، أو حدثه عنه، وفي رواية أبي معاوية عند ابن خزيمة: حدثنا الأعمش قال: حدثني شقيق أو حدثت عنه، عن عبد الله، قال ابن خزيمة: وهذا الخبر له علة: لم يسمعه الأعمش عن شقيق.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ لفظ عام لقليلِ ما يصنعه المؤمنون بالكفرة من أخذِ مال أو إيرادِ هوان وكثيرِه، والنيل مصدر نال ينال وليس من قولهم: نُلت أنوله نولاً ونوالاً، وقيل: هو منه، وبدلت الواو ياء لخفتها هنا وهذا ضعيف، والطبري قد ذكر نحوه وضعفه وقال: ليس ذلك المعروفَ من كلام العرب[1].

وقوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾ الآية، قدم الصغيرة للاهتمام، أي: إذا كتبت الصغيرة فالكبيرة أحرى، والوادي: ما بين جبلين كان فيه ماءٌ أو لم يكن، وجمعه أودية، وليس في كلام العرب فاعل وأفعلة إلا في هذا الحرف وحده، وفي الحديث: «ما ازداد قوم من أهليهم في سبيل الله بعدا إلا ازدادوا من الله قرباً»[2].

قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾.

قالت فرقة: سبب هذه الآية أن المؤمنين الذين كانوا بالبادية سكاناً ومبعوثين لتعليم الشرع لما سمعوا قول الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ أهمهم ذلك، فنفروا إلى المدينة إلى رسول الله ﷺ خشيةَ أن يكونوا مذنبين في التخلف عن الغزو، فنزلت هذه الآية في نفرهم ذلك.

وقالت فرقة: سبب هذه الآية أن المنافقين لما نزلت الآيات في المتخلفين[3] قالوا: هلك أهل البوادي، فنزلت هذه الآية مقيمةً لعذر أهل البوادي[4]، فيجيء قوله

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٥٦٤).
(٢) هذا الأثر ورد من قول قتادة، ولم أقف عليه مرفوعاً، انظر تفسيري ابن جرير (١٤/ ٥٦٥) وابن أبي حاتم (١٠١١٣).
(٣) في الأسدية: «المنافقين».
(٤) مرسل، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٤/ ٥٧٠) من طريق عكرمة، مرسلاً به.

تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم﴾ عموم في اللفظ والمراد به في المعنى الجمهور والأكثر، وتجيء هذه الآية مبينة لذلك مطردة الألفاظ متصلة المعنى من قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ إلى قوله: ﴿يَحْذَرُونَ﴾ بيّن في آخر الآية العموم الذي في أولها إذ هو معرَّض أن يُتأول فيه ألا يتخلف بشر.

والتفقه هو من النافرين، والإنذار هو منهم، والضمير في ﴿رَجَعُوٓاْ﴾ لهم أيضاً.

وقالت فرقة: هذه الآية ليست في معنى الغزو، وإنما سببها أن قبائل من العرب لما دعا رسول الله ﷺ على مضر بالسنين أصابتهم مجاعة وشدة، فنفروا إلى المدينة لمعنى المعاش، فكادوا أن يفسدوها، وكان أكثرهم غير صحيح الإيمان وإنما أضرعه الجوع، فنزلت الآية في ذلك، فقال: وما كان مَنْ صفتُه الإيمان لينفر مثل هذا النفر[1]، أي: ليس هؤلاء المؤمنين[2]/ . [٢/ ٢٧٢]

وقال ابن عباس ما معناه: إن هذه الآية مختصة بالبعوث والسرايا، والآية المتقدمة ثابتة الحكم مع خروج رسول الله ﷺ في الغزو، وهذه ثابتة الحكم مع تخلفه، أي: يجب إذا تخلف ألا ينفر الناس كافة فيبقى هو منفرداً، وإنما ينبغي أن تنفر طائفة وتبقى طائفة لتتفقه هذه الباقية في الدين، وينذروا النافرين إذا رجع النافرون إليهم[3].

وقالت فرقة: هذه الآية ناسخة لكل ما ورد من إلزام الكافة النفير والقتال.

والضمير في قوله: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ﴾ عائد أيضاً على هذا التأويل على الطائفة المتخلفة مع النبي ﷺ، وهو على القول الأول في ترتيبنا هذا عائد على الطائفة النافرة، وكذلك يترتب عوده مع بعض الأقوال على هذه ومع بعضها على هذه.

والجمهور على أن التفقه إنما هو بمشاهدة رسول الله ﷺ وصحبته.

---

(١) في الأسدية والتركية ونجيبويه: «النفير».

(٢) انظر الأقوال الثلاثة المذكورة في سبب نزول الآية والقول المنسوب لابن عباس في: تفسير الطبري (١٤/ ٥٦٦-٥٧٠).

(٣) هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ٥٦٩) من طريق: عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

وقالت فرقة: يشبه أن يكون التفقه في الغزو في السرايا لما يرون من نصرة الله لدينه، وإظهاره العدد القليل من المؤمنين على الكثير من الكافرين، وعلمِهم بذلك صحة دين الإسلام ومكانته من الله تعالى، ورجحه الطبري وقوّاه[١]، والآخر أيضاً قوي.

والضمير في قوله: ﴿وَلِيُنذِرُواْ﴾ عائد على المتفقهين بحسب الخلاف، والإنذار عامٌّ للكفر والمعاصي والحذر منها أيضاً كذلك.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ الآية، قيل: هذه الآية نزلت قبل الأمر بقتال الكفار كافة فهي من التدريج الذي كان في أول الإسلام، وهذا قول يضعفه أن هذه الآية من آخر ما نزل.

وقالت فرقة: إنما كان رسول الله ﷺ ربما تجاوز قوماً من الكفار غازياً لقوم آخرين أبعد منهم، فأمر الله تعالى بغزو الأدنى فالأدنى إلى المدينة[٢]، وقالت فرقة: الآية مبينة صورة القتال كافة وهي مترتبة مع الأمر بقتال الكفار كافة، ومعناها: أن الله تبارك وتعالى أمر فيها المؤمنين أن يقاتل كل فريق منهم الجنس الذي يصاقبه[٣] من الكفرة، وهذا هو القتال لكلمة الله وردّ الناس إلى الإسلام، وأما إذا مال العدو إلى صقع من أصقاع المسلمين ففرضٌ على من اتصل به من المسلمين كفاية عدو ذلك الصقع وإن بعدت الدار ونأت البلاد، وقال قائلو هذه المقالة: نزلت الآية مشيرة إلى قتال الروم بالشام؛ لأنهم كانوا يومئذ العدو الذي يلي ويقرُب، إذ كانت العرب قد عمها الإسلام وكانت العراق بعيدة، ثم لما اتسع نطاق الإسلام توجه الفرض في قتال الفرس والديلم وغيرهما من الأمم، وسأل ابنَ عمر رجلٌ عن قتال الديلم فقال: عليك بالروم[٤].

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٥٧١).

(٢) لم أجد هذا القول بهذا السياق.

(٣) أي: يجاوره، وفي التركية: «يعاقبه».

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ٥٧٥) وفي إسناده من لم يُسم.

وقال الحسن: هم الروم والديلم، يعني في زمنه ذلك، وقاله علي بن الحسين.

وقال ابن زيد: المراد بهذه الآية وقت نزولها العرب، فلما فرغ منهم نزلت في الروم وغيرهم: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩][1].

وقرأ جمهور الناس: ﴿غِلْظَةً﴾ بكسر الغين.

وقرأ المفضل عن عاصم والأعمش: (غَلظة) بفتحها[2].

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وأبان بن تغلب وابن أبي عبلة: (غُلظة) بضمها، وهي قراءة أبي حيوة، ورواها المفضل عن عاصم أيضا[3].

قال أبو حاتم: رويت الوجوه الثلاثة عن أبي عمرو[4]، وفي هاتين القراءتين شذوذ، وهي لغات[5].

ومعنى الكلام: وليجدوا فيكم خشونة وبأساً، وذلك مقصود به القتال، ومنه العَذاب الغَلِيظ، و﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾، و﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾[6] في صفة الزبانية، و«غلظت علينا كدية في حفر الخندق»[7] إلى غير ذلك.

---

(١) انظر الأقوال الثلاثة في: تفسير الطبري (١٤/ ٥٧٤-٥٧٦).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظرها في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٣٨)، مختصر الشواذ (ص: ٦٠).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لأبان في مختصر الشواذ (ص: ٦٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٣٨)، وللسلمي في الشواذ للكرماني (ص: ٢٢٣)، وللأربعة في البحر المحيط (٥/ ٥٢٨).

(٤) انظر الوجوه الثلاثة لأبي عمرو في البحر المحيط (٥/ ٥٢٨)، دون ذكر لأبي حاتم.

(٥) قال الفراء: لغة أهل الحجاز وبني أسد «غلظة» بكسر الغين، ولغة تميم «غلظة» بضم الغين. إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٣٨).

(٦) الأولى في آل عمران: (١٢٩)، والثانية في التحريم (٦)، والعذاب الغليظ في إبراهيم: (١٧)، ولقمان: (٢٤)، وفصلت: (٥٠)، وهود: (٥٨).

(٧) البخاري، أخرجه (٣٨٧٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، مرفوعاً به.

ثم وعد تعالى في آخر الآية وحض على التقوى التي هي ملاك الدين والدنيا وبها يلقى العدو، وقد قال بعض الصحابة: «إنما تقاتلون الناس بأعمالكم»[(١)]، وأهلها هم المجدُّون في طرق الحق، فوعد تعالى أنه مع أهل التقوى ومن كان الله معه فلن يُغلب.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ (١٢٥) أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦)﴾.

هذه الآية نزلت في شأن المنافقين، والضمير في قوله: ﴿فَمِنْهُم﴾ عائد على المنافقين.

وقوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ يحتمل أن يكون لمنافقين مثلهم، ويحتمل أن يكون لقوم من قراباتهم من المؤمنين يستنيمون إليهم ويثقون بسترهم عليهم ويطمعون في ردهم إلى النفاق، ومعنى ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ الاستخفاف والتحقير لشأن السورة كما تقول أي غريب في هذا أو أي دليل، ثم ابتدأ عز وجل الرد عليهم والحكم بما يهدم لبسهم فأخبر أن المؤمنين الموقنين[(٢)] قد زادتهم إيماناً وأنهم يَسْتَبْشِرُونَ من ألفاظها ومعانيها برحمة الله ورضوانه.

والزيادة في الإيمان موضع تخبط للناس وتطويل، وتلخيص القول فيه أن الإيمان الذي هو نفس التصديق ليس مما يقبل الزيادة والنقص في نفسه، وإنما تقع الزيادة في المصدق به، فإذا نزلت سورة من الله تعالى، حدث للمؤمنين بها تصديق خاص لم يكن

---

(١) في صحة إسناده نظر، هذا الأثر أخرجه ابن المبارك في كتاب الجهاد (٥)، من طريق سعيد بن عبد العزيز، عن ربيعة بن يزيد، أو ابن حلبس، عن أبي الدرداء رضي الله عنه به، قلت: فإن كان من طريق ربيعة، فهو منقطع، نص عليه ابن حجر في الفتح (٦/ ٣٠)، وإن كان من طريق ابن حلبس، وهو يونس بن ميسرة بن حلبس، فلم أجد من نص على روايته عن أبي الدرداء، وإنما عن أم الدرداء.

(٢) الموقنين ساقطة من المطبوع وأحمد٣.

قبل [فزاد ذلك فيما صدقوا به من قبل][1]، فتصديقهم بما تضمنته السورة من إخبار وأمر ونهي أمر زائد على الذي كان عندهم قبل، فهذا وجه من زيادة الإيمان.

ووجه آخر أن السورة ربما تضمنت دليلاً أو تنبيهاً عليه فيكون المؤمن قد عرف الله بعدة أدلة، فإذا نزلت السورة زادت في أدلته، وهذه أيضا جهة أخرى من الزيادة، وكلها خارجة عن نفس التصديق إذا حصل تاماً، فإنه ليس يبقى فيه موضع زيادة.

ووجه آخر من وجوه الزيادة أن الرجل ربما عارضه شك يسير أو لاحت له شبهة مشغبة فإذا نزلت السورة ارتفعت تلك الشبهة واستراح منها، / فهذا أيضاً زيادة في [٢/ ٢٧٣] الإيمان إذ يرتقي اعتقاده عن مرتبة معارضة تلك الشبهة إلى الخلوص منها.

وأما على قول من يسمي الطاعات إيماناً وذلك مجاز عند أهل السنة[2] فتترتب الزيادة بالسورة إذ تتضمن أوامر ونواهي وأحكاماً، وهذا حكم من يتعلم العلم في معنى زيادة الإيمان ونقصانه إلى يوم القيامة، فإن تعلم الإنسان العلم بمنزلة نزول سورة القرآن.

و﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ هم المنافقون، وهذا تشبيه، وذلك أن السالم المعتقَدِ المنشرح الصدر بالإيمان يشبهه الصحيح، والفاسد المعتقد يشبهه المريض، ففي العبارة مجاز فصيح لأن المرض والصحة إنما هي خاصة في الأعضاء، فهي في المعتقدات مجاز.

والرجس في هذه الآية عبارة عن حالهم التي جمعت معنى الرجس في اللغة، وذلك أن الرجس في اللغة يجيء بمعنى القذر ويجيء بمعنى العذاب، وحال هؤلاء المنافقين هي قذر وهي عذاب عاجل كفيل بآجل، وزيادة الرجس إلى الرجس هي عمههم[3] في الكفر وخبطهم في الضلال، يعاقبهم الله على الكفر والإعراض بالختم

(١) ما بين معقوفين زيادة من نجيبويه، وكذا نور العثمانية، إلا أن فيها: فزاد ذلك فيما... إلخ.
(٢) الصحيح أن الأعمال جزء من مسمى الإيمان حقيقة انظر «الإيمان» الأبي عبيد (ص١٠).
(٣) في الأسدية: «عمهم»، وفي التركية ونجيبويه: «غمهم».

على قلوبهم والحتم[١] بالنار عليهم، وإذ[٢] كفروا بسورة فقد زاد كفرهم فذلك زيادة رجس إلى رجسهم.

وقوله: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ الآية، قرأ الجمهور: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ بالياء على معنى: أولا يرى المنافقون، وقرأ حمزة وحده: ﴿أولا ترون﴾ بالتاء[٣] على معنى: أولا ترون أيها المؤمنون، فهذا تنبيه للمؤمنين.

وقرأ ابن مسعود وأبي بن كعب والأعمش: (أولا ترى)[٤] أي: أنت يا محمد.

وروي عن الأعمش أيضا أنه قرأ: (أولم تروا)[٥]، وذكر عنه أبو حاتم: (أولم يروا)[٦].

وقال مجاهد: ﴿يُفْتَنُونَ﴾ معناه: يُختبرون بالسَّنة والجوع، وحكى عنه النقاش أنه قال[٧]: مرضة أو مرضتين، وقال الحسن بن أبي الحسن وقتادة: معناه: يختبرون بالأمر بالجهاد[٨]، والذي يظهر مما قبل الآية ومما بعدها أن الفتنة والاختبار إنما هي بكشف الله تعالى أسرارَهم وإفشائه عقائدهم، فهذا هو الاختبار الذي تقوم عليه الحجة برؤيته وترك التوبة، وأما الجهاد أو الجوع فلا يترقب[٩] معهما ما ذكرناه، فمعنى الآية على هذا: أفلا[١٠] يزدجر هؤلاء الذين تفضح سرائرهم كل سنة مرة أو مرتين

---

(١) في نجيبويه: «الختم».

(٢) في الأسدية والتركية وأحمد٣ ونجيبويه: «إذا».

(٣) وهما سبعيتان. انظر: التيسير (ص: ١٢٠).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لابن مسعود في معاني القرآن للفراء (١/ ٤٥٥)، وللباقين في البحر المحيط (٥/ ٥٣٠).

(٥) انظر هذه القراءة عن الأعمش في: تفسير الثعلبي (٥/ ١١٣)، وهي قراءة شاذة.

(٦) في الأصل ونجيبويه والتركية: «أولم تر»، والمثبت هو الموافق لما في البحر المحيط (٥/ ٥٣٠).

(٧) سقطت من الأصل، وفي نجيبويه وأحمد٣: «قرأ».

(٨) انظر قول مجاهد والحسن وقتادة في: تفسير الطبري (١٤/ ٥٨٠)، وانظر ما حكاه النقاش عن مجاهد في: البحر المحيط (٥/ ٥٣٠).

(٩) في نجيبويه: «يترتب».

(١٠) أي: «أفلا».

بحسب واحد واحد(١)، ويعلمون أن ذلك من عند الله فيتوبون ويتذكرون وعد الله ووعيده، وأما الاختبار بالمرض فهو في المؤمنين، وقد كان الحسن ينشد:

أَفِي كُلِّ عَامٍ مَرْضَةٌ ثُمَّ نَقْهَةٌ فَحَتَّى مَتَى حَتَّى مَتَى وَإِلَى مَتَى(٢) [الطويل]

وقالت فرقة: معنى ﴿يُفْتَنُونَ﴾ بما يشيعه المشركون على رسول الله ﷺ من الأكاذيب، فكان الذين في قلوبهم مرض يفتنون في ذلك، وحكى الطبري هذا القول عن حذيفة(٣)، وهو غريب(٤) من المعنى.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾.

الضمير في قوله: ﴿بَعْضُهُمْ﴾ عائد على المنافقين، والمعنى: وإذا ما أنزلت سورة فيها فضيحة أسرارهم نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ على جهة التقرير(٥)، يفهم من تلك النظرة التقرير: هل معكم من ينقل عنكم؟ هل يراكم من أحد حين تدبرون أموركم؟.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ﴾ معناه: عن طريق الاهتداء، وذلك أنهم حين ما يبيَّن لهم كشف أسرارهم والإعلام بمغيبات أمورهم يقع لهم لا محالة تعجب

(١) «واحد» الثانية من الأسدية والتركية.

(٢) البيت لعمران بن حطّان كما في أساس البلاغة (٢/ ٢٠٦)، ومحاضرات الأدباء (١/ ٥٠٨)، وتاريخ دمشق (٥/ ١٤٦)، وعجزه عندهم: وتنعى ولا تُنعَى فكم ذا إلى متى، وجاء في الأغاني (١٨/ ١٥٨) أن أبا العيص أنشده في مرضه.

(٣) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ٥٨١)، من طريق شريك، عن جابر، عن أبي الضحى، عن حذيفة، به، وشريك، هو النخعي، وشيخه جابر هو الجعفي، وكلاهما ضعيف الحديث.

(٤) في التركية: «قريب».

(٥) في الأصل: «التقريب».

وتوقف ونظرٌ[١]، فلو اهتدوا لكان ذلك الوقتُ مظنة ذلك، فهم إذ يصممون على الكفر ويرتبكون[٢] فيه كأنهم انصرفوا عن تلك الحال التي كانت مظنة النظر الصحيح والاهتداء، وابتدئ بالفعل المسند إليهم إذ هو تعديد ذنب على ما قد بيناه.

وقوله: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ يحتمل أن يكون دعاء عليهم، ويحتمل أن يكون خبراً، أي: استوجبوا ذلك ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾، أي: لا يفهمون عن الله ولا عن رسوله.

وأسند الطبري في تفسير هذه الآية عن ابن عباس أنه قال: «لا تقولوا انصرفنا من الصلاة، فإن قوماً انصرفوا فصرف الله قلوبهم، ولكن قولوا: قضينا الصلاة»[٣].

قال القاضي أبو محمد: فهذا النظر الذي في هذه الآية هو إيماء، وحكى الطبري عن بعضهم أنه قال: ﴿نَّظَرَ﴾ في هذه الآية في موضع قال[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ﴾ مخاطبة للعرب في قول الجمهور، وهذا على جهة تعديد النعمة عليهم في ذلك، إذ جاء بلسانهم وبما يفهمونه من الأغراض والفصاحة وشرفوا به غابر الأيام، وقال الزجَّاج: هي مخاطبة لجميع العالم، والمعنى: لقد جاءكم رسول من البشر[٥]، والأول أصوب.

---

(١) في المطبوع: «وتوقف نظر».

(٢) في الأسدية، ونور العثمانية والمطبوع: «يرتكبون».

(٣) ضعيف، هذا الأثر أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٣٧٨)، والبخاري في الكبير (٦/ ٥٣٧) كلاهما من طريق أبي إسحاق السبيعي، قال: أخبرني أبو هلال التغلبي، عن ابن عباس رضي الله عنه، به، وهذا إسناد ضعيف، من أجل أبي هلال، وهو عمير بن تميم بن يريم، ففيه جهالة، وأخرجه الطبري (١٤/ ٥٨٤) بإسناد فيه من لم يُسم، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠١٥٧) من طريق الأعمش، عن مسلم أبي الضحى، عن ابن عباس، به، وهذا إسناد ضعيف من أجل الأعمش، فهو مدلس، وقد عنعنه.

(٤) تفسير الطبري (١٤/ ٥٨٢-٥٨٣).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٧٧).

وقوله: ﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ يقتضي مدحاً لنسب النبي ﷺ، وأنه من صميم العرب وشرفها، وينظر إلى هذا المعنى قوله ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم»(١).

ومنه قوله ﷺ: «إني من نكاح ولست من سفاح»(٢)، معناه أن نسبه ﷺ إلى آدم عليه السلام لم يكن النسل فيه إلا من نكاح ولم يكن فيه زنى.

وقرأ عبد الله بن قُسيطٍ المكي: (من أنفَسكم) بفتح الفاء(٣) من النفاسة، ورويت عن النبي ﷺ، وعن فاطمة رضي الله عنها(٤)، ذكر أبو عمرو أن ابن عباس رواها عن النبي ﷺ(٥).

وقوله: ﴿مَا عَنِتُّمۡ﴾ معناه: عنتُكم، فـ﴿مَا﴾ مصدرية وهي ابتداء، و﴿عَزِيزٌ﴾ خبر مقدم، ويجوز أن يكون ﴿مَا عَنِتُّمۡ﴾ فاعلا بـ﴿عَزِيزٌ﴾، / و﴿عَزِيزٌ﴾ صفة للرسول، وهذا أصوب من الأول. [٢/ ٢٧٤]

والعنت: المشقة، وهي هنا لفظة عامة، أي: ما شق عليكم من كفر وضلال بحسب(٦) الحق، ومن قتلٍ أو(٧) إسار وامتحان بسبب الحق واعتقادكم أيضاً معه.

---

(١) مسلم، أخرجه (٢٢٧٦) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٢) لا يثبت، روي من عدة طرق، عن ابن عباس وعائشة وعلي وأبي هريرة وأنس، وبعضها واهي الإسناد وبعضها ضعيف، وأمثلها ما رواه عبد الرزاق (٧/ ٣٠٣) عن ابن جريج عن جعفر بن محمد عن أبيه أبي جعفر الباقر به مرسلاً. انظر: البدر المنير لابن الملقن (٧/ ٦٣٤).

(٣) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٠٦)، وعبد الله هذا هو والد يزيد بن عبد الله بن قسيط المدني الإمام المشهور.

(٤) انظر: مختصر الشواذ (ص: ٦١).

(٥) لم أقف عليه مسنداً.

(٦) في المطبوع والحمزاوية: «بسبب».

(٧) في الأسدية، والتركية: «و».

وقال قتادة: المعنى: عنت مؤمنيكم[(١)].

قال القاضي أبو محمد: وتعميم عنت الجميع أوجه.

وقوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ يريد: على إيمانكم وهداكم.

وقوله: ﴿رَءُوفٌ﴾ معناه: مبالغ في الشفقة، قال أبو عبيدة: الرأفة أرق الرحمة[(٢)].

وقرأ: ﴿رؤف﴾ دون مد الأعمش وأهل الكوفة وأبو عمرو[(٣)].

ثم خاطب النبي ﷺ، بعد تقريره عليهم هذه النعمة فقال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ يا محمد أي: أعرضوا بعد هذه الحال المتقررة التي منَّ الله عليهم بها ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ معناه: وأعمالك بحسب قولك من التفويض إلى الله والتوكل عليه والجد في قتالهم، وليست بآية موادعة لأنها من آخر ما نزل، وخصص الْعَرْش بالذكر إذ هو أعظم المخلوقات.

وقرأ ابن محيصن: (العظيمُ) برفع الميم صفة للرب، ورويت عن ابن كثير[(٤)].

وهاتان الآيتان لم توجدا حين جمع المصحف إلا في حفظ خزيمة بن ثابت ـ ووقع في البخاري: أو أبي خزيمة ـ فلما جاء بهما تذكرهما كثير من الصحابة، وقد كان زيد يعرفهما ولذلك قال: «فقدت آيتين من آخر سورة التوبة»[(٥)]، ولو لم يعرفهما لم يدر هل فقد شيئا أم لا؟ فإنما ثبتت الآية بالإجماع لا بخزيمة وحده.

وأسند الطبري في كتابه قال: «كان عمر لا يثبت آية في المصحف إلا أن يشهد

---

(١) انظر: قول قتادة في: تفسير الطبري (١٤/ ٥٨٦).

(٢) في المطبوع: «من الرحمة»، ولفظه في مجاز القرآن (١/ ٥٩): وهي أشدّ الرحمة.

(٣) فهي قراءة نصف السبعة: أبي عمرو وشعبة وحمزة والكسائي، كما تقدم بيانه في تفسير الآية (١٤٣) من سورة البقرة.

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لابن محيصن في إتحاف فضلاء البشر (١/ ٣٠٨)، ولرواية ابن كثير في مختصر الشواذ (ص: ٦١).

(٥) البخاري، أخرجه في صحيحه (٤٤٠٢).

عليها رجلان، فلما جاء خزيمة بهاتين الآيتين قال: والله لا أسألك عليهما بينة أبداً فإنه هكذا كان ﷺ»[١].

قال القاضي أبو محمد: يعني صفة النبي ﷺ التي تضمنتها الآية، وهذا والله أعلم قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مدة أبي بكر حين الجمع الأول، وحينئذ فقدت الآيتان، ولم يجمع من القرآن شيء في خلافة عمر.

وخزيمة بن ثابت هو المعروف بذي الشهادتين، وعرف بذلك لأن رسول الله ﷺ أمضى شهادته وحده في ابتياع فرس وحكم بها لنفسه ﷺ [٢]، وهذا خصوص لرسول الله ﷺ.

وذكر النقاش عن أبيّ بن كعب أنه قال: أقرب القرآن عهداً بالله تعالى هاتان الآيتان ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إلى آخر الآية[٣].

---

(١) في اتصاله نظر، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٤/ ٥٨٨)، عن ابن وكيع، عن سفيان، عن عمرو، عن عبيد بن عمير، عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، به. وابن وكيع هو سفيان، متفق علي ضعفه، وقد خالفه سعيد بن منصور، فرواه في تفسيره (٥/ ٣٠٢)، عن سفيان، عن عمرو بن دينار، عن يحيى بن جعدة، عن عمر رضي الله عنه، به. وهذا أصح، ويحيى بن جعدة لم أجد من نص على روايته عن عمر، وهو يرسل عمن دونه، كابن مسعود، وغيره، انظر: جامع التحصيل (٨٧٠).

(٢) صحيح، هذا الحديث أخرجه أبو داود (٣٦٠٢)، والنسائي في المجتبى (٤٦٤٧)، كلاهما من طريقين صحيحين، عن الزهري، عن عمارة بن خزيمة، عن عمه رضي الله عنه، مرفوعاً به، وأصله في صحيح البخاري بدون قصة الفرس (٢٦٥٢).

(٣) في نجيبويه: «إلى آخر السورة»، وكذا أحمد٣، وفي هامشه: «بلغ»، والأثر لم أقف عليه مسنداً، وفي نجيبويه: «والله سبحانه وتعالى المستعان وعليه التكلان لا رب غيره ولا معبود سواه»، وفي الأسدية: «كملت سورة التوبة»، وفي المطبوع: «انتهى بعون الله وتوفيقه تفسير سورة التوبة، والحمد لله رب العالمين»، وفي الأصل: «كمل تفسير سورة التوبة وبكمالها نجز الجزء الثاني من المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز تأليف الشيخ الإمام القاضي أبي محمد بن عطية رضي الله عنه بين ظهري يوم الاثنين السادس والعشرين من ذي الحجة الحرام سنة ١١٠٣هـ ويتلوه في أول الثالث إن شاء الله سورة يونس عليه السلام، وعلى الله إكماله».

/ بسم الله الرَّحمن الرَّحيم وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الكريم [٣/ ١]

تفسير سورة يونس عليه السَّلام

هذه السورة هي مكيّة، قال مقاتل: إلا آيتين وهي قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ [يونس: ٩٤] نزلت بالمدينة، وقال الكلبي: هي مكية إلا قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ [يونس: ٤٠] نزلت في اليهود بالمدينة، وقالت فرقة: نزل من أولها نحو من أربعين آية بمكة وباقيها بالمدينة(١).

قوله عز وجل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾.

تقدم في أول سورة البقرة ذكر الاختلاف في فواتح السور، وتلك الأقوال كلها تترتب هنا، وفي هذا الموضع قول يختص به، قال ابن عباس(٢) وسالم بن عبد الله وابن

---

(١) انظر قول مقاتل في تفسيره (٢/ ٢٢٤)، وقول الكلبي في: تفسير القرطبي (٨/ ٣٠٤).

(٢) إسناده لين، هذا الأثر أخرجه ابن جرير (١٥/ ٩-١٠)، وابن أبي حاتم (١٠١٨٦) في تفسيريهما من طريق علي بن الحسين بن واقد، عن أبيه، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به، وهذا إسناد لين لحال علي بن الحسين.

جبير والشعبي: (الر) و(حم)[١] و(ن)[٢] هو الرحمن قطِّع اللفظ في أوائل هذه السور[٣].

واختلف عن نافع في إمالة الراء والقياسُ أن لا يمال، وكذلك اختلف القرّاء[٤].

وعلة من أمال الراء أن يدل بذلك على أنها اسم للحرف وليست بحرف في نفسها، وإنما الحرف (ر)[٥].

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ﴾ قيل: هو بمعنى: هذه، وقد[٦] يشبه أن يتصل المعنى بـ﴿تِلْكَ﴾ دون أن نقدرها بدل غيرها، والنظر في هذه اللفظة إنما يتركب على الخلاف في فواتح السور فتدبره.

﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال مجاهد وقتادة: المراد به التوراة والإنجيل، وقال مجاهد أيضاً وغيره: المراد به القرآن[٧]، وهو الأظهر.

و﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ فعيل بمعنى: محكَم، كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق: ٢٣] أي: معتدٌ معدّ.

ويمكن أن يكون حكيم بمعنى: ذو حكمة، فهو على النسب، وقال الطبري: فهو مثل أليم بمعنى مؤلم، ثم قال: هو الذي أحكمه وبيَّنه[٨].

قال القاضي أبو محمد: فساق قولين على أنهما واحد.

---

(١) بدأت بهذه اللفظة سور الحواميم وهي: غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف.

(٢) القلم: ١.

(٣) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري (١٥/ ١٠). وفي النسخ: «السورة».

(٤) حاصله كما في التيسير (ص: ١٢٠) أن ابن كثير وقالون وحفصاً قرؤوا بالفتح، وورشاً بين اللفظين، والباقين بالإمالة.

(٥) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٢٤٤).

(٦) في التركية: «وقيل».

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١١)

(٨) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٢).

وقوله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ الآية، قال ابن عباس[١] وابن جريج وغيرهما: سبب[٢] هذه الآية أن قريشاً استبعدوا أن يبعث الله رسولاً من البشر[٣].

وقال الزجاج: إنما عجبوا من إخباره أنهم يبعثون من القبور، إذ النذارة والبشارة تتضمنان ذلك، وكثر كلامهم في ذلك حتى قال بعضهم: أما وجد الله من يبعث إلا يتيم أبي طالب[٤]، ونحو هذا من الأقاويل التي اختصرتها لشهرتها، فنزلت الآية.

وقوله: ﴿أَكَانَ﴾ تقرير والمراد بـ(الناس) قائلو هذه المقالة، و﴿عَجَبًا﴾ خبر (كان) واسمها ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾.

وفي مصحف ابن مسعود: (أكان للناس عجب)[٥]، وجعل الخبر في قوله: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾.

والأول أصوب، لأن الاسم معرفة والخبر نكرة، وهذا القلب لا يصح ولا يجيء إلا شاذّاً، ومنه قول حسان:

.... يَكُونُ مِزاجَها عَسَلٌ ومَاءُ[٦] [الوافر]

ولفظة العجب هنا ليست بمعنى التعجب فقط، بل معناه: أوصَلَ إنكارهم وتعجبهم إلى التكذيب؟

وقرأت فرقة: (إلى رجْل) بسكون الجيم[٧].

---

(١) هذا الأثر أخرجه ابن جرير (١٥/ ١٣)، وابن أبي حاتم (١٠١٩٣) من طريق الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) في المطبوع: «نسبت»، ولعله خطأ.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٣).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٥).

(٥) وهي شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٤٠)، والهداية لمكي (٥/ ٣٢٠٩)، وتفسير الثعلبي (٥/ ١١٧).

(٦) تقدم في تفسير الآية (٣٥) من سورة الأنفال.

(٧) تفسير القرطبي (٨/ ٣٠٦) بلا نسبة.

ثم فسر الوحي وقسمه على النذارة للكافرين والبشارة للمؤمنين، والقدم هنا: ما قدّم، واختلف في المراد بها هاهنا، فقال ابن عباس[(١)] ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس وابن زيد: هي الأعمال الصالحة من العبادات، وقال الحسن بن أبي الحسن وقتادة: هي شفاعة محمد ﷺ، وقال زيد بن أسلم وغيره: هي المصيبة بمحمد ﷺ في موته[(٢)].

وقال ابن عباس أيضاً وغيره: هي السعادة السابقة لهم في اللوح المحفوظ[(٣)]، وهذا أليق الأقوال بالآية، ومن هذه اللفظة قول حسان:

[الطويل] لَنَا القَدَمُ الأُولَى إِلَيْكَ وَخَلْفُنَا ... لأَوَّلِنَا فِي طَاعَةِ الله تَابِعُ[(٤)]

وقول ذي الرُّمة:

[الطويل] لَكُمْ قَدَمٌ لا يُنْكِرُ النَّاسُ أَنَّهَا ... مَعَ الحَسَبِ العَادِيِّ طَمَّتْ عَلَى البَحْرِ[(٥)]

ومن هذه اللفظة قول النبي ﷺ في صفة جهنم: «حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول: قَطْ قَطْ»[(٦)]، أي: ما قدَّم لها من خلقه[(٧)]، هذا على أن الجبار اسم الله تعالى، ومن جعله اسم جنس كأنه أراد الجبارين من بني آدم، فالقدم على هذا التأويل الجارحة.

والصدق في هذه الآية بمعنى الصلاح، كما تقول: رجل صدق، ورجل سوء.

وقوله: ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ يحتمل أن يكون تفسيراً لقوله: أكان للناس[(٨)] وحينا إلى بشر عجباً قال الكافرون عنه كذا وكذا.

---

(١) هذا الأثر أخرجه الطبري (١٥/ ١٤) من طريق: عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.
(٢) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري (١٥/ ١٤-١٦).
(٣) هذا الأثر أخرجه ابن جرير (١٥/ ١٥) وابن أبي حاتم (١٠١٩٦) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.
(٤) تقدم في تفسير الآية (١٦٩) من سورة الأعراف، وفي المطبوع: «العالي».
(٥) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٥/ ١٦)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٤٤)، وتفسير الثعلبي (٥/ ١١٨).
(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٥٦٩) ومسلم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٧) تقدم مذهب السلف في إثبات الصفات، وقد ردَّ على هذا التأويل الدارمي في النقض على المريسي (١/ ٣٩٤- ٤٠٩).
(٨) من الأسدية والتركية ونجيبويه.

وذهب الطبري إلى أن في الكلام حذفاً يدل الظاهر عليه، تقديره: فلما أنذر وبشَّر قال الكافرون كذا وكذا[١].

وقرأ جمهور الناس وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر: ﴿إن هذا لسِحْر مبين﴾.

وقرأ مسروق بن الأجدع وابن جبير والباقون من السبعة وابن مسعود وأبو رزين ومجاهد وابن وثاب وطلحة والأعمش وعيسى بن عمر بخلاف، وابن محيصن وابن كثير بخلاف عنه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ﴾[٢]، والمعنى متقارب.

وفي مصحف أُبَيّ: (قال الكافرون ما هذا إلا سحر مبين)، [وقال الأعمش: (ما هذا إلا ساحر مبين)][٣].

وقولهم في الإنذار والبشارة: سحر، إنما هو بسبب أنه فرَّق بذلك كلمتهم وحال بين القريب وقريبه، فأشبه ذلك ما يفعله الساحر فظنوه من ذلك الباب.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ / ٱلَّذِينَ [٣/ ٢]
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾.

هذا ابتداء دعاء إلى عبادة الله عز وجل وإعلام بصفاته، والخطاب بها لجميع الناس، وخَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ هو على ما تقرر أن الله عز وجل خلق الأرض ثُمَّ اسْتَوى إلى السماء وهي دخان فخلقها، ثم دحا الأرض بعد ذلك.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٧).

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٢٠)، السبعة (ص: ٣٢٢)، وخلاف ابن كثير خارج الطرق.

(٣) زيادة من نجيبويه، وهما شاذتان، انظر الأولى في الكشاف للزمخشري (٢/ ٣٢٨) والثانية في البحر المحيط (٦/ ١٠).

وقوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ قيل: هي من أيام الآخرة، وقال الجمهور، وهو الصواب: بل من أيام الدنيا.

قال القاضي أبو محمد: وذلك في التقدير لأن الشمس وجريها لم يتقدم حينئذ، وقول النبي ﷺ في خلق الله المخلوقات: إن الله ابتدأ يوم الأحد كذا [ويوم كذا كذا][(١)]، إنما هو على أن نقدر ذلك الزمان ونعكس إليه التجربة من حين ابتدأ ترتيب اليوم والليلة.

والمشهور[(٢)] أن الله ابتدأ بالخلق يوم الأحد، ووقع في بعض الأحاديث في كتاب مسلم، وبعضُه[(٣)] في الدلائل، أن البداءة وقعت يوم السبت[(٤)].

وذكر بعض الناس أن الحكمة في خلق الله تعالى هذه الأشياء في مدة محدودة ممتدة وفي القدرة أن يقول: كن، فيكون، إنما هو ليعلِّم عباده التؤدة والتماهل في الأمور.

قال القاضي أبو محمد: وهذا مما لا يوصل تعليله، وعلى هذا هي الأجنة في البطون وخلق الثمار وغير ذلك، والله عز وجل قد جعل لكل شيء قَدراً وهو أعلم بوجه الحكمة في ذلك.

وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ قد تقدم القول فيه في «المص»[(٥)].

وقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ يصح أن يريد بالْأَمْرِ اسم الجنس من الأمور، ويحتمل أن يريد الْأَمْرَ الذي هو مصدر أمر يأمر أمراً، وتدبيره[(٦)] لا إله إلا هو إنما هو الإنفاذ لأنه قد أحاط بكل شيء علماً، وقال مجاهد: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ معناه: يقضيه وحده[(٧)].

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) تحرفت في نجيبويه وأحمد٣ إلى: «الشهور».

(٣) زيادة من نجيبويه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٨٩) من حديث أبي هريرة مرفوعاً، وليس في القسم المطبوع من الدلائل.

(٥) أول سورة الأعراف.

(٦) في الأصل: «تقديره»، و«أمراً» زيادة من المطبوع.

(٧) انظر قول مجاهد في: تفسير الطبري (١٥/ ١٩).

وقوله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾ رد على العرب في اعتقادها أن الأصنام تشفع لها.

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ إشارة إلى الله تعالى، أي: هذا الذي هذه صفاته فاعبدوه، ثم قررهم على هذه الآيات والعبر فقال: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: فيكون التذكر سبباً للاهتداء.

واختصار القول في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ إما أن يكون: اسْتَوى بقهره وغلبته، وإما أن يكون ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ بمعنى استولى إن صحت اللفظة في اللسان، فقد قيل في قول الشاعر:

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ ... مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقِ[1] [مخلع البسيط]

إنه بيت مصنوع، وإما أن يكون فعل فعلاً في العرش سماه اسْتَوى[2]، واستيعاب القول قد تقدم.

وقوله: ﴿إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا﴾ الآية، آية إنباء بالبعث من القبور، وهي من الأمور التي جوَّزها العقل وأثبت وقوعها الشرع.

وقوله: ﴿جَمِيعٗا﴾ حال من الضمير في ﴿مَرۡجِعُكُمۡ﴾، ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ نصب على المصدر، وكذلك قوله: ﴿حَقًّا﴾، وقال أبو الفتح: ﴿حَقًّا﴾ نعت[3].

وقرأ الجمهور: ﴿إِنَّهُۥ﴾ بكسر الألف على القطع والاستئناف، وقرأ أبو جعفر بن القعقاع والأعمش وسهل بن شعيب وعبد الله: ﴿أنه﴾ بفتح الألف[4]، وموضعها النصب على تقدير: أحُقُّ أنه، وقال الفراء: موضعها رفع على تقدير: يَحِق أنه[5].

---

(١) تقدم في تفسير الآية (٢٩) من سورة البقرة.

(٢) تقدم التنبيه على مذهب السلف في إثبات الصفات في موضع سورة البقرة.

(٣) المحتسب (١/ ٣٠٧).

(٤) فهي عشرية، انظر عزوها لأبي جعفر في النشر (٢/ ٢٨٢)، وللأعمش وسهل في المحتسب (١/ ٣٠٧)، ومختصر الشواذ (ص: ٦١)، ولعبد الله في البحر المحيط (٦/ ١٢).

(٥) معاني القرآن للفراء (١/ ٤٥٧).

قال القاضي أبو محمد: يجوز عندي أن يكون ﴿أَنَّهُۥ﴾ بدلاً من قوله: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾.

قال أبو الفتح: إن شئت قدرت: لأنه يبدأ الخلق؛ أي: فمن في قدرته هذا فهو غني عن إخلاف الوعد، وإن شئت قدرته وَعَد الله وعداً[١] حقّاً أنه، ولا يعمل فيه المصدر الذي هو ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ لأنه قد وُصف فأَذِنَ ذلك بتمامه وقطع عمله[٢].

وقرأ ابن أبي عبلة: (حقٌّ) بالرفع[٣]، فهو ابتداء وخبره ﴿أنه﴾.

وقوله: ﴿يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ يريد النشأة الأولى، والإعادةُ هي البعث من القبور.

وقرأ طلحة: (يبدئ الخلق) بضم الياء وكسر الدال[٤].

وقوله: ﴿لِيَجۡزِيَ﴾؛ هي لام كي، والمعنى: أن الإعادة إنما هي ليقع الجزاء على الأعمال.

وقوله: ﴿بِٱلۡقِسۡطِ﴾؛ أي: بالعدل في رحمتهم وحسن جزائهم.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ابتداء.

والحميم: الحار المسخن، وهو فعيل بمعنى مفعول، ومنه الحمَّام والحَمَّة، ومنه قول المرقِّش[٥]:

[مجزوء البسيط] فـي كـلِّ مُمْسـىً لَهـا مِـقْطَـرَةٌ فـيهـا كِبـاءٌ مُـعَـدٌّ وحَـمِيـمْ[٦]

---

(١) سقطت «وعداً» من الأصل والمطبوع.

(٢) المحتسب (١/ ٣٠٧).

(٣) وهي شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (٥/ ١١٨).

(٤) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٦١).

(٥) هو المرقش الأصغر، عم طرفة، ابن أخي الأكبر، وقيل: أخوه، واسمه عمرو بن حرملة، وقيل: ربيعة ابن سفيان، وهو من بني سعد بن مالك بن ضبيعة، وأحد عشّاق العرب، وصاحبته فاطمة بنت المنذر، وكانت لها خادمة تجمع بينهما. الشعر والشعراء (١/ ٢٠٩).

(٦) البيت للمرقش الأصغر كما في المفضليات (ص: ٢٤٨)، مجاز القرآن (١/ ٢٧٤)، تهذيب اللغة (٤/ ١٢)، وجاء البيت في المطبوع وجميع النسخ الخطية: في كل يوم، لها مقطرة وكباء معدة وحميم، وقد أصلحناه من المصادر، لأنه هكذا غير مستقيم.

وحميم النار فيما ذكر عن رسول الله ﷺ إذا أدناه الكافر من فيه تساقطت فروة رأسه، وهو كما وصفه تعالى: ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩].

قوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾.

هذا استمرار على وصف آيات الله والتنبيه عل صنعته الدالة على الصانع، وهذه الآية تقتضي أن الضياء أعظم من النور وأبهى بحسب الشَّمْس وَالْقَمَر، ويلحق هاهنا اعتراض، وهو أنَّا وجدنا الله تعالى شبَّه هداه ولطفه بخلقه بالنور فقال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية [النور: ٣٥]، وسأل رسول الله ﷺ النور(١)](٢)، وهذا يقتضي أن النور أعظم هذه الأشياء وأبلغها في الشروق، وإلا فلمَ ترك التشبيه الأعلى الذي هو الضياء، وعدل إلى الأقل الذي هو النور؟

فالجواب عن هذا والانفصال أن تقول: إن لفظة النور أحكم وأبلغ في قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وذلك [لا يراد به نور محسوس بالعين كالقمر، فلم يبق إلا](٣) أنه تعالى شبه هداه ولطفه الذي نصبه لقوم يهتدون وآخرين يضلون معه بالنور الذي هو أبداً موجود في الليل وأثناء الظلام، ولو شبهه بالضياء لوجب أن لا يضل أحد، إذ كان الهدى يكون مثل الشمس التي لا تبقى معها ظلمة، فمعنى الآية أن الله تعالى قد جعل هداه في الكفر كالنور في الظلام فيهتدي قوم ويضل آخرون، ولو جعله كالضياء لوجب أن لا يضل أحد وبقي الضياء على هذا الانفصال أبلغ في الشروق كما اقتضت

(١) كقوله ﷺ في دعائه: «اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً»، أخرجه البخاري (٦٣١٦) ومسلم (٧٦٣).

(٢) زيادة من نجيبويه.

(٣) زيادة من نجيبويه.

[٣/ ٣] آيتنا هذه، والله عز وجل هو ضياء السماوات والأرض ونورها وقيومها، ويحتمل أن / يعترض هذا الانفصال والله المستعان.

وقوله: ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ يريد البروج المذكورة في غير[١] هذه الآية، وأما الضمير الذي رده على الْقَمَرِ، وقد تقدم ذكر الشَّمْس معه، فيحتمل أن يريد بالضمير القمر وحده لأنه هو المراعى في معرفة عَدَد السِّنِينَ وَالْحِساب عند العرب، ويحتمل أن يريدهما معاً بحسب أنهما يتصرفان في معرفة عدد السنين والحساب عند العرب[٢]، لكنه اجتزأ بذكر الواحد كما قال: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢] وكما قال الشاعر

[الطويل] رَمانـي بذنب كنتُ منـه ووالِدِي بَرِيئاً ومن أَجْلِ الطوِيِّ رَمانِي[٣]

قال الزجَّاج: وكما قال الآخر:

[المنسرح] نَحـنُ بمـا عندَنـا وأنـتَ بمـا عندَكَ راضٍ، والرّأيُ مُختلفُ[٤]

وقوله: ﴿لِتَعْلَمُوا۟﴾ المعنى: قدر هذين النيِّرين مَنازِلَ لكي تعلموا بها عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ رفقاً بكم ورفعاً للالتباس في معاشكم وتجركم وإجاراتكم وغير ذلك مما يضطر فيه إلى معرفة التواريخ.

وقوله: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: للفائدة لا للَّعب والإهمال، فهي إذا يحق أن تكون كما هي.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص: ﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾، وقرأ ابن

---

(١) «غير»، ساقطة من نجيبويه.

(٢) قوله: «ويحتمل أن يريدهما معا بحسب أنهما يتصرفان في معرفة عدد السنين والحساب عند العرب» ساقط من المطبوع.

(٣) البيت لابن أحمر، كما في الكتاب لسيبويه (١/ ٧٥)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٨٨)، ونسبه في مجاز القرآن (٢/ ١٦١) للأزرق بن طرفة بن العمرّد الفراصي، واعترض به في شرح أبيات سيبويه (١/ ١٦٩)، وعندهم: «بأمر» بدل «بذنب».

(٤) تقدم في تفسير الآية (٣٦) من سورة التوبة، وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٧).

كثير أيضاً وعاصم والباقون والأعرج وأبو جعفر وشيبة وأهل مكة والحسن والأعمش: ﴿نُفَصِّل﴾ بنون العظمة(١).

وقوله: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ إنما خصهم لأن نفع التفصيل فيهم ظهر وعليهم أضاء، وإن كان التفصيل إنما وقع مجملاً للكل معدّاً ليحصِّله الجميع.

وقرأ جمهور السبعة وقد رويت عن ابن كثير: ﴿ضِيَآءً﴾، وقرأ ابن كثير وحده فيما روي أيضاً عنه: ﴿ضئاء﴾ بهمزتين(٢)، وأصله: ضياء، فقلبت فجاءت ضئاياً، فقلبت الياء همزة لوقوعها بين ألفين، قال أبو علي: وهي غلط(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الآية، آية اعتبار وتنبيه، ولفظة الاختلاف تعم تعاقب الليل والنهار](٤) وكونهما خلفة وما يتعاورانه من الزيادة والنقص، وغير ذلك من لواحق سير الشمس وبحسب أقطار الأرض.

قوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لفظ عام لجميع المخلوقات، والآيات: العلامات والدلائل، وخصص القوم المتقين تشريفاً لهم إذ الاعتبار فيهم يقع، ونسبتهم إلى هذه الأشياء المنظور فيها أفضل من نسبة من لم يهتد ولا اتقى.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

---

(١) فهما سبعيتان، ووجه ابن كثير الثاني من راوية محمد بن صالح عن شبل، ومضر بن محمد عن البزي انظر السبعة (ص: ٣٢٣).

(٢) فهي أيضاً سبعية وهي رواية قنبل عنه، انظر: السبعة (١/ ٣٢٣)، والتيسير (ص: ١٢١).

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٢٥٨).

(٤) ساقط من الأصل ونجيبويه.

قال أبو عبيدة وتابعه القتبي وغيره: ﴿يَرْجُونَ﴾ في هذه الآية بمعنى: يخافون[١]، واحتجوا ببيت أبي ذؤيب:

[الطويل] إذا لَسَعَتْهُ النّحْلُ لم يَرجُ لَسعَها وخالفَها في بيتِ نُوبٍ عَوَاسِلِ[٢]

وحكى المهدوي عن بعض أهل اللغة ـ قال ابن سيده: هو الفراء ـ : أن لفظة الرجاء إذا جاءت منفية فإنها تكون بمعنى الخوف[٣]، وحكي عن بعضهم أنها تكون بمعناها في كل موضع يدل عليه قرائن ما قبله وما بعده، فعلى هذا التأويل معنى الآية: إن الذين لا يخافون لقاءنا، وقال ابن زيد: هذه الآية في الكفار، وقال بعض أهل العلم: الرجاء في هذه الآية على بابه، وذلك أن الكافر المكذِّب بالبعث ليس يرجو رحمة في الآخرة، ولا يحسن ظنّاً بأنه يلقى الله، ولا له في الآخرة أمل، فإنه لو كان له فيها أمل لقارنه لا محالة خوف، وهذه الحال من الخوف المقارن هي القائدة إلى النجاة، والذي أقول: إن الرجاء في كل موضع على بابه، وإن بيت الهذلي معناه: لم يرج فَقْدَ لسعها، فهو يبني عليه ويصبر إذ يعلم أنه لا بد منه.

وقوله: ﴿وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يريد كانت آخر همهم ومنتهى غرضهم، وأسند الطبري عن قتادة قال في تفسير هذه الآية: إذا شئتُ رأيت هذا الموصوف، صاحب دنيا لها يغضب ولها يرضى ولها يفرح ولها يهتم ويحزن[٤]، فكأن قتادة صورها في العصاة، ولا يترتب ذلك إلا مع تأول الرجاء على بابه، إذ قد يكون العاصي المجلح مستوحشاً من آخرته، فأما على التأويل الأول فمن لا يخاف لقاء الله فهو كافر.

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٢٧٥)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ١٩٤).
(٢) تقدم في تفسير الآية (٢١٨) من سور البقرة.
(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٦٥)، قال: وهي لغة تِهامية، وانظر: المحكم لابن سيده (٧/ ٥٤٥)، والتحصيل للمهدوي (٣/ ٣٢٥)، وفي الأصل: «وقال ابن سيده والفراء»، بالعطف.
(٤) انظر قول ابن زيد وقول قتادة في: تفسير الطبري (١٥/ ٢٦-٢٧).

وقوله: ﴿وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾ تكميل في معنى القناعة بها والرفض لغيرها؛ لأن الطمأنينة بالشيء هي زوال التحرُّك إلى غيره.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ يحتمل أن يكون ابتداء إشارة إلى فرقة أخرى من الكفار، وهؤلاء على هذا التأويل أضل صفقةً لأنهم ليسوا أهل دنيا بل غفلة فقط، ثم حتم عليهم بالنار وجعلها مَأْواهُمْ، وهو حيث يأوي الإنسان ويستقر، ثم جعل ذلك بسبب كسبهم واجتراحهم، وفي هذه اللفظة رد على الجبرية ونص على تعلُّق العقاب بالتكسب الذي للإنسان.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية، لمَّا قرر تبارك وتعالى حالة الفرقة الهالكة عقَّب ذلك بذكر حالة الفرقة الناجية؛ ليتضح الطريقان ويرى الناظر فرق ما بين الهدى والضلال، وهذا كله لطف منه بعباده.

وقوله: ﴿يَهۡدِيهِمۡ﴾ لا يترتب أن يكون معناه: يرشدهم إلى الإيمان؛ لأنه قد قررهم مؤمنين، فإنما الهدى في هذه الآية[1] على أحد وجهين:

إما أن يريد أنه يديمهم ويثبتهم، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ [النساء: ١٣٦] فإنما معناه: اثبتوا.

وإما أن يريد: يرشدهم إلى طرق الجنان في الآخرة.

وقوله: ﴿بِإِيمَٰنِهِمۡ﴾ يحتمل أن يريد: بسبب إيمانهم، ويكون مقابلاً لقوله قبل: ﴿مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾، ويحتمل أن يكون الإيمان هو نفس الهدى، أي: يهديهم إلى طرق الجنة بنور إيمانهم، قال مجاهد: يكون لهم إيمانهم نوراً يمشون به[2].

ويتركب هذا التأويل على ما روي عن النبي ﷺ: «إن العبد المؤمن إذا قام من قبره للحشر تمثل له رجل جميل الوجه طيّب الرائحة، فيقول: من أنت؟ فيقول:

---

(١) تكررت هنا في المطبوع لفظة إنما خطأ.

(٢) انظر قول مجاهد والآثار المسندة في الموضوع؛ في: تفسير الطبري (١٥/ ٢٧-٢٨).

[٣/ ٤] أنا عملك الصالح / ، فيقوده إلى الجنة»[١]، وبعكس هذا في الكافر، ونحو هذا مما أسنده الطبري وغيره.

وقوله: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ يريد: من تحت عِلِّياتهم وغرفهم، وليس التحتَ الذي هو بالمماسة بل يكون إلى[٢] ناحية من الإنسان كما قال تعالى: ﴿قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ [مريم: ٢٤] وكما قال حكاية عن فرعون: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓ﴾ [الزخرف: ٥١].

وقوله: ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ﴾ الآية، الدعوى بمعنى الدعاء، يقال: دعا الرجل وادعى بمعنًى واحد، قاله سيبويه[٣].

و﴿سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ تقديس وتسبيح وتنزيه لجلاله عن كل ما لا يليق به.

وقال علي بن أبي طالب في ذلك: «هي كلمات رضيها الله تعالى لنفسه»[٤].

وقال طلحة بن عبيد الله: قلت: يا رسول الله، ما معنى سبحان الله؟ فقال: «معناها: تنزيه الله من السوء»[٥].

وقد تقدم ذكر خلاف النحاة في اللهمَّ.

وحكي عن بعض المفسرين أنهم رأوا أن هذه الكلمة إنما يقولها المؤمن في

---

(١) غريب، هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد (٣٠/ ٤٩٩-٥٠٣) والحاكم في المستدرك (١/ ٩٣) من طريق: الأعمش ثنا المنهال بن عمرو عن زاذان أبي عمر قال: سمعت البراء بن عازب به مرفوعاً، والمنهال تكلم فيه ابن حزم، ولم يحتج بحديثه هذا، وقال الذهبي في ترجمة المنهال من سير أعلام النبلاء (٩/ ٢١١): حديثه في شأن القبر بطوله فيه نكارة وغرابة، يرويه عن: زاذان، عن البراء.

(٢) المثبت في المطبوع «من» بدل «إلى».

(٣) نقله عنه في المخصص (٤/ ٥٧).

(٤) هذا الأثر أخرجه الطبري (١٥/ ٣١) بإسناد فيه قابوس بن أبي ظبيان، وهو ضعيف الحديث.

(٥) منكر، هذا الحديث أخرجه ابن حبان في المجروحين (٢/ ٦٠) من طريق عبد الرحمن بن حماد الطلحي، عن طلحة بن يحيى، عن أبيه،، عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، مرفوعاً به، وعبد الرحمن متروك الحديث، وذكر له ابن حبان هذا الحديث في مناكيره.

الجنة عند ما يشتهي الطعام، فإنه إذا رأى طائراً أو غير ذلك قال: سُبْحانَكَ اللهمَّ، فنزلت تلك الإرادة بين يديه فوق ما اشتهى، رواه ابن جريج وسفيان بن عيينة[١].

وقوله: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ يريد تسليم بعضهم على بعض، والتحية مأخوذة من تمني الحياة للإنسان والدعاء بها، يقال: حيَّاه يحييه، ومنه قول زهير بن جناب:

مِـنْ كُـلِّ مَـا نَـالَ الفَتَى   قَـدْ نِـلْـتُـهُ إلا الـتَّـحِـيَّـهْ[٢]   [مجزوء الكامل]

يريد دعاء الناس للملوك بالحياة، وقد سمي المُلك تحيةً بهذا التدريج، ومنه قول عمرو بن معديكرب:

أَزُورُ بِـهَـا أَبَـا قَـابُـوسَ حَـتَّـى   أُنِيخَ عَلَـى تَحِيَّتِهِ بِجُنْـدِي[٣]   [الوافر]

أراد: على مملكته، وقال بعض العلماء: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ يريد تسليم الله عز وجل عليهم، والسلام مأخوذ من السلامة.

وقوله: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾ يريد: وخاتمة دعائهم[٤] في كل موطن وكلامهم شكر الله تعالى وحمده على سابغ نعمه، وكانت بدأتهم بالتنزيه والتعظيم.

وقرأ جمهور الناس: ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وهي عند سيبويه «أنْ» المخففة من الثقيلة.

وقرأ ابن محيصن وبلال بن أبي بردة[٥] ويعقوب وأبو حيوة: (أنَّ الحمد لله)[٦].

---

(١) انظر رواية ابن جريج وسفيان في: تفسير الطبري (١٥/ ٣٠).

(٢) انظر عزوه له في طبقات فحول الشعراء (١/ ٣٦)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٢٥)، والشعر والشعراء (١/ ٣٦٧)،

(٣) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٥/ ٣٢)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٢٥)، وتهذيب اللغة (٥/ ١٨٨).

(٤) في الأصل والمطبوع: «دعواهم».

(٥) بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري أمير البصرة، روى عن أبيه وعمه أبي بكر وأنس بن مالك، وعنه قتادة وثابت البناني وآخرون، وكان ذا رأي ودهاء، وقد ولي أيضاً قضاء البصرة مدة، مات بعد (١٢٠هـ)، تاريخ الإسلام (٨/ ٤٩).

(٦) انظر عزوها لهم مع التوجيه في المحتسب (١/ ٣٠٨)، إلا أبا حيوة ففي الشواذ للكرماني (ص: ٢٢٤).

وهي على الوجهين رفع على خبر الابتداء، قال أبو الفتح: هذه القراءة تدل على أن قراءة الجماعة هي «أنْ» المخففة من الثقيلة بمنزلة قول الأعشى:

[البسيط] فِي فِتْيَـةٍ كَسُـيوفِ الهِنْدِ قَـدْ عَلِمُوا أنْ هالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفى وَينْـتَعِلِ[١]

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

هذه الآية قال مجاهد: نزلت في دعاء الرجل على نفسه أو ماله أو ولده ونحو هذا[٢]، فأخبر الله تعالى أنه لو فعل مع الناس في إجابته إلى المكروه مثل ما يريدون فعله معهم في إجابته إلى الخير لأهلكهم، ثم حذف بعد ذلك من القول جملة يتضمنها الظاهر، تقديرها: ولا يفعل ذلك ولكن يذر الذين لا يرجون، فاقتضب القول وتوصَّل إلى هذا المعنى بقوله: ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ فتأمل هذا التقدير تجدْه صحيحاً.

و﴿ٱسْتِعْجَالَهُم﴾: نصب على المصدر، والتقدير: مثلَ استعجالهم، وقيل: التقدير: تعجيلاً مثل استعجالهم، وهذا قريب من الأول، وقيل: إن هذه الآية نزلت في قوله: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] وقيل: نزلت في قوله: ﴿ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ [الأعراف: ٧٧] وما جرى مجراه.

وقرأ جمهور القراء: ﴿لَقُضِىَ﴾ على بناء الفعل للمفعول ورفع الأجل، وقرأ ابن عامر وحده وعوف وعيسى بن عمر ويعقوب: ﴿لقضَى﴾ على بناء الفعل للفاعل ونصب الأجل[٣].

---

(١) تقدم في تفسير الآية (٤٤) من سورة الأعراف.

(٢) انظر قول مجاهد في: تفسير الطبري (١٥/ ٣٤).

(٣) فهما سبعيتان، انظر قراءة ابن عامر ويعقوب في النشر (٢/ ٢٨٢)، وانظر قراءة عوف وعيسى في تفسير الثعلبي (٥/ ١٢٢).

وقرأ الأعمش: (لقضينا)[١].

والأجل في هذا الموضع أجل الموت، ومعنى (قضى) في هذه الآية: أكمل وفرغ، ومنه قول أبي ذؤيب:

وعليهما مَسْرُودَتانِ قَضَاهُما دَاوُودُ أَو صَنَعُ السَّوَابغِ تُبَّعُ[٢] [الكامل]

وأنشد أبو علي في هذا المعنى:

قَضَيْتَ أُمُوراً ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا نَوَائِحَ فِي أَكْمَامِهَا لَمْ تُفَتَّقِ[٣] [الطويل]

وتعدّى (قضى) في هذه الآية بـ(إلى) لما كان بمعنى: فرغ، وفرغ يتعدى بإلى ويتعدى باللام، فمن ذلك قول جرير:

ألانَ وقد فَرَغْتُ إلى نُمَيْرٍ فصِرْتُ عَلى جَمَاعتِها عَذابا[٤] [الوافر]

ومن الآخر قوله عز وجل: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١].

وقرأ الأعمش: (فنذرَ الذين لا يرجون لقاءنا)[٥].

و﴿يَرۡجُونَ﴾ في هذا الموضع على بابها والمراد: الذين لا يؤمنون بالبعث،

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظرها في تفسير الثعلبي (٥/ ١٢٢)، قال: وكذا هي في مصحف ابن مسعود.

(٢) انظر عزوه له في المفضليات (ص: ٤٢٨)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢٦)، ومجاز القرآن (١/ ٥٢)، والمعاني الكبير (٢/ ١٠٣٩).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٢٥٤) بلا نسبة، وهو لمزرّد بن ضرار يرثي عمر كما في البيان والتبيين (٣/ ٢٣٦)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ١٣٣)، وعزاه في الحماسة بشرح التبريزي (١/ ٤٥٢)، الاشتقاق (ص: ١٩٩)، وجمهرة اللغة (٢/ ١٠١٧)، وتهذيب اللغة (١١/ ١٥١)، والصحاح للجوهري (١/ ٣٠١)، لأخيه الشماخ، وفي الأغاني (٩/ ١٨٥) لأخيهما جزء بن ضرار، وفي العقد الفريد (٣/ ٢٣٨) لحسان، وفي الاستيعاب (٣/ ١١٥٨) عن عائشة أن الجن ناحت به على عُمَر قبل أن يقتل بثلاث.

(٤) انظر عزوه له في الحجة للفارسي (٦/ ٢٤٩) والحجة لابن خالويه (ص: ٣٣٩)، عجزه عندهما: فهذا حين صرت لهم عذابا.

(٥) لعلها بالنصب كما ضبطت في المطبوع، ولم أجد من ذكرها.

فهم لا يرجون لقاء الله، والرجاء مقترن أبداً بخوف، والطغيان: الغلو في الأمر وتجاوز الحد، والعمه: الخبط في ضلال، فهذه الآية نزلت ذامةً لخلق ذميم هو في الناس، يَدْعون في الخير فيريدون تعجيل الإجابة، فيحملهم أحياناً سوء الخلق على الدعاء في الشر، فلو عجّل لهم لهلكوا.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ﴾ الآية، هذه الآية أيضاً عتاب على سوء الخلق من بعض الناس، ومضمنه النهي عن مثل هذا، والأمر بالتسليم إلى الله تعالى والضراعة إليه في كل حال، والعلم بأن الخير والشر منه لا رب غيره.

وقوله: ﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ في موضع حال، كأنه قال: مضطجعاً، ويجوز أن يكون حالاً من ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ والعامل فيه ﴿مَسَّ﴾، ويجوز أن يكون حالاً من ضمير الفاعل في ﴿دَعَانَا﴾ والعامل فيه دعا، وهما معنيان متباينان.

و﴿ٱلضُّرُّ﴾ لفظ عام لجميع الأمراض[1] والرزايا في النفس والمال والأحبة، هذا قول اللغويين، وقيل: هو مختص برزايا البدن: الهزال والمرض.

وقوله: ﴿مَرَّ﴾ يقتضي أن نزولها في الكفار ثم هي بعدُ تتناول كل من دخل تحت معناها من كافر أو عاص، فمعنى الآية: مَرَّ في إشراكه بالله وقلة توكله عليه.

وقوله: ﴿زُيِّنَ﴾؛ إن قدرناه من الله تعالى فهو خَلْقُه الكفر لهم واختراعه في نفوسهم محبة[2] أعمالهم الفاسدة ومثابرتهم عليها، وإن قدرنا ذلك من الشيطان فهو بمعنى الوسوسة والمخادعة، ولفظة التزيين / قد جاءت في القرآن بهذين المعنيين مرة [٣/ ٥]
من فعل الله تعالى ومرة من فعل الشياطين.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ

(١) في الأسدية: «الآدميين».
(٢) في المطبوع: «صحبة».

مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾﴾.

هذه آية وعيد للكفار وضرب أمثال لهم، أي: كما فَعَل هؤلاء فعلكم[١] فكذلك يُفعل بكم ما فُعل بهم.

وقوله: ﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ﴾ إخبار عن قسوة قلوبهم وشدّة كفرهم.

وقرأ جمهور السبعة وغيرهم: ﴿نَجۡزِي﴾ بنون الجماعة[٢]، وفرقة: (يجزي) بالياء[٣] على معنى: يجزي الله.

و﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ جمع خليفة، وقوله: ﴿لِنَنظُرَ﴾ معناه: لنبين في الوجود ما علمناه أزلاً، لكن جرى القول على طريق الإيجاز والفصاحة والمجاز[٤].

وقرأ يحيى بن الحارث[٥] ـ وقال: رأيتها في الإمام مصحف عثمان ـ : (لنَظُّر) بإدغام النون في الظاء[٦]، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن الله تعالى إنما جعلنا خلفاء لينظر كيف عملنا، فأروا الله حسن أعمالكم في السر والعلانية»[٧]، وكان

---

(١) في نجيبويه: قبلكم».

(٢) وهي قراءة القراء العشرة، كلهم، وفي نجيبويه: «نون العظمة»، بدل: «الجماعة».

(٣) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٢٢٤)، للحسن بن عمران.

(٤) «المجاز» ساقطة من المطبوع.

(٥) هو يحيى بن الحارث بن عمرو الغساني الذماري ثم الدمشقي، إمام الجامع الأموي وشيخ القراءة بدمشق بعد ابن عامر، يعدّ من التابعين، لقي واثلة بن الأسقع وروى عنه وقرأ عليه، توفي سنة (١٤٥هـ). غاية النهاية (٢/ ٣٦٧)

(٦) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٠٩).

(٧) في إسناده مبهم، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٥/ ٣٨-٣٩) من طريق قتادة، قال: ذكر لنا أن عمر... فذكره.

أيضاً يقول: «قد استُخلفت يا ابن الخطاب فانظر كيف تعمل؟»[١]، وأحياناً كان يقول: «قد استخلفت يا ابن أم عمر»[٢].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ﴾ الآية، هذه الآية نزلت في قريش[٣]؛ لأن بعض كفارهم قال هذه المقالة على معنى: ساهِلْنا يا محمد، واجعل هذا الكلام الذي هو من قِبَلك على اختيارنا، وأحِلَّ ما حرمته وحرِّم ما حللته ليكون أمرنا حينئذ واحداً وكلمتنا متصلة، فذمَّ الله هذه الصنعة[٤]، وذكَّرهم بأنهم يقولون هذا للآيات البيّنات، ووصفهم بأنهم لا يؤمنون بالبعث.

ثم أمر الله نبيه ﷺ أن يرد عليهم بالحق الواضح، وأن يستسلم ويتبع حكم الله تعالى ويُعْلم بخوفه ربه.

واليوم العظيم يوم القيامة.

قوله عز وجل: ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ١٧ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾.

هذه من كمال الحجة، أي: هذا الكلام ليس من قِبَلي ولا من عندي وإنما هو من عند الله، ولو شاء ما بعثني به ولا تلوته عليكم ولا أعلمتكم به.

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ مسنداً.

(٢) ضعيف جداً، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٥/ ٣٩) بإسناد فيه زيد بن عوف أبو ربيعة، ولقبه: فهد، متروك الحديث، واتهمه أبو زرعة بسرقة حديثين، ينظر: ميزان الاعتدال (٢/ ١٠٥).

(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٤١-٤٢).

(٤) في الأسدية والتركية: «الصنيعة».

و﴿أَدْرَىٰكُم﴾ بمعنى: أعلمكم، يقال: دريت بالأمر وأدريت به غيري، وهذه قراءة الجمهور.

وقرأ ابن كثير في بعض ما روي عنه: ﴿ولأدراكم به﴾[١] وهي لام تأكيد دخلت على (أدرى)، والمعنى على هذا: ولأَعْلمكم به من غير طريقي.

وقرأ ابن عباس وابن سيرين وأبو رجاء والحسن: (ولا أدرأْتُكم به)[٢].

وقرأ ابن عباس أيضاً وشهر بن حوشب: (ولا أنذرتكم به)[٣]، وخرَّج الفراء قراءة ابن عباس والحسن على لغة لبعض العرب منها قولهم: لبَّأت بمعنى: لبيت، ومنها قول امرأة منهم: رثأت زوجي بأبيات، أي: رثيت[٤].

قال أبو الفتح: «إنما هي «أدريتكم» قلبت الياء ألفاً لانفتاح ما قبلها، وروينا عن قطرب: أن لغة عقيل في أعطيتك أعطأتك»[٥]، قال أبو حاتم: قلبت الياء[٦] ألفاً كما في لغة بني الحارث بن كعب: السلام علاك.

ثم قال: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ أي: الأربعين سنة قبل بعثته عليه السلام، ويريد: لم تجربوني في كذب ولا تكلمت في شيء من هذا، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن من كان على هذه الصفة لا يصح منه كذب بعد أن كلَّ عمره وتقاصر أمله[٧] واشتدت حنكته وخوفُه لربه.

وقرأ الجمهور بالبيان في ﴿لَبِثْتُ﴾، وقرأ أبو عمرو: ﴿لبتُّ﴾ بإدغام الثاء في التاء[٨].

---

(١) عزاها في التيسير لقنبل عنه (ص: ١٢١)، ورويت عن البزي، وروي عنه كقراءة الجمهور.

(٢) وهي شاذة، عزاها لهم إلا أبا رجاء في المحتسب (١/ ٣٠٩)، ولأبي رجاء في البحر المحيط (٦/ ٢٥).

(٣) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٦١).

(٤) معاني القرآن للفراء (١/ ٤٥٩).

(٥) في المحتسب (١/ ٣٠٩).

(٦) «قلبت الياء»: ورد مكانها في نجيبويه: «قلب الحسن الياء»، وكذا في البحر المحيط (٦/ ٢٥) عن أبي حاتم.

(٧) في التركية: «أجله».

(٨) وافقه حمزة والكسائي وابن عامر، وهما سبعيتان، انظر: التيسير (١/ ٤٤).

وقوله: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ الآية، جاء في هذه الآية التوقيف على عظم جرم المفتري على الله بعد تقدم التنصل من ذلك قبل، فاتسق القول واطردت فصاحته.

وقوله: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ استفهام وتقرير، أي: لا أحد أظلم ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ﴾ ممن ﴿ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ﴾ بعد بيانها، وذلك أعظم جرمٍ على الله وأكثر استشراف إلى عذابه، ثم قرر ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ﴾ أهل الجرم، و﴿يُفْلِحُ﴾ معناه: يظفر ببغيته.

وقوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ ﴾ الآية، الضمير في (يَعْبُدُونَ) عائد على الكفار من قريش الذين تقدّمت محاورتهم، و﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ هي الأصنام، وقولهم: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا﴾ هو مذهب النبلاء منهم، فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقررهم ويوبخهم: أهم يُعْلمون الله بأنباء من السماوات والأرض لا يعلمها هو؟

وذكر السَّماواتِ لأن من العرب من يعبد الملائكة والشعرى، وبحسب هذا حسُن أن يقول: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾، وقيل: ذلك على تجوُّز في[1] الأصنام التي لا تعقل، وفي التوقيف على هذا أعظم غلبة لهم، ولا يمكنهم إلا أن يقولوا: لا نفعل ولا نقدر، وذلك لهم لازم من قولهم: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا﴾، و﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ استئناف تنزيه لله عز وجل.

وقرأ أبو عمرو وعاصم وابن عامر هنا: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، بالياء على الغيبة، وفي حرفين في النحل وحرف في الروم وحرف في النمل، وذكر أبو حاتم أنه قرأها كذلك نافع والحسن والأعرج وابن القعقاع وشيبة وحميد وطلحة والأعمش[2].

وقرأ ابن كثير ونافع هنا وفي النمل فقط: ﴿تشركون﴾ بالتاء على مخاطبة الحاضر، وقرأ حمزة والكسائي الخمسةَ الأحرف بالتاء، وهي قراءة أبي عبد الرحمن[3].

(١) في ساقطة من المطبوع.
(٢) انظر ما ذكره أبو حاتم في البحر المحيط (٦/ ٢٨).
(٣) فهما سبعيتان، والياء هنا لحمزة والكسائي، كما في التيسير (ص: ١٢١)، وانظر: السبعة (ص: ٣٢٤)، وتفسير الثعلبي (٥/ ١٢٥).

قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

قالت فرقة: المراد آدم كان أمة واحدة ثم اختلف الناس بعدُ في أمر ابنيه، وقالت فرقة: المراد نَسَم بنيه إذ استخرجهم الله من ظهره وأشهدهم على أنفسهم، وقالت فرقة: المراد آدم وبنوه من لدن نزوله إلى قتل أحد ابنيه الآخر، وقالت فرقة: المراد: وَما كانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً واحِدَةً في الضلالة والجهل بالله، فاختلفوا فرقاً في ذلك بحسب الجهالة، ويحتمل أن يكون المعنى كان الناس صنفاً واحداً بالفطرة[1] معدّاً للاهتداء، واستيفاءُ القول في هذا متقدم في سورة البقرة في قوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقرأ الحسن بن أبي الحسن وأبو جعفر ونافع وشيبة وأبو عمرو: ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ بضم القاف وكسر الضاد، وقرأ عيسى بن عمر: (لقَضَى) بفتحهما على الفعل الماضي[2].

وقوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ يريد قضاءه وتقديره لبني آدم بالآجال المؤقتة، ويحتمل أن يريد الكلمة في أمر القيامة وأن العقاب والثواب إنما يكون حينئذ.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ الآية، يريدون بقولهم: ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ آيةٌ تضطر الناس إلى الإيمان، وهذا النوع من الآيات لم يأت بها نبي قط، ولا هي معجزات اضطرارية، وإنما هي معرضة للنظر ليهتدي قوم ويضل آخرون.

---

(١) من الأسدية والتركية ونجيبويه نور العثمانية.

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٢٢٥)، وتفسير الثعلبي (٥/ ١٢٦)، أما الأولى فهي قراءة العشرة كلهم.

وقوله: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، لا يطَّلع على غيبه أحد.

وقوله: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ وعيد قد صدَّقه الله تعالى بنصرته محمداً ﷺ، قال الطبري: «في بدر وغيره»(١).

وقوله: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾ الآية، المراد بالنَّاس في هذه الآية الكفار، وهي بعدُ تتناول من العاصين من لا يؤدي شكر الله تعالى عند زوال المكروه عنه ولا يرتدع بذلك عن معاصيه، وذلك في الناس كثير، والرحمة هنا بعد الضراء، كالمطر بعد القحط، والأمن بعد الخوف، والصحة بعد المرض، ونحو هذا مما لا ينحصر، والمكر: الاستهزاء والطعن عليها من الكفار، واطِّراح الشكر والخوف من العصاة، ووصف مكر الله بالسرعة وإن كان الاستدراج يمهلهم لأنه متيقن به واقع لا محالة، وكل آت قريب.

قال أبو حاتم: قرأ الناس: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ بضم السين، وخفف السين الحسن وابن أبي إسحاق وأبو عمرو(٢).

وقال أبو علي: «أَسْرَعُ» من سَرُع، ولا يكون من أسرع يُسرع، قال: ولو كان من أسرع لكان شاذّاً(٣).

قال القاضي أبو محمد: وقد قال رسول الله ﷺ في نار جهنم: «لهي أسود من القار»(٤)، وما حفظ للنبي ﷺ فليس بشاذٍّ.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٤٨).

(٢) فهما سبعيتان، كما في السبعة (ص: ١٩٥)، وانظر الباقين في البحر المحيط (٦/ ٣١)، وفي المطبوع: «أبي الحسن»، بدل «أبي إسحاق».

(٣) لم أجده في الحجة ولا غيرها من كتبه المتوفرة، وقد نقله عنه أيضاً في البحر المحيط (٦/ ٣١).

(٤) الصحيح أنه موقوف على أبي هريرة، أخرجه مالك في الموطأ (١٨٠٥) عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة من قوله، وأخرج الترمذي (٢٥٩١) من طريق يحيى بن أبي بكير حدثنا شريك عن عاصم هو ابن بهدلة عن أبي صالح عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: «أوقد على النار=

وقرأ الحسن والأعرج ونافع وقتادة ومجاهد: ﴿يمكرون﴾ [بياء، وقرأ أبو جعفر وشيبة وأبو رجاء وابن أبي إسحاق وابن كثير وابن محيصن][١] ﴿تَمْكُرُونَ﴾ بتاء على المخاطبة، وهي قراءة أهل مكة وشبل وأبي عمرو وعيسى وطلحة وعاصم والأعمش والجحدري وأيوب بن المتوكل[٢]، ورويت أيضاً عن نافع والأعرج[٣].

قال أبو حاتم: قال أيوب بن المتوكل: في مصحف أبيّ (يا أيها الناس إن الله أسرع مكرا وإن رسله لديكم يكتبون ما تمكرون)[٤].

قوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

هذه الآية تتضمن تعديد النعمة فيما هي الحال بسبيله من ركوب البحر، وركوبُه وقتَ حسن الظن به للجهاد والحج متفق على جوازه، وكذلك لضرورة المعاش بالصيد فيه أو لتصرف التجر[٥]، وأما ركوبه لطلب الغنى والاستكثار فمكروه

= ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة» ثم قال الترمذي: حديث أبي هريرة في هذا موقوف أصح، ولا أعلم أحدا رفعه غير يحيى بن أبي بكير عن شريك.

(١) سقط من المطبوع، وفيه قبل «رويت عن نافع» زيادة: «وقرأ الحسن وقتادة ومجاهد»، وذكر في الحاشية أنه زادها من البحر المحيط.

(٢) هو أيوب بن المتوكل الأنصاري البصري إمام ثقة ضابط له اختيار تبع فيه الأثر، قرأ على سلام والكسائي ويعقوب الحضرمي وبكار الأعرج، روى عنه اختياره محمد بن يحيى القطيعي وهو أجل أصحابه، توفي سنة مئتين، غاية النهاية (١/ ١٧٢).

(٣) وهو المعروف عنهما، وهي قراءة العشرة إلا روحاً عن يعقوب فالياءكما في النشر (٢/ ٢٨٢)، وعزاها للحسن ومجاهد وقتادة في مختصر الشواذ (ص: ٦١)، ولم أجدها لنافع إلا في البحر المحيط (٦/ ٣١)، ولو كانا قالا: ورويت عن عاصم وأبي عمرو لوافقا النقل.

(٤) مثله في البحر المحيط (٦/ ٣١) عن أبي حاتم وهي شاذة، مخالفة للرسم.

(٥) انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/ ٨٨-٨٩، ٦/ ٢٠٤).

عند الأكثر، وغاية مُبيحِهِ أن يقول: وتركه أحسن، وأما ركوبه في ارتجاجه فمكروه ممنوع[١]، وفي الحديث: «من ركب البحر في ارتجاجه فقد برئت منه الذمة»[٢]، وقال النبي ﷺ: «البحر[٣] لا أركبه أبداً»[٤].

وقرأ جمهور القراء من السبعة وغيرهم: ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾، قال أبو علي: «وهو تضعيفُ مبالغة لا تضعيف تعدية، لأن العرب تقول: سِرْتُ الرجلَ وسيَّرته»[٥]، ومنه قول الهذلي:

[الطويل] فَلَا تَجْزَعَنْ من سُنَّة أنتَ سِرْتَها فأوّلُ راضٍ سُنَّةً مَن يسيرُها[٦]

قال القاضي أبو محمد: وعلى هذا البيت اعتراض حتى لا يكون شاهداً في هذا، وهو أن يجعل الضمير كالظرف، كما تقول: سرت الطريقَ، وهذه قراءة الجمهور من سيَّر.

---

(١) نقل ابن عبد البر في الاستذكار؛ اتفاق العلماء على المنع من ركوبه وقت الارتجاج، انظر: الاستذكار ٥/ ١٢٨.

(٢) ضعيف مرسل، أخرجه البخاري في تاريخه الكبير (٣/ ٣٢٦)، قال: قال موسى: حدثنا الحارث ابن عبيد، قال: حدثني أبو عمران، عن زهير، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ...فذكره مرفوعاً به، قال البخاري: وقال إبراهيم بن مختار: حدثنا شعبة، قال: عن أبي عمران سمعت محمد بن زهير بن أبي جبل، عن النبي ﷺ.اهـ، وهذا أصح، فالحارث بن عبيد، وهو أبو قدامة الإيادي، ليس بالقوي، ومحمد بن زهير بن أبي جبل، قال الذهبي في الميزان (٣/ ٥٥١): «تابعي، لا يعرف، أرسل حديث: من ركب البحر حتى يرتج».

(٣) من الأسديه والمطبوع.

(٤) روي عن يعلى بن أمية قوله، ولا يصح، رفع هذا القول من أوهام المصنف، فقد ورد عن يعلى بن أمية قوله، أخرجه الإمام أحمد (٢٩/ ٤٧٨-٤٧٩)، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عبد الله بن أمية، قال: حدثني محمد بن حيي، قال: حدثني صفوان بن يعلى، عن أبيه، فذكره من قوله موقوفاً عليه، وهذا إسناد ضعيف، فمحمد بن حيي، فيه جهالة، ولم أجد من وثقه غير ابن حبان (٧/ ٣٦٦) على قاعدته في توثيق من لا يُعرف، ثم إنه قد اضطرب فيه، فرواه الإمام البخاري في تاريخه الكبير (٨/ ٤١٤)، قال: قال لنا أبو عاصم: نا عبد الله بن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد، عن محمد بن حيي، عن صفوان بن يعلى به. ولم يذكر أباه في السند.

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٢٦٥).

(٦) تقدم في تفسير الآية (١٣٧) من سورة آل عمران.

وكذلك هي في مصحف ابن مسعود، وفي مصحف أبي شيخ(١).

وقال عوف بن أبي جميلة(٢): قد كان يقرأ: ﴿يَنْشُركم﴾ فغيَّرها الحجاج بن يوسف ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾(٣)، قال سفيان بن أبي الزعل: كانوا يقرؤون: ﴿ينشركم﴾ فنظروا في مصحف ابن عفان فوجدوها: ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾، فأول من كتبها كذلك الحجاج(٤).

وقرأ ابن كثير في بعض طرقه: (يُسِيْركم)(٥) من أسار.

وقرأ ابن عامر وحده من السبعة: ﴿ينشركم﴾ بفتح الياء وضم الشين(٦) من النشر والبث، وهي قراءة زيد بن ثابت والحسن وأبي العالية وأبي جعفر وعبد الله بن جبير بن الفصيح(٧) وأبي عبد الرحمن وشيبة(٨).

وروي عن الحسن أنه قرأ (يُنشِركم) بضم الياء وكسر الشين(٩)، وقال: هي قراءة عبد الله(١٠)، قال أبو حاتم: أظنه غلِط.

---

(١) هو أبو شيخ الهنائي حيوان ـ وقيل: خيوان ـ المقرئ، حدث عن ابن عمر، ومعاوية، وعنه: قتادة، ومطر الوراق، ويحيى بن أبي كثير، ويونس بن مهران، قال شباب: هو بصري، مات بعد المئة. تاريخ الإسلام (٧/ ٢٩٢).

(٢) عوف بن أبي جميلة الأعرابي، أبو سهل مولى لطيئ، وكان ثقة كثير الحديث، مات سنة (١٤٦هـ). الطبقات الكبرى (٧/ ١٩١).

(٣) انظر كتاب المصاحف (١/ ١٥٧).

(٤) في الأسدية: «الدغل»، وفي التحرير والتنوير (١١/ ١٣٦) عن ابن عطية: «الزغل»، ولم أقف له على ترجمة، ولم أجد من نقل هذا عنه.

(٥) وهي شاذة ليست من الطرق، ولم أجدها في شيء من المصادر المتوفرة.

(٦) فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢١)، وكذا أبو جعفر كما في النشر (٢/ ٣١٨).

(٧) لعله عبد الله بن جبير الهاشمي المكي، روى الحروف عن أحمد بن القواس وعرض على قنبل، روى عنه الحروف إسحاق بن أحمد الخزاعي، وعرض عليه أبو بكر الداجوني. غاية النهاية (١/ ٤١٢)، ولم أجد ذكراً للفصيح في نسبه.

(٨) انظر عزوها لهم في البحر المحيط (٦/ ٣٢)، ونسبت للحسن في إتحاف فضلاء البشر (١/ ٣١١).

(٩) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٦١)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٢٥).

(١٠) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٣٢)، ولم أقف على اعتراض أبي حاتم، إلا أنه تقدم قريباً أنها في مصحف عبد الله ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾.

و﴿ٱلۡفُلۡكِ﴾ جمع فُلْك، وليس باسم واحد للجميع والفرد، ولكنه فُعْلٌ جُمع على فُعْلٍ، ومما يدل على ذلك قولهم: فُلْكان في التثنية.

وقراءة أبي الدرداء وأم الدرداء: (في الفُلْكيّ)[١] على وزن فُعْليّ بياء نسب، وذلك كقولهم: أشقري، وكدَوَّاري في دور الدهر، وكقول الصَّلَتان: أنا الصَّلَتاني[٢].

وقوله: ﴿وَجَرَيۡنَ﴾ علامة قليل العدد.

وقوله: ﴿بِهِم﴾ خروج من الحضور إلى الغيبة، وحسُن ذلك لأن قوله: ﴿كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ هو بالمعنى المعقول: حتى إذا حصل بعضكم في السفن، والريح إذا أفردت فعُرفها أن تستعمل في العذاب والمكروه، لكنها لا يحسن في البحر أن تكون إلا واحدة متصلة لا نشراً، فقيدت المفردة بالطيب فخرجت عن ذلك / العرف وبرع المعنى. [٣/ ٧]

وقرأ ابن أبي عبلة: (جاءتهم ريح عاصف)[٣].

والعاصف: الشديدة من الريح، يقال: أعصفت الريح.

وقوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ على بابه في الظن، لكنه ظن غالب مفزع بحسب أنه في محذور.

وقوله: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ﴾ أي: نسوا الأصنام والشركاء وجردوا الدعاء لله، وذكر الطبري في ذلك عن بعض العلماء حكاية قول العجم: «هيا شراهيا» ومعناه: يا حي يا قيوم، قال الطبري: جواب قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ﴾: ﴿جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾، وجواب قوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ﴾[٤].

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لأم الدرداء في المحتسب (١/ ٣١٠)، وتابعه على أبي الدرداء في البحر المحيط (٦/ ٣٣).

(٢) إشارة إلى قول الصلتان العبدي ـ وهو قثم بن خبيئة، من عبد القيس ـ حين اجتُمع إليه في الحكم بين الفرزدق وجرير: أنا الصّلتانيّ الذي قد علمتمُ... متى ما يحكّم فهو بالحقّ صادع، الشعر والشعراء (١/ ٤٩١).

(٣) وهي مخالفة للرسم، تابعه عليه في البحر المحيط (٦/ ٣٤).

(٤) انظر تفسير الطبري (١٥/ ٥١، ٥٣) فقد حكاه عن أبي عبيدة.

قوله عز وجل: ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

﴿يَبۡغُونَ﴾ أي: يفسدون ويكفرون، والبغي: التعدي والأعمال الفاسدة، ووكد ذلك بقوله: ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾، ثم ابتدأ بالزجر وذم البغي في أوجز لفظ.

وقوله: ﴿متاعُ الحياة﴾ رفعٌ، وهذه قراءة الجمهور، وذلك على خبر الابتداء، والمبتدأ: ﴿بَغۡيُكُمۡ﴾، ويصح أن يرتفع ﴿مَتاعُ﴾ على خبر ابتداء مضمر تقديره: ذلك متاع، أو هو متاع، وخبر البغي قوله: ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾.

وقرأ حفص عن عاصم، وهارون عن ابن كثير، وابنُ أبي إسحاق: ﴿مَّتَٰعَ﴾ بالنصب[١]، وهو مصدر في موضع الحال من (البغي)، وخبر البغي على هذا محذوف تقديره: مذموم أو مكروه ونحو هذا، ولا يجوز أن يكون الخبر قوله: ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ لأنه كان يحول بين المصدر وما عَمل فيه بأجنبي، ويصح أن ينتصب ﴿مَّتَٰعَ﴾ بفعل مضمر تقديره: تمتعون متاع الحياة الدنيا، وقرأ ابن أبي إسحاق: (متاعاً الحياةَ الدنيا) بالنصب فيهما[٢].

ومعنى الآية: إنما بغيكم وإفسادكم مضرٌّ لكم وهو في حالة الدنيا ثم تلقون عقابه في الآخرة، قال سفيان بن عيينة: ﴿إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾، أي: تعجل لكم عقوبته في الحياة الدنيا[٣]، وعلى هذا قالوا: البغي يصرع أهله[٤].

قال القاضي أبو محمد: وقالوا: الباغي مصروع، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ

---

(١) فهما سبعيتان، انظر رواية حفص في التيسير (ص: ١٢١)، وهارون عن ابن كثير في السبعة (ص: ٣٢٥)، وابن أبي إسحاق في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٤٤)، وهي رواية محبوب عن أبي عمرو كما في الكامل للهذلي (ص: ٥٦٧).

(٢) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٦/ ٣٦).

(٣) انظر قول سفيان بن عيينة في تفسير القرطبي (٨/ ٣٢٦).

(٤) إشارة إلى قول يزيد بن الحكم الثقفي يعظ ابنه: والبغي يصرع أهله* والظلم مرتعه وخيم، انظر: الحماسة بشرح التبريزي (٢/ ٤٥).

﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠]، وقال النبي ﷺ: «ما من ذنب أسرع عقوبة من بغي»[(١)].

وقرأت فرقة: ﴿فَنُنَبِّئُكُم﴾ على ضمير المعظم المتكلم.

وقرأت فرقة: (فينبئكم) على ضمير الغائب[(٢)]، والمراد الله عز وجل.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

المعنى: إِنَّما مَثَلُ تفاخر الحياة الدنيا وزينتها بالمال والبنين إذ يصير ذلك إلى الفناء، كمطرٍ نزل من السماء ﴿فَٱخْتَلَطَ﴾، ووقف هنا بعض القراء على معنى: فاختلط الماء بالأرض، ثم استأنف به ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ على الابتداء والخبر المقدم، ويحتمل على هذا أن يعود الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ على الماء أو على الاختلاط الذي يتضمنه القول. ووصلت فرقة فرفعُ النبات على ذلك بقوله: (اختلط) أي: اختلط النبات بعضه ببعض بسبب الماء.

وقوله: ﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ﴾، يريد الزروع والأشجار ونحو ذلك.

وقوله: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ يريد سائر العشب المرعي، و﴿أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ لفظةٌ كثرت في مثل هذا كقوله: ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ﴾ [الأعراف: ٣١].

والزخرف: التزين بالألوان، وقد يجيء الزخرف بمعنى الذهب إذ الذهب منه.

وقرأ مروان بن الحكم وأبو جعفر والسبعة وشيبة ومجاهد والجمهور: ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾، أصله: تزينت، سكنت التاء لتدغم فاحتيج إلى ألف الوصل.

---

(١) إسناده لا بأس به، وقد ذكره المصنف بالمعنى، أخرجه أحمد في مسنده (٣٤/ ٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٧)، وأبو داود (٤٩٠٢)، والترمذي (٢٥١١) وصححه، وابن ماجه (٤٢١١)، كلهم من طريق عيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي بكرة، مرفوعاً بلفظ: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم». اهـ.

(٢) وهي شاذة، تابعه عليه في البحر المحيط (٦/ ٣٦)، ولم ينسبها لمعين، والأولى هي المتواترة.

وقرأ ابن مسعود والأعمش وأبيّ بن كعب: (وتزينت)[(١)]، وهذه أصل قراءة الجمهور.

وقرأ الحسن وأبو العالية والشعبي وقتادة ونصر بن عاصم وعيسى: (وأَزْيَنَت)[(٢)] على معنى: حضرت زينتُها، كما تقول: أحصد الزرع.

[وقرأت فرقة][(٣)]: (وأزينت)[(٤)] على مثل أفعلت.

وقال عوف بن أبي جميلة: كان أشياخنا يقرؤونها: (وازْيانَّت)، النونُ شديدةٌ والألفُ ساكنة قبلها، وهي قراءة أبي عثمان النهدي[(٥)].

وقرأت فرقة: (وازْيَأنتْ)[(٦)]، وهي لغة منها قول الشاعر:

.... إِذَامَاالْعَوَالِي بِالْعَبِيطِ احْمَأَرَّتِ[(٧)] [الطويل]

وقرأت فرقة: (وازَّاينت)[(٨)]، والمعنى في هذا كله: ظهرت زينتها.

وقوله: ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ﴾ على بابها.

والضمير في ﴿عَلَيْهَآ﴾ عائد على ﴿ٱلْأَرْضُ﴾، والمراد ما فيها من نعمة ونبات، وهذا

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لعبد الله في تفسير الثعلبي (٥/ ١٢٧)، وللثلاثة وآخرين في البحر المحيط (٦/ ٣٨).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها لهم في المحتسب (١/ ٣١١).

(٣) زيادة من أحمد٣ ونجيبويه والتركية والأسدية ونور العثمانية، ويحتاج إلى تفريق بينها وبين التي قبلها.

(٤) من الأسدية والتركية والحمزاوية والمطبوع ونور العثمانية.

(٥) انظر قول عوف في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٤٥)، وتابعه على عزوها للنهدي في البحر المحيط (٦/ ٣٨).

(٦) شاذة، وهي قراءة النهدي كما في المحتسب (١/ ٣١١)، مختصر الشواذ (ص: ٦١)، ونقل عنه تفسير الثعلبي (٥/ ١٢٧): وازّانت.

(٧) في المطبوع: «العبيط»، والبيت تقدم في آخر تفسير سورة البقرة.

(٨) وهي شاذة، عزاها مكي في الهداية (٥/ ٣٢٤٧)، والنحاس في إعراب القرآن (٢/ ١٤٥) لرواية المقدّمي.

الكلام فيه تشبيه جملةِ أمر الحياة الدنيا بهذه الجملة الموصوفة أحوالُها، و﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية، وهي حرف ابتداء لدخولها على ﴿إِذَآ﴾ ومعناها متصل إلى قوله: ﴿قَـٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ﴾، ومن بعد ذلك بدأ الجواب، و(الأمر الآتي): واحد الأمور كالريح والصر والسموم ونحو ذلك، وتقسيمه ليلاً أو نهاراً؛ تنبيه على الخوف وارتفاع الأمن[١] في كل وقت.

و﴿حَصِيدٗا﴾: فعيل بمعنى مفعول، وعبر بـ(حصيد) عن التالف الهالك من النبات وإن لم يهلك بحصاد إذ الحكم فيهما واحد، وكأن الآفة حصدته قبل أوانه.

وقوله: ﴿كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ﴾ أي: كأنْ لم تنعم ولم تنضر ولم تعمر[٢] بغضارتها.

وقرأ قتادة: (يغن) بالياء من تحت يعني الحصيد، وقرأ مروان: (كأن لم تتغنَّ) بتائين[٣]، مثل تتفعل، والمغاني: المنازل المعمورة، ومنه قول الشاعر:

[الوافر] وقـد نَغْنَـى بهـا ونـرى عُصـوراً ... بهـا يَقْتَدْنَنَـا الخُـرُدَ الخِـدالا[٤]

وفي مصحف أبي بن كعب: (كأن لم تغن بالأمس وما كنا لنهلكها إلا بذنوب أهلها كذلك نفصل الآيات)، رواها عنه ابن عباس، وقيل: إن فيه: (ما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها)[٥].

وقرأ أبو الدرداء: (لقوم يتذكرون)[٦].

---

(١) في الأصل والأسدية: «الأمر».

(٢) في المطبوع: «تغر» بدل «تعمر».

(٣) وهما شاذتان، انظرهما في الشواذ للكرماني (ص: ٢٢٦)، والأولى في المحتسب (١/ ٣١٢)، والثانية في مختصر الشواذ (ص: ٦١).

(٤) تقدم في تفسير الآية (٩٠) من سورة الأعراف.

(٥) وكل ذلك مخالف للمصحف، ولم نجد شيئاً منه إلا في البحر المحيط (٦/ ٣٩)، ونقل عن التحرير عزو الثانية لرواية أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي، وأنه قال: ولا يحسن أن يقرأ أحد بهذه القراءة لأنها مخالفة لخط المصحف الذي أجمع عليه الصحابة والتابعون.

(٦) وهي أيضاً مخالفة للمصحف لم يتابعه عليها إلا صاحب البحر المحيط (٦/ ٤٠).

ومعنى الآية: التحذير من الاغترار بالدنيا، إذ هي معرضة للتلف وأن يصيبها ما أصاب هذه الأرض / المذكورة بموت أو غيره من رزايا الدنيا، وخص المتفكرين بالذكر تشريفاً للمنزلة وليقع التسابق إلى هذه الرتبة. [٣/ ٨]

قوله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧﴾.

نصت هذه الآية أن الدعاء إلى[١] الشرع عام في كل بشر، والهداية التي هي الإرشاد مختصة بمن قدِّر إيمانه، و﴿ٱلسَّلَٰمِ﴾ قيل: هو اسم الله عز وجل، فالمعنى: يدعو إلى داره التي هي الجنة، وإضافتها إليه إضافة ملْك إلى مالك، وقيل: ﴿ٱلسَّلَٰمِ﴾ بمعنى السلامة، أي: من دخلها ظفر بالسلامة وأمن الفناء والآفات، وهذه الآية رادة على المعتزلة[٢].

وقد وردت في دعوة الله تعالى عباده أحاديث منها رؤيا النبي ﷺ [إذ رأى في نومه][٣] جبريل وميكائيل ومثَّلا دعوة الله، ومحمداً الداعي، والملة المدعوَّ إليها، والجنة التي هي ثمرة الغفران، بالمأدبة يدعو إليها مَلِك إلى منزله[٤].

وقال قتادة في كلامه على هذه الآية: ذكر لنا أن في التوراة مكتوباً: «يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر انته»[٥].

---

(١) في المطبوع: «على».

(٢) انظر قول المعتزلة والاستدلال على رده بالآية في: الفرق بين الفرق (١/ ٣٢٩-٣٣٠).

(٣) إذ رأى في نومه ساقطة من المطبوع وأحمد٣.

(٤) أخرجه البخاري (٧٢٨١) من حديث جابر بلفظ: «جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً»، وعند غير البخاري أن الذي أتاه جبريل وميكائيل.

(٥) انظر تفسير الطبري (١٥/ ٦٠)، وفي الأسدية والتركية: «أقصر»، بدل «انته»، والمثبت هو الموافق للمصدر.

وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ الآية، قالت فرقة وهي الجمهور: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل.

وروي في نحو ذلك حديث عن النبي ﷺ رواه صهيب[١].

وروي هذا القول عن أبي بكر الصديق[٢] وحذيفة[٣] وأبي موسى الأشعري[٤]

---

(١) لا يصح مرفوعاً بهذا اللفظ، هذا الحديث روي بهذا اللفظ مرفوعاً عن أبي موسى وكعب بن عجرة وأبي بن كعب وابن عمر وأنس، أما حديث كعب بن عجرة فأخرجه الطبري (١٥/ ٦٨) عن: ابن حميد قال: حدثنا إبراهيم بن المختار، عن ابن جريج، عن عطاء، عن كعب بن عجرة، مرفوعاً. وهذا إسناد تالف، إبراهيم بن المختار هو التميمي، قال البخاري: «فيه نظر»، وقال ابن حبان: «يتقي حديثه من رواية ابن حميد عنه»، وأخرجه الطبري أيضاً (١٥/ ٦٩) من طريق: عمرو بن أبي سلمة قال: سمعت زهيراً، عمن سمع أبا العالية قال: حدثنا أُبيّ بن كعب به مرفوعاً. وفيه جهالة شيخ زهير، وحديث أبي موسى روي مرفوعاً وموقوفاً، والموقوف أصح وأكثر، وحديث ابن عمر رواه ابن مردويه في تفسيره من حديث الهيثم بن جميل حدثنا أبو معشر عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً. وأبو معشر هو نجيح السندي ضعيف لا يقيم الإسناد، وحديث أنس رواه ابن مردويه أيضاً من حديث نوح بن أبي مريم عن ثابت عن أنس بن مالك مرفوعاً، ونوح يضع الحديث، ينظر تخريج الزيلعي لأحاديث الكشاف (٢/ ١٢٥)، وقد روي هذا اللفظ عن جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين، وسيأتي بعضها، وهذا هو الأشبه، ولا يصح هذا اللفظ مرفوعاً، وأخرج مسلم في صحيحه (١٨١) من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه، مرفوعاً: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل».

(٢) حسن، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٥/ ٦٣)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٠٦)، والآجري في التصديق بالنظر إلى الله تعالى (٢٠)، كلهم من طريق إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه به، وهذا إسناد حسن، رواته كلهم ثقات، سوى عامر بن سعد، فهو من رجال مسلم، وقد خولف أبو إسحاق في حديثه هذا، إلا أن هذه الطريق هي المحفوظة، نص عليه الدارقطني في علله (١/ ٢٨٣).

(٣) حسن، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٥/ ٦٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٠٦) من طريقين صحيحين، عن أبي إسحاق، عن مسلم بن نذير، عن حذيفة بن اليمان، رضي الله عنه، به، وهذا إسناد حسن، مسلم بن نذير، قال فيه أبو حاتم: «لا بأس به».

(٤) ضعيف جداً، أخرجه ابن جرير (١٥/ ٦٤)، وابن أبي حاتم (١١١٧٥) من طريق أبي بكر الهذلي، ثنا أبو تميمة، سمعت أبا موسى، فذكره، وهذا إسناد ضعيف جدّاً، من أجل أبي بكر الهذلي، فهو =

وعامر بن سعد[(١)] وعبد الرحمن بن أبي ليلى[(٢)].

وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال: «الزيادة: غرفة من لؤلؤة واحدة»[(٣)].

وقالت فرقة: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ هي الحسنة، والزيادة هي تضعيف الحسنات إلى سبع مئة فدونها، حسبما روي في نص الحديث[(٤)]، وتفسِير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وهذا قول يعضده النظر، ولولا عِظم القائلين بالقول الأول لترجح هذا القول.

وطريق ترجيحه: أن الآية تتضمن اقتراناً بين ذكر عُمَّال الحسنات وعُمَّال السيئات، فوصف المحسنين بأن لهم على إحسانهم حسنى وزيادة[(٥)] من جنسها، ووصف المسيئين بأن لهم بالسيئة مثلها، فتعادل الكلامان، وعبر عن الحسنات بالْحُسْنى مبالغة، إذ هي عشرة.

وقال الطبري: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ عامٌّ في كل حسنى، فهي تعم جميع ما قيل، ووعد الله تعالى على جميعها بالزيادة[(٦)]، ويؤيد ذلك أيضاً قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾، ولو كان معنى الْحُسْنى الجنة لكان في القول تكرير بالمعنى، على أن هذا ينفصل عنه بأنه وصف المحسنين بأن لهم الجنة وأنهم لا يرهق وجوهم قتر ولا ذلة، ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ

= متروك الحديث، وانظر قول عامر بن سعد في: تفسير الطبري (١٥/ ٦٤)، وقول عبد الرحمن بن أبي ليلى فيه (١٥/ ٦٦).

(١) عامر بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني، سمع: أباه، وأسامة بن زيد، وأبا هريرة، وعائشة، وعنه: ابنه داود، وابنا أخويه، والزهري، وعمرو بن دينار، وموسى بن عقبة، وكان ثقة شريفاً، كثير الحديث. توفي سنة (١٠٤هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ١٢٣).

(٢) انظر قولهما في تفسير الطبري (١٥/ ٦٤-٦٦).

(٣) منقطع، هذا الأثر أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٣١٠)، والطبري (١٥/ ٦٩)، كلاهما من طريق جرير، عن منصور، عن الحكم بن عتيبة، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه به، والحكم لم يدرك علياً.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦١٢٦) ومسلم (١٣١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً.

(٥) في المطبوع: «حسنى زيادة»، دون عطف.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٦٢).

أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ على جهة المدح لهم، أي: أولئك مستحقوها وأصحابها حقّاً وباستيجاب.

و﴿يَرۡهَقُ﴾ معناه: يغشى مع ذلة[١] وتضييق، والقتر: الغبار المسودّ، ومنه قول الشاعر:

مُتَــوَّجٌ بِـرِداءِ المُلْــكِ يَتْبَـعُـهُ مَـوْجٌ تَرَى فَوْقَهُ الرَّايـاتِ وَالْقَتَرَا[٢] [البسيط]

وقرأ الحسن وعيسى بن عمر والأعمش وأبو رجاء: (قتْر) بسكون التاء[٣].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الآية، اختلف النحويون في رفع الجزاء بم هو؟ فقالت فرقة: التقدير: لهم جزاء سيئة بمثلها، وقالت فرقة: التقدير: جزاء سيئة مثلُها[٤]، والباء زائدة.

قال القاضي أبو محمد: ويتوجه أن يكون رفع الجزاء على المبتدأ وخبره في (الَّذِينَ) لأن (الَّذِينَ) معطوف على قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾، فكأنه قال: وللذين[٥] كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها، وعلى الوجه الآخر فقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ رفع بالابتداء، وتعم ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ هاهنا الكفر والمعاصي، فمثل سيئة الكفر التخليد في النار، ومثل سيئة المعاصي مصروف إلى مشيئة الله تعالى.

والعاصم: المنجي، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ [هود: ٤٣].

و﴿أُغۡشِيَتۡ﴾: كسيت، ومنه الغشاوة، والقطع جمع قطعة.

---

(١) في نجيبويه: «غلبة».

(٢) البيت للفرزدق، كما في مجاز القرآن (١/ ٢٧٧)، والصحاح للجوهري (٢/ ٧٨٥).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها للحسن والأعمش في مختصر الشواذ (ص: ٦١)، وللأربعة في البحر المحيط (٦/ ٤٤).

(٤) في الأسدية والتركية ونور العثمانية ونجيبويه: «كائن بمثلها»، والصواب المثبت. انظر: البحر المحيط (٦/ ٤٥).

(٥) «وللذين» من نجيبويه، وفي باقي النسخ: «والذين»، وهو خطأ. انظر: البحر المحيط (٦/ ٤٥).

وقرأ ابن كثير والكسائي: ﴿قطْعاً﴾ من الليل بسكون الطاء، وقرأ الباقون بفتح الطاء[1].

والقِطْع: الجزء من الليل، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود: ٨١]، وهذا يراد به الجزء من زمان الليل، وفي هذه الآية يراد الجزء من سواده.

و﴿مُظْلِمًا﴾، نعت لـ(قطْع)، ويجوز أن يكون حالاً من الذكر الذي في قوله: ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾، فإذا كان نعتاً فكان حقه أن يكون قبل الجملة، ولكن قد يجيء بعدها، وتقدير الجملة: قطعْاً استقرَّ من الليل مظلماً، على نحو قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

ومن قرأ: ﴿قِطَعًا﴾ على جمع قطعة فنصبُ ﴿مُظْلِمًا﴾ على الحال مِنَ ﴿ٱلَّيْلِ﴾، والعامل في الحال ﴿مِّنَ﴾ إذ هي العامل في ذي الحال.

وقرأ أبي بن كعب: (كأنما يَغْشَى وجوهَهم قطعٌ من الليل وظُلم)[2].

وقرأ ابن أبي عبلة: (قطع من الليل مظلم) بتحريك الطاء في (قطع)[3].

قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢١) والكسائي ساقط من المطبوع، وقد وافقهما يعقوب كما في النشر (٢/ ٣١٨).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في معاني القرآن للفراء (١/ ٤٦٢)، وتفسير الثعلبي (٥/ ١٣٠)، والهداية لمكي (٥/ ٣٢٥٧)، وتفسير الطبري (١٥/ ٧٦)، ومختصر الشواذ (ص: ٦١)، وفي أحمد٣ والمطبوع: «مظلم» بدل «وظلم»، وهو الموافق لما في المصادر.

(٣) وهي شاذة تابعه عليها في البحر المحيط (٦/ ٤٨).

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم والحسن وشيبة وغيرهم: ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون، وقرأت فرقة: (يحشرهم) بالياء[(١)].

والضمير في ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ عائد على جميع الناس محسنين ومسيئين.

و﴿مَكَانَكُمْ﴾ نصب على تقدير: لازموا مكانكم، وذلك مقترن بحال شدة وخزي.

و﴿مَكَانَكُمْ﴾ في هذا الموضع من أسماء الأفعال، إذ معناه: قفوا واسكنوا، وهذا خبر من الله تعالى عن حالةٍ / تكون لعبدة الأوثان يوم القيامة، يؤمرون بالإقامة في موقف الخزي مع أصنامهم ثم يُنطق الله الأصنام بالتبري منهم. [٣/ ٩]

وقوله: ﴿وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾، أي: الذين تزعمون أنتم أنهم شركاء لله، فأضافهم إليهم لأن كونهم شركاءَ إنما هو بزعم هؤلاء، وقوله: ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ معناه: فرقنا في الحجة والمذهب، وهو من زِلْتُ الشيءَ عن الشيء أَزيله، وهو تضعيف مبالغة لا تعدية، وكون مصدر (زيَّل) تزييلاً، يدل على أن (زيل) إنما هو فعَّل لا فَيْعَلَ، لأن مصدره كان يجيء على فَيْعَلة.

وقرأت فرقة: (فزايلنا)[(٢)].

وروي عن النبي ﷺ أن الكفار إذا رأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب قيل لهم: اتبعوا ما كنتم تعبدون، فيقولون: كنا نعبد هؤلاء، فتقول الأصنام: والله ما كنا نسمع ولا نعقل وما كُنْتُمْ إِيَّانا تَعْبُدُونَ، فيقولون: والله لإياكم كنا نعبد، فتقول الآلهة: ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ الآية[(٣)].

وظاهر هذه الآية أن محاورتهم إنما هي مع الأصنام دون الملائكة وعيسى ابنِ

---

(١) وهي شاذة، وبالنون قراءة العشرة. انظر: النشر (٢/ ٢٦٢).

(٢) وهي شاذة، انظرها بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (١/ ٤٦٢)، وتفسير الطبري (١٥/ ٧٨)، والهداية لمكي (٥/ ٣٢٥٨)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٤٥)، وعزاها الهذلي في الكامل (ص: ٥٦٧)، والكرماني في الشواذ (ص: ٢٢٦) لابن أبي عبلة.

(٣) لم أجده مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ، بل أخرجه ابن جرير (١٥/ ٧٨)، وابن أبي حاتم (١٠٣٦٢)، في تفسيريهما من قول مجاهد به.

مريم، بدليل القول لهم: ﴿مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ ودون فرعون ومَن عُبد من الجن، بدليل قولهم: ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ﴾، وهؤلاء لم يغفلوا قط عن عبادةِ مَن عبدهم.

و﴿أَنتُمْ﴾ رفع بالابتداء، والخبر: موبَّخون أو مهانون، ويجوز أن يكون ﴿أَنتُمْ﴾ تأكيداً للضمير الذي في الفعل المقدر الذي هو قفوا أو نحوه.

و﴿شَهِيدًا﴾ نصب على التمييز، وقيل: على الحال.

و﴿إِن﴾ هذه عند سيبويه هي مخففة موجبةٌ حرفَ ابتداء، ولزمتها اللام فرقاً بينها وبين «إنْ» النافية، وقال الفراء: ﴿إِن﴾ بمعنى «ما» واللام بمعنى «إلا»[١]. و﴿هُنَالِكَ﴾ نصب على الظرف.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر: ﴿تَبْلُوا۟﴾ بالباء بواحدة بمعنى: تختبر، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿تتلوا﴾ بالتاء بنقطتين من فوق[٢] بمعنى تتبع، أي: تطلب وتتبع ما أسلفت من أعمالها، ويصح أن يكون بمعنى: تقرأ كتبها التي ترفع إليها.

وقرأ يحيى بن وثاب (ورِدُّوا) بكسر الراء[٣]، والجمهور: ﴿وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾، أي: ردوا إلى عقاب مالكهم وشديد بأسه، فهو مولاهم في الملك والإحاطة لا في الرحمة والنصر ونحوه.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

---

(١) هذا مذهبهما في مثل هذا، وليس في هذه الآية خاصة.

(٢) وهما سَبْعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢١).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في البحر المحيط (٦/ ٥٢)، وتقدم في الآية (٢٨) من سورة الأنعام عزوها له ولإبراهيم والأعمش.

هذا توقيف وتوبيخ واحتجاج لا محيد عن التزامه، و﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يريد: بالمطر، ومن (الْأَرْضِ) يريد بالإنبات ونحو ذلك.

و﴿يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾، لفظ يعم جملة الإنسان ومعظمه، حتى إن ما عداهما من الحواس(١) تبع.

و﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾: الجنين من النطفة، والطائر من البيضة، والنبات من الأرض، إذ له نمو شبيه بالحياة، ﴿وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾، مثل البيضة من الطائر ونحو ذلك، وقد تقدم فيما سلف إيعاب القول في هذه المعاني.

وتدبير الأمر عام لهذا وغيره من جميع الأشياء، وذلك استقامة الأمور كلها عن إرادته عز وجل، وليس تدبيره بفكر ولا روية وتغيرات تعالى عن ذلك، بل علمه محيط كامل دائم، ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ لا مندوحة لهم عن ذلك، ولا تُمْكنهم المباهتة بسواه، فإذا أقروا بذلك ﴿فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ في افترائكم وجَعْلكم الأصنام آلهة.

وقوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ﴾ الآية، يقول: فهذا الذي هذه صفاته ﴿رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّ﴾: أي: المستوجب للعبادة والألوهية، وإذا كان ذلك فتشريك غيره ضلال وغير حق.

وعبارة القرآن في سَوق هذه المعاني تفوت كل تفسير براعة وإيجازاً وإيضاحاً.

وحكمت هذه الآية بأنه ليس بين الحق والضلال منزلة ثالثة في هذه المسألة التي هي توحيد الله، وكذلك هو الأمر في نظائرها، وهي مسائل الأصول التي الحقُّ فيها في طرف واحد، لأن الكلام فيها إنما هو في تقرير وجود ذات كيف هي.

وذلك بخلاف مسائل الفروع التي قال الله تعالى فيها: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال النبي ﷺ: «الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور متشابهات»(٢).

(١) «من الحواس» ساقطة من المطبوع.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعاً به.

والْحَقُّ في هذه في الطرفين لأن المتعبدين إنما طلبوا بالاجتهاد لا بعين[١] في كل نازلة، ويدلك على أن الحق في الطرفين اختلاف الشرائع بتحليل وتحريم في شيء واحد، والكلام في مسائل الفروع إنما هو في أحكام طارئة على وجود ذات متقرِّرة لا يُختلف فيها، وإنما يختلف في الأحكام المتعلقة بالمتشرع.

وقوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ تقرير كما قال: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦].

ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ﴾ أي: كما كانت صفات الله كما وصف، وعبادته واجبة كما تقرَّر، وانصراف هؤلاء كما قدر عليهم وتكسبوا ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ﴾.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي هنا وفي آخر السورة: ﴿كَلِمَةُ﴾ على الإفراد الذي يراد به الجمع، كما يقال للقصيدة: كلمةٌ، فعبَّر عن وعيد الله تعالى بكلمته.

وقرأ نافع وابن عامر في الموضعين المذكورين: ﴿كلمات﴾، وهي قراءة أبي جعفر وشيبة بن نصاح[٢]، وهذه الآية إخبار أن في الكفار من حتم الله بكفره وقضى بتخليده.

وقرأ ابن أبي عبلة: (إنهم) بكسر الألف[٣].

قوله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

هذا توقيف أيضاً على قصور الأصنام وعجزها، وتنبيه على قدرة / الله عز وجل، [٣/ ١٠] وبدءُ الخلق يريد به إنشاء الإنسان في أول أمره، وإعادتُه هي البعث من القبور.

---

(١) في أحمد٣ والمطبوع: لا بالتعيين.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٢٢)، والنشر (٢/ ٢٦٢).

(٣) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (٦/ ٥٤).

و﴿تُؤۡفَكُونَ﴾ معناه: تصرفون وتحرمون، تقول العرب: أرض مأفوكة، إذا لم يصبها مطر فهي بمعنى الخيبة والقلب[١]، كما قال: ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ﴾ [النجم: ٥٣].

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ﴾ الآية، ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ﴾ يريد به: يبين طرق الصواب، ويدعو إلى العدل، ويفصح بالآيات ونحو هذا، ووصف الأصنام بأنها لا تهدي إلا أن تُهدى، ونحن نجدها لا تهتدي وإن هديت، فوجه ذلك أنه عامَلَ في العبارة عنها معاملتهم في وصفها بأوصافِ مَن يعقل، وذلك مجاز وموجود في كثير من القرآن، وذكر ذلك أبو علي الفارسي[٢].

والذي أقول: إن قراءة حمزة والكسائي تحتمل أن يكون المعنى: أمَّن لا يهدي أحداً إلا أن يُهدى ذلك الأحدُ بهداية من عند الله، وأما على غيرها من القراءات التي مقتضاها: أمَّن لا يهتدي إلا أن يُهدى، فيتجه المعنى على ما تقدم لأبي علي الفارسي، وفيه تجوُّز كثير.

وقال بعضهم: هي عبارة عن أنها لا تنتقل إلا أن تنقل، ويحتمل أن يكون ما ذكر الله من تسبيح الجمادات هو اهتداؤها، ويحتمل أن يكون الاستثناء في اهتدائها إشارةً[٣] إلى مناكرة الكفار يوم القيامة، حسبما مضى في هذه السورة.

وقراءة حمزة[٤] والكسائي هي: ﴿يَهْدي﴾ بفتح الياء وسكون الهاء.

وقرأ نافع وأبو عمرو وشيبة والأعرج وأبو جعفر: ﴿يهْدّي﴾ بسكون الهاء وتشديد الدال، وقرأ ابن كثير وابن عامر: ﴿يهدِّي﴾ بفتح الياء والهاء، وهذه أفصح القراءات، نقلت حركة تاء (يهتدي) إلى الهاء وأدغمت التاء في الدال، وهذه رواية ورش عن نافع.

وقرأ عاصم في رواية حفص: ﴿يَهِدِّيٓ﴾ بفتح الياء وكسر الهاء وشد الدال، [أتبع الكسرة الكسرة.

---

(١) في المطبوع: «التلف»، وهي محتملة في أحمد٣.

(٢) في الحجة (٤/ ٢٧٦).

(٣) زيادة من نجيبويه.

(٤) في المطبوع «الحمزة» بدلا من «حمزة».

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿يِهِدّي﴾، بكسر الياء والهاء وشد الدال][1] وهذا أيضاً إتباع[2]، وقال مجاهد: الله يهدي من الأوثان وغيرها ما شاء[3].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف.

وقرأ يحيى بن الحارث الذِّمَاري: (إلا أن يهَدِّي) بفتح الهاء وشد الدال[4].

ووقف القراء على ﴿فَمَا لَكُمْ﴾، ثم يبدأ: ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[5].

وقوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾، إخبار عن فساد طرائقهم وضعف نظرهم وأنه ظن، ثم بيَّن منزلة الظن من المعارف وبُعده من الحق.

والظَّنّ في هذه الآية على بابه في أنه معتقَد أحد جائزَيْن، لكن ثَم ميلٌ إلى أحدهما دون حجة تبطل الآخر، وجواز ما اعتقده هؤلاء إنما هو بزعمهم لا في نفسه، بل ظنهم محال في ذاته، و﴿ٱلْحَقِّ﴾ أيضاً على بابه في أنه معرفة المعلوم على ما هو به [ذا حقيقة بينة للعقل][6]، وبهذه الشروط لا يغني الظن من الحق شيئاً.

وأما في طريق الأحكام التي تعبِّد الناس بظواهرها فيغني الظن في تلك الحقائق ويصرف من طريق إلى طريق، والشهادة إنما هي مظنونة، وكذلك التهم في الشهادات وغيرها[7] تغني. وليس المراد في هذه الآية هذا النمط.

وقرأ جمهور الناس: ﴿يَفْعَلُونَ﴾.

---

(١) من الأسدية والتركية والمطبوع ونجيبويه.

(٢) هذه خمس قراءات سبعية، انظرها في التيسير (ص: ١٢٢)، إلا أنه صدر لقالون وأبي عمرو بالإخفاء، وانظر النشر (٢/ ٢٨٤).

(٣) انظر: تفسير مجاهد (ص: ٣٨١)، وتفسير الطبري (١٥/ ٨٩)، وفي نجيبويه: «وقرأ مجاهد»، وهو خطأ واضح.

(٤) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٦١).

(٥) انظر: الهداية لمكي (٥/ ٣٢٦٦).

(٦) زيادة من نجيبويه.

(٧) «غيرها» ساقطة من المطبوع.

وقرأ عبد الله بن مسعود: (تفعلون) بالتاء[1] على مخاطبة الحاضر.

قوله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

هذا نفي قول من قال من قريش: إن محمداً يفتري القرآن وينسبه إلى الله تعالى، وعبر عن ذلك بهذه الألفاظ التي تتضمن تشنيع قولهم وإعظام الأمر، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ [آل عمران: ١٦١] وكما قال حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ﴾ [المائدة: ١١٦] ونحو هذا مما يعطي المعنى والقرائنُ والبراهين استحالتَه.

و﴿يُفْتَرَىٰ ﴾ معناه: يختلق وينشأ، وكأن المرء يفريه من حديثه، أي: يقطعه ويَسِمه سمة، فهو مشتق من فريت: إذا قطعت لإصلاح.

و﴿تَصْدِيقَ ﴾ نصب على المصدر والعامل فيه فعل مضمر، وقال الزجّاج: هو خبر «كان» مضمرة، والتقدير: ولكن كان تصديق الذي بين يديه[2].

وقوله: ﴿ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ يريد التوراة والإنجيل، والذي بين اليد هو المتقدم للشيء، وقالت فرقة في هذه الآية: إن الذي بين يديه هي أشراط الساعة وما يأتي من الأمور.

قال القاضي أبو محمد: وهذا خطأ، والأمر بالعكس، كتاب الله تعالى بين يدي تلك، أما إن الزجّاج تحفَّظ فقال: الضمير يعود على الأشراط، والتقدير: ولكن تصديق الذي بين يديه القرآن.

قال القاضي أبو محمد: وهذا أيضاً قلِقٌ، وقيام البرهان على قريش حينئذ إنما كان في أن يصدق القرآنُ ما في التوراة والإنجيل، مع أن الآتي بالقرآن ممن يقطعون أنه لم يطالع تلك الكتب ولا هي في بلده ولا في قومه.

---

(١) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٦٢).

(٢) انظره مع ما سيأتي عنه بعده في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٠).

و﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: هو تبيينه، و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يريد: هو في نفسه على هذه الحالة، وإن ارتاب مبطل فذلك لا يلتفت إليه.

وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ الآية، ﴿أَمْ﴾ هذه ليست بالمعادِلة لألف الاستفهام التي في قولك: أزيد قام أم عمرو؟ ، وإنما هي التي تتوسط الكلام.

ومذهب سيبويه أنها بمنزلة الألف و«بل» لأنها تتضمن استفهاماً وإضراباً عما تقدم، وهي كقولهم: إنها لإبل أم شاء(١).

وقالت فرقة في ﴿أَمْ﴾ هذه: هي بمنزلة ألف الاستفهام.

ثم عجَّزهم في قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ والسورة مأخوذة من سورة البناء، وهي من القرآن هذه القطعة التي لها مبدأ وختم، والتحدي في هذه الآية وقع بجهتي الإعجاز اللتين في القرآن: إحداهما النظم والرصف والإيجاز والجزالة، كل ذلك في التعريف بالحقائق، والأخرى المعاني من الغيب لما مضى ولما يستقبل، وحين تحداهم بعشرٍ مفتريات إنما تحداهم بالنظم وحده.

قال القاضي أبو محمد: هكذا قول جماعة من المتكلمين، وفيه عندي نظر، وكيف يجيء التحدي بمماثلة في الغيوب ردّاً على قولهم: افْتراهُ، وما وقع التحدي في الآيتين ـ هذه وآية العشر السور ـ إلا بالنظم والرصف والإيجاز في التعريف بالحقائق، وما أُلزموا قط إتياناً بغيب، لأن التحدي بالإعلام بالغيوب / كقوله: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ٣]، وكقوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الفتح: ٢٧] ونحو ذلك من غيوب القرآن فبين أن البشر مقصر عن ذلك. [٣/ ١١]

وأما التحدي بالنظم فبيِّنٌ أيضاً أن البشر مقصر عن نظم القرآن، إذ الله عز وجل قد أحاط بكل شيء علماً، فإذا قدر(٢) الله اللفظة في القرآن عَلِم بالإحاطة اللفظة التي

(١) الكتاب لسيبويه (٣/ ١٧٢).

(٢) في الأسدية ونجيبويه والتركية: «قرر».

هي أليق بها في جميع كلام العرب في المعنى المقصود، حتى كمل القرآن على هذا النظام الأول فالأول[(١)].

[والبشر مع أن يُفرض أفصح العالم، محفوف بنسيان وجهل بالألفاظ والحق، وبغلط وآفات بشرية، فمحال أن يمشي في اختياره على الأَوْلَى فالأولى][(٢)].

ونحن نجد العربي ينقح قصيدته، وهي الحوليات[(٣)]، يبدل فيها ويقدم ويؤخر، ثم يدفع تلك القصيدة إلى أفصح منه فيزيد في التنقيح، ومذهب أهل الصِّرفة مكسور بهذا الدليل[(٤)]، فما كان قط في العالم إلا من كان فيه تقصير سوى من يوحي إليه الله تعالى، وميّزت فصحاء العرب هذا القدر من القرآن وأذعنت له لصحة فطرتها وخلوص سليقتها، وأنهم يعرف بعضهم كلام بعض ويميزه من غيره، كفعل الفرزدق في أبيات جرير، والجارية في شعر الأعشى، وقول الأعرابي في: «عزَّ فحكم[(٥)] فقطع»[(٦)]، ونحو ذلك مما إذا تُتبع بان.

والقدر المعجز من القرآن ما جمع الجهتين: اطراد النظم والسرد، وتحصيل المعاني وتركيب الكثير منها في اللفظ القليل، فأما مثل قوله تعالى: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤] وقوله: ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ [المدثر: ٢١] فلا يصح التحدي بالإتيان بمثله، لكن بانتظامه واتصاله يقع العجز عنه.

---

(١) في المطبوع وأحمد٣ ونجيبويه: «الأولى فالأولى».

(٢) ساقط من الأصل، في التركية: «يعرض»، بدل «يفرض»، و«إخباره» بدل «اختياره».

(٣) هي قصائد لزهير، قال في الصناعتين (ص: ١٤١): كان يعمل القصيدة في ستة أشهر ويهذّبها في ستة أشهر، ثم يظهرها، فتسمّى قصائده الحوليات لذلك، وفي البيان والتبيين (٢/ ٨): وكانوا يسمون تلك القصائد: الحوليات، والمقلّدات، والمنقّحات، والمحكّمات.

(٤) أهل الصرفة هم القائلون بأن الله منع العرب وصرفهم عن الإتيان بمثل القرآن، انظر: تفسير القرطبي (١/ ٧٥).

(٥) كتبت في المطبوع: «في عرْفجِكم»، وشرح العرفج في الحاشية بأنه نبات طيب...!

(٦) تقدم الكلام على هذه الألفاظ في الباب الذي عقده المؤلف لإعجاز القرآن في مقدماته.

وقوله: ﴿مِّثۡلِهِۦ﴾ صفة للسورة، والضمير عائد على القرآن المتقدم الذكر، كأنه قال: فأتوا بسورة مثل القرآن، أي: في معانيه وألفاظه، وخلطت فرق في قوله: ﴿مِّثۡلِهِۦ﴾ من جهة اللسان، كقول الطبري: ذلك على المعنى، ولو كان على اللفظ لقال: «مثلها»[(١)]، وهذا وهم بيّن لا يحتاج إليه.

وقرأ عمرو بن فائد: (بسورةِ مثله)[(٢)]، على الإضافة، قال أبو الفتح: «التقدير: بسورةِ كلامٍ مثله»، قال أبو حاتم: أمر عبدُ الله الأسودَ أن يسأل عمرَ عن إضافة (سورة) أو تنوينها فقال له عمر: كيف شئت.

وقوله: ﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم﴾ إحالة على شركائهم وجنهم وغير ذلك، وهو كقوله في الآية الأخرى: ﴿لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٨] أي: مُعِيناً، وهذا أشد إقامة لنفوسهم وأوضح تعجيزاً لهم.

قوله عز وجل: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٩ وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤٠ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٤١ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ٤٢ وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ ٤٣﴾.

المعنى: ليس الأمر كما قالوا في أنه مفترى ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ﴾، وهذا اللفظ يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يريد به الوعيد الذي توعدهم الله عز وجل على الكفر، و﴿تَأۡوِيلُهُۥ﴾ على هذا يراد به ما يؤُول إليه أمره، كما هو في قوله: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣]، والآية بجملتها على هذا التأويل تتضمن وعيداً.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٩٢).

(٢) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (١/ ٣١٢)، ومختصر الشواذ (ص: ٦٢)، وكلام أبي حاتم لم أجد من نقله.

والمعنى الثاني: أنه أراد: بل كذبوا بهذا القرآن العظيم المنبئ [بالحق و][١] بالغيوب الذي لم تتقدم لهم به معرفة، ولا أحاطوا بعلم غيوبه وحقائقه[٢] وحُسن نظمه، ولا جاءهم تفسير ذلك وبيانه.

و﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ يريد من سلف من أمم الأنبياء، قال الزجّاج: ﴿كَيۡفَ﴾ في موضع نصب على خبر ﴿كَانَ﴾ ولا يجوز أن يعمل فيها ﴿فَٱنظُرۡ﴾ لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه[٣].

قال القاضي أبو محمد: هذا قانون النحويين لأنهم عاملوا «كيف» في كل مكان معاملة الاستفهام المحض في قولك: كيف زيد؟ ولكيف تصرفاتٌ غير هذا، تحل محل المصدر الذي هو كيفية وتخلع معنى الاستفهام، ويحتمل هذا أن يكون منها، ومن تصرفاتها قولهم: كن كيف شئت، وانظر قول البخاري: «كيف كان بدء الوحي»[٤] فإنه لم يستفهم.

وذكَّر الفعل المسند إلى العاقبة لما كانت بمعنى المآل ونحوِه، وليس تأنيثها بحقيقي.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾ الآية، الضمير في (مِنْهُمْ) عائد على قريش.

ولهذا الكلام معنيان:

قالت فرقة: معناه: من هؤلاء القوم من سيؤمن في المستقبل ومنهم من حتم[٥] الله أنه لا يؤمن به أبداً.

---

(١) زيادة من نجيبويه.

(٢) زيادة من نجيبويه، وهي في أحمد٣ ملحقة في الهامش.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢١).

(٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، (١/ ١٣).

(٥) في نجيبويه: ختم.

وقالت فرقة: معناه من هؤلاء القوم من هو مؤمن بهذا الرسول، إلا أنه يكتم إيمانه وعلمه بأن نبوة محمد ﷺ وإعجاز القرآن حقٌّ، حفظاً لرياسته أو خوفاً من قومه، كالفتية الذين خرجوا إلى بدر مع الكفار فقتلوا فنزل فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧] وكالعباس ونحو هذا، ومنهم من ليس بمؤمن[١].

وفائدة الآية على هذا التأويل: التفريق[٢] لكلمة الكفار، وإضعاف نفوسهم، وأن يكون بعضهم على وجل من بعض.

وفي قوله: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾، تهديد ووعيد، وقوله: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾، آية منابذة[٣] لهم ومتارَكةٍ[٤]، وفي ضمنها وعيد وتهديد، وهذه الآية نحوُ قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] إلى آخر السورة، وقال كثير من المفسرين منهم ابن زيد: «هذه الآية منسوخة بالقتال»[٥] لأن هذه مكية، وهذا صحيح.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾، جمع ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ على معنى ﴿مَّن﴾ لا على لفظها، ومعنى الآية: ومن هؤلاء الكفار من يستمع إلى ما يأتي به من القرآن بأُذنه، ولكنه حين لا يؤمن ولا يحصِّل فكأنه لا يسمع، ثم قال على وجه التسلية للنبي ﷺ: أفأنت يا محمد تريد أن تسمع الصم، أي: لا تكترثْ بذلك.

وقوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾ معناه: ولو كانوا من[٦] أشد حالات الأصم، والأصم[٧] الذي لا يسمع شيئاً بحال، فذلك لا يكون في الأغلب إلا مع فساد العقل

---

(١) انظر: زاد المسير (٢/ ٣٣٢).
(٢) في الأصل: «التفرق».
(٣) في الأصل والمطبوع: «مناجزة».
(٤) في أحمد٣: مشاركة، وكذا في الأصل مع الإشارة للنسخة الأخرى في الهامش.
(٥) انظر قول ابن زيد في: تفسير الطبري (١٥/ ٩٥).
(٦) في الأسدية والتركية ونجيبويه: «في»، وفي المطبوع: «إلى».
(٧) في المطبوع: «لأن الأصم».

والدماغ، فلا سبيل أن يعقل حجةً ولا دليلاً[١] أبداً، وَ(لَوْ) هذه بمعنى «إنْ»، وهذا توقيف للنبي ﷺ، أي: ألزم نفسك هذا.

وقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ الآية، هي نحوُ الأولى في المعنى، وجاء ﴿يَنظُرُ﴾ على لفظ ﴿مَّن﴾، وإذا جاء الفعل على لفظها / فجائز أن يعطف عليه آخر [٣/ ١٢]
على المعنى، وإذا جاء أولاً على معناها فلا يجوز أن يعطف عليه آخر على اللفظ، لأن الكلام يُلْبِس حينئذ، وهذه الآية نحو الأولى في المعنى، كأنه قال: ومنهم من ينظر إليك ببصره لكنه لا يعتبر ولا ينظر ببصيرته، فهو لذلك كالأعمى، فهوِّن ذلك عليك، أفتريد أن تهدي العمي، والهداية أجمع إنما هي بيد الله عز وجل.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

قرأت فرقة: ﴿ولكن الناس﴾، بتخفيف «لكن» ورفع «الناس».

وقرأت فرقة: ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ بتشديد (لكنّ) ونصب ﴿ٱلنَّاسَ﴾[٢].

وظلم الناس لأنفسهم إنما هو بالتكسب منهم الذي يقارن اختراع الله تعالى لأفعالهم، وعُرْف «لكن» إذا كان قبلها واو أن تثقَّل وإذا عريت من الواو أن تخفف، وقد ينخرم هذا، وقال الكوفيون: قد يدخل اللام في خبر «لكنَّ» المشددة على حد دخولها في «إنَّ» ومنع ذلك البصريون[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ الآية، وعيد بالحشر وخزيهم فيه وتعارفهم في

(١) في المطبوع: «دليل».
(٢) وهما سبعيتان، الأولى لحمزة والكسائي، والثانية للباقين، انظر: التيسير (ص: ١٢٢).
(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٣٤٦)

التلاوم بعضهم لبعض، و(يَوْمَ) ظرف ونصبه يصح بفعل مضمر تقديره: واذكر يوم، ويصح أن ينتصب بالفعل الذي يتضمنه قوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ ويصح نصبه بـ﴿يَتَعَارَفُونَ﴾، والكاف من قوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ يصح أن تكون في معنى الصفة لليوم، ويصح أن تكون في موضع نصب[1] للمصدر، كأنه قال: ويوم نحشرهم حشراً كأن لم يلبثوا، ويصح أن يكون قوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ في موضع الحال من الضمير في ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ وخصص النَّهارَ بالذكر لأن ساعاته وقسمه معروفة بيّنة للجميع، فكأن هؤلاء متحققون قلة ما لبثوا، إذ كل أمد طويل إذا انقضى فهو واليسير سواء.

وأما قوله: ﴿يَتَعَارَفُونَ﴾: فيحتمل أن يكون معادلة لقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ كأنه أخبر أنهم [يوم الحشر][2] يَتَعارَفُونَ، وهذا التعارف على جهة التلاوم والخزي من بعضهم لبعض.

ويحتمل أن يكون في موضع الحال من الضمير في ﴿نحْشُرُهُمْ﴾ ويكون معنى التعارف كالذي قبله، ويحتمل أن يكون حالاً من الضمير في ﴿يَلْبَثُوٓاْ﴾ ويكون التعارف في الدنيا، ويجيء معنى الآية: ويوم نحشرهم للقيامة فتنقطع المعرفة بينهم والأسباب ويصير تعارفهم في الدنيا كساعة من النهار لا قدْر لها، وبنحو هذا المعنى فسر الطبري[3].

وقرأ السبعة وجمهور الناس: ﴿نَحشرهم﴾، بالنون، وقرأ الأعمش فيما روي عنه: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ بالياء[4].

وقوله: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ﴾ إلى آخرها حكم على المكذبين بالخسار، وفي اللفظ إغلاظ على المحشورين من إظهارٍ لما هم عليه من الغرر مع الله تعالى، وهذا على أن الكلام إخبار من الله تعالى وقيل: إنه من كلام المحشورين على جهة التوبيخ لأنفسهم.

(١) في المطبوع وأحمد٣: «نعت».
(٢) من الأسدية والتركية والمطبوع.
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٩٧).
(٤) بل هما سبعيتان، والثانية لحفص عن عاصم. انظر: التيسير (ص ١٠٧).

وقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ الآية، (إِمَّا) شرط وجوابه ﴿فَإِلَيْنَا﴾، والرؤية في قوله: ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ رؤية بصر، وقد عدي الفعل بالهمزة فلذلك تعدى إلى مفعولين: أحدهما الكاف، والآخر ﴿بَعْضَ﴾، والإشارة بقوله ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى﴾ إلى عقوبة الله لهم في بدر وغيرها.

ومعنى هذه الآية الوعيد بالرجوع إلى الله تعالى؛ أي: إن أريناك عقوبتهم أو لم نُرِكَها، فهم على كل حال راجعون إلينا إلى الحساب والعذاب، ثم مع ذلك فالله شهيد من أول تكليفهم على جميع أعمالهم فـ﴿ثُمَّ﴾ هاهنا لترتيب الإخبار لا لترتيب القصص في أنفسها.

و(إما) هي: (إن) زيدت عليها (ما)، ولأجلها جاز دخول النون الثقيلة، ولو كانت (إنْ) وحدها لم يجز.

قوله عز وجل: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾، إخبار، مثل قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الملك: ٨].

وقال مجاهد وغيره: المعنى: فإذا جاء رسولهم يوم القيامة للشهادة عليهم صُيِّر قوم للجنة وقوم للنار، فذلك القضاء بينهم بالقسط[(١)]، وقيل: المعنى: فإذا جاء رسولهم في الدنيا وبعث صاروا مِن حتم الله بالعذاب لقوم والمغفرة لآخرين لغاياتهم، فذلك قضاء بينهم بالقسط.

وقرن بعض المتأولين هذه الآية بقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[(٢)]، وذلك يتفق إما بأن نجعل ﴿مُعَذِّبِينَ﴾ في الآخرة، وإما بأن نجعل القضاء بينهم في الدنيا بحيث يصح اشتباه الآيتين.

---

(١) انظر تفسير مجاهد (ص: ٣٨١)، تفسير الطبري (١٥/ ٩٩).

(٢) الإسراء: ١٥، وانظر ذلك في: مفاتيح الغيب (١٧/ ٨٦).

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾، الضمير في (يَقُولُونَ) يراد به الكفار، وسؤالهم عن الوعد تحرير بزعمهم في الحجة، أي: هذا العذاب الذي توعدنا حدِّدْ لنا فيه وقته لنعلم الصدق في ذلك من الكذب، وقال بعض المفسرين: قولهم هذا على جهة الاستخفاف.

قال القاضي أبو محمد: وهذا لا يظهر من اللفظة.

ثم أمره تعالى أن يقول لهم: ﴿لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾، المعنى: قل لهم يا محمد ردّاً للحجة إني لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي من دون الله ضَرّاً وَلا نَفْعاً ، ولا أنا[(١)] إلا في قبضة سلطانه وبضمن الحاجة إلى لطفه، فإذا كنت هكذا فأحرى أن لا أعرف غيبه ولا أتعاطى[(٢)] شيئاً من أمره، ولكن لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ انفرد الله تعالى بعلم حده ووقته، فإذا جاء ذلك الأجل في موت أو هلاكِ أمة لم يتأخروا ساعة، ولا أمكنهم التقدم عن حد الله عز وجل.

وقرأ ابن سيرين: آجالهم بالجمع[(٣)].

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ / ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾. [٣/ ١٣]

المعنى: ﴿قُلْ﴾: يأيُّها الكفرة المستعجلون[(٤)] عذابَ الله عزَّ وجلَّ ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ

(١) «ولا أنا»، سقطت من الأصل، وكذا: «من دون الله».

(٢) كتبت في الأصل: «أتعاصى».

(٣) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٢٢٧)، وقد تقدم مثلها في الآية (**٣٣**) من سورة الأعراف.

(٤) في المصرية ونور العثمانية: «أتستعجلون».

أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ﴾ ليلاً وقت المبيت؟ يقال: بيّت القومُ القومَ: إذا طرقوهم ليلاً بحربٍ أو نحوها، ﴿أَوْ نَهَارًا﴾ لكم منه مَنَعَة أو به طاقة؟ فماذا تستعجلون منه وأنتم لا قِبَلَ لكم به؟ و(مَا) ابتداءٌ، و(ذَا) خبره، ويصح أن تكون ﴿مَّاذَا﴾ بمنزلة اسم واحد في موضع رفع بالابتداءِ وخبره الجملة التي بعده، وضعف هذا أبو علي وقال: إنما يجوز ذلك على تقدير إضمارٍ في ﴿يَسْتَعْجِلُ﴾ وحَذْفِهِ، كما قال:

[الرجز] قـدْ أَصْبَحَـتْ أُمُّ الخِيـارِ تَدَّعـي عَلَـيَّ ذَنْبـاً كُلُّـهُ لَـمْ أَصْنَـعِ[1]

و: زيدٌ ضربْتُ[2]، قال: ويصحُّ أن تكون ﴿مَّاذَا﴾ في حال نصب لـ﴿يَسْتَعْجِلُ﴾[3].

والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ يحتمل أن يعود على الله عزَّ وجلَّ، ويحتمل أن يعود على العذاب.

وقوله تعالى: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ الآية، عطف بقوله: ﴿ثُمَّ﴾ جملةَ القول على ما تقدم، ثم أَدخل على الجميع أَلف التقرير[4]، ومعنى الآية: إذا وقع العذاب وعاينتموه آمنتم به حينئذ، وذلك غير نافعكم، بل جوابكم الآن، وقد كنتم تستعجلونه مكذبين به.

وقرأ طلحة بن مصرف: (أَثَمَّ) بفتح الثاءِ[5]، وقال الطبري في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ﴾ بضم الثاءِ: معناه: هنالك، وقال: ليست ﴿ثُمَّ﴾ هذه التي تأْتي بمعنى العطف[6].

قال القاضي أبو محمد: والمعنى الصحيح على أَنها «ثُمَّ» المعروفة، ولكن إِطباقه على لفظ التنزيل هو كما قلنا، وما ادعاه الطبري غير معروف.

---

(١) هذا جزءٌ من بيت لأبي النجم، وقد سبق الاستشهاد به عند تفسير الآية (٥٠) من سورة المائدة، وأوله زيادة من نجيبويه.

(٢) في المصرية: لم أضربه.

(٣) لم أجده في كتبه المتوفرة، وقد تكلم على هذه الآية في الحجة (٢/ ٢١٤).

(٤) في المصرية والأسدية١: التقدير.

(٥) وهي شاذة عزاها الهذلي في الكامل (ص: ٥٦٨) للسمان عن طلحة، وقتادة، وابن أبي عبلة.

(٦) تفسير الطبري (١٥/ ١٠١).

و(الآنَ) أَصله عند بعض النحاة «آنَ» فعل ماض دخلت عليه الأَلف واللام، على حدّها في قوله: الحِمَارِ الْيُجَدَّعُ[١]، ولم يتعرف بذلك كل التعريف، ولكنها لفظة مضمنة معنى حرف التعريف، ولذلك بُنيت على الفتح لتضمنها معنى الحرف، ولوقوعها موقع المبهم، لأن معناها: هذا الوقت.

وقرأَ الأَعمش، وأَبو عمرو، وعاصم، والجمهور: ﴿ ءَآلْـَٔنَ ﴾ بالمد والاستفهام على حد التوبيخ، وكذلك: ﴿ ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ ﴾ [يونس: ٩١]، وقرأها باستفهام بغير مدّ طلحة والأعرج[٢].

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ الآية، هو[٣] الوعيد الأعظم بالخلود لأهل الظلم الأَخصِّ الذي هو ظلم الكفر لا ظلم المعصية.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ ﴾ توقيف وتوبيخ، ونصت هذه الآية على أَن الجزاءَ في الآخرة هو[٤] على تكسّب العبد.

وقوله: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ ﴾ معناه: يستخبرونك، وهي على هذا تتعدى إلى مفعولين: أحدهما الكاف، والآخر في الابتداء والخبر، وقيل: هي بمعنى: يستعلمونك، فهي على هذا تحتاج إلى مفعولِينَ[٥] ثلاثةٍ: أحدها الكاف، والابتداءُ والخبر سدّ مسَدَّ المفعولين.

و﴿أَحَقٌّ هُوَ ﴾ قيل: الإشارة إلى الشرع والقرآن، وقيل: إلى الوعيد وهو الأظهر.

وقرأ الأعمش: (آلحق هو) بمدة وبلام التعريف[٦].

---

(١) من بيت ذي الخِرَق الطُّهَوي تقدم في الآية (١٥٧) من آل عمران.

(٢) تابعه عليها في البحر المحيط (٦/ ٧٠)، والأولى هي المتواترة، إلا أن فيها وجهاً آخر للجميع، بالتسهيل.

(٣) في المصرية والأسدية١ والتركية: «هذا».

(٤) في الأصل: «وهو»، على العطف.

(٥) كذا في الأصل والحمزوية، ويضبط بكسر اللام جمع مفعول، وفي المطبوع: «مفاعيل» وهو أوضح.

(٦) وهي شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (١/ ٣١١)، والكشاف للزمخشري (٢/ ٣٥٢).

وقوله: ﴿إِي﴾ هي لفظة تتقدم القَسَم، وهو بمعنى نعم، ويجيءُ بعدها حرف القسم وقد لا يجيءُ، تقول: إِي وربي، و: إِي ربّي[١].

و(معجزين) معناه: مُفْلتين، وهذا الفعل أَصله تعدية «عجز» لكن كثر فيه حذف المفعول حتى قالت العرب: أَعْجَزَ فلانٌ، إذا ذهب في الأَرض فلم يُقدر عليه.

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٥٤) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٥) هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٥٦)﴾.

[هذا إِخبارٌ للكفار في سياق إِخبارهم بأَن ذلك الوعد حق][٢].

(وَأَسَرُّوا): لفظة تجيءُ بمعنى: أَخْفَوْا، وهي حينئذ من السّر، وتجيءُ بمعنى: أَظهروا، وهي حينئذ من أَسارير الوجه.

قال الطبري: المعنى: وأخفى رؤَساءُ هؤلاءِ الكفار الندامة عن سفلتهم ووضعائهم[٣].

قال القاضي أبو محمد: بل هو[٤] عام في جميعهم.

و﴿أَلَا﴾ استفتاح وتنبيه، ثم أَوجب أَن جميع ما في السَّماواتِ وَالْأَرْضِ مِلك لله تعالى، قال الطبري: يقول: فليس لهذا الكافر يومئذ شيءٌ يفتدي به[٥].

قال القاضي أبو محمد: وربط الآيتين هكذا يتجه على بُعدٍ، وليس هذا من فصيح المقاصد.

وقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قيّد بالأَكثر لأَن بعض الناس يؤمن، فهم

---

(١) في المصرية: «وإي وأيَّ وربي» والصواب المثبت. انظر: مغني اللبيب (ص١٠٦).
(٢) ساقط من نور العثمانية، وفي المصرية وأحمد٣: الوعيد، بدل الوعد.
(٣) تفسير الطبري (١٥/ ١٠٣)، بتصرف.
(٤) في الحمزوية: «والظاهر أنه».
(٥) تفسير الطبري (١٥/ ١٠٣)، بتصرف.

يعلمون حقيقة وعد الله تعالى، وأكثرهم لا يعلمون فهم لأَجل ذلك يكذبون.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ يُحْيِۦ﴾ يريد: يُحْيي من النطفة، ﴿وَيُمِيتُ﴾ بالأَجل، ثم يَجعل المرجع إِليه بالحشر يوم القيامة، وفي قوة هذه الآيات ما يستدعي الإِيمان وإِجابة دعوة الله.

وقرأ ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بالتاءِ من فوق الأَعرج، وأَبو عمرو، وعاصم، ونافع، والناس.

وقرأ عيسى بن عمر: (يُرْجعُونَ) بالياءِ من تحت، واختلف عن الحسن[1].

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

هذه آية خوطب بها جميع العالم، والموعظة: القرآن؛ لأن الوعظ إنما هو بقولٍ يأمر بالمعروف ويزجُر ويرقِّق ويُوْعِد ويَعد، وهذه صفة الكتاب العزيز.

وقوله: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يريد: لم يختلقها محمد ﷺ ولا غيره، بل هي من عند الله عزَّ وجلَّ.

و﴿لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ يريد به الجهل والعُتُوّ عن النظر في آيات الله تبارك وتعالى، ونحو هذا مما يدفع[2] الإيمان، وجعَلَه موعظة بحسب الناس أجمع[3]، وجعله هُدىً وَرَحْمَة بحسب المؤمنين فقط، وهذا تفسير[4] صحيح المعنى إِذا تُؤُمِّل بان وجهه.

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ الباءُ متعلقة بمحذوف استغني عن ذكره، يدل عليه قوله: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾، قال بعض المتأولين وهو هلال بن يِساف[5] وقتادة

---

(١) وهي شاذة انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٢٢٧)، وفي نجيبويه: «عن عاصم».

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «يدافع».

(٣) في المطبوع: «جميعاً».

(٤) في المصرية: «تقسيم».

(٥) في القاموس أنه بالكسر وقد يفتح.

والحسن[١] وابن عباس: «الفضل: الإسلام، والرحمة: القرآن»[٢].

وقال أبو سعيد الخدري: «الفضل: القرآن، والرحمة أن جعلهم من أهله»[٣].

وقال زيد بن أسلم والضحاك «الفضل: القرآن، والرحمة: الإسلام»[٤].

وقالت فرقة: الفضل: محمد ﷺ، والرحمة: القرآن.

[٣/ ١٤] قال القاضي أبو محمد: ولا وجه عندي لشيءٍ من هذا / التخصيص إِلا أَن يستند منه شيءٌ إِلى النبي ﷺ، وإِنما الذي يقتضيه اللفظ ويلزم منه أَن الفضل هو هداية الله تعالى إِلى دينه، والتوفيقُ إِلى اتباع شريعته، والرحمة هي عفوه وسُكنى جنته التي جعلها جزاءً على التَّشرع بالإِسلام والإِيمان به، ومعنى الآية: قل يا محمد لجميع الناس: بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فليقع الفرح منكم، لا بأُمور الدنيا وما يجمع من حطامها، فالمؤمنون يقال

(١) تفسير الطبري (١٥/ ١٠٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٥٩)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٢٧٧).

(٢) صحيح، أثر ابن عباس أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره (١٠٦٣) عن جرير بن عبد الحميد، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس، وأخرجه الطبري (١٧٦٨٠)، وابن أبي حاتم (١٠٤٢٨) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٣) ضعيف، هذا الأثر أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٦٨٩)، وسعيد بن منصور في تفسيره (١٠٦٤)، وابن جرير الطبري (١٢/ ١٩٤ـ ١٩٥)، وابن أبي حاتم (١٠٤٢٤) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٣٦٠) من طريق أبي معاوية، عن حجاج بن أرطاة، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري به، وحجاج بن أرطاة صدوق كثير الخطأ والتدليس، وعطية بن سعيد العوفي ضعيف ويدلس تدليس الشيوخ؛ فيحدث عن أبي سعيد موهماً أنه الخدري وهو يعني محمد بن السائب الكلبي.
وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٥١٢) من طريق أبي مالك الجَنْبي، عن حجاج، عن عطية، عن أبي سعيد، عن البراء ابن عازب به، وأبو مالك الجَنْبي هو: عمرو بن هاشم لين الحديث، وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن الحجاج إلا أبو مالك الجَنْبي.
وقد اختلف على عطية فيه، فأخرجه أبو عبيد القاسم ابن سلام في فضائل القرآن (ص٥٩)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٦٩١)، وابن جرير الطبري (١٢/ ١٩٧)، وابن أبي حاتم (١٠٤٢٧) والبيهقي في شعب الإيمان (٢٣٥٩) من طريق آخر عن عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه بمثله.

(٤) تفسير الطبري (١٥/ ١٠٨).

لهم: فَلْتَفْرَحُوا، وهم مُتَلَبِّسُونَ بعلة الفرح وسببه، ومُحَصِّلون[1] لفضل الله منتظرون الرحمة. والكافرون يقال لهم: بِفَضْلِ الله وَبِرَحْمَتِهِ فلْتَفرحوا، على معنى: أَنْ لو اتفق لكم، أَو لو سعدتم بالهداية إِلى تحصيل ذلك.

وقرأَ أُبيّ بن كعب، وابن القعقاع، وابن عامر، والحسن على ما زعم هارون، ورويت عن النبي ﷺ[2]: ﴿فَلْتَفْرَحُوا﴾، و﴿تَجْمَعُونَ﴾ بالتاءِ فيهما على المخاطبة، وهي قراءَة جماعة من السلف كبيرة[3]، وعن أَكثرهم خلاف.

وقرأَ السبعة سوى ابن عامر وأَهلُ المدينة، والأَعرج، ومجاهد، وابن أَبي إسحاق، وقتادة، وطلحة، والأَعمش بالياءِ فيهما على ذكر الغائب، ورويت عن الحسن بالتاءِ من فوق فيهما.

---

(١) في المصرية والتركية ونور العثمانية وأحمد٣ والحمزوية: «مخلصون».

(٢) حسن وقد روي موقوفاً، هذا الحديث أخرجه الطيالسي في مسنده (٥٤٧)، وسعيد بن منصور في تفسيره (١٠٦٢)، والبخاري في خلق أفعال العباد (ص ١٠٧)، وأبو داود (٣٩٨٣)، والطحاوي في شرح المشكل (٣٦٢٠-٥٥٨٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٤٣١) من طريق عبد الله بن المبارك، عن أجلح بن عبد الله بن حُجَية، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه، عن أُبي ابن كعب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أمرت أن أقرأ عليك القرآن» قال: قلت: سماني لك ربك؟ قال: «نعم» فقرأ عليَّ: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فلتفرحوا هو خير مما تجمعون﴾.
وقد روي من طرق أخرى عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى به، وأجلح بن عبد الله بن حجية صدوق، وعبد الله هذا صدوق حسن الحديث، وأخرجه محمد بن يحيى العدني في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٥٧٢٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عمر رضي الله عنه: أن النَّبِيَّ ﷺ: كَانَ يَقْرَأُ: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلتَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا تَجْمَعُونَ﴾.
وقد روي موقوفاً على أبي بن كعب رضي الله عنه كما أخرجه أبو داود (٣٩٨١)، وابن جرير الطبري (١٢/ ١٩٨).

(٣) وهي عشرية عن رويس، وقراءة ابن عامر بالياء في الاولى، وبالتاء في الثانية، وسيذكر ذلك المصنفُ قريباً، وهو خلاف ما يوهمه السياق هنا. انظر: النشر (٢/ ٢٨٥)، والكامل للهذلي (ص: ٥٦٨) ونقلها عن الحسن، وقتادة، والوليد، والزعفراني، وابن مقسم، وأبي خليد عن نافع، وزكريا عن علي، وقتيبة وعيسى عن أبي بكر وإسحاق، ونقلها الطبري (١٥/ ١٠٩) عن أبي جعفر.

وقرأَ أَبو التيَّاح[١]، وأَبو جعفر، وقتادة، بخلاف عنهم، وابن عامر بالياءِ في الأُولى وبالتاءِ في الآخرة[٢].

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن، وجماعة من السلف، ورويت عن النبي ﷺ بالتاء في الأُولى وبالياء في الآخرة، ورويت عن أَبي التياح[٣].

وإِذا تأَملت وجوه ذلك بانت على مَهْيَع الفصيح من كلام العرب، ولذلك كثر الخلاف من كل قارئ.

وفي مصحف أُبي بن كعب: (فبذلك فافرَحوا)[٤]، وأَما من قرأَ: ﴿فَلْتَفْرَحُوا﴾ فأَدخل اللام في أَمر المخاطب فذلك على لغة قليلة، حكى ذلك أَبو علي في «الحجة»[٥].

وقال أَبو حاتم وغيره: «الأصل في كل أَمر إِدخال اللام إِذا كان النهي بحرف، فكذلك الأَمر إِذا كان أَمراً لغائب بلام»[٦].

قال أَبو الفتح: إِلا أَن العرب رفضت إِدخال اللام في أَمر المخاطب لكثرة ترداده[٧].

وقرأَ أَبو التياح، والحسن بكسر اللام من (فَلِتَفْرَحُوا)[٨].

---

(١) هو يزيد بن حميد، أبو التياح الضبعي البصري أحد العلماء الزهاد، روى عن أنس ومطرف وجماعة، وعنه شعبة والحمادان وآخرون، قال أحمد: ثبت ثقة، وقال أبو إياس: ما أحد أحب أن ألقى الله بمثل عمله منه، توفي سنة (١٢٨هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٣٠٦).

(٢) هاتان سبعيتان، والثانية لابن عامر، كما في التيسير (ص: ١٢٢)، ووافقه أبو جعفر كما في النشر (٢/ ٢٨٥).

(٣) وهي شاذة عزاها في الكامل (ص: ٥٦٨) لزيد وروح، والذي في مختصر الشواذ (ص: ٦٢) عن أبي التياح بالتاء فيهما.

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (١/ ٣١٢).

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٢٨٢).

(٦) ليست في نور العثمانية وأحمد٣، وفي نجيبويه: «أمراً من الغائب».

(٧) المحتسب (١/ ٣١٢).

(٨) تفسير البحر المحيط (٥/ ١٧٠)، والدر المصون (١/ ٢٣٣٣).

فإن قيل: كيف أَمر الله بالفرح في هذه الآية وقد ورد ذمُّه في قوله: ﴿لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠]، وفي قوله: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]؟ قيل: إِن الفرح إِذا ورد مقيّداً في خير فليس بمذموم، وكذلك هو في هذه الآية، وإِذا ورد مقيداً في شرّ أَو مطلقاً لِحَقه ذمٌّ إِذ ليس من أَفعال الآخرة، بل ينبغي أَن يغلب على الإِنسان حزنه على ذنبه وخوفه لربّه.

وقوله: ﴿مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يريد: من مال الدنيا وحطامها الفاني المؤذي في الآخرة.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

هذه المخاطبة لكفار العرب الذين جعلوا البحائر والسوائب والنصيب من الحرث والأَنعام وغير ذلك مما لم يأْذن الله به، وإِنما اختلقوه برأيهم[١].

وقوله تعالى: ﴿أَنزَلَ﴾ لفظة فيها تجوُّز، وإِنزال الرزق إِما أَن يكون في ضمن إِنزال المطر بالمآل[٢]، أَو نزول الأَمر به الذي هو ظهور الأثر في المخلوق منه المخترع، ثم أَمر الله نبيّه بتوقيفهم على أَحد القسمين، وهم لا يمكنهم ادعاءُ إِذن الله تعالى في ذلك، فلم يبق إِلا أَنهم افتروْه، وهذه الآية نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ٣٢]، ذكر ذلك الطبري عن ابن عباس[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ آية وعيد، لمَّا تحقق عليهم بتقسيم

---

(١) في الأصل والمطبوع: «بأمرهم».

(٢) سقطت من نور العثمانية، وفي الأسدية١: «بالماء».

(٣) هذا الأثر أخرجه الطبري (١٢/ ٢٠١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: إن أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أحلها الله من الثياب وغيرها، وهو قول الله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ وهو هذا. فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾.

الآية التي قبلها أَنهم مفترون على الله، عظَّم في هذه الآية جرم الافتراءِ، أي: ظنُّهم في غاية الرداءَة بحسب سوءِ أَفعالهم، ثم ثنَّى بِإِيجاب الفضل على الناس في الإِمهال لهم مع الافتراءِ والعصيان، والإِمهال داعية إِلى التوبة والإِنابة، ثم استدرك ذكر من لا يرى حق الإِمهال ولا يشكره ولا يبادر[1] فيه على جهة الذمِّ لهم، والآية بعد هذا تعُمُّ جميع فضل الله وجميع تقصير الخلق في شكره لا ربّ غيره.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

قصد الآية وصف إِحاطة الله بكل شيءٍ، ومعنى اللفظ: ﴿وَمَا تَكُونُ﴾ يا محمد ـ والمراد هو وغيره ـ ﴿فِي شَأْنٍ﴾ من جميع الشؤون، ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ﴾ الضمير عائد على ﴿شَأْنٍ﴾، أَي: فيه وبسببه ﴿مِن قُرْءَانٍ﴾، ويحتمل أَن يعود الضمير على جميع القرآن، ثم عمَّ بقوله: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾. وفي قوله: ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ تحذير وتنبيه.

و﴿تُفِيضُونَ﴾: معناه: تأَخذون[2] وتنْهضُونَ بجدّ، يقال: أَفاض الرجل في سيره وفي حديثه، ومنه الإِفاضة في الحج، ومفيض القِداح[3]، ويحتمل أَن (فاض) عُدّي بالهمزة.

و﴿يَعْزُبُ﴾ معناه: يغيب حتى يخفى، حتى قالوا للبعيد: عازب، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] عـوازبُ لم تسـمَعْ نُبُـوحَ مُقَامَةٍ ... ولمْ تَـرَ نَاراً تِـمَّ حَـوْلٍ مُجَرَّم[4]

---

(١) في التركية والمصرية والحمزوية وأحمد٣ ونور العثمانية: «ويبادر»، بدون: «لا».
(٢) ساقطة من الأصل.
(٣) القِداح: جمع قَدَح. يقال: أفاض الرجل بالقداح إفاضة: ضرب بها، لأنها تقع منبثة متفرقة، ويجوز: أفاض على القِداح.
(٤) البيت لطفيل الغنوي كما في الحيوان (١/ ٣٤٨)، والأمالي للقالي (٢/ ٨٥)، والشعر والشعراء =

وقيل للغائب عن أَهله: عازب، حتى قالوه لمن لا زوجة له، وفي السِّيَر أَن بيت سعد بن خيثمة كان يقال له: بيت العُزَّاب[(١)].

وقرأَ جمهور السبعة والناسُ: ﴿يَعْزُبُ﴾ بضم الزاي.

وقرأَ الكسائي وحده منهم: ﴿يَعْزِب﴾ بكسرها، وهي قراءَة ابن وثاب، والأَعمش، وطلحة بن مصرف[(٢)].

قال أَبو حاتم: القراءَة بالضم، والكسرُ لغة[(٣)].

والْمِثْقَالُ: الوزن، وهو اسم لا صفة، كمعطار ومضراب.

والذَّرّ: صغار النمل، جعلها الله مثالاً إذ لا يُعرف في الحيوان المتغذي المتناسل المشهورِ النوع والموضع أَصغرُ منه.

وقرأَ جمهور الناس/، وأَكثر السبعة: ﴿وَلَآ أَصۡغَرَ﴾، ﴿وَلَآ أَكۡبَرَ﴾ بفتح الراءِ [٣/ ١٦] عطفاً على ﴿ذَرَّةٍ﴾ في موضع خفض لكنْ مَنَع من ظهوره امتناع الصرف.

وقرأَ حمزة وحده: ﴿وَلاَ أَصْغَرُ﴾، ﴿وَلاَ أَكْبَرُ﴾[(٤)] عطفاً على موضع قوله: ﴿مِّثۡقَالِ﴾ لأَن التقدير: وما يعزب عن ربِّك مثقالُ ذرّة.

والكتاب المبين: اللَّوح المحفوظ، كذا قال بعض المفسرين، ويحتمل أَن يريد تحصيل الكَتَبَة، ويكون القصد ذكر الأَعمال المذكورة قبلُ، وتقديم الأَصغر في

= (١/ ٤٤٥) وورد فيه (١/ ٣١٦) معزواً لابن مقبل، والنُّبُوح: ضجَّةُ الحيّ وأصواتُ كلابهم، وتِمُّ الشيءِ بكسر التاءِ: تمامه وكماله، والحول المُجرَّمُ: الذي كمل وانقضى.

(١) الاكتفاء للكلاعي (١/ ٢٩٢)، والروض الأنف (٤/ ١٥٣).

(٢) فهما سبعيتان، انظرهما في التيسير للداني (ص: ١٢٢)، وعزو الثانية للأعمش ويحيى في تفسير الثعلبي (٥/ ١٣٦).

(٣) لم أجد من نقله.

(٤) فهما سبعيتان، انظر التيسير للداني (ص: ١٢٢)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ٣٢٨).

الترتيب جرْيٌ على قولهم: القمريْن والعمريْن، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف: ٤٩]، والقصد بذلك كله تنبيه الأَقل، وأَن الحكم المقصود إِذا وقع على الأَقل فأَحرى أَن يقع على الأَعظم.

و﴿أَلَآ﴾: استفتاح وتنبيه، وأَولياءُ الله هم المؤمنون الذين والَوْه بالطاعة والعبادة، وهذه الآية يعطي ظاهرها أَن من آمن واتقى فهو داخل في أَولياءِ الله، وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الوليّ، وإِنما نبّهنا هذا التنبيه حذراً من مذهب الصوفية[١] وبعض الملحدين في الوليّ[٢].

وروي عن النبي ﷺ أَنه سُئِل: من أَولياءُ الله؟ فقال: «الذين إذا رأيتهم ذكرت الله»[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا وصف لازم للمتقين لأَنهم يَخْشعون ويُخَشِّعون.

---

(١) في المطبوع والأصل ونجيبويه: «من بعض الصوفية».

(٢) يشير بذلك إلى ما يرويه بعض الناس من أن الوليَّ أفضل من النبي ﷺ، وهناك عبارات نقلت عن بعض المتصوفين تحمل مثل هذه المعاني، ولا يخفى ما في هذا من حرص المؤلف رحمه الله تعالى على اتباع السنة والجماعة والوقوف مع الحق.

(٣) هذا الحديث روي نحوه موصولاً ومرسلاً والإرسال أشبه بالصواب، فقد أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٣٦٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٥٨)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٣)، ومن طريقه أبو نعيم في أخبار أصبهان (١/ ٢٧٦) من طريق جعفر بن أبي مغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، قال: «يذكَر الله عز وجل برؤيتهم».

وقد اختلف فيه على جعفر بن أبي مغيرة، فروي عنه، عن سعيد بن جبير، عن النبي ﷺ مرسلاً، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٤٧٧)، والطبري (١٥/ ١١٩)، وجعفر بن أبي مغيرة الخزاعي القمي صدوق يهم وليس بالقوي في سعيد بن جبير، وقد تابع على هذه الرواية المرسلة: سهلٌ أبو الأسد كما عند ابن جرير الطبري (١٥/ ١٢٠)، والدولابي في «الكنى» (١/ ٣٢٤) وهذا أشبه بالصواب.

وأخرجه الطبري (١٢/ ٢٠٩)، وابن أبي حاتم (١٠٤٥٤) من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن الحكم بن عتيبة، عن مقسم، وسعيد بن جبير، عن ابن عباس، موقوفاً عليه، بنحوه. وعند ابن أبي حاتم بدون ذكر سعيد بن جبير، وابن أبي ليلى ضعيف.

وروي عن النبي ﷺ أيضاً أنه قال: «أولياء الله قوم تحابوا في الله واجتمعوا في ذاته، لم تجمعهم قرابة ولا مال يتعاطونه»[١].

وقوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يحتمل أن يكون في الآخرة، أي: لا يهتمون بهمّها، ولا يخافون عذاباً ولا عقاباً ولا يحزنون لذلك، ويحتمل أن يكون ذلك في الدنيا، أي: لا يخافون أحداً من أهل الدنيا ولا من أعراضها، ولا يحزنون على ما فاتهم منها، والأول أظهر، والعموم في ذلك صحيح، لا يخافون في الآخرة جملة، ولا في الدنيا الخوف الدنياوي الذي هو فوت آمالها، وزوال منازلها، وكذلك في الحزن.

وذكر الطبري عن جماعة من العلماءِ مثل ما في الحديث في الأَولياءِ أنهم الذين إذا رآهم أَحدٌ ذَكَر الله[٢]، وروى فيهم حديث: «إن أولياء الله هم قوم يتحابون في الله وتجعل لهم يوم القيامة منابر من نور وتُنير وجوههم، فهم في عرصة القيامة لا يخافون ولا يحزنون»[٣].

---

(١) مرسل، هذا الحديث بنحو هذا اللفظ أخرجه الطبري (١٥/ ١٢١) والبيهقي في الشعب (٦/ ٤٨٥-٤٨٦) من طريق جرير، عن عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة، عن عمر بن الخطاب مرفوعاً به مطولاً، وهذا هو المحفوظ في هذا الحديث ـ كما قاله البيهقي ـ لكن أبو زرعة عن عمر مرسل، وقد روي الحديث عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة به مرفوعا، قال البيهقي في الشعب (٦/ ٤٨٥-٤٨٦) هو وهم، ومع ذلك فقد اختلف في إسناده، راجع: النسائي في الكبرى (١١١٧٢)، وأبا يعلى في مسنده (٦١١٠)، والطبري (١٢/ ٢١١)، وابن حبان في صحيحه (٥٧٣).

(٢) أخرج الطبري في تفسيره (١٧٧٠٤-١٧٧٠٨-١٧٧١٠) من طرق عن سعيد بن جبير قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أولياء الله، فقال: «الذين إذا رُؤُوا ذُكر الله». وهو مرسل.

(٣) أخرج ابن المبارك في الزهد (٧١٤)، وأحمد (٥/ ٣٤٣)، وابن أبي الدنيا في الإخوان (٦)، وابن جرير الطبري (١٧٧١٥)، وابن أبي حاتم (١٠٤٥٢) من طريق عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن أبي مالك الأشعري قال: إن رسول الله ﷺ لما قضى صلاته أقبل على الناس، فقال: «إن لله عباداً، ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيون والشهداء على =

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أَن رسول الله ﷺ قال: «إن من عباد الله عباداً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله»، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «قوم تحابُّوا بروح الله على غير أرحام ولا أموال»، الحديث، ثم قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يصح أَن يكون في موضع نصب على البدل من الأَولياءِ، ويصح أَن يكون في موضع رفع على الابتداءِ، على تقدير: هم الذين، وكثيراً ما يفعل ذلك بنعت ما عملت فيه «إِنَّ» إِذا جاءَ بعد خبرها، ويصح أَن يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ابتداءً وخبره في قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾.

وقوله: ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ لفظ عام في تقوى الشرك والمعاصي.

قوله عز وجل: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

أَما بشرى الآخرة فهي بالجنة قولاً واحداً، وتلك هي الفضل الكبير الذي في قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٧].

وأَما بشرى الدنيا فتظاهرت الأَحاديث عن رسول الله ﷺ أَنها الرؤْيا الصالحة

= مجالسهم وقربهم من الله»، فجثى رجل من الأعراب فقال: يا نبي الله انعتهم لنا، جكّهم لنا، شكلهم لنا، فسر وجه رسول الله ﷺ لسؤال الأعرابي، فقال رسول الله ﷺ: «هم ناس من الناس ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله وتصافوا بصفو الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسون عليها، وجوههم نور وثيابهم نور يفزع الناس يوم القيامة، ولا يفزعون وهم أولياء الله، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون»، وأخرجه أحمد (٥/ ٣٤٢)، وأبو يعلى (٦٨٤٢)، الطبراني في الكبير (٣٤٣٣-٣٤٣٥)، والبغوي في تفسيره (٤/ ١٣٩)، والبيهقي في الشعب (٩٠٠١) من طريق شهر بن حوشب، عن أبي مالك بدون ذكر عبد الرحمن بن غنم.

(١) انظر حديث عمر بن الخطاب السابق.

يراها المؤمن أَو تُرَى له، وروى ذلك عن رسول الله ﷺ: أَبو الدرداءِ[١]، وعمران بن حُصَين[٢]، وعبد الله بن عباس[٣]، وأبو هريرة[٤] وعبد الله بن عمر[٥] رضي الله عنهم جميعاً، وغيرهم على أَنه سُئل عن ذلك ففسّره بالرُّؤْيا.

وعن النبي ﷺ في صحيح مسلم أَنه [قال: «لم يبق من المبشرات إِلا الرؤْيا الصالحة»[٦].

وروت عنه أُم كرز[٧] الكعبية أَنه][٨] قال: «ذهبت النبوة وبقيت المبشرات»[٩]،

(١) في إسناده مبهم، حديث أبي الدرداء أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٧) والترمذي (٢٢٧٣-٣١٠٦) والطبري (١٢/ ٢١٦-٢١٧) والإسماعيلي في معجم شيوخه (١/ ٤٢٥) والبيهقي في الشعب (٤٧٥٢) من طريق سفيان بن عيينة، عن محمد بن المنكدر، عن عطاء بن يسار، عن رجل من أهل مصر قال: سألت أبا الدرداء عن قول الله تعالى، فذكره مرفوعاً. وهذا إسناد ضعيف لإبهام الراوي عن أبي الدرداء، وخالف ابن جريج، فرواه عن ابن المنكدر، عن عطاء بن يسار، عن أبي الدرداء به، بدون واسطة، أخرجه الطبري (١٢/ ٢٢٢)، لكن أخرجه الحميدي في مسنده (٣٩١)، والترمذي بإثر حديث (٣١٠٦)، والطبري (١٢/ ٢٢٠)، والحاكم (٤/ ٣٩١) من طريق سفيان بن عيينة، عن عبد العزيز بن رفيع، عن أبي صالح ذكوان السمان، عن عطاء بن يسار، عن رجل من أهل مصر، عن أبي الدرداء به. فهذا هو الأشبه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه مسلم (٤٧٩) وغيره.

(٤) أخرجه البخاري (٦٩٩٠)، وهو ساقط من الأصل والمطبوع.

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٦٥) بلفظ غير هذا.

(٦) مسلم (٤٧٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) في: الأصل والمطبوع: «أم كند»، وهو خطأ، وفي الإصابة (٨/ ٤٥٨): أم كرز الخزاعيّة، ثم الكعبيّة، قال ابن سعد: المكية، أسلمت يوم الحديبية والنبيُّ ﷺ يقسم لحوم بُدنه، فأسلمت، ولها حديث في العقيقة، رواه الأربعة.

(٨) ساقط من أحمد٣.

(٩) إسناده لا بأس به، هذا الحديث أخرجه الدارمي (٢١٨٤)، وابن ماجه (٣٨٩٦)، وابن حبان في صحيحه (٦٠٤٧) من طريق سفيان بن عيينة، عن عبيد الله بن أبي يزيد، عن أبيه، عن سباع بن ثابت، عن أم كرز الكعبية به.

قال قتادة، والضحاك: «البشرى في الدنيا هي ما يُبَشر به المؤمن عند موته وهو حيٌّ عند المعاينة»(١).

قال القاضي أبو محمد: ويصح أن تكون بشرى الدنيا ما في القرآن من الآيات المبشرات، ويَقْوَى ذلك بقوله تعالى في هذه الآية: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وإِن كان ذلك كله يعارضه قول النبي ﷺ: «هي الرؤيا»، إِلا إِن قلنا: إِن النبي ﷺ أَعطى مثالاً من البشرى، وهي تعم جميع الناس.

وقوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يريد: لا خُلفَ لمواعيده ولا رَدَّ في أَمره.

قال القاضي أبو محمد: وقد أَخذ ذلك عبدُ الله بن عمر على نحوٍ غير هذا، وجعل التبديل المنفي في الأَلفاظ، وذلك أَنه رُوي أَن الحجاج بن يوسف خطب فأَطال خطبته حتى قال: إِن عبد الله بن الزبير قد بدَّل كتاب الله، فقال له عبد الله بن عمر: إِنك لا تطيق ذلك أَنت ولا ابن الزبير: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾، فقال له الحجاج: لقد أُعطيتَ علماً، فلما انصرف إِليه في خاصته سكت عنه(٢).

وقد رُوي هذا النظر عن ابن عباس في غير مقاولة الحجاج، ذكره البخاري(٣).

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ إِشارة إِلى النعيم الذي وقعت به البشرى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾ الآية، هذه آية تسلية لمحمد ﷺ، والمعنى: ولا يحزنك يا محمد ويهمك قولهم، أَي: قول كفار قريش، ولفظة القول تعم جحودهم واستهزاءَهم وخداعهم وغير ذلك.

---

(١) انظر قولهما في تفسير الطبري (١٥/ ١٤٠)، وفي نجيبويه: «الموت»، بدل «المعاينة».

(٢) صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٢/ ٢٢٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٠) من طريق إسماعيل بن علية، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما به، وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٥٢٨) من طريق جويرية بن أسماء عن نافع به.

(٣) لم أقف عليه.

ثم ابتدأ بوجوب[١] ﴿إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، أي: فهم لا يقدرون لك على شيءٍ ولا يؤذونك[٢] إلا بما شاءَ الله، وهو القادر على عقابهم، لا يُعَازُّه شيءٌ، ففي الآية وعيد لهم.

وكسر ﴿إِنَّ﴾ في الابتداءِ ولا ارتباط لها بالقول المتقدم لها.

وقال ابن قتيبة: لا يجوز فتح «إِنَّ» في هذا الموضع، وهو كفر[٣].

قال القاضي أبو محمد: وقوله: هو كفر؛ غُلُوٌّ، وكأَن ذلك خرج على تقدير: لأَجل أَن العزة لله[٤].

وقوله: ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ أَي: لجميع ما يقولونه، ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بما في نفوسهم من ذلك، وفي ضمن هذه الصفات تهديد.

ثم استفتح بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أَي: بالملك والإِحاطة، وغلَّب من يعقل في قوله: ﴿مَن﴾ إذ له ملك الجميع: ما فيها ومَن فيها، وإِذا جاءَت العبارة بـ«مَا» فذلك تغليب للكثرة، إِذ الأكثر عدداً / من المخلوقات لا يعقل، [٣/ ١٦] فـ«مَنْ» تقع للصنفين بمجموعهما، و«ما» كذلك، ولا تقع «ما» لما يعقل إِذا تجرد من الصفات والأَحوال، أَلا ترى لو ذُكِرتْ لك قولةٌ في مسأَلة، فأَردتَ أَن تسأَل عن قائلها، أَيجوز في كلام العرب أَن تقول: ما قائل هذا القول؟ هذا ما يتقلده من يفهم كلام العرب.

وقوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ﴾، يصح أَن يكون (مَا) استفهاماً بمعنى التقرير وتوقيف نظر المخاطب، ويعمل ﴿يَدۡعُونَ﴾ في قوله: ﴿شُرَكَآءَ﴾.

---

(١) في نجيبويه ونور العثمانية: «يوجب».

(٢) في نجيبويه: «يؤذونه».

(٣) لم أجده في كتبه، وقد نقله عنه في مختصر الشواذ (ص: ٦٢)، وفي البحر المحيط (٦/ ٨٣) عن القاضي أنه شاذ يقارب الكفر.

(٤) قال في البحر المحيط (٦/ ٨٣): «وقرأ أبو حيوة: «أنّ العزة» بفتح الهمزة وليس معمولاً لـ﴿قَوۡلُهُمۡ﴾؛ لأن ذلك لا يحزن الرسول ﷺ إذ هو حق، وخرّجت على التعليل، أي: لا يقع منك حزن لما يقولون، لأجل أنّ العزة لله جميعاً، وعلى أن يكون «أنّ العزة» بدلاً من ﴿قَوۡلُهُمۡ﴾، ولا يظهر هذا التوجيه.

[ويصح أن تكون نافية ويكون مفعول ﴿يَتَّبِعُ﴾ محذوفاً، تقديره: حقيقةً أو برهاناً، ويعمل ﴿يَدْعُونَ﴾ في قوله ﴿شُرَكَآءَ﴾][١].

ويصح أن تكون نافية، ويعمل ﴿يَتَّبِعُ﴾ في ﴿شُرَكَآءَ﴾، على معنى أنهم لا يتبعون شركاءَ حقّاً، ويكون مفعول ﴿يَدْعُونَ﴾ محذوفاً، وفي هذا الوجه عندي تكلف.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن السُّلمي: (تَدْعُونَ) بالتاءِ[٢] [من فوق]، وهي قراءَة غير متجهة.

وقوله: ﴿إِن﴾ نافية و﴿يَخْرُصُونَ﴾ معناه: يحدسون ويخمنون لا يقولون بقياس ولا نظر.

وقرأت فرقة: ﴿ولا يُحْزِنْكَ﴾ من أحزن، وقرأت فرقة: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾ من حزن[٣].

قوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

لما نصّ على عظمة الله تبارك وتعالى في الآية المتقدمة عقَّب ذلك في هذه بالتنبيه على أَفعاله لتبيّن العظمة المحكوم بها قبلُ.

وقوله: ﴿لِتَسْكُنُوا۟﴾ دال على أَن النهار للحركة والتصرف، وكذلك هو في الوجود، وذلك أَن حركة الليل متعذرة بفقد الضوءِ.

---

(١) ما بين معقوفين: زيادة من المصرية والتركية والحمزوية ونور العثمانية.

(٢) سقطت من الأصل والمطبوع، وهي شاذة، انظر عزوها له في تفسير الثعلبي (٥/ ١٣٩).

(٣) وهما سبعيتان، الأولى لنافع والثانية للباقين، انظر التيسير (ص٧٠)، وقد تقدم في تفسير الآية (١٧٦) من آل عمران.

وقوله: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ مجازٌ، لأَن النهار لا يُبصر، ولكنه ظرف للإِبصار، وهذا موجود في كلام العرب، إِذ المقصود من ذلك مفهوم، فمِن ذلك قول ذي الرمّة:

لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السُّرَى ... وَنِمْتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمِ[1] [الطويل]

وليس هذا من باب النسب كعيشةٍ راضيةٍ ونحوها، وإِنما ذلك مثل قول الشاعر:

أَمَّا النَّهَارُ فَفِي قَيْدٍ وَسِلْسِلَةٍ ... وَاللَّيْلُ فِي بَطْنِ مَنْحُوتٍ مِنَ السَّاجِ[2] [البسيط]

فجعل الليل والنهار بهاتين الحالتين، وليس يريد إلا أنه هو فيهما كذلك، وهذا البيت لمسجون كان يبيت في خشبة السجن، وعلى أَن هذا البيت قد ينشد: «أما النهارَ» بالنصب، وفي هذه الأَلفاظ إِيجاز وإِحالة[3] على ذهن السامع؛ لأَن العبرة هي في أَن الليل مظلم يُسكن فيه، والنهار مبصر يُتصرف فيه، فذُكِر طرفٌ من هذا، والطرفُ الآخر من الجهة الثانية، ودلَّ المذكوران على المتروكين، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ [البقرة: ١٧١][4].

وقوله: ﴿يَسْمَعُونَ﴾ يريد: ويَعُون.

والضمير في ﴿قَالُواْ﴾ لكفار العرب، وذلك قول طائفة منهم: الملائكة بنات الله، والآية بعدُ تعُمّ كل من قال نحو هذا القول، كالنصارى ومن يمكن أَن يعتقد ذلك من الكفرة.

---

(١) البيت لجرير كما في الكتاب لسيبويه (١/ ١٦٠)، ومجاز القرآن (١/ ٢٧٩)، والكامل للمبرد (١/ ١١٣)، وتفسير الطبري (١٥/ ١٤٤)، والمحتسب (٢/ ١٨٣)، وما هنا من نسبته لذي الرمة خطأ لعل سببه أن اسمه غيلان، وأُم غَيْلان: ابنة جرير.

(٢) عزاه في الحيوان (٧/ ١٥٨) للجرنفس اللص، وهو بالجيم والراء المفتوحتين كما في الاشتقاق (ص: ٢٣٣)، والرواية في الكتاب لسيبويه (١/ ١٦٠): «قَعْرِ»، وفي الجمل للخليل (١/ ٧٢) والمقتضب (٤/ ٣٣١): «جوف»، والسّاج: خشب أسود لا تكاد الأرض تبليه.

(٣) في المطبوع: «وإِحاطة».

(٤) ويسمى هذا النوع من البديع: الاحتباك، قال الجرجاني في التعريفات (ص ٢٥): هو أن يجتمع في الكلام متقابلان ويحذف من كل واحد منهما مقابِلَه لدلالة الآخر عليه، كقوله: علفتها تبناً وماء بارداً، أي: علفتها تبناً وسقيتها ماء بارداً.

و﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ مصدر معناه: تنزيهاً له وبراءَة من ذلك، فسّره بهذا النبي ﷺ(١).

وقوله: ﴿هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ صفة على الإِطلاق، أَي: لا يفتقر إِلى شيءٍ بجهةٍ من الجهات، والولد جزءٌ مما هو غني عنه، [وإذا سمي إنسان غنيّاً، فذلك مجاز بل هو فقير، وإن كان عنده ما يسد مفاقره في بعض الجهات دون بعض](٢)، والحق هو قول الله تعالى: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر ١٥].

وقوله: ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: بالمِلْك والإِحاطة والخلق، و﴿إِنْ﴾ نافية، والسلطان: الحجة، وكذلك معناه حيث تكرَّر من القرآن

ثم وقفهم موبّخاً بقوله: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ الآية، هذا توعُّد لهم بأَنهم لا يظفرون ببغية ولا يبقون في نعمة، إِذ هذه حال من يصير إِلى العذاب وإِن نُعّم في دنياه يسيراً.

وقوله: ﴿مَتَٰعٌ﴾ مرفوع على خبر ابتداءٍ، أَي: ذلك متاع، أَو: هو متاع، أَو على الابتداءِ بتقدير: لهم متاع.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ إِلى آخر الآية توعُّدٌ بحق.

قوله عز وجل: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾.

تقدم في الأَعراف الكلام على لفظة ﴿نُوحٍ﴾.

و«الـمَقَام»: وقوف الرجل لكلام أَو لخطبة أَو نحوه، والـمُقَام(٣) بضم الميم:

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ما بين معقوفين: ساقط من الأصل والمطبوع.

(٣) في المطبوع زيادة: «أَيضاً»، ولم يتضح وجهها.

إِقامته ساكناً في موضع أَو بلد، ولم يُقرأ هنا بضم الميم[١].

وتذكيرُه: وعظه وزجْرُهُ، والمعنى: يا قوم، إِن كنتم تستصعبون[٢] حالي ودعائي لكم إِلى الله فإِني لا أُبالي عنكم؛ لتوكلي على الله تعالى، فافعلوا ما قدرتم عليه.

وقرأَ السبعة، وجمهور الناس: الحسن، وابن أَبي إسحاق، وعيسى: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ﴾ من أَجمع الرجل على شيءٍ: إِذا عزم عليه، ومنه قول الشاعر:

هـلْ أَغْدُونْ يوْماً وأمْـري مُجْمَعُ[٣] [الرجز]

ومنه قول الآخر:

أَجْمَعُـوا أَمْرَهُـمْ بِليْـلٍ فلمَّـا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ[٤] [الخفيف]

ومنه الحديث: «ما لم يُجمع مكثاً»[٥]، ومنه قول أبي ذؤيب:

ذَكَـر الـوُرودَ بهـا فأجمـع أمْـرَه شَـوْقـاً وأَقْبل حَيْـنُـه يَتَـتَـبَّـعُ[٦] [الكامل]

وقرأَ نافع فيما روى عنه الأَصمعي، وهي قراءَة الأَعرج، وابن أَبي رجاءٍ، وعاصم الجحدري، والزهري، والأَعمش: ﴿فَاجْمَعُوا﴾ بفتح الميم[٧]، من جَمَع: إِذا ضمَّ شيئاً إِلى شيءٍ.

---

(١) قال في البحر المحيط (٦/ ٨٧) والدر المصون (٦/ ٢٣٩) واللباب (١٠/ ٣٧٥): بل قرأ به أبو مجلز وأبو رجاء وأبو الجوزاء.

(٢) في المطبوع: «تستضعفون»، وفي نور العثمانية: «تستصحبون».

(٣) البيت في معاني القرآن للفراء (١/ ٤٧٣)، والحجة لابن خالويه (ص: ١٨٣)، وإصلاح المنطق (ص: ١٩٠)، وغيرهم بلا نسبة.

(٤) البيت من معلقة الحارث ابن حِلِّـزَة، انظر عزوه له في تهذيب اللغة (١٢/ ٦٨)، وشرح المعلقات التسع (ص: ٣٥٥).

(٥) صحيح، هذا الأثر أخرجه مالك في الموطأ (٣٤٣) من طريق سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر كان يقول: أصلي صلاة المسافر مالم أُجمع مُكثاً، وإن حبسني ذلك اثنتي عشرة ليلة.

(٦) انظر عزوه له في المفضليات (ص: ٤٢٣)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٥٤٠)، والحيوان (٦/ ٣٤٩)، مع اختلاف بعض الألفاظ.

(٧) وهي رواية رويس عن يعقوب بخُلفٍ عنه. انظر: النشر (٢/ ٢٨٥)، وانظر عزوها لرواية الأصمعي =

و﴿أَمْرَكُمْ﴾ يريد به: قدرَتكم وحياتكم، ويؤيد هذه القراءَة قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ [طه: ٦٠].

وكل هؤلاءِ نَصَب «الشركاءَ»، ونَصْبُ قوله: ﴿شُرَكَآءَكُمْ﴾ يحتمل أَن يعطف على قوله: ﴿أَمْرَكُمْ﴾، وهذا على قراءَة ﴿فاجمعوا﴾ بالوصل.

وأَما من قرأَ: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ﴾ بقطع الأَلف فنصب «الشركاء» بفعل مضمر، كأَنه قال: وادعوا شركاءَكم، فهو من باب قول الشاعر:

[الرجز] شـرَّابُ أَلْبَـانٍ وتَمْـرٍ وأَقِـط[1] ....

ومن قول الآخر:

[مجزوء الكامل] ورأَيْـت زوْجَـكِ فـي الْوَغَـى مُـتَـقَـلِّـداً سَـيْـفاً وَرُمْحـــاً[2]

ومن قول الآخر:

[الرجز] عَـلَـفْـتُـهَـــا تِـبْنـاً وَمَـاءً بَـارِداً حتَّـى شَـتَـتْ هَمَّالَـة عَيْنَاهَـا[3]

وفي مصحف أُبي بن كعب: (فأَجمعوا أَمركم وادعوا شركاءَكم)[4].

قال أَبو علي: وقد ينتصبُ (الشركاءُ) بواو «مَعْ»، كما قالوا: جاءَ البردُ والطيالسةَ[5].

[٣/ ١٧] وقرأَ أَبو عبد الرحمن، والحسن، وابن أَبي إسحاق، وعيسى، وسلام / ويعقوب، وأَبو عمرو فيما رُوي عنه: ﴿وشُرَكَاؤُكُم﴾ بالرفع[6]، عطفاً على الضمير في: (أجمعوا).

= في السبعة (ص ٣٢٨)، وللباقين في المحتسب (١/ ٣١٤).

(١) البيت بلا نسبة في الكامل للمبرد (١/ ٢٦٤)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٠٩)، وغيرهما.

(٢) تقدم في تفسير الآية (٨) من سورة البقرة.

(٣) تقدم في تفسير الآية (٨) من سورة البقرة.

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ٢٨٩)، والمحتسب (١/ ٣١٤).

(٥) تحرفت في المطبوع إلى: «البريد»، وانظر الحجة للفارسي (١/ ١٥٨)، والخصائص (٢/ ٣٨٥).

(٦) وهي عشرية، انظر عزوها ليعقوب في النشر (٢/ ٢٨٦)، وللباقين في المحتسب (١/ ٣١٤).

وعُطِف على الضمير قبل تأكيده لأَن الكاف والميم في ﴿أَمۡرَكُمۡ﴾ ناب مناب «أَنتم» المؤكد للضمير، ولطول الكلام أَيضاً، وهذه العبارة أَحسن من أَن يطول الكلام بغير ضمير، ويصح أَن يرتفع بالابتداءِ والخبرُ مُقدّر، تقديره: «وشركاؤُكم فليجمعوا».

وقرأَت فرقة: (وشُرَكَائِكُم) بالخفض[١] على العطف على الضمير في قوله تعالى: ﴿أَمۡرَكُمۡ﴾، والتقدير: وأَمر شركائكم فهو كقول الشاعر:

[المتقارب] أَكُــلَّ امْـرِئٍ تَحْـسَـبِيـنَ امْــرَأً ... وَنَــارٍ تَـوَقَّـدُ بِـالَّلـيْــلِ نَــارَا[٢]

أَي: وكلَّ نار، والمراد بالشركاءِ في هذه الآية: الأَنداد من دون الله، فأَضافهم إِليه إِذ هم يجعلونهم شركاءَ بزعمهم.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةً﴾ أَي: ملتبساً مُشْكلاً، ومنه قوله ﷺ في الهلال: «فإِنْ غُمّ عليكم»[٣]، ومنه قول الراجز:

[الرجز] بَـلْ لَوْ شَـهِدْتِ النَّـاسَ إِذْ تُكُمُّوا ... بِغُمّـةٍ لَـوْ لَـمْ تُفَـرَّجْ غُمُّـوا[٤]

وقوله: ﴿ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ﴾ معناه: أَنفذوا قضاءكم نحوي.

وقرأَ السَّريُّ بن ينْعُم[٥]: (ثُمَّ أَفْضُوا) بالفاءِ وقطع الأَلف[٦]، ومعناه: أَسرعوا،

---

(١) وهي شاذة تابعه عليها في البحر المحيط (٦/ ٨٨).

(٢) تقدم في تفسير الآية (٦٥) من سورة الأنفال.

(٣) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٩٠٠)، ومسلم (١٠٨٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) البيت للعجاج كما في العين (٥/ ٢٨٦)، ومجاز القرآن (١/ ٢٧٩)، وعزاه الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨) لرؤبة.

(٥) في المصرية والحمزوية والأسدية١ ونور العثمانية والتركية: «السدي»، وهو السري بن ينعم، الجبلاني، الحمصي روى عن: أبيه، وعامر بن جشيب، وحميد بن ربيعة، وعنه: إسماعيل بن عياش، ومحمد بن حرب، وكان من العابدين، تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٠٤).

(٦) وهي شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (١/ ٣١٥).

وهو مأْخوذ من الأَرض الفضاءِ، أَي: اسلكوا إِليَّ بكيدكم واخرجوا معي وبي إِلى سعة وجلية[١].

وقوله: ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ أي: لا تؤخرون، والنَّظِرة: التأْخير.

قوله عز وجل: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

المعنى: فإِن لم تُقبِلوا على دعوتي وكفرتم بها وتوليتم عنها، والتولِّي أَصله بالبدن[٢]، ويستعمل في الإِعراض عن المعاني، يقول: فأَنا لم أَسأَلكم أَجراً على ذلك ولا مالاً فيقعَ منكم قطع بي وتقصير بإِرادتي وإِنما أَجري على الذي بعثني.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو بخلاف عنه: ﴿أَجْرِيْ﴾ بسكون الياءِ.

وقرأَ: ﴿أَجْرِيَ﴾ بفتح الياءِ الأَعرجُ، وطلحة بن مصرف، وعيسى، وأَبو عمرو[٣].

وقال أَبو حاتم: «هما لغتان، والقراءَة بالإِسكان في كل القرآن»[٤].

ثم أَخبرهم أَن الله أَمره بالإِسلام والدين الحنيف الذي هو توحيد الله والعمل بطاعته والإِعداد للقائه.

وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ الآية، إِخبار من الله عزَّ وجلَّ عن حال قوم نوح المكذبين له، وفي ضمن ذلك الإِخبارِ توعُّد للكفار بمحمد ﷺ وضرب المثال لهم، أَي: أَنتم بحال هؤلاءِ من التكذيب فستكونون بحالهم من النقمة والتعذيب.

---

(١) كلمة: «جلية»، ساقطة من المطبوع.

(٢) في نور العثمانية: «بالبدل»، ولعله خطأ.

(٣) هكذا في النسخ وفيه من التخليط ما لا يخفى، قال في التيسير (ص: ١٢٤): فتحها نافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص حيث وقع.

(٤) لم أقف عليه.

و﴿ٱلْفُلْكِ﴾: السفينة، والمفسرون وأَهل الآثار مجمعون على أَن سفينة نوح كانت واحدة، والفلك لفظ الواحد منه ولفظ الجمع مستوٍ، وليس به، وقد مضى شرح هذا في الأَعراف، و﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ حمع خليفة، وقوله: ﴿فَٱنظُرْ﴾ مخاطبة للنبي ﷺ يشاركه في معناها جميع الخلق، وفي هذه الآية أنه أَغرق جميع من كذَّب بآيات الله التي جاءَ بها نوح، وهي مقتضية أَيضاً أَنه أَنذرهم فكانوا منذرين، فلو كانوا جميع أَهل الأَرض كما قال بعض الناس لاستوى نوحٌ ومحمدٌ ﷺ في البعث إِلى أَهل الأَرض، ويردُّ ذلك قول النبي ﷺ: «أُعطيت خمْساً لم يُعطهن أَحدٌ قبلي»[1] الحديث، ويترجح بهذا النظر أَن بعثة نوح عليه السلام والغرق إِنما كان في أَهل صُقع لا في جميع الأَرض.

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

الضمير في قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ عائد على نوح عليه السلام، والضمير في ﴿قَوْمِهِمْ﴾ عائد على الرسل، ومعنى هذه الآيات كلها ضرب المثل لحاضري محمد ﷺ، أَي: كما حلَّ بهؤلاءِ يحِلُّ بكم، و(البَيِّنَات): المعجزات والبراهين الواضحة.

والضمير في قوله: ﴿كَانُوا۟﴾ وفي ﴿لِيُؤْمِنُوا۟﴾ عائد على قوم الرسل، والضمير في ﴿كَذَّبُوا۟﴾[2] عائد على قوم نوح، وهذا قول بعض المتأولين، وقال بعضهم: بل تَعود الثلاثة على قوم الرسل على معنى أَنهم بادروا رسلهم بالتكذيب كلما جاءَ رسول، ثم لجُّوا في الكفر وتمادوا فلم يكونوا ليؤمنوا بما سبق به تكذيبهم.

وقال يحيى بن سلام: «﴿مِن قَبْلُ﴾ معناه: من قبل العذاب»[3].

---

(١) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.
(٢) في الأصل: «كانوا».
(٣) نقله في البحر المحيط (٦/ ٩٠).

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا القول بُعد، ويحتمل اللفظ عندي معنًى آخر وهو أَن تكون (ما) مصدرية، والمعنى: فكذبوا رسلهم فكان عقابهم من الله أَن لم يكونوا ليؤمنوا بتكذيبهم من قبل، أَي: من سببه ومن جرَّائه، ويؤيد هذا التأْويلَ قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ﴾.

وقال بعض العلماءِ: عقوبة التكذيب الطبْعُ على القلوب.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿نَطْبَعُ﴾ بالنون، وقرأَ العباس بن الفضل: (يَطْبَعُ) بالياءِ[1].

وقولـه: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أَي: هـذا فعلنا بهؤلاء، ثم ابتـدأ: ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ﴾ أي: كفعلنا هذا.

و﴿ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ هم الذين تجاوزوا طورهم، واجترحوا ما لا يجوز لهم وهي ها هنا في الكفر.

والضمير في ﴿بَعْدِهِم﴾ عائد على الرسل، والضمير في ﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾ عائد على فرعون.

والملأُ: جمع[2] الجماعة من قبيلة وأَهل مدينة، ثم يقال للأَشراف والأَعيان من القبيلة أَو البلد: ملأٌ، أَي: هم يقومون مقام الملأ، وعلى هذا الحدّ هي في قول رسول الله ﷺ في قريش بدرٍ: «أولئك الملأُ»[3]، وكذلك هي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ [القصص: ٢٠].

وأَما في هذه الآية فهي عامة، لأَن بعثة موسى وهارون كانت إِلى فرعون وجميع قومه من شريف ومشروف، وقد مضى في ﴿الٓمٓصٓ﴾[4] ذكر ما[5] بُعثا إِليهم فيه.

و«الآيات»: البراهين والمعجزات وما في معناها.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في مختصر الشواذ (ص: ٦٢).

(٢) ساقطة من المطبوع، وفي أكثر النسخ الخطية: «جميع»، وفي أحمد٣: «جمع»، كما هو مثبت.

(٣) ذكره ابن هشام في السيرة (١/ ٦٤٤) مرسلاً.

(٤) أي: سورة الأعراف.

(٥) في المطبوع: ذكرهما وما.

وقوله: ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ أي: تعظَّموا وكفروا بها، و﴿مُّجْرِمِينَ﴾ معناه: يرتكبون ما لم يُبح الله، ويجسرون من ذلك على الخطر الصعب.

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا / وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾. [٣/ ١٨]

يريد بالحق آيتي العصا واليد، ويدل على ذلك قولهم عندهما: هذا سحر، ولم يقولوا ذلك إلا عندهما، ولم يتعاطوا إلا مقاومة العصا فهي معجزة موسى عليه السلام التي وقع فيها عجز المُعارض.

وقرأ جمهور الناس: ﴿لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، وقرأ سعيد بن جُبَيْر والأعمش: (لَسَاحِرٌ مُبِين)(١).

[ثم حكى عن موسى أنه وقفهم ووبَّخهم بقوله: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ﴾](٢).

ثم اختلف المتأولون في قوله: ﴿أَسِحْرٌ﴾ فقالت فرقة: هو حكاية من موسى عنهم على معنى أن قولهم كان: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾؟ ثم اختلف في معنى قول قوم فرعون: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾؟ فقال بعضهم: قالها منهم كل مستفهم جاهل بالأَمر فهو يسأَل عنه.

قال القاضي أبو محمد: هذا التأْويل يضعفه ما ذكر الله قبلُ عنهم من أَنهم صمموا على أَنه سحرٌ بقولهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

وقال بعضهم: بل قالوا ذلك على معنى التعظيم للسحر الذي رأَوه بزعمهم، كما تقول لفرس تراه يجيد الجري: أَفرسٌ هذا؟ على معنى التعجب منه والاستغراب

---

(١) وهي شاذة عزاها لهما الكرماني في الشواذ (ص: ٢٢٩)، وزاد ابن مجاهد، وانظر البحر المحيط (٦/ ٩١).

(٢) ساقط من المطبوع.

وأَنت قد علمت أَنه فرس، وقالت فرقة غير هاتين: ليس ذلك حكاية من موسى عنهم، بل القول الذي حكاه عنهم مقدر تقديره: أَتقولون للحق لما جاءَكم سحرٌ؟ ـ قال القاضي أبو محمد: أَو نحو هذا من التقدير ـ ثم ابتدأَ يوقفهم بقوله: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾؟ على جهة التوبيخ، ثم أَخبرهم عن الله تعالى أَن السَّاحرين لا يفلحون ولا يظفرون ببغية، ومثل هذا التقدير المحذوف على هذا التأْويل موجود في كلام العرب، ومنه قول ذي الرمّة:

[الطويل] فَلَمَّا لَبِسْـنَ اللَّيْلَ أَوْ حينَ نصَّبَتْ ... لـهُ مِنْ خَذا آذانِهَـا وهو جَانحُ[١]

يريد: أَو حين قاربن ذلك، ومنه قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ [الإسراء: ٧]، المعنى: بعثناهم لِيَسؤُوا، ومثل هذا كثير شائع.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا﴾ الآية، المعنى: قال قوم فرعون لموسى: أَجئتنا لتصرفنا وتلْوينا وتردّنا عن دين آبائنا؟ يقال: لفت الرجل عنق[٢] الآخر، إذا لواه، ومنه قولهم: الْتفت، فإِنه افتعل من لفت عنقه [إذا لواه][٣]، ومنه قول رؤْبة:

[الرجز] لفْتـاً وَتَهْزِيعاً سَـواءَ اللَّفْـتِ[٤]

وقرأَ السبعة سوى أَبي عمرو ـ فإِنه اختلف عنه ـ: ﴿وَتَكُونَ﴾ بالتاءِ من فوق، وهي قراءَة جمهور الناس.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن ـ فيما زعم خارجة وإِسماعيل ـ: ﴿وَيَكُونَ﴾ بالياءِ من تحت، ورويت عن أَبي عمرو، وعن عاصم، وهي قراءَة ابن مسعود[٥].

---

(١) انظر عزوه له في أدب الكاتب (ص: ٢١٤)، وتفسير الطبري (١/ ٣٢٧)، والخصائص (٢/ ٣٦٥)، وخذا آذانها: استرخاؤها.

(٢) في المطبوع ونجيبويه والأصل: عن.

(٣) ساقط من الأصل والمطبوع.

(٤) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٥/ ١٥٧)، مجاز القرآن (١/ ٢٨٠)، والتهزيع: التكسير أو دقّ العنق.

(٥) ليست في شيء من طرق التيسير، لكنها رواية العليمي عن شعبة في النشر (٢/ ٢٨٦)، وجامع البيان

و﴿ٱلۡكِبۡرِيَآءُ﴾ مصدر مبالغ من الكبر، والمراد به ـ في هذا الموضع ـ الملك، وكذلك قال فيه مجاهد والضحاك وأكثر المتأولين[١]، لأنه أعظم تكبر الدنيا، ومنه قول الشاعر [وهو ابن الرقاع][٢]:

سُؤْدَداً غَيْرَ فَاحِش لا يُدَانيـ ـهِ تَجِبَّارَةٌ وَلا كِبْرِياءُ[٣] [الخفيف]

وقوله: ﴿بِمُؤۡمِنِينَ﴾: بمصدقين.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ٧٩ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ٨٠ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٨١ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٨٢﴾.

يخبر أن فرعون قال لخدمته ومتصرفيه: ﴿ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾، هذه قراءة جمهور الناس.

وقرأ طلحة بن مصرف، ويحيى بن وثاب، وعيسى: ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾، على المبالغة.

قال أبو حاتم: لسنا نقرأ: ﴿سَحَّار﴾ إلا في سورة الشعراءِ[٤].

فروي أنهم أتوه بسحرة الفرما[٥] وغيرها من بلاد مصر حسبما قد ذكر قبلُ في غير هذه الآية، فلما ورد[٦] السحرة باستعدادهم للمعارضة خيَّروا موسى كما ذكر في غير هذه الآية، فقال لهم عن أمر الله: ﴿أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ﴾.

(٣/ ١١٨٥)، وانظر عزوها للحسن في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٥٤)، وللباقين في البحر المحيط في التفسير (٦/ ٩٢).

(١) تفسير الطبري (١٥/ ١٥٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٧٣).

(٢) ساقط من الأصل والمطبوع.

(٣) البيت لعديّ بن الرِّقاع كما في تفسير الطبري (١٥/ ١٥٧)، والتّجبارة: مصدر بمعنى الجبر والقهر.

(٤) اتفق القراء على حرف الشعراء أنه «سَحّار»، واختلفوا في التي في «الأعراف» (١١٢)، كما تقدم في الآية (١١٢)، والتي هنا، فقرأ حمزة والكسائي: «سَحَّار». وانظر التيسير (ص: ١١٢)، ونشر (٢/ ٢٧٠).

(٥) قرية في مصر كما تقدم.

(٦) في الأسدية١ والتركية: «رأوا».

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ ﴾ الآية، المعنى: فلما أَلقوا حبالهم وعصيهم وخيَّلوا بها وظنوا أَنهم قد ظهروا قال لهم موسى هذه المقالة.

وقرأَ السبعة سوى أَبي عمرو: ﴿ٱلسِّحۡرُ﴾ وهي قراءَة جمهور الناس.

وقرأَ أَبو عمرو، ومجاهد، وأَصحابه، وابن القعقاع: ﴿بِهِ آلسِّحْرُ﴾ بأَلف الاستفهام ممدودة قبل ﴿ٱلسِّحۡرُ﴾[١].

فأَما من قرأَ: ﴿ٱلسِّحۡرُ﴾ بغير أَلف استفهام قبله فـ﴿مَا﴾ في موضع رفع على الابتداءِ، وهي بمعنى الذي وصلَتُها قوله: ﴿جِئۡتُم بِهِ﴾، والعائد الضمير في ﴿بِهِ﴾، وخبرها ﴿ٱلسِّحۡرُ﴾.

ويؤيد هذه القراءَة والتأْويلَ أَنَّ في مصحف ابن مسعود: (ما جئتم به سحر)، وكذلك قرأَها الأَعمش، وفي[٢] قراءَة أُبي بن كعب: (مَا أَتَيْتُم به سِحْرٌ)[٣].

والتعريف هنا في ﴿ٱلسِّحۡرُ﴾ أَرتب لأَنه تقدم مُنكَّراً في قولهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٌ﴾، فجاءَ هنا بلام العهد، كما يقال في أَول الرسالة: سلام عليك، وفي آخرها: والسلام عليك[٤].

ويجوز أَن تكون ﴿مَا﴾ استفهاماً في موضع رفع بالابتداءِ، و﴿جِئۡتُم بِهِ﴾ الخبر، و﴿ٱلسِّحۡرُ﴾ خبر ابتداءٍ مضمر تقديره: هو السحر إِن الله سيبطله، ووجه استفهامه هذا هو التقرير والتوبيخ، ويجوز أَن تكون ﴿مَا﴾ في موضع نصب على معنى: أَيَّ شيءٍ

---

(١) فهما سبعيتان، انظر لقراءة أبي عمرو في التيسير (ص: ١٢٣)، وأبي جعفر في النشر (١/ ٣٧٨)، ومجاهد في تفسير الثعلبي (٥/ ١٤٢).

(٢) في الأصل: «وهي»، وفي المطبوع: «وقي» بالقاف.

(٣) وهما شاذتان انظرهما في تفسير الطبري (١٥/ ١٦٢)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٤٧٥)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٥٤)، والكشاف للزمخشري (٢/ ٣٦٣)، وتابعه على الأعمش في اللباب في علوم الكتاب (١٠/ ٣٨٧).

(٤) في نجيبويه: «مرتفع».

جئتم به، و﴿ٱلسِّحۡرُ﴾ مرفوع على خبر الابتداءِ، تقدير الكلام: أَيَّ شيءٍ جئتم به هو السحر إِنَّ الله سَيُبْطِلُهُ.

وأَما من قرأَ بأَلف الاستفهام والمدّ قبل ﴿ٱلسِّحۡرُ﴾ فـ﴿مَا﴾ استفهام رفع بالابتداءِ، و﴿جِئۡتُم بِهِ﴾ الخبر، وهذا على جهة التقرير، وقوله[(١)]: ﴿آلسِّحْرُ﴾ استفهام أَيضاً كذلك، وهو بدل من الاستفهام الأول، ويجوز أَن تكون ﴿مَا﴾ في موضع نصب بمضمر تفسيره[(٢)]: ﴿جِئۡتُم بِهِ﴾، تقديره: أَيَّ شيءٍ جئتم به السحر.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ﴾ إيجاب عن عِدَةٍ من الله تعالى. [وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾، يصح أن يكون من كلام موسى عليه السلام، ويصح أن يكون ابتداء خبر من الله تعالى][(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ﴾ الآية، يحتمل أَن يكون من كلام موسى عليه السلام.

ويحتمل أَن يكون من إِخبار الله عزَّ وجلَّ، وكون ذلك كله من كلام موسى أَقرب، وهو الذي ذكره الطبري.

وأما قوله: ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ فمعناه: بكلماته السابقة الأَزلية في الوعد بذلك[(٤)].

قال ابن سلام: «﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: بقوله: ﴿لَا تَخَفۡ﴾ [النمل: ١٠]»[(٥)].

[ومعنى ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾: وإِن كره المجرمون، والمجرِم: المجترم الراكب للخطر][(٦)].

---

(١) في المصرية: «وقرآة».

(٢) في المطبوع زيادة: «في قوله».

(٣) ما بين المعكوفتين ساقط من المطبوع.

(٤) انظر تفسير الطبري (١٥/ ١٦٣).

(٥) نقله عنه في البحر المحيط (٦/ ٩٣)، وانظر: تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٦٩).

(٦) ساقط من الحمزوية.

قوله عز وجل: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ / إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾. [٣/ ١٩]

المعنى: فما صدَّق موسى، ولفظة ﴿ءَامَنَ﴾ تتعدى بالباءِ، وتتعدى باللام وفي ضمن المعنى الباءُ، واختلف المتأَولون في عود الضمير الذي في ﴿قَوْمِهِۦ﴾، قالت فرقة: هو عائد على موسى، وقالت فرقة: هو عائد على فِرْعَوْنَ، فمن قال إِن العود على موسى قال: معنى الآية وصف حال موسى في أَول مبعثه أَنه لم يؤمن به إِلا فتيان وشباب أَكثرهم أُولو آباءٍ كانوا تحت خوف من فرعون ومن ملأ بني إِسرائيل، فالضمير في المَلأ عائد على الذرية، وتكون الفاءُ ـ على هذا التأْويل ـ عاطفة جملة على جملة لا مرتِّبة.

وقال بعض القائلين بعود الضمير على موسى عليه السلام: إِن معنى الآية: أَن قوماً أَدركهم موسى عليه السلام ولم يؤمنوا، وإِنما آمن ذرياتهم بعد هلاكهم لطول الزمان، قاله مجاهد، والأَعمش[(١)]، وهذا قول غير واضح[(٢)]، وإِذا آمن قوم بعد موت آبائهم فلا معنى لتخصيصهم باسم الذرية، وأَيضاً فما روي من أَخبار بني إِسرائيل لا يعطي هذا.

وهيئة قوله: ﴿فَمَآ ءَامَنَ﴾ تعطي تقليل المؤمنين به، لأَنه نفى الإِيمان ثم أَوجبه للبعض، ولو كان الأَكثر مؤمناً لأَوجب الإِيمان أَولاً ثم نفاه عن الأَقل، وعلى هذا الوجه يتخرج[(٣)] قول ابن عباس في الذرية: إِنه القليل[(٤)]، لا أَنه أَراد أَن لفظة الذرية هي بمعنى القليل كما ظن مكي وغيره[(٥)].

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ١٦٤).

(٢) في المصرية: «غير صحيح».

(٣) في نجيبويه: يترجح.

(٤) منقطع، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٢/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم (١٠٥١٧) في تفسيريهما من طريق قتادة، عن ابن عباس رضي الله عنه، وقتادة لم يسمع من ابن عباس.

(٥) الهداية لمكي (٥/ ٣٣٠٨).

وقالت فرقة: إِنما سمّاهم ذُرّية لأَن أُمهاتهم كانت من بني إِسرائيل وآباؤُهم[(١)] من القبط، فكان يقال لهم: الذُّرّية، كما قيل لِفُرْس اليمن: الأَبناءُ، وهم الفُرْس المنتقلون مع[(٢)] وهرز بسعاية سيف بن ذي يزن، والأمر بكماله في السير[(٣)].

وقال السُّدي: «كانوا سبعين أَهل بيت من قوم فرعون»[(٤)].

قال القاضي أبو محمد: ومما يضعف عود الضمير على موسى أَن المعروف من أَخبار بني إِسرائيل أَنهم كانوا قوماً قد تقدمت فيهم النبوات، وكانوا في مدة فرعون قد نالهم ذُلٌّ مفرط، وقد رجَوا كشفه على يدي مولود يخرج فيهم يكون نبياً، فلما جاءَهم موسى عليه السلام أَصفقوا عليه واتبعوه، ولم يحفظ قط أَن طائفة من بني إِسرائيل كفرت به، فكيف تعطي هذه الآية أَن الأَقل منهم كان الذي آمن؟.

فالذي يترجح بحسب هذا أَن الضمير عائد على فرعون، ويؤيد ذلك أَيضاً ما تقدم من محاورة موسى وردّه عليهم وتوبيخهم على قولهم: هذا سحر، فذكر الله ذلك عنهم ثم قال: فَما آمَنَ لِمُوسى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ من قوم فرعون الذين هذه أَقوالهم، وروي في ذلك أَنه آمنت زوجة فرعون وخازنه وامرأَة خازنه وشباب من قومه، قاله ابن عباس[(٥)]، والسَّحرةُ أَيضاً فإِنهم معدودون في قوم فرعون، وتكون القصة ـ على هذا التأْويل ـ بعد ظهور الآية والتعجيز بالعصا، وتكون الفاءُ مرتِّبة للمعاني التي عُطفت، [ويعود الضمير في (ملئهم) على الذرية][(٦)].

---

(١) بالرفع على الاستئناف بعد استكمال عمل «إن»، وفي المطبوع: «وآباءَهم» بالنصب عطفاً على معمول «إن».

(٢) في المطبوع: «من».

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٦٣)، وخلاصته أن وهْرز كان ذا حسب ونسب وفضل وسِنّ بين قومه، فلما استنجد سيف بن ذي يزن بكسرى ضد مسروق بن أبرهة ملك الحبشة بعد أن غلب وتسلط على أرض اليمن أمده كسرى بجيش، فكان وهرز على رأسهم.

(٤) نقله عنه في البحر المحيط (٦/ ٩٤).

(٥) هذا الأثر أخرجه الطبري (١٢/ ٢٤٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) ساقط من المطبوع.

ولاعتقاد الفراءِ وغيره عود الضمير على موسى عليه السلام تخبطوا في عود الضمير في ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾ فقال بعضهم: ذِكْر فرعون وهو الملك[(١)] يتضمن الجماعة والجنود، كما تقول: «جاء الخليفة، وسافر الملك» وأَنت تريد جيوشه معه، وقال الفراءُ: المعنى: على خوف من آل فرعون وملئهم، وهو من باب: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا التنظير غير جيد؛ لأَن إِسقاط المضاف في قوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ هو سائغ بسبب ما يعقل من أَن القرية لا تسأَل، ففي الظاهر دليل على ما أُضمر، وأَما ها هنا فالخوف من فرعون متمكن لا يحتاج معه إِلى إِضمار[(٣)]، أَما إِنه ربما احتج بأَن الضمير المجموع في ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾ يقتضي ذلك، والخوف إِنما يكون من الأَفعال والأَحداث التي للجثة، ولكن لكثرة استعماله ولقصد الإِيجاز أُضيف إِلى الأَشخاص.

وقوله: ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ بدل من ﴿فِرْعَوْنَ﴾ وهو بدل الاشتمال، فـ﴿أَن﴾ في موضع خفض، ويصح أَن تكون في موضع نصب على المفعول من أَجله.

وقرأَ الحسن، والجراح، ونبيح[(٤)]: (أن يُفتنهم) بضم الياءِ[(٥)].

ثم أَخبر عن فرعون بالعلوّ في الأَرض والإِسراف في الأَفعال والقتل والدعاوي ليتبيّن عذر الخائفين.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ إِلى ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ ابتداءُ حكاية قول موسى لجماعة

---

(١) في الأسدية١: «وهو الملأ».

(٢) يوسف: (٨٢)، انظر تمثيل الفراء بها وكلامه على الآية في معاني القرآن له (١/ ٤٧٦)، وانظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٥٥).

(٣) قال النحاس في إعراب القرآن (٢/ ١٥٥): وهذا على مذهب الخليل وسيبويه خطأ، لا يجوز عندهما: قامت هند، وأنت تريد غلامها.

(٤) سقط من المطبوع.

(٥) وهي شاذة انظر عزوها لهم في البحر المحيط (٦/ ٩٦)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٢٢٩) للحسن بن عمران وأصحابه..

بني إِسرائيل المؤمنين منهم مؤنساً لهم ونادباً إِلى التوكل على الله الذي بيده النصر.

ومسأَلة التوكل متشعبة للناس فيها خوضات، والذي أَقول: إِن التوكل الذي أُمر به هو مقترن بتسبب جميل على مقتضى الشرع، وهو الذي في قوله ﷺ: «قَيِّدها وتَوَكَّلْ»[١]، فقد جعله متوكلًا مع التقييد، والنبي ﷺ رأْس المتوكلين، وقد تسبَّب عمرَه كلَّه، وكذلك السلف كله، فإِن شذَّ متوكل فترك التسبب جملة فهي رتبة رفيعة ما لم يُسرف بها إِلى حد قتل نفسه وإِهلاكها، كمن يدخل غاراً خفيّاً يتوكل فيه، فهذا أَو نحوه مكروه عند جماعة من العلماءِ.

وما رُوي من إِقدام عامر بن قيس[٢] على الأَسد[٣] ونحو ذلك كله ضعيف، وللصحيح منه قرائن تسهله، وللمسلمين أَجمعين قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾، ولهم قال: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٤].

وقول النبي ﷺ في مدح السبعين أَلفاً من أُمته: «وعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»[٥]، ليس فيه أَنهم يتركون التَّسَبُّب جملة واحدة، ولا حفظ عن عكاشة أَنه ترك التَّسبب، بل كان

---

(١) إسناده جيد هذا الحديث أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٩٧١)، وابن حبان في صحيحه (٧٣١)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٧٢٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١٥٨) وغيرهم من طرق عن يعقوب بن عبد الله بن عمرو بن أمية، عن جعفر بن عمرو بن أمية، عن أبيه عمرو رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أُرْسِلُ نَاقَتِي وأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: «بَلْ قَيِّدْهَا وَتَوَكَّلْ».

(٢) هو عامر بن عبد الله المعروف بابن عبد قيس ابن ناشب بن أسامة التميمي العنبري البصري الزاهد قدم دمشق في خلافة عثمان، روى عن عمر وسلمان الفارسي روى عنه محمد بن سيرين والحسن البصري، مات في خلافة معاوية، تاريخ دمشق (٢٦/ ٣).

(٣) في تاريخ دمشق (٢٦/ ٢٣) أنه كان إذا غزا فيقال له: إن هذه الأجمة يُخاف عليك فيها الأسد، فيقول: إني لأستحي من ربي أن أخشى غيره، وفي أسد الغابة (٢/ ٥٩٨): شهد سويد بن غفلة القادسية فصاح الناس: الأسد الأسد. فذكر نحواً منه.

(٤) هما الآيتان: البقرة: (١٩٨)، الأنفال: (٢).

(٥) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٥٧٠٥) (٥٧٥٢) (٦٤٧٢) (٦٥٤١) ومسلم (٢١٨) من حديث عمران بن حصين.

يغزو ويأْخذ سهمه[١]، وأَعني بذلك ترك التسبب في الغذاءِ، وأَما ترك التسبب في الطب فسهلٌ، وكثير من الناس جُبِل عليه دون نيّة وحسبة، فكيف بمن يحتسب؟.

وقال لهم: ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم﴾ ـ مع علمه بإِيمانهم ـ على جهة إِقامة الحجة وتنبيه الأَنفس وإِثارة الأَنَفة، كما تقول: إن كنت رجلاً فقاتل، تخاطب بذلك رجلاً تريد إِقامة نفسه.

وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ يريد: أَهل الطاعة منضافة إِلى الإِيمان المشروط، فَذِكْرُ الإِسلام فيه زيادة معنى، ثم ذكر أَنه أَجاب بنو إِسرائيل بنيّة التوكل على الله والنطق بذلك، ثم دعوا في أَلا يجعلهم فتنة للظَّلَمة، والمعنى: لا تنزل بنا بلاءً بأَيديهم أَو بغير
[٣/ ٢٠] ذلك مدة مجاورتنا لهم فيُفتنون ويعتقدون أَن إِهلاكنا إِنما هو بقصد منك لسوءِ ديننا / وصلاح دينهم، وأَنهم أَهل الحق، قاله مجاهد وغيره[٢].

قال القاضي أبو محمد: فهذا الدعاءُ على هذا التأْويل يتضمن دفع فصلين، أَحدهما: القتل والبلاءُ الذي توقعه المؤمنون، والآخر: ظهور الشرك باعتقاد أَهله أَنهم أَهل الحق، وفي ذلك فساد الأَرض، ونحو هذا المعنى قول النبي ﷺ: «بئس الميت أَبو أُمامة ليهود والمشركين، يقولون: لو كان نبيّاً لم يمت صاحبه»[٣].

ويحتمل اللفظ من التأْويل ـ وقد قالته فرقة ـ أن المعنى: لا تفتنهم وتبتلهم بقتلنا فتعذبهم على ذلك في الآخرة، وفي هذا التأْويل قلق، [وباقي الآية][٤] بيِّن.

---

(١) في المطبوع: «سهامه»، بالجمع، وهذا إشارة إلى قوله ﷺ: «إنه من السبعين ألفاً المتوكلين».
(٢) راجع تفسير الطبري (١٥/ ١٦٩)، وتفسير الماوردي (٢/ ٤٤٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٧٦).
(٣) مرسل، أخرجه ابن إسحاق (سيرة ابن هشام ١/ ٥٠٧) قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة أن رسول الله ﷺ قال... وهذا مرسل.
(٤) ساقط من المطبوع.

قوله عز وجل: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

روي أَن فرعون أَخاف بني إِسرائيل وهدم لهم مواضع كانوا اتخذوها للصلاة ونحو هذا، فأَوحى الله إِلى موسى وهارون أَن اتَّخذا وتخيّرا لبني إِسرائيل بيوتاً بمصر، قال مجاهد: «مصر في هذه الآية الإسكندرية»[١]، ومصرُ ما بين البحر إِلى أَسوان، والإسكندرية من أَرض مصر.

و﴿تَبَوَّءَا﴾: معناه كما قلنا: تخيّرا واتَّخذا، وهي لفظة مستعملة في الأَماكن وما يشبَّه بها، ومن ذلك قول الشاعر:

لهــا أمْرُهــا حتّــى إذا مَــا تبَــوَّأَتْ بأَخْفَافِهــا مَــأْوًى تبَــوَّأَ مَضْجَعــا [الطويل]

وهذا البيت للراعي، وبه سُمِّي الراعي[٢]، ومنه قول امرئ القيس:

يَتَبَــوَّءُونَ مَـقَـاعِـداً لِقِتَـالِـكُمْ كَلُيُـوثِ غَـابٍ لَيْلُهُـنَّ زَئِيـرُ[٣] [الكامل]

وقرأَ الناس: ﴿تَبَوَّءَا﴾ بهمزة على تقدير تبوَّعا[٤].

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ١٧٥)، تفسير الماوردي (٢/ ٤٤٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٧٦).

(٢) انظر عزوه له مع سبب التسمية في الاشتقاق (١/ ٢٩٥)، والأمالي للقالي (٢/ ١٤٢)، وفي ذلك أقوال أخرى.

(٣) عزاه المصنف لامرئ القيس ولم أجده في غيره، وتَبَوَّأَ فلانٌ منزلاً: اتخذه، ومعنى يتبوءُون في البيت: ينزلونها ويتخذونها مقاعد للقتال. والزئير: صوت الأسد يكون من صدره. وفي الحمزوية: «قتالهم» بدل «قتالكم».

(٤) جاء في هامش المطبوع: «يوجد بياض بالأصل في أكثر النسخ».

وقرأ حفص في رواية هبيرة: (تَـبَوَّيَا)[١]، وهذا تسهيل ليس بقياسي، ولو جرى على القياس لكان بين الهمزةِ والأَلف.

وقوله: ﴿قِبۡلَةٗ﴾ معناه: مساجد، قاله ابن عباس[٢]، والربيع، والضحاك، والنخعي، وغيرهم، قالوا: «خافوا فأُمروا بالصلاة في بيوتهم».

وقيل: يقابل بعضها بعضاً، قاله سعيد بن جبير[٣].

والأَول أَصوب.

وقيل: معناه: موجهة إِلى القبلة، قاله ابن عباس[٤].

ومن هذا حديث عن النبي ﷺ أَنه قال: «خير بيوتكم ما استقبل به القبلة»[٥].

---

(١) نقلها في السبعة (ص: ٣٢٩) عن حفص، وفي التيسير (ص: ١٢٣) عن هبيرة عنه أنه وقف بها، وليست من طرق الشاطبية.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٤٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٥/ ١٧٣، ١٧٥)، وتفسير الماوردي (٢/ ٤٤٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٧٧،١٩٧٦).

(٤) صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٢/ ٢٥٧) من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ﴾ قال: إلى الكعبة، ثم أخرجه (١٢/ ٢٥٧-٢٥٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، قال: قالت بنو إسرائيل لموسى: لا نستطيع أن نظْهرَ صلاتنا مع الفراعنة، فأذن الله لهم أن يصلوا في بيوتهم، وأمروا أن يجعلوا بيوتهم قِبَل القبلة، وأخرجه أيضاً (١٢/ ٢٥٨) من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما، بنحوه.

(٥) لم أجده بهذا اللفظ، لكن جاء بلفظ: خير المجالس ما استقبل به القبلة، وقد ورد من طرق شتى كلها واه أو ضعيف، منها ما أخرجه ابن سعد في الطبقات (٥/ ٣٧٠)، وعبد بن حميد في مسنده (٦٧٥)، وابن ماجه (٩٥٩) مختصراً، والشهاب في مسنده (١٠٢٠)، وابن جرير الطبري في «تهذيب الآثار» (٢/ ٥٣٨)، والطبراني في الكبير (١٠٧٨١)، وابن عدي في الكامل (٧/ ١٠٦)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٦١) من طريق هشام بن زياد أبي المقداد، عن محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شيء شرفاً، وإن شرف المجالس ما استقبل به القبلة..» =

وقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ خطاب لبني إِسرائيل، وهذا قبل نزول التوراة لأَنها لم تنزل إِلا بعد إِجازة البحر.

وقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أَمرٌ لموسى عليه السلام.

وقال مكي والطبري: «هو أمر لمحمد ﷺ»[1]، وهذا غير متمكن.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ الآية، غضبٌ من موسى على القبط ودعاءٌ عليهم، فقدَّم للدعاءِ تقريرَ نعم الله عليهم وكفرهم بها.

و﴿ءَاتَيْتَ﴾ معناه: أَعطيت وملَّكت، وتكرر قوله: ﴿رَبَّنَآ﴾ استغاثة، كما يقول الداعي: يا أَلله[2].

وقوله: ﴿لِيُضِلُّواْ﴾ يحتمل أَن تكون لام «كي» على بابها، على معنى: آتيتهم الأَموال إِملاءً لهم واستدراجاً، فكان الإِيتاءُ كي يضلوا، ويحتمل أَن تكون لام الصيرورة والعاقبة، كما قال: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، والمعنى: آتيتهم ذلك فصار أَمرهم إِلى كذا.

ورُوي عن الحسن أَنه قال: «هو دعاءٌ عليهم»[3].

= الحديث، والروايات مطولة ومختصرة، وهشام بن زياد أبو المقداد متروك، وقد تابعه عيسى بن ميمون كما عند العقيلي في الضعفاء (٣/ ٣٨٧)، وصالح بن حسان الأنصاري عند ابن ماجه (١١٨١)، وابن عدي في الكامل (٤/ ٥١)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٦٢)، ومصادف بن زياد المدني عند الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٠٠) من طريق محمد بن معاوية، عن مصادف به، وعيسى ابن ميمون قال فيه ابن معين: ليس حديثه بشيء، وقال البخاري: منكر الحديث، وصالح بن حسان قال فيه ابن عدي: بعض حديثه فيه إنكار وهو إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق، ومحمد بن معاوية ابن أعين النيسابوري متروك، وقال البيهقي في الكبرى (٧/ ٢٧٢): لم يثبت في ذلك إسناد.اهـ.

(١) انظر تفسير الطبري (١٥/ ١٧٦)، والهداية لمكي (٥/ ٣٣١٣).

(٢) كتبت في المطبوع: «بالله».

(٣) «عليهم» زيادة من المصرية والأسدية ١ والتركية، وانظر قول الحسن في البحر المحيط (٦/ ٩٩).

ويحتمل أَن يكون المعنى على جهة الاستفهام، أَي: ربنا ليضلوا فعلت ذلك؟ وفي هذا تقرير الشنعة عليهم.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر، والحسن، والأَعرج، وشيبة، وأَبو جعفر، ومجاهد، وأَبو رجاءٍ، وأَهل مكة: ﴿لِيَضِلُّوا﴾ بفتح الياءِ على معنى: ليَضِلُّوا في أَنفسهم.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي، والأَعمش، وقتادة، وعيسى، والحسن، والأَعرج بخلاف عنه[١]: ﴿لِيُضِلُّواْ﴾ بضم الياءِ، على معنى: لِيُضِلُّوا غيرهم.

وقرأَ الشعبي: (لِيِضِلُّوا) بكسر الياءِ[٢].

وقرأَ الشعبي أَيضاً، وغيره: (اطمُسْ) بضم الميم، وقرأَت فرقة: ﴿اَطْمِسْ﴾ بكسر الميم[٣].

وهما لغتان، ويقال: طمَس يطمِس ويطمُس، قال أَبو حاتم: «وقراءَة الناس بكسر الميم، والضم لغة مشهورة»[٤]، ومعناه: عفَّ[٥] وغيَّر، وهو من طموس الأَثر والعين وطمْس الوجوه، ومنه قول كعب بن زهير:

[البسيط] مِـنْ كُلِّ نَضَّاحةِ الذِّفْـرَى إذَا عَرِقَتْ عُرْضَتُهَا طَامِسُ الأَعْلامِ مَجْهُولُ[٦]

---

(١) في الحمزوية: «عنهما».

(٢) القراءتان الأوليان سبعيتان، انظر عزوهما لمن ذكر من السبعة في التيسير (ص: ١٢٣)، وموافقة أبي جعفر في النشر (٢/ ٢٦٢)، وانظر عزوهما للباقين مع قراءة الشعبي الشاذة في البحر المحيط (٦/ ٩٩).

(٣) وهي المتواترة، وقراءة الشعبي الشاذة في مختصر الشواذ (ص: ٦٣)، وعزاها أيضاً لعمر بن علي ابن الحسين، وجابر عن عاصم.

(٤) لم أجد من نقله عنه.

(٥) كذا في كافة النسخ: عف، ولعل أصله عفّى.

(٦) البيت لكعب بن زهير رضي الله عنه من قصيدته المشهورة بانت سعادكما تقدم في الآية (٢٢٣) من سورة البقرة.

وروي أَنهم حين دعا موسى بهذه الدعوة رجع سكَّرهم حجارة، وزادهم[١] ودنانيرهم وحبوبهم من الأَطعمة رجعت حجارة، قاله محمد بن كعب القرظي، وقتادة، وابن زيد، وقال مجاهد وغيره: «معناه: أهلكها ودمرها»[٢].

وروي أَن الطمسة كانت من آيات موسى التسع.

وقوله: ﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ بمعنى: اطبع واختم عليهم بالكفر، قاله مجاهد والضحاك[٣].

ولما أَشار عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ بقتل أَسرى بدر شبَّهه بموسى في دعائه على قومه الذين بُعث إِليهم في هذه الآية، وبنوح في قوله: ﴿لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[٤].

وقوله: ﴿فَلَا يُؤۡمِنُواْ﴾ مذهب الأَخفش وغيره أَن الفعل منصوب عطفاً على قوله: ﴿لِيُضِلُّواْ﴾[٥]، وقيل: هو منصوب في[٦] جواب الأَمر.

---

(١) في الحمزوية: «دراهمهم».

(٢) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٥/ ١٧٩-١٨١)، وانظر تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٧٩)، وتفسير الثعلبي (٥/ ١٤٥).

(٣) تفسير الطبري (١٥/ ١٨٢)، وتفسير الماوردي (٢/ ٤٤٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٧٩).

(٤) نوح: ٢٦، والحديث منقطع، أخرجه أبو عبيد في الأموال (٢٧٥)، وابن أبي شيبة في مسنده (٣٦٦) وفي المصنف (٣٧٨٤٥)، وأحمد (١/ ٣٨٣)، والترمذي (١٧١٤) مختصراً، وأبو يعلى في مسنده (٥١٨٧)، وابن المنذر في «الأوسط» (١١/ ٢٢٧)، والطبري (١١/ ٢٧٣-٢٧٤)، وابن أبي حاتم (٩١٥١) في تفسيريهما، والطبراني في الكبير (١٠٢٥٨)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢١)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٣٢١)، وغيرهم من طرق عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة بن عبد الله ابن مسعود، عن، أبيه به، ورواية أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه منقطعة على الراجح.

ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٢٥٧) من طريق موسى بن مطير، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود به. وموسى بن مطير متروك. وروي من طرق أخرى لا تصح.

(٥) معاني القرآن للأخفش (١/ ٣٧٨).

(٦) في المطبوع: «على».

وقال الفراءُ والكسائي: هو مجزوم[١] على الدعاءِ[٢]، ومنه قول الشاعر[٣]:

[الطويل] فَلاَيَنْبَسِطْ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ ما انْزَوَى وَلاَ تَلْقَنِي إِلاَّ وَأَنْفُكَ رَاغِمُ[٤]

وجعَل رؤْية العذاب نهاية وغاية، وذلك لِعِلْمِه من قِبَل الله أَن المؤمن عند رؤْية العذاب لا ينفعه إِيمانه في ذلك الوقت ولا يخرجه من كفره، ثم أَجاب الله هذه الدعوة في فرعون نفسه، قال ابن عباس: العذاب هنا: الغرق[٥].

وقرأَ الناس: ﴿دَّعْوَتُكُمَا﴾، وقرأَ السُّلمي[٦]، والضحاك: (دَعَوَاتكُمَا)[٧].

وروي عن ابن جريج، ومحمد بن علي، والضحاك: «أَن الدعوة لم تظهر إِجابتها إِلا بعد أَربعين سنة»[٨]، وحينئذ كان[٩] الغرق.

قال القاضي أبو محمد: وأُعلما أَن دعاءَهما صادف مقدوراً، وهذا معنى إِجابة الدعاء، وقيل لهما: ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾،/ أَي: في أَن تستعجلا [٣/ ٢١]
قضائي فإِن وعدي لا خُلف له.

---

(١) في المصرية: «منصوب».
(٢) معاني القرآن للفراء (١/ ٤٧٨)، ونقله النحاس في إعراب القرآن (٢/ ١٦٥) عن أبي عبيدة والكسائي.
(٣) في الحمزوية: «الأعشى»، ولعله إيضاح من الكاتب.
(٤) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة، كما في الزاهر للأنباري (٢/ ١٦)، والكامل للمبرد (٢/ ١٩٨)، والمحكم لابن سيده (٩/ ١١٨).
(٥) هذا الأثر أخرجه الطبري (١٢/ ٢٦٧)، وابن أبي حاتم (١٠٥٥٠) في تفسيريهما من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، وأخرجه الطبري (١٢/ ٢٧٠) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس، وفي الأول مقال معروف، وفي الثاني انقطاع.
(٦) في الأصل والمطبوع ونجيبويه: السدي، المثبت هو الموافق للمصادر.
(٧) وهي شاذة، انظر عزوها للسلمي في المحتسب (١/ ٣١٥)، ومختصر الشواذ (ص: ٦٣)، ولهما في البحر المحيط (٦/ ١٠١).
(٨) تفسير الطبري (١٥/ ١٨٧)، وتفسير الماوردي (٢/ ٤٤٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٨٠).
(٩) في المطبوع والحمزوية زيادة: «أمر».

وقوله: ﴿دَّعْوَتُكُمَا﴾ ولم يتقدم الدعاءُ إِلا لموسى، وروي أَن هارون كان يُؤَمِّن على دعاءِ موسى عليه السلام، قاله محمد بن كعب القرظي[١]، فلذلك نسب الدعوة إِليهما، وقيل: كنى عن الواحد بلفظ التثنية، كما قال: قِفَا نَبْكِ[٢]، ونحو هذا.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف لأَن الآية تتضمن بعْدُ مخاطبتَهما من غير شيءٍ.

قال علي بن سليمان: قول موسى: ﴿رَبَّنَآ﴾ دالٌّ على أنهما دعوا معاً[٣].

وقوله: ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ أَي: على ما أُمِرْتُمَا بِهِ من الدعاءِ إِلى الله، وأُمِرا بالاستقامة وهما عليها للإِدامة والتمادي.

وقرأَ نافع والناس: ﴿تَتَّبِعَآنِّ﴾ بتشديد التاءِ والنون على النهي.

وقرأَ ابن عامر، وابن ذكوان: (تَتْبعانِّ) بتخفيف التاءِ وشدّ النون.

وقرأَ ابن ذكوان أَيضاً: ﴿تَتَّبعانِ﴾ بشدِّ التاءِ وتخفيف النون وكسرها.

وقرأَت فرقة: (تَتْبعانْ) بتخفيفها وسكون النون، رواه الأَخفش الدمشقي عن أَصحابه عن ابن عامر[٤].

فأَما شدُّ النون فهي النون الثقيلة حذفت معها نون التثنية للجزم، كما تحذف معها الضمة في «لتفعلنَّ» حيث بُني الفعل معها على الفتح، وإِنما كسرت هذه النون الثقيلة بعد أَلف التثنية [في نحو هذه الآية وما أشبهها لشبهها بنون الرجلان والزيدان في الوقوع بعد ألف التثنية][٥].

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ١٨٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٨٠).

(٢) إشارة إلى مطلع معلقة امرئ القيس.

(٣) لم أجده في معاني القرآن للأخفش، وقد نقله القرطبي (٨/ ٣٧٦).

(٤) أربع قراءات، الأولى بتشديدهما للجمهور، والثانية بتخفيف النون لابن ذكوان، سبعيتان، في التيسير (ص: ١٢٣)، والثالثة له بتخفيف التاء في السبعة (ص: ٣٢٩)، والرابعة بتخفيفهما في جامع البيان (٣/ ١١٨٩) عن هشام.

(٥) ما بين معقوفين: زيادة من التركية والأسدية١ والمصرية.

وأَما تخفيفها فيصح أَن تكون الثقيلةَ خففت، ويصح أَن تكون نونَ التثنية، ويكون الكلام خبراً معناه الأَمر، أَي: لا ينبغي أَن تتَّبعا.

قال أَبو علي: «إن شئت جعلته حالاً من ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ كأنه قال: غير متَّبعين»[١].

قال القاضي أبو محمد: والعطف يمانع في هذا فتأَمله.

قوله عز وجل: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

قرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (وَجَوَّزْنَا) بشد الواو[٢] وطرح الأَلف، ويشبه عندي أَن يكون «جاوَزْنَا» كتب في بعض المصاحف بغير أَلف[٣].

وتقدم القول في صورة جوازهم البحر في البقرة والأَعراف.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾ لأَنَّه يقال: تَبعَ وأَتْبع بمعنًى واحد، وقرأَ قتادة، والحسن: (فَاتَّبَعَهُمْ) بشد التاءِ[٤]، قال أَبو حاتم: «القراءَة: أَتْبع بقطع الأَلف لَأنها تتضمن الإِدراك، واتَّبع بشد التاءِ هي طلب الأَثر سواءٌ أَدرك أَو لم يُدرك»[٥].

وروي أَن بني إِسرائيل الذين جاوزوا البحر كانوا ست مئة أَلف، وكان يعقوب قد استقر أَولاً بمصر في نيف على السبعين أَلفاً[٦] من ذريته فتناسلوا حتى بلغوا وقت

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٢٩٤).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في تفسير الثعلبي (٥/ ١٤٧)، ومختصر الشواذ (ص: ٦٣).

(٣) هكذا رسمت في المصحف العثماني بدون ألف، كما هو مشاهد.

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لقتادة في معاني القرآن للنحاس (٣/ ٣١٣)، وللحسن في مختصر الشواذ (ص: ٦٣).

(٥) لم أجد من نقله عنه.

(٦) ليست في نور العثمانية وأحمد٣.

موسى العدد المذكور، ورُوي أَن فرعون كان في ثمان مئة أَلف أَدهم حاشا ما يناسبها[١] من أَلوان الخيل، وروي أَقل من هذه الأَعداد[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله ضعيف، والذي تقتضيه أَلفاظ القرآن أَن بني إِسرائيل كان لهم جمع كثير في نفسه قليل بالإِضافة إِلى قوم فرعون المتَّبِعين.

وقرأَ نافع، وابن كثير، وأَبو عمرو، والكوفيون، وجماعة: ﴿وَعَدۡوًا﴾ على مثال: غزا غَزْواً، وقرأَ الحسن، وقتادة: (وعُدُوّاً) على مثال: علا عُلُوّاً[٣].

وقوله: ﴿أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ﴾ أَي: في البحر.

وروي في ذلك أَن فرعون لما انتهى إِلى البحر فوجده قد انفرق ومشى فيه بنو إِسرائيل قال لقومه: إِنما انفلق بأَمري، وكان على فرس ذكر، فبعث الله تعالى جبريل على فرس أُنثى وديقٍ[٤]، فدخل بها البحر، ولج[٥] فرس فرعون وراءَه وحثت الجيوش خلفه، فلما رأَى الانفراق يثبت له استمر، وبعث الله تعالى ميكائيل يسوق الناس حتى حصل جميعهم في البحر، فانطبق عليهم حينئذ، فلما عاين فرعون قال ما حُكي عنه في هذه الآية[٦].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿أَنَّهُۥ﴾ بفتح الأَلف، ويحتمل أَن تكون في موضع نصب، ويحتمل أَن تكون في موضع خفض على إِسقاط الباءِ.

---

(١) في المطبوع: «بقي»، وكذا في أحمد٣ مع التنبيه في هامشه على المثبت.

(٢) انظر: تفسير الثعلبي (٦/ ٢٥٥).

(٣) وهي شاذة انظر عزوها لقتادة في معاني القرآن للنحاس (٣/ ٣١٣)، ولهما في مختصر الشواذ (ص: ٦٣).

(٤) في القاموس المحيط (ص: ٩٢٧): ودقت الفرس وذات الحافر، مثلثة الدال، وداقاً ووداقاناً وودقاً، محركتين: أرادت الفحل.

(٥) في المطبوع وأحمد٣: فولج.

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٣٦٠).

وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو عمرو: ﴿إِنَّهُۥ﴾ بكسر الألف[(١)]، إِما على إِضمار الفعل، أَي: آمنت فقلت: إِنه، وإِما على أَن يتم الكلام في قوله: ﴿ءَامَنتُ﴾ ثم يبتدئ إِيجاب: إِنَّهُ.

ورُوي عن النبي ﷺ أَن جبريل عليه السلام قال: «ما أَبغضت أَحداً قط بغضي لفرعون، ولقد سمعته يقول: ﴿ءَامَنتُ﴾ الآية، فأَخذت من حال[(٢)] البحر فملأْت فمه مخافة أَن تلحقه رحمة الله»، وفي بعض الطرق: «مخافة أَن يقول لا إِله إِلاَّ الله فتلحقه الرحمة»[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: فانظر إِلى كلام فرعون ففيه مجهلة وتلعثم، ولا عذر لأَحد في جهل هذا، وإِنما العذر فيما لا سبيل إِلى علمه، كقول علي رضي الله عنه: أَهللت بإِهلال كإِهـلال النـبي ﷺ[(٤)].

والحال: الطين، كذا في «الغريب المصنف» وغيره[(٥)]، والأَثر بهذا كثير مختلف اللفظ والمعنى واحد، وفعل جبريل عليه السلام هذا يشبه أَن يكون لأَنه اعتقد تجويز المغفرة للتائب وإِن عاين، ولم يكن عنده قبلُ إِعلام من الله تعالى أَن التوبة بعد[(٦)] المعاينة غير نافعة.

---

(١) هكذا ورد ذكر أبي عمرو هنا، وهو خطأ لا وجه له، والقراءتان سبعيتان، انظر: السبعة لابن مجاهد (ص: ٣٣٠).

(٢) حالُ البحر: الطين الأسود الذي يكون في أرضه كما سيأتي للمؤلف، وفي نجيبويه: «من طين حال البحر».

(٣) اختلف فيه رفعاً ووقفاً، والوقف أكثر، هذا الحديث أخرجه أبو داود الطيالسي (٢٧٤٠)، وأحمد (٤/ ٤٥-٥/ ٢٤٥)، والترمذي (٣١٠٨) وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، والنسائي في «الكبرى» (١١٢٣٨)، والطبري (١٢/ ٢٧٧)، وابن أبي حاتم (١٠٥٦٢)، من طرق عن شعبة، عن عطاء بن السائب، وعدي بن ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً، وفي بعض الروايات عن شعبة، عن عطاء بن السائب فقط، وعن شعبة به موقوفاً.
وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٠)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه إلا أن أكثر أصحاب شعبة أوقفوه على ابن عباس». اهـ.
وقد روي من أوجه أخرى لا تصح عن ابن عباس، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي إسناده جهالة.

(٤) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٥٥٨)، ومسلم (١٢١٦).

(٥) الغريب لابن سلام ولم أجده في المتوفر منه، وانظر هذا المعنى في سيرة ابن هشام (١/ ٥٣٩).

(٦) في التركية: «عند».

وقوله تعالى: ﴿ءَآلۡـَٔـٰنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ﴾ الآية، قال أَبو علي: «اعلم أَن لام المعرفة إِذا دخلت على كلمة أَولها الهمزة فخففت الهمزة فإِن في تخفيفها وجهين، أَحدهما: أَن تحذف وتُلْقَى حركتها على اللام وتقر[1] همزة الوصل فيه فيقال: اَلَحْمَر، وقد حكى ذلك سيبويه.

وحكى أَبو عثمان عن أَبي الحسن أَن ناساً يقولون: لَحْمَر، فيحذفون الهمزة التي للوصل»[2].

فمن ذلك قول الشاعر:

وَقَدْ كُنْتَ تُخْفِي حُبَّ سَمْرَاءَ حِقْبَةً ... فَبُحْ لَانَ مِنْهَا بِالَّذِي أَنْتَ بَائِحُ[3] [الطويل]

قرأَ نافع في رواية ورش لم يختلف عنه: ﴿آلانَ﴾ بمد الهمزة وفتح اللام.

وقرأَ الباقون بمدّ الهمزة[4] وسكون اللام وهمز الثانية[5].

وقرأَت فرقة: «أَلَانَ» بقصر الهمزة وفتح اللام وتخفيف الثانية.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ءالآنَ﴾ بقصر الأُولى وسكون اللام وهمز الثانية[6].

قال القاضي أبو محمد: وقراءَات التخفيف في الهمزة تترتب على ما قال أَبو علي، فتأَمله، فإِن الأُولى على لغة من يقول: اَلَحمر، وهذا على جهة التوبيخ له والإِعلان بالنقمة منه.

وهذا اللفظ يحتمل أَن يكون مسموعاً لفرعون من قول مَلَك مُوَصِّلٍ عن الله

---

(١) في نجيبويه: «وتقدر».

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٢٩٦).

(٣) البيت بلا نسبة في الحجة للفارسي (٤/ ٢٩٧)، والخصائص (٣/ ٩٢)، والصحاح للجوهري (٥/ ٢٠٧٦).

(٤) في نجيبويه زيادة: «الأولى».

(٥) هاتان قراءتان متواتران، وهما بمد الهمزة الأولى على الاستفهام، كما تقدم في الحرف الأول.

(٦) لعله يقصد بالقصر التسهيل فهما وجهان للقراءتين المتواترتين، أما إن أراد الخبر فهما شاذتان إن كان قرئ بهما.

وكيف شاءَ الله، ويحتمل أَن يكون هذا الكلام معنى حاله وصورة خزيه، وهذه الآية نصٌّ في ردّ توبة المُعَاين.

[٣/ ٢٢] وقوله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ﴾ الآية، يُقَوّي ما ذكرناه / من أَنها صورة الحال، لأَن هذه الأَلفاظ إِنما يظهر أَنها قيلت بعد غرقه، وسبب هذه المقالة ـ على ما رُوي ـ أَن بني إِسرائيل بَعُدَ عندهم غرقُ فرعون وهلاكه لعظَمِهِ عندهم، وكذَّب بعضهم أَن يكون فرعون يموت، فنُجِّي على نجوة من الأَرض حتى رآه جميعهم ميتاً كأَنه ثور أَحمر، وتحققوا غرقَه.

وقرأَت فرقة: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ﴾.

وقالت فرقة: معناه: من النجاة، أَي: من غمرات البحر والماءِ، وقال جماعة: معناه: نلقيك على نجوة من الأَرض وهي ما ارتفع منها، ومنه قول أَوس بن حجر:

[البسيط] فَمَنْ بِعَقْوَتِهِ كمن بِنَجْوَتِهِ والمُسْتَكِنُّ كمَنْ يَمْشي بِقِرْوَاح[1]

وقرأَ يعقوب: ﴿نُنْجِيكَ﴾ بسكون النون وتخفيف الجيم[2].

وقرأَ أُبي ابن كعب: (نُنَحِّيكَ) بالحاءِ المشددة من التنحية، وهي قراءَة محمد بن السميفع اليماني، ويزيد البريدي[3].

وقالت فرقة: معنى ﴿بِبَدَنِكَ﴾: بدرعك، وقالت فرقة: معناه: بشخصك.

وقرأَت فرقة: (بندَائك)[4] أَي: بقولك: ﴿ءَامَنتُ﴾ إِلى آخر الآية، ويشبه أَن

---

(١) انظر عزوه له في تفسير الثعلبي (٥/ ١٤٨)، وتفسير الطبري (١٥/ ١٩٥)، والشعر والشعراء (١/ ٢٠٣)، وعزاه في العين (٣/ ٤٤) لعبيد بن الأبرص، وهو في الأغاني (١١/ ٧٤)، والحيوان (٦/ ٣٨٣)، على الخلاف بينهما، والقرواح: البارز الذي ليس يستره شيء.

(٢) فهي عشرية، انظرها في النشر (٢/ ٢٥٨).

(٣) وهي شاذة، نقلها عنهم في المحتسب (١/ ٣١٥).

(٤) وهي شاذة، عزاها القرطبي (٨/ ٣٧٩): لعلقمة عن عبدالله، والبحر المحيط (٦/ ١٠٣) لابن مسعود، وابن السميفع.

يكتب (بندائك) بغير أَلف في بعض المصاحف[١]، ومعنى الآية: إِنا نجعلك آية مع ندائك الذي لا ينفع.

وقرأَت فرقة: [هي الجمهور][٢]: ﴿خَلْفَكَ﴾ أَيْ: من أَتى بعدك.

وقرأَت فرقة: (خَلَقَك)[٣]، والمعنى: يجعلك الله آية له في عباده.

ثم بيّن عزَّ وجلَّ العظة[٤] لعباده بقوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ﴾، وهذا خبر في ضمنه توعّد.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾.

المعنى: لقد اخترنا لبني إِسرائيل أَحسن اختيار، وأَحللناهم من الأماكن أحسن محل و﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ أَي: يَصْدُق فيه ظن قاصده وساكنِهِ وأَهله، ويعني بهذه الآية: إِحلالهم بلاد الشام وبيت المقدس، قاله قتادة، وابن زيد، وقيل: بلاد مصر والشام، قاله الضحاك[٥].

---

(١) قاله أبو بكر الأنباري، كما نقله عنه القرطبي (٨/ ٣٧٩).

(٢) ساقط من المطبوع، وضبطت فيه بفتح اللام، وهي شاذة، أشار لها أبو حيان (٦/ ١٠٤) وقال: أي: من الجبابرة والفراعنة ليتعظوا.

(٣) وهي شاذة، نقلها الثعلبي (٥/ ١٤٨) عن علي، وضبطت في المطبوع بالفاء وسكون اللام على أنها قراءة الجمهور.

(٤) سقطت من الأصل والمطبوع.

(٥) انظر عزو القولين في تفسير الطبري (١٥/ ١٩٨)، تفسير الماوردي (٢/ ٤٤٩)، تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٨٥).

والأَول أَصح بحسب ما حفظ من أَنهم لن يعودوا إِلى مصر، على أَن في القرآن: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩]، يعني ما ترك القبط من جنات وعيون وغير ذلك.

وقد يحتمل أَن يكون ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا﴾ معناه: الحالة من النِّعمة، وإِنْ لم يكن في قطر واحد.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ يحتمل معنيين:

أَحدهما: فما اختلفوا في نبوة محمد وانتظاره[١] حتى جاءَهم وبان علمُه وأَمْرُه، فاختلفوا حينئذ.

قال القاضي أبو محمد: وهذا التخصيص هو الذي وقع في كتب المتأَولين كلهم[٢]، وهذا تأْويل يحتاج إِلى سند.

والتأْويل الآخر الذي يحتمله اللفظ: أَن بني إِسرائيل لم يكن لهم اختلاف على موسى في أَول حاله، فلما جاءَهم العلم والأَوامر وغرق فرعون اختلفوا.

قال القاضي أبو محمد: فمعنى الآية [على هذا][٣] مذمة ذلك الصدر من بني إِسرائيل، ثم أَوجب الله عزَّ وجلَّ بعد ذلك أَنه يَقْضِي بَيْنَهُمْ ويفصل بعقاب من يعاقب ورحمة من يرحم.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ الآية، قال بعض المتأَولين ـ ورُوي ذلك عن الحسن ـ: إِنَّ (إِنْ) نافية بمعنى (وما)[٤]، والجمهور على أَنَّ (إِنْ) شرطية.

والصواب في معنى الآية أَنها مخاطبة للنبي ﷺ، والمراد بها سواه من كل من

(١) ساقط من الأصل والمطبوع.

(٢) ساقط من الأصل والمطبوع.

(٣) ساقط من الأصل والمطبوع.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٢٠٢).

يمكن أَن يشك أَو يعارض. وقال قوم: الكلام بمنزلة قولك: إِن كنت ابني فبِرَّني.

قال القاضي أبو محمد: وليس هذا المثال بجيد، وإِنما مثال هذا قوله تعالى لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى﴾، وروي أَن رجلاً سأَل ابن عباس عما يحيك في الصدر من الشك، فقال له: ما نجا من ذلك أَحد ولا النبي ﷺ حتى أُنزل عليه: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾[١].

قال القاضي أبو محمد: وذكر الزهراوي أَن هذه المقالة أُنكِرت أَن يقولها ابن عباس[٢]، وبذلك أَقول، لَأن الخواطر لا ينجو منها أَحد، وهي خلاف الشك الذي يحال[٣] فيه على الاستشفاءِ بالسؤال.

و﴿ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ هم من أَسلم من بني إِسرائيل كعبد الله ابن سلام، وغيره[٤].

وروي أَن رسول الله ﷺ قال لما نزلت هذه الآية: «أَنا لا أَشك ولا أَسأَل»[٥].

وقرأَ: ﴿فَسَلْ﴾ دون همز: الحسنُ، وأَبو جعفر، وأَهل المدينة، وأَبو عمرو، وعيسى، وعاصم.

---

(١) لا بأس به، هذا الأثر أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٥٨٢) من طريق عكرمة بن عمار، عن أبي زميل سماك الحنفي، عن ابن عباس وقلت له: إني أجد في نفسي شيئاً لا أستطيع أن أتكلم به، قال: لعله شك أو شيء من شك، قلت: نعم، قال: ما نجا من هذا أحد حتى نزل على النبي ﷺ ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ ثم قال: إذا وجدت من ذلك فقل: هو الأول والأخر والظاهر والباطن.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في المطبوع: «يجال فيه».

(٤) سقطت من المطبوع.

(٥) مرسل، هذا الحديث أخرجه عبد الرزاق (١/ ٢٩٨) من طريق معمر، والطبري (١٢/ ٢٨٨) من طريق معمر وسعيد بن أبي عروبة كلاهما، عن قتادة مرسلاً.

وقرأ جمهور عظيم بالهمز(١)، [قال أبو حاتم: قراءتنا بالهمز](٢).

ثم جزم الله الخبر بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾، واللام في ﴿لَقَدْ﴾ لام القسم، و﴿ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ معناه: الشَّاكِّين الذين يحتاجون في اعتقادهم إِلى المماراة فيها، وقوله: ﴿مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يريد به: من أَن بني إِسرائيل لم يختلفوا في أَمره إِلاَّ مِن بعد مجيئه، [فـ(من) زائدة](٣)، وهذا قول أَهل التأْويل قاطبة.

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو الذي يشبه أَن ترتجى إِزالة الشك فيه من قِبَل أَهل الكتاب، ويحتمل اللفظ أَن يريد بـ(ما أَنزلنا) جميع الشرع، ولكنه بعيد بالمعنى؛ لأَن ذلك لا يعرف ويزول الشك فيه إِلا بأَدلة العقل، لا بالسماع من مؤمني بني إِسرائيل.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾ الآية، مما خوطب به النبي ﷺ والمراد سواه.

قال القاضي أبو محمد: ولهذا فائدة ليست في مخاطبة الناس به، وذلك شِدَّة التخويف، لأَنه إِذا كان رسول الله ﷺ يحذر من مثل هذا فغيرُه من الناس أَولى أَن يحذر ويتقي على نفسه.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾.

جاءَ هذا تحذير مُرَدَّد وإِعلام(٤) بسوءِ حال [هؤلاء القوم](٥) المحتوم عليهم،

---

(١) غير دقيق، والقراءة بالنقل في «فسل» ونحوها سبعية لابن كثير والكسائي خاصة، كما تقدم في تفسير الآية **٣٢** من سورة النساء، وفي السبعة (ص: **٢٣٢**): وروى الكسائي عن إسماعيل بن جعفر عن أبي جعفر وشيبة أنهما لم يهمزا «وسل» ولا «فسل» كقراءة الكسائي.

(٢) ساقط من الأصل والمطبوع، ولم أجده.

(٣) زيادة من نجيبويه.

(٤) جاءت الألفاظ الثلاث في المطبوع وأحمد٣ منصوبة.

(٥) «هؤلاء»: زيادة من المصرية والتركية وأحمد٣ والحمزوية والأسدية١، و«القوم» زيادة من المصرية فقط، وفي الأسدية١: المحكوم عليهم.

والمعنى: إن الله أَوجب لهم سخطه في الأَزل وخلقهم لعذابه، فلايؤمنون ولو جاءَهم كل بيان وكل وضوح إلا في الوقت الذي لا ينفعهم فيه إيمان، كما صنع فرعون وأَشباهه من الخلق، وذلك وقتَ المعاينة، وفي ضمن الأَلفاظ التحذير من هذه الحال، وبَعْثُ الكل على المبادرة [إلى الإيمان][١]، والفرار من سخط الله.

وقرأَ أَبو عمرو، وعاصم، والحسن، وأَبو رجاءٍ:/ ﴿كَلِمَتُ﴾ بالإفراد. [٣/ ٢٣]

وقرأَ نافع، وأَهل المدينة: ﴿كَلِمَات﴾ بالجمع، وقد تقدم ذكر هذه الترجمة[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ الآية، في مصحف أُبيٍّ، وابن مسعود: (فَهَلا)[٣].

والمعنى فيهما واحد، وأَصل «لولا» في الكلام التحضيض أَو الدلالة على منع أَمر لوجود[٤] غيره، فأَما هذه فبعيدة عن هذه الآية، لكنها من جملة التي هي للتحضيض، [وحقيقة التحضيض][٥] بها أَن يكون المحضِّض يريد من المخاطب فعل ذلك الشيءِ الذي يحضه عليه. وقد تجيءُ «لولا» وليس من قصد المخاطب أَن يحضّ المخاطب على فعل ذلك الشيءِ فيكون حينئذ المعنى توبيخاً، كقول جرير:

.... لولا الكَمِـيَّ المُقَنَّعَا[٦] [الطويل]

وذلك أَنه لم يقصد حضَّهم على عقر الكميّ، كقولك لرجل قد وقع في أَمر صعب: لولا تحرَّزْتَ، وهذه الآية من هذا القبيل.

---

(١) ساقط من نجيبويه.
(٢) في تفسير الآية (١١٥) من سورة الأنعام أكثر تحريراً مما هنا، وهما سبعيتان، الجمع لنافع وابن عامر.
(٣) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (٥/ ١٥١)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٤٧٩)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٥٧).
(٤) في نجيبويه: «لوجوب».
(٥) ساقط من الأصل ونجيبويه.
(٦) أوله: تَعُدّون عقر النّيب أفضل مجدكم * بني ضوطرى.. كما تقدم في تفسير الآية (١١٥) من سورة البقرة.

قال القاضي أبو محمد: ومفهوم من معنى الآية نفيُ إِيمان أَهل القُرى، ومعنى الآية: فَهَلاَّ آمن أَهل القرية وهم على مهل لم يلتبس العذاب بهم فيكون الإِيمان نافعاً لهم في هذه الحالة، ثم استثنى قوم يونس، فهو بحسب اللفظ استثناءٌ منقطع، وكذلك رسمه[١] النحويون أَجمع، وهو بحسب المعنى متصل لأَن تقديره: ما آمن مِنْ أَهل قرية إِلا قوم يونس، والنصب في قوله: ﴿إِلَّا قَوْمَ﴾ هو الوجْهُ، ولذلك[٢] أَدخله سيبويه في باب ما لا يكون فيه إلا النصب[٣]، وكذلك مع انقطاع الاستثناء، ويشبه الآيةَ قولُ النابغة: إلا الأواري[٤]، وذلك هو حكم لفظ الآية، وقالت فرقة: يجوز فيه الرفع، وهذا مع اتصال الاستثناءِ.

وقال المهدوي: «والرفع على البدل من ﴿قَرْيَةٌ﴾»[٥].

ورُوي في قصة يونس أَن القوم لما كفروا أَوحى الله إِليه أَن أَنذرهم بالعذاب لثلاثة، ففعل فقالوا: هو رجل لا يكذب فارقبوه، فإِن أَقام بين أَظهُركم فلا عليكم، وإِن ارتحل[٦] فهو نزول العذاب لاشك، فلما كان الليل تزود يونس وخرج عنهم، فأَصبحوا فلم يجدوه، فتابوا ودعوا الله وآمنوا ولبسوا الْمُسُوح وفرّقوا بين الأُمّهات والأَولاد من الناس والبهائمِ، والعذابُ منهم فيما رُوي عن ابن عباس على ثلثي ميل[٧]، وروي:

(١) في التركية وأحمد٣ والمصرية الأسدية١: «وسمه».

(٢) في نجيبويه ونور العثمانية: «وكذلك».

(٣) الكتاب لسيبويه (١/ ٢٦٩)

(٤) تمامه: إلّا الأواري لأياً ما أبينها * والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد، من معلقته، انظر عزوه له في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٧٢)، ومجاز القرآن (٢/ ٣١٠)، والأغاني (١١/ ٣٣)، والأواري: جمع آري وهو عود أعلاه معوج يدق لتشد فيه حبال الخيمة.

(٥) انظر التحصيل (٣/ ٣٧٥)، ونقله عنه تفسير البحر المحيط (٥/ ١٩٢).

(٦) في نجيبويه زيادة: «عنكم».

(٧) منقطع، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٢/ ٢٩٤) من طريق قتادة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو منقطع.

على ميل[١]، وقال ابن جبير: «غشيهم العذاب كما يغشى الثوب القبر، فرفع الله عنهم العذاب، فلما مضت الثلاثة وعلم يونس عليه السلام أَن العذاب لم ينزل قال: كيف أَتصرف وقد وجدوني في كذب؟ فذهب مغاضباً كما ذكر الله تعالى في هذه الآية»[٢].

قال القاضي أبو محمد: وذهب الطبري إِلى أَن قوم يونس عليه السلام خُصُّوا من بين الأُمم بأَن تيب عليهم من بعد معاينة العذاب[٣]، ذكر ذلك عن جماعة من المفسرين.

قال القاضي أبو محمد: وليس كذلك، والمعاينة التي لا تنفع التوبة معها هي تلبُّس العذاب أَو الموت بشخص الإِنسان كقصة فرعون، وأَما قوم يونس فلم يصلوا هذا الحدّ.

وقرأَ الحسن، وطلحة بن مصرف، وعيسى بن عمر، وابن وثاب، والأَعمش: «يُونِس» بكسر النون[٤].

وفيه للعرب ثلاث لغات: ضم النون وفتحها وكسرها، وكذلك في يوسف.

وقوله: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ يريد: إِلى آجالهم المفروضة في الأَزل.

وروي أَن قوم يونس كانوا بـ«نِينَوَى» من أَرض الموصل، ويقتضي ذلك قول النبي ﷺ لِعَدَّاس حين قال له إِنه من أَهل نينوى: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متَّى؟» الحديث الذي في السيرة لابن إسحاق[٥].

---

(١) روي هذا عن قتادة كما عند ابن أبي حاتم (١٠٥٩٨)

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ١٠٩-١١٠).

(٣) راجع تفسير الطبري (١٥/ ١٠٥-١٠٦).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها للحسن في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٥٠)، ولطلحة والأعمش وعيسى في الثعلبي (٥/ ١٥١)، وانظر ما تقدم للمؤلف في الآية (١٦٣) من سورة النساء والآية (٨٦) من الأنعام، من ذكر بقية القراءات واللغات فيها وفي يوسف.

(٥) ذكره ابن هشام في السيرة (٢/ ٢٦٦-٢٦٧) عن ابن إسحاق.

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

المعنى: إِن هذا الذي تقدم إنما كان جميعه بقضاء الله عليهم ومشيئته فيهم، ولو شاءَ الله لكان الجميع مؤمناً، فلا تأسف أَنت يا محمد على كفر من لم يؤمن بك، وادع ولا عليك، فالأَمر محتوم، أَفتريد أَنت أَن تُكْرِه الناس بِإدخال الإِيمان في قلوبهم وتضطرهم إِلى ذلك والله عزَّ وجلَّ قد شاءَ غيره؟

قال القاضي أبو محمد: فهذا التأْويلُ الآيةُ عليه محكمة، أَي: ادع وقاتل من خالفك، وإِيمانُ من آمن مصروف إِلى المشيئة.

وقالت فرقة: المعنى: أَفأَنت تكره الناس بالقتال حتى يدخلوا في الإِيمان؟ وزعمت أَن هذه الآية في صدر الإِسلام وأَنها منسوخة بآية السيف.

قال القاضي أبو محمد: والآية على كلا التأْويلين رادَّة على المعتزلة.

وقوله تعالى: ﴿كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ تأْكيد وهو من فصيح الكلام، و﴿جَمِيعًا﴾ حال مؤكدة، ونحوه قوله سبحانه: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ الآية، ردّ إِلى الله تعالى، وإِلى أَن الحول والقوة لله في إِيمان من يؤمن، وكونِ الرجس على الكفار.

وقرأَ عاصم في رواية أَبي بكر: ﴿وَنَجْعَلُ الرِّجْسَ﴾ بنون العظمة.

وقرأَ الباقون، وحفص عن عاصم: ﴿وَيَجْعَلُ﴾ بالياءِ[1].

وقرأَ الأَعمش: (ويجْعَلُ الله الرجْسَ)[2].

---

(١) وهما سبعيتان متواترتان، التيسير للداني (ص: ١٢٣)

(٢) وهي شاذة لمخالفتها الرسم، تابعه عليها هكذا في البحر المحيط (٦/ ١٠٩) وتابعوه، والذي في =

والرِّجْس يكون بمعنى العذاب كالرجز، ويكون في معنى القذر والنجاسة كالركْس[١]، ذكره أَبو علي هنا وغيره، وهو في هذه الآية بمعنى العذاب[٢].

و﴿لَا يَعۡقِلُونَ﴾ يريد: آياتِ الله وحجج الشرع، ومعنى الإِذن في هذه الآية: الإِرادةُ والتقديرُ لذلك، فهو العلم والتمكين.

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ هذه الآية أَمْرٌ للكفار بالاعتبار والنظر في المصنوعات الدالة على الصانع، وغير ذلك من آيات السماوات وأَفلاكها وكواكبها وسحابها ونحو ذلك، والأَرض ونباتها ومعادنها وغير ذلك، المعنى: انظروا في ذلك بالواجب يُنَـبِّهكم[٣] إِلى المعرفة بالله والإِيمان بوحدانيته.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن والعامّةُ بالبصرة: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ﴾ بكسر اللام، وقرأَ نافع وأَهل المدينة: ﴿قُلُ انْظُرُوا﴾ بضم اللام[٤].

ثم أَعلَم في آخر الآية أَن النظر في الآيات والسماع من النُّذر وهم الأَنبياءُ لا يُغني إِلا بمشيئة الله، وأَن ذلك غير نافع لقوم قد قضى الله أَنهم لا يؤمنون، وهذا على أَن تكون (مَا) نافية، ويجوز أَن تُعَدّ استفهاماً على جهة التقرير الذي في ضمنه نفْيُ وقوع الغَناءِ، وفي الآية ـ على هذا ـ توبيخ لحاضري رسول الله ﷺ من المشركين.

= تفسير الثعلبي (٥/ ١٥٣) عنه: «الرجز» بالزاي دون زيادة لفظ الجلالة، وكذا أشار لها الزمخشري في الكشاف (٢/ ٣٧٣).

(١) في الأصل ونجيبويه: «كالرجس».

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٣٠٧).

(٣) من المطبوع، وهي ظاهر نور العثمانية وأحمد٣، وفي العلمية «ينهاكم»، وكأنها كذلك في الأصل إلا أن الألف بعد الهاء كتبت بالياء (على الإمالة)، وفي التركية والأسدية١: «ينهيكم»، وفي المصرية: «فهو يهديكم».

(٤) وهما سبعيتان، الكسر لعاصم وحمزة خاصة على قاعدتهما، انظر: التيسير (ص: ٧٨)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ١٧٥).

وقوله: ﴿ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾ حصر طريقي تعريف الله تعالى عباده. ويحتمل أَن تكون (مَا) في قوله: ﴿وَمَا تُغۡنِي﴾ مفعولة بقوله: ﴿ٱنظُرُواْ﴾ معطوفة على قوله: ﴿مَاذَا﴾، أَي: تأَمَّلُوا قَدْرَ غَناءِ الآيات والنذر عن الكفار إِذ قبلوا ذلك كفعل قوم يونس فإِنه يرفع العذاب في الدنيا والآخرة، ويُنَجِّي من الهلكات، فالآية ـ على هذا ـ تحريض على الإِيمان.

قال القاضي أبو محمد: وتجوُّز اللفظ ـ على هذا التأْويل ـ إنما هو في قوله: ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

[٣/ ٢٤] / قوله عز وجل: ﴿فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

هذا وعيد [من الله][١] وحضّ على الإيمان، أَي: إِذا لجُّوا في الكفر حلَّ بهم العذاب، وإِذا آمنوا نجوا، هذه سنة الله في الأُمم الخالية، فهل عند هؤلاءِ غير ذلك؟ وهو استفهام بمعنى التوقيف.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ مهادنة مّا، وهي من جملة ما نسخه القتال.

وقوله تعالى: ﴿نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾ الآية، لما كان العذاب لم تحصر مدته، وكان النبي والمؤمنون بين أَظهر الكفرة وقع التصريح بأَن عادة الله سلَفَت بإِنجاءِ رسله ومُتَّبعيهم، فالتخويف على هذا أَشد.

وكلُّهم قرأَ: ﴿نُنَجِّي﴾ مشددة الجيم إِلا الكسائي وحفصاً عن عاصم فإِنهما قرأا: ﴿نُنجِ﴾ بسكون النون وتخفيف الجيم[٢].

وقرأَ عاصم في سورة الأَنبياءِ في بعض ما روي عنه: ﴿نُجِّي﴾ بضم النون

(١) زيادة من نجيبويه.
(٢) فهما سبعيتان، انظر: التيسير للداني (ص: ١٢٣).

وحذف الثانية وشد الجيم[١]، كأَن النون أُدغمت فيها، وهي قراءَة لا وجه لها، ذكر ذلك الزجاج[٢]، وحكى أَبو حاتم نحوها عن الأعمش[٣].

وخط المصحف في هذه اللفظة ﴿نُنجِ﴾ بجيم مطلقة دون ياءٍ.

وكذلك قرأَ الكسائي في سورة مريم: ﴿ثُمَّ نُنْجي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [مريم: ٧٢][٤]، بسكون النون وتخفيف الجيم، والباقون بفتح النون وشدّ الجيم.

والكاف في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يصح أَن تكون في موضع رفع، ويصح أَن تكون في موضع نصب نعتاً لمصدر محذوف.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ الآية، مخاطبة عامة للناس أَجمعين إِلى يوم القيامة، يدخل تحتها كل من اتصف بالشك[٥] في دين الإِسلام، وهذه الآية يتسق معناها بمحذوفات يدل عليها هذا الظاهر الوجيز[٦]، والمعنى: إِنْ كنتم في شك من ديني فأَنتم لا تعبدون الله وحده كذلك[٧]، [فليس هو بأَهل أَن يُشك فيه، وإِنما يُشَكُّ في دينكم ويُرفض، وأَنا[٨] لا أَعبد أَحَداً غيره]، فاقتضت فصاحة الكلام وإِيجازه اختصار هذا كله، ثم صرّح بمعبوده وخصّ من أَوصافه ﴿ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ لما فيها من التذكير للموت وقرع[٩] النفوس به، والمصير إِلى الله بعده، والفقد[١٠] للأَصنام التي كانوا يعتقدونها ضارة ونافعة.

---

(١) الآية (٨٨)، وهي سبعية من قراءة ابن عامر ورواية شعبة عن عاصم، انظر: التيسير (ص: ١٥٥).
(٢) في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦).
(٣) لم أقف عليه.
(٤) فهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٤٩).
(٥) في نور العثمانية: «بالنسك».
(٦) في الأسدية ونور العثمانية ١: «الوحي»، بدل: «الوجيز».
(٧) في أحمد٣ ونور العثمانية: «لذلك»، وسقطت الكلمتان من الأصل والأولى من المطبوع.
(٨) في المطبوع: «وأما».
(٩) في المطبوع والمصرية ونجيبويه: «وفزع».
(١٠) في المطبوع: «والنقد».

قوله عز وجل: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾.

المعنى: قيل لي: كن من المؤمنين وأَقم وجهك للدين، ثم جاءَت العبارة بهذا الترتيب، والوَجْهُ في هذه الآية بمعنى المنْحَى والمقصد، أَي: اجعل طريقك واعتمادك للدين والشرع.

و﴿حَنِيفًا﴾ معناه: مستقيماً، على قول من قال: الحنف: الاستقامة، وجعل تسمية المعوجِّ القدمِ أَحنفَ على وجه التفاؤُل، ومن قال: الحنف الميل؛ جعل ﴿حَنِيفًا﴾ ها هنا مائلاً عن حال الكفرة وطريقهم، و﴿حَنِيفًا﴾ نصب على الحال.

وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ معناه: قيل لي: وَلا تَدْعُ، فهو عطف على ﴿أَقِمْ﴾، وهذا الأَمر والمخاطبة للنبي ﷺ إِذا كانت هكذا فأَحرى أَن يتحرز من ذلك غيره، وما لا ينفع ولا يضر هو الأَصنام والأَوثان، والظالم: الذي يضع الشيءَ في غير موضعه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ الآية، مقصد هذه الآية أَن الحول والقوة لله، ويبين ذلك للناس بما يحسونه من أَنفسهم، والضُّر لفظ جامع لكل ما يكرهه الإِنسان كان ذلك في ماله أَو في بدنه، وهذه الآية مظهرة فساد حال الأَصنام، لكن[1] كل مُمَيِّزٍ أَدنى ميز يعرف يقيناً أَنها لا تكشف ضرّاً ولا تجلب نفعاً.

وقوله: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ لفظ تام العموم، وخصَّص النبي ﷺ الفقه بالذكر في قوله: «مَنْ يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[2]، وهذا على جهة التشريف للفقه.

(١) في الحمزوية ونور العثمانية وأحمد٣ ونجيبويه: «لأن».

(٢) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ترجية وبسط ووعد ما.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨) وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ (١٠٩)﴾.

هذه مخاطبة لجميع الكفار مستمرة مدى الدهر، و﴿ٱلْحَقُّ﴾ هو القرآن والشرع الذي جاءَ به محمد ﷺ، ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ أي: اتبع الحق وأذعن به[1] فإنما يسعى لنفسه لأَنه يوجب لها رحمة الله ويدفع عذابه، ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ أَي: حادَ عن طريق الحق ولم ينظر بعين الحقيقة، وكفر بالله عزَّ وجلَّ فبِضِدّ ذلك.

وقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ أَي: لست بآخذكم ولابُدّ بالإِيمان، وإِنما أَنا مبلغ، وهذه الآية منسوخة بالقتال.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ الآية، معناه: اتَّبع ما رسمه لك شرعك، وما أَعلمك الله به من نُصْرَته لك، وَاصْبِرْ على شقاءِ الرسالة وما ينالك في الله من الأَذى.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ وعدٌ للنبي ﷺ بأَن يغلبهم، كما وقع، تقتضيه قوة اللفظ، وهذا الصبر منسوخ بالقتال[2]، وهذه السورة مكيّة، وقد تقدم ذكْر هذا في أَولها.

(١) في العلمية: وتدين، وكتبت في الأصل: والدين فكأن أصلها وادَّين بالإدغام وأضيفت اللام سهواً.
(٢) انظر تفسير الطبري (١٥/ ٢٢١).

سورة هود

هذه السورة مكية إلاَّ قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾ [هود: ١٢]، وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ [هود: ١٧]، ونزلت في ابن سلام وأَصحابه، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] الآية، نزلت في شأْن التَّمَّارِ(١)، وهذه الثلاث مدنية، قاله مقاتل(٢)، عَلَى أَنَّ الأُولى تشبه المكي.

وإِذا أَردت بـ«هود» اسم السورة لم ينصرف، كما تفعل إِذا سميت امرأَةً بـعمرو وزيْد، وإِذا أَردت سورة هود صرفت.

قوله عز وجل: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ
حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴿٢﴾ / وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ [٣/ ٢٥]
يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ
كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤﴾﴾.

تقدم استيعاب القول في الحروف المقطعة في أَوائل السور، وتختص هذه بأَن قيل: إِن «الرَّحْمن» فرِّقت حروفه فيها، وفي ﴿حمٓ﴾(٣)، وفي ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾ [القلم: ١].

(١) أي: بائع التمر كما سيأتي في تفسيرها، وفي المطبوع: «الثمار»، ولعله خطأ، وفي الحمزوية: «نبهان» وهي أوضح لأن ذلك اسمه.

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢٦٩).

(٣) غافر: ١، فصلت: ١، الشورى: ١، الزخرف: ١، الدخان: ١، الجاثية: ١، الأحقاف: ١.

و﴿كِتَٰبٌ﴾ مرتفع على خبر الابتداءِ، فمن قال: الحروف إِشارة إِلى حروف المعجم كانت الحروف المبتدأَ، ومن تأَول الحروف غير ذلك كان المبتدأَ: هذا كتاب، والمراد بالكتاب القرآن.

و﴿أُحۡكِمَتۡ﴾ معناه: أُتقنت وأُجيدت شبه ما تُحْكِم من الأُمور المتقنة الكاملة، وبهذه الصفة كان القرآن في الأَزل[١]، ثم فصل بتقطيعه وتنويع[٢] أَحكامه وأَوامره على محمد ﷺ في أَزمنة مختلفة، فـ﴿ثُمَّ﴾ على بابها، وهذه طريقة الإِحكام والتفصيل، إِذ الإِحكام صفة ذاتية، والتفصيل إِنما هو بحسب من يُفصَّل له، والكتاب بأَجمعه مُحْكم ومُفْصل، والإِحكام الذي هو ضد النسخ والتفصيلُ الذي هو خلاف الإِجمال إِنما يقالان مع ما ذكرناه باشتراك، وحكى الطبري عن بعض المتأَولين: «أُحْكمت بالأَمر والنهي، وفُصّلت بالثواب والعقاب، وعن بعضهم: أُحكمت من الباطل، وفصلت بالحلال والحرام»[٣]، ونحو هذا من التخصيص الذي هو صحيح المعنى ولكن لا يقتضيه اللفظ، وقال قوم: ﴿فُصِّلَتۡ﴾ معناه: فُسّرت.

وقرأَ عكرمة، والضحاك، والجحدري، وابن كثير فيما روي عنه: (ثُمَّ فَصَلَت) بفتح الفاءِ والصاد واللام[٤]، ويحتمل ذلك معنيين:

أَحدهما: فَصَلَتْ، أَي: نزلت إِلى الناس، كما تقول: فَصَلَ فلان لسفره، ونحو هذا من[٥] المعنى.

والثاني: فَصَلَت بين المحِقِّ والمُبْطِل من الناس.

---

(١) في المصرية ونور العثمانية وأحمد٣ والتركية والأسدية١: «في الأول».
(٢) في أحمد٣ ونور العثمانية: وتبيين.
(٣) راجع تفسير الطبري (١٥/ ٢٢٤ و٢٤٦).
(٤) وهي شاذة نقلها عنهم في المحتسب (١/ ٣١٧)، ولم ترد في شيء من طرق التيسير ولا النشر.
(٥) «من» زيادة من المطبوع.

و﴿مِن لَّدُنْ﴾ معناها: من حيث ابتدئت الغاية، كذا قال سيبويه[١]، وفيها لغات: يقال: «لَدْن»، و«لُدْن» بسكون الدال، وقرئ بهما: (مِنْ لَدْن)[٢].

ويقال: «لَدُ» بفتح اللام وضم الدال دون نون، ويقال: «لَدىً» بدال منونة مقصورة.

ويقال: «لَدٍ» بدال مكسورة منونة. حكى ذلك أَبو عبيدة[٣].

و﴿حَكِيمٍ﴾ أَي: مُحْكِم، و﴿خَبِيرٍ﴾ أَي: ذو خبرة بالأُمور أَجمع.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾، (أن): في موضع نصب، إِما على إِضمار فعل، وإِمَّا على تقدير: بأَنْ وإِسقاط الخافض، وقيل: على البدل من موضع «الآيات»، وهذا معترض ضعيف لأَنه لا موضع للآيات، وإِن نظر موضع[٤] الجملة فهو رفع.

ويحتمل أَن تكون في موضع رفع على تقدير: تفصيله أَلا تعبدوا، وقيل: على البدل من لفظ الآيات.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ أَي: من عقابه وبثوابه، وإِذا أُطلقت هاتان اللفظتان فالنذارة في المكروه والبشارة في المحبوب، وقدم النذير لأَن التحذير من النار هو الأَهم.

و﴿أَنِ﴾ معطوفة على التي قبلها، ومعنى الآية: استغفروا ربكم، أَي: اطلبوا مغفرته لكم وذلك بطلب دخولكم في الإِسلام، ثم توبوا من الكفر، أَي: انسلخوا منه واندموا على سالفه، و﴿ثُمَّ﴾ مرتِّبة لأَن الكافر أَول ما ينيب فإِنه في طلب مغفرة ربه، فإِذا تاب وتجرد من الكفر تمَّ إِيمانه.

---

(١) في الكتاب (٤/ ٢٣٣) ثم قال: يدلك على أنه اسمٌ قولهم: من لدن، وقد يحذف بعض العرب النون حتى يصير على حرفين.

(٢) أما مع الضم فلم أجدها، وأما مع الفتح فهي رواية الكسائي عن شعبة هنا وفي النمل كما في جامع البيان (٣/ ١٠١٢).

(٣) ولفظه في مجاز القرآن (١/ ٢٨٥): ولدن ولداً سواء ولدٌ.

(٤) في المطبوع: «موضوع».

وقرأ الجمهور: ﴿يُمَتِّعۡكُم﴾ بشد التاءِ، وقرأ ابن محيصن: (يُمْتِعْكُمْ) بسكون الميم وتخفيف التاءِ[1]، وفي كتاب أَبي حاتم أن هذه القراءَات بالنون[2]، وفي هذا نظر.

و﴿مَّتَٰعًا﴾ مصدرٌ جارٍ على غير الفعل المتقدم مثل قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح: ١٧]، وقيل: نصب بتعدي ﴿يُمَتِّعۡكُم﴾ لأَنك تقول: متَّعتُ زيداً ثوباً.

ووَصْف المتاع بالحُسْن إِنما هو لطيب عيش المؤمن برجائه في الله عزَّ وجلَّ وفي ثوابه، وفرحه بالتقرب إِليه بمفترضاته، والسرور بمواعيده، والكافرُ ليس في شيءٍ من هذا، وأَما من قال بأَن المتاع الحسن هو فوائد الدنيا وزينتها، فيضعف بأَن الكفرة يشاركون في ذلك أَعظم مشاركة.

والأَجل المسمّى: هو أَجل الموت، معناه: إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى لكل واحد منكم، وهذا ظاهر الآية، واليوم[3] الكبير على هذا هو يوم القيامة، وتحتمل الآية أَن يكون التوعد بتعجيل العذاب إِن كفروا، والوعد بتمتيعهم إِن آمنوا، فتشبه ما قاله نوح عليه السلام، واليوم الكبير على هذا كيوم بدر ونحوه، والمجهلة في أَي الأَمرين يكون، إِنما هي بحسب البشر، والأَمر عند الله تعالى معلوم مُحَصَّل[4]، والأَجل واحد.

وقوله تعالى: ﴿وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥ﴾ أَي: كل ذي إِحسان بقوله أَو بفعله أَو بقوّته أَو بماله أَو غير ذلك مما يمكن أَن يتقرب به.

و﴿فَضۡلَهُۥ﴾: يحتمل أَن يعود الضمير فيه على ﴿ذِي فَضۡلٖ﴾ أَي: ثواب فضله وجزاءَه. ويحتمل أَن يعود الضمير فيه على الله عزَّ وجلَّ، أَي: يؤتي الله فضْلَه كلَّ ذي فضل

---

(١) وهي شاذة، عزاها له ولآخرين الهذلي في الكامل (ص: ٥٧٠).

(٢) لم أجد من نقله عنه، والقراءة بالنون شاذة عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٢٣١) للحسن بالتشديد والتخفيف.

(٣) في المطبوع: «والأجل».

(٤) في المصرية وأحمد٣: مجمل، وفي نور العثمانية: «متحصل».

وعملٍ صالح من المؤمنين، ونحو[١] هذا المعنى ما وعد به تعالى من تضعيف الحسنة بعشر أَمثالها، ومن التضعيف الغير محصور لمن شاءَ.

وهذا التأْويل تأَوله ابن مسعود وقال: «ويلٌ لمن غلبت آحادُه عشراتِه»[٢].

ويحتمل أَن يكون قول ابن مسعود موافقاً للمعنى الأَول.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ بفتح التاءِ واللام:

فبعضهم قال: معناه: الغيبة، أَي: فقل لهم: إِني أَخاف عليكم.

وقال بعضهم: معناه: فإِن تَتَوَلّوا، فحذفت التاءُ، والآية كلها على مخاطبة الحاضر.

وقرأَ اليماني وعيسى بن عمر: (وَإِنْ تُوَلُّوا) بضم التاءِ واللام وفتح الواو.

وقرأَ الأعرج: (تولُوا) بضم التاء واللام وإسكان الواو[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ﴾ توعُّد بيوم القيامة، ويحتمل أَن يريد به يوماً من الدنيا كبدر وغيره.

وقوله تعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ توعُّد، وهو يؤيد أَن اليوم الكبير يوم القيامة لأَنه توعَّد به، ثم ذكر الطريق إِليه من الرجوع إِلى الله، والمعنى: إِلى عقابه وجزائه لكم رجوعُكُم، وهو القادر الذي لا يضره شيءٌ، ولا يجير عليه مجير، ولا تنفع من قضائه واقية.

---

(١) زيادة من أحمد٣ والمطبوع.

(٢) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٢/ ٣١٥) عن المسيب بن شريك، عن أبي بكر، عن سعيد ابن جبير، عن ابن مسعود، به مطولاً، وهذا إسناد ضعيف؛ من أجل المسيب بن شريك أبي سعيد التميمي الشقري.

(٣) وهما شاذتان، وقد عزا ضم التاء للثلاثة في مختصر الشواذ (ص: ٦٣)، وفتح الواو وضمها للأولين في الشواذ للكرماني (ص: ٢٣١). وسقط الأعرج مع ضبط القراءة الأولى من المطبوع، ومع الثانية من الأصل.

وقوله: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ عموم يراد به الخصوص، دون ما لا يوصف الله بالقدرة عليه من المحالات وغيرها التي هي أَشياء.

[والشيءُ في اللغة: الموجود، وما يتحقق أَنه يوجد كزلزلة الساعة وغيرها][(١)].

قوله عز وجل: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾.

قيل: إِن هذه الآية نزلت في الكفار الذين كانوا إِذا لقيهم رسول الله ﷺ تطامنوا وثَنَوْا صدورهم كالمستتر، / وردُّوا إِليه ظهورهم، وغشَّوا وجوههم بثيابهم تباعداً منه وكراهة للقائه، وهم يظنون أَن ذلك يخفى عليه وعلى الله عزَّ وجلَّ، فنزلت الآية في ذلك[(٢)]. [٣/ ٢٦]

و﴿صُدُورَهُمْ﴾ منصوبة على هذا بـ﴿يَثْنُونَ﴾، وقيل: هي استعارة للغل والحقد الذي كانوا ينطوون عليه، كما تقول: فلان يطوي كشحه على عداوته ويَثني صدره عليها، فمعنى الآية: أَلا إِنهم يُسرون العداوة ويتكتمون بها لتخفى ـ في ظنهم ـ عن الله، وهو تعالى حين تَغَشِّيهم بثيابهم[(٣)] وإِبلاغهم في التَّستُّر، يعلم ما يُسرون.

وقرأَ سعيد بن جبير: (يُثْنُونَ) بضم الياءِ والنون، من أَثْنى.

وقرأَ ابن عباس: (لَيَثْنون).

وقرأَ ابن عباس أَيضاً، ومجاهد، وابن يَعْمَر، وابن أَبزى، ونصر بن عاصم، والجحدري، وابن أَبي إسحاق، وأَبو رزين، وعليّ بن الحسين، وأَبو جعفر محمد بن عليّ، وزيد بن عليّ، وجعفر بن محمد، وأَبو الأَسود، والضحاك: (تَثْنَوْني صُدُورُهُمْ)[(٤)] برفع الصدور.

---

(١) سقط من نور العثمانية مع بعض كلمات النص الذي فوقه.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣١٦-٣١٧).

(٣) في المطبوع: «تغشاهم»، بدل الكلمتين.

(٤) هذه ثلاث قراءات شاذة، انظر عزو الأولى والثانية في الشواذ للكرماني (ص: ٢٣٢)، وعزو الأولى =

وهي تحتمل المعنيَيْن المتقدمين في ﴿يَثْنُونَ﴾، وزنها تَفْعَوْعِل على بناءِ مبالغة لتكرار الأَمر، كما تقول: اعشَوْشَبَت الأَرض، واحْلَوْلَت الدنيا، ونحو ذلك.

وحكى الطبري عن ابن عباس، على هذه القراءَة، أَن هذه الآية نزلت في أَن قوماً كانوا لا يأْتون النساءَ والحدث إِلا ويتغَشَّون ثيابهم كراهية أَن يُفضوا بفروجهم إِلى السماءِ[١].

وقرأَ ابن عباس فيما روى ابن عُيَيْنة: (تَثْنَوي) بتقديم الثاءِ على النون وبغير نون بعد الواو، قال أَبو حاتم: هذه القراءَة غلط لا تتَّجه[٢].

وقرأَ نصر بن عاصم، ويحيى بن يَعْمَر، وابن أَبي إِسحاق: (تَنْثَوِي) بتقديم النون على الثاءِ[٣].

وقرأَ عروة، وابن أَبزى، والأَعشى: «تَثْنَوِنّ» بثاءٍ مثلثة بعدها نون مفتوحة بعدها واو مكسورة، وقرأا أَيضاً هما ومجاهد فيما روي عنه: (تَثْنَئِنّ) بهمزة بدل الواو[٤].

وهاتان مشتقتان من الثِّنِّ وهو العشب المثني بسهولة، فشبه صدورهم به إِذ هي مجيبة إِلى هذا الانطواءِ على المكر والخداع، وأَصل (تَثْنَوِنّ): تَثْنَوْنِن، سُكنت النون المكسورة، ونقلت حركتها إِلى الواو التي قبلها، وأُدغمت في النون التي بعدها.

= أيضاً في المحتسب (١/ ٣١٩)، وقال: وأحسبها وهماً، والثالثة لأصحابها فيه أيضاً، وفي المطبوع ونور العثمانية: يزيد بن علي.

(١) صحيح، أخرجه البخاري (٤٦٨١) من طريق حجاج، عن ابن جريج، عن محمد بن عباد بن جعفر، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) وهي شاذة، عزاها في تفسير القرطبي (٩/ ٥)، لرواية غير محمد بن عباد عن ابن عباس، وقول أبي حاتم لم أقف عليه.

(٣) وهي شاذة عزاها في الهداية إلى بلوغ النهاية (٥/ ٣٣٤٨) لابن عباس، وفي المطبوع والأصل: «تثنوي»، وهو خلاف الضبط.

(٤) وهما شاذتان، عزا في المحتسب (١/ ٣١٩) الأولى لابن عباس، والثانية لعروة الأعشى، وزاد له ولمجاهد وجهاً آخر ظاهره همز الواو مضمومة، وفي الأصل والمطبوع: «الأعمش»، بدل «الأعشى».

وأَما (تَثْنَئِنُّ) فأَصلها: تَثْنَانّ مثل تَحْمَارّ، ثم قالوا: اثْنَأَنَّ كما قالوا: احْمَأَرَّ وابْيَأَضَّ.

والضمير في ﴿مِنۡهُ﴾ عائد على الله تعالى، هذا هو الأَفصح الأَجزل في المعنى، وعلى بعض التأْويلات يمكن أَن يعود على محمد ﷺ.

و﴿يَسۡتَغۡشُونَ﴾ معناه: يجعلونها أَغشية وأَغطية، ومنه قول الخنساءِ:

[البسيط] أَرْعَى النُّجومَ وما كُلِّفتُ رعْيَتَهَا ... وتارَةً أَتغَشَّى فضْلَ أَطْمَارِي[1]

وقرأَ ابن عباس: (عَلَى حينَ يَسْتَغْشونَ)[2]، ومن هذا الاستعمال قول النابغة:

[الطويل] عَلَى حِينَ عاتَبْتُ الْمَشيبَ علَى الصبَا ... وقلْتُ أَلمَّا أَصْحُ والشَّيْبُ وازِعُ[3]

وذات الصُّدُورِ: مافيها، والذَّات تتصرف في الكلام على وجوه هذا أَحدها، كقول العرب: «الذئب مغبوط بذي بطنه»[4]، أَي: بالذي فيه من النفخ، وكقول أَبي بكر الصديق رضي الله عنه: إِنما هو ذو بطن بنت[5] خارجة[6].

والذاتُ التي هي حقيقة الشيءِ ونفسُه قلقة في هذا الموضع، ويحتمل أَن يفرق بين «ذي بطنه» وبين الذات، وإِنما يجمع بينهما المعنى.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ﴾ الآية، تماد في وصف الله تبارك وتعالى بنحو قوله: ﴿يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ﴾، والدَّابة: ما دبَّ من الحيوان، والمراد جميع الحيوان

---

(١) انظر عزوه لها في العين (٢/ ٢٤١)، وتفسير الطبري (١٥/ ٢٣٨)، والأطمار: جمع طِمْر، وهو الثوب الخلق.

(٢) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٦/ ١٢٤).

(٣) انظر عزوه له في الكتاب لسيبويه (٢/ ٣٣٠)، وقد تقدم في تفسير الآية ١١٨ من سورة المائدة.

(٤) مثل مشهور تقدم التعليق عليه في تفسير الآية (١٢٠) من آل عمران.

(٥) «بنت»، سقطت من المطبوع، ويروى أم خارجة.

(٦) صحيح، هذا الأثر أخرجه مالك في الموطأ (١٤٣٨) من طريق الزهري، عن عروة، عن عائشة أن أبا بكر... في حديث طويل.

الذي يحتاج إِلى رزق، ويدخل في ذلك الطائر والهَوَامّ وغير ذلك، كلها دواب، وقد قال الأَعشى:

نِيَافٌ كغُصْنِ البَانِ تَرْتَجُّ إِنْ مَشَتْ   دَبيبَ قَطَا البَطْحَاءِ في كلِّ مَنْهَلِ[1]   [الطويل]

وقال علقمة بن عبدة لطير: لِطَيْرِهِنَّ دَبيبُ[2].

وفي حديث أَبي عبيدة: فإِذا دابة مثل الظَّرِبِ[3]، يريد: من حيوان البحر.

وتخصيصه بقوله: ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إِنما هو لأَنه الأَقرب لحِسِّهِم، والطائر والعائم إِنما هو في الأَرض، وما مات من الحيوان قبل أَن يتغذى فقد اغتذى في بطن أُمه بوجه ما.

وهذه الآية تعطي أَن الرزق: كل ما صحّ الانتفاع به، خلافاً للمعتزلة في قولهم: إِنه الحلالُ الممتلك.

وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ إِيجابُ تفضُّلٍ لأَنه تعالى لا يجب عليه شيءٌ عقلاً.

والْمُسْتَقَرّ: صلْب الأَب، والمُسْتَوْدَع: بطن الأُم.

وقيل: المسْتَقَر: المأْوى، والمُسْتَوْدَع: القبر، وهما على هذا ظرفان.

وقيل: المُسْتَقَر: ما حصل موجوداً من الحيوان، والمُسْتَوْدَع: ما يوجد بعْدُ.

قال القاضي أبو محمد: والمسْتَقَرّ ـ على هذا ـ مصدر استَقَرّ، وليس بمفعول كمُسْتَوْدع، لأَن استَقَرّ لا يتعدى.

وقوله: ﴿فِى كِتَـٰبٍ﴾ إِشارةٌ إِلى اللوح المحفوظ، وقال بعض الناس: هذا مجازٌ، وهي إِشارة إِلى علم الله.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، وحَمْلُه على الظاهر أَولى.

---

(١) تقدم في تفسير الآية (١٦١) من سورة البقرة.

(٢) الدبيب: المشي الضعيف الخفيف، والبيت تقدم في تفسير الآية (١٩) من سورة البقرة.

(٣) صحيح، هذا الحديث أخرجه البخاري (٢٤٨٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، والظَّرِبُ: الجبل المنبسط، أو الجُبَيْل.

قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾﴾.

قال أَكثر أَهل التفسير: الأَيام هي من أَيام الدنيا، وقالت فرقة: هي من أَيام الآخرة، يومٌ من أَلف سنة، قاله كعب الأَحبار(١)، والأَول أَرجح.

وأَجزأَ ذكر السماوت والأرض عن كل(٢) ما فيها، إِذ كل ذلك خُلِقَ في تلك الستة الأَيام.

واختلفت الأَحاديث في يوم بداية الخلق:

فروى أَبو هريرة فيما أَسند الطبري أَن رسول الله ﷺ أَخذ بيده وقال: «خلق الله التربة يوم السبت، والجبال يوم الأَحد، والشجر يوم الاثنين، والمكروه يوم الثلاثاء، والنور يوم الأَربعاءِ، وبث الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة»(٣).

ونحو هذا من أَن البداءَة يوم السبت في كتاب مسلم، وفي «الدلائل» لثابت: «وكان خلق آدم في يوم الجمعة»(٤)، لا يعتَدّ به إِذ هو بشر كسائر بنيه، ولو اعتُدّ به لكانت الأَيامَ سبعة خلاف ما في كتاب الله.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٢٤٥).

(٢) في نجيبويه ونور العثمانية وأحمد٣: ذكر.

(٣) هذا الحديث أخرجه أحمد (١٤/ ٨٢)، ومسلم (٢٧٨٩)، والنسائي في الكبرى (١١٠١٠)، وأبو يعلى في مسنده (٦١٣٢)، وابن جرير الطبري في التفسير (١٢/ ٣٢٨-٣٢٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨١٢) من طريق حجاج، عن ابن جريج، عن إسماعيل بن أمية، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع، مولى أم سلمة، عن أبي هريرة به.

(٤) صحيح مسلم (٢٧٨٩)، وليس في القسم المطبوع من كتاب الدلائل.

وروي عن كعب الأَحبار أَنه قال: «بدأَ الله خلق السماوات والأَرض يوم الأَحد، وفرغ يوم الجمعة، وخلق آدم في آخر ساعة منه»[(١)].

ونحو هذا في جل الدواوين أَن البدأَة يوم الأَحد.

وقال قوم: خلق الله تعالى هذه المخلوقات في ستة أَيام مع قدرته على خلقها في لحظة، نهجاً إِلى طريق / التؤدة والمهلة في الأَعمال لِيُحكم البشر أَعمالهم. [٣/ ٢٧]

وروي عن ابن عباس أنّه قال: «كان العرش على الماءِ، وكان الماءُ على الريح»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلق بـ﴿خَلَقَ﴾، والمعنى أَن خلقه إِياها كان لهذا، وقال بعض الناس: هو متعلق بفعل مضمر تقديره: أَعلم بذلك ليبلوكم، ومقصد هذا القائل أَن هذه المخلوقات لم تكن لسبب البشر.

وقرأَ عيسى الثقفي: (وَلَئِن قُلْتُ)[(٣)]، بضم التاءِ، وقرأَ الجمهور: ﴿قُلْتَ﴾ بفتح التاءِ.

ومعنى الآية: إِن الله عزَّ وجلَّ هذه صفاته، وهؤلاء بكفرهم في حيز إِن قلت لهم: إِنهم مبعوثون، كذَّبوا، وقالوا: هذا سحر، أَي: فهذا تناقض منكم، إِذ كل مفطور يقر بأَن الله خالق السماوات والأَرض، فهم من جملة المقرين بهذا، ومع ذلك ينكرون ما هو

---

(١) علقه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٤١٣) عن إسماعيل به، وقال بعضهم: عن أبي هريرة، عن كعب، قال: وهو أصح.

(٢) في إسناده لين، هذا الأثر أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٠٢) وفي المصنف (٩٠٨٩)، وعثمان بن أبي شيبة في العرش (ص: ٢)، والدارمي في الرد على بشر المريسي (ص: ٨٧)، وابن جرير الطبري (١٢/ ٣٣٣)، وابن أبي حاتم (١٠٦٩٧) في تفسيريهما، وأبو الشيخ في العظمة (٢١٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣٨-٣٤٢) وغيرهم من طريق الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، والمنهال فيه مقال.

(٣) وهي شاذة انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٢٣٢)، وفي مختصر الشواذ (ص: ٦٤) عنه: «ولئن قلت أنكم» بفتح الهمزة.

أَيسر منه بكثير، وهو البعث من القبور، إِذ البداءَة أَعسر من الإِعادة، وإِذ خلق السماوات والأَرض أَكبر من خلق الناس.

واللام في ﴿لَئِن﴾ مؤذنة بأَن اللام في ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ لام قسم لا جواب شرط.

وقرأَ الأَعرج، والحسن، وأَبو جعفر، وشيبة، وفرقة من السبعة: ﴿سِحْرٌ﴾، وقرأَت فرقة: ﴿سَاحِرٌ﴾، وقد تقدم[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ﴾ الآية، المعنى: ولئن تأَخر العذاب الذي تَوعدتهم[2] به عن الله قالوا: ما هذا الحابس لهذا العذاب؟ على جهة التكذيب، و(الأُمَّةُ) في هذه الآية: الـمُدّةُ، كما قال: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥].

قال الطبري: «سميت بذلك المُدّةُ لأَنها تمضي فيها أُمة من الناس وتحدث فيها أُخرى، فهي على هذا: المدة الطويلة»[3].

ثم استفتح بالإِخبار عن أَن العذاب يوم يأْتي لا يردّه شيءٌ ولا يصرفه، ﴿وَحَاقَ﴾ معناه: حلَّ وأَحاط، وهي مستعملة في المكروه، و﴿يَوْمَ﴾ منتصب بقوله: ﴿مَصْرُوفًا﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١١)﴾.

﴿أَذَقْنَا﴾ هاهنا مستعارة، لأَن الرحمة هاهنا تعم جميع ما يُنتفع به من مطعوم وملبوس وجاهٍ وغير ذلك، والإِنسان هاهنا اسم الجنس، والمعنى: إِن هذا الخُلُق في سجية الناس، ثم استثنى منهم الذين ردتهم الشرائع والإِيمانُ إِلى الصبر والعمل الصالح [على هداية][4].

---

(١) في الآية (١١٠) من المائدة، وهما سبعيتان، الثانية لحمزة والكسائي، والأولى للباقين.

(٢) في المطبوع والأصل: «توعدتم»، وفي نجيبويه: «وعدتم».

(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٢٥٢-٢٥٣)، بالمعنى.

(٤) سقط من الأصل والمطبوع.

و(يئوس)، و﴿كَفُورٌ﴾ بناءَان للمبالغة، و﴿كَفُورٌ﴾ هاهنا من كُفْر النعمة، والمعنى: إنه ييأَس ويتحرج ويتسخط، ولو نظر إلى نعمة الله الباقية عليه في عقله وحواسه وغير ذلك، ولم يكفرها، لم يكن[١] ذلك، فإن اتفق هذا أَن يكون في كافر أَيضاً بالشرع صحّ ذلك ولكن ليس من لفظ الآية.

وقال بعض الناس في هذه الآية: ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ إنما يراد به الكافر، وحَمَلَه على ذلك لفظة ﴿كَفُورٌ﴾، وهذا عندي مردودٌ، لأَن صفة الكفر لا تطلق على جميع الناس كما تقتضي لفظة الإنسان.

والنَّعْمَاءُ: تشمل الصحة والمال ونحو ذلك، والضَّرَّاءُ من الضُّر، وهو أَيضاً شامل، وقد يكثر استعمال الضراءِ فيما يخص البدن.

ولفظ ﴿ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ﴾ تقتضي بطراً وجهلاً أَن ذلك بإنعام[٢] من الله، واعتقادُ أَن ذلك باتِّفاق أَو بسعد[٣] من الاعتقادات الفاسدة، وإلا فلو قالها من يعتقد أَن ذهابها بإنعام من الله وفضل لم يقع ذلك، و﴿ٱلسَّيِّـَٔاتُ﴾ هاهنا: كلُّ ما يسوءُ في الدنيا.

وقرأَت فرقة: ﴿لَفَرِحٌ﴾ بكسر الراءِ، وقرأَت فرقة: (لَفَرُحٌ) بضمها[٤].

وهذا الفرح مطلق، ولذلك ذُمّ، إذ الفرح انهمال النفس، ولا يأْتي الفرح في القرآن ممدوحاً إلا إذا قُيِّد بأَنه في خير.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ الآية، هذا الاستثناءُ متصل على ما قدمناه من أَن الإنسان عام يراد به الجنس، ومن قال: إنه مخصَّص بالكافر، قال هاهنا: إن الاستثناءَ

---

(١) في نجيبويه زيادة: «غير».

(٢) في نجيبويه: «بمنع إنعام».

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «بعقد».

(٤) الأولى هي المتواترة، وسقطت من الحمزوية، والثانية شاذة، عزاها النحاس في إعراب القرآن (٢/ ١٦٢) لبعض أهل المدينة.

منقطع، وهو قول ضعيف من جهة المعنى، وأَما من جهة اللفظ فجيّد، وكذلك قاله من النُّحاة قومٌ، واستثنى الله من الماشين على سجيّة الإِنسان هؤلاءِ الذين حملتهم الأَديان على الصبر على المكاره ومثابرة عبادة الله، وليس شيءٌ من ذلك في سجية البشر، وإِنما حَمَل على ذلك حب الله وخوفُ الدار[١] الآخرة والصبر، والعملُ الصالح لا ينفع إِلا مع هداية وإِيمان.

ثم وعدَ تعالى أَهل هذه الصفة، تحريضاً عليها وحضّاً، بالمغفرة للذنوب والتفضل بالأَجر والنعيم.

قوله عز وجل: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾.

سبب هذه الآية أَن كفار قريش قالوا: يا محمد لو تركت سبّ آلهتنا وتسفيه آبائنا لجالسناك واتَّبعناك، وقالوا: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥][٢]، ونحو هذا من الأَقوال، فخاطب الله تعالى نبيّه ﷺ على هذه الصورة من المخاطبة، ووقفه بها توقيفاً رادّاً على أَقوالهم ومبطلاً لها، وليس المعنى أَنه ﷺ همّ بشيءٍ من هذا فزُجر عنه، فإِنه لم يُرد قط ترك شيءٍ مما أُوحي إِليه، ولا ضاق صدره، وإِنما كان يضيق صدره بأَقوالهم وأَفعالهم وبُعدهم عن الإِيمان.

و(لعلّك) ها هنا بمعنى التوقيف والتقرير، و﴿مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ هو القرآن والشريعة والدعاءُ إِلى الله تعالى، كان في ذلك سبُّ آلهتهم وتسفيه آبائهم أَو غيره[٣].

---

(١) في الحمزوية: «خوف الله وحب الدار الآخرة».

(٢) ذكره الواحدي في الوجيز (١/ ٥١٤) بغير إسناد.

(٣) في نجيبويه زيادة: «من الاعتقادات».

ويحتمل أَن يكون النبي ﷺ قد عَظُم عليه ما يلقى من الشدة فمال إِلى أَن يكون من الله تعالى إِذْنٌ في مساهلة الكفار بعض المساهلة، ونحو هذا من الاعتقادات التي تليق به ﷺ كما جاءَت آيات الموادعة.

وعبّر بـ﴿وَضَآيِقُۢ﴾ دون ضَيّق للمناسبة في اللفظ مع ﴿تَارِكُۢ﴾، وإِن كان ضيّق أَكثر استعمالاً لأَنه وصف لازم، و﴿وَضَآيِقُۢ﴾ وصف عارض، فهو الذي يصلح هنا.

والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد على البعض، ويحتمل أَن يعود على ﴿مَا﴾، و﴿أَن﴾ في موضع نصب على تقدير: «كراهة أَنْ»، والكنزُ ها هنا: المالُ، وهذا هو طلبهم آية تضطر إِلى الإِيمان، والله تعالى لم يبعث الأَنبياءَ بآيات اضطرار، وإِنما بعثهم بآيات النظر والاستدلال، ولم يجعل آية الاضطرار إِلا للأُمم التي قدّر تعذيبها بكفرها بعد آية الاضطرار، / كالناقة لثمود. [٣/ ٢٨]

ثم آنسَهُ تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾، أَي: هذا القدر هو الذي فُوّض إِليك، والله تعالى بعد ذلك هو الوكيل الممضي لإِيمان من شاءَ وكفر من شاءَ.

وقوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ﴾ الآية، هذه «أَمْ» التي عند سيبويه بمعنى «بل» وأَلف الاستفهام، كأَنه أَضرب عن الكلام الأَول واستفهم في الثاني على معنى التقرير، كقولهم: إِنها لإِبلٌ أَمْ شَاءٌ.

والافتراءُ أَخصّ من الكذب، ولا يستعمل إِلا فيما بهت به المرءُ وكابر وجاءَ بأَمر عظيم منكر، ووقع التحدي في هذه الآية بِعَشْرٍ لأَنه قيدها بالافتراءِ، فوسَّع عليهم القدْر لتقوم الحجة غاية القيام، إِذْ قَدْ عَجَّزهم في غير هذه الآية بسورة من مثله[١] دون تقييد، فهذه مماثلة تامة في غيوب القرآن ومعانيه الجمة[٢] ونظمه ووعده ووعيده.

وَعُجِّزوا في هذه الآية بأَنْ قيل لهم: عارضوا القدْر منه بعشر أَمثاله في التقدير

---

(١) البقرة: (٢٣)، يونس: (٣٨).

(٢) ساقط من المطبوع، وكتبت في العلمية: «الحجة»، وفي الحمزوية: «الحقة».

والغرضُ واحد، واجعلوه مفترًى لا يبقى لكم إِلا نظمه، فهذه غاية التوسعة، وليس المعنى: عارضوا عشر سور بعشر، لأَن هذه إِنما كانت تجيءُ معارضةَ سورة بسورة مفتراة، ولا يُبالى عن تقديم نزول هذه على هذه.

ويؤيد هذا النظر أَن التكليف في آية البقرة إِنما هو بسبب الريب، ولا يزيلُ الريب إِلا العلم بأَنهم لا يقدرون على المماثلة التامة، وفي هذه الآية إِنما التكليف بسبب قولهم: ﴿ٱفۡتَرَىٰهُ﴾، فكلفوا نحو ما قالوا، ولا يطَّرد هذا في آية يونس.

وقال بعض الناس: هذه مقدَّمة في النزول على تلك، ولا يصح أَن يُعَجَّزوا في[1] واحدة فيكلفوا عشراً والتكليفان سواء، ولا يصح أَن تكون السورة الواحدة إِلا مفتراة، وآية سورة يونس في تكليف سورة متركبةٌ على قولهم: ﴿ٱفۡتَرَىٰهُ﴾، وكذلك آية البقرة، إِنما ريْبُهم بأَن القرآن مفترى.

قال القاضي أبو محمد: وقائل هذا القول لم يلحظ الفرق بين التكليفين، في كمال المماثلة مرة، ووقوفها على النظم مرة.

و﴿مَنِ﴾ في قوله: ﴿مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم﴾ يراد بها الآلهة والأَصنام والشياطين وكل ما كانوا يعظمونه، وقوله: ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ يريد: في أَن القرآن مفترى.

قوله عز وجل: ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

لهذه الآية تأْويلان: أَحدهما: أَن تكون المخاطبة من النبي ﷺ للكفار، أَي: فإِن لم يستجب مَن تدعونه[2] إِلى شيءٍ من المعارضة، ولا قدر جميعكم عليها، فأَذعِنُوا

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) في الحمزوية زيادة: «من دون الله».

حينئذ واعلموا أنه من عند الله، ويأتي قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ متمكناً.

والثاني: أن تكون مخاطبة من الله تعالى للمؤمنين، أي: فإن لم يستجب الكفار إلى ما دُعوا إليه من المعارضة فاعلموا أن ذلك من عند الله، وهذا على معنى: دوموا على علمكم، لأنهم[١] كانوا عالمين بذلك.

قال مجاهد: «قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ هو لأصحاب محمد ﷺ»[٢].

وقوله تعالى: ﴿بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل معنيين. أحدهما: بإذنه وعلى علم منه، والثاني: أنه أُنزل بما علمه الله تعالى من الغيوب، فكأنه أراد: المعلومات له، وقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ تقرير.

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية، قالت فرقة: ظاهرها العموم ومعناها الخصوص في الكفرة، هذا قول قتادة والضحاك، وقال مجاهد: هي في الكفرة وفي أهل الرياءِ من المؤمنين[٣].

وإلى هذا ذهب معاوية حين حدثه سَيَّافُه شُفي بن ماتع الأَصبحي[٤] عن أبي هريرة بقول رسول الله ﷺ في الرجل المتصدق، والمجاهد المقتول، والقائم بالقرآن ليلَه ونهاره، وكل ذلك رياءً، أنهم أول من تُسَعَّر به النار يوم القيامة، فلما حدّثه شُفي بهذا الحديث بكى معاوية وقال: صدق الله ورسوله، وتلا: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ الآية، إلى قوله: ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٥].

---

(١) في المطبوع: «فإنهم».

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٢٦٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠١٠)، وفي أحمد٣: «هؤلاء أصحاب».

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (١٥/ ٢٦٤).

(٤) شفي بن ماتع الأصبحي المصري، روى عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمرو، وعنه: ابنه حسين، وأبو قبيل المعافري، وآخرون، وثقه النسائي، وكان عالماً حكيماً، توفي سنة (١٠٥هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ١٠٧).

(٥) إسناده لا بأس به، لكن وقع فيه اختلاف، هذا الحديث أخرجه الترمذي (٢٣٨٢) وقال: حسن =

فأَما من ذهب في أَنها في الكفرة فمعنى قوله: ﴿يُرِيدُ﴾: يقصد ويعتمد، أَي: هي وجهُهُ ومقصدُه لا مقصد له غيرها، فالمعنى: من كان يريد بأَعماله الدنيا فقط إِذ لا يعتقد الآخرة فإِن الله يجازيه على حُسْن أَعماله، في الدنيا، بالنعم والحواسّ وغير ذلك، فمنهم مُضَيّق عليه، ومنهم مُوَسَّع له، ثم حكم عليهم [بعد ذلك][1] بأَنهم لا يحصل لهم يوم القيامة إِلا النار، ولا تكون لهم حالٌ سواها.

قال القاضي أبو محمد: فاستقام هذا المعنى على لفظ الآية، وهو عندي أَرجح التأْويلات بحسب تقدم ذكر الكفار المناقضين[2] في القرآن، فإِنما قصد بهذه الآية أُولئِكَ.

وأَما من ذهب إِلى أَنها في العصاة من المؤمنين فمعنى ﴿يُرِيدُ﴾ عنده: يُحب ويُؤْثر ويُفَضّل ويقصد وإِن كان له مقصد آخر بإِيمانه، فإِن الله يجازيه على تلك الأَعمال الحسان التي لم يعملها لله بالنِّعم في الدنيا، ثم يأْتي قوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ﴾ بمعنى: ليس يجب لهم أَو يحق لهم إِلاَّ النار، وجائز أَن يتغمدهم الله برحمته، وهذا هو ظاهر أَلفاظ ابن عباس[3] وسعيد بن جبير[4]، وقال أنس بن مالك: هي في أهل الكتاب[5].

قال القاضي أبو محمد: ومعنى هذا أن أَهل الكتاب الكفرة يدخلون في هذه الآية، لا أَنها ليست في غيرهم.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿نُوَفِّ﴾ بنون العظمة.

= غريب، وابن خزيمة (٢٤٨٢)، وابن حبان (٤٠٨)، والطبري (١٢/ ٣٥٠-٣٥١-٣٥٢). ووقع في إسناده اختلاف، ذكره البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٣٢٦)، وحديث هؤلاء الثلاثة أصله في مسلم (١٩٠٥) من طريق آخر، وليس فيه معاوية ولا ذكر الآيات.

(١) ساقط من الأصل والمطبوع.

(٢) في المطبوع: «والمنافقين».

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٢٦٣).

(٥) صحيح إن سلم من تدليس قتادة أخرجه الطبري (١٥/ ٢٦٥) من طريق همام بن يحيى، عن قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه به.

وقرأَ طلحة وميمون بن مهران: (يُوَفّ) بياءِ الغائب[١].

و﴿يُبۡخَسُونَ﴾ معناه: يعطون أَقل من ثوابهم، و﴿وَحَبِطَ﴾ معناه: بطل وسقط، منه قول النبي ﷺ: «يَقتل حَبَطاً أَو يُلِمّ»[٢]، وهي مستعملة في فساد الأعمال.

والضمير في قوله: ﴿فِيهَا﴾ عائد على الدنيا في الأُولَيين، وفي الثالثة عائد على الآخرة، ويحتمل أَن يعود في الثلاثة على الدنيا، ويحتمل أن تعود الثانية على الأَعمال.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَبَٰطِلٞ﴾ بالرفع على الابتداءِ والخبر، وقرأَ أُبيّ وابن مسعود: (وَبَاطلاً) بالنصب[٣]، قال أَبو حاتم: ثبتت في أَربعة مصاحف[٤]، والعامل فيه ﴿يَعۡمَلُونَ﴾، و﴿مَّا﴾ زائدة[٥]، والتقدير: وباطلًا كانوا يعملون.

والباطل: كل ما تقتضي ذاته أَلاَّ تُنال به غاية في ثواب ونحوه، [وبالله التوفيق][٦].

قوله عز وجل: / ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٧﴾. [٣/ ٢٩]

اختلف المتأَولون في المراد بقوله: ﴿أَفَمَن﴾، فقالت فرقة: المراد بذلك المؤمنون بمحمد ﷺ. وقالت فرقة: المراد محمد ﷺ خاصة، وقال[٧] علي بن أَبي طالب[٨]، والحسن،

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لميمون في مختصر الشواذ (ص: ٦٤)، وانظر الشواذ للكرماني (ص: ٢٢٣)، فقد ذكر له أوجهاً أخرى.

(٢) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٢٨٤٢)، ومسلم (١٠٥٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) وهي شاذة، انظر عزوهما له في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٦٣)، والمحتسب (١/ ٣٢٠).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) ساقطة من المطبوع.

(٦) ليست في أحمد٣.

(٧) سقطت «قال» من المطبوع.

(٨) مرسل ضعيف هذا الأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٧٦٥) من طريق أصبغ بن الفرج =

وقتادة، ومجاهد، والضحاك[(١)]، وابن عباس: «المراد بذلك محمد ﷺ والمؤمنون جميعاً»[(٢)].

وكذلك اختلف في المراد بـالبيِّنة:

فقالت فرقة: المراد بذلك القرآن، أَي: على جَلِيَّة بسبب القرآن. وقالت فرقة: المراد محمد ﷺ، [أَي: على جليَّة بسبب محمد ﷺ][(٣)]، والهاءُ في البيّنة للمبالغة كهاءِ علّامة ونسّابة.

وكذلك اختلف في المراد بالشَّاهد، فقال ابن عباس[(٤)]، وإبراهيم النَّخَعي، ومجاهد، والضحاك، وأَبو صالح، وعكرمة: «هو جبريل»[(٥)].

وقال الحسين[(٦)] بن علي: هو محمد ﷺ[(٧)].

وقال مجاهد أيضاً: «هو ملَك وكَّلَه الله بحفظ القرآن»[(٨)].

= قال: سمعت عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يقول في قول الله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ قال: رسول الله ﷺ: «كان على بينة من ربه والقرآن يتلوه شاهدا أيضا لأنه من رسول الله ﷺ»، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف.

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٢٧٠، و٢٧٤-٢٧٥).

(٢) أثر ابن عباس أخرجه الطبري (١٨٠٦٤) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، يعني محمداً، على بينة من ربه ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾، فهو.

(٣) من نجيبويه وأحمد٣ والمطبوع.

(٤) حسن هذا الأثر أخرجه ابن جرير الطبري (١٨٠٤٩)، وابن أبي حاتم (١٠٧٦٠) في تفسيرهما من طريق قتادة عن عكرمة بنحوه.

(٥) تفسير الطبري (١٥/ ٢٧٣-٢٧٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠١٤).

(٦) في المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية والتركية والحمزوية: «الحسن».

(٧) مرسل هذا الأثر أخرجه ابن أبي شيبة (٣١٧٧٦) عن أبي أسامة، وابن جرير الطبري (١٨٠٤٢)، وابن أبي حاتم (١٠٧٥٨) من طريق أبي أسامة، عن عوف، عن سليمان العلاف، عن الحسين، وفي بعض وعند ابن أبي شيبة الحسن به، وسليمان العلاف ذكره البخاري في التاريخ (٤/ ٣٠)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٤/ ١٥٣) ولم يذكرا فيه جرحاً، وقالا: إنه بلغه عن الحسن، روى عنه عوف، وقال البخاري: مرسل.

(٨) تفسير الطبري (١٥/ ٢٧٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠١٤).

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أَن يريد بهذه الألفاظ: جبريل.

وقال علي بن أبي طالب[١]، والحسن، وقتادة: «هو لسان النبي ﷺ»[٢]، وقالت فرقة: هو علي بن أَبي طالب رضي الله عنه، وروي ذلك عنه[٣]، وقالت فرقة: هو الإِنجيل، وقالت فرقة: هو القرآن، وقالت فرقة: هو إعجاز القرآن.

قال القاضي أبو محمد: ويتصرف قوله: ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ على معنيين: بمعنى: يقرؤُه، وبمعنى: يتْبَعه، وتصرُّفه بحسب الخلاف المذكور في الشاهد، ولْنُرَتِّب الآن اطراد كل قول وما يحتمل:

فإِذا قلنا: إِن قوله: ﴿أَفَمَن﴾ يراد به المؤمنون، فإِذا جعلت بعد ذلك البَيِّنَة محمداً ﷺ، صحَّ أن يترتب الشَّاهد الإِنجيل، ويكون ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ بمعنى يقرؤُه، لأَن الإِنجيل يقرأُ[٤] شأْن محمد ﷺ، وأَن يترتب جبريل عليه السلام، ويكون ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ بمعنى: يَتْبَعه، أَي: في تبليغ الشرع والمعونة فيه، وأن يترتب الملَك، ويكون الضمير في ﴿مِّنْهُ﴾ عائداً على البينة التي قدرناها محمداً ﷺ، وأَن يترتب القرآن، ويكون ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ بمعنى: يتْبَعه، ويعود الضمير في ﴿مِّنْهُ﴾ على الربّ.

وإِن جعلنا البيِّنة القرآن على أن ﴿أَفَمَن﴾ هم المؤْمنون، صح أَن يترتب الشَّاهد

(١) منقطع، هذا الأثر أخرجه ابن جرير الطبري (١٨٠٣٠)، وابن أبي حاتم (١٠٧٥٩)، والطبراني في الأوسط (٦٨٢٨) من طريق قتادة، عن عروة، عن محمد بن علي قال: قلت لأبي: يا أبه ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ إن الناس يقولون: إنك أنت هو، قال: وددت أني أنا هو لكنه لسانه، وقتادة لم يسمع من عروة بن الزبير، قاله أحمد كما في جامع التحصيل (ص ٢٥٥).

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٢٧٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠١٤).

(٣) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٨٠٤٨) من طريق جابر الجعفي عن عبد الله بن نجي قال: قال علي رضي الله عنه: ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه الآية والآيتان. فقال له رجُل: فأنتَ فأي شيء نزل فيك؟ فقال علي: أما تقرأ الآية التي في هود: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾.

(٤) في نجيبويه: «يقوي».

محمد ﷺ، وصح أَن يترتب الإِنجيل، وصح أَن يترتب جبريل والملَك، ويكون ﴿وَيَتۡلُوهُ﴾ بمعنى: يقرؤُه، وصحّ أَن يترتب الشَّاهد الإِعجاز، ويكون ﴿وَيَتۡلُوهُ﴾ بمعنى: يتْبَعه، ويعود الضمير في ﴿مِّنۡهُ﴾ على القرآن.

وإِذاجعلنا ﴿أَفَمَن﴾ للنبي ﷺ، كانت البَيِّنَةُ القرآنَ، وترتب الشَّاهد لسان محمد النبي ﷺ، وترتب الإِنجيل، وترتب جبريل والملَك، وترتب عليّ بن أَبي طالب رضي الله عنه، وترتب الإِعجاز، ويُتَأَول ﴿وَيَتۡلُوهُ﴾ بحسب الشاهد كما قلنا، ولكن هذا القول يضعفه قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، فإِنا إِذا جعلنا قوله: ﴿أَفَمَن﴾ للنبي ﷺ وحده لم نجد في الآية مذكورين يشارُ إِليهم بذلك، ونحتاج في الآية إِلى تجوُّز وتشبيهٍ بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١]، وهو شَبَه ليس بالقوي.

والأَصح في الآية أَن يكون قوله: ﴿أَفَمَن﴾ للمؤمنين، أَو لهم والنبي ﷺ معهم بأَلا يترتب الشاهد بعد ذلك يراد به النبي ﷺ [إذا قدرناه][1] داخلاً في قوله: ﴿أَفَمَن﴾، وما تركناه من بَسْطِ هذا الترتيب يخرجه التدبر بسرعة فتأَمله.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿كِتَٰبُ﴾ بالرفع، وقرأَ الكلبي وغيره: (كِتَابَ) بالنصب[2].

فمن رفع قدَّر الشاهد الإِنجيل[3]، معناه: يقرأُ القرآن، أَو محمد ﷺ، بحسب الخلاف، والإِنجيل، ومِنْ قبل الإِنجيل كتابُ موسى، إِذ في الكتابين ذكْرُ القرآن وذكْرُ محمد ﷺ.

ويصحُّ أَن يُقَدِّرَ الرافعُ الشاهدَ القرآنَ، وتطرد الأَلفاظ بعد ذلك.

ومن نصب (كتابَ) قدّر الشاهدَ جبريل عليه السلام، أَي: يتلو القرآنَ جبريلُ، ومن قبلِ القرآن كتابَ موسى[4].

---

(١) ساقط من المطبوع.

(٢) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٦٤).

(٣) في حاشية المطبوع: «لَعَلَّ الصواب (جبريل) بدلاً من (الإِنجيل)، لأنه هو الذي يقرأ».

(٤) وقع في المطبوع تقديم وتأخير بين الجملتين الأخيرتين.

قال القاضي أبو محمد: وهنا اعتراض؛ يقال: إذا قال: ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ أَو (كتابَ) بالنصب على القراءتين، والضمير في ﴿قَبۡلِهِۦ﴾ عائد على القرآن، فلِمَ لمْ يذكر الإِنجيل ـ وهو قبله ـ بينه وبين كتاب موسى؟

فالانفصال: أَنه خصَّ التوراة بالذكر لأَن المِلَّتين مجتمعتان أَنهما من عند الله، والإِنجيل ليس كذلك، فكان الاستشهاد بما تقوم به الحجة على الطائفتين أَوْلى، وهذا يجري مع قول الجِنِّ: ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠]، ومع قول النجاشيّ: «إِنَّ هذا والذي جاءَ به موسى لَيَخْرُجُ من مشكاةٍ واحدة»(١)، فإِنما اختصر الإِنجيل من جهة أَن مذهبهم فيه مخالف لحال القرآن والتوراة.

ونصب ﴿إِمَامًا﴾ على الحال من ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾.

و﴿ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ هاهنا يراد به جميعُ الأُمم.

وروى سعيد بن جبير عن أَبي موسى الأَشعري عن النبي ﷺ أَنه قال: «ما من أَحد يسمع بي من هذه الأمة، ولا من اليهود والنصارى، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار» قال سعيد فقلت: أَين مصداق هذا من كتاب الله؟ حتى وجدته في هذه الآية، وكنت إِذا سمعت حديثاً عن النبي ﷺ طلبت مصداقه في كتاب الله(٢).

---

(١) حسن، هذا الحديث أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٣-٣٧/ ١٧٠)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٠١) من طريق محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن أم سلمة رضي الله عنها فذكرته.

(٢) الصحيح مرسل، هذا الحديث أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٥١١)، والنسائي في الكبرى (١١١٧٧)، والبزار في «مسنده» (٣٠٥٠) من طريق شعبة، عن أبي بشر جعفر بن إياس، عن سعيد ابن جبير، عن أبي موسى الأشعري، مرفوعاً به، وقال البزار: وهذا الكلام لا نعلم رواه عن النبي إلا أبو موسى بهذا الإسناد ولا أحسب سمع سعيد بن جبير من أبي موسى. اهـ.

وخولف أبو بشر في إسناده، فأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٠٣) وغيره من طريق: أيوب عن سعيد ابن جبير مرسلاً، وروي أيضاً عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً، أخرجه الحاكم في «المستدرك» =

قال القاضي أبو محمد: والراجح عندي من الأَقوال في هذه الآية أَن يكون ﴿ أَفَمَن ﴾ للمؤمنين، أَو لهم وللنبي ﷺ معهم، إِذ قد تقدم ذكر ﴿الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾، فعقَّب ذكرهم بذكر غيرهم[1]، والبَيِّـنَـة: القرآن وما تضمن، والشاهد محمد ﷺ أَو جبريل عليه السلام إِذا دخل النبي ﷺ في قوله: ﴿ أَفَمَن ﴾، أَو الإِنجيل، والضمير في ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ للبَيِّنَة، وفي ﴿مِّنْهُ﴾ للربّ تعالى، والضمير في ﴿قَبْلِهِۦ﴾ للبينة أَيضاً، وغير هذا مما ذكرته آنفاً محتمل.

وقرأَ الجمهور: ﴿فِى مِرْيَةٍ﴾ بكسر [الميم، وقرأَ السلمي، وأَبو رجاءٍ، وأَبو الخطاب السَّدُوسي: (فِي مُرْيَةٍ) بضم الميم][2]، وهما لغتان في الشَّكِّ، والضمير في ﴿مِّنْهُ﴾ عائد على كون الكفرة موعدهم النار، وسائر الآية بيِّن.

وفي هذه الآية معادلة محذوفة يقتضيها ظاهر اللفظ تقديرها: أَفَمَنْ كان على بَيِّنة من ربّه كمن كفر بالله وكذَّب أَنبياءَه؟.

ونَحْوُ هذا في معنى الحذف قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الرعد: ٣١]، لكان هذا القرآنُ ـ ومن ذلك قول الشاعر:

= (٢/ ٣٤٣) من طريق معمر، عن أبي عمرو البصري، عن سعيد بن جبير، به، وهو إسناد غير قائم، لم أعرف شيخ معمر، ثم إنه بصري، ورواية معمر بالبصرة ليست بعمدة، والمرسل هو الصحيح.
واللفظ المرفوع من هذا الحديث أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة (١٥٧)، ولفظة «قال سعيد» ليست في المطبوع.

(١) في المصرية والتركية: «ضدهم».

(٢) وهي شاذة عزاها للسلمي في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٧٤)، ولأبي رجاء وآخرين في الشواذ للكرماني (ص: ٢٢٣)، وللباقين في البحر المحيط (٦/ ١٣٦)، وأبو الخطاب يكنى بها قتادة، وكذلك محمد بن سواء بن عنبر السدوسي البصري المكفوف، روى عن حسين المعلم، وسعيد بن أبي عروبة، وطبقتهم، وكان ثقة، نبيلاً، صاحب حديث، توفي سنة ١٨٧هـ تاريخ الإسلام (١٢/ ٣٦٧).

فَأُقْسِمُ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رسولُهُ ... سِواك ولكِنْ لم نَجِدْ لَك مَدْفَعَا[(١)] [الطويل]

التقدير: لردَدْنَاهُ ولم نُصغ إليه.

[٣/ ٣٠] قوله عز وجل / : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

قوله: ﴿وَمَنْ﴾ استفهام بمعنى التقرير، وكأنه قال: لا أَحد أَظلم ممن افترى على الله كذباً، والمراد بـ(مَن) الكفرة الذين يدعون مع الله إِلهاً آخر، ويفترون في غير ما شيءٍ، وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ عبارة عن الإِشادة بهم والتشهير بخزيهم[(٢)]، وإِلا فكل بشر يعرضون على الله يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾، قالت فرقة: يريد الشهداءَ من الأَنبياءِ والملائكة، فيجيءُ قوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ إِخباراً عنهم وشهادة عليهم.

وقالت فرقة: ﴿ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ بمعنى الشاهدين، ويريد جميعَ الخلائق، وفي ذلك إِشادة بهم[(٣)]، وروي في نحو هذا حديث: «إِنَّه لا يخزى أَحدٌ يوم القيامة إِلاَّ ويعلم ذلك جميع من شهد المحشر»[(٤)]، فيجيءُ قوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ على هذا التأْويل استفهاماً عنهم

(١) البيت لامرئ القيس، كما في أمالي الزجاجي (ص: ٢٢٥)، والنكت في القرآن الكريم (ص: ٢١٤)، والديوان (ص: ١٢٦).

(٢) في الأصل: «والتشهي لخزيهم».

(٣) في المطبوع: «إشارة عليهم» وفي الحمزوية: «لهم».

(٤) موقوف على قتادة، أخرجه أحمد (١٠/ ٨٤)، والطبري (١٥/ ٢٨٤)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢١٦) من طريق سعيد عن قتادة قوله.

وتثبتاً فيهم، كما تقول إِذا رأَيت مجرماً قد عوقب: هذا هو الذي فعل كذا وكذا؟ وإِن كنت قد علمت ذلك، ويحتمل الإِخبار عنهم.

وقوله: ﴿أَلَا﴾ استفتاحُ كلام، واللَّعْنَةُ: الإِبعاد، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت لـ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ويحتمل الرفع على تقدير: هم الذين، و﴿يَصُدُّونَ﴾ يحتمل أَن يقدر متعدياً على معنى: يَصُدّون الناس ويمنعونهم من سبيل الله، ويحتمل أَن يقدر غير متعد على معنى: يصُدّون هم، أَي: يُعْرضون.

و﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: شريعتُه.

﴿وَيَبۡغُونَهَا﴾: معناه: يطلبون لها، كما تقول: بغيتك خيراً أَو شرّاً، أَي: طلبت لك.

و﴿عِوَجًا﴾ على هذا مفعول، ويحتمل أَن يكون المعنى: ويبغون السبيل على عِوَج، أَي: فهم لا يهتدون أَبداً، فـ﴿عِوَجًا﴾ على هذا مصدر في موضع الحال.

والعِوَج: الانحراف والميل المؤَدِّي إِلى الفساد.

وكرر قوله: ﴿وَهُم﴾ على جهة التأْكيد، وهي جملة في موضع خبر الابتداءِ الأَول، وليس هذا موضع الفصل لأَن الفصل إِنما يكون بين معرفتين، أَو معرفة ونكرة تقارب المعرفة، لأَنها تفصل ما بين أَن يكون ما بعدها صفة أَو خبراً وتخلِّصه للخبر.

و﴿مُعۡجِزِينَ﴾ معناه: مُفْلتين لا يُقدر عليهم، وخصَّ ذكر الْأَرْضِ لأَن تصرف ابن آدم وتمتعه إِنما هو فيها، وهي قصاراه لا يستطيع النفوذ منها.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ يحتمل معنيين:

أَحدهما: أَنه نفى أَن يكون لهم ولي أَو ناصر كائناً من كان.

والثاني: أَن يقصد وصف الأَصنام والآلهة بأَنهم لم يكونوا أَولياءَ حقيقة، وإِن كانوا هم يعتقدون أَنهم أَولياءُ.

ثم أَخبر أَنه يُضاعف لهم العذاب يوم القيامة، أَي: يُشَدَّدُ حتى يكون ضعفيْ ما كان، و﴿يُضَٰعَفُ﴾ فعل مستأْنف وليس بصفة.

وقوله: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ يحتمل خمسة أَوجه:

أَحدها: أَن يصف هؤلاءِ الكفار بهذه الصفة على معنى أَن الله ختم عليهم بذلك، فهم لا يسمعون سماعاً ينتفعون به ولا يبصرون كذلك.

الثاني: أَن يكون وصفهم بذلك من أَجل بغضتهم في النبي ﷺ، فهم لا يستطيعون أَن يحملوا أَنفسهم على السمع منه والنظر إِليه، وينظر إِلى هذا حشو الطفيل بن عمرو أُذنيه بالكُرْسُف، وإِباية قريش وقت الحديبية أَن يسمعوا ما نقل إِليهم من كلام رسول الله ﷺ حتى ردّهم عن ذلك مشيختهم(١).

والثالث: أَن يكون وصف بذلك الأَصنام والآلهة التي نفى عنها ـ على التأْويل المتقدم ـ أَن تكون أَولياءَ، و﴿مَا﴾ في هذه الوجوه الثلاثة نافية.

والرابع: أَن يكون التقدير: يضاعف لهم العذاب بما كانوا، بحذف الجار وتكون ﴿مَا﴾ مصدرية، وهذا قولٌ فيه تحامل، قاله الفراءُ وقرنه بقوله: «أُجازيك ما صنعت بي»(٢).

والخامس: أَن تكون ﴿مَا﴾ ظرفية، أَي: أَن العذاب يضاعف لهم مدة استطاعتهم السمع والبصر، وقد أَعلمت الشريعة أَنهم لا يموتون فيها أَبداً، فالعذاب إِذاً مُتمادٍ أَبداً.

وقدم السَّمْعَ على البصر في هذه الآية لأن حاسَّته أَشرف من حاسة البصر، إِذ عليه تبنى في الأَطفال مَعْرِفَة دلالات الأَسماءِ، وإِذ هو كاف في أَكثر المعقولات دون البصر، إِلى غير ذلك.

---

(١) صحيح، أخرجه البخاري (٢٧٣٢) في كتاب الصلح/ بَاب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط.

(٢) لفظ الفراء في معاني القرآن (٢/ ٨): لأجزينَّـك بِما عملت.

قوله عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ٢١ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ٢٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٣ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٤﴾.

﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بوجوب العذاب عليهم، ولا خسران أعظم من خسران النفس و﴿وَضَلَّ﴾ معناه: تَلِفَ ولم يجدوه حيث أمَّلوه.

و﴿لَا جَرَمَ﴾ لفظة مركبة من: (لا)، ومن: (جَرَمَ) بُنِيَتا معاً، ومعنى ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقَّ، هذا مذهب سيبويه والخليل[١]، وقال بعض النحويين: معناها: لا بُدّ ولا شكَّ ولا مَحالة، وقد رُوي هذا عن الخليل، وقال الزجاج: ﴿لَا﴾ ردٌّ عليهم ولِمَا[٢] تقدم من كل ما قبلها، و﴿جَرَمَ﴾ معناه: كَسَبَ، أَي: كَسَب فعْلُهم ﴿أَنَّهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾، فموضع ﴿أَنَّ﴾ على مذهب سيبويه رفعٌ، وموضعها على مذهب الزجاج نصب[٣].

وقال الكسائي: معناها: لا صدَّ ولا مَنْع[٤].

قال القاضي أبو محمد: فكأن ﴿جَرَمَ﴾ على هذا من معنى القطع، تقول: جرَمْتُ، أَي: قطعت، وهي على منزع الزجاج من الكَسْب، ومنه قول الشاعر:

[الوافر] جَرِيمـةَ ناهِـضٍ فـي رَأْسِ نِيـقٍ ... تَرَى لعِظامِ مـا جَمَعَتْ صَليبا[٥]

وجريمةُ القوم: كاسِبُهم. وأَما قول الشاعر:

---

(١) انظر قول سيبويه ونقله عن الخليل في الكتاب لسيبويه (٣/ ١٣٨).
(٢) في نجيبويه: «ولكل ما».
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤٥).
(٤) نقله عنه النحاس في إعراب القرآن (٢/ ١٦٥).
(٥) البيت لأبي خراش الهُذَليِّ، وقد سبق الاستشهاد به في أول سورة المائدة، والنِّيق: الطويل من الجبال، ورأسُ النِّيق: أَعلى موضع فيه.

وَلَـقَـدْ طعنْـتُ أَبَـا أُمَـيْـمَـةَ طَـعْـنَـةً جَرَمَتْ فَـزَارَةُ بَعْدَها أَنْ يَغْضَبُوا[١] [الكامل]

فيحتمل الوجهين، ويختلف معنى البيت.

وفي «لاَ جرَمَ» لغاتٌ[٢]: يقول بعض العرب: لا ذَا جَرَمَ، وبعضهم: لا أَنْ ذَا جَرَمَ، وبعضهم: لا عَنْ ذَا جَرَمَ، وبعضهم: لاَ جَرَ، حذفوا الميم لكثرة استعماله[٣].

و﴿وَأَخْبَتُوٓاْ﴾، قيل: خشعوا، قاله قتادة[٤].

وقيل: أَنابوا، قاله ابن عباس[٥].

وقيل: اطمأنوا، قاله مجاهد[٦].

وقيل: خافوا، قاله ابن عباس أَيضاً[٧].

وهذه الأَقوال بعضها قريب من بعض، وأَصل اللفظ من الخَبْت وهو البراحُ القَفْر المستوي من الأرض، فكأَن الـمُخْبت في القفر قد انكشف/ واستسلم وبقي دون[٨] [٣/ ٣١] منعة، فشبه المتذلل الخاشع بذلك، وقيل: إِنما اشتق منه لاستوائه وطمأنينته.

وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ قيل: هي بمعنى اللام، أي: أخبتوا لربهم، وقيل: المعنى: جعلوا قصدهم بإخباتهم إلى ربهم، والفريقان: الكافرون والمؤمنون، شبَّه الكافر بالأَعمى وَالْأَصَمِّ، وشبه المؤمن بالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ، فهو على هذا تمثيل بمثالَيْن، وقال

---

(١) تقدم أيضاً في تفسير أول سورة المائدة.

(٢) في المطبوع: «ثلاث لغات»، وفي أحمد٣: «لغات ثلاث»، والظاهر أن اللغات أكثر من ذلك.

(٣) انظر هذه اللغات في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٦٥).

(٤) تفسير الطبري (١٥/ ٢٩١)، تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٢٠).

(٥) هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره (١٨٠٩٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس قال: الإخبات، الإنابة.

(٦) تفسير الطبري (١٥/ ٢٩٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠١٩).

(٧) هذا الأثر أخرجه الطبري (١٨٠٩٧) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٨) كتبت في الأصل: «ذو»، وتم تصويبها في العلمية: «ذا».

بعض المتأولين: التقدير: كالأعمى الأصم، والبصير السميع، ودخلت واو العطف كما تقول: جاءني زيد العاقل والكريم، وأنت تريده بعينه، فهو على هذا تمثيل بمثال واحد.

و﴿مَثَلًا﴾ نصب على التمييز، ويجوز أن يكون حالاً.

[وقدم الأعمى في هذه الآية لأنه أَشْيَع في الناس وليس بموضع معادلة بين الحواس كما في قوله: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ [هود: ٢٠]](١).

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

هذه آية قصص فيه تمثيل لقريش وكفار العرب، وإعلام أن محمداً ﷺ ليس ببدع من الرسل، وروي أن نوحاً عليه السلام أول رسول إلى الناس(٢)، وروي أن إدريس أول نبي من بني آدم إلا أنه لم يرسل(٣)، فرسالة نوح إنما كانت إلى قومه كسائر الأنبياءِ، وأما الرسالة العامة فلم تكن إلا لمحمد ﷺ.

وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة: ﴿إِنِّي﴾ بكسر الألف.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي: ﴿أَنِّي﴾ بفتح الألف(٤).

فالكسر على إضمار القول، والمعنى: قال لهم: ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، ثم

---

(١) زيادة من الحمزوية ونجيبويه.

(٢) صحيح، هذا الحديث أخرجه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) فيه روايات مقطوعة مرسلة، انظر: شرح مشكل الآثار (٥٦٩٥)، والدر المنثور (٢/ ٧٤٨)، وقصص الأنبياء لابن كثير (ص: ٧١).

(٤) فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٤)، والسبعة (ص: ٣٣٢).

يجيءُ قوله: ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾ معمولاً لِـ ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾، أَي: أَرسلنا نوحاً بأَلَّا تعبدوا إِلا الله، واعترض أَثناءَ الكلام بقوله: ﴿إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾، والفتح[١] على إِعمال ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾ في ﴿أني﴾، أَي: بأَني لكم نذير، قال أَبو علي: وفي هذه القراءَة[٢] خروج من الغيبة إِلى المخاطبة[٣].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا نظر، وإِنما هي حكاية مخاطبته لقومه[٤]، وليس هذا حقيقة الخروج من غيبة إِلى خطاب، ولو كان الكلام: أَن أَنذرهم، أَو نحوه لصحّ ذلك.

والنذير: المحفظ[٥] من المكاره بأَن يُعَرفها ويُنَـبِّه عليها، و﴿مُّبِينٌ﴾ من: أَبان يُبين.

وقوله تعالى: ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ ظاهر في أَنهم كانوا يعبدون الأَوثان ونحوها، وذلك بيِّن في غير هذه الآية.

و﴿أَلِيمٍ﴾ معناه: مؤلم، ووصف به اليوم ـ وحقه أَن يوصف به العذاب ـ تجوُّزاً، إِذ العذابُ في اليوم، فهو كقولهم: نهارٌ صائم وليلٌ قائم.

و﴿ٱلۡمَلَأُ﴾ الجمع والأَكثر من القبيلة والمدينة ونحوه، ويُسَمى الأَشراف ملأً إِذْ هم عمدة الملأ والسَّادُّون مسَدَّه في الآراءِ والأُمور، وكل جماعة كبيرة ملأٌ.

ولـمَّا قال لهم نوح: ﴿إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٌ﴾ قالوا: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا﴾، أَي: والله لا يبعث رسولاً من البشر، فأَحالوا الجائز على الله تعالى.

والأَراذل جمع أَرْذَل، وقيل: جمع أَرْذال[٦]، وأَرْذَال جمع رَذْل، وكان اللازم على هذا

---

(١) في نجيبويه: «وفتح الألف».

(٢) في نجيبويه: «الآية».

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٣١٥).

(٤) في الأصل ونجيبويه: «لقوله».

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «للتحفظ».

(٦) المثبت من نور العثمانية: «أرذال». انظر: البحر المحيط (٦/ ١٤٠).

أَن يقال: أَراذيل، وإِذا ثبتت الياءُ في جمع صَيْرف فأَحرى أَلا تُزال في موضع استحقاقها[١].

وهم سفلة الناس ومَنْ لا خَلاَقَ له ولا يبالي ما يقول ولا ما يقال له.

وقرأَ الجمهور: ﴿بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾ بياءٍ دون همز، من: بَدَا يَبْدُو، ويحتمل أَن يكون من بدأَ مسَهَّلاً.

وقرأَ أَبو عمرو، وعيسى الثقفي: ﴿بادئَ الرَّأْي﴾ بالهمز[٢] مِن بدأَ يبدأُ.

قال القاضي أبو محمد: وبين القراءَتين اختلاف في المعنى يعطيه التدبّر فتركتُ التطويل ببسطه، والعرب تقول: أَما بادِئَ بدْءٍ فإِنِّي أَحمد الله، وأَمّا باديَ بدْيٍ، بغير همز فيهما، وقال الراجز:

[الرجز] أَضْحَى لِخالي شَبَهي بادِي بَدِي وصارَ لِلْفَحْلِ لِسَاني وَيَدِي[٣]

وقال الآخر:

[الرجز] .... وقَـدْ عَلَتْنـي ذُرْأَةٌ بـادِي بَدِي[٤]

وقرأَ الجمهور بهمز ﴿ٱلرَّأۡيِ﴾، وقرأَ أَبو عمرو بترك همزه[٥].

و﴿بَادِيَ﴾ نصب على الظرف، وصحّ أَن يكون اسمُ الفاعل ظرفاً كما يصحّ في قريب ونحوه، وفعيلٌ وفاعلٌ متعاقبان أَبداً على معنًى واحد في المصدر، كقولك: جهد نفسي أحب[٦] كذا وكذا.

---

(١) في نجيبويه: «استخفافها».

(٢) فهي أيضاً سبعية، انظر عزوها لأبي عمرو في التيسير (ص: ١٢٤).

(٣) أنشده بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (٢/ ١١)، وتفسير الطبري (١٥/ ٢٩٦)، وإصلاح المنطق (ص: ١٣١).

(٤) البيت لأبي نُخَيْلَة كما في الكتاب لسيبويه (٣/ ٣٠٤)، والمعاني الكبير (٣/ ١٢٢٣)، والمقتضب (٤/ ٢٧).

(٥) في المطبوع: «الهمز»، انظر السبعة لابن مجاهد (ص: ٣٣٢)، وهذا إنما هو على قاعدة السوسي في إبدال الهمز الساكن.

(٦) في أحمد٣ المطبوع: «محبٌّ لكذا».

وتعلُّق قوله: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ يحتمل ستةَ أَوجه:

أَحدها: أَن يتعلق بـ﴿نَرَىٰكَ﴾، أَي: وما نراك بأَول نظر وأَقلِّ فكرة، وذلك هو ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ أَي: إِلاَّ ومُتَّبعوك أَراذلنا.

والثاني: أَن يتعلق بقوله: ﴿ٱتَّبَعَكَ﴾، أَي: وما نراك اتَّبعك بادي الرأْي إِلا الأَراذل، ثم يحتمل على هذا قوله: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ معنيين: أَحدهما: أَن يريد: اتَّبعك في ظاهر أَمرهم، وعسى أَنَّ بواطنهم ليست معك، والثاني: أَن اتَّبعوك بأَول نظر وبالرأْي البادي دون تعقب، ولو تثبتوك لم يتبعوك، وفي هذا الوجه ذمُّ الرأْي الغير المروَّى.

والوجه الثالث من تعلق قوله: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ أَن يتعلق بقوله: ﴿أَرَاذِلُنَا﴾، أَي: الذين هم أَراذلنا بأَول نظر فيهم، وببادي الرأْي يُعلم ذلك منهم.

ويحتمل أَن يكون قولهم: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ وصفاً منهم لنوح، أَي: تَدَّعي عظيماً وأَنت مكشوف الرأْي لا حصافة[1] لك، ونصبه على الحال وعلى الصفة.

ويحتمل أَن يكون اعتراضاً في الكلام مخاطبة لمحمد ﷺ، ويجيءُ جميع هذا ستة معان[2]، ويجوز التعلق في هذا الوجه بـ«قال».

ومعنى ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾، أَي: ما ثَمَّ شيءٌ تستحقون به الاتباع والطاعة. ثم قال: ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾[3]، ويحتمل أَنهم خاطبوا نوحاً ومن آمن معه من قومه، أَي: أَنتم كاذبون في تصديقكم هذا الكاذب، وقولِكم: إِنه نبيٌّ مرسل، ويحتمل أَنهم خاطبوا نوحاً وحده فيكون من باب قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١].

---

(١) في الأسدية١: «حماية».

(٢) الثلاثة الأولى واضحة والرابع أن يكون صفة لنوح والخامس أن يكون اعتراضاً، أما السادس فلعله الطرف الثاني في الوجه الثاني.

(٣) جاء بعدها في نجيبويه: «ويحتمل أنهم خاطبوا نوحاً بهذا الخطاب فيكون من باب قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾».

قوله عز وجل: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠﴾.

هذه الآية كأَنه قال: أَرأَيتم إِن هداني الله وأَضلكم، أَأُجبِركم على الهدى وأَنتم كارهون له معرضون عنه؟ واستفهامه في هذه الآية أَولاً وثانياً على جهة التقرير، وعبارة نوح عليه السلام كانت بِلُغَتِهِ دالة على المعنى القائم بنفسه، وهذا هو المفهوم من هذه العبارة العربية، فبهذا استقام أَن يقال كذا وكذا، إِذ القولُ ما أَفاد المعنى القائم بنفسه.

وقوله: ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾، أَي: على أَمرٍ بيِّن جليٍّ، والهاءُ في ﴿بَيِّنَةٖ﴾ للمبالغة كعلاَّمة ونسَّابة. وإِيتاؤُه الرَّحمةَ / هو هدايته للبيّنة، والمشار إِليه بهذا كله النبوةُ والشرعُ. [٣/ ٣٢]

وقوله: ﴿مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ تأْكيد، كما قال: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ونحوه، وفائدته رفع الاشتراك ولو بالاستعارة.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿فَعَمِيَتۡ﴾، ولذلك وجهان من المعنى:

أَحدهما: خفِيَتْ، ولذلك يقال للسحاب: العماءُ؛ لأَنه يخفي ما فيه، كما يقال له: الغمام؛ لأَنه يغمه، ومنه قوله ﷺ: «كان الله قبل أَن يخلق الأَشياءَ في عماءٍ»(١).

والمعنى الثاني أَن تكون الإِرادة: فعَمِيتُم أَنتم عنها، لكنه قَلَب، كما تقول العرب: أَدخلتُ القلنسوةَ في رأْسي، ومنه قول الشاعر:

---

(١) ضعيف، أخرجه أبو داود الطيالسي (١١٨٩)، وأحمد (٤/ ١١)، والترمذي (٣١٠٩)، وابن ماجه (١٨٢)، والطبري (١٢/ ٣٣١-٣٣٢)، والطبراني في الكبير (٤٦٨)، وابن حبان في صحيحه (٦١٤١)، وأبو الشيخ في العظمة (٨٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٤)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٣٧) وغيرهم من طرق عن حماد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حُدُسٍ، عن عمه أبي رزين العقيلي مرفوعا، وهذا إسناد ضعيف من أجل جهالة وكيع بن حدس.

تَرَى الثَّوْرَ فيها مُدْخِلَ الظِّلِّ رأْسَهُ وسائره بادٍ إلى الشَّمْس أَجْمَعُ[١] [الطويل]

قال أبو عليّ: وهذا مما يقلب إِذْ ليس فيه إِشكال[٢]، وفي القرآن: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ [إبراهيم: ٤٧].

وقرأ حَفْصٌ، وحمزة، والكسائي: ﴿فَعُمِّيَتْ﴾ بضم العين وتشديد الميم على بناءِ الفعل للمفعول[٣]، وهذا إِنما يكون من الإِخفاءِ، ويحتمل[٤] القلبَ المذكور.

وقرأ الأعمش، وغيره: (فعمَّاها عليكم)[٥].

قال أبو حاتم: روى الأعمش عن ابن وثاب: (وَعمِيَتْ) بالواو خفيفة[٦].

وقوله: ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾ يريد إِلزام جبر كالقتال ونحوه، وأما إِلزام الإيجاب فهو حاصل.

وقال النحاس: معناه: «أَنُـوجبها عليكم»[٧]؟ وقوله في ذلك خطأٌ.

وفي قراءَة أُبي بن كعب: (أَنُـلْزِمُكُمُوها من شطر أَنفسنا)[٨]، ومعناه: من تلقاءِ أَنفسنا، ورُوي عن ابن عباس أنه قرأ ذلك: (من شطر قلوبنا)[٩].

---

(١) البيت بلا نسبة في الجمل (ص: ١٢٧)، والكتاب لسيبويه (١/ ١٨١)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٨٠)، وفي أحمد ٣ والمطبوع: «يدخل».

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٣٢٢).

(٣) فهي أيضاً سبعية انظر عزوها لهم في التيسير (ص: ١٢٤)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ٣٣٢).

(٤) في المطبوع هنا زيادة: «أن»، ولا وجه لها.

(٥) وهي شاذة، عزاها له ولأبيٍّ في الحجة للفارسي (٤/ ٣٢٤)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٣٦١).

(٦) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٦/ ١٤٣)، وعزاها في المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٧٧) لابن مسعود.

(٧) انظر: معاني القرآن للنحاس (٣/ ٣٤٣).

(٨) وهي شاذة، انظرها في تفسير الطبري (١٥/ ٢٩٩).

(٩) وهي شاذة، تابعه عليه في البحر المحيط (٦/ ١٤٤)، وعزاها الطبري (١٥/ ٣٠٠) لأبي أيضاً، ونقل عن ابن عباس مثل الأولى.

وقوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ﴾ الآية، الضمير في ﴿عَلَيۡهِ﴾ عائد على التبليغ، وقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾ يقتضي أَنهم طلبوا منه طرد الضعفاءِ الذين بادروا إِلى الإِيمان به، نظير ما اقترحت قريش على رسول الله ﷺ بطرد تُبَّاعه[1] بمكة الذين لم يكونوا من قريش.

وقوله: ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ تنبيه على العودة إِلى الله ولقاءِ جزائه، المعنى: فيوصِّلهم إِلى حقهم عندي إِن ظلمتهم بالطرد، ثم وصفهم بالجهل في مثل هذا الاقتراح ونحوه.

وقوله: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ الآية، هو استفهام بمعنى تقرير وتوقيف[2]، أَي: لا ناصر يدفع عني عقاب الله إِن ظلمتهم بالطرد عن الخير الذي قبلوه، ثم وقفهم بقوله: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، وعرض عليهم النظر المؤدي إِلى صحة هذا الاحتجاج.

قوله عز وجل: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

قوله: ﴿وَلَآ أَقُولُ﴾ عطف على قوله: ﴿لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًا﴾، ومعنى هذه الآية: إِنِّي لا أُمَوِّه عليكم، ولا أَتعاطى غير ما أَهَّلني الله له، فلست أَقول: عِنْدِي خَزائِنُ الله، يريد: القدرة التي يوجد بها الشيءَ بعد حال عدمه، وقد يمكن أَن يكون من الموجودات كالرياح والماءِ ونحوه كثير باختراع[3] الله تعالى له، فإِن سمّي ذلك على جهة التجوُّز مختزناً فيشبه، أَلا ترى المروي في أَمر ريح عادٍ أَنه فتح عليهم من

(١) في المطبوع وأحمد٣: «أَتباعه».
(٢) في الأسدية١: «وتوبيخ».
(٣) في الأصل: «بإبداع».

الريح قدرحلقة الخاتم، ولو كان على قدر منخر الثور لأَهلك الأَرض[١]، ورُوي أَن الريح عتت على الملائكة الموكلين بتقديرها فلذلك وصفها الله تعالى بالعتو، وقال ابن عباس، وغيره: عَتَتْ على الخُزَّان[٢]، فهذا ونحوه يقتضي أَن ثَم خزائن[٣].

ثم قال: ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾، ثم انحط عن هاتين فقال: ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾، وظاهر هذه الآية فضل المَلَك على البشر وعلى النبي ﷺ، وهي مسأَلة اختلاف، وظاهر القرآن على ما قلنا[٤].

قال القاضي أبو محمد: وإن أخذنا قوله: ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ على حدّ أَن لو قال: ولا أَقول إِني كوكب، أَو نحوه، زالت طريقة التفضيل، ولكن الظاهر هو ما ذكرنا.

و﴿تَزۡدَرِيٓ﴾ أَصله: تزتري تفتعل من: زرى يزري، ومعنى ﴿تَزۡدَرِيٓ﴾: تحتقر، والخَيْر هنا يظهر فيه أَنه خير الآخرة، اللهم إِلا أَن يكون ازدراؤُهم من جهة الفقر، فيكون

---

(١) رفعه منكر، روي في هذا المعنى حديث أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٦٦٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٩٣) من طريق عيسى بن هلال الصدفي، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ، «الريح مسخرة من الثانية ـ يعني من الأرض الثانية ـ فلما أراد الله أن يهلك عاداً أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحاً تهلك عاداً، قال: أي رب، أرسل عليهم الريح قدر منخر الثور؟ قال له الجبار: لا، إذا تكفأ الأرض ومن عليها، ولكن أرسل بقدر خاتم، فهي التي يقول الله في كتابه ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾»، قال الذهبي: منكر، وقال ابن كثير: إنه موقوف على عبد الله بن عمرو، ورفعه منكر، وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما آثار تدل على هذا المعنى، انظر «التوحيد» لابن منده (٥٣).

(٢) الأصح موقوف على ابن عباس، هذا الأثر أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٦٥) في ترجمة شهر بن حوشب عن الطبراني بسنده إلى موسى بن أعين عن سفيان عن موسى بن المسيب عن شهر ابن حوشب عن ابن عباس مرفوعاً، ثم قال أبو نعيم: رواه الفريابي والناس موقوفاً على سفيان، وتفرد برفعه موسى ابن أعين عن سفيان.اهـ، وكذلك أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٥٧٢) عن ابن حميد ثنا مهران عن سفيان عن موسى بن المسيب عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال... فذكره موقوفاً.

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «خزانين».

(٤) ولكن مذهب أهل السنة أن النبي ﷺ أفضل من جميع الملائكة وجميع الخلائق.

الخير: المال، وقد قال بعض المفسرين: حيثما ذكر الله الخير في القرآن فهو المال[1].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا الكلام تحامل، والذي يشبه أن يقال: إنه حيثما ذكر الخير فإن المال يدخل فيه.

وقوله: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ تسليم لله تعالى، أَي: لست أَحكم عليهم بشيءٍ من هذا، وإِنما يحكُم عليهم بذلك ويُخْرج حكمهُ إِلى حيّز الوجود الله تعالى الذي يعلم ما في نفوسهم ويجازيهم بذلك، وقد قال بعض المتأَولين: هي ردّ على قولهم: اتَّبعك أَراذلنا على ما يظهر منهم.

قال القاضي أبو محمد: حسبما تقدم في بعض تأْويلات الآية آنفاً، فالمعنى: لستُ أَنا أَحكم عليهم بأَلاَّ يكون لهم خير لظنكم بهم أَن بواطنهم ليست كظواهرهم، الله عز وجل أَعلم بما في نفوسهم. ثم قال: ﴿إِنِّيٓ إِذٗا﴾ لو فعلتُ ذلك ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين يضعون الشيءَ في غير موضعه.

وقوله تعالى: ﴿يَٰنُوحُ﴾ الآية، معناه: قد طال منك هذا الجدال، وهو المراجعة في الحُجَّة والمخاصمة والمقابلة بالأَقوال حتَّى تقع الغلبة، وهو مأْخوذ من الجَدْل، وهو شدة الفتل، ومنه: حبْلٌ مجدولٌ، أَي: مُمَرّ، ومنه قيل للصقر: أجدل، لشدة بِنْيته وفتل أَعضائه، والجدالُ: فِعالٌ مصدر فاعَلَ، وهو يقع من اثنين، ومصدر فاعَلَ يأْتي على فِعَالٍ وفِيعَالٍ ومفاعلة، فتركت الياءُ من فِيعَال ورفضت.

ومن الجدال ما هو محمود، وذلك إِذا كان مع كافر حربي في مَنَعته ويُطمع بالجدال أَن يهتدي، ومن ذلك هذه الآية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، إِلى غير ذلك من الأَمثلة.

ومن الجدال ما هو مكروه، وهو ما يقع بين المسلمين بعضهم في بعض في

---

(١) هذا قول عكرمة كما تقدم في تفسير الآية (٢٧٣) من سورة البقرة، وسيأتي مكرراً.

طلب علل الشرائع، وتصوُّر ما يخبر به الشرع من قدرة الله، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك[١]، وكرهه العلماءُ، والله المستعان.

وقرأ ابن عباس: (جَدَلْنَا) بغير أَلف، وبفتح الجيم، ذكره أَبو حاتم[٢].

والمراد بقولهم: ﴿بِمَا تَعِدُنَآ﴾ العذاب والهلاك، والمفعول الثاني لـ﴿تَعِدُنَآ﴾ مضمر تقديره: بما تعدناه، ولما كان الكلام يقتضي العذاب جاز أَن يستعمل فيه الوعد.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ / فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾. [٣/ ٣٣]

المعنى: ليس ذلك بيدي ولا إِليَّ تَوْفيته، وإِنما ذلك بيد الله، وهو الآتي به إِن شاءَ وإذا شاء[٣]، ولستم من المنعة بحالٍ مَن يفلت أَو يعتصم بمُنْج، وإِنما أَنتم في قبضة القدرة وتحت ذِلَّة التملك، وليس نصحي بنافع، ولا إِرادتي الخير لكم مغنيةً، إِذا كان الله تعالى قد أَراد بكم الإِغواءَ والإِضلال والإِهلاك.

والشرط الثاني اعتراضٌ بين الكلام، وفيه بلاغة في اقتران الإِرادتين، وأَن إِرادة البشر[٤] غير مُغْنية، وتعلقُ هذا الشرط هو بـ﴿نُصْحِىٓ﴾، وتعلق الآخر هو بـ(لَا يَنْفَعُ).

والنُّصْحُ هو سَدُّ ثَلْم الرأْي للمنصوح وترقيعُه، وهو مأْخوذ من: نَصَحَ الثوبَ إِذا خَاطَهُ. والمِنْصح: الإِبرة، والخَيْطُ يقال له: منْصَحٌ ونِصَاحٌ.

---

(١) من ذلك ما أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) من حديث عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «... ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»، واللفظ لمسلم.

(٢) وهي شاذة، عزاها له ولأيوب السختياني في مختصر الشواذ (ص: ٦٤)، والمحتسب (١/ ٣٢١).

(٣) «وإذا شاء» ساقط من المطبوع.

(٤) في المطبوع: «إرادة الشر».

وقالت فرقة: معنى قوله ﴿يُغْوِيَكُمْ﴾: يُضِلكم، من قولهم: غَوَى الرجلُ يَغْوِي.

ومنه قول الشاعر:

[الطويل] فَمَـنْ يَلْـقَ خَيْراً يَحْمَـدِ النَّـاسُ أمْرَهُ وَمَنْ يَغْـوِ لا يَعْدَمْ علَى الغَيِّ لائِماً[١]

وإذا كان هذا معنى اللفظة ففي الآية حجة على المعتزلة القائلين: إن الضلال إنما هو من العبد.

وقالت فرقة: معنى قوله: ﴿يُغْوِيَكُمْ﴾: يُهلكَكُم، والغَوَى: المرض والهلاك، وفي لغة طيء: أَصبح فلان غاوياً، أَي: مريضاً، والغَوَى: بَشَمُ الفصيل، قاله يعقوب في الإِصلاح[٢].

وقيل: فَقْده اللبن حتى يموت جوعاً، قاله الفراءُ، وحكاه الطبري[٣]، يقال: غَوِيَ يَغْوَى.

وحكى الزهراوي أَنه الذي قُطع عنه اللبن حتى كاد يهلك ولمَّا يهلِك بعد[٤].

فإِذا كان هذا معنى اللفظة زال موضع النظر بين أَهل السُّنَّة والمعتزلة، وبقي الاحتجاج عليهم بما هو أَبْيَن من هذه الآية كقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام ١٢٥] ونحوها.

قال القاضي أبو محمد: ومكي اعتقد أن للمعتزلة تعلقاً وحجة باللغة بهذا التأْويل، فردَّ عليه وأَفْرط حتى أَنكر أَن يكون الغوى بمعنى الهلاك موجوداً في لسان العرب[٥].

---

(١) البيت للمرقش الأصغركما في المفضليات (ص: ٢٤٧)، وإصلاح المنطق (ص: ١٥١)، والشعر والشعراء (١/ ٢١٠).

(٢) إصلاح المنطق (ص: ١٥١)، وانظر فيه قول الفراء الآتي.

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ٣٣٣).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر قول مكي في الهداية (٦/ ٣٨٩٥).

وقوله: ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ تنبيه على المعرفة بالخالق.

وقوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ إِخبارٌ في ضمنه وعيد وتخويف.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ الآية، قال الطبري وغيره من المتأولين والمؤلفين في التفسير[١]: إن هذه الآية اعترضت في قصة نوح، وهي في شأن محمد ﷺ مع كفار قريش، وذلك أنهم قالوا: افترى القرآن وافترى هذه القصة على نوح، فنزلت الآية في ذلك[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا لو صحّ بسند وجب الوقوف عنده، وإلا فهو يحتمل أن يكون في شأن نوح عليه السلام ويبقى اتساق الآية مطرداً، ويكون الضمير في قوله: ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ عائداً إِلى العذاب الذي توعدهم به، أو على جميع أخباره، وأُوقع الافتراءُ على العذاب من حيث يقع على الإِخبار به، والمعنى: أَم يقول هؤلاءِ الكفرة: افترى نوح هذا التَّوعُّد بالعذاب وأَراد الإِرهاب علينا بذلك، ثم يطرد باقي الآية على هذا.

و﴿أَمْ﴾ هي التي بمعنى «بل»[٣]، والإِجْرَامُ: مصدر أَجْرَمَ يُجْرِمُ إِذا جنَى، يقال: جَرَمَ وأَجْرَمَ بمعنى، ومن ذلك قول الشاعر:

طَرِيـدُ عَشِـيرَةٍ ورَهِيـنُ ذَنْـبٍ بِمَا جَرَمَتْ يَدِي وجَنَى لِسَانِي[٤] [الوافر]

قوله عز وجل: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

---

(١) في حاشية المطبوع: «في بعض النسخ: والمؤلفين في السير».
(٢) الطبري (١٥/ ٣٠٥).
(٣) في نجيبويه زيادة: «يتقولون».
(٤) للهَيرَوَانِ أحد لصوص بني سعدٍ، كما في مجاز القرآن (١/ ٢٨٨)، وغيره، وفي مختارات ابن الشجري (٣/ ٦) أنه لدثار بن سنان.

قرأ أَبو البَـرَهْسَم: (وَأَوْحَى) بفتح الهمزة على إِسناد الفعل إِلى الله عزَّ وجلَّ، (إِنهُ) بكسر الهمزة[١].

وقيل لنوح هذا بعد أَن طال عليه كفر القرن بعد القرن به، وكان يأْتيه الرجل بابنه فيقول: يا بُنَيّ لا تُصَدق هذا الشيخ فهكذا عَهِدَه أَبي وجدي كذاباً مجنوناً، رواه عبيد بن عمير وغيره[٢].

وهذه الآية هي التي أَيْأَسَتْ نوحاً عليه السلام من قومه، فروي أَنه لما أُوحي إِليه ذلك دعا فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

وتَبْتَئِسْ من البؤس تَفْتعل، ومعناه: لا تحزن نفسك، ومنه قول الشاعر، وهو لبيد ابن ربيعة:

[مجزوء الكامل] فــي مَــأْتَــمٍ كَـنِـعَــاجِ صَـا رَةَ يَـبْـتَـئِـسْـنَ بِـمَـا لَـقِـينَـا[٣]

صَارَةُ: موضع.

قال القاضي أبو محمد: وفي أَمر نوح عليه السلام تدافُعٌ في ظاهر الآيات والأَحاديث ينبغي أَن نخلص[٤] القول فيه، وذلك أَن ظاهر أَمره أَنه عليه السلام دعا على الكافرين عامة من جميع الأُمم، ولم يخص قومه دون غيرهم، وتظاهرت الروايات وكتب التفاسير بأَن الغرق نال جميع أَهل الأَرض، وعمَّ الماءُ جميعها، قاله ابن عباس وغيره[٥].

---

(١) وهي شاذة، عزا له كسر الهمزة في الشواذ للكرماني (ص: ٢٣٥)، وفتح الحاء في البحر المحيط (٦/ ١٤٨)، وفي المطبوع: «قال».

(٢) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٢/ ٣٩٦) من طريق محمد بن إسحاق، عن من لا يتهم، عن عبيد بن عمير، بنحوه.

(٣) البيت للبيد كما في تفسير الطبري (١٥/ ٣٠٧)، وتهذيب اللغة (١٣/ ٧٣).

(٤) في المطبوع ونور العثمانية: «نلخص».

(٥) ضعيف، أخرج الطبري (١٢/ ٣٩٨) من طريق علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس رضي الله عنه، فذكر خبراً طويلاً فيه هذا المعنى، وعلي بن زيد ضعيف.

ويوجب ذلك أَمرُ نوح بحمل الأَزواج من الحيوان، ولولا خوف فناءِ أَجناسها من جميع الأَرض ما كان ذلك، فلا يتفق لنا أَن نقول: إِنه لم يكن في الأَرض غير قوم نوح في ذلك الوقت، لأَنه يجب أَن يكون نوح بعث إِلى جميع الناس، وقد صح أَن هذه الفضيلة خاصة لمحمد ﷺ بقوله: «أُوتيت خمْساً لَمْ يُؤْتَهُنَّ أَحدٌ قبلي»[١]، فلا بدَّ أَن نقدر[٢] كثيراً من الأُمم كان في ذلك الوقت، وإِذا كان ذلك فكيف استحقوا العقوبة في جمعهم ونوح عليه السلام لم يبعث إلى كلهم؟ وكنَّا[٣] نقدّر هنا أَن الله تعالى قد بعث إِليهم رسلاً قبل نوح فكفروا بهم واستمر كفرهم، لو لا أَنَّا نجد الحديث ينطق بأَن نوحاً هو أَول الرسل إِلى أَهل الأَرض[٤]، ولا يمكن أَن نقول: عُذبوا دون رسالة، ونحن نجد في القرآن: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

والتأْويل المخلِّص من هذا كله هو أَن نقول: إِن نوحاً عليه السلام هو أَول رسول بعث إِلى كفارٍ من أهل الأَرض ليصلح الخلق ويبالغ في التبليغ ويتحمل المشقة من الناس ـ بحسب ما ثبت في الحديث ـ ثم نقول: إِنه بُعث إِلى قومه خاصة بالتبليغ والدعاء والتنبيه، وبقي أُمم في الأَرض كثير لم يكلف القول لهم، فتصح الخاصة لمحمد ﷺ.

ثم نقول: إِن الأُمم التي لم يُبعث ليخاطبها إِذا كانت بحال كفر وعبادة أَوثان، وكانت الأَدلة على الله تعالى منصوبة معرضة للنظر، وكانوا متمكنين[٥] من النظر من جهة إِدراكهم، وكان الشرع ببعث نوح موجوداً مستقرّاً، فقد وجب عليهم النظر، وصاروا بتركه بحالِ مَن يجب تعذيبه، فإِن هذا رسول مبعوث وإِن كان لم يبعث إِليهم معينين.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) من المطبوع، وفي الأصل ونور العثمانية والأسدية٢: «نقرر».

(٣) في أحمد٣: «ولكنا»، وفي التركية: «وكما».

(٤) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) في الأسدية٢: «ممكنين».

أَلا ترى أَن لفظ الآية إِنما هو: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾، أَي: حتى
[٣/ ٣٤] نوجده، لأن بعثة الأنبياءِ إِلى قوم مخصوصين إِنما هو في معنى القتال والشدة، / وأَما من جهة بذل النصيحة وقبول من آمن فالناسُ أَجمع في ذلك سواءٌ، ونوح عليه السلام قد لبث أَلف سنة إِلا خمسين عاماً يدعو إِلى الله، فغير ممكن أَن لم تبلغ نبوءته للقريب والبعيد، ويجيءُ تعذيب الكل بالغرق بعد بعثة رسول وهو نوح ﷺ، ولا يعارضنا مع هذه التأْويلات شيءٌ من الحديث ولا الآيات، والله الموفق للصواب.

وقوله تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ﴾ عطف على قوله: ﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾، والفُلْك: السفينة، وجمعها أَيضاً فُلْك، وليس هو لفظاً للواحد والجمع، وإِنما هو فُعْل وجمع على فُعْل، ومن حيث جاز أَن يُجمع فَعَلٌ على فُعْلٍ كأَسد وأُسْد جاز أَن يجمع فُعْلٌ على فُعْلٍ، فظاهر لفظ الجمع فيها كظاهر لفظ الواحد وليس به، تدل على ذلك درجة التثنية التي بينهما، لأَنك تقول: فُلْك وفُلْكان وفُلْك، فالحركة في الجمع نظير ضمة الصاد إذا ناديت: يا منصُو، تريد: يا منصور، فرخمت على لغة من يقول: يا حارُ بالضم، فإِن ضمة الصاد هي في اللفظ كضمة الأَصل، وليست بها في الحكم.

وقوله: ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾ يمكن فيما يُتأَول أَن يريد به: بمرأًى مِنَّا وتحت إِدراك، فتكون عبارة عن الإِدراك والرعاية والحفظ، ويكون جمع الأَعين للعظمة لا للتكثير، كما قال تعالى: ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣]، فرجع معنى الأَعين في هذه وفي غيرها إِلى معنى عَيْن في قوله: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، وذلك كله عبارة عن الإِدراك وإِحاطته بالمدركات، وهو تبارك وتعالى مُنَزَّه عن الحواسّ والتشبيه والتكييف لاَ رَبَّ غيره.

ويحتمل قوله: ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾ أَي: بملائكتنا الذين جعلناهم عيوناً على مواضع حفظك ومعونتك، فيكون الجمع على هذا(١) للتكثير.

وقرأَ طلحة بن مصرف: (بِأَعْيُنَّا) مدغماً(٢).

---

(١) في نجيبويه زيادة: «التأويل».

(٢) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٦/ ١٤٩).

وقوله: ﴿وَوَحْيِنَا﴾ معناه: وتعليمنا لك صورة العمل بالوحي، وروي في ذلك أَن نوحاً عليه السلام لما جهل كيفية صنع السفينة أَوحى الله إِليه أَن اصنعها على مثال جؤجؤ الطير[١]، إِلى غير ذلك مما عُلِّمه نوح من عملها، فقد روي أَيضاً أَنها كانت مربعة الشكل طويلة في السماء ضيقة الأَعلى، وأَن الغرض منها إِنما كان الحفظ لا سرعة الجري.

والحديث الذي تضمن أَنها كجؤجؤ الطائر أَصح ومعناه أَظهر، لأَنها لو كانت مربعة لم تكن فُلْكاً، بل كانت وعاءً فقط، وقد وصفها الله تعالى بالجري في الموج[٢].

وفي الحديث: «كان رَازُ سفينة نوح عليه السلام جبريل عليه السلام»[٣].

والرّاز: القَيِّم بعمل[٤] السفن.

ومن فسّر قوله: ﴿وَوَحْيِنَا﴾ أي: بِأَمرنا لك، فذلك ضعيف، لأَن قوله: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ مُغْنٍ عن ذلك.

و﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ هم قومه الذين أَعرضوا عن الهداية حتى عمَّتهم النقمة.

قال ابن جريج: «وهذه الآية تقدم الله فيها إِلى نوح أَلَّا يشفع فيهم»[٥].

قوله عز وجل: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾.

التقدير: فشرع يصنع، فحكيت حال الاستقبال إِذ في خلالها وقع مرورهم، قال ابن

---

(١) أي: صدره، وهذه الرواية أخرجها الطبري (١٥/ ٣٠٨) بإسناده إلى العوفي عن ابن عباس من قوله.

(٢) في الأصل والمطبوع: «في البحر».

(٣) ذكره ابن الجوزي في غريب الحديث (١/ ٤٢٠) ولم أقف له على سند.

(٤) في المطبوع: «يعمل».

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٣٠٩).

عباس: صنع نوح الفلك ببقاع[١] دمشق، وأخذ عودَها من لبنان[٢]، وعودُها من الشمشاد وهو البقص[٣]، ورُوي أَن عودها من الساج، وأَن نوحاً عليه السلام اغترسه حتى كبر في أَربعين سنة، ورُوي أَن طول السفينة أَلف ذراع ومئتان، وعرضها ست مئة ذراع، ذكره الحسن بن أَبي الحسن، وقيل: طولها ثلاث مئة ذراع وعرضها خمسون ذراعاً وطولها في السماءِ ثلاثون ذراعاً، ذكره قتادة[٤]، ورُوي غير هذا مما لم يثبت فاختصرت ذكره.

وذكر الطبري حديث إِحياءِ عيسى بن مريم لِسام بن نوح وسؤاله إِياه عن أَمر السفينة، فذكر أَنها ثلاث طبقات: طبقة للناس، وطبقة للبهائم، وطبقة للطير، إِلى غير ذلك في حديث طويل[٥].

والمـَلأُ هنا: الجماعة، و﴿سَخِرُواْ﴾ معناه: استجهلوه، وهذا الاستجهال إِن كان الأَمر كما ذكر أَنهم لم يكونوا قبْلُ رأَوا سفينة ولا كانت، فوجه الاستجهال واضح، وبذلك تظاهرت التفاسير، وإِن كانت السفائن حينئذ معروفة فاستجهلوه في أَن صَنَعَها في قرية[٦] لا قرب لها من البحر، ورُوي أَنهم كانوا يقولون له: صرتَ نجاراً بعد النبوة؟.

وقوله: ﴿فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ﴾ قال الطبري: «يريد: في الآخرة»[٧].

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل الكلام ـ بل هو الأَرجح ـ أَن يريد: إِنا نسخر منكم

(١) في الأصل والمطبوع: «بيفاع»، واليفاع: المرتفع من كل شيء.
(٢) لم أقف عليه مسنداً.
(٣) لعلها البقس، ففي تاج العروس (١٥/ ٤٦١): البقس ـ ويقال بقسيس، وبقبيس ـ: شجر كالآس ورقاً وحبّاً، أو هو شجر الشمشاذ، منابته بلاد الروم، تتخذ منه المغالق والأبواب، لمتانته وصلابته.
(٤) انظرهما في تفسير الطبري (١٥/ ٣١١).
(٥) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٥/ ٣١٤) من طريق علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس رضي الله عنه، وفيه أن عيسى أحيا حام بن نوح عليه السلام، وعلي بن زيد ضعيف.
(٦) في المصرية والتركية: «برية»، وفي نجيبويه: «موضع».
(٧) تفسير الطبري (١٥/ ٣١٠).

الآن، أَي: نستجهلكم لعلمنا بما أَنتم عليه من الغَرَر مع الله تعالى والكون بمدرج عذابه.

ثم جاءَ قوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديداً.

والسَّخرُ[١]: الاستجهال مع استهزاءٍ، ومصدره: سُخْرِيّ بضم السين، والمصدر من السُّخَرة والتَّسَخُّر: سِخْرِيّ بكسرها.

والعذاب المخزي هو الغَرق، والمقيم هو عذاب الآخرة.

وحكى الزهراوي أَنه يُقرأُ: (ويحُلُّ) [بضم الحاء][٢]، ويُقرأُ: ﴿وَيَحِلُّ﴾ بكسرها بمعنى: ويجب.

و﴿مَن﴾ في موضع نصب بـ﴿تَعْلَمُونَ﴾، وجائز أَن يكون ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بمثابة تعرفون في التعدي إِلى مفعول واحد، وجائز أَن تكون التعدية إِلى مفعولين واقتصر على الواحد.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ الآية، الأَمْر ها هنا يحتمل أَن يكون واحد الأُمور، ويحتمل أَن يكون مصدر أَمَرَ، فمعناه: أَمْرُنا للماءِ بالفوران، أَو للسّحاب بالإِرسال، أَو للملائكة بالتصرف في ذلك، ونحو هذا مما يقدر في النازلة.

و﴿وَفَارَ﴾ معناه: انبعث بقوة، واختلف الناس في ﴿ٱلتَّنُّورُ﴾ فقالت فرقة وهي الأَكثر ـ منهم ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما ـ: هو تنور الخبز الذي يوقد فيه[٣].

وقالت فرقة: كانت هذه أَمارةً جعلها الله لنوح، أَي: إِذا فار التَّـنُّور فاركب في السفينة، ويشبه أَن يكون وجه الأَمارة أَن مستوقَدَ النار إِذا فار بالماءِ فغَيْرُه أَشَدُّ فوراناً وأَحرى بذلك، ورُوي أَنه كان تَنُّور آدم خَلَص إِلى نوح فكان يوقد فيه، وقال النقاش:

(١) في أحمد٣: «السخرية»، وفي نجيبويه: «السخر والسِّخَر».
(٢) زيادة من التركية والأسدية١ وأحمد٣، وهي شاذة، نقلها عنه في البحر المحيط (٦/ ١٥١)، ولم أجدها هنا معزوة لأحد.
(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٣٢٠)، وتفسير الماوردي (٢/ ٤٧٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٣٤٨).

اسم المستوقَد التَّنُّور بكل لغة، وذكر نحو ذلك ابن قتيبة في «الأَدب» عن ابن عباس[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا بعيد.

وقيل: إِن موضع تنُّور نوح عليه السلام كان بالهند، وقيل: كان في موضع مسجد الكوفة، وقيل: «كان في ناحية الكوفة»، قاله الشعبي ومجاهد[٢].

[٣/ ٣٥] وقيل: كان في الجهة الغربية / من قبلة المسجد بالكوفة.

وقال ابن عباس[٣]، وعكرمة: «التَّـنُّور: وجه الأرض»[٤]، ويقال له: تنُّور الأرض.

وقال قتادة: «التَّـنُّور: أَعالي الأَرض»[٥]، وقالت فرقة: التَّـنُّور: عين بناحية الجزيرة.

وقال الحسن بن أَبي الحسن: «التَّـنُّور: مجتمع ماءِ السفينة فار منه الماءُ وهي بعدُ في اليبس»[٦].

وقالت فرقة: التَّـنُّور هو الفجر، المعنى: إِذا طلع الفجر فاركب في السفينة، وهذا قولٌ روي عن علي بن أَبي طالب رضي الله عنه[٧]، إِلّا أَن التصريف يضعفه، وكان يلزم أَن يكون التنوُّر[٨].

---

(١) أدب الكاتب (ص: ٤٩٦) قال: وروي عن ابن عباس أنه قال: «التَّنُّور» بكل لسان عربيّ وعجميّ.

(٢) انظر تفسير الطبري (١٥/ ٣٢٠-٣٢١)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٣٤٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٢٨).

(٣) ضعيف للانقطاع بين الضحاك وابن عباس، هذا الأثر أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره (١٠٨٨) عن هشيم، وابن جرير (١٨١٤٣)، وابن أبي حاتم (١٠٨٥٨) من طريق هشيم، عن العوام بن حوشب عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس فذكره.

(٤) تفسير الطبري (١٥/ ٣١٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٢٩).

(٥) تفسير الطبري (١٥/ ٣١٩)، وتفسير ابن ابي حاتم (٦/ ٢٠٢٩).

(٦) تفسير ابن أبي زمنين (١/ ٢٨٧).

(٧) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (١١/ ٤٠٢-٤٠٣) من طريق محمد بن فضيل بن غزوان، عن عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث ـ أبي شيبة ـ الواسطي، عن زياد مولى أبي جحيفة، عن أبي جحيفة، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، به، وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيف، وزياد بن زيد السوائي مولى أبي جحيفة مجهول.

(٨) يمكن ضبطها هكذا على مصدر تفعّل، وفي المطبوع: تنوير، قال في حاشيته: «في جميع النسخ =

وقالت فرقة: الكلام مجاز، وإِنما أَراد غلبة الماءِ وظهور العذاب، كما قال النبي ﷺ لشدة الحرب: «حمي الوطيس»(١)، والوَطيسُ أَيضاً مستوقد النار، فلا فرق بين حَمِيَ وفَار، إِذ يستعملان في النار، قال الله تعالى: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ﴾ [الملك: ٧]، فلا فرق بين الوطيس والتَّنُّور.

وقرأَ حفص عن عاصم: ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ بتنوين ﴿كُلٍّ﴾.

وقرأَ الباقون: ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ بإِضافة ﴿كُل﴾ إِلى ﴿زَوْجَيْن﴾(٢)، فمن قرأَ بالتنوين حذف المضاف إِليه، التقدير: من كلِّ حيوانٍ أَو نحوه، وأعمل الحَمْلَ في ﴿زَوْجَيْنِ﴾، وجاءَ قوله: ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ تأْكيداً، كما قال: ﴿إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١].

ومن قرأَ بالإِضافة فأَعمل الحَمْلَ في قوله: ﴿ٱثْنَيْنِ﴾، وجاءَ قوله: ﴿زَوْجَيْنِ﴾، بمعنى العموم، أَي: من كلِّ ما له ازدواجٌ، هذا معنى قوله: ﴿من كلِّ زوجين﴾، قاله أَبو علي وغيره(٣).

ولو قدرنا المعنى: احمل من كلِّ زوجين حاصلين اثنين، لوجب أَن يحمل من كل نوع أَربعة. والزوج يقال: في مشهور كلام العرب للواحد مما له ازدواج، فيقال: هذا زوج هذا، وهما زوجان، وهذا هو المهيع في القرآن في قوله تعالى: ﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، [الزمر: ٦]، ثم فسَّرها، وكذلك هو في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥].

= التَّـنُّور، والمعنى المراد لا يستقيم بها إذ لا فرق بينها وبين الكلمة الموجودة فعلاً، وفي أصل الحديث الذي رواه الطبري عن أبي جُحيفة عن عليّ قال: هو تنوير الصبح».

(١) هذا الحديث أخرجه مسلم (١٧٧٥) في غزوة حنيـن من حديث العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ.

(٢) فهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٢٤).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٣٢٥).

قال أَبو الحسن الأَخفش في كتاب «الحجة»: وقد يقال في كلام العرب للاثنين: زَوْجٌ[١]، ومن ذلك قول لبيد:

[الكامل] مِـنْ كُلِّ مَحْفُـوفٍ يُظِـلُّ عِصِيَّـهُ زوْجٌ عليـه كِلَّـةٌ وقِـرَامُـهَـا[٢]

وهكذا يأْخذ العدديون، والزوج أَيضاً في كلام العرب: النوع، كقوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ [ق: ٧]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا﴾ [يس: ٣٦]، إلى غير ذلك.

وروي في قَصَص هذه الآية: أَن نوحاً عليه السلام كان يأْتيه الحيوان فيضع يمينه على الذكر ويساره على الأُنثى، وروي أَن أَول ما دخل في السفينة الذَّرّ، وآخر ما دخل الحمار، فتمسك الشيطان بذنبه، فزجره نوح عليه السلام فلم ينبعث، فقال له: ادخل ولو كان معك الشيطان، قال ابن عباس: زلت هذه الكلمة على لسانه، فدخل الشيطان حينئذ[٣]، وكان في كوثل السفينة ـ أَي: عند مؤخرها ـ وقيل: كان على ظهرها.

ورُوي أَن نوحاً عليه السلام آذاه نتن الزبل والعذرة، فأَوحى الله إِليه أَن امسح على ذنب الفيل ففعل، فخرج من الفيل ـ وقيل: من أَنفه ـ خنزير وخنزيرة، فكفيا نوحاً وأَهله ذلك الأَذى[٤]، وهذا يجيءُ منه أَن نوع الخنازير لم يكن قبل ذلك.

ورُوي أَن الفأْر آذى الناس في السفينة بقرض حبالها وغير ذلك، فأَمر الله نوحاً أَن

---

(١) غير متوفر، وذكر نحوه في معاني القرآن للأخفش (١/ ١٤٨)، ولفظه: وقد يقال أيضاً «هُما زَوْجٌ» للاثنين، ثم استشهد بالبيت.

(٢) انظر عزوه للبيد في جمهرة أشعار العرب (ص: ٢٤٢)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٣١٥)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٣٥)، والشعر والشعراء (١/ ٢٧٤)، والمحفوف: الهودج، والكِلَّة: الستر الرقيق المثقب الذي يتقى به من البعوض، والقِرَامُ: السِّتْر يكون فيه نقوش.

(٣) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري بنفس الإسناد الذي فيه علي بن زيد بن جدعان، وقد مر قريباً.

(٤) ضعيف، بنفس الإسناد السابق.

يمسح على جبهة الأَسد ففعل، فعطس فخرج منه هرٌّ وهرَّة، فكفياهم الفأْر[١]، وروي أَيضاً أَن الفأْر خرج من أَنف الخنزير.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله قصص لا يصح إِلا لو استند، والله أعلم كيف كان.

وقوله: ﴿وَأَهْلَكَ﴾ عطف على ما عمل فيه ﴿ٱحْمِلْ﴾، والأهل هنا: القرابة[٢]، وبشرط من آمن منهم خُصصوا تشريفاً، ثم ذكر مَنْ آمَنَ وليس من الأَهل.

واختلف في الذي ﴿سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ فقيل: هو ابنه يام، وقال النقاش: اسمه كنعان، وقيل: هي امرأَته والعة، هكذا اسمها بالعين غير منقوطة، وقيل: هو عموم فيمن لم يؤمن من أَهل نوح وعشيرته، و﴿ٱلْقَوْلُ﴾ ها هنا معناه: القول بأَن يعذب.

وقوله: ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ عطف على قوله: ﴿وَأَهْلَكَ﴾.

ثم قال إِخباراً عن حالهم: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ واختلف في ذلك القليل: فقيل: كانوا ثمانين رجلاً وثمانين امرأَة، وقيل: كان جميعهم ثلاثة وثمانين، وقيل: «كانوا ثمانين في الكل»، قاله السُّدي[٣]، وقيل: عشرة، وقيل: ثمانية، قاله قتادة[٤]، وقيل: سبعة، والله أَعلم.

وقيل: كان في السفينة جُرْهُم، وقيل: لم ينج من الغرق أَحد إِلا عوج بن عنق، وكان في السفينة مع نوح عليه السلام ثلاثة من بنيه: سام، وحام، ويافث، وغرق يام.

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «سام أَبو العرب، ويافث أَبو الروم، وحام أَبو الحبش»[٥].

---

(١) ضعيف، مثله.

(٢) في المطبوع: «القاربة».

(٣) تفسير ابن أبي زمنين (١/ ٢٨٨).

(٤) تفسير الطبري (١٥/ ٣٢٥)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٢٨٨).

(٥) ضعيف، هذا الحديث أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٤٢)، وأحمد في مسنده (٥/ ٩-١٠)، والترمذي (٣٢٣١-٣٩٣١)، والبزار في مسنده (٤٥٥٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٨٧٦)، =

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

المعنى: وقال نوح حين أُمر بالحمل في السفينة لمن آمن معه: ﴿ٱرْكَبُواْ فِيهَا﴾، فأَنَّث الضمير إِذ هي سفينة، لأَن الفُلْك المذكور مذكَّر.

وفي مصحف أُبَـي: (على اسْم الله)[١].

وقوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ يصحُّ أَن يكون في موضع الحال من الضمير الذي في قوله: ﴿ٱرْكَبُواْ﴾، كما تقول: خرج زيد بثيابه وبسلاحه، أَي: اركبوا متبرِّكين بالله تعالى، ويكون قوله: ﴿مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ ظرفين، أَي: وقْتَ إِجرائها وإِرسائها، كما تقول العرب: «الحمد لله سِرَارَك وإِهْلالَك[٢]، وخفوقَ النجم، ومقدمَ الحاج، فهذه ظرفية زمان، والعامل في هذا الظرف ما في قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ من معنى الفعل.

ويصح أَن يكون قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ في موضع خبر، و﴿مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ ابتداءٌ مصدران، كأَنه قال: اركبوا فيها فإِن ببركة الله إِجراءَها وإِرساءَها، وتكون هذه الجملة على هذا في موضع حال من الضمير في قوله: ﴿فِيهَا﴾[٣]، ولا يصح أَن يكون حالاً من الضمير في قوله: ﴿ٱرْكَبُواْ﴾[٤] لأَنه لا عائد في الجملة يعود عليه، وعلى هذا التأْويل قال الضحاك: «إِن نوحاً كان إِذا أَراد جري السفينة قال: «بِسْمِ الله» فتجري، وإِذا أَراد وقوفها قال: «بِسْمِ الله» فتقف»[٥].

= والطبراني في الكبير (٦٨٧١ـ ٦٢٧٢) وغيرهم من طريق الحسن البصري، عن سمرة بن جندب، مرفوعاً به، والحسن البصري لم يسمع من سمرة غير حديث العقيقة، على الراجح.

(١) وهي شاذة مخالفة للرسم، ولم أقف عليها.

(٢) ضبطا في المطبوع بالرفع، ورأينا أن النصب أظهر للظرفية، والله أعلم.

(٣) في النسخ: «اركبوا فيها»، والصواب المثبت. انظر: البحر المحيط (٦/ ١٥٥).

(٤) في النسخ: «بسم الله»، والصواب المثبت. انظر المصدر السابق.

(٥) انظر تفسير الطبري (١٥/ ٣٣٠)، تفسير الثعلبي (٥/ ١٧١).

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وعاصم في رواية أَبي بكر، وابنُ عامر: ﴿مُجراها ومُرْساها﴾ بضم الميمين على معنى: إِجرائها وإِرسائها، وهي قراءة مجاهد، وأَبي رجاءٍ، والحسن، والأَعرج، وشيبة، وجمهور الناس، ومنه قول لبيد:

وَعمرتُ حَرْساً قَبْلَ مُجْرَى داحِسٍ ... لَوْ كان لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ خُلُود[1] [الكامل]

وقرأَ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿مَجْرِىٰهَا﴾ بفتح الميم وكسر الراءِ، وكلهم ضمَّ الميم من ﴿مُرْسَاهَا﴾[2].

وقرأَ الأَعمش، وابن مسعود: (مَجْراها ومَرْساها) بفتح الميمين[3]، وذلك من الجري والرسوّ، وهذه ظرفية مكان، ومن ذلك قول عنترة:

فَصَبَرْتُ نفساً عنْدَ ذَلِكَ حُرَّةً ... تَرْسُو إِذَا نَفْسُ الْجَبَانِ تَطَلَّعُ[4] [الكامل]

/ واختار الطبري قراءَة ﴿مَجْرِىٰهَا﴾ بفتح الميم الأُولى وضمّ الثانية، ورجحها بقوله تعالى: ﴿وَهِىَ تَجْرِى﴾ ولم يقرأ أَحد: «تُجْرى»[5]، وهي قراءَة ابن مسعود أَيضاً، رواها عنه أَبو وائل، ومسروق[6]. [٣/ ٣٦]

وقرأَ ابن وثاب، وأَبو رجاءٍ العطاردي، والنَّخَعي، والجحدري، والكلبيّ، والضحاك

---

(١) انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٨٥)، والعين (٧/ ٢٣٩)، ومجاز القرآن (١/ ٢٨٩)، وإصلاح المنطق (ص: ١٥).

(٢) فهما سبعيتان، ويعني بالكسر الإمالة الكبرى، انظر التيسير (ص: ١٢٤)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣٣٣).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها للأعمش في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٦٩)، الشواذ للكرماني (ص: ٢٣٥)، وزاد آخرين.

(٤) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٥/ ٣٢٩)، وغريب الحديث لابن سلام (١/ ٢٥٥)، وتهذيب اللغة (٢/ ٢٠٧).

(٥) تفسير الطبري (١٥/ ٣٢٩).

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٤).

ابن مُزاحم، ومسلم بن جُندب، وأَهل الشام: (مُجْرِيهَا ومُرْسِيهَا)[١]، وهما على هذه القراءَة صفتان لله تعالى عائدتان على ما ذكره في قوله ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ تنبيه لهم على قَدْر نعم الله عليهم، ورحمته لهم، وستره عليهم، وغفرانه ذنوبهم بتوبتهم وإِنابتهم.

وقوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ﴾ الآية، رُوي أَن السماءَ أَمطرت بأَجمعها حتى لم يكن في الهواءِ جانب لا مطر فيه، وتفجرت الأَرض كلها بالنبع، فهكذا كان التقاءُ الماءِ.

ورُوي أَن الماءَ علاَ على الجبال وأَعالي الأَرض أَربعين ذراعاً، وقيل: خمسة عشر ذراعاً.

وأَشار الزجاج وغيره إِلى أَن الماءَ انطبق، ماءُ الأَرض وماءُ السماءِ، فصار الكل كالبحر[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، وأَين كان الموج كالجبال على هذا؟ وكيف استقامت حياة من في السفينة على هذا؟.

وقرأَت فرقة: ﴿ٱبۡنَهُۥ﴾[٣] على إِضافة الابن إِلى نُوحٍ، وهذا قول من يقول: هو ابنه لصلبه.

وقد قال قوم: إِنه ابن قريب له، ودعاه بالبنوة حناناً منه وتلطفاً.

وقرأَ ابن عباس: (ابْنَهْ) بسكون الهاءِ، وهذا على لغةٍ لأَزْد السَّرَاةِ، ومنه قول الشاعر:

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لبعضهم ولغيرهم في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٦٩)، وتفسير الثعلبي (٥/ ١٧٠)، ومختصر الشواذ (ص: ٦٤)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٣٥)، ولأكثرهم في البحر المحيط (٦/ ١٥٦).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٥٣).

(٣) هذه هي القراءة المتواترة بضم الهاء، مع فتح النون، وفيها أربع قراءات شاذة، كلها منقولة من المحتسب (١/ ٣٢٢) مع التوجيه.

[الطويل] .... ومِطْـوَايَ مُشْـتَاقَانِ لَـهْ أَرِقَانِ(١)

وقرأ السُّدِّي: (ابْنَاهْ) قال أَبو الفتح: ذلك على النداءِ، وذهبت فرقة إِلى أَن ذلك على جهة النُّدْبة مَحْكيَّـةً.

وقرأ عروة بن الزبير، [وعليّ بن أَبي طالب: (ابْنَها)، وتأَوَّلوا ذلك على أَنه دعا ابن امرأَته الكافرة إِذْ قد تقدم ذكرها في قوله: ﴿وَأَهْلَكَ﴾، وعلى هذه القراءَة يدخل تأْويل من قال: كانت خائنة فيه، وسيأْتي ذكر هذا بعد.

وقرأ علي بن أَبي طالب، وعروة بن الزبير](٢) أَيضاً، وأَبو جعفر، وجعفر بن محمد: (ابْنَهَ)، على تقدير: ابْنَهَا، فحذفت الأَلف تخفيفاً، وهي لغة، ومنها قول الشاعر:

[البسيط] إِمَّـا تَـقُـودُ بـه شَـاةً فَـتـأْكُـلها أَوْ أَنْ تَبِيعَهَ في بعْضِ الأَرَاكِيبِ(٣)

وأَنشد ابن الأَعرابي على هذا:

[الوافر] فَلَسْـتُ بِمُـدْرِكٍ مـا فَـاتَ مِنِّـي بِلَهْـفَ ولاَ بِلَيْـتَ ولاَ لَـوَ انِّي(٤)

يريد: بِلَهْفَا(٥).

قال القاضي أبو محمد: وخطَّـأَ النحاس أَبا حاتم في حذف هذه الأَلف(٦)، وليس كما قال.

---

(١) وصدره: فَظَلْتُ لَدَى البَيْتِ العَتيقِ أُخِيلُهُ، وهو بلا نسبة في معاني القرآن للأخفش (١/ ٢٨)، والمقتضب (١/ ٣٩)، وفي الأصول في النحو (٣/ ٤٦١) أنه لرجل من أَزْد السَّرَاة، وفي الأغاني (٢٢/ ١٥٢) أنه ليعْلَى بن الأحول اليشكري، وفي النسخ الخطية: «ونضواي».

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) أنشده في سر صناعة الإعراب (٢/ ٣٥٨)، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه (٢/ ٢٧٠)، عن قطرب وابن الأعرابي بلا نسبة.

(٤) أنشده في الحجة للفارسي (٤/ ٩٢)، المحتسب (١/ ٢٧٧)، وغيرهما بلا نسبة.

(٥) أي: بأن أقول: «والهفا». المحكم (٤/ ٣٢٠).

(٦) إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٦٩).

وقرأ وكيع بن الجراح: (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) بضم التنوين، وقال أَبو حاتم: هي لغة سوءٍ لا تعرف[١].

وقوله: ﴿فِي مَعۡزِلٖ﴾، أَي: في ناحية، فيمكن أَن يريد: في معزل في الدين، ويمكن أَن يريد: في معزل في بُعْده عن السفينة، واللفظ يعمهما.

وقال مكي في «المشكل»: ومن قال: ﴿مَعۡزِلٖ﴾ بكسر الزاي أَراد الموضع، ومن قال: «مَعزَل» بفتحها أَراد المصدر[٢]، فلم يصرح بأنها قراءَة، ولكن يقتضي ذلك لفْظُه.

وقرأَ السبعة: ﴿يا بُنَيِّ﴾ بكسر الياءِ المشددة، وهي ثلاث ياءَات:

أُولاها: ياءُ التصغير، وحقها السكون.

والثانية: لام الفعل، وحقها أَن تكسر بحسب ياءِ الإِضافة، إِذ ما قبل ياءِ الإِضافة مكسور.

والثالثة: ياءُ الإِضافة، فحذفت ياءُ الإِضافة إِما لسكونها وسكون الراءِ، وإِما إِذ هي بمثابة التنوين في الأَعلام وهو يحذف في النداءِ، فكذلك ياءُ الإِضافة، والحذف فيها كثير في كلام العرب، تقول: يا غلامِ، ويا عبيدِ، وتُبقي الكسرة دالة، ثم أُدغمت الياءُ الساكنة في الياءِ المكسورة.

وقد رَوى أَبو بكر وحفصٌ عن عاصم أَيضاً: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ بفتح الياءِ المشددة، وذكر أَبو حاتم أَن المفضل رواها عن عاصم[٣]، ولذلك وجهان:

أَحدهما: أَن يبدل من ياءِ الإِضافة أَلفاً، وهي لغة مشهورة، تقول: يا غلامَا،

---

(١) من المعلوم أن التنوين نون زائدة ساكنة، وهنا حركت بالكسر منعاً لالتقاء الساكنين، وأما وكيع فقد حركها بالرفع، واسترد لها أبو حاتم. وهي شاذة، انظر عزوها لوكيع وتخطئة أبي حاتم له في الدر المصون (٦/ ٣٢٨).

(٢) مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٣٦٤).

(٣) انظر التيسير (ص: ١٢٤)، والسبعة (ص: ٣٣٤)، وهي من جميع طرق عاصم كما في جامع البيان (٣/ ١١٩٩).

ويا عيْنَا، فانفتحت الياءُ قبل الأَلف، ثم حذفت الأَلف استخفافاً، ولسكونها وسكون الراءِ من قوله: ﴿ٱرْكَب﴾.

والثاني: أَن الياءَات لما اجتمعت استُثقل اجتماع المماثِلَة فخف ذلك الاستثقال بالفتح إِذ هو أَخف الحركات، هذا مذهب سيبويه، وعلى هذا حمل قوله ﷺ: «وحواريَّ الزُّبير»(١).

وروي عن ابن كثير أَنه قرأَ في سورة لقمان: ﴿يَا بُنَيْ لا تُشْرِكْ بالله﴾ بحذف ياءِ الإِضافة ويُسَكن الياءَ خفيفة، وقرأَ الثانية: ﴿يا بُنَيِّ إِنَّها﴾ كقراءَة الجماعة، وقرأَ الثالثة: ﴿يَا بُنَيْ أَقِم﴾ ساكنة كالأُولى(٢).

وقوله: ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يحتمل أَن يكون نهياً محضاً مع علمه أَنه كافر، ويحتمل أَن يكون خفي عليه كفره فناداه أَلا يبقى وهو مؤمن مع الكفرة فيهلِك بهلاكهم، والأَول أَبيَن.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

ظن ابن نوح أَن ذلك المطر والماء على العادة، وقوله: ﴿لَا عَاصِمَ﴾، قيل فيه: إِنه على لفظة فاعل، وقوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ يريد: إِلا الله الراحم، فـ﴿مَن﴾ كناية عن اسم الله تبارك وتعالى، المعنى: لا عاصم اليوم إِلا الذي رحمنا، فـ﴿مَن﴾ في موضع رفع.

---

(١) هذا الحديث أخرجه البخاري (٢٨٤٦) عن جابر رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «من يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب؟» قال الزبير: أنا، ثم قال: «من يأتيني بخبر القوم؟»، قال الزبير: أنا، فقال النبي ﷺ: «إن لكل نبي حواريا وحواري الزبير».

(٢) إشارة إلى الآيات ١٣، ١٦، ١٧ من سورة لقمان، وانظر الخلاف عن ابن كثير فيها في السبعة (ص: ٣٣٤).

وقيل: قوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ استثناءٌ منقطع كأَنه قال: لا عاصم اليوم موجود، لكن من رحم الله موجود، وحَسَّن هذا من جهة المعنى أَنَّ نفي العاصم يقتضي نفي المعصوم فهو حاصل بالمعنى، وأَما من جهة اللفظ فـ﴿مَن﴾ في موضع نصب على حد قول النابغة: إِلاَّ الأَوَاريَّ[1]، ولا يجوز أن تكون في موضع رفع على حَدِّ قول الشاعر:

[مخلع البسيط] وبَـلْـدةٍ لَـيْـسَ بـهـا أَنِـيـس إِلَّا الْيَعَافيـرُ وإِلاَّ الْعِيسُ[2]

إِذْ هذان أَنيس ذلك الموضع القفر، والمعصوم هنا ليس بعاصم بوجه. وقيل: ﴿عَاصِمَ﴾ معناه: ذو اعتصام، فـ﴿عَاصِمَ﴾ على هذا في معنى معصوم، ويجيءُ الاستثناءُ مستقيماً، و﴿مَن﴾ في موضع رفع. و﴿ٱلْيَوْمَ﴾ ظرف، وهو متعلق بقوله: ﴿مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾، أَو بالخبر الذي تقديره: كائن اليوم، ولا يصح تعلقه بـ﴿عَاصِمَ﴾ لأَنه كان يجيءُ منوناً: لا عاصماً اليوم، يرجع إِلى أَصل النصب لئلا يرجع ثلاثة أَشياءٍ واحداً، وإِنما القانون أَن يكون الشيئان واحداً: «لا» وما عملت فيه، ومثال النحويين في هذه المسأَلة: لا أَمراً يوم الجمعة لك، فإِن أَعملت في «يَوْمَ»: لَكَ، قلتَ: لا أَمْرَ.

و﴿بَيْنَهُمَا﴾ يريد: بين نوح وابنه، فكان الابن ممن غرق.

وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ الآية، بناءُ الفعل للمفعول أَبلغ في التعظيم والجبروت، وكذلك بناءُ الأَفعال بعد ذلك في سائر الآية.

وروي أَن أَعرابيّاً سمع هذه الآية فقال: هذا كلام القادرين[3].

والبَلْعُ هو تجرُّع الشيءِ وازدرادُه، فشبَّه قبض الأَرض للماءِ وتسَرُّبه فيها بذلك،

(١) البيت للنابغة وهو بتمامه: إلا الأَوَارِيَّ لأياً مَّا أبَيِّـنُـهَا والنُّؤْي كالْحَوْضِ بالمظْلُومَةِ الْجَلَدِ، وقد تقدم في سورة يونس الآية: (٩٨).

(٢) البيت لِجِران العَوْد النُّمَيْري كما في شرح أبيات سيبويه (٢/ ١٣س٦)، وخزانة الأدب للبغدادي (١٠/ ١٧).

(٣) نقله السخاوي في جمال القراء وكمال الإقراء (ص: ١٢٨) عن ابن دريد.

وأُمِرت بالتشبيه، وأَضاف الماءَ إِليها إِذْ هو عليها وحاصل فيها، / والسماءُ في هذه الآية: إِما [٣/ ٣٧]
السماءُ المُظِلَّة، وإِما السحاب، والإِقلاع عن الشيءِ: تركه. والمعنى: أَقلعي عن الإِمطار.

و﴿وَغِيضَ﴾ معناه: نقص، وأَكثر ما يجيءُ فيما هو بمعنى: جفوف، كقوله: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾، وكقوله: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد: ٨]، وأَكثر المفسرين على أَن ذلك في الحيض، وكذلك قول الأَسود بن يَعْفُر:

. . . . مَا غِيضَ مِنْ بصَرِي ومِنْ أَجْلاَدي[١] [الكامل]

وذلك أَن الإِنسان الهرم إِنما تَنَقُّصه بجُفوفٍ وقَضَافَة.

وقوله: ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ إِشارة إِلى جميع القصة: بعْث الماءِ، وإِهْلاك الأُمم، وإِنجاء أَهل السفينة، وروي أَن نوحاً عليه السلام ركب في السفينة من عين وردة بالشام أَول يوم من رجب، وقيل: في العاشر منه، وقيل: في الخامس عشر، وقيل: في السابع عشر، واستوت السفينة [على الجودي][٢] في ذي الحجة، وأَقامت على الجوديّ شهراً، وقيل له: اهبط يوم عاشوراءَ، فصامه وصامه من معه من أناس ووحوش.

وذكر الطبري عن ابن إِسحاق ما يقتضي أَنه أَقام على الماءِ نحو السنة[٣].

وذكر أَيضاً حديثاً عن النبي ﷺ: «إِن نوحاً ركب في السفينة أَول يوم من رجب، وصام الشهر أَجمع، وجرت بهم السفينة إِلى يوم عاشوراءَ، ففيه أَرست على الجوديّ فصامه نوح ومن معه»[٤].

---

(١) صدره: أما تريني قد بليت وشفني، انظر عزوه له في الكنز اللغوي (ص: ١٦٥)، وأمالي القالي (١/ ٢٥).
(٢) سقط من الأصل والمطبوع.
(٣) انظر تفسير الطبري (١٥/ ٣٣٨-٣٣٩).
(٤) تالف أخرجه الطبري (١٥/ ٣٣٥) بإسناد ساقط فيه كذاب، وروي بعض هذا الكلام من قول ابن جريج وقتادة.

ورُوي أَن نوحاً لما طال مقامه على الماء بعث الغراب ليأْتيه بخبر كمال الغرق، فوجد جيفة طافية، فبقي عليها فلم يرجع بخبر، فدعا عليه نوح فاسودّ لونه وخُوّف من الناس، فهو لذلك مستوحش، ثم بعث نوح الحمام فجاءَته بورق زيتونة في فمها ولم تجد تراباً تضع رجليها عليه، فبقي أَربعين يوماً ثم بعثها فوجدت الماءَ قد انحسر عن موضع الكعبة، وهي أَول بقعة انحسر الماءُ عنها، فمسّت الطين برجليها وجاءَته، فعلم أَن الماءَ قد أَخذ في النضوب، ودعا لها فطوِّقت وأنِست، فهي لذلك تأْلف الناس، ثم أَوحى الله إِلى الجبال أَن السفينة ترسي على واحد منها، فتطاولت كلها وبقي الجوديّ ـ وهو جبل بالموصل في ناحية الجزيرة ـ ولم يتطاول تواضعاً لله، فاستوت السفينة بأَمر الله عليه، وبقيت عليه أَعوادها، وفي الحديث أَنَّ النبي ﷺ قال: «لقد بقي منها شيءٌ أَدركه أَوائل هذه الأُمة»[1].

وقال الزجاج: «الْجُودِيّ هو بناحية آمِد»[2]، وقال قوم: هو عند باقِرْدَى[3].

وروي أَن السفينة لما استقلت من عين وردة جرت حتى جاءَت الكعبة فوجدتها قد نَشَزَت من الأَرض فلم ينلها غرق، فطافت بها أُسبوعاً، ثم مضت إِلى اليمن، ورجعت إِلى الجوديّ.

قال القاضي أبو محمد: والقَصَص في هذه المعاني كثير صعب أَن يستوفى، فأَشرت منه إِلى نُبذ، ويدخله الاختلاف كما ترى في أَمر الكعبة، والله أَعلم كيف كان.

و﴿وَٱسْتَوَتْ﴾ معناه: تمكنت واستقرت.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ بكسر الياءِ وشدها.

---

(١) صح من قول قتادة، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٥٨)، والطبري (١٥/ ٣٣٨)، وعلقه البخاري مجزوماً به (٤٨٦٩).

(٢) معاني القرآن (٣/ ٥٥)، وآمِد: بلدٌ قديم حصين ركين مبني بالحجارة السود على نَشَز ودجلةُ محيطة بأكثره، مستديرة به كالهلال.

(٣) باقِرْدَى: بكسر القاف وفتح الدال: كورة في شرقي دجلة، وبالقرب منها جبل الجوديّ.

وقرأ الأَعمش وابن أَبي عبلة: (على الْجُودِيْ) بسكون الياءِ[١]، وهما لغتان.

وقوله: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ يحتمل أَن يكون من قول الله تعالى عطفاً على: ﴿وَقِيلَ﴾ الأَول، ويحتمل أَن يكون من قول نوح والمؤمنين، والأَول أَظهر وأبلغ[٢].

قوله عز وجل: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

هذه جملة معطوفة على التي قبلها دون ترتيب، وذلك أَن هذه القصة كانت في أَول ما ركب نوح في السفينة، ويظهر من كلام الطبري أَن ذلك كان بعد غرق الابن[٣]، وهو محتمل، والأَول أَليق.

وهذه الآية احتجاج من نوح عليه السلام، وذلك أَن الله أَمره بحمل أَهله، وابنُه من أَهله، فينبغي أَن يحمل، فأَظهر الله له أَن المراد مَنْ آمن مِنَ الأَهل.

ثم حسَّن المخاطبة بقوله: ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ وبقوله: ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾، فإِن هذه الأَقوال مُعينة في حُجّته، وهذه الآية تقتضي أَن نوحاً عليه السلام ظن أَن ابنه مؤمن، وذلك أَشد[٤] الاحتمالين.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ﴾ الآية، المعنى: قال الله تعالى: يا نوح.

وقالت فرقة: المراد بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾: إنه ليس بولد لك، وزعمت أَنه كان لِغَيَّـة[٥]، وأَن امرأَته الكافرة خانته فيه، هذا قول الحسن، وابن سيرين، وعُبَيد بن

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها للأعمش في المحتسب (١/ ٣٢٣)، ولهما في الكامل للهذلي (ص: ٥٧١).
(٢) سقطت: وأبلغ، من المطبوع، وهي في أحمد٣ ملحقة في الهامش، وعليها تصحيح.
(٣) راجع تفسير الطبري (١٥/ ٣٣٩).
(٤) في نجيبويه: «أسد».
(٥) أي: ابن زناً، عكسه أن يكون لرشدة.

عُمَير[١]، وقال: نرى[٢]: إنما قضى رسول الله ﷺ بالولد للفراش[٣] من أَجل ابن نوح، وحلف الحسن أَنه ليس بابنه، وحلف عكرمة والضحاك أَنه ابنه[٤].

قال القاضي أبو محمد: عوّل الحسن على قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾، وعوّل الضحاك وعكرمة على قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾.

وقرأَ الحسن ومنْ تأَوَّل تأْويله: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ على هذا المعنى، وهي قراءَة السبعة سوى الكسائي، وقراءَة جمهور الناس، وقال من خالف الحسن بن أَبي الحسن: المعنى: ليس من أَهلك الذين عمَّهم الوعدُ، لأَنه ليس على دينك وإِن كان ابنَك بالولاء[٥].

فمن قرأَ من هذه الفرقة: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ جعله وصفاً له بالمصدر على جهة المبالغة فوصفه بذلك، كما قالت الخنساءُ تصفُ ناقةً ذهب عنها ولدها:

[البسيط] تَرْتَـعُ ما رَتَعَتْ حتَّـى إِذا ادّكَرَتْ ... فَإِنَّما هيَ إِقْبَـالٌ وإِدْبَـارُ[٦]

أَي: ذات إِقبال وإِدبار.

وقرأَ بعض هذه الفرقة: ﴿إِنَّهُ عَمِلَ غَيرَ صَالِحٍ﴾، وهي قراءَة الكسائي[٧].

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٥/ ٣٤٠ و٣٤٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٣٤).

(٢) القائل هو عمرو بن عبيد كما في تفسير الطبري (١٥/ ٣٤٢) وغيره، وفي المطبوع: «وقال ابن أبزى»، وهو تصحيف فاحش.

(٣) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخار ي (٢٠٥٣)، ومسلم (١٤٥٧) من حديث عائشة رضي الله عنه.

(٤) انظر القسمين في تفسير الطبري (١٥/ ٤٣٢، ٣٤٣).

(٥) في المطبوع والتركية والأسدية١ والمصرية بالولادة: بالولادة، وفي أحمد٣ ونور العثمانية: «بالولاد»، وفي الحمزوية: «فالأولاد».

(٦) انظر عزوه لها في الكتاب لسيبويه (١/ ٣٣٦)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ١٠٣)، والأغاني (١٥/ ٧٨).

(٧) فهي سبعية متواترة، انظر التيسير (ص: ١٢٥)، وفي ذلك ما يغني عن عزوها لغيره، وعن الرد على من أنكرها.

وروت هذه القراءَة أُمُّ سَلَمة وعائشةُ عن رسول الله ﷺ، ذكره أَبو حاتم[١].

وضعَّف الطبري هذه القراءَة، وطعن في الحديث بأَنه من طريق شهر بن حوشب[٢].

وهي قراءَة علي، وابن عباس، وعائشة، وأَنس بن مالك، ورجَّحها أَبو حاتم[٣].

وقرأَ بعضهم: (إِنَّه عَمِلَ عَملاً غيْرَ صَالحٍ)[٤].

وقالت فرقة: الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ على قراءَة جمهور السبعة عائد على سؤال نوح الذي يتضمنه الكلام، وقد فسَّره آخِرَ الآية، ويُقَوِّي هذا التأْويلَ أَن في مصحف ابن مسعود: (إِنَّه عمَلٌ غيْرُ صالِح أَنْ تَسْأَلَني مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)[٥].

وقالت فرقة: الضمير عائد على ركوب ولد نوح معهم الذي يتضمنه سؤال نوح، المعنى: إِن ركوب الكافر مع المؤمنين عملٌ غَيرُ صالح.

---

(١) في ثبوته نظر، حديث أم سلمة أخرجه أحمد (٦/ ٤٥٤-٤٥٩-٤٦٠)، وسعيد بن منصور في تفسيره (١٠٩١) وأبو داود (٣٩٨٤-٣٩٨٥)، والترمذي (٢٩٣١-٢٩٣٢) من طريق ثابت البناني، عن شهر بن حوشب، قال بعضهم: عن أسماء بنت يزيد، وقال بعضهم: عن أم سلمة، قال الترمذي: هو حديث ثابت البناني،... ثم قال: كلا الحديثين عندي واحد، وقد روى شهر بن حوشب غير حديث عن أم سلمة الأنصارية، وهي أسماء بنت يزيد، وقد روي عن عائشة عن النبي ﷺ نحو هذا. اهـ. وقال أبو زرعة: أم سلمة هذه هي أسماء بنت يزيد. العلل (٢٨٢٩) وهي مولاته، وقال الذهبي في ترجمة شهر من الميزان (٢/ ٢٨٥): تفرد ثابت عنه، عن أم سلمة بهذا الحديث.اهـ. وشهر: فيه لين، لا سيما إذا انفرد.

وأما حديث عائشة رضي الله عنها فقد أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٤٢) من طريق محمد ابن جحادة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، به، وجحادة أبو محمد الأيامي الكوفي، لم يوثق توثيقاً معتبراً، وذكره البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٨٦) وذكر له هذا الخبر.

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٣٤٨)، وشهر تقدمت ترجمته في أول سورة البقرة.

(٣) نقله عنه وعنهم في البحر المحيط (٦/ ١٦٢).

(٤) وهي شاذة لمخالفة الرسم، نقل تفسير الطبري (١٥/ ٣٤٣) عن عكرمة أنها وردت في بعض الحروف.

(٥) وهي شاذة أيضاً، انظر عزوها له في معاني القرآن للنحاس (٣/ ٣٥٥)، الهداية لمكي (٥/ ٣٤٠٥).

وقال أَبو علي: ويحتمل أَن يكون التقدير: إِن كونك مع الكافرين وتركك الركوب معنا عملٌ غيْرُ صالح[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا تأْويل لا يتَّجه من جهة المعنى.

وكل هذه الفرق قال: إِن القول بأَن الولَد كان لِغَيَّةٍ وَوَلَدَ فراشٍ خطأٌ محض، وقالوا: إِنه رُوي عن النبي ﷺ أَنه: / «ما زنت امرأَة نبي قط»[٢]. [٣/ ٣٨]

قال القاضي أبو محمد: وهذا الحديث ليس بالمعروف، وإِنما هو من كلام ابن عباس رضي الله عنه[٣]، [ويُعضِّده شرف النبوة][٤].

وقالوا في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠]: إن الواحدة كانت تقول للناس: هو مجنون، والأُخرى كانت تنبه على الأَضياف، وأَمَّا خيانة غير هذا فلا، وهذه منازع ابن عباس وحُجَجُه، وهو قوله وقول الجمهور من الناس.

وقرأَ ابن أَبي مليكة: (فَلا تَسَلْني) بتخفيف النون وإِثبات الياءِ وسكون اللام دون همز[٥].

وقرأَت فرقة بتخفيف النون وإِسقاط الياءِ وبالهمز: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ﴾[٦].

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٣٤٢).

(٢) لم أقف عليه مرفوعاً للنبي ﷺ، وانظر ما سيأتي.

(٣) صحيح روي عن ابن عباس من عدة طرق، منها ما أخرجه الطبري (١٥/ ٣٤٣) من طريق الثوري، عن أبي عامر الهمداني، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس، ومنها: ابن يمان، عن سعيد، عن موسى بن أبي عائشة، عن عبد الله بن شداد، عن ابن عباس، ومنها: عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة وغيره، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: هو ابنه: غير أنه خالفه في العمل والنية.

(٤) ساقط من أحمد٣ نور العثمانية.

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٢٣٦)، وابن أبي مليكة تقدم في الآية (٢٢٢) من سورة البقرة.

(٦) وهي سبعية وسيعيد ذكرها على التفصيل قريباً. انظر: التيسير (ص: ١٢٥).

وقرأ أَبو جعفر وشيبة بكسر النون وشدها والهمز وإِثبات الياءِ: ﴿فَلاَ تَسْأَلنِّي﴾[١].

[وقرأ نافع ذلك دون ياء: ﴿فلا تَسْأَلَنِّ﴾][٢].

وقرأ ابن كثير، وابن عامر: ﴿فَلاَ تَسْأَلَنَّ﴾ بفتح النون المشددة، وهي قراءَة ابن عباس.

وقرأ أَبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ﴾ خفيفة النون ساكنة اللام[٣]. وكان أَبو عمرو يثبت الياءَ في الوصل، وحذفها عاصم وحمزة في الوصل والوقف[٤].

ومعنى قوله: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾، أَي: إِذا وعدتك فاعلم يقيناً[٥] أَنه لا خُلْف في الوعد، فإِذا رأَيتَ ولدك لم يُحْمل فكان الواجب عليك أَن تقف وتعلم أَن ذلك واجب بحق عند الله.

قال القاضي أبو محمد: ولكن نوحاً عليه السلام حملته شفقة البنوة[٦] وسجية البشَرِ على التعرض لنفحات الرحمة والتذكير، وعلى هذا القدر وقع عتابه، ولذلك جاءَ بتلَطف وترفيع في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، وقد قال الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾ [البقرة: ١٤٧]، [الأنعام: ٣٤-١١٤]، [يونس: ٩٤]، وذلك هنا بحسب الأَمر الذي عوتب فيه وعظمته، فإِنه لضيق صدره بتكاليف النبوة، وإِلاَّ فمتقرر أَنَّ محمداً ﷺ أَفضل البشر وأَولاهم بلين المخاطبة، ولكن هذا بحسب الأَمرين لا بحسب النبيَّـيْن.

---

(١) هي متواترة عن أبي جعفر وصلاً، ويحذف الياء وقفاً.

(٢) ساقط من المطبوع، وهي والقراءتان بعدها سبعية، وهي قراءة ابن عامر كما في التيسير (ص: ١٢٥)، وأبي جعفر حال الوقف كما في النشر (٢/ ٢٨٩).

(٣) انظر التيسير (ص: ١٢٥)، وما ذكر لابن عامر ليس من طرقه، بل من رواية أبي عبيد عن هشام، كما في السبعة (ص: ٣٣٥)

(٤) فيه تقصير، والذي في التيسير (ص: ١٢٥، ١٢٧)، أثبتها وصلاً ورش وأبو عمرو وأبو جعفر، ويعقوب في الحالين، وحذفها الباقون في الحالين. انظر: النشر (٢/ ٢٩٢).

(٥) «يقيناً» ليست في المطبوع، وكتبت في نور العثمانية: «نفينا».

(٦) في المطبوع: «النبوة».

وقال قوم: إِنما وقَّر نوحاً لِسنِّه، وقال قوم: إِنما حمل اللفظ على محمد ﷺ كما يحمل الإِنسانُ على المختص به الحبيب إِليه.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله ضعيف.

ويحتمل قوله: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أَي: لا تطلب مني أَمراً لا تعلم المصلحة فيه علم يقين، ونحا إِلى هذا أَبو علي الفارسي وقال: إِن ﴿بِهِۦ﴾ يجوز أَن يتعلق بلفظة ﴿عِلْمٌ﴾[1] كما قال الشاعر:

[الرجز] كَـانَ جَـزَائي بالْعصَـا أَنْ أُجْـلَدَا[2]

ويجوز أَن يكون ﴿بِهِۦ﴾ بمنزلة «فيه» فتتعلق الباءُ بالمستقر.

قال القاضي أبو محمد: واختلاف هذين الوجهين إِنما هو لفظي، والمعنى في الآية واحد. ورُوي أَن هذا الابن إِنما كان ربيبه، وهذا ضعيف.

وحكى الطبريّ عن ابن زيد أَن معنى قوله: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ في أَن تعتقد أَني لا أَفي لك بوعْدٍ وعدتك به[3].

قال القاضي أبو محمد: وهذا تأْويل بشع، وليس في الأَلفاظ ما يقتضي أَن نوحاً اعتقد هذا، وعياذاً بالله، وغاية ما وقع لنوح عليه السلام أَن رأَى ترك ابنه معارضاً للوعد فذكَّر به، ودعا بحسب الشفقة ليكشف له الوجه الذي استوجب به ابنه الترك في الغرقى.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

(١) انظر كلامه على الآية في الحجة له (٤/ ٣٤٣).
(٢) البيت للعجاج، كما في المحتسب (٢/ ٣١٠)، وخزانة الأدب للبغدادي (٨/ ٤٣٠).
(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٣٥٠)، بتصرف.

هذه الآية فيها إِنابة نوح وتسليمُه لأَمر الله تعالى واستغفاره، والسؤال الذي وقع النهي عليه[١]، والاستعاذة والاستغفار منه هو سؤال العزم الذي معه محاجة وطلبة ملحّة فيما قد حجب وجه الحكمة فيه، وأَما السؤال في الأُمور على جهة التعلم والاسترشاد فغير داخل في هذا، وظاهر قوله: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ يعم النحويْن من السؤال، فلذلك نبّهت على أَن المراد أَحدهما دون الآخر، والخاسرون: هم المغبونون حظوظَهم من الخير.

وقوله تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ﴾، كان هذا عند نزوله من السفينة مع أَصحابه للانتشار في الأَرض، والسَّلاَم هنا: السلامة والأَمن ونحوه، والبركات: الخير والنمو في كل الجهات، وهذه العِدَةُ تعم جميع المؤمنين إِلى يوم القيامة، قاله محمد بن كعب القرظي[٢].

وقوله: ﴿مِّمَّن مَّعَكَ﴾ أَي: من ذرية من معك ومِنْ نسلهم، فـ(مِن) على هذا هي لابتداءِ الغاية، أَي: مِنْ هؤلاءِ تكون هذه الأُمم، و(مَن) موصولة، وصلتُها ﴿مَّعَكَ﴾ وما يتَقَدَّر معها، نحو قولك: مِمَّن استقَرَّ معك، ونحوه، ثم قطع قوله: ﴿وَأُمَمٌ﴾ على وجه الابتداءِ إِذ كان أَمرهم مقطوعاً من الأَمر الأَول، وهؤلاءِ هم الكفار إِلى يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ الآية، إِشارة إِلى القصة، أَي: هذه من الغيوب التي تقادم عهدها ولم يبق علمها إِلا عند الله تعالى، ولم يكن علمها أَو علم أَشباهها عندك ولا عند قومك، ونحن نوحيها إِليك لتكون لك هداية وأُسوة فيما لقيه غيرك من الأَنبياءِ، وتكون لقومك مثالاً وتحذيراً، لئلا يصيبهم إِذا كذبوك مثل ما أَصاب هؤلاءِ وغيرهم من الأُمم المعذبة.

قال القاضي أبو محمد: وعلى هذا المعنى ظهرت فصاحة قوله: ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾، أَي: فاجتهد في التبليغ وجِدَّ في الرسالة واصبر على الشدائد، واعلم أَن العاقبة لك كما كانت لنوح في هذه القصة.

---

(١) في الحمزوية وأحمد٣ ونور العثمانية: «عنه».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٣٥٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٤١).

وفي مصحف ابن مسعود: (منْ قَبْلِ هَذَا القُرْآنِ)[(١)].

قوله عز وجل: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ عطف على قوله: ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ في قصة نوح، وعاد قبيلة، وكانت عرباً فيما يذكر، وهودٌ عليه السلام منهم، وجعله أَخاهُمْ بحسب النسب والقرابة، فإِن فرضناه ليس منهم فالأُخوة بحسب المنشأ واللسان والجيرة، وأَما قول من قال: هي أُخوة بحسب النسب الآدمي، فضعيف.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ بكسر الميم.

وقرأَ ابن محيصن: (يَا قَوْمُ) برفع الميم[(٢)]، وهي لغة حكاها سيبويه[(٣)].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿غَيْرُهُۥٓ﴾ بالرفع على النعت أَو البدل من موضع قوله: ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ﴾.

وقرأَ الكسائي وحده بكسر الراءِ[(٤)] حملاً على لفظ ﴿إِلَٰهٍ﴾، وذلك أَيضاً على النعت أَو البدل، ويجوز «غيرَه» نصباً على الاستثناءِ.

[٣/ ٣٩] و﴿مُفْتَرُونَ﴾: معناه: كاذبون أَفحشَ كذب / في جعلكم الأُلوهية لغير الله تعالى. والضمير في قوله: ﴿عَلَيْهِ﴾ عائد على الدعاءِ إِلى الله تعالى، والمعنى: ما أَجري وجزائي إِلاَّ من عند الله، ثم وصفه بقوله: ﴿ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾، فجعلها صفة رادَّة عليهم في

(١) وهي شاذة لمخالفة الرسم، بل أقرب للتفسير، وقد تابعه عليها في البحر المحيط (٦/ ١٦٦).
(٢) وهي شاذة، وقد تقدمت في سورة المائدة، وانظر عزوها في له الكامل (ص: ٥٣٣).
(٣) الكتاب لسيبويه (٢/ ٢٠٩).
(٤) فهما سبعيتان، كما تقدم في سورة الأعراف.

عبادتهم الأَصنام، واعتقادهم أَنها تفعل[١]، فجعل الوصف بذلك في درج كلامه منبهاً على أَفعال الله تعالى، وأَنه هو الذي يستحق العبادة.

و(فَطَرَ) معناه: اخترع وأَنشأَ.

وقوله: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ توقيف على مُحال القول بأَن غير الفاطر إله.

ويحتمل أَن يريد: أَفَلا تَعْقِلُونَ إِذا لم أَطلب عرضاً من أَعراض الدنيا أَنِّي إِنما أُريد النفع لكم والدَّار الآخرة، والأَول أَظهر.

والاستغفار: طلب المغفرة، وقد يكون ذلك باللسان، وقد يكون بإِنابة القلب وطلب الاسترشاد والحرص على وجود المحجة[٢] الواضحة، وهذه أَحوال يمكن أَن تقع من الكفار، فكأَنه قال لهم: اطلبوا غفران الله بالإِنابة وطلب الدليل في نبوتي، ثم توبوا بالإِيمان من كفركم، فيجيءُ الترتيب على هذا مستقيماً، وإِلا احتيج في ترتيب التوبة بعد الاستغفار إِلى تحيّل كثير، فإِما أَن يكون ﴿تُوبُوٓاْ﴾ أَمراً بالدوام، والاستغفارُ طلبَ المغفرة بالإِيمان، وإِلى هذا ذهب الطبري[٣].

وقال أَبو المعالي في الإِرشاد: «التوبة في اصطلاح المتكلمين هي الندم»، بعد أَن قال: «إِنها في اللغة الرجوعُ»، ثم ركَّبَ على هذا أَن قال: إِن الكافر إِذا آمن ليس إِيمانه توبة، وإِنما توبته ندمُه بعْدُ[٤].

قال القاضي أبو محمد: والذي أَقول: إِن التوبة عقد في تركِ متوبٍ منه يتقدمها علمٌ بفساد المتوب منه وصلاح ما يرجع إِليه، ويقترن بها ندمٌ على فارط المتوب منه لا ينفك

---

(١) في نجيبويه: «تعقل».

(٢) في المصرية: «التوبة»، وفي الأسدية١: «الحكمة»، وفي أحمد٣ ونور العثمانية ونجيبويه: «الحجة» وفي الحمزوية: «المحبة».

(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٣٥٨).

(٤) الإرشاد للجويني (ص: ٤٠٨)، وما بعدها.

منه، وهو من شروطها، فأَقول: إِن إِيمان الكافر هو توبته من كفره لأَنه هو نفس رجوعه.

وتاب في كلام العرب معناه: رجع إِلى الطاعة والأَمثل من الأُمور، وتصَرُّفُ اللفظة في القرآن بـ«إلى» يقتضي أَنها الرجوع لا الندم، وإِنما الندم لاحق لازم للتوبة كما قلنا، وحقيقة التوبة ترك مثل ما تِيب منه عن عزْمة معتقدة على ما فسرناه، والله المستعان.

و﴿مِّدۡرَارٗا﴾ هو بناءُ تكثير[1]، وكان حقه أَن تلحقه هاءٌ، ولكن حذفت على نية النسب، وعلى أَن السَّماءَ المطرُ نفسه، وهو من: درَّ يَدُرُّ.

ومِفْعال قد يكون من اسم الفاعل الذي هو من ثُلاثيّ، ومن اسم الفاعل الذي هو رباعيّ، وقول من قال: إِنه أَلزمُ للرباعيّ غير لازم.

ويُروى أَن عَاداً كان الله تعالى قد حبس عنها المطر ثلاث سنين، وكانوا أَهل حرث وبساتين وثمارٍ، وكانت بلادهم شرق جزيرة العرب، فلهذا وعدهم بالمطر، ومن ذلك فرحهم حين رأَوا العارض وقولهم: ﴿هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾ [الأحقاف: ٢٤].

وحضهم على استنزال المطر بالإِيمان والإِنابة، وتلك عادة الله في عباده، ومنه قول نوح عليه السلام: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾ [نوح ١٠-١١].

ومنه فعل عمر رضي الله عنه حين جعل جميع قوله في الاستسقاءِ ودعائِه استغفاراً فَسُقي، فَسُئِلَ عن ذلك فقال: «لقد استنزلت المطر بمجاديح السماء»[2].

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «تكسير».

(٢) روي من طرق يقوي بعضها بعضاً، هذا الأثر أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٤٩٠٢) وابن أبي شيبة كذلك (٨٤٢٩-٣٠٠٩٩)، وسعيد بن منصور في «سننه» (١٠٩٥)، والطبري (٢٣/ ٢٩٣-٢٩٤)، والطبراني في «الدعاء» (٩٦٤)، والبيهقي في «الكبرى» (٣/ ٣٥١-٣٥٢) من طريق الشعبي، عن عمر رضي الله عنه، به، ورواية الشعبي عن عمر منقطعة كما في «المراسيل» لابن أبي حاتم (٥٩٢) نقلاً عن أبيه وأبي زرعة.

وتابع الشعبي عليه: أبو مروان الأسلمي المدني، اسمه مغيث بن عمرو، وقيل: معتب، ولا يعرف، =

وقوله: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ ظاهره العموم في جميع ما يحسن الله تعالى فيه إلى العباد، وقالت فرقة: كان الله تعالى قد حبس نسلهم، فمعنى قوله: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ أي: الولد، ويحتمل أن خصَّ القوة بالذكر إذ كانوا أقوى العوالم فوعدوا بالزيادة فيما بهروا فيه.

ثم نهاهم عن التولِّي عن الحق والإعراض عن أمر الله.

و﴿مُجْرِمِينَ﴾ حالٌ من الضمير[1] في ﴿تَتَوَلَّوْا﴾.

قوله عز وجل: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾.

المعنى: ما جِئْتَنا بآية تَضْطَرُّنا إلى الإيمان بك، ونفوا أن تكون معجزاته آية بحسب ظنهم وعماهم عن الحق، كما جعلت قريش القرآن سحراً وشعراً ونحو هذا، وقد قال رسول الله ﷺ: «مَا من نبي إلا وقد أُوتي من الآيات ما مثلُه آمن عليه البشر» الحديث[2].

= وقيل: له صحبة، ولا يصح، أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٤٢٨)، وابن المنذر في «الأوسط» (٤/ ٣١٥) من طريق عيسى بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي، عن أبيه، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ نَسْتَسْقِي فَمَا زَادَ عَلَى الاسْتِغْفار.
وأخرجه ابن سعد (٣/ ٢٤٤-٢٤٥) والبيهقي (٣/ ٣٥١) من طريق أبي وجزة السعدي، عن أبيه، قال: خرج عمر رضي الله عنه يستسقي، فجعل لا يزيد على الاستغفار، فقلت: ألا يتكلم لما خرج له، ولا أعلم أن الاستسقاء هو الاستغفار، فمطرنا. ولم أر من ترجم لوالد أبي وجزة ولم أعرفه.
ومجاديح جمع مِجْدَح، وهو نجم من النجوم، وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر، فجعل الاستغفار مشبهاً بالأنواء، مخاطبة لهم بما يعرفونه، لا قولاً بالأنواء.اهـ. من «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٢٤٣).

(١) في المطبوع: «الضير»، وهو سبق قلم.

(٢) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهذا يقتضي بأَن هوداً وغيره من الرسل لهم معجزات وإِن لم يُعَيّن لنا بعضها.

وقولُهم: ﴿عَن قَوۡلِكَ﴾، أَي: لا يكون قولك سبب تركنا إِذْ هو مجرد عن آية.

وقولُهم: ﴿إِن نَّقُولُ﴾ الآية، معناه: ما نقول إِلا أَن بعض الآلهة لما سَبَبْتَها وضلَّلْتَ عبدتها أَصابك بجنون، يقال: عَرَّ يَعُرُّ، واعْتَرى يعتَري: إِذا أَلَمَّ بالشيءِ، فحينئذ جاهرهم هود عليه السلام بالتبري من أَوثانهم، وحضَّهم على كيده هم وأَصنامُهم، ويُذكر أَن هذه كانت له معجزة، وذلك أَنه حرَّض جماعتهم عليه مع انفراده وقوّتهم وكفرهم، فلم يقدروا على نيله بسوءٍ.

و﴿تُنظِرُونِ﴾ معناه: تؤخروني، أَي: عاجلوني بما قدرتم عليه.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ الآية، المعنى: إن توكلي[1] على الله الذي هو ربِّي وربكم ـ مع ضعفي وانفرادي وقوتكم وكثرتكم[2] ـ يمنعني منكم ويحجز بيني وبينكم، ثم وصف قدرة الله تعالى وعظم ملكه بقوله: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾، وعبَّر عن ذلك بالناصية إِذ هي في العرف حيث يَقبض القادر المالك ممن يقدر عليه، كما يقاد الأَسير والفرس ونحوه، حتى صار الأَخذ بالناصية عُرْفاً في القدرة على الحيوان، وكانت العرب تجزُّ ناصية الأَسير الممنون عليه لتكون تلك علامة أَنه قُدِر عليه وقُبض على ناصيته.

والدَّابة: جميع الحيوان، وخُص بالذكر إِذ هو صنف المخاطبين والمتكلم.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ يريد أَن أَفعال الله عزَّ وجلَّ هي في غاية الإِحكام، وقوله الصدق، ووعده الحق، فجاءَت الاستقامة في كل ما ينضاف إِليه عزَّ وجلَّ، فعبّر عن ذلك بقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ على تقدير مضاف.

قوله عز وجل: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ

---

(١) في المطبوع: «إني توكلت».

(٢) في المصرية: «وكفركم».

بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾.

/ قرأَ الجمهور: ﴿تَوَلَّوْا﴾ بفتح اللام والتاءِ على معنى: تَتَوَلَّوا. [٣/ ٤٠]

وقرأَ عيسى الثقفي والأَعرج: (تُوَلُّوا) بضم التاءِ واللام[1].

و(إِنْ) شرط والجواب في الفاءِ وما بعدها من قوله: ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم﴾، والمعنى: إِنه ما عليَّ كبيرُ هَمٍّ منكم إِن توليتم، فقد برئت ساحتي بالتبليغ، وأَنتم أَصحاب الذنب في الإِعراض عن الإيمان، ويحتمل أَن يكون ﴿تَوَلَّوْا﴾ فعلاً ماضياً، ويجيءُ في الكلام رجوع من غيبة إِلى خطاب، أَي: فقل: قد أَبلغتكم.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ﴾ بضم الفاءِ على معنى الخبر بذلك، وقرأَ عاصم فيما روى هُبيرة عن حفص: (وَيَسْتَخْلِفْ) بالجزم[2] عطفاً على موضع الفاءِ من قوله: ﴿فَقَدْ﴾.

وقوله: ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ يحتمل من المعنى وجهين:

أَحدهما: ولا تضُرُّونَهُ بذهابكم وهلاككم شيئاً، أَي: لا ينتقص ملكه ولا يختل أَمره، وعلى هذا المعنى قرأَ عبد الله بن مسعود: (ولا تنقصونه شيئاً)[3].

والمعنى الآخر: ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ﴾، أَي: ولا تقدرون إِذا أَهلككم على إِضراره بشيءٍ، ولا على الانتصار منه، ولا تقابلون فعله بكم بشيءٍ يضره.

ثم أَخبرهم أَن ربه حَفِيظٌ على كل شيء، عالم به، وفي ترديد هذه الصفات ونحوها تنبيه وتذكير.

---

(١) وهي شاذة وقد تقدم مثلها قريبا في قصة نوح.

(٢) انظر عزوها له في جامع البيان (٣/ ١٢٠٢)، وليست من طرق التيسير.

(٣) شاذة، ولفظها عند الثعلبي (٥/ ١٧٥): «ولا يضره هلاككم إذا أهلككم ولا تنقصونه شيئاً، لأنه سواء عنده كنتم أو لم تكونوا».

والأَمر: واحد الأُمور، ويحتمل أَن يكون مصدر أَمر يأْمُر، أَي: أَمْرُنا للريح أَو لخزنتها ونحو ذلك.

وقوله: ﴿بِرَحْمَةٍ﴾ إما أَن يكون إِخباراً مجرداً عن رحمة من الله لحقتهم، وإِما أَن يكون قصداً إِلى الإِعلام أَن النجاة إِنما كملت[1] بمجرد رحمة الله لا بأعمالهم، فتكون الآية على هذا في معنى قول رسول الله ﷺ: «لا يدخُل أَحدٌ الجنة بعمله»، قالوا: ولا أَنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أَنا إِلا أن يتغمدني الله بفضل منه وبرحمته»[2].

وقوله: ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ يحتمل أَن يريد عذاب الآخرة، ويحتمل أَن يريد: وكانت النجاة المتقدمة من عذاب غليظ، يريد: الريح، فيكون المقصود ـ على هذا ـ تعديد النعمة. ومشهور عذابهم بالريح هو أَنها كانت تحملهم وتهدم مساكنهم وتنسفها، وتحمل الظعينة كما هي، ونحو هذا.

وحكى الزجاج أَنها كانت تدخل في أَبدانهم وتخرج من أَدبارهم وتقطعهم عضواً عضواً[3].

وتعدَّى: ﴿جَحَدُوا﴾ بحرف جر لما نُزِّل منزلة «كفروا»، وانعكس ذلك في الآية بعد هذا[4].

وقوله: ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ شُنعة عليهم، وذلك أَن في تكذيب رسول واحد تكذيب سائر الرسل وعصيانهم، إِذ النُّبُوءَات كلها مجمعة على الإِيمان بالله والإِقرار بربوبيته، ويحتمل أَن يراد هودٌ وآدم ونوح.

---

(١) في المصرية ونجيبويه والتركية: «كانت».

(٢) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) معاني القرآن وإعرابه له (٣/ ٥٧).

(٤) في قوله تعالى: ﴿كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ [هود: ٦٠].

والْعَنِيدُ فَعِيل من عَنَد إذا عَتَا، ومنه قول الشاعر:

إِنِّـي كبيـرٌ لاَ أُطيـقُ العُنَّـدَا[١] .... [الرجز]

أَي: الصعاب من الإبل، وكان التجبُّر والعناد من خُلُق عاد لقوتهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ الآية، حُكِمَ عليهم بهذا الحكم لكفرهم وإِصرارهم حتى حلَّ العذاب بهم.

واللعنة: الإِبعادُ والخِزْي، وقد تُيقِّن أَن هؤلاءِ وافوا على الكفر، فيلعن الكافر الموافي على كفره، ولا يُلعن معيَّنٌ حيٌّ، لا مِنْ كافر ولا من فاسق ولا من بهيمة، كل ذلك مكروهٌ بالأَحاديث[٢].

و﴿وَيَوْمَ﴾ ظرف معناه أَن اللعنة عليهم في الدنيا وفي يوم القيامة، ثم ذكرت العلة الموجبة لذلك وهي كفرهم بربهم، وتعدَّى (كَفَرَ) بغير الحرف إِذ هو بمعنى: جَحدُوا، كما تقول: شكرت لك وشكرتك، وكَفَر نعمتَه وكفر بنعمته.

و﴿بُعْدًا﴾ منصوب بفعل مقدر وهو مقام ذلك الفعل.

قوله عز وجل: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾.

---

(١) بلا نسبة في مجاز القرآن (١/ ٢٩١)، والكنز اللغوي (ص: ٤٧)، وأدب الكاتب (ص: ٤٩١)، والمقتضب (١/ ٢١٨).

(٢) أخرج مسلم (٢٥٩٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «لا ينبغي لصدِّيقٍ أن يكون لعَّاناً»، وعن أبي الدرداءِ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يكونُ اللَّعانُونَ شُفَعاء، ولا شُهداءَ يومَ القِيامةِ». أخرجه مسلم (٢٥٩٨)، وعن عمران بن الحُصَيْنِ رضي الله عنه، قالَ: بينما رسولُ الله ﷺ في بعضِ أسفارِهِ، وامرأةٌ من الأنصارِ على ناقةٍ، فضجِرَتْ فلَعَنَتْهَا، فسمِعَ ذلك رسولُ الله ﷺ فقالَ: «خُذوا ما عليها ودعوها؛ فإنها ملعُونةٌ» قال عمران: فكأنِّي أراهَا الآن تمشي في الناسِ ما يعرِضُ لها أحدٌ. أخرجه مسلم (٢٥٩٥).

التقدير: وأَرسلنا إِلى ثمود، وقد تقدم القول في مثل هذا وفي معنى الأُخوة في قصة هود.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ بغير صرف.

وقرأَ ابن وثاب، والأَعمش: (وَإِلَى ثَمودٍ) بالصرف حيث وقع(١).

فالأُولى على إِرادة القبيلة، والثانية على إِرادة الحيّ، وفي هذه الأَلفاظ الدالة على الجموع ما يكثر فيه إِرادة الحيّ كقُريش وثقيف وما لا يقال فيه: بنو فلان، وفيها ما يكثر فيه إِرادة القبيلة كتميمَ وتغلبَ، أَلا ترى أَنهم يقولون: تَغلب ابنة وائل(٢)، وقال الطِّرِمَّاح:

[الطويل] .... إِذا نَهَلَتْ مِنْهُ تَمِيمٌ وعَلَّتِ(٣)

وقول الآخر:

[المتقارب] تَميمُ بن مُرٍّ وَأَشْياعُهَا(٤) ....

وفيها ما يكثر فيه الوجهان كثمود وسبأ، فالقراءَتان هنا فصيحتان مستعملتان.

وقرأَت فرقة: ﴿غَيْرُهُۥ﴾ برفع الراءِ، وقرأَ الكسائي: ﴿غَيْرِهِ﴾ بكسر الراءِ، وقد تقدم آنفاً(٥).

---

(١) وهي هنا شاذة، انظر عزوها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ٢٣٦)، وقد تقدم الكلام عليها.

(٢) من ذلك قول الأخنس بن شهاب التغلبي كما في المفضليات (ص: ٢٠٦): فوارسها من تغلب ابنة وائل * حماة كماة ليس فيها أشائب، وقول عميرة بن جعل كما في المفضليات (ص: ٢٥٧): كسا الله حيي تغلب ابنة وائل... من اللؤم أظفاراً بطيئاً نصولها.

(٣) صدره: ولو أنّ حرقوصاً يزقّق مسكه، عزاه له في الشعر والشعراء (٢/ ٥٧٢)، ديوان المعاني (١/ ١٧٥)، الصناعتين (ص: ٣٦١).

(٤) عجزه: وكندة حولي جميعاً صبر، وهو لامرئ القيس كما في الشعر والشعراء (١/ ١١٦)، جمهرة اللغة (٢/ ١٠٤٠).

(٥) في أول قصة هود، وفي سورة الأعراف.

و﴿أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أَي: اخترعكم وأَوجدكم، وذلك باختراع آدم عليه السلام، كأَن إنشاءَ آدم إِنشاءٌ لبَنيه، ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ﴾ أَي: اتخذكم عُمّاراً، كما تقول: استكتب واستعمل، وذهب قوم إِلى أنها من العُمْر، أَي: عمَّرَكم.

وقد تقدم مثل قوله: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ أَي: إجابته وغفرانه قريب ممن آمن وأَناب، و﴿مُّجِيبٌ﴾ معناه: بشرط المشيئة.

والظاهر الذي حكاه جمهور المفسرين أَن قوله: ﴿مَرْجُوًّا﴾ معناه: مُسَوّداً، نؤمل فيك أَن تكون سيداً سادّاً مسَدّ الأَكابر، ثم قرَّروه على جهة التوبيخ في زعمهم بقولهم: ﴿أَتَنْهَـٰنَآ﴾، وحكى النقاش عن بعضهم أَنه قال: «معناه: حقيراً»[١].

قال القاضي أبو محمد: فأَما أَن يكون لفظ ﴿مَرْجُوًّا﴾ بمعنى حقير فليس ذلك في كلام العرب، وإِنما يتجه ذلك على جهة التفسير للمعنى، وذلك أَن القصد بقولهم: ﴿مَرْجُوًّا﴾ يكون: لقد كنت فينا سهلاً مرامك قريباً ردُّ أَمرك، مِمَّن لا يظن أَن يَستفحِلَ[٢] من أَمره مثلُ هذا، فمعنى (مرجُوّ) أي: مرجُوٌّ اطِّراحُه وغلبته ونحو هذا، فيكون ذلك على جهة الاحتقار، فلذلك فُسِّر بحقير، ويشبه هذا المعنى قول أَبي سفيان بن حرب: «لَقَدْ أَمِر أَمْرُ ابن أَبي كَبْشَة»[٣] الحديث، ثم يجيءُ قولهم: ﴿أَتَنْهَـٰنَآ﴾ على جهة التوعُّد والاستشناع لهذه المقالة منه.

و﴿مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ يريدون به الأَوثان والأَصنام، ثم أَوجبوا أَنهم في شك من أَمْرِه وأَقاويله، وأَن ذلك الشك يرتابون به زائداً[٤] إِلى مرتبته من الشك.

قال القاضي أبو محمد: ولا فرق بين هذه الحال وبين حالة التصميم على الكفر.

---

(١) نقله عنه في البحر المحيط (٦/ ١٧٥).

(٢) في التركية والأسدية١ والمصرية ونجيبويه والحمزوية: «يستعجل».

(٣) البخاري (٧) في قصة هرقل.

(٤) في نجيبويه: «أبدا».

و﴿مُرِيبٍ﴾ معناه: مُلْبس مُتَّهم(١)، ومنه قول الشاعر:

[الرجز] يا قَوْمِ مَا بالُ أَبِي ذُؤَيْبِ كُنْتُ إذا أَتيْتُهُ مِنْ غَيْبِ
يَشَمُّ عِطْفي ويمَسُّ ثَوْبِي كَأنني أربْتُهُ بِرِيْبِ(٢)

قوله عز وجل: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ / فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾﴾. [٣/ ٤١]

قوله: ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ هو من رؤْية القلب، أَي: أَتدبَّرتم؟ والشرط الذي بعده وجوابُه يسُدّ مَسَدّ مفعوليْ ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾، والبيِّنَةُ: البرهان واليقين، والهاءُ في ﴿بَيِّنَةٖ﴾ للمبالغة، ويحتمل أَن تكون هاءَ تأْنيث، والرحمة في هذه الآية: النُّبُوَّة وما انضاف إِليها، وفي الكلام محذوف تقديره: أَيضُرُّني شكُّكُم(٣)؟ أَو: أَيُمْكنني طاعتكم؟ ونحو هذا مما يليق بمعنى الآية.

وقوله: ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ﴾ معناه: فما تُعطونني فيما أَقتضيه منكم من الإِيمان وأطلبكم(٤) بِهِ من الإِنابة غير تخسير لِأَنفسكم، وهو من الخسارة، وليس التخسير في هذه الآية إِلا لهُم وفي حيّزهم، وأَضاف الزِّيادة إِليه من حيث هو مقتض لأَقوالهم مُوَكَّلٌ بإِيمانهم، كما تقول لمن توصيه: أَنا أُريد بك خيراً وأَنت تُريد بي شرّاً، فكان الوجه البيّن: [أن تقول:](٥) وأَنت تُريد شرّاً، ولكن من حيث كنتَ مُريدَ خير ومُقْتَضٍ ذلك حسُن أَن تضيف الزيادة إِلى نفسك.

---

(١) في أحمد٣: «مبهم».

(٢) الأبيات لخالد بن زُهَيْر الهُذَليّ، كما تقدم في تفسير الآية (٤٥) من سورة التوبة، وفي المطبوع: مالي وأبا ذؤيب.

(٣) في نجيبويه: «شرككم».

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «وآمُرُكم».

(٥) زيادة من الحمزوية ونجيبويه ونور العثمانية.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ ﴾ الآية، اقتضب في هذه الآية ذكْر أَوّل أَمر الناقة، وذلك أَنه رُوي أَنَّ قومه طلبوا منه آية تَضْطَرهم إِلى الإِيمان فأَخرج الله جلَّت قدرَتُه لهم الناقة من الجبل، ورُوي أَنهم اقترحوا تعيين خروج الناقة من تلك الصخرة، فرُوي أَن الجبل تمخَّض كالحامل وانصدع الحجر وخرجت منه ناقة بفصيلها، ورُوي أَنها خرجت عُشراءَ ووضعت بعد خروجها[1]، فوقفهم صالح وقال لهم: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ﴾، ونصب ﴿ءَايَةٗ﴾ على الحال.

وقرأَت فرقة: ﴿تَأۡكُلۡ﴾ بالجزم على جواب الأَمر، وقرأَت فرقة: (تَأْكُلُ)[2] على طريق القطع والاستئناف[3]، أَو على أَنه الحال من الضمير في ﴿فَذَرُوهَا﴾.

وقوله: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾ عامٌّ في العقْر وغيره.

وقوله: ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ﴾ هذا بوحي من الله إِليه أَن قومك إِذا عقروا الناقة جاءَهم عذاب قريب المدة من وقت المعصية، وهي الأَيام الثلاثة التي فهمها صالح عليه السلام من رُغَاءِ الفصيل على جبل القارة، وأَضاف العَقْر إِلى جميعهم لأَن العاقر كان منهم، وكان عن رضىً منهم وتمالُؤ، وعاقرها قدار.

ورُوي في خبر ذلك أَن صالحاً أُوحي إِليه أَن قومك سيعقرون الناقة وينزل بهم العذاب عند ذلك، فأخبرهم بذلك فقالوا: عياذاً بالله أَن نفعل ذلك، فقال: إِن لم تفعلوا أَنتم ذلك أَوشك أَن يولد فيكم من يفعله، وقال لهم: صفة عاقرها أَحمر أَزرق أَشقر، فجعلوا الشُّرط مع القَوَابِلِ وأَمروهم بتفقد الأَطفال، فمن كان على هذه الصفة قُتل.

وكان في المدينة شيخان شريفان عزيزان، وكان لهذا ابن ولهذا بنت، فتصاهروا فَوُلد بين الزوجين قدار على الصفة المذكورة، فهمَّ الشُّرطة بقتله فمنع منه جدّاه حتى

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٨٣) عن عبد العزيز بن رفيع، عن أبي الطفيل من قوله.

(٢) وهي شاذة عزاها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٣٦) لابن أبي عبلة، والأولى هي المتواترة.

(٣) تحرفت في الأسدية١ إلى: «الاستثناء».

كبر، فكان الذي عقرها بالسيف في عراقيبها، وقيل: بالسهم في ضرعها[١]، وهرب فصيلها عند ذلك، فصعد على جبل يقال له: القارة، فَرَغا ثلاثاً، فقال صالح: هذا ميعاد ثلاثة أَيام للعذاب.

وأَمرهم قبل رُغاءِ الفَصيل أَن يطلبوه عسى أَن يصلوا إِليه فيندفعَ[٢] عنهم العذاب به، فراموا الصعود إِليه في الجبل فارتفع الجبل إِلى السماءِ حتى ما تناله الطير، وحينئذ رغا الفصيل[٣].

وقوله: ﴿فِي دَارِكُمْ﴾ هي جمع دارة كما تقول: ساحةٌ وساحٌ وسوحٌ[٤]، ومنه قول أُمَيَّة بن أَبي الصَّلْتِ:

[الوافر] لَـهُ داعٍ بِمَـكَّـةَ مُشْـمَعِـلّ ... وآخَـرُ عِـنْـدَ دَارَتِـهِ يُنَـادِي[٥]

ويمكن أَن يُسمى جميع مسكن الحيّ داراً.

والثلاثة أَيام تعجيزٌ قاسَ الناس عليه الإعذارَ إِلى المحكوم عليه ونحوه.

قال القاضي أبو محمد: وذلك عندي مفترق[٦]، لِأنها في المحكوم عليه والغارم في الشُّفعة ونحوه توسعة، وهي هنا توقيف على الخزي والتعذيب.

وروى قتادة عن ابن عباس أَنه قال: لو صعدتم على القارة لرأَيتم عظام الفصيل[٧].

---

(١) في المصرية: «صدغها»، وفي أحمد٣: «عرضها».

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «فيردّ».

(٣) انظر هذه الروايات في تفسير الطبري (١٥/ ٣٧٦).

(٤) في التركية والمصرية: «ساجة وساج وسوج».

(٥) يمدح عبد الله بن جُدْعان، انظر عزوه له في جمهرة اللغة (١/ ٥٠٢)، والمعاني الكبير (١/ ٣٨٠)، والأغاني (٨/ ٣٤٢).

(٦) في المصرية: «مقبول»، وفي أحمد٣: «مفتقر»، وفي نور العثمانية: «مفترن».

(٧) منقطع، أخرجه الطبري (١٢/ ٤٥٧) وقتادة لم يسمع من ابن عباس.

قوله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

الأَمر جائز أَن يراد به المصدر من أَمر، وجائز أَن يراد به واحد الأُمور.

وقوله: ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ يحتمل أَن يقصد أَن التَّنْجية إِنما كانت بمجرد الرحمة، ويحتمل أَن يكون وصف حالٍ فقط، أَخبر أَنه رحمهم في حال التَّنْجية. وقوله: ﴿مِّنَّا﴾ الظاهر أَنه متعلق بـ﴿بِرَحْمَةٍ﴾، ويحتمل أَن يتعلق بقوله: ﴿نَجَّيْنَا﴾.

وقرأَت فرقة: (وَمِنْ خِزْيٍ يَوْمَئِذٍ) بتنوين (خِزْيٍ) وفتح الميم من (يَوْمَئِذٍ)[1].

وذلك يجوز فيه أَن تكون فتحة الميم إِعراباً، ويجوز أَن يكون بُني الظرفُ لمَّا أُضيف إِلى غير متمكن [فاستفاد منه البناء، وذلك أن الظرف إذا أضيف إلى غير المتمكن][2] فأَنت مُخيّر في الوجهين، والروايتان في قول الشاعر:

عَلَى حين عاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصِّبَا ... وَقُلْتُ: أَلَمَّا أَصْحُ والشَّيْبُ وازِع[3] [الطويل]

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ بإِضافة ﴿خِزْيِ﴾ وكسر الميم من ﴿يَوْمِئِذٍ﴾، وهذا توسع في إِضافة المصدر إِلى الظرف، كما قال: ﴿مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣]، ونحو هذا، وقياسُ هذه القراءَة أَن يقال: سِيرَ عليه يومُئذ، برفع الميم، وهذه قراءَتهم في قوله تعالى: ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ [المعارج: ١١]، و﴿من فزعِ يومئذ﴾ [النمل: ٨٩].

وقرأ عاصم، وحمزة كذلك إِلا في قوله: ﴿مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ فإِنهما نوَّنا العين وفتحا الميم.

---

(١) وهي شاذة، عزاها في البحر المحيط (٦/ ١٧٨) لطلحة وأبان بن تغلب، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٢٣٦)، لآخرين.

(٢) ساقط من المطبوع.

(٣) سبق الاستشهاد بهذا البيت في آخر تفسير سورة المائدة.

واختلف عن نافع في كسر الميم وفتحها، وهويضيف في الوجهين.

وقرأَ الكسائي: ﴿مِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ﴾ بترك التنوين وفتح الميم من ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، وهذا جمعٌ بين الإِضافة وبناءِ الظرف، وقرأَ: ﴿مِّن فَزَعٍ﴾ كعاصم وحمزة[١].

وأَما (إِذٍ) فكان حقها «إِذْ» ساكنة إِلا أَنها من حقّها أَن تليها الجمل، فلما حذفت لها هاهنا الجملة عُوضت بالتنوين.

والإِشارة بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ إِلى يوم التعذيب.

وقوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ الآية، رُوي أَن صالحاً عليه السلام قال لهم حين رغا الفصيل: ستصفرُّ وجوهكم في اليوم الأَول، وتحمرُّ في الثاني، وتسْوَدُّ في الثالث، فلما كان كذلك تكفنوا في الأَنطاع، واستعدوا للهلاك، وأَخذتهم صيحة فيها من كل صوت مهول، صدّعت قلوبهم وأَصابت كل من كان منهم في شرق الأَرض وغربها، إِلا رجلاً كان في الحرم فمنعه الحرم من ذلك، ثم هلك بعد ذلك، ففي مصنف أَبي داود: قيل: يا رسول الله، مَنْ ذلك الرجل؟ قال: «أَبو رُغال»[٢].

[٣/ ٤٢] قال القاضي أبو محمد: وفي / هذا نظر، وخلافه في السِّير[٣].

وذُكِّر الفعل المسند إِلى الصيحة إِذ هي بمعنى الصياح[٤]، وتأْنيثها غير حقيقي، وقيل: جاز ذلك وهي مؤنثة لمَّا فُصل بين الفعل وبينها، كما قالوا: حضر القاضيَ اليوم

---

(١) وكلها سبعية، إلا أن الكسر عن نافع ليس من طرق التيسير، انظر ذلك كله في السبعة لابن مجاهد (ص: ٣٣٦).

(٢) القصة الأولى أخرجها الطبري (١٠/ ٢٩٥-٢٩٦) من طريق معمر، عن قتادة من قوله، وأما حديث أبي رغال فأخرجه أبو داود (٣٠٩٠)، والبيهقي في «الكبرى» (٤/ ١٥٦) من طريق محمد ابن إسحاق، عن إسماعيل بن أمية، عن بجير بن أبي بجير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص به، وبجير بن أبي بجير مجهول كما في «التقريب» (٦٣٦).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٤٧).

(٤) في الأسدية١: «الضجة».

امرأَةٌ، والأَول أَصوب، والصيحة إِنما تجيءُ مستعملة في ذكر العذاب لأَنها فَعْلة تدل على مرّة واحدة شاذة، والصياح [يدل على][١] مصدر متطاول، وشذَّ في كلامهم قولهم: لقيته لقاءَة واحدة، والقياس: لَقْية.

و﴿جَٰثِمِينَ﴾ أَي: باركين[٢] قد صعق بهم، وهو تشبيه بجثوم الطير، وبذلك يشبَّه جثوم الأَثافيّ، وجثوم الرماد.

و﴿يَغْنَوْا﴾ مضارع من غَنِي في المكان[٣] إِذا أَقام فيه في خفضِ عيشٍ، وهي المغاني.

وقرأَ حمزة وحده: ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ﴾ وكذلك في الفرقان، والعنكبوت، والنجم[٤]، وصرفها الكسائي كلَّها وقولَه: ﴿أَلا بعداً لثمودٍ﴾، واختلف عن عاصم، فروى عنه حفص ترك الإِجراءِ كحمزة، ورَوَى عنه أَبو بكر إِجراءَ الأَربعة وتَرْكَه في قوله: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾.

وقرأَ الباقون: ﴿أَلا إِنَّ ثَمُوداً﴾ فصَرفَتْ، ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ غير مصروف، والقراءَتان فصيحتان، وكذلك صرفوا في الفرقان، والعنكبوت، والنجم[٥].

والله الموفق[٦].

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾.

---

(١) زيادة من نجيبويه وأحمد٣، وفي نور العثمانية: «يدب» فقط.

(٢) في الأصل والمطبوع: «باكين».

(٣) في المطبوع: «الكان» وهو خطأ.

(٤) أما في (الفرقان) ففي الآية (٣٨)، وأما في (العنكبوت) ففي الآية (٣٨)، وأما في (النجم) ففي الآية (٥١).

(٥) وكلها سبعية، انظر السبعة لابن مجاهد (ص: ٣٣٧)، والتيسير (ص: ١٢٥)، ويعني بالإجراء الصرف.

(٦) زيادة من الحمزوية.

الرُّسل: الملائكة، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل، وقالت فرقة بدل إِسرافيل[١]: عزرائيل ملك الموت، ورُوي أَن جبريل منهم كان مختصّاً بإِهلاك قرية لوط، وميكائيل كان مختصّاً بتبشير إِبراهيم بإسحاق، وإِسرافيل مختصّاً بإِنجاءِ لوط ومن معه[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذه الآية تقضي باشتراكهم في البشارة بإِسحاق.

وقالت فرقة وهي الأَكثر: البُشْرى هي بإسحاق، وقالت فرقة: البُشرى هي بإِهلاك قوم لوط.

وقوله: ﴿سَلَٰمًا﴾ نصبٌ على المصدر، والعامل فيه فعل مضمر من لفظه كأَنه قال: أسلم سلاماً، ويصح أَن يكون ﴿سَلَٰمًا﴾ حكاية لمعنى ما قالوه لا لِلَفظهم، قاله مجاهد والسدي[٣]، فلذلك عمل فيه القول، كما تقول لرجل قال: «لا إِله إِلا الله»: قلت حقّاً أَو إِخلاصاً، ولو حكيت لفظه لم يصح أَن تُعمل فيه القول.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ حكاية لِلَفْظه، و﴿سَلَٰمٌ﴾ مرتفع إِما على الابتداءِ، والخبر محذوف تقديره: عليكم، وإِما على خبر ابتداءٍ محذوف تقديره: أَمْري سلامٌ.

وهذا كقوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨]، إِما على تقدير: فأَمري صبر جميل، وإِما على تقدير: فصبر جميل أَجمل[٤].

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: ﴿قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌ﴾.

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿قالوا سلاماً قالَ سِلْمٌ﴾، وكذلك اختلافهم في سورة الذاريات[٥].

---

(١) في المطبوع: «إسرائيل»، وهو خطأ.
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٦٥-٥١٥-٥١٦).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٢٤)، معاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٦)، ولم أقف على قول السدي.
(٤) في نور العثمانية والحمزوية ونجيبويه: «أمثل».
(٥) فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٥).

وذلك على وجهين: يحتمل أَن يريد به السلام بعينه، كما قالوا: حلٌّ وحلالٌ، وحرمٌ وحرامٌ، ومن ذلك قول الشاعر:

مَرَرْنَـا فَقُلْنَـا إِيهِ سِـلْمٌ فَسَـلَّمَتْ   كما اكْتَلَّ بالْبَرْقِ الْغَمَامُ اللَّوَائِحُ[1]   [الطويل]

اكْتَلَّ: اتَّخذ إِكْليلاً أَو نحو هذا، قال الطبري: ورُوي: كَمَا انْكَلَّ[2]، ويحتمل أَن يريد بالسلم: ضد الحرب، تقول: نحن سِلْمٌ لكم.

وكان سلام الملائكة دعاءً مرجُوّاً، فلذلك نصب، وحيَّا الخليلُ بأَحسن مما حُيِّي وهو الثابت المتقرر[3]، ولذلك جاءَ مرفوعاً.

وقوله: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ﴾، يصح أَن تكون (مَا) نافية، وفي ﴿لَبِثَ﴾ ضمير إبراهيم، و﴿أَن جَآءَ﴾ في موضع نصب، أَي: بأَن جاءَ، ويصح أَن تكون (مَا) نافية، و﴿أَن جَآءَ﴾ بتأْويل المصدر في موضع رفع بـ﴿لَبِثَ﴾، أَي: ما لبث مجيئُه، وليس في ﴿لَبِثَ﴾ ـ على هذا ـ ضمير إِبراهيم، ويصح أَن تكون (مَا) بمعنى الذي، وفي ﴿لَبِثَ﴾ ضمير إِبراهيم، و﴿أَن جَآءَ﴾ خبر (مَا)، أَي: فلبْثُ إِبراهيم مجيئُه بعجلٍ حنيذ.

وفي أَدب الضيف أَن يُعَجِّل قِرَاه من هذه الآية.

والْحَنِيذُ بمعنى المحنوذ، ومعناه: بعجل مشويٍّ نضج يقطر ماؤُه، وهذا القطر يفصل[4] الحنيذ من[5] جملة المشويات، ولكن هيئة المحنوذ في اللُّغة: الذي يُغَطَّى بحجارة أَو رمل محمي، أَو حائل بينه وبين النار يُغَطَّى به، والـمُعَرَّضُ من الشواءِ: الذي

(١) بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢١)، ومعجم ديوان الأدب (١/ ١٩٤)، وتفسير الثعلبي (٥/ ١٧٧).

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٣٨٢).

(٣) في نجيبويه: «المتقدر».

(٤) في التركية والمصرية وأحمد٣: يفصل.

(٥) في التركية: «على»، وسقطت «جملة» من أحمد٣، والجملة كلها ساقطة من نور العثمانية.

يصفف على الجمر، والـمُهَضَّبُ الشواءُ الذي بينه وبين النار حائل يكون الشواءُ عليه لا مدفوناً به، والتحنيذ في تضمير الخيل هو أن يُغَطَّى الفرس بِجُلٍّ على جُلٍّ[١] ليتصَبَّب عرَقُهُ.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ﴾ الآية، رُوي أنهم كانوا ينكتون بقداح كانت في أَيديهم في اللحم ولا تصل أَيديهم إِليه.

وفي هذه الآية من أَدب الطعام أَن لصاحب الضيف أَن ينظر من ضيفه هل يأْكل أَم لا؟.

قال القاضي أبو محمد: وذلك ينبغي أَن يكون بتلَفُّت ومُسارقة لا بتحديد النظر، فروي أَن أَعرابيّاً أَكل مع سليمان بن عبد الملك، فرأَى سليمان في لقمة الأَعرابي شعرة فقال له: أَزل الشعرة عن لقمتك، فقال له: أَتنظر إِليَّ نظر من يرى الشعرة في لقمتي؟ والله لا أَكلت معك[٢].

و﴿نَكِرَهُمْ﴾ على ما ذكر كثير من الناس معناه: أَنْكرهم، واستشهد لذلك بالبيت الذي نَحلَه أَبو عمرو بن العلاءِ الأَعشى، وهو:

[البسيط] وَأَنْكَرَتْنـي ومـا كَان الَّـذي نَكِـرتْ ... مِنَ الْحَوادِثِ إِلاَّ الشَّيْبَ والصَّلَعَا[٣]

وقال بعض الناس: نَـكِرَ هو مستعمل فيما يُرى بالبصر فينكر، وَأَنْكَرَ هي مستعملة فيما لا يقرر من المعاني، فكأَن الأَعشى قال: وأَنكرتني موَدَّتي وأَدْمتي، ونحوه، ثم جاء بـ«نكِر» في الشيب والصلع الذي هو مرئيٌّ بالبصر، ومن هذا قول أَبي ذُؤَيب:

[الكامل] فَـنَـكِرْنَـهُ فَنَـفَـرْنَ وامْتَـرَسَـتْ بِـهِ ... هوْجـاءُ هادِيـةٌ وهـادٍ جُرْشُـعُ[٤]

---

(١) الجُلُّ: كساءٌ تُغَطّى به الدابة وتصان، كالثوب لِلإنسان.

(٢) القصة في عيون الأخبار (١/ ٣٥٣)، وفيه أن صاحب القصة معاوية وليس سليمان بن عبد الملك.

(٣) تقدم في أول الكتاب أثناء مقدماته.

(٤) انظر عزوه له في المفضليات (ص: ٤٢٤)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٥٤٢)، ومجمل اللغة لابن فارس (ص: ٨٢٧).

والذي خاف منه إبراهيم عليه السلام ما يدل عليه امتناعهم من الأَكل، فَعُرْفُ من جاءَ بِشَرٍّ أَلاَّ يأْكل من طعام المنزول به.

و﴿وَأَوۡجَسَ﴾ معناه: أَحسّ في نفسه خيفة منهم، والوجيس: ما يعتري النفس عند الحذر وأوائل الفزع، فأَمَّنوه بقولهم: ﴿لَا تَخَفۡ﴾، وعلم أَنهم الملائكة.

ثم خرجت الآية إِلى ذكر المرأَة وبشارتها، فقالت فرقة: معناه: قائِمَةٌ خلف ستر تسمع محاورة إبراهيم مع أَضيافه، وقالت فرقة: معناه: قائِمَةٌ في صلاة، وقال السدي: «معناه: قائِمَةٌ تخدم القوم»[١].

وفي قراءَة ابن مسعود: (وهي قائمة وهو جالس)[٢].

قوله: ﴿فَضَحِكَتۡ﴾، قال مجاهد: معناه: «حاضت»[٣]، وأَنشد على ذلك اللغويون:

وَضِحْكُ الأَرَانِبِ فَوْقَ الصَّفَا كَمِثْلِ دَم الجَوْفِ يوْمَ اللِّقَاء[٤]

وهذا القول ضعيف قليل التمكن، وقد أَنكر بعض اللغويين / أَن يكون في كلام [٣/ ٤٣] العرب ضحكت بمعنى حاضت، وقرره بعضهم، ويقال: ضحك الحوض: إِذا امتلأَ وفاض، وردّ الزَّجاج قول مجاهد[٥].

وقال الجمهور: هو الضحك المعروف، واختُلِف، مِمَّ ضَحِكَتْ؟:

فقالت فرقة: ضحكت من تأْمينهم لإِبراهيم بقولهم: ﴿لَا تَخَفۡ﴾.

وقال قتادة: «ضحكت هزؤاً من قوم لوط أَن يكونوا على غفلة وقد نفذ من أَمر الله تعالى فيهم ما نفذ».

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٣٨٩-٣٩٠).
(٢) وهي مخالفة للرسم أقرب للتفسير، انظرها في تفسير الطبري (١٥/ ٣٩٠)، وتفسير الثعلبي (٥/ ١٧٨).
(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٣٩٢)، تفسير الماوردي (٢/ ٤٨٤).
(٤) البيت في تفسير الطبري (١٥/ ٣٩٣)، والمحتسب (١/ ٣٢٣)، بلا نسبة.
(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه له (٣/ ٦٢).

وقال وهب بن مُنَبه: «ضحكت من البشارة بإسحاق»، وقال: هذا مقدم بمعنى التأْخير.

وقال محمد بن قيس: «ضحكت لظنها بهم أَنهم يريدون عمل قوم لوط».

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول خطأٌ لا ينبغي أَن يلتفت إليه، وقد حكاه الطبري(١)، وإِنما ذكرته لمعنى التنبيه على فساده.

وقالت فرقة: ضحكت من فزع إِبراهيم من ثلاثة وهي تعهده يغلب الأَربعين من الرجال، وقيل: المئة.

وقال السدي: «ضحكت من أَن تكون تخدم وإِبراهيم يحتد(٢) ويسعى والأضياف لا يأْكلون»(٣).

وقيل: ضحكت سروراً بصدق ظنها، لأَنها كانت تقول لإِبراهيم: إِنه لا بد أَن ينزل العذاب بقوم لوط. ورُوي أَن الملائكة مسحت العجل فقام حيّاً فضحكت لذلك.

وقرأَ محمد بن زياد الأَعرابي(٤): «فَضَحَكَتْ» بفتح الحاءِ(٥).

وامرأَة إِبراهيم هي سارة بنت هارون بن ناحور، وهو إِبراهيم بن آزر بن ناحور، فهي ابنة عمّه، وقيل: هي أُخت لوط.

قال القاضي أبو محمد: وما أَظن ذلك إِلا أُخوة القرابة؛ لأَن إِبراهيم هو عمّ لوط فيما رُوي.

---

(١) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (١٥/ ٣٩٠-٣٩١)، بتصرف وتقديم وتأخير.

(٢) في التركية والحمزوية، ونور العثمانية والمصرية: «يحفد».

(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٣٨٩-٣٩٠). بتصرف.

(٤) هو محمد بن زياد بن الأعرابي أبو عبد الله الهاشمي مولى آل العباس بن محمد الهاشمي، كان عجباً في معرفة لغة العرب والأنساب، كوفي الأصل، زاهد، ورع، صدوق، حفظ من الغريب والنوادر ما لم يحفظه غيره، توفي سنة (٢٣١ هـ) تاريخ الإسلام (١٧/ ٣٢٠).

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (١/ ٣٢٣).

وذكر الطبري «أَن إِبراهيم عليه السلام لما قدَّم العجل قالوا له: إِنا لا نأْكل طعاماً إِلا بثمن، فقال لهم: ثمنه أَن تذكروا الله تعالى عليه في أَولٍ وتحمدوه في آخِرٍ، فقال جبريل لأَصحابه: بحقٍّ اتخذ الله هذا خليلاً»[1].

وقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا﴾، أَضاف فعل الملائكة إِلى ضمير اسم الله تعالى إِذ كان ذلك بأَمره ووحيه، وبشر الملائكةُ سارة بِإِسْحاقَ وبأَن إِسحاق سيلد يعقوب، ويُسَمّى ولَدُ الولدِ: الْوَلَدَ من الوراءِ، وهو قريب من معنى «وراء» في الظرف، إِذْ هو ما يكون خلْف الشيءِ وبعدَه، ورأَى ابن عباس رجلاً معه شاب، فقال له: من هذا؟ فقال له: ولد ولدي، فقال: هو ولدك من الوراءِ، فغضب الرجل، فذكر له ابن عباس الآية[2].

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، والكسائي: «يعْقُوبُ» بالرفع على الابتداءِ والخبر المقدم، وهو على هذا داخل في البشرى، وقالت فرقة: رفعه على القطع بمعنى: ومن وراءِ إسحاق يحدث يعقوب، وعلى هذا لا يدخل في البشارة.

وقرأَ ابن عامر وحمزة: ﴿يَعْقُوبَ﴾ بالنصب، واختلف عن عاصم[3].

فمنهم من جعله معطوفاً على (إسحاق) إِلا أَنه لم ينصرف، واستسهل هذا القائل أَنْ فرق بين حرف العطف والمعطوف بالمجرور، وسيبويه لا يجيز هذا إِلا على إِعادة حرف الجر، وهو كما تقول: مَرَرت بزيدٍ اليوم وأَمسِ عمرٍو، فالوجه عنده: وأَمسِ بعمرٍو، وإِذا لم يُعَد ففيه كبير قبح، والوجه في نصبه أَن ينتصب بفعل مضمر تدل عليه

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٣٩٠)، بتصرف.

(٢) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٢/ ٤٨٠) من طريق عبد العزيز بن أبان السعيدي، عن سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وعبد العزيز بن أبان متروك، وأخرجه ابن أبي حاتم (١١٠٢٤) في تفسيريهما من طريق أبي أحمد الزبيري، عن نصر، عن حبيب به، ولم أعرف نصراً شيخ أبي أحمد الزبيري.

(٣) فروى حفص النصب، وشعبة الرفع، انظر: التيسير (ص: ١٢٥)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ٣٣٨).

البشارة وتقديره: ومِن وراءِ إِسحاق وهبنا يعقوب، وهذا رجَّحه أَبو عليّ[(١)].

قال القاضي أبو محمد: ورُوي أَن سَارَة كانت في وقت هذه البشارة بنت تسع وتسعين سنة، وإِبراهيم ابن مئة سنة.

وهذه الآية تدل على أَن الذبيح هو إسماعيل، وأَنه أَسَنُّ من إسحاق، وذلك أَن سارَة كانت في وقت إِخدام الملك الجائر هاجر أُم إِسماعيل امرأَة شابة جميلة حسبما في الحديث[(٢)]، فاتخذها إِبراهيم عليه السلام أُمَّ ولد فغارت لها سارَة، فخرج بها وبابنها إِسماعيل من الشام على البراق، وجاءَ من يومه مكة فتركها حسبما في السير[(٣)]، وانصرف إِلى الشام من يومه، ثم كانت البشارة بإسحاق وسارَة عجوز مُتَجَالَّة.

وأَما وجه دلالة الآية على أَن إسحاق ليس بالذبيح فهو أَن سارة وإِبراهيم بُشِّرا بإسحاق وأَنه يولد له يعقوب، ثم أُمر بالذبح حين بلغ ابنه معه السعي، فكيف يؤْمر بذبح ولدٍ قد بُشِّر أَنه سيولد لابنه ذلك؟ وأَيضاً فلم يقع قط في أَثر أَن إسحاق دخل الحجاز، وإِجماعُ أَنَّ أَمْرَ الذبح كان بمنًى[(٤)].

ويؤيد هذا الغرض قول رسول الله ﷺ: «أَنا ابن الذبيحين»[(٥)]، يريد أَباه عبد الله

(١) انظر كلامه، ونقله عن سيبويه في الحجة للقراء السبعة (٤/ ٣٦٥).

(٢) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٢٢١٧)، ومسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر قصة إسماعيل وهاجر في أول سيرة ابن هشام (١/ ٥).

(٤) انظر وجه الدلالة من الاية على أن الذبيح إسماعيل في: تفسير الطبري (٢١/ ٨٥)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٥٣).

(٥) لا أصل له بهذا اللفظ من قول النبي ﷺ، وقد جاء عند الطبري (١٩/ ٥٩٧-٥٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٥٤) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٦/ ٢٠٠) من طريق عمر بن عبد الرحيم الخطابيّ، عن عبيد بن محمد العُتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان، عن أبيه، قال: ثني عبد الله بن سعيد، عن الصّنَابحي، قال: كنا عند معاوية بن أبي سفيان، فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق بن إبراهيم فقال: بعضهم الذبيح إسماعيل، وقال: بعضهم بل إسحاق الذبيح، فقال: معاوية سقطتم =

وأَباه إِسماعيل، ويؤيده ما نزع إِليه مالك رحمه الله من الاحتجاج برتبة سورة الصافات[١]، فإِنه بعد كمال أَمر الذبيح قال: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات: ١١٢].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا كله موضع معارضات لقائل القول الآخر: إِنَّ الذَّبيح هو إسحاق، ولكن هذا الذي ذكرناه هو الأَرجح، والله أَعلم.

قوله عز وجل: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾.

اختلف الناس في الأَلف التي في قوله تعالى: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾، وأَظهرُ ما فيها أَنها بدل ياءِ الإِضافة، أَصلها: يا وَيْلَتي، كما تقول: يا غُلامَا ويا غَوثا، وقد تُردف هذه الأَلف بهاءٍ في الكلام، ولم يُقرأْ بها.

وأَمال هذه الأَلف عاصم، والأَعمش، وأَبو عمرو[٢].

ومعنى ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ في هذا الموضع: العبارة عما دهم النفس من العجب في ولادة عجوز، وأَصل هذا الدعاءُ بالويل ونحوه في التَّفجع لشدَّةٍ أَو مكروه يدهم[٣] النفس، ثم استعمل بعْدُ في عَجَب يدهم النفس، وقال قوم: إِنما قالت: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ لمَا مرّ بفكرها من أَلم

= على الخبير كنا عند رسول الله ﷺ فأتاه الأعرابي فقال: يا رسول الله، خلفت البلاد يابسة والماء يابساً هلك المال وضاع العيال فعُدْ علي بما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين، فتبسم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه، وقد وقع في إسناده اختلاف، وفيه من لا يعرف، وقال ابن كثير (٧/ ٣٥): حديث غريب جدّاً.اهـ. ويراجع كشف الخفاء للعجلوني (رقم ٦٠٦).

(١) انظر بسط ذلك في البيان والتحصيل (١٨/ ٥٥)، والذي فيه في جامع العتبية وغيره عن مالك أن المفدي إسحاق، وهو ضعيف.

(٢) فيه تخليط، وإنما أمالها حمزة والكسائي، ولورش ودوري أبي عمرو فيها التقليل، انظر: التيسير (ص: ٤٨)، والشاطبية (ص: ٢٦).

(٣) في المطبوع: «يهم».

الولادة وشدتها، ثم رجعت بفكرها إلى التعجب ونطقت بقولها: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ الآية.

وقرأت فرقة: ﴿ءَأَلِدُ﴾ بتحقيق الهمزتين[1]، وقرأت فرقة بتخفيف الأولى وتحقيق الثانية، وفي النطق بهذه عُسْرٌ، وقرأت فرقة بتحقيق الأُولى وتخفيف الثانية، والتخفيف هنا مدُّها، وقرأت فرقة: ﴿ءَاأَلِدُ﴾ بتحقيق الهمزتين ومدة بينهما[2].

والعجوز: الـمُسِنَّة، وقد حكى بعض الناس أن العرب تقول: العجوزة، والبعل: الزوج.

و﴿شَيْخًا﴾ نصب على الحال، وهي حالٌ من مُشار إليه لا يستغنى عنها لأنها مقصودُ الإِخبار، وهي لا تصح إلاَّ إذا لم يقصد المتكلم التعريف بذي الحال، مثل أَن يكون المخاطب يعرفه، وأَما إِذا قصد التعريف به لزم أَن يكون التعريف في الخبر قبل الحال وتجيءُ الحال على بابها مستغنًى عنها، ومثال هذا قولك: هذا زيد قائماً، إذا أَردت التعريف بزيد، أَو كان معروفاً وأَردت التعريف بقيامه، وأَما إِن قصد المتكلم أَن زيديته إِنما هي ما دام قائماً فالكلام لا يجوز.

[٣/ ٤٤] وقرأ الأعمش: (وَهَذَا بَعْلِي شَيْخٌ)، قال / أَبو حاتم: وكذلك في مصحف ابن مسعود[3]، ورفْعه على وجوه:

منها: أَنه خبر بعد خبر كما تقول: هذا حلو حامض.

ومنها: أَن يكون خبر ابتداءٍ مضمر تقديره: هو شيخ.

---

(١) في الأسدية١: «بتخفيف»، وفي نور العثمانية: «بين الهمزتين».

(٢) لم يصنع شيئاً، وحاصل مذاهب السبعة فيها بعد اتفاقهم على تحقيق الأولى: تسهيل الثانية مع الإدخال لقالون وأبي عمرو، وبدونه لابن كثير وورش، وله أيضاً إبدالها ألفاً، ولهشام الإدخال مع تحقيق الثانية وتسهيلها، والباقون بالتحقيق، البدور الزاهرة (ص: ١٥٧).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها لابن مسعود في المصاحف (ص: ١٧٨)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ١٢)، والكتاب لسيبويه (٢/ ٨٣)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٣٨)، وللأعمش مع الأوجه الأربعة في المحتسب (١/ ٣٢٤).

ورُوي أَن بعض الناس قرأَه: (وهَذَا بَعْلي هَذَا شَيْخٌ)، وهذه القراءَة شبيهة بهذا التأْويل[١].

ومنها: أَنه بدل من بَعْلِي.

ومنها أَن يكون قولها: ﴿بَعۡلِي﴾ بدلاً من (هذا)، أَو عطفَ بيان عليه، ويكون (شَيْخٌ) خبرَ (هذا).

ويقال: شيخٌ وشيْخةٌ، وبعض العرب يقول في المذكَّر والمؤنث: شيخ، ورُوي أَن سَارَة كانت وقت هذه المقالة من تسع وتسعين سنة، وقيل: من تسعين، قاله ابن إسحاق[٢]، وقيل: من ثمانين، وكذلك قيل في سن[٣] إِبراهيم: إِنه كان مئة وعشرين سنة، وقيل: مئة سنة، وغير ذلك مما يحتاج إِلى سند.

والضمير في قوله: ﴿قَالُوٓاْ﴾ للملائكة، وقوله: ﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أَن يريد واحدَ الأُمور، أَي: من الولادة في هذه السن، ويحتمل أَن يريد مصدر أَمَـرَ، أَي: مما أَمر الله به في هذه النازلة.

وقوله: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾، يحتمل اللفظ أَن يكون دعاءً وأَن يكون إِخباراً، وكونه إِخباراً أَشرف لأَن ذلك يقتضي حصول الرحمة والبركة لهم، وكونه دعاءً إِنما يقتضي أَنه أَمر يُتَـرَجَّى ولم يتحصل بعد.

ونصب ﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ على الاختصاص، هذا مذهب سيبويه[٤].

ولذلك جَعَل هذا والنصبَ على المدح في بابين، كأَنه ميَّز النصب على المدح

---

(١) ولعلها من غرائب الشيخ، وفي تهذيب اللغة (٢/ ٢٥٠) في توجيه القراءة السابقة: كأنك قلت: هذا بعلي، هذا شيخ.

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٣٩٨)، وتفسير الماوردي (٢/ ٤٨٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٥٦).

(٣) من أحمد٣ والحمزوية.

(٤) الكتاب لسيبويه (٢/ ٢٣٦).

بأَن يكون المنتصب لفظاً يتضمن بنفسه مدحاً، كما تقول: هذا زيد عاقلَ قومه، وجعل الاختصاص إِذا لم يتضمن اللفظة ذلك، كقوله: «إِنَّا معاشرَ الأَنبياءِ»(١)، و: إِنَّا بني نَهْشَلٍ(٢).

قال القاضي أبو محمد: ولا يكون الاختصاص إِلا بمدح أَو ذم، لكن ليس في نفس اللفظة المنصوبة.

وهذه الآية تعطي أَن زوجة الرجل من أَهل بيته لأَنها خوطبت بهذا، فيقْوى القول في زوجات النبي ﷺ بأَنهن من أَهل بيته الذين أَذهب الله عنهم الرجس، بخلاف ما تذهب إِليه الشيعة، وقد قاله أَيضاً بعض أَهل العلم، قالوا: أَهل بيته: الذين حُرموا الصدقة(٣).

والأَول أَقوى، وهو ظاهر جليّ من سورة الأَحزاب؛ لأَنه ناداهن بقوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾، ثم بقوله: ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب:٣٢-٣٣].

قال القاضي أبو محمد: ووقع في «البخاري» عن ابن عباس قال: «أَهْل بيته: الذين حرموا الصدقة بعده»(٤)، فأَراد ابن عباس: أَهل بيت النسب الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: «إِن الصدقة لا تحل لأَهل بيتي، إِنما هي أَوساخ الناس»(٥).

والبيت في هذه الآية، وفي سورة الأَحزاب بيتُ السكنى، ففي اللفظ اشتراك(٦) ينبغي أَن يُتَحَسَّسَ إِليه، ففاطمة رضي الله عنها من أَهل بيت محمد ﷺ بالوجهين، وعلي رضي الله عنه بالواحد، وزوجاته بالآخر.

---

(١) أخرج عبد بن حميد (٦٢٤)، وابن حبان (١٧٧٠) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرنا معاشر الأنبياء أن نؤخر سحورنا، ونمسك بأيدينا على شمائلنا في الصلاة».

(٢) تمامه: إِنَّا بَني نَهْشَلٍ لا نَدَّعي لأبٍ * عنهُ ولا هُوَ بالأَبْنَاءِ يَشْرِينَا، وهو لنهشل بن حري النهشلي كما في الشعر والشعراء (٢/ ٦٢٢)، وسماه في عيون الأخبار (١/ ٢٨٧) بشامة، ونسبه في خزانة الأدب (٨/ ٣١٢): ابن حزن، وكناه في الكامل (١/ ٩٥) أبا مخزوم.

(٣) انظر هذا القول في تفسير الإمام الشافعي (٢/ ٩٧٤)، وسيأتي مزيد كلام في سورة الأحزاب.

(٤) لم أقف عليه في البخاري، لكن رواه مسلم (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم.

(٥) صحيح مسلم، أخرجه برقم (١٠٧٢).

(٦) في نجيبويه زيادة: «لا».

وأَما الشيعة فيدفعون الزوجات بغضاً في عائشة رضي الله عنها.

و﴿حَمِيدٌ﴾ أَي: أَفعاله تقتضي أَن يُحْمد، ﴿مَّجِيدٌ﴾ أَي: متصف بأَوصاف العلوّ، ومَجُد الشيءُ: إذا حسنت أَوصافه[١].

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾.

الرَّوْعُ: الفزع والخيفة التي تقدم ذكرها، وكان ذهابه بإِخبارهم إِياه أَنهم ملائكة.

والْبُشْرى: يحتمل أَن يريد الولد، ويحتمل أَن يريد البشرى بأَن المراد غيره، والأَول أَبين.

وقوله: ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ فعل مستقبل جائز أَن يسُدّ مسَدَّ الماضي الذي يصلح لجواب ﴿لَمَّا﴾، لا سيما والإِشكال مرتفع بمُضيّ زمان الأَمر ومعرفة السامعين بذلك.

ويحتمل أَن يكون التقدير: ظلَّ ـ أَو أَخذ ونحوه ـ يجادلنا، فحذف اختصاراً لدلالة ظاهر الكلام عليه.

ويحتمل أَن يكون قوله: ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ حالاً من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾، أَو من الضمير في قوله: ﴿وَجَآءَتْهُ﴾، ويكون جواب (لمَّا) في الآية الثانية: قُلْنا: يا إبرهيمُ أعرِضْ عن هَذا، واختار هذا أَبو عليّ[٢].

والمجادلة: المقابلة في القول والحُجج، وكأَنها أَعم من المخاصمة، فقد يجادل من لا يخاصم كإِبراهيم.

وفي هذه النازلة وُصِف إِبراهيم بالحلم، قيل: إِنه لم يغضب قط لنفسه إِلا أَن يغضب لله، والحلم: العقل إِذا انضاف إِليه أَناةٌ واحتمال.

(١) في نجيبويه: «أفعاله».

(٢) لم أقف له على شيء في تفسير هذه الآية، فلعله في كتبه التي لم تتوفر بعد.

والأَوَّاه معناه: الخائف الذي يكثر التأَوّه من خوف الله تعالى، ويروى أَن إِبراهيم عليه السلام كان يُسمع وجيبُ قلبه من الخشية، قيل: كما تُسمع أَجنحة النسور، وللمفسرين في الأَوّاه عبارات كلها ترجع إلى ما ذكرته وتلزمه.

والـمُنيبُ: الرَّجّاع إِلى الله تعالى في كل أَمره.

وصورة جدال إِبراهيم عليه السلام كانت أَن قال إِبراهيم: إِن كان فيهم مئة مؤمن أَتعذبونهم؟ قالوا: لا، قال: أَفَتِسْعون؟ قالوا: لا، قال: أَفثمانون؟ فلم يزل كذلك حتى بلغ خمسة ووقف عند ذلك، وقد عد في بيت لوط امرأَته فوجدهم خمسة[١] بها، فطمع في نجاتهم ولم يشعر أَنها من الكفرة، وكان ذلك من إِبراهيم حرصاً على إِيمان تلك الأُمة ونجاتها.

وقد كثر اختلاف رواة المفسرين لهذه الأَعداد في قول إِبراهيم عليه السلام، والمعنى كله نحو مما ذكرته.

وكذلك ذكروا أَن قوم لوط كانوا أَربع مئة أَلف في خمس قرى، وقالت فرقة: المراد: يُجادِلُنا في مؤمني قوم لوط، وهذا ضعيف.

وأَمْرُهُ بالإِعراض عن المجادلة يقتضي أَنها إِنما كانت في الكفرة حرصاً عليهم، والمعنى: قلنا: يا إِبراهيم أَعرض عن المجادلة في هؤلاءِ القوم والمراجعة فيهم، فقد نفذ فيهم القضاءُ، و﴿جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾، والأَمر هنا: واحد الأُمور بقرينة وصفه بالمجيءِ، فإِن جعلناه مصدر أَمَرَ قدرنا حذف مضاف، أَي: قد[٢] جاءَ مقتضى أَمْر ربّك، ونحو هذا، وقوله: ﴿ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ﴾ ابتداءٌ وخبر، جملة في موضع خبر (إِنَّ)، وقيل: ﴿ءَاتِيهِمۡ﴾ خبر (إِنَّ) فهو اسم فاعل معتمد، و﴿عَذَابٌ﴾ فاعل بـ﴿ءَاتِيهِمۡ﴾.

(١) في المطبوع: «ستة».
(٢) من أحمد٣ ونور العثمانية والحمزوية.

وهذه الآية مقتضية أَن الدعاءَ إِنما هو أَن يوفق الله الداعي إِلى طلب المقدور، فأَما الدعاءُ في طلب غير المقدور فغير مُجْد ولا نافع.

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى / بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾. [٣/ ٤٥]

الرسل هنا هم الملائكة الذين كانوا أَضياف إِبراهيم عليه السلام، وذلك أَنهم لما خرجوا إِلى بلد لوط ـ وبيْنه وبيْن قرية إِبراهيم ثمانية أَميال ـ وصلوه، فقيل: وجدوا لوطاً في حرث له.

وقيل: وجدوا ابنته تستقي ماءً في نهر سدوم، وهي أَكبر حواضر قوم لوط، فسأَلوها الدلالة على من يضيفهم، ورأَت هيئتهم فخافت عليهم من قوم لوط، وقالت لهم: مكانكم، وذهبت إِلى أَبيها فأَخبرته، فخرج إِليهم، فقالوا له: نريد أَن تضيفنا الليلة، فقال لهم: أَوما سمعتم بعمل هؤلاءِ القوم؟ فقالوا: وما عملهم؟ فقال: أَشهد بالله لَهُمْ شرٌّ[1] قوم في الأرض، وقد كان الله عزَّ وجلَّ قد قال للملائكة: لا تعذبوهم حتى يشهد عليهم لوط أَربع شهادات، فلما قال لوط هذه قال جبريل لأَصحابه: هذه واحدة، وتكرر القول بينهم حتى كرَّرَ لوط الشهادة أَربع مِرار، ثم دخل لوط بهم المدينة، وحينئذ ﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾، أَي: أَصابه سوءٌ.

و﴿سِيٓءَ﴾ فعل بُني للمفعول، والذَّرْعُ: مصدر مأْخوذ من الذراع، ولما كان الذراع موضع قوة الإِنسان قيل في الأَمر الذي لا طاقة له به: ضاق بهذا الأَمر ذِرَاعُ

---

(١) في نجيبويه: «إنهم لشر».

فلان، وذَرْعُ فلان، أَي: حيلته بذراعه، وتوسعوا في هذا حتى قلبوه فقالوا: فلان رحبُ الذِّراع، إِذا وصفوه بالقدرة[(١)]، ومنه قول الشاعر:

[السريع] يـا سـيِّداً مـا أَنْـتَ مِـنْ سَـيِّد   مُوَطَّأَ الأَكنَـافِ رحْب الذِّرَاع[(٢)]

وقوله: ﴿هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٌ﴾ أَشار به إِلى ما كان يتخوفه من تعدّي قومه على أَضيافه واحتياجه إِلى المدافعة مع ضعفه عنها.

وعَصِيبٌ بناءُ اسم فاعل معناه: يعصب الناس بالشَّرّ كما يعْصب الخابط السَّلمة إِذا أَراد خبطها ونفض ورقها، ومنه قول الحجاج في خطبته: «ولأَعْصِبَنَّكُم عصْب السَّلَمة»[(٣)]، فهو من العصابة، ثم كثر وصفهم اليوم بعصيب، ومنه قول الشاعر وهو عديّ بن زيد:

[الوافر] وكنـتُ لِـزَازَ خَصْمِك لَـمْ أُعَرِّدْ   وقَدْ سـلَكُوكَ في يَوْمٍ عَصِيبِ[(٤)]

ومنه قول الآخر:

[الطويل] فَإِنَّـكَ إِلاَّ تُـرْضِ بَكْـرَ بْـنَ وَائِلٍ   يَكُنْ لَكَ يَوْمٌ بِالْعِرَاقِ عَصِيبُ[(٥)]

فعصيب بالجملة: في موضع شديد وصعب الوطأَة، واشتقاقه كما ذكرنا.

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ﴾ الآية، رُوي أَن امرأَة لوط الكافرة لـمّا رأَت

---

(١) في التركية والمصرية ونجيبويه والأسدية١: «باتساع القدرة».

(٢) هو للسفاح بن بكير بن معدان اليربوعي كما في المفضليات (ص: ٣٢١)، والاختيارين (ص: ٣٩٥)، وإِيضاح الشواهد (١/ ٢٥٦).

(٣) البيان والتبيين (ص: ٣٦٦)، وعيون الأخبار (١/ ٢٢٦)، ومقاييس اللغة (٤/ ٢٧٣).

(٤) البيت لعدي بن زيد كما في مجاز القرآن (١/ ٢٩٣)، الجيم (٣/ ٢٠٨)، الأغاني (٢/ ١٠٣)، تفسير الطبري (١٥/ ٤٠٩).

(٥) البيت لوصيلة بن عتبان الشيباني من أبيات مشهورة يقولها لعبد الملك بن مروان، كما في أنساب الأشراف (٨/ ٣٢)، وسماه في الاشتقاق (ص: ٣٥٩) عِتْبان بن وَصِيلة، وكناه في تاريخ دمشق (٦٧/ ٢٥٦) أبا المنهال الخارجي.

الأَضياف ورأَت جمالهم وهيئتهم خرجت حتى أَتت مجلس قومها فقالت: إِن لوطاً أَضاف الليلة فتية ما رُئِي مثلهم جمالاً وكذا وكذا، فحينئذ جاءُوا يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ، ومعناه: يسرعون، والإِهراع هو أَن يسرع أَمْر بالإِنسان حتى يسير بين الخبب والجمز[١]، فهي مشية الأسير الذي يُسرَع به، والطامع المبادر إِلى أَمر يخاف فوته، ونحو هذا، يقال: هرع الرجل وأَهرعه طمع أَو عدو أَو خوف ونحوه.

والقراءَة المشهورة: ﴿يُهۡرَعُونَ﴾ بضم الياء، أَي: يُهرعهم الطمع.

وقرأَت فرقة: (يَهْرعون) بفتح الياءِ[٢]، من هَرَع، ومن هذه اللفظة قول مهلهل:

فَجَاءُوا يُهْرَعونَ وهُمْ أُسَارَى تَقُودُهُمُ عَلَى رَغْم الأُنوفِ[٣] [الوافر]

وقوله: ﴿وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ أَي: كانت عادتهم إِتيان الفاحشة في الرجال، فجاءُوا إِلى الأَضياف لذلك، فقام إِليهم لوط مدافعاً وقال: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾:

فقالت فرقة: أَشار إِلى بنات نفسه وندبهم في هذه المقالة إِلى النكاح، وذلك على أَن كانت سُنَّتهم جواز نكاح الكافر المؤمنة، أَو على أَن في ضمن كلامه أَن يؤْمنوا.

وقالت فرقة: «إِنما كان الكلام مدافعة لم يُرد إِمضاءَه»، رُوي هذا القول عن أَبي عبيدة[٤]، وهو ضعيف، وهذا كما يقال لمن يَنْهَى عن مال الغير: الخنزير أَحَلُّ لك من هذا، وهذا التنطع ليس من كلام الأَنبياء صلى الله عليهم وسلم.

وقالت فرقة: أَشار بقوله: ﴿بَنَاتِي﴾ إِلى النساءِ جملة إِذْ نبيُّ القوم أَبٌ لهم، ويُقَوي

---

(١) وكلاهما ضرب من السير.

(٢) وهي شاذة، عزاها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٣٧) للحسن بن عمران.

(٣) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٥/ ٤١٢)، وتهذيب اللغة (١/ ١٠١)، وتفسير الثعلبي (٥/ ١٨١).

(٤) تفسير القرطبي (٩/ ٧٦)، وليس في مجاز القرآن ما يفيده.

هذا أَن في قراءَة ابن مسعود: (النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأَزْواجُهُ أمهاتُهم وهو أبٌ لهم)[١].

وأَشار أَيْضاً لوط في هذا التأْويل إِلى النكاح.

وقرأَت فرقة هي الجمهور: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ﴾ برفع الراء على خبر الابتداءِ.

وقرأَ الحسن، وعيسى بن عمر، ومحمد بن مروان[٢]، وسعيد بن جبير: (أَطْهَرَ) بالنصب[٣].

قال سيبويه: هو لَحْنٌ، وقال أَبو عمرو بن العلاءِ: احتبى فيه ابن مروان في لحنه[٤].

ووجهه عند من قرأَ بالنصب على الحال بأَن يكون ﴿بَنَاتِى﴾ ابتداءً، و﴿هُنَّ﴾ خبره، والجملة خبر ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾.

قال القاضي أبو محمد: وهو إِعراب مرويّ عن المبرد، وذكره أَبو الفتح، وهو خطأٌ في معنى الآية، وإِنما قوَّم اللفظ فقط، والمعنى إِنما هو في قوله: (أطهرَ)، وذلك قصد أَن يُخبر به، فهي حالٌ لا يُستغنى عنها، كما تقدم في قوله: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢].

والوجه أَن يقال: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾ ابتداءٌ وخبر، و﴿هُنَّ﴾ فصْلٌ، و(أطهرَ) حالٌ، وإِن كان شرط الفصل أَن يكون بين معرفتين ليفصل الكلام من النعت إِلى الخبر، فمن حيث كان الخبر هنا في (أطهر) ساغ القول بالفصل، ولما لم يستسغ ذلك أَبو عمرو ولا سيبويه لحَّنا ابن مروان، وما كان ليذهب عليهما ما ذكر أَبو الفتح.

---

(١) الأحزاب: (٦)، والقراءة المشار لها شاذة مخالفة للرسم وسيأتي بيانها في محلها.

(٢) في الأسدية١: «هارون»، وهو محمد بن مروان السدي، أبو عبد الرحمن الكوفي، صاحب التفسير، ذكره الحافظ أبو عمرو، وقال ورد عنه الرواية في حروف القرآن. غاية النهاية (٢/ ٢٦١)، وانظر: البحر المحيط (٢/ ١).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها لهم في المحتسب (١/ ٣٢٥)، مع التوجيه.

(٤) نقله عنه سيبويه في الكتاب (٢/ ٣٩٦)، دون ذكر الآية، وظاهر المحتسب (١/ ٣٢٥) أن القائل سيبويه.

والضَّيْف: مصدر يوصف به الواحد والجماعة والمذكر والمؤنث.

ثم وبَّخهم بقوله: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾، أي: يَزَعُكم ويردعكم.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ الآية، رُوي أن قوم لوط كانوا قد خطبوا بنات لوط فردّهم، وكانت سُنَّتهم أن من رُدَّ في خطبة امرأة لا تحل له أبداً، فلذلك قالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾[١].

قال القاضي أبو محمد: وبعد أَلَّا تكون هذه المخاطبة[٢]، فوجْه الكلام: إنا ليس لنا إلى بناتك تعلُّق، ولا هُمْ قصدنا، ولا لنا عادة نطلبها في ذلك.

وقولهم: ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ إشارة إلى الأضياف، فلما رأى استمرارهم في غيِّهم وغلبتهم وضعفه عنهم قال على جهة التَّفجُّع والاستكانة: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾.

و﴿أَنَّ﴾ في موضع رفع بفعل مضمر تقديره: لو اتفق أَو وقع ونحو هذا، وهذا مطردٌ في «أَنَّ» التابعة لـ«لَوْ»، وجواب «لو» محذوف، وحذفُ مثل هذا أَبلغ لأَنه يدع السامع ينتهي إلى أَبعد تخيلاته، والمعنى: لفعلتُ كذا وكذا.

وقرأَ الجمهور: ﴿أَوْ ءَاوِيٓ﴾ بسكون الياءِ، وقرأَ شيبة وأَبو جعفر: (أَوْ آويَ)[٣] بالنصب.

التقدير: أَوْ أَن آوِيَ، فتكون (أَنْ) مع (آوي) بتأْويل المصدر، كما قالت مَيْسُون بنت بحدل:

لَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وتَقَرَّ عَيْنِي[٤] .... [الوافر]

(١) لم أقف عليه مسنداً.

(٢) في المطبوع وأحمد٣ ونجيبويه: الخاصية، وفي نور العثمانية: الخاصة.

(٣) وهي شاذة، ليست من طرق النشر، انظر عزوها لهم في المحتسب (١/ ٣٢٦).

(٤) هي ميسون بنت بحدل الكلبية أم يزيد بن معاوية، انظر عزوه لها في حماسة الخالديين (ص: ٨٢)، والمحتسب (١/ ٣٢٦).

[٣/ ٤٦] ويكون ترتيب / الكلام: لو أَن لي بكم قوةً أَوْ أُوِيّاً، وأوى معناه: لجأَ وانضوى.

ومراد لوط عليه السلام بالرُّكن: العشيرة والمنَعة بالكثرة، وبلغ به قبيح فعلهم إِلى هذا مع علمه بما عند الله تعالى، فيروى أَن الملائكة وجَدَت حين قال هذه الكلمات وقالوا: إِن ركنك لشديد[١].

وقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله لوطاً، لقد كان يـأْوي إِلى ركن شديد[٢]، فالعجب منه لم استكان؟»[٣].

قال القاضي أبو محمد: هذا نقد[٤] لَأنْ يلفظ لوطٌ هذه الألفاظ، وإِلا فحالة النبي ﷺ وقت طُرِح عليه سَلَى الجزور[٥]، ومع أَهل الطائف[٦]، وفي غير ما موطن تقتضي مقالة لوط، لكن محمداً ﷺ لم ينطق بشيءٍ من ذلك عزامة منه ونجدة، وإِنما خشي لوط أَن يمهل الله أُولئك العصاة حتى يعصوه في الأَضياف كما أَمهلهم فيما قبل ذلك من معاصيهم فيمن مضى، فتمنى ركناً من البشر يعاجلهم به وهو يعلم أَن الله تعالى من وراءِ عقابهم.

وروي أَن رسول الله ﷺ قال: «لم يبعث الله تعالى بعد لوط نبيّاً إِلاَّ في ثروة من قومه»[٧]، أَي: في منَعَة وعزة.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٥١٣) من قول وهب بن منبه.

(٢) صحيح البخاري، أخرجه (٣٣٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «يَغْفِرُ الله لِلُوطٍ إِنْ كَانَ لَيَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ».

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٥١٠) من طريق الحسن البصري مرسلاً، بنحو هذا اللفظ.

(٤) في المصرية والأسدية ونور العثمانية وأحمد٣: «بعد».

(٥) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٣١٨٥) ومسلم (١٧٩٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٦) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٨١).

(٧) حديث فرد فيه لين، هذا الحديث أخرجه مسدد كما في «إتحاف الخيرة المهرة» (٦/ ٤٧٥)، وأحمد (٢/ ٣٣٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (ص ٢١٢)، والترمذي (٣١١٦)، والبزار في مسنده (٧٩٣٤)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ٣٠٠)، وابن حبان في صحيحه (٦٢٠٦ ٦٢٠٧) =

قوله عز وجل: ﴿قَالُواْ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾.

الضمير في «قالُوا» ضمير الملائكة، ويروى أَن لوطاً لما غلبوه وهموا بكسر الباب وهو يمسكه، قالت له الرُّسل: تنحَّ عن الباب، فتنحَّى وانفتح الباب، فضربهم جبريل عليه السلام بجناحه فطمس أَعينهم وعمُوا، وانصرفوا على أَعقابهم يقولون: النَّجاءَ النَّجَاءَ فعند لوط قوم سحرة، وتوعدوا لوطاً، ففزع حينئذ من وعيدهم، فحينئذ قالوا له: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾، فَأَمِنَ، ذكر هذا النقاش[1].

وفي تفسير غيره ما يقتضي أَن قولهم: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ كان قبل طمس العيون[2].

ثم أَمروه بالسُّرى وأَعلموه أَن العذاب نازلٌ بالقوم، فقال لهم لوط: فعذِّبوهم الساعة، قالوا له: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾، أَي: بهذا أَمر الله، ثم آنسوهُ في قلقه بقولهم: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

وقرأَ نافع وابن كثير: ﴿فَاسْرِ﴾ من سَرَى يَسْرِي: إِذا سار في أَثناءِ الليل.

وقرأَ الباقون: ﴿فَأَسْرِ﴾[3] من أَسْرَى: إِذا سار أَوَّل الليل.

والقِطْع: القِطْعة من الليل، ويحتمل أَن لوطاً أَسْرَى بأَهله من أَول الليل حتى جاوز البلد المقتلع، ووقعت نجاته بِسَحَر، فتجتمع هذه الآية مع قوله: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ

= والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٦١) وغيرهم من طريق محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه به، بنحوه، ومحمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي فيه لين، وفي حديثه عن أبي سلمة كلام، لا سيما إذا انفرد، وقوله: «إلا في ثروة» العدد الكثير.

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٣١).

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٢٥).

﴿نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾ [القمر: ٣٤]، وبيت النابغة جمع بين الفعلين في قوله:

[البسيط] أَسْرَتْ عَلَيْـهِ مـن الجَـوْزَاءِ سَـارِيَةٌ تُزْجِي الشَّـمَالُ عَلَيْهِ جَامِدَ الْبَـرَدِ(١)

فذهب قوم إِلى أَن سَرَى وأَسْرَى بمعنى واحد، واحتجوا بهذا البيت.

قال القاضي أبو محمد: وأَقول: إِن البيت يحتمل أَنهما لِمَعْنَيَيْنِ، وذلك أَظهر عندي، لأَنه قصد وصف هذه الديمة وأَنها ابتدأَت من أَول الليل وقت طلوع الجوزاءِ في الشتاءِ.

وقرأَ ابن كثير وأَبو عمرو: ﴿إِلا امْرَأَتُكَ﴾ بالرفع على البدل من ﴿أَحَدٌ﴾، وهذا هو الأَوجه إِذا اسْتُثني من منفيّ، كقولك: ما جاءَني أَحدٌ إِلاَّ زيدٌ، وهذا هو استثناءٌ من الملْتَفِتِينَ.

وقرأَ الباقون: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾ بالنصب(٢)، ورأَت ذلك فرقة من النحاة الوجهَ في الاستثناءِ من منفيّ، إِذ الكلام المنفي في هذا مستقل بنفسه كالموجَب، فإِذاً هو مثله في الاستقلال، فحكمه حكمه في نصب المستثنى.

وتأَولت فرقة ممن قرأَ: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾ بالنصب أَن الاستثناءَ وقع من الأَهل، كأَنه قال: فأَسْر بأَهلك إِلا امرأَتَكَ، وعلى هذا التأْويل لا يكون إِلا النصب.

وقال أَبو عبيد القاسم بن سلام: «لو كان الكلام: «ولا يلتفتُ» برفع الفعل لصَحَّ الرفع في قوله: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾، ولكنه نهْيٌ، فإِذا استُثنيت المرأَة من ﴿أَحَدٌ﴾ وجب أَن تكون المرأَة أُبيح لها الالتفات فيفسد معنى الآية»(٣).

قال القاضي أبو محمد: وهذا الاعتراض حسَنٌ يلزم الاستثناءَ من ﴿أَحَدٌ﴾ رفَعْتَ التاءَ أَو نصبْتَ، والانفصال عنه يترتب بكلام حُكِي عن المبرد(٤)، وهو أَن النَّهْيَ

---

(١) انظر عزوه له في شرح المعلقات التسع (ص: ٨٨)، ومجاز القرآن (١/ ٢٩٥)، والأغاني (١١/ ٣٥)، وأمالي القالي (١/ ١٢).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٥).

(٣) انظر نقله عنه في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٧٩)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٣٧١).

(٤) مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٣٧٢).

إِنما قُصد به لوط وحده، والالتفات منفي عنهم بالمعنى، أَي: لا تَدَع أَحداً منهم يلتفت، وهذا كما تقول لرجل: لا يقم من هؤلاءِ أَحد إِلَّا زيدٌ، وأُولئِكَ لم يسمعوك، فالمعنى: لا تدع أَحداً من هؤلاءِ يقوم، والقيام بالمعنى منفي عن المشار إِليهم.

قال القاضي أبو محمد: وجملة هذا: أَن لفظ الآية هو لفظ قولنا: لا يقُمْ أَحدٌ إِلا زيدٌ، ونحن نحتاج أَن يكون معناها معنى قولنا: لا يَقُوم أَحدٌ إِلا زيدٌ، وذلك اللفظ لا يرجع إِلى هذا المعنى إِلا بتقدير ما حكيناه عن المبرّد، فتدبره. ويظهر من مذهب أَبي عبيد أَن الاستثناءَ إِنما هو من الأَهل[١].

وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه: (فأَسْر بأَهْلِكَ بِقِطْع من اللَّيل إِلَّا امرأَتك)[٢]، وسقط قوله: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾.

والظاهر في ﴿يَلْتَفِتْ﴾ أَنها من التفات البصر.

وقالت فرقة: هي من: لَفَتَ الشَّيءَ يلفته: إِذا ثَنَاهُ ولَواه، فمعناها: وَلاَ يتَثَبَّط، وهذا شاذ مع صحته.

وفي كتاب الزهراوي أَن المعنى: وَلا يَلْتفت أَحدٌ إِلى ما خلّف بل يخرج مسرعاً مع لوط عليه السلام[٣].

وروي أَن امرأَة لوط لما سمعت الهدة ردّت بصرها وقالت: واقوماه، فأَصابها حجرٌ فقتلها[٤].

وقرأَت فرقة: (الصُّبُحُ) بضم الباءِ[٥].

---

(١) في المطبوع: «إنما هو الأهل».

(٢) وهي شاذة، انظرها في تفسير الطبري (١٥/ ٤٣٢)، وحجة القراءات لأبي زرعة (ص: ٣٤٨)، والهداية لمكي (٥/ ٣٤٤٥).

(٣) نقله عنه في البحر المحيط (٦/ ١٩١).

(٤) تفسير الثعلبي (٥/ ١٨٣).

(٥) وهي شاذة عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٢٣٧) لعيسى البصرة.

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾.

رُوي أَن جبريل عليه السلام أَدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط واقْتلعها ورفعها حتى سمع أَهل السماءِ الدنيا صُراخ الديكة ونُباح الكلاب، ثم أَرسلها معكوسة وأَتبعهم الحجارة من السماءِ، ورُوي أَن جبريل عليه السلام أَخذهم بخوافي[١] جناحه، ويُرْوى أَن مدينة منها نُجِّيت كانت مختصة بلوطٍ عليه السلام يقال لها: زُغَر[٢].

و﴿أَمْرُنَا﴾ في هذه الآية يحتمل أَن يكون مصدراً من: أَمَرَ، ويكون في الكلام حذف مضاف تقديره: مُقْتضي أَمرنا، ويحتمل أَن يكون واحد الأُمور.

والضمير في قوله ﴿عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ للمُدُن، وأُجْري ﴿أَمْطَرْنا عَلَيْهَا﴾ كذلك، والمراد: على أَهلها، ورُوي أَن الحجارة استوفت منهم من كانوا خارج مدنهم حتى قتلتهم / أَجمعين، ورُوي أَنه كان منهم في الحَرَم رجل فبقي حجره معلقاً في الهواءِ [٣/ ٤٧] حتى خرج من الحرم فقتله الحَجَر، و«أَمْطَرَ» أَبداً إِنما يُستعمل في المكروه، و«مطر» يُستعمل في المحبوب، هذا قول أَبي عبيدة[٣].

قال القاضي أبو محمد: وليس كذلك، وقوله: ﴿عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤] يردُّ هذا القول، لأَنهم إِنما ظنُّوه معتاد الرحمة.

وقوله: ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ اختلِف فيه، فقال ابن زيد: «سِجِّيل: اسم السمَاءِ الدنيا»[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، ويردُّه وصفه بمَنْضُودٍ، وقالت فرقة: هو مأْخوذ من لفظ السِّجِلّ، أَي: هي من أَمْرٍ كُتب عليهم.

---

(١) الخوَافي: ريشات أربع إذا ضمَّ الطائر جناحيه خَفِيَتْ، وهي بَعْدَ المناكب.
(٢) في معجم البلدان (٣/ ١٤٣): وزغر قرية بمشارف الشام، وقيل: اسم بنت لوط، عليه السلام، نزلت بهذه القرية فسميت باسمها.
(٣) تفسير الثعلبي (٥/ ١٨٤).
(٤) تفسير الطبري (١٥/ ٤٣٤)، وتفسير الماوردي (٢/ ٤٩٣).

قال القاضي أبو محمد: وهذا بعيد، وقالت فرقة: هو مأْخوذٌ من السَّجْلِ إذا أُرسل الشيْءُ كما يُرسل السَّجْلُ، كما تقول: قالها مُسْجَلَةٌ.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، وقالت فرقة: ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ معناه: من جهنم، لأَنه يقال: سِجِّيلٌ وسِجِّين، حُفظ فيها بدل النون لامٌ، كما قالوا: أُصَيْلالٌ وأُصَيْلانٌ، وقالت فرقة: سِجِّيلٌ معناه: شديد، وأَنشد الطبري في ذلك:

.... ضرْباً تَوَاصَى بِهِ الأَبْطَالُ سِجِّيلاً[1] [البسيط]

والبيت في قصيدة نونية: سِجِّيناً، وقالت فرقة: [سِجِّيلٌ لفظة غير عربية عُبِّر عنها بالعربية][2] وأَصلها: سَنْج وكل[3]، وقيل غير هذا في أَصلها، ومعنى اللفظة: ماءٌ وطينٌ، هذا قول ابن عباس[4]، ومجاهد، وابن جُبير، وعكرمة، والسدي، وغيرهم.

وذهبت هذه الفرقة إِلى أَن الحجارة التي رُمُوا بها كانت كالآجُرّ المطبوخ أَصلها من طين قد تَحَجَّر، نصّ عليه الحسن[5].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول يشبه، وهو الصواب الذي عليه الجمهور.

وقالت فرقة: معنى ﴿سِجِّيلٍ﴾: حجر مخلوطٌ بِطين، أَي: حَجَر وطِينٌ.

قال القاضي أبو محمد: ويمكن أَن يُرَدّ هذا إِلى الذي قبله، لأَن الآجُرّ وما جرى مجراه يمكن أَن يقال فيه: حَجَر وطين، لأَنه قد أَخذ من كل واحد منهما بحظِّه، وهي من طين من حيث هو أَصلها، ومن حَجَر من حيث صلبت.

---

(١) البيت لابن مقبل كما في مجاز القرآن (٢/ ٣١٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٨٠٠).

(٢) في أحمد٣: «سجين أصله لفظة عبر عنها بالعربية وهي غير عربية».

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «وَجِل».

(٤) هذا الأثر أخرجه الطبري (١٢/ ٥٢٧) من طريق السدي عن ابن عباس رضي الله عنه، وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١١٠٤) من طريق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله: حجارة من سجيل يقول: من طين، وكلاهما منقطع.

(٥) انظر الأقوال كلها في تفسير الطبري (١٥/ ٤٣٣)، وما بعدها، بتصرف.

و﴿مَّنضُودٖ﴾ معناه: بعضه فوق بعض، أَي: تتَابَع، وهي صفة لسِجِّيلٍ.

وقال الربيع بن أَنس: «نضده: أَنه في السماءِ منضود مُعَدّ بعضه فوق بعض»(١).

و﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معناه: معلمة بعلامة، فقال عكرمة وقتادة: «إِنه كان فيها بياض وحمرة»(٢).

ويُحكى أَنه كان في كل حجر اسم صاحبه، وهذه اللفظة هي من: سوَّم: إِذا أَعلم، ومنه قول النبي ﷺ يوم بدر: «سَوِّمُوا فقد سَوَّمت الملائكة»(٣). ويحتمل أَن تكون ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ ها هنا بمعنى: مُرْسَلَة، وسَوْمُهَا من الهبوط.

وقوله: ﴿وَمَا هِيَ﴾ إِشارة إِلى الحجارة.

و﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، قيل: يعني قريشاً، وقيل: يريد عموم كل من اتصف بالظلم، وهذا هو الأَصح لأَنه رُوي عن النبي ﷺ أَنه قال: «سيَكُونُ في أُمتي خَسْف ومَسْخ وقَذْف بالحِجَارة»(٤)، وقد ورد أَيضاً حديثٍ أَنَّ هذه الأُمة بِمَنْجَاةٍ من ذلك(٥).

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٤٣٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٦٩).

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٤٣٨)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٦٩).

(٣) مرسل، هذا الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٧٢٢- ٣٥٩١٦-٣٦٦٦٨)، وابن جرير الطبري (٧٧٧٦) وغيرهما من طريق عبد الله بن عون، عن عمير بن إسحاق قال: قال رسول الله ﷺ: «تسوموا؛ فإن الملائكة قد تسومت»، قال: فهو أول يوم وضع الصوف، وعمير بن إسحاق القرشي أبو محمد مولى بني هاشم، روى عن المقداد بن الأسود، وعمرو بن العاص، وأبي هريرة، وكان قليل الحديث، وقال أبو حاتم والنسائي: لا نعلم روى عنه غير ابن عون قال ابن معين: ثقة، وقال أيضاً: لا يساوي حديثه شيئاً، ولكن يكتب حديثه»، وانظر سيرة ابن هشام (٢/ ١٠٢).

(٤) أخرج ابن حبان في «صحيحه» (٦٧٥٩) بإسناد لين من طريق: إبراهيم بن حمزة الزبيري عن كثير ابن زيد عن الوليد بن رباح: عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يكون في أمتي خسف ومسخ وقذف».

(٥) أخرج البخاري (٤٦٢٨) عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» قَالَ: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هَذَا أَهْوَنُ» أَوْ «هَذَا أَيْسَرُ».

وقيل: يعني بـ﴿هِيَ﴾ المدن، ويكون المعنى الإِعلام بأَن هذه البلاد قريبة من مكة، والأَول أَبْين، ورُوي أَن هذه البلاد كانت بين المدينة والشام.

وحكى الطبري في تسمية هذه المدن: «صنعة، وصعوة[١]، وغمرة[٢]، ودوما، وسدوم، وسدوم هي القرية العظمى»[٣].

والله الموفق بمنه وكرمه[٤].

قوله عز وجل: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾.

التقدير: وَإِلى مَدْيَنَ أرسلنا أَخاهُمْ شُعَيْباً، واختلف في لفظة ﴿مَدْيَنَ﴾، فقيل: هي بُقْعة، فالتقدير على هذا: وإِلى أَهل مدين، كما قال: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، وقيل: كان هذا القطر في ناحية الشام، وقيل: مَدْيَن اسم رجل كانت القبيلة من ولده فسُمِّيت باسمه، ومَدْيَن لا ينصرف في الوجهين، حكى النقاش أَن مَدْيَن هو ولد إِبراهيم الخليل لصلبه[٥].

قال القاضي أبو محمد: وهذا بعيد.

وقد قيل: إِن شُعَيْباً عربي، فكيف يجتمع هذا وليس للعرب اتصال بإِبراهيم إِلَّا من جهة إِسماعيل فقط؟.

ودعاءُ شعيب إِلى عبادة الله يقتضي أَنهم كانوا يعبدون الأَوثان، وذلك بَيِّنٌ من

(١) في المصرية والتركية والحمزوية: «صعدة».
(٢) في المطبوع: «وعثرة»، وفي العلمية: «وعمزة». وفي التركية والحمزوية والمصرية: «وعمرة».
(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٤٤٣)، وانظر فيها أسماء القرى حسب روايته.
(٤) هذه الجملة زيادة من الحمزوية.
(٥) لم أقف عليه.

قولهم فيما بعد، وكُفْرُهم هو الذي استوجبوا به العذاب، لا معاصيهم، فإِن الله لم يعذب قطُّ أُمَّة إِلَّا بالكفر، فإِن انضافت إِلى ذلك معصية كانت تابعة، وأَعني بالعذاب عذاب الاستئصال العام، وكانت معصية هذه الأُمة السيئة[١] الشنيعة أَنهم كانوا تواطؤوا أَن يأْخذوا ممن يَرِدُ عليهم من غيرهم وافياً ويُعطوا ناقصاً في وزْنهم وكيْلهم، فنهاهم شُعيب بوحي من الله تعالى عن ذلك، ويظهر من كتاب الزجَّاج أَنهم كانوا تراضوا بينهم بأن يبخس بعضُهم بعضاً[٢].

وقوله: ﴿بِخَيۡرٖ﴾ قال ابن عباس: معناه: في رخص من الأَسعار[٣].

وعذاب اليوم المحيط هو حلول الغلاءِ الـمُهْلِك، ويَنظر هذا التأويل إِلى قول النبي ﷺ: «ما نقص قومٌ المكيال والميزان إِلَّا ارتفع عنهم الرزق»[٤].

وقيل: قوله: ﴿بِخَيۡرٖ﴾ عامٌّ في جميع نعم الله تعالى، وعذاب اليوم هو الهلاك الذي حلَّ بهم في آخر، وجميع ما قيل في لفظ (خَيْر) منحصر فيما قلناه، وَوُصِفَ اليوم بالإِحاطة وهي من صفة العذاب على جهة التجوّز، إِذ كان العذاب في اليوم، وقد يصح أَن يوصف اليوم بالإِحاطة على تقدير: محيط شرُّه، ونحو هذا.

وكرر عليهم الوصية في الكيل والوزن تأْكيداً وبياناً وعظة، لأَن ﴿وَلَا تَنقُصُواْ﴾ هو ﴿أَوۡفُواْ﴾ بعينه لكنهما منحيان إِلى معنى واحد.

قال القاضي أبو محمد: وحدثني أَبي رحمه الله أَنه سمع أَبا الفضل بن الجوهري على المنبر بمصر يعظ الناس في الكيل والوزن فقال: اعتبروا في أَن الإِنسان إِذا رفع

(١) زيادة من المصرية، وفي نور العثمانية بدل «الشنيعة»: «السبعة».
(٢) راجع معاني القرآن وإعرابه له (٣/ ٧٣).
(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٢/ ٥٣٢) من طريق عبد الله بن داود الواسطي، عن محمد بن موسى، عن زياد بن عمرو، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعبد الله بن داود الواسطي أبو محمد التمار ضعيف.
(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنما أخرج ابن مردويه في «تفسيره» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما نقص قوم المكيال والميزان إلا سلط الله عليهم الجوع. انظر «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٨).

يده بالميزان فامتدت أَصابعه الثلاثة والتقى الإِبهام والسبابة على ناصية الميزان جاءَ من شكل أَصابعه صورة[١] المكتوبة، فكأَن الميزان يقول: الله الله.

قال القاضي أبو محمد: وهذا وعظ مليح مُذكِّر.

والقسط: العدلُ ونحوه، والْبَخْس: النقصان، و﴿تَعْثَوْا﴾ معناه: تَسْعَون في فساد، وكرر ﴿مُفْسِدِينَ﴾ على جهة التأْكيد، يقال: عَثَا يَعْثُو أَو عَثى يَعْثي، وعَثَّ يَعُثُّ، وعاثَ يَعيثُ: إِذا أَفسد ونحوه من المعنى، والعُثَّة: الدودة التي تفسد ثياب الصوف.

وقوله: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: معناه: الذي يُبقي الله لكم من أَموالكم بعد توفيتكم الكيل والوزن خيرٌ لكم مما تستكثرون أَنتم به على غير وجهه[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا تفسير يليق بلفظ الآية.

وقال مجاهد: «معناه: طاعة الله»[٣]، وقال ابن عباس أَيضاً: معناه: رزق الله[٤]، وهذا كله لا يُعطيه لفظ الآية، وإِنما المعنى عندي: إِبقاءُ الله عليكم إِن أَطعتم.

وقرأَ إِسماعيل بن جعفر عن أَهل المدينة بتخفيف الياءِ، وهي لغة[٥].

وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ شرط في أَن تكون البقية خيراً لهم، وأَما مع الكفر فلا خير لهم في شيءٍ من الأَعمال، وجواب هذا الشرط متقدم.

والحفيظ: المراقب الذي يحفظ أَحوال من يراقب، والمعنى: إِنما أَنا مُبلِّغ، والحفيظ المحاسب هو الذي يجازيكم بالأَعمال.

---

(١) زيادة من المصرية.

(٢) هذا هو لفظ الطبري (١٥/ ٤٤٩) في تفسير الآية، قال: وهذا قولٌ روي عن ابن عباس بإسنادٍ غير مرتضى عند أهل النقل، وأخرج (١٨٤٨٥) حدثني الحارث قال: حدثنا عبد العزيز قال: حدثنا سفيان، عمن ذكره، عن ابن عباس: (بقيت الله) قال: رزق الله.

(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٤٤٧)، وتفسير الماوردي (٢/ ٤٩٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٢).

(٤) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (١٢/ ٥٤٣) من طريق الثوري، عمن ذكره، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو منقطع.

(٥) نقلها عنه في جامع البيان (٣/ ١٢٠٩)، وليست من طرق التيسير.

قوله عز وجل: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾.

قرأ جمهور الناس: ﴿أصلواتُك﴾ بالجمع، وقرأ ابن وثاب: ﴿أَصَلَوٰتُكَ﴾ بالإفراد[1]، وكذلك قرأ في براءة: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ﴾ [١٠٣][2]، وفي المؤمنين: ﴿على صلاتهم﴾ [٩][3] كل ذلك بالإفراد.

واختلف في معنى الصلاة هنا:

فقالت فرقة: أرادوا الصلوات المعروفة، وروي أن شعيباً عليه السّلام كان أكثر الأنبياء صلاة.

وقال الحسن: «لم يبعث الله نبيّاً إلا فرض عليه الصلاة والزكاة»[4].

وقيل: أرادوا: أقراءتك؟ وقيل أرادوا: أمساجدك؟ وقيل: أرادوا: أدعواتك.

قال القاضي أبو محمد: وأقرب هذه الأقوال الأول والرابع، وجعلوا الأمر من فعل الصلوات على جهة التجوُّز، وذلك أن كل من حصل في رتبة من خير أو شر ففي الأكثر تدعوه رتبته إلى التزيد من ذلك النوع: فمعنى هذا: ألمَّا كنت مصلياً تجاوزت إلى ذم شرعنا وحالنا؟ فكأن حاله من الصلاة جسَّرته على ذلك فقيل: أمَرَتْه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقولهم: ﴿أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ نصٌّ في أنهم كانوا يعبدون غير الله تعالى.

---

(١) أبعد النجعة، فهي سبعية قرأ بها حمزة والكسائي وحفص عن عاصم، انظر: التيسير (ص: ١١٩).
(٢) وهي سبعية أيضاً كما تقدم.
(٣) وهي سبعية أيضاً كما سيأتي.
(٤) تفسير ابن أبي زمنين (١/ ٢٩٥).

وقرأ جمهور الناس: ﴿نَّفۡعَلَ﴾، و﴿نَشَـٰٓؤُاْ﴾ بنون الجماعة فيهما، وقرأ الضحاك ابن قيس[١]: (تفعل)، و(تشاء) بتاء المخاطبة فيهما[٢].

ورويت عن أبي عبد الرحمن: ﴿نَّفۡعَلَ﴾ بالنون، (ما تشاء) بالتاء، ورويت عن ابن عباس[٣].

فأما من قرأ بالنون فيهما فـ﴿أَن﴾ الثانية عطف [على ﴿مَا﴾ لا][٤] على ﴿أَن﴾ الأولى، لأن المعنى يصير: أصلواتك تأمرك أن نفعل في أموالنا ما نشاء؟ وهذا قلب ما قصدوه، وأما من قرأ بالتاء فيهما فيصح عطف ﴿أَن﴾ الثانية على ﴿أَن﴾ الأولى، قال بعض النحويين: ويصح عطفها على ﴿مَا﴾ ويتم المعنى في الوجهين.

قال القاضي أبو محمد: ويجيء ﴿نَّتۡرُكَ﴾ في الأول بمعنى: نرفض، وفي الثاني بمعنى نقرر، فيتعذر عندي هذا الوجه لما ذكرته من تنوع الترك إلا[٥] على الحكم اللفظي أو على حذف مضاف، ألا ترى أن الترك في قراءة من قرأ بالنون في الفعلين إنما هو بمعنى الرفض غير متنوع.

وأما من قرأ بالنون في ﴿نَّفۡعَلَ﴾ والتاء في (تشاء) فـ﴿أَن﴾ معطوفة على ﴿أَن﴾ الأولى، ولا يجوز أن تنعطف على ﴿مَا﴾ لأن المعنى أيضاً ينقلب، فتدبره.

وظاهر فعلهم هذا الذي أشاروا إليه هو بخس الكيل والوزن الذي تقدم ذكره.

---

(١) لعله الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب، الفهريّ، أخو فاطمة بنت قيس، له صحبة، ولاه معاوية دمشق فأقرّه يزيد حتى مات، فدعا إلى ابن الزبير وبايع له حتى مات معاوية بن يزيد، فدعا إلى نفسه، فقاتله مروان، فقتل بمرج راهط سنة (٦٤هـ). الإصابة (٣/ ٣٨٧).

(٢) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٦٥)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٨٠).

(٣) وهي شاذة عزاها لهما وللضحاك الكرماني في الشواذ (ص: ٢٣٨).

(٤) ساقط من نور العثمانية.

(٥) «إلا»: ساقطة من المطبوع.

وروي: أن الإشارة هي إلى قرضهم الدينار والدرهم وإجراء ذلك مع الصحيح على جهة التدليس، قاله محمد بن كعب وغيره[١].

وروي عن سعيد بن المسيب أنه قال: قطع الدنانير والدراهم من الفساد في الأرض[٢].

فتأول ذلك بهذا المعنى المتقدم، وتؤول أيضاً بمعنى أنه تبديل السكك التي يقصد بها أكل أموال الناس.

واختلف في قولهم: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾:

فقيل: إنما كانت ألفاظهم: إنك لأنت الجاهل السفيه، فكنى الله عن ذلك.

وقيل: بل هذا لفظهم بعينه، إلا أنهم قالوه على جهة الاستهزاء، قاله ابن جريج وابن زيد[٣].

وقيل المعنى: إنك لأنت الحليم الرشيد عند نفسك.

وقيل: بل قالوه على جهة الحقيقة وأنه اعتقادهم فيه، فكأنهم فندوه، أي: أنت حليم رشيد فلا ينبغي لك أن تأمرنا بهذه الأوامر.

ويشبه هذا المعنى قولَ اليهود من بني قريظة، حين قال لهم رسول الله ﷺ: «يا إخوة القردة»: يا محمد ما علمناك جهولاً[٤].

قال القاضي أبو محمد: والشبه بين الأمرين إنما هو المناسبة بين كلام شعيب وتلطُّفه، وبين ما بادر به محمد عليه السّلام بني قريظة.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٤٥١).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٠١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٤٥٣).

(٤) ضعيف، أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٧) من طريق عبد الله بن عمر العمري، عن أخيه عبيد الله بن عمر، عن القاسم بن محمد، عن عائشة به وعبد الله بن عمر العمري ضعيف، وأخرجه الطبري (٢٠/ ٢٤٣) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة مرسلاً.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾ الآية، هذه مراجعة لطيفة واستنزالٌ[1] حَسَن واستدعاء رفيق، [ولهذه الآية][2] ونحوها عن محاورة شعيب عليه السّلام، قال فيه رسول الله ﷺ: «ذاك خطيب الأنبياء»[3].

وجواب الشرط الذي في قوله: ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾ محذوف تقديره: أأضل كما ضللتم وأترك تبليغ الرسالة؟ ونحو هذا مما يليق بهذه المحاجة؟.

و﴿بَيِّنَةٖ﴾: يحتمل أن تكون بمعنى: بيان أو بيِّن، ودخلت الهاء للمبالغة كعلَّامة.

ويحتمل أن تكون صفة لمحذوف، فتكون الهاء هاء تأنيث.

وقوله: ﴿وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗا﴾ يريد: خالصاً من الفساد الذي أدخلتم أنتم أموالكم، ثم قال لهم: ولست أريد أن أفعل الشيء الذي نهيتكم عنه من نقص الكيل والوزن، فأستأثرَ بالمال لنفسي، وما أريد إلا إصلاح الجميع، و﴿أُنِيبُ﴾ معناه: أرجع وأتوب وأستند.

قوله عز وجل: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ٨٩ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ٩١ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٩٢﴾.

(١) في المطبوع والمصرية وأحمد٣: «مراجعة لفظية واسترسال».

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) لا يصح مرفوعاً، أخرجه الطبري (١٤٨٦٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٢٠) من طريق محمد بن إسحاق، عن يعقوب بن أبي سلمة الماجشون، عن النبي ﷺ مرسلاً، وفي رواية الحاكم بدون ذكر يعقوب بن أبي سلمة. وأخرجه الطبري (١٨٥١٢) من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين، عن سفيان الثوري من قوله. وأخرجه ابن أبي حاتم (٨٧٢٥) عن مالك بن أنس من قوله.

﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ معناه: لا يكسبنكم، يقال: جرمه كذا وكذا وأجرمه: إذا أكسبه، كما يقال: كسب وأكسب بمعنى، ومن ذلك قول الشاعر:

[الكامل] وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبَا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً جَرِمَتْ فَزَارَةُ بَعْدَهَا أَنْ يَغْضَبُوا[1]

وقرأ الجمهور ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ بفتح الياء، وقرأ الأعمش وابن وثاب: (يُجرمنكم) بضمها[2].

و﴿شِقَاقِيٓ﴾ معناه: مشاقَّتي وعداوتي، و﴿أَن﴾ مفعولة بـ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾.

[٣/ ٤٩] وكانت قصة قوم لوط أقرب القصص عهداً بقصة قوم شعيب، وقد يحتمل / أن يريد: وما منازل قوم لوط منكم ببعيد، فكأنه قال: وما قوم لوط منكم ببعيد في المسافة، ويتضمن هذا القول ضرب المثل لهم بقوم لوط.

وقرأ الجمهور: ﴿مِّثْلُ﴾ بالرفع على أنه فاعل ﴿يُصِيبَكُم﴾، وقرأ مجاهد والجحدري وابن أبي إسحاق: (مثلَ) بالنصب[3]، وذلك على أحد وجهين: إما أن يكون (مثلَ) فاعلاً، وفتحة اللام فتحة بناء لمَّا أضيف إلى غير متمكن، فإن (مثل) قد يجري مجرى الظروف في هذا الباب وإن لم يكن ظرفاً محضاً.

وإما أن يقدر الفاعل محذوفاً يقتضيه المعنى، ويكون (مثلَ) منصوباً على النعت لمصدر محذوف تقديره: إصابةً مثلَ.

وقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ﴾ الآية، تقدم القول في مثل هذا من ترتيب هذا الاستغفار قبل التوبة.

---

(١) تقدم في أول سورة المائدة.

(٢) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (١/ ٣٢٧).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهم في الشواذ للكرماني (ص: ٢٣٨)، ولبعضهم في مختصر الشواذ (ص: ٦٥).

﴿وَدُودٌ﴾ معناه: أن أفعاله ولطفه بعباده لما كانت في غاية الإحسان إليهم كانت كفعل من يتودد ويود المصنوع له.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ﴾ الآية؛ ﴿نَفۡقَهُ﴾: معناه: نفهم، وهذا نحو قول قريش: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾ [فصلت: ٥]، ومعنى (ما نفقه ما تقول) أي: ما نفقه صحة قولك، وأما فقههم لفظه ومعناه فمتحصِّل.

وروي عن ابن جبير[١] وشَرِيكٍ القاضي في قولهم: ﴿ضَعِيفٗا﴾ أنه كان ضرير البصر أعمى[٢].

وحكى الزهراوي: أن حمير تقول للأعمى: ضعيف[٣]، كما يقال له: ضرير.

وقيل: كان ناحل البدن زمِنه[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله ضعيف، ولا تقوم عليه حجة بضعف بصره أو بدنه.

والظاهر من قولهم: ﴿ضَعِيفٗا﴾ أنه ضعيف الانتصار والقدرة، وأن رهطه الكفرة كانوا يراعون فيه.

والرهط: جماعة الرجل، ومنه الراهطاء، لأن اليربوع يعتصم به كما يفعل الرجل برهطه.

و﴿لَرَجَمۡنَٰكَ﴾ قيل: معناه بالحجارة، وهو الظاهر، وقاله ابن زيد.

وقيل: المعنى: لَرَجَمْناكَ بالسب، وبه فسر الطبري[٥]، وهذا أيضاً تستعمله العرب، ومنه قوله: ﴿لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾ [مريم: ٤٦].

---

(١) في أحمد٣: «عن أبي رزين»، والمثبت هو الموافق للمصادر.
(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٤٥٧، ٤٥٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٦).
(٣) البحر المحيط (٦/ ٢٠١).
(٤) «زمنه»: ساقطة من المطبوع.
(٥) انظر قول ابن زيد في تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٧)، وتفسير الطبري (١٥/ ٤٥٨)، مع قوله.

وقولهم: ﴿بِعَزِيزٍ﴾: أي بذي منعة وعزة ومنزلة في نفوسنا.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ﴾ الآية، الظِّهري: الشيء الذي يكون وراء الظهر، وقد يكون الشيء وراء الظهر بوجهين في الكلام: إما بأن يُطَّرح، كما تقول: جعلت كلامي وراء ظهرك ودبر أذنك، ومنه قول الفرزدق:

[الطويل] تَميم بنَ زَيْدٍ لا تَكونَنَّ حاجَتِي بظَهْرٍ فلا يَعْيا عَليَّ جَوابُها[١]

وإما بأن يسند إليه ويلجأ، ومن هذا قول النبي ﷺ في دعائه: «وألجأت ظهري إليك»[٢].

فقال جمهور المتأولين في معنى هذه الآية أنه: واتخذتم الله ظِهريّاً، أي: غير مراعًى، وراء الظهر على معنى الاطِّراح، ورجحه الطبري[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهو عندي على حذف مضاف ولا بد.

وقال بعضهم: الضمير في قوله: ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ﴾ عائد على أمر الله وشرعه، إذ يتضمنه الكلام.

وقالت فرقة: المعنى: أترون رهطي أعز عليكم من الله، وأنتم تتخذون الله سند ظهوركم وعماد آمالكم.

قال القاضي أبو محمد: فقول الجمهور على أنْ كان كفرُ قومِ شعيب جحداً بالله تعالى وجهلاً به، وهذا القول الثاني على أنهم كانوا يُقرُّون بالخالق الرازق ويعتقدون الأصنام وسائط ووسائل ونحو هذا، وهاتان الفرقتان موجودتان في الكفرة.

---

(١) البيت للفرزدق كما تقدم في تفسير الآية (١٠٠) من سورة البقرة، بلفظ: تميم بن مر، وكذا في أحمد٣ هنا، والصواب: «بن قيس».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٣) تفسير الطبري (٥/ ٤٥٩)، بتصرف.

ومن اللفظة الاستظهار بالبيّنة، وقد قال ابن زيد: «الظِّهري: الفضل، مثل الجمَّال يخرج معه بإبل ظَهَارية[1] يُعِدُّها إن احتاج إليها، وإلا فهي فضلة»[2].

قال القاضي أبو محمد: هذا كله مما يستند إليه.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ خبر في ضمنه توعد. ومعناه: محيط علمه وقدرته.

قوله عز وجل: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾.

﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ معناه: على حالاتكم، وهذا كما تقول: مكانة فلان في العلم فوق مكانة فلان، يستعار من البقاع إلى المعاني.

وقرأ الحسن وأبو عبد الرحمن وعاصم: ﴿مكاناتكم﴾ بالجمع، والجمهور على الإفراد[3].

وقوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟﴾ تهديد ووعيد، وهو نحو قوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾[فصلت: ٤٠].

وقوله: ﴿مَن يَأْتِيهِ﴾ يجوز أن تكون ﴿مَن﴾ مفعولة بـ﴿تَعْلَمُونَ﴾ والثانية عطف عليها.

قال الفراء: ويجوز أن تكون استفهاماً في موضع رفع بالابتداء[4].

---

(١) في أحمد٣: «ظاهرية».

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٤٦١)، وتفسير الماوردي (٢/ ٥٠٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٨)، بتصرف.

(٣) وهما سبعيتان متواترتان، والأولى رواها شعبة عن عاصم، انظر: التيسير (ص: ١٠٧).

(٤) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٦)، بالمعنى.

قال القاضي أبو محمد: والأول أحسن لأنها موصولة ولا توصل في الاستفهام، ويقضي بصلتها أن المعطوفة عليها موصولة لا محالة، والصحيح أن الوقف في قوله: ﴿إِنِّي عَـٰمِلٌۖ﴾، ثم ابتداء الكلام بالوعيد، و﴿مَن﴾ معمولة لـ ﴿تَعۡلَمُونَ﴾ وهي موصولة.

وقوله: ﴿وَٱرۡتَقِبُوٓاْ﴾ كذلك تهديدٌ أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ الآية، الأمر هاهنا يصح أن يكون مصدر أَمَرَ، ويصح أن يكون واحد الأمور.

وقوله: ﴿بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾ إما أن يقصد الإخبار عن الرحمة التي لحقت شعيباً لنبوته وحسن عمله وعمل متَّبعيه، وإما أن يقصد أن التَّنجية لم تكن إلا بمجرد رحمة لا بعمل من أعمالهم، وأما ﴿ٱلصَّيۡحَةُ﴾ فهي صيحة جبريل عليه السّلام، وروي أنه صاح بهم صيحةً جثم لها كل واحد منهم في مكانه حيث سمعها، ميتاً قد تقطعت حجُب قلبه[1].

والجثوم أصله في الطائر إذا ضرب بصدره إلى الأرض، ثم يستعمل في غيره إذا كان منه بشبه.

وقوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآ﴾ الآية، الضمير في قوله: ﴿فِيهَآ﴾ عائد على الديار.

و﴿يَغۡنَوۡاْ﴾ معناه: يقيمون بنعمة وخَفْضِ عيش، ومنه المغاني وهي المنازل المعمورة بالأهل.

وقوله: ﴿أَلَا﴾ تنبيه للسامع.

وقوله: ﴿بُعۡدٗا﴾ مصدرٌ دعا به، وهذا كما تقول: سقياً لك ورعياً لك، وسحقاً للكافر، ونحو هذا، وفارقت هذه قولهم: سلام عليك، لأن هذا كأنه إخبار عن شيء قد وجب وتحصَّل، وتلك إنما هي دعاءٌ مترجًّى.

ومعنى البعد ـ في قراءة من قرأ: ﴿بَعِدَتۡ﴾ بكسر العين ـ: الهلاك، وهي قراءة الجمهور.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٤٦٤).

ومنه قول خِرْنِق بنت هفَّان[١]:

لا يَبْعَدَنْ قَوْمِي الذينَ هُمُ سُمُّ العُداةِ وآفَةُ الجَزْرِ[٢] [الكامل]

ومنه قول مالك بن الرَّيْب:

يقولون: لا تبْعدْ، وهُم يدفِنونني وأيْنَ مَكانُ البُعْدِ إلّا مَكانِيا[٣] [الطويل]

وأما من قرأ (بَعُدَتْ) ـ وهو السلمي وأبو حيوة[٤] ـ فهو من البعد الذي ضده القرب، ولا يدعى به إلا على مبغوض.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾/ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾﴾. [٣/ ٥٠]

الآيات: العلامات، والسلطان: البرهان والبيان في الحجة، قيل: هو مشتق من السليط الذي يُستضاء به، وقيل: من أنه مسلط على كل مناوٍ ومخاصم.

والملأ: الجمع من الرجال، والمعنى: أرسلناه إليهم ليؤمنوا بالله تعالى، فصدهم فرعون فاتبعوا أمره ولم يؤمنوا وكفروا، ثم أخبر تعالى عن أمر فرعون أنه ليس بِرَشِيدٍ؛ أي: ليس بمصيب في مذهبه ولا مفارق للسفاهة.

وقوله: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الآية، أخبر الله تعالى في هذه الآية عن فرعون أنه يأتي يوم القيامة مع قومه المغرقين معه، وهو يقدمهم إلى النار.

---

(١) في المطبوع: «هنان»، وفي الحمزوية ونجيبويه: «هبال».

(٢) تقدم في تفسير الآية ١٦٠ من سورة النساء.

(٣) تقدم مع التعريف بالشاعر في تفسير الآية (١٧) من سورة النساء.

(٤) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٦٥)، والمحتسب (١/ ٣٢٧).

وأُوقع الفعل الماضي في ﴿فَأَوْرَدَهُمُ﴾ موقع المستقبل، لوضوح الأمر وارتفاع الإشكال عنه، ووجه الفصاحة من العرب في أنها تضع أحياناً الماضيَ موضعَ المستقبل أن الماضي أدل على وقوع الفعل وحصوله.

والورود في هذه الآية هو ورود الدخول، وليس بورود الإشراف على الشيء والإشفاء كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣].

وقال ابن عباس: «في القرآن أربعة أوراد:

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١].

وقوله: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦] وهذه في مريم.

وفي الأنبياء: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]».

قال: «وهي كلها ورد دخول، ثم ينجي الله الذين اتقوا»[(١)].

و﴿ٱلْمَوْرُودُ﴾ صفة لمكان الورد، على أنَّ التقدير: وَبِئْسَ مكانُ الْوِرْدِ الْمَوْرُودُ.

وقيل: ﴿ٱلْمَوْرُودُ﴾ ابتداء والخبر مقدم، والمعنى: المورود بئس الورد.

وقوله: ﴿فِى هَٰذِهِۦ﴾ يريد دار الدنيا، واللعنة: إبعادهم بالغرق والاستئصال وقبيح الذكر غابر الدهر.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: يلعنون أيضاً بدخولهم في جهنم، قال مجاهد: «فلهم لعنتان»[(٢)].

وذهب قوم إلى أن التقسيم هو أن لهم في الدنيا لعنة، ويوم القيامة بئس ما يُرفدون به، فهي لعنة واحدة أولاً، وقبحُ إرفادٍ آخِراً.

---

(١) أخرجه الطبري (١٨٥٣٥) من طريق أبي معاذ النحوي، عن عبيد بن سليمان، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأبو معاذ النحوي هو: الفضل بن خالد مستور الحال، لم يوثق.

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٤٦٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٨١).

وقوله: ﴿بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ﴾ أي: بئس العطاء المعطى لهم، والرِّفْدُ في كلام العرب: العطية، وسمي العذاب هنا رفداً لأن هذا هو الذي حل محل الرفد، وهذا كما تقول: يا فلان لم يكن خيرك إلا أن تضربني، أي: لم يكن الذي حل محل الخير منك، والإرفاد: المعونة، ومنه رفادة قريش: معونتهم لفقراء الحج بالطعام الذي كانوا يطعمونه في الموسم.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ﴾ الآية، ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من ذكر العقوبات النازلة بالأمم المذكورة، والأنباء: الأخبار، والْقُرى: يحتمل أن يراد بها القرى التي ذكرت في الآيات المتقدمة خاصة، ويحتمل أن يريد القرى عامة، أي: هذه الأنباء المقصوصة عليك هي عوائد المدن إذا كفرت، فيدخل ـ على هذا التأويل ـ فيها المدن المعاصرة، ويجيء قوله: ﴿مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ﴾: منها عامر وداثر، وهذا قول ابن عباس(١).

وعلى التأويل الأول ـ في أنها تلك القرى المخصوصة ـ يكون قوله: ﴿قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ﴾ بمعنى: قائم الجدرات، ومتهدم لا أثر له، وهذا قول قتادة وابن جريج(٢).

والآية بجملتها متضمنة التخويف وضرب المثل للحاضرين من أهل مكة وغيرهم.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ١٠١ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ١٠٣ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ١٠٤ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ١٠٥﴾.

المعنى: وما وضعنا عندهم من التعذيب ما لا يستحقونه، لكنهم ظلموا أنفسهم

---

(١) أخرجه الطبري (١٨٥٤٦)، وابن أبي حاتم (١١٢٠٢ ١١٢٠٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٤٧١)، وتفسير الماوردي (٢/ ٥٠٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٨٢).

بوضعهم الكفر موضع الإيمان، والعبادة في جنبة الأصنام، فما نفعتهم تلك الأصنام ولا دفعت عنهم حين جاء عذاب الله.

والتَّتْبِيب: الخسران، ومنه ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾ [المسد: ١]، ومنه قول جرير:

[الوافر] عَـــرَادَةُ مِـنْ بَقِيَّةِ قَـوْمِ لُـوطٍ   أَلاَ تَبّـاً لمـا عَمِلُـوا تبَابـا[١]

وصورة زيادة الأصنام التتبيبَ إنما يتصور: إما بأن تأميلها والثقة بها والتعب في عبادتها شغلت نفوسهم وصرفتها عن النظر في الشرع وعاقتها، فلحق عن ذلك عنت وخسران، وإما بأن عذابهم على الكفر يزاد إليه عذاب على مجرد عبادة الأوثان.

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى ما ذكر من الأحداث في الأمم، وهذه آية وعيد تعُمُّ قرى المؤمنين، فإن ﴿ظَٰلِمَةٌ﴾ أعم من كافرة، وقد يمهل الله تعالى بعض الكفرة، وأما الظلمة في الغالب فمعاجلون، أَمَا إنهُ يملى لبعضهم، وفي الحديث من رواية أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: «إِن الله يُمْلي للظالم حتَّى إِذا أَخذه لم يُفْلته»، ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ﴾ الآية[٢].

وقرأ أبو رجاء العطاردي وعاصم الجحدري: (ربّك إِذْ أخذ القرى)[٣].

[والجمهور الأعظم قراءتهم: ﴿أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ﴾، وأنحى الطبري على قراءة عاصم هذه.

---

(١) انظر عزوه له في الأغاني (١٨/ ٢١٧)، وتفسير الطبري (١٥/ ٤٧٢)، وفي أحمد٣ ونور العثمانية: «عرابة»، وفي المطبوع: «عرارة».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) وهي شاذة، انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٤٧٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٨٢)، ولم يضبطاها، والهداية لمكي (٥/ ٣٤٦١)، وظاهره كالمصنف أن الخلاف في «إذْ» خاصة، وضبطها في البحر المحيط (٦/ ٢٠٨) على أن (أخذ ربك) فعل وفاعل، وفي أحمد٣: «وقال أبو».

وقرأ طلحة بن مصرف: (وكذلك أَخَذَ ربُّك إذ أَخَذ)][1]، وهي قراءة متمكنة المعنى، ولكن قراءة الجماعة تعطي بقاء الوعيد واستمراره في الزمان، وهو الباب في وضع المستقبل موضع الماضي.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ المعنى: أن في أمر هذه القرى وما حل بها لعبرة وعلامةَ اهتداء لمن خاف أمر الآخرة وتوقع أن يناله عذابها فنظر وتأمل، فإن نظره يؤديه إلى الإيمان بالله تعالى، ثم عظَّم الله أمر يوم القيامة بوصفه بما تلبَّس بأجنبي منه للسبب المتصل بينهما، ويعود الضمير عليه، و﴿ٱلنَّاسُ﴾ على هذا مفعول لم يسم فاعله، ويصح أن يكون ﴿ٱلنَّاسُ﴾ رفعاً بالابتداء و﴿مَّجْمُوعٌ﴾ خبر مقدم، وهذه الآية خبر عن الحشر.

و﴿مَّشْهُودٌ﴾: عامٌّ على الإطلاق يشهده الأولون والآخرون من الإنس والملائكة والجن والحيوان، في قول الجمهور، وفيه ـ أعني الحيوان الصامت ـ اختلاف.

وقال ابن عباس: «الشاهد: محمد عليه السّلام، والمشهود يوم القيامة»[2].

وقوله: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾ الآية، المعنى: وما نؤخر يوم القيامة عجزاً عن ذلك، لكن القضاء السابق قد نفذ فيه بأجَلٍ محدود لا يتقدم عنه ولا يتأخر.

وقرأ الجمهور: ﴿نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾ بالنون، وقرأ الأعمش: (يؤخِّره) بالياء[3].

وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ بحذف الياء من «يأتي» في الوصل والوقف.

---

(١) ساقط من الأصل، وهي شاذة، انظرها في تفسير القرطبي (٩/ ٩٥)، وضبطها في البحر المحيط (٦/ ٢٠٨): «إذا» كالجماعة.

(٢) ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٧٨٢)، والطبري (١٨٨٥٦٤، ١٨٥٦٥) وفي (٢٤/ ٣٣٥)، وابن أبي حاتم (١١٢١٦) من طريق علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف المكي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وفي رواية عن علي بن زيد عن ابن عباس، وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف.

(٣) وهي شاذة، عزاها في الشواذ للكرماني (ص: ٢٣٨) للحسن.

وقرأ ابن كثير بإثباتها في الوصل والوقف.

وقرأ نافع وأبو عمرو والكسائي بإثباتها في الوصل وحذفها في الوقف، ورويت أيضاً كذلك عن ابن كثير(١) / . [٣/ ٥١]

والياء ثابتة في مصحف أبي بن كعب(٢)، وسقطت في إمام عثمان.

وفي مصحف ابن مسعود: (يوم يأتون)، وقرأ بها الأعمش(٣).

ووجه حذفها في الوقف التشبيه بالفواصل، وإثباتها في الوجهين هو الأصل.

ووجه حذفها في الوصل التخفيف كما قالوا في: لا أبال ولا أدر، وأنشد الطبري:

كَفَّاكَ كَفٌّ مَا تُلِيقُ دِرْهماً جُوداً وأخرى تُعطِ بالسيفِ الدَّمَا(٤)

وقوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾ يصح أن تكون جملة في موضع الحال من الضمير الذي في ﴿يَأْتِ﴾ وهو العائد على قوله: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ﴾، ولا يجوز أن يعود على قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ لأن اليوم المضاف إلى الفعل لا يكون فاعل ذلك الفعل، إذ المضاف متعرف بالمضاف إليه، والفعل متعرف بفاعله، وليس في نفسه شيئاً مقصوداً مستقلّاً دون الفاعل، وقولهم: سيد قومه ومولى أخيه وواحد أمه ـ مفارق لما لا يستقل، فلذلك جازت الإضافة فيها، ويكون قوله على هذا: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ في موضع الرفع بالابتداء وخبره: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ وفي الكلام على هذا عائد محذوف تقديره: لا تكلم نفس فيه إلا، ويصح

---

(١) وكلها سبعية إلا أن الصحيح عن ابن كثير هو الأول فقط. انظر التيسير (ص: ١٢٧)، والنشر (٢/ ٢٩٢).

(٢) تابعه في البحر المحيط (٦/ ٢٠٩)، ونقل القرطبي (٩/ ٩٦) إثبات الياء في الحالين عنه وعن ابن مسعود قراءة.

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها لابن مسعود في الشواذ للكرماني (ص: ٢٣٨)، وللأعمش في البحر المحيط (٦/ ٢٠٩).

(٤) ورد هذا البيت بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٧)، وتفسير الطبري (١٥/ ٤٧٩)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٨٣).

أن يكون قوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾ صفة لقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾، والخبر قوله: ﴿فَمِنْهُمْ﴾، ويصح أن يكون قوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾، خبراً عن قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ﴾ يراد به اليوم الذي قبله ليلتُه[١]، وقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ يراد به الحين والوقت لا النهار بعينه، فهو كما قال عثمان: «إني قد رأيت ألا أتزوج يومي هذا»[٢]، وكما قال الصديق رضي الله عنه: «فإن الأمانة اليوم في الناس قليل»[٣].

ومعنى قوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ وصف المهابة يوم القيامة وذهول العقل وهول القيامة، وما ورد في القرآن من ذكر كلام أهل الموقف في التلاوم والتساؤل والتجادل، فإما أن يكون بإذن، وإما أن تكون هذه هنا مختصة في تكلُّم شفاعة أو إقامة حجة، وقوله: ﴿فَمِنْهُمْ﴾ عائد على الجمع الذي تضمنه قوله: ﴿نَفْسٌ﴾ إذ هو اسم جنس يراد به الجمع.

قوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾.

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ شَقُوا۟﴾ على بعض التأويلات في الاستثناء الذي في آخر الآية يراد به كل من يعذب من كافر وعاص، وعلى بعضها كلُّ من يخلد، وذلك لا يكون إلا في الكفرة خاصة.

---

(١) في المطبوع: «قبل ليلته».

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٠٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) هو جزء من حديث أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (٢٢٤٥)، وأحمد في مسنده (٦/ ٣٤٩ رقم ٢٦٩٥٦)، وابن حبان في صحيحه (٧٢٠٨)، والطبراني في الكبير (٢٣٦)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٨) وغيرهم من طريق محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جدته أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، وإسناده جيد لولا عنعنة ابن إسحاق، وهو في مسند أحمد بدون اللفظ الذي ذكره المصنف.

والزَّفِير: صوت شديد خاص بالمحزون أو الوَجِع أو المعذب ونحوه، والشَّهِيق كذلك، كما يفعل الباكي الذي يصيح خلال بكائه.

وقال ابن عباس: الزفير: صوت حادٌّ، والشهيق: صوت ثقيل(١).

وقال أبو العالية: الزفير من الصدر، والشهيق من الحلق، وقيل: بالعكس.

وقال قتادة: الزفير: أول صوت الحمار، والشهيق آخره، فصياح أهل النار كذلك(٢).

وقيل: الزفير: مأخوذ من الزفر وهو الشدة، والشهيق: من قولهم: جبل شاهق، أي: عال، فهما ـ على هذا المعنى ـ واحد أو متقارب. والظاهر ما قال أبو العالية، فإن الزفرة هي التي يعظم معها الصدر والجوف(٣)، والشهقة هي الوقعة الأخيرة من الصوت المندفعة معها النفس أحياناً، فقد يشهق المحتضر ويشهق المغشي عليه.

وأما قوله: ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ فقيل: معناه أن الله تعالى يبدل السماء والأرض يوم القيامة، ويجعل الأرض مكاناً لجهنم والسماء مكاناً للجنة، ويتأبد ذلك، فقَرنت الآية خلود هؤلاء ببقاء هذه.

ويروى عن ابن عباس أنه قال: «إن الله خلق السماوات والأرض من نور العرش، ثم يردهما إلى هنالك في الآخرة، فلهما ثَمَّ بقاء دائم»(٤).

وقيل: معنى قوله: ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾: العبارة عن التأبيد بما تعهده العرب، وذلك أن من فصيح كلامها إذا أرادت أن تخبر عن تأبيد شيء أن تقول: لا أفعل كذا وكذا مدى الدهر، وما ناح الحمام، وما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ، ونحو هذا مما

---

(١) أخرجه الطبري (١٨٥٦٧)، وابن أبي حاتم (١١٢٢٤، ١١٢٢٦) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: ﴿لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ﴾، يقول: صوت شديد وصوت ضعيف.

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (١٥/ ٤٨٠)، وتفسير الثعلبي (٥/ ١٨٩).

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «الخوف».

(٤) لم أقف عليه.

يريدون به طولاً من غير نهاية، فأفهمهم الله تعالى تخليد الكفرة بذلك وإن كان قد أخبر بزوال السماوات والأرض.

وأما قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ فقيل فيه: إن ذلك على طريق الاستثناء الذي ندب الشرع إلى استعماله في كل كلام، فهو على نحو قوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧] استثناء في واجب، وهذا الاستثناء هو في حكم الشرط، كأنه قال: إن شاء الله، فليس يحتاج أن يوصف بمتصل ولا بمنقطع، ويؤيد هذا قوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.

وقيل: هو استثناء من طول المدة، وذلك على ما روي من أن جهنم تخرب ويعدم أهلها وتخفق أبوابها، فهم على هذا يخلدون حتى يصير أمرهم إلى هذا(١).

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول مختل(٢)، والذي روي ونقل عن ابن مسعود وغيره [أن مَا يُخْلَى من النار](٣) إنما هو الدرك الأعلى المختص بعصاة المؤمنين(٤)، وهو الذي يسمى جهنم، وسمي الكل به تجوزاً.

وقيل: إنما استثنى ما يلطف الله تعالى به للعصاة من المؤمنين في إخراجهم بعد مدة من النار، فيجيء قوله: ﴿مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ أي: لقوم مّا، وهذا قول قتادة والضحاك وأبي سنان وغيرهم(٥)، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ﴾ عامّاً في الكفرة والعصاة

---

(١) قال بهذا الجهم بن صفوان، قال ابن حزم في الملل والنحل (٤/ ٦٩-٧٠): وهو مخالف لما اتفقت عليه فرق الأمة.

(٢) تحرفت في المصرية إلى: «محتمل».

(٣) ساقط من الأصل والمطبوع، وفي أحمد٣: «أنما تخلو»، وفي نور العثمانية: «يجلى».

(٤) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٧٨) لابن المنذر، وأبي الشيخ، عن إبراهيم قال: ما في القرآن آية أرجى لأهل النار من هذه الآية «خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك» قال: وقال ابن مسعود: ليأتين عليها زمان تخفق أبوابها.

(٥) انظر تفسير الطبري (١٥/ ٤٨٢، ٤٨٣)، تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٨٨).

ـ كما قدمنا ـ ويكون الاستثناء من ﴿خَٰلِدِينَ﴾، وقيل: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى الواو، فمعنى الآية: وما شاء الله زائداً على ذلك، ونحو هذا قول الشاعر:

[الوافر] وكلُّ أَخٍ مُفارِقُهُ أخُوهُ لَعمرُ أبيكَ، إلّا الفَرقدانِ[1]

قال القاضي أبو محمد: وهذا البيت يصح الاستشهاد به على معتقدنا في فناء الفرقدين وغيرهما من العالم، وأما إن كان قائله من دهرية العرب فلا حجة فيه، إذ يرى ذلك مؤبداً فأجرى «إلَّا» على بابها.

وقيل: ﴿إِلَّا﴾ في هذه الآية بمعنى سوى، والاستثناء منقطع، كما تقول: لي عندك ألفا درهم إلا الألفَ التي كنتُ أسلفتك، بمعنى: سوى تلك، فكأنه قال: خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ سوى ما شاء الله زائداً على ذلك، ويؤيد هذا التأويلَ قوله بعد: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، وهذا قول الفراء، فإنه يقدِّر الاستثناء المنقطع بـ«سوى»، وسيبويه يقدره بـ«لكن»[2].

وقيل: سوى ما أعده لهم من أنواع العذاب مما لا يعرف كالزمهرير ونحوه.

[٣/ ٥٢] وقيل: / استثناء من مدة السماوات: المدة التي فرطت لهم في الحياة الدنيا، وقيل: في البرزخ بين الدنيا والآخرة، وقيل: في المسافات التي بينهم في دخول النار، إذ دخولهم إنما هو زمراً بعد زمر، وقيل: الاستثناء من قوله: ﴿فَفِي ٱلنَّارِ﴾ كأنه قال: إلا ما شاء ربك من تأخير قوم عن ذلك، وهذا قول رواه أبو نضرة عن جابر أو عن أبي سعيد الخدري[3].

ثم أخبر منبهاً على قدرة الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

---

(١) البيت لعمرو بن معدي كرب كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ١٤)، والكتاب لسيبويه (٢/ ٣٣٤)، ومجاز القرآن (١/ ١٣١)، والبيان والتبيين (١/ ١٩٤)، ونسب في الجمل (ص: ١٧٧) للأعشى، وفي المؤتلف والمختلف (ص: ١٠٦) لحضرمي بن عامر الأسدي.

(٢) يعني أن هذا مذهبهما، وقد تقدم التنبيه عليه.

(٣) أخرجه الطبري (١٨٥٧٩) من طريق أبي نضرة المنذر بن مالك، عن جابر، أو أبي سعيد الخدري، أو عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، هكذا بالشك.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿سَعِدوا﴾ بفتح السين، وهو فعل لا يتعدى، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص ﴿سُعِدُواْ﴾ بضم السين، وهي شاذة[١]، ولا حجة في قولهم: مسعود، لأنه مفعول من أسعد على حذف الزيادة، كما يقال: محبوب، من أحب، ومجنون من أجنه الله، وقد قيل في مسعود: إنما أصله الوصف للمكان، يقال: مكان مسعود فيه، ثم نقل إلى التسمية به.

وذكر أن الفراء حكى أن هذيلاً تقول: سَعده الله، بمعنى: أسعده[٢].

وبضم السين قرأ ابن مسعود وطلحة بن مصرف وابن وثاب والأعمش[٣].

والأقوال المترتبة في استثناء الآية التي قبل هذه تترتب هاهنا، إلا تأويل من قال: هو استثناء المدة التي تخرب فيها جهنم، فإنه لا يترتب مثله في هذه الآية، ويزيد هنا قول: أن يكون الاستثناء في المدة التي يقيمها العصاة في النار، ولا يترتب أيضاً تأويل من قال في تلك: إن الاستثناء هو من قوله: ﴿فَفِى ٱلنَّارِ﴾.

وقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، نصب على المصدر، [والمجذوذ: المقطوع، والجذ: القطع، وكذلك الجدُّ، وكذلك الحزُّ][٤].

قوله عز وجل: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾.

لفظ الخطاب للنبي ﷺ، والمعنى له ولأمته، ولم يقع لأحد شك فيقعَ عنه نهي

---

(١) بل هما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٦)، وفي الحمزوية: «ابن عباس»، بدل «ابن عامر».
(٢) انظر هذه اللغة في أدب الكاتب (ص: ٤٤٠)، وتهذيب اللغة (٢/ ٤٣)، دون نسبة لهذيل.
(٣) وهي سبعية كما مر.
(٤) ساقط من الحمزوية، وفي أحمد٣: «الحذ»، بدل «الحز»، وفي نور العثمانية: «الجد».

ولكن من فصاحة القول في بيان ضلالة الكفرة إخراجه في هذه العبارة، أي: حالهم أوضح من أن يمترى فيها، والمِرْيَة: الشك، و﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ إشارة إلى كفار العرب عبدة الأصنام، ثم قال: ﴿مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُ﴾، المعنى: أنهم مقلدون لا برهان عندهم ولا حجة، وإنما عبادتهم تشبهاً منهم بآبائهم لا عن بصيرة.

وقوله: ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ﴾ وعيد، ومعناه: العقوبة التي تقتضيها أعمالهم، ويظهر من قوله: ﴿غَيۡرَ مَنقُوصٖ﴾ أن على الأولين كفلاً من كفر الآخِرين.

وقرأ الجمهور: ﴿لَمُوَفُّوهُمۡ﴾ بفتح الواو وشد الفاء.

وقرأ ابن محيصن: (لَمُوْفوهم) بسكون الواو وتخفيف الفاء(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الآية، تسلية لمحمد عليه السلام، وذكرُ قصة موسى مَثَلٌ له، أي: لا يعظم عليك أمر من كذبك، فهذه هي سيرة الأمم، فقد جاء موسى، بكتاب فاختلف الناس عليه.

وقوله: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ إلى آخر الآية، يحتمل أن يريد به أمة موسى، ويحتمل أن يريد به معاصري محمد عليه السّلام، وأن يعمَّهم اللفظ أحسن عندي، ويؤيد ذلك قوله: ﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾، والكلمة هاهنا عبارة عن الحكم والقضاء.

ومعنى(٢) ﴿لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: لفصل بين المؤمن والكافر، بنعيم هذا وعذاب هذا، ووصف الشك بالمريب تقوية لمعنى الشك.

وقرأ الكسائي وأبو عمرو: ﴿وإنَّ كلاًّ لَمَا﴾ بتشديد النون وتخفيف الميم من ﴿لَمَا﴾، وقرأ ابن كثير ونافع بتخفيفهما، وقرأ حمزة بتشديدهما، وكذلك حفص عن عاصم، وقرأ عاصم ـ في رواية أبي بكر ـ بتخفيف ﴿إنْ﴾ وتشديد الميم من ﴿لَّمَّا﴾(٣).

---

(١) وهي شاذة، انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٢٦).

(٢) في الأصل: «والمعنى»، فيكون عطفاً على ما قبله.

(٣) أربع قراءات سبعية، وابن عامر مع حمزة، انظر: التيسير (ص: ١٢٦).

وقرأ الزهري وسليمان بن أرقم[١]: (وإنَّ كلّاً لمّاً) بتشديد الميم وتنوينها[٢].

وقرأ الحسن بخلاف: (وإنْ كلٌّ لمَّا) بتخفيف (إنْ) ورفع (كلٌّ) وشد (لمَّا)، وكذلك قرأ أبان بن تغلب إلا أنه خفف (لمَا)[٣].

وفي مصحف أبيّ وابن مسعود: (وإنْ كلٌّ إلا ليوفينهم)، وهي قراءة الأعمش[٤].

قال أبو حاتم: الذي في مصحف أبيّ: (وإن من كلٍّ إلا ليوفينهم أعمالهم)[٥].

فأما الأول فـ(إنَّ) فيها على بابها، و﴿كُلًّا﴾ اسمها، وعُرفها أن تدخل على خبرها لام، وفي الكلام قسم تدخل لامه أيضاً على خبر (إنَّ)، فلما اجتمع لامان فُصل بينهما بـ(ما) ـ هذا قول أبي علي[٦] ـ والخبر في قوله: ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾، وقال بعض النحاة: يصح أن تكون (ما) خبر (إنَّ) وهي لمن يعقل لأنه موضع جنس وصنف، فهي بمنزلة «مَن»، كأنه قال: وإنَّ كلّاً لخلقٌ ليوفينهم، ورجح الطبري هذا واختاره[٧]، أمَا إنه يلزم القول أن تكون (ما) موصوفة إذ هي نكرة، كما قالوا: مررت بما معجبٍ لك، وينفصل بأن قوله: ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ يقوم معناه مقام الصفة، لأن المعنى: وإنَّ كلّاً لخلقٌ موفًّى عملَه.

وأما من خففها ـ وهي القراءة الثانية في ترتيبنا ـ فحُكم (إنْ) وهي مخففة حكمها مثقلةً، وتلك لغة فصيحة، حكى سيبويه أن الثقة أخبره: أنه سمع بعض العرب

---

(١) هو سليمان بن أرقم، أبو معاذ، بصري مشهور، مولى الأنصار، وقيل: مولى قريش. روى عن الحسن البصري قراءته، وهو ضعيف مجمع على ضعفه، انظر: طبقات القراء (١/ ٣١٢)، وتاريخ الإسلام (١٠/ ٢٤٤).

(٢) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٦٦)، والمحتسب (١/ ٣٢٨)، الشواذ للكرماني (ص: ٢٣٩).

(٣) وكلاهما شاذة، انظر: الدر المصون (٦/ ٣٩٧)، وفي المطبوع: «أبان بن ثعلب»، وهو خطأ تكرر منه في هذا الاسم كثيراً.

(٤) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٢٨).

(٥) انظر ما ذكره أبو حاتم في البحر المحيط (٦/ ٢١٦).

(٦) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٣٨٥).

(٧) تفسير الطبري (١٥/ ٤٩٨).

يقول: إنْ عَمْراً لمنطلق[١]، وهو نحو قول الشاعر:

[مجزوء الوافر] ووَجْـــهٍ مُـشْـرِقِ الـنَّـحْـرِ كَـــأَنْ ثَـدْيـاهُ حُـقّـانِ[٢]

رواه أبو زيد[٣].

ويكون القول في فصلِ (ما) بين اللامين حسبما تقدم، ويدخلها القول الآخر من أن تكون (ما) خبرَ (إنَّ). وأما من شددهما[٤] أو خفف (إنْ) وشدد الميم، ففي قراءتيهما إشكال، وذلك أن بعض الناس قال: إن ﴿لَّمَّا﴾ بمعنى «إلا»، كما تقول: سألتك لمَّا فعلت كذا وكذا، بمعنى: إلا فعلت، قال أبو علي: وهذا ضعيف لأن «لما» هذه لا تفارق القسم[٥].

وقال بعض الناس: المعنى: لمَنْ ما، أبدلت النون ميماً، وأدغمت في التي بعدها فبقي «لمما» فحذفت الأولى تخفيفاً لاجتماع الأمثلة، كما قرأ بعض القراء: (وَالْبَغْي يَعِظُكُمْ)[٦] بحذف الياء مع الياء، وكما قال الشاعر:

[الوافر] وَأَشْـمَتَّ العُـدَاةَ بِنَـا فَأَضْحَـوْا لَـدَيْ يَتَباشَـرُونَ بِمَـا لَقِينَـا[٧]

قال أبو علي وهذا ضعيف[٨]، وقد اجتمع في هذه السورة ميمات أكثر من هذه في قوله: ﴿أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾[هود: ٤٨] ولم يدغم هناك فأحرى أن لا يدغم هنا.

---

(١) الكتاب لسيبويه (١/ ١١٩).

(٢) البيت بلا نسبة في معاني القرآن للأخفش (١/ ٣٧٠) والأصول في النحو (١/ ٢٤٦)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٤٠٦). وفي المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية: «ثدييه»، بالنصب.

(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٤٩٧).

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «شددها».

(٥) انظر: الحجة لأبي علي (٤/ ٣٨٦).

(٦) [النحل: ٩٠]، وجاء بعدها في الأصل: «به»، وهو خطأ، والقراءة بالتخفيف شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٢/ ٩٢) وتفسير الطبري (١٥/ ٤٩٤)، والقراءة بالتشديد على الإدغام الكبير سبعية للسوسي.

(٧) البيت بلا نسبة، في تفسير الطبري (١٥/ ٤٩٥).

(٨) انظر: الحجة لأبي علي (٤/ ٣٨٦).

قال القاضي أبو محمد: وقال بعض الناس: أصلها: لَمَنْ ما، فـ(مَن) خبر (إن) و(ما) زائدة، وفي التأويل / الذي قبله أصله: لِمَن ما، فـ(ما) هي الخبر دخلت عليها [٣/ ٥٣] (مِن) على حد دخولها في قول الشاعر:

وإنّـا لِممَّـا نَضـربُ الكَبْـشَ ضَربةً   على رأسه تُلقِي اللسانَ من الفَمِ[١]   [الطويل]

وقالت فرقة: ﴿لَّمَّا﴾ أصلها «لمّاً» منونة، والمعنى: وإن كلّاً عامّاً حصراً شديداً، فهو مصدر لمَّ يَلمُّ، كما قال: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ [الفجر: ١٩] أي: شديداً، قالت[٢]: ولكنه تُرِك تنوينه وصَرْفه وبني منه فَعْلَى كما فُعل في ﴿تتراً﴾ فقرئ: ﴿تَتْرَا﴾[٣].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا نظر، حكي عن الكسائي أنه قال: «لا أعرف وجه التثقيل في ﴿لَّمَّا﴾»[٤].

قال أبو علي: وأما من قرأ (لَّمًّا) بالتنوين وشد الميم فواضح الوجه كما بينا، وأما من قرأ: (وإنْ كلٌّ لمَّا) فهي المخففة من الثقيلة، وحقها في أكثر لسان العرب أن يرتفع ما بعدها، و﴿لَّمَّا﴾ هنا بمعنى «إلا»، كما قرأ جمهور القراء: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤]، ومن قرأ (إلا) مصرّحة، فمعنى[٥] قراءته واضح[٦].

وهذه الآية وعيد.

وقرأ الجمهور: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بياء على ذكر الغائب.

وقرأ الأعرج: (تعملون)[٧] بتاء على مخاطبة الحاضر.

---

(١) البيت لأبي حية النميري كما تقدم في تفسير الآية (٥٨) من سورة النساء.

(٢) في المطبوع: «قلت».

(٣) المؤمنون: (٤٤)، وسيأتي الخلاف فيها في محله.

(٤) نقله عنه في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٧٧).

(٥) في الأصل: «بمعنى»، وفي أحمد٣: «فوجه».

(٦) الحجة لأبي علي (٤/ ٣٨٦).

(٧) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٢٣٩).

قوله عز وجل: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾.

أمرُ النبيِّ ﷺ بالاستقامة وهو عليها إنما هو أمرٌ بالدوام والثبوت، وهذا كما تأمر إنساناً بالمشي والأكل ونحوه وهو متلبس به.

والخطاب بهذه الآية للنبي ﷺ وأصحابه الذين تابوا من الكفر، ولسائر أمته بالمعنى، وروي أن بعض العلماء رأى النبي ﷺ في النوم فقال له: يا رسول الله، بلغنا عنك أنك قلت: «شيبتني هود وأخواتها»، فما شيَّبك من هود؟ قال له: قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[1].

قال القاضي أبو محمد: والتأويل المشهور في قوله ﷺ: «شيبتني هود وأخواتها» أنها إشارة إلى ما فيها مما حل بالأمم السابقة، فكأنَّ حذرَه على هذه الأمة مِثْلَ ذلك شيَّبه ﷺ.

وقوله: ﴿كَمَآ أُمِرْتَ﴾ مخاطبة تعظيم، وقوله: ﴿وَمَن﴾ معطوف على الضمير في قوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾، وحسُن ذلك دون أن يؤكَّد لطول الكلام بقوله: ﴿كَمَآ أُمِرْتَ﴾.

﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ معناه: ولا تتجاوزوا حدود الله تعالى، والطغيان: تجاوز الحد، ومنه

(١) هذا الأثر له طرق متعددة لا يسلم منها شيء من مقال، أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٤٣٥)، وسعيد بن منصور في سننه (١١١٠)، والترمذي (٣٢٩٧)، والمروزي في مسند أبي بكر (٣٠ ٣٣)، وأبو يعلى في مسنده (١٠٧-١٠٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٧٤) وغيرهم من طرق عن أبي بكر رضي الله عنه، بألفاظ مختلفة، وقد وقع فيه اضطراب شديدٌ.
وقد استوعب الكلام على طرقه وألفاظه الدارقطني في العلل (١/ ١٩٤ ٢١٠)، وانظر علل الترمذي حديث (٦٦٥)، وفي الباب عن عمر بن الخطاب، وسعد بن أبي وقاص، وعمران بن حصين، وسهل بن سعد الساعدي، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة، وعقبة بن عامر، وأبي جحيفة، ولا تسلم جميعاً من مقال.

قوله: ﴿طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [الحاقة: ١١]، وقوله في فرعون: ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤]، وقيل في هذه: معناه: ولا تطغينكم النعم، وهذا كالأول.

وقرأ الجمهور ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بتاء، وقرأ الحسن والأعمش: (يعملون) بياء من تحت[١].

وقرأ الجمهور: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾ بفتح الكاف، وقرأ طلحة بن مصرف وقتادة والأشهب العقيلي وأبو عمرو فيما روى عنه هارون بضمها[٢]، وهو لغة، يقال: رَكَن يركَن وركَن يركُن، ومعناه: السكون إلى الشيء والرضا به.

قال أبو العالية: «الركون إلى الشيء: الرضا»، قال ابن زيد: «الركون: الإدهان»[٣].

قال القاضي أبو محمد: فالركون يقع على قليل هذا المعنى وكثيره، والنهي هنا يترتب من معنى الركون على الميل إليهم بالشرك معهم إلى أقل الرتب من ترك التغيير عليهم مع القدرة، و﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ هنا هم الكفرة، وهو النص للمتأولين، ويدخل بالمعنى أهل المعاصي.

وقرأ الجمهور ﴿فَتَمَسَّكُمُ﴾، وقرأ يحيى وابن وثاب وعلقمة والأعمش وابن مصرف وحمزة فيما روي عنه: (فتِمسكم) بكسر التاء[٤]، وهي لغة في كسر العلامات الثلاث دون الياء التي للغائب، وقد جاء في الياء ييجل وييبى، وعللت هذه بأن الياء التي وليت الأولى ردتها إلى الكسر.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ٢٣٩).

(٢) في الأصل: «بضمهما»، والتصحيح من بقية النسخ، والقراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٢٩)، ومختصر الشواذ (ص: ٦٦).

(٣) في نجيبويه: «أبو زيد»، وفي المطبوع: «الإذعان»، والمثبت هو الموافق لما في تفسير الطبري (١٥/ ٥٠١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٠)، وانظر قول أبي العالية في تفسير الطبري (١٥/ ٥٠٠)، وتفسير الماوردي (٢/ ٥٠٧).

(٤) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٣٠).

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية، لم يختلف أحد في أن الصَّلاةَ في هذه الآية يراد بها الصلوات المفروضة، واختلف في طَرَفَيِ النَّهارِ وزلف الليل؛ فقيل: «الطرف الأول الصبح، والثاني الظهر والعصر، والزلف المغرب والعشاء»، قاله مجاهد ومحمد بن كعب القرظي[١].

وروي أن النبي ﷺ قال في المغرب والعشاء: «هما زلفتا الليل»[٢].

وقيل: «الطرف الأول: الصبح، والثاني: العصر»، قاله الحسن وقتادة والضحاك[٣]، والزلف: المغرب والعشاء، وليست الظهر في هذه الآية على هذا القول، بل هي في غيرها.

وقيل: الطرفان: الصبح والمغرب، قاله ابن عباس[٤] والحسن أيضاً[٥]، والزلف: العشاء، وليست في الآية الظهر والعصر، وقيل: الطرفان: الظهر والعصر، والزلف: المغرب والعشاء والصبح.

قال القاضي أبو محمد: كأن هذا القائل راعى جهر القراءة، والأول أحسن هذه الأقوال عندي، ورجح الطبري أن الطرفين: الصبح والمغرب[٦]، وأنه الظاهر، إلا أن عموم الصلوات الخمس بالآية أولى.

وقرأ الجمهور ﴿وَزُلَفًا﴾ بفتح اللام، وقرأ طلحة بن مصرف وابن محيصن

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٥٠٢ و٥٠٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩١) بتصرف.

(٢) أخرجه الطبري (١٨٦٣٦) من طريق الحسن البصري، عن النبي ﷺ مرسلاً.

(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٥٠٣، ٥٠٤)، وتفسير الماوردي (٢/ ٥٠٩).

(٤) أخرجه الطبري (١٨٦١٥)، وابن أبي حاتم (١١٢٦٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) تفسير الطبري (١٥/ ٥٠٣).

(٦) تفسير الطبري (١٥/ ٥٠٤).

وعيسى وابن أبي إسحاق[١] وأبو جعفر[٢]: ﴿زُلُفاً﴾ بضم اللام[٣] كأنه اسم مفرد.

وقرأ: (زُلْفاً) بسكون اللام مجاهد[٤]، وقرأ أيضا: (زُلْفَى) على وزن ـ فُعْلَى ـ وهي قراءة ابن محيصن[٥].

والزلف: الساعات القريب بعضها من بعض، ومنه قول العجَّاج:

نـاجٍ طَـواهُ الأَيْـنُ مما وجفا   طـيَّ الـلَّيالـى زُلَـفاً فـزُلَـفَـا [الرجز]

سَماوةَ الهِـلالِ حتى احقَـوْقَفَـا[٦]

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، ذهب جمهور المتأولين من صحابة وتابعين إلى أن ﴿ٱلْحَسَنَٰتِ﴾ يراد بها الصلوات الخمس، وإلى هذه الآية ذهب عثمان رضي الله عنه عند وضوئه على المقاعد[٧] وهو تأويل مالك[٨].

قال مجاهد: «الْحَسَناتُ: قول الرجل: سبحان الله والحمد الله ولا إله إلا الله والله أكبر»[٩].

---

(١) في المطبوع: «ابن إسحاق».

(٢) في التركية: «ابن أبي جعفر».

(٣) وهي قراءة عشرية، قرأ بها أبو جعفر كما في النشر (٢/ ٢٩١)، وانظر قراءة الباقين مفرقاً في المحتسب (١/ ٣٣٠)، وتفسير القرطبي (٩/ ١١٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٨٧)، وتفسير الثعلبي (٥/ ١٩٣).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (١/ ٣٣٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٨٧).

(٥) وهي شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (٥/ ١٩٣)، والهداية لمكي (٥/ ٣٤٨٠).

(٦) انظر عزوه له في الكتاب لسيبويه (١/ ٣٥٩)، ومجاز القرآن (١/ ٣٠٠)، وتفسير الطبري (١٥/ ٥٠٥).

(٧) أخرجه أحمد (١/ ٧١ ٥١٣)، والبزار في «مسنديهما» (٤٠٥)، والطبري (١٨٦٦٢ ١٨٦٦٤)، وابن أبي حاتم (١١٢٧٢) والضياء في المختارة (٣٢٣ ٣٢٤) وغيرهم من طريق أبي عقيل زهرة ابن معبد، أنه سمع الحارث مولى عثمان يقول: جلس عثمان يوماً إلخ، والحارث مولى عثمان بن عفان مستور، ذكروه بغير جرح أو تعديل، وذكره ابن حبان في الثقات (٤/ ١٣٦).

(٨) انظر تأويل مالك في: الموطأ، باب الوضوء (١/ ٣٠).

(٩) تفسير الطبري (١٥/ ٥١٥)، وتفسير الماوردي (٢/ ٥٠٩)، وتفسير الثعلبي (٥/ ١٩٣).

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله إنما هو على جهة المثال في ﴿ٱلْحَسَنَٰتِ﴾، ومن أجل أن الصلوات الخمس هي عظم الأعمال، والذي يظهر أن لفظ الآية لفظ عام في الحسنات خاص في السيئات بقوله ﷺ: «ما اجتنبت الكبائر»[١].

وروي أن هذه الآية نزلت في رجل من الأنصار، قيل: هو أبو اليسر بن عمرو، وقيل: اسمه عباد، خلا بامرأة فقبَّلها وتلذّذ بها فيما دون الجماع، ثم جاء إلى عمر فشكا إليه، فقال: قد ستر الله عليك فاستر على نفسك، فقلِق الرجل فجاء أبا بكر فشكا إليه،
[٣/ ٥٤] فقال له مثل مقالة عمر، فقلق / الرجل فجاء رسول الله ﷺ، فصلى معه، ثم أخبره وقال: اقض فيّ ما شئت، فقال الرسول ﷺ لعلها زوجة غاز في سبيل الله، قال: نعم، فوبَّخه رسول الله ﷺ وقال: «ما أدري»، فنزلت هذه الآية، فدعاه رسول الله ﷺ، فتلاها عليه، فقال معاذ بن جبل: يا رسول الله خاصة؟ قال: «بل للناس عامة»[٢]، وروي أن الآية كانت نزلت قبل ذلك واستعملها رسول الله ﷺ في ذلك الرجل، وروي أن عمر قال ما حكي عن معاذ[٣].

قال القاضي أبو محمد: وروي أن رسول الله ﷺ قال: «الجمعة إلى الجمعة، والصلوات الخمس، ورمضان إلى رمضان، كفارة لما بينها إن اجتنبت الكبائر»[٤].

[واختلف أهل السنة في تأويل هذا الشرط في قوله: «إن اجتنبت الكبائر»][٥]، فقال جمهورهم: هو شرط في معنى الوعد كله، أي: إن اجتنبت الكبائر كانت العبادات المذكورة كفارة للذنوب، فإن لم تجتنب لم تكفِّر العبادات شيئاً من الصغائر.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أصل الحديث في البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) هو في بعض طرق هذا الحديث عن ابن مسعود خارج الصحيحين، والأول أثبت.

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) ساقط من الحمزوية.

وقالت فرقة: معنى قوله: «إن اجتنبت» أي: هي التي لا تحطُّها العبادات، فإنما شرط ذلك ليصح بشرطه عموم قوله: «ما بينهما»، وإن لم تجتنب لم تحطّها العبادات وحطّت الصغائر[١].

قال القاضي أبو محمد: وبهذا أقول، وهو الذي يقتضيه حديث خروج الخطايا مع قطر الماء[٢] وغيره، وذلك كله بشرط التوبة من تلك الصغائر وعدم الإصرار عليها، وهذا نص الحذاق الأصوليين[٣]، وعلى التأويل الأول تجيء هذه مخصوصة في مجتنبي الكبائر فقط.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الصلوات، ووصفها بـ﴿ذِكْرَىٰ﴾، أي هي سببُ ذكرٍ وموضع ذكرى، ويحتمل أن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الإخبار بـ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، فتكون هذه الذكرى تحض على الحسنات، ويحتمل أن تكون الإشارة إلى جميع ما تقدم من الأوامر والنواهي في هذه السورة، وهو تفسير الطبري[٤].

ثم أمره تعالى بالصبر، وجاءت هذه الآيات في نمط واحد: أعلمه الله تعالى أنه يوفي جميع الخلائق أعمالهم: المسيءَ والمحسن، ثم أمره بالاستقامة والمؤمنين معه، ثم أمره بإقامة الصلوات ووعد على ذلك، ثم أمره بالصبر على التبليغ والمكاره في ذات الله تعالى، ثم وعد بقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

---

(١) انظر حكاية القولين في: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٣٥٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٤) وهو بلفظ: «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء».

(٣) قال بهذا القاضي الباقلاني وأبو إسحاق الإسفرائيني وأبو المعالي الجويني، كما في تفسير القرطبي (٥/ ١٥٨-١٥٩).

(٤) انظر: التفسير (١٥/ ٥١٥).

(لولا) هي التي للتحضيض، لكن يقترن بها هنا معنى التفجُّع والتأسف الذي ينبغي أن يقع من البشر على هذه الأمم التي لم تهتد، وهذا نحو قوله: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠].

والْقُرُون مِنْ قبلنا هم قوم نوح وعادٌ وثمود ومن تقدم ذكره، والقرن من الناس: المقترنون في زمان طويل؛ أكثره فيما حَد الناس مئةُ سنة، وقيل: ثمانون، وقيل غير ذلك إلى ثلاثين سنة، والأول أرجح؛ لقول النبي ﷺ: «أرأيتكم ليلتكم هذه فإن إلى رأس مئة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد»، قال ابن عمر: يريد أنها تخرم ذلك القرن(١).

والبَقِيَّـة هنا يراد بها النظر والعقل والحزم والثبوت في الدين، وإنما قيل: ﴿بَقِيَّةٍ﴾ لأن الشرائع والدول ونحوها قوتُها في أوَّلها ثم لا تزال تضعف، فمَن ثبت في وقت الضعف فهو بقية الصدر الأول.

وقرأت فرقة: (بقيَة) بتخفيف الياء وهو رد فَعيلة إلى فعِلة، وقرأ أبو جعفر وشيبة: (بُقْية) بضم الباء وسكون القاف على وزن فُعلة(٢).

و﴿ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هو الكفر وما اقترن به من المعاصي، وهذه الآية فيها تنبيه لأمة محمد وحض على تغيير المنكر والنهي عن الفساد، ثم استثنى الله تعالى القوم الذين نجاهم مع أنبيائهم وهم قليل بالإضافة إلى جماعاتهم.

و﴿قَلِيلًا﴾ نصب على الاستثناء وهو منقطع عند سيبويه، والكلام عنده موجب، وغيره يراه منفيّاً، من حيث معناه أنه لم يكن فيهم أولو بقية.

---

(١) هذا الحديث بقسميه المرفوع والموقوف أخرجه البخاري (١١٦)، ومسلم (٢٥٣٧) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) وكلاهما شاذة، تابعه عليهما في البحر المحيط (٦/ ٢٢٤)، والمتواتر عن أبي جعفر في رواية ابن جمّاز عنه: كسر الباء مع سكون القاف، كما في النشر (٢/ ٢٩٢)عنه وعن شيبة، قال: وقد ترجمها أبو حيان بضم الباء، فوهِم.

وقرأ جمهور الناس ﴿وَٱتَّبَعَ﴾ على بناء الفعل للفاعل، وقرأ جعفر بن محمد: (وأُتْبع) على بنائه للمفعول، ورويت عن أبي عمرو[١].

و﴿مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ﴾ أي: عاقبةَ ما نُعِّموا به، على بناء الفعل للمفعول.

والمترف: المنعم الذي شغلته ترفته عن الحق حتى هلك، ومنه قول الشاعر:

نُهْدِي رُؤُوسَ المتْرَفينَ الأَنْدَادْ إلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ المُمْتَادْ[٢] [الرجز]

يريد: المسؤول، يقال ماده: إذا سأله.

وقوله: ﴿بِظُلۡمٖ﴾، يحتمل أن يريد: بظلم منه لهم ـ تعالى عن ذلك ـ قال الطبري: «وقيل[٣]: يحتمل أن يريد: بشرك منهم، وهم مصلحون في أعمالهم وسيرهم، وعدل بعضهم في بعض، أي: أنهم لا بد من معصية تقترن بكفرهم»[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، وإنما ذهب قائله إلى نحو ما قيل: إن الله تعالى يمهل الدول على الكفر ولا يمهلها على الظلم والجور، ولو عكس لكان ذلك متجهاً، أي: ما كان الله ليعذب أمة بظلمهم في معاصيهم وهم مصلحون في الإيمان، والاحتمال الأول في ترتيبنا أصح إن شاء الله.

قوله عز وجل: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩﴾.

المعنى: لجعلهم أمة واحدة مؤمنة، قاله قتادة[٥]، حتى لا يقع منهم كفر ولا تنزل بهم مَثُلة، ولكنه عز وجل لم يشأ ذلك، فهم لا يزالون مختلفين في الأديان والآراء

---

(١) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٦٦)، والمحتسب (١/ ٣٣١).

(٢) لرؤبة كما تقدم في تفسير الآية (١١١) من سورة المائدة، وفي نور العثمانية: «نجبي».

(٣) «قيل»: زيادة من الحمزوية ونجيبويه وأحمد٣.

(٤) تفسير الطبري (١٥/ ٥٣٠) بتصرف.

(٥) تفسير الطبري (١٥/ ٥٣١).

والملل، هذا تأويل الجمهور، قال الحسن وعطاء ومجاهد وغيرهم: «المرحومون المستثنون هم المؤمنون ليس عندهم اختلاف»(١)، وقالت فرقة: لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ في السعادة والشقاوة، وهذا قريب المعنى من الأول إذ هي ثمرة الأديان والاختلاف فيها، ويكون الاختلاف ـ على هذا التأويل ـ يدخل فيه المؤمنون إذ هم مخالفون للكفرة.

وقال الحسن أيضاً: «لا يزالون مختلفين في الغنى والفقر»(٢).

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول بعيد معناه من معنى الآية، ثم استثنى الله عز وجل من الضمير في ﴿يَزَالُونَ﴾ مَن رَحِمه مِن الناس بأنْ هداه إلى الإيمان ووفقه له.

وقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ اختلف فيه المتأولون:

فقالت فرقة: ولشهود اليوم المشهود المتقدم ذكرُه خلَقَهم.

وقالت فرقة: (ذلك) إشارة إلى قوله قبلُ: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥]، أي: لهذا خلقهم.

قال القاضي أبو محمد: وهذان المعنيان وإن صحا فهذا العود(٣) المتباعد ليس بجيد.

[٣/ ٥٥] وروى أشهب عن مالك أنه قال: (ذلك) إشارة إلى أن يكون / فريق في الجنة وفريق في السعير(٤).

قال القاضي أبو محمد: فجاءت الإشارة بـ(ذلك) إلى الأمرين: الاختلاف والرحمة، وقد قاله ابن عباس(٥)، واختاره الطبري، ويجيءُ عليه الضمير في ﴿خَلَقَهُمْ﴾ للصنفين.

---

(١) راجع تفسير الطبري (١٥/ ٥٣١، ٥٣٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٤).
(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٥٣٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٤)، وتفسير الماوردي (٢/ ٥١١).
(٣) في الأصل: «الوعد».
(٤) انظر رواية أشهب عن مالك في: أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٣٣).
(٥) أخرجه الطبري (١٨٧٢٦)، وابن أبي حاتم (١١٢٩٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال مجاهد وقتادة: «(ذلك) عائد على الرحمة التي تضمنها قوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾، أي: وللرحمة خلق المرحومين»[١].

قال الحسن: «و(ذلك) إشارة إلى الاختلاف الذي في قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾»[٢].

قال القاضي أبو محمد: ويعترض هذا بأن يقال: كيف خلقهم للاختلاف؟ وهل معنى الاختلاف هو المقصود بخلقهم؟

فالوجه في الانفصال أن نقول: إن قاعدة الشرع أن الله عز وجل خلق خلقاً للسعادة وخلقاً للشقاوة، ثم يسَّر كلّاً لما خلق له، وهذا نصٌّ في الحديث الصحيح، وجعل بعد ذلك الاختلاف في الدين على الحق هو أمارة الشقاوة وبه علق العقاب.

فيصح أن يحمل[٣] قوله هنا: وللاختلاف خلقهم، أي: لثمرة الاختلاف وما يكون عنه من الشقاوة.

ويصح أن يجعل اللام في قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾ لام الصيرورة، أي: وخلقهم ليصير أمرهم إلى ذلك، وإن لم يقصد بهم الاختلاف.

قال القاضي أبو محمد: ومعنى قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] أي: لآمرهم بالعبادة، وأُوجِبَها عليهم، فعبر عن ذلك بثمرة الأمر ومقتضاه.

وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ أي: نفذ قضاؤه وحق أمره، واللام في ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ لام قسم إذ الكلمة تتضمن القسم، والجن جمع لا واحد له من لفظه، وهو من أَجَنَّ إذا ستر، والهاء في ﴿ٱلْجِنَّةِ﴾ للمبالغة، وإن كان الجن يقع على الواحد فالجِنة جمعُه.

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٥٣٧)، وتفسير الماوردي (٢/ ٥١١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٥).
(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٥٣٥)، وتفسير الماوردي (٢/ ٥١١).
(٣) في الأصل: «يحل».

قوله عز وجل: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾.

قوله: ﴿وَكُلًّا﴾ مفعول مقدم بـ﴿نَّقُصُّ﴾ وقيل: هو منصوب على الحال، وقيل: على المصدر، وهذان ضعيفان.

و﴿مَا﴾ بدل من قوله: ﴿وَكُلًّا﴾، و﴿نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ أي: نؤنسك فيما تلقاه، ونجعل لك الأسوة في مَن تقدمك من الأنبياء.

وقوله: ﴿فِى هَٰذِهِ﴾ قال الحسن: هي إشارة إلى دار الدنيا[١]، وقال ابن عباس: إلى السورة والآيات التي فيها يذكر قصص الأمم[٢]، وهذا قول الجمهور.

قال القاضي أبو محمد: ووجه تخصيص هذه السورة بوصفها بـ﴿ٱلْحَقُّ﴾ ـ والقرآن كله حق ـ أن ذلك يتضمن معنى الوعيد للكفرة والتنبيه للناظر، أي: جاءك في هذه السورة الحقُّ الذي أصاب الأمم الظالمة، وهذا كما يقال عند الشدائد: جاء الحق، وإن كان الحق يأتي في غير شديدة وغير ما وجه، ولا يستعمل في ذلك: جاء الحق، ثم وصف أيضاً أن ما تضمنته السورة هي ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فهذا يؤيد أن لفظة ﴿ٱلْحَقُّ﴾ إنما تختص بما تضمنت من وعيد للكفرة.

وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية، هذه آية وعيد، أي: اعْمَلُوا على حالاتكم التي أنتم عليها من كفركم.

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٥٤٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٦)، وتفسير الماوردي (٢/ ٥١٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٨٧٤٤ ١٨٦٤٨)، وابن أبي حاتم (١٢١٣٠٠-١١٣٠٢) من طرق صحيحة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

وقرأ الجمهور هنا: ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ واحدة دالة على جمع، وألفاظ هذه الآية تصلح للموادعة، وتصلح أن تقال على جهة الوعيد المحض والحرب قائمة.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية، هذه آية تعظُّمٍ وانفراد بما لا حظ لمخلوق فيه، وهو علم الغيب، وتبيين أن الخير والشر، وجليل الأشياء وحقيرها مصروف إلى أحكام مالكه، ثم أمر النبي ﷺ[١] بالعبادة والتوكل على الله تعالى، وفيهما زوال همه وصلاحه ووصوله إلى رضوان الله.

وقرأ السبعة غير نافع: ﴿يَرجِع الأمر﴾ على بناء الفعل للفاعل، وقرأ نافع وحفص عن عاصم: ﴿يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ﴾ على بنائه للمفعول ورواها ابن أبي الزناد[٢] عن أهل المدينة[٣].

وقرأ ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء من فوق، نافع وابن عامر وحفص عن عاصم، وهي قراءة الأعرج والحسن وأبي جعفر وشيبة وعيسى بن عمر، وقتادة والجحدري، واختلف عن الحسن وعيسى، وقرأ الباقون: ﴿يَعْملون﴾ بالياء على كناية الغائب[٤].

(١) في الأصل ونجيبويه والحمزوية ونور العثمانية: «البشر».
(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان أبو محمد بن أبي الزناد المدني ثم البغدادي، أخذ القراءة عرضاً عن أبي جعفر ثم روى عن نافع وله عنه نسخة، روى عنه الحروف حجاج بن محمد الأعور، مات سنة ١٦٤هـ. غاية النهاية (١/ ٣٧٢).
(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٦)، ورواية ابن أبي الزناد ليست من طرقه.
(٤) وهما أيضاً سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٦).

سورة يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة يوسف عليه السلام

هذه السورة مكية، ويروى أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف فنزلت السورة بسبب ذلك، ويروى أن اليهود أمروا كفار مكة أن يسألوا رسول الله ﷺ عن السبب الذي أحل بني إسرائيل بمصر فنزلت السورة.

وقيل: سبب نزولها تسلية رسول الله ﷺ عما يفعله به قومه بما فعل إخوة يوسف بيوسف، وسورة يوسف لم يتكرر من معناها في القرآن شيء كما تكررت قصص الأنبياء، ففيها حجة على من اعترض بأن الفصاحة تمكنت بترداد القول، وفي تلك القصص حجة على من قال في هذه: لو كررت لفترت فصاحتُها.

قوله عز وجل: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾.

تقدم القول في فواتح السور، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن، ووصفه بـ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ قيل: من جهة أحكامه وحلاله وحرامه، وقيل: من جهة مواعظه وهداه ونوره، وقيل: من جهة بيان اللسان العربي وجودته إذ فيه ستة أحرف لم تجتمع في لسان، روي هذا القول عن معاذ بن جبل[1].

---

(١) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (١٨٧٧١) من طريق الوليد بن سلمة، عن ثور بن يزيد، عن خالد =

ويحتمل أن يكون مبيناً لنبوة محمد بإعجازه، والصواب أنه مُبِينٌ بجميع هذه الوجوه.

والضمير في: ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ [لِلْكِتابِ، والإنزال: إما بمعنى الإثبات، وإما أن تتصف به التلاوة والعبارة، وقال الزجاج: الضمير في ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾][1] يراد به خبر يوسف[2].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف.

وقوله: ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾ يحتمل أن تتعلق بـ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: أنزلناه لعلكم، ويحتمل أن تتعلق بقوله: ﴿عَرَبِيًّا﴾ أي: جعلناه ﴿عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، إذ هو / لسانكم. [٣/ ٥٦]

و﴿قُرْءَٰنًا﴾ حال، و﴿عَرَبِيًّا﴾ صفة له، وقيل: إن ﴿قُرْءَٰنًا﴾ بدل من الضمير، وهذا فيه نظر.

وقيل: ﴿قُرْءَٰنًا﴾ توطئة للحال و﴿عَرَبِيًّا﴾ حال، وهذا كما تقول: مررت بزيد رجلا صالحاً.

وقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ الآية، روى ابن مسعود أن أصحاب رسول الله ﷺ ملوا ملة فقالوا: لو قصصت علينا يا رسول الله، فنزلت هذه الآية، ثم ملوا ملة أخرى فقالوا: لو حدثتنا يا رسول الله، فنزلت: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا﴾[3].

= ابن معدان، عن معاذ أنه قال في قوله تعالى: ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ قال: بيَّن الحروف التي سقطت عن ألسن الأعاجم وهي ستة أحرف، والوليد بن سلمة الطبراني قال أبو حاتم: ذاهب الحديث، وقال دحيم وغيره: كذاب، وقال ابن حبان: يضع الحديث على الثقات، انظر: ميزان الاعتدال (٧/ ١٣١).

(١) ساقط من الحمزوية.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨٧).

(٣) الزمر: (٣٢)، والحديث مرسل، أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص ٥٣-٥٤)، والطبري (١٨٧٧٥)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٤٨) من طريق المسعودي، عن عون بن عبد الله بن عتبة ابن عبد الله بن مسعود مرسلاً، وأخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٢٥، ١٨٨٢٧) من طريق القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، مرسلاً.

والْقَصَص: الإخبار بما جرى من الأمور، كأن الأنباء تتبع بالقول، [وتقتص بالأخبار][1] كما يقتص الأثر، وقوله: ﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ أي: بوحينا، و﴿ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ نعت لـ﴿هَٰذَا﴾، ويجوز فيه البدل، وعطف البيان فيه ضعيف، و(إِنْ) هي المخففة من الثقيلة، واللام في خبرها لام التأكيد؛ هذا مذهب البصريين، ومذهب أهل الكوفة أن (إِنْ) بمعنى «ما»[2]، واللام بمعنى «إلا». والضمير في ﴿قَبۡلِهِۦ﴾ للقَصَص العامِّ لما في جميع القرآن منه.

و﴿لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾، أي: عن معرفة هذا القصص، ومن قال: إن الضمير في ﴿قَبۡلِهِۦ﴾ عائد على ﴿ٱلۡقُرۡءَانَ﴾، جعل ﴿لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ في معنى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]، أي: على طريقٍ غيرِ هذا الدين الذي بُعثت به، ولم يكن عليه السّلام في ضلال الكفار ولا في غفلتهم لأنه لم يشرك قط، وإنما كان مستهدياً ربه عز وجل موحداً، والسائل عن الطريق المتحير[3] يقع عليه في اللغة اسمُ ضالّ.

قوله عز وجل: ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾.

العامل في ﴿إِذۡ﴾ فعل مضمر تقديره: اذكر إِذْ، ويصح أن يعمل فيه ﴿نَقُصُّ﴾ كأن المعنى: نقص عليك الحال إِذْ، وحكى مكي أن العامل فيه ﴿لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾[4]، وهذا ضعيف.

وقرأ طلحة بن مصرف: (يؤسَف) بالهمز وفتح السين[5]، وفيه ست لغات: (يُوسفُ) بضم الياء وسكون الواو وبفتح السين وبضمها وبكسرها، وكذلك بالهمز.

---

(١) ما بين قوسين ساقط من المطبوع، وفي أحمد٣: «تختص».
(٢) في المطبوع: «بمعنى لها».
(٣) في المصرية: «المنجي»، بدل: «المتحير».
(٤) مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٣٧٧).
(٥) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٦٦).

وقرأ الجمهور: ﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾ بكسر التاء، حذفت الياء من أبي وجعلت التاء بدلاً منها، قاله سيبويه(١).

وقرأ ابن عامر وحده، وأبو جعفر والأعرج: ﴿يا أبتَ﴾ بفتحها(٢).

وكان ابن كثير وابن عامر يقفان بالهاء(٣).

فأما قراءة ابن عامر بفتح التاء فلها وجهان: إما أن يكون: «يا أبتا»، ثم حذفت الألف(٤) تخفيفاً، وبقيت الفتحة دالة على الألف، وإما أن يكون جارياً مجرى قولهم: يا طلحة أقبل، رخموه ثم ردوا العلامة ولم يعتدَّ بها بعد الترخيم، وهذا كقولهم: [اجتمعت اليمامة، ثم قالوا](٥): اجتمعت أهلُ اليمامةُ، فردوا لفظة الأهل ولم يعتدوا بها(٦).

وقرأ أبو جعفر والحسن وطلحة بن سليمان: ﴿أحد عْشر كوكباً﴾ بسكون العين لتوالي الحركات(٧)، ويظهر أن الاسمين قد جعلا واحداً.

وقيل: إنه قد رأى كواكب حقيقة والشمس والقمر فتأولها يعقوب إخوته وأبويه. وهذا قول الجمهور.

وقيل: الإخوة والأب والخالة؛ لأن أمه كانت ميتة.

وقيل: إنما كان رأى إخوته وأبويه(٨)، فعبَّر عنهم بالكواكب والشمس والقمر. وهذا ضعيف ترجم به الطبري، ثم أدخل عن قتادة والضحاك وغيرهما كلاماً محتمِلاً

---

(١) انظر كلامه عليها في الكتاب (٢/ ٢١٠)، وما بعدها.

(٢) فهما سبعيتان، انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ١٢٧)، والنشر (٢/ ٢٩٣).

(٣) انظر: التيسير (ص: ٦٠).

(٤) في التركية: «النون»، بدل: «الألف».

(٥) ساقط من الحمزوية ونور العثمانية.

(٦) انظر الحجة لأبي علي (٤/ ٣٩٠).

(٧) وهي عشرية، قرأ بها أبو جعفر كما في النشر (٢/ ٢٧٩)، وانظر: المحتسب (١/ ٣٣٢).

(٨) بعدها في أحمد٣ ونور العثمانية والأصل: «وهذا قول الجمهور».

أن يكون كما ترجم، وأن يكون مثل قول الناس[١].

وقال المفسرون: (الْقَمَر) تأويله: الأب، و(الشَّمْس) تأويلها: الأم، فانتزع بعض الناس من تقديمها وجوب بر الأم وزيادته على بر الأب.

وحكى الطبري عن جابر بن عبد الله أن يهوديّاً يسمى بستانة جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: أخبرني عن أسماء الكواكب التي رآها يوسف عليه السّلام، فسكت عنه رسول الله ﷺ ونزل جبريل عليه السّلام فأخبره بأسمائها، فدعا رسول الله ﷺ اليهودي، فقال: «هل أنت مؤمن إن أخبرتك بذلك؟» قال: نعم، قال: «حربان[٢]، والطارق، والذيال، وذا الكنفان[٣]، وقابس، ووثاب، وعمودان، والفيلق، والمصبح، والضروح، وذو الفرغ، والضياء، والنور» فقال اليهودي: أي والله إنها لأسماؤها[٤].

وتكرر ﴿رَأَيۡتُهُمۡ﴾ لطول الكلام، وجريُ ضمائر هذه الكواكب في هذه الآية مجرى ضمائر من يعقل إنما كان لمَّا وصفت بأفعالٍ هي خاصةٌ بمن يعقل.

وروي أن رؤيا يوسف كانت ليلة القدر ليلة جمعة، وأنها خرجت بعد أربعين سنة، وقيل: بعد ثمانين سنة.

---

(١) راجع تفسير الطبري (١٥/ ٥٥٦، ٥٥٧).

(٢) في المطبوع: «جريان»، وفي أحمد٣: «حوبان».

(٣) في المطبوع والتركية: «ذو الكتفان».

(٤) ضعيف، أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١١١١)، والبزار كما في كشف الأستار (٢٢٢٠)، وأبو يعلى في مسنده كما في المطالب العالية (١٤/ ٧٤١)، والعقيلي في الضعفاء (١/ ٢٥٩)، والطبري (١٨٧٨٠)، وابن أبي حاتم (١١٣٣١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٧٧) وغيرهم من طريق الحكم بن ظهير، عن السدي، عن عبدالرحمن بن سابط القرشي عن جابر بن عبدالله به، والحكم متروك، وقد تابع الحكمَ بن ظهير، أسباطُ بن نصر كما عند الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٣٨)، قال المعلمي اليماني في تعليقه على الفوائد المجموعة (ص ٤٦٤): وللحكم متابع قوي أخرجه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط مسلم، وهو أسباط بن نصر عن السدي به. اهـ، لكن أسباط ليس ممن يعتمد عليه، وهو يحتاج إلى متابع قوي.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦﴾.

تقتضي هذه الآية أن يعقوب عليه السّلام كان يحس من بنيه حسد يوسف وبغضته، فنهاه عن قصص الرؤيا عليهم خوف أن يشعل بذلك غل صدورهم، فيعملوا الحيلة على هلاكه، ومن هنا ومن فعلهم بيوسف الذي يأتي ذكره، يظهر أنهم لم يكونوا أنبياء في ذلك الوقت. ووقع في كتاب الطبري لابن زيد: أنهم كانوا أنبياء[1]، وهذا يرده القطع بعصمة الأنبياء عن الحسد الدنياوي، وعن عقوق الآباء، وتعريض مؤمن للهلاك، والتوافر[2] في قتله.

ثم أعلمه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ أي: هو يدخلهم في ذلك ويحضهم عليه.

وأمال الكسائي: ﴿رُءۡيَاكَ﴾ والرؤيا حيث وقعت، وروي عنه أنه لم يمل ﴿رُءۡيَاكَ﴾ في هذه السورة، وأمال الرؤيا حيث وقعت، وقرأ: ﴿روياك﴾ بغير همز ـ وهي لغة أهل الحجاز ـ ولم يملها الباقون حيث وقعت[3].

والرؤيا مصدر كثُر وقوعه على هذا المتخيل في النوم حتى جرى مجرى الأسماء، كما فعلوا في الدَّرِّ في قولهم: لله درك، فخرجا من حكم عمل المصادر، وكسَّروها: رؤى بمنزلة ظُلَم، والمصادر في أكثر الأمر لا تكسَّر.

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٥٥٧).

(٢) في نور العثمانية وأحمد٣: «والتؤامر»، ولعلها محرفة عن «التآمر».

(٣) الإمالة رواية الدوري عنه كما في التيسير (ص: ٤٩)، ونقل التقليل عن ورش وأبي عمرو، وأما إبدال همزها مداً فهو رواية السوسي، وليس للكسائي من شيء من طرق التيسير، لكن الخلاف عنه في إمالة ﴿رُءۡيَاكَ﴾ في النشر (٢/ ٤٥).

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ﴾ الآية، فـ﴿يَجْتَبِيكَ﴾ معناه: يختارك ويصطفيك، ومنه: جبيت الماء في الحوض، ومنه: جباية المال.

وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ قال مجاهد والسدي: «هي عبارة الرؤيا»[(١)].

وقال الحسن / : هي عواقب الأمور[(٢)]، وقيل: هي عامة لذلك وغيره من المغيبات. [٣/ ٥٧]

وقوله: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ﴾ يريد النبوءة وما انضاف إليها من سائر النعم.

وقوله: ﴿ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ يريد في هذا الموضع الأولاد والقرابة التي هي من نسله، أي: يجعل فيهم النبوة، ويروى أن ذلك إنما علمه يعقوب من دعوة إسحاق له حين تشبه له بـ«عيصو»، والقصة كاملة في كتاب النقاش لكني اختصرتها لأنه لم ينبل ألفاظها، وما أظنه انتزعها إلا من كُتُب بني إسرائيل، فإنها قصة مشهورة عندهم[(٣)]، وباقي هذه الآية بيّن.

والنعمة على يوسف كانت تخليصه من السجن وعصمته والمُلكَ الذي نال، وعلى إِبْراهِيمَ هي اتخاذه خليلاً، وعلى إِسْحاقَ فديته بالذبح العظيم، مضافاً ذلك كله إلى النبوة.

و﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ مناسبتان لهذا الوعد.

قوله عز وجل: ﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾.

قرأ الجمهور: ﴿ءَايَٰتٌ﴾ بالجمع، وقرأ ابن كثير وحده: ﴿آيةٌ﴾ بالإفراد، وهي قراءة مجاهد وشبل وأهل مكة[(٤)]، فالأولى على معنى: أن كل حال من أحواله آية

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٢٠)، وتفسير الماوردي (٣/ ٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٣)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٣٠١).

(٢) تفسير ابن أبي زمنين (١/ ٣٠١).

(٣) كتاب النقاش غير متوفر.

(٤) فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٧).

فجمعها، والثانية: على أنه بجملته آية، وإن تفصَّل بالمعنى، ووزن آية فَعْلة أو فَعَلة أو فاعلة على الخلاف فيه.

وذكر الزجّاج: أن في غير مصحف عثمان: (عبرة للسائلين)، قال أبو حاتم: هو في مصحف أبيٍّ بن كعب(١).

وقوله: ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ يقتضي حضّاً ما على تعلم هذه الأنباء، لأنه إنما المراد آية للناس، فوصفهم بالسؤال إذ كل واحد ينبغي أن يسأل عن مثل هذه القصص، إذ هي مقر العبر والاتعاظ. ويصح أيضاً أن يصف الناس بالسؤال من حيث كان سبب نزول السورة سؤالَ سائل كما روي.

وقولهم: ﴿وَأَخُوهُ﴾ يريدون به: يامين ـ وهو أصغر من يوسف ـ ويقال له: بنيامين، وقيل: كان شقيق يوسف، وكانت أمهما ماتت، ويدل على أنهما شقيقان تخصيص الإخوة لهما بـ﴿وَأَخُوهُ﴾ وهي دلالة غير قاطعة، وكان حب يعقوب ليوسف عليه السّلام ويامين لصغرهما وموت أمهما، وهذا من حب الصغير هي فطرة البشر، وقد قيل لابنة الخس(٢): أيُّ بنيك أحبُّ إليك؟ قالت: الصغير حتى يكبر، والغائب حتى يقدم، والمريض حتى يفيق(٣).

وقولهم: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [أي: نحن جماعة](٤) تضر وتنفع، وتحمي وتخذل، أي: لنا كانت تنبغي المحبة والمراعاة.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٩٢)، ونقلها القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: ٣٠٢) عن حرف أبي وقراءة مجاهد.

(٢) في المطبوع والحمزوية وأحمد٣: «الحسن»، وهي هند بنت الخس [ويقال: الخص] بن جابر بن قريط الإيادية، المزهر (٢/ ٤٥٧).

(٣) نقله في البحر المحيط (٦/ ٢٤١)، ونسبه في العقد الفريد (٧/ ١٨٠) لِدُغة، لم ينسبها.

(٤) ما بين معقوفين ساقط من الأصل.

والعصبة في اللغة: الجماعة، قيل: من عشرة إلى خمسة عشر، وقيل: من عشرة إلى أربعين.

وقال الزجاج: «العشرة ونحوهم»[١].

وفي الزهراوي: الثلاثة نفر، فإذا زادوا فهم رهط إلى التسعة، فإذا زادوا فهم: عصبة، ولا يقال لأقل من عشرة: عصب.

وقولهم: ﴿لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: لفي اختلاف وخطأ في محبة يوسف وأخيه، وهذا هو معنى الضلال، وإنما يصغر قدره أو يعظم بحسب الشيء الذي فيه يقع الائتلاف، و﴿مُّبِينٍ﴾ معناه: يظهر للمتأمل.

وقرأ أبو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة: ﴿مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُوا۟﴾ بكسر التنوين في الوصل لالتقاء ساكن التنوين والقاف.

وقرأ نافع وابن كثير والكسائي: ﴿مبين اقتُلوا﴾ بكسر النون وضم التنوين إتباعاً لضمة التاء ومراعاة لها[٢].

وقوله: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ﴾ الآية، كانت هذه مقالة بعضهم، ﴿أَوِ ٱطْرَحُوهُ﴾ معناه: أبعدوه، ومنه قول عروة بن الورد:

[الطويل]
وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذا عِيالٍ ومُقْتِراً يُغَرِّرْ ويَطرَحْ نَفسَهُ كُلَّ مَطرحِ[٣]

والنوى: الطروح البعيدة.

و﴿أَرْضًا﴾ مفعول ثان بإسقاط حرف الجر، لأن طرح لا يتعدى إلى مفعولين إلا

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٩٣)، وفيه: «العشيرة» بدل: «العشرة»، وكلام الزهراوي لم أقف عليه.

(٢) وهما سبعيتان، إلا أن ابن عامر مع نافع، لا عاصم، انظر التيسير (ص: ٧٨)، السبعة (ص: ١٧٤).

(٣) انظر عزوه له في أنساب الأشراف (١٣/ ٢٠٩)، والأمثال لابن سلّام (ص: ٢٢٩)، وأمالي القالي (٢/ ٢٣٤)، والحماسة بشرح التبريزي (١/ ١٧٧)، ونسبه في عيون الأخبار (١/ ٣٤٣) لأوس بن حجر، وفي التركية: «تعزز»، وفي المصرية: «يعرر»، وفي أكثر المصادر: «من المال».

كذلك، وقالت فرقة: هو نصب على الظرف، وذلك خطأ لأن الظرف ينبغي أن يكون مبهماً وهذه هنا ليست كذلك، بل هي أرض مقيدة بأنها بعيدة أو قاصية ونحو ذلك، فزال بذلك إبهامها، ومعلوم أن يوسف لم يخلُ من الكون في أرض، فبيّن أنهم أرادوا أرضاً بعيدة غير التي هو فيها قريب من أبيه.

وقوله: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ استعارة، أي: إذا فقد يوسف رجعت محبته إليكم، ونحو هذا المعنى قول العربي حين أحبته أمه لما قتل إخوته وكانت قبل لا تحبه: «الثكل أرأمها»[١]، أي: عطفها عليه.

والضمير في ﴿بَعْدِهِۦ﴾ عائد على يوسف أو قتله أو طرحه، ﴿صَٰلِحِينَ﴾ قال السدي ومقاتل بن سليمان: «إنهم أرادوا صلاح الحال عند أبيهم»[٢]، وهذا يشبه أن يكون قصدهم في تلك الحال ولم يكونوا حينئذ أنبياء.

وقال الجمهور: ﴿صَٰلِحِينَ﴾ معناه: بالتوبة، وهذا هو الأظهر من اللفظ، وحالهم أيضاً تعطيه، لأنهم مؤمنون بنوا على عظيمة وعللوا أنفسهم بالتوبة، والقائل منهم قيل: «هو روبيل أسنُّهم» قاله قتادة وابن إسحاق[٣]، وقيل: يهوذا أحلمهم، وقيل: «شمعون أشجعهم»، قاله مجاهد[٤]، وهذا عطف منه على أخيه لا محالة لمَا أراد الله من إنفاذ قضائه.

و«الغيابة»: ما غاب عنك من الأماكن، أو غيَّب عنك شيئاً آخر.

وقرأ الجمهور: ﴿غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾، وقرأ نافع وحده: ﴿غيابات الجب﴾[٥].

---

(١) الأمثال لابن سلام (ص: ١٤٠).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٢٠)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢٠٠)، ولم أقف عليه للسدي.
(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٥٦٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٦)، وتفسير الماوردي (٣/ ١١)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٣٠١).
(٤) تفسير الطبري (١٥/ ٥٦٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٦)، وتفسير الماوردي (٣/ ١١).
(٥) فهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٢٧).

وقرأ الأعرج: (غيّابات الجب) بشد الياء[1]، قال أبو الفتح: هو اسم جاء على فعَّالة، كان أبو علي يلحقه بما ذكر سيبويه من الفيَّاد ونحوه، ووجدت أنا من ذلك: التيَّار للموج، والفَخَّار للخزف.

قال القاضي أبو محمد: وفي شَبَه غيَّابة بهذه الأمثلة نظر؛ لأن غيَّابة جارية على فعل.

وقرأ الحسن: (في غيْبة الجبِّ) على وزن فعْلة، وكذلك خطت في مصحف أبيّ ابن كعب[2]، ومن هذه اللفظة قول الشاعر، وهو المنخَّل:

فإنْ أنَا يَوْماً غَيَّبَتْنِي غَيَابَتِي فَسِيرُوا بسَيرِي في العَشِيرةِ والأهْلِ[3] [الطويل]

و﴿ٱلْجُبِّ﴾: البئر التي لم تُطْوَ لأنها جبت من الأرض فقط.

وقرأ الجمهور: ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ﴾ بالياء من تحت على لفظ بعض.

وقرأ الحسن البصري ومجاهد وقتادة وأبو رجاء: (تلتقطه) بالتاء[4]، وهذا من حيث أضيف (البعض) إلى ﴿ٱلسَّيَّارَةِ﴾، فاستفاد منها تأنيث العلامة، ومن هذا قول الشاعر: / [٣/٥٨]

أرى مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّي كما أخَذ السِّرَارُ مِنَ الهِلالِ[5] [الوافر]

ومنه قول الآخر:

إذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ سَيِّدٌ فَدَانَتْ لَهُ أهْلُ القُرَى والكَنَائِسِ[6] [الطويل]

---

(١) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٦٨)، والمحتسب (١/ ٣٣٣) مع التوجيه.

(٢) وهي شاذة أيضاً، انظرها في المحتسب (١/ ٣٣٣)، ولم أقف على ما في مصحف أبيّ.

(٣) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٣٠٢)، والحجة للفارسي (٤/ ٣٩٩). وفي المطبوع: «العشائر».

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لهم في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٩٤)، ومختصر الشواذ (ص: ٦٨)، والهداية لمكي (٥/ ٣٥٠٨).

(٥) البيت لجرير كما في مجاز القرآن (١/ ٩٨)، والكامل للمبرد (٢/ ١٠٥)، وتفسير الطبري (٧/ ٨٦).

(٦) البيت بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٧)، وتفسير الطبري (١٥/ ٥٦٨)، وفي المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية: «فذلت».

وقول كعب:

[الكامل] .... ذَلَّتْ لوَقْعَتِها جَمِيعُ نِزارِ[١]

حين أراد بنزار القبيلة، وأمثلة هذا كثير.

وروي أن جماعة من الأعراب التقطت يوسف عليه السّلام.

و﴿ٱلسَّيَّارَةِ﴾ جمع سيَّار، وهو بناء للمبالغة، وقيل في هذا الْجُبِّ: إنه بئر بيت المقدس، وقيل: غيره، وقيل: لم يكن حيث طرحوه ماء ولكن أخرجه الله فيه حتى قصده الناس للاستقاء، وقيل: بل كان فيه ماء كثير يُغرق يوسفَ، فنشز حجر من أسفل الجب حتى ثبت يوسف عليه، وروي أنهم رموه بحبل في الجب[٢] فتماسك بيديه حتى ربطوا يديه ونزعوا قميصه ورموه حينئذ، وهموا برضخه بالحجارة فمنعهم أخوهم المشير بطرحه من ذلك[٣].

قوله عز وجل: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ١٣ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥﴾.

الآية الأولى تقتضي أن أباهم قد كان علم منهم إرادتهم الخبيثة في جهة يوسف، وهذه تقتضي أنهم علموا هم منه بعلمه ذلك.

---

(١) البيت لكعب بن زهير كما في طبقات فحول الشعراء (١/ ١٠٣)، والأغاني (١٧/ ٩٥)، وصدره: صدموا علياً يَوْم بدر صدمة.

(٢) في المطبوع: «في الجبل».

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٥٧٤).

وقرأ الزهري وأبو جعفر: ﴿لا تأمنَّا﴾ بالإدغام دون إشمام، ورواها الحلواني عن قالون، وقرأ السبعة بالإشمام للضم[١].

وقرأ طلحة بن مصرف: (لا تأمننا).

وقرأ ابن وثاب والأعمش (لا تِـيْمَنَّا)، بكسر تاء العلامة[٢].

و﴿غَـدًا﴾ ظرف أصله: غَدَوٌ، فلزم اليوم كله، وبقي الغدو والغدوة اسمين لأول النهار، وقال النضر بن شميل: «ما بين الفجر إلى الإسفار يقال فيه: غدوة وبكرة»[٣].

وقرأ أبو عمرو وأبو عامر: ﴿نرتعْ ونلعبْ﴾ بالنون فيهما وإسكان العين والباء، و﴿نرتع﴾ ـ على هذا ـ من الرتوع وهي الإقامة في الخصب والمرعى في أكل وشرب.

ومنه قول الغضبان بن القَبَعْثَرَى[٤]: القيد والرَّتْعة وقلة التعتعة[٥]، ومنه قول الشاعر:

.... وبعد عَطَائِـكَ المِائَـةَ الرِّتَاعَا[٦] [الوافر]

ولعبهم هذا داخل في اللعب المباح كاللعب بالخيل والرمي ونحوه، فلا وصم في ذلك عليهم، وليس باللعب الذي هو ضد الحق وقرين اللهو، وقيل لأبي عمرو بن

---

(١) انظر اتفاق السبعة في التيسير في القراءات السبع (ص: ١٢٨)، والإدغام قراءة عشرية لأبي جعفر كما في تحبير التيسير (ص: ٤١٢)، وانظر في النشر (١/ ٣٠٤) رواية أبي عون عن الحلواني وأبي سليمان وغيره، عن قالون، وليس من طرق التيسير.

(٢) وهما شاذتان، انظر الأولى في الهداية لمكي (٥/ ٣٥٠٩)، ومع الثانية في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٩٤).

(٣) تفسير القرطبي (٩/ ١٣٨).

(٤) هو غضبان بن القبعثرى الشيباني البصري، صاحب الحجاج بن يوسف، من الفرسان، انظر ترجمته في تاريخ دمشق (٤٨/ ٦٢).

(٥) انظر كلامه وقصته في العين (٢/ ٦٨)، والأمثال لابن سلام (ص: ٥٦)، وعيون الأخبار (١/ ١٥٠)، وليس فيه ذكر التعتعة.

(٦) تقدم كاملاً في تفسير الآية (٢٧) من سورة البقرة.

العلاء: «كيف يقولون: (نلعب) وهم أنبياء؟ قال: لم يكونوا حينئذ أنبياء»[(١)].

وقرأ ابن كثير: ﴿نرتعِ ونلعبْ﴾ بالنون فيهما، وبكسر العين وجزم الباء، وقد روي عنه: (ويلعبْ) بالياء[(٢)]، وهي قراءة جعفر بن محمد[(٣)]، و﴿نرتعِ﴾ ـ على هذا ـ من رعاية الإبل: وقال مجاهد: «هي من المراعاة، أي: يراعي بعضنا بعضاً ويحرسه»[(٤)].

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ بإسناد ذلك كله إلى يوسف.

وقرأ نافع: ﴿يرتعِ ويلعبْ﴾ بالياء فيهما وكسر العين وجزم الباء[(٥)]، فـ﴿يرتعِ﴾ على هذا من رعي الإبل، قال ابن زيد: المعنى: يتدرب في الرعي وحفظ المال[(٦)].

ومن الارتعاء قول الأعشى:

[الخفيف] تَرْتَعِي السَّفْحَ فالكَثِيبَ فَذَا قا ... رٍ فَرَوْضَ القطا فَذَاتَ الرِّئالِ[(٧)]

قال أبو علي: وقراءة ابن كثير: (نرتعِ) بالنون (ويلعبْ) بالياء منزعها حسن، لإسناد النظر في المال والرعاية إليهم، واللعب إلى يوسف لصباه[(٨)].

وقرأ العلاء بن سيابة[(٩)]: (يرتعِ ويلعبُ) برفع الباء[(١٠)] على القطع.

---

(١) معاني القرآن للنحاس (٣/ ٤٠١).

(٢) السبعة (ص: ٣٤٥) وليست من طرق التيسير.

(٣) وهي شاذة، عزاها له في الشواذ للكرماني (ص: ٢٤٢)، لكن بإثبات الياء من نرتعي.

(٤) تفسير الطبري (١٥/ ٥٧٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٧)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٢).

(٥) هذه رابعة القراءات السبعية، انظرها كلها في التيسير (ص: ١٢٨).

(٦) تفسير الطبري (١٥/ ٥٧١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٧)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٢)، بتصرف.

(٧) انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٢٠٣)، والحجة لأبي علي (٤/ ٤٠٤)، والصحاح للجوهري (١/ ٣٧٥).

(٨) الحجة لأبي علي (٤/ ٤٠٣).

(٩) قال عنه الفراء في معاني القرآن (٢/ ٧٩): شيخ لنا يقال له: العلاء بن سيابة ـ وهو الذي علم معاذاً الهراء وأصحابه.

(١٠) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٣٣).

وقرأ مجاهد وقتادة: «نُرْتِع» بضم النون وكسر التاء و«نلعب» بالنون والجزم[(١)].

وقرأ ابن كثير في بعض الروايات عنه: ﴿نرتعي﴾ بإثبات الياء[(٢)]، وهي ضعيفة لا تجوز إلا في الشعر كما قال الشاعر:

أَلَـمْ يَـأْتِيــكَ والأنْبـاءُ تَـنْمـي بِمَا لاقَـتْ لَبُونُ بَنِي زِيـادِ[(٣)] [الوافر]

وقرأ أبو رجاء: «يُرْتع» بضم الياء وجزم العين و«يَلعبْ» بالياء والجزم[(٤)].

وعللوا طلبه والخروج به بما يمكن أن يستهوي يوسف لصباه من الرتوع واللعب والنشاط.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ﴾ الآية: قرأ عاصم وابن كثير والحسن والأعرج وعيسى وأبو عمرو وابن محيصن ﴿لَيَحْزُنُنِيٓ﴾ بفتح الياء وضم الزاي.

قال أبو حاتم: وقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي والإدغام، ورواية ورش عن نافع: بيان النونين مع ضم الياء وكسر الزاي في جميع القرآن[(٥)]، وأن الأولى فاعلة والثانية مفعولة بـ ﴿وَأَخَافُ﴾.

وقرأ الكسائي وحده: ﴿الذيب﴾ دون همز، وقرأ الباقون بالهمز[(٦)]، وهو الأصل، ومنه جمعهم إياه على ذؤبان، ومنه تذاءبت الريح والذئاب[(٧)]: إذا أتت من هاهنا وهاهنا.

---

(١) وهي شاذة، انظر الهداية لمكي (٥/ ٣٥١٠).

(٢) وهي رواية أبي ربيعة وابن الصباح عن قنبل كما في التيسير (ص: ١٣١).

(٣) تقدم في تفسير الآية (١٠١) من سورة النساء.

(٤) وهي شاذة، انظر المحتسب (١/ ٣٣٣).

(٥) وكذا من رواية قالون عنه، وهي والأولى سبعيتان، كما تقدم في آل عمران، أما إدغام «ليحزني» فقراءة شاذة عزاها الكرماني (ص: ٢٤٢) لابن هرمز وابن محيصن، ولم أجدها لنافع.

(٦) ووافق الكسائي ورش وأبو عمرو ـ أي: من رواية السوسي ـ فهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٢٨).

(٧) في المصرية: «الذبائب».

وروى ورش عن نافع: ﴿الذيب﴾ بغير همز، وقال نصر: سمعت أبا عمرو لا يهمز، قال: وأهل الحجاز يهمزون[١].

وإنما خاف يعقوب الذئب دون سواه وخصَّصه، لأنه كان الحيوان العادي المنبث في القطر، وروي أن يعقوب كان رأى في منامه ذئباً يشتد على يوسف.

قال القاضي أبو محمد: وهذا عندي ضعيف، لأن يعقوب لو رأى ذلك لكان وحياً، فإما أن يخرج على وجهه وذلك لم يكن، وإما أن يعرف يعقوب بمعرفته لعبارة مثال هذا المرئي، فكان يتشكاه بعينه، اللهم إلا أن يكون قوله: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ بمعنى: أخاف أن يصيبه مثل ما رأيت من أمر الذئب ـ وهذا بعيد ـ وكذلك يقول الربيع بن ضبع: «والذئب أخشاه»[٢]، إنما خصصه لأنه كان حيوان قطره العادي.

ويحتمل أن يخصصه يعقوب عليه السّلام لصغر يوسف: أي: أخاف عليه هذا الحقير فما فوقه، وكذلك خصصه الربيع لحقارته وضعفه في الحيوان، وباقي الآية بيّن.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾ الآية، أسند الطبري إلى السدي قال: «ذهبوا بيوسف وبه عليهم كرامة، فلما برزوا في البرية أظهروا له العداوة، وجعل أخوه يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه، فجعل لا يرى منهم رحيماً، فضربوه حتى كادوا يقتلونه، فجعل يصيح ويقول: يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما صَنع بابنك بنو الإماء، فقال لهم يهوذا: ألم تعطوني موثقاً أن لا تقتلوه؟ فانطلقوا به إلى الجب، فجعلوا يدلونه فيتعلق بالشفير، فربطوا
[٣/ ٥٩] يديه ونزعوا قميصه. فقال: يا إخوتاه ردوا عليّ قميصي أتوارى / به في الجب، فقالوا: ادع الشمس والقمر والكواكب تؤنسك، فدلَّوْه حتى إذا بلغ نصف الجب ألقوه إرادةَ أن

(١) السبعة في القراءات (ص: ٣٤٦).

(٢) جزء من بيت له مشهور، وجاء في نجيبويه زيادة بقية الشطر الأول: «إن مررت به»، وتمامه: وحدي وأخشى الرياح والمطرا، وقد تقدم عزوه له مع التعريف به، في تخريج البيت الذي قبله في تفسير الآية (١٠٢) من سورة آل عمران.

يموت، فكان في الجب ماء فسقط فيه ثم قام على صخرة [يبكي، فنادوه، فظن أنهم رحموه، فأجابهم، فأرادوا أن يرضخوه بصخرة][١]، فمنعهم يهوذا، وكان يأتيه بالطعام»[٢].

وجواب (لمَّا) محذوف تقديره: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ﴾: أجمعوا، هذا مذهب الخليل وسيبويه[٣] وهو نص لهما في قول امرئ القيس:

فلَمَّا أَجَزْنا ساحَةَ الحَيِّ وانتَحَى[٤] .... [الطويل]

ومثل هذا قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣]، قال بعض النحاة في مثل هذا: إن الواو زائدة، وقوله مردود لأنه ليس في القرآن شيء زائد لغير معنى.

و(أَجْمَعُوا) معناه: عزموا واتفق رأيهم عليه، ومنه قول النبي ﷺ في المسافر: «ما لم يُجمع مكثاً»[٥]، على أن إجماع الواحد قد ينفرد بمعنى العزم والشروع، ويتصور ذلك في إجماع إخوة يوسف وفي سائر الجماعات، وقد يجيء إجماع الجماعة فيما لا عزم فيه ولا شروع، ولا يتصور ذلك في إجماع الواحد.

والضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ عائد إلى يوسف، وقيل: على يعقوب، والأول أصح وأكثر، ويحتمل أن يكون الوحي حينئذ إلى يوسف برسول، ويحتمل أن يكون بإلهام أو بنوم، وكلٌّ ذلك قد قيل.

وقال الحسن: «أعطاه الله النبوءة وهو في الجب»[٦].

قال القاضي أبو محمد: وهذا بعيد.

---

(١) ساقط من الحمزوية.
(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٥٧٤).
(٣) الجمل في النحو (ص: ٣٠٦).
(٤) تمامه: بنا بطنُ خبتٍ ذي حقاف عقنقل، وهو من معلقته، انظر: جمهرة أشعار العرب (ص: ١٢٦)، وأدب الكاتب (ص: ٣٥٣).
(٥) أخرجه البخاري (٤٢٩٨) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.
(٦) تفسير القرطبي (٩/ ١٤٢).

وقرأ الجمهور: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾ بالتاء، وفي بعض مصاحف البصرة بالياء، وقرأ سلام بالنون[(١)].

وهذا كله في العلامة التي تلي اللام.

وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قال ابن جريج: وقتَ التنبيه أنك يوسف، وقال قتادة: لا يشعرون بوحينا إليه[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: فيكون قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ على التأويل الأول مما أوحي إليه، وعلى القول الثاني خبر لمحمد ﷺ.

قوله عز وجل: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾.

قرأت فرقة: ﴿عِشَآءً﴾ أي: وقت العشاء، وقرأ الحسن: (عُشًى)[(٣)] على مثال: دُجًى، أي: جمع عاش، قال أبو الفتح: عشاة، كماش ومشاة، ولكن حذفت الهاء تخفيفاً كما حذفت من مألُكة، وقال عدي:

[الرمل] أَبْلِغِ النُّعْمَانَ عَنِّي مَأْلُكاً ... إِنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِي وَانْتِظَارِي[(٤)]

قال القاضي أبو محمد: ومعنى ذلك: أصابهم عَشاً من البكاء أو شبهُ العشا، إذ

---

(١) وهما شاذتان، انظر الثانية في مختصر الشواذ (ص: ٦٧)، والشواذ للكرماني (٢٤٣)، وعزا الأولى لابن عمر، ولا تسمى مصحفاً.

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (١٥/ ٥٧٦).

(٣) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٦٨)، مع توجيه في المحتسب (١/ ٣٣٥)، ولعله سقط من أول كلامه: أصله.

(٤) تقدم في تفسير الآية (٣٠) من سورة البقرة.

كذلك هي هيئة عين الباكي لأنه يتعاشى، ومثَّل شُريح في امرأة بكت وهي مُبْطلة ببكاء هؤلاء، وقرأ الآية[١].

وروي أن يعقوب لما سمع بكاءهم قال: ما بالكم، أَجَرى في الغنم شيء؟ قالوا: لا، قال: فأين يوسف؟ قالوا: ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ..، فبكى وصاح وقال: أين قميصه؟، وسيأتي قصص ذلك.

و﴿نَسۡتَبِقُ﴾ معناه: على الأقدام، أي: نجري غلاباً، وقيل: بالرمي، أي: ننتضل، وهو نوع من المسابقة، قاله الزجاج[٢].

وقولهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ﴾ أي: بمصدق، ومعنى الكلام: أي: لو كنا موصوفين بالصدق، وقيل: المعنى: ولو كنت تعتقد ذلك فينا في جميع أقوالنا قديماً لَمَا صدقتنا في هذه النازلة خاصة لِمَا لحقك فيها من الحزن ونالك من المشقة، ولِمَا تقدم من تهمتك لنا.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قولٌ ذكره الزجاج وغيره[٣].

ويحتمل أن يكون قولهم: ﴿وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾، بمعنى: وإن كنا صادقين[٤]، وقاله المبرد[٥]، كأنهم أخبروا عن أنفسهم أنهم صادقون في هذه النازلة، فهو تماد منهم في الكذب، ويكون بمنزلة قوله: ﴿**أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ**﴾ [الأعراف: ٨٨] بمعنى: أو إن كنا كارهين.

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا المثال عندي نظر.

وتخبَّط الرماني في هذا الموضع، وقال: ألزموا أباهم عناداً[٦]، ونحو هذا مما لا

---

(١) العقد الفريد (١/ ٨١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٩٥).

(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٩٦).

(٤) في أحمد٣: «صديقين»، والمثبت هو الموافق لما في المصدر.

(٥) الهداية لمكي (٥/ ٣٥١٩).

(٦) تفسير الرماني غير متوفر.

يلزم لأنهم لم يقولوا: وما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين في معتقدك، بل قالوا: وما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين فيما نعتقد نحن، وأما أنت فقد غلب عليك سوء الظن بنا.

ولا ينكَر أن يعتقد الأنبياء عليهم السّلام صدق الكاذب وكذب الصادق ما لم يوحَ إليهم، فإنما هو بشر، كما قال ﷺ: «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه» الحديث[١]، فهذا يقتضي أنه جوَّز على نفسه أن يصدِّق الكاذب، وكذلك قد صدَّق ﷺ عبد الله بن أبيٍّ حين حلف على مقالة زيد بن أرقم وكذب زيداً، حتى نزل الوحي[٢]، فظهر الحق، فكلام إخوة يوسف إنما هو مغالطة ومحاجة لا إلزامُ عنادٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ الآية، روي أنهم أخذوا سخلة أو جدياً فذبحوه ولطخوا به قميص يوسف، وقالوا ليعقوب: هذا قميصه، فأخذه ولطخ به وجهه وبكى، ثم تأمله فلم يرخرقاً ولا أثرَ نابٍ، فاستدل بذلك على كذبهم، وقال لهم: متى كان الذئب حليماً، يأكل يوسف ولا يخرق قميصه؟، قص هذا القَصَص ابن عباس وغيره[٣].

وأجمعوا على أنه استدل على كذبهم بصحة القميص، واستند الفقهاء إلى هذا في إعمال الأمارات في مسائل كالقسامة بها في قول مالك إلى غير ذلك[٤].

قال الشعبي: كان في القميص ثلاث آيات: دلالته على كذبهم، وشهادته في قدِّه، وردُّ بصر يعقوب به[٥].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٦٨٠)، ومسلم (١٧١٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٩٠٠)، ومسلم (٢٧٧٢) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.
(٣) أخرجه الطبري (١٨٨٥١ ١٨٨٥٢ ١٨٨٥٣)، وابن أبي حاتم (١١٣٩٠، ١١٣٩١) من طرق صحيحة عن ابن عباس رضي الله عنه.
(٤) انظر هذا المعنى في أحكام القرآن لابن العربي (٥/ ٥١)، وانظر قول مالك في المدونة ٤ (/ ٦٤٩).
(٥) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٠٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١١١)، وفي الأصل: «الشافعي».

وروي أنهم ذهبوا فأخذوا ذئباً فلطخوا فاه بالدم وساقوه وقالوا ليعقوب: هذا أكل يوسف، فدعاه يعقوب فأقعى وتكلم بتكذيبهم.

ووصف الدم بكَذِبٍ إما على معنى: بدمٍ ذي كذب، وإما أن يكون بمعنى: مكذوبٍ عليه، كما قد جاء المعقول بدل العقل في قول الشاعر:

حَتّى إذا لَمْ يَتْرُكوا لِعِظامِهِ لَحْماً، ولا لِفُؤادِهِ مَعْقُولا[١] [الكامل]

فكذلك يجيء التكذيب مكان المكذوب.

قال القاضي أبو محمد: هذا كلام الطبري[٢]، ولا شاهد له فيه عندي، لأن نفي المعقول يقتضي نفي العقل، ولا يحتاج إلى بدل، وإنما الدم الكذب عندي وصف بالمصدر على جهة المبالغة.

وقرأ الحسن: (بدمٍ كَدِبٍ) بدال غير معجمة[٣]، ومعناه: الطري ونحوه، وليست هذه القراءة قوية.

ثم قال لهم / يعقوب لما بان كذبهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾ أي: رضيت [٣/ ٦٠]
وجعلت سولاً ومراداً، ﴿أَمْرًا﴾ أي: صنعاً قبيحاً بيوسف.

وقوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ رفع إما على حذف الابتداء، وإما على حذف الخبر: إما على تقدير: فشأني صبر جميل، وإما على تقدير: فصبر جميل أَمْثَلُ.

وذكر أن الأشهب وعيسى بن عمر قرأا بالنصب: (فصبراً جميلاً) على إضمار فعل، وكذلك هي في مصحف أبيٍّ ومصحف أنس بن مالك[٤]، وهي قراءة ضعيفة

---

(١) البيت للراعي النميري كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ٧٢٩)، وسمط اللآلي (١/ ٢٦٦)، وأساس البلاغة (١/ ٦٧٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١١).

(٣) وهي شاذة، انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٣٠)، والمحتسب (١/ ٣٣٥).

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٩٥)، ومختصر الشواذ (ص: ٦٨).

عند سيبويه[١]، ولا يصلح النصب في مثل هذا إلا مع الأمر، ولذا يحسن النصب في قول الشاعر:

[الرجز] صَبْراً جَميلاً فَكِلانا مُبْتَلَى[٢] ....

[وينشد أيضاً بالرفع وهو ضعيف[٣]، ويروى: صبرٌ جميلُ[٤]، على نداء الجمل المذكور في قوله:

[الرجز] شكا إِليَّ جملي طولَ السُّرى يا جملي ليس إليَّ المشتكى

صبرٌ جُمَيْلُ فكِلانا مُبْتَلى][٥]

وإنما تصح قراءة النصب على أن تقدِّر يعقوب عليه السّلام رجع إلى مخاطبة نفسه أثناء مخاطبة بنيه.

وجميل الصبر: ألا تقع شكوى إلى بشر، وقال النبي ﷺ: «مَن بث لم يصبر صبراً جميلاً»[٦].

---

(١) الكتاب لسيبويه (١/ ٣٢١).

(٢) قبله: شكا إلي جملي طول السُّرى، كذا جاء بالنصب في معاني القرآن للفراء (٢/ ١٥٦)، وتفسير الطبري (١٨/ ٧٩)، بلا نسبة.

(٣) «وهو ضعيف»: ساقطة من المطبوع، وقد جاء بالرفع في الجمل في النحو (ص: ١٧٥)، والكتاب لسيبويه (١/ ٣٢١). ونسبه ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه (١/ ٢٨٠) للملبد بن حرملة.

(٤) في التركية والمصرية: «صبراً وجميل» وفي «تهذيب اللغة» (١٠/ ١٦٥): «صبراً جميلُ».

(٥) ما بين معقوفين ساقط من الأصل، وانظر هذه الرواية في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٩٧)، وفي نور العثمانية: «صبراً جميلاً».

(٦) لا يصح مرفوعاً، أخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ٢٣٣ ٥/ ٢٩٦) من طريق: زافر بن سليمان ومنصور بن أبي مزاحم ـ مفرقين ـ عن عبد الوهاب الخفاف عن عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ، قال: «من كنوز البر إخفاء الصدقة وكتمان المصائب والأمراض، ومن بث فلم يصبر»، وإسناده لين، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٢٧)، والطبري (١٩٧٣٢)، وابن أبي حاتم (١١٩٠٢) من طريق عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، عن مسلم بن يسار المصري، =

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ تسليم لأمر الله تعالى وتوكل عليه، والتقدير: على احتمال ما تصفون.

قوله عز وجل: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

قيل: إن السيارة جاءت في اليوم الثاني من طرحه في الجب.

والسَيَّارَة: جمع سيار، كما قالوا: بغال وبغالة، وهذا بعكس قولهم[1]: تمرة وتمر.

والسَيَّارَة: بناء مبالغة للذين يرددون السير في الطرق، وروي أن هذه السيارة كانوا قوماً من أهل مدين، وقيل: قوم أعراب.

والوارد هو الذي يأتي الماء ليستقي منه لجماعته، والوارد هنا يمكن أن يقع على واحد وعلى جماعة، ويروى أن مدلي الدلو كان يسمى مالك بن ذعر[2]، ويروى أن هذا الجب كان بالأردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب.

ويقال: أدلى الدلو: إذا ألقاه في البئر ليستقي الماء، ودَلَاه يَدْلوه: إذا استقاه من البئر.

وفي الكلام هنا حذف تقديره: فتعلق يوسف بالحبل فلما بصر به المُدْلي قال: يا بشراي، وروي أن يوسف كان يومئذ ابنَ سبع سنين، ويرجِّح هذا لفظة ﴿غُلَٰمٌ﴾، فإنه ما بين الحولين إلى البلوغ، فإن قيلت فيما فوق ذلك فعلى استصحابِ حالٍ وتجوُّزٍ، وقيل: كان ابنَ سبع عشرة سنة، وهذا بعيد.

= عن النبي ﷺ به، مرسلاً: والإفريقي كذلك ضعيف، وأخرجه الطبري في (١٨٨٧٢ و١٨٨٧٣) من طريق عبد الرحمن بن يحيى الكناني، عن حبان بن أبي جبلة قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ قال: «صبر لا شكوى فيه». قال: «من بث فلم يصبر». وإسناده مرسل.

(١) من الحمزوية ونجيبويه وأحمد٣، وفيه: «نقال ونقالة.. وثمرة وثمر».

(٢) وهو مالك بن ذعر بن بُويب بن عفقان بن مديان بن إبراهيم، كما في تفسير الطبري (١٥/ ١٨).

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر: ﴿يا بُشْرَايَ﴾ بإضافة البشرى إلى المتكلم وبفتح الياء على ندائها، كأنه يقول: احضُري، فهذا وقتك، وهذا نحو قوله: ﴿يَحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠]، وروى ورش عن نافع: (يا بشرايْ) بسكون الياء(١).

قال أبو علي: وفيها جمع بين ساكنين على حد دابة وشابة، ووجه ذلك: أنه يجوز أن تختص بها الألف؛ لزيادة المد الذي فيها على المد الذي في أختيها، كما اختصت في القوافي بالتأسيس، واختصت في تخفيف الهمزة نحو هباءة، وليس شيء من ذلك في الياء والواو(٢).

وقرأ أبو الطفيل والجحدري وابن أبي إسحاق والحسن: (يا بُشْريّ)(٣)، تقلب الألف ياء ثم تدغم في ياء الإضافة، وهي لغة فاشية، ومن ذلك قول أبي ذؤيب:

[الكامل]
سَبَقوا هَوَيَّ وأَعْنقُوا لِهَواهُمُ ... فَتُخُرِّموا ولُكلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ(٤)

وأنشد أبو الفتح وغيره في ذلك:

[الوافر]
يطوِّف بي عكبٌ فِي مَعَدّ ... ويطعُن بالصُمُلَّة فِي قَفَيَّا
فإن لم تثأروا لي من عِكَبّ ... فلا أرويتما أبداً صَدَيَّا(٥)

[يريد: هواي وقفاي وصداي](٦).

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿يا بُشْري﴾ ويميلان ولا يضيفان، وقرأ عاصم كذلك إلا أنه يفتح الراء ولا يميل(٧).

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٤٧)، وليست من طريق الشاطبية والتيسير ولا النشر.
(٢) في الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٤١٣).
(٣) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٣٦).
(٤) تقدم في تفسير الآية (٤٠) من سورة البقرة.
(٥) للمنخل اليشكري كما في الصحاح (١/ ١٨٨)، والأغاني (١٠/ ١٠)، وفي نور العثمانية وأحمد٣: «ابن كعب» بدل «عكب».
(٦) انظر: المحتسب (١/ ٣٣٦)، والزيادة من المطبوع وأحمد٣ والمصرية.
(٧) فهذه والأولى سبعيتان، انظرهما مع إمالة الأخوين وتقليل ورش في التيسير (ص: ١٢٨).

واختلف في تأويل هذه القراءة فقال السدي: «كان في أصحاب هذا الوارد رجل اسمه بشرى، فناداه وأعلمه بالغلام»[١]، وقيل: هو على نداء البشرى، كما قدمنا.

والضمير في قوله: ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ ظاهر الآيات أنه لورَّاد الماء، قاله مجاهد، وقال: إنهم خشوا من تجار الرفقة ـ إن قالوا: وجدناه ـ أن يشاركوهم في الغلام الموجود[٢].

قال القاضي أبو محمد: هذا إن كانوا فسقة، أو يمنعوهم من تملكه إن كانوا خياراً[٣]، فأسرُّوا بينهم أن يقولوا: أبضعه معنا بعض أهل المصر.

و﴿بِضَاعَةً﴾ حال، والبضاعة: القطعة من المال يتجر فيها بغير نصيب من الربح، مأخوذة من قولهم: بضعت، أي: قطعت، وقيل: إنهم أسروا في أنفسهم يتخذونه بضاعة لأنفسهم أي: متَّجراً، ولم يخافوا من أهل الرفقة شيئاً، ثم يكون الضمير في قوله: ﴿وَشَرَوْهُ﴾ لهم أيضاً، أي: باعوه بثمن قليل، إذ لم يعرفوا حقه ولا قدره، بل كانوا زاهدين فيه، وروي ـ على هذا ـ أنهم باعوه من تاجر، وقال مجاهد: الضمير في ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ لأصحاب الدلو، وفي ﴿وَشَرَوْهُ﴾ لإخوة يوسف الأحد عشر[٤].

وقال ابن عباس: بل الضمير في ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ و﴿وَشَرَوْهُ﴾ لإخوة يوسف[٥].

قال القاضي أبو محمد: وذلك أنه روي أن إخوته لما رجعوا إلى أبيهم وأعلموه، رجع بعضهم إلى الجب ليتحققوا أمر يوسف، ويقفوا على الحقيقة مِن فقده، فلما علموا أن الورّاد قد أخذوه، جاؤوهم فقالوا: هذا عبد أبق لأمنا ووهبته لنا ونحن نبيعه منكم، فقارَّهم يوسف على هذه المقالة خوفاً منهم، ولينفذ الله أمره، فحينئذ أسرَّه

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٣)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٧).
(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٦)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٧).
(٣) في المطبوع وأحمد٣: «مؤمنين».
(٤) تفسير الطبري (١٥/ ٩).
(٥) أخرجه الطبري (١٨٩٠٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

إخوته إذ جحدوا أُخُوَّته فأسرَّوها، واتخذوه بِضاعَةً، أي: متَّجراً لهم ومكسباً، وَشَرَوْهُ أيضا بِثَمَنٍ بَخْسٍ، أي: باعوه.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ إن كانت الضمائر لإخوة يوسف ففي ذلك توعد، وإن كانت الضمائر للواردين ففي ذلك تنبيه على إرادة الله تعالى ليوسف، وسوق الأقدار بحسب بناء حاله، فهو حينئذ بمعنى قول النبي ﷺ: «يدبِّر ابن آدم والقضاء يضحك»[(١)].

وفي الآية أيضاً تسلية للنبي ﷺ عما يجري عليه من جهة قريش، أي: العاقبة التي للمتقين هي المراعاة والمنتظَرة.

﴿وَشَرَوۡهُ﴾ هنا بمعنى: باعوه، وقد يقال: شرى، بمعنى اشترى، ومن الأول قول يزيد بن مفرِّغ الحميري:

[مجزوء الكامل] وَشَـرَيْـتُ بُـرْداً لَـيْـتَـنِـي مِـنْ بَعْدِ بُـرْدٍ كُنْتُ هَامَه[(٢)]

برد: اسم غلام له ندم على بيعه، والضمير يحتمل الوجهين المتقدمين.

[٣/ ٦١] والبخس مصدر وُصِف به الثمنُ، وهو بمعنى النقص وهذا أشهر معانيه / ، فكأنه القليل الناقص، وهو قول الشعبي[(٣)].

وقال قتادة: البخس هنا بمعنى الظلم[(٤)]، ورجحه الزجاج من حيث الحُرُّ لا يحل بيعه[(٥)].

---

(١) هذا القول ليس بحديث، بل هو قول ذي النون المصري قال: «قرأت في بعض قرى مصر بالسريانية فتدبرته فإذا فيه: يقدر المقدرون والقضاء يضحك»، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٣٩).

(٢) تقدم في تفسير الآية (٢٠٤) من سورة البقرة.

(٣) تفسير الماوردي (٣/ ١٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٤٠٦).

(٤) تفسير الطبري (١٥/ ١٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٦)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٨).

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٩٨).

وقال الضحاك: هو بمعنى الحرام[1]، وهذا أيضاً بمعنى لا يحل بيعه.

وقوله: ﴿دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ عبارة عن قلة الثمن لأنها دراهم لم تبلغ أن توزن لقلتها، وذلك أنهم كانوا لا يزنون ما دون الأوقية، وهي أربعون درهماً.

واختلف في مبلغ ثمن يوسف عليه السّلام: فقيل: باعوه بعشرة دراهم.

وقال ابن مسعود: بعشرين[2].

وقال مجاهد: «اثنين وعشرين، أخذ منها إخوته درهمين درهمين».

وقال عكرمة: «بأربعين درهماً دفعت ناقصة خفافاً، فهذا كان بخسها»[3].

وقوله: ﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ وصف يترتب في ورَّاد الماء، أي: كانوا لا يعرفون قدره، فهم لذلك قليلٌ اغتباطُهم به، لكنه أرتَبُ في إخوة يوسف؛ إذ حقيقة الزهد في الشيء إخراج حبه من القلب ورفضُه من اليد، وهذه كانت حال إخوة يوسف في يوسف، وأما الورَّاد فتمسكهم به وتجرهم يمانع زهدهم إلا على تجوُّز.

وقوله: ﴿فِيهِ﴾ ليست بصلة[4] لـ﴿ٱلزَّٰهِدِينَ﴾، قاله الزجاج[5]، وفيه نظر لأنه يقتضي وصفهم بالزهد على الإطلاق وليس مقصد الآية هذا، بل قصدها الزهد الخاص في يوسف، والظروف يجوز فيها من التقديم ما لا يجوز في سائر الصلات، وقد تقدم القول في عود ضمير الجماعة الذي في قوله: ﴿وَشَرَوۡهُ﴾.

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ١٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٥)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٨٩٢٠-١٨٩٢١) من طريق أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه به، والراجح أنه لم يسمع منه، انظر «جامع التحصيل» (٣٢٤).

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (١٥/ ١٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٦)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٨).

(٤) في المصرية: «بصفة».

(٥) معاني القرآن وإعرابه له (٣/ ٩٨).

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

روي أن مبتاع يوسف ـ وهو الوارد من إخوته أو التاجر من الورَّاد، حسبما تقدم من الخلاف ـ ورد به مصر، البلد المعروف، ولذلك لا ينصرف، فعرضه في السوق، وكان أجمل الناس، فوقعت فيه مزايدة حتى بلغ ثمناً عظيماً؛ فقيل: وزنه من ذهب ومن فضة ومن حرير فاشتراه العزيز، وكان حاجبَ الملك وخازنه، واسم الملك: الرَّيان بن الوليد، وقيل: مصعب بن الريان، وهو أحد الفراعنة، وقيل: هو فرعون موسى، عُمِّر إلى زمانه.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، وذلك أن ظهور يوسف عليه السّلام لم يكن في مدة كافر يخدمه يوسف.

واسم العزيز المذكور: قطفير، قاله ابن عباس(١)، وقيل: أظفير(٢)، وقيل: قنطور.

واسم امرأته: راعيل، قاله ابن إسحاق(٣)، وقيل ربيحة، وقيل: زليخا.

وظاهر أمر العزيز أنه كان كافراً، ويدل على ذلك كون الصنم في بيته ـ حسبما نذكره في البرهان الذي رأى يوسف ـ وقال مجاهد: «كان العزيز مسلماً»(٤).

والمثوى: مكان الإقامة، والإكرام إنما هو لذي المثوى، ففي الكلام استعارة.

وقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾، أي: بأن يعيننا في أبواب دنيانا وغير ذلك من وجوه النفع، وقوله: ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ أي: نتبناه، وكان فيما يقال لا ولد له.

---

(١) أخرجه الطبري (١٨٩٤١)، وابن أبي حاتم (١١٤٣٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «أطفير».

(٣) تفسير الطبري (١٥/ ١٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٧)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٩).

(٤) تفسير الطبري (١٥/ ١٩).

ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾، أي: كما وصفنا ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ﴾ فعلنا ذلك.

و﴿ٱلْأَحَادِيثِ﴾: الرؤيا في النوم، قاله مجاهد[1]، وقيل: أحاديث الأمم والأنبياء.

والضمير في ﴿أَمْرِهِۦ﴾ يحتمل أن يعود على يوسف، قاله الطبري، ويحتمل أن يعود على الله عز وجل، قاله ابن جبير[2]، فيكون إخباراً منبهاً على قدرة الله عز وجل ليس في شأن يوسف خاصة بل عامّاً في كل أمر، وكذلك الاحتمال في قول الشاعر:

رَأَيْـت أَبـا بكرٍ وَرَبُّـك غالبٌ ... على أمره يَبْغِي الْخلَافَة بِالتَّمْرِ[3] [الطويل]

وأكثر الناس الذين نُفي عنهم العلم هم الكفرة، وفيهم الذين زهدوا في يوسف وغيرُهم ممن جهل أمره.

وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «أصح الناس فراسة ثلاثة: العزيز حين قال لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ﴾، وابنة شعيب حين قالت: ﴿ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، وأبو بكر حين استخلف عمر بن الخطاب»[4].

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٢٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٨)، وتفسير الماوردي (٣/ ٨)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٣٠١).

(٢) انظره مع قول الطبري في تفسير الطبري (١٥/ ٢١).

(٣) ورد بلا نسبة في عيون الأخبار (٢/ ٣٨)، والعقد الفريد (٧/ ١٩٧)، وأبو بكر هو ابن الزبير.

(٤) صحيح، أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٧٣)، وابن أبي حاتم (١١٤٣٨)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٩٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٥٤-٢٥٥) من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود به، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه، ولكن تقويها رواية أبي الأحوص عن ابن مسعود، أخرجها ابن أبي شيبة في المصنف (٣٨٠٥٥)، والطبري (١٨٩٤٩)، والطبراني في الكبير (٨٨٢٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٦)، من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن أبي الأحوص عوف بن مالك، عن عبد الله بن مسعود به، وقد صحح الطريقين الدارقطني، وانظر «العلل» (٥/ ٣٢٠).

قال القاضي أبو محمد: وفراسة العزيز إنما كانت في نفس نجابة يوسف، لا أنه تفرس الذي كان كما في المثالين الآخرين، فإن ما تُفُرِّس فيهما خرج بعينه[١].

والأَشُدُّ: استكمال القوة وتناهي بنية الإنسان، وهما أَشُدان:

أولهما: البلوغ، وقد عبر عنه مالك وربيعة بأَشُد، وذكره منذر بن سعيد[٢].

والثاني: الذي تستعمله العرب، وقيل: هو من ثماني عشرة سنة إلى ستين سنة.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول ضعيف.

وقيل: الأشد: بلوغ الأربعين، وقيل: بل ستة وثلاثون. وقيل: ثلاثة وثلاثون.

قال القاضي أبو محمد: وهذا أظهر الأقوال ـ فيما نحسبه ـ [وهو الأسبوع الخامس][٣].

وقيل: عشرون سنة، وهذا ضعيف.

وقال الطبري: الأشد لا واحد له من لفظه[٤].

وقال سيبويه: الأشد جمع شدة، نحو نعمة وأنعم، وقال الكسائي: أَشُد جمع شَد نحو قد وأَقُدٍّ[٥]، وشَدُّ النهار: معظمه وحيث تستكمل[٦] نهاريته.

وقوله: ﴿حُكۡمٗا﴾ يحتمل أن يريد الحكمة والنبوءة، وهذا على الأشد الأعلى،

---

(١) في أحمد٣: «فإن التفرس»، و«فيهما» زيادة منه.
(٢) إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٩٧)، وقد تقدم الكلام على الأشد وذكرُ الأقوال فيه في تفسير الآية (١٥٢) من سورة الأنعام.
(٣) ساقط من المطبوع، ويعني قبل خمس وثلاثين بناء على أن الأسبوع هو سبع سنوات.
(٤) تفسير الطبري (١٥/ ٢٣).
(٥) انظر القولين في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٩٧)، وشد النهار إشارة لقول الشاعر: عهدي به شدّ النّهار كأنّما * خضب البنان ورأسه بالعظلم.
(٦) في أحمد٣: «تستعجل».

ويحتمل الحكمة والعلم دون النبوءة، وهذا أشبه إن كانت قصة المراودة بعد هذا.

و﴿وَعِلْمًا﴾ يريد تأويل الأحاديث وغير ذلك.

ويحتمل أن يريد بقوله: ﴿حُكْمًا﴾ أي: سلطاناً في الدنيا وحكماً بين الناس بالحق. وتدخل النبوة وتأويل الأحاديث وغير ذلك في قوله: ﴿وَعِلْمًا﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ألفاظ فيها وعد للنبي ﷺ، فلا يهولنك فعل الكفرة بك وعتوهم عليك فالله تعالى يصنع للمحسنين أجمل صنع.

قوله عز وجل: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥)﴾.

المراودة: الملاطفة في السَّوق إلى غرض، وأكثر استعمال هذه اللفظة إنما هو في هذا المعنى الذي هو بين الرجال والنساء، ويشبه أن يكون من راد يرود إذا تقدم لاختبار الأرض والمراعي، فكأنَّ المراوِد يختبر أبداً بأقواله وتلطفه حال المراوَد من / الإجابة أو الامتناع. [٣/ ٦٢]

وفي مصحف ابن مسعود: (وقرعت الأَبواب)، وكذلك رويت عن الحسن[1].

و﴿الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ هي زليخا امرأة العزيز.

قوله: ﴿عَن نَّفْسِهِ﴾ كناية عن غرض المواقعة.

---

(١) وهي شاذة مخالفة للرسم، لكن صوابه: «وترعت الأبواب»، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٢٤٤)، والأزهري في تهذيب اللغة (٢/ ١٥٨)، لأبي بن كعب، قال الزبيدي في تاج العروس (٢٠/ ٣٨٨): وهي أيضاً قراءة أنس رضي الله عنه، وقراءة أبي صالح، كما في العباب.

وقوله: ﴿وَغَلَّقَتِ﴾ تضعيف مبالغة لا تعدية، وظاهر هذه النازلة أنها كانت قبل أن ينبأ عليه السلام.

وقرأ ابن كثير وأهل مكة: ﴿هَيْتُ﴾ بفتح الهاء وسكون الياء وضم التاء.

وقرأ ابن عباس وابن أبي إسحاق وابن محيصن وأبو الأسود وعيسى بفتح الهاء وكسر التاء (هَيْتِ)[١].

وقرأ ابن مسعود والحسن والبصريون: ﴿هَيْتَ﴾ بفتح الهاء والتاء وسكون الياء، ورويت عن ابن عباس وقتادة وأبي عمرو[٢]، قال أبو حاتم: لا يعرف أهل البصرة غيرها، وهم أقل الناس غلوّاً في القراءة، قال الطبري: وقد رويت عن رسول الله ﷺ[٣].

وقرأ نافع وابن عامر: ﴿هِيتَ﴾ بكسر الهاء وسكون الياء وفتح التاء، وهي قراءة الأعرج وشيبة وأبي جعفر.

وهذه الأربع بمعنًى واحد، واختلفت باختلاف اللغات فيها، ومعناه الدعاء، أي: تعال وأقبل على هذا الأمر، قال الحسن: معناها: هلمّ[٤].

ويحسن أن تتصل بها ﴿لَكَ﴾ إذْ حلت محل قولها: إقبالاً أو قرباً، فجرت مجرى سقياً لك ورعياً لك، ومن هذا قول الشاعر يخاطب علي بن أبي طالب:

[مجزوء الكامل]

أَبْـلِـغْ أَمِـيـرَ الْـمُـؤْمِـنِـيـنَ ... أَخَـا الْـعِـرَاقِ إِذَا أَتَـيْـتَـا

أَنَّ الْـعِـرَاقَ وَأَهْـلَـهَـا ... عُـنُـقٌ إِلَـيْكَ فَـهَـيْـتَ هَيْـتَـا[٥]

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٣٧).

(٢) هذه قراءة أبي عمرو والكوفيين، وهي والأولى وقراءة نافع وابن ذكوان كلها سبعية، وبقيت رابعة لهشام بالهمز، وخامسة له أيضاً بضم التاء، انظر: التيسير (ص: ١٢٨)، وانظر موافقة أبي جعفر لنافع في النشر (٢/ ٣٣١).

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٣٠)، وقد ذكره البخاري (٤٤١٥) مختصراً، راجع فتح الباري (٨/ ٣٦٤).

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٢٦).

(٥) البيتان لرجل من أهل العراق كما في تاريخ الطبري (٤/ ٥٦٤)، وبلا نسبة في مجاز القرآن (١/ ٣٠٥)، وغيره.

ومن ذلك على اللغة الأخرى قول طرفة:

لَيْسَ قَومِي بِالأَبْعَدِينَ إذَا مَا ... قَالَ دَاعٍ مِنَ الْعَشِيرَةِ هَيْتُ[١] [الخفيف]

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر:

قَدْ رَابَنِي أَنَّ الْكَرِيَّ أَسْكَتَا ... لَوْ كَانَ مَعْنِيّاً بِهَا لَهَيَّتَا[٢] [الرجز]

أسكت: دخل في سكوت، وهيَّت معناه: قال: هيت هيت[٣]، كما قالوا: أَفَّف، إذا قال: أف أف، ومنه سبَّح وكبَّرَ، ودعدع إذ قال: داع داع.

والتاء على هذه اللغات كلها مبنية فهي في حال الرفع كقبلُ وبعدُ، وفي حال الكسر على الباب لالتقاء الساكنين، وفي حال النصب ككيف ونحوها، قال أبو عبيدة: و«هَيْتَ» لا تثنى ولا تجمع، تقول العرب: هَيْتَ لَكَ، وهيت لكما، وهيت لكم[٤].

وقرأ هشام عن[٥] ابن عامر: ﴿هِئْتُ﴾، بكسر الهاء والهمز وضم التاء، وهي قراءة علي بن أبي طالب، وأبي وائل، وأبي رجاء ويحيى، ورويت عن أبي عمرو[٦]، وهذا يحتمل أن يكون من هاء الرجل يَهيء: إذا أحسن هيئته، على مثال: جاء يجيء، ويحتمل أن يكون بمعنى: تهيأت، كما يقال: فِئْتُ وتفيأت بمعنًى واحد، قال الله عز وجل: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾ [النحل: ٤٨]، وقال: ﴿حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

وقرأ ابن أبي إسحاق أيضاً: (هِيْتُ) بتسهيل الهمزة من هذه القراءة المتقدمة[٧].

---

(١) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٦/ ٣٠)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٠٠)، والمحتسب (١/ ٣٣٧).

(٢) البيت بلا نسبة في معجم ديوان الأدب (٢/ ٢٨٥)، تهذيب اللغة (٦/ ٢٠٩)، الحجة للفارسي (٤/ ٤١٨).

(٣) الثانية من نجيبويه والحمزوية ونور العثمانية وأحمد٣.

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٠٥).

(٥) «عن»: ساقطة من المطبوع.

(٦) وهي سبعية لهشام، وله وجه بفتح التاء كما تقدم، ولم ترد عن أبي عمرو في شيء من الطرق.

(٧) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٦/ ٢٥٧).

وقرأ ابن عباس أيضاً: «هيأت لك»(١)، وقرأ الحلواني عن هشام: «هِئْتَ» [بكسر الهاء](٢) والهمز وفتح التاء(٣)، قال أبو علي: ظاهر أن هذه القراءة وهم، لأنه كان ينبغي أن تقول: هِئْتَ لي، وسياق الآيات يخالف هذا(٤)، وحكى النحاس: أنه يقرأ: «هِيتِ» بكسر الهاء وسكون الياء وكسر التاء(٥).

و﴿مَعَاذَ﴾ نصب على المصدر ومعنى الكلام: أعوذ بالله.

ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ فيحتمل أن يعود الضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ على الله عز وجل، ويحتمل أن يريد العزيزَ سيدَه، أي: فلا يصلح لي أن أخونه وقد أكرم مثواي وائتمنني، قال مجاهد، والسدي: «رَبِّي معناه: سيدي»، وقاله ابن إسحاق(٦).

قال القاضي أبو محمد: وإذا حَفِظَ الآدميَّ لإحسانه فهو عملٌ زاكٍ، وأحرى أن يحفظ ربه.

ويحتمل أن يكون الضمير للأمر والشأن، ثم يبتدئ: ﴿رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾.

والضمير في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ﴾ مراد به الأمر والشأن فقط.

وحكى بعض المفسرين: أن يوسف عليه السلام لما قال: معاذ الله، ثم دافع الأمر باحتجاج وملاينة، امتحنه الله تعالى بِالهمّ بما همَّ به، ولو قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ودافع بعنف وتغيير لم يهمَّ بشيء من المكروه.

---

(١) في الأصل ونجيبويه: «هيت»، وفي الحمزوية: «هييت»، وفي أحمد٣: «هيئت»، وكذلك هي في المحتسب (١/ ٣٣٧) عنه.

(٢) سقط من الأصل.

(٣) انظر: السبعة في القراءات (ص: ٣٤٧).

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٤٢٠)، نقلاً عنه بالمعنى.

(٥) ذكر النحاس سبع قراءات، ليس فيها كسر التاء إلا مع فتح الهاء، وقد عزا كسرهما الكرماني (ص: ٢٤٤) لابن أبي إسحاق.

(٦) تفسير الطبري (١٦/ ٣٢).

وقرأ الجحدري: (مثويَّ) وقرأها كذلك أبو طفيل[١]، وروي عن النبي ﷺ: «فمن تبع هُدَيَّ»[٢].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ الآية، لا شك أن هَمَّ زليخا كان في أن يواقعها يوسف.

واختُلف في هَمِّ يوسف عليه السلام:

فقال الطبري: قالت فرقة: كان مثل همها[٣]، واختلفوا كيف يقع من مثل يوسف وهو نبي؟ فقيل: ذلك ليريه الله تعالى موقع العفو والكفاية، وقيل: الحكمة في ذلك أن يكون مثالاً للمذنبين ليروا أن توبتهم ترجع بهم إلى عفو الله كما رجعت بمن هو خير منهم ولم يوبقه القرب من الذنب، وهذا كله على أن همَّ يوسف بلغ فيما روت هذه الفرقة إلى أن جلس بين رجلي زليخا وأخذ في حل ثيابه وتكَّته ونحو هذا، وهي قد استلقت له، قاله ابن عباس وجماعة من السلف[٤].

وقالت فرقة في همه: إنما كان بخطرات القلب التي لا يقدر البشر عن التحفظ منها، ونزع عند ذلك ولم يتجاوزه، فلا يبعد هذا على مثله عليه السلام، وفي الحديث: «إن من هم بسيئة ولم يعملها فله عشر حسنات»[٥]، وفي حديث آخر: «حسنة»[٦]، فقد يدخل يوسف في هذا الصنف.

وقالت فرقة: كان همُّ يوسف بضربها ونحو ذلك.

---

(١) انظر عزوها للجحدري في الكامل للهذلي (ص: ٤٤٦)، وتقدم مثلها عن أبي الطفيل قريباً.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٣٤)، وما بعدها، منقول بالمعنى.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٢١)، وسعيد بن منصور في سننه (١١١٦)، والطبري (١٩٠١٥-١٩٠١٨-١٩٠٢٠-١٩٠٢١-١٩٠٢٢)، وابن أبي حاتم (١١٤٧٣-١١٤٧٤) من طرق صحيحة عن عبد الله بن أبي مليكة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف البتة، والذي أقول في هذه الآية: إن كون يوسف نبيّاً في وقت هذه النازلة لم يصح ولا تظاهرت به رواية، فإذا كان ذلك فهو مؤمن قد أوتي حكماً وعلماً، ويجوز عليه الهمُّ الذي هو إرادة الشيء دون مواقعته، وأن يستصحب الخاطر الرديء على ما في ذلك من الخطيئة، وإن فرضناه نبيّاً في ذلك الوقت فلا يجوز عليه عندي إلا الهم الذي هو الخاطر، ولا يصح عليه شيء مما ذكر من حل تكة ونحو ذلك، لأن العصمة مع النبوة، وما روي من أنه قيل له: تكون في ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء؟ فإنما معناه العِدَة بالنبوة فيما بعد.

وللهم بالشيء مرتبتان: فالواحدة الأولى تجوز عليه مع النبوة، والثانية الكبرى لا تقع إلا من غير نبي، لأن استصحاب / خاطر المعصية والتلذذَ به معصية [في نفسها][1] [٣/ ٦٣] تكتب، وقول النبي ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به نفوسها ما لم تنطق به أو تعمل»[2]، معناه: من الخواطر، وأما استصحاب الخاطر فمحال أن يكون مباحاً، فإن وقع فهو خطيئة من الخطايا لكنه ليس كمواقعة المعصية التي فيها الخاطر، ومما يؤيد أن استصحاب الخاطر معصية قول النبي ﷺ: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه»[3]، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[الحجرات: ١٢]؛ هذا منتزع من غير موضع من الشرع، والإجماع منعقد أن الهم بالمعصية واستصحاب التلذذ بها غير جائز ولا داخل في التجاوز[4].

واختلف في البرهان الذي رأى يوسف، وقيل: نودي. واختلف فيما نودي به، فقيل: ناداه جبريل: يا يوسف، تكون في ديوان الأنبياء، وتفعل فعل السفهاء؟

---

(١) زيادة من نجيبويه والمطبوع ونور العثمانية وأحمد٣.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٦٦٤)، ومسلم (١٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٤) القائل بالمؤاخذة على الهم بالمعصية: الباقلاني وجماعة معه، قال المازري: وهو مخالف لما عليه كثير من المحدثين والفقهاء والمتكلمين، انظر فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٢٧).

وقيل: نودي: يا يوسف، لا تواقع المعصية فتكون كالطائر الذي عصى فتساقط ريشه فبقي ملقى، ناداه بذلك يعقوب، وقيل غير هذا مما هو في معناه.

وقيل: كان البرهان كتاباً رآه مكتوباً، فقيل: في جدار المجلس الذي كانا فيه، وقيل: بين عيني زليخا، وقيل: في كف من الأرض خرجت دون جسد. واختلف في المكتوب، فقيل: قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾[الرعد: ٣٣]، وقيل: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢]، وقيل غير هذا.

وقيل: كان البرهان أن رأى يعقوبَ عليه السلام ممثلاً معه في البيت عاضّاً على إبهامه، وقيل: على شفته، وقيل: بل انفرج السقف فرآه كذلك.

وقيل: إن جبريل قال له: لئن واقعت المعصية لأمحونَّك من ديوان النبوة.

وقيل: إن جبريل ركضه برجله فخرجت شهوته على أنامله.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف.

[وقيل: بل كان البرهان فكرته في عذاب الله ووعيده على المعصية][١].

وقيل: بل كان البرهان الذي اتعظ به أن زليخا قالت له: مكانَك حتى أستر هذا الصنم ـ لصنم كان معها في البيت ـ فإني أستحيي منه أن يراني على هذه الحال، وقامت فسترته بثوب، فاتعظ يوسف، وقال: من يسترني أنا من الله القائم على كل شيء، وإذا كنت أنت تفعلين هذا لما لا يعقل، فأنا أولى أن أستحيي من الله[٢].

والبرهان في كلام العرب: الشيء الذي يعطي القَطْع واليقين، كان مما يعلم ضرورة أو بخبر قطعي أو بقياس نظري، فهذه التي رويت فيما رآه يوسف براهين.

و﴿أَن ﴾ في قوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا ﴾ في موضع رفع، التقدير: لولا رؤيته برهان ربه، وهذه ﴿لَوْلَآ ﴾ التي يحذف معها الخبر، تقديره: لفَعَل أو لارتكب المعصية.

---

(١) ساقط من الحمزوية ونور العثمانية.

(٢) انظر: تفسير الثعلبي (٥/ ٢١٣).

وذهب قوم إلى أن الكلام تم في قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾، وأن جواب ﴿لَوْلَآ﴾ في قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ وأن المعنى: لولا أن رأى البرهان لهمّ، أي: فلم يهم عليه السلام، وهذا قول يرده لسان العرب وأقوال السلف.

قال الزجّاج: ولو كان الكلام: ولهمّ بها لولا، لكان بعيداً، فكيف مع سقوط اللام![1].

والكاف من قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ متعلقة بمضمر تقديره: جرت أفعالنا وأقدارنا كَذلِكَ لِنَصْرِفَ، ويصح أن تكون الكاف في موضع رفع بتقدير: عصمتنا له كذلك لنصرف.

وقرأ الجمهور: ﴿لِنَصْرِفَ﴾ بالنون.

وقرأ الأعمش: (ليصرف) بالياء[2]، على الحكاية عن الغائب.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والحسن بن أبي الحسن وأبو رجاء: ﴿المخلِصين﴾ بكسر اللام في كل القرآن، وكذلك: ﴿مُخْلِصاً﴾ في سورة مريم [٥١].

وقرأ نافع: ﴿مخلِصاً﴾ كذلك بكسر اللام، وقرأ سائرَ القرآن: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ بفتح اللام.

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وجمهور من القراء: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ بفتح اللام و﴿مُخْلَصًا﴾ كذلك في كل القرآن[3].

وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ الآية، ﴿وَٱسْتَبَقَا﴾ معناه: سابق كل واحد منهما صاحبه إلى الباب، هي لترده إلى نفسها وهو ليهرب عنها، فقبضت في أعلى

(١) معاني القرآن وإعرابه له (٣/ ١٠٢)، بتصرف يسير.

(٢) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٦/ ٢٥٩).

(٣) وكلها سبعية، والمقصود بسائر القرآن «المخلصين» معرفاً، أما «مخلصاً» ففي مريم خاصة، انظر: التيسير (ص: ١٢٨)، (ص: ١٤٩).

قميصه من خلفه، فتخرق القميص عند طوقه، ونزل التخريق إلى أسفل القميص.

والقد: القطع، وأكثر ما يستعمل فيما كان طولاً، والقط يستعمل فيما كان عرضاً، وكذلك هي اللفظة في قول النابغة: «تقُدُّ السلوقي»[(١)] فإن قوله: «توقد بالصُّفَّاح» يقتضي أن القطع بالطول.

وأَلْفَيا: وجدا، والسيد: الزوج، قاله زيد بن ثابت[(٢)]، ومجاهد[(٣)]، فيروى أنهما وجدا العزيز ورجلاً من قرابة زليخا عند الباب الذي استبقا إليه، قاله السدي[(٤)].

فلما رأت الفضيحة فزعت إلى مطالبة يوسف والبغي عليه، فأرت العزيز أن يوسف أرادها، وقالت: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ﴾ يعذب عذاباً أليماً، وتكلمت في الجزاء، أي: أن الذنب ثابت متقرر.

وهذه الآية تقتضي بعظم موقع السجن من النفوس لا سيما بذوي الأقدار، إذ قرن بأليم العذاب.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾.

قال نوف الشامي: «كان يوسف عليه السلام لم يبنِ على كشف القصة، فلما بغَت به غضب، فقال الحق، فأخبره أنها هي راودته عن نفسه»[(٥)].

---

(١) من قوله: تقد السلوقي المضاعف نسجه * وتوقد بالصفاح نَار الحباحب، عزاه له في جمهرة اللغة (١/ ١٧٤)، والحيوان (١/ ٢٠٥).

(٢) أخرجه الطبري (١٩٠٩٤) من طريق الحسن، عن زيد بن ثابت به، وإسناده منقطع.

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٥١).

(٤) انظر تفسير الطبري (١٦/ ٥١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٢٧-٢١٢٨).

(٥) تفسير الطبري (١٦/ ٥٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٢٧).

فروي أن الشاهد كان الرجل ابن عمها، قال: انظروا إلى القميص فإن كان قده من دبر فكذبت، أو من قُبل فصدقت، قاله السدي[١].

وقال ابن عباس: «كان رجلاً من خاصة الملك»[٢]، قاله مجاهد[٣]، وغيره.

وقيل: إن الشاهد كان طفلاً في المهد فتكلم بهذا، قاله أيضاً ابن عباس[٤] وأبو هريرة[٥] وابن جبير وهلال بن يساف والضحاك[٦].

قال القاضي أبو محمد: ومما يضعف هذا أن في البخاري ومسلم: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم، وصاحب جريج، وابن السوداء الذي تمنت له أن يكون كالفاجر الجبار»[٧]، فقال: «لم يتكلم»، وأسقط صاحب يوسف منها، ومنها: أن الصبي لو تكلم لكان الدليل نفس كلامه دون أن يحتاج إلى الاستدلال بالقميص / . [٣/ ٦٤]

وأسند الطبري إلى ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «تكلم في المهد أربعة»، فذكر

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٥١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٢٧-٢١٢٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٩١١٢)، وابن أبي حاتم (١١٥٠٩) من طريق جابر بن يزيد بن الحارث، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وإسناده ضعيف؛ لضعف جابر بن يزيد ابن الحارث.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٥٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٢٨).

(٤) منكر، أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٣١٠-٢٨٢١)، والطبري (١٩٠٩٩-١٩١١٠)، وابن أبي حاتم (١٩١١٠) من طريق: العلاء بن عبد الجبار، عن حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: تكلم أربعة في المهد وهم صغار: ابن ماشطة بنت فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى ابن مريم عليه السلام.اهـ. وعطاء كان قد اختلط، وحماد روى عنه في الحالين، وذِكر شاهد يوسف هنا منكر، وسيأتي توهين المصنف له، والذي في الصحيحين أثبت.

(٥) أخرجه الطبري (١٩١٠٠) من طريق أبي بكر الهذلي، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة به، وأبو بكر الهذلي ضعيف.

(٦) تفسير الطبري (١٦/ ٥٥)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٢٨).

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٤٣٦)، ومسلم (٢٥٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وليس في الحديث ذكر أن المرأة كانت سوداء، وليس فيه سوى أنها من بني إسرائيل.

الثلاثة وزاد صاحب يوسف[١]، وذكر الطبري عن ابن عباس: أن ابن ماشطة فرعون تكلم في المهد.

فهم على هذا خمسة، وقال مجاهد أيضاً: الشاهد القميص[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف لأنه لا يوصف بأنه من الأهل.

وقرأ جمهور الناس: ﴿مِن قُبُلٍ﴾ و﴿مِن دُبُرٍ﴾ بضم الباءين وبالتنوين.

وقرأ ابن يعمر والجارود بن أبي سبرة ونوح وابن أبي إسحاق: (من قُبُلُ)، و(من دُبُرُ)، بثلاث ضمات من غير تنوين[٣]، قال أبو الفتح: هما غايتان بنيتا، كقوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤].

قال أبو حاتم: وهذا رديء في العربية جدّاً، وإنما يقع هذا البناء في الظروف[٤].

وقرأ الحسن: (من قبْلٍ) و(من دبْرٍ) بإسكان الباءين والتنوين، ورويت عن أبي عمرو[٥].

وروي عن نوحٍ القارئ أنه أسكن الباءين وضم الأواخر ولم ينون، ورواها عن ابن أبي إسحاق عن يحيى بن يعمر[٦].

وسمي المتكلم بهذا الكلام شاهِداً من حيث دل على الشاهد، ونفسُ الشاهد هو تخريق القميص.

---

(١) منكر وقد سبق الكلام عليه في قول ابن عباس المذكور فوق، وكذلك قول ابن عباس الذي بعده.

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٥٨).

(٣) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٦٨)، ومع التوجيه في المحتسب (١/ ٣٣٨).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) وهي شاذة، انظر قراءة الحسن في مختصر الشواذ (ص: ٦٧)، وهي رواية محبوب عن أبي عمرو كما في القرطبي (٩/ ١٧٤).

(٦) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٢٤٤)، وفي المطبوع: «عن أبي إسحاق».

وقرأت فرقة: (فلما رأى قميصه عُطَّ من دبر)[١].

والضمير في ﴿رَءَا﴾ هو للعزيز، وهو القائل: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ﴾، قاله الطبري[٢].

وقيل: بل الشاهد قال ذلك، والضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ يريد مقالها المتقدمَ في الشكوى بيوسف.

ونزع بهذه الآية من يرى «الحكم بالأمارة»، من العلماء، فإنها معتمدهم[٣].

و﴿يُوسُفُ﴾ في قوله: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ منادى، قاله ابن عباس، ناداه الشاهد، وهو الرجل الذي كان مع العزيز، و﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ معناه: عن الكلام به، أي: اكتمه ولا تتحدث به، ثم رجع إليها فقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾ أي: استغفري زوجك وسيدك.

وقال: ﴿مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ ولم يقل: من الخاطئات؛ لأن الخاطئين أعم، وهو من: خَطِئ يخطأ خِطْئاً وخَطَأً، ومنه قول الشاعر:

[الوافر] لَعَمْـرُكَ إِنَّمَـا خَطَئِي وَصَـوْبِي عَلَـيَّ وَإِنَّ مَـا أَهْلَكْـتُ مَـالُ[٤]

وينشد بيت أمية بن أبي الصلت:

[الوافر] عِـبَـادُكَ يُخْطِـئُـونَ وَأَنْـتَ رَبٌّ بِكَـفَّـيْـكَ الْمَـنَـايَـا وَالْحُـتُومُ[٥]

---

(١) وهي شاذة، نقلها القرطبي (٩/ ١٧١) عن المفضل بن حرب قال: قرأت في مصحف: (فلما رأى قميصه عط من دبر) أي: شق.

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٦٠).

(٣) انظر في ذلك: التبصرة لابن فرحون (٢/ ٩٥)، والطرق الحكمية لابن القيم (ص: ١٩٤)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٥٦٣).

(٤) البيت لأوس بن علفاء كما في مجاز القرآن (١/ ٣٧٦)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ١٦٧)، والشعر والشعراء (٢/ ٦٢١).

(٥) انظر عزوه له في مسائل ابن الأزرق (ص: ١٩٣)، وتفسير الطبري (١٦/ ٦٢)، والمحتسب (٢/ ٢٠)، وأدب الكاتب (ص: ٤٤٤).

قوله عز وجل: ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾.

ذكِّر الفعل المسند إلى النسوة لتذكير اسم الجمع، و﴿نِسْوَةٌ﴾ جمع قلة لا واحد له من لفظه، وجمع التكثير نساء، ونِسْوَةٌ: فِعلة، وهو أحد الأبنية الأربعة التي هي لأدنى العدد، وقد نظمها القائل ببيت شعر:

بـأفـعُـل وبـأفْـعـالٍ وأفْـعِـلـة وفِعْلة يُعْرف الأدْنى من العَدَد[1] [البسيط]

ويروى أن هؤلاء النسوة كن أربعاً: امرأة خباز الملك، وامرأة ساقيه، وامرأة سجانه[2]، وامرأة بوابه.

والْعَزيز: الملك، ومنه قول الشاعر:

دُرَّةٌ غَـاصَ عَـلَـيْـهَـا تَـاجِـرٌ جُلِيَتْ عِنْدَ عَزِيزٍ يَوْمَ طَلِّ[3] [الرمل]

والفتى: الغلام، وعرفه في المملوك، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي»[4]، ولكنه قد يقال في غير المملوك، ومنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾ [الكهف: ٦٠].

وأصل الفتى في اللغة: الشاب، ولكن لما كان جُلُّ الخَدَمة شباباً استعير لهم اسم الفتى.

---

(١) لم أقف على قائله، وجمعها ابن مالك في الألفية بقوله: أفعلة أفعل ثم فعله* ثمت أفعال جموع قله، وانظر خزانة الأدب (٨/ ٠٦).

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «وامرأة حاجبه».

(٣) البيت لأبي دؤاد كما في تفسير الطبري (١٦/ ٦٢)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢١٦).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٥٥٢) ومسلم (٢٢٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

و﴿شَغَفَهَا﴾ معناه: بلغ حتى صار من قلبها موضع الشَّغاف، وهو على أكثر القول غلاف من أغشية القلب، وقيل: الشغاف: سويداء القلب، وقيل: الشغاف: داء يصل إلى القلب.

وقرأ أبو رجاء والأعرج وعلي بن أبي طالب والحسن بخلاف ويحيى بن يعمر وقتادة بخلاف وثابت وعوف ومجاهد وغيرهم: (قد شعفها) بالعين غير منقوطة[١]، ولذلك وجهان:

أحدهما: أنه علا بها كل مرقبة[٢] من الحب، وذهب بها كل مذهب، فهو مأخوذ على هذا من شعف الجبال وهي رؤوسها وأعاليها، ومنه قول النبي ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن»[٣].

والوجه الآخر: أن يكون الشعف لذة بحرقة يوجد من الجراحات والجرب ونحوها، ومنه قول امرئ القيس:

[الطويل] أَيَقْتُلُنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فُؤَادَهَا كَمَا شَعَفَ المَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالي[٤]

والمشعوف في اللغة: الذي أحرق الحبُّ قلبه، ومنه قول الأعشى:

[البسيط] تَعْصِي الوُشَاةَ، وكانَ الحُبُّ آوِنَةً مِمَّا يُزَيِّن للمَشْعوفِ مَا صَنَعَا[٥]

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهم جميعاً في المحتسب (١/ ٣٣٩)، ومفرقاً في تفسير الطبري (١٦/ ٦٦)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢١٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٤١٩)، والهداية لمكي (٥/ ٣٥٤٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٣١).

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «مرتبة».

(٣) أخرجه البخاري (١٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) انظر عزوه له في الغريب المصنف (٢/ ٤١١)، وتفسير الطبري (١٦/ ٦٧)، وأمالي القالي (١/ ٢٠٥)، وفي التركية والحمزوية: «أتقتلني».

(٥) انظر عزوه له في عيار الشعر (ص: ١١٠)، والموشح في مآخذ العلماء على الشعراء (ص: ٥٦)، وفيهما: «للمشغوف».

وروي عن ثابت البناني وأبي رجاء أنهما قرأا: (قد شعِفها) بكسر العين غير منقوطة[١].

قال أبو حاتم: المعروف فتح العين، وهذا قد قرئ به[٢].

وقرأ ابن محيصن: ﴿قَد شَّغَفَهَا﴾ أدغم الدال في الشين[٣].

وروي أن مقالة هؤلاء النسوة إنما قصدن بها المكر بامرأة العزيز ليُغضبنها حتى تعرض عليهن يوسف ليبين عذرها أو يحق لومها.

وقد قال ابن زيد: الشغف في الحب، والشعف في البغض[٤].

وقال الشعبي: الشغف والمشغوف بالغين منقوطة في الحب، والشعف الجنون، والمشعوف المجنون[٥]، وهذان القولان ضعيفان.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ الآية، إنما سمي قولهن مكراً من حيث أظهرن إنكار منكرٍ وقصدن إثارة غيظها عليهن، وقيل: مكرهن أنهن أفشين ذلك عنها وقد كانت أطلعتهن على ذلك واستكتمتهن إياه، وهذا لا يكون مكراً إلا بأن يظهرن لها خلاف ذلك ويقصدن بالإفشاء أذاها.

ومعنى ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ أي: ليحضرن، و(أَعْتَدَتْ) معناه: أعدَّت ويسَّرت.

والمُتَّكَأ: ما يتكأ عليه من فرش ووسائد، وعبر بذلك عن مجلس أعد لكرامة،

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لأبي رجاء في الشواذ للكرماني (ص: ٢٤٤)، وعزا لثابت الكسر مع الإعجام.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) وهي سبعية لأبي عمرو وهشام وحمزة والكسائي، انظر: السبعة (ص: ١١٩)، والتيسير (ص: ٤٢). وانظر: البحر المحيط (٦/ ٢٦٦).

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٦٧)، وفي نجيبويه: «أبو زيد»، وفي المطبوع فيهما: «الشغف»، وسقطت «الشغف في الحب» من نور العثمانية.

(٥) معاني القرآن للنحاس (٣/ ٤٢٠).

ومعلوم أن هذا النوع من الكرامات لا يخلو من الطعام والشراب، فلذلك فسر مجاهد وعكرمة المتكأ بالطعام(١).

قال ابن عباس: ﴿مُتَّكَـًٔا﴾ معناه: مجلساً، ذكره الزهراوي(٢).

وقال القتبي: يقال: اتكأنا عند فلان، أي: أكلنا(٣).

وقوله: ﴿وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا﴾ يقتضي أنه كان في جملة الطعام ما يقطع
[٣/ ٦٥] / بالسكاكين، فقيل: كان لحماً، وكانوا لا ينتهسون اللحم وإنما كانوا يأكلونه حزّاً بالسكاكين، وقيل: كان أُترجّاً، وقيل: كان زماورد، وهو من نحو الأترج موجود في تلك البلاد، وقيل: هو مصنوع من سكر ولوز وأخلاط.

وقرأ ابن عباس ومجاهد والجحدري وابن عمر وقتادة والضحاك والكلبي وأبان ابن تغلب: (مُتْكاً) بضم الميم وسكون التاء وتنوين الكاف(٤).

واختلف في معناه، فقيل: هو الأترنج(٥)، وقيل: هو اسم يعم جميع ما يقطع بالسكين من الفواكه كالأترنج والتفاح وغيره، وأنشد الطبري:

[الخفيف] نشربُ الإثمَ بالصُّواع جِهاراً وترى المُتكَ بيننا مُستعارا(٦)

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٧٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٣٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٩١٦٩) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه ابن أبي حاتم (١١٥٤٣) من طريق بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) لم أقف على كلام الزهراوي، وانظر قول ابن قتيبة في المعاني الكبير (١/ ٤٥٧)، وغريب القرآن (ص: ٢١٦) كلاهما له.

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٣٠٢) وفيه: «وقرأ ابن عباس، وابن عمر، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والجحدري، والكلبي، وأبان بن تغلب... بضم الميم وسكون التاء وتنوين الكاف، وجاء كذلك عن ابن هرمز».

(٥) في المطبوع ونجيبويه ونور العثمانية وأحمد٣ في الموضعين: «الأترج».

(٦) لم أجده فيه، وهو بلا نسبة في الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢١)، وتهذيب اللغة (١٥/ ١١٧)، وغيرهما.

وقرأ الجمهور: ﴿مُتَّكَـًٔا﴾ بشد التاء المفتوحة والهمز والقصر.

وقرأ الزهري: ﴿متّكاً﴾ مشدد التاء من غير همز، وهي قراءة أبي جعفر بن القعقاع وشيبة بن نصاح[١]، وقرأ الحسن: (متكاء) بالمد على إشباع الحركة[٢].

والسكين تذكَّر وتؤنث، قاله الكسائي والفراء، ولم يعرف الأصمعي إلا التذكير[٣].

وقولها: ﴿ٱخْرُجْ﴾ أمر ليوسف، وأطاعها بحسب الملك، وقال مكي والمهدوي: قيل: إن في الآية تقديماً وتأخيراً في القصص، وذلك أن قصة النسوة كانت قبل فضيحتها في القميص للسيد، وباشتهار الأمر للسيد انقطع ما بينها وبين يوسف[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا محتمل إلا أنه لا يلزم من ألفاظ الآية، بل يحتمل إن كانت قصة النساء بعد قصة القميص، وذلك أن العزيز كان قليل الغيرة بل قومَه أجمعين[٥]، ألا ترى أن الإنكار في وقت القميص، إنما كان بأن قيل: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾، وهذا يدل على قلة الغيرة، ثم سكَّن الأمر بأن قال: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾، وأنت اسْتَغْفِرِي، وهي لم تبق حينئذ إلا على إنكارها وإظهار الصحة، فلذلك تُغوفل عنها بعد ذلك، لأن دليل القميص لم يكن قاطعاً وإنما كان أمارة مَّا، هذا إن لم يكن المتكلم طفلاً.

وقوله: ﴿أَكْبَرْنَهُۥ﴾ معناه: أعظمنه واستهولن جماله، هذا قول الجمهور.

---

(١) وهي عشرية لأبي جعفر، انظر: النشر (١/ ٤٥٣)، وانظر: المحتسب (١/ ٣٣٩).
(٢) وهي شاذة، انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٧٠)، تفسير الثعلبي (٥/ ٢١٧)، والمحتسب (١/ ٣٣٩).
(٣) انظر أقوال الفراء والأصمعي في الجليس الصالح الكافي (ص: ١٤٣)، وقول الكسائي في مشارق الأنوار (٢/ ٢١٦).
(٤) الهداية لمكي (٥/ ٣٥٥٥)، والتحصيل للمهدوي (٣/ ٤٩٦).
(٥) في المطبوع ونور العثمانية وأحمد٣: «قومُه أجمعون».

وقال عبد الصمد بن علي الهاشمي[١] عن أبيه عن جده: معناه: حضن[٢].

وأنشد بعض الناس حجة لهذا التأويل:

[البسيط] نَأْتِي النِّسَاءَ عَلَى أَطْهَارِهِنَّ وَلا نَأْتِي النِّسَاءَ إِذَا أَكْبَرْنَ إِكْبَارَا[٣]

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول ضعيف من معناه منكورٌ، والبيت مصنوع مختلق ـ كذلك قال الطبري وغيره من المحققين[٤] ـ، وليس عبد الصمد من رواة العلم رحمه الله.

وقوله: ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ أي: كثرن الحز فيها بالسكاكين، وقال عكرمة: الأيدي هنا الأكمام[٥]، وقال مجاهد: هي الجوارح، وقطعنها حتى ألقينها[٦].

قال القاضي أبو محمد: فظاهر هذا أنه بانت الأيدي، وذلك ضعيف من معناه، وذلك أن قطع العظم لا يكون إلا بشدة، ومحال أن يسهوَ أحد عنها، والقطع على المفصل لا يتهيأ إلا بتلطف لا بد أن يقصد، والذي يشبه أنهن حملن على أيديهن الحمل الذي كن يحملنه قبل المتك فكان ذلك حزّاً، وهذا قول الجماعة.

---

(١) هو عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، الأمير أبو محمد الهاشمي، روى عن: أبيه، وكان عظيم الخلق، ضخماً، ذا قعدد في النسب، وكان الرشيد يحترمه ويجله لأنه عم جده المنصور، مات سنة (١٨٥هـ). تاريخ الإسلام (١٢/ ٢٧٠).

(٢) لا يصح عن ابن عباس، أخرجه الطبري (١٩٢٠٨)، وابن أبي حاتم (١١٥٥٢) من طريق عبد الصمد بن علي الهاشمي، عن أبيه، عن جده ـ يعني عبد الله بن عباس ـ به، وعبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي الأمير قال عنه الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٤/ ٣٥٣-٣٥٤): وما عبد الصمد بحجة، ولعل الحفاظ إنما سكتوا عنه مداراة للدولة. اهـ لكن ذكره العقيلي في الضعفاء (٣/ ٨٤) وذكر له حديثاً بهذا الإسناد وقال: غير محفوظ ولا يعرف إلا به. اهـ.

(٣) بلا نسبة في تهذيب اللغة (١٠/ ١٢٠)، وتفسير الطبري (١٦/ ٧٧)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢١٨)، وفي أحمد٣ والمطبوع: «يأتي».

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٧٧).

(٥) تفسير البحر المحيط (٥/ ٣٠٣).

(٦) انظر قول مجاهد في تفسير الطبري (١٦/ ٧٩)، وقول عكرمة في تفسير القرطبي (٩/ ١٨٠).

وضوعفت الطاء في ﴿وَقَطَّعْنَ﴾ لكثرتهن وكثرة الحز فربما كان مراراً.

وقرأ أبو عمرو وحده: ﴿حاشى لله﴾[(١)]، وقرأ أبيٌّ وابن مسعود: (حاشى الله)[(٢)].

وقرأ سائر السبعة: ﴿حَـٰشَ لِلَّهِ﴾.

وفرقة: (حشى لله)[(٣)]، وهي لغة، وقرأ الحسن: (حاشْ لله) بسكون الشين وهي ضعيفة.

وقرأ الحسن أيضاً: (حاش الإلاه) محذوفاً من «حاشى»[(٤)].

فأما «حاش» فهي حيث جرَّت حرفٌ معناه الاستثناء، كذا قال سيبويه، وقد ينصب به، تقول: حاشى زيدٍ وحاشى زيداً، قال المبرد: النصب أولى إذ قد صح أنها فعل بقولهم: حاش لزيد، والحرف لا يحذف منه[(٥)].

قال القاضي أبو محمد: يظهر من مجموع كلام سيبويه والمبرد أن الحرف يخفض به لا غير، وأن الفعل هو الذي ينصب به، فهذه اللفظة تستعمل فعلاً وحرفاً، وهي في بعض المواضع فعل وزنه فاعَل، وذلك في قراءة من قرأ: «حاشى لله» معناه مأخوذ من معنى الحرف، وهو إزالة الشيء عن معنى مقرون به، وهذا الفعل مأخوذ من الحشى، أي: هذا في حشى وهذا في حشى، ومن ذلك قول الشاعر:

يقولُ الَّذِي أَمْسَـى إِلَى الحَزْنِ أَهْلُهُ   بأَيِّ الحَشـى أَمْسَى الخليطُ المُبَاينُ[(٦)]   [الطويل]

(١) في الوصل فإذا وقف حذفها اتباعاً للخط، وهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٢٨).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٦٨)، والمحتسب (١/ ٣٤١).

(٣) وهي شاذة، عزاها الزمخشري في الكشاف (٢/ ٤٦٥) للأعمش.

(٤) وكلاهما شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٤١).

(٥) انظر: المقتضب (٤/ ٣٩١)، والكتاب لسيبويه (٢/ ٣٠٩).

(٦) البيت لمعطل الهذلي كما في إيضاح الشواهد (١/ ٤٦٦)، وهو للهذلي غير مسمى في جمهرة اللغة (٢/ ١٠٤٩)، والحجة للفارسي (٤/ ٤٢٣)، وفيهما «إلى الحرز»، وفي نور العثمانية وأحمد٣: «يمشي»، بدل «أمسى» الأولى.

ومنه الحاشية كأنها مباينة لسائر ما هي له، ومن المواضع التي حاشى فيه فعل هذه الآية، يدل على ذلك دخولها على حرف الجر، والحروف لا تدخل بعضها على بعض، ويدل على ذلك حذف الياء منها في قراءة الباقين: ﴿حَـٰشَ﴾ على نحو حذفهم من: لا أبال، ولا أدر، ولو تَـرَ، ولا يجوز الحذف من الحروف إلا إذا كان فيها تضعيف مثل: لعل، فيحذف، ويرجع علَّ، ويعترض في هذا الشرط بمنذ ومذ فإنه حذف دون تضعيف فتأمله.

قال القاضي أبو محمد: ومن ذلك في حديث خالد يوم مؤتة: فحاشى بالناس(١).

فمعنى ﴿حَـٰشَ لِلَّهِ﴾ أي: حاش يوسف لطاعة الله، أو لمكان من الله، أو لترفيع الله له أن يُرمى بما رميته به، أو يدعى إلى مثله لأن تلك أفعال البشر، وهو ليس منهم إنما هو ملك، هكذا رتب أبو علي الفارسي معنى هذا الكلام على هاتين القراءتين اللتين في السبع(٢).

وأما قراءة أبي بن كعب وابن مسعود، فعلى أن (حاشى) حرف استثناء كما قال الشاعر:

حَاشَى أَبِي ثَوْبَانَ إِنَّ بِهِ ضِنّاً عَنِ المَلْحَاةِ وَالشَّتْمِ(٣) [السريع]

وتسكين الشين في إحدى قراءتي الحسن ضعيف، جمع بين ساكنين، وقراءته الثانية محذوفة الألف من (حاشى).

قال القاضي أبو محمد: والتشبيه بالملَك هو من قبيل التشبيه بالمستعظمات وإن كانت لا ترى.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٣٨٠).

(٢) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٤٢٣).

(٣) البيت للجميح الأَسدي وَهُوَ منقذ بن الطماح، كما في الأصمعيات (ص: ٢١٨)، والمفضليات (ص: ٣٦٧)، وروايته: حاشى أبا ثوبان إن أبا... ثوبان ليس ببكمة فدم، عمرو بن عبد الله إن به إلخ، ونسبه في اللسان (١٤/ ١٨٢) لسبرة بن عمرو الأسدي.

وقرأ أبو الحويرث الحنفي[1] والحسن: (ما هذا بشر إن هذا إلا مَلِك كريم) بكسر اللام في (ملك)[2]، وعلى هذه القراءة فالكلام فصيح، لما استعظمن حسن صورته قلن: ما هذا مما يصلح أن يكون عبداً بشراء[3]، إن هذا إلا مما يصلح أن يكون مَلِكاً كريماً.

ونصبُ البشر من قوله: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ هو على لغة الحجاز شبهت «ما» بـ«ليس»، وأما تميم فترفع، ولم يُقرأ به.

وروي أن يوسف عليه السلام أعطي ثلث الحسن[4]، وعن النبي ﷺ: أنه أعطي ثلث الحسن[5]، ففي بعض الأسانيد هو وأمه[6]، وفي بعضها هو وسارة جدة أبيه[7].

قال القاضي أبو محمد: وهذا على جهة التمثيل، أي: لو كان الحسن مما/ يقسم [٣/ ٦٦] لكان حسن يوسف يقع في نصفه، فالقصد أن يقع في نفس السامع عظم حسنه، على نحو التشبيه برؤوس الشياطين وأنياب الأغوال.

---

(١) هو عبد الرحمن بن معاوية أبو الحويرث الزرقي المدني، روى عن حنظلة بن قيس، ومحمد بن جبير بن مطعم وأخيه نافع، وعنه سفيان وشعبة، قال مالك: ليس بثقة، وقال ابن معين: لا يحتج به، وقال غيره: لين، توفي سنة (١٣٠هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ١٦٤).

(٢) وهي شاذة، وظاهره أنهما خالفا في اللام، ولعل فيه سقطاً، فالذي في الشواذ للكرماني (ص: ٢٤٦)، أنهما قرأا: (بِشِرىً)، ومثله في البحر المحيط (٦/ ٢٧١)، إلا أنه زاد معهما عبد الوارث عن أبي عمرو، وأنه كسر اللام، وانظر: الكامل للهذلي (ص: ٥٥١)، وفي أحمد٣: «بشرى».

(٣) في التركية: «عبداً بشرا».

(٤) أخرجه الطبري (١٩٢٢٩) بإسناد ضعيف عن الحسن البصري، مرسلاً.

(٥) أخرجه مسلم (١٦٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث الإسراء الطويل.

(٦) صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٧٧٦٦-٣٢٤٥٦)، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٨٦ رقم ١٤٠٥٠)، وأبو يعلى في مسنده (٣٣٧٣)، والطبري (١٩٢٢٨)، وابن أبي حاتم (١١٥٥٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢٢) من طريق عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٧) أخرجه الطبري (١٩٢٣٢) بإسناده عن ربيعة الجرشي، قال: قسم الحسن نصفين، فجعل ليوسف وسارة النصف، وجعل لسائر الخلق نصف.

قوله عز وجل: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾.

قال الطبري: المعنى: فهذا الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ، أي: هذا الذي قطعتن أيديكن بسببه هو الذي جعلتُنَّني ضالةً في هواه[1].

والضمير عائد على يوسف في ﴿فِيهِ﴾، ويجوز أن تكون الإشارة إلى حب يوسف، والضمير عائد على الحب، فيكون ذلك إشارة إلى غائب على بابه.

ثم أقرت امرأة العزيز للنسوة بالمراودة واستنامت إليهن في ذلك إذ قد علمت أنهن قد عذرنها.

و(استعصم) معناه: طلب العصمة وتمسك بها وعصاني، ثم جعلت تتوعده وهو يسمع بقولها: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ﴾ إلى آخر الآية.

واللام في قوله: ﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾ لام القسم، واللام الأولى هي المؤذنة بمجيء القسم، والنون هي الثقيلة والوقف عليها بشدها[2]، ﴿وَلَيَكُونًا﴾ نونه هي النون الخفيفة، والوقف عليه بالألف[3]، وهي مثل قوله: ﴿لَنَسْفَعًا﴾ [العلق: ١٥] ومثلها قول الأعشى:

[الطويل] وَصَلِّ عَلَى حَينِ العَشِيَّاتِ والضُّحَى ... وَلا تَعْبُـدِ الشَّـيْطَانَ وَاللهَ فَاعْبُـدَا[4]

أراد: فاعبدن.

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٨٥) بتصرف.

(٢) انظر: تفسير الثعلبي (٥/ ٢١٩).

(٣) انظر: نقط المصاحف للداني (١/ ٦٦).

(٤) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٦/ ٨٧)، والعين (٣/ ١٥٢)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٥١٠)، وسيرة ابن هشام (١/ ٣٨٧).

وقرأت فرقة: (وليكوننَّ) بالنون الشديدة[١].

و﴿ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ الأذلاء الذين لحقهم الصغار.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾، روي أنه لما توعدته امرأة العزيز قال له النسوة: أطع مولاتك، وافعل ما أمرتك به. فلذلك قال: ﴿مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾ قال نحوه الحسن[٢].

ووزن (يدعون) في هذه الآية: يفعلن، بخلاف قولك: الرجال يدعون.

وقرأ الجمهور: ﴿ٱلسِّجۡنُ﴾ بكسر السين، وهو الاسم، وقرأ الزهري وابن هرمز ويعقوب وابن أبي إسحاق: ﴿السَّجنُ﴾ بفتح السين وهي قراءة عثمان رضي الله عنه[٣] وطارق مولاه[٤]، وهو المصدر، وهو كقولك: الجزع والجزع[٥].

وقوله: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ﴾ إلى آخر الآية، استسلام لله تعالى ورغبة إليه وتوكل عليه، المعنى: وإن لم تنجني أنت هلكت، هذا مقتضى قرينة كلامه وحاله، والضمير في ﴿إِلَيۡهِ﴾ عائد على الفاحشة المعنية بـ(ما) في قوله ﴿مِمَّا﴾.

و﴿أَصۡبُ﴾ مأخوذة من الصبوة، وهي أفعال الصِّبا، ومن ذلك قول الشاعر، أنشده الطبري:

إِلَــى هِــنْـدٍ صَـبَـا قَـلْـبِـي وَهِــنْــدٌ مِـثْـلُـهَـا يُـصْـبِـي[٦] [مجزوء الوافر]

---

(١) وهي شاذة، أشار لها الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٨)، قال: وأكرهها لخلاف المصحف.
(٢) انظر: تفسير ابن أبي زمنين (١/ ٣٠٤).
(٣) وهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٣٢)، وانظر: الهداية لمكي (٥/ ٣٥٥٦).
(٤) هو طارق بن عمرو مولى عثمان بن عفان، ولاه عبد الملك بن مروان على المدينة سنة (٧٢ هـ) خمسة أشهر ثم اشترك مع الحجاج في قتال ابن الزبير، انظر ترجمته في تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٤/ ٤٣٠)، وما بعدها، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٣/ ٣٤٨).
(٥) في المطبوع وأحمد٣: «الجدع والجدع».
(٦) تفسير الطبري (١٦/ ٨٩)، والبيت ليزيد بن ضبّة، كما في الأغاني (٧/ ١١٤)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢٢٠).

ومن ذلك قول دريد بن الصمة:

[الطويل] صَبا مَا صَبا حتَّى عَلا الشيبُ رأسَهُ فلمَّا علاهُ قالَ للباطلِ ابْعَدِ[١]

والْجاهِلِينَ هم الذين لا يراعون حدود الله تعالى ونواهيه.

وقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ الآية، قول يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ﴾ إلى قوله: ﴿مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ كلام يتضمن التشكي إلى الله عز وجل من حاله معهن، والدعاء إليه في كشف بلواه. فلذلك قال ـ بعد مقالة يوسف ـ ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ أي: أجابه إلى إرادته وصرف عنه كيدهن في أنْ حال بينه وبين المعصية.

وقوله: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ صفتان لائقتان بقوله: ﴿فَٱسۡتَجَابَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾.

لما أبى يوسف المعصية، ويئست منه امرأة العزيز، طالبته بأن قالت لزوجها: إن هذا الغلام العبراني قد فضحني في الناس، وهو يعتذر إليهم ويصف الأمر بحسب اختياره، وأنا محبوسة محجوبة، فإمَّا أذنت لي فخرجت إلى الناس فاعتذرت وكذَّبته، وإمَّا حبسته كما أنا محبوسة. فحينئذ بدا لهم سَجنه، قال ابن عباس: فأمر به فحمل على حمار، وضرب بالطبل ونودي عليه في أسواق مصر إن يوسف العبراني أراد سيدته فهذا جزاؤه أن يسجن، قال أبو صالح: «ما ذكر ابن عباس هذا الحديث إلا بكى»[٢].

و﴿بَدَا﴾ معناه: ظهر، والفاعل بـ﴿بَدَا﴾ محذوف تقديره: بدوٌ أو رأيٌ.

---

(١) البيت لدريد بن الصمة، كما في الأصمعيات (ص: ١٠٨)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٤٧٤)، والشعر والشعراء (٢/ ٧٣٩).

(٢) لم أقف عليه مسنداً، ومثله في البحر المحيط (٦/ ٢٧٤).

وجمع الضمير في ﴿لَهُم﴾ ـ والساجن الملك وحده ـ من حيث كان في الأمر تشاور.

و﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ﴾ جملة دخلت عليها لام القسم، ولا يجوز أن يكون الفاعل بـ﴿بَدَا﴾ ﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ﴾ لأن الفاعل لا يكون جملة بوجه، هذا صريح مذهب سيبويه[(١)].

وقيل: الفاعل ﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ﴾ وهو خطأ، وإنما هو مفسِّر للفاعل.

و﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ ذكر فيها أهل التفسير أنها: قد القميص، قاله مجاهد وغيره[(٢)]، وخمش الوجه الذي كان مع قد القميص، قاله عكرمة[(٣)]، وحز النساء أيديهن، قاله السدي[(٤)].

قال القاضي أبو محمد: ومقصد الكلام إنما هو أنهم رأوا سجنه بعد بدو الآيات المبرئة له من التهمة، فهكذا يبين ظلمهم له، وخمشُ الوجه وحز النساء أيديهن ليس فيهما تبرية ليوسف، ولا تتصور تبرية إلا في خبر القميص، فإن كان المتكلم طفلاً ـ على ما روي ـ فهي آية عظيمة، وإن كان رجلاً فهي آية فيها استدلالٌ مّا، والعادة أنه لا يعبر بآية إلا فيما ظهوره في غاية الوضوح، وقد تقع الْآيات أيضاً على المبينات كانت في أي حد اتفق من الوضوح.

ويحتمل أن يكون معنى قوله: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أي: من بعد ما ظهر لهم من وجوه الأمر وقرائنه أن يوسف بريء، فلم يُرَدْ تعيين آية بل قرائن جميع القصة.

والحين في كلام العرب وفي هذه الآية: الوقت من الزمن غير محدود يقع للقليل والكثير، وذلك بيّن من موارده في القرآن.

وقال عكرمة: الحين هنا يراد به سبعة أعوام، وقيل: بل يراد بذلك سنة[(٥)].

---

(١) نقله عنه في المحتسب (١/ ١١٢).
(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٩٢)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٣٠٤).
(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٩١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٣٩).
(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٩٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٣٩).
(٥) تفسير الطبري (١٦/ ٩٤)، و(١٦/ ٥٧٩).

قال القاضي أبو محمد: وهذا بحسب ما كشف الغيب في سجن يوسف.

وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقرأ: (عتى حين) بالعين[١] ـ وهي لغة هذيل ـ فقال له: من أقرأك؟ قال: ابن مسعود، فكتب عمر إلى ابن مسعود: إن الله أنزل القرآن عربيّاً بلغة قريش، فبها أقرئ الناس، ولا تقرئهم بلغة هذيل[٢] / . [٣/ ٦٧]

وروي عن ابن عباس أنه قال: عثر يوسف عليه السلام ثلاث عثرات: هَمَّ فسجن، وقال: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]، ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾، فطُوِّل سجنُه، وقال: ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠]، فروجع: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ٧٧][٣].

وقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ﴾ الآية، المعنى: فسجنوه فدخل معه السجن غلامان سُجنا أيضاً.

وهذه (مَعَ) تحتمل أن تكون باقتران وقت الدخول، وأن لا تكون بل دخلوا أفذاذاً.

وروي أنهما كانا للملك الأعظم الوليد بن الريان: أحدهما خبازه، والآخر ساقيه[٤].

والفتى: الشاب، وقد تقع اللفظة على المملوك وعلى الخادم الحر، ويحتمل أن يتصف هذان بجميع ذلك، واللفظة من ذوات الياء، وقولهم: الفتوة، شاذ.

---

(١) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٤٣)، ومختصر الشواذ (ص: ٦٨).

(٢) ضعيف، أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (٤/ ٦٤١) من طريق هشيم، عن رجل من ولد كعب يقال له: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه عن جده به، وإسناده ضعيف؛ من أجل هشيم بن بشير فإنه مدلس، وقد عنعن، ولجهالة عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب، وأخرجه ابن الأنباري في الوقف والابتداء (ص ١٣) من طريق هشيم، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك به بنحوه.

(٣) لا يصح، أخرجه الطبري (١٩٢٦٣)، وابن أبي حاتم (١١٥٨٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٧) من طريق خصيف بن عبد الرحمن، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وخصيف لا يحتج به.

(٤) تفسير الثعلبي (٥/ ٢٢١).

وروي: أن الملك اتهمهما بأن الخابز منهما أراد سمَّه، ووافقه على ذلك الساقي، فسجنهما، قاله السدي[١].

فلما دخل يوسف السجن استمال الناس فيه بحسن حديثه وفضله ونبله، وكان يسلي حزينهم[٢]، ويعود مريضهم، ويسأل لفقيرهم، ويندبهم إلى الخير، فأحبَّه الفَتيان ولزماه، وأحبه صاحب السجن والقيم عليه، وقال له: كن في أي البيوت شئت، فقال له يوسف: لا تحبني يرحمك الله، فلقد أدخلت علي المحبة مَضَرَّات: أحبتني عمتي فامتحنْتُ لمحبتها، وأحبني أبي فامتحنت لمحبته لي، وأحبتني امرأة العزيز فامتحنت لمحبتها بما ترى[٣].

وكان يوسف عليه السلام قد قال لأهل السجن: إني أَعْبُـرُ الرؤيا وأجيد، فروي عن ابن مسعود أن الفتيين استعملا هاتين المنامتين ليجرباه[٤]، وروي عن مجاهد: «أنهما رأيا ذلك حقيقة، فأرادا سؤاله، فقال أحدهما ـ واسمه نبو، فيما روي ـ: إني رأيت حَبْلَة من كَرْم لها ثلاثة أغصان حسان، فيها عناقيد عنب حسانٌ، فكنت أعصرها وأسقي الملك، وقال الآخر، واسمه محلت[٥]: كنت أرى أني أخرج من مطبخة الملك وعلى رأسي ثلاث سلال فيها خبز، والطير تأكل من أعلاه[٦].

وقوله: ﴿أَعۡصِرُ خَمۡرٗا﴾ قيل: إنه سمى العنب خمراً بالمآل، وقيل: هي لغة أَزْدِ عُمَان، يسمون العنب خمراً، وقال الأصمعي: حدثني المعتمر، قال: لقيت أعرابيّاً يحمل عنباً في وعاء، فقلت: ما تحمل؟ قال: خمراً، أراد العنب[٧].

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٩٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٤١)، بتصرف.

(٢) في نجيبويه: «حديثهم».

(٣) هذا رواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد من قوله. تفسير الطبري (١٦/ ٩٦).

(٤) أخرجه الطبري (١٩٢٧٠)، وابن أبي حاتم (١١٦٣٢) من طريق عمارة بن القعقاع، عن إبراهيم، عنه رضي الله عنه، وإسناده جيد.

(٥) في المطبوع ونجيبويه: «مجلث»، وفي أحمد٣: «محلب».

(٦) تفسير الماوردي (٣/ ٣٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٤٢)، بتصرف.

(٧) تفسير الثعلبي (٥/ ٢٢٢).

وفي قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود: (إني أراني أعصر عنباً)[١].

قال القاضي أبو محمد: ويجوز أن يكون وصف الخمر بأنها معصورة، إذ العصر لها ومن أجلها.

وقوله: ﴿خُبْزًا﴾ يروى أنه رأى ثريداً فوق رأسه.

وفي مصحف ابن مسعود: (فوق رأسي ثريداً تأكل الطير منه)[٢].

وقوله: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال الجمهور[٣]: يريدان: في العلم.

وقال الضحاك وقتادة: المعنى: مِنَ الْمُحْسِنِينَ في جريه مع أهل السجن وإجماله معهم[٤].

وقيل: «إنه أراد إخباره أنهما يريان[٥] له إحساناً عليهما ويداً إذا تأول لهما ما رأياه»، ونحا إليه ابن إسحاق[٦].

قوله عز وجل: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

روي عن السدي وابن إسحاق: أن يوسف عليه السلام لما علم شدة تعبير منامة رائي الخبز وأنها تؤذن بقتله، ذهب[٧] إلى غير ذلك من الحديث، عسى ألا يطالباه بالتعبير، فقال لهما ـ مُعْلِماً بعظيم علمه للتعبير ـ: إنه لا يجيئكما طعام في نومكما،

(١) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (١/ ٣٤٣).
(٢) وهي شاذة، بل أقرب للتفسير، تابعه عليها في البحر المحيط (٦/ ٢٧٦).
(٣) زاد هنا في الأصل ونجيبويه: «قيل».
(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٩٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٤٣)، بتصرف.
(٥) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٧٦).
(٦) تفسير الطبري (١٦/ ٩٩)، تفسير الماوردي (٣/ ٣٧).
(٧) في الأصل: «ذكر».

تريان أنكما رزقتماه، إلا أعلمتكما بتأويل ذلك الطعام[١]، أي: بما يؤول إليه أمره في اليقظة، قبل أن يظهر ذلك التأويل الذي أُعْلمكما به.

فروي أنهما قالا: ومن أين لك ما تدعيه من العلم، وأنت لست بكاهن ولا منجم؟ فقال لهما: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ ثم نهض يُنحِي لهما على الكفر ويُحسِّن لهما الإيمان بالله، فروي أنه قصد في ذلك وجهين:

أحدهما: تنسيتهما أمر تعبير ما سألا عنه، إذ في ذلك النذارة بقتل أحدهما.

والآخر: الطماعية في إيمانهما، ليأخذ المقتولُ بحظه من الإيمان وتسلَمَ له آخرته.

وقال ابن جريج: «أراد يوسف عليه السلام: ﴿لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ﴾ في اليقظة ﴿تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا﴾ منه بعلم وبما يؤول إليه أمركما ﴿قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَا﴾ ذلك المآل»[٢].

قال القاضي أبو محمد: فعلى هذا إنما أعلمهم بأنه يعلم مغيَّباتٍ لا تعلق لها برؤيا، وقصد بذلك أحد الوجهين المتقدمين، وهذا على ما روي من أنه نبيء في السجن، فإخباره كإخبار عيسى عليه السلام.

وقال ابن جريج: «كانت عادة ذلك الملك إذا أراد قتل أحد ممن في سجنه بعث إليه طعاماً يجعله علامة لقتله».

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله لا يقتضيه اللفظ ولا ينهض به إسناد.

وقوله: ﴿تَرَكۡتُ﴾ مع أنه لم يتشبث بها، جائزٌ صحيح، وذلك أنه أخبر عن تجنُّبه من أول بالترك، وساق لفظة الترك استجلاباً لهما عسى أن يتركا[٣] الترك الحقيقيَّ الذي هو بعد أخذ في الشيء، والقوم المتروكةُ مِلَّتُهم: الملك وأتباعه.

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ١٠١)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٧)، بتصرف

(٢) انظر قول ابن جريج هذا، وكذا قوله الآتي في تفسير الطبري (١٦/ ١٠٢)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٧).

(٣) في المطبوع: «يتوكأ».

وكرر قوله: ﴿هُمْ﴾ على جهة التأكيد، وحسُن ذلك للفاصلة التي بينهما.

وقوله: ﴿وَاتَّبَعْتُ﴾ الآية، تمادٍ من يوسف عليه السلام في دعائهما إلى الملة الحنيفية، وزوال عن مواجهة «محلت» لما تقتضيه رؤياه.

وقرأ ﴿ءَابَآءِىٓ﴾ بالإسكان في الياء الأشهب العقيلي وأبو عمرو، وقرأ الجمهور ﴿ءَابَاءِيَ﴾ بياء مفتوحة[١]، قال أبو حاتم: هما حسَنتان فاقرأ كيف شئت، وأما طرح الهمزة فلا يجوز، ولكن تخفيفُها جيدٌ، فتصير ياءً مكسورة بعدها ياءٌ ساكنة أو مفتوحة.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ملتهم وشرعهم، وكون ذلك فضلاً عليهم بيِّن، إذ خصهم الله تعالى بذلك وجعلهم أنبياء. وكونه فضلاً على الناس هو إذ يُدْعَون به إلى الدين ويساقون إلى النجاة من عذاب الله عز وجل.

وقوله: ﴿مِن شَىْءٍ﴾ هي «مِن» الزائدة المؤكدة التي تكون مع الجحد.

وقوله: ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ يريد: الشكر التام الذي فيه الإيمان [بالله تعالى][٢].

قوله عز وجل: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى / فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾. [٣/ ٦٨]

وصفُه لهما بصاحِبَي السِّجْنِ هو: إما على أنْ نَسبَهما بصحبتهما للسجن من

(١) فهما سبعيتان، لكنه خلَّط، فالتسكين للكوفيين، وأما أبو عمرو ففتح على قاعدته فيما همزه مكسور، انظر: التيسير (ص: ١٣١).

(٢) من الحمزوية وأحمد٣ ونجيبويه.

حيث سكناه، كما قال: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤]، [الحشر: ٢٠]، و﴿أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩]، ونحو هذا.

وإما أن يريد صحبتهما له في السجن، فأضافهما إلى السجن بذلك، كأنه قال: يا صاحبيّ في السجن، وهذا كما قيل في الكفار: إن الأصنام شركاؤهم.

وعرضُه عليهما بُطولَ[1] أمرِ الأوثان، بأنْ وصفها بالتفرق، ووصف الله تعالى بالوحدة والقهر، تلطفٌ حسَنٌ، وأخذ بيسير الحجة قبل كثيرها الذي ربما نفرت منه طباع الجاهل وعاندته، وهكذا الوجه في محاجة الجهلة أن يؤخذ بدرجة يسيرة من الاحتجاج يقبلها، فإذا قبلها لزمته عنها درجة أخرى فوقها، ثم كذلك أبداً حتى يصل إلى الحق، وإن أُخذ الجاهل بجميع المذهب الذي يُساق إليه دفعة أباه للحين وعانده، ولقد ابتلي بأرباب متفرقين مَن يخدم أبناء الدنيا ويؤملهم.

وقوله: ﴿إِلَّآ أَسۡمَآءٗ﴾ ذهب بعض المتكلمين إلى أنه أوقع في هذه الآية الأسماء على المسميات وعبر عنها بها إذ هي ذوات أسماء[2].

قال القاضي أبو محمد: والاسم الذي هو ألف وسين وميم قد يجري في اللغة مجرى النفس والذات والعين، فإن حملت الآية على ذلك صح المعنى، وليس الاسم ـ على هذا ـ بمنزلة التسمية التي هي رجل وحجر.

وإن أريد بهذه الأسماء التي في الآية أسماء الأصنام التي هي بمنزلة اللات والعزى ونحو ذلك من تسميتها آلهة:

فيحتمل أن يريد: إلا ذوات أسماء، وحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

ويحتمل ـ وهو الراجح المختار إن شاء الله ـ أن يريد: ما تعبدون من دونه ألوهية ولا لكم تعلق بإله إلا بحسب أن سميتم أصنامكم آلهة، فليست عبادتكم لإله إلا باسم

---

(١) أي: بطلان.
(٢) ممن قال بهذا القول من المتكلمين القاضي الباقلاني، في الإنصاف (١/ ١٩).

فقط لا بالحقيقة، وأما الحقيقة فهي وسائر الحجارة والخشب سواء، فإنما تعلقت عبادتكم بحسب الاسم الذي وضعتم، فذلك هو معبودكم إذا حصل أمركم، فعبر عن هذا المعنى باللفظ المسرود في الآية، ومن هذه الآية[١] وهمَ من قال في قولنا «رجل وحجر»: إن الاسم هو المسمى في كل حال، وقد بانت هذه المسألة في صدر التعليق[٢].

ومفعول (سميتم) الثاني محذوف، تقديره: آلهة، هذا على أن الأسماء يراد بها ذوات الأصنام، وأما على المعنى المختار من أن عبادتهم إنما هي لمعان تعطيها الأسماء وليست موجودة في الأصنام، فقوله: ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ بمنزلة: وضعتموها، فالضمير للتسميات[٣]، ووكد الضمير ليعطف عليه.

والسُّلْطان: الحجة، وقوله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أي: ليس لأصنامكم التي سميتموها آلهة من الحكم والأقدار والأرزاق شيء، أي: فما بالها إذن؟، ويحتمل أن يريد الرد على حكمهم في نصبهم آلهة دون الله تعالى وليس لهم تعدي أمر الله في أن لا يعبد غيره.

و﴿ٱلْقَيِّمُ﴾ معناه: المستقيم.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لجهالتهم وغلبة الكفر.

ثم نادى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾ ثانيةً لتجتمع أنفسهما لسماع الجواب، فروي أنه قال لنَبُو: أما أنت فتعود إلى مرتبتك وسقاية ربك، وقال لمَحْلت: أما أنت فتصلب، وذلك كله بعد ثلاث، فروي أنهما قالا له: ما رأينا شيئاً وإنما تحالمنا لنجربك، وروي أنه لم يقل ذلك إلا الذي حدثه بالصلب، وقيل: كانا رأيا ثم أنكرا.

وقرأت فرقة: ﴿فَيَسْقِى رَبَّهُۥ﴾ من سقى، وقرأت فرقة: (يُسْقِي) من أسْقى. وهما لمعنًى واحد لغتان.

---

(١) في نجيبويه: «اللفظة».

(٢) يعني أنه تقدم الكلام عليها في أول الكتاب في تفسير البسملة، وللتوسع انظر: الإنصاف للباقلاني (١/ ١٩)، والملل والنحل لابن حزم (٥/ ١٩)، وشرح المقاصد للتفتازاني (٢/ ١٦٩).

(٣) في المصرية ونور العثمانية: «للمسميات».

وقرأ عكرمة والجحدري: (فيُسْقَى ربُّه خمراً)، بضم الياء وفتح القاف، أي: ما يرويه[١].

وأخبرهما يوسف عليه السلام عن غيبٍ علِمه من قبَل الله تعالى: إن الأمر قد قضي ووافق القدر.

وقوله: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ﴾ الآية: الظن هاهنا بمعنى اليقين، لأن ما تقدم من قوله: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ يلزم ذلك، وهو يقين فيما لم يخرج بعد إلى الوجود.

وقال قتادة: «الظن هنا على بابه لأن عبارة الرؤيا ظن»[٢].

قال القاضي أبو محمد: وقول يوسف عليه السلام: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ دال على وحي، ولا يترتب قول قتادة إلا بأن يكون معنى قوله: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: قضي كلامي وقلت ما عندي وتم، والله أعلم بما يكون بعد.

وفي الآية تأويل آخر، وهو: أن يكون ﴿ظَنَّ﴾ مسنداً إلى الذي قيل له: إنه يسقي ربه خمراً، لأنه دخلته أبهة السرور بما بشر به وصار في رتبة من يؤمل حين ظن وغلب على معتقده أنه ناج، وذلك بخلاف ما نزل بالآخر المعرف بالصلب.

ومعنى الآية: قال يوسف لساقي الملك حين علم أنه سيعود إلى حالته الأولى مع الملك:

﴿ٱذْكُرْنِى﴾ عند الملك، فيحتمل أن يريد أن يذكره بعلمه ومكانته، ويحتمل أن يذكره بمظلمته وما امتحن به بغير حق، أو يذكره بهما.

والضمير في ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾ قيل: هو عائد على يوسف عليه السلام، أي: نسي في ذلك الوقت أن يشتكي إلى الله، وجنح إلى الاعتصام بمخلوق، فروي أن جبريل عليه

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في المحتسب (١/ ٣٤٤)، والأولى هي المتواترة، والثانية لم أجدها إلا في البحر المحيط (٦/ ٢٧٩). ولعل الصواب: «رِيُّه» بدلالة قوله: «ما يرويه». وانظر: روح المعاني (٦/ ٦٣٤).

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ١١٠)، تفسير الماوردي (٣/ ٣٩)، تفسير الثعلبي (٥/ ٢٢٥).

السلام جاءه فعاتبه عن الله عز وجل في ذلك، وطوّل سجنه عقوبة على ذلك، وقيل: أوحي إليه: يا يوسف، اتخذت من دوني وكيلاً، لأطيلن حبسك.

وقيل: إن الضمير في (أنساه) عائد على الساقي، قاله ابن إسحاق(١)، أي: نسي ذكر يوسف عند ربه، فأضاف الذكر إلى ربه إذ هو عنده، والرب على هذا التأويل الملك.

والبِضْع في كلام العرب اختلف فيه، فالأكثر على أنه من الثلاثة إلى العشرة، قاله ابن عباس(٢)، وعلى هذا هو فقه مذهب مالك رحمه الله في الدعاوى والأيمان(٣).

وقال أبو عبيدة: «البضع لا يبلغ العقد ولا نصف العقد، وإنما هو من الواحد إلى الأربعة»(٤).

وقال الأخفش: «البضع من الواحد إلى العشرة»(٥).

وقال قتادة: «البضع من الثلاثة إلى التسعة»(٦).

ويقوي هذا ما روي من أن النبي ﷺ قال لأبي بكر الصديق في قصة خَطَره مع قريش في غلبة الروم لفارس: «أما علمت أن البضع من الثلاث إلى التسع»(٧).

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ١١٣).

(٢) منقطع، أخرجه الطبري (١٩٣٢٩) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وابن جريج لم يسمع من ابن عباس.

(٣) انظر ما نسبه المؤلف لمذهب مالك في معنى البضع في التاج والإكليل (٥/ ٢٢٩).

(٤) انظر مجاز القرآن (١/ ٩٦)، بتصرف.

(٥) معاني القرآن للنحاس (٥/ ٢٤٣).

(٦) تفسير الطبري (١٦/ ١١٥).

(٧) ضعيف: هذا الحديث أخرجه الترمذي (٣١٩١)، والطبري (٢٠/ ٦٨)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٩٩٠-٢٩٩١)، والضياء في المختارة (١٤٦-١٤٧) من طريق عبد الله بن عبد الرحمن الجمحي، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن مسعود، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر في مناحبة ﴿ الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾: «ألا احتطت يا أبا بكر، فإن البضع ما بين الثلاث إلى تسع»، وعبد الله بن عبد الرحمن الجمحي، أبو سعيد، مجهول الحال. =

وقال مجاهد: من الثلاثة إلى السبعة[١].

قال الفراء: ولا يذكر البضع إلا مع العشرات، لا يذكر مع مئة ولا مع ألف[٢].

والذي روي في هذه الآية أن يوسف عليه السلام سُجن خمسَ سنين ثم نزلت له قصة الفتيين وعوقب على قوله: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ بالبقاء في السجن / سبع [٣/ ٦٩] سنين، فكانت مدة سجنه اثنتي عشرة سنة، وقيل: عوقب ببقاء سنتين.

وقال الحسن: قال رسول الله ﷺ: «لولا كلمته ما لبث في السجن طُولَ ما لبث»[٣]، ثم بكى الحسن، وقال: «نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس»[٤].

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾.

المعنى: وَقَالَ الْمَلِكُ الأعظم: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ﴾ يريد في منامه، وقد جاء ذلك مبيناً في قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٤].

= وأخرجه الطبراني في الأوسط (٧٢٦٦) من طريق إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي، عن حجاج بن محمد المصيصي، عن ابن جريج، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عروة، عن نيار بن مكرم، قال: قال رسول الله ﷺ: «البضع ما بين الثلاث سنين إلى التسع»، وإبراهيم المصيصي متروك، وانظر: الميزان (١/ ٤٠).

(١) الذي في تفسير الطبري (١٦/ ١١٥)، وتفسير الماوردي (٣/ ٤٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٥٠)، عن مجاهد أنه مابين ثلاث وتسع..

(٢) تفسير الماوردي (٣/ ٤٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٩٣١٣-١٩٣١٤) من طريق الحسن البصري مرسلاً، وأخرجه أيضاً الطبري (١٩٣١٥) من طريق إبراهيم بن يزيد، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، مرفوعاً، وإبراهيم بن يزيد الخوزي متروك الحديث.

(٤) معاني القرآن للنحاس (٣/ ٤٢٩)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢٢٥).

وحُكيت حال ماضية بـ﴿أَرَىٰ﴾ وهو مستقبل من حيث يستقبل النظر في الرؤيا.

﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾ يروى أنه قال: رأيتها خارجة من نهر، وخرجت وراءها ﴿سَبْعٌ عِجَافٌ﴾، فرأيتها أكلت تلك السمان حتى حصلت في بطونها، ورأى السنابل أيضاً كما ذكر، والعجاف: التي بلغت غاية الهزال، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] .... ورجالُ مكّة مُسْنِتون عجافُ[١]

ثم قال لجماعته وحاضريه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى﴾.

قرأت فرقة بتحقيق الهمزتين، وقرأت فرقة بأن لفظت بألف: ﴿أَفْتُونِى﴾ واواً[٢].

وقوله: ﴿لِلرُّءْيَا﴾ دخلت اللام لمعنى التأكيد والربط، وذلك أن المفعول إذا تقدم حسن في بعض الأفعال أن تدخل عليه لام الجر[٣]، وإذا تأخر لم يحتج الفعل إلى ذلك.

وعبارة الرؤيا مأخوذة من عَبْر النهر، وهو تجاوزه من شط إلى شط، فكأن عابر الرؤيا ينتهي إلى آخر تأويلها.

وقوله: ﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ الآية، الضغث في كلام العرب أقل من الحزمة وأكثر من القبضة من النبات والعشب ونحوه، وربما كان ذلك من جنس واحد، وربما كان من أخلاط النبات، فمن ذلك قوله: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ [ص: ٤٤]، وروي أنه أخذ عثكالاً من النخل.

وروي أن رسول الله ﷺ فعل نحو هذا في حدٍّ أقامه على رجل زمِن[٤].

---

(١) صدره: عمرو العلا هشم الثّريد لقومه، عزاه في العين (٣/ ٤٠٥)، والمحكم (٤/ ١٩٤)، لابنته، وفي الطبقات الكبرى (١/ ٦٢)، والصحاح للجوهري (١/ ٢٥٤)، لابن الزبعرى، وفي الاشتقاق (ص: ١٣)، ومعجم الشعراء (ص: ٢٠٠)، لمطرود بن كعب الخزاعي.

(٢) وهما سبعيتان، الثانية لنافع وابن كثير وأبي عمرو، انظر: التيسير (ص: ٣٣).

(٣) «الجر»: من المطبوع.

(٤) الصحيح مرسل، اختلف في إسناد هذا الحديث، فروي موصولاً وروي مرسلاً، ورجح غير واحد =

ومن ذلك قول ابن مقبل:

خَوْدٌ كَأَنَّ فِرَاشَهَا وُضِعَتْ بِهِ أَضْغَاثُ رَيْحَانٍ غَدَاةَ شَمَالٍ[١] [الكامل]

ومن الأخلاط قول العرب في أمثالها: ضغثٌ على إبالة[٢]، فيشبَّه اختلاط الأحلام باختلاط الجملة من النبات، والمعنى أن هذا الذي رأيت أيها الملك اختلاط من الأحلام بسبب النوم، ولسنا من أهل العلم بذلك، أي: بما هو مختلط ورديء، فإنما نفوا عن أنفسهم عَبْر الأحلام لا عَبْر الرؤيا على الإطلاق، وقد قال النبي ﷺ: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان»[٣].

وقال عليه السلام للذي كان يرى رأسه يقطع ثم يرده فيرجع: «إذا لعب الشيطان بأحدكم في النوم فلا يحدِّثْ بذلك»[٤].

قال القاضي أبو محمد: فالأحلام وحدثان النفس ملغاة، والرؤيا هي التي تُعبر ويلتمس علمها.

والباء في قولهم: ﴿بِعَٰلِمِينَ﴾ للتأكيد، وفي قولهم: ﴿بِتَأۡوِيلِ﴾ للتعدية وهي متعلقة بقولهم ﴿بِعَٰلِمِينَ﴾.

= من الحفاظ الإرسال، قال النسائي: أجودها حديث أبي أمامة مرسل، وقال الدارقطني: الصواب عن أبي حازم، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن النبي ﷺ يعني مرسل، وقال البيهقي: هذا هو المحفوظ عن أبي أمامة مرسلاً.

وأخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٢٢-٢١٩٣٥)، وابن ماجه (٢٥٧٤)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٠٢٤)، والنسائي في الكبرى (٤/ ٣١٣)، والطبراني في الكبير (٥٥٢١-٥٥٢٢)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢٣٠). وفي نجيبويه: «مؤمن»، بدل «زمن».

(١) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٦/ ١١٨)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢٢٦)، وتفسير الماوردي (٣/ ٤٢).

(٢) الأمثال لابن سلام (ص: ٢٦٤)، قال: والإبالة: الحزمة من الحطب، والضغث: الجرزة التي فوقها، فهي بلية على أخرى قبلها.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٧٤٧)، ومسلم (٢٢٦١) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٦٨) من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما.

والْأَحْلام جمع حلم، يقال: حلَم الرجل ـ بفتح اللام ـ يحلم: إذا خيل إليه في منامه.

والأحلام مما أثبتته الشريعة، وقال رسول الله ﷺ: «الرؤيا من الله وهي المبشرة، والحلم المحزن من الشيطان، فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليتفل على يساره ثلاث مرات وليقل: أعوذ بالله من شر ما رأيت، فإنها لا تضره»[١].

وما كان عن حديث النفس في اليقظة فإنه لا يلتفت إليه.

ولما سمع الساقي الذي نجا هذه المقالة من الملك ومراجعة أصحابه، تذكر يوسف وعلمه بتأويل الأحلام والرؤى، فقال مقالته في هذه الآية.

﴿وَٱدَّكَرَ﴾ أصله: اذتكر، افتعل من الذكر، قلبت التاء دالاً وأدغم الأول في الثاني، ثم بدلت دالاً غير منقوطة لقوة الدال وجلدها، وبعض العرب يقول: اذَّكر، وقرئ: (فهل من مذكر) بالنقط، و﴿مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥][٢] على اللغتين.

وقرأ جمهور الناس: ﴿بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ وهي المدة من الدهر، وقرأ ابن عباس وجماعة: (بعد أمَهٍ)[٣] وهو النسيان، وقرأ مجاهد وشبيل[٤] بن عزرة: (بعد أمْه) بسكون الميم[٥]، وهو مصدر من أَمِهَ إذا نسي، وقرأ الأشهب العقيلي: (بعد إمَّة) بكسر الهمزة[٦]، والإمة:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤٧)، ومسلم (٢٢٦١) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه، وجاء أيضاً عند مسلم (٢٢٦٣) من حديث أبي هريرة بنحوه.

(٢) وستأتي في محلها إن شاء الله.

(٣) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٤٤)، وفيه معه: ابن عمر بخلاف عنه، وعكرمة ومجاهد بخلاف عنهما، والضحاك، وأبو الرجاء، وزيد بن علي، وقتادة، وشبيل بن عزرة الضبعي، وربيعة بن عمرو.

(٤) في أكثر النسخ الخطية: شبل، وهو شبيل بن عزرة أبو عمرو البصري الضبعي، أحد علماء العربية، روى عن أنس وشهر بن حوشب، وعنه جعفر بن سليمان وشعبة وآخرون، وثقه ابن معين، وكان من الخوارج، توفي قبل (١٥٠هـ). تاريخ الإسلام (٩/ ١٧٢).

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها لمجاهد في تفسير الطبري (١٦/ ١٢٣)، والهداية لمكي (٥/ ٣٥٧٦)، ولهما في البحر المحيط (٦/ ٢٨٤).

(٦) وتشديد الميم وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٦٨)، والمحتسب (١/ ٣٤٤).

النعمة، والمعنى: بعد نعمة أنعمها الله على يوسف في تقريب إطلاقه وعزته.

وبقوله: (ادَّكَرَ) يقوي قول من يقول: إن الضمير في ﴿فَأَنسَـٰهُ﴾ عائد على الساقي، والأمر محتمل.

وقرأ الجمهور: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم﴾.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (أنا آتيكم)، وكذلك في مصحف أبي بن كعب[1].

وقوله: ﴿فَأَرۡسِلُونِ﴾ استئذان في المضي، فقيل: كان السجن في غير مدينة الملك، قاله ابن عباس[2]، وقيل: كان فيها.

قال القاضي أبو محمد: ويرسم الناس اليوم سجن يوسف في موضع على النيل، بينه وبين الفسطاط ثمانية أميال.

قوله عز وجل: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

المعنى: فجاء الرسول ـ وهو الساقي ـ إلى يوسف فقال له: يا يوسف أَيُّهَا الصِّدِّيقُ، وسماه صدِّيقاً من حيث كان جرَّب صدقه في غير شيء، وهو بناء مبالغة من صَدَق، وسمي أبو بكر رضي الله عنه صديقاً مِن «صَدَّق غيرَه»، إذ مع كل تصديق

---

(١) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٦٨)، والهداية لمكي (٥/ ٣٥٧٧).

(٢) أخرجه الطبري (١٩٣٦٧)، وابن أبي حاتم (١١٦٦١) من طريق أسباط بن نصر، عن السدي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (١/ ٢٣٠): هذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة. اهـ.

صِدْقٌ، فالمُصَدِّق بالحقائق صادق أيضاً، وعلى هذا سمي المؤمنون صديقين في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾[الحديد: ١٩].

ثم قال: ﴿أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ﴾؛ أي: فيمن رأى في المنام سبع بقرات، وحكى النقاش حديثاً روى فيه أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف في السجن وبشره بعطف الله تعالى عليه، وإخراجه من السجن، وأنه قد أحدث للملك منامة جعلها سبباً لفرج يوسف[١].

ويروى أن الملك كان يرى سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يخرجن من نهر، وتخرج وراءها سَبْعٌ عِجافٌ، فتأكل العجافُ السمانَ، فكان يعجب كيف غلبتها وكيف وسعت السمان / بطون العجاف، وكان يرى سَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وقد التفَّت بها سبع يابسات، حتى كانت تغطي خضرتها فعجب أيضاً لذلك. [٣/ ٧٠]

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أي: تأويل هذه الرؤيا، فيزول همُّ الملك لذلك وهمُّ الناس، وقيل: لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ مكانتك من العلم وكُنْه فضلك فيكون ذلك سبباً لتخلصك.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ﴾ الآية، تضمَّن هذا الكلام من يوسف عليه السلام ثلاثة أنواع من القول:

أحدها: تعبير بالمعنى لا باللفظ.

والثاني: عرض رأي وأمر به، وهو قوله: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾.

والثالث: الإعلام بالغيب في أمر العام الثامن، قاله قتادة[٢].

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل هذا ألا يكون غيباً، بل علمُ العبارة أعطى انقطاعَ الجدب بعد سبع، ومعلوم أنه لا يقطعه إلا خصب شافٍ، كما أعطى أن النهر مثال للزمان، إذ هو أشبه شيء به، فجاءت البقرات مثالاً للسنين.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٥٥)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢٢٧)، بتصرف.

و﴿دَأَبًا﴾ معناه: ملازمة لعادتكم في الزراعة، ومنه قول امرئ القيس:

كَدَأْبِـكَ مِـنْ أُمِّ الحُوَيْـرِثِ قَبلَها .... [الطويل]

البيـت[١].

وقرأ جمهور السبعة: ﴿دأْبا﴾ بإسكان الهمزة، وقرأ عاصم وحده: ﴿دَأَبًا﴾ بفتح الهمزة، وأبو عمرو يسهل الهمزة عند درج القراءة[٢]، وهما مثل: نَهْر ونَهَر.

والناصب لقوله: ﴿دَأَبًا﴾: ﴿تَزْرَعُونَ﴾، عند أبي العباس المبرد، إذ في قوله ﴿تَزْرَعُونَ﴾: تدأبون، وهي عنده مثل قولهم: قعد القرفصاء، واشتمل الصَّماء، وسيبويه يرى نصب هذا كله بفعل مضمر من لفظ المصدر يدل عليه هذا الظاهر، كأنه قال: تزرعون تدأبون دأبا[٣].

وقوله: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ﴾ هي إشارة برأي نبيل نافع بحسب طعام مصر وحنطتها التي لا تبقى عامين بوجه إلا بحيلة إبقائها في السنبل، فإن الحبة إذا بقيت في خبائها انحفظت، والمعنى: اتركوا الزرع في السنبل إلا ما لا غنى عنه للأكل، فيجتمع الطعام هكذا ويتركب، ويؤكل الأقدم فالأقدم، فإذا جاءت السنون الجدبة تقوَّتَ الناسُ الأقدمَ فالأقدم من ذلك المدخر، وادخروا أيضاً الشيء الذي يصاب في أعوام الجدب على قلته، وحملت الأعوام بعضها على بعض حتى يتخلص الناس.

وإلى هذه السنين أشار النبي ﷺ في دعائه على قريش: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف»، فابتدأ ذلك بهم ونزلت سنة حصَّت كل شيء، حتى دعا لهم النبي ﷺ فارتفع ذلك عنهم ولم يتماد سبع سنين[٤].

---

(١) تقدم في تفسير الفاتحة، برواية: «كدينك»، وتمامه: وجارتها أم الرباب بمأسل.

(٢) وكلها سبعية، إلا أن الفتح لحفص خاصة عن عاصم، انظر: التيسير (ص: ١٢٩).

(٣) البحر المحيط (٦/ ٢٨٥)، وانظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١١٤)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٣٨٨).

(٤) أخرجه البخاري (٤٧٧٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وروي أن يوسف عليه السلام لما خرج ووصف هذا الترتيب للملك وأعجبه أمره، قال له الملك: قد أسندتُ إليك تولي هذا الأمر في الأطعمة هذه السنين المقبلة، فكان هذا أول ما ولي يوسف.

وأسند الأكل في قوله: ﴿يَأْكُلْنَ﴾ إلى السنين اتساعاً من حيث يؤكل فيها، كما قال تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾[يونس: ٦٧]، وكما يقال:

[الطويل] نَهَارُكَ بَطَّالٌ وَلَيْلُكَ نَائِمٌ[1] ....

وهذا كثير في كلام العرب.

ويحتمل أن يسمى فعل الجدب وإيباس البلالات أكلاً، وفي الحديث: «فأصابتهم سنة حصَّت كل شيء»[2].

وقال الأعرابي في السنة: «جمشت النجمَ[3]، والتحبت اللحمَ[4]، وأحجنت[5] العظمَ»[6].

---

(١) تتمته كما في تفسير الثعالبي (٤/ ٢٨٠): كذلك في الدنيا تعيش البهائم، ولم ينسبه، ولم أجده لغيره، وفي المطبوع: «قائم».

(٢) هو جزء من حديث ابن مسعود السابق.

(٣) النجم نوع من النبات لا ساق له، وفي القاموس المحيط (ص: ٥٨٨): الجموش من السنين: المحرقة للنبات.

(٤) قال في القاموس المحيط (ص: ١٣٤): التحب اللحم: قطعه طولاً.

(٥) قال في القاموس المحيط (ص: ١١٨٨): حجن العود يحجنه: عطفه،... والتحجن: الاعوجاج.

(٦) ونصه في أمالي القالي (١/ ١١٣) عن أبي زيد، قَالَ: بينا أنا في المسجد الحرام إذ وقف علينا أعرابي فقَالَ: يا مسلمون، إن الحمد لله والصلاة عَلَى نبيه، إنى امرؤ من أهل هذا الملطاط الشرقي المواصي أسياف تهامة، عكفت عَلَي سنون محش، فاجتبت الذري، وهشمت العري، وجمشت النجم وأعجت البهم، وهمت الشحم والتحبت اللحم وأحجنت العظم، وغادرت التراب موراً، والماء غوراً، والناس أوزاعاً، والنبط قعاعاً، والضهل جزاعاً، والمقام جعجاعاً، يصبحنا الهاوي، =

و﴿تُحۡصِنُونَ﴾ معناه: تحرزون وتخزنون، قاله ابن عباس[١]، وهو مأخوذ من الحصن وهو الحرز والملجأ، ومنه تحصن النساء لأنه بمعنى التحرز.

وقوله: ﴿يُغَاثُ﴾ جائز أن يكون من الغيث، وهو قول ابن عباس[٢] ومجاهد[٣] وجمهور المفسرين، أي: يمطرون، وجائز أن يكون من أغاثهم الله: إذا فرج عنهم، ومنه الغوث وهو الفرج.

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم: ﴿يَعۡصِرُونَ﴾ بفتح الياء وكسر الصاد، وقرأ حمزة والكسائي ذلك بالتاء على المخاطبة[٤].

وقال جمهور المفسرين: هي من عصر النباتات كالزيتون والعنب والقصب والسمسم والفجل وجميع ما يعصر، ومصرُ بلدُ عصرٍ لأشياء كثيرة، وروي أنهم لم يعصروا شيئاً مدة الجدب، والحلبُ منه لأنه عصر للضروع.

وقال أبو عبيدة وغيره: ذلك مأخوذ من العُصْرة والعَصَر وهو الملجأ[٥].

ومنه قول أبي زبيد في عثمان رضي الله عنه:

= ويطرقنا العاوي، فخرجت لا أتلفع بوصيده، ولا أتفوت هبيده، فالبخصات وقعة، والركبات زلعة، والأطراف قفعة، والجسم مسلهم، والنظر مدرهم، أعشو فأغطش، وأُضحي فأخفش، أسهل ظالعاً، وأحزن راكعاً، فهل من آمرٍ بميرٍ أو داعٍ بخير، وقاكم الله سطوة القادر وملكة الكاهر، وسوء الموارد وفضوح المصادر.

(١) أخرجه الطبري (١٩٣٧٤)، وابن أبي حاتم (١١٦٧٥) من حديث علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: تخزنون. وأخرجه الطبري (١٩٣٧٥) من طريق حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ﴿تُحۡصِنُونَ﴾: تحرزون، ولم يدرك ابن جريج ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (١٩٣٨٠) من طريق حجاج، عن ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
وأخرجه ابن أبي حاتم (١١٦٧٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ١٢٩).

(٤) فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٩).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٣١٣)، وقد احتج بالبيت الآتي لكن لم ينسبه.

[الخفيف] صَادِياً يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ وَلَقَدْ كَانَ عُصْرَةَ المَنْجُودِ[١]

ومنه قول عدي بن زيد:

[الرمل] لَوْ بِغَيْرِ الْمَاءِ حَلْقِي شَرِقٌ كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي[٢]

ومنه قول ابن مقبل:

[البسيط] وصاحِبِي وَهْوَهٌ مُسْتَوْهِلٌ زَعِلٌ يَحولُ بَين حمارِ الوَحْشِ والعَصَرِ[٣]

ومنه قول لبيد:

[الطويل] فباتَ وأَسْرَى القَوْمُ آخِرَ لَيْلِهِمْ وما كانَ وقَّافاً بغَيْرِ مُعَصَّرِ[٤]

أي: بغير ملتجأ، فالآية على معنى: ينجون بالعُصْرة.

وقرأ الأعرج وعيسى وجعفر بن محمد: (يُعْصَرون) بضم الياء وفتح الصاد[٥]، وهذا مأخوذ من العصرة، أي: يؤتَون بعصرة، ويحتمل أن يكون من عصرت السحاب ماءها عليهم.

قال ابن المستنير: «معناها: يمطرون»[٦].

---

(١) قوله: «يرثي عثمان» غريب، فهو إنما يرثي ابن أخته اللجلاج، وكان من أحب الناس إليه، فمات عطشا في طريق مكة، فجزع عليه جزعاً شديداً، انظر: الاختيارين للأخفش (ص: ٥١٨)، وأمالي اليزيدي (ص: ٧)، والمحكم (٧/ ٣٣٩)، وسمط اللآلي (١/ ١١٩).

(٢) انظر عزوه له في العين (٤/ ٣٤١)، والحيوان (٥/ ٧٦)، والشعر والشعراء (١/ ٢٢٣)، وجمهرة اللغة (٢/ ٧٣١).

(٣) انظر عزوه له في المعاني الكبير (١/ ٢٦)، وتهذيب اللغة (٦/ ٢٥٧)، والحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٤٢٦)، والمحكم (٤/ ٣٤٨)، قال: «والوهوه: الذي يرعد من الامتلاء»، فهو يعني النشيط من الخيل سريع الجري، والمستوهل: الفزع النشيط، والزعل: النشيط.

(٤) انظر عزوه له في الجيم (٢/ ٣٣٩)، ومجاز القرآن (١/ ٢٩٥)، والكامل للمبرد (١/ ٩٠)، والحجة لأبي علي (٤/ ٤٢٧).

(٥) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٦٨)، والمحتسب (١/ ٣٤٤).

(٦) البحر المحيط (٦/ ٢٨٦)، وهو قطرب.

وحكى النقاش أنه قرىء: «يُعَصِّرُون»[١] بضم الياء وكسر الصاد وشدها، وجعَلها من عصر البلل ونحوه.

ورد الطبري على من جعل اللفظة من العصرة ردّاً كثيراً بغير حجة[٢].

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾.

في تضاعيف هذه الآية محذوفات يعطيها ظاهر الكلام ويدل عليها، والمعنى هاهنا: فرجع الرسول إلى الملأ والملك فقص عليهم مقالة يوسف، فرأى الملك وحاضروه نبل التعبير وحسن الرأي وتضمُّن الغيب في أمر العام الثامن، مع ما وصفه به الرسول من الصدق في المنامة المتقدمة، فعظم يوسف في نفس الملك، وقال ﴿ٱئْتُونِي بِهِۦ﴾، فلما وصل الرسول في إخراجه إليه، وقال: إن الملك قد أمر بأن تخرج، قال له: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ـ أي: الملك ـ وقل له: ﴿مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ﴾، ومقصد يوسف عليه السلام إنما كان: وقل له يستقصي عن ذنبي وينظر في أمري، هل سجنت بحق أو بظلم؟ فرسم قصته بطرف منها إذا وقع النظر عليه بان الأمر كله. ونكب عن ذكر امرأة العزيز حسنَ عِشرةٍ ورعاية لذمام[٣] ملك العزيز له.

وقرأ أبو بكر عن عاصم وأبو حيوة: (النُّسوة) بضم النون[٤].

وقرأ الباقون: ﴿ٱلنِّسْوَةِ﴾ بكسر النون،/ وهما لغتان في تكسير نساء الذي هو [٣/ ٧١] اسم جمع لا واحد له من لفظه.

(١) وهي شاذة، نقلها عنه في البحر المحيط (٦/ ٢٨٦).

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ١٣١) وما بعدها.

(٣) في الأصل والمطبوع: «الزمام».

(٤) وليست من طرق التيسير بل من رواية البرجمي والشموني عن الأعشى عنه، انظر: تفسير الثعلبي (٥/ ٢٢٨)، وجامع البيان (٣/ ١٢٣١)، والكامل للهذلي (ص: ٥٧٦)، وزاد نسبتها لأبي حيوة، وابن أبي عبلة، والقراءة بالكسر هي المتواترة.

وقرأت فرقة: (اللايي) بالياء، وقرأت فرقة: ﴿ٱلَّتِي﴾ بالتاء وكلاهما جمع «التي»[١].

وكان هذا الفعل من يوسف عليه السلام أناة وصبراً وطلباً لبراءة الساحة، وذلك أنه فيما روي خشي أن يخرج وينال من الملك مرتبة ويسكت عن أمر ذنبه صفحاً، فيراه الناس بتلك العين أبداً، ويقولون: هذا الذي راود امرأة مولاه، فأراد يوسف عليه السلام أن تبين براءته وتتحقق منزلته من العفة والخير، وحينئذ يخرج للإحظاء[٢] والمنزلة.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «يرحم الله أخي يوسف، لقد كان صابراً حليماً، ولو لبثت في السجن لبثه لأجبت الداعي ولم ألتمس العذر حينئذ»[٣]، وروي نحو هذا الحديث من طريق عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك في كتاب التفسير من صحيح البخاري[٤]، وليس لابن القاسم في الديوان غيره[٥].

وهنا اعتراض ينبغي أن ينفصل عنه، وذلك أن النبي ﷺ إنما ذكر هذا الكلام على جهة المدح ليوسف، فما باله هو يذهب بنفسه عن حالة قد مدح بها غيره؟ فالوجه في ذلك: أن النبي ﷺ إنما أخذ لنفسه وجهاً آخر من الرأي له جهة أيضاً من الجودة، أي: لو كنت أنا لبادرت بالخروج ثم حاولت بيان عذري بعد ذلك، وذلك أن هذه القصص والنوازل إنما هي معرضة ليقتدي الناس بها إلى يوم القيامة، فأراد رسول الله ﷺ حمل الناس على الأحزم من الأمور، وذلك أن المتعمق في مثل هذه النازلة التارك فرصة الخروج من مثل ذلك السجن، ربما تُنتج له من ذلك البقاءَ في سجنه، وانصرفت نفس مخرجه عنه، وإن كان يوسف عليه السلام أمن من ذلك بعلمه من الله، فغيره من الناس لا يأمن ذلك، فالحالة التي ذهب النبي ﷺ بنفسه إليها حالة حزم ومدح، وما فعله يوسف عليه السلام صبر عظيم وجلَد.

---

(١) هذه هي المتواترة والأولى شاذة، انظر البحر المحيط (٦/ ٢٨٨).

(٢) في المطبوع ونور العثمانية: «للأخطاء»، وفي نجيبويه: «للأحضاء».

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٣٧٢-٤٦٩٤)، ومسلم (١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) حديث رقم (٤٦٩٤) من صحيح البخاري.

(٥) ذكره الكلاباذي في كتابه في رجال صحيح البخاري رقم (٦٧٤) بهذا الحديث.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ يحتمل أن يريد بالرب الله عز وجل، وفي الآية وعيد على هذا وتهديد[١].

ويحتمل أن يريد بالرب العزيزَ مولاه، ففي ذلك استشهاد به وتقريع له.

والضمير في ﴿بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ للنِّسْوَةِ المذكورات لا للجنس لأنها حالة توقيف على ذنب.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾.

المعنى: فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن، وقال لهن: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ﴾ الآية، أي: أي شيء كانت قصتكن؟ فهو استدعاء منه أن يُعْلمنه القصة، فجاوب النساء بجواب حيدة[٢]، تظهر منه براءة أنفسهن جملة، وأعطين يوسف بعض براءة، وذلك أن الملك لما قرر لهن أنهن راودنه قلن جواباً عن ذلك: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾.

وقد يحتمل ـ على بُعدٍ ـ أن يكون قولهن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ في جهة يوسف عليه السلام، وقولهن: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ ليس بإبراء تام، وإنما كان الإبراء التام وصف القصة على وجهها حتى يتقرر الخطأ في جهتهن[٣]، ولو قلن: ما علمن عليه إلا خيراً، لكان أدخلَ في التبرية.

وقد بوب البخاري على هذه الألفاظ على أنها تزكية، وأدخل قول أسامة بن زيد في حديث الإفك: «أهلك ولا نعلم إلا خيراً»[٤].

---

(١) في الأصل ونجيبويه والحمزوية: «وتهدد».

(٢) في المطبوع والمصرية: «جيد»، وفي التركية: «حيرة».

(٣) في نور العثمانية: «في جهتين»، وفي الأصل: «في إحدى الجهتين».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٦٣٧)، ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

قال القاضي أبو محمد: وأما مالك رحمه الله فلا يقنع بهذا في تزكية الشاهد، لأنه ليس بإثبات العدالة[١].

قال بعض المفسرين: فلما سمعت زوجة العزيز مقالتهن وحيْدتهن[٢] عن الوقوع في الخزي حضرتْها نيةٌ وتحقيق، فقالت: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾.

و﴿حَصۡحَصَ﴾ معناه: تبيَّن بعد خفائه، كذا قال الخليل وغيره[٣].

وقيل: هو مأخوذ من الحصة، أي: بانت حصته من حصة الباطل. ثم أقرت على نفسها بالمراودة والتزمت الذنب وأبرأت يوسف البراءة التامة.

قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ۝٥٢ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥٣﴾.

قالت جماعة من أهل التأويل: هذه المقالة هي من يوسف عليه السلام، أي: ذلك ليعلمَ العزيز سيدي أنِّي لم أخنه في أهله وهو غائب، وليعلم أيضاً أن الله تعالى لا يَهْدِي كيد خائن ولا يرشد سعيه.

قال القاضي أبو محمد: والهدى للكيد مستعارٌ، بمعنى: لا يكمله[٤] ولا يمضيه على طريق إصابة، وربَّ كيدٍ مهديٍّ إذا كان من تقيٍّ في مصلحة.

واختلفت هذه الجماعة، فقال ابن جريج: «هذه المقالة من يوسف هي متصلة بقوله للرسول: ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ﴾، وفي الكلام تقديم وتأخير»[٥].

فالإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ ـ على هذا التأويل ـ هي إلى بقائه في السجن والتماسه البراءة، أي: هذا ليعلم سيدي أني لم أخنه.

---

(١) انظر: البيان والتحصيل (١٠/ ٢٩-٣١).

(٢) في التركية: «وحيرتهن»، وفي نور العثمانية: «وحدتهن».

(٣) العين (٣/ ١٤).

(٤) في المطبوع: «لا يكلمه»، وفي نور العثمانية: «لا يكلمه بمضيه على» إلخ.

(٥) معاني القرآن للنحاس (٣/ ٤٣٧).

وقال بعضهم: إنما قال يوسف هذه المقالة حين قالت امرأة العزيز كلامها، إلى قولها: ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فالإشارة ـ على هذا ـ إلى إقرارها، وصنيع الله تعالى فيه، وهذا يضعَّف، لأنه يقتضي حضوره مع النسوة عند الملك، وبعد هذا يقول الملك: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦ﴾.

وقالت فرقة من أهل التأويل: هذه الآية من قول امرأة العزيز، وكلامها متصل، أي: قولي هذا وإقراري ليعلم يوسف أني لم أخنه في غيبته بأن أكذب عليه أو أرميه بذنب هو بريء منه، والتقدير على هذا التأويل: توبتي وإقراري ليعلم أني لم أخنه وأن الله لا يهدي.

وعلى أن الكلام من يوسف يجيء التقدير: وليعلم أن الله لا يهدي كيد الخائنين.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ﴾ الآية، هذه أيضاً مختلف فيها: هل هي من كلام يوسف أم من كلام المرأة، حسب التي قبلها.

فمن قال: من كلام يوسف، روى في ذلك عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «لما قال يوسف: ﴿أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ قال له جبريل: ولا حين هممت وحللت سراويلك»[(١)]، وقال نحوه / ابن عباس[(٢)] وابن جبير وعكرمة والضحاك[(٣)]. [٣/ ٧٢]

وروي: أن المرأة قالت له ذلك، قاله السدي[(٤)]، وروي أن يوسف تذكَّر من تلقائه ما كان همَّ به فقال: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾، قاله ابن عباس أيضاً[(٥)].

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٧٢) للحاكم في «تاريخه»، وابن مردويه، والديلمي.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩٤٣٠)، وابن أبي حاتم (١١٦٩٨) من طريق إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواية سماك عن عكرمة فيها اضطراب.

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ١٤٣ ١٤٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٤٣٦)، بتصرف، وفي نجيبويه: «بن جريج»، بدل «ابن جبير».

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ١٤٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٥٨).

(٥) هذا الأثر أخرجه ابن جرير الطبري (١٩٤٤٥) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ومن قال: إن المرأة قالت: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ﴾ فوجه كلامها الاعتذار عن وقوعها فيما يقع فيه البشر من الشهوات، كأنها قالت: وما هذا ببِدْعٍ ولا ذلك نكير على البشر فأبرىءَ أنا منه نفسي، والنفوس أمَّارات بالسوء مائلة إليه.

و(أمَّـارة) بناء مبالغة، و﴿مَا﴾ في قوله: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ﴾ مصدرية، هذا قول الجمهور فيها، وهو على هذا استثناء منقطع، أي: إلا رحمة ربي، ويجوز أن تكون بمعنى «مَن»، هذا على أن تكون ﴿ٱلنَّفۡسَ﴾ يراد بها النفوس، إذ النفس تجري صفة لمن يعقل كالعين والسمع، كذا قال أبو علي، فتقدير الآية: إلا النفوس التي يرحمها الله.

قال القاضي أبو محمد: وإذنْ ﴿ٱلنَّفۡسَ﴾ اسم جنس، فصح أن تقع ﴿مَا﴾ مكان «مَن» إذ هي كذلك في صفات من يعقل وفي أجناسه، وهو نص في كلام المبرد، وهو ـ عندي ـ معنى كلام سيبويه، وهو مذهب أبي علي ـ ذكره في البغداديات[1].

ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ ظرفية، المعنى: إن النفس لأمارة بالسوء إلا مدةَ رحمة الله العبد وذهابه به عن اشتهاء المعاصي.

ثم ترجَّى في آخر الآية بقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٧﴾.

المعنى: أن الملك لما تبينت له براءة يوسف مما نسب إليه، وتحقق في القصة أمانته، وفهم أيضاً صبره وجلده، عظمت منزلته عنده وتيقن حسن خلاله فقال: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾.

---

(١) انظر المسائل البغداديات (ص: ٢٦٩)، وما بعدها، إلا أنه لم يستشهد بهذه الآية.

قال القاضي أبو محمد: وهذا الذي أَمَّ يوسفُ عليه السلام بتثبته في السجن أن يرتقي إلى أعلى المنازل، فتأمل أن الملك قال أولاً حين تحقق علمه: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦ﴾ فقط، فلما فعل يوسف ما فعل، فظهرت أمانته وصبره وعلو همته وجودة نظره، قال: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾، فلما جاءه وكلمه قال: ﴿إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾، فدل ذلك على أنه رأى من كلامه وحسن منطقه ما صدق به الخبر أو أربى عليه، إذ المرء مخبوء تحت لسانه، ثم لما زاول الأعمال مشى القُدُمية حتى ولاه خطة العزيز.

و﴿أَمِينٞ﴾ من الأمانة، وقالت فرقة: هو بمعنى آمن.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، لأنه يخرج من نمط الكلام وينحط إكرام يوسف عليه[(١)] كثيراً، ويروى أن الملك لما أدنى يوسف قال له: «إني أشاركك في كل شيء إلا أني أحب أن لا تشركني في أهلي وأن لا يأكل معي عبدي»[(٢)]، فقال له يوسف: «أتأنف أن آكل معك؟ أنا أحق أن آنف، أنا ابن إبراهيم الخليل، وابن إسحاق الذبيح، وابن يعقوب الصدِّيق»[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا الحديث بعدٌ وضعفٌ، وقد قال ابن ميسرة: «إنما جرى هذا في أول أمره، كان يأكل مع العزيز، فلما جرت قصة المرأة قالت للعزيز: أتدع هذا يواكلك؟ فقال له: اذهب فكل مع العبيد، فأنف وقال ما تقدم»[(٤)].

أمَا إن الظاهر من قصته وقت محاورة الملك أنه كان على عبودية، وإلا كان اللائق به أن ينتحي بنفسه عن عمل الكافر، لأن القوم كانوا أهل أوثان، ومحاورة يوسف لصاحبي السجن تقضي بذلك.

---

(١) زيادة من المصرية.

(٢) في المطبوع: «وألا تأكل عندي».

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤٧-١٤٨) من طرق إلى عبد الله بن أبي الهذيل من قوله.

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ١٤٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٥٩) بتصرف.

وسمى الله تعالى فرعون مصر ملكاً إذ هي حكاية اسم مضى حكمُه وتصرم زمنه، ولو كان حيّاً لكان حكماً[١] له إذا قيل لكافر: ملك أو أمير، ولهذا كتب النبي ﷺ إلى هرقل فقال: «عظيم الروم»[٢]، ولم يقل: ملكاً ولا أميراً، لأن ذلك حكم، والحق أن يُسْلِم ويسلموا، وأما كونه عظيمهم فتلك صفة لا تفارقه كيفما تقلب، ولو كتب له النبي ﷺ: أمير الروم، لتمسك بتلك الحجة على نحو تمسُّك زياد في قوله: شهد والله لي أبو الحسن[٣].

وقوله تعالى: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ الآية، فهم يوسف عليه السلام من الملك أنه عزم[٤] على تصريفه والاستعانة بنظره في الملك، فألقى يده في الفصل الذي تمكنه فيه المعدلة، ويترتب له الإحسان إلى من يجب ووضع الحق على أهله وعند أهله.

قال بعض أهل التأويل: في هذه الآية ما يبيح للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر بشرط أن يعلم أنه يفوض إليه في فصل ما لا يعارض فيه، فيصلح منه ما شاء، وأما إن كان عمله بحسب اختيار الفاجر وشهواته وفجوره، فلا يجوز له ذلك.

قال القاضي أبو محمد: وطلبة[٥] يوسف للعمل إنما هي حسبة منه عليه السلام؛ لرغبته في أن يقع العدل، ونحو هذا هو دخول أبي بكر الصديق في الخلافة مع نهيه المستشيرَ له من الأنصار عن أن يتأمر على اثنين، الحديث بكماله[٦]، فجائز للفاضل

(١) في نور العثمانية: «حكا».
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.
(٣) انظر القصة في الأوائل للعسكري (ص: ٢٤٦).
(٤) «عزم»: ساقطة من المطبوع.
(٥) في المطبوع وأحمد٣: «وطلب».
(٦) الذي وقفت عليه ما أخرجه الطبراني في الكبير (٤٤٦٧) من طريق إسرائيل، وفي (٤٤٦٨) من طريق شريك، كلاهما عن إبراهيم بن المهاجر، عن طارق بن شهاب، عن رافع بن عمرو الطائي قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص على جيش ذات السلاسل، وبعث معه في ذلك الجيش أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وسراة أصحابه، فانطلقوا حتى نزلوا جبل طيئ، فقال عمرو: انظروا إلى رجل دليل بالطريق، فقالوا: ما نعلمه إلا رافع بن عمرو، فإنه كان ربيلاً في الجاهلية ـ فسألت =

أن يعمل ويطلب العمل إذا رأى ألا عوض منه، وجائز أيضاً للمرء أن يثْني على نفسه بالحق إذا جُهل أمره.

و﴿خَزَآئِنِ﴾: لفظ عام لجميع ما تختزنه المملكة من طعام ومال وغيره.

و﴿حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾: صفتان تعم وجوه التثقيف والحيطة لا خلل معهما لعامل. وقد خصص الناس بهاتين الصفتين أشياء، مثل قولهم: حفيظ بالحساب عليم بالألسن، وقول بعضهم: حفيظ لما استودعتَني، عليم بسني الجوع، وهذا كله تخصيص لا وجه له، وإنما أراد باتصافه أن يعرِّف الملك بالوجه الذي به يستحق الكون على خزائن الأرض فاتصف بأنه يحفظ المجبى من كل جهة تحتاج إلى الحفظ، ويعلم التناول أجمع.

وروي عن مالك بن أنس أنه قال: «مصر خزانة الأرض»، واحتج بهذه الآية[1].

= طارقاً: ما الربيل؟ قال: اللص الذي يغزو القوم وحده فيسرق ـ قال رافع: فلما قضينا غزاتنا وانتهيت إلى المكان الذي كنا خرجنا منه، توسمت أبا بكر، رضي الله عنه، فأتيته فقلت: يا صاحب الخلال إني توسمتك من بين أصحابك، فائتني بشيء إذا حفظته كنت مثلكم، فقال: «أتحفظ أصابعك الخمس؟» قلت: نعم، قال: «تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وتقيم الصلوات الخمس، وتؤتي الزكاة إن كان لك، وتحج البيت، وتصوم رمضان، حفظت؟» قلت: نعم، قال: «وأخرى لا تأمرنَّ على اثنين» قلت: هل تكون الإمرة إلا فيكم أهل بدر؟ قال: «يوشك أن تفشو حتى تبلغك ومن هو دونك، إن الله عز وجل لما بعث نبيه ﷺ دخل الناس في الإسلام، فمنهم من دخل فهداه الله، ومنهم من أكرهه السيف، فهم عوَّاد الله، وجيران الله، في خفارة الله، إن الرجل إذا كان أميراً، فتظالم الناس بينهم، فلم يأخذ لبعضهم من بعض، انتقم الله منه، إن الرجل لتؤخذ شاة جاره فيظل ناتئ عضلته غضباً لجاره، والله من وراء جاره» قال رافع: فمكثت سنة، ثم إن أبا بكر استخلف، فركبت إليه فقلت: أنا رافع، كنت لقيتك يوم كذا وكذا مكان كذا وكذا، قال: «عرفت»، قلت: كنت نهيتني عن الإمارة، ثم ركبت بأعظم من ذلك أمة محمد ﷺ، قال: «نعم، فمن لم يقم فيهم بكتاب الله فعليه بهلة الله» يعني: لعنة الله.

وأخرجه الطبراني في الكبير (٤٤٦٩) من طريق الأعمش، عن سليمان بن ميسرة، عن طارق بن شهاب، عن رافع بن أبي رافع الطائي به، بنحوه.

(١) تفسير القرطبي (٩/ ٢١٣).

وقوله: ﴿خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِ﴾ يريد أرض مصر، إذ لم تكن مملكة فرعون إلا بها فقط، ويؤكد أن تسمى خزانة الأرض نصبتُها في بلاد الأرض وتوسطها، فمنها ينقل الناس إلى أقطار الأرض، وهي محل كل جالب.

[٣/ ٧٣] وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ الآية، الإشارة بـ(ذلك) إلى ما تقدم من/ جميل صنع الله به، أي: وكهذه الأفعال المنصوصة درجناه في الرتب ونقلناه فمكنًّا له في الأرض.

قال القاضي أبو محمد: فروي أن العزيز مات في تلك الليالي، وقال ابن إسحاق: «بل عزله الملك ثم مات أطفير، فولاه الملك مكانه وزوَّجه زوجته، فلما دخلت عليه عروساً قال لها: أليس هذا خيراً مما كنت أردت؟ فقالت له: أيها الصديق كنتَ في غاية الجمال، وكنتُ شابة عذراء، وكان زوجي لا يطأ، فغلبتني نفسي في حبك، فدخل يوسف بها فوجدها بكراً، وولدت له ولدين»[١].

وروي أن الملك عزل العزيز، وولاه موضعه، ثم عظُم ملكُ يوسف وتغلب على حال الملك أجمع، قال مجاهد: «وأسلم الملك آخر أمره»[٢]، ودرس أمرُ العزيز وذهبت دنياه، ومات وافتقرت زوجته، وزمنت وشاخت، فلما كان في بعض الأيام، لقيت يوسف في طريق، والجنود حوله ووراءه، وعلى رأسه بنود عليها مكتوب ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨] فصاحت به وقالت: سبحان من أعز العبيد بالطاعة، وأذل الأرباب بالمعصية، فعرفها، وقالت له: تعطَّف عليّ وارزقني شيئاً، فدعاها وكلمها، وأشفق لحالها، ودعا الله تعالى، فردَّ عليها جمالها وتزوجها.

قال القاضي أبو محمد: وروي في نحو هذا من القصص ما لا يوقف على صحته، ويطول الكلام[٣] بسَوقه.

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ١٥١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٦١)، بتصرف.
(٢) تفسير الطبري (١٦/ ١٥٢)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢٣٣).
(٣) في نجيبويه ونور العثمانية وأحمد٣: «الكتاب».

وقرأ الجمهور: ﴿حَيْثُ يَشَآءُ﴾ على الإخبار عن يوسف.

وقرأ ابن كثير وحده: ﴿حيث نشاء﴾ بالنون على ضمير المتكلم[١]، أي: حيث يشاء الله من تصرف يوسف على اختلاف تصرفه، وحكى أبو حاتم هذه القراءة عن الحسن وشيبة ونافع وأبي جعفر بخلاف عن الثلاثة المدنيين[٢].

وقال أبو علي: إما أن يكون تقدير هذه القراءة: حيث نشاءُ من المحاريب والمتعبدات وأحوال الطاعات، فهي قُرَب يريدها الله ويشاؤها، وإما أن يكون معناها: حيث يشاء يوسف، لكن أضاف الله عز وجل المشيئة التي ليوسف إليه من حيث هو عبد من عبيده[٣]، وكانت مشيئته بقدرة الله تعالى وقوته كما قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]:

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله من أبي علي نزغة اعتزالية، وتحفظ من أن أفعال العباد من فاعلين، فتأمله.

واللام في قوله: ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ يجوز أن تكون على حد التي في قوله: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢] و﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣].

وقوله: ﴿يَتَبَوَّأُ﴾ في موضع نصب على الحال.

و﴿حَيْثُ يَشَآءُ﴾ نصب على الظرف أو على المفعول به، كما قال الشماخ:

.... حَيْثُ تُكْوَى النَّواحِزُ[٤] [الطويل]

وباقي الآية بيّن.

---

(١) فهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٢٩).

(٢) مثله في البحر المحيط (٦/ ٢٩٢)، دون ذكر أبي حاتم.

(٣) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٤٢٨).

(٤) انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٦٦٦)، والمعاني الكبير في أبيات المعاني (٢/ ٧٨٣)، وتهذيب اللغة (٧/ ٤٩).

ولما تقدم في هذه الآية الإحسان من العبد، والجري على طريق الحق لا يضيع عند الله، ولا بد من حسن عاقبته في الدنيا، عقب ذلك بأن حال الآخرة أحمدُ وأحرى أن تجعل غرضاً ومقصداً، وهذا هو الذي ينتزع من الآية بحسب المقيَّدين بالإيمان والتقوى من الناس، وفيها مع ذلك إشارة إلى أن حاله من الآخرة خير من حاله العظيمة في الدنيا.

قوله عز وجل: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾.

قال السدي وغيره: سبب مجيئهم أن المجاعة التي أنذر بها يوسف أصابت البلاد التي كان بها يعقوب(1)، وروي أنه كان في الغربات من أرض فلسطين بغور الشام، وقيل: كان بالأولاج(2) من ناحية الشعب، وكان صاحب بادية له إبل وشاء، فأصابهم الجوع، وكان أهل مصر قد استعدوا وادخروا من السنين الخصيبة، فكان الناس يمتارون من عند يوسف، وهو في رتبة العزيز المتقدم، وكان لا يعطي الوارد أكثر من حمل بعير، يسوي بين الناس، فلما ورد إخوته عرفهم يوسف ولم يعرفوه هم، لبعد العهد وتغير سنه، ولم يقع لهم ـ بسبب ملكه ولسانه القبطي ـ ظنٌّ عليه.

وروي في بعض القصص: أنه لما عرفهم أراد أن يُخبروه بجميع أمرهم، فباحثهم بأن قال لهم بترجمان: أظنكم جواسيس، فاحتاجوا حينئذ إلى التعريف بأنفسهم، فقالوا: نحن أبناء رجل صدِّيق، وكنا اثني عشر، ذهب واحد منا في البرية، وبقي أصغرُنا عند أبينا، وجئنا نحن للميرة، وسقنا بعير الباقي منا، وكانوا عشرة، ولهم أحد عشر بعيراً، فقال لهم يوسف: ولمَ تخلَّف أخوكم؟ قالوا: لمحبة أبينا فيه، قال: فأتوني بهذا الأخ حتى أعلم حقيقة قولكم وأرى لِمَ أحبه أبوكم أكثر منكم إن كنتم صادقين؟.

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ١٥٣)، بتصرف.

(٢) في المطبوع: «الأدلاج».

وروي في القصص أنهم وردوا مصر، واستأذنوا على العزيز وانتسبوا في الاستئذان، فعرفهم، وأمر بإنزالهم، وأدخلهم في ثاني يوم على هيئة عظيمة لملكه وأهبة شنيعة.

وروي أنه كان متلثماً أبداً ستراً لجماله، وأنه كان يأخذ[(١)] الصواع فينقره، ويفهم من طنينه صدق ما يحدَّث أو كذِبَه، فسئلوا عن أخبارهم، فكلما صدقوا قال لهم يوسف: صدَقتم، فلما قالوا: وكان لنا أخ أكله الذئب، طن يوسف الصاعَ، وقال: كذبتم، ثم تغير لهم، وقال: أراكم جواسيس، وكلفهم سوق الأخ الباقي ليظهر صدقهم في ذلك، في قصص طويل جاءت الإشارة إليه في القرآن وجيزة.

والجَهاز: ما يحتاج إليه المسافر من زاد ومتاع وكل ما يحمل، وكذلك جهاز العروس وجهاز الميت.

وقول يوسف عليه السلام: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ﴾ الآية، يرغبهم في نفسه آخراً، ويؤنسهم ويستميلهم.

و﴿ٱلْمُنزِلِينَ﴾ يعني: المضيفين في قطره ووقته.

والجَهاز المشار إليه: الطعام الذي كان حمَّله لهم، ثم توعدهم إن لم يجيئوا بالأخ بأنه لا كيل لهم عنده في المستأنف، وأمرهم ألا يقربوا له بلداً ولا طاعة.

و﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ نهي لفظاً ومعنى، ويجوز أن يكون لفظه الخبر ومعناه النهي، وتحذف إحدى النونين كما قرئ: ﴿فَبِمَ تبشرونِ﴾ [الحجر: ٥٤][(٢)] بكسر النون، وهذا خبر لا غير، وخلط النحاس في هذا الموضع[(٣)].

وقال مالك رحمه الله: «هذه الآية وما يليها تقتضي أن كيل الطعام على البائع[(٤)]،

(١) في الأصل: «ينقر».

(٢) وسيأتي الخلاف فيها في محله.

(٣) انظر كلامه في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٠٦).

(٤) انظر قول مالك في الآية في: أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٧٦).

وكذلك هي الرواية في التولية والشركة: أنها بمنزلة البيع[١]، والرواية في القرض: أن الكيل على المستقرض»[٢].

[٣/ ٧٤] وروي: أنه حبس منهم / شمعون رهينة حتى يجيئوه ببنيامين، قاله السدي[٣].

وروي: أنه لم يحبس منهم أحداً، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «كان يوسف يلقي حصاة في إناء فضة مخوص بالذهب فيطن، فيقول لهم: إن هذا الإناء يخبرني أن لكم أبا شيخاً»[٤].

قال القاضي أبو محمد: كأنها حيلة وإيهام لهم، وروي: أن ذلك الإناء به كان يكيل الطعام إظهاراً لعزته بحسب غلائه في تلك المدة، وروي: أن يوسف استوفى في تلك السنين أموال الناس، ثم أملاكهم، فمن هناك ليس لأحد في أرض مصر ومزارعها ملك.

وظاهر كل ما فعله يوسف معهم أنه بوحي وأمر، وإلا فكان برُّ يعقوب يقتضي أن يبادر إليه ويستدعيه، لكن الله تعالى أعلمه بما يصنع ليكمل أجر يعقوب ومحنته وتتفسر الرؤيا الأولى.

قوله عز وجل: ﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

---

(١) انظر هذا القول في البيان والتحصيل (٧/ ١٤٠)، لكن شهر الشيخ خليل في المختصر (ص: ١٥٧) أنها كالقرض.

(٢) انظر الذخيرة للقرافي (٥/ ١٥٣)، والتاج والإكليل لمختصر خليل (٦/ ٤١١).

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ١٥٣).

(٤) لم أقف عليه مرفوعاً، وإنما في الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما، من طريق: يونس بن محمد، ثنا صدقة بن عبادة حدثني أبي ثنا ابن عباس، أخرجه ابن أبي حاتم (١١٧٢٩) وصدقة وأبوه لم يوثقا توثيقاً معتبراً.

تقدم معنى المراودة، أي: سنفاتل[١] أباه في أن يتركه يأتي معنا إليك، ثم شددوا هذه المقالة بأن التزموها له في قولهم: ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾، وأراد يوسف عليه السلام المبالغة في استمالتهم بأن رد مال كل واحد منهم في رحله بين طعامه، وأمر بذلك فتيانه.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر: ﴿لِفِتْيَتِهِ﴾.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿لِفِتْيَانِهِ﴾، واختلف عن عاصم[٢].

ففتيان للكثرة، على مراعاة المأمورين، وفتية للقلة، على مراعاة المتناولين وهم الخدمة، ويكون هذا الوصف للحر والعبد.

وفي مصحف ابن مسعود: (وقال لفتيانه وهو يكايلهم)[٣].

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾ يريد: لعلهم يعرفون لها يداً أو تكرمة يرون حقها، فيرغبون فينا، فلعلهم يرجعون حينئذ، وأما ميز[٤] البضاعة فلا يقال فيه: لعل، وقيل: قصد يوسف برد البضاعة أن يتحرجوا من أخذ الطعام بلا ثمن فيرجعوا لدفع الثمن، وهذا ضعيف من وجوه، وسرورُهم بالبضاعة، وقولُهم: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [يوسف: ٦٥] يكشف أن يوسف لم يقصد هذا، وإنما قصد أن يستميلهم ويصلهم، فيرغبهم في نفسه كالذي كان، وخصَّ البضاعة بعينها ـ دون أن يعطيهم غيرها من الأموال ـ لأنها أوقع في نفوسهم، إذ يعرفون حِلها، ومالُه هو إنما كان عندهم مالاً مجهول الحال، غايته أن يستجاز على نحو استجازتهم قبول الميرة، ويظهر أن ما فعل يوسف من صلتهم وجبرهم في تلك الشدة كان واجباً عليه، إذ هو ملك عدل وهم أهل إيمان ونبوة، وقيل: علم عدم البضاعة والدراهم عند أبيه، فرد البضاعة إليهم لئلا يمنعهم

---

(١) في المطبوع: «سنفائل»، وفي نجيبويه: «سنستأذن»، وفي نور العثمانية: «سنقاتل»، وفي أحمد٣: «سنقابل».

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٩).

(٣) انظر: تفسير الثعلبي (٥/ ٢٣٥)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٠٧)، وأما لفظة «وهو يكايلهم» فلم أقف على أنها من القراءة.

(٤) في التركية: «مير»، وفي أحمد٣: «غير»، وفي نور العثمانية: «عين».

العدم من الانصراف إليه، وقيل: جعلها توطئة لجعل السقاية في رحل أخيه بعد ذلك، ليبين أنه لم يسرق لمن يتأمل القصة.

قال القاضي أبو محمد: والظاهر من القصة أنه إنما أراد الاستئلاف وصلة الرحم.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر: ﴿نَكۡتَلۡ﴾ بالنون على مراعاة ﴿مُنِعَ مِنَّا﴾ ويقويه: ﴿وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ﴾.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿يكتل﴾ بالياء[1]، أي: يكتل يامين كما اكتلنا نحن.

وأصل ﴿نَكۡتَلۡ﴾: نَكْتَيِل، وزنه نفتعل.

وقولهم: ﴿مُنِعَ مِنَّا﴾ ظاهره أنهم أشاروا إلى قوله: ﴿فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي﴾ فهو خوف في المستأنف، وقيل: أشاروا إلى بعير يامين الذي لم يمتر، والأول أرجح، ثم تضمنوا له حفظه وحيطته.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ﴿٦٥﴾﴾.

قوله: ﴿هَلۡ﴾ توقيف وتقرير، وتألم يعقوب عليه السلام من فُرقة يامين، ولم يصرح بمنعهم من حمله لِمَا رأى في ذلك من المصلحة، لكنه أعلمهم بقلة طمأنينته إليهم، وأنه يخاف عليه من كيدهم، ولكن ظاهر أمرهم أنهم كانوا نُبِّئوا وانتقلت حالهم، فلم يخف كمثل ما خاف على يوسف من قبل، لكن أعلم بأن في نفسه شيئاً، ثم استسلم لله تعالى، بخلاف عبارته في قصة يوسف.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿خَيْرٌ حِفْظاً﴾.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٩).

وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم: ﴿خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾[١].

ونصب ذلك في القراءتين على التمييز، وقال الزجاج: يجوز أن ينصب ﴿حَٰفِظًا﴾ على الحال[٢]، وضعَّف ذلك أبو علي الفارسي، لأنها حالٌ لا بد للكلام والمعنى منها[٣]، وذلك بخلاف شرط الحال، وإنما المعنى أن حافظ الله خير من حافظكم.

ومن قرأ: ﴿حِفظاً﴾ فهو مع قولهم: ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾، ومن قرأ: ﴿حَٰفِظًا﴾ فهو مع قولهم: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، فاستسلم يعقوب عليه السلام لله وتوكل عليه.

قال أبو عمرو الداني: قرأ ابن مسعود: (فالله خير حافظاً وهو خير الحافظين)[٤].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا بعد.

وقوله: ﴿فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ﴾ سمَّى المشدودَ المربوط بجملته متاعاً، فلذلك حسُن الفتح فيه.

قرأ جمهور الناس: ﴿رُدَّتْ﴾ بضم الراء، على اللغة الفاشية عن العرب، وتليها لغة من يُشمُّ، وتليها لغة من يكسر.

وقرأ علقمة ويحيى بن وثاب: (ردت) بكسر الراء[٥] على لغة من يكسر، وهي في بني ضبة، قال أبو الفتح: وأما المعتل نحو «قيل» و«بيع» فالفاشي فيه الكسر، ثم الإشمام، ثم الضم، فيقولون: قول وبوع، وأنشد ثعلب:

وقُـولَ لا أهـلَ لـه ولا مـالْ[٦] [الرجز]

(١) فهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٢٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١١٨).

(٣) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٤٤٠).

(٤) وهي شاذة مخالفة في الرسم، تابعه عليها في البحر المحيط (٦/ ٢٩٥)، دون ذكر الداني، وفي المطبوع: «خير حافظٍ».

(٥) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٧٠)، ومع التوجيه في المحتسب (١/ ٣٤٥).

(٦) البيت بلا نسبة في المحتسب (٢/ ١٧٨)، وتهذيب اللغة (٩/ ٢٣٢)، وقبله: وابتذلت غضبى وأم الرحال.

قال الزجاج: من قرأ: (رِدت) بكسر الراء جعلها منقولة من الدال، كما فُعل في «قِيل» و«بِيع»، لتدل على أن أصل الدال الكسرة[١].

وقوله: ﴿مَا نَبۡغِي﴾ يحتمل أن تكون ﴿مَا﴾ استفهاماً، قاله قتادة[٢].

[٣/ ٧٥] و﴿نَبۡغِي﴾ من البِغية، أي: ما نطلب بعد هذه / التكرمة؟ هذا مالنا رد إلينا مع ميرتنا. قال الزجّاج: ويحتمل أن تكون ﴿مَا﴾ نافية، أي: ما بقي لنا ما نطلب، ويحتمل أن تكون أيضاً نافية، و﴿نَبۡغِي﴾ من البغي، أي: ما تعدَّينا فكذبنا على هذا الملك ولا في وصف إجماله وإكرامه، هذه البضاعة مردودة.

وقرأ أبو حيوة: (ما تبغي) بالتاء[٣]، على مخاطبة يعقوب، وهي بمعنى: ما تريد وما تطلب؟ قال المهدوي: وروتها عائشة عن النبي ﷺ[٤].

وقرأت فرقة: ﴿وَنَمِيرُ﴾ بفتح النون، من مار يمير: إذا جلب الخير، ومن ذلك قول الشاعر:

[الوافر] بَعَثْتُكَ مَائِراً فَمَكَثْتَ حَوْلاً ... مَتَى يَأْتِي غِيَاثُكَ مَنْ تُغِيثُ[٥]

وقرأت عائشة رضي الله عنها: (ونُمِير) بضم النون، وهي من قراءة أبي عبد الرحمن السلمي[٦]، وعلى هذا يقال: مار وأمار بمعنى.

---

(١) انظره في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١١٨)، مع ما سيأتي عنه.
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٦٦)، تفسير السمعاني (٣/ ٤٥).
(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في الكامل للهذلي (ص: ٥٧٦)، الشواذ للكرماني (ص: ٢٤٩).
(٤) انظر: التحصيل (٣/ ٥٢٤)، ومختصر الشواذ (ص: ٦٩).
(٥) البيت لعائشة بنت سعد بن أبي وقاص في فند، كما في المستقصى في الأمثال (١/ ٢٣)، ديوان المعاني (١/ ٩)، ونسبه الجوهري في الصحاح (١/ ٢٨٩) للعامري غير مسمى، والقولان في تاج العروس (٥/ ٣١٣).
(٦) وهي شاذة، انظر عزوها للسلمي في تفسير القرطبي (٩/ ٢٢٤)، والبحر المحيط (٥/ ٢٩٦)، ولم أجدها لعائشة.

وقولهم: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ يريدون بعير أخيهم، إذ كان يوسف إنما حمل لهم عشرة أبعرة ولم يحمل الحادي عشر لغيب[١] صاحبه.

وقال مجاهد: ﴿كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ أراد: كيل حمار، قال: وبعض العرب يقول للحمار: بعير[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا شاذ.

وقولهم: ﴿ذَالِكَ كَيْلٌ﴾ تقرير بغير ألف، أي: أذلك كيل يسير في مثل هذا العام فيهملَ أمره؟.

وقيل: معناه: يَسِيرٌ على يوسف أن يعطيه.

وقال الحسن البصري: قد كان يوسف وعدهم أن يزيدهم حمل بعير بغير ثمن.

وقال السدي: معنى ﴿ذَالِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ أي: سريع لا نُحبس فيه ولا نمطَل[٣].

قال القاضي أبو محمد: فكأنهم آنسوه على هذا بقرب الأوبة.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

أراد يعقوب عليه السلام أن يتوثق منهم، والموثق مفعل من الوثاقة[٤]، فلما عاهدوه أشهد الله بينه وبينهم بقوله: ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾، والوكيل: القيم الحافظ الضامن[٥].

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «لغيبة».

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ١٦٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٤٤١)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٣٠٨)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢٣٧).

(٣) انظر قولي الحسن والسدي في تفسير ابن أبي زمنين (١/ ٣٠٨).

(٤) في المصرية: «المواثقة».

(٥) «الضامن»: ساقطة من المطبوع.

وقرأ ابن كثير: ﴿تؤتوني﴾ بياء في الوصل والوقف، وروي عن نافع أنه وصل بياء ووقف دونها، والباقون تركوا الياء في الوجهين[(١)].

وقوله: ﴿لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ﴾ قيل: خشي عليهم العين لكونهم أحد عشر لرجل واحد، وكانوا أهل جمال وبسطة، قال ابن عباس[(٢)] والضحاك وقتادة وغيره: والعين حق[(٣)]، وقد قال رسول الله ﷺ: «إن العين لتُدخِل الرجل القبر والجمل القدر»[(٤)]، وفي تعوذه عليه السلام: «أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة وكل عين لامة»[(٥)].

وقيل: خشي أن يستراب بهم لقول يوسف قبل: أنتم جواسيس، ويضعف هذا ظهورهم قبلُ بمصر، وقيل: طمع بافتراقهم أن يستمعوا أو يتطلعوا خبر يوسف، وهذا ضعيف يرده: ﴿وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ فإن ذلك لا يتركب على هذا المقصد.

وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ لفظ عام لجميع وجوه الغلبة والقسر، والمعنى: تعمُّكم الغلبة من جميع الجهات حتى لا تكون لكم حيلة ولا وجه تخلص.

وقال مجاهد: المعنى: إلا أن تهلكوا جميعاً، وقال قتادة: إلا ألا تطيقوا ذلك[(٦)].

---

(١) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٣١)، إلا أن الذي أثبتها في الوصل أبو عمرو، أما نافع فإنما أثبتها في رواية ابن جماز وإسماعيل بن جعفر كما في السبعة (ص: ٣٥٤)، وليسا من طرق التيسير.

(٢) أخرجه الطبري (١٩٤٩٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ١٦٥).

(٤) منكر، أخرجه الشهاب في «مسنده» (١٠٥٧-١٠٥٨)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٤٠٧)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٩)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٠/ ٣٣٧) من طريق شعيب بن أيوب الصريفيني، عن معاوية بن هشام، عن سفيان، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله به، وهذا الحديث منكر، كما قال الإمام الذهبي في الميزان (٢/ ٢٧٥) فإن معاوية بن هشام حسن الحديث لكنه يغرب بأشياء عن الثوري: اهـ وأخرجه الشهاب في مسنده (١٠٥٩)، وابن عدي في الكامل (٥/ ١٨٥) من طريق علي بن أبي علي اللهبي، عن محمد بن المنكدر به، واللهبي يروي عن الثقات الموضوعات وعن الثقات المقلوبات لا يجوز الاحتجاج به، قاله ابن حبان في المجروحين (٢/ ١٠٧).

(٥) أخرجه البخاري (٣٣٧١) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٦) القولان في: تفسير الطبري (١٦/ ١٦٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٦٧)، وتفسير الماوردي =

قال القاضي أبو محمد: وهذا يرجحه لفظ الآية، وانظر أن يعقوب عليه السلام قد توثق في هذه القصة، وأشهد الله تعالى، ووصى بنيه، وأخبر بعد ذلك بتوكله، فهذا توكل مع تسبب، وهو توكل جميع المؤمنين إلا من شذ في رفض السعي وقنع بماء وبقل البرية ونحوه، فتلك غاية التوكل وعليها بعض الأنبياء عليهم السلام، والشارعون منهم مثبتون سنن التسبب الجائز، وما تجاوز ذلك من الإلقاء باليد مختلف في جوازه، وقد فضله بعض المجيزين له، ولا أقول بذلك، وباقي الآية بين.

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦٨ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٦٩﴾.

روي أنه لما ودَّعوا أباهم قال لهم: بلِّغوا ملك مصر سلامي، وقولوا له: إن أبانا يصلي عليك ويدعو لك ويشكر صنيعك معنا.

وفي كتاب أبي منصور المهراني[(١)]: «أنه خاطبه بكتاب قرئ على يوسف فبكى»[(٢)].

وقوله: ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ﴾ بمثابة قولهم: لم يكن في ذلك دفع قَدَر الله بل كان أرباً ليعقوب[(٣)] قضاه، وطيباً لنفسه تمسك به وأمر بحسبه، فجواب: ﴿لَمَّا﴾ في معنى قوله: ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾، و﴿إِلَّا حَاجَةً﴾ استثناء ليس من الأول.

= (٣/ ٥٩)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢٣٧).

(١) في المطبوع: «المهراتي»، وفي نجيبويه والحمزوية: «الهمداني»، وهو نصر بن بكر بن أحمد ابن الحسين المهراني الأستاذ أبو منصور الواعظ، فاضل كبير محترم، من بيت العلم والقراءة والحديث، روى عن جده، توفي سنة (٤٤٧هـ). المنتخب من تاريخ نيسابور (ص: ٥٠٨)

(٢) انظر مثله في تفسير الثعلبي (٥/ ٢٥٢)، والهداية لمكي (٥/ ٣٦٢٣).

(٣) في المطبوع: «يوسف».

والحاجَة هي أن يكون طيب النفس بدخولهم من أبواب متفرقة خوف العين. قال مجاهد: «الحاجة: خيفة العين»، وقاله ابن إسحاق[١]، وفي عبارتهما تجوُّز، ونظير هذا الفعل أن رسول الله ﷺ سد كوة في قبر بحجر وقال: «إن هذا لا يغني شيئاً ولكنه تطييب لنفس الحي»[٢].

قال القاضي أبو محمد: وقوله عندي: ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ معناه: ما يردُّ عنهم قَدَراً، لأنه لو قضي أن تصيبهم عين لأصابتهم مفترقين أو مجتمعين، وإنما طمع يعقوب أن تصادف وصيته [قدر السلامة، فوصى وقضى بذلك حاجته في نفسه في أن يتنعم برجائه أن تصادف][٣] القدر في سلامتهم.

ثم أثنى الله عز وجل على يعقوب بأنه لقن ما علمه الله من هذا المعنى، واندرج غير ذلك في العموم، وقال إن أكثر الناس ليس كذلك، وقيل: «معناه: إنه لعامل بما علَّمناه»، قاله قتادة، وقال سفيان: «من لا يعمل لا يكون عالماً»[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا لا يعطيه اللفظ، أمَا إنه صحيح في نفسه يرجحه المعنى، وما تقتضيه منزلة يعقوب عليه السلام.

قال أبو حاتم: قرأ الأعمش: (لَذُو عِلْمٍ مما عَلَّمْناهُ)[٥]، ويحتمل أن يكون جواب: ﴿لَمَّا﴾ في هذه الآية محذوفاً مقدراً، ثم يخبر عن دخولهم أنه ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي﴾ الآية.

[٣/ ٧٦] وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا / دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ الآية، المعنى: أنه لما دخل إخوة

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ١٦٧ ١٦٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٦٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٤٤٣).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) سقط من الأصل، وفي أحمد٣: «تصادف وصيته القدر».

(٤) القولان في تفسير الطبري (١٦/ ١٦٨)، والأول في تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٧٠)، وتفسير الماوردي (٣/ ٦٠).

(٥) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٩٩).

يوسف عليه ورأى أخاه شكر ذلك لهم ـ على ما روي ـ وضم إليه أخاه وآواه إلى نفسه، ومن هذه الكلمة: المأوى، وكان يامين شقيق يوسف فآواه.

وصورة ذلك ـ على ما روي عن ابن إسحاق وغيره ـ: «أن يوسف عليه السلام أمر صاحب ضيافته أن ينزلهم رجلين رجلين، فبقي يامين وحده، فقال يوسف: أنا أُنزل هذا مع نفسي، ففعل وبات عنده، وقال له: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾».

واختلف المتأولون في هذا اللفظ، فقال ابن إسحاق وغيره: «أخبره بأنه أخوه حقيقة واستكتمه، وقال له: لا تبال بكل ما تراه من المكروه في تحيلي في أخذك منهم»[١].

وعلى هذا التأويل يحتمل أن يشير بقوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ إلى ما يعمله فتيان يوسف من أمر السقاية ونحو ذلك، ويحتمل أن يشير إلى ما عمله الإخوة قديماً.

وقال وهب بن منبه: «إنما أخبره أنه أخوه في الود مقام أخيه الذاهب، ولم يكشف إليه الأمر، بل تركه تجوز عليه الحيلة كسائر إخوته»[٢].

و﴿تَبۡتَئِسۡ﴾: تفتعل من البؤس، أي: لا تحزن ولا تهتم، وهكذا عبر المفسرون.

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ٧٠ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ٧١ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ٧٢ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ٧٤ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٥﴾.

هذا من الكيد الذي يسره الله ليوسف عليه السلام، وذلك أنه كان في دين يعقوب أن يُستعبد السارق، وكان في دين مصر أن يضرب ويضعف عليه الغرم، فعلم يوسف أن إخوته ـ لثقتهم ببراءة ساحتهم ـ سيَدْعون في السرقة إلى حكمهم، فتحيل لذلك، واستسهل الأمر

(١) تفسير الطبري (١٦/ ١٦٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٧٠)، وتفسير الماوردي (٣/ ٦٠)، بتصرف.
(٢) تفسير الطبري (١٦/ ١٧٠)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢٣٨)، بتصرف.

ـ على ما فيه من رمي أبرياء بالسرقة وإدخال الهم على يعقوب عليه السلام، وعليهم ـ لمَا علم في ذلك من الصلاح في الآجل، وبوحي لا محالة وإرادة من الله محنتهم بذلك، هذا تأويل قوم، ويقويه قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦].

وقيل: إنما أوحي إلى يوسف أن يجعل السقاية فقط، ثم إن حافظها فقدها، فنادى برأيه على ما ظهر إليه، ورجحه الطبري[١]، وتفتيش الأوعية يرد عليه، وقيل: إنهم لما كانوا قد باعوا يوسف استجاز أن يقال لهم هذا، وإنه عوقب على ذلك بأن قالوا: ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾، وقوله: ﴿جَعَلَ﴾ أي: بأمره خَدَمتَه وفتيانَه.

وقرأ ابن مسعود: (وجعل) بزيادة واو[٢].

و﴿ٱلسِّقَايَةَ﴾: الإناء الذي به يشرب الملك، وبه كان يكيل الطعام للناس، هكذا نص جمهور المفسرين: ابن عباس[٣] والحسن ومجاهد والضحاك وابن زيد[٤].

قال القاضي أبو محمد: وفي كتبِ مَن حرَّر أمرها أنها شكل له رأسان ويصل بينهما مقبض تمسك الأيدي فيه فيكال الطعام بالرأس الواحد ويشرب بالرأس الثاني أو بهما، فيشبه أن تكون لشرب أضياف الملك وفي أطعمته الجميلة التي يحتاج فيها إلى عظيم الأواني، وقال سعيد بن جبير: الصُواع مثل المكوك الفارسي، وكان إناء يوسف الذي يشرب فيه، وكان إلى الطول ما هو، قال: وحدثني ابن عباس أنه كان للعباس مثله يشرب به في الجاهلية[٥].

---

(١) راجع تفسير الطبري (١٦/ ١٩٣).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في معاني القرآن للفراء (١/ ١٠٨)، وتفسير الكشاف (٢/ ٤٩٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٩٥١٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه ابن أبي حاتم (١١٧٨٧) من طريق بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وبشر بن عمارة ضعيف.

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ١٧٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٧١).

(٥) أخرجه الطبري (١٩٥٢٥) من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما وإسناده صحيح.

قال القاضي أبو محمد: وقال ابن جبير أيضاً: الصواع: المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه، كانت تشرب فيه الأعاجم[١]، وروي أنها كانت من فضة، وهذا قول الجمهور.

وروي أنها كانت من ذهب، قال الزجاج: وقيل: كان من مَسك[٢].

قال القاضي أبو محمد: وقد روي هذا بفتح الميم.

وقيل: كان يشبه الطاس، وقيل: من نحاس، قاله ابن عباس أيضاً[٣]، ولعزة الطعام في تلك الأعوام قُصر كيلها على ذلك الإناء. وكان هذا الجَعْل بغير علم من يامين، قاله السدي[٤]، وهو الظاهر.

فلما فصلت العير بأوقارها وخرجت من مصر ـ فيما روي، وقالت فرقة: بل قبل الخروج من مصر ـ أمر بهم فحبسوا، وأذَّن مؤذِّن.

ومخاطبة العير تجوُّز، والمراد أربابها، وإنما المراد: أيتها القافلة أو الرفقة.

وقال مجاهد: كانت دوابهم حميراً[٥]، ووصفهم بالسرقة من حيث سرق في الظاهر أحدهم، وهذا كما تقول: بنو فلان قتلوا فلاناً، وإنما قتله أحدهم.

فلما سمع إخوة يوسف هذه المقالة أقبلوا عليهم وساءهم أن يُرموا بهذه المنقبة، وقالوا: ﴿مَّاذَا تَفۡقِدُونَ﴾ ليقع التفتيش فتظهرَ براءتهم، ولم يلوذوا بالإنكار من أول،

---

(١) انظر أقوال ابن جبير في تفسير الطبري (١٦/ ١٧٦)، وتفسير ابن ابي حاتم (٧/ ٢١٧٣).

(٢) الذي في معاني القرآن وإعرابه له: «مس»، قال المحقق: «لعله من ماس، وربما من ميس، وهو شجر عظيم». اهـ. والمسك: الجلد.

(٣) أخرجه الطبري (١٩٥٣٦) من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث، عن صدقة بن عباد، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصدقة بن عباد بن نشيط الأسدي ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٢٩٧)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٤/ ٤٣٣)، وابن حبان في الثقات (٨/ ٣٢٠) ولم يذكروا فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٤) انظر تفسير الطبري (١٦/ ١٧٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٧٢).

(٥) تفسير الطبري (١٦/ ١٧٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٧٢)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢٣٩)، بتصرف يسير.

بل سألوا إكمال الدعوى عسى أن يكون فيها ما تبطل به، فلا يحتاج إلى خصام.

وقرأ أبو عبد الرحمن: (تُفْقِدون) بضم التاء[١]، وضعفها أبو حاتم.

﴿قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ﴾: وهو المكيال، وهو السقاية، رسمه أولاً بإحدى جهتيه وآخِراً بالثانية.

وقرأ جمهور الناس: ﴿صُوَاعَ﴾ بضم الصاد وبألف.

وقرأ أبو حيوة: (صِواع) بكسر الصاد وبألف[٢].

وقرأ أبو هريرة ومجاهد: (صاع الملك) بفتح الصاد دون واو.

وقرأ عبد الله بن عون[٣]: (صُوع) بضم الصاد.

وقرأ أبو رجاء (صَوْع)[٤]، وهذه لغة في المكيال، قاله أبو الفتح وغيره.

وتؤنث هذه الأسماء وتذكَّر.

وقال أبو عبيد: يؤنث الصواع من حيث سمي سقاية، ويذكَّر من حيث هو صاع[٥].

وقرأ يحيى بن يَعْمَر: (صوغ) بالغين منقوطة، وهذا على أنه الشيء المصوغ للملك على ما روي أنه كان من ذهب أو من فضة، فهو مصدر سمي به، ورويت هذه القراءة عن أبي رجاء، قال أبو حاتم: وقرأ سعيد بن جبير والحسن: (صُواغ) بضم الصاد وألف وغين معجمة[٦].

---

(١) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٦٩)، وانظر تضعيف أبي حاتم في البحر المحيط (٦/ ٣٠٣).

(٢) وهي شاذة، لم أجدها له إلا في البحر المحيط (٦/ ٣٠٣)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٢٤٩)، لأبي البرهسم.

(٣) في المطبوع ونور العثمانية وأحمد٣: «عوف».

(٤) وكلها شاذة، انظر هذه القراءات الثلاث مع التوجيه في المحتسب (١/ ٣٤٦)، وبعضها في مختصر الشواذ (ص: ٦٩).

(٥) المخصص (٥/ ١٤٥).

(٦) وهما شاذتان، انظر الأولى في المحتسب (١/ ٣٤٦)، ومع الثانية في مختصر الشواذ (ص: ٦٩).

وقوله: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ﴾، أي: لمن دل على سارقه وفضحه وجبر الصواع [على الملك][(١)]، وهذا جُعلٌ، وقوله: ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ﴾ حمالة، وذلك أنه لما كان الطعام لا يوجد إلا عند الملك فُهم من المؤذن أنه إنما جعل عن غيره، فلخوفه ألا يوثق بهذه الجعالة ـ إذ هي عن الغير ـ تحمل هو بذلك.

قال مجاهد:/ «الزَّعِيم هو المؤذِّن الذي قال: أَيتُـهَا الْعِيرُ»[(٢)]. [٣/ ٧٧]

والزعيم: الضامن في كلام العرب، ويسمى الرئيس زعيماً، لأنه يتضمن حوائج الناس.

وقوله: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ﴾ الآية، روي: أن إخوة يوسف كانوا ردوا البضاعة الموجودة في الرحال وتحرجوا من أخذ الطعام بلا ثمن، فلذلك قالوا: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتُم﴾ أي: لقد علمتم منا التحري، وروي أنهم كانوا قد اشتهروا في مصر بصلاح وتعفف، وكانوا يجعلون الأَكِمَّةَ في أفواه إبلهم لئلا تنال زرع الناس، فلذلك قالوا: لقد علمتم ما جئنا لفساد وما نحن أهل سرقة[(٣)].

والتاء في ﴿تَٱللَّهِ﴾ بدل من واو، كما أبدلت في تراث[(٤)]، وفي التوراة، وفي التخمة، ولا تدخل التاء في القَسَم إلا في المكتوبة من بين أسماء الله تعالى، [لا في غير ذلك][(٥)]؛ لا تقول: تالرحمن ولا تالرحيم.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ الآية، قال فتيان يوسف: فما جزاء السارق ﴿إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ في قولكم: ﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾؟ فقال إخوة يوسف: جزاء السارق والحكم الذي تتضمنه هذه الألفاظ ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾، فـ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ الأول

---

(١) زيادة من المطبوع وأحمد٣.

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ١٧٨)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٧٤).

(٣) معاني القرآن للنحاس (٣/ ٤٤٧).

(٤) في نجيبويه: «ترب»، وفي نور العثمانية: «من قات».

(٥) في نجيبويه ونور العثمانية: «وغير ذلك»، وفي أحمد٣: «وغيرها».

مبتدأ و﴿مَن﴾ مبتدأ ثان[١] أو هي شرط أو بمعنى الذي، وقوله: ﴿فَهُوَ جَزَآؤُهُۥ﴾: خبر ﴿مَن﴾ والجملة خبر قوله: جَزاؤُهُ الأول، والضمير في ﴿قَالُواْ جَزَآؤُهُۥ﴾ للسارق.

ويصح أن تكون ﴿مَن﴾ خبراً على أن المعنى: جزاء السارق من وجد في رحله، والضمير في رحله عائد على ﴿مَن﴾، ويكون قوله: ﴿فَهُوَ جَزَآؤُهُۥ﴾ زيادة بيان وتأكيد، وليس هذا الموضع ـ عندي ـ من مواضع إبراز الضمير على ما ذهب إليه بعض المفسرين.

ويحتمل أن يكون التقدير: جزاؤه استرقاق من وجد في رحله، ثم يؤكِّد بقوله: ﴿فَهُوَ جَزَآؤُهُۥ﴾، وقولهم هذا قول من لم يسترب بنفسه، لأنهم التزموا إرقاق من وجد في رحله، وهذا أكثر من موجب شرعهم، إذ حق شرعهم أن لا يؤخذ إلا من صحت سرقته، وأمرُ يامين في السقاية كان محتملاً، لكنهم التزموا أن من وجد في رحله فهو مأخوذ على أنه سارق، وقولهم: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، أي: هذه سنتنا وديننا في أهل السرقة: أن يُتملك السارق كما تملك هو الشيء المسروق.

قال القاضي أبو محمد: وحكى بعض الناس: أن هذا الحكم كان في أول الإسلام ثم نسخ بالقطع[٢]، وهذا ضعيف، ما كان قط فيما علمت.

وحكى الزهراوي عن السدي: أن حكمهم إنما كان أن يستخدم السارق على قَدْر سرقته[٣].

وهذا يضعفه رجوع الصواع، فكان ينبغي ألا يؤخذ يامين إذ لم يبق فيما يخدم.

قوله عز وجل: ﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦﴾.

---

(١) من المطبوع وأحمد٣.
(٢) لم أقف على من قال بهذا القول، وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٣٩١).
(٣) أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٣٩١).

بدؤه أيضاً من أوعيتهم تمكين للحيلة وإبعاد لظهور أنها حيلة.

وقرأ جمهور الناس: ﴿وِعَآءِ﴾ بكسر الواو.

[وقرأ الحسن: (وُعاء) بضمها، وقرأ ابن جبير: (إعاء) بهمزة بدل الواو][١]، وذلك شائع في الواو المكسورة، وهو أكثر في المضمومة، وقد جاء من المفتوحة: «أحد» في «وحد».

وأضاف الله تعالى الكيد إلى ضميره لما أُخرج القَدْرُ الذي أباح به ليوسف أخذ أخيه مُخرَجَ ما هو في اعتياد الناس كيدٌ، وقال السدي والضحاك: ﴿كِدْنَا﴾ معناه: صنعنا[٢].

و﴿دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ فسره ابن عباس بسلطانه[٣]، وفسره قتادة بالقضاء والحكم[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا متقارب، والاستثناء في هذه الآية حكاية حال، التقدير: إلا إن شاء الله ما وقع من هذه الحيلة، ويحتمل أن يقدر أنه تسنن لما قرر النفي.

وقرأ الجمهور: ﴿نَرْفَعُ﴾ على ضمير المعظم و﴿نَّشَآءُ﴾ كذلك.

وقرأ الحسن وعيسى ويعقوب بالياء[٥]، أي: الله تعالى.

وقرأ أبو عمرو ونافع وأهل المدينة: ﴿درجاتِ مَن﴾ بإضافة الدرجات إلى ﴿مَنْ﴾.

وقرأ عاصم وابن محيصن: ﴿دَرَجَٰتٍ مَّن﴾ بتنوين الدرجات[٦].

---

(١) ساقط من الحمزوية، وكلا القراءتين شاذة، انظر الأولى في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢١٠)، والثانية في المحتسب (١/ ٣٤٨).

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ١٨٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٧٦).

(٣) أخرجه الطبري (١٩٥٧٠)، وابن أبي حاتم (١١٨٢٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ١٨٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٧٦)، وتفسير الماوردي (٣/ ٦٤).

(٥) وهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٢٩٦)، وعزاها للباقين في البحر المحيط (٦/ ٣٠٧).

(٦) وهما سبعيتان، الثانية للكوفيين، والأولى للباقين، كما في التيسير (ص: ١٠٤)، وموافقة ابن محيصن في تفسير الثعلبي (٤/ ١٦٦).

وقرأ الجمهور: ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾، وقرأ ابن مسعود (وفوق كل ذي عالم)[١].

والمعنى أن البشر في العلم درجات، فكل عالم فلا بد من أعلم منه، فإما من البشر وإما الله عز وجل، وأما على قراءة ابن مسعود فقيل: (ذِي) زائدة، وقيل: (عالم) مصدر كالباطل.

وروي أن المفتش كان إذا فرغ من رحل رجل فلم يجد فيه شيئاً استغفر الله عز وجل تائباً من فعله ذلك، وظاهر كلام قتادة وغيره: أن المستغفر كان يوسف، لأنه كان يفتشهم ويعلم أين الصواع، حتى فرغ منهم وانتهى إلى رحل بنيامين فقال: ما أظن هذا الفتى رضي بهذا، ولا أخذ شيئاً، فقال له إخوته: والله لا تبرح حتى تفتشه فهو أطيب لنفسك ونفوسنا، ففتش حينئذ فأخرج السقاية[٢].

وهذا التفتيش من يوسف يقتضي أن المؤذن إنما سرَّقهم برأيه، فإنما يقال: إن جميع ذلك كان بأمر الله تعالى، ويقوي ذلك قوله: ﴿كِدۡنَا﴾، وكيف لا يكون برأي يوسف وهو مضطر في محاولته إلى أن يُلزمهم حكم السرقة له أخذ أخيه.

والضمير في قوله: ﴿ٱسۡتَخۡرَجَهَا﴾ عائد على السِّقايَة، ويحتمل أن يعود على السرقة.

وروي أن إخوة يوسف لما رأوا ذلك قالوا: يا بنيامين بن راحيل، قبحك الله، ولدت أمك أخوين لصّين، كيف سرقت هذه السقاية؟ فرفع يديه إلى السماء وقال: والله ما فعلت، فقالوا له: فمن وضعها في رحلك؟ قال: الذي وضع البضاعة في رحالكم.

وما ذكرناه من المعنى في قوله: ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ هو قول الحسن وقتادة[٣]، وقد روي عن ابن عباس[٤].

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٤٦).

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ١٨٤)، بتصرف.

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ١٩٣)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢٤٢).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ١٩٢) من طريق: إسرائيل، عن سالم، عن عكرمة، عن ابن عباس. ولا أدري من سالم هذا.

وروي أيضاً عنه رضي الله عنه: أنه حدَّث يوماً بحديث عجيب، فتعجَّب منه رجل ممن حضر، وقال: «الحمد لله وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ»، وقال ابن عباس: «بئس ما قلت، إنما العليم الله، وهو فوق كل ذي علم»[١].

قال القاضي أبو محمد: فبين هذا وبين قول الحسن فرق.

قوله عز وجل: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾.

الضمير في ﴿قَالُوٓاْ﴾ لإخوة يوسف، والأخ الذي أشاروا إليه هو يوسف، ونكروه تحقيراً للأمر، إذ كان / مما لا علم للحاضرين به، ثم ألصقوه ببنيامين، إذ كان شقيقَه. [٣/ ٧٨]

ويحتمل قولهم: ﴿إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُ﴾ تأويلين:

أحدهما: أنهم حققوا السرقة في جانب يامين ويوسف عليهما السلام، بحسب ظاهر الحكم، فكأنهم قالوا: إن كان قد سرق فغير بِدْعٍ من ابني راحيل، لأن أخاه يوسف كان قد سرق، فهذا من الإخوة إنحاء على ابني راحيل: يوسف ويامين.

والوجه الآخر الذي يحتمله لفظهم يتضمن أن السرقة في جانب يوسف ويامين مظنونة، كأنهم قالوا: إن كان هذا الذي رمي به يامين حقّاً في نفسه فالذي رمي به يوسف قبل حق إذاً، وكأن قصة يوسف والظن به قوي عندهم بما[٢] ظهر في جهة يامين.

وقال بعض المفسرين: التقدير: فقد قيل عن يوسف إنه سرق، ونحو هذا من الأقوال التي لا ينطبق معناها على لفظ الآية.

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٦/ ١٩١) من طريق: عبد الأعلى الثعلبي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وأحاديث عبد الأعلى هذا اضطرب فيمن أخذها، وهو ضعيف.

(٢) في المطبوع وأحمد٣ بدل بما: «أقوى مما».

وهذه الأقوال منهم عليهم السلام إنما كانت بحسب الظاهر وموجب الحكم في النازلتين، فلم يقعوا[١] في غيبة ليوسف، وإنما قصدوا الإخبار بأمر جرى ليزول بعض المعرة عنهم، ويختص بها هذان الشقيقان.

وأما ما روي في سرقة يوسف فثلاثة وجوه: الجمهور منها على أن عمته كانت ربتْه، فلما شب أراد يعقوب أخذه منها، فولعت به وأشفقت من فراقه، فأخذت مِنْطقةَ إسحاق ـ وكانت متوارثة عندهم ـ فمَنْطَقَتْه[٢] بها من تحت ثيابه، ثم صاحت وقالت: إني قد فقدت المنطقة ويوسف قد خرج بها، ففتشت فوجدت عنده، فاسترقَّته ـ حسبما كان في شرعه ـ وبقي عندها حتى ماتت فصار عند أبيه.

وقال ابن إدريس عن أبيه[٣]: «إنما أكل بنو يعقوب طعاماً فأخذ يوسف عَرْقاً فخبأه، فرموه لذلك بالسرقة»[٤].

وقال سعيد بن جبير وقتادة: إنما أمرته أمه أن يسرق صنماً لأبيها، فسرقه وكسره، وكان ذلك منها ومنه تغييراً للمنكر، [فرموه لذلك بالسرقة][٥].

وفي كتاب الزجاج: «أنه كان صنم ذهب»[٦].

والضمير في قوله: ﴿فَأَسَرَّهَا﴾ عائد يراد به الحزة التي حدثت في نفس يوسف[٧]

---

(١) هكذا: من نجيبويه، وفي الحمزوية: «يعينوا» وفي الأصل والمطبوع: «يعنوا».

(٢) في الأصل وأحمد٣ ونور العثمانية ونجيبويه: «فنطقته».

(٣) ابن إدريس هو أبو محمد، عبد الله بن إدريس الأودي الكوفي، ثقة، فقيه، عابد، من الثامنة، توفي سنة (١٩٢هـ). المعجم الصغير لرواة الطبري (٢/ ٧٩٥)، وأبوه هو إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي، ثقة من السابعة. المعجم الصغير لرواة الطبري (٢/ ٧٩٠).

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ١٩٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٧٨) بتصرف.

(٥) ساقط من المطبوع، وانظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٩٥) بتصرف.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه له (٣/ ١٢٣).

(٧) «يوسف» من المطبوع ونور العثمانية وأحمد٣، وفي باقي النسخ: «يعقوب»، وهو خطأ. انظر: البحر المحيط (٦/ ٣٠٨).

من قولهم، والكلام يتضمنها، وهذا كما تضمن الكلام الضمير الذي في قول حاتم:

لَعمْـرك مَـا يُغْنِـي الثَّـرَاءُ عَـنِ الْفَتَـى إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْماً وَضَاقَ بهَا الصَّدْرُ[١] [الطويل]

وهذا كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَـٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النحل: ١١٠] فهي مراد بها الحالة المتحصلة من هذه الأفعال [المذكورة في الآية][٢].

وقال قوم: أسرَّ المجازاة، وقال قوم: أسرَّ الحجة، وما قدمناه أليق.

وقرأ ابن أبي عبلة: (فأسره يوسف) بضمير تذكير[٣].

وقوله: ﴿أَنتُمْ شَرّٞ مَّكَانٗا﴾ الآية، الظاهر منه أنه قالها إفصاحاً، فكأنه أسر لهم كراهيةَ مقالتهم ثم تجهمهم بقوله: ﴿أَنتُمْ شَرّٞ مَّكَانٗا﴾ أي: لسوء أفعالكم، والله يعلم إن كان ما وصفتموه حقّاً، وفي اللفظ إشارة إلى تكذيبهم، ومما يقوي هذا عندي أنهم تركوا الشفاعة بأنفسهم وعدلوا إلى الشفاعة بالشيخ.

وقالت فرقة ـ وهو ظاهر كلام ابن عباس ـ: لم يقل يوسف هذا الكلام إلا في نفسه، وإنما هو تفسير للَّذي أسر في نفسه[٤].

أي: هذه المقالة هي التي أسر، فكأن المراد: قال في نفسه: ﴿أَنتُمْ﴾ وذكر الطبري هنا قصصاً اختصاره: أنه لما استخرجت السقاية من رحل يامين قال إخوته: يا بني راحيل، ألا يزال البلاء ينالنا من جهتكم؟ فقال يامين: بل بنو راحيل ينالهم البلاء

---

(١) انظر عزوه له في جمهرة اللغة (٢/ ١٠٣٤)، وتهذيب اللغة (٩/ ٨٦)، والعقد الفريد (١/ ٢٤٤)، وأمالي الزجاجي (ص: ٩٢).

(٢) زيادة من المطبوع.

(٣) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٢٥٠)، والبحر المحيط (٦/ ٣٠٩).

(٤) أخرجه الطبري (١٩٦٠٨)، وابن أبي حاتم (١١٨٣٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

منكم: ذهبتم بأخي فأهلكتموه، ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالكم. فقالوا: لا تذكر الدراهم لئلا نؤخذ بها. ثم دخلوا على يوسف فأخذ الصواع فنقره فطن، فقال: إنه يخبر أنكم ذهبتم بأخ لكم فبعتموه، فسجد يامين وقال: أيها العزيز سل صواعك هذا يخبرك بالحق[١].

قال القاضي أبو محمد: ونحو هذا من القصص الذي آثرنا اختصاره.

وروي أن روبيل غضب ووقف شعره حتى خرج من ثيابه، فأمر يوسف بنيّاً له، فمسه، فسكن غضبه، فقال روبيل: لقد مسني أحد من ولد يعقوب، ثم إنهم تشاوروا في محاربة يوسف ـ وكانوا أهل قوة لا يدانَون في ذلك ـ فلما أحس يوسف بذلك قام إلى روبيل فلببه وصرعه، فرأوا من قوته ما استعظموه عند ذلك وقالوا: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ﴾ [يوسف: ٨٨].

قوله عز وجل: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٠﴾.

خاطبوه باسم الْعَزِيز إذ كان في تلك الخطة[٢] بعزل الأول أو موته على ما روي في ذلك.

وقولهم: ﴿فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾ يحتمل أن يكون مجازاً وهم يعلمون أنه لا يصح أخذ حر ليُسترقَّ بدل مَن أَحكمت السنة رقَّه، وإنما هذا كما تقول لمن تكره فعله:

(١) راجع تفسير الطبري (١٦/ ٢٠٠).
(٢) في المطبوع: «اللحظة».

اقتلني ولا تفعل كذا وكذا، وأنت لا تريد أن يقتلك، ولكنك تبالغ في استنزاله، وعلى هذا يتجه قول يوسف: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ لأنه تعوذ من غير جائز.

ويحتمل أن يكون قولهم: ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾ حقيقةً، وبعيدٌ عليهم ـ وهم أنبياء ـ أن يريدوا استرقاق حر، فلم يبق إلا أن يريدوا بذلك طريق الحمالة، أي: خذ أحدنا حتى ينصرف إليك صاحبك، ومقصدهم بذلك أن يصل يامين إلى أبيه، ويعرف يعقوب جلية الأمر، فمَنع يوسفُ عليه السلام من ذلك، إذ الحمالة في الحدود ونحوها لمعنى إحضار المضمون فقط جائزةٌ مع التراضي، غيرُ لازمة إذا أبى الطالب[1]، وأما الحمالة في مثل ذلك على أن يلزم الحميلَ ما كان يلزم المضمونَ من عقوبة فلا يجوز ذلك إجماعاً[2]، وفي الواضحة: أن الحمالة بالوجه فقط في جميع الحدود جائزة إلا في النفس[3].

وقولهم: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ / مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: يحتمل أن يريدوا وصفه بما رأوه من [٣/ ٧٩] إحسانه في جميع أفعاله معهم ومع غيرهم، ويحتمل أن يريدوا: إنا نرى لك إحساناً علينا في هذه اليد إن أسديتها إلينا، وهذا تأويل ابن إسحاق[4].

و﴿مَعَاذَ﴾ نصب على المصدر، ولا يجوز إظهار الفعل معه.

والظلم في قوله: ﴿لَّظَٰلِمُونَ﴾ على حقيقته، إذ هو وضع الشيء في غير موضعه، وذكر الطبري أنه روي أن يوسف لما أيأسهم بلفظه هذا، قال لهم: إذا أتيتم أباكم فاقرؤوا عليه السلام، وقولوا له: إن ملك مصر يدعو لك ألا تموت حتى ترى ولدك يوسف، ليعلم أن في أرض مصر صدِّيقين مثله[5].

---

(١) هذا قول للحنفية في حاشية ابن عابدين (٥/ ٣٠٨)، والهداية (٣/ ٧٢، ٧٤)، والشافعية في حاشية الباجوري (١/ ٣٨٢).

(٢) لم أقف على من نقل هذا الإجماع في المسألة؛ كما لم أجد من قال بخلافه من العلماء.

(٣) انظر ما نسبه لابن حبيب في: البيان والتحصيل (١١/ ٣٢٩).

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٢٠٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٨٠)، وتفسير الماوردي (٣/ ٦٦) بتصرف.

(٥) تفسير الطبري (١٦/ ٢٠٣)، بتصرف.

وقوله: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ﴾ الآية، يقال: يئس واستيأس بمعنًى واحد، كما يقال: سخر واستسخر، ومنه قوله تعالى: ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ [الصافات: ١٤] وكما يقال: عجب واستعجب، ومنه قول أوس بن حجر:

[الطويل] ومُسْتَعْجِبٍ ممَّا يَرَى مِنْ أناتِنَا ولوْ زَبَنَتْهُ الحَرْبُ لَمْ يَتَـرَمْرَمِ[١]

ومنه: نَوِكَ واستنوك، وعلى هذا يجيء قول الشاعر في بعض التأويلات:

[الرجز] واسْـتَنْوَكَـت وللشَّبـاب نُـوكُ[٢]

وهذه قراءة الجمهور، وقرأ ابن كثير: ﴿استأيسوا﴾ و﴿لا تأيسوا﴾ و﴿لا يأيس﴾ و﴿حتى إذا استأيس الرسل﴾[٣]، أصله استأيسوا ـ استفعلوا من أيس ـ على قلب الفعل من يئس إلى أيس، وليس هذا كجذب وجبذ، بل هذان أصلان والأول قلب، دل على ذلك أن المصدر من يئس وأيس واحد، وهو اليأس، ولجذب وجبذ مصدران.

وقوله: ﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ معناه: انفردوا عن غيرهم يناجي بعضهم بعضاً، والنجي لفظ يوصف به من له نجوى واحداً كان أو جماعة، أو مؤنثاً أو مذكَّراً، فهو مثل عدوٍّ وعدلٍ، وجمعه أنجية، قال لبيد:

[الكامل] وشَـهِدتُ أنْجِيَـةَ الأُفاقَـةِ عالِيـاً كَعبي وأرْدافُ المُلوكِ شُهودُ[٤]

و﴿كَبِيرُهُمْ﴾؛ قال مجاهد: «هو شمعون؛ لأنه كان كبيرهم رأياً وتدبيراً وعلماً، وإن

(١) تقدم في تفسير الآية **١٣** من سورة البقرة، وفي نجيبويه: «يتزمزم».

(٢) بلا نسبة في الزاهر للأنباري (١/ ١٣٦)، وأمالي القالي (١/ ٣٥)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٢٠٨)، والمخصص (٤/ ٣١٣).

(٣) فهي سبعية من رواية البزي عنه كما في التيسير (ص: **١٢٩**).

(٤) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٣١٥)، وتفسير الطبري (١٦/ ٢٠٤)، وتهذيب اللغة (٩/ ٢٥٩)، قال: وأفاقة: موضع.

كان روبيل أسنهم»[١]، وقال قتادة: «هو روبيل لأنه أسنهم»، وهذا أظهر ورجحه الطبري[٢].

قال السدي: معنى الآية: وقال كبيرهم في العلم، وذكَّرهم أخوهم الميثاق في قول يعقوب ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦][٣].

وقوله: ﴿مَا فَرَّطتُمْ﴾ يصح أن تكون ﴿مَا﴾ صلة في الكلام لا موضع لها من الإعراب.

ويصح أن تكون في موضع رفع بالابتداء والخبر قوله: ﴿فِي يُوسُفَ﴾، كذا قال أبو علي[٤].

ولا يجوز أن يكون قوله: ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ متعلقاً بـ﴿مَا فَرَّطتُمْ﴾.

قال القاضي أبو محمد: وإنما تكون على هذا مصدرية، التقدير: مِن قبلُ تفريطُكم في يوسف واقع أو مستقر، وبهذا المقدر يتعلق قوله: ﴿وَمِن قَبْلُ﴾.

ويصح أن يكون في موضع نصب عطفاً على ﴿أَنَّ﴾، التقدير: وتَعْلَموا تفريطَكم، أو: وتعلموا الذي فرطتم، فيصح على هذا الوجه أن يكون بمعنى الذي ويصح أن تكون مصدرية.

وقوله: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ أراد أرض القطر والموضع الذي ناله فيه المكروه المؤدي إلى سخط أبيه، والمقصد بهذا اللفظ التحريج على نفسه والتزام التضييق، كأنه سجن نفسه في ذلك القطر ليبلي عذراً.

وقوله: ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾ لفظ عام بجميع ما يمكن أن يرده من القدر؛ كالموت أو النصرة وبلوغ الأمل وغير ذلك، وقال أبو صالح: أو يحكم الله لي بالسيف[٥].

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٢٠٦)، وتفسير ابن ابي حاتم (٧/ ٢١٨١)، وتفسير الماوردي (٣/ ٦٧).
(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٢٠٦)، وانظر قول قتادة فيه، وفي تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٨١)، وتفسير الماوردي (٣/ ٦٧).
(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٢٠٧)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٣١٠).
(٤) ليس في الحجة، فلعله في بعض مسائله الأخرى.
(٥) تفسير الطبري (١٦/ ٢٠٩)، وتفسير الماوردي (٣/ ٦٧)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢٤٥).

ونصب ﴿يَحْكُمَ﴾ بالعطف على ﴿يَأْذَنَ﴾ ويجوز أن تكون ﴿أَوْ﴾ في هذا الموضع بمعنى: إلا أن، كما تقول: لأَلزمنك أو تقضيَني حقي، فتنصب على هذا ﴿يَحْكُمَ﴾ بـ﴿أَوْ﴾.

وروي أنهم لما وصلوا إلى يعقوب بكى وقال: «يا بَني ما تذهبون عني مرة إلا نقصتم: ذهبتم فنقصتم يوسف، ثم ذهبتم فنقصتم شمعون حيث ارتهن، ثم ذهبتم فنقصتم يامين وروبيل»[١].

قوله عز وجل: ﴿ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ (٨١) وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ (٨٢) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (٨٣)﴾.

الأمر بالرجوع قيل: هو من قول كبيرهم، وقيل: بل هو من قول يوسف لهم، والأول أظهر.

وقرأ الجمهور: ﴿سَرَقَ﴾ على تحقيق السرقة على يامين، بحسب ظاهر الأمر.

وقرأ ابن عباس وأبو رزين: (سُرِّق) بضم السين وكسر الراء وتشديدها[٢].

وكأن هذه القراءة فيها لهم تحرٍّ، ولم يقطعوا عليه بسرقة، وإنما أرادوا: جعل سارقاً بما ظهر من الحال، ورويت هذه القراءة عن الكسائي.

وقرأ الضحاك: (إن ابنك سارقٌ) بالألف وتنوين القاف[٣].

ثم تحروا بعدُ على القراءتين في قولهم: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ أي:

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٢٠٧).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها لهما ولرواية عن الكسائي في مختصر الشواذ (ص: ٦٩)، وليست من الطرق.

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في البحر المحيط (٦/ ٣١٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٥١).

وقولنا لك: ﴿إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾ إنما هي شهادة عندك بما علمناه من ظاهر ما جرى، والعلم في الغيب إلى الله، ليس في ذلك حفظنا، هذا قول ابن إسحاق[(١)].

وقال ابن زيد: «قولهم: ﴿وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا﴾ أرادوا به: وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يُسترقّ في شرعك إلا بما علمنا من ذلك، ﴿وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ﴾ أن السرقة تُخرج من رحل أحدنا، بل حسبنا أن ذلك لا يكون البتة، فشهدنا عنده حين سألنا بعلمنا»[(٢)].

وقرأ الحسن: (وما شهدنا عليه إلا بما علمنا) بزيادة (عليه)[(٣)].

ويحتمل قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ﴾ أي: حين واثقناك، إنما قصدنا ألا يقع منا نحن في جهته شيء يكرهه، ولم نعلم الغيب في أنه سيأتي هو بما يوجب رقه.

وروي أن معنى قولهم: ﴿لِلۡغَيۡبِ﴾ أي: الليل، والغيب: الليل بلغة حمير[(٤)]، فكأنهم قالوا: وما شهدنا عندك إلا بما علمناه من ظاهر حاله، وما كنا بالليل حافظين لما يقع من سرقته هو أو التدليس عليه، ثم استشهدوا بأهل القرية التي كانوا فيها وهي مصر، قاله ابن عباس[(٥)] وغيره، وهذا مجاز، والمراد أهلها.

وكذلك قوله: ﴿وَٱلۡعِيرَ﴾، هذا قول الجمهور، وهو الصحيح، وحكى أبو المعالي في التلخيص عن بعض المتكلمين أنه قال: هذا من الحذف / وليس من المجاز، قال: [٣/ ٨٠]
وإنما المجاز لفظة تستعار لغير ما هي له[(٦)].

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٢١٠)، وتفسير الماوردي (٣/ ٦٨) بتصرف.
(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٢١٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٨٢)، وتفسير الماوردي (٣/ ٦٨)، بتصرف.
(٣) شاذة، لم أجد أحداً ذكرها على أنها قراءة.
(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٢١٢).
(٥) منقطع، أخرجه الطبري (١٩٦٤٢) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن جريج لم يدرك ابن عباس رضي الله عنهما.
(٦) انظر التلخيص لأبي المعالي (١/ ١٨٦).

قال القاضي أبو محمد: وحذف المضاف هو عين المجاز وعظمه، هذا مذهب سيبويه وغيره من أهل النظر، وليس كل حذف مجازاً[(١)].

ورجح أبو المعالي في هذه الآية «أنه مجاز، وحكى أنه قول الجمهور أو نحو هذا»[(٢)].

وقالت فرقة: بل أحالوه على سؤال الجمادات والبهائم حقيقة، ومن حيث هو نبي فلا يبعد أن تخبره بالحقيقة.

قال القاضي أبو محمد: وهذا وإن جُوز فبعيد، والأول أقوى، وهنا كلام مقدر يقتضيه الظاهر، تقديره: فلما قالوا هذه المقالة لأبيهم قال: ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ﴾، وهذا على أن يتصل كلام كبيرهم إلى هنا، ومن يرى أن كلام كبيرهم تم في قوله: ﴿إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾، فإنه يجعل الكلام تقديره: فلما رجعوا قالوا: ﴿إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾ الآية.

والظاهر أن قوله: ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗا﴾، إنما هو ظن سيِّئ بهم، كما كان في قصة يوسف قبل، فاتفق أن صدق ظنه هناك، ولم يتحقق هنا.

و﴿سَوَّلَتۡ﴾ معناه: زينت وحيلت[(٣)] وجعلته سولاً، والسول ما يتمناه الإنسان ويحرص عليه.

وقوله: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٌ﴾ إما ابتداء وخبره: أمثل أو أولى، وحسن الابتداء بنكرة من حيث وصفت.

وإما خبر ابتداء تقديره: فأمري أو شأني، أو: صبري صبر جميل، وهذا أليق بالنكرة أن تكون خبراً.

ومعنى وصفه بالجمال: أنه ليس فيه شكوى إلى بشرٍ، ولا ضجرٌ بقضاء الله

(١) الكتاب لسيبويه (١/ ٢١٢)، وسماه: اتّساع الكلام.

(٢) انظر ما نسبه لأبي المعالي في: التلخيص (١/ ١٨٥-٨٨)، قال: وهو الجاري على وفق استعمال أهل اللغة.

(٣) في المطبوع: «خيلت»، وفي نور العثمانية وأحمد٣: «حييت».

تعالى، ثم ترجى عليه السلام من الله أن يَجبرهم عليه وهم يوسف ويامين وروبيل الذي لم يبرح الأرض، ورجاؤه هذا من جهات:

إحداها: الرؤيا التي رأى يوسف فكان يعقوب ينتظرها.

والثانية: حسنُ ظنِّه بالله تعالى في كل حال.

والثالثة: ما أخبروه به عن مَلِك مصر أنه يدعو له برؤية ابنه، فوقع له ـ من هنا ـ تحسس ورجاء.

والوصف بالعلم والإحكام لائق بما يرجوه من لقاء بنيه، وفيها تسليم لحكمة الله تعالى في جميع ما جرى عليه.

قوله عز وجل: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

المعنى: أنه لما ساء ظنه بهم ولم يصدِّق قولهم بل استراب به، تَوَلَّى عَنْهُمْ، أي: زال بوجهه عنهم وجعل يتفجع ويتأسف.

قال الحسن: خصت هذه الأمة بالاسترجاع، ألا ترى إلى قول يعقوب: يا أَسَفى[1].

قال القاضي أبو محمد: والمراد: يا أسفِي، لكن هذه لغة من يردُّ ياء الإضافة ألفاً نحو: يا غلاما ويا أبتا، ونادى الأسف على معنى: احْضُرْ فهذا من أوقاتك.

وقيل: قوله: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ على جهة الندبة، وحَذَف الهاء التي هي في الندبة علامة المبالغة في الحزن تجلداً منه عليه السلام، إذ كان قد ارتبط إلى الصبر الجميل.

وقيل: قوله: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ نداء فيه استغاثة.

قال القاضي أبو محمد: ولا يبعد أن يجتمع الاسترجاع ويا أَسَفى لهذه الأمة وليعقوب عليه السلام.

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٢١٧).

﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾؛ أي من ملازمة البكاء الذي هو ثمرة الحزن، وروي أن يعقوب عليه السلام حَزِن حُزْن سبعين ثكلى، وأُعطِي أجرَ مئة شهيد، وما ساء ظنه بالله قط، رواه الحسن عن النبي ﷺ[١].

وقرأ ابن عباس ومجاهد: (من الحَزَن) بفتح الحاء والزاي، وقرأ قتادة بضمهما[٢].

وقرأ الجمهور بضم الحاء وسكون الزاي.

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾؛ بمعنى: كاظم، كما قال: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ووصف يعقوب بذلك لأنه لم يشكُ إلى أحد، وإنما كان يكمد في نفسه ويمسك همه في صدره، وكان يكظمه، أي: يرده إلى قلبه ولا يرسله بالشكوى والغضب والضجر.

وقال ناس: ﴿كَظِيمٌ﴾ بمعني: مكظوم.

قال القاضي أبو محمد: وقد وصف الله تعالى يونس عليه السلام بمكظوم في قوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]، وهذا إنما يتجه على تقدير أنه مليء بحزنه، فكأنه كظم بثه في صدره، وجريُ ﴿كَظِيمٌ﴾ على باب كاظم أبين.

وفسر ناس الكظيم بالمكروب وبالمكمود، وذلك كله متقارب.

وقال منذر بن سعيد: الأسف إذا كان من جهةِ من هو أقل من الإنسان فهو غضب، ومنه قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥] ومنه قول الرجل الذي ذهبت لخادمه الشاة من الغنم: فأسفت فلطمتها[٣]، وإذا كان من جهةٍ لا يطيقها فهو حزن وهمٌّ[٤].

---

(١) ضعيف مرسل، أخرجه الطبري (١٩٧١٨-١٩٧١٩) بإسناد ضعيف، عن الحسن مرسلاً.

(٢) وهي شاذة، انظر عزو الثانية في مختصر الشواذ (ص: ٦٩)، ومع الأولى لمجاهد في الشواذ للكرماني (ص: ٢٥١).

(٣) في صحيح مسلم (٥٣٧) بلفظ: وأنا رجل من بنى آدم آسف كما يأسفون.

(٤) انظر قريباً منه عنه في البحر المحيط (٧/ ١٣٩)، وسيأتي للمصنف هناك (في سورة الكهف) مزيد كلام على هذا.

قال القاضي أبو محمد: وتحرير هذا المنزع: أن الأسف يقال في الغضب، ويقال في الحزن، وكل واحد من هذين يحرز حاله التي يقال عليها.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ﴾ الآية، المعنى: تالله لا تفتأ، فتحذف «لا» في هذا الموضع من القَسَم لدلالة الكلام عليها، فمن ذلك قول امرئ القيس:

فقلتُ يَمينُ اللهِ أَبْرَحُ قاعِداً ولو قَطَّعوا رأسي لَدَيْكِ وأَوْصالي[1] [الطويل]

ومنه قول الآخر:

تالله يَبْقَى على الأيَّام ذو حَيَدٍ بمشمخرٍّ به الظَّيان والآسُ[2] [البسيط]

أراد: لا يبرح، و: لا يبقى، وقال الزجاجي: وقد تحذف أيضاً «ما» في هذا الموضع[3].

قال القاضي أبو محمد: وخطأه بعض النحويين، ومن المواضع التي حذفت فيها «لا» ويدل عليها الكلام قول الشاعر:

فَلا وأَبِي دَهْمَاءَ زَالَتْ عَزِيزَةً عَلَى قَوْمِهَا مَا فَتَّلَ الزَّنْدَ قَادِحُ[4] [الطويل]

وقوله: «ما فتل الزند قادح» يوجب أن المحذوف «لا»، وليست «ما».

و«فتئ» بمنزلة «زال» و«برح» في المعنى والعمل، تقول: والله لا فتئت قاعداً، كما تقول: لا زلت ولا برحت، ومنه قول أوس بن حجر:

---

(١) انظر عزوه له في الكتاب لسيبويه (٣/ ٥٠٤)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٥٤)، والشعر والشعراء (١/ ١٣٦).

(٢) البيت لأمية بن أبي عائذٍ كما في الكتاب لسيبويه (٣/ ٤٩٧)، والأصول في النحو (١/ ٤٣٠)، والمخصص (٤/ ٧٢)، وعزاه في المحكم (٣/ ٤٢٧)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٧)، لمالك بن خَالِد الخناعي الْهُذَلِيّ، وفي الصحاح (٢/ ٤٦٨) للهذلي غير مسمى، والقولان في خزانة الأدب للبغدادي (١٠/ ٩٨)، زاد: ونسبها السكري إلى أبي ذؤيب الهذلي.

(٣) في نجيبويه: «الزجاج»، ولم أقف عليه لواحد منهما.

(٤) بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (٢/ ٥٤)، وغيره، وفي خزانة الأدب للبغدادي (٩/ ٢٤١): لم أقف له على تتمة ولا قائل.

[الطويل] فَمَـا فَـتِـئَـتْ حَـتَّـى كأَنَّ غُـبَـارَهَـا سُـرَادِقُ يَـوْمٍ ذِي رِيَـاحٍ تَـرَفَّـعُ[١]

والحرَض: الذي قد نهكه الهرمُ أو الحب أو الحزن إلى حال فساد الأعضاء والبدن والحس، وعلى هذا المعنى قراءة الجمهور: ﴿حَرَضًا﴾ بفتح الراء والحاء.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن بضمهما، وقرأت فرقة: (حُرْضاً) بضم الحاء وسكون الراء[٢].

وهذا كله المصدر يوصف به المذكَّر والمؤنث والمفرد والجمع بلفظ واحد، كعدل وعدوّ، وقيل في قراءة الحسن: إنه يراد / : فتات الأُشْنان، أي: باليا متفتتاً. [٣/ ٨١]

ويقال من هذا المعنى الذي هو من[٣] الهم والهرم: رجل حارض، ويثنى هذا البناء ويجمع ويؤنث ويذكر، ومن هذا المعنى قول الشاعر:

[البسيط] إنِّـي امْرُؤٌ لَـجّ بي حُـبٌّ فأَحْرَضَني حَتَّى بَلِيتُ وحَتّى شَـفَّني السَّقَمُ[٤]

وقد سمع من العرب: رجل مُحْرَض، قال الشاعر؛ وهو امرؤ القيس:

[الطويل] أَرَى المَرْءَ ذَا الأَذْوَادِ يُصْبِحُ مُحْرَضاً كَإِحْرَاضِ بَكْرٍ في الدِّيَارِ مَرِيضِ[٥]

والحَرَض بالجملة: الذي فسد ودنا موته، قال مجاهد: الحرض: ما دون الموت، قال قتادة: الحرض: البالي الهرِم، وقال نحوَه الضحاك والحسن، وقال ابن إسحاق: ﴿حَرَضًا﴾ معناه: فاسداً لا عقل له[٦]، فكأنهم قالوا على جهة التعنيف له: أنت لا تزال تذكر يوسف إلى حال القرب من الهلاك، أو إلى الهلاك.

---

(١) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٦/ ٢٢٠)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢٤٧)، وتاج العروس (٣٢/ ٤٦١).
(٢) وهما شاذتان، انظر الأولى في الشواذ للكرماني (ص: ٢٥١)، والثانية في تفسير القرطبي (٩/ ٢٥١) لأنس.
(٣) في المطبوع: «شن».
(٤) البيت للعرجي كما في مجاز القرآن (١/ ٣١٧)، والأغاني (١/ ٣٧٥)، وتفسير الطبري (١٦/ ٢٢١).
(٥) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٦/ ٢٢٢)، والمحكم (٣/ ١٢٤)، وتاج العروس (١٨/ ٢٩١).
(٦) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٦/ ٢٢٣-٢٢٤)، وانظر تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٨٨).

فأجابهم يعقوب عليه السلام رادّاً عليهم، أي: إني لست ممن يجزع ويضجر فيستحقَّ التعنيف، وإنما أشكو إلى الله، ولا تعنيف في ذلك.

والبث: ما في صدر الإنسان مما هو معتزم أن يبثه وينشره، وأكثر ما يستعمل البث في المكروه، وقال أبو عبيدة وغيره: «البث: أشد الحزن»[١].

وقد يستعمل البث في المخفي على الجملة، ومنه قول المرأة في حديث أم زرع: «ولا يولج الكفَّ ليَعلم البَثَّ»[٢]، ومنه قولهم: أبثك حديثي.

وقرأ عيسى: (وحَزَني) بفتح الحاء والزاي[٣].

وحكى الطبري بسند: «أن يعقوب دخل على فرعون وقد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، فقال له فرعون: ما بلغ بك هذا يا إبراهيم؟ فقالوا: إنه يعقوب، فقال: ما بلغ بك هذا يا يعقوب؟ قال له: طول الزمان وكثرة الأحزان، فأوحى الله إليه: يا يعقوب، أتشكوني إلى خلقي؟ فقال: يا رب خطيئة فاغفرها لي»[٤].

وأسند الطبري إلى الحسن قال: «كان بين خروج يوسف عن يعقوب إلى دخول يعقوب على يوسف ثمانون سنة، لم يفارق الحزن قلبه، ولم يزل يبكي حتى كُفَّ بصره، وما في الأرض يومئذ أكرم على الله من يعقوب»[٥].

وقوله: ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ يحتمل أنه أشار إلى حسن ظنه بالله وجميل عادة الله عنده، ويحتمل أنه أشار إلى الرؤيا المنتظرة، أو إلى ما وقع في نفسه عن قول ملك مصر: إني أدعو له برؤية ابنه قبل الموت، وهذا هو حسن الظن الذي قدمناه.

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣١٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥١٨٩)، ومسلم (٢٤٤٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٦٩).

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٢٢٨).

(٥) تفسير الطبري (١٦/ ٢٣٢).

قوله عز وجل: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

المعنى: اذْهَبُوا إلى الأرض التي جئتم منها وتركتم بها أخويكم يامين وروبيل، ﴿فَتَحَسَّسُواْ﴾، أي: استقصُوا ونقِّروا، والتحسس: طلب الشيء بالحواس البصر والسمع[(١)]، ويستعمل في الخير والشر، فمن استعماله في الخير هذه الآية، وفي الشر نهي النبي ﷺ في قوله: «ولا تحسسوا»[(٢)].

وقوله: ﴿مِن يُوسُفَ﴾ يتعلق بمحذوف يعمل فيه (تحسسوا) التقدير: فتحسسوا نبأً أو حقيقة من أمر يوسف، لكن يحذف ما يدل ظاهر القول عليه إيجازاً.

وقرأت فرقة: ﴿تَاْيْـَٔسُواْ﴾، وقرأت فرقة ﴿تأيسوا﴾ على ما تقدم[(٣)].

وقرأ الأعرج: (تئسوا) بكسر التاء[(٤)].

وخص يوسفَ ويامين بالذكر لأن روبيل إنما بقي مختاراً، وهذان قد منعا الأوبة.

والرَّوح: الرحمة، ثم جعل اليأس من رحمة الله وتفريجه من صفة الكافرين، إذ فيه إما التكذيب بالربوبية، وإما الجهل بصفات الله تعالى.

وقرأ الحسن وقتادة وعمر بن عبد العزيز: (من رُوح الله) بضم الراء[(٥)]، وكأن معنى هذه القراءة: لا تأيسوا من حيٍّ معه رُوح الله الذي وهبه، فإن من بقي روحه فيرجى، ومن هذا قول الشاعر:

---

(١) «البصر والسمع»: ساقطة من المطبوع.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) وهي قراءة ابن كثير كما تقدم قريباً.

(٤) وهي شاذة، انظرها في البحر المحيط (٦/ ٣١٥)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٥١)، وزاد مجاهداً.

(٥) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٤٨).

. . . . وفي غيرِ من قد وارتِ الأرضُ فاطْمعِ[١] [الطويل]

ومن هذا قول عبيد:

وكُـــلُّ ذِي غَـيْـبَـةٍ يَـئُـوبُ وغـائِـبُ الـمَـوْتِ لا يَـؤُوبُ[٢] [مخلع البسيط]

ويظهر من حديث الذي قال: «إذا مت فأحرِقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في البحر والبر في يوم راح، فلئن قَدَر الله عليّ ليعذبنِّي عذاباً ما عذبه أحداً من الناس»[٣]، أنه يئس من رَوح الله، وليس الأمر كذلك، لأن قول النبي ﷺ في آخر الحديث: «فغفر الله له» يقتضي أنه مات مؤمناً إذ لا يغفر الله لكافر، فبقي أن يُتأول الحديث، إما على أن «قَدَر» بمعنى: ضيق وناقش الحساب، فذلك معنًى بيِّن، وإما أن تكون من القدرة، ويقع خطؤه في أن ظن في أن الاجتماع بعد السحق والتذرية محال لا يوصف الله تعالى بالقدرة عليه، فغلط في أنْ جعل الجائز محالاً، ولا يلزمه بهذا كفر.

قال النقاش: وقرأ ابن مسعود: (من فضل) وقرأ أبي بن كعب: (من رحمة الله)[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ الآية، في هذا الموضع اختصار محذوفات يعطيها الظاهر، وهي: أنهم نفذوا من الشام إلى مصر ووصلوها، والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ عائد على يوسف.

و﴿ٱلضُّرُّ﴾ أرادوا به: المسغبة التي كانوا بسبيلها، وأمرَ أخيهم الذي أَهمَّ أباهم وغم جميعهم.

---

(١) لأرطاة بن سهية المري، وصدره في الأغاني (١٣/ ٤٤)، والتعازي للمبرد (ص: ١٥٩)، والحماسة بشرح التبريزي (١/ ٣٧٠): عن الدهر فاصفح إنه غير معتب، وفي عيون الأخبار (٤/ ١١٥)، وأخبار النساء (ص: ١٥٠): فدع عنك من قد وارت الأرض شخصَه.

(٢) تقدم في تفسير الآية (١٥) من سورة آل عمران.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٤٨١)، ومسلم (٢٧٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) وهما شاذتان، انظرهما في اللباب في علوم الكتاب (١١/ ١٩٥)، قال: وهذا تفسير لا تلاوة.

والبضاعة: القطعة من المال يقصد بها شراء شيء، ولزمها عرف الفقه فيما لا حظ لحاملها من الربح، والمُزْجاة معناها: المدفوعة المتحيَّل لها، ومنه: إزجاء السحاب، ومنه: إزجاء الإبل، كما قال الشاعر:

[البسيط] .... علـى زَواحِفَ تُزجـى مُخُّها رِيرُ[١]

وكما قال النابغة:

[البسيط] وَهَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ ذِي أُرُلٍ تُزْجِي مَعَ اللَّيْلِ مِنْ صُرَّادِهَا صِرَمَا[٢]

وقال الأعشى:

[الكامل] الواهِـبُ المائـَةِ الهِجـانِ وعبْدِهـا عُـوذاً تُزَجِّـي خَلْفَهـا أَطْفَالَهـا[٣]

وقال الآخر:

[البسيط] .... وحاجـةٍ غيـرِ مُزْجاةٍ مـن الحاجِ[٤]

وقال حاتم:

[الطويل] لِيَبْـكِ عَلَـى مِلْحَـانَ ضَيْـفٌ مُدَفَّـعٌ وَأَرْمَلَـةٌ تُزْجِي مَـعَ اللَّيْـلِ أَرْمَلا[٥]

[٣/ ٨٢] فجملة هذا أن من يسوق شيئاً ويتلطف في تسييره / فقد أزجاه، فإذا كانت الدراهم مدفوعة نازلة القَدْر تحتاج أن يُعتذر معها ويُشفع لها فهي مزجاة، فقيل: كان

---

(١) تقدم في تفسير الآية (١٥) من سورة الأنفال.

(٢) انظر عزوه له في العين (٧/ ١٢١)، والشعر والشعراء (١/ ٢٣٩)، والصحاح للجوهري (٥/ ١٩٦٥)، وأرل: جبل معروف.

(٣) انظر عزوه له في الكتاب لسيبويه (١/ ١٨٣)، والمقتضب (٤/ ١٦٣)، وتفسير الطبري (١٦/ ٢٣٥)، المخصص (٥/ ٨٦).

(٤) صدره: ومرسلٍ ورسولٍ غير متهمٍ، وهو للراعي كما في الكامل للمبرد (١/ ٢٢٤)، وغريب الحديث للخطابي (١/ ٢٥٣).

(٥) البيت لحاتم الطائي كما في تفسير الطبري (١٦/ ٢٣٥)، ونسب معد (١/ ٢٥١)، قال: و«ملحان» هو بن حارثة بن سعد.

ذلك لأنها كانت [زيوفاً، قاله ابن عباس[١]، وقال الحسن: كانت قليلة، وقيل: كانت ناقصة، قاله ابن جبير، وقيل: كانت][٢] بضاعتهم عروضاً، فلذلك قالوا هذا.

واختلف في تلك العروض: ما كانت؟ فقيل: كانت السمن والصوف، قاله عبد الله ابن الحارث[٣]، وقال علي بن أبي طالب: كانت قديد وحش، ذكره النقاش[٤].

وقال أبو صالح وزيد بن أسلم: كانت الصنوبر والحبة الخضراء[٥].

قال القاضي أبو محمد: وهي الفستق.

وقيل: كانت المقل، وقيل: كانت القطن، وقيل: كانت الحبال والأعدال والأقتاب.

وحكى مكي أن مالكاً رحمه الله قال: المزجاة: الجائزة[٦].

قال القاضي أبو محمد: ولا أعرف لهذا وجهاً، والمعنى يأباه، ويحتمل أنْ صحِّف على مالك وأن لفظه بالحاء غير منقوطة وبالراء.

واستند مالك رحمه الله في أن الكيل على البائع إلى هذه الآية[٧]، وذلك ظاهر منها وليس بنص.

---

(١) أخرجه الطبري (١٩٧٤١-١٩٧٤٧)، وابن أبي حاتم (١١٩٢٢) من طرق لا بأس بها، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ساقط من الحمزوية، وانظر: تفسير الطبري (١٦/ ٢٣٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٢).

(٣) رواه الطبري (١٩٧٥١، ١٩٧٥٨)، وابن أبي حاتم (١١٩٢٠) من طريق يزيد بن أبي زياد، عنه به، ويزيد ضعيف.

(٤) لم أقف عليه. وفي تفسير القرطبي (٩/ ٢٥٣) عن علي: «قديداً وحيساً».

(٥) انظر قول أبي صالح في تفسير الطبري (١٦/ ٢٣٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩١)، وزيد في البحر المحيط (٦/ ٣١٧).

(٦) الهداية (٥/ ٣٦٢٦)، قال في البيان والتحصيل (١٨/ ٢٤): أكثر أهل التفسير على خلاف هذا التفسير في ﴿مُّزْجَىٰةٍ﴾.

(٧) انظر ما نقله المؤلف عن مالك في: تفسير القرطبي (٩/ ٢٥٤)، وتقدم مثله.

وقولهم: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ معناه: بما بين الدراهم الجياد وهذه المزجاة، قاله السدي وغيره.

وقيل: كانت الصدقة غير محرمة على أولئك الأنبياء وإنما حرمت على محمد، قاله سفيان بن عيينة[(١)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، يردُّه حديث النبي ﷺ في قوله: «إنا معشر الأنبياء لا تحل لنا الصدقة»[(٢)].

وقالت فرقة: كانت الصدقة عليهم محرمة، ولكن قالوا هذا تجوزاً واستعطافاً منهم في المبايعة، كما تقول لمن تساومه في سلعة: هبني من ثمنها كذا وخذ كذا، فلم تقصد أن يهبك، وإنما حسنت له الانفعال حتى يرجع معك إلى سومك.

وقال ابن جريج: إنما خصوا بقولهم: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ أمر أخيهم يامين[(٣)]، أي: أوف لنا الكيل في المبايعة وتصدق علينا بصرف أخينا إلى أبيه.

وقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ قال النقاش: يقال: هو من المعاريض التي هي مندوحة عن الكذب، وذلك أنهم كانوا يعتقدونه ملكاً كافراً على غير دينهم، ولو قالوا: إن الله يجزيك بصدقتك في الآخرة، كذبوا، فقالوا له لفظاً يوهمه أنهم أرادوه، وهم يصح لهم إخراجه منه بالتأويل[(٤)].

قوله عز وجل: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (١٦/ ٢٤٢-٢٤١)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٣).

(٢) لا يعرف حديث بهذا اللفظ، وإنما جمع المصنف حديثين، أحدهما: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» وهذا في مسند أحمد بإسناد صحيح (٧٣٠٣)، والآخر: «إنا لا تحل لنا الصدقة» وهذا في مسلم (١٠٧٠) وغيره.

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٢٤٢)، وتفسير الماوردي (٣/ ٧٣)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢٥٢).

(٤) تفسير القرطبي (٩/ ٢٥٤).

وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾.

روي أن يوسف عليه السلام لما قال له إخوته: ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ واستعطفوه رق ورحمهم، قال ابن إسحاق: وارفضَّ دمعه باكياً فشرع في كشف أمره إليهم، فيروى أنه حسر قناعه وقال لهم: ﴿هَلْ عَلِمْتُم﴾ الآية[١].

وقوله: ﴿مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ يريد: من التفريق بينهما في الصغر، والتمرس بهما، وإذاية يامين بعد مغيب يوسف، فإنهم كانوا يُذلونه ويشتمونه، ولم يشر إلى قصة يامين الآخرة لأنهم لم يفعلوا هم فيها شيئاً، ونسبهم إما إلى جهل المعصية، وإما إلى جهل الشباب وقلة الحنكة، فلما خاطبهم هذه المخاطبة، ويشبه أنه اقترن بها من هيئته وبشره وتبسمه ما دلهم، تنبهوا ووقع لهم من الظن القوي أنه يوسف، فخاطبوه مستفهمين استفهام مقرِّر.

وقرأت فرقة: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ بتحقيق الهمزتين، [وقرأت فرقة بإدخال ألف بين همزتين وتحقيقهما: ﴿أَاءِنَّكَ﴾][٢]، وقرأت فرقة بتسهيل الثانية: ﴿أينَّك﴾[٣].

وقرأ ابن محيصن وقتادة وابن كثير: ﴿إِنَّك﴾ على الخبر وتأكيده[٤].

وقرأ أبي بن كعب: (أإنك أو أنت يوسف)[٥]، قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون هذا على حذف خبر (إنَّ) كأنه قال: أإنك لغير يوسف أو أنت يوسف؟.

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٢٤٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٣)، تفسير الماوردي (٣/ ٧٤).
(٢) ساقط من نجيبويه، وسقط ما قبله من نور العثمانية.
(٣) هذه أربع قراءات سبعية: الأولى للكوفيين وابن ذكوان، والثانية لهشام في وجه، والثالثة إن كانت بإدخال فهي لقالون وأبي عمرو، وإن كانت بدونه فهي لورش، انظر: التيسير (ص: ٣٢).
(٤) وهي أيضاً سبعية لابن كثير، انظر: التيسير (ص: ١٣٠).
(٥) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٤٩) مع التوجيه.

وحكى أبو عمرو الداني: أن في قراءة أبي بن كعب: (أو أنت يوسف)[١].

وتأولت فرقة ممن قرأ: ﴿إنك﴾ أنها استفهام بإسقاط حرف الاستفهام.

فأجابهم يوسف كاشفاً أمره قال: ﴿أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى﴾.

وقال مجاهد: أراد من يتق في ترك المعصية ويصبر في السجن.

وقال إبراهيم النخعي: المعنى: من يتق الزِّنا ويصبر على العزوبة[٢].

قال القاضي أبو محمد: ومقصد اللفظ إنما هو العموم في العظائم، وإنما قال هذان ما خصَّصا، لأنها كانت من نوازله، ولو فرضنا نزول غيرها به لاتقى وصبر.

وقرأ الجمهور: ﴿مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ﴾ [بغير ياء][٣].

وقرأ ابن كثير وحده: ﴿من يتقي ويصبر﴾ بإثبات الياء[٤]، واختلف في وجه ذلك، فقيل: قدر الياء متحركة وجعل الجزم في حذف الحركة، وهذا كما قال الشاعر:

[الوافر]
أَلَـمْ يَـأْتِيـكَ والأَنْـبـاءُ تَـنْـمـي ... بِمَا لاقَـتْ لَبُونُ بَنِي زِيـادِ[٥]

قال أبو علي: وهذا مما لا نحمله عليه، لأنه يجيء في الشعر لا في الكلام، وقيل: ﴿مَن﴾ بمعنى الذي و﴿يَتَّقِ﴾ فعل مرفوع، ﴿وَيَصۡبِرۡ﴾ عطف على المعنى لأن ﴿مَن﴾ وإن كانت بمعنى الذي ففيها معنى الشرط، ونحوه قوله تعالى: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾ [المنافقون: ١٠]، وقيل: أراد «يصبرُ» بالرفع لكنه سكن الراء تخفيفاً، كما قرأ أبو عمرو: ﴿وَيَأۡمُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٦٨][٦] بإسكان الراء.

---

(١) انظر ماحكاه الداني في البحر المحيط (٦/ ٣٢٠).

(٢) انظر قول مجاهد في تفسير الطبري (١٦/ ٢٤٥)، وقول النخعي في تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٤)، وتفسير الماوردي (٣/ ٧٤).

(٣) زيادة من المطبوع والتركية ونور العثمانية وأحمد٣.

(٤) وهي سبعية، أثبتها قنبل في الحالين، انظر التيسير (ص: ١٣١).

(٥) تقدم في تفسير الآية (١٠١) من سورة النساء.

(٦) تقدمت قراءة أبي عمرو، وانظر كلام أبي علي في الحجة (٤/ ٤٤٩).

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ الآية، هذا منهم استنزال ليوسف وإقرار بالذنب في ضمنه استغفار منه.

و﴿ءَاثَرَكَ﴾: لفظ يعم جميع التفضيل وأنواع العطايا، والأصل فيها همزتان وخففت الثانية، ولا يجوز تحقيقها، والمصدر إيثار، و«خاطئين» من خطِئ يخطَأ، وهو المتعمِّد للخطأ، والمخطئ من أخطأ، وهو الذي قصد الصواب فلم يوفق له، ومن ذلك قول الشاعر، وهو أمية بن الأسكر:

وَإِنَّ مُهَاجِرَيْنِ تَكَنَّفَاهُ غَدَاتَئِذٍ لقَدْ خَطِئَا وحَابَا[١] [الوافر]

وقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ عفو جميل، قال عكرمة: «أوحى الله إلى يوسف: بعفوك عن إخوتك رفعت لك ذكرك»[٢].

وفي الحديث: أن أبا سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية لما وردا مهاجرَين على رسول الله ﷺ أعرض عنهما لقبح فعلهما معه قبلُ، فشق ذلك عليهما / وأتيا [٣/ ٨٣] أبا بكر فكلفاه الشفاعة، فأبى، وأتيا عمر فكذلك، فذهب أبو سفيان بن الحارث إلى ابن عمه علي، وذهب عبد الله إلى أخته أم سلمة، فقال علي رضي الله عنه: الرأي أن تلقيا رسول الله ﷺ في الحفل فتصيحان به: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ﴾ فإنه لا يرضى أن يكون دون أحد من الأنبياء فلا بد لذلك أن يقول: لا تثريب عليكما، ففعلا ذلك، فقال لهما رسول الله ﷺ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ الآية[٣].

والتثريب: اللوم والعقوبة، وما جرى معهما من سوء معتقد ونحوه، وقد عبر بعض الناس عن التثريب بالتعيير، ومنه قول النبي عليه السلام: «إذا زنت أمة أحدكم

---

(١) تقدم في أوائل سورة النساء.

(٢) تفسير الثعالبي (٣/ ٣٥٠).

(٣) نسبه الحافظ ابن حجر في الإصابة (٤/ ١٢) إلى الزبير بن بكار، ولم أقف له على إسناد.

فليجلدها ولا يثرب»، أي: لا يعيِّر، [أخرجه الشيخان في الحدود][1].

ووقف بعض القراء: ﴿عَلَيْكُمُ﴾، وابتدأ: ﴿ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾، ووقف أكثرهم: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾، وابتدأ: ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ على جهة الدعاء، وهو تأويل ابن إسحاق والطبري[2]، وهو الصحيح، و﴿ٱلْيَوْمَ﴾ ظرف، فعلى هذا فالعامل فيه ما يتعلق به ﴿عَلَيْكُمُ﴾ تقديره: لا تثريب ثابت أو مستقر عليكم اليوم، وهذا الوقف أرجح في المعنى، لأن الآخر فيه حكم على مغفرة الله، اللهم إلا أن يكون ذلك بوحي.

قوله عز وجل: ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾.

حكمه بعد الأمر بإلقاء القميص على وجه أبيه بأن أباه يأتي بصيراً ويزول عماه دليل على أن هذا كله بوحي وإعلام من الله.

قال النقاش: وروي أن هذا القميص كان لإبراهيم؛ كساه الله إياه حين خرج من النار وكان من ثياب الجنة، وكان بعدُ لإسحاق ثم ليعقوب، ثم كان دفعه ليوسف فكان عنده في حفاظ من قصب[3].

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله يحتاج إلى سند، والظاهر أنه قميص يوسف الذي هو منه بمنزلة قميص كل أحد، وهكذا تبيين الغرابة في أن وجد ريحه من بُعْدٍ، ولو كان من قمص الجنة لما كان في ذلك غرابة ولوجده كل أحد.

وأما أهلهم فروي: أنهم كانوا ثمانين نسمة، وقيل: ستة وسبعين نفساً بين رجال

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٣٤)، ومسلم (١٧٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وما بين المعكوفتين زيادة من المطبوع.

(٢) راجع تفسير الطبري (١٦/ ٢٤٧).

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «من فضة»، انظر كلام النقاش في تفسير الثعالبي (٣/ ٣٥٠).

ونساء، في هذا العدد دخلوا مصر ثم خرج منها أعقابهم مع موسى في ست مئة ألف.

ذكر الطبري عن السدي: أنه لما كشف أمره لإخوته سألهم عن أبيهم: ما حاله؟ فقالوا: ذهب بصره من البكاء. فحينئذ قال لهم: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى﴾ الآية[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ الآية، معناه: فصلت العير من مصر متوجهة إلى موضع يعقوب، حسبما اختلف فيه، فقيل: كان على مقربة من بيت المقدس، وقيل: كان بالجزيرة، والأول أصح لأن آثارهم وقبورهم حتى الآن هناك.

وروي أن يعقوب وجد رِيحَ يُوسُفَ وبينه وبين القميص مسيرة ثمانية أيام، قاله ابن عباس، وقال: هاجت ريح فحملت عَرْفه[٢].

وروي: أنه كان بينهما ثمانون فرسخاً، قاله الحسن، وابن جريج قال: وقد كان فارقه قبل ذلك سبعاً وسبعين سنة[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قريب من الأول.

وروي: أنه كان بينهما مسيرة ثلاثين يوماً، قاله الحسن بن أبي الحسن[٤].

وروي عن أبي [أيوب الهوزني][٥]: «أن الريح استأذنت في أن توصل عَرف يوسف إلى يعقوب، فأذن لها في ذلك»[٦]، وكانت مخاطبة يعقوب هذه لحاضريه، فروي: أنهم كانوا حفدته، وقيل: كانوا بعض بنيه، وقيل: كانوا قرابته.

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٢٤٨).

(٢) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (١٩٨٠١-١٩٨٠٨) وابن أبي حاتم (١١٩٦١) من طريق عبد الله ابن أبي الهزيل، عنه.

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٢٥١).

(٤) تفسير البحر المحيط (٥/ ٣٣٩).

(٥) في نجيبويه: «يعقوب الهوزي».

(٦) تفسير الطبري (١٦/ ٢٤٩).

و﴿تُفَنِّدُونِ﴾ معناه: تردون رأيي وتدفعون في صدره(١)، وهذا هو التفنيد في اللغة، ومن ذلك قول الشاعر:

[البسيط] يَا صَاحِبَيَّ دَعَا لَوْمِي وَتَفْنِيدِي ... فَلَيْسَ مَا فَاتَ مِنْ أَمْرِي بِمَرْدُودِ(٢)

ويقال: أفند الدهر فلاناً: إذا أفسده.

قال ابن مقبل:

[الطويل] دَعِ الدَّهْـرَ يَفْعَـلْ مَـا أَرَادَ فإِنَّـهُ ... إِذا كُلِّفَ الإِفْنَاد بالنَّاسِ أَفْنَدا(٣)

ومما يعطي أن الفند الفساد في الجملة قول النابغة:

[السريع] إِلَّا سُلَيْمان إِذْ قَـالَ الإِلـهُ لَهُ ... قُمْ فِي البَرِيَّةِ فاحْدُدْهَا عنِ الفَنَدِ(٤)

وقال منذر بن سعيد: يقال: شيخ مفند، أي: قد فسد رأيه، ولا يقال: عجوز [مفندة؛ لأن المرأة لم يكن لها قط رأي أصيل فيدخلَها الفند](٥).

قال القاضي أبو محمد: والتفنيد يقع إما لجهل المفند، وإما لهوًى غلبه، وإما لكذبه، وإما لضعفه وعجزه لذهاب عقله وهرمه، فلهذا فسّر الناس التفنيد في هذه الآية بهذه المعاني، ومنه قوله ﷺ: «أو هرماً مفنِّداً»(٦).

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: صدري.

(٢) البيت لهانئ بن شكيم، كما في مجاز القرآن (١/ ٣١٨)، وهو في تفسير الطبري (١٦/ ٢٥٢) بلا نسبة.

(٣) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٦/ ٢٥٢).

(٤) انظر عزوه له في العين (٨/ ٤٩)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٧)، وشرح المعلقات التسع (ص: ٩١).

(٥) ساقط من المطبوع، وانظر كلام منذر في البحر المحيط (٦/ ٣٢٣).

(٦) ضعيف، أخرجه ابن المبارك في الزهد (٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٥٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٠٨٩) من طريق معمر بن راشد، عمن سمع المقبري، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ما ينتظر أحدكم إلا غنى مطغياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً، أو الدجال»، وفي إسناده إبهام شيخ معمر. =

قال ابن عباس[١] ومجاهد وقتادة: معناه: تسفِّهون.

وقال ابن عباس أيضاً: تجهِّلون[٢].

وقال ابن جبير وعطاء: معناه: تكذِّبون.

وقال ابن إسحاق: معناه: تضعِّفون.

وقال ابن زيد ومجاهد: معناه: تقولون: ذهب عقلك.

وقال الحسن: «معناه: تهرمون»[٣].

والذي يشبه أن تفنيدهم ليعقوب إنما كان لأنهم كانوا يعتقدون هواه قد غلبه في جانب يوسف، قال الطبري: «أصل التفنيد الإفساد»[٤].

وقولهم: ﴿لَفِى ضَلَـٰلِكَ﴾ يريدون: في انتلافك[٥] وتحيرك، وليس هو بالضلال الذي هو في العرف ضد الرشاد، لأن ذلك من الجفاء الذي لا يسوغ لهم مواجهته به، وقد تأول بعض الناس على ذلك، ولهذا قال قتادة رحمه الله: «قالوا لوالدهم كلمة

= وأخرجه الطبراني في الأوسط (٤/ ١٩٢) من طريق ضعيف عن معمر عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبري.
وأخرجه الترمذي (٢٣٠٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٠٨٨) من طريق محرز بن هارون، عن الأعرج، عن أبي هريرة به، بمثله، ومحرز بن هارون القرشي ضعيف، وانظر الميزان (٧٠٩٠)، وقال الترمذي: حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث الأعرج عن أبي هريرة إلا من حديث محرز بن هارون، وقد روى بشر بن عمر وغيره عن محرز بن هارون هذا، وقد روى معمر هذا الحديث عمن سمع سعيداً المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه.

(١) أخرجه الطبري (١٩٨١٨، ١٩٨١٩، ١٩٨٢٤، ١٩٨٢٢)، وابن أبي حاتم (١١٩٦٦) من طرق صحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الطبري (١٩٨٢١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكر هذه الأقوال كلها الطبري (١٦/ ٢٥٥-٢٥٣)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٨)، وتفسير الماوردي (٣/ ٧٧).

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٢٥٥).

(٥) في المطبوع: «انتكافك»، وفي نور العثمانية وأحمد٣: «ائتلافك».

غليظة لم يكن ينبغي لهم أن يقولوها لوالدهم ولا لنبي الله عليه السلام»[(١)]، وقال ابن عباس: المعنى: لفي خطئك[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: وكان حزن يعقوب قد تجدد بقصة يامين، فلذلك يقال له: «ذو الحزنين».

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾.

روي عن ابن عباس: أن الْبَشِير كان يهوذا لأنه كان جاء بقميص الدم[(٣)].

[٣/ ٨٤] قال القاضي أبو محمد: حدثني أبي رضي الله عنه / قال: سمعت الواعظ أبا الفضل بن الجوهري على المنبر بمصر يقول: إن يوسف عليه السلام لما قال: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى﴾ قال يهوذا لإخوته[(٤)]: قد علمتم أني ذهبت إليه بقميص الترحة فدعوني أذهب إليه بقميص الفرحة، فتركوه وذلك، وقال هذا المعنى السدي[(٥)].

و(ارتد) معناه: رجع هو، يقال: ارتد الرجل ورده غيره، و﴿بَصِيرًا﴾ معناه: مبصراً، ثم وقفهم على قوله: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وهذا ـ والله أعلم ـ هو

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٢٥٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٩).

(٢) أخرجه الطبري (١٩٨٤٩)، وابن أبي حاتم (١١٩٧٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) الذي جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ماذكره الطبري (١٩٨٥٧)، وابن أبي حاتم (١١٩٧٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «البشير»: البريد، وقال مجاهد، وابن جريج، والضحاك، والسدي: الْبَشِيرُ كان يهوذا.

(٤) «لإخوته»: ساقطة من المطبوع.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٢٥٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٩، ٢٢٠٠).

انتظاره لتأويل الرؤيا، ويحتمل أن يشير إلى حسن ظنه بالله تعالى فقط.

وروي: أنه قال للبشير: على أي دين تركت يوسف؟ قال: على الإسلام، قال: الحمد لله، الآن كملت النعمة[١].

وفي مصحف ابن مسعود: (فلما أن جاء البشير من بين يدي العير)[٢].

وحكى الطبري عن بعض النحويين أنه قال: ﴿أَن﴾ في قوله: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ﴾ زائدة، والعرب تزيدها أحياناً في الكلام بعد «لما» وبعد «حتى» فقط، تقول: لما جئت كان كذا، ولما أن جئت، وكذلك تقول: ما قام زيد حتى قمت، وحتى أن قمت[٣].

وقوله: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾ الآية، روي أن يوسف عليه السلام لما غفر لإخوته، وتحققوا أيضاً أن يعقوب يغفر لهم، قال بعضهم لبعض: ما يغني عنا هذا إن لم يغفر الله لنا؟! فطلبوا حينئذ من يعقوب أن يطلب لهم المغفرة من الله تعالى، واعترفوا بالخطأ، فقال لهم يعقوب: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ﴾، فقالت فرقة: سوفهم إلى السحر.

وروي عن محارب بن دثار أنه قال: «كان عم لي يأتي المسجد فسمع إنسانا يقول: اللهم دعوتني فأجبت وأمرتني فأطعت، وهذا سحر فاغفر لي، فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود، فسئل عبد الله بن مسعود عن ذلك، فقال: إن يعقوب عليه السلام أخَّر بنيه إلى السحر»[٤].

ويقوي هذا التأويل قول النبي ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إذا كان الثلث الآخر إلى سماء الدنيا فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفرني فأغفر له؟» الحديث[٥].

---

(١) تفسير الماوردي (٣/ ٨٥)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢٥٧).

(٢) وهي شاذة، انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٢٥٩)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢٥٦).

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٢٦٠).

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩٨٧٠)، وابن أبي حاتم (١١٩٨٣) من طريق عبد الرحمن بن سعد الواسطي، قال: يذْكر عن محارب بن دثار، فذكره، وعبد الرحمن الواسطي الأنصاري ضعيف، ولم يبين من ذكره له، وانظر التهذيب (٦/ ١٢٤).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ويقويه قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧].

وقالت فرقة: إنما سوَّفهم يعقوب إلى قيام الليل.

وقالت فرقة منهم سعيد بن جبير: سوَّفهم يعقوب إلى الليالي البيض، فإن الدعاء فيهن يستجاب(١).

وقيل: إنما أخرهم إلى ليلة الجمعة، وروى ابن عباس هذا التأويل عن النبي ﷺ، قال: «أخرهم يعقوب حتى تأتي له الجمعة»(٢).

ثم رجَّاهم يعقوب عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وقوله: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟﴾ الآية، هاهنا محذوفات يدل عليها الظاهر، وهي: فرحل يعقوب بأهله أجمعين وساروا حتى بلغوا يوسف، فلما دخلوا عليه.

وآوى معناه: ضم وأظهر الحفاية بهما، وفي الحديث: «أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله»(٣).

---

(١) تفسير القرطبي (٩/ ٢٦٣).

(٢) منكر، أخرجه الترمذي (٣٥٧٠)، والطبري (١٩٨٧٥-١٩٨٧٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٦١) من طريق سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: أخبرنا ابن جريج، عن عطاء وعكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «قد قال أخي يعقوب: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾، يقول: حتى تأتي ليلة الجمعة»، ورواية الترمذي والحاكم بلفظ مطول، قال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم. وقال ابن كثير: وهذا غريب من هذا الوجه، وفي رفعه نظر. اهـ. قال الحاكم: هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه، فتعقبه الذهبي قائلاً: هذا حديث منكر شاذ، أخاف أن يكون موضوعاً، وقد حيرني والله جودة سنده.

وقد زالت هذه الحيرة من عنده فقال في السير (٩/ ٢١٨): هذا عندي موضوع والسلام، ولعل الآفة دخلت على سليمان ابن بنت شرحبيل فيه، فإنه منكر الحديث وإن كان حافظاً، فلو كان قال فيه: عن ابن جريج، لراج، ولكن صرح بالتحديث، فقويت الريبة، [يعني صرح بسماع الوليد بن مسلم من ابن جريج والمحفوظ فيه بالعنعنة] وإنما هذا الحديث يرويه هشام بن عمار، عن محمد بن إبراهيم القرشي، عن أبي صالح، عن عكرمة، عن ابن عباس، ومحمد هذا ليس بثقة، وشيخه لا يدرى من هو. يعني أن هذا هو أصل الإسناد إلى عكرمة، والأول وهم أو دخل لسليمان حديث في حديث، أو من تدليس الوليد، والله أعلم.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦) من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه.

وقيل: أراد بالأبوين: أباه وأمه [قاله ابن إسحاق والحسن، وقال بعضهم: أباه وجدَّته أمَّ أمه][(١)]، حكاه الزهراوي، وقيل: أباه وخالته، لأن أمَّه قد كانت ماتت، قاله السدي[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: والأول أظهر ـ بحسب اللفظ ـ إلا لو ثبت بسند أن أمه قد كانت ماتت.

وفي مصحف ابن مسعود: (آوى إليه أبويه وإخوته)[(٣)].

وقوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ﴾ معناه: تمكنوا واسكنوا واستقروا، لأنهم قد كانوا دخلوا عليه، وقيل: بل قال لهم ذلك في الطريق حين تلقاهم، قاله السدي.

وهذا الاستثناء هو الذي ندب القرآن إليه، أن يقوله الإنسان في جميع ما يُنْفِذه بقوله في المستقبل.

وقال ابن جريج: هذا مؤخر في اللفظ وهو متصل في المعنى بقوله: ﴿سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ﴾[(٤)].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا التأويل ضعف.

و﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾: سرير الملك، وكل ما عرش فهو عريش وعرش، وخصصت اللغة العرش لسرير الملك.

و(خرُّوا): معناه: تصوَّبوا نحو الأرض، واختلف في هذا السجود:

---

(١) ساقط من الحمزوية، وانظر كلام الزهراوي في البحر المحيط (٦/ ٣٢٦).
(٢) انظر أقوال الحسن وابن إسحاق والسدي في تفسير الطبري (١٦/ ٢٦٧)، وانظر تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٠).
(٣) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٦/ ٣٢٦).
(٤) انظر القولين في تفسير الطبري (١٦/ ٢٦٦)، وانظر معاني القرآن للنحاس (٣/ ٤٥٧)، وتفسير ابن ابي حاتم (٧/ ٢٢٠١).

فقيل: كان كالمعهود عندنا من وضع الوجه بالأرض.

وقيل: بل دون ذلك كالركوع البالغ ونحوه مما كان سيرة تحياتهم للملوك في ذلك الزمان.

وأجمع المفسرون أن ذلك السجود ـ على أي هيئة كان ـ فإنما كان تحية لا عبادة.

قال قتادة: هذه كانت تحية الملوك عندهم، وأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة[١].

وقال الحسن: الضمير في ﴿لَهُۥ﴾ لله عز وجل[٢].

قال القاضي أبو محمد: ورُد على هذا القول.

وحكى الطبري: «أن يعقوب لما بلغ مصر في جملته كلم يوسفُ فرعون في تلقيه، فخرج إليه وخرج الملوك معه، فلما دنا يوسف من يعقوب وكان يعقوب يمشي متوكئاً على يهوذا قال: فنظر يعقوب إلى الخيل والناس فقال: يا يهوذا، هذا فرعون مصر، قال: لا هو ابنك، قال: فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدأ بالسلام، فمنعه يعقوب من ذلك وكان يعقوب أحق بذلك منه وأفضل، فقال: السلام عليك يا مُذهب الأحزان»[٣].

قال القاضي أبو محمد: ونحو هذا من القصص، وفي هذا الوقت قال يوسف ليعقوب: إن فرعون قد أحسن إلينا فادخل عليه شاكراً، فدخل عليه، فقال فرعون: يا شيخ ما صيَّرك إلى ما أرى؟ قال: تتابع البلاء عليّ. قال: فما زالت قدمه حتى نزل الوحي: يا يعقوب، أتشكوني إلى من لا يضرك ولا ينفعك؟ قال: يا رب ذنب فاغفره.

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٢٦٩)، وتفسير ابن ابي حاتم (٧/ ٢٢٠٢)، وتفسير الماوردي (٣/ ٨٢)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٣١٢).

(٢) تفسير الماوردي (٣/ ٨٢).

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٢٦٥)، بتصرف يسير.

وقال أبو عمرو الشيباني[١]: تقدم يوسف يعقوب في المشي في بعض تلك المواطن، فهبط جبريل فقال له: أتتقدم أباك؟ إن عقوبتك لذلك ألا يخرج من نسلك نبي[٢].

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ (١٠٠)﴾.

المعنى: قال يوسف ليعقوب: هذا السجود الذي كان منكم، هو ما آلت إليه رؤياي قديماً في الأحد عشر كوكباً وفي الشمس والقمر.

وقوله: ﴿قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا﴾ ابتداء تعديد نعم الله تعالى عليه.

وقوله: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ﴾، أي: أوقع وناط إحسانه بي. فهذا منحى في وصول الإحسان بالباء، وقد يقال: أحسن إليّ، وأحسن فيّ / ، ومنه قول عبد الله بن أبيٍّ ابن [٣/ ٨٥] سلول: «يا محمد أحسن في مواليّ»[٣] وهذه المناحي مختلفة المعنى، وأليَـقها بيوسف قوله: ﴿بِيٓ﴾ لأنه إحسان درج فيه دون أن يقصد هو الغاية التي صار إليها.

وذكر يوسف عليه السلام إخراجه من السجن، وترك إخراجه من الجب لوجهين:

أحدهما: أن في ذكر إخراجه من الجب تجديد فعل إخوته، وخزيهم بذلك، وتقليع نفوسهم، وتحريك تلك الغوائل، وتخبيث النفوس.

والوجه الآخر: أنه خرج من الجب إلى الرق، ومن السجن إلى الملك، فالنعمة هنا أوضح.

---

(١) هو إسحاق بن مرار أبو عمرو الشيبانيّ اللغويّ صاحب العربية، كوفيّ نزل بغداد، روى عنه ابنه عمرو، وأحمد بن حنبل، وأبو عبيد، وكان من أعلم الناس باللغة، موثّقاً فيما يحكيه، جمع أشعار العرب ودوّنها، توفي سنة (٢١٠هـ). إنباه الرواة (١/ ٢٥٦).

(٢) الفاضل للمبرد (ص: ١٠٣).

(٣) أخرجه ابن إسحاق في سيرته (٣/ ٢٩٥) عن قتادة مرسلاً.

وقوله: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ يعم جمع الشمل والتنقل من الشقاوة إلى النعمة بسكنى الحاضرة، وكان منزل يعقوب عليه السلام بأطراف الشام في بادية فلسطين وكان رب إبل وغنم وبادية.

و﴿نَّزَغَ﴾ معناه: فعل فعلاً أفسد به، ومنه قول النبي ﷺ: «لا يشر أحدكم على أخيه بالسلاح لا ينزغ الشيطان في يده»[١].

وإنما ذكر يوسف هذا القدر من أمر إخوته ليبين حسن موقع النعم، لأن النعمة إذا جاءت إثر شدة وبلاء فهي أحسن موقعاً.

وقوله: ﴿لِّمَا يَشَآءُ﴾ أي: من الأمور أن يفعله.

واختلف الناس في كم كان بين رؤيا يوسف وبين ظهورها:

فقالت فرقة: أربعون سنة، هذا قول سلمان الفارسي[٢] وعبد الله بن شداد.

وقال عبد الله بن شداد: «ذلك آخر ما تبطئ الرؤيا»[٣].

وقالت فرقة منهم الحسن وجسر[٤] بن فرقد وفضيل بن عياض: «ثمانون سنة»[٥].

وقال ابن إسحاق: «ثمانية عشر»[٦].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم (٢٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبري (١٩٩٠٧-١٩٩٠٩-١٩٩١١-١٩٩١٥-١٩٩١٧ إلى ١٩٩٢٠)، وابن أبي حاتم (١١٩٩٨) من طرق عن أبي عثمان النهدي عن سلمان، وقد صحبه مدة طويلة، وإن لم يأت تصريحه بسماعه منه في شيء من الطرق، إلا أنه لم يذكر بتدليس.

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٢٧٣).

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «حسن»، وفي نجيبويه: «كثير»، وهو جسر بن فرقد القصاب، أبو جعفر، بصري، قال البخاري: ليس بذاك عندهم، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال النسائي: ضعيف. ميزان الاعتدال (١/ ٣٩٨).

(٥) تفسير الطبري (١٦/ ٢٧٣ ٢٧٤).

(٦) تفسير الطبري (١٦/ ٢٧٥).

وقيل: اثنان وعشرون، قاله النقاش، وقيل: ثلاثون، وقيل: «خمس وثلاثون»، قاله قتادة.

وقال السدي وابن جبير: «ست وثلاثون سنة»[١].

وقيل: إن يوسف عليه السلام عمِّر مئة وعشرين سنة، وقيل: إن يعقوب بقي عند يوسف نيفاً على عشرين سنة ثم توفي ﷺ.

قال القاضي أبو محمد: ولا وجه في ترك تعريف يوسف أباه بحاله منذ خرج من السجن إلى العز إلا الوحي من الله تعالى لمَا أراد أن يمتحن به يعقوب وبنيه، وأراد من صورة جمعهم ـ لا إله إلا هو ـ وقال النقاش: كان ذلك الوحي في الجب، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥][٢]، وهذا محتمل.

ومما روي في أخبار يعقوب عليه السلام: قال الحسن: «إنه لما ورده البشير لم يجد عنده شيئاً يثيبه به فقال له: والله ما أصبت عندنا شيئاً، وما خبزنا منذ سبع ليال، ولكن هون الله عليك سكرات الموت»[٣].

ومن أخباره: أنه لما اشتد بلاؤه قال: يا رب أعميت بصري وغيبت عني يوسف، أفما ترحمني؟ فأوحى الله إليه: سوف أرحمك وأرد عليك ولدك وبصرك، وما عاقبتك بذلك إلا أنك طبخت في منزلك حمَلاً فشمَّه جارٌ لك ولم تساهمه بشيء، فكان يعقوب بعد يدعوه إلى غدائه وعشائه.

وحكى الطبري: أنه لما اجتمع شمله كلفه بنوه أن يدعو الله لهم حتى يأتي الوحي بأن الله قد غفر لهم، قال: فكان يعقوب يصلي ويوسف وراءه وهم وراء يوسف، ويدعو

(١) انظر تفسير القرطبي (٩/ ٢٧٤).

(٢) تفسير الثعالبي (٣/ ٣٥٢).

(٣) تفسير القرطبي (٩/ ٢٦١).

لهم، فلبث كذلك عشرين سنة، ثم جاءه الوحي: إني قد غفرت لهم وأعطيتهم مواثيق النبوة من بعدك[١].

ومن أخباره: أنه لما حضرته الوفاة أوصى إلى يوسف أن يدفنه بالشام، فلما مات نفخ فيه المرَّ وحمله إلى الشام، ثم مات يوسف فدفن بمصر، فلما خرج موسى ـ بعد ذلك ـ من أرض مصر احتمل عظام يوسف حتى دفنها بالشام مع آبائه.

قوله عز وجل: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

قرأ ابن مسعود: (آتيتن) و(علمتن) بحذف الياء على التخفيف[٢].

وقرأ ابن ذر[٣] وحده: (رب آتيتني) بغير ﴿قَدْ﴾[٤].

وذكر كثير من المفسرين: أن يوسف عليه السلام لما عدد في هذه الآية نعم الله عنده تشوق إلى لقاء ربه ولقاء الجلة وصالحي سلفه وغيرهم من المؤمنين، ورأى أن الدنيا كلها قليلة، فتمنى الموت في قوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وقال ابن عباس: لم يتمن الموت نبي غير يوسف[٥].

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٢٨١)، بتصرف.

(٢) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٤٩).

(٣) هو عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة بن معاوية، أبو ذر الهمداني المرهبي الكوفي، روى عن أبيه وسعيد بن جبير وأبي وائل ومجاهد وعكرمة، وعنه ابن المبارك ووكيع، وعدد كبير، وكان إماماً مفوهاً زاهداً، توفي سنة (١٥٦هـ). تاريخ الإسلام (٩/ ٥٣٦)

(٤) وهي شاذة، نقلها في البحر المحيط (٦/ ٣٢٩)، و«وحده» زيادة من المطبوع، والذي في المحتسب وغيره أنه وافق ابن مسعود.

(٥) أخرجه الطبري (١٩٩٤٠)، وابن أبي حاتم (١٢٠١٢) من طريق أسباط بن نصر، عن السدي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا إسناد لين، وأخرجه الطبري (١٩٩٤٢)، وابن أبي حاتم (١٢٠١١) =

وذكر المهدوي تأويلاً آخر وهو الأقوى عندي: أن ليس في الآية تمني موت، وإنما عدد يوسف عليه السلام نعم الله عنده ثم دعا أن يتم عليه النعم في باقي عمره، أي: تَوَفَّنِي ـ إذا حان أجلي ـ على الإسلام، واجعل لحاقي بالصالحين، وإنما تمنى الموافاة على الإسلام لا الموت[١]، وورد عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يتمنينّ أحدكم الموت لضرّ نزل به»[٢] الحديث بكماله، وروي عنه ﷺ أنه قال في بعض دعائه: «وإذا أردت في الناس فتنة فاقبضني إليك غير مفتون»[٣]، وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال: «اللهم قد رقّ عظمي وانتشرت رعيتي فتوفني غير مقصر ولا عاجز»[٤].

= من طريق قتادة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه الطبري (١٩٩٤١) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وهذان منقطعان، والله أعلم.

(١) التحصيل للمهدوي (٣/ ٥٣٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٦٧١)، ومسلم (٢٦٨٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) منقطع ضعيف في إسناده اضطراب، أخرجه عبد الرزاق (٢/ ١٦٩) من طريق معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن ابن عباس مرفوعاً في حديث الكفارات والدرجات، ومن طريق عبد الرزاق أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٦٨ رقم ٣٤٨٤)، وعبد بن حميد في مسنده (٦٨٢)، والترمذي (٣٢٣٣)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١٤). وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٣٢٠) من طريق محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، عن معمر به. وهذا إسناد منقطع؛ أبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي لم يسمع من ابن عباس.
وقد روي من أوجه أخرى وكلها لا يصح منها شيء، وقد وقع في هذا الحديث اختلاف كبير في أسانيده حتى حكم عليه بعض العلماء بالضعف والاضطراب، قال الدارقطني في العلل (٩٧٣): ليس فيها صحيح وكلها مضطربة. اهـ. وقال ابن خزيمة: ليس يثبت من هذه الأخبار شيء. اهـ. وقال البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٦٤٤): وقد روي من أوجه أخرى، وكلها ضعيف. اهـ. وقال الذهبي في الميزان: هذا حديث عجيب غريب. اهـ.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (١٥٠٦)، ومسدد في مسنده كما في المطالب العالية (١٥/ ٧٧٢)، وابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٣٤)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٩٨)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٥٤) من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري، عن سعيد بن المسيب، عن عمر رضي الله عنه به، وسعيد عن عمر منقطع على الراجح.

قال القاضي أبو محمد: فيشبه أن قول النبي ﷺ: «لضر نزل به» إنما يريد ضرر الدنيا كالفقر والمرض ونحو ذلك، ويبقى تمني الموت مخافة فساد الدين مباحاً، ويدلك على هذا قول النبي ﷺ: «يأتي على الناس زمان يمر فيه الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه، ليس به الدين، لكن ما يرى من البلاء والفتن»[١].

قال القاضي أبو محمد: فقوله: «ليس به الدين» يقتضي إباحة ذلك أن لو كان عن الدين، وإنما ذكر رسول الله ﷺ حالة الناس كيف تكون.

وقوله: ﴿ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ قيل: ﴿مِنَ﴾ للتبعيض وقيل: لبيان الجنس، وكذلك في قوله: ﴿مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ والمراد بقوله: ﴿ٱلْأَحَادِيثِ﴾: الأحلام، وقيل: قصص الأنبياء والأمم.

وقوله: ﴿فَاطِرَ﴾ منادى، وقوله: ﴿أَنتَ وَلِىِّۦ﴾ أي: القائم بأمري الكفيل بنصرتي ورحمتي.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ الآية / ، ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من قصة يوسف، وهذه الآية تعريض لقريش وتنبيه على آية صدق محمد، وفي ضمن ذلك الطعن على مكذبيه، والضمير في ﴿لَدَيْهِمْ﴾ عائد إلى إخوة يوسف، وكذلك الضمائر إلى آخر الآية، و﴿أَجْمَعُوٓاْ﴾ معناه: عزموا وجزموا، والأمر هنا هو إلقاء يوسف في الجب. [٣/ ٨٦]

والمكر: هو أن تدبر على الإنسان تدبيراً يضره ويؤذيه، والخديعة هي أن تفعل بإنسان أو تقول له ما يوجب أن يفعل هو فعلاً فيه عليه ضرر، وحكى الطبري: «عن أبي عمران الجوني أنه قال: والله ما قص الله نبأهم ليعيِّرهم بذلك، إنهم لأنبياء من أهل الجنة، ولكن قص الله علينا نبأهم لئلا يقنط عبده»[٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧١١٥)، ومسلم (١٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٢٨٢).

قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٠٧ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾.

هاتان الآيتان تدلان أن الآية التي قبلهما فيها تعريض لقريش ومعاصري محمد عليه السلام، كأنه قال: فإخبارك بالغيوب دليل قائم على نبوتك، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وإن كنت أنت حريصاً على إيمانهم، أي: إنما يؤمن من شاء الله.

وقوله: ﴿وَلَوۡ حَرَصۡتَ﴾ اعتراض فصيح.

وقوله: ﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ﴾ الآية، توبيخ للكفرة وإقامة الحجة عليهم، أي: ما أسفههم في أن تدعوهم إلى الله دون أن تبغي منهم أجراً فيقول قائل: بسبب الأجر يدعوهم.

وقرأ مبشر بن عبيد: (و ما نسألهم) بالنون[(١)].

ثم ابتدأ الله تعالى الإخبار عن كتابه العزيز أنه ذكر وموعظة لجميع العالم نفعنا الله به ووفر حظنا منه بعزته.

وقرأت الجماعة: ﴿وَكَأَيِّن﴾ بهمز الألف وشد الياء، قال سيبويه: هي كاف التشبيه اتصلت بـ«أي»، ومعناها معنى «كم» في التكثير، وقرأ ابن كثير: ﴿وكائن﴾ بمد الألف وهمز الياء، وهو من اسم الفاعل من كان، فهو كائن، ولكن معناه معنى «كم» أيضاً، وقد تقدم استيعاب القراءات في هذه الكلمة في قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ﴾ [آل عمران: ١٤٦][(٢)].

والآية هنا: المخلوقات المنصوبة للاعتبار، والحوادث الدالة على الله سبحانه في مصنوعاته.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٢٥٢).

(٢) وانظر ما يتعلق بها في موضعه.

ومعنى ﴿يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا﴾ الآية، أي: إذا جاء منها ما يحس أو يعلم في الجملة لم يتعظ الكافر به، ولا تأمله ولا اعتبر به بحسب شهواته وعمهه، فهو لذلك كالمعرض، ونحو هذا المعنى قول الشاعر:

[الطويل] تَمُرُّ الصَّبَا صُبحاً بِسَاكِنِ ذِي الغَضَى وَيَصْدَعُ قَلْبِي أَنْ يَهُبَّ هُبُوبُهَا[١]

وقرأ السدي: (والأرضَ) بالنصب، بإضمار فعل، والوقف على هذا في ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

وقرأ عكرمة وعمرو بن فائد: (والأرضُ) بالرفع على الابتداء[٢]، والخبر قوله: ﴿يَمُرُّونَ﴾ وعلى القراءة بخفض ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ فـ﴿يَمُرُّونَ﴾ نعت للآية.

وفي مصحف عبد الله: (والأرض يمشون عليها)[٣].

وقوله: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم﴾ الآية، قال ابن عباس: هي في أهل الكتاب الذين يؤمنون بالله ثم يشركون من حيث كفروا بنبيه، أو من حيث قالوا: «عزير ابن الله، والمسيح ابن الله»[٤]، وقال عكرمة ومجاهد وقتادة وابن زيد: «هي في كفار العرب، وإيمانهم هو إقرارهم بالخالق والرازق والمميت، فسماه إيماناً وإن أعقبه إشراكهم بالأوثان والأصنام، فهذا الإيمان لغوي فقط من حيث هو تصديقٌ ما»[٥]، وقيل: هذه الآية نزلت بسبب قول قريش في الطواف والتلبية: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك.

روي أن النبي ﷺ كان إذا سمع أحدهم يقول: «لبيك لا شريك لك»، يقول له: «قط قط»، أي: قف هنا ولا تزد: «إلا شريك هو لك»[٦].

---

(١) البيت لإبراهيم بن العباس كما في ديوان المعاني (١/ ٢٧٤)، والصناعتين (ص: ٩)، ونسبه في سمط اللآلي (١/ ٦٤١) لقيس بن معاذ، وفي الأغاني (٢/ ٧٨)، والتذكرة الحمدونية (٦/ ١٨٦) لقيس بن الملوّح المجنون، وفي أحمد٣ والمطبوع: «صفحا»، بدل «صبحا».

(٢) وهما شاذتان، انظر: المحتسب (١/ ٣٤٩)، ومختصر الشواذ (ص: ٧٠).

(٣) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (١/ ٣٥٠).

(٤) أخرجه الطبري (١٩٩٦٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٢٨٨)، وتفسير ابن ابي حاتم (٧/ ٢٢٠٧).

(٦) أخرجه مسلم (١١٨٥) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

والغاشِيَة: ما يغشي ويغطي ويغم.

وقرأ أبو حفص مبشر بن عبيد: (يأتيهم الساعة بغتة) بالياء[١].

و﴿بَغۡتَةً﴾ معناه: فجأة، وذلك أصعب، وهذه الآية من قوله: ﴿وَكَأَيِّن﴾ وإن كانت في الكفار بحكم ما قبلها، فإن العصاة يأخذون من ألفاظها بحظ، ويكون الإيمان حقيقة[٢] والشرك لغويّاً كالرياء، فقد قال عليه السلام: «الرياء: الشرك الأصغر»[٣].

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ الآية، إشارة إلى دعوة الإسلام والشريعة بأسرها.

قال ابن زيد: «المعنى: هذا أمري وسنتي ومنهاجي»[٤].

وقرأ ابن مسعود: (قل هذاسبيلي)[٥].

والسبيل: المسلك، وتؤنث وتذكَّر، وكذلك الطريق.

و﴿بَصِيرَةٍ﴾: اسم لمعتقد الإنسان في الأمر من الحق واليقين، والبصيرة أيضاً في كلام العرب: الطريقة من الدم، وفي الحديث المشهور: «تنظر في النصل فلا ترى

---

(١) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٢٥٢)، وفي الأصل والحمزوية: «بن عبدالله»، وفي التركية: «بن عبيد الله»، وفي المطبوع: «بشر».

(٢) «حقيقة»: ساقطة من المطبوع.

(٣) روي هذا الحديث عن محمود بن لبيد وشداد بن أوس، أما حديث محمود بن لبيد فاختلف فيه، فقيل: عنه، أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨ رقم ٢٣٦٣١) والبيهقي في الشعب (٦٨٣١) من حديث عاصم ابن عمر عن قتادة عن محمود بن لبيد مرفوعاً. وهذا هو المحفوظ.
وقيل: عنه عن رافع بن خديج، أخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ٢٥٣) من رواية: عبد الله بن شبيب، وهو واهٍ، فهي زيادة منكرة، ومحمود بن لبيد صحابي صغير، حديثه مرسل صحيح.
وأما حديث شداد بن أوس فمن حديث عمارة بن غزية حدثني يعلى بن شداد بن أوس عن أبيه، وإسناده لا بأس به.

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٢٩٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٩).

(٥) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٦/ ٣٣٣)، وفي الأصل: «هذه»، والتصحيح من بقية النسخ.

بصيرة»[١]، وبها فسر بعض الناس قول الأسعر[٢] الجعفي:

[الكامل] حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ وَبَصِيرَتِي يَعْدُو بِهَا عَتَدٌ وَأَى[٣]

يصف قوماً باعوا دم وليهم فكأن دمه حصلت منه طرائق على أكتافهم إذ هم موسومون عند الناس ببيع ذلك الدم.

قال القاضي أبو محمد: ويجوز أن تكون البصيرة في بيت الأسعر على المعتقد الحق، أي: جعلوا اعتقادهم طلب الثأر وبصيرتهم في ذلك وراء ظهورهم، كما تقول: طرح فلان أمري وراء ظهره.

وقوله: ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ يحتمل أن يكون تأكيداً للضمير في ﴿أَدۡعُوٓاْ﴾ [ويحتمل أن تكون الأمة كلها أمَّارة بالمعروف داعية إلى الله الكفرةَ به والعصاة.

﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾][٤] تنزيه لله، أي: وقل: سبحان الله، وقل متبرئاً من الشرك، وروي أن هذه الآية: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ إلى آخرها كانت مرقومة على رايات يوسف عليه السلام.

قوله عز وجل ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝١٠٩ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١١٠﴾.

هذه الآية تتضمن الرد على مستغربي إرسال الرسل من البشر، كالطائفة التي قالت: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ / بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ [الإسراء: ٩٤]، وكالطائفة التي اقترحت ملكاً وغيرها. [٣/ ٨٧]

(١) أصل الحديث أخرجه البخاري (٥٠٥٨)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية: «الأشعر» في الموضعين، وفي نجيبويه: «الأصعري»، وهو شاعر مشهور.

(٣) تقدم في تفسير الآية (١٠٣) من سورة الأنعام.

(٤) ساقط من نجيبويه، وفي المطبوع: «الآية»، بدل «الأمة».

وقرأ الجمهور: ﴿يوحَى إليهم﴾ بالياء وفتح الحاء، وهي قراءة عاصم في رواية أبي بكر، وقرأ في رواية حفص: ﴿نُّوحِىٓ﴾ بالنون وكسر الحاء، وهي قراءة أبي عبد الرحمن وطلحة[١].

والْقُرى: المدن، وخصصها دون القوم المنتوين ـ أهلِ العمود ـ فإنهم في كل أمة أهل جفاء وجهالة مفرطة، قال ابن زيد: «أَهْلُ الْقُرى أعلم وأحلم من أهل العمود»[٢].

[قال القاضي أبو محمد: فإنهم قليلٌ نبلُهم ولم ينشئ الله فيهم رسولاً قط][٣].

وقال الحسن: لم يبعث الله رسولاً قط من أهل البادية، ولا من النساء، ولا من الجن[٤].

قال القاضي أبو محمد: والتبدي مكروه إلا في الفتن وحين يفر بالدين، كقوله ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً»[٥] الحديث، وفي ذلك أذن رسول الله ﷺ لسلمة ابن الأكوع[٦]، وقد قال ﷺ: «لا تعرُّب في الإسلام»[٧]، وقال: «من بدا جفا»[٨].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٠).

(٢) البحر المحيط (٦/ ٣٣٤)، ونسبه لقتادة في تفسير الطبري (١٦/ ٢٩٣).

(٣) ما بين معقوفين ساقط من الأصل والحمزوية.

(٤) تفسير الماوردي (٣/ ٨٨)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٣١٣).

(٥) أخرجه البخاري (١٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٦) صحيح أخرجه البخاري (٧٠٨٧) عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الحَجَّاجِ فَقَالَ: يَا ابْنَ الأَكْوَعِ، ارْتَدَدْتَ عَلَى عَقِبَيْكَ، تَعَرَّبْتَ؟ قَالَ: لا، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «أَذِنَ لِي فِي البَدْوِ» وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ، قَالَ: «لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، خَرَجَ سَلَمَةُ بْنُ الأَكْوَعِ إِلَى الرَّبَذَةِ، وَتَزَوَّجَ هُنَاكَ امْرَأَةً، وَوَلَدَتْ لَهُ أَوْلاداً، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا، حَتَّى قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِلَيَالٍ، فَـنَـزَلَ المَدِينَةَ.

(٧) منكر، أخرجه الحارث ابن أبي أسامة في «مسنده» كما في «المطالب العالية» (٩/ ٤٣١) من طريق: إسماعيل بن عياش عن حرام بن عثمان عن أبي عتيق عن جابر قال: إن رسول الله قال: «لا تعرب بعد الهجرة، ولا هجرة بعد الفتح»، وحرامٌ هذا: منكرُ الحديث كما قال البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ١٠١) وأجمعوا على إسقاطه.

(٨) له وجهان عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهما، وفي ثبوته بهما نظر، أما حديث ابن عباس رضي الله عنهما، فتفرد به الثوري وشك في رفعه، وشيخه فيه لا يعرف، فأخرجه ابن أبي شيبة في =

وروى عنه معاذ بن جبل أنه قال: «الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية، فإياكم والشعاب، وعليكم بالمساجد والجماعات والعامة»[(١)].

= المصنف (١٢/ ٣٣٦) وأبو داود (٢٨٦١) والترمذي (٢٢٥٦) والنسائي (٣/ ١٥٤ مجتبى) من طريق: سفيان، عن أبي موسى، عن وهب بن منبه، عن ابن عباس به مرفوعاً. وعند أبي داود زيادة: وقال مرة سفيان: ولا أعلمه إلا عن النبي ﷺ. اهـ. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من حديث ابن عباس لا نعرفه إلا من حديث الثوري .اهـ. كما في تحفة الأشراف (٦٥٣٩)، وهو في المعجم الكبير (١١/ ٥٦) وفيه: سفيان عن أبي موسى اليماني عن وهب بن منبه عن ابن عباس رفعه، وأبو موسى هذا مجهول، قاله ابن القطان، كما في تهذيب التهذيب (١٢/ ٢٥٢).

وقد رواه عبد الله بن سلمة الأفطس قال حدثنا سفيان الثوري عن أيوب بن موسى عن طاوس عن ابن عباس به مرفوعاً، أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ١٧٥) وقال: لم يرو هذا الحديث عن سفيان عن أيوب بن موسى إلا عبد الله بن سلمة تفرد به القواريري، ورواه أبو نعيم والناس عن سفيان عن أبي موسى اليماني.اهـ.

وأما حديث أبي هريرة فاختلف في إسناده، فرواه إسماعيل بن زكريا، عن الحسن بن الحكم النخعي، عن عدي ابن ثابت، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، مرفوعاً، أخرجه أحمد (١٤/ ٤٣٠) وغيره، وهذا لم يروه هكذا عن الحسن إلا إسماعيل كما قال غير واحد، وهو غير محفوظ، وكأنه سلك الجادة.

ورواه غير إسماعيل عن الحسن بن الحكم، عن عدي بن ثابت، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة مثله، وهذا أخرجه أحمد (١٥/ ٤٢٧) وأبو داود (٢٨٦٢) وغيرهما، قال أبو حاتم كما في العلل (٢٢٣٠): وهو أشبه، وقال البيهقي في شعب الإيمان: (٧/ ٤٨) هذا هو المحفوظ، وذكر الدارقطني جماعة ممن رواه على الوجه الأخير كما في علله (٨/ ٢٤٠).

ورواه شريك بن عبد الله عن الحسن بن الحكم عن عدي ابن ثابت عن البراء رفعه. وهو خطأ من شريك، وكأن البخاري لم يره محفوظاً كما قاله الترمذي في ترتيب القاضي للعلل الكبير (٦١٠) وعارضه بالطريقين السابقين عن الحسن بن الحكم، والحسن وثقه جماعة ووصفه ابن حبان بكثرة الخطأ وأنه لا يقبل ما يتفرد به، وعدي وصفه شعبة بأنه كان من الرفاعين، يعني يرفعون الموقوف، ولم يسم شيخه، ولا يُدرى هل قصد بنسبته أنصاري أنه صحابي أم قد يكون من نسل الأنصار، فنسبه إليهم.

(١) له إسنادان، الأول مضطرب، والثاني محتمل قد صححه بعضهم، روي من حديث معاذ، ومن حديث أبي الدرداء مختصراً.

أما حديث معاذ فأخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٣٢ رقم ٢٢٠٣٠) وغيره من طريق: سعيد عن قتادة حدثنا العلاء بن زياد عن معاذ بن جبل مرفوعاً، وفي (٥/ ٢٣٤ رقم ٢٢١٠٧) من طريق: عبد الوارث حدثنا عمر بن إبراهيم حدثنا قتادة عن العلاء بن زياد عن رجل حدثه يثق به عن معاذ =

قال القاضي أبو محمد: ويعترض هذا ببدو يعقوب، وينفصل عن ذلك بوجهين: أحدهما: أن ذلك البدولم يكن في أهل عمود بل هو بتقرٍّ[1] في منازل وربوع.

= ابن جبل عن رسول الله ﷺ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ١٦٤)عن بكر بن سهل الدمياطي ثنا عبد الله بن صالح حدثني يحيى بن أيوب عن عبد الله بن حر عن القاسم عن العلاء ابن زياد عن معاذ بن جبل مرفوعاً، والبيهقي في الشعب (٣/ ٥٧) من طريق: محمد بن إسحاق ثنا عفان بن مسلم ثنا حماد بن سلمة ثنا برد أبو العلاء عن عطية رجل من أهل الشام عن حزام عن معاذ بن جبل من قوله موقوفاً.

وأما حديث أبي الدرداء رضي الله عنه فأخرجه أبو داود (٥٤٧) والنسائي في الكبرى (١/ ٢٩٦) وابن خزيمة (١٤٨٦) وابن حبان (٢١٠١) والحاكم (١/ ٢١١) فهو من طريق: زائدة بن قدامة عن السائب بن حبيش الكلاعي عن معدان عن أبي طلحة اليعمري عن أبي الدرداء مرفوعاً بلفظ: «ما من ثلاثة نفر في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية»، والحديث هذا مداره، والسائب بن حبيش شامي كلاعي لم يرو عنه إلا زائدة بن قدامة، وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه: السائب بن حبيش ما أعلم حدث عنه إلا زائدة. قلت له: هو ثقة؟ قال: لا أدري.اهـ. العلل ومعرفة الرجال (٣/ ١١٠) والجرح (٤/ ٢٤٤).

وقال البرقاني: سألت الدارقطني عن السائب بن حبيش، فقال: من أهل الشام، صالح الحديث، حدث عنه زائدة، ولا أعلم حدث عنه غيره.اهـ(٢١٣)، وقال الحاكم بعد أن أخرج الحديث: «وقد عرف من مذهب زائدة أنه لا يحدث إلا عن الثقات».اهـ.

ولعل مستند الحاكم في هذا قول أحمد بن صالح العجلي في «معرفة الثقات» (١/ ٣٦٧): «زائدة بن قدامة ثقفي، كنيته أبو الصلت، كوفي ثقة، لا يحدث أحداً حتى يسأل عنه، فإن كان صاحب سنة حدثه، وإلا لم يحدثه، وكان قد عرض حديثه على سفيان الثوري، وروى عنه الثوري»، وقول ابن حبان في مشاهير علماء الأمصار (١/ ٢٦٩): «كان من الحفاظ المتقنين، وكان لا يعد السماع حتى يسمعه ثلاث مرات، وكان لا يحدِّث أحداً حتى يشهد له عدلان أنه من أهل السنة»، لكن أولاً: العبارتان تتحدثان عمن يحدثهم زائدة لا من يحدث هو عنهم، ولا يدرى هل يصنع ذلك في الحالة الثانية أيضاً، الظاهر نعم لأن الاحتياط في السماع أولى من التحديث، ثانياً: ظاهر هذين القولين أن زائدة كان يسأل عن الاعتقاد، فيشترط أن يكون الراوي من أهل السنة لا من أهل البدع، وتبقى عدالة الرواية المشتملة على الضبط، فلم تتعرض العبارتان له، فلا تقتضيان حينئذٍ إثبات العدالة الاصطلاحية، وإن كانت ترفع الجهالة وتثبت الاستقامة إجمالاً بموجب السؤال عنه ومعرفة الناس له بأنه سُني. والله تعالى أعلم

(١) في نجيبويه: «متقرر».

والثاني: أنه إنما جعله بدواً بالإضافة إلى مصر كما هي بنات الحواضر بدو بالإضافة إلى الحواضر.

ثم أحالهم على الاعتبار في الأمم السالفة في أقطار الأرض التي كذبت رسلها فحاق بها عذاب الله، ثم حض على الآخرة والاستعداد لها والاتقاء من الموبقات فيها، ثم وقفهم موبخاً بقوله: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ﴾ زيادة في وصف إنعامه على المؤمنين، أي: عذب الكفار ونجى المؤمنين، ولدار الآخرة أحسن لهم.

وأما إضافة الدار إلى الْآخِرَةِ، فقال الفراء: هي إضافة الشيء إلى نفسه[1]، كما قال الشاعر:

[الطويل] فإنَّـك لَـو حلَلْـتَ دِيَـارَ عَبْـسٍ عَـرَفْـتَ الـذُّلَّ عِرْفَـانَ اليَـقِينِ[2]

وفي رواية: فلو أقوت عليك ديار... إلخ.

وكما يقال: مسجد الجامع، ونحو هذا، وقال البصريون: هذه على حذف مضاف تقديره: ولدار الحياة الآخرة أو المدة الآخرة[3].

قال القاضي أبو محمد: وهذه الأسماء التي هي للأجناس كمسجد وثوب وحق وجبل ونحو ذلك إذا نطق بها الناطق لم يُدْرَ ما يريد بها، فتضاف إلى معرَّفٍ مخصِّصٍ للمعنى المقصود، فقد تضاف إلى جنس آخر كقولك: ثوبُ خَزٍّ، وجبل تراب، وقد تضاف إلى صفة كقولك: مسجد الجامع وحق اليقين، وقد تضاف إلى اسم خاص كقولك: جبل أحد، ونحوه.

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٥٥).

(٢) البيت في معاني القرآن للفراء (٢/ ٥٦)، وتفسير الطبري (١٦/ ٢٩٥)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢٦٤)، بلا نسبة، بالرواية الثانية.

(٣) إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢١٦).

وقرأ الحسن والأعرج والأعمش وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وعلقمة: ﴿يعقلون﴾ بالياء، واختلف عن الأعمش، قال أبو حاتم: قراءة العامة: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالتاء من فوق[١].

ويتضمن قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أن الرسل الذين بعثهم الله من أهل القرى دعوا أممهم فلم يؤمنوا بهم حتى نزلت بهم المثلات، صاروا في حيز من يعتبر بعاقبته، فلهذا المضمَّن حسن أن تدخل ﴿حَتَّىٰ﴾ في قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والحسن وعائشة بخلاف، وعيسى وقتادة ومحمد بن كعب والأعرج وأبو رجاء وابن أبي مليكة: ﴿كُذِّبُوا﴾ بتشديد الذال وضم الكاف.

وقرأ الباقون: ﴿كُذِبُوا﴾ بضم الكاف وكسر الذال وتخفيفها، وهي قراءة علي ابن أبي طالب وأبيّ بن كعب وابن مسعود وابن عباس ومجاهد وطلحة والأعمش وابن جبير ومسروق والضحاك وإبراهيم وأبي جعفر، ورواها شيبة بن نصاح عن القاسم عن عائشة[٢].

وقرأ مجاهد والضحاك وابن عباس وعبد الله بن الحارث بخلاف عنهم: (كَذَبوا) بفتح الذال والكاف[٣].

فأما الأولى فتحتمل أن يكون الظن بمعنى اليقين، ويكون الضمير في ﴿وَظَنُّوا﴾ وفي: ﴿كذِّبوا﴾ للرسل، ويكون المكذِّبون مشركي مَن أُرسل إليه، المعنى: وتيقن الرسل أن المشركين[٤] كذَّبوهم وصمموا على ذلك، وأن لا انحراف عنه، ويحتمل أن

---

(١) فيه تخليط، وهما سبعيتان، نافع وعاصم وابن عامر بالتاء والباقون بالياء، انظر: التيسير (ص: ١٣٠).

(٢) وهما سبعيتان، التخفيف للكوفيين، وشدد الباقون، انظر: السبعة (ص: ٣٥٢)، والتيسير (ص: ١٣٠).

(٣) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٥٠)، ومختصر الشواذ (ص: ٧٠).

(٤) كتبت في المطبوع: «المشكرين»، خطأ.

يكون الظن على بابه، والضميران للرسل، والمكذبون مؤمنو من أرسل إليه، أي: مما طالت المواعيد حَسِبَ الرسل أن المؤمنين أولاً قد كذَّبوهم وارتابوا بقولهم.

وأما القراءة الثانية وهي ضم الكاف وكسر الذال وتخفيفها فيحتمل أن يكون المعنى: حتى إذا استيأس الرسل من النصر أو من إيمان قومهم ـ على اختلاف تأويل المفسرين في ذلك ـ وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كَذَبوهم فيما ادعوه من النبوءة، أو فيما توعدوهم به من العذاب، لما طال الإمهال واتصلت العافية، فلما كان المرسل إليهم على هذا التأويل مكذوبين، بني الفعل للمفعول في قوله: ﴿كُذِبُواْ﴾ هذا مشهور قول ابن عباس وابن جبير[(١)].

وأسند الطبري: «أن مسلم بن يسار قال لسعيد بن جبير: يا أبا عبد الله، آية بلغت مني كل مبلغ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾ [فهذا هو الموت أن تظن الرسل أنهم قد كذبوا][(٢)] مخففة، فقال له ابن جبير: يا أبا عبد الرحمن إنما يئس الرسل من قومهم أن يجيبوهم، وظن قومهم أن الرسل كَذَبتهم، فحينئذ جاء النصر، فقام مسلم إلى سعيد فاعتنقه وقال: فرجت عني فرج الله عنك»[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: فرضي الله عنهم كيف كان خلقهم في العلم، وقال بهذا التأويل في هذه القراءة ابنُ مسعود[(٤)]، ومجاهد[(٥)]، ورجح أبو علي الفارسي هذا

---

(١) حسن أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٠٠٢١) من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فذكره.

(٢) ساقط من نور العثمانية وأحمد٣، و«الموت»: ساقطة من المطبوع.

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٢٩٨) بتصرف.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٣٠٣) من طريق: محمد بن فضيل، عن جحش بن زياد الضبي، عن تميم بن حذلم، قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول في هذه الآية. وجحش لم يوثق توثيقاً معتبراً.

(٥) تفسير الطبري (١٦/ ٣٠٢)، وتفسير الماوردي (٣/ ٨٩).

التأويل[١]، وقال: إن رد الضمير في ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ وفي ﴿كُذِبُواْ﴾ على المرسل إليهم ـ وإن كان لم يتقدم لهم ذكر صريح ـ جائز لوجهين:

أحدهما: أن ذكر الرسل يقتضي ذكر مرسل إليه.

والآخر: أن ذكرهم قد أشير إليه في قوله: ﴿عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ﴾، وتحتمل هذه القراءة أيضاً أن يكون الضمير في ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ وفي ﴿كُذِبُواْ﴾ عائد على الرسل، والمعنى: كَذَبهم مَن أخبرهم عن الله، والظن على بابه ـ وحكى هذا التأويل قوم من أهل العلم ـ والرسل بشر فضعفوا وساء ظنهم، قاله ابن عباس[٢] وابن مسعود أيضاً، وابن جبير، وقال: ألم يكونوا بشراً؟[٣].

وقال ابن مسعود لمن سأله عن هذا: «هو الذي تكره»[٤].

وردَّت هذا التأويل عائشة أم المؤمنين[٥] وجماعة من أهل العلم، وأعظموا أن توصف الرسل بهذا، وقال أبو علي الفارسي: «هذا غير جائز على الرسل»[٦].

(١) الهداية (٥/ ٣٦٥٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٣٠٥) من طريق: ابن جريج أخبرني ابن أبي مليكة، قال: قرأ ابن عباس: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾، قال: كانوا بشراً ضعفوا ويئسوا، و(١٦/ ٣٠٦) من طريق: إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كانوا بشراً قد ظنوا، وهو مخرج في صحيح البخاري (٤٥٢٤) دون هذه الألفاظ، ومعه رد عائشة، كما سيأتي عنها قريباً.

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٣٠٦).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٣٠٥) من طريق: الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عنه، وإسناده صحيح لولا عنعنة الأعمش.

(٥) أخرجه البخاري (٣٣٨٩) (٤٥٢٤) (٤٦٩٥) من طريق: ابن جريج قال: سمعت ابن أبي مليكة يقول: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾ خفيفة ذهب بها هناك وتلا: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ فلقيت عروة ابن الزبير فذكرت له ذلك فقال: قالت عائشة: معاذ الله، والله ما وعد الله رسوله من شيء قط إلا علم أنه كائن قبل أن يموت، ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن يكون من معهم يكذبونهم، فكانت تقرؤها: ﴿وظنوا أنهم قد كذِّبوا﴾ مثقلة.

(٦) انظر: الحجة لأبي علي (٤/ ٤٤٣).

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو الصواب، وأين العصمة والعلم؟

وأما القراءة الثالثة وهي فتح الكاف والذال فالضمير في ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ للمرسل إليهم، والضمير في (كَذَبوا) للرسل / ، ويحتمل أن يكون الضميران للرسل، أي: ظن [٣/ ٨٨] الرسل أنهم قد كَذَبوا من حيث نقلوا الكذب وإن كانوا لم يتعمدوه، فيرجع هذا التأويل إلى المعنى المردود الذي تقدم ذكره.

وقوله: ﴿جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ أي: بتعذيب أممهم الكافرة، ثم وصف حال مجيء العذاب في أنه ينجي الرسل وأتباعهم، وهم الذين شاء رحمتهم، ويحل بأسه بالمجرمين الكفرة.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿فَنُنْجِيْ﴾ بنونين، من أنجى.

وقرأ الحسن: (فنُنَجّي) النون الثانية مفتوحة، وهو من نجى ينجّي[١].

وقرأ أبو عمرو أيضاً وقتادة: (فنجِّيْ) بنون واحدة وشد الجيم وسكون الياء، فقالت فرقة: إنها كالأولى أدغمت النون الثانية في الجيم، ومنع بعضهم أن يكون هذا موضع إدغام لتنافر النون والجيم في الصفات لا في المخارج، وقال: إنما حذفت النون في الكتاب لا في اللفظ، وقد حكيت هذه القراءة عن الكسائي ونافع[٢].

وقرأ عاصم وابن عامر: ﴿فَنُجِّيَ﴾ بفتح الياء على وزن فُعِّل[٣].

وقرأت فرقة: (فنُنْجِيَ) بنونين وفتح الياء، رواها هبيرة عن حفص عن عاصم[٤]، وهي غلط من هبيرة.

وقرأ ابن محيصن ومجاهد: (فنَجَا) فعل ماض بتخفيف الجيم، وهي قراءة نصر ابن عاصم والحسن بن أبي الحسن وابن السميفع وأبي حيوة[٥].

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٢٥٣).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها لهم في البحر المحيط (٦/ ٣٣٦)، وانظر جامع البيان للداني (٣/ ١٢٣٨).

(٣) هذه والأولى سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٣٥٢).

(٤) انظر رواية هبيرة وتغليطها في السبعة (ص: ٣٥٢).

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها للكل في البحر المحيط (٦/ ٣٣٦)، وإلا أبا حيوة في الشواذ للكرماني (ص: ٢٥٣).

قال أبو عمرو الداني: وقرأت لابن محيصن: (فنجَّى) بشد الجيم[١] على: معنى فنجَّى النصر.

والبأس: العذاب.

وقرأ أبو حيوة: (من يشاء) بالياء[٢].

وجاء الإخبار عن هلاك الكافرين بقوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ الآية، إذ في هذه الألفاظ وعيد بين، وتهديد لمعاصري محمد ﷺ.

وقرأ الحسن: (بأسه)، بالهاء[٣].

قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾.

الضمير في ﴿قَصَصِهِمْ﴾ عام ليوسف وأبويه وإخوته وسائر الرسل الذين ذكروا على الجملة، ولما كان ذلك كله في القرآن قال عنه: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ فإذا تأملت قصة يوسف ظهر أن في غرائبها وامتحان الله فيها لقوم في مواضع، ولطفه لقوم في مواضع، وإحسانه لقوم في مواضع، معتبراً لمن له لب وأجاد النظر، حتى يعلم أن كل أمر من عند الله وإليه.

وقوله: ﴿مَا كَانَ﴾ صيغة منع، وقرينة الحال تقتضي أن البرهان يقوم على أن ذلك لا يفترى، وذلك بأدلة النبوءة وأدلة الإعجاز.

والحديث هنا واحد الأحاديث، وليس للذي هو خلاف القديم هاهنا مدخل.

ونصب ﴿تَصْدِيقَ﴾ إما على إضمار معنى كان، وإما على أن تكون (لكِنْ) بمعنى «لكنَّ» المشددة.

---

(١) انظر ما قاله الداني في البحر (٦/ ٣٣٦)، وعزاها في الشواذ للكرماني (ص: ٢٥٣) لابن السميفع.

(٢) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (٦/ ٣٣٧).

(٣) وهي شاذة، مخالفة للرسم، تابعه عليها في البحر المحيط (٦/ ٣٣٧).

وقرأ عيسى الثقفي: (تصديقُ) بالرفع[1]، وكذلك كل ما عطف عليه، وهذا على حذف المبتدأ، التقدير: هو تصديق. وقال أبو حاتم: النصب على تقدير: ولكن كان، والرفع على: ولكن هو، ويُنشَد بيت ذي الرمة بالوجهين:

[الطويل]

وما كانَ مالِي مِنْ تُرَاثٍ وَرِثْتُهُ ... وَلا ديةٍ كانتْ ولا كَسْبِ مَأْثَمِ

ولكِنْ عطاءُ اللهِ مِنْ كُلِّ رِحْلَةٍ ... إِلى كُلِّ محْجُوبِ السُّرادِقِ خِضْرِمِ[2]

رفع «عطاء الله»، والنصب أجود.

و﴿ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ هو التوراة والإنجيل.

والضمير في ﴿يَدَيْهِ﴾ عائد على القرآن، وهو اسم كان.

وقوله: ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾ يعني من العقائد والأحكام والحلال والحرام. وباقي الآية بين.

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (١/ ٣٥٠).

(٢) انظر عزو البيتين له في العقد الفريد (١/ ٢٣٢)، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه (١/ ٨٥).

سُورَةُ الرَّعْدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى اللهُ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

سورة الرّعد

هذه السورة مكية، قاله سعيد بن جُبَيْر[1]، وقال قتادة: هي مدنية غير[2] قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ﴾ الآية [٣١]، حكاه الزهراوي، وحكى المهدوي عن قتادة: أن السورة مكية إلا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية [٣١][3].

قال القاضي أبو محمد: وقال النقاش: هي مكية غير آيتين: قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾، وقوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ الْكِتَٰبِ﴾ [٤٣][4]، والظاهر عندي أن المدني فيها كثير، وكل ما نزل في شأْن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة فهو مدني.

---

(١) أخرجه عنه سعيد بن منصور وابن المنذر كما في الدر المنثور (٨/ ٣٥٩)، ونقله مكي في الهداية (٥/ ٣٦٥٩) عنه وعن قتادة.

(٢) في المطبوع زيادة: آيتين، وعلق عليه المحقق بقوله: «هي نفس الآية (٣١)، ولعلَّ من يقول بهذا ـ وهو قتادة ـ يعتبرهما آيتين بخلاف ما في رسم المصحف اليوم»، قلت: فلعل النسخة أصلاً غير صحيحة.

(٣) انظر التحصيل للمهدوي (٣/ ٥٩٤)، وقد أخرجه عن قتادة ابن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر المنثور (٨/ ٣٥٩).

(٤) نقله الثعلبي (٥/ ٢٦٧) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وانظر تفسير السمعاني =

وقيل: السورة مدنية، حكاه مُنْذِر بن سعيد البَلُّوطي، وحكاه مَكِّي[(١)] بن أَبي طالب[(٢)].

قوله عز وجل: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿ الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾.

تقدم القول في فواتح السور وذكر التأْويلات في ذلك، إلا أن الذي يخصُّ هذا الموضع من ذلك هو ما قال ابن عباس رضي الله عنه: إن هذه الحروف هي من قوله: أَنا الله أَعلم وأَرى[(٣)].

ومن قال: إِن حروف أَوائل السُّور هي مثال لحروف المعجم قال: الإشارة هنا بـ﴿تِلْكَ﴾ هي إلى حروف المعجم، ويصح ـ على هذا ـ أن يكون ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ يراد به القرآن، ويصح أن يراد به التوراة والإنجيل، و﴿الٓمٓر﴾ على هذا ابتداءٌ، و﴿تِلْكَ﴾ ابتداءٌ ثان[(٤)]

= (٣/ ٧٥)، والنقاش غير متوفر.

(١) أشار في هامش المطبوع إلى أن في الأصول المخطوطة عندهم: «بكر»، وليست في شيء من النسخ التي عندنا.

(٢) تفسير منذر غير متوفر، ونص كلام مكي في الهداية (٥/ ٣٦٥٩): الرعد: مكية، وقيل: مدنية، قال ابن جبير، ومجاهد: هي مكية، وقال قتادة: هي مدنية إلا آية واحدة، قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، وعنه: إلا قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾، فإنه نزل بمكة.

(٣) لا يصح، أخرج الطبري (١٦/ ٣٢٠) من طريق: هشيم، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، ومن طريق: شريك، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى، كلاهما عن ابن عباس: قوله: (المر) قال: أنا الله أرى، وعند ابن أبي حاتم (٨/ ٤٨٤) من طريق شريك، عن عطاء بن السائب، عن أبي أسيد العجمي، عن ابن عباس. هكذا وقع، والاضطراب فيه من عطاء فقد اختلط، فاختلفوا عليه، والرواة عنه هنا رووا عنه قبل الاختلاط.

(٤) ساقط من المطبوع.

و﴿ءَايَٰتُ﴾ خبر الثاني، والجملة خبر الأول، وعلى قول ابن عباس في ﴿الٓمٓر﴾ يكون ﴿تِلْكَ﴾ ابتداءً، و﴿ءَايَٰتُ﴾ بدلٌ[١] منه، ويصح في ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ التأويلان اللذان تقدما.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾؛ (الَّذِي) رفع بالابتداءِ، و﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبره، وعلى هذا تأْويل من يرى ﴿الٓمٓر﴾ حروف المعجم، و﴿تِلْكَ﴾ و﴿ءَايَٰتُ﴾ ابتداءٌ وخبر، وعلى قول ابن عباس يكون (الذي) عطفاً على ﴿تِلْكَ﴾، و﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبر ﴿تِلْكَ﴾.

وإذا أُريد بـ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن فالمراد بـ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ﴾ جميع الشريعة، ما تضمنه القرآن منها وما لم يتضمنه، ويصح في (الذي) أَن يكون في موضع خفض عطفاً على ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾، فإِن أَردت مع ذلك بـ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآنَ كانت الواو عطف صفة [على صفة][٢] لشيءٍ واحد، كما تقول: جاءَني الظريفُ والعاقل، وأَنت تريد شخصاً واحداً.

ومن ذلك قول الشاعر:

إِلَـى الْمَلِـكِ الْقَرْمِ وابـنِ الهُمَامِ ... ولَيْـثِ الكَتِيبَـةِ فـي الْمُزْدَحَمْ[٣] [المتقارب]

وإِن أَردتَ مع ذلك بـ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ التوراةَ والإِنجيل فذلك بَيِّن، فإِن تأَولت مع ذلك ﴿الٓمٓر﴾ حروف المعجم رفعتَ قوله: ﴿ٱلْحَقُّ﴾ على إِضمار مبتدأ / تقديره: [٣/ ٨٩] هو الحق، وإِن تأَولتها كما قال ابن عباس فـ﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبر ﴿تِلْكَ﴾، ومن رفع الْحَق بإِضمار ابتداءٍ وقف على قوله: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ وباقي الآية ظاهر بيِّن[٤] إِن شاءَ الله.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ الآية، لمَّا تضمن قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

---

(١) مرفوع جوازاً لأنَّ «يكون» استكملت عملها بالخبر الأول، وفي المطبوع: «بدلاً» بالنصب عطفاً على الخبر الأول.

(٢) ساقط من المطبوع وأحمد٣.

(٣) البيت في تفسير الطبري (٣/ ٣٥٣)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ١٠٥)، وخزانة الأدب للبغدادي (١/ ٤٥١) بلا نسبة.

(٤) «بين»: زيادة من نجيبويه ونور العثمانية.

﴿ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ توبيخَ الكفرة عقَّب ذلك بذكر الله الذي ينبغي أن يُوقَن به، وبذكر الأَدلة الداعية إِلى الإِيمان به.

والضمير في قوله: ﴿تَرَوْنَهَا﴾ قالت فرقة: هو عائد على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ فـ﴿تَرَوْنَهَا﴾ على هذا في موضع الحال، وقال جمهور الناس: لا عمد للسماوات البتة[(١)]، وقالت فرقة: الضمير عائد على العَمَد، فـ﴿تَرَوْنَهَا﴾ على هذا صفةٌ للعَمَد، وقالت هذه الفرقة: للسماوات عَمَدٌ غير[(٢)] مرئية، قاله مجاهد وقتادة[(٣)]، وقال ابن عباس: وما يدريك أَنها بِعَمَد لا تُرى[(٤)]، وحكى بعضهم أَن العَمَد جبل قاف المحيط بالأَرض، والسماءُ عليه كالقبة.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله ضعيف، والحق أن لا عَمَد جملة، إِذ العَمَد تحتاج إِلى عَمَد، ويتسلسل الأَمر فلا بُدَّ من وقوفه على القدرة، وهذا هو الظاهر من قوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥]، ونحو هذا من الآيات.

وقال إِياس[(٥)] بنُ معاوية: السَّماءُ مقبية على الأرض مثل القبة[(٦)].

وفي مصحف أُبيٍّ: (تَرَوْنه) بتذكير الضمير[(٧)].

و«الْعَمَدُ» اسمُ[(٨)] جمعِ عمود، والباب في جمعه: عُمُد بضم الحروف الثلاثة،

---

(١) سقطت من المطبوع وأحمد٣.

(٢) ساقطة من نجيبويه.

(٣) نقلهما مكي في الهداية (٥/ ٣٦٦٢).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٣٢٤) من طريق: شريك، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، ويشهد له بمعناه من طريق: معاذ بن معاذ قال: حدثنا عمران بن حدير، عن عكرمة قال: قلت لابن عباس، وقاله قتادة عن ابن عباس مرسلاً.

(٥) في نجيبويه: «أبان».

(٦) أخرجه عنه عبد بن حميد وأبو الشيخ في العظمة كما في الدر المنثور (١/ ١٨١)، ورواه عنه حمّاد بن سلمة كما في تفسير الثعلبي (٥/ ٢٦٨)، وتفسير الطبري (١٦/ ٣٢٥).

(٧) نقل هذه القراءة عنه مكي في الهداية (٥/ ٣٦٦٢).

(٨) في نجيبويه زيادة: «جنس».

كرسول ورُسُل، وشِهابٍ وشُهُب، وغيره، ومن هذه الكلمة قول النابغة:

وخَيِّسِ الجِنَّ إني قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصُّفَّاح والْعُمُدِ[١] [البسيط]

وقال الطبريُّ: «العمَد ـ بفتح العَيْن ـ جمع عمود، كما جُمع الأَديم أَدَماً»[٢].

قال القاضي أبو محمد: وليس كما قال، وفي كتاب سيبويه أَن الأَدَم اسم جمع[٣]، وكذلك نصَّ اللغويون على العَمَد، ولكن أَبا عبيدة ذكر الأَمر غير مُتَيَـقِّنٍ[٤] فاتَّبعه الطبري[٥].

وقرأَ يحيى بن وثَّاب: (بغير عُمُدٍ) بضم العين والميم[٦].

وقوله: ﴿ثُمَّ﴾ هي هنا لعطف الجُمَل لا للترتيب، لأَن الاستواءَ على العرش قبل رفع السماوات، ففي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «كان الله ولم يكن شيءٌ قبله[٧]، وكان عرشه على الماءِ، ثم خلق السماوات والأَرض»[٨].

وقد تقدم القول في كلام الناس في الاستواءِ، واختصارُه: أَن أَبا المعالي رجَّح أَنه اسْتَوى بقهره وغلبته، وقال القاضي ابن الطيب وغيره: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ في هذا الموضع بمعنى: استولى، والاستيلاءُ قد يكون دون قهر، فهذا فرقُ ما بين القولين[٩].

---

(١) انظر: عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٣٢٠)، والأغاني (١١/ ٦)، والحيوان (٦/ ١٨٦) والعين (٤/ ٢٨٨)، وفي المطبوع وأحمد٣: وخبر.

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٣٢٢).

(٣) الكتاب لسيبويه (٣/ ٦٢٥)، وفي نجيبويه: «الأديم».

(٤) في نجيبويه وأحمد٣، ونور العثمانية: «متقن».

(٥) ولفظ أبي عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٣٢٠): والعمد تحرك الحروف بالفتحة، وبعضهم يحركها بالضمة لأنها جميع عمود وهو القياس... غير أنه جاءت أسام منه استعملوا جميعه بالحركة بالفتحة نحو عمود وأديم وإهاب قالوا: أدم وأهب.

(٦) سقط ذكر الميم من المطبوع، وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٢٥٣).

(٧) في المطبوع: «قبل».

(٨) أخرجه البخاري (٣٢٢٧) (٧٥٠٧) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً.

(٩) انظر: تفسير الآية (٢٩) من سورة البقرة.

وقال سفيان: «فعل فعلاً سمَّاه استواءً»[١].

وقال الفراءُ:[٢] ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ في هذا الموضع كما تقول العرب: فعل زيد كذا ثم استوى إِليَّ يكلمني، بمعنى: أَقْبَلَ وقَصَدَ.

وحُكِيَ لي عن أَبي الفضل بن النحوي أنه قال: ﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾ في هذا الموضع مصدر عَرَشَ، فكأَنه أَرَادَ جميع المخلوقات[٣].

وذكر أَبو منصور عن الخليل أَن العَرْش: الملْك[٤]، وهذا يؤيد منزع أَبي الفضل بن النحوي إِذ قال: العرش مصدر، وهذا خلاف ما مشى عليه الناس من أَن الْعَرْش هو أَعظم المخلوقات، وهو الشخص المشهور الذي كان على الماءِ، والذي بين يديه الكرسي، وأَيضاً فيبقى النظر على أَبي الفضل في معنى الاستواءِ قريباً مما هو على قول الجميع.

وفي البخاري عن مجاهد أَنه قال: المعنى: علا على العرش[٥].

قال القاضي أبو محمد: وكذلك هي عبارة الطبري[٦]، والنظر الصحيح يدفع[٧] هذه العبارة.

وقوله: ﴿وَسَخَّرَ﴾ تنبيه على القدرة، و﴿ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ في ضمن ذكرهما ذِكْرُ الكواكب، وكذلك[٨] قال: ﴿كُلّٞ يَجۡرِي﴾، أَي: كل ما هو في معنى الشمس والقمر من

---

(١) نقله عنه أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٦٥)، ونقله الثعلبي (٤/ ٢٣٩) عن أهل الحق من المتكلمين.
(٢) في المطبوع هنا زيادة: رسول الله، ولعله خطأ مطبعي، وانظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٥)، وفيه: «يُشاتمني»، بدل «يكلمني».
(٣) في نجيبويه: «جمع المخلوقات»، وسقطت منها «لي»، وتقدم هذا عنه في تفسير الآية (٥٣) من سورة الأعراف.
(٤) لم أجده في كتب الخليل، ونقله الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٣٩) بلا نسبة.
(٥) صحيح البخاري: باب (٢٢): وكان عرشه على الماء، حديث رقم: (٦٩٨١).
(٦) تفسير الطبري (١٦/ ٣٢٥).
(٧) في المطبوع وأحمد٣، ونور العثمانية: «يرفع».
(٨) في المطبوع وأحمد٣ ونجيبويه: «ولذلك».

التَّسْخير، و«كُلٌّ» لفظة تقتضي الإِضافة ظاهرة أَو مقدرة.

و«الأَجلُ المُسَمَّى» هو انقضاءُ الدنيا وفساد هذه البنية، وقيل: يريد بقوله: ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ الحدود التي لا تتعداها هذه المخلوقات، أَي: تجري على رسوم معلومة.

وقوله: ﴿يُدَبِّرُ﴾ بمعنى: يُبْرم وينفِّذ، وعبَّر بالتدبير تقريباً لأَفهام الناس، إِذ التدبير إِنما هو النظر في أَدبار الأُمور وعواقبها، وذلك من صفة البَشَر.

و﴿ٱلْأَمْرَ﴾ عامٌّ في جميع الأُمور وما ينقضي في كل أَوان في السماوات والأَرضين.

وقال مجاهد: يُدَبِّـرُ معناه: يقضيه وحده[١].

وقرأَ الجمهور: ﴿يُفَصِّلُ﴾ بالياءِ، وقرأَ الحسن بنون العظمة، ورواها الخفاف وعبد الوهاب عن أَبي عمرو، وهبيرة عن حفص[٢].

قال المهدوي: ولم يختلف في ﴿يُدَبِّرُ﴾، وقال أَبو عمرو الداني: إِن الحسن قرأَ: (نفصل)، (وندبر) بالنون فيهما[٣].

والنظر يقتضي أَن قوله: ﴿يُفَصِّلُ﴾ ليس على حدِّ قوله: ﴿يُدَبِّرُ﴾ من تعديد الآيات، بل لمَّا تعددت الآيات وفي جملتها ﴿يُدَبِّرُ[٤] ٱلْأَمْرَ﴾ أَخبر أَنه يُفَصِّلها لعل الكفرة يوقنون بالبعث.

و﴿ٱلْآيَٰتِ﴾ هنا إِشارة إِلى ما ذكر في الآية وبعدها.

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٣٢٧).

(٢) الأولى هي المتواترة، والثانية لهارون عن أبي عمرو والحسن طريق ابن راشد في الكامل للهذلي (ص: ٥٧٧)، ونقلها الكرماني في الشواذ (ص: ٢٥٤)، عن الخراز (كذا، ولعله: الخزاز) عن حفص عن الأعمش، وليس ذلك كله في شيء من طرق التيسير ولا جامع البيان.

(٣) وهي شاذة، وعزوها له هو ظاهر مختصر الشواذ (ص: ٧٠)، وعزاها الهذلي في الكامل (ص: ٥٧٧) للخزاز عن حفص والخفاف عن أبي عمرو، والكرماني في الشواذ (ص: ٢٥٤) لأبان بن تغلب وهارون العتكي عن أبي عمرو. وانظر قول المهدوي في التحصيل (٣/ ٥٦٣).

(٤) في المطبوع: «تدبير».

قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾.

لما فرغت آيات السماءِ ذكرت آيات الأَرض.

وقوله: ﴿مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ يقتضي أَنها بسيطة لا كرة[1]، وهذا هو ظاهر الشريعة، [وقد تترتب لفظة المد والبسط مع التكوير والله أعلم][2].

والرواسي: الجبال الثابتة، يقال: رسا يرسو إِذا ثبت، ومنه قول الشاعر:

[الطويل]
بِـهِ خالـداتٌ مـا يُرَمْـنَ وهَامِـدٌ وأَشْعَث أَرْسَتْهُ الْوَلِيدَةُ بالْفِهْر[3]

والزَّوْجُ في هذه الآية: الصنف والنوع، وليس بالزوج المعروف في المتلازمَيْن الفردين من الحيوان وغيره، ومنه قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦]، ومثل هذه الآية: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق: ٧]، وهذه الآية تقتضي أَن كل ثمرة فموجود
[٣/ ٩٠] / منها نوعان، فإِن اتفق أَنْ يوجد من ثمرة أَكثر من نوعين فغير ضارٍّ في معنى الآية.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿يُغْشِى﴾ بسكون الغين وتخفيف الشين، وقرأَ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أَبي بكر بفتح الغين وشدّ الشِّين[4]، وكفى ذكر الواحد ذكرَ الآخر، [وباقي الآية بيِّن][5].

---

(١) في المطبوع: «كروية»، وفي أحمد٣» «كرية».
(٢) زيادة من الأصل والحمزوية، ونجيبويه، إلا أن فيه: «وقد يترتب لفظ المد» إلخ.
(٣) البيت للأحوص في لسان العرب (١٤/ ٣٢١)، وفي مجاز القرآن (١/ ٣٢١)، والأغاني (٨/ ٣٣٨)، بلا نسبة، وفي نجيبويه: «ما يرين».
(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣١).
(٥) ساقط من نجيبويه.

قال القاضي أبو محمد: ويشبه أَن الأَزواج التي يراد بها الأَنواع والأَصناف والأَجناس إِنما سُمِّيَت بذلك من حيث هي اثنان اثنان [ويقال: إن][١] في كل ثمرة ذَكَراً وأُنثى، وأَشار إِلى ذلك الفراءُ عند المهدوي، وحكى غيره عنه ما يقتضي أَن المعنى تم في قوله: ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، ثم ابتدأَ أَنه جعل في الأَرض من كل ذكر وأُنثى زوجين[٢].

وقوله: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ﴾ [الآية، القِطع][٣]: جمع قطعة، وهي الأَجزاءُ، وقيَّد منها في هذا المثال ما تجاور[٤] وقَرُبَ بعضه من بعض لأن اختلاف ذلك في الأُكُلُ[٥] أَغرب.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَجَنَّٰتٞ﴾ بالرفع، عطفاً على ﴿قِطَعٞ﴾، وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (وجَنَّاتٍ) بالنصب[٦] بِإِضمار فعل، وقيل: هو عطف على ﴿رَوَٰسِيَ﴾.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وحفص عن عاصم: ﴿وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ﴾ بالرفع في الكل عطفاً على ﴿قِطَعٞ﴾، وقرأَ الباقون ﴿وزرعٍ﴾ بالْخَفض في الكل[٧] عطفاً على ﴿أَعۡنَٰبٖ﴾، وجَعَل الجنة من الأَعناب مَنْ رفع «الزَّرع»، والجنة[٨] حقيقةً إنما[٩] هي الأَرض التي فيها الأَعناب، وفي ذلك تَجَوُّز، ومنه قول الشاعر:

كَــأَنَّ عَـيْـنَـيَّ فـي غَـرْبَـيْ مُقَـتَّـلَـةٍ ... مِنَ النَّوَاضِحِ تَسْقِي جَنَّـةً سُحُقَا[١٠] [البسيط]

---

(١) ساقط من المطبوع وأحمد٣.

(٢) انظر: التحصيل للمهدوي (٣/ ٥٥٣).

(٣) ساقط من المطبوع وأحمد٣.

(٤) في الأصل ونور العثمانية ونجيبويه: «جاور».

(٥) في المطبوع: «القُرْب»، وكذا في أحمد٣، إلا أنه تم تصحيحها في الهامش «الأكل».

(٦) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٧٠).

(٧) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣١).

(٨) في المطبوع وأحمد٣: «ومن رفع الزرع فالجنة...» إلخ.

(٩) من المصرية وأحمد٣ ونور العثمانية.

(١٠) البيت لزهير كما في الحجة لأبي علي (٥/ ٦)، وإسفار الفصيح (٢/ ٦٨٤)، والصحاح للجوهري =

أَي: نخيل جنَّة، إِذ لا يوصف بالسُّحُق إِلا النخيل.

ومَنْ خفض «الزرع» فالجنات من مجموع ذلك لا من الزرع وحده، لأَنه لا يقال للمزرعة: جَنَّة، إِلا إِذا خالطها شجرات.

و﴿صِنۡوَانٌ﴾ جمع صِنْو وهو الفرع يكون[1] مع الآخر في أَصل واحد، وربما كان أَكثر من فرعين، قال البراءُ بن عازب: «الصِّنوان: المجتمِع، ﴿وَغَيۡرُ صِنۡوَانٍ﴾: المتفرق فرداً فرداً»[2]، ومنه قول النبي ﷺ: «العَمُّ صِنْوُ الأب»، وروي أَن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أَسرع إِليه العباس رضي الله عنه في ملاحاة، فجاءَ إِلى النبي ﷺ فقال: أَردت يا رسول الله أَن أَقول للعباس فذكرت مكانه منك فسَكَتُّ، فقال رسول الله ﷺ: «يرحمك الله يا عمر، العم صنو الأَب»[3].

[وفي كتاب الزكاة من صحيح مسلم أنه قال: «يا عمر، أما شعرت أن العم صنو الأب»][4].

وجمع الصنو: صنوانٌ، وهو جمع مكسَّر، قال أَبو علي: وكَسْرة الصاد في الواحد ليست التي في الجمع[5]، وهو جار مجرى «فُلْك»، وتقول: صنو وصنوانٌ في الجمع بتنوين النون وإِعرابه.

وقرأَ عاصم في رواية القواس عن حفص: (صُنْوَان) بضم الصاد[6].

= (٥/ ٣٧٢)، وفي الحمزوية: «مثقلة».

(١) في المطبوع: «تكوَّن».

(٢) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (١٦/ ٣٣٧) من طريق: زهير قال: حدثنا أبو إسحاق، عن البراء به نحوه.

(٣) أخرجه مسلم (٩٨٣) بلفظ: «عم الرجل صنو أبيه».

(٤) زيادة من الأصل والحمزوية ونجيبويه، وانظر: صحيح مسلم (٩٨٣).

(٥) الحجة لأبي علي (٥/ ٩).

(٦) انظر: رواية القواس في السبعة (ص: ٣٥٦)، وجامع البيان للداني (٣/ ١٢٤٣)، وزاد أنها رواية المفضل أيضاً.

قال أَبو علي: هو مثل ذِئب وذُؤْبان[١].

قال القاضي أبو محمد: وهي قراءَة ابن مُصَرِّف، وأَبي عبد الرحمن السُّلَمي[٢]، وهي لغة تميم وقيس، وكسر الصَّاد هي لغة أَهل الحجاز.

وقرأَ الحسن، وقتادة: (صَنْوَان) بفتح الصاد[٣]، وهو اسم جمع لا جمع، ونظير هذه اللفظة [قنْو وقنْوان][٤]، وإِنما نص على الصنوان في هذه الآية لأنها بمثابة التجاور في القطع تظهر فيها غرابة اختلاف الأُكل.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وحمزة، والكسائي، والحسن، وأَبو جعفر، وأَهل مكة: ﴿تُسْقَى﴾ بالتاءِ، وأَمال حمزة، والكسائي القاف، وقرأَ عاصم، وابن عامر: ﴿يُسْقَىٰ﴾ بالياءِ على معنى: يُسْقَى ما ذُكر[٥].

وقرأَ الجمهور: ﴿وَنُفَضِّلُ﴾ بالنون، وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿وَيُفَضِّلُ﴾ بالياءِ[٦].

وقرأَ ابن محيصن: (يُسْقَى بماء واحد ويُفَضِّلُ) بالياءِ فيهما[٧].

وقرأَ يحيى بن يَعْمر، وأَبو حيْوَة: (ويُفَضَّل) بالياءِ وفتح الضاد (بَعْضُهَا) بالرفع[٨]، قال أَبو حاتم: وجدته كذلك في لفظ[٩] يحيى بن يَعْمر في مصحفه، وهو أَول من نقط المصاحف.

---

(١) الحجة لأبي علي (٥/ ٦).

(٢) نقلها الثعلبي (٥/ ٢٦٩) عن أبي عبد الرحمن السلمي، والنحاس في معاني القرآن (٣/ ٤٦٩) عنه وعن أبي رجاء وطلحة وهو ابن معرف.

(٣) وهي شاذة، عزاها لهما في البحر المحيط (٦/ ٣٤٩)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ٧٠) للأعرج، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٢٤٥) لعيسى الكوفي والسلمي.

(٤) في المطبوعة: «قبو وقبوان».

(٥) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣١).

(٦) وهما أيضاً سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣١).

(٧) وهي شاذة ملفقة من سبعيتين، انظر عزوها له في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٣٨).

(٨) وهي شاذة، انظر: عزوها له في مختصر الشواذ (ص: ٧٠)، الشواذ للكرماني (ص: ٢٥٤).

(٩) في نجيبويه ونور العثمانية: «نقط»، وأبو حاتم غير متوفر.

والأُكُل: اسم ما يُؤْكل، بضم الهمزة والكاف، [والأَكْل المصدر.

وقرأَت فرقة: ﴿فِي ٱلْأُكُلِ﴾ بضم الهمزة والكاف][(١)]، وقد تقدم هذا في البقرة.

وحكى الطبري عن غير واحد ـ ابن عباس وغيره ـ: ﴿قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ أَي: واحدة سبخة والأُخرى عذبة ونحو هذا من القول، وقال قتادة: المعنى: «قُرى متجاورات»[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا وجه من العبرة، كأَنه قال: وفي الأَرض قطع مختلفات بتخصيص الله لها بمعان، فهي تسقى بماءٍ واحد ولكن تختلف فيما تخرجه، والذي يظهر من وصفه لها بالتجاور إِنما هو أنها من تربة واحدة ونوع واحد، وموضع[(٣)] العبرة في هذا أَبين، لأَنها مع اتفاقها في التربة والماءِ تفضِّل القدرة والإِرادة بعض أُكلها على بعض، كما قال النبي ﷺ حين سئل عن هذه الآية فقال: «الدَّقَل والفارسي والحلو والحامض»[(٤)].

وعلى المعنى الأَول قال الحسن: هذا مثل ضربه الله لقلوب بني آدم، كانت الأَرض في يد الرحمن طينة واحدة، فسطحها فصارت قطعاً متجاورة ينزل عليها ماءٌ واحد من السماءِ، فتُخرج هذه زهرةً وثمرة، وتخرج هذه سبخة وملحاً وخبثاً، فكذلك الناس خلقوا من آدم فنزلت عليهم من السماءِ تذكرة، فرقَّت قلوب وخشعت، وقست قلوب ولهت وجفَت[(٥)].

قال الحسن: فوالله ما جالس أَحد القرآن إِلا قام عنه بزيادة أَو نقصان، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢][(٦)].

---

(١) ساقط من نجيبويه ونور العثمانية، وتقدم الخلاف في قراءته في الآية (٢٦٥) من سورة البقرة.

(٢) رواه عنه الطبري (١٦/ ٣٣٢)، وأبو الشيخ كما في الدر المنثور (٨/ ٣٦٦).

(٣) سقطت من المطبوع، وفي نور العثمانية: «ونوع العبرة».

(٤) إسناده ساقط، أخرجه الطبري (١٦/ ٣٤٤) وفي إسناده: سيف بن محمد بن أخت سفيان الثوري، كذبه بعضهم. لكن روي عن ابن عباس وغيره موقوفاً، الدَّقَل: رديءُ التمر، والفارسي: نوع جيد منه.

(٥) في المطبوع: «ولهت قلوب ووجفت قلوب»، وهو منقول بالمعنى، ولفظ الطبري (١٦/ ٣٤٠): «وتقسو قلوب فتلهو وتسهو وتجفو».

(٦) انظر: كلام الحسن كله في تفسير الطبري (١٦/ ٣٤٠)، تفسير الثعلبي (٥/ ٢٧٠).

والتفضيل في الأُكُل[١]: الأذواقُ والألوانُ والملمس وغير ذلك.

قوله عز وجل: ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾.

هذه[٢] آية توبيخ للكفرة، أَي: وإِن تعجَبْ يا محمد من جهالتهم وإِعراضهم عن الحق فهم أَهل لذلك، وعَجَبٌ وغريب [ومُزْرٍ بهم][٣] قولهُم: أَنعود بعد كوننا تراباً خلقاً جديداً؟ ويحتمل اللفظ منـزعاً آخر، أَي: إِن كُنت تريد[٤] عجباً فهلُمَّ فإِن من أَعجب العجب قولهم/. [٣/ ٩١]

واختلف القراءُ في قراءَة قوله: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾: فقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ جميعاً بالاستفهام، غير أَن أَبا عمرو يمدُّ الهمزة ثم يأْتي بالياءِ ساكنة، وابن كثير يأْتي بياءٍ ساكنة بعد الهمزة من غير مَدٍّ، وقرأَ نافع: ﴿أَءِذَا كُنَّا﴾ مثل أَبي عمرو واختلف عنه في المدِّ، وقرأَ: ﴿إنا لفي خلق جديد﴾ مكسورة على الخبر، ووافقه الكسائي في اكتفائه بالاستفهام الأَول من الثاني، غير أَنه كان يهمز همزتين، وقرأَ عاصم وحمزة: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا﴾ بهمزتين فيهما، وقرأَ ابن عامر: ﴿إذا كنا﴾ مكسورة الأَلف من غير استفهام ﴿آإنا﴾ بهمز ثم بمدٍّ ثم بهمز[٥].

---

(١) زاد محقق المطبوع هنا كلمة: «يشمل»، قال: لتوقف المعنى عليها، ولم نجدها في شيء من النسخ.

(٢) ليست في المطبوع والمصرية.

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «والمراد به»، وفي نور العثمانية: «ومرورهم».

(٤) في المطبوع: «تزيد».

(٥) وكلها سبعية، انظر: التيسير للداني (ص: ١٣١)، وهذا أول موضع من مواضع تكرر الاستفهام، وفيها بعض الاستثناءات.

فمن قرأ بالاستفهامين فذلك للتأْكيد والتَّحفي والاهتبال[١] بهذا التقرير، ومن استفهم في الأَول فقط فإِنما القصد بالاستفهام الموضع الثاني، و(إِذَا) ظرف له، و(إِذَا) في موضع نصب بفعل مضمر تقديره: أَنُبْعَث أَو نُحْشَر إِذَا؟ ومن استفهم في الثاني فقط فهو بَيِّن، [ولا حول ولا قوة إلا بالله][٢].

والإِشارة بـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إِلى القوم القائلين: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾، وتلك المقالة إِنما هي تقرير مصمم[٣] على الجحد والإِنكار للبعث، فلذلك حكم عليهم بالكفر.

وقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ﴾ يحتمل معنيين: أَحدهما: الحقيقة، وأَنه أَخبر عن كون الأَغْلال فِي أَعْناقِهِمْ في الآخرة، فهي كقوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ [غافر: ٧١].

ويحتمل أَن يكون مجازاً، وأَنه أَخبر عن كونهم مُغللين عن الإِيمان، فهي إِذاً تجري مجرى الطبع والختم على القلوب، وهي كقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ﴾ [يس: ٨]، وباقي الآية بيِّن.

وقال بعض الناس: ﴿ٱلۡأَغۡلَٰلُ﴾ هنا عبارة عن الأَعمال، أَي: أَعمالهم الفاسدة في أَعناقهم كالأَغلال.

قال القاضي أبو محمد: وتحرير هذا هو في [التأْويل الثاني][٤] الذي ذكرناه.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ الآية، هذه الآية تَبْيِينٌ لخطئهم في أَن يتمنوا المصائب ويطلبوا سقوط كِسف من السماءِ أَو حِجَارة تمطر عليهم، ونحو هذا مع خلو[٥]

---

(١) الاهتبال: الاعتناء.

(٢) ساقط من المطبوع وأحمد٣.

(٣) في المطبوع: «وتصميم».

(٤) في نجيبويه: «المثال».

(٥) في المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية: «حلول».

ذلك في الأُمم ونزوله بأُناس كثير، ولو كان ذلك لم ينزل قط لكانوا عذروا[(١)].

و﴿ٱلۡمَثُلَٰتُ﴾ جمع مَثُلَة، كسَمُرَة وسَمُرَات، وصَدُقة وصَدُقات.

وقرأ الجمهور: ﴿ٱلۡمَثُلَٰتُ﴾ بفتح الميم وضم الثاءِ، وقرأ مجاهد: (المَثَلات) بفتح الميم والثاءِ، وذلك جمع مَثْلَة [أي: الأخذة الفذة][(٢)] بالعقوبة.

وقرأ عيسى بن عمر: (الْمُثُلاَت) بضم الميم والثاءِ، ورُويت عن أَبي عمرو، وقرأ يحيى بن وثاب: (الْمُثْلات) بضم الميم وسكون الثاءِ، وهاتان جمع مُثْلَة، وقرأ طلحة ابن مصرف: (الْمَثْلات) بفتح الميم وسكون الثاءِ[(٣)].

ثم رجَّى عز وجل بقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡ﴾، قال الطبري: معناه: في الآخرة[(٤)]، وقال قومٌ: المعنى: إِذا تابوا، وشَدِيدُ العِقَابِ إِذا كفروا.

قال القاضي أبو محمد: والظاهر من معنى المغفرة هنا إِنما هو: سَتْرُهُ في الدنيا وإِمْهَالُه لِلْكَفَرَة، أَلا ترى التيسير[(٥)] في لفظ ﴿مَغۡفِرَةٖ﴾، وأَنها مُنكَّرة مُقَلَّلة وليس فيها مبالغة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ﴾ [طه: ٨٢]، ونمط الآية يُعطي هذا، أَلا ترى حكمه عليهم بالنار؟، ثم قال: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ﴾، فلما ظهر سُوءُ فعلهم وجب في نفس السامع تعذيبهم فأَخبر بسيرته في الأُمم وأَنه يمهل مع ظُلْم الكفر؟ ولم يَرِدْ في الشرع أَن الله تعالى يغفر ظلم العباد.

---

(١) في المطبوع: «لكان لهم العذر». وفي نجيبويه ونور العثمانية وأحمد٣: «لكانوا أعذر».

(٢) في المطبوع بدله: «في الآخرة بمعنى العِدَة»، وفي المصرية: «الأخذة القوية»، وفي نجيبويه: «الآخرة المدة»، وفي أحمد٣: «أي لا واحدة القوة».

(٣) هذه خمس قراءات الأولى فقط متواترة، وانظر: الثلاث الأخريات في المحتسب (١/ ٣٥٢) ومختصر الشواذ (ص: ٧٠)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٥٥)، وقراءة مجاهد في البحر المحيط (٦/ ٣٥٣)، ورواية عبد الوارث عن أبي عمرو في الكامل (ص: ٥٧٨).

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٣٥٢).

(٥) في المطبوع ونجيبويه: «التنكير»، وفي أحمد٣: «السير».

ثم خوَّف بقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾، قال ابن المسيب: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «لولا عفو الله ومغفرته لما تمنى أَحدٌ عيشاً، ولولا عقابه لاتَّـكَل كل أَحد[(١)]، وقال ابن عباس: «ليس في القرآن أَرْجى من هذه الآية»[(٢)].

و﴿ٱلْمَثُلَٰتُ﴾هي العقوبات المُنكِّلات التي تجعل الإِنسان مَثَلاً يُتَمَثَّل به، ومنه التمثيل بالقتلى، ومنه الْمُثْلة بالعبيد.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الآية، هذه آية غَضٍّ من اقتراحاتهم المُتَشَطِّطَة التي لم يُجْر الله بها عادة إِلا للأُمة التي حتم بعذابها واستئصالها، والآية هنا يراد بها الأَشياءُ التي سمَّتها قريش، كالـمُلْك والكَنْز وغير ذلك، ثم أَخبره الله بأَنه مُنْذِرٌ، وهذا الخبر قُصِد هُوَ بلفظه والناسُ أَجمعون بمعناه.

واختلف المتأولون في قوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾:

فقال عكرمة، وأَبو الضُّحى[(٣)]: «المراد بالهادِي محمد ﷺ»[(٤)]، و﴿هَادٍ﴾ عطف على ﴿مُنذِرٌ﴾ كأنه قال: إِنما أَنت منذر وهاد لكل قومٍ، فيكون هذا المعنى يجري مع قوله ﷺ: «بُعِثْت للأَسود والأَحمر»[(٥)]، و﴿هَادٍ﴾ على هذا في هذه الآية بمعنى: داعٍ إِلى طريق الهدى.

---

(١) مرسل، هذا الحديث أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٩٩٥) من طريق: حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب مرفوعاً، وهو مرسل، وعلي هو ابن جدعان، ضعيف.

(٢) لم أقف عليه مسنداً.

(٣) هو أبو الضحى مسلم بن صبيح الكوفي العطار، مولى همدان، روى عن: ابن عباس، وجرير بن عبد الله، والنعمان بن بشير، روى عنه: منصور، والأعمش، وجماعة، وثقه أبو زرعة، وغيره، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز، تاريخ الإسلام (٦/ ٥٢٦)

(٤) رواه عنهما الطبري (١٦/ ٣٥٤)، ونقله عنهما الجصاص في أحكام القرآن (٤/ ٣٩٧) وقال: وهذا هو الصحيح.

(٥) أخرج مسلم (٥٢٠) حديث جابر مرفوعاً:... «كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود».

وقال مجاهد، وابن زيد: «المعنى: إِنما أَنت منذر، ولكل أُمَّة سلفت هادٍ، أَي: نبي يدعوهم»[١].

قال القاضي أبو محمد: والمقصد: فليس أَمرك يا محمد بِبِدْع ولا بمنكر، وهذا يشبه غرض الآية.

وقالت فرقة: الهادي في هذه الآية: الله عزَّ وجلَّ، رُوي ذلك عن ابن عباس[٢]، ومجاهد، وابن جُبير[٣]، و﴿هَادٍ﴾ على هذا معناه: مخترعٌ للرشاد.

قال القاضي أبو محمد: والأَلفاظ تقلق[٤] بهذا المعنى، ويعرف أَن الله تعالى هو الهادي من غير هذا الموضع.

وقالت فرقة: الهادي علي بن أَبي طالب، وروت عن النبي ﷺ من طريق ابن عباس أَنه قرأَ هذه الآية وعليٌّ حاضر، فأَومأَ بيده إِلى منكب عليّ وقال: «أَنْت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون من بعدي»[٥].

قال القاضي أبو محمد: والذي يشبه ـ إِن صح هذا ـ أَن النبي ﷺ إِنما جعل علياً رضي الله عنه مثالاً من علماءِ الأُمة وهداتها إِلى الدين، كأَنه قال: يا عليّ أَنت وصنفك، فيدخل في هذا أَبو بكر وعمر وعثمان وسائر علماءِ الصحابة، ثم كذلك من كل عصر، فيكون المعنى على هذا: إِنما أَنت يا محمد منذر، ولكل قوم في القديم والحديث دعاة وهداة إِلى الخير.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٢٥) عن مجاهد، والطبري عنه (١٦/ ٣٥٦)، و(ص: ٣٦٦) عن ابن زيد.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٣٥٥) من رواية عطية العوفي عن ابن عباس.

(٣) رواه عنهما الطبري (١٦/ ٣٥٤)، ورواه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٢٥) عن مجاهد والضحاك.

(٤) في المطبوع: «تطلق»، وفي نور العثمانية: «تعلق».

(٥) ساقط، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٦/ ٣٥٧) من طريق: الحسن بن الحسين الأنصاري قال: حدثنا معاذ بن مسلم بيّاع الهرويّ، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به، والحسن هذا كان من رؤساء الشيعة، ليس بصدوق، ولا تقوم به حجة، ومعاذ مجهول نكرة، والآفة من أحدهما، يراجع الميزان (١/ ٢٢٥) (٣/ ١٧٨).

قال القاضي أبو محمد: والقولان الأولان أرجح [ما تُؤوِّل في الآية][(١)].

قوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾.

لما تقدم تعجُّبُ الكفار واستبعادُهم البعث من القبور قصَّ[(٢)] في هذه الآيات الـمُثُل[(٣)] المنبهة على قدرة الله تعالى القاضية بتجويز البعث، فمن ذلك هذه الواحدة من الخمس التي هي مفاتيح الغيب، وهي أَن الله تعالى انفرد بمعرفة ما تحمل / به[(٤)] الإناث [٣/ ٩٢] من الأَجنة في كل نوع من الحيوان، وهذه البدأَة تُبيِّن أَنه لا يتعذر على القادر عليها الإِعادة.

و﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا تَحْمِلُ﴾ يصح أَن تكون بمعنى الذي مفعولة بـ﴿يَعْلَمُ﴾، ويصح أَن تكون مصدرية مفعولة أَيضاً بـ﴿يَعْلَمُ﴾، ويصح أَن تكون استفهاماً في موضع رفع [بالابتداءِ، والخبرُ ﴿تَحْمِلُ﴾، وفي هذا الوجه ضعف.

وفي مصحف أُبي بن كعب: (ما تحمل] كل أُنثى وما تضع)[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ معناه: ما تنقص، وذلك أنه من معنى قوله: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ [هود: ٤٤]، وهو من معنى النضوب، فهي ها هنا بمعنى زوال الشيءِ عن الرَّحم وذهابه، فلما قابله قوله: ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ فُسِّر بمعنى النقصان.

ثم اختلف المتأَولون في صورة الزيادة والنقصان، فقال مجاهد: غَيْض الرَّحِم:

---

(١) ساقط من نجيبويه، وفي أحمد٣ والمطبوع: «والقول الأول أرجح».

(٢) في المطبوع وأحمد٣ ونجيبويه: «نص».

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «الأمثال».

(٤) في المطبوع وأحمد٣ بدلا منها: «كل»، وفي المصرية: «له كل».

(٥) نقله في البحر المحيط (٥/ ٣٦١) وفي نجيبويه: «تحيض» بدل «تحمل»، وفي نور العثمانية: «تصنع»، وما بين القوسين ساقط من الحمزوية.

أَن تهريق دماً على الحمل، فإِذا كان ذلك ضعف الولد في البطن وشحب، فإِذا أَكملت الحامل تسعة أَشهر لم تَضع، ويبقى الولد في بطنها زيادة من الزمن يكمل فيها من جسمه وصحته ما نقص بهراقة الدم[١]، فهذا هو معنى قوله: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾.

وجمهور المتأَولين على أَن غيض الرحم: إِرسال[٢] الدم على الحمل.

وذهب بعض الناس إِلى أَن غيضه هو نضوب الدم فيه وامتساكه[٣] بعد عادة إِرساله بالحيض، فيكون قوله: ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ بعد ذلك جارياً مجرى ﴿تَغِيضُ﴾ على غير مقابلة[٤]، بل غيض الرحم هو بمعنى الزيادة فيه.

وقال الضحاك: «غيض الرحم: أَن تُسقط المرأَة الولد، والزيادة: أَن تضعه لمدة كاملة تامّاً[٥] في خلْقه»، وقال قتادة: «الغَيْض: السقط، والزيادة: البقاءُ بعد[٦] تسعة أَشهر»[٧].

وقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ لفظ عام في كل ما يدخله التقدير.

والْغَيْب: ما غاب عن الإِدراكات، والشَّهَادَة: ما شوهد[٨] من الأُمور، ووضع المصادر موضع الأَشياءِ التي كل واحد منها لا بد أَن يتصف بإِحدى الحالتين.

وقوله: ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ صفة تعظيم على الإِطلاق، و﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾ من العُلُوِّ، واختلف القُراءُ في الوقف على ﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾: فأَثبت ابن كثير، وأَبو عمرو في بعض ما

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٣٦٢).

(٢) زيادة من المطبوع، ولم نجدها في شيء من النسخ الخطية.

(٣) في المطبوع: «وإِمساكه».

(٤) في المصرية: «قياس».

(٥) في نجيبويه: «تامة».

(٦) في المطبوع ونجيبويه وأحمد٣ ونور العثمانية: «فوق».

(٧) انظرهما في: تفسير الطبري (١٦/ ٣٦٣،٣٦٤)

(٨) في نجيبويه: «شهد».

روي عنه الياءَ في الوصل والوقف، ولم يثبتها الباقون في وصل ولا وقف[١]، وإِثباتها هو الوجه والباب، واستسهل سيبويه حذفها في الفواصل[٢] كهذه الآية قياساً على القوافي في الشعر، ويقبح حذفها في غير فاصلة ولا شعر، ولكن وجهه أَنه لما كان التنوين يعاقِب الأَلف واللام أَبداً، وكانت هذه الياءُ تحذف مع التنوين، حَسُن أَن تحذف مع مُعاقبه.

قال القاضي أبو محمد: ويتصل بهذه الآية فقه يحسن ذكره:

فمن ذلك: اختلاف الفقهاءِ في الدم الذي تراهُ الحامل، فذهب مالك وأَصحابه والشافعي وأَصحابه وجماعةٌ إِلى أَنه حيض، وقالت فرقة عظيمة: ليس بحيض[٣]، ولو كان حيضاً لما صح استبراءُ الأَمة بحيض وهو إِجماعٌ[٤].

وروي عن مالك في كتاب محمد ما يقتضي أَنه ليس بحيض[٥].

ومن[٦] ذلك أَن الأَمَّة مجمعة على أَن أَقل مدة الحمل ستة أَشهر[٧]، وذلك منتزع من قوله: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، مع قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وهذه الستة الأَشهر هي بالأَهلَّة كسائر أَشهر الشريعة، ولذلك قد رُوي في المذهب عن بعض أَصحاب مالك ـ وأَظنه في

---

(١) انظر: مذهب ابن كثير في التيسير (ص: ١٣٤)، ورواية أبي عمرو ليست من طرقه، لكنها في السبعة (ص: ٣٥٨).

(٢) الكتاب لسيبويه (٤/ ١٨٥).

(٣) نُقل عن عائشة، وهو أحد قولي الشافعي كما في المهذب للشيرازي (١/ ٧٨)، وبه قال جماعة كما في الاستذكار (١/ ٣٢٧).

(٤) نقله مكي في الهداية (٥/ ٣٦٨٣)، وفي التركية: «إجماع الأمة».

(٥) أشار لهذا القول في التوضيح (١/ ٢٥٢) بقوله: وقال ابن لبابة: ليس حيضاً، واستُقْرِئَ لابن القاسم مما قاله في المطلقة إذا حاضَتْ ثم أَتَتْ بولدٍ: لو عَلِمْتُ أنه حَيْضٌ مستقيمٌ لرَجَمْتُها.

(٦) في المصرية: «وذلك»، دون «من».

(٧) انظر: هذا الإجماع في الدر المختار (٣/ ٥٤٠)، وغيره.

كتاب ابن حارث ـ أَنه إِن نقص من الأَشهر الستة[١] ثلاثة أَيام فإِن الولد يُلْحق لعلَّة[٢] نقص الشهور وزيادتها[٣].

واختلف في أَكثر الحمل، فقيل: تسعة أَشهر.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف.

وقالت عائشة وجماعة من العلماءِ: أَكثره حولان، وقالت فرقة: ثلاثة أَعوام، وفي «المدونة»: أَربعة أَعوام وخمسة أَعوام[٤]، وقال ابن شهاب وغيره: سبعة أَعوام.

وروي أَن ابن عجلان[٥] ولدت امرأَته لسبعة أَعوام، ورُوي أَن الضحاك بن مزاحم بقي حولين، قال: فولدتُ وقد نبتت ثناياي.

وروي أَن عبد الملك بن مروان ولد لستة أَشهر[٦].

وقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم﴾ الآية، ﴿سَوَآءٌ﴾ مصدر، وهو يطلب بعده شيئين يتماثلان، ورفعه على خبر الابتداءِ الذي هو ﴿مَّنْ﴾، والمصدر لا يكون خبراً إِلا بإِضمارٍ، كما قالت الخنساءُ:

.... فَإِنَّما هِـيَ إِقْـبَـالٌ وإِدْبَـــارُ[٧] [البسيط]

---

(١) سقطت من نجيبويه.

(٢) في نجيبويه: «لقلة».

(٣) نقله عنه تفسير القرطبي (٩/ ٢٨٧).

(٤) لفظ المدونة (٢/ ٢٤): يلزمه الولد في قول مالك إذا جاءت بالولد في ثلاث سنين أو أربع سنين أو خمس سنين.

(٥) هو محمد بن عجلان مولى فاطمة بنت الوليد أبو عبد الله المدني الفقيه أحد الأعلام، روى عن أنس شيئاً وعن أبيه ونافع، وعنه السفيانان وخلق، مكث في بطن أمه ثلاث سنين فشق بطنها فأخرج وقد نبتت أسنانه، (ت ١٤٨هـ). تاريخ الإسلام (٩/ ٢٨٠)

(٦) انظر: هذه الأقوال في: تفسير الثعلبي (٥/ ٢٧٣)، والمهذب في فقه الإمام الشافعي للشيرازي (٣/ ١١٨).

(٧) هذا عجز بيت قالته الخنساءُ وقد تقدم في تفسير الآية (٤٥) من سورة هود.

أَي: ذاتُ إِقبال وإِدبار، فقالت[١] فرقة هنا: المعنى: ذو سواءٍ، قال الزجاج: «كثر استعمال «سواء» في كلام العرب حتى جرى مجرى اسم الفاعل فلا يحتاج إِلى إِضمار»[٢].

قال القاضي أبو محمد: هو عندي كعدْلٍ وزَوْرٍ وضيْفٍ.

وقالت فرقة: المعنى: مُسْتَو منكم، فلا يحتاج إِلى إِضمار.

قال القاضي أبو محمد: وضعَّف هذا سيبويه بأَنه ابتداءٌ بنكرة[٣].

ومعنى هذه الآية: مُعْتدلٌ منكم في إِحاطة الله تعالى وعلمه مَنْ أَسَرَّ قولَه فهمس به في نفسه ومَنْ جَهَرَ بِهِ فأَسْمَع، لا يخفى على الله تعالى شيءٌ.

وقوله: ﴿وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ معناه: من هو بالليل في غاية الاختفاءِ ومن هو متصرف بالنهار ذاهبٌ لوجهه سواءٌ في علم الله تعالى وإِحاطته بهما، وذهب ابن عباس[٤] ومجاهد إِلى معنًى مقتضاه: أَن المستخفي بالليل والسارب بالنهار هو رجل[٥] واحد مريبٌ بالليل ويُظهر بالنهار البراءَة في التصرف مع الناس[٦].

قال القاضي أبو محمد: فهذا قسم واحد جعل الليل نهار راحته، والمعنى: هذا والذي أَمره كله واحد بريءٌ من الرَّيْب[٧] سواءٌ في اطلاع الله تعالى على الكل، ويؤيد هذا التأْويل عطفُ السارب دون تكرار «مَنْ»، ولا يأْتي حذفها إِلا في ضرورة الشعر.

---

(١) في نجيبويه: «وقالت».

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٤١).

(٣) انظر: قريباً من هذا في الكتاب لسيبويه (٢/ ٢٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٣٦٧) من طريق عطية العوفي وابن جريج عن ابن عباس، والأول فيه مقال معروف، والثاني منقطع.

(٥) في المطبوع: «راجل».

(٦) تفسير الطبري (١٦/ ٣٦٨)،

(٧) في المصرية: «الذنب».

والسارب في اللغة: المتصرف كيف شاءَ، ومن ذلك قول الشاعر:

أَرَى كُلَّ قوم كارَبُوا قَيْدَ فَحْلِهِمْ وَنَحْنُ حَلَلْنَا قَيْدَهُ فَهْوَ سَارِبُ[1] [الطويل]

أَي: متصرف[2] غير مدفوع عن جهة، وهذا رجل يفتخر بعزة قومه، ومن ذلك قول الآخر:

أنَّى سَرَبْتِ وكُنْتِ غَيْرَ سَرُوبِ وتُقَرِّبُ الأَحْلاَمُ غَيْرَ قَرِيبِ[3] [الكامل]

وتحتمل الآية أَن تتضمن ثلاثة أَصناف: فالذي يُسِرُّ طرف، والذي يجهر طرف مضاد للأَول، والثالث متوسط مُتَلَوّن يعصي بالليل مستخفياً ويظهر البراءَة بالنهار، والقول في الآية يطّرد معناه في الأَعمال، وقال قطرب[4] ـ فيما حكى الزجاج ـ: «﴿مُسۡتَخۡفِۭ﴾ معناه: ظاهر، من قولهم: خفَيْتُ الشيءَ، إِذا أَظهرته»[5].

قال القاضي أبو محمد: قال امرؤ القيس:

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا خَفَاهُنَّ وَدْقٌ مِن عَشِيٍّ مُجَلِّبِ[6] [الطويل]

قال: و﴿وَسَارِبُۢ﴾ معناه: مُتَوَارٍ في سَرَب[7].

---

(١) البيت للأخنس بن شهاب التغلبي، كما في الأمالي للقالي (٢/ ٢٤٧)، ومعجم البلدان (٤/ ٣٦٨)، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٨١).

(٢) في المطبوع: «منصرف».

(٣) البيت لقيس بن الخطيم، كما في جمهرة اللغة (١/ ٣٠٩)، والأمالي للقالي (٢/ ٢٧٧)، وتفسير الطبري (١٦/ ٣٦٧).

(٤) في نجيبويه: «مطرف».

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٤٢).

(٦) انظر: عزوه له في: مجاز القرآن (٢/ ١٧)، وجمهرة أشعار العرب (١/ ١٣)، وتهذيب اللغة (٣/ ٢٧)، والحيوان (٦/ ١٣٠).

(٧) لفظه في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٤٢): «أي مستتر».

[٣/ ٩٣] قال القاضي أبو محمد: / وهذا القول وإن كان تعلقه باللغة بيِّناً[١] فضعيف، لأن اقتران الليل بالمستخفي والنهار بالسارب يردُّ على هذا القول.

قوله عز وجل: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾.

اختلف المتأولون في عود الضمير من ﴿لَهُۥ﴾:

فقالت فرقة: هو عائد على اسم الله عز وجل المتقدم ذكره، والمـُعَقِّبَاتُ ـ على هذا ـ الملائكة الحفظة على العباد أَعمالَهم، والحفظة لهم أَيضاً، قاله الحسن، وروى فيه عثمانُ ابن عفان حديثاً عن النبي ﷺ[٢]، وهو قول مجاهد والنَّخَعي[٣]، والضمير ـ على هذا ـ في قوله: ﴿يَدَيۡهِ﴾ وما بعده من الضمائر عائد على العبد المذكور في قوله: ﴿وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ﴾، و﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أَن يكون صفة للمُعَقِّبَات، ويحتمل أَن يكون المعنى: يحفظونه من كل ما جرى القدر باندفاعه، فإذا جاءَ المقدور الواقع أَسلم المرء إِليه.

وقال ابن عباس أَيضاً: الضمير في ﴿لَهُۥ﴾ عائد على المذكور في قوله: ﴿وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ﴾[٤]، وكذا باقي الضمائر التي في الآية، قالوا: والمَعقِّبَاتُ ـ على هذا ـ

---

(١) في المطبوع: «متعلقاً باللغة».

(٢) غريب جدّاً، أخرجه الطبري (١٦/ ٣٧٠) من طريق: إبراهيم بن عبد السلام القشيري قال: حدثنا علي بن جرير، عن حماد بن سلمة، عن عبد الحميد بن جعفر، عن كنانة العدوي قال: دخل عثمان ابن عفان على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أخبرني عن العبد كم معه من ملك؟ قال: «ملك على يمينك على حسناتك، وهو أمينٌ على الذي على الشمال...»، إلخ، إبراهيم وشيخه لا يعرفان من هما، وقال ابن كثير (٤/ ٤٣٨): حديث غريب جدّاً.اهـ.

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٣٧١).

(٤) روي هذا من طريق سفيان عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، ومن طريق العوفي، كلاهما =

حرس الرجل وجلاوزَتُـه[١] الذين يحفظونه، قالوا: والآية ـ على هذا ـ في الرؤَساءِ الكافرين، واختار هذا القول الطبري، وهو قول عكرمة وجماعة، قال عكرمة: «هي المواكب خلفه وأَمامه»[٢].

قال القاضي أبو محمد: ويصح على التأْويل الأَول الذي قبل هذا أَن يكون الضمير في ﴿لَهُۥ﴾ للعبد المؤمن على معنى: جعل الله له.

قال القاضي أبو محمد: وهذا التأْويل عندي أَقوى[٣]، لأن غرض الآية إِنما هو التنبيه على قدرة الله تعالى، فذكر استواءَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ ومن هو سارِبٌ، وأنَّ لَهُ مُعَقِّباتٍ من الله تحفظه في كل حال، ثم ذكر أَن الله لا يُغَيِّر هذه الحالة من الحفظ للعبد حتى يغيّر ما بنفسه.

قال القاضي أبو محمد: وعلى كلا التأْويلين ليست الضمائر لِمُعَيَّنين من البشر.

وقال عبد الرحمن بن زيد: «الآية في النبي ﷺ، ونزلت في حفظ الله له من أَربَد ابن ربيعة وعامر بن الطُّفَيْل في القصة التي تأْتي بعْدَ هذا في ذكر الصواعق»[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذه الآية وإِن كانت بأَلفاظها تنطبق على معنى القصة فيُضْعِف القولَ أَن النبي ﷺ لم يتقدم له ذكر فيعودَ الضمير في ﴿لَهُۥ﴾ عليه.

والمُعَقِّبات: الجماعات التي يعقب بعضُها بعضاً، فعلى التأْويل الأَول هي الملائكة، وينظر هذا إِلى قول النبي ﷺ: «يتعاقب[٥] فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون

= عن ابن عباس، أخرجها الطبري (١٦/ ٣٧٣) وروي القول الأول من طرق عن ابن عباس أيضاً.

(١) الجَلاوِزَةُ: الشُّرَطَة، والمفرد: جِلَّوْز وجِلْوَازٌ.

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٣٧٤)، وفي نور العثمانية: «المراكب».

(٣) في حاشية المطبوع: «في بعض النسخ: وغير هذا التأويل عندي أقوى».

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٣٧٩) وهو مرسل.

(٥) في المطبوع وأحمد٣ ونجيبويه: «يتعاقبون».

في صلاة المغرب والصبح»[١]، وعلى التأْويل الثاني هي الحرس والوزَعَة الذين للملوك.

والمُعَقِّبَات: جمع مُعَقِّبة، وهي الجماعة التي تأْتي بعد الأُخرى، والتعقيب بالجملة أَن تكون حَالٌ تَعْقُبها حالٌ أُخرى من نوعها، وقد تكون من غير النوع، ومنه معاقبة الركوب، [ومعاقبة الجاني][٢]، ومعقب عُقْبَةَ القِدْر[٣]، والمعاقبة في الأزواج، ومنه قول سلامة بن جندل[٤]:

[البسيط] وكَرُّنَا الخَيْلَ في آثَارِهِمْ رُجُعاً كُسَّ السَّنَابِكِ مِنْ بَدْءٍ وتعْقيب[٥]

وقرأَ عبيد الله بن زياد[٦] على المنبر: (له معاقيب)، قال أَبو الفتح: هو تكسير معْقِب[٧].

قال القاضي أبو محمد: بسكون العين وكسر القاف، كمطعم ومطاعيم، ومقدِم ومقاديم، وهي قراءَة أَبي البرهسم، فكأَن معقباً جمع على مَعَاقِبة، ثم جعلت الياءُ في معاقيب عوضاً من الهاءِ المحذوفة في مَعَاقِبة.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧٤٢٩) (٧٤٨٦) ومسلم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: «يتعاقبون فيكم».

(٢) ساقط من المطبوع ونور العثمانية وأحمد٣.

(٣) قال ابن فارس في مجمل اللغة (ص: ٦٢٠): وهي الفضلة يردها المستعير لها في أسفلها لصاحبها.

(٤) هو سلامة بن جندل من بني عامر بن عبيد من تميم، جاهلي قديم، وهو من فرسان تميم المعدودين، وكان أحد من يصف الخيل فيحسن. الشعر والشعراء (١/ ٢٦٤).

(٥) انظر عزوه له في: تفسير الطبري (١٦/ ٣٨٤)، وتهذيب اللغة (٣/ ٤٧٥)، والمفضليات (ص: ١١٩)، وجاء في نجيبويه: «وكرت».

(٦) في المطبوع وأحمد٣ ونجيبويه: «عبد الله»، وهو عبيد الله بن زياد بن عبيد المعروف أبوه بزياد بن أبيه، ولاه معاوية البصرة، ثم ولاه يزيد الكوفة، وكان جباناً، وهو ممن سعى في قتل الحسين رضي الله عنه، ثم انتقم الله منه فقتل في سنة (٦٧هـ). تاريخ الإسلام (٥/ ١٧٥).

(٧) وهي شاذة، انظر ذلك: لمحتسب (١/ ٣٥٥)، وانظر عزوها لأبي البرهسم في: الشواذ للكرماني (ص: ٢٥٥).

والـمُعقِّبة ليست جمع مُعَـقِّب كما ذكر الطبري[١]، وشبَّه ذلك برجل ورجالٍ ورجالات، وليس الأَمر كما ذكر لأَن تلك كجَمَل وجمَالٍ وجمالات، ومُعَقِّبة ومُعَقِّبات إِنما هي كضاربٍ وضاربات.

وفي قراءَة أُبيٍّ بن كعب: (من بين يديه ورقيب من خلفه)[٢].

وقرأَ ابن عباس: (ورقباء[٣] من خلفه)، وذكر عنه أَبو حاتم أَنه قرأ: (معقِّبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بأَمر الله)[٤].

وقوله: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ﴾ يحتمل معنيين: أَحدهما: أَن يكون بمعنى: يحرسونه ويذُبُّون عنه، فالضمير معمول لـ(يحفظ)[٥]، والمعنى الثاني: أَن يكون بمعنى حفظ الأقوال وتحصيلها، ففي اللفظ حينئذ حذف مضاف تقديره: يحفظون أَعماله، ويكون هذا حينئذ من باب ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢]، وهذا هو قول ابن جُرَيج[٦].

وقوله: ﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ مَنْ جعل ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ﴾ بمعنى يحرسونه كان معنى قوله: ﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ يراد به المعقِّبات، فيكون في الآية تقديم وتأْخير، أَي: له معقبات من أَمر الله يحفظونه مِنْ بَيْن يديه ومِنْ خلفه، قال أَبو الفتح: «فـ ﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ في موضع رفع لأَنه صفة لمرفوع وهي المعقِّبات»[٧].

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل هذا التأْويل في قوله: ﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ مع التأْويل الأَول في ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ﴾.

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٣٦٩)، وفي المصرية: «المعقبات».

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في: تفسير الطبري (١٦/ ٣٧٢).

(٣) في المطبوع: «ورقيباً».

(٤) نقلهما في البحر المحيط (٦/ ٣٦١)، وفي معاني القرآن للنحاس (٣/ ٤٨٠) عنه: «من بين يديه ورقباء من خلفه من أمر الله يحفظونه».

(٥) في المطبوع: «الحفظ»، وفي نجيبويه: «بيحفظ».

(٦) تفسير الطبري (١٦/ ٣٧٢).

(٧) المحتسب (١/ ٣٥٥)، وكذلك ما سيأتي عنه في هذه الآية.

ومَن تأَول الضمير في ﴿لَهُۥ﴾ عائداً على العبد[١]، وجعل المعقباتِ الحرسَ وجعل الآية في رؤساءِ الكافرين، جَعَلَ قوله: ﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ بمعنى: يَحْفَظُونَهُ بزعمه من قَدَر الله ويدفعونه في ظنه عنه، وذلك لجهالته بالله تعالى.

قال القاضي أبو محمد: وبهذا التأْويل جعلها المتأَول في الكافرين، قال أَبو الفتح: «فـ﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ ـ على هذا ـ في موضع نصب، كقولك: حفظت زيداً من الأَسد، فـ«مِنَ الأَسد» معمول لـ«حفظت»».

وقال قتادة: «معنى ﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾: [بأمر الله][٢] أَي: يحفظونه مما أَمر الله»[٣]، وهذا تحكُّم في التأْويل، قال قوم: المعنى: الحفظ من أَمر الله، وقد تقدم نحو هذا.

وقرأَ علي بن أَبي طالب، وابن عباس، وعكرمة، وجعفر بن محمد: (يحفظونه بأمر الله)[٤].

ثم أَخبر تعالى أَنه لا يُغَيِّر ما بقوم بأَن يعذبهم ويمتحنهم معاقباً حتى يقع منهم تكسُّب للمعاصي وتغيير ما أُمروا به من طاعة الله[٥]، وهذا موضع تأَمل، لأنه يداخل هذا الخبر ما قرَّرت الشريعة من أَخْذ العامة بذنوب الخاصة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾ [الأنفال: ٢٥]، ومنه قول النبي ﷺ وقد قيل له: يا رسول الله / أَنَهْلِكُ وفينا[٦] الصالحون؟ قال: «نعم، إِذا كثر الخبث»[٧]، إِلى أَشياءَ كثيرة من هذا. [٣/ ٩٤]

(١) في المصرية: «المعهود».
(٢) ليس في المطبوع وأحمد٣.
(٣) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٣٠)، وتفسير الطبري (١٦/ ٣٧٦).
(٤) انظر عزوها لهم في: الشواذ للكرماني (ص: ٢٥٥)، ومع التوجيه في المحتسب (١/ ٣٥٥).
(٥) لفظ الجلالة زيادة من المطبوع وأحمد٣.
(٦) في المطبوع: «ومنا».
(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٣٤٦) (٣٥٩٨) (٧٠٥٩) ومسلم (٢٨٨٠) من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها.

فقوله تعالى في هذه الآية: ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا﴾ معناه: حتى يقع تغييرٌ إِمَّا منهم، وإِما من الناظر لهم، أَو ممن هو منهم بسبب، كما غيَّر[١] تعالى بالمنهزمين يوم أُحد بسبب تغيير الرماة ما بأَنفسهم، إِلى غير هذا من أَمثال الشريعة، فليس معنى الآية أَنه ليس ينزل بأَحد عقوبة إِلا بأَن يتقدم منه ذنب، بل قد تنـزل المصائب بذنوب الغير، وثَم أَيضاً مصائب يريد الله بها أَجر المصاب فتلك ليست تغييراً.

ثم أَخبر أَنه تعالى إِذا أَرادَ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ، ولا حفظ منه، وهذا جرى في طريق[٢] التنبيه على [قدرة الله وإحاطته][٣]، والسوءُ والخير بمنزلة واحدة [في أنهما][٤] إِذا أَرادهما الله بعبد لم يُرَدّ[٥]، لكنه خصَّ السوءَ بالذكر ليكون في الآية تخويف.

واختلف القراءُ في ﴿وَالٍ﴾: فأَماله بعضهم ولم يُمِلْه بعضهم[٦].

والوالي: الذي يلي أَمر الإِنسان كالولي، وهما من الولاية كعليم وعالم من العلم.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ﴾ الآية، هذه آية تنبيه على القدرة.

والبرق: رُوي فيه عن النبي ﷺ أَنه مخراق بيد مَلَك يزجر به السحاب[٧]، وهذا أَصح ما رُوي فيه.

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «عبر».

(٢) في المطبوع: «أُجري في مقام».

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «عادة الله تعالى وقدرته».

(٤) ساقط من المطبوع وأحمد٣.

(٥) في الأصل ونجيبويه: «يردَّا»، بالتثنية.

(٦) عدم الإمالة هو المتواتر، والإمالة رواها خارجة عن نافع، كما في مختصر الشواذ (ص: ٧١).

(٧) إنما روي هذا في البرق عن ابن عباس وعلي، وفي أسانيده جميعاً لين، ولم أجده مرفوعاً، أما عن ابن عباس فمن طريق: السدي عنه، وفي روايته عنه كلام معروف، وعن علي من طريق: سفيان الثوري، عن سَلمة بن كُهيل، عن سعيد بن أَشْوَعَ، عن ربيعة بن الأبيض، عنه، وربيعة فيه جهالة، ومن طريق: الحجاج، قال: حدثنا حماد، عن المغيرة بن سالم، عن أبيه، أو غيره، أن علي بن أبي طالب، أخرجها جميعاً الطبري (١/ ٣٤٣) وأخرجه أحمد كما في العلل ومعرفة الرجال (٣/ ٣٧٣) من طريق: =

ورُوي عن بعض العلماءِ أَنه قال: البرقُ: اصطكاك الأَجرام، وهذا عندي مردود.

وقال أَبو الجلد[١]: «البرقُ في هذه الآية: الماءُ»[٢]، وذكَرَه مكي عن ابن عباس[٣].

قال القاضي أبو محمد: ومعنى هذا القول أَنه لما كان داعيةَ الماءِ، وكان خوفُ المسافرين من الماءِ وطمع المقيمين[٤] فيه، عُبِّر في هذا القول عنه بالماءِ.

وقوله: ﴿خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾، من رأى ذلك في الماء فهو على ما تقدم، والظاهر أَن الخوف إنما هو من صواعق البرق، والطمع في المطر الذي يكون معه، وهو قول الحسن[٥].

والسَّحَابُ: جمْعُ سحابة، ولذلك جَمَع الصفة، و﴿ٱلثِّقَالَ﴾ معناه: بحمل الماء، وبذلك فسَّر قتادة ومجاهد[٦]، والعربُ تصفها بذلك، ومنه قول قيس بن الخطيم:

[المتقارب]

فَمَا رَوْضَــةٌ مِنْ رِيَـاضِ الْقَطَا ... كَــأَنَّ الْمَصَــابِيـحَ حـوذَانُهَــا[٧]

بِـأَحْـسَـنَ مِـنْـهَــا وَلا مُـزْنَــةٌ ... دَلُـوحٌ تَـكَـشَّـفُ أَدْجَـانُـهَـا[٨]

والدَّلوح: الـمُثْقَلَة.

والرَّعْدُ مَلَك يزجر السحاب بصوته، وصوتُه هذا المسموعُ تسبيحٌ، والرعد اسم

= ابن مهدي عن حماد به، وفي العلل أيضاً من طريق عفان عن حماد عن أبي محمد الهاشمي عن أبيه عن علي بنحوه، وهذا خلاف على حماد، وكان في حفظه نظر.

(١) هو جيلان بن فروة أبو الجلد الأسدي البصري صاحب كتب التوراة ونحوها، روى عنه قتادة وأبو عمران الجوني، وثقه أحمد كما في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢/ ٥٤٧) وابن سعد في طبقاته (٧/ ١٦٥)، وتوفي سنة (٧٠هـ) كما في تاريخ الإسلام (٥/ ٦٩).

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٣٨٧).

(٣) الهداية لمكي (٥/ ٣٦٩٨)، ولم أجده مسنداً.

(٤) في المطبوع والمصرية وأحمد٣: «المسافر والمقيم بالإفراد».

(٥) تفسير الماوردي (٣/ ١٠٠).

(٦) تفسير الطبري (١٦/ ٣٨٨).

(٧) في المطبوع: «حورانها» بالراء.

(٨) هو قيس بن الخطيم شاعر الأوس، وقد تقدمت نسبة البيتين له في تفسير الآية (٢٠) من سورة البقرة.

الملَك، وقيل: الرَّعد اسم صوت الملَك، وروي عن النبي ﷺ أَنه كان إِذا سمع الرعد قال: «اللهم لا تُهلكنا بغضبك، ولا تقتلنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك»[١].

ورُوي عن علي بن أَبي طالب رضي الله عنه وغيره أَنهم كانوا إِذا سمعوا الرَّعد قالوا: «سبحان الذي سبَّحت له»[٢].

وروى أَبو هريرة أَن النبي ﷺ كان إِذا سمع الرَّعد قال: «سبحان من سبَّح[٣] الرعد بحمده»[٤].

وقال ابن أَبي زكريا[٥]: من قال إِذا سمع الرَّعد: «سبحان الله وبحمده»لم تصبه صاعقة[٦]، وقيل في الرعد أَيضاً: إِنه ريح يختنق بين السحاب، ورُوي ذلك عن ابن عباس[٧] [في غير ما ديوان][٨].

---

(١) ضعيف، أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٢١)، والترمذي (٣٤٥٠) وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٣٠)، والحاكم (٤/ ٣١٨)، والطبراني في الأوسط (٦/ ١٠١) وغيرهم من طريق: عبد الواحد بن زياد ثنا أبو مطر عن سالم عن ابن عمر مرفوعاً. وأبو مطر مجهول العين. قال الذهبي في الميزان (٤/ ٥٧٤): لا يدرى من هو، وقال في المغني (٢/ ٨٠٨): نكرة.
وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٢٦) من طريق: وكيع حدثنا جعفر بن برقان قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ، وهذا معضل.

(٢) واهٍ، أثر علي أخرجه الطبري (١٦/ ٣٨٩) بإسناد فيه: مسعدة بن اليسع، وهو ساقط. وروي عن ابن عباس أيضاً بإسناد لين. وروي عن جماعة من التابعين ومن بعدهم، وفي نجيبويه تأخر هذا الخبر عن الذي بعده، وفيه زيادة «السحاب» في آخره.

(٣) في نجيبويه: «يسبح».

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري أيضاً وفيه رجل مبهم.

(٥) هو عبد الله بن أبي زكريا الخزاعي أبو يحيى فقيه دمشق، وأحد الأعلام، روى عن أبي الدرداء، وسلمان، وعبادة بن الصامت، وعنه: عبد الرحمن بن يزيد والأوزاعي وغيرهم، كان ثقة قليل الحديث، صاحب غزو، توفي سنة (١١٧هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٣٩٦).

(٦) في المطبوع: «صاعقته»، بالإضافة، والمثبت هو الموافق لما في تفسير الطبري (١٦/ ٣٩٠)، عنه.

(٧) أخرجه الطبري (١/ ٣٤١) بإسنادين أحدهما فيه من لم يهتد إليه، والثاني منقطع.

(٨) زيادة من الحمزوية ونجيبويه والأصل.

قال القاضي أبو محمد: وهذا عندي [فيه نظر][١] لأنها نزعات الطبيعيين وغيرهم [من الملحدة][٢].

ورُوي أَيضاً عن ابن عباس أَن الملَك إِذا غضب وزجر السحاب اصطدمت[٣] من خوفه فيكون البرق، وتحتك فتكون الصواعق[٤].

قوله: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ الآية، قيل: إِنه أَدخلها في التنبيه على القدرة بغير سبب ساق ذلك، وقال ابن جريج: كان سبب نزولها قصة أَرْبَد أَخي لبيد بن ربيعة لأمِّه[٥]، وعامر بن الطُّفَيل، وكان من أَمرهما فيما روي: أَنهما قدما على رسول الله ﷺ فدعواه أَن يجعل الأَمر بعده إِلى عامر بن الطفيل ويدخلا في دينه فأَبى، فقال عامر: فتكون أَنت على أَهل الوبر وأَنا على أَهل المدر[٦] فأَبى، فقال له عامر: فماذا تعطيني؟ فقال النبي ﷺ: أُعطيك أَعنة الخيل فإِنك رجل فارس، فقال له عامر: والله لأَملأَنها عليك خيلاً ورجالاً[٧] حتى آخذك، فقال له رسول الله ﷺ: «يأْبى الله ذلك وابنا قيلة[٨]»، فخرجا من عنده، فقال أَحدهما لصاحبه: لو قتلناه ما انتطح فيها عنزان، فتآمرا في الرجوع لذلك.

فقال عامر لأَربد: أَنا أَشغله لك بالحديث واضربه أَنت بالسيف، فجعل عامر يحدثه وأَربد لا يصنع شيئاً، فلما انصرفا قال له عامر: والله يا أَربد لا خفتك أَبداً، ولقد

(١) في المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية: «لا يصح».

(٢) سقطت من الأصل ونجيبويه، وفي نور العثمانية: «الملاحدة».

(٣) في المصرية والمطبوع وأحمد٣: اضطربت، وفي نور العثمانية: اضطرمت.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) «لأمه» ساقط من المطبوع، وفي سيرة ابن هشام (٢/ ٥٦٨) أنه أربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر أخو لبيد لأمه وابنُ عمه.

(٦) في المطبوع وأحمد٣: تقديم «المدر» على «الوبر»، وأهل المدر: سكان البيوت المبنية، وأهل الوبر: سكان الخيام من البدو.

(٧) في المطبوع: «ورجلا».

(٨) يعني الأوس والخزرج، وفي المطبوع: «وأَبناءُ» بصيغة الجمع.

كنت أَخافك قبل هذا، فقال له أَربد: والله لقد أَردت إِخراج السيف فما قدرتُ على ذلك، ولقد كنت أَراك بيني وبينه أَفأَضربك؟ فمضيا للحشد على النبي ﷺ، فأَصابت أَرْبَد صاعقة فقتلته[١]، ففي ذلك يقول لبيد بن ربيعة أَخوه:

أَخشى على أَرْبَدَ الحُتُوفَ ولا أَرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاكِ والأَسَدِ [المنسرح]
فَجَّعَني الرَعْدُ والصَّوَاعِقُ بالْـ فَارِس يَوْمَ الكَرِيهَةِ النُّجُدِ[٢]

فنزلت الآية في ذلك، وروي عن عبد الرحمن بن صحار العبدي[٣] أَنه بلغه أَن جباراً من جبابرة العرب بعث إِليه النبي ﷺ لِيُسْلِم، فقال: أَخبروني عن إله محمد، من لؤلؤ هو أَو من ذهب؟ فنزلت عليه صاعقة ونزلت الآية فيه.

وقال مجاهد: إِن بعض اليهود جاءَ إلى النبي ﷺ يناظره، فبينما هو كذلك إِذ نزلت صاعقة فأَخذت قحف رأْسه، فنزلت الآية فيه[٤].

وقوله: ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾، يجوز أَن تكون إِشارة إلى جدال اليهودي[٥] المذكور، وتكون الواو واو حال، أَو إِلى جدال الجبار المذكور، ويجوز ـ إِن كانت الآية على غير سبب ـ أَن يكون قوله: ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ إِشارة إِلى جميع الكفرة من العرب وغيرهم الذين جُلبت لهم هذه التنبيهات.

و﴿ٱلْمِحَالِ﴾: القوة والإِهلاك، ومنه قول الأَعشى:

---

(١) هذا من مرسل ابن جريج، أخرجه الطبري (١٦/ ٣٩٣).
(٢) في المطبوع «البرق» بدل «الرعد»، وانظر نسبة البيتين له في: تفسير الطبري (١٦/ ٣٨٠)، والأغاني (١٧/ ٥٩)، وسيرة ابن هشام (٥/ ٢٦٢).
(٣) عبد الرحمن بن صحار العبدي روى عن أبيه وله صحبة وعنه أبو العلاء بن الشخير، قال الحسيني: ليس بالمشهور، كذا قال وقد ذكره بن حبان في ثقات التابعين، انظر: تعجيل المنفعة (١/ ٨٠١).
(٤) وهذا مرسل، والذي قبله معضل، أخرجهما الطبري (١٦/ ٣٩١) وإسناد الأول صحيح إلى عبد الرحمن هذا قال: بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم...، والثاني إسناده ضعيف إلى مجاهد.
(٥) في نجيبويه: «حال اليهودي»، وفي المطبوع: «جدال اليهود».

[الخفيف] فَرْعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ في غُصُنِ الْمَجْـ د عَظِيمُ النَّدَى شَدِيدُ المحَال(١)

ومنه قول عبد المطلب:

[مجزوء الكامل] لاَ يَـغْـلِـبَـنَّ صَـلِـيـبُـهُـمْ وَمِحَالُهُـمْ عَـدْواً مِحالَـكْ(٢)

وقرأ الأَعرج، والضحَّاك: (الْمَحَال) بفتح الميم(٣) بمعنى المحالة، وهي الحيلة، ومنه قول العرب في المثل: المرءُ يعجز لا المحالة(٤)، وهذا كالاستدراج والمكر ونحوه، وهذه استعارات في ذكر الله تعالى، والميم إذا كُسرَت أصليةٌ، وإذا فتحت زائدةٌ، ويقال: مَحَلَ الرجل بالرجل: إذا مَكَر به وأخذه بسعاية شديدة / . [٣/ ٩٥]

قوله عز وجل: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾.

الضمير في ﴿لَهُۥ﴾ عائد على اسم الله عز وجل.

---

(١) انظر نسبته له في: مجاز القرآن (٢/ ٨٠)، والأمالي للقالي (٢/ ٢٧٢)، وتفسير الطبري (١٦/ ٣٩٤)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٨).

(٢) انظر عزوه له مع قصته كاملة في: تفسير الطبري (٢٤/ ٦١٣)، والأمالي للقالي (٢/ ٢٧٢)، وسيرة ابن هشام (١/ ١٧٠).

(٣) وهي شاذة انظر عزوها للأعرج في المحتسب (١/ ٣٥٦)، ومختصر الشواذ (ص: ٧١)، وللضحاك في البحر المحيط (٦/ ٣٦٦).

(٤) انظره في: الأمثال لابن سلام (ص: ٢٠٤)، ونقله عن أكثم بن صيفي، وهو شعر في البيان والتبيين (٣/ ٢٦)، وفي المطبوع: «يعز». وفي الحمزوية: «يفخر»، وفي التركية: «لا محالة» دون تعريف، وكذا هو في بعض المصادر أيضاً.

وقال ابن عباس: ﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ لا إله إلا الله[١].

قال القاضي أبو محمد: وما كان من الشريعة في معناها.

وقال علي بن أَبي طالب: ﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾: التوحيد[٢].

ويصح أَن يكون معناها: له دعوة العباد بالحق ودعاءُ غيره من الأَوثان باطل.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ يُراد به ما عُبد من دون الله، والضمير في ﴿يَدْعُونَ﴾ لكفار قريش ونحوهم[٣] من العرب.

وروى اليزيدي عن أَبي عمرو بن العلاءِ: (تَدْعون من دونه) بالتاءِ من فوق[٤].

و﴿يَسْتَجِيبُونَ﴾ بمعنى: يُجيبونَ، ومنه قول الشاعر:

وَدَاعٍ دَعَا يا مَنْ يُجيبُ إِلى النَّدَى   فَلَمْ يَسْتَجبْهُ عنْدَ ذَاكَ مُجيبُ[٥]   [الطويل]

ومعنى الكلام: والذين يدعوهم الكفار في حوائجهم ومنافعهم لا يجيبون بشيءٍ.

ثم مثَّل تعالى مثالاً لإِجاباتهم بالذي يبسط كفَّيْه نحو الماءِ ويشير إِليه بالإِقبال إِلى فيه[٦]، فهو لا يبلغ فمه أَبداً، فكذلك إِجابة هؤلاءِ والانتفاع بهم لا يقع.

وقوله: ﴿هُوَ﴾ يريد به الماءَ وهو البالغ، والضمير في (بَالِغِهِ) للفم، ويصح أَن يكون ﴿هُوَ﴾ يراد به الفم وهو البالغ أَيضاً، والضمير في (بَالِغِهِ) للماءِ، لأَن الفم لا يبلغ الماءَ أَبداً على تلك الحال.

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٣٩٨) من طريقين أحدهما لين والآخر منقطع عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٣٩٨) بإسناد تالف.

(٣) في نجيبويه: «وغيرهم».

(٤) وليست من طرق التيسير بل شاذة كما في مختصر الشواذ (ص: ٧١).

(٥) هذا البيت قاله كعب بن سعد الغَنَوِيُّ يرثي أخاه أبا المغوار، وقد تقدم في تفسير الآية (١٧) من سورة البقرة.

(٦) سقط من المصرية قوله: «إلى فيه».

ثم أَخبر تعالى عن دُعاءِ الْكافِرينَ أَنه في انتلاف[١] وضَلالٍ لا يفيد فيه شيئاً ولا يغني.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾ الآية، يحتمل ظاهر هذه الأَلفاظ أَنه جرى في طريق التنبيه على قدرة الله وتسخير الأَشياءِ له فقط، ويحتمل أَن يكون في ذلك طعن على كفار قريش وحاضري محمد ﷺ، أَي: إِن كنتم أَنتم لا توقنون ولا تسجدون فإِن جميع مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لهم سجود لله تعالى، وإِلى هذا الاحتمال نحا الطبري[٢].

قال القاضي أبو محمد: و﴿مَن﴾ تقع على الملائكة عموماً وسجودهم طَوْعٌ[٣] بلا خلاف، وأَما أَهل الأَرض فالمؤمنون منهم داخلون في مَنْ سجودهم طَوْعٌ، وأَما سجود الكفرة فهو الكُرْه، وذلك على نحوين[٤] من هذا المعنى، فإِن جعلنا السجود هذه الهيئة المعهودة فالمراد من الكفرة من يضمه السيف إِلى الإِسلام ـ كما قال قتادة[٥] ـ فيسجد كرهاً، إِمَّا نفاقاً، وإِمَّا أَن يكون الكره أَول حاله فتستمر عليه الصفة وإِن صحَّ إِيمانه بعد.

وإِن جعلنا السجود الخضوع والتذلُّل على حسب ما هو في اللغة كقول الشاعر:

[الطويل] .... تَـرَى الأُكْمَ فيه سُجَّداً للْحَوَافِـرِ[٦]

فيدخل الكفار أَجمعون في ﴿مَن﴾، لأَنه ليس من كافر إِلا وتلحقه من التذلُّل[٧] والاستكانة بقدرة الله أَنواع أَكثر من أَن تُحصى بحسب رزاياه واعتباراته.

---

(١) في نجيبويه: «إتلاف».
(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٤٠٣).
(٣) بالرفع خبر «سجودهم»، وجاءت في المصرية والمطبوع منصوبة: «طوعاً».
(٤) في نجيبويه: «نحو».
(٥) تفسير الطبري (١٦/ ٤٠٣).
(٦) قاله زيد الخيل كما تقدم مراراً، انظر: تفسير الآية (**٣٣**) من سورة البقرة.
(٧) في المصرية: «الميل».

وقال النحاس، والزجَّاج: «إِن الكره يكون في سجود عصاة المسلمين وأَهل الكسل منهم»[١].

قال القاضي أبو محمد: وإِن كان اللفظ يقتضي هذا فهو قلق من جهة المعنى المقصود بالآية.

وقوله: ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ﴾ إِخبار عن أَن الظِّلال لها سجود لله تعالى بالبُكَر والعَشيَّات.

قال الطبري: «وهذا كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾[٢]»، قال: «وذلك هو فيْئُهُ بالعشي».

وقال مجاهد: «ظلُّ الكافر يسجد طوعاً وهو كاره»، وقال ابن عباس: «يسجد ظلُّ الكافر حين يفيءُ عن يمينه وشماله»[٣].

وحكى الزجَّاج أَن بعض الناس قال: الظِّلال هنا يُراد بها الأَشخاص، وضعفه أَبو إِسحاق[٤].

و(الآصال) جمع أَصيل، وقرأَ أَبو مجلز: (والإِيصالِ)[٥]، قال أَبو الفتح: «هو مصدر آصلنا[٦]، أَي: دخلنا في الأَصيل، كأَصبحنا وأَمسينا»، وروي أَن الكافر إِذا سجد لصنمه فإِن ظله يسجد لله تعالى حينئذ.

وقوله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية، جاءَ السؤال والجواب في هذه الآية من ناحية

---

(١) معاني القرآن للنحاس (٣/ ٤٨٦)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٤٤).

(٢) النحل: ٤٨، انظره مع قول مجاهد في: تفسير الطبري (١٦/ ٤٠٤).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) ولفظه في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٤): «وهذا مخالف للتفسير».

(٥) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في: المحتسب (١/ ٣٥٦).

(٦) ضبطت في المطبوع: «أصلنا» على أنه ثلاثي، ولكن ذلك لا يتفق مع المعنى.

واحدة، إِذْ كان السؤال والتقرير عن أَمر واضح لا مدافعة لأَحد فيه ملزم[١] للحجة، فكان السبقُ إِلى الجواب أَفصحَ في الاحتجاج، وأَسرع في قطعهم من انتظار الجواب منهم، إِذ لا جواب إِلا هذا الذي وقع البِدار إِليه.

وقال مكي: «جهلوا الجواب وطلبوه من جهة السائل فأَعلمهم به السائل، فلما تقيد من هذا كله أَن الله تعالى هو رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وقع التوبيخ على اتخاذهم مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ مُتَّصفين بأَنهم لا ينفعون أَنفسهم ولا يضرونها، وهذه غاية العجز»[٢].

وفي ضمن هذا الكلام: وتركتموه وهو الذي بيده ملكوت كل شيءٍ، ولفظة: ﴿مِّن دُونِهِۦٓ﴾ تقتضي ذلك.

ثم مثَّل الكفار والمؤمنين ـ بعد هذا ـ بقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ بالتاءِ، وقرأَ حمزة، والكسائي، وأَبو بكر عن عاصم: ﴿يَسْتَوِى﴾ بالياءِ[٣].

فالتأْنيث حسن لأَنه مؤنث لم يُفْصل بينه وبين فاعله بشيءٍ، والتذكير شائع[٤] لأنه تأْنيث غير حقيقي والفعل مقدم.

وشبَّهت هذه الآية الكافر بالأَعمى والكفر بالظُّلُمات، وشبهت المؤمن بالْبَصِير والإِيمان بالنُّور، ثم وقفهم بعْدُ، هل رأَوا خلقاً لغير الله فحملهم ذلك واشتباهه[٥] بما خلق الله على أَنْ جعلوا إِلهاً غير الله؟.

---

(١) في المطبوع والمطبوع: «ملتزم».

(٢) الهداية لمكي (٥/ ٣٧١٣)، في نجيبويه: «جعلوا»، بدل «جهلوا».

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٣).

(٤) في نجيبويه: «سائغ».

(٥) في نجيبويه ونور العثمانية: «وأشباهه».

ثم أَمر محمداً ﷺ بالإِفصاح بصفات الله تعالى في أَنه خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وهذا عموم في اللفظ يراد به الخصوص في كل ما هو خلْق الله[١] تعالى.

[قال القاضي ابن الطيب وأبو المعالي وغيرهما من الأصوليين:][٢] ويخرج عن ذلك صفات ذاته لا ربَّ غيره، والقرآن[٣].

ووصف نفسه [بالْواحِد الْقَهَّار][٤] من حيث لا موجود إِلا به، وهو في وجوده مستغن عن الموجودات، لا إله إِلا هو العلي العظيم.

قوله عز وجل: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ / أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾. [٣/ ٩٦]

صدر هذه الآية تنبيه على قدرة الله وإِقامة الحجة على الكفرة به، فلما فرغ ذكرُ ذلك جعله مثالاً للحق والباطل والإِيمان والكفر والشك في الشرع واليقين به.

وقوله: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يريد به المطر، والأَودية: ما بين الجبال من الانخفاض والخنادق، وقوله سبحانه: ﴿بِقَدَرِهَا﴾ يحتمل أن يريد: بما قُدّر لها من الماء، ويحتمل أن يريد: بقدر ما تحتمله[٥] على قدر صغرها وكبرها.

وقرأ جمهور الناس: ﴿بِقَدَرِهَا﴾ بفتح الدال.

وقرأَ الأَشهب العقيلي: [(بقدْرها)، بسكون الدال][٦].

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «خلق لله».

(٢) زيادة من الأصل ونجيبويه والحمزوية.

(٣) «والقرآن»: زيادة من الأصل ونجيبويه والحمزوية، وقد تقدم الكلام على مثل هذا عنهما.

(٤) في المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية والمصرية والتركية: «بالوحدانية».

(٥) في المصرية والمطبوع وأحمد٣: «تحمله».

(٦) في المطبوع بدلاً منه: «بسكونها»، وهي شاذة، انظر عزوها له في: مختصر الشواذ (ص: ٧١).

والزَّبدُ: ما يحمله السيل من غثاءٍ ونحوه، وما يرمي به ضفَّتيه من الحَباب الملْتَبك[١]، ومنه قول حسّان بن ثابت:

[البسيط] ما البَحْرُ حينَ تَهُبُّ الرِّيحُ شَاميَـةً   فيغْطَئِل ويرْمـي العِبْـرَ بالزَّبَدِ[٢]

والرَّابي: المنتفخ الذي قَدْ رَبَا، ومنه الرَّبْوَة.

وقوله: ﴿وَمِمَّا﴾ خبر ابتداءٍ، والابتداءُ قوله: ﴿زَبَدٌ﴾ و﴿مِّثْلُهُۥ﴾ نعت لـ(الزَّبَد)، والمعنى: ومن الأَشياءِ التي تُوقِدُونَ عليها ابتغاءَ الحلي، وهي الذهب والفضة، أَو ابتغاءَ الاستمتاع بها في المرافق، وهي الحديد والرصاص والنحاس ونحوها من الأَشياءِ التي تُوقِدُونَ عليها، فأَخبر تعالى أَن من هذه أَيضاً إِذا أُحمي عليها، [يكون زبد مماثل][٣] للزَّبد الذي يحمله السيل، ثم ضرب تعالى ذلك مثلاً للْحَقّ وَالْباطِل، أَي: أَن الماءَ الذي تشربه الأَرض [من السيل][٤] فيقع النفع به هو كالحق، والزَّبَدُ الذي يخمد[٥] ويَنْفِش ويذهب هو كالباطل، وكذلك ما يخلص من الذهب والفضة والحديد ونحوها هو كالحق، وما يذهب في الدخان هو كالباطل.

وقوله: ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾ متعلق بمحذوف تقديره: كائناً أَو ثابتاً، كذا قال مكي وغيره[٦]، ومنعوا أَن يتعلق بقوله: ﴿يُوقِدُونَ﴾ لأَنهم زعموا أَنه ليس يوقد على شيءٍ إِلا وهو فِي النَّارِ، وتعليق[٧] حرف الجر بـ﴿يُوقِدُونَ﴾ يتضمن تخصيص حال من حال أُخرى.

---

(١) الحَباب: الفقاقيع تظهر على وجه الماءِ، الملتبك: المختلط بعضه ببعض، وفي نجيبويه زيادة: «به».

(٢) انظر عزوه له في: سيرة ابن هشام (٤/ ٢٧٠)، والأغاني (٤/ ١٦٣)، وفي المطبوع وأحمد٣ والتركية بدل «فيغطئل»: «فباطل»، وفي نور العثمانية: «فباطيل»، وفي الأصل: «فيأطل»، وفي الحمزوية: «وأطيل»، وفي القاموس (ص: ١٠٣٩): اغطأل: ركب بعضه بعضاً.

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «تكون زبداً مماثلاً»، وفي نجيبويه: «تكون زبده مماثلاً».

(٤) ساقط من أحمد٣ والمطبوع.

(٥) في المطبوع ونجيبويه: «يجْفُو».

(٦) مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٣٩٨).

(٧) في المطبوع وأحمد٣: «تعلق».

وذهب أَبو علي الفارسيّ إِلى تعلقها[١] بـ﴿يُوقِدُونَ﴾، وقال: قد يوقد على شيءٍ وليس في النار، كقوله تعالى: ﴿فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ [القصص: ٣٨]، فذلك البناءُ الذي أَمر به أَن يوقد عليه وليس في النار لكن يصيبه لهيبها.

وقوله: ﴿جُفَآءً﴾ مصدر من قولهم: أجفأتِ[٢] القِدْرُ، إذا غلت حتى خرج زبدها وذهب، وقرأَ رؤْبة: (جُفَالاً) من قولهم: جفلتِ الريحُ السحابَ، إِذا حملته وفرَّقته، قال أَبو حاتم: لا تعتبر قراءَة الأَعراب في القرآن[٣].

وقوله: ﴿مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ يريد الخالص من الماءِ ومن تلك الأَحجار.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر، وعاصم في رواية أَبي بكر، وأَبو جعفر، والأَعرج، وشيبة، والحسن: ﴿تُوقِدُونَ﴾ بالتاءِ، أَي: أَنتم أَيها الموقدون، وهي صفة لجميع أَنواع الناس.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وابن محيصن، ومجاهد، وطلحة، ويحيى، وأَهل الكوفة: ﴿يُوقِدُونَ﴾ بالياءِ[٤] على الإِشارة إِلى الناس.

و﴿جُفَآءً﴾ مصدر في موضع الحال.

قال القاضي أبو محمد: وروي عن ابن عباس أَنه قال: «قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يريد به الشرع والدين، وقوله تعالى: ﴿فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ﴾ يريد به القلوب، أَي: أَخذ النبيلُ بِحظِّه والبليد بِحَظِّه»[٥].

---

(١) في نجيبويه: «تعليقها»، وفي نور العثمانية: «إلى أن تعلقها».

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «جفأَت».

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في: مختصر الشواذ (ص: ٧١)، وقول أبي حاتم في البحر المحيط (٦/ ٣٧٥).

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٣٣).

(٥) أخرج الطبري (١٦/ ٤١٠) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: هذا مثل ضربه الله، احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها، فأما الشك فلا ينفع معه العمل، وأما اليقين فينفع الله به أهله، ولم أجده باللفظ الذي ذكره المصنف.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول لا يصح ـ والله أَعلم ـ عن ابن عباس؛ لأَنه ينحو إِلى قول أصحاب الرموز، وقد تمسَّك به الغزالي وأَهل ذلك الطريق(١)، ولا وجه لإِخراج اللفظ عن مفهوم كلام العرب بغير علَّة تدعو إِلى ذلك، والله الموفق للصواب برحمته، وإِنْ صحَّ هذا القول عن ابن عباس فإِنما قصد أَن قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَ﴾ معناه: الحق الذي يتقرر في القلوب المهدية، وَالْباطِل الذي يعتريها ـ أيضاً ـ [من وساوس وشبه حين تنظر في كتاب الله عز وجل](٢).

قوله عز وجل: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٨ ۞ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١﴾.

(الذين اسْتَجابُوا) هم المؤمنون الذين دعاهم الله عز وجل على لسان رسوله فأَجابوه إِلى ما دعاهم إِليه من اتِّـبَاع دينه.

و﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ هي الجنة، [ويدخل في هذا النصرُ في الدنيا، ونحوُ ذلك من البشارات التي تكون للمؤمن](٣)، وكلُّ ما يختص به المؤمنون من نعم الله عزَّ وجلَّ.

و(الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا) هم الكفرة، و﴿سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ﴾ هو التَّقَصّي على المحاسَب، ولا يقع في حسابه من التجاوز شيءٌ، قاله شهر بن حوشب، وإِبراهيم النَّخَعي، وقاله فَرْقَدُ السَّبَخي وغيره(٤).

---

(١) انظر: تفسير القشيري (٢/ ٢٢٤)، وإحياء علوم الدين (١/ ١٠٢).

(٢) زيادة من الحمزوية والأصل ونجيبويه، وكذلك لفظ: «المهدية»، وجاء في نجيبويه: «ينظر» بالياء.

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) انظر تفسير الطبري (١٦/ ٤١٧)، وفي المطبوع وأحمد٣: «قاله حوشب»، دون ذكر «شهر بن»، وفي نجيبويه: «فرقد السنجي».

والمأْوى حيث يأْوي الإِنسان ويسكن، والْمِهادُ: ما يُفترش ويُلبس بالجلوس والرقاد.

وقوله: ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ﴾ استفهام بمعنى التقرير، والمعنى: أسواء[١] مَنْ هداه الله فعلم صدقَ نبوتك وآمن بك ومَنْ لم يهتد ولا رُزق بصيرة فبقي على كفره؟ فمثَّل عزَّ وجلَّ ذلك بالعمى.

ورُوي أَن هذه الآية نزلت في حمزة بن عبد المطلب وأَبي جهل بن هشام، وقيل: في عمار بن ياسر وأَبي جهل بن هشام[٢]، وهي بعد هذا مثال في جميع العالم.

و﴿إِنَّمَا﴾ في هذه الآية حاصِرة، أَي: إِنَّما يَتَذَكَّرُ فيُؤْمن ويراقب الله مَنْ له لبٌّ وتحصيل.

ثم أَخذ في وصف هؤلاءِ الذين يسَّرهم للإِيمان فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾.

وقوله: ﴿بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ اسم للجنس، أَي: بجميع عهوده، وهي أَوامره ونواهيه التي وصَّى بها عبيده، ويدخل في هذه الأَلفاظ التزامُ جميع الفروض وتجنُّب جميع المعاصي.

وقوله: ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ﴾ يحتمل أَن يريد به جنس المواثيق، أَي: إِذا اعتقدوا[٣] في طاعة / الله عهداً لم ينقضوه، قال قتادة: «وتقدم الله إِلى عباده في نقض الميثاق ونهى عنه في بضع وعشرين آية»[٤]. [٣/ ٩٧]

ويحتمل أَن يشير إِلى ميثاق معيَّن وهو الذي أَخذه الله على عباده وقت مسحه على ظهر أَبيهم آدم عليه السلام.

وَوَصْلُ ما أَمر الله به أَن يُوصل ظاهِرُهُ في القرابات، وهو مع ذلك يتناول جميع

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «أَيستوي».

(٢) لم أقف عليه مسنداً.

(٣) في المطبوع: «عقدوا».

(٤) تفسير الطبري (١/ ١١٤)، بمعناه.

الطاعات، وسُوءُ الحساب هو أَن يُتَقَصَّى[(١)]، ولا تقع فيه مسامحة [ولا تغمّد][(٢)].

قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾.

الصبر لوجه الله يدخل في الرَّزايا والأَسقام والعبادات، وعن الشهوات ونحو ذلك.

و﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ نصبٌ على المصدر، أَو على المفعول من أَجله، والوَجْه في هذه الآية ظاهره الجهة التي تقصد عنده تعالى بالحسنات لتقع عليه المثوبة، وهذا كما تقول: خرج الجيش لوجه كذا، وهذا أَظهر ما فيه، مع احتمال غيره، وإِقامة الصلاة هي الإِتيان بها على كمالها، و﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ هنا هي المفروضة.

وقوله: ﴿وَأَنفَقُواْ﴾ يريد مواساة المحتاج، والسِّرُّ هو فيما أُنفق تطوعاً، والعلانية فيما أُنفق من الزكاة المفروضة، لأَن التطوع كله الأَفضل فيه التكتم.

وقوله: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ أَي: ويدفعون من رأَوْا منه مكروهاً بالتي هي أَحسن، وقيل: يدفعون بقول: «لا إِله إِلا الله» شرْكَهُم[(٣)]، وقيل: يدفعون بالسلام غوائل الناس.

قال القاضي أبو محمد: وبالجملة لا يُكَافئون الشرَّ بالشرِّ، وهذا بخلاف خُلُق الجاهلية.

---

(١) في الحمزوية: «لا يتقضى» وفي التركية: «هو الذي يقضى»، وفي نور العثمانية: «أن ينقضي»، وفي المصرية: «التقصي».

(٢) ساقط من نجيبويه، وظاهر المصرية وأحمد٣ ونور العثمانية والتركية: «ولا تعمد».

(٣) في نجيبويه: «من كفر».

ورُوي أَن هذه الآية نزلت في الأَنصار[١]، ثم هي[٢] عامة بعد ذلك في كل من اتصف بهذه الصفات.

وقوله: ﴿عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ يحتمل أَن تكون عُقْبى دار الدنيا، ثم فسَّر العقبى بقوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾ إِذ العقبى تعُمّ حالة الخير وحالة الشر، ويحتمل أَن يريد: عُقْبَى دار الآخرة لدار الدنيا، أَي: العقبى الحسنة[٣] في الدار الآخرة هي لهم.

وقرأَ الجمهور: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾، وقرأَ النَّخَعي: (جنةُ عدنٍ يُدْخَلُونَها) بضم الياءِ وفتح الخاءِ[٤]. و﴿جَنَّٰتُ﴾ بدلٌ من ﴿عُقۡبَى﴾ وتفسير لها.

وعَدْن هي مدينة الجنة ووسطها، ومنها جنات الإِقامة، من «عَدَن في المكان» إِذا أَقام فيه طويلاً، ومنه المعادن، وجناتُ عدْن يقال: هي مسكن الأَنبياءِ والشهداءِ والعلماءِ فقط، قاله عبد الله بن عمرو بن العاص، ويروى أَن لها خمسة آلاف باب[٥].

وقوله: ﴿وَمَن صَلَحَ﴾ أَي: من عمل صالحاً وآمن، قاله مجاهد وغيره، ويحتمل: أَي: مَنْ صلح لذلك بقدَر الله تعالى وسابق علمه، وحكى الطبري في صفة دخول الملائكة أَحاديث لم نطول بها لضعف أَسانيدها، والمعنى: يقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾، فحذف «يقولون» تخفيفاً وإِيجازاً لدلالة ظاهر الكلام عليه، والمعنى: هذا بما صبرتم[٦].

والقول في ﴿عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ على نحو ما تقدم من المعنيين.

---

(١) لم أجده مسنداً.

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «بقيت» بدل «هي».

(٣) في المطبوع بدل «الحسنة»: «الجنة» مع التنبيه على النسخة الأخرى في الهامش.

(٤) وهي بالإفراد شاذة، انظر عزوها له ولابن وثاب في: الشواذ للكرماني (ص: ٢٥٦).

(٥) إسناده ليس فيه مجروح، أخرجه الطبري (١٦/ ٤٢٤) من طريق: علي بن جرير قال: حدثنا حماد ابن سلمة، عن يعلى بن عطاء، عن نافع بن عاصم، عن عبد الله بن عمرو.

(٦) انظره مع قول مجاهد في: تفسير الطبري (١٦/ ٤٢٤)، وفي نجيبويه: «قال مجاهد»، بدل «قاله».

وقرأ الجمهور: ﴿فَنِعْمَ﴾ بكسر النون وسكون العين، وقرأ يحيى بن وثاب (فَنَعِم)[١] بفتح النون وكسر العين.

وقالت فرقة: معنى ﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ أي: أَنْ أُعْقبوا الجنة من جهنم.

قال القاضي أبو محمد: وهذا التأْويل مبني على حديث ورَدَ وهو: «إِن كل رجل في الجنة فقد كان له مقعد معروف في النار فصرفه الله عنه إِلى النعيم، فيعرض عليه، ويقال له: هذا مكان[٢] مقعدك فبدَّلك الله منه الجنة بإِيمانك وطاعتك وصبرك»[٣].

قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾.

هذه صفةُ حالةٍ مضادة للمتقدمة، وقال ابن جريج في قوله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ أنه رُوي: «إِذا لم تمش إِلى قريبك برجلك ولم تواسه بمالك فقد قطعته»[٤].

وقال مصعب بن سعد: سأَلت أَبي عن قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤]، أَهُم الحرورية؟ قال: «لا، ولكن الحرورية هم ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ

---

(١) سقطت من المطبوع، وهي شاذة، انظر عزوها له في: المحتسب (١/ ٣٥٦)، ومختصر الشواذ (ص: ٧١).

(٢) في نجيبويه ونور العثمانية: «كان».

(٣) متفق عليه بنحوه، أخرجه البخاري (١٣٣٨) (١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠) من حديث أنس رضي الله عنه، بلفظ: «انظر إلى: مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة».

(٤) معضل، أخرجه الطبري (١٦/ ٤٢٩) عن ابن جريج قال: بلغنا أن النبي ﷺ قال...إلخ.

﴿وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧﴾[١]، فكان سعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه يجعل فيهم الآيتين»[٢].

و﴿ٱللَّعۡنَةُ﴾: الإِبعاد من رحمة الله ومن الخير جملة، و﴿سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ ضد[٣] ﴿عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾، والأَظهر في ﴿ٱلدَّارِ﴾ هنا أَنها دار الآخرة، ويحتمل أَنها الدنيا على ضعف.

وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾ الآية، لما أَخبر عمن تقدمت صفته بأَن لَهُمُ اللَّعْنَة وَلَهُمْ سُوء الدَّارِ أَنحى بعد ذلك على أغنيائهم، وحقَّر شأْنهم وشأْن أَموالهم، المعنى: أَن هذا كله بمشيئة الله، يَهَبُ الكافر المال ليُهْلِكه به، ويَقْدِر على المؤمن ليُعْظِم بذلك أَجرَه وذخره.

وقوله: ﴿وَيَقۡدِرُ﴾ من التقدير، فهو مناقض ﴿يَبۡسُطُ﴾، ثم استجهلهم في قوله: ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ وهي بالإِضافة إِلى الآخرة متاع ذاهب مضمحل، يستمتع به قليلاً ثم يفنى.

والمتاع: ما يُتَمَتَّعُ به مما لا يبقى، قال الشاعر:

تَـمَـتَّـعْ يـا مُشَـعَّـثُ إِنَّ شـيئـاً   سَبَـقْتَ بِهِ الْمَمَاتَ هُوَ الْمَتَاعُ[٤]   [الوافر]

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ﴾ الآية، هذا ردٌّ على مقترحي الآيات من كفار قريش، كسقوط السماءِ عليهم كِسَفاً، ونحو ذلك من قولهم: سيِّر عنا الأخشبين، واجعل لنا البطاح محارث ومغترساً / كالأَردنّ، وأَحْيِ لنا قصيّا[٥] [٣/ ٩٨]

---

(١) البقرة: (٢٧)، وقد جاءت الآية في المطبوع إلى قوله: ﴿مِيثَٰقِهِۦ﴾ وفيه: «وتلا هذه الآية».

(٢) البخاري بنحوه، أخرجه (٤٧٢٨) بلفظ: لا، هم اليهود والنصارى: أما اليهود فكذبوا محمداً ﷺ وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب، والحرورية ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ وكان سعد يسميهم الفاسقين.

(٣) في أحمد٣: ضنك مع التنبيه على «ضد» في الهامش، في نجيبويه زيادة: نعم.

(٤) البيت للمُشَعّث العامري، كما في مجاز القرآن (١/ ٣٢٨)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢٨٣)، والأصمعيات (ص: ٤٣).

(٥) في المطبوع: «مُضيّنا».

وأَسلافنا، فلما لم يكن ذلك بحسب أَن آيات الاقتراح لم تجر عادةُ الأَنبياءِ بالإِتيان بها إِلا إِذا أَراد الله تعذيب قوم، قالوا هذه المقالة، فردّ الله عليهم، أَي: أَن نزول الآية لا تكون معه ضرورة إِيمانكم ولا هداكم، وإِنما الأَمر بيد الله ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ﴾[١] إِلى طاعته [والإِيمان به][٢] ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ إِلى الطاعة وآمن بالآيات الدالة.

ويحتمل أَن يعود الضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ على القرآن الكريم، وَيحتمل أن يعود على محمد ﷺ.

و﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدلٌ مِن ﴿مَنْ﴾ في قوله ﴿مَنْ أَنَابَ﴾، وطمأْنينة القلوب هي الاستكانة والسرور بذكر الله والسكون به كمالاً به، ورضًى بالثواب عليه، وجودة اليقين.

ثم استفتح الإِخبار عز وجل بأَن طمأْنينة القلوب بذكر الله تعالى، وفي هذا الإِخبار حضٌّ وترغيبٌ في الإِيمان، والمعنى: إِن بهذا تقع الطمأْنينة لا بالآيات المقترحة، بل ربما كفر بعدها قوم فنزل العذاب كما سلف في بعض الأُمم.

و﴿ٱلَّذِينَ﴾ الثاني ابتداءٌ وخبره﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾، ويصح أَن يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدلاً من الأُولى، و﴿طُوبَىٰ﴾ ابتداءٌ و﴿لَهُمْ﴾ خبره.

و﴿طُوبَىٰ﴾ اسم، يدل على ذلك كونه ابتداءً، وهي فُعْلى من الطيب في قول بعضهم، وذهب سيبويه بها مذهب الدعاءِ، وقال: «هي في موضع رفع»[٣].

ويدل على ذلك رفع ﴿وَحُسْنُ﴾، وقال ثعلب: [«طُوبى مصدر»][٤].

وقرئَ: (وَحسنَ) بالنصب، فـ﴿طُوبَىٰ﴾ على هذا مصدر، كما قالوا: سقْياً لك، ونظيره من المصادر: الرُّجعى والعُقْبى.

---

(١) في المطبوع وأحمد٣ زيادة: «من يشاءُ»، ولعل فيها تكراراً.

(٢) ساقط من نجيبويه.

(٣) الكتاب لسيبويه (١/ ٣٣١).

(٤) ساقط من المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية والتركية، وانظر مذهب ثعلب في: المحكم والمحيط الأعظم (٩/ ٢٢٥).

قال ابن سيده: «والطُّوبى جمع طيبة، عن كراع[١]، ونظيره كُوسَى في جمع كيسَة، وضوفى في جمع ضيفة»[٢].

قال القاضي أبو محمد: والذي قرأَ: (وَحُسْنَ) بالنصب هو يحيى بن يَعْمر، وابن أَبي عبلة[٣].

واختلف في معنى طُوبَى: فقيل: معناه: خير لهم، وقال عكرمة: «معناه: [نعم ما][٤] لهم».

وقال الضحاك: «معناه: غبطة لهم»[٥].

وقال ابن عباس: ﴿طُوبَىٰ﴾ اسم الجنة بالحبشية[٦].

وقال سعيد بن مسحوح[٧]: «اسم الجنة طُوبى بالهندية»[٨].

وقيل: ﴿طُوبَىٰ﴾ اسم شجرة في الجنة، وبهذا تواترت الأَحاديث، قال رسول الله ﷺ:

---

(١) هو عليّ بن الحسن، أبو الحسن الهنائيّ الأزديّ، ويعرف بكراع النمل؛ فإنه كان دميم الخلقة. كان لغويّاً نحويّاً من علماء مصر، خلط المذهبين، وأخذ عن النحويين البصريين والكوفيين، توفي بعد (٣٩٠هـ). إنباه الرواة (٢/ ٢٤٠).

(٢) في المطبوع: «وصُوفى في جمع صِيفة»، بالصاد فيهما، وهو في المحكم والمحيط الأعظم (٩/ ٢٢٥) بالمعنى.

(٣) وهي شاذة انظر عزوها لابن أبي عبلة في: الكامل للهذلي (ص: ٥٧٩)، وعزاها في: مختصر الشواذ (ص: ٧١) لابن محيصن.

(٤) «ما» ساقطة من المطبوع، وفي نجيبويه: «تعجباً».

(٥) تفسير الطبري (١٦/ ٤٣٥).

(٦) أخرجه الطبري (١٦/ ٤٣٦) بإسناد لا يحتج به.

(٧) في المطبوع ونور العثمانية: «مسجوح»، وفي أحمد٣: «مشجوج»، قال في المعجم الصغير لرواة الطبري (١/ ١٩٩): سعيد بن مشجوج، وقيل: ابن مشجوع، وقيل: ابن مسجوع، وقيل: ابن مسجوح، من الرابعة أو الثالثة، لم أعرفه، ولم يعرفه شاكر قبلي.

(٨) تفسير الطبري (١٦/ ٤٣٦)، وفيه «مشجوج».

«طوبى شجرة في الجنة، يسير الراكب الـمُجِدُّ في ظلها مئة عام مجدّاً[١] لا يقطعها، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠][٢]».

وحكى الطبري عن أَبي هريرة، وعن مغيث بن سُمَيّ[٣]، وعتبة بن عبد[٤] يرفعه أَخباراً مقتضاها أَن هذه الشجرة ليس في الجنة دار إِلا وفيها من أَغصانها، وأَنها تثمر بثياب أَهل الجنة، وأَنها يخرج منها الخيل بسُرُجِهَا ولُجُمها[٥]، ونحو هذا مما لم يثبت سنده.

والْمَآبُ: المرجع والمآل، من آب يؤوب، ويقال في طوبى: طِيبَى.

قوله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ

---

(١) «مجداً»: زيادة من المطبوع وأحمد٣.

(٢) أما تفسير «طوبى» بشجرة في الجنة، فقد روي من طريق: موسى بن سالم قال: قال ابن عباس، من قوله وهذا منقطع، ومن طريق أشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة من قوله، وشهر تكلموا فيه، ومن قول بعض التابعين، ينظر الطبري (١٦/ ٤٤٠).
أما المرفوع فرواه الطبري (١٦/ ٤٤٢) من طريق: أبي توبة الربيع بن نافع قال: حدثنا معاوية بن سلام، عن زيد: أنه سمع أبا سَلام قال: حدثنا عامر بن زيد البكالي: أنه سمع عتبة بن عبد السلمِيّ يقول: جاء أعرابيٌّ إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، في الجنة فاكهة؟ «قال: نعم، فيها شجرة تدعى «طوبى»، هي تطابق الفردوس»، وليس فيه: «يسير الراكب الـمُجِدُّ في ظلها مئة عام»، ولا ذكر الآية، وأبو عامر البكالي: ذكره البخاري وابن أبي حاتم بغير جرح أو تعديل، وذكره ابن حبان في الثقات بروايته عن عتبة بن عبد، وعنه أبو سلام ويحيى بن أبي كثير، فهو مستور الحال.

(٣) هو مغيث بن سمي الأوزاعي الشامي، روى عن عبد الله عمرو، وابن الزبير، وابن عمر، وكعب الأحبار، وعنه: عاصم بن أبي النجود، وعبد الرحمن بن يزيد، وغيرهم. وكان إخباريّاً صاحب كتب كوهب وأبي الجلد. وثقه أبو داود. تاريخ الإسلام (٧/ ٢٦١).

(٤) هو عتبة بن عبد، بغير إضافة، أبو الوليد السلمي كان اسمه عتلة، ويقال نشبة، فغيَّره النبيّ ﷺ، قال الواقديّ: هو آخر من مات بالشام من الصحابة. الإصابة (٤/ ٣٦٢).

(٥) في نجيبويه: «لجومها»، يراجع تفسير الطبري (١٦/ ٤٤٢) إضافة لما تقدم.

أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾.

الكاف في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ متعلقة بالمعنى الذي في قوله: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾، أَي: كما أَنفذ الله هذا كَذلِكَ أَرسلناك، هذا قولٌ، والذي يظهر لي أَن المعنى: كما أَجرينا العادة بأَن الله يضل من يشاءُ[1] ويهدي، لا بالآيات المقترحة، فكذلك أَيضاً فعلنا في هذه الأُمة، أَرْسَلْناكَ إِليها بوحي لا بالآيات المقترحة، فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاءُ.

وقوله: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾، قال قتادة وابن جريج: نزلت في قريش[2] حين عاهدهم رسول الله ﷺ عام الحديبية، فكتب الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال قائلهم: نحن لا نعرف الرحمن ولا نقر اسمه[3].

قال القاضي أبو محمد: والذي أَقول[4] في هذا: إِن (الرَّحْمن) هنا يراد به الله تعالى وذاته، ونسب إِليهم الكُفْر به على الإِطلاق، وقصة الحديبية وقصة أُمية بن خلف مع عبد الرحمن بن عوف[5] إِنما هي إِباية الاسم فقط. وهروب عن هذه العبارة التي لم يعرفوها إِلا مِن قِبل محمد ﷺ، ثم أَمر الله تعالى نبيَّه بالتصريح بالدين والإِفصاح بالدعوة في قوله: ﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾.

والْمَتَاب: المرجع كالمآب، لأَن التوبة: الرجوع.

---

(١) زيادة من المطبوع.

(٢) زيادة من المطبوع والمصرية.

(٣) أخرجه الطبري ١٦/ ٤٤٥-٤٤٦) عن قتادة ومجاهد مرسلاً.

(٤) في نجيبويه: «يقال».

(٥) قصة الحديبية أخرجها البخاري (٢٧٣٢) ومسلم (١٧٨٤)، والقصة الأخرى أخرجها البخاري (٢٣٠١).

ويحتمل قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ الآية أن يكون متعلقاً بقوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ فيكون معنى الآية الإِخبار عنهم أَنهم لا يؤمنون ولو نزل قرآن تسير به الجبال وتقطع به الأَرض، هذا تأْويل الفراءِ وفرقة من المتأَوّلين[١]، وقالت فرقة: بل جواب (لوْ) محذوف تقديره: ولو أَن قرآناً يكون صفته[٢] كذا لما آمنوا بوجه.

وقال أَهل هذا التأْويل: ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما: إِن الكفار كانوا قالوا للنبي ﷺ: أَزِح عنَّا ـ أو سَيِّر ـ جبلي مكة فقد ضيقا علينا، واجعل لنا أَرضنا[٣] قطع غراسة وحرث، وأَحْيِ لنا آباءَنا وأَجدادنا وفلاناً وفلاناً، فنزلت الآية في ذلك مُعْلِمة أَنهم لا يؤمنون ولو كان ذلك كلُّه[٤].

وقالت فرقة: جواب (لَوْ) محذوف، ولكنه ليس في هذا المعنى، بل تقديره: لكان هذا القرآن الذي يصنع هذا به، وتتضمن الآية ـ على هذا ـ تعظيم القرآن، وهذا قول حسن يحرز[٥] فصاحة الآية، وقوله: ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ يعضد التأْويل الأَخير ويترتب مع الآخرَيْن.

وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[٦] الآية، ﴿يَاْيْـَٔسِ﴾ معناه: يعلم، وهي لغة هوازن، قاله القاسم[٧] بن معن[٨]، وقال ابن الكلبي: «هي لغة وَهْبيل[٩] حيٍّ من النخع»[١٠]،

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٦٣).

(٢) في الأصل: «صفة»، والتعديل من النسخ الأخرى.

(٣) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية: أرضا.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٤٤٧) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، وقد سبق هذا الإسناد مراراً.

(٥) في المطبوع: «يحرر».

(٦) جاء في المطبوع هكذا: «{ولو أن} بمعنى يعلم».

(٧) في نجيبويه: «ابن القاسم»، وفي أحمد٣ ونور العثمانية: «القاسم بن معين».

(٨) هو قاضي الكوفة وعالم زمانه أبو عبد الله القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهذلي المسعودي الكوفي الفقيه، كان ثقة، صاحب عربية وشعر، كبير القدر، عفيفاً صارماً، لا يأخذ على القضاء، توفي سنة (١٧٥هـ). تاريخ الإسلام (١١/ ٢٩٧).

(٩) في المطبوع وأحمد٣: «هبيل» بلا واو.

(١٠) انظر قول القاسم وابن الكلبي في: تفسير الطبري (١٦/ ٤٥١)، ونسبَ وهبيل النخعي في نسب =

ومنه قول سُحَيْم بن وثيل الرياحي:

أَقُولُ لهُمْ بِالشِّعْبِ إِذْ ييْسِرُونَني ... أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّي ابْنُ فارِسِ زَهْدم[1] [الطويل]

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أَن يكون اليأْس في هذه الآية على بابه، وذلك أَنه لما أَبعد إِيمانهم في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ الآية ـ على التأْويلين في المحذوف المقدر ـ قال في هذه الآية: أَفلم ييأَس المؤمنون من إِيمان هؤلاءِ الكفرة علماً منهم أَنْ لَوْ يَشاءُ الله لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً.

وقرأَ ابن كثير، وابن محيصن ﴿يَأيس﴾[2].

وقرأَ عليٌّ بن أَبي طالب، وابن عباس، وابن أَبي مُلَيْكَة، وعكرمة، والجحدري، وعلي بن حسين، وزيد بن عليّ، وجعفر بن محمد: (أَ فلم يتبين)[3].

ثم أَخبر تعالى / عن كفار قريش والعرب أَنهم لا يزالون تصيبهم قوارع من سرايا رسول الله ﷺ وغزواته، وفي قراءة ابن مسعود ومجاهد: (ولا يزال الذين ظلموا)[4]. [٣/ ٩٩]

ثم قال: ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ أَنت يا محمد ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾، هذا تأْويل فرقة منهم الطبري، وعزاه إِلى ابن عباس[5]، ومجاهد، وقتادة، وقال الحسن بن أَبي الحسن: «المعنى: أَوْ تَحُلُّ القارعة قَرِيباً مِنْ دارِهِمْ»[6].

= معد واليمن الكبير (١/ ٢٨٩).

(١) انظر نسبته له في: مجاز القرآن (١/ ٣٣٢)، وقد تقدم في تفسير الآية (٢١٧) من سورة البقرة.

(٢) وهي سبعية كما تقدم قريباً في سورة يوسف.

(٣) وهي شاذة مخالفة للرسم، انظر عزوها لهم في: المحتسب (١/ ٣٥٧).

(٤) وهي إن وجدت شاذة مخالفة للرسم، ولم نجد للشيخ فيها سلفاً ولا خلفاً.

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ٤٥٧) من طريق: أبي داود ـ الطيالسي ـ ووكيع وأبي قطن، ثلاثتهم ـ مفرقين ـ عن المسعودي، عن قتادة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. ورواية وكيع عن المسعودي قبل اختلاطه.

(٦) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري (١٦/ ٤٥٧-٣٥٩).

وقرأ مجاهد، وسعيد بن جبير: (أو يَحل) بالياء (قريباً من دِيَارهم) بالجمع[١].

و﴿وَعۡدُ ٱللَّهِ﴾ على قول ابن عباس وقوم: فتحُ مكة[٢]، وقال الحسن ابن أبي الحسن: «الآية عامة في الكفار إلى يوم القيامة، وأن حال الكفار هكذا هي أبداً»[٣]، و﴿وَعۡدُ ٱللَّهِ﴾: قيام الساعة.

والقارعة: الرزيَّة التي تقرع قلب صاحبها بفظاعتها، كالقتل والأَسْر ونهب المال وكشف الحريم ونحوه.

وقوله: ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ ﴾ الآية: هذه آية تأْنيس للنبي ﷺ، أَي: لا يضق صدرك يا محمد بما ترى من قومك وتلقى منهم، فليس ذلك ببدع ولا نكير، قد تقدم هذا في الأُمم، وأَمْلَيْتُ لَهُمْ: أَي: مدَدْتُ المدة وأَطَلْتُ، والإِملاءُ: الإِمهال على جهة الاستدراج، وهو من الْمُلاَوة من الزمن، ومنه: تَملَّيْتُ حُسْنَ العَيْش.

وقوله: ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ تقرير وتعجيب، وفي ضمنه وعيد للكفار المعاصرين لمحمد ﷺ.

قوله عز وجل: ﴿ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٣٤﴾ ۞ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾.

هذه الآية راجعة بالمعنى إلى قوله: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لمجاهد في: مختصر الشواذ (ص: ٧١).

(٢) هو نفس الأثر السابق للمسعودي، وقد روي هذا عن عدد من التابعين أيضاً في نفس الموضع.

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٤٦٠).

﴿هُوَ﴾، والمعنى: أفَمَنْ هُوَ [قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ][١] أَحقُّ بالعبادة أَم الجمادات التي لا تنفع ولا تضر؟ هذا تأْويل، ويظهر أَن القول مرتبط بقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾، كأَن المعنى: أفَمن له القدرة والوحدانية ويُجْعل له شريكٌ أَهْلٌ أَن ينتقم ويعاقب أَم لا؟

والأَنْفُس من مخلوقاته، وهو قائم على الكلّ ـ أَي: محيط به ـ لتقرب الموعظة من حسِّ السامع، ثم خصَّ من أَحوال الأَنفس حال كسبها ليتفكر الإِنسان عند نظر الآية في أَعماله وكسبه[٢].

وقوله: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أَي: سمُّوا من له صفات يستحق بها الأُلوهية، ثم أَضرب القَول وقرَّر: هل تُعلمون الله بما لا يعلم.

وقرأَ الحسن: (تُنْبِئونه) بإِسكان النون وتخفيف الباءِ[٣].

و﴿أَمْ﴾ هي بمعنى «بل» وأَلف الاستفهام، هذا مذهب سيبويه، وهي كقولهم: إنها لإِبلٌ أَمْ شاءٌ.

ثم قررهم بعْدُ: هل يريدون تجويز ذلك بظاهر من الأَمر؟ لأَن ظاهر الأَمر له إِلباسٌ ما وموضع من الاحتمال، وما لم يكن إِلا بظاهر من القول فقط فلا شبهة له.

وقرأَ الجمهور: ﴿زُيِّنَ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول ﴿مَكْرُهُمْ﴾ بالرفع.

وقرأ مجاهد: (زيَّنَ) على بنائه للفاعل (مَكْرَهُمْ) بالنصب[٤]، أَي: زَيَّن الله.

و﴿مَكْرُهُمْ﴾ لفظ يعم أَقوالهم وأَفعالهم التي كانت بسبيل مناقضة الشرع.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿وَصُدُّوا۟﴾ بضم الصاد، وهذا على تعدي

---

(١) سقط بقية الآية من المطبوع وأحمد٣، وفيه بدله: «هكذا».

(٢) في حاشية المطبوع: «في بعض النسخ: عند نظر الله إليه في أعماله وكسبه».

(٣) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٢٥٦).

(٤) وهي شاذة، عزاها له ولابن عباس في مختصر الشواذ (ص: ٧١).

الفعل، وقرأ الباقون هنا وفي «حم المؤمن»: ﴿وَصَدُّوا﴾ [غافر: ٣٧] بفتحها[١].

وذلك يحتمل أن يكون: صدُّوا أنفسهم، أو صدوا غيرهم.

وقرأ يحيى بن وثاب: (وصِدُّوا) بكسر الصاد[٢].

وقوله: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ﴾ الآية، آيةُ وعيدٍ، أي: لهم عذاب في دنياهم بالقتل والأسر والجدوب والبلايا في أجسامهم[٣] وغير ذلك مما يمتحنهم الله به، ثم لهم [في الآخرة][٤] عذاب أشَقُّ من هذا كله وهو الاحتراق بالنار.

و﴿أَشَقُّ﴾: أصعب، من المشقة، والواقي هو الساتر على جهة الحماية، من الوقاية.

وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ الآية، قال قوم: ﴿مَّثَلُ﴾ معناه: صفة، وهذا من قولك: مَثَلتُ الشيءَ: إذا وصفته لأحد وقرَّبت عليه فهم أمره، وليس بضرب مثل لها، وهو كقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الروم: ٢٧]، أي: الوصف الأعلى، ويظهر أن المعنى الذي يتحصل في النفس مثالاً للجنة هو جرْي الأنهار وأن أُكُلَها دائم، ورافعه عند سيبويه مُقَدّر قبلُ[٥]، تقديره: فيما يُتْلى عليكم أو يُنصّ عليكم مثلُ الجنة[٦].

ورافعه عند الفراءِ قوله: ﴿تَجْرِي﴾ أي: صفة الجنة أنها ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[٧]، ونحو هذا موجود في كلام العرب، وتأول عليه قومٌ أن ﴿مَّثَلُ﴾ مُقْحم، وأن التقدير: الْجَنَّة الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي[٨].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا قلق.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٣٥٩)، والتيسير (ص: ١٣٣).

(٢) وهي شاذة، عزاها له النحاس في إعراب القرآن (٢/ ٢٢٥).

(٣) في نجيبويه: «أجسادهم».

(٤) ساقط من المطبوع وأحمد٣.

(٥) في نجيبويه ونور العثمانية: «قيل».

(٦) الكتاب لسيبويه (١/ ١٤٣).

(٧) معاني القرآن للفراء (٢/ ٦٥).

(٨) في المطبوع: «بها» بدل «تجري».

وقرأ علي بن أَبي طالب، وابن مسعود: (أمثال الجنة)[١].

وقد تقدم غير مرَّة معنى قوله: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، وقولُه: ﴿أُكُلُهَا﴾ معناه: ما يُؤْكل فيها.

والعُقْبى والعاقبة والعاقب: حال تتلو أُخرى قبلها، وباقي الآية بيِّن.

وقيل: التقدير في صدر الآية: مثل الجنة جنة تجري، قاله الزجاج[٢]، فتكون الآية على هذا ضَرْبَ مثل لجنة النعيم في الآخرة.

قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾.

اختلف المتأولون فيمن عني بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾:

فقال ابن زيد: «عني به من آمن من أَهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وشبهه».

قال القاضي أَبو محمد: والمعنى مَدْحُهم بأَنهم لشدة إِيمانهم يُسَرون بجميع ما يرد على النبي ﷺ من زيادات[٣] الشرع.

[وقال قتادة: «عني به جميع المؤمنين»[٤].

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هو القرآن، و﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يراد به جميع الشرع][٥].

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لعلي في: معاني القرآن للفراء (٢/ ٦٥)، ولهما في مختصر الشواذ (ص: ٧١).
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٥٠).
(٣) في المطبوع وأحمد٣: «مباحات».
(٤) انظر القولين في: تفسير الطبري (١٦/ ٤٧٣-٤٧٤).
(٥) ساقط من المصرية.

وقالت فرقة: المراد بـ(الَّذِينَ آتَـيْناهُمُ الْكِتابَ) اليهود والنصارى، وذلك أَنهم لهم فرح بما ينزل على النبي ﷺ من تصديق شرائعهم / وذكر أَوائلهم. [٣/ ١٠٠]

قال القاضي أبو محمد: ويُضَعَّف هذا التأْويلُ بأَن[1] همهم به أَكثر من فرحهم فلا يُعْتد بفرحهم، ويُضعَّف أَيضاً بأَن اليهود والنصارى ينكرون بعضه، وقد فرَّق الله في هذه الآية بين الذين ينكرون بعضه وبين الذين آتيناهم الكتاب.

و﴿ٱلْأَحْزَابِ﴾ قال مجاهد: «هم اليهود والنصارى والمجوس»، وقالت فرقة: «هم أَحزاب الجاهلية من العرب»[2]، وأَمَرَه الله تعالى أَن يطَّرح اختلافهم، وأَن يصدع بأَنه إِنما أُمر بعبادة الله، وترْك الإِشراك، والدعاءِ إِليه، واعتقادِ المآب إِليه، وهو الرجوع عند البعث يوم القيامة.

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾، المعنى: كما يسَّرنا هؤلاءِ للفرح وهؤلاءِ لإِنكار البعض، كذلك ﴿أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾، ويحتمل المعنى: والمؤمنون الذين آتيناهم الكتاب يفرحون به لفهمهم له وسرعة تَلَقِّيهم، ثم عدَّد النعمة بقوله: كذلك جعلناه، أَي: سَهَّلْنَاهُ عليهم في ذلك وتَفَضَّلْنَا.

و﴿حُكْمًا﴾ نصب على الحال، والحُكْم: ما تضمنه القرآن من المعاني، وجعله عَرَبِيّاً لمَّا كانت العبارة عنه بالعربية، ثم خاطب النبيَّ ﷺ محذِّراً من اتباع أَهواءِ هذه الفرق الضالة، والخطاب لمحمد ﷺ وهو بالمعنى يتناول المؤمنين إِلى يوم القيامة.

ووقف ابن كثير وحده على: ﴿وَاقِي﴾ و﴿هَادِي﴾ و﴿وَالِي﴾ بالياءِ.

قال أَبو عليّ: «والجمهور يقفون بغير ياءٍ، وهو الوجه»[3]، وباقي الآية بيّن.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ الآية، في صدر هذه الآية تأْنيس للنبي ﷺ،

---

(١) في نجيبويه: «بيان».

(٢) انظر القولين في: تفسير الطبري (١٦/ ٤٧٤).

(٣) انظر قراءة ابن كثير في: السبعة في القراءات (ص: ٣٦٠)، وتوجيهها في الحجة لأبي علي (٥/ ٢٣).

وردٌّ على المقترحين من قريش بالملائكة، المتعجبين من بعثة الله بشراً رسولاً، فالمعنى: إِنَّ بعثك يا محمد ليس ببدع، فقد تقدم هذا في الأُمم.

ثم جاءَ قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ الآية، لفظه لفظ النهي والزجر، والمقصد به إِنما هو النفي المحض، لكنه نفيٌ تأكَّد بهذه العبارة، ومتى كانت هذه العبارة عن أَمر واقع تحت قدرة [المنهي عنه][1] فهي زجْرٌ، ومتى لم يقع ذلك تحت قدرته فهو نفيٌ محْضٌ[2] مؤَكَّد، و﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ معناه: إِلاَّ أَن يأْذن الله في ذلك.

وقوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ لفظ عام في جميع الأَشياءِ التي لها آجال، وذلك أَنه ليس كائن منها إِلا وله أَجل في بدئه وفي خاتمته، وكلُّ أَجل مكتوبٌ محصور، فأَخبر تعالى عن كتْبه الآجالَ التي للأَشياءِ عامة، وقال الضحاك والفراءُ: المعنى: «لكل كتاب أجل»[3].

قال القاضي أبو محمد: وهذا العكس غير لازم، ولا وجه له، إِذ المعنى تام[4] في ترتيب القرآن، بل يمكن هدم قولهما بأَن الأَشياءَ التي كتبها الله أَزليةً باقيةً ـ كتنعيم أَهل الجنة وغيره ـ يوجد كتابها لا أَجل له.

وقوله: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾، قرأَ نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿وَيُثَبِّت﴾ بشد الباءِ، وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وعاصم: ﴿وَيُثْبِتُ﴾ بتخفيفها[5].

وقد تخبط[6] الناس في معنى هذه الألفاظ، والذي يتخَلَّص به مشكلها أن نُقعِّد[7] أَن الأَشياءَ التي قدَّرها الله تعالى في الأَزل، وعَلِمها بحالٍ ما، لا يصحُّ فيها محْوٌ ولا تبديل،

---

(١) في نجيبويه: «النهي».

(٢) «محض»: ساقط من المطبوع.

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٦٥)، وقول الضحاك في تفسير الطبري (١٦/ ٤٧٦).

(٤) في نجيبويه: «قائم»، وفي الهامش: «تام» مع الإشارة إلى أنها من نسخة أخرى.

(٥) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٣٤)، والسبعة في القراءات (ص: ٣٥٩).

(٦) في هامش نجيبويه: «واختلف» مع الإشارة إلى أنه من نسخة أخرى.

(٧) في المطبوع وأحمد٣: «يتلخَّص من مسلكها»، وسقط «أن نقعد» من المطبوع ونجيبويه، وفي أحمد٣: «نعتقد».

وهي التي ثبتت في أُمِّ الْكِتابِ، وسبق بها القضاءُ، وهذا مروي عن ابن عباس[١] وغيره من أَهل العلم، وأَما الأَشياءُ التي قد أَخبر الله تعالى أَنه يبدل فيها وينقل كعفو الذنوب بعد تقريرها، وكنَسْخ آية بعد تلاوتها واستقرارِ حكمها، ففيها يقع المحو والتَّثبيت فيما يقيده الحفظة ونحو ذلك، وأَما إِذا رُدَّ الأَمر إِلى القضاءِ والقدر فقد محا الله ما محا وثبَّت ما ثبَّت، وجاءَت العبارة مستقبَلة؛ لمجيء[٢] الحوادث وهذه الأمور فيما يستأْنف من الزمان، فينتظر البشر مما يمحو أَو ما يثبت، وبحسب ذلك خوفهم ورجاؤُهم ودعاؤُهم.

وقالت فرقة منهم الحسن: «هي في آجال بني آدم، وذلك أَن الله تعالى في ليلة القدر ـ وقيل: في ليلة نصف شعبان ـ يكتب آجال الموتى، فيُمْحى ناس من ديوان الأَحياءِ ويُثْبَتون في ديوان الموتى»[٣].

وقال قيس بن عُباد: «العاشر من رجب هو يوم يمحو الله ما يشاءُ ويثبت»[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا التخصيص في الآجال وغيرها لا معنى له، وإِنما يحسن من الأَقوال هنا ما كان عامّاً في جميع الأَشياءِ، فمن ذلك أَن يكون معنى الآية: إِن الله تعالى يغير الأُمور عن أَحوالها، أَعني: ما من شأْنه أَن يُغَيَّر على ما قدمناه، فيمحوه من تلك الحالة ويثبته في التي نقله إِليها.

ورُوي عن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعن عبد الله بن مسعود أَنهما كانا يقولان في دعائهما: «اللهم إِن كنت كتبتنا في ديوان الشقاوة فامحنا وأَثبتنا في ديوان السعادة، فإِنك تمحو ما تشاءُ وتثبت»[٥].

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٦/ ٤٧٩) من طريق: ابن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وفيه: إلا الشقاء والسعادة، والموت والحياة. وابن أبي ليلى هو محمد بن عبد الرحمن، وكان سيئ الحفظ جداً.

(٢) في المطبوع: «لمحي»، بالحاء، وعلق عليه في الهامش: «يقال: محا يمحو محواً ومحياً».

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٤٨٦)، ومختصراً، وليس فيه ذكر النصف من شعبان.

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٤٨٩)، وفي نور العثمانية: «قيس بن عباس».

(٥) أثر عمر أخرجه الطبري (١٦/ ٤٨١) من طرق عن أبي حكيمة واسمه عصمة، عن أبي عثمان =

قال القاضي أبو محمد: وهذا دعاءٌ في غفران الذنوب وعلى جهة الجزع منها، أَي: اللهم إِن كنا شقينا بمعصيتك، وكُتبت علينا ذنوبٌ وشقاوة بها، فامحها عنا بالمغفرة والطاعة، وفي لفظ عمر في بعض الروايات بعضٌ[1] من هذا، ولم يكن دعاؤُهما البَتَّة في تبديل سابق القضاءِ، ولا يُتأَوّل عليهما ذلك.

وقيل: إِن هذه الآية نزلت لأَن قريشاً لما سمعت قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قالوا: ليس لمحمد في هذا الأَمر قدرة ولا حظٌّ، فنزلت: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ أَي: ربما أَذن الله من ذلك فيما[2] تكرهون بعد أَن لم يكن يأذن.

وحكى الطبري عن ابن عباس أَنه قال: معنى الآية: يمحو الله ما يشاءُ ويثبت من أُمور عباده، إِلا السعادة والشقاوة والآجال فإِنه لا محو فيها[3].

قال القاضي أبو محمد: وهذا نحو ما أَصَّلناه أَولاً في الآية.

وحكي عن فرقة أَنها قالت: يمحو الله ما يشاءُ ويثبت من كتاب، حاشى أَمَّ[4] الكتاب الذي عنده الذي لا يغير منه شيئاً، وقالت فرقة: معناه: يمحو كل ما يشاءُ ويثبت كل ما أَراد، ونحو هذه الأَقوال التي هي سهلة المعارضة.

وأَسند الطبري عن إِبراهيم النَّخَعي أَن كعباً قال لعمر بن الخطاب: يا أَمير المؤمنين، لولا آية في كتاب الله لأَنبأْتك بما هو كائن إِلى يوم القيامة، قال: وما هي؟ قال: قوله تعالى:

= النهدي، أن عمر بن الخطاب قال بنحوه. وأبو حكيمة قال أبو حاتم: محله الصدق. وذكره البخاري وذكر له هذا الأثر، فكأنه يعرف به.

وأثر ابن مسعود أخرجه الطبري كذلك عقب أثر عمر من طريق: خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن ابن مسعود، وأبو قلابة كثير الإرسال ولا يعرف له سماع من ابن مسعود، ورواه بنحوه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد ص **٣٥٨** من قول أبي وائل شقيق بن سلمة.

(١) في نجيبويه: «لفظ».

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «كما».

(٣) سبق قريباً أنه رواه الطبري (١٦/ ٤٧٩).

(٤) في الأصل: «أمر».

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[١]، وذكر أَبو المعالي في «التلخيص» أَن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو الذي قال هذه المقالة المذكورة عن كعب[٢].

قال القاضي أبو محمد: وذلك عندي لا يصح عن علي.

واختلفت أَيضاً / عبارة المفسرين في تفسير ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾ فقال ابن عباس: [٣/ ١٠١]
هو الذِّكر، وقال كعب: هو علم الله ما هو خالق وما خَلْقُه عاملون[٣].

قال القاضي أبو محمد: وأَصوب ما يُفَسَّر به ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أنه ديوان[٤] الأمور المجزومة[٥]، التي قد سبق القضاءُ فيها بما هو كائن، وسبق أَلَّا تُبَدَّل، ويبقى المحو والتثبيت في الأُمور التي سبق في القضاءِ أَن تُبدل وتُمحى وتثبت، قال نحوه قتادة[٦].

وقالت فرقة: «معنى ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾: الحلال والحرام»، وهذا قول الحسن ابن أبي الحسن[٧].

قوله عز وجل: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾.

---

(١) تالف، أخرجه الطبري (١٦/ ٤٨٤) وفي إسناده: أبو حمزة وهو ميمون الأعور التمار، وهو ذاهب الحديث.
(٢) التلخيص في أصول الفقه (٢/ ٤٦٩).
(٣) أثر ابن عباس ضعيف، أخرجه الطبري (١٦/ ٤٩١) بإسناد معضل أو منقطع، وانظر قول كعب كذلك في نفس الموضع.
(٤) في نجيبويه والحمزوية: «كتاب».
(٥) في أحمد٣: المخزونة، وفي المطبوع: المحدثة.
(٦) عبارة الطبري (١٦/ ٤٩٠): عن قتادة قوله: ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، قال: جملة الكتاب وأصله.
(٧) نقله عنه الطبري (١٦/ ٤٩٠).

(إِنْ) شرط دخلت عليها (مَا) مؤكِّدة[١]، وهي قبل الفعل، فصارت بعدُ في ذلك بمنزلة اللام المؤكدة في القسَم التي تكون قبل الفعل في قولك: والله لتخرجنَّ، فلذلك يحسن أَن تدخل النون الثقيلة في قولك: ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ لحلولها هنا محل اللام هناك، ولو لم تدخل «ما» لما جاز ذلك إِلا في الشِّعر.

وخصَّ البعض بالذكر إِذ مفهومٌ أَن الأَعمار تقصر عن إِدراك جميع ما تأْتي به الأَقدار مما تُوعِّد به الكفارُ، وكذلك[٢] أَعطى الوجودُ، أَلا ترى أَن أكثر الفتوح إِنما كان بعد النبي ﷺ.

و﴿أَوْ﴾ عاطفة، وقوله: ﴿فَإِنَّمَا﴾ جواب الشرط، ومعنى الآية: إِنْ نبقك يا محمد لترى، أَو نتوفَّينَّك، فعلى كلا الوجهين إِنما يلزمك البلاغ فقط.

وقوله: ﴿نَعِدُهُمْ﴾ يحتمل أَن يريد به الـمَضارَّ التي توعَّد الله بها الكفار، فأطلق فيها لفظة الوعد لمَّا كانت تلك المضَارّ معلومة مصرحاً بها، ويحتمل أَن يريد الوعد لمحمد في إِهلاك الكفرة، ثم أَضاف الوعد إِليهم لمَّا كان في شأْنهم.

والضمير في قوله: ﴿يَرَوْاْ﴾ عائد على كفار قريش، وهم المتقدم ضميرهم في قوله: ﴿نَعِدُهُمْ﴾، وقوله: ﴿نَأْتِي﴾ معناه: بالقدرة والأَمر، كما قال الله تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦].

و﴿ٱلْأَرْضَ﴾ يريد به اسم الجنس، وقيل: يريد أَرض الكفار المذكورين.

قال القاضي أبو محمد: وهذا بحسب الاختلاف في قوله: ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾.

وقرأَ الجمهور: ﴿نَنقُصُهَا﴾ وقرأَ الضحاك: (نُنَقِّصُهَا)[٣].

---

(١) «مؤكدة»: سقطت من المطبوع.

(٢) وقع على هذه الكلمة تضبيب في الأصل.

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له ولعطية في: الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٧).

وقوله: ﴿مِنۡ أَطۡرَافِهَا﴾، مَنْ قال: إِنها أَرض الكفار المذكورين[١]، قال: معناه: أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نأْتي الأرض[٢] أَرض هؤلاءِ بالفتح عليك فننقصها بما يدخل في دينك من القبائل والبلاد المجاورة لهم، فما يؤمِّنهم أَن نمكِّنك منهم أَيضاً كما فعلنا بمجاوريهم؟ قاله ابن عباس[٣]، والضحاك[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا القول لا يتأَتَّى إِلا بأَن يُقدّر نزول هذه الآية بالمدينة.

ومن قال: إِن الأَرْضَ اسم جنس، جعل الانتقاص من الأَطراف بتخريب العمران الذي يُحِلُّه الله بالكفرة، وهذا قول ابن عباس أَيضاً[٥] ومجاهد[٦].

وقالت فرقة: الانتقاص هو بموت البَشَر، وهلاك الثمرات، ونقص البركة، قاله ابن عباس أَيضاً[٧] والشعبي، وعكرمة، وقتادة[٨].

وقالت فرقة: الانتقاص بموت العلماءِ والأَخيار. قال ذلك ابن عباس أَيضاً[٩] ومجاهد[١٠]، وكلُّ ما ذكر يدخل في لفظ الآية.

والطرف من كل شيءٍ: خياره، ومنه قول علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: «العلوم

---

(١) ساقطة من نجيبويه.
(٢) زيادة من نجيبويه.
(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٤٩٣) من طريق: هشيم، عن حصين، عن عكرمة، ومن طريق: عطية العوفي، كلاهما عن ابن عباس. وهشيم مدلس وعطية ضعيف، وقد رجح الطبري هذا القول في تفسير الآية.
(٤) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٤٩٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٥٠٤)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٣٠٠).
(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (١٦/ ٤٩٥) من طريق: علي بن عاصم، عن حصين بن عبد الرحمن، عن عكرمة، عن ابن عباس، وعلي بن عاصم يخطئ ويصر، وتكلموا فيه كثيراً.
(٦) نقله عنه تفسير الطبري (١٦/ ٤٩٥)، وابن المنذر كما في الدر المنثور (٨/ ٤٨١).
(٧) أخرجه الطبري (١٦/ ٤٩٥) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٨) نقله في جامع بيان العلم (١/ ٣٠٤) عن عكرمة والشعبي، والطبري (١٦/ ٤٩٦) عن الشعبي بمعناه، وعن قتادة من روايته عن عكرمة.
(٩) ضعيف، أخرجه الطبري (١٦/ ٤٩٧) بسند فيه طلحة بن عمرو، وهو الحضرمي، متروك.
(١٠) نقله عنه تفسير الطبري (١٦/ ٤٩٧)، والنحاس في معاني القرآن (٣/ ٥٠٥).

أَودية، في أَي وادٍ أَخذت منها حسرتَ[١]، فخذوا من كل شيءٍ طرفاً»[٢]، يعني خياراً.

وجملة معنى هذه الآية: الموعظة وضرْب المثل، أَي: أَلَم يروا فيقعَ منهم اتِّعاظ.

وأَليق ما يقصد لفظ الآية هو تنقص الأَرض بالفتوح على محمد.

وقوله: ﴿لَا مُعَقِّبَ﴾ أَي: لا رادَّ ولا مناقض يتعقَّب أَحكامه، أَي: ينظر في أَعقابها، أَمصيبةٌ هي أَم لا؟، وسُرْعَة حساب الله واجبة لأَنها بالإِحاطة وليست بعدد.

والـمَـكْرُ: ما يتمرس بالإِنسان ويسعى عليه، علم بذلك أَو لم يعلم، فوصف الله تعالى الأُمم السَّالفة[٣] التي سعت على أَنبيائها، كما فعلت قريش بمحمد ﷺ بالْمَكْر، وقوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾، أَي العقوبات التي أَحلَّها بهم، وسمَّاها مكراً على عرف تسمية المعاقبة باسم الذنب، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، ونحو هذا.

وفي قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ تنبيهٌ وتحذيرٌ في طيِّ إِخبار، ثم توعدهم تعالى بقوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾.

وقرأَ نافع، وابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿الْكافر﴾ على الإِفراد، وهو اسم الجنس.

وقرأَ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿ٱلْكُفَّٰرُ﴾[٤].

وقرأَ عبد الله بن مسعود: (الكافرون)، وقرأَ أُبيّ بن كعب: (الذين كفروا)[٥]، وتقدم القول في ﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ قبل هذا.

---

(١) في هامش التركية: «أي: انقطعتَ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾»، وفي نجيبويه: «جرت»، وفي أحمد٣ والمطبوع: «خسرت».

(٢) لم أقف عليه مسنداً، ومثله الهداية لمكي (٥/ ٣٧٦١)، إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٢٦)، بلفظ: العلم أودية.

(٣) السالفة، من المطبوع وأحمد٣.

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٤)، السبعة (ص: ٣٥٩).

(٥) وهما شاذتان، انظرهما في: تفسير الطبري (١٦/ ٥٠٠).

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية، المعنى: ويُكذبك يا محمد هؤلاءِ الكفرة، ويقولون: لسْت مرسلاً من الله، وإنما أَنت مُدَّع، قل لهم: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا﴾، و﴿بِٱللَّهِ﴾ في موضع رفع، التقدير: كفى الله، و(شهيد) بمعنى: شاهد.

وقوله: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، قيل: يريد اليهود والنصارى الذين عندهم الكتب الناطقة[1] برفض الأصنام وتوحيد الله تعالى، وقال قتادة: «يريد مَنْ آمن منهم، كعبد الله بن سلام، وتميم الدّاري، وسلمان الفارسي، الذين يشهدون بتصديق محمد ﷺ»[2]، وقال مجاهد: يريد عبد الله بن سلام خاصة، قال هو: فيَّ نزلت: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[3].

قال القاضي أبو محمد: وهذان القولان الأَخيران لا يستقيمان إِلا أَن تكون الآية مدنية، والجمهور على أَنها مكية، قاله سعيد بن جبير، وقال: «لا يصح أَن تكون الآية في عبد الله بن سلام لكونها مكية، وكان يقرأُ: (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الْكِتابُ)»[4].

[وقيل: يريد جنّيّاً[5] معروفاً، حكاه النقاش، وهو قول شاذ ضعيف][6].

وقيل: يريد الله تعالى، كأَنه استشهد بالله تعالى، ثم ذكره بهذه الأَلفاظ التي

---

(١) في المطبوع: «السابقة».
(٢) نقله عنه السمعاني في تفسيره (٣/ ١٠١)، ولفظ: «قال قتادة» سقط من المطبوع وأحمد٣.
(٣) غريب، قال ابن كثير في التفسير (٤/ ٤٧٣): وهذا القول غريب، لأن هذه الآية مكية، وعبد الله بن سلام إنما أسلم في أول مقدم النبي ﷺ المدينة، والأظهر في هذا ما قاله العوفي عن ابن عباس قال: هم من اليهود والنصارى، وكان سعيد بن جُبَيْر ينكر أن يكون المراد بها عبد الله بن سلام، ويقول: هي مكية.اهـ. وسيأتي من قول المصنف.
(٤) سنن سعيد بن منصور (٥/ ٤٤٢)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٣٠٢)، وتفسير الطبري (١٦/ ٥٠٦)، والهداية لمكي (٥/ ٣٦٦٠).
(٥) في نجيبويه: «جنسا».
(٦) ساقط من المطبوع، وقول النقاش لم أجد من نقله عنه.

تتضمن صفة تعظيم، ويعترض هذا القول بأَن فيه عطف الصفة على الموصوف، وذلك لا يجوز، وإِنما تعطف الصفات بعضها على بعض.

ويحتمل أَن تكون (مَنْ) في موضع رفع بالابتداءِ، والخبرُ / محذوف، تقديره: أَعْدَلُ أَو أَمضى قولاً، ونحو هذا مما يدل عليه لفظ: ﴿شَهِيدًا﴾، ويراد بذلك الله تعالى. [٣/ ١٠٢]

وقرأ علي بن أَبي طالب، وأُبيٌّ بن كعب، وابن عباس، وابن جبير، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك، والحكم، وغيرهم: (وَمِنْ عندِه علمُ الكتاب) بكسر الميم مِنْ (مِنْ) وخفض الدال، قال أَبو الفتح: ورُويت عن النبي ﷺ(١).

وقرأَ علي بن أَبي طالب أَيضاً، والحسن، وابن السميفع: (وَمِنْ عندِه عُلِمَ الكِتَابُ) بكسر الميم [من (مِن)](٢)، والدال، وبضم العين من (عُلِم) [وكسر اللام](٣) على أنه مفعول لم يسم فاعله ورفع (الكتابُ)(٤).

وهذه القراءَات يرادُ فيها الله تعالى، لا يحتمل لفظها غير ذلك، [والله المعين برحمته](٥).

---

(١) لا يثبت، أخرجه الطبري (١٦/ ٥٠٦) من حديث هارون الأعور، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر؛ أن رسول الله ﷺ قرأها كذلك، ثم قال: وهذا خبرٌ ليس له أصلٌ عند الثِّقات من أصحاب الزهريّ، وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٩/ ٤٢٤) من طريق هارون بن موسى هذا، عن سليمان بن أرقم ـ وهو ضعيف ـ عن الزهري، عن سالم، كذلك. ولا يثبت. قاله ابن كثير في التفسير (٤/ ٤٧٤).

(٢) ساقط من المطبوع.

(٣) من المطبوع، وأحمد٣، وفيهما: بدل «على أنه مفعول»: «على ما».

(٤) وهما شاذتان، انظرهما مع التوجيه في: المحتسب (١/ ٣٥٨).

(٥) ساقط من أحمد٣ ومن المطبوع، وفيه زيادة: «تم تفسير سورة الرَّعد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه»، وفي التركية: «تم الجزء من كتاب تفسير القرآن العظيم لابن عطية بحمد الله وعونه ومنه وكرمه في اليوم الخامس من شهر جمادى سنة عشر وسبع مئة...».

سورة إبراهيم

هذه السورة مكية إلاَّ آيتين، وهي قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨] إلى آخر الآيتين: ذكره مكي والنقاش[١].

قوله عز وجل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١) اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢) الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٣)﴾.

تقدم القول في الحروف المقطعة في أَوائل السور [والاختلاف في ذلك][٢].

و﴿كِتَابٌ﴾ رفع على خبر ابتداءٍ مضمر، تقديره: هذا كتابٌ، وهذا على أَكثر الأَقوال في الحروف المقطعة، وأَما مَنْ قال فيها: إِنها كناية عن حروف المعجم، فـ﴿كِتَابٌ﴾ مرتفع بقوله: ﴿الر﴾، أَي: هذه الحروف كتاب أَنزلناه إِليك.

وقوله: ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ في موضع الصفة للكتاب، قال القاضي ابن الطيب، وأَبو المعالي، وغيرهما: إِن الإِنزال لم يتعلق بالكلام القديم الذي هو صفة الذات، لكن بالمعاني التي أَفهمها اللَّهُ تعالى جبريل عليه السلام من الكلام[٣].

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (٥/ ٣٧٦٧)، والنقاش غير متوفر.

(٢) ساقط من المطبوع وأحمد٣.

(٣) تقدم بيان مذهب السلف في كلام الله تعالى، وانظر: إعجاز القرآن للباقلاني (ص: ٢٦٠)، والتلخيص في أصول الفقه (٢/ ١٧٢).

وقوله: ﴿لِتُخْرِجَ﴾ أسند الإِخراج إِلى النبي عليه السلام من حيث له فيه المشاركة بالدعاءِ والإِنذار، وحقيقته إِنما هي لله تعالى بالاختراع والهداية، وفي هذه اللفظة تشريف للنبي عليه السلام، وعمَّ النَّاسَ إِذ هو مبعوث إِلى جميع الخلق، ثبت ذلك بآيات القرآن التي اقترن بها ما نُقل تواتراً من دعوته العالَمَ كلَّه، ومن بعثته[1] ﷺ إِلى الأحمر والأسود، علم ذلك الصحابة مشاهدة، ونقل عنهم تواتراً، فعلم قطعاً والحمد لله.

واستعير الظُّلُمات للكفر والنُّور للإِيمان تشبيهاً.

وقوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أَي: بعلمه وقضائه وتمكينه لهم.

و﴿إِلَى﴾ في قوله: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ بدل من الأولى في قوله: ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾، أَي: الْمحَجَّة المؤدية إِلى طاعة الله والإِيمان به ورحمته، فأَضافها إِلى الله بهذه التعلقات[2].

و﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ صفتان لائقتان في هذا الموضع، فالعزَّةُ من حيث الإِنزال للكتاب، وما في ضمن ذلك من القدرة، واستيجابُ الحمد من جهة بثّ هذه النعم على العالم في نصب[3] هدايتهم.

وقرأَ نافع وابن عامر: ﴿اللهُ الذي﴾ برفع اسم الله على القطع والابتداء، وخبره ﴿ٱلَّذِى﴾، ويصحُّ رفعه على تقدير: هو الله الذي، وقرأَ الباقون بكسر الهاء على البدل من قوله: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾، وروى الأَصمعي وحده هذه القراءَة عن نافع[4].

وعبَّر بعض الناس عن هذا بأَن قال: التقدير: إِلى صراط اللَّهِ العزيز الحميد، ثم قدم الصفات وأَبدل منها الموصوف.

---

(١) في المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية: «وفي بعثه».

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «المتعلقات».

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٤)، ورواية الأصمعي ليست من طرقه لكنها في السبعة (ص: ٣٦٢).

قال القاضي أبو محمد: وإذا كانت هكذا فليست بعْدُ بصفات على طريقة صناعة النحو، وإن كانت بالمعنى صفاته ذُكر معها أو لم يذكر.

وقوله: ﴿وَوَيْلٌ﴾ معناه: وشدَّةٌ وبلاءٌ ونحوه، أَي: يلقونه من عذابٍ شديدٍ ينالهم الله به يوم القيامة، ويحتمل أَن يريد: في الدنيا، هذا معنى قوله: (وَيْلٌ).

وقال بعض الناس: (وَيْلٌ) اسم واد في جهنم يسيل من صديد أَهل النار[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا خبر يحتاج إلى سند يقطع العذر، ثم [لو كان هكذا لَقَلِقَ][٢] تأْويل هذه الآية لقوله: ﴿مِنْ عَذَابٍ﴾، وإنما يحسن تأْويله في قوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١] وما أَشبهه، وأَما هنا [فلا يحسن وإنما][٣] يحسن في (ويْل) أَن يكون مصدراً، ورفعه على نحو رفعهم «سَلَامٌ عَلَيْكَ» وشبهه.

و﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وقوله: ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ من صفة الكافرين الذين توعدهم قَبْلُ، والمعنى: يؤثرون دنياهم وكفرهم وترك الإذعان للشرع على رحمة الله وسكنى جنَّته. وقوله: ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ يحتمل أَن يتعدى وأَن يقف، والمعنى على كلا الوجهين مستقل، تقول: صدَّ زيد وصدَّ[٤] غيرَه، ومن تعديته قول الشاعر:

صَـدَدْتِ الْـكَأْسَ عَنَّـا أُمَّ عَمْـرٍو وكانَ الْكَأْسُ مجْرَاها الْيَمِينَا[٥] [الوافر]

---

(١) روي مرفوعاً ولا يصح، روي نحو هذا الكلام مرفوعاً من حديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عند أحمد (٣/ ٧٥)، والطبري (٢/ ٢٦٩)، وابن حبان (٧٤٦٧)، والحاكم (٢/ ٥٨٣) وغيرهم، ورفعه منكر، قاله ابن كثير (١/ ٣١٢)، ومن حديث عثمان عند الطبري وحده (٢/ ٢٦٨) وقال ابن كثير: غريب جدّاً. وروي بأسانيد أخر لا يصح منها شيء، وروي نحوه أيضاً من طريق: سفيان الثوري عن زياد بن فياض، عن أبي عياض من قوله. أخرجه الطبري (٢/ ٢٦٧-٢٦٨)، ومن طريق: ابن عجلان، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار كذلك، أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ٢٠٥) وروي عن غير واحد مثله، يراجع الدر المنثور (١/ ٢٠٢).

(٢) في نجيبويه ونور العثمانية بدلاً منه: «لما كان هذا القلق».

(٣) من نجيبويه، وفي بقية النسخ بدله: «فإنما».

(٤) في المطبوع: «صده».

(٥) البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته المشهورة، كما تقدم في تفسير الآية: (٣٤) من سورة التوبة.

و﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طريقة هداه وشرعه الذي جاءَ به رسوله.

وقوله: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يحتمل ثلاثة أَوجه من التأْويل: أَظهرها أَن يريد: ويطلبونها في حالة عِوَج منهم، ولا يُراعى إِن كانوا بزعمهم على طريق نظر وبسبيلِ اجتهاد واتباع الأَحسن، فقد وصف الله حالهم تلك بالعوج، وكأَنه قال: ويصدُّون عن سبيل الله التي هي بالحقيقة سبيله(١)، ويطلبونها على عوج في النظر.

والتأْويل الثاني أَن يكون المعنى: ويطلبون لها عوجاً يظهر فيها، أَي: يسعون على الشريعة بأَقوالهم وأَفعالهم، فـ﴿عِوَجًا﴾ مفعول.

والتأْويل الثالث أَن تكون اللفظة من البغْي على معنى: ويبغون عليها أَو فيها عوجاً، ثم حذف الجار، وفي هذا بعض القلق.

وقال كثير من أَهل اللغة: العِوَجُ ـ بكسر العين ـ في الأُمور وفي الدِّين، وبالجملة في المعاني، والعَوَجُ ـ بفتح العين ـ في الأَجرام(٢).

قال القاضي أبو محمد: ويعترض هذا القانونُ بقوله تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٦-١٠٧]، وقد تتداخل اللفظة مع الأُخرى. ووصْف الضلال بالبُعد عبارة عن تعمُّقهم فيه وصعوبة خروجهم منه.

قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم / بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾. [٣/ ١٠٣]

هذه الآية طعن وردٌّ على الـمُسْتَغْرِبين أَمْر محمد ﷺ، أَي: لستَ يا محمد ببدع

(١) في المطبوع: «نبيلة».
(٢) تقدم مثله عن أبي عبيدة، في تفسير الآية (١٠٠) من سورة آل عمران.

من الرسل، وإنما أَرسلناك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور على عادتنا في رسلنا في أَن نبعثهم بأَلسنة أُممهم ليقع التكلم بالبيان والعبارة المتمكنة، ثم يكون سائر[1] الناس من غير أَهل اللسان عيالاً في التَّبْيين على أَهل اللسان الذي يكون للنبي، وجعل الله العلة في إرسال الرسل بأَلسنة قومهم طلب البيان، ثم قطع قوله: ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ﴾، أَي: أَن النبي إنما غايته أَن يُبلِّغ ويُبيِّن، وليس فيما كلف أَن يهدي ويضل، بل ذلك بيد الله ينفذ فيه سابق قضائه، وله في ذلك العزَّة التي لا تعارض، والحكمة التي لا تُعَلَّل، لا ربّ غيره.

قال القاضي أبو محمد: فإن اعترض أَعجمي بأَن يقول: من أَين يبيِّن هذا الرسولُ لي الشريعة وأَنا لا أَفهمه؟ قيل له: أَهل المعرفة باللسان يعبّرون لك[2]، وفي ذلك كفايتك. فإن قال: من أَين يتبيّن لي المعجزة وأَفهم الإعجاز وأَنا لا أَفهم اللغة؟ قيل له: الحجة عليك إذْعان أَهل الفصاحة والذين كانوا يُظَنُّ بهم أَنهم قادرون على المعارضة، وبإذعانهم قامت الحجة على البشر، كما قامت الحجة في معجزة موسى بإذعان السَّحرة، وفي معجزة عيسى بإذعان الأَطباءِ.

واللِّسان في هذه الآية يُراد به اللغة.

وقرأَ أَبو السَّمَّال: ﴿بِلِسْنِ﴾ بسكون السِّين [دون ألف[3]، كرِيْش ورياش، ويقال: لِسْن ولِسَانٌ في اللغة، فأَما العضو فلا يقال فيه: لِسْن بسكون السين][4].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ﴾ الآية، آيات الله هي العصا، واليد، وسائر الآيات التِّسع[5].

---

(١) في المطبوع: «تبايُن».

(٢) في نور العثمانية: «ذلك».

(٣) وهي شاذة، نسبها له في المحتسب (١/ ٣٥٨).

(٤) ساقط من الحمزوية.

(٥) وهي: الطوفان، والجراد، والقُمّل، والضفادع، والدَّم، والعصا، ويده البيضاءُ، والسنون، والنقص في الثمرات كما تقدم.

وقوله: ﴿أَنْ أَخْرِجْ﴾، تقديره: بأَن أَخرِج، ويجوز أَن تكون ﴿أَنْ﴾ مفسِّرةً لا موضع لها من الإِعراب، وأَما الظُّلمات والنُّور هنا فيحتمل أَن يراد بها: من الكفر إِلى الإِيمان، هذا على ظاهر أَمر بني إِسرائيل في أَنهم كانوا قبل بعث موسى فيهم أَشياعاً متفرقين في الدين؛ قوم مع القبط في عبادة فرعون، وكلهم على غير شيءٍ، وهذا مذهب الطبري، وحكاه عن ابن عباس(١)، وإِن صحَّ أَنهم كانوا على دين إِبراهيم وإِسرائيل(٢) ونحو هذا، فالظلماتُ: الذل والعبودية، والنور: العزَّة والدين والظهور بأَمر الله تعالى.

قال القاضي أبو محمد: وظاهر هذه الآية وأَكثر الآيات في رسالة موسى عليه السلام أَنها إِنما كانت إِلى بني إِسرائيل خاصَّةً في معنى الشرع لهم، وأَمرهم ونهيهم بفروع الديانة، وإِلى فرعون وأَشراف قومه في أَن ينظروا ويعتبروا في آيات موسى فيقرُّوا بالله ويؤمنوا به تعالى وبموسى ومعجزته، ويتحققوا نبوته، ويرسلوا معه بني إِسرائيل.

قال القاضي أبو محمد: ولا يترتب هذا منهم إِلا بالإِيمان به.

وأَمَّا أَن تكون رسالته إِليهم لمعنى اتِّباعه والدخول في شرعه فليس هذا بظاهر القصة، ولا كشف الغيب ذلك، أَلا ترى أن موسى خرج(٣) عنهم ببني إِسرائيل، فلو لم يُتَّبع لمضى بأُمته؟ وأَلا ترى أَنه لم يَدْعُ القبط بجملتهم وإِنما كان يحاور أُولي الأَمر؟ وأَيضاً فليس دعاؤُه لهم على حدّ دعاءِ نوح وهود وصالح أُمَمَهم في معنى كفرهم ومعاصيهم، بل في الاهتداءِ والتَّزكي(٤) وإِرسال بني إِسرائيل، ومما يؤيد هذا أَنه لو كانت دعوته لفرعون والقبط على حدّ دعوته لبني إِسرائيل فلمَ كان يطلب بأَمر الله أَن

(١) أخرجه الطبري (٦/ ٥١٨!) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس.

(٢) في نجيبويه: «بني إسرائيل»، وفي حاشيته: «إبراهيم وإسرائيل»، وعليها علامة: «خ».

(٣) من هنا إلى بداية سورة الإسراء ساقط من الحمزوية، وهو الجزء السادس من المخطوط، ولا يزال مفقوداً.

(٤) في نجيبويه: «والتذكر».

يرسل معه بني إِسرائيل؟ بل كان يطلب أَن يؤمن الجميع ويتشَرَّعوا بشرعه ويستقرَّ الأَمر، وأَيضاً فلو كان مبعوثاً إِلى القبط لردَّه الله إِليهم حين أَغرق فرعون وجنوده، ولكن لم يكونوا أُمة له فلم يُرَدّ إِليهم.

قال القاضي أبو محمد: واحتجَّ من ذهب إِلى أَن موسى بُعث إِلى جميعهم بقوله تعالى في غير آية: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ [الأعراف: ١٠٣]، و﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾[النمل: ١٢]، والله أَعلم.

وقوله: ﴿وَذَكِّرْهُم﴾ الآية، أَمَرَ الله عزَّ وجلَّ موسى أَن يعظ قومه بالتهديد بِنقم الله التي أَحلَّها بالأُمم الكافرة قبلهم، وبالتَّعديد لنعمه عليهم في المواطن المتقدمة، وعلى غيرهم من أَهل طاعته، ليكون جَرْيُهُم على منهاج الذين أَنعم الله عليهم، وهربهم[1] من طريق الذين حلَّت بهم النقمات.

وعُبِّر عن النِّعم والنِّقم بالأَيام إِذْ هي في أَيَّـام، وفي هذه العبارة تعظيم هذه الكوائن الـمُذَكَّر بها، ومن هذا المعنى قولهم: يومٌ عصيب، ويوم عبوسٌ، ويوم بسَّام، وإِنما الحقيقة وصف ما وقع فيه من شِدَّة أَو سرور، وحكى الطبري عن فرقة أَنها قالت: أَيام الله: نِعَمُه، وعن فرقة أَنها قالت: أَيام الله: نِقَمُه[2].

قال القاضي أبو محمد: ولفظة الأَيام تعم المعنَـيَيْن، لأَن التذكير يقع بالوجهين جميعاً.

وقوله: ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ إِنما أَراد: لكل مؤمن ناظر لنفسه، فأَخذ من صفات المؤمن صفتين تجمع أَكثر الخصال، وتعم[3] أَجمل الأَفعال.

---

(١) في نجيبويه: «هديهم»، وفي نور العثمانية: «طربهم».

(٢) انظر تفسير الطبري (١٦/ ٥٢٢).

(٣) في المطبوع: «تجمعان»، و«تعُمَّان»، وفي نجيبويه: «صفتين ثم يجمع الخصال»، وفي نور العثمانية: «أجل الأفعال»، بدل: «أجمل».

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾.

هذا من التذكير بأيام الله في النعم، وكان يوم الإِنجاءِ عظيماً لعظم الكائن فيه.

وقد تقدم تفسير هذه الآية وقصصها بما يغني عن إعادته، غير أَن في هذه الآية زيادة الواو في قوله: ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾، وفي البقرة: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ [البقرة: ٤٩] بغير واو عطف، فهنالك فسر سوءَ العذاب بأَنه التذبيح والاستحياءُ، وهنا دلَّ بسوء العذاب على أَنواع غير التذبيح والاستحياءِ، وعطف التذبيح والاستحياءَ عليها.

وقرأَ ابن محيصن: (وَيَذْبَحُونَ) بفتح الياءِ والباءُ مخففة[١].

والْبَلاَءُ في هذه الآية يحتمل أَن يريد به المحنة، ويحتمل أَن يريد به الاختبار، والمعنى متقارب.

و﴿تَأَذَّنَ﴾ بمعنى: آذن[٢]، أَي: أَعلم، وهو مثل: أَكْرم وتكرم /، وأَوْعد [٣/ ١٠٤]
وتوعَّد، وهذا الإِعلام منه مقترن بإِنفاذٍ وقضاءٍ قد سبقه، وما في «تَفَعَّل» هذه من المحاولة والشروع إِذا أُسندت إِلى البشر منفيٌّ في جهة الله تعالى، وأَما قول العرب:

(١) انظرها في: الشواذ للكرماني (ص: ٢٥٨)، وتقدم مثلها عن المحتسب والنحاس في آية البقرة.

(٢) ضبطت في المطبوع: «أَذَّن»، والمعنى لا يساعد على ذلك.

تَعلَّمْ، بمعنى: اعْلَمْ، فمرفوضُ الماضي على ما ذكر يعقوب[١]، كقول الشاعر:

تَعَلَّمْ أَبيْتَ اللَّعْنَ ....[٢] .... [الطويل]

ونحوه.

وقال بعض العلماءِ: الزِّيادة على الشكر ليست في الدنيا، وإِنما هي من نعم الآخرة، والدنيا أَهون من ذلك.

قال القاضي أبو محمد: وصحيح جائز أَن يكون ذلك، وأَن يزيد الله أيضاً المؤمن على شكره من نعم الدنيا، وأَن يزيده أَيضاً منهما جميعاً، وفي هذه الآية تَرْجية وتخويف، ومما يقضي بأَن الشكر متضمن الإِيمان أَنه عادَلَه بالكفر، وقد يحتمل أَن يكون الكفر كفر النعم لا كفر الجحد.

وحكى الطبري عن سفيان وعن[٣] الحسن أَنهما قالا: «معنى الآية: لئن شكرتم لأَزيدنكم من طاعتي»، وضعفه الطبريّ[٤]، وليس كما قال، بل هو قويٌّ حسَنٌ فتأَمله.

قال القاضي أبو محمد وقوله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ هو جواب قَسَم يتضمنه الكلام.

وقوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ الآية في هذه الآية تحقيرٌ للمخاطبين بشرط كفرهم وتوبيخٌ، وذلك بيِّن من الصفتين اللتين وصف بهما نفسه تعالى في آخر الآية.

وقوله: ﴿لَغَنِيٌّ﴾ يتضمن تحقيرهم وعظمته، [إذ له الكمال التام على الإطلاق][٥].

---

(١) هو ابن السكيت، انظر كلامه في: الموضوع في إصلاح المنطق (١/ ٣٧٩).

(٢) تقدم التعليق عليه في تفسير الآية (١٦٧) من سورة الأعراف.

(٣) في نجيبويه وأحمد٣: «عن الحسن» دون واو.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٥٢٧)، قال: ولا وجهَ لهذا القول يُفْهَم، لأنه لم يجرِ للطاعة في هذا الموضع ذكرٌ.

(٥) زيادة من الأصل ونجيبويه.

وقوله: ﴿حَمِيدٌ﴾ يتضمن توبيخهم، وذلك أَنه بصفة يستوجب[١] المحامد كلها دائماً[٢] كذلك في ذاته لم يزل ولا يزال، فكفركم أَنتم بإِلهٍ هذه حالُه غايةُ التخلف والخذلان.

وفي قوله أَيضاً: ﴿حَمِيدٌ﴾ ما يتضمن أَنه ذو آلاءٍ عليكم أَيها الكافرون به، كان يستوجب بها حمدكم، فكفركم به مع ذلك أَذهب في الضلال، وهذا توبيخ بيِّن.

وقوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ الآية، هذا من التذكير بأَيَّام الله في النقم من الأُمم الكافرة.

وقوله: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ من نحو قوله: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨]، وفي مثل هذا قال رسول الله ﷺ: «كذب النَّسابون من فوق عدنان»[٣].

ورُوي عن ابن عباس أَنه قال: «كان بين زمن موسى وبين زمن نوح قرون ثلاثون لا يعلمهم إِلا الله»[٤].

وحكى عنه المهدوي أَنه قال: «كان بين عدنان وإِسماعيل ثلاثون أَباً لا يُعرفون»[٥].

قال القاضي أبو محمد: وهذا الوقوف على عدتهم بعيد، ونفْي العلم بها جملة أَصح، وهو ظاهر القرآن.

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «توجب».

(٢) جاءت هذه اللفظة في الأصل ونور العثمانية وأحمد٣: «دائم» بالرفع.

(٣) لا يصح، ولفظه: كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبته معد بن عدنان بن أد، ثم يمسك ويقول: «كذب النسابون، قال الله تعالى: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾»، أخرجه: ابن سعد في الطبقات (١/ ٥٦) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣/ ٥٢) من طريق: الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، به، وهو إسناد ساقط كذب.

ثم أخرجه ابن سعد من طريق: إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله من قوله. ولا يتبين سماع أبي إسحاق من عمرو، وعمرو لم يدرك ابن مسعود.

(٤) لم أجده.

(٥) لم أجده، وانظر: التحصيل للمهدوي (٣/ ٥٩٨).

واختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ بحسب احتمال اللفظ.

قال القاضي أبو محمد: والأَيدي في هذه الآية قد تُتَأَوّل بمعنى الجوارح، وقد تُتَأَوّل بمعنى أَيدي النعم، فما ذكر على أَن الأَيدي الجوارح أن يكون المعنى[(١)]: رَدُّوا أَيدي أَنفسهم في أَفواه أَنفسهم عضّاً عليها من الغيظ على الرُّسل، ومبالغةً في التكذيب، هذا قول ابن مسعود[(٢)]، وابن زيد[(٣)]، وقال ابن عباس: عجبوا وفعلوا ذلك[(٤)].

والعض من الغيظ مشهور مِن البشر[(٥)]، وفي كتاب الله تعالى: ﴿عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾[آل عمران: ١١٩]، وقال الشاعر:

قَـدْ أَفْـنـى أَنـامِـلَـهُ أَزْمـة ... فَأَضْحَى يَعَضُّ عَلَيَّ الْوَظِيفَا[(٦)] [المتقارب]

وقال الآخر:

لـوْ أَنَّ سَـلْمَى أَبْصـرَتْ تَخَدُّدي ... وَدِقَّـةً في عَظْمِ سَاقِي ويَدِي [الرجز]

وَبُـعْـدَ أَهْلي وَجَـفَـاءَ عُـوَّدِي ... عضَّتْ مِنَ الْوَجْدِ بِأَطْرَافِ الْيَدِ[(٧)]

ومما ذُكر أَن يكون المعنى أَنهم ردُّوا أَيدي أَنفسهم في أَفواه أَنفسهم إِشارةً على الأَنبياءِ بالسكوت، واستبشاعاً لما قد قالوا من دعوى النبوة.

---

(١) وقعت العبارة في المطبوع بتغيير بسيط هكذا: «فيما ذكر، وعلى أَن الأيدي هي الجوارح يكون المعنى».

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٥٣١) من طرق عن: أبي إسحاق، عن أبي الأحوص وهبيرة ـ مفرقين ـ عن ابن مسعود.

(٣) انظر قوله في: تفسير الطبري (١٦/ ٥٣٣).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٥٣٣) من طريق: عطية العوفي عن ابن عباس.

(٥) «من البشر» ساقطة من أحمد٣، ومن المطبوع، وقد تم التنبيه عليها في حاشيته.

(٦) البيت للهذلي صخر الغي كما في المعاني الكبير (٢/ ٨٣٤)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٣٠٧)، وتهذيب اللغة (٤/ ٤٩٥)، وأَزمةً: عَضّاً.

(٧) البيتان بلا نسبة في معاني القرآن للنحاس (٣/ ٥٢٠)، وفي الكامل للمبرد (١/ ١٦٣) أنهما لرجل اعتل في غربةٍ فتذكر أهله.

ومما ذكر أَن يكون المعنى: رَدُّوا أَيدي أَنفسهم في أَفواه الرُّسل تسكيناً[١] لهم، ودفعاً في صدر قولهم، قاله الحسن[٢]، وهذا أَشنع في الردِّ وأَذهب في الاستطالة على الرسل والنيل منهم.

قال القاضي أبو محمد: وتحتمل الأَلفاظ معنى رابعاً، وهو أَن يُتجَوَّز في لفظ الأَيدي، أَي: أَنهم ردُّوا قوتهم ومدافعتهم ومكافحتهم[٣] فيما قالوه بأَفواههم من التكذيب، فكأَن المعنى: ردُّوا جميع مدافعتهم في أَفواههم، أَي: في أَقوالهم[٤]، وعُبِّر عن جميع المدافعة بالأَيدي إِذ الأَيدي موضعٌ لشدِّ[٥] المدافعة والمرادِّ.

وحكى المهدوي قولاً ضعيفاً، وهو أَن المعنى: أَخذوا أَيدي الرسل فجعلوها في أَفواه الرسل[٦].

قال القاضي أبو محمد: وهذا عندي لا وجه له.

ومما ذكر على أَن الأَيدي أَيادي النعم ما ذكره الزجاج[٧]، وذلك أَنهم ردُّوا آلاء[٨] الرسل في الإنذار والتبليغ بأَفواههم، أَي: بأَقوالهم، فوَصَل الفعلُ بـ﴿فِىٓ﴾ عِوَضَ وصوله بالباءِ.

ورُوي نحوه عن مجاهد وقتادة[٩].

---

(١) في نجيبويه: «تسكيتاً».
(٢) نقله عنه الماوردي في النكت والعيون (٣/ ١٢٥)، وذكره الطبري (١٦/ ٥٣٥) غير منسوب.
(٣) في المطبوع وأحمد٣: أَقوالهم ومكافحتهم ومدافعتهم.
(٤) في نجيبويه زيادة: «من التكذيب».
(٥) في المطبوع وأحمد٣ ونجيبويه: «موضع أشد».
(٦) التحصيل للمهدوي (٣/ ٥٩٨)، وقد نقل هذا القول القرطبي (٩/ ٣٤٥) عن مقاتل.
(٧) انظر كلامه في: كتابه معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥٦) مع ما سيأتي عنه.
(٨) في المطبوع وأحمد٣: «الأيدي من».
(٩) انظر قولهما في تفسير الطبري (١٦/ ٥٣٤).

قال القاضي أبو محمد: والمشهور جمع يد النعمة على أَيادٍ، ولا يجمع على أَيدٍ، إِلا أَن جمعه على أَيدٍ لا يَكسر باباً ولا ينقض أَصلاً، وبحسبنا أَن الزجَّاج قدَّره وتأَول عليه.

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل اللفظ على هذا معنى ثانياً، أَن يكون المقصد: ردُّوا إِنعام الرسل في أَفواه الرسل، أَي: لم يقبلوه، كما تقول لمن لا يُعجبك كلامه: أَمْسِك يا فلان كلامك في فمك، [ومن حيث كانت أَيدي الرسل أَقوالاً ساغ هذا فيها، كما تقول: كسرتُ كلام فلان في فمه][١]، أَي: رَدَدْتُه عليه وقطعته بقلَّة القبول وبالردّ.

وحكى المهدوي عن مجاهد أَنه قال: «معناه: ردُّوا نعم الرُّسل في أَفواه أَنفسهم بالتكذيب والنَّجْه»[٢].

وقوله: ﴿لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ يقتضي أَنهم شكُّوا في صدق نبوتهم وأَقوالهم أو كذبها[٣]، وتوقفوا في إِمضاءِ أَحد[٤] المعتقدَيْنِ، ثم ارتابوا بالمعتقد الواحد في صدق نبوتهم، فجاءَهم شك مؤكَّد بارتياب.

وقرأَ طلحة بن مصرف: (مما تدعونَّا) بنون واحدة مشددة[٥].

قوله عز وجل: ﴿۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾.

قوله: ﴿أَفِى ٱللَّهِ﴾ مُقدَّر فيه ضمير، تقديره عند كثير من النحويين: أَفي إلاهية[٦] الله

---

(١) ساقط من نجيبويه.

(٢) التحصيل للمهدوي (٣/ ٥٩٨) والنَّجْه: استقبالك الرجل بما يكره، وردُّك إياه عن حاجته، وهو أقبح الرد.

(٣) في المطبوع ونجيبويه: «وكذبوها».

(٤) في نجيبويه: «أجر».

(٥) وهي شاذة نقلها عنه الكرماني في الشواذ (ص: ٢٥٩).

(٦) في المطبوع: «ألوهية».

شك؟ وقال أَبو علي الفارسي: تقديره أَفي وحدانية الله[١] شك؟.

قال القاضي أبو محمد: وزعم بعض الناس أَن أَبا عليٍّ إِنما فزع إِلى هذه العبارة حفظاً للاعتزال، وزوالاً عما تحتمله لفظة الإلهية من الصفات بحسب عمومها، ولفظة الوحدانية مخلصة من ذلك الاحتمال.

و«الْفَاطِرِ»: المخترع المبتدئ، وسوْقُ هذه الصفة احتجاج على الشَّاكِّين [يبين التوبيخ][٢]، أَي: أَيُشك / فيمن هذه صفته، فساق الصفة التي هي منصوبة لرفع الشك. [٣/ ١٠٥]

وقوله: ﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾، ذهب بعض النحاة إِلى أَنها زائدة، وسيبويه يأْبى أَن تكون زائدة [في الواجب][٣]، ويراها للتبعيض.

قال القاضي أبو محمد: وهو معنى صحيح، وذلك أَن الوعد وقع بغفران الشرك وما معه من المعاصي، وبقي ما يستأْنف أَحدهم بعد إيمانه من المعاصي مسكوتاً عنه ليبقى معه في مشيئة الله تعالى، فالغفرانُ إِنما نفذ به[٤] الوعد في البعض، فصحَّ معنى ﴿مِّن﴾.

وقوله: ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، قد تقدم القول فيه في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وجلبت هذه هناك بسبب ما يظهر بيْن الآيتين من التعارض.

ويليق هنا أَن نذكر مسأَلة المقتول: هل قُطع أَجله أَم ذلك هو أَجله المحتوم عليه؟ فالأَول قول المعتزلة، والثاني قول أَهل السُّنَّة، فتقول المعتزلة: إِنه لو لم يقتله لعاش، وهذا سبب القَوَد، وقالت فرقة من أَهل السُّنَّة: لو لم يقتله لمات حتف أنفه، قال أَبو المعالي: «وهذا كله تخبُّط، إِنما هو أَجله الذي سبق في القضاءِ أَنه يموت فيه على تلك الصفة، فمحال أَن

(١) في المطبوع: «وحدانيته»، «إلهيته»، بالإضافة للضمير، كلام أبي علي لم أجده.
(٢) ساقط من المطبوع.
(٣) ساقط من الأصل، وقد تقدم الكلام على مذهب سيبويه وخلافه مع الأخفش في هذا مراراً.
(٤) في المطبوع: «يقدمه»، بدل «نفذ به».

يقع غير ذلك، فإن فرضنا أنه لم يقتله، وفرضنا مع ذلك أن علم الله سبق بأنه لا يقتله بقي أمره في حيِّز الجواز في أن يعيش أو يقتل أو كيف ما كان علم الله تعالى يسبق فيه»[١].

وقول الكفرة: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ فيه استبعادٌ لبعثة البشر، وقال بعض الناس: بل أرادوا إحالته، وذهبوا مذهب البراهمة[٢]، أو من يقول من الفلاسفة: إن الأجناس لا يقع فيها هذا التَّباين.

قال القاضي أبو محمد: وظاهر كلامهم لا يقتضي أنهم أغمضوا هذا الإغماض، ويدل على ما ذكرتُ أنهم طلبوا منهم الإتيان بآية وسلطان مبين، ولو كانت بعثتهم عندهم محالاً لما طلبوا منهم حجة، ويحتمل أن طلبهم منهم السلطانَ إنما هو على جهة التعجيز، أي: بعثتكم محال وإلا فأْتوا بسلطانٍ مبين، أي: إنكم لا تفعلون ذلك أبداً، فيَتَقوَّى بهذا الاحتمال منحاهم إلى مذهب الفلاسفة.

قوله عز وجل: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

المعنى: صدقتم في قولكم: إنَّا بَشَرٌ مثلكم[٣] في الأشخاص والخلقة، لكن تبايُنُنا[٤] بفضل الله ومَنِّه الذي يختص به من يشاءُ.

---

(١) في نجيبويه: «سبق» بدل «يسبق»، وانظر: تمهيد الأوائل (ص: ٣٧٥)، والفرق بين الفرق (ص: ٣٣١)، وشرح المقاصد (٢/ ١٦٠).

(٢) الْبَرَاهِمَة: طائفة من الهنود لا يجوّزون على الله تعالى بعث الأنبياء، ويحرمون لحوم الحيوان، والواحد: برهمي.

(٣) زيادة من أحمد٣ ونجيبويه.

(٤) في المطبوع وأحمد٣ ونجيبويه: «تبايَنَّا».

قال القاضي أبو محمد: ففارقوهم بالمعنى، بخلاف قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ﴾ [المدثر: ٥٠]، فإِنَّ ذلك في المعنى لا في الهيئة.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ﴾، هذه العبارة إِذا قالها الإِنسان عن نفسه، أَو قيلت له فيما يقع تحت مقدوره، فمعناها النهي والحظر، وإِن كان ذلك فيما لا قدرة له عليه فمعناها نفي ذلك الأَمر جملة، وكذلك هي آيتنا، وقال المهدوي: «لفظها لفظ الحظر ومعناها النفي»[١].

واللام في قوله: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ لام الأَمر، وقرأَها الجمهور ساكنة، وقرأَها الحسن مكسورة[٢]، وتحريكها بالكسر هو أَصلها، وتسكينُها طلب للتخفيف، ولكثرة استعمالها، وللفرق بينها وبين لام كي التي أُلزمت الحركة إِجماعاً.

وقوله: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ﴾ الآية، وقفتهم الرسل ـ على جهة التوبيخ ـ على تعليل في أَلاَّ يتوكلوا على الله وهو قد أَنعم عليهم، وهداهم طريق النجاة، وفضلهم على خلقه، ثم أَقسموا أَن يقع منهم الصبر على الإِذاية في ذات الله تعالى.

و﴿مَآ﴾ في قوله: ﴿مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾ مصدرية، وهي حرف عند سيبويه بانفرادها، إِلا أَنها اسمٌ مع ما اتصل بها من المصدر، وقال بعض النحويين: ما المصدرية بانفرادها اسمٌ[٣].

ويحتمل أَن تكون ﴿مَآ﴾ في هذا الموضع بمعنى الذي، فيكون في ﴿ءَاذَيْتُمُونَا﴾ ضمير عائد تقديره: آذيتموناه، ولا يجوز أَن تضمر[٤] «به» بسبب إِضمار حرف الجر، هذا مذهب سيبويه، والأَخفش يُجيز ذلك[٥].

---

(١) التحصيل للمهدوي (٣/ ٥٩٩).
(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في: المحتسب (١/ ٣٥٨).
(٣) انظر القولين في: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (١/ ٤١٨).
(٤) في المطبوع: «يضم».
(٥) انظر هذه المسألة في: الكتاب لسيبويه (٣/ ١٥٤)، والأصول في النحو (٢/ ٢٤٧).

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾.

[قوله: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾][(١)]، قالت فرقة: ﴿أَوْ﴾ هنا بمعنى: «إِلاَّ أن»، كما هي في قول امرئ القيس:

فَقُلْتُ لَـهُ لا تَبْـكِ عَيْنُـكَ إِنَّمـا نُحَاوِلُ مُلْكاً أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا[(٢)] [الطويل]

قال القاضي أبو محمد: وتحتمل ﴿أَوْ﴾ في الآية أن تكون على بابها لوقوع أَحد الأَمرين، لأَنهم حمَلوا رسلهم على أَحد الوجهين، ولا يحتمل بيت امرئ القيس ذلك لأَنه لم يحاول أَن يموت فيعذر، فتخلصت بمعنى «إِلاَّ أَن» ولذلك نصب الفعل بعدها.

وقالت فرقة: هي بمعنى «حتَّى» في الآية، وهذا ضعيف، وإِنما يترتب ذلك في قوله: لأَلْزَمنَّك أَو تقضيَني حَقِّي، وفي قوله: لا يقوم زيدٌ أَو يقومَ عمرو، وفي هذه المُثُل كلها يحسن تقدير «إِلاَّ أَن».

والعوْدَةُ أَبداً إِنما هي إِلى حالةٍ قد كانت، والرُّسل ما كانوا قط في ملَّة الكفر، فإِنما المعنى: أَو لتعودن إِلى سكوتكم عنَّا وكونكم[(٣)] أَغفالاً، وذلك عند الكفار كوْنٌ في مِلَّتهم، وخصَّص تعالى الظَّالِمِينَ من الذين كفروا إِذ جائز أَن يؤْمن من الكفرة الذين قالوا المقالة ناسٌ، فإِنما توعَّد بإِهلاك من خلص للظلم.

وقوله: ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ﴾ الخطاب للحاضرين والمرادُ هُمْ وذريتهم، ويترتب

---

(١) ساقط من نجيبويه.

(٢) تقدم في الآية (٥٣) من سورة الأعراف.

(٣) من نجيبويه ونور العثمانية وأحمد٣.

هذا المعنى في قوله: ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[إبراهيم: ١٠]، أَي: يؤخركم وأَعقابكم.

وقرأَ أَبو حيْوة: (لَيُهْلِكَنَّ) و(لَيُسْكِنَنَّكُمْ) بالياءِ فيهما[١].

وقوله ﴿مَقَامِى﴾ يحتمل أَن يريد به المصدر من القيام على الشيءِ بالقدرة.

ويحتمل أَن يريد به الظرف لقيام العبد بين يديه في الآخرة، فإِضافته / إِذا كان مصدراً إِضافةُ المصدر إِلى الفاعل، وإِضافته إِذا كان ظرفاً إِضافة الظرف إِلى حاضره، أَي: مقام حسابي، فجائز قوله: ﴿مَقَامِى﴾، وجائز لو قال: مقامه، وجائز لو قال: مقَام العرض والجزاء[٢]، وهذا كما تقول: دار الحاكم، ودار الحُكْم، ودار المحكوم عليهم. [٣/ ١٠٦]

قال أَبو عبيدة: «﴿مَقَامِى﴾ مجازه: حيث أُقيمُه بين يديَّ للحساب»[٣].

والاستفتاحُ: طلب الحُكْم، والفتَّاح: الحاكم، والمعنى: إِن الرُّسل استفتحوا، أَي: سأَلوا الله تعالى إِنفاذ الحكم بنصرهم وتعذيب الكفرة، وقيل: بل استفتح الكفارُ على نحو قول قريش: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦]، وعلى نحو قول أَبي جهل في بدر: «اللهم أَقْطَعُنَا للرحم، وآتانا بما لا يُعرف، فأَحِنْهُ الغداة»[٤]، هذا قول ابن زيد[٥].

وقرأَت فرقة: (واسْتَفْتِحُوا) بكسر التاءِ على معنى الأَمر للرسل، قرأَها ابن عباس، ومجاهد، وابن محيصن[٦].

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في: مختصر الشواذ (ص: ٧٢)، ومع آخرين في الشواذ للكرماني (ص: ٢٥٨).

(٢) في المطبوع: «والحساب».

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٣٧)

(٤) مرسل، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٣٥٥)، وأحمد (٥/ ٤٣١)، والنسائي في الكبرى (١١١٣٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٧) من طريق: الزهري حدثني عبد الله بن ثعلبة بن أبي صعير العذري قال: كان المستفتح أبو جهل... وعبد الله هذا له رؤية فقط، ولم يدرك القصة، وأَحِنْه الغَداة: اجعل حَيْنَه (أي: وقت وفاته) سريعاً في الغد.

(٥) في المطبوع: «ابن دُرَيْد»، والمثبت هو الموافق لما في تفسير الطبري (١٦/ ٥٤٥).

(٦) وهي شاذة، عزاها لهم في المحتسب (١/ ٣٥٨)، وانظر: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٤٢).

و(خَابَ) معناه: خسِر ولم ينجح، والجَبَّارُ: المتعظِّم في نفسه، الذي لا يرى لأَحد عليه حقّاً، وقيل: معناه: الذي يجبر الناسَ على ما يكرهون.

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو المفهوم من اللفظ، وعبَّر قتادة وغيره عن الجبار بأَنه الذي يأْبى أَن يقول: لا إِله إِلا الله[١]، والعنيد: الذي يعاند ولا ينقادُ.

وقوله: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾، ذكر الطبريُّ وغيره من المفسرين أَن معناه: من أَمامه[٢]، وعلى ذلك حملوا قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩]، وأَنشد الطبريّ:

[الوافر]
أَتُوعِدُنِي وراءَ بني رِياحٍ كَذَبْتَ لَتَقْصُرَنَّ يداكَ دُوني[٣]

قال القاضي أبو محمد: وليس الأَمر كما ذكر، والوراءُ ها هنا على بابه، أَي: هو ما يأْتي بعدُ في الزمان، وذلك أَن التقدير في هذه الحوادث بالأَمام والوراءِ إِنما هو بالزمان، وما تقدم فهو أَمامٌ، وهو بين اليد، كما يقال في التوراة والإِنجيل: إِنهما بين يدي القرآن، والقرآن وراءَهما على هذا، وما تأَخر في الزمان هو وراءَ المتقدم، ومنه قولهم لِولَد الْولَد: الوراءُ.

وهذا الجبار العنيد وجودُه وكُفره وأَعماله في وقت ما، ثم بعد ذلك في الزمان يأْتيه أَمر جهنم.

قال [القاضي أبو محمد][٤]: وتلخيص هذا: أَن يُشَبَّه الزمان بطريق تأْتي الحوادث [من جهته الواحدة متتابعة][٥]، فما تقدم فهو أَمام، وما تأَخر فهو وراءَ المتقدم.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٥٤٥)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٣٠٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٥٢١)، والهداية لمكي (٥/ ٣٧٨٩).
(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٥٤٦).
(٣) البيت لجرير كما في تاج العروس (٤٠/ ١٩٣)، وهو بلا نسبة في مجاز القرآن (١/ ٣٣٧)، وتفسير الطبري (١٦/ ٥٤٧)، وفي نجيبويه: «بني رماح كذبت لتضربن بذاك».
(٤) في المطبوع وأحمد٣: «قال»، فقط دون بيان فاعلها.
(٥) ساقط من نجيبويه، وسقطت الفقرة كلها من نور العثمانية.

وكذلك قوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩] أَيْ: غَضْبُه[١] وتَغَلُّبه يأْتي بعد حذرهم وتحفظهم.

وقوله: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ﴾، وليس بِمَاءٍ، لكن لمَّا كان بدل الماءِ في العُرف عندنا [عُدَّ ماء][٢] ثم نعته بـ﴿صَدِيدٍ﴾، كما تقول: هذا خاتم حديد.

والصَّديدُ: القَيْحُ والدَّمُ، وهو ما يسيل من أَجساد أَهل النار، قاله مجاهد والضحاك[٣].

وقوله: ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ عبارة عن صعوبة أَمْرِهِ عليهم.

ورُوِي أَن الكافر يؤتى بالشربة من شراب أَهل النار فيتكرهها، فإِذا أُدْنيت منه شوت وجهه وسقطت فيها فروة رأْسه، فإِذا شربها قطعت أَمعاءَه[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا الخبر مفرَّق في آيات من كتاب الله.

وقوله: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أَي: مِن كلِّ شعرةٍ في بدنه، قاله إِبراهيم التيمي[٥].

وقيل: من جميع جهاته الست، وقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾، أَي: لاَ يُرَاحُ بالموت. وباقي الآية كأَوَّلها.

ووصْف العذاب بالغليظ مبالغة، وقال الفضيل بن عياض: «العذابُ الغليظ: حبْسُ الأَنفاس في الأَجساد»[٦].

---

(١) في نجيبويه: «غضبه».

(٢) ساقط من الأصل والمطبوع ونجيبويه.

(٣) انظر قولهما في: تفسير الطبري (١٦/ ٥٤٨)، ونقله أيضاً عن قتادة.

(٤) حديث غريب، أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٥)، والترمذي (٢٥٨٣)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٧١)، والحاكم (٢/ ٣٨٢) وابن عدي في الكامل (٤/ ١٧٣) وغيرهم من طريق: عبد الله بن المبارك، عن صفوان بن عمرو عن عبيد الله بن بسر عن أبي أمامة، قال الترمذي: هذا حديث غريب، وهكذا قال محمد بن إسماعيل: عن عبيد الله بن بسر، ولا نعرف عبيد الله بن بسر إلا في هذا الحديث.

(٥) تفسير الطبري (١٦/ ٥٥٠)، وفي المطبوع: «التميمي»، وهو تحريف.

(٦) نقله عنه النحاس في معاني القرآن (٣/ ٥٢٣)، وابن المنذر كما في الدر المنثور (٨/ ٥٠٤).

وقيل: إِنَّ الضمير في ﴿وَرَآبِهِۦ﴾ هنا [هو العذابُ][1] المتقدم.

قوله عز وجل: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٩ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ٢٠﴾.

اخْتُلِف في الشيءِ الذي ارتفع به قوله: ﴿مَّثَلُ﴾، فمذهب سيبويه رحمه الله أن التقدير: فيما يُتلى عليكم ـ أَوْ يُقَصُّ ـ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا، ومذهب الكسائي والفراءِ أَنه ابتداءٌ وخبره ﴿كَرَمَادٍ﴾[2]، والتقدير عندهم: مَثَلُ أعمال[3] الذين كفروا كرمادٍ.

وقد حكي عن الفراءِ أَنه يرى إِلغاءَ مَثَلُ[4]، وأَن المعنى: الذين كفروا أَعمالهم كرماد.

وقيل: هو ابتداءٌ، و﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ ابتداءٌ ثان، و﴿كَرَمَادٍ﴾ خبر الثاني، والجملة خبر الأَول، وهذا عندي أَرجح الأَقوال، وكأَنك قلت: الْمُتَحَصّل مثالاً[5] في النفس الذين كفروا، هذه الجملة المذكورة، وهي: ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ﴾، وهذا يطَّرد عندي في تقدير قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الرعد: ٣٥]، [محمد: ١٥]، وشُبِّهت أَعمال الكفرة ومساعيهم، [في فسادها][6] وقت الحاجة وتلاشيها، بالرماد الذي تذروه الريح وتفرقه بشدتها، حتى لا يبقى أَثر، ولا يجتمع منه شيءٌ.

---

(١) في نجيبويه بدلاً منه: «للعذاب»، وفي الأصل: «هو بالعذاب».
(٢) تقدم هذا الخلاف قريباً في قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ في سورة الرعد.
(٣) ليست في المطبوع، وهي في أحمد٣ ملحقة في الهامش وعليها تصحيح، وفي نجيبويه: «أعمالهم».
(٤) في نجيبويه: «العامل» بدل «إلغاء»، وانظر مذهب الفراء في الهداية لمكي (٥/ ٣٧٤٦)، وفي معاني القرآن له (٣/ ٦٠)، أنها بمعنى صفة.
(٥) ليست في المطبوع.
(٦) ساقط من نجيبويه.

ووصَف اليومَ بالعصُوف وهي من صفة الريح بالحقيقة لمَّا كانت في اليوم، ومن هذا المعنى قول الشاعر:

[الطويل] وَقَدْ لُمْتِنَا يا أُمَّ غيلاَنَ في السُّرَى وَنِمْتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِم[١]

ومنه قول الآخر:

[الرجز] يَوْمَيْنِ غَيْمَيْنِ وَيَوْماً شَمْساً[٢] ....

فأَعمال الكفرة لتلاشيها لا يقدرون منها على شيءٍ.

وقرأَ نافع وحده، وأَبو جعفر: ﴿الرِّيَاحُ﴾، والباقون: ﴿ٱلرِّيحُ﴾ بالإِفراد، وقد تقدم هذا ومعناه مستوفىً بحمد الله[٣].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِشارة إِلى كونهم بهذه الحال، وعلى مثل هذا الغَرَر.

و﴿ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾: الذي قد تعمق فيه صاحبه وأَبْعَد عن لاحب النجاة.

وقرأَ ابن أَبي إِسحاق، [وإبراهيم بن أبي بكر][٤]: (فِي يَومِ عَاصف) بإِضافة (يوم) إِلى (عاصف)[٥]، وهذا بيِّن.

وقرأَ السُّلَمي: (أَلَمْ تَرْ) بسكون الراءِ[٦]، بمعنى: أَلم تعلم، من رؤْية القلب.

---

(١) تقدم للمؤلف نسبته لذي الرمة في تفسير الآية (٦٧) من سورة يونس، وبينا هناك أن الصواب أنه لجرير، وأُم غيلان هي بنته.

(٢) قال الفراء في معاني القرآن (٣/ ١٩): أنشدنيه بعضهم، واستشهد به بلا نسبة مكي في الهداية (٨/ ٥١٠٤)، والطبري (٢١/ ٤٤٧).

(٣) تقدم ذكر القراءات التي فيها في تفسير الآية (١٦٤) من سورة البقرة.

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «وإِبراهيم النَّخَعي، وابن أَبي بكر»، وهو خطأ فيما يبدو، ولعله: إبراهيم بن أبي بكر بن المنكدر التيمي المدني روى عن عمه محمد بن المنكدر، وصفوان بن سليم، وربيعة، وعنه: ابن وهب، والحميدي، ضعفه الدارقطني تاريخ الإسلام (١٢/ ٤٨).

(٥) وهي شاذة، نقلها عنهما في مختصر الشواذ (ص: ٧٢)، والمحتسب (١/ ٣٦٠) إلا أن فيه: «بن أبي بُكَير»، وسيأتي في سورة المؤمنون.

(٦) وهي شاذة، انظرها في: المحتسب (١/ ٣٦٠)، وقد تقدمت في سورة البقرة.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿خَالِق السماوات﴾(١)، فوجه الأول أنه فعل قد مضى فذكر ذلك، ووجه الثانية أَنه كـ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الأنعام: ١٤]، و﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وقوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أَي: بما يحق في وجوده ومن جهة مصالح عباده، وإِنفاذ سابق قضائه، ولتدلَّ عليه وعلى قدرته.

ثمَّ تَوَعَّدَ تبارك وتعالى بقوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أَي: يعدمكم ويطمس آثاركم.

وقوله: / ﴿بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يصح أَن يريد: من فِرَق بني آدم، ويصح غير ذلك. [٣/ ١٠٧]

وقوله: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ أَي: بممْتَنع.

قوله عز وجل: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَبَرَزُوا۟﴾ معناه: صاروا بالبَـرَاز، وهي الأَرض المتسعة كالبَراح والقواء(٢) والخَبارِ(٣)، فاستعير ذلك لجمع(٤) يوم القيامة.

وقوله: ﴿تَبَعًا﴾ يحتمل أَن يكون مصدراً، فيكون على نحو قولهم: قوم عدل وقوم حرب(٥)، ويحتمل أَن يكون جمع تابع على نحو: غائبٌ وغَيَبٌ، وهو تأْويل الطبري(٦).

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٤).

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «والعَراءِ»، وفي نجيبويه: «والنواء».

(٣) الخَبارُ من الأرض: ما لان واسترخى وساخت فيه قوائم الدوابّ، ويقال في المثل: «من تَجَنَّبَ الخَبَارَ أَمِنَ العِثَار».

(٤) «جمع»: سقطت من المطبوع، وفي أحمد٣ ونور العثمانية: «بجمع».

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «يوم عدل ويوم حرب».

(٦) ولفظه في تفسيره (١٦/ ٥٥٧): و«التبع» جمع «تابع»، كما الغَيَب جمع «غائب».

وفسَّر الناس ﴿ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ﴾ بالأَتْباع[١]، والمستكبرين بالقادة وأَهل الرأْي.

وقولهم: ﴿مُّغْنُونَ﴾ من الغَناءِ، وهي المنفعة التي تكون من الإِنسان للآخَر في [الدفاع وغيره][٢].

[والأَلِف في][٣] قوله: ﴿أَجَزِعْنَآ﴾ أَلِف التسوية وليست بأَلِف استفهام، بل هي كقوله: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦].

والْمَحِيصُ: المفَرُّ والنجاة[٤] والملجأُ، مأْخوذ من حاص يحيص: إِذا نفرَ وفرَّ، ومنه في حديث هرقل: «فحاصُوا حَيْصَة حُمُر الوحش إِلى الأَبواب»[٥].

وروي عن[٦] ابن زيد، وعن محمد بن كعب أَن أَهل النار يقولون: إِنما نال أَهلُ الجنة الرحمة بالصبر على طاعة الله تعالى، فلنصبر[٧]، فيصبرون خمس مئة سنة فلا ينتفعون، فيقولون: هلم[٨] فلنجزع، فيضجُّون ويصيحون ويبكون خمس مئة سنة أُخرى فلا ينتفعون، فحينئذ يقولون هذا القول الذي في الآية[٩].

وظاهر الآية أنهم إنما[١٠] يقولونها في موقف العرض وقت البروز بين يدي الله تعالى.

---

(١) في نجيبويه: «بالأيتام».
(٢) في المصرية: «في انتفاع ومزية».
(٣) من المطبوع.
(٤) من المصرية.
(٥) أخرجه البخاري، (٧) من حديث ابن عباس، وهو حديث هرقل الشهير.
(٦) في المصرية: «علي بن زيد»، وفي نجيبويه: «أبي زيد»، والذي في تفسير الطبري (١٦/ ٥٥٩): «ابن زيد»، ولعله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.
(٧) في نجيبويه: «فتعالى فلنصبر».
(٨) ليست في المطبوع.
(٩) نقله عن ابن زيد ومحمد بن كعب الطبري (١٦/ ٥٥٩) في تفسيره.
(١٠) ساقطة من المطبوع.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

المراد هنا بـ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: إِبليس الأَقدم نفسه، وروي في حديث عن النبي ﷺ من طريق عقبة بن عامر أَنه قال: «يقوم يوم القيامة خطيبان: أَحدهما إِبليس، يقوم في الكفرة بهذه الأَلفاظ، والثاني عيسى بن مريم عليه السلام، يقوم بقوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦ﴾ الآية [المائدة: ١١٧]»[(١)]، وقال بعض العلماءِ: يقوم إِبليس خطيب السوءِ الصادق بهذه الآية[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: فعلى معنى هذه الروايات يكون معنى قوله: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ أَيْ: [تعيَّن قومٌ لدخول النَّار، وقومٌ لدخول الجنَّة، وذلك كله في الموقف، ورُوي في حديث أَن إِبليس إِنما يقوم بهذه الأَلفاظ في النَّار على أَهلها عند قولهم: ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ في الآية المتقدمة[(٣)]، فعلى هذه الرواية يكون معنى قوله تعالى: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾][(٤)]، أَي: حصل أَهل النار في النَّار، وأَهل الجنَّة في الجنَّة، وهو تأْويل الطبري[(٥)].

قال القاضي أبو محمد: وقُضِيَ قد يُعبَّر بها في الأُمور عن فعل، كقوله تعالى:

---

(١) وهو منكر من رواية عقبة بن عامر موقوفاً ومرفوعاً، والمحفوظ من قول عامر الشعبي، أخرجه الطبري (١٦/ ٥٦١) من طرق عن داود بن أبي هند عن عامر الشعبي من قوله، وهو الصحيح، ثم أخرجه من طريق: رشدين بن سعد، قال: أخبرني عبد الرحمن بن زياد، عن دخين الحجري، عن عقبة بن عامر به مرفوعاً بنحوه. ورشدين ضعيف جدّاً كان فيه غفلة.

(٢) نقله الطبري في التفسير (١٦/ ٥٦٥) عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٧٦) وغيره بإسناد ضعيف مرسل.

(٤) ساقط من الأصل.

(٥) في نجيبويه: «وهو معنى قول الطبري»، ولفظه في التفسير (١٦/ ٥٦٠): يعني لما أدخل أهلُ الجنة الجنةَ وأهل النار النارَ... إلخ.

﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]، وقد يُعبَّر بها عن عزم على أَن يفعل كقوله: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١].

والْوَعْد في هذه الآية على بابه في الخير، أَي: أَن الله وعدهم النعيم إِنْ آمنوا، ووعدهم إِبليسُ الظفر والأَمل إِنْ كذَّبوا، ومعلوم اقتران وعد الله بوعيده، واتَّفق أَن لم يَتَّبعوا طلب وعد الله فوقعوا في وعيده، وجاءَ من ذلك كأَن إِبليس أَخلفهم.

والسلطان: الحُجَّة البيِّنة[1]، وقوله: ﴿إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ﴾ استثناءٌ منقطع، و﴿أَن﴾ في موضع نصب، ويصح أَن تكون في موضع رفع على معنى: إِلا أَنَّ النائب عن السلطان أَنْ دعوتكم، فيكون هذا في المعنى كقول الشاعر:

[الطويل] .... تَحِيَّـةُ بَيْنِهِـمْ ضَـرْبٌ وَجِيـعُ[2]

ومعنى قوله: ﴿فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِي﴾ أَي: رأَيتم ما دعوتكم إِليه ببصيرتكم، واعتقدتموه الرأْي، [وأَتى نظركم عليه][3].

قال القاضي أبو محمد: وذكر بعض الناس أَن هذا المكان يبطل منه التقليد، وفي هذه المقالة ضعف على احتمالها، والتقليد وإِن كان باطلاً ففساده من غير هذا الموضع.

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أَن يريد بالسلطان في هذه الآية الغلبة والقدرة والملك، أَي: ما اضطررتكم ولا خوفتكم بقوة منِّي، بل عرضت عليكم شيئاً فأَتى رأْيكم عليه.

وقوله: ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ يريد بزعمه: إِذ لا ذنب لي، ﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ في سوءِ نظركم وقلَّة تثبتكم، فإِنكم إِنما أَتيتم اتباعي عن بصيرة منكم وتكسُّب.

(١) في المصرية: «البالغة».
(٢) تقدم في تفسير الآية (٢٠٤) من سورة البقرة.
(٣) في نجيبويه: «وأثنى فكركم عليه».

والمُصْرِخ: المغيث، والصَّارخُ: المستغيث، ومنه قول الشاعر:

[البسيط]

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَزِعٌ كانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنابِيب[1]

فيقال: صرخ الرَّجُل وأَصرخ غيرَه، وأَما الصَّريخُ فهو مصدر بمنزلة البريح[2]، ويوصف به كما يقال: رجلٌ عَدْلٌ، ونحوه.

وقرأَ حمزة، والأَعمش، وابن وثاب: ﴿بِمُصْرِخِيِّ﴾ بكسر الياءِ[3] تشبيهاً [لياء الإضمار بهاء الإضمار][4] في قوله: بمصرخيه، وردَّ الزجاج هذه القراءَة، وقال: هي رديئة مرذولة[5]، وقال فيها القاسم بن معن: إِنها صواب، ووجَّهها أَبو علي[6]، وحكى أَبو حاتم أَن أَبا عمرٍو حسَّنها، وأَنكر أَبو حاتم ذلك على أَبي عمرٍو[7].

وقوله: ﴿بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ﴾ أَي: مع الله في الطاعة التي ينبغي أَن يُفْرد الله بها، فـ(ما) مصدرية، وكأَنه يقول: إِني الآن كافر بإِشراككم إِياي مع الله قبل هذا الوقت.

قال القاضي أبو محمد: فهذا تَبرٍّ منه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡ﴾[فاطر: ١٤].

---

(١) البيت لسَلامة بن جَنْدل، كما في كتاب العين (٨/ ١٦٥)، والبيان والتبيين (١/ ٤٣٠)، والكامل للمبرد (١/ ٧)، والمفضليات (ص: ١٢٤)، والظَّنَابيب: جمع ظُنْبُوب، وهو عظم الساق، وقرعه هو أن يضرب الرجل ظنبوب البعير ليتنوخ له فيركبه، وفي الأصل: «قطع».

(٢) يقال: قولٌ بريحٌ: مُصَوَّبٌ به.

(٣) سبعية، انظر عزوها لحمزة في: التيسير (ص: ١٣٤)، وللباقين في معاني القرآن للفراء (٢/ ٧٥)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٣١).

(٤) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية: «تشبيهاً بياءِ الإِضمار».

(٥) في المصرية ونجيبويه: «رديَّةٌ مردودة»، ولفظ الزجاج في معاني القرآن وإعرابه له (٣/ ١٥٩): وهذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة ولا وجه لها إلا وجه ضعيف، وهذا خطأ منه رحمه الله فهي متواترة.

(٦) في الحجة له (٥/ ٢٩)، ونقل تصويب القاسم عن الفراء في كتاب التصريف له.

(٧) نقله السمين في الدر المصون (٧/ ٨٩)، وفي نجيبويه: «على أبي علي»، ولعله خطأ.

ويحتمل اللفظ أَن يكون إِقراراً على نفسه بكفره الأَقدم، فتكون (ما) بمعنى الَّذي، يريد اللَّهَ تعالى، أَي: خطيئتي قبل خطيئتكم فلا إِصراخ عندي، وباقي الآية بيِّن.

وقرأَ الجمهور: ﴿ وَأُدْخِلَ ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول، وقرأَ الحسن: (وَأُدْخِلُ) على فعل التكلم[1]، أَي: يقولها الله عز وجل.

وقوله: ﴿مِن تَحْتِهَا ﴾ أَي: من تحت ما عَلا منها كالغُرف والمباني والأَشجار وغيره، والخلود في هذه الآية على بابه في الدوام، والإِذْنُ هنا عبارة عن القضاءِ[2] والإِمضاءِ.

وقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ ﴾ مصدر مضاف إِلى الضمير، فجائز أَن يكون الضمير للمفعول، أَي: تُحَيِّيهم الملائكة، وجائز أَن يكون الضمير للفاعل، أَي: يُحَيِّي بعضُهم بعضاً، و﴿تَحِيَّتُهُمْ ﴾ رفع بالابتداءِ، و﴿سَلَٰمٌ ﴾ ابتداءٌ ثانٍ وخبره محذوف تقديره: عليكم، والجملة خبر الأول، والجميع في موضع / الحال من الضمير في ﴿خَٰلِدِينَ ﴾، أَو يكون صفةً لـ﴿جَنَّٰتٍ ﴾. [٣/ ١٠٨]

قوله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ بمعنى: أَلم تعلم، و﴿مَثَلًا ﴾ مفعول لـ﴿ضَرَبَ ﴾، و﴿كَلِمَةً ﴾ مفعول أَول بها، وضَرَبَ هذه تتعدى إِلى مفعولين، لأَنها بمنزلة جَعَل ونحوه، إِذ معناها: جَعَل ضَرْبها.

وقال المهدوي: ﴿مَثَلًا ﴾ مفعول، و﴿كَلِمَةً ﴾ بدل منه[3].

---

(١) وهي شاذة انظر عزوها له في: المحتسب (١/ ٣٦١)، و«على» زيادة من المطبوع ونجيبويه.

(٢) تحرفت في المصرية إلى: «اللغط».

(٣) التحصيل للمهدوي (٣/ ٦١٩).

قال القاضي أبو محمد: وهذا على أَنها تتعدى إِلى مفعول واحد، وإِنما أَوهم في هذا قلةُ التحرير في «ضرب» هذه.

والكاف في قوله: ﴿كَشَجَرَةٍ﴾ في موضع الحال، أَي: مشبَّهة بشجرة.

قال القاضي أبو محمد: وقال ابن عباس وغيره: الكلمة الطيبة هي «لا إِله إِلا الله»، مثَّلها الله بالشجرة الطيبة[١]، وهي النخلة في قول أَكثر المتأَولين، فكأَن هذه الكلمة أَصْلُها ثابِتٌ في قلوب المؤمنين، وفضلُها وما يصدر عنها من الأَفعال الزكية والحسنة[٢]، وما يتحصل عليها من عفو الله ورحمته، هو فرعها يصعد إِلى السماءِ من قِبَل العبد، ويتنزل منها مِنْ قِبَل الله تعالى.

وقرأَ أَنس بن مالك: (ثابِتٌ أَصْلُهَا)[٣].

وقالت فرقة: إِنما مثَّل الله بالشجرة الطيبة المؤْمنَ نفسه، إِذ الكلمة الطيبة لا تقع إِلا منه، فكأَن الكلام: كلمةً طيبةً وقائلَها، وكأَن المؤمن ثابت في الأَرض، وأَفعاله وأَقواله صاعدة، فهو كشجرة فرعها في السماءِ، وما يكون أَبداً من المؤمن من الطاعة أَو على الكلمة من الفضل والأَجر والغفران هو بمثابة الأُكل الذي تأْتي به كل حين.

وقوله عن الشجرة: ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ أَي: في الهواءِ نحو السماءِ، والعرب[٤] تقول عن المستطيل: نحو الهواءِ، وفي الحديث: «خَلَق الله آدم طوله في السماءِ ستون ذراعاً»[٥].

[وفي كتاب سيبويه][٦]: «والقيدودة: الطويل في غير سماءٍ»[٧].

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٥٦٧) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٢) في المطبوع ونور العثمانية: «الخبيثة»، وفي المصرية: «الخشينة»، وفي نجيبويه ونور العثمانية: «الخشية».
(٣) وهي شاذة لمخالفة الرسم، عزاها له ابن جني في المحتسب (١/ ٣٦٢).
(٤) في المطبوع ونجيبويه: «وهذا كما»، بدل: «العرب».
(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٢٢٧) ومسلم (٢٨٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٦) ساقط من المطبوع.
(٧) «غير» ليست في نجيبويه والمصرية، ولفظ سيبويه في الكتاب (٤/ ٣٦٥): «قد يخصون المعتل =

قال القاضي أبو محمد: كأَنه انقاد وامتد، وقال أَنس بن مالك وابن مسعود وابن عباس[١]، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، وابن زيد: الشجرة الطيبة في هذه الآية: النخلة[٢]، ورُوي في ذلك أَحاديث[٣].

وقال ابن عباس أَيضاً: هي شجرة في الجنة[٤].

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أَن تكون شجرة غير معينة إِلا أَنها كل ما اتَّصف بهذه الصفات، فيدخل فيه النخلة وغيرها، وقد شبَّه الرسول ﷺ المؤمنَ الذي يقرأُ القرآن بالأُتْرُجَّة[٥]، فلا يتعذر أَن يُشَبَّه أَيضاً بشجرتها.

والأُكل: الثَّمر، وقرأَ عاصم وحده: ﴿أُكُلَهَا﴾ بضم الكاف[٦].

وقوله: ﴿كُلَّ حِينٍ﴾، الحينُ في اللغة: القطيع من الزمان غير محدود، كقوله تعالى:

= بالبناء لا يخصون به غيره من غير المعتل، ألا تراهم قالوا: كينونةٌ والقيدود لأنه الطويل من غير السماء، وإنما هو من قاد يقود ألا ترى أنك تقول: جملٌ منقاد وأقود، فأصلهما فيعلولةٌ وليس في غير المعتل فيعلولٌ مصدراً».

وفي حاشية المطبوع: «اختلفت الأصول في كلمة «القيدودة» كتبت بالدال في بعضها وبالراءِ في أُخرى».

(١) ليس في المطبوع، ولم أره عنه، لكنه ثبت هذا عن أنس وابن مسعود، أخرجهما الطبري (١٦/ ٥٦٩) بأسانيد صحيحة.

(٢) انظر قول هؤلاء الخمسة في: تفسير الطبري (١٦/ ٥٧٢)، وزاد معهم مسروقاً، و«عكرمة» من المطبوع والمصرية فقط.

(٣) منها ما أخرج الطبري (١٦/ ٥٧٤) من حديث سليمان التيمي عن يوسف بن سرج عن رجل عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ: هل تدرون ما الشجرة الطيبة؟... وفيه أنها النخلة، وإسناده فيه مجاهيل، والمحفوظ في هذا الحديث ما أخرجه البخاري (٦١) ومسلم (٢٨١١) من حديث ابن عمر مرفوعاً بلفظ: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم»، لكن ليس فيه ذكر الشجرة الطيبة.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (١٦/ ٥٧٣) من طريق: قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس، وقابوس، ضعيف، كان رديء الحفظ، ينفرد عن أبيه بما لا أصل له.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٤٢٧) ومسلم (٧٩٧) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٦) بل هي قراءة الجمهور ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي كما في التيسير (ص: ٨٣)، وتقدم ذلك في (٢٦٥) من سورة البقرة.

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ﴾ [الإنسان: ١] وكقوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٨].

وقد تقتضي لفظة الحين بقرينتها تحديداً كهذه الآية، فإن[١] ابن عباس، وعكرمة، ومجاهداً، والحَكَم، وحَمَّاداً، وجماعة من الفقهاءِ، قالوا: «من حلف لا يفعل شيئاً حيناً فإِنه لا يفعله سنة»، واستشهدوا بهذه الآية: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾[٢]، أَي: كل سنة.

وقال ابن عباس[٣]، وعكرمة، والحسن: «أَي: كل ستة أَشهر»[٤].

وقال ابن المُسَيَّب: «الحينُ: شهران، لأَن النخلة تدوم مثمرة شهرين»[٥].

وقال ابن عباس أَيضاً[٦] والضحاك، والربيع بن أَنس: «﴿كُلَّ حِينٍ﴾ أَي: كل غدوة وعشية، ومتى أُريدَ جناها»[٧].

قال القاضي أبو محمد: وهكذا يشبهها المؤمن الذي هو في جميع أَيامه في عمل، أو الكلمة التي أَجرها[٨] والصادر عنها من الأعمال مستمر، فيشبه أَن قول[٩] الله تعالى إِنما شبَّه المؤمن أَو الكلمة بالشجرة في حال إِثمارها، إِذ تلك أَفضل أَحوالها.

وتأَوَّل الطبري في ذلك أَن أُكُل الطلْع في الشتاءِ، وأَن أُكل الثمر في كل وقت من

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «كقوله في هذه الآية ﴿كُلَّ حِينٍ﴾، وقال ابن عباس... إلخ».
(٢) انظر أقوال هؤلاء الخمسة في: تفسير الطبري (١٦/ ٥٨١).
(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٥٧٧) من طريق: الثوري وقيس بن الربيع ـ مفرقين ـ عن طارق بن عبد الرحمن ـ هو البجلي الأحمسي ـ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وطارق فيه لين.
(٤) انظر قول الثلاثة ومعهم سعيد بن جبير وقتادة في: تفسير الطبري (١٦/ ٥٧٩).
(٥) تفسير الطبري (١٦/ ٥٨١).
(٦) أخرجه الطبري (١٦/ ٥٧٦) من طريق: الأعمش. ومن طريق: قابوس بن أبي ظبيان. كلاهما عن أبي ظبيان. ومن طريق: عطية العوفي، كلاهما عن ابن عباس. وفي الإسنادان ضعف مشهور.
(٧) انظر قول الربيع بن أنس ومن معه في تفسير الطبري (١٦/ ٥٧٧).
(٨) في المطبوع: «أخرجها»، وكذا في هامش أحمد٣، وفي نور العثمانية: «أخرها»، ولعله تصحيف.
(٩) «قول»: من الأصل.

أَوقات العام، هو إِتيانُ أُكُل وإِن فارق النخل(١)، وإِن فرضنا التشبيه بها على الإطلاق، [وهي إِنما](٢) تؤتي في وقت دون وقت، فالمعنى: كشجرة لا تخلُّ بما جعلت له من الإتيان بالأُكل في الأَوقات المعلومة، فكذلك هذا المؤْمن لا يُخلُّ بما يُسِّر له من الأَعمال الصالحة، أَو الكلمة التي لا تغيب بركتها والأَعمال الصادرة عنها، بل هي في حفظ النظام كالشجرة الطيبة في حفظ وقتها المعلوم، وباقي الآية بيِّن.

قال القاضي أبو محمد: ومَن قال: الحين سنة، راعَى أَن ثمر النخلة وجناها إِنما يأْتي كل سنة، ومن قال: ستة أَشهر، راعى من وقت جَداد(٣) النخلة إِلى حملها من الوقت المقبل.

وقيل: إِن التشبيه وقع بالنخل الذي يثمر مرتين في العام، ومن قال: شهرين، قال: هي مدة الجني في النخل، وكلهم أَفتى بقوله في الأيمان(٤) على الحين.

وحكى الكسائي والفراءُ أَن في قراءَة أُبَيٍّ بن كعب: (وضرب الله مَثَلَ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ)(٥).

والكلمة الخبيثة هي كلمة الكفر وما قاربها(٦) من الكلام السوء(٧) في الظلم ونحوه.

والشجرة الخبيثة قال أَكثر المفسرين: شجرة الحنظل، قاله أَنس بن مالك(٨)، ورواه عن النبي ﷺ(٩)، وهذا عندي على جهة المثال.

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٥٨٢)، وفي الأصل: «وهو إتيان».

(٢) في نجيبويه بدلاً منه: «وأنها».

(٣) في العلمية: «جذاذ» بالذال، وفي نجيبويه: «جذاد».

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «الإتيان».

(٥) وهي شاذة، انظرها في: معاني القرآن للفراء (٢/ ٧٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٣٢) وفيه: «وضرب مثل»، دون لفظ الجلالة.

(٦) في نجيبويه ونور العثمانية: «قارنها».

(٧) في المطبوع: «السوقي».

(٨) صحيح، أخرجه الطبري (١٦/ ٥٨٣) من طريق: جماعة عن أنس بأسانيد جيدة، منها طرق عن شعيب بن الحبحاب عن أنس.

(٩) رفعه لا يصح، أخرجه الترمذي (٣١١٩) والطبري (١٦/ ٥٨٥) من طريق: حماد بن سلمة عن =

وقالت فرقة: هي الثُّوْم، وقال الزجاج: قيل: هي الكَشُوثى[١].

قال القاضي أبو محمد: وعلى هذه الأَقوال من الاعتراض أَن هذه كلها من النَّجْم، وليست من الشجر[٢]، والله تعالى إِنَّما مثَّل بالشجرة، فلا تسمى هذه شجرة إِلاَّ بتجوُّز، فقد قال عليه السلام في الثوم والبصل: «من أكل من هذه الشجرة»[٣].

وأَيضاً فإِن هذه كلها ضعيفة وإن لم تجتث[٤]، اللهم إِلا أَن نقول: اجتثت بالخلقة.

وقال ابن عباس: «هذا مثل ضربه الله ولم يخلق هذه الشجرة على وجه الأَرض»[٥].

والظاهر عندي أَن التشبيه وقع بشجرة غير معينة إِذا[٦] وجدت فيها هذه الأَوصاف، فالخبث هو أَن تكون كالعِضاه[٧] أَو كشجر السموم أو نحوها إِذا اجتثت، أَي: اقتلعت جثتها بنزع الأُصول، وبقيت في غاية الوهاء[٨] والضعف لتقلبها[٩] أَقلُّ ريح، فالكافر يرى أَن بيده شيئاً، وهو لا يستقر ولا يغني عنه، كهذه الشجرة التي يُظَن بها على بُعدٍ، أَو للجهل بها، أَنها شيءٌ نافع، وهي خبيثة الجنى غير باقية.

= شعيب بن الحبحاب عن أنس بن مالك به مرفوعاً، قال الترمذي: روى غير واحد مثل هذا موقوفاً ولا نعلم أحداً رفعه غير حماد بن سلمة، ورواه معمر وحماد بن زيد وغير واحد ولم يرفعوه. اهـ.

(١) ولفظه في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٦١): «قيل: إن الشجرة الخبيثة الحنظل، وَقيلَ: الكوث»، ولعل الصواب «الكشوثى» كما وردت في تفسير الطبري (١٧/ ٤٨٦)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١١٢)، وتفسير السمعاني (٣/ ١١٤).

(٢) النَّجْم من النَّبات: ما لا ساقَ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٨٥٣) (٨٥٤) (٨٥٦) ومسلم (٥٦١).

(٤) في المطبوع: «تخبث»، ولعله تصحيف.

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (١٦/ ٥٨٥) من طريق: قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس، وقابوس ضعيف، ينفرد عن أبيه بأشياء منكرة.

(٦) في نجيبويه: «إنما».

(٧) في المطبوع ونجيبويه: «كالعضاة»، وهو خطأ.

(٨) في المطبوع: «الوهن»، وهما بمعنى.

(٩) في المطبوع ونور العثمانية ونجيبويه: «فتقلبها»، وفي المصرية: «فبقلتها أقل ريحاً»، وفي أحمد٣: «فبقلها أول ريح».

[٣/ ١٠٩] / قوله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾.

القولُ الثابت في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخرة[1]: كلمةُ الإخلاصِ والنجاةِ من النار «لا إله إلا الله»، والإقرار بالنبوة، وهذه الآية تعم العالم من لدن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة.

وقال طاوس، وقتادة، وجمهور من العلماء: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ هي مدة حياة الإنسان، ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ هي وقت سؤاله في قبره[2].

وقال البراءُ بن عازب وجماعة: ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ هي وقت سؤاله في قبره[3]، ورواه البراءُ عن النبي ﷺ في لفظ مُتَأَوَّل[4].

قال القاضي أبو محمد: ووجْهُ القول: لأَن ذلك في مدة وجود الدنيا، وقوله: ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ هو يوم القيامة عند العرض.

قال القاضي أبو محمد: والأَول أَحسن، ورجَّحه الطبريُّ.

والظَّالِمُونَ في هذه الآية: الكافرون، بدليل أَنه عادل بهم المؤمنين، وعادل التثبيت بالإِضلال، وقوله: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ تقرير لهذا التقسيم المتقدم، كأَن امرأً رأَى التقسيم فطلب في نفسه علَّته فقيل له: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ بحق المُلْك، وفي هذه الآية ردٌّ على القدرية.

---

(١) «وفي الآخرة»: زيادة من المطبوع وأحمد٣.
(٢) انظر قولهما في: تفسير الطبري (١٦/ ٦٠٢)، مع الترجيح الذي سيأتي عنه.
(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٥٨٩) من طرق عدة عن البراء، وهو صحيح إليه.
(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٣٦٩) (٤٦٩٩) ومسلم (٢٨٧١).

وذكر الطبريُّ في صفة مُساءَلة العبد في قبره أَحاديث منها ما وقع في الصحيح(١)، وهي من عقائد الدين، وأَنكرت ذلك المعتزلة، ولم تقل بأَن العبد يُسأَل في قبره(٢).

وجماعة السنة تقول: إِن الله يخلق له في قبره إِدراكات وتحصيلاً، إِما بحياة كالمتعارفة وإِما بحضور النفس وإِن لم تتلبس بالجسد كالعرف، كل هذا جائز في قدرة الله تعالى، غير أَن في الأَحاديث أَنه يسمع خفق النعال(٣)، ومنها أَنه يرى الضوءَ كأن الشمس(٤) دنت للغروب(٥)، وفيها: أَنه ليراجع(٦)، وفيها: فتعاد روحه إِلى جسده(٧)، وهذا كله يتضمن الحياة، فسُبْحَانَ ربِّ هذه القدرة.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾، هذا تنبيه على مثال من ظالمين أضلوا(٨)، والتقدير: بدَّلوا شكر نعمة الله كفراً، وهذا كقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]، ونعمة الله المشار إِليها في هذه الآية هو محمد عليه

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٥٨٩)، وقد سبق منها حديث البراء بن عازب قريباً.

(٢) هذا قول ضرار بن عمرو الغطفاني أحد شيوخ المعتزلة كما في الفصل في الملل (٤/ ٥٥)، قال: وأكثرهم على رأي أهل السنة.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٣٣٨) بلفظ: «قرع نعالهم»، ومسلم (٢٨٧٠) من حديث أنس.

(٤) «كأن» ليست في المطبوع وأحمد٣، وفيهما: «كالشمس».

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٣٥) من طريق: محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً، وهو حديث طويل. ولمحمد بهذا الإسناد مناكير كثيرة.

(٦) لم أجده.

(٧) أخرجه الحاكم (١/ ٩٣) من طريق: أبي معاوية عن الأعمش ثنا المنهال بن عمرو عن زاذان أبي عمر قال: سمعت البراء بن عازب به مرفوعاً، في حديث طويل، قال ابن حبان في صحيحه (٧/ ٣٨٦): خبر الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء، سمعه الأعمش عن الحسن بن عمارة عن المنهال بن عمرو، وزاذان لم يسمعه من البراء فلذلك لم أخرجه. اهـ. والحسن متروك، وحديث الأعمش هذا ذكره أحمد في المسند (٤/ ٢٨٨) وأبو داود (٣٢١٤) وغيرهما مختصراً جداً، وهو الصحيح، والطول الذي في حديث المستدرك غير محفوظ، وقد أعله ابن حبان كما سبق.

(٨) في المطبوع: «الظالمين»، بدل «الكلمتين».

السلام ودينه، أَنعم الله به على قريش فكفروا النعمة ولم يقبلوها وتبدلوا بها الكفر، والمراد بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ كفرة قريشٍ جملة، وهذا بحسب ما اشتهر من حالهم، وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين.

وروي عن عمر بن الخطاب وعليّ بن أَبي طالب أَنها نزلت في الأَفْجَرَيْنِ من قريش: بني مخزوم وبني أُمية، قال عمر: فأَما بنو المغيرة فكُفوا يوم بدر، وأَما بنو أُمية فمُتِّعوا إِلى حين(١)، وقال ابن عباس: هذه الآية في جَبَلَة بن الأَيْهَم(٢).

قال القاضي أبو محمد: ولم يُرِد ابن عباس أَنها فيه نزلت، لأَن نزول الآية قبل قصته، وإِنما أَراد أَنها تحصر(٣) مَنْ فَعَلَ فِعْلَ جَبَلَة إِلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ﴾ أَي: من أَطاعهم وكان معهم في التبديل، فكأَن الإِشارة والتعنيف إِنما هو للرؤُوس والأَعلام، و﴿ٱلْبَوَارِ﴾ الهلاك، ومنه قول أَبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

[الخفيف]
يَا رَسُولَ الْمَلِيكِ إِنَّ لِسَانِي ... فَاتِقٌ مَا رَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورُ

قاله الطبريُّ، وقال هو وغيره: إِنه يُرْوى لابن الزِّبعرى(٤).

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٥) من طريق: سفيان، عن علي بن زيد، عن يوسف بن سعد، عن عمر بن الخطاب، وعلي هو ابن جدعان، ضعيف متفق على ضعفه، ومن طريق: حمزة الزيات، عن عمرو ابن مرة، قال: قال ابن عباس لعمر... وهذا مرسل.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ١٠) من طريق: عطية العوفي عن ابن عباس، وفي حاشية المطبوع: «في الأصول: جبلة بن إبراهيم»، وهو خطأ، وجبلة بن الأيهم كان أحد ملوك غسان فأسلم وكتب بإسلامه إلى رسول الله ﷺ وأهدى له هدية ولم يزل مسلماً حتى كان في زمان عمر بن الخطاب، ثم ارتد نصرانياً بسبب رجل من مزينة لطمه، انظر تفصيل قصته في: الطبقات الكبرى (١/ ٢٠٣).

(٣) في المطبوع: «تخص».

(٤) الصواب نسبة البيت لابن الزبعرى، وهو عبد اللّه بن الزّبعرى بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم القرشي السهمي، كان من أشعر قريش، وكان شديدا على المسلمين، ثم أسلم في الفتح، وحسن إسلامه، الإصابة (٤/ ٧٦) انظر عزوه له جزماً في: مجاز القرآن (١/ ٣٤٠)، وتكرر ذلك منه في =

ويحتمل أَن يريد بالْبَوَار الهلاك في الآخرة، ففسَّره حينئذ بقوله: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾، أَي: يحترقون في حرِّها ويحتملونه، ويحتمل أَن يريد بالْبَوَار الهلاك في الدنيا بالقتل والخزي، فتكون الدار قَلِيبَ بدر ونحوه، وقال عطاءُ بن يسار: «نزلت هذه الآية في قتلى بدر»[1].

قال القاضي أبو محمد: فيكون قوله: ﴿جَهَنَّمَ﴾ نصباً، على حدِّ قولك: زيداً ضربته، بإِضمار فعل يقتضيه الظاهر.

و﴿ٱلْقَرَارُ﴾: موضع استقرار الإِنسان.

والأَنداد: جمع نِدٍّ، وهو المِثْل والشبيه المناوئ، والمراد الأَصنام، واللام في قوله: ﴿لِّيُضِلُّواْ﴾ بضم الياءِ لام «كي».

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرٍو: ﴿لِيَضِلُّوا﴾ بفتح الياءِ، أَي: هم أَنفسهم، فاللَّام على هذا لام عاقبة وصيرورة، وقرأَ الباقون: ﴿لِّيُضِلُّواْ﴾ بضم الياء، أَي: يُضِلُّوا غيرهم[2].

وأَمْرُهم بالتمتع هو وعيد وتهديد على حدِّ قوله: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠].

قوله عز وجل: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ

= سورتي الفرقان والملك، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٧٥)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٤١٨)، والأمالي (٢/ ٢١٧)، والإتباع للقالي (١/ ٧٩)، وجمهرة اللغة (٢/ ١٠٢٠)، وإصلاح المنطق (١/ ١٢٥)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٢٧)، والمحكم (١٠/ ٣٣١)، وتفسير السمعاني (٤/ ١٢)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٣٧)، وسيأتي للمؤلف الجزم به في سورتي الفرقان والفتح، وجزم بنسبته لأبي سفيان الطبري في تهذيب الآثار (ص ١٥٩) وذكر الخلاف فيه في تفسيره (١٦/ ٥)، وفي أحمد٣ والمطبوع: «سفيان» دون كنية، وفيهما: «راتق ما فتقت»، والرَّاتق: الذي يصلح ما تمزق، وفَتَق: شقَّ.

(١) انظر قوله في: تفسير الطبري (١٦/ ١٠)، ونقله أيضاً (١٦/ ٩)، عن أبي مالك وسعيد بن جبير، وغيرهما.

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٤)

ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾﴾.

العباد: جمع عبدٍ، وعُرفه في التكرمة بخلاف العبيد.

وقوله: ﴿يُقِيمُواْ﴾، قالت فرقة مِن النحويِّين: جزْمه بإِضمار لام الأَمر على حدِّ قول الشاعر:

[الوافر] مُحَمَّدُ تَفْدِ نَفْسَكَ كلُّ نَفْسٍ[1] ....

أنشده سيبويه، إِلا أنه قال: «إِن هذا لا يجوز إِلا في شعر»[2]، وقالت فرقة ـ أبو عليٍّ وغيره ـ: «هو فعل مضارع بني[3] لمَّا كان في معنى فعل الأمر، لأن المراد: أَقيموا، وهذا كما بني الاسم المتمكن في النداءِ في قولك: يا زيد، لمَّا شُبِّه بـ«قبل» و«بعد»[4].

وقال سيبويه: «هو جواب شرط مقدر يتضمنه صدر الآية، تقديره: إِن تقل لهم: أَقيموا، يقيموا»[5].

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أَن يكون جوابَ الأَمر الذي يعطينا معناه قولُه: ﴿قُل﴾، وذلك بأَن تجعل ﴿قُل﴾ في هذه الآية بمعنى: بَلِّغ وأَدِّ الشريعة يقيموا الصلاة، وهذا كله على أَن المقول هو الأَمر بالإِقامة والإِنفاق، وقيل[6]: إِن المقول هو الآية التي بعدُ، أَعني قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية.

---

(١) البيت بلا نسبة في معاني القرآن للأخفش (١/ ٥٩)، وغيره تمامه: إِذَا ما خِفْتَ مِنْ شَيْءٍ تَبالا، وقد تقدم في أول سورة النساء.

(٢) لفظه في الكتاب (٣/ ٨): واعلم أن هذه اللام قد يجوز حذفها في الشعر.

(٣) في المطبوع: «جزم»، وكذا في أحمد٣ ولكن صححت في الهامش.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر كلامه على هذه الآية في: الكتاب (٣/ ٩٩).

(٦) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية ونور العثمانية: «ويظهر».

والسِّر: صدقةُ التَّنفل، / والعلانية: الصدقةُ المفروضة، هذا هو مقتضى الأَحاديث[١]، [٣/ ١١٠]
وفسَّر ابن عباس هذه الآية بزكاة الأَموال مجملاً، وكذلك فسَّر الصلاة بأَنها الخمس[٢]، وهذا عندي منه تقريب للمخاطب.

والخِلاَل مصدر من خالل[٣]: إِذا وَادَّ وصافى، ومنه الخُلَّة والخليل، قال امرؤ القيس:

صَرَفْتُ الْهَوى عَنْهُنَّ مِن خَشْيَةِ الرَّدَى ... ولَسْتُ بِمَقْلِيِّ الْخِلاَلِ وَلاَ قَالِ[٤] [الطويل]

وقال الأَخفش: «الخِلالُ جمع خُلَّة»[٥].

وقرأَ نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وابن عامر: ﴿لَّا بَيۡعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ بالرفع على إِلغاءِ «لا»، وقرأَ أَبو عمرو، والحسن، وابن كثير: ﴿لا بيعَ ولا خلالَ﴾ بالنصب[٦] على التبرئة، وقد تقدم هذا، والمرادُ بهذا اليوم يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية، تذكير بآلاءِ الله، وتنبيه على قدرته التي فيها إِحسانٌ إِلى البشر؛ لتقوم الحُجَّة من وجهين، و﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأٌ، و﴿ٱلَّذِي﴾ خبره، ومن أُخبر بهذه الجملة وتقررت في نفسه آمَن وصلَّى وأَنفق[٧].

---

(١) روي في ذلك آثار، منها عن ابن عباس عند الطبري (٥/ ٥٨٣) من طريق علي بن أبي طلحة عنه بلفظ: جعل الله صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفاً، وجعل صدقة الفريضة: علانيتها أفضل من سرها، يقال بخمسة وعشرين ضعفاً...

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٤٢١) من طريق علي بن أبي طلحة عنه.

(٣) في المطبوع: خالَّك.

(٤) انظر نسبته له في: تفسير الطبري (١٦/ ١٢)، والأمالي للقالي (١/ ١٩٦)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٣٢٠)، وتهذيب اللغة (٢/ ٤٠١).

(٥) لفظه في معاني القرآن (٢/ ٤٠٧): وإِنَّما «الخِلالُ» لجماعة «الخُلَّةِ» كما تقول: «جُلّة وجِلال»، و«قُلَّة وقِلال».

(٦) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٨٢).

(٧) في المصرية: «وأيقن».

و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ هي الأَرقعة السبعة، وقوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يريد: السحاب.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ يجوز أَن تكون ﴿مِنَ﴾ للتبعيض، فيكون المراد بعض جنى الأَشجار، ويسقط ما كان منها سُمّاً أَو مجرداً للمضرات، ويجوز أَن تكون ﴿مِنَ﴾ لبيان الجنس كأَنه قال: فأَخرج به رزقاً لكم من الثمرات، وقال بعض الناس: ﴿مِنَ﴾ زائدة، وهذا لا يجوز عند سيبويه لكونها في الواجب[(١)]، ويجوز عند الأَخفش[(٢)].

و﴿ٱلْفُلْكَ﴾ جمع فُلْكٍ، وقد تقدم القول فيه مراراً.

وقوله: ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ مصدر من أَمر يأْمُر، وهذا راجع إِلى الكلام القائم بالذات، كقوله الله تعالى للبحار وللأَرض وسائر الأَشياءِ: «كن» عند الإِيجاد، إِنما معناه: كن بحال كذا، أَو على وتيرة كذا، وفي هذا [يندرج جريان][(٣)] الفلك وغيره، وفي تسخير الفُلك ينطوي تسخير البحر وتسخير الرياح، وأَما تسخير الأَنهار فتفجيرها في كل بلد وانقيادها للسقي وسائر المنافع.

و﴿دَآئِبَيْنِ﴾ معناه: متمادين، ومنه قول النبي ﷺ لصاحب الجمل الذي بكى وأَجهش إِليه: «إِن هذا الجمل شكا إِليَّ أَنك تجيعه وتدئبه»[(٤)]، أَي: تديمه في الخدمة والعمل.

وظاهر الآية أَن معناه: دَائِبَيْنِ في الطلوع والغروب وما بينهما من المنافع للناس التي لا تُحصى كثرة، وحكى الطبريُّ عن مقاتل بن حيان، يرفع إِلى ابن عباس، أَنه قال: معناه: دائبين في طاعة الله[(٥)]، وهذا قول إِن كان يُراد به أَن الطاعة انقياد منهما في

---

(١) في المطبوع: «الجواب».

(٢) كما تقدم ذلك عنهما مراراً.

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «تدريج دوران».

(٤) أخرجه أبو داود (٢٥٥١) والحاكم (٢/ ١٠٩) وغيرهما من طريق: مهدي بن ميمون ثنا محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن الحسن بن سعد مولى الحسن بن علي عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهم قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسر إلي حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس... وفيه قصة الجمل، وأخرجه مسلم (٣٤٢) من طريق آخر عن الحسن به، دون قصة الجمل.

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (١٦/ ١٤) عن خلف بن واصل، عن رجل، عن مقاتل عن عكرمة عن ابن عباس، ولا يعرف من الرجل.

التسخير فذلك موجود في قوله: ﴿وَسَخَّرَ﴾، وإِن كان يُراد أَنها طاعة مقصودة كطاعة العباد من البشر فهذا بعيد[١]، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَءَاتَىٰكُم﴾ للجنس من البشر، أَي: أَن الإِنسان بجملته قد أُوتي من كل ما شأْنه أَن يُسأَل ويُنتفع به، ولا يطرد هذا في واحد من الناس، وإِنما تفرقت هذه النعم في البشر، فيقال بحسب هذا للجميع: أُوتيتم كذا، على جهة التعديد للنعمة، وقيل: المعنى: وَآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما [سَأَلْتُمُوهُ أن لو سأَلتموه][٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قريب من الأَول.

و﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ يصح أَن تكون مصدرية، ويكون الضمير في قوله: ﴿سَأَلْتُمُوهُ﴾ عائداً على الله تعالى، ويصح أَن تكون ﴿مَا﴾ بمعنى الذي، ويكون الضمير عائداً على الذي.

وقرأَ الضحاك بن مزاحم وابن عباس: (من كلٍّ ما سألتموه) بتنوين (كُلٍّ)، وهي قراءَة الحسن، وقتادة، وسلام، ورويت عن نافع[٣].

والمعنى: وآتاكم من كل هذه المخلوقات المذكورات قبلُ ما من شأْنه أَن يُسأَل لمعنى الانتفاع به، فـ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ مفعول ثانٍ بـ(آتاكم)، وقال بعض الناس: مَا نافية على هذه القراءَة، أَي: أَعطاكم من كُلٍّ شيئاً [ما سأَلتموه، والمفعول الثاني هو قولنا: «شيئاً»، فعدَّد على هذه النعمةَ في تفضله بما لم يسأَله البشر من النعم، وكأَن ما سأَلوه][٤] لم يعرض له.

---

(١) في الأصل والمصرية: «جيد».

(٢) في المصرية بدل هذا: «شئتموه».

(٣) وهي شاذة، رواها محمد بن إسحاق المسيّبي عن أبيه عن نافع، كما في جامع البيان (٣/ ١٢٥٨)، وليست من طرق التيسير ولا النشر، وعزاها في المحتسب (١/ ٣٦٣) لابن عباس والحسن والضحاك وزاد الثعلبي (٥/ ٣٢٠) سلاما، والكل في البحر المحيط (٦/ ٤٤٠).

(٤) ساقط من الأصل.

قال القاضي أبو محمد: وهذا تفسير الضحاك[١].

وأَما القراءَة الأُولى بإِضافة ﴿كُلِّ﴾ إِلى ﴿مَا﴾ فلا بُدَّ من تقدير المفعول الثاني: جُزءاً أو شيئاً أَو نحو هذا.

وقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ أَي: لكثرتها وعظمها في الحواس والقوى، والإِيجاد بعد العدم، إِلى الهداية للإِيمان وغير ذلك.

وقال طلق بن حبيب[٢]: «إِن حقَّ الله أَثقل من أَن يقوم به العباد، ونعمه أَكثر من أَن يُحصيها العباد، ولكن أَصبِحوا توابين وأَمسوا توابين»[٣].

وقال أَبو الدرداءِ: «من لم ير نعمة الله عليه إِلا في مطعمه ومشربه فقد قلَّ علمه وحَضر عذابه»[٤].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ يريد به النوعَ والجنسَ، المعنى: توجد فيه هذه الخلال، وهي الظلم والكفر، فإِن كانت هذه الخلال من جاحد فهي بصفة، وإِن كانت من عاص فهي بصفة أُخرى.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ١٥).

(٢) هو طلق بن حبيب العنزي البصري روى عن ابن عباس، وجابر، وأنس، وعنه: منصور، والأعمش، وسليمان التيمي، وجماعة. وكان صالحاً عابداً شديد البر بأمه طيب الصوت بالقرآن، يتكلم على الناس ويعظ، توفي بعيد المئة. تاريخ الإسلام (٧/ ١٢١).

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ١٦).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١١٣) من طريق: يزيد بن إبراهيم ـ وهو التستري البصري ـ عن الحسن قال: قال أبو الدرداء.. وهذا منقطع.

المعنى: واذكر إِذ قال إِبراهيم، و﴿ٱلْبَلَدَ﴾: مكة، و﴿ءَامِنًا﴾ معناه: فيه أَمْن، فوصفه بالأَمن تجوُّزاً، كما قال: ﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[إبراهيم: ١٨]، وكما قال الشاعر:

.... وَمَـا لَيْلُ الْمَطِـيِّ بِنَائِمِ[١] [الطويل]

و﴿وَٱجْنُبْنِى﴾ معناه: امنعني، يقال: جَنَـبَه كذا وجَنَّـبَه وأَجنَبَه: إِذا منعه من الأَمر وحماه منه.

وقرأَ الجحدريُّ والثقفي: (وأَجْنِبْني) بقطع الأَلف وكسر النون[٢].

وأَراد إِبراهيم[٣] بني صُلْبه، وكذلك[٤] أُجيبت دعوته فيهم، وأَما باقي نسله فقد عبدوا الأَصنام، وهذا الدعاءُ من الخليل عليه السلام يقتضي إِفراط خوفه على نفسه ومن حصل في رتبته، فكيف يخاف أَن يعبد صنماً؟ لكن هذه الآية ينبغي أَن يُقتدى بها في الخوف وطلب الخاتمة.

والأَصنام هي المنحوتة على خلقة البشر، وما كان منحوتاً على غير خِلْقة البشر فهي أَوثان، قاله الطبري عن مجاهد[٥]، ونسب إِلى الأَصنام أَنها أَضلت كثيراً من الناس تجوُّزاً إِذ كانت عرضة الإِضلال والأَسبابَ المنصوبة للغي، وعليها ينشأ الأعمار[٦]، وحقيقة الإِضلال إِنما هي لمخترعه، [وقيل: أراد بالأصنام هنا الدنانير والدراهم][٧].

---

(١) أوله: لَقَدْ لُمْتِنَا يا أُمَّ غَيْلَانَ في السُّرَى، ونمت... وقد سبق الاستشهاد به عند الآية (١٨) من هذه السورة.

(٢) المحتسب (١/ ٣٦٣)، وزاد أبا الْهَجْهاج.

(٣) في المطبوع وأحمد٣ بدل الكلمتين: «و﴿وَبَنِىَّ﴾ أراد»، وفي المصرية: «وأولاد إبراهيم بنو صلبه».

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «ولذلك».

(٥) لفظه في تفسير الطبري (١٧/ ١٧): والصنم: التمثال المصوّر، ما لم يكن صنماً فهو وثَن.

(٦) كذا في الأصل لا واو بعدها، وفي المطبوع وأحمد٣: «منشأُ الأَعمال»، وفي التركية: «الأعماء»، وفي نجيبويه: «الإضمار».

(٧) زيادة من الأصل والإماراتية.

[٣/ ١١١] وقوله / : ﴿وَمَنْ عَصَانِى﴾ ظاهره: بالكفر، لمعادلة قوله: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾، وإِذا كان ذلك كذلك فقوله: ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ معناه: بتوبتك على الكفرة حتَّى يؤْمِنوا، لا أَنه أَراد أَن الله يغفر لكافر، ولكن حمله على هذه العبارة ما كان يأْخذ نفسه به من القول الجميل والنطق[١] الحسن وجميل الأدب عليه السلام.

قال قتادة: اسمعوا قول الخليل، والله ما كانوا طعَّانين ولا لعَّانين[٢].

وكذلك قال نبيُّ الله عيسى: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

وأَسند الطبريّ عن عبد الله بن عمرو حديثاً أن النبي ﷺ تلا هاتين الآيتين، ثم دعا لأُمته فبُشِّر فيهم[٣].

وكان إِبراهيم التيمي يقول: «من يأْمن على نفسه بعد خوف إبراهيم الخليل على نفسه من عبادة الأَصنام؟»[٤].

وقوله: ﴿مِن ذُرِّيَّتِى﴾ يريد إِسماعيل عليه السلام، وذلك أَن سارة لما غارت بهاجر[٥] بعد أَن ولدت إِسماعيل تعذَّب إِبراهيم عليه السلام بهما، فروي أنه ركب البراق هو وهاجر والطفل، فجاءَ في يوم واحد من الشام إِلى بطن مكة، فنزل وترك[٦] ابنه وأَمَتَه هنالك، وركب منصرفاً من يومه ذلك، وكان هذا كله بوحي من الله تعالى، فلما ولَّى دعا بمُضمَّن هذه الآية، وأَما كيفية بقاءِ هاجر وما صنعت وسائر خبر إِسماعيل ففي كتاب البخاري والسِّير وغيره[٧].

---

(١) في نجيبويه: «النظر».
(٢) تفسير الطبري (١٧/ ١٨).
(٣) مسلم (٢٠٢).
(٤) تفسير الطبري (١٧/ ١٧) بلفظ: «من يأمن من البلاء بعد خليل الله إبراهيم، حين يقول... إلخ».
(٥) في المطبوع وأحمد٣: «لهاجر».
(٦) في المطبوع وأحمد٣: «ونزل».
(٧) البخاري (٣٣٦٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

و(مِنْ) في قوله: ﴿مِن ذُرِّيَّتِي﴾ للتبعيض، لأَن إِسحاق كان بالشام، والْوَادِي: ما بين الجبلين، وليس من شروطه أَن يكون فيه ماءٌ.

وهذه الآية تقتضي أَن إِبراهيم عليه السلام قد كان عَلِمَ من الله تعالى أَن الله لا يُضَيِّع هاجر وابنها في ذلك الوادي، وأَنه يرزقهما الماءَ، وإِنما نظر النظر البعيد للعاقبة فقال: ﴿غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾، ولو لم يعلم ذلك من الله لقال: غير ذي ماءٍ، على ما كانت عليه حال الوادي عند ذلك.

وقوله: ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ إِما أَن يكون البيت قد كان قديماً على ما رُوي قبل الطوفان، وكان علمه عند إِبراهيم، وإِما أَن يكون قالها لما كان قد أَعلمه الله تعالى أَنه سيبني هنالك بيتاً لله تعالى فيكون مُحَرَّماً، والمعنى: محرَّماً على الجبابرة أَن تُنْتَهك حرمته ويُستخف بحقه، قاله قتادة وغيره[1].

وجَمْعُه الضمير في قوله: ﴿لِيُقِيمُواْ﴾ يدل على أَن الله قد أَعلمه أَن ذلك الطفل سيعقب هنالك ويكون له نسل.

واللام في قوله: ﴿لِيُقِيمُواْ﴾ هي لام «كي»، هذا هو الظاهر فيها، على أَنها متعلقة بـ﴿أَسْكَنتُ﴾، والنداءُ اعتراضٌ، ويصحُّ أَن تكون لامَ أَمْر، كأَنه رغب إِلى الله أَن يوفِّقهم لإقامة الصلاة، ثم ساق عبارة ملزمة لهم إِقامة الصلاة، وفي اللفظ ـ على هذا التأْويل ـ بعضُ تجوُّز يربطه المعنى ويُصلحه.

و(الأَفْئِدَةُ): القلوب، جمع فؤاد، سمي بذلك لانفئاده[2]، مأْخوذ من: فَأَدَ، ومنه المُفْتَأَد، وهو مستوقَد النار حيث يشوى اللحم.

وقرأَ ابن عامر بخلاف عنه: ﴿فاجْعَلْ أَفْئِيدَةً﴾ بياءٍ بعد الهمزة[3].

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٢١)

(٢) في الأصل والإماراتية: «لاتقاده»، وفي نجيبويه: «لاتفاده».

(٣) وهي سبعية عنه من رواية هشام كما في التيسير (ص: ١٣٥).

وقوله: ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ تبعيض، ومراده: المؤمنون، قال مجاهد: «لو قال إبراهيم: أَفئدة الناس، لازدحمت على البيت فارس والروم»، وقال سعيد بن جبير: «لَحَجَّتْه اليهود والنصارى»(١).

و﴿تَهْوِيٓ﴾ معناه: تسير بجدٍّ وقصد مستعجل، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] وَإِذَا رَمَيْـتَ بِـهِ الْفِجَـاجَ رَأَيْتَـهُ يَهْوِي مَخَارِمَهَا هُوِيَّ الأَجْدَلِ(٢)

ومنه البيت المروي:

[السريع] تَهْـوِي إِلَـى مَكَّـةَ تبغـي الْهُـدَى مـا مُؤْمِنُـو الْجِـنِّ كَأَنْجَاسِـهَا(٣)

وقرأ سلمة بن عبد الله: (تُهْوِي) بضم التاءِ، مِنْ أَهوى، وهو الفعل المذكور معدًّى بالهمزة، وقرأ علي بن أَبي طالب، ومحمد بن علي، ومجاهد: (تَهْوَى) بفتح التاءِ والواو(٤).

وتعَدَّى هذا الفعل ـ وهو من الهُوِيِّ ـ بـ(إلى) لما كان مقترناً بسَيْرٍ وقصد.

وروي عن مسلم بن محمد الطائفي(٥) أَنه لما دعا عليه السلام بأَن يرزق سكان مكة من الثمرات بعث الله جبريل فاقتلع بجناحه قطعة من أَرض فلسطين، وقيل: من الأُردن، فجاءَ بها وطاف حول البيت بها سبعاً ووضعها قريب مكة، فهي الطائف، وبهذه القصة سُمِّيت، وهي موضع ثقيف، وبها أَشجار وثمرات، [وثم هي ركبة](٦).

---

(١) انظر قولهما في: تفسير الطبري (١٧/ ٢٥)

(٢) البيت لأبي كبير عامر بن الحُلَيس الهُذَلي، كما في الشعر والشعراء (٢/ ٦٦١)، والمحكم (٥/ ١٨٤)، ومعجم مقاييس اللغة (٦/ ١٦).

(٣) في المطبوع: «كأجناسها»، والبيت لرئي أحد الكهان كما في سيرة ابن هشام (١/ ٢١١)، وتاريخ دمشق (٧٢/ ٣٢٥).

(٤) وهما شاذتان، انظر عزوها لهم في: المحتسب (١/ ٣٦٤)، وفيه وفي نور العثمانية والإمارتية: «مسلمة»، وأشار لها في هامش أحمد٣، وعزا الثانية النحاس في معاني القرآن (٣/ ٥٣٦) لمجاهد.

(٥) كذا في النسخ، والصواب أنه محمد بن مسلم الطائفي، كما في الطبراني (١٧/ ٢٦-٢٧).

(٦) زيادة من الأصل والإماراتية.

قوله عز وجل: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾.

مقصد إِبراهيم عليه السلام [بقوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُ﴾][(١)] التنبيه على اختصاره في الدعاء، وتفويضه إِلى ما علم الله من رغائبه وحرصه على هداية بنيه والرفق بهم، وغير ذلك، ثم انصرف إِلى الثناءِ على الله تعالى بأَنه علام الغيوب، وإِلى حمده على هباته، وهذه من الآيات المُعْلمة أَن علم الله تعالى بالأَشياءِ هو على التفصيل التام.

ورُوي في قوله: ﴿عَلَى ٱلۡكِبَرِ﴾ أَنه وُلد له إِسماعيل وهو ابن مئة وسبعة عشر عاماً، ورُوي أَقل من هذا، وإِسماعيل أَسَنُّ من إِسحاق فيما روي، وبحسب ترتيب هذه الآية.

ورُوي عن سعيد بن جُبير أَنه قال: «بُشِّر إِبراهيم وهو ابن مئة وسبعة عشر عاماً»[(٢)].

وقوله: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾، دعا إِبراهيم عليه السلام في أَمر كان مثابراً عليه، متمسكاً به، ومتى دعا الإِنسان في مثل هذا فإِنما القصد إِدامة ذلك الأَمر واستمراره.

وقرأ طلحة والأَعمش: ﴿دُعَآءِ * رَبَّنَا﴾ بغير ياءٍ، وقرأَ أَبو عمرٍو وابن كثير: ﴿دُعَاءي﴾ بياءٍ ساكنة في الوصل، وأَثبتها بعضهم دون الوقف في الوصل، وقرأَ نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بغير ياءٍ في وصل ولا وقف، وروى / ورش عن نافع [٣/ ١١٢] إِثبات الياءِ في الوصل[(٣)].

---

(١) ساقط من أحمد٣ والمطبوع.

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٢٧).

(٣) فيه تخليط وتداخل وقصور بيِّن، وحاصل طرق التيسير (ص: **١٣٥**) أن في هذه الكلمة ثلاث قراءات، الأولى قراءة الجمهور بكسر الهمز وحذف الياء وصلاً ووقفاً، لابن عامر وعاصم والكسائي ونافع من رواية قالون، وابن كثير من رواية قنبل، والثانية إثبات الياء وصلاً لا وقفاً، وهي لحمزة وأبي عمرو، وورش عن نافع، والثالثة بإثباتها في الحالين للبزي عن ابن كثير، وضبطها في المطبوع: «دعايْ».

وقرأت فرقة: ﴿وَلِوَٰلِدَيَّ﴾، واختلف في تأْويل ذلك:

فقالت فرقة: كان هذا من إِبراهيم قبل يأْسه من إِيـمان أَبيه وتَـبَـيُّـنِـهِ أَنه عدوٌّ لله، فأَراد أَباهُ وأُمه لأَنها كانت مؤمنة.

[وقيل: أَراد أُمه ونوحاً عليه السلام، وقيل: أَراد آدم وحوَّاءَ لأَن أُمه لم تكن مؤمنة][1].

وقيل: أَراد آدم ونوحاً عليهما السلام.

وقرأ سعيد بن جبير: (وَلِوَالِدِي) بإِفراد الأَب وحده[2]، وهذا يدخله ما تقدم من التأْويلات.

وقرأ الزهري، وإِبراهيم النَّخَعيّ: (وَلِـوَلَـدَيَّ)[3] على أَنه دعاءٌ لِإسماعيل وإِسحاق[4]، وأَنكرها عاصم الجحدري، وقال: إِن في مصحف أُبيٍّ بن كعب: (ولأبوَيَّ)[5].

وقرأ يحيى بن يَعْمَر: (ولِوُلْدِي) بضم الواو وسكون اللام[6].

والوُلْد لغة في الولَد، ومنه قول الشاعر وأَنشده[7] أَبو عليٍّ وغيره:

فَلَيْتَ زِيَـاداً كانَ في بَطْنِ أُمِّهِ ... ولَيْتَ زياداً كان وُلْدَ حِمارِ[8] [الطويل]

ويحتمل أَن يكون الوُلْدُ جمع وَلَد[9]، كأُسْدٍ في جمع أَسَدٍ.

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) انظر عزوها له في: المحتسب (١/ ٣٦٥).

(٣) وهما شاذتان، انظر عزاهما في: المحتسب (١/ ٣٦٥)، وزاد في الثانية الحسين بن علي، وأبا جعفر محمد بن علي.

(٤) سقط من المصرية.

(٥) وهي شاذة عزاها له الزمخشري في الكشاف (٢/ ٥٦٢)، وابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٧٣).

(٦) انظر: المحتسب (١/ ٣٦٥).

(٧) في المطبوع: «وأسند» وهو تصحيف، وفي أحمد٣: «ومنه ما أنشد أبو علي... إلخ».

(٨) بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (٢/ ١٧٣)، وإصلاح المنطق (ص: ٣٤)، والحجة لأبي علي (٥/ ٢١١).

(٩) في المطبوع هنا زيادة: «لا»، وهو خطأ مطبعي.

وقوله: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ يعني: يوم يقوم الناس للحساب، فأَسند القيام إِلى الحساب إِيجازاً إِذ المعنى مفهوم.

قال القاضي أبو محمد: ويتوجه أَن يريد قيام الحساب نفسه، ويكون القيام بمعنى ظهوره وتَلَبُّس العباد بين يدي الله به، كما تقول: قامت السوقُ، وقامت الصلاة، [كما قال:][(١)] وقامت الحرب على ساق[(٢)].

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٤٢ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ٤٣ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ٤٤﴾.

هذه الآية بجملتها فيها وعيد للظالمين، وتسلية للمظلومين، والخطاب بقوله: ﴿تَحۡسَبَنَّ﴾، لمحمد عليه السلام، والمراد بالنهي غيره مِمَّن يليق[(٣)] به أَن يحسب مثل هذا.

وقرأَ طلحة بن مصرف: (ولا تحسب الله غافلاً) بإِسقاط النون، وكذلك: (فلا تحسب الله مخلف وعده)[(٤)].

وقرأَ أَبو حيوة، وأبو عبد الرحمن، والحسن، والأَعرج: (نُؤَخِّرُهُمْ) بنون العظمة[(٥)].

وقرأَ الجمهور: ﴿يُؤَخِّرُهُمۡ﴾ بالياءِ، أَي: الله تعالى.

---

(١) سقطت من الأصل.

(٢) ورد هذا التمثيل به في: تفسير ابن فورك (٣/ ٩٨)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٤٨١)، والصحاح للجوهري (٤/ ١٤٩٩).

(٣) في المطبوع: «تَلَبَّس».

(٤) إبراهيم: (٤٧)، وهي شاذة تابعه عليها في البحر المحيط (٦/ ٤٥١).

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها للحسن والسلمي في: مختصر الشواذ (ص: ٧٣)، وللأعرج في البحر المحيط (٦/ ٤٥١)، وزاد آخرين، وأما أبو حيوة فلم أجد من نقلها عنه، وهو زيادة من المطبوع، وفيه «عبد الرحمن» دون كنية.

و﴿تَشْخَصُ﴾ معناه: تُحِدُّ النظر لفزع، ولفرط ذلك يشخص المحتضَر.

والمُهْطِع: المُسْرِعُ في مشيه، قاله ابن جبير وقتادة(١).

قال القاضي أبو محمد: وذلك بذِلَّة واستكانة، كإِسْراع الأَسير الخائف ونحوه، وهذا هو أَرجح الأَقوال، وقد توصف الإِبل بالإِهطاع على معنى الإِسراع، وقلَّما يكون إِسراعها إِلاَّ مع خوف السوط ونحوه، فمن ذلك قول الشاعر:

[الكامل] وَبِمُهْطِعٍ سُرُحٍ كَأَنَّ عِنَانَهُ ... في رأْسِ جِذْعٍ مِنْ أَوَالَ مُشَذَّبِ(٢)

ومن ذلك قول عِمْرانَ بن حِطَّان:

[البسيط] إِذَا دَعَانَا فَأَهْطَعْنَا لِدَعْوَتِهِ ... داعٍ سميعٌ فَلَفُّونا وسَاقُونا(٣)

ومنه قول ابن مفرِّغ:

[الوافر] بِدِجْلَةَ دارُهُمْ وَلَقَدْ أَرَاهُمْ ... بِدِجْلَةَ مُهْطِعِينَ إِلَى السَّمَاعِ(٤)

ومن ذلك قول الآخر:

[الطويل] بِمُسْتَهْطِعٍ رَسْلٍ كَأَنَّ جَدِيلَهُ ... بِقَيْدُومِ رَعْنٍ مِنْ صَوامٍ مُمَنَّعُ(٥)

وقال ابن عباس(٦)، وأَبو الضحى: الإهطاع: شدة النظر من غير أَن يطرف(٧).

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي (٥/ ٣٢٤)، ولفظه: قال قتادة: مسرعين، سعيد بن جبير عنه: منطلقين

(٢) البيت لأنيف بن جبلة الضَّبِّيّ الجمحيّ فَارس الشيط، كما في أمالي الزجاجي (ص: ٣)، وأَوَالُ: قرية بالبحرين، وقيل: جزيرة.

(٣) انظر عزوه له في: البحر المحيط (١٣/ ١٩٠) طبعة الرسالة، وفي الأصل: «فلونا» وهي خطأ.

(٤) انظر عزوه له في: مجاز القرآن (١/ ٣٤٣)، تاج العروس (٢٢/ ٣٩٨).

(٥) بلا نسبة في مجاز القرآن (١/ ٣٤٣)، وتفسير الطبري (١٧/ ٣١)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٣٢٥)، وأساس البلاغة (٢/ ٣٧٦)، مع اختلاف ألفاظه، والرَّعْن: أنف الجبل، وقيدوم الجبل: أَنْفٌ يتقدم منه، والقيدوم الرَّعْن: هو الأنف المندفع في ارتفاعه، وصَوَام (كسَحَابٍ): اسم جبل.

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٩) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس.

(٧) تفسير الطبري (١٧/ ٢٩).

وقال ابن زيد: «المهطع الذي لا يرفع رأْسه»[١].

قال أَبو عبيدة: «قد يكون الإِهطاع للوجهين جميعاً: الإِسراع وإِدامة النظر»[٢].

والمُقْنِع هو الذي يرفع رأْسه قدماً بوجهه نحو الشيءِ، ومن ذلك قول الشاعر:

يُبَاكِرْنَ الْعِضَاهَ بِمُقْنَعَاتٍ نَوَاجِذُهُنَّ كالحِدَأ الْوَقِيع[٣] [الوافر]

يصف الإِبل بالإِقناع عند رعيها أَعالي الشجر.

وقال الحسن في تفسير هذه الآية: «وجوه الناس يوم القيامة إِلى السماءِ، لا ينظر أَحد إِلى أَحد»[٤]، وذكر المبرِّد فيما حكى عنه مكي أنَّ الإِقناع يوجد في كلام العرب بمعنى خفض الرأْس من الذِّلَّة[٥].

قال القاضي أبو محمد: والأَول أَشهر.

وقوله: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أَي: لا يطرفون من الحذر والجزع وشدة الحال.

وقوله: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ تشبيه محض، لأَنها ليست بهواءٍ حقيقةً، وجهة التشبيه يحتمل أَن تكون في فراغ الأَفئدة من الخير والرجاءِ والطمع في الرحمة، فهي منخرقة مشبِهةٌ الهواءَ في تفرغه من الأَشياء وانخراقه، ويحتمل أَن يكون في اضطراب أَفئدتهم وجيشانها في صدورهم، وأنها تجيءُ وتذهب وتبلغ ـ على ما رُوي ـ حناجرهم، فهي في ذلك كالهواءِ الذي هو أَبداً في اضطراب.

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٣٠).

(٢) اقتصر في مجاز القرآن (١/ ٣٤٣)، على معنى الإسراع في مواضعه الثلاثة.

(٣) البيت للشَّمَّاخ بن ضرار، كما في مجاز القرآن (١/ ٣٤٣)، وتفسير الطبري (١٧/ ٣١)، والعين (٣/ ٢٧٩)، والصحاح للجوهري (١/ ٤٣).

(٤) انظره بلفظه في: تفسير الطبري (١٧/ ٣٢).

(٥) الهداية الى بلوغ النهاية (٥/ ٣٨٣٥)، ولفظ المبرد في الكامل (٣/ ٩١): المقنع: الرافع رأسه، في هذا الموضع، ويقال في غيره: الذي يحط رأسه استخذاء وندماً؛ قال الله جل وعز: ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾... إلخ، وسقط ذكر «مكي» من المطبوع.

قال القاضي أبو محمد: وعلى هاتين الجهتين يشبَّه قلب الجبان وقلب الرجل المضطرب في أُموره بالهواءِ، فمن ذلك قول الشاعر:

[الطويل] ولا تَكُ مِنْ أَخْدَانِ كُلِّ يَرَاعَةٍ هَواءٍ كَسَقْبِ النَّابِ جُوفاً مَكَاسِرُهْ[1]

ومن ذلك قول حسَّان:

[الوافر] أَلا أَبْلِغ أَبا سُفْيَانَ عَنِّي فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ[2]

ومن ذلك قول زهير:

[الوافر] كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْه فَوْقَ صَعْلٍ مِنَ الظِّلْمَانِ جُؤْجُؤُهُ هَوَاءُ[3]

فالمعنى أَنه في غاية الخفَّة [في إِجفاله][4].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ الآية، المرادُ باليوم يومُ القيامة، ونصبه على أَنه مفعول بـ﴿وَأَنذِرِ﴾، ولا يجوز أَن يكون ظرفاً لأَن القيامة ليست بموطن إِنذار.

وقوله: ﴿فَيَقُولُ﴾ رفع عطفاً على قوله: ﴿يَأْتِيهِمُ﴾.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ﴾ إِلى آخر الآية معناه: يقال لهم، فحذف ذلك إِيجازاً إِذ المعنى يدلُّ عليه، وقوله: ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ هو المقسم عليه نقل المعنى، و﴿مِّن زَوَالٍ﴾ معناه: من الأَرض بعد الموت، أَي: لا بعث من القبور، وهذه الآية ناظرة إِلى ما حكي عنهم في قوله: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾[النحل: ٣٨].

---

(١) في المطبوع: «البان»، والبيت في لسان العرب (٨/ ٤١٣) عن ابن بري لكعب الأمثال، وهو في مجاز القرآن (١/ ٣٤٤) بلا نسبة.

(٢) يعني أبا سفيان بن الحارث، انظر عزوه له في: تفسير الطبري (١٧/ ٣٥)، ومجاز القرآن (١/ ٣٤٤)، والعين (٤/ ١٠٤).

(٣) انظر عزوه له في: الحيوان (٤/ ٤٥٣)، وعيون الأخبار (٢/ ٨٢)، والكامل للمبرد (١/ ٢٦٢)، والعقد الفريد (٧/ ٢٦١).

(٤) ساقط من المصرية.

قوله عز وجل: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ / [٣/ ١١٣]

يقول عزَّ وجلَّ: ﴿وَسَكَنتُمْ﴾ أَيها المعرضون عن آيات الله من جميع العالم ﴿فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر من الأُمم السالفة فنزلت بهم المَثُلات، فكان نولكم[1] الاعتبار والاتعاظ.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَتَبَيَّنَ﴾ بتاءٍ، وقرأَ السُّلَمي فيما حكى المهدوي: (وَنُبَيِّنْ) بنون عظمة مضمومة وجزم، على معنى: أَولم نُبَيِّنْ، عطف على ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ﴾، قال أَبو عمرو: «وقرأَ أَبو عبد الرحمن بضم النون الأُولى[2] ورفع النون الآخرة»[3].

وقوله: ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ [هو على حذف مضاف تقديره: وعند الله عقاب مكرهم، أَو][4] جزاءُ مكرهم.

ويحتمل قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ﴾ أَن يكون خطاباً لمحمد عليه السلام والضمير لمعاصريه، ويحتمل أَن يكون مما يقال للظَّلَمة يوم القيامة، والضمير للذين سُكن في منازلهم.

وقرأَ السبعة سوى الكسائي: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ بكسر

---

(١) أي: حقكم، وفي المطبوع وأحمد٣ والإماراتية والمصرية ونجيبويه: «قولكم».

(٢) من المطبوع وأحمد٣.

(٣) انظر: التحصيل للمهدوي (٤/ ٢٥٠)، والقولان في البحر المحيط (٦/ ٤٥٣)، وعزاها له مختصر الشواذ (ص: ٧٣)، مشكولة بالضم.

(٤) ساقط من المصرية وفيها بدلاً منها: «أي».

اللام الأولى[١] من ﴿لِتَزُولَ﴾ وفتح الأخيرة، وهي قراءَة علي بن أَبي طالب وجماعة، وهذا على (أَن) تكون إِنْ نافية بمعنى «ما»، ومعنى الآية تحقير مكرهم، وأَنه ما كان لتزول منه الشرائع والنبوات وأَقدار الله بها التي هي كالجبال في ثبوتها وقوتها، هذا تأْويل الحسن وجماعة المفسرين[٢].

وتحتمل عندي هذه القراءَة أَن تكون بمعنى تعظيم مكرهم، أَي: وإِن كان شديداً إِنما يُفعل لتذهب به عظام الأُمور.

وقرأَ الكسائي: ﴿وإِن كان مكرهم لَـتَزُولُ منه الجبال﴾ بفتح اللام الأُولى من ﴿لَتَزُولُ﴾ وضم الأخيرة[٣]، وهي قراءَة ابن عباس، ومجاهد، وابن وثاب[٤]، وهذا على أَن تكون (إِنْ) مخففة من الثقيلة، ومعنى الآية تعظيم مكرهم وشدته، أَي: أَنه مما يُشقى به، ويزيل الجبال من مستقراتها بقوته، ولكن الله تعالى أَبطله ونصر أَولياءَه، وهذا أَشد في العبرة.

وقرأَ علي بن أَبي طالب، وابن مسعود، وعمر بن الخطاب، وَأُبيٌّ بن كعب: (وإِن كاد مكرهم)[٥]، ويترتب مع هذه القراءَة في ﴿لِتَزُولَ﴾ ما تقدم.

وذكر أَبو حاتم أَن في قراءَة أُبيٍّ بن كعب: (وَلَوْلاَ كَلِمَةُ اللَّهِ لَـزَالَ مِنْ مَكْرِهِمُ الْجِبَالُ)[٦].

---

(١) سقطت من الأصل، وسقطت «من لتزول» من المطبوع وأحمد٣.

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٤١).

(٣) في المطبوع: «الأولى ورفع الثانية».

(٤) انظر قراءة الكسائي في: التيسير (ص: ١٣٥)، والباقين في البحر المحيط (٦/ ٤٥٤)، وانظر عزوها لعلي وابن عباس وأنس ومجاهد في تفسير الطبري (١٧/ ٤٠-٤١)، وعزاها الثعلبي (٥/ ٣٢٦)، لابن جريج، وعزاها في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٤٤) لابن محيصن.

(٥) نقلها عنهم إلا أُبياً النحاس في إعراب القرآن (٢/ ٢٣٤)، وكذلك ابن جني في المحتسب (١/ ٣٦٥)، وزاد: أبي بن كعب وآخرين.

(٦) انظر: معاني القرآن للنحاس (٣/ ٥٤٣).

وحكى الطبريُّ عن بعض المفسرين أَنهم جعلوا هذه الآية إِشارة إِلى ما فعل نمروذ، إِذْ علَّق التابوت من[١] الأنسر ورفع لها اللَّحم في أَطراف الرِّماح بعد أَن أَجاعها، ودخل هو وحاجبه في التابوت، فعلت بهما الأَنسر حتى قال له النمروذ: ماذا ترى؟ قال: أَرى بحراً وجزيرة، يريد الدنيا المعمورة، ثم قال: ما ذا ترى؟ قال: أَرى غماماً ولا أَرى جبلاً، فكأَن الجبال زالت عن نظر العين بهذا المكر[٢]، وذكر ذلك عن عليٍّ بن أَبي طالب، وذلك عندي لا يصح عن عليٍّ[٣]، وفي هذه القصة كلها ضعف من طريق المعنى، وذلك أَنه غير ممكن أَن تصعد الأَنسر كما وصف، وبعيد أَن يُغَرِّر أَحد بنفسه في مثل هذا.

وقوله: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ ﴾ الآية، تثبيت للنبي عليه السلام ولغيره من أُمَّتِه، ولم يكن النبي عليه السلام ممن يحسب مثل هذا، ولكن خرجت العبارة هكذا، والمراد بما فيها من الزَّجر من شارك النبي عليه السلام في أَن قصد تثبيته.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ﴾ بالإِضافة، ﴿رُسُلَهُۥٓ﴾ بالنصب، وأَضاف ﴿مُخْلِفَ﴾ إِلى الْوَعْدِ إِذ للإِخلاف تعلق بالوعد على تجوُّز، وإِنما حقيقة تعلقه بالرسل، وهذا نحو قول الشاعر:

تَرَى الثَّوْرَ فيها مُدْخِلَ الظِّلِّ رأْسَه وسَائِرُهُ بادٍ إِلى الشَّمْسِ أَجْمَعُ[٤] [الطويل]

وكقولك: هذا مُعْطِي درهم زَيْداً[٥].

وقرأَت فرقة: (مخلفَ وعدَه رسلِه) بنصب الوعد وخفض الرسل على الإِضافة، وهذه القراءَة ذكرها الزَّجاج وضعَّفها[٦]، وهي تَحُول بين المضاف والمضاف إِليه

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «بين».

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٣٩)، بالمعنى.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) تقدم في تفسير الآية (٢٩) من سورة هود.

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «هذا مُعْطِي زَيْدٍ درهماً».

(٦) ولفظه في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٦٨): وهذه القراءة التي بِنَصْب الوَعْدِ وخَفْض الرسُل شاذَّة رديئة.

بالمفعول، وهو كقول الشاعر:

[مجزوء الكامل] فَــزَجَــجْــتُــهَــا بِــمَــزَجَّــةٍ زَجَّ الْـقَـلُــوصَ أَبِــي مَـزَادَهْ[1]

وأَمَّا إِذا حِيلَ في نحو هذا بالظرف فهو أَشهر في الكلام كما قال الشاعر:

.... لِلَّهِ دَرُّ الْـيَـوْمَ مَـنْ لامَـهَـا[2]

وقال آخر:

[الوافر] كَمَـا خُـطَّ الْكِتَـابُ بِكَـفِّ يَوْمـاً يَـهُـودِيٍّ يُـقَـارِبُ أَوْ يُـزِيــلُ[3]

والمعنى: لا تحسب يا محمد أَنت ومن اعتبر بالأَمر من أُمَّتك وغيرهم أَن الله لا يُنْجِزُ ميعاده في نصره رسله وإِظهارهم، ومعاقبة من كفر بهم في الدنيا أو في الآخرة، فإِن الله عزيز لا يمتنع منه شيءٌ، ذو انتقام من الكفرة، لا سبيل إِلى عفوه عنهم.

وقوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ﴾ الآية، ﴿يَوْمَ﴾ ظرف للانتقام المذكور قبله، ورُويت في تبديل الأَرض أَقوال:

منها في الصحيح: «أَن الله يبدل هذه الأَرض بأَرض عفراءَ بيضاءَ كأَنها قُرْصَةُ نَقِيٍّ»[4].

وفي الصحيح: «أَن الله يبدلها خبزة يأْكل المؤمن منها من تحت قدميه»[5].

---

(١) تقدم في تفسير الآية (١٣٧) من سورة الأنعام.

(٢) صدره: لمَّا رأَتْ ساتيدما استعبرتْ، البيت لعمرو بن قمئة اليشكري كما في الجمل في النحو (ص: ١٠٥)، والكتاب لسيبويه (١/ ١٧٨)، وإيضاح الشواهد (١/ ٢٣١) والمفصل للزمخشري (ص: ١٣٠)، والإنصاف لابن الأنباري (٢/ ٣٥٢) و«ساتيدما»: اسم جبل أو نهر.

(٣) تقدم في تفسير الآية (١٣٧) من سورة الأنعام.

(٤) مسلم (٢٧٩٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، والنَّقِيُّ: دقيق خالص البياض، والقرصة فطيرة مصنوعة منه.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٥٢٠) ومسلم (٢٧٩٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وروي «أَنها تبدل أَرضاً من فضة»[١]، وروي أَنها أَرض كالفضة في بياضها[٢].

وروي أَنها تبدل أَرضاً من نار[٣].

وقال بعض المفسرين: تبديل الأَرض هو نسف جبالها، وتفجير بحارها، وتَغْيِيرها حتى لا يُرى فيها عِوَج ولا أَمْتٌ[٤]، فهذه حال غير الأولى، وبهذا وقع التبديل.

قال القاضي أبو محمد: وسمعت من أَبي رضي الله عنه أَنه رُوي أَن التبديل يقع في الأَرض، ولكن يُبدَّل لكل فريق بما يقتضيه حاله، فالمؤمن يكون على خبز يأْكل منه بحسب حاجته إِليه، وفريق يكون على فضة، إِن صحَّ السند بها، وفريق الكفرة يكونون على نار، ونحو[٥] هذا مما كله واقع تحت قدرة الله تعالى.

وأَكثر المفسِّرين على أَن التبديل يكون بأَرض بيضاءَ عفراءَ لم يُعْصَ اللَّهُ فيها، ولا سُفك فيها دم، وليس فيها مَعْلم لأَحد.

وروي فيها عن النبي عليه السلام أَنَّه قال: «المؤمنون[٦] وقت التبديل في ظل العرش»[٧].

وروي عنه أَنه قال: «الناس وقت التبديل على الصراط»[٨].

---

(١) روي هذا عن علي وابن عباس وأنس بأسانيد لا يحتج بها، أخرجها الطبري (١٧/ ٤٦).

(٢) روى ذلك الطبري (١٧/ ٤٦) مرفوعاً بأسانيد ضعيفة لا تقوم بها الحجة، ورواه أبو إسحاق السبيعي عن عمرو بن ميمون، تارة يجعله من قوله، وتارة يزيد فيه: عن ابن مسعود. ورواه عاصم ابن أبي النجود عن زر بن حبيش عن ابن مسعود أيضاً، وعاصم ضعيف.

(٣) روي عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن قيس بن السكن، قال: قال عبد الله. وروي عن الأعمش، عن خيثمة، قال: قال عبد الله. أخرجهما الطبري (١٧/ ٤٨) وفي الإسنادين مقال، ولا يظهر فيهما الاتصال.

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «حتى لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً».

(٥) في المطبوع: «ويجوز».

(٦) في المطبوع: «المؤمن».

(٧) لم أقف عليه.

(٨) مسلم، أخرجه رقم (٢٧٩١) من حديث عائشة.

وعنه أنه قال: «الناسُ حينئذ أَضياف الله فلا يعجزهم ما لديه»(١).

و﴿وَبَرَزُواْ﴾ مأْخوذ من الْبَرَاز، أَي: ظهروا بين يديه لا يواريهم بناءٌ ولا حِصْن.

وقوله: ﴿ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ صفتان لائقتان بذكر(٢) هذه الحال.

قوله عز وجل: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾/. [٣/ ١١٤]

المجرمون هم الكفار، و﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ مربوطين في قَرَنٍ وهو الحبل الذي يُشَدُّ به رُؤُوس الإِبل والبقر، ومنه قول الشاعر:

[البسيط] وابْـنُ اللَّبُـونِ إِذَا مَـا لُـزَّ فـي قَـرَنٍ ... لم يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيسِ(٣)

و﴿ٱلْأَصْفَادِ﴾ الأَغلال، واحدها: صَفَد، يقال: صَفَده وأَصْفَدَهُ وصَفَّدَه: إِذا غَلَّلَهُ، والاسم الصفاد، ومنه قول سلامة بن جندل:

[الوافر] وَزَيْـدُ الْخَيْـلِ قَـدْ لاقَـى صِفَـاداً ... يَعَـضُّ بِسَـاعِدٍ وبِعَظْـم سَـاقِ(٤)

كذلك يقال في العطاءِ، والصفد: العطاء، ومنه قول النابغة:

[البسيط] .... فَلَـمْ أُعَرِّض أَبيْتَ اللَّعْنَ بالصَّفَدِ(٥)

---

(١) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٢) من طريق أبى بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن سعيد بن ثوبان الكلاعي، عن أبي أيوب الأنصاري مرفوعاً، وابن أبي مريم متفق على ضعفه.

(٢) «ذكر»: ساقطة من المطبوع ونجيبويه.

(٣) البيت لجرير، كما في طبقات فحول الشعراء (٢/ ٣٨٤)، والعين (٢/ ٢٩٢)، وجمهرة اللغة (١/ ١٣٠)، والكتاب لسيبويه (٢/ ٩٧).

(٤) انظر عزوه له في: الكشاف للزمخشري (٢/ ٥٦٧)، وتفسير البيضاوي (٣/ ٢٠٤). والصِّفادُ: الغُلُّ أو الوثاق يُشدُّ به الإنسان.

(٥) صدره: هَذَا الثَّـنَاءُ فَإِنْ تَسْمَعْ بِهِ حسَناً، وهو من آخر معلقته، وقد تقدم في تفسير الآية (٢٣) من سورة البقرة.

والسرابيل: القُمُص، والْقَطِرَان هو الذي تُهْنَـأُ به الإِبل، وللنار فيه اشتعال شديد، فلذلك جعل الله قُمُص أَهل النار منه، ويقال قَطِران بفتح القاف وكسر الطاءِ، وقِطْران بكسر القاف وسكون الطاءِ، ويقال: قَطْران بفتح القاف وسكون الطاءِ[(١)].

وقرأَ عُمَرُ بن الخطاب، وعلِيُّ بن أبي طالب، والحسن ـ بخلاف ـ وابن عباس، وأَبو هريرة، وعلقمة، وسِنانُ بن سَلَمة[(٢)]، وعكرمة، وابن سيرين، وابن جُبَيْر، والكَلْبيُّ، وقتادة، وعمرو بن عبيد: (من قطِرٍ آنٍ)[(٣)]، والقَطِرُ: القصدير، وقيل: النحاس.

روي عن عمر أنه قال: ليس بالقطران، ولكنه النحاس يُسَرْبلونه[(٤)].

و(آنٍ) صفة[(٥)]، وهو الذائب الحارُّ الذي قد تناهى حرُّه، قال الحسن: «قد سُعِّرَت عليه جهنم منذ خلقت فتناهى حرُّه»[(٦)]، وقال ابن عباس: المعنى: أنى أن يعذبوا به[(٧)].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وُجُوهَهُمُ﴾ بالنَّصب ﴿ٱلنَّـارُ﴾ بالرفع.

---

(١) سقطت من أحمد٣ والمطبوع لفظة «قطران» في المواضع الثلاثة، والأخيرة قراءة عيسى بن عمر كما في تفسير الثعلبي (٥/ ٣٢٩).

(٢) هو سنان بن سلمة بن المحبّق الهذلي، ولد يوم حنين، ولأبيه صحبة، وروى عنه قتادة، وسلم بن جنادة وغيرهما، ونزل البصرة. وولّاه زياد غزو الهند وله خبر عجيب في ذلك، قال العجليّ: تابعيّ ثقة، مات في آخر ولاية الحجّاج. الإصابة (٣/ ٢٠١)

(٣) مكونة من كلمتين: موصوف وهو (قَطِر)، وصفة وهي (آن)، انظر قراءة ابن عباس والحسن وقتادة وعكرمة وابن جبير في: تفسير الطبري (١٧/ ٥٦)، ونقلها ابن جني في المحتسب (١/ ٣٦٦) عنهم إلا عمر فلم أجد له ذكراً، وعلياً ففي البحر المحيط (٦/ ٤٥٨).

(٤) لم أقف عليه من قول عمر، لكن روي عن ابن عباس وغيره، وفي بعض الكتب: «يصير بلونه»، بدل: يسربلونه.

(٥) ساقط من الأصل.

(٦) لم أجده بهذا اللفظ إلا في البحر المحيط (٦/ ٤٥٨)، وتفسير الثعالبي (٣/ ٣٩٢).

(٧) في المطبوع: «يعذبون به»، وفي الأصل: «أتى أن يعذبوا»، وفي المصرية: «أي أن»، وفي نجيبويه: «أو أن»، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٦) من طريق: ثابت بن يزيد، قال: ثنا هلال بن خباب، عن عكرمة، عن ابن عباس، وهلال ثقة لكن تغير بأخرة.

وقرأ ابن مسعود: (وُجُوهُهُمُ) بالرفع (النَّارَ) بالنَّصب[١].

فالأَولى على نحو قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ [الليل: ١] فهي حقيقة الغشيان.

والثانية على نحو قول الشاعر:

[الكامل] يُغْشَوْنَ حَتَّى ما تَهِرُّ كِلابُهُمْ لا يَسْأَلونَ عَنِ السَّوَادِ المُقْبِلِ[٢]

فهو بِتَجَوُّزٍ في الغشيان، كأَن ورود الوجوه على النار غشيان.

وقوله: ﴿لِيَجۡزِيَ﴾ أي: لكي يجزي، واللام متعلقة بفعل مضمر، تقديره: [فُعل هذا][٣]، وأُنفذ هذا العقاب على المجرمين ليكون في ذلك جزاء المسيء على إساءته، وجاء من لفظة الكسب بما يعم المسيءَ والمحسنَ لِيُنَبِّه على أَن المحسن أَيضاً يجازى بإِحسانه خيراً.

وقوله: ﴿سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ أي: فاصله بين خلقه بالإحاطة التي له بدقيق أمورهم وجليلها، لا إله غيره، وقيل لِعَلي بن أَبي طالب: كيف يحاسب الله العباد في وقت واحد مع كثرتهم؟ قال: «كما يرزقهم في وقت واحد»[٤].

وقوله: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ﴾ الآية، إشارة إلى القرآن والوعيد الذي تضمنه، ووصفه بالمصدر في قوله: ﴿بَلَٰغٞ﴾ والمعنى: هذا بلاغ للناس وهو لينذروا به.

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَلِيُنذَرُواْ﴾ بضم الياءِ وفتح الذال على بناءِ الفعل للمفعول.

---

(١) ذكرها أبو حيان (٦/ ٤٥٩) بلا نسبة، والذي في مختصر الشواذ (ص: ٧٤)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٦٣) عن ابن مسعود: «تغشَّى».

(٢) البيت لحسَّان بن ثابت كما في الكتاب لسيبويه (٣/ ١٩)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٧٧)، والحيوان للجاحظ (١/ ٢٥٣)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ٢١٨)، والشعر والشعراء (١/ ٢٩٦)، والهرير: صوت الكلب دون النباح.

(٣) ساقط من المطبوع مع الواو بعده، وفي أحمد٣: «فعلى هذا لو أنفذ.. إلخ»، كأنه غير مستقيم.

(٤) لم أقف عليه مسنداً.

وقرأَ يحيى بن عمارة(١)، وأَحمد بن يزيد بن أُسيد(٢): (وَلِيَنْذَرُوا) بفتح الياءِ والذال(٣).

[تقول العرب: نَذِرْتُ بكذا: إِذا أُشعرتَ به، وتحَرَّزْتَ منه، وأَعْدَدْتَ له](٤).

ورُوي أَن قوله: ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ نزلت في أَبي بكر الصديق رضي الله عنه(٥).

(١) هو يحيى بن عمارة بن أبي حسن الأنصاري المازني المدني، روى عن أبي سعيد، وعبد الله بن زيد بن عاصم، وأنس بن مالك، وعنه: ابنه عمرو بن يحيى، والزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان، وعمارة بن غزية، ووثقه النسائي، تاريخ الإسلام (٦/ ٥٠٢).

(٢) أحمد بن يزيد أبو الحسن الحلواني المقرئ، أحد الأئمة، قرأ على قالون، وهشام بن عمار، وكان كثير الأسفار، وكان عارفاً بالقراءات، مجوداً لرواية قالون، توفي سنة نيف وخمسين ومئتين. تاريخ الإسلام (١٩/ ٦٣).

(٣) نقلها عنهما ابن جني في المحتسب (١/ ٣٦٧)، إلا أنه سمى الأول يحيى بن عمر الذارع.

(٤) ساقط من الأصل.

(٥) لم أقف عليه مسنداً.

سورة الحجر

هذه السورة مكية.

قوله عز وجل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ (١) رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٢) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣) وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ (٤) مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٥)﴾.

تقدم القول في الحروف المقطعة في أوائل السور.

و﴿تِلْكَ﴾: يمكن أَن تكون إِشارة إِلى حروف المعجم، بحسب بعض الأَقوال، ويحتمل أَن تكون إِشارة إِلى الحِكَم والعِبَر ونحوها التي تضمنتها آيات التوراة والإِنجيل، وعطف القرآن عليه، قال مجاهد وقتادة: الكتاب في هذه الآية: ما نزل من الكتب قبْل القرآن[١]، ويحتمل أَن يريد بالكتاب القرآن، ثم تعطف الصفة عليه.

وقرأَ نافع، وعاصم: ﴿رُبَمَا﴾ بتخفيف الباءِ، وقرأَ الباقون بشدها، إِلا أَن أَبا عمرو قرأَها على الوجهين[٢]، وهما لغتان، وروي عن عاصم: (رُبُما) بضم الراء والباء مخففة[٣].

---

(١) انظره في: تفسير الطبري (١٧/ ٥٩) عن قتادة بلفظه، وعن مجاهد بمعناه.

(٢) انظر تخفيف نافع وعاصم وتشديد غيرهما في: التيسير (ص: ١٣٥)، والخلاف عن أبي عمرو في السبعة (ص: ٣٦٦).

(٣) نقلها في جامع البيان (٣/ ١٢٦٥) عن الأعشى وعبد الجبار معاً عن أبي بكر عنه، وهذه القراءة ساقطة من المطبوع والمصرية.

وقرأ طلحة بن مصرف: (رُبَّـتَما) بزيادة التاءِ(١)، وهي لغة.

و«رُبَّمَا» للتقليل، وقد تجيءُ شاذة للتكثير، وقال قومٌ: إِن هذه من تلك، [ومنه:

[الخفيف] رب رِفْـدٍ هَـرَقْـتُـه](٢)...... ....

ومنه:

رُبَّ كأسٍ هَرَقْتَ يابْنَ لُؤَيٍّ(٣) ....

وأَنكر الزَّجَّاج أَن تجيءَ «رُبَّ» للتكثير(٤)، و«ما» التي تدخل عليها «رُبَّ» قد تكون اسماً نكرةً بمنزلة شيءٍ، وذلك إِذا كان في الكلام ضمير عائد عليه كقول الشاعر:

[الخفيف] رُبَّما تَـكْرَهُ النُّفوسُ مِنَ الأَمْـ ـرِ لَـهُ فَرْجَـةٌ كَحَـلِّ الْعِقَـالِ(٥)

التقدير: رُبَّ شيءٍ، وقد تكون حرفاً كافّاً لـ «رُبَّ» وَمُوَطِّئاً لها لتدخل على الفعل، إِذْ ليس من شأْنها أَنْ تدخل إِلا على الأَسماءِ، وذلك إِذا لم يكن ثَمَّ ضمير عائدٌ، كقول الشاعر:

---

(١) شاذة، نسبها أبو حيان (٦/ ٤٦٥) له، وفي مختصر الشواذ (ص: ٧٤) لأبي السمال، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٢٦٤) للضحاك.

(٢) ساقط من المطبوع، وملحق في هامش أحمد٣، وتمام البيت: ذلك اليوم وأسرى من معشر قتال، وهو للأعشى في جمهرة أشعار العرب (ص: ٢٢٦)، ومجاز القرآن (١/ ٢٩٨)، والعين (٥/ ١٢٧)، والبيان والتبيين (٣/ ١٦٩)، والمعاني الكبير (٢/ ٨٨٦)، وأمالي القالي (١/ ٩٠).

(٣) هذا صدر عجزه: حَذَرَ الموتِ لم تَكُنْ مُهْرَاقَهْ، عزاه ابن هشام في السيرة (١/ ٩٧) لسامة بن لؤي ابن غالب القرشي، قالها لما أحس بالموت، فتضبط هرقت بضم التاء، وفي أمالي الزجاجي (ص: ٤٩) أنها لزوجة الأزدي الذي نزل به ترثيه بعد موته، فتفتح التاء.

(٤) قال في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٣): فأما من قال إن رب يعني بها الكثير فهذا ضد ما يعرفه أهل اللغة... إلخ.

(٥) البيت لأميَّةَ بن أبي الصَّلْت، كما في الكتاب لسيبويه (٢/ ١٠٨)، وتاريخ الطبري (١/ ٢٧٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٥٥)، والصحاح للجوهري (١/ ٣٣٤)، والمحكم (٧/ ٣٩٧)، ونسبه أسامة في لباب الآداب (١/ ٢٩٤) لعبيد بن الأبرص، وفي المصرية: «كحل الوثاق».

رُبَّـمَـا أَوْفَـيْـتُ فـي عَـلَـمٍ   تَـرْفَـعَـنْ ثَوْبي شَـمَـالاتُ[1]   [المديد]

قال القاضي أبو محمد: وكذلك دخلت «ما» على «مِنْ» كافَّـةً في نحو قوله: «وكان رسول الله ﷺ مِمَّا يُحرك شفتيه»[2].

ونحو قول الشاعر:

وإِنَّا لمِمَّا نَضْرِبُ الْكَبْشَ ضَربَةً   عَلَى رَأْسِهِ تُلْقِي اللِّسَانَ مِنَ الْفَمِ[3]   [الطويل]

قال الكسائي، والفراءُ: الباب في «رُبَّما» أَن تدخل على الفعل الماضي، ودخلت هنا على المستقبل إِذ هذه الأَفعال المستقبلة من كلام الله تعالى لمَّا كانت صادقةً حاصلة[4] ولا بُدَّ جرت مجرى الماضي الواقع[5].

قال القاضي أبو محمد: وقد تدخل «رُبَّ» على الماضي الذي يراد به الاستقبال، وتدخل على العكس، والظاهر في ﴿رُّبَمَا﴾ في هذه الآية أَن (ما) حرف كافٌّ، هكذا قال أَبو عليٍّ[6]، قال: ويحتمل أَن تكون اسماً، ويكون في ﴿يَوَدُّ﴾ ضمير عائد عليه، التقدير: رُبَّ ودٍّ، أَو شيءٍ يوده الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

قال القاضي أبو محمد: ويكون ﴿لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ بدلاً من (ما).

وقالت فرقة: تقدير الآية: ربما كان يود الذين كفروا، / قال أَبو علي: وهذا لا يجيزه سيبويه، لأَن «كان» لا تضمر عنده. [٣/ ١١٥]

---

(١) البيت لجذيمة بن مالك الأبرش كما في الكتاب لسيبويه (٣/ ٥١٨)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ٣٧)، والاختيارين (ص: ٧١٨).

(٢) البخاري، أخرجه (٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) البيت لأبي حيَّةَ النميري، واسمه: الهيثم بن الربيع، كما تقدم في تفسير الآية (٥٦) من سورة النساء، والمراد بالكبش: سيِّدُ القوم.

(٤) في المطبوع وأحمد٣: واقعةً.

(٥) انظر قولهما في: تفسير الطبري (١٧/ ٦٠).

(٦) في الحجة (٥/ ٣٨)، وكذا ما سيأتي من بقية كلامه على الآية.

واختلف المتأَولون في الوقت الذي يود فيه الذين كفروا لو كانوا مسلمين:

فقالت فرقة: هو عند معاينة الموت في الدنيا، حكى ذلك الضحاك[(١)]، وفيه نظر؛ لأنه لا يقين للكافر حينئذ بحسن حال المسلمين.

وقالت فرقة: هو عند معاينة أَهوال يوم القيامة، قاله مجاهد[(٢)]، وهذا بيِّنٌ؛ لَأن حُسْن حال المسلمين ظاهر فتُوَدّ.

وقال ابن عباس، وأَنس بن مالك: هو عند دخولهم النار ومعرفتهم بدخول المؤمنين الجنة[(٣)].

واحتُج لهذا القول بحديث رُوي في هذا من طريق أَبي موسى الأَشعري، وهو أَن الله تعالى إِذا أَدخل عصاة المسلمين النار نظر إِليهم الكفار فقالوا: أَليس هؤلاءِ من المسلمين؟ فماذا أَغنت عنهم لا إِله إِلا الله؟ فيغضب الله تعالى لقولهم، فيقول: أَخرجوا من النار كل مسلم؟ قال رسول الله ﷺ: «فحينئذ يودُّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين»[(٤)].

[وهذا يقينهم فيه متمكن بحُسْن حال المسلمين، فمن حيث هذا كله موطن واحد في كلِّ قول فـ﴿ رُّبَمَا ﴾ للتقليل، لأَنهم كانوا في الدنيا لا يودون الإِسلام في كل أَوقاتهم، ومن حيث موطن الآخرة يدوم ودُّهم فيه جعل بعض الناس ﴿ رُّبَمَا ﴾ هذه

---

(١) كما في تفسير الماوردي (٣/ ١٤٧)، وتفسير السمعاني (٣/ ١٢٨)، وتفسير البغوي (٣/ ٤٩).

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٤١٥)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٥١)، وتفسير الطبري (١٧/ ٦١).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٦١) من طريق القاسم بن الفضل بن عبد الله بن أبي جروة، قال: كان ابن عباس وأنس بن مالك يتأولان هذه الآية ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ قالا: ذلك يوم يجمع الله أهل الخطايا من المسلمين والمشركين في النار، والظاهر أن في الإسناد تخليطاً، يدل عليه الإسناد الآتي عنده أيضاً، وهو، القاسم، قال: ثنا ابن أبي فروة العبدي أن ابن عباس وأنس بن مالك كانا يتأولان هذه الآية، والقاسم بن الفضل هو الحداني معروف ثقة، وابن أبي فروة العبدي هذا لم أعرفه.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٦١) عن علي بن سعيد بن مسروق الكندي، قال: ثنا خالد بن نافع الأشعري، عن سعيد بن أبي بردة، عن أبي بردة، عن أبي موسى، قال: بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة، وخالد بن نافع هو الأشعري ضعيف.

للتكثير، إِذْ كلما تذكر أَمره ودَّ أَن لو كان مسلماً، و﴿لَوۡ﴾ في هذه الآية هي التي للتمني، ويدخلها الامتناع من الشيءِ لامتناع غيره بإِضمار يوضحه المعنى، وذلك أَنهم وَدُّوا لو كانوا مسلمين فينجون النجاءَ الذي مانعه أَن لم يكونوا مسلمين][1].

قال القاضي أبو محمد: ومن العِبَر في هذه الآية حديث الوابصي الذي في صدر «ذيل الأَمالي»، ومقتضاه أَنه ارتد ونسي القرآن إِلاَّ هذه الآية[2].

وقوله: ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ﴾ الآية، وعيدٌ وتهديد، وما فيه من المهادنة[3] منسوخ بآية السيف.

وقوله: ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ وعيدٌ ثان، وحكى الطبري عن بعض العلماءِ أَنه قال: الأَول في الدنيا، والثاني في الآخرة[4]، فكيف تطيب حياةٌ بين هذين الوعيدين؟.

ومعنى قوله: ﴿وَيُلۡهِهِمُ﴾ أَي: يشغلهم أَملهم في الدنيا والتَّـزَيُّد فيها عن النظر والإِيمان بالله ورسوله.

ومعنى قوله: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ﴾ الآية، أَي: لا تَسْتَبْطِئَن هلاكهم، فليس من قرية مُهْلَـكَة إِلاَّ بأَجل، و﴿كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ﴾: محدود[5].

والواو في قوله: ﴿وَلَهَا﴾ هي واو الحال.

وقرأَ ابن أَبي عَبْلَة: (إلا لها)، بغير واو[6].

وقال منذر بن سعيد: هذه الواو هي التي تعطي أَنَّ الحالةَ التي بعدها [في اللفظ

---

(١) زيادة من المطبوع.
(٢) ذيل الأمالي (ص: ٢٠)، و«صدر» ليست في المطبوع، وهي في أحمد٣ ملحقة في الهامش.
(٣) غير واضحة في أحمد٣، وفي هامشه: «المعاملة».
(٤) لعله بالمعنى، وانظر كلامه على هذه الاية في تفسير الطبري (١٧/ ٦٥).
(٥) في المطبوع وأحمد٣: «ومعنى معلوم: محدود».
(٦) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (٢٦٤).

هي][1] في الزمن قبل الحالة التي قبل الواو، ومنه قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١].

وباقي الآية بين.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۝٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ۝٨ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِى شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝١١﴾.

الضمير في (قَالُوا) يُراد به كفارُ قريش، ويروى أن القائلين كانوا: عبد الله بن أَبي أُميَّة، والنضر بن الحارث وأَشباههما[2].

وقرأَ الأَعمش: (يَاأَيُّها الَّذي أُلْقِيَ إِلَيْهِ الذِّكْرُ)[3].

وقولهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾ كلامٌ على جهة الاستخفاف، أي: بزعمكَ ودعواكَ، وهذه المخاطبة كما تقول لرجل جاهل أَراد أَن يتكلم فيما لا يُحْسِن: ياأَيُّها العالِم أَنت لا تُحْسِن تتوضأ.

و﴿لَّوۡ مَا﴾ بمعنى: لولا، فتكون تحْضيضاً كما هي في هذه الآية، وقد تكون دالةً على امتناع شيءٍ لوجوب غيره، كما قال ابن مقبل:

[البسيط] لَوْلاَ الحياءُ ولَوْمَا الدِّينُ عِبْتُـكُمَا ... بِبَعْضِ ما فيكُمَا إِذْ عِبْتُمَا عَوَرِي[4]

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿ما تَنَـزَّلُ الملائكةُ﴾ بفتح التاءِ والرفع.

---

(١) ساقط من المطبوع، وكتاب منذر غير متوفر.

(٢) قاله مقاتل بلا إسناد.

(٣) وهي شاذة مخالفة للرسم، عزاها له في مختصر الشواذ (ص: ٧٤)، ولعلها خطأ من سامعها أو ناقلها.

(٤) انظر عزوه في: تفسير الطبري (١٧/ ٦٦)، ومجاز القرآن (١/ ٣٤٦)، والشعر والشعراء (١/ ٤٤٧)، قال: وهي أجود شعره.

وقرأ عاصم في رواية أَبي بكر: ﴿ما تُنزَّلُ﴾ بضم التاء والرفع[١]، وهي قراءَة يحيى ابن وثاب.

وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص: ﴿مَا نُنَزِّلُ﴾ بنون العظمة ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ بالنصب، وهي قراءَة طلحة بن مصرف[٢].

وقوله: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾، قال مجاهد: «المعنى: بالرسالة والعذاب»[٣].

قال القاضي أبو محمد: والظاهر أَن معناه: كما يجب ويحق من الوحي والمنافع التي أراها[٤] الله لعباده، لا على اقتراحِ كافرٍ، ولا باختيارِ معترِض.

ثم ذكر عادة الله في الأُمم من أَنه لم يأْتهم بآية اقتراح إِلا ومعها العذاب في أَثرها إِن لم يؤمنوا، وكأَن الكلام: ما تنزل الملائكة إِلا بحق واجب لا باقتراحكم، وأَيضاً فلو نزلت لم تُنظروا بعد ذلك بالعذاب، أَي: تؤخروا، والنَّظِرَة: التأْخير، والمعنى: فهذا لا يكون أَبداً، إِذ كان في علم الله أَن منهم من يؤمن، أَو يلد من يؤمن.

وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ ردٌّ على المستخفِّين في قولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾، وهذا كما يقول لك رجل على جهة الاستخفاف: يا عظيم القدر، فتقول له على جهة الرَّدِّ والنَّجْه[٥]: نعم أَنا عظيم القدر، ثم تأْخذ في قولك، فتأَمله.

وقوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، قالت فرقة: الضمير في ﴿لَهُۥ﴾ عائد على محمد ﷺ، أَي: يحفظه من أَذاكم، ويحوطه من مكركم وغيره، ذكر الطبري هذا القول ولم ينسبه[٦].

---

(١) جاءت العبارة في المطبوع: «كذلك إِلاَّ أَنه ضم التاءَ».

(٢) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٣٥)، وانظر قراءتي ابن وثاب وطلحة في: البحر المحيط (٦/ ٤٦٧).

(٣) تفسير مجاهد (ص: ٤١٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٥٨)، وتفسير الطبري (١٧/ ٦٨).

(٤) في نور العثمانية: «رآها».

(٥) «النجه»: الزجر والرد، كما في اللسان.

(٦) ولفظه في التفسير (١٧/ ٦٩): وقيل..... بمعنى: وإنا لمحمد حافظون ممن أراده بسوء من أعدائه.

وفي ضمن هذه العِدَة كان رسول الله ﷺ حتى أَظهر الله به الشرع وحان أَجله.

وقالت فرقة ـ وهي الأَكثر ـ: الضمير في ﴿لَهُۥ﴾ عائد على القرآن، وقاله مجاهد وقتادة[(١)].

والمعنى: لَحافِظُونَ من أَن يُبَدَّل أَو يُغيَّر كما جرى في سائر الكتب المنزلة، وفي آخر ورقة من البخاري عن ابن عباس أَن التبديل فيها إِنما كان في التأْويل[(٢)]، وأَما في اللفظ فلا.

وظاهر آيات القرآن أَنهم بدلوا اللفظ، وَوَضْعُ اليَدِ على آية الرجم هو في معنى تبديل الأَلفاظ، وقيل: ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾ باختزانه في صدور الرجال.

قال القاضي أبو محمد: والمعنى متقارب.

وقال قتادة: هذه الآية نحو قوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢][(٣)].

قال القاضي أبو محمد: وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ الآية، تسلية للنبي ﷺ، وعَرْض أُسوة، أَي: لا يضق صدرك يا محمد بما يفعله قومك من الاستهزاءِ في قولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ وغير ذلك، فقد تقدم منا إِرسال الرسل في شِيَع الأَولين، وكانت تلك سيرتهم في الاستهزاءِ بالرسل.

والشِّيَعُ: جمع شِيعَةٍ، وهي الفرقة التابعة لرأْس ما[(٤)]، مذهبٍ أَو رجل أَو نحوه، وهي مأْخوذة من قولهم: شيعتُ النار: إِذا استدمت وقدها بحطب أَو غيره، فكأَن الشيعة تصل أَمر رأْسها وتظهره وتمده بمعونة.

---

(١) انظر قولهما في: تفسير الطبري (١٧/ ٦٨).

(٢) ذكر البخاري في باب: قول الله تعالى ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢١-٢٢]: وقال ابن عباس: يكتب الخير والشر ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ [النساء: ٤٦] يزيلون، وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله عز وجل، ولكنهم ـ يحرفونه: يتأولونه على غير تأويله. قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٥٢٢): لم أر هذا موصولاً من كلام ابن عباس من وجه ثابت.

(٣) فصلت: (٤٢)، وانظر: تفسير الطبري (١٧/ ٦٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٥٨).

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «إما».

وقوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ يقتضي رُسُلاً، ثم أوجز باختصار[١] ذكرهم لدلالة الظاهر من القول على ذلك.

قوله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم / بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾. [٣/ ١١٦]

يحتمل أن يكون الضمير في ﴿نَسْلُكُهُۥ﴾ يعود على الاستهزاءِ أَو الشرك ونحوه، وهو قول الحسن، وقتادة، وابن جريج، وابن زيد[٢]، ويكون الضمير في «بِهِ» يعود أيضاً على ذلك بعينه، وتكون باء السبب، أَي: لا يؤمنون بسبب شِرْكهم واستهزائهم، ويكون قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ في موضع الحال.

ويحتمل أَن يكون الضمير في ﴿نَسْلُكُهُۥ﴾ عائداً على الذِّكْر المحفوظ المتقدم الذكر وهو القرآن، أَي: مكَذَّباً به مردوداً مُسْتَهْزَءاً به ندخله في قلوب المجرمين، ويكون الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائداً عليه أَيضاً، أَي: لا يصدقون به، ويحتمل أَن يكون الضمير في ﴿نَسْلُكُهُۥ﴾ عائداً على الاستهزاءِ والشرك، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يعود على القرآن، فيختلف على هذا عَوْد الضميرين، والمعنى في ذلك كله يَنظر بعضُه إِلى بعض.

و﴿نَسْلُكُهُۥ﴾: معناه: نُدْخِلُه، يقال: سلكْتُ الرجل في الأَمر: إِذا أَدخلته فيه، ومن هذا قول الشاعر:

وَكُنْتُ لِزَازَ خَصْمِكَ لَمْ أُعَرِّدْ ... وَقَدْ سلكُوكَ في أَمْرٍ عَصِيبِ[٣] [الوافر]

ومنه قول الآخر:

حَتَّى إِذا سَلَكُوهُمْ فِي قُتَائِدَةٍ ... شَلّاً كما تَطْرُد الْجَمَّالَةُ الشُّرُدَا[٤] [البسيط]

---

(١) في المطبوع: «ثم اختصر».

(٢) انظر قول الأربعة في: تفسير الطبري (١٧/ ٧٠).

(٣) البيت لعديٍّ بن زيد العباديّ، وقد تقدم في تفسير الآية (٧٧) من سورة هود، بلفظ: «في يوم عصيب».

(٤) البيت لعبد مناف بن رِبْع الهُذَلي كما في مجاز القرآن (١/ ٣٧)، وتفسير الطبري (١/ ٤٤٠)، =

ومنه قول أَبي وَجْزَة يصف حُمُر وَحْشٍ:

[البسيط] حَتَّى سَلَكْنَ الشَّوى مِنْهُنَّ في مَسَكٍ مِـن نَسْـلِ جَوَّابَةِ الآفَـاقِ مِهْدَاجِ[١]

قال الزَّجاج: ويُقرأُ: (نُسْلِكُهُ) بضم النون وكسر اللام[٢].

و﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ في هذه الآية يُراد بهم كفار قريش ومعاصري محمد ﷺ.

وقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ عموم معناه الخصوص فيمن حتم[٣] عليه.

وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أَي: على هذه الوتيرة، وتقول: سلَكْتُ الرجلَ في الأَمر وأَسْلَكْتُه بمعنى واحد، ويُروى: «حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ في قُتَائِدَةٍ» البيت.

وقوله: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾ الضمير في ﴿عَلَيْهِم﴾ عائد على قريش وكفرة العصر المحتوم[٤] عليهم.

والضمير في قوله: ﴿فَظَلُّواْ﴾ يحتمل أَن يعود عليهم، وهو أَبلغ في إِصرارهم، وهذا تأْويل الحسن[٥]، و﴿يَعْرُجُونَ﴾ معناه: يصعدون.

وقرأَ الأَعمش، وأَبو حيوة: (يَعْرِجُونَ) بكسر الراءِ[٦].

والمعارج: الأَدراج، ومنه المِعْراج، ومنه قول كثير:

= وإعراب القرآن للنحاس (٥/ ٣٥)، وجمهرة اللغة (٢/ ٨٥٤)، وأدب الكاتب (ص: ٤٣٤)، والإنصاف للأنباري (٢/ ٣٧٧)، و«قُـتَائِدَة»: جَبَلٌ، وفي المطبوع: «اسلكوكم»، وهو هنا خطأ.

(١) البيت لأبي وجْزَةَ، كما في غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٣٧)، وإصلاح المنطق (ص: ٥٨)، وتهذيب اللغة (٤/ ٣٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٧٤)، وهي قراءة مسلم بن جندب كما في تفسير الثعلبي (١٠/ ٥٤).

(٣) في المطبوع: «ختم» بالخاء.

(٤) في المطبوع: «المختوم» بالخاء.

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٧٣).

(٦) انظر عزوها لهما في: مختصر الشواذ (ص: ٧٤)، وفي المصرية: «الأعرج»، بدل «الأعمش»، ولعله خطأ.

إِلَى حسبٍ عَوْدٍ بَنى الْمَرْءَ قَبْلَهُ أَبُوهُ لَـهُ فِيـهِ مَعَـارِج سُـلَّم[١] [الطويل]

ويحتمل أَن يعود على الملائكة لقولهم: ﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ [الحجر: ٧]، فقال الله تعالى[٢]: ولو رأَوا الملائكة يصعدون ويتصرفون في باب مفتوح في السماءِ لما آمنوا، وهذا هو تأْويل ابن عباس[٣].

وقرأَ السبعة سوى ابن كثير: ﴿سُكِّرَتْ﴾ بِضَمِّ السِّين وشد الكاف، وقرأَ ابن كثير وحده بتخفيف الكاف، وهي قراءَة مجاهد[٤].

وقرأَ الزهري بفتح السين وتخفيف الكاف، على بناءِ الفعل للفاعل[٥].

وقرأَ أَبان بن تغلب: (سُحِّرت أَبصارنا)[٦]، ويجيءُ قوله: ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ انْتقالاً إِلى درجة عُظمى من سحر العقل والجملة.

وتقول العرب: سَكَرَت الريحُ تَسْكُر سُكُوراً: إِذا ركدت ولم تنفذ لِمَا كانت بسبيله أَولاً، وتقول: سَكِرَ الرَّجُلُ من الشراب يَسْكَرُ سُكْراً: إِذا تغيرت حاله وركد ولم ينفذ فيما للإِنسان أَن ينفذ فيه، ومن هذا المعنى: سَكْران لا يَبِتُّ، أَي: لا يقطع أَمراً، وتقول العرب: سَكَرْتُ الفَتْق في مجاري الماءِ سَكْراً: إِذا طمسته وصرفت الماءَ عنه فلم ينفذ لوجهه.

قال القاضي أبو محمد: فهذه اللفظة: ﴿سُكِّرَتْ﴾ بشَدِّ الكاف، إِن كانت من سُكْر الشراب، أَو من سُكُورِ الرِّيح فهي فعل عُدِّي بالتضعيف، وإِن كانت من سَكْر مجاري الماءِ

---

(١) انظر عزوه له في: تفسير الطبري (١٧/ ٧٣).

(٢) في المطبوع: «فكأن الله تعالى قال».

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٧٢) من طريق العوفي ومن طريق قتادة كلاهما عن ابن عباس، الأول ضعيف والثاني منقطع.

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٦)، وانظر عزو الثانية لمجاهد في: تفسير الطبري (١٧/ ٧٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ١٤).

(٥) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣).

(٦) وهي شاذة لمخالفة الرسم، انظرها في: البحر المحيط (٦/ ٤٧١).

فتضعيفها للمبالغة لا للتعدية، لأَن المخفف من فعله مُتَعَدٍّ، ورجَّح أَبو حاتم هذه القراءَة(١)، لأَن الأَبصار جمع، والتثقيل مع الجمع أَكثر، كما قال: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص: ٥٠].

ومن قرأَ: ﴿سُكِرَتْ﴾ بضم السِّين وتخفيف الكاف، فإِن كانت اللفظة منْ سَكْر الماءِ فهو فعل مُتَعَدٍّ، وإِن كانت من سُكْر الشراب، أَو من سُكُور الرِّيح فتضمنا أَن الفعل بني للمفعول إِلى أَن ننـزله متعدياً، ويكون هذا الفعل من قبيل: رجع زَيْدٌ ورَجَعه غيرُه، وغارت العين وغارها الرجلُ، فتقول ـ على هذا ـ: سكِرَ الرجلُ وسَكَرَهُ غيرُه، وسَكَرت الريحُ وسَكَرَها شيءٌ غيرها، ومعنى هذه المقالة منهم: أَي: غُيِّرت أَبصارُنا عما كانت عليه، فهي لا تعطينا حقائق الأَشياءِ كما كانت تفعل.

قال القاضي أبو محمد: وعبَّر بعض المفسرين عن هذه اللفظة بقوله: غشي على أَبصارنا، وقال بعضهم: عميت أَبصارنا، وهذا ونحوه تفسير بالمعنى لا يرتبط باللفظ.

ولقال(٢) أَيضاً هؤلاء المبصِرون عروجَ الملائكة أَو عروجَ أَنفسهم بعد قولهم: ﴿سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾: بل سُحِرْنا حتَّى لا نعقل الأَشياءَ كما يجب، أَي: صرِّف فينا السحر.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾.

لما ذكر تعالى أَنهم لو رأَوا الآية المذكورة قبلُ في السماءِ لعاندوا فيها عقَّب ذلك بهذه الآية، كأَنه قال: وإِن في السماءِ لعِبَراً منصوبة غير هذه المذكورة، وكفرهم بها وإِعراضهم عنها إِصرارٌ منهم وعُتُوٌّ.

(١) غير متوفر.

(٢) في بعض النسخ: «ويقال» وهي غير واضحة.

والبروج: المنازل، واحدها بُرْج، وسُمِّي بذلك لظهوره ووضوحه، ومنها تبرُّج المرأَة: ظهورها وبدوُّها، والعرب تقول: برج الشيءُ إِذا ظهر وارتفع.

وحفظ السماءِ: هو بالرجم بالشهب على ما تضمنته الأَحاديث الصحاح، قال رسول الله ﷺ: «إِن الشياطين تقرب من السماءِ أَفواجاً، قال: فينفرد المارد[١] منها فيعلو فيسمع فيرمى بالشهاب، فيقول لأَصحابه وهو يلتهب[٢]: إِنه من الأمر كذا وكذا، فيزيد الشياطين في ذلك، ويلقونه إِلى الكهنة، فيزيدون مع الكلمة مئة»، ونحو هذا الحديث[٣].

وقال ابن عباس: «إِن الشهب تَجْرَحُ وتؤْذي ولا تقتل»[٤]، وقال الحسن: تقتل[٥].

قال القاضي أبو محمد: وفي الأَحاديث ما يدل على أَن الرجم كان في الجاهلية ولكنه اشتد في وقت الإِسلام[٦]، وحفظ السماءَ حفظاً تامّاً.

[١/ ١١٧] وقال الزَّجاج: لم يكن إِلا بعد النبي ﷺ؛ بدليل أَن الشعراءَ لم يشبهوا به / في السرعة إِلا بعد الإِسلام[٧].

وذكر الزهراوي عن أَبي رجاءٍ العطاردي أنه قال: كنا لا نرى الرجم[٨] بالنجوم قبل الإِسلام[٩].

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «المراد».
(٢) في المطبوع: «يلهث».
(٣) في صحيح البخاري (٣٢٨٨) ومسلم (٢٢٨) ـ واللفظ للبخاري ـ من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «الملائكة تتحدث في العنان والعنان الغمام بالأمر يكون في الأرض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في أذن الكاهن كما تقر القارورة فيزيدون معها مئة كذبة».
(٤) لم أقف عليه.
(٥) نقله في البحر المحيط (٦/ ٤٧٢)، ولم أجده لمن قبله.
(٦) لم أجده.
(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٧٦).
(٨) كتبت في الأصل: «النجم» وهو خطأ.
(٩) لم أجد من نقله عنه.

و﴿رَّجِيمٍ﴾ [بمعنى مرجوم][(١)]، فعيل بمعنى مفعول، فإِمَّا من رجْم الشهب، وإِما من الرجم الذي هو الشتم والذم، ويقال: تَبِعْت الرجل واتَّـبَعْتُه بمعنى واحد.

و﴿إِلَّا﴾ بمعنى «لكن».

قال القاضي أبو محمد: هذا قول، والظاهر أَن الاستثناءَ من الحفظ، وقال محمد ابن يحيى عن أَبيه[(٢)]: إِلاَّ منِ اسْتـَرَقَ السَّمْعَ فإِنها لم تحفظ منه، ذكره الزهراوي[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا﴾ روي في الحديث أَن الأَرض كانت تتكفَّأُ بأَهلها كما تتكَفَّأُ السفينة، فثبتها الله تعالى بالجبال[(٤)].

ويقال: رَسَا الشيءُ يرسو إِذا رسخ وثبت.

وقوله: ﴿مَّوْزُونٍ﴾، قال الجمهور: معناه: مقدر محرر[(٥)] بقصد وإِرادة، فالوزن على هذا مستعار.

وقال ابن زيد: المراد ما يوزن حقيقة كالذهب والفضة الفلز وغير ذلك مما يوزن[(٦)].

قال القاضي أبو محمد: والأَول أَعَمُّ وأَحسن.

والمعايش جمع معيشة، وقرأَها الأَعرج بالهمز، وكذلك روى خارجة عن نافع[(٧)]، والوجه ترك الهمز، لَأن أصل ياء «معيشة» الحركة، فيردها الَأصل إِلى الجمع، بخلاف مدينة ومدائن.

---

(١) ساقط من المصرية ونجيبويه ونور العثمانية.

(٢) محمد تقدم، وأبوه يَحْيى بْن حَبّان المازِنيُّ الأنصارِيُّ، سَمِعَ ابْن عُمَر، رَوَى عَنه ابنه مُحَمَّد. التاريخ الكبير للبخاري (٨/ ٢٦٨).

(٣) نقله عن الزهراوي في البحر المحيط (٦/ ٤٧٢)، وانظر: تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٣٨٢).

(٤) ذكره بمعناه دون ذكر السفينة: قتادة، أخرجه الطبري (١٨/ ٤٣٥).

(٥) في أحمد٣: «محرز»، وفي المطبوع: «محدد»، مع التنبيه على النسخة الأخرى في الحاشية.

(٦) تفسير الطبري (١٧/ ٨١)، والفلز ليس في المطبوع.

(٧) كما في السبعة (ص: ٢٧٨)، وليس من طرق التيسير، وانظرها مع قراءة الأعرج في: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٤٥).

وقوله: ﴿وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ يحتمل أَن تكون (مَن) في موضع نصب وذلك على ثلاثة أَوجه:

أَحدها: أَن يكون عطفاً على ﴿مَعَٰيِشَ﴾، كأَن الله تعالى عدَّد النِّعم في المعايش وهي ما يُؤْكل ويُلْبس، ثم عدَّد النعم في الحيوان والعبيد والضياع وغير ذلك مما ينتفع به الناس وليس عليهم رزقهم.

والوجه الثاني: أَن تكون ﴿وَمَن﴾ معطوفة على موضع الضمير في ﴿لَكُمۡ﴾، وذلك أَن التقدير: وأنعشناكم وأنعشنا[١] أُمماً غيركم من الحيوان، وكأَن الآية على هذا فيها اعتبار وعرض آية.

والوجه الثالث: أَن تكون (مَنْ) منصوبة بإِضمار فعل يقتضيه الظاهر، وتقديره: وأنعشنا مَنْ لسْتُم له برازقين، ويحتمل أَن تكون (مَن) في موضع خَفْض عطفاً على الضمير في ﴿لَكُمۡ﴾، وهذا قلق في النحو، لأَنه العطف على الضمير المجرور وفيه قُبْح، فكأَنه قال: ومن لَسْتُمْ له برازقين وأَنتم تنتفعون به.

وقوله: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ ﴾: قال ابن جريج: «هو المطر خاصة»[٢].

قال القاضي أبو محمد: وينبغي أَن يكون أَعَمَّ من هذا في كثير من المخلوقات.

والخزائن: المواضع الحاوية، وظاهر هذا أَن الماءَ والريح ونحو ذلك موجود مخلوق، وهو ظاهر قولهم في الريح: عتَت على الخزائن، وانفتح منها قدرُ حلقة الخاتم، ولو كان قدر منخر الثور لأَهلك الأَرض، إِلى غير ذلك من الشواهد.

وذهب قوم إِلى أَن كونها في القدرة هو خَزْنُهَا، فإِذا شاءَ الله أَوجدها.

قال القاضي أبو محمد: وهذا أَيضاً ظاهر في أَشياءَ كثيرة، وهو لازم في الأَعراض إِذا عَمَّمْنا لفظة ﴿شَيۡءٍ﴾، وكيفما كان الأَمر فالقدرة تسعه وتُتْقنه.

---

(١) في المطبوع: «وأَعَشْناكم وأَعشْنا»، هنا وفي الموضع الآتي، وفي أحمد٣: «وأمعشناكم وأمعشنا أُمَماً غيركم».
(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٨٤).

وقوله: ﴿نُنَزِّلُهُۥٓ﴾ ما كان من المطر ونحوه فالإِنزال فيه متمكن، وما كان من غير ذلك فإِيجاده والتمكين من الانتفاع به إِنزالٌ على تجوز.

وقرأ الأَعمش: (وَمَا نُرْسِلُهُ)[١].

وقوله: ﴿بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ روي فيه عن[٢] ابن مسعود وغيره أَنه ليس عامٌ أَكثر مطراً من عام، ولكن الله تعالى ينزله في مواضع دون مواضع[٣].

قوله عز وجل: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾.

يقال: لَقِحَتِ الناقة والشجرة فهي لاقحة: إِذا حملت، والرياح تُلْقِحُ الشجر والسحاب، فالوجه في الريح أَنها مُلْقِحَة لا لاقحة، وتتجه صفة الرياح بـ﴿لَوَٰقِحَ﴾ على أَربعة أَوجه:

أَولها وأَوْلاها: أَنَّ جعلها لاقحةً حقيقةٌ؛ وذلك أَن الرياح منها ما فيها عذاب أَو صِرٌّ[٤] أَو نار، ومنها ما فيه رحمة أَو مطر أَو نصر أَو غير ذلك، فإِذا بها[٥] تحمِلُ مَا حمَّلَتها القدرة، أَو ما علقته من الهواءِ أَو التراب أَو الماءِ الذي مرت عليه، فهي لاقحة بهذا الوجه، وإِن كانت أَيضاً تُلْقح غيرها وتصيِّر إِليه نفعها، والعرب تُسمِّي الجَنوب: الحامل واللاقحة، وتسمِّي الشمال: الحايل والعقيم ومَحْوة لأَنها تمحو السحاب، روى أَبو هريرة أَن رسول الله ﷺ

(١) كما في الشواذ للكرماني (ص: ٢٦٥)، وهي شاذة مخالفة لمصاحف المسلمين.
(٢) زيادة يقتضيها السياق.
(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٨٣) من طريق: يزيد بن أبي زياد، واختلف عليه، فقيل: عنه عن رجل، وقيل: عنه عن أبي جحيفة، عن عبد الله. وهو ضعيف على كل حال لضعف يزيد نفسه.
(٤) في المطبوع: «ضر».
(٥) في المطبوع: «هي».

قال: «الرِّيح الجنوب من الجنة، وهي اللواقح التي ذكر الله، وفيها منافع للناس»[١].

ومن هذا قول الطِّرِمَّاح:

قَـلِـقٌ لأَفْـنَـانِ الـرِّيَـا ... حِ لِـلاَقِـح منها وحـائـل[٢] [مجزوء الكامل]

وقول أَبي وجزة:

.... مِنْ نَسْلِ جَـوَّابَـةِ الآفَـاقِ....[٣] [البسيط]

فجعلها حاملاً بنسل.

قال القاضي أبو محمد: ويخرج هذا على أَنها ملقحة، فلا حجة فيه.

والثاني: أَن يكون وصفها بـ﴿لَوَاقِحَ﴾ من باب قولهم: ليل نائِمٌ، أَي: فيه نوم ومعه، ويوم عاصف ونحوه، فهذا على طريق المجاز.

والثالث: أَن توصف الرياح بـ﴿لَوَاقِحَ﴾ على جهة النسب، أَي: ذات لقح، كقول النابغة:

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٨٨) من طريق: عيسى بن ميمون، قال: ثنا أبو المهزم، عن أبي هريرة، مرفوعا. وأبو المهزم متروك. ورواه محمد بن أبان ثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس قال: قال النبي ﷺ: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور والجنوب من ريح الجنة».
والحديث في صحيح البخاري (١٠٣٥) ومسلم (٩٠٠) بغير ذكر الجنوب.
وأخرج الحميدي في مسنده (١٢٩) من طريق: ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن يزيد ابن جعدبة الليثي أنه سمع عبد الرحمن بن مخراق يحدث عن أبي ذر مرفوعاً بنحوه. وقد اختلف في رفع هذا الحديث ووقفه، راجع علل الرازي (٢١٣٢) وعلل الدارقطني (٦/ ٢٥١) ويزيد وشيخه فيهما جهالة.

(٢) انظر عزوه له في: غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٣٦)، والأزمنة والأمكنة (ص: ٥٢٤)، واللاَّقِح: الجنوب، والحائل: الشمال.

(٣) والبيت بتمامه: حَتَّى سلَكْنَ الشَّوَى مِنْهُنَّ في مَسَكٍ مِنْ نَسْلِ جَوَّابَةِ الآفَاقِ مِهْدَاجِ، وقد تقدم في الآية (١٢) من هذه السورة.

[الطويل] كِلِينـي لِهَـمٍّ يـا أُمَيْمَـةَ نَاصِبِ(١) ....

أَي: ذي نصب.

والرابع أَن يكون ﴿لَوَٰقِحَ﴾ جمع ملقحة على حذف زوائده، فكأَنه لَقِحة، فجمعها كما تجمع لاقحة، ومثله قول الشاعر:

[الطويل] لِيُبْـك يَزِيـدُ ضـارعٌ لِخُصومَـةٍ وأَشعَثُ مِمَّن طَوَّحَتْهُ الطَّوَائِحُ(٢)

وإِنما طَـوَّحَتْهُ المطاوح، وعلى هذا النحو فسَّرها أَبو عبيدة في قوله: «لواقح: ملاقح»(٣)، وكذلك العبارة عنها في كتاب البخاري: «لواقح: ملاقح ملقحة»(٤).

وقرأ الجمهور: ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾ بالجمع، وقرأ الكوفيون: حمزة، وطلحة بن مصرف، والأَعمش، ويحيى بن وثاب: ﴿الرِّيحَ﴾ بالإِفراد(٥)، وهي للجنس فهي في معنى الجمع، ومثَّلها الطبريُّ بقولهم: قميص أَخلاقٌ، وأَرضٌ أَغفال(٦).

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله من حيث هو أَجزاءٌ كثيرة تجمع صفته، فكذلك ريح لواقح لأَنها متفرقة الهبوب، وكذلك: دارٌ بلاقعُ، أَي: كل موضع منها بلقعٌ.

[٣/ ١١٨] وقال الأَعمش: إِن في قراءَة عبد الله: (وأَرْسَلْنَا الرِّيحَ يلقحن)(٧) / .

---

(١) مطلع قصيدة للنابغة، وعجز البيت: وَلَيْلٍ أُقاسيه بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ، وقد تقدم في تفسير الآية (١٢٠) من سورة التوبة.

(٢) البيت لنهشل بن حريّ، وقد تقدم في تفسير الآية (٧٣) من سورة الأنعام.

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٤٨).

(٤) صحيح البخاري (٨/ ٢٥٣).

(٥) انظر قراءة حمزة خاصة في: التيسير (ص: ٧٨)، وقراءة الباقين في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٣٩)، وقد تقدم ذلك في البقرة.

(٦) تفسير الطبري (١٧/ ٨٤).

(٧) في المطبوع: «تَلْقَح»، وفي نجيبويه والمصرية: «تلقحن»، وهي شاذة، لم أجدها لغير المصنف.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «الريح من نَفَس الرحمن»[١]، ومعنى الإِضافة هنا هي إِضافة خَلْق إِلى خالق، كما قال: ﴿مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، ومعنى «نَفَس الرحمن»، أَي: من تنفيسه وإِزالته الكُرَب والشدائد، فمن التنفيس بالريح النَّصْر بالصبا وذرو[٢] الأَرزاق بها، وما لها من الخدمة في الأَرزاق وجَلْب الأَمطار وغير ذلك مما يكثر عدُّه، ولقد حُدِّثْتُ أَن ابن أَبي قحافة[٣] رحمه الله فَسَّر هذا الحديث بنحو هذا، وأَنشد في تفسيره:

فإِنَّ الصَّبا ريحٌ إِذا ما تنسمت ... على نفْسِ محزونٍ تَجَلَّت همومها[٤] [الطويل]

وهذا من جملة التنفيس، والعرب تقول: أَسقَى وسقى بمعنى واحد، قال لبيد:

سَقَى قَوْمِي بَنِي مجدٍ وأَسْقَى ... نُمَيْراً والقَبَائِلَ مِنْ هِلَالِ[٥] [الوافر]

---

(١) اختلف في إسناده، وفي رفعه ووقفه، والوقف أشبه، هذا الحديث رواه الأعمش وشعبة، بلفظ: «لا تسبوا الريح»، ولفظ: «فإنها من نفس الرحمن» في بعض حديث الأعمش وحده، واختلف عليهما، أما حديث الأعمش، فرواه أبو عوانة عنه عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن عبد الرحمن ابن أبزى عن أبيه عن أبي بن كعب قوله، ورواه جرير عن الأعمش مثله وزاد ذرّاً بين حبيب وسعيد، ورواه أسباط بن محمد عن الأعمش كرواية أبي عوانة لكن مرفوعاً، ورواه محمد بن الفضيل عن الأعمش مثله وزاد ذرّاً بين حبيب وسعيد، وأما حديث شعبة فلم يختلف عليه في وقفه لكن بعضهم ذكر حبيباً وبعضهم لم يذكره، أخرج ذلك كله النسائي في الكبرى (٦/ ٢٣٢). ونقل الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢/ ٣٨٠) عن النسائي قوله عقب رواية شعبة: إنها الصواب.

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «دُرُور».

(٣) في نجيبويه: «بن قحافة»، وهو أبو محمد عبد الجبار بن علي بن سليمان بن سيد بن أبي قحافة، روى عن أبي عمر بن عبد البر، روى عنه غالب بن عطية الغرناطي وآخرون بالمرية، انظر: إكمال الإكمال لابن نقطة (٣/ ٢٦٣)، وانظر: فهرس ابن عطية (ص: ٦٦).

(٤) في المطبوع: «تنَفَّسَتْ على نفس مَهْمُوم»، وفي المصرية ونجيبويه: «على قلب»، والبيت للمجنون كما في محاضرات الأدباء (٢/ ٥٧٤) وورد في أمالي القالي (٢/ ١٨١)، وأخبار النساء (ص: ٢٣) منسوباً لامرأة من نجد، وكتاب ابن أبي قحافة لم أجده.

(٥) انظر عزوه له في: مجاز القرآن (١/ ٣٥٠)، وشرح ديوان الحماسة (ص: ٧٥)، وأخبار مكة للأزرقي (١/ ١٧٩) قال: ومجد هي ابنة تيم ربيعة بن عامر بن صعصعة، وزوجها الأدرم تيم بن =

فجاء باللغتين، وقال أَبو عبيدة: أَما إِذا كان من سَقْي الشفة خاصة فلا يقال إِلاَّ سَقَى، وأَما إِن كان لسَقْي الأَرض والثمار وجملة الأَشياءِ فيقال: أَسقى، وأَما الداعي لأَرض أَو غيرها بالسقي فإِنما يقال فيه: أَسقى[1]، ومنه قول ذي الرمة:

[الطويل]

وَقَفْـتُ عَلَـى رسْـم لِمَيَّـةَ نَاقَتي ... فمَـا زِلْتُ أَبْكِـي عِنْـدَهُ وأُخاطِبُهْ

وأَسْـقِيـهِ حتَّـى كـادَ مِمَّـا أبُثُّـهُ ... تُكَلِّمُنـي أَحْجَـارُهُ وَمَلاعِبُـهْ[2]

قال القاضي أبو محمد: على أَن بيت لبيد دعاءٌ وفيه اللغتان.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ الآية، هذه الآية مع الآيات التي قبلها تضمنت العبرة والدلالة على قدرة الله تعالى، وما يوجب توحيده وعبادته، فمعنى هذه الآية: وإِنا نحن نحيي من نشاءُ بإخراجه من العدم إِلى وجود الحياة، بردِّه[3] عند البعث من مرقده ميتاً، ونميت بإِزالة الحياة عمن كان حيّاً، ﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ أَي: لا يبقى شيءٌ سوانا، وكل شيٍ هالك إِلا وجهه، لا ربَّ غيره.

ثم أَخبر تعالى بإحاطة علمه بمن تقدم من الأُمم وبمن تأَخر في الزمن، من لدن أُهبط آدم إِلى الأَرض إِلى يوم القيامة، وأَعلم أَنه هو الحاشر لهم، الجامع لِعَرض يوم القيامة على تباعدهم في الأَزمان والأَقطار، وأَنَّ حِكْمَته وعِلْمه يأْتيان بهذا كله على أَتَمِّ غاياته التي قدرها وأَرادها.

وقرأَ الأَعرج: (يَحْشِرُهُم) بكسر الشين[4].

قال القاضي أبو محمد: فهذا سياق معنى الآية، وهو قول جمهور المفسرين.

= غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وفي نجيبويه: «سقى مدحي».

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٥٠) بتصرف.

(٢) تقدم في تفسير الآية (١٦١) من سورة آل عمران.

(٣) في المصرية وأحمد٣: «ونرده».

(٤) ذكرها ابن جني في المحتسب في سورة الفرقان، (٢/ ١١٩)، والبحر المحيط هنا (٦/ ٤٧٥).

وقال الحسن: معنى قوله: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ﴾ أي: في الطاعة والبدار إلى الإيمان والخيرات، و﴿ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ﴾ بالمعاصي[١].

قال القاضي أبو محمد: وإن كان اللفظ يتناول كل تقدمٍ وتأخر على جميع وجوهه، فليس يطَّرد سياق معنى الآية إلا كما قدمنا.

وقال ابن عباس، ومروان بن الحكم، وأبو الجوزاءِ: نزل قوله: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا﴾ الآية في قوم كانوا يصلون مع النبي ﷺ، وكانت تصلي وراءَه امرأة جميلة، فكان بعض القوم يتقدم في الصفوف لئلا تفتنه، وكان بعضهم يتأخر ليسرق النظر إليها في الصلاة، فنزلت الآية فيهم[٢].

قال القاضي أبو محمد: وما تَقَدَّم الآية من قوله: ﴿وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾ وما تأخر من قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحۡشُرُهُمۡ﴾ يضعف هذه التأْويلات، لأَنها تُذهب اتصال[٣] المعنى، وقد ذكر ذلك محمد بن كعب القرظي لعون بن عبد الله[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ الآية، ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ هنا للجنس، والمراد آدم، قال ابن عباس: سُمِّي بذلك لأَنه عُهد إِليه فنسي[٥]، ودخل مَنْ بعده في ذلك إِذ هو من نسله.

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٩٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٩٣) من طريق: نوح بن قيس، قال: ثنا عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس به، وعمرو قال ابن عدي في الكامل (١/ ٤١١): حدث عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قدر عشرة أحاديث غير محفوظة، وقد روي أيضاً عن عمرو عن أبي الجوزاء من قوله، وهذا أولى، وانظر قول أبي الجوزاء ومروان في: تفسير الطبري (١٧/ ٩٣).

(٣) في المطبوع وأحمد٣ والأصل: «إيصال».

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٩٠).

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٩٥) من طريق الأعمش عن مسلم البطين، عن ابن جبير عنه، وإسناده صحيح لو سلم من تدليس الأعمش.

والصلصال: الطين الذي إِذا جف صَلْصَل، هذا قول فرقة، منها من قال: هو طين الخزف، ومنها قول الفراءِ: هو الطين الحر يخالطه رمل دقيق(١).

وقال ابن عباس: خلق من ثلاثة: من طين لازب، وهو اللازق والجيد، ومن صلصال، وهو الأَرض الطيبة يقع عليها الماءُ ثم ينحسر فتشقق وتصير مثل الخزف، ومن حمإٍ مسنون، وهو الطين فيه الحمأَة(٢).

قال القاضي أبو محمد: وكان الوجه أَن يقال ـ على هذا المعنى ـ: صلال، لكن ضوعف الفعل من فائه، وأُبدلت إِحدى اللامين من «صلال» صاداً، وهذا مذهب الكوفيين، وقاله ابن جني(٣)، والزبيدي(٤)، ونحوُهما على نحو البصرة، ومذهب جمهور البصريين أَنهما فعلان متباينان(٥)، وكذلك قالوا في ثَـرَّة(٦) وثَرْثَارة، قال بعضهم: تقول: صلَّ الخزف ونحوه إِذا صوت بتمديد، فإِذا كان في صوته ترجيع كالجرس ونحوه قلت: صَلْصَلَ، ومنه قول الكُميت:

فيهـا الْعَنَاجِيـج تَـرْدي فـي أَعِنَّتِهَـا ... شُعْثاً تُصلْصِلُ في أَشْدَاقِهَا اللُّجُمُ(٧) [البسيط]

وقال مجاهد وغيره: صَلْصَال هنا إِنما هو مأخوذ من: صَلَّ اللَّحْم وغيره إِذا أَنْـتَن(٨).

---

(١) لفظه في معاني القرآن (٢/ ٨٨): ويُقال: إن الصلصال طين حُرّ خُلِطَ برمل فصار يصلصل كالفَخَّار
(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٩٦) بنحوه مفرقاً بأسانيد جياد.
(٣) انظر كلامه في هذا المعنى في: الخصائص (٢/ ٥٤).
(٤) لم أقف عليه، ولعله مُحَمَّد بن الحَسَن بن عبد الله بن مذْحج بن مُحَمَّد بن عبد الله الإشبيلى أبو بكر الزبيدى نزيل قرطبة، كَانَ إماماً فِي النَّحْو واللغة، توفي سنة (٣٧٩هـ)، له: شرح كتاب سِيبَوَيْه، الاسْتِدْرَاك على الْعين في اللُّغَة. هدية العارفين، (٢/ ٥١).
(٥) أشار لذلك ابن مالك في الألفية بقوله: واحكم بتأصيل حروف سمسم ونحوه والخلف في كلملم، وللتفصيل انظر شروحه.
(٦) في المطبوع: «ثرار».
(٧) العَنَاجيج: جمع عُنْجُوج، وهو الرائع من الخيل، ولم أجد من استشهد بهذا البيت.
(٨) انظر: تفسير مجاهد (ص: ٤١٦)، وتفسير الطبري (١٧/ ٩٧).

قال القاضي أبو محمد: فجعلوا معنى صَلْصَالٍ ومعن حَمَأٍ في لزوم النَّـتَن شيئاً واحداً. [قال القاضي أبو محمد: والحمأ جمع حمأة وهو الطين الأسود المنتن يخالطه ماء](١).

والمَسْنُون، قال معمر: معناه: المنتن(٢)، وهو من أَسِن الماءُ إِذا تغير.

قال القاضي أبو محمد: والتصريف يرُدُّ هذا القول.

وقال ابن عباس: المسنون: الرطب(٣)

قال القاضي أبو محمد: هذا تفسير لا يخص اللفظة.

وقال الحسن: المعنى: سن ذريته على خلقه(٤).

والذي يترتب في ﴿مَّسْنُونٍ﴾ إِما أَن يكون بمعنى: محْكُوك مُحْكم العمل أَملس السطح، فيكون من معنى المسنّ والسنان، وقولهم: سننت السكين، وسننت الحجر، إِذا أَحكمت تمليسه(٥)، ومن ذلك قول الشاعر:

ثُـمَّ دافَعْتُهَـا إِلَـى القُبَّـةِ الْخَضْـ ... راءِ تَمْشِـي فِـي مَرْمَرٍ مَسْـنُونِ(٦) [الخفيف]

أَي: مُحْكم الإِملاس بالسن(٧)، وإِما أَن يكون بمعنى الْمَصْبُوب: تقول: سَنَنتُ

(١) ساقط من المطبوع، و«المنتن» ليست في المصرية.
(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٩٨)، ونقل مثله عن قتادة أيضاً.
(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٩٩) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٤) البحر المحيط (٦/ ٤٧٦).
(٥) في المطبوع وأحمد٣: «مَلْسه».
(٦) البيت لعَبْد الرَّحْمَن بْن حسان كما في غريب الحديث لابن سلام (١/ ٣٠٩)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٨٦)، والشعر والشعراء (١/ ٤٧٤)، وتهذيب اللغة (٧/ ٥٩)، والصحاح للجوهري (٢/ ٦٤٦)، والعقد الفريد (٦/ ١٧١)، وقد جاء في التذكرة الحمدونية (٦/ ١٨٠) أن الأبيات لأبي دهبل الجمحي، وذكر ذلك المبرد في الكامل (١/ ٢٣٦) ثم قال: والذي كأنه إجماع أنها لعبد الرحمن.
(٧) ليست في المطبوع ونور العثمانية والمصرية وأحمد٣، وهي في الإماراتية ملحقة في الهامش، وفي نجيبويه: «بالشين».

الترابَ والماءَ، إِذا صببْتَـهُ شيئاً بعد شيءٍ، ومنه قول عمرو بن العاص لمن حضر وفاته: «إِذَا أَدخلتُموني في قبري فسُنُّوا علي التراب سنّاً»[١]، ومن هذا هو سنُّ الغارة.

وقال الزَّجاج: هو مأْخوذ من كونه على سُنَّة الطريق، لأَنه إِنما يتغير إِذا فارق الماءَ[٢]، فمعنى الآية على هذا: من حمأٍ مصبوب يوضع بعضه فوق بعض على مثال وصورة.

وَالْجَانّ يراد به جنس الشياطين، ويُسَمَّون جِنَّة وجَانّاً وجِنّاً[٣]؛ لاستتارهم عن العين.

وسئل وهب بن مُنَبِّه عنهم فقال: هم أَجناس، فأَما خالص الجِنِّ فهم ريح لا يأْكلون ولا يشربون ولا يموتون ولا يتوالدون، ومنهم أَجناس تفعل هذا كله، / منها السعالي والغول وأَشباه ذلك[٤]. [٣/ ١١٩]

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (الجأن) بالهمز[٥].

قال القاضي أبو محمد: والمراد بهذه الخلقة إِبليس أَبو الجن.

وفي الحديث: «إِن الله تعالى خلق آدم من جميع أَنواع التراب، الطيب والخبيث، والأَسود والأَحمر»[٦]، وفي سورة البقرة إِيعاب هذا.

وقوله: ﴿مِن قَبۡلُ﴾ لأَن إِبليس خلق قبل آدم بمدة، وخلق آدم آخر الخلق.

---

(١) مسلم (١٢١) وروي بالمعجمة.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٧٩).

(٣) سقطت من الأصل.

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ١٠٠).

(٥) وهي شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٣٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٤٦)، وضبطها بفتح الهمز، وعممها له.

(٦) إسناده مستقيم، أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٠) وأبو داود (٤٦٩٥) والترمذي (٢٩٥٥) وابن حبان (٦١٨١) والحاكم (٢/ ٢٨٨) والبزار (٨/ ٤٢) من طريق: عوف الأعرابي عن قسامة بن زهير عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً بنحوه، وقال الترمذي: حسن صحيح. اهـ، وقال البزار: هذا الكلام لا نعلم رواه عن النبي إلا أبو موسى، ولا نعلم له طريقاً عن أبي موسى إلا هذا الطريق. اهـ، وقد روي نحو هذا عن ابن عباس وأبي قلابة من قولهما.

والسَّمُومُ في كلام العرب إِفراط الحَرّ حتى يقتل، من نارٍ أَو شمس أَو ريح، وقالت فرقة: السَّموم بالليل، والحرُور بالنهار.

قال القاضي أبو محمد: وأَما إِضافة النار إِلى السموم في هذه الآية فيحتمل أَن تكون النار أَنواعاً ويكون السموم أَمراً يختص بنوع منها فتصح الإِضافة حينئذ، وإِن لم يكن هذا فَيُخَرَّج هذا على قولهم: مسجد الجامع، ودار الآخرة، على حذف مضاف.

قوله عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ ﴾.

(إِذْ) نصبت بإِضمار فعل مقدر، تقديره: واذكر إِذ قال ربك، والبشر ها هنا آدم، وهو مأْخوذ من البشرة، وهي وجه الجلد في الأَشهر من القول.

ومنه قول النبي ﷺ: «وأَنْقوا البشرة»(١).

وقيل: البشرة ما يلي اللحم، ومنه قولهم في المثل: «إِنما يُعَاتَبُ الأَديمُ ذُو البَشَرة»(٢)، لأَن تلك الجهة هي التي تبشر.

---

(١) رفعه منكر، والصحيح أنه من قول الحسن، أو عنه مرسلاً، هو حديث: «تحت كل شعرة جنابة فاغسلوا الشعر وأنقوا البشرة»، أخرجه أبو داود (٢٤٨)، والترمذي (١٠٦)، وابن ماجه (٥٩٧) وغيرهم من حديث الحارث بن وجيه، عن مالك بن دينار، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة مرفوعاً، قال أبو داود: «الحارث بن وجيه حديثه منكر، وهو ضعيف»، وكذلك ضعفه الترمذي. وقال البيهقي في «معرفة السنن والآثار» (١/ ٤٣١-٤٣٢): «أنكره أهل العلم بالحديث، البخاري، وأبو داود، وقال الشافعي هذا الحديث ليس بثابت» وقال أبو حاتم في علل الحديث (١/ ٢٩): قال أبي: هذا منكر، والحارث ضعيف الحديث. اهـ.

وقد أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٩٥) من قول الحسن، وهو الصواب، وقيل: روي عنه مرسلاً.

(٢) المستقصى للزمخشري (١/ ٤٢٠) قال: ومعاتبته رده إِلَى الدّباغ، وَلاَ يُعَاتب إِلاَّ الْجيد الْبشرَة، يضْرب للنَّهْي عَن عتاب الْجَاهِ.

وأَخبر الله تعالى الملائكة بعجب عندهم، وذلك أَنهم كانوا مخلوقين من نور، فهي أجسام[١] لطاف، فأَخبرهم أَنه يخلق جسماً حيّاً ذا بشرة، وأَنه يخلقه من صلصال.

قال القاضي أبو محمد: والبِشْر والبِشارة أَيضاً أَصلهما البَشَرة لأَنهما فيها يظهران.

و﴿سَوَّيْتُهُۥ﴾ معناه: كمَّلته وأَتقنته حتى استوت أَجزاؤُه على ما يجب.

وقوله: ﴿مِن رُّوحِى﴾ إِضافةُ خلقٍ ومِلْكٍ إِلى خالق مالك، أَي: من الروح الذي هو لي، ولفظة الروح هنا للجنس.

وقوله: ﴿فَقَعُواْ﴾ من وقع يَقَع، وفتحت القاف لأَجل حرف الحلق، وهذه اللفظة تُقَوِّي أَن سجود الملائكة إِنما كان كالمعهود عندنا، لا أَنه خضوع وتسليم وإِشارة كما قال بعض الناس، وشبهوه بقول الشاعر:

[الطويل] فَكِلْتَاهُمَا خرَّتْ وأَسْجَدَ رأْسُهَا كَمَا سَجَدَتْ نَصْرَانَةٌ لَمْ تَحَنَّفِ[٢]

وهذا البيت يشبه أَن يكون السجود فيه كالمعهود عندنا.

وحكى الطبري في تفسير هذه الآية عن ابن عباس أَنه قال: «خلق الله ملائكة أَمرهم بالسجود لآدم فأَبوا، فأَرسل عليهم ناراً فأَحرقتهم، ثم خلق آخرين فكذلك، ثم خلق آخرين فأَمرهم بالسجود فأَطاعوا إِلا إِبليس فإِنه كان من الأَولين»[٣].

قال القاضي أبو محمد: وقول ابن عباس: «من الأَولين» يحتمل أَن يريد: من الأَولين في حالهم وكفرهم[٤]، ويحتمل أَن يريد أَنَّه بقِيَ منهم.

---

(١) في الأصل: «مخلوقات».
(٢) البيت لأبي الأخزر الحماني، وقد تقدم في تفسير الآية (٦٢) من سورة البقرة.
(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ١٠١) من طريق: شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس. وشبيب لين الحديث.
(٤) في نور العثمانية: «في حال كفهم»، والفقرة كلها سقطت من المصرية.

وقوله: ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ هو عند سيبويه تأْكيد بعد تأْكيد، يتضمن الآخر ما تضمن الأَول، وقال غيره: ﴿كُلُّهُمْ﴾ لَوْ وُقف عليه لصلحت للاستيفاء[١]، وصلحت على معنى المبالغة مع أَن يكون البعض لم يسجد، وهذا كما يقول القائل: كلُّ الناس يعرف كذا، وهو يريد أَن المذكور أَمر مشتهر، فلما قال: ﴿أَجْمَعُونَ﴾ رفع الاحتمال في أَن يبقى منهم أَحد، واقتضى الكلامُ أَن جميعهم سجد، وقال المبرّد: لو وُقف على ﴿كُلُّهُمْ﴾ لاحتمل أَن يكون سجودهم في مواطن كثيرة، فلما قال: ﴿أَجْمَعُونَ﴾ دلَّ على أَنهم سجدوا في موطن واحد[٢].

قال القاضي أبو محمد: واعترض قول المبرّد بأَنه جعل قوله تعالى: ﴿أَجْمَعُونَ﴾ حالاً بمعنى مُجْتَمِعِينَ، ويلزمه ـ على هذا ـ أَن يكون ﴿أَجْمَعُونَ﴾ [هنا على أن][٣] يقرب من التنكير إِذ هو معرفة لكونه يلزم إتباع المعارف، والقراءَة بالرفع تَأْبى قوله.

وقوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾، قيل: إِنه استثناءٌ من الأَول، وقيل: إِنه ليس من الأَول، وهذا متركب على الخلاف في إِبليس، هل هو من الملائكة أَم لا؟ والظاهر من كثير من الأَحاديث ومن هذه الآية أَنه من الملائكة، وذلك أَن الله تعالى أَمر الملائكة بالسجود، ولو لم يكن إِبليس من الملائكة لم يذنب في ترك السجود.

وقد روي عن الحسن بن أَبي الحسن أَن إِبليس إِنما كان من قبيل الجن، ولم يكن قط ملَكاً[٤]، ونسب ابن فُورك القول إِلى المعتزلة[٥]، وتعلَّق من قال هذا بقوله تعالى في صفته: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠].

---

(١) في المطبوع: «للاستثناءِ»، وفي المصرية: «الاستفهام»، وفي نور العثمانية: «للاستبقاء».
(٢) في المطبوع: «موضع واحد»، وانظر: الكتاب لسيبويه (٢/ ٣٨٧)، والمقتضب (٤/ ٣٩٥).
(٣) ساقط من الأصل ونجيبويه، وفيهما: «أجمعين»، وفي المصرية نور العثمانية: «هذا على أن».
(٤) تفسير الطبري (١/ ٥٠٦).
(٥) لم أقف عليه.

وقالت الفرقة الأُخرى: لا حجة في هذا لأَن الملائكة قد تُسمَّى جِنّاً لاستتارها، وقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨].

وقوله: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ﴾، قيل: إِنه حينئذ سمَّاه إِبليس، وإِنما كان اسمه قَبْلُ عَزَازيل(١)، وهو من الإِبلاس، وهو الإِبْعَاد، أَي: يا مُبْعَد، وقالت طائفة: إِبليس كان اسمَه، وليس باسم مشتق، بل هو أَعجمي، ويقضي بذلك أَنه لا ينصرف، ولو كان عربيّاً مشتقّاً لكان كإِجفيل، من أَجفل وغيره، ولكان منْصرفاً، قاله أَبو علي الفارسي(٢).

وقوله: ﴿أَلَّا تَكُونَ﴾، (أَنْ) في موضع نصب، وقيل: في موضع خفض، والأَصل: مالك في أَلا تكون، وقول إِبليس: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ﴾ ليس هذا موضع كفره عند الحذاق، لأَن إِبايته إِنما هي معصية فقط، وأَما قوله وتعليله(٣) فإِنما يقتضي أَن الله خلق خلقاً مفضولاً وكَلَّف خلقاً أَفضل منه أَن يذلَّ له، فكأَنه قال: وهذا جور، وذلك أَن إِبليس لما ظن أَن النار أَفضل من الطين ظن أَن نفسه أَفضل من آدم من حيث النار تأْكل الطين، فقاس وأَخطأَ في قياسه، وجهل أَن الفضائل إِنما هي حيث جعلها المالك للجميع، لا ربَّ غيره.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾.

---

(١) كتبت في الأصل: «عزرائيل» مع التنبيه على النسخة الأخرى في الهامش والرمز عليها بحرف العين.
(٢) انظر الحجة لأبي علي (٥/ ٣٧٦).
(٣) في المطبوع وأحمد٣: «وأما تعليله»، دون كلمة: «قوله».

الضمير في ﴿مِنْهَا﴾ للجنة وإن لم يجر ذكرها، فالقصة تتضمنها، / ويحتمل [٣/ ١٢٠]
أَن يعود الضمير على صيغة[١] الملائكة، والرجيم: المشتوم[٢]، أَي: المرجوم بالقول والشتم، و﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يوم الجزاء، ومنه قول الشاعر:

وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعُدْوا نِ دِنَّاهُمْ كما دَانُوا[٣] [الهزج]

وسأَل إبليس النَّظِرة إِلى يوم البعث فأَعطاه الله إِياها إِلى وقت معلوم، واختُلف فيه، فقيل: إِلى يوم القيامة، أَي: يكون آخِرَ من يموت من الخلق، قاله الطبري وغيره[٤].

وقيل: إِلى وقت غير معين ولا موسوم[٥] بقيامة ولا غيرها، بل علمُه عند الله وحده.

[وقيل: بل أَمره كان إِلى يوم بدر، وأَنه قتل يوم بدر.

قال القاضي أبو محمد:][٦] وهذا ـ وإِن كان رُوي ـ فهو ضعيف.

والمُنْظَر: المؤخَّر، وقوله: ﴿رَبِّ﴾ مع كفره يخرَّج على أَنه يُقِرُّ بالربوبية والخلق، وهو الظاهر من حاله وما تقتضيه فيه الآيات والأَحاديث، وهذا لا يدفع في صَدْر كفره.

وقوله: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾، قال أَبو عبيدة، وغيره: «أَقْسَمَ بالإِغواءِ»[٧].

قال القاضي أبو محمد: كأَنه جعله بمنزلة قوله: ربِّ بقدرتك عليَّ وقضائك.

ويحتمل أَن تكون باءَ السبب[٨]، كأَنه قال: ربِّ والله لأغوينهم بسبب إِغوائك لي ومن أَجله وكفاءً له.

---

(١) في الأصل: «صنيفة».
(٢) في المطبوع ونجيبويه: «المشؤوم».
(٣) تقدم في تفسير سورة الفاتحة.
(٤) تفسير الطبري (١٧/ ١٠٢).
(٥) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية: «مرسوم».
(٦) ساقط من المصرية.
(٧) لفظه: في مجاز القرآن (١/ ٣٥١)، مجازه مجاز القسم بالذي أغويتنى.
(٨) في المطبوع: «ويحتمل أن تكون بالسبب»، وفي نور العثمانية وأحمد٣: «باء سبب».

ويحتمل أَن يكون المعنى تجلداً منه ومبالغة في الجد، أَي: بحالي هذه وبعدي من الخير والله لأَفعلن ولأُغوِيَنَّ.

ومعنى: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أَي: الشهوات والمعاصي، والضمير في ﴿لَهُمْ﴾ لذرية آدم وإِن كان لم يجر لهم ذكر، فالقصة بجملتها حيث وقعت كاملةً تَتَضَمَّنُهم.

والإِغواءُ: الإِضلال.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وابن عامر، والحسن، والأَعرج: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ بفتح اللام، أَي: الذين أَخلصتهم أَنت لعبادتك وتقواك.

وقرأَ الجمهور ﴿المخلِصين﴾ بكسر اللام[1]، أَي: الذين أَخلصوا الإِيمان بك وبرسولك.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ﴾ الآية، القائل هو الله تعالى، ويحتمل أَن يكون ذلك بواسطة.

وقرأَ الضحاك، وحُميْد، والنَّخَعي، وأَبو رجاءٍ، وابن سيرين، وقتادة، وقيس بن عبَّاد، ومجاهد، وغيرهم: ﴿عليٌّ مستقيم﴾[2] من العُلُوِّ والرفعة.

والإِشارة بـ ﴿هَٰذَا﴾ على هذه القراءَة إِلى الإِخلاص، لما استثنى إِبليسُ مَن أَخلص قال الله له: هذا الإِخلاص طريق رفيع مستقيم لا تَنال أَنت بإِغوائك أَهلَه.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ بياءٍ مشددة مفتوحة، والإِشارة بـ﴿هَٰذَا﴾ على هذه القراءَة إِلى انقسام الناس إِلى غاو ومخلص، لما قَسَّم إِبليس الناس هذين القسمين قال الله له: هذا طريق عليَّ[3]، أَي: هذا أَمر مصيره إِلَيَّ، والعرب تقول: طريقك في هذا الأمر على

---

(١) كذا في جميع النسخ، وقد وقع فيه قلب في عزو القراءتين، وهو سبق قلم، فقد تقدم له على الصواب في سورة يوسف.

(٢) أبعد النجعة، فهي قراءة عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٠١)، وعزاها في المحتسب (٢/ ٣) له وللمذكورين إلا النخعي، وزاد آخرين، وعزاها في البحر المحيط (٦/ ٤٧٨) لهم جميعاً.

(٣) في المطبوع: «إِلَيّ».

فلان، أَي: إِليه يصير النظر في أَمرك، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

قال القاضي أبو محمد: والآية على هذه القراءَة تتضمن وعيداً، ثم ابتدأَ الإِخبار عن سلامة عباده المتقين من إِبليس، وخاطبه بأَنه لا حجة له عليهم ولا ملكة.

قال القاضي أبو محمد: والظاهر من قوله: ﴿عِبَادِي﴾ الخصوص في أَهل الإِيمان والتقوى لا عموم الخلق، وبحسب هذا يكون ﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ﴾ مستثنى من غير الأَول، والتقدير: لكن من اتبعك من الغاوين لك عليهم سلطان، وإِن أَخذنا العباد عامّاً في عباد الناس، إِذ لم يقدر[1] الله لِإبليس سلطاناً على أَحد، فإِنا نقدر الاستثناءَ في الأقل في القَدْر من حيث لا قَدْر للكفار، والنظر الأَول أَصوب، وإِنما الغرض أَلا نقع في استثناءِ الأَكثر من الأَقل وإِن كان الفقهاءُ قد جوزوه، وقال أَبو المعالي: ليس معروفاً في استعمال العرب، وهذه الآية أَمثل ما احتج به مُجَوِّزوه[2].

قال القاضي أبو محمد: ولا حجة لهم في الآية على ما بيَّنتُه.

وقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أَي: موضع اجتماعهم، والموعد يتعلق بزمان ومكان، وقد يذكر المكان ولا يحدد زمان الموعد، و﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأْكيد، وفيه معنى الحال.

وقوله: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ قيل: إِن النار بجملتها سبعة أَطباق، أَعلاها جَهَنَّم، ثم لظَى، ثم الحُطَمَة، ثم السَّعير، ثم سَقَر، ثم الجَحِيم وفيه أَبو جهل، ثم الهاوية، وإِن في كل طبق منها باباً، فالأَبواب على هذا بعضها فوق بعض.

وعُبِّر في هذه الآية عن النار جملة بـ﴿جَهَنَّمَ﴾، إِذ هي أَشهر منازلها وأَولها، وهي موضع عصاة المؤمنين الذين لا يخلدون، ولهذا روي أَن جهنم تخرب وتبلى.

وقيل: إِن النار أَطباق كما ذكرنا، لكن الأَبواب السبعة كلها في جهنم على خط استواءٍ، ثم ينزل من كل باب إِلى طبقة الذي يفضي إِليه.

---

(١) في الأصل ونور العثمانية: «يقرر».

(٢) التلخيص في أصول الفقه (٢/ ٧٤).

قال القاضي أبو محمد: واختصرت ما ذكر المفسرون في المسافات بين الأَبواب، وفي هواءِ النار، وفي كيفية الحال، إِذ هي أَقوال كثيرة أَكثرها لا يستند، وهي في حيِّز الجائز، والقدرة أَعظم منها، عافانا الله من ناره، وتغمدنا برحمته بِمَنِّه.

وقوله: ﴿جُزْءٌ﴾، قرأَ الجمهور: ﴿جُزْءٌ﴾ بهمز، وقرأَ ابن شهاب بضم الزاي، وقرأَت فرقة: ﴿جُزٌّ﴾ بشد الزاي دون همز، وهي قراءَة ابن القعقاع[1].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾.

ذكر الله تعالى ما أَعد لأَهل الجنة عَقِب ذكره ما أَعد لأَهل النار ليظهر التباين.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَعُيُونٍ﴾ بضم العين، وقرأَ نُبَيح، والجراح، وأَبو واقد، ويعقوب في رواية رُوَيْس: ﴿وَعِيُونٍ﴾ بكسر العين[2]، مِثْل بيوت وشيوخ.

وقرأَ الجمهور: ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ على الأَمر، بمعنى: يقال لهم: ادخلوها.

---

(١) أما حذف الهمزة وتشديد الزاي فعشرية لأبي جعفر كما في النشر (١/ ٤٠٦)، وعزاها للزهري ومثله في المحتسب (٢/ ٤)، وأما ضم الزاي مع الهمز فسبعية لشعبة كما في التيسير (١/ ٦٥)، ولم أجد من عزاها للزهري، قال في البحر المحيط (٦/ ٤٧٩): ولعله تصحيف.

(٢) هذه من غرائب الشيخ، وأغرب منها ما سيأتي له في سورة الجاثية من الاقتصار في كسر العين على عاصم، فقد قرأ بكسر العين جمهور السبعة وهم: ابن كثير وحمزة والكسائي وابن ذكوان وأبو بكر، ووافقهم ابن محيصن من المبهج والأعمش، كما في إتحاف فضلاء البشر (١/ ٢٠٠)، وزاد النيسابوري (٤/ ٤٧٣): معهم: الأعشى ويحيى وحماداً، وقرأ بضمها: الباقون من السبعة، والثلاثة المكملون للعشرة، هذا حاصل ما في: التيسير (ص ٩٥)، والنشر (٢/ ٢٢٦) والعنوان (١/ ٩)، وتفسير البيضاوي (١/ ـ٣٧٣)، والبحر المحيط (٥/ ٤٤٥) وغيرهم، ولم أجد من نقل عن رويس كسر العين، ولا من ذكر لنبيح أو الجراح أو أبي واقد شيئاً هنا، والله أعلم.

وقرأ رويس عن يعقوب: ﴿أُدْخِلُوها﴾ على بناءِ الفعل للمفعول [بضم الهمزة وكسر الخاءِ][1] وضم التنوين في ﴿وَعُيُونٍ﴾ أُلْقى عليه حركة الهمزة[2].

و«السَّلام» ها هنا يحتمل أَن يكون السلامة، ويحتمل أَن يكون التحية.

والغِلُّ: الحقد، وذكر الله تعالى في هذه الآية أَنه ينزع الغِلَّ من قلوب أَهل الجنة، ولم يذكر لذلك موطناً، وجاءَ في بعض الحديث أَن ذلك على الصراط، وجاءَ في بعضها أَن ذلك على أَبواب الجنة، وفي لفظ بعضها: «أَن الغِلَّ ليبقى على أَبواب الجنة كمعاطن الإِبل»[3].

قال القاضي أبو محمد: وهذا على أَن الله تعالى يجعل ذلك تمثيلاً بكونٍ[4] يخلقه / هناك ونحوه، وهذا كحديث ذبح الموت[5]. [٣/ ١٢١]

وقد يمكن أَيضاً أَن يُسلَّ من الصدور، ولذلك جواهر سود فيكون كمبارك الإِبل، وجاءَ في بعض الأَحاديث أَن نزع الغل إِنما يكون بعد استقرارهم في الجنة[6].

قال القاضي أبو محمد: والذي يقال في هذا أَن الله ينزعه في موطن من قوم، وفي موطنٍ من آخرين، وقال عليُّ بن أَبي طالب رضي الله عنه: «إِني لأَرجو أَن أَكون أَنا وطلحة والزبير ممن قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾»[7].

---

(١) من المطبوع وأحمد٣.

(٢) فهي عشرية، وهي الرواية المشهورة عنه، وانظر: تفصيل الروايتين عنه في النشر (٢/ ٣٠١).

(٣) ذكره أبو نُعيم في صفة الجنة (٣/ ١٥٢) بدون إسناد، بلفظ: «كمبارك الإبل إذا نزع من صدور المؤمنين»، وأورده القرطبي في التفسير (٧/ ٢٠٨) ولم يعزه لأحد.

(٤) في الأصل ونجيبويه: «بلون».

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٤٥٣) ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢١٧) عن الحسن، والطبري (١٢/ ٤٣٨) عن قتادة، كلاهما عن علي، وكلاهما منقطع.

وذُكر أَن ابناً لطلحة كان عنده، فاستأْذن الأَشتر فحبسه مدة، ثم أَذن له فدخل، فقال: أَلهذا حبستني؟ وكذلك لو كان ابن عثمان حبستني له؟ فقال عليٌّ: «نعم، إِني أَنا وعثمان وطلحة والزبير ممن قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ الآية»(١).

قال القاضي أبو محمد: وقد رُوي أَن المستأْذن غير الأَشتر.

و﴿إِخْوَانًا﴾ نصب على الحال، وهذه أُخُوَّة الدِّين والوُدّ، والأَخ من ذلك يُجمع على إِخوان وإِخْوة أيضاً، والأَخ من النسب يجمع إِخوة وآخاءٌ، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] .... وأَيُّ بَني الآخاءِ تصْفُو مَذَاهِبُهْ(٢)

[ويجمع أيضاً: إخواناً](٣).

والسُّرُر: جمع سرير.

و﴿مُّتَقَابِلِينَ﴾ الظاهر أَن معناه: في الوجوه، إِذ الأَسِرَّة متقابلة، فهي أَحسن في الزينة.

قال مجاهد: «لا ينظر أَحدهم في قفا صاحبه»(٤).

وقيل: متقابلين في المودة، وقيل غير هذا مما لا يعطيه اللفظ.

والنَّصَب: التَّعب، يقع على القليل من ذلك والكثير، ومن الكثير قول موسى عليه السلام: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]، ومن ذلك قول الشاعر:

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٠٩) من طريق الحسن قال: استأذن الأشتر على علي وعنده ابن لطلحة... وهذا مرسل أيضاً.

(٢) صدره: وجَدْتُمْ بَنيكُمْ دُونَنَا إِذْ نُسِبْتُم، وقد عزاه ابن جني في الخصائص (١/ ٢٠٢) لبشر بن المهلب بلفظ: «تنبو مناسبه».

(٣) ساقط من المطبوع وأحمد٣ والمصرية ونور العثمانية، وهو في الإماراتية ملحق بالهامش.

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ١١٠).

.... كِلِينِـي لِهَـمٍّ يـا أُمَيْمَـةُ ناصِبِ[١] [الطويل]

و﴿نَبِّئْ﴾ معناه: أَعْلِم، و﴿عِبَادِىٓ﴾ مفعول بـ ﴿نَبِّئْ﴾، وهي تتعدى إِلى ثلاثة مفاعيل[٢]، فـ ﴿عِبَادِىٓ﴾ مفعول، و(أَنَّ) تسدُّ مسَدَّ المفعولين الباقيين، واتفق ذلك وهي مع ما عملت فيه بمنزلة اسم واحد، أَلا ترى أَنك إِذا قلت: أَعجبني أَنَّ زيداً منطلق إِنما المعنى: أَعجبني انطلاق زيد، لأَن دخولها إِنما هو على جملة ابتداءٍ وخبر، فسدت بذلك[٣] مسَدَّ المفعولين.

قال القاضي أبو محمد: وقد يتعدى «نَـبَّـأَ» إِلى مفعولين فقط، ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾[التحريم: ٣]، وتكون في هذا الموضع بمعنى: أَخْبِر وعرِّف، وفي هذا كله نظر.

وهذه آية ترجية وتخويف، وروي في هذا المعنى عن رسول الله ﷺ أَنه قال: «لو يعلم العبد قَدْر عفو الله لما تورع من حرام، ولو يعلم قدر عذابه لَبَخَع نفسه»[٤].

ورُوي في هذه الآية أَن سببها أَن رسول الله ﷺ جاءَ إِلى جماعة من أَصحابه عند باب بني شيبة في الحرم فوجدهم يضحكون، فزجرهم ووعظهم، ثم ولَّى، فجاءَه جبريل عن الله فقال: يا محمد، أَتُـقَنط عبادي؟ وتلا عليه الآية، فرجع بها رسول الله ﷺ إِليهم وأَعلمهم[٥].

قال القاضي أبو محمد: ولو لم يكن هذا السبب لكان ما قبلها يقتضيها، إِذ قد تقدم ذكر ما في النار وما في الجنة فأَكد تعالى تنبيه الناس بهذه الآية.

---

(١) تقدم قريباً.

(٢) في المصرية وأحمد٣ ونور العثمانية ونجيبويه: «مفعولين».

(٣) في المطبوع: «تلك».

(٤) ضعيف مرسل، أخرجه الطبري (١٧/ ١١١) من حديث قتادة قال: بلغنا أن نبي الله ﷺ قال...

(٥) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (١٧/ ١١١) من طريق: ابن المبارك، قال: أخبرنا مصعب بن ثابت، قال: ثنا عاصم بن عبد الله ـ صوابه: ابن عبيد الله ـ، عن ابن أبي رباح، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: «طلع علينا رسول الله ﷺ..» ومصعب لين الحديث، وعاصم ضعيف جداً.

قوله عز وجل: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾﴾.

قرأ أَبو حيوة: (ونَبِّهُمْ) بضم الهاءِ من غير همز[1].

وهذا ابتداءُ قصص بعد انصرام الغرض الأَول، والضَّيف مصدر وُصف به فهو للواحد وللاثنين والجمع والمذكَّر والمؤنث بلفظ واحد، قال النحاس وغيره: التقدير: عن أَصحاب ضيف[2].

قال القاضي أبو محمد: ويغني عن هذا أَن هذا المصدر عومل معاملة الأَسماءِ، كما فعل في «رهن» ونحوه، والمراد بالضيف هنا الملائكة الذين جاؤُوا لإِهلاك قوم لوط وبشروا إِبراهيم، وقد تقدم قصصهم.

وقوله: ﴿سَلَامًا﴾ مصدر منصوب بفعل مضمر تقديره: سلَّمنا ـ أو: نُسَلِّم ـ سلاماً، والسلام هنا التحية، وقوله: ﴿سَلَامًا﴾ حكاية قولهم، فلا يعمل القول فيه، وإِنما يعمل إِذا كان ما بعده ترجمة عن كلام ليس يحكى بعينه، كما تقول لمن قال: «لا إِله إِلا الله»: قُلْت حَقّاً، ونحو هذا.

وقوله: ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ أَي: فزعون، وإنما وجل إِبراهيم عليه السلام منهم لمَّا قدَّم إِليهم العجل الحنيذ فلم يرهم يأْكلون، وكان عندهم العلامة المؤمِّنة أَكل الطعام، وكذلك هو في غابر الدهر أَمَنَةٌ للنازل والمنزول به.

وقرأ الجمهور: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ مستقبل «وَجِل»، وقرأَ الحسن: (لا تُؤْجَل)،

---

(١) وهي شاذة، وظاهره بلا ياء، وفي البحر المحيط (٦/ ٤٨٤) أنه قرأ بإبدال الهمزة ياء، وانظر: الشواذ للكرماني (ص: ٢٦٤).

(٢) إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٤١).

بضم التاءِ على بناءِ الفعل للمفعول من «أَوجل»[١]، لأن «وَجِلَ» لا يتعدى.

وكانت هذه البشارة بإِسحاق، وذلك بعد مولد إِسماعيل بمدة، وقول إِبراهيم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾[إبراهيم: ٣٩] ليس يقتضي أَنه حينئذ وهبهما، بل قبل الحمد بكثير.

وقرأَ الجمهور: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِى﴾ بأَلف استفهام، وقرأَ الأَعرج: (بشَّرْتُمُونِي) بغير أَلف[٢].

وقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ﴾ أَي: في حالة قد مسني الْكِبَـرُ فيها.

وقرأَ ابن محيصن: (الكُبْرُ) بضم الكاف وسكون الباءِ[٣].

وقرأَ أَبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ بفتح النون التي هي علامة الرفع، والفعل على هذه القراءَة غير مُعَدًّى.

وقرأَ الحسن البصري: (تبشرُونِّي) بنون مشددة وياءٍ.

وقرأَ ابن كثير بشَدِّ النون دون ياءٍ، وهذه القراءَة أُدغمت فيها نون العلامة في النون التي هي للمتكلم موطئة للياءِ.

وقرأَ نافع: ﴿تُبَشِّرُونِ﴾ بكسر النون[٤].

وغلَّط أَبو حاتم نافعاً في هذه القراءَة، وقال: إِن شاهد الشعر في هذا اضطرار[٥].

---

(١) وهي شاذة، انظرها في: المحتسب (٢/ ٤).

(٢) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (٦/ ٤٨٥)، وعزاها القرطبي (١٠/ ٣٥)، والكرماني في الشواذ (ص: ٢٦٦) للأعمش.

(٣) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (٦/ ٤٨٥).

(٤) انظر القراءة الأولى وقراءتي نافع وابن كثير في: التيسير (ص: ١٣٦)، وكلها سبعية، وقراءة الحسن في البحر المحيط (٦/ ٤٨٥).

(٥) البحر المحيط (٦/ ٤٨٥).

قال القاضي أبو محمد: وهذا حمْل منه، وتقدير هذه القراءَة أَنه حُذفت النون التي للمتكلم، وكُسرت النون التي هي علامة الرفع بحسب الياءِ، ثم حذفت الياءُ لدلالة الكسرة عليها، ونحو هذا قول الشاعر، أَنشده سيبويه:

[الوافر] تَـرَاهُ كـالـثَّـغَـام يُـعَـلُّ مِـسْـكـاً   يَسُـوءُ الْفَالِـيَـاتِ إِذَا فَـلَيْنِي[1]

ومنه قول الآخر:

[الوافر] أَبـالْمَـوْتِ الَّـــذِي لا بُـــدَّ أَنِّـــي   مُـلاقٍ لا أَبـاكِ تُخَـوِّفِـيـنـي[2]

[٣/ ١٢٢] / ومن حذف هذه النون قول الشاعر:

[الرجز] قَدْنِيَ مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبَيْنِ قَدِي[3]   ....

يريد عبد الله ومصعباً ابني الزبير، وكان عبد الله يكنى أَبا خبيب.

وقرأَ الحسن: (فَبِمَ تَبْشُرونِ) بفتح التاءِ وضم الشين[4].

وقول إِبراهيم عليه السلام: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ تقرير على جهة التعجب والاستبعاد لكبرهما، أَو على جهة الاحتقار وقلة المبالاة بالمسرات الدنيوية[5] لمضيِّ العمر واستيلاءِ الكبر.

قال مجاهد: عجب من كبره وكبر امرأَته[6]، وقد تقدم ذكر سنِّه وقت البشارة.

---

(١) البيت لعمرو بن معديكرب الزَّبيدي كما تقدم في تفسير الآية (٧٨) من سورة الأنعام.

(٢) البيت لأبي حَيَّة النُّمَيْري كما في مجاز القرآن (١/ ٣٥٢) ونسبه مكي في مشكل إعراب القرآن (١/ ٤١٤) للأَعْشَى.

(٣) هذا الرجز لحميد بن مالك الأرقط، وقيل: إنه لأبي بحدلة، ومعنى «قدني»: حسبي، وقد تقدم في آخر تفسير سورة الأعراف.

(٤) التخفيف هنا شاذ لاتفاق العشرة على تشديدها كما في النشر (٢/ ٢٤٠)، ولم أجد من نقله عن الحسن.

(٥) زيادة من الأصل، ليست في النسخ الأخرى.

(٦) تفسير الطبري (١٧/ ١١٣).

وقولهم: ﴿بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ فيه شدَّة ما، أَي: أَبْشِر بما بُشرت به ودع غير ذلك.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿الْقَانِطِينَ﴾، والقنوطُ: أَتَمُّ اليأْس.

وقرأَ يحيى بن وثاب، والأَعمش، وابن مصرف، ورويت عن أَبي عمرو: (الْقَنِطِينَ)[١].

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة: ﴿وَمَن يَقْنَطُ﴾ بفتح النون في كل القرآن، وقرأَ أَبو عمرو، والكسائي: ﴿ومن يقنِط﴾ بكسر النون[٢].

وكلهم قرأَ: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨] بفتح النون، وردَّ أَبو عبيد[٣] قراءَة أهل الحرمين، وأَنكر أَن يقال: «قَنِطَ» بكسر النون، وليس كما قال، لأَنهم لا يُجمعون إِلا على قويٍّ في اللغة مرويٍّ عندهم، وهي قراءَة فصيحة، يقال: قَنَط يقْنِط، وقَنِط يقْنَط، مثل: نَقَم ونَقِم.

وقرأَ الأَعمش هنا: ﴿يَقْنِطُ﴾ بكسر النون، وقرأَ: (مِنْ بَعدِ ما قَنِطُوا) بكسر النون أَيضاً، فقرأَ باللغتين[٤].

وقرأَ الأَشهب: (يَقْنُط) بضم النون، وهي قراءَة الحسن، والأَعمش أَيضاً، وهي لغة تميم[٥].

---

(١) انظر: المحتسب (٢/ ٤)، والرواية عن أبي عمرو ليست من طرق التيسير، ونقلها في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٤٧) عن الحسن.

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٦).

(٣) في المطبوع: «أبو عبيدة» ونور العثمانية، وفي المصرية: «أبو عمرو»، والتصويب من إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٤٢) ففيه: «قال أبو جعفر: أبو عبيد القاسم بن سلام يختار قراءة أبي عمرو والكسائي في هذا، وزعم أنها أصحّ في العربية، وردّ قراءة أهل الحرمين»، مع أن في الدلائل في غريب الحديث (٣/ ٩٨١) أن أبا عمرو لحن بلال بن أبي بردة لما قرأ «يقنطون» بالفتح.

(٤) وهي شاذة، انظر قراءته للمضارع في: تفسير الثعلبي (٥/ ٣٤٥)، والماضي سيأتي في محله إن شاء الله تعالى.

(٥) وهي شاذة، انظر قراءة الأشهب في: المحتسب (٢/ ٥)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٤٢)، ونقلها =

قوله عز وجل: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

القائل هنا إبراهيم عليه السلام، وقوله: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ سؤال فيه عنف ما، كما تقول لمن تنكر حاله: ما دهاك؟ وما مصيبتك؟ وأَنت إِنما تريد استفهاماً عن حاله فقط، لأَن الخطب لفظة إِنما تستعمل في الأُمور الشداد، على أَن قول إِبراهيم عليه السلام: ﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ وكونهم أَيضاً قد بشَّروه، يقتضي أَنه قد كان عرف أَنهم ملائكة حين قال: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾، فيحتمل قوله: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ مع هذا أَنه أَضاف الخطب إِليهم من حيث هم حَمَلتُه إِلى القوم المعذبين، أَي: ما هذا الخطب الذي تحملونه، وإِلى أَي أُمَّة؟.

والقوم المجرمون يراد بهم أَهل مدينة سدوم الذين بعث فيهم لوط عليه السلام، والمجرم: الذي يجرُّ الجرائر[1] ويرتكب المحظورات، وأَصل جَرم وأَجْرَمَ: كَسَب، ومنه قول الشاعر:

[الوافر] جَريمَة نَاهِضٍ في رأْسِ نيق[2] ....

أَي: كسْب عقاب في قُـنَّة شامخ، ولكن اللفظة خُصَّت في عرفها بالشر، لا يقال لكاسب الأَجر: مجرم.

= ابن القطاع في كتاب الأفعال (١/ ١٢) عن أبي حيوة، وأما الأعمش فالمعروف عنه كما مر الكسر وكذلك الحسن كما في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٤٧) عنهما.

(١) في المطبوع وأحمد٣: «الجرائم».

(٢) هذا صدر بيت لأبي خِرَاشِ الهُذَليِّ يصف عُقَاباً تَرْزق طفلها، وتمامه: تَرَى لِعِظَامِ مَا جَمَعَتْ صَليباً، وقد تقدم في أول المائدة.

وقولهم: ﴿إِلَّآ ءَالَ﴾ استثناءٌ منقطع، والآلُ: القوم الذين يؤول أَمرهم إِلى المضاف إِليه، كذا قال سيبويه، وهذا نصٌّ في أَن لفظة آلٍ ليست لفظة أَهْلٍ كما قال النحاس، ويجوز على هذا إِضافة آلٍ إِلى الضمير، وأَما أُهيْل فتصغير أَهْل، واحترزوا به عن تصغير آلٍ، فرفضوا: أُويْلاً[١].

وقرأَ جمهور السبعة: ﴿لَمُنَجُّوهُمۡ﴾، وقرأَ حمزة، والكسائي: [﴿لمنْجُوهم﴾ بسكون النون وضم الجيم مخففة][٢].

والضمير في (مُنَجُّوهُم) في موضع خفض بالإِضافة، وانحذفت النون للمعاقبة، هذا قول جمهور النحويِّين[٣]، وقال الأخفش: الضمير في موضع نصب، وانحذفت النون لأنه لا بُدَّ من اتصال هذا الضمير[٤].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا نظر.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾ استثناءٌ بعد استثناءٍ، وهما منقطعان فيما حكى بعض النحاة، لأَنهم لم يجعلوا امرأَته الكافرة من آله.

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا نظر، لأَنها قبل الاستثناءِ داخلة في اللفظ الذي هو الآل، وليس كذلك الآل مع المجرمين، فيظهر الاستثناءُ الأَول منقطعاً، والثاني متصلاً، والاستثناءُ بعد الاستثناءِ يردُّ المستثنى الثاني في حكم الأَمر الأَول.

ومثَّل بعض الناس في هذا بقولك: عندي مئة درهم إِلا عشرة دراهم إِلا درهمين، فرجعتِ الدرهمان في حكم التسعين الدرهم[٥]، وقال المبرد: ليس هذا المثال بجيد،

---

(١) انظر مذهب سيبويه في: المخصص (٥/ ١٤٧)، وقول النحاس لم أجده.

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٦)، وفي المطبوع بدل ما بين المعكوفتين: بالتَّخفيف.

(٣) في نجيبويه: «المفسرين».

(٤) لم أجده، وقصد المؤلف أن هذا مذهبه، بصرف النظر عن هذه الآية.

(٥) في المطبوع: «درهماً»، وفي أحمد٣: «التفسير للدرهم».

لأنه من خَلَقِ الكلام ورَثِّه[١]، إِذْ لَه طريق إِلى أَداءِ المعنى المقصود بأَجمل من هذا التحليق، وهو أَن يقول: لي عندك[٢] مئة إِلا ثمانية، وإِنما ينبغي أَن يكون مثلاً للآية قولُك: ضربت بني تميم إِلا بني دارم إِلا حاجباً، [لأَن حاجباً][٣] من بني دارم، فلما كان المستثنى الأول في ضمنه ما لا يجري الحكم عليه، والضرورة تدخله في لفظه، ولا يمكنك العبارة عنه دون ذلك الذي لا يجري الحكم عليه، اضطررت إِلى استثناءٍ ثانٍ[٤].

قال القاضي أبو محمد: ونزعة المبرد في ذلك نبيلة.

وقرأ جميعهم سوى عاصم في رواية أَبي بكر: ﴿قَدَّرْنَآ﴾ بتشديد الدَّال في كل القرآن.

وقرأ عاصم بتخفيفها وثَقَّل في رواية حفص[٥]، والتخفيف يكون بمعنى التثقيل، كما قال الهذليُّ [أَبو ذؤيب:][٦]

[الطويل] وَمُفْرِهَةٍ عَنْسٍ قَدَرْتُ لِسَاقِهَا فَخَرَّت كَمَا تَتَّابَعُ الرِّيحُ بالقَفْل[٧]

يريد: قدَّرْتُ ضربي لساقها، وكقول النبي ﷺ في الاستخارة: «واقْدُرْ لي الخير حيث كان»[٨]، ويَكُونُ أَيضاً بمعنى: يَسِّـرْ ووَفِّق، ومنه قول الشاعر:

[البسيط] بِقُنْدُهَارَ ومَنْ تُقْدَرْ مَنِيَّتُهُ بِقُنْدُهَارَ يُرَجَّمْ دُونَهُ الْخَبَرُ[٩]

(١) في المطبوع والمصرية ونجيبويه: «من خلف الكلام وردِّه».
(٢) في المطبوع والمصرية: بدل الكلمتين: «عندي».
(٣) ساقط من نجيبويه.
(٤) انظر في الموضوع: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٤٣)، ولم أقف على كلام المبرد في شيء من كتبه.
(٥) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٦).
(٦) ساقط من المصرية ونور العثمانية.
(٧) انظر عزوه له في: جمهرة اللغة (٢/ ٩٦٦)، والصحاح للجوهري (٣/ ١١٩٢)، وإصلاح المنطق (ص: ٤٦)، والمحكم (٤/ ٣٠٧).
(٨) البخاري (١١٠٩) من حديث جابر رضي الله عنه.
(٩) البيت ليزيد بن مفرّغ، كما في الخراج وصناعة الكتابة (ص: ٤١٥)، وفتوح البلدان (ص: ٤١٨)، =

وكسرت الأَلف من ﴿إِنَّهَا﴾ بسبب اللام التي في قوله: ﴿لَمِنَ﴾.

والغَابر: الباقي في الدهر وفي غيره، وقالت فرقة منهم النحاس: هو من الأَضداد، يقال في الماضي وفي الباقي[(١)]، وأَما في هذه الآية فهي للبقاءِ، أَي: من الغابرين في العذاب.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ الآيات، تقدم القولُ وذِكْرُ القصص في أَمر لوط، وصورة لقاءِ الرسل له، وقيل: / إِن الرسل كانوا ثلاثة: جبريل وميكائيل وإِسرافيل، وقيل: كانوا اثني عشر. [٣/ ١٢٣]

وقوله: ﴿مُّنكَرُونَ﴾ أَي: لا تُعرفون في هذا القطر، وفي هذه اللفظة تحذير، وهو من نمط ذمِّه لقومه، وجريه إِلى أَلَّا ينزل هؤلاءِ القوم في تلك المدينة خوفاً منه أَن يظهر سوءُ فعلهم وطلبهم الفواحش، فقالت الرسل للوط: بل جئناك بما وعدك الله من تعذيبهم على كفرهم ومعاصيهم وهو الذي كانوا يشكُّون فيه ولا يحققونه.

وقرأَت فرقة: ﴿فَأَسْرِ﴾ بوصل الأَلف، وقرأت فرقة: ﴿فَأَسْرِ﴾ بقطع الألف[(٢)].

يقال: سَرَى وَأَسْرَى بمعنى إِذا سار ليلاً، قال النابغة:

أَسْرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَوْزَاءِ سَارِيَةٌ[(٣)] .... [البسيط]

فجمع بين اللغتين في بيت[(٤)].

وقرأَ اليماني: (فَسِرْ بِأَهْلِكَ)[(٥)].

= والمسالك والممالك (ص: ٥٦)، ومعجم البلدان (٤/ ٤٠٣)، وقُنْدُهار بضم القاف والدال وسكون النون بينهما مدينة من بلاد السند والهند، وتقع الآن في أفغانستان.

(١) انظر قوله في: الباقي في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٤٣).

(٢) في المطبوع: «وفرقة بقطعها»، وهما سبعيتان، الأولى لنافع وابن كثير والثانية للباقين، انظر: التيسير (ص: ١٢٥).

(٣) تقدم قريباً.

(٤) «في بيت»: ليست في أحمد٣ والمطبوع.

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٢٦٦).

وهذا الأَمر بالسُّرى هو عن الله تعالى، أَي: يقال لَكَ، والقِطْعُ: الجزءُ من الليل.

وقرأَت فرقة: (بِقِطَع) بفتح الطاءِ، حكاه منذر بن سعيد(١).

وقوله: ﴿وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ أَي: كن خلفهم وفي ساقتهم(٢) حتى لا يبقى منهم أَحد، ولا تلْوي.

و﴿حَيۡثُ﴾ في مشهورها ظرف مكان.

وقالت فرقة: أُمِرَ لوطٌ أَن يسير إِلى زُغَر، وقيل: إِلى موضع نجاة غير معروف عندنا، وقالت فرقة: «حيث» قد تكون ظرف زمان، وأَنشد أَبو علي في هذا بيت طرفة:

[المديد] لِـلْـفَـتـى عـقْـلٌ يَـعِـيـشُ بِـهِ حَـيْـثُ تَـهـدِي سَـاقَهُ قَدَمُـه(٣)

كأَنه قال: مُدَّة مَشْيِهِ وتنقله، وهذه الآية من حيث أُمر أَن يسري بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ، ثم قيل له: حيث تُؤمر، ونحن لا نجد في الآية أَمراً إِلا في قوله: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾، أَمكن أَن تكون ﴿حَيۡثُ﴾ ظرف زمان.

و﴿يَلۡتَفِتۡ﴾ مأْخوذ من الالتفات الذي هو نظر العين.

قال مجاهد: المعنى: لا ينظر أَحد وراءَه(٤).

قال القاضي أبو محمد: ونُهوا عن النظر مخافة الغفلة(٥) وتعلق النفس بمن خلف، وقيل: بل لئلا تتفطَّر قلوبهم من معاينة ما جرى على القرية في رفعها وطرحها.

---

(١) وهي شاذة عزاها في الشواذ للكرماني (ص: ٢٦٧) لأبي واقد والجراح، وانظر: نقل منذر في البحر المحيط (٦/ ٤٨٨).

(٢) في المطبوع: «ساقهم».

(٣) انظر عزوه له في: تفسير الطبري (١/ ١٦٨)، والمعاني الكبير (٣/ ١٢٦٣)، وسمط اللآلي (١/ ٣١٩)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٥٣٤).

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ١١٦).

(٥) في الأصل: «العقلة»، وكتبت في العلمية: «العقلنة».

وقيل: ﴿يَلْتَفِتْ﴾ معناه: يتلوى، من قولك: لَفَتُّ الأَمر إِذا لويته، ومنه قولهم للعصيدة[١]: لفيتة، لأَنها تُلوى[٢] بعضُها على بعض.

قوله عز وجل: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

المعنى: وَقَضَيْنا ذلِكَ الْأَمْرَ، أَي: أَمضيناهُ وحتمنا به[٣]، ثم أُدخل في الكلام ﴿إِلَيْهِ﴾ من حيث أُوحي ذلك إِليه وأَعلمه الله به، فجُلب هذا المعنى بإِيجاز، وحُذف ما يدل الظاهر عليه، و﴿أَنَّ﴾ في موضع نصب، قال الأَخفش: هي بدل من ﴿ذَٰلِكَ﴾[٤]، وقال الفراءُ: بل التقدير: بأَن دابر، فحذف حرف الجر[٥]، والأَول أَصوب.

والدَّابِرُ: الذي يأْتي آخر القوم، أَي: في أَدبارهم، وإِذا قُطع ذلك وأُتي عليه فقد أَتى العذاب من أَولهم إِلى آخرهم، وهذه أَلفاظ دالَّة على الاستئصال والهلاك التام، يقال: قطع الله دابره، واستأْصل شأْفته، وأَسْكَتَ نأْمته[٦] بمعنى.

و﴿مُّصْبِحِينَ﴾ معناه: إِذا أَصبحوا ودخلوا في الصباح.

---

(١) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية: «للقصيدة».
(٢) في المطبوع وأحمد٣: «ملوي»، وفي حاشيته: «في بعض النسخ: لأنها يلتوي بعضها على بعض».
(٣) في المطبوع: «أمضياه وحتمناه»، وكتبت في العلمية: «وختمنا به» بالخاء.
(٤) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٤١٣).
(٥) لفظه في معاني القرآن (٢/ ٩٠): وتكون نَصْباً آخر بسقوط الخافض منها، أي: قضينا ذَلِكَ الأمر بِهذا.
(٦) قال في تهذيب اللغة (١٥/ ٣٦٥): يقال: أسكت نأمته، مهموزة مخففة الميم، وهو من النئيم، وهو الصوت الضعيف.

وقوله: ﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ﴾ يحتمل أَن يرجع إِلى وصف أَمر جرى قبل إِعلام لوط بهلاك أُمَّته، ويدل على هذا أَن محاجَّة لوط لقومه [في الأَضياف][1] تَقتضي ضعف من لم يعلم إِهلاكهم وأَن الأَضياف ملائكة.

ويحتمل أَن يكون قوله: ﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ﴾ بعد علمه بهلاكهم، وكان قوله ما يأْتي من المحاورة على جهة التكتم عنهم، والإِملاءِ لهم، والتَّربُّص بهم.

قال القاضي أبو محمد: والاحتمال الأَول عندي أَرجح، وهو الظاهر من آيات غير هذه السورة.

وقوله: ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ أَي: بالأَضياف طمعاً منهم بالفاحشة، والضَّيف مصدر وُصف به فهو يقع للواحد والجميع والمذكر والمؤنث.

وقولهم: ﴿أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، رُوي أَنهم كانوا قد تقدموا إِليه في أَلَّا يضيف أَحداً ولا يجيره، لأَنهم لا يراعونه ولا يكتفُّون[2] عن طلب الفاحشة فيه.

وقرأَ الأَعمش: (إِنَّ دَابِرَ) بكسر الهمزة[3].

ورُوي أَن في قراءَة عبد الله: (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ وقُلْنَا إِنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مقطوع)[4].

وذكر السديُّ أَنهم إنما[5] كانوا يفعلون الفاحشة مع الغرباءِ ولا يفعلونها بعضهم ببعض، فكانوا يعترضون الطرق.

---

(١) ساقط من الأصل.
(٢) في المطبوع ونور العثمانية وأحمد٣: «يكفون».
(٣) الكشاف للزمخشري (٢/ ٥٨٤).
(٤) نقلها عنه الفراء في معاني القرآن (٢/ ٩٠)، ومقطوع: سقطت من المطبوع، وسقطت: «وقلنا إن» من المصرية.
(٥) من المصرية ونجيبويه.

وقول لوط عليه السلام: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ﴾ اختلف في تأْويله:

فقيل: أَراد نساءَ أُمَّته، لأَنَّ زوجات النبيين[١] أُمهات الأمم وهو أَبوهم، فالنساءُ بناته في الحرمة، والمراد بالتزويج، ويلزم[٢] من هذا التأْويل أَن يكون في شرعه جواز زواج الكافر للمؤمنة، وقد ورد أَن المؤمنات به قليل جدّاً، وقيل: إِنما أَراد بنات صلبه، ودعا إِلى التزويج أَيضاً، قاله قتادة[٣]، ويلزم هذا التأْويلَ أيضاً ما لزم المتقدمَ في ترتيبنا.

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أَن يريد عليه السلام بقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ﴾ بنات صلبه، ويكون ذلك على طريق المجاز، وهو لا يحقق في إِباحة بناته، وهذا كما تقول لإِنسان تراه يريد قَتْل آخر: اقتلني ولا تقتله، فإِنما ذلك على جهة التشنيع عليه، والاستنـزال من جهة ما، واستدعاءِ الحياءِ[٤] منه، وهذا كله من مبالغة القول الذي لا يدخله معنى الكذب، بل الغرض منه مفهوم، وعليه قول النبي ﷺ: «وَلَوْ كَمَفْحَص قَطاةٍ»[٥] إِلى غير هذا من الأَمثلة.

والعَمْرُ والعُمْرُ بفتح العين وضمها واحد، وهما [عُمْر الحياة ومدتها][٦]، ولا يستعمل في القَسَم إِلا بالفتح، وفي هذه الآية شرف لمحمد ﷺ لأَن الله تعالى أَقسم بحياته، ولم يفعل ذلك مع بشر سواه، قاله ابن عباس[٧].

قال القاضي أبو محمد: والقَسَم بـ«لَعَمْرُك» في القرآن، وبـ«لَعَمْري» ونحوه في

---

(١) في المطبوع: «البنين»، وفي نجيبويه «الأنبياء».
(٢) وكتبت في نجيبويه: «لا يلزم».
(٣) تفسير الطبري (١٧/ ١١٨).
(٤) في نجيبويه: «الحياة».
(٥) سبق تخريجه، وهو حديث: «من بنى لله مسجداً»، سورة النساء الآية رقم (٢٢).
(٦) من المطبوع وأحمد٣، وفي الأصل والنسخ الأخرى: «مدة الحياة».
(٧) أخرجه الطبري (١٧/ ١١٨) من طريقين فيهما لين عن عمرو بن مالك هو النكري، عن أبي الجوزاء هو أوس بن عبد الله الربعي.

أَشعار العرب وفصيح كلامها في غير موضع، كقوله:

[الطويل] لَعَمْري وَمَا عَمْري عَلَيَّ بِهَيِّنٍ(١) ....

وقول الآخر:

[الوافر] لَعَمْرُ أَبِيكَ ما نُسِبَ الْمُعَلَّى(٢) ....

[٣/ ١٢٤] وكقول الآخر /:

[الطويل] لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لَكَالطِّوَلِ الْمُرْخَى وثِنْيَاهُ بالْيَدِ(٣)

والعرب تقول: لَعَمْرُ الله، ومنه قول الشاعر:

[الوافر] إِذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بنو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رضاهَا(٤)

---

(١) هذا صدر بيت للنابغة، وتمامه: لَقَدْ نَطَقَتْ بُطْلاً عَلَيَّ الأَقارِعُ، كما في العين (٧/ ٤٣١)، والجمل في النحو (ص: ٩٠)، والكتاب لسيبويه (٢/ ٧٠)، وجاء صدر بيت آخر لعامر بن الطفيل تمامه: لقد شان حر الوجه طعنة مسهر، كما في المفضليات (ص: ٣٦٢)، وأنساب الخيل (ص: ٤٥)، والأصمعيات (ص: ٢١٥)، والشعر والشعراء (١/ ٣٢٢)، وجاء في صدر بيت آخر لهند بنت حذيفة ترثي أخاها، وتمامه: ولا حالف بر كآخر فاجر، كما في بلاغات النساء (ص: ١٧٤)، وجاء في الكامل للمبرد (٢/ ١٤٩)، والأوائل للعسكري (ص: ١٢٥)، وديوان المعاني (٢/ ٦٩): أن رجلاً من بني سليم بن منصور قتلته خثعم، فقالت أخته ترثيه: لعمري وما عمري علي بهين... لنعم الفتى غادرتم آل حثعما، وفي حماسة أبي تمام: وقال يزيد بن قنانة: لعمري وما عمري على بهين... لبئس الفتى المدعو بالليل حاتم، انظر: شرح ديوان الحماسة (ص: ١٠٢٣).

(٢) هذا صدر بيت لأبي علي البصير، وتمامه: إلى كَرَمٍ وفي الدُّنْيَا كَريمُ، كما في أمالي القالي (٢/ ٢٨٧)، المنتحل (ص: ١٣٦).

(٣) البيت لطَرَفة بن العبد، من معلقته، انظر: نسبته له في العين (٧/ ٤٥١)، وغريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٢٩٢)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٢٦)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٣٣٠)، والشعر والشعراء (١/ ١٨٣)، وتفسير الطبري (٢/ ٤٧٧)، وإصلاح المنطق (ص: ١٢٩).

(٤) البيت لِلْقُحَيْف العُقَيْلِيِّ كما تقدم في أول سورة البقرة.

وقال الأَعشى:

وَلَعَمْرُ مَنْ جَعَلَ الشُّهورَ عَلاَمَةً فينَـا فَـبَيَّـن نِصْفَهـا وكَمالهـا[١] [الكامل]

[ويروى: وهلالها][٢].

وقال بعض أَصحاب المعاني: لا يجوز هذا، لأَنه لا يقال: لله تعالى عُمْر، وإِنما يقال: بقاءٌ أَزلي، ذكره الزهراوي[٣]، وكره إِبراهيم النَّخَعي أَن يقول الرجل: لعمري، لأنهَ حلف بحياة نفسه، وذلك من كلام ضعفة الرجال[٤]، ونحو هذا.

وقَوْلُ مالك في لَعَمْري ولَعَمْركَ أَنها ليست بيمين[٥]، وقال ابن حبيب: ينبغي أَن تصرف لعمرك في الكلام اقتداءً بهذه الآية[٦].

و﴿يَعۡمَهُونَ﴾ يَرْتَبكون ويتحيرون، والضمائر في ﴿سَكۡرَتِهِمۡ﴾ يراد بها قوم لوط المذكورون، وذكر الطبري أَن المراد قريش[٧]، وهذا بعيد لأَنه ينقطع مما قبله ومما بعده.

وقوله: ﴿لَفِى سَكۡرَتِهِمۡ﴾ مجازٌ وتشبيه، أَي: في ضلالتهم وغفلتهم وإعراضهم[٨] عن الحق ولهوهم، و﴿يَعۡمَهُونَ﴾ معناه: يترددون[٩] في حيرتهم، و﴿مُشۡرِقِينَ﴾ معناه: قد دخلوا في الإِشراق، وهو سطوع ضوءِ الشمس وظهوره، قاله ابن زيد[١٠].

---

(١) وهو من قصيدة للشاعر يمدح بها قيس بن معديكرب، انظر نسبته له في: البحر المحيط (٥/ ٤٥٠)، والديوان.

(٢) زيادة من الأصل ونجيبويه، وهي في الإماراتية ملحقة في الهامش.

(٣) لم أجده.

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ١١٩).

(٥) التلقين في الفقة المالكي (١/ ٩٧).

(٦) نقله القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤٠).

(٧) تفسير الطبري (١٧/ ١١٨).

(٨) سقطت من المطبوع وأحمد٣.

(٩) سقطت من نور العثمانية، في الأصل وأحمد٣: «يتردون».

(١٠) لم أجده له، وانظر: الوجيز للواحدي (ص: ٥٩٥)، وتفسير السمعاني (٣/ ١٤٦).

قال القاضي أبو محمد: وهذه الصيحة هي صيحة الوجبة[١]، وليست كصيحة ثمود، وأُهلكوا بعد الفجر مصبحين، واستوفاهم الهلاك مشرقين.

وخبر قوله: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ محذوف تقديره: لَعَمْرك قسمي أَو يميني، وفي هذا نظر.

وقرأَ ابن عباس: (وَعَمْرك).

وقرأَ الأَشهب العقيلي: (لفي سُكْرَتِهِمْ) بضم السِّين، وقرأَ ابن أَبي عبلة: (سَكَرَاتِهِمْ)، وقرأَ الأَعمش: (لفي سُكْرِهِمْ) بغير تاء.

وقرأَ أَبو عمرو في رواية الجهضمي: (أَنَّهُمْ في سكرتهم)[٢] [بفتح الألف][٣].

ورُوي في معنى قوله: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ أَن جبريل عليه السلام اقتلع المدينة بجناحه[٤] ورفعها حتى سمعت ملائكة السماءِ صراخ الديكة ونباح الكلاب، ثم قلبها وأَرسل الكل، فمن سقط عليه شيءٌ من جرم[٥] المدينة مات، ومن أَفلت منهم أَصابته حِجارَةٌ مِنْ سِجِّيلٍ.

وسِجِّيل: اسم من أَسماءِ سماءِ الدنيا، وقيل: هي لفظة فارسية، وهي الحجارة المطبوخة من الطين كالآجُرِّ ونحوه، وقد تقدم القول في هذا.

والمُتَـوَسِّمُونَ قال مجاهد: المتَفَرِّسون[٦]، وقال الضحاك: الناظرون، وقال قتادة: المعتبِرون[٧]، وقيل غير هذا مما هو قريب منه، وهذا كله تفسير لها بالمعنى، وأما تفسير

---

(١) في المصرية: «الوَحْشَة».

(٢) في نجيبويه: «سكرأتهم».

(٣) ساقط من المطبوع، وانظر القراءات الخمس في: البحر المحيط (٦/ ٤٩٠)، وفي أحمد٣: «الجهضميين».

(٤) في الأصل: «بجناحيه».

(٥) في المطبوع: «ردم»، وفي المصرية: «هدم».

(٦) تفسير الطبري (١٧/ ١٢٠).

(٧) انظر قول الضحاك وقتادة في: تفسير الطبري (١٧/ ١٢١).

اللفظة(١) فإن المعاني التي تكون في الإنسان وغيره من خير أو شرٍّ يلوح عليه وَسْم على تلك المعاني، كالسكون والدماثة واقتصاد الهيئة(٢) التي تكون عن الخير ونحو هذا، فالمتوسِّم هو الذي ينظر في وَسْم المعنى ليستدل به على المعنى، وكأن معصية هؤلاءِ أبقت من العذاب والإهلاك وسْماً، فمن رأى الوَسْم استدل على المعصية به، واقتاده النظر إلى تجنب المعاصي لئلا ينزل به ما نزل بهم، ومن الشعر في هذه اللفظة قول الشاعر:

تَوَسَّمْتُه لَمَّا رَأَيْتُ مَهَابَةً عَلَيْهِ وقلْتُ الْمَرْءُ مِنْ آلِ هَاشِمِ(٣) [الطويل]

وقال آخر:

وظَلَلْتُ فيهَا واقِفاً أَتَوَسَّمُ(٤) .... [الكامل]

وقال آخر:

إِنِّي توسَّمْتُ فيكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً(٥) .... [البسيط]

والضمير في قوله: ﴿وَإِنَّهَا﴾ يحتمل أن يعود على المدينة المهلكة، أي: أنها في طريقٍ ظاهر بيِّنٍ(٦) للمعتبِر، وهذا تأويل مجاهد، وقتادة، وابن زيد(٧)، ويحتمل أن يعود على الآيات.

---

(١) في المطبوع: «وإنما تفسيرها باللفظ».
(٢) في المصرية: «المنقبة»، وفي المطبوع: «كالسكون والديانة والهيبة».
(٣) من أبيات مشهورة لأعرابي يمدح عبيد الله بن عباس، انظر قصتها في: الفاضل للمبرد (ص: ٣٢)، ولباب الآداب (١/ ١٠٠).
(٤) لم أقف عليه لغير المؤلف.
(٥) هذا صدر بيت لعبد الله بن رواحة يخاطب النبي ﷺ، وتمامه: والله يَعْلَمُ أَنِّي ثابِتُ الْبَصَرِ، انظر: تفسير الماوردي (٣/ ١٦٨)، وجاء في سيرة ابن هشام (٢/ ٣٧٤) بفلظ: «تفرست»، قال ابن هشام ويروى تمامه: فراسة خالفت فيك الذي نظروا.
(٦) «بين»: ليست في المطبوع.
(٧) تفسير الطبري (١٧/ ١٢٢).

ويحتمل أَن يعود على الحجارة، ويقوي هذا التأْويل ما روي أَن النبي ﷺ قال: «إِن حجارة العذاب معلقة بين السماءِ والأَرض منذ أَلْفَيْ سنة لعصاة أُمَّتي»(١).

وقوله: ﴿لَآيَةً﴾ أَي أَمارة وعلامة، كما تقول: آيةُ ما بيني وبينك كذا وكذا.

قوله عز وجل: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾.

﴿ٱلْأَيْكَةِ﴾: الغيْضة والشجر الملتف المخضر، يكون السِّدر ونحوه(٢).

قال قتادة: رُوي أَن أَيكة هؤلاءِ كانت من شجر الدوم(٣)، وقيل: من المقل، وقيل: من السِّدْر، وكان هؤلاءِ قوماً يسكنون غَيْضة ويرتفقون بها في معايشهم، فبعث الله إِليهم شعيباً فكفروا، فسلَّط الله عليهم الحر فدام عليهم سبعة أَيام، ثم رأَوا سحابةً فخرجوا فاستظَلُّوا تحتها فاضطرمت عليهم ناراً، وحكى الطبريُّ قال: بُعث شُعَيْبٌ إِلى أُمتين كفرتا فعُذِّبتا بعذابين مختلفين: أَهل مدين عذبوا بالصيحة، وأَصْحابُ الْأَيْكَةِ [عذِّبوا بالظُّـلَّة](٤).

ولم يختلف القراءُ في هذا الموضع في إِدخال الأَلف واللام على (أَيْكَة)، وأَكثرهم همز أَلف (أَيكة) بعد اللام، ورُوي عن بعضهم أَنه سهَّلها ونقل حركتها إِلى اللام فقرأَ: (الَايْكَةِ) دون همز(٥)، واختلفوا في سورة الشعراءِ، وفي سورة ص(٦).

---

(١) لم أَقف عليه.

(٢) في المصرية ونجيبويه: «وغيره».

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ١٢٤).

(٤) من المطبوع ونجيبويه، انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٢٤)، و(١٩/ ٣٩٣)، نقلاً عن قتادة.

(٥) هذه رواية ورش عن نافع وهي قاعدته في جميع القرآن، انظر: تفصيل مذهبه في ذلك في التيسير للداني (ص: ٢٩).

(٦) الآية (١٧٦) من سورة الشعراء، و(٣٨) من سورة ص، وسيأتي تفصيل الخلاف فيهما في محله إن شاء الله تعالى.

و(إِنْ) هي المخففة من الثقيلة على مذهب البصريين.

وقال الفراءُ: «(إنْ) بمعنى «ما»، واللام في قوله: ﴿لَظَٰلِمِينَ﴾ بمعنى إلاَّ»[(١)].

قال أَبو علي: «الأَيْكُ: جمع أَيْكة، كتَمرة وتَمْر»[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: ومن الشاهد على اللفظة قول أُمَيَّة بن أَبي الصلت:

كَبُكَا الْحَمام عَلَى غُصُو نِ الأَيْكِ في الطَّيْرِ الْجَوَانح[(٣)] [مجزوء الكامل]

وقول جرير:

وقَفْتُ بها فَهَاجَ الشَّوْقَ مِني حَمامُ الأَيْكِ يسعِدُها حَمامُ[(٤)] [الوافر]

ومنه قول الآخر:

أَلا إِنَّما الدُّنيا غَضارةُ أَيْكَةٍ إِذا اخْضَرَّ مِنها جانِبٌ جَفَّ جَانِبُ[(٥)] [الطويل]

ومنه قول الهذلي:

مُوَشَّحَةٌ بالطُّرَّتَيْنِ دَنَا لَهَا جَنى أَيْكَةٍ يَضْفُو عَلَيْهَا قِصَارُهَا[(٦)] [الطويل]

وأَنشد الأَصمعي:

وما خلِيجٌ من المروت ذو حَدَبٍ يرْمِي الصَّعيدَ بخُشْبِ الأَيْك والضَّالِ[(٧)] [البسيط]

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٩١).

(٢) الحجة (٥/ ٥٢).

(٣) انظر عزوه له في: سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠)، وتفسير الطبري (١٧/ ١٢٤)، والعقد الفريد (٣/ ٢٥٢)، والبصائر والذخائر (٩/ ٧٦).

(٤) بلا نسبة في تفسير الطبري (١٧/ ١٤٨).

(٥) البيت لابن عبد ربه كما في العقد الفريد (٣/ ١٣٤) له، ويتيمة الدهر (٢/ ٩)، وجذوة المقتبس (ص: ١٠٣)، ومعجم الأدباء (١/ ٤٦٥).

(٦) هو أبو ذؤيب انظر عزوه له: في الحجة للفارسي (٥/ ٥١)، والمحكم (٢/ ٣٦٤)، وأساس البلاغة (٢/ ٣٣٥)، ومحاضرات الأدباء (٢/ ٧٠١).

(٧) البيت لأوس بن حجر كما في في شرح أبيات الجمل (١/ ٢٧)، وهو في الاشتقاق (١/ ٤٥) =

والضمير في قوله: ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ يحتمل أَن يعود على المدينتين اللَّتَين تقدم ذكرهما، مدينة قوم لوط، ومدينة أَصحاب الأَيكة، ويحتمل أَن يعود على النَّبيَّين لوطٍ وشُعيب في أَنهما على طريق / من الله وشرع مبين. [٣/ ١٢٥]

والإِمامُ في كلام العرب: الشيءُ الذي يهتدى به ويُؤْتَمُّ، يقولونه لخيط البناءِ، وقد يكون الطريق، وقد يكون الكتابَ المفيد، وقد يكون القياسَ الذي يعمل عليه الصناع، وقد يكون الرجلَ المُقْتدى به، ونحو هذا، ومن رأَى عَود الضمير في ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ على المدينتين قال: الإِمامُ: الطريق، وقيل على ذلك: الإِمامُ: الكتاب الذي سبق فيه إِهلاكهما.

وأَصْحابُ الْحِجْرِ هم ثمود، وقد تقدم قصصهم، والْحِجْر مدينتهم، وهي ما بين المدينة وتبوك، وقال: ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ من حيث يجب بتكذيب رسول واحد تكذيب الجميع، إِذ القول في المعتقدات واحد للرسل أَجمع، فهذه العبارة أَشنع على المكذبين.

والآيات التي آتاهم الله هي الناقة وما اشتملت عليه من خرق العادة حسب ما تقدم تفسيره وبسْطه.

وقرأَ أَبو حيْوة: (وآتَـيْناهم آيَـتَنا) مفردة[١].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ﴾ الآية، يصف قوم صالح بشدة النظر للدنيا والتكسب[٢] منها، فذكر من ذلك مثالاً أَن بيوتهم كانوا ينحتونها في حجر من الجبال، والنحتُ: النقر بالمعاول ونحوها في الحجارة والعود ونحوه.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿يَنْحِتُونَ﴾ بكسر الحاءِ، وقرأَ الحسن: (ينحَتون) بفتحها، وذلك لأَجل حرْف الحلق، وهي قراءَة أَبي حيوة[٣].

= غير منسوب، وروايته «يرمي الضرير»، قال: «والضرير: فعيل في معنى مفعول. وضريرا الوادي: جنباه،... والمروت: واد معروف»، وفي المطبوع بدل المروت: نقاط (...).

(١) لم أجدها لغير المصنف.

(٢) في المطبوع: «والكسب».

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها للحسن في: المحتسب (٢/ ٤)، وتقدمت في سورة الأعراف، =

وقوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾، قيل: معناه: من انهدامها، وقيل: من حوادث الدنيا، وقيل: من الموت لاغترارهم بطول الأَعمار.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله ضعيف، وأَصح ما يظهر في ذلك أَنهم كانوا يأْمنون عواقب الآخرة، فكانوا لا يعملون بحسبها، بل كانوا يعملون بحسب الأَمن منها.

ومعنى ﴿مُصْبِحِينَ﴾ أَي: عند دخولهم في الصباح، وذُكر أَن ذلك كان يوم سبت، وقد تقدم قصص عذابهم وميعادهم وتغيُّر أَلوانهم، ولم تغن عنهم شدة نظرهم للدنيا وتكَسُّبهم شيئاً، ولا دفع عذاب الله.

و(ما) الأُولى للنفي، وتحتمل التقرير، والثانية مصدريَّة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الآية، المراد أَن هؤلاءِ المكتسبين للدنيا الذين لم يغن عنهم اكتسابهم ليسوا في شيءٍ، فإِن السماوات والأَرض وجميع الأَشياءِ لم تخلق عبثاً ولا سُدى ولا لتكون طاعة الله كما فعل هؤلاءِ ونظراؤُهم، وإِنما خلقت بالحق، ولواجب مقصود وأَغراض لها نهايات من عذاب ونعيم، وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَـةٌ على جميع أُمور الدنيا، أَي: فلا تهتم يا محمد بأَعمال قومك، فإِن الجزاءَ لهم بالمرصاد، فَاصْفَحْ عن أَعمالهم، أَي: وَلِّها صفحة عنقك بالإِعراض عنها، وأَكَّد الصفح بِنَعْت الجَمَال إِذ المرادُ منه أَن يكون لا عَتْب فيه ولا تعرض، وهذه الآية تقتضي مهادنة، ونسختها آية السيف، قاله قتادة[١].

ثم سلاَّه في آخر الآيات بأَن الله تعالى يخلق ما شاءَ لمن شاءَ، ويعلم تعالى وجه الحكمة في ذلك، لا هذه الأَوثان التي يعبدونها[٢].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ٱلْخَلَّٰقُ﴾، وقرأَ الأَعمش والجحدري: (الْخَالِقُ)[٣].

= وانظر: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٤٨).

(١) تفسير الطبري (١٧/ ١٢٨).

(٢) في المطبوع: «تعبدونها».

(٣) انظر: المحتسب (٢/ ٦)، وزاد مالك بن دينار.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

قال ابن مسعود[1]، وابن عمر[2]، وابن عباس[3]، ومجاهد، وابن جبير: السَّبع هنا هي السبع الطُّـوَل: البقرة، وآل عمران، والنساءُ، والمائدة، والأَنعام، والمص، والأَنفال مع براءَة.

وقال ابن جبير: بل السابعة يونس: وليست الأَنفال وبراءَة منها[4].

و﴿ٱلْمَثَانِى﴾ على قول هؤلاءِ: القرآن كله، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣]، وسُمِّي بذلك لأَن القصص والأَخبار تُثَـنَّى فيه وتُـرَدَّد.

وقال عمر بن الخطاب[5]، وعلي بن أَبي طالب[6]، وابن عباس[7] أَيضاً، وابن

---

(١) منقطع، أخرجه الطبري (١٧/ ١٢٩) من طريق: سفيان ـ هو الثوري ـ، عن يونس ـ هو ابن عبيد ـ، عن ابن سيرين، عن ابن مسعود. وابن سيرين يظهر أنه لم يلق ابن مسعود، أو لم يدركه، يروي عن أصحابه.

(٢) فيه مبهم، أخرجه الطبري (١٧/ ١٢٩) من طريق: سفيان ـ هو الثوري ـ، عن سعيد الجريري، عن رجل، عن ابن عمر.

(٣) صحيح، أخرجه الطبري (١٧/ ١٢٩) من طريق مجاهد وسعيد بن جبير، مفرقين، عن ابن عباس.

(٤) انظر القولين في تفسير الطبري (١٧/ ١٣٠).

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ١٣٢) من طريق: سعيد الجريري، عن أبي نضرة، قال: قال رجل منا يقال له: جابر أو جويبر عن عمر، وفيه قصة وفيها غرابة، والرجل لا يعرف.

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ١٣٣) من طريق: سفيان، عن السدي ـ هو إسماعيل بن عبد الرحمن ـ، عن عبد خير، عن علي. وفي (١٧/ ١٣٤): من طريق السدي عمن سمع عليّاً.

(٧) أخرجه الطبري (١٧/ ١٣٤) من طريق: سفيان، عن ابن جريج، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، ومن طريق العوفي عنه أيضاً. وكلاهما ضعيفان.

مسعود[١]، والحسن، وابن أَبي مُلَيْكة، وعبيد بن عمير، وجماعة: «السبع هنا هي آيات الحمد»[٢].

وقال ابن عباس: هُنَّ سبع بـ«بسم الله الرحمن الرحيم»[٣]، وقال غيره: هُنَّ سبع دون البسملة.

ورَوى في هذا حديث أُبَيٍّ بن كعب ونَصُّه: قال أُبَيٌّ: قال رسول الله ﷺ: «أَلا أُعلمك يا أُبيُّ سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإِنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «إِنِّي لأَرجو أَلا تخرج من ذلك الباب حتى تعلمها»، فقام رسول الله ﷺ وقمت معه، ويدي في يده، وجعلت أبطئُ [في المشي][٤] مخافة أَن أَخرج، فلما دنوت من باب[٥] المسجد قلت: يا رسول الله، السورة التي وعدتنيها؟ فقال: «كيف تقرأُ إِذا قُمت في الصلاة»؟ قال: فقرأْتُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١] حتى أَكملت فاتحة الكتاب، فقال: «هي هي، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أُوتيت»، كذا أَو نحوه، ذكره مالك في الموطأ، وهو مروي في البخاري ومسلم عن أَبي سعيد بن المعلى أَيضاً[٦].

وروى أَبو هريرة عن النبي ﷺ: «إِنها السبع المثاني، وأُم القرآن، وفاتحة الكتاب»[٧].

---

(١) منقطع، أخرجه الطبري (١٧/ ١٣٣) من طريق ابن سيرين عن ابن مسعود، ولم يدركه.
(٢) انظر الثلاثة وآخرين غيرهم في: تفسير الطبري (١٧/ ١٣٥).
(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ١٣٤) من طريق سفيان عن ابن جريج عن أبيه عن ابن جبير عن ابن عباس، ووالد ابن جريج لين الحديث.
(٤) زيادة من الأصل ونجيبويه، وهي في الإماراتية ملحقة في الهامش.
(٥) سقط من أحمد٣ والمطبوع.
(٦) انظر: الموطأ رقم (١٨٦) بهذا اللفظ أو نحوه. البخاري (٤٢٠٤) (٤٤٢٦) (٤٧٢٠) بلفظ: ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن، وليس فيه: لم ينزل في التوراة ولا في الإِنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، وليس في مسلم، انظر: تحفة الأشراف (١٢٠٤٧).
(٧) البخاري (٤٤٢٧).

وفي كتاب الزهراوي: وليس فيها بسملة، والْمَثانِي على قول هؤلاءِ يحتمل أَن تكون القرآن، فـ﴿مِنَ﴾ للتبعيض، وقالت فرقة: بل أَراد الحمد نفسها، كما قال: ﴿ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠] فـ﴿مِنَ﴾ لبيان الجنس، وسميت بذلك لأَنها تُثَنَّى في كل ركعة.

وقيل: سميت بذلك لأَنها يُثْنى بها على الله تعالى، جوّزه الزجاج(١).

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا القول من جهة التصرف نظر.

وقال ابن عباس: سميت بذلك لأَن الله تعالى استثناها لهذه الأُمة ولم يعطها لغيرها(٢).

وقال نحوه ابن أَبي مُلَيْكَة(٣).

وقرأَت فرقة: (وَالْقُرْآن) بالخفض عطفاً على ﴿ٱلْمَثَانِي﴾، وقرأَت فرقة: ﴿وَٱلْقُرْءَانَ﴾ بالنصب عطفاً على قوله: ﴿سَبْعًا﴾، وقال زياد بن أَبي مريم: المراد بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا﴾ أي: سبع معانٍ من القرآن خوَّلناك فيها شرف المنزلة في الدنيا والآخرة / ، وهي: [٣/ ١٢٦]
مُرْ، وانْهَ، وبَشِّر، وأَنْذِرْ، واضرب الأَمثال، واعدد النعم، [وفُضَّ واقصص](٤) الغيوب(٥).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٨٥).

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ١٦٣) وغيره من طريق: ابن جريج قال: حدثني أبي عن سعيد بن جبير أنه أخبره أنه سأل ابن عباس عن السبع المثاني قال: أم القرآن، قال سعيد: قرأها وقرأ فيها «بسم الله الرحمن الرحيم»، قرأها سعيد بن جبير كما قرأها ابن عباس، وقرأ فيها «بسم الله الرحمن الرحيم» فقلت لابن عباس: فما المثاني؟ قال: هي أم القرآن استثناها الله لأمة محمد فرفعها في أم الكتاب فدخرها لهم حتى أخرجها ولم يعطها أحدا قبله، قال: فقلت لأبي: أخبرك سعيد بن جبير أن ابن عباس قال له: «بسم الله الرحمن الرحيم» آية من القرآن؟ قال: نعم.اهـ، وهو إسناد لين بسبب والد ابن جريج، وهو عبد العزيز، وكان لا يتابع على حديثه.

(٣) البحر المحيط (٦/ ٤٩٤).

(٤) من المصرية ونجيبويه، وفي النسخ الأخرى: «وقص».

(٥) تفسير الثعلبي (٥/ ٣٥٢) وفيه: «مر، وانه، وبشر، وأنذر، واضرب الأمثال، واعدد النعم، وآتيتك نبأ القرآن».

وقال أَبو العالية: السبع المثاني هي آي فاتحة الكتاب، وقد نزلت هذه السورة وما نزل من السبع الطُّوَل شيءٌ[١].

وقوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ الآية، حكى الطبري عن سفيان بن عُيَيْنَة أَنه قال: هذه الآية أَمر بالاستغناءِ بكتاب الله عن جميع زينة الدنيا، وهي ناظرة إِلى قوله ﷺ: «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن»[٢]، أي: يستغن به.

قال القاضي أبو محمد: فكأَنه قال: ولقد آتيناك عظيماً خطيراً، فلا تنظر إِلى غير ذلك من أُمور الدنيا وزينتها التي متعنا بها أَنواعاً من هؤلاءِ الكفرة، ومن هذا المعنى قول النبي ﷺ: «من أُوتي القرآن فرأَى أَن أَحداً أُعطي أَفضل مما أُعطي فقد عظَّم صغيراً وصغر عظيماً»[٣].

وكأَن مدَّ العين يقترن به تَمَنٍّ، ولذلك عبَّر عن الميل إِلى زينة الدنيا بِمَدِّ العين، والأَزواج هنا: الأَنواع والأَشباه.

وقوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾، أَي: لا تتأَسف لكفرهم وهلاكهم، واصرف وجه تَحَفِّيك[٤] إِلى من آمن بك، وَاخْفِضْ لهم جَناحَكَ، وهذه استعارة بمعنى: ليِّن جانبك ووطئ أَكنافك، والجناح: الجانب والجنب، ومنه قوله: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه: ٢٢] فهو أَمر بالميل إِليهم، والجنوحُ: الـمَيْلُ.

﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾، أَي: تمسَّك بهذا القدر العظيم الذي وهبناك،

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ١٣٥).

(٢) البخاري (٧٠٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) لا يصح، قال المناوي في الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي (٢/ ٧٥٠): قال العراقي: لم أقف عليه، وقال ابن حجر: لم أجده من حديث أبي بكر، ورواه إسحاق بن راهويه في مسنده ومن طريقه الطبراني في معجمه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. وأخرجه ابن عدي في ترجمة حمزة النصيبي عن زيد بن رفيع، عن أبي عبيدة عن ابن مسعود رفعه، وحمزة اتهموه بالوضع.

(٤) في المطبوع والمصرية: «وجهك وتحفيك»، وفي أحمد٣: «وجهك بحقك».

والكاف من قوله: ﴿كَمَآ﴾ متعلقة بفعل محذوف تقديره: وقل إِني أَنا النذير عذاباً كالذي أَنزلناه على المقتسمين، والكاف اسمٌ في موضع نصب.

قال القاضي أبو محمد: هذا قول المفسرين، وهو عندي غير صحيح، لأَن ﴿كَمَآ﴾ ليست مما يقوله محمد ﷺ، بل هو من قول الله تعالى له، فينفصل الكلام، وإِنما يترتب هذا القول بأَن يقدر أَن الله تعالى قال له: تنذر عذاباً كما، والذي أَقول في هذا المعنى: وقل إِني أَنا نذير كما قال قبلك رسلُنا، وأَنزلنا عليهم كما أَنزلنا عليك، ويحتمل أَن يكون المعنى: وقل أَنا النذير كما [قال قبلك رسلنا و][1] أَنزلنا في الكتب أَنك ستأْتي نذيراً، وهذا على أَن ﴿ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ أَهل الكتاب.

واختلف الناس في ﴿ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ من هم؟ فقال ابن زيد: «هم قوم صالح الذين اقتسموا بالله لَنُبَيِّتَنَّهُ»[2]، فالمقتسمون على هذا من القسم.

قال القاضي أبو محمد: ويقلق هذا التأْويل مع قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾.

وقال ابن عباس[3]، وسعيد بن جبير: «المقتسمون هم أَهل الكتاب الذين فرقوا دينهم، وجعلوا كتاب الله أَعضاءَ، آمنوا ببعض وكفروا ببعض»، وقال نحوه مجاهد[4].

وقالت فرقة: المقتسمون هم من كفار قريش الذين اقتسموا الطرق وقت المواسم لِيُعَرِّفوا الناسَ بحال محمد ﷺ، وجعلوا القرآن سحراً وشعراً وكهانة، فعضهوه بهذا وعضَّوه أَعضاءً بهذا التقسيم، وقال عكرمة: المقتسمون هم قوم كانوا يستهزئون بِسُوَر

---

(١) زيادة من أحمد٣ والمصرية.

(٢) في المصرية: «البينة»، و«بالله» زيادة من المطبوع.

(٣) صحيح، أخرجه الطبري (١٧/ ١٤٢) من طريق: هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، ومن طريق: الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس، ومن طريق: عطية العوفي عن ابن عباس.

(٤) انظر هذه الأقوال في: تفسير الطبري (١٧/ ١٤٢).

القرآن، ويقول الرجل منهم: هذه السورة لي، ويقول الآخر: وهذه لي[١].

وقوله: ﴿عِضِينَ﴾ مفعول ثان، و(جَعَل) بمعنى صَيَّر[٢]، أَي: بأَلسنتهم ودعواهم، وأَظهر ما فيه أَنه جمع عِضَة، وهي الفرقة من الشيءِ، والجماعة من الناس، كثُبَـةٍ وثُبين، وعِزةٍ وعِزين، وأَصلها عِضهَة وثبوة[٣]، فالياءُ والنون عوض من المحذوف، كما قالوا: سَنَةٌ وسنون، إِذ أَصلها سَنْهَة.

وقال ابن عباس وغيره: ﴿عِضِينَ﴾ مأْخوذ من الأَعضاءِ، أَي: عضَّوه فجعلوه أَقساماً وأَعضاءً[٤]، ومن ذلك قول الراجز:

وَلَيْـسَ دِيـنُ اللَّـهِ بِالْمُعَضَّـى[٥] .... [الرجز]

وهذا هو اختيار أَبي عبيدة[٦].

وقال قتادة: ﴿عِضِينَ﴾ مأْخوذ من العَضْهِ وهو السَّبُّ المفحش[٧]، فقريش عَضَهوا كتاب الله بقولهم: هو شعر، هو سحر، هو كهانة، وهذا هو اختيار الكسائي[٨]، وقالت فرقة: ﴿عِضِينَ﴾ جمع عِضَة، وهو اسم للسِّحْر خاصة بلغة قريش، ومنه قول الراجز:

لِلْمَـاءِ مِـنْ عِضَـاتِـهِنَّ زَمْـزَمَـهْ[٩] [الرجز]

---

(١) تفسير الثعلبي (٥/ ٣٥٢)، والهداية لمكي (٦/ ٣٩٢٩).

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «جعلوا»، «صيروا».

(٣) في المطبوع: «وثُوبَة».

(٤) في المصرية ونجيبويه: أعضاء مقسما، صحيح، نحو التخريج المتقدم عنه قريبا.

(٥) البيت لرؤبة بن العجاج، كما في مجاز القرآن (١/ ٣٥٥)، وسيرة ابن هشام (١/ ٢٧٢)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٣٩).

(٦) مجاز القرآن (١/ ٣٥٥).

(٧) تفسير الطبري (١٧/ ١٤٨).

(٨) لم أجده عنه، وعزا له في زاد المسير (٢/ ٥٤٤) مثل قول أبي عبيدة، وفي النكت (ص: ٢٨١) أنه من العضيهة وهي الكذب.

(٩) بلا نسبة في تفسير الطبري (١٧/ ١٤٨).

قال هذا القول عكرمة مولى ابن عباس[١]، وقال: العَضْه: السِّحْر، وهم يقولون للساحرة: العاضِهة، وفي الحديث: «لعن الله العاضهة والـمُسْتَعْضِهَة»[٢] وهو اختيار الفراءِ[٣].

قال القاضي أبو محمد: ومن قال: جعلوه أَعضاءً، فإِنما أَراد: قسَّموه كما يُقَسَّم الجزور أَعضاءً.

وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾ إِلى آخر الآية، ضمير عام، ووعيد محضٌ يأْخذ كل أَحد منه بحسب جرمه وعصيانه، فالكافر يُسأَل عن «لا إِله إِلا الله»، وعن الرسل، وعن فكره وقصده، والمؤمن العاصي يُسأَل عن تضييعه، والإِمام عن رعيته، وكلُّ مكلف عما كلف القيام به، وفي هذا المعنى أَحاديث[٤].

وقال أَبو العالية في تفسير هذه الآية: «يسأَل العباد كلهم عن خلَّتين يوم القيامة: عما كانوا يعبدون، وبماذا أَجابوا المرسلين»[٥]، وقال في تفسيرها أَنَسُ بن مالك[٦]، وابن عمر[٧]،

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ١٤٨).

(٢) ضعيف أخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ٣٣٩) من حديث ابن عباس، وفي إسناده زمعة بن صالح وسلمة بن وهرام وهما ضعيفان.

(٣) معاني القرآن للفراء (٣/ ٣٧).

(٤) من ذلك حديث: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...» متفق عليه من حديث ابن عمر، أخرجه البخاري (٨٥٣) وغير موضع، ومسلم (١٨٢٩). وحديث: ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولوبشق تمرة. متفق عليه من حديث عدي بن حاتم، أخرجه البخاري (٧٠٧٤) ومسلم (١٠١٦).

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ١٥٠).

(٦) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ١٥٠) من طريق: ليث ـ هو ابن سليم ـ، عن بشير بن نهيك، عن أنس. وليث ضعيف، وبشير لا تعرف له رواية عن أنس، وهو ليس بالحجة.

(٧) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ١٥٠) من طريق: فضيل بن مرزوق، عن عطية العوفي، عن ابن عمر.

ومجاهد: إن السؤال عن «لا إله إلا الله»[١]، وذكره الزهراوي عن النبي ﷺ[٢].

وقال ابن عباس في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ قال: يقال لهم: لِم عملتم كذا وكذا؟ قال: وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]، معناه: لا يقال له: ما أذنبت؟ لأَن الله تعالى أَعلم بذنبه منه[٣].

قال القاضي أبو محمد: ونفْيُ السؤال هو نفي الاستفهام المحض، وإِيجاب السؤال هو على جهة التقرير لهم والتوبيخ.

قوله عز وجل: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٩٦ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾.

﴿فَٱصْدَعْ﴾: معناه: أَنفذ وصرِّح بما بعثت به، والصَّدع: التفريق بين ملتحم[٤]، كصدع الزجاجة ونحوه، فكأَن المصرِّح بقول يُرْجع إِليه يصْدع به ما سواه مما يضادُّه، والصَّديعُ: الصُّبْح لأَنه يَصدع الليل، وقال مجاهد: نزلت في أَن يجهر بالقرآن في الصلاة[٥].

وفي ﴿تُؤْمَرُ﴾ ضمير عائد على (ما)، تقديره: تؤمر به، أَو تؤمره، وفي هذين تنازع.

وقوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ من آيات المهادنات التي نسختها آية السيف،/ [٣/ ١٢٧] قاله ابن عباس[٦].

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ١٥٠).

(٢) منكر، أخرجه الطبري (١٧/ ١٥٠) من طريق: ليث الذي مضى لكن مرفوعاً. وهذ أوهن من الموقوف السابق.

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ١٥٠) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) في نجيبويه والأصل: «مُلْتئم».

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ١٥١).

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ١٥٣) من طريق: علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

ثم أَعلمه تعالى أَنه كفاه الْمُسْتَهْزِئِينَ به من كفار مكة ببوائق من الله أَصابتهم، لم يَسْعَ بها محمد، ولا تكلَّف فيها مشقةً.

وقال عروة بن الزُّبير، وسعيد بن جبير: المستهزئون خمسة نفر: الوليدُ بن المغيرة، والعاصُ بن وائل، والأَسود بن المطلب أَبو زمعة، والأَسود بن عبد يغوث، ومن خزاعة الحارث بن الطُّلاطلة، وهو ابن غيطلة، وهو ابن قيس(١)، [قال أَبو بكر الهذليُّ: قلت للزهري: إن ابن جبير وعكرمة اختلفا في رجل من المستهزئين، فقال ابن جبير: هو الحارث بن غيطلة، وقال عكرمة: هو الحارث بن قيس، فقال الزهري: صَدَقا، أُمُّه غيطلة وأَبوه قيس](٢)، وذكر الشَّعْبي في الْمُسْتَهْزِئِينَ هَبَّار بن الأسود(٣)، وذلك وهم، لأن هَبَّاراً أَسلم يوم الفتح ورحل إِلى المدينة.

وذكر الطبريُّ عن ابن عباس أَن الْمُسْتَهْزِئِينَ كانوا ثمانية، كلهم مات قبل بدر(٤).

وروي أَن رسول الله ﷺ كان في المسجد، فأَتاه جبريل، فجاء الوليدُ فأَومأَ جبريل بإِصبعه إِلى ساقه وقال [للنبي ﷺ:](٥) كُفيت، ثم جازَ(٦) العاصي فأَومأَ إِلى أَخمصيه، وقال: كفيت، ثم مر أَبو زمعة فأَومأَ إِلى عينه، ثم مرَّ الأَسود بن عبد يغوث فأَومأَ إِلى رأْسه وقال: كفيت، ثم مرَّ الحارث فأَومأَ إِلى بطنه وقال: كفيت.

---

(١) انظر قول عروة في: تفسير الطبري (١٧/ ١٥٣)، وقول سعيد (ص: ١٥٥).

(٢) ساقط من الأصل، والأثر في تاريخ دمشق (٤١/ ٩٠).

(٣) هو هبّار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسديّ، وهو الذي نخس بزينب بنت النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ أمر بحرقه يوم الفتح ثم عفا عنه فأسلم، وله شعر ورواية، الإصابة (٦/ ٤١١).

(٤) جيد، أخرجه الطبري (١٧/ ١٥٩) من طريق: الحسين، ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عمرو بن دينار، عن ابن عباس.

(٥) ساقط من المطبوع، وهو في أحمد٣ ملحق في الهامش.

(٦) في أحمد٣ والمطبوع: «جاء».

وكان الوليد قد مرَّ بقَيْن في خزاعة فتعلق سهم من نبله بإِزاره فخدش[1] ساقه، ثم برئ، فانتقض به ذلك الخدش بعد إِشارة جبريل فقتله، وقيل: إِن السهم قطع أَكْحَلَهُ، قاله قتادة ومقسم[2].

وركب العاصي بغلة في حاجة، فلما جاءَ ينزل وضع أَخْمصَه على شِبْرِقة[3] فورمت قدمه فمات، وعمي أَبو زمعة، وكان يقول: دعا عليَّ محمد بالعمى فاستجيب له، ودعوت عليه بأَن يكون طريداً شريداً فاستجيب لي.

وتمخض رأْسُ الأَسود بن عبد يغوث قيحاً فمات.

وامتلأَ بطن الحارث ماءً فمات حبناً[4].

قال القاضي أبو محمد: وفي ذكر هؤلاءِ وكفايتهم اختلاف بين الرواة، وفي صفة أَحوالهم وما جرى لهم جلبتُ أَصحَّه مختصراً طلباً للإِيجاز.

ثم قرر تعالى ذنبهم في الكفر، واتخاذ الأَصنام آلهة مع الله، ثم توعَّدهم بعذاب الآخرة الذي هو أَشق.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ آية تأْنيس للنبي ﷺ وتسلية عن أَقوال المشركين وإِن كانت مما يقلق، وضيق الصدر يكون من امتلائه غيظاً بما يكره الإِنسانُ، ثم أَمره تعالى بملازمة الطاعة، وأَن تكون مَسْلاتَه عند الهموم.

وقوله: ﴿مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ يريد: من المصلين، فذكر من الصلاة حالة القرب من الله

---

(١) في المطبوع: «فجرح».

(٢) رواه عنهما الطبري في التفسير (١٧/ ١٥٧).

(٣) في المصرية: «سرقة». الشِّبْرِقُ بالكسر: نبات ثمرتُه شاكَّة، صغيرة الحجم، حمراءُ مثل الدَّم، مَنْبَتُها السباخ والقيعان، واحدته: شِبْرِقَة.

(٤) الحبَن داء يأخذ في البطن فيعظم منه، وفي المطبوع: «حيناً» ولعلها خطأ، والحَيْنُ: الهلاك، والقصة في تفسير الطبري (١٧/ ١٥٥).

تعالى وهي السجود، وهي أَكرم حالات الصلاة وأَقمنُها بنيل الرحمة، وفي الحديث: كان رسول الله ﷺ إِذا حَزَبه أَمْرٌ فزع إِلى الصلاة[١]، فهذا منه ﷺ أَخذٌ بهذه الآية.

و﴿ٱلْيَقِينُ﴾: الموتُ، بذلك فسَّره هنا ابن عمر[٢]، ومجاهد، وقتادة، والحسن، وابن زيد[٣].

ومنه قول النبي ﷺ عند موت عثمان بن مظعون: «أَما هو فقد رأَى اليقين»، ويروى: «فقد جاءَه اليقين»[٤].

وليست اليقين من أَسماءِ الموت، وإِنما العلم به يقين لا يمتري فيه عاقل، فسمَّاه هنا يقيناً تَجَوُّزاً، أَي: يأْتيك الأَمر اليقين علْمُه ووقوعُه، وهذه الغاية معناها: مُدَّة حياتك، ويحتمل أَن يكون المعنى: حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ في النصر الذي وُعِدْتَه.

نجز تفسير سورة الحجر.

---

(١) ضعيف، أخرجه أبو داود (١٣٢١)، وأحمد (٥/ ٣٨٨)، والطبري (٢/ ١٢) وغيرهم، وإسناد هذا الحديث ليس بالقائم، وقد اختلف فيه، قال المزي في تحفة الأشراف (٣٣٧٥): رواه أبو داود في الصلاة (٣١٣) عن محمد بن عيسى، عن يحيى بن زكريا، عن عكرمة بن عمَّار، عن محمد بن عبد الله الدؤليِّ، عنه به. وهكذا رواه سريج بن يونس، عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة.
وخالفهما خلف بن الوليد وإسماعيل بن عمر، فروياه عن يحيى، وقالا فيه: قال عبد العزيز أخو حذيفة: كان رسول الله ﷺ...، ولم يذكرا حذيفة.
ورواه الحسن بن زياد الهمدانيُّ، عن ابن جريج، عن عكرمة بن عمَّار، عن محمد بن عبد الله بن أبي قدامة، عن عبد العزيز بن أخي حذيفة أنّ النبيّ ﷺ، ولم يذكر حذيفة، وشيخ عكرمة على أية حال لا يعرف، وكذا عبد العزيز الذي اختلف فيه هل هو أخو حذيفة أم ابن أخيه، وليست له صحبة كما قال ابن حبان في الثقات (٥/ ١٢٤)، ومع ذلك فقد روي الحديث مرسلاً بغير ذكر حذيفة.

(٢) الذي أخرجه الطبري (١٧/ ١٦٠) من طريق: سفيان، قال: ثني طارق بن عبد الرحمن، عن سالم ابن عبد الله من قوله، ولم يسنده لأبيه عبد الله بن عمر. وطارق أظنه هو الأحمسي البجلي، فيه لين.

(٣) نقله عنهم الطبري في التفسير (١٧/ ١٦٠).

(٤) صحيح، أخرجه الطبري (١٧/ ١٦١) من طريق ابن شهاب: أن خارجة بن زيد بن ثابت أخبره عن أم العلاء امرأة من الأنصار قد بايعت رسول الله ﷺ أخبرته... به في قصة. وإسناده صحيح.

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تفسير ابن عطية

المحرر الوجيز

مختصر

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي

تحقيق
مجموعة من الباحثين

بإشراف
إدارة الشؤون الإسلامية

الجزء السادس
من أول تفسير سورة النحل حتى نهاية سورة الأنبياء

إصدارات
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

تفسير ابن عطيّة

المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمّد عبد الحقّ بن عطيّة الأندلسيّ

□ **تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**
تأليف : الإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي
تحقيق : مجموعة من الباحثين - بإشراف إدارة الشؤون الإسلامية
الطبعة المحققة الأولى : ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

قياس القطع : ١٧ × ٢٤

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

ص.ب ٤٢٢ الدوحة
البريد الإلكتروني : turathuna@islam.gov.qa

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة النَّحل

هذه السورة كانت تسمى سورة النِّعَم بسبب ما عدد الله فيها من نِعَمه على عباده.

وهي مكية غير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا﴾ [النحل: ١٢٦]، نزلت بالمدينة في شأن التمثيل بحمزة وقتلى أُحد[١]، وغير قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، وغير قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ [النحل: ١١٠]، وأما قوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ [النحل: ٤١] فمكيٌّ في شأن هجرة الحبشة.

قوله عز وجل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾.

رُوي: أَن رسول الله ﷺ لمَّا قال جبريل عليه السلام في سرد الوحي: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وثب رسول الله ﷺ قائماً، فلما قال: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ سكن[٢].

---

(١) سيأتي تخريجه في تفسير الآية (١٢٦) من هذه السورة.

(٢) لم أقف عليه مسنداً.

وقوله: ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ قال فيه جمهور المفسِّرين: إِنه يريد القيامة، وفيه وعيد للكفار، وقيل: المرادُ نصر محمد ﷺ، وقيل: المرادُ تعذيب كفار مكة بقتل محمد ﷺ لهم، وظهوره عليهم، ذكر نحو هذا النقاشُ عن ابن عباس(١).

وقيل: المراد فرائض الله وأَحكامه في عباده، وشرعه لهم، هذا هو قول الضحاك(٢)، ويُبعده قوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾؛ لأنَّا لا نعرف استعجالاً إِلَّا ثلاثة: اثنان منها للكفار وهي في القيامة وفي العذاب، والثالث للمؤمنين في النصر وظهور الإِسلام.

وقوله: ﴿أَتَىٰٓ﴾ ـ عَلَى هذا القول ـ إِخبارٌ عن إِتيان ما سيأتي، وصحَّ ذلك على جهة التأكيد، وإِذا كان الخبر حقّاً يُؤكَّد المستقبل بأَن يخرج في صيغة الماضي؛ أَي: كأَنه لوضوحه والثقة به قد وقع، ويحسن ذلك في خبر الله تعالى؛ لصدق وقوعه.

وقال قومٌ: ﴿أَتَىٰٓ﴾ بمعنى: قَرُبَ، وهذا نحو ما قلتُ، وإِنما يجوز الكلام بهذا عندي لمن يعلم قرينة التأكيد، ويفهم المجاز، وأَما إِن كان المخاطب لا يفهم / القرينة [٣/ ١٢٨] فلا يجوز وضع الماضي موضع المستقبل؛ لأَن ذلك يُفسدُ الخبر، ويوجبُ الكذب، وإِنما جاز في الشرط؛ لوضوح القرينة بـ(إِنْ)، ومن قال: إن الأَمر القيامة؛ قال: إِن قوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [ردٌّ على المكذبين بالبعث القائلين: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ [يونس: ٤٨].

ومن قال: إن الأَمر تعذيبُ الكفار بنصر محمد ﷺ، وقتلِه لهم، قال إن قوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾](٣) رد على القائلين: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦]، ونحوه من العذاب، أَو على مستبطئي النصر من المؤمنين في قراءَة من قرأَ بالتاءِ.

[وقرأ الجمهور: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ بالتاء](٤) على مخاطبة المؤمنين، أَو على مخاطبة الكافرين، بمعنى: قُلْ لهم: فلا تستعجلوه.

---

(١) لم أقف عليه مسنداً.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٦٢)، وتفسير السمعاني (٣/ ١٥٨).

(٣) ما بين المعكوفتين ليس في المطبوع.

(٤) في المطبوع والمصرية٢ وأحمد٣ بدل ذلك: «وهي قراءة الجمهور».

وقرأَ سعيد بن جبير بالياءِ[١] على غيبة المشركين.

وقـرأَ حمـزة، والكسـائي: ﴿تُشْـرِكُونَ﴾ بالتـاءِ مـن فـوق، وجميـع الباقين قرأ ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بالياءِ، ورجح الطبري القراءَة بالتاءِ من فوق في الحرفين[٢].

قال أَبو حاتم: قرأ ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بالياءِ من تحت في هذه والتي بعدها الأَعرجُ، وأَبو جعفر، ونافع، وأَبو عمرو، وابن نَصَّاح، والحسن، وأَبو رجاءٍ، وقرأَ عيسى الأُولى بالتـاءِ مـن فوق، والثانيـة بالياءِ من أَسـفل، وقرأَهما جميعـاً بالتاءِ من فوق أَبـو العالية، وطلحـة، والأَعمـش، وأَبو عبـد الرحمن، ويحيى بـن وثاب، والجحـدري، وقد روى الأَصمعي عن نافع التاءَ في الأُولى[٣].

وقوله: ﴿سُبْحَانَهُۥ﴾ معناه: تنزيهاً له.

وحكى الطبري عن ابن جريج قال: لما نزلت: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ قال رجالٌ من الكفار: إِن هذا يزعم أَن أَمر الله قد أَتى، فأَمسكوا عما أَنتم بسبيله حتى ننظر، فلما لم يروا شيئاً عادوا، فنزلت: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]، فقالوا مثل ذلك، فنزلت: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود: ٨][٤].

وقال أَبو بكر بن حفص[٥]: لمَّا نزلت: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ رفعوا رؤُوسهم، فنزلت: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في حجة القراءات لأبي زرعة (ص: ٣٨٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٦٤)، ويعني بالحرفين ﴿يشركون﴾ في الآية (١) والآية (٣).

(٣) قراءتهما بالتاء أو الياء سبعيتان، وتلفيق عيسى شاذ، عزاه الكرماني له في الشواذ (ص: ٢٦٨)، ورواية الأصمعي لم أجدها.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٦٢).

(٥) هو أبو بكر بن حفص بن عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني، واسمه عبد الله، روى عن: ابن عمر، وأنس، وعروة بن الزبير، وعنه: زيد بن أبي أنيسة، ومحمد بن سوقة، وشعبة، وكان ثقة. تاريخ الإسلام (٧/ ٥١٠).

وحكى الطبري عن أَبي صادق[١] أَنه قرأَ: (يا عبادي أَتى أَمْرُ الله فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ)[٢].

و﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ نصب على المصدر؛ أَي: تنزيهاً له.

وقرأَ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿يُنَزِّلُ﴾، ورجحها الطبريُّ؛ لما فيها من التكثير، وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو بتخفيف الزاي مكسورة وسكون النون[٣].

وقرأَ ابن أَبي عبلة بالنون للعظمة وشدّ الزاي.

وقرأَ قتادة بالنون وتخفيف الزاي وسكون النون، وفي هذه والتي قبلها شذوذ كثير[٤].

وقرأَ أَبو بكر عن عاصم: (تُنَـزَّلُ الملائكةُ) بضم التاءِ وفتح النون والزاي وشدها، ورفع (الْمَلَائِكَةُ) على ما لم يُسَمَّ فاعله، وهي قراءَة الأَعمش[٥].

وقرأَ الجحدري بالتاءِ مضمومة وسكون النون وفتح الزاي[٦].

وقرأَ الحسن، وأَبو العالية، وعاصم الجحدري، والأَعرج بفتح التاءِ ورفع (الْمَلَائِكَةُ) على أَنها فاعلة، ورواها المفضل عن عاصم[٧].

---

(١) هو أبو صادق عبد الله بن ناجد الأزدي الكوفي، عن: أخيه ربيعة بن ناجد وغيره، وأرسل عن علي، وأبي هريرة، وعنه: سلمة بن كهيل، والحارث بن حصيرة، وشعيب بن الحبحاب، والقاسم بن الوليد الهمداني، وجماعة. تاريخ الإسلام (٦/ ٢٣٨).

(٢) انظرهما في تفسير الطبري (١٧/ ١٦٢)، وظاهره أن القول الثاني قراءة فتكون شاذة.

(٣) على قاعدتهما، انظر التيسير (ص/ ٦١)، وانظر ترجيح الطبري في التفسير (١٧/ ١٦٥).

(٤) انظر الثانية في الشواذ للكرماني (ص: ٢٦٧)، ومع الأولى في البحر المحيط (٦/ ٥٠٣)، قال: وشذوذهما أن ما قبله وما بعده ضمير غيبة، ووجْهُه أنه التفات.

(٥) وهذه رواية الكسائي عن أبي بكر عن عاصم كما في السبعة (ص: ٣٧٠)، وطريق التيسير عنه هنا أنه كالجماعة، وإنما قرأ هكذا في (الحجر)، وانظر موافقة الأعمش له في البحر المحيط (٦/ ٥٠٣). وفي المصرية ٢: «أبو بكر بن عاصم»، وفي الأصل: «أبو عمرو».

(٦) وهي شاذة، انظر عزوها له بالتاء في الشواذ للكرماني (ص: ٢٦٨)، وفي المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢ ونور العثمانية: «بالياء».

(٧) انظر عزوها للحسن والمفضل في الكامل للهذلي (ص: ٥٨٣)، ولهم إلا الجحدري في البحر =

و﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ هنا جبريل عليه السلام.

واختلف المتأَولون في (الرُّوح) فقال مجاهد: الروح: النبوة، وقال ابن عباس: الوحي[١]، وقال قتادة: بالرحمة والوحي[٢]، وقال الربيع بن أَنس: كل كلام الله روح[٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[الشورى: ٥٢].

وقال ابن جريج: الروح: شخص له صورة كصورة بني آدم، ما نزل جبريل قط إِلَّا وهو معه، وهم كثير، وهم ملائكة[٤]، وهذا قول ضعيف لم يأْت به سند.

وقال الزجاج: الروح: ما تحيا به القلوب من هداية الله تعالى لها[٥].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول حسن، وكأَن اللَّفظة على جهة التشبيه بالمقايسة، [أَي: إِن هذا الذي أُمر الأَنبياءُ أَن ينذِروا به الناس من الدعاءِ إِلى التوحيد هو بالمقايسة][٦] إِلى الأَوامر التي هي في الأَفعال والعبادات كالروح للجسد، أَلا ترى قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾ [الأنعام: ١٢٢]؟

قال القاضي أبو محمد: و﴿مِنْ﴾ في هذه الآية على هذا التأويل الذي قدرنا للتبعيض، وعلى سائر الأَقوال لبيان الجنس.

و﴿مَن﴾ في قوله: ﴿مَن يَشَآءُ﴾ هي للأَنبياءِ، و﴿أَنْ﴾ في موضع خفض بدل من (الرُّوحِ)، ويصح أَن تكون في موضع نصب بإِسقاط الخافض، على تقدير: بأَن أَنذروا، ويحتمل أَن تكون مفسِّرة بمعنى: «أَيْ».

= المحيط (٦/ ٥٠٣)، وفي المطبوع والمصرية ٢: «وعاصم والجحدري» على العطف.

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٦٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر قول قتادة في تفسير الثعلبي (٦/ ٦)، ومع قول مجاهد في تفسير الطبري (١٧/ ١٦٦).

(٣) انظر قوله في تفسير الطبري (١٧/ ١٦٦)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٧٨)، وزاد في نجيبويه: «وأبو العالية»، ولم أجد من نقله عنه.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٦٦).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٠)، ولفظ «لها» ليس في الأصل ونجيبويه.

(٦) ليس في الأصل والإماراتية.

وقرأ الأَعمش: (لِيُنْذِرُوا أنه)(١)، وحسنت النِّذارة هنا وإِن لم يكن في اللفظ ما فيه خوف من حيث كان المُنْذَرون كافرين بالأُلوهية، ففي ضمن أَمرهم مكان خوف، وفي ضمن الإِخبار بالوحدانية نهي عَمَّا كانوا عليه ووعيد.

ثم ذكر تعالى ما يقال للأَنبياءِ بالوحي على المعنى، ولم يذكره على لفظه؛ لأَنه لو ذكره على اللفظة لقال: أَنْ أَنذروا أَنه لا إله إلا الله، ولكنه إِنما ذكر ذلك على معناه، وهذا شائع في كل الأَقوال إِذا حكيت أَن تُحكَى على لفظها، أَو تحكى بالمعنى فقط.

وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الآية: آية تنبيه على قدرة الله تعالى ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أَي: بالواجب اللائق، وذلك أَنها تدل على صفات يحق لمن كانت له أَن يخلق ويخترع ويعيد، وهي الحياة والعلم والقدرة والإِرادة النافذة، بخلاف شركائهم الذين لا يحق لهم شيءٌ من صفات الربوبية.

وقرأَ الأَعمش بزيادة فاءٍ: (فَتَعَالَى)(٢).

وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يراد بالإِنسان: الجنسُ، وأَخذ له الغايتين؛ ليظهر له البعد بينهما بقدرة الله، ويُروى أَن الآية نزلت لقول أُبيٍّ بن خلف: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]؟(٣).

وقوله: ﴿خَصِيمٌ﴾ يحتمل أَن يريد به الكفرة الذين يختصمون في الله، ويجادلون في توحيده وشرعه، ذكره ابن سلام عن الحسن البصري(٤)، ويحتمل أَن يريد أَعم من هذا، على أَن الآية تعديد نعمة الذهن والبيان على البشر، ويظهر أَنها إِذ تقدر(٥) في خصام الكافرين ينضاف إِلى العبرة وعيد مَّا.

---

(١) نقلها في البحر المحيط (٦/ ٥٠٥) بلا نسبة، وهي شاذة، أو لعلها خطأ من قارئها أو سامعه.

(٢) وهي شاذة لمخالفة الرسم، انظر عزوها له في البحر المحيط (٦/ ٥٠٥).

(٣) مرسل، أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٥٣) من طريق مجاهد به مرسلًا.

(٤) انظر: تفسير الماوردي (٣/ ١٧٩).

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «تقرر».

قوله عز وجل: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾.

(الأنعام): الإبل والبقر والغنم، / وأَكثر ما يقال: نعَم وأَنعام للإِبل، ويقال للمجموع، ولا يقال للغنم مفردة. [٣/ ١٢٩]

ونصبها إِما عطفاً على ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾، وإِما بِفِعْل مقدر، وهو أَوْجَه.

و«الدِّفْءُ»: السَّخَانَةُ، وذهابُ البرد بالأَكسِيَة ونحوها، وذكر النحاسُ عن الأموي أنه قال: الدِّفْءُ في لغة بعضهم: تناسل الإِبل[١].

قال القاضي أبو محمد: وقد قال ابن عباس: نسْلُ كلِّ شيءٍ[٢].

قال ابن سيده: الدِّفء نِتاجُ الإبل وأوبارها والانتفاع بها[٣]، والمعنى الأول هو الصحيح.

وقرأَ الزهري، وأَبو جعفر: (دِفٌّ) بضم الفاءِ وشدها وتنوينها[٤].

و«المَنَافِع»: أَلبانُها وما تصرَّف منها، ودهونُها وحرثُها والنضحُ عليها، وغير ذلك، ثم ذكر الأَكْل الذي هو من جميعها.

---

(١) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ٥٤)، ولفظه: نِتاج الإبل، ومثله في مقاييس اللغة (٢/ ٢٨٧).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ١٦٨) من طريق سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به. ورواية سماك عن عكرمة مضطربة.

(٣) هذا القول ليس في المطبوع والمصرية١ والمصرية٢، وانظر: المخصص لابن سيده (٢/ ٢١٧).

(٤) وهي شاذة ليست من طرق النشر، انظر عزوها للزهري ورواية العامري والهاشمي عن أبي جعفر في الشواذ للكرماني (ص: ٢٦٨).

وقوله: ﴿جَمَالٌ﴾؛ أي: في المنظر[١].

و﴿تُرِيحُونَ﴾ معناه: حين تردُّونها وقت الرَّواح إلى المنازل، فتأتي بِطاءً ممتلئةَ الضُّروع.

و﴿تَسْرَحُونَ﴾ معناه: تخرجونها غدوة إلى السَّرح، تقول: سَرَحْتُ السائمةَ: إذا أَرسلتَها تسرح، فسرحَت هي، كرَجَع ورجَعْتُه، وهذا الجمَالُ لمالكها ولـمُحِبِّيه وعلى حسدته، وهذا في المعنى كقوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[الكهف: ٤٦].

وقرأ عكرمة، والضحاك: (حيناً تُرِيحُونَ وحيناً تسْرَحونَ)[٢]، وقرأت فرقة: (حيناً تَرتحون)[٣].

قال القاضي أبو محمد: [وهي ضعيفة][٤]، وأَظنها تصحيفاً.

و«الأَثْقَالُ»: الأَمتعة، وقيل[٥]: المراد هنا الأجسام، كقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]؛ أَي: بني آدم.

قال القاضي أبو محمد: واللفظ يحتمل المعنيين، قال النقاش: ومنه سمِّي الإِنس والجن الثَّقَلَين[٦].

وقوله: ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ﴾؛ أَي: إِلى أَيِّ بلدٍ توجهتم بحسب اختلاف أَغراض الناس، وقال عكرمة، وابن عباس[٧]، والربيع بن أَنس: المراد مكة[٨].

وفي الآية على هذا حضٌّ ما[٩] على الحج.

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «في النظر».

(٢) وهي شاذة. انظر عزوها لهما في مختصر الشواذ (ص: ٧٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٦٨).

(٣) في المطبوع والمصرية١: «تَريحون» بالياء، وفتح تاء المضارعة.

(٤) ليس في الأصل.

(٥) ليس في الأصل.

(٦) لم أجده.

(٧) انظر عزو هذا التفسير لابن عباس رضي الله عنهما في الدر المنثور للسيوطي (٥/ ١١٠).

(٨) تفسير الطبري (١٧/ ١٧٠).

(٩) «ما»: من المطبوع والمصرية٢ ونجيبويه.

و«الشِّقُّ»: المشقَّة، ومنه قول الشاعر:

وذي إِبلٍ يَسْعَى ويحْسِبُهَا لَهُ ... أَخي نَصَبٍ من شِقِّهَا ودؤُوبِ[(١)] [الطويل]

أَي: من مَشقَّتها، ويقال فيها: شِقٌّ وشَقٌّ؛ أَي: مَشقَّة.

وقرأ أَبو جعفر القارئ، وعمرو بن ميمون، وابن أَرقم، ومجاهد، والأَعرج: ﴿بشَقِّ الأنفس﴾ بفتح الشين، ورويت عن نافع، وأَبي عمرو[(٢)].

وذهب الفراءُ إِلى أَن معنى ﴿بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِ﴾؛ أَي: بذهاب نصفها[(٣)]، كأَنها قد ذابت تعَباً ونصَباً.

قال القاضي أبو محمد: كما تقول لرجل: لا تَقْدرُ على كذا إِلَّا بذهاب جُلِّ نفسك، وبقطعة من كبِدِك[(٤)]، ونحو هذا من المجاز، وذهبوا في فتح الشين إِلى أَنه مصدر: شقَّ يَشُقُّ.

ثم أَوجب رأفة الله ورحمته في هذه النعم التي أَذهبت المشقات ورفعت الكلف.

وقوله: ﴿وَٱلۡخَيۡلَ﴾ عطف؛ أَي: وخَلَق الخيلَ.

وقرأ ابن أَبي عبلة: (والخيلُ والبغالُ والحميرُ) بالرفع في كلها[(٥)]، وسميت الخيل خيلاً؛ لاختيالها في المشية، أَفهمه أَعرابي لأَبي عمرو بن العلاءِ[(٦)].

وقوله: ﴿وَزِينَةً﴾ نصبت بِإِضمار فعل، قيل[(٧)] تقديره: وجعلناها زينةً.

---

(١) البيت للنَّمر بن تولب، عزاه له أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٣٥٦) والثعلبي في تفسيره (٦/ ٧).

(٢) وهي عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٠٢)، وعزاها لهما في الكامل (ص: ٥٨٣) لمحبوب، وخارجة عن أبي عمرو، ولحمّاد بن بحر عن المسيّبي عن نافع في جامع البيان (٣/ ١٢٧٠)، ولأكثر الباقين في المحتسب (٢/ ٧)، وليست من طرق التيسير.

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٩٧).

(٤) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «من كبد لك».

(٥) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٢٦٨).

(٦) تفسير السمعاني (٣/ ١٦٠).

(٧) «قيل» زيادة من الأصل.

وقرأَ أَبو عياض: (لتركبوها زينةً) دون واو[١]، والنصب حينئذ على الحال من الهاءِ في (تَرْكَبُوهَا).

وقوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ عبرة منصوبة على العموم؛ أَي: إن مخلوقات الله تعالى من الحيوان وغيره لا يُحيط بعلمها بشر، بل ما يخفى عنه أَكثر مما يُعْلم، وقد روي أَن الله تعالى خلق أَلف نوع من الحيوان، منها في البرِّ أَربع مئة، وبثَّها بأَعيانها في البحر، وزاد فيه مئتين ليست في البر[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وكل من خصَّص في تفسير[٣] هذه الآية شيئاً ـ كقول من قال: سُوس الثياب وغير ذلك ـ فإنما هو على جهة المثال، لا أَن ما ذكره هو المقصود في نفسه.

وقال الطبري: ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ هو ما أُعدَّ في الجنة لأَهلها، وفي النار لأَهلها، مما لم تره عين، ولا سمعته أُذن، ولا خطر على قلب بشر[٤].

واحتج بهذه الآية مالك رحمه الله ومن ذهب مذهبه في كراهة لحوم الخيل والبغال والحمير، أو تحريمها بحسب الاختلاف في ذلك[٥]، وذكره الطبري عن ابن عباس، قال ابن جبير: سُئل ابن عباس عن لحوم الخيل والبغال والحمير فكرهها فاحتج

---

(١) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٨)، والهداية لمكي (٦/ ٣٩٥٥)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٤٨).

(٢) منكر، أخرجه ابن عدي في كامله (٥/ ٣٥٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعاً به، وفي إسناده عبيد بن واقد القيسي، عن محمد بن عيسى الهذلي، فأما عبيد فهو ضعيف الحديث، انظر: تهذيب الكمال (١٩/ ٢٤٥)، وأما شيخه محمد بن عيسى الهذلي، فقال فيه البخاري: منكر الحديث. انظر كامل ابن عدي (٦/ ٢٤٥).

(٣) ليست في المطبوع، وهي في أحمد٣ ملحقة في الهامش.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٧٤).

(٥) انظر احتجاج مالك ومن قال بقوله بالآية على ما ذهبوا إليه في لحوم الخيل والبغال والحمير في: الاستذكار (٥/ ٢٩٦-٢٩٧).

بهذه الآية، وقال: جعل الله الأنعام للأَكل، وهذه للركوب(١)، وكان الحكم بن عُتَيبة يقول: الخيل والبغال والحمير حرام في كتاب الله، ويحتج بهذه الآية(٢).

قال القاضي أبو محمد: وهذه الحجة غير لازمة عند جماعة من العلماءِ، قالوا: إِنما ذكر الله تعالى عُظْمَ منافع الأَنعام، وذكر عُظْمَ منافع هذه، وأَهمَّ ما فيها، وليس يقضي ذلك بأَن ما ذكره لهذه لا تدخل هذه فيه.

قال الطبري: وفي إِجماعهم على جواز ركوب ما ذكر للأَكل دليل على جواز أَكل ما ذكر للركوب(٣).

قال القاضي أَبو محمد: وفي هذا نظر، ولحوم الخيل عند كثير من العلماءِ حلال(٤)، وفي جواز أَكلها حديث أَسماءَ بنت أَبي بكر(٥)، وحديث جابر بن عبد الله: كنا نأكلُ الخيلَ في عهد النبي ﷺ(٦).

قال القاضي أبو محمد: والبغال والحمير مكروهة عند الجمهور، وهو تحقيق مذهب مالك(٧)، وحُجَّة من أَلْحَق الخيل بالبغال والحمير في الكراهية القياسُ؛ إِذ قد

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ١٧٣) من طريق ابن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وابن أبي ليلى هو محمد بن عبد الرحمن، وهو ضعيف الحديث، انظر: تهذيب الكمال (٢٥/ ٦٢٢).

(٢) هو الحكم بن عتيبة تقدم التعريف به، وفي المطبوع ونور العثمانية: «عيينة»، انظر نسبة القول له في تفسير الطبري (١٧/ ١٧٣).

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ١٧٣-١٧٤).

(٤) منهم الإمام أحمد والليث وابن المبارك وأبو ثور وجماعة من التابعين، كما في المغني (٩/ ٣٢٦).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥١٩١)، ومسلم (١٩٤٢) من حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه مسلم (١٩٤١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما بلفظ: أكلنا زمن خيبر الخيل وحمر الوحش، الحديث.

(٧) لعل مقصوده بالكراهة التحريم. انظر: الاستذكار (٥/ ٢٩٦)، والشرح الكبير لابن أبي عمر (١١/ ٦٤).

تشابهت وفارقت الأَنعام في أَنها لا تجْتَـرُّ، وأَنها ذوات حوافر، وأنها لا أَكراش لها، وأَنها متداخلة في النسل؛ إِذ البغال بين الخيل والحمير، فهذا من جهة النظر، وأَما من جهة الشرع فإِنها قرنت في هذه الآية، وأُسقطت فيها الزكاة[١].

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ الآية، هذا أَيضاً من أَجَلِّ نعم الله تعالى؛ أَي: على الله تقويم طريق الهدى وتبيينه، وذلك بنَصْب الأَدلة وبعث الرسل، وإِلى هذا ذهب المتأَوِّلون، ويحتمل أَن يكون المعنى: إِن من سلك السبيل القاصد فعلى الله ورحمتِه وتنعيمه طريقُه[٢]، وإِلى ذلك مصيره، فيكون هذا مثلَ قوله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ﴾ [الحجر: ٤١]، وضدَّ[٣] قول النبي ﷺ: «والشَّرُّ ليس إِليك»[٤]؛ أَي: لا يُفضي إِلى رحمتك، وطَريقٌ قاصدٌ معناه: بيِّن مستقيم قريب، ومنه قول الراجز:

[الرجز] فَصَدَّ عنْ نَهْجِ الطَّرِيقِ الْقَاصِدِ[٥] ....

والأَلف واللام في ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾ للعهد، وهي سبيل الشرع، وليست للجنس، ولو كانت للجنس لم يكن فيها جائر.

قوله: ﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٞ﴾ يريد طريق اليهود والنصارى وغيرهم كعبدة الأَصنام، والضمير في (منْهَا) يعود على السُّبُل / التي تضمنها معنى الآية، كأَنه قال: ومن السُّبُل[٦] جائر، فأَعاد عليها وإِن كان لم يَجْر لها ذكر؛ لِتَضَمُّن لفظة ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾ بالمعنى لها، ويحتمل أَن يعود الضمير في (مِنْهَا) على سبيل الشرع المذكورة، وتكون «مِنْ» [٣/ ١٣٠]

---

(١) انظر احتجاجهم في: الاستذكار (٥/ ٢٩٦-٢٩٧)، وبداية المجتهد (١/ ٤٧٠)، وفي الأصل والإماراتية ونجيبويه: «فإن قرنت»، وكذا في نور العثمانية، وفيها وفي أحمد٣: «وإن أسقطت».

(٢) في المطبوع: «فعلى الله رحمتُه ونعيمه وطريقه».

(٣) ليست كلمة «ضد» في المطبوع والمصرية٢.

(٤) أخرجه مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٥) تقدم في تفسير الفاتحة، بلفظ: (عن نهج الصراط).

(٦) في الأصل والمصرية١: «السبيل» بالإفراد في الموضعين.

للتبعيض، ويكون المراد فِرَق الضلالة من أُمة محمد ﷺ، كأَنه قال: ومنْ بُنَيات[١] الطرق في هذه السبيل ومن شُعَبها جائر.

وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ معناه: لَخَلق الهداية في قلوب جميعكم، ولم يَضل أَحد، وقال الزَّجاج: معناه: لو شاءَ لعرض عليكم آية تضطركم إِلى الإِيمان والاهتداء[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول سوءٍ لأَهل البِدَع الذين يرون الله لا يخلق أَفعال العباد لم يُحصِّله الزجاج، ووقع فيه رحمة الله عليه من غير قصد[٣].

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (ومنكم جائر).

وقرأ علي بن أَبي طالب: (فمنكم جائر)[٤].

و«السَّبيل» تُذَكَّر وتُؤَنَّث.

قوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

هذا تعديد نعمة الله في المطر، وقوله: ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾؛ أَي: يكون منه بالتدريج؛

---

(١) في الأصل: «بقيات».

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٩٢).

(٣) قال أبو حيان في البحر المحيط (٦/ ٥١٠): ولم يعرف ابن عطية أنّ الزجاج معتزلي، فلذلك تأول أنه وقع فيه من غير قصد.

(٤) وهما شاذتان، انظر الأولى في تفسير الطبري (١٧/ ١٧٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٧٨)، والثانية في البحر المحيط (٦/ ٥١٠)، والذي في مختصر الشواذ (ص: ٧٦)، وتفسير القرطبي (١٠/ ٨٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٥٨): أنها بالواو أيضاً.

إِذْ يَسقي الأَرض فينبت عن ذلك السقي الشجر، وهذا من التَّجَوُّز، كما قال الشاعر:

[الرجز] أَسْـنِـمَـةُ الآبَـــالِ في رَبَـابِــهْ[١] ....

وكما سَمَّى الآخر العشبَ[٢] سماءً في قوله:

[الوافر] إِذَا نَـزَلَ السَّـمَـاءُ بـأَرْضِ قَـوْمٍ رَعَـيْـنَـاهُ وَإِنْ كَـانُـوا غِـضَابـا[٣]

قال أَبو إِسحاق: يقال لكل ما ينبت على الأَرض: شَجَرٌ[٤].

وقال عكرمة: لا تأكلوا ثمن الشجر، فإِنه سُحْتٌ[٥]، يعني: الكلأَ.

و﴿تُسِيمُونَ﴾ معناه: تَرعَون أَنعامكم، وسَوْمها من الرعي، وتسرحونها، ويقال للأَنعام: السائمةُ، قال رسول الله ﷺ: «في سائمة الغنم الزكاة»[٦]، يقال: أَسامَ الرجلُ ماشيته إِسامةً: إِذا أَرسلها ترعى، وسَوَّمها أَيضاً، فسامَتْ هي، ومن ذلك قول الأَعشى:

[الخفيف] وَمَشَـى القَـوْمُ بالْعِمَـادِ إِلَـى الـرَّوْ حَى وأَعْيَا الـمُسِيمُ أَيْن الـمَساقُ[٧]

---

(١) استشهد به بلا نسبة: الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٤٨).

(٢) في المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية: «الغَيْثَ».

(٣) البيت لمعَوِّد الحكماءِ معاوية بن مالك كما تقدم في تفسير الآية (٢١) من سورة البقرة.

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ١٩٢).

(٥) انظر قول عكرمة في: مصنف عبد الرزاق (٨/ ١٠٧)، في المطبوع: «ثمر الشجر»، وهو تصحيف مخل بالمعنى.

(٦) لا أصل له بهذا اللفظ، هذا اللفظ الذي أورده المصنف هاهنا هو قول اشتهر على لسان الفقهاء، ولم يأت مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ، وقد أخرج البخاري (١٣٨٦)، وأبو داود (١٥٦٧)، والنسائي في الكبرى (٢٢٢٧)، كلهم من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، بلفظ: «هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله ﷺ على المسلمين»، وفيه: «وفي صدقة الغنم في سائمتها إذا كانت أربعين إلى عشرين ومئة شاةٌ» الحديث.

(٧) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٧/ ١٧٧)، ومسائل ابن الأزرق (ص: ٢٢٦)، والحيوان (٣/ ٢٣٤)، في المصرية١ ونجيبويه: «الرزحى».

ومنه قول الآخر:

مِثْلِ ابـنِ بزْعَـةَ أَوْ كآخَـرَ مِثْلِـهِ أَوْلَى لَكَ ابْنَ مُسِيمَةِ الأَجْمَالِ[١] [الكامل]

أَي: راعية الأَجمال.

وفسَّر المتأَولون ﴿تُسِيمُونَ﴾ بـ(تَرْعَوْنَ).

وقرأَ الجمهور: ﴿يُنۢبِتُ﴾ بالياءِ، على معنى: يُنْبت الله، يُقال: نبت الشجرُ، وأَنبته اللهُ، وروي: أَنبت الشجرُ بمعنى: نَبتَ، وكان الأَصمعي يأْبى ذلك[٢]، ويتهم قصيدة زهير التي فيها:

.... حَتَّـى إِذا أَنْبَـتَ الْبَـقْلُ[٣] [الطويل]

وقرأَ أَبو بكر عن عاصم: ﴿نُنْبِتُ﴾ بنون العظمة[٤].

وخَصَّ عزَّ وجلَّ ذكر هذه الأَربعة؛ لأَنها أَشرف ما يَنْبُت، وأَجمعها للمنافع، ثمَّ عمَّ بقوله: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، ثم أَحال القول على الفكرة في تصاريف النبات والأَشجار، وهي موضع عبر في أَلوانها، واطِّراد خلقها، وتناسب أَلطافها، فسبحان الخلاق العليم[٥]!

وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ الآية، قرأَ الجمهور بإِعمال ﴿وَسَخَّرَ﴾ في جميع ما ذكر، ونصب ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ على الحال المؤكدة، كما قال تعالى:

---

(١) البيت للأخطل كما في تفسير الطبري (٦/ ٢٥٦)، والأغاني (٨/ ٣٣١)، ويعني بابن بَزْعَة شدَّاد بن المنذر أخا حُصَين الذُّهَليّ، ويعني بقوله: «كَآخَرَ مِثْلِهِ» حَوْشَبَ بنَ رُؤَيْم، وهو يعيره بأن أُمَّه ترعى الإبل، وفي بعض المصادر: (كابنِ البزيعة).

(٢) انظر ذلك في جمهرة اللغة (١/ ٢٥٧).

(٣) تمامه: رَأَيْتَ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِم قَطِيناً لَهُمْ حَتَّى إذا أَنْبَتَ الْبَقْلُ، انظر عزوه له في تفسير الثعلبي (٧/ ٤٤)، وتفسير الطبري (١٩/ ٢٣)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٨٩)، والمحتسب (٢/ ٨٨).

(٤) انظر: السبعة (ص: ٣٧٠)، والتيسير (ص: ١٣٧).

(٥) في المطبوع: «العظيم».

﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا﴾[فاطر: ٣١]، وكما قال الشاعر:

[البسيط] أَنَا ابْنُ دَارَةَ مَعْرُوفاً بِهَا نَسَبِي[1] ....

ونحو هذا.

وقرأ ابن عامر: ﴿والشمسُ والقمرُ والنجومُ مسخراتٌ﴾ برفع هذا كله، وقرأ حفص عن عاصم: ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ بالرفع، ونصب ما قبل ذلك[2].

والمعنى في هذه الآية: أَن هذه المَخْلُوقات مُسَخَّرات على رتبةٍ قد استمرَّ بها انتفاع البشر من السكون بالليل، والسعي في[3] المعايش وغير ذلك بالنهار، وأَما منافع الشمس والقمر فأَكثر من أَن تُحصى، وأَما النجوم فهدايات، ولهذا الوجه عُدَّت من جملة النعم على بني آدم، ومن النعمة بها ضياؤُها أَحياناً، قال الزجاج: وعلم عدد السنين والحساب بها[4].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا نظر.

وقرأَ ابن مسعود، والأَعمش، وطلحة بن مصرِّف: (والرِّياحُ مُسَخَّرات) في موضع (والنجوم)[5].

ثم قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ لعظم الأَمر؛ لأَن كل واحد مما ذكر آية في نفسه لا يشترك مع الآخر، وقال في الآية قَبْلُ: ﴿لَأٓيَةٗ﴾؛ لأَن شيئاً واحداً يعم تلك الأَربعة وهو النبات، وكذلك في ذكر ما ذرأَ؛ لِيَسَارَته بالإِضافة، وأَيضاً فإِنه بمعنى آيات، واحد يراد به الجمع.

---

(١) البيت لابن دارة، وتمامه: وَهَلْ بِدَارَةَ يا لَلنَّاسِ مِنْ عَارِ، وقد تقدم في تفسير الآية (٨٩) من سورة البقرة.
(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٧٠)، والتيسير (ص: ١٣٧).
(٣) ليست كلمة: «والسعي في» في المطبوع، وهي ملحقة في هامش أحمد٣.
(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٣).
(٥) وهي شاذة، انظر حرف ابن مسعود في المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٧٨)، والكل في البحر المحيط (٦/ ٥١٢).

قوله عز وجل: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿ذَرَأَ﴾ معناه: بَثَّ ونشر، والذُّرية من هذا في أَحد الأَقوال في اشتقاقها.

وقوله: ﴿أَلْوَانُهُ﴾ معناه: أَصنافه، كما تقول: هذه أَلوان من الثَّمر ومن الطعام، ومن حيث كانت هذه المبثوثات في الأَرض أَصنافاً عُدّت في النعمة، وظهر الانتفاع بها أَنه على وجوه، ولا يظهر ذلك من حيث هي متلونة حُمرة وصُفرة وغير ذلك، ويحتمل أَن يكون التنبيه على اختلاف الأَلوان حمرة وصفرة، والأَول أَبْيَن.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ الآية، تعديد نعم، وتسخير البحر هو تمكين البشر من التصرف فيه، وتذليله للركوب والإرفاق[(١)] وغيره.

و﴿الْبَحْرَ﴾: الماءُ الكثير ملحاً كان أَو عذباً، كلُّه يسمى بحراً، و﴿الْبَحْرَ﴾ هنا اسم جنس، وإِذا كان كذلك فمنه أَكل اللحم الطري، ومنه استخراج الحلية، وأَكل اللحم يكون من ملحه وعذبه، وإِخراج الحلية إِنما يكون[(٢)] ـ فيما عرف ـ من الملح فقط، ومما عُرف من ذلك اللُّؤلؤ والمرجان والصدف والصوف[(٣)] البحري، وقد يوجد في العَذْب لؤلؤٌ لا يلبس إِلا قليلاً، وإِنما يُتَدَاوى به، ويقال: إِن في الزُّمرد بحرياً.

وقد خُطِّئَ الهذليُّ في قوله في وصف الدُّرَّة:

---

(١) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «والأرفاد»، وتم شرحها في الهامش بناء على ذلك، وفي المصرية١: «الإرفاء»، وفي نجيبويه: «الإرفاه».

(٢) في المصرية١ والمصرية ٢ ونور العثمانية ونجيبويه: «هي».

(٣) كلمة «الصوف» زيادة من الأصل ونجيبويه.

[الطويل] فَـجَـاءَ بِـهَــا مِـنْ دُرَّةٍ لَـطَـمِـيَّةٍ عَلَى وَجْهِهَا مَاءُ الْفُرَاتِ يَمُوجُ(١)

فجعلها من الماء الحلو.

قال القاضي أبو محمد: وتأمل قوله: «يموج»(٢) على أنه أَراد وصف بريقها ومَائِيَّتِهَا، فشبَّهه بماءِ الفرات، ولم يذهب إِلى الغرض الذي خُطِّئَ فيه.

و«اللَّحم الطريُّ»: السمك، و«الحِلْيَةُ»: ما تقدم، و﴿ٱلْفُلْكَ﴾ هنا جمع.

[٣/ ١٣١] و﴿مَوَاخِرَ﴾: جمع ماخرة، / و«الـمَخْر» في اللغة الصوتُ الذي يكون من هبوب الريح على شيءٍ يُشَقُّ، أَو يصحب في الجملة الماءَ، فيترتب منه أَن [يكون المَخْر من الريح، وأَن](٣) يكون من السفينة ونحوها، وهو في هذه الآية من السفن.

ويقال للسحاب: بَنَات مَخْر تشبيهاً؛ إِذ في جريها ذلك الصوت الذي هو عن الريح والماء الذي في السحاب، وأَمرها يشبه أَمر البحر، على أَن الزَّجاج قد قال: بَنَاتُ الْمَخْر: سحاب بيض لا ماءَ فيها(٤).

وقال بعض اللغويين: الـمَخْر في كلام العرب: الشَّقُّ، يقال: مَخَر الماءُ الأَرْضَ.

قال القاضي أبو محمد: فهذا بيِّنٌ أَن يقال فيه للفُلْك: مواخر.

وقال قوم: ﴿مَوَاخِرَ﴾ معناه: تجيءُ وتذهب بريح واحدة، وهذه الأَقوال ليست تفسيراً لِلَّفظة، وإِنما أَرادوا بها أَنها مواخر لهذه الأَحوال، [فنصُّوا على هذه الأَحوال](٥)؛

(١) في الأصل وأحمد٣ والمصرية٢: «يدوم» مع الإشارة للنسخة الأخرى، انظر عزوه له في الشعر والشعراء (٢/ ٦٤٤)، والزاهر للأنباري (٢/ ٣٦١)، والعقد الفريد (٦/ ٢١٦)، ومقاييس اللغة (٢/ ٢٥٦)، كلهم بلفظ: «فجاء بها من شئت من لطمية...» إلخ.

(٢) في الأصل والمصرية١: «يخرج».

(٣) ليس في الأصل والمصرية١.

(٤) لم أجده في كتبه المتوفرة، وانظر العين (٤/ ٢٥٩)، والكنز اللغوي (ص: ١٠)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٩٢).

(٥) زيادة من المطبوع وأحمد٣.

إِذ هي موضع النعمة المعددة[١]؛ إِذْ نفس كون الفلك ماخرةً لا نعمة فيه، وإِنما النعمة في مخرها بهذه الأَحوال في التجارات، والسفر فيها، وما يمنح الله فيها من الأَرباح والمِنَن.

وقال الطبري: الـمَخْر في اللغة: صوت هبوب الريح، ولم يقيد ذلك بكونٍ في ماءٍ، وقال: إِن من ذلك قول واصل مولى ابن عُيَيْنَة: إِذا أَراد أَحدكم البول فَلْيَتَمَخَّر الريح[٢]، أَي: لينظر في صوتها في الأَجسام من أَين تهب، فيتجنب استقبالها؛ لئلا تردَّ عليه بولَه.

وقوله: ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ﴾ عطف على: ﴿لِتَأۡكُلُواْ﴾، وهذا ذكر نعمة لها تفاصيل لا تُحْصى، وفيه ركوب البحر للتجارة وطلب الأَرباح، فهذه ثلاثة أَسباب في تسخير البَحْر.

وقوله تعالى: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الآية، قال المتأَولون: (أَلْقى) بمعنى: خلَق وجَعَل.

قال القاضي أبو محمد: وهي عندي أَخَصُّ من خلَق وجعَل، وذلك أنَّ (أَلْقَى) تقتضي أَن الله أَحدث الجبال ليس من الأَرض، لكن من قدرته واختراعه.

ويؤيد هذا النظر ما رُوي في القصص عن الحسن عن قيس بن عباد: أَن الله تعالى لما خلق الأَرض جعلت[٣] تمور، فقالت الملائكة: ما هذه بمُقِرَّة على ظهرها أَحداً، فأَصبحت ضحى وفيها رواسيها[٤].

و«الرَّواسي»: الثوابت، رسَا الشيءُ يرسو: إِذا ثبت، ومنه قول الشاعر في وصف الوتد:

. . . . وأشعَثَ تُرسِيهِ الوَلِيدةُ بالفِهْرِ[٥] [الطويل]

و﴿أَن﴾ مفعولٌ من أَجله، و«المَيَدُ»: الاضطراب، وقوله: ﴿وَأَنۡهَٰرٗا﴾ منصوب بفعل مضمر، تقديره: وجَعَلَ أَو خَلَقَ أَنهاراً.

---

(١) في المطبوع: «النعم المعدودة».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٨٢).

(٣) في الأصل: «وجعلت بالواو».

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ١٨٣)، والهداية لمكي (٦/ ٣٩٦٤).

(٥) هذا عجز بيت للأحوص، صدره: (سِوَى خَالِدَاتٍ ما يُرَمْنَ وَهَامِدٍ)، وقد تقدم قريباً في سورة الرعد.

قال القاضي أبو محمد: وإِجماعهم على إِضمار هذا الفعل دليل على خصوص (ألقى)[١]، ولو كان ﴿وَأَلْقَىٰ﴾ بمعنى خَلَقَ لم يحتج إِلى هذا الإِضمار.

و«السُّبُل»: الطُّرق، وقوله: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [يحتمل أن يكون: لعلكم تهتدون][٢] في مشيكم وتصرُّفكم في السُّبل، ويحتمل لعلكم تهتدون بالنظر في دلالة[٣] هذه المصنوعات على صانعها، وهذا التأويل هو البارع؛ أَي: سخَّر وأَلقى وجعل أَنهاراً وسُبُلاً لعلَّ البشر يعتبرون ويرشدون، ولتكون علامات.

قوله عز وجل: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٖۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾.

(عَلامَات) نصب على المصدر؛ أَي: فعل هذه الأَشياءَ لعلَّكم تعتبرون بها، و(علاماتٍ)؛ أي: عبرةً وأعلاماً في كل سلوك، فقد يُهتدى بالجبال والأَنهار والسُّبل.

واختلف الناس في معنى قوله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾، على أَن الأَظهر عندي ما ذكرتُ:

فقال ابن الكلبي: العلامات: الجبال، وقال إِبراهيم النَّخَعي ومجاهد: العلامات: النجوم، منها ما سُمِّي علامات، ومنها ما يهتدى به[٤].

وقال ابن عباس: العلامات: معالم الطرق بالنهار، والنجوم هداية الليل[٥].

قال القاضي أبو محمد: والصواب ـ إِذا قدرنا الكلام غير معلَّق بما قبله ـ أَن

---

(١) ليس في الأصل.
(٢) ليس في الأصل ونور العثمانية.
(٣) زيادة من نور العثمانية وأحمد٣ والمطبوع والمصرية٢.
(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٨٥)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٨٢).
(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ١٨٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

اللفظة تعم هذا وغيره، وذلك أَن كل ما دلَّ على شيءٍ وأَعلم به فهو علامة، وأَحسن الأَقوال المذكورة قول ابن عباس؛ لأَنه عموم بالمعنى، فتأَمله.

وحدثني أَبي رضي الله عنه: أَنه سمع بعض أَهل العلم بالمشرق يقول: إِن في بحر الهند الذي يجري فيه من اليمن إلى الهند حيتاناً طوالاً رقاقاً كالحيَّات في التوائها وحركتها وأَلوانها، وأَنها تُسمَّى العلامات، وذلك أَنها علامة الوصول إِلى بلاد الهند، وأَمَارة النجاة والانتهاءِ إِلى الهند؛ لطول ذلك البحر وصعوبته، وأَن بعض الناس قال: إِنها التي أَراد الله تعالى في هذه الآية.

قال القاضي أبو محمد: قال أَبي رضي الله عنه: وأَما مَن[١] شاهد تلك العلامات في البحر المذكور وعاينها، فحدثني منهم عدد كثير.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ﴾ على أَنه اسم الجنس، وقرأَ يحيى بن وثاب: (وَبِالنُّجْمِ) بضم النون وإِسكان الجيم على التخفيف من ضمها، وقرأَ الحسن: (وبالنُّجُم) بضمهما[٢]، وذلك جمعٌ، كسَقْف وسُقُف، ورَهْن ورُهُن، ويحتمل أَن يُراد: «وبالنُّجوم»[٣]، فحذفت الواو.

قال القاضي أبو محمد: وهذا عندي توجيه ضعيف.

وقال الفراءُ: المرادُ الجَدْيُ والفَرْقَدانِ[٤]، وقال غيره: المراد القطبُ الذي لا يجري، وقال قوم غيرَ هذا، وقال قوم: هو اسم الجنس، وهذا هو الصواب.

ثم قررهم تعالى على التفرقة بين من يخلق الأَشياءَ ويخترعها وبين من لا يقدر على شيءٍ من ذلك، وعبَّر عن الأَصْنامِ بـ(مَنْ) لوجهين:

---

(١) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «أنا ممن».

(٢) في الأصل: «بضم النون»، وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٨)، مع التوجيه الذي ضعفه الشيخ.

(٣) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «به النجوم».

(٤) معاني القرآن للفراء (٢/ ٩٨).

أَحدهما: أَن الآية تضمنت الرَّدَّ على جميع مَن عبدَ غيرَ الله، وقد عبدت طوائف من تقع عليه العبارة بـ(مَن).

والآخر: أَن العبارة جرت في الأَصنام بحسب اعتقاد الكفرة فيها من أَن لها تأْثيراً وأَفعالاً.

ثم وبخهم بقوله: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾؛ أَي: إِن حاولتم إِحصاءَها وحصرها[1] عدداً حتى لا يشذُّ منها شيءٌ لم تقدروا على ذلك، ولا اتَّفق لكم إِحصاؤُها؛ إِذ هي في كل دقيقة من أَحوالكم.

و«النِّعْمَة» هنا مفردة يراد بها الجمع، وبحسب العجز عن عدِّ نِعَم الله تعالى يلزم أَن يكون الشاكر لها مقصراً عن بعضها، فلذلك قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: تقصيرَكم في الشكر عن جميعها، نحا هذا المنحى الطبريُّ[2].

[٣/ ١٣٢] ويَرِد عليه أَن نعمة الله تعالى في قول العبد: الحمدُ للَّهِ رَبِّ العالَمِين / مع شرطها من النِّـيَّة والطاعة يوازي جميع النعم، ولكن أَين قولُها بشروطها؟

والمخاطبة بقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ عامة لجميع الناس.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ الآية، متصل بمعنى ما قبله؛ أَي: إِنَّ الله الغفور الرحيم في تقصيركم عن شكر ما لا تحصونه من نعم الله، وإِنَّ الله تعالى يعلم سِرَّكُم وعَلَنكم، فيغني ذلك عن إِلزامكم شكرَ[3] كل نعمة، هذا على قراءَة من قرأَ: ﴿تُسِرُّونَ﴾ بالتَّاءِ مخاطبة للمؤمنين، فإِن جمهور القراءِ قرأَ: ﴿تُسِرُّونَ﴾ بالتَّاءِ من فوق، و﴿تُعْلِنُونَ﴾، و﴿تَدْعُونَ﴾ كذلك، وهي قراءَة الأَعرج، وشيبة، وأَبي جعفر، ومجاهد، على معنى: قُلْ يا محمد للكفار.

(١) ليست في المطبوع والمصرية٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٨٦، ١٨٧).
(٣) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «التزامكم بشكر».

وقرأ عاصم: ﴿تُسِرُّونَ﴾ و﴿تُعْلِنُونَ﴾ بالتاءِ من فوق، و﴿يَدْعُونَ﴾ بالياءِ من تحت على غيبة الكفار، وهي قراءَة الحسن بن أَبي الحسن.

وروى هبيرة عن حفص عن عاصم كلَّ ذلك بالياءِ على غيبة الكفار، ورَوى الكسائي عن أبي بكر عن عاصم كلَّ ذلك بالتاءِ من فوق[١].

وقرأَ الأَعمش وأَصحاب عبد الله: (يعلم الذي[٢] تُبدون وما تكتمون)، و(تدْعُونَ) بالتَّاءِ من فوق في الثلاثة.

وقرأَ طلحة: (ما تُخْفُونَ وما تُعْلِنُون)، و(تدْعُونَ) بالتَّاءِ من فوق في الثلاثة[٣].

و﴿تَدْعُونَ﴾ معناه: تدعونه إِلهاً، وعبَّر عن الأَصنام بـ(الذين) على ما قدمناه من أَن ذلك يعُمُّ الأَصنام ومَنْ عُبد من دون الله من غيرها.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أَجمع عبارة في أَحوال الربوبية عنهم.

وقرأَ محمد اليماني: (والذين يُدعَون) [بضم الياءِ وفتح العين[٤] على ما لم يُسَمَّ فاعله.

و﴿أَمْوَٰتٌ﴾ يراد به (الذين يدعون][٥] من دون الله)، ورفع على خبر ابتداء مضمر تقديره: هم أَموات، ويجوز أَن يكون خبراً لقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ بعد خبر في قوله: ﴿لَا يَخْلُقُونَ﴾، ووصفهم بالموت مجازاً، وإِنما المراد لا حياةَ لهم، فشُبِّهوا بالأموات.

وقوله: ﴿غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾؛أي: لم يقبلوا حياةً قط، ولا اتَّصفوا بها.

---

(١) هذه أربع قراءات؛ الأولى والثانية سبعيتان، كما في التيسير (ص: ١٣٧)، والثالثة والرابعة ليستا من طرقه لكنهما في السبعة (ص: ٣٧١)، وجامع البيان (٣/ ١٢٧١)، وفي المطبوع والمصرية٢: «وروي عن الكسائي وأبي بكر... إلخ»، وكأنه تصويب عن غير بصيرة.

(٢) في المطبوع (النسخة الأخيرة): «الذين».

(٣) ذكر القراءتين في البحر المحيط (٦/ ٥١٧)، والثانية في الشواذ للكرماني (ص:٢٧٠)، وهما شاذتان.

(٤) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٧٤)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٧٠).

(٥) ما بين المعكوفتين ليس في الأصل.

قال القاضي أبو محمد: وعلى قراءَة من قرأَ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ بالياءِ على غيبة الكفار يجوز أَن يراد بالأَموات الكفار الذين ضميرهم في ﴿يَدۡعُونَ﴾، شبَّههم بالأَموات غير الأَحياءِ من حيث هم ضُلَّال غير مهتدين، ويستقيم على هذا فيهم قوله هنا: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾، والبعث هنا هو الحشر من القبور.

و﴿أَيَّانَ﴾ ظرف زمان مبني، وقرأَ أَبو عبد الرحمن السُّلَمِي: (إِيَّانَ) بكسر الهمزة[١]، والفتح فيها والكسر لغتان، وقالت فرقة: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾؛ أَي: الكفارُ ﴿أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ الضميران لهم، وقالت فرقة: وما يشعر الأَصنام أَيان يبعث الكفار.

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أَن يكون الضميران للأَصنام، [ويكون البعثُ] الإثارةَ[٢]، كما تقول: بعثت النائم من نومه إِذا نبَّهَته، وكما تقول: بعث الرامي[٣] سهمه، فكأَنه وصفهم بغاية الجمود؛ أَي: وإِن طلبتَ حركاتهم بالتحريك لم يشعروا بذلك.

قال القاضي أبو محمد: وعلى تأويل مَن يرى الضميرين للكفار ينبغي أَن يُعتقد في الكلام الوعيد؛ أَي[٤]: وما يشعر الكفار متى يُبعثون إِلى التعذيب؟ ولو اختصر هذا المعنى لم يكن في وصفهم بأَنهم لا يشعرون أَيان يُبعثون طائل؛ لأَن الملائكة والأَنبياءَ والصالحين كذلك هم في الجهل بوقت البعث.

وذكر بعض الناس[٥] أَن قوله: ﴿أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ ظرف لقوله: ﴿إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾، وأَن الكلام تَمَّ في قوله: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾.

ثم أَخبر عن يوم القيامة أَن الإله فيه واحد، وهذا توعُّد.

---

(١) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٦٨)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٤٩).
(٢) ما بين المعكوفتين ليس في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢ وفيهن: «الأَمارة» بدل «الإثارة».
(٣) في المطبوع: «الراعي».
(٤) «أي»: زيادة من المطبوع.
(٥) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «المفسِّرين».

قوله عز وجل: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

لما تقدم وصف الأَصنام جاءَ الخبر الحق بالوحدانية، وهذه مخاطبة لجميع الناس مُعلِمة بأَن الله تعالى متحدٌ وحدانية تامة، لا يحتاج لكمالها إلى مضاف إليها.

ثم أَخبر عن إِنكار قلوب الكافرين، وأَنهم يعتقدون إِلهية أَشياءَ أُخر، ويستكبرون عن رفض معتقدهم فيها واطِّراح طريقة آبائهم في عبادتها، ووسمهم بأَنهم لا يؤمنون بالآخرة، إِذ هي أَقوى رُتَب الكفر، أَعني الجمع بين التكذيب بالله تعالى وبالبعث؛ لأَن كل مصدق ببعث فمحالٌ أَن يُكذِّب بالله.

وقوله: ﴿لَا جَرَمَ﴾ عبَّرت فرقة من اللغويين عن معناها بـ«لا بُدَّ»، و«لا محالة»، وقالت فرقة: معناها: حقٌّ أَن الله، ومذهب سيبويه أَنَّ «لا» نفيٌ لما تقدَّم من الكلام، و«جَرَمَ» معناه: حقَّ ووَجَبَ، ونحو هذا هو مذهب الزَّجاج[1]، ولكن مع مذهبهما «لا» ملازِمةٌ لـ«جَرَمَ»، لا تنفكُّ هذه من هذه، وفي «جرم» لغات قد تقدم ذكرها في «سورة هود».

وأَنشد أَبو عبيدة: جَرَمَتْ فَزَارَةُ، وقال: معناها: حقَّت عليهم، وأَوجبت أَن يغْضبوا[2].

و﴿أَنَّ﴾ على مذهب سيبويه فاعلة بـ﴿جَرَمَ﴾[3].

وقرأَ الجمهور: ﴿أَنَّ﴾ مفتوحة، وقرأَ عيسى الثَّقفي: ﴿إِنَّ﴾ بكسر الأَلف على القطع[4].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٩٤)، وفي المطبوع: «هذا من مذهب».

(٢) لفظه في مجاز القرآن (١/ ٣٥٨): أي أحقت لهم الغضب. وهذا جزءٌ من بيت سبق الاستشهاد به في الآية (٢٢) من سورة هود.

(٣) الكتاب لسيبويه (٣/ ١٣٨).

(٤) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٧٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٧٠)، وكلمة «مفتوحة»: زيادة من المطبوع والمصرية٢.

قال يحيى بن سلام، والنقاش: المراد هنا بـ﴿مَا يُسِرُّونَ﴾ مشاورهم في دار الندوة في قتل النبي ﷺ[١].

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ عامٌّ في الكافرين والمؤمنين، فأخذ كل واحد منهم بقسطه.

وفي الحديث: «لا يدخلُ الجنَّـةَ مَن في قلبه مثقالُ حبَّة من كِبْر»، وفيه: «إِنَّ الكِبْر منع الحق، وغَمْطُ الناس»[٢].

ويروى عن الحسن بن عليٍّ أَنه كان يجلس مع المساكين ويحدثهم، ثم يقرأُ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[٣].

ورُوي في الحديث أَنه «مَن سجد للَّهِ سجدةً من المؤمنين فقد برئَ من الكبر»[٤].

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ الآية، الضمير في لَهُمْ لكفار مكة، ويقال: إِن سبب الآية كان أَن النضر بن الحارث سافر عن مكة إِلى الحيرة وغيرها، وكان قد اتَّخذ كتب التاريخ والأمثال[٥] ككليلة ودِمنة، وأَخبار أسندباد[٦] ورستم فجاءَ إِلى مكة، فكان يقول: إِنما يحدِّث محمد بأَساطير الأَولين، وحديثي أَجمل من حديثه[٧].

وقوله: ﴿مَّاذَآ﴾ يجوز أَن تكون (مَا) استفهاماً، و(ذَا) بمعنى: الذي، وفي ﴿أَنزَلَ﴾

---

(١) انظر قولهما في البحر المحيط (٦/ ٥١٩).

(٢) جزآن من حديث واحد أخرجه مسلم (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وفي نجيبويه والمصرية١: «مقدار»، بدل «مثقال».

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ١٨٩) وفي إسناده رجل لم يسم.

(٤) عزاه في كنز العمال (١٩٠١٧) للديلمي في مسند الفردوس، وهو مجمع للمرويات المنكرة والموضوعة، ولم أقف عليه مسنداً.

(٥) «والأمثال» ليست في أحمد٣ والمطبوع والمصرية٢ والمصرية١ وفيه هنا تقديم وتأخير غير مؤثر في المعنى.

(٦) في المطبوع والمصرية١ وأحمد٣ والمصرية٢: «اسفنديار»، وفي نجيبويه: «اسبندياد».

(٧) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٣٨) من طريق محمد بن إسحاق، قال: ثنا شيخ من أهل مصر، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وهذا إسناد ضعيف من أجل إبهام اسم شيخ ابن إسحاق.

ضمير عائد، ويجوز أَن يكون (مَا) و(ذَا) اسماً واحداً مركباً، كأَنه قال: أَيُّ شيءٍ؟ وقولهم: أَسَاطِيرُ الأَوَّلين ليس بجواب عن السؤال الأول(١)؛ لأَنهم لم يريدوا أَنه نَزَل شيءٌ، ولا أَن ثم منزلاً، ولكنهم ابتدؤُوا الخبر بأَن هذه أَساطير الأَولين، [وإِنما الجواب على السؤال قول المؤمنين في الآية المستقبلة: ﴿خَيْرًا﴾ / . [٣/ ١٣٣]

وقولهم: ﴿أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾](٢) إِنما هو جواب بالمعنى، فأَما على السؤال وبحسبه فلا.

واللام في قوله: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ﴾ يحتمل أَن تكون لام العاقبة(٣)؛ لأَنهم لم يقصدوا بقولهم: ﴿أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ليحملوا الأَوزار، ويحتمل أَن تكون صريحَ لامِ (كيْ) على معنى: قَدَّرَ هذا، ويحتمل أَن تكون لامَ الأَمر على معنى الحتم عليهم بذلك، والصَّغار الموجب لهم.

و«الأَوْزار»: الأَثقال.

وقوله: ﴿وَمِنْ﴾ للتبعيض، وذلك أَن هذا الرأس(٤) المضِلَّ يحمل وزر نفسه كاملاً، ويحمل وزراً من وزر كل مُضَلٍّ(٥) بسببه، ولا تنقص أَوزار أُولئك.

وقوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يجوز أَن يريد بها المضِلَّ؛ أي: أَضلَّ بغير برهان قام عنده، ويجوز أَن يريد: بِغَيْرِ عِلْمٍ من المقلِّدين الذين يضلونهم.

ثم استفتح الله تعالى الإِخبار عن سوءِ ما يتحملونه للآخرة، وأَسند الطبري وغيره في معنى هذه الآية حديثاً نصه: «أَيُّمَا داع دعا إِلى ضلالة فاتُّبع(٦) فإِن عليه مثلَ أَوزار

---

(١) «الأول» زيادة من المطبوع والمصرية ٢، وأحمد٣.
(٢) ليس في المصرية٢.
(٣) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «المعاقبة».
(٤) في الأصل: «الواهن».
(٥) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «أَوزار كل من ضلَّ».
(٦) ليست في الأصل.

مَن اتَّبعه من غير أَن ينقص من أَوزارهم شيءٌ، وأَيُّما داع دعا إِلى هدىً فاتُّبع فله مثلُ أُجورهم من غير أَن ينقص من أُجورهم شيءٌ»(١).

و﴿سَآءَ﴾ فعل مسند إلى ﴿مَا﴾، ولا يحتاج في ذلك هنا إلى صلة(٢).

قوله عز وجل: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

قال ابن عباس وغيره من المفسرين: الإِشارة بـ ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ إِلى نمرود الذي بنى الصَّرْح؛ ليصعد فيه إِلى السماءِ على زعمه، فلما أَفرط في عُلُوِّه(٣) وطوَّله في السّماءِ فرسخين على ما حكى النقاش بعث الله عليه ريحاً فهدمه، وخَرَّ سقفه عليه وعلى أَتباعه، وقيل: إِن جبريل هدمه بجناحه، وأَلقى أَعلاه في البحر، وانجعَفَ(٤) من أَسفله(٥).

وقالت فرقة أُخرى: المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ جميع من كفر من الأُمم المتقدمة ومكر، ونزلت فيه عقوبة من الله تعالى، وقوله على هذا: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ إِلى آخر الآية تمثيل وتشبيه؛ أَي: حالهم كحال(٦) من فُعل به هذا، وقالت فرقة: المراد بقوله: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾؛ أَي: جاءَهم العذاب من قِبَل السماءِ.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ينحو إِلى اللّغز(٧).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً بنحوه، وانظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٩١).

(٢) ليس في نور العثمانية، وفي نجيبويه: «ضمير»، وفي المصرية١: «صيغة».

(٣) في المطبوع: «غلوه» بالغين.

(٤) انْجَعَف مطاوع جَعَفَ، يقال: جَعَفَه جَعْفاً: قلبه وقَلَعه، فانجعف، وفي نسخة: «وانحقف».

(٥) تفسير السمعاني (٣/ ١٦٧)، ولم أقف عليه مسنداً.

(٦) في الأصل: «بحال»، وفي المصرية١: «حال».

(٧) في نور العثمانية: «اللعن».

ومعنى قوله: ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾ رفعُ الاحتمال في قوله: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾، فإِنك تقول: انهدم على فلان بناؤُه، وهو ليس تحته، كما تقول: انفسد عليه متاعه، وقوله: ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾ أَلزم أَنهم كانوا تحته.

وقوله: ﴿فَأَتَى﴾؛ أَي: أَتى أَمْرُ الله وسلطانه.

وقرأَ الجمهور: ﴿بُنْيَانَهُم﴾.

وقرأَت فرقة: (بِنْيَتَهُمْ)، وقرأَ جعفر بن محمد: (بيتَهم)[١]، وقرأَ الضحاك: (بُيُوتَهُم)[٢].

وقرأَ الجمهور: ﴿السَّقْفُ﴾ بسكون القاف، وقرأَت فرقة بضمها، وهي لغة فيه، وقرأَ الأَعرج: (السُّقُفُ) بضم السين والقاف، وقرأَ مجاهد: (السُّقْف) بضم السِّين وسكون القاف[٣].

وقوله: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية، ذكر الله تعالى في الآية المتقدمة حال هؤلاءِ الماكرين في الدنيا، ثم ذكر في هذه حالهم في الآخرة.

وقوله: ﴿يُخْزِيهِمْ﴾ لفظ يعمُّ جميع المكاره التي تنزل بهم، وذلك راجع إِلى إِدخالهم النارَ، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾[آل عمران: ١٩٢].

وقوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ توبيخ لهم، وأَضافهم إِلى نفسه في مخاطبة الكفار؛ أَي: على زعمكم ودعواكم، قال أَبو عليٍّ: وهذا كما قال الله تعالى حكايةً: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، وكما قال: ﴿يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الزخرف: ٩٤][٤].

---

(١) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «بَنِيَّـتَهُمْ».

(٢) والثلاث شاذة، انظر الأخيرتين في الشواذ للكرماني (ص: ٢٧٠)، ومع الأولى بلا نسبة في البحر المحيط (٦/ ٥٢١).

(٣) وكلها شاذة، انظر الثالثة في المحتسب (٢/ ٩)، ومع الثانية في الشواذ للكرماني (ص: ٢٧١)، والكل في البحر المحيط (٦/ ٥٢١).

(٤) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ١٨٢).

قال القاضي أبو محمد: والإِضافات تترتب معْقُولَةً وملفوظاً بها بأَرَقِّ سبب، وهذا كثير في كلامهم، ومنه قول الشاعر:

[الطويل]
إِذَا قُلْـتُ قَدْنِـي قَـالَ تـالله حلْفَةً   لتُغْنـي عَنِّـي ذا إِنَائِـكَ أَجْمَعَا[١]

فَأَضَافَ الإِناءَ إِلى حاسِيه[٢].

وقرأَ البزي عن ابن كثير: (شُرَكَايَ) بقصر الشركاءِ [وفتح الياءِ، مثل ﴿هُدَاىَ﴾ [البقرة: ٣٨]، وقرأَ الجمهور بالمدِّ وفتح الياءِ بعد الهمزة][٣]، وقرأَت فرقة (شُـرَكائيْ) بالمدِّ وياءٍ ساكنة[٤].

و﴿تُشَٰٓقُّونَ﴾ معناه: تحاربون وتخارجون[٥]؛ أَي: يكون في شقٍّ، والحقُّ في شقٍّ.

وقرأَ الجمهور: ﴿تُشَٰٓقُّونَ﴾ بفتح النون، وقرأَ نافع وحده بكسر النون، ورويت عن الحسن بخلاف، وضعَّف هذه القراءَة أَبو حاتم[٦].

وقد تقدم القول في مثله في «الحِجْر» في ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ [٥٤].

وقرأَت فرقة: (تُشَاقُّونِّي) بشدِّ النون [وكسرها] وياءٍ بعدها[٧].

---

(١) البيت لحُرَيْث بن عناب الطائي، كما في بصائر ذوي التمييز (١/ ١٢٤١)، وخزانة الأدب (١١/ ٤٦٩)، وفي المطبوع: «بالله».

(٢) في الأصل ونجيبويه ونور العثمانية: «حايسه».

(٣) ليس في الأصل، انظر: السبعة (ص: ٣٧١)، والتيسير (ص: ١٣٧) وليست من طرقه وإن وردت فيه، قال في النشر (٢/ ٣٠٣): وانفرد الداني عن النقاش عن أصحابه عن البزي بحكاية ترك الهمز فيه، وهو وجه ذكره حكاية، لا رواية.

(٤) البحر المحيط (٦/ ٥٢٢)، قال: وتسقط في الدرج لالتقاء الساكنين.

(٥) في المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية والمصرية٢: «وتحاجُّون».

(٦) انظر: التيسير (ص: ١٣٧)، وموافقة الحسن وتضعيف أبي حاتم قال في البحر المحيط (٦/ ٥٢٢): ولا يلتفت إلى تضعيف أبي حاتم لهذه القراءة.

(٧) «وكسرها» ليست في الأصل، وهي شاذة عزاها في الشواذ للكرماني (ص: ٧١) للحسن.

و﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ هم الملائكة فيما قال بعض المفسرين، وقال يحيى بن سلام: هم المؤمنون، وهذا الخطاب منهم يومَ القيامة[١].

قال القاضي أبو محمد: والصواب أَن يعم جميع من آتاه الله علم ذلك من جميع من حضر الموقف من ملَك وإِنسي[٢] وغير ذلك، وباقي الآية بيِّنٌ.

قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُواْ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت لـ﴿ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ في قول أكثر المتأَوِّلين، ويحتمل أَن يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مرتفعاً بالابتداءِ منقطعاً مما قبله، وخبره في قوله: ﴿فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾ فزيدت الفاءُ في الخبر، وقد يجيءُ مثل هذا.

و﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ يريد بهم القابضين لأَرواحهم، وقوله: ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ حال.

و﴿ٱلسَّلَمَ﴾ هنا: الاستسلام؛ أَي: رمَوا بأَيديهم، وقالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ فحذف «قالوا»؛ لدلالة الظاهر عليه، قال الحسن: هي مواطن، فمرَّة يقِرُّون على أَنفسهم، كما قال: ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣][٣]، ومرَّة يجحدون كهذه الآية.

ويحتمل قولهم: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ وجهين:

أَحدهما: أَنهم كذبوا وقصدوا الكذب اعتصاماً منهم به، على نحو قولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

---

(١) تفسير السمعاني (٣/ ١٦٧).

(٢) في هامش نجيبويه إشارة إلى أن في نسخة «ونبي»، وفي المطبوع: «أو إنسي أو غير».

(٣) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/ ١٦٤).

والآخر: أَنهم أَخْبَروا عن أَنفسهم [بذلك على ظنهم أَنهم](١) لم يكونوا يعملون سُوءاً، فأَخبروا عن ظنهم بأَنفسهم، وهو كذب في نفسه.

[وحَسُن الردُّ عليهم في الوجهين جميعاً بـ ﴿بَلَىٰٓ﴾؛ أَي: يقال لهم: بَلَى](٢).

و﴿عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ وعيد وتهديد، وظاهر الآية أَنَّها عامة في جميع الكفار.

وإِلقاؤُهم السَّلَم ضدُّ مُشَاقَّتهم قَبْلُ.

وقال عكرمة: نزلت في قوم من أَهل مكة آمنوا بقلوبهم ولم يهاجروا، / فأَخرجهم كفار مكة مُكرَهين إِلى بدر، فُقتِلوا هنالك، فنزلت فيهم هذه الآية(٣). [٣/ ١٣٤]

قال القاضي أبو محمد: وإِنما اشتبهت عليه بالآية الأُخرى التي نزلت في أُولئك باتفاق من العلماءِ، وعلى هذا القول يحسن قطع ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ورفعه بالابتداءِ، فتأَمله.

والقانون أَن «بَلَى» تجيءُ بعد النفي، و«نعم» تجيءُ بعد الإِيجاب، وقد تجيءُ بعد التقرير، كقوله: أَلَيْسَ كذا؟ ونحوه، ولا تجيءُ بعد نفي سوى التقرير.

وقرأ الجمهور: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ بالتَّاءِ من فوق، وقرأَ حمزة: ﴿يَتوفَّاهم﴾ بالياءِ، وهي قراءَة الأَعمش(٤)، قال أَبو زيد: أَدغم أَبو عمرو بن العلاء: ﴿السَّلَمْ مَّا﴾(٥).

وقوله تعالى: ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ﴾ من كلام الذي يقول: ﴿بَلَىٰٓ﴾.

و﴿أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ مفضِيةٌ إِلى طبقاتها التي هي بعض على بعض، والأَبواب كذلك بابٌ على باب، و﴿خَٰلِدِينَ﴾ حالٌ، واللام في قوله: ﴿فَلَبِئۡسَ﴾ لام التأكيد.

قال القاضي أبو محمد: وذكر سيبويه رحمه الله، وهو إِجماعُ النحويين قال: ما

---

(١) ليس في المطبوع والمصرية١.

(٢) ليس في الأصل.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٩٥)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٤).

(٤) انظر التيسير (ص: ١٣٧)، وقراءة الأعمش في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٥١).

(٥) هذه رواية السوسي عن أبي عمرو على قاعدته في الإدغام الكبير. انظر: التيسير (ص: ٢٠).

علمتُ أَن لام التأكيد لا تدخل على الفعل الماضي، وإِنما يدخل عليه لامُ القسم، ولكن دخلت على «بئس»؛ لأَنها لمَّا لم تتصرف أَشبهت الأَسماءَ، وبعُدَت عن حال الفعل في هذا، وهي بعيدة أَيضاً عن حال الفعل، من جهةِ أَنها لا تدخل على زمان[١].

و«المَثْوى»: موضع الإِقامة، و«نعم» و«بئس» إِنما تدخلان على معرَّف بالأَلف واللام، أَو مضاف إِلى معرَّف بذلك، والمذموم[٢] هنا محذوف، تقديره: بئس المثوى مَثْوَى المُتَـكَبِّرينَ، و«المتكبِّر» هنا هو الذي أَفضى به كِبْرُه إِلى الكفر.

وقوله: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ الآية، لما وصف تعالى مقالة الكفار الذين قالوا: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١]، عادَلَ ذلك بذكر مقالة المؤمنين من أَصحاب النبي ﷺ، وأَوْجَب لكلِّ فريق ما يستحق لتباين المنازل بين الكفر والإِيمان.

و﴿مَاذَآ﴾ تحتمل ما ذكر في التي قبلها.

وقولهم: ﴿خَيۡرٗا﴾ جواب بحسب السؤال.

واختلف المتأَوِّلون في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ إِلى آخر الآية:

فقالت فرقة: هو ابتداءُ كلامٍ من الله مقطوعٌ مما قبله، لكنه بالمعنى وعْدٌ متصل بذكر إِحسان المتقين في مقالتهم.

وقالت فرقة: هو من كلام الذين قالوا: ﴿خَيۡرٗا﴾، وهو تفسير للخير الذي [أُنزل؛ أَي:][٣] أَنزل الله في الوحي على نَبِيِّنا[٤] خيراً، أَن من أَحسن في الدنيا بطاعة فله حسنة في الدنيا، ونعيم في الآخرة بدخول الجنة.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «والمثوى».

(٣) زيادة من أحمد٣ والمطبوع والمصرية١ والمصرية٢.

(٤) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ «أنبيائه» بدلًا من «نَبِيِّنَا»، وفي نسخ أُخرى الكلمتان: «نَبِيّنا»، «أنبيائه».

وروى أَنس بن مالك: أَن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الله لا يظلم المؤمن حسنة، يثاب عليها الرزق في الدنيا، ويُجزى بها في الآخرة»[١].

وقد تقدم القول في إِضافة الدار إِلى الآخرة، وباقي الآية بَيِّن.

قوله عز وجل: ﴿ جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

﴿جَنَّتُ عَدْنٍ﴾ يحتمل أَن يرتفع على خبر ابتداءٍ مضمر بتقدير: هي جنات عدن، ويحتمل أَن يرتفع بقوله: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، ويحتمل أَن يكون التقدير: لهم جناتُ عدن، ويحتمل أَن تكون ﴿ جَنَّتُ ﴾ مبتدأً، وخبره: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾.

وقرأَ زيد بن ثابت، وأَبو عبد الرحمن: (جَنَّاتِ) بالنَّصب[٢]، وهذا نحو قولهم: زيداً ضربته.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾، وقرأَ إِسماعيل عن نافع: (يُدْخَلُونَهَا) بضم الياءِ وفتح الخاءِ، ولا يصح هذا عن نافع، ورويت عن أَبي جعفر، وشيبة بن نصاح[٣].

وقوله: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ في موضع الحال، وباقي الآية بَيِّن.

وقرأَ الجمهور: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ بالتاءِ، وقرأَ الأَعمش، وحمزة: ﴿يَتَوَفَّاهُم﴾ بالياءِ من تحت[٤].

وفي مصحف ابن مسعود: (تَوَفَّاهُم) بتاءٍ واحدة في الموضعين[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٠٨) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (٦/ ٥٢٦)، وهي في الشواذ (ص: ٧٧).

(٣) وهي شاذة، انظر رواية إسماعيل وتضعيفها في جامع البيان (٣/ ١٢٧٤)، وعزوها للباقين في البحر المحيط (٦/ ٥٢٦).

(٤) انظر: التيسير (ص ٩٦)، وقراءة الأعمش في إتحاف فضلاء البشر (١/ ٣٥١)، وليس «حمزة» في الأصل.

(٥) وهي شاذة، انظر: المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٧٩).

و﴿طَيِّبِينَ﴾ عبارة عن صلاح حالهم، واستعدادهم للموت، وهذا بخلاف ما قال في الكفرة: ﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾، و«الطَّيب»: الذي لا خبث معه، ومنه قوله تعالى: ﴿طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وقول الملائكة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ﴾ بشارةٌ من الله تعالى، وفي هذا المعنى أَحاديث صحاح يطول ذكرها[١].

وقوله: ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾؛ أَي: بما كان في أَعمالكم من تكسُّبكم، وهذا على التجوُّز، علَّق دخولهم الجنة بأَعمالهم من حيث جعل الأَعمال أَمارةً لإِدخال العبد الجنة، ويعترض في هذا المعنى قول رسول الله ﷺ: «لا يدخلُ أَحَدٌ الجنةَ بعمله»، قالوا: ولا أَنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أَنا، إِلاَّ أَن يتغمَّدَني اللهُ بفضل منه ورحمة»[٢]، وهذه الآية تُـرَدُّ بالتأويل إِلى معنى الحديث.

قال القاضي أبو محمد: ومن الرحمة والتغمد أَن يوفِّـقَ الله العبد إِلى أَعمال برَّة، ومقصد الحديث نفي وجوب ذلك على الله تعالى بالعقل كما ذهب إِليه فريق من المعتزلة[٣].

قوله عز وجل: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾.

---

(١) منها ما أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٣٨-٤٣٩) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعاً، وفيه: «فتأتيهم الملائكة عند ذلك، فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»، وإسناده صحيح.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٠٩٨)، ومسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٣) انظر قولهم في: غاية المرام في علم الكلام للآمدي (١/ ٢٢٤-٢٢٥)، وشرح المقاصد للتفتازاني (٢/ ١٦٦-١٦٧).

﴿يَنظُرُونَ﴾ معناه: ينتظرون، و«نَظَرَ» متى كانت من رؤية العين فإنما تُعَدِّيها العرب بـ«إلى»، ومتى لم تتعدَّ بـ«إلى» فهي بمعنى: «انتظَرَ»، كما قال امرؤُ القيس:

[الطويل] فَـإِنَّـكُـمَـا إِنْ تَـنْـظُـرَانِـي سَـاعَـةً مِنَ الدَّهْرِ تَنْـفَعْني لَدَى أُمِّ جُنْدبِ[1]

ومنه قوله تعالى حكاية: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ [الحديد: ١٣]، وقد جاءَ شاذّاً «نظرتُ» بمعنى: الرؤية متعدياً بغير «إلى» كقول الشاعر:

[الخفيف] بَاهِـرَاتُ الْجَمَـالِ وَالْحُسْـنِ ينْظُـرْ نَ كما يَـنْـظُـرُ الأَرَاكَ الظِّـبَـاءَ[2]

وقرأَ الجمهور: ﴿تَأۡتِيَهُمُ﴾ بالتاءِ من فوق، وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿يَأْتِيَهُم﴾ بالياءِ، وهي قراءَة يحيى بن وثاب، وطلحة، والأَعمش[3].

ومعنى الكلام أَن تأتيهم الملائكة لقبض أَرواحهم ظالمي أَنفسهم، وقوله: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾ وعيد يتضمن قيام الساعة، أَو عذاب الدنيا.

ثم ذكر تعالى أَن هذا كان فِعلَ أَسلافِهم من الأُمم؛ أَي: فَعُوقبوا، ولم يكن ذلك ظلماً؛ لأَنه لم يوضع ذلك العقاب في غير موضعه، ولكن ظلموا أَنفسهم بأَن وضعوا كفرهم في جهة الله تعالى، وميلهم إِلى الأَصنام والأَوثان، فهذا وضع الشيءِ في غير موضعه، [وظلموا أَنفسهم][4]؛ أَي: آذَوها / بنفس فعلهم وإِن كانوا لم يقصدوا ظلمها ولا إِذايتها. [٣/ ١٣٥]

وقوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾؛ أَي: جزاءُ ذلك في الدنيا والآخرة.

و(حاق) معناه: نزل وأَحاط، وهنا محذوف يدل عليه الظاهر من الكلام، تقديره: جزاء ما كانوا به يستهزئون.

---

(١) انظر عزوه له في الأغاني (٨/ ١٩٩)، والعمدة لابن رشيق (١/ ٥٥)، وإسفار الفصيح (١/ ٤٦٢).
(٢) البيت لابن قيس الرقيات كما تقدم في تفسير الآية (٤٧) من سورة النساء، بلفظ: (ظاهرات)، وهي التي في أكثر المصادر.
(٣) انظر التيسير (ص: ١٠٨)، وانظر قراءة الباقين في البحر المحيط (٦/ ٥٢٧).
(٤) ليس في الأصل.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ الآية، جدل من الكفار، وذلك أن أكثر الكفار كانوا[١] يعتقدون وجود الله تعالى، وأنه خالقهم ورازقهم، فإن كان أهل هذه الآية من هذا الصنف فكأنهم قالوا: يا محمد، نحن من الله بمرأى في عبادتنا الأوثان واتخاذها[٢]، لتنفع وتقرِّب زُلفى، ولو كره الله فعلنا لغيَّره منذ مدة، إمَّا بإهلاكنا وإمَّا بهدايتنا.

وكان من الكفار فريق لا يعتقدون بوجود الله، فإن كان أهل هذه الآية من هذا الصنف فكأنهم أخذوا الحجة على النبي ﷺ من قوله؛ أي: إن الرَّبَّ الذي تثبته يا محمد وهو على ما تصفه يعلم ويقدر، لا شَكَّ أنه يعلم حالنا، ولو كرهها لغَيَّرَها.

والرَّدُّ على هذين الفريقين هو في أن الله تعالى ينهى عن الكفر، وقد أراده بقوم، وإنما نصب الأدلة وبعث الرسل ويَسَّرَ كلّاً لما حتم عليه، وهذا الجدال من أيِّ الصِّنفين فَرَضْتَهُ ليس فيه استهزاءٌ، لكن أبا إسحاق الزجاج قد قال: إن هذا الكلام على جهة الهُزْءِ[٣]، فذهب أبو إسحاق رحمه الله ـ والله أعلم ـ إلى أنَّ الطائفة التي لا تقول بإله[٤] ثَمَّ أقامَت الحجة من مذهب خصمها كأنها مستهزئة في ذلك، وهذا جدَلٌ محض، والرَّدُّ عليه كما ذكرناه، وقوله: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ يُشير إلى ما ذكرناه.

وقولهم: ﴿وَلَا حَرَّمْنَا﴾ يريدون البَحِيرَة والسائبة والوَصِيلةَ وغير ذلك مما شرعوه[٥]، وأخبر الله تعالى أنَّ هذه النزعة قد سبقهم الأولون من الكفار إليها، كأنه قال: والأمر ليس على ما ظنُّوه من أن الله تعالى إذا أراد الكفر لا يأمر بتركه، بل قد نصب الله لعباده الأدلة، وأرسل الرسل منذرين، وليس عليهم إلَّا البلاغ.

---

(١) ليس في الأصل.
(٢) ليس في الأصل، وفيه: «عبادة الأوثان».
(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه له (٣/ ١٩٧).
(٤) في المطبوع والمصرية١ والمصرية٢: «بالإثم»، وكذا أحمد٣ مع التنبيه على المثبت في هامشه.
(٥) في المطبوع: «حرَّموه»، وكذا أحمد٣ مع التنبيه على المثبت في هامشه.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٣٧) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨)﴾.

لما أَشار قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ إِلى إِقامة الحجة حسب ما ذكرناه بيَّن ذلك في هذه الآية؛ أَي: إنه بعث الرسل آمِراً بعبادته، وتجنُّبِ عبادة غيره.

و﴿الطَّاغُوتَ﴾ في اللغة: كلُّ ما عُبد من دون الله من آدميٍّ راضٍ بذلك أَو حجر أَو خشب، ثم أَخبر أَن منهم من اعتبر وهداه الله ونظر ببصيرته، ومنهم أيضاً من أَعرض وكفر، فحَقَّتْ عليه الضَّلالَةُ، وهي مؤدية إِلى النار حتماً، ومنهم من أَدّته إِلى عذاب الله في الدنيا، ثم أَحالهم في علم ذلك على الطلب في الأَرض، واستقراءِ الأُمم، والوقوف على عواقب الكافرين المكذبين.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَحْرِصْ﴾ الحِرْصُ: أَبلغ الإِرادة في الشيءِ، وهذه تسلية للنبي ﷺ؛ أَي إنَّ حرصك لا ينفع، فإِنها أُمور محتومة.

وقرأَ نافع، وابن كثير، وأَبو عمرو، وابن عامر، والحسن، والأَعرج، وأَبو جعفر، وشيبة، ومجاهد، وشبل، ومزاحم الخراساني[(١)]، وأَبو رجاءٍ العطارديّ، وابن سيرين: ﴿لا يُهْدَى﴾ بضم الياءِ وفتح الدال، وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿لَا يَهْدِي﴾ بفتح الياء وكسر الدال، وهي قراءَة ابن المسيب، وابن مسعود، وجماعة[(٢)].

---

(١) مثله في البحر المحيط (٦/ ٥٢٩)، ولم أقف له على ترجمة خاصة به، ولعله والد الضحاك التابعي المشهور.

(٢) انظر: التيسير (ص: ١٣٧)، وموافقة أبي جعفر في النشر (٢/ ٣٠٤)، والباقين في البحر المحيط (٦/ ٥٢٩).

وذلك على معنيين: أَي إن الله لا يَهْدِي مَن قضى بإِضلاله، والمعنى الآخر: أَن العرب تقول: هدى[١] الرجلُ بمعنى: اهتدى، حكاه الفراءُ[٢]، وفي القرآن: ﴿لا يَـهْدِي إلا أنْ يُهْدَى﴾[يونس: ٣٥][٣]، وجعله أَبو علي وغيره بمعنى: يهتدي[٤].

وقرأَت فرقة: (إن الله لا يَهِدِي) بفتح الياءِ وكسر الهاءِ والدَّال.

وقرأَت فرقة: (إن الله لا يُهْدِي) بضم الياءِ وكسر الدال[٥]، وهي ضعيفة.

وفي مصحف أُبيّ بن كعب: (فإِنَّ الله لا هَادِيَ لِـمَنْ أَضَلَّ)، [وحكاها أَبو حاتم: (فَإِنَّه لا هادِيَ لِـمَنْ أَضَلَّ)][٦]، قال أَبو عليٍّ: الراجع إِلى اسم (إِنَّ) مقدَّر في ﴿يُضِلُّ﴾ على كل قراءَة إِلَّا قراءَة ﴿يَهِدِى﴾ بفتح الياءِ وكسر الدال، بمعنى: يهدي الله، فإِنَّ الراجع مقدر في ﴿يَهِدِى﴾[٧].

وقوله: ﴿وَمَا لَهُم﴾ ضمير على معنى «مَن»، وتقول العرب: حَرَصَ يَحْرُصُ وَحَرَصَ يَحْرِصُ، والكسر في المستقبل هي لغة أَهل الحجاز.

وقرأَ الحَسَن، وإِبراهيم، وأَبو حيوة بفتح الراءِ [في قوله: (تَحْرَصْ)][٨].

---

(١) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «يهدي».

(٢) معاني القرآن للفراء (٢/ ٩٩).

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي. انظر: التيسير (ص: ١٣٧).

(٤) الحجة لأبي علي (٥/ ٦٤).

(٥) وهما شاذتان، نقلهما في البحر المحيط (٦/ ٥٢٩)، وقال في الأولى: «منهم عبد الله»، وظاهره أنها من كلام ابن عطية، وليست في شيء من النسخ عندنا، واعترض على تضعيف الثانية بقوله: وإذا ثبت أن (هَدَى) لازم بمعنى: اهتدى لم تكن ضعيفة...

(٦) ليس في الأصل، وقد ذكر هذه القراءة الفراء في معاني القرآن (٢/ ٩٩) النحاس في معاني القرآن (٤/ ٦٥)، مقتصرين عليها، واقتصر على الأولى مكي في الهداية (٦/ ٣٩٩٠)، ومختصر الشواذ (ص: ٧٨)، وزاد: (لا هاديَ لمن يضلُّ)، وذكر القراءتين معاً الزمخشري في الكشاف (٢/ ٦٠٥)، ونقل ابن زنجلة في حجة القراءات (ص: ٣٨٩) عن أبي: (لَا هادي لمن أَضلّهُ الله).

(٧) الحجة لأبي علي (٥/ ٦٤).

(٨) زيادة من المطبوع والمصرية٢،١ وأحمد٣، وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٩)، إلا أن فيه «ابن خيرة» بدل «أبي حيوة».

وقرأ إبراهيم منهم: (وإنْ) بزيادة الواو[١].

والضمير في قوله: ﴿وَأَقۡسَمُواْ﴾ لكفار قريش، وذكر أن رجلاً من المسلمين حاور[٢] رجلًا من المشركين، فقال في حديثه: لا والذي أرجوه بعد الموت، فقال له الكافر: أَوَنُبعَث بعد الموت؟ قال: نعم، فأَقسم الكافر مجتهداً في يمينه إن الله لا يبعث أحداً بعد الموت، فنزلت الآية بسبب ذلك[٣].

و﴿جَهۡدَ﴾ مصدر، ومعناه: بغاية[٤] جهدهم.

ثم ردَّ الله تعالى عليهم بقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾ فأَوجب بذلك البعثَ.

وقوله: ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾ مصدران مؤكدان.

وقرأ الضحاك: (بلى وعدٌ عليه حقٌّ) بالرفع في المصدرَين[٥].

و﴿أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أكثرُ النَّاسِ في هذه الآية: الكفار المكذِّبون بالبعث.

قال القاضي أبو محمد: والبعث من القبور مما يُجَوِّزه العقل، وأَثبته خبر الشريعة على لسان جميع النَّبِيِّين، وقال بعض الشيعة: إن الإشارة بهذه الآية لعلي بن أَبي طالب، وإن الله سيبعثه في الدنيا، وهذا هو القول بالرَّجعة[٦]، وقولهم هذا باطل وافتراءٌ على الله، وبهتان من القول ردَّه ابن عباس[٧] وغيره.

---

(١) وهي شاذة مخالفة للمصاحف، انظرها في البحر المحيط (٦/ ٥٢٩).

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «جاور» بالجيم، ولعله خطأ.

(٣) مرسل، أخرجه الطبري (١٧/ ٢٠٣) من طريق أبي العالية، به مرسلًا.

(٤) في نسخة: «فغاية» بالفاء.

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٢٧٢).

(٦) القول بالرجعة هو: اعتقاد أن الأموات يعودون قبل يوم القيامة، وهو قول جماعة من الروافض، انظر: الفرق بين الفرق (١/ ٣٩).

(٧) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٠٣) من طريق قتادة، قال: ذُكر لنا أن رجلًا قال لابن عباس... فذكره، وهذا فيه إبهام.

قوله عز وجل: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾.

اللام في قوله: ﴿لِيُبَيِّنَ﴾ متعلقة بما في ضمن قوله: ﴿بَلَىٰ﴾؛ لأَن التقدير: بلى يبعث ليبيِّنَ، وقيل: هي متعلقة بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾، والأَول أَصوب في المعنى؛ لأَن به يُتَصور كذب الكفار في إِنكار البعث.

وقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا﴾ الآية، «إِنَّمَا» في كلام العرب هي للمبالغة وتحقيق تخصيص المذكور[1]، فقد تكون مع هذا حاصرةً / إِذا دلَّ على ذلك المعنى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، وأَما قول النبي ﷺ: «إنما الربا في النَّسيئة»[2]، وقول العرب: إِنما الشجاعُ عَنترةُ، فبقي فيها معنى المبالغة فقط. [٣/ ١٣٦]

و﴿إِنَّمَا﴾ في هذه الآية هي للحصر، وقاعدة القول في هذه الآية أَن نقول: إِن الإِرادة والأَمر اللذين هما صفتان من صفات الله تعالى القديمة هُما قديمان أَزليَّان، وإِن ما في أَلفاظ هذه الآية من معنى الاستقبال والاستئناف إِنما هو راجع إِلى المراد لا إِلى الإِرادة، وذلك أَن الأَشياءَ المرادة المكوَّنة في وجودها استئناف واستقبال، لا في إِرادة ذلك، ولا في الأَمر به؛ لأَن ذينك قديمان، فمن أَجل المراد عبَّر بـ ﴿إِذَآ﴾ و﴿نَّقُولَ﴾.

ونرجعُ الآن على هذه الأَلفاظ فنوضِّحُ الوجه فيها واحدةً واحدةً: أَما قوله: ﴿لِشَىْءٍ﴾ فيحتمل وجهين:

أَحدهما: أَن هذه الأَشياءَ التي هي مُرادة، وقيل لها: ﴿كُن﴾ معلوم أَن الوجود يأتي على جميعها بطول الزمن وتقدير الله تعالى، فلما كان وجودها حتماً جاز أَن تسمى أَشياءَ وهي في حالة عدم.

---

(١) في المطبوع: «وتحقيق وتحضيض على المذكورين»، وكذا في أحمد٣، إلا أن فيه «تخصيص».
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٠٦٩)، ومسلم (١٥٩٦) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما، مرفوعاً.

والوجه الثاني: أَن يكون قوله: ﴿لِشَىْءٍ﴾ تَنْبيهاً لنا على الأَمثلة التي ننظر فيها؛ أَي: إنَّ كل ما تأخذونه من الأَشياءِ الموجودة فإِنما سبيله أَن يكون مراداً، وقيل له: ﴿كُن﴾ فكان، ويكون ذلك الشيءُ المأخوذ من الموجودات مثالاً لما يتأَخر من الأُمور، وما تقدَّم وفنِيَ[١]، فبهذا يُتخلص من تسمية المعدوم شيئاً، وقوله: ﴿أَرَدْنَهُ﴾ مُنَزَّل منزلة مراد، ولكنه أَتَى بهذه الأَلفاظ المستأنفة بحسب أَن الموجودات تجيءُ وتظهر شيئاً بعد شيءٍ، فكأَنه قال: إِذا ظهر المراد منه، وعلى هذا الوجه يخرَّجُ قوله تعالى: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [آل عمران: ١٤٠]، ونحوُ هذا مِمَّا معناه: ويقع منكم ما رآه الله تعالى في الأَزل كله[٢] وعَلِمَه.

وقوله: ﴿أَن نَّقُولَ﴾ منزل منزلة المصدر، كأَنه قال: قولُنا، ولكن «أَنْ» مع الفعل تعطي استئنافاً ليس في المصدر في أَغلب أَمرها، وقد تجيءُ في مواضع لا يُلحظ فيها الزمن كهذه الآية، وكقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥] وغير ذلك.

[وقوله: ﴿لَهُۥ﴾][٣] ذهب أَكثر الناس إِلى أَن الشَّيءَ هو الذي يقال له كالمخاطَب، وكأَن الله تعالى قال في الأَزل لجميع ما خلق: ﴿كُن﴾ بشرط الوقت والصفة، وقال الزَّجَّاج: ﴿لَهُۥ﴾ بمعنى: مِن أَجْلِه، وهذا ممكن أَن يُرَدَّ بالمعنى إِلى الأَول.

وذهب قومٌ إِلى أَن قوله: ﴿أَن نَّقُولَ﴾ مجازٌ، كما تقول: قال برأسه فرفعه، وقال بيده فضرب فلاناً، وردَّ على هذا المنزع أَبو منصور، وذهب إِلى أَن الأَولى هو الأَول[٤].

وقرأ الجمهور: ﴿فَيَكُونُ﴾ برفع النون.

---

(١) ليست هذه الكلمة في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢.

(٢) «كلِّه» زيادة أحمد٣ والمطبوع والمصرية٢.

(٣) ليس في الأصل، وفيه: «وذهب».

(٤) في المطبوع ونور العثمانية والمصرية٢: «الأول هو الأول».

وقرأ ابن عامر والكسائي هنا وفي (يس) [٨٢][1]: ﴿فيَكونَ﴾ بنصبها، وهي قراءة ابن محيصن.

قال القاضي أبو محمد: والأول أبْعَدُ من التعقيب الذي يصحب الفاء في أغلب حالها، فتأمله.

وفي هذه النبذة ما يُطَّلَعُ منه على عيون هذه المسألة، وشرطُ الإيجاز مَنع من بسط الاعتراضات والانفصالات، والمقصود بهذه الآية إعلام منكري البعث بهوان أمره على الله، وقربه في قدرته لا ربَّ غيرُه.

قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٤٢ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾.

لمَّا ذكر الله تعالى كفار مكة الذين أَقسموا أن الله لا يبعث من يموت، وردَّ على قولهم، ذكَر مؤمني مكة المعارضين لهم، وهم الذين هاجروا إِلى أَرض الحبشة، هذا قول الجمهور، وهو الصحيح في سبب الآية؛ لأَن هجرة المدينة لم تكن وقت نزول الآية.

وقالت فرقة: سبب الآية أَبو جندل بن سهيل بن عمرو[2].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف؛ لأَن أَمر أَبي جندل إِنما كان والنبي ﷺ بالمدينة.

وقالت فرقة: نزلت في عمَّار وصهيب وخَبَّاب وأَصحابهم الذين أُوذوا بمكة وخرجوا عنها.

---

(١) انظر: التيسير (ص: ١٣٧)، وموافقةُ ابن محيصن في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٥٠).

(٢) قيل: اسمه عبد الله، وكان من السابقين إلى الإسلام، وممَّن عُذِّب بسبب إسلامه، استشهد باليمامة. الإصابة (٧/ ٥٨-٥٩).

قال القاضي أبو محمد: وعلى كل قول فالآية تتناول بالمعنى كل من هاجر أَوَّلاً وآخراً.

وقرأ الجمهور: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾.

وقرأ ابن مسعود، ونعيم بن ميسرة، والربيع بن خُثَيم، وأَمير المؤمنين علي بن أَبي طالب: (لَنُثْوِيَنَّهُم)[١].

وهاتان اللفظتان معناهما التقرير [في موضع][٢]، فقالت فرقة: الْحَسَنَةُ عِدَةٌ ببقعة شريفة كشف الغيب أَنها كانت بالمدينة، وإِليها كانت الإشارة بقوله: ﴿حَسَنَةً﴾، وقالت فرقة: الحَسَنَةُ هنا لسانُ الصدق الباقي عليهم في غابر الدهر.

قال القاضي أبو محمد: وفي ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ أَوْ (لَنُثْوِيَنَّهُم) على هذا التأويل في لسان الصدق تَجَوُّز كثير واستعارة بعيدة، وهذا على أَن ﴿حَسَنَةً﴾ هي المباءة[٣] والمثوى، وأَن الفعل الظاهر عامل فيها.

وقال أَبو الفتح: نصبها على معنى: نُحْسن إِليهم في ذلك إِحساناً، وجعلت (حَسَنَة) موضع (إِحساناً)[٤].

وذهبت فرقة إِلى أَن الحسنة عامة في كل أمر مستحسَن[٥] يناله ابن آدم، وتخف الاستعارة المذكورة على هذا التأويل، وفي هذا القول يدخل ما رُوي عن عمر بن الخطاب أَنه كان يعطي المال وقتَ القسمة الرجلَ من المهاجرين[٦] ويقول له: خُذ ما

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر النشر (٢/ ٣٤٤)، وانظر نسبتها لابن مسعود في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣١٨)، وزاد ابن وثاب، ولعلي في الكشاف (٢/ ٦٠٧)، والمحتسب (٢/ ٩)، وللكل في البحر المحيط (٦/ ٥٣٢).

(٢) ليس في الأصل.

(٣) في المطبوع: «الحياة».

(٤) المحتسب (٢/ ٩).

(٥) في الأصل: «ما يستحسن».

(٦) في المصرية١: «المستأجرين».

وعدك الله في الدنيا، ولأَجر الآخرة أَكبر، ثم يتلو هذه الآية[١].

قال القاضي أبو محمد: ويدخل في هذا القول النصرُ على العدو، وفتح البلاد وكل أَمل أبلغه المهاجرون، وأَجر الآخرة هنا إِشارة إِلى الجنة.

والضمير في ﴿يَعْلَمُونَ﴾ عائد على كفار قريش، وجواب ﴿لَوْ﴾ مقدر محذوف، ومفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾ كذلك، وفي هذا نظر.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ من صفة المهاجرين الذين وعدهم الله، والصبر يَجْمَع: عن الشهوات، وعلى المكاره في الله تعالى، والتوكل تتفاضل[٢] مراتبُه، فَمُطيل فيه وذلك مباحٌ حَسَن، ما لم يَغلُ حتى يُسَبِّب الهلاك، ومتوسِّط يسعى جميلاً ويتوكل[٣]، وهذا مع قول النبي ﷺ: «قَيِّدها وتوكل»[٤]، ومقصِّر لا نفع في تقصيره، وإِنَّما لَهُ مَا قُدِّر له.

وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ الآية، هي ردٌّ على كفار قريش الذين استبعدوا أَن يكون البشر رسولًا من الله تعالى، فأَعلَمَهم الله تعالى / مخاطِباً لمحمد ﷺ أَنه لم [٣/ ١٣٧]
يرسل إِلى الأُمم إِلا رجالاً، ولم يرسل ملَكاً ولا غير ذلك، و﴿رِجَالًا﴾ منصوب بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾، و﴿إِلَّا﴾ إِيجابٌ.

وقرأَ الجمهور: ﴿يُوحَى﴾ بضم الياءِ وفتح الحاءِ.

وقرأَت فرقة: (يوحِي) بضم الياءِ وكسر الحاءِ.

وقرأَ عاصم من طريق حفص وحده: ﴿نُّوحِيٓ﴾ بالنون وكسر الحاءِ، وهي قراءَة

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٢٠٦) من طريق شهر بن حوشب، عن العوام، عمن حدثه، أن عمر... فذكره.
وهذا إسناد ضعيف لحال شهر، ولإبهام اسم شيخ العوام.

(٢) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية١: «بتفاصيل»، وفي نور العثمانية: «مفاضل».

(٣) ليست في الأصل.

(٤) سبق تخريجه في سورة آل عمران الآية (١٠٥).

ابن مسعود، وطلحة بن مصرِّف، وأَبي عبد الرحمن[١].

ثم قال تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ﴾؛ [أَي: قل لهم: فاسأَلوا][٢]، و﴿أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ هنا اليهود والنصارى، قاله ابن عباس[٣]، ومجاهد، والحسن[٤]، وقال الأَعمش، وسفيان ابن عُيَيْنَة: المرادُ مَن أَسلمَ منهم[٥]، وقال أبو جعفر، وابن زيد: أَهْلُ الذِّكْرِ: أَهْلُ القرآن[٦].

قال القاضي أبو محمد: وهذان القولان فيهما ضعف؛ لأَنه لا حجة على الكفار في إِخبار المؤمنين بما ذكر، لأَنهم يكذبون هذه الصنائف.

وقال الزجاج: [﴿أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ عامٌّ في كل مَن يُعزى إِلى علمٍ[٧].

قال القاضي أَبو محمد: والأَظهر في هذا كله قولُ ابن عباس رضي الله عنه أَن يكون][٨] أَهل الذكر هنا أَحبار اليهود والنصارى الذين لم يُسلِموا، وهم في هذه النازلة خاصة إِنما يُخْبِرُونَ بأَن الرسل من البشر، وإخبارُهم[٩] حجَّةٌ على هؤلاءِ، فإِنهم لم يزالوا مُصَدِّقين لهم، ولا يتهمون لشهادة لنا؛ لأَنهم مدافعون في صدر ملة محمد ﷺ، [قاتلهم الله][١٠]، وهذا هو كسْرُ حجَّتهم من مذهبهم، لا أَنَّا افتقرنا إِلى شهادة هؤلاءِ، بل الحق واضح في نفسه، وقد أَرسلت قريش إِلى يهود يثربَ يسأَلون ويُسنِدون[١١] إِليهم.

(١) الأولى والثالثة سبعيتان، كما في التيسير (ص: ١٣٠)، والثانية شاذة، وهي في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٠٠) بلا نسبة.
(٢) ليس في الأصل.
(٣) منقطع، أخرجه الطبري (١٧/ ٢٠٨) من طريق الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس، ولم يسمع منه.
(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٠٨)، وتفسير الماوردي (٣/ ٤٣٨).
(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٠٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٦٨).
(٦) انظر قولهما في تفسير الطبري (١٧/ ٢٠٩)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٨٩)، وفي الأصل: «ابن جبير»، بدل «أبي جعفر».
(٧) انظر: معاني القرآن (٣/ ٢٠٠، ٢٠١) وكلامه هناك لا يؤدي هذا المعنى.
(٨) ما بين المعكوفتين ليس في الأصل.
(٩) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «وأَحبارهم».
(١٠) من المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢.
(١١) في الأصل: «ويستندون».

وقوله: ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ متعلق بفعل مضمر تقديره: أَرسلناهم بالبيِّنات، وقالت فرقة: الباء[١] متعلقة بـ﴿أَرۡسَلۡنَا ﴾ في أَول الآية، والتقدير على هذا: وما أَرسلنا من قبلك بالبينات والزُّبُرِ إِلا رجالاً، ففي الآية تقديم وتأخير.

و(الزُّبُر): الكتب المزْبُورَة، تقول: زبرت وذبرت: إِذا كتبتَ، والذِّكر في هذه الآية القرآن.

وقوله: ﴿لِتُبَيِّنَ ﴾ يحتمل أَن يريد: لِتُـبَيِّن بِسَرْدِك نصَّ القرآن ما نزل، ويحتمل أَن يريد: لِتُبيِّن بتفسيرك المجملَ، وبشرحك ما أَشكلَ مما نُزِّل، فيدخل في هذا ما تُـبَيِّنه السُّنَّة من أَمر الشريعة، وهذا قول مجاهد[٢].

قوله عز وجل: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

هذه آية تهديد لأَهل مكة، وهم المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ ﴾ في قول الأَكثرين.

وقال مجاهد: المراد نمرود بن كنعان[٣]، والأَول أَظهر.

ونصب ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ يحتمل وجهين:

أَحدهما: أَن ينصب بقوله: ﴿ أَفَأَمِنَ ﴾، وتكون ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ على هذا العقوبات التي تسوءُ مَن تنـزل به، ويكون قوله: ﴿أَن يَخۡسِفَ ﴾ بدلاً منها.

والوجه الثاني: أَن تنصب بـ﴿مَكَرُواْ ﴾، وعُدِّي ﴿مَكَرُواْ ﴾؛ لأَنه في معنى: عملوا، أَو فعلوا، و﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ على هذا معاصي الكفر وغيره، قاله قتادة[٤].

---

(١) في المطبوع: «إنها» بدل: «الباء».
(٢) انظر قوله في الهداية لمكي (٦/ ٤٠٠٣).
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢١٢).
(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٢١٢)، بالمعنى.

ثم توعدهم بما أَصاب الأُمم قبلهم من الخسف، وهو أَن تبتلع الأَرض المخسوف به، ويقعد به إِلى أَسفل، وأَسند النقاش [عن بعض أَهل العلم](١): أَن قوماً في هذه الأُمة أُقيمت الصلاة فتدافعوا الإِمامة وتَصَلَّفُوا(٢) في ذلك، فما زالوا كذلك حتى خُسِفَ بهم.

و﴿تَقَلُّبِهِمْ﴾: سفرهم ومحاولتهم المعايش بالسفر والرعاية وغيرها، و«المُعْجِز»: المُفلِت هرباً، كأَنَّه عجَّز طالبه.

وقوله: ﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾؛ أَي: على جهة التَّخَوُّف، و«التَّخَوُّف»: النقص(٣)، ومنه قول الشاعر يصف ناقة:

[البسيط] تَخَـوَّفَ السَّـيْرُ مِنْهَـا تَامِـكاً قَرِداً كما تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ(٤)

فالسَّفَن: المِبْرد، ويُروى أَن عمر بن الخطاب خفي عليه معنى التَّخَوُّف في هذه الآية، وأَراد الكتب إِلى الأَمصار يسأَل عن ذلك حتى سمع هذا البيت(٥).

ويروى أَنه جاءَه فتىً من العرب وهو قد أَشكل عليه أَمر لفظة التخوف، فقال له:

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) يقال: صَلِف فلان: لم يحظ عند الناس وأبغضوه، وأَصْلَفَه الله: بَغَّضه إلى الناس، ويقال: صَلَفه صَلْفاً: أَبغضه.

(٣) في المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية والمصرية١: «التَّـنَقُّص».

(٤) عزاه الثعلبي (٦/ ١٩) لأبي كبير الهذلي في حديث عمر بن الخطاب، نقله غير واحد من المفسرين، وعزاه في أساس البلاغة (ص: ١٧٨)، والكشاف (٢/ ٥٦٨) لزهير، وفي المحكم (٥/ ٣٠٨) لابن مقبل، وفي الصحاح (٤/ ٤٥)، وتاج العروس (٣٥/ ١٩٣) لذي الرمة، وفي الأغاني (٦/ ٨٢) لابن مزاحم الثمالي، وفي سمط اللآلي (١/ ٢١٣) لقعنب ابن أم صاحب، قال في العباب الزاخر (١/ ٤٠٩): ويروى لعبد الله بن عجلان النهدي، وجاء في الأصل: «فرداً»، بالفاء، والتَّامِكُ: السَّنام، وقيل: السَّنَام المرتفع.

(٥) لم أقف على هذا مسنداً، إنما ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٦/ ١٩) من حكاية سعيد بن المسيب، وهي منقطعة، ويبقى الإسناد إلى سعيد، لكن أخرج الطبري (١٧/ ٢١٤) نحوه عن أعرابي بدون ذكر الشعر، من طريق: المسعودي، عن إبراهيم بن عامر بن مسعود، عن رجل، عن عمر أنه سألهم عن هذه الآية... والمسعودي اختلط، والرجل لا يعرف.

يا أَمير المؤمنين، إِن أَبي يَتَخَوَّفني مالي، فقال عمر: الله أكبر، ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ ﴾[١].

ومنه قول طرفة:

وَجَـامِــلٍ خَـوَّفَ مِــنْ نِـيـنـهِ ... زَجْرُ الـمُعَلَّى أُصُلاً والسَّفِيحْ[٢] [السريع]

[ويروى: من نبته][٣]، ومنه قول الآخر:

أُلامُ عَلَـى الْهِجَـاءِ وكُلَّ يَـوْمٍ ... يُلَاقِينـي مِـنَ الْجِيـرَانِ غُـولُ [الوافر]

تَخَـوَّفَ عَدْوُهُـمْ مَالـي وَأَهْدَى ... سَلاسِلَ في الْحُلُوقِ لَهَا صَلِيلُ[٤]

يريد الأَهاجي، ومنه قول النابغة:

تَـخَـوَّفَـهُـمْ حَتَّى أَذَلَّ سَـرَاتَـهم ... بِطَعْنٍ ضِرَارٍ بَعْدَ نفح الصَّفَائِحِ[٥] [الطويل]

قال القاضي أبو محمد: وهذا التنقص يتجه الوعيد به على معنييْن:

أَحدهما: أَن يهلكهم ويخرج أَرواحهم على تخوُّف؛ أَي: أَفذاذاً، يتَنَقَّصهم بذلك الشيءَ بعد الشيءِ، وهذا لا يدعي أَحد أَنه يأْمنه، وكأَن هذا الوعيد إِنما يكون بعذاب ما يلقون بعد الموت، وإِلا فهكذا تهلك الأُمم كلها، ويؤيد هذا قوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾؛ أَي: إِن هذه الرتبة الثالثة[٦] من الوعيد فيها رأْفة ورحمة وإِمهال؛ ليتوب التائب، ويرجع الراجع.

---

(١) أخرجه أبو علي القالي في أماليه (ص: ١٨٤) بإسناد معضل إلى عبد الله بن عباس، وليس عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٣٦٠)، والجراثيم (ص: ٣٥)، والمحكم (٢/ ٢٦٩)، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٠)، وفي المطبوع: «نيبه».

(٣) ليس في نور العثمانية، وفي المطبوع وأحمد٣: «نفسه».

(٤) البيتان في مجاز القرآن (١/ ٣٦٠) بلا نسبة، وقال الثعلبي (٦/ ١٩): أنشده الهيثم بن عدي على أنها لغة لأزد شنوءة.

(٥) انظر عزوه له في تفسير الثعالبي (٢/ ٣١١)، وفي الأصل: «قبْح»، بدل «نفح».

(٦) «الثالثة» زيادة من الأصل ونور العثمانية والإماراتية ونجيبويه.

والآخرُ: [ما قال الضحاك][(١)]: أَن يأْخذ بالعذاب طائفة أَو قرية، ويترك أُخرى، ثم كذلك حتى يهلك الكل.

وقالت فرقة: التخوُّف هنا من الخوف؛ أَي: يأْخذهم بعد تخوُّف ينالهم، فيعذبهم به.

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا تكلُّف مَّا.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ الآية، قرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ بالياءِ، على لفظ الغائب، وكذلك في «العنكبوت»، فهي جارية على قوله: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ﴾ وقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ﴾ وقوله: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾، ورجَّحها الطبري، وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿أَوَلَمْ تَرَوا﴾ بالتاءِ من فوق في الموضعين، وهي قراءَة الحسن، والأَعرج، وأَبي عبد الرحمن[(٢)].

وذلك يحتمل من المعنى وجهين:

أَحدهما: أن يكون على معنى: قُلْ لهم يا محمد: أَوَلَمْ تَـرَوْا.

والوجه الثاني: أَن يكون خطاباً عاماً لجميع الخلق ابتدأَ به القول آنفاً.

وقرأَ عاصم في «النحل» بالتاءِ من فوق، واختلف عنه في «العنكبوت»[(٣)].

وقوله: ﴿مِن شَيْءٍ﴾ لفظ عام في كل ما اقتضته الصفة في قوله: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾

[٣/ ١٣٨] لأَن ذلك صفة لما عرض للعبرة / في جميع الأَشخاص التي لها ظل.

و«الرؤية» هنا هي رؤية القلب، ولكن الاعتبار برؤية القلب هنا إِنما تكون في مرئيات بالعين.

وقرأَ أَبو عمرو وحده: ﴿تَتَفَيَّأُ﴾ بالتاءِ من فوق، وهي قراءَة عيسى ويعقوب.

---

(١) ليس في الأصل، وانظر قوله في تفسير الطبري (١٧/ ٢١٥).

(٢) انظر التيسير (ص: ١٣٨)، وانظر ترجيح الطبري في تفسيره (١٧/ ٢١٦).

(٣) كما سيأتي في محله، وانظر: السبعة (ص: ٣٧٣).

وقرأ الجمهور: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ﴾[١]، قال أَبو علي: إِذا تقدم الفعل المسند[٢] إِلى مثل هذا الجمع فالتذكير والتأنيث فيه حسَنان[٣].

و«فَاءَ الظِّلُّ»: رجعَ بعكس ما كان بُكْرةً[٤] إِلى الزوال، وذلك أَن الشمس من وقت طلوعها إِلى وقت الزوال إِنما هي في نسخ الظِّلِّ العام قبل طلوعها، فإِذا زالت ابتدأَ رجوع الظل العام، ولا يزال ينمو حتى تغيب الشمس فيعم، والظل الممدود في الجنة لم يذكر الله له فيئاً؛ لأَنه لم يرجع بعد أَن ذهب، وكذلك قول حُميد بن ثور الهلالي:

فَلا الظِّلُّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ ... ولا الْفَيْءُ مِنْ بَرْدِ الْعَشِيِّ تَذُوقُ[٥] [الطويل]

فهو على المهيع، وكذلك قول علقمة بن عبدة:

تَتَبَّعُ أَفْيَاءَ الظِّلالِ عَشِيَّةً ... عَلَى طُرُقٍ كَأَنَّهُنَّ سُيُوبُ[٦] [الطويل]

وكذلك قول امرئ القيس: يَفِيءُ عَلَيْهَا الظِّلُّ[٧].

وأَما النابغة الجعدي فقال:

فَسَلامُ الإِلهِ يَغْدُو عَلَيْهِمْ ... وَفُيُوءُ الْفِرْدَوْسِ ذَاتُ الظِّلالِ[٨] [الخفيف]

فَتَجَوَّزَ في أَنْ جعل الفَيْءَ حيثُ لا رجوع.

---

(١) انظر: التيسير (ص: ١٣٨)، وقراءة يعقوب في النشر (٢/ ٣٠٤)، وقراءة عيسى في البحر المحيط (٦/ ٥٣٦).
(٢) في الأصل: «المنسوب».
(٣) الحجة للفارسي (٥/ ٦٧).
(٤) ليس في الأصل.
(٥) قد تقدم في تفسير الآية (٤٠) من سورة آل عمران.
(٦) انظر نسبته له في المفضليات (ص: ٣٩٣)، وفي نجيبويه والمصرية١ والمصرية٢: «سبوب»، وظاهر الأصل: «سيوف» بالفاء.
(٧) تمام البيت: تَيَمَّمَتِ الْعَيْنَ الَّتي عنْدَ ضارجٍ يَفِيءُ عَلَيْهَا الظِّلُّ عَرْمَضُهَا طَامِ، وقد تقدم في تفسير الآية (٢٦٧) من سورة البقرة.
(٨) انظر عزوه له في الحجة لأبي علي (٥/ ٦٨)، والمخصص (٢/ ٣٩٥) وفي الأصل: «فيء» بالإفراد، وفي المصرية١: «القدوس».

وقال رؤْبة بن العجَّاج: يقال بعد الزوال: فَيْءٌ وظِلٌّ، ولا يقال قبله إِلَّا ظِلٌّ فقط[١].

ويقال: فاءَ الظِّلُّ: إذا رجع من النقصان إلى الزيادة، ويُعدَّى «فَاءَ» بالهمزة، كقوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الحشر: ٧]، ويُعدَّى بالتضعيف، فيقال: أَفَاءهُ الله وفيَّأَهُ الله، وتَفَيَّأَ مطاوع[٢] فَيَّأَ، ولا يقال: «الفيْءُ» إلا من بعد الزوال في مشهور كلام العرب، لكن هذه الآية الاعتبار فيها من أول النهار إلى آخره، فكأن الآية جارية في بعض التأويلات على تجوز كلام العرب، واقتضائه وضعَ ﴿تَتَفَيَّأُ﴾ مكان «تَتَنَقَّل» و«تميل»، وأَضَافَ الظلال إلى ضمير مفرد حملاً على لفظ ﴿مَّآ﴾، أو لفظ ﴿شَيْءٍ﴾، وهو في المعنى لجمع[٣].

وقرأَ الثَّقَفيُّ: (ظُلَلُهُ) بفتح اللام الأُولى وضم الثانية وضم الظاءِ[٤].

وقوله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾، أَفرد اليَمِين وهو يراد به الجمع، فكأَنه للجنس، والمراد: عن الأَيمان والشمائل، كما قال الشاعر:

[البسيط] الـوَارِدُونَ وتَـيْـمٌ فـي ذُرَى سَـبَـأٍ ... قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُم جِلْدُ الْجَوَاميسِ[٥]

وقال الآخر:

[الطويل] بِفِي الشَّامِتِينَ الصَّخْرُ إِنْ كانَ هَدَّني ... رَزِيَّةُ شِـبْلَيْ مُخْدَرٍ في الضَّرَاغِمِ[٦]

---

(١) انظر: المخصص (٢/ ٣٩٥).

(٢) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «مضارع»، وهو خطأ.

(٣) في المطبوع ونور العثمانية وأحمد٣: «وهو بالمعنى لجميع».

(٤) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٠).

(٥) البيت لجرير، كما في المخصص (١/ ٥٦)، والجليس الصالح الكافي (ص: ٣٧٥)، وكتبت في المطبوع: «وثيم» بالثاء.

(٦) البيت للفرزدق كما في الأغاني (١٠/ ٣٠٣)، والكامل للمبرد (١/ ١٨٠)، وأساس البلاغة (١/ ١٥٤).

والمنصوب للعبرة في هذه الآية هو كل شخص وجرم له ظل كالجبال والشجر وغير ذلك، والذي يترتب فيه أَيمان وشمائل إِنما هو البشر فقط، ولكن ذكر الأَيمان والشمائل هنا[١] على جهة الاستعارة لغير البشر؛ أَي: تُقَدِّرُهُ ذا يمين وشمال، وتُقدِّرُه يستقبل أَيَّ جهة شئت، ثم تنظر ظله فتراه يميل إِما إِلى جهة اليمين، وإِما إِلى جهة الشمال، وذلك في كل أَقطار الدنيا، فهذا وجه يعمم لك أَلفاظ الآية، وفيه تجوُّز واتساعٌ.

ومن ذهب إِلى أَن اليمين من غدوة النهار إِلى الزوال، ثم يكون من الزوال إِلى المغيب عن الشمال، وهو قول قتادة، وابن جريج[٢]، فإِنما يترتب له ذلك فيما قدره مستقبِل الجنوب، والاعتبار في هذه الآية عندي إِنّما هو المستقبل[٣] الجنوب.

وما قال بعض الناس من أَن اليمين أَول دفعة للظل بعد الزوال، ثم الآخر إِلى الغروب هي عن الشمال، ولذلك جمع الشمائل وأَفرد اليمين، فتخليطٌ من القول يبطل من جهات.

وقال ابن عباس: إِذا صليت الفجر كان ما بين مطلع الشمس إِلى مغربها ظلاً، ثم بعث[٤] الله عليه الشمس دليلًا فقبض إِليه الظل[٥].

قال القاضي أبو محمد: فعلى هذا فأَولُ ذرور الشمس، فالظل عن يمين مستقبل الجنوب، ثم يبدأُ الانحراف فهو عن الشمائل؛ لأَنها حركات كثيرة وظلال متقطعة، فهي شمائل كثيرة، وكان الظل عن اليمين متصلاً واحداً عامّاً لكل شيءٍ، وفي هذا القول تجوُّز في ﴿يَتَفَيَّؤُا﴾، وعلى ما قدَّرنا من استقبال الجنوب يكون الظل أَبداً مندفعاً عن اليمين إِلى الزوال، فإِذا تحرَّك بعْدُ فارَق الأَيمان جملة، وصار اندفاعه عن الشمائل.

---

(١) في المطبوع والمصرية٢ زيادة: «هو».
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢١٦)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٩١).
(٣) في المطبوع والمصرية٢: «في مستقبل».
(٤) في المطبوع والمصرية٢ ونجيبويه: «جعل».
(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٢١٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقالت فرقة: «الظلال» هنا: الأَشخاص، هي المراد أَنفسها، والعرب تُعبِّر أَحياناً عن الأَشخاص بالظل، ومنه قول عَبْدة بن الطيِّب[(١)]:

[البسيط] إِذَا نَـزلْنَـا نَصبْنَـا ظِـلَّ أَخْـبِيَـةٍ وَفَارَ لِلْقَوْمِ باللَّحْمِ الْمَرَاجيلُ[(٢)]

وإِنما تُنصب الأَخبية، ومنه قول الآخر:

[الطويل] تَـتَـبَّـعُ أَفْيَـاءَ الظِّـلالِ عَشِـيَّـةً[(٣)] ....

أَي: أَفياءَ الأشخاص.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله محتمل غير صريح، وإِن كان أَبو علي قد قدَّره[(٤)].

واختلف المتأَوِّلون في هذا السجود: فقالت فرقة: هو سجود عبادة حقيقية.

وذكر الطبري عن الضحاك قال: إِذا زالت الشمس سجد كل شيءٍ قِبَل القبلة من نبت[(٥)] أَو شجر، ولذلك كان الصالحون يستحبون الصلاة في ذلك الوقت، وقال مجاهد: إِنما تسجد الظلال، لا الأَشخاص، وقالت فرقة منهم الطبري: عبَّر عن الخضوع والطاعة وميلان الظلال ودورانها بالسجود[(٦)].

وكما يقال للمشير برأْسه نحو الأَرض على جهة الخضوع: ساجد، ومنه قول الشاعر:

---

(١) في المطبوع نور العثمانية وأحمد٣: «الطبيب»، وكذا في الإصابة (٥/ ٨٧) [القسم٣]، ولعله خطأ، قال: واسم أبيه يزيد بن عمرو بن وعلة التميمي الشّاعر المشهور، شهد قتال هرمز مع المثنى، وله فيه آثار مشهورة، وفتح المدائن مع ابن مقرّن وهو شاعر مخضرم مجيد.

(٢) انظر عزوه له في الكامل في اللغة والأدب (٢/ ١٠٩)، والاختيارين (ص: ٩٤)، والعقد الفريد (١/ ١٤٣).

(٣) صدر بيت علقمة الذي تقدم قريباً.

(٤) في المطبوع والمصرية١: «قرره»، وانظر الحجة لأبي علي (٥/ ٧١).

(٥) في نجيبويه: «نبات»، وفي المطبوع: «بيت».

(٦) انظر أقوال الطبري، ونقله عن مجاهد والضحاك في تفسير الطبري (١٧/ ٢١٧).

فَكِلْتَاهُمَا خَرَّتْ وَأَسْجَدَ رَأْسُهَا كَمَا سَجَدَتْ نَصْرَانَةٌ لَمْ تَحَنَّفِ[1] [الطويل]

و«الدَّاخِر»: المتصاغر المتواضع، ومنه قول ذي الرُّمَّة:

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا داخِرٌ في مُخَيَّسٍ وَمُنْجَحِرٍ في غَيْرِ أَرْضِكَ في جُحْرِ[2] [الطويل]

قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٥٠) ۞ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٥١) وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ / وَلَهُ الدِّينُ [٣/ ١٣٩] وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢) وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٤) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٥٥)﴾.

وقعت ﴿مَا﴾ في هذه الآية لما يعقل، قال الزجاج: قوله: ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ يعمُّ ملائكة السماءِ، وما في السحاب، وما في الجوِّ من حيوان، وقوله: ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾ بيِّن، ثم ذكر ملائكة الأَرض في قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾[3].

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل أَن يكون قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ هو الذي يَعُمُّ ملائكة السماوات والأَرض، وما قبل ذلك لا يدخل فيه مَلَك، إِنما هو الحيوان أَجمع.

وقوله: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ يحتمل معنَيَيْن:

أَحدهما: الفوقية التي يوصف الله بها تعالى، فهي فوقيَّة القَدر والعظمة والقهر والسلطان.

---

(١) البيت لأبي الأَخْزَر الحِمَّانيِّ، كما تقدم في تفسير الآية (٦٢) من سورة البقرة.

(٢) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٧/ ٢١٨)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٩١)، ونسبه الجوهري في الصحاح (٣/ ٦٤) إلى الفرزدق، وتابعه في لسان العرب (٦/ ٧٤)، وتاج العروس (١٦/ ٤٥)، ورواية الديوان: (ومُنْحَجر) بتقديم الحاء على الجيم.

(٣) انظر: معاني القرآن (٣/ ٢٠٢، ٢٠٣).

والآخر: أَن يتعلق قوله: ﴿مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ بقوله: ﴿يَخَافُونَ﴾؛ أَي: يخافون عذاب ربهم من فوقهم، وذلك أَن عادة عذاب الله للأُمم إِنما يأْتي من جهة فوق.

وقوله: ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾، أَمَّا المؤمنون فبحسب الشرع والطاعة، وأَما غيرهم من الحيوان فبالتسخير والقَدَر الذي يسوقهم إِلى ما نفذ[1] من أَمر الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ﴾ نهيٌ من الله تعالى عن الإِشراك به، ومعناها: لا تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اثنين فصاعداً بما ينصه من قوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾، قالت فرقة: المفعول الأَول لـ﴿تَتَّخِذُوٓاْ﴾ قوله: ﴿إِلَٰهَيۡنِ﴾ وقوله: ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ تأْكيدٌ وبيانٌ بالعدد، وهذا معروف في كلام العرب، أَن يُبيَّن المعدود بذكر عدده تأْكيداً، ومنه قوله: ﴿إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾؛ لأَن لفظ الإِله يقتضي الانفراد.

وقال قومٌ منْهم: المفعول الثاني محذوف، تقديره: مفرداً[2]، أَو معبوداً، أَو مطاعاً، ونحو هذا.

وقالت فرقة: المفعول الأَول قوله: ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾، والثاني قوله: ﴿إِلَٰهَيۡنِ﴾، وتقدير الكلام: لا تتخذوا اثنين[3] إلهين، [فلا يحتاج إلى الاعتذار بالتأكيد][4]، ومثله قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ۝٢ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ٢-٣]، ففي هذه الآية ـ على بعض الأَقوال ـ تقديم المفعول الأَول لـ﴿تَتَّخِذُواْ﴾.

وقوله: ﴿فَإِيَّٰيَ﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: فارهبوا إِيَّايَ فارهبون، ولا يعمل فيه الفعل الظاهر[5]؛ لأَنه قد عمل في الضمير المتصل به.

وقوله: ﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية، الواو في قوله: ﴿وَلَهُۥ﴾ عاطفة على قوله: ﴿إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾، وجائز أَن تكون واو ابتداءٍ، و﴿مَا﴾ عامة جميع الأَشياءِ مما يعقل وما لا يعقل،

---

(١) في المطبوع والمصرية٢: «تقدم»، وفي نور العثمانية: «تقدر».
(٢) «مفرداً أو» ليس في الأصل والإماراتية ونور العثمانية.
(٣) ليس في المصرية١.
(٤) ليس في الأصل.
(٥) ليس في الأصل.

و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ هنا كل ما ارتفع من الخلق في جهة فوق، فيدخل فيه العرش والكرسي.

و﴿ٱلدِّينُ﴾: الطاعة والمُلك كما قال زهير:

.... في دين عَمْرٍو وحَالَتْ بَيْنَنَا فَدَكُ[١] [البسيط]

في طاعته وملكه.

و«الواصِبُ»: الدائم، قاله ابن عباس[٢]، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك[٣]، وقال الشاعر:

لا أَبْتَغِي الْحَمْدَ القَلِيلَ بقاؤُهُ يَوْماً بِذَمِّ الدَّهْرِ أَجْمَعَ واصِبا[٤] [الكامل]

ومنه قول حسّان بن ثابت:

غَيَّرَتْهُ الرِّيحُ تَسْفِي بِهِ وهَزِيمٌ رَعْدُهُ وَاصِبُ[٥] [المديد]

وقالت فرقة: هو من الوصَب، وهو التعب؛ أَي: وله الدِّين على تعبه ومَشَقَّتِهِ، فواصب ـ على هذا ـ جارٍ على النسب؛ أَي: ذَا وَصَبٍ، كما قال:

.... أَضْحَى فُؤَادِي بِهِ فاتِنا[٦] [المتقارب]

وهذا كثير.

---

(١) صدره: لَئِنْ حَلَلْتِ بِجَوٍّ في بَنِي أَسَدٍ، وقد تقدم الاستشهاد به في تفسير (الفاتحة).

(٢) إسناده لين، أخرجه الطبري (١٧/ ٢٢٢) عن سفيان بن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن قيس ـ هو ابن الربيع ـ، عن الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حصين، عن أبي نضرة، عن ابن عباس. وسفيان وقيس فيهما ضعف.

(٣) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (١٧/ ٢٢٢).

(٤) البيت لأبي الأسود الدُّؤَلي كما في مجاز القرآن (١/ ٣٦١)، والأغاني (١٢/ ٣٥٩)، وتفسير الطبري (١٧/ ٢٢١)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢٢).

(٥) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٧/ ٢٢١)، والبحر المحيط (٧/ ٢٣٧)، وغيرهما، والهزيم: السحاب المتشقق بالمطر.

(٦) هذا عجز بيت صدره: رَخِيمُ الكَلامِ قَطِيعُ الْقِيَامِ، وهو في مقاييس اللغة (٤/ ٤٧٣)، والمخصص (١/ ٣٨٠)، وغيرهما بلا نسبة.

وقال ابن عباس أَيضاً: الواصِبُ: الواجب[١]، وهذا نحو قوله: الواصب: الدائم.

وقوله: ﴿أَفَغَيْرَ﴾ توبيخ في لفظ استفهام، ونصب (غير) بـ﴿تَتَّقُونَ﴾؛ لأَنه فعل لم يعمل في سوى (غير) المذكورة.

والواو في قوله: ﴿وَمَابِكُم﴾ يجوز أَن تكون واو ابتداءٍ، ويجوز أَن تكون واو الحال، ويكون الكلام متصلاً بقوله: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾، كأَنه يقول على جهة التَّوبيخ: أَتَتَّقُون غير الله [وما منعمٌ][٢] عليكم سواهُ؟.

والباءُ في قوله: ﴿بِكُم﴾ متعلقة بفعل تقديره: وما نَزَلَ أَو أَلَمَّ، ونحو هذا، و(ما) بمعنى: الذي، والفاءُ في قوله: ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ دخلت بسبب الإِبهام الذي في (ما) التي هي بمعنى: الذي، فأَشبه الكلام الشرط، ومعنى الآية التذكير بأَن الإِنسان في جليل أَمره ودقيقه إِنما هو في نعمة الله وأَفضاله، إِيجاده داخل في ذلك فما بعده، ثم ذكَّر تعالى بأَوقات المرض لِكَوْن الإِنسان الجاهل يُحِسُّ فيها قدر الحاجة إِلى لطف الله، و﴿ٱلضُّرُّ﴾ وإِن كان يعُمُّ كل مكروه، فأَكثرُ ما يجيءُ عبارة عن أَرزاءِ البدن.

و﴿تَجْـَٔرُونَ﴾ معناه ترفعون أَصواتكم باستغاثة وتضرع، وأَصله من جؤار الثور والبقرة وصياحهما، وهو عند جهدٍ يلحقُهما، أَو في أَثر دَمٍ يكون من بقر يُذبح، فذلك الصراخ يشبه به انتحاب الداعي المستغيث بالله إِذا رفع صوته، ومنه قول الأَعشى:

يُـرَاوِحُ مِـنْ صَلَـوَاتِ الْمَلِيــ ... ـكِ طَوْراً سُجُوداً وَطَوْراً جُؤَارَا[٣] [المتقارب]

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٢٣) من طريق: ابن عطية، عن قيس، عن يعلى بن النعمان، عن عكرمة، عن ابن عباس. وإسناده لين، بسبب قيس بن الربيع.

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «ولا يُنْعِم».

(٣) انظر عزوه له في رسالة الغفران (ص: ٢١)، والمحبر (ص: ٣٢٢)، وتفسير الطبري (٢/ ١٠٥)، وتفسير الماوردي (١/ ١٢٦)، والكشاف للزمخشري (٢/ ٥٧١)، ونسبه في الدر المصون (١/ ٢٨٥٦)، واللباب (١٢/ ٨٣) لرؤبة، ولعله وهم.

وأَنشد أَبو عبيدة:

.... بِـأَبِـيـلٍ كُـلَّمَـا صَـلَّـى جَـأَرْ[١] [الرمل]

والأَصوات تأْتي غالباً على فُعَال، أَو فَعِيل.

وقرأَ الزهري: «تَجَرُونَ» بفتح الجيم دون همز[٢]، حذفت وأُلقيت حركتها على الجيم، كما خُفِّف «تَسَلُون» من «تَسْأَلُون».

وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ﴾، قرأَ الجمهور: ﴿كَشَفَ﴾.

وقرأَ قتادة: (كَاشَفَ)[٣]، وَوَجْهُهَا: أَنه فاعَلَ من واحد بمعنى: كشَفَ، وهي ضعيفة.

و«الفريقُ» هنا: يراد به المشركون الذين يرون أَن للأَصنام أَفعالاً من شفاءِ المرض، وجلب الخير، ودفع الضر، فهم إِذا شفاهم اللَّهُ عظموا أَصنامهم، وأَضافوا ذلك الشِّفَاءَ إِليها.

وقوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُواْ﴾ يجوز أَن تكون اللام لامَ الصَّيرورة؛ أَي: فصار أَمرهم ليكفروا، وهم لم يقصدوا بأَفعالهم تلك أَن يكفروا، ويجوز أَن تكون لامَ أَمرٍ على معنى التهديد والوعيد، كقوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، والكفر هنا يحتمل أَن يكون كفرَ الجحد بالله والشرك، ويؤيده قوله: ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾، ويحتمل أَن يكون كفرَ النعمة، وهو الأَظهر؛ لقوله: ﴿بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾؛ أَي: بما أَنعمنا عليهم.

وقرأَ / الجمهور: ﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ على معنى: قل لهم يا محمد. [٣/ ١٤٠]

وروى أَبو رافع عن النبي ﷺ: (فيُمتَّعوا فسوف يعلمون) بياءٍ من تحت مضمومة،

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٦١)، وصدره: إِنَّني والله فاسْمَعْ حَلِفِي، ونسبه لعدِيّ بن زيد، وكذا في الأغاني (٢/ ١٠٥).

(٢) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ١٠).

(٣) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ١٠).

و(فسوف يعلمون) على معنى ذكر الغائب، وكذلك في «الروم»[(١)]، وهي قراءةُ أَبي العالية.

وقرأ الحسن: ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ كالجماعة على الأَمر (فسوف يعلمون) بالياءِ على ذكر الغائب، [كقراءَة أَبي رافع]، فيكون (يُمَتَّعُوا) في قراءَة أَبي رافع[(٢)] في موضع نصب عطفاً على (يَكْفُروا) إِن كانت اللامُ لامَ «كَيْ»، ونصباً بالفاء في جواب الأَمر إِن كانت لامَ الأَمر، ومعنى التَّمَتُّع في هذه الآية: بالحياة الدنيا التي مصيرها إِلى الفناءِ والزوال.

قوله عز وجل: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

الضمير في قوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ للكفار، وقوله ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ يريد الأَصنام؛ أَي: لا يعلمون فيها حجَّةً، ولا برهاناً، ويحتمل أَن يريد بقوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ الأَصنام؛ أَي: يجعلون للجمادات ـ وهي لا تعلم شيئاً ـ نصيباً، فالمفعول محذوف، ثم عبَّر عنهم بعبارة مَن يعقل بحسب مذهب الكفار الذين يسندون إِليها ما يُسنَد إِلى مَن يعقل، وبحسب أَنه إِسناد منفيٌّ، وهذا كله ضعيف، والنصيب المشار إِليه هو ما كانت العرب سنَّته من الذبح لأَصنامها، والإِهداءِ إِليها، والقَسم لها من الغَلَّات.

ثم أَمر الله تعالى نَبيَّه ﷺ أَن يُقْسِم لهم أَنهم سَيُسْأَلون عن افترائهم في أَن تلك السُّنَن هي الحق الذي أَمر الله به كما قال بعضهم، و«الفِرْية»: اختلاقُ الكذب.

وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ الآية، هذا تعديد لقبح قول الكفار: الملائكةُ بناتُ الله، ورَدَّ عليهم من وجهين: أَحدهما نِسْبَة النسل إِلى الله تعالى عن

---

(١) الآية: ٣٤، وهي شاذة، وردت في المحتسب (٢/ ١١)، ومختصر الشواذ (ص: ٦٧) عن مكحول عن أبي رافع مرفوعاً، ولم أقف عليه مسنداً، وعن أبي العالية، وكذا في الشواذ للكرماني (ص: ٢٧٢).

(٢) في المطبوع: على ما روى أبو رافع، وما بين القوسين زيادة منه، وقراءة الحسن شاذة، ولم أقف عليها.

ذلك، والآخر أَنهم نسبوا من النسل الأَخَسَّ المكروهَ عندهم.

و﴿مَّا﴾ في قوله: ﴿مَّا يَشۡتَهُونَ﴾ مرتفعة بالابتداءِ، والخبر في المجرور قبله، وأَجاز الفراءُ أَن تكون في موضع نصب عطفاً على ﴿ٱلۡبَنَٰتِ﴾[(١)]، والبصريون لا يجيزون هذا؛ لأنه[(٢)] من باب: ضربتُني، وكان يلزم عندهم أَن يكون: ولِأَنفسهم ما يشتهون.

والمراد بقوله: ﴿مَّا يَشۡتَهُونَ﴾ الذُّكْرَان من الأَولاد.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ﴾ الآية، لما صرَّح بالشيءِ المبَشَّر به حسُن ذكر البشارة فيه، وإِلَّا فالبشارة مطلقةً لا تكون إِلَّا في خير.

وقوله: ﴿ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا﴾ عبارة عن العبوس والقطوب الذي يلحق وجه[(٣)] المغموم، وقد يعلو وجهَ المغموم سوادٌ وزبد، وتذهب شراقته، فلذلك يذكر له السَّواد.

و﴿كَظِيمٞ﴾ بمعنى: كاظِم كعليم وعالم، والمعنى أَنه يُخفي وجهه وهَمَّه بالأُنثى.

وقوله: ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ﴾ الآية، هذا التواري الذي ذكره الله تعالى إِنما هو بعدَ البشارة بالأُنثى، وما يحكى: أَن الرجل منهم كان إِذا أَصاب امرأَته الطَّلْق؛ توارى حتى يُخبَر بأَحد الأَمرين، فليس المرادَ في الآية، ويُشْبه أَن ذلك كان لكي: إِنْ أُخْبر بسَارٍّ خرج، وإِنْ أُخبر بِسُوءٍ بَقِي على تواريه، ولم يحتج إِلى إِحداثه.

ومعنى ﴿يَتَوَٰرَىٰ﴾: يتغيَّب، وتقدير الكلام: يَتَوارى من القوم مدبِّراً، أَيُمْسكه أم يدُسُّه؟.

وقرأَت فرقة: ﴿أَيُمۡسِكُهُۥ﴾ على لفظ ﴿مَا﴾، (أم يَدُسُّها) على معنى الأُنثى.

[وقرأَ الجحدري: (أَيُمْسِكُهَا)، (أم يَدُسُّها) على معنى الأُنثى][(٤)] في الموضعين.

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٠٥).

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «هذه الآية».

(٣) من المطبوع والمصرية٢.

(٤) ليس في نور العثمانية والإماراتية ونجيبويه، وهما شاذتان. انظر مختصر الشواذ (ص: ٧٧).

وقرأ الجمهور: ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾ بضم الهاءِ، [وقرأت فرقة بفتحها][(١)]، وقرأ عيسى ابن عمر: (على هوان)، وهي قراءَة عاصم الجحدري، وقرأ الأَعمش: (عَلَى سُوءٍ)[(٢)].

ومعنى الآية: يُدَبِّر: أَيُمْسك هذه الأُنثى على هَوانٍ يتحمَّله، وهمٍّ يتخلد له، أَم يَئِدُها فيدفنها حيَّة، فهو الدَّسُّ في التراب.

ثم استفتح الله تعالى الإِخبار عن سوءِ فعلهم وحكمهم بهذا في بناتهم، ورزقُ الجميع على الله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

قالت فرقة: ﴿مَثَلُ﴾ في هذه الآية بمعنى: صفة؛ أَي: لهؤلاءِ صفة السوءِ، ولله الوصف الأَعلى.

قال القاضي أبو محمد: وهذا لا نَضطر إِليه؛ لأَنه خروج عن اللفظ، بل قوله: ﴿مَثَلُ﴾ على بابه[(٣)]، وذلك أَنهم إِذا قالوا: إن البنات لله، فقد جعلوا له مثلًا، فالبنات من البشر، وكثرة البنات عندهم مكروه ذميم، فهو المثلُ السَّوءُ الذي أَخبر الله تعالى أَنه لهم، وليس في البنات فقط، لكن لما جعلوه هم في البنات جعله هو لهم على الإِطلاق في كل سوءٍ، ولا غاية أبعد من عذاب النار.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ على الإِطلاق أَيضاً: الكمالُ المستغني[(٤)].

---

(١) من المطبوع والمصرية٢ ونجيبويه ونور العثمانية والإماراتية.

(٢) والثلاث شاذة، انظر الثانية في الشواذ للكرماني (ص: ٢٧٣)، وعزا الثالثة لابن مسعود، والأولى لم أقف عليها.

(٣) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «حاله».

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «المستقر»، وكذا المصرية٢ مع الإشارة للنسخة الأخرى.

وقال قتادة: المثل الأَعلى: لا إله إِلَّا الله[١]، وباقي الآية بيِّن.

وقوله: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ﴾ الآية، ﴿يُؤَاخِذُ﴾ هو يُفاعِلُ من أَخَذ، كأَن أَحد المؤاخِذَين يأخذ من الآخر [إما بمعصية][٢] كما هي في حق الله تعالى، أَو بإِذاية من جهة المخلوقين، فيأخذ الآخر من الأَول بالمعاقبة والجزاءِ، وهي لغتان: وَاخَذَ، وآخَذَ، و«يُؤَاخذ» يصح أَن تكون من «آخَذ»، وأَما كونها من «واخذ» فبيِّن.

والضمير في ﴿عَلَيۡهَا﴾ عائد على الأَرض، ويمكن ذلك مع أَنه لم يجرِ لها ذكرٌ؛ لشهرتها، ويمكن الإِشارة إِليها كما قال لبيد في الشمس:

حَتَّى إِذا أَلْقَتْ يَداً في كَافِرٍ وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ البِلادِ ظَلامُهَا[٣] [الكامل]

ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، ولم يجرِ للشمس ذكرٌ.

وقوله: ﴿مِن دَآبَّةٖ﴾ دخلت ﴿مِن﴾ لاستغراق الجنس، وظاهر الآية أَن الله تعالى أَخبر أَنه لو آخذ النَّاسَ بعقابٍ يستحقونه بظلمهم في كفرهم ومعاصيهم لكان ذلك العقاب يهلك عنه جميع ما يدب على الأَرض من حيوان، / فكأَنه بالقحوط أَو بأَمر يصيبهم من الله [٣/ ١٤١] تعالى، وعلى هذا التأويل قال بعض العلماءِ: كاد الْجُعَل أَن يهلك بذنوب بني آدم، ذكره الطبريُّ[٤]، ورُوي عن النبي ﷺ أَنه قال: «إن الله تعالى لَيُهْزِل الحوتَ في الماءِ والطيرَ في الهواءِ بذنوب العُصَاة»[٥]، وسمع أَبو هريرة رجلًا يقول: «إن الظالم لا يُهلِكُ إِلاَّ نفسَه»، فقال أَبو هريرة: «إِن الله ليهلك الحُبَارَى في وُكُورها هُزْلاً بذنوب الظَّلَمة»[٦].

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٢٣٠).

(٢) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «مأْخذاً».

(٣) انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٢٦٢)، والجيم (٣/ ١٦٨)، وإصلاح المنطق (ص: ٩٩)، والشعر والشعراء (١/ ٢٧٧).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٣٠، ٢٣١)، والـجُعَل: حيوان كالخنفساءِ يكثر في المواضع الندية.

(٥) لم أقف عليه مسنداً.

(٦) لم أقف عليه مسنداً.

وقد نطقت الشريعة في أَخبارها بأَن الله أَهلك الأُمم بَرَّها وعاصيَها بذنوب العُصاة منهم.

وقالت فرقة: قوله: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ يريد: من أُولئك الظلمة فقط، ويدلُّ على هذا التخصيص أَن الله تعالى لا يعاقب أَحداً بذنب أَحد، واحتجت بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[الأنعام: ١٦٤]، [وهذا معنى آخر][(١)] لا حجة فيه؛ وذلك أَن الله تعالى لا يجعل العقوبة تقصد أَحداً بسبب إِذْناب غيره، ولكنه إِذا أَرسل عذاباً على أُمة عاصية لم يمكن البريءَ التخلُّصُ من ذلك العذاب، فأَصابه العذاب لا بأَنه له مجازاة، ونحو هذا قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[الأنفال: ٢٥]، وقيل للنبي ﷺ: أَنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إِذَا كَثُرَ الخبَثُ»[(٢)].

ثم لا بدَّ من تعلُّق ظلمٍ ما بالأَبرياءِ؛ وذلك بترك التغيير، ومداهنة[(٣)] أَهل الظلم، ومداومة جوارهم.

و«الأَجَلُ المُسَمَّى» في هذه الآية هو بحسب شخص شخص، وفي معنى الآية [مع ضمائرها اختصار وإِيجاز][(٤)].

وقوله تعالى: ﴿مَا يَكْرَهُونَ﴾ يريد البنات، و﴿مَا﴾ في هذا الموضع تقع لمن يعقل من حيث هو صنف.

وقرأَ الحسن: (أَلْسِنَتْهم الكذب) بسكون النون كراهية[(٥)] توالي الحركات.

---

(١) في المطبوع والمصرية١ والإماراتية والمصرية٢: «وهذا كله»، وليست «لا حجة فيه» في الأصل.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٦٨)، ومسلم (٢٨٨٠) من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها، مرفوعاً به.

(٣) في المطبوع: «مداجنة».

(٤) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «ضمائر كثيرة تركتها اختصاراً وإِيجازاً».

(٥) في المطبوع والمصرية٢: «خوفاً من»، وهي شاذة عزاها له في مختصر الشواذ (ص: ٧٧)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٧٣).

وقرأ الجمهور: ﴿ٱلۡكَذِبَ﴾ بكسر الذال [وفتح الباءِ][(١)]، فـ﴿أَنَّ﴾ بدلٌ منه.

وقرأ معاذ بنُ جبل وبعض أَهل الشام: (الكُذُبُ) بضم الكاف والذال والباءِ على صفة الأَلسنة[(٢)]، و﴿أَنَّ لَهُمُ﴾ مفعولةٌ بـ﴿وَتَصِفُ﴾.

و﴿ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ قال مجاهد، وقتادة: يريد الذُّكور من الأَولاد، وهو الأَسبق من معنى الآية، وقالت فرقة: يريد الجَنَّة[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: ويؤيد هذا قوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾، ومعنى الآية على هذا التأويل: يجعلون لله المكروه، ويدَّعون مع ذلك أَنهم يدخلون الجنَّة، كما تقول لرجل: أَنت تعصي الله، وتقول مع ذلك: إِنَّكَ تنجو؛ أَي: إن ذلك بعيد مع هذا، ثم حكم عليهم بعد ذلك بالنار، وقد تقدم القول في ﴿لَا جَرَمَ﴾، وقرأَ الجمهور: ﴿أَنَّ لَهُمُ﴾ بفتح الهمزة، وإِعرابها بحسب تقدير ﴿جَرَمَ﴾، فمن قَدَّرَها بـ«كسب فعلهم» فهو نصب، ومن قدرها بـ«وجب» فهو رفع.

وقرأَ الحسن، وعيسى بن عمر: (إِنَّ) بكسر الهمزة[(٤)].

وقرأ السبعة سوى نافع: ﴿مُّفۡرَطُونَ﴾ بفتح الراءِ وخفتها، ومعناه: مقدَّمون إِلى النار والعذاب، وهي قراءَة الحسن، والأَعرج، وأَصحاب ابن عباس، وقد رُويت عن نافع، وهو مأخوذ من فَرَط الماءِ، وهم القوم الذين يتقدَّمون إِلى المياه لإِصلاح الدِّلاءِ والأَرشاءِ، ومنه قول النبي ﷺ: «أَنا فَرَطُكم على الحوض»[(٥)]، ومنه قول القطاميِّ:

---

(١) زيادة من المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢.

(٢) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٣٢)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٩٦)، والهداية لمكي (٦/ ٤٠٢٢).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوه للحسن في الشواذ للكرماني (ص: ٢٧٣)، ولهما في الدر المصون (٧/ ٢٤٩).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٢٠٥)، ومسلم (٢٢٩٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، مرفوعاً به.

واسْتَعْجَلونَا وكانوا مِن صَحَابَتِنَا كَما تَعَجَّلَ فُرَّاطٌ لِوُرَّادِ[١] [البسيط]

وقالت فرقة: مُفْرَطونَ معناه: مُخَلَّفون متروكون في النار مَنْسِيُّون فيها، قاله سعيد ابن جبير، ومجاهد، وابن أبي هند[٢].

وقال آخرون: ﴿مُّفۡرَطُونَ﴾ معناه: مُبعدون في النار، وهذا قريب من الذي قبله.

وقرأَ أبو جعفر بن القعقاع: ﴿مُفَرِّطونَ﴾ بكسر الراءِ وتشديدها وفتح الفاءِ، ومعناه: مُقَصِّرون في طاعة الله تعالى، وقد رُوي فتح الرَّاءِ مع شدِّها.

وقرأَ نافع وحده: ﴿مُفرِطُونَ﴾ بكسر الراءِ وخفتها، وهي قراءَة ابن مسعود، وابن عباس، وأَبي رجاءٍ، وشيبة بن نصاح، وأَكثر أَهل المدينة[٣]؛ أَي: متجاوزون للحدِّ في معاصي الله عزَّ وجلَّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

هذه آية ضرب مثل لهم بمن تقدم، وفي ضمنها وعيد لهم، وتأنيس للنبي ﷺ.

وقوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ يحتمل أَن يريد به يوم الإِخبار بهذه الآية، وهو بعد موت أُولئك

---

(١) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٧/ ٢٣٤)، والزاهر للأنباري (١/ ٢٧١)، وإصلاح المنطق (١/ ٥٧)، والصحاح (٣/ ٢٨٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٣٣)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٩٦)، وفي المطبوع: «ابن هند».

(٣) انظر قراءة نافع بالكسر وغيره من السبعة بالفتح في التيسير (ص: ١٣٨)، وقراءة أبي جعفر بالتشديد في تفسير الثعلبي (٦/ ٢٤)، والنشر (٢/ ٣٠٤)، وقراءة الباقين ورواية نافع الأخرى في البحر المحيط (٦/ ٥٥٢)، وليست من طرق التيسير.

الأُمم المذكورة؛ أَي: لا وليَّ لهم مذ ماتوا واحتاجوا إِلى الغوث إِلا الشيطان، ويحتمل أَن يريد يوم القيامة، والأَلف واللام فيه للعهد، أَي: هو وليُّهم في اليوم المشهود، وهو وقت الحاجة والفصل، ويحتمل أَن يريد: فهو ولِيُّهم مدة حياتهم، ثم انقطعت ولايته بموتهم، وعبَّر عن ذلك بقوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ تمثيلاً للمخاطبين بمدة حياتهم، كما تقول لرجل شابٍّ تحضُّه على طلب العلم: يا فلان لا يدرس أَحد من الناس إِلا اليوم، تريد: في مثل سنك هذه، فكأَنه قال لهؤلاءِ: فهو وليُّهم في مثل حياتكم هذه، وهي التي كانت لهم، وسائر الآية وعيد.

وقوله: ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ يريد القرآن.

وقوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ في موضع المفعول من أَجله.

وقوله: ﴿وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ ﴾ عطف عليه، كأَنه قال: إِلا للبيان؛ أَي: لأَجل البيان لهم.

وقوله: ﴿ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ لفظ عام لأَنواع كفر الكفرة من الجحد بالله تعالى وبالقيامة، أَو بالنُّبُوَّات وغير ذلك، ولكن الإِشارة في هذه الآية إِنما هي لجحدهم الربوبية، وتشريكهم الأَصنام في الإِلهية، يدل على ذلك أَخذه بعد هذا في إِثبات العِبَر الدَّالة على أَن الأَنعام وسائر الأَفعال إِنما هي من الله تعالى لا من الأَصنام.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ الآية؛ لما أَمره بتبيين ما اختلف فيه نصَّ العِبَر المؤدية / إِلى تبيين أَمر الربوبية، فبدأَ بنعمة المطر التي هي أَبْين العبر، وهي ملاك [٣/ ١٤٢]
الحياة، وفي غاية الظهور، لا يخالف فيها عاقل، وحياة الأَرض وموتها استعارة وتشبيه بالحيوان؛ إِذ هي هامدة غبراءُ غير مُنْبِتة فهي كالميت، وإِذ هي مُنْبِتة مخضرَّة مهتزَّة رابية فهي كالحيِّ.

وقوله: ﴿يَسۡمَعُونَ﴾ يدل على ظهور هذا المعتبَرِ فيه وبيانه؛ لأَنه لا يحتاج إِلى تفكُّر ولا نظر قلب، وإِنما يحتاج المنبَّهُ إِلى أَن يسمع القول فقط.

و﴿ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ هي الأَصناف الأَربعة: الإِبل والبقر والضأن والمعز.

و«العِبْرَةُ»: الحال المعتبر فيها.

وقرأَ نافع، وابن عامر، وعاصم في رواية أَبي بكر، وابن مسعود بخلاف، والحسن، وأَهل المدينة: ﴿نَّسْقِيكُم﴾ بفتح النون، من سقي يسقي، وقرأَ الباقون وحفص عن عاصم: ﴿نُّسْقِيكُم﴾ بضم النون، [من أَسقَى يُسقِي][1]، وهي قراءَة الكوفيين وأَهل مكة[2].

وقال بعض أَهل اللغة: هما لغتان بمعنى واحد، وقالت فرقة: تقول لمن سقيته بالشَّفة أَو في مرة واحدة: سَقَيْتُه، وتقول لمن تُمِرُّ سَقْيه، أَو تمنحه شِرْباً: أَسْقَيْتُهُ، وهذا قول من قرأَ: ﴿نُسْقِيكُم﴾؛ لأَن أَلبان الأَنعام من الـمُسْتَمِرِّ للبشر، وأَنشد مَن قال: إِنهما لغتان بمعنىً قولَ لبيد:

[الوافر] سَقَى قَوْمي بني بَـدْرٍ وأَسْـقَى نُمَيْـراً والقَبَائِـلَ مِـن هـلالِ[3]

وذلك لازم؛ لأَنه لا يدعو لقومه بالقليل.

وقرأ أَبو رجاءٍ: (يَسْقِيكُم) بالياءِ؛ أَي: يسقيكم الله، وقرأَت فرقة: (تَسْقِيكُم) بالتاءِ، وهي ضعيفة، وكذلك اختلف القراءُ في سورة «المؤمنون»[4].

وقوله: ﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾ الضمير عائد على الجنس، وعلى المذكور، كما قال الشاعر:

[الرجز] مِثْـلُ الْفِـرَاخِ نُتِفَـتْ حَوَاصِلُهْ[5] ....

(١) ليس في أحمد٣ والمطبوع.

(٢) انظر: التيسير (ص: ١٣٨)، وما بين المعكوفتين ليس في المطبوع والمصرية٢.

(٣) تقدم في تفسير الآية (٢٢) من سورة الحجر، بلفظ: بني مجد، وهي ابنة تيم بن غالب، وهي أُمُّ كلاب وكليب ابني ربيعة بن عامر.

(٤) الآية (٢١)، كما سيأتي في محله.

(٥) استشهد به بلا نسبة في: تفسير الطبري (١٧/ ٢٣٩)، والمحتسب لابن جني (٢/ ١٥٢)، والصحاح للجوهري (٤/ ٤٠).

وهذا كثير، كقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [عبس: ١١-١٢].

وقيل: إِنما قال: ﴿بُطُونِهِۦ﴾؛ لأَن الأَنعام والنَّعَم واحد فردٌ، والضمير على معنى النَّعَم.

وقالت فرقة: الضمير عائد على البعض؛ لأَن الذكور لا أَلبان فيها، فكأَن العبرةَ إِنما هي في بعض الأَنعام.

و«الفَرْثُ»: ما ينزل إلى الأَمعاءِ.

و«السَّائِغُ»: السهل في الشرب اللَّذيذُ.

ورُوي: أَن اللبن لم يشرق به أَحد قط، روي ذلك عن النبي ﷺ[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

قال الطبريُّ: التقدير: ومن ثمرات النخيل والأَعْناب ما تتخذون، وقالت فرقة: التقدير: ومن ثمرات النخيل والأَعناب شيءٌ تتخذون منه[٢].

ويجوز أَن يكون قوله: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ﴾ عطفاً على ﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾؛ أَي: ولكم من ثمرات النخيل والأَعناب عبرة، ويجوز أَن يكون عطفاً على ﴿مِّمَّا﴾؛ أَي: ونسقيكم أَيضاً مشروبات من ثمرات.

و«السَّكَر»: ما يُسْكر، هذا هو المشهور في اللغة، فقال ابن عباس: نزلت هذه

(١) إسناده لين، أخرجه مسدد في مسنده (٤/ ٣٣٠ ـ إتحاف الخيرة) من حديث أبي لبيبة، مرفوعاً به، وفي إسناده: يحيى بن أبي لبيبة، قال فيه أبو حاتم: ليس بقوي. انظر: الجرح والتعديل (٩/ ١٦٦).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٢٤٠).

الآية قبل تحريم الخمر(١)، وأَراد بـ«السَّكَر» الخمر، وبـ«الرزق الحسن» جميع ما يُشرب ويؤكل حلالاً من هاتين الشجرتين، [فـ«الـحَسَنُ» هاهنا الحلالُ، وقال هذا القول ابن جبير، وإِبراهيم، والشعبي، وأَبو رزين، وقال الحسن بن أَبي الحسن: ذكر الله نعمته في السَّكَر قبل تحريم الخمر.

وقال الشعبي، ومجاهد: السَّكَر: المائع من هاتين الشجرتين](٢) كالخَلِّ والرُّبِّ والنَّبيذ، والرزق الحسن: العنب والتمر.

قال الطبري: والسَّكَر أَيضاً في كلام العرب: ما يطعم، ورجح الطبريُّ هذا القول(٣).

ولا مدخل للخمر(٤) فيه، ولا نسخ من الآية شيءٌ.

وقال بعض الفرقة التي رأَت السَّكر الخَمْرَ: إِن هذه الآية منسوخة بتحريم الخمر، وفي هذه المقالة دركٌ؛ لأَن النسخ إِنما يكون في حكم مستقر مشروع.

وروي عن النبي ﷺ أَنه قال: «حُرمت الخمر لعينها، والسَّكَرُ من غيرها»(٥)، هكذا هي الرواية(٦) الصحيحة بفتح السِّين والكاف؛ أَي: جميع ما يُسْكر منه حُرِّم على حدِّ

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٤٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) ليس في الأصل.

(٣) انظره مع الأقوال السابقة كلها في تفسير الطبري (١٧/ ٢٤٣-٢٤٧)، وبعضها في تفسير الماوردي (٣/ ١٩٨).

(٤) في أحمد٣: «ولا يدخل الخبز».

(٥) ليس له أصل مرفوعاً، أخرجه العقيلي في ضعفائه (٢/ ٤٢٤) من طريق عبد الرحمن بن بشر الغطفاني، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مرفوعاً به، وفي سنده عبد الرحمن ابن بشر الغطفاني، قال العقيلي: مجهول النسب والرواية، ثم قال بعد أن روى حديثه هذا: ليس له من حديث أبي إسحاق أصل، وهذا يعرف عن عبد الله بن شداد بن الهاد، عن ابن عباس قوله.

(٦) في المطبوع والمصرية٢: «هكذا روي، والرواية».

تحريم الخمر قليله وكثيره، ورواه العراقيون: «والسُّكْر» بضم السين وسكون الكاف، وهو مبني على فقههم من أَن ما أَسكر كثيره من غير خمر العنب فقليله حلال[١].

وباقي الآية بَيِّن، [والله تعالى يعلم من ذلك ما لا يعلم البشر][٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ الآية، الوحي في كلام العرب: إِلقاءُ المعنى من الموحِي إِلى الموحَى إِليه في خفاءٍ، فمنه الوحي إِلى الأَنبياءِ برسالة الملك، ومنه وحْي الرُّؤْيا، ومنه وحْيُ الإِلهام وهو الذي في آيتنا هذه باتفاق المتأَوِّلين، والوحْيُ أَيضاً بمعنى الأَمر، كما قال تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥].

وقرأَ يحيى بن وثاب: (إلى النَّحَلِ) بفتح الحاءِ[٣].

و﴿أَنِ﴾ في قوله: ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى﴾ مفسِّرة.

وقد جعل الله بيوت النحل في هذه الثلاثة الأنواع[٤]: إِمَّا في الجبال وكُواها، وإِمَّا في متجوّف الأَشجار، وإِمَّا فيما يعرش ابن آدم من الأَجْبَاح[٥]، والحيطان ونحوها.

وعَرَشَ معناه: هيَّأَ، وأَكثرُ ما يستعمل فيما يكون من اتفاق[٦] الأَغصان والخشب وترتيب ظلالها، ومنه العريش الذي صُنِعَ لرسول الله ﷺ يوم بدر ومن هذا هي لفظة العَرْشِ، ويقال: عَرَشَ يَعْرِشُ ويَعْرُشُ بكسر الراءِ وضمها.

---

(١) انظر في ذلك: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي (٦/ ٤٥-٤٦).

(٢) من المصرية١، وفيها بعده: «نجز تفسير الآية الكريمة، وبنجازه نجز السفر الخامس، والله المحمود المشكور، المسؤول أن يصلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

(٣) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٧٧).

(٤) ليست في المطبوع والمصرية٢.

(٥) الجِبْحُ بالجيم المثلثة: حيث تُعَسِّل النحل إذا كان غير مصنوع.

(٦) في الأصل وأحمد٣: «إتقان».

وقرأَ ابن عامر بالضم، وسائرهم بالكسر، واختلف عن عاصم[١]، وجمهور الناس على الكسر، وقرأَ بالضم أَبو عبد الرحمن، وعُبَيْد بن نضلة[٢].

وقال ابن زيد في قوله: ﴿يَعۡرِشُونَ﴾ قال: الكروم، وقال الطبري: ﴿وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ﴾ يعني: ما يبنون من السقوف[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا منهما تفسير غير مُتْقن.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ الآية؛ المعنى: ثم أَلْهمها أَن كُلِي، بعطف ﴿كُلِي﴾ على ﴿ٱتَّخِذِي﴾، و﴿مِنَ﴾ للتبعيض؛ أَي: كُلي جزءاً أَو شيئاً من كل الثمرات، وذلك أَنها إِنما تأكل النَّوَّار من الأَشجار.

و«السُّبُل»: الطُّرق، وهي مسالكها في الطيران وغيره، وأَضافها إِلى «الرَّبِّ» من حيث هي مِلْكُه وخَلْقه؛ أَي: التي يسَّر لكِ ربُّكِ.

وقوله: ﴿ذُلُلٗا﴾ يحتمل أَن يكون حالاً من ﴿ٱلنَّحۡلِ﴾؛ أَي: مطيعة منقادة لما يُسِّرت له، قاله قتادة، وقال ابن زيد: فهُمْ يخرجون بالنحل ينتجعون، وهي تتبعهم، وقرأَ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ٧١ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ﴾ [يس: ٧١-٧٢][٤]، ويحتمل أَن يكون / حالًا من «السُّبُل»؛ أَيْ: [٣/ ١٤٣]
مُسَهَّلَةً مستقيمة، قال مجاهد: لا يتوعَّر عليها سبيل تسلكه.

---

(١) فقرأ شعبة كذلك بالضم، وحفص بالكسر كالباقين، انظر: التيسير (ص: ١١٣)، والسبعة (ص: ٣٧٤).

(٢) هو عبيد بن نضلة، أبو معاوية الخزاعي الكوفي، تابعي ثقة، أخذ القراءة عرضاً عن ابن مسعود، وروى عنه يحيى بن وثاب، وكان مقرئ أهل الكوفة في زمانه، ومن خيار أصحاب عبد الله، وثقه ابن حبان، وخرج له مسلم، توفي سنة (٧٥هـ). غاية النهاية (١/ ٤٩٧).

(٣) انظر قول الطبري ونقْلَه عن ابن زيد في تفسير الطبري (١٧/ ٢٤٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٤٩)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٩٩).

ثم ذكر تعالى على جهة تعديد النعمة، والتنبيه[١] على العبرة أَمْرَ العسل في قوله: ﴿مِنۢ بُطُونِهَا﴾، وجمهور الناس على أَن العسل يخرج من أَفواه النحل، وورد عن علي ابن أَبي طالب رضي الله عنه أَنه قال في تحقير الدنيا: «أَشرف لباس ابن آدم فيها لُعابُ دُودة، وأَشرفُ شرابه رَجِيعُ نحلة»[٢]، فظاهر هذا أَنه من غير الفم، واختلاف الأَلوان في العسل بحسب اختلاف النحل والمراعي.

وقد يختلف طعمه بحسب اختلاف المرعى، ومن هذا المعنى قول زينب رضي الله عنها للنبي ﷺ: «جَرَسَتْ نَحلُهُ الْعُرْفُط»[٣]، حيث شبهت رائحته برائحة المغافير.

وقوله: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ الضمير للعسل، قاله الجمهور، ولا يقتضي العموم في كُلِّ علَّة، وفي كُلِّ إِنسان، بل هو خبر عن أَنه يشفي كما يشفي غيره من الأَدوية في بعضٍ [دون بعض][٤]، وعلى حالٍ دون حال، ففائدة[٥] الآية إِخبارٌ منبِّه منه على أَنه دواءٌ لمَّا كثر الشفاءُ به، وصار خليطاً ومعيناً للأَدوية والأَشربة والمعاجن.

وقد رُوي عن ابن عمر أَنه كان لا يشكو شيئاً إِلَّا تداوى بالعسل، حتى إنه كان يدهن به الدُّمَّل والقرصةَ، ويقرأُ: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾[٦].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا يقتضي أَنه يرى الشفاءَ به على العموم.

وقال مجاهد: الضمير للقرآن[٧]؛ أَي: فيه شفاءٌ.

---

(١) ليست في الأصل.
(٢) لم أقف عليه مسنداً.
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٩٦٧)، ومسلم (١٤٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنها، من قولها، لا من قول زينب.
(٤) «دون بعض» زيادة من الأصل.
(٥) في المطبوع والمصرية٢ وأحمد٣: «ففي الآية».
(٦) الأثر عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٤٥) لحميد بن زنجويه، وكتابه مفقود، ولم أقف له على إسناد.
(٧) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٥٠)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٩٩)، والهداية لمكي (٦/ ٤٠٣٥).

وذهب قوم من أَهل الجهالة إِلى أَن هذه الآية إِنما يراد بها أَهل البيت ورجال[١] بني هاشم، وأَنهم النحل، وأَن الشراب القرآنُ والحكمة، وقد ذكر بعضهم هذا في مجلس المنصور أَبي جعفر العباسي، فقال له رجل ممن حضر: جعل الله طعامك وشرابك ما يخرج من بطون بني هاشم، فأَضحك الحاضرين وبهَتَ الآخر، وظهرت سخافة قوله[٢]، وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

هذا تنبيه على الاعتبار في إِيجادنا بعد العدم وإِماتتنا بعد ذلك، ثم اعترض بمن ينكَّس من الناس لأَنهم موضع عبرة، و﴿أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾: آخره الذي تفسد فيه الحواس، ويختل النطق، وخصَّ ذلك بالرذيلة وإِن كانت حالة الطفولية كذلك من حيث كانت هذه لا رجاءَ معها، والطفولية إِنما هي بدأة، والرجاءُ معها متمكِّن.

وقال بعض الناس: أَول أَرذل العمر خمسٌ وسبعون سنة، رُوي ذلك عن عليٍّ رضي الله عنه[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا في الأَغلب، وهو لا ينحصر إِلى مدة معينة، وإِنما هو بحسب إِنسان إِنسان، والمعنى: ومنكم من يردُّ إِلى أَرذل عمره، ورُبَّ من يكون ابن

---

(١) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية١ والمصرية٢: «من»، بدل «رجال».
(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ١٣٦).
(٣) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (١٧/ ٢٥١) من طريق الأصبغ بن نباتة، عن علي رضي الله عنه، والأصبغ متروك الحديث.

خمسين سنة وهو في أَرذل عمره، ورُبَّ ابن مئة أَو تسعين وليس في أَرذل عمره، واللام في ﴿لِكَيْ﴾ يشبه أَن تكون لام صيرورة، وليس ببيِّن، والمعنى: ليصير أَمره بعد العلم بالأَشياءِ إِلى أَلَّا يعلم شيئاً، وهذه عبارة عن قِلَّة علمه، لا أَنه لا يعلم شيئاً أَلبتَّـةَ، ولم تَحُل ﴿لَا﴾ بين (كي) ومعمولها لتصرفها، وأَنها قد تكون زائدة.

ثم قرر تعالى علمه وقدرته التي لا تتبدَّل، ولا تحملها[١] الحوادث، ولا تتغير.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ إِخبارٌ يراد به العبرة، وإِنما هي قاعدة بني المثل عليها، والمثل هو أَن المفضَّلين لا يصح منهم أَن يساهموا مماليكهم فيما أُعطُوا حتى تستوي أَحوالهم، فإِذا كان هذا في اليسير فكيف تنسبون أَنتم أَيها الكفرة إِلى الله تعالى أَنه يسمح بأَن يشرك في أُلُوهيته الأَوثان والأَنصاب وهم خلْقُه، وغير هذا مما عُبِد كالملائكة والأَنبياءِ وهم عبيده وخلْقه؟ هذا تأويل الطبري[٢]، وحكاه عن ابن عباس[٣].

وحُكي عنه: أَن الآية مشيرة إِلى عيسى ابن مريم عليه السلام[٤].

قال المفسرون: هذه الآية كقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ [الروم: ٢٨] الآية.

ثم وقفهم على جحدهم بنعمة الله في تنبيهه لهم على مثل هذا من مواضع النظر المؤدية إِلى الإِيمان.

وقرأَ الجمهور، وحفص عن عاصم: ﴿يَجْحَدُونَ﴾ بالياءِ من تحت، وقرأَها أَبو بكر عن عاصم: ﴿تجحدون﴾ بالتاءِ، وهي قراءَة أَبي عبد الرحمن، والأَعرج بخلاف عنه[٥]،

---

(١) في المطبوع والإماراتية ونجيبويه: «تحيلها»، وفي المصرية١ والمصرية٢ ونور العثمانية وأحمد٣: «يدخلها».
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٥٢).
(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٥٢) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٤) منقطع، أخرجه الطبري (١٧/ ٢٥٢) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولم يلقه.
(٥) انظر: التيسير (ص: ١٣٨)، وانظر للباقين البحر المحيط (٦/ ٥٦٤).

وهي على معنى: قل لهم يا محمد، قال قتادة: لا يكون الجَحْدُ إِلا بعد معرفة[١].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم ﴾ الآية آية تعديد نِعَم، و«الأَزْوَاجُ»: الزوجات، ولا يترتب في هذه الآية الأَنواع، ولا غير ذلك.

وقوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يحتمل أَن يريد خَلْقَه حواءَ من نفس آدم وجسمه، فمن حيث كانا مبتدأَ الجميعِ ساغ حملُ أَمرهما على الجميع حتى صار الأَمر كأَن النساءَ خُلِقْن من أَنفس الرجال، وهذا قول قتادة[٢].

والأَظهر عندي أَن يريد بقوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أَي: من نوعكم، وعلى خِلْقَتِكُم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ﴾ ظاهر في تعديد النعمة في الأَبناءِ.

واختلف الناس في قوله: ﴿وَحَفَدَةً﴾:

قال ابن عباس: الحفدة: أَولاد البنين[٣]، وقال الحسن: هم بَنُوك وبنو بنيك.

وقال ابن مسعود[٤]، وأَبو الضحى، وإِبراهيم، وسعيد بن جبير: الحفدة: الأَصهار، وهم قرابة الزوجة، وقال مجاهد: الحفدةُ: الأَنصار والأَعوان والخدم[٥].

وحكى الزجاج: أَن الحفدة البنات في قول بعضهم[٦]، قال الزهراوي: لأَنهن

---

(١) ذكرها قتادة تفسيراً لقول الله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا الْكَافِرُونَ﴾ كما في تفسير الطبري (٢٠/ ٥٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٥٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٨٧)، والهداية لمكي (٦/ ٤٠٤٢).

(٣) صحيح، أخرجه الطبري (١٧/ ٢٥٧) من طريق شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٥٤) من طريق عاصم بن أبي النجود عن زر عن عبد الله بن مسعود، وإسناده لين.

(٥) انظر هذه الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (١٧/ ٢٥٥)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٥)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٠٢).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه له (٣/ ٢١٢).

خدم الأَبوين، ولأَن لفظة «البنين» لا تدل عليهن، أَلا ترى أَنهن لَسْنَ في قول الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦][١]، وإِنما الزينة / في الذكور. [٣/ ١٤٤]

وقال ابن عباس أَيضاً: الحفدة: أَولاد زوجة الرجل من غيره[٢].

ولا خلاف أَن معنى الحَفْدِ هو الخدمة والبِرُّ والمشي مسرعاً في الطاعة، ومنه في القنوت: «وإِليك نسعى ونَحفِدُ»[٣]، والحفَدَانُ: خَبَبٌ فوق المشي، ومنه قول الشاعر وهو جميل بن معمر:

[الكامل]
حَفَـدَ الوَلائِـدُ بَيْنَهُنَّ وَأُسْـلِمَتْ   بِـأَكُـفِّـهِـنَّ أَزِمَّـةُ الأَجْـمَـالِ[٤]

ومنه قول الآخر:

[البسيط]
كَلَّفْـتُ مجْهُولَهَـا نُوقـاً يَمَانِيَـةً   إِذَا الْحُدَاةُ عَلَى أَكْسَائِهَا حَفَدُوا[٥]

---

(١) تفسير الزهراوي غير متوفر.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٢٥٧-٢٥٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ضعيف، وروي من قول عمر وفيه عنعنة ابن جريج، أخرجه أبو داود في المراسيل (٨٩) من طريق عبد القاهر، عن خالد بن أبي عمران قال: بينا رسول الله ﷺ يدعو...فذكره معضلاً به، وهذا إسناد ضعيف مع إعضاله، فعبد القاهر بن عبد الله، أورده الذهبي في الميزان (٢/ ٦٤٢) وقال: نكرة، ما روى عنه سوى معاوية بن صالح الحضرمي، وشيخه خالد بن أبي عمران، من أتباع التابعين، فحديثه معضل، انظر تهذيب الكمال (٨/ ١٤٢)، ورواه ابن أبي شيبة (١٠/ ١٥٣)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٢١٠) كلاهما من طريق ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من قوله، قال البيهقي: صحيح موصول. قلت: هذا إن سلم من تدليس ابن جريج، فإنه عنعنة.

(٤) انظر عزوه في مجاز القرآن (١/ ٣٦٤)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٠٢)، وعزاه ابن سلام في غريب الحديث (٣/ ٣٧٤) للأخطل، والطبري (١٧/ ٢٥٧) لحميد، والقرطبي (١٠/ ١٤٤) لكثير، وفي المعجم الكبير للطبراني (١٠/ ٢٤٨) لأمية بن أبي الصلت.

(٥) البيت للراعي كما في تفسير الطبري (١٧/ ٢٥٨)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٣١)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٠٢)، ونسبه القرطبي (١٠/ ١٤٣)، وأبو حيان (٦/ ٥٤٣) للأعشى، وهو خطأ، وإنما بيته:

كلفت مجهولها نفسي وشايعني   همـي عليها إذا ما آلها لمعـــا

قال القاضي أَبو محمد: وهذه الفِرَق التي ذكرتُ أَقوالها إِنما بنَتْ على أَن كل أَحد جعل له من زوجه بنين وحفدة، وهذا إِنما هو في الغالب وعُظْم الناس، ويحتمل عندي أَن قوله: ﴿مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم﴾ إِنما هو على العموم والاشتراك؛ أَي: إِن من أَزواج البشر جعل الله لهم البنين، ومنهم جعل الخدمة، فمن لم يكن له زوجة فقد جعل الله له حفدة وحصل تحت[1] النعمة، وأُولئك الحفدة هم من الأَزواج، وهكذا تترتب النعمة التي تشمل جميع العالم، وتستقيم لفظة «الحَفَدة» على مجراها في اللغة؛ إِذ البشر بجملتهم لا يستغني أَحد منهم عن حفدة.

وقالت فرقة: «الحَفَدَة» هم البنون.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا يستقيم على أَن تكون الواو عاطفة صفة لهم، كما لو قال: جعلنا لهم بنين وأَعواناً؛ أَي: وهم لهم أَعوان، فكأَنه قال: وهم حفدة.

وقوله: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يريد: الْمُلِذَّ[2] من الأَشياءِ التي تطيب لمن رزقها، ولا يقتصر هنا على الحلال؛ لأَنهم كفار لا يكتسبون بشرع، وفي هذه الآية ردٌّ على من قال من المعتزلة: إِن الرزق إِنما يكون الحلالَ فقط، ولهم تَعَلُّق في لفظة ﴿مِّنَ﴾؛ إِذْ هي للتبعيض، فيقولون: ليس الرزق المعدَّد عليهم من جميع ما بأَيديهم إِلَّا ما كان حلالاً[3].

وقرأَ الجمهور: ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾، وتجيءُ الآية على هذه القراءَة توقيفاً لمحمد ﷺ على إِيمانهم بالباطل، وكفرهم بنعمة الله.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن: (تُؤْمِنُونَ) بالتاءِ من فوق، ورويت عن عاصم[4]، على معنى:

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «تلك».

(٢) ليست في المصرية١، وفي الأصل: «الله»، وفي نور العثمانية والإماراتية: «الملك».

(٣) انظر نسبة القول للمعتزلة في: الإبانة (١/ ٣٢)، وشرح المقاصد (٢/ ١٦٢).

(٤) وهي شاذة، عزاها لهما في البحر المحيط (٦/ ٥٦٥)، ولقتادة في مختصر الشواذ (ص: ٧٧)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٧٣).

قل لهم يا محمد، ويجيءُ قوله[١] بعد ذلك: ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ إِخباراً مجرداً عنهم، وحُكْماً عليهم لا توقيفاً، وقد يحتمل التوقيف أَيضاً على قلة اطراد في القول.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

هذه آية تقريع للكفار وتوبيخ، وإِظهارٌ لفساد نظرهم، ووضع لهم من الأَصنام في الجهة التي فيها سعي الناس، وإِليها هممهم[٢]، وهي طلب الرزق، وهذه الأَصنام لا تملك إِنزال المطر، ولا إِنبات نعمة، مع أَنها لا تملك ولا تستطيع أَن تحاول ذلك من مُلْك الله تعالى. وقوله: ﴿رِزْقًا﴾ مصدر، ونصبه على المفعول بـ﴿يَمْلِكُ﴾.

وقوله: ﴿شَيْـًٔا﴾ ذهب كثير من النحويين إِلى أنه منصوب على البدل من قوله: ﴿رِزْقًا﴾، و﴿رِزْقًا﴾ اسم، وذهب الكوفيون ـ وأَبو علي معهم ـ إِلى أَنه منصوب بالمصدر في قوله: ﴿رِزْقًا﴾، ولا نقدره اسماً، وهو كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥][٣]، [فـ﴿كِفَاتًا﴾: مصدر منصوب به ﴿أَحْيَآءً﴾][٤]، ومنه أيضاً قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٤ - ١٥]، فنصب ﴿يَتِيمًا﴾ بـ﴿إِطْعَٰمٌ﴾، ومنه قول الشاعر:

فَلَوْلَا رجـاءُ النَّصْرِ مِنْـكَ ورَهْبَةٌ ... عِقَابَكَ قَدْ صَارُوا لَنَا كالمَوَارِدِ[٥] [الطويل]

---

(١) في أحمد٣: «قولهم».
(٢) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «مهمهم»، وفي نجيبويه والإماراتية: «هممهم»، وفي نور العثمانية: «سعي الناس بأجمعهم».
(٣) انظر الأقوال في إعراب الآية في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٥٦).
(٤) ليس في المطبوع.
(٥) بلا نسبة في الكتاب لسيبويه (١/ ١٨٩)، وشرح شواهد الإيضاح (ص: ٢٨)، والكليات لأبي البقاء (١/ ١٣١١).

والمصدر يعمل مضافاً باتفاق؛ لأَنه في تقدير الانفصال، ولا يعمل إِذا دخله الأَلف واللام؛ لأَنه قد توغَّل في حال الأَسماءِ، وبَعُد عن الفعلية، وتقدير الانفصال في الإِضافة حسَّن عمله، وقد جاءَ عاملاً مع الأَلف واللام في قول الشاعر:

[المتقارب] ضَعِيفُ النِّكَايَـةِ أَعْدَاءَهُ[١] ....

البيت، وقوله:

[الطويل] .... عَنِ الضَّرْبِ مِسْمَعَا[٢]

وقوله تعالى: ﴿يَمْلِكُ﴾ على لفظ ﴿مَا﴾، وقوله: ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ على معناها بحسب اعتقاد الكفار في الأَصنام أَنَّها تعقل، ويحتمل أَن يكون الضمير في ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ للذين يَعبُدون، والمعنى: لا يستطيعون ذلك ببرهان يُظهرونه، وحُجَّة يثبتونها[٣].

وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ﴾ أَي: لا تُمَثِّلوا لله الأَمثال، وهو مأْخوذ من قولك: هذا ضَرِيبُ هذا؛ أَي: مَثِيلُه، والضَّرْب: النوع، تقول: الحيوان على ضروب، وهذا من ضَرْبٍ واحد، وباقي الآية بيِّن.

قوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ الآية؛ الذي هو مثال في هذه الآية هو عبْدٌ بهذه الصفة مملوك، لا يقدر على شيءٍ من المال، ولا من أَمر نفسه، وإِنما هو مُسخَّر بإِرادة سيِّده مدبَّر، ولا يلزم من الآية أَن العبيد كلَّهم بهذه الصفة كما انتزع بعض من ينتحل الفقه[٤]، وقد قال

---

(١) تمامه: (يَخَالُ الفِرَارَ يُرَاخِي الأَجَلْ)، وهو بلا نسبة في الكتاب لسيبويه (١/ ١٩٢)، وهو من شواهده الخمسين التي لم يعرف قائلها.

(٢) تمامه: (لَقَدْ عَلِمَتْ أُولى الْمُغِيرةِ أَنَّنِي لَحِقْتُ فَلَمْ أَنْكِلْ عن الضَّرْبِ مِسْمَعَا) وهو للمَرَّار الأسدي كما في الكتاب لسيبويه (١/ ١٩٢)، وشرح شواهد الإيضاح (ص: ٣٣)، قال: ونسبه الجرمي إلى مالك بن زغبة الباهلي، ومسمع هو ابن مالك الشيباني.

(٣) في المطبوع ونجيبويه والمصرية١: «يُبَيِّنُونَهَا».

(٤) وهو قول الحنفية كما في أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٧)، والشافعية في الجديد في: أحكام القرآن للشافعي (١/ ١٧٧).

في المثل الثاني[١]: ﴿لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾، فيلزم على هذا الانتزاع أن يكون [البُكْم لا شيءَ لهم، وَبِإِزاءِ العبد في المثال رجل مُوَسَّع عليه في المال فهو يتصرف فيه بإِرادته، ولا يلزم من نفس المثال أَن يكون][٢] مؤمناً ينفق بحسب الطاعة، أَما إِنه أَشرف أَن يكون مثالًا.

و«الرِّزْق»: ما صحَّ الانتفاعُ به، وقال أبو منصور في عقيدته: «الرزق ما وقع الاغتذاءُ به»[٣]، وهذه الآية تردُّ على هذا التخصيص، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، و﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وغير ذلك من قول النبي ﷺ: «وَجُعِلَ رزقي في ظِلِّ رُمْحِي»[٤].

---

(١) ليست في الأصل.

(٢) ليست في الأصل.

(٣) انظر معنى ما نسبه المؤلف لأبي منصور في: «الفرق بين الفرق» (١/ ٣٠٣).

(٤) إسناد حديث ابن عمر صالح، قاله الذهبي، روي من حديث ابن عمر ومن حديث أبي هريرة ومن حديث عتبة بن عويم بن ساعدة، أما حديث ابن عمر، فعلقه البخاري (٤/ ٤٠) فقال: باب ما قيل في الرماح، ويذكر عن ابن عمر عن النبي ﷺ: «جعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري»، وحديث ابن عمر هذا يرويه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ثنا حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر به مرفوعاً، أخرجه أحمد (٩/ ١٢٣) وغيره، قال الذهبي في سير النبلاء (١٥/ ٥١٠): إسناده صالح، وأما حديث أبي هريرة فرواه صدقة بن عبد الله، عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً، أخرجه البزار (١٥/ ٢٠٤) وقال: هذا الحديث قد خولف صدقة في إسناده، فرواه غيره عن الأوزاعي بغير هذا الإسناد مرسلاً، ولم يُتابع صدقةُ على روايته هذه عن الأوزاعي بهذا الإسناد.اهـ، قلت: وذكر هذه الطريق ابن أبي حاتم في العلل (٣/ ٣٨٨) وقال: قال أبي: قال دحيم: هذا الحديث ليس بشيء، الحديث حديث الأوزاعي، عن سعيد بن جبلة، عن طاووس، عن النبي ﷺ، والرواية التي أشار إليها دحيم أخرجها ابن أبي شيبة (٤/ ٥٨١) من طريق: عيسى بن يونس عن الأوزاعي. ورواها كذلك عن الأوزاعي: ابن المبارك في كتاب الجهاد (١٠٥)، وسعيد بن جبلة قال محمد بن خفيف الشيرازي: ليس عندهم بذاك. لسان الميزان (٣/ ٢٥)، وقال الدارقطني في علله (٩/ ٢٧٢): «وخالفه الوليد بن مسلم، رواه عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن أبي منيب الجرشي، عن =

وقوله: «أَرْزاق أُمتي في سَنابك خَيلِها، وأَسِنَّة رِماحِها»[١]، فالغنيمة كلها رزق.

والصحيح أَن ما صح الانتفاع به هو الرزق، وهو مراتب: أَعلاها ما تُغُذِّي به، وقد حصر رسول الله ﷺ وجوه الانتفاع في قوله: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهلْ لك من مالك إِلَّا ما أَكلْتَ فأَفنيتَ، أَو لبستَ فأَبليت، أَو تصدقت فأَمْضَيْت؟»[٢].

[٣/ ١٤٥] / قال القاضي أبو محمد: وفي معنى اللباس يدخل المركوب ونحوه.

واختلف الناس في الذي له هذا المَثَلُ؛ فقال قتادة، وابن عباس: هو مثل الكافر والمؤمن[٣]، فكأَن الكافر مملوك مصروف عن الطاعة، فهو لا يقدر على شيءٍ لذلك، ويشبه ذلك العبد المذكور.

قال القاضي أَبو محمد: والتمثيل على هذا التأويل إِنما وقع في جهة الكافر فقط، جعل له مثالاً، ثم قرن بالمؤمن المرزوق، إِلَّا أَن يكون المرزوق ليس بمؤمن، وإِنما هو مثال للمؤمن، فيقع التمثيل من جهتين.

وقال مجاهد، والضحاك: هذا المثال، والمثال الآخر الذي بعده إِنما هو لله تعالى

= ابن عمر، وهو الصحيح». فأعاده إلى حديث ابن عمر، ورواه عبد الرحمن بن سالم بن عتبة بن عويم بن ساعدة، عن أبيه، عن جده مرفوعاً، أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣/ ٤٤٥) بلفظ: «إن الله عز وجل بعثني بالهدى، ودين الحق، ولم يجعلني زراعاً، ولا تاجراً، ولا صخاباً في الأسواق، وجعل رزقي في ظل رمحي». ومحمد ضعيف، وعبد الرحمن بن سالم مجهول العين والصفة، لم يرو عنه غير محمد بن طلحة. وقد صرح الحافظ في التقريب بأنه مجهول، وسالم والد عبد الرحمن أيضاً لم يرو عنه غير ولده عبد الرحمن، فهو مجهول مثله، قال البخاري: عتبة بن عويم بن ساعدة ولم يصح. يعني هذا الحديث، ذكره العقيلي في الضعفاء (٣/ ٣٢٩).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٣٣٥) ويحيى بن آدم في الخراج (٢٤٧) من طريقين عن برد أبي العلاء عن مكحول مرسلاً.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٥٨) من حديث مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٦١) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه، به.

والأَصنام[١]، فتلك هي كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيءٍ، والله تعالى تتصرَّف قدرته دون معقِّب، وكذلك فسَّر الزجاج على نحو قول مجاهد[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا التأويل أَصوب؛ لأَن الآية تكون من معنى ما قبلها وما بعدها في تبيين أَمر الله تعالى والرَّد على الأَصنام.

وذكر الطبري عن ابن عباس أَنه قال: نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان وعبْد كان له[٣]، ورُوي تعيين غير هذا لا يصح إِسناده.

قال القاضي أَبو محمد: والمثال لا يحتاج إِلى تعيين أَحد.

وقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ شكر على بيان الأَمر بهذا المثال، وعلى إِذعان الخصم له، كما تقول لمن أَذعن لك في حُجَّة وسلَّم ما تبني أنت عليه قولك: الله أَكبر، وعلى هذا يكون كذا وكذا، فلما قال هنا: ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ فكأَن الخصم قال له: لا، فقال: الحمد لله، ظهرت الحجة.

وقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يريد: لا يعلمون أَبداً، ولا يداخلهم إِيمان، ويتمكن على هذا قوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾؛ لأَن الأَقل من الكفار هو الذي [يؤمن، وهو الذي][٤] آمن مِنْ أُولئك، ولو أَراد[٥] بقوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أَي: الآن لكان قوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ بمعنى الاستيعاب؛ لأَنه لم يكن أَحد منهم يعلم.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٦٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٩١)، وتفسير السمعاني (٣/ ١٨٩)، والهداية لمكي (٦/ ٤٠٥١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه له (٣/ ٢١٣).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٦٣) من طريق: يحيى بن إسحاق السَّيْلَحِيني، قال: ثنا حماد ـ هو ابن سلمة ـ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن إبراهيم، عن عكرمة، عن يعلى بن أمية، عن ابن عباس. وهو إسناد غريب، وعبد الله بن عثمان بن خثيم فيه لين، وله مناكير.

(٤) ليس في الأصل والإماراتية.

(٥) في الأصل: «كان معنى».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

هذا مثل لله عزَّ وجلَّ وللأصنام، فهي كالأَبكم لا نُطقَ له، ولا يقدر على شيءٍ، وهو عيالٌ على من والاه من قريب أَو صديق.

و«الكَلُّ»: الثقل والمؤونة، وكل محمول فهو كَلٌّ، وسُمِّي اليتيم كلّاً، ومنه قول الشاعر:

أَكُـولٌ لِـمَـالِ الـكَلِّ قَبْلَ شَـبَابِهِ ... إِذَا كَانَ عَظْمُ الكَلِّ غيْرَ شَدِيدِ[1] [الطويل]

كما الأَصنام تحتاج إِلى أَن تنقل وتخدم ويُتَعَذَّب بها، ثم لا يأتي من جهتها خير أَلبَتَّةَ، هذا قول قتادة[2]، وقال ابن عباس: هو مثل للكافر[3].

وقرأَ ابن مسعود: (يُوَجِّهْ)، وقرأَ علقمة: (يُوَجَّهْ)، وقرأَ الجمهور: ﴿يُوَجِّههُّ﴾، وهي خطُّ المصحف، وقرأَ يحيى بن وثَّاب: (تَوَجَّه)، وقرأَ ابن مسعود أَيضاً: (تُوَجِّهْهُ) على الخطاب، وضعف أَبو حاتم قراءَة علقمة؛ لأَن الجزم لازم[4].

---

(١) بلا نسبة في العين (٥/ ٢٧٩)، والمحكم (٦/ ٦٥٨)، وتهذيب اللغة (٣/ ٣٠٥).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٢٦٣)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٠٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٦٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) القراءات الشاذة أربع: الأولى والثانية في المحتسب (٢/ ١١)، والرابعة في الشواذ للكرماني (ص: ٢٧٤)، وعزا الثالثة لابن عمير.

والذي يَأمُرُ بِالعَدْلِ هو الله تعالى، وقال ابن عباس: هو المؤمن[١]، و(الصراط): الطريق.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية، أَخبر تعالى أَن الغيبَ له يملكه ويعلمه.

وقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ﴾ آية إِخبار بالقدرة، وحجة على الكفار، والمعنى على ما قال قتادة وغيرُه: ما تكون الساعة وإِقامتها في قدرة الله تعالى إِلَّا أَن يقول لها: كن، فلو اتفق أَن يقف على ذلك محصِّل من البشر لكانت من السرعة بحيث يقول: هل هي كلمح البصر، أَو هي أَقرب من ذلك؟ فـ﴿أَوْ﴾ على هذا على بابها للشَّك، وقيل: هي للتخيير.

و(لَـمْحُ البصر) هو وقوعه على المرئيِّ، وقوَّى هذا الإِخبار بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، [يريد: على كل شيءٍ مقدور][٢].

ومَن قال: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ﴾؛ أَي: وما إِتيانها ووقوعها بكم، على جهة التخويف من حصولها؛ ففيه بُعْدٌ وتجوُّز كثير، وبعد[٣] مِنْ قول النبي ﷺ: «بُعثت أَنا والساعةُ كهاتين»[٤]، ومِنْ ذِكْره ما ذكر من أَشراط الساعة ومهلتها.

ووجه التأويل: أَن القيامة لما كانت آتية ولا بُدَّ جُعلت من القرب كلمح البصر، كما يقال: ما السَّنَة إِلا لحظة، إِلا أَن قوله: ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ يردُّ أَيضاً هذه المقالة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم﴾ الآية تعديد نعمة بَيِّنة لا ينكرها عاقل، وهي نعمة يقبح معها كفرها وتصريفها في الإِشراك بالذي وهبها، فالله تعالى أَخبر أَنه أَخرج ابن

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٦٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) ليس في الأصل.

(٣) في المطبوع وأحمد٣ بدله: «قال القاضي أبو محمد».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦١٣٩)، ومسلم (٢٩٥١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، مرفوعاً به.

آدم لا يعلم شيئاً، ثم جعل حواسَّه التي قد وهبها له في البطن سُلَّماً إِلى إِدراك المعارف؛ ليشكر على ذلك، ويؤمن بالمنعِم عليه.

و(أُمَّهات) أَصله أُمَّات، وزيدت الهاءُ مبالغة وتأكيداً، كما زادوا الهاءَ في (أَهرقت الماءَ)، قاله أَبو إِسحاق[١]، وفي هذا المثال نظر، وقول[٢] غير هذا.

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿إِمَّهَاتكم﴾ بكسر الهمزة[٣].

وقرأ الأَعمش: (في بُطُونِ مِّهَاتِكم)[٤] بحذف الهمزة وكسر الميم مُشَدَّدة[٥].

وقرأ ابن أَبي ليلى[٦] بحذف الهمزة وفتح الميم مُشَدَّدة، قال أَبو حاتم: حذف الهمزة رديءٌ، ولكن قراءَة ابن أَبي ليلى أَصوب.

والتَّرجِّي الذي في (لَعَلَّ) هو بحسبها، وهذه الآية تعديد نِعَمٍ، وموضع اعتبار.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ﴾ الآية، قرأ طلحة بن مصرِّف، والأَعمش، وابن هرمز: (ألم تروا) بالتاءِ، وقرأ أَهل مكة والمدينة: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ﴾ بالياءِ على الكناية عنهم، واختُلف عن الحسن، وعاصم، وأَبي عمرو[٧]، وعيسى الثقفي[٨].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢١٤).

(٢) في المطبوع: «وقيل».

(٣) انظر: التيسير (ص: ٩٤)، وزاد كسر الميم مشددة لحمزة وذلك كله في الوصل خاصة.

(٤) كتبت في الأصل ونجيبويه والمصرية١: «امهاتكم» بالألف في أولها.

(٥) ليست في المطبوع، وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (٦/ ٥٧٤) إلا أن المعروف عن الأعمش موافقة حمزة كما في تفسير الثعلبي (٦/ ٣٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٣٧)، وفي الإقناع في القراءات السبع (ص: ٤٨) أن الكسائي رواها عنه، لم يسمع عنه غيرها.

(٦) وكتبت في المطبوع: «ابن أبي ليلة» خطأ، وهي شاذة، انظرها مع قول أبي حاتم في البحر المحيط (٦/ ٥٧٤).

(٧) كتبت في المطبوع والمصرية٢: «وأبو عمرو» بالرفع.

(٨) غير متقن، فالقراءتان سبعيتان، الأولى بالتاء لابن عامر وحمزة، والثانية لباقي السبعة لا خلاف بينهم في ذلك في شيء من طرق التيسير، انظره (ص: ١٣٨)، وانظر الحجة للفارسي (٥/ ٦٧)، =

و«الْجَوّ»: مسافة ما بين السماءِ والأَرض، وقيل: هو ما يلي الأَرض منها، وما فوق ذلك هو اللوح، والآيةُ عبرةٌ بيِّنة المعنى، تفسيرها تكلُّفٌ بَحْتٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ / ٱلۡجِبَالِ [٣/ ١٤٦]
أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾.

هذه آية تعديد نعمة الله على الناس في البيوت، فذكر أَولاً بيوت التمدُّن، وهي التي للإِقامة الطويلة، وهي عُظْم بيوت الإِنسان، وإِن كان الوصف بالسَّكَنِ يعم جميع البيوت، و«السَّكَنُ»: مصدر يوصف به الواحد، ومعناه: يسكن فيها وإِليها، ثم ذكر تعالى بيوت النُّـقْلة والرِّحلة.

وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا﴾ يحتمل أَن يعم به بيوت الأدم، وبيوت الشَّعر، وبيوت الصوف؛ لأَن هذه من الجلود لكَوْنها ثابتةً فيها، نحا إِلى ذلك ابن سلام[1]، ويكون قوله: ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا﴾ [ابتداءَ كلام، كأَنه قال: جعل أَثَاثاً، يريد الملابس والوِطاءَ وغير ذلك، ويحتمل أَن يريد بقوله: ﴿مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ﴾ بيوتَ الأدم فقط، ويكون ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا﴾][2] عطفاً على قوله: ﴿جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾؛ أَي: جعل بيوتاً أَيضاً، ويكون قوله: ﴿أَثَٰثٗا﴾ نصباً على الحال، و﴿تَسۡتَخِفُّونَهَا﴾؛ أَي: تجدونها خِفافاً.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو: ﴿ظَعَنِكُم﴾ بفتح العين، وقرأَ ابن عامر، وعاصم،

= وانظر الخلاف عن أبي عمرو وعاصم وابن عامر في جامع البيان (٣/ ١٢٧٦)، وانظر موافقة الأعمش بالتاء في تفسير الثعلبي (٦/ ٣٣)، وزاد يحيى، وانظر الكل في البحر المحيط (٦/ ٥٧٥).

(١) انظر: تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٤١٣) فهو اختصار لـ«تفسير يحيى بن سلام».

(٢) ليس في الأصل.

وحمزة، والكسائي: ﴿ظَعْنِكُمْ﴾ بسكون العين[١]، وهما لغتان، وليس بتخفيف.

و«ظَعَن» معناه: رَحَل، و«الأَصواف» للغنم، و«الأَوبار» للإِبل، و«الأَشعار» للمعز والبقر، ولم تكن بلادهم بلادَ قُطن وكتَّان، ولذلك اقتصر على هذه، ويحتمل أَن تُرك ذكْرُ القطن والحرير والكتان إِعراضاً عن ذكر السَّرَف؛ إِذْ ملبس عباد الله الصالحين إِنما هو الصوف، وأَيضاً فقد أُشير إِلى القطن والكتان في لفظة «السرابيل».

و«الأَثاث»: متاع البيت، واحدها أَثاثة، هذا قول أَبي زيد الأَنصاري[٢].

وقال غيره: «الأَثاث»: جميع أَنواع المال، ولا واحد له من لفظه.

قال القاضي أَبو محمد: والاشتقاق يقوي هذا المعنى الأَعم؛ لأَن حال الإِنسان تكون بالمال أَثيثةً، كما تقول: شعر أَثيث، ونبات أَثيث: إِذا كثر والتفَّ.

وقوله: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ يريد به وقتاً غير معين، وهو بحسب كل إِنسان، إِمَّا بموته، وإِمَّا بفقد تلك الأَشياءِ التي هي أَثاث، ومن هذه اللفظة قول الشاعر:

[الوافر]
أَهَاجَتْكَ الظَّعَائِنُ يَوْمَ بانُوا ... بِذِي الزِّيِّ الجَمِيلِ مِنَ الأَثَاثِ[٣]

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ الآية؛ نِعم عدَّدَها عليهم بحسب أَحوالهم وبلادهم، وأَنها الأَشياءُ المباشرة لهم؛ لأَن بلادهم من الحرارة وصهر الشمس بحيث للظل غنىً عظيم، ونفعٌ ظاهر.

وقوله: ﴿مِّمَّا خَلَقَ﴾ يعم جميع الأَشخاص المظلِّلة، و«الأَكنان»: جمع كِنٍّ، وهو الحافظ من المطر والريح وغير ذلك.

---

(١) انظر: التيسير (ص: ١٣٨)، والسبعة (ص: ٣٧٥).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) البيت لمحمد بن نُمَيْرٍ الثَّقَفِيِّ، كما في مجاز القرآن (١/ ٣٦٥)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٤)، والكامل (٢/ ١٧٧)، والأغاني (٦/ ٢٠٠).

و«السَّرابيل»: جميع ما يلبس على البدن كالقميص والقَرْقَل والمجول والدِّرع والجَوْشَن والخفتان ونحوه(١).

وذكر وقاية الحرِّ إذ هو أَمَسُّ في تلك البلاد على ما ذكرنا، والبَرْدُ فيها معدوم في الأَكثر، وإِذا جاءَ في الشتوات فإِنما يُتَوَقَّى بما هو أَكثف من السربال [من الأَثاث](٢) المتقدم الذكر، فبقي السرابيل لتوقي الحرِّ فقط، قاله الطبريُّ عن عطاءٍ الخراساني(٣)، أَلا ترى أَن الله تعالى قد نبههم إِلى العبرة في البرد، ولم يذكر لهم الثلج؛ لأَنه ليس في بلادهم، قال ابن عباس: إِن الثَّلج شيءٌ أَبيض ينزل من السماءِ ما رأَيته قط(٤).

قال القاضي أبو محمد: وأَيضاً فَذِكْر أَحدهما [يدلُّ على](٥) الآخر، ومنه قول الشاعر:

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضاً أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي(٦) [الوافر]

قال القاضي أبو محمد: وهذه التي ذكرناها هي بلاد الحجاز، وإِلَّا ففي بلاد

(١) القَرْقَل: ضرب من الثياب، قيل: هو ثوب بغير كُمَّيْن، وقيل: قميص من قُمُص النساء بلا لِبْنة، وجمعه قَرَاقل، والجوشن: الدِّرع على الصدر، والمجول والخفتان ـ وفي المطبوع: الحفتان ـ من أنواع الملابس التي تختلف أسماؤُها باختلاف البلاد والزمان.

(٢) ليس في الأصل.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٧١).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) في المصرية١: «بدلًا عن».

(٦) البيت للمثقب العبدي كما في المفضليات (ص: ٢٨٧)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٧٩)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١٤٥)، والانتصار للقرآن (٢/ ٥٧٥)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٣٦٥)، والصناعتين (ص: ١٨٥)، وعيار الشعر (ص: ١٠٣)، وجمهرة الأمثال (٢/ ٤٠٢)، والعمدة (٢/ ٢٧٧)، والشعر والشعراء (١/ ٣٨٣)، وما في حاشية المطبوع من نسبته لسحيم بن وثيل الرِّيَاحي تبع فيه حواشي بعض «غير» المحققين، وفي قصيدة سحيم توارد مع قصيدة المثقب في أبيات ليس هذا منها، انظر معاهد التنصيص (١/ ٣٤٢).

العرب ما فيه بردٌ شديد، ومنه قول مُتَمِّم:

[الطويل] .... إِذَا القَشْعُ مِنْ بَرْدِ الشِّتَاءِ تَقَعْقَعَا(١)

ومنه وقول الآخر:

[البسيط] في لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أَنْدِيَةٍ(٢) ....

البيتين، وغير هذا، والسَّرابيل التي تقي البأسَ هي الدروع، ومنه قول كعب بن زهير:

[البسيط] شُـمُّ الْعَرَانِيـنِ أَبْطَـالٌ لَبُوسُـهُمُ مِنْ نَسْجِ داودَ في الْهَيْجَا سَرَابِيلُ(٣)

وقال أَوسُ بن حجر:

[الكامل] .... ولَنِعْمَ حَشْـوُ الدِّرْعِ والسِّـرْبَالِ(٤)

فهذا يراد به القميص.

و«البَأْسُ»: مسُّ الحديد في الحرب.

وقرأَ الجمهور: ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ﴾، وقرأَ ابن عباس: (تتمُّ نعمتُه)، على أَن النعمة هي التي تتم، ورُوي عنه: (تتمَّ نِعَمُه) على الجمع(٥).

---

(١) صدره: وَلاَ بَرَماً تُهْدِي النِّسَاءُ لِعِرْسِهِ، من قصيدته أمّ المراثي، انظر: العقد الفريد (٣/ ٢٢٠)، والعين (١/ ٦٥)، وجمهرة اللغة (٢/ ٨٦٩)، وأمالي القالي (١/ ١٩)، والمفضليات (ص: ٢٦٥)، والمعاني الكبير (٣/ ١١٤٧)، والكامل للمبرد (٤/ ٦١).

(٢) تمامه: لاَ يُبْصِرُ الكَلْبُ مِنْ ظَلْمَائِهَا الطُّنُبَا، وهو لِمُرَّةَ بن مَحْكان، كما في المقتضب (٣/ ٨١)، والمعاني الكبير (١/ ٢٣٣).

(٣) من قصيدته بانت سعاد، عزاه له في مجاز القرآن (١/ ٣٦٦)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٥١٣)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٦٤٠).

(٤) صدره: فَلَنِعْمَ رِفْدُ الحَيِّ يَنْـتَظِرُونَهُ، يرثي فضالة بن كلدة، كما في التعازي للمبرد (ص: ٧١)، والصحاح للجوهري (٥/ ١٨٠١).

(٥) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٧٤).

وقرأ الجمهور: ﴿تُسْلِمُونَ﴾ من الإسلام، وقرأ ابن عباس: (تَسْلَمُونَ)[١] من السلامة، فتكون اللفظة مخصوصة في بأس الحر، وما في «لَعَلَّ» من التَّرَجِّي والتَّـوَقُّع فهو في حيِّز البشر المخاطبين، أَي: لو نظر الناظر في هذه الحالة لترجَّى منها إِسلامهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

هذه الآية فيها موادعة نسختها آية السيف، والمعنى: إِن أَعرضوا فلستَ بقادر على خلق الإِيمان في قلوبهم، وإِنما عليك أن تبين وتبلغ[٢] أمر الله ونهْيَه، ثم قرعهم ووبَّخهم بأَنهم يعرفون نعمة الله في هذه الأَشياءِ المذكورة، ويقولون إِنها من عنده ثم يكفرون به تعالى، وذلك فعل المنكر للنعمة الجاحد لها؛ هذا قول مجاهد[٣]، فسماهم منكرين للنعمة تَجَوُّزاً؛ إِذْ كانت لهم أَفعال المنكرين من الكفر برَبِّ النعم، وتشريكهم[٤] في النعمة الأَوثان على وجه ما، وهو ما كانوا يعتقدون للأَوثان من الأفعال من الضر والنفع.

وقال السُّدي: «النعمة» هنا: محمد ﷺ، ووصفهم تعالى بأَنهم يعرفون معجزاته وآيات نبوته وينكرون [ذلك بالتكذيب، ورجَّحه الطبري[٥]، ثم حتم على أَكثرهم بالكفر وهم أَهل مكة؛ لأَنه كان فيهم من قد داخله][٦] الإسلام ومن أَسلم بعد ذلك.

---

(١) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٧٤).
(٢) في المطبوع: «أن تَبلغ».
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٧٣)، والهداية لمكي (٦/ ٤٠٦٣).
(٤) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «ولشركهم».
(٥) انظر قول السدي في معاني القرآن للنحاس (٤/ ٩٩)، ومع ترجيح الطبري في تفسير الطبري (١٧/ ٢٧٢).
(٦) ليس في الأصل.

وقوله: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ ﴾ آية وعيد، التقدير: واذكر يوم نبعث ويريد[١] شهيداً على كفرهم وإيمانهم، فـ«شَهِيدٌ» بمعنى: شاهد، وذكر الطبري أَن المعنى: ثم ينكرونها اليوم، وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً[٢] أَي: ينكرون كفرهم فيُكَذِّبهم الشهيد.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ﴾؛ أي: لا يؤذن لهم في المعذرة، وهذا في موطن دون موطن؛ لأَن في القرآن أن كُلّ نَفْسٍ تأتي تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها[٣]، ويترتب أَن تجيءَ كل نفس تجادل، فإِذا استقرت أَقوالهم بعث الله الشهود من الأُمم، فتكذب الكفار، فلا يؤذن للكاذبين / بعْدُ في معذرة. [٣/ ١٤٧]

و﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾ بمعنى: يُعْتَبون، يقال: عتَبْتُ الرجلَ: إِذا كفيتَهُ ما عتِبَ فيه، كما تقول: أَشْكَيْتُه [إذا كفيتَه][٤] ما شكا، كأَنه قال: ولا هم يُكفَون ما يعتبون فيه، وشقَّ عليهم، والعرب تقول: استَفعَلَ بمعنى: أَفعل، تقول: أَدْنَيْتُ الرجلَ واستدْنَيْتُه.

وقال قوم: معناه: لا يسأَلون أَن يرجعوا عمَّا كانوا عليه في الدنيا[٥].

قال القاضي أَبو محمد: فهذا استعتاب معناه طلب عتابهم[٦].

وقال الطبري: معنى ﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾: يطلبون الرجوع إِلى الدنيا، فلا يُعطَون، فيقع منهم توبة وعمل[٧].

---

(١) ليست في أحمد٣ والمطبوع والمصرية٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٧٤).

(٣) إشارة إلى الآية (١١١) من سورة النحل.

(٤) ليس في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢.

(٥) في حاشية المطبوع: جاءت هذه العبارة في بعض النسخ كالآتي: «لا يشكون أن يرجعوا كما كانوا عليه في الدنيا».

(٦) في المطبوع والمصرية٢ وأحمد٣ والمصرية١: «عُتْبَاه»، وفي نجيبويه: «عتباهم».

(٧) تفسير الطبري (١٧/ ٢٧٤).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾، الآية؛ أَخبر الله تعالى في هذه الآية أَن هؤلاءِ الكفرة الظَّالمين في كفرهم إِذا أَراهم الله عذاب النار وشارفوها، وتحقَّقوا كُنْه شدَّتها، فإِن ذلك الأَمر الهائل الذي نزل بهم لا يُخفف بوجه ولا يُؤَخَّر عنهم، وإِنما مقصد الآية الفرق بين ما يحل بهم وبين رزايا الدنيا، فإِن الإِنسان لا يتوقع أَمراً من خطوب الدنيا إِلَّا وله طمع في أَن يتأَخر عنه، وأَن يجيئه في أَخف ما يتوهم برجائه، وكذلك متى حلَّ به كان طامعاً في أَن يخف، وقد يقع ذلك في خطوب الدنيا كثيراً، فأَخبر الله تعالى أَن عذاب الآخرة إِذا عاينه الكافر لا طماعيةَ فيه بتخفيف، ولا تأْخير.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

أَخبر الله تعالى في هذه الآية أن المشركين إِذا رأَوا يوم القيامة بأَبصارهم الأَوثان والأَصنام وكلَّ معبود من دون الله، لأَنها تُحْشر معهم توبيخاً لهم على رؤوس الأَشهاد أَشاروا إِليهم وقالوا: هؤلاءِ كنا نعبدهم من دون الله، كأَنهم أَرادوا بذلك تذنيبَ المعبودين، وإِدخالَهم في المعصية، وأَضافوا الشركاءَ إِلى أَنفسهم من حيث هم جعلوهم شركاءَ، وهذا كما يصف رجلٌ آخرَ بأَنه خَيْر، فتَقول له أَنْتَ: ما فعل خيرُكَ؟ فأَضَفْتَهُ إِليه من حيث وصَفَه هو بتلك الصفة، والضمير في (أَلقوا)[1] عائد على الشركاءِ، فمن كان من المعبودين من البشر أَلقى القول المعهود بلسانه، وما كان من الجمادات تكلمت بقدرة الله بتكذيب المشركين في وصفهم بأَنهم آلهة وشركاءُ لله، ففي هذا وقع الكذب، لا في العبادة.

(١) في أحمد٣ والمصرية٢: «القول».

وقال الطبري: المعنى: إِنكم لكاذبون، ما كنا ندعوكم إِلى عبادتنا(١).

قال القاضي أَبو محمد: فكأَنهم كذَّبوهم في التذنيب لهم.

وقوله: ﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الضمير في ﴿وَأَلْقَوْا۟﴾ عائد على المشركين، والمعنى: أَلْقوا إِليه الاستسلام، وأَلقوا ما بأَيديهم، وذلُّوا لحكمه، ولم تكن لهم حيلة ولا دفع.

و﴿ٱلسَّلَمَ﴾: الاستسلام.

وقرأَ الجمهور: ﴿ٱلسَّلَمَ﴾ بفتح اللام، وروى يعقوب عن أَبي عمرو سكون اللام، وقرأَ مجاهد: (السُّلُمَ) بضم السين واللام(٢).

[وقوله: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ معناه وتلف عنهم كذبهم على الله، وافتراؤهم الكفرَ والتشريكَ](٣).

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية في ضِمْنِ قوله: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾؛ لأَنه حلَّ بهم عذاب الله وباشروا نِقمتَه، ثم فسَّره فأَخبر أَن الذين كفروا ومنعوا غيرهم من الدخول في الدين وسلوك سبيل الله زادهم عذاباً أَجلَّ من العذاب العام لجميع الكفار(٤) عقوبة على إِفسادهم، فيحتمل أَن يكون قوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدلًا من الضمير في ﴿يَفْتَرُونَ﴾، و﴿زِدْنَٰهُمْ﴾ فعل مستأنَف إِخباره، ويحتمل أَن يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ابتداءً، وخبره و﴿زِدْنَٰهُمْ﴾، وروي في ذلك: أَن الله تعالى يسلِّط عليهم عقاربَ وحيَّاتٍ لها أَنيابٌ كالنخل الطِّوال، قاله ابن مسعود(٥).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٧٥).

(٢) وهما شاذتان. انظرهما في البحر المحيط (٦/ ٥٨١)، والثانية في الشواذ للكرماني (ص: ٢٧٥).

(٣) ليس في المطبوع.

(٤) في الأصل: «الناس».

(٥) إسناده مستقيم، أخرجه الطبري (١٧/ ٢٧٦)، وأبو يعلى (٥/ ٦٥-٦٦)، والحاكم (٤/ ٥٩٣) من حديث جماعة عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن ابن مسعود رضي الله عنه، به، ورواية الحاكم من طريق شعبة، عن الأعمش، وهذا إسناد صحيح مستقيم.

وقال عبيد بن عمير: حيَّات لها أَنياب كالنخل، وعقارب كالبغال الدُّلْم[١]، ونحو هذا.

وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أَن لجهنم سواحل فيها هذه الحيَّات، وهذه العقارب، فيفر الكفار إِلى السواحل من النار، فتتلقَّاهم هذه الحيَّات والعقارب، فيفرون منها إِلى النار، فتتبعهم حتى تجد حرّ النار فترجع، قال: وهي في أَسراب[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾ الآية، هذه الآية في ضمنها وعيد، والمعنى: واذكر يوم نبعث في كل أُمَّة شهيداً عليها، وهو رسولها الذي شاهد في الدنيا تكذيبها وكفرها، وإِيمانها وهداها، ويجوز أَن يبعث الله شهيداً من الصالحين مع الرسل، وقد قال بعض الصحابة: «إِذا رأَيت أَحداً على معصية فانْهَه، فإِن أَطاعك، وإِلَّا كنت شهيداً عليه يوم القيامة»[٣].

وقوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ بحسب أَن بعثة الرسل كذلك هي في الدنيا، وذلك أَن الرسول الذي مِنْ نفس الأُمَّة [في اللسان والسِّيرة، وفهم الأَغراض والإِشارات متمكِّن له إِفهامهم، والردُّ على معاندتهم، ولا يتمكن ذلك مِن غير مَنْ هو منَ الأُمَّة][٤]، فلذلك لم يبعث الله نبيّاً قطُّ إِلَّا من الأُمة المبعوث إِليهم.

وقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إِشارة إِلى هذه الأُمة، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن، وقوله: ﴿تِبْيَٰنًا﴾ اسم وليس بمصدر، كالنقصان، والمصادر في مثل هذا التأويل منها مفتوحة كالتَّرداد والتَّكرار، ونصب ﴿تِبْيَٰنًا﴾ على الحال.

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٢٧٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٢٤)، وتفسير الثعالبي (٢/ ٣٢٠)، والدُّلم: السَّوداءُ.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٧٧) ولفظه: «إن لجهنم سواحل فيها حيات وعقارب، أعناقها كأعناق البخت»، وفي إسناده حيي بن عبد الله المعافري، قال فيه البخاري: فيه نظر، كما في تاريخه الأكبر (٣/ ٧٦)، والبخاري لا يقول ذلك إلا فيمن كان متهماً عنده، قاله الذهبي في الميزان (٢/ ٤١٥-٤١٦)، وبقية الأثر هو من كلام عبيد بن عمير السابق.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) ليس في الأصل.

وقوله: ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾؛ أي: مما نحتاج في الشرع ولا بُدَّ منه في المِلَّة، كالحلال والحرام، والدعاءِ إِلى الله، والتخويف من عذابه، وهذا حصر ما اقتضته عبارات المفسرين.

وقال ابن مسعود: أُنْزِلَ في هذا القرآن كلُّ علم، وكلُّ شيءٍ قد بُيِّن لنا في القرآن، [ثم تلا هذه الآية][١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أَجمعُ آية في كتاب الله آيةٌ في سورة النحل، وتلا هذه الآية[٢]، ورُوي / عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه أَنه قال: لما نزلت هذه الآية قرأْتُها على عليٍّ بن أبي طالب، فتعجب وقال: يا آل غالب اتَّبعوه تفلحوا، فوالله إِن الله أَرسله إِليكم ليأمر بمكارم الأَخلاق[٣]. [٣/ ١٤٨]

وحكى النقاش قال: كان يقال: زكاة العدل الإِحسان، وزكاة القدرة العفو، وزكاة الغنى المعروف، وزكاة الجاه كتْبُ الرجل إِلى إِخوانه[٤].

قال القاضي أَبو محمد: العدل هو فعل كل مفروض[٥]، من عقائد وشرائع، وسيرٌ

(١) ليس في المصرية١، أخرجه الطبري (١٧/ ٢٧٨-٢٧٩) من طريق أشعث، عن رجل، عن ابن مسعود رضي الله عنه، وفيه راوٍ لم يُسم.

(٢) صحيح، أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٤٢)، والحاكم (٢/ ٣٥٦) كلاهما من طريق المعتمر ابن سليمان، قال: سمعت منصور بن المعتمر يحدث عن عامر، عن شُتَير بن شَكَل، عن ابن مسعود رضي الله عنه، به.

(٣) لم أقف له على إسناد.

(٤) تفسير القرطبي (١٠/ ١٦٥).

(٥) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «هو فعل كل معروف»، وقوله في تحديد معنى الإحسان: «هو فعل كل مندوب» يؤدي أنه أراد هنا: كل مفروض، وكذلك تقسيمه الأشياء إلى مندوب ومفروض.

مع الناس في أَداءِ الأَمانات وتركِ الظلم، والإِنصافُ وإِعطاءُ الحق، والإِحسان هو فعل كل مندوب إِليه، فمن الأَشياءِ ما هو كله مندوب إِليه، ومنها ما هو فرض إِلَّا أَن حد[١] الأَجزاءِ منه داخل في العدل، والتكميل الزائد على حدّ الأَجزاءِ داخل في الإِحسان.

وقال ابن عباس فيما حكى الطبري: (العدل): لا إِله إِلَّا الله، و﴿ٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾: أَداءُ الفرائض[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وفي هذا القسم الأَخير نظر؛ لأَن أَداءَ الفرائض هي الإِسلام حسب ما فسَّره رسول الله ﷺ في حديث سؤال جبريل عليه السلام، وذلك هو العدل، وإِنما الإِحسانُ: التكميلاتُ والمندوبُ إِليه حسب ما يقتضيه تفسير النبي ﷺ لسؤال جبريل عليه السلام بقوله: «أَن تعبد الله كأَنك تراه، فإِن لم تكن تراه فإِنه يراك»[٣]، فإِن صح هذا عن ابن عباس فإِنما أَراد أَداءَ الفرائض مُكمَّلة.

و(إِيتاء ذي القربى) لفظ يقتضي صلة الرحم، ويَعُمُّ جميع إِسداءِ الخير إِلى القرابة، وتركُهُ مبهماً أَبلغ؛ لأَن كل من وصل في ذلك إِلى غاية ـ وإِن عَلَت ـ يرى أَنه مقصِّر، وهذا المعنى المأمور به في جانب ذي القربى داخل تحت العدل والإِحسان، لكنه تعالى خصَّه بالذكر اهتماماً به وحضّاً[٤] عليه.

و﴿ٱلۡفَحۡشَآءِ﴾: الزِّنَى، قاله ابن عباس[٥].

قال القاضي أبو محمد: وغيره من المعاصي التي شُنْعَتها ظاهرة، وفاعلها أَبداً مستتر بها، وكأَنَّهم خصوها بمعاني الفروج، و(المنكر) أَعم منه؛ لأَنه يعم جميع المعاصي والرذائل والإِدانات على اختلاف أَنواعها، و(البغي) هو إِنشاءُ ظلم الإِنسان والسعاية فيه، وهو داخل تحت المنكر، لكنه تعالى خصَّه بالذكر اهتماماً لشدَّة ضرره بين الناس.

---

(١) في المطبوع: «أَحد».
(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٧٩) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).
(٤) في المطبوع: «وحتماً».
(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٨٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما به.

وقد قال رسول الله ﷺ: «لا ذنبَ أَسرعُ عقوبةً من بغي»(١).

وقال ﷺ: «الباغي مصروعٌ»(٢)، وقد وعد الله من بُغِيَ عليه بالنصر.

وفي بعض الكتب المنزلة: «لو بَغى جبل على جبل لجعل الله الباغيَ منهما دكّاً»(٣).

قال القاضي أَبو محمد: وتغيير المنكر فرضٌ على الولاة، إِلا أَن المغيِّر لا يعِنُّ لمستور، ولا يُعمل ظنّاً، ولا يتَجَسَّس، ولا يُغَـيِّر إِلَّا ما بدت صفحته، ويكون أَمرُهُ ونهيُهُ بمعروف، وهذا كلُّه لغير الولاة أَلزم، وفرض على المسلمين عامة، ما لم يَخَف المغيِّر إِذاية أَو ذُلاًّ، ولا يغير المؤمن بيده ما وجد سلطاناً، فإِنْ عدِمَه غيَّر بيده، إِلَّا أَنه لا يصل إِلى نصب القتال والمدارأة وإِعمال السلاح إِلَّا مع الرياسة والإِمام المتَّبع(٤).

وينبغي للناس أَن يغيِّر المنكرَ كلُّ أَحد منهم، تقي وغير تقي، ولو لم يغير إِلَّا تقي لم يتغير منكر في الأَغلب، وقد ذَمَّ الله تعالى قوماً بأَنهم [لم يتناهوا عن منكر فعلوه، فقد

---

(١) إسناده لا بأس به، وقد ذكره المصنف بالمعنى، أخرجه أحمد في مسنده (٨/٣٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٧) وأبو داود (٤٩٠٢) والترمذي (٢٥١١) وصححه، وابن ماجه (٤٢١١) كلهم من طريق عيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم».

(٢) لم أقف عليه مسنداً.

(٣) روي موقوفاً على ابن عباس، ومرسلًا، والموقوف أصح، وإسناده لين، أخرج الموقوف: البخاري في الأدب المفرد (٥٨٨) من طريق فطر بن خليفة، عن أبي يحيى، عن مجاهد، عن ابن عباس قوله، ورواه ابن المبارك في كتاب البر والصلة عن فطر بن خليفة حدثنا أبو يحيى القتات عن مجاهد قال: قال رسول الله ﷺ، مرسل، قال ابن أبي حاتم في كتاب العلل (٢٥٤٨): هذا حديث اختلف فيه على أبي يحيى القتات، فرواه فطر بن خليفة عنه عن مجاهد عن النبي ﷺ، ورواه الثوري وإسرائيل عنه عن مجاهد عن ابن عباس من قوله، قال أبو حاتم: وهو أصح.اهـ، وعلى كل حال فأبو يحيى القتات فيه ضعف، وجاء مرفوعاً من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه، بإسناد فيه إسماعيل بن يحيى التيمي، وهو متهم بالكذب، وقال ابن عدي لما أخرجه في كامله (١/ ١٦٣): باطل.

(٤) انظر: الاستذكار (١٤/ ٤٢)، وشرح النووي على مسلم (٢/ ٢٢)، والإقناع (١/ ١١٩-١٢٠)، و(٤/ ٢٠٤٩-٢٠٥١).

وصفهم بفعله، وذمهم لما][(١)] لم يتناهوا عنه، وكل مُنكَر فيه مدخل للنظر فلا مدخل لغير حملة العلم فيه، فهذه نبذة من القول في تغيير المنكر تضمنت ثمانية شروط[(٢)].

وروي أَن جماعة[(٣)] رفعت على عاملها إِلى أَبي جعفر المنصور، فحاجَّها العامل وغلبها بأَنهم لم يُثبتوا عليه كبيرة ظلم ولا جَوروه له في شيءٍ، فقام فتًى من القوم فقال: يا أَمير المؤمنين، إن الله يأمر بالعدلِ والإحسانِ، وإِنه عَدَل ولم يُحْسن، قال: فعجب أَبو جعفر من إِصابته، وعزل العامل[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ الآية؛ يتضمن قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ الآية [التي قبلها][(٥)]: افعلوا كذا، وانتهوا عن كذا، فعطف على ذلك التقدير قوله: ﴿وَأَوْفُوا۟﴾، و(عَهْدُ الله) لفظ عام[(٦)] لجميع ما يُعقد باللسان، ويلزمه الإِنسان من بيع أَو صلة أَو مُوَاثقة في أَمر موافق للديانة، [وبالجملة كل ما كان طاعة بين العاهد وبين ربه، كان فيه نفع للغير أو لم يكن][(٧)].

وقوله: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ﴾ خصَّ في هذه [الأَلفاظ العهود][(٨)] التي يُقرن بها أَيْمانٌ تَهَمُّماً بها، وتنبيهاً عليها.

---

(١) ليس في المطبوع.

(٢) للتوسع في ذلك انظر: المقدمات الممهدات (٣/ ٤٢٥-٤٢٦)، وشرح النووي على مسلم (٢/ ٢٢-٢٦).

(٣) في المطبوع والمصرية٢ وأحمد٣ زيادة: «من الصحابة»، قال في حاشية المطبوع: «لا يصح قوله: من الصحابة، مع كون الحادثة في زمن أبي جعفر المنصور، ولهذا أسقطتها بعض النسخ، وكذلك ذكرها القرطبي بدون قوله: من الصحابة».

(٤) تفسير القرطبي (١٠/ ١٦٨).

(٥) من المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢.

(٦) ليست في المطبوع.

(٧) ليس في المطبوع.

(٨) في المطبوع والمصرية٢: «الآية المعهودة»، وفي نجيبويه: «هذه الآية العهود»، وفي نور العثمانية: «الألفاظ المعهود».

قال القاضي أَبو محمد: وهذا كله فيما كان الثبوت فيه على اليمين طاعة لله، وما كان الانصراف عنه أَصوب في الحق فهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «مَن حلفَ على يمين ثم رأَى غيرها خيراً منها فليكفِّر عن يمينه، وَلْيَأْتِ الذي هو خيرٌ»[١].

ويقال: تأكيد وتوكيد، ووكَّد وأَكَّد، وهما لغتان، وقال الزجاج: الهمزة مبدلة من الواو[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا غير بيّن؛ لأَنه ليس في وجوه[٣] تصريفه ما يدلُّ على ذلك.

و﴿كَفِيلًا﴾ معناه: متكفِّلاً بوفائكم، وباقي الآية وعيد في ضمن خبر بِعِلْم الله تعالى بأَفعال عباده.

وقالت فرقة: نزلت هذه الآية في الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الإِسلام، رواه أَبو ليلى عن مزيدة[٤].

وقال قتادة، ومجاهد، وابن زيد: نزلت فيما كان من تحالف الجاهلية في أَمر بمعروف، أَو نهي عن منكر، فزادها الإِسلام شدة[٥].

قال القاضي أَبو محمد: كما قال ﷺ: «لَا حِلْفَ في الإِسلام، وما كان من حِلْفٍ في الجاهلية فلم يزِدْه الإِسلامُ إِلَّا شِدَّةً»[٦]، وهذا حديث معنى[٧]، وإِن كان السبب بعْض هذه الأَشياءِ فأَلفاظ الآية عامة على جهة مخاطبة العالمين أَجمعين.

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٥١) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢١٧).

(٣) في المطبوع: «وجود».

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٢٨١) من طريق أبي ليلى عن مزيدة رضي الله عنه، به، وأبو ليلى، هو: عبد الله بن ميسرة الحارثي، متفق على تضعيفه.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٨٢).

(٦) أخرجه مسلم (٢٥٣٠) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٧) في أحمد٣: «حديث مضى».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

شبهت هذه الآية الذي يحلف أو يعاهد أو يبرم عقدة بالمرأة التي[1] تغزل غزلها وتفتله محكماً، وشبه الذي ينقض عهده بعد الإحكام بتلك الغازلة إذا نقضت قويَّ ذلك الغزل فحلَّته بعد إبرامه / . [٣/ ١٤٩]

ويُروى أن امرأة حمقاءَ كانت بمكة تُسَمَّى رَيْطَة بنت سعد كانت تفعل ذلك، فَبِهَا وقع التشبيه، قاله[2] عبد الله بن كثير، والسُّدّي، ولم يُسَمِّيا المرأة.

وقيل: كانت امرأة موسوسة تسمَّى خطية، تغزل عند الحجر، وتفعل ذلك.

وقال مجاهد، وقتادة: ذلك ضرب مثل لا على امرأة معينة[3].

و﴿أَنكَٰثًا﴾ نصب على الحال، و«النكث»: النَّقْض.

و«القُوَّة» في اللغة: واحدةُ قُوَى الغَزْل والحبل وغير ذلك مما يضفر.

ومنه قول الأغلب[4] الراجز:

.... حَبْلَ عَجُوزٍ فَتَلَتْ سَبْع قُوى[5] [الرجز]

ويظهر لي أن المراد بالقوَّة في الآية الشدَّة التي تحدث من تركيب قُوى الغزل،

---

(١) من الأصل.
(٢) في نجيبويه: «ابن عبد الله بن كثير».
(٣) انظر قولهما مع قول سابقيهما في تفسير الطبري (١٧/ ٢٨٤).
(٤) هو الأغلب بن جُشَم العِجْلي، من سعد بن عِجْل، كان جاهليّاً إسلاميّاً، عاش تسعين سنة، وقتل بنهاوند، وهو أول من شَبَّه الرَّجز بالقصيد وأطاله، انظر ترجمته في الإصابة (١/ ٢٤٩).
(٥) انظر عزوه له في طبقات فحول الشعراء (٢/ ٧٤١)، والعين (٨/ ٩٩).

ولو قدرناها واحدة القُوى لم يكن معها ما ينتقض أَنكاثاً، والعرب تقول: انتكث الحبل: إِذا انتقضت قواه، أَما إِنَّ عرف الغزل أَنه قوة واحدة ولكن لها أَجزاءٌ كأَنها قوى كثيرة له.

قال مجاهد: المعنى: من بعد إِمْرار قوة[١].

و«الدَّخل»: الدَّغل بعينه، وهي الذَّرائع إِلى الخدع والغدر، وذلك أَن المحلوف له مطمئن فيتمكن الحالف من ضرّه بما يريد.

وقوله: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾، قال المفسرون: نزلت هذه الآية في العرب الذين كانت القبيلة منهم إِذا حالفت أُخرى، ثم جاءَت إِحداهما قبيلة كبيرة قوية فداخلتها غدرت الأُولى ونقضت معها ورجعت إِلى هذه الكبرى، فقال الله تعالى[٢]: لا تنقضوا العهود من أَجل أَن تكون قبيلة أَزْيَد من قبيلة في العَدَد والعُدَّة، والرِّبَا: الزيادة.

ويحتمل أَن يكون القول معناه: لا تنقضوا الأَيْمَان من أَجل أَن تكونوا أَرْبى من غيركم؛ أَي: أَزيد خيراً، فمعناه: لا تطلبوا الزيادة بعضكم على بعض بنقض العهود.

و﴿يَبْلُوكُمُ﴾ معناه: يختبركم.

والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يحتمل أَن يعود على الوفاءِ الذي أَمر الله به، ويحتمل أَن يعود على الرِّبا؛ أَي: إن الله ابتلى عباده بالتحاسد، وطلبِ بعضِهم الظهورَ على بعض، واختبرهم بذلك ليرى من يجاهد نفسه ممن يُتْبعها هواها، وباقي الآية بيِّن[٣]؛ وعيدٌ بيوم القيامة.

وقوله: ﴿هِىَ أَرْبَىٰ﴾، موضع ﴿أَرْبَىٰ﴾ عند البصريين رفع، وعند الكوفيين نصب و﴿هِىَ﴾ عماد، ولا يجوز العماد هنا عند البصريِّين؛ لأَنه لا يكون مع النكرة، و﴿أُمَّةٌ﴾ نكرة، وحجة الكوفيين أَن ﴿أُمَّةٌ﴾ وما جرى مجراها من أَسماءِ الأَجناس

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٨٥)، وفيه: «إبرام قوة».
(٢) يريد: كأن الله تعالى قال ما معناه كذا وكذا.
(٣) ليست في الأصل والمطبوع ونجيبويه.

تنكيرها قريب من التعريف، أَلا ترى أَن إِدخال الأَلف واللام عليها لا يخصصها كبير تخصيص؟ وفي هذا نظر.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الآية؛ أَخبر الله تعالى في هذه الآية أَنه يبتلي عباده بالأَوامر والنواهي؛ ليذهب كل واحد إِلى ما يُسِّر له، وذلك منه تعالى بحق المِلْك، وأنه لا يُسأَل عما يفعل، ولو شاءَ لكان الناسُ كلهم في طريق واحد، إِمَّا في هدًى وإِمَّا في ضلالة، ولكنه تعالى شاءَ أَن يفرق بينهم، ويخص قوماً بالسعادة، وقوماً بالشقاوة.

و﴿يُضِلُّ﴾، و(يَهْدِي) معناه: يخلق ذلك في القلوب، خلافاً لقول المعتزلة.

ثم توعَّد في آخر الآية بسؤال كل أَحد يوم القيامة عن عمله، وهذا سؤال توبيخ، وليس ثَمَّ سؤال تفهُّم، وذلك هو المنفي في آيات.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾.

كرَّر النهي عن اتخاذ الأَيمان دخلاً[١] تَهَمُّماً بذلك، ومبالغة في النهي عنه؛ لعظم موقعه من الدين، وتردُّده في معاشرات الناس، و«الدَّخل» كما قلنا: الغوائل والخدائع[٢].

وقوله: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ استعارة للمستقيم الحال يقع في شرٍّ عظيم ويسقط فيه؛

(١) ليس في المطبوع، وهي في أحمد٣ ملحقة في الهامش.
(٢) ليست في المطبوع.

لأَن القدم إِذا زلَّت نقلت الإِنسان من حال خير إِلى حال شرٍّ، ومن هذا المعنى قول كُثَـيِّر:

[الطويل] فَلَمَّـا تَوَافَيْنَـا ثَبَـتُّ وَزَلَّـتِ[1] ....

أَي: تنقَّلت من حال إِلى حال، فاستعار لها الزلل، ومنه يقال لمن أَخطأَ في الشيءِ: زَلَّ فِيه. ثم توعَّد بعْدُ بعذاب في الدنيا، وعذاب عظيم في الآخرة.

وقوله: ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يدل على أَن الآية فيمن بايع رسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ الآية؛ هذه آية نهي عن الرشا وأَخذ الأَموال على فعل ما يجب على الآخذ تركه، [أو ترك ما يجب عليه فعله][2]، فإِن هذه هي التي عهد الله إِلى عباده فيها، فمن أَخذ على ذلك مالاً فقد أَعطى عهد الله، وأَخذ قليلاً من الدنيا، ثم أَخبر تعالى أَن ما عنده من نعيم الجنة ومواهب الآخرة خيرٌ لمن اتَّقى وعلم واهتدى، ثم بيّن الفرق بين حال الدنيا وحال الآخرة بأَن هذه تنفد وتنقضي عن الإِنسان، أَو ينقضي عنها، وأَن الآخرة باقية دائمة.

وقرأَ ابن كثير، وعاصم: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ﴾ بنون، وقرأَ الباقون: ﴿وَلَيَجْزِيَنَّ﴾ بالياءِ[3].

ولم يختلفوا في قوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ أَنه بالنون، كذا قال أَبو علي، وقال أَبو حاتم: إِن نافعاً رُوي عنه: ﴿وَلَيَجْزِيَنَّهُمْ﴾ بالياءِ[4].

و﴿صَبَرُوٓا۟﴾ معناه: عن الشهوات وعلى مكاره الطاعة، وهذه إِشارة إِلى الصبر عن

(١) صدره: وكُنَّا سَلَكْنَا في صَعودٍ مِنَ الهَوَى، وهو من تائيته المشهورة، انظر أمالي القالي (١/ ٦٥)، وخزانة الأدب (٥/ ٢١٢).

(٢) ليس في الإماراتية ونور العثمانية، وفي الأصل ونجيبويه: «على الآخذ أو تركه أو فعل ما يجب عليه تركه».

(٣) وهما سبعيتان، كما في التيسير (ص: ١٣٨)، وزاد الخلاف عن ابن ذكوان إلا أنه وهَّـمه.

(٤) انظر قول أبي علي في الحجة (٥/ ٧٨)، ومثله للداني في جامعه (٢/ ٣٨١)، ونقل قول أبي حاتم في البحر المحيط (٦/ ٥٩٢).

شهوة كسب المال بالوجوه المذكورة، وقوله: ﴿بِأَحْسَنِ﴾؛ أَي: بقدر أَحسن ما كانوا يعملون.

وقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يعُمُّ جميع أَعمال الطاعة، ثم قيَّده بالإِيمان.

واختلف الناس في الحياة الطيبة؛ فقال ابن عباس(١)، والضحاك: هو الرزق الحلال(٢)، وقال الحسن، وعليُّ بن أَبي طالب رضي الله عنه: [هي القناعة](٣)، وهذا أَطيب عيش الدنيا(٤).

وقال ابن عباس أَيضاً: هي السعادة(٥).

وقال الحسن البصريُّ أَيضاً: الحياة الطيبة هي حياة الآخرة، ونعيمُ الجنة(٦).

قال القاضي أَبو محمد: هناك هو الطيب على الإِطلاق، ولكن ظاهر هذا الوعد أَنه في الدنيا، والذي أَقول: إِن طيب الحياة اللازم للصالحين إِنما هو بنشاط / نفوسهم، [٣/ ١٥٠] ونُبلها، وقوة رجائهم، والرجاءُ للنفس أَمرٌ مُلِذٌّ، فبهذا تطيب حياتهم، وبأَنهم احتقروا الدنيا فزالت همومها عنهم، فإِن انضاف إِلى هذا مالٌ حلالٌ وصحةٌ أَو قناعة فذلك كمالٌ، وإِلَّا فالطيب فيما ذكرناه راتب، وجاءَ قوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ﴾ على لفظ ﴿مَنْ﴾، قوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ على معناها، وهذا وعْدٌ بنعيم الجنة، وباقي الآية بيِّن.

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٩٠) من طريق سفيان، عن إسماعيل بن سميع، عن أبي الربيع، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وأبو الربيع هذا قد تفرد إسماعيل بالرواية عنه، قاله مسلم في كتاب الوحدان رقم (٨٥٦). ولا يدرى من هو؟

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٩٠)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٤٠)، والهداية لمكي (٦/ ٤٠٨٣).

(٣) ليس في الأصل.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٩٠) من طريق أبي خزيمة سليمان التمار، عمن حدثه عن علي رضي الله عنه، به، وفيه إبهام، ولم أقف عليه من قول الحسن بن علي رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٩١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٩١)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ١٠٤)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٤٠)، والهداية لمكي (٦/ ٤٠٨٣).

وحكى الطبري عن أَبي صالح أَنه قال: نزلت هذه الآية بسبب قوم من أَهل المِلَل تفاخروا، وقال كل منهم: مِلَّتي أَفضل، فعَرَّفهم الله تعالى في هذه الآية أَفضل المِلَل[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾.

الفاءُ في قوله: ﴿فَإِذَا﴾ واصلة بين الكلامين، والعرب تستعملها في مثل هذا، وتقدير الآية: فإِذا أخذت في قراءَة القرآن، كما قال عز وجل: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ﴾ [المائدة: ٦]، وكما تقول لرجل: إِذا أَكلت فقل: باسم الله.

و«الاستعاذة» ندب عند الجميع، وحكى النقاش عن عطاءٍ: أَنَّ التعوُّذ واجب[٢]، ولفظ الاستعاذة هو على رتبة هذه الآية، وقد ذكرت الخلاف الذي قيل فيه في صدر هذا الكتاب.

و﴿ٱلرَّجِيمِ﴾: المرجوم باللَّعنة، وهو إبليس.

ثم أَخبر تعالى أَن إِبليس ليس له ملكة ولا رياسة، هذا ظاهر السلطان عندي في هذه الآية، وذلك أَن السلطان إِن جعلناه الحجة فليس لإِبليس حجة في الدنيا على أَحد،

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٩٣).

(٢) انظر قول الندبية في: البحر الرائق (١/ ٣٣٨)، والتاج والإكليل (١/ ٥٤٤)، وحاشية الجمل (١/ ٣٥٤)، ومطالب أولي النهى (١/ ٥٩٩)، وانظر قول عطاء في: المجموع (٣/ ٣٢٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ١٢)، ونقل النقاش في تفسير القرطبي (١/ ٨٦).

لا مؤمن ولا كافر، اللهم إِلَّا أَن يتأَوَّل متأَوِّل: ليس له سلطان يوم القيامة، فيستقيم أَن يكون بمعنى الحجَّة؛ لأَن إِبليس له حجة على الكافرين أَنه دعاهم بغير دليل فاستجابوا له من قِبَل أَنفسهم، وهؤلاءِ الذين لا سلطان ولا رياسة لإِبليس عليهم هم المؤمنون أَجمعون؛ لأَن الله تعالى لم يجعل سلطانه إِلا على المشركين الذين يتولونه، والسلطان منفي هاهنا في الإِشراك؛ إِذْ له عليهم ملكة ما في المعاصي، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، وهم الذين قال إِبليس فيهم: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠].

و﴿يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾: معناه: يجعلونه وليّاً، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يحتمل أَن يعود على اسم الله عزَّ وجلَّ، والظاهر أَنه يعود على اسم إِبليس، بمعنى: من أَجْله وبسببه، كما تقول لمعلمك: أَنا عالم بك؛ أي: بسببك، فكأَنه قال: والذين هم بسببه مشركون بالله.

وهذه الأَخبار بأَن لا سلطانَ للشيطان على المؤمنين بعقب الأَمر بالاستعاذة تقتضي أَن الاستعاذة تَصْرِفُ كيدَه، كأَنها متضمنة للتوكل على الله، والانقطاع إِليه.

قوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾، كان كفار مكة إِذا نسخ الله لفظ آية بلفظ أُخرى أَو معناها وإِن بقي لفظها؛ لأَن هذا كله يقع عليه التبديل يقولون: لو كان هذا من عند الله لم يتبدل، وإِنما هو من افتراءِ محمد، فهو يرجع من خطأٍ يبدو له[1] إِلى صوابٍ يراه بعْدُ، فأَخبر الله تعالى أَنه أَعلم بما يصلح للعباد برهة من الدهر، ثم ما يصلح لهم بعد ذلك، وأَنهم لا يعلمون هذا.

وقرأَ الجمهور: ﴿يُنَزِّلُ﴾ بفتح النون وشد الزاي، وقرأَ أَبو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي[2].

(١) في الأصل ونور العثمانية: «يبدلونه».

(٢) وكذا ابن كثير على قاعدتهما، انظر: التيسير (ص: ٧٥)، لكن خالف يعقوب هنا أصله، فشدد كما في النشر (٢/ ٢١٩).

وعبَّر بـ«الأكثَر» مراعاة لما كان عند قليل منهم من توقف وقِلَّة مبالغة في التكذيب وظن، ويحتمل أَن يكون هذا اللَّفظ قرَّر على قليل منهم أَنهم يعلمون ويكفرون تَمَرُّداً وعناداً.

وأَمر نبيَّه أَن يخبر أَن القرآن ناسخَه ومنسوخَه إِنما نزَّله جبريل عليه السلام، وهو ﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾، لا خلاف في ذلك.

و﴿ٱلْقُدُسِ﴾: الموضع المطهر، فكأَن جبريل أُضيف إِلى الأَمر المطهر بإِطلاق، وسُمِّي «روحاً» إِمَّا لأَنه ذو روح من جملة[1] روح الله الذي بثَّه في خلقه، وخُصَّ هو بهذا الاسم، وإِما لأَنه يجري من الهدايات والرسالات ومن الملائكة أَيضاً مجرى الروح من الأَجساد لِشَرفه ومكانته.

وقرأَ ابن كثير: ﴿الْقُدْس﴾ بسكون الدال، وقرأَ الباقون بضمها[2].

وقوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أَي: مع الحق في أَوامره ونواهيه، وأَحكامه ومصالحه وأَخباره، ويحتمل أَن يكون قوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بمعنى حقّاً، ويحتمل أَن يريد: بالحقِّ في أَن ينزل؛ أَي: إنه واجب لمعنى المصلحة أَن ينزل، وعلى هذا الاحتمال اعتراضات عند أَصحاب الكلام على أُصول الدين، وباقي الآية بيِّن.

قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ قال ابن عباس: كان في مكة غلام أعجمي[3] لبعض قريش يُقال له: بلعام، فكان رسول الله ﷺ يكلمه ويعلمه الإِسلام ويرومه عليه، فقالت قريش: هذا يعلم محمداً من جهة الأَعاجم، فنزلت الآية بسببه[4].

وقال عكرمة وسفيان: كان اسم الغلام يعيش[5].

---

(١) في المطبوع والمصرية٢: «حملة».

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٧٤).

(٣) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «أَعمى».

(٤) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (١٧/ ٢٩٩) من طريق مسلم بن عبد الله الملائي، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، ومسلم هذا هو ابن كيسان، متروك الحديث.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٩٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ١٠٦)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٤٣).

وقال عبد الله بن مسلم الحضرمي[١]: كان بمكة غلامان، أَحدهما اسمه جَبْر، والآخر يسار، وكانا يقرأان بالرومية، وكان رسول الله ﷺ يجلس إِليهما، فقالت قريش ذلك، ونزلت الآية[٢].

وقال ابن إِسحاق: الإِشارة إِلى جَبْر، وقال الضحاك: الإِشارة إِلى سلمان الفارسي[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف؛ لأَن سلمان إِنما أَسلم بعد الهجرة بمدة[٤].

وقرأَت فرقة: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى﴾.

وقرأَ الحسن البصري: (اللِّسانُ الَّذي) بالتعريف، وبغير تنوين في راءِ (بَشَر)[٥].

وقرأَ نافع، وابن كثير: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياءِ، مِنْ أَلْحَدَ: إِذا مالَ، وهي قراءَة أَبي عمرو، وعاصم، وابن عامر، وأَبي جعفر بن القعقاع.

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿يَلْحَدُون﴾ بفتح الياءِ والحاءِ، من لَحَدَ، وهي قراءَة عبد الله، وطلحة، وأَبي عبد الرحمن، والأَعمش، ومجاهد[٦]، وهما بمعنًى، ومنه قول الشاعر / : [٣/ ١٥١]

---

(١) هو عبد الله أو عبيد الله بن مسلم القرشي، ويقال فيه الحضرمي، مذكور في الصحابة، قال أبو عمر: لا أقف على نسبه في قريش، وقد قيل: إنه عبد بن مسلم الذي روى عنه حصين، فإن كان فهو أسدي، أسد قريش. الاستيعاب (٣/ ١٠١٣).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٣٠٠) من طريق هشيم، عن حصين، عن عبد الله بن مسلم الحضرمي، به. وهشيم بن بشير مدلس، وقد عنعنه، وأما عبد الله ـ ويقال: عبيد الله ـ بن مسلم الحضرمي، فمختلف في صحبته. انظر: تهذيب الكمال (١٩/ ١٥٧).

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (١٧/ ٢٩٩)، والأول في تفسير الثعلبي (٦/ ٤٣)، والثاني في معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٠٦).

(٤) في المطبوع: «بمكة».

(٥) الأولى هي المتواترة وانظر قراءة الحسن في المحتسب (٢/ ١٢).

(٦) انظر: السبعة (ص: ٣٧٥)، والتيسير (ص: ١٣٨)، وانظر موافقة أبي جعفر للأولين ومعه يعقوب ومع حمزة خلف في تحبير التيسير (ص: ٤٣٣)، والكل في البحر المحيط (٦/ ٥٩٥)، وفيه: «ابن طلحة»، وكذا في المصرية١.

[الرجز] قَدْنِـيَ مِـنْ نَصْـر الخُبَيْبَيْـنِ قَدِيْ لَيْسَ أَميري بالشَّـحيحِ المُلْحِدِ[١]

يريد: المائل عن الجود، وحال الرياسة.

وقوله: ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ إضافة إلى «أَعْجَم»، لا إلى «الْعَجَم»؛ لأَنه كان يقول: عَجَمِيّ، والأَعجم[٢]: هو الذي لا يتكلم بعربيَّة، وأَما العجميُّ فقد يتكلم بالعربية ونسبته قائمة.

وقوله: ﴿وَهَـٰذَا﴾ إشارة إلى القرآن، والتقدير: وهذا سرْدُ لسان، أَو نُطْقُ لسان، فهو على حذف مضاف، وهذا على أَن نجعل اللسان هنا الجارحة، واللسان ـ في كلام العرب ـ: اللغة، ويحتمل أَن يراد في هذه، واللسان: الْخَبَر، ومنه قول الأَعشى:

[البسيط] إِنِّـي أَتَتْنـي لِسَـانٌ غَيْـرُ كَاذِبَةٍ[٣] ....

ومنه قول الآخر:

[الوافر] لِسَـانُ الـسُّـوءِ تُـهْدِيـهَـا إِلَـيْنَـا وحِنْتَ وما حَسِـبْتُكَ أَنْ تَحِينَا[٤]

وحكى الطبري عن سعيد بن المسيَّب أَن [الذي ذكر الله][٥]: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ إنما هي إشارة إلى كاتب كان يكتب لرسول الله ﷺ، فيقول له رسول الله ﷺ في أَواخر الآيات: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، فيكتب هو أو «عزيز حكيم» أَو نحو هذا، ثم يشتغل باستماع الوحي فيبدل هو[٦] بـ«غفور رحيم» أَو نحوه، فقال له ﷺ في بعض الآيات:

---

(١) هذا الرجز لحُميد بن مالك الأرقط، وقيل: لأبي بحدلة، وقد تقدم قريباً في سورة الحجر.

(٢) في الأصل: «والأعجمي هو الذي يتكلم»، بدون: «لا».

(٣) عجزه: مِنْ عَلْوَ لا عَجَبٌ مِنْهَا ولا سَخَرُ، وهو لأعشى باهلة، يرثي أخاه المنتشر، كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ٥٦٨)، ونسبه له في تفسير الطبري (١٨/ ٢٠٨)، والكامل للمبرد (٤/ ٥٥)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٦)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٥٠).

(٤) البيت في تفسير الطبري (١٧/ ٣٠١)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٤٤)، إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٦١) بلا نسبة.

(٥) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «الإشارة بقولهم».

(٦) زيادة من المطبوع.

هو كما كتبت، فَفُتن، وقال: أَنا أُعلِّم محمداً وارتدَّ ولحق بمكة، فنزلت الآية فيه[١].

قال القاضي أَبو محمد: هذا نصراني أَسلم وكتَب، ثم ارتدَّ ومات ثم لفظته الأَرض، وإِلَّا فهذا القول يضعف؛ لأَن الكاتب المشهور الذي ارتَدَّ لهذا السبب ولغيره من نحوه هو عبد الله بن أَبي سَرْح العامريّ[٢]، ولسانه ليس بأَعجمي، فتأَمَّله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾.

المفهوم[٣] من الوجود أَن الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بآياته، ولكنه قدم في هذا الترتيب وأَخَّرَ تَهَمُّماً بتقبيح فعلهم، والتشنيع بخطئهم[٤]، وذلك كقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[الصف: ٥]، والمراد ما ذكرناه، فكأَنه قال: إِنَّ الذين لم يؤمنوا لم يهدِهم الله.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ﴾ بمعنى: إِنما يكذب، وهذه مقاومة للذين قالوا لمحمد ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾، و﴿إِنَّمَا﴾ حاصرةٌ أَبداً، لكن حصرها يختلف باختلاف المعاني التي تقع فيها، فقد يربط المعنى أَن يكون حصرها حقيقياً، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[النساء: ١٧١]، وقد يقتضي المعنى أن يكون حصرها تجوُّزاً ومبالغة، كقولك: إِنما الشجاع عنترة، وهكذا هي في هذه الآية، قال الزجاج: يفتري هذا الصنفُ؛ لأَنهم إِذا رأَوا الآيات التي لا يقدر عليها إِلا الله كذبوا بها، فهذا أَفحشُ الكذب[٥].

(١) مرسل، أخرجه الطبري (١٧/ ٣٠١) من طريق ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، به مرسلًا.
(٢) تقدمت الإشارة لقصته في تفسير الآية (١٠٦) من سورة المائدة، والآية (٩٣) من سورة الأنعام.
(٣) في المطبوع وأحمد٣: «المعهود»، وكذا المصرية٢ مع التنبيه على النسخة الأخرى.
(٤) في نجيبويه وأحمد٣ والمصرية٢: «بخطابهم».
(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢١٩).

وكرَّر المعنى في قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ لفائدة إِيقاع الصفة بالكذب عليهم؛ إِذ الصفةُ بالشيءِ أَبلغ من الخبر به؛ لأَن الصفة تقتضي الدوام أَكثر مما يقتضيه الخبر، فبدأَ في هذه الآية بالخبر ثم أَكَّد بالصفة، وقد اعترض هذا النظر مكيٌّ[١]، وليس اعتراضه بالقوي.

و﴿مَن﴾ في قوله: ﴿مَن كَفَرَ﴾ بدل من قوله: ﴿هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾، ولم يُجز الزجاج غير هذا الوجه؛ لأَنه رأَى أَن هذا الكلام إِلى آخر الاستثناءِ غير تام، فعلَّقه بما قبله، والذي أَبى الزجاجُ سائغ على ما أُورده الآن إِن شاءَ الله.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا يتأيد بما رُوي من أَن قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ يراد به عبد الله بن أَبي سَرْح، ومِقْيَس بن صبابة وأَشباههما ممن كان آمن برسول الله ﷺ ثم ارتَدَّ[٢]، فلما بيَّن في هذه الآية أَمْر الكاذبين بأَنهم الذين كفروا بعد الإِيمان، أَخرج من هذه الصفة القوم المؤمنين المعذَّبين بمكة وهم بلال وعمَّار وسُمَيَّة أُمُّه وخبَّاب وصُهَيْب وأَشباههم، وذلك أَن كفار مكة كانوا في صدر الإِسلام يؤْذون من أَسلم من هؤلاءِ لضعفه، ويُعذِّبونهم ليرتدُّوا، فربما سامحهم بعضهم بما أَرادوا من القول، ويروى أنَّ عمَّار بن ياسر فعل ذلك فاستثناه الله في هذه الآية[٣]، وبقيت الرخصة عامَّة في الأَمر بعده، ثم ابتدأَ في الإِخبار بأَن ﴿مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ﴾، وهذا الضمير على معنى ﴿مَن﴾ لا على لفظها.

---

(١) انظر: الهداية لمكي (٦/ ٤٠٩٠).

(٢) مرسل، أخرجه الطبري (١٧/ ٣٠٨) من طريق عكرمة والحسن البصري، به مرسلًا، وكذلك أخرجه بذكر مقيس بن صبابة (١٤/ ٧٦) من طريق قتادة، به مرسلاً.

(٣) ضعيف، أخرجه الحاكم (٢/ ٣٥٧) وغيره من طريق العلاء بن هلال الرقي، عن عبيد الله بن عمرو الرقي، عن عبد الكريم الجزري، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر به مرسلاً، وهذا الإسناد مع إرساله ففيه العلاء بن هلال الرقي، متفق على تضعيفه، انظر: تهذيب الكمال (٢٢/ ٥٤٤)، وقد خولف فيه، فرواه عبد الرزاق (٢/ ١٥٦) عن معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، به معضلاً، وأخرجه كذلك الطبري (١٧/ ٣٠٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

قال القاضي أَبو محمد: وفي هذا من الاعتراض أَن أَمر ابن أَبي سَرْح وأولئك إِنما كان ورسول الله ﷺ بالمدينة، والظاهر من هذه الآيات أَنها مكِّيَّة.

وقالت فرقة: ﴿مَن﴾ في قوله: ﴿مَن كَفَرَ﴾ ابتداءٌ، وقوله: ﴿مَّن شَرَحَ﴾ تخصيص منه، ودخل الاستثناءُ لما ذكرنا من إِخراج عمَّار وشبهه، وَردَّنا من الاستثناءِ إلى المعنى الأول الاستدراكُ بـ﴿لَكِن﴾.

وقوله: ﴿فَعَلَيْهِمْ﴾ خبر عن ﴿مَن﴾ الأُولى والثانية؛ إِذ هو واحد بالمعنى؛ لأَن الإِخبَار في قوله إِنما قصد به الصنف الشارح بالكفر، فـ﴿صَدْرًا﴾ نصب على التمييز.

وقوله: ﴿شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ معناه: انبسط للكفر باختياره، ويُرْوى أَن عَمَّار بن ياسر شَكَا إِلى رسول الله ﷺ ما صنع به من العذاب، وما سامح به من القول، فقال له: «كيف تجدُ قلبَك؟» قال: أَجده مطمئنّاً بالإِيمان، قال: «فَأَجِبْهُم بلسانك فإِنَّهُ لا يضرك، وإِن عادُوا فَعُدْ»[(١)].

قال القاضي أبو محمد: ويتعلق بهذه الآية شيءٌ من مسائل الإِكراه، أَمَّا من عذَّبه كافر قادر عليه ليكفر بلسانه، وكان العذاب يؤَدي إِلى قتله فله الإِجابة باللسان قولاً واحداً فيما أَحفظ، فإِن أَراد منه الإِجابة بفعل كالسجود إلى صنم ونحو ذلك ففي هذا اختلاف:

فقالت [فرقة وهي الجمهور: يجيب بحسب التَّقية، وقالت فرقة: لا يجيب، ويسلم نفسه، وقالت][(٢)] فرقة: إِن كان الصنم نحو القبلة أَجاب واعتقد السجود لله.

قال القاضي أَبو محمد: وما أَحراه أَن يسجد لله حينئذ حيثما توجه، وهذا مباح في السفر لتعب النزول عن الدابة في التنفل[(٣)]، فكيف بهذا؟[(٤)]

---

(١) ضعيف، وقد تقدم تخريجه والكلام عليه في التعليق السابق.

(٢) ليس في الأصل، وفيه: «إن كان السجود»، بدل «الصنم».

(٣) في المطبوع والمصرية٢: «التَّنقل».

(٤) زاد في الأصل: «وإذا».

واحتجت فرقة [على التفريق][(١)] في المنع بقول ابن مسعود: ما من كلام يدرأُ عني سوطين من ذي سلطان إلا كنتُ متكلِّماً به[(٢)]، فقصر الرخصة على القول، [ولم يذكر][(٣)] الفعل.

قال القاضي أَبو محمد: وليس هذا بحجة؛ لأنهَ يحتمل أَن جعل الكلام مثالاً [٣/ ١٥٢] / وهو يريد أَن الفعل في حكمه، وأَمَّا الإِكراه في البيع والأيمان[(٤)] والطلاق والعتق والفطر في رمضان وشرب الخمر ونحو هذا من المعاصي التي بين العبد وبين الله تعالى فلا يلزم المكرَهَ شيءٌ من ذلك، قاله مطرّف، ورواه عن[(٥)] مالك، وقاله ابن عبد الحكم وأَصبغ، ورَوياه عن ابن القاسم عن مالك[(٦)].

وفرق ابن عباس بين ما منها قول كالعتق والطلاق فجعل فيها التَّقية، وقال: لا تقِيَّة فيما كان فعلاً كشرب الخمر والفطر في رمضان، ولا يحل فعلهما لمكره[(٧)].

---

(١) من المطبوع ونجيبويه وأحمد٣.

(٢) ضعيف، أخرجه يعقوب الفسوي في تاريخه (٢/ ١٩٦) من طريق سفيان الثوري، عن يحيى بن سعيد ابن حيان، عن أبيه، عن الحارث بن سويد، عن ابن مسعود به، وسعيد بن حيان، هو التيمي، فيه جهالة، أورده الإمام الذهبي في الميزان (٢/ ١٣٢) وقال: لا يكاد يُعرف.

(٣) في المطبوع والمصرية٢: «دون».

(٤) ليست في المطبوع.

(٥) ليست في المطبوع.

(٦) انظر قول مالك في: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ٢٩١)، وقول مطرِّف وابن عبد الحكم وأصبغ لم أقف عليه.

(٧) أخرج ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ٣٥٩) عن وكيع، عن سفيان، عن ابن جريج، عن رجل، عن ابن عباس، قال: التقية إنما هي باللسان، ليست باليد، وأخرج الحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٩) من طريق: محمد بن بشر العبدي قال: سمعت سفيان بن سعيد يذكر عن ابن جريج حدثني عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ قال: التقاة التكلم باللسان والقلب مطمئن بالإيمان، فلا يبسط يده فيقتل، ولا إلى إثم فإنه لا عذر له، وأخرج الطبري (٦/ ٣١٤) من طريق: قبيصة بن عقبة قال: حدثنا سفيان عن ابن جريج، عمن حدثه، عن ابن عباس: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾، قال: التقاة التكلم باللسان، وقلبه مطمئن بالإيمان.

وأَما المظلوم يضغط حتى يبيع متاعه، فذلك بيع لا يجوز عليه، وهو أَولى بمتاعه يأْخذه بلا ثمن، ويبيع المشتري بالثمن ذلك الظالم، فإِن فات المتاع رجع بثمنه أَو بقيمته ـ بالأَكثر من ذلك ـ على الظالم إِذا كان المشتري غير عالم بظلمه، قال مطرّف: ومن كان من المشترين يعلم حال المُكْره فإِنه ضامنٌ لما ابتاع من رقيقه وعروضه كالغاصب، وأَما من لا يعلم فلا يضمن العروضَ والحيوان، وإِنما يضمن ما كان تلفه بسببه، مثل طعام أَكله، أَو ثَوْب لبسه، والغَلَّةُ ـ إِذا عَلِم أَو لم يَعْلَم ـ ليست له بحال، هُوَ لها ضامن كالغاصب، قاله أَصبغ وابن عبد الحكم[١]، قال مطرِّف: وكل ما أَحدث المبتاع في ذلك من عِتْق أَو تدبير أَو تحبيس فلا يلزم المكرَه، وله أَخذ متاعه[٢].

وأَما الإِكراه على قتل مسلم أَو جَلْدِه وأَخذ مالِه أَو بيع متاعه فلا عذر فيه، ولا استكراه في ركوب معصية تُنْـتَهَك من أَحد كالزِّنى والقتل ونحوه، قال مطرّف، وأَصبغ، وابن عبد الحكم: لا يفعل أَحد ذلك وإِن قُتل إِنْ لم يفعله، فإِنْ فَعَله فهو آثم ويلزمه الحدُّ والقَود[٣]، وقال مالك: القيْد إِكراهٌ، والسِّجن إِكراهٌ، والوعيد المخوف إِكراهٌ وإِن لم يقع إِذا تحقق ظُلْمَ ذلك الـمُتَعَدِّي وإِنفاذَه لما يتوعَّد به[٤].

قال القاضي أبو محمد: ويعتبر الإِكراه عندي بحسب هِمَّة المُكْرَه وقدره في الدين، وبحسب الشيءِ الذي يُكْرَهُ عليه، فقد يكون الضرب إِكراهاً في شيءٍ دون شيءٍ، فلهذه النوازل فقه الحال، وأَما يمين المُكْرَه كما قلنا فهي غير لازمة.

قال ابن الماجشون: وسواءٌ حلف فيما هو لله تعالى طاعة [أَو معصية إِذا أُكره على اليمين، قاله أَصبغ، وقال مطرف: إِن أُكْره على اليمين][٥] فيما هو لله تعالى معصية

---

(١) وفي المطبوع: «وقال أصبغ وعبد الحكم».

(٢) انظر قولي مطرف في: تفسير القرطبي (١٠/ ١٨٤)، وأصبغ وابن عبد الحكم في: شرح البخاري لابن بطال (٨/ ٢٢٨).

(٣) انظر قول مطرف وابن عبد الحكم وأصبغ في: تفسير القرطبي (١٠/ ١٨٣).

(٤) انظر قو ل مالك في: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ٢٩٣-٢٩٤).

(٥) من المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية والمصرية٢، وكذا الإماراتية، وفيها: «أو فيما هو لله معصية».

أَو فيما ليس في فعله طاعة ولا معصية فاليمين فيه ساقطة، وإِن أُكْرِه على اليمين فيما هو طاعة مثل أَن يأْخذ الوالي رجلاً فاسقاً فيُـكْرِهه على أَن يحلف بالطلاق لا يشرب خمراً، أَو لا يفسق، أَو لا يغشُّ في عمله، أَو الوالد يحلف ولده في مثل هذا تأديباً له؛ فإِن اليمين تلزم وإِن كان المُكْره قد أَخطأَ فيما تكلف من ذلك، وقال به ابن حبيب(١).

وأَما إِن أُكْرِهَ رجلٌ على أَن يحلف وإِلا أُخذ له مال ـ كأَصحاب المَكْس، وظَلَمة السُّعاة، وأَهل الاعتداءِ ـ فقال مطرّف: لا تقية في ذلك، وإِنما يدْرأُ المرءُ بيمينه عن بدنه، لا عن ماله، وقال ابن الماجشون: لا يحنث وإِن درأَ عن ماله ولم يخف على بدنه، وقال ابن القاسم بقول مطرّف، ورواه عن مالك، وقاله ابن عبد الحكم، وأَصبغ، وابن حبيب(٢).

وقال مطرّف، وابن الماجشون: وإِن يدرأْ الحالف بيمينه للوالي الظالم قبل أَن يسأَله ليذُبَّ بها عما خاف عليه من بدنه وماله فحلف بها فإِنها تلزمه، وقاله ابن عبد الحكم وأَصبغ.

وقال أَيضاً ابن الماجشون فيمن أَخذه ظالم فحلف له بالطلاق أَلبَـتَّـةَ من غير أَن يحلِّفه وتركه وهو كاذب، وإِنما حلف خوفاً من ضربه وقتله أَو أَخذ ماله، فإِن كان إِنما يتبرع باليمين غلبة خوفٍ ورجاءَ النجاة من ظُلْمِه فقد دخل في الإِكراه ولا شيءَ عليه، وإِن لم يحلف على رجاء النجاة فهو حانث(٣).

وإِذا اتَّهم الوالي أَحداً بفعل أَمر فقال له: لا بُدَّ من عقوبتك إِلا أَن تحلف لي، فإِن كان ذلك الأَمر مما لذلك المُكْرَه فعلُه ـ إِمَّا أَن يكون طاعة، وإِمَّا أَن يكون لا طاعة ولا معصية ـ فالتَّقية في هذا، وأَما إِن كان ذلك الأَمر ممَّا لا يحلُّ لذلك الرجل فِعْلُه ويكون

(١) انظر قولي ابن الماجشون وابن حبيب بلزومها في: شرح مختصر خليل للخرشي (٤/ ٣٦).
(٢) قول ابن حبيب لم أقف عليه، وانظر أقوال الباقين في: تفسير القرطبي (١٠/ ١٨٧).
(٣) انظر قولي ابن الماجشون وقول مطرف وابن عبد الحكم وأصبغ في: تفسير القرطبي (١٠/ ١٨٧).

حظر الوالي فيه صواباً فلا تقية في اليمين، وهو حانث، قاله مالك، وابن الماجشون[١].

قال القاضي أبو محمد: فهذه نُبْذة من مسائل الإِكراه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الغضب والعذاب الذي توعَّد به قبل هذه الآية، والضمير في (أنَّهم) لمن شرح بالكفر صدراً، ولما فعلوا فعل من اسْتَحبَّ أُلزموا ذلك وإن كانوا غير[٢] مصدقين بالآخرة، لكن الأَمر في نفسه بيِّن، فمن حيث أَعرضوا عن النظر فيه كانوا كمن استحب غيره، وهذه الآية عُلِّق فيها العقاب بتكسبهم، وذلك أَن استحبابهم زينة الدنيا ولذَّات الكفر هو التكسُّب.

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ إِشارة إِلى اختراع الله الكفر في قلوبهم، ولا شكَّ أَن كفر الكافر الذي يتعلَّق به العقاب إِنما هو باختراع من الله وتكسُّب من الكافر، فجمعت الآية بين الأَمرين، وعلى هذا مرَّت عقيدة أَهل السُّنَّة.

وقوله: ﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ عموم على أَنه لا يهديهم من حيث إنهم كفار في نفس كفرهم، أَو عموم يراد به الخصوص فيمن يوافي.

قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ الآية، عبارة عن صرف الله

(١) هذا التفصيل لم أقف عليه.
(٢) ليست في الأصل.

[٣/ ١٥٣] لهم عن طريق الهدى، واختراع الكفر المظلم[١] في قلوبهم، وتغليب / الإعراض على نظرهم، فكأنه سدَّ بذلك طرق هذه الحواس حتَّى لا ينتفع في اعتبار وتأمُّل، وقد تقدم القول وذِكْر الاختلاف في الطبع والختم في سورة البقرة، وهل هو حقيقة أو مجاز.

و«السمع»: اسم جنس، وهو مصدر في الأصل، فلذلك وُحِّد، ونبه على تكسبهم الإعراض عن النظر، فوصفهم بالغفلة.

وقد تقدم شرح ﴿لَا جَرَمَ﴾ في هذه السورة.

قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ الآية؛ قال ابن عباس: كان قوم من أَهل مكة أَسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأَخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأُصيب بعضهم، فقال المسلمون: كان أَصحابنا هؤلاء مسلمين وأُكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧] إلى آخر الآية، قال: فكتب بها إلى من بقي من المسلمين بمكة، وأَنْ لا عذر لهم، فخرجوا فلحقهم المشركون فأَعطوهم الفتنة، فنزلت فيهم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٨] إلى آخر الآية، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا ويئسوا من كل خير، ثم نزل فيهم: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ [العنكبوت: ١٠]، فكتبوا إليهم بذلك أَن الله قد جعل لكم مخرجاً، فخرجوا فأدركهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا، وقُتل من قُتل[٢].

قال القاضي أَبو محمد: جاءَت الرواية هكذا أَنَّهم بعد نزول الآية خرجوا، فيجيءُ الجهاد الذي ذُكر في الآية جهادهم مع رسول الله ﷺ على الإسلام.

وروت طائفة أَنهم خرجوا واتَّبعوا وجاهدوا مُتَّبعيهم، فقتل من قُتل، ونجا من نجا، فنزلت الآية حينئذ، فمعنى الجهاد المذكور جهادهم لـمُتَّبِعِيهم.

---

(١) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «واختراع الكفر والظلم».

(٢) إسناده لا بأس به، أخرجه الطبري (٩/ ١٠٢) من طريق: أحمد بن منصور الرمادي، قال: ثنا أبو أحمد الزبيري، عن محمد بن شريك المكي، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.

وقال ابن إِسحاق: نزلت هذه الآية في عمَّار بن ياسر، وعيَّاش بن أَبي ربيعة، والوليد ابن الوليد.

قال القاضي أَبو محمد: وذِكْرُ عمَّار في هذا عندي غير قويم، فإِنه أَرفع من طبقة هؤلاءِ، وإِنما هؤلاءِ مَنْ تاب مِمَّنْ شرح بالكفر صدراً[١]، فتح الله عليهم باب التوبة في آخر الآية.

وقال عِكْرمة، والحسن: نزلت هذه الآية في شأن عبد الله بن أَبي سَرْح وأَشباهه[٢]، فكأَنه قال: من بعد ما فتنهم الشيطان، وهذه الآية مدنية، ولا أَعلم في ذلك خلافاً، وإِن وُجد فهو ضعيف.

وقرأَ الجمهور: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ﴾ بضم الفاءِ وكسر التاءِ، وقرأَ ابن عامر وحده: ﴿فَتَنوا﴾ بفتح الفاء والتاء[٣]، فإِن كان الضمير للمعذَّبين فتجيءُ بمعنى: فتَنُوا أَنفسهم بما أَعطوا المشركين من القول، كما فعل عمَّار بن ياسر، وأَما على قراءَة الجمهور فإِن كان الضمير للمعذَّبين فهو بمعنى: من بعد ما فَتَنَهم المشركون، وإِن كان الضمير للمشركين فهو بمعنى: من بعد ما فتنهم الشيطان، والضمير في ﴿بَعۡدِهَا﴾ عائد على الفتنة، أَو على الفعلة، أَو الهجرة، أَو التوبة، والكلام يعطيها وإِنْ لم يجرِ لها ذكرٌ صريح.

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ﴾ المعنى: لغفورٌ رحيمٌ يومَ، وقوله: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ﴾؛ أَي: كل ذي نفْس، ثم أَجرى الفعل على المضاف إِليه المذكور فأَنَّث العلامة، و﴿نَفۡسٖ﴾ الأُولى هي النفس المعروفة، والثانية هي بمعنى الذات، كما تقول: نفس الشيءِ

---

(١) جاءت هذه الجملة في أحمد٣ ونور العثمانية: «وإنما هؤلاء من باب: فمن شرح بالكفر صدراً»، وأشار لها في حاشية المطبوع.

(٢) انظره مع قول ابن إسحاق السابق في تفسير الطبري (١٧/ ٣٠٨).

(٣) انظر: التيسير (ص: ١٣٨).

وعينه؛ أَي: ذاته، و﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾؛ [أَي: تُجَازى][1]، كُلُّ من أَحسن بإِحسانه، وكلُّ من أَساءَ بإِساءَته.

قال القاضي أبو محمد: وظاهر الآية أَن كلَّ نفس تجادل، مؤمنة كانت أَو كافرة، فإِذا جادل الكفار بكذبهم وجحدهم الكفر شهدت عليهم الجوارح والرسل وغير ذلك بحسب الطوائف، فحينئذ لا ينطقون، ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦]، فتجتمع آيات القرآن باختلاف المواطن.

وقالت فرقة: «الجدال»: قولُ كل أَحد من الأَنبياءِ وغيرهم: نفسي نفسي، وهذا ليس بجدال ولا احتجاج، وإِنما هو مجرَّد رغبة.

قوله عز وجل: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾.

قال ابن عباس[2] ومجاهد وابن زيد وقتادة: القرية المضروب بها المثل مكة كانت بهذه الصفة التي ذكر الله؛ لأنها كانت لا تُغزَى، ولا يغير عليها أحد[3]، وكانت الأرزاق تجلب إليها، وأنعم الله عليها برسوله، والمراد بهذه الضمائر كلها أهل القرية، فكفروا بأَنْعُم الله في ذلك وفي جملة الشرع والهداية، فأصابتهم السنون والخوف، وسرايا رسول الله ﷺ وغزواته، هذا إن كانت الآية مدنية وإن كانت مكِّيَّة فجوع السنين وخوف العذاب من الله بحسب التكذيب.

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٠٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣١٠)، ومع ما سيأتي عن الطبري نفسه.

قال القاضي أبو محمد: وإِن كانت هي التي ضربت مثلاً فإِنما ضربت لغيرها مما يأتي بعدها؛ ليحذر أَن يقع فيما وقعت هي فيه.

وحكى الطبري عن حفصة أُم المؤمنين أَنها كانت تسأَل في وقت حَصْر عثمان بن عفان رضي الله عنه: ما صنع الناس؟ وهي صادرة من الحج من مكة، فقيل لها: قتل، فقالت: والذي نفسي بيده إِنها للقرية ـ تعني المدينة ـ التي قال الله فيها: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ الآية[١].

قال القاضي أبو محمد: فأَدخل الطبري هذا على أَن حفصة قالت: إِن الآية نزلت في المدينة، وإِنها هي التي ضربت مثلاً، والأَمر عندي ليس كذلك، وإِنما أَرادت أَن المدينة قد حصلت في محذور المثَل، وحلَّ بها ما حلَّ بالتي جُعِلت مثالاً، وكذلك يتوجه عندي في الآية أَنها قُصد بها قرية غير معينة[٢] وجعلت مثلًا، لكنه على معنى التحذير لأَهلها ولغيرها من القرى إِلى يوم القيامة.

و ﴿رَغَدًا﴾ نصب على الحال.

و(أَنْعُم) جمع نِعْمَة، كَشِدَّة وأَشُدّ، كما قال سيبويه، وقال قطرب: أَنْعُم: جمع نُعْم، وهي بمعنى النعيم[٣]، يقال: هذه أَيام نُعْم وطُعْم.

وقوله: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾ استعاراتٌ؛ أَي: لما باشرهم ذلك صار كاللِّبَاس، وهذا كقول الأَعشى:

إِذَا مـا الـضَّجِيـعُ ثَـنَـى جِيـدَهَـا   تَثَنَّـتْ عَـلَيْـهِ فَصَـارَتْ لِبَـاسَـا[٤]   [المتقارب]

---

(١) إسناده لا بأس به، أخرجه الطبري (١٧/ ٣١٠) قال: حدثني ابن عبد الرحيم البرقيّ، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا نافع بن يزيد، قال: ثني عبد الرحمن بن شريح، أن عبد الكريم بن الحارث الحضرميّ، حدث أنه سمع مِشْرَح بن عاهانَ، يقول: سمعت سليم بن عتر يقول: صدرنا من الحجّ مع حفصة زوج النبيّ ﷺ، وعثمان محصور بالمدينة... فذكره.

(٢) في الأصل: «مطمئنة».

(٣) في الأصل ونجيبويه: «التنعيم».

(٤) البيت للنَّابغة الجعْدي كما تقدم في تفسير الآية (١٨٧) من سورة البقرة.

[٣/ ١٥٤] ونحوه / قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[البقرة: ١٨٧]، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] لَقَدْ لَبِسَتْ بَعْدَ الزُّبَيْرِ مُجَاشِعٌ ثياب الَّتي حاضَتْ وَلَمْ تَغْسِلِ الدِّمَا[١]

كأن العار لما باشرهم وأُلصق بهم جعلهم لبسوه.

وقوله: ﴿فَأَذَاقَهَا﴾ نظير قوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] ونظير قول الشاعر:

[الرجز] دُونَكَ ما جَنَيْتَه فاحْسُ وذُقْ[٢] ....

وقرأ الجمهور: ﴿وَٱلْخَوْفِ﴾ عطفاً على ﴿ٱلْجُوعِ﴾.

وقرأ أبو عمرو بخلاف عنه: (وَالْخَوْفَ) عطفاً على قوله: ﴿لِبَاسَ﴾[٣].

وفي مصحف أُبيّ بن كعب: (لباسَ الخوفِ والجوعِ).

وقرأ ابن مسعود: (فأذاقها اللَّهُ الخوفَ والجوعَ)، ولا يذكر ﴿لِبَاسَ﴾[٤].

والضمير في ﴿جَآءَهُمْ﴾ لأهل مكة، و«الرسول»: محمد ﷺ.

و﴿ٱلْعَذَابُ﴾: الجوع، وأَمْر بدرٍ، ونحو ذلك إن كان التمثيل بمكة وكانت

---

(١) البيت لجرير يردُّ على البعيث، كما في المعاني الكبير (١/ ٥٩٣)، ومجاشع: قبيلة الفرزدق، وفي نجيبويه: «تعقل» بدل «تغسل».

(٢) استشهد به أبو علي في الحجة (٥/ ٨٠) بلا نسبة، في المطبوع: «فاخش»، وفي الأمثال المولدة (ص: ٣٣٧): أن الشعر جاهلي صحيح، قيل ليزيد بن عمرو بن الصّعق الكلابيّ، وأوّله: دونك ما جنيتَه يا ابن الصَّعِقْ.

(٣) وهي رواية علي بن نصر وعباس بن الفضل وداود الأودي وعبيد بن عقيل عنه كما في السبعة (ص: ٣٧٦)، وهي شاذة.

(٤) وهما شاذتان، انظر قراءتي أبي في مختصر الشواذ (٧٨)، وعزاها لابن مسعود أيضاً، وما هنا عنه في البحر المحيط (٦/ ٦٠٥).

الآية مدنية، وإِن كانت مكِّيَّة فهو الجوع فقط، وذكر الطبري أَنه القتل ببدر[(١)]، وهذا يقتضي أَن الآية نزلت بالمدينة، وإِن كان التمثيل بمدينة قديمة غير معينة فيحتمل أَن يكون الضمير في ﴿جَآءَهُمْ﴾ لأَهل تلك المدينة، ويكون هذا مما جرى كمدينة شعيب وغيره، ويحتمل أَن يكون الضمير المذكور لأَهل مكة، فتأَمل.

قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية، هذا ابتداءُ كلام آخر، ومعنى حُكْم، والفاءُ في قوله: ﴿فَكُلُواْ﴾ لصلة الكلام واتساق الجُمَل، خرج من ذكر الكافرين والميل[(٢)] عليهم إِلى أمر المؤمنين بشرع مَّا، فوصل الكلامَ بالفاءِ، وليست المعاني موصولة، هذا قولٌ.

والذي عندي أَن الكلام متصل المعنى؛ أَي: وأَنتم أَيُّها المؤمنون لستم كهذه القرية، فَكُلُوا واشكروا الله على تباين حالكم من حال الكفرة، وهذه الآية هي بسبب أَن الكفار كانوا قد سنُّوا في الأَنعام سُنَناً، وحرَّموا بعضاً وأَحلُّوا بعضاً، فأَمر الله المؤمنين بأَكل جميع الأَنعام التي رزقها الله عباده.

[وقوله: ﴿حَلَٰلًا﴾ حال، وقوله: ﴿طَيِّبًا﴾؛ أي: مستَلَذّاً][(٣)]، ووقع النَّصُّ في هذا على المُسْتَلَذّات؛ إذ فيه ظهور النِّعمة، وهو عُظْم النِّعم، وإِن الحلال قد يكون غير مُسْتَلَذٍّ، ويحتمل أَن يكون الطيب بمعنى الحلال، كرَّره مبالغة وتوكيداً، وباقي الآية بيِّن.

وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ إِقامة للنفوس، كما تقول لرجل: إن كنتَ من الرجال فافعل كذا، على معنى إِقامة نفسه.

وذكر الطبري أَن بعض الناس قال: نزلت هذه خطاباً للكفَّار عن طعام كان رسول الله ﷺ بعثه إِليهم في جوعهم، وأَنحى الطبريُّ على هذا القول[(٤)]، وكذلك هو فاسد من غير وجه.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣١٢).

(٢) في المطبوع: «والمثل».

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «واختلف العلماءُ في قوله: ﴿طَيِّباً﴾، والصحيح أَنه مُسْتَلَذٌّ بعد قوله: ﴿حَلاَلًا﴾».

(٤) إنما ذكر الطبري هذا القول في تفسيره (١٧/ ٣١٢) بلا إسناد، ودون أن يذكر قائله، ولم أقف عليه مسنداً.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾.

حصرت ﴿إِنَّمَا﴾ هذه المُحَرَّمات وقت نزول الآية، ثم نزلت المحرَّمات بعد ذلك.

وقرأ جمهور النَّاس: ﴿ٱلْمَيْتَةَ﴾ مخففاً، وشددها أبو جعفر بن القعقاع[١]، وهو الأصل، والتخفيف طارئٌ عليه، والعامل في نصبها ﴿حَرَّمَ﴾.

وقرأت فرقة: (الـمَيْتَةُ) بالرفع على أَن تكون (مَا) بمعنى: الذي[٢].

قال القاضي أبو محمد: وكون (مَا) متصلة بـ(إِنَّ) يضعف هذا، ويحكم بأَنها حاصرة، و(ما) كافة، وإِذا كانت بمعنى الذي فيجب أَن تكون منفصلة، وذلك خلاف خط المصحف.

وقرأ الجمهور: ﴿حَرَّمَ﴾ على معنى: حرَّم الله، وقرأت فرقة: (حُرِّم) على ما لم يُسَمَّ فاعله، وهذا برفع (المَيْتَة) ولا بُدَّ[٣].

قال القاضي أبو محمد: والميتةُ المحرمة هي ما مات من حيوان البَـرِّ الذي له نفْسٌ سائِلة حتْفَ أَنفه[٤]، وأَما ما ليس له نفس سائِلة كالجراد والذباب والبراغيث ودود التين وحيوان الفول، وما مات من الحوت حتف أَنفه وطفا على الماءِ ففيه قولان في المذهب[٥]، وما مات حتف أَنفه من الحيوان الذي يعيش في الماءِ وفي البَـرِّ كالسلاحف ونحوها ففيه قولان[٦]، والمنع هنا أَظهر، إِلَّا أَن يكون الغالب عليه العيشَ في الماءِ[٧].

---

(١) كما في النشر (٢/ ٢٢٤)، فهي عشرية.

(٢) وهي شاذة تقدم الكلام عليها في سورة البقرة (١٧٣).

(٣) وهي شاذة عزاها المؤلف في آية (البقرة) للسلمي، كما تقدم.

(٤) انظر نقل الإجماع على ذلك في: الإقناع (٩٦٢-٩٦٣).

(٥) والمعتمد هو القول بالحرمة انظر القولين في: مواهب الجليل (١/ ١٢٢-١٢٣).

(٦) انظر القولين في شرح مختصر خليل للخرشي (٨/ ٤٧٨).

(٧) انظر هذا القول في بداية المجتهد (١/ ٤٤٣)، ولم ينسبه.

والدّم المحرَّم هو المنسفح الذي يسيل إِن ترك مفرداً[١].

وأَمَّا ما خالط اللحم وسكن فيه فحلال طبخ ذلك اللحم به، ولا يكلف أَحد تَتبُّعه[٢].

ودم الحوت مختلف في تحليله وإِن كان ينسفح لو تُرك[٣].

وَ(لَحْمَ الْخِنْزِيرِ) هو معظمُه والمقصودُ الأَظهر فيه، فلذلك خصَّه بالذكر، وأَجمعت الأُمة على تحريم شحمه وغضاريفه[٤]، ومن تخصيصه استدلت فرقة على جواز الانتفاع بجلده إِذا دُبغ ولبسه، والأَولى تحريمه جملة[٥].

وأَما شَعْره فالانتفاع به مباحٌ، وقالت فرقة: ذلك غير جائز، والأَول أَرجح[٦].

وقوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ يريد كل ما نوي بذبحه غيرُ التقرُّب إِلى الله والقرب إِلى سواه، وسواءٌ تكلم بذلك على الذبيحة أَو لم يتكلم، لكن خرجت العبارة عن ذلك بـ﴿أُهِلَّ﴾، ومعناه صحيح على عادة العرب، وقصد الغَضّ منها، وذلك أَنها كانت إِذا ساقت ذبيحة إِلى صنم جهرت باسْم ذلك الصنم وصاحت به.

وقوله: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾، قالت فرقة: معناه: أُكْرِه، وقال الجمهور: معناه: اضطرَّهُ جوع واحتياج.

وقرأَت فرقة: ﴿فَمَنُ﴾ بضم النون ﴿ٱضۡطُرَّ﴾ بضم الطاءِ، وقرأَت فرقة: ﴿فَمَنِ﴾ بكسر النون ﴿اضْطِرَّ﴾ بكسر الطاءِ، على أَن الأَصل: اضْطُرِرَ، فنقلت حركة الراءِ إِلى الطاءِ، وأُدغمت الراءُ في الراءِ[٧].

---

(١) انظر نقل الإجماع على ذلك في: الإقناع (٢/ ٩٨٥).

(٢) انظر ذلك في: مواهب الجليل (٤/ ٣٥٥).

(٣) انظر الاختلاف في دم الحوت المنسفح في: بداية المجتهد (١/ ٤٦٧).

(٤) انظر نقل الإجماع على ذلك في: الإقناع (٢/ ٩٨٥).

(٥) انظر قول الجمهور وقول مخالفيهم في: الاستذكار (٥/ ٣٠٥).

(٦) انظر عزو القولين في بداية المجتهد (١/ ٤٧٦)، والمغني (١/ ٦٧).

(٧) وهي عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٢٢٦)، والأولى قرأ بها نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي وخلف العاشر.

قالت فرقة: «الباغي»[(١)]: هو صاحب البغي على الإمام، أَو في قطع الطريق، وبالجملة في سفر المعاصي، و«العادي»: بمعناه في أَنه مَن ينوي المعصية.

وقال الجمهور: ﴿غَيۡرَ بَاغٖ﴾ معناه: غير مستعمل لهذه المحرمات مع وجود غيرها، ﴿وَلَا عَادٖ﴾ معناه: لا يعدو حدود الله في هذا، وهذا القول أَرجحُ، وأَعمُّ في الرخصة.

وقالت فرقة: باغٍ وعادٍ في الشِّبَع والتَّزوُّد، واختلف النَّاسُ في صورة الأَكل من الميتة:

فقالت فرقة: الجائز من ذلك ما يُمسك الرَّمَق فقط[(٢)].

[٣/ ١٥٥] وقالت فرقة: بل يجوز الشبع التَّام[(٣)]، / وقالت فرقة منهم مالك رحمه الله: يجوز الشِّبع والتَّزوُّد[(٤)].

وقال بعض النحويين في قوله: عَادٍ: إِنه مقلوب من عايِدٍ، فهو كشاكي السلاح، وكيومٍ راحٍ، وكقول الشاعر:

[الرجز] لاثٍ بِــهِ الأَشَـاءُ والْـعُـبْـرِيُّ[(٥)] ....

وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ لفظ يقتضي منه الإِباحة للمضطر، وخرجت الإِباحة في هذه الأَلفاظ تحرجاً فيها، وتَضْييقاً في أَمرها، ليدل الكلام على عظم الحظر[(٦)]

(١) ليست في أحمد٣ والمطبوع، وفي المطبوع قبل قالت فرقة: «وقوله: ﴿غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ قال في الحاشية: وهي زيادة يقتضيها سياق الكلام، وهو غير موجود بالأصل».

(٢) ممن قال بذلك أبو حنيفة كما في مختصر اختلاف العلماء (٤/ ٣٥٩)، والشافعي وأصحابه كما في: المجموع (٩/ ٤٢-٤٣، ٥٢).

(٣) ممن قال بذلك الحسن البصري، كما في: الاستذكار (٥/ ٣٠٧).

(٤) انظر قول مالك في: الموطأ (٢/ ٤٩٩).

(٥) البيت للعجاج كما في العين (٢/ ١٣٠)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٤٦٦)، ومجاز القرآن (١/ ٢٦٩)، وتهذيب اللغة (٣/ ١٩).

(٦) في الإماراتية والمصرية١: «الخطر»، وهو ظاهر الأصل.

في هذه المحرمات، فغاية هذا المرخَّص له غفرانُ الله له، وحطُّه عنه ما كان يلحقه من الإِثم لولا ضرورته.

قال القاضي أبو محمد: وهذا التخريج[١] الذي ذكرناه يفهمه الفصحاءُ من اللفظ، وليس في المعنى منه شيءٌ، وإنما هو إيماء[٢]، وكذلك جعل في موضع آخر[٣] غايته أَن لا إِثم عليه، وإِن كان «لا إِثْمَ عَلَيْهِ»، وقوله: «هو له مباح» يرجعان إِلى معنىً واحد، فإِن في هيئة اللفظتين خلافاً.

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾.

هذه مخاطبة للكفار الذين حرَّموا البحائر والسوائب، وأَحَلُّوا ما في بطون بعض الأَنعام وإِن كان ميتة، يدل على ذلك قوله حكاية عنهم: ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾[الأنعام: ١٣٩]، والآية تقتضي كل ما كان لهم من تحليل وتحريم، فإِنه كلَّه افتراءٌ منهم، ومنه ما فعلوه في الشهور.

وقرأَ السبعةُ وجمهور النَّاس: ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ بفتح الكاف وكسر الذَّال وفتح الباءِ، و(ما) مصدرية، فكأَنه قال: لوصف أَلسنتكم الكذب.

وقرأَ الأَعرج، وطلحة[٤]، وأَبو معمر، والحسن: (الكَذِبِ) بخفض الباءِ على البدل من (مَا).

---

(١) في الأصل: «التحريم»، وفي الإماراتية: «التحريج».

(٢) في المطبوع: «إِيحاءٌ».

(٣) في الآية (١٧٣) من سورة البقرة.

(٤) في الأصل: «أبو طلحة».

وقرأ بعض أَهل الشام، ومعاذ بن جبل، وابن أَبي عبلة: (الكُذُبُ) بضم الكاف والذال والباءِ، على صفة الأَلسنة.

وقرأ مسلمة بن محارب: (الكُذُبَ) بفتح الباءِ على أَنه جمع كِذاب ككُتُبٍ وكِتَاب[١].

وقوله: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ﴾ إِشارة إِلى ميتة بطون الأَنعام وكل ما أَحَلُّوا، وقوله: ﴿وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ إِشارة إِلى البحائر والسَّوائب وكل ما حرَّموا، وقوله: ﴿لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ إِشارة إِلى قولهم في فواحشهم التي هذه إِحداها: ﴿وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨].

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أَن يريد أَنه كان شرعهم لاتباعهم سُنَناً لا يرضاها الله افتراءً عليه؛ لأَن من شرع أَمراً فكأَنه قال لأَتباعه: هذا هو الحق، وهذا مرادُ الله.

ثم أَخبرهم الله أَنَّ الَّذِينَ يَفْتَـرُونَ عَلَى الله الْكَذِبَ لا يبلغون الأَمل، و«الفلاحُ»: بلوغ الأَمل، فطَوْراً يكون في البقاءِ، كما قال الشاعر:

[المنسرح] .... والصُّبْحُ والـمُمْسِـيُ لا فلاحَ مَعَهْ[٢]

ويشبه أَن هذه الآية من هذا المعنى، يُقَوِّي ذلك قوله: ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾، وقد يكون في نجح[٣] المساعي، ومنه قول عبيد:

[مخلع البسيط] أَفْلِحْ بِمَا شِـئْتَ فَقَـدْ يُبْلَغُ بالضْـ ... ـضَعْـفِ وقَـدْ يُخْـدَعُ الأَرِيبُ[٤]

وقوله: ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ إِشارةٌ إِلى عيشتهم في الدنيا، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ بعد ذلك في الآخرة.

---

(١) هذه ثلاث قراءات شاذة، الأولى في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٦٢)، ومع الثالثة في المحتسب (٢/ ١٢)، وذكر الثانية لمعاذ في الآية (٦٢) (٢/ ١١)، وعزاها الهذلي لابن أبي عبلة في الكامل (ص: ٥٨٥).

(٢) هو للأضبط بن قُرَيْع السَّعديِّ، وصدره: لكُلِّ هَمٍّ مِنَ الأمورِ سَعَهْ وقد تقدم في أول سورة البقرة.

(٣) ليست في الأصل.

(٤) البيت لعَبيد بن الأبرص كما تقدم في تفسير الآية (٢٢) من سورة الأنعام.

وقوله: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ الآية، لما قصَّ[١] تعالى على المؤمنين ما حرَّم عليهم أَعْلم أَيضاً بما حرَّم على اليهود؛ ليبين تبديلهم الشرع فيما استحلوا من ذلك، وفيما حرَّموا من تلقاءِ أَنفسهم.

وقوله: ﴿مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ﴾ إِشارةٌ إِلى ما في سورة الأَنعام[٢] من ذي الظُّفُر والشحوم.

وقوله: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ﴾؛ أَي: لم نضع العقوبة عليهم بتحريم تلك الأَشياءِ عليهم في غير موضعها، بل هم طرقوا إِلى ذلك، وجاءَ من تسبيبهم[٣] بالمعاصي ما أَوجب ذلك.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ هذه آية تأنيس لجميع العالم، أَخبر الله تعالى فيها أَنه يغفر للتائب، والآية إِشارة إِلى الكفار الذين افتروا على الله، وفعلوا الأَفاعيل المذكورة، فهم إِذا تابوا من كفرهم بالإِيمان، وأَصلحوا بأَعمال الإِسلام غفر الله لهم، وتناولت هذه ـ بعد ذلك ـ كل واقع تحت لفظها من كافر وعاصٍ.

وقالت فرقة: «الجهالة»: العَمْد، و«الجهالة» عندي في هذا الموضع ليست ضد العلم، بل هي تعدِّي الطور، وركوبُ الرأس، ومنه قول النبي ﷺ: «أَوْ أَجْهَل، أَو يُجْهَل عَلَيَّ»[٤]، وهي التي في قول الشاعر:

أَلا لا يَـجْـهَـلَـنْ أَحَـدٌ عَـلَـيْـنَـا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْـلِ الْجَاهِلِينا[٥] [الوافر]

---

(١) في الأصل: «نص».

(٢) الأنعام: ١٤٦.

(٣) في المطبوع: «تَشَبُّثهم»، وهي ظاهر نور العثمانية.

(٤) منقطع، أخرجه الإمام أحمد (٤٤/ ٢٣٠)، والترمذي (٣٤٢٧)، والنسائي في الكبرى (٩٩١٥) كلهم من طريق وكيع، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن الشعبي، عن أم سلمة رضي الله عنها، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، فالشعبي لم يسمع من أم سلمة، قاله علي بن المديني، فيما أورده عنه ابن حجر في نتائج الأفكار (١/ ١٥٩)، والحديث روي من طرق أخرى، ذكرها الدارقطني وأعلها جميعاً في علله (١٥/ ٢٢١) ثم قال: والمحفوظ حديث منصور، ومن تابعه.

(٥) البيت لعمرو بن كلثوم، كما تقدم في تفسير الآية (٨) من سورة البقرة.

ومنه لفظة الجاهلية، والجهالة التي هي ضد العلم تصحب هذه الأُخرى كثيراً، ولكن يخرج منها المتعمد، وهو الأَكثر، وقَلَّما يوجد في العُصاة من لم يتقدم له علم بحظر المعصية التي يُواقع، والضمير في ﴿بَعۡدِهَا﴾ عائد على التوبة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٢٢ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٢٤﴾.

لمَّا كَشَفَ الله تعالى فعل اليهود وتحكمهم في شرعهم بذكر ما حرَّم عليهم أَراد أَن يبيِّن بُعدهم عن شرع إِبراهيم والدعوى فيه، وأَن يصف حال إِبراهيم ليُبيِّن الفرق بين حاله وحالهم وحال قريش أَيضاً.

[٣/ ١٥٦] و«الأُمَّة» [في اللغة][(١)]: لفظة مشتركة / تقع للحين[(٢)] والعامة[(٣)]، والجمع الكثير من الناس، ثم يُشبَّه الرجلُ العالم، أَو الملك، أَو المنفرد بطريقة وحده بالناس الكثير فيُسَمَّى أُمَّة، وعلى هذا الوجه سُمِّي إِبراهيم عليه السلام أُمَّة، قال ابن مسعود: الأُمة: مُعَلِّم الخير، [وكان معاذ بن جبل أمة قانتاً][(٤)].

وقال في بعض أَوقاته: إِن معاذ بن جبل كان أُمَّة قانتاً، فقال له أَبو قُرَّة الكندي[(٥)]،

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) في المطبوع: «للخير»، وفي نجيبويه والمصرية١: «للجنس».

(٣) في الأصل: «القامة»، وكذا في نور العثمانية مكررة.

(٤) ليس في المطبوع، وهي في أحمد٣ ملحقة في الهامش.

(٥) هو أبو قرة الكندي كوفي، اسمه سلمة بن معاوية بن وهب، روى عن: ابن مسعود، وسلمان، والمغيرة بن شعبة، وعلقمة، وعنه: الشعبي، وتميم بن حذلم الضبي، وأبو إسحاق، توفي قبل الثمانين. تاريخ الإسلام (٥/ ٥٦١).

أَو فروة بن نوفل[١]: ليس كذلك، إِنما هو إن إِبراهيم [كان أُمَّةً قانتاً][٢]، فقال: أَتدري ما الأُمة؟ هو معَلِّم الخير، وكذلك كان معاذ يُعَلِّم الخير ويطيع الله ورسوله[٣].

وقال مجاهد: سُمِّي إِبراهيم أُمَّة؛ لانفراده بالإِيمان في وقته مدةً[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وفي «البخاري»: أَنه قال لسارة: «ليس على الأَرض اليومَ مؤمنٌ غيري وغيرك»[٥].

وقال بعض النحويين ـ أَظنه أَبا الحسن الأَخفش ـ: الأُمة فُعْلَة من أَمَّ يؤُم، فهو كالهُمزة والضُّحكَة؛ أَي: يُؤْتَمُّ به[٦].

قال القاضي أَبو محمد: ﴿أُمَّةً﴾ على هذا صفة، وعلى القول الأَول اسْمٌ ليس بصفة.

---

(١) هو فروة بن نوفل الأشجعي الكوفي، لأبيه صحبة، سمع: أباه، وعلياً، وعائشة، روى عنه: هلال ابن يساف، ونصر بن عاصم الليثي، وأبو إسحاق السَّبِيعي، وروى أبو إسحاق أيضاً، عن رجل عنه، توفي قبل الثمانين، تاريخ الإسلام (٥/ ٥٠٩).

(٢) من المطبوع والمصرية٢ وأحمد٣.

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٣١٧) من طريق عامر الشعبي، واختلف عليه فيه فيما أورده الطبري، فرواه عنه منصور بن عبد الرحمن، وهو الغداني، عن فروة بن نوفل الأشجعي، عن ابن مسعود به، ومنصور هذا صدوق له أوهام، انظر تهذيب الكمال (٢٨/ ٥٤٠)، وخالفه فراس، وهو ابن يحيى الهمداني، فرواه عن الشعبي، عن مسروق، عن ابن مسعود به، وفراس، وإن وثقه البعض، إلا إن الفسوي قال في تاريخه (٣/ ٩٢): في حديثه لين، وهو ثقة، وخالف كلاً من منصور الغداني، وفراس الهمداني: بيانُ بنُ بشر البجلي، وهو ثقة ثبت، فرواه عن الشعبي، قال: قال عبد الله بن مسعود، فذكره، ورواية بيان بن بشر هي الأصوب، فهو أوثقهم جميعاً، ورواية الشعبي عن ابن مسعود منقطعة، انظر: جامع التحصيل (٣٢٢).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣١٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ١١١)، والهداية لمكي (٦/ ٤١٠٩).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢١٠٤)، ومسلم (٢٣٧١) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٦) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ١١١) بلا نسبة.

و«القَانِتُ»: المطيع الدائم على العبادة، و«الْحَنِيفُ»: المائل إِلى الخير والإِصلاح، وكانت العرب تقول لمن يَخْتَتِن ويَحُجُّ البيت: حنيفاً.

وحذف النون من ﴿لَمْ يَكُ﴾ لكثرة الاستعمال، كحذفهم من: لا أُبالِ، ولا أَدْرِ، وهو أَيضاً لشبه النون في حال سكونها حروفَ العلة؛ لغنَّتها، وخفَّتها، وأَنها قد تكون علامةً، وغير ذلك، فكأَن ﴿لَمْ﴾ هنا دخلت على (يَكُنْ) في حال جزم، ولا تحذف النون إِذا لم تكن ساكنة في نحو قوله: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البينة: ١]، ولا تحذف من مثل [هذا إِلا في الشِّعر][١] فقد جاءَت محذوفة.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ مُشيرٌ إِلى حال تَبَرُّؤ إِبراهيم عليه السلام من حال مشركي العرب ومشركي اليهود؛ إِذْ كلُّهم ادَّعاه، ويلزم الإِشراكُ اليهودَ من جهة تَجْسِيمهم.

و﴿شَاكِرًا﴾ صفةٌ لإِبراهيم تابعة ما تقدم، و«الأَنْعُم»: جمع نعمة.

و﴿ٱجْتَبَىٰهُ﴾: معناه: تَخَيَّره. وباقي الآية بيِّن.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ الآية، «الحَسَنَةُ»: لسانُ الصدق، وإِمامَتُه لجميع الخلق، هذا قول جميع المفسرين، وذلك أَن كل أُمَّة متشرعة فهي مُقِرَّة أَن إِيمانها إِيمانُ إِبراهيم، وأَنه قُدْوتها، وأَنه كان على الصواب.

وقوله: ﴿لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بمعنى: المُنْعَم عليهم؛ أَي: من الصالحين في أَحوالهم ومراتبهم، أَو بمعنى أَنه في الآخرة ممَّن يُحْكم له بحكم الصالحين في الدنيا، وهذا على أَن الآية وصف حاليْهِ في الدَّارَيْن، ويحتمل أَن يكون المعنى: وأنه في أَعمال الآخرة، فعلى هذا وصف حاليه في الأعمال الدنياويَّة[٢] والأُخْرَويَّة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ الآية، الوحيُ إِلى محمد ﷺ بهذا من جملة

---

(١) ليس في المصرية١.

(٢) في الأصل ونجيبويه ونور العثمانية: «الدنيا الدنياويه».

الحسنة التي آتاها الله إِبراهيم، قال ابن فُورك: وأَمَر الفاضلَ باتباع المفضول لما تقدم إِلى قول[١] الصواب والعمل به[٢].

و﴿أَنِ﴾ في قوله: ﴿أَنِ ٱتَّبِعۡ﴾ مفسِّرة، ويجوز أَن تكون مفعولة.

و«الْمِلَّة»: الطريقة في عقائد الشرع، و﴿حَنِيفًا﴾ حال، والعامل فيه الفِعْلِيَّة التي في قوله: ﴿مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾، ويجوز أَن تكون حالاً من الضمير المرفوع في ﴿ٱتَّبِعۡ﴾.

قال مكي: ولا يكون حالاً من ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾؛ لأَنه مضاف إِليه[٣].

وليس كما قال؛ لأَن الحال قد تعمل فيها حروفُ الخفض إِذا عملت في ذي الحال، كقولك: مررت بزيد قائماً.

قوله: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ﴾؛ أَي: لم يكن من ملَّة إِبراهيم، وإِنما جعله الله فرضاً عاقب به القوم المختلفين فيه، قاله ابن زيد[٤].

وذلك أَن موسى أَمر بني إِسرائيل أَن يجعلوا من الجمعة يوماً مختصاً بالعبادة، وأَمرهم أَن يكون يوم الجمعة، فقال جمهورهم: بل يكون يوم السبت؛ لأَن الله فرغ فيه من خلق مخلوقاته، وقال غيرهم: بل نقبل ما أَمر به موسى عليه السلام، فراجعهم الجمهور، فتابعهم الآخرون، فأَلزمهم الله يوم السبت إِلزاماً قويّاً عقوبة منه لهم، فلم يكن منهم ثبوت، بل عصوا فيه وتعدَّوا، فأَهلكهم الله.

وقرأَ الأَعمش: (إِنما أنزلنا السبت)، وهي قراءَة ابن مسعود، وقرأَ أَبو حيوة: (جَعَلَ) بفتح الجيم والعين[٥].

---

(١) زيادة من المطبوع والمصرية٢ ونجيبويه.

(٢) نقله عنه في البحر المحيط (٦/ ٦١٠).

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٤٢٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٢٠، ٣٢١).

(٥) وهما شاذتان، انظر قراءة ابن مسعود في مختصر الشواذ (ص: ٧٨)، وعزا الثانية للحسن والنخعي =

قال القاضي أَبو محمد: وورد في الحديث: أَن اليهود والنصارى اختلفوا في اليوم الذي يختص من الجمعة، فأَخذ هؤلاءِ السبت، وهؤلاءِ الأَحد، فهدانا الله إِلى يوم الجمعة، قال رسول الله ﷺ: فهذا يومُهم الذي اختلَفوا فيه[١].

فليس الاختلاف المذكور في الآية هو الاختلاف الذي في الحديث.

[وباقي الآية وعيدٌ بيِّن][٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾.

هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأَمر بمهادنته للمشركين، أَمره الله تعالى أَن يدعو إِلى دين الله وشرعه بتَلَطُّف، وهو أَن يُسمِع المدعوَّ حكمةً، وهو الكلام الصواب القريب الواقع في النفس أَجمل موقع.

و(الموعظة الحسنة): التخويف والترجية[٣]، والتَّلطُّف بالإِنسان، بأَن [يحله ويبسطه][٤]، ويجعله بصورة من يقبل الفضائل ونحو هذا، فهذه حالة من يُدعى، وحالة من يُجادل دون مخاشنة، فتظهر عليه دون قتال، والكلام يعطي أَن جدَّك وهمَّك وتعبَك

= واليزيدي، وانظر نسبتها لأبي حيوة في الشواذ للكرماني (ص: ٢٧٦)، ومع نسبة الأولى للأعمش في البحر المحيط (٦/ ٦١٢).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٨٥٦)، ومسلم (٨٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٢) ليس في المصرية١، وليس «بين» في نور العثمانية، وفي المطبوع: «وعيد وبين»، بالعطف.

(٣) في المطبوع: «والتوجيه».

(٤) في المطبوع: «يُجِلَّه ويُنَشِّطَهُ».

لا يغني؛ لأَن الله قد علم من يؤمن منهم ويهتدي، وعلم من يَضِل، فجملة المعنى: اسلك هذه السبيل، ولا تلجأْ للمخاشنة، فإِنها غير مجدية؛ لأَن علم الله قد سبق بالمهتدي منهم والضال.

وقالت فرقة: هذه الآية منسوخة بآية القتال[١]، وقالت فرقة: هي مُحْكَمة.

قال القاضي أَبو محمد: ويظهر لي / أَن الاقتصار على هذه الحال، وألَّا يتعدى مع الكفرة متى احتيج إِلى المخاشنة وهو منسوخ لا محالة، وأَما من أَمكنت معه هذه الأَحوال من الكفار، ويرجى إِيمانه بها دون قتال، فهي فيه محكمة إِلى يوم القيامة، وأَيضاً فهي محكمة في جهة العصاة، فهكذا ينبغي أَن يوعظ المسلمون إِلى يوم القيامة. [٣/ ١٥٧]

قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟﴾ الآية، أَطبق أَهل التفسير أَن هذه الآية مدنية نزلت في شأْن التمثيل بحمزة رضي الله عنه في يوم أُحد، ووقع ذلك في «صحيح البخاري»[٢]، وفي كتاب السِّير[٣].

وذهب النحاس إِلى أَنها مكيَّة[٤].

قال القاضي أَبو محمد: والمعنى متصل بما قبلها من المكي اتصالاً حسناً؛ لأَنها تتدرَّجُ الرُّتَب من الذي يُدْعى ويوعظ، إِلى الذي يجادل، إِلى الذي يُجازَى على فعله، ولكن ما رَوَى الجمهور أَثبت.

وأَيضاً فقوله: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾ يقلق[٥] بمعنى الآية على ما روى الجميع أَن كفار قريش لما مثَّلوا بحمزة وقع ذلك من نفس رسول الله ﷺ فقال: «لَئِن أَظْفَرَني الله بهم

(١) الهداية لمكي (٦/ ٤١١٥).
(٢) قصة قتل حمزة في أُحد أخرجها البخاري (٤٠٧٢) دون ذكر الآية.
(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٩٦).
(٤) انظر ترجيحه لذلك في معاني القرآن للنحاس (٤/ ١١٣) مستدلًا بقول للضحاك وزيد بن أسلم، وضعف الحديث المذكور، وكان قد ذكر فيه (٤/ ٥١) أنها نزلت بين مكة والمدينة، زاد في الناسخ والمنسوخ (ص: ٥٤١): وما نزل بينهما فهو مدني.
(٥) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «تعلَّق».

لأُمَثِّلَنَّ بثلاثين»، وفي كتاب النحاس، وغيره: «بسبعين منهم»[١]، فقال الناسُ: إِن ظفرنا لنفعلن ولنفعلن، فنزلت هذه الآية[٢].

ثم عزم على رسول الله ﷺ في الصبر في الآية بعدها وسمَّى الإذناب[٣] في هذه الآية عقوبةً، والعقوبة حقيقة إِنما هي الثانية، وإِنَّما فعل ذلك ليستوي اللفظان وتتناسب ديباجة القول، وهذا بعكس قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ﴾ [البقرة: ١٥]، فإِن الثاني هو المجازيّ، والأَول هو الحقيقة.

وقرأَ ابن سيرين: (وَإِن عَقَّبْتُم فَعَقِّبُوا)[٤].

وحكى الطبري عن فرقة أَنها قالت: إِنما نزلت هذه الآية فيمن أُصيب بظُلامة أَلاَّ ينال من ظالميه إِذا تمكَّن إِلَّا مثْل ظلامته، لا يتعداه إِلى غيره[٥].

واختلف أَهل العلم فيمن ظلمه رجل في أَخذ مالٍ، ثم ائتمن الظالم المظلوم على مالٍ، هل يجوز له خيانته في القدر الذي ظلمه؟

فقالت فرقة: له ذلك، ومنهم ابن سيرين، وإِبراهيم النَّخَعي، وسفيان، ومجاهد، واحتجت بهذه الآية، وعموم لفظها[٦].

وقال مالك رحمه الله وفرقة معه: لا يجوز له ذلك[٧]، واحتَجُّوا بقول رسول الله

---

(١) معاني القرآن للنحاس (٤/ ١١٣)، وفي الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٥٤١): «بثلاثين»، وفي المطبوع والمصرية٢: «بتسعين».

(٢) ضعيف، أخرجه الدارقطني في سننه (٤٢٠٤) من طريق عبد العزيز بن عمران، قال: حدثني أفلح بن سعيد، عن محمد بن كعب، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً به، قال الدارقطني: عبد العزيز بن عمران ضعيف. قلت: وقال فيه البخاري: لا يكتب حديثه، منكر الحديث، التاريخ الكبير (٦/ ٢٩).

(٣) في المطبوع: «الإذايات».

(٤) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٣)، ومختصر الشواذ (ص: ٧٦).

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٣٢٤).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٢٤-٣٢٥).

(٧) انظر قول مالك في: المدونة (٤/ ٤٤٥).

ﷺ: «أَدِّ الأَمانة إِلى من ائتمنك، ولا تخُنْ مَن خانك»(١).

قال القاضي أبو محمد: ووقع في «مسند ابن سنجر»(٢): أَن هذا الحديث إِنما ورد في رجل زنى بامرأَةِ رجل آخر، ثم تمكن الآخر من زوجة الثاني بأَن تركها عنده وسافر، فاستشار ذلك الرجل رسولَ الله ﷺ [في الأَمر](٣)، فقال له: «أَدِّ الأَمانة إِلى من ائتمنك ولا تخُنْ مَن خانك»(٤).

ويَتَقَوَّى في أَمر المال قولُ مالك رحمه الله(٥)؛ لأَن الخيانة لاحقة في ذلك، وهي رذيلة لا انفكاك عنها، ولا ينبغي للمرءِ أَن يتأَسَّى بغيره في الرذائل، وإِنما ينبغي أَن يتجنَّبها لنفسه.

وأَما الرجلُ يظلم في المال، ثمَّ يتمكن من الانتصاف دون أَن يُؤْتمن فيشبه أَن

---

(١) منكر، أخرجه أبو داود (٣٥٢٩)، والترمذي (١٣١٠)، والدارقطني في سننه (٢٩٣٦)، وذكره أبو حاتم الرازي، كما في علل ابنه (١/ ٣٧٥)، كلهم من طريق طلق بن غنام، عن شريك النخعي، وقيس بن الربيع الأسدي، عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به، قال أبو حاتم: طلق بن غنام، روى حديثاً منكراً، فذكره، ثم قال: لم يرو هذا الحديث غيره، وأخرجه كذلك ابن عدي (١/ ٣٦٢) والدارقطني في سننه (٢٩٣٧) كلاهما من طريق أيوب بن سويد، قال: حدثنا ابن شوذب، عن أبي التياح، عن أنس بن مالك، مرفوعاً به، قال ابن عدي: وهذا الحديث بهذا الإسناد لا يرويه عن ابن شوذب غير أيوب بن سويد، وهو منكر بهذا الإسناد، وإنما يُروى هذا المتن عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. قلت: وأيوب بن سويد ضعيف الحديث، واتهمه ابن معين بسرقة الحديث، انظر تهذيب الكمال (٣/ ٤٧٤)، وأخرجه الدارقطني في سننه (٢٩٣٥) من طريق حميد الطويل، عن يوسف بن يعقوب، عن رجل من قريش، عن أبي ابن كعب رضي الله عنه، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف لإبهام راويه عن أُبي.

(٢) في المطبوع والمصرية١: «ابن إِسحاق»، ولعله خطأ، وابن سنجر هو الجرجاني، تقدم التعريف به في أول سورة آل عمران.

(٣) ليس في الأصل.

(٤) عزا القرطبي هذا الخبر في تفسيره (١٠/ ٢٠٢) لـ«مسند ابن إسحاق»، ولعله خطأٌ.

(٥) يعني بذلك قول مالك في المدونة (٤/ ٤٤٥) بمنع الخيانة حتى ولو كانت مقتصّاً بها من خائن آخر.

ذلك جائز، يرى أَن الله حكم له كما لو تمكن له بالحكم من الحاكم[١].

قوله: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ الآية، هذه عزيمة على رسول الله ﷺ في الصبر على المجازاة في التمثيل بالقتلى، وقال ابن زيد: هذه الآية منسوخة بالقتال.

وجمهور الناس على أنها مُحكَمة[٢]، ويروى أَنه ﷺ قال لأَصحابه: «أَمَّا أَنا فأَصبر كما أُمرتُ، فماذا تصنعون؟»، قالوا: نصبرُ يا رسول الله كما ندبنا[٣].

وقوله: ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾؛ أَي: بمعونة الله وتأييده لك على ذلك، والضمير في قوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قيل: يعود على الكفار؛ أَي: لا تتأَسف على أَن لم يُسلموا، وقالت فرقة: بل يعود على القتلى: حمزة وأَصحابه الذين حزن عليهم رسول الله ﷺ، والأَول أَصوب؛ أَن[٤] يكون عود الضمائر على جهة واحدة.

وقرأَ الجمهور: ﴿فِى ضَيْقٍ﴾ بفتح الضاد، وقرأَ ابن كثير: ﴿في ضِيقٍ﴾ بكسرها، ورويت عن نافع، وهو غَلَط ممن رواه[٥].

قال بعض اللغويين: الكسر والفتح في الضاد لغتان في المصدر، وقال أَبو عبيدة: الضِّيقُ مصدر، والضَّيْق مخفف من ضَيِّق، كَمَيْتٍ ومَيِّت، وهَيْن وهَيِّن[٦].

وقال أَبو علي الفارسي: والصواب أَن يكون الضَّيْق لغة في المصدر؛ لأَنه إِن كان مخففاً من ضَيِّق لزم أَن تقام الصفة مقام الموصوف، وليس هذا موضعَ ذلك[٧].

---

(١) لمزيد من التوسع انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ١٥٨-١٥٩)، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ٥٨٤-٥٨٥).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٢٤).
(٣) لم أقف عليه مسنداً.
(٤) من أحمد٣ والمصرية٢، وفي المطبوع: «إذ»، وفي نور العثمانية: «ليعود».
(٥) انظر: السبعة (ص: ٣٧٦)، وذكر رواية المسيبي عن نافع، ووهَّمها.
(٦) مجاز القرآن (١/ ٣٦٩)، في نجيبويه: «أبو عبيد».
(٧) الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٨٠).

قال القاضي أَبو محمد: الصفة إِنما تقوم مقام الموصوف إِذا تخصص الموصوف من نفس الصفة، كما تقول: رأَيْتُ ضاحكاً، فإِنها تخصص الإِنسان، ولو قلت: رأَيْتُ بارداً لم يَحْسُن، وبِبَاردٍ مثَّل سيبويه رحمه الله[١]، و(ضَيِّق) لا تخصص الموصوف.

وقال ابن عباس[٢]، وابن زيد: إِن ما في هذه الآيات من الأَمر بالصبر منسوخ[٣].

وقوله: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ﴾؛ أَي: بالنصر والمعونة والتأييد، و﴿ٱتَّقَواْ﴾ يريد: المعاصي، و﴿مُّحۡسِنُونَ﴾ معناه: يتزيدون[٤] فيما نَدَب إِليه من فعل الخير.

نجز تفسير سورة النحل بعون الله وتأييده والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم[٥].

(١) الكتاب لسيبويه (١/ ٢٢٧).
(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٢٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٢٤).
(٤) في المطبوع وأحمد٣: «يزيدون».
(٥) ليس في أحمد٣، وفيه بدله: «وقع الفراغ منه يوم الثلاثاء خامس عشر جمادى الأول سنة... وأربعين وسبع مئة».

سورة الإسراء

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الإسراء

هذه السورة مكيَّة إلَّا ثلاث آيات: قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ﴾، وقوله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ﴾، نزلت حين جاء رسولَ الله ﷺ وفدُ ثقيف، وحين قالت اليهود: ليست هذه بأرض الأنبياء(١)، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ﴾، [وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾(٢) الآية.

وقال مقاتل](٣): وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾ [الإسراء: ٨٥]، الآية.

وقال ابن مسعود / في (بني إسرائيل) و(الكهف): إنَّهن من العِتاق الأولِ، وهنَّ من تِلادي(٤)، يريد أنَّهُنَّ من قديم كسبه. [٣/ ١٥٨]

(١) منقطع، أخرجه الطبري (١٧/ ٥١٠) من طريق سليمان بن طرخان التيمي، قال: زعم حضرمي... فذكره، وهذا إسناد ضعيف؛ لانقطاعه، فسليمان جلُّ روايته عن التابعين، وهو مع ذلك كثير الإرسال عنهم، ولم أجد من نص على سماعه من حضرمي، وانظر جامع التحصيل (٢٥٧).

(٢) هذه أربع آيات وأرقامها بالترتيب: (٧٣، ٧٦، ٨٠، ٦٠)، فلعله اعتبر الأوليين واحداً في العدد، أو أسقط منه الأخيرة.

(٣) ليس في نجيبويه ونور العثمانية والمطبوع، وهو في الإماراتية ملحق في الهامش، وانظر قول مقاتل في زاد المسير (٣/ ٧).

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٣١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١ ﴾.

لفظ الآية يقتضي أن الله عزَّ وجلَّ أسرى بعبده، وهو محمد ﷺ، [قال المفسرون: معناه: سَرَى بعبده][1]، ويظهر أن أَسْرَى هي مُعَدَّاة بالهمز إلى مفعول محذوف، تقديره: أسرى الملائكةَ بعبده، وذلك لأنه يقلق أن يُسْند (أَسْرى) وهو بمعنى: سَرَى إلى الله تعالى؛ إذْ هو فعل يُعطي النُّقْلةَ كَمَشَى وجَرَى وأحضر وانتقل، فلا يحسن إسناد شيءٍ من هذا ونحن نجد مندوحة، فإذا صرَّحت الشريعة بشيءٍ من هذا النحو كقوله في الحديث: «أَتَيْتُه سعياً، وأَتَيْتُه هَرْوَلَةً»[2]، حُمل ذلك بالتأويل على الوجه المخلِّص من نفي الحوادث.

و﴿أَسۡرَىٰ﴾ في هذه الآية تخرج فصيحة كما ذكرنا، ولا تحتاج إلى تَجَوُّز قَلق في هذا اللفظ، فإنه ألزمُ للنُّقْلة من «أَتَيْتُهُ»، و﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم﴾ [النحل: ٢٦].

ويحتمل أَنْ يكون أَسْرَى بمعنى: سَرَى على حذف مضاف، كنحو قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٧].

ووقع الإسراءُ في جميع[3] مُصنَّفات الحديث، ورُوي عن الصحابة في كل أقطار الإسلام، فهو من المتواتر بهذا الوجه، وذكر النقاش ممَّن رواه عشرين صحابيّاً.

فروى جمهور الصحابة، وتَلَقَّى جلُّ العلماء منهم أن الإسراءَ كان بشخصه ﷺ، وأنه ركب البُراقَ من مكة، ووصل إلى بيت المقدس وصلَّى فيه.

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٩٧٠)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، به. وليس فيه: «سعياً».

(٣) ليست في المطبوع.

وروى حذيفة وغيره: أن رسول الله ﷺ لم ينزل من البراق في بيت المقدس، ولا دخله، قال حذيفة: ولو صلَّى فيه لكُتب عليكم الصلاةُ فيه، وأنه ركب البراق بمكة، ولم ينزل عنه حتى انصرف إلى بيته، إلَّا، في صعوده إلى السماء(١).

وقالت عائشة ومعاوية: إنما أُسري بنَفْس رسول الله ﷺ، ولم يفارق شخصُه مَضجَعَه، وإنها كانت رؤْيا رأَى فيها الحقائق من ربِّه عزَّ وجلَّ(٢)، وجوَّزه الحسن وابن إسحاق(٣).

والحديث مطوَّل في «البخاري» و«مسلم» وغيرهما(٤)، فلذلك اختصرنا نصَّه في هذا الباب(٥).

وركوب البراق على قول هؤلاء يكون من جملة ما رُئي في النوم.

قال ابن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن في «كتاب الطبري»: البراق: هو دابة إبراهيم الذي كان يزور عليه البيت الحرام(٦).

---

(١) منكر، أخرجه الإمام أحمد (٣٨/ ٣٢١)، والترمذي (٣٤١٤) كلاهما من طريق عاصم بن أبي النجود، عن زر، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه به، وعاصم بن أبي النجود، هو ابن بهدلة، صدوق له أوهام، ولا يُقبل ما تفرد به من مرويات، ولم أجد من تابعه على روايته هذه، ثم إن متن الحديث فيه نكارة، ففيها أن رسول الله ﷺ لم يصلِّ في بيت المقدس، وهو خلاف ما جاء في صحيح مسلم (١٦٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أنه ﷺ ربط الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء، ثم دخل المسجد فصلى فيه ركعتين.

(٢) ضعيفان، أثر عائشة رضي الله عنها، رواه ابن إسحاق (ص: ٣٤٨) قال: حدثني بعض آل أبي بكر: أن عائشة...فذكره. وهذا إسناد مبهم معضل، وأثر معاوية رضي الله عنه رواه كذلك ابن إسحاق (ص: ٣٤٩) قال: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس، أن معاوية...فذكره. وهذا منقطع، يعقوب هذا من أتباع التابعين، وإنما تقع روايته عن التابعين.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٥٠)، والهداية لمكي (٦/ ٤١٣).

(٤) البخاري (٣٦٧٤) ومسلم (٢٥٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٥) في المطبوع: «الكتاب».

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٣٥).

قال القاضي أبو محمد: يريدان: يجيءُ من يومه ويرجع، وذلك من مسكنه بالشام. والصحيح ما ذهبَ إليه الجمهور، ولو كانت منامة ما أمكن قريشاً[(١)] أن تُشَنِّع، ولا فُضِّل أبو بكر بالتصديق، ولا قالت له أمُّ هانئ: لا تحدِّث الناسَ بهذا فيكذِّبوك[(٢)]، إلى غير هذا من الدلائل.

واحتُجَّ لقول عائشة بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

ويحتمل القول الآخر؛ لأنه يقال لرؤْية العين: رُؤْيا.

واحتُجَّ أيضاً بأن في بعض الأحاديث: «فاستيقظتُ وأنا في المسجد الحرام»[(٣)]، وهذا يحتمل أن يُـرَدَّ من الإسراء إلى نوم.

واعترض قول عائشة بأنها كانت صغيرة لم تشاهد، ولا حدَّثت عن النبي ﷺ، وأما معاوية فكان كافراً في ذلك الوقت، غيرَ مشاهِدٍ للحال، صغيراً، ولم يحدِّثْ عن النبي ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ﴾ مصدر غير متمكِّن؛ لأنه لا يجري بوجوه الإعراب، ولا تدخل عليه الألف واللام، [ولم يجر منه][(٤)] فعل، و«سبَّح» إنما[(٥)] معناه: قال سبحان الله،

---

(١) كتبت في المطبوع ونجيبويه «قريشَ» بلا ألف.

(٢) ضعيف، أخرجه ابن سعد في طبقاته الكبرى (١/ ٢١٣-٢١٥) بإسناد فيه محمد بن عمر، وهو الواقدي، وهو متروك الحديث.

(٣) أخرجه البخاري (٧٥١٧) بلفظ: واستيقظ وهو في مسجد الحرام، وأخرجه الطبري (١٧/ ٣٣٢) وابن خزيمة في التوحيد (٢٨٩)، وابن منده في الإيمان (٧١٢) كلهم من طريق سليمان بن بلال، عن شريك بن أبي نمر، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، مرفوعاً به، وقد أخرجه مسلم (١٦٢) من طريق ثابت أولاً عن أنس، ثم أتى بإسناد شريك هذا ولم يسق لفظه، وقال: وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني، وقدم فيه شيئاً وأخر، وزاد ونقص. اهـ. وهذا منه إشارة إلى ما وقع في سياق شريك من الخطأ كما قاله غير واحد.

(٤) في المطبوع بدلًا منه: «ويجيءُ منه».

(٥) ليست في المطبوع.

فلم تستعمل «سبَّحَ» إلَّا إشارة إلى «سُبحانَ»، ولم يتصرَّف؛ لأن في آخره زائدتين، وهو معرفة بالعلمية، وإضافته لا تزيده تعريفاً، هذا كله مذهب سيبويه فيه[١].

وقالت فرقة: نصبه على النداءِ، كأنه قال: يا سبحان الذي، وهذا ضعيف.

ومعناه: تنزيهاً لله، وروى طلحة بن عبيد الله الفيَّاض أحد العشرة أنه قال للنبي ﷺ: ما معنى سبحانَ الله؟ فقال: «تنْزيهاً لله من كُلِّ سُوءٍ»[٢].

والعامل فيه على مذهب سيبويه الفعْلُ الذي هو من معناه لا من لفظه؛ إذ لم يَجْر من لفظه فعل، وذلك مثل: قَعدَ القُرْفُصاءَ، واشْتَمَل الصَّمَّاءَ[٣]، فالتقدير عنده: أُنَـزِّه الله تنزيهاً، فوقع ﴿سُبْحَٰنَ﴾ مكان قولك: تنزيهاً.

وقال قوم من المفسرين: ﴿أَسْرَىٰ﴾: فعلٌ غير مُتَعَدٍّ، عَدَّاه هنا بحرف الجَرِّ، تقول: أَسْرَى الرجل وَسَرَى: إذا سارَ بالليل بمعنىً، وقد ذكرتُ ما يظهر في اللفظة من جهة العقيدة.

وقرأ حذيفة وابن مسعود: (أسرى بعبده من الليل من المسجد الحرام)[٤].

---

(١) الكتاب لسيبويه (١/ ٣٢٤).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٥/ ٣٢) من طريق سليمان بن أيوب قال: حدثني أبي، عن جدي، عن موسى بن طلحة، عن أبيه رضي الله عنه، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف، ففيه سليمان بن أيوب، وهو ابن سليمان بن عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله الكوفي، ترجم له ابن عدي في كامله (٣/ ٢٨٣-٢٨٥) وقال بعد أن أورد نسخة من روايته عن آبائه: وعامة هذه الأحاديث أفراد بهذا الإسناد لا يتابع عليها أحد، والحديث روي من طريق أخرى مرسلة، من طريق الثوري عن عثمان ابن موهب عن موسى بن طلحة، مرسلاً به. ذكره الدارقطني في علله (٤/ ٢٠٨) وقال: والمرسل أصح.

(٣) الكتاب لسيبويه (١/ ٣٢٥)، والقُرْفصاءُ: جلسة المحتبي بيديه.

(٤) وهي شاذة، انظر قراءة حذيفة في تفسير الطبري (١٧/ ٣٣٠)، وابن مسعود في الشواذ للكرماني (ص: ٢٧٦).

قوله: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ قال أنس بن مالك: أراد المسجد المحيط بالكعبة نفسها[١]، ورجَّحه الطبري، وقال: هو الذي يُعرف إذا ذُكر هذا الاسم[٢].

وروى الحسن بن أبي الحسن عن النبي ﷺ أنه قال: «بينا أنا نائم في الحِجْر إذ جاءني جبريل والملائكة»، الحديث بطوله[٣]، وروى قوم أن ذلك كان بين زمزم والمقام[٤].

وروى مالك بن صعصعة[٥] عن النبي ﷺ أنه قال: «بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان»[٦].

وذكر عبد بن حميد الكشي[٧] في «تفسيره»، عن سفيان الثوري أنه قال: أُسْري بالنبي ﷺ من شِعْب أبي طالب[٨].

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، لكن في حديث أنس في الإسراء عند البخاري (٣٥٧٠) (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢) قول شريك بن عبد الله: سمعت أنس بن مالك يقول: ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٣٠).

(٣) مرسل، أخرجه الطبري (١٧/ ٣٣٢) من طريق الحسن بن أبي الحسن، به مرسلًا.

(٤) ضعيف، أخرجه أبو نعيم في جزء: «تسمية ما انتهى إلينا من الرواة عن سعيد بن منصور» (٣) من طريق مسكين بن ميمون الرملي، قال: حدثني عروة بن رويم، عن عبد الرحمن بن قرط رضي الله عنه، مرفوعاً به، قال أبو نعيم: هذا حديث صحيح غريب، لم يروه عن عروة بن رويم غير مسكين ابن ميمون فيما قالوا. قلت: وكلمة: صحيح الواردة في كلام أبي نعيم، أشك في صحة ثبوتها عنه، ولا سيما أن المزي لما روى في تهذيبه (١٧/ ٣٥٥-٣٥٦) هذا الحديث من طريق أبي نعيم من جزئه هذا، أورد كلامه هذا ولم يأت عنده كلمة (صحيح)، والسند فيه مسكين بن ميمون الرملي، أورده الإمام الذهبي في الميزان (٤/ ١٠١) وقال: لا أعرفه، وخبره منكر، ثم روى له حديثه هذا.

(٥) مالك بن صعصعة الأنصاري المازني، من بني مازن بن النجار، روى عنه أنس بن مالك حديث الإسراء، الاستيعاب (٣/ ١٣٥٢).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٠٣٥)، ومسلم (٢٦٥).

(٧) في المطبوع: «الكمشي».

(٨) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢١٤)، فقد رواه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقالت فرقة: «المسجد الحرام» مكَّةُ كلها، واستندوا إلى قوله تعالى ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وعُظْمُ المقصد هنا إنما هو مكة.

ورَوَى بعض هذه الفرقة عن أُم هانئ أنها قالت: كان رسول الله ﷺ ليلة الإسراء في بيتي[١].

وروى بعضُها عن النبي ﷺ أنه قال: «فُرِجَ سقفُ بيتي»[٢]، وهذا يلتئم مع قول أم هانئ.

وكان الإسراءُ فيما قال مقاتل قبل الهجرة بعام، وقاله قتادة[٣]، وقيل: بعام ونصف، قاله عروة عن عائشة[٤]،/ وكان ذلك في رجب، وقيل: في ليلة سبع عشرة [٣/ ١٥٩]
من شهر ربيع الأول، والنبي ﷺ ابن إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر، وثمانية[٥] وعشرين يوماً، والمتحقق أن ذلك كان بعد شق الصحيفة، وقبل[٦] بيعة العقبة.

ووقع في «الصحيحين» لِشريك بن أبي نمر[٧] وَهْمٌ في هذا المعنى، فإنه روى

---

(١) ضعيف جداً، أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ٢٢) والطبراني في المعجم الكبير (٢٤/ ٤٣٢) من طريق: شبابة بن سوار، عن عبد الأعلى بن أبي المساور عن عكرمة عن أم هانئ بنت أبي طالب... وعبد الأعلى متروك، وكذبه ابن معين.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٤٢)، ومسلم (٢٦٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٣) انظر قول قتادة في «التمهيد» (٨/ ٥٠)، وقول مقاتل في تفسير السمعاني (٣/ ٢١٤)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٥٥).

(٤) لم أجده.

(٥) ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٦) في المطبوع ونجيبويه: «وقيل».

(٧) هو شريك بن عبد الله بن أبي نمر المدني عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وكريب وعطاء ابن يسار، وعنه مالك وغيره، وروى عنه المقبري في البخاري وذلك في رواية الكبار عن الصغار، وقال ابن معين والنسائي: ليس به بأس. تاريخ الإسلام (٩/ ١٧٣).

حديث الإسراء وقال فيه: وذلك قبل أن يوحى إليه[١]، ولا خلاف بين المحدِّثين أن هذا وهم من شريك[٢].

و﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ مسجد بيت المقدس، وسمَّاه الأقصى أي في ذلك الوقت، كان أقصى بيوت الله الفاضلة من الكعبة، ويحتمل أن يريد بالأَقْصَى: البعيد، دون مفاضلة بينه وبين سواه، ويكون المقصد إظهار العجب في الإسراء إلى هذا البُعْد في ليلة.

و«البَـرَكَة حوله» هي من جهتين: إحداهما النبوة والشرائع والرسل الذين كانوا في ذلك القطر وفي نواحيه وبواديه[٣]، والأخرى النِّعَمُ من الأشجار والمياه والأرض المفيدة التي خصَّ الله الشَّام بها، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله بارك فيما بين العريش والفرات، وخصَّ فلسطين بالتقديس»[٤].

وقوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ يريد: لنري محمداً بعينيه آياتنا في السماوات، والملائكة، والجنة،، والسِّدرة، وغير ذلك مما رآه تلك الليلة من العجائب.

ويحتمل أن يريد: لنري محمداً ﷺ للناس آية؛ أي: يكون النبي ﷺ آية في أن يصنع اللَّهُ ببشرٍ هذا الصُّنع، وتكون الرُّؤْيةُ على هذا رؤْيةَ قلب.

ولا خلاف أَن في هذا الإسراء فُرضت الصلواتُ الخمس على هذه الأمة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وعيدٌ من الله تعالى للكفار على تكذيبهم

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٥٧٠) (٧٥١٧) بتمامه، ومسلم (٢٦٢) ولم يسق بقية الحديث، وإنما قال: وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني وقدم فيه شيئاً وأخر، وزاد ونقص.

(٢) ممن نص على أنه وهم: الخطابي وابن حزم وعبد الحق والقاضي عياض والنووي، ينظر: فتح الباري (١٣/ ٤٨٠).

(٣) في المطبوع والمصرية: «ونواديه»، وفي نور العثمانية زيادة: «واديه»، بعدها.

(٤) معضل، أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١/ ١٤٠) من طريق زهير بن محمد، قال: حُدثت أن رسول الله ﷺ قال...فذكره. قال ابن عساكر: هذا منقطع.

محمداً ﷺ في أمر الإسراء، فهي إشارة لطيفة بليغة إلى ذلك؛ أي: هو السميع لما تقولون، البصير بأفعالكم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾.

عطف قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا﴾ على ما في قوله: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ من تقدير الخبر، كأنه قال: أَسْرَيْنَا بعبدنا وأريناه آياتنا، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة، والضمير في ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ يحتمل أن يعود على ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، ويحتمل أن يعود على ﴿مُوسَى﴾.

وقوله: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾ يجوز أن يكون في موضع نصب بتقدير: كراهيةَ أنْ، وموضع[1] خفض بتقدير: بألَّا تَتَّخذُوا، ويجوز أن تكون (أنْ) مفسِّرة بمعنى: أيْ، كما قال: ﴿أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟﴾ [ص: ٦]، فهي في هذا مع أمرٍ، وهي في آيتنا هذه مع نَهْيٍ، والمعنى في هذه التقديرات: جعلنا ذلك لئلا تتخذوا يا ذُرِّيَّةَ، ويحتمل أن تكون ﴿ذُرِّيَّةَ﴾ مفعولاً، ويحتمل أن تكون ﴿أَن﴾ زائدة، ويضمر في الكلام قول تقديره: قلنا لهم: لا تتخذوا، وأمَّا أن يُضمر القول ولا تجعل (أنْ) زائدة فلا يتَّجه؛ لأن ما بعد القول إمَّا أن يكون جملة تُحْكَى، وإمَّا أن يكون ترجمة عن كلام لا هو بعينه، فيعمل القول في الترجمة، كما تقول لمنْ قال لا إله إلا الله: قلْتَ حقّاً، وقوله: ﴿ذُرِّيَّةَ﴾ ليس بواحد من هذين، قاله أبو علي[2].

وقرأ جمهور الناس: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾ بالتاء على المخاطبة.

---

(١) في المصرية والإماراتية وفيض الله: «وفي موضع»، وفي أحمد٣: «أو في موضع»، وفي المطبوع ونجيبويه بدلاً منه: «وأن يكون في موضع».

(٢) الحجة للفارسي (٥/ ٨٤).

وقرأ أبو عمرو وحده: ﴿أَلَّا يَتَّخِذُواْ﴾ بالياء على لفظ الغائب، وهي قراءة ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وعيسى، وأبي رجاء[١].

و«الْوَكِيلُ» هنا: فَعِيْل من التوكل؛ أي: مُتَوَكَّلاً عليه في الأُمور، [فهو نِدٌّ لله][٢] بهذا الوجه، قال مجاهد: ﴿وَكِيلًا﴾: شريكاً[٣].

وقرأ جمهور الناس: ﴿ذُرِّيَّةَ﴾ بضم الذال، وقرأ مجاهد بفتحها، وقرأ زيد بن ثابت، وأبان بن عثمان، ومجاهد أيضاً بكسرها[٤]، وكل هذا بشدِّ الراء والياء.

ورُويت عن زيد بن ثابت بفتح الذال وتسهيل الراء وشدِّ الياء[٥]، على وزن فَعِيْلَة.

وذُرِّيَّة وزنها (فُعُّوْلة)، أصلها: (ذُرُّورَة)، أُبدلت الراءُ الثانية ياءً [كما قالوا: قصَّيْتُ شعري؛ أي قصَصْتُه، ثم قلبت الواو ياء][٦] [وأُدغمت ثم كسرت الراءُ][٧] لتناسب الياء.

وكل هؤلاء قرؤوا: ﴿ذُرِّيَّةَ﴾ بالنصب، وذلك مُتَّجه، إمَّا على المفعول بـ﴿تَتَّخِذُواْ﴾، ويكون المعنى: ألَّا تتخذوا بشراً إلهاً من دون الله، وإمَّا على النداءِ؛ أي: يا ذُرِّيَّةَ، فهذه مخاطبة للعالَم.

قال قومٌ: وهذا لا يتَّجه إلَّا على قراءة من قرأ: ﴿تَتَّخِذُواْ﴾ بالتاء من فوق، ولا

---

(١) انظر قراءة أبي عمرو في التيسير (ص: ١٣٩)، والسبعة (ص: ٣٧٨)، وقراءة الباقين في البحر المحيط (٧/ ١١).

(٢) في المطبوع: «فهو يؤلهه».

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٥٣)، والنكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٢٧).

(٤) وكلها شاذة، انظر القراءة بالكسر لزيد في المحتسب (١/ ١٥٦)، ومع الفتح لمجاهد في معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٢١)، وزادا لزيد الفتح، وانظر الكل في البحر المحيط (٧/ ١٢)، وفي المطبوع: «عامر»، بدل «مجاهد» الأولى.

(٥) وهي شاذة أيضاً، انظر البحر المحيط (٧/ ١٢)، ونقلها النحاس في إعراب القرآن (٢/ ٣٢) عن أبان.

(٦) ليس في المطبوع والمصرية.

(٧) ليس في المصرية.

يجوز على قراءة من قرأ: (يتَّخِذُوا) بالياء [من تحت][(١)]؛ لأن الفعل لغَائبٍ والنداء لمخاطب، والخروج من الغيبة إلى الخطاب إنما يُسْتَسْهل مع دلالة الكلام على المراد، وفي النداء لا دلالة إلَّا على غاية التكلف.

وإمَّا على النصب بإضمار أَعْني، [وذلك متجه على القراءتين على ضعف النزعة في إضمار أعني][(٢)]، وإمَّا على البدل من قوله: ﴿وَكِيلًا﴾، وهذا أيضاً فيه تكلُّف.

وقرأَت فرقة: (ذُرِّيَّةُ) بالرفع[(٣)] على البدل من الضمير المرفوع في ﴿تَتَّخِذُواْ﴾، وهذا إنما[(٤)] يتوجه على القراءة بالياء، ولا يجوز على القراءة بالتاء؛ لأنك لا تبدل من ضمير مخاطب، ولو قلت: (ضربتك زيداً) على البدل لم يجز.

وقوله: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ إنما عبَّر بهذه العبارة عن الناس الذين عناهم في الآية بحسب الخلاف المذكور، ولأن في هذه العبارة تعديدَ النعمة على الناس في الإنجاء المؤَدِّي إلى وجودهم، ويقبح الكفر والعصيان مع هذه النعمة، والذين حُملوا مع نوح عليه السلام وأَنْسَلوا هم بنوه لصُلْبه؛ لأنه آدم الأصغر، وكل مَن على الأرض من نسله، هذا قول الجمهور، وذكره الطبري عن قتادة ومجاهد[(٥)]، وإن كان معه غيرهم فلم يُنْسل.

قال النقاش: اسم نوح عبدُ الجبار، وقال ابن الكلبي: اسمُهُ فرج[(٦)].

ووصفه بالشكر لأنه كان يحمد الله في كل حالٍ، وعلى كل نعمة، على المطعم

(١) زيادة من المطبوع.
(٢) ليس في المطبوع.
(٣) وهي شاذة، عزاها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٧٨) لمجاهد.
(٤) في المطبوع: «أيضاً».
(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٥٣، ٣٥٤).
(٦) لم أقف عليهما، وفي زاد المسير (١/ ٢٧٤) أن اسمه: السكن، قال القرطبي (١٣/ ٣٣٣): لأن الناس بعد آدم سكنوا إليه.

[٣/ ١٦٠] والمشرب والملبس والبراز وغير ذلك، / ﷺ، قاله سلمان الفارسي[١]، وسعيد بن مسعود[٢]، وابن أبي مريم، وقتادة[٣].

قوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الآية، قال الطبري: معنى ﴿وَقَضَيْنَآ﴾: فَرَغْنَا، وحكى عن غيره أنه قال: ﴿وَقَضَيْنَآ﴾ هنا بمعنى: أخبرنا، وحكى عن آخرين أنهم قالوا: ﴿وَقَضَيْنَآ﴾ معناه: في أم الكتاب.

قال القاضي أبو محمد: وإنما يُلْبِس[٤] في هذا المكان تعديةُ ﴿وَقَضَيْنَآ﴾ بـ﴿إِلَىٰ﴾، وتلخيص المعنى[٥] عندي أن هذا الأمر هو مما قضاه الله تعالى في أم الكتاب على بني إسرائيل وألزمهم إيَّاه، ثم أخبرهم به في التوراة على لسان موسى، فلما أراد هنا الإعلام بالأمرين جميعاً في إيجاز جعل ﴿وَقَضَيْنَآ﴾ دالَّةً على النفوذ في أُم الكتاب، وقَرَن بها ﴿إِلَىٰ﴾ دالة على إنزال الخبر بذلك إلى بني إسرائيل، والمعنى المقصود مفهوم خلال هذه الألفاظ، ولهذا فسَّر ابن عباس مرَّةً بأن قال: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ معناه: أعلَمْناهم، وقال مرَّةً: معناه: قضَيْنا عليهم[٦].

و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ هنا التوراة؛ لأن القَسَم في قوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ غير متوجِّه مع أن يُجعل ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ هو اللوح المحفوظ.

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (١٧/ ٣٥٤)، والحاكم (٢/ ٣٦٠)، وعنه البيهقي في الشعب (٤/ ١١٣) كلهم من طريق الثوري، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان رضي الله عنه، به.

(٢) هو أبو عثمان سعيد بن مسعود السلمي المروزي، روى عن: النضر بن شميل، ويزيد بن هارون، وطبقتهم، وعنه: محمد بن أحمد بن محبوب، وعمر بن أحمد بن مالك، ومحمد بن نصر المروزي، وأهل مرو، وكان صاحب حديث، تاريخ الإسلام (٢٠/ ٣٥٦).

(٣) انظر قولهم في تفسير الطبري (١٧/ ٣٥٥)، مع ما سيأتي عن الطبري نفسه.

(٤) في نسخة: «يليق»، أشار لها في هامش أحمد٣.

(٥) في المطبوع ونجيبويه والمصرية: «الكلام»، وكذا الإماراتية، مع الإشارة في هامشها للمثبت.

(٦) أخرجهما الطبري (١٧/ ٣٥٦) الأول من طريق علي بن أبي طلحة، والثاني من طريق عطية بن سعد العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.

وقرأ سعيد بن جبير، وأبو العالية الرياحي: (في الكُتُب) على الجمع[١].

قال أبو حاتم: قراءة الناس على الإفراد.

وقرأ الجمهور: ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ بضم التاء وكسر السين.

وقرأ عيسى الثَّقَفي: (لَتَفْسُدُنَّ) بفتح التاء وضم السين والدال.

وقرأ ابن عباس، ونصر بن عاصم، وجابر بن زيد: (لَتُفْسَدُنَّ) بضم التاء وفتح السين وضم الدال[٢].

وقوله: ﴿وَلَتَعْلُنَّ﴾؛ أي: لتتجبَّـرُنَّ[٣] عن طاعة الآمرين بطاعة الله[٤]، وتطلبون في الأرض العلوَّ والفساد، وتظلمون مَن قدرتم على ظلمهم، ونحو هذا.

ومقتضى هذه الآيات أن الله تعالى أعلم بني إسرائيل في التوراة أنه سيقع منهم عصيان وطغيان، وكفرٌ لنعم الله تعالى عندهم في الرُّسل والكتب وغير ذلك، وأنه سيرسل عليهم أُمَّةً تغلبهم وتقتلهم وتذلهم، ثم يرحمهم بعد ذلك ويجعل لهم الكَرَّة ويردُّهم إلى حالهم الأولى[٥] من الظهور، فتقع منهم المعاصي وكُفْر النعم، والظلمُ والقتلُ، والكفرُ بالله من بعضهم، فيبعث الله عليهم أُمَّةً أخرى تخرب ديارهم وتقتلهم، وتجليهم جلاء مبرحاً، وأعطى الوجود بعد ذلك هذا الأمر كله.

وقيل: كان بين المرَّتَيْن آخر الأولى وأول الثانية مائتا سنة وعشر سنين[٦]، ملكاً مُؤيداً بأنبياءَ، وقيل: سبعون سنة.

---

(١) انظرهما في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٦٥)، ومختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٧٨)، وقول أبي حاتم الآتي لم أقف عليه.

(٢) وهما شاذتان، انظرهما في المحتسب (٢/ ١٤) والأولى في مختصر الشواذ (ص: ٧٨)، والثانية في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٦٥).

(٣) وأشار في هامش أحمد٣: إلى أن في نسخة زيادة: «وتبغون».

(٤) في المطبوع: «لَتتكبَّـرُنَّ»، وفي فيض الله: «لتختبرن»، وفي أحمد٣: «لتنحرفن»، وهي غير واضحة في المصرية.

(٥) ليست في الأصل.

(٦) في حاشية المطبوع: في إحدى النسخ: «وعشرين سنة»، وأشار لها في هامش أحمد٣.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾.

الضمير في قوله تعالى: ﴿أُولَىٰهُمَا﴾ عائد على قوله: ﴿مَرَّتَيْنِ﴾، وعبَّر عن الشَّرِّ بالوعد؛ لأنه قد صرَّح بذكر المعاقبة، وإذا لم يجئ الوعد مطلقاً فجائز أن يقع في الشَّرِّ.

وقرأ علي بن أبي طالب، والحسن بن أبي الحسن: (عَبيداً)[١].

واختلف الناس في العبيد المبعوثين، وفي صورة الحال اختلافاً شديداً متباعداً، عُيُونه أن بني إسرائيل عَصَوا وقتلوا زكريا عليه السلام، فغزاهم سَنْحاريب مَلك بابل، كذا قال ابن إسحاق، وابن جبير[٢].

وقال ابن عباس: غزاهم جالوت من أهل الجزيرة[٣]، وروي عن عبد الله بن الزبير أنه قال في حديث طويل: غزاهم آخراً ملك اسمُه خردوس[٤]، وتولَّى قتلهم على دم يحيى ابن زكريا قائدٌ لخردوس اسمه بيورزاذان[٥]، وكف عن بني إسرائيل وسكن برعاية دم يحيى بن زكريا، وقيل: غزاهم أولاً صخابين ملك رومة. وقيل: بختنصر[٦]، ورُوي أنه دخل قبْلُ[٧] في جيش من الفرس وهو خامل يسير في مطبخ الملك، فاطلع

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لعلي في المحتسب (٢/ ١٤)، وللحسن في مختصر الشواذ (ص: ٧٨).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٦٧).
(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٦٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.
(٤) في المطبوع ونجيبويه: «خردوش» في الموضعين.
(٥) في المطبوع ونجيبويه: «هورزادان»، وفي المصرية: «سورادان».
(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٨٣-٣٨٤) من طريق محمد بن إسحاق، عن عمر بن عبد الله بن عروة، عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، به. ومحمد بن إسحاق مدلس، وقد عنعنه.
(٧) ليست في الأصل.

من جور بني إسرائيل على ما لم تعلمه الفرس؛ لأنه كان يُداخلهم، فلما انصرف الجيش ذكر ذلك للملك الأعظم، فلما كان بعد مدة جعله الملك رئيس جيش، وبعثه فخرب بيت المقدس وقتلهم وجلاهم، ثم انصرف فوجد الملك قد مات فملَك موضعه، واستمرت حاله حتى ملك الأرض بعد ذلك.

وقالت فرقة: إنما غزاهم بختنصر في المرة الأخيرة حين عصَوْا وقتلوا يحيى بن زكريا، وصورة قتله أن الملك أراد أن يتزوج بنت امرأته، فنهاه يحيى عنها، فعزَّ ذلك على امرأته، فزينت بنتها وجعلتها تسقي الملك الخمر، وقالت لها: إذا راودك الملك عن نفسك فتمنَّعي حتَّى يعطيك ما تَتَمَنَّيْن، فإذا قال لك: تمنَّيْ عليَّ ما أردت، فقولي له: رأس يحيى ابن زكريا، ففعلت الجارية ذلك، فردَّها الملك مرتين، وأجابها في الثالثة، فجيء بالرأس في طست ولسانه يتكلم ويقول: لا تحلُّ لك، وجرى دم يحيى فلم ينقطع، فجعل الملك عليه التراب حتى ساوى سور المدينة والدم ينبعث، فلما غزاهم الملك الذي بعث الله عليهم بحسب الخلاف الذي فيه قتل منهم على الدَّم حتى سكن بعد قتل سبعين ألفاً، هذا مقتضى هذا الخبر.

وفي بعض رواياته زيادة ونقص، فَرَوَتْ فرقة: أن أشعياء النبي عليه السلام وعَظَهم وذكَّرهم الله ونِعَمَه في مقام طويل نصَّه[١] الطبري[٢]، وذكر أشعياءُ في آخره محمداً ﷺ وبشَّر به، فابتدره بنو إسرائيل، فَفَرَّ منهم، فلقي شجرة فتفلَّقت له حتى دخلها، فالتأَمَت عليه، فعرض الشيطان عليهم هُدْبَةً من ثوبه، فأخذوا منشاراً فنشروا الشجرة وقطعوه في وسطها فقتلوه، وحينئذ بعث الله عليهم في المرة الأخيرة.

وذكر الزهراوي عن قتادة قصصاً أن زكريا هو صاحب / الشجرة، وأنهم قالوا لمَّا [٣/ ١٦١]
حملت مريم: ضيَّع بنت سيدنا حتى زنت، فطلبوه فهرب منهم حتى دخل في الشجرة فنشروه.

---

(١) في الأصل: «قصَّه»، والتصويب من باقي النسخ.
(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٣٥٩) وما بعدها.

وروت فرقة: أن بختنصر كان حفيد سَنْحاريب الملك الأول، وروت فرقة: أن الذي غزاهم آخراً هو سابور ذو الأكتاف(١).

وقال أيضاً ابن عباس: سلَّط الله عليهم حين عادوا ثلاثة أملاك من فارس: سَنْدبَادان، وشَهْرَيَازَانِ، وآخر(٢).

وقال مجاهد: إنما جاءَهم في الأولى عسكر من فارس فجاسَ خلال الديار وتقلَّب(٣)، ولكن لم يكن قتالٌ، ولا قتلٌ في بني إسرائيلَ(٤).

ثم انصرفت عنهم الجيوش، وظهروا وأُمدُّوا بالأموال والبنين حتى عَصَوْا وطغوا، فجاءَهم في المرة الثانية مَن قتلهم وغلبهم على بيضتهم، وأهلكهم آخِرَ الدهرِ.

وقوله عز وجل: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾، وهي المنازل والمساكن.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ يردُّ على قول مجاهد: إنه لم يكن في المرة الأولى غلبة ولا قتال، وهل يدخل المسجد إلَّا بعد غَلبة وقتال؟.

وقد قال مؤرِّج(٥): جاسُوا خلال الأزقَّة(٦)، وقد ذكر الطبري في هذه الآية قَصَصاً طويلاً، منه ما يخص الآيات، وأكثره لا يخص(٧)، وهذه المعاني ليست بالثابتة، فلذلك اختصرتها.

وقوله: ﴿بَعَثۡنَا﴾ يحتمل أن يكون الله بعث إلى ملك تلك الأمة رسولاً يأمره

---

(١) هذا لقبٌ لُقِّب به سابور؛ لأنه أمر بفكِّ أكتاف الأسرى في الحرب، وقد حارب العرب؛ لأنهم حالفوا الروم ضد فارس.

(٢) في أحمد٣: «وازدجرد»، والأثر في تفسير الطبري (١٧/ ٣٨٩) بإسناد فيه عمرو بن ثابت، وهو ابن هرمز الكوفي، متروك الحديث.

(٣) في الأصل والإماراتية: «وتغَلَّب».

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٦٨)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٢٩).

(٥) هو السدوسي تقدم التعريف به، وفي المطبوع: «مؤرّخ»، وسقطت «قد قا » من الأصل.

(٦) تفسير الثعالبي (٢/ ٣٣١).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٥٧ - ٣٦٨).

بغزو بني إسرائيل، فتكون البعثة بأمر، ويحتمل أن يكون عَبَّر بالبعث عمَّا أُلْقى في نفس الملك الذي غزاهم.

وقرأ الناس: ﴿فَجَاسُواْ﴾ بالجيم.

وقرأ أبو السَّمال: (فَحَاسُوا) بالحاء، وهما بمعنى الغلبة والدخول قَسْراً، ومنه الحَوْس[١]، وقيل لأبي السَّمَّال: إنما القراءة (جَاسُوا) بالجيم، فقال: جاسوا وحاسُوا واحدٌ[٢].

قال القاضي أبو محمد: فهذا يدل على تَخَيُّر، لا على رواية، ولهذا لا تجوز الصلاة بقراءته وقراءة نُظَرائه.

وقرأ الجمهور: ﴿خِلَٰلَ﴾.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (خَلَلَ)[٣]، ونصبه في الوجهين على الظرف.

وقوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ﴾ الآية عبارةٌ عما قاله الله لبني إسرائيل في التوارة، وجعل (رَدَدْنَا) موضع (نَـرُدُّ)؛ إذْ وقتَ إخبارهم لَمْ يقع الأمرُ بعد، لكنه لما كان وعد الله في غاية الثقة أنه يقع عبَّر عن مستقبله بالماضي، وهذه الكَرَّة هي بعد الجَلْوة الأولى كما وصفنا، فغلبت بنو إسرائيل على بيت المقدس وملكوا فيه، وحسنت حالهم برهة من الدهر، وأعطاهم الله الأموال والأولاد وجعلهم إذا نفروا إلى أمرٍ أكثرَ الناس.

قال الطبري: معناه: وصيَّرناكم أكثر عددَ نافرٍ منهم، قال قتادة: كانوا أكثر نَفيراً في زمن داود عليه السلام[٤].

---

(١) كتبت في الأصل: «الحواس».

(٢) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ١٥)، وفي مختصر الشواذ (ص: ٧٨) عن أبي السمال: (فحاشوا) بالحاء والشين المعجمة.

(٣) وهي شاذة، انظرها في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٦٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٥٥).

(٤) انظرهما في تفسير الطبري (١٧/ ٣٧٠).

و﴿نَفِيرًا﴾: يحتمل أن يكون جمع نَفْر، كَكَلْب وكَلِيب، وعبْد وعَبِيد، ويحتمل أن يكون فَعِيْلاً بمعنى فاعِل؛ أي: وجعلناكم أكثر نافراً.

قال القاضي أبو محمد: وعندي أنَّ النَّفير اسم للجمع الذي يَنْفرُ، سُمِّي بالمصدر.

وقد قال تُبَّع الحمْيَري:

[المتقارب] فَـأَكْـرِمْ بـقَحْـطَـانَ مِـنْ وَالِـدٍ وبـالْحِمْيَرِيِّيـنَ أَكْـرِمْ نَـفيـرَا[1]

وقالوا: لا في العِير، ولا في النَّفير[2]، يريدون جمعَ قريش الخارجَ من مكة إلى بدرٍ.

فَلَمَّا قال الله تعالى لهم: إنِّي سأفعل بكم هكذا، عقَّب ذلك بوصيتهم في قوله: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾، والمعنى: إنكم بعملكم تُؤخَذون، لا يكون ذلك ظلماً، ولا تسرُّعاً[3] إليكم.

و﴿وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ﴾ معناه: من المرتين المذكورتين.

وقوله تعالى: ﴿لِيَسُـُٔواْ﴾ اللام لام أمر، وقيل: المعنى: بعثناهم ليَسُوءُوا، فهي لام (كَيْ) كلها، والضمير للعباد أولي البأس الشديد.

وقرأ الجمهور: ﴿لِيَسُـُٔواْ﴾ بالياء، جمعٌ وهمزةٌ بين واوين.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر، وابنُ عامر: ﴿لِيَسُوْءَ﴾ بالياء وهمزة مفتوحة على الإفراد.

وقرأ الكسائي ـ وهي مروية عن علي بن أبي طالب ـ: ﴿لِنَسُوءَ﴾ بنون العظمة[4].

---

(١) انظر عزوه له في تفسير الماوردي (٣/ ٢٣٠)، وشمس العلوم (١٠/ ٦٦٩٥)، وتُبَّع هو حسَّان ابن أسعد أبي كرب الحميري، من أعظم تبابعة اليمن، وقحطان: أبو اليمن، وحمِيْر: أبو قبيلة من اليمن، من نسل قحطان، ومنها كانت الملوك في الزمن القديم.

(٢) مثل قاله أبو سفيان في بني عدي يوم بدر، انظر: الطبقات الكبرى (٢/ ١٤).

(٣) في المطبوع ونور العثمانية: «تشرعاً».

(٤) وكلها سبعية، وبقي عليه حمزة بالياء والإفراد، انظر: التيسير (ص: ١٣٩)، وانظر: النسبة لعلي في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٦٦).

وقرأ أُبيٌّ بنُ كعب: (لِنَسُوأَنْ) بنون خفيفة، وهي لام الأمر.

وقرأ علي بن أبي طالب: (لَيَسُوأَنَّ) [بفتح اللام][(١)] وهي لام القَسَم، والفاعل الله عزَّ وجلَّ.

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (لِيُسِيْءَ) بياءٍ مضمومة بغير واو.

وفي مصحف أنس: (لِيَسُوْءَ وَجْهَكم) على الإفراد[(٢)].

وخصَّ بالذكر الوجوهَ؛ لأنها المواضع الدالة على ما بالإنسان من خير وشَرٍّ.

و﴿ٱلْمَسْجِدَ﴾: مسجد بيت المقدس.

و«تَـبَّر» معناه: أَفْسَد وأهلك بغَشْم [وركوب رأس][(٣)].

وقوله: ﴿مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾؛ أي: ما غلبوا عليه من الأقطار، وملكوه من البلاد.

وقيل: ﴿مَا﴾ ظرفية، والمعنى: مُدَّةَ عُلُوِّهم وغلبتِهم على البلاد.

و«تَبَّر»: تحريره: ردَّ الشيءَ فُتَاتاً كتِبْر الذهب والحديد[(٤)] ونحوه، وهو مفتَّتُه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾.

يقول الله عزَّ وجلَّ لبقية بني إسرائيل: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ إن أطعتم في أنفسكم

---

(١) ليس في الأصل وفيض الله ونور العثمانية.

(٢) هذه الأربع شاذة، انظر عزو الأولى والثالثة لأبي في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٦٦)، والمحتسب (٢/ ١٥)، وقراءة علي في الكشاف للزمخشري (٢/ ٦٥٠)، والكل في البحر المحيط (٧/ ١٦)، وزاد لعلي بنونين الثانية مشددة، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ٧٩) له ولأبي.

(٣) ليس في المطبوع.

(٤) في المطبوع: «والحرير».

واستقمتم ﴿أَن يَرۡحَمَكُمۡ﴾، و﴿عَسَىٰ﴾ ترجٍّ في حقهم، وهذه العِدَة ليست برجوع دَولة، وإنما بأن يرحم المطيع منهم، وكان من الطاعة اتِّباعهم لعيسى، ولمحمد ﷺ، فلم يفعلوا، وعادوا إلى الكفر والمعصية، فعاد عقاب الله، فضرب عليهم الذلَّ وقتلهم، وأذلَّهم بيد كل أُمة، وهنا قال ابن عباس: سلَّط عليهم ثلاثة ملوك[١].

و«الحَصير»: فَعِيْل من الحَصْر، فهي بمعنى السجن؛ أي: يحْصُرُهم، وبنحو هذا فسَّر مجاهد وقتادة وغيرهما[٢]، ويقال: الحصير أيضاً من الحصْر للْمَلِك، ومنه قول لبيد:

[الكامل] وَمَقَـامَـةٍ غُلْـبِ الرِّقَـابِ كَـأَنَّـهُـمْ جِـنٌّ لَـدَى بـابِ الْحَصِيـر قيـامُ[٣]

ويقال لجَنْبَي الإنسان: حصيران؛ لأنهما يحصرانه، ومنه قول الطِّرِمَّاح:

[الطويل] قَليـلاً تَـتَـلَّـى حاجَـةً ثُـمَّ عُـولِيَتْ عَلَى كُلِّ مَعْرُوشِ الْحَصِيرَيْنِ بادِنِ[٤]

[٣/ ١٦٢] وقال الحسن البصري: الحَصيرُ في الآية أراد به ما يُفْتَرَش ويُبْسَط / كالحصير المعروف عند الناس.

قال القاضي أبو محمد: وذلك الحصير أيضاً هو مأخوذ من الحَصْر.

قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ الآية، يَهْدي: في هذه الآية بمعنى: يُرْشِدُ، ويتوجه فيها أن تكون بمعنى: يدعو، والتي يريد بها الحالة والطريقة.

وقالت فرقة: (التي هِيَ أَقْوَمُ) هي: لا إله إلا الله، والأول أعم، وكلمة الإخلاص

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٨٩) بإسناد فيه عمرو بن ثابت، وهو ابن هرمز الكوفي، متروك الحديث، وقد سبق.

(٢) انظر مع قول الحسن الآتي في تفسير الطبري (١٧/ ٣٩٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ١٢٦)، والهداية لمكي (٦/ ٤١٥٠).

(٣) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٣٧١)، وتفسير الطبري (١٧/ ٣٩١)، وتهذيب اللغة (٩/ ٢٧٠)، والصحاح للجوهري (٢/ ٦٣١).

(٤) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٧/ ٣٩١)، ومقاييس اللغة (٤/ ٢٦٥)، في الأصل: «غولبت»، وفي المطبوع: «مفروش».

وغيرها من الأقوال والأفعال داخلة في الحال التي هي أقوم من كل حال تُجعَل بإزائها.

والاقتصار[(١)] على (أَقْوم) ولم يذكر: (مِن كذا) إيجازٌ، والمعنى مفهوم؛ أي: لِلَّتي هي أقوم من كل ما غايَرها، فهي النهاية في القوام، وقيَّد المؤمنين بعمل الصالحات؛ إذْ هو كمال الإيمان وإن لم يكن في نفسه، والمؤمن المفرط[(٢)] في العمل له بإيمانه قط[(٣)] حظٌّ في عمل الصالحات.

و«الأَجْرُ الكبيرُ»: الجنَّـةُ، وكذلك حيث وقع في كتاب الله تعالى: (فَضْلٌ كبيرٌ)، و(أَجْرٌ كبيرٌ) فهو الجنَّة.

وقوله: ﴿إِنَّ﴾ الأولى في موضع نصب بـ﴿وَيُبَشِّرُ﴾، و﴿أَنَّ﴾ الثانيةُ عطف على الأولى، وهي داخلةٌ في جملة بشارة المؤمنين، بَشَّرهم القرآن بالجنة، وبأن الكفار لهم عذاب أليم، وذلك أن علْم المؤمنين بهذا مسرَّةٌ لهم، وفي هذه البشارة وعيدٌ للكفار بالمعنى، وهذا الذي تقتضيه ألفاظ الآية.

وقرأ الجمهور: ﴿وَيُبَشِّرُ﴾ بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين، وقرأ ابن مسعود، ويحيى بن وثاب، وطلحة: ﴿وَيَبْشُرُ﴾ بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين[(٤)].

و﴿أَعْتَدْنَا﴾ معناه: أحضَرْنا وأعدَدْنا، ومنه العَتاد، و«الأليمُ»: الـمُوجِع.

وقوله: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الآية، سقطت الواو من ﴿يَدْعُ﴾ في خط المصحف؛ لأنهم كتبوا المسموع.

وقال ابن عباس[(٥)]، وقتادة، ومجاهد: هذه الآية نزلت ذامَّةً لما يفعله الناسُ من

---

(١) في المطبوع: «والاختصار».

(٢) في المطبوع: «المفرد».

(٣) ليست في المطبوع وفي أحمد٣: «فقط».

(٤) إبعاد للنجعة، فالقراءتان سبعيتان، والثانية لحمزة والكسائي على قاعدتهما، انظر التيسير (ص: ٨٧)، السبعة (ص: ٢٠٦).

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٩٣-٣٩٤) من طريق عطية بن سعد العوفي عنه.

الدعاء على أموالهم وأبنائهم في وقت الغضب والضجر[١]، فأخبر الله أنهم يدعون بالشَّرِّ في ذلك الوقت كما تدعون بالخير في وقت التثبت، فلو أجاب الله دعاءَهم أهلكهم، ولكن الله تعالى يصفح، ولا يجيب دعاء الضَّجِر المستعجل.

ثم عذر بعض العذر في أن الإنسان له عجَلة فِطْريَّة، والإِنْسَانُ هنا، قيل: يريد به اسم[٢] الجنس بحسب ما في الخلق من ذلك، قاله مجاهد وغيره[٣].

وقال سلمان الفارسي، وابن عباس: إشارته إلى آدم عليه السلام في أنه لما نفخ الروح في رأسه عطس وأبصر، فلما مشى الروح في بدنه قبل ساقيه أعجبته نفسه فذهب ليمشي مستعجلاً لذلك فلم يقدر[٤]، فأشارت ألفاظ الآية إلى ذلك، والمعنى: فأنتم ذوو عجلة موروثة من أبيكم.

ويُروى: أن النبي ﷺ جعل أسيراً في قِدٍّ[٥] في بيت سَوْدةَ بنت زَمْعةَ، فسمعت سودةُ أنينَهُ فأَشفقت، فقالت له: ما بالك؟ فقال: أَلمُ القد، فقامت فأرخت من ربطه فسكت، ثم نامت، فَتحَيَّل في الانحلال وفرَّ، فطلبه رسول الله ﷺ عند الصبح فأُخبر الخبر، فقال: «قطعَ اللهُ يدَيها»، ففزعت سودةُ، ورفعت يدها نحو السماء وهي تخاف الإجابة، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد جعل دعائي في مثل هذا رحمةً على المدعوِّ عليه؛ لأنِّي بشر أغضب وأعجل، فَلْتَـرُدَّ سودةُ يديها»[٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٩٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ١٢٧).

(٢) اسم من أحمد٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٩٤).

(٤) منقطعان، أما أثر ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الطبري (١/ ٤٥٥-٤٥٦) من طريق الضحاك بن مزاحم، عنه، ولم يسمع منه، وأما أثر سلمان الفارسي رضي الله عنه، أخرجه الطبري (١٧/ ٣٩٤) من طريق إبراهيم النخعي، عن سلمان، به. وإبراهيم لم يلق أحداً من الصحابة.

(٥) في المطبوع: «قيد» في الموضعين.

(٦) ضعيف مرسل، أخرجه محمد بن فضيل في كتابه الدعاء (٣) عن أشعث، عن الحسن، به مرسلاً، =

وقالت فرقة: هذه الآية نزلت في شأن قريش الذين قالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية، وكان الأولى أن يقولوا: فاهدِنا إليه، وارحَمْنا به، فذمَّهم الله تعالى في هذه الآية بهذا[١].

وقالت فرقة: معنى هذه الآية معاتبة الناس على أنهم إذا نالهم شرٌّ وضرٌّ دعوا وألحوا[٢] في الدعاء الذي كان يجب أن يدعوه في حالة الخير، ويلتزمه الكل، من ذكر الله وحمده والرغبة إليه، لكن الإنسان يقصِّر حينئذ، فإذا مسَّه ضرٌّ ألَحَّ، واستعجل الفرج، فالآية على هذا نحوُ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾[يونس: ١٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾.

«الآيةُ»: العلامة المنصوبة للنظر والعِبرة.

وقوله: ﴿فَمَحَوْنَآ﴾، قالت فرقة بسبب تعقيب الفاء: إن الله تعالى خلق الشمس والقمر مضيئين، فَمَحَا بعد ذلك القمر، محاه جبريل عليه السلام بجناحه ثلاث مرات، فمن هنالك كَلَفُه وكونُه منيراً فقط.

وقالت فرقة ـ وهو الظاهر ـ: إن قوله: ﴿فَمَحَوْنَآ﴾ إنما يريد: في أصل خلقته، وهذا كما تقول: بنيتُ داري فبدأْت بالأُس، ثم تابعت، فلا تريد بالفاء التعقيب، وظاهر لفظ الآية يقتضي أربع آيات، لا سيما لمن بنى على أن القمر هو المَمْحُوُّ، والشمس هي

= وأشعث هو ابن سوار، وهو ضعيف، وكذلك فيه إرسال الحسن البصري.

(١) لم أقف على تخريجه، وليست «بهذا» في المطبوع ونور العثمانية.

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «ولجُّوا».

المبصرة، فأَمَّا إن قدَّر أن الـمَحْوَ في ظلام الليل، والإبصَار في ضوء النهار، أمكن أن تتضمن الآية آيتين فقط، على أن يكون فيها طرف من إضافة الشي إلى نفسه.

وقوله تعالى: ﴿مُبۡصِرَةٗ﴾ مثل قولك: ليلٌ نائمٌ وقائمٌ؛ أي: يُنَام ويُقام فيه، وكذلك: آيةٌ مُبْصِرة؛ أي: يُبصَرُ فيها ومعها.

وحكى الطبري عن بعض الكوفيين أنه قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سَلُوا عما شئتم، فقال ابن الكواء: ما السواد الذي في القمر؟ فقال له علي: قاتلك الله، هلاَّ سألت عن أمر دينك وآخرتك؟ ذلك مَحْوُ الليل(١).

وجعل الله تعالى النهارَ مبصِراً ليبتغيَ الناسُ الرزقَ، وفضلَ الله، وجعل القمر مخالفاً لحال الشمس ليعلمَ به العدد من السنين، والحساب للأشهر، والأيام، ومعرفة ذلك في الشرع إنما هو من جهة القمر، لا من جهة الشمس.

[٣/ ١٦٣] وقوله: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٖ﴾ منصوب بفعل مضمر يدل عليه / الظاهر، تقديره: وفصَّلْنا كل شيء فصَّلْناه(٢) تفصيلًا.

[وقيل: ﴿وَكُلَّ﴾ عطف على ﴿وَٱلۡحِسَابَ﴾، فهو معمول ﴿لِتَعۡلَمُواْ﴾](٣).

و«التَّفْصِيلُ»: البيانُ بأن تُذكر فصول ما بين الأشياء، وتُزَال أشباهُها(٤) حتى يتميز الصوابُ من الشَّبَه العارضة فيه.

قوله: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾ الآية، قوله: ﴿وَكُلَّ﴾ منصوب بفعل مقدر.

وقرأ الحسن، وأبو رجاءٍ، وابن مجاهد (طَيْرَه في عُنقِه)(٥).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٣٤)، والطبري (١٧/ ٣٩٦) من طرق عن علي رضي الله عنه.

(٢) ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٣) ليس في الأصل.

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «أسْبَابُهَا»، وكذا الإماراتية مع التنبيه على المثبت في الهامش.

(٥) وهي شاذة، انظر قراءة الحسن في مختصر الشواذ (ص: ٧٩)، والكل في البحر المحيط (٧/ ٢١).

قال ابن عباس: ﴿طَٰٓئِرَهُۥ﴾: ما قُدِّرَ عليه وله[١].

وخاطب الله تعالى العربَ في هذه الآية بما تعرِفُ، وذلك أنه كان من عادتها التَّـيَمُّن والتَّشاؤُم بالطير في كونها سانحة وبارحة[٢]، وكثر ذلك حتى فعلته بالظِّباء وحيوان الفَلاة، وسمَّت ذلك كله تطيُّراً، وكانت تعتقد أن تلك الطِّيَـرَة قاضية بما يلقى الإنسانُ من خير وشر.

فأخبرهم الله تعالى في هذه الآية في أوجز لفظ وأبلغ إشارة أن جميع ما يلقى الإنسان من خير وشرٍّ قد سبق به القضاءُ، وأُلزم حظَّه وعمله وتكسبه في عنقه.

[وروى جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة»][٣]، [وذلك في قوله عزَّ وجلَّ][٤]: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾، فعبَّر عن الحظ والعمل ـ إذ هما متلازمان ـ بالطائر، قاله مجاهد وقتادة[٥]، بحسب معتقد العرب في التطَـيُّر، وقولهم في الأُمور: «على الطَّائر الميمون»، و«بأَسْعَد طائر»، ومنه ما طار في المحاصة والسَّهْم، كقول أمِّ العلاء الأنصارية: فطار لنا من القادمين مع رسول الله ﷺ في الهجرة عثمان ابن مظعون[٦]، أي: كان ذلك حظَّنا، وأصل هذا كله من الطير التي تقضي عندهم بلقاء الخير والشر، [وأبطل ذلك قولُ النبي ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة»][٧].

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٩٨) من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولم يسمع منه.

(٢) السَّانح: ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك، والبارح: ما أتاك من ذلك عن يسارك.

(٣) زيادة من الأصل، والحديث أخرجه مسلم (٢٢٢٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، مرفوعاً به.

(٤) من المطبوع ونجيبويه، وهو في الإماراتية ملحق في الهامش.

(٥) انظر قولهما في تفسير الطبري (١٧/ ٣٩٨).

(٦) أخرجه البخاري (١١٨٦) من حديث أم العلاء الأنصارية، رضي الله عنها.

(٧) ليست في الأصل، ولعله بديل عما سقط منه فوق.

وقوله: ﴿فِي عُنُقِهِۦ﴾ جرى أيضاً على مقطع العرب في أن تنسب ما كان إلزاماً، وقلادةً، وأمانةً، ونحو هذا إلى العُنُق، كقولهم: دَمي في عُنق فلان، وكقول الأعشى:

[المنسرح] والشِّعْرَ قَلَّدْتُـهُ سَـلامَةَ ذا الــ تَّفْضَالِ والشـيءُ حَيْثُمَا جُعِلا(١)

وهذا كثير، ونحوهُ جَعْلُهم ما كان تكسُّباً وجنايةً وإثماً منسوباً إلى اليد؛ إذ هي الأصْلُ في التَّـكَسُّب.

وقرأ أبو جعفر، ونافع، والناسُ: ﴿وَنُخْرِجُ﴾ بنون العظمة ﴿كِتَبًا﴾ بالنصب.

وقرأ الحسن، ومجاهد، وابن محيصن: ﴿ويَخْرُجُ﴾ بفتح الياء وضم الرَّاءِ على الفعل المستقبل ﴿كِتَبًا﴾؛ أي: طائرهُ الذي كنَّى به عن عمله يَخْرُجُ له ذا كتاب، وقرأ الحسن من هؤلاء: (كِتَابٌ) بالرفع.

وقرأ أبو جعفر أيضاً: ﴿وَيُخْرَجُ﴾ بضم الياء وفتح الراء، على ما لم يُسَمَّ فاعله، ﴿كِتَبًا﴾؛ أي: طائرُهُ، وقرأ أيضاً: (كِتَابٌ)، وقرأت فرقة: (وَيُخْرِجُ) بضم الياء وكسر الراء؛ أي: يُخْرِجُ اللَّهُ، وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (في عنقه يقرؤه يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً)(٢)، وهذا الكتاب هو عمل الإنسان وخطيئاته.

وقرأ الجمهور: ﴿يَلْقَنهُ﴾ بفتح الياء وسكون اللام وخفَّة القاف.

وقرأ ابن عامر وحده: ﴿يُلَقَّاهُ﴾ بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف، وهي قراءة الحسن بخلاف وأبي جعفر والجحدري(٣).

---

(١) انظر عزوه له في الحيوان (٣/ ٢٣٣)، والحجة للفارسي (٥/ ٨٩)، وفي المطبوع وأكثر المصادر: (قلدتك الشعر يا سلامة).

(٢) سبع قراءات منها ثلاث متواترة، الأولى عن السبعة وخلف، والثانية عن يعقوب، والرابعة لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٠٦)، والكامل للهذلي (ص: ٥٨٦)، والخامسة لأبي جعفر في مختصر الشواذ (ص: ٧٩)، والكل في البحر المحيط (٧/ ٢٢).

(٣) في المطبوع: «الجحدري» بلا واو على أنها نعت لـ«أبي جعفر» وهو خطأ، وهما سبعيتان، انظر =

وقوله: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ ﴾ حُذِفَ من الكلام: (يُقَالُ لَهُ) اختصاراً؛ لدلالة الظاهر عليه.

و«الحَسِيبُ»: الحاسِبُ، ونصبه على التمييز.

وأسند الطبري عن الحسن أنه قال: يا بن آدم، بُسطت لك صحيفة، ووُكِّل بك ملَكَان كريمان، أحدهما عن يمينك يكتب حسناتك، والآخر عن شمالك يحفظ سيئاتك، فأملل[١] ما شئت أَو أَقْلِلْ أَوْ أكثر، حتَّى إذا متَّ طويت صحيفتك، فجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة كتاباً تلقاه منشوراً، اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً، قد عدل والله فيك مَنْ جَعَلَكَ حسيبَ نفسِكَ[٢].

قال القاضي أبو محمد: فعلى هذه الألفاظ التي ذكر الحسن يكون الطائر ما يتحصل مع ابن آدم من عمله في قبره، فتأمَّل لفظه، وهذا هو قول ابن عباس[٣].

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ ﴾: إنه سيقرأُ يومئذ مَن لم يكن يقرأ[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿١٧﴾ ﴾.

معنى هذه الآية أن كل أحد إنما يحاسَبُ عن نفسه، لا عن غيره.

ورُوي: أن سببها أن الوليد بن المغيرة المخزومي قال لأهل مكَّةَ: اكفروا بمحمد

= التيسير (ص: ١٣٩)، والسبعة (ص: ٣٧٨)، والنشر (٢/ ٣٠٦)، والكامل للهذلي (ص: ٥٨٦)، وانظر موافقة الجحدري والحسن بخلافه في البحر المحيط (٧/ ٢٢).

(١) في المطبوع: «فامْلِك»، وفي الأصل: «فاعمل».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٠٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٠٠) من طريق عطية بن سعد العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٤٠١).

وإثْمُكُم عليَّ، فنزلت هذه الآية[1]؛ أي: إن الوليد لا يحمل آثامكم، وإنما إثْم كلِّ أحد عليه.

وقالت فرقة: نزلت الإشارة في الهدى إلى أبي سَلَمَة بن عبد الأسد، والإشارة بالضلال إلى الوليد بن المغيرة.

و«وَزَرَ» معناه: حَمَل، و«الوِزْرُ»: الثِّقل[2]، ومنه: وَزير السلطان؛ أي: الذي يحمل ثقل دولته.

وبهذه الآية نزعت عائشة أمُّ المؤمنين رضي الله عنها في الردِّ على من قال: إن الميت يُعَذَّب ببكاء الحي عليه[3]، ونكتة ذلك المعنى إنما هيَ أن التعذيب إنما يقع إذا كان البكاءُ من سنَّة الميت وسببه، كما كانت العربُ تفعل.

وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، قالت فرقة هي الجمهور: وهذا في حكم الدنيا؛ أي: إن الله لا يُهلك أُمة بعذاب إلا من بعد الرسالة إليهم والإنذار.

وقالت فرقة: هذا عام في الدنيا والآخرة.

قال القاضي أبو محمد: وتلخيص هذا المعنى أن مقصد الآية في هذا الموضع الإعلامُ بعادة الله مع الأُمَم في الدنيا، وبهذا يقرب الوعيد من كفار مكَّة، ويؤيد هذا ما يجيءُ بعْدُ من وصفه ما يكون عند إرادته إهلاك قرية، ومن إعلامه بكثرة ما أهلك من القرون / . [٣/ ١٦٤]

ومع هذا فالظاهر من كتاب الله في غير هذا الموضع، ومن النظر، أن الله تعالى لا يعذب في الآخرة إلا بعد بعثة الرسل، كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ⑧ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الملك: ٨-٩]، وظاهر ﴿كُلَّمَآ﴾ الحَصْر وكقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ [فاطر: ٢٤].

---

(١) لم أقف عليه مسنداً، وانظر: تفسير السمعاني (٣/ ٢٢٦)، والهداية لمكي (٦/ ٤١٦٢).

(٢) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: و«وَزَرَ» معناها: حَمَل الوِزر، أي: الثقل.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٢٦)، ومسلم (٩٢٧) من حديث عائشة رضي الله عنها، مرفوعاً به.

وأما من جهة النظر فإن بعثة آدم عليه السلام بالتوحيد، وبثِّ[١] المعتقَدات في بنيه، مع نصب الأدلة الدَّالَّة على الصانع، مع سلامة الفِطَر[٢]، يوجب على كل أحدٍ من العالم الإيمانَ، واتباعَ شريعة الله، ثم تجدَّد ذلك في مدة نوح عليه السلام بعد غرق الكفار، وهذه الآية أيضاً يُعطي احتمال أَلفاظها نحو هذا، ويجوز مع الفرض وجود قوم لم تصلهم رسالةٌ، ومنهم أهل الفترات الذين قد قدَّرَ وجودَهم بعضُ أهل العلم، وأما ما رُوي: أن الله تعالى يبعث إليهم يوم القيامة وإلى المجانين والأطفال، فحديثٌ لم يصحَّ[٣]، ولا يقتضيه ما تعطيه[٤] الشريعة من أن الآخرة ليست دار تكليف.

قوله: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً ﴾ الآية؛ هي في مصحف أُبَيِّ بن كعب: (بَعَثْنَا أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا)[٥].

و«القَرْيَةُ»: المدينة المجتمعة، مأْخوذٌ من: قَرَيْتُ الماءَ في الحوض: إذا جمعتَه، وليست من (قرأ) الذي هو مهموز، وإن كان فيهما جميعاً معنى الجمع.

وقرأ الجمهور: ﴿أَمَرۡنَا﴾ على صيغة الماضي، من: أَمَر ضد نَهَى.

وقرأ نافع، وابن كثير في بعض ما رُوي عنهما: ﴿آمَرْنَا﴾ بمدِّ الهمزة، بمعنى: كَثَّرْنَا، ورُويت عن الحسن، وهي قراءة علي بن أبي طالب، وابن عباس بخلاف عنه، وعن الأعرج، وقرأ بها ابن أبي إسحاق[٦]، وتقول العربُ: أَمِرَ القَوْمُ: إذا كَثُروا، وآمَرَهُمْ الله، فيتعدى بالهمزة.

---

(١) في المطبوع: «وبعث».

(٢) في المطبوع: «البصر».

(٣) منقطع، أخرجه الطبري (١٧/ ٤٢٠) من طريق قتادة، عن أبي هريرة، ولم يسمع منه، ولا من أحد من الصحابة إلا أنس بن مالك.

(٤) في المطبوع: «تقضيه».

(٥) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (٢٧٨).

(٦) وهي عشرية من قراءة يعقوب كما في النشر (٢/ ٣٠٦)، وانظر عزوها لروايتي نافع وأبي عمرو، =

وقرأ أبو عمرو بخلاف: (أَمَّرْنَا) بتشديد الميم، وهي قراءة أبي عثمان النهدي، وأبي العالية، وابن عباس، ورويت عن علي بن أبي طالب[١].

وقال الطبري: القراءة الأولى معناها: أمرناهم بالطاعة، فعصَوا وفسَقُوا فيها[٢]، وهو قول ابن عباس[٣]، وابن جبير.

والثانية معناها: كثَّرناهم، والثالثة هي من الإمارة، أي: ملَّكْناهم على الناس.

قال أبو عَليٍّ الفارسي: الجيِّد في ﴿أَمَرْنَا﴾ أن تكون بمعنى: كَثَّرْنَا، يتعدى الفعل بلفظه غير متعدٍّ[٤]، كما تقول: رَجَعَ وَرَجَعْتُه، وشَتِـرَتْ عَيْنُه وشَتَرْتُهَا، فتقول: أَمَرَ القومُ وأمرَهم الله؛ أي: كثَّرهم، قال: وآمَرْنَا مبالغة في أَمَرْنَا بالهمزة، وأَمَّرْنَا مبالغة فيه بالتضعيف، ولا وجه لكون أَمَّرْنَا من الإمارة؛ لأن رياستهم لا تكون إلا واحداً بعد واحد، والإهلاكُ إنما يكون في مدة واحد منهم[٥].

وينفصل عن هذا الذي قاله أبو علي بأن الأمر وإن كان يعُمُّ المترف وغيره، فخَصَّ المترف بالذكر إذْ فِسْقُهُ هو المؤثر في فساد القرية، وهم عُظم الضلالة، وسواهم تبَعٌ لهم.

وأمَّا أمَّرْنا من الإمارة فمتوجه على وجهين:

أحدهما: ألَّا يريد إمارة المُلْك، بل كونهم يأْمرون ويُؤْتمر لهم؛ فإنَّ العرب تقول لمن يأْمر الإنسان وإن لم يكن ملِكاً: هو أمير، ومنه قول الأعشى:

= في السبعة (ص: ٣٧٩)، وليستا من طرق التيسير، وانظر نقلها عن الباقين في المحتسب (٢/ ١٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ١٣٣)، وفي المطبوع: «عن الأعرج» بلا واو.

(١) شاذة، انظر رواية أبي عمرو في السبعة (ص: ٣٧٩)، وعن الباقين إلا علياً في المحتسب (٢/ ١٦)، والكل في البحر المحيط (٧/ ٢٧).

(٢) انظره مع قول ابن جبير في تفسير الطبري (١٧/ ٤٠٣).

(٣) منقطع، أخرجه الطبري (١٧/ ٤٠٣) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس، ولم يلقه.

(٤) في المطبوع: «متعدد».

(٥) انظر معناه في الحجة (٥/ ٩٣).

إذا كان هـادي الْفَتَـى فـي الْبـلا د صَـدْرَ الْقَنَـاةِ أَطَـاعَ الأميـرَا[١] [المتقارب]

ومنه قول معاوية لعمر رضي الله عنه حين أمره بالاستقادة من لطمة عمرو بن العاص: إنَّ عليَّ أميراً لا أقطع أمراً دونه[٢]، أراد معاوية رضي الله عنه أباه، وأراد الأعشى أنه إذا شاخ الإنسانُ وعَمي واهتدى بالعصا أطاعَ كلَّ من يأمره، ومنه قول الآخر:

والنَّـاسُ يَلْحُـوْنَ الأميـرَ إِذَا هُـمُ خطِئُوا الصَّوَابَ وَلا يُلَامُ الْـمُرْشِـدُ[٣] [الكامل]

وأيضاً فلو أراد إمارة الـمُلْك في الآية لحَسُنَ المعنى؛ لأن الأُمَّةَ إذَا مَلَّك الله عليها مُتْرَفاً ففسق، ثم ولَّى مثله بعده، ثم كذلك، عَظُمَ الفَساد وتوالى الكُفْر واستحقوا العذاب، فنزل بهم على رجل الأخير من ملوكهم.

وقرأ الحسن، ويحيى بن يَعْمَر: (أَمِرْنَا) بكسر الميم[٤]، وحكاها النحاس عن ابن عباس[٥]، ولا أتَحَقَّقُ وجهاً لهذه القراءَة؛ إلا إن كان «أَمِرَ القَوْمُ» يتعدى بلفظه، فإنَّ العرب تقول: أَمِرَ بَنُو فلان: إذا كثروا، ومنه قول لبيد:

إنْ يُـغْـبَطُـوا يُـهْبَـطُـوا وإِنْ أَمِـرُوا يَـوْمـاً يَصيـرُوا للْـقُـلِّ والنَّـفَـدِ[٦] [المنسرح]

ومنه: لَقد أَمِر أَمْرُ ابنِ أبي كَبْشَةَ[٧]، وردَّ الفرّاءُ هذه القراءة[٨].

---

(١) انظر نسبته له في المحتسب (١/ ١٢٦)، وغريب الحديث لابن سلام (١/ ٢٥٢)، وعيون الأخبار (٤/ ٦٧)، والكامل (١/ ٢٦١).

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة (ص: ٨٦)، ولم أره مسنداً.

(٣) نسبه في المحتسب (٢/ ٢٠)، والتذكرة الحمدونية (٧/ ٢٨٢) لعَبيد بن الأبرص، وهو بلا نسبة في معاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٢٣).

(٤) المحتسب (٢/ ١٦).

(٥) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٣٤).

(٦) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٣٧٢)، وتفسير الطبري (١٧/ ٤٠٥)، والزاهر للأنباري (١/ ٤٠٥)، ومقاييس اللغة (١/ ١٣٨).

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣) من حديث أبي سفيان رضي الله عنه، به.

(٨) معاني القرآن للفراء (٢/ ١١٩).

وقد حكي (أَمِرَ) متعدياً عن أبي زيد الأنصاري[(١)].

و«المُتْرَفُ»: الغني من المال المتَنَعِّم، والتُّرْفَةُ: النِّعْمةُ.

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (قريةً بَعثْنَا أكَابر مُجْرميها فمكروا فيها)[(٢)].

وقوله: ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾؛ أي: وعيدُ الله لها الذي قاله رسولُهم.

و«التَّدْميرُ»: الإهلاكُ مع طمس الآثار، وهدم البناء، ومنه قول الفرزدق:

[الوافر]
وكَانَ لَهُمْ كَبَكْرِ ثَمُودَ لـمَّا ... رَغَا ظُهْراً فَدَمَّرَهم دَمارَا[(٣)]

وقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ الآية، (كَمْ) في موضع نصب بـ﴿أَهْلَكْنَا﴾، وهذا الذكر لكثرة من أهلك الله من القرون مثالٌ لقريش، ووعيدٌ؛ أَي: لستُم ببعيد ممَّا حصلوا فيه من العذاب إذا أنتم كذبتم نبيَّكم.

واختلف الناس في «القرن»؛ فقال ابن سيرين عن النبي ﷺ: أربعون[(٤)]، وقيل غير هذا مما هو قريبٌ منه.

وقال عبد الله بن أبي أَوْفَى: القَرْن مئة وعشرون سنة[(٥)].

---

(١) معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٣٥).

(٢) وهي شاذة، كما تقدم، وانظر الحجة للفارسي (٥/ ٩٣).

(٣) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٧/ ٤٠٦)، وجاء فيه (٢٢/ ١٢٩) منسوباً لجرير، ومثله للمؤلف في سورة الأحقاف، وهو خطأ.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٤٠٨) من طريق عمر بن شاكر عن ابن سيرين عن النبي ﷺ مرسلًا، وابن شاكر ضعيف له مناكير.

(٥) ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥١٧٨)، وابن سعد في طبقاته الكبرى (٨/ ١٢٥)، وابن أبي خيثمة في تاريخه (٢/ ٨٦٣) ومن طريقهما ابن عساكر في تاريخه (٦٥/ ٤٠٧-٤٠٨) كلهم من طريق حماد بن سلمة، عن أبي محمد، عن زرارة بن أوفى به، وهذا إسناد ضعيف، من أجل أبي محمد، قال ابن معين: لا أعرفه. انظر الجرح والتعديل (٩/ ٤٣٤)، تنبيه: جاء إسناد الأثر عند الطبري (١٧/ ٤٠٧): حماد بن سلمة، عن أبي محمد بن عبد الله بن أبي أوفى. وهو تحريف، والصواب ما ذكرناه.

وقالت طائفة: القرن مئة سنة، وهذا هو الأصح الذي يعضده الحديث في قوله ﷺ: «خيرُ الناسِ قَرْني»[(١)].

وروى محمد بن القاسم في ختنه[(٢)] عبد الله بن بُسْر قال: وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي، [وقال: «سيعيشُ هذا الغلامُ قَرْناً»، قلت: كم القرن؟ قال: «مئة سنة»، قال محمد بن القاسم: فما زلنا نعُدُّ له حتى أكمل مئة سنة، ثم مات رحمه الله][(٣)].

والباءُ في قوله: ﴿بِرَبِّكَ﴾ زائدة، والتقدير: كفى ربُّك، وهذه الباءُ إنما تجيء في الأَغلب في مدح أو ذم، وكأَنها تعطي معنى: اكتفِ برَبِّك؛ أي: ما أكفاه في هذا، وقد تجيءُ «كفى» بدون باءٍ، كقول الشاعر:

.... كَفَى الشَّيْبُ وَالإِسْلامُ للْمَرْءِ نَاهيَا[(٤)] [الطويل]

وكقول الآخر:

ويُخْبِرني عنْ غَائب الْـمَرْءِ هَدْيُهُ كَفَى الْهَدْيُ عَمَّا غَيَّبَ الْـمَرْءُ مُخْبِرَا[(٥)] [الطويل]

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٥٠٩)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٢) الخَتَنُ: كلُّ من كان من قِبَل المرأة كأبيها وأخيها، وكذلك زوج البنت، وزوج الأخت، وفي أحمد٣: «سننه»، وفي نور العثمانية: «حينه».

(٣) ليس في الأصل، والحديث له طرق، أخرجه البخاري في تاريخه (١/ ٢١٤) مختصراً، والحاكم في مستدركه (٤/ ٥٤٥) من طريق محمد بن القاسم الطائي، عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه، مرفوعاً به، ومحمد بن القاسم هذا لم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً، وترجم له الذهبي في تاريخه (١٨/ ٧٤) وقال: ما وهاه أحد. وتابعه عليه محمد بن زياد الأَلْهاني، عن عبد الله بن بسر، به، رواه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ١٧٥)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٥٠٠) كلاهما من طريق إبراهيم بن محمد بن زياد الألهاني، عن أبيه، به، وإبراهيم الألهاني، لم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً إلا ذكر ابن حبان إياه في الثقات (٦/ ١٧)، وللحديث طرق لا تخلو من مقال.

(٤) صدره: عُمَيْـرَةَ ودِّعْ إنْ تَجَهَّزْتَ غَاديَا، وهو لسُحَيم عبْد بني الحَسْحَاس كما في الكتاب لسيبويه (٤/ ٢٢٥)، والبيان والتبيين (١/ ٧٩)، والكامل للمبرد (٢/ ١٦٧)، وكان النبي ﷺ يتمثل به فيقول كفى بالمرء، انظر تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٠).

(٥) البيت لزيادة بن زيد العَدَوِيِّ، كما في البيان والتبيين (٣/ ١٦٣)، وتهذيب اللغة (٦/ ٢٠٢).

[٣/ ١٦٥] / قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾.

المعنى: من كان يريد الدنيا العاجلة، ولا يعتقد غير هذا، ولا يؤمن بآخرة، فهو يُفَرِّغ أمله ومعتقده للدنيا، فإن الله يعجل لمن يريد من هؤلاء ما يشاء هذا المريد، أو ما يَشاءُ الله، على قراءة من قرأ: ﴿نَشَآءُ﴾ بالنون.

وقوله: ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ شرطٌ كاف على القراءتين، ثم يجعل الله تعالى جهنم لجميع مريدي العاجلة على جهة الكفر مَنْ أعطاه فيها ما يشاءُ، ومَنْ حرمه، وقال أبو إسحاق الفزاري: المعنى: لمن نريد هلكته[(١)].

وقرأ الجمهور: ﴿نَشَآءُ﴾ بالنون، وقرأ نافع أيضاً: (يَشَاءُ) بالياء[(٢)].

و«الْمَدْحُورُ»: الـمُهانُ الـمُبْعَد المذلَّل المسخوط عليه.

قوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ الآية، المعنى: ومن أراد الآخرة إرادةَ يقين بها، [وإيمان بها][(٣)] وبالله وبرسالته، وذلك كلُّه مرتبط متلازم.

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٤٠٩)، وأبو إسحاق الفزاري هو الإمام إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء ابن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الكوفي، أحد الأعلام، روى عن عطاء بن السائب، وحميد الطويل، وعنه: الأوزاعي، والثوري، وهما من شيوخه، كان ثقة فاضلاً صاحب سنة وغزو، كثير الحديث فقيهاً، أدب أهل الثغر وعلَّمهم السنة، وكان يأمر وينهى، توفي سنة (١٨٥هـ). تاريخ الإسلام (١٢/ ٥٤).

(٢) ليس من طرق التيسير، وهي رواية الزَّعْفَرَانِيِّ، وسلام وابن المنادي عن نافع كما في الكامل للهذلي (ص: ٥٨٧).

(٣) ليس في المطبوع والإماراتية.

ثم شرط في مُريد الآخرة أن يسعى لها سَعْيَها، وهو ملازمة أعمال الخير وأقواله على حكم الشرع وطرقه، فأُولئك يشكر الله سعيهم، ولا يشكر الله عملاً ولا سعياً إلَّا إذا أثاب عليه وغفر بسببه، ومنه قول النبي ﷺ في حديث الرجل الذي سقى الكلب العاطش: «فشكر اللَّهُ له، فغفر له»[١].

قوله: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ﴾ الآية؛ نصب ﴿كُلًّا﴾ بـ﴿نُّمِدُّ﴾، و«أَمْدَدْتُ الشيءَ»: إذا زدتَ فيه من غير نوعه، و«مَدَدْتُه»: إذا زدتَ فيه من نوعه، وقيل: هما بمعنىً واحد، يقال: مَدَّ وأَمَدَّ.

و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿كُلًّا﴾، فهو في موضع نصب.

وقوله: ﴿مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ يحتمل أن يريد: من الطاعات لمريدي الآخرة، والمعاصي لمريدي العاجلة، ورُوي هذا التأويل عن ابن عباس[٢].

ويحتمل أن يريد بالعطاء رزْقَ الدنيا، وهذا هو تأويل الحسن بن أبي الحسن وقتادة[٣].

أي: إن الله تعالى يرزق في الدنيا مُريدي الآخرة المؤمنين، ومُريدي العاجلة الكافرين، ويُمدهم بعطائه منها، وإنما يقع التفاضل والتَّباين في الآخرة، ويتناسب هذا المعنى مع قوله: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾؛ أي: إنَّ رزقه في الدنيا لا يضيق عن مؤمن ولا كافر، وقلَّما تصلح هذه العبارة لمن يُمد بالمعاصي التي تُوبقُه.

و«الـمَحْظُورُ»: الممنوع.

وقوله: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ آية تدلُّ دلالةً على أن العطاء في الآية التي قبلها هو الرزق، وفي ذلك يترتَّب أن ينظر محمد ﷺ إلى تفضيل الله لبعض على بعض في الرزق ونحوه من الصور والشرف والجاه والحظوظ، وبَيِّنٌ أن يكون التفضيل

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٧١)، ومسلم (٢٢٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به.
(٢) منقطع، أخرجه الطبري (١٧/ ٤١١) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس، ولم يلقه.
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤١١).

الذي ينظر إليه النبي ﷺ أن أعطى اللَّهُ قوماً الطاعة المؤدية إلى الجنَّة، وأعطى آخرين الكفر المؤدي إلى النار، وهذا قول الطبري(١)، [وهذا إنما هو النظر](٢) في تفضيل فريق على فريق، وعلى التأْويل الآخر فالنظر في تفضيل شخص على شخص من المؤمنين والكافرين كيفما قرنتهما.

ثم أخبر عزَّ وجلَّ أن التفضيل الأكبر إنما يكون في الآخرة، وقوله: ﴿أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ﴾ ليس في اللفظ من أيِّ شيء؟، لكنه في المعنى ـ ولا بد ـ أَكْبَـرُ دَرَجاتٍ من كل ما يضاف بالوجود أو بالفَرْض إليها، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا﴾.

ورأى بعض العلماء أن هذه الدرجات والتفضيل إنما هو فيما بين المؤمنين، وأسند الطبري في ذلك حديثاً نصُّه: «إنَّ بين أعلى أهل الجنة وأسفلهم درجةً كالنجم يُرى في مشارق الأرض ومغاربها»(٣).

قال القاضي أبو محمد: [قيل: ولكن](٤) قد رضَّى الله الجميعَ، فما يغبط أحدٌ أحداً، ولا يتمنى ذلك بدلاً.

وقوله: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ﴾ الآية، الخطاب لمحمد ﷺ، والمراد: جميع الخلق، قاله الطبريُّ وغيره(٥).

والذَّم هنا لاحق من الله تعالى ومن ذوي العقول في أن يكون الإنسان يجعل عُوداً أو حجراً أفضلَ من نفسه، ويخُصُّه بالكرامة، وينسب إليه الأُلوهية، ويشركه مع الله الذي خلقه ورزقه وأنعم عليه.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤١٢).

(٢) ليست «إنما هو» في المطبوع، وفي أحمد٣: «والنظر هنا إنما هو»، وفي نور العثمانية: «والنظر أيضاً إنما هو»، وفي الإماراتية: «وهذا يحتمل النظر»، مع التنبيه على المثبت في هامشها.

(٣) مرسل، أخرجه الطبري (١٧/ ٤١٢) من طريق قتادة، عن النبي ﷺ، مرسلًا به.

(٤) من الحمزوية ونور العثمانية، وفي الأصل وأحمد٣ وفيض الله والإماراتية: «لكن»، وفي المطبوع ونجيبويه: «قيل»، وهي في الإماراتية ملحقة.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤١٢).

والخذلان في هذا يكون بإسلام الله، وألا يكفل له بنصر، و«المخذول»: الذي لا ينصره من يجب أن ينصره، و«الخاذلُ من الظباءِ»: التي تترك ولدها، ومن هذه اللفظة قول الراعي:

قَتَلُوا ابْن عَفَّانَ الْخَليفَةَ مُحْرِماً ... وَدَعَا فَلَمْ أَرَ مِثْلَه مَخْذُولا[1] [الكامل]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾.

(قَضَى) في هذه الآية بمعنى: أَمر وألزم وأوجب عليكم، وهكذا قال الناس.

وأقول إن المعنى: وَقَضى رَبُّكَ أمرَه أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ، وليس في هذه الألفاظ إلا أمر بالاقتصار على عبادة الله، فذلك هو المَقْضِيُّ، لا نفسُ العبادة.

وقَضَى في كلام العرب: أَتَمَّ المَقْضيَّ مُحكَماً، والمَقْضِيُّ هنا هو الأمر.

وفي مصحف ابن مسعود: (وَوَصَّى ربُّكَ)، وهي قراءَة أصحابه، وقراءة ابن عباس، والنَّخَعي، وسعيد بن جُبَيْر، وميمون بن مهران، وكذلك عند أُبيِّ بن كعب[2].

[٣/ ١٦٦] وقال الضحاك: تصحَّف / على قوم (وَصَّى) بـ(قَضَى) حين اختلطت الواو بالصاد وقت كتْب المصحف.

---

(١) انظر عزوه له في غريب الحديث لابن سلام (٤/ ٧)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٢٢)، والكامل للمبرد (٣/ ٢٣)، وتهذيب اللغة (٥/ ٣٠)، والصحاح للجوهري (٥/ ١٨٩٧)، وفي الأصل والحمزوية وأحمد٣: «سعى».

(٢) وهي شاذة، نقلها عن ابن عباس في الشواذ (ص: ٨٠)، وعنه وعن أبي وابن مسعود في تفسير الطبري (١٧/ ٤١٣)، وللباقين في البحر المحيط (٧/ ٣٣)، وانظر قول الضحاك في تفسير الطبري (١٧/ ٤١٤)، والهداية لمكي (٦/ ٤١٧١).

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، وإنما القراءة مَرْوِيَّةٌ بسند، وقد ذكر أبو حاتم عن ابن عباس مثل قول الضحاك[١]، وقال عن ميمون بن مهران: إنه قال: «إنَّ على قول ابن عباس لنوراً، قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الشورى: ٣١]»[٢].

ثم ضعَّف أبو حاتم أن يكون ابنُ عباس قال ذلك، وقال: لو قلنا هذا لطعن الزنادقة في مصحفنا[٣].

والضمير في ﴿تَعْبُدُوٓاْ﴾ لجميع الخلق، وعلى هذا التأويل مضى السلف والجمهور.

وسأل الحسنَ بن أبي الحسن رجلٌ فقال: إنه طلَّق امرأته ثلاثاً، فقال له الحسنُ: عصيت ربك وبانتْ منك امرأتك ثلاثاً، فقال له الرجل: قضى الله ذلك عليَّ، فقال له الحسن وكان فصيحاً: ما قَضَى اللَّهُ؛ أي: ما أمر الله، وقرأ هذه الآية، فقال الناسُ، تكلَّم الحسن في القَدَر[٤].

ويحتمل أن تكون ﴿قَضَىٰ﴾ على مشهورها في الكلام، ويكون الضمير في قوله: ﴿تَعْبُدُوٓاْ﴾ للمؤمنين من الناس إلى يوم القيامة، لكن على التأويل الأول يكون قوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ عطفاً على (أنْ) الأولى؛ أي: أمر الله ألَّا تعبدوا إلّا إياه، وأن تحسنوا بالوالدين إحساناً، وعلى هذا الاحتمال الذي ذكرناهُ يكون قوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ مقطوعاً من الأول، فإنه أخبرهم بقضاء الله، ثم أمرهم بالإحسان إلى الوالدين.

و﴿إِمَّا﴾ شَرْطِيَّةٌ.

---

(١) ضعيف جداً، أخرجه أحمد بن منيع في مسنده (٦/ ٢٢٩ ـ إتحاف) من طريق الفرات بن السائب، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، والفرات بن السائب متفق على تضعيفه.

(٢) انظر تفسير القرطبي (١٠/ ٢٣٧).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤١٣)، وتفسير السمعاني (٣/ ٢٣١)، ولفظة «ثلاثاً» الثانية زيادة من المطبوع.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: ﴿يَبۡلُغَنَّ﴾، ورُوي عن ابن ذكوان (يبلُغَنْ) بتحفيف النون.

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿يَبۡلُغَانِّ﴾، وهي قراءة أبي عبد الرحمن، ويحيى، وطلحة، والأعمش، والجحدري[١]، وهي النون الثقيلة دخلت مُؤَكِّدَة، وليست بنون تثنية، فعلى القراءتين الأُولَيَيْن يكون قوله: ﴿أَحَدُهُمَآ﴾ فاعلاً، وقوله: ﴿أَوۡ كِلَاهُمَا﴾ معطوفاً عليه، وعلى هذه القراءة الثالثة يكون قوله: ﴿أَحَدُهُمَآ﴾ بدلاً من الضمير في ﴿يَبۡلُغَانِّ﴾، وهو بدل مُقَسِّم كقول الشاعر:

وكُنْتُ كَذِي رِجلَيْنِ رِجْلٍ صَحِيحَة ... ورِجْلٍ رَمَى فيها الزَّمَانُ فَشَلَّتِ[٢] [الطويل]

ويجوز أن يكون ﴿أَحَدُهُمَآ﴾ فاعلاً، وقوله: ﴿أَوۡ كِلَاهُمَا﴾ عطف عليه، ويكون ذلك على لغة من قال: أكلوني البراغيثُ، وقد ذكر هذا في هذه الآية بعضُ النحويين، وسيبويه لا يرى لهذه اللغة مدخلاً في القرآن[٣].

وقرأ أبو عمرو: ﴿أُفِّ﴾ بكسر الفاء وترك التنوين، وهي قراءة حمزة، والكسائي، وعاصم في رواية أبي بكر.

وقرأ نافع، والحسن، والأعرج، وأبو جعفر، وشيبة، وعيسى: ﴿أُفٍّ﴾ بالكسر والتنوين.

وقرأ ابن كثير، وابن عامر: ﴿أُفَّ﴾ بفتح الفاءِ[٤].

---

(١) الأولى والثالثة سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٩)، والثانية ليست من الطرق، وتابعه عليها في البحر المحيط (٧/ ٣٥).

(٢) البيت لِكُثَيِّرِ عزَّة كما في مجاز القرآن (١/ ٨٧)، والجمل في النحو (ص: ٢٠٧)، والكتاب لسيبويه (١/ ٤٣٢)، وأمالي القالي (٢/ ١٠٨).

(٣) انظر كلامه على هذه اللغة في الكتاب (١/ ١٩).

(٤) هذه القراءات الثلاث سبعية كما في السبعة (ص: ٣٧٩)، عن عاصم، ومثله في التيسير (ص: ١٣٩)، وزادا مع نافع حفصاً.

وقرأ أبو السَّمَّال: (أُفُّ) بضم الفاء، وقرأ ابن عباس: (أُفْ) خفيفة، وهذا كله بناءٌ، إلَّا أن قراءة نافع تعطي التنكير[١]، كما تقول: إِيْهٍ، وفيها لغاتٌ لم يُقْرأْ بها:

(أُفٌّ) بالرفع والتنوين، على أن هارون حكاها قراءة[٢].

و«أُفّاً» بالنصب والتنوين، و«أُفِّيْ» بياءٍ بعد الكسرة، حكاها الأخفش الكبير[٣].

و«أُفَا» بأَلف بعد الفتحة، و«أُفّ» بسكون الفاء المشددة، و«أَفْ» مثل رَبْ.

ومن العرب من يُميل «أُفَا»، ومنهم من يزيد فيها هاءَ السَّكْت فيقول: «أُفَاهْ»[٤].

قال القاضي أبو محمد: ومعنى اللفظة أنها اسم فعل، كأَن الذي يريد أن يقول: أَضْجَرُ، أو: أَتَقَذَّرُ، أَو: أَكْرَهُ، أو نحوَ هذا، يُعبِّر إيجازاً بهذه اللفظة، فتعطي معنى الفعل المذكور، وجعل الله تعالى هذه اللفظة مثلاً لجميع ما يمكن أن يقابَل به الآباءُ مِمَّا يكرهون، فلم تُرَدْ هذه اللفظة في نفسها، وإنما هي مثالُ الأعظمِ منها والأقلِّ، فهذا هو مفهوم الخطاب الذي[٥] المسكوتُ عنه حكمُه حكمُ المذكور.

و«الانْتِهَارُ»: إظهار الغضب في الصوت واللفظ.

و«القولُ الكريم»: الجامعُ للمحاسن، من اللِّين، وجودة المعنى، وتَضَمُّن البر، وهذا كما تقول: ثوبٌ كريم، تريد أنه جَمُّ المحاسن.

و«الأُفُّ»: وسَخ الأظفار، فقالت فرقة: إن هذه اللفظة التي في هذه الآية مأْخوذة من ذلك.

---

(١) في الأصل ونور العثمانية: «التكثير».

(٢) وهي شاذة كالقراءتين قبلها، انظر قراءتي أبي السمال وابن عباس، وقول هارون في المحتسب (٢/ ١٨).

(٣) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٧٠).

(٤) انظر لغات (أف) في المحتسب (٢/ ١٨).

(٥) ليست في المطبوع.

وقال مجاهد في قوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾: معناه: إذا رأيت منهما في حال الشَّيخ[١] الغائط والبول الذي رأَياه منك في حال[٢] الصغر، فلا تَقْذرْهُمَا، ولا تقل: أُفٍّ[٣].

قال القاضي أبو محمد: الآية أعمُّ من هذا القول، وهو داخلٌ في جملة ما تقتضيه.

قال أبو الهدّاج التُّجِيبي[٤]: قلت لسعيد بن المسيب: كلُّ ما في القرآن من بِرِّ الوالدين قد عرفته إلَّا قوله: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، ما هذا القول الكريم؟ قال ابن المسيب: قولُ العبد المذنب للسيد الفَظِّ[٥].

وقوله: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ استعارة؛ أي: أقطعهما جانب الذل منك، ودمِّث[٦] لهما نفسك وخُلُقك.

وبُولغ بذكر الذُّلِّ هنا، ولم يذكر في قوله: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، وذلك بحسب عِظَم الحق هنا.

وقرأ الجمهور: ﴿ٱلذُّلِّ﴾ بضم الذال، وقرأ سعيد بن جبير، وابن عباس، وعروة ابن الزبير: (الذِّلِّ) بكسر الذال، ورويت عن عاصم بن أبي النُّجود[٧]، و«الذُّل في الدواب»: ضدُّ الصُّعوبة، ومنه: الجَمَلُ الذَّلُول، والمعنى يتقارب، وينبغي بحكم هذه الآية أن يجعل

(١) الشَّيْخُ: الشَّيْخُوخةُ، وهما مصدر «شَاخَ»: إذا أَسَنَّ وكبر.

(٢) من الأصل فقط.

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٤١٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٣٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ١٩).

(٤) في المطبوع: السَّرَّاج، وهو: سليمان بن الهداج، التجِيبي المصري، من الثالثة، وثقه ابن حبان. المعجم الصغير لرواة الطبري (٢/ ٧٦٢).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤١٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٤)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٩٣).

(٦) من أحمد٣ والحمزوية ونجيبويه، وفي المطبوع: «ودَيِّثْ»، وكتبت في الأصل: «وذمت»، وفي نور العثمانية: ومد.

(٧) وهي شاذة، نسبها في المحتسب (٢/ ١٨) لابن عباس وعروة، ونسبها لابن جبير في مختصر الشواذ (ص: ٨٠)، وزاد الجحدري وحماداً الأسدي عن أبي بكر رضي الله عنه، ونسبها الهذلي في الكامل (ص: ٥٨٧) لرواية الحكم بن ظهير عن عاصم، وزاد ابن أبي عبلة.

الإنسان نفْسه مع أبويه في حيِّز ذلَّةٍ في أقواله واستكانته[١] ونظره، ولا يُحِدُّ إليهما بصره، فإن تلك هي نظرة الغاضب، وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «أبعَدَه الله وأسحَقَه»، قالوا: مَن يا رسول الله؟ قال: «من أدرك أبويه أو أحدهما فلم يُغفَرْ له»[٢].

وقوله: ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾، ﴿مِنَ﴾ هنا لبيان الجنس؛ أي: إن هذا الخفض يكون من الرحمة المستكنَّة في النفس، لا بأن يكون ذلك استعمالاً، ويصح أن تكون لابتداء الغاية.

ثم أمر الله تعالى عباده بالتَّرَحُّم على آبائهم، وذكر مِنَّتهما على الإنسان في التربية؛ [٣/ ١٦٧] ليكون تذكُّر تلك الحالة / مما يزيد الإنسانَ إشفاقاً لهما، وحناناً عليهما، وهذا كله في الأبوين المؤمنين، وقد نهى القرآن عن الاستغفار للمشركين الأموات ولو كانوا أُولِي قُرْبى، وذُكر عن ابن عباس هنا لفظ النسخ[٣]، وليس هذا موضعَ نَسْخ.

وقوله: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾؛ أي: من اعتقاد الرحمة بهما، والحُنُوِّ عليهما، أو من غير ذلك، ويجعلون ظاهر بِرِّهِمَا رِياءً.

ثم وَعَدَ في آخر الآية بالغفران مع شرط الصلاح والأوبة [بعد الأوبة][٤] إلى طاعة الله.

واختلفت عبارة الناس في (الأَوَّابِين):

فقالت فرقة: هم المصحلون، وقال ابن عباس: هم المسبِّحون[٥]، وقال أيضاً: هم

(١) في المطبوع: «وسَكَنَاتِهِ».

(٢) ضعيف بهذا اللفظ، أخرجه ابن قانع في معجمه (ص: ٧) من طريق زرارة بن أوفى، عن أبي مالك، عن النبي ﷺ، مرفوعاً به. وزرارة بن أوفى كثيراً ما يرسل عن الصحابة، ولم أجد من أثبت سماعه من أبي مالك، وقد رواه مسلم في صحيحه (٢٥٥١) بلفظ: «رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة».

(٣) منقطع، أخرجه الطبري (١٧/ ٤٢١) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس، ولم يلقه.

(٤) ليس في المطبوع.

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٤٢٢) من طريق أبي كدينة، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به، وعطاء هو ابن السائب، كان قد اختلط، والراوي عنه هو يحيى بن المهلب، أبو كدينة، =

المطيعون والمحسنون[١]، وقال ابن المنكدر: هم الذين يصلُّون بين المغرب والعشاء[٢]، وذلك أن رسول الله ﷺ سئل عن الصلاة في ذلك الوقت فقال: «تلك صلاة الأَوَّابين»[٣]، وقيل غير ذلك من المستغفرين ونحوه، قال عَوْن العَقِيليُّ: هم الذين يصلون صلاة الضحى[٤].

وحقيقة اللفظة أنها من: آبَ يَؤُوبُ إذا رَجَع، وهؤلاء كلهم لهم رجوع أبداً[٥] إلى طاعة الله تعالى، ولكنها لفظة لزم عرفها أهل الصلاح، قال ابن المسيب: هو العبد يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب[٦].

وفسَّر الجمهور «الأَوَّابين» بالرجَّاعين إلى الخير.

وقال ابن جبير: أراد بقوله: (غَفُوراً للأَوَّابِين) الزَّلَّة والفَلْتَة تكون من الرجل لأحد أبويه، وهو لم يُصِرَّ عليها بقلبه، ولا علمها اللَّهُ من نفسه[٧].

وقالت فرقة: «خَفْضُ الجناح» هو ألَّا يمتنع من شيءٍ يريدانه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾.

= ولم يذكر فيمن سمع منه قبل الاختلاط.

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٢٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٢٣)، وتفسير السمعاني (٣/ ٢٣٤).

(٣) ضعيف، أخرجه ابن عدي في كامله (٢/ ٢٠) من طريق بشير بن زاذان، عن عمر بن صبيح، عن نافع، عن ابن عمر، مرفوعاً به، وبشير بن زاذان هذا متفق على تضعيفه، ولما ترجم له ابن عدي في كامله (٢/ ٢٠) أورد حديثه هذا في مناكيره.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٢٣)، وتفسير السمعاني (٣/ ٢٣٤).

(٥) ليست في المطبوع.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٢٣).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٢٤) فقد ذكر عنه قال: «الراجعين إلى الخير».

اختلف المتأولون في ذي القُرْبَى:

فقال الجمهور: الآية وصيَّةٌ للناس كلهم بصلة قرابتهم، خوطب بذلك النبي ﷺ والمراد الأُمة، و(الْحَقُّ) في هذه الآية: ما يتعيَّن له من صلة الرَّحِم، وسَدِّ الخَلَّة، والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه، قال بنحو هذا الحسنُ، وعكرمة، وابن عباس(١)، وغيرهم.

وقال عليُّ بن الحسين في هذه: هم قرابة النبي ﷺ، أُمر رسول الله ﷺ بإعطائهم حقوقهم من بيت المال(٢)، والقول الأول أبين، ويعضده العطف بالمسكين وابن السبيل.

و(ابْنُ السَّبيل) هنا يعم الغني والفقير؛ إذْ لكل واحد منهما حق وإن اختلفا، وابنُ السبيل في آية الصدقة أخصُّ.

و«التَّبْذِيرُ»: إنفاق المال في إفساد، أو في سرف في مباح، وهو من البذر، ويحتمل قوله: ﴿ٱلْمُبَذِّرِينَ﴾ أن يكون اسم جنس، ويحتمل أن يعني أهل مكة مُعَيَّنين، وذكره النقاش(٣).

وقوله: ﴿إِخْوَٰنَ﴾ يعني: في حكمهم؛ إذ المبذِّر ساعٍ في فسادٍ، والشيطان أبداً ساعٍ في فسادٍ، والإخوان: جمع أخٍ من غير النسب، وقد يشذُّ، ومنه قوله تعالى في سورة النور: ﴿إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، والإِخْوَةُ: جمع أخٍ في النسب، وقد يشذُّ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥١)، وفي تاريخه الكبير (١/ ٢٣٦) من طريق محمد بن أبي موسى، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به. ومحمد بن أبي موسى هذا أورده الذهبي في الميزان (٤/ ٥٠) وقال: لا يعرف.

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (١٧/ ٤٢٦)، والهداية لمكي (٦/ ٤١٨٢).

(٣) لم أقف عليه.

وقرأ الحسن، والضحاك: (إخوانَ الشَّيْطانِ) على الإفراد، وكذلك ثبت في مصحف أنس بن مالك[١].

ثم ذكر تعالى كُفْر الشيطان؛ ليقع التحذير من التَّشَبُّه به في الإفساد مستوعباً بَيِّناً.

وقوله: ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ﴾ الآية؛ الضمير في ﴿عَنۡهُمُ﴾ عائد على مَن تقدم ذكره من المساكين وبني السبيل، فأمر الله تعالى نبيَّه ﷺ في هذه الآية إذا سأله منهم أحدٌ فلم يجد عنده ما يعطيه، فقابله رسولُ الله ﷺ بالإعراض تأَدُّباً منه في أن يردَّه تصريحاً، وانتظاراً لرزق من الله تعالى يأتي فيُعطي منه أن يكون يُؤنسه بالقول الميسور، وهو الذي فيه الترجية بفضل الله، والتأنيس بالميعاد الحسن، والدعاءُ في توسعة الله وعطائه.

ورُوي: أنه ﷺ كان يقول بعد نزول هذه الآية إذا لم يكن عنده ما يُعطي: «يرزقنا الله وإياكم من فضله»[٢]، فالرَّحمة على هذا التأويل: الرزقُ المنتظَرُ، وهذا قول ابن عباس[٣]، ومجاهد، وعكرمة.

وقال ابن زيد: الرَّحمة: الأجر والثواب[٤]، وإنما نزلت الآية في قومٍ[٥] كانوا يسألون رسول الله ﷺ فيأبى أن يعطيهم؛ لأنه كان يعلم منهم نفقة المال في فساد، فكان يعرض عنهم رغبة الأجر في منعهم؛ لئلا يعينَهم على فسادهم، فأمره الله تعالى بأن يقول لهم قولاً ميسوراً يتضمن الدعاء في الفتح لهم والإصلاح[٦].

---

(١) فهي شاذة، نسبها للحسن في مختصر الشواذ (ص: ٨٠)، والكامل للهذلي (ص: ٥٨٧)، وللكل في البحر المحيط (٧/ ٣٥).

(٢) لم أقف عليه مسنداً.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٤٣١) من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس، ولم يسمع منه، ولا من أحد من الصحابة.

(٤) انظر القولين في تفسير الطبري (١٧/ ٤٣١، ٤٣٢)، وانظر: الهداية لمكي (٦/ ٤١٨٥).

(٥) في الأصل: «يوم».

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٣٢) بإسناد صحيح إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، من قوله.

وقال بعض أهل التأويل الأول: نزلت الآية في عمّار بن ياسر وصنفه[١].

و«المَيْسُورُ»: مفعولٌ من لفظة اليُسْرِ، تقول: يَسَّرْتُ لك كذا: إذا أعدَدْتَه.

وقوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ ﴾ الآية؛ رُوي عن قالون: (كلَّ البَصْطِ) بالصاد، ورواه الأعشى عن أبي بكر[٢].

واستعير لليد المقبوضة جملةً عن الإنفاق المتَّصِفَةِ بالبخل الغَلُّ إلى العنق، واستعير لليد التي تستنفد جميع ما عندها غايةُ البسط، ضد الغَلِّ، وكل هذا في إنفاق الخير، وأما إنفاق الفساد فقليله وكثيره حرام.

وهذه الآية ينظر إليها قول النبي ﷺ: «مَثَل البخيل والمتصدق...» الحديث بكماله[٣].

والملامة هنا لاحقة ممن يطلب من المستحقين فلا يجد ما يُعطى.

و«المَحْسُورُ»: الـمُنفَه[٤] الذي قد استنفدت[٥] قُوَّتُه، تقول: حَسَـرْتُ البعير: إذا أَتْعَبْتَهُ حتَّى لم تبق له قوة، فهو حسير، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] لَهُنَّ الْوَجَالِمْ كُنَّ عَوْناً على السُّرَى ولا زَال مِنْهَـا ظَالِـعٌ وَحَسِـيرٌ[٦]

ومنه: البصر الحسير، وهو الكالُّ.

---

(١) لم أقف عليه مسنداً.

(٢) ليست من التيسير، بل هي رواية أحمد بن صالح عن قالون، والشموني عن الأعشى عن شعبة كما في جامع البيان (٣/ ١٠٢٤)، وفي المطبوع والإماراتية ونجيبويه: «الأعمش»، بدل «الأعشى».

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٣٧٥)، ومسلم (١٠٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٤) في المطبوع: «المقعد»، وفي نجيبويه: «المنفد».

(٥) في المطبوع: «استُنْفِذت»، وفي فيض الله: «استنفرت».

(٦) البيت بلا نسبة في الكامل للمبرد (٢/ ٢١٢).

وقال ابن جريج وغيره في معنى هذه الآية: لا تُمْسك عن النفقة فيما أمرتك به من الحق، ولا / تبسطها كلَّ البسط فيما نهيتك عنه، وقال قتادة: التبذيرُ: النَّـفَقَةُ في معصية الله[١]، وقال مجاهد: لو أنفق الإنسانُ ماله كلَّه في حق لم يكن تبذيراً، ولو أنفق مُدّاً في باطل كان تبذيراً[٢]. [٣/ ١٦٨]

قال القاضي أبو محمد: وهذا فيه نظر، ولا بعض[٣] البَسْط معنى لم يُبح فيما نهي عنه، ولا يقال في المعصية: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ﴾، وإنما يُقَال: ولا تُنفق ولو باقتصادٍ وقَوام، ولله درُّ ابن عباس، وابن مسعود فإنَّهما قَالا: التبذير: الإنفاق في غير حق[٤]، فهذه عبارة تَعُمُّ المعصية والسَّرف في المباح، وإنما نهت[٥] هذه الآية عن استفراغ الجهد فيما يطرأُ أولاً من سؤال المؤمنين؛ لِئَلَّا يبقى من يأْتي بعد ذلك لا شيءَ له، أو لِئَلَّا يُضَيِّع المنفقُ عيالاً، ونحوُه من كلام الحكمة: ما رأَيتُ قطُّ سَرَفاً إلَّا ومعه حقٌّ مضيَّع[٦].

وهذه من آيات فقه الحال، ولا يبين حكمها إلَّا باعتبار شخص شخص[٧] من الناس.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ﴾ المعنى: كن أنت يا محمد على ما رسم لك من الاقتصاد وإنفاق القَوام، ولا يهمنك فقر مَن تراه كذلك، فإنه بِمَرْأىً من الله ومَسْمَع، وبمشيئة.

﴿وَيَقْدِرُ﴾ معناه: ويُضَيِّق.

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (١٧/ ٤٣٥)، والهداية لمكي (٦/ ٤١٨٦).

(٢) انظره في تفسير الطبري (١٧/ ٤٢٩)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٩٦).

(٣) في المطبوع: «يُعطي».

(٤) أثر ابن مسعود أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤٤٤)، والطبري (١٧/ ٤٢٨) من طرق صحيحة، عن أبي العبيدين، عن ابن مسعود رضي الله عنه، به. وأبو العبيدين، هو معاوية بن سمرة، ثقة، انظر: تهذيب الكمال (٢٨/ ١٧٣)، وأما أثر ابن عباس رضي الله عنه، فأخرجه الطبري (١٧/ ٤٢٩) بإسناد فيه الحسين بن داود، سنيد، وهو ضعيف الحديث، انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٢٣٦).

(٥) في المطبوع والإماراتية: «نبَّهَت».

(٦) تفسير القرطبي (١٠/ ٢٥١).

(٧) «شخص» الثانية ليست في المطبوع.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾؛ أيْ: يعلم مصلحة قوم في الفقر، ويعلم[(١)] مصلحة آخرين في الغنى.

وقال بعض المفسرين ـ وحكاه الطبري ـ: إن الآية إشارة إلى حال العرب التي كانت يُصلحها الفقر، وكانت إذا شبعت طغت وقتلت غيرها وأَغارتْ، وإذا كان الجوع والقحط شغلهم[(٢)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾.

قرأ الأعمش، وابن وثاب: (ولا تُقَتِّلُوا) بتضعيف الفعل[(٣)].

وهذه الآية نهيٌ عن الوَأْد الذي كانت العرب تفعل، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير: ٨]، ويقال: كان جهلهم يبلغ إلى أن يغذو[(٤)] واحدٌ منهم كلبه ويقتل ولده، و﴿خَشْيَةَ﴾ نصب على المفعول من أجله، و«الإِمْـلَاقُ»: الفقر وعدم الملك[(٥)]، أَمْلَقَ الرجلُ: لم يبق له إلَّا الـمَلَقَاتُ، وهي الحجارة العظام المُلْس السُّودُ.

وقرأ الجمهور: ﴿خِطْـًٔا﴾ بكسر الخاء وسكون الطاء، وبالهمز والقصر، وقرأ ابن عامر: ﴿خَطَأً﴾ بفتح الخاء والطاء والهمزة مقصورة، وهي قراءة أبي جعفر[(٦)]،

---

(١) «يعلم» من المطبوع ونجيبويه.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٣٥ و٤٣٦)، فقد ذكره من قول ابن زيد.

(٣) وهي شاذة، انظرها في البحر المحيط (٧/ ٤٣٩).

(٤) في المطبوع: «يعزّ».

(٥) في المطبوع ونجيبويه: «المال».

(٦) وهما سبعيتان، وكذلك قراءة ابن كثير الآتية، انظر: التيسير (ص: ١٣٩)، والسبعة (ص: ٣٨٠)، والنشر (٢/ ٣٠٧).

وهاتان قراءتان مأخوذتان من: خَطِئَ إذا أتى الذنبَ على عمد، فهي: كحِذْر وحَذَر، ومِثْل ومَثَل، وشِبْه وَشَبَه اسم ومصدر، ومنه قول الشاعر:

الـخِـطْءُ فَـاحِـشَـةٌ والبِرُّ نَـافِـلَـةٌ كَعَجْوَةٍ غُرِسَتْ في الأَرْضِ تُؤْتَبَـرُ[١] [البسيط]

قال الزجاج: يقال خَطِئ الرجلُ يَخْطَأُ خِطْئاً، مثل: أَثِمَ يَأْثَمُ إثْماً، فهذا هو المصدر، وخَطَأٌ اسمٌ منه[٢].

وقال بعض العلماء: خَطِئ معناه: واقعَ الذنبَ عامداً[٣]، [ومنه قوله تعالى: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَـٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة: ٧٣]][٤]، وأخطأ: إذا واقع الذنبَ عن غير تعمُّد، ومنه قوله تعالى: ﴿إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال أبو علي الفارسي: قد يقع هذا موضع هذا، وهذا موضع هذا، فأخطأ بمعنى: تعمَّد في قول الشاعر:

عِبَـادُكَ يُـخْـطِـئُـونَ وَأَنْـتَ رَبٌّ كَـرِيـمٌ لا يَـلِيـقُ بِـكَ الـذُّمُـومُ[٥] [الوافر]

وخطئ بمعنى لم يتعمد في قول الآخر:

والنَّـاسُ يَلْحُـوْنَ الأَمِيـرَ إذا هُـمُ خَطِئُوا الصَّوَابَ وَلا يُلامُ الـمُرْشِـدُ[٦] [الكامل]

وقد رُوي عن ابن عامر[٧]: (خَطْأً) بفتح الخاء وسكون الطاء وهمزة.

وقرأ ابن كثير: ﴿خِطَاءً﴾ بكسر الخاء وفتح الطاء ومدِّ الهمزة، وهي قراءة الأعرج

---

(١) بلا نسبة في تفسير الطبري (١٧/ ٤٣٧).
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٣٦).
(٣) في المطبوع: «مع التعمد».
(٤) ما بين القوسين ليس في المطبوع، وليس في نور العثمانية إلى: «قوله تعالى».
(٥) البيت لأمية بن أبي الصلت كما في تفسير الطبري (١٦/ ٦١)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ٢٠٢)، والمحتسب (٢/ ٢٠).
(٦) البيت لعبيد بن الأبرص كما في المحتسب (٢/ ٢٠)، وانظر الحجة للفارسي (٥/ ٩٧).
(٧) في المطبوع: ابن عباس رضي الله عنه، وليست من طرق التيسير، وقد نقلها عنه في المحتسب (٢/ ١٩).

بخلاف وطلحة، وشبل، والأعمش، وعيسى، وخالد بن إلياس، وقتادة، والحسن بخلاف عنه[١].

قال النحاس: ولا أعرف لهذه القراءة وجهاً[٢]، وكذلك جعلها أبو حاتم غَلَطاً[٣].

قال أبو علي الفارسي: هي مصدر خاطأ يخاطئ، وإن كنَّا لم نجد خاطَأ، ولكنا وجدنا تخاطأ، وهو مضارع خاطأ، فَدَلَّنا عليه، ومنه قول الشاعر:

[المتقارب] تَـخَـطـأَتِ الـنَّـبْـلُ أَحْـشَـاءَهُ وَوخَّـرَ يَـوْمِـي فَلَمْ أَعْـجَـلِ[٤]

وقال الآخر في صفة كمأة:

[الطويل] تَـخَاطَأَهُ الْـقَـنَّـاصُ حَـتَّى وَجَـدْتُهُ وَخُرطُومُهُ في مِنْقَعِ الْـمَاءِ رَاسِبُ[٥]

فكأن هؤلاء الذين يقتلون أولادهم يخاطئون الحق والعدل[٦].

وقرأ الحسن فيما رُوي عنه: (خَطَاءً) بفتح الخاء والطاء والمدِّ في الهمزة.

قال أبو حاتم: لا يُعْرفُ هذا في اللغة، وهي غلط غير جائز، وليس كما قال أبو حاتم، قال أبو الفتح: الخَطَاءُ من «أَخْطَأْتُ» بمنزلة العَطَاءِ من أعطَيتُ، هو اسمٌ بمعنى المصدر[٧].

---

(١) تقدم أنها سبعية.

(٢) لفظه في معاني القرآن (٤/ ١٤٨): فأما من قرأ كان (خطاءً) بالكسر والمد، والفتح والمد فلا يعرف في اللغة، ولا في كلام العرب.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) هذا بيت قاله أَوْفَى بن مَطَر المازني كما في سمط اللآلي في شرح أمالي القالي (١/ ٤٦٥)، وفي المطبوع: «وأَخَّر».

(٥) أنشده مع بيت آخر قبله في الحجة (٥/ ٧٩) عن محمد بن السري، وفي محاضرات الأدباء (٢/ ٦١٢) أنه لرجل من بني بكر.

(٦) الحجة للفارسي (٥/ ٧٩).

(٧) والقراءة شاذة، انظرها مع تضعيف أبي حاتم، ورد ابن جني عليه في المحتسب (٢/ ١٩).

وقرأ الحسن بخلاف: (خَطاً) بفتح الخاء والطاءِ مُنَوَّنةً من غير همْز، وقرأ أبو رجاءٍ، والزهري: (خِطاً) بكسر الخاءِ وفتح الطاءِ كالتي قبلها[١]، وهاتان مخففتان من: خَطَأٍ وخِطأٍ.

وقوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ تحريم، والزنى يُمَدُّ ويُقصر، فمِنْ قصْرِهِ الآية، وهي لغة جميع كتاب الله، ومِنْ مَدِّه قول الفرزدق:

أَبَا حَازِمٍ مَنْ يَزْنِ يُعْرَفْ زِنَاؤُهُ   وَمَنْ يَشْرَبِ الْخُرْطُومَ يُصْبِحْ مُسَكَّرَا[٢]   [الطويل]

ويُرْوى: أبا خالد.

و«الفَاحشة»: ما يُستتر به من المعاصي لقبحه.

و﴿سَبِيلًا ﴾ نصب على التميز، والتقدير: وسَاءَ سبيلُه سبيلاً؛ أي: لأنه يؤدي إلى النار.

وقوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ﴾ وما تقدم قبله من الأفعال جزم بالنهي.

وذهب الطبري إلى أنها عطف على قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ ﴾[٣]، والأول أصوب، وأبرع للمعنى.

والألف واللام التي في ﴿ٱلنَّفْسَ ﴾ هي للجنس، و(الحَقّ) الذي تقتل به النفس هو ما فسَّره النبي ﷺ في قوله: «لا يُحِلُّ دمَ المسلم إلَّا إحدى ثلاث خصال: كفرٌ بعد إيمان، أو زِنىً بعد إحصان، أو قتلُ نفسٍ أُخرى»[٤].

وتتصل بهذه أشياءُ هي / راجعة إليها، فمنها قَطْعُ الطريق؛ لأنه في معنى قتل [٣/ ١٦٩]

---

(١) وهما شاذتان، انظر عزوهما لهم في المحتسب (٢/ ٢٠).

(٢) عزاه له في مجاز القرآن (١/ ٣٧٧)، والصحاح (٢/ ٦٨٨)، والمقاييس (٣/ ٢٦)، بلفظ: «أبا حاضر»، وفي المخصص (٥/ ١٥): «خالد».

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٣٦).

(٤) أخرجه مسلم (١٦٧٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، مرفوعاً بنحوه، وفي أحمد٣: «بغير حق».

النفس، وهي الحِرَابَة[١]، ومن ذلك الزندقة[٢]، ومسألة ترك الصلاة لأنها في معنى الكفر بعد الإيمان[٣]، ومنه قَتْلُ أبي بكر رضي الله عنه مَنَعَةَ الزكاة[٤]، وقتلُ مَن امتنع في المدن من فروض الكفاية[٥].

وقوله: ﴿مَظْلُومًا﴾ نصب على الحال، ومعناه: بغير هذه الوجوه المذكورة.

و«الْوَلِيُّ»: القائم بالدَّم وهو من وَلَدَ المَيِّتَ، أَوْ وَلَدَهُ الْمَيِّتُ، أَوْ جَمَعَهُ وإياه أبٌ، ولا مدخل للنساءِ في ولاية الدم عند جماعة من العلماء[٦]، ولـهُنَّ ذلك عند أخرى[٧].

و«السُّلْطَانُ»: الحجة، والملك الذي جعل الله إليه من التَّخيير في قبول الديَة أو العفو، قاله ابن عباس[٨] والضحاك، وقال قتادة: السلطانُ: القود[٩].

وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم: ﴿فَلَا يُسْرِف﴾ بالياء، وهي قراءة الجمهور؛ أي الوليُّ لا يتعدَّ أمرَ الله، والتَّعدِّي هو أن يقتل غير قاتل وَلِيِّه من سائر القبيل، أو يقتل اثنين بواحد، وغير ذلك من وجوه التعدي، وهذا كله كانت العرب تفعله، فلذلك

---

(١) انظر الإجماع على ذلك في: الإقناع (٤/ ١٩١٨-١٩١٩).

(٢) انظر الإجماع على ذلك في: الإقناع (٤/ ١٩٣١).

(٣) هذا إذا تركها جاحداً لها اتفاقاً، وكذا إذا تركها كسلًا أو تهاوناً عند الأئمة الثلاثة، وقال أبو حنيفة والزهري وجماعة: يحبس ويضرب حتى يصلي، انظر المغني لابن قدامة (٢/ ١٥٦)، وبداية المجتهد (١/ ٩٠)، ومنهاج الطالبين (٣/ ١٦-١٧)، وحاشية ابن عابدين (١/ ٢٤٨).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٨٥٥) ومسلم (٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) انظر في ذلك: حاشية الدسوقي (١/ ٣١٩)، والمغني (٢/ ١١١)، وفتح الباري لابن حجر (٢/ ١٢٦).

(٦) وهو قول مالك وأصحابه، وربيعة والليث والأوزاعي، انظر: الكافي (٢/ ١١٠١)، والأوسط (١٣/ ١١٥).

(٧) وهو قول الشافعي وأحمد والثوري وجماعة، وروي عن مالك، انظر: الأم (٦/ ٢٢)، والإنصاف (٩/ ٤٨١)، والأوسط (١٣/ ١١٤).

(٨) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٤٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٩) انظر قول قتادة والضحاك في تفسير الطبري (١٧/ ٤٤٠)، وتفسير السمعاني (٣/ ٢٣٨).

وقع التحذير منه، وقال رسول الله ﷺ: «إنَّ من أَعْتَى[(١)] الناس [على الله][(٢)] ثلاثة: رجل قتل غير قاتل وليّه، أو قتل بذَحْل[(٣)] الجاهلية، أو قتل في حَرَم الله»[(٤)].

وقالت فرقة: المراد بقوله: ﴿فَلَا يُسْرِف﴾ القاتلُ الذي يتضمنه الكلام، والمعنى: فلا يكن أحد من المسرفين بأن يقتل نفساً، فإنه يحصل في ثقاف[(٥)] هذا الحكم.

وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿فلا تُسْرِفْ في القَتلِ﴾ بالتاء من فوق، وهي قراءة حذيفة، ويحيى بن وثاب، ومجاهد بخلاف، والأعمش، وجماعة[(٦)].

قال الطبريُّ: على معنى الخطاب للنبي ﷺ والأئمة[(٧)] بعده؛ أي: فلا تقتلوا غيرَ القاتلِ[(٨)].

قال القاضي أبو محمد: يصحُّ أن يراد به الوليُّ؛ أي: فلا تسرف أيها الوليُّ في قتل أحد يتحصل في هذا الحكم[(٩)].

---

(١) في أحمد٣: «أجرأ» مع الإشارة إلى النسخة الأخرى، وفي فيض الله: «أغنى الناس عن الله».
(٢) ليست في المطبوع.
(٣) في المطبوع: «بدخن»، قال في الحاشية: «والدخن الفساد»، والصواب: «الذحل»، وهو الثأر والعداوة.
(٤) مختلف في الاحتجاج بإسناده، أخرجه الإمام أحمد (١١/ ٢٦٤، ٣٧٠) من طريقين صحيحين، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، مرفوعاً به. ونسخة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مختلف في الاحتجاج بها.
(٥) في المطبوع: «سياق».
(٦) انظر: التيسير (ص: ١٤٠)، والنشر (٢/ ٣٠٧)، إلا أن قراءة ابن عامر بالتاء ليست في شيء من طرقهم، وأشار في البحر المحيط (٧/ ٤٥) إلى أن نسبتها لابن عامر في نسخة من ابن عطية ووهَّمها، ولعله لم يقف على نقل ابن مجاهد لها عنه في السبعة وجهاً واحداً (ص: ٣٨٠)، وتابعه أبو علي في الحجة (٥/ ٩٩)، والأزهري في معاني القراءات (٢/ ٩٤)، وهي رواية التغلبي عن ابن ذكوان عنه كما في جامع البيان (٣/ ١٢٨٤) والكامل للهذلي (ص: ٥٨٧)، والنقاش عن ابن ذكوان كما في تفسير النيسابوري (٤/ ٣٣٧).
(٧) في المطبوع: «ولأمته».
(٨) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٤١) وليس هذا قول الطبري، بل حكاه فيها أحد ثلاثة أقوال، انظرها فيه.
(٩) هذا مما حكاه الطبري في التفسير (١٧/ ٤٤١)، وجعله من الأوجه الصحيحة للآية.

وقرأ أبو مسلم السَّراج صاحب الدعوة العباسية[١]: (فلا يُسـرِفُ) بالياء [وضم الفاء][٢] على معنى الخبر، لا على معنى النهي، والمراد على هذا التأْويل: الوليُّ فقط، وفي الاحتجاج بأبي مسلم في القراءة نظر[٣].

وفي قراءة أُبي بن كعب: (فلا تُسرفوا في القتْل إنَّ وليَّ المقتول كان منصوراً)[٤].

والضمير في قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ عائد على الوليِّ، وقيل: على المقتول، وهو عندي أرجح الأقوال؛ لأنه المظلوم، ولفظة النصر تقابل أبداً الظلم، كقوله ﷺ: «وَنَصْرِ المظلومِ، وإبْرَار القَسَمِ»[٥]، وكقوله ﷺ: «انصُـرْ أخاك ظالماً، أو مظلوماً»[٦]، إلى كثير من الأمثلة. وقيل: على القتل.

وقال أبو عبيد[٧]: على القاتل؛ لأنه إذا قُتِلَ في الدنيا، وخلص بذلك من عذاب الآخرة فقد نُصر[٨]، وهذا ضعيف بعيد المقصد.

وقال الضحاك: هذه أول ما نزل من القرآن بشأن القتل، وهي مكِّـيَّة[٩].

---

(١) هو أبو مسلم الخراساني، عبد الرحمن بن مسلم، كان فصيحاً بالعربية والفارسية، وفارساً، داهية، حازماً، وهو صاحب الفضل في قيام الدولة العباسية، قتله المنصور سنة (١٣٧هـ)، تاريخ الإسلام (٨/ ٥٨١)، قال في حاشية المطبوع: وفي هامش النسخة التونسية بالخط الكبير أَمَامَ قوله: أبو مسلم السَّراج عنوان كبير يقول: أبو مسلم الخراساني، وقال الزمخشري: «أبو مسلم صاحب الدولة».

(٢) ليست في الأصل، وأثبتت من النسخ الأخرى، وعكسها بالياء.

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في المحتسب (٢/ ٢٠)، والكشاف للزمخشري (٢/ ٦٦٤).

(٤) وهي شاذة، انظر الهداية لمكي (٦/ ٤٢٠١)، والكشاف للزمخشري (٢/ ٦٦٥)، الحجة لابن خالويه (ص: ٢١٧).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (١١٨٢)، ومسلم (٢٠٦٦) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٦) أخرجه البخاري (٢٣١٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٧) في المطبوع: «عبدة»، وفي نجيبويه وفيض الله والإماراتية ونور العثمانية: «عبيدة».

(٨) مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٤٣١)، وفيه: «أبو عبيد».

(٩) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٤٢)، تفسير الثعلبي (٦/ ٩٧).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾.

الخطاب في هذه الآية للأوصياء الذين هم مُعَدُّونَ لقُرْبِ مال اليتامى، ثم هي لمن تَلَبَّسَ بشيءٍ من أمْرهم من غير وصيٍّ.

و﴿ٱلْيَتِيمِ﴾: الفَرْدُ من الأبناء، و«اليُتْمُ»: الانفراد، يقال: يتَمَ الصبيُّ يَيْتَم: إذا فقد أباه، وقال ابن السكيت: اليُتْمُ في البشر من قِبَل الأب، وفي البهائم من قِبَل الأُم، وفي كتاب الماوردي: إنَّ اليُتْمَ في البشر من قِبَل الأُم أيضاً[1]، وجمعه: أَيْتام، كشَـرِيف وأَشْراف، وشَهِيد وأَشْهاد، ويُجمع يَتَامَى كأَسِير وأَسَارَى، كأَنها من الأمور المكروهة التي تدخل على المرء غلبة، قال ابن سيده: وحكى ابن الأعرابي: يَتْمَان في يتيم[2]، وأنشد في ذلك:

فَبِـتُّ أُشَـوِّي صِبْيَتِـي وَحَلِيلَتِـي طَرِيّاً وجرْوُ الذِّئْبِ يَتْمَانُ جَائِعُ[3] [الطويل]

ويجوز أن يكون يَتَامَى جمعَ يَتْمان، وفي الحديث: «لا يُتْمَ بعدَ حُلُمٍ»[4].

---

(١) تقدم التعليق عليه، ومثله عنه في تفسير ابن كثير (١/ ٣١٧)، وتفسير القرطبي (٢/ ١٤).
(٢) المحكم لابن سيده (٩/ ٥٢٩).
(٣) البيت لأبي العارم الكلابي، كما في المحكم (٩/ ٥٢٩)، و(أُشَوِّي): أُطعم الشِّواء، و(جَرْوُ الذئب): صغيره.
(٤) ضعيف جداً، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٣٩) من طريق جويبر، عن الضحاك، عن النزال ابن سبرة، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مرفوعاً به. وجويبر هو ابن سعيد الأزدي، متروك الحديث، وقد استنكر علي بن المديني، وغيره حديثه هذا عليه، انظر: تهذيب الكمال (٥/ ١٦٧)، وأخرجه ابن عدي (٢/ ٤٤٧) من طريق حرام بن عثمان، عن عبد الرحمن ومحمد وأبي عتيق، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، مرفوعاً به. وحرام هذا متروك الحديث، انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٤٦٨).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ﴾ يريد: إلَّا بأحسن الحالات.

قال القاضي أبو محمد: وذلك في الوصيِّ الغنِيِّ، أن يُثَمِّر المال ويحوطه، ولا يمس[١] منه شيئاً على جهة الانتفاع به، هذا هو [الورع والأولى، إلا أن يكون يشتغل في مال اليتيم ويشحُّ، فله بالفقه][٢] أن تُفرَض له أُجرةٌ[٣].

وأمَّا الوصي الفقير الذي يشغله مال اليتيم عن معاشه، فاختلف الناسُ في أكله منه بالمعروف، كيف هو؟:

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يتسَلَّف منه، فإذا أَيْسَرَ ردَّ فيه[٤].

وقال ابن المسيَّب: لا يشرب الماء من مال اليتيم، قيل: فما معنى: ﴿فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾[النساء: ٦]، قال: إنما ذلك لخدمته، وغسل ثوبه[٥].

وقال مجاهد: لا يَقْرَبُ إلا بتجارة، ولا يستقرض منه[٦]، قال: وقوله تعالى: ﴿فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ معناه: من مال نفسه، وقال أبو يوسف: لعلَّ قوله: ﴿فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾منسوخٌ بقوله: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨][٧].

وقال ابن عباس: يأكل منه الشَّرْبَة من اللَّبن، والطُّرْفة من الفاكهة، ونحو هذا مما

---

(١) في المطبوع: «يحبس».

(٢) في المطبوع بدلًا منه: «الورع، والأولى ألا يكون يشتغل في مال اليتيم ويشح عليه فالفقه إلخ».

(٣) نقل ابن رشد هذا القول في البيان والتحصيل (١٢/ ٤٥٧) بصيغة التمريض دون أن ينسبه لقائل معين.

(٤) في إسناده مقال، الأثر أخرجه الطبري (٧/ ٥٨٢)، وابن المنذر (٢/ ٥٧٤) في تفسيرهما من طريق أبي إسحاق السَّبِيعي، عن حارثة بن مضرب، عن عمر رضي الله عنه، به. وأبو إسحاق قد عنعنه، ولا يعرف سماع حارثة من عمر، وانظر: الأوسط (٨/ ١٦٩).

(٥) انظر قول ابن المسيب في تفسير السمعاني (٣/ ٢٤٠)، وليس فيه ذكر السؤال وجوابه.

(٦) انظر قول مجاهد في تفسير القرطبي (٥/ ٤٢).

(٧) انظر قول أبي يوسف في أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٣٥٩-٣٦٠).

يخدمه، ويلطُّ[١] الحوض، ويجُذُّ النَّخْل، ويَنْشُد الضَّالَّة، فيأكل غير مُضرٍّ بِنَسْل، ولا ناهِك في الحلب[٢].

وقال زيد بن أسلم: يأكل منه بأطراف أصابعه بُلْغَةً من العيش بتَعَبِهِ[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذه استعارة للتَّقَلُّل، وقال مالك رحمه الله، وغيره: يأخذ منه أجرة بقدر تعبه[٤]، فهذه كلُّها تدخل فيما هو أَحْسَن.

وكمال تفسير هذه المعاني في سورة النساء بحسب ألفاظ تلك الآيات، وفي الخبر عن قتادة: أن هذه الآية لما نزلت شَقَّت على المسلمين، وتجنبوا الأكل معهم في صحفة ونحوه[٥]، فنزلت: / ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠][٦].

وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ غايةُ الإمساك عن مال اليتيم، ثم ما[٧] بعد الغاية قد بينته[٨] آية أُخرى، وما بعد هذه الغايات أبداً موقوف حتى يقوم فيه دليل شرعي، أو يقتضي ذلك الإنصاف في النازلة.

ومثل هذا قول عائشة رضي الله عنها: أنا فَـتَلْتُ قلائدَ هَدْي رسول الله ﷺ بيدي، وبعثت بها، فلم يحرم على رسول الله ﷺ شيءٌ أحلَّه اللهُ له حتَّى نحرَ الهَدْيَ[٩].

---

(١) في المطبوع: ويَلُوط، ومنه في القاموس المحيط (ص: ٦٨٦): لاطَ الحوضَ: طيَّنه، ومن الأول حديث: «تلطُّ حوضها»، قال في تاج العروس (٢٠/ ٦٧): تلصقه بالطين حتى تسد خلله.

(٢) منقطع، أخرجه الطبري (٤/ ٣٥٣) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس، ولم يلقه.

(٣) انظر قول زيد بن أسلم في: تفسير الطبري (٧/ ٥٩٣)، وتفسير القرطبي (٥/ ٤٢-٤٣).

(٤) انظر قول مالك في: البيان والتحصيل (١٢/ ٤٥٧)، وهو أيضاً قول عطاء كما في تفسير الماوردي (١/ ٤٥٤).

(٥) ليست في المطبوع، وفي أحمد٣: «واحدة».

(٦) لم أقف على تخريج سبب نزول الآية هذا.

(٧) ليست في المطبوع.

(٨) في المطبوع: «سنَّتُهُ».

(٩) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٦٠٩)، ومسلم (١٣٢١)، من حديث عائشة رضي الله عنها، به.

و«الأشُدّ»: جمع (شَدٍّ) عند سيبويه، وقال أبو عبيدة: لا واحدَ له من لفظه[١]، ومعناها: قُوَاهُ في العقل والتجربة والنظر لنفسه، وذلك لا يكون إلَّا مع البلوغ، فالأَشُدُّ في مذهب مالك أمران[٢]: البلوغ بالاحتلام، أو ما يقوم مقامه حسب الخِلاف في ذلك، والرُّشدُ في المال)[٣].

واختلف هل من شروط ذلك الرُّشد في الدِّين؟ على قولين: فابن القاسم لا يراعيه إذا كان ضابطاً لماله، وراعاه غيره من أصحاب مالك[٤]، ومذهبُ أبي حنيفة: أن الأشُدَّ هو البلوغ فقط، فلا حجر عنده على بالغ إلَّا أن يعرف منه السَّفَه[٥].

قال القاضي أبو محمد: ولستُ من هذا التقييد في قوله على ثقة.

وقال أبو إسحاق الزَّجاج: الأشُدُّ في قولٍ: أن يأتي على الصبي ثماني عشرة سنة[٦]، وإنما أراد أنه بعض ما قيل في حدِّ البلوغ لمن لا يحتلم، وأمَّا أن يكون بالغ رشيد تقي[٧] فلا يدفع إليه مالُه حتَّى يبلغ هذه المدَّة فَشَيْءٌ لا أحفظُ مَن يقوله.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْعَهْدِ﴾ لفظ عام لكل عهد وعقد بين الإنسان وبين ربه، أو بينه وبين المخلوقين في طاعة، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾؛ أي: مطلوباً ممن عُهِد إليه، أو عُوهِد، هل وفَّى به أم لا؟

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ﴾ الآية؛ أمر الله تعالى في هذه الآية أهل التَّجر والوزن والكيل أن يعطوا الحق في كيلهم ووزنهم، ورُوي عن ابن عباس: أنه كان يقف

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٩٩).

(٢) في المطبوع: «إقران».

(٣) انظر في ذلك: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ١٢٢-١٢٣)، والبيان والتحصيل (١٨/ ٣٥٨).

(٤) انظر قول ابن القاسم وقول غيره من أصحاب مالك في: النوادر (١١/ ٣١٢).

(٥) انظر مذهب أبي حنيفة في: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢١٥)، وكتبت في المطبوع: «السفة».

(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٣٨).

(٧) ليست في المطبوع، وفيه: «بالغاً رشيداً»، بالنصب.

في السوق ويقول: يا معشر الموالي، إنكم وليتم أمرين بهما هلك الناس قبلكم، هذا المكيال، وهذا الميزان[١].

قال القاضي أبو محمد: وتقتضي هذه الآية أن الكيل على البائع؛ لأن المشتري لا يقال له: (أَوْفِ الكيلَ)، هذا هو ظاهر اللفظ، والسابق منه.

و(القِسْطَاسُ) قال الحسن: هو القَبَّان، ويقال فيه: القَفَّان، وهو الفلسطون[٢]، ويقال: القرسطون[٣]، وقيل: القِسْطَاسُ: الميزان كان صغيراً أو كبيراً، وقال مجاهد: القِسْطاسُ: العَدْلُ، وكان يقول: هي لغة رومية، فكأَنَّ الناسَ قيل لهم: زِنُوا بمَعدِلةٍ في وزنكم[٤].

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿بالقُسْطَاسِ﴾ بضم القاف.

وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿بِٱلْقِسْطَاسِ﴾، بكسر القاف[٥].

وهما لغتان، واللفظة منه للمبالغة من القِسْط، والمراد بها في الآية جنس الموازين العدْلة على أي صفة كانت.

قال أبو حاتم: إنَّما قرأ بكسر القاف أهلُ الكوفة، وكلُّ قراءة لا تجاوز الكوفة إلى الحرمين والبصرة فاقرأ بغيرها.

وقرأت فرقة: (بِالْقِصْطَاسِ) بالصاد[٦].

---

(١) منقطع، أخرجه الطبري (١٧/ ٤٤٦) من طريق قتادة، قال: أُخبِرت أن ابن عباس قال:...فذكره.

(٢) في المطبوع: «القاسْطُون»، وفي الأصل: «الفلسطون».

(٣) في المطبوع: «القَرْطَسُون».

(٤) انظر قول الحسن ومجاهد في تفسير الطبري (١٧/ ٤٤٥)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٩٨).

(٥) انظر: التيسير (ص: ١٤٠)، والسبعة (ص: ٣٨٠).

(٦) هي رواية الأعشى عن شعبة كما في جامع البيان (٣/ ١٠٢٤)، وزاد الشموني عنه، والكامل للهذلي (ص: ٥٠٧)، وزاد أنها رواية عن قنبل، وعزاها مكي في الهداية (٦/ ٤١٩٩) للأعمش عن أبي بكر.

وكان مذهب مجاهد في هذا، وفي ميزان القيامة، وكل ذلك، أنها استعاراتٌ للعدل[١]، وقوله: (ميزان القيامة) مردودٌ، وعقيدة أهل السُّنَّة أنه ميزان له عَمودٌ وكِفَّتان[٢].

وسمعت أبي رضي الله عنه يقول: رأيت الواعظ أبا الفضل بن الجوهري في جامع عمرو بن العاص يعظ الناسَ في الوزن، فقال في جملة كلامه: إنَّ في هيئة اليد بالميزان عظةً، وذلك أن الأصابع تجيءُ منها صورة المكتوبة[٣]: أَلِفٌ ولامان وهاءُ، فكأن الميزان يقول: الله الله، وهذا وعظٌ جميلٌ.

و«التَّأْويلُ» في هذه الآية: المآلُ، قاله قتادة[٤]، ويحتمل أن يكون (التَّأْويلُ) مصدرَ تأوَّل؛ أي: يتأول عليكم الخير في جميع أموركم إذا أحسنتم في الكيل والوزن.

والفرض[٥] من أمر[٦] الكيل والوزن تحرِّي الحق، فإن غلب الإنسان بعد تَحَرِّيه لشيء يسير من تطفيف شاذاً[٧] لم يقصده، فذلك[٨] نزرٌ موضوعٌ عنه إثْمُه، وذلك ما لا يكون الانفكاك عنه في وُسْعٍ.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ معناه: وَلَا تَقُلْ ولا تَتَّبِعْ، لكنها لفظة تستعمل في القذف والعَضْه[٩]، ومنه قول النبي ﷺ: «نحن بنو النضر لا نَقْفُو أُمَّنَا، ولا ننتفي من أبينا»[١٠]،

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٠٩)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢١٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٨/ ١٢٢) (١٧/ ٣٣)، معاني القرآن للنحاس (٣/ ١١)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ١١٢)، وتفسير الماوردي (٢/ ٢٠١).

(٣) أي: لفظ الجلالة.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٥٠٦)، وتفسير ابن المنذر (٢/ ٧٦٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٢٤)، وتفسير الماوردي (١/ ٥٠٠).

(٥) في المطبوع: «والغرض»، وفي نور العثمانية: «العرض».

(٦) ليست في المطبوع، وفي نور العثمانية: «في أمر».

(٧) في المطبوع «شاذٍ أو لم»، بدل «شاذا ولم».

(٨) في الأصل: «بذلك».

(٩) في المطبوع: «والعظة»، وفي الحمزوية: «العضو».

(١٠) أخرجه الإمام أحمد (٣٦/ ١٦٠)، وابن ماجه (٢٦١٢) وغيرهما من طريق عقيل بن طلحة، =

وتقول: فلان قِفْوتي؛ أي: موضع تُهْمَتي، وتقول العرب[1]: رُبَّ سامِعِ عِذْرَتي، ولمْ يسْمَع قِفْوَتِي؛ أي: ما رُمِيتُ به، وهذا مثل للذي يُفْشي سرَّه ويعتذر من ذنب لم يسمعه المُعْتَذَرُ إليه، وقد قال ابن عباس أيضاً[2]، ومجاهد: وَلا تَقْفُ: معناه: لا تَـرْمِ[3]، ومن هذه اللفظة قول الشاعر:

وِمثْلُ الدُّمَى شُـمُّ العَرَانِينِ سَـاكِنٌ   بِهِنَّ الْحَيَاءُ لا يُشِـعْنَ التَّـقَافِيَا[4]   [الطويل]

وقال الكميت:

وَلا أَرْمـي الْبَـرِيءَ بِغيْـرِ ذنْـب   وَلَا أَقْفُـو الحواصِـنَ إنْ قُفِينَا[5]   [الوافر]

وأصل هذه اللفظة من اتِّـبَاع الأثر، تقول: قَفَوْتُ الأثر، ويُشْبِه أن هذا مأخوذ من (القَفَا)، ومنه قافية الشِّعر؛ لأنها تَقفُو البيتَ، وتقول: قُفْتُ الأثر، ومن هذا: هو القائف، وتقول: فقوت[6] الأثر بتقديم الفاء على القاف، ويشبه أن يكون هذا من تلعُّب العرب في بعض الألفاظ، كما قالوا: (رَعَمْلِي) في (لَعَمْري)، وحكى الطبري عن فرقة أنها قالت: قَفَا وقَافَ، مثل [عثا وعاث][7]، فمعنى الآية: ولا تتبع لسانك من القول ما لا

= عن مسلم بن هيصم، عن الأشعث بن قيس رضي الله عنه، مرفوعاً به، ومسلم بن هيصم لم يوثق توثيقاً معتبراً، لكن أخرج له مسلم (١٧٣١) في المتابعات.

(١) ليست في المطبوع، وهي في الإماراتية ملحقة في الهامش.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٤٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٤٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ١٥٥).

(٤) البيت للنابغة الجعدي، كما في مجاز القرآن (١/ ٣٧٩)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٩٩)، والزاهر لابن الأنباري (١/ ٣٦٧).

(٥) انظر عزوه له في تفسير الثعلبي (٦/ ٩٩)، وتفسير الزمخشري (٢/ ٦٦٦)، والحواصِنُ: العفائف، وفي الأصل: «الحواضن».

(٦) في المطبوع: «فُقْتُ».

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٤٨)، وفي المطبوع: «عَتَا وعاتَ».

علم لك به، وذهب مُنْذر بن سعيد إلى أن قفا وقاف مثل جَبَذَ وجَذَبَ[١]، فهذه الآية بالجملة تنهى عن قول الزُّور والقذف وما أشبه ذلك من الأقوال الكاذبة الرديئة.

وقرأ الجمهور: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾، وقرأ بعض الناس فيما حكى الكسائي: (ولا تَقُفْ) بضم القاف وسكون الفاء[٢].

[٣/ ١٧١] وقرأ الجراح: (وَالْفَوَادَ) بفتح / الفاء، وهي لغة، وأنكرها أبو حاتم وغيره[٣].

وعبَّر عن السَّمع والبصر والفؤاد بـ(أولئك)؛ لأنها حواسُّ لها إدراك، وجعلها في هذه الآية مسؤولة فهي حالة مَن يعقل، فلذلك عبَّر عنها بـ(أولَئِكَ)، وقد قال سيبويه رحمه الله في قوله تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[يوسف: ٤][٤]: إنه إنما قال: ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ في نجوم؛ لأنه لما وصفها بالسجود وهو مَن فعل من يعقل عبَّر عنها بكناية من يعقل.

وحكى الزجاج: أن العرب تعبِّر عما يعقل وعما لا يعقل بـ(أولئك)[٥]، وأنشد هو والطبري:

[الكامل] ذُمَّ الْمَنَـازِلَ بَعْـدَ مَنْزِلَـةِ اللِّـوَى والْعَيْـشَ بَعْـدَ أُولَئِـكَ الأَيَّـامِ[٦]

فأمَّا حكاية أبي إسحاق عن اللغة فأَمْرٌ يوقف عنده، وأمَّا البيت فالرواية فيه (الأقوامِ).

والضمير في ﴿عَنْهُ﴾ يعود على ما ليس للإنسان به علمٌ، ويكون المعنى: إن

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) وهي شاذة، نقلها مكي في الهداية (٦/ ٤٢٠١) بلا ضبط، ونقلها جامع معاني القرآن للكسائي عن ابن عطية عنه (ص: ١٨٢).

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص: ٨٠)، والمحتسب (٢/ ٢١).

(٤) انظر: الكتاب لسيبويه (٢/ ٤٧).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٣٩)، وفي المطبوع بدل أولئك: «بالإدراك»، وهو تصحيف.

(٦) تفسير الطبري (١٧/ ٤٤٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٣٩)، وعزاه لجرير وكذا تفسير الثعلبي (٦/ ٩٩)، والمفصل في صنعة الإعراب (ص: ١٨٠)، والعقد الفريد (١/ ٣٣٩)، والمخصص (٤/ ٢٦٢).

الله تعالى يسأل سمع الإنسان وبصره وفؤاده عما قال مما لا علم له به، فيقع تكذيبه من جوارحه، وتلك غاية الخِزْي.

ويحتمل أن يعود الضمير في ﴿عَنْهُ﴾ على ﴿كُلُّ﴾ التي هي للسمع والبصر والفؤاد، والمعنى: إن الله تعالى يسأل الإنسان عما حواه سمعه وبصره وفؤاده، فكأنه قال: كل هذه كان الإنسان عنه مسؤولاً؛ أي عمَّا حصل لهؤلاء من الإدراكات، ووقع منها من الخطايا، فالتقدير: عن أعمالها مسؤولاً، فهو على حذف مضاف.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾.

قرأ الجمهور: ﴿مَرَحًا﴾ بفتح الراء، مصدرٌ من: مَرِحَ يَمْرَحُ إذَا تسيَّب[١] مسروراً بدنياه مقبلاً على راحته، فهذا هو المَرَحُ، فَنُهِيَ الإنسانُ في هذه الآية أن يكون مشيه في الأرض على هذا الوجه، ثم قيل له: إنك لن تقطع الأرض وتمسحها بمشيك، ولن تبلغ أطوال الجبال فتنالها طولاً، فإذا كنت لا تستوي في الأرض بمشيك فقصرُكَ[٢] نفسَك على ما يوجبه الحقُّ من المشي والتَّصرف أَوْلى وأحقُّ.

وخوطب النبي ﷺ بهذه الآية والمراد الناسُ كلهم، وإقبال الإنسان على الصيد ونحوه تنزهاً دون حاجة إلى ذلك داخل في هذه الآية، وأما الرجل يستريح في اليوم النادر والساعة من يومه فيجمُّ فيها نفسه في التفرُّج والراحة ليستعينَ بذلك على شغل من البِرِّ كقراءة عِلْم أو صلاةٍ، فليس ذلك بداخل في هذه الآية.

---

(١) في المطبوع: «تَبَخْتَر»، وفي الأصل ونجيبويه: «تسبب».

(٢) كتبت في الأصل: «قبصرك»، وفي هامشه: «بقصرك» وعليها إشارة بحرف العين.

وقرأت فرقة فيما حكى يعقوب: (مَرِحاً) بكسر الراء على بناء اسم الفاعل[(١)]، وهذا المعنى يترتب على هذه القراءة، ولكن يحسُنُ معها معنى آخرُ ذكره الطبري مع القراءة الأُولى، وهو بهذه القراءة أَلْيَـق، وهو أن قوله: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ أراد به: إنك أيها المرح المختال الفخور لا تخرق الأرض، ولا تطاول الجبال بفخرك وكبرك[(٢)]، وذهب بالألفاظ إلى هذا المعنى، ويحسن ذلك مع القراءة بكسر الراء من المرح؛ لأن الإنسان نُهي حينئذ عن التَّخلُّق بالمرح في كل أوقاته؛ إذ المشي في الأرض يفارقه، فلم يُنْهَ إلَّا عن أن يكون مرحاً، وعلى القراءة الأُخرى إنما نُهِيَ مَن ليس بمرِح عن أن يمشي في بعض أوقاته مرَحاً، فيترتَّب في المرِح ـ بكسر الراء ـ أن يؤخذ بمعنى المتكبر المختال.

و«خَرْقُ الأرض»: قطعها، و«الخرق»: الواسع من الأرض، ومنه قول الشاعر:

[المتقارب] وخَـرْقٍ تَـجَـاوَزْتُ مَجْهُولَهُ ... بِوجْنَاءَ خرْقٍ تَشَكَّى الْكَلالا[(٣)]

ويقال لنقب[(٤)] الأرض: خَرْق، وليس هذا المعنى في الآية، ومنه قول رؤْبة بن العجاج:

[الرجز] وقَاتِمِ الأَعمَاقِ خَاوي المُخْتَرَقْ[(٥)] ....

---

(١) وهي شاذة، وانظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٧٢)، ونقلها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٨٠) عن يحيى بن يعمر.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٤٩، ٤٥٠).

(٣) البيت للشاعرة جنوب أخت عمرو ذي الكلب أحد بني كاهل كما في المنصف للضبي (ص: ١٧٥)، بلاغات النساء (ص: ١٧٢)، والفاضل (ص: ٥٩)، وعيار الشعر (ص: ٢١٥)، والصناعتين (ص: ١٤٢)، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه (٢/ ٣١).

(٤) في المطبوع والإماراتية: «لثقب».

(٥) البيت لرؤبة كما في مجاز القرآن (١/ ٣٨٠)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤٢٢)، والمحتسب (٢/ ٣٦٢)، وفي الأصل: «وقائم».

وقرأ الجراحُ الأعرابي: (لن تَخْرُقَ الأرضَ) بضم الراء، قال أبو حاتم: لا تُعرف هذه اللغة(١).

قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ الآية؛ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، والأعرج: ﴿سَيِّـئَةً﴾.

وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، والحسن، ومسروق: ﴿سَيِّئُهُۥ﴾ على إضافة (سَيِّئ) إلى الضمير(٢)، والإشارة على القراءة الأُولى: إلى ما تقدم ذكره مما نهي عنه، كقول: أُفٍّ، وقَذْف الناس، والمرح، وغير ذلك، والإشارة على القراءة الثانية: إلى جميع ما ذكر في هذه الآيات من بِرٍّ ومَعْصية، ثم اختصَّ ذكر السَّيِّئ منه بأنه مكروه عند الله تعالى.

فأمَّا من قرأ: ﴿سَيِّئُهُۥ﴾ بالإضافة إلى الضمير فإعرابُ قراءته بيِّنٌ، و(سَيِّئ): اسم (كَانَ)، و﴿مَكْرُوهًا﴾ خبرُه، وأما من قرأ: ﴿سَيِّـئَةً﴾ فهي الخبر لـ(كَانَ).

واختلف الناس في إعراب قوله: ﴿مَكْرُوهًا﴾.

فقالت فرقة: هو خبرٌ ثان لـ(كَانَ)، حمله على لفظ (كُلُّ)، و﴿سَيِّـئَةً﴾ محمول على المعنى في جميع هذه الأشياء المذكورة قبْلُ.

وقال بعضهم: هو نعتٌ لـ﴿سَيِّـئَةً﴾؛ لأنه لما كان تأنيثها غير حقيقي جاز أن توصف بمذكر، وضعَّفه أبو علي الفارسي، وقال: إن المؤنث إذا ذكر فإنما ينبغي أن يكون ما بعده وفْقه، وإنما التساهل أن يتقدم الفعلُ المسنَدُ إلى المؤنث وهو في صيغةِ ما يُسنَدُ إلى المذكَّر، ألا ترى أن قول الشاعر:

[المتقارب]

فَــلَا مُــزْنَــةٌ وَدَقَــتْ وَدْقَـهَــا ... وَلا أَرْضَ أَبْـقَـلَ إِبْـقَـالَـهَــا(٣)

---

(١) وهي شاذة، وسماه في مختصر الشواذ (ص: ٨٠)، والجراح القاضي، وكلام أبي حاتم في البحر المحيط (٧/ ٥٠).

(٢) انظر: التيسير (ص: ١٤٠)، والسبعة (ص: ٣٨٠)، والنشر (٢/ ٣٠٧)، وقراءة الباقين في البحر المحيط (٧/ ٥٠).

(٣) البيت لعامر بن جُوَيْن الطائي أحد الخُلَعَاءِ الفُتَّاك كما في مجاز القرآن (٢/ ٦٧)، والكتاب =

مُسْتَقْبَح عندهم؟ ولو قال قائل: أَبْقَلَ أَرْضٌ لم يكن قبيحاً.

قال أبو عليٍّ: ولكن يجوز في قوله: ﴿مَكۡرُوهٗا﴾ أن يكون بدلاً من قوله: ﴿سَيِّئَةً﴾، قال: ويجوز أن يكون حالاً من الذكر الذي في قوله: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾، ويكون قوله: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ في موضع الصفة لـ﴿سَيِّئَةً﴾[1].

وقرأ عبد الله بن مسعود: (كَانَ سَيِّئَاتُهُ)، وروي عنه: (كان سَيِّئَاتُ) بغير هاءٍ، / [٣/ ١٧٢]
ورُوي عنه: (كَانَ خبيثُه)[2].

وذهب الطبري إلى أن هذه النواهي كلها معطوفة على قوله أولاً: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾[3]، وليس ذلك بالبَيِّن.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ﴾ الآية؛ الإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى هذه الآداب التي تضمنتها هذه الآياتُ المتقدمة؛ أي: هذه من الأفعال المُحكمة التي تقتضيها حكمة الله في عباده، وخلقه لهم محاسن الأخلاق.

و﴿ٱلۡحِكۡمَةِ﴾: قوانين المعاني المحكمة، والأفعال الفاضلة.

ثم عطف قوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ﴾ على ما تقدم من النواهي، والخطاب للنبي ﷺ، والمرادُ كلُّ من سمع الآية من البشر.

و«المَدْحُورُ»: المُهَانُ المُبعَد.

وقوله: ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ﴾ الآية، خطاب للعرب التي كانت تقول: الملائكة بناتُ الله،

= لسيبويه (٢/ ٤٦)، والأصول في النحو (٢/ ٤١٣)، والكامل للمبرد (٢/ ٢٠٧)، وإيضاح الشواهد (١/ ٤٩٩)، والمحكم (٨/ ٢١٩)، ونسب للأعشى في التفسير الوسيط للواحدي (٢/ ٢٩١)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٦٩٣)، ولعله خطأ.

(١) الحجة للفارسي (٥/ ١٠٣).

(٢) كتبت في الأصل: «خبيثة»، وكلها شاذة، انظرها في البحر المحيط (٧/ ٥٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٥١).

فَقَرَّرَهم الله على هذه الحجة؛ أي: أنتم أيها البشر لكم الأعلى من النسل ولله الإناث؟[١]، فلما ظهر هذا التباعد الذي في قلوبهم عظّم الله عليهم فساد ما يقولونه وشُنعته، ومعناه: عظيماً في المنكر والوخامة.

و(أَصْفَاكُمْ) معناه: جعلكم أصحاب الصَّفوة، وحكى الطبري عن قتادة عن بعض أهل العلم أنه قال: نزلت هذه الآية في اليهود؛ لأنهم قالوا هذه المقالة، من أن الملائكة بنات الله[٢]، والأول هو الذي عليه جمهور المفسرين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾.

قرأ الجمهور: ﴿صَرَّفْنَا﴾ بتشديد الراء، على معنى: صرفنا فيه الحِكَم والمواعظ، وقرأ الحسن: (صَرَفْنَا) بتخفيف الراء[٣]، على معنى: صَرَفنا فيه الناس إلى الهدى بالدعاء إلى الله.

وقال بعض من شَدَّد الراء: إن قوله: ﴿فِي﴾ زائد، والتقدير: صَرَّفْنَا هذا القرآنَ، وهذا ضعيف.

وقرأ الجمهور: ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾، وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ بسكون الذَّال وضم الكاف، وهي قراءة طلحة، ويحيى، والأعمش[٤]، وما في ضمن الآية من ترجٍّ وطماعية[٥]

---

(١) في المطبوع ونجيبويه وفيض الله: «البنات».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٥٣).

(٣) وهي شاذة، انظر إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٥٨).

(٤) انظر: التيسير (ص: ١٤٠)، والسبعة (ص: ٣٨٠)، والعزو للباقين في البحر المحيط (٧/ ٥٣).

(٥) كتبت في الأصل: «وطاعية».

فهو في حق البشر، وبحسب ظنهم فيمَن يفعل الله معه هذا.

و«النُّفُورُ»: عبارة عن شِدَّة الإعراض، تشبيهاً بنفور الدَّابة، وهو في هذه الآية مصدرٌ لا غير، ورُوي: أن في الإنجيل في معنى هذه الآية: يا بني إسرائيل، شوَّقناكم فلم تشتاقوا، ونُحْنَا لكم فلم تبكوا[(١)].

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ﴾ الآية، إخبار بالحجة.

واختلف الناس في معنى قوله: ﴿لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾.

فحكى الطبري وغيره من المفسرين أن معناه: لَطَلَبَ هؤلاء الآلهة الزُّلْفَى إلى ذي العرش، والقُرْبَةَ إليه بطاعته[(٢)]، فيكون (السَّبِيلُ) على هذا التأويل بمعناها في قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٩].

وقال سعيد بن جُبَيْر، وأبو علي الفارسي، والنقاش[(٣)]، وقاله المتكلِّمون، أبو منصور وغيره: إن معنى الكلام: لابْتَغَوْا إليه سبيلاً في إفساد مُلْكِهِ، ومُضَاهاته في قدرته[(٤)].

وعلى هذا التأويل تكون الآية بياناً للتمانع[(٥)]، وجاريةً مع قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢][(٦)].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٥٣ و٤٥٤).

(٣) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٥٩)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٤٥).

(٤) انظر: البحر المحيط (٧/ ٥٣).

(٥) المراد بالتمانع هنا هو: امتناع وجود إلهين؛ لأن إرادتهما ستكون متعارضة بحيث إذا أراد أحدهما خلق شيء منعه الآخر، وللتوسع في مفهوم دليل التمانع عند المتكلمين انظر: تمهيد الأوائل للباقلاني (١/ ٢٢٢)، والمواقف للإيجي (٢/ ١١٨-١٢٠)، وشرح المقاصد (٢/ ٦٢).

(٦) وللتوسع في التمانع انظر: تمهيد الأوائل للباقلاني (١/ ٢٢٢)، والمواقف للإيجي (٢/ ١١٨)، وشرح المقاصد (٢/ ٦٢).

قال القاضي أبو محمد: ونَقْتَضِبُ شيئاً من الدليل على أنه لا يجوز أن يكون مع الله تبارك وتعالى غيره، وذلك على ما قال أبو المعالي وغيره: إنَّا لَوْ فَرَضْنَاهُ لَفَرَضْنَا أن يريد أحدهما تسكين جسم، والآخر تحريكه، ومستحيل أن تنفذ الإرادتان، ومستحيل ألّا تنفذا جميعاً، فيكونَ الجسم لا متحركاً ولا ساكناً، فإذا صحَّت[١] إرادة أحدهما دون الآخر فإن الذي لم تتم إرادته ليس بإله، فإن قيل: نفرضهما لا يختلفان، قلنا: اختلافهما جائز غير ممتنع عقلاً، والجائز في حكم الواقع.

ودليلٌ آخر: أنه لو كان الاثنان لم يمتنع أن يكونوا ثلاثة، وكذلك إلى ما لا نهاية له.

ودليل آخر: أن الجزء الذي لا يتجزَّأُ من المخترعات لا تتعلق به إلا قدرة واحدة لا يصح فيها اشتراك، والآخر كذلك، والآخر كذلك دأباً[٢]، فكل جزءٍ إنما يخترعه واحد[٣]، وهذه نُبْذَة شَرْحُهَا بحسب التقصي يطول.

وقرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم: ﴿كَمَا يَقُولُونَ﴾ بالياء من تحت، وقرأ الجمهور: ﴿كما تقولون﴾ بالتاء[٤].

و﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ مصدرٌ لفعل متروكٍ إظهارُه، فهو بمعنى التنـزيه، فموضعه هنا موضعُ: تَنَـزَّه، فلذلك عطف الفعل عليه في قوله: (تعالى).

و«التَّعَالي»: تفاعُلٌ، أما في الشاهد[٥] والأجرام فهو من اثنين؛ لأن الإنسان إذا صعد في منـزلة أو في جبل، فكأن ذلك يُعاليه وهو يُعالي ويرتقي، وأما في جهة[٦] الله تعالى فالتعالي هو بالقدر، لا بالإضافة إلى شيءٍ آخر.

---

(١) في المطبوع: «تمت».
(٢) في المطبوع هنا زيادة: «فكل جزءٍ فيها اشتراك، والآخر كذلك، والآخر كذلك دأباً»، ولعله تكرار.
(٣) انظر: تفسير الثعالبي (٢/ ٣٤٤).
(٤) «بالتاء»: زيادة من المطبوع، وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٣٨١)، والتيسير (ص: ١٤٠).
(٥) في المطبوع: «في المشاهد».
(٦) في الأصل ونور العثمانية وفيض الله: «ذكر».

وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو: ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ بالياء.

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿تقولون﴾ بالتاء من فوق[1].

و﴿عُلُوًّا﴾: مصدرٌ على غير الفعل، فهو كقوله: ﴿أَنبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]، وهذا كثير.

وقوله تعالى ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ الآية، المعنى: يُنَـزِّهه عن هذه المقالة التي لكم، والإشراك الذي أنتم بسبيله، السماواتُ السبعُ والأرضُ، ثم أعاد على السماوات والأرض ضميرَ من يعقل لمَّا أسند إليها فعل العاقل وهو التسبيح، وقوله: ﴿وَمَن فِيهِنَّ﴾ يريد الملائكة والإنس والجن، ثم عمَّ بعد ذلك الأشياء كلَّها في قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾؛ أي: يُنَزِّهُ الله ويحمده[2] ويمجده.

واختلف أهل العلم في هذا التسبيح:

فقالت فرقة: هو تجوُّز، ومعناه أن كل شيءٍ تبدو فيه صنعة الصانع الدَّالَّة عليه، فتدعو رؤْية ذلك إلى التسبيح من الـمُعْتَبِر، ومن حُجَّة هذا التأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾ [ص: ١٨].

وقالت فرقة: قوله: ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ لفظ عموم ومعناه الخصوص في كل حيٍّ ونامٍ، وليس ذلك في الجمادات البَحْتة، فمن ذلك قول عكرمة: الشجرة / تُسَبِّح، والأسطوانة لا تُسَبِّح[3]. [٣/ ١٧٣]

وقال يزيد الرقاشي للحسن وهما في طعام وقد قدم الخوان: أَيُسَبِّح هذا الخوان

(١) وبقي عليه ابن عامر وهو مع الأولين، انظر: التيسير (ص: ١٤٠)، والسبعة (ص: ٣٨١).

(٢) ليست في المطبوع.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٥٥)، إلا أن فيه أنه قال: الشجرة تسبح، والأسْطوانة تسبح.

يا أبا سعيد؟ قال: قد كان يُسبِّح مرة[١]، يريد أن الشجرة في زمان نموِّها واغتذائها[٢] كانت تسبح، فمذ صارت خِواناً مدهوناً ونحوه صارت جماداً.

وقالت فرقة: هذا التسبيح حقيقة، وكل شيءٍ على العموم، ويسبح تسبيحاً لا يسمعه البشر ولا يفقهه، ولو كان التسبيح ما قاله الآخرون من أنه أثر الصنعة لكان أمراً مفهوماً، والآية تنطق بأن هذا التسبيح لا يُفْقَهُ.

قال القاضي أبو محمد: وينفصل عن هذا الاعتراض بأن يريد بقوله: ﴿لَّا تَفْقَهُونَ﴾ الكفار والغَفَلَة؛ أي: إنهم يُعرضون عن الاعتبار، فلا يفقهون حكمة الله تعالى في الأشياء.

وقال الحسن: بلغني أن معنى هذه الآية في التوراة، ذكر فيه ألف شيءٍ مما يُسبح، سبحت له السماوات، وسَبَّحَتْ له الأرض، سبَّح كذا، سبَّح كذا[٣].

وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم في رواية أبي بكر، وابن عامر: ﴿يُسَبّحُ له﴾ بالياء، وقرأ أبو عمرو، وعاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي: ﴿تُسَبِّحُ﴾ بالتاء، والقراءتان حسنتان[٤].

وقرأ عبد الله بن مسعود، وطلحة، والأعمش: (سَبَّحَتْ لَهُ السَّمَاوات)[٥].

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ فيه تنبيه على إملائه لهم، وصَفْحه عنهم في الدنيا، وإمهاله لهم، مع شنيع هذه المقالة؛ أي: تقولون قولاً يُنَـزِّهه عنه كل شيءٍ من المخلوقات، إنه كان حليماً غفوراً، فلذلك أمهلكم.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٥٦)، ويزيد هو ابن أبان الرقاشي أبو عمرو البصري، روى عن أنس وغيره، وعنه شيخه الحسن وقتادة والأوزاعي وجماعة، وكان أحد الوعاظ البكاءين. ضعفه الدارقطني وغيره. تاريخ الإسلام (٨/ ٣٠٢).

(٢) في المطبوع: «واعتدالها».

(٣) انظر: تفسير السمعاني (٣/ ٢٤٤).

(٤) انظر: التيسير (ص: ١٤٠)، والسبعة (ص: ٣٨١).

(٥) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٧/ ٥٥)، ونقلها ابن زنجلة في حجة القراءات (ص: ٤٠٥) عن أبي.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾.

هذه الآية تحتمل معنيين: أحدهما: أن الله تعالى أخبر نبيَّهُ ﷺ أنه يحميه من الكفرة؛ أهل مكة الذين كانوا يؤذونه في وقت قراءته القرآن وصلاته في المسجد، ويريدون مدَّ اليد إليه، وأحوالهم في هذا المعنى مروية مشهورة.

والمعنى الآخر: أنه تعالى أعلمه أنه يجعل بين الكفرة وبين فهم ما يقرؤه محمد ﷺ حجاباً، فالآية على هذا التأويل في معنى التي بعدها، وعلى التأويل الأول هما آيتان لمعنيَيْن.

وقوله: ﴿مَّسْتُورًا﴾ أظهرُ ما فيه أن يكون نعتاً للحجاب؛ أي: مستوراً عن أعين الخلق، لا يدركه أحد برؤية كسائر الحُجُب، وإنما هو من قدرة الله وكفايته، أو إضلاله بحسب التأويلين المذكورين، وقيل: التقدير: مستوراً به، على حذف العائد.

وقال الأخفش: مَسْتُور بمعنى: ساتر، كَمَشْؤُوم وميمون، بمعنى: شائم ويامن[(١)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ـ لغير داعية إليه ـ تكلُّف، وليس مثاله بمُسَلَّم.

وقيل: هو على جهة المبالغة، كما قالوا: شعرٌ شاعرٌ، وهذا معترض بأن المبالغة أبداً إنما تكون باسم الفاعل ومن اللفظ الأول، فلو قال تعالى: (حجاباً حاجباً)[(٢)] لكان التنظير صحيحاً.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ الآية؛ الأكِنَّةُ: جمع كنان، وهو ما غطَّى الشيء، ومنه كنانة النبل، والوَقْرُ: الثقل في الأذن المانع من السمع، [فهو الصمم][(٣)]، وهذه

---

(١) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٢٥).
(٢) أشار في أحمد٣ إلى أن في نسخة أخرى: «محجوباً».
(٣) ليس في الأصل.

كلها استعاراتٌ للإضلال الذي حفهم الله به، فعبَّر عن كثرة ذلك وعِظَمه بأنهم بمثابة من غُطِّي قلبه، وصُمَّت[١] أذنه.

قوله: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ﴾ الآية، يريد: إذا جاءت مواضع التوحيد في القرآن أثناء قراءتك فرَّ كفار مكة من سماع ذلك إنكاراً له واستبشاعاً؛ إذ فيه رفْضُ آلهتهم واطِّراحها.

وقال بعض العلماء: إنَّ ملأ قريش دخلوا على أبي طالب يزورونه، فدخل عليهم رسول الله ﷺ، فقرأ ومرَّ بالتوحيد، قال: «يا معشر قريش: قولوا: لا إله إلا الله تملكون بها العرب، وتدين لكم العجم»، فَوَلَّوْا ونفروا، فنزلت هذه الآية[٢].

وأن تكون الآية وصْفَ حالِ الفارِّين عنه في وقت توحيده في قراءته أبْيَنُ وأجرى مع اللَّفظ.

وقوله: ﴿نُفُورًا﴾ يصحُّ أن يكون مصدراً في موضع الحال، ويصح أن يكون جمع نافر، كشاهد وشهود؛ لأن فُعُولاً من أبنية فاعل في الصفات، ونصبه على الحال، أي: نافرين.

وقوله: ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾، ﴿أَن﴾ نصب على المفعول؛ أي: كراهة أن، أو منعَ أنْ، والضمير في ﴿يَفْقَهُوهُ﴾ عائد على القرآن.

وحكى الطبريُّ عن فرقة أنها قالت: إنما عنى بقوله: ﴿وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ الشياطين، وأنهم يفرون من قراءة القرآن[٣]، يريد أن المعنى يدل عليهم وإنْ لم يَجْرِ لهم ذكْرٌ في اللفظ.

وهذا نظير قول النبي ﷺ: «إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطانُ له حُصاصٌ»[٤].

وقوله: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ الآية؛ هذا كما تقول: فلان يستمع بحرص

---

(١) كتبت في الأصل: «وضمت».
(٢) لم أقف عليه مسنداً.
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٥٩).
(٤) أخرجه مسلم (٣٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به.

وإقبال، أو بإعراضٍ وتغافل واستخفاف، فالضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائدٌ على (ما)، وهي بمعنى: (الذي)، والمراد بـ(الذي): ما ذكرناه من الاستخفاف والإعراض، فكأنه قال: نعم أعلم بالاستخفاف والاستهزاء الذي يستمعون به؛ أي: هو ملازمهم، ففضح الله بهذه الآية سرَّهم، والعاملُ في ﴿إِذْ﴾ الأولى وفي المعطوف عليها: ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ الأولى.

وقوله: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ وصفهم بالمصدر، كما قالوا: قومٌ رَضىً وعدْلٌ، وقيل: المراد بقوله: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ اجتماعهم في دار الندوة، ثم انتشرت عنهم.

وقوله: ﴿مَّسْحُورًا﴾ الظاهر فيه أن يكون من السِّحْر، فشبهوا الخبالَ[1] الذي عنده بزعمهم، وأقوالَه الوخيمةَ برأيهم بما يكون من المَسْحور الذي قد خبلَ السِّحْرُ عقلَه، وأفسد كلامه، وتكون الآية على هذا شبيهةً بقول بعضهم: (بِهِ جِنَّـةٌ)، ونحو هذا.

وقال أبو عبيدة: ﴿مَّسْحُورًا﴾ معناه: ذا سَحْر[2]، وهي الرئة، يقال لها: سَحْر وسُحْر، بضم السِّين، ومنه قول / عائشة رضي الله عنها: توفي رسول الله ﷺ بين سَحْري ونَحْري[3]، ومنه قولهم للجبان: انْتَفخَ سحْرُه؛ لأن الفازع[4] تنتفخ رئته. [٣/ ١٧٤]

فكأن مقصد الكفار بهذا التشبيه على أنه بشر، أي: ذا رِئَةٍ، قال: ومن هذا يقال لكل من يأكل ويشرب من آدمي وغيره: مَسْحور ومُسحَّر، ومنه قول امرئ القيس:

[الوافر] .... ونُسْـحَر بالطَّعَامِ وبالشَّـرابِ[5]

---

(١) ليس في الأصل، وفي نور العثمانية: «الجبال».
(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٣٨١).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٣٢٣)، ومسلم (٢٤٤٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٤) في المطبوع: «الجازع».
(٥) صدره: أَرَانَا مُوضِعِينَ لأَمْرِ غَيْبٍ، انظر نسبته في غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٥٦)، والعين (٣/ ١٣٥)، وجمهرة اللغة (١/ ٥١١)، والبيان والتبيين (١/ ١٦٧)، والفاخر (ص: ١٦٤)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٦)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٧٩)، والصناعتين (ص: ١١١)، وقد عزاه الرازي في التفسير (٣/ ٦١٩)، والجصاص في أحكام القرآن (١/ ٥٠) للبيد،=

وقول لبيد:

فَـإِنْ تَسْـأَلِينَا فيـمَ نَحْـنُ فَإِنَّنَـا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الأَنَامِ الـمُسَحَّرِ[١] [الطويل]

ومنه: السَّحور، وهو إلى هذه اللَّفظة أقرب منه إلى السِّحْر، ويشبه أن يكون من السَّحَر كالصَّبُوح من الصباح، والآية التي بعد هذا تُقَوِّي أن اللفظة التي في الآية من السِّحْر بكسر السِّين؛ لأن[٢] حينئذ في قولهم ضَرْبُ مثل له، وأما على أنها من السَّحْر الذي هو الرِّئة، ومن التَّغذِّي، وأن تكون الإشارة إلى أنه بشر، فلم يُضرب له في ذلك مثل، بل هي صفة حقيقية له.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾.

«ضَرْبُ المثل له» هو قولهم: مسحور، ساحر، مجنون، متكهِّن؛ لأنه لم يكن عندهم مُتيَقَّناً بأحد هذه، فإنما كانت منهم على جهة التشبيه، ثم رأى الوليد بن المغيرة أن أقرب هذه الأمور على تخيُّل الطارئين عليهم هو أنه ساحر، ثم حكم الله عليهم بالضلال.

وقوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: لا يستطيعون سبيلاً إلى الهدى والنظر المُؤَدِّي إلى الإيمان،

= ولعله التبس بالبيت الذي يستشهد به معه، وإن كان يفهم من قول الجوهري في الصحاح (٢/ ٦٧٩): (ويُنشَد لامرئ القيس) وجودُ خلاف فيه.

(١) البيت للبيد كما في تفسير الطبري (١٧/ ٤٦٠)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٤٣)، ومسائل نافع بن الأزرق (ص: ٧٦)، ومجاز القرآن (١/ ٣٨١)، والعين (٣/ ١٣٥)، والزاهر للأنباري (١/ ٢٠٦)، والبيان والتبيين (١/ ١٦٧)، والفاخر (ص: ١٦٤).

(٢) قال في حاشية المطبوع: في جميع الأصول يوجد بياض بين قوله: (لأن)، والأقرب أن تكون الكلمة الساقطة من الجملة «مَسْحُوراً».

فتجري الآيةُ مجرى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ [الإسراء: ٤٦]، [وهي قبل هذا بقليل][(١)]، ونحو هذا.

والآخر: لا يستطيعون سبيلاً إلى إفساد أمرك، وإطفاء نور الله فيك بِضرْبهم الأمثال لك، واتِّباعهم كل حيلةٍ[(٢)] في جهتك.

وحكى الطبري أن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة وأصحابه[(٣)].

وقوله: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا﴾؛ هذه الآية في إنكارهم البعث، وهذا منهم تعجُّبٌ وإنكارٌ واستبعادٌ.

و«الرُّفَاتُ» من الأشياء: ما مرَّ عليه الزَّمن حتى بلغ به غاية البِلَى، وقرَّبَه من حالة التراب، يقال: رُفِتَ رَفْتاً فهو مَرْفُوتٌ، وفُعَالٌ بناءٌ لهذا المعنى، كالحُطَامِ والفُتات والرُّضاض والدُّقاق، وقال ابن عباس: رُفَاتاً: غباراً[(٤)]، وقال مجاهد: تراباً[(٥)].

واختلف القراءُ في هذين الاستفهامين:

فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا﴾ جميعاً بالاستفهام، غير أن أبا عمرو يَمُدُّ الهمزة ثم يأتي بالياء ساكنة، وابن كثير يأتي بياء ساكنة بعد الهمزة من غير مَدّة.

وقرأ نافع في الأولى مثل أبي عمرو، واختلف عنه في المَدِّ، وقرأ الثانية: ﴿إِنَّا﴾ مكسورة على الخبر، ووافقه الكسائي في اكتفائه بالاستفهام الأول من الثاني، غير أنه كان يهمز همزتين.

وقرأ عاصم، وحمزة: ﴿أَءِذَا﴾، ﴿أَءِنَّا﴾ بهمزتين فيهما.

---

(١) زيادة من المطبوع.

(٢) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «واتباعهم كلَّ خليقة».

(٣) عزاه الطبري (١٧/ ٤٦٢) لمجاهد.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٦٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٦٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ١٦٢).

وقرأ ابن عامر: ﴿إذا كنَّا﴾ مكسورة الألف من غير استفهام ﴿آئِنَّا﴾ يهمز ثم يمد ثم يهمز، وروي عنه مثل قراءة حمزة، وفي سورة الرعد توجيه هذه القراءات[١].

و(جَدِيد) صفة لما قرب حدوثه من الأشياء، وهكذا يوصف به المذكر والمؤنث، فيقال: ملحفة جديدٌ، وقولهم: جديدةٌ لغة ضعيفة، كذا قال سيبويه[٢].

قوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ الآية؛ المعنى: قل لهم يا محمد: كونوا إن استطعتم هذه الأشياء الصعبة الممتنعة التأتِّي، لا بُدَّ من بعثكم.

وقوله: ﴿كُونُواْ﴾ هو الذي يُسَمِّيه المتكلمون التعجيز، من أنواع لفظة: «افْعَل»، وبهذه الآية مَثَّل بعضهم[٣]، وفي هذا عندي نظر، وإنما التعجيز حيث يقتضي بالأمر فعل ما لا يقدر عليه المخاطَب، كقوله تعالى: ﴿فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ [آل عمران: ١٦٨]، ونحوه[٤]، وأما هذه الآية فمعناها: كونوا بالتوهُّم والتقدير كذا وكذا، الذي فطركم كذلك هو يعيدكم.

وقال مجاهد: أراد بالخلق الذي يكبر في الصدور: السماواتِ والأرضَ والجبالَ[٥]، وقال ابن عمر، وابن عباس، [وعبد الله بن عمرو][٦]، والحسن وابن جبير، والضحاك: أراد الموتَ[٧].

---

(١) هذا هو الموضع الثاني من الاستفهام المكرر وهذه القراءات كلها سبعية كما قد تقدم في الآية (٥) من سورة الرعد.

(٢) لفظه في الكتاب لسيبويه (١/ ٦٠): وهو كقول بعضهم: هذه ملحفة جديدة، في القِلَّةِ.

(٣) ممن قال ذلك ابن حزم في الإحكام (٣/ ٣٨٧)، والجويني في البرهان (١/ ٢١٨)، والغزالي في المستصفى (١/ ٧٠).

(٤) انظر ما ذهب إليه المؤلف من ضرب المثل بهذه الآية للتعجيز في البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ٢٥١).

(٥) انظر: تفسير الماوردي (٣/ ٢٤٨)، والهداية لمكي (٦/ ٤٢٢١).

(٦) ليس في المطبوع، والأثر أخرجه الطبري (١٧/ ٤٦٤) بإسنادين، كلاهما من طريق عطية العوفي، عن ابن عمر، وابن عباس، رضي الله عنهم، وأما عن عبد الله بن عمرو بن العاص فلم أقف عليه.

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٦٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ١٦٣، ١٦٤).

وقال قتادة ومجاهد: بل أحال على فكرتهم[١] عموماً، ورجَّحه الطبري[٢]، وهذا هو الأصح؛ لأنه بدأ بشيء صلب، ثم تدرج القول إلى أقوى منه، ثم أحال على فكرهم[٣] إن شاء، وفي أَشَدَّ من الحديد، فلا وجه للتخصيص بشيءٍ دون شيء.

ثم احتجَّ عليهم عزَّ وجلَّ في الإعادة بالفطرة الأولى من حيث خلقهم واخترعهم من تراب، فكذلك يعيدهم إذا شاء، لا رَبَّ غيره.

وقوله: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ معناه: يرفعون ويخفضون يريد على جهة التكذيب، قال ابن عباس: والاستهزاء[٤]، قال الزجاج: تحريك من يُبطل الشيء ويستبطئه[٥]، ومنه قول الشاعر:

[الرجز] أَنْغَضَ نحْوِي رَأْسَهُ وَأَقْنَعَا كَأَنَّمَا أَبْصَرَ شَيْئاً أَطْمَعَا[٦]

ويقال: نَغَضَت السِّنُّ إذا تحركت، وقال ذو الرُّمَّة:

[الطويل] ظَعَائِنُ لَمْ يَسْكُنَّ أَكْنَافَ قَرْيَةٍ بِسيفٍ ولَمْ تَنْغُضْ بِهِنَّ الْقَنَاطِرُ[٧]

وقال الطبري، وابن سلام: (عَسى) من الله واجبةٌ[٨]، فالمعنى: وهو قَرِيب.

قال القاضي أبو محمد: وهذه إنما هي من النبي ﷺ، ولكنها بأمر الله تعالى له،

(١) في المطبوع: «فطرتهم».
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٦٥).
(٣) في المطبوع: «فِطْرَتهم».
(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٦٧) من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس، ولم يسمع منه، وكذلك أخرجه الطبري من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه به.
(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٤٤).
(٦) بلا نسبة في مجاز القرآن (١/ ٣٤٣)، وتفسير الطبري (١٧/ ٣١)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٣٢٥).
(٧) انظر نسبته لذي الرمة في مجاز القرآن (١/ ٣٨٣)، والبحر المحيط (٧/ ٦١)، والكَنَف وهو ناحية الشيء، والسِّيفُ: ساحل البحر.
(٨) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٦٧).

فيقربها ذلك من الوجوب، ولذلك قال ﷺ: «بُعِثت أنا والساعةُ كهاتين»[١].

وفي ضمن اللفظة توعُّدٌ لهم.

/ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ [٣/ ١٧٥]
وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾
رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ
أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾.

﴿يَوْمَ﴾ بدل من قوله: ﴿قَرِيبًا﴾، ويظهر أن يكون المعنى: هو يوم، جواباً لقولهم: ﴿مَتَىٰ هُوَ﴾، ويريد: يدعوكم من قبوركم بالنفخ في الصُّور لقيام الساعة.

وقوله: ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾؛ أي: بالقيام والعودة والنهوض نحو الدعوة.

وقوله: ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾، حكى الطبري عن ابن عباس أنه قال: معناه: بأمرِه[٢]، وكذلك قال ابن جريج، وقال قتادة: معناه: بطاعته ومعرفته.

وهذا كله تفسير لا يعطيه اللفظ، ولا شك أن جميع ذلك فبأمر الله تعالى، وإنما معنى ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾: إمَّا أن جميع العالمين كما قال ابن جبير يقومون وهم يحمدون الله ويُمَجِّدونه؛ لما يظهر لهم من قدرته، وإمَّا أن قوله: ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ هو كما تقول لرجل إذا خاصمته أو حاورته في علم: قد أخطأت بحمد الله، وكأن النبي ﷺ يقول لهم في هذه الآيات: عسَى أن الساعة قريبة يوم تُدعون فتقومون، بخلاف ما تعتقدون الآن، وذلك بحمد الله تعالى على صدق خبري، نحا هذا النحوَ الطبريُّ، ولم يُلَخِّصهُ[٣].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦١٣٩)، ومسلم (٢٩٥١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٦٨) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وفي الإماراتية: «يخلصه»، مع التنبيه على المثبت.

(٣) انظره مع الأقوال السابقة كلها في تفسير الطبري (١٧/ ٤٦٩)، وانظر قول ابن جبير في تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٤).

وقوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أنه أخبر أنهم لما رجعوا إلى حالة الحياة وتصرف الأجساد، وقع لهم ظن أنهم لم ينفصلوا عن حال الدنيا إلَّا قليلاً، لمغيب علم مقدار الزمن عنهم؛ إذْ مَنْ في الآخرة لا يقدر زمن الدنيا؛ إذْ هم لا محالة أشدُّ مفارقة لها من النائمين، وعلى هذا التأويل عوَّل الطبري، واحتج بقوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٣].

والمعنى الآخر: أن يكون الظن بمعنى اليقين، فكأنه قال لهم: يومَ تُدعون فتستجيبون بحمد الله، وتَتَيَقَّنُونَ أنكم إنما لبثتم قليلاً، من حيث هو مُنْقَضٍ منحصر(١)، وهذا كما يقال في الدنيا بأسْرِهَا: متاع قليل، فكأنه قلة قدر، على أن الظَنَّ بمعنى اليقين يقلق هاهنا؛ لأنه شيءٌ قد وقع، وإنما يجيءُ الظن بمعنى اليقين فيما لم يخرج بعد إلى الكون والوجود، وفي الكلام تقوية للبعث كأنه يقول: أنت أيها المكذِّب بالحشر الذي تعتقد أنك لا تبعث أبداً لا بُدَّ لك أن تُدْعَى للبعث فتقوم وترى أنك إنما لبثت قليلاً مُنْقَضِياً منصرماً.

وحكى الطبري عن قتادة: أنهم لمَّا رأوا هول يوم القيامة احتقروا الدنيا، فظنوا أنهم لبثوا فيها قليلاً(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾ الآية؛ اختلف النحويون في قوله: ﴿يَقُولُوا۟﴾، فمذهب سيبويه أنه جواب شرط مقدر، تقديره: وقل لعبادي، إنك إن تقل لهم يقولوا، وهذا على أصله في أن الأمر لا يُجاب، وإنما يجاب معه شرط مقدر، ومذهب الأخفش أن الأمر يُجاب، وأن قوله تعالى هاهنا: ﴿يَقُولُوا۟﴾ إنما هو جواب ﴿قُل﴾.

قال القاضي أبو محمد: ولا يصح المعنى على هذا بأن يجعل (قُلْ) مختصة بهذه الألفاظ، على معنى أن يقول لهم النبي: قُولوا التي هي أحسنُ، وإنما يصحُّ بأن يكون ﴿قُل﴾

(١) في المطبوع ونجيبويه والإماراتية والحمزوية: «مُنْحَسِر».
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٦٩).

أمْراً بالمحاورة في هذا المعنى بما أمكن من ألفاظٍ، كأنه قال: بَيِّنْ لعبادي، فتكون ثمرة ذلك القولِ والبيان قولَهم التي هي أحسن، وهذا المعنى يُجَوِّزُه مذهب سيبويه الذي قدمنا.

ومذهب أبي العباس: أنَّ ﴿يَقُولُواْ﴾ جوابٌ لأمر محذوف، تقديره: وقلْ لعبادي قولوا التي هي أحسن يقولوا» فحذف وطُوي الكلامُ، ومذهب الزجاج: أن ﴿يَقُولُواْ﴾ جزم بالأمر، بتقدير: قُلْ لعبادي ليقولوا، فحذفت اللام لتقدم[١] الأمر.

وحكى أبو علي في «الحلبيات»[٢] في تضاعيف كلامه: أن مذهب أبي عثمان المازني في ﴿يَقُولُواْ﴾ أنه فعلٌ مبني؛ لأنه مضارعٌ حلَّ محل المبني الذي هو فعل الأمر؛ لأن المعنى: قلْ لعبادي: قولوا.

واختلف الناس في ﴿ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾:

فقالت فرقة: هي «لا إله إلَّا الله»، ويلزم على هذا أن يكون قوله: ﴿لِّعِبَادِي﴾ يريد به جميع الخلق؛ لأن جميعهم مدعُوٌّ إلى «لا إله إلَّا الله»، ويجيءُ قوله بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡ﴾ غير مناسب للمعنى إلَّا على تكرُّه، بأن يجعل ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾ بمعنى خِلالَهم وأثناءَهم، ويُجعل النَّـزْغُ بمعنى الوسوسة والإضلال.

وقال الجمهور: التي هي أحسن هي المحاورة الحسنى، بحسب معنى معنى، قال الحسن: بقول: يغفر الله لك، يرحمك الله[٣].

وقوله: ﴿لِّعِبَادِي﴾ خاصٌّ بالمؤمنين، فكأن الآية بمعنى قوله ﷺ: «وكونوا عبادَ الله إخواناً»[٤]، ثم اختلفوا؛ فقالت فرقة: أمر الله المؤمنين فيما بينهم بحسن الأدب، وخفْض الجناح، وإلانَةِ القول، واطِّراح نزغات الشيطان.

---

(١) في المطبوع: «لتقدير»، وفي فيض الله والإماراتية: «بتقدير».

(٢) تصحف في المطبوع إلى: «الحليتان»، والحلبيات كتاب مشهور لأبي علي، وقد ذكر هذه الآية (ص٢٦٩)، ولكنه لم ينقل فيها عن المازني شيئاً، والله أعلم.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٦٩).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٧١٧) ومسلم (٢٥٦٣) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.

وقالت فرقة: إنما أمر الله في هذه الآية المؤمنين بإلانَةِ القول للمشركين بمكة أيام المهادنة.

وسبب الآية: أن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه شتمه بعض الكفرة، فسبَّه عمر وهمَّ بقتله، فكاد أن يثير فتنة، فنزلت الآية(١)، وهي منسوخة بآية السيف(٢).

وقرأ الجمهور: ﴿يَنزَغُ﴾ بفتح الزاي.

وقرأ طلحة بن مصرِّف: (يَنْزِغُ) بكسر الزاي، على الأصل، قال أبو حاتم: لعلَّها لغةٌ، والقراءةُ بالفتح(٣).

ومعنى النَّزغ حركةُ الشيطان بسرعة ليوجبَ فساداً، ومنه قول النبي ﷺ: «لا يُشِرْ أحدُكم على أخيه بالسِّلاح لا ينزغ الشيطان في يده»(٤)، فهذا يخرج اللفظ عن الوسوسة، وعداوةُ الشيطان البيِّنةُ هي من قصته مع آدم عليه السلام فيما بعد.

[٣/ ١٧٦] وقوله / تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ الآية؛ هذه الآية تُقَوِّي أن التي قبلها هي ما بين العباد المؤمنين وكفار مكة، وذلك أن هذه المخاطبة في قوله: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ هي لكفار مكة، بدليل قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾، فكأن الله عزَّ وجلَّ أمر المؤمنين ألا يخاشنوا الكفار في الدين، ثم قال للكفار: إنه أعلم بهم، ورَجَّاهم وخَوَّفهم.

ومعنى ﴿يَرْحَمْكُمْ﴾ بالتوبة عليكم من الكفر، قاله ابن جريج وغيره(٥).

ثم قال للنبي ﷺ: فإنما عليك البلاغ، ولست بوكيل على إيمانهم ولا بد، فتتناسب الآيات بهذا التأويل.

---

(١) قاله الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٠٤) بلا إسناد، ولم أجده عند غيره.

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص: ١٩٥)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٤٩).

(٣) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٠)، والكشاف للزمخشري (٢/ ٦٧٢)، وكلام أبي حاتم في البحر المحيط (٧/ ٦٧).

(٤) متفق عليه، رواه البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٦٩).

ثم قال تبارك وتعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، وهو الذي فضل بعض الأنبياء على بعض بحسب علمه فيهم، فهذه إشارة إلى محمد ﷺ، وإلى استبعاد قريش أن يكون الرسل بشراً، والمعنى: لا تُنكروا أمر محمد ﷺ وأن أوتي قرآناً، فقد فُضِّل النَّبِيُّون، وأُوتي داود زبوراً، فالله أعلم حيث يجعل رسالته.

وتفضيل بعض الرسل هو إمَّا بهذا الإخبار المجمل دون أن يُسَمَّى المفضول، وعلى هذا يتَّجه لنا أن نقول: محمد أفضل البشر، وقد نهى ﷺ عن تَعْيِين أحد منهم في قصة موسى ويونس، وإما أن يكون التفضيل مُقَسَّماً فيهم: أُعطي هذا التكليم، وأُعطي هذا الخُلَّة، ومحمدٌ الخمس، وعيسى الإحياء، فكلُّهم مفضولٌ في وجه، فاضل على الإطلاق.

وقوله: ﴿بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الباءُ متعلقة بفعل تقديره: عَلِم بمن في السماوات، ذهب إلى هذا أبو عليٍّ؛ لأنه لو علَّقها بـ(أَعْلَمُ) لاقتضى أنه ليس بأعلم بغير ذلك.

قال القاضي أبو محمد: وهذا لا يلزم، ويصح تعلقها بـ﴿أَعْلَمُ﴾، ولا يلتفت إلى دليل الخطاب.

وقرأ الجمهور: ﴿زَبُورًا﴾ بفتح الزاي، وهو فَعُولٌ بمعنى مَفْعول، وهو قليل، لم يجئْ إلَّا في قروع[1] ورَكُوب وحَلُوب، وقرأ حمزة، ويحيى، والأعمش: ﴿زُبُوراً﴾ بضم الزاي[2]، وله وجهان: أحدهما أن يكون جمع زَبور بحذف الزائد، كما قالوا في جمع [ظَريف، ظُروف][3]، والآخر أن يكون جمع زَبْر، كأن ما جاء به داود جُزِّئ أجزاءً، كلُّ جزءٍ منها زَبْرٌ، سُمِّي بمصدر زَبَرَ يَزْبُر، ثم جمع تلك الأجزاء على زُبُور، فكأنه قال: آتينا داود كُتُباً، ويحتمل أن يكون جمع (زَبْر) الذي هو العَقْل، وسَدَادُ النَّظَرِ؛

---

(١) في الأصل: «قدُوع»، وفي نور العثمانية: «جدوع».

(٢) انظر: التيسير (ص: ٩٨)، وانظر موافقة الأعمش ويحيى بن وثاب لحمزة في تفسير الثعلبي (٣/ ٤١٥).

(٣) في المطبوع: «طَريق طُرُوق»، وفي نجيبويه: «ضريب ضروب»، وفي الإماراتية: «طريف طروف».

لأن داود أُوتي من المواعظ والوصايا كثيراً، ومن هذه اللفظة قول النبي ﷺ في آخر «كتاب مسلم»: «وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زَبْـرَ له»[(١)].

قال قتادة: زبور داود مواعظ وحِكَم ودعاءٌ، ليس به حلالٌ ولا حرام[(٢)].

قوله عز وجل: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾.

الذين أُمر رسول الله ﷺ أن يقول لهم في هذه الآية ليسوا عبَدةَ الأصنام، وإنما هم عبَدةُ من يعقلُ، واختلف في ذلك: فقال ابن عباس: هي في عبدة العُزَيْر والمسيح وأُمه ونحوهم[(٣)]، وقال ابن عباس أيضاً، وابن مسعود: [هي في عبدة الملائكة[(٤)].

---

(١) صحيح مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٧٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٥)، وتفسير ابن أبي زمنين (٣/ ٢٦)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٠٧).

(٣) في أسانيده كلام، أخرجه الطبري (١٤/ ٦٢٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: قال: كان أهل الشرك يقولون: نعبد الملائكة وعُزَيراً، وهم الذين يدعون، يعني الملائكة والمسيح وعُزيراً. والعوفي ضعيف، وأخرجه كذلك (١٤/ ٦٣١) من طريق شعبة، عن إسماعيل السدي، عن أبي صالح باذام، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: قال: عيسى وأمه وعُزير. وباذام مولى أم هانئ ضعيف، وأخرجه أيضاً (١٤/ ٦٣١) (من طريق مغيرة، عن إبراهيم قال: كان ابن عباس يقول في قوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ قال: هو عُزير والمسيح والشمس والقمر، وعنعنة مغيرة لا تقبل، لاسيما عن إبراهيم، وإبراهيم لم يسمع من ابن عباس، وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور (٩/ ٣٨٤) لابن أبي حاتم، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وانظر: فتح الباري (٨/ ٣٩٧).

(٤) في إسناده ضعف، أخرجه الطبري (١٤/ ٦٣٠) من طريق يحيى بن السكن، عن أبي العوّام، عن =

وقال ابن مسعود أيضاً: هي في عبدة الشياطين كانوا في عهد رسول الله ﷺ، فأَسلم أولئك الشياطين، وعبدتهم بقوا[١] يعبدونهم، فنزلت الآية في ذلك[٢].

وقال ابن عباس أيضاً][٣]: هي في عبدة الشمس[٤] والقمر والكواكب وعُزَيْر والمسيح وأُمه[٥].

وأيَّ ذلك كان فمعنى الآية: قُل لهؤلاء الكفرة: ادْعُوا عند الشدائد والضُّرِّ هؤلاء المعبودين فإنهم لا يملكون كشفه ولا تحويله عنكم.

ثم أخبرهم على قراءة ابن مسعود، وقتادة: (تَدْعُونَ) بالتاء[٦]، أو أخبر النبي ﷺ، على قراءة الجمهور: ﴿يَدۡعُونَ﴾ بالياء من تحت أن هؤلاء المعبودين يطلبون التقرُّب إلى الله والتَّزلُّف إليه، وأن هذه حقيقة حالهم[٧].

وقرأ ابن مسعود: (إلى رَبِّكَ)[٨].

والضمير في ﴿رَبِّهِمُ﴾ للمُتَّبِعين، أو للجميع.

و«الْوَسِيلَةُ»: هي القربةُ، وسبَبُ الوصول إلى البُغية، وتوسَّل الرجلُ إذا طلب

= قتادة، عن عبد الله بن معبد الزِّمَّاني، عن ابن مسعود قال: كان قبائل من العرب يعبدون صنفاً من الملائكة يقال لهم: الجنّ، ويقولون: هم بنات الله، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ معشر العرب ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾، ويحيى ضعيف، وانظر الميزان (٤/ ٣٨٠)، وأثر ابن عباس تقدم.

(١) في أحمد٣: «وبقوا»، وفي المطبوع: «وبقي عبدتهم يعبدونهم».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٧١٥)، ومسلم (٣٠٣٠) بنحو رواية المصنف، وذكر نزول الآية عند مسلم وحده.

(٣) ليس في نجيبويه.

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «الأوثان».

(٥) انظر أثر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما المتقدم.

(٦) وهي شاذة، عزاها لابن مسعود في مختصر الشواذ (ص: ٧٩)، ولهما في الشواذ للكرماني (ص: ٢٨١).

(٧) في الحمزوية: «مآلهم».

(٨) وهي شاذة، عزاها له في البحر المحيط (٧/ ٧٠).

الدُّنُوَّ والنيلَ لأمر مَّا، وقال عنترة:

[الكامل] إنَّ الرِّجَالَ لَهُمْ إِلَيْكِ وسِيلةٌ ....[١]

ومنه قول النبي ﷺ: «مَن سأل اللهَ لي الوسيلةَ» الحديث[٢].

و﴿أَيُّهُمْ﴾ ابتداءٌ، و﴿أَقْرَبُ﴾ خبره، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يراد به المعبودون، وهو ابتداءٌ خبره ﴿يَبْتَغُونَ﴾، والضمير في ﴿يَدْعُونَ﴾ للكفار، وفي ﴿يَبْتَغُونَ﴾ للمعبودين، والتقدير: نظرهم وَوَكْدُهُمْ[٣] أَيُّهم أقرب، وهذا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث الرَّاية بخيبر: فبات الناس يَدُوكُون[٤] أيهُّم يُعطاها؟[٥]، أي: يتبارون في طلب القرب.

وطفَّف الزجاج في هذا الموضع، فتأمله[٦].

وقال ابن فُورك، وغيره: إن الكلام من قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ راجع إلى النَّبِيِّين المتقدم ذكرهم[٧]، فـ﴿يَدْعُونَ﴾ على هذا من الدعاء بمعنى الطلبة إلى الله، والضمائر لهم في ﴿يَدْعُونَ﴾ وفي ﴿يَبْتَغُونَ﴾، وباقي الآية بَيِّنٌ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ﴾ الآية، أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه ليس مدينة من المدن إلَّا هي هالكة قبل يوم القيامة بالموت والفناء، وهذا مع السلامة وأخذها جزءاً جزءاً، أو هي معذبة مأخوذة مرة واحدة، فهذا عموم في كل مدينة، و﴿مِّن﴾ لبيان الجنس، وقيل: المراد الخصوص[٨]، وإن مِنْ قَرية ظالمة.

---

(١) تقدم في تفسير الآية (٣٥) من سورة المائدة.

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) الوُكْدُ بضم الواو: السَّعْيُ والجهد، والوَكْد بضم الواو وفتحها: القَصْد والمرادُ والهَمُّ.

(٤) في نجيبويه: «يكودون».

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد، ولم أقف عليه من قول عمر.

(٦) انظر كلامه في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٦).

(٧) لم أقف عليه.

(٨) في المطبوع زيادة: «والتقدير»، قال في الحاشية: لتوضيح المعنى وسلامة العبارة.

وحكى النقاش: أنه وُجد في كتاب الضحاك بن مزاحم في تفسير هذه الآية / [٣/ ١٧٧] استقراءُ البلاد المعروفة اليوم، وذكر لهلاك كل قطر منها صفة، ثم ذكر نحو ذلك عن وهب بن منبه، فذكر فيه أن هلاك الأندلس وخرابها يكون بسنابك الخيل واختلاف الجيوش فيها، وتركْتُ سائرها لعدم الصحة في ذلك[١]، والمعلوم أن كل قرية تهلك إما من جهة القحوط والخسف غرقاً، وإمَّا من جهة[٢] الفِتن، أو منهما، وصور ذلك كثيرة لا يعلمها إلَّا الله عزّ وجل، فأمَّا ما هلك بالفتنة فعن ظُلْم ولا بُدَّ، إمَّا في كفرٍ أو معاصٍ أو تقصير في دفاع وحزامة[٣]، وأما القحط فيصيب الله به من يشاءُ وكذلك الخسف.

وقوله: ﴿مُهۡلِكُوهَا﴾ الضمير لها وفي ضمن ذلك الأهـل، وقوله: ﴿مُعَذِّبُوهَا﴾ هو على حذف مضاف، فإنه لا يعذب إلَّا الأهل.

وقوله: ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يريد: في سابق القضاء، وما خطَّه القلم في اللوح المحفوظ.

و«المَسْطُورُ»: المكتوب أسْطَاراً.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ﴾ الآية، هذه العبارة في معناها[٤] هي على ظاهر ما تفهم العرب، فسمَّى سَبْقَ قضائه بتكذيب من كذَّب وتعذيبه مَنْعاً، و﴿أَن﴾ الأولى في موضع نصب، والثانية في موضع رفع، والتقدير: وما مَنَعَنَا الإرسالَ إلَّا التَّكذيبُ.

وسبب هذه الآية أن قريشاً اقترحوا على رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصَّفَا ذهباً، واقترح بعضهم أن يُزيل عنهم الجبال حتى يزرعوا الأرض، فأوحى الله إلى محمد ﷺ: إن شئت أن أفعل ذلك لهم، فإن تأخروا عن الإيمان عاجلتهم العقوبة، وإن شئت استأنيت بهم عسى أن أجْتبي منهم مؤمنين، فقال رسول الله ﷺ: «بل تَسْتَأْني بهم يا رب»[٥].

---

(١) لم أقف على نقل النقاش، وقول الضحاك ووهب ورد في البحر المحيط (٧/ ٧٢).

(٢) ليست في الإماراتية وفيض الله ونور العثمانية.

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) في المطبوع والإماراتية ونور العثمانية: «مَنَعَنَا».

(٥) صحيح، أخرجه أحمد (١/ ٢٥٨)، والنسائي في الكبرى (١١٢٢٦)، والطبري (١٧/ ٤٧٦)، =

فأخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لم يمنعه من إرسال الآيات المُقْتَـرَحة إلَّا الاستيناءُ؛ إذْ إنه[١] قد سلفت عادته بمعاجلة الأمم الذين جاءتهم الآيات المُقْتَـرَحة فلم يُؤْمنوا.

قال الزجاج: أخبر الله تعالى أن موعد كفار هذه الأمة الساعة؛ لقوله: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [القمر: ٤٦][٢]، فهذه الآية تنظر إلى ذلك.

ثم ذكر الله تعالى أمر ثمود احتجاجاً إن قال منهم قائل: نحن كنا نؤمن لو جاءتنا آية اقترحناها ولا نكفر بوجه، فذكر الله تعالى ثمود، بمعنى: لا تأمنون أن تَظْلِمُوا[٣] بالآية كما ظلمت ثمود بالناقة.

وقرأ الجمهور: ﴿ثَمُودَ﴾ بغير تنوين، قال هارون: أهل الكوفة يُنَـوِّنون ﴿ثَمُودَاْ﴾ في كل وجه، قال أبو حاتم: لا تُنَـوِّنُ العامة والعلماءُ بالقراءات[٤] (ثَمُودَ) في وجه من الوجوه[٥]، وفي أربعة مواطن أَلِفٌ مكتوبة، ونحن نقرؤُها بغير ألف[٦].

وقوله: ﴿مُبْصِرَةً﴾ على جهة النسب؛ أي: معها إبصارٌ، كما قال: ﴿ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢]؛ أي: مَعَهَا إبصارٌ ممن ينظر، وهذه عبارة عن بيان أمرها، ووضوح إعجازها.

= والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٢)، والبزار (٢٢٢٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٥٥) والضياء في المختارة (١٠/ ٧٩-٨٠) من طرق عن جرير، عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه، مرفوعاً، وقال البزار: لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ من وجه صحيح إلا من هذا الوجه.

(١) من المطبوع.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٤٧)، والعزو له ليس في نجيبويه.

(٣) في نجيبويه: «تضلوا بالآية كما ضلت».

(٤) في نجيبويه: «بالقرآن».

(٥) في أحمد٣: «من وجوه النسب».

(٦) غير متقن، وقد نقل كلام هارون وأبي حاتم في البحر المحيط (٧/ ٧٢)، وقد نقل الهذلي في الكامل (ص: ٥٥٤) تعميم التنوين عن الأعمش وابن مقسم خاصة، ولم نجده لغيرهم من الكوفيين، مع اتفاق المصاحف هنا على كتابته بلا ألف.

وقرأ قومٌ: (مُبْصَرَةً) بضم الميم وفتح الصاد، حكاه الزجاج[١]، ومعناه: مُتَبَيَّنَةً.

وقرأ قتادة: (مَبْصَرَةً) بفتح الميم والصاد[٢]، وهي مَفْعَلَةٌ من البصر، ومنه قوله عنترة:

.... والكُفْرُ مَخْبَثَةٌ لِنَفْسِ الْمُنْعِمِ[٣] [الكامل]

وقوله: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾؛ أي: وضعوا الفعل غير موضعه، أي: بعَقْرها، وقيل: بالكفر في أمرها. ثم أخبر تعالى أنه إنما يرسل بالآياتِ غير المُقْتَرَحَة تَخْوِيفاً للعباد، وهي آيات معها إمْهالٌ لا معاجلة، فمن ذلك الكسوف والرعد والزَّلزلة وقوس قُزَح وغير ذلك، قال الحسن: والموت الذريع[٤].

وروي: أن الكوفة رجفت في مدة عبد الله بن مسعود، فقال: أيها الناس، إن ربكم يستعتبكم، فأعتبوه[٥].

ومن هذا قول النبي ﷺ في الكسوف: «فافْزَعُوا إلى الصَّلَاةِ» الحديث[٦].

وآياتُ الله المُعْتَبر بها ثلاثة أقسام:

فقسم عامٌّ في كل شيءٍ؛ إذ حيثما وضعت نظرك وجدتَ آية، وهنا فكرة العلماء.

وقِسْم معتادٌ غِبّاً كالرعد والكسوف ونحوه، وهنا فكرة الجهلة فقط.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٤٧) بلا نسبة، وهي شاذة.

(٢) وهي شاذة، نقلها عنه الكرماني في الشواذ (ص:٢٨٢)، وزاد له كسر الصاد، وهي في مختصر الشواذ (ص: ٨٠) بلا ضبط.

(٣) وصدره: نُبِّئْت عَمْراً غَيْرَ شاكِرِ نِعْمَتي، انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٣٦٩)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٧٦)، والصحاح للجوهري (١/ ٢٨١)، وشرح المعلقات التسع للشيباني (ص: ٢٤٩)، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه (١/ ٢٨٣).

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٤٧٨).

(٥) إسناده منقطع، أخرجه الطبري (١٧/ ٤٧٨) من طريق قتادة قال: ذُكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود، فقال: يأيها الناس إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه.

(٦) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري (١٠٤٦) في باب النداء بالصلاة جامعة في الكسوفِ.

وقسم خارق للعادة، وقد انقضى بانقضاء النبوة، وإنما يُعتبر به توهماً لما سلف منه.

قوله عزّ وجل: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾.

قال الطبري: معنى قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾؛ أي: في منعك يا محمد، وحياطتك، وحفظك، فالآية إخبارٌ له بأنه محفوظ من الكفرة، آمِنٌ أن يُقتل أو يُنال بمكروه عظيم؛ أي: فلتُبَلغ[1] رسالةَ ربك، ولا تتهيَّبْ أحداً من المخلوقين[2].

وهذا تأويلٌ بيِّنٌ جار مع اللفظ، وقد رُوي نحوه عن الحسن بن أبي الحسن، والسُّدي[3]، إلاَّ أنه لا يناسب ما بعده مناسبةً شديدةً.

ويحتمل أن يجعل الكلام مناسباً لما بعده، توطئةً له، فأَقولُ: اختلف الناسُ في الرُّؤْيا: فقال الجمهور: هي رؤيا عينٍ ويقظةٍ، وهي ما رآه رسول الله ﷺ في ليلة الإسراء، قالوا: فلما أخبر رسول الله ﷺ صبيحة الإسراء بما رأى في تلك الليلة من العجائب، قال الكفار: إنَّ هذا لعجب[4]، تخبُّ الـحُداةُ إلى بيت المقدس شهرين إقبالًا وإدباراً، ويقول محمد إنه جاءه من ليلته وانصرف منه، فافتتن بهذا التَّلْبيس قومٌ من ضعفة المسلمين فارتَدُّوا، وشق ذلك على رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآيات[5].

فعلى هذا يحسن أن يكون معنى قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾؛ أي: في إضلالهم وهدايتهم، وأنَّ كلَّ واحد مُيَسَّر لما خلق[6] له؛ أي: فلا تهتم أنت

---

(١) في الأصل: «في تبليغ».
(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٤٧٩).
(٣) انظر قول الحسن في تفسير الطبري (١٧/ ٤٧٩)، وقول السدي في البحر المحيط (٧/ ٧٤).
(٤) في الأصل والمطبوع: «لعجيب».
(٥) انظر قصة الإسراء والمعراج في البخاري (٣٤٩، ٣٨٨٦- ٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢-١٧٥).
(٦) في نجيبويه والإماراتية: «يسر».

بِكُفْرِ من كَفر، ولا تحزن عليهم، فقد قيل لك(١): إن الله محيطٌ بهم، مالِكٌ لأمرهم، وهو جعل رؤياك(٢) هذه فتنةً ليكفر من سبق عليه الكفر.

وسُمِّيت الرُّؤْية في هذا / التأويل رُؤيا؛ إذ هما مصدران من: رأى. [٣/ ١٧٨]

قال النقاش: جاء ذلك على اعتقاد من اعتقد أنها منامة وإن كانت الحقيقة غيرَ ذلك(٣).

وقالت عائشة: الرؤيا في الإسراء رؤيا منام(٤).

وهذا قولٌ الجمهورُ على خلافه، وهذه الآية تقضي بفساده، وذلك أن رؤيا المنام لا فتنة فيها، وما كان أحد لينكرها، وقد ذُكر هذا مُسْتَوْعباً في صدر السورة.

وقال ابن عباس: الرُّؤْيَا التي في هذه الآية هي رؤيا رسول الله ﷺ أن(٥) يدخل مكة، فعجَّل في سَنَة الحديبية، فَـرُدَّ، فافتتن المسلمون لذلك، فنزلت الآيات(٦).

وقال سهلُ بن سعد: إنما هذه الرؤيا أن رسول الله ﷺ كان يرى بني أمية ينزون على منبره نزْوَ القردةِ، فاهتَمَّ لذلك وما استجمع ضاحكاً من يومئذ حتى مات(٧)، فنزلت الآية

---

(١) في المطبوع زيادة: «لا تحزن عليهم».

(٢) ليست في المطبوع، ولا نجيبويه.

(٣) انظر: البحر المحيط (٧/ ٧٤).

(٤) ضعيف، أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص ٢٧٥)، قال: حدثني بعض آل أبي بكر عن عائشة أنها كانت تقول: ما فُقِد جسد رسول الله ﷺ، ولكن الله عز وجل أسرى بروحه، ومن طريقه أخرجه الطبري (١٧/ ٣٥٠)، وفي تهذيب الآثار (٧٣٣) وسنده ضعيف لإبهام شيخ ابن إسحاق.

(٥) في أحمد٣: «أنه».

(٦) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٤٨٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، والعوفي ضعيف.

(٧) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٤٨٣) قال: حُدثتُ عن محمد بن الحسن بن زبالة، قال: ثنا عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد، قال: ثني أبي، عن جدّي، به، ومحمد بن الحسن بن زبالة كذبوه، وانظر التقريب (٥٨١٥)، وشيخه عبد المهيمن بن عباس ضعيف، وانظر: التقريب (٤٢٣٥)، =

مخبرة أن ذلك من ملكهم وصعودهم على المنابر، إنما يجعلها الله فتنة للناس وامتحاناً.

ويجيءُ قوله: ﴿أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾؛ أي: بإقداره، وأن كل ما قدَّره نافذ، فلا تهتم بما يكون بعدك من ذلك، وقد قال الحسن بن علي في خطبته في شأن بيعته لمعاوية: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١][١].

وفي هذا التأويل نظر، ولا يدخل في هذه الرُّؤيا عثمان بن عفان، ولا عمر بن عبد العزيز، ولا معاوية.

وقوله: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ معطوفة على قوله: ﴿ٱلرُّءْيَا﴾؛ أي: جعلنا الرؤيا[٢] والشجرة فتنةً.

والشَّجَرَةُ هنا في قول الجمهور هي شجرة الزقُّوم، وذلك أن أمرها لما نزل في سورة الصَّافَّات قال أبو جهل وغيره: هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنها تُنبتُ الشَّجر، [والنار تأكل الشجر][٣]، وما نعرف الزَّقوم إلاَّ التمر بالزبد، ثم أمر أبو جهل جاريةً له فأحضرت تمراً وزبداً وقال لأصحابه: تَزقَّمُوا، فافْتتن أيضاً بهذه المقالة بعض الضعفاء[٤].

= وله شاهد بإسناد فيه كلام، أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦٤٦١) من طريق العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ رأى في المنام كأن بني الحكم ينزون على منبره وينزلون، فأصبح كالمتغيظ، وقال: «ما لي رأيت بني الحكم ينزون على منبري نزو القردة؟» قال: فما رئي رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً بعد ذلك حتى مات ﷺ، بدون ذكر الآية. وله طرق أخرى عن أبي هرير ضعيفة، وانظر العلل المتناهية (٢/ ٧٠١-٧٠٢).

(١) لم أقف عليه.

(٢) في المطبوع: «الرؤية».

(٣) ليس في المطبوع.

(٤) صحيح لغيره، أخرجه البلاذري في أنساب الأشراف (١/ ٥٧) من طريق علي بن أبي طلحة، وأبو يعلى في مسنده (٢٧٢٠) من طريق عكرمة مولى ابن عباس، والطبري (١٧/ ٤٨٤) من طريق عطية العوفي، جميعاً (علي، وعكرمة، والعوفي) عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

فأخبر الله نبيَّه أنه إنما جعل الإسراء وذِكْرَ شجرة الزَّقوم فتنة واختباراً ليكفر من سبق عليه الكفر، ويُصدِّق من سبق له الإيمان، كما رُوي أن أبا بكر الصديق قيل له صبيحة الإسراء: إن صاحبك يزعم أنه جاء البارحة بيت المقدس وانصرف منه، فقال: إن كان قال ذلك فقد صدق، فقيل له: أفتصدِّق قبل أن تسمع منه؟ فقال: أين عقولكم؟ أنا أصدقه بخبر السماء، فكيف لا أصدقه بخبر بيت المقدس، والسماءُ أبعد منها بكثير؟[1].

---

(١) روي من طرق أجودها مرسل، أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٤٦)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ٢٤)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٤/ ٧٧٣) من طريق محمد بن كثير الصنعاني، عن معمر بن راشد، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، مرفوعاً بنحوه، ومحمد بن كثير بن أبي عطاء الثقفي، أبو يوسف الصنعاني ثم المصيصي صدوق كثير الغلط، وروايته عن معمر ضعفها أحمد، وقال: هو منكر الحديث، وقال: يروي أشياء منكرة، وقال أبو حاتم: كان رجلاً صالحاً سكن المصيصة، وأصله من صنعاء اليمن، وفي حديثه بعض الإنكار، وقال صالح بن محمد: صدوق كثير الخطأ، وقال البخاري: لين جداً، وقد وثقه ابن معين، قلت: ومحمد بن كثير لا يحتج به إذا انفرد، وانظر تهذيب التهذيب (٩/ ٤١٥-٤١٧)، وللحديث شاهد أخرجه البزار في مسنده (٣٤٨٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٥/ ٢٧)، والطبراني في معجمه (٧١٤٢)، وفي مسند الشامين (١٨٩٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٤١) من طريق إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الحمصي، ابن زبريق، عن عمرو بن الحارث، عن عبد الله بن سالم، عن الزبيدي، عن الوليد بن عبد الرحمن أن جبير بن نفير قال حدثنا شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله كيف أسري بك ليلة أسري بك؟.. فأتاني أبو بكر فقال: يا رسول الله أين كنت الليلة فقد التمستك في مكانك، فقال: إني أتيت بيت المقدس الليلة فقال: يا رسول الله إنه مسيرة شهر فصفه لي ففتح لي شراك كأني أنظر إليه لا يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم عنه، فقال أبو بكر: أشهد أنك رسول الله، فقال: المشركون انظروا إلى أبي كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة قال نعم: وقد مررت بِعير لكم بموضع كذا وكذا قد أضلوا بعيراً لهم بمكان كذا وكذا، وإسحاق بن إبراهيم بن العلاء الحمصي، ابن زبريق قال فيه أبو حاتم: شيخ لا بأس به، ولكنهم يحسدونه، وقال النسائي: ليس بثقة، وروى الآجري عن أبي داود: أن محمد بن عون قال: ما أشك أن إسحاق بن زبريق يكذب، وقواه ابن معين، وانظر التهذيب (١/ ٢١٥-٢١٦)، وقال ابن كثير: لا شك أن هذا الحديث المروي عن شداد بن أوس مشتمل على أشياء منها ما هو صحيح كما ذكره البيهقي، ومنها ما هو منكر، كالصلاة في بيت لحم، =

وقالت فرقة: الشجرة إشارةٌ إلى القوم المذكورين قبْلُ في الرُّؤْيا.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول ضعيف مُحْدَث، وليس هذا عن سهل بن سعد ولا مثله، وقال الطبري عن ابن عباس: إن الشجرة الملعونة: يعني: الملعون آكلها؛ لأنها لم يجرِ[(١)] لها ذكر[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: ويصح أن يراد: الْمَلْعُونَةَ هنا، فأكَّد الأمر بقوله: ﴿فِي ٱلْقُرْءَانِ﴾.

وقالت فرقة: الملعونة: الـمُبْعَدَةُ[(٣)] المكروهةُ، وهذا أراد؛ لأنه لَعَنَها بلفظ اللَّعنة المتعارف، وهذا قريب في المعنى من الذي قبله، وأيضاً فما ينبتُ في أصل الجحيم فهو في نهاية البعد من رحمة الله.

وقوله: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾، يريد: إمَّا كُفَّارَ مكَّة، وإمَّا الملوك من بني أميَّة بعد الخلافة التي قال فيها النبي ﷺ: «الخلافةُ بعدي ثلاثون سنة[(٤)]، ثم تكون ملكاً عَضُوضاً»[(٥)].

= وسؤال الصديق عن نعت بيت المقدس، وغير ذلك.، وله شاهد ثان أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٤٥) من طريق الزهري قال أبو سلمة ابن عبد الرحمن: فتجهز ناس من قريش إلى أبي بكر فقالوا له: هل لك في صاحبك؟ يزعم أنه قد جاء بيت المقدس، ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة، فقال أبو بكر: أوقال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: فأشهد، لئن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا: فتصدقه بأن يأتي الشام في ليلة واحدة، ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني أصدقه بأبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء. قال أبو سلمة: فبها سمي أبو بكر الصديقَ، وهذا مرسل جيد.

(١) في المطبوع: «يجيء».

(٢) أخرجه ابن المنذر في تفسيره كما في الدر المنثور (٩/ ٣٩٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، بلفظ: ملعونة؛ لأن طلعها كأنه رؤوس الشياطين، وهم ملعونون، وأخرجه الطبري (١٤/ ٦٥٣) من قول ابن جريج، بنحوه.

(٣) ليست في نجيبويه.

(٤) «سنة»: ليست في المطبوع وفيض الله والإماراتية ونور العثمانية.

(٥) في المطبوع «عضوداً»، والأثر صححه أحمد وغيره، أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده =

والأول منها أصوب كما قلنا قبْلُ.

وقوله: ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَنًا كَبِيرًا﴾ يريد كفرهم وانهماكهم[(١)] فيه، كقول أبي جهل في الزقوم والتَّزقُّم، فقد قال النقاش: إن في ذلك نزلت[(٢)]، وفي نحوه.

وقرأ الأعمش: (وَيُخَوِّفُهُمْ) بالياء[(٣)]، وقرأ الجمهور: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بالنون.

= (١٩٤٤)، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٢٠)، والبزار في مسنده (٣٨٢٨)، والسنة لعبد الله بن أحمد (١٤٠٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٨/ ٤١٤)، والطبراني في الكبير (١٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٩٤٣)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٧١) من طريق حماد بن سلمة، والطيالسي في مسنده (١٢٠٣)، وأحمد (٥/ ٢٢١)، والترمذي (٢٢٢٦)، والطبراني في الكبير (٦٤٤٢)، من طريق حشرج بن نباتة العبسي، وأبو داود (٤٦٤٨)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٤٥)، وابن حبان في صحيحه (٦٦٥٧) من طريق عبد الوارث بن سعيد، وأبو داود (٤٦٤٩)، والنسائي في الكبرى (٨٠٩٩)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١٤٠٣-١٤٠٤)، والطبراني في الكبير (١٣٦-٦٤٤٣) من طريق العوام بن حوشب، جميعاً (حماد، وحشرج، وعبد الوارث، والعوام) عن سعيد بن جهمان، عن سفينة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: الخلافة في أمَّتي ثلاثون سنةً ثمَّ يكون ملكٌ، ثمَّ قال سفينة: أمسك، خلافة أبي بكرٍ وخلافة عمر ثنتا عشرة سنةً وستَّة أشهرٍ وخلافة عثمان ثنتا عشرةَ سنةً وستَّة أشهرٍ ثمَّ خلافة عليٍّ تكملةُ الثَّلاثين قلت: فمعاوية؟ قال: كان أوَّل الملوك، والروايات مطولة ومختصرة، قال الخلال: أخبرنا المروذي قال: ذكرت لأبي عبد الله حديث سفينة، فصححه، وقال: هو صحيح، قلت: إنهم يطعنون في سعيد بن جمهان؟ فقال: سعيد بن جمهان ثقة، روى عنه غير واحد، منهم: حماد وحشرج والعوام. قلت: إن عباس بن صالح حكى عن علي بن المديني، عن يحيى القطان أنه تكلم فيه؟ فغضب، وقال: باطل، ما سمعت يحيى يتكلم فيه، وأخبرني محمد ابن علي، قال: سمعت محمد بن مطهر المصيصي ذكر أبو عبد الله: حماد بن سلمة، عن سعيد بن جمهان، عن سفينةَ ـ في الخلافة، وقال: علي ـ عندنا ـ من الخلفاء الراشدين المهديين، وحماد بن سلمة ـ عندنا ـ ثقة، وما نزداد كل يوم فيه إلا بصيرة. انظر: المنتخب من علل الخلال (١/ ٣٠).

(١) في نجيبويه ونور العثمانية والإماراتية وفيض الله: «وانتهاكهم».

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٤٨٤)، وفي نجيبويه: «الناس» بدل «النقاش»، وقوله لم أقف عليه.

(٣) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٠).

قوله عز وجل ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾.

المعنى: واذكر إذ قلنا، وكذلك ﴿وَإِذْ﴾ في الآية المتقدمة هي منصوبة بفعل مضمر، وقد تقدم في غير موضع ذكْرُ خلق آدم وأمْر السجود له.

واختلف في قوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ فقيل: هو استثناءٌ منقطع؛ لأن إِبْلِيسَ لم يكن من الملائكة.

وقيل: هو متصل؛ لأن إبليس من الملائكة.

وقوله: ﴿طِينًا﴾ يصحُّ أن يكون تمييزاً، ويصحُّ أن يكون حالاً، وقاسَ إِبْلِيسُ في هذه النازلة فأخطأ؛ وذلك أنه رأى الفضيلة لنفسه من حيث رأى أن النار أفضل من الطين، وجهل أن الفضائل في الأشياء إنما تكون حيث خصصها الله تعالى، ولا يُنْظر إلى أصولها.

وذكر الطبري عن ابن عباس: أن إبليس هو الذي أمره الله، فأخذ من أديم الأرض طينة، فخلق آدم[١]، والمشهور أنه مَلَك الموت.

وكُفر إبليس في أن جهل صفة العدل من الله تعالى حين لحقته الأنفة والكبر، وكان أصل ذلك الحَسَد، ولذلك قيل: أولُ ما عُصي اللَّهُ تعالى بالحسد[٢]، وظهر ذلك

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٤٨٨) عن محمد بن حميد الرازي، عن يعقوب القمي، عن جعفر ابن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، ومحمد بن حميد ضعيف، والمشهور أن ملك الموت هو الذي فعل هذا، ولفظة: «فخلق» ليست في نجيبويه.

(٢) ورد في تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ١٥١)، على أنه خبر.

من إبليس من قوله: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾، ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢] حسبما ذكر الله في آية أُخرى، فهذا هو النَّصّ بأن فعلك غير مستقيم.

والكاف في قوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ هي كاف خطاب ومبالغة في التَّنبيه، لا موضع لها من الإعراب؛ فهي زائدة، ومعنى ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾: أَتَأَمَّلْتَ، ونحوه، كأن المخاطِب بها يُنبِّه المخاطَبَ ليستجمع لما يَنُصُّه عليه بعْدُ، وقال سيبويه: هي بمعنى: أخبرني، ومثَّل بقوله: أَرَأَيْتَك زيداً أَبُو مَنْ[١] هو؟[٢]، وقاله الزجاج في آيتِنا، ولم يُمثِّل[٣].

وقول سيبويه صحيح حيث يكون بعدها استفهام / كمثاله، وأما[٤] هذه الآية فهي كما قلْتُ، وليست التي[٥] ذكر سيبويه رحمه الله. [٣/ ١٧٩]

وقرأ ابن كثير: ﴿أَخَّرْتَني﴾ بياء في الوصل والوقف، وهذا هو الأصل، وليس هذا الموضع كالقافية التي يحسن فيها الحذف، كمثل قول الأعشى:

فَهَلْ يَمْنَعَنِّي ارْتِيَادِي الْبِلا ... دَ مِنْ حَذَرِ الْمَوْتِ أَنْ يَأْتِيَنْ[٦] [المتقارب]

وقرأ نافع، وأبو عمرو بالياء في الوصل وبحذفها في الوقف، وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿أَخَّرْتَنِ﴾ بحذف الياء في الوصل والوقف[٧]، وهذا تشبيه بياء (قاضٍ) ونحوه؛ لكونها ياءً متطرفة قبلها كسرة، ومنها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود: ١٠٥].

---

(١) في المطبوع: «أيؤمن»، بدل: «أبو من».

(٢) الكتاب لسيبويه (١/ ٢٣٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٩).

(٤) في نجيبويه: «وما في».

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «وليس الذي».

(٦) تقدم في تفسير الآية (٢٢) من سورة آل عمران.

(٧) انظر: السبعة (ص: ٣٨٦)، والتيسير (ص: ١٤٢).

وقوله: ﴿لَأَحۡتَنِكَنَّ﴾ معناه: لأُمِيلَنَّ ولأَجُرَّنَّ، وهو مأخوذ من تحنيك الدَّابَّة، وهو أن يُشَدَّ على حنكها بحبل أو غيره فتنقاد، والسَّنة تَحْتَنِكُ المال؛ أي: تجترُّه، ومنه قول الشاعر:

[الرجز]
نَشْكُو إلَيْكَ سَنَةً قَدْ أَجْحَفَتْ جَهْداً إلَى جَهْدٍ بِنَا فَأَضْعَفَتْ
واحْتَنَكَتْ أَمْوَالَنَا وجَلَّفَتْ[1]

ومن هذا الشعر قال الطبري: ﴿لَأَحۡتَنِكَنَّ﴾ معناه: لأَسْتَأْصِلَنَّ[2]، وعبَّر ابن عباس في ذلك بـ(لأَسْتَوْلِيَنَّ)[3]، وقال ابن زيد: لأُضِلَّنَّ[4]، وهذا بدل اللفظ لا تفسير.

وحكم إبليس بهذا الحكم على ذرية آدم من حيث رأى الخِلْقة مجوفة مختلفة الأجزاء، وما اقترن بها من الشهوات والعوارض كالغضب ونحوه، ثم استثنى القليل لعلمه أنه لا بدَّ أن يكون في ذريته من يصلب في طاعة الله.

وقوله: ﴿ٱذۡهَبۡ﴾ وما بعده من الأوامر هي صيغة (افْعَلْ) بمعنى التهديد، كقوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: ٤٠]، و﴿تَبِعَكَ﴾ معناه: في طريق الكفر [الذي تدعو إليه][5]، فالآية في الكفار، وفيمن ينفذ عليه الوعيد من العصاة.

وقوله: ﴿جَزَآءَ﴾ مصدر في موضع الحال، و«الـمَوْفورُ»: المكتمل[6].

---

(١) البيتان الأول والثاني مثبتان ضمن الأرجوزة السادسة في بقية ديوان الزفيان السعدي، عطاء بن أُسيد الراجز، وعزاهما له في تهذيب اللغة (٢/ ٣٣٤)، وتاج العروس (٢٤/ ٣٨١)، وهي ملحقة بديوان العجاج المطبوع في ليبزج سنة ١٩٠٣ (ص: ٦٥).
(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٤٨٨).
(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٨٩) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.
(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٤٨٩).
(٥) ليس في نجيبويه.
(٦) في نجيبويه ونور العثمانية وفيض الله: «المكمل».

و﴿اسۡتَفۡزِزۡ﴾ معناه: استخفَّ واخْدَعْ[١] حتَّى يقع في إرادتك، تقول: اسْتَفَزَّني فلانٌ في كذا: إذا خدعك حتَّى تقع في أمرٍ أراده[٢].

ومن الخفة قيل لولد البقرة: فَـزٌّ، ومنه قول زهير:

كَمَـا اسْـتَغَاثَ بِسَـيْءٍ فَـزُّ غَيْطَلَـةٍ خَافَ الْعُيُونَ فَلَمْ يُنْظَرْ بِهِ الْحَشَكُ[٣] [البسيط]

و«الصَّوْتُ» هنا قيل: هو الغناءُ والمزامير والملاهي؛ لأنها أصوات كلها مختصة بالمعاصي، فهي مضافة إلى الشيطان، قاله مجاهد[٤]، وقيل: معناه: بدعائك إياهم إلى طاعتك.

قال ابن عباس: صوته دعاءُ كل داع دعا[٥] إلى معصية الله[٦].

قال القاضي أبو محمد: والصواب أن يكون الصَّوْتُ يعُمُّ جميع ذلك.

وقوله: ﴿وَأَجۡلِبۡ﴾؛ أي: هَوِّلْ، و«الجَلَبَةُ»: الصوت الكثير المختلط الهائل.

وقرأ الحسن: (وَاجْلُبْ) بوصل الألف وضمِّ اللام[٧].

وقوله: ﴿بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ قيل: هذا مجازٌ واستعارة بمعنى: اسْعَ سعيك، وابلغ جهدك، وقيل: معناه أن له من الجن خيلاً ورجلاً، قاله قتادة.

---

(١) في نجيبويه: «واجزع».

(٢) في أحمد٣: «أراده بك».

(٣) انظر عزوه له في الاشتقاق (١/ ١٢٠)، وأمالي القالي (١/ ٧٨)، والمحكم (٣/ ٣٠)، وإصلاح المنطق (١/ ٢٩)، وتهذيب اللغة (١/ ٤٦٨)، والسَّيْءُ: ما يكون في الضَّرع من اللبن قبل نزول الدِّرَّة، والغيطلة: البقرة. والحَشَكُ: سرعة تجمع اللبن في الضرع.

(٤) تفسير الثعلبي (٦/ ١١٣).

(٥) في المطبوع: كل عاص وفي نجيبويه كذلك وسقطت منه ومن نور العثمانيةكلمة: «دعا».

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٩١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.

(٧) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص:٢٨٢).

وقيل: المرادُ فرسان الناس ورجالتهم المتصرفون في الباطل، فإنهم كلهم أعوان لإبليس على غيرهم، قاله مجاهد[١].

وقرأ الجمهور: ﴿وَرَجْلِكَ﴾ بسكون الجيم، وهو جمع راجِلٍ، كتاجِرٍ وتَجْر، وصاحِبٍ وصَحْب، وشارِبٍ وشَرْب.

وقرأ حفصٌ عن عاصم: ﴿وَرَجِلِكَ﴾ بكسر الجيم، على وزن فَعِل، وكذلك قرأ الحسن، وأبو عمرو بخلاف عنه[٢]، وهي صفةٌ، تقول: فلانٌ يمشي رَجِلًا؛ أي: غير راكب، ومنه قول الشاعر:

[البسيط] أَمَا أُقَاتِلُ عَنْ دِينِي عَلَى فَرَسِي ... ولا كَذَا رَجِلاً إِلَّا بِأَصْحَابِ[٣]

وقرأ قتادة وعكرمة: (بخَيِلك ورِجَالِك)[٤].

وقوله[٥]: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ عامٌّ لكلِّ معصية يصنعها الناسُ بالمال، فإن ذلك المصرف في المعصية هو حظُّ إبليس، فمن ذلك البحائر[٦] وشبهها، ومن ذلك مهر البغيِّ وثمن الخمر وحلوان الكاهن والرِّبا وغير ذلك مما يوجَد في النَّاس دأباً.

وقوله: ﴿وَالْأَوْلَادِ﴾ عامٌّ لكل ما يصنع في أمر الذرِّيَّة من المعاصي، فمن ذلك

---

(١) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٦/ ١١٣).

(٢) انظر: التيسير (ص: ١٤٠)، وانظر رواية أبي عمرو، وهي خارج الطرق، وقراءة الحسن في البحر المحيط (٧/ ٨٠).

(٣) البيت: ليحيى بن وائل، أحدُ بني مازن حارثي كما في نوادر أبي زيد (ص: ٥)، وأنساب الأشراف (٧/ ١٨٤)، وضبطت «رجلاً» في المطبوع بالضم، ولعل الصواب: «رجِلاً» بكسر الجيم؛ ليصح الاستشهاد، والله أعلم.

(٤) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٠)، والبحر المحيط (٧/ ٨٠)، ونقلها الزمخشري في الكشاف (٢/ ٦٧٨) بلا نسبة.

(٥) من المطبوع.

(٦) في المطبوع: «السجائر»!.

الإيلادُ بالزِّنَى، ومن ذلك تسميتهم عبد شمس، وعبد الحارث، وأبا الكويفر، وكل اسم مكروه، ومن ذلك الوأْد الذي كانت العرب تفعله، ومن ذلك صنعهم[(١)] في أديان الكفر، وغير هذا، وما أدخل النقاش من وطء الجن وأنه يحبل المرأة من الإنس فضعيف كلُّه[(٢)].

وقوله: ﴿وَعِدْهُمْ﴾؛ أيْ: مَنِّهم بما لا يتمُّ لهم، وبأنهم غير مبعوثين، فهذا مشاركة في النفوس، ثم أخبر الله تعالى أنه إنما يعدهم غروراً منه؛ لأنه لا يُغني عنهم شيئاً.

وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ الآية قولٌ من الله تعالى لإبليس، وقوله: ﴿عِبَادِى﴾ يريد المؤمنين في الكفر، والـمُتَّقِين في المعاصي، وخَصَّهم باسم[(٣)] العباد، وإن كان اسْماً عامّاً لجميع الخلق من حيث قصد تشريفهم والتنويه بهم، كما يقول رجلٌ لأَحَدِ بَنِيهِ إذا رأى منه ما يحب: هذا ابني، على معنى التَّنْبيه منه، والتشريف له، ومنه قول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقَّاص: «هذا خالي، فَلْيُرِني امرؤٌ خالَه»[(٤)].

---

(١) في المطبوع والحمزوية وأحمد٣: «صبغهم».

(٢) تفسير الثعالبي (٣/ ٤٨٤).

(٣) في المطبوع: «بأنهم».

(٤) ضعيف، أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١٣١٢)، والترمذي (٤٠٨٥)، وأبو يعلى في مسنده (٢٠٤٩-٢١٠١)، والبلاذري في أنساب الأشراف (٣/ ٢٩٣)، والطبراني في الكبير (٣٢٣)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٩٨)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ١٣٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٠/ ٣٣٢-٣٣٣) من طرق عن مجالد بن سعيد الهمداني، عن الشعبي، عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما به، ومجالد بن سعيد أكثر النقاد على تضعيفه وتليينه، وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث مجالد.اهـ. ومثله في تحفة الأشراف (٢٣٥٢)، وكان سعد بن أبي وقاص من بني زهرة، وكانت أم النبي ﷺ من بني زهرة، فلذلك قال النبي ﷺ: «هذا خالي». اهـ، وقد وقع في إسناد الحاكم: إسماعيل بن أبي خالد بدلاً من مجالد بن سعيد، ونبه عليه ابن الملقن في البدر المنير (٧/ ٢٨٠). والظاهر أنه وهم، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (١٠١٨)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ١٣٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٠/ ٣٣٣) من طريق: عبد الوهاب بن الضحاك قال: ثنا إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو السكسكي، عن ماعز التميمي، عن جابر، به. وعبد الوهاب متروك وكذبه بعضهم.

و«السُّلْطَانُ»: الملكة[١] والتغلُّب[٢]، وتفسيره هنا بالحُجَّة قَلِقٌ، ثم قال تعالى لِنَبِيِّه ﷺ: وكفى بِرَبِّك يا محمد حافظاً للمؤمنين، وقَيِّماً على هدايتهم.

قوله عز وجل: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾.

«الإِزْجَاءُ»: سوقُ الثَّقيل السَّيْرِ؛ إمَّا لضعفٍ أو ثِقَل حمل أو غيره، فالإبل الضعاف تُزْجَى، ومنه قول الفرزدق:

[البسيط] .... عَلَى زَوَاحِفَ نُزْجِيهَا مَحَاسِيرِ[٣]

والسَّحابُ تُزْجَى، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾ [النور: ٤٣]، والبضاعة الـمُزْجَاةُ هي التي تحتاج / لاختلالها أن تُساقَ بشفاعةٍ، وتُدْفع بمُعاونٍ إلى الذي يقبضها، وإزجاءُ الفُلْك سوقُه بالريح اللَّيِّنة والمجاديف. [٣/ ١٨٠]

و﴿ٱلْفُلْكَ﴾ هنا جمع، و﴿ٱلْبَحْرِ﴾: الماءُ الكثير عذباً كان أو مِلْحاً، وقد غلب الاسم على هذا المشهور، والفلك تجري فيهما.

وقوله: ﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ لفظ يعم التجر[٤] وطلَب الأجر في حجٍّ أو غزوٍ ونحوه، ولا خلاف في جواز ركوبه للحجِّ والجهاد والمعاش[٥].

---

(١) في المطبوع: «الملكية».

(٢) في نجيبويه: «والتغليب».

(٣) تقدم في تفسير الآية (١٣) من سورة الأنفال، برواية: (تُزجَى مخُّها رِيرُ).

(٤) في المطبوع: «البحر».

(٥) انظر الاتفاق على جواز ركوب البحر للحج والجهاد في: البيان والتحصيل (١٧/ ٢٥)، ولم أقف عليه في المعاش.

واختُلف في وجوبه للحجِّ، أعني الكثير منه[١].

واختُلف في كراهيته للثروة وتزيداً للمال[٢].

وقد أخبر رسول الله ﷺ بركوبه للغزو في حديث أمِّ حَرامٍ[٣]، وقد رُوي عنه أنه قال: «البحر لا أركبه أبداً»[٤]، وهذا حديث يحتمل أنه رأي رآه لنفسه، ويحتمل أنه أوحي إليه ذلك، وهذه الآية توقيف على آلاءِ الله وفضله على عباده.

و﴿ٱلضُّرُّ﴾ لفظ يعمُّ خوف الغرق[٥]، والإمساك[٦] عن المشي، وأهول حالاته اضطرابه وتموجه.

وقوله: ﴿ضَلَّ﴾ معناه: تلف وفقد، وهي عبارة تحقير لمن يدعي إلهاً من دون الله، والمعنى في هذه الآية أن الكفار إنما يعتقدون في أصنامهم أنها شافعة، وأن لها فضلاً، وكل واحد منهم بالفطرة يعلم علماً لا يقدر على مدافعته أن الأصنام لا فعل لها في الشدائد العظام، فَوَقَفَهُم الله من ذلك على حالة البحر.

[وقوله: ﴿أَعۡرَضۡتُمۡ﴾؛ أي: لم تفكِّروا في صنع الله وقتَ حاجتكم إليه][٧].

وقوله: ﴿كَفُورًا﴾؛ أي: بالنِّعَم.

و﴿ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ هنا للجنس، وكل واحد لا يكاد يؤدي شكر الله تعالى كما يجب.

---

(١) الوجوب لجمهور المالكية كما في حاشية الدسوقي (٢/ ٨-٩)، والحنابلة كما في شرح منتهى الإرادات (١/ ٥١٨)، وهو الأصح عند الحنفية كما في البحر الرائق (٢/ ٣٣٨)، والشافعية كما في المجموع (٧/ ٨٣)، ومقابل القول الأصح عندهم: لا يجب.

(٢) لمزيد من التوسع انظر: الاستذكار (٥/ ١٢٧-١٢٨)، والبيان والتحصيل (١٧/ ٢٥)، وشرح النووي على مسلم (١٣/ ٥٩).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) لم أقف عليه مسنداً.

(٥) في نجيبويه: «الغزو».

(٦) في نجيبويه والإماراتية: «الامتساك».

(٧) ليس في المطبوع ونجيبويه.

وقال الزجاج: الإِنْسانُ يراد به الكفار[١].

قال أبو محمد: وهذا غير بارع.

وقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ الآية، المعنى: أفأمنتم أيها المعرضون النَّاسون الشِّدَّة حين صِرْتم إلى الرخاء أن يخسف الله بكم مكانكم من البر؛ إذْ أنتم في قبضة القدرة في البحر والبر.

و«الحاصِبُ»: العارضُ الرامي بالبَـرَد والحجارة ونحو ذلك، ومنه قول الشاعر:

[البسيط] مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الشَّـام تَضْرِبُنَا ... بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ[٢]

ومنه قول الأخطل:

[الكامل] ترْمِي العِضَاهَ بِحَاصِبٍ مِنْ ثَلْجِهَا ... حَتَّى يَبِيـتَ عَلَى العِضَاهِ جُفَالا[٣]

ومنه الحاصِبُ الذي أصاب قوم لوط، والحَصْبُ: الرَّمْيُ بالحصباءِ، وهي الحجارة الصغار.

وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿يَخْسِفَ﴾ بالياء، على معنى: يخسف اللَّهُ، وكذلك ﴿يُرْسِلَ﴾ و﴿يُعِيدَكُمْ﴾ و﴿فَيُرْسِلَ﴾ و﴿فَيُغْرِقَكُم﴾، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو ذلك كلَّه بالنون[٤].

وقرأ أبو جعفر، ومجاهد: ﴿تُغْرِقَكُمْ﴾ بالتاء؛ أي: الريحُ[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٥١).

(٢) البيت للفرزدق كما في تفسير الثعلبي (٦/ ١١٤)، ومجاز القرآن (١/ ٣٨٥)، والطبري (٢٠/ ٣٦)، والكامل للمبرد (٣/ ٤٥)، وتفسير الماوردي (٣/ ٤٧٢)، ونديف القطن: قطع القطن المتناثرة، يريد البَـرَد، شبَّهَهُ بنديف القطن في اللون.

(٣) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٧/ ٤٩٩)، والجفال: ما تراكم من الثلج بعضه فوق بعض.

(٤) انظر: التيسير (ص: ١٤٠).

(٥) وهي عشرية لأبي جعفر في تفسير الثعلبي (٦/ ١١٤)، والنشر (٢/ ٣٠٨)، وزاد رويساً، ولمجاهد في البحر المحيط (٧/ ٨٣).

وقرأ حميد: ﴿نُغْرِقْكُمْ﴾ بالنون خفيفة، وأدغم القافَ في الكاف، ورويت عن أبي عمرو، وابن محيصن، وقرأ الحسن، وأبو رجاءٍ: (يُغَرِّقَكُمْ) بشدِّ الراء[1].

و«الوَكِيلُ»: القائم بالأُمور، و«القَاصِفُ»: الذي يكسر كلَّ ما يَلْقَى ويقْصِفُه.

و﴿تَارَةً﴾ جمعُهَا تاراتٌ وتِيَرٌ، معناها: مرَّة أُخرى.

وقرأ أبو جعفر: ﴿من الرِّيَاحِ﴾ بالجمع[2].

و«التَّبِيعُ»: الذي يطلب ثأراً أو دَيْناً أو نحو هذا، ومنه قول الشاعر:

غَـدَوْا وَغَـدَتْ غِزْلانُهُـمْ فَكَأَنَّهَا ... ضَوَامِـنُ غُـرْمٍ لَـزَّهُـنَّ تَبِيـعُ[3] [الطويل]

ومن هذه اللَّفظة قول النبي ﷺ: «إذا أُتْبِع أحدكم على مَلِيٍّ فلْيَتَّبع»[4].

فالمعنى: لا تجدون من يتبع فعلنا بكم، ويطلب نُصرتكم.

قوله عز وجل: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلٗا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـٔٗا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذٗا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرٗا ﴿٧٥﴾﴾.

---

(١) قراءة أبي عمرو من رواية السوسي على قاعدته، انظر التيسير (ص: ٢٢)، وانظر عزو القراءة الثانية للحسن في الكامل للهذلي (ص: ٥٨٨)، والنشر (٢/ ٣٠٨)، وزادا: ابن مقسم وقتادة، والكل في البحر المحيط (٧/ ٨٣).

(٢) على قاعدته، انظر: النشر (٢/ ٢٢٣).

(٣) هكذا أورده الطبري في التفسير (١٧/ ٥٠٠)، والجليس الصالح الكافي (ص: ٦١٢)، بلا نسبة، وهو في ديوان الطرماح (١/ ٨٣) بلفظ: ضوامنُ غرمٍ ما لهنَّ تبيعُ، وكذلك ورد بلا نسبة في الدر المصون (١/ ٢٩٩٤)، واللباب في علوم الكتاب (١٢/ ٣٣٩).

(٤) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري (٢٢٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿كَرَّمْنَا﴾: تضعيف (كرم)، فالمعنى: جعلنا لهم كَرَماً؛ أي: شرفاً وفضلاً، وهذا هو كرم نَفْي النقصان، لا كرم المال، وإنما هو كما تقول: ثوبٌ كريمٌ؛ أي: جَمَّةٌ محاسنُه.

قال القاضي أبو محمد: وهذه الآية عدَّدَ الله تعالى فيها على بني آدم ما خصَّهم به من بين[١] سائر الحيوان، والحيوان[٢] والجِنُّ هو الكثير المفضول، والملائكة هم[٣] الخارجون عن الكثير المفضول، وحَمْلُهم في الْبَـرِّ وَالْبَحْرِ مما لا يصح لحيوان سوى بني آدم أن يكون يتَحَمَّل بإرادته وقصده وتدبيره في البرِّ والبحر جميعاً، والرَّزقُ مِنَ الطَّيِّباتِ لا يتسع به حيوان اتساعَ[٤] بني آدم؛ لأنهم يكسبون المال خاصة دون الحيوان، ويلبسون الثياب، ويأكلون المركَّبات من الأطعمة، وغاية كل حيوان أن يأكل لحماً نَـيِّـئاً، أو طعاماً غيرَ مركَّب، و«الرِّزْقُ»: كل ما صحَّ الانتفاع به.

وحكى الطبري عن جماعة أنهم قالوا: التفضيل هو أن يأكل بيديه، وسائر الحيوان بالفم[٥].

وقال غيره: وأن ينظر من إشرافٍ أكثر من كل حيوان، ويمشي قائماً، ونحو هذا من التفضيل.

وهذا كله غير محذق، وذلك أن للحيوان من هذا النوع ما كان يفضل به ابن آدم، كجري الفرس وسمعه وإبصاره، وقوة الفيل وشجاعة الأسد وكرم الديك، وإنما التكريم والتفضيل بالعقل الذي به يملك الحيوانَ كله، وبه يعرف الله، ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه.

وقالت فرقة: هذه الآية تقضي بفضل الملائكة على الإنس من حيث هم المستثنَون، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[النساء: ١٧٢]، وهذا غير لازم من

(١) في المطبوع: «دون».
(٢) ليست في المطبوع ونجيبويه.
(٣) في المطبوع: «منهم».
(٤) في المطبوع: «ينتفع»، «انتفاع».
(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٥٠١).

الآية، بل التفضيل بين الإنس والجن لم تعن له الآية، بل يحتمل أن الملائكة أفضل، ويحتمل التساوي، وإنما صحَّ تفضيل الملائكة من مواضع أُخرى من الشرع.

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ ﴾ الآية، يحتمل قوله: ﴿ يَوْمَ ﴾ أن يكون منصوباً على الظرف، والعامل فيه فعل مضمر تقديره: اذْكر، أو فعل يدلُّ عليه قوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ ﴾، تقديره: ولا يُظْلمون / يومَ ندعو، ثم فسره ﴿يُظْلَمُونَ ﴾ الأخير. [٣/ ١٨١]

ويصح أن يعمل فيه ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ ﴾، وذلك أن فضل البشر يوم القيامة على سائر الحيوان بيِّن؛ لأنهم الـمُنَعَّمون الـمُكَلَّمُون المُحَاسَبونَ الذين لهم القدر، أما[1] أنَّ هذا يردُّه أن الكفار يومئذ أخسرُ[2] من كل حيوان؛ إذ يقول الكافر ﴿يَالَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ [النبأ: ٤٠].

ولا يعمل فيه ﴿نَدْعُواْ ﴾؛ لأنه مضاف إليه.

ويحتمل أن يكون ﴿ يَوْمَ ﴾ منصوباً على البناء لمَّا أُضيف إلى غير متمكن، ويكون موضعه رفعاً بالابتداء، والخبر في التقسيم الذي أتى بعْدُ في قوله: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَن كَانَ ﴾.

وقرأ الجمهور: ﴿نَدْعُواْ ﴾ بنون العظمة، وقرأ مجاهد: (يَدْعُو) بالياء، على معنى: يدعو اللَّهُ، ورُويت عن عاصم، وقرأ الحسن: (يُدْعَوْا) بضم الياء وسكون الواو[3]، وأصلها: يُدْعَى، ولكنها لغة لبعض العرب، يقلبون هذه الألف واواً فيقولون: أَفْعَوْ، وحُبْلَوْ، ذكرها[4] أبو الفتح وأبو عليٍّ في ترجمة (أعمى) بعد[5].

وقرأ الحسن: (كُلٌّ) بالرفع، على معنى: يُدْعَى كلٌّ.

---

(١) في المطبوع: «إلَّا».

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «أخسُّ».

(٣) وهي شاذة، انظر قراءة مجاهد في مختصر الشواذ (ص: ٨٠)، وزاد قتادة، وقراءة الحسن في المحتسب (٢/ ٢٢).

(٤) في المطبوع: «ذكر هاتين أبو الفتح».

(٥) انظر: المحتسب (٢/ ٢٢)، والحجة للفارسي (٥/ ١١٢).

وذكر أبو عمرو الداني عن الحسن أنه قرأ: (يُدْعَى كُلٌّ)[(١)].

و«الأُناسُ»: اسْـمُ جمع لا واحد له مـن لفظه، وقوله: ﴿بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد: باسـم إمامهـم، ويحتمل أن يريـد: مع إمامهم، فعلـى التأويل الأول يقال: يـا أُمَّةَ محمد، ويا أتباع فرعون، ونحو هذا، وعلى التأويل الثاني تجيءُ كلُّ أُمَّة معها إمامُها من هادٍ أو مُضِلٍّ.

واختلف المفسرون في الإمام: فقال مجاهد، وقتادة: نَبِيُّهم، وقال أبو زيد: كتابهم الذي نزل عليهم[(٢)]، وقال ابن عباس[(٣)]، والحسن: كتابهم الذي فيه أعمالهم، وقالت فرقة: مُتَّـبَعُهُم من هادٍ ومُضل، ولفظة الإمام تعمُّ هذا كله؛ لأن الإمام هو ما يُؤْتَمُّ به ويُهتدى به في المقصد، ومنه قيل لخَيْط البَنَّاء: إمامٌ، وقال الشاعر يصف قدَحاً:

[الطويل]
وقَوَّمْتُـهُ حَتَّـى إذَا تَـمَّ واسْـتَوَى ... كَمُخَّـةِ سـاقٍ أو كَمَتْـنِ إِمَـامِ[(٤)]

ومنه قيل للطريق: إمامٌ؛ لأنه يُؤْتَمُّ به في المقاصد حتَّى ينتهي إلى المراد.

وقوله: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ حقيقة في أن في القيامة صحائف[(٥)] تتطاير وتوضع في الأَيْمَان لأهل الإيمان، وفي الشمائل لأهل الكفر، وتوضع في أيمان المذنبين الذين ينفذ عليهم[(٦)] الوعيد، فيستفيدون منها أنهم غير مخلدين في النار.

وقوله: ﴿يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ﴾[(٧)]، عبارة عن السرور بها؛ أي: يُـرَدِّدُونها ويتأملونها[(٨)].

---

(١) وهما شاذتان، انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٦٠)، ولم أقف على نقل الداني.

(٢) انظرهما مع قول الحسن في تفسير الطبري (١٧/ ٥٠٢، ٥٠٣)، وفيه: «يحيى بن زيد»، وفي نور العثمانية والإماراتية وأحمد٣: «ابن زيد».

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٠٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) البيت للراعي كما في غريب الحديث لابن قتيبة (٣/ ٧٢٦)، وجاء بلا نسبة في الأمالي للقالي (٢/ ١٢٢)، وأساس البلاغة (١/ ٢١).

(٥) ليست في نجيبويه.

(٦) في المطبوع هنا زيادة: «هم».

(٧) في المطبوع بدل الآية: «يوم ندعوا».

(٨) في المطبوع: «ويتناقلونها».

وقوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾؛ أي: ولا أقلَّ ولا أكثر، فهذا هو مفهوم الخطاب، حُكْم المسكوت عنه كحُكْم المذكور(١)، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وكقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء: ٤٠]، وهذا كثير.

ومعنى هذه الآية: أنهم لا يُبخَسون من جزاء أعمالهم الصالحة شيئاً.

و«الفَتِيلُ»: هو الخيط الذي في شق نواة التمرة، يُضرب به المثل في القلَّة وتفاهة القدر.

وقوله: ﴿ وَمَن كَانَ ﴾ الآية: قال محمد بن أبي موسى: الإشارة بـ ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ إلى النعم التي ذكرها في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾؛ أي: مَنْ عَمِيَ عن شكر هذه النعم والإيمان بِمُسْديها فهو في أمور الآخرة وشأنها أعمى(٢).

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل ﴿أَعْمَىٰ﴾ الثاني أن يكون بمنزلة الأول، على أنه تشبيه بأعمى البصر، ويحتمل أن يكون صفةَ تفضيل؛ أي: أشدَّ عمًى، والعَمَى في هذه الآية هو عَمَى القلب في الأول والثاني.

وقال ابن عباس(٣)، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد: الإشارة بـ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ إلى الدنيا(٤)؛ أي: مَن كان في هذه الدار أعمى عن النظر في آيات الله وعِبَره والإيمان بآياته(٥) فهو في الآخرة أعمى، إمَّا أن يكون على حذف مضاف؛ أي: في شأن الآخرة، وإما أن يكون: فهو في يوم القيامة أعمى، على معنى أنه حيران لا يتوجه له صواب، ولا يلوح له نُجح، قال مجاهد: فهو في الآخرة أعمى عن حجَّته(٦).

---

(١) انظر: الإحكام للآمدي (٣/ ٧٤)، والبحر المحيط للزركشي (٣/ ٩٠).
(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٥٠٤).
(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٠٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٥٠٤-٥٠٥).
(٥) في نجيبويه والإماراتية: «بأنبيائه»، وفي نور العثمانية: «بلسانه».
(٦) تفسير الطبري (١٧/ ٥٠٦).

قال القاضي أبو محمد: والظاهر عندي[١] أن الإشارة بـ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ إلى الدنيا؛ أي: مَن كان في دنياه هذه، ووقتَ إدراكه وفهمه أعمى عن النظر في آيات الله، فهو في يوم القيامة أشدُّ حيرةً وأعمى؛ لأنه قد باشر الخيبة، ورأى مخايل العذاب، وبهذا التأويل تكون معادلةً للتي قبلها مِن ذِكْرِ مَنْ يُؤْتَى كتابه بيمينه، وإذا جعلنا قوله: ﴿فِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ بمعنى: في شأن الأخرة لم تطَّرد المعادلة بين الآيتين[٢].

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿أَعْمَىٰ﴾ في الموضعين بغير إمالة، وقرأ حمزة، والكسائي، وعاصم بخلاف عنه في الموضعيْن بإمالة، وقرأ أبو عمرو بإمالة الأول وفتح الثاني[٣]، وتأَوَّله بمعنى: أشد عَمًى ولذلك لم يُمِلْه، قال أبو علي[٤]: لأن الإمالة إنما تحسُنُ في الأواخر، وأَعْمَى ليس كذلك[٥]؛ لأن تقديره: أعمى من كذا، فليس يتم إلَّا في قولنا مِنْ كذا [فهو إذا ليس بآخر، ويقوي هذا التأويل قوله عطفا عليه وَأَضَلُّ سَبِيلاً فإنما عطف أَضَلُّ الذي هو أفعل مِنْ كذا][٦] على ما هو شبيه به.

وإنما جعله في الآخرة أضلَّ سبيلاً لأن الكافر في الدنيا ممكن أن يؤمن فينجو، وهو في الآخرة لا يمكنه ذلك، فهو أضلُّ سبيلاً، وأشدُّ حيرة، وأقرب إلى العذاب.

وقولُ سيبويه رحمه الله: لا يقال أعمى مِن كذا، كما لا يقال[٧]: ما أَيْدَاهْ[٨]، إنما هو

---

(١) ليست في نجيبويه.

(٢) في المطبوع: «الاثنين».

(٣) انظر: السبعة (ص: ٣٨٣)، والتيسير (ص: ١٤٠)، وزاد لورش بين بين.

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «عمرو».

(٥) انظر: الحجة (٥/ ١١٣)، وانظر نقل مكي في الهداية (٦/ ٤٢٥٢) عن أبي عمرو.

(٦) ليس في المطبوع.

(٧) في الأصل ونور العثمانية والمصرية: «كما يقال».

(٨) من المطبوع، وفي الأصل والحمزوية وأحمد٣ ونجيبويه: «أبداه»، والتصحيح من كتاب سيبويه، ونصه (٤/ ٩٨): زعم الخليل أنهم إنما منعهم من أن يقولوا في هذه ما أفعَلَه؛ لأن هذا صار عندهم بمنزلة اليد والرجل وما ليس فيه فعلٌ من هذا النحو، ألا ترى أنك لا تقول: ما أيداه، ولا ما أرجله، إنما تقول: ما أشد يده، وما أشد رجله، ونحو ذلك.

في عَمَى العين الذي لا تفاضل فيه، وأما في عمى القلب فيقال ذلك؛ لأنه يقع فيه التفاضل.

وذكر مكي في هذه الآية أن العمى الأول هو عمى العين عن الهُدى[١]، وهذا بيِّن الاختلال، والله المعين.

قوله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ الآية، (إنْ) هذه عند سيبويه المخَفَّفَة من الثقيلة، واللام في قوله: ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾ لام تأكيد، و(إنْ) هذه عند الفراء بمعنى ما، واللام بمعنى إلا[٢].

والضمير في قوله: ﴿كَادُواْ﴾ قيل: هو لقريش، وقيل: لثقيف، فأمَّا لقريش فقال ابن جبير، ومجاهد: نزلت الآية لأنهم قالوا لرسول الله ﷺ: لا ندعك تستلم الحجر الأسود حتَّى تمسَّ أيضاً[٣] أوثانـَنا، على جهة التشرع بذلك[٤]، قال الطبري وغيره: فـهَمَّ رسول الله ﷺ أن يظهر لهم ذلك وقلْـبُه له منكر، فنزلت الآية في ذلك[٥]، قال الزجاج: وقال رسول الله ﷺ في نفسه: وما عَليَّ أن أفعل لهم ذلك والله / تعالى يعلم ما في نفسي؟[٦]. [٣/ ١٨٢]

وقال ابن إسحاق وغيره: إنهم اجتمعوا إليه[٧] ليلة فعظَّموه وقالوا له: أنت سيدنا،

---

(١) الهداية لمكي (٦/ ٤٢٥٣).

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «إنما»، وانظر هذا الخلاف بين البصريين (سيبويه) والكوفيين (الفراء) في الدر المصون (١/ ٢٩٩٩).

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) مرسل ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٠٦) عن محمد بن حميد الرازي، عن يعقوب القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، مرسلاً، ومحمد بن حميد الرازي ضعيف، وقد استنكره ابن الجوزي، وقال: وهذا باطل لا يجوز أن يظن برسول الله ﷺ. اهـ. انظر: زاد المسير (٣/ ٤٢)، وأما قول مجاهد فأخرجه الطبري (١٧/ ٥٠٧) من طريق ابن جريج، عن مجاهد من قوله.

(٥) هذا جزء من حديث سعيد بن جبير المتقدم قريباًعن الطبري (١٧/ ٥٠٦).

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٥٤)، وتقدم في حديث سعيد بن جبير.

(٧) ليست في المطبوع.

ولكن: أَقْبِل على بعض أمرنا، ونُقْبل على بعض أمرك، فنزلت الآية في ذلك[١]، فهي في معنى قوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾ [القلم: ٩].

وحكى الزجاج أن الآية قيل: إنها فيما أرادوه من طرد فقراء أصحابه[٢].

وأمَّا لثقيفٍ فقال ابن عباس وغيره: لأنهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يؤخِّرهم بعد إسلامهم سنة يعبدون فيها اللَّات، وقالوا: إنَّا نريد أن نأخذ ما يهدى لها، ولكن إن خفت أن تنكر ذلك عليك العربُ فقل: أوحى الله ذلك إليَّ، فنزلت الآية في ذلك[٣]، ويلزم قائلَ هذا القولِ أن يجعل الآيةَ مدنيةً، وقد رُوي ذلك، ورَوَى قائلو الأقوال الأُخر أنَّها مكيَّة.

قال القاضي أبو محمد: وجميع ما أُريد من النبي ﷺ بحسب هذا الاختلاف قد أوحى الله إليه خلافه، إمَّا في مُعْجز، وإمَّا في غير معجز، وفعله هو ـ إن لو وقع ـ افتراءٌ [على الله، إذ][٤] أفعاله وأقواله إنما هي كلها شرع.

وقوله: ﴿وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا﴾ توقيفٌ على ما نجَّاه الله منه من مُخالَّتِه[٥] الكفارَ، والولاية لهم.

وقوله: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ﴾ الآية: تعديد نِعَمِهِ على النبي ﷺ، ورُوي أن رسول الله ﷺ لمَّا نزلت هذه الآية قال: «اللَّهُمَّ لا تَكِلْنِي إلى نفسي طَرْفَةَ عَينٍ»[٦].

و«الرُّكُونُ»: شدُّ الظهر إلى الأمر، أو الجزم على جهة السكون إليه، كما يفعل الإنسان بالركن من الجدران، ومنه قوله تعالى حكاية: ﴿أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ [هود: ٨٠].

وقرأ الجمهور: ﴿تَرۡكَنُ﴾ بفتح الكاف.

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٥٠٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٥٤)، وفي المطبوع: «إنما هي»، بدل «إنها».

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٠٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بنحوه.

(٤) في نجيبويه بدله: «على أن».

(٥) في نجيبويه والإماراتية: «مخاللته»، وفي المطبوع: «مخالفته»، وفي أحمد ٣ ونور العثمانية «مخالفة».

(٦) مرسل، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٠٨) من طريق قتادة مرسلًا، وقد ورد هذا الدعاء في كثير من دعوات النبي ﷺ مطلقاً.

وقرأ ابن مصرِّف، وقتادة، وعبد الله بن أبي إسحاق: (تَـرْكُنُ) بضم الكاف[١].

ورسول الله ﷺ لم يركن، ولكنه كاد بحسب همِّه بموافقتهم طمعاً منه في استئلافهم، وذهب ابن الأنباري إلى أن معناه: لقد كاد أن يخبروا عنك أنك ركنْتَ[٢] ونحو هذا، ذهب في ذلك إلى نفي الهمِّ بذلك عن النبي ﷺ، فحمَّل اللفظ ما لم يحتمل، وقوله: ﴿شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ يبطل ذلك.

وهذا الهمُّ من النبي ﷺ إنما كان خَطْرَةً مما لا يمكن دفعه، ولذلك قيل: ﴿كِدتَّ﴾، وهي تُعطي أنه لم يقع رُكُون[٣]، ثم قيل: ﴿شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾؛ إذ كانت المقاربة التي تتضمنها (كِدْتَ) قليلة، خَطرَةً لم تتأكد في النفس، وهذا الهمُّ هو كهَمِّ يوسف عليه السلام، والقول فيهما واحد.

وقوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ﴾ [الآية يبطل أيضاً ما ذهب إليه ابن الأنباري.

وقوله:][٤] ﴿ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾، قال ابن عباس[٥]، ومجاهد، وقتادة، والضحاك: يريد: ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات[٦].

قال القاضي أبو محمد: على معنى أن ما يستحقه هذا المذنب من عقوبتنا في الدنيا والآخرة كنَّا نضعِّفُه لك[٧]، وهذا التضعيف شائع[٨] مع النبي ﷺ في أجره، وفي ألمه وعقاب أزواجه، وباقي الآية بيِّن.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لقتادة وطلحة في الشواذ للكرماني (ص: **٢٨٣**)، وللثلاثة في البحر المحيط (٧/ ٩٠).

(٢) الهداية لمكي (٦/ ٤٢٥٨-٤٢٥٩).

(٣) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «ولم يقع ركون».

(٤) ليس في نجيبويه.

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٠٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) تفسير الطبري (١٧/ ٥٠٩).

(٧) في أحمد**٣**: «له».

(٨) في نجيبويه والإماراتية ونور العثمانية: «سائغ».

قوله عز وجل: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾.

قال حضرمي: الضمير في ﴿كَادُواْ﴾ ليهود المدينة وناحيتها(١)، كَحُيَيٍّ بن أخطب وغيره، وذلك أنهم ذهبوا إلى المكر برسول الله ﷺ فقالوا له: إن هذه الأرض ليست بأرض أنبياء، وإنما أرض الأنبياء بالشام، ولكنك تخاف الرُّوم، فإن كنت نبيّاً فاخرج إليها، فإن الله سيحميك كما حمى غيرك من الأنبياء، فنزلت الآية في ذلك(٢)، وأخبر الله عز وجل أن رسوله ﷺ لو خرج لم يُلْبِثْهُم بعده إلَّا قليلاً.

وحكى النقاش: أن رسول الله ﷺ خرج بسبب قولهم، وعسكر بذي الحليفة، وأقام ينتظر أصحابه، فنزلت الآية عليه فرجع(٣)، وهذا ضعيف، لم يقع في سيرة، ولا في كتاب يُعتمَد عليه، وذو الحليفة ليس في طريق الشام [من المدينة](٤).

وقالت فرقة: الضمير في ﴿كَادُواْ﴾ هو لقريش.

وحكى الزجاج أن استفزازهم هو ما كانوا أجمعوا عليه في دار الندوة من قتله، والأرض على هذا عامة في الدنيا(٥)، كأنه قال: لِيُخْرِجُوكَ من الدنيا، وعلى سائر الأقوال هي أرض مخصوصة، إمَّا مكة وإمَّا المدينة، كما قال تعالى: ﴿أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٥١٠).

(٢) ضعيف للانقطاع، أخرجه الطبري (١٧/ ٥١٠) من طريق المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: زعم الحضرمي فذكره.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) ليس في المطبوع ونجيبويه.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٥٤).

[المائدة: ٣٣]، فإنما معناه: من الأرض التي فيها تصرفهم وتمعشهم[١].

وقال ابن عباس، وقتادة: استفزاز قريش هو ما كانوا ذهبوا إليه من إخراج رسول الله ﷺ من مكة، كما ذهبوا قبْلُ إلى حصره في الشِّعب[٢].

ووقع استفزازهم هذا بعد نزول الآية، وضيقوا عليه حتى خرج واتبعوه إلى الغار وغير ذلك، ونفذ[٣] عليهم الوعيد في أن لم يلبثوا خلفه إلَّا قليلًا يوم بدر.

وقال مجاهد: ذهبت قريش إلى هذا ولكنه لم يقع منها؛ لأنه لمَّا أراد الله استبقاء قريش وألَّا يستَأْصلها أذن لرسوله في الهجرة، فخرج من الأرض بإذن الله لا بقهر قريش، واستُبقِيت قريش يُسْلم[٤] منها ومن أعقابها مَن أسلم، قال: ولو أخرجته قريش لعُذِّبوا، فذهب مجاهد رحمه الله إلى أن الضمير في ﴿يَلْبَثُونَ﴾ عامٌّ في جميعهم[٥].

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (وَإذاً لَا يَلْبَثُوا) بحذف النون[٦] وإعمال (إذاً)، وسائر القراء أَلْغَوْهَا وأثبتوا النون.

وقرأ عطاءُ بن أبي رباح: (يُلَبَّثُونَ) بضم الياء وفتح اللام وشد الباء، وروي مثله عن يعقوب إلَّا أنه كسر الباء[٧].

وقرأ عطاءٌ: (بَعْدَكَ إلَّا قَلِيلاً)[٨].

---

(١) في المطبوع: «تمتعهم».
(٢) انظر قول قتادة في تفسير الطبري (١٧/ ٥١٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٤١)، وأما قول ابن عباس فلم أقف عليه.
(٣) في نجيبويه: «ونجز».
(٤) في نجيبويه والإماراتية وفيض الله ونور العثمانية: «ليسلم».
(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٥١١)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١١٩).
(٦) وهي شاذة لمخالفة الرسم، انظر: البحر المحيط (٧/ ٩٢)، وزاد أبياً، وعزاها لأبي في مختصر الشواذ (ص: ٨٠).
(٧) شاذتان، انظر قراءة عطاء في مختصر الشواذ (ص: ٨٠)، وزاد قتادة والحسن، والرواية عن يعقوب في النشر (٢/ ٣٠٨).
(٨) البحر المحيط (٧/ ٩٢).

وقرأ الجمهور: ﴿خَلْفَكَ﴾، وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن

[٣/ ١٨٣] عاصم: ﴿خِلَٰفَكَ﴾[(١)]، والمعنى واحد، ومنه قول الشاعر / :

[الكامل] عَقَبَ الرَّذَاذ خِلافَهَا فكَأَنَّمَا بَسَطَ الشَّواطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرَا[(٢)]

ومنه قوله تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١]، على بعض تأويلاته؛ أي: بعد خروج رسول الله ﷺ.

وهذه اللفظة قد لزم فيها حذف المضاف؛ لأن التقدير في آيتنا: خلافَ خُروجِك، وفي بيت الشاعر: خلاف انبساط الشمس أو نحوه، قال أبو عليٍّ: أصابوا، هذه الظروف تضاف إلى الأسماء الأعيان التي ليست أحداثاً، فلم يَسْتَحِبُّوا[(٣)] إضافتها إلى غير ما جرى عليه كلامهم، كما أنها لما جرت[(٤)] منصوبة في كلامهم تركوها على حالها إذا وقعت في غير موضع[(٥)] النصب، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[الجن: ١١]، وقوله: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾[الممتحنة: ٣].

وقوله: ﴿سُنَّةَ﴾ نصب على المصدر، وقال الفراءُ: نصبه على حذف الخافض[(٦)]؛ لأن المعنى: كَسُنَّةِ، فحذف الكاف ونصب، ويلزمه على هذا ألا يقف على قوله: ﴿قَلِيلًا﴾.

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٨٣)، والتيسير (ص: ١٤١).

(٢) تقدم في تفسير الآية (٨١) من سورة التوبة، أنه للحارث بن خالد المخزومي كما في العين (٤/ ٢٦٦)، الأغاني (٣/ ٣٣٦)، ومجاز القرآن (١/ ٢٦٤)، ونقل عنه الفخر الرازي (١/ ٢٢٦٧)، وابن عادل في اللباب (١٠/ ١٥٩) نسبته للأحوص، ولعله خطأ منهما.

(٣) في نجيبويه: «يستخفوا».

(٤) في نجيبويه: «خرجت».

(٥) في المطبوع: «في موقع».

(٦) نقله في البحر المحيط (٦/ ٦٤)، ولفظ الفراء في معاني القرآن (٤/ ٣٥): أنه منصوب لاتصاله بمَا قبله على مذهب حقّاً وشبهه.

ومعنى الآية الإخبارُ أنَّ سُنَّةَ الله تعالى في الأمم الخالية وعادَتَه أنها إذا أخرجت نَبِيَّها من بين أظهرها نالها العذاب، واستأصلها الهلاك، فلم تلبث بعده إلَّا قليلاً.

وقوله: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الآية، هذه بإجماع من المفسرين إشارة إلى الصلوات المفروضة.

فقال ابن عمر، وابن عباس، وأبو بُرْدة[1]، والحسن، والجمهور: دُلوك الشمس:

(١) صحيح، أثر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخرجه مالك في الموطأ رواية يحيى بن يحيى، وابن أبي شيبة في المصنف (٦٣٣٠)، وابن المنذر في الأوسط (٢/ ٣٢٢)، والطبري (١٧/ ٥١٥)، والبيهقي في الكبرى (١/ ٣٥٨-٣٦٤) من طريق نافع، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بلفظ: دلوك الشمس ميلها، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٥٢)، وابن المنذر في الأوسط (٢/ ٣٢٢) من طريق معمر، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه بلفظ: دلوك الشمس زياغها بعد نصف النهار وذلك وقت الظهر.
وقد اختلف على الزهري، فرواه عنه معمر موقوفاً على ابن عمر، وخالفه عمر بن قيس، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، مرفوعاً، بلفظ: دلوك الشمس: زوالها، أخرجه البزار في مسنده (٦٠١٥) وقال: وهذا الحديث إنما يروى موقوفاً عن ابن عُمَر، ولم يسنده عن الزهري إلا عُمَر بن قيس وكان لين الحديث.اهـ.
وأما أثر بن عباس رضي الله عنهما فقد أخرجه مالك في الموطأ (٢٠) رواية يحيى بن يحيى، ومن طريقه ابن أبي شيبة في المصنف (٦٣٢٩)، والبيهقي في الكبرى (١/ ٣٥٨) من طريق داود بن الحصين، قال: أخبرني مخبر أن عبد الله بن عباس كان يقول: دلوك الشمس إذا فاء الفيء وغسق الليل اجتماع الليل وظلمته، قال ابن عبد البر: المخبر هاهنا عكرمة، وكذلك رواه الدراوردي عن عكرمة عن ابن عباس، وكان مالك يكتم اسمه لكلام سعيد بن المسيب فيه، وقد صرح به في (كتاب الحج). اهـ. انظر الاستذكار (١/ ٦٤).
وأخرجه الطبري (١٧/ ٥١٤)، وابن المنذر في الأوسط (٢/ ٣٢٢) من طريق مغيرة، عن الشعبي، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: دلوكها زوالها، وأخرجه الطبري (١٧/ ٥١٤) من طريق معمر، عن الزهري، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: دلوك الشمس زيغها بعد نصف النهار؛ يعني: الظهر. وإسناده منقطع لعدم سماع الزهري من عبد الله بن عباس.
وأما حديث أبي برزة الأسلمي فقد أخرج البخاري (٥٤١)، ومسلم (٦٤٧) من حديثه قال: كان النبي ﷺ يصلي الصبح وأحدنا يعرف جليسه، ويقرأ فيها ما بين الستين إلى المئة، ويصلي الظهر إذا زالت الشمس....

زوالها[١]، والإشارة إلى الظهر والعصر، وغَسَق اللَّيْلِ أُشير به إلى المغرب والعشاء، وَقُرْآن الْفَجْرِ أريد به صلاة الصبح، فالآية على هذا تعُمُّ جميع الصلوات.

وروى ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «أتاني جبريلُ لدلوك الشمس حين زالت، فصلَّى بي الظهر»[٢].

وروى جابر أن النبي ﷺ خرج من عنده وقد طعم وزالت الشمس، فقال: «اخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس»[٣].

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٥١٥).

(٢) فيه اضطراب، والصواب من حديث أبي مسعود الأنصاري، هذا الحديث أخرجه الطبراني في الكبير (٧١٨)، ومن طريقه أبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ٤٠٩)، والبيهقي في معرفة السنن (٢/ ١٩١)، وابن عبد البر في التمهيد (٨/ ٢٣)، والباغندي في مسند عمر بن عبد العزيز (٤٥) من طريق أيوب بن عتبة، عن أبي بكر بن حزم، أن عروة بن الزبير كان يحدث عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ أمير المدينة في زمن الحجاج والوليد بن عبد الملك، وكان ذلك زماناً يؤخرون فيه الصلاة، فحدث عروةُ عمرَ قال: حدثني أبو مسعود الأنصاري أو بشير بن أبي مسعود، قال: كلاهما قد صحب النبي ﷺ أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ.. فذكره بلفظ مطول.

وأيوب بن عتبة اليمامي ضعيف وقد اضطرب فيه، فرواه على الوجه الذي تقدم، ورواه أيضاً عن أبي بكر ابن حزم، عن عروة بن الزبير، عن ابن أبي مسعود، عن أبيه، وقد خالفه يحيى بن سعيد الأنصاري فرواه عن أبي بكر بن حزم، عن أبي مسعود الأنصاري بدون ذكر عروة بن الزبير، وبشير بن أبي مسعود أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٥١٧)، والباغندي في مسند عمر بن عبد العزيز (٤٥). وأبو بكر بن حزم لم يسمع من أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، ورواه زفر، عن يحيى بن سعيد، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أناس من أصحاب النبي ﷺ. أخرجه الدارقطني في العلل (٦/ ١٨٧).

وقد سئل عنه الدارقطني في العلل (٦/ ١٨٦-١٨٧)، فذكر الخلاف فيه وتكلم على طرقه وألفاظه فانظره هناك فإنه مفيد، وكذلك ابن رجب الحنبلي، وانظر فتح الباري (٣/ ١٢).

وفي رواية التمهيد: أن الذي فسر الدلوك بمعنى الزوال هو أبو بكر بن حزم، وهذا لفظه قال: إن جبريل جاء إلى النبي ﷺ حين دلكت الشمس قال أيوب: فقلت: وما دلوكها؟ قال: حين زالت، فلفظ: الدلوك بمعنى الزوال مدرج من قول أبي بكر بن حزم.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٥١٨) من طريق محمد بن أبي ليلى، عن رجل، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، به، بنحوه، وهذا إسناد ضعيف؛ لإبهام شيخ ابن أبي ليلى، وقد رواه الطبري =

وقال ابن مسعود، وابن عباس، وزيد بن أسلم: (دُلوك الشمس): غروبها[١]، والإشارة بذلك إلى المغرب، و(غَسَق الليل): اجتماع ظُلْمته، فالإشارة إلى العتمة، و(قُرْآن الْفَجْرِ): صلاة الصبح، ولم تقع إشارة على هذا التأويل إلى الظهر والعصر.

والقول الأول أصوب لعمومه الصلوات، وهما من جهة اللغة حَسَنان، وذلك أن الدُّلوك هو الـمَيْل في اللغة، فأوَّل الدُّلوك هو الزوال، وآخره هو الغروب، ومن وقت الزوال إلى الغروب يُسَمَّى دُلُوكاً؛ لأنها في حالة ميل، فذكر الله الصلوات التي في حالة الدُّلوك وعنده، فيدخل في ذلك الظهر والعصر والمغرب، ويصح أن تكون المغرب داخلة في غسق اللَّيل.

ومن الدُّلوك الذي هو الميْل قولُ الأعرابي للحسن بن أبي الحسن: أَيُدَالِكُ الرجلُ امرأته؟ يريد: أيميل بها إلى الـمَطْل في دَيْنِها؟ فقال له الحسن: نعم إذا كان مُلفَجاً[٢]؛ أي: عديماً.

ومنه قول ذي الرُّمَّة:

مَصَابيحُ لَيْسَـتْ باللَّوَاتي تَقُودُهَا ... نُجُـومٌ وَلا بالآفـلاتِ الدَّوَالِكِ[٣] [الطويل]

= أيضاً من طريق الأسود بن قيس، عن نبيح العنزي، عن جابر بن عبد الله به، بنحوه، ونبيح العنزي مجهول.

(١) صحيح، أثر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦٣٣٤)، وابن المنذر في الأوسط (٢/ ٣٢٣)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ١٥٤)، والطبري (١٧/ ٥١٤)، والطبراني في الكبير (٩١٣٠-٩١٣٥-٩١٣٦) من طرق صحيحة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأما أثر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقد أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٨٤)، والطبري (١٧/ ٥١٣) من طريق الثوري، عن منصور، عن مجاهد، به، وإسناده صحيح ومن طريق عبد الرزاق أخرجه ابن المنذر في الأوسط (٢/ ٣٢٣)، ولم أجده من قول زيد لكن نقله الطبري (١٧/ ٥١٤) عن ابن زيد.

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٥١٦).

(٣) عزاه له في مجاز القرآن (١/ ١٩٩)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٢٠)، وتفسيرالطبري (١١/ ٤٨٥) وتفسير الماوردي (٢/ ١٣٧).

ومن ذلك قول الشاعر:

[الرجز] هَــذَا مَكَــانُ قَـدَمَـــيْ رَبَــــاحِ غـدْوَة حـتَّـى دَلَـكَـت بَـرَاحِ[١]

يروى: بِرَاح بكسر الباء، قال أبو عبيدة، والأصمعي، وأبو عمر الشيباني: ومعناه: براحة الناظر يستكفُّ بها أبداً؛ لينظر كيف ميلُها، وما بقي لها[٢]، وهذا نحو قول العجاج:

[الرجز] والشَّـمْسُ قَـدْ كانَتْ تكُـونُ دَنَفَا أَدْفَعُهـا بالـرَّاحِ كَـيْ تَزَحْلَفَـا[٣]

وذكر الطبري عن ابن مسعود أنه قال: دَلَكَتْ بِرَاح، يعني: بِرَاح مكاناً[٤]، قال: فإن كان هذا من تفسير ابن مسعود فهو أعلم، وإن كان من كلام راوٍ فأهل الغريب أعلم بذلك، ويُرْوَى البيت الأول: (غُدوَةَ حتَّى هَلَكَتْ[٥] بَـرَاحِ) بفتح الباء، على وزن قَطَام وحَذَامِ، وهو اسم من أسماء الشمس.

و﴿غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾: اجتماعه وتكاثف ظلمته، قال الشاعر:

[المديد] آبَ هَـذَا الـلَّـيْـلُ إذْ غَـسَـقَـا[٦] ....

---

(١) البيت بلا نسبة في مجاز القرآن (١/ ٣٨٧)، ومجالس ثعلب (ص: ٣٧٣)، ونوادر أبي زيد (ص: ٣١٥)، جمهرة اللغة (١/ ٢٧٤).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٥١٧).

(٣) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٧/ ٥١٧)، ومجاز القرآن (١/ ٣٨٨)، وأساس البلاغة (١/ ١٩٧) وفي المطبوع ونور العثمانية والإماراتية وفيض الله: «كادت».

(٤) في اتصاله نظر، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٨٤)، والطبري (١٧/ ٥١٣) من طريق الثوري، عن أبي إسحاق السَّبِيعي، عن الأسود بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود، بنحوه، وأبو إسحاق السبيعي مدلس وقد عنعن، ولكن قال أبو بكر البرديجي: وقد حدث عن الأسود، فقال قوم: سمع منه، وهو عنه صحيح، وربما حدث عن عبد الرحمن بن يزيد عن أخيه الأسود.اهـ. انظر: جامع التحصيل (١/ ٢٤٥).

(٥) في الحمزوية: «دلكت».

(٦) تمامه: واشْتَكَيتُ الْهَمَّ والأرَقَا، وهو لعبيد الله بن قيس الرُّقَـيَّات كما في مجاز القرآن (١/ ٣٨٨)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٢٢).

وقال ابن عباس: غَسَقُ اللَّيْل: بدؤُه[١].

ونُصب قوله: ﴿وَقُرْءَانَ﴾ بفعل مضمر، تقديره: واقرأ قرآنَ، ويصحُّ أن يُنْصب عطفاً على ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: وأقِـمْ[٢] قرآنَ الفجر، وعبَّر عن صلاة الصبح خاصةً بالقرآن؛ لأن القرآن هو عُظْمُهَا؛ إذْ قراءتُهَا طويلة مجهور[٣] بها، ويَصِح أن ينصب قولُه: ﴿وَقُرْءَانَ﴾ على الإغراء.

وقوله: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ معناه: يشهده حفظة النهار وحفظة اللَّيل من الملائكة حسبما ورد في الحديث المشهور من قوله ﷺ: «يَتَعَاقَبُونَ فيكم ملائكة باللَّيل وملائكة بالنَّهار، ويجتمعون في الصبح وصلاة العصر» الحديث بطوله من رواية أبي هريرة وغيره[٤]، وعلى القول بذلك مضى الجمهور.

وذكر الطبريُّ حديثاً عن ابن عَسْكَر، من طريق أبي الدرداء في قوله: ﴿كَانَ مَشْهُودًا﴾، قال محمد بن سهل بن عسكر[٥]: يشهده الله وملائكته[٦]، وذكر في ذلك الحديث أن الله تعالى ينزل في آخر الليل، ونحو هذا مما ليس بالقوي[٧].

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٥١٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه به.
(٢) في نجيبويه: «ونعم».
(٣) في المطبوع ونور العثمانية: «مجهودٌ».
(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧٤٢٩)، ومسلم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥) محمد بن سهل بن عسكر أبو بكر التّميميّ، مولاَهُمُ الْبُخَارِيّ نزيل بغداد، سمع: عَبْد الرّزّاق، ووهب ابن جرير، وغيرهم، وعنه: ابن أبي عاصم، والبَغَوِيّ، وابن صاعد، وخلق، قَالَ النَّسائيّ: ثقة، توفي سنة: (٢٥١هـ). تاريخ الإسلام (١٩/ ٢٩١).
(٦) تفسير الطبري (١٧/ ٥٢٠).
(٧) منكر، أخرجه عثمان بن سعيد في الرد على الجهمية (ص: ٣٢)، وابن أبي شيبة في العرش (ص٨٦)، ومحمد بن نصر في قيام الليل (٨٠)، والبزار في مسنده (٤٠٧٩)، والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٢١٠)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٢٢)، والطبراني في الأوسط (٨٦٣٥)، وفي الدعاء (١٣٥)، والدارقطني في المؤتلف والمختلف (٣/ ١١٥١-١١٥٢)، وابن بطة في الإبانة =

وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ ﴾ (مِنْ) للتبعيض، والتقدير: ووقتاً من الليل؛ أي: وأَقِمْ وقْتاً من الليل، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد على هذا المقدر، ويحتمل أن يعود على القرآن وإن كان لم يجرِ له ذكرٌ مطلق، كما هو الضمير مطلق، لكن جرى مضافاً إلى الفجر.

و(تَهَجَّدْ) معناه: اطرَح الهجودَ عنك، و«الهجودُ»: النومُ، يقال: هَجَدَ يَهْجُدُ ـ بضم الجيم ـ هُجُوداً: إذا نامَ، ومنه قول ذي الرمة:

[الطويل] أَلا طَـرَقَـتْـنَـا والـرِّفَـاقُ هُـجُـودُ فَبـاتَـتْ بِعَـلَّاتِ النَّـوَالِ تَجُـودُ[1]

ومنه قول الحطيئة:

[الطويل] فَحَـيَّـاكِ وُدٌّ مـا هَـدَاكِ لِـفِتْـيَـةٍ وَخُـوصٍ بِأَعْلَى ذِي طوالَةَ هُجَّدِ[2]

وهذا الفعل جار مجرى: تحوَّب[3] وتحرَّج وتأثَّمَ وتحَنَّث، ومثله ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾

= (٣/ ٢١٥)، واللالكائي في شرح السنة (٣/ ٤٤٢)، وأبو نعيم في صفة الجنة (١/ ٣٦)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٣٨) من طريق الليث بن سعد، عن زيادة بن محمد الأنصاري، عن محمد بن كعب، عن فضالة بن عبيد، عن أبي الدرداء، مرفوعاً، بلفظ: «إن الله تبارك وتعالى ينزل في ثلاث ساعات بقين من الليل فيفتح الذكر الساعة الأولى الذي لم يره أحد غيره، فيمحو الله ما يشاء ويثبت ما يشاء، ثم ينزل الساعة الثانية إلى جنة عدن وهي التي لم يرها غيره ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها معه من بني آدم غير ثلاثة: النبيين والصديقين والشهداء، ثم يقول: طوبى لمن دخلك، ثم ينزل في الساعة الثالثة إلى سماء الدنيا فيقول: ألا مستغفر فيستغفرني فأغفر له، ألا من سائل يسألني فأعطيه، ألا من داع يدعوني فأجيبه؟ حتى تكون صلاة الفجر، وكذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ قال: تشهده ملائكة الليل والنهار». قال ابن الجوزي: هذا الحديث من عمل زيادة بن محمد لم يتابعه عليه أحد، قال البخاري: هو منكر الحديث، وقال ابن حبان: هو منكر الحديث جداً يروي المناكير عن المشاهير، فاستحق الترك. اهـ.

(١) في المطبوع بدل «ذي الرمة»: «قال الشاعر»، البيت لخارجة بن فليح الـمَلَليّ كما في الأمالي للقالي (١/ ١٦)، وحماسة الخالديين (ص: ٩٢)، وأما بيت ذي الرمة فلعله: ألا طرقتنا مية ابنة منذر* فما أيقظ النيام إلا سلامها، كما في المخصص (١/ ٤٩٣)، ويعزى لغيره.

(٢) انظر عزوه له في الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٦٦)، وتهذيب اللغة (٦/ ٢٥).

(٣) في المطبوع: «تحرب».

[الواقعة: ٦٥]، فمعناه: تَنَدَّمون؛ أي: تطرحون الفاكهة عن أنفسكم، وهي انبساط النفس وسرورها، يقال: رجلٌ فَكِهٌ: إذا كان كثير السرور / والضحك، فالمعنى: وَوَقْتاً من اللَّيل اسْهَرْ به في صلاةٍ وقراءة. [٣/ ١٨٤]

وقال الأسود، وعلقمة، وعبد الرحمن بن الأسود: التَّهَجُّد بعد نومة، وقال الحجاج ابن عمرو[١]: إنما التَّهَجُّد بعد رقدة، وقال الحسن: التَّهَجُّد ما كان بعد العشاء الآخرة[٢].

وقوله: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ قال ابن عباس وغيره: معناه: زيادةً لك في الفرض[٣]، قالوا: وكان قيام الليل فرضاً على النبي ﷺ[٤].

قال القاضي أبو محمد: وتحتمل الآية أن يكون هذا على وجه[٥] الندب في التَّنفل، ويكون الخطاب للنبي ﷺ والمرادُ هو وأمته، كخطابه في قوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية.

وقال مجاهد: إنما هي نافلة للنبي ﷺ؛ لأنه مغفور له، والناس يحطون بمثل ذلك خطاياهم[٦]، وبيِّنٌ أن النبي ﷺ منذ غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر عام الحديبية، فإنما كانت نوافله واستغفاره فضائل من العمل، وقُرَباً أشرف من نوافل أُمَّته؛ لأن هذه إما أن تجبر[٧] بها فرائضهم [حسب الحديث][٨]، وإمَّا أن تحط بها خطيئاتهم، وقد يتصور من لا

(١) هو الحجاج بن عمرو بن غزيّة بن ثعلبة بن خنساء النجاري الأنصاري الخزرجي، له صحبة، وهو الذي ضرب مروان يوم الدار حتى سقط، وشهد صفّين مع عليّ، وروى عنه ضمرة بن سعيد وعبد اللّه بن رافع وغيرهما، الإصابة (٢/ ٣٠).

(٢) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (١٧/ ٥٢٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٢٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ يعني بالنافلة أنها للنبيّ ﷺ خاصة، أُمر بقيام الليل وكُتب عليه.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٥٢٦).

(٥) في نجيبويه: «جهة».

(٦) تفسير الثعلبي (٦/ ١٢٣).

(٧) في المطبوع: «تجيء».

(٨) لم أقف عليه، وليس في المطبوع ونجيبويه والإماراتية.

ذنب له يتنفَّل، فيكون تنفُّله فضلاً، كنصراني يسلم وصبي يحتلم، وضعَّفَ الطبري قول مجاهد[١].

وقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ عِدَةٌ من الله عز وجل لرسوله، وهو أمر الشفاعة الذي يتدافعه الأنبياءُ حتى ينتهي إليه ﷺ، والحديث بطوله في «البخاري» و«مسلم»[٢]، فلذلك اختصرناه، ولأجل ذلك الاعتمال[٣] الذي له في مرضاة جميع العالم مؤمنهم وكافرهم قال: «أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ، ولا فَخْرَ»[٤].

و﴿عَسَىٰٓ﴾ من الله واجبة، و﴿مَقَامٗا﴾ نصب على الظرف.

ومن غريب حديث الشفاعة اقتضابه المعنى، وذلك أن صدر الحديث يقتضي أن النبي ﷺ يُستنهض للشفاعة في[٥] أن يُحَاسَب الناس، وينطلقون من الموقف، فيذهب لذلك، وينص بأثر ذلك على أنه شفع في إخراج المذنبين من النار، فمعناه الاقتضاب والاختصار؛ لأن الشفاعة في المذنبين لم تكن إلا بعد الحساب والزوال من الموقف ودخول قومٍ الجنةَ، ودخول قومٍ النارَ، وهذه الشفاعة الثانية[٦] لا يتدافعها الأنبياءُ، بل يشفعون ويشفع العلماءُ، وذكر الطبري عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «المقامُ المحمودُ هو المقام الذي أشفَعُ فيه لأمَّتي»[٧].

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٥٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) في المطبوع: «الاحتمال».

(٤) صحيح بشواهده، أخرجه الترمذي (٣١٤٨-٣٦١٥)، وابن ماجه (٤٣٠٨) من طريق علي بن زيد ابن جدعان، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد ولا فخر،... وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر»، وقد أخرجه مسلم (٢٢٧٨) دون قوله: «ولا فخر»، من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفَّع»، وله شواهد منها حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٤٧٨).

(٥) ليست في المطبوع.

(٦) من المطبوع والحمزوية والإماراتية.

(٧) صحيح المعنى دون هذا اللفظ الصريح، أخرجه بهذا اللفظ: أحمد (٢/ ٤٤١، ٤٤٤، ٤٧٨، ٥٢٨)،=

قال القاضي أبو محمد: وينبغي أن يُتأوَّل هذا ـ على ما قلناه ـ لأمته وغيرها، أو يُقال: [إن كل مقامٍ منها محمودٌ][1]، قال النقاش: لرسول الله ﷺ ثلاث شفاعات: العامة، وشفاعة في السبق إلى الجنة، وشفاعة في أهل الكبائر[2].

والمشهور أنهما شفاعتان فقط، حكى الطبري عن فرقة منها مجاهد أنها قالت: المقام المحمود هو أن الله عزَّ وجلَّ يُجْلِس محمداً معه على عرشه[3]، وروَتْ في ذلك حديثاً[4]، وعضَّد الطبري جواز ذلك بِشَطَطٍ من القول، وهو لا يخرج إلاَّ على تَلَطُّف

= والترمذي (٣١٣٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٦٤٨) ط الألباني، والمروزي في زوائده على الزهد (١٣١٢)، والطبري (١٧/ ٥٢٩)، والدولابي في الكنى (٢٠٦٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ٥٠)، والإسماعيلي في معجمه (٢/ ٦٦٤)، واللالكائي في شرح السنة (٦/ ١١١٣، ١١١٤)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٧٢)، والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق (٢/ ٧٣-٧٤) من طرق عن داود بن يزيد الأودي، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه به، بنحوه، وبعض الرواة عن داود يرويه مختصراً: أن المقام المحمود هو الشفاعة، وداود بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي الزعافري أبو يزيد الكوفي، ضعيف، وأبوه مقبول، وانظر التقريب (١٨١٨/ ٧٧٤٦)، وللحديث شواهد صحيحة، انظر صحيح البخاري (١٤٧٥) (٤٧١٨)، وباقي أحاديث الشفاعة.

(١) في المطبوع: «كل منهما مقام محمود».

(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ٣١٠).

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٥٣١).

(٤) منكر، أخرجه الذهبي في العلو (١/ ٩٣) من طريق سلمة الأحمر، عن أشعث بن طليق، عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً. وسلمة بن صالح الأحمر الجعفي أبو إسحاق قاضي واسط متروك، قال الذهبي: هذا حديث منكر لا يُفرح به، وسلمة هذا متروك الحديث، وأشعث لم يلحق ابن مسعود، وفي الباب عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه من قوله، أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٨٤-٨٥) معلقاً، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٦٠)، والطبري (١٧/ ٥٣٢)، والخلال في السنة (٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨) من طرق عن سعيد الجريري، عن سيف السدوسي، عن عبد الله ابن سلام قال: إذا كان يوم القيامة جِيءَ بنبيكم ﷺ فأُقعِدَ بين يدي الله تبارك وتعالى على كرسيه، وسيف السدوسي مجهول، ولا يعرف له سماع من عبد الله بن سلام كما قال البخاري، وأما أثر مجاهد فقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٣٠٩)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٦٧)، والطبري (١٧/ ٥٢٩)، والخلال في السنة (٢٣٩)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٥٧) وغيرهم =

في المعنى، وفيه بُعْدٌ، ولا يُنْكر مع ذلك أن يُرْوى، والعلم يتأوله، وقد ذكر النقاش عن أبي داود السجستاني[(١)] أنه قال: من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متهم، ما زال أهل العلم يتحدثون بهذا[(٢)].

[قال القاضي أبو محمد: من أنكر جوازه على تأويله][(٣)].

قوله عز وجل: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾.

ظاهر هذه الآية والأحسن فيها أن يكون دعاءً في أن يُحَسِّن الله حالته في كل ما يتناول من الأُمور، ويحاول من الأسفار والأعمال، وينتظر[(٤)] من تصرف المقادير في الموت والحياة، فهي على أتَمِّ عموم، معناه: ربِّ أصلح لي وِرْدي في كل الأمور وصَدَري.

وذهب المفسرون[(٥)] إلى أنها في غرض مخصوص، ثم اختلفوا في تعيينه:

= من طرق عن محمد بن فضيل، عن ليث، عن مجاهد ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قال: يوسع له على العرش فيجلسه معه، وليث هو ابن أبي سليم، اختلط جداً، ولم يتميز حديثه فترك، وقال الذهبي: فأما قضية قعود نبينا على العرش فلم يثبت في ذلك نص بل في الباب حديث واهٍ، وما فسر به مجاهد الآية كما ذكرناه فقد أنكره بعض أهل الكلام. اهـ. انظر العلو للعلي الغفار (١/ ١٧٠)، ويراجع التمهيد (٧/ ١٥٧).

(١) في الأصل: «السختياني».

(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ٣١١)، والبحر المحيط (٧/ ١٠١).

(٣) ليس في فيض الله، وفيه: «كمل السفر السادس من التفسير بحمد الله وعونه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، يتلوه في أول السابع: قوله تعالى: وقل رب».

(٤) في المطبوع: «وينتصر».

(٥) في أحمد٣: «بعض المفسرين».

فقال ابن عباس[١]، والحسن، وقتادة: أراد: أدخِلْني المدينة، وأخرِجْني من مكة[٢]، وتقدم في هذا التأويل المتأخِّرُ في الوقوع[٣]، فإنه مقدم في القول؛ لأن الإخراج من مكة هو المتقدم، اللهم إنَّ مكان الدخول والقرار[٤] هو الأهم.

وقال أبو صالح، ومجاهد: أَدْخِلْنِي في أمر تبليغ الشرع، وَأَخْرِجْنِي منه بالأداء التام[٥].

وقال ابن عباس: الإدخال بالموت في القبر، والإخراج البعث[٦].

وما قدمت من العموم التام الذي يتناول هذا كلَّه أصوبُ.

وقرأ الجمهور: ﴿مُدْخَلَ﴾ و﴿مُخْرَجَ﴾ بضم الميم، فهو جري على: أدخلني وأخرجني.

وقرأ أبو حيوة، وقتادة، وحميد: (مَدْخَلَ) و(مَخْرَجَ) بفتح الميم[٧]، فليس بجارٍ على: أَدخِلْني، ولكن التقدير: أَدْخِلْني فأَدْخُلَ مَدْخَلَ؛ لأنه إنما يجري على دخَلَ.

---

(١) روي عنه مرفوعاً، وهو ضعيف، أخرجه أحمد (١/ ٢٢٣)، والترمذي (٣١٣٩)، والطبري (١٧/ ٥٣٣)، والطبراني في الكبير (١٢٦١٨)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٤٩)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٩)، وفي دلائل النبوة (٢/ ٥١٦)، والضياء في المختارة (٥٢٢-٥٢٣) من طرق عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبيّ ﷺ بمكة، ثم أمر بالهجرة، فأنزل الله تبارك وتعالى اسمه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ الآية، وقابوس ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٥٣٣)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٢٧)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٦٦).

(٣) في المطبوع: «الموضوع».

(٤) في المطبوع: «والفرار».

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٥٣٤)، وفي المطبوع: «بالإعداد»، بدل «الأداء».

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٣٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

(٧) وهي شاذة، عزاها لابن أبي عبلة وأبي حيوة الكرمانيُّ في الشواذ (ص: ٢٨٣)، وللثلاثة في الدر المصون (٧/ ٤٠١)، وقد عزاها للحسن الثعلبي (٦/ ١٢٧)، ولعلي وأبي في مختصر الشواذ (ص: ٨١)، وقال الطبري (٨/ ٢٥٩): لم يبلغنا عن أحد أنه قرأ بها.

و«الصدق»: هنا صفة تقتضي رفع المذامِّ، واستيعاب المدح، كما تقول: رجل صدق[١]؛ أي: جامع للمحاسن.

وقوله: ﴿وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾، قال مجاهد وغيره: حُجَّةً، يريد: تنصرني ببيانها على الكفار، وقال الحسن وقتادة: يريد: مَنَعَةً ورياسةً وسيفاً ينصر دين الله[٢].

فطلب رسول الله ﷺ ذلك بأمر الله إياه به رغبةً في نصر الدين، فرُوي: أن الله وعده بذلك، ثم أنجز له في حياته، وتَمَّمه بعد وفاته.

وقوله: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾ الآية، قال قتادة: ﴿ٱلۡحَقُّ﴾: القرآن، و﴿ٱلۡبَٰطِلُ﴾: الشيطان[٣]، وقالت فرقة: الحقُّ: الإيمان، والباطلُ: الكفر، وقال ابن جريج: الحق: الجهاد، والباطلُ: الشِّرْك[٤]، وقيل غير ذلك.

[٣/ ١٨٥] والصواب تعميم اللَّفظ / بالغاية الممكنة، فيكون التفسير[٥]: جاء الشرع بجميع ما انطوى فيه، وزهق الكفر بجميع ما انطوى فيه، والباطلُ: كلُّ ما لا ينال به غاية نافعة.

وقوله: ﴿كَانَ زَهُوقٗا﴾ ليست ﴿كَانَ﴾ إشارة إلى زمن مضى، بل المعنى: كان وهو يكون، وهذا كقولك: كان الله عالماً قادراً، ونحوَ هذه.

وهذه الآية نزلت بمكة، ثم إن رسول الله كان يستشهد بها يوم فتح مكة، وقت طعنه الأصنام، وسقوطها لطعنه إياها بمخصرة، حسبما في السير لابن هشام وغيرها[٦].

---

(١) في نجيبويه: «صدوق».

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٥٣٦) وفي نجيبويه: «سعة»، بدل «منعة».

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٥٣٧)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٢٨)، والهداية لمكي (٦/ ٤٢٧٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ١٨٦).

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٥٣٧).

(٥) في المطبوع: «التعبير».

(٦) سيرة ابن هشام (٢/ ٤١٧).

وقرأ الجمهور: ﴿ وَنُنَزِّلُ ﴾ بالنون، وقرأ مجاهد: (وَيُنْزِلُ) بالياء خفيفة، ورواها المروذي[١] عن حفْصٍ[٢].

وقوله: ﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ يصحُّ أن تكون ﴿مِنَ ﴾ لابتداء الغاية، ويصحُّ أن تكون لبيان الجنس، كأنه قال ونُنَـزِّل ما فيه شفاءٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وأنكر بعض المتأولين أن تكون ﴿مِنَ ﴾ للتَّبْعيض؛ [لأنه تحفَّظ][٣] من أن يلزمه أن بعضه لا شفاءَ فيه.

قال القاضي أبو محمد: وليس يلزمه هذا، بل يصح أن يكون ﴿مِنَ ﴾ للتَّبعيض بحسب أن إنزاله إنما هو مُبَعَّض، فكأنه قال: ونُنَـزِّل مِنَ الْقُرْآنِ شيئاً شيئاً ما فيه كله شفاءٌ، واستعارته الشفاء للقرآن هو بحسب إزالته للرَّيب، وكشفه غطاء القلب لفهم المعجزات والأمور الدَّالَّة على الله تعالى، المقرِّرة لشرعه، ويحتمل أن يراد بالشفاء نفعه من الأمراض في الرُّقى والتعويذ ونحوه، وكونه رحمة ظاهر[٤].

وقوله: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ بمعنى[٥] أنه عليهم عمًى؛ إذ هم معرضون بحالة من لا يفهم ولا يلقن.

وقوله: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا ﴾ الآية، الإنسانُ في هذه الآية لا يُرَادُ به العموم، وإنما يراد به بعضه وهم الكفرة، وهذا كما تقول عند غضب: لا خير في الأصدقاء، ولا أمانة في الناس، فأنت تعمم مبالغة، ومرادك البعض، وهذا بحسب ذكر الظالمين والخسارة في الآية،

---

(١) هو الحسين بن محمد بن أحمد أبو أحمد المروذي، روى عن إسماعيل بن جعفر وحفص، وعنه أحمد بن منيع، غاية النهاية (١/ ٢٤٩)، وفي المطبوع ونور العثمانية: «المروزي».

(٢) انظر قراءة الجمهور بالنون في التيسير (ص: ٧٥)، وكلهم بالتشديد إلا أبا عمرو بالتخفيف على قاعدته، وانظر القراءة بالياء عن حفص في جامع البيان (٣/ ١٢٩٤) ولـمجاهد في البحر المحيط (٧/ ١٠٣).

(٣) ليس في نجيبويه.

(٤) في المطبوع: «ظاهرة».

(٥) من المطبوع والحمزوية وأحمد٣، وفي الأصل: «معنى».

قبلُ[١]، فاتَّصل ذكر الكفرة، ويحتمل أن يكون[٢] الإنسان في هذه الآية عامّاً للجنس، على معنى: إن هذا الخُلُق الذميم في سجيته، فالكافر يبالغ في الإعراض، والعاصي[٣] يأخذ بحظه منه، وقد قال رسول الله ﷺ في مؤمن: «فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ الله عنه»[٤].

ومعنى ﴿أَعۡرَضَ﴾ وَلَّانا عُرْضَه، ﴿وَنَـَٔا﴾؛ أي: بَعُدَ، وهذه استعارة، وذلك أنه يفعل أفعال المُعْرِض النائي في تركه الإيمان بالله، وشكر نعمه عليه.

وقرأ ابن عامر وحده: ﴿وَنَاءَ﴾[٥]، ومعناه: نهض، أي: متباعداً، هذا قول طائفة، وقالت أخرى: هو قلب الهمزة بعد الألف في (نَأَى) بعينه، وهي لغةٌ كَرَأَى ورَاءَ، ونحو هذه اللفظة قول الشاعر في وصف رامٍ:

[الرجز] حَتـى إذَا مـا الْتَأَمَـتْ مَفَاصِلُـهُ وَنَـاءَ في شِـقِّ الشِّـمَالِ كَاهِلُه[٦]

أي: نهض مُتَوَرِّكاً على شماله، والذي عندي أن (نَاءَ) و(نَأَى) فعلان متباينان، وناء بجانبه عبارة عن التَّحير والاستبداد، ونَأَى عبارة عن البُعْد والفراق.

ثم وصف الكفرة بأنهم إذا مَسَّهم شرٌّ من مرض أو مصيبة في مال أو غير ذلك يَئِسُوا من حيث لا يؤمنون بالله، ولا يرجون تصرُّف أقداره.

---

(١) في المطبوع: «قيل».

(٢) في نجيبويه: «يراد».

(٣) من المطبوع والحمزوية، وفي الأصل: «المعاصي».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦) من حديث أبي واقد الليثي مرفوعاً في خبر النفر الثلاثة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه».

(٥) السبعة (ص: ٣٨٤)، وفي التيسير (ص: ١٤١) من طريق ابن ذكوان خاصة، وكذا في النشر (٢/ ٣٠٨)، وزاد أبا جعفر.

(٦) البيت بلا نسبة في تفسير الطبري (١٩/ ٦٢٢)، وتهذيب اللغة (٥/ ٢٣٤)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٢٨٢)، عن بعض العرب.

ثم قال عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾؛ أي: على طريقته وبحسب نِيَّتِهِ ومذهبه الذي يشبهه، وهو شِكْل له، وهذه تدل دلالة[1] على أن الإِنْسَان أولاً لم يُرَدْ به العموم؛ أي: إن الكفار بهذه الصفات، والمؤمنون بخلافها، وكلٌّ منهم يعمل على ما يليق به، والرَّبُّ أعلم بالمهتدي.

وقال مجاهد: ﴿عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ معناه: على طبيعته، وقال أيضاً: معناه: على حِدَته[2].

وقال ابن عباس: معناه: على ناحيته[3]، وقال قتادة: معناه: على ناحيته، وعلى ما ينوي، وقال ابن زيد: معناه: على دينه[4].

وأرجح هذه العبارات قول ابن عباس وقتادة.

وفي قوله: ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ توعُّدٌ بيِّنٌ.

قوله عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾.

الضمير في (يسألونك) قيل: هو لليهود، وأن الآية مدنية، وروى عبد الله بن مسعود: أنه كان مع رسول الله ﷺ، فَمَرَّ على حَرْث بالمدينة، ويروى على خَرِب، وإذا فيه جماعة من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سَلُوه عن الرُّوح، فإن أجاب فيه عرفتم أنه ليس بنبي، وذلك أنه كان عندهم في التوراة أن الرُّوح مما انفرد الله بعلمه، ولا يُطْلع عليه أحداً من عباده.

---

(١) في نجيبويه زيادة: «ما».

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٥٤١).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٤١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) انظرهما في تفسير الطبري (١٧/ ٥٤١)، وفي المطبوع ونجيبويه: «حدته»، بدل «ناحيته».

قال ابن مسعود: وقال بعضهم: لا تسألوه لئَلَّا يأتي فيه بشيءٍ تكرهونه، يعني ـ والله أعلم ـ من أنه لا يفسِّره، فتقوى الحجةُ عليهم في نبوته، قال: فسألوه، فوقف رسول الله ﷺ مُتَوَكِّئاً على عَسِيب، فظننت أنه يوحى إليه، ثم تلا عليهم الآية[١].

وقيل: الآية مكيَّة، والضمير لقريش، وذلك أنهم قالوا: نسأل عن محمد أهل الكتاب من اليهود، فأرسلوا إليهم إلى المدينة النَّضْر بن الحارث وعُقبة بن أبي مُعَيط، فقال اليهود لهما: جرِّباه بثلاث مسائل، سلوه عن أهل الكهف وعن ذي القرنين وعن الرُّوح، فإن فسَّر الثلاثة فهو كذاب، وإن سكت عن الرُّوح فهو نبيٌّ، فسألته قريش عن الرُّوح، فيروى أن النبي ﷺ قال لهم: «غداً أخبركم به»، ولم يقل: «إن شاءَ الله»، فاستمسك الوحي عنه خمسة عشر يوماً معاتبةً على وعده لهم دون استثناء، ثم نزلت هذه الآية[٢].

واختلف الناس في الرُّوح المسؤول عنه، أيُّ روح هو؟:

[٣/ ١٨٦] فقالت فرقة هي / الجمهور: وقع السؤال عن الأرواح التي في الأشخاص الحيوانية، ما هي؟ فالروح اسمُ جنس على هذا، وهذا هو الصواب، وهو المشكل الذي لا تفسير له.

وقال قتادة: الرُّوح المسؤول عنه جبريل[٣]، قال: وكان ابن عباسٍ يكتمه[٤].

وقالت فرقة: هو عيسى بن مريم.

وقال علي بن أبي طالب: مَلَك له سبعون ألف وجه، في كل وجه سبعون ألف

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٥)، ومسلم (٢٧٩٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٩٢) من طريق محمد بن إسحاق قال: حدثني شيخ من أهل مصر، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره مطولاً، وهذا إسناد ضعيف؛ لإبهام شيخ ابن إسحاق.

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٥٤٤).

(٤) صحيح إلى قتادة، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٨٨)، والطبري (١٧/ ٥٤٤) من طريق معمر، عن قتادة فذكره، وفي تفسير عبد الرزاق: عن معمر، عن الحسن وقتادة.

لسان، لكل لسان سبعون ألف لغة، يسبح الله سبحانه[١] بكل تلك اللُّغات، فيُحلق[٢] من كل تسبيحة مَلَك يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة، ذكره الطبري[٣].

وما أظن القول يصحُّ عن علي.

وقالت فرقة: الرُّوح: القرآن، وهذه كلها أقوال مفسِّرة، والأول أظهرها وأصوبها.

وقوله: ﴿مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ يحتمل تأويلين: أحدهما أن يكون الأَمْرُ اسم جنس للأُمُور؛ أي: الرُّوح من جملة أُمور الله التي استأثر بعلمها، فهي إضافة خلْق إلى خالق، والثاني أن يكون مصدراً، من أمر يأْمُرُ؛ أي: الرُّوح مِمَّا أَمَره[٤] أَمْراً بالكَوْن فكان.

وقرأ ابن مسعود، والأعمش: (وما أوتوا)[٥]، ورواها ابن مسعود عن النبي ﷺ[٦].

وقرأ الجمهور: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾.

واختلف فيمن خوطب بذلك: فقالت فرقة: السائلون فقط، ترجم الطبري بذلك، ثم أدخل تحت الترجمة عن قتادة أنهم اليهود[٧].

وقالت فرقة: المراد اليهود بجملتهم، وعلى هذا هي قراءة ابن مسعود، وقالت فرقة: العالم كله، وهذا هو الصحيح؛ لأن قول الله له: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ﴾ إنما هو أمر بالقول

---

(١) في المطبوع: «لسانُه».

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «فيخلق». وفي نجيبويه: «يخلق».

(٣) غريب منكر، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٤٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧٨١)، وأبو الشيخ في العظمة (٤٠٨) من طريق أبي هزان يزيد بن سمرة، عمن حدثه، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فذكره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة شيخ يزيد بن سمرة، وهو غريب وعجيب كما قال ابن كثير.

(٤) في نجيبويه والإماراتية زيادة: «الله».

(٥) وهي شاذة لمخالفة الرسم، تابعه عليها في البحر المحيط (٧/ ١٠٧).

(٦) لم أقف عليه.

(٧) تفسير الطبري (١٧/ ٥٤٥).

لجميع العالم؛ إذ كذلك هي أقواله كلها، وعلى ذلك تمَّت الآية من مخاطبة الكل.

ويحتمل أيضاً أن تكون مخاطبة من الله للنبي ﷺ ولجميع الناس، ويتَّصف ما عند جميع الناس من العلم بالقِلَّة بإضافته إلى علم الله عزَّ وجلَّ الذي هو بهذه الأمور التي عندنا من عِلْمها[١] طرف يسير جدّاً، كما قال الخَضرُ لموسى عليهما السلام: ما نقص علمي وعلمُك وعلمُ الخلائق من علم الله إلَّا كما نقص هذا العصفورُ من البحر[٢].

وأراد الخَضِرُ علم الله تعالى بهذه الموجودات التي عند البشر من علمها طرف يسير جدّاً نِسْبَةً إلى ما يخفى عليهم[٣]، نِسْبة النقطة إلى البحر، وأمَّا عِلْم الله على الإطلاق فغير مُتَنَاهٍ، ويحتمل أن يكون التجوز في قول الخَضِرِ: كما نقص هذا العصفور؛ أي: إنَّا[٤] لا ينقص عِلْمنا شيئاً من علم الله تعالى على الإطلاق، ثم مثَّل بنقرة العصفور في عدم النقص؛ إذ نقصه غير محسوس فكأنه معدوم، فهذا احتمال، ولكن فيه نظر.

وقد قالت اليهود لرسول الله ﷺ: كيف لم نُؤْتَ من العلم إلَّا قليلاً، وقد أُوتينا التوراة وهي الحكمة، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً؟ فعارضهم رسول الله ﷺ بعلم الله فَغُلِبوا[٥]، وقد نصَّ رسول الله ﷺ في بعض الأحاديث بقوله: «كُلَّا»، يعني أنَّ المراد بـ ﴿أُوتِيتُم﴾ جميع العالم، وذلك أن يهود قالت له: أَنَحْنُ عنيت أم قومك؟ فقال: «كُلّاً»[٦].

---

(١) في الأصل: «علمنا».

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٣) في نجيبويه: «عنهم».

(٤) في الأصل: «إمَّا».

(٥) مرسل، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٤٢) من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة فذكره مرسلًا.

(٦) ضعيف مرسل، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٤٤-٥٤٥) من طريق محمد بن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار من قوله، وهذا إسناد فيه جهالة، وانقطاع.

وفي هذا المعنى نزلت: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]، حكى ذلك الطبري رحمه الله[١].

وقوله: ﴿وَلَئِن شِئْنَا﴾ الآية، فيها شدَّة على النبي ﷺ، وهي عتابٌ على قوله: «غَداً أُعْلِمُكُمْ»، فأُمر أن يقول: «الروح من أمر ربي»، فَـيُذْعِن بالتسليم لله في أنه يُعْلِمُ بما شاء، ويُمْسك عن عباده ما شاء، ثم قيل له: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾ أنت[٢] يا محمد وجميع الخلائق مِنَ الْعِلْمِ إلَّا قليلاً، فالله تعالى يُعْلِمُ من عِلْمِهِ بما شاءَ، ويَدَعُ ما شاءَ، ولئن شاءَ لذهب بالوحي الذي آتاك، ثم لا ناصر لك منه؛ أي: فليس بعظيم ألَّا تجيءَ بتفسير في الرُّوح الذي أردتَ تفسيره للناس ووعدتهم بذلك.

وروى ابن مسعود: أنه ستخرج ريح حمراءُ مِن قِبَلِ الشَّام فتزيل القرآن من المصاحف ومن الصدور، وتذهب به، ثم يتلو هذه الآية[٣]، أراد ابن مسعود بتلاوة

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٥٤٢).

(٢) ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٣) صحيح بطرقه، هذا الأثر بهذا اللفظ أخرجه الطبري (١٧/ ٥٤٥-٥٤٦) من طريق إسحاق بن يحيى، عن المسيب بن رافع، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، به. وهو بهذا الإسناد ضعيف؛ لضعف إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي، ولعدم سماع المسيب بن رافع من ابن مسعود كما قاله أحمد، وانظر جامع التحصيل (٧٦٨)، وقد أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥٩٨٠)، ومن طريقه الطبراني في الكبير (٨٦٩٨) عن الثوري، عن أبيه، عن المسيب بن رافع، عن شداد بن معقل، عن ابن مسعود رضي الله عنه، به، وقد أخرجه عبد الرزاق (٥٩٨٠)، وابن أبي شيبة (٣٠٨١٩-٣٨٧٤٠)، والبخاري في خلق أفعال العباد (٢٦٥-٢٦٦)، والطبري (١٧/ ٥٤٦)، وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٢٦٩)، والمروزي في الفتن (١٦٦٩-١٦٨٥)، والطبراني في الكبير (٨٦٩٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٠٣)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٢٨٩)، وفي شعب الإيمان (٢٠٢٧) من طريق عبد العزيز بن رفيع، عن شداد بن معقل، عن عبد الله به، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٨١٨) عن علي بن مسهر، عن أبي إسحاق الشيباني واسمه سليمان بن أبي سليمان، عن واصل بن حيان، عن أبي وائل شقيق بن سلمة، عن عبد الله قال: كيف أنتم إذا أسري على كتاب الله فذهب به؟ قال: يا أبا عبد الرحمن، كيف بما في أجواف الرجال، قال: يبعث الله ريحاً طيبة فتكفت كل مؤمن. وإسناده صحيح.

الآية أن يُبْدي أن الأمر جائز الوقوع؛ ليظهر مصداق خبره من كتاب الله تعالى.

و«الوكيل»: القائم بالأمر في الانتصار أو المخاصمة ونحو ذلك من وجوه النفع.

وقوله: ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ استثناءٌ منقطع؛ أي: لكن رحمةً من ربك يمسك ذلك عليك، وهذا الاستثناءُ المنقطع يُخَصِّص تخصيصاً مَّا، وليس كالمتصل؛ لأن المتصل يُخَصِّص من الجنس أو الجملة، والمنقطع يُخَصص أجنبيّاً من ذلك، ولا ينكر وقوع المنقطع في القرآن إلَّا أعجمي، وقد حُكي ذلك عن ابن خويز منداد[١].

ثم عدَّد عليه عزَّ وجلَّ كِبَرَ فضله في اختصاصه بالنبوَّة، وحمايته من المشركين، إلى غير ذلك مما لا يُحصى.

وقوله: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ﴾ الآية، سبب هذه الآية: أن جماعةً من قريش قالت لرسول الله ﷺ: يا محمد، جئنا بآية غريبة غير هذا القرآن، فإنَّا نقْدِر نحن على المجيء بمثل هذا[٢]، فنزلت هذه الآية المصرِّحة بالتعجيز، الـمُعْلِمة بأن جميع الخلائق لو تعاونوا إنساً وجِنّاً على ذلك لم يقدروا عليه.

---

(١) في المطبوع: «مقداد»، وهو خطأ، وانظر نقل القول عنه في: البحر المحيط للزركشي (٢/ ٤٢٤)، وابن خويز منداد هو أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله، تفقه على الأبهري، وله كتاب كبير في الخلاف، وكتاب في أصول الفقه، وكتاب في أحكام القرآن، وعنده شواذ عن مالك، وله اختيارات، توفي سنة (٣٩٠) تقريباً. انظر الوافي بالوفيات (٢/ ٣٩)، والديباج المذهب (ص: ٢٦٨).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٤٧) من طريق محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: ثني سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: أتى رسولَ الله ﷺ محمود بن سيحان، وعمر بن أضا، وبحري بن عمرو، وعزيز بن أبي عزيز، وسلام بن مِشْكم، فقالوا: أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئتنا به حقّ من عند الله عزّ وجلّ، فإنا لا نراه متناسقاً كما تناسق التوراة، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أما والله إنَّكم لتعرفون أنه من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم، ولو اجتمعت الإنس والجنُّ على أن يأتوا بمثله ما جاؤوا بِهِ»، وهذا إسناد ضعيف؛ لجهالة محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، وقال ابن كثير: وفي هذا نظر؛ لأن السورة مكية، وسياقها كله مع قريش، واليهود إنما اجتمعوا به في المدينة، فالله أعلم.اهـ. انظر: تفسير ابن كثير (٩/ ٧٧)، وقد أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (١/ ٥٧٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٩/ ٤٤٢) لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وفيه: «جماعة من اليهود»، وفي لفظ المؤلف سبب هذه الآية أن جماعة من قريش!

والعجز في[١] معارضة القرآن إنما وقع في النظم والرصف لمعانيه، وعلَّة ذلك الإحاطة التي لا يتَّصف بها إلَّا الله عز وجل، والبَشَر مقصِّر ضرورة بالجهل والنسيان والغفلة وأنواع النقص، فإذا نظم كلمة خفي عنه ـ لِلْعِلَل التي ذكرنا ـ أليقُ الكلام بها في المعنى، وقد ذكرتُ هذه المسألة في صدر هذا الديوان.

وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ في موضع رفع، و(لا) مُلْتقيةٌ قَسَماً، واللام في قوله: ﴿وَلَئِنِ﴾ مؤذنة غير لازمة، قد تحذف أحياناً، وقد تجيءُ هذه اللام مؤكدة فقط، ويجيءُ الفعل المنفي مجزوماً، وهذا اعتمادٌ على الشرط، ومنه قول الأعشى:

لَئِـنْ مُنِيـتَ بِنَا عَـنْ غِـبِّ مَعْرَكَةٍ لَا تُلْفِنَا عنْ دِماءِ الْقَوْم نَنْـتَفِلُ[٢] [البسيط]

و«الظَّهِيرُ»: المُعِينُ، ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾ [التحريم: ٤] الآية / . [٣/ ١٨٧]

وفَهِمت العربُ بخلوص فَهْمها في مَيْز الكلام ودُرْبتها به ما لا نفهمه نحن، ولا كل من خالطته حضارة، ففهموا العجز عنه ضرورةً ومُشاهدةً، وعَلِمَه الناسُ بعدهم استدلالاً ونظراً، ولكلٍّ حصل علمٌ قطعي لكن ليس في مرتبة واحدة، وهذا كما علمت الصحابةُ شَرْعَ النبي وأعمالَه مشاهدةً عِلْمَ ضرورة، وعلمنا نحنُ المتواتِرَ من ذلك بنقل التَّواتر، فحصل للجميع القَطْعُ، لكن في مرتبتين، وفَهِم إعجازَ القرآن أربابُ الفصاحة الذين لهم غرائب في مَيْز الكلام، ألا ترى إلى فَهْم الفرزدق شعْرَ جرير في شعر ذي[٣] الرُّمَّة في قوله:

يَـعُـدُّ الـنَّاسِـبُون إلـى تَـمِـيمٍ[٤] .... [الوافر]

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «عن».

(٢) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٧/ ٥٤٨)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٦٢).

(٣) كتبت في المطبوع: «ذل».

(٤) انظر عزوه له في أمالي القالي (٢/ ١٤١)، والأغاني (٨/ ٦٢)، وتقدمت الإشارة إليه في مقدمة الكتاب المتعلقة بإعجاز القرآن.

الأبيات كلها، وألا ترى قصة جرير في توارده[١] مع الفرزدق في قول الفرزدق: (عَلامَ تَلَفَّتِينَ) وفي قوله:

[الوافر] تَلَفَّتُ أَنَّهَا تَحْتَ ابْنِ قَيْنٍ[٢] ....

وألا ترى إلى قول الأعرابي: عزَّ فحكم فقطع[٣]؟ وألا ترى إلى استدلال الآخر على البعث بقوله: ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ٤][٤]، فقال: إن الزيارة تقتضي الانصراف[٥].

ومنه علم بشار بقول أبي عمرو بن العلاء في شعر الأعشى:

[البسيط] وأَنْكَرَتْني وَمَا كَانَ الذِي نَكِرَتْ[٦] ....

ومنه قول الأعرابي للأصمعي: مَن أَحْوَجَ الكريم إلى أن يقسم؟[٧].

ومن فهمهم أنهم[٨] ببدائههم يأتون بكلمة منثورة تفْضُل الـمُنَقَّح من الشعر، وأمثلة ذلك محفوظة، ومن ذلك أجْوبتُهم الـمُسْكتة، إلى غير ذلك من براعتهم في الفصاحة وكونهم فيها النهاية، كما كان السِّحرُ في زمن موسى، والطبُّ في زمن عيسى، فهم مع هذه الأفهام أَقَرُّوا بالعجز، ولجأ الـمُحَادُّ منهم إلى السيف، ورضي بالقتل والسباء وكشف الحُرَم، وهو كان يجد المندوحة عن ذلك بالمعارضة.

---

(١) في الأصل والحمزوية: «نوادره».

(٢) في أحمد٣: «ابن قيس»، انظر عزوه له في الزاهر للأنباري (٢/ ٤٢)، وأمالي القالي (٢/ ٢٣٥)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ١٥١).

(٣) تقدم في مقدمة الكتاب المتعلقة بإعجاز القرآن.

(٤) ليست الآية في نجيبويه.

(٥) البحر المحيط (٧/ ١٠٩)، ومثل هذا المعنى في تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٩) عن ميمون بن مهران وعمر بن عبد العزيز.

(٦) تقدم في مقدمة الكتاب المتعلقة بإعجاز القرآن.

(٧) تفسير البحر المحيط (٧/ ١١٠).

(٨) ليست في نجيبويه.

وكذلك التحدي بالعشر السُّور، والتحدي بالسُّورة، إنما وقع كله على حدٍّ واحد في النظم خاصة، وقيَّد العشر بالافتراء؛ لأنهم قالوا: إن القرآن مفترى، فدعاهم بعقب ذكر[١] ذلك إلى الإتيان بعشر سُوَر مفتريات، ولم يذكر الافتراء في السُّورة؛ لأنهم لم يجر عنهم ذكر ذلك قَبْلُ، بل قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ [البقرة: ٢٣]، على أنه قد جاء ذكر السُّورة مع ذكرهم الافتراء في سورة هود.

وقد اختلف الناس في هذا الموضع: فقيل: دُعُوا إلى السورة مع المماثلة في النظم والغيوب وغير ذلك من الأوصاف، وكان ذلك من تكليف ما لا يطاق، فلما عسر عليهم خُفِّفَ بالدعوة إلى المفتريات، وقيل غير هذا مما ينحلُّ عند تحصيله.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾.

هذه آية تنبيه على فضل الله في القرآن على العالم، وتوبيخ للكفار منهم على قبيح فعلهم.

و«تَصْريف القول»: هو ترديد البيان عن[٢] المعنى.

وقرأ الجمهور: ﴿صَرَّفْنَا﴾ بتشديد الراء، وقرأ الحسن: (صرَفْنَا) بفتح الراء خفيفة[٣].

وقوله: ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ يجوز أن تكون ﴿مِن﴾ لابتداء الغاية، ويكون المفعول بـ﴿صَرَّفْنَا﴾ مقدراً، تقديره: ولقد صرَّفنا في هذا القرآن التنبيه والعِبَرَ من كل مثل

(١) ليست في نجيبويه.
(٢) في نجيبويه ونور العثمانية: «على».
(٣) وهي شاذة، انظرها في تفسير الثعلبي (٦/ ١٠١).

ضربناه، ويجوز أن تكون مؤكدة زائدة، والتقدير: ولقد صرَّفنا كلَّ مثل، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقوله: ﴿فَأَبَىٰٓ﴾ عبارة عن تكسُّب الكفار الكفر، وإعراضهم عن الإيمان، وفي العبارة بـ﴿أَبَىٰ﴾ تغليظ، والكفر بالخلق والاختراع هو من فعل الله تعالى، وبالتَّكَسُّب والدُّؤوب هو من الإنسان، و﴿كُفُورًا﴾ مصدر كالخروج.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾ الآية، قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿حتى تُفَجِّرَ لنا﴾، وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿حَتَّىٰ تَفۡجُرَ﴾ بفتح التاء وضم الجيم[1]، وفي القرآن ﴿فَٱنفَجَرَتۡ﴾ [البقرة: ٦٠]، وانْفَجَرَ مطاوع فَجَرَ، فهذا ممَّا يقوي القراءة الثانية، وأمَّا الأولى فتقتضي المبالغة في التفجير.

و«الينبوع»: الماءُ النابع، وهي صفة مبالغة إنما تقع للماء الكثير.

وطلبت قريش هذا من رسول الله ﷺ بمكَّة، وإيَّاها عنوا بـ(الأَرْضِ)، وإنما يراد بإطلاق لفظة الأرض هنا: الأرضُ التي يكون فيها المعنى المتكلم فيه، كقوله: ﴿أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [المائدة: ٣٣]، فإنما يُرادُ: من أرض تصرُّفهم وقطعهم السُّبل ومعاشهم، وكذلك أيضاً اقتراحهم بالجنَّة إنما هو بمكة لامتناع ذلك فيها، وإلَّا ففي سائر البلاد كان ذلك يمكنه، وإنما طلبوه بأمر إلهي في ذلك الموضع الجدب.

وقرأ الجمهور: ﴿جَنَّةٌ﴾، وقرئ: (حبة)، ذكره المهدوي[2].

وقوله: ﴿فَتُفَجِّرَ﴾ تضعيف مبالغة، لا تضعيف تعدية، كغلَّق الأبواب[3].

و﴿خِلَٰلَهَا﴾ ظرف، ومعناه: أثناءَها وفي داخلها.

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٨٤)، والتيسير (ص: ١٤١).

(٢) في أحمد٣: «جنات»، بدل: «حبة»، وهي شاذة، والذي في التحصيل (٤/ ١٤٨)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٨٣) أن قتادة قرأ: (أو يكون له جنة) بياء.

(٣) في المطبوع: «كقوله: وغلقت الأبواب».

ورُوي في قول هذه المقالة لرسول الله ﷺ حديث طويل، مقتضاه أن عتبة وشيبة ابني ربيعة، وعَبْد الله بن أبي أُمية، والنضْر بن الحارث، وغيرهم من مشيخة قريش وسادتها اجتمعوا فعرضوا عليه أن يُمَلِّكوه إن أراد الـمُلْك، ويجمعوا له كثيراً من المال إن أراد الغنى، أو يطبُّوه إن كان به داءٌ، ونحو هذا من الأقاويل، فدعاهم رسول الله ﷺ عند ذلك إلى الله، وقال: «إنما جئتكم [من عند الله][1] بأمر فيه صلاح دينكم ودنياكم، فإن سمعتم وأطعتم فحسن، وإلَّا صبرت لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم بما شاء»، فقالوا له حينئذ: فإن كان ما تزعمه حقّاً فَفَجِّر ينبوعاً ونؤمن لك، ولتكن لك جنة، إلى غير ذلك مما كلَّفوه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «هذا كله إلى الله، ولا يلزمني اقتراح[2] هذا ولا غيره، وإنما أنا مستسلم لأمر الله»[3]، / هذا هو معنى الحديث، وفي الألفاظ [٣/ ١٨٨] اختلاف وروايات متشعِّبة يطول سَوْقُ جميعها، فاختصرتُ لذلك.

قوله تعالى: ﴿أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ﴾ الآية، قرأ الجمهور: ﴿أَوۡ تُسۡقِطَ﴾ بضم التاء ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾ نصب، وقرأ مجاهد: (أو تَسْقُطَ السماءُ)[4] برفع السَّماءِ وإسناد الفعل إليها.

وقوله: ﴿كَمَا زَعَمۡتَ﴾ إشارة إلى ما تَلا عليهم قبل ذلك في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[سبأ: ٩] الآية.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿كِسْفاً﴾ بسكون السين، إلَّا في الرُّوم، فإنهم حرَّكوها، ومعناها: قطعاً واحداً، قال مجاهد: السماء جميعاً[5].

(١) ليس في الأصل.
(٢) ليس في الأصل.
(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٥٥-٥٥٦) من طريق محمد بن إسحاق، عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة، وتارة عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، مرفوعاً بلفظ مطول، والطريق الأول ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن إسحاق، والثاني أيضاً ضعيف؛ لجهالة محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت.
(٤) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٨١)، والشواذ للكرماني (ص: ٨٣)، وزاد كردابا.
(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٥٥١).

وتقول العرب: كَسَفْتُ الثَّوْبَ ونحوه: قطعته، فالكِسَف ـ بفتح السين ـ المصدر، و«الكِسْف»: الشيءُ المقطوع، قال الزجاج: المعنى: أَوْ تُسقط السماءَ علينا طبَقاً[١]، واشتقاقه من: كَسَفْتُ الشيء إذا غَطَّيْتَهُ.

قال القاضي أبو محمد: وليس بمعروف في دواوين اللغة: كَسفَ بمعنى غَطَّى، وإنما هو بمعنى قَطعَ، وكأن كسوف الشمس والقمر قطع منهما[٢].

وقرأ نافع، وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿كِسَفًا﴾ بفتح السِّين[٣]؛ أي: قِطَعاً، جمع كِسْفَة.

وقوله: ﴿قَبِيلًا﴾ معناه: مقابلةً وعِياناً، وقيل: معناه: ضامناً وزعيماً بتصديقك، ومنه القبالة، وهي الضمان، و«القَبيلُ»: الـمُتَقَبِّلُ الضامن، وقيل: معناه: نوعاً وجنساً لا نظير له عندنا.

وقرأ الأعرج: (قُبُلاً)[٤]، وهو[٥] بمعنى المقابلة.

قوله عز وجل: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾.

قال المفسرون: «الزُّخْرُف»: الذهب في هذا الموضع، و«الزخرف»: ما تُزُيِّن به، كان بذهب أو غيره، ومنه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ [يونس: ٢٤].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٥٩).

(٢) في نجيبويه والإماراتية: «بينهما».

(٣) وحفص وابن عامر بالفتح، كما في التيسير (ص: ١٤١)، وفي جامع الداني (٣/ ١٢٩٥) عن هبيرة عن حفص وابن بكار عن ابن عامر الإسكان، وليس من طرق التيسير.

(٤) وهي شاذة، إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٩٩).

(٥) في الأصل: «وقيل».

وفي قراءة عبد الله بن مسعود: (أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ ذَهَبٍ)(١).

[قال مجاهد: ما كنا نعرف الزخرف حتى قرأنا في حرف عبد الله: (من ذهب)](٢).

وقوله: ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ يريد: في الهواءِ عُلُوّاً، والعربُ تسمِّي الهواءَ علوّاً سماءً؛ لأنه في حيِّز السُّمُوِّ، ويحتمل أن يريد السماء المعروفة، وهو أظهر؛ لأنه أعلمهم أنَّ إله الخَلْق فيها، وأنه يأْتيه خبرها، و﴿تَرْقَىٰ﴾ معناه: تصعد، و«الرُّقِيُّ»: الصعود.

ويُرْوى أن قائل هذه المقالة هو عبد الله بن أبي أُمية، فإنه قال لرسول الله ﷺ: إنا لا نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب [أراك هابطاً به](٣)، فيه: من الله عزَّ وجلَّ إلى عبد الله ابن أبي أُمية(٤)، ورُوي أن جماعتهم طلبت هذا النحو منه، فأمره الله عز وجل أن يقول: ﴿سُبۡحَانَ رَبِّي﴾؛ أي: تنزيهاً له من الإتيان إليكم مع الملائكة قبيلاً، ومن أن يخاطبكم بكتاب كما أردتم، ومن أن أقترح أنا عليه هذه الأشياء، وهل أنا إلَّا بشر منكم(٥) أُرسلتُ إليكم بالشريعة، فإنما عليَّ التبليغ فقط.

وقرأ ابن كثير، وابن عامر: ﴿قال سبحان ربي﴾، على معنى الخبر عن رسول الله ﷺ أنه سبَّح عند قولهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ﴾ هذه الآية على معنى التوبيخ والتَّلَهُّف من النبي ﷺ والبشر، كأنه يقول متعجباً منهم: ما شاء الله كان، ما منع الناس أن يؤمنوا

---

(١) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٩٥)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٣٥).

(٢) ليس في المطبوع، وانظر: تفسير الطبري (١٧/ ٥٥٣)، والهداية لمكي (٦/ ٤٢٨٨)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٧٣).

(٣) في المطبوع: «أراد هنا كِتابَه»، وهو تصحيف بين، وفي أحمد٣: «حتى تأتيني بكتاب من السماء أرى فيه بطاقة من الله... إلخ».

(٤) ذكره الواحدي في تفسيره (٣/ ١٢٨).

(٥) في أحمد٣ والحمزوية ونور العثمانية: «مثلكم».

إذْ جاءهم الهدى إلَّا هذه العلَّةُ النزرة، والاستبعاد[١] الذي لا يستند إلى حجَّة، وبعثةُ الْبَشِر رُسُلاً غير بدع ولا غريب، فَبِهَا يقع[٢] الإفهامُ والتمكنُ من النظر، كما لَوْ كانَ في الأرْضِ مَلائِكَةٌ يسكنونها مطْمَئِنِّينَ؛ أي: وادعين فيها مُقيمين لكان الرسول إليهم من الملائكة، لِيقَع الإفْهام، وأمَّا البَشَر فلو بُعث إليهم مَلَك لنفرت طبائعهم من رؤيته، ولم تحتمله أبصارهم، ولا تجلَّدت له قلوبهم، وإنما أراد الله جري أحوالهم على معتادها.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾.

روي: أن الملأَ من قريش الذين[٣] قالوا لرسول الله ﷺ المقالات التي تقدم ذكرها، من عرض الـمُلْك عليه والغنى وغير ذلك، وقالوا له في آخر قولهم: فَلْتَجئْ معك طائفة من الملائكة تشهد لك بصدقك في نبوتك[٤]، قال المهدوي: رُوي أنهم قالوا له: فمن يشهد لك؟[٥].

قال القاضي أبو محمد: ومعنى أقوالهم إنما هو طلب شهادة دون أن يذكروها، ففي ذلك نزلت هذه الآية؛ أي: الله يشهد بيني وبينكم، الذي له الخبر والبصر بجميعنا، صادقنا وكاذِبنا، ثم ردَّ الأمر إلى خلق الله تعالى واختراعه الهدى والضلال في قلوب البشر؛ أي: ليس بيدي من أمركم أكثر من التبليغ، وفي قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ وعيدٌ.

---

(١) في المطبوع: «واستبعاد».
(٢) «يقع» ليس في الأصل.
(٣) ليست في المطبوع.
(٤) لم أهتد إليه، وفي العلمية: روى البخاري، ولم نجده في شيء من النسخ الأخرى.
(٥) لم أقف عليه، وانظر التحصيل للمهدوي (٤/ ١٤٠).

ثم أخبر عز وجل أنهم يحشرون على الوجوه عُمْياً وبُكْماً وصُمّاً، وهذا قد اخْتُلِف فيه، فقيل: هي استعارات، إمَّا لأنهم من الحيرة والهَمِّ والذهول يشبهون أصحاب هذه الصفات، وإمَّا من حيث لا يرون ما يسرهم، ولا يسمعونه، ولا ينطقون بحجَّة، وقيل: هي حقيقة كلها، وذلك عند قيامهم من قبورهم، ثم يردُّ الله تعالى إليهم أبصارهم وسمعهم ونطقهم، فعند ردِّ ذلك إليهم يرون النار، ويسمعون زفيرها، ويتكلمون بكل ما حكي عنهم في ذلك.

ويقال للمنصرف عن أمرٍ خائباً مهموماً: انْصَرَفَ على وجهه، ويقال لِلْبَعِير المتفه[١]: كأنما يمشي على وجهه / . [٣/ ١٨٩]

ومَنْ قال: ذَلِكَ في الآية حقيقةٌ، قال: أقدرهم الله تعالى على النُّقلة على الوجوه، كما أقدرهم في الدنيا على النقلة على الأقدام، وفي هذا المعنى حديثٌ؛ قيل: يا رسول الله، كيف يمشي الكافر على وجهه؟ قال: «أليس الذي أمشاه في الدنيا على رجلين قادراً أن يُمشِيَه في الآخرة على وجهه؟»، قال قتادة: بلى وعزَّة ربنا[٢].

وقوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾؛ أي: كلما فرغت من إحراقهم، فيسكن اللهيب القائِمُ عليهم قدر ما يُعادُون ثم يثور، فتلك زيادة السعير، قاله ابن عباس[٣].

فالزيادة في حَيِّزهم، وأما جهنم فعلى حالها من الشِّدّة لا يصيبها فتور، وخَبَت

---

(١) ليس في المطبوع، وفي أحمد٣: «للبعير المثقل»، وفي نجيبويه: «المتفه».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) حسن لغيره، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٦١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بلفظ: كلما أحرقتهم تسعر بهم حطباً، فإذا أحرقتهم فلم تبق منهم شيئاً صارت جمراً تتوهَّج، فذلك خُبُوُّها، فإذا بدّلوا خلقاً جديداً عاودتهم، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف العوفي، وأخرجه الطبري أيضاً (١٧/ ٥٦١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: سكنت، ومن طريق ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بنحوه، وهو منقطع لعدم سماع ابن جريج منه.

النَّارُ معناه: سكن اللهبُ[١] والجمر على حاله، وخَمَدَت معناه: سكن الجمر وضعف، وهمدت معناه: طفيت جملة، ومن هذه اللَّفظة قول الشاعر:

[مجزوء الوافر]
لِـمَـنْ نَـارٌ قُـبَـيْـلَ الصُّبْـ ـحِ عِـنْـدَ الْـبَـيْـتِ ما تَخْبُو
إذا مـا أُخْـمِـدَتْ يُـلْـقَـى عَـلَيْـهَـا الْـمَنْـدَلُ الـرَّطْـبُ[٢]

ومنه قول عدِيٍّ بن زيد:

[الخفيف]
وَسْـطَهُ كَالْيَـرَاعِ أَوْ سُـرُجِ المِجْـ ـدَلِ طَـوراً تَخْبُـو وحينـاً تُثِيـرُ[٣]

ومنه قول القطامي:

[الوافر]
.... فَيَخْبُـو سَـاعَةً ويَهُـبُّ سَـاعَا[٤]

قوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم﴾ الآية إشارة إلى الوعيد المتقدم بجهنم.

وقوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يعُمُّ الدلائل والحُجَج التي جاء بها محمد ﷺ، ويَعُمُّ آيات القرآن وما تضمَّن من خبر وأمر ونهي.

ثم عظم عليهم أمر إنكار البعث، وخصَّه بالذكر مع كونه في عموم الكفر بآيات القرآن، وَوَجْهُ تخصيصه التعظيم له، والتنبيه على خطارة الكفر في إنكاره، وقد تقدم اختلاف القراء في الاستفهامين في غير هذا الموضع.

و«الرُّفاتُ»: بقية الشيء التي قد أصارها البِلَى إلى حال التراب.

---

(١) في أحمد٣: «اللهيب».

(٢) البيتان لعمر بن أبي ربيعة، كما في لسان العرب (١١/ ٦٥٣)، وبلا نسبة في الكامل للمبرد (٣/ ٨٧)، وتهذيب اللغة (٥/ ٧٦)، والأغاني (١/ ٣٠٥) مع اختلاف ألفاظ، في نجيبويه: «أمن زينب ذي النار»، «إذا خمدت».

(٣) عزاه له الطبري (١٧/ ٥٦٠)، ولسان العرب (٧/ ٤٢٩)، وتاج العروس (٢٠/ ١٧٧)، وفي المطبوع: «حينا يخبو وحينا ينير».

(٤) صدره: وكُنا كالْحَرِيقِ أَصَابَ غَاباً، عزاه له تفسير الطبري (١٧/ ٥٦٠)، والصحاح للجوهري (٣/ ٣٦٨).

و«الْبَعْثُ»: تحريك الشيء الساكن، وهذا الاستفهام منهم هو على جهة الإنكار والاستبعاد للمحال[١] بزعمهم.

قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾.

هذه الآية احتجاج عليهم فيما استبعدوه من البعث، وذلك أنهم قُـرِّروا على خلق الله تعالى واختراعه لهذه الجملة التي البشر جزءٌ منها، فهم لا ينكرون ذلك، فكيف يصح لهم أن يُقرُّوا بخلقه للكل، وإخراجه من خمول العدم، وينكرون إعادته للبعض؟ فحصل الأمر في حيِّز الجواز، وأخبر الصادق الذي قامت دلائل معجزاته بوقوع ذلك الجائز.

و«الرؤية» في هذه الآية رؤية القلب.

و«الأَجَلُ» هاهنا يحتمل أن يريد القيامة، ويحتمل أن يريد أجل الموت، والأَجَلُ على هذا التأويل اسم جنس؛ لأنه وضعه موضع الآجال، ومقصد هذا الكلام بيان قدرة الله عزَّ وجلَّ وملكه لخلقه، وبتقرير[٢] ذلك يقوى جواز بعثه لهم حين يشاء لا إله إلاَّ هو.

وقوله: ﴿فَأَبَىٰ﴾ عبارة عن تكسُّبهم وجنوحهم، وقد مضى تفسير هذه الآية آنفاً.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ الآية، حكم (لَوْ) أن يليها الفعلُ، إمَّا مُظهراً وإمَّا مضمراً يفسره الظاهر بعد ذلك، فالتقدير هنا: قل لو تملكون أنتم تملكون خزائن، فـ(أَنْتُمْ) رفع على تبع الضمير.

و«الرَّحْمَةُ» في هذه الآية: المالُ والنعم التي تصرف في الأرزاق، ومن هذا سميت رحمة.

---

(١) في الأصل: «للحال».

(٢) في المطبوع ونور العثمانية وأحمد٣: «تقدير».

و«الإنْفَاقُ المعروف»: ذهابُ[١] المال، وهو مؤدٍّ إلى الفقر، فكأن المعنى: خشيةَ عاقبة الإنفاق، وقال بعض اللغويِّين: أنفق الرجلُ معناه: افتقر، [كما تقول أترب وأقتر][٢].

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾؛ أي: مُمْسكاً، يريد أن في طبعه ومُنتهى نظره أن الأشياء تتناهى وتفنى، فهو لو مَلَكَ خزائن رحمة الله لأمسك خشية الفقر، وكذلك يظن أن قدرة الله تعالى تقف[٣] دون البعث، والأمر ليس كذلك، بل قدرته لا تتناهى، فهو يخترع من الخلق ما يشاءُ، ويخترع[٤] من الرحمة الأرزاق[٥]، فلا يخاف نفاد خزائن رحمته، وبهذا النظر تلتبس هذه الآية بما قبلها، والله وليُّ التوفيق برحمته، ومن الإقتار قول أبي دُوَاد:

[الخفيف]
لا أَعُدُّ الإقْتَارَ عُدْماً وَلَكِنْ فَقْدُ مَنْ قَدْ رُزِئْتُه الإعْدَامُ[٦]

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾، اتفق المتأولون والرواة أن الآيات الخمس التي في سورة الأعراف هي من بين[٧] هذه التِّسع، وهي: الطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم.

واختلفوا في الأربع: فقال ابن عباس: هي يَدُه، ولسانُه حين انحلَّت عقدتُه، وعصاه، والبحر[٨]، وقال محمد بن كعب القرظي: هي: البحر، والعصا، والطَّمْسة،

---

(١) في نجيبويه والإماراتية: «إذهاب».
(٢) ليس في المطبوع.
(٣) من المطبوع وأحمد٣ والحمزوية.
(٤) في المطبوع: «ويختزن».
(٥) في أحمد٣ زيادة: «ما شاء».
(٦) عزاه له تفسير الطبري (١٧/ ٥٦٣)، والفاخر (ص: ٩٠)، والأصمعيات (١/ ٣٠)، والأغاني (٢/ ١٥٩)، والعمدة في محاسن الشعر (١/ ٢٩)، وغيرهم، وفي الأصل: «فقد من رزيته»، في أحمد٣ والحمزوية: «أبي داود».
(٧) من المطبوع.
(٨) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٦٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣١٠) من طريقين عن عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والحجَر، وقال: سألني عن ذلك عمر بن عبد العزيز فأخبرته، فقال لي: وما الطَّمْسَةُ؟ فقلت: دعا موسى وأمَّن هارون، فطمس الله أموالهم وردَّها حجارة، فقال عمر: وهل يكون الفقه إلَّا هكذا؟ ثم دعا بخريطة فيها غرائب كانت لعبد العزيز بن مروان جمعها بمصر، فاستخرج منها الحوزة[١] والبيضة والعدسة، وهي كلها حجر كانت من بقايا أموال آل فرعون[٢].

وقال الضحاك: هي إلقاءُ العصاء مَرَّتين، واليد، وعُقدة لسانه.

وقال عِكْرمة، ومطر الورَّاق، والشعبي: هي العصا، واليد، والسنون، ونقص الثمرات[٣].

وقال الحسن: هي العصا في كونها ثعباناً، واليد، والسنون[٤]، وتلقف العصا ما يأفكون[٥].

وقال ابن عباس: هي السنون في بواديهم، ونقص الثمرات في قراهم، واليد، والعصا[٦].

وروى مطرِّف عن مالك: أنها العصا، واليد، والجبل إذ نتق، والبحر، وروى ابن وهب عنه / مكان البحر الحَجَر[٧]. [٣/ ١٩٠]

والذي يلزم من الآية أن الله تعالى خصَّ من آيات موسى ـ إذْ هي كثيرة جداً تنيف

---

(١) في نجيبويه ونور العثمانية: «الجوزة».
(٢) تفسير الثعلبي (٦/ ١٣٨).
(٣) انظر أقوالهم مع قول الضحاك في تفسير الثعلبي (٦/ ١٣٧).
(٤) «اليد والسنون»: ليس في الأصل، وأثبتناه من المطبوع وأحمد٣ والحمزوية.
(٥) انظر قول الحسن في تفسير الطبري (١٧/ ٥٦٦).
(٦) منقطع، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٩١)، ومن طريقه الطبري (١٧/ ٥٥٦) عن معمر، عن قتادة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة لم يسمع من ابن عباس.
(٧) انظر الروايتين في الهداية لمكي (٦/ ٤٣٠١)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٢١٦)، في أحمد٣: «ابن منبه»، وفي المطبوع: «مصرف».

على أربع وعشرين ـ تسعاً بالذكْر، ووصفها بالبيان ولم يعيّنها، واختلف العلماءُ في تعيينها بحسب اجتهادهم في بيانها، أو روايتهم التوقيفية[١] في ذلك.

وقالت فرقة: آياتُ موسى إنما أريد بها آياتُ التوراة التي هي أوامرُ ونواهٍ، روى في هذا صفوان بن عسَّال[٢]: أن [يهوديّاً من] يهود المدينة قال لآخر: سِرْ بنا إلى هذا النبي نسأله عن آيات موسى، فقال له الآخر: لا تقل إنه نبيٌّ، فإنه لو سمعك صار له أربعة أعين، قال: فساروا إلى رسول الله ﷺ، فسألاه، فقال: «هن[٣] ألاَّ تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلَّا بالحق، ولا تمشوا ببريءٍ إلى سلطان ليقتله، ولا تسحروا[٤]، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا المحصنة، ولا تفِرُّوا يوم الزحف، وعليكم خاصة يهود: أن لا تعدوا في السبت»[٥].

وقرأ الجمهور: ﴿فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.

---

(١) في نجيبويه: «التوفيق»، وفي نور العثمانية والإماراتية: «التوقيف».

(٢) صفوان بن عسّال، المرادي، مشهور له صحبة ورواية، وغزا اثنتي عشرة غزوة، سكن الكوفة، الإصابة (٣/ ٣٥٣).

(٣) في أحمد٣ والحمزوية ونور العثمانية: «هي».

(٤) في المطبوع: «تسخروا».

(٥) منكر، أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (١٢٦٠)، وأحمد (٤/ ٢٣٩-٢٤٠)، والترمذي (٢٧٣٣-٣١٤٤)، والنسائي في الكبرى (٣٥٢٧-٨٦٠٢)، وابن ماجه (٣٧٠٥) مختصراً، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٢١٦)، والطبري (١٧/ ٥٥٦-٥٥٧)، وابن أبي حاتم (٦٢١٢-١٦١٦١) في تفسيرهما، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ٢١٥)، وفي شرح مشكل الآثار (٦٣-٦٤-٦٥)، والطبراني في الكبير (٧٣٩٦)، وابن قانع في معجم الصحابة (٢/ ١١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ١٦٦)، وفي دلائل النبوة (٦/ ٢٦٨)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٩٧-٩٨)، وغيرهم من طريق عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، عن صفوان بن عسال المرادي، به.
وعبد الله بن سلمة المرادي الكوفي تكلم فيه النقاد بسبب سوء حفظه. قال النسائي: وهذا حديث منكر، وحُكي عن شعبة قال: سألت عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة؟ فقال: تعرف وتنكر.اهـ وقال البخاري: لا يتابع في حديثه، وقال أبو أحمد الحاكم: ليس حديثه بالقائم. وانظر الضعفاء =

وروي عن الكسائي: ﴿فَسَلْ﴾[(١)] على لغة من قال: سَالَ يَسَالُ.

وهذا كله على معنى الأمر لمحمد ﷺ؛ أي: اسأل معاصريك عمَّا أعلمناك به من غيب القصة، ثم قال: ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾، يريد: آباءهم، وأدخلهم في الضمير إذ[(٢)] هم منهم.

ويحتمل أن يريد: فاسْأَل بَنِي إِسْرائِيلَ الأولين الذين جاءهم موسى، وتكون إحالته إياه على سؤالهم بطلب أخبارهم والنظر في أحوالهم وما في كتبهم، نحو قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وهذا كما تقول لمن تعظه: سَلِ الأُمم الخالية هل بقي منها مخلد؟ ونحو هذا مما يجعل النظر فيه مكان السؤال، قال الحسن: سؤالك إياهم نظرُك في القرآن[(٣)].

وقرأ ابن عباس: (فَسَأَلَ بني إسرائيلَ)[(٤)]؛ أي: فسأل موسى فرعونَ[(٥)] بني إسرائيل؛ أي: طلبهم لينجيَهم من العذاب.

وقوله: ﴿مَسْحُورًا ﴾ اختلف فيه المتأولون، فقالت فرقة: هو مفعول على بابه؛ أي: إنك قد سُحِرتَ، فكلامك مختلٌّ، وما تأتي به غيرُ مستقيم، وقال الطبري: هو مفعول بمعنى فاعل، كما قال: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٥]، وكما قالوا: مَشْؤُومٌ وَمَيْمُون، وإنما هو: شائِمٌ ويامن[(٦)].

= للعقيلي (٢/ ٢٦١)، والميزان (٢/ ٤٣١). ولذلك قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٩/ ٨٨): وهو حديث مشكل، وعبد الله بن سلمة في حفظه شيء، وقد تكلموا فيه، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات، فإنها وصايا في التوراة، لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون. والله أعلم. اهـ.

(١) وهي سبعية له ولابن كثير، على قاعدتهما، انظر: التيسير (ص: ٩٥)، والسبعة (ص: ٢٣٢).

(٢) في المطبوع: «إذا» وهو خطأ.

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٥٦٨).

(٤) وهي شاذة، انظر المصاحف لابن أبي داود (ص: ٢٦٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٠٠)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٣٨).

(٥) ليس في المطبوع.

(٦) تفسير الطبري (١٧/ ٥٦٨).

قال القاضي أبو محمد: وهذا لا يتخرج إلَّا على النَّسب؛ أي: ذا سِحْرٍ مَلَكْتَه وعَلِمْتَه، فأنتَ تأتي بهذه الغرائب لذلك، وهذه مخاطبةُ تَنَقُّصٍ، فيستقيم أن يكون ﴿مَسْحُورًا﴾ مفعولاً على ظاهره، وعلى أن يكون بمعنى: ساحر يعارضنا ما حُكيَ عنهم أنهم قالوا له على جهة المدح: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الزخرف: ٤٩]، فإمَّا أن يكون القائلون هنالك ليس فيهم فرعون، وإمَّا أن يكون فيهم، لكنه تنقَّل[1] من تَنَقُّصه إلى تعظيمه، وفي هذا نظر.

قوله عز وجل: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾.

رُوي عن عليٍّ بن أبي طالب، وغيره، أنه قرأ: (عَلِمْتُ) بتاء التكلم مضمومة، وقال: وما علم عدوُّ الله قط، وإنما علم موسى[2].

وتتقوى هذه القراءة لمن تأوَّل﴿مَسْحُورًا﴾ على بابه، فلمَّا رماهُ فرعون بأنه قد سُحر فَفَسَد نظره وعقله وكلامه، ردَّ هو عليه بأنه يعلم آيات الله تعالى، وأنه ليس بمسحور، بل مُـحَرِّر لما يأتي به، وهي قراءة الكسائي[3].

وقرأ الجمهور: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ بتاء المخاطب مفتوحة، فكأن موسى عليه السلام رماهُ بأنه يكفر عناداً.

ومن قال بوقوع الكفر عناداً فَلَه تعلُّق بهذه الآية، وجعلها كقوله عزَّ وجلَّ:

---

(١) في أحمد٣: «ينفك»، وفي نور العثمانية: «يعقل».

(٢) ضعيف، أخرجه الفراء في معاني القرآن (٢/ ١٣٢) عن قيس وأبي الأحوص، عن أبي إسحاق، عن شيخ من مراد، عن علي رضي الله عنه، وإسناده ضعيف؛ لجهالة شيخ أبي إسحاق، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٩/ ٤٥٥) لسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: التيسير (ص: ١٤١)، وانظر نسبتها لعلي في تفسير الثعلبي (٦/ ١٣٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٠١).

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]، وقد حكى الطبري ذلك عن ابن عباس[(١)]، ونحا إليه الزَّجاج[(٢)].

وهي بعدُ معرضة للاحتمال على أن يكون قول موسى عليه السلام إبلاغاً على فرعون في التوبيخ؛ أي: أنت بحال من يعلم هذا، وهي من الوضوح بحيث تعلمها، ولم يكن ذلك على جهة الخبر عن علم فرعون، [ومن يريد من الآية وقوع الكفر عناداً فإنما يجعل هذا خبرا من موسى عن علم فرعون، والإشارة بـ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إلى التسع الآيات][(٣)].

وقوله تعالى: ﴿بَصَآئِرَ﴾ جمع بصيرة، وهي الطريقة؛ أي: طرائق يهتدى بها، وكذلك غلب على البصيرة أنها تستعمل في طريقة النفس في نظرها واعتقادها، ونصب ﴿بَصَآئِرَ﴾ على الحال.

و«الـمَثْبُورُ»: الـمُهْلَك، قاله مجاهد، وقال ابن عباس[(٤)]، والضحاك: هو المغلوب.

وقال ابن زيد: هو المخبول[(٥)]، وروي عن ابن عباس أنه فسَّره بالملعون[(٦)].

وقال بعض العلماء: كان موسى عليه السلام في أول أمره يجزع، ويُؤْمر بالقول اللَّيِّن، ويطلب الوزير، فلما تقوَّتْ نفسه بقوى النبوَّة وتجلَّد قابل[(٧)] فرعون بأكثر مما أُمر

---

(١) إسناده لين، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٦٩) عن القاسم بن الحسن بن يزيد الهمداني، وهو ثقة، عن الحسن بن داود الملقب بسنيد المصيصي، عن هشيم، عن أبي بشر جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وسنيد فيه كلام، وهشيم يدلس.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٦٣).

(٣) ليس في المطبوع.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٧٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) انظر الأقوال كلها في تفسير الطبري (١٧/ ٥٧١).

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٧٠) من طريق علي بن أبي طلحة، ومن طريق عمر بن عبد الله الثقفي، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، كلاهما عنه به، وفي الإسنادين ضعف.

(٧) من المطبوع، وفي الأصل: «وقاتل».

به، بحسب اجتهاده الجائز له، قال ابن زيد: اجترأ موسى أن يقول له فوق ما أمره الله[١].

وقالت فرقة: بل المثبور: المغلوب المختدع[٢]، وما كان موسى عليه السلام ليكون لعَّاناً، ومن اللفظة قول عبد الله بن الزِّبَعْرى:

[الخفيف] إذْ أُجاري الشَّيطانَ في سَنَنِ الغَيْـ ـــيِ، وَمَـنْ مـالَ مَيْلَـهُ مَثْبـورُ

وقوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾ الآية، ﴿يَسْتَفِزَّهُم﴾: معناه: يَستخفّهُم ويُقلقهم، إمَّا بقتل أو بإجلاءٍ، والأرْض أرض مصر، وقد تقدم أنه متى ذكرت الأرض عموماً فإنما يراد بها ما يناسب القصة المتكلَّم فيها، وقد يحسُن عمومها في بعض القصص.

قال القاضي أبو محمد: واقتضبت هذه الآية قصص بني إسرائيل[٣] مع فرعون، وإنما ذَكَرَتْ عُظْمَ الأمر وخطيره، وذلك طَرَفَاه: أراد فرعون غلَبتهم وقتْلهم، وهذا كان بدْءَ الأمر، فأغرقه الله وأغرق جنوده، وهذا كان نهاية الأمر، ثم ذكر تعالى أمر بني إسرائيل بعد إغراق فرعون بسُكْنى أرض الشَّام.

[٣/ ١٩١] و﴿وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ﴾: هو يوم القيامة، و«اللَّفِيفُ»: الجمع المختلِط الذي قد / لُفَّ بعضه ببعض، فليس ثَمَّ قبائل ولا انحياز، وقال بعض اللُّغويِّين: هو من أسماء الجموع، ولا واحد له من لفْظِهِ.

وقال الطبريُّ: هو بمعنى المصدر كقول القائل: لَفَفْتُه لَفّاً ولفِيفاً[٤]، وفي هذا نظر فتأمله.

قوله عز وجل: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾.

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٥٧١).

(٢) في المطبوع: «المُخرَّع».

(٣) في الأصل: «قصص موسى».

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٥٧٣).

الضمير في قوله: ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ عائد على القرآن المذكور في قوله: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ [الإسراء: ٨٩]، ويجوز أن يكون الكلام آنفاً، وأشار بالضمير إلى القرآن على غير ذكر متقدمٍ لشهرته، كما قال: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، وهذا كثيرٌ.

قال الزهراوي: معناه: بالواجب الذي هو المصلحة والسَّداد للناس بالحق في نفسه.

وقوله: ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ يريد: بِالْحَقِّ في أوامره ونواهيه وأخباره[١]، فبهذا التأويل يكون تكرار اللَّفظ لمعنىً غيرِ الأول، وذهب الطبري إلى أنهما بمعنى واحد[٢]؛ أي: بأخباره وأوامره، وبذلك نزل.

قوله: ﴿وَقُرْءَانًا﴾ مذهب سيبويه أن نصبه بفعل مضمر يفسره الظاهر بعد[٣]، أي: وفرَقنا قرآناً، ويصح أن يكون معطوفاً على الكاف في ﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾ من حيث كان إرسال هذا وإنزال هذا لمعنىً واحد.

وقرأ جمهور الناس: ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾ بتخفيف الراء، ومعناه: بيَّنَّاه وأوضحناهُ وجعلناه فرقاناً.

وقرأ ابن عباس، وقتادة، وأبو رجاء، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، وأبيُّ ابن كعب، والشعبي، والحسن بخلاف، وحُمَيْد، وعمرو بن فائد[٤]: (فَرَّقْنَاهُ) بتشديدِ الراء[٥]، إلَّا أن في قراءة ابن مسعود، وأُبي بن كعب: (فَرَّقْنَاهُ عَلَيْكَ لِتَقْرَأَهُ)[٦]؛ أي: أنزلناه شيئاً بعد شيء، لا جملةً واحدة، ويتناسق هذا المعنى مع قوله: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ

---

(١) البحر المحيط (٧/ ١٢٢).
(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٥٧٣).
(٣) البحر المحيط (٧/ ١٢٣)، وتفسير القرطبي (١٠/ ٣٣٩).
(٤) في المطبوع: «قائد».
(٥) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٢٣): وزاد عمر بن ذر، وأبا عمرو.
(٦) شاذة، انظر عزوها لأبي في تفسير الثعلبي (٦/ ١٤٠)، ولهما في البحر المحيط (٧/ ١٢٤).

عَلَىٰ مُكۡثٖ ﴾، وهذا كان لما أراد الله من نزوله بأسباب تقع في الأرض من أقوال وأفعال في أزمان محدودة معيَّنة.

واختلف أهلُ العلم، في كم نزل القرآن من المدة؟ فقيل: في خمس وعشرين سنة، وقال ابن عباس: في ثلاث وعشرين[١]، وقال قتادة: في عشرين سنة[٢]، وهذا بحسب الخلاف في سنِّ رسول الله ﷺ، وذلك أن الوحي بدأ وهو ابن أربعين[٣]، وتَمَّ بموته.

وحكى الطبريُّ عن الحسن البصري أنه قال: نزل القرآن في ثماني عشرة سنة[٤].

وهذا قولٌ مُخْتَلٌّ[٥]: لا يصح عن الحسن، والله أعلم.

وتأولت فرقة قوله عز وجل: ﴿عَلَىٰ مُكۡثٖ ﴾؛ أي: على ترسُّلٍ في التلاوة، وهو ترتيل، هذا قول مجاهد، وابن عباس[٦]، وابن جريج، وابن زيد[٧]، والتأويل الآخر، أي: على مُكْثٍ وتطاول في المدة شيئاً بعد شيء.

وقوله: ﴿وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾ مبالغة وتأكيد بالمصدر للمعنى المتقدم ذكره في ألفاظ الآية.

---

(١) المشهور المسند عن ابن عباس أنه قال: في عشرين سنة، وإسناده صحيح، أخرجه أبو عبيد القاسم ابن سلام في فضائل القرآن (٣٦٦-٣٦٧)، والنسائي في الكبرى (١١٣٠٨)، والطبري (١٧/ ٥٧٤)، وحفص بن عمر في جزء فيه قراءات النبي (٧٥)، وابن منده في الإيمان (٧٠٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٢٣-٣٦٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٣١-١٣٢)، وفي الأسماء والصفات (٤٩٧)، من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وما هنا لم أقف عليه مسنداً.

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٥٧٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٤٧).

(٤) أسباب النزول للواحدي (١/ ٣).

(٥) في الأصل: «محتمل».

(٦) أخرج الطبري (١٧/ ٥٧٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: على تأييد.

(٧) انظره مع قول مجاهد في تفسير الطبري (١٧/ ٥٧٥، ٥٧٦).

وأجمع القراءُ على ضمِّ الميم من ﴿مُكْثٍ﴾[١]، ويقال: مُكْثٌ ومَكْثٌ بفتح الميم، ومِكْثٌ بكسرها.

وقوله: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ﴾ الآية، هذه آية تحقير للكفار، وفي ضمنه ضربٌ من التوعُّد، والمعنى: إنكم لستم بحُجَّة، فسواءٌ علينا آمنتم أو كفرتم، وإنما ضررُ ذلك على أنفسكم، وإنما الحُجَّةُ أهلُ العلم من قبله، وهم بالصفة المذكورة.

واختلف الناس في المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾.

فقالت فرقة: هم مؤمنو أهل الكتاب.

وقالت فرقة: هم ورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل، ومن جرى مجراهما.

وقيل: إن جماعة من أهل الكتاب جلسوا وهم على دينهم فتذاكروا أمر النبي ﷺ وما أنزل عليه، وقرئ عليهم منه شيءٌ فخشعوا وسبَّحوا الله [وسجدوا له][٢]، وقالوا: هذا وقتُ نُبُـوَّة المذكور في التوراة، وهذه صفته، ووعْدُ الله به واقع لا محالة، وجنحوا إلى الإسلام هذا الجنوح، فنزلت الآية فيهم[٣].

وقالت فرقة: المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ محمد ﷺ، والضمير في ﴿قَبْلِهِۦٓ﴾ عائد على القرآن، حَسَب الضمير في ﴿بِهِۦٓ﴾، ويُبَيِّن ذلك قوله: ﴿إِذَا يُتْلَىٰ﴾، وقيل: الضميران لمحمد، واستأنف ذكر القرآن في قوله: ﴿إِذَا يُتْلَىٰ﴾.

وقوله: ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾؛ أي: لِنَاحِيَتها، وهذا كما تقول: تساقِط لليد والفم؛ أي: لِنَاحِيَتِهما وعليهما، قال ابن عباس: المعنى: لِلْوجوه[٤]، وقال الحسن: المعنى لِلِّحَى[٥].

---

(١) وفتح الميم شاذ، نقله في مختصر الشواذ (ص: ٨١)، عن قتادة، ونقله الهذلي في الكامل (ص: ٥٨٩) عن آخرين.

(٢) ليس في الأصل.

(٣) ذكره الطبري (١٥/ ٥٧٨) عن ابن جريج من قوله بنحوه.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٧٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٥٧٨)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٨٠).

و(الأذقان) أسافل الوجوه حيث يجتمع اللَّحْيانِ، وهي أقرب ما في رأس الإنسان إلى الأرض لا سيَّما عند سجوده، وقال الشاعر:

[الطويل] فَخرُّوا لأَذْقَانِ الْوُجُوهِ تَنُوشُهُمْ سِبَاعٌ مِنَ الطَّيْرِ الْعَوَادِي وَتَنْتِفُ[1]

و﴿إِن﴾ في قوله: ﴿إِن كَانَ﴾ هي عند سيبويه المخففة من الثقيلة، واللام بعدها لام التأكيد، وهي عند الفراء النافية، واللام بمعنى: (إلَّا).

ويتوجَّه في هذه الآية معنى آخر، وهو أن يكون قوله: ﴿ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡلَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾ مخلصاً للوعيد دون التحقير، والمعنى: فَسَتَرَوْن ما تُجَازَوْن به، ثم ضرب لهم المثَلَ ـ على جهة التقريع ـ بمن تقدم من أهل الكتاب؛ أي: إن الناس لم يكونوا كما أنتم في الكفر، بل كان الذين أوتوا التوراة والإنجيل والزبور والكتب المنزَّلة في الجملة إذا يُتْلى عليهم ما نزل عليهم خشعوا وآمنوا.

قوله عز وجل: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾﴾.

هذه مبالغة في صفتهم، ومدْحٌ لهم، وحضٌّ لكل من يوسم[2] بالعلم وحصَّل منه شيئاً أن يجري إلى هذه الرُّتبة، وحكى الطبريُّ عن التَّيْمِيِّ أنه قال: / إن من أوتي [٣/ ١٩٢] من العلم ما لم يُبْكِه لخليق ألَّا يكون أوتي علماً ينفعه؛ لأن الله تعالى نعت العلماء ثم تلا هذه الآية كلها[3].

(١) البيت في الدر المصون (١/ ٣٠٣٣)، واللباب في علوم الكتاب (١٢/ ٤٠٨)، والبحر المحيط (٦/ ٦٧)، بلا نسبة.
(٢) في الأصل والإماراتية: «ترسم»، وفي المطبوع: «توسم».
(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٥٧٩).

وقوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية أن المشركين سمعوا رسول الله ﷺ يدعو: يا الله، يا رحمن، فقالوا: كان محمد يأمرنا بدعاء إله واحد، وهو يدعو إلهين، قاله ابن عباس[١]، وقال مكحول[٢]: تهجّد رسول الله ﷺ ليلةً، فقال في دعائه: يا رحمن يا رحيم، فسمعه رجل من المشركين ـ وكان باليمامة رجلٌ يسمى الرحمان ـ فقال ذلك السامع: ما بالُ محمد يدعو رحمانَ اليمامة؟ فنزلت الآية مبينة أنها أسماءٌ لشيء واحد[٣]، فإن دعوتموه بالله فهو ذلك، وإن دعوتموه بالرحمن فهو ذلك.

وقرأ طلحة بن مصرِّف: (أَيّاً مَنْ تَدْعُو فَلَهُ الأَسْمَاءُ)[٤]؛ أي: وله سائر الأسماء الْحُسْنَى؛ أي: التي تقتضي أفضل الأوصاف.

وهي بتوقيف، لا يصحُّ وضع اسم لله بنظر إلَّا بتوقيف من القرآن والحديث، وقد رُوي: «إنَّ لله تسعةً وتسعين اسماً» الحديث[٥]، ونصها كلها الترمذي وغيره بسندٍ صحيح[٦]، وتقدير الآية: أيُّ الأسماء تدعو به فأنت مصيب، له الأسماءُ الحُسْنى.

ثم أمر رسول الله ﷺ ألَّا يجهر بصلاته، وألا يخافِتَ بها، وهو الإسْرَارُ الذي يسمعه[٧] المتكلم به، هذه هي حقيقته، ولكنه في الآية عبارة عن خفض الصوت وإن لم يَنْتَه إلى ما ذكرناه.

واختلف المتأولون في الصَّلاة، ما هي؟:

---

(١) إسناده ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٨٠) من طريق محمد بن كثير، عن عبد الله بن واقد، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به، بنحوه، ومحمد بن كثير المصيصي قد ضعفه جمع من الأئمة.

(٢) في المطبوع: «مكي»، ولعله خطأ لما سيأتي في المصدر.

(٣) مرسل، أخرجه الطبري (١٥/ ٥٨٠) من طريق عيسى بن يونس، عن الأوزاعي، عن مكحول الشامي، به.

(٤) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٤).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) «صحيح» من المطبوع، والحديث شاذ، وقد تقدم الكلام عليه عند الآية (١٨٠) من سورة الأعراف.

(٧) في أحمد٣ والحمزوية: «لا يسمعه».

فقال ابن عباس[١]، وعائشة[٢]، وجماعة: هي الدعاءُ.

وقال ابن عباس أيضاً: هي قراءة القرآن في الصلاة، فهذا على حذف مضاف، التقدير: وَلا تَجْهَرْ بقراءة صلاتك، قال: والسبب أن رسول الله ﷺ جهر بالقراءة[٣] فسمعه المشركون فسبُّوا القرآن ومن أنزله، فأُمر رسول الله ﷺ بالوسط؛ لِيُسْمع أصحابه المصلين معه، ويذهب عنه أذى المشركين[٤].

وقال ابن سيرين: كان الأعراب يجهرون بتشهُّدهم، فنزلت الآية في ذلك[٥].

وكان أبو بكر رضي الله عنه يُسِرُّ قراءته، وكان عمر يجهر بها، فقيل لهما في ذلك، فقال أبو بكر: إنما أناجي ربِّي، وهو يعلم حاجتي، وقال عمر: أنا أطرد[٦] الشيطان، وأوقظ الوسنان، فلما نزلت هذه الآية قيل لأبي بكر: ارفع أنت قليلاً، وقيل لعمر: اخفض أنت قليلاً[٧].

---

(١) ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨١٧٩)، وأحمد بن منيع في مسنده كما في الإتحاف (٦/ ٢٣١)، والطبري (١٧/ ٥٨١)، والطبراني في الكبير (١١٧١٠)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ١٨٤) من طريق أشعث بن سوار، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: كانوا يجهرون بالدعاء: اللهم ارحمني، فلما نزلت هذه الآية أمروا أن يجهروا ولا يخافتوا. وأشعث بن سوار الكندي ضعيف، وأخرجه الطبري (١٧/ ٥٨٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: قال هي في: الدعاء والمسألة، وسيأتي عن ابن عباس بإسناد متفق عليه قولٌ آخر.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٣٢٧)، ومسلم (٤٤٧).

(٣) في الأصل: «بالقرآن».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٧٢٢)، ومسلم (٤٤٦).

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٥٨٧).

(٦) في المطبوع: «أطرح»، ولعله تحريف.

(٧) له شواهد قد تدل أن له أصلًا، لكن دون قول النبي ﷺ لأبي بكر: «ارفع أنت قليلا»، ولعمر: «اخفض أنت قليلاً»، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٨٦) من طريق سلمة بن علقمة، عن محمد بن سيرين قال: نبئت أن أبا بكر... وهذا منقطع، وله شاهد أخرجه أبو داود (١٣٢٩)، والترمذي (٤٤٧)، وابن خزيمة في صحيحه (١١٦١) من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن عبد الله بن رباح، =

وقالت عائشة أيضاً: الصلاة يُراد بها في هذه الآية التشهدُ[(١)].

وقال ابن عباس[(٢)]، والحسن: المراد والمعنى: لا تُحَسِّن صلاتك في الجهر، ولا تُسِئْها في السِّر، بل اتَّبع طريقاً وسطاً يكون دائماً في كل حالة[(٣)].

وقال ابن زيد: معنى الآية النهيُ عما يفعله أهل الإنجيل والتوراة من رفع الصوت أحياناً فيرفع الناس معه، ويخفض أحياناً فيسكت من خلفه.

= عن أبي قتادة، مرفوعاً فذكره، قال الترمذي: هذا حديث غريب، وإنما أسنده يحيى بن إسحاق عن حماد بن سلمة، وأكثر الناس إنما رووا هذا الحديث عن ثابت عن عبد الله بن رباح مرسلاً. اهـ، وروي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه أبو داود (١٣٣٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ٢٨٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٢/ ١٦٤) من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، به، بهذه القصة لم يذكر قوله لأبي بكر: «ارفع من صوتك شيئاً»، ولعمر: «اخفض شيئاً» لكن فيه قول النَّبِيِّ ﷺ: «كُلُّكُمْ قَدْ أَصَابَ». ونسخة محمد بن عمرو هذه فيها كلام، وأخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٠٩)، وفي فضائل الصحابة (١٠٠)، والضياء في المختارة (٧٨٥-٧٨٦-٧٨٧) من طريق زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق السبيعي، عن هانئ بن هانئ، عن علي بن أبي طالب فذكره مرفوعاً، بنحو حديث أبي هريرة وفيه: كله طيب، وأبو إسحاق السبيعي مدلس وتغير بأخرة، ورواية زكريا بن أبي زائدة عنه بعد تغيره، وهانئ بن هانئ الهمداني مستور الحال، وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ١٨٨)، وعبد الرزاق في المصنف (٤٢١٠) من طريق عبد الرحمن بن حرملة، عن ابن المسيب، مرسلاً، بنحوه.

(١) صح عن عائشة خلافه، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٨٧)، وابن خزيمة في صحيحه (٧٠٧) عن أبي السائب سلم بن جنادة، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٣٠) من طريق أبي كريب محمد بن العلاء، كلاهما (أبو السائب، وأبو كريب) عن حفص بن غياث، عن هشام بن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: نزلت هذه الآية في التشهد ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾، وحفص بن غياث تغير حفظه قليلاً فى الآخر، وقد خالف أصحاب هشام بن عروة؛ فإنهم رووه عن هشام عن عائشة رضي الله عنها أن هذه الآية نزلت في الدعاء كما تقدم.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٨٨)، والطبراني في الكبير (١٣٠٢٩) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ قال: لا تصل مراءاة الناس، ولا تدعها مخافة.

(٣) انظره مع قول ابن زيد الذي بعده في تفسير الطبري (١٧/ ٥٨٧).

وقال ابن عباس في الآية: إن معناها: وَلا تَجْهَرْ بصلاة النهار، وَلا تُخافِتْ بصلاة اللَّيل، وابتغ سبيلاً من امتثال الأمر كما رسم لك[١]، ذكره يحيى بن سلام، والزهراوي[٢].

وقال عبد الله بن مسعود: لم يُخافِتْ مَن أسمعَ أذنَه[٣].

وما رُوي من أنه قيل لأبي بكر: «ارفع أَنْتَ قليلاً» يردُّ هذا، ولكن الذي قال ابن مسعود هو أصل اللُّغة، ويستعمل الخفوتُ بعد ذلك في أرفع من ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الآية هذه الآية رادَّةٌ على اليهود والنصارى والعرب في قولهم أفذاذاً: عُزَيْر وعيسى والملائكة ذرِّيَّة لله، سبحانه وتعالى عن أقوالهم! ورادَّةٌ على العرب في قولهم: لولا أولياءُ الله لذلَّ، وقيَّد لفظُ الآية نفي الولاية لله عزَّ وجلَّ بطريق الذل، وعلى جهة الانتصار؛ إذ ولايته موجودةٌ بتفَضُّله ورحمته لمن وَالى من صالح عباده.

قال مجاهد: المعنى: لم يُحالف أحداً، ولا ابتغى نصر أحد[٤].

وقوله: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال، ثم أكَّدها بالمصدر تحقيقاً لها، وإبلاغاً في معناها.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٩/ ٤٦٥) لابن أبي حاتم، وابن مردويه بلفظ أطول من هذا.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) إسناده صحيح، أخرجه سفيان الثوري في تفسيره (ص: ١٧٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٨١٧٥)، والطبري (١٧/ ٥٨٩)، والطبراني في الكبير (٩٣٩٨) من طريق أشعث بن أبي الشعثاء، عن الأسود ابن هلال، عن ابن مسعود رضي الله عنه، به قال ابن رجب: وهو يدل على أدنى الجهر: أن يسمع نفسه، ومنتهى الجهر: أن يسمع من خلفه إن أمكن ذَلِكَ من غير مشقة، وقد كانَ عمر بن الخطاب يسمع قراءته في المسجد من خارجه. اهـ. من فتح الباري (٤/ ٤٣٨).

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٥٩٠)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٤٢)، والهداية لمكي (٦/ ٤٣١٥)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٨٧).

وروى مُطَـرِّفٌ عن عبد الله بن كعب قال: افتتحت التوراةُ بفاتحة سورة الأنعام، وختمت بخاتمة هذه السورة[١].

نجز تفسير سورة (سبحان)، والحمد لله رب العالمين، ولله الحمد والمِنَّة[٢].

(١) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٤٥).

(٢) «ولله الحمد والمنة»: من المطبوع.

سُورَةُ الكَهْفِ

هذه السُّورة مكِّيَّة في قول جميع المفسرين، ورُوي عن فرقة: أن أول السُّورة نزل بالمدينة، إلى قوله: ﴿جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨]، والأول أصح.

وهي من أفضل سور القرآن، رُوي أن رسول الله ﷺ قال: «ألَا أُخبركم بسورة[1] عِظَمُهَا ما بين السماوات والأرض، ولمن جاء بها من الأجر مثل ذلك؟» قالوا: أيُّ سورة هي يا رسول الله؟ قال: «سورة الكهف، من قرأ بها يوم الجمعة غفر له ما بين الجمعة إلى الجمعة الأخرى ـ وزيادة ثلاثة أيام[2] في رواية أنس ـ ومن قرأ بها أُعطي نوراً بين السماء والأرض، وَوُقي بها فتنة القبر»[3].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾

(١) في المطبوع زيادة: «ملأ»، قال في الحاشية: زيادة عن القرطبي وفتح القدير.

(٢) ضعيف، أخرجه ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (٩/ ٤٧٧)، والديلمي كما السلسلة الضعيفة (٢٤٨٢) عن عبد الرحمن بن هشام المخزومي، عن أبيه، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة مرفوعاً، وزاد ابن مردويه في روايته: «ومن قرأ العشر الأواخر منها عند نومه بعثه الله أيَّ الليل شاء». وهشام بن عبد الله بن عكرمة بن عبد الرحمن المخزومي من أهل المدينة، يَروي عن هشام بن عروة ما لا أصل له من حديثه كأنه هشام آخر. انظر: المجروحين (٣/ ٩١).

(٣) ضعيف، أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٣٩)، والطبراني في الكبير (٤٤٣)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٧٦)، والبغوي في شرح السنة (١٢٠٥) وغيرهم من طريق زبان، عن سهل بن معاذ، عن أبيه مرفوعاً بنحوه. وزبان بن فائد المصري ضعيف مع صلاحه وعبادته.

مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾.

كان حفص عن عاصم يسكت عند قوله: ﴿عِوَجَا﴾ سكتةً خفيفةً، وعند ﴿مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢][(١)].

[٣/ ١٩٣] وسبب هذه البُدَاءَةِ في هذه السورة أن رسول الله ﷺ / لما سألته قريش عن المسائل الثلاث: الرُّوح والكهف وذي القرنين ـ حسبما أمرتهم به يهود ـ قال لهم رسول الله ﷺ: «غَداً أُخبركم بجواب سؤالكم»، ولم يقل: «إن شاء الله»، فعاتبه الله عز وجل بأن استمسك عنه الوحي خمسة عشر يوماً، فأرجف به كفار قريش، وقالوا: إن محمداً قد تركه رِئيُّه الذي كان يأتيه من الجن، وقال بعضهم: قد عجز عن أكاذيبه، إلى غير ذلك، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، وبلغ منه، فلما أن قضي الأمر الذي أراد الله عتاب محمد إليه، جاءه الوحي من الله بجواب الأسئلة وغير ذلك[(٢)].

فافتتح الوحي بحمد الله الذي أنزلَ على عبدِهِ الكتابَ؛ أي: بزعمكم أنتم يا قريش، كما تقول لرجل يحبُّ مساءَتَك فلا يرى إلَّا نعمتك: الحمد لله الذي أنعم عليَّ وفعل بي كذا، على جهة النعمة[(٣)] عليه.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هو القرآن.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾؛ أي: لم يُزِلْه عن طريق الاستقامة، و«العِوَجُ»: فقدُ الاستقامة، وهو بكسر العين في الأمور والطرق وما لا يحسُّ منتصباً شخصاً، والْعَوَجُ بفتح العين في الأشخاص؛ كالعصا والحائط ونحوه، وقال ابن عباس: معناه لم يجعله مخلوقاً[(٤)].

---

(١) انظر: التيسير (ص: ١٤٢).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٩٢-٥٩٣) من طريق محمد بن إسحاق، عن شيخ من أهل مصر، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في نور العثمانية وأحمد٣ والحمزوية: «النقمة».

(٤) لم أهتد إليه.

وقوله: ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ يعم هذا وجميع ما ذكر[١] من أنه لا تناقض فيه، ومن أنه لا خَلَلَ ولا اختلاف فيه.

وقوله: ﴿قَيِّمٗا﴾ نصب على الحال من ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾، فهو بمعنى التقديم مُؤَخَّر في اللفظ؛ أي: أنزل الكتاب قيِّماً، واعترض بين الحال وذي الحال قوله: ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾، ذكر الطبريُّ هذا التأويل عن ابن عباس[٢].

ويجوز أن يكون مَنْصُوباً بفعل مضمر تقديره: أنزله، أو جعله قيِّماً.

وفي بعض مصاحف الصحابة: (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً وَلَكِنْ جَعَلَهُ قَيِّماً)، قاله قتادة[٣].

ومعنى قَـيِّم: مستقيم، هذا قول ابن عباس[٤]، والضحاك[٥].

وقيل: معناه أنه قَـيِّمٌ على سائر الكتب بتصديقها[٦]، ذكره المهدوي[٧].

وهذا محتمل، وليس من الاستقامة، ويحتمل أن يكون معنى قَـيِّم قيامُه بأمر الله تعالى على العالم، وهذا المعنى يؤيده ما بعده من النِّذارة والبشارة اللَّذَيْنِ عَمَّا العالم.

و«البَأْسُ الشَّديدُ»: عذابُ الآخرة، ويحتمل أن يندرج معه في النِّذارة عذابُ الدنيا ببدْرٍ وغيرها، ونصبه على المفعول الثاني، والمعنى: لِيُنْذر العالَم.

وقوله تعالى: ﴿مِّن لَّدُنۡهُ﴾؛ أي: من عنده ومِنْ قِبَله، والضمير في ﴿لَّدُنۡهُ﴾ عائد على الله.

---

(١) في أحمد٣ والإماراتية٢ والحمزوية: «ما ذكر الناس»، وفي الإماراتية١: «ما ذكره الناس».

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٩٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) وهي شاذة، انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٥٩١)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٢١٢) دون نسبة لمعين.

(٤) انظر قول ابن عباس رضي الله عنهما المتقدم، وليس فيه لفظ «مستقيماً».

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٥٩١).

(٦) في المطبوع: «بتصديقها».

(٧) انظر: التحصيل للمهدوي (٤/ ١٥٩).

وقرأ الجمهور: ﴿مِّن لَّدُنۡهُ﴾ بضم الدال وسكون النون وضم الهاء، وقرأ عاصم من رواية أبي بكر: ﴿مِّن لَدْنِهِ﴾ بسكون الدال وإشْمام الضم فيها وكسر النون والهاء[١].

وفي (لدن) لغات، يقال: لَدُن مثل سَبُع، ولَدْن بسكون الدال، ولُدْن بضم اللام، ولَدَن بفتح اللام والدال، وهي لفظة مبنية على السكون، ويلحقها حذف النون مع الإضافة.

وقرأ عبد الله، وطلحة: (وَيَبْشُرَ) بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين[٢].

وقوله: ﴿أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا﴾ تقديره: بأن لهم أجراً، و«الأجر الحسن»: نعيم الجنة، ويتقدمُه خير الدنيا.

و﴿مَّٰكِثِينَ﴾: حالٌ من الضمير في ﴿لَهُمۡ﴾، و﴿أَبَدًا﴾ ظرف؛ لأنه دالٌّ على زمن غير متناهٍ.

قال القاضي أبو محمد: وقد أشرنا في تفسير هذه الآية إلى أمر اليهود قريشاً بسؤال النبي ﷺ عن المسائل الثلاث، وينبغي أن نَنُصَّ كيف كان ذلك.

ذكر ابن إسحاق عن ابن عباس بسند أنه قال: بعثت قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهما: سلاهم عن محمد، وصِفَا لهم صفته، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى أتيا المدينة، فسألا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ، فقالت لهما أحبار اليهود: سَلُوهُ عن ثلاث، [نأمركم بهنَّ][٣]، فإن أخبركم بهنَّ فهو نبيٌّ مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوِّل فَرَوْا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، وما كان من أمرهم؟ فإنهم كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طوَّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان

(١) انظر: التيسير (ص: ١٤٢)، والسبعة (ص: ٣٨٨).
(٢) أبعد النجعة، فالتخفيف هنا قراءة سبعية لحمزة والكسائي على قاعدتهما انظر: السبعة (ص: ٢٠٦)، والتيسير (ص: ٨٧).
(٣) ليس في المطبوع.

نبؤه؟ وسلوه عن الرُّوح، فأقبل النَّضْرُ وعُقْبة إلى مكة، وسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، وكان من الأمر ما ذكرناه(١).

وقوله: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ﴾ الآية، أهل هذه المقالة هم بعض اليهود في عُزَير، والنصارى في المسيح، وبعض العرب في الملائكة.

والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يحتمل أن يعود على القول الذي يتضمنه ﴿قَالُواْ﴾ المتقدم، وتكون جملة قوله: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ في موضع الحال؛ أي: قالوا جاهلين.

ويحتمل أن يعود على الولد؛ [أي: لا علم لهم بهذا الولد](٢) الذي ادَّعَوْه، فتكون الجملة صفةً للولد(٣)، قاله المهدوي(٤).

وهو معترض؛ لأنه لا يصفه إلَّا القائل، وهم ليس في قصدهم أن يصفوه، والصواب عندي أنه نفي مُؤْتَنف، أخبر الله تعالى بجهلهم في ذلك، فلا موضع للجملة من الإعراب.

ويحتمل أن يعود على الله عز وجل، وهذا التأويل أذَمُّ لهم، وأقضى بالجهل التَّامِّ عليهم، وهو قول الطبري(٥).

وقوله: ﴿وَلَا لِآبَآئِهِمْ﴾ يريد الذين أخذ هؤلاء هذه المقالةَ عنهم.

وقرأ الجمهور: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ بنصب الكَلِمَة، كما تقول: نعم رجلاً زيد، وفسَّر الكلمة وصْفُها بالخروج من أفواههم.

وقال بعضهم: نصبها على التفسير، على حدِّ نصب قوله تعالى: ﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

---

(١) تقدم تخريجه في أول السورة.

(٢) ليس في الأصل، وفي نور العثمانية: «بهذا الوجه».

(٣) في المطبوع: لقوله: ﴿أَبَدًا﴾.

(٤) انظر: التحصيل للمهدوي (٤/ ١٧٧).

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٥٩٥).

وقالت فرقة: نصبها على الحال، التقدير: كبرت فِرْيَتُهم ـ أو نحو هذا ـ كلمةً، وسُمِّيت هذه الكلمات كلمةً من حيث هي مقالة واحدة، كما يقولون للقصيدة: كلمة.

وهذه المقالة قائمة هي في التفسير[١] معنىً واحداً، فيَحْسُن أن تُسَمَّى كلمة.

[٣/ ١٩٤] وقرأ الحسن، ويحيى بن يَعْمر، وابن محيصن[٢]، / والقواس عن ابن كثير: (كَلِمَةٌ) بالرفع[٣] على أنها فاعلةٌ بـ﴿ كَبُرَتْ ﴾.

وقوله: ﴿إِلَّا كَذِبًا ﴾؛ أي: ما يقولون إلَّا كذباً، فهي النافية.

قوله عز وجل: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾.

هذه آية تسلية للنبي ﷺ، وقوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ ﴾ تقرير وتوقيف بمعنى الإنكار عليه، أي: لا تكن كذلك.

و«الباخِعُ نفْسَهُ»: هو مُهْلِكُها وَجْداً وحزناً على أمرٍ ما، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] أَلا أَيّهـذَا الباخِـعُ الوَجْـدُ نفْسَـهُ   لِشَـيْءٍ نحَتْهُ عَنْ يدَيْهِ الْمَقادِرُ[٤]

يريد: نَحَّتْه فخفف.

وقوله: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ ﴾ استعارة فصيحة، من حيث لهم إدبارٌ وتباعد عن الإيمان، وإعراضٌ عن الشرع، فكأنهم من فرط إدبارهم قد بعدوا، فهو في آثارهم يحزن عليهم.

---

(١) في الإمارتية١ ونور العثمانية وأحمد٣: «في النفس»، بدل: «في التفسير».

(٢) في المطبوع: «محيض».

(٣) وهي شاذة، نقلها عن الأولين في معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢١٤)، والمحتسب (٢/ ٢٤)، ولهما ولابن محيصن الكرماني في الشواذ (ص: ٢٨٤)، وانظر رواية القواس في البحر المحيط (٧/ ١٣٨)، وفي المطبوع بدله: «محيض».

(٤) البيت لذي الرمة كما في مجاز القرآن (١/ ٣٩٣)، وتفسير الطبري (١٧/ ٥٩٧)، والسيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٤١).

وقوله: ﴿بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾؛ أي: بالقرآن الذي نحدثك به، و﴿أَسَفًا﴾ نصب على المصدر، قال الزجاج: والأَسَفُ: المبالغة في حُزْن أو غضب[١].

و«الأسف» في هذا الموضع الحزن؛ لأنه على من لا يملك ولا هو تحت يد الآسِفِ، ولو كان الأَسَفُ من مُقْتدرٍ على من هو في قبضته ومُلْكه لكان غضباً، كقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف: ٥٥]؛ أي: أغضبونا، وإذا تأملت هذا في كلام العرب اطَّرَد، وذكره منذر بن سعيد[٢].

وقال قتادة هنا: أَسَفاً: غضباً، قال مجاهد: أَسَفاً: جَزَعاً، وقال قتادة أيضاً: حُزْناً[٣].

ومن هذه اللفظة قول الأعشى:

أَرَى رَجلاً مِنْكُمْ أَسِيفاً كَأَنَّمَا ... يَضُمُّ إِلَى كَشْحَيْهِ كَفّاً مُخَضَّبا[٤] [الطويل]

يريد: حزيناً كأنه مقطوع اليد.

وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً﴾ الآية بَسْطٌ في التَّسلية؛ أي: لا تهتمَّ للدنيا وأهلها، فأمرها وأمرهم أقلُّ لفنائه وذهابه، فإنا إنما جعلناها على الأرض زينة، أو امتحاناً وخبرة[٥].

واختُلف في المراد بها: فقال ابن جبير عن ابن عباس: أراد الرجال، وقاله مجاهد[٦].

وروى عكرمة عن ابن عباس أن الزينة الخلفاءُ، والعلماءُ، والأمراءُ[٧].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٦٩).
(٢) لم أقف عليه.
(٣) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٧/ ٥٩٨).
(٤) انظر عزوه له في معاني القرآن للفراء (١/ ١١٤)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٨٨)، وجمهرة اللغة (١/ ٢٩١)، والكامل للمبرد (١/ ٢٤)، والأسيف: الحزين، والكَشْحان: مُثَنّى كَشْح، وهو ما بين الخاصرة والضلوع، والمُخَضَّب: المصبوغ بالدم.
(٥) ليست في أحمد٣، وفي الأصل: «حيرة».
(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٩/ ٤٨٥) لابن المنذر، وابن مردويه.
(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٩/ ٤٨٥) لأبي منصور السجزي في «الإبانة» بلفظ: العلماء زينة الأرض.

وقالت فرقة: أراد النعم والملابس والثمار والخضرة والمياه ونحو هذا مما فيه زينة، ولم يدخل في هذا الجبال الصم وكل ما لا زيْن فيه كالحيَّات والعقارب.

وقالت فرقة: أراد كل ما على الأرض، وليس شيءٌ إلا وفيه زينة من جهة خلقه وصنعته وإحكامه، وفي معنى هذه الآية قول النبي ﷺ: «الدنيا حلوةٌ خَضِرة، وإن الله مستخلِفُكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتَّقوا الدنيا، واتَّقوا النساء»[١].

و﴿زِينَةً﴾: مفعول ثان، أو مفعول من أجلِهِ بحسب معنى جعلَ.

وقوله: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ معناه: لنختبرهم، وفي هذا وعيدٌ مَّا.

قال سفيان الثوري: أحسنهم عملاً أزهدُهم في الدنيا[٢].

وقال أبو عاصم[٣] العسقلاني: أَحْسَنُ عَمَلًا: أَتْرَكُ لها[٤].

قال القاضي أبو محمد: وكان أبي رضي الله عنه يقول: أَحْسَنُ العمل: أَخْذٌ بحق، وإنفاق في حق مع الإيمان، وأداءُ الفرائض، واجتنابُ المحارم، والإكثارُ من المندوب إليه.

وقوله: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾؛ أي: يرجع كلُّ ذلك تراباً غير مُتَزَيِّن بنباتٍ ونحوه، و«الْجُرُزُ»: الأرض التي لا شيء فيها من عمارة وزينة، فهي البلقع، وهذه حالة الأرض [الغامرة الخالية بالدين][٥]، ولا بُدَّ لها من هذا في الدنيا جزءاً جزءاً من الأرض، ثم يعمُّهَا ذلك بأجمعها عند القيامة، يقال: جُرِزَت الأرضُ بقَحْط أو جَرادٍ ونحوه: إذا ذهب نباتُها وبقيت لا شيءَ فيها ولا نفعَ، وأرضُونَ أَجْرازٌ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) من نجيبويه وفي النسخ الأخرى: «أزهدهم فيها».

(٣) في المطبوع: «عصام»، وهو رواد [أو وارد] بن الجراح أبو عاصم [أو عصام]، العسقلاني عن الأوزاعي وخليد بن دعلج، وعنه ابن معين ووثقه، وعباس الترقفي، له مناكير، الكاشف (١/ ٣٩٨)، وانظر: التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٣٣٦)، وتاريخ دمشق (١٨/ ٢١٠).

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٥٩٩).

(٥) في المطبوع والإماراتية١: «العامرة بالزَّيْن»، وفي أحمد٣ ونجيبويه ونور العثمانية: «العامرة الخالية بالزين»، وفي الحمزوية: «الخالية بالزين».

وقال الزجاج: الجُرُزُ: الأرض التي لا تُنْبِتُ(١)، وإنما ينبغي أن يقول: التي لم تُنْبت.

و«الصَّعيدُ»: وجه الأرض، وقيل: الصَّعيد: التراب خاصة، وقيل: الصعيد: الأرض الطيبة، وقيل: الصعيد: الأرض المرتفعة من الأرض المنخفضة.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ الآية، مذهب سيبويه في (أَمْ) إذا جاءت دون(٢) أن يتقدمها ألف استفهام أنَّها بمعنى (بَلْ) وأَلِف الاستفهام، كأنه قال: بل أحَسِبْتَ؟ إضراباً عن الحديث الأول واستفهاماً عن الثاني، وقال بعض النحويين: هي بمنزلة ألف الاستفهام.

وأما معنى الكلام فقال الطبريُّ: هو تقرير للنبي ﷺ على حسابه أن أصحاب الكهف كانوا(٣) عجباً، بمعنى إنكار ذلك عليه؛ أي: لا تُعَظِّم ذلك بحسب ما عظَّمه عليك السائلون من الكفرة، فإن سائر آيات الله أعظم من قصتهم وأشنع، وهو قول ابن عباس(٤)، ومجاهد، وقتادة، وابن إسحاق(٥).

وذكر الزهراوي: أن الآية تحتمل معنىً آخر، وهو أن تكون استفهاماً له، هل عَلِمَ أن أصحاب الكهف كانوا(٦) عجباً؟ بمعنى إثبات أنهم عجبٌ، وتكون فائدة تقريره جمع نفسه للأمر(٧)؛ لأن جوابه أن يقول: لم أحسب ذلك، ولا علمته، فيقال له وَصْفُهُم عند ذلك، والتَّجوز في هذا التأويل هو في لفظة ﴿حَسِبْتَ﴾، فتأمَّله.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٦٩).

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «قبل».

(٣) في الأصل والمطبوع: «أتوا».

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٦٠١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ يقول: الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقيم.

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٦٠١).

(٦) ليست في الأصل والحمزوية ونور العثمانية والإماراتية٢، وكذا أحمد٣ إلا أن فيه: «عجبٌ» بالرفع، وهي في الإماراتية١ ملحقة بالهامش.

(٧) في أحمد٣: زيادة: «المذكور»، والزهراوي لم أقف عليه.

و﴿ٱلْكَهْفِ﴾: النَّقْب[١] الـمُتَّسع في الجبل، وما لم يتسع منها فهو غارٌ، وحكى النحاسُ عن أنس بن مالك أنه قال: الكهْفُ: الجبلُ[٢]، وهذا غير شهير في اللغة.

واختلف الناس في (الرَّقيم):

فقال كعب: الرَّقيم: القرية التي كانت بإزاء الكهف.

وقال ابن عباس[٣]، وقتادة: الرَّقيم: الوادي الذي كان بإزائه، وهو واد كان بين عصبان[٤] وأيلة، دون فلسطين.

وقال ابن عباس أيضاً: هو الجبل الذي فيه الكهف[٥].

وقال السدي: الرَّقيم: الصخرة التي كانت على الكهف[٦].

وقال ابن عباس: الرَّقيم: كتابٌ مرقوم كان عندهم، فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى[٧]، وقيل: من دين قبل عيسى.

وقال ابن زيد: كتاب عمَّى الله علينا أمره، ولم يشرح لنا قصَّته[٨].

[٣/ ١٩٥] وقالت فرقة:/ الرَّقيم: كتاب في لوح نحاس، وقال ابن عباس: في لوحي رصاص كَتَب فيهما القومُ الكفارُ الذين فرَّ الفتية منهم قصَّتَهم، وجعلوها تاريخاً لهم، ذكروا وقت فقدهم، وكم كانوا، وبني من كانوا[٩]، وقال سعيد بن جبير: الرَّقيم: لوح

(١) في المطبوع ونجيبويه والإماراتية١: «الثُّقب».
(٢) في أحمد٣ ونور العثمانية: «النقاش»، انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢١٧)، ولم أقف عليه مسنداً.
(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٦٠٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٤) في المطبوع: «غضبان».
(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٦٠٣) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو منقطع.
(٦) معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢١٧).
(٧) أخرجه الطبري (١٥/ ٦٠٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما مختصراً.
(٨) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٧/ ٦٠٢)، وما بعدها.
(٩) إسناده لا بأس به، أخرجه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم في تفسيرهما كما في تغليق التعليق =

من حجارة كتبوا فيه قصة أصحاب الكهف، ووضعوه على باب الكهف[(١)].

ويظهر من هذه الروايات أنهم كانوا قوماً مؤرخين للحوادث، وذلك من قبل المملكة[(٢)]، وهذا أمر مفيد.

وهذه الأقوال مأخوذة من الرَّقْم، ومنه: ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ [المطففين: ٩]، ومنه: الأَرْقَمُ لِتَخْطيطه[(٣)]، ومنه: رَقْمَةُ الْوَادي؛ أي: مكان جَرْي الماء وانعطافه، يقال: عليك بالرَّقْمة، وخَلِّ الضِّفة.

وقال النقاش عن قتادة: الرَّقيم: دراهِمُهُم[(٤)].

وقال أنس بن مالك[(٥)]، والشعبي: الرَّقيم: الكلب[(٦)].

وقال عكرمة: الرَّقيم: الدَّواة[(٧)].

وقالت فرقة: الرَّقيم كان لِفِتْيَـة آخرين في السَّراة[(٨)] جرى لهم ما جرى لأصحاب الكهف[(٩)].

= (٤/ ٢٤٤-٢٤٥)، من طريق يزيد بن هارون، عن سفيان بن حسين، عن يعلى بن مسلم، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ مطول.

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٦٠٣).

(٢) في نجيبويه والإماراتية١ وأحمد٣: «من نُبْل المملكة»، (أي مما يتصف به أهلها من النُّبْل)، فهم يدوِّنون التاريخ لمن بعدهم، وفي الإماراتية٢: «من قبل المفلقة»، وفي نور العثمانية: «من قبل الهلكة».

(٣) الأرقم: نوع من الحيَّات فيه سوادٌ وبياضٌ.

(٤) مثله في «غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٦٥٠)، وتفسير السمرقندي (٢/ ٣٣٥)، عن قتادة.

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٩/ ٤٨٩) لابن أبي حاتم.

(٦) تفسير الماوردي (٣/ ٢٨٧) عزاه لابن جبير، ولم يعزه للشعبي.

(٧) معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢١٧).

(٨) ليس في المطبوع.

(٩) تفسير الماوردي (٣/ ٢٨٧) عزاه لسعيد بن جبير.

وروي عن ابن عباس أنه قال: ما أدري ما الرَّقيم، أَكِتَابٌ أَمْ بُنْيَانٌ؟[١].

وروي أنه قال: كلُّ القرآن أعلمه إلَّا: الحَنَان، والأوَّاه، والرَّقيم[٢].

قوله عز وجل: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾.

﴿ٱلْفِتْيَةُ﴾ فيما رُوي: قومٌ من أبناء أشراف مدينة دَقْيوس الملك الكافر، ويقال فيه: دَقْليوس، ويقال: دقينوس، ورُوي: أنهم كانوا مُطَوَّقين مُسوَّرين بالذهب، وهم من الرُّوم، واتبعوا دين عيسى، وقيل: كانوا قبل عيسى، وأما أسماؤهم فهي أعجميَّة والسَّند في معرفتها واهٍ، ولكن التي ذكر الطبريُّ هي هذه: مَكْسَيْلَمينيا، وهو أكبرهم والمتكلم عنهم، ومَجْسَيْلَمينيَا، وتَمْلِيخا، وهو الذي مضى بالورِق إلى المدينة عند بعثهم من رقدتهم، ومَرْطوس، وكَشُوطُوقش، وبَيْرُونس[٣]، ودِينَمُوس، ويُطُونِس[٤].

واختلف الرواة في قصص هؤلاءِ الفتية، وكيف كان اجتماعهم وخروجهم إلى الكهف، وأكْثَرَ المؤرخون في ذلك، ولكن نختصر من حديثهم، ونذكر ما لا تستغني الآية عنه، ونذكر من الخلاف عيونه بحول الله:

روى مجاهد عن ابن عباس: أن هؤلاء الفتية كانوا في دين ملِك يعبد الأصنام، ويذبح لها، ويكفر بالله، وقد تابعه على ذلك أهل المدينة، فوقع لِلْفِتية علم من بعض الحواريِّين[٥]

---

(١) جيد، أخرجه الطبري (١٧/ ٦٠٤) من طريق ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس به.

(٢) في إسناده لين، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٩٧) ومن طريقه الطبري (١٧/ ٦٠٤) عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٣) في نجيبويه: «طبرونس»، وهذه الأسماء كلها أعجمية، يصعب التأكد من رسمها في المخطوطات.

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٦٠٧).

(٥) في الأصل: «النحويين»، ولعله سبق قلم.

حسبما ذكره النقاش، أو من بعض[١] مؤمني الأمم قبلهم بحسب الخلاف الذي ذكرناه، فآمنوا بالله، ورأوْا ببصائرهم قبيح فعل الناس، فأخذوا نفوسهم بالتزام الدين وعبادة الله، فَـرُفع أمرهم إلى الملك، وقيل له: إنهم قد فارقوا دينك، واستخَفُّوا بآلهتك وكفروا بها، واستحضرهم الملك في مجلسه، وأمرهم باتباع دينه والذبح لآلهته، وتوعَّدهم على فراق ذلك بالقتل، فقالوا له فيما روي: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية، إلى قوله: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ [الكهف: ١٤-١٦][٢].

ورُوي: أنهم قالوا نحو هذا الكلام، وليس به، فقال لهم الملك: إنكم شبان[٣] أغمارٌ، لا عقول لكم، وأنا لا أعجل بكم بلْ أَسْتأْني، فاذهبوا إلى منازلكم ودبِّرُوا رأيكم[٤] وارجعوا إلى أمري، وضرب لهم في ذلك أجلًا، ثم إنه سافر خلال الأجل، فتشاور الفتية في الهروب بأديانهم، فقال لهم أحدهم: إني أعرف كهفاً في جبل كذا كان أبي يدخل فيه غنمه، فلنذهب إليه فنختفي فيه حتى يفتح الله لنا، فخرجوا فيما رُوي يلعبون بالصولجان والكُرَة، وهم يدحرجونها إلى نحو طريقهم لئلا يشعر الناس بهم، وقيل: إنهم كانوا مُثَقَّفين فحضر عيد أخرجوا له فركبوا في جملة الناس، ثم أخذوا في اللعب بالصولجان حتى خلصوا بذلك.

وروت فرقة: أن أمر أصحاب الكهف إنما كان أنهم كانوا من أبناء الأشراف، فحضر عيدٌ لأهل المدينة، فرأى الفتيانُ ما يمتثله الناس في ذلك العيد من الكفر وعبادة الأصنام والذبح لها، فوقع الإيمان في قلوبهم، وأجمعوا على مفارقة الناس؛ لئلَّا ينالهم العذاب معهم، فزايلوا الناس وذهبوا إلى الكهف.

---

(١) «بعض»: من المطبوع.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٦٠٧-٦٠٩) عن محمد بن حميد الرازي، عن سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، به، بلفظ مطول، ومحمد بن حميد الرازي ضعيف، وسلمة بن الفضل الرازي صدوق كثير الخطأ، ومحمد بن إسحاق مدلس، وقد عنعن.

(٣) في المطبوع: «شباب».

(٤) في المطبوع: «أمركم».

وروى وهبُ بن منبه: أن أمرهم إنما كان أن حواريّاً لعيسى ابن مريم جاء إلى مدينة أصحاب الكهف يريد دخولها، فأجر نفسه من صاحب الحمَّام، فكان يعمل فيه، فرأى صاحب الحمَّام في أعماله بركة عظيمة، فألقى إليه بكل أمره، وعرف ذلك الرجلَ فتيانٌ من أهل المدينة، فنشر فيهم الإيمان، وعرَّفهم الله تعالى، فآمنوا واتبعوه على دينه، واشتهرت خُلْطتهم به، فأتى يوماً إلى ذلك الحمَّام وَلَدُ الملك بامرأة بَغِيٍّ أراد الخلوة بها، فنهاه ذلك الحواري فانتهى، ثم جاءه مرَّة أخرى فنهاه فشتمه، وأمضى عزمه في دخول الحمَّام مع البغي، فدخل فماتا به جميعاً، فاتُّهم ذلك الحواري وأصحابه بقتله، ففروا جميعاً حتى دخلوا الكهف(١).

وقال عبيد بن عمير: إن أصحاب الكهف كانوا فتية من أبناء العظماء مطوَّقين مسوَّرين ذوي ذوائب، قد داخلهم الإيمان أفذاذاً، وأزمع كل واحد منهم الفرار بدينه من بلد الكفر، فأخرجهم الله في يوم واحد لما أراد بهم، فخرج أحدهم فجلس في ظِلِّ شجرة على بعد من المدينة، فخرج ثانٍ، فلما رأى الجالس جلس إليه، ثم الثالث، ثم الباقون حتى كمل جمعهم في ظلِّ الشجرة، فألْقى الله في نفوسهم أن غرضهم واحد، فتساءلوا، ففزع بعضهم من بعض وتكتموا، ثم تراضوا برجليْن منهم، وقالوا: انْفَرِدَا وتَوَاثقَا ولْيُفْشِ كلٌّ واحد منكما سرَّه إلى صاحبه، فإن اتَّفَقْتُما كنَّا معكما، فنهضا بعيداً وتكلما(٢) فأفصحا بالإيمان والهروب بالدين، فرجعا وفضحا الأمر، / وتابعهما الآخرون، ونهضوا إلى الكهف(٣). [٣/ ١٩٦]

وأما الكَلْبُ فرُوي: أنه كان كلب صيد لبعضهم، ورُوي: أنهم وجدوا في طريقهم راعياً له كلبٌ، فاتَّبعهم الراعي على رأيهم، وذهب الكلب معهم، واسم الكلب حمران، وقيل: قطمير، فدخلوا الغار على جميع هذه الأقوال.

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٦١٢).
(٢) ليست في المطبوع.
(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٦٠٩).

فروت فرقة: أن الله ضرب على آذانهم عند ذلك لِـمَا أراد من سترهم، وخفي على أهل[١] المملكة مكانهم، وعجب الناسُ من غرابة فقدهم، فأرَّخوا ذلك ورقموه في لوحين من رصاص أو نحاس، وجعلوه على باب المدينة، فيه أسماؤُهم وأسماءُ آبائهم وذكر شرفهم، وأنهم فقدوا بصورة كذا في وقت كذا، وقيل: إن الذي كتب هذا وتهَمَّمَ به رجلان قاضيان مؤمنان يكتمان إيمانهما من أهل بيت المملكة، وتسَتَّرا بذلك ودفنا اللوحين عندهما، وقيل على هذه الرواية: بأن الملك أتى باب الغار، وأنهما دفنا ذلك في بناء الملك على الغار.

وروت فرقة: أن الملك لما ذهب الفتية أمر بقَصِّ آثارهم، فانتهى ذلك لـمُتَّبِعِيهِم إلى باب الغار، فعرف الملك فركب في جنده حتى وقف عليه، فأمر بالدخول عليهم، فهاب الرجال ذلك، فقال له بعض وزرائه: أَلَسْتَ أيها الملك إنْ أخرجتهم قتلتهم؟ قال: نعم، قال: فأي قتلة أبلغ من الجوع والعطش، ابنِ عليهم باب الغار ودعهم يموتون فيه، فَفَعَل، وقد ضرب الله على آذانهم قبل ذلك لما أراد من تأمينهم، وأرَّخ الناسُ أمرهم في اللوحين، أو أرخه الرجلان بحسب الخلاف، واسم أحد الرجلين فيما ذكر الطبري بندروس، واسم الآخر روناس[٢].

ورُوي: أن هذا الملك الذي فرَّ الفتية من دينه كان قد امتحن الله به المؤمنين، حيث أحسَّ بهم يقتلهم يُعَلِّقهم أشخاصاً ورؤوساً على أسوار مدينته، وكان يريد أن يذهب [فيما ذكر][٣] دين عيسى، وكان هو وقومه من الرُّوم.

ثم أخبر الله تعالى عن الفتية أنهم لما أَوَوْا إلى الكهف؛ أي: دخلوه وجعلوه مأوىً لهم، وموضعَ اعتصام، دعوا الله تعالى بأن يُؤْتيهم من عنده رحمةً، وهي الرِّزْق

---

(١) ليست في المطبوع.

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٦٠٩)، والأول في المطبوع: «يندروس»، وفي أحمد٣: «نيدروس».

(٣) في المطبوع بدله: «في ذلك كما ذكر».

فيما ذكره المفسرون، وأن يُهَيِّئَ لهم من أمرهم رشداً؛ أي: خلاصاً جميلاً[(١)].

وقرأ الجمهور: ﴿رَشَدًا﴾ بفتح الراء والشين، وقرأ أبو رجاءٍ: (رُشْداً) بضم الراء وسكون الشين[(٢)]، والأولى أرجح؛ لشبهها بفواصل الآيات قبلُ وبعدُ.

وهذا الدعاءُ منهم كان في أمر دنياهم، وألفاظه تقتضي ذلك، وقد كانوا على ثقة من رشد الآخرة ورحمتها.

وينبغي لكل مؤمن أن يجعل دعاءه في أمر دنياه هذه الآية فقط، فإنها كافية، ويحتمل ذكر الرحمة أن يُراد بها أَمْرُ الآخرة، وقد اختصرتُ هذا القَصَصَ، ولم أُغْفِل من مُهِمِّه شيئاً بحسب اجتهادي، والله المعين برحمته.

وقوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ الآية، عبارة عن إلقاء الله تعالى النوم عليهم، ويُعَبَّر عن هذا ونحوه بالضرب لتبين[(٣)] قوةُ المباشرة وشدةُ اللصوق في الأمر المتكلَّم فيه، والإلزام، ومنه ضَرْبُ الذلة والمسكنة، ومنه ضَرْبُ الجزية، وضربُ البعث، ومنه قول الفرزدق:

[الكامل] ضَرَبَتْ عَلَيْكَ العَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا ... وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الكِتَابُ المُنْزَلُ[(٤)]

فهذا يستعمل في اللزوم البليغ، وأما تخصيص الآذان بالذكر فلأنها الجارحة التي منها عُظْم فساد النوم، وقلَّما ينقطع نوم نائم إلَّا من جهة أُذنه، ولا يستحكم النوم إلَّا مع تعطُّل السَّمع، ومن ذِكْر الأُذن في النوم قوله ﷺ: «ذلك رجلٌ بال الشيطان في أُذنه»[(٥)]، أشار ﷺ إلى رجل طويل النوم، لا يقوم باللَّيْل.

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين (١/ ٣٨٠).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له ولأبي بشر في الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٤).

(٣) في المطبوع: «لِتَتَبَيَّنَ».

(٤) انظر عزوه له في معاني القرآن للنحاس (١/ ١٦١)، والموشح للمرزباني: (ص: ٣٣)، والكامل للمبرد (١/ ٢٧).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (١١٤٤)، ومسلم (٧٧٤) عن عبد الله بن مسعود قال: ذكر عند رسول الله ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح، قال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه، أو قال: في أذنه».

وقوله: ﴿عَدَدًا﴾ نعتٌ لِلسِّنين، والقصد به العبارة عن التكثير؛ أي: تحتاج إلى عدد، وهي ذاتُ عدد، قال الزجاج: ويجوز أن يكون نصب ﴿عَدَدًا﴾ على المصدر[١].

و«البَعْثُ»: التحريك بعد سكون، وهذا مطردٌ مع لفظة البعث حيث وقعت، وقد يكون السكون في الشخص، أو عن الأمر المبعوث فيه وإن كان الشخص متحركاً.

وقوله: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ عبارة عن خروج ذلك الشيء إلى الوجود، وهذا على نحو كلام العرب؛ أي: لنعلم ذلك موجوداً، وإلَّا فقد كان الله تعالى عَلِمَ أيُّ الحزبَيْن أحصى الأمَد؟

وقرأ الزهري: (لِيَعْلَمَ) بالياء[٢].

و«الْحِزْبانِ»: الفريقان، والظاهر من الآية أن الحزب الواحد هم الفتية؛ إذ ظنوا لبثهم قليلاً، والحزب الثاني هم أهل المدينة الذين بُعث الفتية على عهدهم حتى[٣] كان عندهم التاريخ بأمر الفتية، وهذا قول الجمهور من المفسرين.

وقالت فرقة: هما حزبان من الكافرين اختلفا في مدة أصحاب الكهف.

وقالت فرقة: هما حزبان من المؤمنين[٤]، وهذا لا يرتبط من ألفاظ الآية.

وأمَّا قوله: ﴿أَحْصَىٰ﴾ فالظاهر الجيد فيه أنه فعل ماض، و﴿أَمَدًا﴾ منصوب به على المفعول، و«الأَمَدُ»: الغاية، ويأتي عبارة عن المدة من حيث للمدة غاية هي أمدها على الحقيقة.

وقال الزجاج: ﴿أَحْصَىٰ﴾ هو أَفعَلُ[٥]، و﴿أَمَدًا﴾ على هذا نصب على التفسير،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٧١).

(٢) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (٧/ ١٤٥)، وفي مختصر الشواذ (ص: ٨١) عن الأخفش أنها في مصحف عثمان بالياء.

(٣) في الإمارتية١ ونور العثمانية وأحمد٣ والحمزوية: «حين».

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٦١٣).

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٧١).

ويلحق هذا القولَ من الاختلال أن (أَفْعَلَ) لا يكون من فعل رباعي إلَّا في الشَّاذ، و﴿أَحۡصَىٰ﴾ فعل رباعي، ويحتج لقول أبي إسحاق بأن (أَفْعَل) من الرباعي قد كثر[(١)]، كقولك: ما أعطاه للمال، وآتاه للْخير، وقال النبي ﷺ في صفة جهنم: «هي أسودُ من القارِ»[(٢)]، وقال في صفة حوضه ﷺ: «ماؤه[(٣)] أبيضُ من اللَّبنِ»[(٤)]، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فهو لما سواها أضْيَعُ[(٥)]، وهذه كلها (أَفْعَل) من الرباعي.

وقال مجاهد: ﴿أَمَدٗا﴾ معناه: غايةً، وهذا تفسير بالمعنى، وعلى جهة التقريب.

وقال الطبري: نصب ﴿أَمَدٗا﴾ بـ﴿لَبِثُوٓاْ﴾[(٦)]، وهذا غير مُتَّجه.

قوله عز وجل: ﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ
هُدٗى ١٣ / وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ [٣/ ١٩٧]
مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ١٤ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا
يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ
وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم
مِّرۡفَقٗا ١٦﴾.

---

(١) في المطبوع: «مذكر»، ولا وجه له.

(٢) صحيح، أخرجه مالك في الموطأ (١٨٠٥) عن عمه أبي سهيل بن مالك، عن أبيه، عن حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ليست في المطبوع والإماراتية١.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٥٧٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، ومسلم (٢٣٠٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٥) منقطع، أخرجه مالك في الموطأ (٦) راوية يحيى الليثي، ومن طريقه أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٣٨)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ١٩٣)، والبيهقي في الكبرى (١/ ٤٤٥) عن نافع مولى عبد الله بن عمر قال: إن عمر بن الخطاب قال: فذكره. ونافع لم يسمع من عمر بن الخطاب. وانظر: جامع التحصيل (٨٢٣).

(٦) انظره مع قول مجاهد في تفسير الطبري (١٧/ ٦١٤).

لما اقتضى قوله: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ﴾ اختلافاً وقع في أمر الفتية عقَّب بالخَبر عن أنه عزَّ وجلَّ يعلم من أمرهم بالحق الذي وقع.

وفي مجموع هذه الآيات جواب قريش عن سؤالهم الذي أمَرَتْهم به بنو إسرائيل.

و«القَصُّ»: الإخبارُ بأمر يُسرد، لا بكلام يُرْوَى شيئاً شيئاً؛ لأن تلك المخاطبة ليست بقصص.

وقوله: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾، أي: يَسَّرْناهم للعمل الصالح، والانقطاع إلى الله عزَّ وجلَّ، ومباعدة الناس، والزهد في الدنيا، وهذه زيادات على الإيمان.

وقوله: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ عبارة عن شدَّة عزم وقوة صبر أعطاها الله لهم، ولما كان الفزع وخوَرَ النفس يشبه بالتناسب الانحلال، حَسُن في شِدَّة النفس وقُوَّة التَّصميم أن يشبه الرَّبْط، ومنه يقال: فلانٌ رابط الجأش: إذا كان لا تفترق نفسه عند الفزع[١] والحرب وغيرها، ومنه الرَّبط على قلب أُمِّ موسى.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَامُوا۟﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون هذا وصفَ مقامهم بين يدي الملك الكافر، فإنه مقام يحتاج إلى الرَّبط على القلب، حيث طُلِبوا[٢] عليه، وخالفوا دينه، ورفضوا في ذات الله هيبته.

والمعنى الثاني: أن يُعَبَّر بالقيام عن انبعاثهم بالعزم إلى الهروب إلى الله ومنابذة الناس، كما تقول: قام فلان إلى أمر كذا: إذا اعتزم عليه بغاية الجد، وبهذه الألفاظ التي هي: ﴿قَامُوا۟ فَقَالُوا۟﴾ تعلَّقت الصوفية في القيام والقول[٣].

وقرأ الأعمش: (إذْ قَامُوا قِيَاماً فقالوا)[٤].

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «الجزع».

(٢) في أحمد٣ والحمزوية ونور العثمانية والإماراتية١: «صلبوا».

(٣) انظر نسبة هذا التعلق للصوفية في: تفسير الجواهر الحسان للثعالبي (٢/ ٣٧١).

(٤) شاذة لمخالفة الرسم، ولم أجدها لغير المؤلف.

وقولهم: ﴿لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا﴾؛ أي: لو دعونا من دون ربنا إلهاً، و«الشَّطَطُ»: الجَوْرُ، وتعدِّي الحدِّ، والغُلُوُّ بحسب أمْرٍ أمْرٍ، ومنه: اشْتَطَّ الرجل في السَّوْم: إذا طلب في سلعته فوق قيمتها، ومنه: شطوط النَّوى والبعد، ومن اللفظة قول الشاعر:

[الطويل] أَلا يـا لَقَوْمِـي قَـدْ أَشَـطَّتْ عَواذلي وَيَزْعُمْـنَ أَنْ أَوْدَى بِحَقِّيَ بَاطِلِي[1]

وقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا﴾ مقالة يصلح أن تكون مما قالوه في مقامهم بين يدي الملك، ويصح أن تكون من قول بعضهم لبعض عند قيامهم للأمر الذي عزموا عليه.

وقولهم: ﴿لَّوۡلَا يَأۡتُونَ﴾ تَحْضِيضٌ بمعنى التعجيز؛ لأنه تَحْضِيضٌ على ما لا يمكن، وإذا لم يمكنهم ذلك لم يجب أن تُلفت دعواهم.

و«السُّلْطَان»: الحُجَّة، وقال قتادة: المعنى: بِعُذْرٍ بيِّن[2]، وهذه عبارة محلقة.

ثم عظَّموا جُرْم الداعين مع الله آلهةً وظُلْمَهم بقوله على جهة التقرير: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾.

وقولهم: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ﴾ الآية، إنْ كان القيامُ في قوله: ﴿إِذۡ قَامُواْ﴾ عَزْماً ـ كما تضمن التأويل الواحد، وكان القول منهم فيما بينهم ـ فهذه المقالةُ يصح أن تكون من قولهم الذي قالوه عند قيامهم، وإن كان القيام المذكور مقامَهم بين يدي الملك فهذه المقالة لا يترتب أن تكون من مقالهم بين يدي الملك، بل يكون في الكلام حذف تقديره: وقال بعضهم لبعض.

وبهذا يترجَّح أن قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ﴾ إنما المراد به: إذْ عزموا ونفذوا لأمرهم.

وقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ إن فرضنا الكفار الذين فَرَّ أهل الكهف منهم لا يعرفون الله، ولا

---

(١) البيت للأحوص كما في تفسير الطبري (٢١/ ١٧٦)، ومجاز القرآن (٢/ ١٨٠)، والكامل (١/ ٧٠)، في المطبوع: «عوازلي».
(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٦١٧).

عِلْمَ لهم به، إنَّما يعتقدون الأُلوهية في أصنامهم فقط، فهو استثناءٌ منقطع ليس من الأول، وإن فرضناهم يعرفون الله ويعظمونه كما كانت تفعل العرب، لكنهم يشركون أصنامهم معه في العبادة، فالاستثناءُ متصل؛ لأن الاعتزال وقع في كل ما يعبد الكفَّار إلَّا في جهة الله تعالى.

وفي مصحف ابن مسعود: (وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ)، قال قتادة: هذا تفسيرها.

قال هارون: وفي بعض مصاحفه: (وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِنَا)[1].

فعلى ما قال قتادة تكون ﴿إِلَّا﴾ بمنزلة غَيْر، و(ما) من قوله: ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ في موضع نصب عطفاً على الضمير في ﴿ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾.

وَمُضَمَّن هذه الآية أن بعضهم قال لبعض: إذْ فارَقْنَا الكفار وانفردنا بالله تعالى فَلْنَجْعَل الكهف مَأْوى، ونتَّكل على الله تعالى، فإنه سيبسط لنا رحمته، وينشرها علينا، ويُهَيِّئْ لنا من أمرنا مرفقاً، وهذا كله دعاءٌ بحسب الدنيا، وعلى ثقة كانوا من الله تعالى في أمر آخرتهم.

وقرأ نافع، وابن عامر: ﴿مَرْفِقاً﴾ بفتح الميم وكسر الفاء، وهو مصدر كالرِّفْق فيما حكى أبو زيد، وهي قراءة أبي جعفر، والأعرج، وشيبة.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرٍو، وعاصم، وحمزة، والكسائي، والحسن، وطلحة، والأعمش، وابن أبي إسحاق: ﴿مِّرْفَقًا﴾ بكسر الميم وفتح الفاء[2].

ويقالان جميعاً في الأمر، وفي الجارحة، حكاه الزجاج[3].

وذكر مكيٌّ عن الفراء أنه قال: لا أعرف في الأمر وفي اليد وفي كل شيءٍ إلَّا كسر

---

(١) شاذتان، انظر الأولى في تفسير الثعلبي (٦/ ١٥٩)، وقول قتادة عند الطبري (١٧/ ٦١٧)، والكل في البحر المحيط (٧/ ١٥٠).

(٢) انظر: في التيسير (ص: ١٤٢)، والسبعة (ص: ٣٨٨)، والنشر (٢/ ٣١٠)، والباقون في البحر المحيط (٧/ ١٥١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٧٢).

الميم(١)، وأنكر الكسائي أن يكون المرفقُ من الجارحة إلاَّ بفتح الميم وكسر الفاء(٢)، وخالفه أبو حاتم وقال: الـمَرْفِق بفتح الميم: الموضعُ كالمسجد، وهما بعد لغتان.

قوله عز وجل: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ
[٣/ ١٩٨] ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ / عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾.

بيْن هاتَيْن الآيَتَيْن اقتضاب يُبَيِّنُه ما تقدم من الآيات، وتقديره: فأَوَوْا، وضَرَب الله على آذانهم، ومكثوا كذلك.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: ﴿تَزَّاوَرُ﴾ بتشديد الزاي وإدغام التاء.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿تَّزَٰوَرُ﴾ بتخفيفها، بتقدير: تَتَزَاوَرُ، فحذفت إحدى التاءين، وقرأ ابن عامر، وابن أبي إسحاق، وقتادة: ﴿تَزْوَرُّ﴾ في وزن: تَحْمَرُّ.

وقرأ الجحدري، وأبو رجاءٍ: (تَزْوَارُّ) بألف بعد الواو(٣).

ومعنى اللفظة على كل هذا التصريف: تَعْدِلُ وتزوغُ وتميل، وهذه عباراتُ المفسرين، أما إن الأخفش قال: تَزْوَرُّ معناه: تنقبض(٤)، و«الزَّوَرُ»: الـمَيْلُ، والأَزْوَرُ في العين: المائل النظر إلى ناحية، ويستعمل في غير العين، كقول ابن أبي ربيعة:

(١) الهداية لمكي (٦/ ٤٣٤١).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٦١٨)، والهداية لمكي (٦/ ٤٣٤٠)، وانظر قول أبي حاتم في البحر المحيط (٧/ ١٥١).

(٣) الثلاث الأولى سبعية، انظر: السبعة (ص: ٣٨٨)، والتيسير (ص: ١٤٢)، والرابعة شاذة كما في مختصر الشواذ (ص: ٨٢).

(٤) في الأصل: «تنتقض»، وانظر تهذيب اللغة (١٣/ ١٦٥).

. . . . وجَنْبي خيفَةَ الْقَوْم أَزْوَرُ[١] [الطويل]

ومن اللفظة قول عنترة:

فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا بِلَبَانِهِ[٢] . . . . [الكامل]

ومنه قول بشر بن أبي خازم:

تَؤُمُّ بهَا الحُدَاةُ مِيَاهَ نَخْلٍ وفيهَا عَنْ أَبَانَيْنِ ازْوِرَارُ[٣] [الوافر]

وفي حديث غزوة مُؤْتة أن رسول الله ﷺ رأى في سرير عبد الله بن رواحة ازْوراراً عن سرير جعفر وزيد بن حارثة[٤].

وقرأ الجمهور: ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾ بالتاء، وفرقة: (يَقْرِضُهُمْ) بالياء[٥]؛ أي: الكهفُ، كأَنه من القَرْضِ وهو القطع؛ أي: يَقْتَطِعُهم الكهفُ بظلِّه من ضوء الشمس.

وجمهور من قرأ بالتاء فالمعنى أنهم كانوا لا تصيبهم شمسٌ أَلبتَّةَ، وهو قول ابن عباس[٦]، فيتأولون ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾ بمعنى: تتركهم؛ أي: كأنها عنده تقطع كل ما لا تناله

---

(١) أوله: ونفضت عني النوم أقبلت مشية الحباب... إلخ. انظر نسبته له في الأغاني (١/ ١٥٥)، والحيوان (٤/ ٢٦٥)، والكامل (٢/ ١٨٣).

(٢) وتمامه: وشَكَا إِليَّ بِعَبْرَةٍ وتَحَمْحُم، عزاه له في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٠٧)، والزاهر للأنباري (١/ ٢٣١)، واللامات (١/ ١٣٦).

(٣) عزاه له في معجم البلدان (١/ ٦٣)، وتفسير الطبري (١٧/ ٦١٩)، والاختيارين للأخفش (ص: ٩٣)، والمفضليات (١/ ٦١).

(٤) ذكره ابن إسحاق معضلًا من قوله، أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٤٧٨) من طريق: أحمد بن عبد الجبار، قال: حدثنا يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، قال: فلما أصيب القوم، وعزاه الهيثمي في المجمع (٦/ ٢٣٣) للطبراني وقال: رجاله ثقات.اهـ. ولم أقف عليه.

(٥) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ لمجاهد (ص: ٢٨٤)، بالياء وضمه وكسر الراء.

(٦) لا بأس بإسناده، أخرجه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم في تفسيرهما كما في تغليق التعليق (٤/ ٢٤٤-٢٤٥)، والطبري (١٧/ ٦٢٠) من طريق يزيد بن هارون، عن سفيان بن حسين، عن يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لو أن الشمس تطلع عليهم =

عن نفسها، وفرقة ممن قرأ بالتاء تأولت أنها كانت بالعشيِّ تنالهم فكأنها تقرضهم؛ أي: تقطعهم مما لا تناله[١]، وقالوا: كان في مسِّها لهم بالعشيِّ صلاح لأجسامهم.

وحكى الطبريُّ أن العرب تقول: قرضتُ[٢] موضع كذا؛ أي: قطعتهُ، ومنه قول ذي الرُّمَّة:

[الطويل] إلى ظُعُـنٍ يَقْـرِضْنَ أَجْوَازَ مُشْـرِفٍ شِـمالاً وَعَنْ أَيْمَانِهِـنَّ الفَوَارِسُ[٣]

ومنه: أقرِضْني درهماً؛ أي: اقطَعْه لي من مالك، وهذه الصفة مع الشمس تقتضي أنه كان لهم حاجبٌ من جهة الجنوب، وحاجب من جهة الدَّبور، وهم في زاويته.

وحكى الزجاج وغيره قال: كان باب الكهف ينظر إلى بنات نعش[٤]، وقاله عبد الله بن مسلم[٥]، وهذا نحو ما قلناه، غير أن الكهف كان مستور الأعلى من المطر.

وذهب الزجاج إلى أن فِعْل الشمس كان آية من الله تعالى دون أن يكون باب الكهف إلى جهة توجب ذلك[٦].

وقوله: ﴿ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ يحتمل أن يريد: ذات يمين الكهف، بأن تقدر باب الكهف بمثابة وجه إنسان، فإن الشمس تجيءُ منه أول النهار عن يمين، وآخره عن شمال.

= لأحرقتهم، ولو أنهم يقلبون لأكلتهم الأرض، هذا لفظ الطبري، ورواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم بلفظ مطول.

(١) في أحمد٣: «لا ينالوه».

(٢) من المطبوع، وفي الأصل: «فرضت»، وهي خطأ، انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٦٢١).

(٣) عزاه له في العين (٥/ ٥٠)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٧٣)، ومجاز القرآن (١/ ٣٩٦)، والسيرة النبوية (٢/ ١٤٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٧٣) أورده بصيغة التمريض، وقال: إنه ليس ببيِّـن، فتأمل.

(٥) في المطبوع: «وقال عبد الله»، وهو خطأ، انظر قوله هذا في البحر المحيط (٧/ ١٥٢).

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٧٤).

ويحتمل أن يريد: ذات يمين الشمس وذات شمالها، بأن تقدر الشعاع الممتد منها إلى الكهف بمثابة وجه الإنسان، والوجه الأول أصح(١).

و«الْفَجْوَةُ»: الْمُتَّسَع، وجَمْعها فِجىً(٢)، قال قتادة: في فضاءٍ منه(٣)، [قال الزجاج](٤): ومنه الحديث: كان رسول الله ﷺ يَسِيرُ العَنَقَ، فإذا وجد فجوةً نصَّ(٥).

وقال ابن جبير: ﴿فِى فَجْوَةٍ﴾: في مكان داخل(٦).

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الإشارة إلى الأمر بجُمْلته، وعلى قول الزجاج: إن الشمس كانت تَـزَّاور وتَقْرض دون حجاب(٧)، تكون الإشارة إلى هذا المعنى خاصة.

ثم تابع بتعظيم الله عزَّ وجلَّ، والتسليم له، وما يقتضي صرف الآمال إليه.

وقوله: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ الآية، صفةُ حالٍ قد انقضت، وجاءت أفعالها مستقبَلَةً تَجَوُّزاً واتِّساعاً.

و﴿أَيْقَاظًا﴾: جمع يَقُظ، كَعَضُدٍ وأعضاد، وهو الـمُنْتَبِه، قال أهل التفسير: كانت أعينهم مفتوحة وهم نائمون، فلذلك كان الرائي يحسبهم أيقاظاً(٨).

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أن يحسب الرائي ذلك لشدة الحفظ الذي كان عليهم، وقِلَّة التَّغير، وذلك أن الغالب على النُّـوَّام أن يكون لهم استرخاءٌ وهيئات تقتضي النوم، ورُبَّ نائم على أحوال لم تتغير على حالة اليقظة، فيحسبه الرائي يقظاناً

(١) في المطبوع والإماراتية١: «أوضح».
(٢) في المطبوع: «فجاء».
(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٦٢٢).
(٤) ما بين معقوفين زيادة من أحمد٣، ولم أجد الحديث في كتابه.
(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٦٦٦)، ومسلم (١٢٨٦) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.
(٦) تفسير الطبري (١٧/ ٦٢٢).
(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٧٤).
(٨) تفسير الماوردي (٢/ ٤٦٧).

وإن كان مسدود العين، ولو صحَّ فتح أعينهم بسند يقطع العذر كان أَبْيَن في أن يحسب عليهم التيقُّظ.

وقرأ الجمهور: ﴿وَنُقَلِّبُهُمۡ﴾ بنون العظمة، وقرأ الحسن: (وَتَقَلُّبُهُم) بالتاء المفتوحة وضم اللام والباء، وهو مصدر مرتفع بالابتداء، قاله أبو حاتم(١).

وحكى ابن جنِّي القراءة عن الحسن بفتح التَّاء وضم اللام وفتح الباء، وقال: هذا نصب بفعل مقدر، كأنه قال: وتَـرَى، أو تُشاهد تَقَلُّبَهُمْ، وأبو حاتم أثبت(٢).

ورأت فرقة أن التَّـقَلُّب هو الذي من أجله كان الرائي يحسبهم أيقاظاً، وهذا ـ وإن كان التَّقَلُّب لمن صادف رؤيته دليلاً على ذلك ـ فإن ألفاظ الآية لم تَسُقْه إلَّا خبراً مُسْتَأْنفاً.

وقال أبو عياض(٣): كان هذا التقلب مرتين في السنة(٤)، وقالت فرقة: كل سنة مرة.

وقالت فرقة: كل سبع سنين مرة، وقالت فرقة: إنما قُلِّـبُوا في التسع الأواخر، وأما الثلاث مئة فَلَا، وذكر بعض المفسرين أن تَقَلُّبهم إنما كان حِفْظاً من الأرض(٥).

ورُوي عن ابن عباس أنه قال: لو مسَّتهم الشمس لأحرقتهم، ولولا التقلُّب لأكلتهم الأرضُ(٦).

---

(١) نقلها عنه أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ١٥٣)، قال: وذكرها ابن خالويه عن اليماني.

(٢) وكلاهما شاذة، انظر الثانية في المحتسب (٢/ ٢٦)، والأولى وقول أبي حاتم في البحر المحيط (٧/ ١٥٣)، وهي في مختصر الشواذ (ص: ٨٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٨٦) غير مضبوطة الباء، وزاد له وجهين آخرين.

(٣) في الإماراتية١: «ابن عياض»، وفي المطبوع وأحمد٣: «ابن عباس».

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٦٢٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٢)، وتفسير ابن أبي زمنين (٣/ ٥٢)، والهداية لمكي (٦/ ٤٣٤٤).

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٦٢٤).

(٦) تقدم تخريجه قريباً عند آية (١٧)، ولا بأس بإسناده.

قال القاضي أبو محمد: وآية الله في نومهم هذه المدة الطويلة، وحياتِهم دون تَغَذٍّ أذهبُ في الغرابة من حفظهم مع مَسِّ الشمس ولزوم الأرض، ولكنها روايات تجلب[١] وتُتَأَمَّل بعدُ، وظاهر كلام المفسرين أن التقليب كان بأمر الله تعالى، وفِعْل ملائكته.

ويحتمل أن يكون ذلك بإقدار الله إياهم على ذلك وهم في غمرة النوم لا ينتبهون كما يعتري كثيراً من النوام؛ لأن القوم لم يكونوا موتى.

وقوله: ﴿وَكَلْبُهُم﴾ أكثر المفسرين على أنه كلْبٌ حقيقة، كان لصيد أحدهم فيما رُوي، وقيل: كان / لراعٍ مَرُّوا عليه فصحبهم وتَبِعَه الكلبُ. [٣/ ١٩٩]

قال القاضي أبو محمد: وحدَّثني أبي رضي الله عنه قال: سمعتُ أبا الفضل بن الجوهر[٢] في جامع مصر يقول على مِنْبر وعظه سنة تسع وستين وأربع مئة: إنَّ من أحب أهل الخير نال من بركتهم، كلْبٌ أحبَّ أهل فضل وصَحِبَهم، فذكره الله في محكم تنزيله.

وقيل: كان أَنْمر، وقيل: كان أحمر[٣].

وقالت فرقة: كان رجلاً طباخاً لهم، حكاه الطبري ولم يُسَمِّ قائله[٤].

وقالت فرقة: كان أحدَهم، وكان قعد عند باب الغار طَليعةً لهم.

قال القاضي أبو محمد: فَسُمِّي باسم الحيوان الملازم لذلك الموضع من الناس، كما سُمِّي النجم التابع للجوزاء كلباً؛ لأنه منها كالكلب من الإنسان، ويقال له: كلب الجبَّار.

أما إن هذا القول يضعفه ذكر بسط الذراعين، فإنهما في العرف في صفة الكلب

---

(١) في المطبوع: «تختلف»، وفي نجيبويه والإماراتية١: «تجتلب»، وفي الحمزوية: «تحمل».
(٢) «بن»: ليست في أحمد٣، في أحمد٣ والحمزوية: «الجوهري».
(٣) النُّمْرَةُ: النكتة من أي لون كان، والأَنْمَر: الذي فيه نُمْرَةٌ بيضاءُ وأخرى سوداءُ، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ١٩٢).
(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٦٢٤).

حقيقة، ومنه قول النبي ﷺ: «ولا يتبسط[١] أحدكم ذراعيه في السجود ابتساطَ الكلبِ»[٢].

وقد حكى أبو عُمَرَ المطَـرِّزُ[٣] في كتاب «اليواقيت» أنه قرئ: (وكالئُهم[٤] باسِطٌ ذِرَاعَيْه)[٥]، فيحتمل أن يريد بالكالئ هذا الرجل على ما رُوي؛ إذْ بَسْط الذراعين واللُّصوق بالأرض مع رفع الوجه للتطلع هي هيئة الربيئة المستخفي بنفسه، ويحتمل أن يريد بالكالئ الكلب.

وقوله: ﴿بَٰسِطٌ ذِرَاعَيۡهِ﴾ أعمل اسم الفاعل وهو بمعنى الـمُضِيِّ؛ لأنها حكاية حال[٦]، ولـم يقصد الإخبار عن فعل الكلب.

و(الوَصِيدُ): العتَـبَةُ التي لباب الكهف، أو موضعها حيث ليست.

وقال ابن عباس[٧]، ومجاهد، وابن جبير: الوصيدُ: الفِناءُ[٨].

---

(١) في المطبوع ونجيبويه والإماراتية: «يبسط»... «انبساط الكلب».

(٢) متفق عليه بنحوه، أخرجه البخاري (٨٢٢)، ومسلم (٤٩٣) عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «اعتدلوا في السجود، ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب».

(٣) هو محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم أبو عمر الزاهد، المطرز اللغوي، غلام ثعلب، قال التنوخي: لم أر قط أحفظ منه، أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة، ولسعة حفظه نسب إلى الكذب، توفي سنة (٣٤٥هـ). بغية الوعاة (١/ ١٦٤).

(٤) في المطبوع ونور العثمانية: «وَكَالِبُهُمْ»، وكذلك الكالئ في الموضعين: «الكالب».

(٥) وهي شاذة، نقلها بالباء الثعلبي (٦/ ١٦٠) عن جعفر الصّادق، ومثله في البحر المحيط (٧/ ١٥٢)، ثم قال ص ١٥٣: وحكى أبو عمر الزاهد غلام ثعلب أنه قرئ: (وكالئهم) اسم فاعل من كلأ إذا حفظ.

(٦) «حال» ليست في المطبوع.

(٧) صحيح، أخرجه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم في تفسيرهما كما في تغليق التعليق (٤/ ٢٤٤) من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ مطول، وأخرجه الطبري (١٧/ ٦٢٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٩/ ٥١٠) لابن المنذر.

(٨) تفسير الطبري (١٧/ ٦٢٥).

وقال ابن عباس أيضاً: الوصيد: الباب[١].

وقال ابن جُبير أيضاً: الوصيدُ: الترابُ[٢].

والقول الأول أصحُّ، والبابُ الموصد هو المغْلق؛ أي: قد وقف على وصيده.

ثم ذكر الله عزَّ وجلَّ ما حفَّهم من الرُّعب واكتنفهم من الهيبة.

وقرأ: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ﴾ بكسر الواو جمهورُ القراء، وقرأ الأعمش، وابن وثاب: (لَوُ اطَّلَعْتَ) بضمها، وقد ذُكر ذلك عن نافع، وشيبة، وأبي جعفر[٣].

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عباس، وأهل مكة والمدينة: ﴿وَلَـمُلِّئْتَ﴾ بشدِّ اللَّام على تضعيف المبالغة، أي: مُلِئْتَ ثم مُلِئْتَ، وقرأ الباقون: ﴿وَلَمُلِئْتَ﴾ بتخفيف اللام[٤]، والتخفيف أشهر في اللغة، وقد جاء التثقيل في قول الـمُخَبَّل السعدي:

وَإِذْ فَتَـكَ النُّعْمَـانُ بالنَّـاسِ مُحْرِماً فَمُلِّئَ مِنْ كعْبِ بن عوْفٍ سلاسِلُه[٥] [الطويل]

وقالت فرقة: إنما حفَّهم هذا الرعب؛ لطول شعورهم وأظفارهم، ذكره المهدوي والزجاج[٦]، وهذا قولٌ بعيد، ولو كانت حالهم هكذا لم يقولوا: ﴿لَبِثْنَـا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ﴾ [الكهف: ١٩]، وإنما الصحيح في أمرهم أن الله عزَّ وجلَّ حفظ لهم الحالة التي ناموا[٧]

---

(١) فيه ضعف، أخرجه الطبري (١٧/ ٦٢٥) من طريق أبي عاصم النبيل، عن شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وشبيب بن بشر البجلي فيه لين.

(٢) انظر مع قول مجاهد وابن جبير في تفسير الطبري (١٧/ ٦٢٥)، وانظر: تفسير الثعلبي (٦/ ١٦٠)، والهداية لمكي (٦/ ٤٣٤٤).

(٣) شاذة، انظر عزوها للأولين في الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٦)، وللباقين في البحر المحيط (٧/ ١٥٤).

(٤) كما في السبعة (ص: ٣٨٩)، والتيسير (ص: ١٤٣)، وانظر قراءة ابن عباس في البحر المحيط (٧/ ١٥٤).

(٥) عزاه له الأخفش في الاختيارين (ص: ١١١)، والقرطبي في التفسير (١٠/ ٣٧٤).

(٦) انظر قول المهدوي في التحصيل (٤/ ١٦٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٥).

(٧) في نجيبويه والمطبوع: «قاموا»، وفي أحمد٣: «ماتوا».

عليها؛ لتكون لهم ولغيرهم فيهم آية، فلم يبلَ لهم ثوب، ولا تغيَّرت صفة، ولا أنكر الناهض إلى المدينة إلَّا معالم الأرض والبناء، ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليه أهم، ولروي ذلك.

وقرأ الجمهور: ﴿رُعۡبٗا﴾ بسكون العين.

وقرأ ﴿رُعُباً﴾ بضمها أبو جعفر وعيسى، قال أبو حاتم: هما لغتان(١).

قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ١٩ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ٢٠﴾.

الإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى الأمر الذي ذكره الله في جهتهم، والعِبْرة التي جُعِلَت فيهم.

و«البَعْثُ»: التحريك عن سكون، واللام في قوله: ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ﴾ لام الصيرورة؛ لأن بعثهم لم يكن لنفس تساؤُلهم، وقول القائل: ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡ﴾ يقتضي أنه هجس بخاطره طول نومهم، واستشعر أن أمرهم خرج عن العادة بعض الخروج، وظاهر أمرهم أنهم انتبهوا في حال من الوقت والهواء الزمني لا تباين التي ناموا فيها، وأما أن يُحَدِّدَ الأمر جدّاً فذلك(٢) بعيد.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿بِوَرِقِكُمۡ﴾ بكسر الراء.

---

(١) إبعادٌ وتابعه عليه في البحر المحيط (٧/ ١٥٥)، وهي سبعية لابن عامر والكسائي كما في التيسير (ص: ٩١)، والنشر (٢/ ٢١٦).

(٢) «ذلك»: من المطبوع.

وقرأ أبو عمرٍو، وحمزة[١]، وأبو بكر عن عاصم: ﴿بِوَرْقِكمْ﴾ بسكون الراء[٢]، وهما لغتان.

وحكى الزجاج قراءة: (بِوِرْقِكُمْ) بكسر الواو وسكون الراء دون إدغام[٣].

ورُوي عن أبي عمرو الإدغام، وإنما هو إخفاءٌ؛ لأن الإدغام مع سكون الراء متعذر.

وأدغم ابن محيصن القاف في الكاف، قال أبو حاتم: وذلك إنما يجوز مع تحريك الراء[٤].

وقرأ علي بن أبي طالب: (بِوَارِقِكُمْ)[٥]، اسم جمع كالجامل[٦] والباقر.

وقرأ أبو رجاءٍ: (بِوِرِقكمْ) بكسر الواو والراء والإدغام[٧].

ويروى أنهم انتبهوا جياعاً[٨]، وأن المبعوث هو تَمْلِيخا، وروي: أنهم صلَّوا كأنهم ناموا ليلة واحدة، وبعثوا تَمْلِيخا في صبيحتها.

وروي أن باب الكهف انهدم بناءُ الكفار منه بطول السنين[٩].

وروي أن راعياً هدمه ليدخل فيه غنمه، فأخذ تَمْلِيخا ثياباً رثَّة منكرة ولبسها

---

(١) في الأصل: «وحده»، وهو خطأ.

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٨٩)، والتيسير (ص: ١٤٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٧٥).

(٤) والمأخوذ به للسوسي من طرق التيسير الإظهار لفقد شرط تحريك ما قبلها (ص: ٢٢)، والإدغام رواية روح عن أحمد بن موسى، كما في السبعة (ص: ٣٨٩) قال: وكان يشمها شيئا من التثقيل، وهي رواية إسماعيل عن ابن مُحَيْصِن كما في الكامل للهذلي (ص: ٥٩٠).

(٥) البحر المحيط (٧/ ١٥٦).

(٦) في الأصل: «كالحائل»، وفي المطبوع: «كالجائل»، وفي نور العثمانية: «كالحامل».

(٧) المحتسب (٢/ ٢٤)، والبحر المحيط (٧/ ١٥٦)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ٨٢) دون ضبط الراء لابن محيصن.

(٨) في المطبوع: «أحياناً».

(٩) تفسير الماوردي (٢/ ٤٦٧).

وخرج من الكهف فأنكر ذلك البناء المهدوم؛ إذ لم يعرفه بالأمس، ثم مشى فجعل يذكر الطريق والمعالم ويتحير، وهو في ذلك لا يشعر شعوراً تامّاً، بل يكذب ظنه فيما تغير عنده، حتى بلغ باب المدينة، فرأى على بابها أمارة الإسلام فزادت حيرته، وقال: كيف هذا ببلد دقنيوس وبالأمس كنا معه تحت ما[١] كنَّا، فنهض إلى باب آخر / فرأى نحواً من ذلك حتى مشى الأبواب كلها، فزادت حيرته ولم يميز بشراً، وسمع الناس يقسمون باسم عيسى فاستراب بنفسه، وظن أنه جُنَّ، أو انفسد عقله، فبقي حيران يدعو الله تعالى. [٣/ ٢٠٠]

ثم نهض إلى بائع الطعام الذي أراد شراءه، فقال: يا عبد الله بعني من طعامك بهذا الورق، فدفع إليه دراهم كأخفاف الرُّبَع[٢]، فيما ذكر، فعجب لها البياع ودفعها إلى آخر يُعَجِّبُه، وتعاطاها الناسُ وقالوا له: هذه دراهم عهد فلان الملك، من أين أنت؟ وكيف وجدت هذا الكنز؟ فجعل يبهت ويعجب، وقد كان بالبلد مشهوراً هو وبيته[٣]، فقال: ما أعرف غير أني وأصحابي خرجنا بالأمس من هذه المدينة، فقال الناس: هذا مجنون، اذهبوا به إلى الملك، ففزع عند ذلك.

فذُهب به حتى جيء به الملك، فلما لم ير دقيوس الكافر تأنس، وكان ذلك الملك مؤمناً فاضلاً يُسمَّى ببدوسيس[٤]، فقال له الملك: أين وجدت هذا الكنز؟ فقال له: إنما خرجت أنا وأصحابي أمس من هذه المدينة، فأوينا إلى الكهف الذي في جبل أنجلوس، فلما سمع الملك ذلك قال ـ في بعض ما روي ـ: لعل الله قد بعث لكم أيها الناسُ آية، فَلْنسر إلى الكهف معه حتى نرى أصحابه، فسار.

ورُوي أنه ـ أو بعض جلسائه ـ قال: هؤلاء هم الفتية الذين أُرِّخ أمرهم على عهد

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «حيثما».
(٢) الرُّبَع: الفصيل ينتج في الربيع.
(٣) في المطبوع: «وفتيته».
(٤) في المطبوع: «تَيْرُوسيس»، وفي نجيبويه: «تيدوسس»، ويصعب التحقق منها في أكثر المخطوطات.

دقيوس الملك، وكتب على لوح النحاس بباب المدينة، فسار الملك إليهم وسار الناسُ معه، فلما انتهوا إلى الكهف قال تَمْليخا: أَدْخُل عليهم؛ لئلا يُرعَبوا، فدخل عليهم وأعلمهم بالأمر وأن الأمة أُمَّة إسلام، فيروى أنهم سُرُّوا وخرجوا إلى الملك وعظموه وعظمهم، ثم رجعوا إلى كهفهم، وأكثر الروايات على أنهم ماتوا حين حدثهم تَمْلِيخا، فانتظرهم الناس، فلما أبطأَ خروجهم دخل الناس إليهم، فرُعِب كلُّ مَن دخل، ثم أقدموا فوجدوهم موتى، فتنازعوا بحسب ما يأتي في الآية التي بعد هذه.

وفي هذا القصص من اختلاف الروايات والألفاظ ما تضيق به الصحف، فاختصرته وذكرتُ المهم الذي به تتفسَّر ألفاظ هذه الآية، واعتمدتُ الأصح، والله المعين برحمته.

وفي هذه البعثة بالوَرِق الوكالةُ وَصِحَّتُها[١]، وقد وكَّل علي بن أبي طالب أخاه عقيلاً عند عثمان رضي الله عنهم[٢].

وقرأ الجمهور: ﴿فَلْيَنظُرْ﴾ بسكون لام الأمر، وقرأ الحسن: (فَلِيَنْظُر) بكسرها[٣].

و﴿أَزْكَىٰ﴾ معناه: أكثر، فيما ذكر عكرمة. وقال قتادة: معناه: خير. وقال مقاتل: المرادُ: أطيب. وقال ابن جُبَيْر: المراد: أَحَلُّ[٤].

---

(١) وقد نقل ابن قدامة الإجماع على جواز الوكالة في الجملة، انظر: المغني (٥/ ٥١).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٣٦٣٨) عن يعلى بن عبيد، عن محمد بن إسحاق، عن جهم بن أبي الجهم، عمن سمع عبد الله بن جعفر يحدث أنَّ علياً كان لا يحضر الخصومة، وكان يقول: إنَّ لها قحماً يحضرها الشَّيطان، فجعل خصومته إلى عقيل، فلمَّا كبر ورقَّ حوَّلها إليَّ، فكان عليٌّ يقول: ما قضي لوكيلِي فلي، وما قضي على وكيلي فعليَّ. وأخرجه البيهقي في الكبرى (٦/ ٨١) عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن جعفر، به. وجهم بن أبي جهم لا يعرف، وانظر: الميزان (١٥٨٣).

(٣) على قاعدته، وقد تقدمت مراراً، وكذا (فليتلطَّفْ)، وانظر: البحر المحيط (٧/ ١٥٦).

(٤) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٧/ ٦٣٨)، وانظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٦).

قال القاضي أبو محمد: من جهة ذبائح الكفرة وغير ذلك، فروي أنه أراد شراء زبيب، وقيل: بل شراء تمر.

وقوله: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾؛ أي: في اختفائه وتَحَيُّله[١].

وقرأ الحسن: (وَلِيَتَلَطَّفْ) بكسر اللام.

والضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ عائد على الكفار آل دقيوس، و﴿يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ معناه: يثقفوكم بعلوِّهم[٢] وغلبتهم.

وقولهم: ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾، قال الزجاج: معناه: بالحجارة[٣]، وهو الأصح؛ لأنه كان عازماً على قتلهم لو ظفر بهم، والرجْم فيما سلف هي كانت ـ على ما ذُكر ـ قِتْلة مخالف دين الناس؛ إذْ هي أشفى لحَمَلة[٤] ذلك الدين، ولهم فيها مشاركة.

وقال حجاج[٥]: ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ معناه: بالقول، وباقي الآية بَيِّنٌ.

قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾.

الإشارة بـ(ذلك) في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ إلى ﴿بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟﴾؛ أي: كما بعثناهم أعثرنا عليهم.

و(أَعْثَرَ) تعْدية عَثَر بالهمزة، وأصل العِثَار في القدم[٦]، فلما كان العاثر في الشيء

---

(١) في أحمد٣: «وتحمله».

(٢) في المطبوع: «بعلومهم».

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٦).

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «لجملة».

(٥) من روايته عن ابن جريج كما في تفسير الطبري (١٧/ ٦٣٩)، وفي أحمد٣: «الزجاج»، وهو خطأ، فالذي في معاني القرآن وإعرابه له (٣/ ٢٧٦): أي يقتلوكم بالرجم، والرجْمُ مِنْ أخبَثِ القَتْل، وانظر: تفسير الثعلبي (٦/ ١٦٢)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٩٥).

(٦) في المطبوع: «القوم».

مُنْـتَبِهاً[١] له شُبِّه به، من تنبه لعلم[٢] بشيءٍ: عنَّ له، وثار بعد خفائه.

والضمير في قوله: ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ﴾ يحتمل أن يعود على الأمة المسلمة الذين بعث أهل الكهف على عهدهم، وإلى هذا ذهب الطبري[٣].

وذلك أنهم ـ فيما روي ـ دخلتهم حينئذ فتنة في أمر الحشر وبعث الأجساد من القبور، فشك في ذلك بعض الناس واستبعدوه، وقالوا: إنما تحشر الأرواح، فشق على ملكهم ذلك، وبقي حيران لا يدري كيف يبيِّن أمره لهم حتى لبس الـمُسُوح، وقعد على الرماد، وتضرع إلى الله في حُجَّة وبيَان، فأعثر الله على أهل الكهف، فلما بعثهم الله وتبيَّن الناسُ أمرهم سُرَّ الملك، ورجع مَن كان شكَّ في بعث الأجسام إلى اليقين به، وإلى هذا وقعت الإشارة بقوله: ﴿إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡ﴾ على هذا التأويل.

ويحتمل أن يعمل في ﴿إِذۡ﴾ على هذا التأويل ﴿أَعۡثَرۡنَا﴾، ويحتمل أن يعمل فيه ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ﴾.

والضمير في قوله: ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ﴾ يحتمل أن يعود على أصحاب الكهف؛ أي: يجعل الله أمرهم آية لهم دالَّة على بعث الأجساد من القبور، وقوله: ﴿إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ﴾ على هذا التأويل ابتداءُ خبر عن القوم الذين بُعثوا على عهدهم، والعامل في ﴿إِذۡ﴾ فعل مضمر تقديره: واذكر.

ويحتمل أن يعمل فيه: ﴿فَقَالُواْ﴾، [ويكون المعنى: فقالوا إذْ][٤] يَتَنازَعُونَ: ابْنُوا عَلَيْهِمْ، والتَّنازع ـ على هذا التأويل ـ إنما هو في أمر البناء والمسجد، لا في أمر القيامة.

و«الرَّيْبُ»: الشَّك، والمعنى: إنَّ الساعة في نفسها وحقيقتها لا شك فيها، وإن

---

(١) في نجيبويه والمطبوع: «مشبها».

(٢) في الأصل والمطبوع: «شبه العلم».

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٦٣٧).

(٤) من المطبوع وأحمد٣ والحمزوية.

كان الشك قد وقع لِنَاسٍ فذلك لا يلحقها منه شيءٌ، وقد قيل: إن التنازع إنما هو في أن اطَّلعوا عليهم فقال بعضهم: أمواتٌ، وبعضهم: أحياءٌ.

ورُوي: أن بعض القوم ذهب إلى طمس الكهف عليهم، وتركهم فيه مغيَّبين، فقالت الطائفة الغالبة على الأمر: لنتخذن عليهم مسجداً، فاتَّخذوه.

وقال قتادة: الذين غَلَبُوا هم الوُلاة[١].

وقرأ الحسن، وعيسى الثقفي: (غُلِبُوا) بضم الغين وكسر اللام[٢]، والمعنى: إن الطائفة التي أرادت المسجد كانت أولًا تريد ألَّا يبنى عليهم شيءٌ وألا يعرض / [٣/ ٢٠١] لموضعهم، فرُوي: أن طائفة أخرى مؤمنة أرادت ولا بُدَّ طمس الكهف، فلمَّا غُلِبت الأولى على أن يكون بنيان ولا بُدَّ قالت: يكون مسجداً، فكان.

وروي: أن الطَّائفة التي دعت إلى البنيان إنما كانت كافرة أرادت بناءَ بيعة أو مصنع لكفرهم، فمانعهم المؤمنون وقالوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾[٣].

ورُوي عن عبيد بن عمير: أن الله عَمَّى على الناس حينئذ أمرهم وحَجَبَهم عنهم، فلذلك دعا إلى بناء البنيان ليكون مَعلَماً لهم[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾.

---

(١) الهداية لمكي (٦/ ٤٣٥٣).

(٢) وهي شاذة، عزاها للحسن في مختصر الشواذ (ص: ٨٠)، ولعيسى في الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٦).

(٣) انظر الروايتين في تفسير الثعلبي (٦/ ١٦٢).

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٦٤٠)، والهداية لمكي (٦/ ٤٣٥٣).

الضمير في قوله: ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ يراد به أهل التوارة من معاصري محمد ﷺ، وذلك أنهم اختلفوا في عدد أهل الكهف هذا الاختلافَ المنصوص.

وقرأ الجمهور: ﴿ثَلَـٰثَةٌ﴾، وقرأ ابن محيصن: (ثَلَاثٌّ) بإدغام التاء في الثاء[١].

وقرأ شبل عن ابن كثير: (خَمَسَةٌ) بفتح الميم إتباعاً لِعَشَرة.

وقرأ ابن محيصن: (خِمِسَةٌ) بكسر الخاء والميم[٢].

وقوله: ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِ﴾ معناه: ظَنّاً، وهو مستعارٌ من الرجم، كأن الإنسان يرمي الموضع الـمُشكل المجهول عنده بِظَـنِّه المرَّة بعد المرَّةِ، يرجمه به عسى أن يصيب، ومن هذا: الترجمان، وتَرْجَمة الكتب، ومنه قول زهير:

وَمَـا الْحَرْبُ إِلَّا ما عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرَجَّم[٣] [الطويل]

والواو في قوله: ﴿وَثَامِنُهُمۡ﴾ طريق النحويِّين فيها أنها واو عطف دخلت في آخر إخبار عن عددهم، لتفصل أمرهم، وتدل على أن هذا نهاية ما قيل، ولو سقطت لصح الكلام، [ولو كانت فيما قبل من قوله: ﴿رَّابِعُهُمۡ﴾ و﴿سَادِسُهُمۡ﴾ لصَحَّ الكلام][٤].

وتقول فرقة منها ابن خالويه: هي واو الثمانية[٥]، وذكر ذلك الثعلبي عن أبي بكر ابن عياش، وأن قريشاً كانت تقول في عددها: ستة، سبعة، وثمانية، تسعة، فتدخل الواو في الثمانية[٦].

---

(١) وهي شاذة، عزاها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٧).

(٢) وهما شاذتان، عزاهما لهما في الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٧)، وزاد لابن كثير النصب في ثلاثة وخمسة.

(٣) من معلقته المشهورة، ونسبه له في مجاز القرآن (١/ ٣٩٨)، وتفسير الطبري (٣/ ٣٥١)، والعين (٦/ ١٢٠)، وتهذيب اللغة (٤/ ٧).

(٤) زيادة من المطبوع وأحمد٣ والحمزوية.

(٥) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٨٢)، والبحر المحيط (٧/ ١٦٠).

(٦) تفسير الثعلبي (٦/ ١٦٢) لكن ليس فيه ذكر أبي بكر بن عياش، وهو شعبة راوي عاصم.

قال القاضي أبو محمد: وقد تقدم شرحها، وهي في القرآن في قوله: ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢]، وفي قوله: ﴿وَفُتِحَتِ﴾ [النبأ: ١٩].

وأما قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ [التحريم: ٥]، وقوله: ﴿سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة: ٧] فتُوُهِّم في هذين الموضعين أنها واو الثمانية، وليست بها، بل هي لازمةٌ لا يستغني الكلام عنها.

وقد أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ في هذه الآية أن يَرُدَّ عِلْم عدَّتهم إليه عزَّ وجلَّ، ثم أخبر أن عالِم ذلك من البشر قليل، والمراد به قومٌ من أهل الكتاب.

وكان ابن عباس يقول: أنا من ذلك القليل(١)، وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم.

ويُستدل على هذا من الآية بأن(٢) القرآن لما حكى قول من قال: ثلاثة، وخمسة قَرَن بالقول أنه رَجْمٌ بالغيب، فقدح ذلك فيها، ثم حكى هذه المقالة ولم يقدح فيها بشيءٍ، بل تركها مسجلة، وأيضاً فيَقْوَى ذلك على القول بواو الثمانية؛ لأنها إنما تكون حيث عدد الثمانية صحيح.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾ معناه على بعض الأقوال؛ أي: بظاهر ما أوحيناه إليك وهو ردُّ علم عِدَّتهم إلى الله تعالى، وقيل: معنى الظاهر أن يقول: ليس كما تقولون، ونحوَ هذا، ولا يحتج هو على أمْرٍ مقرر(٣) في ذلك، فإن ذلك يكون مراءً

---

(١) له طرق عدة تقويه، أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١٥٥٧)، والطبري (١٧/ ٦٤٢) من طريق عكرمة، والطبري (١٧/ ٦٤٢) من طريق عطاء الخرساني، وابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٦٦)، والبلاذري في أنساب الأشراف (١/ ٤٥٩)، والطبراني في الأوسط (٦/ ١٧٥)، من طريق الضحاك، والبلاذري أيضاً من طريق أبي صالح باذام مولى أم هانئ جميعهم (عكرمة، وعطاء، والضحاك، وأبو صالح) عن ابن عباس رضي الله عنهما، بنحوه. ولا تسلم هذه الطرق من مقال، ولكن إذا اجتمعت جعلت للأثر قوة والله أعلم، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٤٠٠)، والطبري (١٧/ ٦٢٤) من طريق قتادة... فذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا أيضاً منقطع.

(٢) في المطبوع: «فإن».

(٣) في المطبوع: «مقدَّرٍ».

في باطن من الأمر، وقال التبريزي[١]: «ظَاهِراً معناه: ذاهباً»[٢]، وأنشد:

.... وَتِلْكَ شَـكاةٌ ظَاهِرٌ عَنْـك عَارُهَا[٣] [الطويل]

ولم يُبِح له في هذه الآية أن يماري، ولكن قوله: ﴿إِلَّامِرَآءً﴾ استعارةٌ من حيث يماريه أهل الكتاب سُمِّيت مراجعته لهم مراءً، ثم قُيِّد بأنه ظاهر، ففارق المراءَ الحقيقي المذموم.

و«المِرَاءُ»: مشتق من المِرْية، وهي الشَّك، فكأنه الـمُشَاكَكَةُ، والضمير في قوله: ﴿فِيهِمْ﴾ عائد على أهل الكهف، وفي قوله: ﴿مِّنْهُمْ﴾ عائد على أهل الكتاب المعاصرين.

وقوله: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ يعني: في عِدَّتهم، وحُذِفَت العِدَّةُ؛ لدلالة ظاهر القول عليها.

قوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ﴾ الآية، عاتب الله تعالى فيها نبيَّه ﷺ على قوله للكفار: «غَداً أُخبركم بجواب أسئلتكم»، ولم يستثنِ في ذلك، فاحتبس عنه الوحيُ خمسة عشر يوماً حتى شق ذلك عليه، وأرجف الكفار به، فنزلت عليه هذه السُّورة مفرجة، وأمر في هذه الآية ألَّا يقول في أمر من الأمور: إني أفعل غداً كذا وكذا إلَّا وأن يُعلِّق ذلك بمشيئة الله عزَّ وجلَّ.

واللام في قوله: ﴿لِشَاْىْءٍ﴾ بمنزلة (في)، أو كأنه قال: لأجل شيءٍ.

وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ في الكلام حذف يقتضيه الظاهر، ويُحَسِّنه الإيجاز،

---

(١) في الأصل: «البيريزي»، وهو أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني، التبريزي، الخطيب، اللغوي، أحد الأعلام في علم اللسان، رحل إلى الشام، ألف شرح الحماسة، وشرح المعلقات، توفي سنة (٥٠٢هـ). تاريخ الإسلام (٣٥/ ٧٣).

(٢) نقله عنه في البحر المحيط (٧/ ١٦٢).

(٣) صدره: وَعَيَّرَهَا الوَاشونَ أَنِّي أُحِبُّهَا، وهو لأبي ذؤيب الهذلي كما في تهذيب اللغة (٢/ ٣٢٠)، ومقاييس اللغة (٣/ ٤٧٢).

تقديره: إلَّا أن تقول: «إلَّا أن يشاءَ الله»، أو إلَّا أن تقول «إن شاء الله»، فالمعنى: إلَّا أن تذكر مشيئة الله، فليس ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ من القول الذي نُهي عنه.

وقالت فرقة: قوله: ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ استثناءٌ من قوله: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ ﴾، وهذا قولٌ حكاه الطبري[1]، ورُدَّ عليه، وهو من الفساد بحيث كان الواجب ألَّا يُحْكَى.

وقوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ قال ابن عباس[2]، والحسن: معناه والإشارة به إلى الاستثناء، أي: وَلْتَسْتَثْنِ بعد مُدَّة إذا نسيت الاستثناء أوَّلاً؛ لتخرجَ من جملة مَن لم يعلِّق فعله بمشيئة الله، وقال عكرمة: المعنى: واذكر ربَّك إذا غضبتَ[3].

وتكلم الناس في هذه الآية في الاستثناء في اليمين، والآية ليست في الأيمان، وإنما هي في سنة الاستثناء في غير اليمين، ولكن من حيث تكلم الناس فيها ينبغي أن نذكر شيئاً من ذلك.

أما مالك رحمه الله، وجميع أصحابه فيما علمت، وكثير من العلماء فيقولون: لا ينفع الاستثناءُ ويُسقط الكفارةَ إلَّا أن يكون متصلاً باليمين[4].

[٣/ ٢٠٢] وقال عطاءٌ: / له أن يستثني في قدر حَلْب النَّاقة الغزيرة، وقال قتادة: إن استثنى

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٦٤٥).

(٢) إسناده جيد، أخرجه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم في تفسيرهما كما في تغليق التعليق (٤/ ٢٤٤-٢٤٥)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥/ ١٨٢) من طريق يزيد بن هارون، عن سفيان بن حسين، عن يعلى بن مسلم المكي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه في حديث أصحاب الكهف ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ قال: إذا قلت شيئاً فلم تقل: إن شاء الله، فقل إذا ذكرت: إن شاء الله.

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (١٧/ ٦٤٥)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٩٩)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٥).

(٤) وهو قول المذاهب الأربعة والثوري وأبي عبيد وإسحاق وغيرهم، انظر للمالكية بداية المجتهد (١/ ٤١٢-٤١٣)، وللحنفية فتح القدير (٤/ ١٣٩-١٤٠)، وللشافعية الحاوي للماوردي (١٥/ ٢٨٢-٢٨٣)، وللحنابلة والباقين المغني (٩/ ٤١٢-٤١٣).

قبل أن يقوم [أو يتكلم][(١)] فَلَه ثُنْياه، وقال ابن حنبل: له الاستثناءُ ما دام في ذلك الأمر، وقاله ابن راهويه، وقال طاووس، والحسن: ينفع الاستثناءُ ما دام الحالف في مجلسه، وقال ابن جبير: ينفع الاستثناءُ بعد أربعة أشهر فقط[(٢)].

وقال ابن عباس: ينفع الاستثناءُ ولو بعد سنةٍ[(٣)]، وقال مجاهد: بعد سنتين، وقال أبو العالية: ينفع أبداً[(٤)].

واختلف الناس في التأويل عن ابن عباس، فقال الطبري وغيره: إنما أراد ابن

(١) ليست في المطبوع.

(٢) انظر قول عطاء وقتادة وطاووس والحسن وابن جبير في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ٨١)، وقول أحمد وإسحاق في مسائل أحمد وإسحاق (١٧٤٦).

(٣) إسناده لين لكن يُحتمل، أخرجه الطبري (١٧/ ٦٤٥)، والطبراني في الكبير (١١٠٦٩)، وفي الأوسط (١١٩)، والحاكم في المستدرك (٤/٣٠٣)، والبيهقي في الكبرى (١٠/٤٨) وغيرهم من طرق عن الأعمش، عن مجاهد عن ابن عباس: أنه كان يرى الاستثناء ولو بعد سنة ثم قرأ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ يقول: إذا ذكرت. فقيل للأعمش: سمعت هذا من مجاهد؟ فقال: حدثني به الليث عن مجاهد، ورواية ليث بن أبي سليم عن مجاهد تساهل النقاد فيها؛ لكونها في التفسير خاصة؛ وكذلك لأنها من كتاب صحيح، قال يحيى بن سعيد القطان: تساهلوا في أخذ التفسير عن قوم لا يوثقونهم في الحديث، ثم ذكر ليث بن أبي سليم، وجويبر بن سعيد، والضحاك، ومحمد بن السائب، وقال: هؤلاء لا يحمد أمرهم ويكتب التفسير عنهم اهـ. انظر الجامع لأخلاق الراوي (١٥٩٩)، وقال ابن حبان: لم يسمع التفسير من مجاهد أحد غير القاسم بن أبي بزة، وأخذ الحكم، وليث بن أبي سليم، وابن أبي نجيح، وابن جريج، وابن عيينة من كتابه ولم يسمعوا من مجاهد. اهـ. انظر الثقات (٧/ ٣٣٠-٣٣١)، قال ابن كثير: ومعنى قول ابن عباس: أنه يستثني ولو بعد سنة؛ أي: إذا نسي أن يقول في حلفه أو كلامه: إن شاء الله، وذكر ولو بعدَ سنة، فالسُّنة له أن يقول ذلك، ليكون آتياً بسُنَّة الاستثناء، حتى ولو كان بعد الحنث، قال الطبري رحمه الله: ونص على ذلك، لا أن يكون ذلك رافعاً لحنث اليمين، ومسقطاً للكفارة. وهذا الذي قاله الطبري رحمه الله هو الصحيح، وهو الأليق بحمل كلام ابن عباس عليه، والله أعلم. اهـ. انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٤٩).

(٤) انظر قول مجاهد في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ٨١)، وقول أبي العالية في: تفسير الطبري (١٧/ ٦٤٥).

عباس أنه ينفع في أن يحصل[١] الحالف في رتبة المستثنِينَ بعد سنَةٍ مِن حَلِفِه، وأما الكفارة فلا تسقط عنه.

قال الطبري: ولا أعلم أحداً يقول: ينفع الاستثناءُ بعد مُدَّةٍ، يقول بسقوط الكفارة.

قال: ويَرُدُّ ذلك قولُ النبي ﷺ: «مَن حلف على يمين ثم رأى غيرها خيراً منها فلْيُكَفِّر، وَلْيَأْتِ الذي هو خيرٌ»[٢]، فلو كان الاستثناءُ يسقط الكفارة لكان أخف على الأُمَّة، ولم يكن لذكر الكفارة فائدة[٣].

وقال الزهراوي: إنما تكلَّم ابن عباس في أن الاستثناء بعد سنة لمن قال: أنا أفعل، لا الحالف[٤] أراد حلَّ يمينه[٥].

وذهبت فرقة من الفقهاء إلى أن مذهب ابن عباس سقوطُ الكفارة، وألزموا كل من يقول: ينفع الاستثناءُ بعد مدة، إسقاط الكفارة، وردُّوا على القول بعدم إلزامه[٦].

وليس الاستثناءُ إلَّا في اليمين بالله، لا يكون في طلاق ونحوه، ولا في مشي إلى مكة، وهذا قول مالك وجماعة[٧].

وقال الشافعي، وأصحاب الرأي، وطاووس، وحماد: الاستثناءُ في ذلك جائز[٨]،

---

(١) في المطبوع: «يجعل».

(٢) أخرجه مسلم (١٦٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٦٤٦).

(٤) في أحمد٣: «لا لحالف».

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ١٨٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٤٢)، وشرح النووي على مسلم (١١/ ١١٩).

(٧) قاله مالك وابن عباس وابن المسيب والأوزاعي وابن أبي ليلى والليث وغيرهم، انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ١٨٣).

(٨) انظر قول الشافعي في: شرح النووي على مسلم (١١/ ١١٩)، وانظر: قول أصحاب الرأي في: فتح القدير (٤/ ١٤٠)، وانظر قول طاووس وحماد في: المغني (٩/ ٤١٥).

وليس في اليمين الغموس استثناءٌ ينفع[١].

ولا يكون الاستثناءُ بالقلب[٢]، وإنما يكون قولًا ونطقاً.

وقوله: ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ﴾ الآية، قال محمد[٣] الكوفي المفسِّر: إنَّها بألفاظها مِـمَّـا أُمر أن يقولها كلُّ مَن لم يستثنِ، وإنها كفارة لنسيان الاستثناء[٤].

وقال الجمهور: هو دعاءٌ مأمورٌ به دون هذا التخصيص.

وقرأ الجمهور: ﴿يَهْدِيَنِي﴾ بإثبات الياء، وهي قراءة ابن كثير، ونافع، وأبي عمرو.

وقرأ طلحة بن مصرِّف: ﴿يَهْدِيَنِ﴾ دون ياءٍ في الوصل، وهي قراءة ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي[٥].

والإشارة بـ﴿هَٰذَا﴾ إلى الاستدراك الذي يقع من ناسي الاستثناء.

وقال الزجاج: المعنى: عسى أن يُيَسِّر الله من الأدلَّة على نبوتي أقرب من دليل أصحاب الكهف[٦].

قال القاضي أبو محمد: وما قدَّمته أصوب؛ أي: عسى أن يرشدني فيما أستقبِل من أمري، وهذه الآية مخاطبة للنبي ﷺ، وهي بعدُ تَعُمُّ جميع أُمته؛ لأنه حكم يتردد في الناس بكثرة وقوعه، والله الموفق.

---

(١) انظر فيما ذكره المؤلف عن يمين الغموس: فتح الباري لابن حجر (١/ ١٦٣).

(٢) زيادة من المطبوع، وفي الأصل: «بالقول»، نقل النووي في شرح مسلم (١١/ ١١٩-١٢٠) هذا القول عن كافة العلماء.

(٣) في أحمد٣: «مجاهد».

(٤) انظر ما نسبه المؤلف لمحمد الكوفي في: تفسير الطبري (١٧/ ٦٤٦)، ولم أقف له على ترجمة.

(٥) انظر: السبعة في القراءات (ص: ٤٠٣)، والذي في التيسير (ص: ١٤٧) والنشر (٢/ ٣١٦) أن ابن كثير أثبتها في الحالين، فهي قراءة ثالثة، ولم أجد من ذكر طلحة هنا، لكن الأصل أنه موافق للكوفيين.

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٧٨).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾.

قال قتادة، ومطر الوراق، وغيرهما: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ﴾ الآية حكاية عن بني إسرائيل أنهم قالوا ذلك[1].

واحتَجَّا بأن في قراءة عبد الله بن مسعود وفي مصحفه: (وقَالوا لَبِثُوا في كَهْفِهِمْ)[2]، وذلك عند قتادة ـ على غير قراءة عبد الله ـ عطفٌ على ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾، ذكره الزهراوي[3].

ثم أمر الله تعالى نبيَّه بأن يرُدَّ العلم إليه ردّاً على مقالهم، وتفنيداً لهم[4].

قال الطبري: وقال بعضهم: لو كان ذلك خبراً من الله لم يكن لقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ وجهٌ مفهومٌ[5].

قال القاضي أبو محمد: أين ذُهِب بهذا القائل؟ وما الوجه المفهوم البارع إلَّا أن تكون الآية خبراً عن لبثهم، ثم قيل لمحمد ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ فخبره[6]، هذا هو الحق من عالم الغيب، فليزُل اختلافُكم أيُّها المتخرِّصون.

وقال المحققون: بل قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ﴾ الآية خبر من الله تعالى عن مدة لبثهم، ثم اختلف في معنى قوله بعد الإخبار: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾:

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٦٤٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٦).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٢٦)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٦٥).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في الأصل: «وتقييداً له».

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٦٤٩).

(٦) في المطبوع: «بخبره»، وفي نور العثمانية: «فخبر».

فقال الطبريُّ: إن بني إسرائيل اختلفوا فيما مضى لهم من المدة بعد الإعثار عليهم إلى مدة النبي ﷺ، فقال بعضهم: إنهم لبثوا ثلاث مئة سنة وتسع سنين، فأخبر الله تعالى نبيَّه أن هذه المدة في كونهم نياماً، وأن ما بعد ذلك مجهول للبشر، فأمره الله أن يُرُدَّ علم ذلك إليه(١).

فقوله على هذا التأويل: ﴿لَبِثُواْ﴾ الأول يريد: في نوم الكهف، و﴿لَبِثُواْ﴾ الثاني يريد: بعد الإعثار موتى إلى مدة محمد ﷺ، إلى وقت عدمهم بالبلى، على الاختلاف الذي سنذكره بعد.

وقال بعضهم: إنه لمَّا قال: ﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ لم يَدْرِ الناسُ أهي ساعاتٌ أم أيَّام أم جُمَع أم شهور أم أعوام؟ واختلف بنو إسرائيل بحسب ذلك، فأمره الله برَدِّ العلم إليه، يريد: في التسع، فهي على هذا مبهمة.

وظاهر كلام العرب والمفهوم منه أنها أعوامٌ، والظاهر من أمرهم أنهم قاموا ودخلوا الكهف بعد عيسى بيسير، وقد بقيت من الحواريِّين بقية.

وحكى النقاش ما معناه أنهم لبثوا ثلاث مئة سنة شمسية بحساب الأُمم، فلما كان الإخبار هنا للنبي العربي ذكرت التِّسع؛ إذ المفهوم عنده من السنين القمرية، فهذه الزيادة هي ما بين الحسابين(٢).

وقرأ الجمهور: ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾ بتنوين ﴿مِاْئَةٍ﴾ ونصب ﴿سِنِينَ﴾ على البدل من ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ﴾، أو عطف البيان، وقيل: على التفسير والتمييز.

وقرأ حمزة، والكسائي، ويحيى، وطلحة، والأعمش بإضافة مِائَةِ إلى السِّنين وترْك التنوين(٣)، وكأنهم جعلوا ﴿سِنِينَ﴾ بمنزلة سَنَة؛ إذ المعنى بهما واحد، قال

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٦٤٩).

(٢) البحر المحيط (٧/ ١٦٤).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٣٩٠)، والتيسير (ص: ١٤٣)، وانظر قراءة الباقين في البحر المحيط (٧/ ١٦٤).

أبو علي: إذ هذه الأعداد التي تضاف في المشهور[١] إلى الآحاد نحو ثلاث مئة رجل وثوب قد تضاف إلى الجموع[٢].

[٣/ ٢٠٣] وأَنْحى أبو حاتم / على هذه القراءة[٣].

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (ثلاث مئة سنةٍ)، وقرأ الضحاك: (ثَلَاثَ مئةٍ سنون) بالواو[٤].

وقرأ أبو عمرو بخلاف: (تَسْعاً) بفتح التاء[٥]، وقرأ الجمهور: ﴿تِسۡعًا﴾ بكسر التاء.

وقوله: ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡ﴾؛ أي: ما أبصرَه وأسمعَه! قال قتادة: لا أحد أبصرُ من الله، ولا أسمعُ[٦].

وهذه عباراتٌ عن الإدراك، ويحتمل أن يكون المعنى: أبصِرْ به، أيْ: بوحيه وإرشاده هداك وحُججَك والحقَّ من الأمور، وأسمِعْ به العَالَمَ، فيكونان أمْرَيْن لا على وجه التعجب.

وقوله: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾ يحتمل أن يعود الضمير في ﴿لَهُم﴾ على أصحاب الكهف؛ أي: هذه قُدرتُه وحده، لم يُوَالِهِم غيرُه بتلَطُّف لهم، ولا اشترك معه أحد في هذا الحكم، ويحتمل أن يعود الضمير في ﴿لَهُم﴾ على معاصري رسول الله ﷺ من الكفار ومُشَاقِّيه، وتكون الآية اعتراضاً بتهديد.

---

(١) في المطبوع وأحمد٣ والحمزوية: «الشهور».
(٢) الحجة للفارسي (٥/ ١٣٧).
(٣) نقله في البحر المحيط (٧/ ١٦٤)، قال: ولا يجوز له ذلك.
(٤) وهما شاذتان، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٧)، إلا أنه عزا الأولى لأبي، وعزاها في البحر المحيط (٧/ ١٦٤) لهما.
(٥) شاذة، وهي رواية اللؤلؤي عنه كما في الكامل للهذلي (ص: ٥٩١)، والحلواني كما في الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٧).
(٦) تفسير الطبري (١٧/ ٦٥٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٦).

وقرأ الجمهور: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ بالياء من تحت، [الكاف مرفوعة][(١)] على معنى الخبر عن الله تعالى.

وقرأ ابن عامر[(٢)]، والحسن، وأبو رجاءٍ، وقتادة، والجحدري: ﴿ولا تشرِكْ﴾ بالتاء من فوق، على جهة النهي للنبي ﷺ، ويكون قوله: (ولا تُشرِكْ) عطفاً على: (أَبْصِرْ) و(أَسْمِعْ).

وقرأ مجاهد: (ولا يُشرِكْ) بالياء من تحت وبالجزم، قال يعقوب: لا أعرف وَجْهَهُ[(٣)].

وحكى الطبري عن الضحاك بن مزاحم أنه قال: نزلت هذه الآية ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ﴾ فقط، قال الناس: أَهِيَ أَشْهُرٌ أم أَيَّامٌ أم أَعْوامٌ؟ فنزلت ﴿سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾[(٤)].

وأما هل دام أهل الكهف وبقيت أشخاصهم محفوظة بعد الموت؟ فاختلفت الروايات في ذلك:

فروي عن ابن عباس أنه مرَّ بالشام في بعض غزواته مع ناسٍ على موضع الكهف وجبله، فمشى الناس إليه فوجدوا عظاماً، فقالوا: هذه عظام أصحاب الكهف، فقال لهم ابن عباس: لا[(٥)]، أولئك فنوا وعدموا منذ مدة طويلة، فسمعه راهب فقال: ما كنت أحسب أن أحداً من العرب يعرف هذا، فقيل له: هذا ابن عمِّ نبينا، فسكت[(٦)].

---

(١) ما بين معقوفين زيادة من أحمد٣.

(٢) في أحمد٣: «ابن عباس»، وهو خطأ، فهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٣٩٠).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٧)، وقول يعقوب في البحر المحيط (٧/ ١٦٥).

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٦٤٨)، وفي الأصل «هي» بلا همز.

(٥) زيادة من المطبوع والإماراتية١ ونجيبويه.

(٦) منقطع، أخرجه عبد الرزاق (١/ ٣٦٥-٣٦٦)، والطبري (١٥/ ٦٢٨-٦٢٩) في تفسيرهما، وفي تاريخه (٢/ ٩-١٠) من طريق معمر بن راشد، عن قتادة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة لم يسمع من ابن عباس.

وروت فرقة: أن رسول الله ﷺ قال: «لَيَحُجَّن عيسى بن مريم ومعه أصحاب الكهف فإنهم لم يحجوا بعد»[١].

قال القاضي أبو محمد: وبالشَّام على ما سمعتُ من ناس كثير كهف كان فيه موتى يزعم مجاوروه أنهم أصحاب الكهف، وعليه مسجد وبناءٌ يُسَمَّى الرَّقيم، ومعهم كلب رمة، وبالأندلس في جهة غرناطة بقرب قرية تُسَمَّى لوشة كهف فيه موتى ومعهم كلب رمة، وأكثرهم قد انجرد لحْمُه، وبعضهم متماسكٌ، وقد مضت القرون السالفة ولم نجد مِن علم شأنهم أثَارةً، ويزعم ناسٌ أنهم أصحاب الكهف، دخلت إليهم فرأيتهم سنة أربع وخمس مئة وهم بهذه الحالة، وعليهم مسجد، وقريب منهم بناءٌ رومي يسمَّى الرَّقيم، [كأنه قصر محلق قد بقي بعض جدرانه، وهو في فلاة من الأرض حزنة، وبأعلى حضرة غرناطة][٢] مما يلي القبلة، آثار مدينة قديمة رومية يقال لها: مدينة دقيوس، وجدنا في آثارها غرائب في قبور ونحوها.

قال القاضي أبو محمد: وإنما استسهلت ذكر هذا مع بُعْده؛ لأنه عجب يتخلد ذكره ما شاء الله عزَّ وجلَّ.

قوله: ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ﴾ الآية، من قرأ: ﴿ولا تُشْرِكْ﴾ بالنهي عطف قوله: ﴿وَٱتۡلُ﴾ عليه، ومن قرأ: ﴿وَلَا يُشۡرِكُ﴾ جعل هذا أمراً بُدِئ به كلام آخر ليس من الأول.

وكأن هذه الآية في معنى الإعتاب للنبي ﷺ عقب العتاب الذي كان على تركه الاستثناء، كأنه يقول: هذه أجوبة الأسئلة، فاتْل وحْيَ الله إليك، أي: اتبع في أعمالك، وقيل: اسْرُد بتلاوتك ما أُوحي إليك من كتاب ربك، لا نقض[٣] في قوله، ولا مبدل لكلماته، وليس لك سواه جانب تميل إليه وتستند.

---

(١) لم أهتد إليه.

(٢) ليس في المطبوع.

(٣) في المطبوع ونور العثمانية: «نقص».

و«الـمُلْتَحَدُ»: الجانب الذي يُمال إليه، ومنه اللَّحْدُ، كأنه الميْلُ في أحد شقَّي القبر، ومنه: الإلحادُ في الحق، هو الميل عن الحق، ولا يفسد قوله: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أمر النسخ؛ لأن المعنى إمَّا أن يكون: لا مُبَدِّلَ سواهُ فتبقى الكلماتُ على الإطلاق، وإما أن يكون أراد من الكلمات الخَبَر ونحوه مما لا يدخله النسخ(١).

والإجماع أن الذي لا يتبدل هو الكلام القائم بالذات الذي بِحَسبه يجري القدر، فأما الكتب المنزلة فمذهب ابن عباس أنها لا تبدَّل إلَّا بالتأويل(٢).

[ومن العلماء من يقول: إن بني إسرائيل بدَّلوا ألفاظ التوراة](٣).

قوله عز وجل: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾.

سبب هذه الآية أن عظماء الكفار ـ قيل: من أهل مكة، وقيل: عُيَيْنَة بن حصن وأصحابه، والأول أصوب؛ لأن السورة مكية ـ قالوا لرسول الله ﷺ: لو أبعدتَ هؤلاء عن نفسك لجالسناك وصحبناك، يريدون: عمَّار بن ياسر، وصهيب بن سنان، وسلمان الفارسي، وابن مسعود، وغيرهم من الفقراء كبلال ونحوه، وقالوا: إن ريح جِبَابهم تؤذينا، فنزلت الآية بسبب ذلك(٤).

---

(١) انظر عدم دخول النسخ في الخبر في: البحر المحيط للزركشي (٣/ ١٧٦).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ليس في الأصل.

(٤) أخرج مسلم (٢٤١٣) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعاً بنحوه، وفيه قالوا: اطرد هؤلاء لا يجترؤون علينا... لكن وقع فيه: فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وروي: أن رسول الله ﷺ خرج إليهم، وجلس بينهم، وقال: «الحمد لله الذي جعل من أُمتي مَن أُمِرتُ أن أصبرَ نفسي معَه»[1].

وروي أنه قال لهم: «رُحباً[2] بالذين عاتبني فيهم ربي»[3].

وروى سلمان أن المؤلفةَ / قلوبُهم عُيَيْنَة بن حصن، والأقرع بن حابس، وذويهم قالوا ما ذُكر، فنزلت الآية في ذلك[4]، فالآية على هذا مدنية، ويُشبه أن تكون الآية مكية، وفَعَل المؤلفةُ فعل قريش فردَّ عليهم[5]. [٣/ ٢٠٤]

(١) في إسناديه مقال، أخرج ابن منده في معرفة الصحابة، وابن قانع في معجم الصحابة كما في الإصابة (٥/ ٣٨)، والطبري (١٥/ ٢٣٩) ط التركي، وسقط من ط شاكر، من طريق أسامة بن زيد بن أسلم، عن أبي حازم، عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف أن هذه الآية لما نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بعض أبياته ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ فخرج يلتمس، فوجد قوماً يذكرون الله، منهم ثائر الرأس، وجافّ الجلد، وذو الثوب الواحد، فلما رآهم جلس معهم، فقال: «الحمد لله الذي جعل لي في أمَّتي من أمرني أن أصبر نفسي معه»، وأسامة بن زيد بن أسلم ضعيف من قبل حفظه كما في التقريب (٣١٥).
وعبد الرحمن بن سهل بن حنيف ذكره ابن أبي داود، وابن قانع في الصحابة، ولا تصح صحبته، وقال في الإصابة (٥/ ٣٨): لا يبعد أن يكون له رؤية وإن لم يكن له صحبة. اهـ.
وله شاهد مرسل أخرجه عبد الرزاق (١/ ٤٠١) عن معمر، والطبري (١٥/ ٢٤٠) من طريق سعيد ابن أبي عروبة كلاهما عن قتادة قال: ذُكر لنا أنه لما نزلت هذه الآية، قال نبيّ الله ﷺ: «الحمد لله الذي جعل في أمَّتي من أمرت أن أصبر نفسي معه».
(٢) في المطبوع: «مرحباً»، وأشار لها في هامش أحمد٣.
(٣) لم أهتد إليه بهذا اللفظ، ولكن ورد قريب من هذا اللفظ في قصة عبد الله بن أم مكتوم كما سيأتي في سورة عبس.
(٤) منكر، أخرجه الطبري (١٨/ ٧-٨)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٢٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٤٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٤٩٤) من طريق الوليد بن عبد الملك الحراني، عن سليمان بن عطاء، عن مسلمة بن عبد الله الجهني، عن عمه أبي مشجعة بن ربعي، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، وسليمان بن عطاء الحراني منكر الحديث، قال أبو حاتم: ليس بالقوي، وقال البخاري: في حديثه بعض المناكير، وقال ابن حبان: يروي عن مسلمة، عن عمه أشياء موضوعة، فالتخليط منه أو من مسلمة، انظر: الميزان (٣٤٩٣).
(٥) زيادة من المطبوع.

و(اصْبِرْ) معناه: احْبِس، ومنه المصبورة التي جاء فيها الحديث: نهى رسول الله ﷺ عن صبر الحيوان[١]؛ أي: حبسه للرَّمي ونحوه.

وقرأ الجمهور: ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾، وقرأ ابن عامر[٢]: ﴿بِالْغُدْوَةِ﴾، وهي قراءة نصر ابن عاصم، ومالك بن دينار، وأبي عبد الرحمن، والحسن[٣]، وهي في الخَطِّ على القراءَتين بالواو، فمن يقرؤها ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾ يكتبها (بِالْغُدْوة) كما تكتب (الصَّلوةُ) و(الزَّكوةُ)، وفي قراءة من قرأ: ﴿بِالْغُدْوة﴾ ضعف؛ لأن غُدْوة اسم معرَّف، فحقُّه ألا يدخل عليه الألف واللام.

ووجه القراءة بذلك أنهم ألحقوها ضرباً من التنكير؛ إذ قالوا: جئتُ[٤] غُدْوةً، يريدون: من الغَدَوات، فَحَسُن دخول الألف واللام، كقولهم: الفَيْنَة، وفَيْنَةُ اسم مُعَرَّف.

والإشارة بقوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ إلى الصلوات الخمس، قاله ابن عمر[٥]، ومجاهد، وإبراهيم، وقال قتادة: المراد صلاة الفجر وصلاة العصر[٦].

قال القاضي أبو محمد: ويدخل في الآية من يدعو في غير صلاة، ومن يجتمع لمذاكرة علم، وقد روي عن عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ أنه قال: «لَذِكْر الله بالغداة والعشي أفضل من حطْم السيوف في سبيل الله، ومن إعطاء المال سَحّاً»[٧].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٥١٣)، ومسلم (١٩٥٦).

(٢) في المطبوع: «ابن عباس رضي الله عنه»، ولعله خطأ، وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٣٩٠)، والباقين في البحر المحيط (٤/ ٥٢١).

(٣) انظر قراءة من ذكر مع ابن عامر في البحر المحيط (٤/ ٥٢١) وزاد أبا رجاء العطاردي.

(٤) غير واضحة في الأصل.

(٥) إسناده لين، أخرجه الطبري (٩/ ٢٥٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ٣٤١) من طريق سعيد بن أبي مريم، عن يحيى بن أيوب الغافقي، عن محمد بن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنه، بنحوه. ويحيى بن أيوب الغافقي ومحمد بن عجلان فيهما لين.

(٦) انظر القولين في الهداية لمكي (٣/ ٢٠٣٥)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٩٨)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٦٦).

(٧) لا يصح مرفوعاً، وروي موقوفاً بسند ضعيف، أخرجه الحسين المروزي في زوائده على زهد =

وقرأ أبو عبد الرحمن: (بِالْغُدُوِّ) دون هاءٍ.

وقرأ ابن أبي عبلة: (بالغَدَوَاتِ والعَشِيات) على الجمع[١].

وقوله: ﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ﴾؛ أي: لا تتجاوز عنهم[٢] إلى أبناء الدنيا والملابس من الكفار.

وقرأ الحسن: (ولا تُعَدِّ عينيك) بضم التاء وفتح العين وشدّ الدال المكسورة؛ أي: لا تُجاوِزْها أنت عنهم، ورُوي عنه: (ولا تُعْدِ عينيك) بضم التاء وسكون العين[٣].

وقوله: ﴿مَنۡ أَغۡفَلۡنَا﴾، قيل: إنه أراد بذلك مُعَيَّناً وهو عُيَيْنَة بن حصن، والأقرع، قاله خبَّاب[٤]، وقيل: إنما أراد مَن هذه صفته، وإنما المراد أوَّلًا كفار قريش؛ لأن الآية مكية.

وقرأ الجمهور: ﴿أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ﴾ بنصب الباء، على معنى: جعلناه غافلاً.

= ابن المبارك (١١١٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٠٦٩-٣٦١٩٥)، والخطيب في المتفق والمفترق (٢/ ١١٢) من طريق هشيم، عن يعلى بن عطاء، عن بشر بن عاصم الطائفي، عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه موقوفاً عليه، وهشيم مدلس، وبشر مجهول، وقد رُوي مرفوعاً ولا يصح كما أخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ٧٦)، والديلمي في مسند الفردوس من طريق الحسن بن علي العدوي، عن خراش، قال حدثنا مولاي أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لذكر الله بالغداة والعشي خيرٌ من حَطْم السيوف في سبيل الله»، وخراش مجهول، والحسن بن علي العدوي كذاب كما قاله محمد بن طاهر المقدسي في ذخيرة الحفاظ (٤٤٣٧).

(١) وهما شاذتان كما تقدم في الأنعام، وانظر البحر المحيط (٤/ ٥٢١).

(٢) ليست في المطبوع، وكذا لفظ «عينيك» في القراءتين بعد.

(٣) في أحمد٣ زيادة: «وكسر الدال»، وهما شاذتان، التخفيف في المحتسب (٢/ ٢٧)، والتشديد في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٦٥)، والوجهان في مختصر الشواذ (ص: ٨٢)، ويحتملهما الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٧).

(٤) فيه لين، أخرجه البزار (٢١٢٩)، وأبو يعلى كما في المطالب (٣٩٧٧)، والطبري (١٨/ ٨) عن الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي، وأخرجه ابن ماجه (٤١٢٧)، وابن أبي حاتم (٧٣٣١-٧٣٤٦) من طريق عمرو بن محمد العنقزي، عن أسباط، عن السدي، عن أبي سعيد الأزدي، عن أبي الكنود، عن خباب، فذكره بلفظ مطوَّل، وسيأتي الكلام عليه في الأثر القادم.

وقرأ عمرو بن فائد، وموسى الأسواري: (أَغْفَلَنا قلبُه) على معنى: أهملَ ذكْرَنا وترَكَه، قال ابن جِنِّي: المعنى: مَن ظَنَّنَا غافلين عنه، وذكر أبو عمرو الداني: أنها قراءة عمرو بن عبيد[١].

و«الْفُرُط» يحتمل أن يكون بمعنى التفريط والتَّضْييع؛ أي: أمره الذي يجب أن يلتزم، ويحتمل أن يكون بمعنى الإفراط والإسراف؛ أي: أمْرهُ وهواه الذي هو بسبيله، وقد فسَّر المتأولون بالعبارتين؛ أعني: التَّضْييع، والإسراف.

وعبَّر عنه خبَّاب بالهلاك[٢]، وداودُ بالندامة، وابن زيد بالخلاف للحق.

وهذا كله تفسير بالمعنى.

وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ﴾ الآية، المعنى: وقل لهم يا محمد: هذا الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ، أي: هذا القرآن، أو هذا الإعراض عنكم، وتَرْكُ الطاعة لكم، وصَبْرُ النفس مع المؤمنين.

---

(١) وهي شاذة، عزاها لابن فائد في مختصر الشواذ (ص: ٨٣)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٨٧)، والمحتسب (٢/ ٢٨) مع التوجيه، وللثلاثة في البحر المحيط (٧/ ١٦٨)، ولعل ذكر موسى هنا خطأ، فالأسواري هو عمرو بن فائد كما تقدم في البقرة، وموسى الأسواري لم أجده.

(٢) من حديث طويل غريب، هذا اللفظ جزء من حديث طويل أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣١٨٥)، وفي مسنده (٤٧٧)، وابن ماجه (٤١٢٧)، والبزار في مسنده (٢١٢٩)، والطبري (٩/ ٢٦٠-٢٦١)، وابن أبي حاتم (٧٣٣١-٧٣٤٤) في تفسيرهما، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ٣٣٩-٣٤٠)، والطبراني في الكبير (٣٦٩٣)، والآجري في أخلاق حملة القرآن (٤٧) من طرق عن أسباط بن نصر، عن السدي، عن أبي سعيد الأزدي، عن أبي الكنود، عن خباب بن الأرت فذكره بلفظ مطول، وأسباط ابن نصر الهمداني صدوق كثير الخطأ يُغرِب، وأبو سعد الأزدي الكوفي، ويقال: أبو سعيد، مجهول، وأبو الكنود الأزدي الكوفي عبد الله بن عامر كذلك، فالأثر على هذا ضعيف جداً، وقد استغربه ابن كثير فقال: وهذا حديث غريب، فإن هذه الآية مكية، والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر. اهـ. انظر: التفسير (٣/ ٢٦٠)، وقد أخرجه الخطيب البغدادي في الأسماء المبهمة (ص: ١٩٦) من طريق حسين بن يحيى بن عياش القطان، عن أحمد بن محمد بن يحيى بن سعد الأزدي، عن أبي الكنود به، بنحوه، انظر قول ابن زيد وداود في تفسير الطبري (١٨/ ٩).

وقرأ قَعْنَب أبو السَّمَّال: (وَقُلَ) بفتح اللام، قال أبو حاتم: وذلك رديءٌ في العربية[١].

وقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن﴾ الآية، تَوَعُّدٌ وتهديد؛ أي: فلْيَخْتر كلُّ امرئٍ لنفسه ما يجده غداً عند الله عزَّ وجلَّ.

وتأولت فرقة: فمن شاء الله إيمانَهُ فلْيُؤْمِنْ، ومَنْ شاءَ كفْرَهُ فلْيَكْفُر، وهو متوجه؛ أي: فحقُّه الإيمان، وحقُّه الكفر، ثم عبَّر عن ذلك بلفظ[٢] الأمر إلزاماً وتحريضاً، ومن حيث للإنسان في ذلك التَّكَسُّبُ الذي به يتعلق ثواب الإيمان وعقاب الكفر.

وقرأ الحسن، وعيسى الثقفي: (فلِيؤمِنْ)، و(لِيكفُرْ) بكسر اللامين[٣].

و﴿أَعۡتَدۡنَا﴾: مأخوذ من العتاد، وهو الشيءُ الـمُعَدُّ الحاضر.

و«السُّرَادِقُ»: هو الجدار المحيط كالحجرة[٤] التي تدور وتحيط بالفسطاط، قد تكون من نوع الفسطاط أديماً أو ثوباً أو نحوه، ومنه قول رُؤْبة:

[الرجز] يَـا حَكَـمَ بْـنَ الْمُنْـذِرِ بنَ الْجَـارُودْ سُـرَادِقُ الْمَجْـدِ عَلَيْكَ مَمْـدُودْ[٥]

ومنه قول سلامة بن جندل:

[الطويل] هُـوَ الْـمُولِـجُ النُّعْمَـانَ بَيْتاً سَـمَاؤُهُ صُدُورُ الْفُيُولِ بَعْدَ بَيْت مُسَـرْدَقِ[٦]

---

(١) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ٨٣)، في أحمد٣ والحمزوية: «السماك»، وانظر قول أبي حاتم في البحر المحيط (٧/ ١٦٩).

(٢) في المطبوع: «بلغة».

(٣) على قاعدتهما التي تقدمت مراراً، وانظر: البحر المحيط (٧/ ١٦٩).

(٤) في المطبوع: «كالحجارة».

(٥) عزاه له في مجاز القرآن (١/ ٣٩٨)، وتفسير الطبري (١٨/ ١٠)، والصحاح للجوهري (٤/ ١٤٩٦)، وعزاه للكذاب الحرمازي في الشعر والشعراء (٢/ ٦٧٣)، وأنساب الأشراف (٤/ ٢١٦)، وتاريخ دمشق (٥٦/ ٥٠٣) قال: واسمه: عبد الله بن الأعور بن قراد.

(٦) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٣٩٩)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٦٧)، وأنساب الأشراف (٤/ ١٩٨)، وتفسير الطبري (١٨/ ١١).

وقال الزجاج: السُّرادق: كلُّ ما أحاط بشيء[١].

قال القاضي أبو محمد: وهو عندي أخصُّ مما قال الزجاج.

واختُلف في سرادق النار: فقال ابن عباس: سُرَادقها حائط من نار[٢]، وقالت فرقة: سُرادِقُها دخان محيط بالكفار، وهو قوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾ [المرسلات: ٣٠].

وقالت فرقة: الإحاطة هي في الدنيا، والسرادق: البحر، ورُوي هذا المعنى عن النبي ﷺ من طريق يَعْلَى بن أُميَّة، فيجيءُ قوله تعالى: ﴿أَحَاطَ بِهِمۡ﴾؛ أي: بالبشر، ذكر الطبريُّ الحديث عن يَعْلَى، قال: قال رسول الله ﷺ: «البحرُ هو[٣] جهنَّمُ»، وتلا هذه الآية، ثم قال: «والله لا أدخلُه أبداً، أو ما دمْتُ حيّاً»[٤].

وروي عنه أيضاً ﷺ من طريق أبي سعيد الخدري أنه قال: «لسُرادق النَّارِ أربعةُ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١١) من طريق ابن جريج، قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما فذكره، وهو منقطع.

(٣) ليست في نور العثمانية، وفي الأصل: «هي».

(٤) ضعيف غريب، أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٣)، والبخاري معلقاً في التاريخ الكبير (١/ ٧٠)، ويعقوب بن سفيان الفسوي في المعرفة والتاريخ (١/ ٣٠٨)، والطبري (١٨/ ١٢)، وابن قانع في معجم الصحابة (٣/ ٢١٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٩٥)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٣٣٤)، وفي البعث والنشور (٤٣٥-٤٣٦)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/ ٤٢٥) من طريق أبي عاصم النبيل، عن عبد الله بن أبي أمية، عن محمد بن حيي، عن صفوان بن يعلى، عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «البحر هو جهنم». قالوا ليعلى فقال: ألا ترون أن الله عز وجل يقول: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا﴾ قال: لا والذي نفس يعلى بيده لا أدخلها أبداً حتى أعرض على الله عز وجل، ولا يصيبني منها قطرة حتى ألقى الله عز وجل، وهذا إسناد ضعيف؛ لأن محمد بن حيي مجهول، وعبد الله بن أبي أمية لم يرو عنه غير أبي عاصم، قال ابن كثير: هذا تفسير غريب، وحديث غريب جداً، والله أعلم. اهـ. من التفسير (٦/ ٢٨٩)، وقد سقط من إسناد الحاكم محمد بن حيي، وسقط من إسناد البيهقي في السنن، وفي البعث عبد الله ابن أبي أمية، وفي معجم الصحابة: عن أبي عاصم، عن عبد الله بن أمية، عن رجل، عن صفوان به.

جُدُرٍ[١] كُثُف، عرض كل جدارٍ مسيرة أربعين سنة»[٢].

وقوله عز وجل: ﴿يُغَاثُواْ﴾؛ أي: يكون لهم مقام الغَوث، وهذا نحو قول الشاعر:

[الوافر] .... تَحِيَّـةُ بَيْنِهِـمْ ضَـرْبٌ وَجِيـعُ[٣]

أي: القائم مقام التحية.

و«المُهْل»، قال أبو سعيد عن النبي ﷺ: «هو دُرْدي[٤] الزيت إذا انتهى حدُّه»[٥].

وقالت فرقة: هو كل مائع سَخُنَ حتى انتهى حرُّه، وقال ابن مسعود وغيره: كل ما أُذيب من ذهب أو فضة أو رصاص أو نحو هذا من الفِلِزِّ[٦] حتى يميع[٧].

---

(١) في الأصل: «جدور»، وفيه: «سرادق»، دون لام قبلها.

(٢) ضعيف، أخرجه أحمد (٣/ ٢٩)، وابن المبارك في الزهد كما في زيادات نعيم بن حماد (٣١٦)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (٦)، والترمذي (٢٥٨٤)، وأبو يعلى في مسنده (١٣٨٩)، والطبري (١٨/ ١٢)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٦٠٠-٦٠١)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٩٣٦) من طرق عن دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد به، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف دراج ـ وهو ابن سمعان أبو السمح ـ في روايته عن أبي الهيثم، وهو سليمان بن عمرو العتواري.

(٣) هذا عجز بيت لعمرو بن معدي كرب، وتمامه: وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ، وقد تقدم الاستشهاد به مراراً.

(٤) الدُّرْدِي: ما رسب أسفل العَسَل والزيت ونحوهما من كل شيء مائع كالأشربة والأدهان.

(٥) بهذا اللفظ لم أقف عليه من قول أبي سعيد الخدري، وإنما ورد هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنه وغيره، والذي جاء عن أبي سعيد الخدري كما أخرجه أحمد (٣/ ٧٠)، وابن المبارك في الزهد (٣١٦) كما في زيادات نعيم بن حماد، وعبد بن حميد في مسنده (٩٣٠)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (٧٧)، والترمذي (٢٥٨١-٢٥٨٤)، وأبو يعلى في مسنده (١٣٧٥)، والطبري (١٨/ ١٢)، وابن حبان (٧٤٧٣)، والطبراني في الأوسط (٣١٣٧)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٥٠١-٤/ ٦٠٣)، والبيهقي في البعث (٥٣٥) من طرق عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: ﴿كَٱلۡمُهۡلِ﴾ قال: كعكر الزيت إذا قربت إليه سقطت فروة وجهه فيه، وهذا إسناد ضعيف كما سبق.

(٦) في نجيبويه: «الفلذ»، وفي نور العثمانية: «الكفر»، وفي الإماراتية: «القطر» مع الإشارة للمثبت في الهامش.

(٧) في المطبوع ونجيبويه والإماراتية١: «تَمَيَّع».

وروي: أن عبد الله بن مسعود أُهديت إليه سِقاية من ذهب أو فضة فأمر بها فأُذيبت حتى تميَّعت وتلَوَّنت ألواناً، ثم دعا مَنْ ببابه من أهل الكوفة فقال: ما رأيت في الدنيا شيئاً أدنى شبهاً بالمـُهْل من هذا(١)، يريد: أدنى شبهاً بشراب أهل النار.

وقالت فرقة: الـمُهْلُ: الصديد والدم إذا اختلطا، ومنه قول أبي بكر الصدِّيق في الكفن: إنما هو للمُهْلةِ(٢)، يريد: لما يسيل من الميت في قبره، ويقوى هذا بقوله: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٦] الآية.

وقوله: ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ رُوي في معناه عن / النبي ﷺ أنه قال: «تُقَـرَّبُ الشَّرْبَةُ من الكافر، فإذا دَنَت تَكَرَّهَها، فإذا دنت أكثر شوَتْ وجهَه، وسقطت فيها فروةُ وجهه، وإذا شرب تقطَّعت أمعاؤُه»(٣). [٣/ ٢٠٥]

و«الـمُرْتَفَقُ»: الشيء الذي يُرْتَفَق به؛ أي: يطلب رفقه، والـمُرْتَفَق الذي هو الـمُتَّكَأُ

(١) منقطع، أخرجه عبد الرزاق (١/ ٤٠٢)، والطبري (١٨/ ١٢-١٣) في تفسيرهما من طريق قتادة قال: ذُكر لنا أن ابن مسعود أهديت إليه سِقاية من ذهب وفضة...به.

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري (١٣٨٧).

(٣) غريب وفي إسناده من لا يعرف، أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٥)، وعبد الله ابنه في زوائده على الزهد (ص٢٠)، وابن المبارك في الزهد ـ زوائد نعيم بن حماد (٣١٤)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (٧٤)، والترمذي (٢٥٨٣)، والنسائي في الكبرى (١١١٩٩)، والطبري (١٣/ ٦٢٠-٦٢١-١٥/ ٢٥١)، وابن أبي حاتم (١٣٠٨٥) في تفسيرهما، والطبراني في الكبير (٧٤٦٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٢-٣٦٩-٤٥٨)، والبيهقي في البعث والنشور (٥٣٤) من طريق عبد الله ابن المبارك، عن صفوان بن عمرو، عن عبيد الله بن بسر، عن أبي أمامة به مرفوعاً، وعبيد الله بن بسر قد اختلف في تعيينه، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وهكذا قال محمد بن إسماعيل: عن عبيد الله بن بسر، ولا نعرف عبيد الله بن بسر إلا في هذا الحديث، وقد روى صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بسر صاحب النبي ﷺ غير هذا الحديث، وعبد الله بن بسر له أخ قد سمع من النبي ﷺ وأخته قد سمعت من النبي ﷺ وعبيد الله بن بسر الذي روى عنه صفوان بن عمرو هذا الحديث رجل آخر ليس بصاحب. اهـ. وفي رواية الطبري والطبراني والحاكم والبيهقي تصحف عبيد الله ابن بسر لعبد الله ابن بسر، وفي الزهد لأحمد: عبد الله بن بشير.

أخصُّ من هذا الذي في الآية؛ لأنه في شيء واحد من معنى الرِّفق، على أن الطبريَّ فسَّر الآية به، والأظهر عندي أن يكون الـمُرْتَفَق بمعنى: الشيء الذي يطلب رفقه بِاتِّـكَاءٍ وغيره.

وقال مجاهد: المرتفق: المجتمع، كأنه ذهب بها إلى موضع الرِّفاقة، ومنه الرفقة، وهذا كلُّه راجع إلى الرِّفق.

وأنكر الطبري أن يعرف لقول مجاهد معنى[١]، والقول بيِّن الوجه، والله المعين.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ اعتراضٌ مُؤَكِّد للمعنى، مذكِّر بأفضال الله، مُنبِّه على حُسْن جزائه، بيْن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾، فقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ ابتداءٌ وخبرٌ، جملةٌ هي خبر ﴿إِنَّ﴾ الأولى، ونحو هذا من الاعتراض قول الشاعر:

[البسيط] إنَّ الْخَـلِيفَـةَ، إنَّ اللَّـهَ أَلْـبَسَـهُ ... سِرْبَالَ مُلْكٍ، بِهِ تُرْجَى الْخَوَاتِيمُ[٢]

قال الزجاج: ويجوز أن يكون خبر (إن) في قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾؛ لأن المحسنين هم المؤمنون، فكأن المعنى: لا نضيع أجرهم[٣].

قال القاضي أبو محمد: ومذهب سيبويه أن الخبر في قوله: ﴿لَا نُضِيعُ﴾ على حذف العائد، تقديره: مَن أحسن عملاً منهم.

---

(١) انظر قولي الطبري ونقله عن مجاهد في تفسير الطبري (١٨/ ١٦).

(٢) البيت لجرير كما في الكشاف للزمخشري (٣/ ١٤٩)، والبحر المحيط (٦/ ٣٣٣)، واللباب (١٤/ ٤١)، ومفاتيح الغيب (٢٣/ ١٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٨٣).

و«العَدْنُ»: الإقامة، ومنه الـمَعْدِنُ؛ لأن حَجَرَهُ مقيمٌ فيه ثابت.

وقوله: ﴿مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ يريد: تحت غُرَفهم ومبانيهم.

وقرأ الجمهور: ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾.

وروى أبان عن عاصم: (مِنْ أَسْوِرَة) من غير ألف وبزيادة هاءٍ[١].

وواحد الأساور: إسوارٌ حذفت الياءُ من الجمع؛ لأن الباب: أساوير، وهي ما كان في الذراع من الحلي، وقيل: أساور جمع أَسْوِرَةٍ، وأَسْوِرَةٌ جمع سِوَار، وإنما الإِسْوَارُ بالفارسية القائد ونحوه، ويقالُ في حُلِيِّ الذراع: إِسْوَارٌ، ذكره أبو عبيدة معمر ابن المثنى[٢]، ومنه قول الشاعر:

[الرجز]

والـلَّـهِ لَـوْلَا صِـبْـيَـة صِـغَـارُ كَـأَنَّـمَـا وُجُـوهُـهُـمْ أَقْـمَـارُ
تَـضُـمُّـهُـمْ مـن الْـعَـتِـيـكِ دَارُ أَخَـافُ أَنْ يُـصِـيبَـهُـمْ إِقْـتَـارُ
أَوْ لاطِـمٌ لَـيْـسَ لَـهُ إِسْـوَارُ لَـمَـا رَآنِـي مَـلِـكٌ جَـبَّـارُ
بِـبَـابِـهِ مَـا وَضَـحَ الـنَّـهَـار

أنشده أبو بكر بن الأنباري حاشيةً في كتاب أبي عبيدة[٣].

و«السُّنْدُسُ»: رقيق الديباج، و«الإِسْتَبْـرَقُ»: ما غلظ منه، وقال بعض الناس: هي لفظة أعجمية عربت، وأصلها: استبره، وقال بعضهم: بل هو الفعل العربي سُمِّي به، فهو استبرق، من البريق، فغُيِّر[٤] حين سُمِّي به بقطع الألف.

ويُقَوِّي هذا القول أن ابن محيصن قرأ: (من سندس واستبرق)، فجاء به موصول

---

(١) وهي هنا شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٨).

(٢) «بن المثنى» زيادة من أحمد٣، وانظر مجاز القرآن (١/ ٤٠١).

(٣) الزاهر لابن الأنباري (٢/ ١٥٨)، بلا نسبة، ونسبها ابن أبي الدنيا في النفقة على العيال لرجل من العتيك (١/ ٣٣٧).

(٤) في المطبوع ونور العثمانية: «فعبر»، وفي أحمد ٣: «فغبر».

الهمزة حيث وقع، ولا يَجُرُّه بل يفتح القاف، ذكره الأهوازي[١]، وذكره أبو الفتح، وقال: هذا سهْوٌ أو كالسَّهْو[٢].

و﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾: جمع أريكة، وهو السرير في الحِجَال[٣].

والضمير في قوله: ﴿وَحَسُنَتْ﴾ للجنات.

وحكى النقاش عن أبي عمران الجوني أنه قال: الإستبرق: الحرير المنسوج بالذهب[٤].

وحكى مكي والزهراوي وغيرهما حديثاً مُضَمَّنه أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية نزلت في[٥] أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم، سأل أعرابي رسول الله ﷺ عن الآية، فقال النبي ﷺ للأعرابي: «أَعْلِمْ قومك أنها نزلت في هؤلاء الأربعة»، قال[٦]: وهم حضور[٧].

قوله عز وجل: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾.

الضمير في ﴿لَهُم﴾ عائد على الطائفة المتجبرة[٨] التي أرادت من النبي ﷺ أن يطرد فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، وعلى أولئك الداعين أيضاً،

---

(١) في المطبوع: «الأسواري».
(٢) وهي شاذة، انظر عزوها في مختصر الشواذ (ص: ٨٢)، والمحتسب (٢/ ٢٩)، مع ما نقل عنه، وقول الأهوزاي لم أقف عليه.
(٣) في الأصل: «الحجال».
(٤) تفسير الطبري (١٨/ ١٧).
(٥) في أحمد٣ زيادة: «الخلفاء».
(٦) من نجيبويه.
(٧) لم أهتد إليه، وانظر: الهداية لمكي (٦/ ٤٣٧٤).
(٨) في المطبوع: «المتحيرة».

فالمثل مضروب للطائفتين؛ إذ الرجل الكافر صاحب الجنَّتين هو بإزاء متجبِّري قريش، أو بني تميم، على الخلاف المذكور أولاً، والرجل المؤمن المقر بالربوبية هو بإزاء بلالٍ وعمَّارٍ وصُهَيْب وأقرانهم.

و(حففناهما) بمعنى: جعلنا ذلك لها من كل جهة، تقول: حفَّك الله بخير؛ أي: عمَّك به من جميع جهاتك، و«الحِفاف»: الجانب من السرير والفدان[1] ونحوه.

وظاهر هذا المثل أنه بأمر وقع وكان موجوداً، وعلى هذا فسَّره أكثر أهل هذا[2] التأويل.

ويحتمل أن يكون المثل[3] مضروباً بمن هذه صفته وإن لم يقع ذلك في وجودٍ قط، والأول أظهر.

ورُوي في ذلك أنهما كانا أخويْن من بني إسرائيل ورثا أربعة آلاف دينار، فصنع أحدهما بماله ما ذكر، واشترى عبيداً وتزَوَّج وأثرى، وأنفق الآخر ماله في طاعات الله عز وجل حتى افتقر، والتقيا ففخر الغني ووبَّخ المؤمن، فجرت بينهما هذه المحاورة.

ورُوي: أنهما كانا شريكين حدَّادين، كسبا مالاً، كثيراً وصنعا نحو ما رُوي في أمر الأخوين، فكان من أمرهما ما قصَّ الله في كتابه[4].

وذكر إبراهيم ابن القاسم الكاتب[5] في كتابه «في عجائب البلاد»: أن بحيرة تِنِّيس[6] كانت ما بين هاتين الجنتين، وكانت للأخوين، فباع أحدهما نصيبه من الآخر،

(١) ليست في والمطبوع.
(٢) ليست في نور العثمانية والمطبوع ونجيبويه.
(٣) من المطبوع والإماراتية١ وأحمد٣.
(٤) تفسير الثعلبي (٦/ ١٧٠-١٧١).
(٥) إبراهيم بن القاسم يعرف بالرقيق القيرواني، فاضل أديب له تصانيف كثيرة كان حيا في سنة (٣٩٠هـ)، معجم الأدباء (١/ ٩٧).
(٦) تنيس بكسرتين وتشديد النون، والسين مهملة: جزيرة في بحر مصر قريبة من البر بين الفرما ودمياط، معجم البلدان (٢/ ٥١).

وأنفق في طاعة الله حتى عيَّره الآخر، فجرت بينهما هذه المحاورة، فغَرَّقها اللَّهُ في ليلة، وإيَّاها عنى بهذه الآية[١].

وفي بسط قصصهما طول فاختصرته واقتصرت على معناه لقلَّة صحته، ولأن في هذا ما يفي / بفهم الآية. [٣/ ٢٠٦]

وتأمل هذه الهيئة التي ذكر الله، فإن المرء لا يكاد يتخيل أجمل[٢] منها في مكاسب الناس: جنَّتا عنب أحاط بها[٣] نَخْلٌ، بينهما فسحة هي مزدرعٌ لجميع الحبوب، والماءُ الغَيْلُ[٤] يسقي جميع ذلك من النهر الذي قد جمَّل هذا المنظر، وعظَّم النفع، وقرَّب الكد، وأغنى عن النواضح وغيرها.

وقرأ الجمهور: ﴿كِلۡتَا﴾، وفي مصحف عبد الله: (كِلا)[٥].

والتاءُ في ﴿كِلۡتَا﴾ منقلبة عن واو عند سيبويه[٦]، وهو بالتَّاءِ أو بغير التَّاء اسم مفرد واقع على الشيء الـمُثَنَّى، وليس باسمٍ مُثَنَّى، ومعناه: كل واحدة منهما.

و«الأُكُلُ»: ثمرها الذي يُؤكل منها.

قال الفراءُ: وفي قراءة ابن مسعود: (كلُّ الجَنَّتَيْن أَتَى أُكله)[٧].

وقوله: ﴿وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗا﴾؛ أي: لم تنقص عن العرف [الأتم الذي يشبه فيها][٨].

---

(١) تفسير القرطبي (١٠/ ٤٠١)، والبحر المحيط (٧/ ١٧٤).

(٢) في المطبوع: «أجلَّ».

(٣) في أحمد٣: «بهما».

(٤) في أحمد٣: «الماء العد»، (الغَيْل): الماءُ الجاري على وجه الأرض، وفي البحر المحيط: «والماءُ المعين».

(٥) وهي شاذة، انظر: الهداية لمكي (٦/ ٤٣٨٠).

(٦) الكتاب لسيبويه (٣/ ٣٦٣).

(٧) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٤٣)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٩٤).

(٨) ليس في المطبوع.

ومنه قول الشاعر:

تَظَلَّمَنِـي مالـي كذا وَلَـوَى يَدِي لَـوَى يَدَهُ اللَّهُ الَّذي هُـو غَالِبُه[١] [الطويل]

وقرأ الجمهور: ﴿وَفَجَّرۡنَا﴾ بتشديد الجيم.

وقرأ سلَّام، ويعقوب، وعيسى بن عمر: (وَفَجَرْنَا) بفتح الجيم دون شدٍّ[٢].

وقرأ الجمهور: ﴿نَهَرٗا﴾ بفتح الهاء.

وقرأ أبو السَّمَّال، والفياض بن غزوان، وطلحة بن سليمان: (نَهْراً) بسكون الهاء[٣].

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وابن عباس، ومجاهد، وجماعة قراء المدينة ومكة: ﴿ثُمُرٌ﴾ وَ﴿بِثُمُره﴾[٤] بضم الثاء والميم، جمع ثمارٍ.

وقرأ أبو عمرو، والأعمش، وأبو رجاء بسكون الميم فيهما تخفيفاً، وهي في المعنى كالأولى، ويتَّجه أن يكون جمع ثَمَرَة، كَبَدَنَةٍ وبُدْن.

وقرأ عاصم: ﴿ثَمَرٌ﴾ و﴿بِثَمَرِهِۦ﴾ بفتح الميم والثاء فيهما، وهي قراءة أبي جعفر، والحسن، وجابر بن زيد، والحجاج[٥].

واختلف المتأولون في الثُّمُرِ بضم الثاء والميم، فقال ابن عباس[٦]، وقتادة:

---

(١) البيت لفُرْعان بن الأعرف كما في نوادر المخطوطات (ص: ١٥٧)، والمحكم والمحيط الأعظم (٥/ ١١).

(٢) وهي شاذة، عزاها لسلام ويعقوب في مختصر الشواذ (ص: ٨٢) وللثلاثة في الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٨).

(٣) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٧/ ١٧٥).

(٤) الكهف: (٤٢).

(٥) وكلها سبعية، انظر السبعة (ص: ٣٩٠)، والتيسير (ص: ١٤٣)، والباقين في البحر المحيط (٧/ ١٧٥)، مع بعض الزيادات.

(٦) منقطع، أخرجه الطبري (١٨/ ٢١) من طريق سعيد بن أبي عَروبة، عن قتادة، قال: قرأها ابن عباس: «وكَانَ لَهُ ثُمُرٌ» بالضمّ، وقال: يعني أنواع المال.

الثُّمُر: جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك، ويستشهَد لهذا القول ببيت النَّابغة الذبياني:

[البسيط] .... وَمَا أُثَـمِّـرُ مِـنْ مـالٍ ومِنْ وَلَـدِ[1]

وقال مجاهد: يراد بها الذهب والفضة خاصة.

وقال ابن زيد: الثُّمُر هي الأصول التي فيها الثَّمَر[2].

قال القاضي أبو محمد: كأنها ثمارٌ وثُمُرٌ، ككتابٍ وكُتُب، وأما من قرأ بفتح الثاء والميم فلا إشكال في أن المعنى ما في رؤوس الشجر من الأكل، ولكن فصاحة الكلام تقتضي أن يعبر إيجازاً عن هلاك الثَّمر والأصول بهلاك الثَّمر فقط، خصَّها بالذكر إذْ هي مقصد المستغل، وإذ هلاك الأصول إنما يسوءُ منه هلاك الثَّمر الذي كان يُرجى في المستقبل، كما يقتضي قوله: إنَّ له ثمراً، أنَّ له أصولاً، كذلك يقتضي الإحاطة المطلقة بالثمرات والأصول قد هلكت.

وفي مصحف أُبي: (وآتيناه ثمراً كثيراً).

وقرأ أبو رجاءٍ: (وكان له ثمرٌ) بفتح الثاء وسكون الميم[3].

و«الـمُحَاوَرَةُ»: مراجعة القول، وهو من: حارَ يحور.

واستدلَّ بعض الناس من قوله: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ على أنه لم يكن أخاه، وقال المناقض: أراد بالنَّفَر العَبيدَ والخَوَلَ؛ إذْ هُمُ الذين ينفرون في رغائبه، وفي هذا الكلام من الكِبْر والزَّهْو والاغترار ما بيانه يغني عن القول فيه.

---

(١) صدره: مهلًا فداءً لك الأقوام كلهم، انظر عزوه له في شرح المعلقات التسع (ص: ٩٦)، والصحاح للجوهري (٦/ ٣٠٣).
(٢) انظر أقوال ابن زيد وقتادة ومجاهد في تفسير الطبري (١٨/ ٢١)، والحيوان ليست في المطبوع.
(٣) وهما شاذتان، انظر الأول في الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٨) وزاد ابن مسعود، والثانية في البحر المحيط (٧/ ١٧٥).

وهذه المقالة بإزاء قول عُيَيْنة والأقرع للنبي ﷺ: نحن سادات العرب، وأهل الوَبَر والمَدَر، فَنَحِّ عنَّا سلمان وقرناءَه[١].

قوله عز وجل: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾.

أفرد الجنة من حيث الوجود كذلك؛ إذ لا يدخلهما معاً في وقت واحد.

و«ظُلْمُه لِنَفْسِهِ»: كفرُهُ وعقائده الفاسدة في الشك في البعث، فقد نصَّ على ذلك قتادة، وابن زيد[٢].

وفي شكِّه في حدوث العالم، إن كانت إشارته بـ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ إلى الهيئة من السماوات والأرض وأنواع المخلوقات، وإن كانت إشارته إلى جنته فقط فإنما في الكلام تساخف واغترارٌ مفرط[٣] وقلَّة تحصيل، كأنه من شدَّة العجب بها والسرور أَفْرط في وصفها بهذا القول، ثم قاس أيضاً الآخرة على الدنيا، وظنَّ أنه لم يُمْلِ له في الدنيا إلا لكرامة يستوجبها في نفسه، قال: فإن كان ثم رجوعٌ كما يزعم فسيكون حالي كذا وكذا، وليست مقالة العاصي بن وائل لِخَباب[٤] على حدِّ هذه، بل قصد العاصي الاستخفاف على جهة التصميم على التكذيب.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وابن الزبير، وثبت في مصاحف المدينة ﴿مِنْهُمَا﴾ يريد الجنتين المذكورتين أولاً.

---

(١) تقدم ذكر هذا الحديث وغيره بألفاظ مختلفة عند آية (٢٩).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٢٣).

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) إشارة لحديث أخرجه البخاري (٤٧٣٣) سيأتي في سورة مريم.

وقرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي، والعامة، وكذلك هو في مصحف أهل[١] البصرة: ﴿مِّنْهَا﴾[٢]، يريد الجنة المدخولة.

وقوله: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾ حكاية أن المؤمن من الرجلين لـمَّا سمع كلام الكافر وَقَفَه ـ على جهة التوبيخ ـ على كفره بالله تعالى.

وقرأ أُبيُّ بن كعب: (وهو يخاصمه)، وقرأ ثابت البناني: (وَيْلَكَ أَكَفَرْتَ)[٣].

ثم جعل يعظم الله تعالى عنده بأوصاف تضمنت النعم، والدلائل على جواز البعث من القبور.

وقوله: ﴿مِن تُرَابٍ﴾ إشارة إلى آدم عليه السلام، وقوله: ﴿سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ كما تقول: سوَّاك شخصاً أو حيّاً أو نحو هذا من التأكيدات، وقد يحتمل أنه قصد تخصيص الرجولة على وجه تعديد النعمة في أن لم يكن أُنثى ولا خُنثى، وذكر الطبري نحو هذا[٤].

واختلفت القراءة في قوله: ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾، فقرأ ابن عامر، ونافع في رواية المسيبي: ﴿لَكِنَّا﴾ في الوصل والوقف، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي، ﴿لَكِنَّ﴾ في الوصل، و﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ في الوقف، ورجَّحها الطبري، وهي رواية ورش، وقالون عن نافع[٥].

وقرأ ابن مسعود، وأُبيُّ بن كعب، والحسن: (لَكِنْ أَنَا هُوَ اللَّهُ رَبِّي).

وفي قراءة عيسى الثقفي، والأعمش بخلاف: (لكِنْ هُوَ اللَّهُ رَبِّي)[٦].

---

(١) زيادة من الإماراتية١ ونجيبويه.

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٩٠)، وانظر: المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٤٠).

(٣) وهما شاذتان، مخالفتان للمصحف، تابعه عليهما في البحر المحيط (٧/ ١٧٧).

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ٢٣).

(٥) انظر: التيسير (ص: ١٤٣)، ورواية المسيبي في السبعة (ص: ٣٩١)، وفي المطبوع: «المَسِيليِّ»، وعر ف به في الحاشية!

(٦) وهما شاذتان، انظر نسبة الأولى لأبي في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٨٧)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٩٥)، ومع الحسن في مختصر الشواذ (ص: ٨٢)، ومع الثانية في المحتسب (٢/ ٢٩)، ولم أجدها للأعمش، وانظر البحر المحيط (٧/ ١٧٩).

فأما هذه الأخيرة فَبَيِّنٌ[١] على الأمر والشأن، وأما التي[٢] قبلها فعلى / [٣/ ٢٠٧] معنى: لكن أنا أقول[٣]، ومن هذه الفرقة من قرأ: (لَكِنَنَا) على حذف الهمزة وتخفيف النونين[٤]، وفي هذا نظر، وأما من قرأ: ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ فأصله عنده (لكِنْ أَنَا)، حذفت الهمزة على غير قياسٍ، وأُدغمت النون في النون، وقال بعض النحويين: نُقلت حركة الهمزة إلى النون فجاءَ (لَكِنَنَا)، ثم أُدغمت بعد ذلك فجاء ﴿لكِنَّا﴾، فرأى بعض القُرَّاءِ أنَّ بالإدغام استُغني عن الألف الأخيرة، فمنهم من حذفها في الوصل، ومنهم من أثبتها في الوصل والوقف؛ لتدلَّ على أصل الكلمة.

ويتوجَّه في ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ أن تكون (لَكِنْ) لحقتها نون الجماعة التي في خَرَجْنَا وَضَرَبْنَا، ووقع الإدغام لاجتماع المِثْلين، ووحَّد في ﴿رَبِّي﴾ على المعنى، ولو اتبع اللفظ لقال: رَبُّنَا، ذكره أبو علي[٥].

ويترجَّح بهذا التعليل قولُ مَن أثبت الألف في حالي الوصل والوقف، ويتوجه في ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ أن تكون المشهورةَ من أخوات (إنَّ)، المعنى: لكنَّ قولي هو الله ربِّي.

أما إنِّي[٦] لا أعرف من يقرأ بها وصلًا ووقفاً، وذلك يلزم من يُوَجِّه هذا الوجه.

وَرَوى هارون عن أبي عمرو: (لَكِنَّهُ هو اللَّهُ رَبِّي)[٧] بضمير لَحِقَ (لَكِنَّ)، وباقي الآية بَيِّنٌ.

---

(١) في أحمد٣: «فتبنى».

(٢) في المطبوع: «الذي».

(٣) في المطبوع: «لكن إنما أقول».

(٤) في المطبوع: «التنوين».

(٥) الحجة للفارسي (٥/ ١٤٦).

(٦) في المطبوع: «إلَّا أني»، وفي أحمد٣: «إما لأني».

(٧) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٨)، ونقل في مختصر الشواذ (ص: ٨٢) عن أبي عمرو: أنه يقف بالهاء.

وقوله: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ الآية، وصيةٌ من المؤمن للكافر، و(لولا) تحضيض بمعنى: هَلَّا، و﴿مَا﴾ يحتمل أن تكون بمعنى: الذي، بتقدير: الذي شاء الله كائن، وفي ﴿شَآءَ﴾ ضمير عائد، ويحتمل أن تكون شَرْطِيَّة بتقدير: ما شاء الله كان، ويحتمل أن تكون خبر ابتداء محذوف تقديره: هو ما شاء الله، أو الأمر ما شاء الله.

وقوله: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ تسليمٌ وصدٌّ لقول الكافر: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾، وروي عن النبي ﷺ أنه قال لأبي هريرة: «ألا أَدُلُّك على كلمة من كنز الجنة؟» قال: بلى يا رسول الله، قال: «لَا قُوَّة إِلَّا بالله، إذا قالها العبد قال الله عزَّ وجلَّ: أسلمَ عبدي واستسلمَ»[1].

وفي حديث أبي موسى: أن النبي ﷺ قال له: «يا عبد الله بن قيس: ألا أَدُلُّك على كنز من كنوز الجنة؟» قال: افعل يا رسول الله، قال: «لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العلي العظيم»[2].

---

(١) أسانيده لا تخلو من مقال وله شاهد في الصحيح، أخرجه علي بن الجعد في مسنده (١٧٠٧)، وإسحاق بن راهويه (٢٥٢)، وأحمد (٢/ ٢٩٨)، وابن منده في التوحيد (١٧٩)، والنسائي في الكبرى (٩٧٥٧)، وفي عمل اليوم والليلة (١٣)، والطبراني في الدعاء (١٦٣٣-١٦٣٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢١)، والبيهقي في الدعوات الكبير (١٣٥) من طرق عن أبي بلج واسمه يحيى ابن أبي سليم، عن عمرو بن ميمون الأودي، عن أبي هريرة رضي الله عنه به مرفوعاً، وهذا إسناد جيد مع لين فيه؛ لأجل يحيى بن أبي سليم أبي بلج الفزاري، وقد أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٥٤٧)، وابن أبي شيبة (٣٦٤١٢)، وأحمد (٢/ ٣٠٩-٥٢٠-٥٢٥-٥٣٥)، والنسائي في الكبرى (١٠١١٨) من طريق كميل بن زياد، عن أبي هريرة بلفظ: «ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟» فقلت: بلى يا رسول الله، قال: «تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولا ملجأ من الله إلا إليه»، وفيه ذكر حق الله على العباد، وحق العباد على الله، وهو غريب في هذا الحديث، وليس فيه: قال الله عز وجل: أسلم عبدي واستسلم، وعلى كل حال فكميل وإن وثق إلا أنه لا يحتج بما ينفرد به، وله طرق أخرى عن أبي هريرة لا تسلم من علة، ويقويه حديث أبي موسى الآتي.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٣٨٤)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

واختلفت القراءة في حذف الياء من ﴿تَـرَنِ﴾ وإثباتها، فأثبتها ابن كثير وصلاً ووقفاً، وحذفها ابن عامر، وعاصم، وحمزة فيهما، وأثبتها نافع، وأبو عمرو في الوصل فقط[١].

وقرأ الجمهور: ﴿أَقَلَّ﴾ بالنصب على المفعول الثاني.

وقوله: ﴿أَنَا۠﴾ فاصلة مُلْغَاةٌ.

وقرأ عيسى بن عمر: (أَقَلُّ) بالرفع[٢] على أن يكون (أَنَا) مبتدأ، و(أَقَلُّ) خبره، والجملة في موضع المفعول الثاني، و«الرُّؤْية» رؤْية القلب في هذه الآية.

قوله عز وجل: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾﴾.

هذا التَّرَجِّي بـ(عسى) يحتمل أن يريد به: في الدنيا، ويحتمل أن يريد: في الآخرة، وتمني ذلك في الآخرة أشرف مقطعاً، وأذهب مع الخير والصلاح، وأن يكون ذلك يراد به الدنيا أذهبُ في نكاية هذا[٣] المخاطب، وأشد إيلاماً لنفسه.

و«الحُسْبَانُ»: العذاب كالبرد والصر ونحوه، واحِدُ الحُسْبَان: حُسْبَانة، وهي المرامي من هذه الأنواع المذكورة، وهي سهام تُرمى دفعة بآلة لذلك.

---

(١) وكلها سبعية، والكسائي مع حمزة وعاصم، انظر: السبعة (ص: ٣٩١)، وفي التيسير (ص: ١٤٧) عن ورش الحذف في الحالين.

(٢) وهي شاذة، انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٨٩)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٢٨٨) لابن أبي عبلة.

(٣) في أحمد٣: «العدو»، بدل: «هذا».

و«الصَّعِيدُ»: وجهُ الأرض، و«الزَّلَقُ»: الذي لا تثبت فيه قدم، يعني أنه تذهب أشجاره ونباته، ويبقى أرضاً قد ذهبت منافعها حتى منفعةُ المشي، فهي وحْل لا تُنْبت ولا تَثْبُت فيه قدم.

و«الغَوْرُ» مصدر يوصف به الماءُ المفرد والمياه الكثيرة، كقولك: رجل عَدْل وامرأة عَدْل ونحوه، ومعناه: ذاهباً في الأرض لا يُستطاع تناوله.

وقرأت فرقة: (غُوراً) [بضم الغين][1]، وقرأت فرقة: (غُؤُراً) بضم الغين وهمز الواو[2].

وغَوْرٌ مثل نَوْح يوصف به الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث، ومنه قول الشاعر:

[الوافر]
تَظَلُّ جِيَادُهَا نَوْحاً عَلَيْهِ مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَها صُفُونَا[3]

وهذا كثير، وباقي الآية بيِّن.

وقوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ الآية، هذا خبر من الله عن إحاطة العذاب بحال هذا الـمُمَثَّل به.

وقد تقدم القول في الثَّمر، غير أن الإحاطة كناية عن عموم العذاب والفساد.

و﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ يريد: يضع بطن إحداهما على ظهر الأخرى، وكذلك فِعْل المتلهِّف المتأسِّف على فائتٍ أو خسارة أو نحوها، ومن عبَّر بـ(يُصَفِّق) فلم يُتقن.

وقوله: ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ يريد أن السقوف وقعت، وهي العروش، ثم تهدَّمت الحيطان عليها فهي خاوية، والحيطان على العروش.

---

(١) ليس في الأصل، وهي شاذة عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٢٨٨) للبرجمي عن شعبة.
(٢) وهي شاذة، انظرها في البحر المحيط (٧/ ١٨٠).
(٣) البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته، انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٤٠٣)، والمحتسب (٢/ ٨٠)، ومقاييس اللغة (٤/ ٨٦).

﴿وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ قال بعض المفسرين: هي حكاية عن قول الكافر هذه المقالة في الآخرة، ويحتمل أن يريد أنه قالها في الدنيا على جهة التوبة بعد حُلُول المصيبة، ويكون فيها زجرٌ للكفرة من قريش أو غيرهم؛ لئلا تجيء لهم حالٌ يؤمنون فيها بعد نِقَمٍ تحل بهم.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وعاصم، وأبو عمرو، والحسن، وأبو جعفر، وشيبة: ﴿وَلَمۡ تَكُن﴾ بالتاء على لفظة الْفِئَة.

وقرأ حمزة، والكسائي، ومجاهد، وابن وثاب: ﴿ولم يكن﴾ بالياء[1] على المعنى.

و«الفِئَةُ»: الجماعة التي يلجأُ إلى نصرها، وقال مجاهد: هي العشيرة[2].

قال القاضي أبو محمد: وهي عندي من: فاءَ يفيءُ، وزنها فِعْلة؛ فِـيْئَة[3] حذفت العين تخفيفاً، وقد قال أبو علي وغيره: هي من فَأَوْتُ وليست من فاء، وهذا الذي قالوه أدخل في التصريف، والأول أحكم في المعنى.

وقرأ ابن أبي عبلة: ﴿فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ﴾[4].

وقوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ يحتمل أن يكون ظرفاً لقوله: ﴿مُنتَصِرًا﴾، ويحتمل أن / [٣/ ٢٠٨]
تكون ﴿ٱلۡوَلَٰيَةُ﴾ مبتدأ، و﴿هُنَالِكَ﴾ خبره.

وقرأ حمزة، والكسائي، والأعمش، ويحيى بن وثاب: ﴿الوِلايَةُ﴾ بكسر الواو، وهي بمعنى الرياسة والزعامة ونحوه، وقرأ الباقون: ﴿ٱلۡوَلَٰيَةُ﴾ بفتح الواو[5]، وهي بمعنى الموالاة والصلة ونحوه.

---

(١) انظر: التيسير (ص: ١٤٣)، والسبعة (ص: ٣٩٢)، وللباقين البحر المحيط (٧/ ١٨١).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٢٨).

(٣) كتبت في الأصل: «فئة».

(٤) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٩).

(٥) انظر: التيسير (ص: ١٤٣)، والسبعة (ص: ٣٩٢)، والباقين في البحر المحيط (٧/ ١٨١).

وحُكي عن أبي عمرو، والأصمعي: أن كَسْرَ الواو هنا لحن؛ لأن فِعَالَة إنما تجيءُ فيما كان صنعة أو معنىً متقلَّداً، وليس هنا تولي أمر[١].

وقرأ أبو عمرو، والكسائي: ﴿الحَقُّ﴾ بالرفع على جهة النعت[٢] لـ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾.

وقرأ الباقون: ﴿ٱلْحَقِّ﴾ بالخفض على النعت للَّهِ عزَّ وجلَّ.

وقرأ أبو حيوة: (لله الحَقَّ) بالنصب[٣].

وقرأ الجمهور: ﴿عُقُباً﴾ بضم العين والقاف، وقرأ عاصم، وحمزة، والحسن: ﴿عُقْبًا﴾ بضم العين وسكون القاف وتنوين الباء[٤].

وقرأ عاصم أيضاً: (عُقْبَى) بياءِ التأنيث[٥].

و«العُقْب»[٦] و«العُقُبُ» بمعنى: المعاقبة.

قوله عز وجل: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾.

قوله: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يريد حياة الإنسان بما يتعلق بها من نعم وترفُّهٍ[٧].

---

(١) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ١٦٦).

(٢) في الأصل: «البعث».

(٣) الأولى والثانية سبعيتان، انظر: السبعة (ص: **٣٩٢**)، والتيسير (ص: **١٤٣**) وقراءة أبي حيوة شاذة كما في مختصر الشواذ (ص: ٨٣).

(٤) انظر: السبعة (ص: **٣٩٢**)، والتيسير (ص: **١٤٣**)، وزاد في نجيبويه: «الكسائي» في الثانية، ولعله خطأ.

(٥) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: **٢٨٩**) لرواية المفضل من طريق الخبازي.

(٦) ليست في نور العثمانية.

(٧) في المطبوع ونجيبويه والإماراتية: «وثروة».

وقوله: ﴿كَمَآءٍ﴾ يريد: هي كماءٍ، وقوله: ﴿فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ﴾؛ أي: فاختلط النَّباتُ بعضه ببعض بسبب الماء، فالباءُ في ﴿بِهِۦ﴾ باءُ السبب؛ فـ﴿أصبحَ﴾ عبارة عن صيرورته إلى ذلك، لا أنه[1] أراد اختصاصاً بوقت الصباح، وهذا كقول الرَّبيع بن ضَبُع:

أَصْبَحْتُ لا أَحْمِلَ السِّلاحَ وَلا أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا[2] [المنسرح]

و«الهَشِيمُ»: الـمُتَفَتِّت من يابس العُشب، ومنه قوله تعالى: ﴿كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١]، ومنه: هشم الثريد.

و﴿تَذۡرُوهُ﴾ بمعنى: تُفَرِّقُه، وقرأ ابن عباس: (تُذْرِيهِ)[3]، والمعنى: تقلعه وترمي به.

وقرأ الحسن: (تَذْرُوهُ الرِّيحُ) بالإفراد، وهي قراءة طلحة، والنَّخعي، والأعمش[4].

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ عبارة للإنسان عن أن الأمر قبل وجود الإنسان هكذا كان؛ إذ نفسه حاكمة بذلك في حال عقله، هذا قول سيبويه، وهو معنى صحيح.

وقال الحسن: (كَانَ) إخبارٌ عن الحال قبل إيجاد الموجودات[5]؛ أي: إن القُدرة كانت، وهذا أيضاً حسَنٌ.

[وقوله: ﴿كُلِّ شَيۡءٍ﴾ يريد: من الأشياء الـمُقَدَّرَة.

قال القاضي أبو محمد: لا الـمُحَالات وغيرها من الأشياء التي لا يوصف الله تعالى بالقدرة عليها، ولا بالعجز عنها، وهذا على تسمية المحال شيئاً، من حيث هو

---

(١) في نجيبويه: «إلا أنه»، وفي حاشية المطبوع: «في أكثر الأصول: لأنَّه»، وهو خطأ من النساخ، ولم أجدها في نسخة مما عندنا.

(٢) تقدم الاستشهاد به مراراً.

(٣) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٣)، ونقل عن ابن مسعود يذريه بالياء.

(٤) أبعد النجعة، فهي سبعية لحمزة والكسائي كما في التيسير (ص: ٧٨)، والسبعة (ص: ١٧٣)، وخلف كما في النشر (٢/ ٢٢٣)، وأغرب منه أن أبا حيان لم يزد عليه (٧/ ١٨٥) إلا: زيد بن علي وابن أبي ليلى وابن محيصن وخلف وابن عيسى وابن جرير.

(٥) انظر قولي سيبويه والحسن في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٩١)، وانظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٩٧).

معقول لا واقع، وقد جاء أن زلزلة الساعة شيءٌ][(١)].

فمعنى هذا التأويل[(٢)]: تشبيه حال المرء في حياته وماله وعزته وزَهْوه وبَطَره بالنبات الذي له خُضرة ونَضرة عن المطر النَّازل، ثم يعود بعد ذلك هشيماً، ويصير إلى عدم، فمن كان له عمل صالح يبقى في الآخرة فهو الفائز، فكأن الحياة بمثابة الماء، والخضرة، والنضارة بمنزلة النعيم والعزة ونحوه.

وقوله: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ لفظه لفظ الخبر، لكن معه قرينة الضَّعَة للمال والبنين؛ لأنه في المثل قبْلُ حقَّر أمر الدنيا وبيَّـنَهُ، فكأنه يقول في هذه: فإنما[(٣)] المالُ والبنون زينة هذه الحياة الدنيا المحقَّرة، فلا تُتْبِعُوهَا أنفسكم.

وقوله: ﴿زِينَةُ﴾ مصدرٌ، وقد أخبر به عن أشخاص، فإما أن يكون على تقدير محذوف، تقديره: مَقَر زينة الحياة الدنيا[(٤)]، وإما أن نضع المال والبنين بمنزلة الغنى والكثرة.

واختلف الناسُ في (البَاقِيَات الصَّالِحَات):

فقال ابن عباس[(٥)]، وابن جبير، وأبو ميسرة، وعَمْرُو بن شُرَحْبيل: هي الصلوات الخمس[(٦)].

---

(١) زيادة من المطبوع ونجيبويه والإماراتية١.
(٢) في المطبوع ونور العثمانية ونجيبويه: «المثال».
(٣) ليست في المطبوع.
(٤) ليست في المطبوع.
(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٣٢) عن محمد بن إبراهيم الأنماطي وهو ثقة، عن يعقوب بن حميد بن كاسب، عن عبد الله بن عبد الله الأموي، عن عبد الله بن يزيد بن هرمز، عن عبيد الله بن عتبة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. ويعقوب بن كاسب ضعفه النقاد، وقال الذهبي: كان من علماء الحديث، لكنه له مناكير وغرائب، وعبد الله بن عبد الله الأموي لم أعرفه، وعبد الله بن يزيد ابن هرمز قال أبو حاتم: ليس بقوي يكتب حديثه، وهو أحد فقهاء أهل المدينة. وأخرجه عبد الرزاق (٢/ ١٢)، ومن طريقه الطبري (١٨/ ٣٢)، وابن أبي حاتم (١١٢٧١) من طريق عبد الله بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وعبد الله بن مسلم بن هرمز المكي ضعيف.
(٦) انظر أقوالهم مع قول الجمهور الآتي في تفسير الطبري (١٨/ ٣٢).

وقال الجمهور: هي الكلماتُ المأثور فضلها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العلِّي العظيم.

ورُوي في هذا حديث: «أكثِرُوا من الباقيات الصالحات»(١)، وقاله أيضاً ابن عباس(٢).

ورُوي عن رسول الله ﷺ من طريق أبي هريرة وغيره: أن هذه الكلمات هي الباقياتُ الصالحاتُ(٣).

وقال ابن عباس أيضاً: الباقيات الصالحات: كلُّ عمل صالح من قولٍ أو فعل

---

(١) ضعيف، أخرجه أحمد (٣/ ٧٥)، وأبو يعلى في مسنده (١٣٨٤)، والطبري (١٨/ ٣٤-٣٥)، وابن حبان في صحيحه (٨٤٠)، والطبراني في الدعاء (١٦٩٦-١٦٩٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥١١)، والبيهقي في الدعوات (١١٠) من طريق دراج، عن أبي السمح، عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «أكثروا من الباقيات الصالحات» قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «الملة» قيل: وما هي؟ قال: «التكبير، والتهليل، والتسبيح، والتحميد، ولا حول ولا قوة إلا بالله». وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف دراج ـ وهو ابن سمعان أبو السمح ـ في روايته عن أبي الهيثم، وهو سليمان بن عمرو العتواري.

(٢) روي عنه مرفوعاً بإسناد منقطع، أخرجه ابن مردويه في تفسيره كما عند السيوطي في الدر المنثور (٩/ ٥٥٦) من طريق الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن يثبطكم الليل فلم تقوموه وعجزتم عن النهار فلم تصوموه، وبخلتم بالمال فلم تعطوه، وجبنتم عن العدو فلم تقاتلوه، فأكثروا من سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنهن الباقيات الصالحات».

(٣) حديث فرد في إسناده مقال، أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٦١٧)، والطبري (١٨/ ٣٤)، والطبراني في الأوسط (٤٠٢٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٤٠) من طريق عبد العزيز بن مسلم القسملي، عن محمد بن عجلان، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوا جُنَّـتَـكم» قلنا: يا رسول الله من عدو قد حضر؟ قال: «لا، جنتكم من النار، قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنها يأتين يوم القيامة منجيات ومقدمات، وهن الباقيات»، ومحمد بن عجلان القرشي اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة، قال يحيى القطان: كان سعيد المقبري يحدث عن أبي هريرة، وعن أبيه عن أبي هريرة، وعن رجل عن أبي هريرة، فاختلطت عليه فجعلها كلها عن أبي هريرة. اهـ.

يبقى للآخرة، ورجحه الطبري(١)، وقول ابن عباس بكل الأقوال(٢) دليل على قوله بالعموم.

وقوله: ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾؛ أي: صاحبها ينتظر الثواب، وينبسط أَمَلُه على خير من حال ذي المال والبنين دون عمل صالح.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ الآية، التقدير: واذكر يوم، وهذا أفصح ما يُتَأَوَّل في هذا هنا.

وقرأ نافع، والأعرج، وشيبة، وعاصم، وابن مصرِّف، وأبو عبد الرحمن: ﴿نُسَيِّرُ﴾ بنون العظمة، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والحسن، وشبل، وقتادة، وعيسى: ﴿تُسَيَّرُ﴾ بالتاء وفتح الياء المشددة ﴿الجِبَالُ﴾ رفعٌ(٣).

وقرأ الحسن: (يُسَيَّـرُ) بياءٍ مضمومة، والثانية مفتوحة مشددة (الجِبَالُ) رفعاً.

وقرأ ابن محيصن: (تَسِيرُ) بتاءٍ مفتوحة وسين مكسورة، أسند الفعل إلى الجبال.

وقرأ أُبيُّ بن كعب: (وَيَوْمَ سُيِّرَتِ الْجِبَالُ)(٤).

وقوله: ﴿بَارِزَةً﴾ إمَّا أن يريد أن الأرض لذهاب الجبال والظراب والشجر برزت وانكشفت، وإما أن يريد بروز أهلها والمحشورين من سكان بطنها.

(حَشَرناهُم)؛ أي: أقمناهم من قبورهم، وجمعناهم لعرصة(٥) القيامة.

وقرأ الجمهور: ﴿نُغَادِرْ﴾ بنون العظمة، وقرأ قتادة: (تُغَادِرْ) على الإسناد إلى

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٣٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في المطبوع: «لكل الأقوام».

(٣) وهما سبعيتان، وحمزة والكسائي مع نافع، انظر: السبعة (ص: ٣٩٣)، والتيسير (ص: ١٤٤)، وانظر للباقين البحر المحيط (٧/ ١٨٧).

(٤) ثلاث قراءات شاذة، انظر الثانية في مختصر الشواذ (ص: ٨٣)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٨٩)، والكل في البحر المحيط (٧/ ١٨٧).

(٥) في المطبوع: «لعرضة»، وهي محتملة في بعض النسخ الخطية.

القدرة أو إلى الأرض، وروى أبان بن زيد عن عاصم: (يُغَادَرُ) بياءٍ مضمومة وفتح الدال (أَحَدٌ) بالرفع، وقرأ الضحاك: (فَلَمْ نُغْدِرْ) بنون مضمومة وكسر الدال وسكون الغين[١].

و«المغادرةُ»: التَّرْكُ، ومنه: غدير الماء، وهو ما تركه السيل.

وقوله: ﴿صَفًّا﴾ إفرادٌ نُزِّلَ منزلة الجمع؛ أي: صفوفاً، وفي الحديث الصحيح: «يجمع اللَّهُ الأولين والآخرين في صعيد واحد صفوفاً، يُسْمِعُهُم الداعي، وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ» الحديث بطوله[٢].

وفي حديث آخر: «أهل الجنة يوم القيامة مئة وعشرون صفّاً، أنتم منها ثمانون صفّاً»[٣].

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ إلى آخر الآية، مقاولةٌ[٤] للكفار والمنكرين للبعث، ومُضَمَّنها / التقريع والتوبيخ، والمؤمنون المعتقدون في الدنيا أنهم يبعثون يوم [٣/ ٢٠٩]

---

(١) ثلاث قراءات شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص:٢٩٠)، والبحر المحيط (٧/ ١٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) لا يصح، أخرجه الحاكم (١/ ١٥٥) من طريق: محمد بن فضيل، ثنا أبو سنان ضرار بن مرة، عن محارب بن دثار، عن ابن بريدة، عن أبيه مرفوعاً. ومن طريق مؤمل بن إسماعيل وعمرو بن محمد المنقري ـ مفرقين ـ عن: سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه كذلك، وقال الحاكم عقبه: أرسله يحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي عن الثوري. اهـ. وهذا أثبت بلا شك أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٣٧٣)، وأحمد (١/ ٤٥٣)، والبزار في مسنده (١٩٩٩)، وأبو يعلى في مسنده (٥٣٥٨)، والطبراني في الكبير (١٠٣٥٠)، وفي الأوسط (٥٣٤)، وفي الصغير (٨٢) جميعاً من طريق عفان بن مسلم، عن عبد الواحد بن زياد، عن الحارث بن حصيرة، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود. وعبد الرحمن لم يسمع من أبيه وخولف عفان في هذه الرواية، فأخرج الطبراني في الكبير (١٠٣٩٨) من طريق أحمد بن محمد بن نيزك الطوسي عن يعقوب بن إسحاق الحضرمي ثنا عبد الواحد بن زياد عن الحارث بن حصيرة عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود، به، بنحوه. ورواية عفان أثبت، وعلى كل حال فهو حديث الحارث بن حصيرة، وليس بحجة، ولفظة «بطوله» ليست في المطبوع.

(٤) في الحمزوية: «مقالة»، وفي الإماراتية١: «منازلة الكفار المنكرين».

القيامة لا تكون هذه المخاطبة لهم بوجه، وفي الكلام حذف يقتضيه القول ويُحَسِّنه الإيجاز، تقديره: يقال للكفرة منهم: ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ يفسره قول النبي ﷺ: «إنكم تحشرون إلى الله حُفاةً عراةً غُرْلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]»[(١)].

قوله عز وجل: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾.

﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ اسم جنس يراد به كُتُب الناس التي أحصاها الحفظة لواحدٍ واحدٍ، ويحتمل أن يكون الموضوع كتاباً واحداً حاضراً، و«إِشْفَاقُ الْمُجْرِمِينَ»: فزعُهم من كشفه لهم وفَضْحه، فشكاية المجرمين إنما هي من الإحصاء، لا من ظلم ولا حيف.

وقدَّم الصغيرة اهتماماً بها؛ لِيُنَبِّه منها، ويدلَّ أن الصغيرة إذا أُحصيت فالكبيرة أحرى بذلك، والعرب أبداً تقدم في الذكر الأقل من كل مقترنَين، ونحو هذا هو قولهم: القمران، والعمران، سَمَّوا باسم الأقَلِّ تنبيهاً منهم، وقال ابن عباس: الصغيرة: الضحك[(٢)]، وهذا مثالٌ، وباقي الآية بَيِّنٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الآية، هذه الآية مُضَمَّنها تقريع الكفرة، وتوقيفهم على خطئهم[(٣)] في ولايتهم العدوَّ دون الذي أنعم بكل نعمة على العموم، صغيرها وكبيرها، وتقدير الكلام: واذكر إذْ قلنا، وتكررت هذه العبارة حيث تكررت هذه القصة؛ إذ هي توطئة

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) فيه من لم أعرفه، أخرجه الطبري (١٨/ ٣٨) من طريق محمد بن موسى، عن الزيال بن عمرو، عن ابن عباس، ومحمد بن موسى هو الواسطي كما وقع عند الطبري في موضع آخر، والزيال ـ كذا وقع ـ ابن عمرو، لم أقف له على ترجمة، والله أعلم.

(٣) من أحمد ٣، وكتبت في المطبوع وأغلب النسخ: «خطابهم»، وفي الحمزوية: «حظهم».

النازلة، فأما ذكر النازلة هنا فمقدمة للتوبيخ، وذكرها في (البقرة) إعلامٌ بمبادئ الأُمور.

واختلف المتأولون في السجود لآدم:

فقالت فرقة: هو السجود المعروف، ووضع الوجه بالأرض، جعله الله تعالى من الملائكة عبادةً له، وتَـكْرِمَةً لآدمَ، فهذا كالصلاة للكعبة.

وقالت فرقة: بل كان إيماءً منهم نحو الأرض، وذلك يُسَمَّى سجوداً؛ لأن السُّجود في كلام العرب عبارة عن غاية التواضع، ومنه قول الشاعر:

.... تَـرَى الأُكْمَ فيه سُـجَّداً للْحَوَافِرِ[١] [الوافر]

وهذا جائز أن يكلفه [الخالقُ للفاضل، وجائز أن يتكلَّفه الفاضل للفاضل][٢]، ومنه قول النبي ﷺ: «قوموا إلى سيِّدكم»[٣]، ومنه تقبيل أبي عبيدة بن الجراح يدَ عمر ابن الخطاب حين تلقَّاه في سفرته إلى الشام، ذكره سعيد بن منصور في «مُصَنَّفه»[٤].

وقوله: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ قالت فرقة: هو استثناءٌ منقطع؛ لأن إِبْلِيسَ ليس من الملائكة، بل هو من الجن، وهم الشياطين المخلوقون من مارج من نار، وجميع الملائكة إنما خلقوا من نور، واختلفت هذه الفرقة: فقال بعضها: إبليس من الجن، وهو أولهم وبدأتهم، كآدم من الإنس، وقالت فرقة: بل كان إبليس وقَبِيله جنّاً، لكن جميع الشياطين اليوم من ذريته، فهو كنوح في الإنس، واحتجوا بهذه الآية، وتعنيف إِبْلِيسَ على عصيانه يقتضي أنه أُمر مع الملائكة.

---

(١) تقدم الاستشهاد به مراراً.

(٢) في الإماراتية١: «قوم» بدل «الخالق»، وهي في الإماراتية٢ والأصل وأحمد٣ ونور العثمانية والحمزوية بدلٌ من هذا كله.

(٣) هذا جزء من الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد، فأتاه على حمار، فلما دنا قريباً من المسجد قال رسول الله ﷺ للأنصار: «قوموا إلى سيدكم، أو خيركم»...

(٤) لم أقف عليه في الجزء المطبوع من «سنن سعيد بن منصور».

وقالت فرقة: إن[١] الاستثناء متصل، وإبليس من قبيل من الملائكة خلقوا من نار، فإبليس من الملائكة، وعُبِّر عن الملائكة بالجن من حيث هم مستترون، فهي صفة تعم الملائكة والشياطين، وقال بعض هذه الفرقة: كان في الملائكة صنف يُسَمَّى الجن، وكانوا في السماء الدنيا وفي الأرض، وكان إبليس مدبِّر أمرهم.

ولا خلاف أن إبليس كان من الملائكة في المعنى؛ إذ كان متصرفاً بالأمر والنهي مرسلاً، والـمَلكُ مشتق من الـمَأْلُكَة وهي الرسالة، فهو في عداد الملائكة يتناوله قول: ﴿ٱسْجُدُواْ﴾، وفي سورة البقرة وسورة الأعراف استيعاب هذه الأمور.

وقوله: ﴿فَفَسَقَ﴾ معناه: فخرج وانتزح، وقال رؤْبة:

[الرجز] تَهْوِيـنَ فـي نَجْـدٍ وغَـوْرٍ غَائِـرَا فَوَاسِـقاً عَـنْ قَصْدِهَـا جَوَائِرَا[٢]

ومنه يقال: فَسَقَت الرُّطَبَـةُ إذا خرجت عن قشرتها، [وفسقت النواة إذا خرجت عن الثمرة][٣]، وفَسَقت الفأْرة إذا خرجت من جحرها، وجميع هذا الخروج المستعمل في هذه الأمثلة إنما هو في فساد، وقول النبي ﷺ: «خمسُ فواسقَ يُقتَلْنَ في [الحِلِّ و][٤] الحرمِ»[٥]، إنما هن مفسدات.

وقوله: ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ يحتمل أن يريد: خرج عن أمر ربّه إيَّاه؛ أي: فارقَه، كما يفعل الخارج عن طريق واحد؛ أي: منه، ويحتمل أن يريد: فخرج عن الطاعة بعد أمر ربِّه بها، و(عَنْ) قد تجيءُ بمعنى (بَعْد) في مواضع كثيرة، كقولك: أطعمتني عن جوع،

(١) في المطبوع والإماراتية١ ونجيبويه: «بل».
(٢) انظر عزوه له في تفسير الماوردي (٣/ ٣١٤).
(٣) ليست في المطبوع.
(٤) زيادة من المطبوع وأحمد٣ والحمزوية.
(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٣١٤)، ومسلم (١١٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ونحوه، فكأن المعنى: فسق بعد[1] أمر ربِّه بأن يطيع، ويحتمل أن يريد: فخرج بأمر ربِّه؛ أي: بمشيئته ذلك له، ويعبر عن المشيئة بالأمر؛ إذْ هي أحد الأُمور، وهذا كما تقول: فعلت ذلك عن أمرك؛ أي: بجدِّك، وبحسب مرادك.

وقال ابن عباس في قصص هذه الآية: كان إبليس من أشرف صنف، وكان له سلطان السماء[2] وسلطان الأرض، فلما عصى صارت حاله إلى ما تسمعون[3].

وقال بعض العلماء: إذا كانت خطيئة المرء من الخطإ فلْتَرْجُه كآدم، وإذا كانت من الكبر[4] فلا تَرْجُه كإبليس[5].

ثم وقف عزَّ وجلَّ الكفرة على جهة التوبيخ بقوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ يريد: أَفَتَتَّخِذُونَ إبليس.

وقوله: ﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ ظاهر اللَّفظ يقتضي الـمُوَسْوِسِينَ مِنَ الشياطين الذين

(١) ليست في نور العثمانية، وفي المطبوع والإماراتية١ ونجيبويه: «بسبب».
(٢) في الحمزوية: «الملائكة».
(٣) له طرق لا تخلو من مقال تدل أن له أصلًا، أخرجه الطبري (١/ ٥٣٧-١٥/ ٢٨٧) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنه، بنحوه، وأخرجه أيضاً الطبري (١٨/ ٤٠) من طريق حبيب ابن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان إبليس من خزان الجنة، وكان يدير أمر سماء الدنيا، وأخرجه الطبري (١٨/ ٤٠) من طريق الضحاك قال: كان ابن عباس يقول: إن إبليس كان من أشراف الملائكة، وأكرمهم قبيلة، وكان خازناً على الجنان، وكان له سلطان السماء الدنيا وسلطان الأرض، وكان مما سولت له نفسه من قضاء الله أنه رأى أن له بذلك شرفاً على أهل السماء، فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله، فاستخرج الله ذلك الكبر منه حين أمره بالسجود لآدم، فاستكبر وكان من الكافرين، فذلك قوله للملائكة: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ يعني: ما أسرَّ إبليسُ في نفسه من الكبر. وله طرق أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما لا تسلم من ضعف، والله أعلم.
(٤) في المطبوع ونور العثمانية: «الكفر».
(٥) ممن نقل عنه هذا القول ابن عباس، كما في الهداية لمكي (٦/ ٤٤٠٢-٤٤٠٣).

يأمرون بالمنكر ويحملون على الباطل، وذكر الطبري أن مجاهداً قال: ذُرِّيَّةُ إبليس الشياطين، وكان يعدُّهم: زَلَنْبُور صاحب الأسواق، يضع رايته في كل سوق، وتُبن[١] صاحب المصائب، والأعورُ صاحب الربا[٢]، ومِسْوَطٌ صاحب الأخبار، يأتي بها فيلقيها في أفواه الناس ولا يجدون لها أصلاً، ودَاسِمٌ الذي إذا دخل الرجل بيته فلم يسلِّم ولم يذكر اسم الله بصَّره من المتاع ما لم يرفع[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا وما جانسه مـمَّا لم يأتِ به / سند صحيح فلذلك اختصرته، وقد طوَّل النقاش في هذا المعنى، وجلب حكايات تبعد من الصحة[٤]، فتركتها إيجازاً، ولم يمر بي في هذا صحيح إلَّا ما في «كتاب مسلم» من أن للوضوء[٥] والوسوسة شيطاناً يُسَمَّى خِنْـزَب[٦]، وذكر الترمذي أن للوضوء شيطاناً يسمى الولهان[٧]. [٣/ ٢١٠]

---

(١) جاء في حاشية المطبوع: هكذا في الأصول، والذي وجدناه في الطبري والقرطبي هو «ثُـبَر» بالراء، وعلى كل فجميع هذه الأسماء موضع تحريف، وما أصدق ابن عطية حين أعرض عن ذكر الكثير من ذلك، وقال: «وهذا وما جانسه مما لم يأتِ به خبر صحيح».

(٢) في المطبوع: «الرياء».

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٤٣)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣١٣).

(٤) تفسير القرطبي (١٠/ ٤٢١).

(٥) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «من أن للصلاة».

(٦) أخرجه مسلم (٢٢٠٣) من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه.

(٧) منكر، أخرجه أبو داود الطيالسي (٥٤٩)، وأحمد (٥/ ١٣٦)، والترمذي (٥٧)، وابن ماجه (٤٢١)، وابن خزيمة في صحيحه (١٢٢)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٥٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٦٢)، والبيهقي في الكبرى (١/ ١٩٧)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٣٤٥-٣٤٨) من طريق خارجة بن مصعب، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن عُتي بن ضمرة، عن أُبي بن كعب مرفوعاً. وخارجة بن مصعب الضبعي متروك، وكان يدلس عن الكذابين، وقال الترمذي: حديث أبي ابن كعب حديث غريب، وليس إسناده بالقوي؛ لأنا لا نعلم أحداً أسنده غير خارجة، وخارجة ليس بالقوي عند أصحابنا. وضعفه ابن المبارك. اهـ. وقال الحاكم: وأنا أذكره محتسباً، لما أشاهده من كثرة وسواس الناس في صب الماء. اهـ. وقال البيهقي: وهذا الحديث معلول برواية الثوري عن بيان عن الحسن بعضه من قوله غير مرفوع، وباقيه عن يونس بن عبيد من قوله =

والله العليم[١] بتفاصيل هذه الأمور، لا ربَّ غيره.

وقوله: ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾؛ أي: أعداءٌ، فهو اسم الجنس.

وقوله: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾؛ أي: بدل ولاية الله عزَّ وجلَّ بولاية إبليس وذريته، وذلك هو التعوض من الحق بالباطل، وهذا هو نفس الظلم؛ لأنه وَضْع الشيء في غير موضعه.

قوله عز وجل: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾.

الضمير في ﴿أَشْهَدتُّهُمْ﴾ عائد على الكافر[٢]، وعلى الناس بالجملة، فتَتضمَّن الآية الردَّ على طوائف من[٣] المنجمين وأهل الطبائع والمتحكمين من الأطباء وسواهم من كلِّ من يتخوض[٤] في هذه الأشياء[٥].

= غير مرفوع، ثم ساقه، وقال: هكذا رواه خارجة بن مصعب، وخارجة ينفرد بروايته مسنداً، وليس بالقوي في الرواية، وسئل عنه أبو زرعة فقال منكر. اهـ. انظر: العلل (١/ ٥٩٦-٥٩٨) وقد أخرج ابن عبد الهادي في شرح علل ابن أبي حاتم (١/ ٢٨) هذا الحديث موقوفاً على الحسن.

(١) في المطبوع ونجيبويه: «أعلم».

(٢) في نجيبويه ونور العثمانية والإماراتية١: «الكفار».

(٣) ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٤) في المطبوع: «مُتَخَرِّصٍ دون من قبلها»، وفي نجيبويه والإماراتية١: «يتخرص»، وفي نور العثمانية: «يتحرض».

(٥) المنجمون هم من يقول بنسبة خلقة الأشياء إلى الأفلاك والنجوم، انظر تعريفهم ونسبة القول لهم في: تمهيد الأوائل (١/ ٦٦-٦٧)، وشرح المقاصد (٢/ ٨٦)، وأهل الطبائع هم القائلون بنسبة خلقة الأشياء إلى عناصر الطبيعة وامتزاجها، انظر في تعريفهم ونسبة القول لهم: الرسالة الصفدية لابن تيمية (١/ ٢٤٢)، وتلبيس إبليس لابن الجوزي (١/ ٤١)، ولمزيد من التوسع انظر: الملل والنحل (١/ ٧٣).

قال القاضي أبو محمد: وحدثني أبي رضي الله عنه قال: سمعتُ الفقيه أبا عبد الله محمد بن معاذ[١] المهدوي بالمهدية يقول: سمعت عبد الحق الصقلِّي[٢] يقول هذا القول ويتأول هذا التأويلَ في هذه الآية، وأنها رادَّة على هذه الطوائف، وذكر هذا بعض الأُصوليين[٣].

وقيل: الضمير في ﴿أَشْهَدتُّهُمْ﴾ عائد على ذُرِّيَّة إبليس، فهذه الآية على هذا تتضمن تحقيرهم، والقول الأول أعظم فائدة، وأقول: إن الغرض المقصود أولاً بالآية هم إبليس وذرِّيَّته، وبهذا الوجه يتَّجه الردُّ على الطوائف المذكورة، وعلى الكهان والعرب المصدقين لهم والمعظِّمين للجن حين يقولون: أعوذ بعزيز هذا الوادي؛ إذ الجميع من هذه الفِرق متعلقون بإبليس وذرِّيَّته، وهم أضلوا الجميع، فهم المرادُ الأول بالـمُضِلِّين، وتندرج هذه الطوائف في معناهم.

وقرأ الجمهور: ﴿أَشْهَدتُّهُمْ﴾.

[وقرأ أبو جعفر وعون[٤] العقيلي، وأيوب السَّخْتِياني: ﴿أَشْهَدْنَاهُم﴾[٥].

وقرأ الجمهور: ﴿وَمَا كُنتُ﴾][٦].

---

(١) في الأصل ونور العثمانية: ونجيبويه «معاد»، وقد سماه المؤلف في فهرسه (ص: ٦٥): أبا عبد الله محمد بن معاذ التميمي القيرواني، وذكر أن أباه عبد الحق قرأ عليه صحيح البخاري بالمهدية قبل طلوعه إلى الحج سنة (٤٦٩هـ).

(٢) هو عبد الحقّ بن محمد بن هارون أبو محمد السَّهمي الصَّقلي، الفقيه المالكي، أحد علماء المغرب، حجّ فلقي القاضي عبد الوهاب وأبا ذر الهروي، وجالس بمكّة بعد ذلك إمام الحرمين، له كتاب النُّكَت، تُوفي سنة (٤٦٦هـ). تاريخ الإسلام (٣١/ ٢٠١).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ١).

(٤) وفي المطبوع: «عوف»، وأصلحناه من هذه النسخة، والمصادر المذكورة في تخريج القراءة.

(٥) عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣١١)، وعزاها لهم في مختصر الشواذ (ص: ٨٣).

(٦) ليس في الأصل ونور العثمانية والإماراتية٢.

وقرأ أبو جعفر والجحدري[1]، والحسن بخلاف: ﴿وما كنتَ﴾[2].

والصفة بـ﴿ٱلْمُضِلِّينَ﴾ تترتب في الطَّوائف المذكورة، وفي ذرِّيَّة إبليس لعنه الله.

و«العَضُد» استعارة للمعين والـمُؤَازر، وهو تشبيه بعَضد الإنسان الذي يستعين به.

وقرأ الجمهور: ﴿عَضُدًا﴾ بفتح العين وضم الضاد، وقرأ أبو عمرو، والحسن بضمهما، وقرأ الضحاك بكسر العين وفتح الضاد، وقرأ عكرمة: (عُضْداً) بضم العين وسكون الضاد، وقرأ عيسى بن عمر: (عَضَداً) بفتح العين والضاد[3]، وفيه لغات غير هذا لم يُقْرأْ بها.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾، الآية وعيدٌ، المعنى: واذكر يومَ.

وقرأ طلحة، ويحيى، والأعمش، وحمزة: ﴿نَقُولُ﴾ بنون العظمة، وقرأ الجمهور بالياء[4]، أي: يقول الله تعالى للكفار الذين أشركوا به من الدنيا سواه: ﴿نَادُواْ شُرَكَآءِيَ﴾ على وجه الاستغاثة بهم.

وقوله: ﴿شُرَكَآءِيَ﴾، أي: على دعواكم أيها المشركون، وقد بَيَّن هذا بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾.

وقرأ ابن كثير وأهل مكة: (شُرَكَايَ)[5] بياءٍ مفتوحة، وقرأ الجمهور: ﴿شُرَكَآءِيَ﴾

---

(١) في المطبوع: «أبو جعفر الجحدري» بلا واو على أنها صفة له، وهو خطأ.

(٢) عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣١١)، وعزاها لهم في البحر المحيط (٧/ ١٩١) وزاد شيبة.

(٣) أربع قراءات شاذة، عزا الأولى في الكامل (ص: ٥٩٢) لهارون، وخارجة، والخفاف، وأبي زيد عن أبي عمر في قول أبي علي، والثالثة لنعيم، وعباس، وعزاها في الكشاف (٢/ ٧٢٨) للحسن، وعزا الرابعة في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٦٨) للحسن، وفي مختصر الشواذ (ص: ٨٤) له وللجحدري ويزيد، والكل في البحر المحيط (٧/ ١٩١).

(٤) انظر: السبعة (ص: ٣٩٣)، والتيسير (ص: ١٤٤)، وانظر موافقة الباقين لحمزة في البحر المحيط (٧/ ١٩١).

(٥) كتبت في المطبوع: «شركائي»، بالهمز قبل الياء مثل قراءة الجمهور، ولعله خطأ.

بهمزة، فمنهم من حقَّقها، ومنهم من خَفَّفَها[١].

و«الزَّعْمُ» إنما هو مستعمل أبداً في غير اليقين، بل أغلبه في الكذب، ومنه هذه الآية.

وأرفع مواضعه أن تستعمل (زعم) بمعنى: (أخبر) حيث تلقي[٢] عهدة الخبر على المخبر، كما يقول سيبويه رحمه الله: زعم الخليل[٣].

وقوله: ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ ظاهره أن ذلك يقع حقيقة، ويحتمل أن يكون استعارة، كأن فكرة الكفار ونظرهم في أن تلك الجمادات لا تغني شيئاً ولا تنفع هي بمنزلة الدعاء وترك الإجابة، والأول أَبْيَن.

واختلف المتأولون في قوله: ﴿مَّوْبِقًا﴾: قال عبد الله بن عمرو[٤]، وأنس بن مالك[٥]، ومجاهد: هو وادٍ في جهنم يجري بدمٍ وصَديدٍ[٦]، قال أنس: يحجز بين أهل

---

(١) الثانية متواترة، والأولى نقلها في السبعة (ص: ٣٧١) في سورة النحل عن البزي عنه، قال في النشر (٢/ ٣٠٣) وذكره الداني حكاية لا رواية، وأما الثالثة فلم أقف عليها.

(٢) في أحمد٣ ونور العثمانية والحمزوية والإماراتية١: «تبقى».

(٣) تكررت في الكتاب كثيراً، انظر مثلًا: (١/ ٧٢).

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٤٦)، والبيهقي في البعث والنشور (٥٢١) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قال: ذكر لنا أن عمراً البكالي حدث عن عبد الله بن عمرو، قال: هو واد عميق فرق به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلال. وهذا إسناد منقطع؛ لعدم سماع قتادة من عمرو البكالي.

(٥) أخرجه أحمد في الزهد (ص: ٣١١، ٣١٢)، والطبري (١٨/ ٤٧)، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ٣٨٦)، وابن حبان في الثقات (٥/ ٥٣٨)، والبيهقي في البعث (٥٢٠) من طريق عبد الصمد ابن عبد الوارث، عن يزيد بن درهم، قال سمعت أنس بن مالك يقول في قول الله جل وعلا: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ قال: واد في جهنم من قيح ودم، ويزيد بن درهم أبو العلاء العجمي قال فيه ابن معين: ليس بشيء، وقال ابن حبان: يخطئ كثيراً، وذكر له هذا الحديث، وذكره العقيلي في الضعفاء بهذا الحديث، وقال ابن عدي: لا أعرف له كثير رواية إلا مقاطيع عن التابعين وعن الصحابة، ووثقه عبد الصمد بن عبد الوارث لمَّا روى عنه، وكذا الفلاس. وانظر: الجرح والتعديل (٩/ ٢٦٠)، والثقات لابن حبان (٥/ ٥٣٨).

(٦) تفسير الطبري (١٨/ ٤٧).

النار وبين المؤمنين(١)، فقوله على هذا: ﴿بَيْنَهُم﴾ ظرفٌ، وقال الحسن: ﴿مَّوْبِقًا﴾ معناه: عداوةً(٢)، و﴿بَيْنَهُم﴾ على هذا ظرفٌ، وبعض هذه الفرقة يرى أن الضمير في قوله: ﴿بَيْنَهُم﴾ يعود على المؤمنين والكافرين، ويحتمل أن يعود على المشركين ومعبوداتهم [في الدنيا، وأما التأويل الأول فالضمير فيه عائد على المشركين ومعبوداتهم](٣).

وقال ابن عباس: ﴿مَّوْبِقًا﴾ معناه: مهلكاً(٤)، بمنزلة: موضع، وهو من قولك: وَبِقَ الرجلُ، وأَوْبَقَه غيرُه: إذا أهلكه، فقوله: ﴿بَيْنَهُم﴾ على هذا التأويل يصح أن يكون ظرفاً، والأظهر فيه أن يكون اسماً بمعنى: وجعلنا تواصلهم(٥) أمراً مهلكاً لهم، ويكون ﴿بَيْنَهُم﴾ مفعولاً أولاً لـ﴿وَجَعَلْنَا﴾، وعبَّر بعضهم عن الـمَوْبِق بالوعيد، وهذا ضعيف.

ثم أخبر عزَّ وجلَّ عن رؤية المجرمين النار ومعاينتهم لها، ووقوع العِلْم لهم بأنهم مُبَاشِرُوها، وأطلق الناس أن الظَّنَّ هنا بمعنى اليقين، ولو قال بدل (ظَنُّوا): أَيْقَنُوا لكان الكلام مُتَّسقاً على مبالغة فيه، ولكن العبارة بالظَّن لا تجيءُ أبداً في موضع يقين تام قد ناله الحسُّ(٦)، بل أعظم درجاته أن يجيءَ في موضع عِلْم متحقق لكنه لم يقع ذلك المظنون، وإلَّا فما(٧) يقع ويُحَسُّ لا يكاد توجد في كلام العرب العبارة عنه بالظَّنِّ، وتأمل هذه الآية، وتأمل قول دُرَيْد:

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ(٨) .... [الطويل]

---

(١) هذا بقية حديث عبد الله بن عمرو المتقدم، ولم أجده من كلام أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) تفسير الماوردي (٣/ ٣١٦)، وتفسير الطبري (١٨/ ٤٦).

(٣) زيادة من المطبوع والإماراتية١ ونجيبويه.

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٤٦) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) في المطبوع: «تواصهم».

(٦) في نور العثمانية: «قاله الحسن».

(٧) في نجيبويه والإماراتية١: «فمذ»، وفي نور العثمانية: «فقد».

(٨) صدر بيت قاله دُرَيْدُ بن الصِّمَّة من قصيدة له يرثي بها أخاه عبد الله، وقد تقدم مراراً.

وقرأ الأعمش: (فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُلاقُوهَا)، وكذلك في مصحف ابن مسعود، وحكى أبو عمرو الداني عن علقمة أنه قرأ: (مُلافُّوهَا) بالفاء مشددة، من لَفَّفت[1]، وروى أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إن الكافر لَيَرَى جهنَّمَ ويظنُّ أنها مواقعتُه من مسيرة أربعين سنة»[2].

[٣/ ٢١١] و«المَصْرِفُ»: المَعْدِلُ والمراغ[3]، ومنه قول أبي كبير الهذلي:/

[الكامل] أَزُهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَصْرِفِ أَمْ لا خُلُودَ لِبَاذِلٍ مُتَكَلِّفِ[4]

وهو مأخوذ من الانصراف من شيءٍ إلى شيءٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ الآية، المعنى: ولقد خَوَّفنا ورَجَّيْنا وبالغنا في البيان، وهذا كله بتمثيل وتقريب للأذهان.

وقوله: ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾؛ أي: من كلِّ مثل له نفعٌ في الغرض المقصود بهم، وهو الهداية.

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ خبرٌ مُقْتَضَب في ضمنه: فلم ينفع فيهم تصريف الأمثال، بل هم قوم[5] منحرفون يجادلون بالباطل.

وقوله: ﴿ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ يريد به الجنس، ورُوي: أن سبب الآية هو النضر بن الحارث،

---

(١) البحر المحيط (٧/ ١٩٢).

(٢) ضعيف، أخرجه أحمد (١٨/ ٢٤٢، ٢٤٣)، وأبو يعلى في مسنده (١٣٨٥)، والطبري (١٥/ ٢٩٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٩٧) من طريق دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري فذكره.. مرفوعاً، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف دراج ـ وهو ابن سمعان أبو السمح في روايته عن أبي الهيثم، وهو سليمان بن عمرو العتواري.

(٣) ليست في المطبوع ونجيبويه والإماراتية١.

(٤) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٤٠٧)، وتفسير الطبري (١٨/ ٤٨)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣١٧)، والمحكم لابن سيده (٧/ ٣٦).

(٥) من المطبوع والإماراتية١.

وقيل: ابن الزِّبَعْرى[1]، ورُوي: أن رسول الله ﷺ دخل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد نام عن صلاة الليل فأَيقظه وعاتبه[2]، فقال له عليٌّ: إنما نفسي بيد الله، ونحو هذا، فخرج رسول الله ﷺ وهو يضرب فخذه بيده ويقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾[3]، فقد استعمل الآية على العموم في جميع الناس.

و«الجَدَلُ»: الخصام والمدافعة بالقول، فالإنسان أكثر جَدَلاً من كلِّ ما يجادِلُ من ملائكة وجِنٍّ وغير ذلك إن فُرض.

وفي قوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ تعليم تَفَجُّع مَّا على الناس، ويبين فيما بعد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾.

هذه آية تأَسُّف عليهم، وتنبيهٌ على فساد حالهم؛ لأن هذا المنع لم يكن بِقَصْد منهم أن يمتنعوا لِيجيئَهم العذابُ، وإنما امتنعوا هم مع اعتقادهم أنهم مصيبون، لكن الأمر في نفسه يسوقهم إلى هذا، فكأن حالهم تقتضي التَّأَسُّف عليهم.

---

(١) يشير المؤلف إلى قصة رواها الطبري (١٨/ ٥٣٩) من طريق محمد بن إسحاق قال: جلس رسول الله ﷺ فيما بلغني يوماً مع الوليد بن المغيرة، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم... وأقبل عبد الله ابن الزِّبَعْرى بن قيس بن عديّ السهمي حتى جلس..لكن فيه: فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾... إلى ﴿خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] وليس فيه آية سورة الكهف.

(٢) ليست في الأصل ونجيبويه.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١١٢٧)، ومسلم (٧٧٥) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

و﴿ٱلنَّاسَ﴾ يُرادُ به كفار عصر رسول الله ﷺ الذين تَوَلَّوْا دفع الشريعة وتكذيبها.

و﴿ٱلْهُدَىٰٓ﴾ هو شرع الله، والبيانُ الذي جاء به محمد ﷺ.

و«الاسْتِغْفَارُ» هنا طلب المغفرة على فارط الذَّنب كُفْراً وغيره.

و«سُنَّـةُ الْأَوَّلِينَ»: هي عذابُ الأمم المذكورة من الغَرَق والصيحة والظُّلَّة والريح وغير ذلك.

قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾؛ أي: مقابلةً عياناً، والمعنى عذاب غير المعهود، فتظهر فائدة التقسيم، وكذلك صدق هذا الوعيد في بدر.

وقال مجاهد: ﴿قُبُلًا﴾ معناه: فجأة[1].

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، ومجاهد، وعيسى بن عمر: ﴿قِبَلاً﴾ بكسر القاف وفتح الباء، وقرأ عاصم، والكسائي، وحمزة، والحسن، والأعرج: ﴿قُبُلًا﴾ بضم القاف والباء[2].

ويحتمل مَعْنَـيَيْن: أحدهما أن يكون بمعنى: (قِبَل)؛ لأن أبا عبيدة[3] حكاهما بمعنى واحد في المقابلة[4]، والآخر أن يكون جمع قَبِيل؛ أي: يجيئهم العذاب أنواعاً وألواناً.

وقرأ أبو رجاءٍ، والحسن أيضاً: (قُبْلاً) بضم القاف وسكون الباء[5].

قولـه: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الآيـة، كأنـه لـمَّـا تفجَّـع عليهم وعلـى ضلالهم

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٤٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦٩)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٧٨)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٠).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٩٣)، والتيسير (ص: ١٤٤)، وانظر الباقين في البحر المحيط (٧/ ١٩٤)، وزاد آخرين.

(٣) في المطبوع: «أبا عيسى».

(٤) نقله في البحر المحيط (٧/ ١٩٤)، وفي مجاز القرآن (١/ ٤٠٧): إن فتحوا أولها فالمعنى: «استئنافاً»،.. وإن ضمّوا فالمعنى: «مقابلة».

(٥) وهي شاذة، عزاها للحسن في الشواذ للكرماني (ص: ٢٩١)، ولهما في البحر المحيط (٧/ ١٩٤).

ومصيرهم بآرائهم إلى الخسار، قال: وليس الأمر كما ظنُّوا، والرُّسُلُ لم نبعثهم لِيُجَادَلُوا، ولا لِتُتَمَنَّى عليهم الاقتراحات، وإنما بعثناهم مبشرين مَنْ آمن بالجنَّة، ومُنذرين من كفر بالنار.

و(يُدْحِضُوا) معناه: يزهقوا، و«الدَّحض»: الطِّين الذي يُزْلَق فيه، ومنه قول الشاعر:

وردت ونَجَّى الْيَشْكُرِيَّ نجاؤه وحَادَكما حَادالْبَعِيرُعَنِ الدَّحْضِ[1] [الطويل]

و قوله: ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ﴾ إلى آخر الآية توعُّد، والآيات تجمع آيات القرآن والعلامات التي ظهرت على لسان محمد ﷺ.

وقوله: ﴿وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا﴾ يريد: من عذاب الآخرة، والتقدير: وما أُنذروه، فحذف الضمير، و«الهُزْءُ»: السخر والاستخفاف، كقولهم: أساطير الأولين، وقولهم: ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾[الأنفال: ٣١].

وقوله: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ استفهام بمعنى التقرير، وهذا من أفصح التقرير، أن يُوقف المرء[2] على مالا جواب له فيه إلَّا الذي يريد خَصْمُه، فالمعنى: لا أحد أَظْلَمُ مِمَّنْ هذه صفتُه، أن يُعرض عن الآيات بعد الوقوف عليها بالتذكير، وينسى ويَطَّرح كبائره التي أسلفها، هذه غاية الانهمال، ونسب السيئات إلى اليَدَيْن من حيث كانت اليدان آلة التَّكسُّب في الأُمور الجِرْمِيَّة، فجعلت كذلك في المعاني استعارةً.

ثم أخبر الله عز وجل عنهم وعن فعله بهم جزاءً عن إعراضهم وتكسُّبهم القبيح فإنه تعالى: جعل عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً، وهي جمع كِنانٍ، وهو كالغلاف الساتر.

واختلف الناسُ في هذا وما أشبهه من الخَتْم والطَّبْع ونحوه، هل هو حقيقة أو مجاز؟ والحقيقة في هذا غير مستحيلة، والتَّجوُّز أيضاً فصيح، أي: لما كانت هذه

(١) البيت لطرفة بن العبد كما في مجاز القرآن (١/ ٤٠٨)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٧٨)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٠٣)، والزاهر للأنباري (١/ ٢٩١) واليَشْكُرِيُّ الحارث بن حِلِّزَةَ، وفي المطبوع أول البيت: «رَدِيتُ»، وفيه: «حِذَارُهُ»، بدل «نجاؤه».

(٢) في الأصل: «الأمر».

المعاني مانعةً في الأجسام وحائلة[١] استُعيرت للقلوب التي قد أقساها[٢] الله تعالى وأقْصاها عن الخير.

وأمَّا «الْوَقْرُ في الآذانِ» فاستعارة بيِّنةٌ لأنا نحس الكفرة[٣] يسمعون الدعاء إلى الشَّرع سماعاً تامّاً، ولكن لـمَّا كانوا لا يُؤَثِّر ذلك فيهم إلَّا كما يؤثِّر في الذي به وَقْر فلا يَسْمع، شُبِّهوا به، وكذلك العمى والصمم والبكم كلها استعارات، وإنما الخلاف في أوصاف القلب، هل هي حقيقة أو مجاز؟ والوَقْرُ: الثِّقل في السَّمع.

ثم أخبر تعالى عنهم أنَّهم وإن دُعُوا إلى الهدى فإنهم لا يهتدون أبداً، وهذا يُخَرَّجُ على أحد تأويلين: أحدهما أن يكون هذا اللفظ العام يراد به الخاصُّ ممَّن حتم الله عليه أنه لا يؤمن ولا يهتدي أبداً، ويَـخْرُج عن العموم/ كل من قضى الله بهداه في ثاني حالٍ، والآخر أن يريد: وإن تَدْعُهُم إلى الهدى فلن يؤمنوا جميعاً أبداً، أي: أنهم ربما آمن منهم الأفراد، ويضطرنا إلى أحد هذين التأويلين أنَّا نجد الـمُخْبَر عنهم بهذا الخبر قد آمن منهم واهتدى كثيرٌ. [٣/ ٢١٢]

قوله عز وجل: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ﴿٥٨﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴿٦٠﴾﴾.

لمَّا أخبر تعالى عن القوم الذين حتم بكفرهم أنهم لا يهتدون أبداً، عقَّب ذلك بأنه للمؤمنين الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ، ويتحصل للكفار من صفته تعالى بالغفران والرَّحمة تَرْكُ الـمُعاجلة، ولو أُخِذوا بحسب ما يستحقُّونه لبادرهم بالعذاب المبيد[٤] لهم، ولكنه

(١) في الأصل: «وحاملة».

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «أنساها».

(٣) في نور العثمانية: «لأنا لا نحس الكفرة»، وفي المطبوع: «لأن الكفرة».

(٤) في المطبوع: «المُيَسَّر».

تعالى أخَّرهم إلى موعد لا يجدون عنه منجىً، قالت فرقة: هو أجل الموت، وقالت فرقة: هو عذاب الآخرة، وقال الطبري: هو يوم بدر والحشر(١).

و«الـمَوْئِلُ»: الـمَنْجَى، يقال: وأَلَ الرَّجُلُ يَـئِلُ: إذا نَجَا، ومنه قول الشاعر:

لا وَأَلَـتْ نَـفْسُـكَ خَلَّيْتَـهَـا لِلْعَـامِرِيِّيْن وَلَـمْ تُـكْـلَـمِ(٢) [السريع]

ومنه قول الأعشى:

وقَـدْ أُخَالِسُ رَبَّ الْبَيْتِ غَفْلَـتَهُ وَقَـدْ يُحَاذِرُ مِنِّـي ثُمَّ مـا يَـئِلُ(٣) [البسيط]

ثم عقَّب تعالى توعُّدَهم بذكر الأمثلة من القرى التي نزل بها ما توعَّد هؤلاء(٤) بمثله.

وفي قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ حذف مضاف، تقديره: وتلك أهل القُرى، [يدل على ذلك قوله: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾، فرد الضمير على أهل القرى](٥).

و﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾: المدن، وهذه الإشارة إلى عادٍ وثمودَ ومَدْين وغيرهم، و(تِلْكَ) ابتداءٌ، و﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾ صفة، و﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ خبر، ويصحّ أن يكون (تِلْكَ) منصوباً بفعل يدل عليه ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾.

وقرأ الجمهور: ﴿لِـمُهْلَكِهِمْ﴾ بضم الميم وفتح اللام، وهو من (أَهْلَكَ)، ومُفْعَل في مثل هذا يكون لزمن الشيء، ومكانه، ويكون مصدراً، فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول.

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٥٢).
(٢) وفي الأصل: «خيلتها»، وهو لضمرة بن ضمرة النهشلي، أورده أبو زيد في نوادره (ص: ٥٥)، وانظر: خزانة الأدب (٩/ ٣٨٦).
(٣) البيت من لامية الأعشى المعروفة (ودع هريرة إن الرَّكب مرتحل)، نسبه له في مجاز القرآن (١/ ٤٠٨)، وتفسير الطبري (١٨/ ٥٢)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٧٩)، وفي نجيبويه: «وما أخالس»، وفيها أيضاً: «ثم لا يئل»، ويئل: ينجو.
(٤) في المطبوع: «هو لا».
(٥) ليس في المطبوع.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿لِـمَهْلَكِهِمْ﴾ بفتح الميم واللام، وقرأ في رواية حفص: ﴿لِمَهْلِكِهِم﴾ بفتح الميم وكسر اللام[١]، وهذا مصدر من: (هَلَكَ)، وهو في مشهور اللُّغة غير مُتَعَدٍّ، فالمصدر على هذا مضاف إلى الفاعل؛ لأنه بمعنى: وجعلنا لأنْ هلَكُوا موعداً، وقالت فرقة: إنَّ (هَلَكَ) يتعدَّى، تقول: أَهْلَكْتُ الرَّجلَ وهَلَكْتُهُ بمعنىً واحد.

وأنشد أبو عليٍّ في ذلك:

[الرجز] وَمَهْمَـهٍ هَالِـك مَـنْ تَعَرَّجَـا[٢] ....

فعلى هذا يكون المصدر في كل وَجْه مضافاً إلى المفعول.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ الآية، ابتداءُ قصة ليست من الكلام الأول، والمعنى: واذكر واتْلُ، و﴿مُوسَىٰ﴾ هو موسى بن عمران بمقتضى الأحاديث والتواريخ، وبظاهر القرآن؛ إذ ليس في القرآن موسى غير واحد، وهو ابن عمران، ولو كان في هذه الآية موسى غيره لَبَيَّـنَهُ، وقالت فرقة منها نوف البِكَالي: إنه ليس موسى بن عمران، وهو موسى بن مشنى[٣]، ويقال: موسى بن منسى[٤].

وأمَّا فتاه فعلى قول من قال[٥]: موسى بن عمران فهو يوشع بن نون بن إفراييل ابن يوسف بن يعقوب، وأما من قال: هو موسى بن مشنى فليس الفتى بيوشع بن نون، ولكنه قول غير صحيح ردَّه ابن عباس وغيره[٦].

و«الفتى» في كلام العرب: الشَّاب، ولما كان الخَدَمة أكثر ما يكونون فتياناً قيل

---

(١) البحر المحيط (٧/ ١٩٢).

(٢) الحجة للفارسي (٥/ ١٥٦)، والبيت للعَجَّاج كما في المقتضب (٤/ ١٨٠)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٨٣)، والمحتسب (١/ ٩١).

(٣) في المطبوع: «مَثْنَى»، وفي الإماراتية١: «مشي».

(٤) في المطبوع: «مَنْشَى».

(٥) في نجيبويه: زيادة: «هو».

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠).

للخادم: فتًى على جهة حسن الأدب، [وإنْ أَسَنَّ][(١)]، وندبت الشريعة إلى ذلك في قول النبي ﷺ: «لا يَقُل أحدكم: عَبْدي، ولا أَمَتي، وليقل: فَـتَاي، وفَـتَاتي»[(٢)].

فهذا ندب إلى التواضع، والفتى في الآية: هو الخادم، ويوشع بن نون يقال: هو ابن أخت موسى عليه السلام.

وسبب هذه القصة فيما روي عن النبي ﷺ: أن موسى جلس يوماً في مجلس لبني إسرائيل، وخطب فأبلغ، فقيل له: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال: لا، فأوحى الله إليه: بَلَى، عبدنا خضر، فقال: يا رب، دلَّني على السبيل إلى لُقِيِّه، فأوحى الله إليه أن يسير بطول سِيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين، فإذا فقدت الحوت فإنه هنالك[(٣)]، وأُمر أن يتزود حوتاً[(٤)]، ويرتقب زواله عنه، ففعل موسى ذلك، وقال لفتاه على جهة إمضاء العزيمة: لا أَبْرَح أسير؛ أي: لا أزال، وإنما قال هذه المقالة وهو سائر، ومن هذا قول الفرزدق:

[الطويل]
فَمَا بَرِحُوا حَتَّى تَهَادَتْ نِسَاؤُهُم ... بِبَطْحَاءِ ذي قارٍ عِيابَ اللَّطَائِمِ[(٥)]

وذكر الطبريُّ عن ابن عباس قال: لـمَّا ظهر موسى وقومه على مصر أنزل قومه بمصر، فلمَّا استقر الحال خطب يوماً، فذكَّر بآلاء الله وأيامه عند بني إسرائيل[(٦)]، ثم ذكر نحو ما تقدَّم.

قال القاضي أبو محمد: وما مرَّ بي قطُّ أن موسى عليه السلام أنزل قومه بمصر

(١) من المطبوع ونجيبويه والإماراتية.
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٧٤) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.
(٤) ليست في المطبوع.
(٥) من قصيدة يمدح بها عبد الله بن عبد الأعلى الشيباني، عزاه له تفسير الطبري (١٨/ ٥٦)، وأساس البلاغة (١/ ٤٧٦).
(٦) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره بلفظ مطول.

إلَّا في هذا الكلام، وما أُراه يصح، بل المتظاهر أن موسى مات بفحص التِّيه قبل فتح ديار الجبَّارين، وفي هذه القصة من الفِقْه: الرحلةُ في طلب العلم، والتواضع للعالِم[(١)].

وقرأ الجمهور: ﴿مَجۡمَعَ﴾ بفتح الميمين، وقرأ الضحاك: (مَجْمِعَ) بكسر الميم الثانية[(٢)].

واختلف الناس في مَجْمَع البَحْرَيْنِ، أين هو؟ فقال مجاهد، وقتادة: هو مجتمع بحر فارس وبحر الروم[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: وهو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال إلى جنوب في أرض فارس من وراء أذربيجان، فالركن الذي لاجتماع البحرين ممَّا يلي برَّ الشام، وهو مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ [على هذا القول.

وقالت فرقة منهم محمد بن كعب: مجمع البحرين][(٤)] هو عند طنجة، وهو حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه السائر من دَبُور إلى صَبَا.

[٣/ ٢١٣] وروي عن أُبيٍّ بن كعب أنه قال: مَجْمَع الْبَحْرَيْنِ بإفريقية[(٥)]/ ، وهذا يقرب من الذي قبله.

وقال بعض أهل العلم: هو بحر الأندلس من البحر المحيط، وهذا كله واحد، حكاه النقاش[(٦)].

---

(١) انظر في ذلك: معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٧)، والهداية لمكي (٦/ ٤٤٢٦-٤٤٢٧)، وتفسير الرازي (٢١/ ١٢٢).

(٢) شاذة، انظر: البحر المحيط (٧/ ٢٠٠)، ونسبها في مختصر الشواذ (ص: ٨٤)، والمحتسب (٢/ ٣٠)، لعبد الله بن مسلم بن يسار.

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٥٥).

(٤) زيادة من المطبوع وأحمد٣ والإماراتية١ والحمزوية.

(٥) ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (٩/ ٦٠٤)، وفتح الباري (٨/ ٤١٠) وضعف الحافظ إسناده.

(٦) تفسير القرطبي (١١/ ٩).

وهذا مما يُذكر كثيراً، ويذكر أن القرية التي أبَتْ أن تُضيِّـفَهما هي الجزيرة الخضراءُ.

وقالت فرقة: مَجْمَع الْبَحْرَيْنِ يريد بحراً ملحاً وبحراً عذباً، فعلى هذا إنما كان الخضر عند موقع نهر عظيم في البحر.

وقالت فرقة: البحران إنما هما كناية عن موسى عليه السلام والخضر؛ لأنهما بَحْرَا عِلْم، وهذا قول ضعيف، والأمر بيِّن من الأحاديث أنه إنما رُسِمَ له ماء بحر[1].

وقوله: ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ معناه: أوْ أمضي على وجهي زماناً.

واختلف القراءُ: فقرأ الحسن، والأعمش، وعاصم: (حُقْباً) بسكون القاف[2].

وقرأ الجمهور: ﴿حُقُبٗا﴾ بضمِّه، وهو تثقيل حُقْبٍ، وجمْع الحُقْب أحقابٌ.

واختلف في الحقب، فقال عبد الله بن عمرو: ثمانون سنة[3]، وقال مجاهد: سبعون[4].

وقال الفراءُ: الحُقب: سنةٌ واحدة[5]، وقال ابن عباس[6] وقتادة: أزمان غير محدودة[7].

وقالت فرقة: الحُقب جمع حقبة وهي السنة، [كأنه قال: أو أمضيَ سِنِينَ][8].

---

(١) في المطبوع والإماراتية١ وأحمد٣: «بحرٌ مًّا»، وفي نور العثمانية والإماراتية٢ ونجيبويه: «بحر ماء».

(٢) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٢٩١) لابن عمر وعمير عن أبي عمرو، وانظر: الكامل للهذلي (ص: ٥٢٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٥٦) من طريق أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، فذكره. وأبو بلج الفزاري، الكوفي، اسمه يحيى بن سليم بن بلج، مختلف فيه.

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ٥٦).

(٥) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٠٥).

(٦) أخرجه الطبري (١٨/ ٥٦-٥٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه، قوله: ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾. قال: دهراً.

(٧) تفسير الطبري (١٨/ ٥٧)، والهداية لمكي (٦/ ٤٤١٦)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٢٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٤).

(٨) ليس في المطبوع.

قوله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾.

الضمير في قوله: ﴿بَيْنِهِمَا﴾ للبحرين، قاله مجاهد[١]، وقيل: هو لموسى والخضر، والأول أصوب، وقرأ عبد الله بن مسلم: (مَجْمِعَ) بكسر الميم الثانية[٢].

وقال: ﴿نَسِيَا﴾، وإنما كان النسيان من الفتى وحده، نسي أن يُعلِمَ موسى بما رأى من حاله من حيث كان لهما زاداً، وكان بسبب منه، فنسب فعل الواحد فيه إليهما، وهذا كما يقال: فَعَل بنو فلان الأمر، وإنما فعله منهم بعض.

ورُوي في الحديث: أن يوشع رأى الحوت قد حش[٣] من المِكْتَل إلى البحر، فرآه قد اتَّخذ السرب، وكان موسى نائماً، فأشفق أن يوقظه، وقال: أُؤَخِّر حتَّى يستيقظ، فلما استيقظ نَسي يوشع أن يُعلِمَه[٤]، ورحلا حتى جاوزا.

و«السَّبيلُ»: الـمَسْلَك، و«السَّربُ»: الـمَسْلَك في جوف الأرض، فشبه به مسلك الحوت في الماء حين لم ينطبق الماءُ بعده [بل بقي][٥] كالطَّاقِ.

وهذا الذي ورد في الحديث عن النبي ﷺ[٦]، وقاله جمهور المفسرين، إن

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٥٧).

(٢) تقدم عن مختصر الشواذ (ص: ٨٤)، في الموضع الأول، وعزاها هنا في البحر المحيط (٧/ ٢٠٠) للضحاك فقط، وفي الأصل: «عبيد الله».

(٣) في المطبوع: «حشر»، وفي نور العثمانية: «حس».

(٤) أخرجه البخاري (١٢٢) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، بنحو لفظ المؤلف.

(٥) ليس في المطبوع.

(٦) جاء هذا اللفظ في البخاري (٣٤٠١-٤٧٢٦) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

الحوت بقي موضع سلوكه [فارغاً، وقال قتادة][١]: [ماءً جامداً.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: بل][٢] صار موضع سلوكه حجراً صلداً[٣].

وقال ابن زيد: إنما اتَّخذ سبيله سرباً في البرِّ حتى وصل إلى البحر، ثم عام على العادة[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهؤلاء يتأولون ﴿سَرَبًا﴾ بمعنى: تصرُّفاً وجَوَلاناً، من قولهم: فَحْلٌ ساربٌ؛ أي: مُهْمَل يرعى من حيث يشاءُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]؛ أيْ: متصرف.

وقالت فرقة: اتَّخَذ سرباً في التُّراب من المكتل إلى البحر، وصادف في طريقه حجراً فثقبه[٥].

وظاهر الأمر أن السَّرَب إنما كان في الماء، ومن غريب ما روي في «البخاري» عن ابن عباس في قصص هذه الآية: أن الحوتَ إنما حَيِيَ؛ لأنه مسَّه ماءُ عَيْن هنالك تدعى عين الحياة، ما مَسَّت شيئاً قط إلَّا حَيي[٦]، ومن غريبه أيضاً: أن بعض المفسرين ذكر أن موضع سلوك الحوت عاد حجراً طريقاً، وأن موسى مَشَى عليه تبعاً للحوت حتى أفضى به ذلك الطريق إلى جزيرة في البحر، وفيها وجد الخضر[٧].

---

(١) ليس في المطبوع.

(٢) ليس في الأصل والإماراتية.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٥٩) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، قال: لا يمسّ شيئاً من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة.

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ٥٩).

(٥) في المطبوع: «فنقبه».

(٦) أخرجه البخاري (٤٧٢٧) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وانظر للأهمية فتح الباري (٨/ ٤١٥).

(٧) تفسير الطبري (١٨/ ٦٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٧٣)، والهداية لمكي (٦/ ٤٤٢٠)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٢٤).

وظاهر الروايات والكتاب: أنه إنما وجد الخضر في ضفة البحر، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا﴾.

وروي في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾: أن موسى عليه السلام نزل عند صخرة[١] عظيمة في ضفة البحر، فنسي يوشع الحوت هنالك[٢]، ثم استيقظ موسى، ورحلا مرحلة بقية اللَّيل وصَدْر يومهما، فجاع موسى ولحقه تعب الطريق فاستدعى الغداء.

قال لي أبي رضي الله عنه: وسمعت أبا الفضل بن الجوهري يقول في وعظه: مشى موسى إلى المناجاة فبقي أربعين يوماً لم يحتج إلى طعام، ولمَّا مشى إلى بشر لحقه الجوع في بعض يوم.

و«النَّصَبُ»: التعب والمشقة.

وقرأ عبد الله بن عبيد بن عمير: (نُصُباً) بضم النون والصاد[٣]، ويشبه أن يكون جمع نَصْبٍ، وهو تخفيف نَصَبٍ.

قوله: ﴿أَرَءَيۡتَ﴾ الآية، حكى الطبري عن فرقة أنها قالت: الصخرة هي بالشام عند نهر الذيب[٤]، وقد تقدم ذكر الخلاف في موضع هذه القصة.

وقوله: ﴿نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ﴾ يريد: نسيت ذكر ما جرى فيه لك.

وأمال الكسائي وحده: ﴿أَنْسَانِيهِ﴾، [وقرأت فرقة: ﴿أَنسَىٰنِيهُ﴾][٥]، وقرأ ابن كثير في الوصل: ﴿أَنْسَانِيهِي﴾ بياءٍ بعد الهاء[٦].

---

(١) في المطبوع: «شجرة».

(٢) انظر حديث أبي بن كعب رضي الله عنه المتقدم.

(٣) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٤)، والبحر المحيط (٧/ ٢٠١).

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ٦٠).

(٥) ليس في المطبوع.

(٦) هذه ثلاث قراءات سبعية، والثانية لحفص، وبقي لورش التقليل، وللجمهور الكسر مقصوراً بلا إمالة، انظر: السبعة (ص: ٣٩٣).

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (وَمَا أَنْسَانِيه أَنْ أُذَكِّرَ لَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ)(١).

وقوله: ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلْحُوتَ﴾ بدل اشتمال.

وقوله: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ يحتمل أن يكون من قول يوشع لموسى؛ أي: اتَّخذ الحوت سبيله عجباً للناس.

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ تمام(٢) الخبر، ثم استأْنف التعجُّب فقال من قِبَل نفسه: ﴿عَجَبًا﴾ لهذا الأمر، وموضع العجب أن يكون الحوت قد مات وأُكل شِقُّه الأيسر، ثم حيي بعد ذلك، قال أبو شجاع في كتاب الطبري: رأيته، أتيت به فإذا هو شقة حوت وعين واحدة، وشقٌّ آخر ليس فيه شيءٌ(٣).

قال القاضي أبو محمد: وأنا رأيته، [والشِّقُّ الذي ليس فيه شيءٌ عليه قشرة رقيقة يشفُّ تحتها شوكه وشقه الآخر](٤).

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ﴾ الآية إخباراً من الله تعالى، وذلك على وجهين: إما أن يُخبر عن موسى أنه اتخذ سبيل الحوت من البحر عجباً؛ أي: تعجَّب منه، وإمَّا أن يخبر / عن الحوت أنه اتخذ سبيله عجباً للناس. [٣/ ٢١٤]

وقرأ أبو حيوة: (واتِّخاذَ سبيلِه)(٥)، فهذا مصدر معطوف على الضمير في ﴿أَذْكُرَهُۥ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ﴾ الآية، المعنى: قال موسى لفتاه: أمر الحوت وفقده هو الذي كنَّا نطلب، فإن الرجل الذي جئنا له ثَمَّ، فرجعا يقُصَّان أثرهما لئلا يخطئا(٦) طريقهما.

---

(١) وهي شاذة، وعزاها له في تفسير الطبري (١٨/ ٦٠) بلفظ: (أن أذكره)، وفي تفسير الزمخشري (٢/ ٧٣٣) بلفظ: (أن أذكركه).

(٢) في الأصل: «تام».

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٥٩).

(٤) في حاشية المطبوع: اختلفت الأصول في كتابة هذه العبارة.

(٥) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٤).

(٦) في الأصل ونجيبويه ونور العثمانية: «يخطئان».

وقرأ الجمهور: ﴿نَبْغِي﴾ بثبوت الياء، وقرأ عاصم وقومٌ: ﴿نَبْغِ﴾ دون ياءٍ، وكان الحسن يثبتها إذا وصل، ويحذفها إذا وقف[١].

و«قَصُّ الأَثَرِ»: اتِّباعه، وتطلُّبه في موضع خفائه[٢].

والعَبْدُ: هو الخضر في قول الجمهور بمقتضى الأحاديث، وخالف مَن لا يُعتدُّ بقوله فقال: ليس صاحب موسى بالخضر، بل هو عالمٌ آخر[٣].

والخضر نبيٌّ عند الجمهور، وقيل: هو عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوته؛ لأن بواطن أفعاله هل كانت إلَّا بوحي إليه؟[٤].

ورُوي في الحديث: أن موسى عليه السلام وجد الخضر مُسَجًّى في ثوبه مستلقياً على الأرض، فقال له: السلام عليك، فرفع الخضر رأسه وقال: وَأَنَّى بأرضك السلامُ؟ ثم قال له: من أنت؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال له: ألم يكن لك في بني إسرائيل ما يشغلك عن السفر إلى هنا؟ قال: بلى، ولكني أحببتُ لقاءك وأن أتعلم منك، قال له: إنِّي على عِلْم من عِلْم الله علمنيه، لا تعلمه أنت، وأنت على عِلْم من عِلْم الله علَّمَكه الله لا أعلمه أنا[٥].

قال القاضي أبو محمد: كان علم الخضر معرفة بواطن قد أُوحيت إليه لا تعطي ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها، وكان علم موسى عليه السلام علم الأحكام والفُتْيَا بظاهر أقوال الناسِ وأفعالهم.

---

(١) والثلاث سبعية، قال في التيسير (ص: ١٤٧): أثبتها في الحالين ابن كثير، وفي الوصل نافع وأبو عمرو والكسائي.

(٢) في المطبوع: «خفاية».

(٣) ممن نقل عنه ذلك القشيري والجبائي، انظر: تفسير الرازي (٢١/ ١٢٧)، وتفسير القرطبي (١١/ ١٦).

(٤) في الأصل: «بوحي الله».

(٥) «أنا» ليست في المطبوع، والحديث أخرجه البخاري (١٢٢) من حديث أبي بن كعب، بنحو لفظ المؤلف.

ورُوي: أن موسى وجد الخضر قاعداً على ثبج البحر.

وسُمِّي الخضر خضراً؛ لأنه جلس على فروة يابسة فاهتزت تحته خضراء، رُوي ذلك عن النبي ﷺ(١).

و«الرَّحْمَةُ» في هذه الآية: النُّـبُـوَّةُ.

وقد ذكرنا الحديث الـمُضَمَّن أن سبب هذه القصة أن موسى عليه السلام قيل له: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال: لا، وحكى الطبري حديثاً آخر، مُضَمَّنَـهُ أن مُوسى عليه السلام قال من قِبَل نفسه: أيْ رَبِّ، أيُّ عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة خير تهديه، قال: رب، فهل في الأرض أحدٌ؟ قال: نعم، فسأل السبيل إلى لُقِيِّه(٢)، والحديث الأول في «صحيح البخاري»(٣).

وقرأ الجمهور: ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ بتشديد النون.

وقرأ أبو عمرو: ﴿من لدُنَا﴾ بضم الدال وتخفيف النون، قال أبو حاتم: هما لغتان(٤).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾.

هذه مخاطبة المستنزل المبالغ في حُسْن الأدب، المعنى: هل يتَّفق لك ويخِفُّ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٦٣) عن محمد بن حميد الرازي، عن يعقوب، عن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره بلفظ مطول. ومحمد بن حميد الرازي ليس بعمدة.

(٣) تقدم قريباً.

(٤) وهي شاذة، رواها عنه أبو زيد، انظرها مع قول أبي حاتم في البحر المحيط (٧/ ٢٠٤).

عليك؟ وهذا كما في الحديث: هل تستطيع أن تُرِيَني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأُ[١]، وعلى بعض التأويلات يجيء كذلك قوله: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً﴾ [المائدة: ١١٢].

وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم[٢]: ﴿رُشۡدًا﴾ [بتخفيف الشين، وهي قراءة حمزة، والكسائي.

وقرأ ابن عامر: (رُشُدا)][٣]، [بضم الراء والشين][٤].

وقرأ أبو عمرو: ﴿رَشَداً﴾ بفتح الراء والشين[٥].

ونصبه على وجهين: أحدهما أن يكون مفعولاً ثانياً بـ﴿تُعَلِّمَنِ﴾.

والآخر أن يكون حالاً من الضمير في قوله: ﴿أَتَّبِعُكَ﴾.

ثم قال الخضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرًا﴾؛ أي: إنَّك يا موسى لا تُطيق أن تصبر على ما تراه من عملي؛ لأن الظواهر التي هي[٦] علمك لا تعطيه[٧]، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما تراه خطأً ولم تُخْبَر بوجه الحكمة فيه، ولا طريق[٨] الصواب؟ فقرب له موسى الأمر بِوَعْده أنه سيجده صابراً[٩].

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٥).

(٢) ليس في نجيبويه.

(٣) ليس في الأصل، وفي أحمد٣: «بسكون»، بدل «تخفيف»، وهي أوضح في المعنى.

(٤) ليس في المطبوع.

(٥) الأولى سبعية ـ وفيها ابن عامر ـ وكذا الثالثة، انظر: التيسير (ص: ١٤٤)، وانظر الثانية في السبعة (ص: ٣٩٤)، وليست في التيسير.

(٦) من المطبوع ونور العثمانية.

(٧) في أحمد٣: «لا تعطيك إياه».

(٨) في نجيبويه: «وجه».

(٩) من المطبوع.

ثم استثنى حين حكم على نفسه بأمر، فقوَّى الخضر وصاتَه، وأمره بالإمساك عن السؤال والإكنان لما يراه حتى يبتدئه الخضر بشرح ما يجب شرحه.

وقرأ نافع: ﴿فلا تَسْأَلَنِّي﴾ بفتح اللام وتشديد النون وإثبات الياء، وقرأ ابن عامر كذلك إلا أنه حذف الياء فقال: ﴿فلا تَسْأَلَـنِّ﴾، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿تَسْـَٔلْنِى﴾ بسكون اللام وثبوت الياء[١].

وقرأ الجمهور: ﴿خُبْرًا﴾ بسكون الباء، وقرأ الأعرج: (خُبُراً) بضمها[٢].

وقوله: ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ روي عن النبي ﷺ أنهما انطلقا ماشِيَيْن على سِيف البحر حتَّى مرَّت بهما سفينة، فعُرف الخضر، فَحُمِلا بغير نَوْلٍ إلى مقصدٍ أمَّه[٣] الخضرُ.

وعُرِّفت ﴿ٱلسَّفِينَةِ﴾ بالألف واللام تعريف الجنس، لا لِعَهْد عَيْنها، فلمَّا ركبا عمد الخضر إلى وتد فجعل يضرب به[٤] في جنب السفينة حتى قلع[٥] به ـ فيما رُوي ـ لوحين من ألواحها، فذلك هو معنى ﴿خَرَقَهَا﴾، فلما رأى ذلك موسى غلبه ظاهر الأمر على الكلام حين رأى فعلاً يُؤَدِّي إلى غرق جميع[٦] مَن في السفينة، فوقفه بقوله: ﴿أَخَرَقْتَهَا﴾؟[٧].

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ بالتاء.

وقرأ أبو رجاء: (لتُغَرِّق) بشدِّ الراء وفتح الغين.

---

(١) وكلها سبعية، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٣٩٤)، والتيسير (ص: ١٤٤)، وذكر حذف الياء لابن ذكوان خاصة (ص: ١٤٧).

(٢) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٤)، وزاد: ابن عباس، وأبا عمرو، والحسن، وعيسى.

(٣) في المطبوع: «أُمة»، والأثر أخرجه البخاري (١٢٢) من حديث أبي بن كعب الذي تقدم قريباً.

(٤) «به» من المطبوع ونجيبويه.

(٥) في المطبوع: «بلغ».

(٦) ليست في المطبوع.

(٧) هذا جزء من حديث أبي بن كعب الذي أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠) واللفظ له.

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿ليغْرَقَ أهلُها﴾ برفع الأهل، وإسناد الفعل إليهم[١].

و(الإِمْرُ): الشَّنيعُ من الأمور كالداهية والإِدِّ ونحوه، ومنه: أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشةَ[٢]، ومنه: أَمِرَ الْقومُ: إذا كثروا، وقال مجاهد: الإمر المنكر[٣].

قال القاضي أبو محمد: والإِمْرُ أَخَصُّ من المُنْكرِ.

فقال الخضر مجاوباً لموسى: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، فتنبَّه موسى لما أتى معه[٤]، فاعتذر بالنسيان، وذلك أنه نسي العهد الذي كان بينهما، هذا قول الجمهور، وفي كتاب التفسير / من «صحيح البخاري»: أن النبي ﷺ قال: «كانت الأولى من موسى نسياناً»[٥]، وفيه عن مجاهد قال: كانت الأولى نسياناً، والثانية شرطاً، والثالثة عمداً[٦]. [٣/ ٢١٥]

وهذا كلام معترض؛ لأن الجميع شرطٌ، ولأن العمد يبعد على موسى عليه السلام، وإنما هو التأويل؛ إذ جنب صيغة السؤال أو النسيان.

وروى الطبري عن أُبيٍّ بن كعب أنه قال: إن موسى عليه السلام لم يَنْس، ولكن قوله هذا من معاريض الكلام[٧].

---

(١) الأولى والثالثة سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٣٩٥)، والتيسير (ص: ١٤٤)، والثانية شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٤).

(٢) قائل هذه المقولة هو أبو سفيان بن حرب لما دخل على هرقل، والقصة أخرجها البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

(٣) ليس في المطبوع، وانظر: تفسير الطبري (١٨/ ٧٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٧٨)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٢٧).

(٤) في أحمد٣: «منه».

(٥) أخرجه البخاري (٤٧٢٥).

(٦) أخرجه البخاري (٢٧٢٨) من حديث أبي بن كعب مرفوعاً.

(٧) ضعيف، أخرجه الفراء في معاني القرآن (٢/ ١٥٥)، والطبري (١٨/ ٧٤) من طريق يحيى بن المهلب، عن رجل، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن أبي بن كعب الأنصاري فذكره.. وفي إسناده رجل مبهم.

ومعنى هذا القول صحيح، والطبريُّ لم يُبَيِّنه، ووجهه عندي أن موسى عليه السلام إنما رأى العهد في أن يسأل، ولم ير إنكار هذا الفعل الشنيع سؤالاً، بل رآه واجباً، فلما رأى الخضر قد أخذ العهد على أعمٍّ وجوهه فضمَّنه السؤال والمعارضة والإنكار وكلَّ اعتراضٍ ـ إذ السؤال أخف من هذه كلها ـ أخذ معه في باب المعاريض التي هي مندوحة عن الكذب، فقال له: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾، ولم يقل: له إنِّي نسيت العهد، بل قال لفظاً يعطي للمتأول أنه نسي العهد، ويستقيم أيضاً تأويله وطلبه مع أنه لم ينس العهد؛ لأن قوله: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ كلام جيد طلبه، وليس فيه للعهد ذكر، هل نسيه أم لا، وفيه تعريض أنه نسي العهد، فجمع في هذا اللَّفظ بين العذر والصدق، وما يخل بهذا القول إلَّا أن الذي قاله وهو أُبيُّ بن كعب روى عن النبي ﷺ أنه قال: «كانت الأولى من موسى نسياناً»(١).

و﴿تُرْهِقْنِي﴾ معناه: تكلِّفني وتضيِّق عليَّ.

ومِمَّا قُصَّ من أمرهما: أنهما لمَّا ركبا السفينة وجَرَتْ نَزَل عصفور على جنب السفينة، فنقر في الماء نَقْرة، فقال الخضر لموسى: ماذا ترى هذا العصفور نقص من ماء البحر؟ فقال موسى: قليلاً، فقال: يا موسى، ما نقص علمي وعلمُك من علم الله إلَّا ما نقص هذا العصفور من ماء البحر(٢).

قال القاضي أبو محمد: فقيل: معنى هذا الكلام وضع العلم موضع المعلومات، وإلَّا فَعِلْمُ الله تعالى لا يُشَبَّهُ بمتناهٍ؛ إذ لا يتناهى، والبحرُ لو فرضت له عصافير على عدد نقطه لانْتَهَى، وعندي أن الاعتراض [باق؛ لأن تناهي معلومات الله محال، إذ يتناهى العلم بتناهي المعلومات، وقيل فراراً عن هذا الاعتراض](٣): يحتمل أن يريد: من علم الله

(١) في الأثر السابق، و«من موسى» ليست في المطبوع.
(٢) هذا جزء من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه المتقدم، والمؤلف يستشهد به على حسب الآيات.
(٣) ليس في المطبوع.

الذي أعطاه العلماء قبلهما وبعدهما إلى يوم القيامة، فتجيءُ نسبةُ [علمِهما إلى علم البشر نسبةَ](١) تلك النقطة إلى البحر.

وهذا قول حسن لولا أن في بعض طرق الحديث: «ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلَّا كنقرة هذا العصفور»(٢)، فلم يبق مع هذا إلَّا أن يكون التشبيه بتجوُّز؛ إذ لا يوجد في المحسوسات أقوى في القلَّة من نقطة بالإضافة إلى البحر، فكأنَّها لا شيءَ؛ إذ لا يوجد لها إلى البحر نسبة معلومة(٣)، [ولم يعن الخضر لتحرير موازنة بين المثال وبين علم الله تعالى](٤).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾.

﴿فَانطَلَقَا﴾ في موضع نزولهما من السفينة، فمرَّا بغلمان يلعبون، فعمد الخضر إلى غلام حسن الهيئة وضيءٍ، فاقتلع رأسه، ويقال رضه بحجر، ويقال: ذبحه، وقال بعض الناس: كان الغلام لم يبلغ الحُلُم، ولذلك قال موسى: ﴿زَكِيَّةً﴾؛ أي: لم تذنب، وقالت فرقة: بل كان بالغاً شاباً، والعرب تُبقي على الشاب اسم الغلام، ومنه قول ليلى الأَخْيَلَيَّة(٥):

---

(١) في المطبوع: «علمه إلى علم البشر»، وفي حاشيته: سقطت هذه الفقرة كلها من التونسية، وفي نور العثمانية: «كنسبة»، بالكاف.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٢) (٣٤٠١) (٤٧٢٥) (٤٧٢٧)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٣) انظر مثل هذا في تفسير القرطبي (٣/ ٢٧٦)، وشرح النووي على مسلم (١٥/ ١٤١-١٤٢).

(٤) ليس في المطبوع.

(٥) ليلى الأخيلية: الشاعرة المشهورة، كانت من أشعر النساء، لا يقدم عليها في الشعر غير الخنساء، أدركت زمن الحجاج، ووقعت له معها محاورة، توفيت سنة (٨٠هـ). تاريخ الإسلام (٥/ ٥١٧).

.... غُـلامٌ إِذَا هَـزَّ الْقَنَـاةَ سَـقَاهَا[١] [الطويل]

وهذا في صفة الحَجَّاج، وفي الخبر: أن هذا الغلام كان يفسد في الأرض، ويُقسِم لأبويه أنه ما فعل، فيُقسِمان على قَسَمه، ويحميانه ممَّن يطلبه[٢].

وقرأ ابن عباس، والأعرج، وأبو جعفر، ونافع، والجمهور: ﴿زَاكِيَةً﴾.

وقرأ الحسن، وعاصم، والجحدري: ﴿زَكِيَّةً﴾[٣]، والمعنى واحد.

وقد ذهب قوم إلى الفَرْق، وليس بِبَيِّن.

وقوله: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يقتضي أنه لو كان عن قتل نَفْس لم يكن به بأْسٌ، وهذا يدل على كبر الغلام، وإلَّا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس، ولا بغير نفس.

وقرأ الجمهور: ﴿نُّكْرًا﴾، وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، وأبو جعفر، وشيبة: ﴿نُكُراً﴾ بضم الكاف، واختلف عن نافع، ومعناه: شيءٌ يُنْكَر.

واختلف الناس أيُّهما أبلغ؟ قوله: ﴿إِمْرًا﴾، أو قوله: ﴿نُّكْرًا﴾:

فقالت فرقة: هذا قتل بيِّنٌ، وهنالك مُتَـرَقَّب، فـ﴿نُّكْرًا﴾ أبلغ.

وقالت فرقة: هذا قتلُ واحدٍ، وذلك قتلُ جماعةٍ، فـ﴿إِمْرًا﴾ أبلغ.

وعندي أنهما لِـمَعْنَيَيْن: قوله: ﴿إِمْرًا﴾ أفظع وأهول من حيث هو متوقع عظيم، و﴿نُّكْرًا﴾ أبيَن في الفساد؛ لأن مكروهه قد وقع.

ونصف القرآن بِعَدِّ الحروف[٤] ينتهي إلى النون من قوله: ﴿نُّكْرًا﴾[٥].

---

(١) تمدح الحجاج، انظر عزوه لها في أشعار النساء (ص: ٤٧)، وأمالي القالي (١/ ٨٦).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنما جاء عن سعيد بن جبير أنه قال: خشينا أن يحملهما حبُّه على أن يتابعاه على دينه، عزاه السيوطي في الدر المنثور (٩/ ٦١٦) لابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) الثانية للكوفيين وابن عامر، انظر: التيسير (ص: ١٤٤).

(٤) في المطبوع: «بعْدَ الحرف «ن» أو ينتهي إلخ».

(٥) في حاشية المطبوع أن هذه الفقرة سقطت من بعض النسخ.

وقوله: ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكَ﴾ زجرٌ وإغلاظٌ ليس في قوله أوَّلاً: ﴿أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ [الكهف: ٧٢].

وقوله: ﴿بَعۡدَهَا﴾ يريد: بعد هذه القصة، فأعاد الضمير عليها وإن كانت لم يتقدم لها ذكرٌ صريح من حيث كانت في ضمن القول.

وقرأ الجمهور: ﴿فَلَا تُصَٰحِبۡنِي﴾، ورواها أُبيّ عن النبي ﷺ[١].

وقرأ عيسى، ويعقوب: ﴿فلا تَصْحَبْني﴾.

وقرأ عيسى أيضاً: (فلا تُصْحِبْني) بضم التاء وكسر الحاء، ورواها سهلٌ عن أبي عمرٍو، والمعنى: فلا تُصْحِبْني علمَك[٢].

وقرأ الأعرج: (فلا تَصْحَبَنِّي) بفتح التاء والباء وشدِّ النون[٣].

وقوله: ﴿قَدۡ بَلَغۡتَ مِن / لَّدُنِّي عُذۡرٗا﴾؛ أي: قد أَعْذَرْتَ إليَّ، وبلغتَ إلى العُذْر من قِبَلي، ويُشبه أن تكون هذه القصة أيضاً أصلاً للآجال في الأحكام التي هي ثلاثة، وأيام التلوُّم ثلاثة[٤]، فتأمله. [٣/ ٢١٦]

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿مِن لَّدُنِّي﴾ بفتح اللام وضم الدال وشد النون، وهي (لَدُن) اتصلت بها نون الكناية التي في (ضرَبَني) ونحوه، فوقع الإدغام، وهي قراءة النبي ﷺ[٥].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وهي قراءة السبعة.

(٢) ليست في نجيبويه.

(٣) قراءة يعقوب عشرية من رواية روح عنه كما في النشر (٢/ ٣١٣)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ٨٤) لعيسى، وقراءة الأعرج رواية سهل في الشواذ للكرماني (ص: ٢٩٢)، وهما شاذتان.

(٤) انظر: بدائع الصنائع (١/ ٨٨، ٥/ ٥٣)، وشرح فتح القدير لابن الهمام (٦/ ٦٩).

(٥) صحيح أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده (٣٥/ ٦٢) عن محمد بن عبد الله بن نمير، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٨٩٦)، وابن حبان (٦٣٢٦) من طريق ابن نمير عن عمر بن سعد عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن حمزة الزيات عن أبي إسحاق السبيعي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، =

وقرأ نافع، وعاصم: ﴿لدُنِي﴾ كالأولى إلَّا أن النون مُخَفَّفة، فهي (لَدُن) اتصلت بها ياءُ المتكلم التي في (غلامي)، وكُسِر ما قبل الياء كما كُسِر في هذه[1].

وقرأ أبو بكر عن عاصم: ﴿لَدْني﴾ بفتح اللام وسكون الدال وتخفيف النون، وهي تخفيف (لَدُنِي) التي ذكرناها قبل هذه، ورُوي عن عاصم: (لُدْني) بضم اللام وسكون الدال.

قال ابن مجاهد: وهي غلط[2].

قال أبو عليٍّ: هذا التغليط يشبه أن يكون من جهة الرواية، فأما على قياس العربية فهي صحيحة[3].

وقرأ الحسن: (لَدْني) بفتح اللام وسكون الدال[4].

وقرأ الجمهور: ﴿عُذْرًا﴾، وقرأ أبو عمرو، وعيسى: (عُذُراً) بضم الذال[5]،

= عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قرأ: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ يثقلها، وأخرجه الحاكم (٢/ ٢٤٣) من طريق إسحاق بن يوسف، عن حمزة بن حبيب، به، وأخرجه عبد الله بن أحمد أيضاً عن أبي عبد الله العنبري، عن أمية بن خالد، عن أبي الجارية العبدي، عن شعبة، عن أبي إسحاق به، وهذا إسناد ضعيف، فيه أبو الجارية العبدي البصري، وهو مجهول لا يعرف، لكنه قد توبع، وأخرجه المزي في ترجمة أبي الجارية العبدي من تهذيب الكمال (٣٣/ ١٨٠) من طريق عبد الله بن أحمد، بهذا الإسناد، وأخرجه أبو داود (٣٩٨٥)، والطبراني في الكبير (٥٤٣) من طريق أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن العنبري.

(١) فهما قراءتان سبعيتان، والمراد بعاصم في الأخيرة رواية شعبة عنه، والمشهور أنه رواها بإشمام الضم، انظر: التيسير (ص: ١٤٥).

(٢) انظر كلامه والروايتين عن عاصم في السبعة (ص: ٣٩٦)، وفي المطبوع ونجيبويه: «قال مجاهد» دون «ابن».

(٣) الحجة للفارسي (٥/ ١٦٣).

(٤) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (٧/ ٢٠٩).

(٥) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (٧/ ٢٠٩)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٢٩٢) للأعمش وسلام وابن عباس وعلي بن الحسين، قال: ورويت عن النبي ﷺ، وانظر: معاني القرآن للأخفش (١/ ١١٠).

وحكى الداني: أن أُبيّاً روى عن النبي ﷺ: (عُذْرِي) بكسر الراء وياءٍ بعدها[١].

وأسند الطبريُّ قال: كان رسول الله ﷺ إذا دعا لأحدٍ بدأ بنفسه، فقال يوماً: «رحمة الله علينا وعلى موسى، لو صبر على صاحبه لرأى العجب، ولكنه قال: ﴿فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا﴾»[٢]، وفي «البخاري» عن النبي ﷺ: «يرحم الله موسى، لَوَدِدْنا أنه صبر حتَّى يقصَّ علينا من أمرهما»[٣].

ورُوي في تفسير هذه الآية: أن الله جعل هذه الأمثلة التي وقعت لموسى مع الخضر حجة على موسى وعجباً له، وذلك أنه لما أنكر خَرْق السفينة نودي: يا موسى أين كان تدبيرك هذا وأنت في التَّابوت مطروحاً في اليم؟، فلما أنكر أمر الغلام قيل له: أين إنكارك هذا من وكزك للقبطيِّ وقضائك عليه؟، فلما أنكر إقامة الجدار نودي: أين هذا من رفعك حجَرَ البئرِ لبنات شعيب دون أجر؟[٤].

وقوله: ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ يريد: انطلق الخضر وموسى يمشيان لارتياد الخضر أمراً ينفذ فيه ما عنده من علم الله، فمرَّا بقرية فطلبا من أهلها أن يطعموهما فأبَوْا، وفي حديث

(١) لم أهتد إليه، قال في البحر المحيط (٧/ ٢٠٩): ورويت عن أبي.

(٢) إسناده جيد، وله شاهد قوي في الصحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٩٨٣٦)، وأبو داود (٣٩٨٤)، والترمذي (٣٣٨٥)، وابن حبان في صحيحه (٩٨٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٧٤) وغيرهم من طريق حمزة الزيات، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه، فذكره مرفوعاً، وهذا إسناد جيد، وله شاهد قوي أخرجه مسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب وفيه: قال رسول الله ﷺ عند هذا المكان: «رحمةُ الله علينا وعلى موسى، لولا أنه عجل لرأى العجب، ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة، قال: ﴿إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا﴾ ولو صبر لرأى العجب»، قال: وكان إذا ذكر أحداً من الأنبياء بدأ بنفسه رحمة الله علينا وعلى أخي كذا.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٢) (٣٤٠١) (٤٧٢٥) (٤٧٢٧)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٤) عزاه الحافظ في الفتح (٨/ ٤٢٠) للثعلبي، ولم أقف على شيء مسند في هذا مرفوعاً أو موقوفاً.

أنهما كان يمشيان على مجالس أولئك القوم يستطعمانهم[١].

وهذه عبرة[٢] مصرِّحة بهوان الدنيا على الله.

واختلف الناس في القرية:

فقال محمد بن سيرين: هي الأُبُـلَّة، وهي أبخل قرية، وأبعدها من السماء[٣].

وقالت فرقة: هي أَنْطَاكِيَة، وقالت فرقة: هي بَرقة.

وقالت فرقة: هي بجزيرة الأندلس، روي ذلك عن أبي هريرة وغيره[٤]، ويذكر أنها الجزيرة الخضراءُ.

وقالت فرقة: هي أبو حوران[٥]، وهي بناحية أَذْرَبِيجان.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله بحسب الخلاف في أيِّ ناحية من الأرض كانت قصة موسى؟ والله أعلم بحقيقة ذلك.

وقرأ الجمهور: ﴿يُضَيِّفُوهُمَا﴾ بفتح الضاد وشد الياء.

وقرأ أبو رجاءٍ: (يُضِيفُوهُمَا) بكسر الضاد وسكون الياء، وهي قراءة ابن محيصن، والزُّبير، والحسن، وأبي رزين[٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٨٠) بلفظ: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ﴾ لئاماً، فطافا في المجالس ﴿ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾.

(٢) في المطبوع ونور العثمانية: «عبارة».

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٧٨).

(٤) لم أهتد إليه.

(٥) في المطبوع: «جودان»، وفي نجيبويه: «جوران»، وفي معجم البلدان (٢/ ٣١٧): حوران: كورة من أعمال دمشق من جهة القبلة.

(٦) وهي شاذة، عزاها لهم في مختصر الشواذ (ص: ٨٤) إلا الحسن، ونسبها لابن مُحَيْصِن وآخرين في الكامل (ص: ٥٩٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٧٠)، وعزاها لكلهم في البحر المحيط (٧/ ٢١٠)، وزاد آخرين، و«الحسن» ليس في المطبوع.

و«الضَّيْفُ»: مأخوذ من ضاف إلى المكان: إذا مال إليه، ومنه الإضافة: وهي إمالة شيءٍ إلى شيءٍ.

وقرأ الأعمش: (فَأَبَوْا أَنْ يُطْعِمُوهُمَا)[1].

وقوله في الجدار: ﴿يُرِيدُ﴾ استعارة، وجميع الأفعال التي حقُّها أن تكون للحيِّ الناطق متى أُسندت إلى جماد أو بهيمة فإنما هي استعارة؛ أي: لو كان مكانَ[2] الجماد إنسانٌ لكان متمثِّلاً لذلك الفعل، فمن ذلك قول الأعشى:

[البسيط] أَتَنْتَهُـونَ وَلَا يَنْهَـى ذَوِي شَـطَطٍ كالطَّعْنِ يَذْهَبُ فيهِ الزَّيْتُ والفُتُلُ[3]

فأسند النَّهْي إلى الطَّعن، ومن ذلك قول الشاعر:

[الوافر] يُـرِيـدُ الـرُّمْـحُ صَـدْرَ أَبِي بَـرَاءٍ وَيَرْغَـبُ عَـنْ دِمَـاءِ بَنِي عُقَيْـلِ[4]

ومنه قول عنترة:

[الكامل] .... وَشَـكَا إِلـيَّ بِعَبْـرَةٍ وتَحَمْحُـمِ[5]

وفَسَّر هذا المعنى بقوله:

[الكامل] لَوْكَانَيَدْرِيماالْمُحَاوَرَةُاشْتَكَى[6] ....

(١) مخالفة للمصحف، أقرب للغلط، أو لعلها تفسير، ولم نجد له فيها سلفاً، ولا خلفاً.

(٢) ليس في المطبوع.

(٣) البيت من قصيدته المعروفة: (وَدِّع هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحل)، كما تقدم في بداية الكتاب، وفي المطبوع: (هل تنتهون).

(٤) عزاه في مجاز القرآن (١/ ٤١٠)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٨٥) للحارثي، وهو في معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٧٣)، بلا نسبة.

(٥) صدره: (فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا بِلَبَانِهِ)، عزاه له تفسير الطبري (١٨/ ٧٩)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٠٧)، والهداية لمكي (٦/ ٤٤٣٥).

(٦) «اشتكى» زيادة من المطبوع، بدل لفظة: «البيت»، وعجز البيت: (ولَكانَ لَو عَلِمَ الكَلامَ مُكَلِّمِي).

البيتَ، ومنه قول الناس: داري تنظر إلى دار فلان، ومنه قول النبي ﷺ: «لا تَـرَاءَى ناراهُمَا»[(١)]، وهذا كثير جدّاً.

وقرأ الجمهور: ﴿يَنقَضَّ﴾؛ أي: يسقط.

وقرأ النبي ﷺ فيما روي عنه: (أَنْ يُنْقَضَ) بضم الياء وتخفيف الضاد[(٢)]، وهي قراءة أُبيٍّ.

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعكرمة: (أَنْ ينقاصَ) بالصاد غير منقوطة[(٣)]، بمعنى: ينشقَّ طولًا، يقال: انْقَاصَ الجِدَارُ وَطَيُّ البئِرِ، وانقاصت السِّنُّ إذا انشقت طولاً، وقيل: إذا تصدعت كيف كان، ومنه قول أبي ذُؤَيب:

---

(١) الصواب فيه الإرسال، هذا جزء من حديث أخرجه أبو داود (٢٦٤٧)، والترمذي (١٦٠٤)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ١٤٢)، وفي شعب الإيمان (٩٣٧٤)، وابن عساكر في معجمه (١٢٢١) من طريق أبي معاوية، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله البجلي مرفوعاً، وفيه قول النبي ﷺ: «أنا بريءٌ من كلِّ مسلم يقيم بين أظهر المشركين»، قالوا: يا رسول الله لم؟ قال: «لا تراءى ناراهما». وقد تابع حفص بن غياث أبا معاوية، عن إسماعيل به. رواه البيهقي في الكبرى (٨/ ١٣١).
وقد اختلف على إسماعيل بن أبي خالد فرواه عنه أبو معاوية، وحفص بن غياث، وصالح بن عمرو، عن إسماعيل، عن قيس، عن جرير مرفوعاً، ورواه عبدة بن سليمان كما عند الترمذي (١٦٠٥)، وأبو خالد الأحمر سليمان بن حيان عند النسائي في الكبرى (٦٩٥٦) وجماعة عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس مرسلاً، قال أبو داود: رواه هشيم ومعتمر وخالد الواسطي وجماعة لم يذكروا جريراً. اهـ، وقال الترمذي: وأكثر أصحاب إسماعيل، عن قيس بن أبي حازم أن رسول الله ﷺ بعث سرية، ولم يذكروا فيه عن جرير، وقال: وسمعت محمداً ـ يعني البخاري ـ يقول: الصحيح حديث قيس عن النبي ﷺ مرسل.
قلت: وكذا قال الدارقطني في العلل (١٣/ ٤٦٤) أن الصواب هو المرسل، وقد أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٨/ ٢٧٤)، والطبراني في الكبير (٣٨٣٦) من طريق يوسف بن عدي، عن حفص بن غياث، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن خالد بن الوليد، مرفوعاً بنحوه، والمحفوظ الأول مرسل.

(٢) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣١).

(٣) وهما شاذتان، انظر قراءة أبي في البحر المحيط (٧/ ٢١٠)، وعزو الثانية في المحتسب (٢/ ٣١).

[الطويل] فِـرَاقٌ كقَيْـصِ السِّـنِّ فالصَّبْـرَ إنَّـهُ لِـكُـلِّ أُنَـاسٍ [عَـبْـرَةٌ وحُـبُـورُ[١]

ويروى: عَثْرةٌ وَجُبُورُ بالثاء والجيم][٢].

وقرأ ابن مسعود، والأعمش: (يُريدُ لِيَنْقَضَّ)[٣].

واختلف المفسرون في قوله: ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾:

فقالت فرقة: هدمه وقعد يبنيه، ووقع هذا في مصحف ابن مسعود[٤]، ويؤيد هذا التأويلَ قولُ موسى: ﴿لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾؛ لأنه فعلٌ يستحقُّ أجراً.

وقال سعيد بن جبير: بلْ مَسَحَه بيده، وأقامه فقام[٥]، وَرُوي في هذا حديث، وهو الأشبه بأفعال الأنبياء عليهم السلام، فقال موسى للخضر: ﴿لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾؛ أي: طعاماً تأكله[٦].

وقرأ الجمهور: ﴿لَتَّخَذۡتَ﴾، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿لَتَخِذْتَ﴾، وهي قراءة ابن مسعود، والحسن، وقتادة[٧]، وأدْغَم بعض القراء الذَّال في التَّاء، ولم يدغمها بعضهم[٨]، ومن قولهم: (تَخِذَ) قولُ الشاعر:

[الطويل] وَقَدْ تَخِذَتْ رِجْلِي إلى جَنْبِ غَرْزِهَا نَسِيفاً كَأُفْحُوصِ الْقَطاةِ الـمُطَرَّقِ[٩]

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي كما في المحكم (٦/ ٤٨٦)، وأمالي القالي (٢/ ٢٥)، والصحاح للجوهري (٣/ ١٩١).
(٢) وهي التي في أغلب المصادر، وفي المطبوع: «عثرة وجبور، ويروى البيت: عبرةٌ وحبور؛ بالباء والحاء».
(٣) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣١).
(٤) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (٧/ ٢١١).
(٥) تفسير الطبري (١٨/ ٨١)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٣١)، ولفظة «بل» من المطبوع.
(٦) ذكره البخاري (٤٧٢٦) من تفسير سعيد بن جبير أثناء الحديث، وهو قوله: أجراً نأكله.
(٧) انظر: التيسير (ص: ٤٤).
(٨) الإظهار لابن كثير وحفص عن عاصم، والإدغام للباقين، انظر: التيسير (ص: ٤٤).
(٩) البيت للمُمَزَّق العبدي، كما في مجاز القرآن (١/ ٤١١)، وقد تقدم في الآية (٥٠) من سورة البقرة.

وفي حرف أُبيٍّ بن كعب: (لَوْ شِئْتَ لأوتيتَ عليهِ أجراً)[١].

ثم قال الخضر لموسى بحسب شرطهما: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾، واشترط / [٣/ ٢١٧] الخضر، وأعطاه موسى ألَّا يقع سؤالٌ عن شيءٍ، والسؤالُ أقلُّ وجوه الاعتراضات، فالإنكار والتخطئة أعظم منه.

وقوله: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ وإنْ لم يكن سؤالاً ففي ضمنه الإنكارُ لفعله، والقولُ بتصويب أخذ الأجر، وفي ذلك تخطئة ترك الأجر.

[و«البَيْنُ»: الصلاح الذي يكون بين المصطحِبَين ونحوهما، وذلك مستعار فيه من الظرفية، ويستعمل استعمال الأسماء][٢]، وأمَّا فصْله وتكريرُه ﴿بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾، وعُدُولُه عن (بَيْنِنَا) فَلِمَعْنى التأكيد.

والسِّينُ في قوله: ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ مُفَرقة بين المحاورتيْن والصحبتيْن، ومُؤْذنَةٌ بأن الأولى قد انقطعت، [ثم أخبره في مجلسه ذلك وفي مقامه بتأوِيلِ تلك القصص، والتأويل هنا: المآلُ][٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾.

قرأ الجمهور: ﴿لِمَسَٰكِينَ﴾ بتخفيف السِّين، جمع مِسْكين، واختلف في صفتهم:

فقالت فرقة: كانت لقوم تجَّار، ولكنهم من حيث هم مسافرون على قَلَتٍ[٤]، وفي لجة بحر وبِحَالِ ضعف عن مدافعة غصبٍ[٥] جائرٍ، عَبَّر عنهم بـ(مَسَاكِينَ)؛ إذ هم في حالٍ يُشْفَق عليهم بسببها.

---

(١) وهي شاذة، لم أجدها لغير المؤلف.

(٢) ليس في المطبوع.

(٣) ليس في المطبوع.

(٤) على قَلَتٍ: على تَعَرُّضٍ للهلاك أو الخوف.

(٥) في نجيبويه: «دفع»، وفي نور العثمانية: «غضب».

قال القاضي أبو محمد: وهذا كما تقول لرجل غنِيٍّ إذا وقع في وهاء[١] أوْ خَطْبٍ: مِسْكين.

وقالت فرقة: كانوا عشرة إخوة أهْلَ عاهات، خمسة منهم عاملون في السفينة، وخمسة لا قدرة بهم على العمل.

وقرأت فرقة: (لِـمَسَّاكِينَ) بتشديدِ السين[٢]، واختلف في تأويل ذلك:

فقالت فرقة: أراد بالمَسَّاكين مَلَّاحي السفينة، وذلك أن المسَّاكَ هو الذي يُمسك رجل المركب، وكل الخدَمة يصلح لإمساكه، فسُمي الجميع مسَّاكين.

وقالت فرقة: أراد بالمسَّاكِين دَبَغَة الـمُسُوك وهي الجلود، واحدها: مَسْكٌ.

والأظهر في ذلك القراءة الأولى، وأنَّ معناها أنَّ السفينة لقوم ضعفاء ينبغي أن يُشفَقَ لهم[٣].

واحتج الناس بهذه الآية في أن المسكين الذي له البُلغة من العيش، كالسفينة لهؤلاء، وأنه أصلح حالاً من الفقير[٤]، واحتج من يرى خلاف هذا بقول الشاعر:

[البسيط] أَمَّا الْفَقيرُ الذي كانَتْ حَلُوبَتُهُ وَفْقَ الْعِيَالِ فَلَمْ يُتْرَكْ لَهَ سَبَدُ[٥]

وتحرير هذا عندي أنهما لفظان يدلَّان على ضعف الحال جدّاً، ومع المسكنة انكشافٌ وذلٌّ بسؤال، ولذلك جعلهما الله صنفين في قَسْم الصدقات[٦].

---

(١) أي: ضعف، وفي المطبوع ونور العثمانية ونجيبويه: «وَهَلَةٍ»، وفي العلمية: «وهدة».
(٢) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٢٩٣) لعلي رضي الله عنه، وعكرمة.
(٣) في المطبوع: «عليهم».
(٤) ذهب إلى ذلك الشافعية، انظر: الحاوي للماوردي (٨/ ٤٨٩).
(٥) البيت للراعي، وقد سبق الاستشهاد به في تفسير الآية (٦٠) من سورة التوبة.
(٦) انظر في ذلك: أحكام القرآن للطحاوي (١/ ٣٧١)، والاستذكار (٣/ ٢٠٧)، والأم (٢/ ٨٣)، والحاوي للماوردي (٨/ ٤٨٤).

فأمَّا حديث النبي ﷺ الذي هو: «ليس المسكين بهذا الطَّوَّاف»[١]، فجعل المساكين في اللغة أهل الحاجة الذين قد كشفوا وجوههم.

وأما قول الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ﴾ [البقرة: ٢٧٣] فجعل الفقراء أهل الحاجة[٢] الذين لم يكشفوا وجوههم، وقد تقدم القول في هذه المسألة بأوعبَ من هذا.

وقوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ قال قوم: معناه: أمامهم، وقالوا: (وراءُ) من الأضداد.

وقرأ ابن جبير، وابن عباس: (وكان أمامَهم مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صحيحة)[٣].

وقرأ عثمان بن عفان: (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ)[٤].

وقوله: ﴿وَرَآءَهُم﴾ هو عندي على بابه، وذلك أن هذه الألفاظ إنما تجيءُ مراعًى بها الزمن، وذلك أن الحادث المقدَّم الوجود: هو الأمام، وبين اليد: لما يأتي بعده في الزمن، والذي يأتي بعدُ: هو الوراءُ وهو ما خلف، وذلك بخلاف ما يظهر ببادئ الرأي، وتأمل هذه الألفاظ في مواضعها حيث وردت تجدها تطرد، فهذه الآية معناها: إنَّ هؤلاء وعملهم وسعيهم يأتي[٥] بعده في الزمن غَصْبُ هذا الملك.

ومن قرأ: (أَمَامَهُمْ) أراد: في المكان؛ أي: إنهم كانوا يسيرون إلى بلده.

وقوله تعالى في التوراة والإنجيل: إنها[٦] بين يدَي القرآن، مطَّرد على ما قلنا في الزمان.

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٣٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) «أهل الحاجة» ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٣) وهي شاذة، ذكرها الطبري (١٨/ ٨٣) عن قتادة قال: كان في القراءة، وفي المطبوع: «صَالِحَةٍ»، بدل «صحيحة».

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها له في معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٧٧)، وتفسير الطبري (١٨/ ٨٤) لأبي، وابن مسعود.

(٥) في المطبوع: «يلي».

(٦) في نجيبويه وأحمد٣: «إنهما».

وقوله: ﴿مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُ﴾ [الجاثية: ١٠]، مطرد كما قلنا من مراعاة الزمن.

وقول النبي ﷺ: «الصلاة أمامَك»[١]، يريد في المكان، وإلاَّ فكونهم في ذلك الوقت كان أمام الصلاة في الزمن، وتأمل هذه المقالة فإنها مريحة من شَغْب هذه الألفاظ.

ووقع لقتادة في «كتاب الطبري»: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾، قال قتادة: أَمَامَهم، ألا ترى أنه يقول: ﴿مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُ﴾ [الجاثية: ١٠][٢] وهي بين أيديهم، وهذا القول غير مستقيم، وهذه هي العجمة التي كان الحسن بن أبي الحسن يضجُّ منها، قاله الزجاج[٣].

ويجوز أن كان رجوعهم في طريقهم على الغاصب، فكان وراءهم حقيقة، وقيل: اسم هذا الغاصب هُدَد بن بُدَد، وقيل: اسمه الجَلَنْدى، وهذا كله غير ثابت.

وقوله: ﴿كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ عموم معناه الخصوص في الجِيادِ منها الصحاحِ المارَّةِ به.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾﴾.

تقدم القول في الغُلام والخلاف في بلوغه أو صغره، وفي الحديث: أن ذلك الغلامَ طُبِع يومَ طُبِع كافراً[٤]، وهذا يؤيد ظاهره أنه كان غير بالغ، ويحتمل أن يكون خبراً عنه مع كونه بالغاً، وقيل: اسم الغلام جَيْسور بالراء، وقيل: جَيسون بالنون، وهذا أمر كلُّه غير ثابت.

وقرأ أُبيُّ بن كعب: (فَكَانَ كَافراً وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ).

---

(١) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري (١٣٩)، ومسلم (١٢٨٠) من حديث أسامة بن زيد مرفوعاً.
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٨٣).
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٠٥).
(٤) أخرجه مسلم (٢٦٦١) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

وقرأ أبو سعيد الخدري: (فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤمِنَان)[١]، فجعلها (كان) التي فيها الأمر والشأن.

وقوله: ﴿فَخَشِينَآ﴾ قيل: هو في جهة الخضر، فهذا متخلص، والضمير عندي للخضر وأصحابه الصالحين الذين أهمَّهم الأمر وتكلموا فيه، وقيل: هو في جهة الله تعالى وعنه عبَّر الخضر، / قال الطبري: معناه: فَعَلِمْنَا، وقال غيره: معناه: فكَرِهْنَا[٢]. [٣/ ٢١٨]

والأظهر عندي في توجيه هذا التأويل ـ وإن كان اللَّفظ يدافعه ـ أنها استعارة؛ أي: على ظن المخلوقين والمخاطبين لو علموا حالَه لوقعت منهم خشيةُ الرَّهَق للأبوين.

وقرأ ابن مسعود: (فَخَافَ رُبُّكَ)[٣]، وهذا بيِّن في الاستعارة، وهذا نظير ما يقع في القرآن في جهة الله تعالى من (لَعَلَّ) و(عَسَى)، فإن جميع ما في هذا كله من تَـرَجٍّ وتَوَقُّع وخوف وخشية إنما هو بِحَسَبِكُم أيُّهَا المخاطبون.

و﴿يُرۡهِقَهُمَا﴾ معناه: يُجَشِّمُهُما[٤] ويُكلِّفهما بشدَّة، والمعنى أن يلقيهما حُبُّهما في اتِّباعه.

وقرأ الجمهور: (أن يُبَدِّلَهما) بفتح الباء وشدِّ الدال.

وقرأ ابن محيصن، والحسن، وعاصم: ﴿أَن يُبۡدِلَهُمَا﴾ بسكون الباء وتخفيف الدال[٥].

---

(١) وهما شاذتان، انظر الأولى في تفسير الثعلبي (٦/ ١٨٧)، والهداية لمكي (٦/ ٤٤٣٩)، والثانية في المحتسب (٢/ ٣٣).

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (١٨/ ٨٥).

(٣) وهي شاذة، انظر تفسير الطبري (١٨/ ٨٥)، ومختصر الشواذ (ص: ٨٩)، وعزاها في معاني القرآن للفراء (٢/ ١٥٧)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٨٧)، وتفسير الزمخشري (٢/ ٧٤١)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٧٩) لأبي.

(٤) من المطبوع ونجيبويه، وفي الأصل: «يخشهما»، وكتبت في العلمية: «يحثهما».

(٥) غير متقن، فالتشديد إنما هو لنافع وأبي عمرو خاصة، والتخفيف للجمهور، فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٤٥).

و«الزَّكَاةُ»: شرف الخُلُق والوقار والسكينة المنطوية على خير ونية[١].

و«الرُّحْمُ»: الرحمة، والمراد عند فرقة؛ أيْ: يرحمهما، وقيل: أي: يرحمانه.

ومنه قول رؤْبة بن العجاج:

[الرجز] يَـا مُنْـزِلَ الرُّحْـمِ عَلَـى إِدْرِيسَـا وَمُنْـزِلَ اللَّعْـنِ عَلَـى إِبْلِيسَـا[٢]

وقرأ ابن عامر: ﴿رُحُماً﴾ بضم الحاء، وقرأ الباقون: ﴿رُحْمًا﴾ بسكونها، واختلف عن أبي عمرو[٣].

وقرأ ابن عباس: (رَبُّهمَا أَزْكَى مِنْهُ وَأَقْرَبَ رُحْماً)[٤].

وروي عن ابن جريج: أنهما بُدِّلا غلاماً مُسلماً، وروي عن ابن جريج: أنهما بُدِّلا جارية، وحكى النقاش: أنها ولدت هي وذريتها سبعين نبيّاً[٥]، وذكره المهدوي عن ابن عباس[٦].

وهذا بعيد، ولا تعرف كثرة الأنبياء إلَّا في بني إسرائيل، وهذه المرأة لم تكن فيهم.

وروي عن ابن جريج: أن أُمَّ الغلام يوم قتل كانت حاملاً بغلام مسلم[٧].

---

(١) ليست في المطبوع.

(٢) انظر عزوه له في تفسير القرطبي (١١/ ٣٧)، والبحر المحيط (٦/ ١٤٧)، وتاج العروس (٣٢/ ٢٢٧)، ولسان العرب (١٢/ ٢٣٠).

(٣) انظر قراءة ابن عامر في التيسير (ص: ١٤٥)، والرواية عن أبي عمرو في السبعة (ص: ٣٩٧).

(٤) وهي شاذة، لم أجدها هكذا لغير المؤلف، وانظر: تفسير القرطبي (١١/ ٣٧).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) لم أقف على قول ابن عباس رضي الله عنه، ولكن أخرج الثعلبي في تفسيره (٦/ ١٨٨) من طريق ميمون بن عبد الله القدّاح عن جعفر بن محمد عن أبيه في هذه الآية قال: أبدلهما جارية فولدت سبعين نبياً. وهذا إسناد واهٍ؛ لضعف ميمون القداح.

(٧) انظر أقوال ابن جريج في تفسير الطبري (١٨/ ٨٧)، وانظر: التحصيل للمهدوي (٤/ ٢٠٦).

وقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ﴾ هذان الغلامان صغيران بقرينة وصفهما باليُتْم، وقد قال النبي ﷺ: «لا يُتْم بَعْد بُلُوغ»[1]، هذا الظاهر.

---

(١) له طرق كلها واهية، هذا الحديث قد ورد من حديث علي بن أبي طالب، وجابر بن عبد الله، وحنظلة ابن حذيم، وأنس رضي الله عنهم:

أولاً: حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وله عنه طرقٌ:

١ ـ عبد الله بن أبي أحمد، عنه أخرجه أبو داود (٢٨٧٥)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢/ ١٣١)، والطبراني في الأوسط (٢٩٠)، وفي الصغير (٢٦٦)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٥٧) من طريق عبد الله بن خالد بن سعيد بن أبي مريم، عن أبيه، عن سعيد بن عبد الرحمن بن يزيد بن رقيش، أنه سمع شيوخاً من بني عمرو بن عوف ومن خاله عبد الله بن أبي أحمد قال: قال علي بن أبي طالب حفظت عن رسول الله ﷺ: «لا يتم بعد احتلام، ولا صمات يوم إلى الليل»، وعبد الله بن خالد بن سعيد بن أبي مريم مستور الحال، وعبد الله بن خالد وأبوه لا يُعرفان.

٢ ـ النزال بن سبرة، عنه أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١٤٥٠)، وابن عدي في الكامل (١/ ٣٦٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٩٣-١٥٥٠-٥٢٩٣)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٤٦١) من طريق معمر بن راشد، عن جويبر، عن الضحاك بن مزاحم، عن النزال بن سبرة، عن علي رضي الله عنه قال: عن النبي ﷺ أنه قال: «لا رضاع بعد الفصال، ولا وصال، ولا يتم بعد الحلم، ولا صمت يوم إلى الليل، ولا طلاق قبل النكاح» قال الثوري: يا أبا عروة إنما هو عن علي موقوف، فأبى عليه معمر إلا عن النبي ﷺ، وقال البيهقي: قال عبد الرزاق: قال سفيان لمعمر: إن جويبر حدثنا بهذا الحديث ولم يرفعه، قال معمر: وحدثنا به مراراً ورفعه.

قلت: وقد تُوبع معمر على رفعه كما ذكر الدارقطني في العلل (٤/ ١٤٢) من رواية أيوب بن سويد، عن الثوري وخالفه محمد بن كثير عن الثوري فوقفه، وكذلك رواه حماد بن زيد وإسحاق بن الربيع عن جويبر موقوفاً، وهو المحفوظ، وجويبر في الأصل متروك.

ثانياً: حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، وله عنه طريقان:

١ـ أبو عتيق عنه أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده كما في المطالب العالية (٧/ ٤٥٤) من طريق حرام بن عثمان، عن أبي عتيق، به. وحرام بن عثمان الأنصاري السلمي ضعيف، قال محمد ابن عبد الله بن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول وذكر له حرام بن عثمان فقال: الحديث عن حرام بن عثمان حرام، وقال أبو حاتم: منكر الحديث متروك الحديث.

٢ـ أبو سعد سعيد بن المرزبان البقال، عن يزيد الفقير، عن جابر به أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٦٤١) من طريق عبد الحميد الحماني، عن أبي سعيد، عن يزيد الفقير، به. وزاد «ولا رهبانية فينا». وسعيد بن المرزبان العبسي، أبو سعد ضعيف. =

وقد يحتمل أن يبقى عليهما اسم[١] اليُتْم بعد البلوغ؛ أي: كانا يتيمين، على معنى التشفيق عليهما.

واختلف الناسُ في الكنز: فقال عكرمة وقتادة،: كان مالاً جسيماً[٢].

وقال ابن عباس: كان علماً في صحف مدفونة[٣].

وقال عمر مولى غُفْرَة[٤]: كان لوحاً من ذهب قد كتب فيه: عجباً للموقن بالرزق كيف يتعب، وعجباً للموقن بالحساب كيف يغفل، وعجباً للموقن بالموت كيف يفرح؟[٥] ورُوي نحو هذا مما هو في معناه[٦].

= **ثالثاً**: حديث حنظلة بن حذيم رضي الله عنه أخرجه الطبراني في الكبير (٣٥٠٢)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢/ ٨٥٧) من طريق سلم بن قتيبة بن الوليد قال: سمعت الذيال بن عبيد بن حنظلة ابن حذيم بن حنيفة سمع جده حنظلة يقول: سمع النبي ﷺ يقول: «لا يتم بعد احتلام، ولا يتم على جارية إذا هي حاضت». والذيال لا يحتمل مثل هذا.

رابعاً: حديث أنس رضي الله عنه أخرجه البزار في مسنده (٦٢٤٣)، والشهاب في مسنده (٨٣٩) من طريق يحيى بن يزيد بن عبد الملك بن المغيرة، عن أبيه، عن محمد بن المنكدر، عن أنس أن النبي ﷺ قال: لا يتم بعد حلم، قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن أنس إلا بهذا الإسناد، ويزيد بن عبد الملك لين الحديث، وقد روى عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه على لينه.اهـ ويزيد هو النوفلي مجمع على ضعفه.

(١) ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٩٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٨٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ قال: كان تحته كنز علم، وأخرجه أيضاً (١٨/ ٨٩) من طريق الحسن بن عمارة، عن الحكم بن عتيبة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه؛ أنه كان يقول: ما كان الكنز إلا علماً. والحسن بن عمارة البجلي متروك.

(٤) هو عُمر بن عبد الله المدني، مولى غُفْرة، له عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب، وعنه ابن لهيعة وجماعة. وثقه ابن سعد، وقال الإمام أحمد: ليس به بأس، لكن أكثر أحاديثه مراسيل، وضعفه ابن معين وغيره، مات سنة (١٤٥هـ). تاريخ الإسلام (٩/ ٢٢٩).

(٥) مرسل ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٨٩) من طريق عبد الله بن عياش، عن عمر مولى غفرة فذكره بلفظ أطول من هذا، وانظر بقية الروايات فيه (١٨/ ٨٩).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٨٩).

وقوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ ظاهر اللفظ والسابق منه أنه والدهما دِنْيَـةً، وقيل: هو الأب السابع، وقيل: العاشر، فحُفِظا فيه وإن لم يذكرا بصلاح.

وفي الحديث: «إن الله تعالى يحفظ الرجل الصالح في ذريته»(١).

وجاء في أنباء الخضر عليه السلام في أول قصة ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، وفي الثانية ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا﴾، وفي الثالثة ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ﴾، وإنما انفرد أوَّلاً في الإرادة؛ لأنها لفظة عَيْبٍ فتأدب بأن لم يسند الإرادة فيها إلَّا إلى نفسه، كما تأدب إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، فأسند الفعل قبلُ وبعدُ إلى الله تعالى، وأسند المرض إلى نفسه؛ إذْ هو معنى نقْص ومصيبة، وهذا المنزع يطرد في فصاحة القرآن كثيراً، ألا ترى إلى تقديم فعل البشر في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ﴾ [الصف: ٥]، وتقديم فعل الله تعالى في قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ [التوبة: ١١٨].

وإنما قال الخضر في الثانية: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ لأنه أمل كان قد رَوَّاهُ هو وأصحابه الصالحون، وتكلم فيه في معنى الخشية على الوالدين وتمني البديل لهما.

وإنما أسند الإرادة في الثالثة إلى الله تعالى؛ لأنها في أمرٍ مستأنف في الزمن طويل غيب من الغيوب، فحسُن إفراد هذا الموضع بذكر الله تعالى، وإن كان الخضر قد أراد أيضاً ذلك الذي أعلمه الله تعالى أنه يريده، فهذا توجيه فصاحة هذه العبارة بحسب فهمنا المقصِّر، والله أعلم.

و«الأَشُدُّ»: كمالُ الخُلُق والعقل، واختلف الناسُ في قدر ذلك من السن: فقيل: خمس وثلاثون، وقيل: ست وثلاثون، وقيل: أربعون، وقيل غير هذا مما فيه ضعف.

---

(١) أخرج الحميدي في مسنده (٣٧٢)، والنسائي في الكبرى (١١٨٣٨) عن تحفة الأشراف، والطبري (١٨/ ٩٠-٩١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٩) وغيرهم من طريق عبد الملك بن ميسرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: حُفظا بصلاح أبيهما، وما ذكر منهما صلاح. وإسناده جيد.

وقول الخضر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ يقتضي أن الخضر نبيٌّ، وقد اختلف الناسُ فيه، فقيل: هو نبيٌّ، وقيل: هو عبد صالحٌ، وليس بنبيٍّ.

وكذلك جمهور الناس على أن الخضر ماتَ صلى الله عليه وسلم، وتقول فرقة: إنه حيٌّ؛ لأنه شرب من عين الحياة، وهو باقٍ في الأرض، وأنه يحج البيت وغير هذا، وقد أطنب النقاشُ في هذا المعنى، وذكر في كتابه أشياء كثيرة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره، كلها لا يقوم على ساق(١)، ولو كان الخضر عليه السلامُ حيّاً يحجُّ البيت(٢) لكان له في ملَّة الإسلام ظهور، والله العليم بتفاصيل الأشياء لا ربَّ غيره.

ومما يقضي بموت الخضر الآن قول النبي ﷺ: «أرأَيتَكم ليلتَكم هذه، فإنه لا يبقى [إلى رأس مئة سنة](٣) ممَّن هو اليومَ على ظهر الأرضِ أحدٌ»(٤).

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ﴾؛ أي: مآلُ.

وقرأت فرقة: (تَسْتَطِعْ)، وقرأ الجمهور: ﴿تَسْطِع﴾، قال أبو حاتم: كذا تُقرأ، نتبع المصحف(٥).

وانتزع الطبري من اتصال هذه القصة بقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: ٥٨] أن هذه القصة إنما جُلبت على معنى المثل للنبي ﷺ في قومه؛ أي: لا

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٤٣).

(٢) زيادة من نجيبويه.

(٣) ليس في الأصل والمطبوع والحمزوية والإمارتية٢، وهو في أحمد٣ مؤخر عن محله.

(٤) متفق عليه، أخرج البخاري (١١٦)، ومسلم (٢٥٣٧) أن عبد الله بن عمر قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة صلاة العشاء في آخر حياته فلما سلم قام فقال: «أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مئة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد».

(٥) القراءة الأولى شاذة عزاها الكرماني في الشواذ (ص:٢٩٣) للحسن، والثانية هي المتواترة، وقول أبي حاتم لم أقف عليه.

تهتم بإملاء الله لهم، وإجراء النعم لهم على ظاهرها، فإن البواطن سائرة إلى الانتقام منهم، ونحو هذا مما هو محتمل لكن بتعسُّف مَّا، فتأمله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ / إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾. [٣/ ٢١٩]

اختلف فيمن سأله عن هذه القصة: فقيل: سألته طائفة من أهل الكتاب، وروى في ذلك عقبةُ بن عامر حديثاً ذكره الطبري(١)، وقيل: إنما سألتهُ قريش حين دلَّتها اليهود على سؤاله عن الرُّوح، والرَّجُلِ الطَّوَّاف، وفِتيَة ذهبوا في الدهر؛ ليقع امتحانه بذلك.

وذو القرنين: هو الإسكندر الملك(٢) اليوناني المقدوني(٣)، وقد تُشَدَّد قافُه فيقال: الـمَقَّدوني، وذكر ابن إسحاق في «كتاب الطبري»: أنه يوناني(٤)، وقال وهب ابن مُنبِّه: هو رومي(٥)، وذكر الطبري حديثاً عن النبي ﷺ أن ذا القرنين شابٌّ من الروم، وهو حديث واهي السند، فيه عن شيخين من تجيب(٦).

واختلف الناس في وجه تسميته بذِي الْقَرْنَيْنِ، فأَحْسَن الأقوال أنه كان ذا ضفيرتيْن من شعْرٍ هما قرناه، فَسُمِّي بهما، ذكره المهدوي وغيره(٧).

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٩٢)، وابن عبد الحكم في فتوح مصر (ص: ٣٨)، وأبو الشيخ في العظمة (٩٧٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٩٥-٢٩٦) من طريق عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم الإفريقي، عن شيخين من تجيب، قال: أحدهما لصاحبه: انطلق بنا إلى عقبة بن عامر نتحدّث،.. فذكره بلفظ مطول، والإفريقي ضعيف، وشيخاه مجهولان.

(٢) ليست في المطبوع.

(٣) كتبت في الأصل: «المقذوني» بالذال في الموضعين، والتصويب من النسخ الأخرى.

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ١٠٤).

(٥) تفسير الطبري (١٨/ ٩٣).

(٦) ضعيف، وهو نفس الحديث السابق.

(٧) التحصيل للمهدوي (٤/ ٢٠٧).

والضفائر قرون الرأس، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] فَلَثَمْتُ فَاهَا آخِذاً بِقُرُونِهَا شُرْبَ النَّزِيفِ لِبَرْدِ ماءِ الحَشْرَجِ[١]

ومنه الحديث في غسل بنت النبي ﷺ، قالت أُمُّ عطية: فَضَفَرْنَا رأسَها ثلاثةَ قُرونٍ[٢]، وكثيراً تجيءُ تسمية النواصي قروناً.

ورُوي: أنه كان في أول مُلْكه يرى في نومه أنه يتناول الشمس، ويُمسك قرنين لها بيديه، فَقَصَّ ذلك، فَفُسِّر أنه سيغلب على ما ذَرَّت عليه، وسُمِّي ذا القرنين.

وقالت فرقة: سُمِّي ذا القرنين؛ لأنه بلغ المغرب والمشرق، فكأنه حاز قرني الدنيا.

وقالت فرقة: إنه لما بلغ مطلع الشمس كشف بالرؤية قَرْنيها فَسُمِّي بذلك، أو قرني الشيطان بها.

وقال وهب بن منبه: سُمِّي بذلك؛ لأن جَنْبَتَيْ رأسه كانتا من نحاس[٣].

وقال وهب بن منبه أيضاً: كان له قرنان تحت عمامته[٤]، وهذا كله بعيد.

وقال علي بن أبي طالب: إنَّما سُمِّي ذا القرنين؛ لأنه ضُرب على قَرْن رأسه فمات، ثم حيي، ثم ضرب على قرن رأسه الآخر فمات، فسُمِّي بذلك لأنه جُرح على قرني رأسه جرحين عظيمين في يومين عظيمين من أيام حربه، فسُمِّي بذلك[٥]، وهذا قريب.

---

(١) البيت لجميل كما سيأتي للمصنف في سورة الصافات، وكما في العين (٦/ ٢٥٤)، والمحكم (٤/ ٤٩)، والمستقصى في أمثال العرب (١/ ٢٣٩)، وبصائر ذوي التمييز (١/ ١٤٦٣)، وتاج العروس (٢٤/ ٣٩٩)، والعقد الفريد (٦/ ٦١)، ونسبه أيضاً لعمر بن أبي ربيعة، وهو كذلك في جمهرة اللغة (٢/ ١١٣٣)، والأغاني (١/ ١٩٧)، والتحرير والتنوير (١٦/ ١٩)، وانظر لسان العرب (٢/ ٢٣٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٥٤)، ومسلم (٩٣٩) من حديث أم عطية الأنصارية رضي الله عنها.

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٩٣).

(٤) تفسير القرطبي (١١/ ٤٧).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣١٩١٣-٣١٩١٤)، والطبري (١٨/ ٩٣) من طريق أبي الطفيل =

و«التَّمْكِينُ له في الأرض»: أنه ملَكَ الدنيا، ودانت له الملوك كلُّها، فرُوي: أن جميع من ملك الدنيا كلها الأربعة: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان سليمان بن داود، والإسكندر، والكافران نمرود وبختنصر.

وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ معناه: علماً في كل أَمْرٍ، وأَقْيِسَةً يتوصل بها إلى معرفة الأشياء.

وقوله: ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ عموم معناه الخصوص في كل ما يمكن أن يعلمه ويحتاج إليه، وثَمَّ لا محالة أشياءُ لم يُؤْت منها سبباً يعلمها به.

واختلف في ذي القرنين، فقيل: هو نبيٌّ، وهذا ضعيف، وقيل: هو مَلَك ـ بفتح اللام ـ، ورُوي عن عمر بن الخطاب[1] أنه سمع رجلًا يدعو آخر: يا ذا القرنين، فقال: أما كفاكم أن تسمَّيتم بأسماء الأنبياء حتى تسَمَّيْتم بأسماء الملائكة؟[2].

وروي عن النبي ﷺ أنه سُئل عنه فقال: «مَلَك مَسَحَ الأرض من تحتها بالأسباب»[3].

وقيل: هو عبدٌ مَلِك ـ بكسر اللام ـ صالحٌ نصح اللَّهَ فأَيّدَه، قاله عليُّ بن أبي طالب، وقال: فيكم اليومَ مثلُه[4]، وعنى بذلك نفسَه، والله أعلم.

= عامر بن واثلة الليثي، عن علي رضي الله عنه فذكره بنحو لفظ المؤلف، وإسناده لا بأس به.

(١) في الأصل ونور العثمانية: «علي بن أبي طالب»، والمثبت هو الموافق للمصادر الآتية.

(٢) أخرج ابن عبد الحكم في فتوح مصر (ص: **٣٩**)، والطبري (**١٨/ ١٠٤-١٠٥**) من طريق ثور بن يزيد الكلاعي عن خالد بن معدان قال: سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقول: يا ذا القرنين بنحوه، وخالد بن معدان لم يسمع من عمر رضي الله عنه.

(٣) مرسل، أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر (ص: **٣٩**)، والطبري (**١٨/ ١٠٤-١٠٥**)، وأبو الشيخ في العظمة (**٩٨٥-٩٨٧**) من طريق محمد بن إسحاق، عن ثور بن يزيد الكلاعي، عن خالد ابن معدان الكلاعي، عن النبي ﷺ به. وخالد ثقة عابد، يرسل كثيراً، ولم يسمع من النبي ﷺ.

(٤) صحيح، أخرجه الطبري (**١٨/ ٩٣**) من طرق عن أبي الطفيل، عن علي رضي الله عنه به.

قوله: ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ الآية، قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: ﴿فاتَّبَعَ﴾ بشد التاء.

وقرأ عاصمٌ، وابن عامرٍ، وحمزة، والكسائي: ﴿فَأَتۡبَعَ﴾ بسكون التاء[١]، على وزن (أَفْعَلَ).

قال بعض اللغويين: هما بمعنىً واحدٍ، وكذلك (تَبِـعَ)، وقالت فرقة: أَتْبَعَ بقطع الألف هي عبارةٌ عن الـمُجِدِّ الـمُسْرع الحثيث الطلب، واتَّبَعَ إنما يتضمن معنى الاقتفاء دون هذه القرائن، قاله أبو زيد وغيره[٢].

قال القاضي أبو محمد: واستقراءُ هذا القائل هذه المقالة من القرآن، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠]، وكقوله: ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ﴾ [طه: ٧٨]، وكقوله تعالى: ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الأعراف: ١٧٥]، وهذا قولٌ حكاه النقاش عن يونس ابن حبيب[٣].

وإذا تأملت (اتَّبَعَ) بشد التَّاءِ لم تربط[٤] لك هذا المعنى ولا بُدَّ.

و«السَّبَبُ» في هذه الآية: الطريقُ المسلوكة؛ لأنها سبب الوصول إلى المقصد.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: ﴿فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٍ﴾ على وزن فَعِلَة؛ أي: ذات حمأةٍ.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر، والباقون: ﴿في عين حامية﴾[٥]؛ أي: حارَّة.

وقد اختلف في ذلك قراءة[٦] معاوية وابن عباس، فقال ابن عباس: (حَمِئَةٍ)،

---

(١) انظر: التيسير (ص: ١٤٥)، والسبعة (ص: ٣٩٧).

(٢) البحر المحيط (٧/ ٢٢٠).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «يرتبط».

(٥) انظر: السبعة (ص: ٣٩٨)، والتيسير (ص: ١٤٥).

(٦) في الحمزوية ونور العثمانية: «في قراءة ذلك». وفي أحمد٣: «واختلف فيها».

وقال معاوية: (حَامِيَةٍ)، فبعثا إلى كعب الأَحبار ليخبرهم بالأمر كيف هو في التوراة، فقال لهما: أمَّا العربية فأنتما أعلم بها منِّي، ولكني أجد في التوراة أنها تغرب في عين ثأْطٍ، والثَّأْط: الطين، فلما انفصلا قال رجل لابن عباس: لَوَدِدْتُ أني حضرت[١] يا أبا العباس فكنتُ أُنجدك بشعر تُبَّع الذي يقول فيه في ذكر ذي القرنين:

[الكامل]

قَدْ كَانَ ذو الْقَرْنَيْنِ جَدِّي مُسْلِماً مَلِكاً تَدينُ لهُ الْمُلُوكُ وَتُحْشَدُ
بَلَغَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ يَبْتَغِي أَسْبَابَ أَمْرٍ مِنْ حَكِيمٍ مُرْشِدِ
فَرَأَى مغار الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا في عَيْنِ ذي خُلُبٍ وَثَأْطٍ حَرْمَدِ[٢]

فالخُلُبُ: الطِّين، والثَّأْط: الحمأة، والحَرْمَد: الأَسْوَد[٣].

ومن قرأ: ﴿حَامِيَةٍ﴾ وجَّهها إلى الحرارة، وروي عن عبد الله بن عمرو[٤]: أن رسول الله ﷺ نظر إلى الشمس وهي تغيبُ، فقال: «في نار اللَّهِ الحامية، لولا ما يَزَعُها من الله لأحرقت ما على الأرض»[٥].

---

(١) «أني حضرت» ليست في المطبوع.

(٢) انظر عزوها له هكذا في تفسير الثعلبي (٦/ ١٩١)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٨٧)، والماوردي (٣/ ٣٣٩)، والعين (٤/ ٢٧٠) إلا إن عند بعضهم: وتسجد، وعزاه في المحكم (٤/ ٧٢)، وتهذيب اللغة (٢/ ٤٩٥) لأمية، ولعله ابن أبي الصلت، وفي المطبوع: «مَغِيبَ الشمس».

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٤١١)، والطبري (١٨/ ٩٦) من طريق إسماعيل ابن عُلَيَّةَ، عن عثمان بن حاضر قال: سمعت عبد الله بن عباس يقول: قرأ معاوية هذه الآية، فقال: ﴿عَيْنٍ حامِيَةٍ﴾ فقال ابن عباس: إنها ﴿عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، قال: فجعلا كعباً بينهما، قال: فسألاه، فقال كعب: أما الشمس فإنها تغيب في ثأط، فكانت على ما قال ابن عباس، والثأط: الطين، وأخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١٦١٢) من طريق أبي أسامة، عن عمرو بن ميمون، عن عثمان به، وعثمان بن حاضر الحميري لا بأس به، وأخرجه الطبري (١٨/ ٩٦) من طريق عبد الرحمن الأعرج يقول: كان ابن عباس يقول: ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ثم فسرها: ذات حمأة، قال نافع: وسئل عنها كعب، فقال: أنتم أعلم بالقرآن مني، ولكني أجدها في الكتاب: تغيب في طينة سوداء، وهذا منقطع.

(٤) في المطبوع ونور العثمانية: «بن عمر»، والمثبت هو الموافق لما في المصادر.

(٥) ضعيف، أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٠٧)، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأحمد بن منيع، وأبو يعلى =

وروى أبو ذَرٍّ: أن رسول الله ﷺ نظر إلى الشمس عند غروبها فقال: «أتدري أين تغرب يا أبا ذَرٍّ؟» قلت: لا، قال: «إنها تغربُ في عين حاميةٍ»[1]، فهذا يدل على أن العين هناك حارَّة.

و﴿حَامِيَة﴾ هي قراءة طلحة بن عبيد الله[2]، وعمرو بن العاص، وابنه، وابن عمر.

وذهب الطبري إلى الجمع بين الأمرين فقال: يحتمل أن تكون العين حارة ذات حمأة، / فكلُّ قراءةٍ وصفٌ بصفة من أحوالها[3]. [٣/ ٢٢٠]

وذهب بعض البغداديين إلى أن (في) بمنزلة (عند)، كأنها مسامتة من الأرض فيما يرى الرائي لعَيْنٍ حمئة[4].

وقال بعضهم: قوله: ﴿فِى عَيْنٍ﴾ إنما المراد أن ذا القرنين كان فيها؛ أي: هي آخر الأرض، وظاهر هذه الأقوال محتمل، والله أعلم.

قال أبو حاتم: وقد يمكن أن تكون ﴿حَامِيَةٍ﴾ مهموزة، بمعنى: ذات حمأةٍ، فتكون القراءتان بمعنىً واحد[5].

= كما في إتحاف المهرة (٨/ ٢٢٣)، والمطالب العالية (٤٣٨)، والطبري في تفسيره (١٨/ ٩٧) من طريق يزيد بن هارون، عن العوام بن حوشب، قال: حدثني مولى لعبد الله بن عمرو، عن عبد الله بن عمرو ابن العاص فذكره مرفوعاً. وفيه رجل لم يسمَّ.

(١) حديث فرد بإسناد فيه لين، وهو في الصحيح دون هذه العبارة، أخرجه أبو داود (٤٠٠٤)، والطبري (١٠/ ٢٠)، والبزار في مسنده (٤٠١٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٤٤) من طريق يزيد بن هارون، عن سفيان بن حسين، عن الحكم بن عتيبة، عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً، وقد أخرجه البخاري (٣١٩٩) (٤٨٠٢)، ومسلم (١٥٩) من طرق عن الأعمش، ومسلم من طريق يونس بن عبيد، وخارج الصحيحين من طريق: فضيل بن عمير وهارون بن سعد وموسى بن المسيب وحبيب بن أبي الأشرس جميعاً عن إبراهيم التيمي بهذا الإسناد مطولاً ومختصراً، ولم يذكر: «إنها تغرب في عين حامية» إلا سفيان بن حسين عن الحكم بن عتيبة.

(٢) في المطبوع: «بن عبد الله»، وقد تقدم أنها سبعية متواترة.

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٩٧).

(٤) البحر المحيط (٧/ ٢٢١).

(٥) لم أقف عليه.

واستدل بعض الناس على أن ذا القرنين نبيٌّ بقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾، ومن قال إنه ليس بنبي، قال: كانت هذه المقالة من الله له بإلهام.

وقوله: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ معناه[١]: بالقتل على الكفر، ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ بالإجمال[٢] على الإيمان واتباع الهدى، فكأنه قيل له: هذه لا تعطها إلاَّ إحدى خطتين: إمَّا أن تكفر فتعذبها، وإمَّا أن تؤمن فتحسن إليها.

وذهب الطبري إلى أن اتِّخاذ الْحُسْن هو الأسْرُ مع كفرهم[٣]، فالمعنى على هذا أنهم كفروا ولا بُدَّ، فخيَّره الله بين قتلهم أو أسرهم، ويحتمل أن يكون الاتِّخاذُ ضربَ الجزية، ولكن تَقْسيم ذِي الْقَرْنَيْنِ بعدُ هذا الأمرَ إلى كفر أو إيمان يرُدُّ هذا القول بعض الرَّدِّ، فتأمله.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾.

﴿ظَلَمَ﴾ في هذه الآية بمعنى: كفر.

ثم توعَّد الكافرين بتعذيبه إياهم قبل عذاب الله، وعقَّب لهم بذكر عذاب الله؛ لأن تعذيب ذي القرنين هو اللاحق[٤] عندهم، المحسوس[٥] لهم، الأقرب نكاية، فلما جاء إلى وعد المؤمنين قدَّم تنعيم الله تعالى الذي هو اللاحق عند المؤمنين، والآخر بإزائه حقير.

ثم عقَّب[٦] أخيراً بذكر إحسانه في قول اليُسْر، وجعله قولًا إذ الأفعال كلها خَلْق لله تعالى، فكأنه سلَّمها ولم يراع تكسُّبه.

---

(١) من المطبوع، وكذا: «قوله».
(٢) في المطبوع: «بالحمل»، وفي نور العثمانية: «بالإحيال».
(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٩٨).
(٤) في المطبوع ونجيبويه: «الأحق في الموضعين».
(٥) في المطبوع: «المحبوس».
(٦) في الأصل: «عبَّر».

وقرأت فرقة: ﴿نُكُراً﴾ بضم الكاف، وقرأت فرقة: ﴿نُّكْرًا﴾ بسكون الكاف[(١)]، ومعناه: المنكر الذي تنكره الأوهام لِعِظَمِه، وتستهوِلُه.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم ـ في رواية أبي بكر ـ وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿جَزَاءُ الْحُسْنى﴾ بإضافة الجزاء إلى الحسنى، وذلك يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يريد بـ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة، والجنة: هي الجزاءُ، فأضاف ذلك، كما قال: ﴿دار الآخرة﴾، والدار: هي الآخرة[(٢)].

والثاني: أن يريد بـ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أعمالَهم الصَّالحة في إيمانهم، فوعدهم بجزاء الأعمال الصالحة.

وقرأ حمزة، والكسائي، وحفصٌ عن عاصم: ﴿جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ بنصب الجزاء[(٣)] على المصدر في موضع الحال، و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ابتداءٌ، خبره في المجرور، ويراد بها الجنة.

وقرأ عبد الله بن أبي إسحاق: (جَزَاءٌ) بالرفع والتنوين ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

وقرأ ابن عباس، ومسروق: (جَزَاءَ) بالنصب بغير تنوين ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ بالإضافة[(٤)].

قال المهدوي: يجوز حذف النون لالتقاءِ الساكنين، ووعدهم بعد ذلك بأنه يُيَسِّر عليهم أمور دنياهم[(٥)].

وقرأ ابن القعقاع: ﴿يُسُراً﴾ بضم السين[(٦)].

وقوله: ﴿ثُم اتَّبَعَ سبباً﴾، المعنى: ثم سلك ذو القرنين الطرق المؤدية إلى

(١) وهما سبعيتان، والضم لنافع وابن ذكوان وشعبة، انظر: التيسير (ص: ١٤٤).

(٢) في المطبوع: «والآخرة هي الدار».

(٣) انظر: التيسير (ص: ١٤٥)، والسبعة (ص: ٣٩٨).

(٤) وهما شاذتان، انظر عزوهما في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٠٦).

(٥) انظر: التحصيل للمهدوي (١/ ٢٢٣).

(٦) على قاعدته وهي عشرية، انظر: تحبير التيسير (ص: ٣٠٢)، والنشر (٢/ ٢١٦)، وفي أغلب طبعات النشر «أبو عمرو»، وهو خطأ.

مقصده، فهي سبب الوصول، وكانَ ذو القرنين ـ على ما وقع في كتب التواريخ ـ يدوس الأرض بالجيوش الثقال، والسِّيرة الحميدة، والإعداد الموفَّى، والحزم المستيقظ المتَّقد، والتأييد المتواصل، وتقوى الله عزَّ وجلَّ، فما لقي أُمَّةً ولا مَرَّ بمدينة إلَّا دانت له ودخلت في طاعته، وكلُّ من عارضه وتوقَّف عن أمره جعله عظةً وآية لغيره، وله في هذا المعنى أخبار كثيرة، وغرائب كرهْتُ التطويل بها؛ لأنها علْم تاريخ.

وقرأ الجمهور ﴿مَطْلِعَ﴾ بكسر اللام، وقرأ الحسن ـ بخلاف ـ، وابن كثير، وأهل مكة: ﴿مَطْلَعَ ٱلشَّمْسِ﴾ بفتح اللام[١].

و«القوم»: الزَّنْج، قاله قتادة[٢]، وهم الهنود وما وراءهم.

وقال الناس[٣] في قوله: ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ معناه: إنهم ليس لهم بنيان؛ إذ لا تحتمل أرضهم البناء، وإنما يدخلون من حرِّ الشمس في أسراب[٤].

وقيل: يدخلون في ماء البحر، قاله الحسن، وقتادة، وابن جريج[٥].

وكثَّر النقاشُ وغيره في هذا المعنى[٦].

والظاهر من الألفاظ أنها عبارة بليغة عن قُرْب الشمس منهم، وفعلها بقدرة الله تعالى فيهم، ونَيْلها منهم، ولو كان لهم أسرابٌ تغني لكان لهم[٧] سِتْراً كثيفاً، وإنما هم في قبضة القدرة، سواءٌ كان لهم أسراب أو دُورٌ أَوْ لم يكن، ألا ترى أن السِّتْر عندنا

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٩٩).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ١٠٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٨٧)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٩٢). وتفسير الماوردي (٣/ ٣٤٠).

(٣) في العلمية: «النقاش».

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ١٠٠).

(٥) انظر القولين في تفسير الطبري (١٨/ ١٠٠)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٨٦)، والهداية لمكي (٦/ ٤٤٦٠).

(٦) لم أقف عليه.

(٧) من نجيبويه.

نحن[١] إنما هو من السحاب والغمام وبَرْد الهواء، ولو سلَّط الله علينا الشمس لأحرقتنا، فسبحان المنفرد بالقدرة التامة.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ معناه: فَعَل معهم كفِعْله مع الأولين أهل المغرب، فأوجز بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾، ثم أخبر الله تعالى عن إحاطته بجميع ما لدى ذي القرنين، وما تصرف من أفعاله.

ويحتمل أن يكون ﴿كَذَٰلِكَ﴾ استئناف قول، ولا يكون راجعاً على الطائفة الأولى، فتأمله، والأول أصوب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾.

قرأت فرقة: (اتَّبَعَ) بشدِّ التاءِ، وقرأت فرقة: (أَتبَعَ) بتخفيفها، وقد تقدم ذكره.

وهذه الآية تقتضي[٢] أنه لما بلغ مطلع الشمس؛ [أي: أدنى الأرض من مطلع الشمس][٣] اتَّبع بعد ذلك سبباً، أي: طريقاً آخر، فهو ـ والله أعلم ـ إمَّا يَمْنَة وإما يسْرَةً من مطلع الشمس.

و«السَّدَّان» فيما ذكر أهل التفسير: جبلان سدَّا مسالك تلك الناحية من الأرض، وبين طرفي[٤] الجبلين فَتْحٌ هو موضع الرَّدْم[٥].

[٣/ ٣٢١] قال ابن عباس: الجبلان اللذان بينهما السَّدُّ: أرمينية / وأذربيجان[٦].

---

(١) ليست في نجيبويه ونور العثمانية، وفي المطبوع: «بحق».
(٢) في المطبوع: «وهذا يقتضي».
(٣) ليس في المطبوع ونجيبويه.
(٤) في المطبوع: «طريقي».
(٥) في المطبوع: «الرُّوم».
(٦) منقطع، أخرجه الطبري (١٨/ ١٠٢) من طريق ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس =

وقالت فرقة: هما من وراء بلاد الترك، ذكره المهدوي[١].

وهذا كله غير متحقق، وإنما هما في طرف الأرض مما يلي المشرق، ويظهر من ألفاظ التواريخ أنه إلى ناحية الشمال، وأما تعيين موضع فضعيف.

وقرأ نافع[٢]، وعاصم وابن عامر: ﴿السُّدَّيْن﴾ بضم السين، وكذلك ﴿سُدّاً﴾ حيث وقع، وقرأ حفص عن عاصم بفتح ذلك كله من جميع القرآن[٣]، وهي قراءة مجاهد، وعكرمة، وإبراهيم النَّخَعي، وقرأ ابن كثير: ﴿ٱلسَّدَّيْنِ﴾ بفتح السِّين، وضم ﴿سُدّاً﴾ في (يس).

واختلف بعدُ: فقال الخليل وسيبويه: الضم هو الاسم، والفتح المصدر، وقال الكسائي: الضم والفتح لغتان بمعنىً واحد[٤]، وقال[٥] عكرمة، وأبو عمرو بن العلاء، وأبو عبيدة: ما كان من خلقة الله لم يشارك فيه أحد بعمل فهو بالضَّم، وما كان من صنع البشر فهو بالفتح[٦].

ويلزم أهلَ هذه المقالة أن يقرأ: (بَيْنَ السُّدَّيْنِ) بالضم، وبعد ذلك ﴿سَدًّا﴾ بالفتح، وهي قراءة حمزة، والكسائي[٧].

= رضي الله عنه به، وابن جريج لم يصرح بالسماع، وعطاء يرسل عن ابن عباس.

(١) التحصيل للمهدوي (٤/ ٢١١).

(٢) في الأصل بدلها: «وعاصم وابن عامر» مكررة.

(٣) في المطبوع: «القراءات».

(٤) انظر قول الكسائي في تفسير الطبري (١٨/ ١٠٢)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٩٣)، ومع قول الخليل وسيبويه في الهداية لمكي (٦/ ٤٤٦٢)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٠٦).

(٥) في الأصل: «وقرأ».

(٦) مجاز القرآن (١/ ٤١٤)، وقول عكرمة في تفسير الطبري (١٨/ ١٠٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٨٨).

(٧) وكلها سبعية، والحاصل أن الضم في «سُدّاً» لنافع وابن عامر وشعبة، وأن الضم في (السدين) لهم ولحمزة والكسائي، انظر: السبعة (ص: ٣٩٩)، والتيسير (ص: ١٤٥)، وانظر ما زاد على ذلك في البحر المحيط (٧/ ٢٢٤).

وحكى أبو حاتم عن ابن عباس وعكرمة عكْسَ ما قال أبو عبيدة[١].

وقال ابن إسحاق: ما رأته عيناك فهو سُدٌّ بالضم، وما لا يُرى فهو سَدٌّ بالفتح[٢].

والضمير في ﴿دُونِهِمَا﴾ عائد على الجبلين؛ أي: وجدهم في الناحية التي [تلي عمارة الناس][٣] إلى المغرب.

واختلف في القَوْم: فقيل: هم بشر، وقيل: جنٌّ، والأول أصح من وجوه.

وقوله: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا﴾ عبارة عن بُعد لسانهم عن ألسنة الناس، لكنهم فقهوا أو فهموا بالترجمة ونحوها.

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿يُفْقِهُونَ﴾ من أفْقَهَ، وقرأ الباقون: ﴿يَفۡقَهُونَ﴾ من فَقهَ[٤].

والضمير في ﴿قَالُواْ﴾ للقوم الذين من دون السَّدَّيْن.

ويَأْجُوج وَمَأْجُوج: قبيلتان من بني آدم، لكنهم ينقسمون أنواعاً كثيرة اختلف الناس في عددها، فاختصرت ذكره لعدم الصحة، وفي خَلْقهم تشويه، منهم المفرط الطول، ومنهم المفرط القِصَر على قدر الشِّبْر[٥] وأَقَلُّ وأكْثَر، ومنهم صنف عظيم الآذان، الأذن الواحدة وبرة، والأُخرى زعراء[٦]، يصَيِّف في الواحدة ويشتو في الأُخرى وهي تعمُّه.

واختلفت القراءة: فقرأ عاصم وحده: ﴿يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ﴾ بالهمز، وقرأ الباقون: ﴿ياجوج وماجوج﴾ بغير همز[٧]، فأما من همز فاختلف:

---

(١) تفسير القرطبي (١١/ ٥٩).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (٦/ ٤٤٦٢)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٠٦)، وفي أحمد٣ والإماراتية١ والحمزوية: «ابن أبي إسحاق».

(٣) ليس في المطبوع ونجيبويه وفيهما بدله: «تأتي».

(٤) انظر: التيسير (ص: ١٤٥)، والسبعة (ص: ٣٩٩).

(٥) في نجيبويه: «البشر».

(٦) كتبت في بعض النسخ الخطية: «زعرى» مقصورة.

(٧) انظر: السبعة (ص: ٣٩٩)، والتيسير (ص: ١٤٥).

فقالت فرقة: هو أعجمي، علَّتاه في منع الصرف [العجمةُ والتأنيثُ.

وقالت فرقة: هو معرب من أجج وأج، علتاه في منع الصرف][(١)] التعريف والتأنيث.

وأما من لم يهمز فإمَّا أن يراهما اسمين أعجَميَّيْن، وإما أن يُسَهِّل من الهمز.

وقرأ رؤبة بن العجَّاج: (آجُوج وماجُوج) بهمزة بدل الياء[(٢)].

واختلف الناس في إفسادهم الذي وصفوهم به:

فقال سعيد بن عبد العزيز: إفسادُهم أكلُ بني آدم[(٣)].

وقالت فرقة: إفسادهم إنما كان عندهم مُتَوَقَّعاً؛ أي: سيفسدون، فطلبوا وجه التحرز منهم.

وقالت فرقة: إفسادهم هو الظُّلم والغَشْم والقتل وسائر وجوه الإفساد المعلوم من البشر، وهذا أظهر الأقوال؛ لأن الطائفة الشاكية إنما [تشكَّت من ضرر قد نالها][(٤)].

وقولهم: ﴿فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا﴾ استفهامٌ على جهة حسن الأدب.

و«الْـخَرْجُ»: الـمُجْبَى، وهو الخراج، وقال قوم: الخَرْجُ: المال يخرج مرة، والخَرَاجُ: الـمُجْبَى المتكرر، فعرضوا عليه أن يجمعوا له أموالاً يقيم بها أمر السد.

وقال ابن عباس: ﴿خَرۡجًا﴾: أجراً[(٥)].

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم: ﴿خَرۡجًا﴾، وقرأ حمزة، والكسائي:

---

(١) ليس في المطبوع، وهو في الإماراتية١ ملحق بالهامش، وفي المطبوع أيضاً قبله: «علته»، بالإفراد.

(٢) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٨٥)، قال: ورواها آخرون عن العجاج.

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ١٠٤).

(٤) في المطبوع: «شكت من ضُرٍّ قد نالهم».

(٥) منقطع، أخرجه الطبري (١٨/ ١١٢) من طريق ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

﴿خَراجاً﴾، وهي قراءة طلحة بن مصرِّف، والأعمش، والحسن بخلاف عنه[١].

ورُوي في أمر يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ: أن أرزاقهم هي من التنين يرزقونها[٢] ويمطرونها، ونحو هذا مما لا يصح، ورُوي أيضاً: أن الذكر منهم لا يموت حتى يولد له ألف ولد، والأُنثى لا تموت حتى يخرج من بطنها ألف، فهم لذلك إذا بلغوا العدد ماتوا[٣].

ورُوي أيضاً: أنهم يتناكحون في الطرق كالبهائم، وأخبارهم تضيق بها الصحف فاختصرتها لضعف صحتها.

وقوله: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي﴾ الآية، المعنى: قال لهم ذو القرنين: ما بسطه الله لي من القدرة والملك خير من خَرْجكم وأموالكم، ولكن أعينوني بقوة الأبدان، وبعمل منكم بالأيدي.

وقرأ ابن كثير وحده: ﴿ما مكَّنَنِيْ﴾ بنونين.

وقرأ الباقون: ﴿مَا مَكَّنِّي﴾ بإدغام النون الأولى في الثانية[٤].

وهذا: من تأييد الله تعالى لذي القرنين، فإنه تهدَّى في هذه المحاورة إلى الأنفع الأنزه، فإن القوم لو جمعوا له [خرجاً لم يمنعه][٥] منهم أحد، وَلَوكَلَوُهُ إلى البنيان، ومعونتهم له بالقوة أجمل به، وأمْرٌ يطاول مدة العمل، وربما أَرْبَى على الخَرْج.

والرَّدْمُ أبلغ من السَّدِّ؛ إذ السَّدُّ: كلُّ ما سُدَّ به، والرَّدْم: وضع الشيء على الشيء من حجارة أو تراب أو نحوه حتى يقوم من ذلك حجاب منيع، ومنه: رَدَّم ثوبَه إذا رَقَّعَهُ

---

(١) سبعيتان، ونافع وابن عامر بالسكون أيضاً، انظر: التيسير (ص: ١٤٦)، والسبعة (ص: ٤٠٠)، وللباقين البحر المحيط (٧/ ٢٢٦).

(٢) «يرزقونها و»: زيادة من المطبوع.

(٣) ذكر الطبري في تفسيره (١٨/ ١٠٤-١٠٦) بعض الروايات التي هي من كتب أهل الكتاب فانظره هناك.

(٤) في الأصل: «في الأولى»، وهو خطأ، وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٠٠)، والتيسير (ص: ١٤٦).

(٥) في المطبوع ونجيبويه: «خراجاً ومالًا لم يُعِنْه»، وفي نور العثمانية: «خرجا لم يغنه»، وفي الإماراتية: «خرجا لم يعنه».

برقاع متكاثفة[١] بعضها فوق بعض، ومنه قول عنترة:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ[٢] .... [الكامل]

أي: مِن قولٍ يُركَّب بعضه على بعض.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾.

قرأ عاصم وحمزة: ﴿ائْتُونِي﴾ بمعنى: جيئوني.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: ﴿ءَاتُونِي﴾[٣] بمعنى: أعطوني، وهذا كله متقارب[٤]، إنما هو استدعاءُ المناولة، لا استدعاءُ العطية والهبة؛ لأنه قد ارتبط من قوله ألَّا يأخذ منهم الخَرْجَ، فلم يبق إلا استدعاءُ المناولة، وأعمال القوة، و﴿ائْتُوني﴾ أشبه بقوله: / ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾، ونصب الزُّبَرَ به على نحو قول الشاعر: [٣/ ٢٢٢]
أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ[٥]، حذف الجار فنصب الفعل.

وقرأ الجمهور: ﴿زُبَرَ﴾ بفتح الباء، وقرأ الحسن بضمها[٦].

---

(١) في المطبوع: «متكاتفة»، وفي نجيبويه: «متكانفة».
(٢) هذا هو مطلع المعلقة، وتمامه: أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ، انظر نسبته له في العين (٨/ ٣٦)، وجمهرة اللغة (٢/ ٦٣٩)، والأغاني (٩/ ٢٥٤)، والأمالي للقالي (٢/ ١٤٨)، والعقد الفريد (٥/ ١٣٢).
(٣) فهما سبعيتان، هذا في الموضع الثاني، والمقصود بعاصم، رواية شعبة بخلاف عنه، وأما الأولى فالخلاف فيها عن شعبة خاصة وليس لحمزة فيها ولا لحفص فيهما شيء، انظر: السبعة (ص: ٤٠١)، والتيسير (ص: ١٤٦)، والنشر (٢/ ٣١٥).
(٤) زيادة من المطبوع والإماراتية١.
(٥) هذا جزءٌ في صدر بيت تقدم التعليق عليه في تفسير الآية (٢٢٩) من سورة البقرة.
(٦) وهي شاذة انظرها في البحر المحيط (٧/ ٢٢٧)، والذي في الشواذ للكرماني (ص: ٢٩٥) عنه: سكونُ الباء.

وكل ذلك جمع زُبْرَة، وهي القطعة العظيمة منه، والمعنى: فَرَصَفَهُ وَبَنَاهُ حَتَّى إذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدْفَيْن، فاختصر ذلك؛ لدلالة الظاهر عليه.

وقرأ الجمهور: ﴿سَاوَىٰ﴾، وقرأ قتادة: (سَوَّى)[١].

و«الصَّدَفان»: الجبلان المتناوحان[٢]، ولا يقال للواحد: صدف، وإنما يقال: صدفان لاثنين؛ لأن أحدهما يصادف الآخر.

وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي: ﴿ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ بفتح الصَّاد وشدِّها [وفتح الدال][٣]، وهي قراءة عمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز.

وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو: ﴿الصُّدُفَيْن﴾ بضم الصاد والدال، وهي قراءة مجاهد، والحسن.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿الصُّدْفَيْن﴾[٤] بضم الصاد وسكون الدال، وهي قراءة أبي رجاءٍ، وأبي عبد الرحمن السُّلَمي[٥].

وقرأ الماجشون بفتح الصاد وضم الدال، وقرأ[٦] قتادة: (بَيْنَ الصَّدْفين) بفتح الصاد وسكون الدال[٧]، وكلُّ ذلك بمعنى واحد، وهما الجبلان[٨] المتناوحان، وقيل: الصَّدفان: السطحان الأعليان من الجبلين، وهذا نحو من الأول.

---

(١) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٥)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٩٤).

(٢) أي: «المتقابلان».

(٣) ليس في المطبوع ونجيبويه.

(٤) من المطبوع.

(٥) من المطبوع، وهذه القراءات الثلاث سبعية، وحفص مع نافع، انظر: التيسير (ص: ١٤٦)، والسبعة (ص: ٤٠١).

(٦) في الأصل: «وقراءة».

(٧) وهما شاذتان، انظر قراءة الماجشون في المحتسب (٢/ ٣٤)، وقتادة في مختصر الشواذ (ص: ٨٥).

(٨) في المطبوع: «الجانبان».

وقوله: ﴿قَالَ ٱنفُخُواْ﴾ إلى آخر الآية، معناه أنه كان يأمر بوضع طاقة من الزُّبَر والحجارة، ثم يوقد عليها حتى تحمى، ثم يُؤْتى بالنحاس المذاب أو بالرصاص أو بالحديد ـ بحسب الخلاف في الْقِطْر ـ فيفرغه على تلك الطاقة المنضدة، فإذا التأم واشتد استأنف رصف طاقة أخرى إلى أن استوى العمل.

وقرأ بعض الصحابة: (بِقطْرٍ أُفْرِغْ عَلَيْه)(١).

وقال أكثر المفسرين: القِطْرُ: النحاس المذاب، ويؤيد هذا ما رُوي: أن رسول الله ﷺ جاءه رجلٌ فقال: يا رسول الله، إنِّي رأيتُ سدَّ يأجوج ومأجوج، قال: «كيف رأيتَهُ؟» قال: رأيته كالبُرْد الـمُحَبَّر، طريقة صفراءُ، وطريقة حمراءُ، وطريقة سوداءُ، فقال رسول الله ﷺ: «قد رأيتَه»(٢).

وقالت فرقة: القِطْر: الرصاص المذاب.

وقالت فرقة: القِطْر: الحديد الذائب، وهو مشتق من قَطَر يَقْطر.

والضمير في قوله: ﴿ٱسْتَطَٰعُوٓاْ﴾ ليَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ.

---

(١) لم أجدها، الظاهر أنها تفسير، انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ١٩)، وتفسير الطبري (١٩/ ٦٢١).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ١١٣) من طريق يزيد بن هارون، والطبراني في مسند الشامين (٢٧٥٨) من طريق أبي الجماهر، كلاهما عن سعيد بن بشير، عن قتادة، عن رجل، عن أبي بكرة الثقفي فذكره مرفوعاً، بنحوه. وقال أبو الجماهر: عن رجلين، عن قتادة.
وقد اختلف على سعيد بن بشير، فرواه عنه يزيد بن هارون، وأبو الجماهر كما تقدم، وخالفهم مسلمة بن علي فرواه عن سعيد، عن قتادة مرسلاً. أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١٦٣٢) وأخرجه ابن منيع في مسنده كما في تغليق التعليق (٤/ ١٢) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن رجل من أهل المدينة أنه قال للنبي ﷺ... لكن يبقى تدليس قتادة، وأخرجه البزار في مسنده (٣٦٦٨) بسند فيه ضعف عن يوسف بن أبي مريم الحنفي قال: بينما أنا قاعد مع أبي بكرة إذ جاء رجل فسلم عليه فقال: أما تعرفني؟ فقال له أبو بكرة: ومن أنت، قال: تعلم رجلاً أتى رسول الله فأخبره أنه رأى الرَّدْمَ؟ فقال له أبو بكرة: وأنت هو؟ قال: نعم، فذكره بلفظ مطول.

وقرأت فرقة: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ﴾ بسكون السين وتخفيف الطَّاءِ، وقرأت فرقة بشَدِّ الطَّاء[١]، وفيها تكلُّف للجمع بين السَّاكنين.

و﴿يَظْهَرُوهُ﴾ معناه: يَعْلُونه بصعود فيه، ومنه في «الموطأ»: «والشَّمس في حُجْرتها قَبْلَ أَنْ تَظْهَر»[٢].

﴿وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ لبُعد عرضه وقوته، ولا سبيل سوى هذين، إمَّا ارتقاءٌ وإمَّا نَقْبٌ، وروي: أن في طوله ما بين طرفي الجبلين مئة فرسخ وعرضه خمسون فرسخاً، ورُوي غير هذا مما لا ثبوت له، فاختصرناه إذْ لا غاية للتخرُّص.

وقوله في هذه الآية: ﴿ٱنفُخُواْ﴾ أي: بالأكيار[٣].

وقوله: ﴿ٱسْطَـٰعُوٓاْ﴾ بتخفيف الطاء على قراءة الجمهور، قيل: هي لغة بمعنى: استطاعوا، وقيل: بل استطاعوا بعينه كثر في كلام العرب حتى حذف بعضهم منه التاء فقالوا: اسْطاعوا، وحذف بعضهم منه الطاء فقال: اسْتَاعَ يستيع، بمعنى استطاع يستطيع، وهي لغة مشهورة.

وقرأ حمزة وحده: ﴿فَمَا اسطّاعُوا﴾ بتشديد الطاء[٤]، وهي قراءة ضعيفة الوجه، قال أبو علي: هي غير جائزة[٥].

وقرأ الأعمش: (فما اسْتَطاعوا أن يَظهَروه وَما اسْتَطاعوا لَه نَقْباً) بالتاء في الموضعين[٦].

---

(١) ستأتي مكررة معزوة لصاحبها، وهو حمزة.

(٢) علقه مالك في الموطأ (٢)، والبخاري (٥٤٦)، ومسلم (٦١١) قال: قال عروة: حدثتني عائشة زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها قبل أن تظهر.

(٣) في المطبوع: «بالأكوار»، وفي الإماراتية١: «يريد بالأكيار».

(٤) وهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٤٦).

(٥) الحجة للفارسي(٥/ ١٧٨)، وكل هذ لا يليق، بل قال في جامع البيان (٣/ ١٣٢٧): والجمع بينهما في مثل ذلك جائز مسموع.

(٦) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٢٩٥)، والبحر المحيط (٧/ ٢٢٨).

وقوله: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ﴾ الآية، القائل ذو القرنين، وأشار بـ(هذا) إلى الرَّدْم، والقوة عليه، والانتفاع به.

وقرأ ابن أبي عبلة: (هذه رحمةٌ)(١).

و«الْوَعْدُ» يحتمل أن يريد به يوم القيامة، ويحتمل أن يريد به وقت خروج يأجوج ومأجوج.

وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿دَكًّا﴾ مصدر دَكَّ يَدُكُّ: إذا هدم ورضَّ.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿دَكَّاءَ﴾ بالمدِّ(٢)، وهذا على التشبيه بالناقة الدكَّاء، وهي التي لا سَنامَ لها، وفي الكلام حذف تقديره: جعله مثلَ دكَّاءَ.

وأما النصب في (دَكًّا) فيحتمل أن يكون مفعولاً ثانياً بـ﴿جَعَلَ﴾.

ويحتمل أن يكون ﴿جَعَلَ﴾ بمعنى خَلَق، وينصب (دَكًّا) على الحال، وكذلك أيضاً النصب في قراءة من مَدَّ يحتمل الوجهين.

والضمير في ﴿وَتَرَكْنَا﴾ لله عز وجل.

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يحتمل أن يريد به القيامة؛ لأنه قد تقدم ذكره(٣)، [فالضمير في قوله: ﴿بَعْضَهُمْ﴾ على ذلك لجميع الناس.

ويحتمل أن يريد بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يومَ كمال السَّدِّ](٤).

فالضمير في قوله: ﴿بَعْضَهُمْ﴾ على ذلك لـيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، واستعارة الـمَوْج

(١) وهي شاذة، تخالف المصحف، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٢٩٥)، والبحر المحيط (٧/ ٢٢٨).

(٢) انظر: التيسير (ص: ١٤٦)، وفي المطبوع: «ابن عمر» بدل «ابن عامر»، وهو خطأ.

(٣) في المطبوع ونجيبويه: «ضميره».

(٤) ليس في نجيبويه.

لهم عبارة عن الحَيْرَة وتَرَدُّد بعضهم في بعض كالمولَّهين[١] من همٍّ وخوف ونحوه، فشَبَّهَهُم بموج البحر الذي يضطرب بعضه في بعض.

وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ إلى آخر الآية، معنيٌّ به يوم القيامة، فلا احتمال لغيره، فَمَنْ تأول الآية كلَّها في يوم القيامة اتَّسق تأويله، ومن تأول الآية إلى قوله: ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ﴾ في أمر يأجوج ومأجوج، تأول القول: وتركناهم يموجون دأباً على مرِّ الدهر وتناسل القرون منهم وفنائهم[٢]، ثم نفخ في الصُّور فيجتمعون.

و(الصُّوْرُ) في قول الجمهور وظاهر الأحاديث الصحاح هو القَرْن[٣] الذي يُنفَخُ فيه للقيامة، وفي الحديث: عن النبي ﷺ أنه قال: «كيف أنعَمُ وصاحبُ القَرْنِ قد التقمَ[٤] القرنَ، وحنَى الجبهةَ، وأصغَى بالأُذن متى يؤمَرُ؟»، فشقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: «قولوا: حسبنا الله، وعلى الله توكلنا، ولو اجتمع أهل منى ما أقلوا[٥] ذلك القرن»[٦].

---

(١) في المطبوع ونجيبويه والإماراتية١: «كالوالهين».

(٢) في المطبوع: «بينهم وقيامهم».

(٣) في أحمد٣ زيادة: «المرئي».

(٤) في المطبوع: «التقط».

(٥) في المطبوع: «ما أجلوا»، وفي نور العثمانية: «ما أقود».

(٦) أجود أسانيده وقع فيه اختلاف، والباقي ضعفه ظاهر، والحديث جوَّده ابن كثير في التفسير (١/ ٥٣٠)، ورد من حديث جماعة من الصحابة، أمثلها: أبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وعبد الله بن عباس، وزيد بن أرقم. لكن بتأمل الخلاف الواقع في أسانيدها يتبين أنه يعود بعضها إلى بعض.
وقد روي هذا الحديث عن الأعمش، واختلف عليه.
١ ـ فقيل عنه عن أبي صالح، عن أبي هريرة، رواه موسى بن أعين، عن الأعمش به، أخرجه إسحاق ابن راهويه في مسنده (٥٣٨)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٣٤٤) لم يذكر في هذا الطريق قوله: «ولو اجتمع أهل منى ما أقلوا ذلك القرن».
٢ ـ وقيل: عنه عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري، رواه جرير بن عبد الحميد عن الأعمش به، أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٣/ ٣٧٨) وابن حبان في صحيحه (٨٢٣) ورواه أبو يحيى التيمي عن الأعمش به، أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٥٨) وأبو يحيى التيمي واهٍ.
وروي أيضاً عن عطية العوفي، واختلف عليه. =

وأما النفخات فأسند الطبري إلى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الصُّور قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى نفخة الفزع، والثانية نفحة الصعق، والثالثة نفخة القيام [لربِّ العالمين»](١).

وقال بعض الناس: النفخات اثنتان: نفخة الفزع وهي نفخة الصعق، ثم الأخرى التي هي للقيام.

ومَلَك الصُّور هو إسرافيل.

= ١ ـ فقيل عنه عن أبي سعيد، رواه: أبو العلاء خالد بن طهمان عن عطية به، أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٥٩٧)، وأحمد (١٩٣٤٦)، والترمذي (٢٤٣١) وقال: هذا حديث حسن وقد روي من غير وجه هذا الحديث عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ نحوه، ورواه: سفيان بن عيينة عن عمار الدهني عن عطية به. المعجم الأوسط (٢/ ٢٨٥)، والصغير (١/ ٤٩)، ورواه: موسى بن أعين عن عمران وهو البارقي عن عطية به، أخرجه الطحاوي (١٣/ ٣٨٠).

٢ ـ وقيل عنه عن عبد الله بن عباس، رواه: أسباط عن مطرف بن طريف عن عطية به، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٣٥٢)، وأحمد (٣٠٠٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٥٨)، وابن الأعرابي في معجمه (٣٤٥-٥١٠-١٢٦٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٢٨)، ورواه: أبو غسان مالك بن إسماعيل قال: حدثنا ذواد بن علبة عن عطية عن ابن عباس قال أبو غسان: وقال غيره عن أبي سعيد..أخرجه الطحاوي (١٣/ ٣٨٢)، لكن روى هذا ابن الأعرابي في معجمه (٣٤٥)، فقال: نا أبو غسان، نا ذواد بن علبة الحارثي، عن ليث، عن عطية، عن ابن عباس به.

ورواه: ابن أبي زائدة عن إدريس الأودي عن عطية كذلك، أخرجه ابن الأعرابي (١٢٦٦)، وابن بشران في الأمالي (٧٠٢)، وقيل: عنه عن زيد بن أرقم، رواه: محمد بن ربيعة ثنا خالد بن طهمان أبو العلاء الخفاف عن عطية به، مسند أحمد (١٩٣٤٥)، وأعقبه أحمد برواية خالد بن طهمان أبي العلاء عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري التي سبق إيرادها، وهذا الاضطراب من عطية العوفي، فضعفه معروف، وفي الباب عن جابر وأنس وأسانيدها ضعيفة.

(١) ليس في المطبوع، والحديث ضعيف، وهو جزء من حديث طويل أخرجه ابن أبي الدنيا في الأهوال (٥٥)، وإسحاق بن راهويه كما في المطالب العالية (٣٣٠٩)، والطبري (١٨/ ١٢٢)، وابن أبي حاتم (١٦٦٢١-١٦٦٢٧-١٦٦٢٩) من طرق عن إسماعيل بن رافع المدني، عن يزيد بن أبي زياد، عن رجل من الأنصار، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة مرفوعاً، به، وإسماعيل ضعيف.

[٣/ ٢٢٣] وقالت فرقة: / الصُّور جمع صورة، فكأنه أراد صور البشر والحيوان نفخ فيها الروح، والأول أَبْيَن وأكثر في الشريعة.

وقوله: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ معناه: أبرزناها لهم لتجمعهم وتحطمهم، ثم أكَّد بالمصدر عبارةً عن شدة الحال، وروى الطبري في هذا حديثاً مضمَّنهُ: أن النار ترفع لليهود والنصارى كأنها السَّراب، فيقال لهم: هل لكم في الماء حاجة؟ فيقولون: نعم[١]، ونحو هذا مما لا صحة له.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾.

قوله: ﴿أَعْيُنُهُمْ﴾ كناية عن البصائر؛ لأن عين الجارحة لا نسبة بينها وبين الذِّكْر، والمعنى: الذين فِكْرهم بينها وبين ذكْري والنَّظَرِ في شرعي حجابٌ وعليها غطاءٌ، ثم قال: إنهم كانوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً، يريد: لإعراضهم ونِفارهم عن دعوة الحق.

وقرأ جمهور الناس: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ﴾ بكسر السين، بمعنى: أظَـنُّوا.

وقرأ علي بن أبي طالب، والحسن البصري، وابن يَعْمر، ومجاهد، وابن كثير بخلاف عنه: (أفحسْبُ) بسكون السين وضم الباء[٢]، بمعنى: أكافيهم ومنتهى غرضهم؟.

وفي مصحف ابن مسعود: (أَفَظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا)[٣]، وهذه حجَّة لقراءة الجمهور.

---

(١) ضعيف، هذا جزء من أثر طويل أخرجه الطبري (١٨/ ١٢٣) من طريق سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، عن عبد الله بن مسعود فذكره. وأبو الزعراء هو عبد الله بن هانئ الكندي لم يوثقه إلا العجلي، وقال البخاري: لا يتابع في حديثه.

(٢) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٤) وزاد ابن عباس وعكرمة وقتادة، ونعيم بن ميسرة والضحاك ويعقوب وابن أبي ليلى.

(٣) وهي شاذة، انظرها في تفسير الزمخشري (٢/ ٧٤٩)، والبحر المحيط (٧/ ٢٢٩).

وقال جمهور المفسرين: يريد كلَّ من عُبد من دون الله، كالملائكة، وعُزَيْر، وعيسى، فيدخل في ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بعضُ العرب واليهودُ والنصارى، والمعنى: إن ذلك ليس كظنهم، بل ليس لهم من ولاية هؤلاء المذكورين شيءٌ، ولا يجدون عندهم منتفعاً.

و﴿أَعْتَدْنَا﴾ معناه: يَسَّرْنَا، والنُّـزُلُ: موضع النزول، والنُّـزُلُ أيضاً: مَا يُقَدَّم للضيف والقادم من الطعام عند نزوله، ويحتمل أن يراد بالآية هذا المعنى: أن الـمُعَدَّ لهم بدل النُّـزُل جهنم، كما قال الشاعر:

.... تحيَّـةُ بَيْنِهِـمْ ضَـرْبٌ وَجِيـعُ[1] [الوافر]

[المعنى: القائمُ مقام التحية ضربٌ وجيع][2].

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ الآية، المعنى: قل لهؤلاء الكفرة على جهة التوبيخ: هَلْ نخبركم بالذين خسر عملُهم وضلَّ سعيُهم في الحياة الدنيا، وهم مع ذلك يظنون أنهم يحسنون فيما يصنعونه صنعاً[3]؟ فإذا طلبوا ذلك فقل لهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ﴾.

وقرأ ابن وثاب: (قل سَنُنْبِئُـكُمْ)[4]، وهذه صفة المخاطبين من كفار العرب المكذبين بالبعث.

و﴿حَبِطَتْ﴾ معناه: بطلت، و﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ يريد: ما كان لهم من عمل خير.

وقوله: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ يحتمل أن يريد أنه لا حسنة لهم توزن في موازين القيامة، ومن لا حسنة له فهو في النار لا محالة، ويحتمل أن يريد المجاز والاستعارة كأنه قال: فلا قَدْرَ لهم عندنا يومئذ، فهذا معنى الآية عندي.

---

(١) تقدم مراراً.

(٢) زيادة من نجيبويه.

(٣) زيادة من الإماراتية١ ونجيبويه.

(٤) لم أجدها، وفي الشواذ للكرماني (ص: **٢٩٥**): «سننبئك» بكاف الخطاب، وكل هذا شاذ.

وروى أبو هريرة: أن النبي ﷺ قال: «يُؤْتى بالأكول الشروب الطويل فلا يزن جناح بعوضة، ثم قرأ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾»[١].

وقالت فرقة: إن الاستفهام تَمَّ في قوله: ﴿أَعْمَـٰلًا﴾، ثم قال: هم[٢] ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾:

فقال سعد بن أبي وقاص: هم عُبَّاد اليهود والنصارى وأهل الصوامع والديارات[٣].

وقال علي بن أبي طالب: هم الخوارج[٤]، وهذا إن صحَّ عنه فهو على جهة مثال فيمن ضلَّ سعيه في الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن.

ورُوي: أن ابن الكواء سأله عن الأَخْسَرينَ أَعْمَالاً، فقال له: «أنت وأصحابك»[٥].

---

(١) متفق عليه بلفظ: «الرجل العظيم السمين»، وأخرجه الطبري (١٨/ ١٢٩)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٥/ ٢٠٢) من طريق أبي الزناد، وأخرجه البزار في مسنده (٨١٧٣)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٣٠)، والبيهقي في الشعب (٥٦٧٠) من طريق محمد بن عمار المؤذن، كلاهما (أبو الزناد، ومحمد بن عمار)، عن صالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة به، وأخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥) من طريق آخر عن أبي هريرة، بلفظ: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين».

(٢) ليست في المطبوع.

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٢٨)، بلفظ: هم اليهود والنصارى... والحرورية ﴿**ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ**﴾ وكان سعد يسميهم الفاسقين، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠١) بلفظ: لكنهم أصحاب الصوامع، والحرورية قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم.

(٤) له أسانيد أحدها جيد، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٤١٣)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١٥١٦)، والطبري (١٨/ ١٢٧) من طريق سلمة بن كهيل، عن أبي الطفيل، قال: سأل عبد الله ابن الكواء علياً عن قوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا﴾. قال: أنتم يا أهل حَرُورَاء. وهذا إسناد جيد، وأخرجه الطبري (١٥/ ١٢٧) من طريق يحيى بن أيوب، عن أبي صخر، عن أبي معاوية البجلي، عن أبي الصهباء البكري، عن علي بن أبي طالب، أن ابن الكواء سأله... وهذا إسناد لين، وأخرجه أيضاً (٤٢٧) من طريق موسى بن يعقوب بن عبد الله، قال: ثني أبو الحويرث، عن نافع بن جبير بن مطعم، قال: قال ابن الكواء لعلي بن أبي طالب، بنحوه. وهو إسناد لين أيضاً.

(٥) انظر التخريج السابق.

ويضعف هذا كلّه قوله تعالى بعد ذلك: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ﴾، وليس من هذه الطوائف من يكفر بلقاء الله، وإنما هذه صفة مشركي عَبَدة الأوثان، فاتجه بهذا ما قلناه أوَّلاً، وعليٌّ وسعدٌ رضي الله عنهما ذكرا أقواماً أخذوا بحظهم من صدر الآية.

وقوله: ﴿أَعْمَٰلًا﴾ نصب على التمييز.

وقرأ الجمهور: ﴿فَحَبِطَتْ﴾ بكسر الباء.

وقرأ ابن عباس، وأبو السَّمّالِ: (فحَبَطَتْ) بفتح الباء[١].

وقرأ كعب بن عُجْرَة، والحسن، وأبو عمرو، ونافع، والناس: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ﴾ بنون العظمة.

وقرأ مجاهد: (فلا يقيم) بياء الغائب، يريد: فلا يقيم اللهُ عزَّ وجلَّ.

وقرأ عبيد بن عمير: (فَلَا يَقُومُ)، ويلزمه أن يقرأ: (وَزْنٌ)، وكذلك قرأ مجاهد: (يقومُ لهم يومَ القيامةِ وزنٌ)[٢].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ترك إقامة الوزن، و﴿جَزَآؤُهُمْ﴾ خبر الابتداء في قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾، وقوله: ﴿جَهَنَّمُ﴾ بَدَلٌ منه، و(ما) في قوله: ﴿بِمَا كَفَرُواْ﴾ مصدرية، و«الـهُزْءُ»: الاستخفاف والسخرية.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾.

لما فرغ من ذكر الكفرة والأخسرين أعمالاً الضالين[٣] عقَّب بذكر حالة المؤمنين؛

(١) شاذة، انظر البحر المحيط (٧/ ٢٣١)، وقد تقدم مثلها.

(٢) وكلها شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٥)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٩٥).

(٣) ليست في المطبوع ونجيبويه والإماراتية.

ليظهر التباين، وفي هذا بعث النفوس على اتِّباع الحَسَن القويم.

واختلف المفسرون في ﴿ٱلْفِرْدَوْسِ﴾: فقال قتادة: إنه أعلى الجنة وربوتها[١].

وقال أبو هريرة: إنه جبل تتفجَّر منه أنهار الجنة[٢].

وقال أبو أُمامة: إنه سُرَّة الجنة ووسَطُها[٣].

وروى أبو سعيد الخدري: أنه تتفجر منه أنهارُ الجنة[٤].

وقال عبد الله بن الحارث بن كعب[٥]: إنه جنات الكرم والأعناب خاصة من الثمار.

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ١٣٠)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢٠٢)، والهداية الى بلوغ النهاية (٦/ ٤٤٨١)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٤٦).

(٢) إنما رواه أبو هريرة بنحوه مرفوعاً، أخرج البخاري (٢٧٩٠) (٧٤٢٣) عن أبي هريرة مرفوعا: «إن في الجنة مئة درجة» وفي آخره: «فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة».

(٣) ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٢٤٦)، وهناد بن السري في الزهد (٤٩)، والطبري (١٨/ ١٣٠) من طريق الفرج بن فضالة، عن لقمان بن عامر، عن أبي أمامة به. والفرج بن فضالة ضعيف، وقد أخرجه الطبراني في الكبير (٧٩٦٦)، والروياني في مسنده (١٢٦٥)، وعثمان بن أبي شيبة في العرش (١٢)، وابن بطة في الإبانة (١٣٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧١)، وأبو نعيم في صفة الجنة (٤٦٩) من طريق جعفر بن الزبير، عن القاسم بن عبد الرحمن الشامي، عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «سلوا الله الفردوس، فإنها سرة الجنة، وإن أهل الفردوس ليسمعون أطيط العرش»، وهذا إسناد ضعيف من أجل جعفر بن الزبير الحنفي؛ فإنه متروك.

(٤) إنما أخرجه الطبري (١٨/ ١٣١)، والحاكم في مستدركه (١/ ١٥٣) من نفس طريق حديث البخاري الذي تقدم لكن وقع فيه: عن أبي هريرة، أو أبي سعيد الخدري، به مرفوعاً، هكذا على الشك، ويغني عنه حديث أبي هريرة السابق، ولا ذِكر لأبي سعيد فيه.

(٥) لم أجده هكذا، ولعل الصواب: عبد الله بن الحارث عن كعب، كما هي عبارة الطبري (١٨/ ١٣١)، وقد أورد في «المعجم الصغير لرواة ابن جرير» بعض من اسمهم عبد الله بن الحارث، فانظره (١/ ٣٠٦)، وما بعدها.

وقاله كعب الأَحبار[١]، واستشهد قومٌ لذلك بقول أُمَيَّةَ بن أَبي الصَّلْت / : [٣/ ٢٢٤]

كانَـتْ مَنَازِلُهُـمْ إِذْ ذَاكَ ظَاهِـرَةً فيها الْفَرَادِيسُ والْفُومَانُ والْبَصَلُ[٢] [البسيط]

وقال الزجاج: قيل: إن الفردوس سريانية[٣]، وقيل: رومية، ولم يسمع بالفردوس في كلام العرب إلَّا في بيت حسَّان بن ثابت:

وإنَّ ثَـوَابَ اللَّهِ كُـلَّ مُـوَحِّـدٍ جِنَانٌ مِـنَ الْفِرْدَوْسِ فِيهَـا يُخَلَّدُ[٤] [الطويل]

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس»[٥]، وقال فرقة: الفردوس: البستان بالرومية، وهذا اقتضابُ القول في ﴿ٱلْفِرْدَوْسِ﴾ وعيونُ ما قيل فيه.

وقوله: ﴿نُزُلًا﴾ يحتمل الوجهين اللَّذيْن قدمناهما قَبْلُ.

و«الحِوَلُ» بمعنى: التحول، قال مجاهد: مُتَحَوَّلاً[٦]، ومنه قول شصار في بيته[٧]:

لِـكُـلِّ دَوْلَـةٍ أَجَـلْ ثُـمَّ يُـتَـاح لَـهَـا حِـوَلْ[٨] [مجزوء الكامل]

وكأنه اسم جمع، وكأنَّ واحده حِوَالَة، وفي هذا نظر، وقال الزجاج عن قوم: هي بمعنى الحِيلَةِ في التنقل[٩]، وهذا ضعيف متكلف.

---

(١) انظر قوله في تفسير الطبري (١٨/ ١٣١).

(٢) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٨/ ١٣٠)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢٠٢)، ويروى: الفراريس بالراء، قال أبو الإصبع: «وهي البصل».

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣١٥).

(٤) انظر عزوه له في معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٠٠)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣١٥).

(٥) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة (٢٧٩٠) (٧٤٢٣) وقد تقدم قريباً.

(٦) تفسير الطبري (١٨/ ١٣٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٩٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٠١).

(٧) «في بيته» من نجيبويه، في نور العثمانية: «شمار»، وفي المطبوع: «الشاعر»، وشصار هو رئي خنافر ابن التوءم الحميري، انظر قصته معه وإسلامهما في: الإصابة (٢/ ٣٠٤).

(٨) انظر البيت في قصته معه في الأمالي للقالي (١/ ١٣٤)، والاكتفاء للكلاعي (١/ ١٣٢)، وجمهرة خطب العرب (١/ ٨٨).

(٩) في المطبوع: «الشغل».

وأما قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ﴾ الآية، فروي أن سبب الآية: أن اليهود قالت للنبي ﷺ: كيف تزعم أنك نبيُّ الأمم كلِّها ومبعوث إليها، وأنك أُعطيت ما يحتاجه الناسُ من العلم، وأنت مُقَصِّرٌ قد سُئِلْتَ في الرُّوح ولم تجب فيه؟[١]، ونحو هذا من القول، فنزلت الآية مُعْلمة باتساع[٢] معلومات الله عزَّ وجلَّ، وأنها غير متناهية، وأن الوقوف دونها ليس ببِدْع ولا نكير، فعبَّر عن هذا بتمثيل ما يستكثرونه وهو قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾، و«الْكَلِمَاتُ»: هي المعاني القائمة بالنفس، وهي المعلومات، ومعلومات الله سبحانه وتعالى لا تتناهى، والبحر متناه ضرورةً.

وقرأ الجمهور: ﴿تَنفَدَ﴾ بالتاء من فوق، وقرأ عمرو بن عبيد: ﴿يَنْفَدَ﴾ بالياء[٣].

وقرأ عبد الله بن مسعود، وطلحة بن مصرِّف: (قَبْلَ أن تُقْضَى كلماتُ رَبِّي)[٤].

وقوله: ﴿مِدَادًا﴾؛ أي: زيادة، وقرأ الجمهور: ﴿مِدَادًا﴾.

وقرأ ابن عباس، وابن مسعود، والأعمش، ومجاهد، والأعرج: (مَدَداً)[٥]، فالمعنى: لو كان البحر مداداً تكتب به معلومات الله عزَّ وجلَّ لنفد قبل أن يستوفيها،

---

(١) لم أجده بهذه الألفاظ، وكأنها من تصرف المؤلف، لكن أخرج أحمد (٤/ ١٥٤)، والترمذي (٣١٤٠)، والنسائي في الكبرى (١١٣١٤)، وابن حبان (٩٩)، والحاكم (٢/ ٢٦٩)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٢٦٩) من طريق يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئا نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح، فأنزل الله ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قالوا أوتينا علماً كثيراً التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً، فأنزلت: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ إلى آخر الآية، قال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٢) في نجيبويه: «اتباع».

(٣) هي سبعية متواترة عن حمزة والكسائي كما سيأتي له قريباً، وانظر: البحر المحيط (٧/ ٢٣٣).

(٤) شاذة، نسبها لابن مسعود ابن أبي داود في المصاحف (ص: ١٧٩)، ولطلحة في مختصر الشواذ (ص: ٨٥).

(٥) شاذة، نسبها لهم في المحتسب (٢/ ٣٥) إلا الأعرج ففي الشواذ للكرماني (ص: ٢٩٦).

وكذلك إلى ما شِئت من العدد؛ لأن ما لا يتناهى أكثر منه، فليس بِبِدْعٍ أن أجهل شيئاً من معلوماته، وإنَّما أنا بشرٌ مثلكم لمْ أُعْطَ إلَّا ما أُوحي إليَّ، وكُشف لي.

وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿يَنْفَدَ﴾ بالياء من تحت، وقرأ الباقون بالتاء من فوق(١).

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، المعنى: إِنَّما أَنا بَشَرٌ ينتهي علمي إلى حيث يُوحَى إليَّ، وَمُهِمٌّ مَا يوحَى إلي أَنَّما إلهُكم إلهٌ واحد، وكان كفرهم بعبادة الأصنام، فلذلك خصص هذا الفصل مما أوحي إليه، ثم أخذ في الموعظة والوصاة البيِّنَةِ الرُّشد.

و﴿يَرْجُواْ﴾ على بابها، وقالت فرقة: ﴿يَرْجُواْ﴾ بمعنى: يخاف، وقد تقدم القول في هذا إذ المقصد: فمَنْ كان يؤمن بلقاء ربه، وكلُّ مؤمن بلقاء ربِّه فلا محالة أنه بحالتي خوف ورجاء، فلو عبَّر بالخوف كان المعنى تامّاً على جهة التخويف والتحذير، وإذا عبَّر بالرجاء فعلى جهة الإطماع وبَسْط النفوس إلى إحسان الله تعالى، أي: فَمَنْ كانَ يَرْجُو النعيم المؤبد من ربِّه فلْيَعْمَلْ [عملاً صالحاً](٢)، وباقي الآية بيِّن في الشِّرك بالله تعالى.

وقال سعيد بن جبير في تفسيرها: لا يرائي في عمله(٣).

وقد رُوي حديث: أنها نزلت في الرياء حين سئل النبي ﷺ عمَّن يجاهد ويحب أن يحمده الناس(٤).

---

(١) «من فوق»: من المطبوع ونور العثمانية، وهما سبعيتان، وابن عامر مع الجمهور بالتاء، انظر: التيسير (ص: ١٤٦)، والسبعة (ص: ٤٠٢)، والنشر (٢/ ٣١٦)، ورواية الياء عنه ليست في شيء من طرقهم، وإنما رواها التغلبي عن ابن ذكوان، كما في جامع البيان (٣/ ١٣٢٨).

(٢) ليس في الإماراتية والأصل ونور العثمانية.

(٣) تفسير الماوردي (٣/ ٣٥٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٠٣).

(٤) مرسل، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٤١٤)، والطبري (١٨/ ١٣٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢٩) من طريق معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن طاووس قال: جاء رجل، فقال: يا نبيّ الله إني أحبّ الجهاد في سبيل الله، وأحبّ أن يرى موطني ويرى مكاني، فأنزل الله عزّ وجلّ: =

وقال معاوية بن أبي سفيان: هذه آخر آية نزلت من القرآن(١).

كمل تفسير سورة الكهف، والحمد لله ربِّ العالمين(٢).

= ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ وأخرجه الطبري أيضاً (١٨/ ١٣٦) من طريق ابن جريج، عن مجاهد ومسلم بن خالد الزنجي، عن صدقة بن يسار الجزري مرسلا، بنحوه. وزاد فيه: وإني أعمل العمل وأتصدق، وأحب أن يراني الناس.

(١) إسناده جيد، أخرجه الطبري (١٨/ ١٣٦) عن أبي عامر إسماعيل بن عمرو السكوني، قال: ثنا هشام ابن عمار، قال: ثنا ابن عياش، قال: ثنا عمرو بن قيس الكندي، أنه سمع معاوية بن أبي سفيان...

(٢) هذه الفقرة زيادة من المطبوع، وفي الأصل: «كمل السفر الثالث من المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، يتلوه في أول الرابع إن شاء الله تعالى سورة مريم»، وفي الإماراتية١: «والحمد لله على ذلك كثيرا»، وفي أحمد٣: «تم الجزء بحمد الله تعالى وكرمه في يوم الأحد تاسع عشر جمادى الآخرة سنة؟ وأربعين وسبع مئة على يد العبد الضعيف إلى ربه المستغفر من ذنبه محمد بن أحمد»، وفي نجيبويه: «كمل تفسير سورة الكهف والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى ساداتنا آله وصحبه وكل من آمن به».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة مريم

/ هذه السُّورة مكِّيَّة بإجماع، إلَّا السجدة منها، فقالت فرقة: هي مكيَّة، وقالت [٤/ ١]
فرقة: هي مدنية[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝٦﴾.

اختلف الناس في الحروف التي في أوائل السُّور على قولين:

فقالت فرقة: هي سرُّ الله تعالى في القرآن، لا ينبغي أن يُعرض له، يُؤمن بظاهره ويُترك باطنه.

وقال الجمهور: بل ينبغي أن يُتكَلَّم فيها وتطلب معانيها؛ فإن العرب قد تأتي بالحرف الواحد دالّاً على كلمة، وليس في كتاب الله تعالى ما لا يُفهم، ثم اختلف هذا الجمهور على أقوال قد استوفينا ذكرها في سورة البقرة، ونذكر الآن ما يختص بهذه السُّورة:

(١) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٧٢)، وتفسير السمعاني (٣/ ٢٧٦)، والهداية لمكي (٧/ ٤٤٨٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥).

قال ابن عباس[(١)]، وابن جبير، والضحاك: هي حروف دالَّةٌ على أسماءٍ من أسماءِ الله تعالى، الكافُ من «كبير»، وقال ابن جبير أيضاً: «الكاف من: كافٍ»، وقال أيضاً: هي من: «كريم» فمقتضى أقواله أنها دالة على كل اسم فيه كافٌ من أسماء الله تعالى[(٢)].

قالوا: والهاءُ من «هادٍ»، والياءُ من «عليٍّ»، وقيل: من «حكيم»، وقال الربيع بن أنس: هي من: «يا من يُجير ولا يُجارُ عليه»[(٣)].

قال ابن عباس: والعين من «عزيز»، وقيل: من «عليم»، وقيل: من «عدْل»، والصاد من «صادق»[(٤)].

وقال قتادة: بل «كهيعص» بجملته اسم السورة[(٥)]، وقالت فرقة: بل هي اسم من أسماء الله تعالى، وروي عن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يقول: «يا كهيعص اغفر لي»[(٦)].

---

(١) له طرق لا تثبت، أخرجه الثوري في تفسيره (ص: ١٨١)، والطبري (١٨/ ١٣٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٦٥)، والضياء في المختارة (٤٨) من طريق إسماعيل بن راشد، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله كهيعص قال: كاف كبير هاد أمين عزيز صادق، وإسماعيل بن راشد هو: ابن أبي إسماعيل السلمي الكوفي، روى عن سعيد بن جبير، وعنه حصين ابن عبد الرحمن السلمي، ذكره البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٣٥٣)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ١٦٩) ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وأخرجه الثوري أيضاً (ص: ١٨١) عن موسى ابن أبي عائشة، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وموسى لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنه، وأخرجه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (٢/ ٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٦٤) من طريق ورقاء عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كاف من كافي ويا من حكيم وعين من عليم وها من هاد وصاد من صادق، وهذا ضعيف أيضاً.

(٢) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (١٨/ ١٣٧و١٣٨).

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ١٣٩) وفي الأصل: لا يجير، وحذفنا لا لعدم ورودها في النسخ الأخرى، ومنافاتها للمعنى.

(٤) انظر أثر ابن عباس رضي الله عنه الذي تقدم.

(٥) تفسير الطبري (١٨/ ١٤١).

(٦) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ١٤١) من طريق أبي بكر الهذلي، عن عاتكة، عن فاطمة ابنة علي =

فهذا يحتمل أن تكون الجملة اسماً من أسماء الله تعالى.

ويحتمل أن يريد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينادي الله تعالى بجميع الأسماء التي تضمَّنها ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، كأنه أراد أن يقول: يا كريم يا هادي يا عليُّ يا عزيز يا صادق اغفر لي، فجمع هذا كله باختصار في قوله: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[١].

وقال ابن المستنير وغيره: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ عبارة عن حروف المعجم[٢]، ونسبه الزجاج إلى أكثر أهل اللغة[٣]؛ أي: هذه الحروف منها: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾، وعلى هذا يتركب قول من يقول: ارتفع ﴿ذِكْرُ﴾ بأنه خبر عن ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، وهي حروف تهَجٍّ يوقف عليها بالسكون.

وقرأ الجميع: (كَافْ) بإثبات الألف والفاء، وقرأ نافع الهاءَ والياءَ بين الكسر والفتح، ولا يدغم الدال في الذال، وقرأ ابن كثير ونافع أيضاً بفتح الهاء والياء.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن بضم الهاء وفتح الياء، وقد رُوي عنه بضم الياء، ورُوي عنه أنه قرأ: (كافُ) بضم الفاء، قال أبو عمرو الداني: معنى الضم في الهاء والياء إشباع التفخيم، وليس بالضم الخالص الذي يوجب القلب.

وقرأ أبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء، وقرأ عاصم بكسرهما[٤].

= رضي الله عنه، به، وأبوبكر الهذلي، اسمه سلمى بن عبد الله أو روح، أخباري متروك الحديث، انظر: اللسان (٧/ ٤٥٤)، وأخرجه أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على بشر المريسي (١/ ١٧٤) من طريق نافع بن أبي نعيم، عن فاطمة به، ونافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم القارئ، قال أحمد بن حنبل: كان يؤخذ عنه القرآن، وليس في الحديث بشيء.

(١) انظر هذه المعاني في تفسير الطبري (١٨ / ١٣٨-١٤١).

(٢) هو قطرب، وقد تقدم له مثل ذلك في فاتحة البقرة.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١٧)، وفي المطبوع: «إلى أكثر هذه اللغات».

(٤) فتح الهاء والياء: ابن كثير وحفص، وقللهما نافع، وأمالهما شعبة والكسائي، وفتح الهاء وأمال الياء حمزة وابن عامر، وعكس أبو عمرو، وأما الدال فأظهرها نافع وابن كثير وعاصم، وأدغمها الباقون، هذا حاصل ما في التيسير (ص: ١٤٨)، وأما قراءتا الحسن فشاذتان، انظر: المحتسب (٢ / ٣٥)، وتوجيه الداني لم أقف عليه.

وقرأت فرقة بإظهار النون من (عَينْ)، وهي قراءة حفص عن عاصم، وهو القياس؛ إذ هي حروف منفصلة، وقرأ الجميع غيرَه[(١)] بإخفاء النون، جعلوها في حكم الاتصال.

وقرأ الأكثر بإظهار الدال من (صاد)، وقرأ أبو عمرو بإدغامه في الذال من قوله: ﴿ذِكْرُ﴾.

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع بإظهار هذه الحروف كلها، وتخْليصِ بعضها من بعض[(٢)].

وارتفع قوله: ﴿ذِكْرُ﴾ فيما قالت فرقة بقوله: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، وقد تقدم وجه ذلك.

وقالت فرقة: ارتفع على خبر ابتداء تقديره: هذا ذكر، وقالت فرقة: ارتفع بالابتداء والخبر مُقدَّر، تقديره: فيما أُوحي إليك ذكْرُ.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن، وابن يَعْمر: (ذَكَّرَ رَحْمَةَ رَبِّكَ)، بفتح الذال والكاف والراء، على معنى: هذا الـمَتْلُوُّ ذَكَّرَ رحمةَ [بالنصب، هذه حكاية أبي الفتح، وحكى أبو عمرو الداني عن ابن يعمر أنه قرأ: (ذَكِّرْ رحمةَ) بفتح الذال وكسر الكاف المشددة ونصب الرحمة، وعبدَه نصب بالرحمة[(٣)]، التقدير ذكر أنْ رحِمَ][(٤)] ربك عبده، ومن قال: في الكلام تقديمٌ وتأخير، فقد تعسَّف.

وقرأ الجمهور: ﴿زَكَرِيَّاء﴾ بالمدِّ، وقرأ الأعمش، ويحيى، وطلحة: ﴿زَكَرِيَّآ﴾ بالقصر[(٥)]، وهما لغتان، وفيه لغات غيرهما.

---

(١) في المطبوع: (عَيين)، وكذلك كتبت فيه «عين» في الموضعين، والإظهار رواية ابن اليتيم عن أبي حفص عن حفص كما في السبعة (ص: ٤٠٦)، وليست من طرق التيسير.

(٢) وهي عشرية، وعبر عنه في النشر بالسكت، انظر (١/ ٤٢٤).

(٣) وكلاهما شاذة، انظر الأولى مع التوجيه في المحتسب (٢ / ٣٦)، والثانية عن الداني في البحر المحيط (٧/ ٢٣٨).

(٤) ليس في المطبوع، وفيه الكاف المشددة، وقال: «المشددة» زيادة من «المحتسب»، ولم يذكر أنها نسخة.

(٥) فيه قصور، فهي سبعية لحفص وحمزة والكسائي كما تقدم في (آل عمران).

وقوله: ﴿نَادَىٰ﴾ معناه: بالدعاء والرغبة، واختلف في معنى إخفائه هذا النداء:

فقال ابن جريج: ذلك لأن الأعمال الخفية أفضل وأبعد من الرياء[١]، ومنه قول النبي ﷺ: «خيرُ الذِّكْرِ الخفيُّ»[٢].

وقال غيره: يستحب الإخفاءُ بين العبد ومولاه في [الأعمال التي يزكو بها البشر، وفي][٣] الدعاء الذي هو في معنى العفو[٤] والمغفرة؛ لأنه يدل من الإنسان على أنه خير، فإخفاؤه أبعد من الرياء، وأما دعاءُ زَكَرِيَّا وطلبه فكان في أمر دنياوي[٥]، وهو طلب الولد، فإنما أخفاه لئلا يلومه الناس في ذلك، وليكون على أوَّل أمره، إن أُجيب نال بُغيته، وإن لم يُجَب لم يعرف أحد بذلك، ويقال: وصف بالخفاء؛ لأنه كان في جوف الليل.

و﴿وَهَنَ﴾ وَهنَ معناه: ضَعُف، و«الوَهَنُ في الشخص والأمر»: الضَّعْفُ.

وقرأ الأعمش: (وَهِنَ) بكسر الهاء[٦].

﴿وَٱشۡتَعَلَ﴾ مستعارةٌ للشيب من اشتعال النار، على التشبيه به، / و﴿شَيۡبًا﴾ نصب على المصدر في قول من رأى ﴿وَٱشۡتَعَلَ﴾ في معنى شابَ، وعلى التمييز في قول من لا [٤/ ٢]

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨ / ١٤٢، ١٤٣).

(٢) ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠١٥٧-٣٥٣٨٠)، وأحمد في مسنده (١/ ١٧٢، ١٨٠، ١٨٧)، وفي الزهد (١/ ١٠)، وعبد بن حميد في مسنده (١٣٧)، وأبو يعلى في مسنده (٧٣١)، وابن حبان في صحيحه (٨٠٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٤٨-٥٤٩)، والدينوري في القناعة (٣٨-٣٩)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ١٨) من طريق أسامة بن زيد، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة، أن سعد بن أبي وقاص قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «خير الذكر الخفي، وخير الرزق أو العيش ما يكفي». ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة ضعيف كثير الإرسال، ولم يصرح بالسماع.

(٣) ليس في المطبوع.

(٤) في المطبوع: «القبول».

(٥) في المطبوع: «دنيا».

(٦) وهي شاذة، وقد تقدم عزوه له ولآخرين في الآية (١٤٧) من آل عمران.

يرى ذلك، بل رآه فعلاً آخر، فالأمر عنده كقولهم: [تفقَّأت شحماً، و][١] امتلأتُ غيظاً.

قوله: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ شُكْر لله تعالى على سالف أياديه عنده، معناه: أي قد أحسَنْتَ إليَّ فيما سلف، وسعدتُ بدعائي إيَّاكَ، فالإنعام يقتضي أن يشفع آخرُه أولَه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ﴾ الآية، اختلف الناسُ في المعنى الذي من أجله خاف الموالي:

فقال ابن عباس[٢]، ومجاهد، وقتادة، وأبو صالح: خاف أن يَرِثُوا ماله، وأن تَرِثَه الكلالة، فأشفق من ذلك[٣].

وروى قتادة، والحسن عن النبي ﷺ أنه قال: «يرحم الله أخي زكريا، ما كان عليه مِمَّن يرث ماله؟»[٤].

وقالت فرقة: إنما كان مواليه مهملين للدِّين، فخاف بموته أن يضيع الدِّين، فطلب وليّاً يقوم بالدِّين بعده، حكى هذا القولَ الزجاج[٥]، وفيه أنه لا يجوز أن يسأل زكريا من يرث مالَه؛ إذ الأنبياءُ لا تورث.

قال القاضي أبو محمد: وهذا يؤيده قول النبي ﷺ: «إنَّا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا[٦] فهو صدقة»[٧]، ويوهنه ذكر العاقِر، والأكثر من المفسرين على أنه أراد وراثة المال.

---

(١) ليس في المطبوع.

(٢) في المطبوع: «ابن عامر»، وهو خطأ، وقد أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨ / ١٤٤).

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٦) من طريق جابر بن نوح، عن مبارك، عن الحسن، مرسلًا، وجابر بن نوح بن جابر، ويقال: ابن المختار الحماني، ضعيف.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٢٠).

(٦) في المطبوع: «تركناه»، وليست فيه: «فهو».

(٧) متفق عليه بدون لفظ: «إنَّا معشر الأنبياء»، أخرجه البخاري (٦٧٢٥)، ومسلم (١٧٥٨) من حديث =

ويحتمل قول النبي ﷺ: «إنَّا معشر الأنبياء لا نورث» ألا يريد به العموم، بل على أنه غالب أمرهم، فتأمله.

والأظهر الأليق بزكريَّا عليه السلام أنه يريد وراثة العلم والدين، فتكون الوراثة مستعارة، ألا ترى أنه إنما طلب وليّاً ولم يخصص ولداً، فبلَّغه اللَّهُ أمله على أكمل الوجوه.

وقال أبو صالح وغيره: قوله: ﴿يَرِثُنِي﴾ يريد المالَ، وقوله: ﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ يريد به العلم والنبوة، وقال السدي: رغب زكريا في الولد[١].

و﴿خِفْتُ﴾ من الخوف، وهي قراءة الجمهور، وعليها هو هذا التفسير.

وقرأ عثمان بن عفان، وزيد بن ثابت، وابن عباس، وسعيد بن العاص، وابن يَعْمَر، وابن جُبَيْر، وعليُّ بن الحسين، وغيرهم: (خَفَّتِ) بفتح الخاء وفتح الفاء وشدِّها وكسر التاء[٢]، على إسناد الفعل إلى ﴿ٱلْمَوَٰلِيَ﴾، والمعنى على هذا: انقطع أوليائي وماتوا، وعلى هذه القراءة فإنما طلب وليّاً يقوم بالدِّين.

و﴿ٱلْمَوَٰلِيَ﴾: بنو العَمِّ والقرابة الذين يَلُون بالنسب.

وقوله: ﴿مِن وَرَآءِى﴾؛ أي: من بعْدي في الزمن، فهم الوراء[٣] على ما بيَّناه في سورة الكهف، وقال أبو عبيدة في هذه الآية: أي: من بين يديَّ ومِنْ أمامِي[٤]، وهذا قِلَّة تحرير.

وقرأ ابن كثير: ﴿مِنْ وَرائِيَ﴾ بالمدِّ والهمز وفتح الياء.

وقرأ أيضاً ابن كثير: (من ورايَ) بالياء المفتوحة مثل: عَصَايَ[٥].

= عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بلفظ: «لا نورث، ما تركنا صدقة»، وبهذا اللفظ الذي أورده المصنف أخرجه النسائي في الكبرى (٤/ ٦٤) وغيره.

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (١٨ / ١٤٣، ١٤٥)، وانظر: تفسير الماوردي (٣ / ٣٥٥).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوه لهم في المحتسب (٢ / ٣٦)، مع التوجيه.

(٣) كذا في النسخ، ويحتمل في الأصل أن تقرأ «الولاء».

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢).

(٥) الأولى سبعية في التيسير (ص: ١٥٠)، والثانية رواية شبل عنه كما في السبعة (ص: ٤٠٧).

والباقون همزوا ومدُّوا وسكَّنوا الياء.

و«العَاقِرُ من النساء»: التي لا تلد من غير كِبَر، وكذلك العاقر من الرجال.

ومنه قول عامر بن الطُّفَيْل:

[الطويل] لَبِئْـسَ الْفَتَـى إنْ كُنْـتُ أَعْـوَرَ عَاقِراً جباناً فَمَا عُذْري لدَى كُلِّ مَحْضَرِ[١]

وزكريَّا عليه السلام لما رأى من حاله إنما طلب وليّاً، ولم يصرح بولد[٢]، لِبُعْدِ ذلك بسبب المرأة، ثم وصف الوليَّ بالصفة التي هي قصده، وهي أن يكون وارثاً.

وقالت فرقة: بل طلب الولد، ثم طلب أن تكون الإجابة في أن يعيش حتى يرثه، تحفُّظاً من أن تقع الإجابة في الولد لكن[٣] يُخْتَـرَم، فلا يتحصل منه الغرض المقصود.

وقرأ الجمهور: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ﴾ برفع الثاء من[٤] الفعلين على معنى الصفة لِلْوَلِّي.

وقرأ أبو عمرٍو، والكسائي: ﴿يرثْني ويرثْ﴾ بجزم الفعلين[٥]، وهذا على مذهب سيبويه ليس هو جوابَ ﴿فَهَبْ﴾، إنما تقديره: إنْ تَهَبْهُ يَرِثْني، والأول أصوب في المعنى؛ لأنه طلـب وارثاً موصوفاً، ويضعف الجزمَ أنه ليس كـلُّ موهوب يرث.

وقرأ علي بن أبي طالب، وابن عباس، وغيرهما: (يَرِثُني وارثٌ من آل يعقوبَ).

قال أبو الفتح: وهذا معناه التجريد، والتقدير: يَرِثُني منه أَوْ بِهِ وارثٌ[٦].

وقرأ مجاهد: [(يرثَني ويرثَ) بنصب الفعلين.

---

(١) انظر عزوه في مجاز القرآن (١/ ٩٢)، والأصمعيات (ص: ٢١٥)، والمفضليات (ص: ٣٦٢)، وقد تقدم في الآية (٤١) من آل عمران.

(٢) زيادة من الإماراتية١ والإماراتية٢ وأحمد٣ ونور العثمانية، وظاهر المطبوع أنها ليست في أصوله.

(٣) في المطبوع: «ثم».

(٤) «الثاء من» زيادة من أحمد٣.

(٥) انظر: السبعة (ص: ٤٠٧)، والتيسير (ص: ١٤٨).

(٦) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٨)، مع التوجيه.

وقرأت فرقة:](١) (يَرِثُني أُوَيْرِثٌ من آلِ يَعْقُوبَ) على التصغير(٢).

وقوله: ﴿مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ يريد: يرث منهم الحكمة والحبورة(٣) والعلم والنبوة، والميراث في هذه كلها استعارة.

و«رَضِيًّ» معناه: مَرْضِيٌّ، فهو فَعِيْل بمعنى مفعول، [والله الموفق](٤).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾.

المعنى: قيل له بأثر دعائه: يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُـبَشِّرُكَ بِغُلامٍ يولد لك اسْمُهُ يَحْيى.

وقرأ الجمهور: ﴿نُبَشِّرُكَ﴾ بفتح الباء وكسر الشِّين مشددة.

وقرأ أصحاب ابن مسعود: ﴿نَبْشُرُكَ﴾ بسكون الباء وضم الشين(٥).

قال قتادة: سُمِّي يحيى؛ لأن الله تعالى أحياه بالنبوة والإيمان(٦).

---

(١) ليس في المطبوع.

(٢) وهما شاذتان، أما الأولى فلم أقف عليها لمجاهد، وقد عزا في مختصر الشواذ (ص: ٨٦) (يرثَني وارث) بالفتح والتنوين لابن عباس والجحدري، وأما الثانية فعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٢٩٧) لابن جبير، وفي مختصر الشواذ (ص: ٨٦) للجحدري، وعزاها في البحر المحيط (٧/ ٢٤٢) وتابعيه لمجاهد، فكأن القراءة الأولى سقطت من نسخته من ابن عطية.

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) زيادة من الحمزوية.

(٥) تقصير، فهي سبعية لحمزة على قاعدته كما تقدم، وانظر: التيسير (ص: ٨٨).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٤٧).

وقال بعضهم: سُمِّي بذلك[(١)]؛ لأن الله أحيا به الناس بالهدى[(٢)].

وقوله: ﴿سَمِيًّا﴾ معناه في اللغة: لم نجعل له مشاركاً في هذا الاسم، أيْ: لم يُسَمَّ قبل بيحيى، وهذا قول قتادة، وابن عباس[(٣)]، وابن أسلم، والسّدي، وقال مجاهد وغيره: ﴿سَمِيًّا﴾ معناه: مِثْلاً ونظيراً[(٤)].

وهذا كأنه من المساماة والسمُوِّ، وفي هذا بُعْدٌ؛ لأنه لا يفضل على إبراهيم وموسى اللهم إلَّا أن يفضل في خاص كالسؤدد[(٥)] والحصر.

وقال ابن عباس: معناه: لم تلد العواقر مثله[(٦)].

وقول زكريا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ اختلف الناس فيه:

فقالت فرقة: إنما طلب الوليَّ دون تخصيص وَلَد، فلما بُشِّر بالولد استفهم عن طريقه مع هذه الموانع منه.

وقالت فرقة: إنما كان طلب الولد وهو بحال يرجو[(٧)] الولد فيها بزواج غير العاقر، أو تسرٍّ[(٨)]، ولم تقع إجابته إلَّا بعد مُدَّة طويلة / صار فيها إلى حال مَن لا يولد له، فحينئذ استفهم وأخبر عن نفسه بالكِبَر والعُتُوِّ فيه. [٤/ ٣]

---

(١) ليست في المطبوع.

(٢) في المطبوع: «بالتدين».

(٣) إسناده لين، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٤٣٦)، والفريابي في تفسيره كما في تغليق التعليق (٤/ ٣٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٣) من طريق إسرائيل بن يونس، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، ورواية سماك عن عكرمة فيها ضعف.

(٤) انظر هذه الأقوال كلها في تفسير الطبري (١٨/ ١٤٨)، وفي أحمد٣: «وهذا قول مجاهد وقتادة»... ثم قال: «وقال غيرهم».

(٥) في المطبوع: «إلا أن يفضل في السؤدد».

(٦) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٨) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) في المطبوع: «يوجد».

(٨) في المطبوع: «أوْ بُشِّرَ»، ولعله تحريف.

وقالت فرقة: بل طلب الولد، فلما بُشِّر به لحين الدعوة استفهم على جهة السؤال، لا على جهة الشك، كيف طريق الوصول إلى هذا؟ وكيف نفذ القدر به؟ لَا أنه بَعُد عنده هذا في قدرة الله.

و«العِتِيُّ» و«العِسِيُّ»[١]: المبالغة في الكِبَرِ، ويبْسُ العود، أو شيب الرأس، [أو عقيدة ما][٢]، ونحو هذا.

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿عِتِيًّا﴾ بكسر العين، والباقون بضمها[٣].

وقرأ ابن مسعود: (عَتِيّاً) بفتح العين، وحكى أبو حاتم أن ابن مسعود قرأ: «عُسِيّاً» بضم العين وبالسين، وحكاها الداني عن ابن عباس أيضاً[٤].

وحكى الطبري عن ابن عباس أنه قال: ما أدري، أكان رسول الله ﷺ يقرأُ في الظهر والعصر؟ ولا أدري أكان يقرأُ: (عِتِيّاً) أو (عِسِيّاً) بالسين؟[٥].

وحكى الطبري عن السدي أنه قال: نادى جبريل زكريَّا: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾، فلقيه الشيطان فقال له: إن ذلك الصوت لم يكن لِـمَلك وإنما كان لشيطان، فحينئذ قال زكريا: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾؟ ليتَـثَـبَّت أن ذلك من عند الله[٦].

وزكريَّا هو من ذرية هارون عليه السلام، وقال قتادة: جرى له هذا الأمر وهو ابن

(١) في الإماراتية٢: «والعتي»، فتكون بضم العين.
(٢) ليس في المطبوع.
(٣) وهما سبعيتان، وحفص مع حمزة، انظر: التيسير (ص: ١٤٨).
(٤) وهما شاذتان، انظر المحتسب (٢/ ٣٨)، ونسبتها لابن عباس في معاني القرآن للفراء (٣/ ١١٤).
(٥) إسناده صحيح، أخرجه أحمد (١/ ٢٤٩) (٢٢٤٦)، والطبري (١٨/ ١٥٠) وغيرهم من طريق: هشيم. وأحمد (١/ ٢٥٧) (٢٣٣٢) قال: من طريق جرير كلاهما (هشيم، وجرير) عن حصين بن عبد الرحمن، عن عكرمة، فذكره، وصرح هشيم بالسماع في الموضعين، وأخرجه أبو داود (٨٠٩) من طريق هشيم، وليس فيها محل الشاهد.
(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٤٩).

بضع وسبعين سنة، وقيل: ابن سبعين، وقال الزجاج: ابن خمس وستين[(١)].

فقد كان غلب على ظنه ألَّا يولد له.

وقوله: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾، قيل: إن المعنى: قال له المَلَك: كَذلِكَ فليكن الوجود، كما قيل لك: قال رَبُّك: خَلْقُ الغُلَام عليَّ هَيِّنٌ؛ أيْ: غَيْرُ بِدْعٍ، فكما خلقتك قَبْلُ وأخرجتك من عدم إلى وجودٍ كذلك أفعلُ الآن.

وقال الطبري: معنى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: الأمران اللذان ذكرتَ من المرأة العاقر والكِبَرة[(٢)] هو كذلك، ولكن قال ربُّك[(٣)].

والمعنى عندي: قال الملك: كَذلِكَ؛ أي: على هذه الحال قالَ رَبُّكَ: هُوَ عليَّ هَيِّنٌ.

وقرأ الجمهور: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ﴾، وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿وقد خلقناك﴾[(٤)].

وقوله: ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾، أي: موجوداً.

قال زكريَّا: ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾، علامةً أعرف بها صِحَّة هذا، وكونه من عندك، وروي: أن زكريَّا عليه السلام لما عَرَفَ ثمَّ طَلَبَ الآية بعد ذلك عاقبه الله تعالى بأن أصابه بذلك السكوت عن كلام الناس، وذلك إن لم يكن عن مرض ـ خرسٍ أو نحوه ـ ففيه على كل حال عقابٌ مَّا.

ورُوي عن ابن زَيْدٍ: أن زكريا لما حملت زوجُه منه بيحيى أصبح لا يستطيع أن يكلم أحداً، وهو مع ذلك يقرأ التوراة، ويذكر الله، فإذا أراد مناداة أحد لم يُطِقْه[(٥)].

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣١٩) فقد حكى الزجاج ثلاثة أقوال، وانظر قول قتادة في تفسير الطبري (١٨/ ١٥٠).
(٢) في المطبوع: «الكبر».
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٥١).
(٤) انظر: التيسير (ص: ١٤٨).
(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٥٢).

ويحتمل مع هذا أن يكون قوله: ﴿ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ معناه: علامةً أعرف بها أن الحمل قد وقع، وبذلك فسَّر الزجاج(١).

ومعنى قوله: ﴿سَوِيًّا﴾ فيما قال الجمهور: صحيحاً من غير علَّة ولا خَرَسٍ.

وقال ابن عباس أيضاً: ذلك عائد على الليالي، أراد: كاملاتٍ مستوياتٍ(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ المعنى: أن الله تعالى أظهر الآية بأن خرج زكريَّا من محرابه وهو موضع الصلاة، و﴿ٱلْمِحْرَابِ﴾ أرفع المواضع والمباني؛ إذ هي تحارب مَن ناوأها، ثم خصَّ بهذا الاسم مبنى الصلاة، وكانوا يتخذونها فيما ارتفع من الأرض.

واختلف الناس في اشتقاقه:

[فقالت فرقة: هو مأخوذ من الْحَرْب، كأن مُلازِمه يحارب الشيطان والشهوات](٣).

وقالت فرقة: هو مأخوذ من الْحَرَب بفتح الراء، كأن مُلازِمه يلقَى منه حَرَباً وتعباً ونصباً، وفي اللفظ بعد هذا نظر.

وقوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾، قال قتادة، وابن منبه: كان ذلك بإشارة، وقال مجاهد: بل بأن كتبه في التراب(٤).

قال القاضي أبو محمد: وكلا الوجهين(٥) وحْيٌ.

وقوله: ﴿أَن سَبِّحُواْ﴾، ﴿أَنْ﴾ مُفَسِّرة، بمعنى: (أيْ)، و﴿سَبِّحُواْ﴾ قال قتادة: معناه: صلُّوا(٦)، و«السبحة»: الصلاة، وقالت فرقة: بل أمرهم بذكْر الله، وقَوْل: سبحان الله.

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٢١).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٥٢-١٥٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٣) ليس في أحمد٣ والحمزوية والإماراتية١.

(٤) انظر القولين في تفسير الطبري (١٨/ ١٥٤).

(٥) في المطبوع: «القولين».

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٥٤)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٥٩).

وقرأ طلحة: (أنْ سبِّحُوه) بضمير(١)، وباقي الآية بيِّن.

[ويقال: وحَى وأوْحَى بمعنىً واحد](٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾.

المعنى: فَوُلِدَ لَهُ، وقال الله تعالى للمولود: يا يَحْيَى، وهذا اختصار ما يدلُّ الكلامُ عليه.

و﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: التوراة بلا خلاف؛ لأنه وُلد قبل عيسى، ولم يكن الإنجيل موجوداً عند الناس.

وقوله: ﴿بِقُوَّةٖ﴾؛ أي: العلم به، والحفظ له، والعمل به، والالتزام للوازمه.

ثم أخبر الله تعالى فقال: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾، واختلف في الحكم:

فقالت فرقة: الأحكام والمعرفة بها، و﴿صَبِيّٗا﴾ يريد: شابّاً لم يبلغ حدَّ الكهولة.

وقال الحسن: الحُكْمُ: النُّبوة(٣)، وفي لفظة (صَبِيٍّ) على هذا تجوُّز، واستصحابُ حال.

وقالت فرقة: الحُكْمُ: الحِكْمَة.

وروى معمر في ذلك: أن الصبيان دَعَوْهُ وهو طفل إلى اللعب، فقال لهم: إني لم أُخلق للَّعب، فتلك الحِكْمَة التي آتاه الله عزَّ وجلَّ وهو صبي [همُّ لِدَاته اللعبُ](٤).

---

(١) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٢٩٨).

(٢) ليس في المطبوع.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٥٧٩) و(١٩/ ٣٤١)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢١) و(٤/ ١٧٦، ٢٤١).

(٤) ليس في المطبوع وأحمد٣، وسقطت «اللعب» من الإماراتية١، وانظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٥٥)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢٠٧).

وقال ابن عباس: مَن قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أُوتي الحُكْمَ صبيّاً[١].

وقوله: ﴿وَحَنَانًا﴾ عطف على قوله: ﴿ٱلْحُكْمَ﴾، و(زكاةً) عطف عليه، أُعمل في جميع ذلك (آتَيْنا)، ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَحَنَانًا﴾ عطفاً على قوله: ﴿صَبِيًّا﴾، أي: وبحال حنانٍ مَّا، وتزكية له.

و«الحَنَانُ»: الرحمة والشفقة والمحبة، قاله جمهور المفسرين، وهو تفسير اللغة، وهو فعل من أفعال النفس، ويقال: حنانك وحنانيك، قيل: هما لغتان بمعنىً واحد، وقيل: حنانيك تثنية الحنان، وقال عطاءُ بن أبي رباح: (حَناناً مِنْ لَدُنَّا) بمعنى تعظيماً من لدنا[٢].

قال القاضي أبو محمد: والحنان في كلام العرب أيضاً ما عظم من الأمور في ذات الله تعالى.

ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل في خبر بلال بن رباح: والله لئن قتلتم هذا العبد لأتَّخذنَّ قبره، [ويروى: قتلَه][٣]، حناناً[٤].

وقد روي عن عبد الله بن عباس أنه قال: والله ما أدري ما الحنان[٥].

و«الزَّكاةُ»: التَّطهير والتنمية في وجوه الخير / والبر. [٤/ ٤]

و«التَّقِي» فَعِيْلٌ من تقوى الله عزَّ وجلَّ، وروي في تفسير هذه الآية من طريق عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ أنه قال: «كلُّ ابن آدم يأتي يوم القيامة وله ذَنْبٌ إلَّا ما كان من يحيى بن زكريَّا»[٦].

---

(١) ضعيف، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٧٩٨) من طريق الحسن بن أبي جعفر، عن أبي الصهباء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه به، والحسن بن أبي جعفر عجلان ضعيف.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٥٧).

(٣) زيادة من أحمد٣، وفي المطبوع: «فيه»، بدل «قبره».

(٤) تفسير القرطبي (١١/ ٨٨)، وتفسير الثعالبي (٣/ ٥).

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ١٥٧) من طريق الحسين بن داود واسمه سنيد، عن حجاج بن محمد، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وسنيد ضعيف.

(٦) مرسل، أخرجه الطبري (١٨/ ١٦٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٣)، وابن عساكر في تاريخ =

وقال قتادة: إن يحيى عليه السلام لم يعصِ الله قطُّ بكبيرة ولا صغيرة ولا همَّ بامرأة[١].

قال قتادة: وكان طعامه صلوات الله عليه العُشب، وكان للدمع في خدِّه مجارٍ ثابتة[٢].

ومن الشواهد في الحنان قول امرئ القيس:

[الوافر] وتمْنحها بَنو شَمَجَى بنِ جَرْمٍ مَعيزَهُمُ، حَنَانَكَ ذَا الْحَنَانِ[٣]

وقول النابغة:

[الطويل] أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فاسْتَبْقِ بَعْضَنَا حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ[٤]

وقال الآخر:

[الطويل] فقالت: حنانٌ ما أَتَى بِكَ هَاهُنَا أَذُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بالْحَيِّ عَارِفُ[٥]

قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ الآية، «البرُّ»: الكثير البِرِّ، و«الجبَّار»: المتكبِّر، كأنه

= دمشق (٦٤/ ١٧٤) من طريق محمد بن إسحاق، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن عمرو بن العاص، مرفوعاً، وسعيد بن المسيب لم يسمع من عمرو بن العاص رضي الله عنه، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٦) من طريق قتادة، عن سعيد بن المسيب، مرسلاً أيضاً.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٦٠).

(٢) انظر: الزهد لابن حنبل (ص: ٩٠)، والزهد لابن المبارك (ص: ٤٧)، والطيوريات (٣/ ٤٣)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٠٥) و(٧/ ٤٥٠٧).

(٣) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٨/ ١٥٧)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٠٢)، ومجاز القرآن (٢/ ٢).

(٤) البيت لطرفة بن العبد كما في معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣١٦)، ومجاز القرآن (٢/ ٣)، والجمل في النحو (ص: ١٧٥)، والكتاب لسيبويه (١/ ٣٤٨)، وتهذيب اللغة (١/ ٤٤١)، والكامل للمبرد (٢/ ١٤٨)، والصحاح للجوهري (٥/ ٣٨٢) فنسبته للنابغة خطأ.

(٥) البيت للمنذر بن درهم الكلبي كما في فرحة الأديب (ص: ٢٨)، ومعجم البلدان (٣/ ٩٤)، وخزانة الأدب للبغدادي (٢/ ١١٣)، وهو بلا نسبة في الجمل في النحو (١/ ١٧٤)، والكتاب لسيبويه (١/ ٣٢٠)، وقال: سمعناه من بعض العرب الموثوق به.

يجبر الناس على أخلاقه، والنخلة الجَبَّارَةُ: العالية العظيمة، و«العَصِيُّ»: أَصْلُه عَصُويٌ، فَعُوْلٌ بمعنى: فاعل.

وروي: أن يحيى بن زكرياء عليه السلام لم يواقع معصية صغيرة ولا كبيرة، كما تقدم(١).

قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ﴾، قال الطبري وغيره: معناه: وأمانٌ(٢).

والأظهر عندي أنها التحية المتعارفة، فهي أشرف وأنبه(٣) من الأمان؛ لأن الأمان متحصِّل له بنفي العصيان، وهي أقلُّ درجاته، وإنما الشرف في أن سلَّم الله عليه وحيَّاهُ في المواطن التي الإنسان فيها في غاية الضعف والحاجة [وقلة الحيلة](٤) والفقر إلى الله وعظيم الهول.

وذكر الطبري عن الحسن: أن عيسى ويحيى التقيا، وهما ابنا(٥) الخالة، فقال يحيى لعيسى: ادْعُ لي فأَنت خير منِّي، فقال له عيسى: بل أنت ادْع لي فأنت خير منِّي، سلَّمَ الله عليك، وأنا سلَّمت على نفسي(٦).

قال القاضي أبو محمد: قال لي(٧) أبي رضي الله عنه: انتزع بعضُ العلماء من هذه الآية في التسليم فضل عيسى بأن قال: إدْلالُه في التسليم على نفسه ومكانته من الله التي اقتضت ذلك حين قرر وحكى في محكم التنزيل أعظمُ في المنزلة من أن يُسَلَّم عليه.

قال القاضي أبو محمد: ولكُلٍّ وَجْه.

---

(١) «كما تقدم»: ليست في المطبوع.
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٦٠).
(٣) في المطبوع: «وأشبه».
(٤) ليس في أحمد٣.
(٥) «على التثنية»، وفي المطبوع: «أبناءُ».
(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٦٠).
(٧) «لي»: من المطبوع.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾.

هذا ابتداءُ قصة ليست من الأولى، والخطاب لمحمد ﷺ، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن، و﴿مَرْيَمَ﴾: ابنةُ عمران، أُمُّ عيسى، أُخْتُ أُمِّ يحيى.

واختلف الناس لم انْتَبَذَت؟ و«الانتباذ»: التَّنَحِّي:

فقال السدي: انْتَبَذَتْ لتطهر من حيض[1]، وقال غيره: لتعبد الله، وهذا أحسن؛ وذلك أن مريم كانت وقفاً على سدانة المتعبَّد وخدمته والعبادة فيه، فتنحَّت من الناس لذلك.

وقوله: ﴿شَرْقِيًّا﴾ يريد جهةَ الشرق من مساكن أهلها، وسبب كونه في الشرق أنهم كانوا يُعَظِّمُون جهة المشرق ومن حيث تطلع الأنوار، وكانت الجهات الشرقية من كل شيءٍ أفضلَ من سواها، حكاه الطبري[2].

وحكي عن ابن عباس: إني لأَعْلَم الناس لِـمَ اتَّخذ النصارى المشرق قبلة؛ لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾، فاتخذوا ميلاد عيسى قِبلة[3].

وقال بعض الناس: الحجابُ هي اتَّخذته لِتَسْتَتِر به عن الناس لعبادتها، فقال السدي: كان من جدرات[4]، وقيل: من ثياب، وقال بعض المفسرين: اتخذت المكان بشرقي المحراب[5].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٦٢)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٠٨).
(٢) تفسير الطبري (١٨/ ١٦٢).
(٣) إسناده جيد، أخرجه الطبري (١٨/ ١٦٢) عن إسحاق بن شاهين، عن خالد بن عبد الله الواسطي، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٦٣)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٦١)، وفي المطبوع: «جُدْران».
(٥) قاله السدي، كما في تفسير الطبري (١٨/ ١٦٢).

و«الـرُّوحُ»: جبريل، وقيل: عيسى، حَكَى الزجاج القولين[١]، فمن قال: إنه جبريل قدَّر الكلام: فتمثل هو لها، ومن قال: إنه عيسى قدَّر الكلام: فتمثَّل الـمَلَك لها.

قال النقاش: ومن قرأ: (رُوحَنَّا) مشددة النون[٢] جعله اسمَ مَلَك من الملائكة.

قال القاضي أبو محمد: ولم أر هذه القراءة لغيره.

واختلف الناس في نُـبُـوَّة مريم: فقيل: كانت نَبِيَّةً بهذا الإرسال، وبالمحاورة للملَك.

وقيل: لم تكن نبيَّةً، وإنما كلَّمها مِثَالُ بَشَرٍ، ورُؤْيتها للمَلَك كما رُئي جبريل في صفة دِحْيَةَ، وفي سؤاله عن الإيمان والإسلام[٣]، والأول أظهر.

وقوله تعالى: ﴿أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ الآية، المعنى: قالت مريم للملك الذي تمثَّل لها بشراً لمَّا رأتهُ قد خرق الحجاب الذي اتخذته فأساءَتْ به الظن، قالت: إنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إنْ كُنْتَ ذا تُقًى، قال أبو وائل: علمَتْ أن التَّقِيَّ ذو نُهْية[٤]، وقال وهب بن منبه: تقي[٥] رجل فاجر كان في ذلك الزمن في قومها، فلما رأته مُتَسَوِّراً عليها ظنته إياه، فاستعاذت بالرحمن منه، حَكَى هذا مكيٌّ وغيره[٦]، وهو ضعيف ذاهب مع التَّخرص.

فقال لها جبريل عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ﴾، جعل الْهِبَةَ من قِبَله لمَّا كان الإعلام بها من قبله.

وقرأ الجمهور: ﴿لِأَهَبَ﴾ كما تقدم، وقرأ أبو عمرو ونافع: ﴿لِيَهَبَ﴾ بالياء؛ أي:

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه له (٣/ ٣٢٢).

(٢) وهي شاذة، انظر نقلها عن النقاش في البحر المحيط (٧/ ٢٤٨).

(٣) وقال عياض: هو مذهب الجمهور، ونقل أبو المعالي الجويني الإجماع عليه، انظر القولين في فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٧٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٦٤).

(٥) في المطبوع: «تعني اسم».

(٦) انظر: الهداية لمكي (٧/ ٤٥١٠).

لِيَهَبَ الله لَكِ، واختلف عن نافع[١]، وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (لِيَهَب اللهُ لَكِ)[٢].

فلما سمعت مريم ذلك واستشعرت ما طرأ عليها، استفهمت عن طريقه، وهي لم يمسَّها بشَر بنكاح، ولم تك زانية، و«الْبَغِيُّ»: المجاهرة المشتهرة[٣] في الزِّنا، فهي طالبة له، أصله[٤] بَغُوْي على وزن فَعُوْل كَبَتُوْلٍ وقَتُوْل[٥]، ولو كانت فَعِيْلًا لقويَ أن تلحقها هاءُ التأنيث فيقال: بَغِيَّة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ
[٤/ ٥] إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾/

المعنى: قال لها الـمَلَك: كذلك هو كما وصَفْتِ، ولكن قال رَبُّكِ، ويحتمل أن يريد: على هذه الحال قالَ رَبُّكِ، والمعنى متقارب، و«الآيَةُ»: العِبْرة المعرضة للنظر.

والضمير في قوله: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ﴾ للغلام.

و(رحمةً منا)، معناه: طريق هُدًى لعالم كثير، فينالون الرحمة بذلك، ثم أعلمها بأن الأمر قد قُضي وانتجز، والأمر هنا واحدُ الأُمور، وليس بمصدر: أَمَرَ يَأْمُرُ.

وروي: أن جبريل عليه السلام حين قاولها[٦] هذه المقالة نفخَ في جَيبِ دِرْعها، فَسَرَت النفخة بإذن الله حتَّى حملتْ منها، قاله وهب بن منبه وغيره.

---

(١) انظر: التيسير (ص: ١٤٨).

(٢) وهي شاذة، ولعله خطأ، ففي معاني القرآن للفراء (٢/ ١٦٣): وفي قراءة عبد الله: (لِيَهَبَ لَكِ)، والمعنى: ليهبَ اللهُ لك.

(٣) في الأصل والإماراتية١ والإماراتية٢ وأحمد٣: «المنبهرة».

(٤) من المطبوع وأحمد٣ والإماراتية١.

(٥) ليست في المطبوع، وفي الحمزوية: «قبول».

(٦) في المطبوع: «قال لها».

وقال ابن جُرَيْج: نفخ في جيب دِرْعها وكمِّها[١].

وقال أُبيٌّ بن كعب: دخل الرُّوحُ المنفوخ من فمها[٢]، فذلك قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾؛ أي: فحملت الغلام.

ويُذكر أنها كانت بنت ثلاث عشرة سنة، فلمَّا حسَّت بذلك وخافت تعنيف الناس وأن يُظَنَّ بها الشر انتبذت به؛ أي: تنحَّت مكاناً بعيداً حياءً وفِرَاراً على وجهها.

وروي في هذا: أنها فرَّت إلى بلاد مصر ونحوها، قاله وهب بن منبه، وروي أيضاً: أنها خرجت إلى موضع يعرف ببيت لَحْم، بينه وبين إيلياء أربعة أميالٍ[٣].

و(أَجَاءَهَا) معناه: اضطرها، وأَجَاءَ هو تعدية جاءَ بالهمزة، وقرأ شُبيْلُ[٤] بنُ عَزْرَةَ، ورويت عن عاصم: (فَاجَأَهَا)، من المفاجأة.

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (فَلَمَّا أَجَاءَهَا الْمَخَاضُ)[٥]، وقال زهير:

وجـارٍ سَـارَ مُـعْتَمِـداً إِلَـيْـكُـمْ أَجَـاءَتْـهُ الْمَخَـافَـةُ والـرَّجَاءُ[٦] [الوافر]

---

(١) في المطبوع: «وكفِّها»، وانظر القولين في تفسير الطبري (١٨/ ١٦٦).

(٢) ذكر ابن كثير في تفسيره (٥/ ٢٢٠) عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب قال: إن روح عيسى عليه السلام من جملة الأرواح التي أخذ عليها العهد في زمان آدم، وهو الذي تمثل لها بشراً سويّاً، أي: روح عيسى، فحملت الذي خاطبها وحلَّ في فيها. قال ابن كثير: وهذا في غاية الغرابة والنكارة، وكأنه إسرائيلي.

(٣) انظر قول وهب في تفسير الطبري (١٨/ ١٧٠)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥١٨)، والقول الثاني في الهداية لمكي (٧/ ٤٥١٣).

(٤) في الأصل وأحمد٣ والإماراتية١و٢ ونور العثمانية: «شِبْلُ بن عَزْرة»، وفي أحمد٣ بن عروة، وهو شبيل بن عزرة أبو عمرو البصري الضبعي، أحد علماء العربية، روى عن أنس وابن حوشب، وعنه جعفر بن سليمان وشعبة، وثقه ابن معين. تاريخ الإسلام (٩/ ١٧٢).

(٥) وهما شاذتان، انظر عزوهما في تفسير القرطبي (١١/ ٩٢)، والأولى في المحتسب (٢/ ٣٨).

(٦) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٨/ ١٦٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٢٠)، ومجاز القرآن (٢/ ٤)، والصحاح (١/ ٤٤).

وقرأ الجمهور: ﴿ٱلۡمَخَاضُ﴾ بفتح الميم، وقرأ ابن كثير فيما رُوي عنه بكسرها[(١)].

وهو الطَّلْقُ وشدَّةُ الولادة وأوجاعها، روي أنها بلغت إلى موضع كان فيه جذع نخلة بالٍ يابسٌ في أصله مذود[(٢)] بقرة على جرية ماءٍ، فاشتد بها الأمر هنالك، واحتضنت الجذع لشدة الوجع، وولدت عيسى عليه السلام، فقالت عند ولادته ـ لما رأته من الآلام والتغرب وإنكار قومها وصعوبة الحال من غير ما وَجْه ـ: يا لَيْتَنِي مِتُّ ولم يجْر عليَّ هذا القَدَر.

وقرأ الحسن، وأبو جعفر، وشيبة، وعاصم، وأبو عمرو، وجماعة: ﴿مُتُّ﴾ بضم الميم.

وقرأ الأعرج، وطلحة، ويحيى، والأعمش: ﴿مِتُّ﴾ بكسرها، واختلف عن نافع[(٣)].

وتمنَّت مريم الموت من جهة الدِّين؛ إذ خافت أن يُظن بها الشَّرُّ في دينها، وتُعَيَّر فيفتنها ذلك، [وهذا مباح][(٤)]، وعلى هذا الحدِّ تمناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه[(٥)]، وجماعة من الصالحين[(٦)]، ونَهْيُ النبي ﷺ عن تمني الموْتِ إنما هو لِضُرٍّ

(١) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٨٧).

(٢) في المطبوع: «مدود».

(٣) بعيد من الدقة، فالقراءتان سبعيتان، الكسر لنافع وحفص وحمزة والكسائي، والضم للباقين، انظر: التيسير (ص: ٩١).

(٤) ليس في المطبوع، وانظر في هذا المعنى الاستذكار (٣/ ١١٨)، وشرح النووي على مسلم (١٧/ ٧-٨).

(٥) ضعيف، أخرجه مسدد في مسنده كما في إتحاف الخيرة المهرة (٧/ ٣٦٨)، وابن المبارك في الزهد (٢٣٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٦٢١)، وأبو داود في الزهد (٦٨)، وابن أبي الدنيا في المتمنين (١٢) من طريق شعبة، عن عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض، فقال: ليتني هذه التبنة، ليتني لم أكُ شيئاً، ليت أمِّي لم تلدني، ليتني كنت نسياً منسيّاً، وعاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب ضعيف.

(٦) ففي تفسير الماوردي (٣/ ٨٥) أن يوسف أول نبي تمنى الموت، وفي الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ٣٣٧): أن أبا هريرة تمناه.

نزل بالبدن[١]، وقد أباحه ﷺ في قوله: «يأْتي على الناس زمان يمُرُّ الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه»[٢].

قال القاضي أبو محمد: لأنه زمن فتَن يذهب[٣] بالدِّين.

وقالت[٤]: ﴿وكنتُ نِسْياً﴾؛ أي: شيئاً متروكاً محتقراً، والنِّسْيُ في كلام العرب: الشيءُ الحقير الذي شأنه أن يُنْسى فلا يُتَألَّم لفقده كالوتد والحبل للمسافر ونحوه، يقال: نِسْيٌ بكسر النون، ونَسْيٌ بفتحها.

وقرأ الجمهور بالكسر، وقرأ حمزة وحده بالفتح، واختلف عن عاصم، وكقراءة حمزة قرأ طلحة، ويحيى، والأعمش[٥].

وقرأ محمد بن كعب القُرظي بالهمز: (نِسْئاً) بكسر النون، وقرأ نوف البِكَالي: (نَسْئاً) بفتح النون، وحكاها أبو الفتح، والداني عن محمد بن كعب القُرظي.

وقرأ بكر بن حبيب[٦]: (نَسّاً) بشد السِّين وفتح النون دون همز[٧]، وقال الشَّنْفَرَى:

كأَنَّ لها في الأَرْض نِسْياً تَقُصُّهُ إذا ما غَدَتْ وإِنْ تُحَدِّثْكَ تَبْلَتِ[٨] [الطويل]

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٣٥١)، ومسلم (٢٦٨٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧١١٥)، ومسلم (١٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في المطبوع: «تتصل».

(٤) من المطبوع.

(٥) فهما سبعيتان، ومع حمزة حفص، انظر: التيسير (ص: ١٤٨).

(٦) هو بكر بن حبيب السّهميّ من سهم باهلة، وهو والد عبد الله المحدّث، كان عالماً بالعربية في طبقة أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر، وهو أكبر من الخليل بن أحمد، ولم يكن له شهرته. «إنباه الرواة» (١/ ٢٧٩).

(٧) ثلاث قراءات شاذة، انظر: الأولى والثالثة في: الشواذ للكرماني (ص: ٢٩٨)، والثانية فيه وفي المحتسب (٢/ ٣٩)، والقرطبي (١١/ ٩٣).

(٨) انظر: نسبته له في: مجاز القرآن (٢/ ٤)، والأغاني (١٠/ ١٩٢)، والكامل للمبرد (٣/ ٨٥)، والصحاح للجوهري (١/ ٢٦٦).

وحكى الطبري في قصصها: أنها لمَّا حملت بعيسى حملتْ أيضاً أُختُها بيحيى، فجاءتها أُختها زائرة فقالت: يا مريم، أشعرت أني حملتُ؟ فقالت لها مريم: أشعرتِ أنتِ أني حملتُ؟ قالت لها: وأنِّـي أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك، وذلك أنه رُوي أنها أحسَّت جنينها يخرُّ برأسه إلى ناحية بطن مريم، قال السُّدِّي: فذلك قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩][١].

وفي هذا كلِّه ضعف، فتأمله.

وكذلك ذكر الطبري في قصصها: أنها خرجت فارَّة مع رجل من بني إسرائيل يقال له يوسف النجار كان يخدم معها المسجد[٢]، وطوَّل في ذلك فاختصرته لضعفه، وهذه القصة تقتضي أنها حملت واستمرت حاملاً على عرف البشر، واستحيت من ذلك وفرَّت بسببه وهي حامل، وهو قول جمهور المتأولين.

وروي عن ابن عباس: أنه قال: ليس إلَّا أن حملت فوضعت في ساعة واحدة[٣]، والله أعلم.

وظاهر قوله: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ ﴾ يقتضي أنها كانت على عرف النساء، وتظاهرت الروايات أنها ولدته لثمانية أشهر؛ ولذلك قيل[٤]: لا يعيش ابن ثمانية أشهر حفظاً لخاصية عيسى عليه السلام[٥]، وقيل: ولدته لسبعة أشهر، وقيل: لِسِتَّة أشهر[٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٣٧٣).

(٢) المصدر السابق (١٨/ ١٧٠).

(٣) ضعيف، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٧) عن الثوري، عن رجل، عمَّن سمع ابن عباس رضي الله عنه، وأخرجه الطبري (١٨/ ١٧٠) من طريق ابن جريج أخبرني المغيرة بن عثمان، عن ابن عباس رضي الله عنهما، والمغيرة بن عثمان بن عبد الثقفي أو التيمي روى عن ابن عباس، وروى عنه ابن جريج، وترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٣١٨)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٨/ ٢٢٦)، وابن حبان في الثقات (٥/ ٤٠٩) ولم يذكروا فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٤) ليست في المطبوع.

(٥) هو قول ابن عباس كما في الهداية لمكي (٢/ ١٠١٥).

(٦) انظر: تفسير السمعاني (٣/ ٢٨٥)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٢٠)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٦٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرٍو، وعاصم، وابن عامر، وابن عباسٍ، والحسن، وزِرُّ ابن حبيش، ومجاهد، والجحدري، وجماعة: ﴿فناداها مَن تحتها﴾ على أن (مَنْ) فاعلٌ بِـ(نادى).

والمراد بـ﴿مَنْ﴾ عيسى، أي: ناداها المولود، قاله مجاهد، والحسن، وابن جُبَيْر[١]، وأُبيُّ بن كعب[٢]، وقال ابن عباس: المراد جبريل، ولم يتكلم حتَّى أتت به قومها[٣].

وقال علقمة والضحاك، وقتادة: ففي هذه آية لها وأمارة أن هذا من الأمور الخارقة للعادة التي لله فيها مرادٌ/ عظيم[٤]، لا سيَّما والمنادي عيسى، فإنه يتبين به عذر مريم، [٤/ ٦] ولا تبقى به استرابة، فلذلك كان النداءُ أَلَّا يقع حُزْن.

وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، والبراءُ بن عازب، والضحاك، وعمرو بن ميمون، وأهل الكوفة، وأهل المدينة، وابن عباس أيضاً، والحسن: ﴿مِن تَحْتِهَآ﴾[٥] بكسر الميم على أنها لابتداء الغاية.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٧٤)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٤٦)، والنكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٦٤).

(٢) إسناده لين، أخرجه الطبري (١٨/ ١٧٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٧٣) من طريق: أبي جعفر الرازي عيسى بن عبد الله بن ماهان، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية الرياحي عن أبي بن كعب بنحوه.

(٣) لا يثبت، أخرجه الطبري (١٨/ ١٧٢-١٧٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومن طريق ابن حميد، عن يحيى بن واضح، عن عبد المؤمن بن خالد الحنفي، عن ابن عباس به، ابن حميد ليس بعمدة، وعبد المؤمن لا يروي عن الصحابة.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٧٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٢٥)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٤٦).

(٥) فهما سبعيتان، والمقصود بعاصم في الأولى شعبة، انظر: التيسير (ص: ١٤٨).

واختلفوا: فقال بعضهم: المراد عيسى، وقالت فرقة: المراد جبريل المحاور[١] لها قَبْلُ، قالوا: وكان في سعة[٢] من الأرض أخفض من البقعة التي كانت هي عليها، والأول أظهر وأبين[٣]، وعليه كان الحسن بن أبي الحسن يقسم[٤].

وقرأ علقمة، وزِرُّ بن حبيش: (فَخَاطَبَهَا من تحتها)[٥].

وقرأ ابن عباس: (فَنَادَاهَا مَلَكٌ مِنْ تَحْتِهَا)[٦].

وقوله: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ تفسير للنداء، فـ(أنْ) مفسِّرة بمعنى: أيْ، و«السَّرِيُّ من الرجال»: العظيمُ الخصال السَّيِّدُ، و«السَّرِيُّ» أيضاً: الجدولُ من الماء، وبحسب هذا اختلف الناس في هذه الآية:

فقال قتادة، وابن زيد: أراد: جعل تحتك عظيماً من الرجال له شأن[٧].

وقال الجمهور: أشار لها إلى الجدول الذي كان قرب جذع النخلة، ورُوي: أن الحسن فسَّر الآية فقال: أجل، لقد جعله الله سريّاً كريماً، فقال حميد بن عبد الرحمن الحميري[٨]: يا أبا سعيد، إنما نعني بالسَّـري الجدولَ، وقال الحسن[٩]: لهذه وأشباهِها أُحبُّ قربك، ولكن غلبنا عليك الأمراءُ[١٠].

---

(١) في المطبوع: «المجاور».

(٢) في المطبوع والإماراتية١و٢، ونور العثمانية: «بقعة».

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٧٤)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٦٤)، وتفسير السمعاني (٣/ ٢٨٦).

(٥) وهي شاذة، نسبها لعلقمة الطبري في تفسيره (١٨/ ١٧٣)، ولهما الزمخشري في الكشاف (٣/ ١٤).

(٦) وهي شاذة، انظرها في تفسير القرطبي (١١/ ٩٤).

(٧) انظر تفسير الطبري (١٨/ ١٧٧).

(٨) هو حميد بن عبد الرحمن الحميري البصري روى عن أبي هريرة، وأبي بكرة، وابن عمر، وعنه: عبد الله ابن بريدة، وابن سيرين، وجماعة، تابعي ثقة، قال ابن سيرين: هو أفقه أهل البصرة، توفي سنة (٨١هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٣٣٨).

(٩) ليست في المطبوع، وفي أحمد٣: «أبا محمد»، بدل «أبا سعيد».

(١٠) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٧٦).

ومن الشاهد في السَّرِيِّ قول لبيد:

[الكامل] فتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرِيِّ وصَدَّعَا ... مَسْجُورَةً مُتَجَاوِراً قُلَّامُهَا[١]

ثم أمرها بهزِّ الجذع اليابس لترى آية أُخرى في إحياء موات الجذع، وقالت فرقة: كانت النخلة مطعمة رطباً، وقال السدي: كان الجذع مقطوعاً، وأُجري النهر تحتها لحينه[٢].

والظاهر من الآية أن عيسى هو المكلِّمُ لها، وأن الجذع كان يابساً، وعلى هذا تكون آياتٍ تُسَلِّيها، وتسْكُن إليها.

والباءُ في قوله: ﴿بِجِذْعِ﴾ زائدة مؤكدة، قال أبو علي: كما يقال: أَلْقى بيده؛ أي: أَلْقى يَدَه[٣].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا المثال عندي نظر، وأنشد الطبري:

[الطويل] بِوَادٍ يَمَانٍ يُنْبِتُ السِّدْرَ صَدْرُهُ ... وَأَسْفَلُهُ بالْمَرْخِ والشَّبَهَانِ[٤]

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، والجمهور من الناس: ﴿تَسَّاقطْ﴾ بفتح التاء وشدِّ السين، يريد النخلَة.

وقرأ البراءُ بن عازب، والأعمش: ﴿يَسَّاقَطْ﴾ بالياء[٥] يريد الجذع.

وقرأ حمزة وحده: ﴿تَسَاقط﴾ بفتح التاء وتخفيف السين، وهي قراءة مسروق،

(١) البيت من معلقته، وانظر عزوه له في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٢٥)، ومجاز القرآن (٢/ ٥)، وجمهرة اللغة (٢/ ٧٤٧).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٧٨).
(٣) الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٢٠٠).
(٤) تفسير الطبري (١٨/ ١٧٩) بلا نسبة، وهو للأحْول اليشكري، كما في الأغاني (٢٢/ ١٥١)، وانظر: الصحاح (٦/ ٨٦).
(٥) ليست في المطبوع.

ويحيى ابن وثاب، وطلحة بن مصرِّف، وأبي عمرٍو[١] بخلاف.

وقرأت فرقة: (يُسَاقِطْ) بالياء على ما تقدم من إرادة النَّخْلَةِ أو الجذع.

وقرأ عاصم في رواية حفص: ﴿تُسَٰقِطۡ﴾ بضم التاء وتخفيف السين[٢].

[وقرأت فرقة: (يساقط) بالياء][٣].

وقرأ أبو حيوة: (يُسْقِطْ) [بالياء، وروي عنه (يسقط) بضم الياء، وقرأ أيضاً (تسقط)][٤].

وحكى أبو علي في «الحجة» أنه قرئ: (يَتَسَاقَطْ) بياءٍ وتاءٍ[٥].

وروي عن مسروق: (تُسْقِطْ) بضم التاء وكسر القاف، وكذلك عن أبي حيوة، وقرأ أبو حيوة أيضاً: (يَسْقُطْ) بفتح الياء وضم القاف، (رُطَبٌ جنيٌّ) بالرفع[٦].

ونصب ﴿رُطَبًا﴾ يختلف بحسب معاني القراءات المذكورة، فمرة يستند الفعل إلى الجذع، ومرة إلى الهزّ، ومرة إلى النخلة.

و﴿جَنِيًّا﴾ معناه: قد طابَ وصلح للاجتناءِ، وهو من جنيتُ الثمرةَ.

وقرأ طلحة بن سليمان: (جِنِيّاً) بكسر الجيم[٧].

---

(١) في نور العثمانية: «ابن عمر».

(٢) القراءة الأولى والثالثة والخامسة سبعية، كما في التيسير (ص: ١٤٩)، والثانية أيضاً سبعية عن شعبة لكن من طرق النشر (٢/ ٣١٨) وهي قراءة يعقوب أيضاً، والرابعة في جزء قراءات النبي ﷺ لحفص بن عمر (ص: ١٢٦)، وعزاها في المحتسب (٢/ ٤٠) لمسروق، وهي شاذة.

(٣) ليس في المطبوع، ولعله تكرار مع ما سبق.

(٤) ليس في المطبوع، وفيه فقط: بضم الياء، وكلاهما شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٢٩٩).

(٥) وهي شاذة، انظر الحجة للفارسي (٥/ ٢٠٠).

(٦) «بالرفع» ليست في المطبوع، وكلها شاذة، انظر قراءة مسروق في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٩)، والباقي في البحر المحيط (٧/ ٢٥٥).

(٧) وهي شاذة، انظر: المحتسب لابن جني (٢/ ٤٠).

وقال عمرو بن ميمون: ليس شيءٌ خيراً للنُّـفَسَاءِ من التمر والرطب[١].

وقال محمد بن كعب: كان رُطَبَ عجوة[٢].

وقد استدل بعض الناس من هذه الآية على أن الرزق وإن كان محتوماً فإن الله تعالى قد وكل ابن آدم إلى سعيٍ مَا فيه؛ لأنه أمرت مريم بهَزِّ الجذع لترى آية، وكانت الآية تكون بألا تهزَّ هي[٣].

وحكى الطبريُّ عن ابن زيد أنه قال: قال لها عيسى: لا تَحْزَنِي، فقالت: وكيف لا أحزنُ وأنت معي، لا ذات زوج[٤]، [فَأَقول من زوج][٥]، ولا مملوكة، فأقول من سيدي، أيُّ شيءٍ عذري عند الناس؟ ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾، فقال لها عيسى: أنا أكفيك الكلام[٦].

وقوله: ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي﴾ الآية، قرأ الجمهور: ﴿وَقَرِّي﴾ بفتح القاف.

وحكى الطبري قراءةً: (وَقِرِّي) بكسر القاف[٧].

و«قُرَّة العين»: مأخوذة من القَرِّ، وذلك أنه يحكى أن دمع الفرح بارد المسِّ[٨]، ودمع الحزن سخن المس، وضعَّفت فرقة هذا وقالت: الدمع كله سخن، وإنما معنى قُرة العين أن البكاء الذي يسخن العين ارتفع، إذ[٩]: لا حُزْن بهذا الأمر الذي قرت به العين.

---

(١) انظر قوله في: تفسير الطبري (١٨/ ١٧٩).
(٢) انظر: تفسير السمعاني (٣/ ٢٨٧).
(٣) انظر نقل هذا القول في: تفسير ابن جزي (٣/ ٤) بلا نسبة.
(٤) في الإماراتية١: «بعل»، وليست «ذات» في نور العثمانية.
(٥) من المطبوع، وكذلك: «فأقول من سيد».
(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٧٥، ١٨٣).
(٧) وهي شاذة، انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٨٢).
(٨) ليست في المطبوع في الموضعين.
(٩) في المطبوع: «أيْ».

وقال الشيباني: ﴿وَقَرِّى عَيْنًا﴾ معناه: نامي[١]، حضَّها على الأكل والشرب والنوم، وقوله: ﴿عَيْنًا﴾ نصب على التمييز، والفعل في الحقيقة إنما هو للعين، فينقل ذلك إلى ذي العين، وينصب الذي كان فاعلاً في الحقيقة على التفسير، ومثله: طبتُ نفْساً، وتفقَّأْتُ شحماً، وتصبَّبْتُ عرقاً، وهذا كثير.

وقرأ الجمهور: ﴿تَرَيِنَّ﴾، [وأَصْلُه: تَرْأَيِينَ][٢]، حذفت النون للجزم، ثم نقلت حركة الهمزة إلى الراء، ثم قلبت الياء الأولى ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، فاجتمع ساكنان، الألف [المنقلبة عن الياء][٣]، والياءُ، فحذفت الألف فجاء: تَـرَيْ، وعلى هذا النحو هو قول الأفوه:

[السريع] إمَّا تَـرَيْ رَأْسـي أَزْرَى بِـهِ[٤] البيـت.....................

ثم دخلت النون الثقيلة، وكسرت الياءُ لاجتماع ساكنين منها ومن النون، وإنما دخلت النون هنا بتوطئة، كما توطئ لدخولها أيضاً لام القسم.

وقرأ أبو عمرو فيما رُوي عنه: (تَـرَئِنَّ) بالهمز، وقرأ طلحة، وأبو جعفر، وشيبة: (تَـرَيْنَ) بسكون الياء وفتح النون خفيفة، قال أبو الفتح: وهي شاذة[٥].

ومعنى هذه الآية: أن الله تعالى أمرها ـ على لسان جبريل أو ابنها، على الخلاف

---

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٣).

(٢) ليس في الأصل.

(٣) من المطبوع.

(٤) تمامه: مَأسُ زمانٍ ذِي انْتِكاسٍ مؤوس، وهو للأفوه الأوْدي، صلاءَة بن عمرو، كما في رسالة الملائكة (١/ ٢٤٢)، والجامع لأحكام القرآن (١١/ ٩٧)، والدر المصون (١/ ٣١٧١)، وهو في العين (٧/ ٣٢٤) بلا نسبة، وأزْرَى به إزراءً: قصَّرَ به وحقَّرَه.

(٥) وهما شاذتان، انظر: المحتسب (٢/ ٤١) قال في جامع البيان (٣/ ١٣٤٢): وليس ذلك إلا من جهة أجوبة أبي عمرو لسائله عن اختلاف اللغات، فنسب ذلك إلى قراءته واختياره، وقلَّ مَن ميّز منهم اختياره، من أخباره وفصل بينهما.

المتقدم ـ بأن تمسك عن مخاطبة البشر، وتُحيل على ابنها / في ذلك، ليرتفع عنها [٤/ ٧] خجلها وتبين الآية فيقوم عُذرها، وظاهر الآية أنها أُبيح لها أن تقول هذه الألفاظ[(١)] التي في الآية، وهو قول الجمهور، وقالت فرقة: معنى (قُولي) بالإشارة لا بالكلام، وإلَّا فكان التناقض بَيِّناً في أمرها.

وقرأ ابن عباس، وأنس بن مالك: (إِنِّي نَذَرْتُ للرَّحْمَنِ وصُمْتُ)[(٢)].

وقال قومٌ: معناه: صوماً عن الكلام؛ إذْ أصل الصيام الإمساكُ، ومنه قول الشاعر:

خَيْلٌ صِيَامٌ وأخرى غيرُ صائمةٍ[(٣)] .... [البسيط]

وقال ابن زيد، والسدي: كانت سُنَّةُ الصيام عندهم الإمساكَ عن الأكل والكلام[(٤)].

وقرأت فرقة: (إني نذرت للرحمن صمتاً)[(٥)].

[ولا يجوز في شرعنا أن ينذر أحد صمتاً][(٦)]، ولقد أمر ابن مسعود مَن فعل ذلك بالنطق والكلام[(٧)]، وقال المفسرون: أُمرت مريم بهذا ليكفيها عيسى الاحتجاج.

---

(١) في المطبوع: «الكلمات».

(٢) شاذة، أو لعلها خطأ، والذي في مختصر الشواذ (ص: ٨٧)، والشواذ للكرماني (ص:٣٠٠): (نذَرتُ للرحمن صوماً وصوتاً).

(٣) تقدم في سورة البقرة الآية (١٨٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٨٣، ١٨٤)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٢٧).

(٥) شاذة، تابعه عليها في تفسير الثعالبي (٤/ ١٥)، وعزاها في البحر المحيط (٧/ ٢٥٦) لمصحف عبد الله، وانظر ما تقدم عن أنس.

(٦) ليس في أحمد٣، وانظر في ذلك: البيان والتحصيل (١٨/ ١٥٧)، والمغني لابن قدامة (٣/ ٧٦).

(٧) إسناده لا بأس به، أخرجه الطبري (١٨/ ١٨٣) من طريق مصعب بن المقدام، عن إسرائيل بن يونس، عن أبي إسحاق السبيعي، عن حارثة بن مضرب العبدي، بنحوه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾.

رُوي: أن مريم عليها السلام لمَّا اطمأَنت بما رأت من الآية، وعلمت أن الله سيبيِّن عذرها، أتت به تحمله مدلَّةً[١] من المكان القَصِيِّ الذي انتبذت فيه[٢]، وروي: أن قومها خرجوا في طلبها، فلقوها وهي مقبلة به.

و«الفَرِيُّ»: العظيم الشَّنيع، قاله مجاهد والسدي[٣]، [وأكثر استعماله في السوء، وهو من الفِرْيَة، فإن جاء الفريُّ بمعنى المتقَن فمأخوذ من فَريتُ الأديم للإصلاح، وليس بالبين][٤].

وأما قولهم في المثل: [جاء يَفري الْفَرِيَّ][٥]، فمعناه: جاء بعمل عظيم، من العمل في قول أو فعل مما قصد ضرب المثل له، وهو مستعمل فيما يختلق ويفعل، والفَرِيُّ من الأسقية: الجديدُ.

وقرأ أبو حيوة: (شيئاً فرْياً) بسكون الراء[٦].

واختلف المفسرون في معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ﴾ فقالت فرقة: كان لها أخٌ اسمه هارُون؛ لأن هذا الاسم كان كثيراً في بني إسرائيل تبركاً باسم هارون أخي موسى، وروى المغيرة بن شعبة: أن رسول الله ﷺ أرسله إلى نجران في أمر من الأمور، فقال له

---

(١) ليست في المطبوع.

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ١٨٤)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٢٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٨٥)

(٤) جاءت الفقرة في المطبوع هكذا: «وافتراه: اختلقه، وفَرَاه يفْرِيه: شَقَّه وأَفْسَدَه، وأَفْراهُ: أصلحه، من قولهم: فريت الأديم: قطعته على جهة الإصلاح»، وفي الإماراتية١: «كان»، بدل «جاء».

(٥) في المطبوع: «فلان يفري»، قال الفراء في معاني القرآن (٢/ ١٦٦): والعربُ تَقُولُ: يَفْرِي الْفَرِيَّ إذا هُوَ أجادَ العمل أو السَّقْيَ.

(٦) وهي شاذة انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٠٠).

النصارى: إن صاحبك يزعم أن مريم هي أخت هارون، وبينهما في المدة ست مئة سنة، قال المغيرة: فلم أدرِ ما أقول، فلما قدمتُ على رسول الله ﷺ ذكرتُ ذلك له، فقال: «ألم يعلموا أنهم كانوا يُسمُّون بأسماء الأنبياء والصالحين؟»[١]، فالمعنى أنه اسمٌ وافق اسماً.

وقال السدي وغيره: بل نسبوها إلى هارون أخي موسى؛ لأنها كانت من نسله[٢].

وهذا كما تقول لرجل من قبيلة: يا أخا فلانة، ومنه قول النبي ﷺ: «إن أخا صُدَاءٍ أذَّن، ومن أذَّن فهو يقيمُ»[٣].

وقال كعب الأحبار بحضرة عائشة أُم المؤمنين: لَيْسَت بأُخت هارون أخي موسى، فقالت عائشة: كذبت، فقال لها: يا أُمَّ المؤمنين، إن كان رسول الله ﷺ قاله فهو أصدق وخير[٤]، وإلَّا فإني أجد بينهما من المدة ست مئة سنة، قال: فسكتت[٥].

وقال قتادة: كان في ذلك الزَّمَن في بني إسرائيل رجلٌ عابد منقطع إلى الله يُسمى هارون، فنسبوها إلى أُخُوَّته من حيث كانت على طريقته، قيل: إذْ كانت موقوفة على خدمة البِيَع[٦]؛ أي: يا هذه المرأة الصالحة ما كنت أهلًا لما أتيت به.

وقالت فرقة: بل كان في ذلك الزَّمن رجل[٧] فاجر اسمه هارون، فنسبوها إليه على جهة التَّعْيير والتوبيخ، ذكره الطبري ولم يُسَمِّ قائله[٨]، والمعنى: ما كان أَبُوكِ ولا

---

(١) أخرجه مسلم (**٢١٣٥**) بنحوه.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٨٧).

(٣) ضعيف، أخرجه أبو داود (**٥١٤**)، والترمذي (**١٩٩**)، وابن ماجه (**٧١٧**) من طريق عبد الرحمن ابن زياد الإفريقي، عن زياد بن نعيم الحضرمي، عن زياد بن الحارث الصدائي، مرفوعاً، وإنما يعرف من حديث الإفريقي كما قال الترمذي، لكن ذكر أن عليه العمل، والإفريقي ضعيف.

(٤) في المطبوع: «وأخبر».

(٥) منقطع، أخرجه الطبري (١٨/ ١٨٦-١٨٧) من طريق ابن سيرين، قال: نبئت أن كعباً قال فذكره.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٨٦).

(٧) ليست في المطبوع.

(٨) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٨٧).

أُمُّك أهلاً لهذه الفعلة، فكيف جئت بها أنتِ؟ و«البَغِيُّ»: التي تبغي الزِّنا؛ أيْ: تطلبه، أصْلُها: بَغُوْيٌ: فَعُوْلٌ، وقد تقدم ذكر ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾.

الْتَزَمَت مريم عليها السلام ما أُمرت به من ترك الكلام، ولم يرد في هذه الآية أنها نطقت بـ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾، وإنما ورد أنها أشارت إليه، فيقوى بهذا قولُ من قال: إن أمْرها في ﴿فَقُولِي﴾ إنما أُريد به الإشارة.

ويُرْوى أنهم لَمَّا أشارت إلى الطفل قالوا: استخفافُها بنا أشدُّ علينا من زِناها، ثم قالوا لها على جهة التقرير: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾؟ [و﴿كَانَ﴾ هنا ليس يرادُ بها المضيُّ؛ لأن كل واحد قد كان في المهد صبيّاً][(١)]، وإنما هي في معنى: هو[(٢)].

ويحتمل أن تكون الناقصةَ، والأظهر أنها التَّامة، وقد قال أبو عبيدة: ﴿كَانَ﴾ هنا لغْوٌ، وقال الزَّجَّاج والفراءُ: ﴿مَن﴾ شرطية في قوله: ﴿مَن كَانَ﴾[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: ونظير ﴿كَانَ﴾ هذه قولُ رؤبة:

[الرجز] أَبَعْدَ أَنْ لاحَ لَهُ قَتِيرُ وَالرَّأْسُ قَدْ كَانَ لَهُ شَكِيرُ[(٤)]

---

(١) ليس في الأصل، وتم إثباته من النسخ.

(٢) زاد في المطبوع هنا: «الآن»، قال في الحاشية: لزيادة المعنى، ولم يذكر أنها نسخة فلذلك لم نثبتها.

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٧)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٢٨).

(٤) عزاه له في خزانة الأدب (٩/ ٢٠٥)، والْقَتِيرُ: الشيبُ، وقيل: هو أوَّل ما يظهر منه.

و﴿صَبِيًّا﴾ إمَّا خبر ﴿كَانَ﴾ على تجوُّز وتخيل في كونها ناقصة، وإمَّا حالٌ يعمل فيه[١] لاستقرار المقرر[٢] في الكلام، ورُوي: أن المَهْدَ يُرادُ به حِجْر أُمِّه، قال لهم عيسى من مرقده: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ الآية، ورُوي: أنه قام متَّكئاً على يساره، وأشار إليهم بِسَبَّابته اليمنى.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: هو الإنجيل[٣].

ويحتمل أن يريد التوراة والإنجيل، [ويكون الإيتاء فيهما مختلفاً][٤].

و﴿ءَاتَىٰنِيَ﴾ معناه: قضى بذلك، وأنفذه في سابق حكمه، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]، وغير هذا.

وأمال الكسائي: ﴿آتانِي﴾، و﴿أَوْصانِي﴾، والباقون لا يُميلون، قال أبو علي: الإمالةُ في (آتَانِيَ) أحسن؛ لأن في (أَوْصَانِي) مستعلياً[٥].

و﴿مُبَارَكًا﴾ قال مجاهد: معناه: نفَّاعاً[٦]، وقال سفيان الثوري[٧]: معناه: معلم خَير[٨].

وقيل: آمِراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، قال رجلٌ لبعض العلماء: ما الذي أُعْلِنُ من علمي؟ / قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإنه دِين الله الذي بعث به أنبياءَه[٩]. [٤/ ٨]

(١) ليست في المطبوع، لكنه زاد هنا: «إذَا قُدِّرَت زائدةً أو تامَّةً»، قال في الحاشية: زيادة للتوضيح قالها أبو حيان في «البحر»، ولم يذكر أنها نسخة فلذلك لم نثبتها.
(٢) في المطبوع والإماراتية٢ ونور العثمانية: «المقدر».
(٣) في المطبوع: «التوراة».
(٤) ليس في المطبوع.
(٥) الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٢٠١)، والقراءة سبعية.
(٦) تفسير الطبري (١٨/ ١٩١).
(٧) من المطبوع.
(٨) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «معلم غيره».
(٩) انظره مع القول الذي قبله في تفسير الطبري (١٨/ ١٩١).

وأسند النقاشُ عن الضحاك أنه قال: ﴿مُبَارَكًا﴾ معناه: قضَّاءً للحوائج[١].

قال القاضي أبو محمد: وقوله: ﴿مُبَارَكًا﴾ يعُمُّ هذه الوجوه وغيرها.

و(الصَّلاةُ) و(الزَّكاةُ) قيل: هما المشروعتان في البَدَن والمال، وقيل: زكاة الرؤوس[٢] في الفِطْر، وقيل: الصلاةُ الدعاءُ، والزكاةُ التطهير من كل عيب ونقص[٣] ومعصية.

وقرأ: ﴿دُمْتُ﴾ بضم الدالِ عاصمٌ وجماعة، وقرأ: (دِمْتُ) بكسرها أهلُ المدينة، وابن كثير، وأبو عمرو، وجماعة[٤].

وقرأ الجمهور: ﴿وَبَرًّا﴾ بفتح الباء، وهو الكثير البِرِّ، ونصبه عطفاً على قوله: ﴿مُبَارَكًا﴾.

وقرأ أبو نهيك، وأبو مجلز، وجماعة: (وَبِرّاً) بكسر الباءِ[٥]، فقال بعضهم: نصبه على العطف على قوله: ﴿مُبَارَكًا﴾، كأنه قال: ذا بِرٍّ، فاتصف بالمصدر كَعْدلٍ ونحوه.

وقال بعضهم: نصبه بقوله: ﴿وَأَوْصَٰنِي﴾؛ أي: وأَوْصَاني بِرّاً بوالدتي، حذف الجار، يريد: وأوصاني بِبِرِّ والدتي.

وحكى الزهراوي هذه القراءة: (وَبِرٍّ) بالخفض عطفاً على ﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾[٦].

وقوله: ﴿بِوَٰلِدَتِي﴾ بيانٌ؛ لأنه لا والِد لَهُ، وبهذا القول برَّأَها قومها.

و«الجَبَّارُ»: المتعظم، وهي خلق مقرونة بالشقاء؛ لأنها مناقضة لجميع الناس،

---

(١) انظر قول الضحاك في: تفسير السمعاني (٣/ ٢٩٠)، والبحر المحيط لأبي حيان (٦/ ١٧٧).

(٢) في المطبوع: «البدن»، مع الإشارة إلى النسخة الأخرى.

(٣) في المطبوع: «وتقصير».

(٤) غريب!، الضم للسبعة وغيرهم، والكسر شاذ، للأعمش ويحيى والسلمي، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣٠٠).

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها لهما المحتسب (٢/ ٤١).

(٦) وهي شاذة، نسبها النحاس في إعراب القرآن (٣/ ١٦) لابن نهيك.

فلا يلقى صاحبها من أحد إلَّا مكروهاً، وكان عيسى عليه السلام في غاية التواضع، يأكل الشجر، ويلبس الشَّعْر، ويجلس على التراب، ويأوي حيث جنه الليل إذْ[١] لا مسْكَنَ له، قال قتادة: وكان يقول: سلُوني، فإني ليِّن القلب، صغير في نفسي[٢].

وقد تقدم ذكر تسليمه على نفسه وإدلاله في ذلك، وذَكَر المواطن التي خصَّها، لأنها أوقات حاجة الإنسان إلى رحمة الله.

وقال مالك بن أنس رضي الله عنه في هذه الآية: ما أشدَّها على أهل القدر، أخبر عيسى بما قضي من أمره، وبما هو كائن إلى أن يموت[٣].

وفي قصص هذه الآية عن ابن زيد وغيره أنهم لما سمعوا كلام عيسى [وهو في المهد][٤] أذعنوا، وقالوا: إن هذا لأمرٌ عظيم[٥].

ورُوي: أن عيسى عليه السلام إنما تكلم في طفولته بهذه الآية ثم عاد إلى حالة الأطفال حتى نشأ على عادة البشر[٦].

وقالت فرقة: إن عيسى كان أُوتي ذلك الكتاب وهو في ذلك السن، وكان يصوم ويصلي، وهذا في غاية الضعف، مُصَرِّح بجهالة قائله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾.

---

(١) من المطبوع.
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٩٢)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٣٣)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢١٥).
(٣) انظر قول مالك في: تفسير القرطبي (١١/ ١٠٣).
(٤) من المطبوع والحمزوية والإماراتية ١.
(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٩٠)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٧٠).
(٦) الكشاف للزمخشري (٣/ ١٧)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢١٣).

المعنى: قلْ يا محمد لمعاصريك من اليهود والنصارى: ذلك الذي هذه قصته عيسى ابن مريم، وإنما قدَّرنا في الكلام (قُلْ يا محمد)؛ لأنه يجيءُ في الآية بعْدُ ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾، وهذه مقالة بشر، وليس يقتضي ظاهر الآية قائلاً من البشر سوى محمد ﷺ، وقد يحتمل أن يكون قوله: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى﴾ إلى قوله: ﴿فَيَكُونُ﴾ إخباراً لمحمد اعتراضاً أثناء كلام عيسى، ويكون قوله: ﴿وأنَّ﴾ بفتح الألف عطفاً على قوله: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾.

وقال وهب بن منبه: عهد عيسى إليهم أنَّ الله ربِّي وربكم[١].

ومن كسر الألف عطف على قوله: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو ونافع، وحمزة، والكسائي، وعامة الناس: ﴿قولُ الحق﴾، [برفع القول على معنى: هذا قولُ الحق][٢]، وقرأ عاصم، وابن عامر، وابن أبي إسحاق: ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ بنصب القول على المصدر[٣].

وقال أبو عبد الرحمن المقري: كان يجالسني ضرير ثقة، فقال: رأيت النبي ﷺ في النوم يقرأ: ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ نصباً، قال أبو عبد الرحمن: وكنت أقرأ بالرفع فحسبُ[٤]، فصرتُ أقرأُ بهما جميعاً.

وقرأ عبد الله ابن مسعود: (قالُ اللَّهِ)، بمعنى: كلمةُ اللَّهِ، وقرأ عيسى: (قالُ الْحَقِّ)[٥].

وقرأ نافع والجمهور: ﴿يَمْتَرُونَ﴾ بالياء على الكناية عنهم، وقرأ نافع أيضاً وأبو عبد الرحمن، وداود بن أبي هند: (تَمْتَرُونَ) بالتاء على الخطاب لهم[٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٩٧).

(٢) ليس في المطبوع وأحمد٣.

(٣) فهما سبعيتان، انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ١٤٩)، وليس «أبو عمرو» في المطبوع.

(٤) في الأصل والإماراتية وأحمد٣: «فجنبت»، ولم أقف على هذه الرؤيا.

(٥) شاذتان، عزاهما في مختصر الشواذ (ص:٨٧) لابن مسعود، وزاد في الشواذ للكرماني (ص:٣٠٠) في الثانية طلحة والأعمش ويحيى.

(٦) شاذة، عزاها لهم إلا نافعاً في الشواذ للكرماني (ص:٣٠٠)، ونقلها في البحر المحيط (٧/ ٢٦١) =

والمعنى: تختلفون أيها اليهود والنصارى، فيقول بعضهم: هو لِـزِنْيَة، ونحوَ هذا، [وهو اليهود][(١)]، ويقول بعضهم: هو ابن[(٢)] الله تعالى، فهذا هو امتراؤُهم، وسيأتي شرح ذلك من بعد هذا.

وقوله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ﴾ معناه النفي، وهذا هو معنى هذه الألفاظ حيث وقعت، ثم يضاف إلى ذلك بحسب حال المذكور فيها، إمَّا نهي وزجرٌ كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟﴾ [التوبة: ١٢٠]، وإمَّا تعجيزٌ كقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠]، وإمَّا تنزيه[(٣)] كهذه الآية.

وقوله[(٤)]: ﴿مِن وَلَدٍ﴾ دخلت ﴿مِن﴾ مؤكدةً للجَحْد، لنفي الواحد فما فوقه مما يحتمله نظيرُ هذه العبارة إذا لم تدخل (مِنْ).

وقوله: ﴿قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾؛ أيْ: واحداً من الأُمور، وليس بمصدر أَمَرَ يأْمُرُ، فمعنى (قَضَى): أوجد، وأخرج عن العدم، وهذه التصاريف في هذه الأفعال من مُضِيٍّ واستقبال هي بحسب تجوُّز العرب واتِّساعها، وقد تقدم القول في ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع: ﴿وأَنَّ الله﴾ بفتح الألف، وذلك عطف على قوله: ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾، و﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَبِّى﴾ كذلك، وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿وَإِنَّ﴾ بكسر الألف[(٥)]، وذلك بَيِّنٌ على الاستئناف.

وقرأ أُبَيُّ بن كعب: (إنَّ) بكسر الألف دون واو[(٦)].

= عن نافع في رواية والكسائي، وفي جامع البيان (٣/ ١٣٤٣)، عن رواية الترمذي عن ابن ذكوان والجعفي عن شعبة.

(١) ليس في المطبوع، وفي الإماراتية٢و١: «هم اليهود».

(٢) في المطبوع: «هو ابن الله»، والمثبت من سائر النسخ الخطية.

(٣) في المطبوع والحمزوية: «تبرئة».

(٤) من المطبوع.

(٥) انظر: التيسير (ص: ١٤٩).

(٦) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٢/ ١٦٨).

وقوله: ﴿فَٱعۡبُدُوهُ﴾ وقف، ثم ابتدأ: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٞ﴾؛ أي: ما أعلمتكم به عن الله تعالى من وحدانية، ونَفْي الولد عنه، وغير ذلك مما يتنـزه عنه، طريقٌ واضح مُفْضٍ إلى النجاة ورحمته تعالى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ / [٤/ ٩]

هذا ابتداءُ خبر من الله تعالى لمحمد ﷺ بأن بني إسرائيل اختلفوا أحزاباً؛ أي: فِرَقاً، وقوله: ﴿مِنۢ بَيۡنِهِمۡ﴾ معناه أن الاختلاف لم يخرج عنهم، بل كانوا المختلفين، وروي في هذا عن قتادة: أن بني إسرائيل جمعوا من أنفسهم أربعة أحبار غاية في المكانة والجلالة عندهم، وطلبوهم بأن يُبَيِّنُوا أمر عيسى.

فقال أحدهم: عيسى هو الله نزل إلى الأرض، فأحيا من أَحْيا، وأمات من أمات، ثم صعِدَ، فقال له الثلاثة: كذَبْتَ، واتَّبعه اليعقوبية.

ثم قيل للثلاثة، فقال أحدهم: عيسى هو ابن الله، فقال له الاثنان: كذبْتَ، واتَّبعه النسطورية.

ثم قيل للاثنين، فقال أحدهما: عيسى أحد ثلاثة: الله إله، ومريم إله، وعيسى إله، فقال له الرابع: كَذَبْتَ، واتَّبعه الإسرائيلية.

فقيل للرابع، فقال: [عيسى عبد الله، وكلمته ألقاها إلى مريم](١)، فاتَّبع كلَّ واحد من الأربعة فريقٌ من بني إسرائيل، ثم اقتتلوا فغُلب المؤمنون وقُتلوا، وظهرت اليعقوبية على الجميع(٢).

---

(١) في أحمد٣ بدله: «مقالة الإسلام»، وفي المطبوع: «روح الله»، بدل «عبد الله».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٩٧، ١٩٨)، وتفسير ابن أبي زمنين (٤/ ١٩١).

وروي أن في ذلك نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقٍّ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١][(١)].

و«الْوَيْلُ»: الحُزْن[(٢)] والثُّبور، وقيل: الْوَيْلُ وادٍ في جهنم، ومَشْهَد اليوم العظيم هو مشهد يوم القيامة، ويحتمل أن يريد بمَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ: يوم قتل المؤمنين حين اختلف الأحزاب، وقد أشار إلى هذا المعنى قتادة[(٣)].

وقوله: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ﴾؛ أي: ما أسمَعَهم وأبصَرهم يومَ يرجعون إلينا ويرون ما نصنع بهم من العذاب، فإنَّ إعراضهم حينئذ يزول، ويُقبِلون على الحقيقة حين لا ينفعهم الإقبال عَلَيْها، وهم في الدنيا صمٌّ عُمْيٌ؛ إذ لا ينفعهم النظر مع إعراضهم، ثم قال: لكنهم اليوم في الدنيا فِي ضَلالٍ، وهو جهل المسلك، و«الْمُبينُ»: البَيِّن في نفسه وإنْ لم يَتَبَيَّن لهم.

وحكى الطبريُّ عن أبي العالية أنه قال: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ﴾ بمعنى الأمر لمحمد ﷺ؛ أي: أَسْمع الناسَ اليوم وأبصرهم بهم وبحديثهم، ماذا يصنع بهم من العذاب إذا أَتَوْا محشورين مغلولين[(٤)].

[وقوله: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ﴾ الآية، الخطاب أيضاً في هذه الآية لمحمد ﷺ، والضمير في أَنْذِرْهُمْ لجميع الناس][(٥)].

واختلف في ﴿يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ﴾ فقال الجمهور: هو يوم ذبح الموت، وفي هذا حديث صحيح[(٦)] وقع في «البخاري» وغيره: أن الموت يجاءُ به في صورة كبش أملح، [وفي

---

(١) ذكره قتادة كما عند الطبري (١٨/ ١٩٨).

(٢) في أحمد٣: «الحرب».

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٩٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٣١)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٤١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٩٩).

(٥) ليس في المطبوع.

(٦) في نور العثمانية: «حسن صحيح».

بعض الطرق: كأنه كبش أملح][١] ـ وقال عبيد بن عمير: كأنه دابَّة ـ فيذبح على الصراط بين الجنة والنار، وينادى: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت[٢].

ويروى: أن أهل النار يشرئبُّون [إليه رجاء أن يُخرجوا مما هم فيه، وأن أهل الجنة يشرئبُّون][٣] خوفاً على ما هم فيه[٤].

و«الأمر المقضي»: هو ذبح الكبش الذي هو مثال الموت، وهذا عند حذاق العلماء كما يقال: تدفن الغوائل، ويجعل التراب تحت القدم، ونحو ذلك، وعند ذلك تصيب أهل النار حسرةٌ لا حسرة مثلها.

وقال ابن زيد وغيره: يومُ الحسرة هو يوم القيامة[٥]، وذلك أن أهل النار قد حصلوا من أول أمرهم في سخط الله وأمارته، فهم في حال حسرة.

والأمر المقضي على هذا: هو الحتم عليهم بالعذاب، وظهور إنفاذ ذلك عليهم.

وقال ابن مسعود: يومُ الحسرة حين يرى الكفار مقاعدهم التي فاتتهم من الجنة لو كانوا مؤمنين[٦].

ويحتمل أن يكون يومُ الحسرة اسم جنس؛ لأن هذه حسرات كثيرة في مواطن عِدَّة، ومنها يوم الموت[٧]، ومنها وقت أخذ الكتاب بالشمال وغير ذلك.

وقوله: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ يريد: في الدنيا الآن وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ كذلك.

---

(١) ليس في المطبوع.
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.
(٣) ليس في الأصل.
(٤) أخرجه مسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٠١).
(٦) إسناده لين، أخرجه الطبري (١٨/ ٢٠٠) من طريق سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه، بنحوه.
(٧) في المطبوع: «القيامة».

وقوله: ﴿نَرِثُ ٱلْأَرْضَ﴾ تجوُّزٌ وعبارةٌ عن فناء المخلوقات وبقاء الخالق، فكأنها وراثة.

وقرأ عاصم، ونافع، وأبو عمرو، والحسن، والأعمش: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بالياء[1].

وقرأ الأعرج: (تُرْجَعُونَ) بالتاء من فوق[2].

وقرأ أبو عبد الرحمن، وابن أبي إسحاق، وعيسى: ﴿يَرْجِعُونَ﴾ بالياء مفتوحة وكسر الجيم[3].

وحكى عنهم أبو عمرو: (تَرْجِعُونَ) بالتاء[4].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾.

قوله: ﴿وَٱذْكُرْ﴾ بمعنى: واتْلُ وشهر[5]؛ لأن الله تعالى هو الذاكر، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ هو القرآن، وهذا وشبهه من لسان الصدق الذي ألقاه الله عليهم.

و«الصِّدِّيق»: فِعِّيل، بناءُ مبالغة من الصدق.

وقرأ أبو البَـرَهْسَمِ: (إنه كان صادقاً)[6].

---

(١) هذه قراءة السبعة كلهم، وهي متواترة.

(٢) في الحمزوية: «الأعمش»، وهي شاذة، عزاها للأعرج الكرماني في الشواذ (ص:٣٠١).

(٣) تابعه في البحر المحيط (٧/ ٢٦٤)، وهي عشرية ليعقوب على قاعدته، كما في النشر (٢/ ٢٠٨)، وزاد في أحمد٣: «وفتح الياء».

(٤) وهي شاذة، انظر نقل الداني في البحر المحيط (٧/ ٢٦٤)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص:٣٠١) للسلمي وطلحة.

(٥) في المطبوع: «وَبَلِّغْ».

(٦) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٧/ ٢٦٨).

والصِّدْق عُرفه في اللسان، وهو مُطَّردٌ في الأفعال والخُلُق، ألَا ترى[١] أنَّه يُسْتعار لما لا يعقل، يقال: صدقني الطعام كذا وكذا قفيزاً، ويقال: عُودٌ صدْقٌ: للصلْب الجيِّد.

فكان إبراهيم عليه السلام يوصف بالصِّدْق على العموم في أفعاله وأقواله، وذلك يغترق[٢] صدق اللسان الذي يضاد الكذب، وأبو بكر رضي الله عنه وُصف بصدِّيق لكثرة ما صَدَقَ في تصديقه بالحقائق، وصدق في مبادرته إلى الإيمان وما يُقَرِّب من الله تعالى.

وللصِّدِّيق مراتب، ألا ترى أن المؤمنين صِدِّيقون لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩].

وقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ اختلف النحاة في التاء من (أَبَتِ): فمذهب سيبويه إلى أنها عِوَض من ياء الإضافة، فالوقوف عليها عنده بالهاء، ومذهبُ الفراء أن يوقف عليها بالتاء؛ لأن الياء التي للإضافة عنده منويَّة[٣].

وجمهور القراء على كسر التاء، وفي مصحف ابن مسعود: (وَا أَبَتِ)[٤] بواو للنداء.

[٤/ ١٠] وقرأ ابن عامر، والأعرج، وأبو جعفر: / ﴿يا أبتَ﴾ بفتح التاء[٥]، ووجهها أنه أراد: (يَا أَبتا) فحذف الألف، وترك الفتحة دالَّةً عليها، ووَجْه آخر أن تكون التاءُ المقحمة كالتي في قولهم: يا طلحَةَ أقبل[٦]، وفي هذا نظر، وقد لَحَّنَ هارون هذه القراءة[٧].

والذي لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ هو الصنم، ولو سمع وأبصر كما هي حال الملائكة

(١) في المطبوع: «إلا أنه».
(٢) في المطبوع: «وبذلك يفترق».
(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٢)، والكتاب لسيبويه (٢/ ٢١١)، وفي المطبوع: «منونه».
(٤) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٧/ ٢٦٨).
(٥) وهي سبعية، انظر عزوها لهما في التيسير (ص: ١٢٧)، والنشر (٢/ ٢٩٣).
(٦) من المطبوع والإماراتية ١.
(٧) انظر: البحر المحيط (٧/ ٢٦٨).

وغيرهم مِمَّن عُبِد لم يحسن عبادتها، لكن بيَّن إبراهيم عليه السلام بِنَفْي السمع والبصر شُنْعَةَ الرأي في عبادتها وفَسَادَه.

وقوله: ﴿قَدْ جَآءَنِى﴾ يدلُّ على أن هذه المقالة بعد أن نُبِّئَ، و«الصِّرَاطُ السَّوِيُّ» معناه: الطريق المستقيم، وهو طريق الإيمان.

وقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ مخاطبة بِرٍّ واستعطاف على حالة كفره، وقوله: ﴿لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ يحتمل أن يكون أبوه مِمَّن عَبد الجِن، ويحتمل أن يجعل طاعة الشيطان المُغْوِي(١) في عبادة الأوثان والكفر بالله عبادَةً له.

«العَصِيُّ»: فَعِيْلٌ من عَصَى يعصي: إذا خالف الأمر.

وقوله: ﴿أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ﴾، قال الطبري وغيره: أَخَافُ بمعنى: أعلم(٢).

قال القاضي أبو محمد: والظاهر عندي أنه خوفٌ(٣) على بابه؛ وذلك أن إبراهيم عليه السلام لم يكن في وقت هذه المقالة آيساً من إيمان أبيه، فكان يرجو ذلك، وكان يخاف ألَّا يؤمن ويتمادى على كفره إلى الموت فيمسُّه العذاب.

و«الوَليُّ»: الخالِص المصاحب القريب بنسب أو مَوَدَّة.

قال آزر ـ وهو تارح(٤) ـ: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى﴾، و«الرغبة»: مَيْلُ النفس، فقد تكون الرغبة في الشيء، وقد تكون عنه.

وقوله: ﴿أَرَاغِبٌ﴾ رفع بالابتداء، و﴿أَنتَ﴾ فاعل به(٥) يسد مَسَدَّ الخبر، وحسَّن ذلك وقرَّبه اعتمادُ (رَاغِبٌ) على ألف الاستفهام، ويجوز أن يكون (رَاغِبٌ)

---

(١) كتبت في الأصل: «المعنوي»، وفي أحمد٣: «المغري».
(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٢٠٤).
(٣) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «أنه حرف».
(٤) في الحمزوية وأحمد٣: «تارخ».
(٥) ليست في المطبوع.

خبراً مقدماً، و﴿أَنتَ﴾ ابتداءً، والأول أصوب، وهو مذهب سيبويه.

وقوله: ﴿عَنْ ءَالِهَتِي﴾ يريد الأصنام، وكان ـ فيما روي ـ ينحتها وينجزها بيده ويبيعها ويحضُّ عليها، فقَرَّر ابنه إبراهيم على رغبته عنها على جهة الإنكار عليه، ثم أخذ يتوعَّده.

وقوله: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ اختلف فيه المتأولون: فقال السدي، وابن جريج، والضحاك: معناه: بالقول؛ أي: لأشتمنك، وَاهْجُرْنِي أنت إذا شئت مدة من الدهر، أو سالِماً، حسب الخلاف الذي سنذكره، وقال الحسن بن أبي الحسن: معناه: لَأَرْجُمَنَّكَ بالحجارة، وقالت فرقة: معناه: لأقتلنَّك، وهذان القولان بمعنىً واحد(١).

وقوله: ﴿وَٱهْجُرْنِي﴾ على هذا التأويل إنما يترتب بأنه أمر على حياله(٢)، كأنه قال: إن لم تنتهِ لأقتلنك بالرجم، ثم قال له: وَاهْجُرْنِي؛ أي: مع انتهائك، كأنه جزم الأمر بالهجرة، وإلَّا فمع الرجم لا تترتب الهجرة.

و﴿مَلِيًّا﴾: معناه: دهراً طويلاً، مأخوذ من الملوَيْن، وهما الليل والنهار، هذا هو قول الجمهور: الحسن، ومجاهد، وغيرهما، فهو ظرفٌ(٣).

وقال ابن عباس وغيره: ﴿مَلِيًّا﴾ معناه: سليماً منا سوِيّاً(٤)، فهو حالٌ من إِبْرَاهِيم عليه السلام.

وتلخيص هذا أن يكون بمعنى قوله: مُسْتَبِدّاً بحالك عنِّي غنيّاً، مَلِيّاً بالاكتفاء.

---

(١) انظر قول السدي ومن معه في تفسير الطبري (١٨/ ٢٠٥)، ومع قول الحسن في تفسير الماوردي (٣/ ٣٧٤).

(٢) في المطبوع: «حياته».

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٠٥، ٢٠٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٤٧)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٧٤).

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٠٦) من طريق علي بن أبي طلحة، وعطية العوفي ـ مفرقين ـ، عن ابن عباس، بنحوه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾.

قرأ أبو البرهسم: (سَلَاماً عليك) بالنصب(١).

واختلف أهل العلم في معنى تسليمه عليه: فقال بعضهم: هي تحية مُفارق، وجوَّزوا تحية الكافر، وأن يُبدأ بها(٢)، وقال الجمهور: ذلك التسليم بمعنى المُسَالمة، لا بمعنى التحية.

وقال الطبري: معناه: أَمَنَةً منِّي لك(٣)، وهذا قول الجمهور، وهم لا يرون ابتداء الكافر بالسلام(٤).

وقال النقاش: حليمٌ خاطَبَ سفيهاً، كما قال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣](٥).

ورفع (السلام) بالابتداء، وجاز ذلك مع كونه نكرة؛ لأنها نكرة مُخَصَّصة، فقربت من المعرفة، ولأنه في موضع المنصوب الذي هو: سلَّمتُ سلاماً، وهذا كما يجوز ذلك فيما هو في معنى الفاعل، كقولهم: شرٌّ ما أهَرَّ ذا ناب، وهذا مثال سيبويه(٦).

وقوله تعالى: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ﴾ معناه: سأدعو الله في أن يهديك، فيغفر لك بإيمانك.

وهذا أظهر من أن يُتأوَّل على إبراهيم الخليل ﷺ أنه لم يعلم أن الله لا يغفر لكافر،

---

(١) شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٧/ ٢٧١).

(٢) أجاز بدء الكافر بالسلام عمر بن عبد العزيز وسفيان بن عيينة، كما في فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٠٧).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٥/ ٣٠٣)، وروضة الطالبين (١٠/ ٢٣٠-٢٣١)، والمغني (٨/ ٥٣٦).

(٥) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ١١١).

(٦) الكتاب لسيبويه (١/ ٣٢٩).

وقد يجوز أن يكون إبراهيم عليه السلام أولَ نبي أوحى الله إليه: أنَّ الله لا يغفر لكافر؛ لأن هذه العقيدة إنما طريقها السمع، فكانت هذه المقالة منه لأبيه قبل أن يوحى إليه ذلك، وإبراهيم عليه السلام إنما تبيَّن له في أبيه أنه عدوٌّ لله بأحد وجهين: إمَّا بموته على الكفر كما رُوي، وإمَّا بأن أوحى الله إليه الحتم عليه.

وقال مكيٌّ عن السدي: أخَّره بالاستغفار إلى السَّحَر[١]، وهذا تعَسُّفٌ، وإنما ذكر ذلك في أمر يعقوب وبنيه، وأما هذا فوعد باستغفار كثير مؤتنف، فالسين متمكنة.

و«الحَفِيُّ»: المهتبل[٢] المتلطف، وهذا شكر من إبراهيم لنعم الله تعالى عليه.

ثم أخبره أنه يعتزلهم؛ أي: يصير عنهم بمَعزِل، ويروى: أنهم كانوا بأرض كوثا، فرحل إبراهيم عليه السلام حتى نزل الشام، وفي سفرته تلك لقي الجبار الذي أخدم هاجر لسارة... الحديث بطوله[٣].

و﴿تَدۡعُونَ﴾: تعبدون، وقوله: ﴿عَسَىٰٓ﴾ تَرَجٍّ، وفي ضمنه خوف شديد.

وقوله: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ﴾ إلى آخر الآية إخبارٌ من الله تعالى لنبيِّه محمد ﷺ أنه لما رحل عن بلد أبيه وبلد قومه عوَّضه الله من ذلك ابنه إِسْحاقَ، وابن ابنه يَعْقُوبَ، وجعل له الولد تسلية وشدّاً لعضده، وإِسْحاق أصغر من إسماعيل؛ ولمَّا حملت هاجر بإسماعيل غارت سارة فحملت بإِسْحاقَ فيما رُوي[٤].

---

(١) انظر: الهداية لمكي (٧/ ٤٥٤٩).

(٢) في الأصل: «المبتهل»، وفي حاشية المطبوع: لعلَّ الصواب: المحْتَفِلُ من الاحتفال بمعنى الاهتمام بالشيء.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٣٥٨)، ومسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي المطبوع: «هجرته»، بدل «سفرته».

(٤) ذكره الفاكهي في أخبار مكة (٥/ ١٢٠) عن علي رضي الله عنه قال: إن ابراهيم استوهب هاجر من سارة فوهبتها له، وشرطت عليه أن لا يسرها، فالتزم ذلك، ثم غارت منها فكان ذلك السبب في تحويلها مع ابنها إلى مكة.

وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ يريد العلم والمنـزلة والشرف في الدنيا والنعيم في الآخرة، كل ذلك من رحمة الله.

و«لِسَانُ الصِّدْقِ»: هو الثناءُ الباقي عليهم آخرَ الأبدِ، قاله ابن عباس(١)، واللسان في كلام العرب: / المقالة(٢) الذائعة كانت في خيرٍ أو شَرٍّ، ومنه قول الشاعر: [٤/ ١١]

إنِّي أَتَـتْـنِي لِسَـانٌ لا أُسَـرُّ بِـهَـا ... مِنْ عَلْوَ لا كَذِبٌ فيها وَلَا سَخَرُ(٣) [البسيط]

وقال آخر:

نَدِمْتُ عَلَى لِسَانٍ فَاتَ مِنِّي(٤) ... . [الوافر]

وإبراهيم عليه السلام وذريته(٥) مُعَظَّم في جميع الأُمم والملل، صلى الله عليهم أجمعين.

قوله عز وجل: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥١) وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢) وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (٥٣) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥)﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٠٨) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) في المطبوع والإماراتية٢ والحمزوية وأحمد٣: «القالة»، وهما بمعنًى.
(٣) البيت لأعشى باهلة كما في الكامل للمبرد (٤/ ٥٥)، والمحكم (٢/ ٣٥١)، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٨٦)، ومعجم مقاييس اللغة (٤/ ١١٧)، وإصلاح المنطق (١/ ٢٦)، والصحاح للجوهري (٢/ ٢٤٢)، وسمط اللآلي (١/ ٢٢) قال: واسم الأعشى هذا عمرو بن الحارث، ويكنى أبا قحافة. وقال قطرب: إنه للدعجاء بنت وهب، وإنما هي التي ترثي أخاها المنتشر، وفي أحمد٣: «لا غلو».
(٤) تتمته: (فَلَيْتَ بِأَنَّهُ في جَوْفِ عِكْمِ)، وهو للحطيئة كما في المحكم (١/ ٢٨٨)، وخزانة الأدب للبغدادي (٤/ ١٤٢).
(٥) غير واضحة في أحمد٣ والحمزوية، وفي نور العثمانية: «بنوه»، وفي الإماراتية١و٢: «بيته»، وفي المطبوع: «والممالك»، بدل «الملل».

هذا أمرٌ من الله عز وجل بذكر موسى بن عمران عليه السلام على جهة التشريف له، وأعلمه بأنه كان مُخْلَصاً.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر وعاصم: ﴿مُخْلِصاً﴾ بكسر اللام، وهي قراءة الجمهور، أي: أخلص نفسه لله، وقرأ حمزة، والكسائي، وعاصم: ﴿مُخْلَصًا﴾ بفتح اللام، وهي قراءة أبي رزين، ويحيى، وقتادة[١]؛ أي: أخلصه الله للنبُوَّة والعبادة[٢]، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ [ص: ٤٦].

والرسول من الأنبياء: الذي يكلف تبليغ أمة، وقد يكون نبيٌّ غيرَ رسول.

وقوله: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ هو تكليم الله تعالى، و﴿ٱلطُّورِ﴾: الجبل المشهور بالشام.

وقوله: ﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾ صفة للجانب، وكانت على يمين موسى بحسب[٣] وقوفه، وإلَّا فالجبل نفسه لا يمنة له ولا يسرة، ولا يوصف بشيءٍ من ذلك إلَّا بالإضافة إلى ذي يمين ويسار.

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾ مأْخوذاً من اليُمْن، كأنه قال: الأَبْرك والأَسْعد، فيصح على هذا أن يكون صفة للجانب وللجبل بجملته.

وقوله: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [قال الجمهور]:[٤] هو تقريب التشريف بالكلام والنبوة.

وقال ابن عباس: بل أُدني موسى للملكوت، ورفعت له الحجب حتى سمع

---

(١) انظر: التيسير (ص: ١٤٩)، إلا أن ذكر عاصم في الأولى ليس من طرقه، وإنما هي رواية المفضل عنه والكسائي عن شعبة كما في السبعة (ص: ٤١٠)، ونسبها في جامع البيان (٣/ ١٣٤٣) للجعفي والعجلي عن يحيى عن شعبة، وأبي عمارة عن حفص، وسقط «ابن عامر» من الإماراتية١، و«نافع» من نور العثمانية.

(٢) في المطبوع: «والقيادة».

(٣) في المطبوع: «عند»، وفي الحمزوية وأحمد٣ ونور العثمانية والإماراتية١: «بحسب».

(٤) ليست في المطبوع.

صريف الأقلام[١]، وقاله ميسرة[٢]، وقال سعيد: أردفه جبريل[٣].

و «النَّجِيُّ»: فَعِيْلٌ[٤]، من المناجاة، وهي المسارَّة بالقول، وقال قتادة: ﴿نَجِيًّا﴾ معناه: نجا بصدقه[٥].

وهذا مختلٌّ[٦]، وإنما النَّجِيُّ: المنفردُ بالمناجاة[٧].

وكان هارون عليه السلام أسنَّ من موسى، فطلب من الله أن يشُدَّ أَزْره بنُبوَّته ومعونته، فأجابه الله تعالى إلى ذلك، وعدَّها في نعمه عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَ﴾ هو أيضاً من لسان الصدق والشرف المضمون بقاؤه على آل إبراهيم عليه السلام، وإسماعيل هو أَبُو العرب اليوم، وذلك أن اليمنية والمضرية ترجع إلى ولد إسماعيل عليه السلام، وهو الذي أسكنه أبوه بوادٍ غير ذي زرع، وهو الذبيح في قول الجمهور، وقالت فرقة: الذبيح إسحاق.

قال القاضي أبو محمد: والأوَّلُ يترجح بجهات:

منها قول الله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾، فَوَلَدٌ قد بُشِّر أبواه أنه سيكون منه وَلَدٌ هو حفيد لهم كيف يؤمر بعد ذلك بذبحه، وهذه العِدَةُ قد تقدمت.

---

(١) إسناده جيد، أخرجه ابن أبي شيبة (٣٢٥٠٦) ط عوامة، والطبري (١٨/ ٢١٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٣) وغيرهم من طريق سفيان الثوري، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعطاء بن السائب صدوق اختلط؛ ولكن رواية الثوري عنه قبل الاختلاط.

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٢١١).

(٣) انظر: البحر المحيط (٧/ ٢٧٥)، وفي الدر المنثور (٥/ ٥١٥): أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير، ونقل في تفسير الطبري (١٨/ ٢١١) مثله عن شعبة.

(٤) في المطبوع: «قيل»، وهو تحريف.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢١١).

(٦) في نور العثمانية والإماراتية١و٢: «محتمل».

(٧) في الإماراتية١: «بالمملكة».

وجِهة أخرى: هي أن أمر الذبح لا خلاف بين العلماء أنه كان بمنى عند مكة، وما رُوي قطُّ أنَّ إسحاق دخل تلك البلاد، وإسماعيل بها نشأ، وكان أبوه يزوره بها مراراً كثيرة يأتي من الشام ويرجع من يومه على البراق، وهو مركب الأنبياء.

وجهة أخرى: وهي قول النبي ﷺ: «أنا ابن الذبيحين»(١)، وهما(٢) أبوه عبد الله [بن عبد المطلب](٣)؛ لأنه فُدي بالإبل من الذبح، والذبيح الثاني هو أبوه إسماعيل.

وجهة أخرى وهي الآيات في سورة الصَّافَّات، وذلك أنه لما فرغ من ذكْر الذبح وحاله قال: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ ﴾ [الصافات: ١١٢]، فترتيب تلك الآيات يكاد ينص على أن الذبيح غير إسحاق.

ووصف الله تعالى إسماعيل بصدق الوعد؛ لأنه كان مبالغاً في ذلك، رُوي أنه وعد رجلاً أن يلقاه في موضع، فجاء إسماعيل وانتظر الرجلَ يومَه وليلته، فلما كان في اليوم الآخر جاءَ الرجل، فقال له: ما زلتُ هنا في انتظارك منذ أمس(٤)، وفي «كتاب ابن سلام»: أنه انتظره سنة(٥)، وهذا بعيد غير صحيح، والأول أصح، وقد فعل مثله نبينا محمد ﷺ قبل بعثه، ذكره النقاش، وخرجه الترمذي، وغيره(٦)، وذلك في مبايعة وتجارة.

---

(١) لا أصل له، انظر تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي، والسلسلة الضعيفة (١٦٧٧).

(٢) في الأصل والحمزوية والإماراتية١و٢ونور العثمانية: «وهو»، والتصحيح من النسخ الأخرى.

(٣) من المطبوع، وانظر قصة فدائه في سيرة ابن هشام (١/ ١٥٤).

(٤) قاله سهل بن عقيل، انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢١١).

(٥) وقد روي ذلك عن ابن عباس كما في تفسير الماوردي (٣/ ٣٧٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٥).

(٦) ضعيف، أخرجه أبو داود (٤٩٩٨)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (١٩٥) من طريق إبراهيم ابن طهمان، عن بديل بن ميسرة، عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق، عن أبيه، عن عبد الله بن أبي الحمساء قال: بايعت رسول الله ﷺ قبل أن يبعث، فبقيت له علي بقية، فوعدته أن آتيه بها في مكانه ذلك. قال: فنسيت يومي والغد فأتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه ذلك، فقال لي: «يافتى لقد شققت علي أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك»، وعبد الكريم هو العقيلي مجهول، وانظر: التقريب (٤١٥٢)، ولم يخرجه الترمذي كما في تحفة الأشراف (٥٢٤٥).

وقيل: وصفه بصدق الوعد لوفائه بنفسه في أمر الذبح؛ إذ قال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الصافات: ١٠٢]، وقال سفيان بن عيينة: أَسْوَأُ الكذب إخلاف الميعاد، ورمْيُ الأبرياء بالتُّهم[١]، وقد قال رسول الله ﷺ: «العِدَةُ دَيْنٌ»[٢]، فناهيك بفضيلة الصدق في هذا.

قوله تعالى: ﴿وَأَهْلَهُۥ﴾ يريد قومَه وأُمَّته، قاله الحسن[٣].

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (وكان يأمرُ قومَه)[٤].

وقوله: ﴿مَرْضِيًّا﴾ أصله: مرْضُوي، لقيت الواو وهي ساكنةٌ الياءَ فأُبدلت ياءً، وأُدغمت، ثم كسرت الضاد، للتناسب في الحركات.

وقرأ ابن أبي عبلة: (وكان عند ربه مَرضُوّاً)[٥].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾.

---

(١) انظر: تفسير السمعاني (٣/ ٢٩٨).

(٢) فيه من لا يعرف، أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٥١٣) من طريق سعيد بن مالك بن عيسى الأبلي، عن عبد الله بن محمد بن الأشعث الحداني، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «العدة دين»، ورواه الطبراني أيضاً (٣٥١٤) بنفس الطريق، عن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، به. لكن شيخ الطبراني فيه ضعيف.
وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن الأعمش إلا عبد الله بن محمد الحداني، ولا رواه عنه إلا سعيد ابن مالك، ولا يروى عن رسول الله ﷺ إلا بهذا الإسناد. اهـ، ولم أقف على ترجمة سعيد بن مالك الأبلي، وشيخه. وذكر العراقي في تخريج الإحياء (٣/ ١٠٣) أن فيه جهالة. وراجع المقاصد الحسنة (ص: ٤٥٤).

(٣) انظر: تفسير السمعاني (٣/ ٢٩٩)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٧٧) بدون نسبة للحسن، وانظر: البحر المحيط (٧/ ٢٧٥).

(٤) شاذة، تابعه عليه في البحر المحيط (٧/ ٢٧٥).

(٥) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣٠١).

إدريس عليه السلام هو من أجداد نوح عليه السلام، وهو أول نبي بُعث إلى أهل الأرض فيما رُوي[١] من بعد آدم، وهو أول من خطَّ بالقلم، وكان خيَّاطاً، ووصفه الله بالصدق، والوجه أن يُحمل ذلك على العموم في الأحاديث والأعمال.

قال ابن مسعود: هو إلياس، بعث إلى قومه بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويعملوا ما شاؤوا، فأَبَوْا فأُهلكوا[٢].

قال القاضي أبو محمد: والأشهر أنه لم يبعث بإهلاك أمة، وإنما نبئ[٣] فقط.

[٤/ ١٢] واختلف الناس في قوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، / فقال جماعة من العلماء: هو رفع النبوة والتشريف والمنزلة، وهو في السماء كما سائر الأنبياء، وقالت فرقة: بل رُفع إلى السماء، قال ابن عباس: كان ذلك بأمر الله كما رفع عيسى، وهنالك مات إدريس[٤]، وقاله مجاهد إلَّا أنه قال: ولم يمت، وكذلك قال وهب بن منبه[٥].

وقال كعب الأحبار لابن عباس: كان له خليل من الملائكة، فحمله على جناحه وصعد به حتى بلغ السماء الرابعة، فلقي هناك مَلَك الموت، فقال له: إنه قيل لي: اهْبط

---

(١) ضعيف، أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٤٠) من طريق الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال: أول نبي بعث في الأرض بعد آدم إدريس وهو خنوخ بن يرذ وهو اليارذ، وكان يصعد له في اليوم من العمل ما لا يصعد لبني آدم في الشهر، فحسده إبليس، وعصاه قومه فرفعه الله إليه مكاناً علياً. ومحمد بن السائب بن بشر الكلبي أبو النضر الكوفي متهم بالكذب. وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٢٩) من طريق الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنه، بلفظ آخر، والذي في البخاري (٧٤٤٠) في مشهد يوم القيامة من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «لكن ائتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٥/ ٢٣٧) من قول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) في المطبوع: «وأنه نبيٌّ».

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٢١٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) انظر قول مجاهد في تفسير الطبري (١٨/ ٢١٣)، وقول وهب في تفسير الثعلبي (٦/ ٢٢٠)، وتفسير القرطبي (١١/ ١١٩).

إلى السماء الرابعة فاقبض فيها روح إِدْرِيسَ، وإنِّي لأعجب كيف يكون هذا؟ فقال له الـمَلك الصاعد به[١]: هذا إدريس معي، فقبض روحه[٢].

وروي: أن هذا كله كان في السماء السادسة، قاله ابن عباس[٣]، وكذلك هي رتبته في حديث الإسراء في بعض الروايات، وحديث أنس بن مالك وأبي هريرة في الإسراء يقتضي أنه في السماء الرابعة[٤].

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ الإشارة بـ﴿أُولَٰئِكَ﴾ إلى مَن تقدم ذكره.

وقوله: ﴿مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ يريد إِدْرِيسَ ونوحاً، (وممن حمل مع نوح): إبراهيم عليه السلام، ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ إسماعيل وإسحاق ويعقوب، و(من ذرية إِسْرَائِيلَ) موسى وهارون وزكريا ويحيى ومريم[٥].

وقوله: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ [معناه: لأن هدى الله قد ناله غير هؤلاء.

و(اجْتَبَيْنا)][٦] معناه: اخترنا واصطفينا، وكأنه من: جَبَيْتُ الماءَ[٧]: إذا جمعتَه، ومنه جباية المال، كأن جابيه يصطفيه.

وقرأ الجمهور: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ﴾ بالتاء من فوق.

---

(١) زيادة من الحمزوية.

(٢) هو من قول كعب الأحبار، أخرجه الطبري (١٨/ ٢١٣) من طريق الأعمش، عن شمر بن عطية، عن هلال بن يساف قال: سأل ابن عباس كعباً وأنا حاضر، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٥٤٤) من طريق زائدة بن قدامة، عن ميسرة الأشجعي، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٢١٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) متفق عليهما، الأول في البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤)، والثاني في البخاري (٣٣٩٤-٥٥٧٦)، ومسلم (٢٧٢).

(٥) في المطبوع بدلها: «وعيسى بن مريم».

(٦) ليس في المطبوع.

(٧) في الحمزوية ونجيبويه: «المال».

وقرأ نافع، وشيبة، وأبو جعفر: (إذا يُتلَى) بالياء[١].

و«الآيـاتُ» هنا: الكُتُب المنزلة، و﴿سُجَّدًا﴾: نصب على الحال؛ لأن مبدأ السجود سجود.

وقرأ عمر بن الخطاب، والجمهور: ﴿وَبُكِيًّا ﴾، قالت فرقة: هو جمع باكٍ، كما يُجْمَع عاتٍ وجاثٍ عَلَى: عُتِيٍّ وجُثِيٍّ، وقالت فرقة: هو مصدرٌ بمعنى البكاء، التقدير: وَبَكوْا بُكِيّاً.

واحتج الطبريُّ ومكيٌّ لهذا القول بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رُوي أنه قرأ سورة مريم فسجد، ثم قال: هذا السجود، فأين البُكِيُّ؟ يعني البكاء[٢].

واحتجاجهم بهذا فاسد؛ لأنه يحتمل أن يريد عمر رضي الله عنه: فأين الباكون؟ فلا حجة فيه لهذا، وهذا الذي ذكروه عن عمر ذكره أبو حاتم عن النبي ﷺ[٣].

وقرأ ابن مسعود، ويحيى، والأعمش: ﴿وَبِكيّاً﴾ بكسر الباء[٤]، وهو مصدر على هذه القراءة لا يحتمل غير ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ

(١) هذه من أغرب غرائب الشيخ رحمه الله، والقراءة بالياء شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٨٨) لشبل المكي، والكرماني في الشواذ (ص:٣٠٢) للأعرج وأبي جندب وأبي حيوة، ولم يقرأ بها أحد من السبعة، قال في جامع البيان (٣/ ١٣٤٣): إلا ما رواه الثعلبي عن ابن ذكوان، وابنُ شنبوذ عن النحاس عن أبي يعقوب عن ورش أنهما قرأا بالياء، وهو غلط. وفي نجيبويه: «الحسن»، بدل «الجمهور».

(٢) إسناده جيد، أخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٤١٤)، والطبري (١٨/ ٢١٥) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر عبد الله بن سخبرة، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وانظر الاحتجاج به في تفسير الطبري (١٨/ ٢١٥)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٦٠).

(٣) لم أقف عليه مرفوعاً.

(٤) أبعد بها، فهي سبعية لحمزة والكسائي كما في التيسير (ص: ١٤٨)، والسبعة (ص: ٤٠٧).

﴿ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾.

«الخَلَف» بفتح اللام: القَرْن يأتي بعد آخر يمضي، والابن بعد الأب، وقد يستعمل في سائر الأمور، و«الْخَلْفُ» بسكون اللام: مستعمل إذا كان الآتي مذموماً، وهذا مشهور كلام العرب، وقد ذكر عن بعضهم أن الخَلَف والخَلْف بمعنىً واحد، وحجة ذلك قول الشاعر:

لَنَا الْقَدَمُ الأولى إِلَيْكَ وَخَلْفُنَا ... لِأَوَّلِنَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تابِعُ[1] [الطويل]

وقرأ الجمهور: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بالإفراد، وقرأ الحسن: (أضاعوا الصَّلواتِ) بالجمع، وهو كذلك في مصحف ابن مسعود[2].

والمراد بالخَلْفِ من كفر أو عصى بَعْدُ من بني إسرائيل، وقال مجاهد: المراد النصارى، خلفوا بعد اليهود[3]، وقال محمد بن كعب القرظي، ومجاهد، وعطاءٌ: هم قوم من أمة محمد في آخر الزمان[4]؛ أي: يكون في هذه الأمَّة مَنْ هذه صفته، لا أنهم المراد بهذه الآية.

وروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «كان الخَلْفُ بعدَ ستين سنة»[5].

وهذا عرف إلى يوم القيامة، [وتتجدد أيضا المبادئ][6].

---

(١) البيت لحسان بن ثابت الأنصاري، كما تقدم في تفسير الآية (١٦٩) من سورة الأعراف.

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها لهما وللضحاك في مختصر الشواذ (ص: ٨٨).

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٠٧)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٦١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢١٧)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢٢١).

(٥) في إسناده ضعف، أخرجه أحمد (٣/ ٣٩)، والبخاري في خلق أفعال العباد (ص ١١٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما عند ابن كثير (٥/ ٢٤٤)، وابن حبان (٧٥٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٤) من طريق حيوة بن شريح عن بشير بن أبي عمرو الخولاني عن الوليد بن قيس التجيبي، عن أبي سعيد الخدري به، وأوله: «يكون خلف بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة»، والوليد مستور الحال، قال المزي: روى عن أبي سعيد الخدري وقيل: عن أبي سعيد، أو عن أبي الهيثم عن أبي سعيد بالشك.

(٦) ليست في المطبوع.

واختلف الناس في إضاعةِ الصَّلاةِ منهم:

فقال محمد بن كعب القرظي وغيره: كان إضاعةَ كُفْرٍ وجَحْدٍ بها.

وقال القاسم بن مخيمرة[١]، وعبد الله بن مسعود: كانت إضاعة أوقاتها، والمحافظة[٢] على أوانها[٣]، وذكره الطبري عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في حديث طويل[٤].

و﴿ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ عمومٌ، وكل ما ذُكر من ذلك فمثال.

و«الغَيُّ»: الخُسْران والحصول في الورطات، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] فَمَـنْ يَلْقَ خَيْـراً يَحْمَدِ النَّـاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوِ لا يَعْدَمْ عَلَى الْغَيِّ لائِما[٥]

وبه فسَّر ابن زيد هذه الآية[٦]، وقد يكون الغَيُّ أيضاً بمعنى الضَّلاَل، فيكون هذا هنا على حذف مضاف تقديره: يلقون جزاءَ الغيِّ، وبهذا فسَّر الزجاج[٧].

وقال عبد الله بن عمرو، وابن مسعود: الغَيُّ وادٍ في جهنم، وبه وقع التوعُّد في هذه الآية[٨].

---

(١) انظر قول القرظي في تفسير الطبري (١٨/ ٢١٦) بمعناه، وقول القاسم فيه: (١٨/ ٢١٥).

(٢) في المطبوع: «وعدم المحافظة»، قال في الحاشية: هي زيادة تقتضيها سلامة التعبير، ولم يذكر أنها نسخة.

(٣) منقطع، أخرجه الطبري (١٨/ ٢١٦) من طريق وكيع عن المسعودي، عن القاسم بن عبد الرحمن والحسن بن سعد، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قيل له: إن الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ و﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ و﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فقال ابن مسعود رضي الله عنه: على مواقيتها، قالوا: ما كنا نرى ذلك إلا على الترك، قال: ذاك الكفر.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢١٦).

(٥) البيت للمرقِّش الأصغر، كما تقدم في تفسير الآية (٣٧) من سورة هود.

(٦) تفسير الطبري (١٨/ ٢١٩)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٨٠).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه له (٣/ ٣٣٦).

(٨) أما أثر عبد الله بن عمرو ـ وفي المطبوع: «بن عمر»، ولعله خطأ ـ فأخرجه الطبري (١٨/ ٢١٨) من طريق قتادة، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو به، وأما أثر عبد الله بن مسعود فأخرجه الطبري (١٨/ ٢١٨)، =

وقيل: «غَيٌّ وأثام[1] نيران[2] في جهنم»، رواه أبو أُمامة الباهلي عن النبي ﷺ[3].

قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ استثناء يحتمل الاتصال والانقطاع[4].

وقوله: ﴿وَءَامَنَ﴾ يقتضي أن الإضاعة أوَّلاً هي إضاعةُ كفر، هذا مع اتصال الاستثناء، وعليه فسَّر الطبري[5].

وقرأ الجمهور: ﴿يُدْخَلُونَ﴾ بضم الياء وفتح الخاء.

وقرأ الحسن كلَّ ما في القرآن ﴿يَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياء وضم الخاء[6].

قوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ قرأ جمهور الناس: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ بنصب الجنَّات على البدل من قوله: ﴿يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾.

وقرأ الحسن، وعيسى بن عمر، وأبو حيوة: (جناتُ) برفعها على تقدير: تلك جنات.

وقرأ علي بن صالح[7]: (جَنَّةَ) على الإفراد والنصب، وكذلك في مصحف ابن مسعود، وقرأها الأعمش[8].

= والطبراني في الكبير (٩١١٠-٩١٠٦) من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن أبي عبيدة، عن أبيه عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه، ولم يسمع منه على الراجح.

(١) ليست في نجيبويه، وفي حاشية المطبوع أنها زيادة ليست في الأصول ولكنها في حديث أُمامة، ويقتضيها التعبير.

(٢) في المطبوع: «نهران»، وفي الحمزوية الإماراتية١و٢ ونور العثمانية: «بئران».

(٣) منكر، أخرجه الطبري (١٨/ ٢١٧-٢١٨)، ومحمد بن نصر في الصلاة (٣٦)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (١٧)، والبيهقي في البعث (٥٢٢) من طريق لقمان بن عامر الخزاعي، عن أبي أمامة به، قال ابن كثير: هذا حديث غريب ورفعه منكر.

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «والانفصال».

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢١٦، ٢١٧).

(٦) أغرب، فهذه هي قراءة الجمهور، والأولى سبعية أيضاً، وهي لابن كثير وأبي عمرو وشعبة، انظر: التيسير (ص: ٩٧).

(٧) في نور العثمانية: «ابن أبي صالح»، وفي نجيبويه والإماراتية١ والمطبوع: «علي بن أبي طالب رضي الله عنه».

(٨) وهما شاذتان، انظر الأولى للحسن في مختصر الشواذ (ص: ٨٨)، والكامل للهذلي (ص: ٥٩٦)، =

و«العُدْنُ»: الإقامة المستمرة، وقوله: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: أخبرهم من ذلك بما غاب عنهم، وفي هذا مدح لهم على سرعة إيمانهم وبدارهم[١] إذ لم يعاينوا/ . [٤/ ١٣]

و«المَأْتِيُّ»: مفعول على بابه، والأَتِيُّ: هو الإنجاز والفعل الذي تضمنه الوعد، وكان إتيانه إنما يقصد به الوعد الذي تقدمه، وقالت جماعة من المفسرين: هو مفعول في اللفظ [بمعنى فاعل][٢] بمعنى: آتٍ، وهذا بعيد، والنظر الأول أصوب.

و«اللَّغْوُ»: السَّقط من القول، وهو أنواع مختلفة كلُّها ليست في الجنة، وقوله: ﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾ استثناءٌ منقطع، والمعنى: لكن يسمعون سلاماً[٣]، وهو تحية الملائكة لهم في كل الأوقات.

وقوله: ﴿بُكۡرَةً وَعَشِيًّا﴾ يريد في التقدير، أيْ: يأتيهم طعامهم مرتين في مقدار اليوم والليلة من الزمن، ويروى: أن أهل الجنة تنْسَدُّ لهم الأبواب بقدر الليل في الدنيا، فهم يعرفون البُكْرة عند انفتاحها، والعَشِيَّ عند انسدادها[٤].

وقال مجاهد: ليس بُكْرَةً ولا عَشِيّاً، ولكن يُؤْتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا، وقد ذكر نحوه قتادة[٥]؛ أن تكون مخاطبة بما تعرفه العرب وتستغربه من رفاهة العيش، وجعل ذلك عبارة عن أن رزقهم يأتي على أكمل وجوهه.

قال الحسن: خوطبوا على ما كانت العرب تعلم من أفضل العيش، وذلك أن كثيراً من العرب إنما كان يجد الطعام المرَّة في اليوم، وهي غايته، وكان عيش أكثرهم

= وزاد ابن أبي عبلة، وأبا حيوة، والثانية في مختصر الشواذ للحسن بن حي، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣٠٢) للحسن وقتادة، وانظر: البحر المحيط (٧/ ٢٧٨).

(١) في المطبوع: «وقرارهم».

(٢) ليس في المطبوع.

(٣) في الأصل: «كلاماً»، والتصحيح من باقي النسخ.

(٤) قاله محمد بن زهير. انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٢١)، وتفسير السمعاني (٣/ ٣٠٣)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٦٥).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٢١)، وتفسير ابن أبي زمنين (٣/ ١٠١)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٦٤).

من شجر البَـرِّيَّة، ومن الحيوان، ونحوه[١]، ألا ترى قول الشاعر:

[المنسرح]

عُـصْـرَتُـه نُـطْـفَـةٌ تَـضَـمَّـنَـهَـا ... لِـصْـبٌ تَـوَقَّـى مَـوَاقِـعَ السَّبَلِ

أَوْ وَجْبَـةٌ مِـنْ جَـنـاةِ أَشْـكَـلَـةٍ ... إِنْ لَمْ يُزِغْهَا بالْقَوْسِ لَمْ تُنَلِ[٢]

الوجبة: الأَكْلَة في اليوم.

وقرأ الجمهور: ﴿نُورِثُ﴾ بسكون الواو، [وقرأ الأعمش: (نورثها)][٣].

وقرأ الحسن، والأعرج، وقتادة: ﴿نُوَرِّثُ﴾ بفتح الواو وشدِّ الراء[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾.

قرأ الجمهور: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ بالنون، كأن جبريل عنى نفسه والملائكة، وقرأ الأعرج: (وما يَتنزَّلُ) بالياء[٥] على أنه خبر من الله أن جبريل لا يتنزَّل، قال هذا التأويل بعضُ المفسرين، ويردُّه قوله: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾؛ لأنه لا يطَّرد معه، وإنما يتَّجه أن يكون خبراً من جبريل أنَّ القرآن لا يتنزَّل إلَّا بأمر الله في الأوقات التي يقدرها، ورُويت قراءة الأعرج بضم الياء.

---

(١) انظر: تفسير السمعاني (٣/ ٣٠٣)، وفي المطبوع ونجيبويه: «أكثر عيشهم».

(٢) ورد هذان البيتان في قصة ذكرها القالي في الأمالي (٢/ ٢٦٩): وفيها أنهما لرجل من بني عمرو بن كلاب، أو قال: من بني كلاب، وهو يصف رجلاً خائفاً لجأ إلى جبل وليس معه إلا قوسه وسيفه، والبيت الأول ليس في المطبوع.

(٣) ليس في المطبوع ونجيبويه ونور العثمانية والإماراتية١، والقراءة شاذة مخالفة للمصحف، تابعه عليها في البحر المحيط (٧/ ٢٨٠).

(٤) وهي عشرية لرويس كما في النشر (٢/ ٣٥٨)، ونسبها له ولمن ذكر في البحر المحيط (٧/ ٢٨٠).

(٥) وهي شاذة، عزاها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٠٢)، ومختصر الشواذ (ص: ٨٨) بلا ضبط، ولم أجد من أشار للضم الآتي.

وقرأ ابن مسعود: (إِلَّا بقول رَبِّكَ)[١].

قال ابن عباس وغيره: سبب هذه الآية أن النبي ﷺ أبطأ عنه جبريل مرة، فلمَّا جاءه قال له: «يا جبريل قد اشتقت إليك، أفلا تزورنا أكثر مما تزورنا»؟، فنزلت هذه الآية[٢].

وقال مجاهد، والضحاك: سببها أن جبريل تأخر عن النبي ﷺ عند قوله في السؤالات[٣] المتقدمة في سورة الكهف: «غداً أُخبركم» حتى فرح بذلك المشركون، واهتم رسول الله ﷺ، ثم جاء جبريل، فنزلت هذه الآية في ذلك المعنى[٤]، فهي كالتي في الضُّحى.

وهذه الواو التي في قوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ هي عاطفة جملة كلام على أخرى، وواصلةٌ بين القولين، وإن لم يكن معناهما واحداً.

وحكى النقاش عن قوم أن قوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ متصل بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩][٥]، وهذا قولٌ ضعيف.

وقوله: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ لفظٌ يحتاج إلى ثلاث مراتب، [واختلف المفسرون فيها:

فقال أبو العالية: ما بين الأيدي: الدنيا بأسرها][٦] إلى النَّفخة الأولى، وما خَلْفُ: الآخرةُ من[٧] وقت البعث، وما بين ذلك: ما بين النفختين.

وقال ابن جريج: ما بين الأيدي هو ما مرَّ من الزمن قبل إيجاد من في الضمير،

---

(١) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢١٨) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في المطبوع: «الأسئلة».

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٢٣) عن مجاهد، والضحاك مرسلًا.

(٥) انظر قول النقاش في البحر المحيط (٧/ ٢٨١).

(٦) ليس في الحمزوية.

(٧) في المطبوع ونجيبويه: «إلى».

وما خَلْفُ: هو ما بعد موتهم إلى استمرار الآخرة، وَما بَيْنَ ذلِكَ: هو مدَّة الحياة[١].

قال القاضي أبو محمد: والآية إنما المقصد بها الإشعار بملك الله تعالى لملائكته، وأنَّ قليل تصرفهم وكثيره إنما هو بأمره، وانتقالهم من مكان إلى مكان إنما هو لخدمته؛ إذ الأمكنة له وهُمْ له، فلو ذُهب بالآية إلى أن المراد بما بين الأيدي وما خلف: الأمْكِنَةُ التي فيها تصرُّفهم، والمراد بما بَيْنَ ذلِكَ هُمْ أنفسهم ومقاماتهم، لكان وجهاً، كأنه قال: نحن مُقَيَّدُون بالقدرة، لا ننتقل ولا نتنزَّل إلَّا بأمر ربك.

وقال ابن عباس، وقتادة فيما رُوي ـ وما أراه صحيحاً عنهما ـ: ما بين الأيدي هي الآخرة، وما خَلْف: هو الدنيا[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا مختل المعنى إلَّا على التشبيه بالمكان، كأن ما بين اليد إنما هو ما تقدم وجوده في الزمان بمثابة التوراة والإنجيل من القرآن، وقول أبي العالية إنما يتصور في بني آدم، وهذه المقالة هي للملائكة، فتأَمَّلْه.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾؛ أيْ: ممَّن يلحقه نسيان لِبَعْثِنا إليك في وقت المصلحة به، فإنما ذلك عن قدَرٍ له؛ أي: فلا تطلب أنت يا محمد من[٣] الزيارة أكثر مما شاء الله، هذا على ما تقتضيه قوة الكلام على التأويل الواحد، أو فلا تهتم يا محمد بتأخيري، ولا تلتفت إلى فرح المشركين بذلك على التأويل الثاني.

و﴿نَسِيًّا﴾ فَعِيلٌ من النسيان والذهول عن الأمور، وقالت فرقة: ﴿نَسِيًّا ﴾ هنا معناه: تاركاً.

وفي هذا ضعف؛ لأنه إنما نفى النسيان مطلقاً، فيتمكن ذلك في النسيان الذي هو نقص[٤]، وأما التَّرْكُ فلا ينْتفي مطلقاً، أَلا ترى قوله تعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾[البقرة:١٧]،

---

(١) انظر القولين في: تفسير الطبري (١٨/ ٢٢٤، ٢٢٥).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٢٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر: قول قتادة فيه (١٨/ ٢٢٤).

(٣) من المطبوع ونجيبويه والحمزوية.

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «نص».

وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩]، فلو قال: نَسِيَكَ، أو نحوه من التَّقْييد لهم(١) لصح حمله على الترك، ولا حاجة بنا إلى أن نقول: إن التَّقْييد في النِّـيَّة؛ لأن المعنى الآخر أظهر.

وقرأ ابن مسعود: (وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا نَسِيَكَ رَبُّكَ)(٢)، وروى أبو الدرداء أن رسول الله ﷺ / قال: «مَا أَحَلَّ اللهُ في كِتَابِهِ فَهُوَ حَلالٌ، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حرام، وما سكت عنه فهي عافيتُه، فاقبلوا»، ثم تلا هذه الآية(٣). [٤/ ١٤]

وقوله: ﴿رَبُّ﴾ بدل من قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾، وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ أَمْرٌ بحمل تكاليف الشرع، وإشعارٌ مَّا بصعوبتها، كالجهاد والحج والصدقات، فهي شريعة تحتاج إلى اصطبار، أعاننا الله عليها بمنه(٤).

وقرأ الجمهور: ﴿هَلْ تَعْلَمُ﴾ بإظهار اللام، وقرأ علي بن نصر عن أبي عمرو بإدغام اللام في التاء، وهي قراءة عيسى، والأعمش، والحسن، وابن محيصن(٥).

---

(١) زيادة من المطبوع.

(٢) وهي شاذة، تابعه عليها في تفسير الثعالبي (٤/ ٢٨)، وهي في تفسير الطبري (١٨/ ٢٢٥) عن مجاهد.

(٣) إسناده صالح، أخرجه البزار في مسنده (٤٠٨٧)، والدارقطني في سننه (٢/ ١٣٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٦)، والبيهقي في الكبير (١٠/ ١٢) من طرق عن عاصم بن رجاء بن حيوة، عن أبيه عن أبي الدرداء رضي الله عنه رفع الحديث، قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن رسول الله ﷺ من وجه من الوجوه بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، وعاصم بن رجاء حدث عنه جماعة، وأبو رجاء روى عن أبي الدرداء غير حديث، وإسناده صالح؛ لأن إسماعيل بن عياش قد حدث عنه الناس واحتملوا حديثه.

(٤) ليست في المطبوع.

(٥) غير متقن، والقراءة بالإدغام سبعية لهشام وحمزة والكسائي على قاعدتهم، انظر: التيسير (ص: ٤٣)، وانظر رواية علي بن نصر عن أبي عمرو في السبعة (ص: ٤١٠)، والباقين في البحر المحيط (٧/ ٢٨٣).

قال أبو عليٍّ: سيبويه يجيز إدغام اللام في الطاءِ والتَّاءِ والذال والثاء [والصاد والزاي والسين[١]، وقرأ أبو عمرو: ﴿هَل ثُّوب﴾ [المطففين: ٣٦]، بإدغامها في الثاء][٢]، وإدغامها في التَّاء أحق؛ لأنها أدخل معها في الفم، ومن إدغامها في التاء ما روي من قول مزاحم العقيلي[٣]:

فَــذَرْ ذا وَلَـكِـنْ هَـتُّعِـينُ مُـتَـيَّـمـاً عَلَى ضَوْءِ بَرْقٍ آخِرَ اللَّيْلِ نَاصِبِ[٤] [الطويل]

وقوله: ﴿سَمِيًّا﴾ قال قومٌ وهو ظاهر اللفظ: معناه: موافقاً في الاسم.

وهذا يحسن فيه أن يريد بالاسم ما تقدم من قوله: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾؛ أي: هل تعلم من يُسَمَّى بهذا ويُوصف بهذه الصفة؟ وذلك أن الأُمم والفِرَق[٥] لا يُسَمُّون بهذا الاسم وثناً ولا شيئاً سوى الله تعالى، وأما الأُلوهية والقدرة فقد يوجد السميُّ فيها، وذلك باشتراك، لا بمعنى واحد.

وقال ابن عباس وغيره[٦]: ﴿سَمِيًّا﴾ معناه: مثيلًا أو شبيهاً أو نحو ذلك[٧]، وهذا

---

(١) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٢٠٣).

(٢) ليس في الحمزوية، وهي سبعية لهشام وحمزة والكسائي على قاعدتهم، انظر التيسير (ص: ٤٣)، وليست لأبي عمرو من طرق التيسير والنشر، لكن وردت من رواية يونس عنه في السبعة (ص: ١٢٠)، ورواية ابن نصر في معاني القراءات للأزهري (٣/ ١٣٢).

(٣) هو مزاحم بن الحارث العقيلي، بدوي شاعر فصيح إسلامي صاحب قصيد ورجز كان في زمن جرير والفرزدق، وكان جرير يصفه ويقرظه ويقدمه، الأغاني (١٩/ ١٠٤)، وفي طبقات فحول الشعراء (٢/ ٧٧٠): كان رجلاً غزلاً شجاعاً صعب الشعر هجّاء وصّافاً.

(٤) انظر نسبته له في الكتاب لسيبويه (٤/ ٤٥٩)، وسر صناعة الإعراب (١/ ٣٤٨)، وفي نجيبويه وبعض المصادر: «هل تعين» بالفك.

(٥) ليست في نجيبويه والمطبوع.

(٦) ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٧) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٢٦)، والبيهقي في الشعب (١٢٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق شعبة، عن الحسن بن عمارة، عن رجل، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ قال: شبهاً. والحسن متروك.

قولٌ حسن، وكأن السَّمِيَّ بمعنى المسامي والمضاهي، فهو من السُّمُوِّ، وهذا القول يحسن في هذه الآية، ولا يحسن فيما تقدَّم في ذكر يحيى عليه السلام.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾.

﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ اسم للجنس يُراد به الكافر، ورُوي: أن سبب هذه الآية هو أن رجالاً من قريش كانوا يقولون هذا ونحوه، ورُوي: أن القائل هو أُبيُّ بن خلف، جاء إلى النبي ﷺ بعظم مرفت[(١)] فنفخ فيه وقال: أيبعث هذا؟ وكذَّب وسخر[(٢)]، وقيل: إن القائل هو العاصي بن وائل.

وقرأ الأعرج، وأبو عمرو: ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ﴾ بالاستفهام الظاهر، وقرأت فرقة: (إِذَا) دون ألف استفهام، وقد تقدم هذا مستوعَباً[(٣)].

وقرأت فرقة: ﴿مِتُّ﴾ بكسر الميم، وقرأت فرقة بضمها[(٤)].

واللام في قوله: ﴿لَسَوْفَ﴾ مجلوبة على الحكاية لكلام[(٥)] معلَّم بهذا المعنى، كأن قائلاً قال لكافر: إذا مِتَّ يا فلان لسوف تخرج حَيّاً، فقرَّر الكافر [على الكلام][(٦)] على جهة الاستبعاد، وكرر الكلام حكاية للقول الأول.

---

(١) في المطبوع: «رفات».

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص: ٣١٠)، وتفسير القرطبي (١١/ ١٣١).

(٣) غير متقن، فهذه الكلمة فرش، ولم تتقدم، والاستفهام فيها للعشر كلهم إلا ابن ذكوان في أحد وجهيه كما في التيسير (ص: ١٤٩)، وهو وجه لهشام في جامع البيان (٣/ ١٣٤٤)، ولعله يقصد بما تقدم الخلاف في تحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها.

(٤) وهما سبعيتان، والكسر لنافع وحمزة والكسائي وحفص كما تقدم في آل عمران.

(٥) في أحمد٣ زيادة: «مضاف».

(٦) ليس في المطبوع وأحمد٣ ونجيبويه.

وقرأ جمهور الناس: ﴿أُخْرَجُ﴾ بضم الهمزة.

وقرأ الحسن بخلاف وأبو حيوة: (أَخْرُجُ) بفتح الهمزة وضم الراء[١].

وقوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾ احتجاجٌ، خاطب الله تعالى به نبيَّه ﷺ ردّاً على مقالة الكافر.

وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر: ﴿يَذْكُرُ﴾، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿يذَّكَّر﴾ بشد الذال والكاف[٢]، وقرأ أُبيٌّ بن كعب: (يَتَذَكَّرُ)[٣].

والنشأة الأولى والإخراج من العدم إلى الوجود أوضح دليل على جواز البعث من القبور، ثم قرَّرَ ذلك وأوجبه السمعُ.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ دليلٌ على أن المعدوم لا يُسَمَّى شيئاً، قال أبو علي الفارسي: أراد شيئاً موجوداً[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذه نزعة اعتزالية، فتأملها[٥].

وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾ الآيةَ وعيدٌ يكون ما نفوه[٦] على أصعب وجوهه.

والضمير في قوله: ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ عائد على الكفار القائلين ما تقدم، ثم أخبر أنه يقرن بهم الشَّياطِينَ المُغْوِينَ لهم.

وقوله: ﴿جُثِيًّا﴾ جمع جاثٍ كقاعد وقعود، وجالس وجلوس، وأصله: جُثُوْواً، وليس في كلام العرب واوٌ متطرفة قبلها ضمة، فوجب لذلك أن تُعَلَّ، ولم يُعتَدَّ هاهنا

---

(١) وهي شاذة، عزاها لهما الزمخشري في الكشاف (٣/ ٣٣)، وانظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٨).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٤١٠).

(٣) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٠٢).

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٢٠٤).

(٥) انظر قول المعتزلة أن المعدوم شيء في: التبصير في الدين (١/ ٦٣)، والملل والنحل لابن حزم (٥/ ٢٧).

(٦) في المطبوع: «بعده»، وفي الإماراتية٢: «نفده».

بالساكن الذي بينهما لِخِفَّته وقِلَّة حوله، فقلبت ياءً فجاءَ جُثُوياً، فاجتمع الواو والياءُ وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت ياءً، ثم أُدغمت [الياءُ في الياء][(١)] ثم كسرت الثاءُ للتناسب بين الكسرة والياء.

وقرأ الجمهور: ﴿جُثِيّاً﴾ و﴿صُلِيّاً﴾ بضم الجيم والصاد، وقرأ ابن وثاب وطلحة والأعمش: ﴿جِثِيًّا﴾ و﴿صِلِيًّا﴾ بكسر الجيم والصاد[(٢)].

وأخبر الله تعالى أنه يُحضر هؤلاء المنكرين للبعث مع الشياطين فيجثون حول جهنم، وهي قِعدة الخائف الذليل على ركبتيه كالأسير ونحوه.

وقال قتادة: ﴿جِثِيًّا﴾ معناه: على ركبهم، وقال ابن زيد: الجثي شرُّ الجلوس[(٣)].

و«الشِّيعَةُ»: الفرقة المرتبطة بمذهب واحد، المتعاونون فيه، كأن بعضهم يشيع بعضاً؛ أيْ: ينَـبِّه منه، ومنه تشييع النار بالحطب، وهو وَقْدُهَا به شيئاً بعد شيءٍ، ومنه قيل للشجاع: مشيع القلب، فأخبر الله أنه ينزع مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أعتاها وأولاها بالعذاب، فتكون تلك مقدمتها إلى النار، قال أبو الأحوص: المعنى: نبدأُ بالأكابر فالأكابر جُرْماً[(٤)].

ثم أخبر تعالى في الآية بَعْدُ أنه أعلمُ بمستحقِّي ذلك وأبصرُ؛ لأنه لم تَخْف عليه حالهم من أولها إلى آخرها.

وقرأ بعض الكوفيين، ومعاذ بن مسلم[(٥)]، وهارون القارئ: (أَيَّهُمْ) بالنصب[(٦)].

---

(١) من المطبوع.

(٢) أغرب رحمه الله، فهما سبعيتان، والكسر لحمزة والكسائي وحفص كما في التيسير (ص: ١٤٨) والسبعة (ص: ٤٠٧).

(٣) انظر القولين في: تفسير الطبري (١٨/ ٢٣٨)، وانظر: تفسير ابن أبي زمنين (٣/ ١٠٢).

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ٢٢٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٤٧)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢٢٤)، و«فالأكابر» ليست في المطبوع.

(٥) هو معاذ بن مسلم النحوي الكوفي الهراء، روى عن: عطاء بن السائب، وجعفر بن محمد، وصنف في النحو في دولة بني أمية، وعمر دهراً طويلاً، وأخذ عنه الكسائي جملة من النحو، توفي سنة (١٨٧هـ)، تاريخ الإسلام (١٢/ ٤٠١).

(٦) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٩).

وقرأ الجمهور: ﴿أَيُّهُمْ﴾ بالرفع[١]، إلَّا أن طلحة والأعمش سكَّنا ميم ﴿أَيُّهُمْ﴾[٢].

واختلف الناس في وجه رفع (أَيٌّ):

فقال الخليل: رَفْعُه على الحكاية بتقدير: الذي يُقال فيه من أجل عُتُوِّه: أَيُّهُمْ أَشَدُّ، وقرنه بقول الشاعر:

[الكامل] ولَقَدْ أبيتُ منَ الْفَتَاةِ بِمَنْزِلٍ فَأَبِيتُ لَا حَرِجٌ ولا مَحْرُومُ[٣]

أي: فأبيتُ يقال فيَّ: لا حرِجٌ ولا محروم، ورجَّح الزجاج قول الخليل، وذكر عنه النحاسُ أنه غَلَّط سيبويه في [قوله في][٤] هذه المسألة، قال سيبويه: ويلزم على هذا أن يجوز: اضرب السارق الخبيثُ، أي: الذي يقال له.

قال القاضي أبو محمد: وليس بلازم من حيث هذه أسماءٌ مفردة والآية جملة، وتسلُّط الفعل / على المفرد أعظم منه على الجملة. [٤/ ١٥]

ومذهب سيبويه أن ﴿أَيُّهُمْ﴾ مبني على الضمِّ؛ إذ هي أُخت لـ(الذي) ولِـ(ما)[٥]، وخَالَفَتْهُما في جواز الإضافة فيها، فأُعربت لذلك، فلما حذف من صلتها ما يعود عليها ضعفت فرجعت إلى البناء، وكان التقدير: أَيُّهُمْ أَشَدُّ[٦].

قال أبو علي: حُذف ما الكلام مفتقر إليه، فوجب البناءُ.

وقال يونس: عُلِّق عنها الفعل، فارتفعت بالابتداء.

---

(١) في المطبوع: «بالضم».

(٢) فيه خلل، فهي قراءة الجمهور غير نافع وابن كثير، أو المقصود سكون الياء، على أن في الشواذ للكرماني (ص: ٣٠٢) عنهما النصب.

(٣) البيت للأخطل كما في الكتاب لسيبويه (٢/ ٨٤)، والأصول في النحو (٢/ ٣٢٤)، والمحكم (٨/ ٢٠٠).

(٤) ليس في المطبوع ونجيبويه.

(٥) في أحمد٣: «ولكن لما خالفتها».

(٦) انظر: الكتاب لسيبويه (٢/ ٣٩٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٣٩)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٧).

قال أبو علي: معنى ذلك أنه مُعمَل في موضع ﴿مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ إلَّا أنه ملغى؛ لأنه[١] لا[٢] تعلق جملة، إلَّا[٣] أفعال الشك كـ(ظننت) ونحوها مما لم يتحقق وقوعه.

وقال الكسائي: ﴿لَنَنزِعَنَّ﴾ أريد به: لَنُنَادِيَنَّ، فعومل معاملة الفعل المراد، فلم يعمل في (أيّ).

وقال المبرد: ﴿أَيُّهُمْ﴾ متعلق بـ﴿شِيعَةٍ﴾ فلذلك ارتفع، والمعنى: من الذين تشايعوا أيُّهم أشد، كأنهم يتبارون إلى هذا، [ويلزمه أن يقدر مفعولاً لـ(نَنْزِعَ) محذوفاً[٤].

وقرأ طلحة بن مصرِّف: (أَيُّهُمْ أكبر)[٥].

و﴿عُتِيّاً﴾ مصدر، أصله: عُتُوْواً، أُعِلَّ بما أُعل به ﴿جُثِيّاً﴾.

وروى أبو سعيد الخدري: أنه يندلق[٦] عُنُقٌ من النار، فيقول: إنِّي أُمرت بكل جبَّار عنيد، فتلقطهم[٧]، الحديث][٨].

(١) ليس فيه نور العثمانية.

(٢) ليست في المطبوع.

(٣) في نور العثمانية: «إلى»، وفي أحمد٣: «جملة الأفعال».

(٤) انظر هذه الأقوال في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٣٩)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٧).

(٥) شاذة، إن وجدت، ولم أجد للمصنف فيها سلفاً ولا خلفاً.

(٦) في المطبوع وأحمد٣: «ينذلقُ»، وفي القاموس(ص: ٨٨٤): اندلق خرج من مكانه، وفيه أيضاً (ص: ٨٨٥): انذلق صار له ذلق؛ أي: حد.

(٧) في المطبوع: «فتلفظهم».

(٨) ليس في الحمزوية، والظاهر أن مدار الحديث على ضعيف، أخرجه أحمد (٣/ ٤٠)، والبزار (٣٥٠٠-٣٥٠١) زوائد، وأبو يعلى (١١٣٨)، والطبراني في الأوسط (٣٩٩٣)، والبيهقي في البعث والنشور (٥٧٧-٥٧٨) من طرق عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً، والعوفي ضعيف، وروي من حديث أبي هريرة أخرجه الترمذي (٢٥٧٤) وغيره من طريق: عبد العزيز بن مسلم القسملي عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح، وقد رواه بعضهم عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد عن النبي ﷺ نحو هذا، وروى أشعث بن سوار عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ نحوه.اهـ.
قال ابن رجب في الفتح (٣/ ٧٠) على رواية من رواه عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد مرفوعاً: =

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝٧٠ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾.

أي: نحن في ذلك النَّزع لا نضع شيئاً في غير موضعه؛ لأنا قد أحطنا علماً بكل أحد، فالأولى بصلي النار نعرفه.

و«الصِّلِيُّ»: مصدرُ صَلِيَ يَصْلَى: إذا باشره، قال ابن جريج: المعنى: أولى بالخلود[1].

وقوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قسم[2]، والواو تقتضيه، ويفسره قول النبي ﷺ: «من ماتَ له ثلاثة من الولد لم تمسَّه النَّارُ إلَّا تحِلَّة القَسَم»[3].

وقرأ ابن عباس، وعكرمة، وجماعة: (وإنْ منهم) بالهاء[4]، على إرادة الكفار، فلا شَغْب في هذه القراءة[5].

وقالت فرقة من الجمهور القارئين: ﴿مِّنكُمْ﴾: المعنى: قلْ لهم يا محمد، فإنما المخاطب بـ﴿مِّنكُمْ﴾ الكفرةُ، وتأويل هؤلاء أيضاً سهل التناول.

وقال الأكثر: المخاطبُ العالَمُ كلُّه، ولا بُدَّ من ورود الجميع، واختلفوا في كيفية ورود المؤمنين: فقال ابن مسعود، وابن عباس[6]، وخالد بن معدان[7]، وابن جريج،

= وقيل: إن هذا الإسناد هو المحفوظ.اهـ، فالحديث يظهر أنه راجع إلى عطية العوفي. وله شاهد من حديث عائشة رضي الله عنها عند أحمد (٦/ ١١٠) لكن فيه ابن لهيعة.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٢٩).

(٢) في المطبوع: «حَتْمٌ».

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٥١)، ومسلم (٢٦٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) عزاها لهما الزمخشري في الكشاف (٣/ ٣٦)، وعزاها القرطبي في تفسيره (١١/ ١٣٨) لابن عباس.

(٥) تفسير القرطبي (١١/ ١٣٨).

(٦) أما أثر عبد الله بن مسعود فقد أخرجه الطبري (١٨/ ٢٣١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٨٧) من طريق مرة الهمداني، عن ابن مسعود رضي الله عنه به، وأما أثر عبد الله بن عباس فأخرجه الطبري (١٨/ ٢٣٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه أيضاً (١٨/ ٢٣٢) من طريق مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) هو خالد بن معدان ابن أبي كرب، أبو عبد الله الكلاعي الحمصي، روى عن: ثوبان، ومعاوية، وأبي=

وغيرهم: وُرود دخولٍ، لكنها لا تعدو على المؤمنين، ثم يخرجهم الله منها بعد معرفتهم بحقيقة ما نَجَوْا منه[١].

وروي عن ابن عباس أنه قال في هذه المسألة لنافع بن الأزرق الخارجي: أمَّا أنا وأنت فلا بُدَّ أن نردها، أما أنا فينجيني الله منها، وأما أنت فما أظنه يُنجيك[٢].

وقالوا: في القرآن أربعة أوْراد معناها الدخول، هذا أحدها.

وقوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: ٩٨].

وقوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦].

وقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

وقالوا: كان من دعاء بعض السَّلَف: اللهم أدخلني النَّار سالماً، وأخرجني منها غانماً[٣].

وروى جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «الورود في هذه الآية هو الدخول»[٤].

= أمامة، وطائفة، وعنه: بحير بن سعد، وثور بن يزيد، وبنته عبدة وآخرون، كان من سادة التابعين، توفي سنة (١٠٣هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٧١).

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٢٣٠)، وتفسير السمعاني (٣/ ٣٠٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٣٠) من طريق ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عمن سمع ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه عبد الرزاق (٢/ ١١)، وهناد في الزهد (٢٢٩) من طريق ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس مختصراً، وفيهما ضعف.

(٣) من قول ابن عباس: والله لقد كان من دعاء من مضى اللهم أخرجني من النار سالماً، وأدخلني الجنة غانماً، تفسير الطبري (١٨/ ٢٣٠)، والتمهيد لابن عبد البر (٦/ ٣٥٤).

(٤) ضعيف، أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٩)، وعبد بن حميد (١١٠٦)، والبيهقي في الشعب (٣٧٠) من طريق أبي سمية، عن جابر بن عبد الله، مرفوعاً، وإسناده ضعيف لجهالة أبي سمية.

وأشفق كثير من العلماء من تحقق الورود، والجهل بالصَّدَر.

وقالت فرقة: بل هو ورود إشراف واطلاع وقرب، كما تقول: وردتُ الماءَ إذا جئتَه، وليس يلزم أن تدخل فيه، قالوا: وحَسْبُ المؤمنين [بهذا هوْلاً][(١)]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣].

وروت فرقة: أن الله تعالى يجعل النار يوم القيامة خامدة[(٢)] الأعْلَى كأنها أهالة، فيأتي الخلق كلهم بَـرُّهم وفاجرهم، فيقفون[(٣)] عليها، ثم تسوخ بأهلها، ويخرج المؤمنون الفائزون لم ينلهم ضر، فقالوا: هذا هو الورود.

وروت حفصة: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل النار أحد من أهل بدر والحديبية»، قالت: فقلت: يا رسول الله، وأين قول الله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؟ فقال رسول الله ﷺ: «فَمَه؟ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾»[(٤)].

ورجح الزجاج هذا القول بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١][(٥)].

[وذكر النقاش عن بعضهم أنه قال: نُسخ قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾][(٦)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، وليس هذا موضع نسخ.

وقال عبد الله بن مسعود: وُرودُهُم هو جوازهم على الصراط[(٧)]، وذلك أن

---

(١) في نجيبويه: «بهؤلاء».

(٢) في الأصل ونجيبويه والحمزوية ونور العثمانية: «جامدة».

(٣) في المطبوع: «فيقعون».

(٤) أخرجه مسلم (٢٤٩٦) من حديث حفصة رضي الله عنها.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٤١).

(٦) ليس في الأصل ونجيبويه، وكلام النقاش لم أقف عليه.

(٧) حسن، أخرجه الطبري (١٨/ ٢٣٢)، والطبراني في الكبير (٩٠٨٤)، والحاكم في المستدرك =

الحديث الصحيح تضمن أن الصراط مضروب على جسر جهنم، فيمر الناس كالبرق الخاطف[١]، وكالرِّيح، وكالجواد من الخيل، وعلى مراتب، ثم يسقط الكافر في جهنم وتأخذهم كلاليب[٢]، قالوا: فالجواز على الصراط هو الورود الذي تضمنته هذه الآية.

وقال مجاهد: وُرودُ المؤمنين هو الْحُمَّى التي تصيب في دار الدنيا[٣]، وفي الحديث: «الحُمَّى من فَيْح جهنم، فأَبْرِدوها بالماء»[٤]، وفي الحديث أيضاً: «الحُمَّى حظ كل مُؤمِنٍ من النار»[٥].

= (٢/ ٣٧٥) من طرق عن إسرائيل بن يونس، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود.

(١) من المطبوع ونجيبويه.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٣٣)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٨٤)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٧٦).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٣٣-٥٣٤)، ومسلم (٢٢٠٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٥) روي عن جماعة من الصحابة، لا يسلم واحد منها من مقال، وقد يتقوى الحديث بمجموعها، وبعضها أعل بالوقف، وقد روي من حديث أنس وابن مسعود وأبي أمامة وأبي هريرة وعثمان وسعد ابن معاذ وأبي ريحانة وعائشة، أما حديث أنس فأخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ٢٩٥) وتفرد به: سليمان ابن داود الشاذكوني، وليس بعمدة، وأما حديث ابن مسعود فرواه القضاعي في مسند الشهاب (٦٢) من طريق: أحمد بن راشد الهلالي حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرواسي عن الحسن بن صالح عن الحسن بن عمرو عن إبراهيم عن الأسود عن ابن مسعود مرفوعاً، وسنده ضعيف، من أجل أحمد ابن راشد الهلالي اتهمه الذهبي بأنه اختلق خبراً باطلاً في ذكر بني العباس، كما في الميزان (١/ ٩٧).
وأما حديث أبي أمامة فأخرجه أحمد (٣٦/ ٦٠٨) وغيره من طريق: محمد بن مطرف أبي غسان الليثي عن أبي الحصين عن أبي صالح الأشعري عن أبي أمامة مرفوعاً. ورجاله ثقات غير أبي الحصين وهو الفلسطيني، قال الذهبي: «تفرد عنه أبو غسان محمد بن مطرف». وكأنه مجهول.
وأما حديث أبي هريرة فالصواب أنه من قول كعب الأحبار كما قاله الدارقطني في العلل أيضاً (١٠/ ٢٢١).
وأما حديث عثمان فأخرجه العقيلي في ضعفائه (٢/ ٢٨٧) من حديث فضل بن حماد الواسطي حدثنا عبد الله بن عمران القرشي حدثنا مالك بن دينار عن معبد الجهني عن عثمان به مرفوعاً.
وقال العقيلي: إسناده غير محفوظ والمتن معروف بغير هذا الإسناد وقد روي في هذا أحاديث مختلفة في الألفاظ بأسانيد صالحة.اهـ.
وأما حديث سعد بن معاذ فرواه ابن سعد في الطبقات من طريق: إسماعيل بن مسلم العبدي =

وروى أبو هريرة: أن رسول الله ﷺ قال لرجل مريض[١] عاده من الحُمَّى: «إن الله تعالى يقول: هي ناري أُسَلِّطها على عبدي المؤمن؛ لتكون حظه من نار الآخرة»[٢]، فهذا هو الورود.

و«الحَتْمُ»: الأمر المنفذ المجزوم[٣].

وقرأ أُبيُّ بن كعب، وابن عباس: (ثَمَّ ننجي) بفتح الثاء من ثم على الظرف، وقرأ ابن أبي ليلى: (ثَمَّه) بفتح الثاء وهاء السكت[٤].

وقرأ نافع وابن كثير، وجمهور الناس: ﴿نُنَجِّى﴾ بفتح النون الثانية وشد الجيم.

وقرأ يحيى، والأعمش: ﴿نُنْجِي﴾ بسكون النون الثانية وتخفيف الجيم[٥].

وقرأت فرقة: (نُجِّي) [بنون واحدة مضمومة وجيم مشددة][٦].

وقرأ علي بن أبي طالب: (ثَمَّ) بفتح الثاء (نُنَحِّي) بالحاء غير منقوطة[٧].

و﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ معناه: اتقوا الكفر، وقال بعض العلماء: لا يضيع أحدٌ بين الإيمان والشفاعة.

= حدثنا أبو المتوكل أن سعد بن معاذ ذكر له... مرفوعاً. وهذا منقطع.
وأما حديث أبي ريحانة فذكره البخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٦٣)، وأخرجه غير واحد وهو من حديث عصمة بن سالم الهنائي عن الأشعث بن جابر الحداني عن شهر بن حوشب عن أبي ريحانة الأنصاري به مرفوعاً. وإسناده لين.
وأما حديث عائشة فالمحفوظ فيه الوقف كما قاله الدارقطني في العلل (١٤/ ٢٥٧).

(١) ليس في المطبوع ونجيبويه.
(٢) سبقت الإشارة إليه في التخريج السابق.
(٣) كتبت في المطبوع: «المجذوم».
(٤) وهما شاذتان، انظر الأولى في الشواذ للكرماني (ص: ٣٠٣)، والثانية في مختصر الشواذ (ص: ٨٩).
(٥) أبعد بها، فهما سبعيتان، والتخفيف للكسائي، انظر: التيسير (ص: ١٤٩).
(٦) في المطبوع: «بضم النون الواحدة وشد الجيم وكسرها»، وهي شاذة، تابعه عليه في البحر المحيط (٧/ ٢٨٩).
(٧) وهي شاذة، تابعه عليه في البحر المحيط (٧/ ٢٨٩).

و(نَذَرُ) دالَّة على أنهم كانوا فيها، و«الظُّلْمُ» هنا: هو ظُلْم الكفر.

وقد تقدم القول في قوله: ﴿جِثِيًّا﴾.

وقرأ ابن عباس: (الَّذِينَ اتَّقَوْا مِنْهَا وَنَتْرُكُ الظَّالِمِينَ)[١].

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ / فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴿٧٥﴾﴾. [٤/ ١٦]

قرأ الأعرج، وابن محيصن، وأبو حيوة: (يُتْلَى) بالياء من تحت[٢].

وسبب هذه الآية أن كفار قريش لما كان الرجل منهم يكلم المؤمن في معنى الدين فيقرأُ المؤمن عليه القرآن، ويبهره بآيات النبي ﷺ، كان الكافر منهم يقول: إن الله إنما يُحسْن لأَحب الخلق إليه، وإنما يُنْعم على أهل الحق، ونحن قد أنعم علينا دونكم، فنحن أغنياءُ وأنتم فقراءُ، ونحن أحسن مجلساً وأجمل شارةً[٣]، فهذا المعنى ونحوه هو المقصود بالتوقيف في قوله: ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾.

وقرأ نافع، وابن عامر[٤]: ﴿مَّقَامًا﴾ بفتح الميم، و﴿لا مَقامَ لكم﴾ [الأحزاب: ١٣] بالفتح أيضاً[٥]، وهو المصدر من قام، أو الظرف منه في موضع القيام، وهذا يقتضي لفظ المقَام، إلَّا أن المعنى في هذه الآية يحرز[٦] أنه واقع على الظرف فقط، وقرأا: ﴿في مُقامٍ أَمينٍ﴾ [الدخان: ٥١][٧] بضم الميم.

---

(١) شاذة مخالفة لمصاحف المسلمين ولم نجد له فيها خلفاً ولا سلفاً.

(٢) وهي شاذة، تابعه عليه في البحر المحيط (٧/ ٢٩٠).

(٣) في الأصل: «ثارة».

(٤) في المطبوع: «وابن عباس رضي الله عنه»، ولعله خطأ.

(٥) «أيضاً» ليست في المطبوع.

(٦) في المطبوع ونجيبويه: «يجوز».

(٧) هي سبعية، ويعني ابن عامر ونافعاً، وفي المطبوع وأكثر النسخ الخطية: «وقرأ أبي رضي الله عنه»، والمثبت من أحمد٣ والإماراتية٢، وهو الموافق لنص ابن مجاهد في السبعة في القراءات (ص: ٤١١).

وقرأ ابن كثير: ﴿مُقَاماً﴾ بضم الميم[١]، وهو ظرف من أقام، وكذلك أيضاً يجيء من المصدر منه مثل ﴿مُجْرَاها وَمُرْسَاهَا﴾ [هود: ٤١]، وقرأ: ﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ و﴿لا مَقَامَ لَكُمْ﴾ بالفتح.

وقرأ أبو عمرو، والكسائي، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم جميعَهُنَّ بالفتح.

وروى حفصٌ عن عاصم: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ بالضم[٢].

و«النَّدِي» و«النَّادي»: المجلس فيه الجماعة، ومنه قول حاتم الطائي:

[أحذ الكامل] ودُعيتُ في أُولى النَّدِيِّ وَلَمْ ... يُنْظَرْ إِليَّ بِأَعْيُنٍ خُزْرِ[٣]

وقوله: ﴿وَكَمْ﴾ مخاطبة من الله تعالى لمحمد، خبر يتضمن كسر حُجَّتهم واحتقار أمرهم؛ لأن التقدير: هذا الذي افتخروا به لا قَدْر له عند الله، وليس بِمُنْجٍ لهم، فكم أهلك الله من أُمم لمَّا كفروا وهم أَشَدُّ من هؤلاء وأكثر أموالاً وأجمل منظراً.

و«القَرْنُ»: الأُمَّة يجمعها العصر الواحد، واختلف الناس في قدر الـمُدَّة التي إذا اجتمعت أُمة سُمِّيت تلك الأُمة قرناً، فقيل: مئة سنة، وقيل: ثمانون سنة، وقيل: سبعون، وقد تقدم القول في هذا غير مرة.

و«الأَثاثُ»: المالُ العَيْن والعَرَض والحيوان، وهو اسمٌ عام، واختلف هل هو جمع أو إفراد؟:

فقال الفراءُ: هو اسمُ جَمْع لا واحد له من لفظه كالمتاع[٤].

---

(١) فضمها وحده والباقون بالفتح، وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٤٩).

(٢) وانظر هذه القراءات في: السبعة (ص: ٤١١)، وكلها سبعية، وستأتي في مواضعها.

(٣) انظر نسبته له في: الأمالي للقالي (٢/ ١٧١)، وتفسير الطبري (١٨/ ٢٣٨)، ومجاز القرآن (٢/ ١٠)، والصحاح للجوهري (٢/ ٢٠٧).

(٤) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٧١).

وقال خلف الأحمر[(١)]: هو جَمْعٌ واحده أثاثة، كحمامَةٍ وحمامٍ[(٢)]، ومنه قول الشاعر:

[الوافر] أَشَاقَتْكَ الظَّعائِنُ يَوْمَ بانُوا ... بِذِي الزي الْجَميلِ مِنَ الأَثاثِ[(٣)]

وأنشد أبو العباس:

[الوافر] لَقَدْ عَلِمَتْ عُرَيْنَةُ حَيْثُ كانُوا ... بأَنّا نَحْنُ أَكْثَرُهُمْ أَثاثا[(٤)]

وقرأ نافع بخلاف وأهل المدينة: ﴿وَرِيًّا﴾ بياءٍ مشددة.

وقرأ ابن عباس فيما روي عنه، وطلحة: (وَرِياً) بياءٍ مخففة.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿وَرِءۡيًا﴾ بهمزة بعدها ياءٌ، على وزن رِعْياً، ورويت عن نافع، وابن عامر، رواها أشهب عن نافع.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: (وَرِيْئاً) بياءٍ ساكنة بعدها همزة[(٥)]، وهو على القلب، وزنها فِلْعَا، وكأنه من راءَ، وقال الشاعر:

---

(١) هو خلف بن حيّان، أبو محرز، كان عالماً بالغريب والنحو والنّسب والأخبار، كثير الشعر جيّده، ولم يكن في نظرائه من أهل العلم أكثر شعراً منه، وكان مولى لأبي بردة بن أبي موسى الأشعريّ، أعتقه مع أبويه، وكانا فرغانيّين، انظر: الشعر والشعراء (٢/ ٧٧٦).

(٢) نقله عنه في شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (١/ ١٢٨).

(٣) البيت لمحمد بن نمير الثقفي، كما في الكامل للمبرد (٢/ ١٧٧)، وقد تقدم في الآية (٨٠) من سورة النحل، وفي المطبوع: «الرِّئْي».

(٤) لم أقف على هذا البيت لغير المؤلف، والذي في كتب المبرد المتوفرة هو البيت الذي قبله، وعُرَيْنَةُ حيٌّ من اليمن.

(٥) أربع قراءات منها اثنتان سبعيتان: الأولى لقالون وابن ذكوان، والثالثة للباقين كما في التيسير (ص: ١٤٩)، وانظر عزو الثانية لرواية أشهب في السبعة (ص: ٤١٢)، ولطلحة وابن عباس في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٨)، وذكر الرابعة تجويزاً، وعزاها لأبي بكر في البحر المحيط (٧/ ٢٩١) من رواية الأعمش عن عاصم وحميد، وعزاها في جامع البيان (٣/ ١٣٤٦) لابن مخلد عن البزّي، وضعفها.

وكُلُّ خَليلٍ راءَني فَهْوَ قائِلٌ مِنَ اجْلِكِ هذا هامَةُ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ[(١)] [الطويل]

فأَما القراءتان المهموزتان فهما من رؤية العين، الرِّئْيُ اسمُ المَرْئي الظاهر للعين كالطِّحْن والسِّقي، قال ابن عباس: الرِّئْي: المنظر[(٢)]، قال الحسن: ﴿وَرِءۡيًا﴾ معناه: صوراً[(٣)]، وأما المشدَّدة الياء فقيل: هي بمعنى المهموزة [إلا أن الهمزة][(٤)] خففت لتستوي رؤُوس الآي.

وذكر منذر بن سعيد عن بعض أهل العلم أنه من الرِّي في السَّقي[(٥)]، كأنه أراد أنهم خير منهم بلاداً وأطيب أرضاً وأكثر نعماً؛ إذْ جملة النِّعم إنما هي من المطر، وأما القراءة المخففة الياء فضعيفة الوجه، وقد قيل: هي لحنٌ.

وقرأ سعيد بن جبير، ويزيد البربري، وابن عباس أيضاً: (وَزِيّاً) بالزاي[(٦)]، وهي بمعنى الملبس وهيئته، تقول: زَيَّيْتُ بمعنى: زَيَّنْتُ.

وأما قوله: ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ الآية فقولٌ يحتمل معنيَيْن:

أحدهما: أن يكون بمعنى الدعاء والابتهال، كأنه يقول: الأَضَلُّ منا ومنكم مدَّ اللهُ له حتى يؤُول ذلك إلى عذابه.

---

(١) البيت لكثيِّر، كما في الكتاب لسيبويه (٣/ ٤٦٧)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٩٥)، والأغاني (١٥/ ١٤٠)، والكامل للمبرد (٢/ ١٨٨)، وجاء في العقد الفريد (٦/ ٧٠) منسوباً لابن أبي جمعة، فلعله هو كثير.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٤١) من طريق أبي ظبيان حصين بن جندب، وعلي بن أبي طلحة، وعطية العوفي جميعاً عن ابن عباس.

(٣) ليست في المطبوع ونجيبويه، وفيهما: بمعناه، والذي في تفسير الطبري (١٨/ ٢٤١) عن الحسن: الأثاث: أحسن المتاع، والرِّئي: قال: المال. وذكر عن قتادة، قوله: ﴿أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا﴾ قال: أحسن صوراً، وأكثر أموالاً.

(٤) ليس في الأصل.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) وهي شاذة، انظر عزوها له في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٨).

والمعنى الآخر: أن يكون بمعنى الخبر كأنه يقول: من كان ضَالّاً من الأمم فعادة الله فيه أن يمد له ولا يعاجله حتى يُفْضي ذلك إلى عذابه في الآخرة.

فاللام في قوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ على المعنى الأول لَامُ رغبة في صيغة أمر، وعلى المعنى الثاني لَامُ أمر دخلت على معنى الخبر ليكون أوكدَ وأقوى، وهذا موجود في كلام العرب وفصاحتها.

قوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾.

﴿حَتَّىٰٓ﴾ في هذه الآية حرف ابتداءٍ دخلت على جملة، وفيها معنى الغاية، و﴿إِذَا﴾ شرطٌ، وجوابها في قوله: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾.

و«الرُّؤْيَةُ»: رُؤْية العين.

و﴿ٱلْعَذَابَ﴾ و﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ بدلٌ من ﴿مَا﴾ التي وقعت عليها ﴿رَأَوْاْ﴾.

و﴿إِمَّا﴾ هي المدخلة للشك في أول الكلام، والثانية عطف عليها.

و﴿ٱلْعَذَابَ﴾: يريد به عذاب الدنيا، ونُصْرَةَ المؤمنين عليهم، و«الجُنْد»: النُّصْرةُ والقائمون بأمر الحرب.

و﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ بإزاء قولهم: ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾، و(أَضْعَفُ جُنْداً) بإزاء قولهم: (أَحْسَنُ نَدِيّاً).

ولما ذكر ضلالة الكفرة، وارتباكهم[1] في الامتحان[2] بنعم الدنيا، وعماهم

(١) في نجيبويه: «وارتكابهم».

(٢) في أحمد٣ ونجيبويه ونور العثمانية: «الافتخار».

عن الطريق المستقيم، عقب ذلك بذكر نعمته على المؤمنين، في أنه يزيدهم هُدىً في الارتباط إلى الأعمال الصالحة، والمعرفة بالدلائل الواضحة، وزيادة العلم دأباً، قال الطبري عن بعضهم: المعنى: بناسخ القرآن ومنسوخه(١).

قال القاضي أبو محمد: وهذا مثالٌ.

وقوله: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ إشارةٌ إلى ذلك الهدى الذي يزيدهم الله تعالى؛ أي: وهذه / النعم على هؤلاء خَيْرٌ عند الله ثواباً وخير مرجعاً، والقول في زيادة الهُدَى سهلٌ بَيِّنُ الوجوه. [٤/ ١٧]

وأما (البَاقِيَاتُ الصَّالحَاتُ):

فقال بعض العلماء: هو كلُّ عملٍ صالح يرفع الله به درجة عامله(٢).

وقال الحسن: هي الفرائض(٣).

وقال ابن عباس: هي الصلوات الخمس(٤).

ورُوي عن النبي ﷺ أنها الكلمات المشهورات: «سبحان الله، والحمد لله، ولا

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٤٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٩٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٢٣٥).

(٣) تفسير يحيى بن سلام (١/ ٢٤٠).

(٤) في إسناديه لين، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٢)، والثوري (ص: ١٨٩)، والطبري (١٨/ ٣٣) من طريق عبد الله بن مسلم بن هرمز، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره، وعبد الله بن مسلم بن هرمز المكي ضعيف، وأخرجه الطبري (١٨/ ٣٢) من طريق يعقوب ابن كاسب، عن عبد الله بن عبد الله الأموي، عن عبد الله بن يزيد بن هرمز، عن عبيد الله بن عتبة، عن ابن عباس رضي الله عنه به. وعبد الله بن عبد الله الأموي لين الحديث، وعبد الله بن يزيد بن هرمز قال أبو حاتم: ليس بقوي، يكتب حديثه، وهو أحد فقهاء المدينة، وقال ابن يونس في تاريخ مصر: فيه نظر، وقال ابن شاهين في تاريخ أسماء الثقات (٦٨١) عبد الله بن يزيد بن هرمز روى عنه أبو مسهر، وقال: كان ثقة. انظر: الجرح والتعديل (٥/ ١٩٩)، وذيل الميزان للعراقي (٥٠٤).

إله إلَّا الله، والله أكبر»(١)، وقد قال ﷺ لأبي الدرداء: «خُذْهُنَّ قبل أن يحال بينك وبينهن، فهُنَّ الباقيات الصالحات، وهُنَّ من كُنوز الجنَّة»(٢).

وروي عنه ﷺ أنه قال يوماً: «خُذُوا جُنَّتكم»، قالوا: يا رسول الله، أَمِنْ عدوٍّ حضر؟ قال: «من النار»، قالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر، هنَّ الباقيات الصالحات»، وكان أبو الدرداءِ يقول إذا ذكر هذا الحديث: لأُهَلِّلَنَّ ولأُكبِّرَنَّ الله ولأُسبِّحَنَّهُ حتى إذا رآني الجاهل ظنَّني مجنوناً(٣).

قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ الآية، الفاءُ في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ عاطفة بعد ألف الاستفهام، وهي عاطفة جملة على جملة.

و﴿ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ يعني به العاصي بن وائل السهمي، قاله جمهور المفسرين.

---

(١) لا يصح، جاء في هذا الباب حديث أبي سعيد الخدري، أخرجه أبو يعلى (١٤٨٤)، وابن حبان (٨٤٠)، والطبراني في الدعاء (١٦٩٦-١٦٩٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥١٢-٥١٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٠٥)، والبغوي في شرح السنة (١٢٨٢) من طريق دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: «اسْتَكْثِرُوا مِنَ الباقِياتِ الصَّالِحاتِ»، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «المِلَّة»، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «التَّكْبِيرُ والتَّهْلِيلُ والتَّسْبِيحُ، والحَمْدُ، ولا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بالله»، ورواية دراج عن أبي السمح ضعيفة، وسيأتي حديثان آخران في إسناديهما ضعف.

(٢) ضعيف، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٢)، وابن ماجه (٣٨١٣)، والطبري (١٨/ ٢٤٥)، وابن عدي في الكامل (٥/ ١٦٧٥) من طريق عمر بن راشد، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف، عن أبي الدرداء، مرفوعاً، وسنده ضعيف؛ من أجل عمر بن راشد أبي حفص اليمامي قال فيه البخاري: حديثه عن ابن أبي كثير مضطرب ليس بالقائم، وقال ابن حبان: يضع الحديث لا يحل ذكره إلا على سبيل القدح فيه.

(٣) في إسناده ضعف، أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٦١٧)، والطبراني في الأوسط (٤٠٢٧)، وفي «الصغير» (١/ ١٤٥)، والبيهقي في الشعب (٦٠٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٤١) من طريق عبد العزيز بن مسلم، عن محمد بن عجلان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة به مرفوعاً. وإسناد ابن عجلان هذا فيه كلام معروف.

وكان خبره أن خَبَّاب بن الأَرَتِّ كان قَيْناً في الجاهلية، فعمل له عملاً، فاجتمع له عنده دين، فجاءه يتقاضاه، فقال له العاصي: لا أنصف[١] حتى تكفر بمحمد، فقال خَبَّاب: لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك، قال العاصي: أوَمبعوثٌ أنا بعد الموت؟ قال خبَّاب: نعم، قال: فإنه إذا كان ذلك فسيكون لي مالٌ وولد، وعند ذلك أقضيك دينك، فنزلت الآية في ذلك[٢].

وقال الحسن: نزلت الآية في الوليد بن المغيرة المخزومي[٣]، قد كانت للوليد أيضاً أقوالٌ تشبه هذا الغرض.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿وَوَلَدًا﴾ على معنى اسم الجنس، بفتح الواو واللام، وكذلك كل ما في سائر القرآن، إلَّا في سورة نوح: ﴿مالُهُ وَوُلْدُهُ﴾ [نوح: ٢١]، فإنهما[٤] قرأا بضم الواو وسكون اللام.

وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر بفتح الواو واللام[٥] في كل القرآن.

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿وَوُلْداً﴾ بضم الواو وسكون اللام، وكذلك في جميع القرآن[٦].

وقرأ ابن مسعود: (وِلْداً) بكسر الواو وسكون اللام[٧].

---

(١) في المطبوع: «أقضيك»، وفي أحمد٣ ونجيبويه: «أنصفك».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٠٩١)، ومسلم (٢٧٩٥) من حديث خباب رضي الله عنه.

(٣) انظر: تفسير الماوردي (٣/ ٣٨٧)، وزاد المسير (٥/ ٢٦٠).

(٤) في الأصل: «فإنما»، وفي نجيبويه: «فإنه قرأ».

(٥) من أحمد٣ والإماراتية١.

(٦) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٤٩)، والسبعة (ص: ٤١٢).

(٧) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٠٣)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ٨٩) ليحيى بن يعمر.

واختُلِف مع ضم الواو:

فقال بعضهم: هو جَمْع وَلَد كأَسَد وأُسْد، واحتجوا بقول الشاعر:

[مجزوء الكامل] فَـلَـقَـدْ رَأَيْـــتُ مَـعَـاشِـراً قَـدْ ثَـمَّـرُوا مـالاً وَوُلْــدا[1]

وقال بعضهم: هو مفرد[2]، [بمعنى الولد][3]، واحتجوا بقول الشاعر:

[الطويل] فَلَيْـتَ فُلانـاً كانَ فـي بَطْـنِ أُمِّـهِ وَلَيْـتَ فُلانـاً كانَ وُلْـدَ حِمَارِ[4]

قال أبو عليٍّ: وفي قراءة حمزة والكسائي ما كان مفرداً قصد به المفرد، وما كان جمعاً قصد به الجمع[5].

وقال الأخفش: الوَلد: الابن والابنة[6]، والوُلْد: الأهل والوالد.

وقال غيره: الوَلَد: بطن الرجل الذي هو منه، حكاه أبو علي في «الحجة»[7].

وقوله: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ توقيف، والألف للاستفهام، وحذفت في الوصل للاستغناء عنها.

و«اتِّخاذُ العهد» معناه: بالإيمان والأعمال الصالحة.

و﴿كَلَّا﴾ زجرٌ وردٌّ[8].

ثم أخبر تعالى أن قول هذا الكافر سيكتب، على معنى حِفْظه عليه ومعاقبته به.

---

(١) البيت للحارث بن حِلِّزة، كما في تفسير الطبري (١٨/ ٢٤٧)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٨٧).
(٢) من المطبوع والإماراتية١و٢ ونور العثمانية.
(٣) ليس في المطبوع.
(٤) تقدم في تفسير الآية (٤١) من سورة إبراهيم.
(٥) الحجة للفارسي (٥/ ٢١١).
(٦) ليس في المطبوع ونجيبويه والإماراتية١، وقول الأخفش لم أجده.
(٧) انظر: الحجة (٥/ ٢١١).
(٨) في المطبوع وأحمد٣: «وردعٌ».

وقرأ: ﴿سَنَكۡتُبُ﴾ بالنون أبو عمرو، والحسن، وعيسى، وقرأ عاصم، والأعمش: (سَيُكْتَبُ) بياءٍ مضمومة[١].

و«مَدُّ العذاب»: هو إطالته وتعظيمه.

وقوله تعالى: ﴿مَا يَقُولُ﴾؛ أي: هذه الأشياءُ التي سمَّى[٢] أنه يُؤتاها في الآخرة يَرِثُ الله ماله منها في الدنيا بإهلاكه وتركه لها، فالوراثة مستعارة.

ويحتمل أن تكون خيبته في الآخرة كوراثة ما أَمَّل.

وفي حرف ابن مسعود: (ونرثه ما عنده)[٣].

وقال النحاس: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ معناه: نَحْفَظُه عليه فنعاقبه[٤].

ومنه قول النبي ﷺ: «العلماءُ ورثة الأنبياء»[٥]؛ أي: حفَظةُ ما قالوا.

---

(١) الأولى هي المتواترة، والثانية شاذة، انظر عزوها للأعمش في الشواذ للكرماني (ص: ٣٠٣)، ولم أجدها لعاصم.

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «سماها وقالَ».

(٣) وهي شاذة، انظر عزوه له في: الهداية لمكي (٧/ ٤٥٨٩).

(٤) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٥٨)، في أحمد٣: «لنعاقبه».

(٥) له طرق، قيل: إنها تدل أن له أصلًا، هذا جزء من حديث أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده (٤٧)، وأحمد (٥/ ١٩٦)، والترمذي (٢٦٨٢) من طريق عاصم بن رجاء بن حيوة، عن قيس بن كثير، عن أبي الدرداء رضي الله عنه. وقيس بن كثير، وقيل: كثير بن قيس الشامي، وهو ضعيف، قال الترمذي: ولا نعرفه إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة، وليس هو عندي بمتصل، هكذا حدثنا محمود بن خداش بهذا الإسناد، وإنما يروى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن داود بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ، وهذا أصح من حديث محمود بن خداش، ورأى محمد بن إسماعيل هذا أصح. اهـ.
وهذا الطريق الذي ذكره الترمذي أخرجه أبو داود (٣٦٤٣)، وابن ماجه (٢٢٣)، وابن حبان في صحيحه (٨٨) من طريق عاصم بن رجاء بن حيوة عن داود بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً، وأخرجه أبو داود (٣٦٤٤) من طريق الوليد بن مسلم، عن شبيب بن شيبة، عن عثمان بن أبي سودة، عن أبي الدرداء وقال أبوداود بمعناه. وشبيب بن شيبة مجهول، وأخرجه أبو يعلى كما في إتحاف الخيرة (١/ ٦٥) عن أبي همام، عن الوليد، عن رجل سماه أبو همام، عن عثمان بن =

فكأن هذا الجُرْم[١] يورث هذه المقالة.

وقوله: ﴿فَرْدًا﴾ يتضمن ذلَّته، وقلة انتصاره.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ﴿٨٤﴾ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٨٧﴾﴾.

(اتَّخَذَ): افتعَلَ من: (أخذ)، لكنه يتضمن إعْدَاداً من المتَّخِذ للمُتَّخَذِ[٢]، وليس ذلك في (أَخَذَ)، والضمير في (اتَّخَذُوا) لِعَبَدَة الأوثان، و«الآلهةُ»: الأصنامُ، وكُلُّ ما عُبِدَ من دون الله، ومعنى ﴿عِزًّا﴾ العموم في النُّصْرة والمنفعة وغير ذلك من أوجه الخير.

وقوله: ﴿كَلَّا﴾ زجْرٌ وردٌّ[٣]، وهذا المعنى لازم لـ(كَلَّا)، فإنْ كان القول المردود

= أعين، عن أبي الدرداء به، بنحوه، وفيه رجل مبهم، وقد ذكره البخاري قولاً بلا رواية، فقال في باب: العلم قبل القول والعمل من كتاب العلم من صحيحه: وأن العلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة.
وقال الحافظ في الفتح (١/ ١٦٠): هذا طرف من حديث أخرجه أبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم مصححاً من حديث أبي الدرداء وحسنه حمزة الكناني وضعفه باضطراب في سنده.
لكن له شواهد يتقوى بها، ولم يفصح المصنف بكونه حديثاً، فلهذا لا يعد في تعاليقه، لكن إيراده له في الترجمة يشعر بأن له أصلاً، وشاهده في القرآن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا﴾. اهـ.
قال السخاوي في المقاصد (٧٠٣): قوله «إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم» الحديث صححه ابن حبان والحاكم وغيرهما، وحسنه حمزة الكناني، وضعفه غيرهم بالاضطراب في سنده، لكن له شواهد يتقوى بها، ولذا قال شيخنا: له طرق يعرف بها أن للحديث أصلاً، ولفظ الترجمة عند الديلمي من حديث محمد بن مطرف عن شريك عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب بزيادة: «يحبهم أهل السماء وتستغفر لهم الحيتان في البحر إذا ماتوا»، وكذا أورد لفظ الترجمة بلا سند عن أنس بزيادة: «وإنما العالم من عمل بعلمه».اهـ.

(١) في أحمد٣ والحمزوية ونور العثمانية والإماراتية١: «المجرم».

(٢) ليس في الأصل ونور العثمانية.

(٣) في أحمد٣: «ردع».

منصوصاً عليه بان المعنى، وإن لم يكن منصوصاً عليه فلا بدَّ من أمر مردود يتضمنه القول كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾ [العلق: ٦]، فإن قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ٥] يتضمن مع ما قبله أن الإنسان يزعم من نفسه ويرى أن له حوْلاً مَّا، ولا يتفكَّر جدّاً في أن الله علَّمه ما لم يعلم وأنعم عليه بذلك، [وإلا كان مغمور جهل](١).

وقرأ الجمهور: ﴿كَلَّا﴾ على ما فَسَّرْناه.

وقرأ أبو نهيك: (كَلّاً) بفتح الكاف والتنوين، حكاه عنه أبو الفتح، وهو نعت للآلهة.

وحكى عنه أبو عمرو الداني: (كُلّاً) بضم الكاف والتنوين(٢)، وهو منصوب بفعل مضمر يدلُّ عليه ﴿سَيَكۡفُرُونَ﴾، تقديره: يرفضون، أو يتركون، أو يجحدون، أو نحوه.

واختلف المفسرون في الضمير الذي في ﴿سَيَكۡفُرُونَ﴾ وفي ﴿بِعِبَادَتِهِمۡ﴾:

فقالت فرقة: الأول للكفار والثاني للمعبودين، والمعنى: أنه سيجيءُ يوم القيامة من الهول على الكفار والشدة ما يدفعهم إلى جحد الكفر وعبادةِ الأوثان، وذلك كقوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

وقالت فرقة: الأول للمعبودين والثاني للكفار، والمعنى: أن الله تعالى يجعل للأصنام حياةً تنكر بها ومعها عبادة الكفار وأن يكون لها من ذلك ذنب، وأما المعبودون من الملائكة وغيرهم فهذا منهم بَيِّنٌ.

وقوله: ﴿ضِدًّا﴾ معناه: يجيئُهم منه خلاف ما كانوا أَمَّلُوه، فيؤول بهم ذلك إلى ذِلَّةٍ ضدَّ ما أَمَّلُوه / من العز، وهذه صفة عامة. [٤/ ١٨]

---

(١) ليس في المطبوع.

(٢) وكلاهما شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٤٤)، وانظر نقل الداني في: تفسير القرطبي (١١/ ١٤٩).

وقال قتادة: معناه: قُرَنَاءَ[١]، وقال ابن عباس: معناه: أعواناً[٢].

وقال الضحاك: أعداءً، وقال ابن زيد: بلاءً[٣].

وقيل غير هذا مما لفظ القرآن أعمُّ منه وأجمعُ للمعنى المقصود، والضِّدُّ هنا مصدرٌ يوصف به الجمع كما يوصف به الواحد.

وحكى الطبري عن ابن نهيك أنه قرأ: (كلٌّ) بالرفع، ورفعها بالابتداء[٤].

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ﴾ الآية، «الرُّؤْيةُ»: رؤْية قلب، و﴿أَرْسَلْنَا﴾ معناه: سَلَّطنا، أو لم نَحُل بينهم وبينهم فهو تسليط، وهو مثل قوله: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا﴾ [الزخرف: ٢٦]، وتعديته بـ(عَلَى) دالَّة على أنه تسليط.

و﴿تَؤُزُّهُمْ﴾ معناه: تُقْلقهم وتحركهم إلى الكفر والضلال، وقال قتادة: تزعجهم إزعاجاً، وقال ابن زيد: تُشْليهم إشلاءً[٥]، ومنه أَزيز القِدْر، وهو غَلَيَانه، ومنه ما في الحديث: أتيت رسول الله ﷺ فوجدته يصلي وهو يبكي، ولصدره أزيز كأزيز المرجل[٦].

وقوله: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾، أي: فلا تستبطئ عذابهم، وتُحب تعجيله.

---

(١) في حاشية المطبوع: في الأصول: «فِرَقاً»، والتصويب عن الطبري وغيره من المفسرين الذين نقلوا قول قتادة.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٥٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر أقوال قتادة والضحاك وابن زيد في تفسير الطبري (١٨/ ٢٥١)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٨٩)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٩١).

(٤) وهي شاذة، انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٥١).

(٥) انظر القولين في تفسير الطبري (١٨/ ٢٥٢)، وانظر: الهداية لمكي (٧/ ٤٥٩١)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٨٩).

(٦) إسناده قوي، أخرجه أحمد (٤/ ٢٥)، وأبو داود (٩٠٤)، وأبو يعلى (١٥٩٩)، والنسائي (١٢١٣)، وفي الكبرى (٥٤٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٦٤)، وابن خزيمة (٩٠٠)، وابن حبان (٧٥٣) وغيرهم من طرق عن حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن أبيه مرفوعاً، وأخرجه النسائي أيضاً من طريق: عبد الكريم بن رشيد، عن ابن الشخير، عن أبيه.

وقوله: ﴿نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا﴾؛ أي: مُدَّة نعمتهم وقبيح أعمالهم لنصير بهم إلى العذاب إمَّا في الدنيا، وإلَّا ففي الآخرة، وقال ابن عباس: نعدُّ أنفاسهم[١].

قال القاضي أبو محمد: وما تضمنته هذه الألفاظ من الوعيد بعذاب الآخرة هو العامل في قوله: ﴿يَوۡمَ﴾، ويحتمل أن يعمل فيه فعل[٢] مقدر، تقديره: واذكر، أو احْذَر، ونحو هذا.

و«الحَشْرُ»: الجمعُ، وقد صار في عرف ألفاظ الشرع: البعث من القبور.

وقرأ الحسن: (يَوْمَ يُحْشَرُ الْمُتَّقُونَ)، و(يُسَاقُ الْمُجْرِمُونَ).

وروي عنه: (ويسوقُ الْمُجْرِمين) بالياء[٣].

و«المُتَّـقُونَ»: المؤمنون الذين غفر لهم.

وظاهر هذه الوِفادة أنها بعد انقضاء الحساب، وإنما هي النهوض إلى الجنة، وكذلك سَوْقُ المجرمين إنما هو لدخول النار.

و﴿وَفۡدٗا﴾: قال المفسرون: معناه: رُكْبَاناً، وهي عادة الوفود؛ لأنهم سَراة الناسِ، وأحسنهم شكلاً، فشبَّه أهل الجنة بأولئك، لا أنهم في معنى الوفادة؛ إذ هو مُضَمَّن الانصراف، وإنما المراد تشبيههم بالوفد هيئة وكرامة، وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنهم يجيئون رُكْباناً على النُّوق الـمُحَلَّاة بحلية الجنة، خُطُمها من ياقوت وزبرجد ونحو هذا[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٥٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في الأصل: «لفظ».

(٣) «بالياء» ليست في المطبوع، وهما شاذتان، انظر الأولى في مختصر الشواذ (ص: ٨٩)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٠٤)، وعزا الثانية في زاد المسير (٥/ ٢٦٣) لابن مسعود وأبي عمران الجوني، ولم أجدها للحسن.

(٤) في نجيبويه: ويجوز هذا، والأثر ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥١٤٨)، وعبد الله ابن أحمد في زوائده (١/ ١٥٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٥)، والبيهقي في شعب الإيمان =

وروى عمرو بن قيس الـمُلَائيُّ[١]: أنهم يركبون على تماثيل من أعمالهم الصالحة هي في غاية الحُسْن[٢]، ورُوي: أنهم يركب كل واحد منهم ما أحبَّ، فمنهم من يركب الإبل، ومنهم من يركب الخيل، ومنهم من يركب السُّفُن فتجيءُ عائمة بهم، وقد وَرَد في الضحايا: «إنها مطاياكم إلى الجنة»[٣]، وفي أكثر هذا بُعْدٌ لكن ذكرناه بحسب الجمع للأقوال.

و«السَّوْقُ»: يتضمن هواناً؛ لأنهم يُحْفَزُون من ورائهم.

و«الوِرْدُ»: العِطاش، قاله ابن عباس، وأبو هريرة[٤]، والحسن[٥]، وهم القوم الذين يحتفزون[٦] من عطشهم لورود الماء.

ويحتمل أن يكون المصدر، والمعنى: نوردهم وِرْداً، وهكذا يجعله من رأى في القرآن أربعة أوراد [في النار][٧]، وقد تقدم ذكر ذلك [في هذه السورة][٨].

= (٣٥٨) من طريق عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن علي رضي الله عنه به، وإسناده ضعيف؛ لضعف عبد الرحمن بن إسحاق أبي شيبة الواسطي، وجهالة النعمان بن سعد.

(١) هو عمرو بن قيس الكوفي الملائي البزاز، روى عن عكرمة وعطية العوفي وأبي إسحاق والحكم ابن عتيبة، وعنه سفيان الثوري وجماعة، وكان ورعاً عابداً خيراً حافظاً لحديثه، قال الثوري: وكان يتبرك به، وقال أبو زرعة: ثقة مأمون، تاريخ الإسلام (٩/ ٢٤٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٢٧) و(١٨/ ٢٥٥)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٩٤).

(٣) لا يوقف عليه مسنداً، وقد ذكره ابن الملقن في البدر المنير (٩/ ٢٧٣) بلفظ: «عظموا أضحياكم فَإِنَّهَا عَلَى الصِّرَاط مَطَايَاكُم»، وقال: هذا الحديث لا يحضرني مَن خرجه بعد البحث الشديد عنه، وقال ابن الصلاح في كلامه على الوسيط: إنه غير معروف ولا ثابت فيما علمناه، وقال ابن العربي في عارضة الأحوذي (٦/ ٢٨٨): ليس في فضل الأضحية حديث صحيح، ومنها قوله: «إِنَّهَا مَطَايَاكُمْ إِلَى الْجنَّة».

(٤) أما أثر عبد الله بن عباس فقد أخرجه الطبري (١٨/ ٢٥٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأما أثر أبي هريرة رضي الله عنه فقد أخرجه الطبري (١٨/ ٢٥٥) من طريق شعبة، عن إسماعيل، عن رجل، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه رجل مبهم.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٥٥) الهداية لمكي (٧/ ٤٥٩٥).

(٦) في المطبوع: «ينحفزون»، وفي نجيبويه: «ينحفزون».

(٧) ليس في المطبوع ونجيبويه.

(٨) ليس في المطبوع.

واختلف المتأولون في الضمير في قوله: ﴿يَمْلِكُونَ﴾ فقالت فرقة: هو عائد على ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: لا يَمْلِكُونَ أن يُشْفَع لهم، ولا سبيل لهم إليها، وعلى هذا التأويل فهم المشركون خاصة، ويكون قوله ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ استثناءً منقطعاً؛ أي: لكن من اتَّخَذ عهداً يُشفع له، و«العَهْدُ» على هذا: الإيمانُ، قال ابن عباس: العهدُ: لا إله إلَّا الله[١]، وفي الحديث: «يقول الله تعالى يوم القيامة: من كان له عندي عهد فليقم»[٢].

وفي الحديث: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاءَ بهن تامَّة كان له عند الله عهدٌ أن يُدخله الجنة»[٣].

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٥٥)، والطبراني في الدعاء (١٥٧٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٦) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) روي من كلام ابن مسعود بإسناد لا بأس به، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠١٤٠) عن وكيع، والطبراني في الكبير (٨٩١٨) من طريق عبد الله بن رجاء، وعاصم بن علي، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٧) من طريق عبد الرحمن بن سعد، جميعاً عن المسعودي، عن عون بن عبد الله، عن أبي فاختة، عن الأسود بن يزيد، قال: قرأ عبد الله بن مسعود: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ قال: يقول الله يوم القيامة: من كان له عندي عهد فليقم، قال: فقلنا: فعلِّمنا يا أبا عبد الرحمن، قال: قولوا: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، إني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا بأني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، فإنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر، وتباعدني من الخير، وإني لا أثق إلا برحمتك، فاجعله لي عندك عهداً تؤديه إليَّ يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد، وإسناد الحاكم ليس فيه أبو فاختة، فإن صح فهو اضطراب من المسعودي، وظاهر هذا الانقطاع، والمسعودي: عبد الرحمن بن عبد الله ابن عتبة بن عبد الله بن مسعود الكوفي، صدوق اختلط قبل موته، ورواية وكيع عنه قبل الاختلاط.

(٣) صحيح، أخرجه مالك في الموطأ (٢٦٨) رواية يحيى بن يحيى، والدارمي في سننه (١٥٧٧)، وأبو داود (١٤٢٢)، والنسائي في الكبرى (٣١٨) وغيرهم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، ولفظه: «خمس صلوات افترضهن الله تعالى، مَن أحسن وضوءهن، وصلاهن لوقتهن، وأتم ركوعهن وخشوعهن؛ كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه».

و«العَهْـدُ» أيضـاً: الأمـان[١]، وبه فُسِّـر قوله تعالـى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

ويحتمل أن يكون «المجرمون» يعُمُّ الكفرة والعصاة، ثم أخبر أنهم لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ إلَّا العصاةَ من المؤمنين فإنه يُشفع فيهم، فيكون الاستثناءُ متصلاً.

وقال رسول الله ﷺ: «لا أزال أشفع حتى أقول: يا رب شفِّعني فيمن قال: لا إله إلَّا الله، فيقول الله: يا محمد ليست لك، ولكنها لي»[٢].

وقالت فرقة: الضمير في قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ للمتقين، وقوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾؛ أي: إلَّا من كان له عمل صالح مُبَـرِّز يحصل به في حيِّز من يشفع، وقد تظاهرت الأحاديث أن أهل العلم والفضل والصلاح يَشْفَعون فيُشَفَّعُون.

رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «في أُمتي رجل يُدخل الله بشفاعته الجنة أكثر من بني تميم»[٣].

قال قتادة: وكنا نحدث أن الشهيد يشفع في سبعين[٤].

وقال بعض هذه الفرقة: معنى الكلام: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾؛ أي:

---

(١) في الأصل: «الإيمان»، والتصحيح من النسخ الأخرى.

(٢) أصل الحديث أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه، دون قوله: «فيقول الله: يا محمد ليست لك، ولكنها لي»، وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٢٧٨٦) واللفظ له.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبراني في الكبير (١٨٨) من طريق سعيد بن بشير الدمشقي، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٣٠٤-٣٠٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٢٦) من طريق الحكم بن عبد الملك القرشي كلاهما (سعيد ـ والحكم) عن قتادة، عن أبي المليح، عن واثلة بن الأسقع، به، وسنده ضعيف لضعف سعيد والحكم.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٥٦)، ورواه عن الحسن أيضاً، انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٨).

لا يملك المتقون الشفاعة إلَّا لهذه الصنيفة[١]، فيجيءُ ﴿مَنِ﴾ في التأويل الواحد للشافعين، وفي الثاني للمشفوع فيهم.

وتحتمل الآية أن يراد بـ﴿مَنِ﴾ محمد ﷺ، وبالشفاعة الخاصة لمحمد ﷺ [لعامة الناس][٢]، ويكون الضمير في ﴿يَمْلِكُونَ﴾ لجميع أهل الموقف، ألا ترى أن سائر الأنبياء يتدافعون الشفاعة حتى تصير إليه، فيقوم إليها ﷺ مُدِلّاً[٣]، فالعهد ـ على هذا ـ النصُّ على أمر الشفاعة، وقوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩][٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾.

الضمير في ﴿قَالُوا۟﴾ للكفار من العرب في قولهم: الملائكة بنات الله، وللنصارى، ولكل من كفر / بهذا النوع من الكفر. [٤/ ١٩]

وقوله: ﴿جِئْتُمْ شَيْـًٔا﴾ بعد الكناية عنهم بمعنى: قل لهم يا محمد.

و«الإِدُّ»: الأمر الشنيع الصعب، وهي الدواهي والشُّنع العظيمة.

ويروى عن النبي ﷺ: أن هذه المقالة أوَّلَ ما قيلت في العالم شاكَ الشَّجَرُ، و[حدثت مرارة][٥]، واستعرت جهنمُ، وغضبت الملائكة[٦].

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «الصنيعة».

(٢) في أحمد٣ ونور العثمانية: «العامة للناس».

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «في قوله»، في نور العثمانية: «قوله»، دون واو.

(٥) ليس في المطبوع، وفي الحمزوية وأحمد٣ ونور العثمانية: «مرائره».

(٦) لا يصح، ذكره الديلمي في مسند الفردوس (٦٣٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، بنحوه ولم نقف له على إسناد.

وقرأ الجمهور: ﴿إِدًّا﴾ بكسر الهمزة، وقرأ أبو عبد الرحمن: (أَدًّا) بفتح الهمزة[١].

ويقال: إِدٌّ، وأَدٌّ، وآدٌّ بمعنىً[٢].

وقرأ ابن كثير هنا، وفي ﴿حمٓ * عٓسٓقٓ﴾: ﴿تَكَادُ﴾ بالتاءِ ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ بياءٍ وتاءٍ وفتح الطَّاءِ وشدِّها، ورواها حفصٌ عن عاصم، وقرأ أبو عمرو، وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿تَكَادُ﴾ بالتاءِ ﴿يَنْفَطِرْنَ﴾ بياءٍ ونون وكسر الطاء، وقرأ نافع، والكسائي: ﴿يَكَادُ﴾ بالياء على زوال علامة التأنيث ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ بالياءِ والتاءِ وشدِّ الطاءِ وفتحها في الموضعين، وقرأ حمزة، وابن عامر في مريم مثل أبي عمرٍو، وفي ﴿عسق﴾ مثل ابن كثير[٣].

وقال أبو الحسن الأخفش: يَكَادُ بمعنى: يريد، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥][٤]، وأنشد على أن (كاد) بمعنى: (أراد) قولَ الشاعر:

[الكامل] كَادَتْ وكِدْتُ وتِلْكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ لَوْ عَادَ مِنْ زَمَنِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى[٥]

ولا حجَّة في هذا البيت، وهذا قول قَلِقٌ.

وقال الجمهور: إنما هي استعارة لشُنْعَة الأمر؛ أيْ: هذا حقُّه لو فهمت الجماداتُ قَدْره، وهذا المعنى مَهْيَع العرب، فمنه قول جرير:

[الكامل] لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ المدينة والجِبَالُ الخُشَّعُ[٦]

---

(١) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٣٠٤).

(٢) «بمعنى» ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٣) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٥٠).

(٤) انظر: معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٦)، وفي المطبوع: «أبو الحسن والأخفش» بالعطف.

(٥) البيت فيه، وفي تفسير الطبري (١٨/ ٢٨٨)، والمحتسب (٢/ ٣٠)، والصحاح للجوهري (٢/ ٩٥) بلا نسبة.

(٦) تقدم في تفسير الآية (٧٤) من سورة البقرة.

ومنه قول الآخر:

أَلَـمْ تَـرَ صَدْعـاً فـي السَّـمَاءِ مُبينـا عَلَى ابْن لُبَيْنى الحارث بن هشام[١] [الطويل]

وقال الآخر:

وأَصْبَـحَ بَـطْـنُ مَـكَّـةَ مُـقْشَـعِـرّاً كَأَنَّ الأَرْضَ لَيْـسَ بِهَـا هِشَـامُ[٢] [الوافر]

و«الانْفطَارُ»: الانشقاق على رتبة غير مقصودة، و«الهَدُّ»: الانهدام والتفرُّق في سرعة، قال محمد بن كعب: كاد أعداءُ الله أن يقيموا علينا الساعة[٣].

وقوله: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى﴾ نفي على جهة التنزيه له عن ذلك، وقد تقدم ذكر هذا المعنى وأقسام هذا اللفظ في هذه السورة.

وقوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية، ﴿إِن﴾ نافيةٌ بمعنى: (ما).

وقرأ الجمهور: ﴿ءَاتِى ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ بالإضافة.

وقرأ طلحة بن مصرِّف: (آتٍ الرحمنَ) بتنوين (آتٍ)، والنصب في النون[٤].

وقرأ ابن مسعود: (لَمَّا أَتَى الرَّحْمَن)[٥].

---

(١) البيت في الحجة لأبي علي (٥/ ٣٢)، والبحر المحيط (٧/ ٣٠١) بلا نسبة.

(٢) البيت لبحير بن عبد الله بن عامر بن سلمة بن قشير، كما في المحبر (ص: ١٣٩)، ونسبه في معجم الشعراء (ص: ٤٩٦) للحارث بن أسد الأصغر، وفي ربيع الأبرار (٣/ ٢٦٤) للحارث بن أمية، وفي شرح نهج البلاغة (١٨/ ٢٨٧)، وثمار القلوب (ص: ٢٩٨) لعبد الله بن ثور الخفاجي، والبيت في المنمق في أخبار قريش (ص: ٣٧٣)، والأغاني (١٦/ ١٩٨)، والكامل (٢/ ١٠٦) بلا نسبة.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٢٥٠)، وتفسير القرطبي (١١/ ١٥٨).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها له في البحر المحيط (٧/ ٣٠٣)، وزاد آخرين، عزاها لبعضهم في مختصر الشواذ (ص: ٨٩).

(٥) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٤/ ٩٢).

واستدل بعض الناس بهذه الآية على أن الولد لا يكون عبداً[(١)]، وهذا انتزاعٌ بعيد.

و﴿عَبْدًا﴾: حالٌ.

ثم أخبر تعالى عن إحاطته ومعرفته بعبيده، فذكر الإحصاءَ، ثم كرر المعنى بغير اللفظ، وقرأ ابن مسعود: (لَقَدْ كَتَبَهُمْ وَعَدَّهُم).

وفي مصحف أُبَيٍّ: (لَقَد أَحصَاهم فَأَجْمَلهم عدداً)[(٢)].

وقوله: ﴿عَدًّا﴾ تأكيد للفعل، وتحقيقٌ له.

وقوله: ﴿فَرْدًا﴾ يتضمن معنى قلَّة النصر والحول والقوة، لا مُجير له ممَّا يريد الله به.

وقوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ ذهب أكثر المفسرين إلى أن هذا هو القبول الذي يضعه الله لمن يحبه من عباده حسب ما في الحديث المأثور.

وقال عثمان بن عفان: إنها بمنزلة قول النبي ﷺ: «من أَسَرَّ سريرةً أَلْبسه اللهُ رداءها»[(٣)].

وفي حديث أبي هريرة: قال رسول الله: «ما من عبد إلَّا وله في السماء صيت، فإن كان حسناً وُضع في الأرض حسناً، وإن كانَ سيِّئاً وُضع كذلك»[(٤)].

---

(١) انظر الاستدلال بالآية في: المبسوط للسرخسي (٧/ ٦٩)، وبداية المجتهد (٢/ ٣٧١)، ومغني المحتاج (٤/ ٤٩٩).

(٢) وهي شاذة مخالفة للمصحف، إن كانت، ولم نجد للمؤلف فيها سلفاً ولا خلفاً.

(٣) عزاه العجلوني في كشف الخفاء لابن أبي الدنيا في الإخلاص، ورواه الطبري (١٨/ ٢٦٢) من طريق قتادة: أن عثمان بن عفان كان يقول: ما من الناس عبد يعمل خيراً ولا يعمل شرّاً، إلا كساه الله رداء عمله.

(٤) إسناده ضعيف، أخرجه البزار في مسنده (٣٦٠٣ـ كشف)، والطبرانيُّ في الأوسط (٥٢٤٨)، وابنُ عدي في الكامل (٢/ ٥٨٥)، والبيهقي في الزهد (٨١٦) من طريق الجراح بن مليح، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً. قال البزار: لا نعلم رواه بهذا الإسناد إلا أبو وكيع. يعني: الجراح بن مليح، فهو والد وكيع بن الجراح، وقال ابنُ عدي: وهذا الحديث ما أعلم رواه عن =

وقال عبد الرحمن بن عوف: إنَّ الآية نزلت فيه، وذلك أنه لما هاجر من مكة استوحش بالمدينة، فشكا ذلك إلى النبي، فنزلت الآية في ذلك[١]؛ أي: ستستقر نفوس المؤمنين، ويوَدُّون حالهم ومنزلتهم.

وذكر النقَّاش أنها نزلت في علي بن أبي طالب[٢]، قال ابن الحنفية: لا تجد مؤمناً إلَّا وهو يحب عليّاً وأهل بيته[٣].

وقرأ الجمهور: ﴿وُدًّا﴾ بضم الواو، وقرأ أبو الحارث الحنفي بفتح الواو[٤].

ويحتمل أن تكون الآية متَّصلة بما قبلها في المعنى؛ أيْ: إن الله تعالى لمَّا أخبر عن إتيان كل مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ في حال العبودية والانفراد، آنس المؤمنين بأنه سيجعل لهم في ذلك اليوم وُدّاً، وهو ما يظهر عليهم من كرامته؛ لأن محبة الله للعبد هي ما يظهر عليه من نِعَمه وأمارات غُفرانه له.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾.

= الأعمش غير أبي وكيع وسعيد بن بشير، وكلاهما تكلَّم فيه أهل العلم. ويشهد له حديث أبي هريرة في البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧) أن النبي ﷺ قال: «إذا أحبَّ الله العبد نادى جبريل إنَّ الله يحبُّ فلاناً فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السَّماء: إنَّ الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السَّماء، ثم يوضع له القبول في الأرض».

(١) منكر، أخرجه الطبري (١٨/ ٢٦٣) من طريق عبد العزيز بن عمران، عن عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان، عن أبيه، عن أمه أم إبراهيم بنت أبي عبيدة بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيها، عن عبد الرحمن بن عوف فذكره، وعبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني الأعرج يعرف بابن أبي ثابت، متروك، احترقت كتبه فحدث من حفظه فاشتد غلطه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) نقله في البحر المحيط (٧/ ٣٠٥).

(٤) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٧/ ٣٠٥)، وأبو الحارث هذا لم أعرفه، وفي القراء: أبو الحارث الليث راوي الكسائي، وعيسى بن وردان المدني وغيرهما.

الضمير في ﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾ للقرآن، وهذا كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]؛ لأن المعنى يقتضي المراد وإن لم يتقدَّم ذكره، ووقع التَّيسير في كونه بلسان محمد ﷺ، وبلُغته المفهومة المبينة، وبشارةُ المتَّقين هي بالجَنَّة والنَّعيم الدائم والعزِّ في الدنيا.

و«القومُ اللُّدُّ»: هم قريش، ومعناه: مجادلين ومخاصمين بباطل، و«الأَلَدُّ»: المُخَاصم المبالغ في ذلك، وقال مجاهد: لُدّاً: فُجَّاراً[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا عندي فجور الخصومة، ولا يلدُّ إلَّا المبطل، [والألدُّ والألوى بمعنىً واحد][٢]، وفي الحديث: «أَبْغَضُ الرجال إلى الله الأَلَدُّ الْخَصم»[٣].

ثم لما وصفهم تعالى بأنهم لُدٌّ ـ وهي صفة سُوءٍ بحكم الشرع والحق ـ وجب أن يفسد[٤] عليهم بالوعيد والتمثيل بإهلاك مَن كان أشد منهم وأَلَدَّ وأعظم قَدْرَ ما كان يسرُّهم في أنفسهم من الوصف بـ﴿لُّدًّا﴾، فإن العرب بجهالتها وعتُوِّها وكفرها كانت تتمدَّح باللَّدَد، وتراه إدْراكاً وشهامة، فمن ذلك قول الشاعر:

[الخفيف] إنَّ تَحْتَ التُّرَاب عَزْماً وحَزْماً وَخَصيماً أَلَدَّ ذا مِغْلَاقِ[٥]

فمثَّل لهم بإهلاك من قبلهم؛ ليحتقروا أنفسهم ويتَبيَّن صغَر شأنهم، وعبَّرَ المفسرون عن اللُّدِّ بالْفَجَرة وبالظَّلمة، وتلخيص معناها ما ذكرناه.

و«القَرْنُ»: الأمَّة، و«الرِّكْزُ»: الصوتُ الخفي دون نُطْق بحروف ولا فم، وإنما هو

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٦٤)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٩١).

(٢) ليس في المطبوع.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) في المطبوع: «يقسو»، وفي نجيبويه والإماراتية: «يفسر».

(٥) تقدم في تفسير الآية (٢٠٤) من سورة البقرة، وفي الإماراتية ونور العثمانية ولالاليه: «الأحجار»، بدل «التراب».

صوت الحركات وخَشْفُهَا[١]، ومنه قول لبيد:

وتَوَجَّسَـتْ ركْـزَ الأَنيـس فَرَاعَهَـا   عَنْ ظَهْر غَيْبٍ والأنيسِ سَـقَامُها[٢]   [الكامل]

فكأنه قال: أو تسمع من أخبارهم قليلاً أو كثيراً، أو طرفاً خفيّاً ضعيفاً، وهذا يُرادُ به من تقدم أمره من الأمم ودَرَس خَبَـرُه، وقد يحتمل أن يريد: هل بقي لأحد منهم كلام أو تصويت بوجه من الوجوه؟ فيدخل في هذا مَن عُرف هلاكه من الأُمم.

تمَّ تفسير سورة مريم، والحمد لله ربِّ العالمين[٣].

(١) الخَشْفُ والخَشْفَةُ والخَشَفَةُ: الحركةُ والحس، وقيل: الحِسُّ الخفيّ، وفي نجيبويه: «خشفتها».

(٢) البيت من مُعَلَّقة لبيد، انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ١٤)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢٣٤)، وتهذيب اللغة(٢/ ٣١٨)، والصحاح للجوهري (١/ ٢١٦)، ومعنى تَوَجَّسَتْ: تسَمَّعتْ إلى صوت خفيٍّ، وفيها معنى الخوف عند التَّسَمُّع، والرِّكْز: الصوتُ الخفيُّ.

(٣) من المطبوع والحمزوية، وفي نجيبويه والإماراتية١و٢: «نجز تفسير سورة مريم عليها السلام والحمد لله كثيراً».

سورة طه

[٤/ ٢٠] / تفسير سورة طه على بركة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه السورة مكيَّة(١)

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿طه ۝١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ۝٤ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۝٨﴾.

اختلف الناس في قوله: ﴿طه﴾ بحسب اختلافهم في كل الحروف المتقدمة في أَوائل السُّور، إِلَّا قول من قال هنالك: إِن الحروف إِشارة إِلى حروف المعجم، كما تقول: (ا، ب، جـ، د)، فإِنه لا يترتب هاهنا؛ لأَن ما بعد (طه) من الكلام لا يصح أَن يكون خبراً عن (طه).

واختصت أيضاً (طه) بأَقوال لا تترتب في أَوائل السُّور المذكورة:

فمنها قول من قال: (طه) اسم من أَسماءِ محمد ﷺ.

---

(١) في المطبوع هنا زيادة: «وآياتها خمس وثلاثون ومئة»، ولم نجدها في شيء من المخطوطات كما أننا لم نجد مثله في السور الأخرى.

وقول من قال: (طه) معناه: (يا رجل) بالسريانية، وقيل: بغيرها من لغات العجم، وحكي أَنها لغة يمنية في عَكٍّ، وأَنشد الطبري في ذلك:

[الطويل] دَعَوْتُ بِطَهَ في القِتَالِ فَلَمْ يُجِبْ فخِفْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُوَائِلا[١]

ويروى: مُزايلاً، وقال الآخر:

[البسيط] إِنَّ السَّفَاهَةَ طهَ مِنْ خَلَائِقِكُمْ لَا بَارَكَ اللهُ فِي الْقَوْم الْمَلاعِينِ[٢]

وقالت فرقة: سبب نزول هذه الآية إنما هو ما كان رسول الله يتحمله من مشقَّة الصلاة حتى كانت قدماه تتورَّم وتحتاج إِلى الترويح [بين قدميه][٣]، فقيل له: طَأَ الأَرض[٤]؛ أَي: لا تتعب حتى تحتاج إِلى الترويح.

فالضمير في (طه) للأَرض، وخُفِّفَت الهمزة فصارت أَلفاً ساكنة.

وقرأت فرقة: (طَهْ)، وأَصله: طَأْ، فحذفت الهمزة وأُدخلت هاءُ السكت[٥].

وقرأَ ابن كثير، وابن عامر: ﴿طه﴾ بفتح الطاءِ والهاءِ، ورُوي ذلك عن قالون عن نافع، وروي [عن يعقوب عنه][٦] كسرهما، وروي عنه بين الفتح والكسر.

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٢٦٨)، وعزا البيت لِـمُتَمِّم بن نويرة، وذكر الرواية الأخرى فيه.

(٢) البيت ليزيد بن الـمُهَلْهِل، كما في الجامع لأحكام القرآن (١١/ ١٦٦)، وفي تفسير الثعلبي (٦/ ٢٣٦): وقال الكلبي: هو بلغة عكّ: يا رجل، قال شاعرهم، وهو بلا نسبة في تفسير الطبري (١٨/ ٢٦٨).

(٣) زيادة من لالاليه ونور العثمانية وأحمد٣.

(٤) لا يثبت، إنما نسبوه لابن مردويه في تفسيره عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما نزل على النبي ﷺ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قام الليل كله حتى تورمت قدماه، فجعل يرفع رجلاً ويضع رجلاً، فهبط عليه جبريل فقال: ﴿طه﴾ يعني: الأرضَ بقدميك يا محمد ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾...، وروي من حديث الربيع بن أنس مرسلاً. راجع الدر المنثور (١٠/ ١٥٤).

(٥) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٨٩) للحسن، وزاد الكرماني (ص: ٣٠٥) عكرمة وأبا حنيفة.

(٦) في المطبوع ونجيبويه: «يعقوب عنه»، وفي أحمد٣: «عن يعقوب».

وأَمالت فرقة، [وفخمت فرقة][١]، والتفخيم لغة الحجاز والنبي ﷺ.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿طِهِ﴾ بكسر الطاءِ والهاءِ.

وقرأَ أَبو عمرو: ﴿طَهِ﴾ بفتح الطاءِ وكسر الهاءِ[٢].

[وقرأت فرقة: (طَهْ)، بفتح الطاء وسكون الهاء، وقد تقدمت][٣].

ورُوي عن الضحاك وعمرو بن فائد أَنهما قرأا: (طَاوِي)[٤].

وقوله تعالى: ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾:

[قالت فرقة][٥]: معناه لتبلغ من نفسك في العبادة والقيام في الصلاة.

وقالت فرقة: إِنما سبب الآية: أَن قريشاً نظرت إِلى عيش رسول الله وشظفه وكثرة عياله، فقالت: إِن محمداً مع ربه في شقاءٍ، فنزلت الآية رادَّةً عليهم[٦]؛ أَي: إِن الله لم يُنزل القرآن ليجعل محمداً شقياً، بل ليجعله أَسعد بني آدم بالنعيم المقيم في أَعلى المراتب، فالشقاءُ الذي رأَيتم هو تَنَعُّم النفس، ولا شقاءَ مع ذلك، فهذا التأويل أَعم من الأَول في لفظة الشقاءِ.

وقوله: ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ يصح أَن ينصب على البدل من موضع ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾، ويصح أَن ينصب بفعل مضمر تقديره: لكن أَنزلناه تذكرة.

و﴿يَخْشَىٰ﴾ يتضمن الإِيمان والعمل الصالح؛ إِذ الخشية باعثة على ذلك.

وقوله: ﴿تَنزِيلًا﴾ نصب على المصدر.

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) فيها ثلاث قراءات سبعية: إمالة الحرفين لشعبة وحمزة والكسائي، وإمالة الهاء وحدها لأبي عمرو وورش، وفتحهما للباقين.

(٣) ليس في المطبوع.

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في المحتسب (٢/ ٤٧).

(٥) ليس في المطبوع ونجيبويه والإماراتية.

(٦) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٦٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بنحوه.

وقوله: ﴿مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى﴾ صفة أَقامها مقام الموصوف، وأَفاد ذلك العبرة والتذكرة وتحقير الأَوثان وبعث النفوس على النظر.

و﴿ٱلۡعُلَى﴾ جمع عُلْيا، فُعْلى.

وقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ رفع بالابتداء، ويصح أَن يكون بدلاً من الضمير المستقر في ﴿خَلَقَ﴾.

وقوله: ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ قالت فرقة: هو بمعنى: استولى، وقال أَبو المعالي وغيره من المتكلمين: هو بمعنى استواءِ القهر والغلبة[(١)]، وقال سفيان الثوري: فَعَل فعلًا في العرش سماه استواءً، وقال الشعبي وجماعة غيره: هذا من متشابه القرآن، نؤمن به ولا نعرض لمعناه.

وقال مالك بن أَنس لرجل سأَله عن هذا الاستواء، فقال له مالك: الاستواءُ معلوم، والكيفية مجهولة، والسؤال عن هذا بدعة، وأَظنك رجل سوءٍ، أَخرجوه عني، فأَدبر السائل وهو يقول: يا أَبا عبد الله، لقد سأَلت عنها أَهل العراق وأَهل الشام فما وفِّق فيها أَحد توفيقك[(٢)].

قال القاضي أَبو محمد: وضعَّف أَبو المعالي قول من قال: لا يتكلم في تفسيرها، بأن قال: إِن كل مؤمن يجمع على أَن لفظة الاستواءِ ليست على عُرفها في معهود الكلام العربي، فإِذا فعل هذا فقد فسَّر ضرورة، ولا فائدة في تأَخُّره عن طلب الوجه والمخرج البيِّن، بل في ذلك إِلباسٌ على الناس، وإِيهامٌ لِلْعَوامِّ[(٣)]، وقد تقدم القول في مسأَلة الاستواءِ[(٤)].

وقوله: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية، تمادٍ في الصفة المذكورة المُنَـبِّهَة على الخالق

(١) انظر ما نسبه المؤلف لأبي المعالي في: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٣٧٦).
(٢) انظر قول مالك في: الهداية لمكي (٧/ ٤٦١١).
(٣) لم أقف على هذا الكلام بلفظه، لكن انظر درء التعارض بين العقل والنقل لابن تيمية (٥/ ٢٤٩).
(٤) وقد تقدم مثل هذا في تفسير الآية (٥٤) من سورة الأعراف، والآية (٢٩) من سورة البقرة.

المنعم، وفي قوله: ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ قصص في أَمر الحوت ونحوه اختصرته لعدم صحته، والآية مُضَمَّنَةٌ أَن كل موجود مُحْدث فهو لله بالملك والاختراع، ولا قديم سواه تعالى.

و﴿ٱلثَّرَىٰ﴾: التراب الندي.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ﴾ معناه: وإِن كنتم أَيها الناس إِذا أَردتم إِعلام أَحد بأَمر، أَو مخاطبة أَوثانكم وغيرها، فأَنتم تجهرون بالقول، فإِن الله الذي هذه صفاته يعلم السِّرَّ وأَخفى، فالمخاطبة بـ(تَجْهَرْ) لمحمد ﷺ، وهي مراد بها جميع الناس إِذ هي آية اعتبار.

واختلف الناس في ترتيب السِّرّ وما هو أَخفى منه:

فقالت فرقة: السِّرُّ هو الكلام الخفيُّ الخافت كقراءة السِّرِّ في الصلاة، والأَخْفَى هو ما في النفس.

[وقالت فرقة: هو ما في النفس][1] متحصلًا، [والأخفى هو ما سيكون فيها في المستأنف][2].

وقالت فرقة: السِّرُّ هو ما في نفوس البشر، وكلُّ ما يمكن أَن يكون فيها في المستأْنف بحسب الممكنات من معلومات البشر، والأَخفى هو ما من معلومات الله، لا يمكن أَن يعلمه البشر أَلبَتَّـةَ.

قال القاضي أَبو محمد: فهذا كله معلوم لله عزَّ وجلَّ، / وقد تُؤُوِّل على بعض [٤/ ٢١] السلف أَنه جعل ﴿وَأَخْفَى﴾ فعلاً ماضياً، وهذا ضعيف.

و﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ يراد بها التسميات[3] التي تضمنت المعاني التي هي في غاية الحُسْن، ووحَّد الصفة مع جَمْع الموصوف لمَّا كانت التسميات[4] لا تعقل، وهذا

---

(١) ليس في المطبوع ونجيبويه، وهو في الإماراتية ملحق في الهامش.

(٢) زيادة من نور العثمانية ولالاليه والإماراتية وأحمد٣.

(٣) في المطبوع ونجيبويه ولالاليه: «الـمُسَمَّيات» في الموضعين.

(٤) في أحمد٣: «السماوات».

جارٍ مجرى ﴿مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ﴾ [طه: ١٨]، و﴿أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠] وغيره، وذكر أَهل العلم أَن هذه الأَسماء هي التي قال فيها رسول الله ﷺ: «إِن لله تسعةً وتسعين اسماً، مئة إِلَّا واحداً، من أَحصاها دخل الجنة»(١)، [وذكرها الترمذي وغيره مسندة](٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ٩ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾.

هذا الاستفهام هو توقيف، مضمنه تنبيه النفس إِلى استماع(٣) ما يُورد عليها، وهذا كما تبدأُ الرجل إِذا أَردت إِخباره بأَمر غريب فتقول: أَعلمتَ كذا وكذا؟ ثم تبدأُ تخبره.

والعامل في ﴿إِذۡ﴾ ما تضمنه قوله: ﴿حَدِيثُ﴾ من معنى الفعل، وتقديره: وَهَلْ أَتاكَ ما فعل موسى إِذْ رَأى ناراً؟ أو نحو هذا.

وكان من قصة موسى عليه السلام أَنه رحل من مَدْيَن بأَهله بنت شعيب وهو يريد أَرض مصر، وقد طالت مدة جنايته هنالك، فرجا خفاءَ أَمره، وكان ـ فيما يزعمون ـ رجلاً غيوراً، فكان يسير الليل بأَهله ولا يسير النهار مخافة كشفة الناس، فضلَّ عن طريقه في ليلة مظلمة وندية، ويُروى: أَنه فقد الماءَ فلم يدر أَين يطلبه، فبينا هو كذلك ـ وقد قدح زَنْده فلم يُورِ شيئاً ـ إِذْ رَأى ناراً فَقالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا، أَي: أَقيموا، وذهب هو إِلى النار فإِذا هي مضطرمة في شجرة خضراءَ يانعة، قيل: كانت من عُنَّاب، وقيل: من عوسج، وقيل: من عُلَّيقة، فكلما دنا منها تباعدت منه ومشت، فإِذا رجع عنها اتَّبعته،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) ليس في المطبوع، وهو في الإماراتية ملحق في الهامش، وقد تقدم الكلام على هذا الحديث، انظر سورة الأعراف آية (١٨٠).
(٣) ليست في المطبوع.

فلما رأَى ذلك أَيقن أَن هذا أَمر من أُمور الله تعالى الخارقة للعادة، ونودي[١] وانقضى أَمره كله[٢] في تلك الليلة، هذا قول الجمهور، وهو الحق[٣].

وحكى النقاش عن ابن عباس: أَنه أَقام في ذلك الأَمر حولاً، ومكثه أَهله[٤].

وهذا أَمر غير صحيح عن ابن عباس، وضعيف في نفسه.

و﴿ءَانَسْتُ﴾: معناه: أَحْسَسْتُ، ومنه قول الحارث بن حِلِّزة:

آنَسَتْ نَبْأَةً وأَفْزَعَهَا القنْـ ... ـناصُ ليلاً وَقَدْ دَنَا الإِمْسَاءُ[٥] [الخفيف]

والنار على البعد لا تُحَسُّ إِلَّا بالأبصار، فلذلك فسَّر بعضهم اللفظ بـ(رَأَيْتُ)، وآنَسَ أَعَمُّ من رَأَى؛ لأَنك تقول: آنسْتُ من فلانٍ خيراً أَو شرّاً.

و«القَبَسُ»: الجذوة من النار على رأْس العود أَو القصبة أَو نحوه، و«الهُدَى»: أَراد هدى الطريق، أَي: لعلِّي أَجد ذا هدى؛ أي مرشداً لي أَو دليلاً، وإِن لم يكن فخبراً، والهُدى يعُمُّ هذا كله، وإِنما رجا موسى عليه السلام هُدى نازِلَتِهِ، فصادف الهدى على الإِطلاق.

وفي ذكر قصة موسى بأَسرها في هذه السورة تسلية للنبي عمَّا لقي في تبليغه من المشقات وكُفْر الناس، فإِنما هي له على جهة التمثيل في أَمره.

ورُوي عن نافع وحمزة: ﴿لأَهْلِهُ امكُثوا﴾ بضمة الهاء الثانية[٦]، وكذلك في (القَصَص)، وكسر الباقون الهاءَ فيهما[٧].

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٣) تفسير السمعاني (٣/ ٣٢٢)، والهداية لمكي (٧/ ٤٦١٨).

(٤) لم أهتد إليه.

(٥) البيت من معلقته انظر: الزاهر للأنباري (٢/ ١٣٨)، والحيوان (٤/ ٣٨٨)، ومقاييس اللغة (١/ ١٤٥)، وفي المطبوع وأحمد٣: «عَصْراً».

(٦) من أحمد٣.

(٧) وهما سبعيتان، انظر الضم لحمزة في التيسير (ص: ١٥٠)، ولنافع من رواية المسيبي في السبعة (ص: ٤١٧).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ الضمير عائد على النار، وقوله: ﴿نُودِىَ﴾ كناية عن تكليم الله له، وفي ﴿نُودِىَ﴾ ضمير يقوم مقام الفاعل، وإِن شئت جعلته موسى؛ إِذ قد جرى ذكره.

وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿إِنِّىٓ﴾ بكسر الأَلف على الابتداء، وقرأ ابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿أَنِّيَ﴾ بفتح الأَلف[1] على معنى: لِأجل أَني أَنا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ، و(نُودي) قد توصل بحرف الجر، وأَنشد أَبو علي:

[الكامل] نَادَيْتُ بِاسْمِ رَبيعَةَ بْنِ مُكَدَّمٍ إِنَّ المنوَّهَ بِاسْمِهِ الْمَوْثُوقُ[2]

واختلف المتأَولون في السبب الذي من أَجله أُمر بخلع النَّعلين:

فقالت فرقة: كانتا من جلْد حمار ميت، فأُمر بطرح النجاسة[3].

وقالت فرقة: بل كانت نعْلاه من جلد بقرة ذَكِيٍّ، ولكن أُمر بخلعهما لينال بركة الوادي المقدس، وتمسَّ قدماه تربة الوادي[4].

وتحتمل الآية معنى آخر هو الأَليق بها عندي، وذلك أَن الله تعالى أَمره أَن يتواضع لعظيم الحال التي حصل فيها، والعُرف عند الملوك أَن تخلع النعلان ويبلغ الإنسان إِلى غاية تواضعه، فكأَن موسى عليه السلام أُمر بذلك على هذا الوجه، ولا نبالي كانت نعلاه من ميتة أَو غيرها.

و﴿ٱلْمُقَدَّسِ﴾ معناه: الـمُطَهَّر.

و﴿طُوًى﴾ معناه: مرَّتين مرَّتين، فقالت فرقة: معناه: قدِّسْ مرتين، وقالت فرقة: معناه: طويْتَهُ أَنتَ؛ أَيْ: سرتَ فيه؛ أَي: طُويت لك الأَرضُ مرتين من طيك[5].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤١٧)، والتيسير (ص: ١٥٠).

(٢) البيت في الحجة لأبي علي (٥/ ٢١٨)، بلا نسبة.

(٣) الموطأ رواية يحيى الليثي (٢/ ٩١٦)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٢٧)، وتفسير الطبري (١٨/ ٢٧٨).

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ٢٧٩).

(٥) في المطبوع ونجيبويه: «ظنك».

وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿طُوًى﴾ بالتنوين على أنه اسم المكان، وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرٍو: ﴿طُوَى﴾ على أنه اسم البقعة، بدون تنوين[١].

وقرأ هؤلاءِ كلهم بضم الطاءِ، وقرأ أبو زيد عن أبي عمرو بكسر الطاء[٢].

وقرأت فرقة: (طاوِي)[٣]، وقالت فرقة: هو اسم الوادي.

و﴿طُوًى﴾ على التأويل الأول بمنزلة قولهم ثُنًى وثِنًى؛ أيْ: مَثْنِيًّا.

وقرأ السبعة غير حمزة: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾، ويؤيد هذه القراءة تناسبها مع قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكَ﴾، وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (وَإِنِّي اخْتَرْتُكَ)[٤].

وقرأ حمزة وحده[٥]: ﴿وَأَنَّا اخْتَرْنَاكَ﴾ بالجمع وفتح الهمزة وشدِّ النون[٦]، والآية على هذا بمنزلة قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ﴾ ثم قال: ﴿وَءَاتَيْنَا﴾ [الإسراء: ١-٢] فخرج من إفرادٍ إلى جمع.

وقرأت فرقة: (وَإِنَّا اخْتَرْنَاكَ) بكسر الألف[٧].

قال القاضي أبو محمد: وحدثني أبي رضي الله عنه قال: سمعت أبا الفضل الجوهري يقول: لمَّا قيل لموسى: ﴿فَٱسْتَمِعْ﴾ وقف على حجر، واستند إلى حجر، ووضع يمينه على

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٠)، والسبعة (ص: ٤١٧)، وفي المطبوع والإماراتية ونجيبويه: «وابن عامر» بدل «ابن كثير».

(٢) وليست من طرق التيسير، انظرها في السبعة (ص: ٤١٧)، وفيه: أبو زيد عن أبي عمرو، وفي المطبوع: «ابن زيد».

(٣) وهي شاذة عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٩٠)، والبحر المحيط (٧/ ٣١٦) لعيسى بن عمر والضحاك.

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها له في الحجة لأبي علي (٥/ ٢٢١).

(٥) ليس في الأصل.

(٦) وهي والأولى سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥١).

(٧) وهي شاذة انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ١٢٧)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٠٥) لابن مسعود والسلمي وطلحة.

[٤/ ٢٢] شماله، وألقى ذقنه على صدره، / ووقف يستمع، وكان كل لباسه صوفاً[١].

وقرأت فرقة: (بِالْوَادِي المقدس طاوي)[٢].

وقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ يحتمل أن يريد: لتذكرني[٣] فيها، أو يريد: لأذكرك في عِلِّيِّين بها، فالمصدر على هذا يحتمل الإضافة إلى الفاعل أو إلى المفعول، واللامُ لام السبب.

وقالت فرقة: معنى قوله: ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾؛ أي: عند ذكري؛ أي: إذا ذكرتني وأمْري لك بها، فاللام على هذا بمنزلتها في قوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

وقرأت فرقة: (لِلذِّكْرَى)، وقرأت فرقة: (لِذِكْرَى) بغير تعريف، وقرأت فرقة: (لِلذِّكْرِ)[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾﴾.

في قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ تحذيرٌ ووعيدٌ؛ أي: اعبدني فإن عقابي وثوابي بالمرصاد، و﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ في هذه الآية: القيامة، بلا خلاف.

وقرأ ابن كثير، والحسن، وعاصم ومجاهد: (أَكَادُ أَخْفِيهَا) بفتح الهمزة[٥]،

---

(١) تفسير الثعالبي (٣/ ٢٥).

(٢) وهي شاذة، وتقدم عزوها لعيسى بن عمر والضحاك.

(٣) كتبت في الأصل: «لتذكيري».

(٤) وكلها شاذة، انظر عزو الأولى لابن عباس وأبي رجاء في الشواذ للكرماني (ص: ٣٠٦)، وانظر: إعراب القرآن للنحاس(٣/ ٣٥)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٢٨)، وجزء قراءات النبي ﷺ لحفص بن عمر (ص: ١٢٧).

(٥) وهي شاذة، تابعه على ابن كثير وعاصم في البحر المحيط (٧/ ٣١٨)، وعزاها للحسن وسعيد بن =

بمعنى: أُظهرها؛ أَي: إنها من صِحَّةِ وقوعها وتَيَقُّن كونها تكاد تظهر، لكن تنحجب إِلى الأَجل المعلوم، والعرب تقول: خفَيْتُ الشيءَ بمعنى: أَظْهَرته، ومنه قول امرئ القيس:

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّما خَفَاهُنَّ وَدْقٌ مِنْ سحاب مُجَلِّبِ[1] [الطويل]

ومنه قوله أَيضاً:

فَإِن تَدْفِنُوا الدَّاءَ لَا نَخْفِهِ وَإِنْ توقدوا الْحَرْبَ لَا نَقْعُدُ[2] [المتقارب]

قال أَبو علي: المعنى: أُزيل خفاءها[3]، وهو ما تُلَفُّ به القربة ونحوها.

وقرأَ الجمهور: ﴿أُخْفِيهَا﴾ بضم الهمزة، واختلف المتأَولون في معنى الآية.

فقالت فرقة: معناها أُظْهِرُها، وأَخْفَيْتُ من الأَضداد، وهذا قول مختل.

وقالت فرقة: معناها أَكاد أُخفيها من نفسي، على معنى العبارة عن شدة غموضها على المخلوقين.

وقالت فرقة: المعنى: إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكادُ، وتمَّ الكلام، بمعنى: أَكادُ أُنفذها لقربها وصحة وقوعها، ثم استأْنف الإخبارَ بأَنه يُخفيها، وهذا قلق.

وقالت فرقة: (أَكَادُ) زائدة، لا دخول لها في المعنى، بل تضمنت الآية الإِخبار بأَن الساعة آتية، وأَن الله يخفي وقت إِتيانها عن الناس.

= جبير ومجاهد في المحتسب (٢/ ٤٦)، وللأولين في تفسير الثعلبي (٦/ ٢٤١)، ومجاهد زيادة من أحمد٣، وما في حاشية المطبوع: «أنها رواية أبي بكر عنه لا أساس له».

(١) انظر عزوه له في تفسير الثعلبي (٦/ ٢٤١)، ومجاز القرآن (٢/ ١٧)، والمحتسب (٢/ ٤٦)، والحيوان (٦/ ١٣٠)، والمحكم (٦/ ٤٤٧)، وتهذيب اللغة (٣/ ٢٧)، ومعجم مقاييس اللغة (٢/ ٢٠٢)، والصحاح للجوهري (٦/ ١٧٩)، وفي المطبوع: «عَشِيٍّ»، بدل «سحاب».

(٢) البيت لامرئ القيس أيضاً كما في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٥٢)، وأمالي المرتضي (٢/ ١٣)، والحيوان (٥/ ٣٠٦)، ومعاهد التنصيص (١/ ١٧١)، وفي المطبوع: «تَبْعَثُوا»، بدل «توقدوا».

(٣) الحجة لأبي علي (٥/ ٢١٥).

وقالت فرقة: أَكَادُ بمعنى: أُريد، فالمعنى: أُريد[١] إِخفاءَها عنكم؛ لِتُجْزَى كل نفس بما تسعى، واستشهد قائل هذه المقالة بقول الشاعر:

كَادَتْ وَكِدْتُ وَتِلْكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ[٢] .... [الكامل]

وقد تقدم هذا المعنى.

وقالت فرقة: (أَكَادُ) على بابها، بمعنى أَنها لمقاربة ما لم يقع، لكن الكلام جارٍ على استعارة العرب ومجازها، فلما كانت الآية عبارة عن شدة خفاءِ أَمْرِ القيامة ووقتها، وكان القطع بإِتيانها مع جهل الوقت أَهيبَ على النفوس، بالغ قوله تعالى في إِعْتام وقتها فقال: ﴿أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ حتى لا تظهر ألبَتَّـةَ، ولكن ذلك لا يقع، ولا بُدَّ من ظهورها، فهذا تلخيص هذا المعنى الذي أَشار إِليه بعض المفسرين، وهو الأَقوى عندي.

ورأى[٣] بعض القائلين بأَن المعنى: (أَكَادُ أُخْفِيها من نفسي) ما في القول من القلق، فقالوا: معنى (من نفسي): من تلقائي، ومن عندي.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا رفض للمعنى الأَول، ورجوع إِلى هذا القول الذي اخترناه أَخيراً، فتأَمله.

واللام في قوله تعالى: ﴿لِتُجۡزَىٰ﴾ متعلقة بقوله: ﴿ءَاتِيَةٌ﴾، وهكذا بترتيب الوعيد.

و﴿تَسۡعَىٰ﴾ معناه: تكسب وتجترح.

والضمير في قوله: ﴿عَنۡهَا﴾ عائد على السَّاعَة، يريد: الإِيمان بالساعة، فأَوقع الضمير عليها، ويحتمل أَن يعود على الصلاة.

وقالت فرقة: المراد عن (لا إِله إِلا الله)، وهذا متَّجه، والأَوَّلان أَبين وجهاً.

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٢٨٥، ٢٨٦).

(٢) صدره: لَوْ عَادَ مِنْ عَهْدِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى وقد سبق الاستشهاد في سورة مريم: (٩٠).

(٣) في المطبوع: «روى».

وقوله تعالى: ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ معناه: تَهْلِكَ، و«الرَّدَى»: الهلاك، ومنه قول دُرَيْد بن الصِّمَّة:

تَنَادَوا فَقَالُوا: أَرْدَتِ الخيلُ فارساً فقلت: أَعَبْدُ اللَّهِ ذَلِكُمُ الرَّدِي(١) [الطويل]

وهذا الخطاب كلُّه لموسى عليه السلام، وكذلك ما بعده.

وقال النقاش: الخطاب: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾ لمحمد ﷺ(٢)، وهذا بعيد.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (أَكَادُ أُخْفِيها مِنْ نَفْسِي)(٣)، وعلى هذه القراءة تركَّب ذلك القول المتقدم.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ تقرير(٤)، ومُضَمَّنُه التنبيه وجمع النفس لتلقِّي ما يورد عليها، وإِلَّا فقد علم الله ما هي في الأَزل.

وقوله: ﴿بِيَمِينِكَ﴾ من صلة ﴿تِلْكَ﴾، وهذا نظير قول الشاعر:

عَدَسْ مَا لِعَبَّاد عَلَيْكِ إِمَارَةٌ نَجَوْتِ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ(٥) [الطويل]

قال ابن الجوهري: رُوي في بعض الآثار: أَن الله تعالى عتب على موسى إِضافة العصا إِلى نفسه في ذلك الموطن، فقيل له: ﴿أَلْقِهَا﴾ ليرى منها العجب فيعلم أَنه لا ملك له عليها، ولا تنضاف إِليه(٦).

وقرأَ الحسن، وأَبو عمرو بخلاف عنه: (عَصَايِ) بكسر الياء مثل غلامي.

---

(١) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ١٧)، والاختيارين للأخفش (ص: ٦٥)، والأصمعيات (ص: ١٠٨)، والعقد الفريد (٥/ ١٤٦).

(٢) تفسير الثعالبي (٣/ ٢٦).

(٣) وهي شاذة، عزاها له في زاد المسير (٣/ ١٥٤) ولآخرين، وعزاها ابن قتيبة في غريب القرآن (ص: ٢٧٧) لأبي، وزاد له في معاني القرآن للفراء (٢/ ١٧٦): (فكيف أظهركم عليها)، ونقل الطبري (١٨/ ٢٨٦) عن قتادة أنها في بعض الحروف.

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «تقديره».

(٥) البيت ليزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري، كما تقدم البيت في سورة البقرة الآية (٨٥).

(٦) تفسير القرطبي (١١/ ١٨٦).

وقرأَت فرقة: (عَصَيَّ)[١]، وهي لغة هُذَيْل، ومنه قول أَبي ذؤَيب:

[الكامل] سَبَقُوا هَوَيَّ وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمُ[٢] ....

وقرأَ الجمهور: ﴿عَصَاىَ﴾ بفتح الياء، وقرأ ابن أَبي إِسحاق: (عَصَايْ) بياءٍ ساكنة[٣].

ثم ذكر موسى عليه السلام من منافع عصاه عُظْمها وجُمْهورها، وأَجمل سائر ذلك.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَأَهُشُّ﴾ بضم الهاءِ والشين المنقوطة، ومعناه: أَخبط بها الشجر حتى ينتشر الورق للغنم.

وقرأَ إِبراهيم النَّخَعي: (وَأَهِشُّ) بكسر الهاءِ، والمعنى كالذي تقدم.

وقرأَ عكرمة مولى ابن عباس: (وَأَهُسُّ) بضم الهاءِ والسِّين غير منقوطة[٤]، ومعناه: أَزجر بها[٥] وأُخَوِّف.

وقرأَت فرقة: ﴿عَلَىٰ غَنَمِى﴾ بالجرِّ، وقرأَت فرقة: (عَلَيَّ[٦] غَنَمِي)، فأَوقع الفعل على الغنم، وقرأَت فرقة: (غَنْمِي) بسكون النون، ولا أَعرف لها وجهاً[٧].

وقوله: ﴿أُخْرَىٰ﴾ فوَحَّد مع تقدم الجمع، هو الـمَهْيَع في توابع جمع ما لا يعقل، والكناية عنه، فإِن ذلك يجري مجرى الواحدة المؤنثة، كقوله: ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨]، وكقوله: ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠]، وقد مرَّ القول في هذا المعنى غير مرة.

---

(١) وهما شاذتان، انظرهما في المحتسب (٢/ ٤٧-٤٨).
(٢) هذا صدر بيت، وعجزه: فتُخِرِّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ، وقد تقدم في أول البقرة.
(٣) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٤٨).
(٤) والقراءتان شاذتان، انظرهما في المحتسب (٢/ ٤٩).
(٥) في المطبوع: «أزجرها».
(٦) «فرقة عليَّ»: ليس في الأصل، وسقطت القراءة الثانية كلها من نور العثمانية.
(٧) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٧/ ٣٢٢).

وعصا موسى عليه السلام هي التي كان أَخذها من بيت عِصِيِّ[١] الأَنبياء الذي كان عند شعيب عليه السلام حين اتفقا على الرعية، وكانت عصا آدم هبط بها من الجنة، وكانت من العَير[٢] الذي في ورق الريحان، وهو الجسم المستطيل في وسطها، وقد تقدم شرح أمرها فيما مضى/ . [٤/ ٢٣]

قوله عز وجل: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾.

لما أراد الله تعالى أن يُدَرِّبه في تلقِّي النبوءة وتكاليفها أمره بإلقاء العصا، فأَلْقاها موسى، فقلب اللهُ أوصافها وأعراضها[٣]، وكانت عصا ذات شعبتين فصارت الشعبتان لها فماً، وصارت حيَّةً تَسْعى؛ أي: تنتقل وتمشي وتلتقم الحجارة، فلما رآها موسى رأى عبرة، فولَّى مُدْبِراً ولم يُعقِّب، فقال اللّه تعالى له: خُذْها وَلا تَخَفْ وذلك أنه أوجس في نفسه خيفة؛ أي: لحقه ما يلحق البشر، ورُوِي: أن موسى تناولها بِكُمَّي جُبَّته، فنُهي عن ذلك[٤]، فأخذها بيده فصارت عصا كما كانت أول مرة وهي سِيرَتها الْأُولى.

ثم أمره الله عز وجل أن يضم يده إلى جَنْبِه وهو الجناح استعارة ومجازاً، ومنه قول الراجز:

---

(١) كتبت في المطبوع: «عصا» بالألف الطويلة.

(٢) في المطبوع: «العين».

(٣) في المطبوع: «وأغراضها».

(٤) تفسير القرطبي (١١/ ١٩٠).

[الرجز] أَضُمُّهُ لِلصَّدْرِ وَالجَنَاحِ[(١)]

وبعض الناس يقولون: الجناح اليد، وهذا كله صحيح على طريق الاستعارة، ألا ترى أن جعفر بن أبي طالب يسمى ذا الجناحين بسبب يديه حين أقيمت له الجناحان مقام اليدين شبه بجناح الطائر.

وكلُّ مرعُوبٍ من ظُلْمة أو نحوها فإنه إذا ضمَّ يده إلى جناحه فتر رعبه، وربط[(٢)] جأشه، فجمع الله لموسى عليه السلام تفتير الرعب مع الآية في اليد، وروي: أن يد موسى خرجت بيضاءَ تشِفُّ وتضيءُ كأنها شمس[(٣)].

وقوله: ﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾، أي: من غير بَرَصٍ ولا مُثْلَة، بل هو أمر يَنْحَسر ويعود لحكم الحاجة إليه.

وقوله: ﴿لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى﴾ يحتمل أن يريد وصف الآيات بالكبر على ما تقدم من قوله: ﴿ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [طه: ٨]، و﴿مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ﴾ [طه: ١٨]، ونحوه، ويحتمل أن يريد تخصيص هاتين الآيتين بأنهما أكبر الآيات كأنه قال: لِنُرِيَكَ الكبرى [من آياتنا][(٤)] فهما معنيان.

ثم أمره تبارك وتعالى بالذهاب إلى فرعون، [وهو مصعب بن الرَّيَّان في بعض ما قيل، وقيل غير هذا، ولا صحة لشيء من ذلك.

و﴿طَغَىٰ﴾ معناه: تجاوز الحدَّ في فساد، وقوله][(٥)]: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ الآية، لما أمره الله تعالى بالذهاب إلى فرعون علم أنها الرسالة، وفهم [قدْر التكليف، فدعا الله في المعونة إذْ لا حولَ له إلَّا به.

---

(١) البيت في مجاز القرآن (٢/ ١٨)، وتفسير الطبري (١٨/ ٢٩٧) بلا نسبة.

(٢) في المطبوع: «وجمع».

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٩١).

(٤) ليس في الأصل ونجيبويه.

(٥) ليس في أحمد٣ ولالاليه.

وقوله: ﴿ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ معناه: لفهم ما يرد علي من الأُمور][1].

والْعُقْدَة التي دعا في حَلِّها هي التي اعترته بالجمرة التي جعلها في فيه حين جرَّبه فرعون.

ورُوي في ذلك: أن فرعون أراد قتل موسى وهو طفل حين مدَّ يده إلى لحية فرعون، فقالت له امرأَته: إنه لا يعقل، فقال: بل[2] هو يعقل، وهو عدو لي، فقالت له: نُجَرِّبه قال: أَفعل، فدعت بجمرات من نارٍ وبطبق فيه ياقوت، فقالا: إِن أَخذ الياقوت علمنا أَنه يعقل، وإِن أَخذ النار عذرناه، فمدَّ موسى يده إِلى جمرة فأَخذها فلم تَعْدُ على يده، فجعلها في فيه فأَحرقته، وأَورثت لسانه عُقْدة في كِبَره؛ أَي: حَبْسَة مُلْبِسَةً في بعض الحروف[3].

قال ابن الجوهري: كفَّ الله تعالى النار عن يده لئلا تقول النار: طبعي، واحترق لسانه لئلا يقول موسى: مكانتي.

وموسى عليه السلام إِنما طلب من حلِّ العقدة قدْر أَن يُفْقَه قولُه، فجائز أَن يكون ذلك كله زال، وجائز أَن يكون بقي منه القليل، فيجتمع أَن يُؤْتى هو سُؤْلَه، وأَن يقول فرعون: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢] ولا يكاد يبين، ولو فرضناه زال جملةً لكان قول فرعون سبّاً لموسى لحالته القديمة.

و«الوَزِيرُ»: الـمُعين القائم بِوِزْر الأُمور، وهو ثقلها، ويحتمل الكلام أَن طلب الوزير من أَهله على الجملة، ثم أَبدل هارون من الوزير المطلوب، ويحتمل أَن يريد: واجعل هارون وزيراً، فإِنما ابتدأ الطلب فيه، فيكون على هذا مفعولاً أَولاً بـ(اجْعَلْ).

وكان هارون عليه السلام أَكبر من موسى بأَربعة أَعوام.

وقرأَ ابن عامرٍ وحده: ﴿أَشْدُدْ﴾ بفتح الهمزة، ﴿وَأُشْرِكْهُ﴾ بضمها على أَن

(١) ليس في أحمد٣ ولالاليه، وفي الإماراتية: «لنفهم»، بدل «لفهم».
(٢) في المطبوع: «بَلَى».
(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٣٠٠) من طريق السدي.

موسى أَسند هذه الأَفعال إِلى نفسه، ويكون الأَمر هنا لا يريد به النبُوَّة، بل يريد تدبيره ومساعيه(١)؛ لأن النُّبُوَّة لا يكون لموسى أَن يشرك فيها بشراً، وقرأَ الباقون: ﴿ٱشْدُدْ﴾ بضم الهمزة، ﴿وَأَشْرِكْهُ﴾(٢) على معنى الدعاء في شدِّ الأزر وتشريك هارون في النُّبُوَّة، وهذه هي الوَجْه؛ لأَنها تناسب ما تقدم من الدعاء، وتعضدها آياتٌ غير هذه بطلبه تقضي تصديق هارون إِيَّاه.

و«الأَزْرُ»: بمعنى الظهر، قاله أَبو عبيدة(٣)، كأَنه قال: [شُدَّ به عوني](٤)، واجعله مُقَاومي فيما أُحاوله من الأُمور، وقال امرؤُ القيس:

[الطويل]

بِمَحْنِيَّةٍ قَدْ آزَرَ الضَّالَ نَبْتُهَا ... مَجَرَّ جُيُوش غَانِمِينَ وَخُيَّبِ(٥)

[أَي: قاوَمَهُ وصار في طوله](٦).

وفتح أَبو عمرو وابن كثير الياءَ من ﴿أَخِى﴾ وسكَّنها الباقون(٧)، ورُوي عن نافع: ﴿وَأَشْرِكْهُو﴾ بزيادة واوٍ في اللفظ بعد الهاءِ(٨).

ثم جعل موسى عليه السلام ما طلب من نعم الله تعالى سبباً يلزم كثرة العبادة والاجتهاد في أَمر الله، وقوله: ﴿كَثِيرًا﴾ نعت لمصدر محذوف، تقديره: تسبيحاً كثيراً.

---

(١) في نجيبويه: «ومناجيه».
(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥١).
(٣) مجاز القرآن (٢/ ١٨).
(٤) في الإماراتية: «سدد به عضدي»، مع الإشارة للمثبت في الهامش، وعليه تصحيح.
(٥) انظر عزوه له في السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٨١)، وأساس البلاغة (١/ ٥٨٧)، والمحكم (٩/ ٧٦).
(٦) ليس في نجيبويه.
(٧) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٤).
(٨) وهي سبعية لابن كثير على قاعدته، وهي رواية المسيبي كما في السبعة في القراءات (ص: ٤١٨)، وجامع البيان (٣/ ١٣٥٤).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾.

المعنى: قال الله تعالى: قد أُعطيت يا موسى طلبتك في شرح الصدر، وتيسير الأَمر، وحلّ العُقدة، إِمَّا بالكُلِّ وإِمَّا على قدر الحاجة في الإفقاه[1]، وإتيان هذا السؤال مِنَّة من الله عزَّ وجلَّ، فقرن إِليها عز وجل قديم مِنَّته عنده على جهة التوقيف عليها ليَعْظُم اجتهاده وتَقْوى بصيرته.

وكان من قصة موسى فيما روي: أَن فرعون ذُكر له أَن خراب / ملكه يكون [٤/ ٢٤] على يدي غلام من بني إِسرائيل، فأَمر بقتل كل ولد يولد لبني إِسرائيل، ثم إِنه رأَى مع أَهل مملكته أَن فناءَ بني إِسرائيل يعود على القبط بالضرر؛ إِذ هم كانوا عمَلَةَ الأَرض والصُّنَّاعَ[2] ونحو هذا، فعزم على أَن يقتل الولدان سنة ويستحييهم سنة، فوُلد هارون في سنة الاستحياءِ فكانت أُمُّه آمنة، ثم وُلد موسى في العام الرَّابع سنة القتل، فخافت أُمه عليه الذبح فبقيت متحيرة[3] مهتمة، فأَوحى الله إِليها، قيل: بمَلك جاءَها فأَخبرها وأَمرها.

قال بعض من روى هذا: ولم تكن نَبِيَّةً؛ لأَنا نجد في الشرع ورواياته أَن الملائكة قد كلَّمت من لم يكن نبيّاً، وقال بعضهم: بل كانت أُم موسى نَبِيَّة بهذا الوحي[4].

وقالت فرقة[5]: بل كان هذا الوحي رؤْيا رأَتها في النوم، وقالت فرقة: بل هو

---

(١) في المطبوع: «الأَفعال».

(٢) في نور العثمانية: «الضياع».

(٣) من أحمد٣.

(٤) أجمع أهل السنة أنه لا نبية من النساء، كما في الصفدية لابن تيمية (١/ ١٩٨)، وخالف فيه ابن حزم في الملل والنحل (٥/ ١٢).

(٥) في المطبوع والحمزوية: «وقال بعضهم».

وحي إِلهام وتسديد كوحي الله إِلى النحل وغير ذلك، فأَلهمها الله إِلى أَن اتَّخذت تابوتاً فقذفت فيه موسى راقداً في فراش، ثم قذفته في يمِّ النيل، وكان فرعون جالساً في موضع يشرف على النيل إِذ رأَى التابوت، فأَمر به فَسِيق إِليه وامرأَته معه، ففتح فرآه، فرحمته امرأَته وطلبته لتتخذه ابناً فأَباح لها ذلك.

وروي: أَن التابوت جاءَ في الماء إِلى المشرعة التي كان جواري امرأَة[1] فرعون يستقين فيها الماءَ، فأَخذن التابوت وجلبنه إِليها، فأَخرجته وأَعلمت فرعون وطلبته منه، ثم إِنها عرضته للرضاع فلم يقبل امرأَة، فجعلت تنادي عليه في المدينة ويُطاف به يعرض للمراضع، فكلما عرضت عليه امرأَة أَباها.

وكانت أُمه حين ذهب عنها في النيل بقيت مغمومة فؤادها، فارغ إِلَّا من هَمِّه، فقالت لأُخته: اطلبي أمره[2] في المدينة عسى يقع لنا منه خبر، فبينا الأُخت تطوف إِذْ بَصُرَتْ به وفهمت أَمره، فقالت لهم: أَنا أَدلكم على أَهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون، فتعلقوا بها وقالوا لها: أَنت تعرفين هذا الصبي، قالت: لا، غير أَني أَعلم من أَهل هذا البيت الحرصَ على التقرُّب إِلى الملكة، والجدَّ في خدمتها وِرضاها، فتركوها وسأَلوها الدلالة، فجاءَت بأُمِّ موسى فلما قربته شرب ثديها، فسُرَّت آسية امرأَة فرعون، وقالت لها: كوني معي في القصر، فقالت لها: ما كنت لأَدع بيتي وولدي، ولكنه يكون عندي، [قالت: نعم][3] فأَحسنت إِلى أَهل ذلك البيت غاية الإحسان، واعتزَّ بنو إِسرائيل بهذا الرضاع، والسبب من الملكة.

وأَقام موسى حتى كمل رضاعه، فأَرسلت إِليها آسية أَن جِيئي بولدي ليوم كذا، وأَمرت خدمها[4] ومن لها أَن يَلْقَيْنه بالتُّحف والهدايا واللباس، فوصل إِليها على ذلك

(١) ليس في الأصل، وهي في الإماراتية ملحقة في الهامش.
(٢) في نجيبويه والإماراتية والمطبوع: «أَثره».
(٣) ليس في المطبوع.
(٤) في أحمد٣: «حرمها».

وهو بخير حال وأَجمل شباب، فسُرَّت به ودخلت به على فرعون ليراه ويهبه، فرآه وأَعجبه وقرَّبه، فأَخذ موسى عليه السلام بلحية فرعون وجَبَذَهَا، فاستشاط فرعون، وقال: هذا عدوٌّ لي، وأَمر بذبحه[١]، فناشدته فيه امرأَته وقالت: إِنه لا يعقل، فقال فرعون: بل يعقل، فاتَّفقا على تجربته بالجمر والياقوت حسبما ذكرنا آنفاً في حلِّ العُقْدة، فنجاه الله من فرعون، ورجع[٢] إِلى أُمه فشَبَّ عندها [فاعتز به بنو إسرائيل][٣] إِلى أَن ترعرع، وكان فتًى جلْداً فاضلاً كاملا[٤]، فاعتزت به بنو إِسرائيل بظاهر ذلك الرضاع، وكان يحميهم ويكون ضلعه معهم، وهو يعلم من نفسه أَنه منهم ومن صميمهم، فكانت بصيرته في حمايتهم وكيدة[٥]، وكان يعرف ذلك أَعيان بني إِسرائيل.

ثم إِن قصة القبطي المقاتل مع الإسرائيلي نزلت، وذِكْرُها في موضعها مستوعَبٌ، فخرج موسى عليه السلام من مصر حتى وصل إِلى مدين، فكان من أَمره مع شعيب ما هو في موضعه مُسْتَوْعَب، [يختص منه بهذا الموضع][٦] أَنه تزوج ابنته الصغرى على رعية الغنم عشر سنين، ثم اعتزم الرحيل بزوجته إِلى بلاد مصر، فجاءَ في طريقه فَضَلَّ في ليلة مظلمة، فرأَى النار حسبما تقدم ذكره، فعدَّد الله تعالى على موسى في هذه الآية ما تضمنته هذه القصة من لطف الله تعالى به في كل فضل، وتخليصه له من قصة إِلى أُخرى، وهذه الفتون التي فتنه بها؛ أَي: اختبره وخلَّصه حتى صلح للنبوة وسَلِم لها.

وقوله: ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ إِبهامٌ[٧] يتضمن عِظَم الأَمر وجلالته في النعم، وهذا نحو

---

(١) في نجيبويه والمطبوع: «بقتله».
(٢) في المطبوع ونجيبويه: «وردَّه».
(٣) ليس في المطبوع ونجيبويه، وكأنها مكررة مع ما سيأتي.
(٤) ليس في المطبوع وأحمد٣.
(٥) ليست في المطبوع، وفي بعض النسخ الخطية: «وكيده» بالهاء.
(٦) ليس في المطبوع، وفيه بدلاً منه: «من».
(٧) في الحمزوية: «إفهام».

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ١٦] وهو كثير في القرآن والكلام، و﴿أَنِ﴾ في قوله: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ﴾ بدلٌ من ﴿مَا﴾، والضمير الأَول في ﴿ٱقْذِفِيهِ﴾ عائد على موسى، وفي الثاني على التابوت، ويجوز أَن يعود على موسى.

وقوله: ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ﴾ خبر خرج في صيغة الأَمر مبالغةً[1]؛ إِذِ الأَمر أَقطع الأَفعال وأوجبها، ومنه قول النبي ﷺ: «قُوموا فَلأصَلِّ لكم»[2]، فأَخرج[3] الخبر في صيغة الأَمر لنفسه مبالغةً، وهذا كثير، ومن حيث خرج الفعل مخرج الأَمر حسن جوابه كذلك.

والعَدُوُّ الذي هو لله ولموسى كان فرعون، ولكن أُم موسى أُخبرت به على الإِبهام[4]، ولذلك قالت لأُخته: قُصِّيه، وهي لا تدري أَين؟

ثم أَخبر تعالى موسى أَنه أَلقى عليه مَحَبَّة منه، فقال بعض الناس: أَراد محبة آسية؛ لأَنها كانت من الله، وكانت سبب حياته، وقالت فرقة: أَراد القبول الذي يضعه الله في الأَرض لخيار عباده، وكان حظ موسى منه في غاية الوفر، وقالت فرقة: أَعطاه جمالاً[5] يُحِبُّه به كل من رآه، وقالت فرقة: أَعطاه ملاحة العينين، وهذان القولان فيهما ضعف، وأَقوى الأقوال أَنه القبول.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ بكسر اللام وضم التاءِ على معنى: ولِتُغذى ولِتُطعم وتُربى.

---

(١) ليست في نجيبويه.

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري (٣٨٠) عن أنس بن مالك: أن جدته مليكة دعت رسول الله ﷺ لطعام صنعته له، فأكل منه ثم قال: «قوموا فلأصل لكم»، قال أنس: فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لُبِس، فنضحته بماء، فقام رسول الله ﷺ وصففت واليتيم وراءه والعجوز من ورائنا، فصلى لنا رسول الله ﷺ ركعتين، ثم انصرف.

(٣) في الأصل: «فأخبر».

(٤) في نجيبويه: «الإيهام».

(٥) في المطبوع: «إِجلالًا».

وقرأ أَبو نُهَيْك: (وَلِتَصْنَعَ) بفتح التاء، قال ثعلب: معناه: لتكون حركتك وتصرفك على عين مني[(١)].

وقرأ أَبو جعفر بن القعقاع: ﴿وَلْتُصْنَعْ﴾ [بسكون اللام][(٢)] على الأمر للغائب، وذلك مُتَّجه.

وقوله: ﴿عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ معناه: بمرأًى مني، وأَمر مدرك مبصر مراعًى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًاۚ / فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ (٤٠) وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤١)﴾. [٤/ ٢٥]

العامل في ﴿إِذْ﴾ فعل مضمر تقديره: ومَنَنَّا إِذْ، وتقدم تفسير هذه الآية في القصص المذكور آنفاً.

وقرأَت فرقة: ﴿تَقَرَّ﴾ بفتح القاف، وقرأَت فرقة: بكسر القاف[(٣)].

والنَّفْسُ التي قتلها هي نفس القبطي الذي كان يقاتل الإِسرائيلي فوكزه موسى فقضى عليه.

و﴿ٱلْغَمِّ﴾: همُّ النفس، وكان همّ موسى بأَمر مَن طلبه ليثأَر به.

وقوله: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ معناه: خَلَّصْنَاك تخليصاً، هذا قول جمهور المفسرين، وقالت فرقة: معناه: اختبرناكَ، وعلى هذا التأويل لا يُراد إِلَّا ما اختُبر به موسى بعد بلوغه وتكليفه، وما كان قبل ذلك فلا يدخل في اختبار موسى.

وعدَّة سنيه فِي أَهْلِ مَدْيَنَ عشرة أَعوامٍ؛ لأَنه إِنما قضى أَوفى الأَجلين.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص:٣٠٧).

(٢) ويلزمه سكون العين، وهي عشرية انظر: النشر (٢/ ٣٢٠)، والمحتسب (٢/ ٥٠)، وفي المطبوع ونجيبويه: «بالياءِ وكسر اللام».

(٣) وهي شاذة، رواها ابن بكار عن ابن عامر كما في الشواذ للكرماني (ص: ٣٠٧)، وجامع البيان (٣/ ١٣٥٥)، وضعفها.

وقوله: ﴿عَلَىٰ قَدَرٍ﴾؛ أي: بميقات محدود للنبوة التي قد أرادها الله بك، ومنه قول الشاعر:

[البسيط] نَالَ الْخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدَراً كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ(١)

و(اصطنعتك): معناه: جعلتك موضع الصنيعة، ومقرَّ الإجمال والإحسان.

وقوله: ﴿لِنَفْسِى﴾ إضافة تشريف، وهذا كما تقول: بيت الله، ونحوه: «والصِّيامُ لي، [وأَنا أَجْزِي به]»(٢)، وعبَّر بالنفس عن شدَّة القرب وقوة الاختصاص.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾.

أَمر الله تعالى موسى وهارون في هذه الآية بالنفوذ إِلى دعوة فرعون، وخاطب موسى وحده تشريفاً له، ويحتمل أَن هارون أُوحي إِليه مع مَلَك أَن ينفذ.

و﴿بِـَٔايَٰتِى﴾ معناه: بعلاماتي التي أعطيتكموها من معجزة وآية وحي وأَمْر ونهي كالتوراة.

و﴿تَنِيَا﴾ معناه: تضعفا وتبطئا، تقول: وَنَى فلان في أَمْر كذا إِذا تباطأَ فيه عن ضعف.

ومنه قول الشاعر:

[الطويل] .... فَمَا أَنَا بِالوَانِي وَلَا الضَّرَعِ الغُمْرِ(٣)

---

(١) البيت لجرير، وقد تقدم في تفسير الآية (٧٤) من سورة البقرة.

(٢) من المطبوع ونجيبويه.

(٣) صدره: (أناةً وحلمًا وانتظاراً بهم غداً)، نسبه في العين (١/ ٢٦٩) لطرفة بن العبد، وفي الأمالي للقالي (٢/ ١٧٤) لابن أذينة الثقفي، وفي الشعر والشعراء (٢/ ٧٢٤) للأجرد الثقفي، وفي الأغاني (٢٢/ ٢١٩)، والوحشيات (ص: ١٦٧) للحارث بن وعلة الجرمي، وفي الحماسة البصرية (١/ ٦٢) أنه شيباني، قال: وقيل: وعلة بن الحارث، وقيل: هو لابن الذئبة الأسدي، وقيل: لكنانة بن عبد ياليل الثقفي.

و«الوَنَى»: الكلالُ والفَشَل في البهائم والإِنس.

وفي مصحف ابن مسعود: (وَلَا تَهِنَا فِي ذِكْرِي)[١]، معناه: وَلاَ تَلِينا، من قولك: هيِّنٌ ليِّنٌ.

و«القَوْلُ اللَّيِّنُ» قالت فرقة: معناه: كَنِّيَاهُ، وقالت فرقة: بل أَمرهما بتحسين الكلمة.

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو الوجه، وذلك أَن كل من يريد دعاءَ إِنسان إِلى أَمر يكرهه، فإِنما الوجه أَن يحرر في عبارته المعنى الذي يريد [حتى لا يخل به ولا يحز منه، ثم][٢] يجتهد بعد ذلك في أَن تكون عبارته لطيفة، ومقابلته ليِّنَة، فذلك أَجلبُ للمراد، فأَمر موسى وهارون أَن يَسْلُكَا مع فرعون إِكمال الدعوة في لين من القول.

وقوله: ﴿لَّعَلَّهُۥ﴾ معناه: على رجائِكما وطمعكما، فالتوقع فيها إِنما هو راجع إِلى جهة البشر.

وقرأَ الجمهور ﴿يَفۡرُطَ﴾ بفتح الياءِ وضم الراءِ، ومعناه: يَعْجَل ويسرع بمكروه فينا، ومنه الفارط في الماءِ، وهو الذي يتقدم القوم إِليه، قال الشاعر:

فَاسْتَعْجَلُونَا وكَانُوا مِنْ صَحَابَتِنا ... كَمَا تَعَجَّلَ فُـرَّاطٌ لِـوُرَّادِ[٣] [البسيط]

وقرأَت فرقة: (يُفرِطَ) بضم الياءِ وكسر الراءِ، ومعناه: يَشْتَطُّ [في إذايتنا][٤].

وقرأَ ابن محيصن: (يُفْرَطَ) بضم الياءِ وفتح الراءِ[٥]، ومعناها أَن يحمله حامِلٌ على التسرع إِلينا.

---

(١) تفسير الثعلبي (٦/ ٢٤٥).

(٢) ليس في أحمد٣ ولالاليه، وفي المطبوع ونجيبويه: «يخرمنه»، بدل: «يحز منه».

(٣) البيت للقطامي كما في تفسير الطبري (١٧/ ٢٣٤)، وترتيب إصلاح المنطق (١/ ٢٨٨)، والزاهر للأنباري (١/ ٢٧١)، والصحاح للجوهري (٣/ ٢٨٥)، وفي المطبوع وأحمد٣ ولالاليه: «تقدم»، بدل «تعجل».

(٤) ليس في المطبوع.

(٥) وهما شاذتان، انظرهما في المحتسب (٢/ ٥١)، الأولى بلا نسبة.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ يريد بالنصر والمعونة والقدرة على فرعون، وهذا كما تقول: الأمير مع فلان: إذا أردت أنه يحميه.

و﴿أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾: عبارة عن الإدراك الذي لا تخفى معه خافية، تبارك الله رب العالمين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٤٨ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ٤٩﴾.

المعنى: فأْتِيا فرعون فأَعلماه أَنكما رسولاي[١] إليه، وعبَّر لفرعون بـ﴿رَّبِّكَ﴾ تحقيراً له؛ إِذْ كان هو يدَّعي الربوبية، ثم أَمرا بدعوته إِلى أَن يَبْعَث معهما بني إِسرائيل ويُخرجهم من ذل[٢] خدمة القبط، وقد تقدم في هذه الآية دعاؤُه إِلى الإِيمان، وهذه جملة ما دُعي إِليه فرعون: الإِيمان وإِرسال بني إِسرائيل، والظاهر أَن رسالته إِليه ليست على حدِّ إِرساله إِلى بني إسرائيل، وتعذيبُ بني إسرائيل كان ذبح أَولادهم وتسخيرهم[٣] وإِذلالهم.

والآية التي أَحالَا عليها هي العصا واليد.

وقال: ﴿جِئۡنَٰكَ﴾ ـ والجائي بها موسى ـ تجوُّزاً من حيث كانا مشتركين.

وقوله: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾[٤] يحتمل أَن يكون آخر كلامٍ وفَصْله، فيقوى أَن يكون السلام بمعنى التحية، كأَنما رغبا بها عنه، وجَرَيا على العُرف في التسليم عند الفراغ من القول، فسلَّما[٥] على متبع الهدى، وفي هذا توبيخ له.

قال القاضي أَبو محمد: وعلى هذه الجهة[٦] استعمل الناس هذه الآية في مخاطبتهم ومحاوراتهم.

(١) في المطبوع: «رسولان».
(٢) في الأصل: «غلِّ».
(٣) ليست في المطبوع.
(٤) كتبت في الأصل: «قوله عليه السلام: على من اتبع الهدى»، والمقصود به على هذه النسخة موسى.
(٥) في الأصل: «مسلماً».
(٦) في المطبوع ونجيبويه: «الجملة».

ويحتمل أَن يكون في درج القول متصلاً بقوله: ﴿إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ﴾، فيقوى[١] على هذه أَن يكون خبراً بأَن السلامة للمهتدين، وهذان المعنيان قالت كلَّ واحد منهما فرقةٌ، لكن دون هذا التلخيص، وقالوا: (السَّلامُ) بمعنى: السَّلامة، و(على) بمعنى اللام؛ أَي: السَّلامةُ لمن اتَّبع الْهُدى، ولما فرغا من المقالة التي أُمرا بها عند قوله: ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ خاطبهما فرعون، وفي سرد هذه الآية حذف يدل عليه ظاهر الكلام، تقديره: فأَتَياهُ فلما قالا جميع ما أُمِرَا به قال لهما فرعون: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾، وقوله: ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ بعد جمعه مع هارون في الضمير نداءٌ له بمعنى التخصيص والتوقيف؛ إِذْ كان صاحب عُظْم الرسالة ولزيم الآيات.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ / كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾. [٤/ ٢٦]

استبدَّ موسى بجوابه من حيث خصه بالسؤال، ثم أَعلمه من صفات الله تعالى بالتي[٢] لا شرك لفرعون فيه ولا بوجه مجاز.

واختلف المفسرون في قوله: ﴿ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ﴾:

فقالت فرقة: معناه: أَعطى الذكران من كل حيوان ـ نوعه وخلقته ـ أُنثى، ثم هدى للإِتيان.

وقالت فرقة: بل المعنى[٣]: أَعطى كل موجود من مخلوقاته خِلْقَتَهُ وصورتَهُ؛ أَي: أَكْمَلَ ذلك له وأَتقنه، ثم هَدَى[٤]، أَي: يسَّـر كل شيء لمنافعه ومرافقه.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا القول أَشرف معنًى، وأَعم في الموجودات.

(١) في المطبوع: «فيحتمل».
(٢) في الأصل: «بأن».
(٣) ليس في المطبوع ونجيبويه.
(٤) في نجيبويه: «ثم مد».

وقرأَت فرقة: (خَلَقَهُ)[١] بفتح اللام، ويكون المفعول الثاني بـ«أَعْطَى» مُقَدَّرا، تقديره: كماله أَو مصلحته[٢].

وقول فرعون: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ يحتمل أَن يريد محاجَّته بحسب ما تقدم من القول ومناقضته فيه، فليس يتَّجه على هذا أَن يريد إِلا[٣] ما بال القرون الأُلى [لم تُبعث إِليها][٤] ولم يوجد أَمْرُكَ عندها؟ فردَّ موسى عليه السلام عِلْم[٥] ذلك إِلى الله تعالى.

ويحتمل أَن يريد فرعون قطْع الكلام الأَول والرجوع إِلى سؤال موسى عن حالة من سلف من الناس روغاناً في الحجة وحيدة، وقيل[٦]: الْبَالُ: الحال، كأَنه سأَله عن حالهم، كما جاءَ في الحديث: «يهديكم الله ويصلح بالكم»[٧].

قال النقاش: إِنما قال فرعون: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ لمَّا سمع مؤمن آله يقول: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾، الآية [غافر: ٣٠][٨]، وردَّ موسى العلم إِلى الله؛ لِأَنه لم تأتِه التوراة بعد.

وقوله: ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ يريد اللوح المحفوظ، أَو فيما كتبته الملائكة من أَحوال البشر.

وقرأَت فرقة: ﴿لَّا يَضِلُّ﴾ بفتح الياءِ وكسر الضاد[٩]، واختُلف في معنى هذه

(١) وهي شاذة، عزاها في جامع البيان (٣/ ١٣٥٥) لرواية نصير عن الكسائي، وزاد معه في مختصر الشواذ (ص: ٩٠) أبا نهيك.
(٢) في الأصل: «أو خلقته».
(٣) ليس في الأصل.
(٤) ليس في الأصل.
(٥) في نجيبويه: «عظم».
(٦) في الأصل: «وقال».
(٧) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري (٦٢٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٨) لم أقف على كلام النقاش.
(٩) هذه هي المتواترة، ومقابلها ضم الياء وفتح الضاد، شاذة عزاها في مختصر الشواذ (ص:٩٠) للحسن والجحدري وحماد بن سلمة.

القراءة فقالت فرقة: هو ابتداءُ كلام، تنزيهٌ لله تعالى عن هاتين الصفتين، وقد كان الكلام تمَّ في قوله: ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾، و﴿يَضِلُّ﴾ معناه: ينتلف ويعمه[١].

وقالت فرقة: بل قوله: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ من صفات الكتاب؛ أَي: إن الكتاب لا يغيب عن الله تعالى، تقول العرب: ضَلَّني الشَّيْءُ إِذا لم أَجده، وأَضْلَلْتُهُ أَنا، ومنه قول النبي ﷺ حكاية عن الإِسرائيلي الذي طلب أَن يُحرق بعد موته: «لعلي أُضِلُّ اللهَ»[٢] الحديث.

و﴿يَنسَى﴾: أَظهر ما فيه أَن يعود ضميره إلى الله تعالى، ويحتمل أَن يعود إلى الكتاب في بعض التأويلات، يصفه بأَنه لا ينسى؛ أَي: لا يَدَعُ شيئاً، فالنسيان هنا استعارة، كما قال في موضع آخر: ﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩]، فوصفه بالإحصاء من حيث حصرت فيه الحوادث.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾.

انظر أن[٣] هذه الأَشياء التي ذكرها موسى عليه السلام هي مما تقضي بَدائهُ[٤] العقولُ أَن فرعون وكل بشر بعيدٌ منها؛ لأَنه لو قال: هو القادر الرزاق المريد العالم

(١) ليست في المطبوع، وفيه: «يتلف»، ثلاثياً.

(٢) لا بأس بإسناده، أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٤٤٧) من حديث حماد بن سلمة، عن أبي قزعة، عن حكيم بن معاوية عن أبيه، والطبراني في الكبير (١٩/ ٤٢٣ رقم ١٠٢٦) وغيره من حديث بهز ابن حكيم، عن أبيه، عن جده مرفوعاً، وأصل الحديث متفق عليه بدون هذه الجملة في البخاري (٣٤٧٨) من حديث أبي سعيد الخدري، ومسلم (٢٧٥٦) من حديث أبي هريرة.

(٣) «إن» ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٤) في لالاليه: «بذاته»، وكتبت في المطبوع وسائر النسخ الخطية: «بداية»، وهي في أحمد ٣ محتملة.

ونحو هذا من العبارات لأَمكن فرعون أَن يغالط ويقول: أَنا أَفعل هذا كله، فإِنما أَتاه موسى عليه السلام بصفات لا يمكنه أَن يقول: إِن ذلك له.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿مِهَاداً﴾ بكسر الميم وبأَلف، و«المِهَادُ»: هو جمع مَهْدٍ، وقيل: هو اسم مفرد كفَرْش وفِرَاش.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ بفتح الميم وسكون الهاء[(١)].

وقوله: (سَلَكَ) بمعنى: نَهَجَ ولَحَبَ.

و«السُّبُل»: الطُّرُق.

وقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ يحتمل [أَن يكون من كلام موسى، على تقدير: يقول عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾، ويحتمل][(٢)] أَن يكون كلام موسى تمَّ عند قوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، ثمَّ وصل الله تعالى كلام موسى بإِخباره لمحمد ﷺ، والمراد الخلق أَجمع، فهذه الآيات المنبَّهة[(٣)] عليها.

و«الأَزْوَاج» بمعنى: الأَنواع.

وقوله: ﴿شَتَّىٰ﴾ نعت للأزواج؛ أَي: مختلفات.

وقوله: ﴿كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ﴾ بمعنى هي صالحة أَن يؤكل منها وترعى الغنم فيها، فأَخرج العبارة في صيغة الأَمر؛ لأَنه أرجى[(٤)] الأَفعالِ، وأهزُّها[(٥)] للنفوس.

و﴿ٱلنُّهَىٰ﴾ النُّهَى جمع نُهْيَة، و«النُّهْيَـةُ»: العقل الناهي عن القبائح.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥١)، وفي المطبوع «ابن عباس» بدل «ابن عامر».

(٢) ليس في الأصل والحمزوية.

(٣) في الإماراتية وأحمد٣: «المنبئة».

(٤) في المطبوع ولالاليه ونور العثمانية: «أَوحى».

(٥) في الأصل: «أهدها»، وفي العلمية: «وأهدأها».

وقوله تعالى: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ يريد: من الأَرض، وهذا من حيث خلق آدم من تراب.

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ﴾ يريد: بالموت والدفن والفَنَاءِ كيف كان.

وقوله: ﴿وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ﴾ يريد: بالبعث يوم القيامة.

وقوله: ﴿وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ﴾ إِخبارٌ [من الله تعالى][(١)] لمحمد ﷺ [عن فرعون، وهذا يؤيد أَن الكلام من قوله: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا﴾ إِنما هو خطاب لمحمد ﷺ][(٢)].

وقوله: ﴿كُلَّهَا﴾ عائد على الآيات التي رآها، لا أَنه رَأَى كلَّ آية لله، وإِنما المعنى أَن الله تعالى أَراه آياتٍ مَّا، وهي العصا واليد والطمسة وغير ذلك، وكانت رؤْيته لهذه الآيات مستوعبة، يرى الآية كلَّها كاملة، كأَنه قال: لقد أَريناهُ آياتٍ مَّا بكمالها، فأَضاف الآيات إلى ضمير العظمة تشريفاً لها.

وقوله تعالى: ﴿وَأَبَىٰ﴾ يقتضي تَكَسُّبَ فرعون، وهذا هو الذي يتعلق به الثواب والعقاب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ٥٧ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ٥٨ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ٥٩﴾.

هذه المقاولة من فرعون تدل على أَن أَمر موسى قد كان قَوِيَ، وكَثُر مُتَّبِعُوه من بني إِسرائيل، ووقع أَمْرُه في نفوس الناس، وذلك أَنها مُقاولة من يحتاج إلى الحُجَّة لا من يصدع بأَمْر نفسه.

وأَرْضُهم: هي أَرْضُ مصر.

وقرأَت فرقة: ﴿لَّا نُخۡلِفُهُۥ﴾ بالرفع، وقرأَت فرقة: ﴿لا نُخْلِفْه﴾ بالجزم حملاً على جواب الأَمر[(٣)].

---

(١) من المطبوع ونجيبويه.

(٢) ليس في الحمزوية.

(٣) وهي عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٢٠)، والأولى للباقين.

و﴿نَحْنُ﴾: تأْكيد للضمير من حيث احتاج الكلام إِلى العطف عليه أُكِّد.

و﴿مَوْعِدًا﴾: مفعول أَول لـ(اجْعَلْ)، و﴿مَكَانًا﴾ مفعول ثانٍ، هذا الذي اختارَ أَبو علي[1]، ومنع أَن يكون ﴿مَكَانًا﴾ معمولًا لقوله: ﴿مَوْعِدًا﴾؛ / لأنه قد وُصف، وهذه [٤/ ٢٧] الأَسماءُ العاملةُ عمل الفعل إِذا نُعتت أَو عُطف عليها أَو أُخبر عنها أَو صُغِّرت أَو جُمعت وتوغَّلت في الاسمية بمثل هذا لم تعمل، ولَا تَعَلَّق بها شيءٌ هو منها، وقد يُتَوَسَّع في الظروف فتُعلَّق بعد ما ذكرنا، كقوله عز وجل: ﴿يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ [غافر: ١٠]، فقوله: ﴿إِذْ﴾ معلق بقوله: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ وهو قد أُخبر عنه، وإِنما جاز هذا في الظُّروف خاصة، وكذلك منع أَبو علي أَن يكون قوله: ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [مريم: ٢٢] نصباً[2] على الظرف السَّادِّ مَسَدَّ المفعول.

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا نظر.

ومنع قومٌ أَن يكون ﴿مَكَانًا﴾ نصباً على المفعول الثاني بـ﴿نُخْلِفُهُۥ﴾، وجوَّزه كثير من النحاة، ووجهه أَن يتَّسع في أَن يخلف الوعد.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، ونافع، والكسائي: ﴿سِوًى﴾ بكسر السِّين.

وقرأَ ابن عامر، وعاصم، وحمزة: ﴿سُوًى﴾ بضمها[3]، والجمهور نوَّن الواو.

[وقرأَ الحسن: (سِوَى) بكسر السين غير منون الواو][4]، قال أَبو الفتح: تَرْكُ الصرف هنا مشكل، والذي ينبغي أَن يكون محمولاً على الوقف[5].

وقرأَت فرقة: (سَواء)، ذكره أَبو عمرو عن ابن أَبي عبلة[6].

---

(١) انظر: الحجة (٥/ ٢٢٨).

(٢) كتبت في المطبوع: «نصب».

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥١)، والسبعة (ص: ٤١٨).

(٤) ليس في الأصل.

(٥) انظر قراءة الحسن وتوجيهها في المحتسب (٢/ ٥١)، وهي شاذة.

(٦) شاذة، عزاها له في الشواذ للكرماني في (ص: ٣٠٨)، وزاد المسير (٥/ ٢٩٤) وضبطها فقال: =

ومعنى ﴿سُوًى﴾؛ أَي: عدْلاً ونَصَفة، قال أَبو علي: فكأَنه قال: مكاناً قربه منكم قُرْبه منَّا[١].

قال القاضي أبو محمد: وإِنما أَراد: أن حالنا فيه مستوية، فيعُمُّ ذلك القُرْبَ، وأَن تكون المنازل فيه واحدة في تعاطي الحق، أَي: لا تعترضكم فيه الرياسة، وإِنما تقصد الحجة.

و(سُوًى) لغةٌ في (سِوًى)، ومن هذه اللَّفظة قول الشاعر:

وَإِنَّ أَبَانَا كَانَ حَلَّ بِبَلْدَةٍ سِوًى بَيْنَ قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلانَ وَالفِزْرِ[٢] [الطويل]

[وقالت فرقة: معناه: مستوياً من الأَرض، لا وَهْدَ فيه، ولا نشز][٣].

وقالت فرقة: معناه: سوَى مكاننا هذا، فقال موسى: ﴿مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾، اتَّسع في الظرف من قرأه برفع ﴿يَوۡمُ﴾، فجعله خبراً.

وقرأَ الحسن، والأعمش، والثَّقفي: (يَوْمَ) بالنصب[٤] على الظرف، والخبر مقدر.

ورُوي: أَن يوم الزِّينَةِ كان عيداً لهم ويوماً مشهوراً[٥]، وصادف يوم عاشوراءَ، وكان يوم سبت، وقيلَ: هو كسر الخليج الباقي إلى اليوم[٦].

= بالمد والهمز والنصب والتنوين وفتح السين، وكذلك كتبت في الإماراتية ونجيبويه، وكتبت في المطبوع وسائر النسخ: «سوى بالقصر».

(١) الحجة للفارسي (٥/ ٢٢٤).

(٢) البيت لموسى بن جابر الحنفي، كما في مجاز القرآن (٢/ ٢٠)، والثعلبي (٦/ ٢٤٩)، والأغاني (١١/ ٣١٧)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٣٥)، وسماه في الحماسة (١/ ١١٩): يحيى بن منصور الحنفي، والفزرُ هو سعد بن زيد بن مناة، كما في الاشتقاق (١/ ٢٤٥).

(٣) ليس في نجيبويه، وفي المطبوع: «ولا نَجْد»، بدل «ولا نشز».

(٤) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٥٢)، وتفسير الثعلبي (١/ ١٤٧٠).

(٥) في المطبوع ونور العثمانية: «مشهوداً».

(٦) الهداية لمكي (٧/ ٤٦٥٥)، وتفسير الماوردي (٣/ ٤٠٩).

وقوله: ﴿وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ عطف على ﴿ٱلزِّينَةِ﴾، فهو في موضع خفض.

ويحتمل أَن يكون في موضع رفع على تقدير: موعدكم أَن يُحشر الناس، ويقلق[1] عطفه على اليَوْم، وفيه نظر.

وقرأَ الجمهور: ﴿يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ رفعاً[2].

وقرأَ ابن مسعود، والخدري وجماعة: (يَحْشُرَ النَّاسَ) بفتح الياءِ وضم الشين ونصب (النَّاسَ)[3].

وقرأَت فرقة: (نَحْشر) بالنون[4].

و«الحَشْرُ»: الجمع، ومعناه: نحشر الناس لمشاهدة المعارضة، والتَّهَيُّؤ لقبول الحق حيث كان.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ۝٦١ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ۝٦٢ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ۝٦٣ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ۝٦٤﴾.

المعنى: فَجَمَعَ السَّحرة ووعدهم وأَمرهم بالإِعداد لموسى، [وروَّى أمرهم][5]، فهذا هو كَيْده.

ثُمَّ أَتى فرعون بجمعه وأَهل دولته، والسحرة معه، وكانت عصابة لم يخلق الله

(١) في المطبوع: «وتعلق».
(٢) في المطبوع ونجيبويه: «﴿يُحۡشَرَ﴾ برفع الياء».
(٣) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣٠٨)، والمحتسب (٢/ ٥٣)، وزاد آخرين، وفيهما الجحدري، وفي المطبوع: «أبو سعيد الخدري».
(٤) وهي شاذة، عزاها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٠٨) لأبي نهيك وأبي عمران.
(٥) ليس في المطبوع وأحمد٣.

أَسْحر منها، وجاءَ أيضاً موسى عليه السلام ببني إِسرائيل معه، فقال موسى للسَّحرة: ﴿وَيۡلَكُمۡ﴾، وهذه مخاطبة مُحَذِّرة، وندبهم في هذه الآية إلى قول الحق إذا رأَوه، وأَلَّا يباهتوا بكذب.

وقرأَ ابن عباس، ونافع، وعاصم، وأَبو عمر، وابن عامر: ﴿فَيَسْحَتَكُمْ﴾ بفتح الياءِ، وقرأَ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿فَيُسۡحِتَكُم﴾ بضم الياءِ[1]، وهما لغتان بمعنىً، يقال: سَحَتَ وأَسْحَتَ إذا أَهْلَكَ وَأَذْهَبَ، ومنه قول الفرزدق:

وَعَضُّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدع ... مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتاً أَوْ مُجَلَّفُ[2] [الطويل]

فهذا من أَسْحَتَ.

فلما سمع السحرةُ هذه المقالة هالهم هذا المنـزع، ووقع في نفوسهم من مهابته أمر رعب[3] شديد، وتنازعوا أَمرهم، والتَّنازع يقتضي اختلافاً كان بينهم في السِّر، أَي: قال بعضهم لبعض: هو محق، وقال بعضهم: هو مبطل، وقال بعضهم: إِن كان من عند الله فَسَيَغْلِبنا، ونحو هذا من الأَقوال التي تعهد من الجموع الكثيرة في وقت الخوف كالحرب ونحو هذا، ومعلوم أَن جميع تناجيهم إِنما كان في أَمر موسى، وقالت فرقة: إِنما كان تناجيهم بالآية التي بعد هذا ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾.

قال القاضي أبو محمد: والأَظهر أَنَّ تلك قيلت علانية[4]، ولو كان تناجيهم ذلك لم يكن ثمَّ تنازع، و﴿ٱلنَّجۡوَىٰ﴾: السرار والـمُسَارَرَةُ، أَي: كان كل رجل منهم يناجي من

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥١)، والسبعة (ص: ٤١٩)، وعاصم في الأولى شعبة خاصة، و«ابن عباس» صوابه: «ابن كثير».
(٢) انظر عزوه له في: تفسير الطبري (١٠/ ٣٢٤)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٣٤)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٧٧)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٩٥)، ومجاز القرآن (٢/ ٢١)، والأغاني (١٠/ ٣١١)، والعين (٢/ ٢٢٤)، والعقد الفريد (٥/ ٣٢٤).
(٣) من المطبوع، وسقطت «أمر» من الإماراتية.
(٤) في الأصل: «علامة».

يليه، ثم جعلوا ذلك سرّاً مخافة فرعون أَن يتبيَّن فيهم ضعفاً؛ لأَنهم حينئذ لم يكونوا مُصَمِّمين على غلبة موسى، بل كان ظنّاً من بعضهم.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ الآية.

قرأَ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿إِنَّ﴾ مُشَدَّدة النون ﴿هَذَانِ﴾ بألفٍ ونون مخففة للتَّثنية.

وقرأَ أَبو عمرو وحده: ﴿إِنَّ هذين لساحران﴾.

وقرأَ ابن كثير: ﴿إِنْ هذانِّ﴾ بتخفيف نون ﴿إِنْ﴾ وتشديد نون ﴿هَذانِّ لَسَاحِرَانِ﴾.

وقرأَ حفص عن عاصم: ﴿إِنْ﴾ بالتخفيف ﴿هَٰذَٰنِ﴾ خفيفة أيضاً ﴿لَسَٰحِرَٰنِ﴾[1].

وقرأَت فرقة: (إِنْ هذانِ إلا ساحران)، وقرأَت فرقة: (إِنْ ذَانِ لَسَاحِرَانِ)، وقرأت فرقة: (مَا هَذَانِ [إِلَّا سَاحِرَانِ)، وقرأَت فرقة: (إِنَّ هَذَانِّ)][2] بتشديد النون من (هَذَانِ)[3].

فأَمَّا القراءَة الأولى، فقالت فرقة: قوله: ﴿إِنَّ﴾ بمعنى: نعم، كما روي أَنَّ رسول الله ﷺ قال في خطبة: «إِنَّ، الحمدُ للَّهِ» برفع «الحمدُ»[4]، وقال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: إِنَّ، ورَاكِبَهَا، حين قال له رجل: أبعدَ[5] اللهُ ناقةً حملتني إِليك[6].

---

(١) هذه أربع قراءات سبعية، وشعبة مع الأولين، انظر: السبعة (ص: ٤١٩)، والتيسير (ص: ١٥١).

(٢) ليس في لالاليه.

(٣) هذه أربع قراءات شاذة، الأولى لابن مسعود كما في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣١)، ومختصر الشواذ (ص: ٩١)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٠٨)، ونقل الثانية عن هارون العتكي عن بعض القراء، والثالثة في إبراز المعاني لأبي شامة (٢/ ٢٨٣) عن أبي، والرابعة لم أجدها.

(٤) لم أقف عليه مسنداً.

(٥) في المطبوع ونجيبويه: «لعن»، وفي الإماراتية: «فأبعد».

(٦) انظر: العين (٨/ ٣٩٨)، والبيان والتبيين (٢/ ١٩٢)، وعيون الأخبار (٣/ ١٥٩)، والعقد الفريد (٤/ ٤٥).

ويلحق هذا[١] التأويل أَنَّ اللام لا تدخلُ في خبر الابتداء، وهو مما يجوز في الشِّعر، ومنه قول الشاعر:

أُمُّ الْحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ تَرْضَى مِنَ اللَّحْمِ بِعَظْمِ الرَّقَبَه[٢] [الرجز]

وذهبت فرقة إِلى أَن هذه الآية [على لغة بلحارث][٣] بن كعب وهو إِبْقاءُ أَلف التَّثْنِية في حالي النصب والخفض، فمن ذلك قول الشاعر:

تَزَوَّدَ مِنَّا بَيْنَ أُذْنَاهُ ضربةً دَعَتْهُ إِلى هَابِي التُّرَابِ عَقِيمِ[٤] [الطويل]

/ وقال الآخر: [٤/ ٢٨]

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغاً لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا[٥] [الطويل]

وتُعزى هذه اللغة لِكِنَانَة، وتُعزى لِخَثْعم.

وقال الفراءُ: الأَلف في (هَذَانِ) دعامةٌ، وليست بمجلوبة للتثنية، وإِنما هي أَلف هذا تركت[٦] في حال التَّثنية، كما نقول: الذي ثم تزيد في الجمع نونا وتترك الياءَ في حال الرفع والنصب والخفض.

وقال الزجاج: في الكلام ضمير تقديره: إِنَّه هذان لَسَاحران[٧].

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «ويدخل في هذا».

(٢) البيت لعنترة بن عروس كما في خزانة الأدب (١٠/ ٣٤٩): عن الصاغاني، قال: وقال العيني: هو لرؤبة بن العجاج.

(٣) في المطبوع: «بِلُغة بني الحارث بن كعب».

(٤) البيت لهَوْبر الحارثي كما في غريب الحديث لابن سلام (١/ ٣٣٤)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٥٣٢)، ولسان العرب (٨/ ١٩٧).

(٥) البيت للمُتلَمِّس، كما في الشعر والشعراء (١/ ١٧٨)، وتهذيب اللغة (٤/ ١٨٧)، ومعاني القراءات للأزهري (٢/ ١٥٠).

(٦) في الأصل ولالاليه: «تركبت»، وفي نجيبويه: «ألف مد تركت».

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٦٢)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ١٨٣).

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا التأويل دخول اللام في الخبر.

وقال بعض النحاة: أَلِف (هَذَانِ) مُشَبَّهَة هنا بأَلف تَفْعلان.

وقال ابن كيسان: لما كان (هَذَا) بحال واحدة في رفعه ونصبه وخفضه تركت تثنيته هنا كذلك[١].

وقالت جماعةٌ منهم عائشة رضي الله عنها[٢]، وأَبو عمرو[٣]: هذا ممَّا لَحَنَ الكاتب فيه وأُقيم بالصواب، وهو تخفيف النون من (إِنْ).

قال القاضي أبو محمد: وهذه الأَقوال مُعْتَـرَضة، إِلَّا ما قيل من أَنها لغة، و(إِنَّ) بمعنى: أَجَل ونعم، أَوْ إِنَّ في الكلام ضميراً.

وأَمَّا من قرأَ (إِنْ) خفيفة فهي عند سيبويه المخففة من الثقيلة، ويرتفع بعدها الاسم، ويقول الفراءُ: هي بمعنى (ما)، واللام بمعنى (إِلَّا) وَوَجْه سائر القراءَات بيِّنٌ.

وعبَّر كثير من المفسرين عن الطريقة بالسَّادة، وإِنما يراد بها أَهل العقل والسنِّ والحِجَى، وحكوا أَن العرب تقول: فلان طريقة قومه، أَي: سَيِّدهم، والأَظهر في الطريقة هنا أَنها السِّيرة والمملكة والحال التي هم عليها.

---

(١) انظره في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٢).

(٢) لا يصح، أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٤٦٩)، والفراء في معاني القرآن (١/ ٩٥)، والطبري (٧/ ٦٨٠-٦٨١)، وابن أبي داود في المصاحف (٩١) من طريق أبي معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها أنها سئِلت عن قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾، وعن قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾، وعن قوله: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، فقالت: يا ابن أَخِي هذا كان خطأً مِن الكاتِب، وأبو معاوية لا يحتمل التفرد عن هشام بن عروة بهذا.
قال الأثرم: قلت لأبي عبد الله: أبو معاوية صحيح الحديث عن هشام؟ قال: ما هو بصحيح الحديث عنه. شرح العلل (١/ ٢٥٣).
وقال أبو داود: أبو معاوية إذا جاز حديث الأعمش كثر خطؤه، يخطئ على هشام بن عروة وعلى إسماعيل وعلى عبيد الله بن عمر. اهـ. سؤالات الآجري لأبي داود (١١٣).

(٣) في الأصل: «أبو بكر»، وانظر نقل هذا القول عن أبي عمرو وعثمان وعائشة في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٦٢).

و﴿ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾ تأْنيث أَمْثَل؛ أَي: الفاضلة الحسنة.

وقرأَ جمهور القراء: ﴿فَأَجۡمِعُواْ﴾ بقطع الأَلف وكسر الميم، على معنى: أنفذوا[١] واعزموا.

وقرأَ أَبو عمرو وحده: ﴿فَاجْمَعُوا﴾ [بألف وصل وفتح الميم][٢] مِنْ (جَمَعَ)[٣]؛ أَي: ضُمُّوا سحركم بعضه إِلى بعض.

وقرأَ ابن كثير: ﴿ثُمَّ﴾ [بفتح الميم (ايْتُوا) بسكون الياءِ، وقرأَ أيضاً في رواية شبل عنه: بكسر الميم][٤] (ايتُوا)[٥]، قال أَبو علي: وهذا غلط، ولا وجه لكسر الميم من (ثُمَّ)[٦].

وقرأَ الجمهور: ﴿ثُمَّ ٱئۡتُواْ﴾ بفتح الميم وهمزة بعد الأَلف.

وقوله: ﴿صَفًّا﴾ حالٌ؛ أَي: مُصْطَفِّين، وتداعَوْا إِلى هذا؛ لأَنه أَهْيَب وأَظهر لهم.

و﴿أَفْلَحَ﴾ معناه: ظفر ببغيته، و﴿اسْتَعْلَى﴾: معناه طلب العُلُوَّ في أَمره وسَعَى سَعْيَه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾.

خيَّر السَّحرةُ موسى عليه السلام في أَن يبتدئ بالإِلقاءِ، أَو يتأَخر بعدهم، ورُوي: أَنهم كانوا سبعين أَلف ساحر، ورُوي: أَنهم كانوا ثلاثين ألف ساحر، ورُوي: أَنهم كانوا خمسة عشر أَلفاً، وروي: أَنهم كانوا تسع مئة، ثلاث مئة من الفيوم، وثلاث مئة من الفرما، وثلاث

---

(١) ليست في المطبوع.

(٢) من أحمد٣.

(٣) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (١/ ٤١٩)، والتيسير (ص: ١٥٢).

(٤) ليس في أحمد٣.

(٥) شاذتان، ليستا من طرق التيسير، انظر عزو الأولى لمحبوب عن إسماعيل عن ابن كثير، والثانية لشبل عنه في السبعة (ص: ٤٢٠).

(٦) انظر: الحجة (٥/ ٢٣٣)، وهو نص ابن مجاهد في السبعة (ص: ٤٢٠).

مئة من الإِسكندرية، وكان مع كل رجل منهم حبل وعصي قد استعمل فيها السحر[١].

وقوله: ﴿فَإِذَا هِىَ﴾ للمفاجأَة، كما تقول: خرجتُ فإِذا زيد، وهي التي تليها الأَسماءُ.

وقرأَت فرقة: ﴿وَعِصِيُّهُمْ﴾ بكسر العين، وقرأَت فرقة: (عُصيهم) بضمها[٢].

وقرأَت فرقة: ﴿يُخَيَّلُ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول، فقوله: ﴿أَنَّهَا﴾ في موضع رفع على ما لم يُسَمَّ فاعله.

وقرأَ الحسن، والثقفي: (تُخَيِّلُ) بضم التاءِ المنقوطة [من فوق][٣] وكسر الياءِ، وإِسناد الفعل إِلى الحبال والعِصِيِّ، [فقوله: ﴿أَنَّهَا﴾ في موضع نصبٍ.

وقرأَت فرقة: (تَخَيَّلُ) بفتح التاءِ والياءِ وإِسناد الفعل إِلى الحبال والعِصِيِّ][٤]، فقوله: ﴿أَنَّهَا﴾ مفعول من أَجله.

قال القاضي أبو محمد: والظاهر من الآيات والقصص في كتب المفسرين أَن الحبال والعِصِيَّ كانت تتحرَّك[٥] وتنتقل بِحِيَل السِّحر، وبِدَسِّ الأَجسام الثقيلة الميَّاعة فيها، وكان تحرُّكها يشبه تحرَّك الذي له إِرادة كالحيوان، وهو السَّعْي، فإِنه لا يُوصف بالسَّعْي إِلَّا من يمشي من الحيوان.

وذهب قوم إِلى أَنها لم تكن[٦] تتحرَّك، ولكنهم سحروا أَعين الناس وكان الناظر يُخَيَّل إِليه أَنها تتحرَّك وتنتقل.

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٣٣٤، ٣٣٥)، وتفسير الماوردي (٣/ ٤١٣).

(٢) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٠٩) للحسن.

(٣) من المطبوع ونجيبويه والإماراتية، وفيه قصور فالقراءتان سبعيتان، والثانية لابن ذكوان كما في التيسير (ص: ١٥٢)، وروح كما في النشر (٢/ ٣٢١) قال: وأهمل ابن مجاهد، وصاحبه ابن أبي هاشم ذكر هذا الحرف في كتبهما، فتوهم بعضهم الخلاف في ذلك لابن ذكوان، وليس عنه فيه خلاف، وانظر عزوها للحسن والثقفي في المحتسب (٢/ ٥٥).

(٤) ليس في الأصل.

(٥) ليس في الأصل.

(٦) ليست في المطبوع وأحمد٣.

قال القاضي أبو محمد: [وهذا محتمل][١]، والله أَعلم أَيُّ ذلك كان؟

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ﴾ عبارة عمَّا يعتري نفس الإِنسان إِذا وقع ظنُّه في أَمرٍ على شيءٍ يسوءُه، وظاهر الأَمر كله الصلاح، فهذا الفعل من أَفعال النفس يسمى الوجيس، وعبَّر المفسرون عن (أَوْجَسَ) بـ(أَضْمَرَ)، وهذه العبارة أَعمُّ من الوجيس بكثير][٢].

و﴿خِيفَةً﴾ يصح أَن يكون أَصلها: خِوْفَةً، قلبت الواو ياءً للتناسب[٣]، [ويحتمل أَن يكون: خَوْفَةً بفتح الخاءِ، قلبت الواو ياءً، ثم كسرت الخاءُ للتناسب][٤].

وخوف موسى عليه السلام إِنما كان على الناس أَن يضلُّوا لهول ما رأَى، والأول أَصوب؛ لأَنه أَوجس في نفسه على الجملة، وبقي ينتظر الفرج.

وقوله: ﴿أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ أَي: الغالب لمن ناوأَك في هذا المقام.

وقرأَ جمهور القراء: ﴿تَلَقَّفْ﴾ بالجزم وشدّ القاف على جواب الأمر.

وقرأَ ابن عامر وحده: ﴿تَلَقَّفُ﴾، وهو في موضع الحال، ويصح أَن يكون من المُلْقِي على اتساع، ويصح أَن يكون من المُلْقَى وهي العصا، وهذه حالٌ وإِن كانت لم تقع بعد، كقوله تعالى: ﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]، وهذا كثير.

وقرأَ حفص عن عاصم: ﴿تَلْقَفْ﴾ بسكون اللام وتخفيف القاف، وأَنَّث الفعل وهو مسند إِلى ما في اليمين من حيث كانت العصا مُرادة بذلك.

ورَوى البزي عن ابن كثير أَنه كان يشدد التاء[٥] من ﴿تَلَقَّف﴾، كأَنه أَراد: تتلقف فأَدغم، وأَنكر أَبو علي هذه القراءة[٦].

(١) ليس في المطبوع.
(٢) ليس في نجيبويه.
(٣) في أحمد٣: «للتأنيث».
(٤) ليس في الأصل.
(٥) في المطبوع: «الفاءَ»، وهو خطأ، وفي المطبوع وأحمد٣ ولالاليه: «قنبل» بدل «ابن كثير»، وهو خطأ، أيضاً.
(٦) لا عبرة به، فالقراءات الأربع سبعية، إلا أن الثانية لابن ذكوان خاصة، انظر: التيسير (ص: ١٥٢)، وانظر: الحجة (٢٣٦).

قال القاضي أبو محمد: ويشبه أَن قارئها إِنما يَلْتَزِمُها في الوصل حيث يستغني عن جلب أَلف.

وقرأ الجمهور: ﴿كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ برفع الكيد، [وقرأ حمزة والكسائي: ﴿كَيْدُ سِحْرٍ﴾][(١)].

وقرأَت فرقة: (كَيْدَ) بالنصب، (سحرٍ)[(٢)]، وهذا على أَن (مَا) كافةٌ، و(كَيْدَ) منصوب بـ(صَنَعُوا)، ورفع (كَيْدُ) على أَن (ما) بمعنى: الذي.

و﴿يُفْلِحُ﴾ معناه: يبقى[(٣)] ويظفر ببغيته، وقالت فرقة: معناه أَن الساحر يُقتَل حيثُ ثُقِف.

قال القاضي أبو محمد: وهذا جزءٌ من عدم الفَلاح.

وقرأَت فرقة: (أَيْنَ أَتَى)[(٤)]، والمعنى فيهما متقارب.

ورُوي من قصص هذه الآية أَن فرعون لعنه الله جلس في علّية له طولها ثمانون ذراعاً، والناسُ تحته في بسيط، وجاء سبعون أَلف ساحر فأَلقوا من حبالهم وعصيهم ما فيه وِقْر ثلاث مئة بعير، فهال الأمر، / ثم إِن موسى عليه السلام أَلقى عصاه من [٤/ ٢٩]
يده فاستحالت ثعباناً، وجعلت تنمو حتى رُوي: أَنها عبرت النهر بذنبها، وقيل: البحر، وفرعون في هذا يضحك، ويرى أَن الاستواء حاصل، ثم أَقبلت تأكل الحبال والعصي حتى أَفنَتْها، ففغرت فاها[(٥)] نحو فرعون، ففزع عند ذلك وقال: يا موسى، فمد موسى يده إِليها فرجعت عصاً كما كانت، فنظر السحرة وعلموا الحق ورأَوا عدم الحبال والعصي فآمنوا رضي الله عنهم.

---

(١) ليس في المطبوع ونجيبويه، وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٢١)، والتيسير (ص: ١٥٢).

(٢) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٠٩) لمجاهد، وفي زاد المسير (٥/ ٣٠٦) لابن مسعود وأبي عمران الجوني.

(٣) «يبقى» ليس في المطبوع، و«يظفر» ليس في الإماراتية.

(٤) وهي شاذة، عزاها في تفسير الطبري (١٨/ ٣٣٧)، ومعاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٤٤) لابن مسعود.

(٥) «فاها» من لالاليه، وفي الأصل: «ففرت».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝٧٠ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ۝٧١﴾.

في خلال هذه الآيات تقدير وحذف يدل عليه ظاهر القول، فالمقدَّر من ذلك هنا: فألقى موسى عصاه فَالْتَقَمَتْ كل ما جاؤوا به، أو نحو هذا.

وروي: أن السَّحرة لما رأت العصا لا أثر فيها للسِّحر ثم رأت انقلابها حيَّةً وأكلها الحبال والعصيَّ ثم رجوعها إلى حالها وعدم الحبال والعصي، أيقنوا بنبوَّة موسى، وأن الأمر من عند الله تعالى(١).

وقدّم (هَارُونَ) قبل (مُوسى)؛ لتستوي رؤُوس آي السور، فنقل معنى قول السحرة، وهذا كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: ٥٣]، [فتأخر ﴿شَتَّىٰ﴾](٢) [إنما هو لتعتدل رؤوس الآي، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾، فتأخير قوله: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩](٣)] إنما هو لتستوي رؤوس الآي.

وقرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، وورش عن نافع: ﴿ءَامَنتُمْ﴾ على الخبر، وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿أَآمَنْتُمْ﴾ بهمزة بعدها مدَّة، وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم ﴿أَأَامَنْتُمْ﴾ بهمزتين(٤).

وقوله: ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ مُقاربة منه وبعضُ إذعان.

وقوله: ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ يريد قطع اليد اليُمْنى مع الرِّجْل الشمال.

وقوله: ﴿فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ اتِّساع من حيث هو مربوط في الجذع، [وليست

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٣٣٤).

(٢) ليس في أحمد٣ ولالاليه.

(٣) ليس في الأصل.

(٤) وكلها سبعية، إلا أن الأولى لحفص وقنبل خاصة، أما ورش والبزي فمع أبي عمرو، انظر: التيسير (ص: ١٥٢).

على حدِّ قولك: زيد في الدار، ويصلح في هذا المعنى (عَلَى) من حيث هو مربوط في أَعلاها][1]، وليست على حدِّ قولك: ركبتُ على الفرس.

وقوله: ﴿أَيُّنَآ﴾ يريد نفْسَه وربَّ موسى عليه السلام، وقال الطبري: يريد نفْسَه وموسى عليه السلام[2]، الأول أَذهب مع مخرقة فرعون.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾.

قال السَّحرة لفرعون لمَّا توعَّدهم: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ﴾؛ أَي: لن نفضِّلك ونفضِّل السلامة منك على ما رأَينا من حُجَّة الله تعالى وآياته المبينات وعلى الذي فطرنا، هذا على قول جماعة: إِن الواو في قوله: ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ عاطفة.

وقالت فرقة: هي واو القسم، و﴿فَطَرَنَا﴾ معناه: خلقنا واخترعنا، فافعل يا فرعون ما شئت، وإِنما قضاؤُك في هذه الحياة الدنيا، والآخرة من وراءِ ذلك لنا بالنعيم، ولك بالعذاب.

وهؤلاء السحرة اختلف الناس هل نفذ فيهم وعيد فرعون؟

فقالت طائفة: صلبهم على الجذوع كما قال، فأَصبح القوم سحرةً وأَمسوا شهداءَ بلُطْف الله ورحمته.

وقالت فرقة: إِن فرعون لم يفعل ذلك، وقد كان الله تعالى وعد موسى أَنه ومن معه الغالبون.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله محتمل، وصَلْب السَّحرة وقَطْعهم لا يدفع في أَن موسى ومن معه غَلَب إِلَّا بظاهر العموم، والانفصال عن ذلك بيِّن.

وقوله: ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾:

---

(١) ليس في الأصل.
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٣٤٠).

قالت فرقة: أَرادوا ما ضمهم إِليه من معارضة موسى وحملهم عليه من ذلك.

وقالت فرقة: بل كان فرعون قديماً يأْخذ ولدان الناس بتعليم السِّحر ويجبرهم على ذلك، فأَشار السَّحرة إِلى ذلك.

وقولهم: ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ ردٌّ على قوله: ﴿أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾.

قالت فرقة: هذه الآية بِجُمْلَتها هي من كلام السَّحرة لفرعون على جهة الموعظة له والبيان فيما فعلوه.

وقالت فرقة: بل هي من كلام الله تعالى لمحمد ﷺ تنبيهاً على قُبْح ما فعل فرعون، وحُسْن ما فعل السحرة، وموعظة[1] وتحذيراً، قد تضمنت القصة المذكورة مثاله.

و«المجرم»: الذي اكتسب الخطايا والجرائم.

وقوله: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ مختصٌّ بالكافر، فإِنه معذب عذاباً ينتهي به إِلى الموت، ثم لا يُجهز عليه فيستريح، بل يُعَادُ جِلْدهُ ويُجَدّدُ عذابُه، فهو لا يحيا حياةً طيبة[2] هنية، وأَما من يدخل النار من المؤمنين بالمعاصي فهم قبل أَن تخرجهم الشفاعة في غمرة قد قاربوا الموت إِلَّا أَنهم لا يُجهز عليهم ولا يُجدَّد عذابهم، فهذا فرق ما بينهم وبين الكفار.

وفي الحديث الصحيح: أَنهم يُماتون[3] إِماتةً[4]، وهذا هو معناها؛ لأَنه لا موت في الآخرة.

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) من الحمزوية.

(٣) في المطبوع: «يموتون».

(٤) هذا جزء من حديث أخرجه مسلم (١٨٥) عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم، أو قال: =

و﴿ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ هي القربُ من الله تعالى.

و﴿تَزَكَّىٰ﴾ معناه: أَطاع الله تعالى، وأَخذ بأَزْكَى الأُمُور، وتأَمَّل التكسُّب في لفظة ﴿تَزَكَّىٰ﴾، فإِنَّهُ بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾.

هذا استئناف إِخبار عن شيءٍ من أَمر موسى، بَيْنَه وبين مقال السحرة المتقدم مدةٌ من الزمان حدث فيها لموسى وفرعون حوادث، وذلك أَن فرعون لما انقضى أَمر السحرة وغَلَب موسى وقوي أَمره، وعَدَهُ فرعون أَن يرسل معه بني إِسرائيل، فأَقام موسى على وعده حتى غدره فرعون ونكث، وأَعلمه أَنه لا يرسلهم معه، فبعث الله حينئذ الآيات المذكورة في غير هذه الآية: الجراد والقُمَّل إِلى آخرها، كلما جاءت آية وعد فرعون أن يرسل بني إسرائيل / [٤/ ٣٠] عند انكشاف العذاب، فإذا انكشف نكث حتى تأتي أُخرى، فلمَّا كانت[١] الآيات أَوحى الله تعالى إِلى موسى أَن يخرج ببني إِسرائيل من مصر في الليل سارياً[٢]، و«السَّرُى»: سير اللَّيل.

و﴿أَنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَنْ أَسْرِ﴾ يجوز أَن تكون مفسِّرة لا موضع لها من الإِعراب، كقوله عز وجل: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟﴾ [ص: ١٠].

ويجوز أَن تكون الناصبة للأَفعال، وتكون في موضع نصب بـ﴿أَوْحَيْنَآ﴾.

وقوله: ﴿بِعِبَادِى﴾ إِضافة تشريف لبني إِسرائيل، وكل الخلق عباد الله، ولكن هذا كقوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩].

= بخطاياهم فأماتهم إماتةً حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحِبَّة تكون في حميل السيل، فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية.. الحديث.

(١) في أحمد٣: «كملت».

(٢) في الأصل: «هارباً»، وفي نجيبويه: «سرياً».

وروي في قصص هذه الآية: أَن بني إِسرائيل لمَّا أَشعرهم موسى عليه السلام بليلة الخروج استعاروا من معارفهم من القبط حليّاً وثياباً[١]، [وكل أحد ما اتفق له][٢].

ويروى: أَن موسى أَذن لهم في ذلك، وقال لهم: إِنَّ الله سيُنفِّلُكموها[٣].

ويروى: أَنهم فعلوا ذلك دون رأيه[٤] عليه السلام، وهو الأشبه به، وسيأتي في جمع الحليِّ ما يؤيد ذلك.

ويروى: أَن بني إِسرائيل عجنوا زادهم ليلة سراهم ووضعوه ليختمر، فأَعجلهم موسى عليه السلام في الخروج، فطبخوه فطيراً، فهي سُنَّتهم في ذلك [الوقت من][٥] العام إِلى هُلمَّ[٦].

ويُروى: أَن موسى عليه السلام نهض ببني إِسرائيل وهم ست مئة أَلف إِنسان، فسار بهم من مصر يريد بحر القلزم، واتصل الخبر بفرعون، فجمع جنوده وحشرهم ونهض وراءَه، فأُوحيَ إِلى موسى أَن يقصد البحر، فجزع[٧] بنو إِسرائيل، فرأَوا أَن العدو[٨] من ورائهم، والبحر من أَمامهم، وموسى يثق بصنع الله تعالى، فلما رآهم فرعون قد نهضوا[٩] نحو البحر طمع فيهم، وكان مقصدهم إِلى موضع منقطع فيه الفحوص والطرق الواسعة[١٠].

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٣٥٥).
(٢) ليس في المطبوع.
(٣) تفسير الطبري (٢/ ٦٥، ٦٦) و(١٨/ ٣٥٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٦٨)، والهداية لمكي (١/ ٢٦٧).
(٤) في الأصل: «إذنه»، وانظر: تفسير الطبري (٢/ ٦٧) و(١٨/ ٣٥٣).
(٥) ليس في الأصل.
(٦) في أحمد٣: «العام»، وانظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٥٢).
(٧) في أحمد٣: «فخرج».
(٨) في الأصل: «العذاب».
(٩) في الأصل: «هبطوا».
(١٠) تفسير الماوردي (٤/ ١٧١).

واختلف الناس في عدد جنود فرعون: فقيل: كان في خيله سبعون أَلف أَدهم، ونسبة ذلك من سائر الأَلوان، وقيل أَكثر من هذا مما اختصرته لقلَّة صحته، فلما وصل موسى البحر، وقارب فرعون لحاقه، وقوي فزع بني إِسرائيل أَوحى الله تعالى إِلى موسى عليه السلام أَنِ اضْرِبْ بعصاك البحر.

[ويُروى: أَن الوحي إِليه بذلك كان متقدماً بمصر، وهو ظاهر الآية](١).

ويروى: أَنه إِنما أُوحي إِليه بذلك في موطن وقوعه.

واتصل الكلام في هذه الآية على جهة وصف الحال، وضم بعض الأُمور إِلى بعض، فضرب موسى عليه السلام البحر فانفرق اثنتي عشرة فرقة، طُرُقاً واسعة بينها حيطان ماءٍ واقف، فدخل موسى عليه السلام بعد أَن بعث الله تعالى ريح الصَّبا فجففت تلك الطرق حتى يبست، ودخل بنو إِسرائيل، ووصل فرعون إِلى المدخل وبنو إِسرائيل كلهم في البحر، فرأَى الماءَ على تلك الحال، فجزع قومه واستعظموا الأَمر، فقال لهم: إِنما انفلق لي من هيبتي، وهاهنا كمل إِضلاله لهم، وحمله الله تعالى على الدخول، وجاءَ جبريل عليه السلام راكباً على فرس أُنثى، فدخل فاتَّبعها فرس فرعون، وتتابع الناس حتى تكاملوا في البحر فانطبق عليهم، فسمع بنو إِسرائيل انطباق البحر وهم قد خرجوا بأَجمعهم من البحر فعجبوا، وأَخبرهم موسى: أَن فرعون وقومه قد هلكوا فيه، فطلبوا مصداق ذلك فلفظ البحر الناس، وأَلقى الله تعالى فرعون على نجوة من الأَرض بدِرْعه المعروفة له.

قال القاضي أبو محمد: فهذا اختصار قصص هذه الآية بحسب أَلفاظها، وقد مضى أَمر فرعون بأَوعب من هذا في موضع اقتضاه.

وقوله تعالى: ﴿يَبَسًا﴾ مصدر وصف به، وقرأَ بعض الناس: (يابساً)، وأَشار إِلى ذكره الزجاج(٢).

---

(١) ليس في نجيبويه، وانظر: تفسير الطبري (٢/ ٥٤)، والهداية لمكي (١/ ٢٦٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٦٩)، وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص:٩١) لأبي حيوة.

وقرأَ حمزة وحده: ﴿لَا تَخَفْ دركاً﴾ وذلك إِمَّا على جواب الأَمر، وإِمَّا على نَهْي مستأْنف.

وقرأَ الجمهور: ﴿لَّا تَخَٰفُ﴾[1]، وذلك على أَن يكون [لا تخاف حالًا من موسى عليه السلام، ويحتمل أَن يكون صفة الطريق بتقدير: لا يخاف فيه، أَي: يكون][2] بهذه الصفة، ومعنى هذا القول: لا تخاف دركاً من فرعون وجنوده، ولا تخشى غرقاً من البحر.

وقرأَ أَبو عمرو فيما رُوي عنه: (فَاتَّبَعَهُمْ) بشدِّ التَّاءِ[3]، وتَبِع واتَّبع إِنما يتعدى إِلى مفعول واحد، كقولك: شويت واشتويت، وحفرت واحتفرت، وفديتُ وافتديت.

وقوله: ﴿بِجُنُودِهِۦ﴾ إِمَّا أَن تكون الباءُ مع ما جرَّته في موضع الحال، كما تقول: خرج زيد بسلاحه، وإِمَّا أَن يكون لتعدي الفعل إِلى مفعول ثانٍ إِذْ لا يتعدى دون حرف جرٍّ إِلَّا إِلى واحد.

وقرأَ الجمهور: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾ بسكون التاءِ، وهذا يتعدى إِلى مفعولين، فالباءُ على هذا إِمَّا زائدة، والتقدير: فأَتْبعهم فرعونُ جنودَه، وإِمَّا أَن تكون باءَ الحال، ويكون المفعول الثاني مقدراً، كأَنك قلت: رُؤَسَاءَه أَو عزمه، ونحو هذا، والأول أَظهر.

وقرأَت فرقة: ﴿فَغَشِيَهُم﴾، وقرأَت فرقة: (فَغَشَّاهُمُ اللهُ)[4].

وقوله: ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ إِبهامٌ[5] أَهْوَلُ من النَّصِّ على قَدْرٍ مَا، وهذا كقوله: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ١٦].

---

(١) فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٢)، والسبعة (ص: ٤٢١).

(٢) ليس في أحمد٣ ولالاليه.

(٣) ليست من طرق التيسير، وإنما هي رواية عبيد عنه كما في السبعة (ص: ٤٢٢) وهارون كما في زاد المسير (٥/ ٣١٠).

(٤) وهي شاذة، عزاها دون لفظ الجلالة في مختصر الشواذ (ص: ٩١)، والشواذ للكرماني (ص: ٣١٠) للأعمش.

(٥) في المطبوع ونجيبويه: «إيهام».

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ يعني: من أول أمره إلى هذه النهاية، ثم أكَّد تعالى بقوله: ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ مقابلة لقول فرعون: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾.

ظاهر هذه الآية أن هذا القول قيل لبني إسرائيل حينئذ عند حلول هذه النِّعم التي عدد الله تعالى عليهم، وبَيْن خروجهم من البحر وبيْن هذه المقالة مُدَّةٌ وحوادث، ولكن يخص الله تعالى بالذكر ما يشاءُ من ذلك، ويحتمل أن تكون هذه المقالة خوطب بها مُعَاصرو رسول الله ﷺ، فالمعنى: هذا فعلنا بأسلافكم.

ويكون قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟﴾ بتقدير: قيل لهم: كُلُوا، وتكون الآية على هذا اعتراضاً في أثناء قصة موسى، المقصدُ به توبيخ هؤلاء الحضور؛ إِذْ لم يصبر سَلَفهم على أداءِ شكر نعم الله تعالى، والمعنى الأول أظهر وأَبْين.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو وابن عامر: (أَنجَيْنا)، و(وَاعَدْنا)، و ﴿نَزَّلْنا عَلَيْكُم﴾، و﴿رَزَقْنَٰكُمْ﴾، إلَّا أن أبا عمرٍو قرأ: ﴿وَعَدْنَاكُمْ﴾ بغير ألف في كل القرآن / . [٤/ ٣١]

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿أَنْجَيْتُ﴾، و﴿وَاعَدْتُ﴾، و﴿نَزَّلْتُ﴾، و﴿رَزَقْتُكُمْ﴾[(١)].

وقوله: ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ﴾ قيل: هي لغةٌ في (وَعَدَ) لا تقتضي فِعْل اثنين.

قال القاضي أبو محمد: وإن حُمِلَتْ على المعهود فلأَنَّ التَّلَقِّي والعهد[(٢)] والعزم على ذلك [يقوم مقام المواعَدة][(٣)].

---

(١) كتبت في المطبوع: «ورزقناكم» كالأولى، والقراءات سبعية، وعاصم مع الأولين، انظر: التيسير (ص: ١٥٢) السبعة (ص: ٤٢٢).

(٢) من المطبوع ونجيبويه.

(٣) من المطبوع ونجيبويه، وفي النسخ الأخرى بدله: «كالمواعدة».

وقصص هذه الآية: أَن الله تعالى لمَّا أَنْجى بني إِسرائيل، وَغَرِقَ فرعونُ، وَعَدَ بني إِسرائيل وموسى أَن يسيروا[(١)] إِلى جانب طور سيناءَ؛ ليكلِّم فيه موسى ويناجيه بما فيه صلاحهم بأَوامرهم ونواهيهم، فلمَّا أَخذوا في السَّيْر تعجَّل موسى عليه السلام لِلقاءِ ربِّه حسبما يأْتي ذكرُه بعدُ.

وقالت فرقة: هذا الطُّور هو الذي كلَّم فيه موسى أَولاً حيث رأَى النَّار، وكان في طريقه من الشام إِلى مصر.

وقالت فرقة: ليْس به، والطُّور: الجبل الذي لا شَعْرَاءَ فيه.

وقوله: ﴿ٱلْأَيْمَنَ﴾ إِمَّا أَن يريد به اليُمْن، وإِمَّا أَن يريد به اليمين، فالإِضافة إِلى ذي يَمِين، إِنْسان أَو غيره.

و﴿ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ طعامهم، وقد مضى في سورة البقرة استيعاب تفسيرهما.

وقوله تعالى: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾ يريد الحلال الملذ[(٢)]؛ لأَن المعنى في هذا الموضع قد جمعهما.

واختلف الناسُ ما القصد الأَول بلفظ الطَّيِّب في القرآن؛ فقال مالك رحمه الله: الحلال، وقال الشافعي: ما يطيب للنفوس، وساق إِلى هذا الخلاف تَفَقُّههم في الخَشَاش، والمستقذر من الحيوان[(٣)].

و﴿تَطْغَوْا۟﴾ معناه: تتعدون الحدَّ وتَتَعَسَّفُونَ[(٤)] كالذي فعلوا.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿فَيَحِلَّ﴾ بكسر الحاءِ، ﴿وَمَن يَحْلِلْ﴾ بكسر اللام.

وقرأَ الكسائي وحده: ﴿فَيَحُلَّ﴾ بضم الحاءِ، ﴿ومن يَحْلُلْ﴾ بضم اللام[(٥)].

---

(١) في الأصل: «يصيروا».
(٢) في المطبوع: «المِلْكَ»، وفي الإماراتية: «الملتذ».
(٣) انظر قول مالك في: تفسير القرطبي (٢/ ٢٠٧)، وقول الشافعي في: الحاوي للماوردي (١٥/ ١٣٣-١٣٥).
(٤) ليس في الأصل.
(٥) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٢٢)، والتيسير (ص: ١٥٢).

فمعنى الأَول: فيجب ويحقُّ، ومعنى الثاني: فيقع ويَنْزِل.

و﴿هَوَىٰ﴾ معناه: سقط من عُلُوٍّ إِلى سُفْل، ومنه قول خُنَافر: فَهَوَى هُوِيَّ الْعُقَاب[1].

قال القاضي أَبو محمد: وإِن لم يكن سقوطاً فهو شبيه بالسَّاقط، والسُّقوط حقيقة قول الآخر:

[الوافر] .... هَـوِيَّ الدَّلْـوِ أَسْـلَمَهُ الرِّشَـاءُ[2]

وشبَّه الذي يقع في طامَّة أَو ورطة بعد أَن كان بنجوة منها بالساقط، فالآية من هذا، أَي: هوى في جهنم وفي سخط الله.

وقيل: أُخذ فعل من لفظ الهاوية، وهو قعر جهنم.

ولما حذَّر الله تعالى غضبه والطُّغيان في نعمه فتَح باب الرَّجاءِ للتَّائبين، والتوبة فرضٌ على جميع الناس بقوله تعالى في سورة النور: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١].

والناس فيها على مراتب:

أَمَّا مُواقع الذَّنب وقدرته على ذلك باقية فتوبتُه النَّدمُ على ما مضى، والإِقلاع التَّام عن مثله في المستقبل.

وأَمَّا الذي واقَعَ الذَّنب ثمَّ زالت قُدرته عن مواقعته لشيَخ[3] أَو آفة فتوبته النَّدم، واعتقاد التَّرك أن لو كانت قُدرة.

(١) خُنافر كعُلابط اسم كاهن، وهو خنافر بن التَّوأم الحميري، انظر قوله وخبره في أمالي القالي (١/ ١٣٤)، والإصابة (٢/ ٣٠٤).

(٢) صدره: (فَشَدَّ بِهَا الأَمَاعِزَ وَهِيَ تَهْوِي)، وهو لزهير كما في تهذيب اللغة (٣/ ٤٢٨)، والزاهر (٢/ ٣٢٦)، ومقاييس اللغة (٦/ ١٦).

(٣) في المطبوع: «طعلى ذلك مِمَّن شَيَّخَ».

وأَمَّا من لم يُواقع ذنباً فتوبته العزم على ترك كل ذنب[١].

والتوبةُ من ذنب تصحُّ مع الإِقامة على غيره، وهي توبة مقيَّدة، وإِذا تاب العبد ثم عاود الذَّنب بعينه بعد مُدَّة فيحتمل عند حُذَّاق أَهل السُّنَّة أَلاَّ يعيد الله تعالى عليه الذَّنب الأَول؛ لأَن التَّوبة قد كانت مجبة[٢]، ويحتمل أَن يعيده؛ لأَنها توبة لم يُوَفِّ بها[٣].

واضطرب الناس في قوله: ﴿ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ من حيث وجدوا الهُدى ضِمْنَ الإِيمان والعمل:

فقالت فرقة: معناه: لم يشكَّ في إِيمانه.

[وقالت فرقة: معناه: ثم استقام][٤].

وقالت فرقة: معناه: ثُمَّ لزم الإِسلام حتَّى يموت عليه.

وقالت فرقة: ثم أَخذ بِسُنَّة نبيِّه.

[وقالت فرقة: معناه: ثم أَصاب العمل][٥].

وقالت فرقة: معناه: [أمر بسنته، ثمَّ][٦] عرف أمر مَشيبه[٧].

وقالت فرقة: معناه: والى أَهل البيت.

قال القاضي أبو محمد: وهذه كلها تخصيص واحد منها دون ما هو من نوعه بعيدٌ ليس بالقوي.

---

(١) انظر في هذا المعنى أحكام القرآن لابن العربي (٥/ ٤٥٦)، وشعب الإيمان (٥/ ٣٩٤، ٤٣٦-٤٣٧).

(٢) في المطبوع: «محضة»، وفي الحمزوية والإماراتية: «محته»، وفي أحمد٣: «قد محته».

(٣) انظر عزو هذا القول للباقلاني وقول مخالفيه في المسألة في: فتح الباري لابن حجر (١١/ ١٠٤).

(٤) ليس في نجيبويه، وفي الإماراتية: «في عمله» بدل «في إيمانه».

(٥) ليس في الأصل.

(٦) ليس في الإماراتية، وجاءت فيها «عرف أمر مشيبه» مكررة، وكأن إحداهما: «مشيئته».

(٧) في الحمزوية: «مثيبه».

والذي يقوى في معنى ﴿ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ أَن يكون: ثم حفظ معتقداته من أَن يخالف الحق في شيءٍ من الأَشياء، فإِن الاهتداءَ على هذا الوجه غير الإِيمان، وغير العمل، ورُبَّ مؤمن عمل صالحاً قد أَوبقه عدم الاهتداءِ كالقدرية والـمُرْجِئة وسائر أَهل البِدع والخوارج، فمعنى ﴿ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾: ثُمَّ مَشَى في عقائد الشَّرع على طريق قويم، جعلنا الله منهم بمنه[1].

قال القاضي أبو محمد: وفي حفظ المعتقدات ينحصر عُظْم أَمر الشَّرع.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا﴾.

قصص هذه الآية أَن موسى عليه السلام لَمَّا شرع في النُّهوض ببني إِسرائيل إِلى جانب الطُّور الأَيمن حيث كان الموعد أَن يكلم الله موسى بما فيه لهم شرف العاجل والآجل، رأَى على جهة الاجتهاد أَن يتقدم وحده مبادراً إِلى الله تعالى، وحرصاً على القرب منه، وشوقاً إِلى مناجاته، واستخلف هارون على بني إسرائيل، وقال لهم موسى: تسيرون إِلى جانب الطُّور، فلمَّا انتهى موسى عليه السلام وناجى ربه، زاده في الأَجل عَشْراً، وحينئذ وقفه على معنى استعجاله دون القوم ليخبره موسى أَنهم على الأَثر فيقع الإعلام له بما صنعوا.

وقرأَت فرقة: ﴿أُوْلَآءِ﴾، وقرأَت فرقة أُخرى: (أُولايَ) بياء مفتوحة[2].

قوله: ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ يحتمل أَن يكون في موضع رفع خبراً بعد خبر، ويحتمل أَن يكون في موضع نصب في موضع الحال.

وقرأَت فرقة: ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ بفتح الهمزة والثاءِ.

وقرأَت فرقة: ﴿إِثري﴾ بكسر الهمزة وسكون الثاءِ[3].

(١) «بمنه» ليست في المطبوع.

(٢) وهي شاذة، عزاها في الشواذ للكرماني (ص: ٣١٠) للضحاك، وأشار لها في معاني القرآن للفراء (٢/ ١٨٨) دون نسبة.

(٣) وهي عشرية لرويس كما في النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٢١)، والأولى للباقين.

وأَعلمه موسى عليه السلام أَنه إِنما استعجل[١] طلب الرِّضا، فأَعلمه الله تعالى أَنه قد فَـتَنَ بني إِسرائيل؛ أَي: اختبرهم بما صنع السَّامري، ويحتمل أَن يريد: أَلقيناهم في فتنة؛ أَي: في مَيْل مع الشهوات، ووقوع في اختلاف كلمة.

و﴿مِنۢ بَعۡدِكَ﴾؛ أَي: من بعد فراقك لهم.

[وقرأَت فرقة: ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ على إِسناد الفعل إِلى السَّامري][٢].

وقرأَت فرقة: (وأَضلُّهم السامريُّ) بضم اللام[٣] على الابتداء والإخبار عن السَّامريِّ أَنه أَضَلُّ القوم، [والقراءة الأولى أكثر وأشد في تذنيب السامري][٤].

والسَّامِرِيُّ رجلٌ من بني إِسرائيل، ويقال: إِنه / كان ابن خال موسى، وقالت [٤/ ٣٢] فرقة: لم يكن من بني إِسرائيل، بل كان أَصْله من العجم من أَهل كرمان، والأَول أَصح.

وكان قَصص السَّامري أَنه كان منافقاً عنده حِيَلٌ وسحرٌ، وقبض القبضة من أَثر جبريل عليه السلام، وعلم بما أَقدره الله عليه لِفِتْنَةِ القوم أَنه يتهيَّأُ له بتلك القبضة ما يريد مما يجوز[٥] على الله تعالى؛ لأَنه لو ادَّعى النبوَّة مع ذلك العجل لما صحَّ، ولا جاز أَن يخور، ولا أَن تتم الحيلة فيه، لكنه لمَّا ادَّعى له الربوبية وعلامات كذِبِه قائمة لائحة صحت الفتنة به، وجاز ذلك على الله تعالى، كقصة الدَّجَّال الذي تخرق له العادات؛ لأَنه مدعي الربوبية، ولو كان مدعي النبوة لما صحَّ شيءٌ من ذلك.

فلمَّا رأَى السَّامري موسى قد غاب، ورأَى سفه[٦] بني إِسرائيل في طلبهم من

---

(١) في المطبوع: «استعمل».
(٢) ليس في الحمزوية وأحمد٣.
(٣) وهي شاذة، عزاها في زاد المسير (٥/ ٣١٣) لمعاذ القارئ وأبي المتوكل وعاصم الجحدري وابن السميفع.
(٤) ليس في المطبوع.
(٥) في المطبوع: «يخور».
(٦) في المطبوع: «بقية».

موسى آلهةً حين مروا على قوم يعبدون أَصناماً على صفة البقر ـ وقيل: كانت بقراً حقيقية ـ علم أَنه سيفتنهم من هذا الطريق.

فيروى أَنه قال لهم: إِنَّ الحليَّ الذي عندكم من مال القبط قبيح بكم حَبسُه، ولكنِ اجمعوه عندي حتى يحكم الله لكم فيه، وقيل: إن هارون عليه السلام أَمر بجمعه ووضعه في حفرة حتى يجيءَ موسى ويستأْذن فيه ربَّه، وقيل: بل كان المال الذي جمعوه للسَّامري ممَّا لَفَظَ البحرُ من أَموال القبط الغارقين مع فرعون، فيروى مع هذا الاختلاف أَن الحليَّ اجتمع عند السَّامري[١]، وأَنه صاغ[٢] العجل وأَلقى القبضة فيه فَخَار[٣].

ورُوي ـ وهو الأَصحُّ والأَكثر ـ أَنه أَلقى الناس الحلي في حفرة أَو نحوها، وأَلقى هو عليه القبضة فتجسَّد العجل، وهذا هو وجْه فتنة الله تعالى لهم، وعلى هذا نقول: انخرقت للسَّامريِّ عادة، وأَما على أَن يصوغه فلم تنخرق له عادة، وإِنما فُتنوا حينئذ بِخُواره فقط، وذلك الصوت قد تولد في الأَجرام والصنعة.

فلما أَخبره الله بما وقع[٤] رجع موسى إِلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً عليهم من حيث له قدرة على تغيير منكرهم[٥].

وقوله: ﴿أَسِفًا﴾؛ أَي: حزيناً من حيث علم أَنه موضع عقوبة لا يد له[٦] بدَفْعِها، ولا بُدَّ منها، والأَسَفُ في كلام العرب متى كان من ذي قدرة على من دونه فهو غضب، ومتى كان من الأَقل على الأَقوى فهو حُزْن، وتأَمَّل ذلك فهو مُطَّرد إِن شاءَ الله عز وجل.

---

(١) في الأصل: «العجل».
(٢) في المطبوع: «صنع».
(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٣٥٥).
(٤) ليس في الأصل.
(٥) في الأصل: «مكرهم».
(٦) في الأصل: «مأموله»، بدل: «لا يد له».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ... ﴿٨٨﴾﴾.

وبَّخ موسى عليه السلام قومه بهذه المقالة، و«الْوَعْدُ الْحَسَن»: هو ما وعدهم من الوصول إِلى جانب الطُّور الأَيمن، وما بعد ذلك من الفُتوح في الأَرض، والمغفرة لمن تاب وآمن، وغير ذلك مِمَّا وَعَدَ الله به أَهل طاعته.

وقوله: ﴿وَعْدًا﴾ إِمَّا أَن يكون نصباً على المصدر، والمفعول الثاني مُقَدَّر، وإِمَّا أَن يكون بمعنى الموعود، ويكون هو المفعول الثاني بعينه.

ثم وقفهم على أَعذارٍ لم تكن ولا تصحُّ لهم، وهي طول العهد حتى يتبيَّن لهم خلف في الموعد، وإِرادة غضب الله تعالى، وذلك كلُّه لم يكن ولكنهم عملوا عمل من لم يتديَّن.

وسُمِّي العذاب غضباً من حيث هو ناشئٌ[(١)] عن الغضب، والغضبُ إِنْ جُعل بمعنى الإِرادة فهو صفةُ ذات، وإِن جُعل ظهور النقمة والعقاب فهو صفة فعل[(٢)] من المتردد بين الحالين.

وقرأَ نافع، وعاصمٌ: ﴿بِمَلْكِنَا﴾ [بفتح الميم.

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿بِمُلْكِنَا﴾][(٣)] بضمة.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿بِمِلْكِنَا﴾ بكسرة[(٤)].

قال أَبو علي: هذه لغات[(٥)].

---

(١) من المطبوع ونجيبويه.

(٢) ليس في الأصل.

(٣) ليس في لالاليه.

(٤) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٥٣)، والسبعة (ص: ٤٢٢).

(٥) انظر: الحجة (٥/ ٢٤٤).

قال القاضي أبو محمد: ظاهر الكلام أَنها بمعنى واحد، ولكن أَبا علي وغيره قد فرَّق بين معانيها، فأَمَّا ضم الميم فمعناه على قول أَبي علي: لم يكن لنا مُلْك فنُخلف موعدك بقوته وسلطانه، وإِنما أَخلفناه بنظر أَدَّى إِليه ما فعل السَّامري، وليس المعنى أَن لهم مُلْكاً، وإِنما هو كقول ذي الرُّمَّة:

[البسيط] لا يُشْتكَى سَقْطَةٌ مِنْهَا وَقَدْ رَقَصَتْ ... بِها الْمَفَاوِز حَتَّى ظَهْرُهَا حَدِبُ[1]

أَي: لا تكون منها سَقْطَةٌ فَتُشْتَكى، قال: وهذا كقوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]؛ أي: ليس منهم سؤال فيكون منهم إِلْحاف.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا كلُّه في هذه الأَمثلة غير متقن من قول أَبي علي، وإِنما مشى في ذلك أَثر الزجاج[2] دون تعقب، وقد شرحتُ هذا المعنى في سورة البقرة في تفسير: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾، وبيِّنٌ أَن هذه الآية ليست كهذه الأَمثلة؛ لأَنهم لم يرفعوا الاختلاف، والأَمثلة فيها رفع الوجهين.

وأَما فتح الميم فهو مصدرٌ من مَلَك، والمعنى: ما فعلنا ذلك بأَنَّا ملكنا الصواب ولا وُفِّقنا له، بل[3] غَلَبتنا أَنفسنا.

وأَمَّا كسر الميم فقد كثر استعماله فيما تحوزه اليد، ولكنه يستعمل في الأُمور التي يُبْرمها الإِنسان، ومعناها كمعنى التي قبلها، والمصدر مضاف في الوجهين إِلى الفاعل، والمفعول مُقَدَّر؛ أَي: بِمَلْكِنَا الصواب، وهذا كما قد يضاف أَحياناً إِلى المفعول والفاعلُ مُقدَّر، كقوله تعالى: ﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ [ص: ٢٤]، و﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩].

---

(١) انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٢٨٢)، ومعجم مقاييس اللغة (٤/ ٣٥٥)، في أحمد٣: «الحمولة»، بدل «المفاوز».

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٧١).

(٣) في المطبوع ونجيبويه: «وإنما».

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿حُمِّلْنَآ﴾ بضم الحاءِ وشدِّ الميم.

وقرأَ أَبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿حَمَلْنَا﴾ بفتح الحاءِ والميم(١).

و«الأَوْزَارُ»: الأَثقال، وتحتمل هذه التسمية أَن تكون من حيث هي ثقيلة الأَجرام، ويحتمل أَن تكون من حيث تأَثَّمُوا(٢) في قذفها وظهر لهم أَن ذلك هو الحق فكانت آثاماً لمن حملها.

وقوله: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى﴾ أَي: فكما قذفنا نحن فكَذلِكَ أيضاً أَلْقَى السَّامريُّ ما كان بيده.

قال القاضي أَبو محمد: وهذه الأَلفاظ تقتضي أَن العِجْل لم يصغه(٣) السَّامري.

ثم أَخبر الله تعالى عن فعل السامريِّ بقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾.

ومعنى قوله: ﴿جَسَدًا﴾؛ أَي: شَخْصاً لا روح فيه، وقيل: معنى ﴿جَسَداً﴾: لا يتغذَّى.

و«الخُوَارُ»: صوتُ البقر، وقالت فرقة: كان هذا العجل يخور ويمشي.

قال القاضي أَبو محمد: وهكذا تكون الفتنة من قِبَلَ الله تعالى، قاله ابن عباس(٤).

[وقالت فرقة: إنما خار مرة واحدة / ثم لم يعد](٥). [٤/ ٣٣]

وقالت فرقة: إِنما كان خواره بالرِّيح، كانت تدخل من دُبره وتخرج من فيه، فيصوت لذلك(٦).

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٣)، والسبعة (ص: ٤٢٢).

(٢) في الأصل: «آمنوا».

(٣) في المطبوع: «يصفه»، وفي الحمزوية ولالاليه: «يضعه».

(٤) أخرجه الطبري (٢/ ٦٦) عن ابن حميد قال: حدثنا سلمة قال: حدثني محمد بن إسحاق عن حكيم ابن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بنحوه، وإسناده ضعيف.

(٥) ليس في المطبوع ونجيبويه وأحمد٣ ولالاليه.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٧٢)، وتفسير الطبري (٢/ ٦٤)، والهداية لمكي (١/ ٢٦٧)، وتفسير الماوردي (١/ ١٢١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿...فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾.

الضمير في قوله: ﴿فَقَالُواْ﴾ لبني إِسرائيل، أَي: قالوا[1] حين قال كبارهم لصغارهم.

و﴿هَٰذَآ﴾ إِشارة إِلى العجل.

وقوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾ يحتمل أَن يكون من كلام بني إِسرائيل؛ أَي: فنسي موسى عليه السلام ربَّه وإِلهه وذهب يطلبه في غير موضعه.

ويحتمل أَن يكون ﴿فَنَسِيَ﴾ إِخباراً من الله تعالى عن السَّامري أَنه نسي دينه وطريق الحق.

قال القاضي أَبو محمد: فالنسيان في التأويل الأَول[2] بمعنى الذُّهول، وفي الثاني بمعنى الترك.

ثم قرن تعالى موضع خطابهم بقوله: ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ﴾، والمعنى: أَفَلَم يتبيَّن هؤلاء الذين ضلُّوا أَن هذا العجل إِنما هو جماد لا يتكلم ولا يرجع قولاً ولا يضر ولا ينفع؟، وهذه خلال لا يخفى معها الحدوث والعجز؛ لأَن هذه الخلال لو حصلت له أَوجبت كونه إِلهاً.

وقرأَت فرقة: ﴿أَلَّا يَرۡجِعُ﴾ برفع العين، و(أَنْ) على هذه القراءة: مخففة من الثقيلة، والتقدير: أَنه لا يرجع.

---

(١) في المطبوع والإماراتية ونجيبويه: «ضلُّوا».

(٢) في حاشية المطبوع في بعض النسخ: «في هذا التأويل».

وقرأَت فرقة: (أن لا يرجعَ)[١]، و(أَنْ) على هذه القراءَة هي الناصبة.

وأَخبر عزَّ وجلَّ أَن هارون قد كان قال لهم في أَول حال العجل: يا قَوْم[٢] إِنما هي فتنة وبلاءٌ وتمويه من السَّامري، وإِنما ربكم الرَّحْمنُ الذي له القدرةُ والعِلْم والخَلْق والاختراع، فاتَّبعوني إِلى الطُّور الذي واعدكم الله تعالى إِليه، وأَطيعوا أَمري فيما ذكرته لكم.

وقرأَت فرقة: ﴿إِنَّمَا﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ بكسر الهمزتين.

وقرأَت فرقة: (أَنَّما)... (وَأَنَّ) بفتح الهمزتين.

[وقرأَت فرقة: (إِنَّما) بالكسر، (أَنَّ) بالفتح]، والقراءَة الوسطى ضعيفة[٣].

فقال بنو إِسرائيل حين وعظهم هارون ونَدَبهم إِلى الحق: لَنْ نَبْـرَحَ عابدين لهذا الإِله، عاكفين عليه، أَي: لازمين له، و«العكوف»: الانحناءُ على الشيء من شدة ملازمته.

ومنه قول الراجز:

عَكْفَ النَّبِيطِ يَلْعَبُونَ الْفَنْـزَجا[٤] .... [الرجز]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ٩٣ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ٩٤﴾.

في سرد القصص اقتضاب يدل عليه ما ذُكر تقديره: فرجع موسى فوجد الأَمر كما ذكره الله تعالى له، فجعل يؤنب هارون بهذه المقالة.

---

(١) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٩١) لأبي حيوة، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣١١) لأبي البرهسم.

(٢) ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٣) وهما شاذتان، عزا الأولى منهما في مختصر الشواذ (ص: ٣١١) لعيسى الكوفة، وعزا الثانية في مختصر الشواذ (ص: ٩٢) للحسن وعيسى، وهي ليست في الأصل.

(٤) تقدم الاستشهاد به في تفسير الآية (١٢٩) من سورة البقرة، وكتبت في الأصل هنا: «الفررجا».

وقرأ الجمهور: ﴿تَتَّبِعَنِ﴾ بحذف الياء، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بإثباتها في الوصل، ويقف ابن كثير بالياءِ، وأبو عمرو بغير الياءِ[١].

ويحتمل قوله: ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾؛ أي: ببني إِسرائيل نحو جبل الطُّور، فيجيءُ اعتذار هارون: إِني لو فعلت ذلك مشت معي طائفة، وأقامت طائفة على عبادة العجل، فيتفرق الجمع، فخفْتُ لومك على التفرق.

ويحتمل قوله: ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾؛ أي: أَلَّا تسير بسيرتي، وعلى طريقتي في الإِصلاح والتسديد، فيجيءُ اعتذار هارون بمعنى: إِنَّ الأَمر كان متفاقماً، فلو تقويت عليه وقع القتال واختلاف الكلمة، فكان تفريقاً بين بني إِسرائيل، وإِنما لايَنْتُ جهدي.

وقوله: ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ بمعنى: ما منعك أَن تتبعني؟

واختلف الناس في وجه دخول ﴿لَا﴾: فقالت فرقة: هي زائدة، وذهب حذاق النحاة إِلى أَنها مؤكدة، وأَن في الكلام فِعْلاً مقدراً، كأَنه قال: ما منعك ذلك، أَو خصك، أَو نحو هذا على أَلَّا تتبعني؟ وما قبْل وما بعْد يدل على هذا ويقتضيه.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وحفص عن عاصم: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾.

فيحتمل أَن يريد: يَا بْنَ أُمَّا، فحذف الأَلف تخفيفاً، ويحتمل أَن يجعل الاسمين اسماً واحداً: وبناه كخمسة عشر.

وقرأ أَبو بكر عن عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿يابن أمِّ﴾ بالكسر[٢] على حذف الياء تخفيفاً، وهو شاذٌّ؛ لأَنها ليست كالياءِ في قولك: يا غلامي، وإِنما هي كالياءِ في قولك: يا غلامَ غلامي، وهذه ياءٌ لا تحذف.

---

(١) ووافق أبا عمرو نافعٌ، وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٥٤).

(٢) وهما سبعيتان، وابن عامر مع حمزة، انظر: السبعة (ص: ٤٢٣)، وفي الأصل والعلمية: «ابن كثير» بدل «أبي بكر»، وهو خطأ.

ويحتمل أَن يجعل الاسمين اسماً واحداً ثم أَضاف إِلى نفسه، فحذف الياءَ كما تحذف من الأَسماء المفردة إِذا أُضيفت، نحو يا غلام، وقالت فرقة: لم يكن هارون أَخا موسى إِلَّا من أُمِّه.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيفٌ.

وقالت فرقة: كان شقيقه، وإِنما دعاه بأُمه؛ لأَن التداعي بالأُمِّ أَشفقُ، وأَشدُّ استرحاماً.

وأَخذ موسى عليه السلام بلحية هارون غضباً، وكان حديد الخُلُق عليه السلام.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾.

المعنى: قال موسى مخاطباً للسَّامري: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾، وقوله: ما خَطْبُكَ كما تقول: ما شأْنك؟ وما أَمْرُك؟، ولكن لفظة الخطب تقتضي انتهاراً؛ لأَن الخطب مستعمل في المكاره، فكأَنه قال: ما نَحْسُك؟ وما شُؤْمك؟ وما هذا الخطْب الذي جاءَ من قبَلك.

و«السَّامِرِيُّ» قيل: هو منسوب إِلى قبيلة من بني إِسرائيل، وقيل: هو منسوب إِلى قرية يقال لها: سامرة.

قال القاضي أبو محمد: وهي معروفة اليوم ببلاد مصر، وقيل: اسمه موسى بن ظفر[1].

وقرأَت فرقة: ﴿بَصُرْتُ﴾ بضم الصَّاد على معنى: صارت بصيرتي بصورة مَّا، فهو كَظَرُفتُ وشَرُفْت، وقرأَت فرقة: (بَصِرْتُ) بكسر الصاد[2]، فيحتمل أَن يراد من

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٦٧) الهداية لمكي (١/ ٢٦٨) النكت والعيون للماوردي (٣/ ٤٢٢).
(٢) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣١١) للأعمش، وفي مختصر الشواذ (ص: ٩٢) له ولأبي السمال.

البصيرة، ويحتمل أَن يراد من البَصَر، وذلك أَن في أَمر السامري ما زاده على الناس بالبصر، وهو وجه جبريل عليه السلام وفرسه، وبالبصيرة، وهو ما علمه من أَنَّ القبضة / إِذا نبذها مع الحليِّ جاءَه من ذلك ما يريد. [٤/ ٣٤]

وقرأَ الجمهور: ﴿يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ بالياء، يريد بني إِسرائيل، وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿تبْصرُوا﴾ بالتاءِ من فوق[١]، يريد موسى مع بني إِسرائيل.

وقرأَ الجمهور: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾ بالضاد منقوطة، بمعنى: أَخذت بكفي مع الأَصابع.

وقرأَ ابن مسعود، وابن الزبير، وأُبيُّ بن كعب، وغيرهم: (فقبصتُ قَبصةً) بالصاد غير منقوطة، بمعنى: أَخذت بأَطراف أَصابعي فقط.

وقرأَ الحسن بخلاف عنه: (قُبْصَةً) بضم القاف[٢].

و﴿ٱلرَّسُولِ﴾: جبريل عليه السلام، و«الأَثَرُ»: هو ترابٌ تحت حافر فرسه.

وسبب معرفة السَّامري لجبريل ومَيْزه فيما رُوي: أَنَّ السَّامري ولدته أُمّه عام الذَّبْح فطرحته في مغارة، فكان جبريل عليه السلام يغذوه فيها ويحميه حتى كبر وشبَّ، فميَّزه لذلك.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف.

وقوله: ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾؛ أَي: على الحلي، فكان منها ما تراه، وهذا محذوف من اللفظ تقتضيه الحال والمخاطبة، ثم قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾، أَي: وكما حدث ووقع قربت[٣] لي نفسي، وجعلته لي سؤلًا وأرباً[٤] حتى فعلتُه.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٢٤)، والتيسير (ص: ١٥٣).

(٢) وهما شاذتان، انظر: المحتسب (٢/ ٥٤).

(٣) في الأصل: «قويت»، وفي لالاليه: «فزينت»، وفي الإماراتية: «قرنت».

(٤) المطبوع ونجيبويه: «رأيا».

وكان موسى عليه السلام لا يقتل بني إِسرائيل إلا في حدٍّ[١] أَو وَحْي، فعاقبه باجتهاد نفسه بأَن أَبعده ونحَّاه عن الناس، وأَمر بني إِسرائيل باجتنابه واجتناب قبيلته، وأَلَّا يُؤَاكَلُوا ولا يُناكَحُوا، ونحو هذا، وعلمه مع ذلك، وجعل له أَن يقول مدة حياته: لا مِساسَ، أَي: لَا مُمَاسَّة ولا إِذاية.

وقرأَ الجمهور: ﴿لَا مِسَاسَ﴾ بكسر الميم وفتح السين، على النصب بالتَّبرئة، وهو اسم ينصرف، ومنه قول النَّابغة:

فَـأَصْبَـحَ مِنْ ذَاكَ كَـالسَّامِـرِيِّ إِذْ قَـالَ مُـوسَى لَـهُ لا مِسَاسـا[٢] [المتقارب]

ومنه قول رؤْبة:

حـتَّى يَـقُـولَ الأَزْدُ لَا مِـسَـاسَـا[٣] [الرجز]

واستعماله على هذا كثير.

وقرأَ أَبو حيوة: (لا مَسَاسِ) بفتح الميم وكسر السين[٤]، وهو معدول عن المصدر كَفَجَارِ ونحوه، وشبَّهه أَبو عبيدة وغيره بِنَزَالِ ودَرَاكِ ونحوه، والشَّبه صحيح من حيث هي معدولات، وفارقه في أَن هذه عدلت عن الأمر، ومَسَاسِ وفَجَارِ عدلت عن المصدر، ومن هذا قول الشاعر:

تَمِيـمٌ كَرَهْـطِ السَّـامِرِيِّ وَقَوْلِـهِ أَلا لا يُرِيدُ السَّـامِرِيُّ مَسَـاسِ[٥] [الطويل]

---

(١) في المطبوع: «جد»، وفي نجيبويه: «حق».

(٢) هو النابغة الجعدي كما في مجاز القرآن (٢/ ٢٦)، من سينيته التي تقدمت منها عدة شواهد.

(٣) تابعه في عزوه له في البحر المحيط (٧/ ٣٧٨)، ونسبه في مجاز القرآن (٢/ ٢٧)، وغريب الحديث للخطابي (١/ ٢١٩) للقلاخ بن حزن المنقري، وقبله عنده:

ووتّــر الأســاور القيــاسا صـغديّـة تـنـتـزع الأنفـاسا

ونسبه الماوردي في التفسير (٣/ ٤٢٣) لشاعرة لم يسمها.

(٤) وهي شاذة، نسبها له في المحتسب (٢/ ٥٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٣١٢).

(٥) البيت في مجاز القرآن (٢/ ٢٧)، وتفسير السمعاني (٣/ ٣٥٣)، وتفسير الماوردي (٣/ ٤٢٤) بلا نسبة.

وقرأ الجمهور: ﴿تُخْلَفَهُۥ﴾ بفتح اللام، على معنى: لن يقع فيه خُلْف.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرٍو: ﴿لَنْ تُخْلِفَهُ﴾ بكسر اللام(١)، على معنى: لن تستطيع الروغان(٢) عنه والحيدة، فتزول عن موعد العذاب.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (لَنْ نُخْلَفَهُ) بالنون، قال أبو الفتح: المعنى: لن نصادفه مُخْلَفاً(٣).

قال القاضي أبو محمد: وكلها بمعنى الوعيد والتهديد.

ثمَّ وبَّخه عليه السلام بقوله: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى﴾؛ أي: انظر صنيعك، وتغْييرنا له، وردَّنا الأمر فيه إلى الواجب.

وقرأت فرقة: ﴿ظَلْتَ﴾ بفتح الظاءِ، على حذف اللام الواحدة.

وقرأت فرقة: (ظِلْتَ) بكسر الظاءِ(٤) على نقل حركة اللام إلى الظاءِ ثم حذفها بعد ذلك، نحو قول الشاعر:

خَـلَا أَنَّ العِتَـاقَ مِـنَ الْمَطَايَـا   أَحَسْنَ بِهِ فَهُنَّ إِلَيْهِ شُوسُ(٥) [الوافر]

أراد: أَحْسَسْن، فنقلت حركة السِّين إلى الحاءِ ثم حذفت تخفيفاً، وفي بعض الروايات: حَسَيْنَ(٦).

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٣)، والسبعة (ص: ٤٢٤).

(٢) في المطبوع والحمزية: «الزوغان».

(٣) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٥٦).

(٤) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٩٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٣١٢) لابن مسعود وقتادة، وزاد كل منهما آخرين.

(٥) البيت لأبي زُبَيْد الطائي كما في جمهرة اللغة (١/ ٩٧)، والأمالي للقالي (١/ ١٧٨)، والمحتسب (١/ ١٢٢)، والإنصاف (١/ ٢٧٧).

(٦) وهي رواية جمهرة اللغة (١/ ٩٧)، وأمالي القالي (١/ ١٧٨).

وقرأت فرقة: (ظَلِلْتَ)[١]، وظَلَّ معناه: أَقام يفعل الشيءَ نهاراً، ولكنه قد يستعمل في الدَّائب ليلاً ونهاراً، بمثابة طَفِقَ.

و﴿عَاكِفاً﴾ معناه: ملازماً.

وقرأت فرقة: (لَنُحْرِقَـنَّه) بتخفيف الراءِ بمعنى: بالنار.

وقرأ علي بن أَبي طالب رضي الله عنه، وابن عباس: (لَنَحْرُقَنَّهُ) بضم الراء وفتح النون[٢] بمعنى: لَنَـبْرُدَنَّهُ بالمِبْرَد.

وقرأ نافع وغيره: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بضم النون وكسر الرَّاء وشدِّها[٣]، وهذا تضعيف مبالغة لا تعدية، وهي قراءة تحتمل الحرق بالنار، وتحتمل بالمبرد.

وفي مصحف أُبي، وعبد الله بن مسعود: (لَنَذْبَحَنَّهُ ثمَّ لَنَحْرِقَنَّهُ ثمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ)[٤]، وهذه القراءة مع رواية من روى أَن العجل صار لحماً ودماً، وعلى هذه الرواية تركَّب أَن يكون هناك حرق بنارٍ، وإِلَّا فإِذا كان جماداً من ذهب فإِنما هو حَرْق بالمِبْرَد، اللهم إِلَّا أَن تكون إِذابة، ويكون النَّسف مستعاراً لتفريقه في اليَمِّ مذاباً.

وقرأت فرقة: ﴿لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ بكسر السِّين، وقرأت فرقة: (لَنَنْسُفَنَّهُ) بضم السين[٥].

و«النَّسْفُ»: تفريق الريح الغُبَار، وكل ما هو مثله كتفريق الغربال ونحوه فهو نسف.

---

(١) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٩٢) لأبي، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣١٢) لقتادة.

(٢) وهما شاذتان، عزا الأولى في الشواذ للكرماني (ص: ٣١٣) لأبي نهيك، والثانية لأصحابها في المحتسب (٢/ ٥٨).

(٣) هذه هي القراءة المتواترة للجمهور العشرة وغيرهم.

(٤) وهي شاذة مخالفة للمصحف، انظر عزوها لابن مسعود في تفسير الطبري (١٨/ ٣٦٦)، ولأبي في غرائب التفسير (٢/ ٧٢٩).

(٥) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٩٢) لعيسى، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣١٣) لأبي رجاء، والأولى هي المتواترة.

و﴿ٱلْيَمِّ﴾: غمر الماءِ من بحر أو نهر[١]، وكل ما غمر[٢] الإنسان من الماءِ فهو يَمٌّ.

و﴿نَسْفًا﴾: تأْكيد بالمصدر، واللام في قوله: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ لام القسم.

وفي هذه الآية من القصص أَن موسى عليه السلام بَـرَدَ العِجْلَ حتى رجع كالغبار ثُمّ ذرَّاه في البحر، ثم أَمر بني إِسرائيل أَن يشرب جميعهم من الماءِ، فكلما شرب من كان في قلبه حُب العجل خرج على شاربه من الذهب فضيحةً.

وقال مكيٌّ ـ رحمه الله ـ وأَسْنَدَ: إِنَّ موسى عليه السلام كان مع السبعين في المناجاة، وحينئذ وقع أَمر العجل، وإِن الله تعالى أَعلم موسى بذلك فكتمه[٣] عنهم، وجاءَ بهم حتى سمعوا لغط[٤] بني إِسرائيل حول العجل، فحينئذ أَعلمهم موسى[٥].

قال القاضي أَبو محمد: وهذه روايةٌ الجمهورُ على خلافها، وإِنما تعجَّل موسى عليه السلام وحده فوقع أَمر العجل، ثم جاءَ موسى وصنع ما صنع بالعجل، ثم خرج بعد ذلك بالسبعين على معنى الشفاعة في ذنب بني إِسرائيل، وأَن يطلعهم أيضاً على أَمر المناجاة، فكان لموسى عليه السلام نهضتان، والله أَعلم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾.

[٤/ ٣٥] هذه مخاطبة من موسى عليه السلام لجميع بني إِسرائيل مُبَيِّناً لهم،/ وقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ بمعنى: وسع علمُه كلَّ شيءٍ، و﴿عِلْمًا﴾ تمييز، وهذا

---

(١) في الأصل: «وغيره».
(٢) في لالاليه: «عمّ».
(٣) في الأصل: «فكلمه».
(٤) في الأصل ولالاليه: «لفظ».
(٥) انظر: الهداية لمكي (٧/ ٤٦٩٠-٤٦٩٢).

كقولهم: تفقَّأْتُ شحماً وتَصَبَّبْتُ عَرَقاً، والمصدر في الأَصل فاعل، ولكن يسند الفعل إِلى غيره وينصب هو على التمييز.

وقرأَ مجاهد، وقتادة: (وَسَّعَ كُلَّ شَيْءٍ) بفتح السِّين وشدِّها[١]، بمعنى: خَلَقَ الأَشياءَ وكثَّرها بالاختراع فوسَّعها موجودات.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ﴾ مخاطبةٌ لمحمد ﷺ، أَي: كما قَصَصْنا عليك نبأَ بني إِسرائيل هذا في خبر العجل كذلك نقصُّ عَلَيْكَ، فكأَنه قال: هكذا نقصُّ عليك، فكأَنَّها تعديد نعمته.

وقوله: ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ يريد به ما قد سبق مدَّة محمد ﷺ، و«الذِّكْرُ»: القرآن.

وقرأَت فرقة: ﴿يَحْمِلُ﴾ بكسر الميم، وقرأَت فرقة: (يُحَمَّل) بفتح الميم وشدها[٢].

وقوله: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ يريد: بالكفر به والتكذيب له.

و«الوِزْرُ»: الثقل، وهو هاهنا ثقل العذاب بدليل قوله تعالى: ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهِ﴾، و﴿حِمْلًا﴾ تمييز، و﴿يَوْمَ﴾ ظرف، و﴿يَوْمَ﴾ الثاني بدل منه.

وقرأَ الجمهور: ﴿يُنفَخُ﴾ بضم الياءِ وبناءِ الفعل للمفعول.

[وقرأَت فرقة: (يَنْفُخُ) بفتح الياءِ وبناء الفعل للفاعل][٣]؛ أَي: يَنْفُخ الـمَلَك.

وقرأَ أَبو عمرو وحده: ﴿نَنْفُخُ﴾ بالنون؛ أَي: بأَمرنا وإِذْنِنَا، وهذه القراءة تناسب قوله: ﴿وَنَحْشُرُ﴾[٤].

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في المحتسب (٢/ ٥٧).

(٢) الأولى هي المتواترة، والثانية شاذة لداود بن رفيع، كما في مختصر الشواذ (ص: ٩٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٣١٣).

(٣) ليس في أحمد٣ ولالاليه، في المطبوع: «وإسناد»، بدل «بناء».

(٤) وهي والأولى سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٣)، والثانية شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣١٣) للأعرج والحسن.

وقرأ الجمهور: ﴿فِى ٱلصُّورِ﴾ بسكون الواو، ومذهب الجمهور أَنه القَرن الذي ينفخ فيه إِسرافيل، وبهذا جاءت الأَحاديث، وقالت فرقة: الصُّور: جمع صورة، كتمرة وتَمْر.

وقرأ ابن عياض[١]: (ينفخ في الصُّوَر) بفتح الواو[٢].

وهذه صريحة في بعث الأَجساد من القبور.

وقرأَت فرقة هي الجمهور: ﴿وَنَحْشُرُ﴾ بالنون.

وقرأَت فرقة: (وَيَحْشُرُ) بالياءِ، وقرأَت فرقة: (وَيُحْشَرُ) بضم الياءِ (المُجْرِمُونَ) على المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله، وهي قراءة مخالفة لخط المصحف[٣].

وقوله: ﴿زُرْقًا﴾ اختلف الناس في معناه:

فقالت فرقة: يحشرهم أَول قيامهم سودَ الأَلوان، زُرقَ العيون، فهو تشويهٌ مَّا، ثم يعمون بعد ذلك، وهي مواطن.

وقالت فرقة: إِنهم يحشرون عطاشاً، والعطش الشديد يردُّ سواد العيون إِلى البياض، فكأَنهم يَبْيَضُّ سواد عيونهم من شدة العطش.

وقالت فرقة: أَراد: زُرْق الأَلوان، وهي غاية في التشويه؛ لأَنهم يجيئون كلون الرماد، ومَهْيَعٌ[٤] في كلام العرب أَن يُسَمَّى هذا اللون أَزرق، ومنه زرقة الماء، قال الشاعر:

[الطويل]

فَلَمَّا وَرَدْنَ الْماءَ زُرْقاً جِمَامُهُ ... وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ[٥]

---

(١) في المطبوع ونجيبويه وأحمد٣ والحمزوية ونور العثمانية والإماراتية: «عبد الله بن عباس رضي الله عنه».

(٢) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٣١٣)، وفي المحتسب (٢/ ٥٨) عياض، وقد تقدم مثلها في (الأنعام) عن الحسن.

(٣) شاذتان، عزا في زاد المسير (٥/ ٣٢١) الأولى لأبي بن كعب وأبي الجوزاء وطلحة، والثانية لابن مسعود والحسن وأبي عمران.

(٤) في لالاليه: «شنيع».

(٥) البيت لزهير من معلقته كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ١٥٩)، والبيان والتبيين (٣/ ٨٤)، والكامل للمبرد (٣/ ٧٦).

ومنه قولهم: سنان أَزرق؛ لأَنه نحو ذلك اللون.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾.

أي يَتَخَافَت المجرمون بينهم: أي يَتَسَارُّون، المعنى: أَنهم لهول المطلع وشدَّة ذهاب أَذهانهم قد عزب عنهم قَدْرُ المدَّة التي لبثوها، واختلف الناس فيما ذا[١]:

فقالت فرقة: في دار الدنيا ومُدَّة العمر.

وقالت فرقة: في الأَرض مدَّة البرزخ، وقالت أُخرى: ما بين النفختين في الصُّور.

و﴿أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ معناه: أَثبتهم نفساً[٢]، وأَعلمهم بالحقيقة بالإضافة إِليهم، فهم في مدة المقالة يظنون أَن هذا قَدْر لُبْثهم.

والضمير في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾، قيل: إِن رجلاً من ثقيف سأَل رسول الله ﷺ [عن الجبال، ما يكون أَمرها][٣] يوم القيامة؟ وقيل: بل سأَله عن ذلك جماعةٌ من المؤمنين، وقد تقدَّم معنى النَّسف.

وروي: أَن الله تعالى يرسل على الجبال ريحاً فيدكدكها حتى تكون كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ، ثم يتوالى عليها حتى تعيدها كالهباءِ المنبثِّ، فذلك هو النَّسف.

وقوله تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا﴾ يحتمل أَن يريد مواضعها، ويحتمل أَن يريد ذلك التراب الذي نسفه؛ لأَنه إِنما يقع على الأَرض باعتدال حتى تكون الأَرض كلها مستوية.

و«القَاعُ»: المستوي من الأَرض المعتدل الذي لا نَشَزَ فيه، ومنه قول ضرار بن الخطَّاب[٤]:

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «في هذا».

(٢) في الأصل وأحمد٣: «يقينا»، وفي لالاليه: «أنسا».

(٣) في الأصل ولالاليه ونور العثمانية وأحمد٣: «ما يكون من أمر الجبال».

(٤) هو ضرار بن الخطّاب بن مرداس الفهريّ، له صحبة، وكان فارساً شاعراً، وله ذكر في أحد والخندق،=

[الخفيف] لَتَكُونَنَّ بِالْبِطَاحِ قُرَيْشٌ بُقْعَةَ الْقَاعِ فِي أَكُفِّ الإِمَاءِ(١)

و«الصَّفْصَفُ» نحوه في المعنى، و«العِوَجُ»: ما يعتري اعتدال الأَرض من الأَخْذ يَمْنة ويَسْرة بحسب النَّشْز من جبل وظرب(٢) وكُدْيَةٍ، ونحوه، و«الأَمْتُ»: ما يعتري الأَرض من ارتفاع وانخفاض، يقال: مدَّ حبله حتى ما ترك فيه أَمْتاً، فكأَنَّ الأَمت في الآية العوج في السماء تجاه الهواء، والعِوَج في الآية مختص بالعرض(٣)، وفي هذا نظر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾.

المعنى: يوم تُنسف الجبال يَتْبع الخلقُ داعيَ الله تعالى إِلى المحشر، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٨].

وقوله: ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ يحتمل أَن يريد الإِخبار به، أَي: لا شكَّ فيه، ولا يخالف وجوده خبره.

ويحتمل أَن يريد: لا محيد لأَحد عن اتِّباعه، والمشي نحو صوته.

و«الـخُشُوعُ»: التَّطامنُ والتَّواضعُ، وهو في الأَصوات استعارة بمعنى الخفاء والاستسرار(٤).

= ثم أسلم في الفتح، وقتل باليمامة شهيداً، وقيل: بل عاش إلى أن حضر فتح المدائن ونزل الشّام، الإصابة (٣/ ٣٩٢).

(١) انظر عزوه له في الروض الأنف (٧/ ٢١٩)، والبطحاءُ: مَسيل الوادي يتجمع فيه دُقاق الحَصَى، وفي نجيبويه: «في كنف الأضائي».

(٢) في الأصل: «طرق»، وفي لالاليه: «طرف».

(٣) في المطبوع: «بالخفض».

(٤) في المطبوع: «والاستسراء».

ومعنى: ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾: لِهَيْبَتِهِ وهوْل مطلع قدْرته.

و«الهَمْسُ»: الصَّوْتُ الخفي الخافت، وقد يحتمل أَن يريد بالهَمْسِ المسموع تخافُتَهم بينهم، وكلامَهُم السِّرَّ، ويحتمل أَن يريد صوت الأَقدام، وأَن أَصوات النطق ساكتة.

و﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ﴾ يحتمل أَن يكون الاستثناءُ متصلاً، وتكون ﴿مَنْ﴾ في موضع نصب يُراد بها المشفوع له، فكأَن المعنى: إِلَّا من أَذن له الرَّحمن في أَن يُشفَع له، ويحتمل أَن تكون استثناءً منقطعاً على تقدير: لكن من أَذن له الرَّحمن يَشفع، فـ﴿مَنْ﴾ في موضع / نصب بالاستثناء، ويصلح أَن يكون في موضع رفع، كما يجوز [٤/ ٣٦] الوجهان في قولك: ما في الدَّارِ أَحدٌ إِلَّا حماراً، وإِلَّا حمارٌ، والنصب أَوجه، و﴿مَنْ﴾ على هذه التأْويلات للشافع، ويحتمل أَن تكون للمشفوع فيه.

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ قالت فرقة: يريد الملائكة، وقالت فرقة: يريد خلقه أَجمع، وقد تقدم القول في ترتيب ما بين اليد وما خلف في غير موضع.

على أَن جماعة من المفسرين قالوا في هذه الآية: (ما خَلْفَهُمْ): الدنيا، و﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: أَمر الآخرة والثواب والعقاب، وهذا بأَن نفرضها[1] حالة وقوف حتى يجعلها كالأَجرام، وأَمَّا إِن قدرناها في نسق الزمان فالأَمر على العكس بحكم ما بيَّـنَّاه قَبْلُ.

وَعَنَت: معناه: ذلَّت، و«العاني»: الأَسير، ومنه قول النبي ﷺ في أَمر النِّساء: «هُنَّ عَوانٍ عندكم»[2]، وهذه حالة الناس يوم القيامة.

قال طلق بن حبيب: أَراد تعالى سجودَ الناس على الوجوه والآراب السبعة[3].

---

(١) في المطبوع: «يعرضها».

(٢) أخرجه الترمذي (١١٦٣) وغيره من حديث زائدة عن شبيب بن غرقدة عن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال حدثني أبي: أنه شهد حجة الوداع. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.اهـ. وسليمان فيه جهالة، والحديث أخرجه مسلم (١٢١٨) في آخر حديث جابر في سياق حجة النبي ﷺ، وفيه خطبة الوداع وليس فيه هذه العبارة، ومعنى قوله: «عَوانٍ عندكم» يعني: أسرى في يديكم.

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٣٧٨)، وأشار في حاشية المطبوع إلى أن في بعض النسخ: «والآداب السبعة».

قال القاضي أَبو محمد: إِن كان روى هذا أَن للناس يوم القيامة سجوداً وجعل هذه الآية إِخباراً عنه فهو مستقيم، وإِن كان أَراد سجود الدنيا فإِنه أَفسد نسق الآية.

و﴿ٱلْقَيُّومِ﴾ بناءُ مبالغة من قيامه عزَّ وجلَّ على كل شيءٍ بما يجب فيه.

و﴿خَابَ﴾: معناه: لم ينجح ولا ظَفِرَ بمطلوبه.

و«الظُّلْمُ» يعم الشِّركَ والمعاصي، وخيبة كل حاملٍ بقدر ما حمل من الظُّلم، فخيبة المشرك على الإِطلاق، وخيبة العاصي[1] مقيَّدة بوقت واحدٍ في العقوبة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ عادل لقوله: ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾، وفي قوله: ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ تَيْسير في الشَّرع؛ لأَنها (مِنْ) التي للتبعيض، والظُّلْمُ أَعمُّ من الْهَضْمِ، وهما يتقاربان في المعنى ويتداخلان، ولكن من حيث تناسقا في هذه الآية ذهب قوم إِلى تخصيص كل واحد منهما بمعنى، فقالوا: الظُّلْمُ أَن تَعْظُم عليه سيِّئاته وتكثر أَكثر ممَّا يجب، والهَضْمُ أَن يُنْقص حسناته ويُبْخَسها.

وكلُّهم قرأَ: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ على الخبر، غير ابن كثير فإِنه قرأَ: ﴿فلا يَخفْ﴾ على النهي[2].

ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾، أَي: كما قدرنا هذه الأُمور وجعلناها حقيقة بالمرصاد للعباد، كذلك حذَّرنا هؤلاء أَمرها، وأَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً، وتوعدنا فيه بأَنواع من الوعيد،

---

(١) في الأصل والحمزوية: «المعاصي».

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٣)، والسبعة (ص: ٤٢٤)، وهذا لفظه.

لَعَلَّهُمْ ـ بحسب توقع البشر وتَرَجِّيهم ـ يَتَّـقُونَ الله ويخشَوْن عقابه، فيؤمنون ويتذكرون نِعَمَه عندهم، وما حذَّرهم من أَليم عقابه، هذا تأويل فرقة في قوله: ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾.

وقالت فرقة: معناه: أَو يُكسبهم شرفاً، ويُبقي عليهم إِيمانهم وذِكْراً صالحاً في الغابرين.

وقرأَ الحسن البصري: (أو يُحدِثْ) ساكنة الثاءِ، وقرأَ مجاهد: (أَو نُحدِثْ) بالنون وسكون الثاءِ[1]، ولا وَجْه للجزم إِلَّا على أن يسكن حرف الإعراب استثقالًا لحركته، وهذا نحو قول جرير:

.... وَلا تَـعرِفْكُم الْعَـرَبُ[2] [البسيط]

وقوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ ختم للقول؛ لأَنه لما قدم صفة سلطانه يوم القيامة وعِظَمَ قدرته وذِلَّة عبيده وتَلَطُّفَه بهم، ختم ذلك بهذه الكلمات، وجعل بعد ذلك الأَمر بنوع آخر من القول.

وقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ﴾:

قالت فرقة: سببه أَن النبي ﷺ كان يخاف وقت تكليم جبريل له أن ينسى أول القرآن، فكان يقرأ قبل أن يستتم جبريل عليه السلام الوحي، فنزلت الآية في ذلك[3]، وهي على هذا بمعنى قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦].

وقالت فرقة أُخرى: سبب هذه الآية أَن النبي ﷺ كان إِذا أُوحيَ إِليه القرآن أَمر

---

(١) وهما شاذتان، انظر الأولى في المحتسب (٢/ ٥٩)، والثانية في البحر المحيط (٧/ ٣٨٦)، وانظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣١٣).

(٢) تمامه:

سيروا بني العَمِّ فالأَهْوَازُ مَنْزِلكُمْ ... ونَهْرُ تِيرَىٰ ولا تَعْرِفْكُمُ الْعَرَبُ

وقد تقدم في تفسير الآية (٥٥) من سورة البقرة.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥)، ومسلم (٤٤٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

بكتبه للحين، فأَمر الله تعالى في هذه الآية أَن يتأَنَّى حتى يُفَسَّرَ له المعاني وتقرر عنده(١).

وقالت فرقة: سبب الآية أَن امرأَةً شكت إِلى رسول الله ﷺ أَن زوجها لطمها، فقال لها رسول الله ﷺ: «بَيْنَكما القصاصُ»، ثمَّ نزلت: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤] الآية، ونزلت هذه بمعنى الأمر بالتَّثَبُّت(٢) في الحكم بالقرآن حتى يتبيَّن(٣)، والله أَعلم.

وقرأَ الجمهور: ﴿مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ﴾.

وقرأ عبد الله بن مسعود: ﴿من قبل أن نقضي إليك وحيه﴾(٤).

وباقي الآية بيِّن، رغبة في خير.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾.

قال الطبري: المعنى: وإِنْ يعرض ـ يا محمدُ ـ هؤلاء الكفرة عن آياتي ويخالفوا رُسُلي ويطيعوا إِبليس، [فَقديماً فعل](٥) ذلك أَبوهم آدم(٦).

قال القاضي أبو محمد: وهذا تأويل ضعيف، وذلك أَن كون آدم مثالاً للكفار الجاحدين ليس بشيءٍ، وآدم إِنما عصى بتأويل، ففي هذا غضاضة عليه ﷺ، وأَمَّا

---

(١) جاء هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنهما، من طريق العوفي عنه، وهو قول مجاهد وابن جريج وقتادة، انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٨٠).

(٢) في الأصل: «التشبث».

(٣) تقدم تخريجه في تفسير الآية (٣٤) من سورة النساء.

(٤) وهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٢٢)، وعزاها في زاد المسير (٣/ ١٧٨) له ولابن مسعود والحسن.

(٥) في المطبوع: «فقيما ما فعل»، وفي نجيبويه: «فقد فعل».

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٣٨٣).

الظاهر في هذه الآية إِمَّا أَن يكون ابتداءَ قصص لا تعلُّق له بما قبله، وإِمَّا أَن يجعل تعلُّقه أَنه لَمَّا عهد إِلى محمد ﷺ أَلاَّ يعجل بالقرآن مثل له بنبيٍّ قبله عُهد إِليه فنسي فعوقب؛ ليكون أَشدَّ في التحذير، وأَبلغ في العهد إِلى محمد ﷺ.

و«العهد» هنا في معنى الوصيَّة، و(نَسِيَ) معناه: ترك، ونسيان الذهول لا يمكن هنا؛ لأَنه لا يتعلَّق بالنَّاسي عقاب.

وقرأَ الأَعمش: (فَنَسِيْ) بسكون الياءِ[١]، ووجهها طلب الخفَّة.

و«العَزْمُ»: الـمُضِيُّ على المعتقد في أَي شيءٍ كان، وآدم عليه السلام كان معتقداً لأن لا يأْكل من الشجرة، لكنه لمَّا وسوس إِليه إِبليس لم يعزم على معتقده، وعبَّر بعض المفسرين عن العزم هنا بالصبر وبالحفظ وبغير ذلك مما هو أَعمُّ من حقيقة العزم، والشيءُ الذي عهد لآدم هو أَلاَّ يقرب الشجرة، وأُعلم مع ذلك أَن إِبليس عدوٌّ له.

وقال أَبو أُمامة: لو أَن أَحلام بني آدم جمعت[٢] منذ خلق الله الخلق إِلى يوم القيامة ووضعت في كفَّة ميزان ووضع حلم آدم في كفَّة أُخرى لرجحهم، وقد قال الله له: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ ابتداءُ قصة، والعامل / في (إِذْ) فعلٌ [٤/ ٣٧]
مضمر، وقد تقدم استيعاب هذه القصة، ولكن نذكر من ذلك ما تقتضيه أَلفاظ هذه الآية، فالملائكة قيل: كان جميعهم مأموراً بذلك، وقيل: بل فرقة فاضلة منهم عددهم اثنان وعشرون.

و«السُّجُودُ» الذي أُمروا به: سجود كرامة لآدم، وعبادة لله تعالى.

---

(١) وهي شاذة، وانظرها في المحتسب (٢/ ٥٨).

(٢) في الأصل: «وضعت».

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٣٨٤-٣٨٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٧/ ٤٤٤) من طريق فرج بن فضالة، عن لقمان بن عامر، عن أبي أمامة فذكره. وإسناده ضعيف؛ لضعف فرج بن فضالة.

وقوله: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ استثناءٌ متصل في قول من جعل إبليس من الملائكة، ومنقطع في قول من قال: هو من قبيلة غير الملائكة، يقال لها: الجن.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا﴾، أَي: لا يقع منكما طاعةٌ له في إِغوائه فيكونَ ذلك سببَ خروجكما من الْجَنَّةِ، ثم خصَّص [آدم عليه السلام][1] بقوله: ﴿فَتَشۡقَىٰٓ﴾ من حيث كان المخاطبَ أَوَّلاً المقصودَ في الكلام، وقيل: بل ذلك لأَن الله تعالى جعل الشَّقاءَ في معيشة الدُّنيا في حيِّز الرِّجال.

ورُوي: أَنَّ آدم لمَّا أُهبط أهبط[2] معه ثور أَحمر، فكان يحرث ويمسح العرق، فهذا هو الشَّقاءُ الذي خُوِّف منه[3].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾.

المعنى: إِن لك يا آدم نعمة تامَّة وعطية مستمرة أَلاَّ يصيبك جوعٌ ولا عري ولا ظمأٌ ولا بروز للشمس يؤذيك، وهو الضحاء[4].

وقرأَ نافع، وعاصم في رواية أَبي بكر: ﴿وَإِنَّكَ﴾ بكسر الأَلف.

وقرأَ الباقون وحفص عن عاصم: ﴿وَأَنَّكَ﴾ بفتح الأَلف[5].

وجعل الله تعالى الجوع في هذه الآية مع العري، والظمأَ مع الضحى، وكان عرف

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) «أهبط» الثانية ليست في المطبوع.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٣٨٥).

(٤) في المطبوع ونور العثمانية: «الضُّحى».

(٥) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٢٤)، والتيسير (ص: ١٥٣).

الكلام أَن يكون الجوع مع الظمأ المتناسب، والعُرْيُ مع الضُّحيِّ؛ لأَنها تتضاد، إذ العري يمس بسببه البرد فيؤذي، والحرُّ يفعل ذلك بالضَّاحي، وهذه الطريقة مهيع في كلام العرب أَن تفرق النِّسب، ومنه قول امرئ القيس:

كَأَنِّيَ لَمْ أَرْكَبْ جَوَاداً لِلَذَّةٍ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِباً ذَاتَ خَلْخَالِ [الطويل]
وَلَمْ أَسْبَإِ الزِّقَّ الرَّوِيَّ وَلَمْ أَقُلْ لِخَيْلِيَ كَرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ[1]

وذهب بعض الأُدباء إِلى أَن بيتي امرئ القيس فيهما محافظة للنسب، وأَن ركوب الخيل للصيد وغيره من الملاذ[2] يناسب تبطن الكاعب.

ومن الضَّحَاء قول الشاعر:

رَأَتْ رَجُلاً أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصَرُ[3] [الطويل]

و«وَسْوَسَةُ الشَّيْطَانِ» قيل: كانت دون مشافهة إِلقاءً في النفس، وقيل: بل كانت بالمشافهة والمخاطبة، وهو ظاهر القصة من غير ما موضع، وكان دخوله إِلى الجنَّة ـ فيما رُوي ـ في فم الحيَّة.

وكان آدم عليه السلام قد قال الله تعالى له: لا تأْكل من هذه الشجرة، وعيَّن له شجرة قد تقدَّم الخلاف في جنسها، فلمَّا وصفها له إِبليس بأَنها شجرةُ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلى ـ أي[4]: من أَكلها كان ملكاً مخلَّداً ـ عَمَد آدم إِلى غير تلك التي نهي عنها من جنسها فأَكلها بتأْويل [أَن النهي كان في تلك المعينة.

وقيل: بل تأول][5] أن النَّهي إنما كان على النَّدب لا على التَّحريم البت[6]،

---

(١) تقدم الكلام على هذين البيتين في تفسير الآية (١٧) من سورة الأنعام.
(٢) في المطبوع: «اللَّذَّات».
(٣) البيت لعمر بن أبي ربيعة، كما تقدم في تفسير الآية (٨) من سورة التوبة.
(٤) في المطبوع والحمزوية ونجيبويه ولالاليه: «التي».
(٥) ليس في المطبوع، وهو في الإماراتية ملحق في الهامش.
(٦) ليست في المطبوع، وفي الحمزوية وأحمد٣ ونجيبويه: «البحت»، وفي لالاليه: «الحث».

وسارعت إِلى ذلك حوَّاءُ وكانت معه في النهي، فلما رآها آدم قد أكلت أكل فطارت عنهما ثيابهما وظهر تبري الأشياء منهما، وبدت سوءاتهما.

و(طفقا) معناه: جعلا يفعلان ذلك دائماً[1].

و﴿يَخْصِفَانِ﴾: معناه: يلفقان ويضُمَّان شيئاً إِلى شيء، فكانا يستتران بالورق، وروي: أَنه كان ورق التّين[2].

ثمَّ نصَّ[3] تعالى على آدم أنه عصى.

و(غَوَىَ) معناه: ضلَّ، من الغيِّ الذي هو ضد الرشد، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] فَمَـنْ يَلْقَ خَيْـراً يَحْمَدِ النَّـاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوِ لَا يَعْدَمْ عَلَى الْغَيِّ لَائما[4]

وقرأَت فرقة: ﴿وَأَنَّكَ﴾ بفتح الألف عطفاً على قوله: ﴿أَلَّا تَجُوعَ﴾، وقرأَت فرقة: ﴿وإِنَّكَ﴾[5] عطفاً على قوله: ﴿إِنَّ لَكَ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾.

﴿ٱجْتَبَٰهُ﴾ معناه: تخيَّره واصطفاه، وتاب عليه: معناه: رجع به من حال المعصية إلى حال النَّدم، وهداه لصالح الأَقوال والأَعمال، وأَمضى عقوبته عزَّ وجلَّ في إِهباطه من الجنة.

وقوله: ﴿ٱهْبِطَا﴾ مخاطبة لآدم وحواء، ثم أَخبرهما بقوله: ﴿جَمِيعًا﴾ أَن إِبليس

---

(١) في الأصل: «دائبا».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٣٨٨).

(٣) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «ثم قَصَّ».

(٤) البيت للمرقِّش الأصغر، ربيعة بن سفيان بن سعد، كما تقدم في تفسير الآية (٣٦) من سورة هود.

(٥) وهي قراءة شعبة ونافع كما تقدم، فهما سبعيتان، وهذا التكرار من المصنف رحمه الله غريب.

والحيَّة يهبطان معهما، وأخبرهما[١] بأَن العداوة بينهم وبين أَنْسالهم إلى يوم القيامة.

و﴿عَدُوٌّ﴾ يوصف به الواحد والاثنان والجمع.

وقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ شرطٌ، وجوابه في قوله: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ﴾ وما بعده إلى آخر القسم الثاني، و«الهدى» معناه دعوة شرعي.

ثم أَعلمهم أَن من اتَّبع هداهُ وآمن به فإِنه لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، وأَنَّ مَنْ أَعْرَضَ عن ذِكر الله وكفر به فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً.

و«الضَّنْكُ»: النَّكِدُ الشَّاق من العيش، أو المنازل، أَو في مواطن الحرب ونحوها.

ومنه قول عنترة:

.... وَإِنْ نَـزَلُـوا بِضَنْـكٍ أَنْـزِلِ[٢] [الكامل]

وصف به الواحد والجمع والمؤنث، وقرأَت فرقة: ﴿ضَنكًا﴾، أَتبعت بالصفة لفظة المعيشة.

واختلف الناس في المعيشة الضَّنك، متى هو الوقت الذي هي فيه.

فقالت فرقة: هي الدنيا، ومعنى ذلك عندهم أَن الكافر وإِن كان متسع الحال والمال فمعه من الحرص والأَمل والتعذيب بأُمور الدنيا والرغبة وامتناع[٣] صفاءِ العيش بذلك ما يصيِّر معيشته ضنكاً.

وقالت فرقة: هي ضنك بأَكل الحرام.

---

(١) ليست في المطبوع وأحمد٣، وفيهما: «وأن العداوة».

(٢) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٨/ ٣٩٠)، ومجاز القرآن (٢/ ٣٢)، وهو في ديوان الستة الشعراء الجاهليين (ص: ٤٢) بلفظ: إنْ يُلْحَقُوا أَكْرُرْ وإنْ يُسْتَلْحَمُوا * أَشْدُدْ وإن يُلْفَوا بِضَنْك أنْزِل، وقد جاء عزوه له في الحيوان (٦/ ٥٤١)، والزاهر للأنباري (١/ ٤٨٠)، وأمالي القالي (٢/ ٧٢)، وشرح أدب الكاتب (ص: ٢٧٩)، وفي المطبوع وأكثر النسخ الخطية: «نزلوا يوماً بضنك»، وهو غير مستقيم في العروض.

(٣) في المطبوع: «واتساع».

وقالت فرقة: بل المعيشة الضَّنك في البرزخ، وهي أَن يرى مقعده من النَّار غُدوّاً ورَواحاً، وبالجملة عذاب القبر على ما رُوي فيه.

قال القاضي أَبو محمد: وحَمَل هذه الفرقةَ على هذا التأويل أَن لفظ الآية يقتضي أَن المعيشة الضَّنك هي قبل يوم القيامة بقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، وبقوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾.

وقالت فرقة: بل المعيشة الضنك في الآخرة، وهي عذابهم في جهنم وأَكلهم الزَّقُّوم وغيره، وذكر الله تعالى / ذلك من وعيده لهم، ثم أَخبر عن حالة أُخرى هي أيضاً في يوم القيامة، [٤/ ٣٨] وهي حشرهم عمياً، ثم يجيء قوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ معنى هذا الذي ذكرناه من المعيشة الضَّنك والعمى ونحوه هو عذابه في الآخرة، وهو أَشَدُّ وَأَبْقى من كل ما يقع عليه الظَّن والتَّخيُّل، فكأَنه ذكر نوعاً من عذاب الآخرة ثم أخبر[1] أَن عذاب الآخرة أَشد وأَبقى.

وقرأَت فرقة: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ﴾ بالنون.

وقرأَت فرقة: (وَيَحْشُرُهُ) بالياء، وقرأَت فرقة: (وَنَحْشُرْهُ) بسكون الرَّاءِ[2].

[وقرأَت فرقة: ﴿أَعْمَىٰ﴾ بفتح الأَلف][3]، وقرأَت فرقة: ﴿أَعْمَى﴾ بالإِمالة[4].

وقالت فرقة: العَمَى هنا عَمَى البصيرة عن الحجة.

قال القاضي أَبو محمد: ولو كان هذا لم يخش[5] الكافر؛ لأَنه مات أَعمى البصيرة ويُحشر كذلك.

وقالت فرقة: العَمَى عَمَى البصر.

---

(١) في المطبوع: «ذكر».
(٢) وهما شاذتان، الثانية لأبان بن تغلب كما في المحتسب (٢/ ٥٩)، والأولى في البحر المحيط (٧/ ٣٩٤) بلا نسبة.
(٣) ليس في الأصل.
(٤) وهي قراءة حمزة والكسائي على قاعدتهما، ووافقهما هنا شعبة، فهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٢٥).
(٥) في المطبوع والإماراتية: «يُحسَّ».

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو الأَوجه، مع أَن عمى البصيرة حاصل في الوجهين، وأَما قوله: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢] فمن رآه في العينين فلا بد أَن يتأَولها مع هذه إِمَّا أَنَّها في طائفتين وإِمَّا في موطنين.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ﴾ (ذَلِكَ) إِشارة إِلى العَمَى الذي حلَّ به، أَي: مثل هذا في الدنيا أَن أَتَتْكَ آياتُنا فنَسِيتَها.

و«النِّسْيَان» في هذه الآية بمعنى الترك، ولا مدخل للذهول في هذا الموضع.

و﴿تُنسَىٰ﴾ أيضاً[1] بمعنى: تُترك في العذاب.

ورُوي: أَن هذه الآية نزلت في القرشي[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾.

المعنى: وكما وصفنا من أَليم الأَفعال نَجْزِي المسرفين المعتدين الكفَّار بالله عزَّ وجلَّ.

وقوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ إِن كانت معيشة الضَّنك في الدنيا أَو في البرزخ فجاءَ هذا وعيداً بعذاب الآخرة بعد وعيد، وإِن كانت المعيشة[3] في الآخرة فأَكَّد الوعيد بعينه بهذا القول الذي جعل به عذاب الآخرة فوق كل عذاب يتخيَّله الإنسان أو يقع في الدنيا.

ثمَّ ابتدأَ يُوَبِّخُهم ويذكر العِبَر بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾.

وقرأَت فرقة: ﴿يَهْدِ﴾ بالياءِ بمعنى: يتبيَّن، واختلفت هذه الفرقة في الفاعل:

---

(١) ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٢) في الأصل: «المرشي»، وفي نجيبويه: «العرنيين»، وهذا السبب لنزول الآية لم أجده.

(٣) زاد في المطبوع: «الضَّنْك»، قال في الحاشية: زيادة لتوضيح المعنى، وفي نجيبويه: «المصيبة».

فقال بعضهم: الفاعل ﴿كَمْ﴾، وهذا قول كوفيٌّ، ونُحاة البصرة لا يجيزونه؛ لأَن (كَمْ) لها صدر الكلام.

وفي قراءة عبد الله بن مسعود: (أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ مَنْ أَهْلَكْنَا)[1]، فكأَن هذه القراءَة تناسب ذلك التأويل في ﴿كَمْ﴾.

وقال بعضهم: الفاعلُ الله عزَّ وجلَّ، والمعنى: أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ما جعل الله لهم من الآيات والعِبَر، فأَضاف الفعل إِلى الله عز وجل بهذا الوجه، قاله الزجاج[2].

وقال بعضهم: الفاعل مُقَدَّر، الهدى أَو الأَمر.

قال القاضي أبو محمد: أَو النَّظر والاعتبار، هذا أَحسن ما يُقَدَّر به عندي.

وقرأَت فرقة: (نَهْدِ) بالنُّون[3]، وهذه القراءة تناسب تأويل مَن قال في التي قبلها: الفاعل الله تعالى، و﴿كَمْ﴾ على هذه الأَقوال نصب بـ﴿أَهْلَكْنَا﴾.

ثم قيَّد القُرُون بأَنهم يمشي هؤلاء الكفرة في مَساكِنِهِمْ، فإِنما أَراد عاداً وثمود والطَّوائف التي كانت قريش تجوز على بلادهم في المرور إِلى الشَّام وغيره.

وقرأَت فرقة: ﴿يَمْشُونَ﴾ بفتح الياءِ.

وقرأَت فرقة: (يُمَشُّونَ) بضم الياءِ وفتح الميم وشدّ الشين[4].

و﴿ٱلنُّهَىٰ﴾ جمع نُهْيَةٍ، وهو ما ينهى الإنسان عن فِعْل القبيح.

ثمَّ أَعلم عزَّ وجلَّ أَن العذاب كان يصير لهم لِزاماً لَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ من الله تعالى

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣٣)، وتفسير الطبري (١٨/ ٣٩٨)، والهداية لمكي (٧/ ٤٧١٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٧٩).

(٣) وهي شاذة، عزاها في الشواذ للكرماني (ص: ٣١٤) ليزيد، وفي زاد المسير (٣/ ١٨١) لرواية زيد عن يعقوب.

(٤) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٩٢) لابن السميفع، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣١٥) له ولعيسى الكوفة.

في تأْخيره عنهم إِلى أَجل مسمًّى عنده، فتقدير الكلام: ولولا كلمة سبقت في التأخير، وأَجلٌ مُسمًّى لكان العذاب لِزاماً، كما تقول: لكان حتماً أو واجِباً واقِعاً، لكنه قدَّم وأَخَّر لِتَشَتَبِه رُءؤوس الآي.

واختلف الناسُ في الأجل: فمحتمل أَن يريد يوم القيامة، والعذاب المتوعَّد به ـ على هذا ـ هو عذاب جهنَّم، ويحتمل أَن يريد بالأَجل مَوْتَ كل واحد منهم، فالعذاب على هذا هو ما يَلْقَى في قبره وما بعده، ويحتمل أَن يريد بالأَجل يوم بدرٍ، فالعذاب على هذا هو قتلهم بالسيف، وبكل احتمال مما ذكرناه قالت فرقة، وفي «صحيح البخاري»: أَن يوم بدرٍ هو اللِّزام، وهو البطشة الكبرى[١].

ثمَّ أَمره تعالى بالصبر على أَقوالهم: إِنه ساحر، وإِنه كاهن، وإِنه كذَّاب، إِلى غير ذلك.

والمعنى: لا تحفل[٢] بهم فهم مدركة[٣] الهلكة، وكون اللّزام يوم بدر أَبلغ في آيات نبينا ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، قال أَكثر المتأَوِّلين: هذه إِشارة إِلى الصلوات الخمس: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾: صلاةُ الصُّبح، ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾: صلاة العصر، ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ﴾: العتمة، ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾: المغرب والظُّهر.

وقالت فرقة: من آناءِ اللَّيْلِ: المغربُ والعشاءُ، وأَطْراف النَّهارِ: الظُّهر وحدها.

ويحتمل اللَّفظ أَن يُراد به قول: (سُبحانَ الله وبحمده) من بعد صلاة الصبح إِلى ركعتي الضُّحى، وقبل غروب الشَّمس؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «من سبَّح عند[٤] غُروب الشَّمس سبعين[٥] تسبيحة غربت بذنوبه»[٦].

---

(١) البخاري (٤٧٧٤).

(٢) في المطبوع: «تعجل».

(٣) في المطبوع والإماراتية ونجيبويه وأحمد٣ ولالاليه: «بمدرجة».

(٤) في الأصل: «قبل».

(٥) ليست في المطبوع ونجيبويه ونور العثمانية.

(٦) منكر، أخرجه الذهبي في السير (١٤/ ٤٦٤) من طريق بانة بنت بهز بن حكيم، عن أبيها، عن أبيه، =

قال القاضي أَبو محمد: سَمَّى الطَّرفين أَطرافاً على أَحد وجهين: إِمَّا على نحو: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، وإِمَّا على أَن يجعل النهار للجنس فلِكُلِّ يوم طرف، وهي التي جمع.

وأَمَّا من قال: ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ لصلاة الظهر وحدها فلا بُدَّ له من أَن يتمسَّك بأَن يكون النهار للجنس كما قلنا، أَو يقول: إِن النهار ينقسم قسمين فَصَلَهُما الزَّوال، ولكل قسم طرفان، فعند الزَّوال طرفان، الآخِر من القسم الأَول، والأَول من القسم الآخر، فقال عن الطرفين: أَطرافاً على نحو ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، وأَشار إِلى هذا النَّظر أَبو بكر[1] بن فُورك في «المشكل»[2].

و«الآناءُ» جمع إِنْيٍ، وهي الساعة من اللَّيل، ومنه قول الهُذَليِّ:

[البسيط] حُلْوٌ وَمُـرٌّ كعِطْفِ القِـدْحِ مِرَّتُه ... فِي كُـلِّ إِنْيٍ حـداه اللَّيْلُ يَنْـتَعِلُ[3]

وقالت فرقة: في الآية إِشارة إِلى نوافل، فمنها آناءَ اللَّيل، ومنها قبل طلوع الشمس، وركعتا الفجر والمغرب أَطراف النهار.

وقرأَ الجمهور: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ بفتح التاءِ، أَي: لعلَّك تُثاب على هذه الأَعمال بما ترضى به.

وقرأَ الكسائي، وأَبو بكر عن عاصم: ﴿لعلّك تُرْضَى﴾[4]، أَي: لعلَّك تُعطى ما يُرضيك/. [٤/ ٣٩]

= عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «من سبح عند غروب الشمس سبعين تسبيحة غفر الله له سائر عمله»، قال الذهبي: حديث منكر، وبانة مجهولة.

(١) من المطبوع ونجيبويه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) تقدم في تفسير الآية (١١٥) من سورة آل عمران، وفي المطبوع وأحمد٣: «مرته».

(٤) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٢٥)، والتيسير (ص: ١٥٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾﴾.

قال بعض الناس: سبب هذه الآية أَن رسول الله ﷺ نزل به ضيف فلم يكن عنده شيءٌ، فبعث إِلى يهودي ليسلفه شعيراً، فأَبى اليهودي إِلَّا برهن، فبلغ الرسول بذلك إِلى النبي ﷺ فقال: «والله إِنِّي لأَمين في السماء، وأَمين في الأَرض»، فرهنه درعه، فنزلت الآية في ذلك[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا مُعترضٌ أَن يكون سبباً؛ لأَن السُّورة مكية والقصة المذكورة مدنية في آخر عُمْر النبي ﷺ؛ لأنه مات ودرعه مرهونة بهذه القصة التي ذكرت، وإِنما الظاهر أَن الآية متناسقة مع ما قبلها، وذلك أَن الله تعالى وبَّخهم على ترك الاعتبار بالأُمم السابقة، ثمَّ توعَّدهم بالعذاب المؤجل، ثمَّ أَمر نبيه بالاحتقار لشأنهم، والصبر على أَقوالهم، والإعراض عن أَموالهم، وما في أَيديهم من الدنيا؛ إِذ ذلك منحصر[٢] عنهم، صائر بهم إِلى خِزي.

وقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أَبلغ من: ولا تنظر؛ لأَن الذي يمد بصره إِنما يحمله على ذلك حرصٌ مقترن، والذي ينظر قد لا يكون ذلك معه.

و«الأَزْوَاجُ»: الأنواع، فكأَنه قال: إِلى ما متَّعنا به أَقواماً منهم وأَصنافاً.

---

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده كما في إتحاف الخيرة المهرة (٢٨٨٢)، وابن أبي شيبة في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٥٧٦٤)، والطبري (١٦/ ٤٠٣)، والطبراني في الكبير (٩٨٩)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٠٥) من طريق موسى بن عبيدة الربذي، عن يزيد بن قسيط، عن أبي رافع، مرفوعاً، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف موسى بن عبيدة الربذي، ومن طريق ابن أبي شيبة أخرجه أبو يعلى في مسنده، وانظر إتحاف المهرة (٢٨٨٢)، والمطالب العالية (٧/ ٤٥٠-١٤٩٨). وأخرجه الطبري (١٦/ ٤٠٤) من طريق محمد بن كثير، عن عبد الله بن واقد، عن يعقوب ابن يزيد، عن أبي رافع به، وسنده لين، ولرهن الدرع شاهد في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ اشترى طعاماً من يهودي بنسيئة، ورهنه درعاً من حديد».

(٢) في المطبوع: «منصرم».

وقوله تعالى: ﴿زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ شبه نعم هؤلاءِ الكفار بالزَّهر، وهو ما اصفر من النَّوْر، وقيل: الزهْرُ: النَّوْرُ جملة؛ لأَن الزهر له منظر ثم يضمحل، فكذلك حال هؤلاءِ.

ونصب ﴿زَهۡرَةَ﴾ يجوز أَن يكون بإِضمار فعل تقديره: جعلناه زهرةَ، ويجوز أَن ينصب على الحال، وذلك أَن تعريفها ليس بمحض.

[وقرأَت فرقة: (زَهْرَةً) بالتنوين][1].

وقرأَت فرقة: ﴿زَهۡرَةَ﴾[2] بسكون الهاء، وفرقة: ﴿زَهَرَةَ﴾ بفتح الهاءِ[3].

ثم أَخبر تعالى نبيَّه ﷺ: أَن ذلك إِنما هو ليختبرهم به، ويجعله فتنةً لهم، وأَمْراً يجازون عليه بالسوءِ لفساد تقلُّبهم فيه، ورزْقُ الله تعالى الذي أَحلَّه للمتَّقين من عباده خيرٌ وأَبقى، أَي: ورزق الدنيا خير، ورزق الآخرة أَبقى، وبيَّن أَنه خير من رزق الدنيا.

ثم أَمره تعالى بأَن يأْمر أَهله بالصلاة، ويمتثلها معهم، ويصطبر عليها ويلازمها، وتكفَّل هو برزقه، لا إله إلَّا هو، وأَخبره أَن العاقبة لأُولي التقوى وفي حيِّزها، فَثَمَّ نصرُ الله في الدنيا ورحمتُه في الآخرة، وهذا الخطاب للنبي ﷺ، ويدخل في عمومه جميع أُمَّته.

ورُوي: أَن عُروة بن الزُّبير رضي الله عنه كان إِذا رأَى شيئاً من أَخبار السَّلاطين وأَحوالهم بادر إِلى منزله ودخله وهو يقرأُ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا﴾ الآية إلى قوله: ﴿وَأَبۡقَىٰ﴾، ثمَّ يُنادي: الصلاةَ الصلاةَ يرحمكم الله، ويصلِّي[4]، وكان أَمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يوقظ أَهل داره لصلاة اللَّيل ويُصلِّي ويتمثَّل بهذه الآية[5].

---

(١) ليس في الأصل والإماراتية وأحمد٣، وهي شاذة، لم أجد له فيها سلفاً ولا خلفاً، وانظر مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٤٧٥).

(٢) ضبطت في المطبوع بتسكين هاء التأنيث على هيئة الوقف، ولعله خطأ، فالمقصود تسكين الهاء الأولى، والفرقة هم الجمهور.

(٣) وهي عشرية ليعقوب، كما في النشر (٢/ ٣٢٢).

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ٤٠٥).

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (٢٥٩) من طريق زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر رضي الله عنه، ومن =

وقرأ الجمهور: ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ﴾ بضم القاف، وقرأت فرقة: (نَحْنُ نَرْزُقْكَ) بسكونها[(١)].

ثم أَخبر تعالى عن طوائف من الكفار قالوا عن محمد ﷺ: ﴿لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ﴾؛ أَي: بعلامة مما اقترحناها عليه، أَو ممَّا يبهر ويضطر.

قال القاضي أبو محمد: ورسل الله إِنما اقترنت معهم آيات معرضة للنظر، محفوفة بالبراهين العقلية، ليَضِلَّ من سبق في علم الله ضلاله، ويهتدي من سبق هداه، فوبَّخهم الله تعالى بقوله: ﴿أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ يعني: التوراة أَعظمُ شاهد، وأَكبر آية له.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وحفص عن عاصم: ﴿تَأۡتِهِم﴾ على لفظ ﴿بَيِّنَةُ﴾.

وقرأَ الباقون وأَبو بكر عن عاصم: ﴿يأْتِهِمْ﴾ بالياءِ على المعنى[(٢)].

وقرأَت فرقة: ﴿بَيِّنَةُ مَا فِي﴾ بالإِضافة إِلى ﴿مَا﴾.

وقرأَت فرقة: (بَيِّنَةٌ) بالتنوين، و(مَا) بدلٌ على هذه القراءَة.

[وقرأَت فرقة: (بَيِّنَةً مَا) بالنصب، و(مَا) على هذه القراءَة][(٣)] فاعلة بـ﴿تَأۡتِي﴾.

وقرأَ الجمهور: ﴿فِي ٱلصُّحُفِ﴾ بضمِّ الحاءِ، وقرأَت فرقة: (في الصُّحْفِ) بسكونها[(٤)].

= طريق مالك أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٤٧٤٣)، وأخرجه الطبري (١٨/ ٤٠٥-٤٠٦) من طريق هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم به.

(١) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣١٥) لطلحة، وعبر عنها بالإدغام، وانظر البحر المحيط (٧/ ٤٠١).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٢٥)، والتيسير (ص: ١٥٣).

(٣) ليس في أحمد٣، وهذه ثلاث قراءات، الأولى هي المتواترة، والأخريان شاذتان، وقد عزا الكرماني في الشواذ (ص: ٣١٥) التنوين مع الرفع لمجاهد، ومع النصب للكسائي عن بعضهم.

(٤) وهي شاذة عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣١٥) لطلحة بن مصرف، وطلحة السمان.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾.

أَخبر الله تعالى نبيَّه ﷺ أَنه لو أَهلك هذه الأُمَّة الكافرة قبل إرساله إِليهم محمداً لقامت لهم حُجَّة، وقالوا: ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ الآية.

وروى أَبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ، قال: «يحتج على الله تعالى يوم القيامة ثلاثة: الهالك في الفترة، والمغلوب على عقله، والصبي الصغير، فيقول المغلوب على عقله: رَبِّ، لِمَ لَمْ تَجْعَل لي عقلاً؟ ويقول الصبي نحوه، ويقول الهالك في الفترة: ربِّ، لِمَ لَمْ تُرسل إِليَّ رسولاً؟ ولو جاءَني لكنت أَطوعَ خلقك لك، قال: فتُرفع لهم نارٌ، ويقال لهم: رِدُوها، قال: فيَرِدُهَا[(١)] من كان في علم الله أَنه سعيد، ويكعُّ عنها الشَّقِيُّ، فيقول الله تعالى: إِيَّاي عصيتم، فكيف برسلي لَوْ أَتَتْكُم؟»[(٢)].

فأَمَّا الصَّبيُّ والمغلوب على أَمره[(٣)] فبَيِّنٌ أَمرهما، وأَمَّا صاحب الفترة فليس ككفَّار قريش قبل النبي ﷺ؛ لأَن كفار قريش وغيرهم مِمَّن علم وسمع عن نُبُوَّة ورسالة في أَقطار الأَرض فليس بصاحب فترة، والنبي ﷺ قد قال [للرجل الذي سأَله عن أَبيه][(٤)]: «أَبي وأَبوك في النار»[(٥)]، ورأَى عمرو بن لحي في النار[(٦)]، إِلى غير هذا مما

(١) في أحمد٣: «فيردونها» مع زيادة «فينجو منها».

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٤٠٧)، وابن أبي حاتم (١٦٩٥٠) في تفسيرهما من طريق عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري به، والحديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف، وقد جمع الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/ ٥٣-٥٨) الأحاديث في هذا الباب، وعلق عليه، فانظره إن شئت.

(٣) في أحمد٣ والإماراتية ونجيبويه ولالاليه: «عقله».

(٤) ليس في الأصل وأحمد٣ والإماراتية.

(٥) أخرجه مسلم (٢٠٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، بلفظ: «إن أبي وأباك في النار».

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٥٢٠)، ومسلم (٢٨٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يطول ذكره، وإنما [١]صاحب الفترة يفرض أَنه آدمي لم يطرأ[٢] إِليه أَن الله تعالى بعث رسولاً ولا دَعَا إِلى دين، وهذا قليل الوجود، اللهمَّ إِلَّا أَن يشذ في أَطراف الأَرض، والمواضع[٣] المنقطعة عن العمران، و«الذُّلُّ» و«الخِزْيُ» مقترنان بعذاب الآخرة.

ثمَّ أَمر الله نبيَّه أَن يتوعَّدهم ويحملهم ونفسه على التَّرَبُّص وانتظار الفرج.

و«التَّرَبُّصُ»: التَّأَنِّي.

و﴿ٱلصِّرَٰطِ﴾: الطريق.

وقرأَت فرقة: ﴿ٱلسَّوِيِّ﴾.

وقرأَت فرقة: (السَّوَاءِ)، فكأَن هذه الآية قسمت الفريقين، أَي: سَتَعْلَمُون هذا من هذا.

وقرأَت فرقة: (السَّوَّا) بشدِّ الواو وفتحها.

وقرأَت فرقة: (السُّوءَى) بضم السين وهمزة على الواو، على وزن فُعْلَى[٤].

و﴿ٱهْتَدَىٰ﴾: معناه: رشد.

كمل تفسير سورة طه، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) في الأصل: «وأما».

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «يصل».

(٣) ليس في المطبوع والإماراتية ونجيبويه.

(٤) الأولى هي المتواترة وبعدها ثلاث شاذة، عزا الكرماني في الشواذ (ص: ٣١٥) أولاها لأبي مجلز في مصحفه، وعزا في البحر المحيط (٧/ ٤٠٢) الثالثة للجحدري وابن يعمر، ونسبا لهما الثانية لكن بضم السين، وأما مع الفتح فلم أقف عليها.

سورة الأنبياء

/ تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام [٤/ ٤٠]

هذه السُّورة مكِّيَّة بإجماع [من المفسرين][(١)].

وكان عبد الله بن مسعود يقول: الكهف ومريم وطه والأنبياء من العتاق الأُول، وهي من تِلادي[(٢)]، يريد: من قديم ما كسبت وحفظت من القرآن، كالمال التِّلاد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾.

رُوي: أَن رجلاً من أَصحاب رسول الله ﷺ كان يبني جداراً، فمرَّ به آخر في يوم نزول هذه السُّورة، فقال الذي كان يبني الجدار: ماذا نزل اليوم من القرآن؟ فقال له الآخر: نزل اليوم ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾، فنفض يده من البنيان، وقال: والله لا بنَيتُ أَبداً وقد اقترب الحساب[(٣)].

---

(١) من نور العثمانية.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٣٩).

(٣) ضعيف، أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٧٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٥/ ٣٢٧) من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه، عن عامر بن ربيعة: أنه نزل به رجل من العرب، فأكرم عامر مثواه، وكلّم فيه رسول الله ﷺ، فجاءه الرجل فقال: إني استقطعت من رسول الله ﷺ وادياً في العرب، وقد أردت أن أقطعَ لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك. فقال عامر: لا حاجة لي في قطيعتك، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾. وعبد الرحمن ضعيف.

وقوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ عام في جميع الناس بالمعنى[١]، وإن كان المشار إليه في ذلك الوقت كفَّارَ قريش، ويدل على ذلك ما بعده من الآيات، وقوله: ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ يريد الكفار.

قال القاضي أبو محمد: ويتَّجه من هذه الألفاظ على العصاة من المؤمنين قسطهم.

وقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم﴾ وما بعده مختصٌّ بالكفَّار.

وقوله: ﴿مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ قالت فرقة: المراد ما ينزلُ من القرآن، [ومعناه: محدث][٢] نزوله وإتْيَانُه إيَّاهم، لا هو في نفسه، وقالت فرقة: المراد بالذكر أَقوالُ النبي ﷺ في أَمر الشريعة، ووعْظُه وتذْكيرُه، فهو مُحْدثٌ على الحقيقة، وجعله مِنْ رَبِّهم من حيث إن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، ولا يقول إلَّا ما هو من عند الله.

وقالت فرقة: الذِّكْرُ: الرَّسُولُ نفسه، واحتجت على ذلك[٣] بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ [الطلاق: ١٠-١١]، فهو محدث على الحقيقة، ويكون ﴿ٱسْتَمَعُوهُ﴾ بمعنى: استمعوا إليه.

وقوله: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ جملة في موضع الحال، أَي: إسماعهم في حال لعب، فهو غير نافع، ولا واصل النفس.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً﴾ حالٌ بعد حال.

(١) ليس في المطبوع، وفي الأصل ونجيبويه ولالاليه: «المعنى».
(٢) في المطبوع ونجيبويه: «وقوله: ﴿مُّحْدَثٍ﴾ يريد».
(٣) «على ذلك»: من المطبوع ونجيبويه.

واختلف النحاة في إِعراب قوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، فذهب سيبويه رحمه الله إلى أَن الضمير في قوله: ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ فاعل، وأَن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدلٌ منه، قال رحمه الله: لغة «أَكَلُوني البراغيث» ليست في القرآن[١].

وقال أَبو عبيدة وغيره[٢]: الواو والأَلف علامة أَن الفاعل مجموع، كالتاءِ في قولكِ: قامت هند، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ فاعل بـ(أَسَرُّوا)، وهذا على لغة من قال: «أَكَلُوني البراغيث».

وقالت فرقة: الضمير فاعل، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ مرتفع بفعل تقديره: أَسَرَّها الذين، أَو قال الذين.

قال القاضي أبو محمد: والوقوف على ﴿ٱلنَّجْوَى﴾ في هذا القول وفي القول الأَول أَحسن، ولا يحسن في الثاني.

وقالت فرقة: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مرتفع على خبر ابتداءٍ مضمر، تقديره: هم الذين ظلموا، والوقف مع هذا حسن.

وقالت فرقة: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع نصب بفعل تقديره: أَعني الذين.

وقالت فرقة: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع خفض بدل من (النَّاسِ) في قوله: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾.

قال القاضي أبو محمد: وهذه أَقوال ضعيفة.

ومعنى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾: تكلَّموا بينهم بالسِّرِّ والمناجاة بعضهم لبعض، وقال أَبو عبيدة: أَسَرُّوا: أَظهروا، وهو من الأَضداد[٣].

ثمَّ بيَّن تعالى الأَمر الذي تناجوا به، وهو قول بعضهم لبعض: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، ثم قال بعضهم لبعض على جهة التوبيخ في الجهالة: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾،

---

(١) الكتاب لسيبويه (٢/ ٤١)، وليس: «قال رحمه الله» في المطبوع، وفيه فقط: «وأن لغة».
(٢) ليست في نجيبويه، وانظر كلامه في مجاز القرآن (٢/ ٣٤).
(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٣٤).

[أَي: ما تقول، شبَّهوه بالسِّحر، المعنى: أَفتتَّبعون السِّحر؟][(١)] ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، أَي: تدركون أَنه سِحْر، وتعلمون ذلك، كأَنَّهم قالوا: تضلُّون عن بَيِّنة ومعرفة.

ثم أَمر الله تعالى نبيَّه أَن يقول لهم وللناس جميعاً: ﴿قُل رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، أَي: يعلم أَقوالكم هذه، وهو بالمرصاد في المجازاة عليها.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿قُلْ ربي﴾.

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ﴾ على معنى الخبر عن نبيِّه محمد ﷺ. واختلف عن عاصم[(٢)].

قال الطبري رحمه الله: وهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار[(٣)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨﴾.

لما اقتضت الآية التي قبل هذه أَنهم قالوا: إِن ما عنده سحرٌ، عدَّد الله في هذه جميع ما قالته طوائفهم، ووقع الإِضراب بكل مقالة عن المتقدمة لها ليتبين اضطراب أَمرهم، فهو إِضراب عن جَحْد متقدم؛ لأَن الثاني ليس بحقيقة في نفسه.

و«الأَضْغَاثُ»: الأَخلاط، وأَصلُ الضِّغث: القبضة المختلطة من العشب والحشيش، فشبَّه تخليط الحُلْم بذلك، وهو ما لا يتفسَّر ولا يتحصل.

[ثمَّ حكى قول من قال: إِنَّه مُفتر قاصد للكذب][(٤)].

---

(١) ليس في أحمد٣.

(٢) فروى حفص: ﴿قال﴾، وشعبة: ﴿قل﴾، وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٤)، والسبعة (ص: ٤٢٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٤١١)، وفي الأصل: الأهماز.

(٤) ليس في الأصل.

ثم حكى قول من قال: شاعر، وهي مقالة فرقة عاميَّة منهم؛ لأَن نبلاءَ العرب لم يخف عليهم بالبديهة أَن مباني القرآن ليست مباني شِعْر.

ثم حكى اقتراحهم وتمنيهم آيةً تضطرهم، وتكون في غاية الوضوح كناقة صالح عليه السلام وغيرها.

وقولهم: ﴿كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ دالٌّ على معرفتهم بإِتيان الرُّسل الأُممَ المتقدمة.

وقوله تعالى: ﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ ﴾ قبله[1] كلام مقدرٌ يدل عليه المعنى، تقديره: والآية التي طلبوها عادتُنا أَن القوم إِن كفروا بها عاجلناهم، وما آمنت قرية[2] من القرى التي نزلت بها هذه النازلة، أفهذه كانت تؤمن؟

وقوله تعالى: ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَآ﴾ جملة في موضع الصفة للقرية، والجُمل إِذا أُتبعت النكرات فهي صفات لها، وإِذا أُتبعت المعارف فهي أَحوال منها[3].

[٤/ ٤١] وقوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا ﴾ / ردٌّ على فرقة منهم كانوا يستبعدون أَن يبعث الله من البشر رسولاً يشِفُّ على نوعه من البشر بهذا القدر من الفضل، فمثل الله تعالى في الردّ عليهم بمن سبق من الرُّسل من البشر.

وقرأَ الجمهور: ﴿يُوحَىٰ﴾ على بناء الفعل للمفعول.

وقرأَ حفص عن عاصم: ﴿نُّوحِيٓ﴾ بالنون[4].

ثم أَحالهم على سؤال أَهل الذّكر من حيث لم يكن عند قريش كتاب، ولا أَثارة من علم.

واختلف الناس في أَهل الذِّكْر، من هم؟:

---

(١) «قبله»: من المطبوع ونجيبويه، وهي في الإماراتية ملحقة في الهامش.

(٢) في الأصل: «فرقة».

(٣) في أحمد٣: «كلها».

(٤) وهما سبعيتان، السبعة (ص: ٤٢٨)، والتيسير (ص: ١٥٤).

فَـرُوي عن عبد الله بن سلام أَنه قال: أَنا من أَهل الذّكر[(١)].

[وقالت فرقة: هم أَحبار أَهل الكتاب.

ورُوي عن علي بن أَبي طالب أَنه قال: أَنا من أَهل الذِّكر][(٢)].

وقالت فرقة: هم أَهل القرآن[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا موضع ينبغي أَن يُتَأَمَّل؛ وذلك أَنَّ الذكر هو كل ما يأتي من تذكير الله عباده، فأَهل القرآن أَهل ذكر، وهذا أَراد عليٌّ بن أَبي طالب رضي الله عنه، وأَمَّا المحال على سؤالهم في هذه الآية فلا يصح أَن يكونوا أَهل القرآن في ذلك الوقت؛ لأَنهم كانوا خصومهم، وإِنما أُحيلوا على سؤال أَحبار أَهل الكتاب من حيث كانوا موافقين لهم على ترك الإِيمان بمحمد ﷺ، فتجيءُ شهادتهم بأَن الرُّسل قديماً من البشر لا مطعن فيها لازمةً لكفار قريش.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا﴾ قيل: الجسد من الأَشياء يقع على ما لا يتغذى، ومنه قوله تعالى: ﴿عِجْلًا جَسَدًا﴾ [الأعراف: ١٤٨]، فمعنى هذا: ما جعلناهم أَجساداً لا تتغذَّى.

وقيل: الجسد يعم المتغذِّي من الأَجسام وغير المتغذي، فالمعنى: ما جعلناهم أَجساداً وجعلناهم مع ذلك لا يأكلون الطعام كالجمادات أَو كالملائكة، فـ﴿جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا﴾ على التأويل الأَول منفيٌّ، وعلى الثاني موجَب، والنَّفْيُ واقع على صفته.

---

(١) لم أقف عليه مسنداً.

(٢) ليست في الأصل، والأثر ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٤١٤) من طريق جابر الجعفي قال: لـما نزلت ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال عليّ: نحن أهل الذّكر، وإسناده ضعيف؛ لضعف جابر بن يزيد الجعفي.

(٣) قاله ابن زيد كما في تفسير الطبري (١٧/ ٢٠٩) و(١٨/ ٤١٤)، والهداية لمكي (٦/ ٤٠٠٠) و(٧/ ٤٧٣١)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٨٩).

وقوله تعالى: ﴿لَا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ كناية عن الحدث، ثم نفى عنهم الخُلْد؛ لأَنه من صفات القديم، وكل محدث فغير خالد في دار الدنيا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾﴾.

هذه وعيد في ضِمْن وَصْفه تعالى سِيرَتَهُ في الأَنبياء من أَنه يصدق مواعيدهم، فكذلك يصدق لمحمد ﷺ ولأَصحابه ما وعدهم من النصر وظهور الكلمة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾ معناه من المؤمنين، و«المسرفون»: الكفارُ المفرطون في غيِّهم وكفرهم، وكل من ترك الإِيمان مفرط[1] مسرف.

ثم وبَّخهم تعالى بقوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ﴾ الآية، و«الكتابُ»: القرآن، وقوله تعالى: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ يحتمل أَن يكون في الذِّكر الذي أَنزله الله تعالى إِليكم بأَمر دينكم وآخرتكم ونجاتكم من عذابه، فأَضاف الذِّكر إِليهم حيث هو في أَمرهم، ويحتمل أَن يريد: فيه شرفكم وذكركم آخر الدهر[2] كما تُذكر عظام الأُمور، وفي هذا تحريض، ثمَّ أَكَّد التحريض بقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، وحركهم بذلك إِلى النَّظر.

ثم مثَّل لهم على جهة التوعُّد بمن سلف من الأُمم المعذَّبة.

و(كم): للتكثير، وهي في موضع نصب بـ﴿قَصَمْنَا﴾، ومعناه: أَهلكنا، وأَصل القَصْم: الكسر في الأَجرام، فإِذا استعير للقوم والقرية ونحوه فهو ما يشبه الكسر، وهو إِهلاكهم، وأَوقع هذه الأُمور على القرية والمراد أَهلها، وهذا مَهْيَع كثير، ومنه: ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾ [الأنبياء: ٦]، وغيره.

---

(١) ليس في المطبوع ونجيبويه والإماراتية.

(٢) في الأصل: «آخر الآية».

وقوله تعالى: ﴿وَأَنشَأْنَا﴾ أي: خَلَقنا وبثثنا[١] أُمة أُخرى غير الـمُهْلَكَة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ﴾ وصف عن قرية من القُرى المجملة أَولاً، قيل: كانت باليمن تسمَّى حصوراً[٢] بعث الله تعالى إِلى أَهلها رسولًا فقتلوه، فأَرسل إِليهم بخت نصر صاحب بني إِسرائيل، فهزموا جيشه مرتين، فنهض في الثالثة إِليهم بنفسه، فلما هزمهم وأَخذ القتل فيهم ركضوا هاربين[٣].

ويحتمل أَلا يريد بالآية قرية بعينها، وأَنه واصف كلَّ قرية من القرى المعذبة، وأَن أَهل كل قرية كانوا إِذا أَحسُّوا العذاب من أَي نوع كان أَخذوا في الفِرار، و﴿أَحَسُّواْ﴾: باشروه بالحواسِّ.

و«الرَّكْضُ»: تحريك القدم على الصفة المعهودة، والفَارُّ والجاري بالجملة راكضٌ إِمَّا دابةً، وإِمَّا الأَرضَ تشبيهاً بالدَّابة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾.

يحتمل قوله تعالى: ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾ إِلى آخر الآية أَن يكون من قول رجال بخت نصر على الرواية المتقدمة، فالمعنى على هذا أَنهم خدعوهم واستهزؤوا بهم بأَن قالوا للهاربين منهم: لا تفرُّوا وارجعوا إِلى مواضعكم لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ صلحاً أَو جزية أَو أَمراً يتفق عليه، فلما انصرفوا أَمر بخت نصر أَن ينادي فيهم: يا ثارات النبي المقتول، فقتلوا بالسَّيف عن آخرهم[٤].

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «وأَثبتنا».

(٢) في المطبوع ونجيبويه والحمزوية: «حَضُوراءِ» في الموضعين مع أن الهمزة قد تهمل في بعض المخطوطات.

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٤١٦)، والهداية لمكي (٧/ ٤٧٣٤)، وفي المطبوع: «وأعمل»، بدل «وأخذ»، وفي الأصل: «مزقهم»، بدل «هزمهم».

(٤) الهداية لمكي (٧/ ٤٧٣٥).

قال القاضي أَبو محمد: وهذا كله مروي، ويحتمل أَن يكون ﴿لَا تَرۡكُضُواْ﴾ إِلى آخر الآية من كلام ملائكة العذاب على التأويل الآخر: أَن الآيات وصف قصة كل قرية، وأَنه لم يُرد تعيين حصورا ولا غيرها، فالمعنى على هذا أَن أَهل هذه القرى كانوا باغترارهم يرون أَنهم من الله بمكان، وأَنه لو جاءهم عذاب أَو أَمر لم ينزل بهم حتى يخاصموا أَو يسأَلوا عن وجه تكذيبهم لنبيِّهم، فيحتجون هم عند ذلك بِحُجَجٍ تنفعهم في ظنهم، فلمَّا نزل العذاب دون هذا الذي أَمَّلوه وركضوا فارِّين نادتهم الملائكة على وجه الهُزْءِ بهم: لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ عما[1] كنتم تطمعون بسفه رأَيكم، ثم يكون قوله: ﴿حَصِيدًا﴾ أَي: بالعذاب تُركوا[2] كالحصيد.

و«الإِتْراف»: التَّنعيم.

و﴿دَعۡوَىٰهُمۡ﴾ معناه: دعاؤُهم وكلامهم، أَي: لم ينطقوا بغير التأَسُّف.

والْحَصِيدُ يشبه بحصيد الزرع بالمنجل، أَي: ردَّهم الهلاك كذلك.

و﴿خَٰمِدِينَ﴾: أَي موتَى دون أَرْواحٍ، مشبَّهين بالنَّار إِذا طفيت.

ولمَّا فرغ وصف هذه الحال وعظ الله تعالى السَّامعين بقوله: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾، أَي: كما ظنَّ هؤلاء / الذين نزل بهم ما نزل، وكما تظنُّون أنتم أَيُّها الكفرة الآن. [٤/ ٤٢]

ففي الآية وعيد بهذا الوجه، والمعنى: إِنما خلقنا هذا كله لِيُعتبر به ويُنْظر فيه ويُؤْمن بالله بِحَسَبِهِ.

قال بعض الناس: ﴿تُسۡـَٔلُونَ﴾ معناه: تفهمون وتفقهون.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا تفسير لا يعطيه اللَّفظ.

---

(١) في المطبوع والإماراتية وأحمد٣ ولالاليه: «كما».

(٢) في لالاليه: «تركضوا»، وكذا في الأصل، وتم التنبيه على النسخة الأخرى في هامشه.

وقالت فرقة: ﴿تُسْـَٔلُونَ﴾ معناه: شيئاً من أَموالكم وعَرَض دنياكم، على وجه الهُزْءِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾.

ظاهر هذه الآية الرَّدُّ على من قال من الكفار أَمر مريم وما ضارعه من الكفر، تعالى الله عن قول المبطلين، و«اللَّهْوُ» في هذه الآية: المرأَةُ، ورُوي: أَنها في بعض لغات العرب تقع على الزوجة(١).

و﴿إِن﴾ في قوله: ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ يحتمل أَن تكون الشرطية، بمعنى: لَوْ كُنَّا، أي: ولَسْنَا كذلك، وللمتكلِّمين هنا اعتراض وانفصال.

ويحتمل أَن تكون نافية بمعنى (ما)، وكل هذا قد قيل.

و(الحَقُّ): عامٌّ في القرآن والرِّسالة والشَّرع وكل ما هو حق، و﴿ٱلْبَٰطِلِ﴾: أيضاً عامٌّ كذلك.

و(يَدْمَغُهُ) معناه: يصيب دماغَه، وذلك مُهْلِك في البشر، فكذلك الحق يهلِك الباطل.

و﴿ٱلْوَيْلُ﴾: الخِزْيُ والهَمُّ، وقيل: هو اسم وادٍ في جهنَّم، فهو المراد في هذه الآية.

وهذه مخاطبة للكفَّار الذين وصفوا الله تعالى بما لا يجوز عليه، ولا يليق به، تعالى [الله وتبارك وتقدَّس وتنزَّه](٢) عن قولهم، [بل هو كما وصف نفسه، وفوق ما نعته به خلقه، لا رَبَّ غيره](٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

---

(١) نقله في تأويل مشكل القرآن (ص: ١٠٤)، عن قتادة والحسن، وهي لغة اليمن، كما في تفسير القرطبي (١١/ ٢٧٦).

(٢) من المطبوع.

(٣) من المطبوع.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ﴾ يحتمل أَن يكون ابتداءَ كلام، ويحتمل أَن يكون معادلاً لقوله: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ﴾ كأَنه تقسيم الأَمر في نفسه، أَي: للمختلقين هذه المقالةَ الويلُ، ولله تعالى مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ، واللَّام في (لَهُ): لام الملْك.

وقوله تعالى: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعم الملائكة والنَّبيِّين وغيرهم، ثم خصص من هذا العموم من أَراد تشريفه من الملائكة بقوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾؛ لأَن (عِنْد) هنا ليست في المسافات، وإِنما هي تشريف في المنزلة، فوصفهم تعالى بأَنهم لا يستكبرون عن عبادة الله، ولا يسأَمونها ولا يكلُّون فيها.

و«الْحَسِيرُ من الإِبل»: الـمُعْيِي[1]، ومنه قول الشاعر:

لَهُنَّ الْوَجَى لَمْ كُنَّ عَوْناً عَلَى النَّوَى وَلَا زَالَ مِنْهَا ضَالِعٌ وَحَسِير[2] [الطويل]

وحَسَرَ واسْتَحْسَرَ بمعنى واحد، وهذا موجود في كثير من الأفعال، وإِن كان الباب في استفعل أن يكون لطلب الشيء.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾، روي عن كعب الأَحبار أَنه قال: جعل الله لهم التَّسبيح كالنَّـفَس وطَرْف العين للبشر، يقع[3] منهم دائماً[4] دون أَن تلحقهم فيه سآمة[5].

وقال قتادة: ذُكر لنا أَن رسول الله ﷺ بينما هو جالسٌ مع أَصحابه إِذ قال: «أتسمعون ما أسمع؟» قالوا: ما نسمع من شيءٍ يا رسول الله، قال: «إِنِّي لأَسمع أَطيط السماء، وحقَّ لها أَن تِئط، ما فيها موضع راحة إِلَّا وفيها مَلَكٌ ساجدٌ أَو قائم»[6].

---

(١) كتبت في الأصل: «العي».
(٢) تقدم في تفسير الآية (١٧) من سورة الإسراء.
(٣) ليس في الأصل.
(٤) في الأصل: «دائبا»، وفي أحمد٣ ونجيبويه: «دئبا».
(٥) تفسير السمعاني (٣/ ٣٧٣)، والهداية لمكي (٧/ ٤٧٤١).
(٦) حسن، أخرجه البزار في مسنده (٣٢٠٨)، والطبري (١٨/ ٤٢٤) مرسلًا، والطحاوي في شرح المشكل (١١٣٤)، والطبراني في الكبير (٣١٢٢)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢١٧) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن صفوان بن محرز، عن حكيم بن حزام مرفوعاً، وأخرجه أحمد =

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ۝٢١ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٤﴾.

هذه (أَمْ) التي هي بمنزلة أَلف الاستفهام، وهي هنا تقرير وتوقيف، ومذهب سيبويه أَنها بمنزلة (بل) مع أَلف الاستفهام، كأَن في القول إِضراباً عن الأَول، ووقفهم الله تعالى: هل اتَّخَذُوا آلِـهَةً يُحْيُونَ ويخترعون؟ أَيْ: ليست آلهتهم كذلك، فهي غير آلهة؛ لأَن مِنْ صِفة الإِله القدرةَ على الإِحياءِ والإِماتة.

وقرأَت فرقة: ﴿يُنشِرُونَ﴾ بضم الياء، بمعنى: يُحْيُون غيرهم.

وقرأَت فرقة: (يَنْشُرُونَ)[1] بمعنى يَحْيَون هم وتدوم حياتهم، يقال: نَشَر الميتُ، وأَنشره الله تعالى.

ثمَّ بيَّن تعالى أَمر التمانع بقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾، وذلك بأَنه كان يبغي بعضهم على بعض ويذهب بما خلق، واقتضاب القول في هذا: أَنَّ الإِلهَيْن لو فُرضا فرَّق بينهما الاختلاف في تحريك جِرْم وتَسْكِينه، فمحال أَن تتم الإِرادتان، ومحالٌ أَلَّا تتما جميعاً، وإِذا تمَّت الواحدة كان صاحب الأُخرى عاجزاً، وهذا ليس بإِله، وجواز الاختلاف عليهما بمنزلة وقوعه منهما.

ونظَرٌ آخر، وذلك أَن كل جزءٍ يخرج من العدم إِلى الوجود فمحال أَن تتعلَّق به قدرتان، فإِذا كانت قدرة أحدهما موجودة بَقِيَ الآخر فَضْلاً لا معنى له في ذلك الجزء، ثمَّ يتمادى النَّظَر هكذا جُزْءاً جُزْءاً[2].

= (٥/ ١٧٣)، والترمذي (٢٣١٢) وغيرهم من طريق: إسرائيل، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن مورق العجلي عن أبي ذر مرفوعاً، وقال الترمذي: حسن غريب.

(١) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣١٦) للحسن ومجاهد، وانظر: مختصر الشواذ (ص: ٩٤).

(٢) انظر دليل التمانع في تمهيد الأوائل للباقلاني (١/ ٢٢٢)، والمواقف للإيجي (٢/ ١١٨)، وشرح المقاصد (٢/ ٦٢).

ثم نزَّه تعالى نفسه[١] عما وصفه به أَهل الجهالة والكفر.

ثم وصف تعالى نفسه بأَنه لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وهذا وصف يحتمل معنَـيَيْن:

إِمَّا أَن يريد أَنه بحق ملكه وسُلطانه لا يُعارض ولا يُسْأَل عن شيءٍ يفعله؛ إِذْ له أَن يفعل في ملْكِهِ ما يشاءُ، وإِمَّا[٢] أَن يريد أَنه مُحْكَمُ الأَفعال وواضع كل شيءٍ موضعه، فليس في أَفعاله موضع[٣] سؤال ولا اعتراض.

وهؤلاء من البَشَر يُسْأَلُون لهاتين العِلَّتين؛ لأَنهم ليسوا مالكين، ولأَنهم في أَفعالهم خَلَل كثير.

ثم قَرَّرهم تعالى ثانية على اتخاذ الآلهة، وفي تكرار هذا التقرير مبالغة في نكيره وبيان فساده، وفي هذا التقرير زيادة على الأَول، وهي قوله تعالى: ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾، فكأَنه قَرَّرهم هنا على قصد الكفر بالله عزَّ وجلَّ، ثم دعاهم إِلى الحُجَّة والإِتيان بالبرهان.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِي﴾ يحتمل أَن يريد بـ﴿هَٰذَا﴾ جميع الكتب المنزلة قديمها وحديثها، أَي: ليس فيها برهان على اتخاذ الآلهة من دون الله، بل فيها ضد ذلك.

ويحتمل أَن يريد بقوله: ﴿هَٰذَا﴾: القرآن، والمعنى: فيه ذِكْرُ الأَولين وذكر الآخرين، فذكر الآخرين بالدعوة وبيان الشَّرع لهم وردّهم على طريق النجاة، وذكر الأولين بقصِّ أَخبارهم وذكر الغيوب في أُمورهم، ومعنى الكلام على هذا التأويل عرض القرآن في معرض البرهان، أَي: هاتوا برهانكم، فهذا برهاني أَنا ظاهرٌ في ذكر من مَعي وذكر مَن قَبْلي.

وقرأَت فرقة: ﴿هَٰذَا ذِكۡرٌ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرٌ مَن قَبۡلِي﴾ بالإِضافة فيهما.

---

(١) كتبت في الأصل: «وصفه».

(٢) كتبت في الأصل: «وإنما».

(٣) ليست في المطبوع، وليست: «ولا اعتراض» في لالاليه.

وقرأَت فرقة: (هذا ذكرُ مَن) بالإِضافة، (وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلي) بتنوين (ذِكْرٌ) الثاني، وكسر الميم في قوله: (مِنْ قَبْلي).

[٤/ ٤٣] وقرأ يحيى بن / سعيد، وابن مصرف بالتنوين في (ذِكْر) من المَوْضِعَيْن، وكسر الميم من قوله: (مِنْ) في الـمَوْضِعَين[١].

وضَعَّف أَبو حاتم هذه القراءة: كسر الميم في الأَولى، ولم يَـرَ لها وَجْهاً.

ثم حكم عليهم تعالى بأَن أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ لإِعراضهم عنه، وليس المعنى: فَهُمْ مُعْرِضُونَ لأَنهم لا يَعْلَمُونَ، بل المعنى: فَهُمْ مُعْرِضُونَ ولذلك لا يعلمون الحقَّ.

وقرأَ الحسن، وابن محيصن: (الْحَقُّ) بالرَّفع[٢] على معنى: هذا القول هو الحقُّ، والوقف في هذه القراءَة على ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

لمَّا أَخبرهم تعالى أَنهم لا يعلمون الحق لإِعراضهم أَتبع ذلك بإِعلامه أَنه ما أَرسل قَطُّ رسولاً إِلَّا وأَوْحَى إِليه أَن الله تعالى فردٌ صمدٌ، وهذه عقيدة لم تختلف فيها النُّبوَّات، وإِنما اختلفت في الأَحكام.

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿نُوحِىٓ﴾ بنون مضمومة.

وقرأَ الباقون: ﴿يُوحَى﴾ بياءٍ مضمومة، واختلف عن عاصم[٣].

---

(١) ثلاث قراءات، الأولى هي المتواترة، واللتان بعدها شاذتان، انظر عزو الثانية في المحتسب (٢/ ٦٠)، وظاهر مختصر الشواذ (ص: ٩٤) عزو الأولى لطلحة أيضاً، وانظر قول أبي حاتم في تفسير القرطبي (١١/ ٢٨٠)، وفي حاشية المطبوع: في نسخة: «يحيى بن يعمر».

(٢) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٦٠)، ومختصر الشواذ (ص: ٩٤).

(٣) فحفص بالنون، وشعبة بالياء، وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٤).

ثمَّ عدَّد بعد ذلك نوعاً آخر من كفرهم، وذلك أَنهم مع اتخاذهم آلهةً كانوا يُقرُّون بأَن الله تعالى هو الخالق الرَّازق إِلَّا أَنهم قال بعضهم: اتَّخَذَ الملائكة بنات، وقال نحو هذه المقالة النصارى في عيسى ابن مريم عليه السلام، واليهود في عُزَير[١]، فجاءَت هذه الآية رادَّة على جميعهم مُنَبِّهة عليهم.

ثم نزَّه تعالى نفسه عن مقالة الكفرة، وأَضرب عن مقالهم، ونَصَّ ما هو الأَمر في نفسه بقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾، وهذه عبارةٌ تشمل الملائكة وعُزَيراً وعيسى.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ عبارة عن حُسْن طاعتهم وعبادتهم[٢] ومراعاتهم لامتثال الأَمر.

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أَي: ما تقدم من أَفعالهم وأَعمالهم والحوادث التي لها إِليهم تسبُّب[٣]، وما تأَخَّر.

ثم أَخبر تعالى أَنهم لا يشفعون إِلَّا لمن ارتضى [الله أَن يشفع له][٤]، قال بعض المفسرين: لأَهل لا إله إلا الله.

و«المُشْفِقُ»: المبالغ[٥] في الخوف المحترقُ النفس من الفزع على أَمرٍ مَّا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

المعنى: من يَقُل منهم كذا إِن لو قاله، وليس منهم من قال هذا، وقال بعض المفسرين: المراد بقوله: ﴿وَمَن يَقُلْ﴾ الآية: إِبليسُ.

---

(١) انظر: الملل والنحل لابن حزم (١/ ٤٧-٤٨).

(٢) من المطبوع.

(٣) في الأصل: «تنسب»، وفي أحمد٣: «أفعالهم والحوادث المنسوبة إليهم، وما تأخر».

(٤) ليس في أحمد٣.

(٥) في الأصل: «البالغ».

قال القاضي أبو محمد: هذا ضعيف؛ لأَن إِبليس لم يُرْوَ قطُّ أَنَّه ادَّعى رُبوبيَّة.

وقرأَ الجمهور: ﴿نَجْزِيهِ﴾ بفتح النون.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد(١): (نُجْزِيهُ) بضم النون والهاءِ(٢)، ووَجْهُها أَن المعنى: نجعلها تكتفي به، من قولك: أَجزأَني الشيءُ، ثم خففت الهمزة ياءً.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أَي كجزائنا هذا القائلَ جزاؤنا الظالمين، ثم وَقَفهم على عِبْـرَة دالَّة على وحدانية الله جلَّت قدرته.

و«الرَّتْقُ»: الملتصق بعضه ببعض، المبهم(٣) الذي لا صَدْع فيه ولا فتح، ومنه: امرأَةٌ رَتْقاء.

واختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾:

فقالت [فرقة: كانت السماءُ ملتصقة بالأَرض، ففتقهما الله بالهواء.

وقالت](٤) فرقة: كانت السماءُ ملتصقة بعضها ببعض، والأَرض كذلك، ففتقهما الله تعالى سبعاً سَبْعاً، وعلى هذين القولين فالرُّؤْيَة الـمُوقَف عليها رؤْية القلب.

وقالت فرقة: السماءُ قبل المطر رَتْق، والأَرض قبل النبات رَتْق، ففتقهما الله تعالى بالمطر والنبات، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ [الطارق: ١١-١٢]، وهذا قولٌ حسن يجمع العِبْرة وتَعْدِيد النِّعمة والحُجَّة بمحسوسٍ بيِّن، ويناسب قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، أَي: من الماء الذي أَوجده الفتق، فيظهر معنى الآية، ويتوجَّه الاعتبار.

---

(١) في أحمد٣ وعبد الله، وفي حاشية المطبوع: في نسخة: «بن سعيد»، والمراد عبد الله بن يزيد المكي، أبو عبد الرحمن المقرئ، أصله من البصرة أو الأهواز، قال في التقريب: ثقة فاضل، وهو من كبار شيوخ البخاري، مات سنة (٢١٢هـ). تاريخ الإسلام (١٥/ ٢٤٢).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (٢/ ٦٠).

(٣) ليست في المطبوع والإماراتية ونجيبويه.

(٤) ليس في الأصل.

وقالت فرقة: السماءُ والأَرض رتق بالظلمة، وفتقهما الله تعالى بالضوء.

قال القاضي أَبو محمد: والرُّؤْية على هذين القولين رؤْية العين، والأَرض هنا اسمٌ للجنس، فهو جمع.

وقرأَ الجمهور: ﴿رَتْقًا﴾ بسكون التاءِ، والرَّتْقُ: مصدرٌ وُصف به كالزَّوْر والعَدْل.

وقرأَ الحسن، والثقفي، وأَبو حيوة: (كَانَتَا رَتَقاً) بفتح التاء[١]، وهو اسم المرتوق[٢] كالنَّفْض والنَّفَض، والخَبْط والخَبَط.

وقال: ﴿كَانَتَا﴾ من حيث هما نوعان، ونحوه قول عمرو بن شُيَيْم:

أَلَـمْ يَحْزُنْـكَ أَنَّ حِبَـالَ قَيْـسٍ وَتَغْلِـبَ قَـدْ تَبايَنَتـا انْقِطَاعَـا[٣] [الوافر]

وقوله: ﴿كَانَتَا﴾ في القولين الأولين[٤] بمنزلة قولك: كَانَ زيدٌ حَيّاً، أَي: ثم لم يكن، وفي القولين الآخرين بمنزلة قولك: كان زيد عالماً، أَي: وهو كذلك.

وقرأَ ابن كثير وحده: ﴿أَلَمْ يَرَ﴾ بإِسقاط الواو[٥].

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ بَيِّنٌ أَنه ليس على عمومه، فإِن الملائكة والجن قد خرجوا من ذلك، ولكن الوجه أَن يُحمل على أَعمِّ ما يمكن، فالحيوانُ أَجمع والنَّباتُ ـ على أَن الحياة فيه مستعارة ـ داخلٌ في هذا.

وقالت فرقة: المراد بالماء: المنيُّ الذي في جميع الحيوان، ثم وقفهم على ترك الإيمان توبيخاً وتقريعاً.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في المحتسب (٢/ ٦١)، وفي المطبوع والإماراتية ونجيبويه: «والشَّعبي»، بدل «الثقفي».

(٢) في الأصل: «الفتوق».

(٣) وهو القطامي، انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٣٧)، وطبقات فحول الشعراء (٢/ ٥٣٨)، وتفسير الطبري (١٨/ ٤٣٤).

(٤) ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٥) والباقون بإِثباتها، فهما سبعيتان، انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ١٥٥)، والسبعة (ص: ٤٢٨).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

«الرَّواسي»: جمع راسية؛ أي: ثابتة، يقال: رسا يرسو إذا ثبت واستقر، ولا يستعمل إلَّا في الأَجرام الكبار كالجبال والسَّفينة ونحوها، ويُروى أن الأَرض كانت تكفأُ بأَهلها حتى ثقلها الله بالجبال فاستقرَّت[1].

و«المَيْد»: التحرُّك، و«الْفِجَاجُ»: الطرق المتَّسعة في الجبال وغيرها.

و﴿سُبُلًا﴾: جمع سبيل، والضمير في قوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ يحتمل أن يعود على الرَّواسي، ويحتمل أَن يعود على الأَرض، وهو أَحسن.

و﴿يَهْتَدُونَ﴾ معناه: في مسالكهم وتصرُّفهم.

و«السَّقْفُ»: ما عَلا، و«الحِفْظُ» هنا: عامٌّ في الْحِفْظ من الشياطين، ومن الوهي[2] والسُّقوط وغير ذلك من الآفات.

و﴿ءَايَٰتِهَا﴾: كواكبُها وأَمطارها والرَّعد والبرق والصَّواعق وغير ذلك مما يشبهه.

وقرأَت فرقة: (وهم عن آيتها) بالإِفراد[3] الذي يراد به الجنس.

و«الْفَلَكُ»: الجِسْم الدائر دورة اليوم واللَّيلة، فالكلُّ في ذلك / سابح متصرف، [٤/ ٤٤]
وعنَّ بعض المفسرين إِلى الكلام فيما هو الفَلَك[4] فقال بعضهم: كحديدة الرحى،

---

(١) ذكره الطبري (١٨/ ٥٨٨) من قول قتادة بنحو ما ذكره المؤلف.

(٢) في الأصل: «الرمي»، وفي نجيبويه: «الهواء».

(٣) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٩٤)، والشواذ للكرماني (ص:٣١٧) لمجاهد.

(٤) في حاشية المطبوع: «هكذا في جميع الأصول، ولعلَّ بعض الكلام قد سقط من النساخ».

وقال بعضهم: كالطَّاحونة، [وغير هذا][١] مما لا ينبغي التَّسَوُّر عليه، غير أَنَّا نعرف أَن الفَلَك جسم مستدير[٢].

و﴿يَسۡبَحُونَ﴾ معناه: يتصرَّفون.

وقالت فرقة: الفَلَك موجٌ مكفوف، ورأَوْا قولَه: ﴿يَسۡبَحُونَ﴾ من السِّباحة وهي العوم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾.

قيل: إِن سبب هذه الآية أَن بعض المسلمين قال: إِنَّ محمداً لن يموت وإِنما هو مخلَّد، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأَنكره، ونزلت هذه الآية[٣].

والمعنى: لم نُخَلِّد أَحداً، ولا أَنت لا نخلِّدك، وينبغي أَلَّا يَنْتَقِمَ أَحدٌ من المشركين عليك في هذا، أَفهمْ مُخَلَّدون إِنْ[٤] متَّ أَنت فيصح لهم انتقام؟

وقيل: إِن سبب الآية أَن كفار مكة طعنوا على النبي ﷺ بأَنه بشرٌ، وأَنه يأْكل الطعام ويموت، فكيف يصح إِرساله؟ فنزلت الآية رادَّة عليهم، وأَلف الاستفهام داخلةٌ في المعنى على جواب الشرط، وقُدِّمت في أَول الجملة؛ لأَن الاستفهام له صدر الكلام، والتقدير: أَفَهُمُ الخالدون إِنْ مِتَّ؟ والفاءُ في قوله: ﴿أَفَإِيْن﴾ عاطفة جملة على جملة.

وقرأَت فرقة: ﴿مُتَّ﴾ بضم الميم، وقرأَت فرقة: ﴿مِتَّ﴾ بكسرها[٥].

وقوله: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ﴾ عموم يُراد به الخصوص، والمراد كلُّ نفس مخلوقة.

و«الذَّوْقُ» هاهنا مستعار.

---

(١) ليس في الأصل.
(٢) في الأصل: «يستدير».
(٣) لم أقف عليه.
(٤) في الأصل: «أم».
(٥) وهما سبعيتان، الضم لنافع وحفص وحمزة والكسائي، كما تقدم في آية آل عمران.

و(نَبْلوكُم) معناه: نختبركم، وقدم الشَّر؛ لأَن الابتلاء[١] به أَكثر، ولأَن العرب من عادتها أَن تقدم الأَقلَّ والأَرْدأَ، فمنه قوله تعالى: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف: ٤٩]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢]، فبدأَ بتقسيم أُمَّة محمد ﷺ بالظُّلم.

وقال الطبري عن ابن عباس: إِنه جعل الخير والشَّر هنا عامّاً في الغنى والفقر، والصحة والمرض، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة[٢].

قال القاضي أَبو محمد: والظاهر[٣] أَن المراد من الخير والشرِّ هنا كلُّ[٤] ما يصح أَن يكون فتنةً وابتلاءً، وذلك خير المال وشرُّه، وخير البَدَن وشرُّه، وخير الدنيا في الحياة وشرُّها.

وأَما الهدى والضلال فغير داخل في هذا، ولا الطَّاعة والمعصية؛ لأَن من هُدِيَ فليس نفْسُ هُداه اختباراً، بل قد تَبَـيَّن خيره، فعلى هذا ففي الخير والشَّرِّ ما ليس فيه اختبارٌ، كما يوجد أيضاً اختبار بالأَوامر والنواهي وليس بداخل في هذه الآية.

و﴿فِتْنَةً﴾ معناه: امتحاناً وكشفاً، ثم أَخبر عزَّ وجلَّ عن الرَّجعة إِليه، والقيام من القبور.

وفي قوله: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ وعيدٌ.

وقرأَت فرقة: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بضم [التاءِ.

وقرأَت فرقة: ﴿تَرْجِعُونَ﴾ بفتحها][٥].

---

(١) في الأصل: «الابتداءَ».

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٤٤٠)، واللالكائي في شرح أصول الأعتقاد (١٠٠٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ليس في الأصل.

(٤) ليس في الأصل ولالاليه.

(٥) في أحمد٣ ولالاليه: «الياء وفتح الجيم»، دون ذكر قراءة الفرقة الثالثة.

وقرأت فرقة: (يُرْجعُونَ) بالياءِ مضمومة[١]، على الخروج من الخطاب إلى الغيبة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

رُوي: أَن أَبا سفيان بن حرب وأَبا جهل بن هشام رأَيا رسول الله ﷺ في المسجد فاستهزأا به، فنزلت الآية بسببهما[٢]، وظاهر الآية أَن كفار قريش وعظماءهم يعمهم هذا المعنى من أَنهم ينكرون أَخذ رسول الله ﷺ في أَمر آلهتهم، وذكره لهم بفساد.

و﴿إِن﴾ بمعنى: (ما)، وفي الكلام حذف تقديره: يقولون: أَهذا الذي؟

وقوله: ﴿يَذْكُرُ﴾ لفظة تعمُّ المدح والذم، لكن قرينة المقال أَبداً تدل على المراد من الذِّكر.

وتَمَّ ما حكى عنهم في قوله تعلى: ﴿ءَالِهَتَكُمْ﴾، ثم ردَّ عليهم بأَن قرن بإِنكارهم ذِكر الأَصنام كُفْرَهم بذكر الله، أَي: فهم أَحقُّ بالملام[٣]، وهم المخطئون.

وقوله تعالى: ﴿بِذِكْرِ﴾ أَي: بما يجب أَن يُذكر به، و«لا إله إلا الله» منه.

وقوله: ﴿بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾، روي أَن الآية نزلت حين أَنكروا هذه اللَّفظة، وقالوا: ما نعرف الرَّحمن إِلَّا باليمامة، وظاهر الكلام أَن (الرَّحْمَن) قُصد به العبارة عن الله تعالى، كما لو قال: وَهُمْ بِذِكْرِ الله، وهذا التأويل أَغرق في ضلالهم وخطئهم.

---

(١) ثلاث قراءات، الأولى بضم التاء للسبعة والجمهور، والثانية بفتحها عشرية ليعقوب على قاعدته، والثالثة بالياء شاذة، عزاها في جامع البيان (٣/ ١٣٦٩) للثعلبي عن ابن ذكوان، وزاد الكرماني في الشواذ (ص: ٣١٧) الواقدي عن قتادة.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥/ ٦٣٠) عن السدي به، وهو معضل.

(٣) «بالملام» ليست في الأصل.

وقوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ توطئة للرَّدِّ عليهم في استعجالهم العذاب، وطلبهم آية مقترحة، وهي مقرونة بعذاب مُجهِزٍ إن كفروا بعد ذلك.

وَوَصَفَ تعالى الإِنسان الذي هو اسم الجنس بأنه خُلق من عجل، وهذا على جهة المبالغة، كما تقول للرجل البَطَّال: أَنت من لعب ولَهْو، وكما قال رسول الله ﷺ: «لَسْتُ من دَدٍ، وَلَا دَدٌ مِنِّي»[1]، وهذا نحو قول الشاعر:

[الطويل] وَأَنَّا لَمِمَّا نَضْرِبُ الْكَبْشَ ضَرْبَةً ... عَلَى رَأْسِهِ تُلْقِي اللِّسَانَ مِنَ الْفَمِ[2]

كأَنهم ممَّا كانوا أَهل ضرب للهام وملازمة للحرب قال: إِنهم من الضرب.

قال القاضي أبو محمد: وهذا التأويل يتم به معنى الآية المقصود في أَن ذمت عَجَلتهم وقيل لهم على جهة الوعيد: إِن الآيات ستأْتي فلا تستعجلون، وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾: إِنَّه من المقلوب، كأَنه أَراد: خُلق العَجَل من الإِنسان، على معنى أَنه جعل طبيعة من طبائعه، وجزءاً من أَخلاقه.

قال القاضي أبو محمد: وهذا التأويل ليس فيه مبالغة، وإِنما هو إِخبارٌ مجرد، وإِنما حمل قائليه عليه عَدَمُهم وجه التجوُّز والاستعارة في أَن يبقى الكلام على ترتيبه،

---

(١) لا يثبت ومرسل أشبه، هذا الحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٥)، والبزار في مسنده (٦٢٣١)، والطبراني في الأوسط (٣١٣)، والبيهقي في الكبرى (١٠/٢١٧) من طريق يحيى بن محمد بن قيس، عن عمرو بن أبي عمرو، عن أنس بن مالك قال: قال رَسُول الله ﷺ: لست من دد، ولا دد مني، ويحيى بن محمد بن قيس المحاربي الضرير صدوق يخطئ كثيراً، وقد أخرجه الطبراني في الكبير (٧٩٤) من طريق عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن معاوية: عن النبي ﷺ به، وسئل عنه الدارقطني في العلل (٢٤٩٦) فقال: رواه أبو زكير يحيى بن محمد ابن قيس، عن عَمْرو بن أبي عَمْرو، عن أنس. وروي عن الدراوردي، عن عَمْرو بن أبي عَمْرو، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب مرسلاً، والمرسل أشبه. وقد ضعفه الألباني في الضعيفة (٢٤٥٣).

(٢) البيت لأبي حَيَّـةَ النُّمَيْرِي، كما تقدم في تفسير الآية (٥٧) من سورة النساء، والرواية في الأصل والحمزوية: «على الفم».

ونظير هذا القلب الذي قالوه قولُ العرب: إِذا طلعت الشِّعرى استوت العود على الحِرْباء[١]، وكما قالوا: عرضت النَّاقة على الحوض، كما قال الشاعر:

حَسَرْتُ كَفِّي عَلى السِّرْبَالِ آخُذُهُ فَرْداً يُجَرُّ عَلَى أَيْدِي الْمُفَدِّينَا[٢] [البسيط]

وأَما المعنى في تأويل من رأَى الكلام من المقلوب فكالمعنى الذي قدَّمناه.

وقالت فرقة من المفسِّرين: قوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ إِنما أَراد أَن آدم عليه السلام خلقه الله تعالى في آخر ساعة من يوم الجمعة، فتعجَّل به قبل مغيب الشمس، وروى بعضهم: أَن آدم عليه السلام قال: يا ربِّ أَكمل خلقي، فإِنَّ الشمس على الغروب، أَو قد غربت[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قولٌ ضعيف، ومعناه لا يناسب معنى الآية.

وقالت فرقة: العَجَلُ: الطِّـيْنُ، والمعنى: خُلق آدم من طين، / وأَنشد النقاش: [٤/ ٤٥]

.... وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْـمَاءِ وَالْعَجَلِ[٤] [البسيط]

وهذا أَيضاً ضعيف، ومعناه مباين[٥] لمعنى الآية.

وقالت فرقة: معنى قوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أَي بقوله: (كُنْ)، فهو بحال عَجَلة.

وهذا أَيضاً ضعيف، وفيه تخصيص ابن آدم بشيءٍ كل مخلوق يشاركه فيه، وليس في هذه الأَقوال ما يصح معناه ويلتئم مع الآية إِلَّا القول الأَول.

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٤٤٣)، وقد ورد أوله في الجيم (١/ ٦٢)، والأزمنة لقطرب (ص: ٢٦).

(٢) البيت لتميم بن مُقْبل، كما في تفسير الطبري (١٨/ ٤٤٣)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢٧٦)، وفي الأصل والإماراتية ونجيبويه: «يخر».

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٤٤٢) من قول مجاهد بن جبر.

(٤) صدره: (والنَّـبْعُ في الصَّخْرَةِ الصمَّاءِ مَنْبِتُهُ)، وهو للشماخ كما في تفسير مقاتل (٣/ ٩٨)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة (١/ ٢٣٧).

(٥) في المطبوع: «مغايرٌ»، وهي بمعناها.

وقرأَت فرقة: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول.

وقرأَت فرقة: (خَلَقَ الإنسانَ)[1] على معنى: خَلَق اللهُ الإنْسَانَ.

فمعنى الآية بجملتها: خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ، على معنى التعجُّب من تعجُّل هؤلاء المقصودين بالردِّ.

ثم توعَّدهم بقوله: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى﴾، أَي: سيأْتِي ما يَسُوؤُكُم إِذا متُّم على كفركم، يريد يوم بدر وغيره.

ثم فسَّر تعالى استعجالهم بقوله: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ وكان استفهامهم على جهة الهُزْءِ والتكذيب.

وقولهم: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يريدون محمداً ﷺ ومَنْ آمَنَ بِهِ؛ لأَن المؤمنين كانوا يتوعدونهم على لسان الشَّرع.

وموضع ﴿مَتَىٰ﴾ رفع عند البصريين، وقال بعض الكوفيين: موضعه نصب على الظَّرف، والعامل فعل مُقَدَّر تقديره: يكون أَو يجيءُ، والأَول أَصوب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾.

حُذف جواب ﴿لَوْ﴾ إِيجازاً لدلالة الكلام عليه، وأُبهم قدر العذاب لأَنه أَبلغ وأَهيب من النَّص عليه، وهذا محذوف نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الرعد: ٣١] الآية، ويقدر المحذوف في جواب هذه الآية: لَمَا استعجلوا، ونحوه.

---

(١) وهي شاذة، وهي قراءة حميد والأعرج. انظر: تفسير الثعلبي (٦/ ٢٧٥)، وتفسير الطبري (١٨/ ٤٤٤)، والأولى هي المتواترة.

وقوله: ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ﴾ يريد يومَ القيامة، وذكر الوجوه خاصة لشرفها من الإِنسان، وأَنها موضع حواسِّه، وهو أَحرص على الدِّفاع عنه، ثم ذكر الظُّهور؛ لِيُبيِّن عموم النار لجميع أَبدانهم.

وقوله: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ استدراك مُقَدَّر قبله نفيٌ تقديره: إِنَّ الآيات لا تأتي بحسب اقتراحهم بَلْ تَأْتِيهِمْ بغتة، والضمير للسَّاعة التي تُصَيِّرهم إلى العذاب، ويحتمل أَن يكون للنار.

وقرأَت فرقة: (يَأْتِيهِمْ) بالياءِ على أَن الضمير للوعد، (فَيَبْهَتُهُمْ) بالياءِ[1] أَيضاً.

و«الْبَغْتَة»: الفجأَة عن غير[2] مقدِّمة.

و﴿يُنظَرُونَ﴾ معناه: يُؤَخَّرُونَ.

ثم آنس الله تعالى محمداً ﷺ بما جرى على سائر الأَنبياء من استهزاءِ قومهم بهم، وحلول العذاب بالمستهزئين.

و(حَاقَ) معناه: نَزَل وحلَّ، وهي مستعملة في العذاب والمكاره.

وقوله: ﴿مَّا كَانُوا۟﴾ فيه محذوف تقديره: جزاءَ ما كانوا، ونحوه، ومع هذا التأنيس الذي لمحمد ﷺ وعيدٌ للكفرة وضَرْبُ مَثَلٍ له بمن سلف من الأُمم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

---

(١) وهي شاذة، عزاها الزمخشري في الكشاف (٣/ ١١٩) للأعمش، وفي المطبوع هنا زيادة: «على أَن الضمير للوَعْد»، ولعلها تكرار.

(٢) «غير» ليس في الأصل.

المعنى: قل يا محمد لهؤلاء الكفرة المستهزئين بك وبما جئتَ به الكافرين بذِكر الرحمن الجاهلين به، قل لهم على جهة التوبيخ والتقريع: من يحفظكم؟، وكَلأَ معناه: حَفِظَ، ومنه قول النبي ﷺ لبلال: «اكْلأْ لَنَا الْفَجْرَ»[(١)]، وفي آخر الكلام تقدير محذوف، كأَنه قال: ليس لهم مانع ولا كالِئٌ، وعلى هذا النفي[(٢)] تركبت ﴿بَلْ﴾ في قوله سبحانه: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾، ثم يقضي عليهم التقدير[(٣)] في أَنه لا مانع لهم من الله بأَن كشف أَمر آلهتهم، والمعنى: أيظنُّون أَن آلهتهم التي هي بهذه الصفة تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا، بل لا[(٤)] يمنعهم أَحد إِلَّا نحن.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ يحتمل تأويلين:

أحدهما: يُجَارونَ ويُمْنَعون.

والآخر: ولَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ بخير ولا تزكية[(٥)]، ونحو هذا، وفي الكلام تقدير بعد[(٦)] محذوف، كأَنه قال: ليس ثَمَّ شيءٌ من هذا كله، بل ضلَّ هؤلاء؛ لأَنَّا متَّعناهم ومتَّعنا آباءهم، فنسوا عقاب الله، وظنُّوا أَن حالهم لا تبيد[(٧)]، والمعنى: طال الْعُمُرُ في رخاءٍ.

ثم وقفهم تعالى على مواضع العبرة في الأُمم وفي البشر بحسب الخلاف في الأَطراف.

و«الرُّؤْيَة» في قوله: ﴿يَرَوْنَ﴾: رؤْية العين تتبعها رؤْية القلب.

و﴿نَأْتِي﴾ معناه: بالقدرة والبأْس.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به، بلفظ: «اكلأ لنا الليل».

(٢) في المطبوع: «المعنى»، مع الإشارة للنسخة الأخرى في هامشه.

(٣) في المطبوع: «التقرير»، وفي الحاشية: في بعض النسخ: «العقوبة».

(٤) في الأصل ونور العثمانية ولالاليه: «بل ما».

(٥) في نجيبويه وأحمد٣ والإماراتية والمطبوع: «بركة».

(٦) ليس في المطبوع والإماراتية.

(٧) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «تَبِين».

و﴿ٱلْأَرْضَ﴾ عامة في الجنس.

وقوله: ﴿مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ إِمَّا أَن يريد: فيما يخرب من المعمور، فذلك نقص للأرض[١].

وإِمَّا أَن يريد موت البشر فهو تَنَقُّص للقرون، ويكون المراد حينئذ نأتي أَهلَ الأرض.

وقال قوم: «النقص من الأطراف»: موت العلماء، ثم وقفهم على جهة التوبيخ أَهُم يعلمون من غلب جميع أَهل الأَرض، وقهر الكلَّ بسلطانه وعظمته؟ أَي: إِنَّ ذلك محال بَيِّنٌ، بل هم مغلوبون مقهورون.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

المعنى: قل يا أَيها المُقْترحون المتشططون إِنما أُنْذِرُكُمْ بوحي يوحيه الله إِليَّ، وبدلالات على العبر التي نصبها الله تعالى لِيُنظر فيها، كنُقصان الأَرض من أَطرافها وغيره، ولم أُبعث بآية مُضطرة[٢]، ولا بما تقترحونه.

ثم قال: ﴿وَلَا يَسْمَعُ﴾ بمعنى: وأَنتم معرضون عمَّا أُنذر به، فهو غير نافع لكم، ومَثَّل أَمرهم بالصُّمِّ.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿وَلَا يَسْمَعُ﴾ بالياءِ، وإِسناد الفعل إِلى ﴿ٱلصُّمُّ﴾[٣].

وقرأَ ابن عامر وحده: ﴿وَلَا تُسْمِعُ﴾ بضم التاء[٤] وكسر الميم ونصب ﴿الصُّمَّ﴾.

---

(١) في المطبوع: «بعض الأَرض».

(٢) في المطبوع: «بآية مطردة»، وفي أحمد٣: «مقترحة ولا مضطرة»، وليس فيه: «ولا بما تقترحونه».

(٣) في أحمد٣: «والصم فاعل».

(٤) في المطبوع: «بضم الياء»، وهو خطأ، والقراءتان سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٢٩)، والتيسير (ص: ١٥٥).

وقرأت فرقة: (ولا تُسْمَع) بتاء مضمومة وفتح الميم وبناءِ الفعل للمفعول[١]، والفرقتان نصبتا (الدُّعَاءَ)[٢].

وقرأت فرقة: (وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءِ) بإضافة (الصُّمُّ) إلى (الدُّعَاءِ)[٣]، وهي قراءة ضعيفة وإن كانت متوجهة.

[٤/ ٤٦] ثم خاطب الله تعالى / محمداً ﷺ متوعِّداً لهم بقوله: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ و«النَّفْحة»: الخَطْرَة والمسَّةُ، كما تقول: نفح بيده إذا مال بها هكذا ضارباً إلى جهة، ومنه نَفْحَة الطِّيب كأنه يخطر خطرات على الحاسَّة، ومنه: نَفَح له من عطاياه: إذا أجراه[٤] منها نصيباً، ومنه: نَفَحَ الفَرَسُ برجله: إذا ركض، والمعنى: ولئن مسَّ هؤلاء الكفرة صدمة عذاب في دنياهم لَيَنْدَمُنَّ، وليقرن[٥] بظلمهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

لمَّا توعدهم بنفحة من عذاب الدنيا عقَّب ذلك بتوعُّد بوضع الْمَوازِينِ، وإنما جمعها وهو ميزان واحد؛ لأَن لكل أَحد وزناً يخصه، ووحَّد ﴿ٱلْقِسْطَ﴾ وهو قد جاءَ بلفظ الموازين مجموعاً من حيث الْقِسْط مصدرٌ وصف به، كما تقول: قومٌ عدْلٌ ورضًى.

وقرأت فرقة: (القِصْطَ) بالصاد[٦].

---

(١) وهي شاذة، عزاها في تفسير الطبري (١٨/ ٤٥٠) لأبي عبد الرحمن السلمي.

(٢) في حاشية المطبوع: أنها سقطت في بعض النسخ.

(٣) وهي ـ إن كانت قراءة ـ شاذة، ولم أجد للمصنف فيها سلفاً ولا خلفاً.

(٤) في نجيبويه: «إذا أجرى»، وفي المطبوع: «إذا أخذ».

(٥) في الأصل: «وليعون».

(٦) وهي شاذة، رواها أحمد بن صالح عن قالون كما في جامع البيان (٣/ ١٣٧٠).

وقوله تعالى: ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾؛ أَي: لحساب يوم القيامة، أَو لحكم يوم القيامة، فهو بتقدير حذف مضاف.

والجمهور على أَن الميزان في يوم القيامة بعمود وكفَّتين توزن به الأَعمال، ليبين للناس[١] المحسوس المعروف عندهم، والخفة والثقل متعلِّقة بأَجسام يقرنها الله تعالى يومئذ[٢] بالأَعمال، فإِمَّا أَن تكون صحف الأَعمال، أَو مثالات تُخْلق، أَو ما شاءَ الله تعالى.

وقرأَ نافع وحده: ﴿مِثْقَالُ﴾ بالرفع على أن تكون ﴿كَانَ﴾ تامة[٣]، وقرأَ جمهور الناس: ﴿مِثْقَالَ﴾ بالنصب [على معنى][٤]: وإِن كان الشيءُ أَو العمل مثقال.

وقرأَ الجمهور: ﴿أَتَيْنَا﴾ على معنى: جئنا، وقرأَ ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما: (آتَـيْنَا)[٥] على معنى: وَاتَيْنَا من المؤاتاة، ولا يقدر تفسير[٦] (آتينا) بأَعطينا لمَّا تعدَّت بحرف جرٍّ.

قال القاضي أبو محمد: ويوهن هذه القراءَة أَن بدل[٧] الواو المفتوحة بهمزةٍ ليس بمعروف، وإِنما يعرف ذلك في المضمومة أَو المكسورة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ تَوَعُّدٌ.

ثمَّ عقَّب بالتمثيل بأَمر موسى عليه السلام.

و﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ فيما قالت فرقة: التَّوراة، وهي الضِّياءُ والذِّكْرُ.

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) في المطبوع: «يوم القيامة».

(٣) في المطبوع: «تكون مستأْنفة»، والقراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٥)، والسبعة (ص: ٤٢٩).

(٤) ليس في الأصل.

(٥) وهي شاذة عزاها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ٣١٧) وزاد آخرين.

(٦) في المطبوع: «ولا يفسر».

(٧) في المطبوع: «تبديل».

وقرأ ابن كثير وحده[١]: ﴿ضِئَاءً﴾ بهمزتين قبل الألف وبعدها، وقرأ الباقون: ﴿وَضِيَآءً﴾ بهمزة واحدة بعد الأَلف.

وقرأ ابن عباس: (الْفُرْقَانَ ضِيَاءً) بغير واو، وهي قراءَة عكرمة والضحاك[٢]، وهذه القراءَة تؤيد قول من قال: المراد بذلك كله التوراة.

وقالت فرقة: الفرقان هو ما رزقه الله من نصرٍ وظهورحُجَّةٍ وغير ذلك ممَّا فرَّق بين أَمره وبين أَمر فرعون ـ لَعَنَه الله ـ والضِّيَاءُ التوراة، والذِّكْرُ بمعنى التذكرة.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ يحتمل ثلاث تأويلات:

أَحدها: في غيبهم وخلواتهم وحيث لا يطَّلع عليهم أَحد، وهذا أَرجحها.

والثاني: أَنهم يخشون الله على أَن أَمره تعالى غائب عنهم[٣]، وإِنما استدلوا بدلائل لا بمشاهدة.

والثالث: أَنهم يخشون الله ربهم بما أَعلمهم به مما غاب عنهم من أَمر آخرتهم ودنياهم، و«الإِشْفَاقُ»: أَشَدُّ الخشية، و﴿ٱلسَّاعَةِ﴾: القيامة.

وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا﴾ إِشارة إِلى القرآن.

و﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: إِمَّا أَن يكون بمعنى أَثبتناه، كما تقول: أَنزل السلطان[٤] فلاناً بمكان كذا: إِذا أَثبته له، وإِمَّا أَن يتعلَّق النزول بالملك، ثم وقفهم تعالى تقريراً وتوبيخاً، هل يصح لهم إِنكار بركته وما فيه من الدعاء إِلى الله تعالى وإِلى صالح العمل.

---

(١) في المطبوع: «وحمزة»، وهو خطأ، والقراءتان سبعيتان، والأولى رواية قنبل خاصة كما في السبعة (ص: ٤٢٩)، والتيسير (ص: ١٥٥).

(٢) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٦٣).

(٣) ليست في الأصل والحمزوية، وهي في الإماراتية ملحقة بالهامش.

(٤) في المطبوع: «الشيطان».

قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

«الرُّشْد»: عام في هدايته إِلى رفض الأَصنام، وفي هدايته في أَمر الكوكب والشمس والقمر وغير ذلك من النُّبُـوَّة فما دونها.

قال بعضهم معناه: وُفِّق للخير صغيراً، وهذا كلُّه متقارب.

و﴿مِنْ قَبْلُ﴾ معناه: من قبل موسى وهارون، فبهذه الإِضافة هو قبل كما هي نسبة نوح منه.

وقوله: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ مدح لإِبراهيم، أَي: إنه يستحق ما أُهِّل له، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، والعامل في ﴿إِذْ﴾ قوله: ﴿ءَاتَيْنَا﴾.

و﴿ٱلتَّمَاثِيلُ﴾: الأَصنام؛ لأَنها كانت على صورة الإِنسان من خشب.

و«الْعُكُوفُ»: الـمُلازمة للشيءِ.

وقوله: ﴿فَطَرَهُنَّ﴾ عبارة عنها كأَنها تعقل، وهذه من حيث لها طاعة وانقياد، وقد وصفت في مواضع بما يوصف به من يعقل.

وقوله: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ﴾ الآية، رُوي: أَنهم حضرهم عيدٌ لهم، فعزم قوم منهم على إِبراهيم في حضوره معهم[1] طمعاً منهم أَن يستحسن شيئاً من أَخبارهم، فمشى معهم، فلما كان في الطريق أثنى عزمه على التخلُّف عنهم، فقعد وقال لهم: إِنِّي

(١) من المطبوع والإماراتية.

سقيم، فمرَّ به جمهورهم، ثم قال في خلوة من نفسه: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾، وسمعه قوم من ضعفتهم ممن كان يسير في آخر الناس[١].

وقوله: ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴾ معناه: إلى عيدهم، ثم انصرف إبراهيم عليه السلام إلى بيت أَصنامهم وحده[٢] فدخل ومعه قدوم، فوجد الأَصنام قد وقعت[٣]، أَكبرها أَولُ[٤] ثم الذي يليه فالذي يليه، وقد جعلوا أَطعماتهم[٥] في ذلك اليوم بين يدي الأَصنام تبركاً بهم؛ لينصرفوا من ذلك العيد إلى أَكله، فجعل عليه السلام يقطعها بذلك القدوم ويهشمها، حتى أَفسد أَشكالها كلها، حاشى الكبير فإنه تركه بحاله وعلَّق القدوم من[٦] يده وخرج عنها.

و﴿جُذَٰذًا ﴾ معناه: قطعاً صغاراً، و«الجذ»: القطع.

وقرأَ الجمهور: ﴿جُذَٰذًا ﴾ بضم الجيم، وقرأَ الكسائي وحده بكسرها[٧].

وقرأَ ابن عباس، وأَبو نُهيك، وأَبو السمال[٨] بفتحها[٩]، وهي لغات، والمعنى واحد.

وقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ ﴾ ونحوه معاملة للأَصنام بحال من يعقل من حيث كانت تُعْبد وتُنَزَّل منزلة من يعقل.

والضمير في ﴿إِلَيْهِ ﴾ ما فيه أَنه عائد على إبراهيم، أَي: فعل هذا كله توخيّاً منه

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٤٥٧، ٤٥٨)، والهداية لمكي (٧/ ٤٧٦٨).

(٢) من نجيبويه والمطبوع والإماراتية.

(٣) في أحمد٣ والحمزوية والمطبوع ولالاليه: «وقفت».

(٤) في المطبوع: «في الأول».

(٥) في نور العثمانية: «أطعمتهم».

(٦) في المطبوع: «في».

(٧) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٥)، والسبعة (ص: ٤٢٩).

(٨) في المطبوع: «أبو السّماك»، بالكاف ودون واو العطف.

(٩) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٦٣).

أَن يعقب ذلك منهم رجعة إِليه وإِلى شرعه، ويحتمل أَن يعود الضمير على الكبير[١] المتروك، ولكن يضعف ذلك دخول الترجِّي في الكلام.

/ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا [٤/ ٤٧]
فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

المعنى: فانصرفوا من عيدهم، فرأَوا ما حدث بآلهتهم، فأَكبروا ذلك، وحينئذ قالُوا: مَنْ فَعَلَ هذا؟ على جهة البحث والإِنكار.

و﴿قَالُوا۟﴾ الثانية الضمير فيها يعود للقوم الضعفة الذين سمعوا إبراهيم حين قال: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾.

واختلف الناس[٢] في وجه رفع قوله: ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾:

فقالت فرقة: هو مرتفع بتقدير النداءِ، كأَنهم أَرادوا الذي يقال له عندما يدعى: يا إبراهيم.

وقالت فرقة: رفعه على إِضمار الابتداءِ، تقديره: هو إبراهيم.

قال القاضي أَبو محمد: والأَول أَرجح.

وقال الأُستاذ أَبو الحجاج الإشبيلي الأَعلم: هو رفع على الإِهمال[٣].

قال القاضي أَبو محمد: لما رأَى وجوه الرَّفع كأَنها لا توضِّح المعنى الذي

---

(١) في المطبوع: «إِلى الكسر».
(٢) من أحمد٣ والمطبوع ولالاليه.
(٣) انظر قوله في: تفسير القرطبي (١١/ ٢٩٩)، وهو يوسف بن سليمان بن عيسى، أبو الحجاج الأندلسي النحوي المعروف بالأعلم، كان عالـماً باللغات والإعراب، واسع الحفظ، جيد الضبط، كثير العناية بهذا الشأن، توفي بعد (٤٧٠هـ). تاريخ الإسلام (٣٢/ ١٨١).

قصدوه ذهب إِلى رفعه بغير شيءٍ، كما قد يرفع التَّجرُّد والعُرُو عن العوامل الابتداء.

قال القاضي أَبو محمد: والوجه عندي أَنه مفعول لم يُسَمَّ فاعله، على أَن يجعل ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾ غير دالٍّ على الشخص، بل تَجعل النُّطق به دالًّا على بناءِ هذه اللفظة، وهذا كما تقول: زَيْدٌ وزن فَعْل، أَو زيد ثلاثة أَحرف، فلم تدل[١] بوجه على الشخص بل دَللت[٢] بنطقك[٣] على نفس اللفظة، وعلى هذه الطريقة تقول: قلت إبراهيمَ، ويكون مفعولاً صحيحاً أَنزلته منزلة قول وكلام، فلا يتعذَّر بعد ذلك أَن يبنى الفعل فيه للمفعول.

و﴿عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ يريد: في الحفل، وبمحضر الجمهور.

وقوله: ﴿يَشۡهَدُونَ﴾ يحتمل أَن يراد به الشهادة عليه، يريدون بفعله، أَو بقوله: ﴿لَأَكِيدَنَّ﴾.

ويحتمل أَن يراد به المشاهدة، أَي: يشاهدون عقوبته، أَو غلبته المؤدِّية إِلى عقوبته، المعنى: فجاءَ إبراهيم حين أُتي به فقالوا له: أَأَنت فعلت هذا بالآلهة؟ فقال لهم إِبراهيم عليه السلام: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا، على معنى[٤] الاحتجاج عليهم، أَي: إنه غار من أَن يعبد هو[٥] وتعْبد الصغار معه، ففعل هذا بها لذلك.

وقالت فرقة هي الأَكثر: إِن هذا الكلام قاله إِبراهيم عليه السلام؛ لأَنها كذبة في ذات الله تؤدي إِلى خزي قوم كافرين، والحديث الصحيح يقتضي ذلك وهو قول النبي ﷺ: «لم يكذب إِبراهيم إِلَّا ثلاث كذبات: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله:

---

(١) في الأصل: «فلم تدخل».

(٢) في أحمد٣ ولالاليه: «دلت».

(٣) في المطبوع: «بنطقها».

(٤) في أحمد٣ والمطبوع: «جهة».

(٥) من نجيبويه والإماراتية والمطبوع.

﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، وقوله للملك[١]: هي أُختي»[٢]، ثم طرق[٣] إِلى موضع خزيهم بقوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ على جهة التوقيف.

قال القاضي أبو محمد: وذهبت فرقة إِلى نفي الكذب عن هذه المقالات.

وقالت فرقة: معنى قول النبي ﷺ: «لم يكذب إِبراهيم [إِلَّا ثلاث كذبات...][٤]» أَي: لم يقل كلاماً ظاهره الكذب، أَو يشبه الكذب، وذهبت إِلى تخريج هذه المقالات، فخرَّجت هذه الآية على معنى أَنه أَراد تعليق فعل الكبير بنطق الآخرين، كأَنه قال: بل هو الفاعل إِن نطق هؤلاءِ، ولم يخرج[٥] الخبر على أَن الكبير فعل ذلك، وفي الكلام تقديم على هذا التأْويل في قوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾.

وذهب الفراءُ إِلى جهة أُخرى بأَن قال: قوله ﴿فَعَلَهُۥ﴾ ليس من الفعل، وإِنما هو: فلَعَلَّهُ على جهة التَّوقُّع، حذف اللام، على قولهم: عَلَّهُ بمعنى: لَعَلَّهُ، ثمَّ خُفِّفَت اللام.

قال القاضي أبو محمد: وهذا تكلُّف.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

المعنى: فظهر لهم ما قال إِبراهيم من أَن الأَصنام التي قد أَهَّلوها للعبادة ينبغي

(١) في المطبوع: «للمليك».
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٧٩)، ومسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.
(٣) في المطبوع: «تطرق».
(٤) من المطبوع والإماراتية.
(٥) في أحمد٣ ونجيبويه والمطبوع ولالاليه: «يجزم».

أَن تُسأَل وتُسْتَفسر[١]، فقالوا: إِنكم أَنتم الظالمون في توقيف هذا الرجل على هذا الفعل وأَنتم معكم من تسأَلون، ثم ارتبكوا في ضلالهم، ورأَوا بالفكرة وبديهة العقل أَن الأَصنام لا تنطق، فساقهم ذلك حين[٢] نطقوا عنه إِلى موضع قيام الحجَّة عليهم.

وقوله تعالى: ﴿نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ استعارة للذي يرتطم في غيِّه كأَنه منكوس على رأْسه، فهي أَقبح هيئة للإِنسان، وكذلك هذا هو في أَسوأ حالات النظر، فقالوا لإِبراهيم عليه السلام حين نكسوا في حيرتهم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ أَي: فما بالك تدعو إِلى ذلك؟ فوجد إِبراهيم عليه السلام عند هذه المقالة موضع الحجة فوقفهم موبِّخاً على عبادتهم تماثيلَ لا تنفع بذاتها ولا تضر، ثم حقَّر شأْنها وأَزْرى بها في قوله: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾.

وقرأَ ابن كثير: ﴿أُفَّ لكم﴾ بالفتح، وقرأَ أَبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وعاصم في رواية أَبي بكر: ﴿أُفِّ لَكُمْ﴾ بالكسر وترك التنوين فيهما[٣]، وقرأَ نافع وحفص عن عاصم: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ بالكسر والتنوين[٤].

و(أُفّ) لفظة تقال عند المستقذرات من الأَشياء فيُستعار ذلك للمكروه من المعاني كهذا وغيره.

فلمَّا غلبهم إِبراهيم عليه السلام من جهة النظر والحجَّة نكسوا رؤوسهم وأَخذتهم عزَّةٌ بإِثم وانصرفوا إِلى طريق الغشم والغلبة فقالوا: حَرِّقُوهُ.

ورُوي: أَن قائل هذه المقالة هو رجل من الأَكراد من أَعراب فارس، أَي: من باديتها، فخسف الله به الأَرض فهو يتجلجل[٥] فيها إِلى يوم القيامة[٦].

---

(١) في الأصل: «وتستعبر».
(٢) في الأصل: «فسامهم ذلك حتى».
(٣) في المطبوع: «نفيها»، وهو سبق قلم.
(٤) وكلها سبعية، وابن عامر يوافق ابن كثير، كما تقدم في حرف الإسراء.
(٥) في المطبوع: «يتلجلج».
(٦) ضعيف جدًّا، أخرجه الطبري (١٨/ ٤٦٥) من طريق الحسن بن دينار، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عمر رضي الله عنهما به. والحسن بن دينار متروك الحديث، وشيخه الليث مشهور بضعفه.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ تحريض، كما تقول: اعزم على كذا إن كنت عازماً.

ورُوي: أَنهم لما اجتمع رأْيهم على تحريقه حبسه نمرود الملك، وأَمر بجمع الحطب فجُمع في مدة أَشهر، وكان المريض يجعل على نفسه نذراً إِذا هو برئ أَن يجمع كذا وكذا حزمة حتى اجتمع من الحطب مما تبرَّع به الناس وممَّا جُلب للملك من أَهل الرساتيق[١] كالجبل من الحطب، ثم أَضرم ناراً، فلما أَرادوا طرح إِبراهيم فيه لم يقدروا على القرب منه، فجاءَهم إِبليس في صورة شيخ فقال لهم: أَنا أَصنع لكم آلة يلقى بها في النار، فعلَّمهم صنعة المنجنيق، ثم أُخرج إِبراهيم عليه السلام فشُدَّ برباط وَوُضع / في كفة المنجنيق ورمي به [٤/ ٤٨] فوضع في النار، وقد قيل لها: ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ فاحترق الحبل الذي رُبط به فقط.

ورُوي: أَن جبريل عليه السلام جاءَه وهو في الهواءِ فقال له: أَلَكَ حاجةٌ؟ فيروى أَنه قال: أَمَّا إِليك فلا[٢]، ويُروى أَنه قال له: إِنِّي خليل، وإِنما أَطلب حاجتي من خليلي، لا من رسوله، فقال الله تعالى: يا إِبراهيم قطعت الواسطة بيني وبينك، لأقطعنها[٣] بيني وبين النار، يا نار كوني برداً وسلاماً، ورُوي أَنه حين خُوطبت النار خمدت كلُّ نار في الأَرض[٤].

ورُوي أَن الغراب كان ينقل الحطب إِلى نار إِبراهيم، ورُوي: أَن الوزغة كانت تنفخ عليه لتضرم[٥]، وكذلك البغل.

ورُوي: أَن العَضْرَفُوط والخُطَّافة والضفدع كانوا ينقلون الماءَ لتطفأَ النار، فأَلقى الله على هذه الوقاية وسلَّط على تلك الأُخرى النوائب والأَيدي.

---

(١) في الأصل: «الرساتيق»، وفي لالاليه: «الدساتيق».

(٢) هذا من الإسرائيليات، ولا أصل له في المرفوع، وقد ذكره البغوي في تفسير سورة الأنبياء (٣/ ٢٩٤) مشيراً لضعفه، فقال: روي عن كعب الأحبار.. وللخبر أسانيد مقطوعة الظاهر أن مرجعها جميعاً إلى ما أخذ عن أهل الكتاب.

(٣) في المطبوع: «لا قطعتها».

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٤٦٦) من قول سعيد بن جبير، به.

(٥) أخرجه البخاري (٣٣٥٩) من حديث أم شريك، رضي الله عنها، مرفوعاً به.

وقال بعض العلماءِ فيما رُوي: إِن الله تعالى لولم يقل: ﴿وَسَلَٰمًا﴾ لهلك إِبراهيم من برد النار(١).

قال القاضي أبو محمد: وقد أَكثر الناس في قصص حرق إِبراهيم، وذكروا تحديد مدَّة بقائه في النار، وصورة بقائه فيها مما رأَيت اختصاره لقلَّة صحته، والصحيح من ذلك أَنه أُلقي في النار فجعلها الله تعالى عليه برداً وسلاماً فخرج منها سالماً، وكانت أَعظم آية.

رُوي: أَنهم قالوا: إِنها نارٌ مسحورة لا تحرق، فرموا فيها شيخاً منهم فاحترق(٢).

[ورُوي: أَن إِبراهيم عليه السلام كان له بسطة وطعام في تلك النار، كل ذلك من الجنة](٣).

وروي: أَن العيدان أَينعت وأَثمرت له هنالك ثمارها التي كانت أُصولها(٤).

وقوله: ﴿وَسَلَٰمًا﴾ معناه: وسلامة، وقال بعضهم: هي تحية من الله تعالى لإِبراهيم.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، وكان الوجه أَن يكون مرفوعاً.

و«الْكَيْدُ» هو ما أَرادوه من حرقه، وكانوا في خسارة من كفرهم وغلبته لهم وحرق الشيخ الذي جرَّبوا به النار، ورُوي: أَن الملِك بنى بنياناً واطَّلع منه على النار فرأَى إِبراهيم عليه السلام ومعه ناسٌ فعجب وسأَل: هل طُرح معه أَحد؟ فقيل له: لا، فناداه فقال: من أُولئك؟ فقال: أولئك هم ملائكة ربِّي(٥).

قال القاضي أبو محمد: والمرويُّ في هذا كثير غير صحيح.

---

(١) نسبه تفسير السمعاني (٣/ ٣٩١) لعلي وكعب، والكشاف للزمخشري (٣/ ١٢٧) لابن عباس.
(٢) انظر: الهداية لمكي (٧/ ٤٧٨٠)، وتفسير السمعاني (٣/ ٣٩١).
(٣) ليس في الأصل.
(٤) تفسير الثعالبي (٣/ ٥٨).
(٥) أخرجه الطبري في تاريخه (١/ ٧٠) من طريق ابن إسحاق، من قوله به.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

روي: أَن إِبراهيم عليه السلام لما خرج من النار أَحضره النمرود وكلَّمه، ثم ختم الله عليه بالكفر فلَجَّ، وقال لإِبراهيم في بعض قوله: يا إِبراهيم أَين جنود ربِّك الذي تزعم؟ فقال له: سيريك فعل أَضعف جنوده، فبعث الله تعالى على نمرود وأَصحابه سحابة من بعوض فأَكلتهم عن آخرهم ودوابهم حتى كانت العظام تلوح بيضاً، ودخلت منها بعوضة في رأْس نمرود فكان رأْسه يضرب بالعيدان وغيرها، ودام تعذيبه بها زمناً طويلاً وهلك منها، وخرج إِبراهيم عليه السلام وابن أَخيه لوط عليه السلام من تلك الأَرض مهاجرين، وهي كوثا من العراق، ومع إِبراهيم عليه السلام ابنة عمه سارة زوجه(١).

وفي تلك السفرة لقي الجبَّار الذي رَامَ أَخذها منه(٢).

واختلف الناس في الْأَرْضِ التي بورك فيها ونجَّى الله إِليها إِبراهيم ولوطاً عليهما السلام.

فقالت فرقة: هي مكَّة، وذكروا قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران: ٩٦]، وقال الجمهور: هي أَرض الشَّام، وهي الأَرض التي بارك الله فيها، أَمَّا من جهة الآخرة فبالنُّبوَّة والإِيمان، وأَمَّا من جهة الدنيا فهي أَطيب بلاد الله أَرضاً، وأَعذبها ماءً، وأَكثرها ثمرة ونعمة، وهو الموضع المعروف بسكنى إِبراهيم وعَقِبِهِ، ورُوي أَنه ليس في الأَرض ماءٌ عذب إِلَّا وأَصله وخروجه من تحت صخرة بيت المقدس(٣).

---

(١) القصة رواها عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٦٨) من طريق معمر، عن الكلبي، وقتادة، من قولهما.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٧٩) ومسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، به.

(٣) أخرجه ابن الجوزي في فضائل بيت المقدس (ص: ١٦) من قول أبي العالية الرياحي، وفيه: أبو جعفر الرازي، وهو ضعيف.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، وهي أَرض المحشر، وبها يجمع الناس، وفيها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام، وبها يهلك المسيح الدَّجَّال، ورُوي: أن النبي ﷺ قال يوماً في خطبته[(١)]: «إِنه كان[(٢)] بالشَّام جند، وبالعراق جند، وباليمن جند»، فقال رجل: يا رسول الله، خِرْ لي، فقال: «عليك بالشَّام فإِن الله قد تكفَّل لي بالشَّام وأَهله، ومن بقي فَلْيَلْحَق بِيَمَنِهِ، وَلْيَسقِ بغُدُرِهِ»[(٣)].

وقال عمر رضي الله عنه لكعب الأَحبار: أَلا تتحول إِلى المدينة؟ فقال: يا أَمير المؤمنين إِني أَجد في كتاب الله المنزَّل أَن الشَّام كنز الله من أَرضه، وبها كنزه من عباده[(٤)].

وروي: أَن إِبراهيم ولوطاً هاجرا من كوثا ومَرَّا بمصر، وليست بالطريق ولكنَّهم نكَّبوا خوف الاتِّباع حتى جاؤوا الشَّام، فنزل إِبراهيم السَّبع من أَرض فلسطين وهي برِّيَّة الشَّام، ونزل لوط بالمؤتفكة[(٥)].

---

(١) في نجيبويه والمطبوع: «خطبة».

(٢) في نجيبويه والإماراتية والمطبوع: «يكون».

(٣) للحديث طرق يقوي بعضها بعضاً، منها ما أخرجه الفسوي في المعرفة (١/ ٢٨٨-٢٨٩)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٢٩٥) والطبراني في مسند الشاميين (٢٥٤٠) من طريق يحيى بن حمزة الحضرمي، عن نصر بن علقمة الحضرمي، يرد الحديث إلى جبير بن نفير، قال قال عبد الله بن حوالة رضي الله عنه مرفوعاً به، قال ابن أبي حاتم عن أبيه: نصر بن علقمة عن جبير بن نفير مرسل، لكن في آخر الحديث: قال: سمعت عبد الرحمن بن جبير، يقول: فعرف أصحاب النبي ﷺ نعتَ هذا الحديث في جزء بن سهيل السلمي.. لكن ليس فيه أنه سمع الحديث نفسه من عبد الرحمن.
وذكره البخاري في التاريخ الكبير (٥/ ٣٣) من طريق: معاوية بن صالح عن أبي يحيى أن جبير بن نفير حدثه عن عبد الله بن حوالة به مرفوعاً.
وللخبر طرق أخرى عن ابن حوالة هذا وله صحبة، ومنها ما أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١/ ٢٥٠) عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة مرسلاً، وروي الخبر أيضاً عن ابن عمر وابن عباس مرفوعاً.

(٤) منقطع، أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٥١) عن معمر، عن قتادة، أن عمر قال لكعب... فذكره، وهذا منقطع فيما بين قتادة، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، انظر جامع التحصيل (٦٣٣).

(٥) تفسير الطبري (١٨/ ٤٧٠)، والهداية لمكي (٧/ ٤٧٨٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٣٠٥)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢٨٣).

و﴿إِسۡحَٰقَ﴾ ابن إبراهيم، و﴿وَيَعۡقُوبَ﴾: ولد إسحاق، و«النَّافلة»: العطيَّة، كما تقول: نَفَلَني الإِمام كذا، ونافلة الطاعة كأَنَّها عطيَّة من الله تعالى لعباده يُثيبهم عليها.

وقالت فرقة: الموهوب إِسْحاقُ، والنافلة يَعْقُوبُ، والأَول أَبين.

و﴿يَهۡدُونَ﴾ معناه: يرشدون غيرهم.

و(إقام) مصدر، وفي هذا نظر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ (٧٤) وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٧٥) وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ (٧٧)﴾.

التقدير: وآتينا لوطاً آتَـيْناهُ، فهو منصوب[1] بفعل مضمر يدل عليه الظاهر، والحكم: فصل القضاء بين الناس.

و﴿ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾: إتيان الرجال وضراطهم في مجالسهم إِلى غير ذلك من كفرهم.

وقوله تعالى في نوح: ﴿مِن قَبۡلُ﴾ بالإِضافة إِلى إبراهيم ولوط.

و﴿ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾: هو الغرق، وما نال قومه من الهلكة بدعائه عليهم الذي استجيب.

وقوله تعالى: ﴿وَنَصَرۡنَٰهُ﴾ لمَّا كان جل نُصرته النجاة وكانت غلبة قومه بغير يده بل بأَمر أَجنبي منه حسن أَن يقول: (نصرناه من)، ولا تتمكَّن هنا (عَلَى) كما تتمكَّن في أَمر محمد ﷺ مع قومه.

قال القاضي أَبو محمد: وذكر هؤلاء الأَنبياء عليهم السلام ضَرْبُ مثل لقصة محمد ﷺ مع قومه، ونجاةُ الأَنبياء وهلاك مكذِّبيهم ضمنها توعُّدٌ لكفار قريش / . [٤/ ٤٩]

---

(١) كتبت في المطبوع: «منصور» وهو خطأ مطبعي.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩﴾.

المعنى: واذكر داود وسليمان، هكذا قدره جماعة من المفسرين.

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل عندي ويقوى أَن يكون المعنى: وَآتَـيْنَا دَاود، عطفاً [على قوله: (نوحاً)، وذلك عطف على][1] قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾، والمعنى على هذا التأويل مُتَّسق.

وسليمان هو ابن داود، وَداوُد[2] من بني إِسرائيل، وكان مَلِكاً عدلًا نبيّاً يحكم بين الناس، فوقعت بين يديه هذه النَّازلة، وكان ابنه إِذ ذاك قد كبر، وكان يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم، وكانوا يدخلون إِلى داود على[3] باب آخر، فتخاصم إِلى داود عليه السلام رجل له زرع، وقيل: كَرْمٌ.

قال القاضي أَبو محمد: والْحَرْثُ يقال فيهما، وهو في الزَّرع أَبعد عن الاستعارة، دخلت حَرْثَه غنم رجل آخر فأَفسدت عليه[4]، فرأَى داود عليه السلام أَن يدفع الغنم إِلى صاحب الحرث، فقالت فرقة: على أَن يبقى كَرْمُه بيده، وقالت فرقة: بل دفع الغنم إِلى صاحب الحَرْثِ والحَرْثَ إِلى صاحب الغنم.

قال القاضي أَبو محمد: فيشبه على القول الواحد أَنه رأَى الغنم تقاوم الغلة التي أُفسدت، وعلى القول الثاني رآها تقاوم الحَرْث وغَلَّته.

قال القاضي أَبو محمد: ولا يُظَنُّ بداود عليه السلام إِلَّا أَن حكمه بنظر متوجه.

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) ليست في المطبوع.

(٣) في المطبوع: «من».

(٤) في المطبوع: فأفسدته».

فلما خرج الخصمان على سليمان عليه السلام تشكَّى له صاحب الغنم، فجاءَ سليمان إِلى داود فقال: يا نبي الله، إِنَّك[١] حكمت بكذا، وإِني رأَيت ما هو أَرفق بالجميع، قال: وما هو؟ قال: أَن يأْخذ صاحب الغنم الحرث فيقوم عليه ويصلحه حتى يعود كما كان، ويأْخذ صاحب الحرث الغنم في تلك المدة ينتفع بمرافقها من لبن وصوف ونسل وغير ذلك، فإِذا كَمُل الحرث وعاد إِلى حاله صرف كل واحد مالَ صاحبه، فرجعت الغنمُ إِلى ربِّها والحَرْثُ إِلى ربِّه، فقال داود: وُفِّقْتَ يا بُنَيَّ، وقضى بينهما بذلك[٢].

قال القاضي أَبو محمد: ولا شك أَن سليمان رأَى ما يتحمَّله صاحب الغنم من فقد مرافق غنمه تلك المدة، ومن مؤونة إِصلاح الحرث، يُوازي ما فسد في الحرث، وفَضل حُكمُه حُكْمَ أَبيه في أَنه أَحرز أَن يبقى ملك كل واحد منهما على متاعه، وتبقى نفسه بذلك طيبة.

قال القاضي أَبو محمد: وذهبت فرقة إِلى أَن هذه النَّازلة لم يكن الحُكْم فيها باجتهاد، وإِنما حَكَم داود بوحي، وحَكَمَ سليمان بوحي نسخ الله به حُكْم داود، وجعلت فرقة ـ منها ابن فُورك ـ قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ أَيْ فَقَّهناه القضاءَ الفاصل الناسخ الذي أَراد الله تبارك وتعالى أَن يستقر في النَّازلة[٣].

---

(١) في المطبوع: «إنما».

(٢) له أسانيد لا تقوم بها الحجة، أخرجه الطبري (١٨/ ٤٧٥) من طريق أشعث، عن أبي إسحاق، عن مرة، عن ابن مسعود رضي الله عنه به. وأشعث هو ابن سوار، ضعيف الحديث، وقد خالفه سفيان الثوري، فرواه عن أبي إسحاق، عن مرة، به من قوله، ولم ينميه إلى ابن مسعود، أخرجه الطبري (١٨/ ٤٧٧)، وأخرجه كذلك الطبري (١٨/ ٤٧٥-٤٧٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه به. والعوفي ضعيف الحديث، وأخرجه الطبري (١٨/ ٤٧٦) من طريق علي بن زيد، عن خليفة، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وعلي هو ابن جدعان، مشهور بضعفه، وشيخه خليفة، أورده الذهبي في الميزان (٤/ ٦٦٦) وقال: عن ابن عباس، تفرد عنه ابن جدعان، مجهول.

(٣) هذا القسم من تفسير ابن فورك غير متوفر، وانظر: تفسير القرطبي (١١/ ٣٠٩).

قال القاضي أَبو محمد: وتحتاج هذه الفرقة في هذه اللَّفظة إِلى هذا التعب، ويبقى لها المعنى قَلِقاً.

وقال جمهور الأُمَّة: إِن حكمهما كان باجتهاد[١]، وأَدخل العلماءُ هذه الآية في كتبهم على مسأَلة اجتهاد العَالِمَيْن، فينبغي أَن يُذكر هنا تلخيص مسأَلة الاجتهاد.

واختلف أَهل السُّنَّة في العَالِـمَيْن ـ فما زاد ـ يُفتيان من الفروع والأَحكام في المسأَلة فيختلفان:

فقالت فرقة: الحق في مسائل الفروع في طرف واحد عند الله تعالى، وقد نصب على ذلك أَدلَّة، وحمل المجتهدين على البحث عنها والنظر فيها، فمن صادف العين المطلوبة في المسأَلة فهو المصيب على الإِطلاق، وله أَجران، أَجر في الاجتهاد وأَجر في الإِصابة، ومن لم يصادفها فهو مصيب في اجتهاده مخطئ في أَنْ لم يُصب العين، فله أَجر وهو غير معذور[٢]، وهذا هو الذي قال النبي ﷺ فيه: «إِذا اجتهد العالِـم فأَخطأَ فله أَجرٌ»[٣].

وكذلك أَيضاً يدخل في قوله عليه السلام: «إِذا اجتهد العالِم فأَخطأَ» العالِم يجتهد فيخالف نصّاً لم يَمُرَّ به، كقول سعيد بن المسيب في النكاح: إِنه العقد في مسأَلة التحليل للزوج المطلِّق[٤] ونحوه، وهذا يجمع بين قوله ﷺ: «إِذا اجتهد العالِم فأَخطأَ»، وبين قوله: «كلُّ مجتهد مصيب» أَي: أَخطأَ العين المطلوبة وأَصاب في اجتهاده، ورأَت هذه الفرقة أَن العالم المخطئ لا إِثم عليه في خطئه وإِن كان غير معذور[٥].

وقالت فرقة: الحق في طرف واحد ولم ينصب الله تعالى عليه دليلاً، بل وكل

(١) انظر: أصول السرخسي (٢/ ٩٣)، وقواطع الأدلة للسمعاني (٢/ ١٠٢-١٠٤).
(٢) ممن قال بهذا القول الشافعي وجمهور أصحابه، كما في البحر المحيط للزركشي (٤/ ٥٣٠).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٩١٩) ومسلم (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه مرفوعاً، به.
(٤) تفسير السمعاني (١/ ٢٣٣)، وتفسير القرطبي (٣/ ١٤٧).
(٥) انظر: البحر المحيط للزركشي (٤/ ٥٣٠).

الأَمر إِلى نظر المجتهدين، فمن أَصابه أَصاب، ومن أَخطأَه فهو معذور ومأْجور، ولم نُتَعَبَّد بِإصابة العين بل تعبدنا بالاجتهاد فقط[١].

وقال جمهور أَهل السُّنَّة ـ وهو المحفوظ عن مالك وأَصحابه ـ: الحق في مسائل الفروع في الطرفين، وكل مجتهد مصيب، والمطلوب إِنما هو الأَفضل في ظنه[٢]، [فكل مجتهد قد أَدَّاه نظره إِلى الأَفضل في نظره][٣]، والدليل على هذه المقالة [أَن الصحابة فَمَن][٤] بعدهم قرَّر بعضهم خلاف بعض ولم ير أَحد منهم أَن يقع الإعمال[٥] على قوله دون قول مخالفه، ومنه رد مالك ـ رحمه الله ـ للمنصور أَبي جعفر عن حمل الناس على «الموطأِ»[٦] إِلى كثير من هذا المعنى.

وإِذا قال العالِم في أَمرٍ مَّا: حلالٌ، فذلك هو الحق فيما يختصُّ بذلك العالِم عند الله تعالى [وبكلِّ من أَخذ بقوله، وإِذا قال آخر: حرام، وكلُّ ذلك باجتهاد، فذلك أَيضاً حقٌّ عند الله تعالى فما يختص بذلك العالِم وبكلِّ من أَخذ بقوله][٧]، فأَمَّا من قال: إِنَّ الحقَّ في طرف فرأَى مسأَلة داود وسليمان عليهما السلام مطّردة على قوله، وأَن سليمان عليه السلام صادف العين المطلوبة وهي التي فهم، ومن رأَى أَنَّ الحقَّ في الطرفين رأَى أَن سليمان عليه السلام فهم القضيَّة الـمُثْلى والتي هي أَرجح، لا أَن الأُولى خطأ، وعلى هذا يحملون قول النبي ﷺ: «إِذا اجتهد العالِم فأَخطأَ» أَي: أَخطأَ الأَفضل.

قال القاضي أَبو محمد: وكثيراً ما يكون بين الأَقوال في هذه المسائل قليلُ تبايُن إِلَّا أَن

---

(١) ممن قال بهذا القول أبو حنيفة وأصحابه، انظر قولهم في: أصول السرخسي (٢/ ١٤).
(٢) انظر: البحر المحيط للزركشي (٤/ ٥٣٠)، وانظر: جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٨٨٥).
(٣) ليس في الأصل والإماراتية ولالاليه، وفي الحمزوية: «في ظنه».
(٤) ليس في الأصل.
(٥) في نجيبويه والإماراتية والمطبوع: «الاعتماد»، وفي أحمد٣: «الانحمال»، وفي الحمزوية: «الاحتمال».
(٦) انظر تمام القصة في: الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبد البر (١/ ٤١).
(٧) ليس في الأصل.

ذلك الشُّفوف يشرف القول، وكثيراً ما يتبيَّن الفضل بين القولين بأَدنى نظر، ومسائل الفروع تخالف مسائل الأُصول في هذا، ومسأَلة [المجتهدين في نفسها][(١)] مسأَلة أَصل، والفرق بين مسائل الفروع ومسائل الأُصول أن مسائل الأصول الكلامُ فيها إنما هو في وجود شيءٍ مَّا، كيف هو؟ كقولنا: يُرى الله تعالى يوم القيامة، فقالت المعتزلة: لا يُرى، وكقولنا: الله واحد، وقالت النصارى: ثلاثة، وهكذا هَلْ للمسائل عينٌ أو ليس لها عين مطلوبة؟.

[٤/ ٥٠] / ومسائلُ الفروع إنما الكلام فيها على شيء متقرر الوجود، كيف حُكمه من تحليل أَو تحريم ونحو هذا؟ والأَحكام خارجة عن ذاته ووجوده، وإنما هي بمقاييس واستدلالات، وتعتبر مسائل الفروع بأَنها كل ما يمكن أَن يُنْسَخ بعضُه ببعض[(٢)]، ومسائل الأُصول ما لو تقرر الوجه الواحد لم يصح أَن يطرأَ عليه الآخر ناسخاً.

قال القاضي أَبو محمد: ومسأَلة الاجتهاد طويلة ومتشعبة، إلَّا أَن هذه النبذة تليق بالآية وتقتضيها حرصاً على الإِيجاز.

ويتعلَّق بالآية فصلٌ آخر لا بدَّ من ذكره؛ وهو رجوع الحاكم بعد قضائه من اجتهاد إِلى اجتهاد آخر أَرجح من الأَول، فَإن داود عليه السلام فعل ذلك في هذه النازلة.

واختلف فقهاءُ المذهب المالكي في القاضي يحكم في قضية، ثم يرى بعد ذلك أَن غير ما حكم به أَصوب، فيريد أَن ينقض الأَول ويقضي بالثاني: فقال عبد الملك، ومطرف في «الواضحة»: ذلك له ما دام في ولايته، فأَمَّا إِن كانت ولاية أُخرى فليس ذلك له، وهو بمنزلة غيره من القضاة، وهذا هو ظاهر قول مالك رحمه الله في «المدونة»[(٣)].

وقال سحنون في رجوعه من اجتهاد فيه قول إِلى غيره مما رآه أَصوب: ليس له ذلك، وقاله ابن عبد الحكم، وقالا[(٤)]: ويستأْنف الحكم بما قوي عنده [أحرى من ذي

---

(١) بياض بالأصل، وفي نجيبويه: «المجتهدين في ذاتها».

(٢) في أحمد٣ ونجيبويه والمطبوع: «بعضاً».

(٣) انظر قول ابن حبيب ومطرف في: النوادر (٨/ ٩٧-٩٨)، وقول مالك في: المدونة (٤/ ٥١٩).

(٤) ليست في المطبوع وإنما فيه: «وقال ابن عبد الحكم» على أن هذا كلامه وحده، والأول كلام سحنون وحده.

قبل][(١)]، قال سحنون: إِلَّا أَن يكون نسي الأَقوى عنده أَوْ وهم فحكم بغيره فله نَقْضه، وأَمَّا إِن حكم بحكم وهو الأَقوى عنده في ذلك الوقت ثم قوي[(٢)] عنده غير ذلك فلا سبيل له إِلى نقض الأَول، قاله سحنون في «كتاب ابنه»[(٣)].

وقال أشهب في «كتاب ابن المواز»: إن كان رجوعه إلى الأصوب في مال فله نقض الأول، وإِن كان في طلاق أَو نكاح أَو عتق فليس له نقضه[(٤)].

وقد تقدم القول في الحرث، وروت فرقة أَنه كان زرعاً، وروت فرقة أَنه كان كرماً.

و«النَّـفَشُ»: تسرُّب البهائم في الزورع وغيرها باللَّيل، والْهَمَلُ: تسرُّبها في ذلك بالنهار واللَّيل، وقال ابن سيده: لا يقال الْهَمَل في الغنم، وإِنما هو في الإِبل[(٥)].

ومضى الحكم في الإِسلام بتضمين أَرباب الغنم ما أَفسدت باللَّيل؛ لأَن على أَهلها أَن يثقفوها، وعلى أَهل الزروع وغيرهم[(٦)] حفظها بالنهار، وهذا هو مقتضى الحديث في ناقة البراءِ بن عازب[(٧)]، وهو مذهب مالك وجمهور الأُمَّة[(٨)].

---

(١) ليس في المطبوع، وإنما فيه بدلًا منه: «آخراً»، وفي الإماراتية والحمزوية: «آخراً من ذي قبل».
(٢) في نجيبويه والمطبوع: «توجَّه».
(٣) انظر قول سحنون وقول ابن عبد الحكم في: النوادر (٨/ ٩٧-٩٨).
(٤) انظر قول أشهب في: تفسير القرطبي (١١/ ٣١٢).
(٥) انظر: المحكم (٤/ ٣٢٨).
(٦) في أحمد٣ ونجيبويه والمطبوع: «غيرها».
(٧) الأصح مرسل، أخرجه أحمد (٣٩/ ٩٧)، وابن ماجه (٢٣٣٢)، والدارقطني في سننه (٣٣١٩) من طريق مالك، ويونس بن يزيد، والليث بن سعد، ثلاثتهم، عن الزهري، عن حرام بن محيصة، أن ناقةً للبراء بن عازب...فذكره، وهذا إسناد مرسل، حرام بن محيصة لم يدرك الواقعة، وأخرجه أبو داود (٣٥٦٥)، والنسائي في الكبرى (٥٧٨٥) من طريق الأوزاعي، فخالف الجماعة فرواه عن الزهري، فقال: عن حرام بن محيصة، عن البراء، رضي الله عنه، به، ورواية الجماعة مع اختصاصهم بالزهري أثبت، والأوزاعي له أوهام على الزهري.
(٨) انظر قول مالك في: الاستذكار (٧/ ٢٠٦)، والشافعي في: الحاوي للماوردي (١٣/ ٤٦٦)، وأحمد في: المغني (٩/ ١٥٦).

ووقع في «كتاب ابن سُحنون»: أَن الحديث إِنما جاء في أَمثال المدينة التي هي حيطان مُحْدِقة، وأَمَّا البلاد التي هي زروع متصلة غير محظرة وبساتين كذلك فيضمن أَرباب الغنم[(١)] ما أَفسدت من ليل أَو نهار[(٢)].

قال القاضي أَبو محمد: كأَنه ذهب إِلى أَن ترك تثقيف الحيوان في مثل هذه البلاد تعدٍّ[(٣)]؛ لأَنها ولا بد تفسد.

وقال أَبو حنيفة في ذلك: لا ضمان، وأَدخله في عموم قول النبي ﷺ: «جرح العجماءِ جُبَارٌ»[(٤)]، فقاس جميع أَفعالها على جروحها[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ تأَول قومٌ منه أَن داود لم يخطئ في هذه النازلة، بل فيها أُوتي الحُكْم والعِلْم.

وقالت فرقة: بل لأَنه لم يصب العين المطلوبة في هذه النازلة مدحه الله تعالى بأَن له حُكماً وعِلْماً يُرجع إِليه في غير هذه النَّازلة.

وقوله: ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ مبالغة في الخير وتحقيق له، وفي اللَّفظ معنى: وكان ذلك في حقه وعند مستوجبه منَّا، فكأَنه قال: وكنَّا فاعلين[(٦)] لأَجل استجابة ذلك، وحذف اختصاراً لدلالة ظاهر القول على ما حُذف منه.

وقوله: ﴿لِحُكْمِهِمْ﴾ يريد داود وسليمان والخصمين؛ لأَن الحكم يضاف إِلى جميعهم وإِن اختلفت جهات الإِضافة.

---

(١) في نجيبويه والحمزوية والمطبوع ولالاليه: «النَّعم».

(٢) انظر ما نسبه المؤلف لكتاب ابن سحنون في: تفسير القرطبي (١١/ ٣١٧).

(٣) في الأصل: «بعيد».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (١٧١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٥) انظر مذهب أبي حنيفة في: تبيين الحقائق مع حاشية الشبلي (٦/ ١٥٢-١٥٣).

(٦) في المطبوع: «وكنا فعالين»، على المبالغة، وكتبت في بعض المخطوطات: «فعلين»، على حذف الألف في الرسم.

وقرأت فرقة: (لِحُكْمِهِما)[١].

واختلف الناس في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحْنَ﴾:

فذهبت فرقة ـ وهي الأكثر ـ إلى أنه قوله: سبحان الله.

وذهبت فرقة ـ منها منذر بن سعيد ـ إلى أنه بمعنى: يُصَلِّين معه بصَلاته[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾.

عدَّد الله تعالى على البشر أَن علَّم داود عليه السلام صَنْعَةَ الدُّروع، [وأَلان له الحديد][٣]، فكان يصنعها أَحكم صنعة لتكون وقاية في الحرب وسَبَبَ نجاة من العدو، واللَّبُوس في اللُّغة: السلاح، فمنه الدِّرع والسيف والرُّمح وغير ذلك، ومنه قول الشاعر:

[الكامل]

وَمَعِي لَبُوسٌ لِلْبَئِيسِ كَأَنَّهُ رَوْقٌ بِجَبْهَةِ ذِي نعَاجٍ مُجْفَلِ[٤]

يعني الرُّمح.

وقرأ نافع والجمهور: ﴿لِيُحْصِنَكُم﴾ بالياءِ على معنى: لِيُحصِنَكم داود أَو اللَّبوس.

وقرأ ابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ بالتاءِ على معنى: لِتُحصنكم[٥] الصنعة أَو الدُّروع التي أَوقع عليها اللَّبوس.

---

(١) وهي شاذة عزاها الفراء في معاني القرآن (٢/ ٢٤٩) لابن عباس، وفي الشواذ للكرماني (ص:٣١٧) لابن مسعود وابن أبي عبلة.

(٢) ورد في تفسير الطبري (١٨/ ٤٧٩)، والهداية لمكي (٧/ ٤٧٩٠) من قول قتادة، ولم أقف على قول منذر بن سعيد.

(٣) ليس في الأصل.

(٤) البيت لأبي كبير الهذلي، كما في مجاز القرآن (٢/ ٤١)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢٨٦)، وتفسير الطبري (١٨/ ٤٨٠).

(٥) ليست في الإماراتية.

وقرأَ أَبو بكر عن عاصم: ﴿لِنُحْصِنَكُمْ﴾ بالنون[١] على معنى ردِّ الفعل لله تعالى.

ويُروى أَنه كان الناس قبل يتَّخذ القوي منهم لباساً من صفائح الحديد، فكان ثقله يقطع بأَكثر الناس.

وقرأَت فرقة: ﴿ٱلرِّيحَ﴾ بالنصب على معنى: وسخَّرنا لسليمان الرِّيح.

وقرأَت فرقة: (الرِّيحُ) بالرَّفع[٢] على الابتداء والخبرُ في المجرور قبله.

ويُروى: أَن الرِّيح العاصفة كانت تهب على سرير سليمان الذي فيه بساطه، وقد مَدَّ حول البساط بالخشب والأَلواح حتى صنع سريراً يحمل جميع عسكره وأَقواته فَـتُقِلُّه من الأَرض في الهواءِ ثم تتولاه الريح الرخاءُ بعد ذلك فتحمله إِلى حيث أَراد سليمان.

وقوله: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ اختلف الناس فيها:

فقالت فرقة: هي أَرض الشام وكانت مسكنه وموضع مُلْكِهِ، وخصَّص في هذه الآية انصرافه من سفراته إِلى أَرضه؛ لأَن ذلك يقتضي سفره إِلى المواضع التي سافر إِليها، والبَرَكَةُ في أَرض الشَّام بيِّنة الوجوه.

وقد قال بعضهم: إِن العاصفة هي في القفول[٣] على عادة البشر والدَّواب في الإِسراع إِلى الوطن، والرّخاءُ كانت في البدأَة حيث أَصاب، أَي: حيث يقصد؛ لأَن ذلك وقت تَأَنٍّ وتدبير وتقلب رأْي.

وقال منذر بن سعيد: في الآية تقديم وتأْخير، والكلام تام عند قوله: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾، وقوله: ﴿ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ صفة للرِّيح[٤].

---

(١) وكلها سبعية، انظر: السبعة (ص: ٤٣٠)، والتيسير (ص: ١٥٥).

(٢) وهي شاذة، عزاها في تفسير الطبري (١٨/ ٤٨٢) للأعرج، وفي جامع البيان (٣/ ١٣٧١) رواية يحيى الجعفي عن شعبة.

(٣) في المطبوع: «القبول».

(٤) لم أقف عليه.

قال القاضي أبو محمد: / ويحتمل أَن يريد الأَرض التي يسير إِليها سليمان عليه السلام كائنة ما كانت، وذلك أَنه لم يكن يسير إِلى أَرض إِلَّا أَصلحها، وقتل كفَّارها، وأَثبت فيها الإِيمان، وبثَّ فيها العدل، ولا بركة أَعظم من هذا، فكأَنه قال: إِلى أَي أَرض باركنا فيها فبعثنا سليمان إِليها. [٤/ ٥١]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ۝٨٢ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ۝٨٤﴾.

يحتمل أَن يكون قوله تعالى: ﴿يَغُوصُونَ﴾ في موضع نصب على معنى: وسخَّرنا من الشياطين، ويحتمل أَن يكون في موضع رفع على الابتداء، ويتناسب هذا مع القراءَتين المتقدمتين في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ بالنصب والرفع.

وقوله تعالى: ﴿يَغُوصُونَ﴾ جمع على معنى ﴿مَن﴾، لا على لفظها، و«الغوص»: الدخول في الماء والأَرض، والعمل[1] دون ذلك البنيان وغيره من الصنائع والخدمة ونحوه.

وقوله: ﴿وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ﴾، قيل: معناه: من إِفسادهم ما صنعوه، فإِنهم كان له حرصٌ على ذلك لولا ما حال الله بينهم وبين ذلك، وقيل: معناه: عادين وحاصرين[2]، أَي لا يشذ عن علمنا وتسخيرنا أَحد منهم.

وقوله: ﴿وَأَيُّوبَ﴾ أَحسن ما فيه النصب بفعل مضمر تقديره: واذكر أَيوب.

وفي قصص أَيوب عليه السلام طول واختلاف من المفسرين، وتلخيص ذلك

(١) في المطبوع: «العلم».

(٢) في المطبوع: «عادلين وحاضرين»، وفي الإماراتية: «عالمين»، وفي نور العثمانية ولالاليه: «وحاضرين».

أَنه رُوي أَن أَيوب عليه الصلاة والسلام كان نبيّاً مبعوثاً إِلى قوم، وكان كثير المال من الإِبل والبقر والغنم، وكان صاحب البَثَنية من أَرض الشام، فغبر كذلك مدة، ثم إِن الله تعالى لمَّا أَراد محنته وابتلاءه[١] أَذِن لإِبليس في أَن يفسد ماله، فاستعان بذرِّيته فأَحرقوا ماله ونَعمه أَجمع، فكان كلَّما أُخبر بشيءٍ من ذلك حَمِدَ الله تعالى، وقال: هي عارية استردها صاحبها والـمُنْعم بها.

فلما رأَى إِبليس ذلك جاءَ فأَخبر بعجزه عنه، فأَذن الله له في إِهلاك بنيه وقرابته ففعل ذلك أَجمع فدام أَيوب على شكره وصبره، فأَخبر إِبليس بعجزه، فأَذن الله تعالى له في إِصابته في بدنه، وحجر عليه لسانه وعينيه وقلبه، فجاء إِبليس وهو ساجد فنفخ في أَنفه نفخة احترق بدنه منها، وجعلها الله أَكلة في بدنه.

فلما عظمت وتقطع أَخرجه الناس من بينهم وجعلوه على سُباطة، ولم يبق معه بشر حاشا زوجته، ويقال: كانت بنت يوسف الصديق، وقيل: اسمها رحمة.

وقيل في أيوب: إِنه من بني إِسرائيل، وقيل: إِنه من الروم من ذرية عيصو، فكانت زوجته تسعى عليه وتأْتيه بما يأْكل وتقوم عليه، فدام في هذا العذاب مدة طويلة، قيل: ثلاثين سنة، وقيل: ثماني عشرة سنة، وقيل: اثنتي عشرة سنة، وقيل: تسعة أَعوام، وقيل: ثلاثة، وهو في كل ذلك صابر شاكر حتى جاءَه ـ فيما رُوي ـ ثلاثة ممَّن كان آمن به فوقذوه[٢] بالقول وأَنَّبوه ونَجَهُوهُ، وقالوا: ما صنع بك ربك هذا إِلَّا لخبثٍ باطنةٍ[٣] فيك، فراجعهم أَيوب في آخر قولهم بكلام مقتضاه أَنه ذليل لا يقدر على إِقامة حُجَّة ولا بيان ظُلامة، فخاطبه الله تعالى معاتباً على هذه المقالة، ومُبَيِّناً أَنه لا حُجَّة لأَحد مع الله، ولا يسأَل عمَّا يفعل.

---

(١) في المطبوع: «وابتلاه».

(٢) في المطبوع: «فوقروه».

(٣) في المطبوع: «باطنه».

ثمَّ عرَّفه تعالى بأَنه قد أَذن في صلاح حاله، وعاد عليه بفضله، فدعا أَيوب عند ذلك فاسْتُجِيب له.

ويُروى: أَن أَيوب لم يزل صابراً لا يدعو في كشف ما به، وكان ـ فيما رُوي ـ يقع الدود منه فيردُّهُ بيده حتى مرَّ به قوم كانوا يعادونه فشمتوا به فتأَلَّم لذلك ودعا حينئذ فاستُجيب له، وكانت امرأَته غائبة عنه في بعض شأْنها فأَنبع الله تعالى له عيناً وأُمر بالشرب منها فبرئ باطنه، وأُمر بالاغتسال فبرئ ظاهره ورُدَّ إِلى أَفضل حاله[1]، وأُتِي بأَحسن الثياب، وهبَّ عليه رِجْلٌ من جراد من ذهب فجعل يحثو منها في ثوبه، فناداه الله تعالى: يا أَيُّوب أَلم أَكن أَغْنَيتك عن هذا؟ قال: بَلَى يا رب، ولكن لا غنى بي[2] عن بركتك[3].

فبينما هو كذلك إِذ جاءَت امرأَته فلم تره على السباطة فجزعت وظنَّت أَنه أُزيل عنها وجعلت تَتَوَلَّه، فقال لها: ما شأْنك أَيتها المرأَة؟ فهابته لحسن هيئته، وقالت: إِني فقدتُ مريضاً كان لي في هذا الموضع، ومعالم المكان قد تغيرت، وتأَمَّلته في أَثناءِ المقاولة[4] فرأَت أَيوب، فقالت له: أَنت أَيوب؟ فقال لها: نعم، فاعتنقها وبكى.

فروي أَنه لم يُفارقها حتى أَراه الله تعالى جميع ماله حاضراً بين يديه.

واختلف الناسُ في أَهله وولده [الذين آتاه الله:

فقيل: كان ذلك كله في الدنيا، فردَّ الله عليه بصره وولده][5] بأَعيانهم، وجعل مثلهم عدةً له في الآخرة.

وقيل: بل أُوتي جميع ذلك في الدنيا من أَهل ومال.

وقوله تعالى: ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ أَي: وتذكرة وموعظة للمؤمنين، ولا يعبد

---

(١) في الإماراتية وأحمد٣ والحمزوية: «جماله».

(٢) في المطبوع ونور العثمانية: «لي».

(٣) أخرجه البخاري (٣٢١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٤) في المطبوع: «المقالة».

(٥) ليس في الأصل.

الله تعالى إِلَّا مؤمن، والذكرى إِنما هي في محنته، والرحمة في زوال ذلك.

وقوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ تقديره: بأَنِّي مَسَّني، فحذف الجار وبقيت ﴿أَنِّي﴾ في موضع نصب.

ورُوي: أَن سبب محنة أَيوب عليه السلام أَنه دخل مع قوم على مَلِك جارَ عليهم، فأَغلظ له القول، ولَيَّن له أَيوب القول خوفاً منه على ماله، فعاقبه الله على ذلك.

ورُوي: أَنه كان يقال له: ما لك لا تدعو في العافية؟[1] فكان يقول: إِني لأستحي من الله أَن أَسأَله زوال عذابه حتى يمرَّ علي فيه ما مرَّ من الرَّخاء، وأَصابه البلاءُ ـ فيما رُوي ـ وهو ابن ثمانين سنة[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٨٦)﴾.

المعنى: واذكر إِسماعيل، وهو إِسماعيل بن إِبراهيم الخليل، وهو أَبو العرب المعروفين اليوم في قول بعضهم، وإِدْريسُ هو خنوخ[3]، وهو أَول نبيٍّ بعث الله من بني آدم، ورُوي أَنه كان خيَّاطاً، وكان يسبح الله عند [إِدخال الإِبرة][4]، ويحمده عند إِخراجها.

وذو الكفل كان نبيّاً، / [ورُوي: أَنه بُعث إِلى رجل واحد، وقيل: لم يكن نبيّاً][5] ولكنه كان عبداً صالحاً. [٤/ ٥٢]

ورُوي: أَن الْيَسَعَ جمع بني إِسرائيل فقال: من يتكفَّل لي بصيام النهار، وقيام اللَّيل، وأَلَّا يغضب، وأُوليه النظر للعباد بعدي؟ فقام إِليه شاب فقال: أَنا لك بذلك،

---

(١) في لالاليه: «العاقبة».

(٢) الهداية لمكي (٧/ ٤٧٩٦).

(٣) في نور العثمانية: «اخنوخ».

(٤) في نور العثمانية: «كل خيط يدخله في الإِبرة».

(٥) ليس في لالاليه.

فراجعه ثلاثاً في ذلك يقول: أَنا لك بذلك، فاستعمله، فلمَّا مات الْيَسَعُ قام بالأَمر فجاءَ إِبليس ليغضبه ـ وكان لا ينام إِلَّا في القائلة ـ فكان يأْتيه وقت القائلة أَياماً فيوقظه ويشتكي ظلامته، ويقصد تضييق صدره، فلم يضق به صدراً، ومضى معه لينصفه بنفسه، فلمَّا رأَى إِبليس ذلك غلس[١] عنه، وكفاه الله شرَّه، وسُمِّي ذَا الْكِفْلِ؛ لَأنه تكفَّل بأَمر فوفَّى به[٢].

وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

التقدير: واذكر ذا النون، والنون: الحوت، وصاحبه يونس بن متَّى عليه السلام، ونسب إِلى الحوت الذي التقمه على الحالة التي يأْتي ذكرها في موضعها الذي تقتضيه، وهو نبي أَهل نينوى، وهذا هو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «مَنْ قال: أَنا خير من يونس بن مَتَّى فقد كذب»[٣]، وفي حديث آخر: «لا ينبغي لِأحد أَن يقول: أَنا خير من يونس بن متَّى»[٤].

وهذا الحديث وقوله: «لا تفضِّلوني على موسى»[٥] يتوهم أَنهما يعارضان قوله عليه السلام على الـمِنْبر: «أَنا سَيِّد ولد آدم ولا فخر»[٦]، والانفصال عن هذا بوجهين:

(١) في المطبوع ونور العثمانية: «أَبلَس»، وفي لالاليه والإماراتية والحمزوية: «انملس».

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٥٠٨، ٥٠٩)، وتفسير السمعاني (٣/ ٤٠١)، والهداية لمكي (٧/ ٤٧٩٨، ٤٧٩٨).

(٣) أخرجه البخاري (٤٥٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، به.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٢١٥)، ومسلم (٢٣٧٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً، به.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٢٨٠)، ومسلم (٢٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، به.

(٦) أخرجه مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، بلفظ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة» الحديث.

أحدهما: ذَكَرَهُ الناس وهو أَن يكون قوله: «أَنا سيِّد ولد آدم» يتأَخَّر في التاريخ، وأَنها منزلة أَعلمه الله تعالى بها لم يكن عَلِمَهَا وقتَ تلك المقالات الأُخر.

والوجه الثاني: ـ وهو عندي أَجرى مع حال النبي ﷺ ـ أَنه إِنما نهى عن التفضيل بين شخصين مذكورين وذهب مذهب التواضع ولم يزل سيِّد ولد آدم، ولكنه نهى أَن يفضَّل على موسى كراهة أَن تغضب لذلك اليهود فيزيد نفارها عن الإِيمان، وسبب الحديث يقتضي هذا، وذلك أَن يهوديّاً قال: لا والذي فضل موسى على العالمين، فقال له رجل من الأَنصار: أَتقول هذا ورسول الله ﷺ بين أَظْهُرنا؟ ولطمه فسرى الأَمر وارتفع إِلى النبي ﷺ، فنهى عن تفضيله عن موسى[١].

و[نَهى ﷺ][٢] عن تفضيله على يونس لئلا يظن أَحد بيونس عليه السلام نقصَ فضيلةٍ بسبب ما وقع له.

فنهيه ﷺ عن التفضيل على شخص معيَّن، وقوله ﷺ في حديث ثالث: «لا تفضِّلوا بين الأَنبياء»[٣]، هذا كله مع قوله: «أَنا سيِّد ولد آدم ولا فخر»، وإِطلاق الفضل له دون اقتران بأَحدٍ بيِّنٌ صحيح، وتأَمل هذا فإِنه يلوح[٤]، فقد قال عمر رضي الله عنه للحطيئة: امدح ممدوحك، ولا تفضِّل بعض الناس على بعض[٥].

قال القاضي أَبو محمد: ولفظة «سيِّد» ولفظة «خير» سيان[٦]، وهذا مبدأُ جَمْع آخر بين الأَحاديث يُذهب ما يُظَنُّ من التعارض.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٢٨٠)، ومسلم (٢٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، به، وقد تقدم قبل الأثر السابق.

(٢) ليس في لالاليه.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٢٨١)، ومسلم (٢٣٧٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً، به.

(٤) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ٥٣٥-٥٣٦).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) في الأصل والإماراتية وأحمد٣: «شيآن».

وقوله: ﴿مُغَـٰضِبًا﴾، قيل: إِنه غاضب قومه حين طال عليه أَمرهم وتعنتهم فذهب فارّاً بنفسه، وقد كان الله تعالى أَمره بملازمتهم والصبر على دعائهم، فكان ذنبه في مخالفة هذا الأَمر.

ورُوي: أَنه كان شابّاً ولم يحتمل أَثقال النُّبوَّة، وتفسَّخ تحتها كما يتفسخ الرُّبَع تحت الحمل[١]، ولهذا قيل للنبي ﷺ: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]، أَي: فاصبر ودم على الشقاء بقومك[٢].

وقالت فرقة: إِنما غاضب الملِك الذي كان على قومه.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا نحو من الأَول فيما يلحق منه يونس.

وقال الحسن بن أَبي الحسن وغيره: إِنما ذهب مغاضباً ربَّه، واستفزَّه إِبليس[٣].

ورَوَوْا في ذلك أَن يونس لمَّا طال عليه أَمر قومه طلب من الله عذابهم، فقيل له: إِنَّ العذاب يجيئهم يوم كذا، فأَخبرهم يونس بذلك، فقالوا: إِن رحل عنَّا فالعذاب نازل، وإِن أَقام بيننا لم نبالِ، فلمَّا كان سحر ذلك اليوم قام يونس فرحل فأَيقنوا بالعذاب فخرجوا بأَجمعهم إِلى البَرَازِ، وفرَّقوا بين صغار البهائم وأُمهاتها، وتضرعوا وتابوا فرفع الله عنهم العذاب، وبقي يونس في موضعه الذي خرج إِليه ينتظر الخبر، فلمَّا عرف أَنهم لم يُعذَّبوا ساءَه أَن عدُّوه[٤] كاذباً، وقال: والله لا انصرفت إِليهم أَبداً.

ورُوي: أَنه كان من دينهم قتل الكذّاب، فغضب حينئذ على ربه، وخرج على وجهه حتى دخل في سفينة في البحر[٥].

---

(١) الربع: الفصيل إذا ولد في الربيع وكان أول النتاج، وانظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥١٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢٩).
(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٥١٣).
(٣) مثله في تفسير الطبري (١٨/ ٥١٢) لكن: عن سعيد بن أبي الحسن، وهو أخو الحسن.
(٤) في لالاليه: «وعده».
(٥) تفسير الطبري (١٨/ ٥١٣).

قال القاضي أَبو محمد: وفي هذا القول من الضعف ما لا خفاءَ به مما لا يتَّصف به نبي.

واختلف الناس في قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾:

فقالت فرقة: استزله[(١)] إِبليس ووقع في ظنِّه إِمكان أَن لن يقدر الله عليه بمعاقبة.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قولٌ مردود.

وقالت فرقة: [معناه: ظن أن لن نقدر عليه؛ أي:][(٢)] أَن لن نُضَيِّق عليه في مذهبه، من قوله تعالى: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الإسراء: ٣٠].

وقالت فرقة: هو من القَدَر؛ أَي: ظن أَن لن يقدر[(٣)] الله عليه بعقوبة.

وقالت فرقة: الكلام بمعنى الاستفهام، أَي: أَفظن أَنْ لن يقدر الله عليه؟

وحكى منذر بن سعيد أَن بعضهم قرأَ: (أَفَظَنَّ) بالأَلف[(٤)].

وقرأَ الزهري: (نُقَدِّرَ) بضم النون وفتح القاف وشد الدال[(٥)].

وقرأَ الحسن: (فَظَنَّ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ)[(٦)]، وعنه أَيضاً: (نقدر)[(٧)].

---

(١) في نجيبويه والمطبوع والإماراتية والحمزوية: «استفزه».

(٢) ليس في الأصل، وفي أحمد٣ ولالاليه: معناه: «ظن أن لن نضيق».

(٣) في المطبوع: «يقضي».

(٤) وهي شاذة، نقلها عنه القرطبي في تفسيره (١١/ ٣٣٢)، ونقل هذا القول في تفسير الطبري (١٨/ ٥١٥) عن ابن زيد تفسيراً.

(٥) وهي شاذة نقلها عنه وعن عمر بن عبد العزيز في تفسير الثعلبي (٦/ ٣٠٢)، وانظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣١٩).

(٦) إن كانت بضم الياء وفتح الدال فهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٢٤)، وعزاها في الشواذ للكرماني (ص: ٣١٩) له وللحسن، وإن كانت بفتح الياء وكسر الدال فشاذة، وهذا ظاهر إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٥٥)، وعزاها أيضاً له الكرماني.

(٧) إن كانت بتخفيف الدال فهي قراءة الجمهور، وإن كانت بتشديدها فهي المتقدمة للزهري، ولم أجد من عزاها للحسن.

وبعد هذا الكلام حذف كثير اقتضب لبيانه في غير هذه الآية، المعنى: فدخل البحر وكذا وكذا[١] حتى التقمه الحوت وصار في ظُلْمة جوفه.

واختلف الناس في جمع الظُّلُمات ما المراد به؟:

فقالت فرقة: ظلمة اللَّيل، وظلمة البحر، وظلمة الحوت.

وقالت فرقة: ظلمة البحر، وظلمةُ حوتٍ التقمَ الحوتَ الأَولَ، وظلمةُ الحوتِ الأَولِ الذي التقم يونس.

قال القاضي أَبو محمد: ويصح أَن يعبَّر بالظلمات عن جوف[٢] الحوت الأَول فقط، كما قال: ﴿في غَيَابَاتِ الجُبِّ﴾، وفي كل جهاته ظُلْمة فَجَمعها سائغ.

ورُوي: أَن يونس عليه السلام سجد في جوف الحوت حين سمع تسبيح الحيتان وفي قعر البحر، ثم قال في دعائه: اللهم إِني قد اتَّخذت لك مسجداً في موضع / لم يتَّخذه أَحد قبلي[٣]. [٤/ ٥٣]

و﴿أَن﴾ مفسِّرة نحو قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱمْشُواْ﴾ [ص: ٦]، وفي هذا نظر.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يريد فيما خالف فيه من ترك مداومة قومه والصبر عليهم، هذا أَحسن الوجوه، وقد تقدم ذِكْر غيره، فاستجاب الله تعالى له وأخرجه إِلى البرِّ، وَوَصْفُ هذا يأْتي في موضعه.

و﴿ٱلْغَمِّ﴾ ما كان ناله حين التقمه الحوت.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿نُنَجِّى﴾ بنونين الثانية ساكنة، وقرأَ عاصم في رواية أَبي بكر: ﴿نُجِّي﴾ بنون واحدة مضمومة وشد الجيم، ورويت عن أَبي عمرو[٤].

---

(١) سقطت وكذا من الأصل.

(٢) في أحمد٣: «حوت».

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٥١٨) من قول عوف الأعرابي.

(٤) وهما سبعيتان، والثانية لشبعة وابن عامر كما في التيسير (ص: ١٥٥)، ونقل الثانية في السبعة (ص: ٤٣٠) عن عبيد عن أبي عمرو، ونقلها في جامع البيان (٣/ ١٣٧٢) عن الكسائي في رواية أبي موسى الشيرازي، وليسا من طرق التيسير ولا النشر.

وقرأت فرقة: (نُنَجِّي) بنونين الأُولى مضمومة والثانية مفتوحة والجيم مشددة[١].

فأَمَّا القراءة الأُولى والثالثة فبَيِّـنَـتَان، والأُولى فعلها معدى بالهمزة، والأُخرى بالتضعيف.

وأَمَّا القراءة الوسطى التي هي بنون واحدة مضمومة وجيم مشددة وياءٍ ساكنة فقال أَبو علي: لا وجه لها، وإِنما هي وهم من السامع، وذلك أَن عاصماً قرأَ: ﴿نُنَجِّى﴾ والنون الثانية لا يجوز إِظهارها؛ لأَنها تخفى مع هذه الحروف، يعني الجيم وما جرى مجراها، فجاءَ الإِخفاءُ يشبهها بالإِدغام، ويمتنع أَن يكون الأَصل (ننجي) ثم يدعو اجتماع النونين إِلى إِدغام إِحداهما في الجيم؛ لأَن اجتماع المثلين إِنما يدعو إِلى ذلك إِذا كانت الحركة فيهما متفقة، ويمتنع أَن يكون الأَصل «ننجي» وتسكن الياءُ ويكون المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله المصدر، كأَنه قال: (نُجِّيَ) النجاءُ المؤمنين؛ لأَن هذه لا تجيءُ إِلَّا في ضرورة، وليست في كتاب الله تعالى، والشاهد فيها قول الشاعر:

[الوافر] وَلَـوْ وَلَـدَتْ قُفَيْـرَةُ جَـرْوَ كَلْـبٍ ... لَسُـبَّ بِذَلِـكَ الْجَـرْوِ الْكِلَابَا[٢]

وأَيضاً فإِن الفعل الذي بني للمفعول إِذا كان ماضياً لم يسكن آخره[٣].

قال القاضي أَبو محمد: والمصاحف فيها نون واحدة كتبت كذلك من حيث النون الثانية مخفاة[٤].

---

(١) وهي شاذة، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ٩٥) للجحدري وحده، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٠) للأعرج وعمرو بن فائد.

(٢) البيت لجرير، كما في خزانة الأدب (١/ ٣٣٠)، وهو في تفسير الثعلبي (٦/ ٣٠٤)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٤٤)، والحجة لابن خالويه (ص: ٢٥٠)، والخصائص (١/ ٣٩٧) بلا نسبة، وقُفَيْـرَة على وزن جهينة هي أُم الفرزدق.

(٣) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٢٥٩-٢٦٠).

(٤) انظر: المقنع في رسم مصاحف الأمصار للداني (ص: ٢٧)، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٠) أنها في مصحف أبي بنونين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

تقدَّم أَمر زكريَّا عليه السلام في سورة مريم، و«إِصلاح الزوجة»، قيل: بأَن جعلها ممن[1] تحمل وهي عاقر قاعد، فحاضت وحملت، وهذا هو الذي يشبه الآية، وقيل: بأَن أُزيل بذاءٌ كان في لسانها.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيف، وعموم اللَّفظة يتناول كلَّ وجوه الإِصلاح.

وقرأَت فرقة: ﴿وَيَدْعُونَنَا﴾، وقرأَت فرقة: (وَيَدعُونَا)[2].

وقرأَت فرقة: ﴿رَغَبًا﴾ بفتح الراءِ والغين، و﴿وَرَهَبًا﴾ كذلك.

وقرأَت فرقة بضم الراءِ فيهما وبسكون الغَيْن والهاءِ.

وقرأَت فرقة: بفتح الراءِ فيهما وبسكون الغَيْن والهاءِ[3].

والمعنى: أَنهم يدعون في وقت تعبدهم وهم بحال رغبة ورجاءٍ ورهبة وخوف في حال واحدةٍ؛ لأَن الرَّغبة والرَّهبة متلازمتان.

وقال بعض الناس: الرغب أَن ترفع بطون الأَكُفِّ نحو السماء، والرهب أَن ترفع ظهورهما.

قال القاضي أَبو محمد: وتلخيص هذا أَن عادة كل داع من البشر أَن يستعين بيديه، فالرَّغب ـ من حيث هو طلب ـ يحسن معه أَن يوجه[4] باطن الراح نحو المطلوب

(١) ليست في المطبوع.

(٢) وهي شاذة، نقلها في تفسير القرطبي (١١/ ٣٣٧) عن ابن مصرف، وهي في الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٠) عن أبي عمرو وعن ابن محيصن وطلحة بالإدغام، وظاهر البحر المحيط (٧/ ٤٦٣) أنهما قراءتان، ولم ينسب قراءة التخفيف لأحد.

(٣) وهما شاذتان، عزا الأولى في مختصر الشواذ (ص: ٩٥)، وهي في الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٠) للأعمش وابن وثاب ووهب بن عمرو النمري، والثانية للأعمش، وزاد له ثالثاً بضم الهاء والغين مع ضم الراءين.

(٤) في نجيبويه والمطبوع: «يوسع».

منه؛ إِذ هي[(١)] موضع الإعطاء، وبها يتملَّك، والرَّهَب من حيث هو دفع مضرَّة يحسن معه طرح ذلك، والإِشارة إِلى إذهابه وتَوَقِّيه بنفض اليدين ونحوه.

و«الْـخُشُوعُ»: التذلُّل بالبدن المتركِّبُ[(٢)] على التذلُّل بالقلب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ٩٣ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ٩٤ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٩٥﴾.

المعنى: واذكر الَّتِي أَحْصَنَتْ [فرجها][(٣)]، وهي مريم بنتُ عمران أُمُّ عيسى، و«الْفَرْجُ» ـ فيما قال الجمهور، وهو ظاهر القرآن ـ: الجارحة المعروفة، وفي إِحصانها هو المدح.

وقالت فرقة: الفَرْج هنا فَرْجُ ثوبها الذي منه نفخ المَلَك، وهذا ضعيف.

وأَمَّا نفخ الولد فيها فقال كثير من العلماءِ: إِنما نفخ الروح[(٤)] في[(٥)] جيب درعها، وأَضاف الروح إِضافة المِلْك إِلى المَالك.

و(ابنها): عيسى ابن مريم عليه السلام، وأَراد تعالى أَنه جعل مجموع قصة عيسى وقصة مريم من أَولها إِلى آخرها آيةً لمن اعتبر في ذلك، و﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ يريد: لمن عاصره[(٦)] فما بعد ذلك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ﴾ يحتمل الكلام أَن يكونَ مُنْقَطِعاً خطاباً

---

(١) في نجيبويه والمطبوع: «هو».

(٢) في أحمد٣: «المركب».

(٣) ليس في الأصل ونور العثمانية ولالاليه.

(٤) من نجيبويه.

(٥) في أحمد٣ والإماراتية والمطبوع والحمزوية: «من».

(٦) في أحمد٣ والمطبوع ولالاليه: «عاصر».

لمعاصري محمد ﷺ، ثم أَخبر عن الناس أَنهم تقطعوا، ثم وَعَدَ وأَوْعَدَ.

ويحتمل أَن يكون متصلاً، أَي: جعلنا مريم وابنها آية للعالمين بأَن بُعِثَ لهم بملَّة وكتاب، وقيل لهم: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾، أَي: دعا الجميع إِلى الإِيمان بالله تبارك وتعالى وعبادته.

ثم أَخبر تعالى أنهم بعد ذلك اختلفوا وتقطعوا أَمرهم، ثم فرَّق بين المحسن والمسيء؛ فذكَّر المحسن بالوعد، أَي: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: وَهُوَ مُؤْمِنٌ فهو بسعيه مجازى، وذكَّر المسيءَ بالوعيد في قوله: ﴿وَحَرَٰمٌ.. الآية﴾، فتأَمل الوعيد فيها على كل قول تذكره فإِنه بيِّن، و«الْكُفْرَانُ»: مصدرٌ كالكفر، ومنه قول الشاعر:

[الطويل]

رَأَيْتُ أُناساً لَا تَنَامُ خُدُودُهُم ... وَخَدِّي وَلَا كُفْرَانَ للَّهِ نَائِم[1]

واختلف القراءُ في قوله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ﴾:

فقرأَ عكرمة وغيره: (وَحَرِمٌ) بفتح الحاءِ وكسر الراءِ.

وقرأَ جمهور السبعة: ﴿وَحَرَٰمٌ﴾.

وقرأَ حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿وَحِرْمٌ﴾ بكسر الحاءِ وسكون الراء[2].

وقرأَ ابن عباس بخلاف عنه: (وَحَرْمٌ) بفتح الحاءِ وسكون الراءِ.

وقرأَت فرقة: (وَحَرَّمَ) بفتح الحاءِ والراءِ وشدِّ الراءِ.

وقرأَت فرقة: (وَحُرِّمَ) بضم الحاءِ وكسر الراءِ وشدها.

---

(١) ورد هذا البيت في تفسير الطبري (١٨/ ٥٢٤)، واللباب لابن عادل (١٣/ ٥٩٣)، بلا نسبة.

(٢) القراءتان الثانية والثالثة سبعيتان، ولكن وقع قلب في النقل عن عاصم، فشعبة هو الذي وافق حمزة والكسائي، وحفص وافق الجمهور، انظر: التيسير (ص: ١٥٥)، والسبعة (ص: ٤٣١).

وقرأَ قتادة، ومطر الوراق: (وَحَرُمَ) بفتح الحاءِ وضم الراءِ[١].

والمستفيض من هذه القراءات قراءة من قرأ: ﴿وَحِـرْمٌ﴾، وقراءَة من قرأَ: ﴿وَحَـرَامٌ﴾، وهما مصدران / نحو الحِلّ وَالحَلال. [٤/ ٥٤]

وأَمَّا معنى الآية: فقالت فرقة: حرامٌ وحِرْمٌ معناه: جَزْمٌ وحَتْم، فالمعنى: وحتم على قرية أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُون إِلى الدنيا فيتوبون ويستعتبون، بل هم صائرون إِلى العقاب.

وقال بعض هذه الفرقة: «الإِهْلاكُ» هو بالطَّبع على القلوب ونحوه، و«الرُّجُوعُ» هو إِلى التوبة والإِيمان.

وقالت فرقة: المعنى: وحَرَامٌ، أَي: ممتنعٌ ـ وحِرْمٌ كذلك ـ عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ، وقالوا: ﴿لَا﴾ زائدة[٢] في الكلام.

واختلفوا في الإِهلاك والرجوع بحسب القولين المذكورين:

قال أَبو علي: يحتمل أَن يرتفع ﴿وَحَـرَامٌ﴾ بالابتداءِ، والخبر رجوعهم، و﴿لَا﴾ زائدة، ويحتمل أَن يرتفع ﴿وَحَـرَامٌ﴾ على خبر الابتداء، كأَنه قال: والإِقالة والتوبة حرام، ثم يكون التقدير بأَنهم لا يرجعون[٣]، فتكون ﴿لَا﴾ على بابها، كأَنه قال: هذا عليهم ممتنعٌ بسبب كذا، فالتحريم[٤] في الآية بالجملة ليس كتحريم الشرع الذي إِن شاءَ المنهيُّ عنه ركبه.

قال القاضي أَبو محمد: ويتَّجه في الآية معنى ضمنه وعيدٌ بيِّن، وذلك أَنه ذكر من عمل صالحاً وهو مؤمن، ثم عاد إِلى ذكر الكفرة الذين من كفرهم ومعتقدهم أَنهم لا

---

(١) هذه سبع قراءات تقدم أن الثانية والثالثة منها سبعيتان، والبواقي شواذ، انظر عزو الأولى والرابعة والسابعة في المحتسب (٢/ ٦٥)، وعزا الكرماني في الشواذ (ص: ٣٢١) الخامسة لقتادة ومطر، والسادسة لعكرمة وابن السميفع.

(٢) في المطبوع: «زيادة».

(٣) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٢٦١)، وسقط الاحتمال الأول من لالاليه.

(٤) في المطبوع: «فقال تحريم»، وفيه تحريف ظاهر.

يُحشرون إِلى ربٍّ، ولا يرجعون إِلى مَعَادٍ، فهم يظنون بذلك أَنه لا عقاب ينالهم، فجاءَت الآية مكذِّبة لظن هؤلاء، أَي: مُمْتَنِعٌ على الكفرة المهلَكين أَنهم لا يرجعون، بل هم راجعون إِلى عقاب الله وأَليم عذابه، فتكون ﴿لَا﴾ على بابها، والحرام على بابه، وكذلك الحِرْم فتأَمله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾.

تحتمل ﴿ حَتَّىٰٓ ﴾ في هذه الآية أَن تكون متعلِّقة بقوله: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ ﴾، وتحتمل على بعض التأْويلات المتقدمة أَن تتعلَّق بـ﴿يَرۡجِعُونَ ﴾، وتحتمل أَن تكون حرف ابتداءٍ، وهو الأَظهر بسبب ﴿إِذَا﴾؛ لأَنها تقتضي جواباً وهو المقصود ذكْره.

واختلف هنا في الجواب:

فقالت فرقة: الجواب قوله: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ﴾، والواو زائدة.

وقالت فرقة ـ منها الزجاج وغيره ـ: الجواب في قوله تعالى: ﴿يَٰوَيۡلَنَا﴾، والتقدير: قالوا يا ويلنا، وليست الواو بزائدة(١).

والذي أَقول: إِن الجواب في قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ﴾ وهذا هو المعنى الذي قُصد ذكره؛ لأَنه رجوعهم الذي كانوا يكذبون به وحُرِّم عليهم امتناعه.

وقرأَ الجمهور: ﴿فُتِحَتۡ﴾ بتخفيف التاءِ، وقرأَ ابن عامر وحده: ﴿فُتِّحَتْ﴾ بتثقيلها(٢).

ورُوي: أَن يأْجُوج ومأْجوج يشرفون في كل يوم على الفتح فيقولون: غداً يُفتح، ولا يردُّون المشيئة إِلى الله تعالى، فإِذا كان الغَدُ وجدوا الرَّدْمَ كأَوله، حتى إِذا أَذِنَ الله

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤٠٥).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٠٢)، والسبعة (ص: ٤٣١).

في فتحه قال قائلهم: غداً نفتحه إِن شاءَ الله، فيجدونه كما تركوه قريب الانفتاح فيفتحونه حينئذ[١].

وقرأَ عاصم وحده: ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ بالهمزة، وقرأَ الجمهور بالتسهيل[٢].

وقد تقدم في سورة الكهف توجيه ذلك وكثيرٌ من حال يَأْجُوج وَمَأْجُوج فغنينا هنا عن إِعادة ذلك.

و«الحدب»: كلُّ مُسَنَّم من الأَرض كالجبل والظَّرِب والكُدْية والقَبر ونحوه.

وقالت فرقة: المراد بقوله: ﴿وَهُم﴾ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، يعني أَنهم يطلعون من كل ثنيَّة ومرتفع ويَعُمُّون الأَرض، وذلك أَنهم من الكثرة بحيث قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى يوم القيامة لآدم[٣] أَخرج بعث النار من ذرِّيتك، فيخرج من كل أَلف تسع مئة وتسعة وتسعين» قال: ففزع الناسُ، فقال رسول الله ﷺ: «إِن منكم رجلاً، ومن يأْجوج ومأْجوج أَلف رجل»[٤].

ويروى: أَن الرجل منهم لا يموت حتى يولد له أَلف ولد بين رجل وامرأَة[٥].

---

(١) الصحيح موقوف على أبي هريرة، وكأنه إسرائيلي، الحديث أخرجه الإمام أحمد (١٦/ ٣٦٩)، والترمذي (٣٤١٩)، وابن ماجه (٤٠٨٠) من طريق قتادة، قال: حدثنا أبو رافع، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وهذا السند، وإن كان ظاهره الصحة، إلا أن في رفعه نكارة، كما نص عليه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/ ١٩٨) في سياق تفسيره لسورة الكهف، وقد جاء الحديث من وجه آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولكنه موقوف عليه من قوله، رواه عبد بن حميد ـ كما في فتح الباري ١٣/ ١٠٩ ـ، من طريق عاصم بن بهدلة، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، من قوله به.

(٢) المراد بالتسهيل إبدال الهمز حرف مد، وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٣١)، والتيسير (ص: ١٤٥).

(٣) في المطبوع: «يا آدم».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٧٠)، ومسلم (٣٧٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٥) تفسير الطبري (١٨/ ١١١)، والهداية لمكي (٧/ ٤٨١٤)

وقالت فرقة: المراد بقوله: ﴿وَهُم﴾ جميع العالم، وإنما هو تعريف بالبعث من القبور.

وقرأ ابن مسعود: (من كلِّ جَدَثٍ)[١]، وهذه القراءة تؤيد هذا التأْويل.

و﴿يَنسِلُونَ﴾ معناه: يُسرعون في تطامن، ومنه قول الشاعر:

عَسَلانَ الذِّئْبِ أَمْسَى قَارِباً ... بَرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَنَسَلْ[٢] [الرمل]

وقرأَت فرقة بكسر السين، وقرأَت فرقة بضمها[٣].

وأَسند الطبري عن أَبي سعيد قال: يخرج يأْجوج ومأْجوج فلا يتركون أَحداً إلاَّ قتلوه إلاَّ أَهل الحصون، فيمرون على بحيرة طبرية، فيمر آخرهم[٤] فيقول: كان هاهنا ماءٌ، فيبعث الله عليهم النَّغفَ حتى تكسر أَعناقهم، فيقول أَهل الحصون: لقد هَلَك أَعداءُ الله، فيدلُّون رجلاً ينظر فيجدهم قد هلكوا، قال: فينزل الله تعالى ماءً من السماءِ فيقذف بهم في البحر فيطهر الأَرض منهم[٥].

وفي حديث حذيفة نحو هذا، وفي آخره: قال: «وعند ذلك طلوع الشمس من مغربها»[٦].

---

(١) انظر: المحتسب (٢/ ٦٥).

(٢) البيت للبيد، كما في الكامل للمبرد (١/ ٢٨٩)، والمحكم (١/ ٤٨٦)، وعزاه في مجاز القرآن (٢/ ٤٢)، والصحاح الجوهري (٥/ ٤٣) للنابغة الجعديّ، وعَسَل الذئب مضى مسرعاً واضطرب في عدوه، والقاربُ: الذي يسير ليلاً في طلب الماءِ ويكون مسرعاً.

(٣) الأولى هي المتواترة، والثانية شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٩٥) لابن أبي إسحاق، وزاد الكرماني (ص: ٣٢١) أبا السمال.

(٤) في المطبوع: «أحدهم».

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٥٢٨) من طريق عطية العوفي، عن أبي سعيد، به، والعوفي ضعيف الحديث، مدلس، وقد عنعنه، وهو يروي عن الكلبي، ويكنيه بأبي سعيد، إيهاماً أنه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٦) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٥٢٦) قال: حدثني عصام بن رواد بن الجراح، عن أبيه، عن الثوري، عن منصور بن المعتمر، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة بن اليمان، رضي الله عنه مرفوعاً، به، =

ورُوي: أَن ابن عباس رأَى صبياناً يلعبون ويَنْزو بعضهم على بعض فقال: هكذا خروج يأْجوج ومأْجوج(١).

وقوله تعالى: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ يريد يوم القيامة، وروي في الحديث «إِن الرجل ليتخذ الفلو من بعد يأْجوج ومأْجوج، فلا يبلغ منفعته حتى تقوم الساعة»(٢).

وقوله تعالى: ﴿هِىَ﴾ مذهب سيبويه أَنها ضمير القصة، كأَنه قال: فإِذا القصة أَو الحادثة شاخِصَةٌ أَبْصار، وجوَّز الفراءُ أَن تكون ضمير الأَبصار تقدمت لدلالة الكلام، ويجيءُ ما يفسِّرها(٣)، وأَنشد على ذلك:

[الطويل] فلا وَأَبِيـهَـا لَا تَـقُولُ خَـلِيلَـتِي ... أَلا فَرَّ عَنِّي مَالِكُ بنُ أَبِي كَعْبِ(٤)

و«الشخوص بالعين»: إِحْدادُ النَّظر دون أَن يطرف، وذلك يعتري من الخوف الـمُفْرط أَو علَّة أَو نحوه.

وقوله: ﴿يَـٰوَيۡلَنَا﴾ تقديره: يا ويلنا لقد كانت بنا غفلة عمَّا وجدنا وتبيَّنَّا الآن من الحقائق، ثم تركوا الكلام الأَول ورجعوا إِلى نقد ما كان يُداخلهم من تعمُّد الكفر وقصد الإِعراض فقالوا: ﴿بَلۡ كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾.

= وعصام بن رواد، تناوله الذهبي في الميزان (٣/ ٦٦) وقال: ليَّنه أبو أحمد الحاكم، وأما أبوه رواد ابن الجراح، فقد ضعفوا حديثه عن سفيان الثوري، انظر: تهذيب الكمال (٩/ ٢٢٧).

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٥٢٨) من طريق شعبة، عن عبيد الله بن أبي يزيد قال: رأى ابن عباس صبياناً... وهذا إسناد صحيح، لو كان عبيد الله حضر الوقعة.

(٢) ضعيف جدّاً، الحديث أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦٢٧) من طريق أبي عصمة نوح بن أبي مريم، عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، مرفوعاً به، ونوح بن أبي مريم، متروك الحديث.

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢١٢).

(٤) البيت لمالك بن أبي كعب بن القين الخزرجي أحد بني سلمة كما في الأغاني (١/ ٥٠)، وهو في الطبري (١٨/ ٥٣٣) بلا نسبة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

هذه مخاطبة لكفار مكة، أَي: إِنكم وأَصنامكم حصب جهنم، و«الْحَصبُ»: ما توقد به / النار، إِمَّا لأَنها تُحصب به أَي تُرْمى، وإِمَّا أَن تكون لغة في الحطب إِذا رمي، [٤/ ٥٥] وأَما قبل أَن يُرْمى فلا يُسمَّى حصباً إِلَّا بتجوُّز.

وقرأَ الجمهور: ﴿حَصَبُ﴾ بالصاد مفتوحة، وسكَّنها ابن السَّمَيفع؛ وذلك على إِيقاع المصدر موقع اسم المفعول.

وقرأَ علي بن أَبي طالب، وأُبي بن كعب، وعائشة، وابن الزُّبير: (حَطَبُ جَهَنَّمَ) بالطَّاءِ.

وقرأَ ابن عباس: (حَضَبُ جَهَنَّمَ) بالضاد منقوطة مفتوحة، وسكَّنها كثيّر عزة[١].

والحَضَبُ[٢]: أَيضاً ما يُرمى به في النار لتوقد به، والمِحْضَبُ: العُودُ الذي تُحَرَّك به النار أَو الحديدة ونحوه، ومنه قول الأَعشى:

فَلَا تَكُ فِي حَرْبِنَا مِحْضَباً لِتَجْعَلَ قَوْمَكَ شَتَّى شُعُوبَا[٣] [المتقارب]

وقوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ يريد الأَصنام، وحرقها في النار على جهة التوبيخ لعابدها، ومن حيث تقع (ما) لمن يعقل في بعض المواضع اعترض في هذه الآية عبد الله ابن الزِّبَعْرى على رسول الله ﷺ فقال: إِن عيسى وعُزَيراً ونحوهما قد عُبدا[٤] من دون الله

(١) في المطبوع والإماراتية: «كثير غيره»، وهذه أربع قراءات شاذة، انظر عزوها لأصحابها في المحتسب (٢/ ٦٦).
(٢) في لالاليه: الحصب وكذلك المحصب.
(٣) البيت للأعشى كما في العين للخليل (٣/ ١٠٩)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٦٦)، ومعجم المقاييس لابن فارس (٢/ ٧٥).
(٤) في الأصل: «عبدوا».

فيلزم أَن يكونا حصباً لجهنم، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ﴾ [الأنبياء: ١٠١]... الآية[١].

ثم قرَّر الأَمر بالإِشارة إِلى الأَصنام التي أَراها في قوله: ﴿وَمَا تَعۡبُدُونَ﴾ فقال: ﴿لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ﴾، وعبَّر عن الأَصنام بـ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ من حيث هي عندهم بحال من يعقل، و«الوُرودُ» في هذه الآية: ورود الدخول.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾.

الضمير في: ﴿لَهُمۡ﴾ عائد على من يعقل ممَّن تُوُعِّد، و«الزَّفِيرُ»: صوتُ المعذَّب، وهو كشهيق الحمير وشبهه إِلَّا أَنه من الصدر.

وقوله: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ﴾ قالت فرقة: معناه: لا يسمعون خيراً ولا سارّاً من القول.

وقالت فرقة: إِن عذابهم أَن يُجعلوا في توابيت في داخل توابيت أُخر فيصيرون هنالك لا يسمعون شيئاً.

ولَمَّا اعترض ابن الزِّبَعْرى بأَمر عيسى بن مريم، وعُزَيْر نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ مُبَيِّنة أَن هؤلاء ليسوا تحت المراد؛ لأَنهم لم يرضوا ذلك، ولا دعَوا إِليه. و﴿ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ يريد كلمة الرَّحْمة، والحَتْم بالتفضيل[٢].

---

(١) الأثر ضعيف، أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٩٥) من طريق أبي بكر بن عياش، عن عاصم بن بهدلة، عن أبي رزين، عن ابن عباس رضي الله عنه، مرفوعاً، به، وعاصم بن بهدلة، ضعفوه، ولا يحتج بما تفرد به، ولم أجد من تابعه، ورواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره (ابن كثير ٥/ ٣٧٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنه كذلك، ولكن في إسناده: محمد بن علي بن سهل، ترجم له ابن عدي في كامله (٦/ ٢٩٦) وقال: ضعيف، ورواه الطبري (١٨/ ٥٣٩) من طريق محمد بن إسحاق، به معضلاً.

(٢) في المطبوع: «التفصيل».

و«الْحَسِيسُ»: الصوت، وهو بالجملة ما يتأَدَّى إِلى الحسِّ من حركة الأَجرام، وهذه صفةٌ لهم بعد دخولهم الجنة؛ لأَن الحديث يقتضي أَن في الموقف تزفر جهنم زفرة لا يبقى نبيٌّ ولا مَلَك إِلاَّ جثا على ركبتيه.

و﴿ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ عامٌّ في كل هول يكون في يوم القيامة، فكأَن يوم القيامة بجملته هو الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ، وإِن خصص شيءٌ من ذلك فيجب أَن يقصد الأَعظم هوْله.

قالت فرقة في ذلك: هو ذبْح الموت.

وقالت فرقة: هو وقوع طبق جهنم على جهنم.

وقالت فرقة: هو الأمر بأَهل النار إِلى النار.

وقالت فرقة: هو وقت النفخة الآخرة.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا وما قبله من الأَوقات أَشبه أَن يكون فيها الْفَزَعُ [لأَنها وقت][1] لترجم الظنون وتعرض الحوادث، فأَما وقت ذبح الموت ووقوع طبق جهنم[2] فوقت قد حصل فيه أَهل الجنة في الجنة، فذلك فزع بيِّن أَنه لا يصيب أَحداً من أَهل الجنة فضلاً عن الأَنبياء، اللهم إِلَّا أَن يريد: لا يحزنهم الشيءُ الذي هو عند أَهل النار فزع أَكبر، فأَمَّا إِن كان فزعاً للجميع فلا بد مما قلنا من أَنه قبل دخول الجنة.

وقد ذهب بعض الناس إِلى أَن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ يعُمُّ كل مؤمن.

ورُوي عن علي بن أَبي طالب رضي الله عنه أَنه قال: عثمان منهم[3].

---

(١) ليس في نور العثمانية.

(٢) في الأصل ولالاليه ونور العثمانية: «ووقوع الطبق»، دون ذكر جهنم.

(٣) صحيح، أخرجه الطبري (١٨/ ٥٣٨) من طريق شعبة، عن أبي بشر، عن يوسف بن سعد، عن محمد ابن حاطب، عن علي رضي الله عنه.

قال القاضي أَبو محمد: ولا مِرْيَة أَنها مع نزولها في خصوص مقصود تتناول كلَّ من سعد في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يريد بالسلام عليهم والتبشير لهم، أَي: هذا يومكم الذي وعدتم فيه الثواب والنعيم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

قرأَت فرقة: ﴿نَطْوِى﴾ بنون العظمة.

وقرأَت فرقة: (يَطْوِي) بياءٍ مفتوحة على معنى: يَطْوِي اللهُ تعالى.

وقرأَت فرقة: ﴿تُطْوَى﴾ بتاءٍ مضمومة وبرفع ﴿السَّمَاءُ﴾ على ما لم يُسَمَّ فاعله(١).

واختلف الناس في ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾:

فقالت فرقة: (السِّجِلّ): هو مَلَك يطوي الصحف.

وقالت فرقة: (السِّجل): رجل كان يكتب للنبي ﷺ(٢).

قال القاضي أَبو محمد: وهذا كله وما شاكله ضعيف.

وقالت فرقة: (السِّجِلُّ): الصحيفة التي يكتب فيها، والمعنى: ﴿كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ﴾ أَي: كما يطوى السجل من أَجل الكتاب الذي فيه، فالمصدر مضاف إِلى المفعول، ويحتمل

(١) ثلاث قراءات، الأولى للسبعة وغيرهم، والثالثة عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٢٤)، والثانية شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٢٢) لمجاهد وشيبة.

(٢) ضعيف جدًّا، أخرجه أبو داود (٢٩٢٨)، والنسائي في الكبرى (١١٣٥) من طريق نوح بن قيس، عن يزيد ابن كعب، عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وهذا إسناد ضعيف، يزيد بن كعب، هو: العوذي، تناوله الإمام الذهبي في الميزان (٤/ ٤٣٨) وقال بعد أن أورد حديثه هذا: لا يُدرى من ذا أصلاً، انفرد عنه نوح بن قيس الحداني، وقال ابن كثير في تفسيره (٥/ ٣٨٣): منكر جداً.

أَن يكون المصدر مضافاً إِلى الفاعل، أَي: كما يطوي السِّجِلُّ الكتاب الذي هو فيه، فكأَنه قال: يَوْمَ نَطْوِي السَّماءَ كالهيئة التي فيها طيُّ السِّجِلِّ للكتاب، ففي التشبيه تجوُّز.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (السِّجْلِ) بشد السين وسكون الجيم وتخفيف اللام.

وفتح أَبو السَّمّال السِّين فقرأَها: (السَّجل).

وقرأَ أَبو زرعة بن عمرو بن جرير: (السُّجُلِّ) بضم السِّين وشدها وضم الجيم[1].

وقرأَ الجمهور: ﴿لِلْكِتَابِ﴾ وقرأَ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿لِلْكُتُبِ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أَن يكون خبراً عن البعث، أَي: كما اخترعنا الخلق أَوَّلاً على غيرِ مثال كذلك نُنْشِئُهُم تارة أُخرى فنبعثهم من القبور.

والثاني: أَن يكون خبراً عن أَنَّ كل شخص يُبعث يوم القيامة على هيئته التي خرج بها إِلى الدنيا، ويؤيد هذا التأْويل أَن رسول الله ﷺ قال: «يُحشَرُ الناس يوم القيامة حفاةً عُراةً غُرْلاً، كما بدأْنا أَوَّل خَلْق نُعيده»[3].

والكاف في قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا﴾ متعلِّقة بقوله: ﴿نُّعِيدُهُ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ تأْكيدٌ للأَمر، بمعنى أَن الأَمر واجب / فيه ذلك. [٤/ ٥٦]

وقالت فرقة: الزَّبُور: اسمٌ يعُمّ جميع الكُتب الـمُنَزَّلَة؛ لأَنه مأْخوذ من: زَبَرْتُ الكِتَابَ: إِذا كَتَبْتَهُ، قالت هذه الفرقة[4]: والذِّكْرُ أَراد به اللَّوح المحفوظ، وقال بعضهم: الذِّكر الذي في السماء.

---

(١) هذه ثلاث قراءات شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٦٦).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٥)، والسبعة (ص: ٤٣١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٧١)، ومسلم (٢٨٦٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، مرفوعاً، به.

(٤) في المطبوع: «قالت فرقة».

وقالت فرقة: الزَّبُورُ هو اسم(١) زبور داود عليه السلام، والذِّكْر أَراد به التوراة، وقالت فرقة: الزَّبور ما بعد التوراة من الكُتب، والذِّكْر: التوراة.

وقرأ حمزة وحده: ﴿الزُّبور﴾ بضم الزاي(٢).

وقالت فرقة: الأَرْضُ أَراد بها أَرض الدنيا، أَي: كل ما يناله المؤمنون من الأَرض.

وقالت فرقة: أَراد أَرض الجنة، واستشهدت بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: ٧٤].

وقالت فرقة: إِنما أَراد بهذه الآية الإِخبارَ عمَّا كان صنعه مع بني إِسرائيل، أَي: فاعلموا أَنَّا كما(٣) وَفَّيْنَا لهم بما وعدناهم، فكذلك نُنْجز لكم ما وعدناكم من النُّصرة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾.

قالت فرقة: الإِشارة بقوله تعالى: ﴿فِى هَٰذَا﴾ إِلى هذه الآيات المتقدمة.

وقالت فرقة: الإِشارة إِلى القرآن بجملته، والعبادة تتضمن الإِيمان بالله تعالى.

وقوله: ﴿إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ قالت فرقة: عمَّ العالمين وهو يُريد من آمن فقط، وذلك أَن النبي ﷺ ليس برحمة على من كفر به ومات على كفره.

وقالت فرقة: العالمون عامٌّ ورحمته للمؤمنين بَيِّنة، وهي للكافرين بأَن الله تعالى رفع عن الأُمم أَن يُصيبهم ما كان يصيب القرون قبلهم من أَنواع العذاب المستأْصِلة كالطوفان وغيره.

---

(١) «اسم» زيادة من الأصل، ليست في النسخ الأخرى.
(٢) والباقون بالفتح، فهما سبعيتان، كما تقدم في حرف النساء، وانظر: السبعة (ص: ٤٣١).
(٣) في المطبوع ونور العثمانية ولالاليه: «كُنَّا».

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل الكلام أَن يكون معناه: وما أَرسلناك للعالمين إِلَّا رحمةً، أَي: هو رحمة في نفسه وهدًى، أَخذ به مَنْ أَخذ، وأَعرض عنه مَنْ أَعرض.

وقوله تعالى: ﴿ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ معناه: عرَّفتكم بنذارتي، وأَردت أَن تُشاركوني في معرفة ما عندي من الخوف عليكم من الله تعالى.

ثم أَعلمهم بأَنه لا يعرف تعيين وقت لعقابهم، بل هو مُتَرَقَّبٌ في القرب والبعد، وهذا أَهول وأَخوف.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ عائد على الله عزَّ وجلَّ، وفي هذه الآية تهديد، أَي: يعلم جميع الأَشياء الواقعة منكم، وهو بالمرصاد في الجزاءِ عليها.

وقرأَ يحيى بن عامر(١): (وَإِنْ أَدْرِيَ لَعَلَّهُ)، (وَإِنْ أَدْرِيَ أَقَرِيبٌ) بفتح الياءِ فيهما، وأَنكر ابن مجاهد فتح هذه الياءِ، وَوَجَّهه أَبو الفتح.

وقوله: ﴿لَعَلَّهُۥ﴾ الضمير فيه عائد على الإِملاء لهم، وصَفْح الله تعالى عن عذابهم، وتمادي النعمة عليهم، و﴿فِتْنَةٌ﴾ معناه: امتحانٌ وابتلاءٌ، و«الْمَتَاعُ»: ما يُستمتع به مدة الحياة الدنيا.

ثم أَمره تعالى أَن يقول على جهة الدعاءِ: ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ والدعاء هنا بهذا فيه توعُّد، أَي: إِنَّ الحق إنما هو نصرتي عليكم، وأَمر الله تعالى له بهذا الدعاء دليل على الإِجابة والعِدَة بها.

---

(١) في أحمد٣: «بن يعمر»، وهي شاذة، عزاها لأيوب عن يحيى عن ابن عامر في المحتسب (٢/ ٦٨)، جامع البيان (٣/ ١٣٧٣)، وضعفها.

وقرأت فرقة: ﴿رَبِّ ٱحۡكُمۡ﴾، وقرأ أَبوجعفر بن القعقاع: ﴿رَبُّ﴾ بالرَّفع على المنادى المفرد[١]، وقرأت فرقة: (رَبِّـي أَحْكَمُ) على وزن أَفْعَل، وذلك على الابتداءِ والخبر، وقرأت فرقة: (رَبِّي أَحْكَمَ) على أَنه فعل ماض[٢]، ومعاني هذه القراءَات بيِّنة.

ثم توكَّل في آخر الآية واستعان بالله تعالى.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿قُلْ رَبِّ احْكُمْ﴾، وقرأَ عاصم فيما رُوي عنه: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّ﴾[٣].

وقرأَ ابن عامر وحده: ﴿عَلَى مَا يَصِفُونَ﴾ بالياءِ.

وقرأَ الباقون والناس: ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ بالتاءِ من فوق على المخاطبة[٤].

كمل تفسير سورة الأَنبياء، والحمد لله ربِّ العالمين.

(١) الأولى للسبعة وغيرهم، والثانية عشرية لأبي جعفر، انظر: النشر (٢/ ٣٢٥).

(٢) وهما شاذتان، الأولى لابن عباس وعكرمة ويحيى بن يعمر والجحدري والضحاك وابن محيصن كما في المحتسب (٢/ ٧٠)، والثانية للجحدري كما في الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٣).

(٣) وهي رواية حفص فهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٥٦)، والسبعة (ص: ٤٣١).

(٤) وهي المتواترة، والأولى لابن ذكوان من رواية التغلبي كما في السبعة (ص: ٤٣٢)، وجامع البيان (٣/ ١٣٧٤)، زاد عاصما في رواية المفضل، وليسا من طرق التيسير.

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تفسير ابن عطية

مختصر المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي

تحقيق
مجموعة من الباحثين

بإشراف
إدارة الشؤون الإسلامية

الجزء السابع
من أول تفسير سورة الحج حتى الآية ٢٩ من الأحزاب

إصدارات
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

تفسير ابن عطيّة

المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمّد عبد الحقّ بن عطيّة الأندلسيّ

□ **تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**
تأليف : الإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي
تحقيق : مجموعة من الباحثين - بإشراف إدارة الشؤون الإسلامية
الطبعة المحققة الأولى : ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

قياس القطع : ١٧ × ٢٤

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

ص.ب ٤٢٢ الدوحة
البريد الإلكتروني : turathuna@islam.gov.qa

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الحج

هذه السُّورة مكِّيَّة إلَّا ثلاث آيات؛ قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ﴾ [الحج: ١٩] إلى تمام ثلاث آيات، قاله ابن عباس(١) ومجاهد(٢)، ورُوي أيضاً عن ابن عباس: أنهن أربع آيات، إلى قوله: ﴿عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الحج: ٩](٣).

وقال الضحاك: هي مدنية(٤).

[وقال قتادة: سورة الحج مدنية](٥) إلَّا أربع آيات، من قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٢٥]، إلى قوله: ﴿عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٥]، فهنَّ مكِّيَّات، وعدَّ النقاش ما نزل بالمدينة عشر آيات(٦).

---

(١) لم أقف عليه من قوله، لكن في البخاري (٣٧٥٠) ومسلم (٣٠٣٣) من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: أنها نزلت في يوم بدر.

(٢) انظر قوله في: البيان في عد آي القرآن (ص: ١٨٩).

(٣) لم أجده، لكن وقفت عليه من قول قتادة، أخرجه ابن المنذر في تفسيره، كما في الدر المنثور (٩/ ٤٤٤).

(٤) تفسير القرطبي (١٢/ ١).

(٥) ليس في لالاليه.

(٦) انظر قوله في: البيان في عد آي القرآن (ص: ١٨٩).

وقال الجمهور: السُّورة مختلطة، فيها مكِّي ومدني[١]، وهذا هو الأَصح، والله أَعلم؛ لأَن الآيات تقتضي ذلك.

ورُوي عن أَنس بن مالك أَنه قال: نزل أَول السُّورة في السفر على رسول الله ﷺ فنادى بها فاجتمع الناس إِليه، فقال: أَتدرون أَي يوم هذا؟ فبهتوا، فقال: «يوم يقول الله: يا آدم أَخرج[٢] بعث النار، فيخرج من كل أَلف تسع مئة وتسعة وتسعين»، قال: فاغتم الناسُ، فقال رسول الله ﷺ: «أَبشروا، فمنكم رجل ومن يأْجوج ومأْجوج أَلف رجل»[٣] الحديث.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾.

صَدْرُ الآية تحذير لجميع العالم، ثم أَوجب الخبر وأَكَّده بأَمر زَلْزَلَة القيامة، وهي إِحدى شرائطها، سمَّاها شيئاً لأَنها حاصلةٌ / مُتيَقَّن وقوعها، يُستسهل لذلك أَن تُسَمَّى شيئاً وهي معدومة؛ إِذ اليقين بها يشبه الموجودات، وإِمَّا على المآل، أَي هي إِذا وقعت شيءٌ عظيم، فكأَنه لم يُطلق الاسم الآن؛ بل المعنى: إِنها إِذا كانت فهي حينئذ شيءٌ عظيم. [٤/ ٥٧]

و«الزَّلْزَلَة»: التحريك العنيف[٤]، وذلك مع نفخة الفزع، ومع نفخة الصَّعْق

(١) في نجيبويه والمطبوع ولالاليه: «منها مكي ومنها مدني»، وسقط ذكر «مكي» من نور العثمانية.
(٢) في لالاليه والإماراتية والحمزوية ونور العثمانية: «ابعث».
(٣) أخرجه عبد الرزاق (٣/ ٣٢) والطبري (١٨/ ٥٦١) وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٧٣٥٤ ـ بلبان) من طريق معمر، عن قتادة، وأبان، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وأخرجه البخاري (٦٥٣٠) ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد مرفوعاً بنحوه.
(٤) في نجيبويه والمطبوع: «العظيم».

حسبما تضمن حديث أبي هريرة من ثلاث نفخات[١]، ومن لفظة الزلزلة قول الشاعر:

يَعْرِفُ الْجَاهِلُ الْمُضَلَّلُ أَنَّ الدَّهْـ ـرَ فِيهِ النَّكْـرَاءُ وَالزَّلْـزَالُ[٢] [الخفيف]

فيحتمل أن تكون الزَّلْزلة في الآية عبارة عن أهوال يوم القيامة، كما قال: ﴿مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وكما قال ﷺ: «اللهُمَّ اهزمهم وزلزلهم»[٣].

والجمهور على أن زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ هي كالمعهودة في الدنيا إِلَّا أَنها في غاية الشِّدَّة.

واختلف المفسرون في الزلزلة المذكورة، هل هي في الدنيا على القوم الذين تقوم عليهم القيامة، أَم هي في يوم القيامة على جميع العالم؟

فقال الجمهور: هي في الدنيا، والضمير في ﴿تَرَوۡنَهَا﴾ عائد على «الزَّلْزلة»، وقوَّى قولهم أَن الرضاع والحمْل إِنما هو في الدنيا، وقالت فرقة: الزَّلْزَلة في يوم القيامة، واحتجت بحديث أَنس المذكور آنفاً؛ إِذْ قرأَ رسول الله ﷺ الآية ثم قال: «إِنه اليوم الذي يقول الله تعالى فيه لآدم: أَخْرج بعث النار».

قال القاضي أَبو محمد: وهذا الحديث لا حُجَّة فيه؛ لأَنه يحتمل أَن النبي ﷺ قرأَ الآية المُتَضَمِّنَة ابتداءَ أَمر السَّاعة ثم قصد في تذكيره وتخويفه إِلى فصل من فصول يوم القيامة فنص ذكره، وهذا من الفصاحة، والضمير عند هذه الفرقة عائد على الساعة؛ أَي: يوم يرون ابتداءها في الدنيا، فيصح لهم بهذا التأْويل أَن لا يلزمهم وجود الرضاع والحمل

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ١٢٢) من طريق يزيد بن فلان، عن رجل من الأنصار، عن محمد ابن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به. وهذا إسناد ضعيف لإبهام راويين فيه، والثابت عن أبي هريرة، رضي الله عنه، ورود نفختين اثنتين فقط، كما هو عند البخاري (٣٢٣٣) ومسلم (٢٣٧٣).

(٢) البيت لأبي زبيد الطائي كما في الأغاني (٥/ ١٤٦)، وطبقات فحول الشعراء (٢/ ٦٠٥)، ومعجم الأدباء (٣/ ٢٢١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧٧٥) ومسلم (١٧٤٢) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه مرفوعاً به.

في يوم القيامة، ولو أَعادوه على الزَّلْزلة فسد قولهم بما يلزمهم، على أَن النَّـقَّاش ذكر أَن المراد بـ ﴿ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ ﴾ من مات من الإِناث ولدُها في جوفها.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيف.

و«الذُّهُولُ»: الغفلة عن الشيءِ بطريان[1] ما يشغل عنه من همٍّ أَو وجع أَو غيره.

قال ابن زيد: المعنى: تترك ولدها للكرب الذي نزل بها[2].

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (تُذْهِلُ) بضم التاءِ وكسر الهاءِ ونصب (كُلَّ) [3].

وأَلحق الهاء في ﴿مُرْضِعَةٍ﴾؛ لأَنه أَراد فاعلات ذلك في ذلك اليوم فأَجراه على الفعل، وأَمَّا إِذا أَخبرتَ عن المرأَة بأَن لها طفلاً ترضعه فإِنما تقول: مُرْضِعٌ، مثل حَامِل.

قال عليُّ بن سليمان: هذه الهاءُ في ﴿مُرْضِعَةٍ﴾ تردُّ على الكوفيِّين قولهم: إِن الهاءَ لا تكون فيما لا تلبُّس له بالرجال[4]، وحكى الطبري أَن بعض نحويِّي الكوفة قال: أُمُّ الصبيِّ مرضعةٌ[5]، والمُسْتأْجَرة له: مرضع.

و«الْحَمْلُ» بفتح الحاءِ: ما كان في بطنٍ أَو على رأْسِ شجرة.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ﴾ تشبيه لهم، أَي: من الـهَمِّ، ثم نفى عنهم السُّكْر الحقيقي الذي هو من الخمر، قاله الحسن وغيره[6].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿سُكَـٰرَىٰ﴾ بضم السِّين وثبوت الأَلف، وكذلك في الثاني، وهذا هو الباب، فمرَّةً جعله سيبويه جمعاً، ومرَّةً جعله اسم جمع[7].

---

(١) في المطبوع: «بطُروء»، وأشار في الحاشية للنسخة المثبتة.
(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٥٦٤).
(٣) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٤).
(٤) هو الأخفش، انظر قوله في معاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٥٠).
(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٦٣).
(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٦٥) وتفسير الثعلبي (٧/ ٦) ففيهما عن الحسن: من الخوف.
(٧) انظر كلامه عليه في الكتاب لسيبويه (٣/ ٦٤٥)، وهذه قراءة الجمهور، والسبعة عدا الأخوين.

وقرأ أبو هريرة بفتح السِّين فيهما، وهذا أيضاً قد يجيءُ في هذه الجموع، قال أبو الفتح: هو تكسير[١]، وقال أبو حاتم: هي لغة تميم.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿سَكْرَى﴾ في الموضعين، ورواه عمران بن حُصين، وأبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ[٢]، وهي قراءة ابن مسعود، وحذيفة، وأصحاب عبد الله[٣].

قال سيبويه: وقوم يقولون: (سَكْرَى)، جعلوه مثل مَرْضَى لأنهما شيئان يدخلان على الإنسان، ثم جعلوا رَوْبَى مثل سَكْرَى وهم المستثقلون نوماً من شرب الرائب[٤].

وقال أبو علي: ويصح أن يكون (سكْرَى) جمع سَكِرٍ كَزَمِنٍ وَزَمْنَى[٥].

وقد حكى سيبويه: رجل سَكِرٌ بمعنى سكران، فيجيءُ (سَكْرَى) حينئذٍ لتأْنيث الجمع، كما العلامة في طائفة لتأْنيث الجمع[٦].

وقرأ سعيد بن جبير: (وَتَـرَى النَّاسَ سَكْرَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى) بالضم والألف[٧].

وحكى المهدوي عن الحسن أنه قرأ: (وَتَـرَى النَّاسَ سَكْرَى ومَا هُمْ بِسَكْرَى).

---

(١) المحتسب (٢/ ٧١)، وهي شاذة، عزاها له في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٦٠)، وقول أبي حاتم في البحر المحيط (٧/ ٤٨٢).

(٢) أولاً: حديث عمران بن حصين رضي الله عنه ضعيف جدّاً، أخرجه البزار في مسنده (٥/ ٣٥٥٠) من طريق الحكم بن عبد الملك، عن قتادة، عن الحسن، عن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً به، قال البزار: وهذا الكلام لا نعلمه يروى إلا عن عمران بن حصين لا نعلمه رواه عن النبي ﷺ غيره، ولا نعلم له طريقاً عنه غير هذا الطريق، اختصره الحكم بن عبد الملك، وذكر القراءة فيه فصار حديثاً برأسه، والحكم ليس بالقوي إلا أنه قد حدث عنه غير واحد. وهذا إسناد ضعيف جداً، الحكم بن عبد الملك: متروك الحديث، انظر: تهذيب الكمال (٧/ ١١٠)، ثانياً: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أخرجه البخاري (٦١٦٥) مرفوعاً، به.

(٣) وهي سبعية كالأولى انظر: التيسير (ص: ١٥٦)، وانظر للباقين: البحر المحيط (٧/ ٤٨٢).

(٤) الكتاب لسيبويه (٣/ ٦٤٩).

(٥) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٢٦٧).

(٦) الكتاب لسيبويه (٣/ ٦٤٦).

(٧) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٤).

وقرأَ الحسن، والأَعرج، وأَبو زُرْعة بن عمرو بن جرير في الموضعين: (سُكْرَى) بضم السين، قال أَبو الفتح: هو اسم مفرد كالبُشْرى، وبهذا أَفتاني أَبو علي وقد سأَلته عن هذا[١].

وقرأَ أَبو زُرْعَة بن عمرو بن جرير، وأَبو هريرة، وأَبو نُهَيْك: (وَتُـرَى) بضم التاء، (النَّاسَ) بالنصب، قال: وإِنَّما هي بحَسَبِه[٢].

ورويت هذه القراءة: (وتُرى الناسُ) بضم التاءِ والسين، أَي: تُرى جماعة الناس[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية؛ قال ابن جريج: نزلت في النضر بن الحارث، وأُبيِّ بن خلف، وقيل: في أَبي جهل بن هشام[٤]، ثم هي بَعْدُ تتناول كلَّ من يتصف بهذه الصفة.

و«المُجَادَلَةُ»: المُحَاجَّة، والمرادَّة[٥]، مأْخوذة من الجَدْل وهو الفَتْل، والمعنى: يجادل[٦]

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهم مع التوجيه في: المحتسب (٢/ ٧١)، وانظر: التحصيل للمهدوي (٤/ ٤٣٧).
(٢) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٧٣)، وانظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٦٥).
(٣) وهي شاذة، عزاها في الشواذ للكرماني، (ص: ٣٢٤) لحميد.
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٦٦) من قول ابن جريج قال: النضر بن الحارث، وانظر: معاني القرآن النحاس (٤/ ٣٧٥)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٩)، وتفسير السمعاني (٤/ ٢٣٥).
(٥) المثبت من الأصل ونجيبويه والمطبوع، وفي غيرهما: «والمرادة».
(٦) من المطبوع.

في قدرة الله تعالى وصفاته، وكان سبب الآية كلامُ من ذُكر وغيرهم في أَن الله تعالى لا يبعث الموتى، ولا يقيم الأَجساد من القبور.

و«الشَّيْطَانُ» هنا: هو مُغْويهم من الجن، ويحتمل أَن يكون الشيطان من الإِنس، والإنحاءُ على مُتَّبعيه، والْمَرِيدُ: المتجرِّد من الخير إِلى الشَّرِّ، ومنه الأَمرد، وشجرةٌ مرداءُ: أَي عارية من الورق، وصَرْحٌ مُمَرَّد: أَي مُمَلَّسٌ من زجاج، وصخرةٌ مرداءُ: أَي ملساءُ.

والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ عائد على الشَّيْطَان، قاله قتادة[١]، ويحتمل أَن يعود على المُجَادل.

و﴿أَنَّهُۥ﴾ في موضع رفع / على المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله، و﴿أَنَّهُۥ﴾ الثانية [٤/ ٥٨] عطف على الأُولى مؤكدة مثلها، وقيل: هي مكررة للتأْكيد فقط، وهذا[٢] معترض بأَن الشيءَ لا يؤكد إِلَّا بعد تمامه، وتمام «أن» الأُولى إِنما هو بصلتها في قوله: ﴿ٱلسَّعِيرِ﴾، وكذلك لا يُعطف عليه، ولسيبويه في مثل هذا أَنه بدلٌ.

وقيل: ﴿أَنَّهُۥ﴾ الثانية[٣] خبر ابتداء محذوف؛ تقديره: فشأْنه أَنه يضله.

وقدره أَبو علي: فَلَه أَن يُضِلَّه[٤].

قال القاضي أَبو محمد: ويظهر لي أَن الضمير في ﴿أَنَّهُۥ﴾ الأُولى للشيطان، وفي الثانية لـ ﴿مَن﴾ الذي هو المتولي.

وقوله: ﴿وَيَهۡدِيهِ﴾ بمعنى: يدلُّه على طريق ذلك، وليست بمعنى الإِرشاد على الإِطلاق.

وقرأَ أَبو عمرو: (إِنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ) بالكسر فيهما[٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٦٦).

(٢) في نجيبويه والمطبوع: «وهو».

(٣) من المطبوع ونور العثمانية ولالاليه.

(٤) انظر: الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٣/ ٤٠٣).

(٥) وهي شاذة، وهي رواية الحسين وهارون عنه كما في: الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٤).

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ ﴾ الآية؛ هذا احتجاجٌ على العالم بالبداءة الأُولى، وضرَبَ الله تعالى في هذه الآية مثلين، إِذا اعتبرهما الناظر جوَّز في العقل البعثة من القبور، ثم ورد خبر الشرع بوجوب ذلك ووقوعه.

و«الرَّيْبُ»: الشَّك، وقوله: ﴿إِن كُنتُمۡ﴾ شرط مضمنه التوقيف.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (البعَث) بفتح العين[١]، وهي لغة في البَعْث عند البصريين، وهي عند الكوفيين تخفيف بَعث[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾ يريد آدم، ثم سلَّط الفعل عليهم من حيث هم ذريته.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ يريد المنيَّ الذي يكون من البشر، والنُّطفة تقع على قليل الماءِ وكثيره، وقال النَّـقَّاش: المراد نطفة آدم[٣].

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ﴾ يريد من الدَّم الذي تعود النُّطفة إِليه في الرَّحِم، أَو المقارن للنطفة، والْعَلَقُ: الدَّم العبيط، وقيل: العَلَق: الشديد الحمرة، فسمي الدَّم لذلك، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ﴾ يريد بضعة[٤] لحم على قدر ما يُمضغ.

وقوله تعالى: ﴿مُّخَلَّقَةٖ﴾ معناه: مُتَمَّمَة الْبِنْيَة، ﴿وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ﴾: غير مُتَمَّمة، أَي التي تسقط، قاله مجاهد، وقتادة، والشعبي، وأَبو العالية[٥]، فاللفظة بناءُ مبالغة من خَلَق، ولمَّا كان الإِنسان فيه أَعضاءٌ متباينة وكل واحد منها مختص بخَلْق؛ حَسُنَ في جملته تضعيف الفعل؛ لأَن فيه خَلْقاً كثيرا.

---

(١) وهي شاذة، نسبها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٤).

(٢) انظر القولين في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤١١).

(٣) نقله عنه في البحر المحيط (٧/ ٤٨٤).

(٤) في نجيبويه والإماراتية ونور العثمانية ولالاليه: «مضغة».

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٦٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٧٧)، وتفسير الماوردي (٤/ ٧).

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (مُخَلَّـقَةً) بالنصب و(غَيْرَ) بالنصب في الراءِ[١].

ويتصل بهذا الموضع من الفقه: أَن العلماءَ اختلفوا في أُمِّ الولد إِذا أَسقطت بِضْعَة لم تُصَوَّر، هل تكون أُمَّ ولد بذلك؟

فقال مالك، والأَوزاعي، وغيرهما: هي أُمُّ ولد بالمضغة إِذا علم أَنها مضغة الولد[٢].

وقال الشافعي، وأَبو حنيفة: لا[٣] حتى يتبيَّن فيه خلق ولو عضو واحد[٤].

وقوله تعالى: ﴿لِّنُبَيِّنَ﴾، قالت فرقة: معناه: لنبين أَمر البعث، فهو اعتراض بين الكلامين.

وقرأَت هذه الفرقة بالرَّفع في ﴿وَنُقِرُّ﴾، والمعنى: ونحن نُقِرُّ، وهي قراءة الجمهور.

وقالت فرقة: ﴿لِّنُبَيِّنَ﴾ معناه: تكون المضغة غير مُخَلَّـقَة، وطرح النِّساء إِيَّاها كذلك نُبَـيِّن للناس أَن المناقل في الرَّحِم هي هكذا، وقرأَت هذه الفرقة: (وَنُقِرَّ) بالنصب، وكذلك قرأَت: (نُخْرِجَكُمْ) بالنصب، وهي رواية المفضل عن عاصم.

وحكى أَبو عمرو الداني أَن رواية المفضل هذه هي بالياءِ في (يُقِرُّ)، وفي (يخرجكم)[٥].

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في: الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٥).

(٢) انظر قول مالك والأوزاعي في: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ٤٤٤).

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) انظر قول أبي حنيفة في: بدائع الصنائع (٤/ ١٢٤)، وانظر قول الشافعي في: الحاوي للماوردي (١١/ ١٩٦-١٩٧، ١٢/ ٣٨٥).

(٥) وهما شاذتان، عـزا الأولى له الداني في جامـع البيـان (٣/ ١٣٧٦)، ومثله في الكامـل للهذلـي (ص: ٦٠٣)، قال: وبالياء فيهما مع النصب أبو حاتم عن المفضل، ولم أجدها للداني.

والرفع على هذا التأْويل سائغ[١]، ولا يجوز النصب على التأْويل الأَول.

وقرأَ ابن وثاب: (مَا نِشَاءُ) بكسر النون[٢].

و«الأَجَلُ المُسَمَّى»: هو مختلف بحسب جنينٍ جنينٍ، فَثَمَّ من يسقط، وثَمَّ من يَكْمُل أَمْرُه ويخرج حيّاً.

[وقوله تعالى: ﴿طِفۡلٗا﴾ اسم الجنس؛ أي أطفالا][٣].

واختلف الناس في الأَشُدِّ: من ثمانية عشر، إِلى ثلاثين، إِلى اثنين وثلاثين، إِلى ستة وثلاثين، إِلى أَربعين، إِلى خمسة وأَربعين، واللَّفظة تُقال باشتراك، فأَشُدُّ الإِنسان على العموم غير أَشُدِّ اليتيم الذي هو الاحتلام. والأَشُدُّ في الآية يحتمل المعنيين.

و«الرَّدُّ إِلى أَرذل العمر»: هو حصول الإِنسان في زمانةٍ واختلال قوة حتى لا يقدر على إِقامة الطاعات، واختلال عقل حتى لا يقدر على إِقامة ما يلزمه من المعتقدات، وهذا أَبداً يلحق مع الكبر، وقد يكون أَرْذَل الْعُمُرِ في قليل من السن بحسب شخص ما لحقته زمانة.

وقد ذُكِرَ عن علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: أَن أَرذل العمر خمس وسبعون سنة[٤]، وهذا فيه نظر، وإِن صحَّ عن علي رضي الله عنه فلا يتوجه إِلَّا أَن يريد: على الأَكثر، فقد نرى كثيراً أَبناءَ ثمانين سنة ليسوا في أَرذل العمر.

وقرأَ الجمهور: ﴿ٱلۡعُمُرِ﴾ مشبعة، وقرأَ نافع: (الْعُمْرِ) مخففة الميم، واختلف عنه[٥].

---

(١) في المطبوع: «شائع».

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: **٣٢٥**).

(٣) ليس في المطبوع.

(٤) ضعيف جدّاً، أخرجه الطبري (**١٧/ ٢٥١**) من طريق سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة، عن علي رضي الله عنه، به، وهذا إسناد ضعيف جداً، سعد بن طريف، والأصبغ بن نباتة، متروكا الحديث، وقد اتهما بالكذب.

(٥) وهي شاذة، نسبها له الكرماني في الشواذ (ص: **٣٢٥**).

وقوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ﴾ أَي: لينسى معارفه وعِلْمه الذي كان معه فلا يعلم من ذلك شيئاً، فهذا مثال واحد يقضي للمعتبر[١] به أَن القادر على هذه المناقل المُتْقِن لها قادرٌ على إِعادة تلك الأَجساد التي أَوجدها بهذه المناقل إِلى حالها الأُولى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝١٠﴾.

هذا هو المثال الثاني الذي يعطى للمعتبر فيه جواز بعث الأَجساد، وذلك أَن إِحياء الأَرض بعد موتها بَيِّن، وكذلك الأَجساد.

و﴿هَامِدَةً﴾ معناها: ساكنة ودارسة بالية، ومنه قيل: همد الثوبُ إِذا بلي، قال الأعشى:

قَالَتْ قُتَيْلَةُ مَا لِجِسْمِكَ شَاحِباً ... وَأَرَى ثِيَابَكَ بالياتٍ هُمَّدا[٢] [الكامل]

و«اهتِزاز الأَرض»: هو حركتها بالنبات وغير ذلك مما يعتريها بالماءِ.

و﴿وَرَبَتْ﴾ معناه: نشزت[٣] وارتفعت، ومنه الربوة؛ وهي المكان المرتفع.

وقرأَ أَبو جعفر بن القَعْقَاع: ﴿وَرَبَأَتْ﴾ بالهمز، ورويت عن أَبي عمرو، وقرأَها عبد الله بن جعفر، وخالد بن إِلياس[٤]، وهي غير وجيهة، وَوَجْهُها أَن تكون من: رَبَأْت القَوْم إِذا علوت شرفاً من الأَرض / طليعة، فكأَن الأَرض بالماءِ تتطاول وتعلو. [٤/ ٥٩]

---

(١) في المطبوع: «لِلْمُعْتَدِّ»، وفي لالاليه: «للمعنيين».
(٢) انظر نسبته له في الأمالي للقالي (١/ ٣٩)، وتفسير الطبري (١٨/ ٥٧٠)، وتفسير الماوردي (٤/ ٨).
(٣) في المطبوع: «نشرت».
(٤) وهي عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٢٥)، وانظر في عزوها لخالد بن إلياس: معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٨١) وفي المحتسب (٢/ ٧٣): أنها رويت عن أبي عمرو. وأما عبد الله بن جعفر فلم نر من ذكره.

و«الزَّوْجُ»: النوع، و«الْبَهِيجُ»: فَعِيلٌ من البهجة وهي الحُسْن، قاله قتادة وغيره[١].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إِلى كون ما تقدم ذكره، فـ﴿ذَٰلِكَ﴾ ابتداءٌ، وخبره ﴿بِأَنَّ﴾، أَي: هو بأَن الله تعالى حقٌّ مُحيٍ قادرٌ، وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ ليس بسبب لما ذُكِرَ، لكن المعنى أَن الأَمر مرتبط بعضه ببعض، أَو على تقدير: والأَمْرُ أَن الساعة.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية الإِشارة بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ إِلى القوم المتقدم ذكرهم.

وحكى النَّـقَّاش عن محمد بن كعب أَنه قال: نزلت هذه الآية في الأَخنس بن شُرَيق[٢].

وكرر هذه على جهة التوبيخ، فكأَنه يقول: فهذه الأَمثال في غاية الوضوح والبيان، ومن الناس مع ذلك مَنْ يُجادِلُ، فكأَن الواو واو الحالِ، والآية المتقدمة الواوُ فيها واو عطفت جملة الكلام على ما قبلها، والآية على معنى الإِخبار، وهي هاهنا مكررة للتوبيخ.

و﴿ثَانِيَ﴾ حالٌ من الضمير في ﴿يُجَٰدِلُ﴾، ولا يجوز أَن يكون مِنْ ﴿مِن﴾ لأَنها ابتداءٌ، والابتداءُ عمله الرفع لا النصب، وإِضافة ﴿ثَانِيَ﴾ غير مُعْتَدٍّ بها؛ لأَنها في معنى الانفصال؛ إِذْ تقديرها: ثانياً عِطْفَهُ.

وقوله: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾ عبارة عن المتكبر المُعْرِض، قاله ابن عباس وغيره[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وذلك أَن صاحب الكِبْر يرُدُّ وجهه عما يتكبَّر عنه، فهو يرَدٌّ وجهه يصعِّر خدَّه، ويولي صفحته، ويلوي عنقه، ويثني عطفه، وهذه هي عبارات المفسرين، و«العِطْفُ»: الجانب.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٧١) ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٨١).

(٢) مثله في البحر المحيط (٧/ ٤٨٧)، دون ذكر النقاش.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٥٧٣) من طريق: علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

وقرأ الحسن: (عَطْفِهِ) بفتح العين[١].

و«العطف والعِطَافُ»: السيف؛ لأَن صاحبه يَتَعَطَّفُه، أَي يصله بجنبه.

وقرأ الجمهور: ﴿لِيُضِلَّ﴾ بضم الياءِ.

وقرأ مجاهد وأَهل مكة: ﴿لِيَضِلَّ﴾ بفتح الياءِ، وكذلك قرأ أَبو عمرو[٢].

والخِزْيُ الذي تُوُعِّدَ به النضرُ بن الحارث صدق في أَسره يوم بدر، وقَتْلِهِ بالصفراء[٣].

و﴿ٱلْحَرِيقِ﴾: طبقة من طبقات جهنم.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ بمعنى: يقال له، ونسب التقديم إِلى اليدين إِذْ هُما آلة الاكتساب.

واختلف في الوقف على قوله: ﴿يَدَاكَ﴾:

فقيل: لا يجوز؛ لأَن التقدير: وبأَن الله، أَي وأَنَّ الله هو العدل فيك بجرائمك، وقيل: يجوز؛ بمعنى: والأَمْر أَن الله تعالى ليس بظَلَّامٍ.

و«الْعَبِيد»: ذُكر هنا في معنى مسكنتهم وقلَّة قدرتهم، فلذلك جاءَت هذه الصيغة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ (١١) يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ (١٢) يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ (١٣)﴾.

---

(١) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٣٢٥).

(٢) وهما سبعيتان، كما تقدم في حرف سورة إبراهيم، انظر: التيسير (ص: ١٣٤).

(٣) رواه ابن إسحاق معضلًا، انظر: سيرة ابن هشام (ص ٦٤٤)، وفي المطبوع: «صبرا»، قال في الحاشية: وفي الأصول: وقتله بالصفراء.

وهذه الآيات نزلت في أَعراب وقوم لا يقين لهم، كان أَحدهم إِذا أَسلم فاتفقت له اتفاقات[١] حسان من نُمُوِّ مالٍ وولد ذَكَرٍ يُرْزقه وغير ذلك قال: هذا دين جيِّدٌ، وتمسَّك به لهذه المعاني، وإِن كان الأَمر بخلافٍ تشاءم به وارتد كما صنع العُرَنِيُّون، وغيرهم، قال هذا المعنى ابن عباس[٢]، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم[٣].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ معناه: على انحراف منه عن العقيدة البيضاء، أَو على[٤] شَفَا منها، مُعَدٍّ للزهوق.

و«الفِتْنَةُ»: الاختبار.

وقوله تعالى: ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ عبارةٌ للمُوَلِّي عن الأُمور، وخَسَارَته الدُّنْيا وَالْآخِرَةَ؛ أَما الدنيا فبالمقادير التي جرت عليه، وأَما الْآخِرَة فبارْتداده وسوءِ معتقده.

وقرأَ مجاهد، وحميد، والأَعرج: (خَاسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ) نصباً على الحال[٥].

وقوله تعالى: ﴿مَا لَا يَضُـرُّهُۥ﴾ يريد الأَوثان، ومعنى ﴿يَدْعُواْ﴾: يعبد، ويدعو أَيضاً في مُلِمَّاتِهِ.

واختلف الناس في قوله تعالى: ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾:

فقالت فرقة من الكوفيين: اللام مُقَدَّمة على موضعها، وإِنما التقدير: يدعو من لضره[٦].

---

(١) في المطبوع: «اتصافات».
(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٥٧٥) من طريق العوفي عن ابن عباس.
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٧٦)، والهداية لمكي (٧/ ٤٨٥٢).
(٤) سقط من الأصل.
(٥) وهي شاذة، عزاها لهما في المحتسب (٢/ ٧٤)، والنشر (٢/ ٣٦٥) قال: وانفرد بها ابن مهران عن روح، وفي نجيبويه والمطبوع: «حمزة»، بدل حميد، وهو خطأ.
(٦) في أحمد٣ ونجيبويه: «لمن ضره»، وفي المطبوع: «من يضره».

ويؤيد هذا التأْويل أَن عبد الله بن مسعود قرأَ: (يَدْعُو مَنْ ضَرُّه)[١].

وقال الأَخفش: ﴿يَدْعُواْ﴾ بمعنى يقول، ومَنْ مبتدأة، و﴿ضَرُّهُۥٓ﴾ مبتدأ، و﴿أَقْرَبُ﴾ خبره، والجملة صلة، وخبر مَنْ محذوف، والتقدير: يقول: لمن ضرُّه أَقرب من نفعه إِلهٌ[٢].

وشبه هذا بقول عنترة:

يَدْعُـونَ عَنْتَـرَ وَالرِّمَـاحُ كَأَنها[٣] .... [الكامل]

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول فيه نظر، فتأَمل إِفساده للمعنى إِذْ لم يعتقد الكافر قط أَن ضرر الأَوثان أَقرب من نفعها، واعتذار أَبي عليٍّ هنا مموه، وأَيضاً فهو لا يشبه البيت الذي استشهد به.

وقيل: المعنى في ﴿يَدْعُواْ﴾ يُسَمِّي، وهذا كالقول الذي قبله إِلَّا أَن المحذوف آخراً مفعول تقديره: إِلهاً، وقال الزجاج: يجوز أَن يكون ﴿يَدْعُواْ﴾ في موضع الحال[٤] وفيه هاءٌ محذوفة، والتقدير: ذلك هو الضلال البعيد يدعو أَي: يدعوه، فيوقف على هذا.

قال أَبو علي: ويحسن أَن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ بمعنى الذي، أَي: الذي هو الضلال البعيد يدعو، أو يدعوه[٥]، فيكون قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ موصولًا بقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾، ويكون ﴿يَدْعُواْ﴾ عاملاً في قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾.

قال القاضي أَبو محمد: كون ﴿ذَٰلِكَ﴾ بمعنى الذي غير سهل، وشبهه المهدوي

---

(١) وهي شاذة، عزاها له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢١٧)، وتفسير الطبري (١٨/ ٥٧٨).

(٢) انظر كلامه على الآية مختصراً في معاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٥٠)، وفي المطبوع: «مبتدأ»، بدل مبتدأة.

(٣) عجزه: أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لِبَانِ الأَدْهَمِ، انظر نسبته له في معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٨٥)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤١٦)، والكتاب لسيبويه (٢/ ٢٤٥)، والأغاني (٩/ ٢٥٤)، والمحتسب لابن جني (١/ ١٠٨)، الأشطان: جمع شَطَن؛ وهو حبل البئر، واللَّبَان: الصدر.

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤١٥).

(٥) «أو يدعوه»: ليست في المطبوع، وانظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٢١).

بقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧][(١)].

وقد يظهر في الآية أَن يكون قوله: ﴿يَدْعُواْ﴾ متصلاً بما قبله، ويكون فيه معنى التوبيخ، كأَنه قال: يدعو من لا يضر ولا ينفع.

ثم كرَّر ﴿يَدْعُواْ﴾ ـ على جهة التوبيخ ـ غَيْرَ مُعَدًّى؛ إِذْ قد عُدِّي في أَول الكلام.

ثم ابتدأَ الإِخبار بقوله: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ واللام مُؤذنة بمجيءِ القسم، والثانية التي في ﴿لَبِئْسَ﴾ لام القسم، وإِن كان أَبو علي مال إِلى أَنها لام الابتداءِ والثانية لام اليمين.

ويظهر أَيضاً في الآية أَن يكون المراد: يَدْعُو من ضرُّه، ثم علَّق الفعل باللام، ويصحُّ أَن يقدَّر هذا الفعل من الأَفعال التي تعلَّق وهي أَفعال النفس كظننت وحسبت، وأَشار أَبو عليٍّ إِلى هذا وردَّ عليه[(٢)].

[٤/ ٦٠] و﴿ٱلْعَشِيرُ﴾: القريب المعاشر في الأمور، وذهب / الطبري إِلى أَن المراد بـ﴿ٱلْمَوْلَىٰ﴾ و﴿ٱلْعَشِيرُ﴾ هو [الإنسان الذي يعبد الله على حرف ويدعو الأصنام، والظاهر أن المراد بـ﴿ٱلْمَوْلَىٰ﴾ و﴿ٱلْعَشِيرُ﴾ هو][(٣)] الوثن الذي ضرُّه أَقرب من نفعه[(٤)]، وهو قول مجاهد. والله أَعلم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾.

---

(١) انظر: التحصيل للمهدوي (٤/ ٤٣٠-٤٣١).

(٢) لعله في بعض كتبه التي لم تطبع.

(٣) ليس في أحمد٣ ونجيبويه والمطبوع ولالاليه.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٧٨)، وانظر فيه (١٨/ ٥٧٩)، وفي الهداية لمكي (٧/ ٤٨٥٥) قول مجاهد.

لمَّا ذَكَر الله تبارك وتعالى من يعبد الله على حرف، وسفَّه رأْيهم، وتوعَّدهم بخسارة الآخرة؛ عقَّب ذلك بذكْر حالة[١] مخالفيهم من أَهل الإِيمان، وذِكْر ما وعدهم به من إِدخاله إِيَّاهم الجنة، ثم أَخذت الآية في توبيخ أُولئك الأَولين وإِسلامهم إِلى رأْيهم وإِحالتهم على ما فيه عنتهم وليس فيه راحتهم، كأَنه يقول: هؤلاءِ العابدون على حرف صحبهم القَلَق، وظنُّوا أَن الله تعالى لن ينصر محمداً وأَتباعه، ونحن إِنما أَمرناهم بالصبر وانتظار وعدنا، فمن ظنَّ غير ذلك فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ، وليختنق، وينظر هل يذهب بذلك غيظه؟ قال هذا المعنى قتادة[٢].

وهو على جهة المثل السائر، قولهم: دونك الحبل فاختنق، يقال ذلك للذي يريد من الأَمر ما لا يمكنه.

و«السَّبَبُ»: الحبل، والنَّصْرُ معروف، إِلَّا أَنَّ أَبا عبيدة ذهب به إِلى معنى الرِّزْق، كما قالوا: أَرْض منصورة أَي ممطورة[٣]، وكما قال الشاعر:

وَإِنَّـكَ لَا تُعْطِـي امْـرَءاً فَـوْقَ حَقِّـه ... وَلَا تَمْلِكُ الشِّقَّ الَّذِي الْغَيْثُ نَاصِرُه[٤] [الطويل]

وقال: وقف بنا سائل من بني أَبي بكر فقال: من ينصرني ينصره الله[٥].

و«السَّمَاءُ» على هذه الأَقوال: الهواءُ عُلُوّاً، فكأَنه أَراد: سقْفاً أَو شجرةً أَو نحوه.

وقال ابن زيد: السماءُ هي المعروفة[٦]. وذهب إِلى معنى آخر، كأَنه قيل[٧]

(١) ليست في الأصل.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٠) والهداية لمكي (٧/ ٤٨٥٧).

(٣) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٩١) ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٨٨).

(٤) عزاه في تفسير الطبري (١٨/ ٥٨١)، للْفَقْعَسي، وسماه في أمالي المرتضي (٣/ ١٠٢) ضرس ابن ربعي ابن أبي الفقعسي، وفي ربيع الأبرار (٥/ ٣٣٩) لإبراهيم بن متمم بن نويرة، وفي معجم الشعراء (ص: ٤٩٧) لأبي عمران الضرير يحيى بن سعيد مولى آل طلحة.

(٥) تقدم ذكر ذلك في تفسير الآية ٥٠ من سورة يوسف.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٠)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٢)، والهداية لمكي (٧/ ٤٨٥٧)، وفي نور العثمانية والحمزوية: «المرفوعة».

(٧) في نجيبويه والمطبوع: «قال».

لمن يظن أَن الله لا ينصر محمداً: إِنْ كنتَ تظن ذلك فامدد سبباً إِلى السماء واقطعه إِن كنت تقدر على ذلك، فإِن عجزت فكذلك لا تقدر على قطع سبب محمد ﷺ [من السماء](١)؛ إِذْ نصرته من هنالك، والوحي الذي يأْتيه.

قال القاضي أَبو محمد: و«الْقَطْعُ» على هذا التأْويل ليس بالاختناق، بل هو جَزْم السبب.

وفي مصحف ابن مسعود: (ثُمَّ لْيَـقْطَعْهُ) بِهَاء(٢).

والجمهور على أَن القطع هنا هو الاختناق.

وقال الخليل: وَقَطَعَ الرَّجُلُ: إِذا اختنق بحبل أَو نحوه. ثم ذكر الآية(٣).

وتحتمل الآية معنى آخر؛ وهو أَن يراد به الكفار وكل من يغتاظ بأَن ينصره الله ويطمع أَن لَّا يُنْصَر، قيل له: من ظنَّ أَن هذا لا يُنْصر فليمت كمداً، هو منصور لا محالة، فليختنق هذا الظَّانُّ غيظاً وكمداً، ويؤيد هذا أَن الطبري والنقاش قالا: ويقال: نزلت في نفر من بني أَسد وغَطَفَان قالوا: نخاف أَن يُنصر محمد فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من يهود من المنافع(٤).

والمعنى الأَول الذي قيل للعابدين على حرف ليس بهذا، ولكنه بمعنى: مَنْ قَلِقَ واستبطأَ النصر وظن أَن محمداً لا يُنصر فليختنق سفاهةً؛ إِذْ تعدَّى الأَمر الذي حُدَّ له في الصبر وانتظار صنع الله.

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢١٨)، وكتبت في المطبوع: (ثم ليقطع بها) على أن الهاء ضمير مؤنث من تمام القراءة، وهذا تصحيف غريب.

(٣) العين (١/ ١٣٧).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٣).

وقال مجاهد: الضمير في ﴿يَنصُرَهُ﴾ عائد على ﴿مَن﴾، والمعنى: من كان من القلقين من المؤمنين[١].

قال القاضي أَبو محمد: والضمير في التأْويل الذي ذكرناه في أَن يُراد الكفار لا يعود إِلَّا على النبي ﷺ فقط.

وقالت فرقة: الضمير عائد على الدِّين والقرآن.

وقرأَ أَبو عمرو، وابن عامر: ﴿لِيَقْطَعْ فَلِيَنْظُرْ﴾ بكسر اللام فيهما على الأَصل، وهي قراءة الجمهور، وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي بسكون اللام فيهما وفي لام الأَمر في كل القرآن مع الواو والفاءِ وثُمَّ، واختُلف عن نافع، وهي قراءة الحسن، وأَبي عمرو، وعيسى[٢].

قال القاضي أَبو محمد: أَما الواو والفاءُ إِذا دخلا[٣] على لام الأَمر فحكى سيبويه أَنهم يرونها كأَنها من الكلمة فسكون اللام تخفيف، وهو أَفصح من تحريكها، وأَمَّا ثُمَّ فهي كلمة مستقلَّة فالوجه تحريك اللام بعدها.

قال القاضي أَبو محمد: وقد رأَى بعض النحويين الميم من «ثُمَّ» بمنزلة الواو والفاء.

وقوله تعالى: ﴿مَا يَغِيظُ﴾ يحتمل أَن تكون ﴿مَا﴾ بمعنى الذي، وفي ﴿يَغِيظُ﴾ عائد عليها، ويحتمل أَن تكون مصدرية حرفاً فلا عائد عليها، والكَيْدُ: هو مده السبب.

وأَبْيَن وجوه هذه الآية أَن تكون مثلاً، ويكون النصر المعروف، والقطعُ الاختناقُ، والسماءُ الارتفاعُ في الهواءِ بسقف أَو شجر أَو نحوه فتأَمَّله.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ إِلى ﴿شَهِيدٌ﴾، المعنى: وكما وعدنا بالنصر وأَمَرْنَا بالصبر كذلك أَنزلنا القرآن آية بيِّنةً لمن نظر واهتدى، لا ليُقترح معها ويُستعجل

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٢).

(٢) وهما في (فليقطع) سبعيتان، والكسر لورش وأبي عمرو وابن عامر، كما في التيسير (ص: ١٥٦).

(٣) في أحمد٣: «دخلتا»، وفي نجيبويه والمطبوع ونور العثمانية: «دخلت».

القَدَر، وقال الطبري: المعنى: وكما بيَّنْتُ حُجَّتي على من جَحَدَ قُدرتي على إِحياء الموتى كذلك أَنزلناه[١]، والضمير في ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ عائد على القرآن، وجاءت هذه الضمائر هكذا وإِنْ لم يتقدَّم لها[٢] ذكر لشُهْرة المشار إِليه نحو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] وغيره.

وقوله: ﴿وَأَنَّ﴾ في موضع خبر الابتداء، والتقدير: والأَمر أَن الله يهدي من يريد، وهداية الله تعالى هي خلْقُه الرَّشاد والإِيمان في نفس الإِنسان.

ثم أَخبر الله تعالى عن فعله بالفِرَق المذكورين، وهم المؤمنون بمحمد عليه السلام وغيره، واليهود، والصابئون وهم قوم يعبدون الملائكة ويستقبلون القِبْلَة ويوحدون الله ويقرؤون الزبور، قاله قتادة[٣]، والنصارى، والمجوس وهُمْ عَبَدَةُ النار والشمس والقمر، والمشركون وهم عَبَدَة الأَوثان. قال قتادة: الأَديان ستَّة، خمسة للشيطان وواحد للرَّحمن[٤].

وخبر ﴿إِنَّ﴾: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾، ثم دخلت ﴿إِنَّ﴾ على الخبر مؤكدة، وحَسُن ذلك لطول الكلام، فهي وما بعدها خبر ﴿إِنَّ﴾ الأُولى،

[٤/ ٦١] / وقرن الزجاج هذه الآية بقول الشاعر:

[البسيط] إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنَّ اللهَ سَرْبَلَهُ ... سِرْبَالَ مُلْكٍ بِهِ تُرْجَى الخَوَاتِيمُ[٥]

نقله الطبري[٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٤).

(٢) من نجيبويه والمطبوع.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٤)، إلا أن لفظة «يوحدون الله» ليست فيه.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٥).

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤١٧ و٤١٨) والبيت لجرير، كما تقدم في تفسير الآية ١٨ من سورة الكهف.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٥).

وليس هذا البيت كالآية؛ لأَن الخبر في البيت قوله: به تُرْجى الخواتيم، وإِن الثانية وجملتها معترضة بين الكلامين، ثُمَّ تمَّ الكلام في قوله تعالى: ﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، واستأْنف الخبر عن أَن اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ عالم[١] به، وهذا خبر مناسب[٢] للفصل بين الفِرَق، وفَصلُ الله تعالى بين هذه الفِرَق هو بإِدخال المؤمنين الجنة والكافرين النار.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنبيهٌ، من رؤْية القلب، وهذه آية إِعلام بتسليم المخلوقات جميعها لله وخضوعها، وذكر في الآية كلّ ما عَبَدَ الناس؛ إِذْ في المخلوقات أَعظمُ ممَّا ذكر كالرياح والبحار والهواءِ، فـ﴿مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾: الملائكة، و﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من عُبِد من البشر.

﴿وَٱلشَّمْسُ﴾ كانت تعبدها حمير، وهم قوم بلقيس، ﴿وَٱلْقَمَرُ﴾ كانت كنانة تعبده، قاله[٣] ابن عباس[٤]، وكانت تميم تعبد الدَّبران، وكانت لَخْم تعبد المشتري، وكانت طيء تعبد الثُّرَيَّا، وكانت قريش تعبد الشِّعرى، وكانت أَسد تعبد عُطارد، وكانت ربيعة تعبد المِرْزَم[٥].

---

(١) في نجيبويه والمطبوع: «وعالم».
(٢) في الأصل: «مستأنف»، وفي لالاليه: «متناسب».
(٣) في المطبوع: «قال»، على أن محكي القول ما بعده لا ما قبله.
(٤) لم أقف عليه.
(٥) المِرْزم: كوكب نيِّر، وهو الشعرى.

﴿وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ﴾ منها النار، وأَصنام الحجارة، والخشب. ﴿وَٱلدَّوَآبُّ﴾ منها البقر، وغير ذلك ممَّا عُبد من الحيوان كالديك ونحوه.

و«السُّجُودُ» في هذه الآية: هو بالخضوع والانقياد للأَمر، وهذا كما قال الشاعر:

[الطويل] .... تَرَى الأُكْمَ فِيهَا سُجَّداً لِلْحَوَافِرِ[١]

وهذا مما يتعذر فيه السجود المتعارف، قال مجاهد: سجود هذه الأَشياءِ هو بظلالها[٢].

وقال بعضهم: سجودها هو بظهور الصنعة فيها.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا وهم، وإِنما خلط هذه الآية بآية التسبيح، وهنالك يحتمل أَن يقال: هي بآثار الصنعة.

وقوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ يحتمل أَن يكون معطوفاً على ما تقدَّم، أَي: وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ يسجد[٣]، أَي كراهيةً وعلى رَغْمِه، إِمَّا بِظِلِّه وإِمَّا بخضوعه عند المكاره ونحو ذلك، قاله مجاهد[٤]، وقال: سجوده بظلِّه.

ويحتمل أَن يكون رفعاً بالابتداءِ مقطوعاً ممَّا قبله، وكأَن الجملة معادلةٌ لقوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ لأَن المعنى: أَنهم مرحومون بسجودهم، ويؤيد هذا قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ الآية.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿مِن مُّكۡرِمٍ﴾ بكسر الراءِ.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: بفتح الراءِ، على معنى: من موضع، أَو على أَنه مصدر كمدخل[٥].

---

(١) صدره: بِجَمْعٍ تَضِلُّ الْبُلْقُ فِي حَجَرَاتِهِ، وهو لزيد الخيل، وقد تقدم الاستشهاد به في تفسير الآية **٣٣** من سورة البقرة.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٦)، وفي المطبوع: «بطلانها»، ولعله تحريف.

(٣) في المطبوع: «سجد».

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٦).

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في الكامل للهذلي (ص: **٦٠٣**)، والشواذ للكرماني (ص: **٣٢٧**).

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَٱلدَّوَآبُّ﴾ مشدَّدة الباءِ، وقرأ الزهري وحده بتخفيف الباءِ[١]. وهي قليلة ضعيفة، وهي تخفيف على غير قياس، كما قالوا: ظلْتُ وأَحَسْتُ، وكما قال علقمة:

كأَنَّ إِبْرِيْقَهُـمْ ظَبْـيٌ عَلَى شَـرَفٍ ... مُفَـدَّمٌ بِسَبَـا الْكَـتَّـانِ ملْـثُوم[٢] [البسيط]

أَراد: بِسَبَائِبِ الكتَّان، وأَنشد أَبو علي في مثله:

حَتَّـى إِذا مَـا لَمْ أَجِـدْ غَيْرَ الشَّـرِ ... كُنْتُ امْرَءاً مِنْ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ[٣] [الرجز]

وهذا بابٌ إِنما يستعمل في الشعر فلذلك ضعَّفت هذه القراءَة.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ﴾ الآية، اختلف الناسُ في المشار إِليه بقوله: ﴿هَٰذَانِ﴾: فقال قيس بن عُبَادة، وهلال بن يساف: نزلت هذه الآية في المتبارزين يوم بدر، وهم ستَّة: حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، برزوا لعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة[٤].

وروي عن علي بن أَبي طالب أَنه قال: أَنا أَول من يجثو يوم القيامة للخصومة [بين يدي الله][٥][٦]، وأَقسم أَبو ذرٍّ على هذا القول[٧].

---

(١) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٧٥).

(٢) البيت لعَلْقمة كما في المحتسب لابن جني (٢/ ٧٦)، والأغاني (١٠/ ٢٠٣)، والكامل للمبرد (٣/ ٣٢)، وسمط اللآلي (١/ ٤)، والروض الأنف (٣/ ٣٤٥)، والاختيارين للأخفش (ص/ ١٠٢)، والمحكم لابن سيده (٨/ ٤٢٣)، وسر الفصاحة (١/ ٢٥٣).

(٣) البيت في المحتسب لابن جني (٢/ ٧٦)، والأصول في النحو (٣/ ٤٤٨) وغيرهما بلا نسبة.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١٧و٣/ ١٧) أسباب النزول للواحدي (ص: ٢٠٧).

(٥) ليس في المطبوع ولالاليه.

(٦) أخرجه البخاري (٣٩٦٥).

(٧) أخرج البخاري (٣٩٦٩) (٤٧٤٣) ومسلم (٣٠٣٣) أن أبا ذر أقسم أن هذه الآية نزلت فيمن تبارزوا يوم بدر.

قال القاضي أَبو محمد: ووقع أَن الآية فيهم في «صحيح البخاري»[١].

وقال ابن عباس: الإِشارة إِلى المؤمنين وأَهل الكتاب[٢]، وذلك أَنه وقع بينهم تخاصم، فقالت اليهود: نحن أَقدم ديناً منكم ونحو هذا، فنزلت الآية. وقال عكرمة: المخاصمة بين الجنة والنار، وقال مجاهد، وعطاءُ بن أَبي رباح، والحسن بن أَبي الحسن، وعاصم، والكلبي: الإِشارة إِلى المؤمنين والكفار على العموم[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول تعضده الآية، وذلك أَنه تقدم قوله: ﴿وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، المعنى: هم مؤمنون ساجدون، ثم قال: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُ﴾، ثم أَشار إِلى هذين الصنفين بقوله: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ﴾، والمعنى: أَن الإِيمان وأَهله والكفر وأَهله خصمان مذ كانا إِلى قيام الساعة بالعداوة والجدال والحرب.

وقوله تعالى: ﴿خَصۡمَانِ﴾ يريد: طائفتين؛ لأَن لفظة خَصْمٍ هي مصدرٌ يوصف به الجمع والواحد، ويدل على أَنه أَراد الجمع قوله تعالى: ﴿ٱخۡتَصَمُواْ﴾، فإِنها قراءة الجمهور.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (اخْتَصَمَا فِي رَبِّهِم)[٤].

وقوله: ﴿فِي رَبِّهِمۡ﴾ معناه: في شأْن ربهم وصفاته وتوحيده، ويحتمل أَن يريد: في رضى ربهم، وفي ذاته.

ثم بيَّن حكم الفريقين، فتوعَّد تعالى الكفَّار بعذاب جهنم.

و﴿قُطِّعَتۡ﴾ معناه: جُعلت لهم بتقدير كما يفصل الثَّوب، ورُوِي أَنها من نحاس، وقيل: ليس شيءٌ من الحجارة والفلز[٥] أَحَرَّ منه إِذا حمي.

---

(١) هو في خبرعلي السابق، وكذا في خبر أبي ذر الذي سبقت الإحالةُ عليه.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٥٨٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٩) والنكت والعيون للماوردي (٤/ ١٣) والهداية لمكي (٧/ ٤٨٦٢).

(٤) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٣٢٦)، وعزا لأبي البرهسم: «اختصما في ربهما».

(٥) سقطت من المطبوع، وهو المهل كما في العين (٤/ ٥٧).

ورُوي في صَبِّ الحميم ـ وهو الماءُ المغلي ـ أَنه تُضرب رؤوسهم بالمقامع، فتنكشف أَدمغتهم، فيُصَبُّ الحميم حينئذ(١).

وقيل: بل يصب الحميم أَوَّلاً فيفعل ما وصف، ثم تُضرب بالمقامع بعد ذلك.

و«الْحَمِيمُ»: الماءُ المغلي.

و«يُصْهَرُ» معناه: يُذاب، وقيل: معناه: يُعصر، وهذه العبارة قلقة، وقيل: معناه: ينضج، ومنه قول الشاعر:

[السريع] .... تَصْهَـرُهُ الشَّـمْسُ وَلَا ينْصَهِرْ(٢)

وإِنما يُشْبِه فيمن قال: يعصر / أَنه أَراد أَن الحميم بحرارته يهبط ـ كُلَّما يُلْقَى ـ في الجوف ويكشطه ويَسْلِتُهُ. [٤/ ٦٢]

وقد روى أَبو هريرة نحوه عن النبي ﷺ: «أَنه يَسْلِتُهُ ويَبْلُغُ به قدميه ويديه ثم يعاد كما كان»(٣).

وقرأَ الجمهور: ﴿ يُصْهَرُ ﴾، وقرأَت فرقة: (يُصَهَّر) بفتح الصاد وشدِّ الهاءِ(٤).

و«المِقْمَعَةُ» بكسر الميم: مِقْرعة من حديد يُقْمَع بها المضروب.

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٥٩٠-٥٩٢).

(٢) صدره: تَرْوِي لَقىً أُلْقِيَ في صَفْصَفٍ، وهو لابن أحمر كما في كتاب العين (٨/ ٣١٢)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٤)، ومجاز القرآن (٢/ ٤٨)، وأساس البلاغة (١/ ٢٦٠)، وتهذيب اللغة (٥/ ١٦٥)، والصحاح للجوهري (٢/ ٢٨٠).

(٣) ضعيف، أخرجه الترمذي (٢٧٦٢) والطبري (١٨/ ٥٩٢) كلاهما من طريق عبد الله بن المبارك، عن أبي السمح، عن ابن حجيرة، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به. وأبو السمح، دراج، متفق على ضعفه.

(٤) وهي شاذة، عزاها للحسن في مختصر الشواذ (ص: ٩٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٩٧)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٢٧).

وقوله تعالى: ﴿أَرَادُوٓاْ﴾ رُوي فيه أَن لهب النار إِذا ارتفع رفعهم فيصلون إِلى أَبواب النار فيريدون الخروج فيُضربون بالمقامع وتردُّهم الزبانية.

ومِنْ في قوله: ﴿مِنۡهَا﴾ لابتداءِ الغاية، وفي قوله: ﴿مِنۡ غَمٍّ﴾ يحتمل أَن تكون لبيان الجنس، ويحتمل أَن تكون لابتداءِ غاية أيضاً، وهي بدلٌ من الأُولى.

وقوله: ﴿وَذُوقُواْ﴾ هنا حذف تقديره: ويقال لهم: ذوقوا.

و﴿ٱلۡحَرِيقِ﴾ فَعِيلٌ بمعنى مُفْعل، أَي: محرق.

وقرأَ الجمهور: ﴿هَٰذَانِ﴾ بتخفيف النون.

وقرأَ ابن كثير وحده: ﴿هَذَانِّ﴾ بتشديد النون، وقرأَها شبلٌ[١]، وهي لغة لبعض العرب في المبهمات كاللَّذان وهَذَانِ، وقد ذكر ذلك أَبو علي[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۢ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥﴾.

هذه الآية معادلةٌ لقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

وقرأَ الجمهور: ﴿يُحَلَّوۡنَ﴾ [بضم الياء وشد اللام من الحُلِي.

وقرأَ ابن عباس: (يَحْلَوْن)][٣] بفتح الياءِ واللام وتخفيفها، يقال: حَلِيَ الرجلُ وحَلِيَت المرأَةُ إِذا صارت ذات حَلْي، وقيل: هي من قولهم: لم يَحْلُ فلانٌ بطائِلٍ[٤].

---

(١) هي قراءة ابن كثير كما في التيسير (ص: ٧٢) وانظر العزو لشبل في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٦٤).
(٢) انظر الحجة للفارسي (٣/ ١٤١-١٤٢).
(٣) ساقط من المطبوع، وهي شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (٢/ ٧٧)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٢٧).
(٤) انظر هذا المثل وشرحه في الصحاح للجوهري (٦/ ٢٣١٩).

و﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ هي لبيان الجنس، ويحتمل أَن تكون للتبعيض.

و«الأَسَاوِر»: جمع سِوَارٍ وإِسْوَارٍ بكسر الهمزة، وقيل: أَساور جمع أَسْوِرَة، وأَسْورة جمع سِوَار.

وقرأَ ابن عباس: (من أَسْوِرَةٍ مِنْ ذَهَبٍ)[١].

و«اللُّؤْلُؤُ»: الجوهر، وقيل: صغاره، وقيل: كباره، والأَشهر أَنه اسمٌ للجوهر.

وقرأَ نافع، وعاصم ـ في رواية أَبي بكر ـ: ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالنصب عطفاً على موضع الأَسَاوِر؛ لأَن التقدير: يُحَلَّوْنَ فيها أَسَاوِرَ، وهي قراءَة الحسن، والجَحْدَري، وسلام، ويعقوب، والأعرج، وأَبي جعفر، وعيسى بن عمر، وحمل أَبو الفتح نصبه على إِضمار فِعْل.

وقرأَ الباقون من السبعة: ﴿ولُؤْلُؤٍ﴾ بالخفض عطفاً؛ إِمَّا على لفظ الأَسَاوِرِ، ويكون اللؤلؤ في غير الأَساور، وإِمَّا على الذَّهَب لأَن الأَساور أيضاً تكون من ذهب ولؤلؤ قد جُمِعَ بعضه إِلى بعض، ورُويت هذه القراءَة عن الحسن بن أَبي الحسن، وطلحة، وابن وثاب، والأَعمش، وأَهل مكة[٢].

وثبتت في «الإِمام» أَلف بعد الواو، قاله الجَحْدَري، وقال الأَصمعي: ليس فيها أَلف[٣].

ورَوى يحيى عن أَبي بكر، عن عاصم بهمز الواو الثانية دون الأُولى، وروى

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٧).

(٢) فهما سبعيتان، إلا أن النصب لحفص أيضا، انظر التيسير (ص: ١٥٦)، والسبعة (ص: ٤٣٥)، وانظر عزو الأولى لأكثر الباقين مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٧٧)، وفي المطبوع: «وابن عمر»، دون عيسى، وفي لالاليه: «وعمر».

(٣) انظر الخلاف في ذلك في: المقنع في رسم مصاحف الأمصار (ص: ٤٧)، وانظر معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢٠).

المعلَّى ابن منصور[١]، عن أَبي بكر، عن عاصم ضِدَّ ذلك[٢].

قال أَبو عليٍّ: فهمزهما، وتخفيفهما، وهمز إِحداهما دون الأُخرى جائز كله[٣].

وقرأَ ابن عباس: (لِئْلِئاً) بكسر اللامين[٤].

وأَخبر عنهم بلباس الحرير لأَنها من أَكمل حالات الآخرة، وقد رُوي عن النبي ﷺ أَنه قال: «مَنْ لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»[٥]، وقال ابن عباس: لا تشبه أُمور الآخرة أُمورَ الدنيا إِلَّا في الأَسماءِ فقط، وأَما الصفات فمتباينة[٦].

و﴿ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: لا إله إلا الله، وما جرى معها من ذكر الله تعالى وتسبيحه وتقديسه، وسائر كلام أَهل الجنة من محاورة وحديث طيب، فإِنها لا تسمع فيها لاغية.

و﴿صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾: هو طريق الله تعالى الذي دعا عباده إِليه، ويحتمل أَن يريد بـ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ نفس الطريق، فأَضاف إِليه على حدِّ إِضافته في قوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ﴾[الأنعام: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ﴾ الآية؛ قوله: ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ تقديره: وهم يصدُّون، وبهذا حَسُن عطف المستقبل على الماضي.

---

(١) هو المعلى بن منصور أبو يعلى الرازي، نزيل بغداد، كان ثقة صاحب سنة من كبار علماء الرأي، روى عن مالك، والليث وخلق، وتفقه على أبي يوسف، وعنه: أبو ثور، وأبو خيثمة، والبخاري في غير الصحيح، توفي سنة ٢١١هـ، تاريخ الإسلام (١٥/ ٤١١).

(٢) إبدال الأولى في التيسير (ص: ١٥٧)، وانظر الرواية الأخرى في السبعة (ص: ٤٣٥)، وجامع البيان (٣/ ١٣٧٨).

(٣) انظر الحجة للفارسي (٥/ ٢٦٨).

(٤) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٣٢٧).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٤٩٤) ومسلم (٢٠٧٣) من حديث أنس بن مالك، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٦) أخرجه ابن جرير (١/ ٣٩٢) وابن أبي حاتم (٢٦٠) من طريق أبي معاوية عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بلفظ: ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا إلا الأسماء. والإسناد لين.

وقالت طائفة: الواو زائدة، ويَصُدُّونَ خبر ﴿إِنَّ﴾، وهذا مفسد للمعنى المقصود، وإنما الخبر محذوف مقدرٌ عند قوله: ﴿وَٱلْبَادِ﴾، تقديره: خَسِرُوا أَوْ هَلكوا، وجاءَ ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ مستقبلاً إِذْ هو فعل يُديمونه، كما جاءَ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾ [الرعد: ٢٨] ونحوه.

وهذه الآية نزلت عام الحديبية حين صُدَّ رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام. وذلك أَنه لم يُعلم لهم صدٌّ قبل ذلك الجمع، إِلَّا أَن يراد: صدهم الأَفراد من الناس فقد وقع ذلك في صدر المبعث.

وقالت فرقة: المسجد الحرام أَراد به مكة كلها.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا صحيح؛ لكنه قصد بالذكر المهم المقصود من ذلك.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿سَوَاءٌ﴾ بالرفع، وهو على الابتداءِ، و﴿ٱلْعَٰكِفُ﴾ خبره، وقيل: الخبر ﴿سَوَاءٌ﴾ وهو مقدم، وهو قول أَبي علي[(١)]، والمعنى: الذي جعلناه للناس قِبْلَةً أَو مُتَعبَّداً.

وقرأَ حفص عن عاصم: ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب، وهي قراءَة الأَعمش[(٢)]، وذلك يحتمل وجهين:

أحدهما: أَن يكون مفعولاً ثانياً لـ(جَعَلَ) ويرتفع ﴿ٱلْعَٰكِفُ﴾ به لأَنه مصدر في معنى مُسْتَوٍ أُعمل عمل اسم الفاعل.

والوجه الثاني: أَن يكون حالاً من الضمير في ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾.

وقرأَت فرقة: ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب (العاكفِ) بالخفض عطفاً على (الناس)[(٣)].

---

(١) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٢٧٠).

(٢) فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٧)، والسبعة (ص: ٤٣٥)، وانظر قراءة الأعمش في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٦٦).

(٣) وهي شاذة، ذكرها بلا نسبة في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٦٦)، وقول المؤلف عطف يعني به البيان، أو هو بدل.

و«العَاكِفُ»: المقيم في البلد، و«البَادِي»: القادم عليه من غيره.

وقرأ ابن كثير في الوصل والوقف: ﴿البادي﴾ بالياءِ، ووقف أَبو عمرو بغير ياءٍ وَوَصَلَ بالياءِ، وقرأ نافع: ﴿وَٱلْبَادِ﴾ بغير ياءٍ في الوصل والوقف في رواية المسيِّبي وأَبي بكر وإِسماعيل ابني أَبي أُويس[١]، وروى ورش الوصل بالياءِ، وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بغير ياءٍ وصلاً ووقفاً، وهي في الإمام بغير ياءٍ[٢].

وأَجمع الناسُ على الاستواءِ في نفس المسجد الحرام، واختلفوا في مكة:

فذهب عمر بن الخطاب، وابن عباس، ومجاهد، وجماعة معهم إِلى أَن الأَمر / [٤/ ٦٣] كذلك في دُور مكة، وأَن القادم له النزول حيث وُجِدَ، وعلى رَبِّ المنزل أَن يُؤْويه شاءَ أَو أَبى[٣]، وقال ذلك سفيان الثوري وغيره[٤]، وكذلك كان الأَمر في الصدر الأَول.

قال ابن سابط: وكانت دورهم بغير أَبواب حتى كَثُرت السرقة، فاتخذ رجل باباً فأَنكر عليه عمر وقال: أَتغلق باباً في وجه حاج بيت الله؟ فقال: إِنما أَردت حفظ متاعهم من السرقة، فتركه فاتَّخذ الناس الأَبواب[٥].

وقال جمهور من الأُمة منهم مالك: ليست الدور كالمسجد، ولأَهلها الامتناع بها والاستبداد[٦]، وعلى هذا هو العمل اليوم.

---

(١) في المطبوع والحمزوية: «بن أبي أويس»، مع أنهما أخوان، وأبو بكر: هو عبد الحميد بن أبي أويس عبد الله الأصبحي، ابن أخت الإمام مالك، يعرف بالأعشى، ثقة، أخذ القراءة عن نافع، وعنه أخوه إسماعيل والحلواني، توفي سنة ٢٣٠هـ، غاية النهاية (١/ ٣٦٠).

(٢) والأوجه الثلاثة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٥٨)، وانظر رواية غير ورش في السبعة (ص: ٤٣٦).

(٣) انظر قول عمر وابن عباس رضي الله عنهم ومجاهد في: تفسير الطبري (١٨/ ٥٩٥-٥٩٦).

(٤) انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٢٦٩).

(٥) ضعيف، أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٩٥) عن محمد بن حميد، عن حكام، عن عمرو، عن يزيد بن أبي زياد، عن ابن سابط فذكره، ومحمد بن حميد الرازي، ويزيد بن أبي زياد كلاهما ضعيف، وعبد الرحمن بن سابط لم يسمع من عمر رضي الله عنه.

(٦) وهو قول الشافعي وأحمد في رواية، انظر المدونة (٣/ ٥٣٣)، وفتح الباري لابن حجر (٣/ ٤٥٠) والإنصاف للمرداوي (٤/ ٢٨٩).

وهذا الاختلاف[(١)] متركب على الاختلاف في مكة، هل هي عَنْوَة[(٢)]، كما روي عن مالك والأَوزاعي؟ أَو صُلْح كما روي عن الشافعي[(٣)]؟

فمن رآها صلحاً فإِن الاستواءَ في المنازل عنده بعيد، ومن رآها عَنْوة أَمكنه أَن يقول: الاستواءُ فيها قرره[(٤)] الأئمة الذين لم يُقطعوها أَحداً، وإِنما سُكْنى من سكن من قِبَل نفسه.

قال القاضي أَبو محمد: وظاهر قول النبي ﷺ: «وهل ترك لنا عَقِيلُ منزلاً»[(٥)] يقتضي أن لا استواء[(٦)]، وأَنها مُتَمَلَّكَةٌ ممنوعة على التأْويلين في قوله ﷺ؛ لَأنه تُؤُوِّل بمعنى: أَنه وَرِث جميع منازل أَبي طالب وغيره، وتُؤُوِّل بمعنى: أَنه باع منازل بني هاشم حين هاجروا، ومن الحجة لتملُّك أَهلها دورهم أَن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشترى من صفوان بن أُمية داراً للسجن بأَربعة آلاف[(٧)]، ويصح مع ذلك أَن يكون الاستواءُ في وقت الموسم للضرورة والحاجة، فيخرج الأَمر حينئذ عن الاعتبار بالعَنْوة والصلح.

---

(١) في أحمد٣: «ويتركب هذا الاختلاف»، وفي نجيبويه والإماراتية: «وهذا الخلاف».

(٢) في أحمد٣: «هل فتحت عنوة... أو صلحاً».

(٣) انظر قول مالك في: البيان والتحصيل (٣/ ٤٠٦)، وانظر قول الأوزاعي والشافعي في: الحاوي للماوردي (١٤/ ٢٢٣).

(٤) في نجيبويه والمطبوع والإماراتية: «قدَّره».

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٨٩٣) ومسلم (١٣٥١) من حديث أسامة بن زيد، رضي الله عنهما، مرفوعاً، به.

(٦) في المطبوع ونجيبويه ونور العثمانية: «يقتضي الاستواء»، وفي لالاليه والحمزوية: «يقتضي أن الاستواء».

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٠٦) عن ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عبد الرحمن بن فروخ، عن صفوان بن أمية به. وعلقه البخاري في صحيحه (٢٢٩١) بصيغة الجزم، بلفظ: واشترى نافع بن عبد الحارث داراً للسجن بمكة من صفوان بن أمية على أن عمر إن رضي فالبيع بيعه وإن لم يرض عمر فلصفوان أربع مئة دينار.

وقوله تعالى: ﴿بِإِلْحَادٍ﴾، قال أَبو عبيدة: الباءُ زائدة، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] بِـوَادٍ يَمَـانٍ يُنْبِتُ الشَّـثَّ صَدْرُهُ وَأَسْـفَلُهُ بِالْمَـرْخِ وَالشَّـبَهَانِ[١]

ومنه قول الأَعشى:

[الكامل] ضَمِنَتْ بِرِزْقِ عِيَالِنَا أَرْمَاحُنَا[٢] ....

وهذا كثير، ويجوز أَن يكون التقدير: ومَنْ يُرِدْ فيهِ الناسَ بإِلْحاد.

و«الإِلْحَادُ»: المَيْلُ، وهذا الإِلحاد والظلم يجمع جميع المعاصي من الكفر إِلى الصغائر، فَلِعِظَم حُرمة المكان توعد الله تعالى على نِيَّـة السيئة فيه، ومن نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب بذلك إِلَّا في مكة، هذا قول ابن مسعود[٣] وجماعة من الصحابة وغيرهم.

وقال ابن عباس: «الإِلْحادُ» في هذه الآية: الشِّرك[٤].

وقال أيضاً: [هو استحلال الحرام وحرمته[٥].

وقال مجاهد: هو العمل السيّئُ فيه][٦].

وقال عبد الله بن عمرو: قَوْلُ لا والله وبلى والله بمكة من الإِلْحاد[٧].

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٤٨)، والبيت للأحول اليشكري كما تقدم في تفسير الآية **٢٤** من سورة مريم.

(٢) انظر عزوه له في تفسير الثعلبي (٧/ ١٧)، وتفسير الطبري (١٨/ ٥٩٨)، وتمامه فيهما: بينَ المَرَاجِلِ والصَّرِيحِ الأَجْرَدِ، مجاز القرآن (٢/ ٤٩)، وتهذيب اللغة (٣/ ٤٧٤)، وتتمته فيهما: ملء المراجل والصريح الأجردا، وهو الصواب؛ لأن القصيدة في الديوان منصوبة.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٠١) من طريق سفيان الثوري، عن السدي ـ هو الكبير ـ، عن مرة، عن ابن مسعود، رضي الله عنه، به.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٨٠٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

(٥) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٠١) من طريق: العوفي عن ابن عباس، وحجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، وهو منقطع.

(٦) ليس في المطبوع، وانظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٠١) ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٩٤)، والهداية لمكي (٧/ ٤٨٦٩).

(٧) صحيح، أخرجه الطبري (١٨/ ٦٠٢) من طريق شعبة، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عمرو، =

وقال حبيب بن أَبي ثابت: الحكرة بمكة من الإِلْحاد بالظلم[١].

قال القاضي أَبو محمد: والعموم يأْتي على هذا كله.

وقرأَت فرقة: (ومن يَرِدْ) من الوُرُود، حكاه الفراءُ[٢]، والأَول أَبْيَن وأَعم وأَمدح للبقعة.

و﴿مَن﴾ شرط جازمة للفعل، وذلك منع من عطفها على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ والله المستعان.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾.

المعنى: واذكر إِذْ بَوَّأْنا، وبَوَّأَ: هي تعدية باءِ[٣] بالتضعيف.

و«باءَ» معناه: رَجَع، فكأَن المُبَوِّئَ يردُّ المُبَوَّأَ إِلى المكان، واستعملت اللفظة بمعنى: سَكَنَ.

ومنه قوله تعالى: ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: ٧٤]، وقال الشاعر:

[مجزوء الكامل]

كَمْ صاحبٍ لِيَ صَالِحٍ　　بَوَّأْتُهُ بِيَدَيَّ لَحْدَا[٤]

= رضي الله عنه، به، وفي المطبوع «ابن عمر».

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٠٢) والهداية لمكي (٧/ ٤٨٧٠)، وفي المطبوع: «حبيب بن أبي وثاب».

(٢) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢٣)، بلا نسبة، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٢٧) لطاوس.

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) البيت لعَمْرو بن معديكرب الزَّبيدي كما في كتاب العين (١/ ١٠٧)، والكامل للمبرد (٤/ ١٤)، والحماسة بشرح التبريزي (١/ ٥١).

واللام في قوله تعالى: ﴿لِإِبْرَٰهِيمَ﴾ قالت فرقة: هي زائدة، وقالت فرقة: ﴿بَوَّأْنَا﴾ نازلةٌ منزلة فعل يتعدَّى باللام نحو: جعلنا.

قال القاضي أَبو محمد: والأظهر أَن يكون المفعول الأَول بـ﴿بَوَّأْنَا﴾ محذوفاً تقديره: الناس أَو العالم[١].

ثم قال: ﴿لِإِبْرَٰهِيمَ﴾، بمعنى: له كانت هذه الكرامة وعلى يديه بُوِّئوا.

و﴿ٱلْبَيْتِ﴾: هو الكعبة، وكان ـ فيما رُوي ـ قد جعله الله تعالى مُتَعَبَّداً لآدم عليه السلام، ثم درس بالطُّوفان وغيره، فلمَّا جاءت مُدَّة إِبراهيم أَمره الله تعالى ببنائه، فجاءَ إِلى موضعه وجعل يطلب أَثراً، فبعث الله ريحاً فكشفت له عن أَسَاس آدم فرتب[٢] قواعده عليه.

وقوله: ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ﴾ هي مخاطبة لإِبراهيم عليه السلام في قول الجمهور حُكِيَت لنا، بمعنى قيل له: ألا يُشْرِكَ بي شيئاً.

وقرأَ عكرمة: «أن لا يُشرك بي» بالياءِ[٣] على نقل معنى القول الذي قيل له.

قال أَبو حاتم: ولا بُدَّ مِنْ نصب الكاف على هذه القراءة، بمعنى: لِئَلَّا يشرك.

قال القاضي أَبو محمد: يحتمل أَن تكون ﴿أَن﴾ في قراءة الجمهور مفسِّرة، ويحتمل أَن تكون مُخَفَّفة من الثقيلة.

وفي الآية طعن على من أَشرك من قُطَّان البيت، أَي: هذا كان الشرط على أَبِيكُمْ فَمَنْ بَعده وأَنتم، فلم تفوا بل أَشركتم.

وقالت فرقة: الخطاب من قوله: ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ﴾ لمحمد ﷺ، وأُمِر بتطهير البيت والأَذان بالحج.

---

(١) في الأصل والحمزوية: «أو العالمين».

(٢) في نجيبويه: «فرفع»، وكذا في الأصل مع الإشارة للنسخة الأخرى في الهامش.

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في مختصر الشواذ (ص: ٩٧)، وزاد أبا نهيك، ومع قول أبي حاتم في تفسير القرطبي (١٢/ ٧٣).

قال القاضي أَبو محمد: والجمهور على أن ذلك لإبراهيم، وهو الأَصحُّ.

و«تَطْهِير البَيْت»: عامٌّ في الكفر والبِدَع وجميع الأَنجاس والدماءِ وغير ذلك، والقائمون: هم المصلُّون، وذَكَر الله تعالى من أَركان الصلاة أَعظمَها وهي: القيام والرُّكوع والسُّجود.

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَأَذِّن﴾ بشد الذال.

وقرأ الحسن بن أَبي الحسن، وابن مُحَيْصن: (وَآذِنْ) بمدَّة وتخفيف الذال، وتصحَّف هذا على ابن جني؛ فإِنه حكى عنهما: (وَأَذِنَ) على أَنه فعل ماض، وأَعرب على ذلك بأَن جعله عطفاً على ﴿بَوَّأْنَا﴾[1].

ورُوي أَن إِبراهيم عليه السلام لمَّا أُمر بالأَذان بالحج قال: يا رب وإِذا ناديت فمن يسمعني؟ قيل له: نادِ يا إِبراهيم، فعليك النداءُ وعلينا البلاغ، فصعد على أَبي قُبَيْس ـ وقيل: على حجر المقام ـ ونادى: أَيُّها الناس، / إِن الله قد أَمركم بحجِّ هذا البيت [٤/ ٦٤] فحجُّوا[2]، واختلفت الروايات في أَلفاظه عليه السلام، واللازم أَن يكون فيها ذكر البيت والحج، ورُوي أَنه يوم نادى أَسمع كلَّ من يحج إِلى يوم القيامة في أَصلاب الرجال، وأَجابه كل شيءٍ في ذلك الوقت من جمادٍ وغيره: لبَّيك اللهم لبَّيك، فجرت التلبية على ذلك، قاله ابن عباس وابن جبير[3].

---

(١) وهما شاذتان، انظر الوجه الثاني في المحتسب (٢/ ٧٧)، مختصر الشواذ (ص: ٩٧)، والوجهين في الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٧).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٠٦) من طريق ابن واقد، عن أبي الزبير، عن مجاهد، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به. وأبو الزبير مدلس.

(٣) ضعيف، الأثر أخرجه الطبري (١٨/ ٦٠٦) من طريق محمد بن فضيل بن غزوان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وعطاء بن السائب، كان قد اختلط، وسماع ابن غزوان منه بعد اختلاطه، نص عليه أبو حاتم الرازي، وقال: وما روى عنه ابن فضيل ففيه غلط واضطراب، الجرح والتعديل (٦/ ٣٣٤)، وانظر قول ابن جبير في تفسير الطبري (١٨/ ٦٠٦).

وقرأ جمهور الناس: ﴿بِٱلْحَجِّ﴾ بفتح الحاءِ، وقرأ ابن أَبي إِسحاق في كل القرآن بكسرها[1].

و﴿رِجَالًا﴾ جمع راجلٍ كتاجرٍ وتِجار[2].

وقرأ عكرمة، وابن عباس، وأَبو مجلز، وجعفر بن محمد: (رُجَّالاً) بضم الراءِ وشد الجيم، ككاتب وكُتَّاب.

وقرأ عكرمة أيضاً، وابن أَبي إِسحاق: (رُجَالاً) بضم الراءِ وتخفيف الجيم، وهو قليل في أَبنية الجمع، ورُوِيَتْ عن مجاهد[3].

وقرأ مجاهد: (رُجَالَى) على وزن فُعَالَى[4]، فهو مثل: كُسَالَى.

و«الضَّامِرُ»: قالت فرقة: أَراد بها الناقة.

قال القاضي أَبو محمد: وذلك أَنه يقال: ناقة ضامر، ومنه قول الأَعشى:

[السريع] عَهْـدِي بِهَا فِي الْحَـيِّ قَدْ دُرِّعَتْ ... هَيْفَـاءَ مِثْـلَ الْمُهْـرَةِ الضَّامِـرِ[5]

فيجيءُ قوله: ﴿يَأْتِينَ﴾ مستقيماً على هذا التأْويل، وقالت فرقة: «الضَّامِرُ» كل ما اتصف بذلك من جملٍ وناقة وغير ذلك.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا هو الأَظهر، لكنه يتضمَّن معنى الجماعات أَو الرفاق، فيحسن لذلك قوله: ﴿يَأْتِينَ﴾.

---

(١) وهي شاذة في غير حرف آل عمران، انظر عزوها له في تفسير الثعلبي (٢/ ٩٤).

(٢) زاد في المطبوع: «وصاحب وصحاب»، قال في الحاشية: زيادة من القرطبي الذي نقل كلام ابن عطية منسوباً إليه هكذا.

(٣) في نجيبويه والمطبوع: «ابن مجاهد».

(٤) ثلاث قراءات شاذة، انظر عزو الأولى والثانية لأهلهما في المحتسب (٢/ ٧٨)، والثالثة فيه وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٨) لعكرمة.

(٥) انظر نسبته له في تفسير الطبري (٥/ ٤٧٧)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٤٥)، والإنصاف في مسائل الخلاف (٢/ ٧٧٨)، والأغاني (١٦/ ٣٠٣)، والمخصص لابن سيده (٥/ ٦٦).

وقرأ أَصحاب ابن مسعود: (يأْتُونَ)، وهي قراءة ابن أَبي عَبْلة، والضَّحَّاك[١].

وفي تقديم ﴿رِجَـالًا﴾ تفضيل للمُشاةِ في الحج، قال ابن عباس: ما آسى على شيءٍ فاتني إِلَّا أَن أَكون حَجَجْتُ مَاشياً، فإِني سمعت الله تعالى يقول: ﴿يَأْتُوكَ رِجَـالًا﴾[٢].

وقال ابن أَبي نجيح: حجَّ إِبراهيم وإِسماعيل مَاشِيَين[٣]، واستدل بعض العلماءِ بسقوط ذكر البحر في هذه الآية على أَن فرض الحج بالبحر ساقط.

قال القاضي أَبو محمد: قال مالك في المَوَّازِيَّة: لا أَسمع للبحر ذكراً[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا تأَنُّـس، لا أَنه يلزم من سقوط ذكر البحر سقوط الفرض، وذلك أَن مكَّة ليست في ضفة بحر فيأْتيها الناس في السُّفن، ولا بد لمن ركب البحر أَن يصير في إِتيان مكة إِمَّا راجلاً وإِمَّا على ضامر، فإِنَّما ذُكرت حالتا الوصول، وإِسقاط فرض الحج بمجرَّد[٥] البحر ليس بالكثير ولا با لقويِّ.

فأَما إِذا اقترن به عدوٌّ أَو خوف أَو هولٌ شديد أَو مرض يلحق شخصاً ما فمالك والشافعي وجمهور الناس على سقوط الوجوب في ذلك[٦] بهذه الأعذار، وأَنه ليس

---

(١) وهي شاذة، عزاها لابن مسعود في مختصر الشواذ (ص: ٩٧)، ولابن أبي عبلة في زاد المسير (٣/ ٣٣٣)، وللباقين في البحر المحيط (٧/ ٥٠٢)، ووردت بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢٤)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٦٨).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٦٠٧-٦٠٨) من طريق الحجاج بن أرطاة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، والحجاج متفق على تضعيفه، وأخرجه البيهقي في الكبرى (٤/ ٣٣١) من طريق ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وعطاء: هو ابن أبي مسلم الخراساني، قال أحمد: لم يسمع من ابن عباس شيئاً، انظر: جامع التحصيل (٥٢٢) وابن جريج لم يسمع من عطاء إنما هو كتاب نظر فيه.

(٣) هو قول مجاهد رواه عنه ابن أبي نجيح. تفسير الطبري (١٨/ ٦٠٨).

(٤) انظر قول مالك في الموازية في: النوادر (٢/ ٣٢٠).

(٥) في المطبوع زيادة: «عدم ذِكْر» قال في الحاشية زيادة للتوضيح وسلامة التعبير.

(٦) «في ذلك»: من نجيبويه وكذا المطبوع، وسقطت منه: «بهذه الأعذار».

بسبيل يُستطاع[١]، وذكر صاحب كتاب «الاستظهار» في هذا المعنى كلاماً ظاهره: أَن الوجوب لا يُسقطه شيءٌ من هذه الأَعذار[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيفٌ.

و«الفَجُّ»: الطريق الواسعة، و«العَمِيقُ» معناه: البعيد، وقال الشاعر:

[الطويل] إِذا الْخَيْلُ جاءَتْ مِنْ فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ يَمُدُّ بِهَا فِي السَّيْرِ أَشْعَثُ شَاحِبُ[٣]

و«الْمَنَافِعُ» في هذه الآية: التجارة في قول أَكثر المتأَولين، ابن عباس[٤] وغيره، وقال أَبو جعفر محمد بن علي: أَراد الأَجر ومَنافِعَ الآخرة، وقال مجاهد بعموم الوجهين[٥].

وقوله تعالى: ﴿ٱسۡمَ ٱللَّهِ﴾، يصح أَن يريد بالاسم هاهنا المُسمَّى، بمعنى: ويَذْكُرُوا اللهَ، على تجوُّز في هذه العبارة، إِلَّا أَن يقصد ذكر القلوب، ويحتمل أَن يريد بالاسم التسميات.

وذكر الله تعالى إِنما هو بذكر أَسمائه، ثم يذكر القلب السلطان والصفات، وهذا كله على أَن يكون الذِّكْر بمعنى حمده وتقديسه شكراً على نعمته في الرِّزق، ويؤيده قوله ﷺ: «إِنها أَيام أَكل وشرب وذكر الله»[٦].

وذهب قوم إِلى أَن المراد: ذكْر اسم الله تعالى على النحر والذبح، وقالوا: إِن في

---

(١) للتوسع انظر: المعونة في مذهب مالك (١/ ٣١٥-٣١٧)، الحاوي للماوردي (٤/ ٦-١٤)، والإقناع (٧٦٠-٧٦١).

(٢) لم أقف عليه فيه.

(٣) استشهد به في البحر المحيط (٧/ ٤٧٨)، والدر المصون (٨/ ٢٦٧)، وغيرهما بلا نسبة.

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٠٩) من طريق أبي حمزة، عن جابر بن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وهو تخليط، صوابه: جابر عن الحكم، وجابر، هو ابن يزيد الجعفي، والحكم هو ابن عتيبة، وأبو حمزة هو السكري، وجابر متفق على ضعفه.

(٥) انظر القولين في تفسير الطبري (١٨/ ٦٠٩) وشرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ١٨٩).

(٦) أخرجه مسلم (١١٤١) من حديث نُبَيْشَةَ الهُذَلي، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

ذكر الأَيام دليلاً على أَن الذبح في اللَّيل لا يجوز، وهو مذهب مالك وأَصحاب الرأْي[١].

وقال ابن عباس: الأَيام المعلومات هي أَيام العشر، ويوم النحر، وأَيام التشريق[٢].

وقال ابن سيرين: بل[٣] هي أَيام العشر فقط.

وقالت فرقة: بل أَيام التشريق، ذكره القتبي[٤].

وقالت فرقة فيها مالك وأَصحابه: بل الأَيام المعلومات يوم النحر، ويومان بعده، وأَيام التشريق الثلاثة، هي المعدودات، فيكون يوم النحر معلوماً لا معدوداً، واليومان بعده معلومان معدودان[٥]، والرابع معدود لا معلوم[٦].

قال القاضي أَبو محمد: وحمل هؤلاء على هذا التفصيل أَنهم أَخذوا ذكر اسم الله هنا على الذبح للأَضاحي والهَدْي وغيره، فاليوم الرابع لا يُضَحَّى فيه عند مالك وجماعة، وأَخذوا التَّعجل والتأَخُّر بالنَّفْر في الأَيام المعدودات[٧].

---

(١) انظر مذهب مالك في: الإشراف للقاضي عبد الوهاب (٢/ ٢٤٩)، أما الحنفية فما ذكره المؤلف عنهم من عدم الجواز لم أقف عليه، والذي وقفت عليه منسوباً لهم هو: القول بكراهة الذبح ليلاً مع إجزائه عندهم. انظر قولهم في: الهداية مع تكملة شرح فتح القدير (٩/ ٥١٣)، وقد قال أحمد في رواية بمثل قول مالك، انظر الرواية عن أحمد في: الإفصاح (١/ ٢٦٥).

(٢) صحيح: أخرجه ابن جرير الطبري وغيره (٤/ ٢٠٨) من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما مقتصراً على قوله «أيام التشريق».

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) انظر غريب القرآن لابن قتيبة (ص ٢٩٢)، والتمهيد لأبي عمر (١٢/ ١٣٠)، والهداية لمكي (٧/ ٤٨٧٨) ولم أقف على قول ابن سيرين.

(٥) في المطبوع: «معلومات ومعدودات».

(٦) انظر قول مالك في الإشراف للقاضي عبد الوهاب (٢/ ٢٤٩)، والتمهيد (٢٣/ ١٩٦)، وهو قول أبي حنيفة كمافي حلية العلماء (٣/ ٣٢٠)، وقول أحمد كما في المغني (١١/ ١١٣-١١٤).

(٧) وهي تطلق بإجماع العلماء على الأيام الثلاثة التي تلي يوم النحر، انظر نقل الإجماع على ذلك في: الإقناع (٢/ ٨٦٧-٨٦٨).

فتأَمل هذا يَبِن لك قصدهم، ويظهر أَن تكون المعدودات والمعلومات بمعنى، أَي تلك الأَيام الفاضلة كلها، ويبقى أَمر الذبح وأَمر الاستعجال لا يتعلق بمعدود ولا بمعلوم.

وتكون فائدة قوله: ﴿مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ و﴿مَّعۡدُودَٰتٍ﴾[١] التحريض على هذه الأيام وعلى اغتنام فضلها؛ أي: ليست كغيرها، فكأَنه قال: هي مخصوصات فَلْتُغْتَنَم.

وقوله: ﴿فَكُلُواْ﴾ نَدْبٌ، واستحبَّ أَهل العلم للرجل أَن يأْكل من هديه[٢] وأَضحيته وأن يتصدَّق[٣] بأَكثرها، مع تجويزهم الصدقة بالكلِّ، وأَكل الكل[٤].

و﴿ٱلۡبَآئِسَ﴾: الذي قد مسَّه ضُرُّ الفاقة وبؤسها، يقال: بأَس الرجل يبؤُس، وقد يستعمل فيمن نزلت به نازلة دهر وإِن لم تكن فقراً، ومنه قوله ﷺ: «لكن البائس سعد ابن خولة»[٥]، والمراد في هذه الآية: أَهل الحاجة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٢٩ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾.

---

(١) جاءت هذه اللفظة في الآية (١٨٤) من سورة البقرة.

(٢) وذلك مجمع عليه في هدي التطوع، مختلف فيه في غيره، انظر: الإقناع (٢/ ٨٦٠)، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٣٩٥).

(٣) في المطبوع: «التَّصدُّق»، مع التنبيه في الحاشية على النسخة الأخرى.

(٤) للتوسع انظر: بداية المجتهد (١/ ٤٣٨)، والمحلى (٧/ ٣٨٣)، والمغني (١١/ ١٠٨-١٠٩).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٣٣) ومسلم (١٦٢٨) من حديث سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

اختلفت القراءَة في سكون اللام من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ﴾ وفي تحريك جميع ذلك بالكسر، وفي تحريك ﴿لْيَقْضُواْ﴾ وتسكين الاثنتين، وقد / تقدم في قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ [الحج: ١٥ - مريم: ٧٥][١] توجيه جميع ذلك. [٤/ ٦٥]

و«التَّـفَثُ»: ما يفعله المُحْرِم عند حلِّه؛ من تقصير شعره، وحلقه، وإِزالة شعث، ونحوه من إِقامة الخمس من الفطرة حسب الحديث[٢]، وفي ضمن ذلك قضاءُ جميع مناسكه؛ إِذْ لا يُقضى التفَث إِلَّا بعد ذلك.

وقرأَ عاصم وحده في رواية أَبي بكر: ﴿وَلْيُوَفُّوا﴾ بفتح الواو وشدِّ الفاءِ[٣]، ووَفَّى وأَوفى لغتان مستعملتان في كتاب الله تعالى، وأَوْفَى أَكثر[٤].

و«النُّذُور»: ما معهم من هدْي وغيره، و«الطَّوافُ» المذكور في هذه الآية: هو طواف الإِفاضة الذي هو من واجبات الحج.

قال الطبري: لا خلاف بين المتأَولين في ذلك[٥]، قال مالك: هو واجب يرجع تاركه من وطنه إِلَّا أَن يطوف طواف وداع فإِنه يجزيه منه[٦].

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل بحسب الترتيب أَن تكون الإِشارة إِلى طواف الوداع؛ إِذ المستحسن أَن يكون ولا بد.

---

(١) وحاصله أنه قرأ ورش وقنبل وأبو عمرو وابن عامر ﴿ثم لِيَقضوا﴾ بكسر اللام، وابن ذكوان (وليوفوا)، و(ليطوفوا) بكسر اللام فيهما، والباقون بإسكان اللام في الأربعة، انظر: التيسير (ص: ١٥٦)، وانظر: السبعة (ص: ١٧٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٥٥٠) ومسلم (٢٥٧) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٣) انظر: التيسير (ص: ١٠٦).

(٤) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة (ص: ٤٧٥).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦١٥).

(٦) انظر: الكافي لابن عبد البر (١/ ٣٦٠-٣٦١).

وقد أَسند الطبري عن عمرو بن أَبي سلمة[١] قال: سأَلت زهيراً[٢] عن قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ فقال: هو طواف الوداع[٣]، وقاله مالك في «الموطأ»[٤].

واختلف المتأَولون في وجه صفة البيت بالعتيق:

فقال مجاهد، والحسن: «العَتيق»: القديم، يقال: سيف عتيق، وقد عَتُق الشيءُ[٥].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول يعضده النظر؛ إِذ هو أَول بيت وضع للناس، إِلَّا أَن ابن الزبير قال: سُمِّي عتيقاً لأَن الله تعالى أَعتقه من الجبابرة بمنعه إِياه منهم[٦]، ورَوَى في هذا حديثاً عن النبي ﷺ[٧]، ولا نظر مع الحديث.

---

(١) هو عمرو بن أبي سلمة التنيسي أبو حفص الهاشمي، مولاهم الدمشقي، نزيل تنيس، روى عن الأوزاعي، وزهير بن محمد التميمي، وعنه: عبد الله المسندي، والشافعي ومات قبله بزمان، ضعفه ابن معين، ووثقه جماعة، وتوفي (٢١٤هـ)، تاريخ الإسلام (١٥/ ٣٢٣).

(٢) في حاشية المطبوع: «في بعض النسخ: سألت زيداً، واخترنا ما يوافق الطبري»، وهو زهير بن محمد، التميمي، أبو المنذر الخرقي، نزل الشام ثم الحجاز، وروى عن: عبد الله بن محمد بن عقيل، وابن المنكدر، وزيد بن أسلم، وعنه ابن مهدي، والطيالسي، قال أحمد: متقارب الحديث، وعن ابن معين: ضعيف، وقال عثمان الدارمي: ثقة له أغاليط، توفي سنة (١٦٢هـ)، تاريخ الإسلام (١٠/ ١٩٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦١٦).

(٤) في المطبوع: «قال مالك»، على أن مقوله ما يأتي، وذلك خطأ، وانظر الموطأ (١/ ٣٦٩).

(٥) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٠٣)، وتفسير الطبري (١٨/ ٦١٥).

(٦) منقطع، والصحيح أنه مرسل، أخرجه عبد الرزاق (٣/ ٣٨)، ومن طريقه ابن جرير (١٨/ ٦١٤) في تفسيرهما، من طريق معمر، عن الزهري، أن ابن الزبير قال... فذكره، وهذا منقطع بين الزهري وابن الزبير، وانظر التخريج الآتي.

(٧) مرسل، أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢٠١) والترمذي (٣٤٤٢) من طريق عبد الله بن صالح، عن الليث، عن عبد الرحمن بن خالد، عن الزهري، عن محمد بن عروة بن الزبير، عن عبد الله بن الزبير، رضي الله عنه، مرفوعاً، به، وعبد الله بن صالح، هو كاتب الليث، لين الحديث، وقد خولف فيه، فرواه قتيبة بن سعيد، عن الليث، عن عقيل، عن الزهري، عن النبي ﷺ، مرسلاً به، وهذا أصح، وقال أبو حاتم الرازي ـ كما في العلل لابنه (١/ ٢٧٥): لا يحتمل أن يكون عن النبيّ ﷺ مرفوع.

وقالت فرقة: سُمِّي عتيقاً لأَنه لم يُملك موضعه قط، وقالت فرقة: سُمِّي عتيقاً لأَن الله تعالى يعتق فيه رقاب المذنبين من العذاب.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا يردُّه التصريف.

وقيل: سُمِّي عتيقاً لأَنه أُعتق من غرق الطوفان، قاله ابن جبير[١].

ويحتمل أَن يكون الْعَتِيق صفة مدح تقتضي جودة الشيء، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حَمَلْتُ على فرس عتيق[٢] الحديث، ونحوه قولهم: كلام حر وطين حر[٣].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ يحتمل أَن يكون في موضع رفع بتقدير: فَرْضُكم ذلك، أَو الواجب ذلك، ويحتمل أَن يكون في موضع نصب بتقدير: امتثلوا ذلك، ونحو هذا الإِضمار، وأَحسن الأَشياءِ مضمراً أَحسنها مُظهراً، ونحو هذه الإِشارة البليغة قول زهير:

هَـذَا وَلَيْـسَ كَمَنْ يعطـى بِخُطَّتِهِ   وَسْطَ النَّدِيِّ إِذا مَا نَاطِقٌ نَطَقَا[٤]   [البسيط]

و«الْحُرُمَاتُ» المقصودة هاهنا هي أَفعال الحج المشار إِليها في قوله: ﴿لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾، ويدخل في ذلك تعظيم المواضع، قاله ابن زيد وغيره[٥].

ووعد على تعظيمها بعد ذلك تحريضاً وتحريصاً، ثم لفظ الآية ـ بعد ذلك ـ يتناول كل حرمة لله تعالى في جميع الشرع.

---

(١) نقله عنه في الهداية (٧/ ٤٨٨١)، ومثله في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤٢٤)، بلا نسبة.

(٢) أخرجه مسلم (١٦٢٠) من قول عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، به.

(٣) «وطين حر» ليست في المطبوع.

(٤) انظر نسبته له في نقد الشعر (ص: ٢٣)، وزهر الآداب للحصري (٢/ ١٠٧)، والحماسة المغربية (١/ ١٣٢)، والعمدة لابن رشيق (٢/ ١٣٤)، وفي أحمد٣ بدل يعطى: «تعيا»، وفي نجيبويه ولالاليه: «يعنى»، وفي المطبوع ونور العثمانية: «يعيا».

(٥) تفسير الطبري (١٨/ ٦١٧) والهداية لمكي (٧/ ٤٨٨٢).

وقوله تعالى: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ﴾ ظاهره أَنها ليست للتفضيل، وإِنما هي عِدَةٌ بخير، ويحتمل أَن يجعل ﴿خَيْرٌ﴾ للتفضيل على تجوُّز في هذا الموضع.

وقوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ﴾ إِشارة إِلى ما كانت العرب تفعله من تحريم أَشياءَ برأْيها كالبحيرة والسائبة، فأَذهب الله تعالى جميع[١] ذلك، وأَحلَّ لهم جميع الأنعام إِلَّا ما يُتلى عليهم في كتاب الله تعالى في غير موضع، ثم أَمرهم باجتناب الرِّجس من الأَوثان، والكلام يحتمل معنيين:

أحدهما: أَن تكون ﴿مِنَ﴾ لبيان الجنس، فيقع نهيه عن رجس الأَوثان [فقط، وتبقى سائر الأَرجاس][٢] فيقع نَهْيُها في غير هذا الموضع.

والمعنى الثاني: أَن تكون ﴿مِنَ﴾ لابتداءِ الغاية، فكأَنه نهاهم عن الرِّجس عامّاً ثم عيَّن لهم مبدأَه الذي منه يلحقهم؛ إِذ عبادة الوثن جامعة لكل فساد ورجس، ويظهر أَن الإِشارة إِلى الذبائح التي كانت للأَوثان، فيكون هذا مما يتلى عليهم. ومن قال: إِن ﴿مِنَ﴾ للتبعيض قَلَب معنى الآية وأَفسده.

والمروي عن ابن عباس[٣]، وابن جُريج: أَن الآية نهي عن عبادة الأوثان[٤].

و﴿الزُّورِ﴾ عامٌّ في الكذب والكفر، وذلك أَن كلَّ ما عدا الحق فهو كذب وباطل وزور.

وقال ابن مسعود، وأَيمن بن خُرَيْم[٥]: إِن رسول الله ﷺ قال: «عدلت شهادة الزُّور بالشِّرك»، وتلا هذه الآية[٦].

---

(١) من نجيبويه والمطبوع.

(٢) سقط من الأصل.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٦١٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦١٨) والهداية لمكي (٧/ ٤٨٨٣).

(٥) هو أيمن بن خريم بن الأخرم بن شدّاد الأسديّ، الشاعر أسلم يوم الفتح، وهو غلام يفعة، روى عن عن أبيه وعمّه، الإصابة (١/ ٣١٦)، والشعر والشعراء (١/ ٥٣٣)، وفي الأصل والإماراتية بدلا منه: «ابن جريج».

(٦) ضعيف، الحديث أخرجه الإمام أحمد (٢٩/ ١٤٥) والترمذي (٢٤٥٣) والطبري في تفسيره =

و«الزورُ» مشتق من الزَّوَر وهو الميل، ومنه في جانب فلان زَوَرٌ، ويظهر أَن الإِشارة إلى[1] زُور أَقوالهم في تحريم وتحليل ممَّا كانوا قد شَرَّعوه في الأنعام.

و﴿حُنَفَآءَ﴾: معناه: مستقيمين، أَو مائلين إِلى الحق بحسب أَن لفظة الْحَنَف من الأَضداد، تقع على الاستقامة وتقع على الميل، و﴿حُنَفَآءَ﴾: نصب على الحال.

وقال قوم: ﴿حُنَفَآءَ﴾ معناه: حُجَّاجاً.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا تخصيص لا حُجَّة معه.

و﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ﴾: يجوز أَن تكون حالاً أُخرى، ويجوز أَن تكون صفة لقوله: ﴿حُنَفَآءَ﴾.

ثم ضرب تعالى مثلاً للمشرك بالله، أَظهره به في غاية السقوط، ويحتمل الهول والانبتات من النجاة، بخلاف ما ضرب للمؤمن في قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ومثله قول علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: «إِذا حدَّثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أَخِرَّ من السماء إِلى الأَرض أَهون عليَّ من أَن أَكذب عليه» الحديث[2].

وقرأَ نافع وحده: ﴿فَتَخَطَّفُهُ الطَّيْرُ﴾ بفتح الخاءِ وشد الطاءِ على حذف تاء التفعل.

= (١٨/ ٦١٩) من طريق سفيان بن زياد العصفري، عن فاتك بن فضالة، عن أيمن بن خريم، مرفوعاً، به. قال الترمذي: هذا حديث إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد. وقد اختلفوا في رواية هذا الحديث عن سفيان بن زياد، ولا نعرف لأيمن بن خريم سماعاً من النبي ﷺ.اهـ، قلت: وكذلك في إسناده: فاتك بن فضالة، وهو مجهول.

(١) في الأصل: «في».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٤١٥) ومسلم (١٠٦٦) من حديث علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، به.

وقرأ الباقون: ﴿فَتَخْطَفُهُ﴾ بسكون الخاءِ وتخفيف الطاءِ[١].

وقرأ الحسن فيما رُوي عنه: ﴿فَتِخِطَّفُهُ﴾ بكسر التاءِ والخاءِ وفتح الطاءِ مشددة، وقرأ الحسن أيضاً وأَبو رجاءٍ بفتح التاءِ وكسرِ الخاء والطاءِ وشدها، وقرأ الأعمش: (مِنَ السَّمَاءِ تَخْطَفُهُ) بغيرِ فاء، وعلى نحو قراءَة الجماعة[٢].

وعطف المستقبل على الماضي لأَنه بتقدير: فهو تَخْطَفُهُ الطير.

وقرأ أَبو جعفر: ﴿الرِّيَاحُ﴾[٣].

و«السحيق»: البعيد، ومنه قولهم: أَسْحَقَهُ اللهُ، ومنه قوله ﷺ: «فَأَقُولُ سُحْقاً سُحْقاً»[٤]، ومنه: نَخْلَةٌ سحوق؛ للبعيدة في السماء.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ
فِيهَا مَنَـٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ /إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا [٤/ ٦٦]
لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۗ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ
ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ
وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

التقدير في هذا الموضع: الأَمر ذلك، و«الشَّعَائِرُ»: جمع شعيرة، وهو كلُّ شيءٍ لله تعالى فيه أَمْرٌ أَشْعَرَ به وأَعْلَم.

وقالت فرقة: قصد بالشعائر في هذه الآية الهَدْي والأَنعام المشعرة، ومعنى تعظيمها:

---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٤٣٦)، التيسير (ص: ١٥٧).

(٢) ثلاث قراءات شاذة، انظر الأولى والثانية في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٦٨)، وتابعه على الثالثة في الدر المصون (٨/ ٢٧١).

(٣) وهي عشرية، انظر النشر (٢/ ٢٥٥)

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٢١٢) من حديث سهل بن سعد، ومسلم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

التسمين[1] والاهتبال بأَمرها والمغالاة[2] بها، قاله ابن عباس[3]، ومجاهد، وجماعة[4].

وعود الضمير في ﴿إِنَّهَا﴾ على التعظمة والفَعْلة التي تضمنها الكلام.

وقرئ (القلوبُ) بالرفع[5] على أَنها فاعلة بالمصدر الذي هو ﴿تَقْوَى﴾.

ثم اختلف المتأَولون في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ الآية:

فقال مجاهد وقتادة: أَراد أَن للناس في أَنعامهم منافع من الصوف واللبن وغير ذلك ما لم يبعثها ربُّها هدياً، فإِذا بعثها فهو الأَجَلُ المُسَمَّى[6]، وقال عطاءُ بن أَبي رباح: أَراد لكم في الهَدْي المبعوث منافع من الركوب والاحتلاب لمن اضطر[7]، والْأَجَلُ الْمُسَمَّى: نحرها، وتكون ﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الجُمَل؛ لأَن المَحِلَّ قبل الأَجل، ومعنى الكلام عند هاتين الفرقتين: ثمَّ مَحِلُّها إِلى موضع النحر، فذكر البيت لأَنه أَشرف الحرم، وهو المقصود بالهَدْي وغيره.

وقال ابن زيد، وابن عمر، والحسن ومالك[8]: الشعائر في هذه الآية مواضع الحج كلها ومَعَالمه بمنى، وعرفة، والمزدلفة، والصفا، والمروة، والبيت، وغير ذلك[9].

وفي الآية التي تأْتي أَن البُدْن من الشعائر.

---

(١) في الأصل: «تسميتها»، ولعلها محرفة عن تسمينها.

(٢) في لالاليه: «المعادة».

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٦٢١) من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وابن أبي ليلى، ضعيف الحديث.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٢١)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٧٨)، وتفسير الماوردي (٤/ ٢٣).

(٥) وهي شاذة، تابعه عليها القرطبي في تفسيره (١٢/ ٥٦) غير معزوة.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٢٤)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٧٨)، والهداية لمكي (٧/ ٤٨٨٥).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٢٤)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٧٨)، وتفسير الماوردي (٤/ ٢٤)، والهداية لمكي (٧/ ٤٨٨٦).

(٨) في المطبوع: «تلك»، بدل مالك.

(٩) قول ابن عمر لم أقف عليه، وانظر قول مالك في: البيان والتحصيل (٣/ ٤٢٢)، والباقين في تفسير الطبري (١٨/ ٦٢٢).

و«الْمَنَافِعُ»: التجارة وطلب الرِّزق، ويحتمل أَن يريد كسب الأَجر والمغفرة، وبكلٍّ احتمال قالت فرقة، و«الأَجلُ»: الرجوع إِلى مكة لطواف[١] الإفاضة.

وقوله تعالى: ﴿مَحِلُّهَآ﴾ مأْخوذٌ من إِحْلال المُحْرِم معناه، ثم أَخَّر هذا كله إِلى طواف الإِفاضة بالبيت العتيق، فالبيت ـ على هذا التأْويل ـ مراد بنفسه، قاله مالك في «الموطأ»[٢].

ثم أَخبر تعالى أَنه جعل لكل أُمة من الأمم مَنْسكاً، أَي موضع نُسُك وعبادة، ثم أَن المَنْسَك ظرفٌ كالمذبح ونحو هذا، ويحتمل أَن يريد المصدر، كأَنه قال: عبادة ونحوها، و«النَّاسِكُ»: العابد، وقال مجاهد: سُنَّة في إِراقة دماءِ الذبائح[٣].

وقرأَ معظم القراءِ: ﴿مَنسَكًا﴾ بفتح السين، وهو من: نَسَك ينْسُك بضم السين في المستقبل، وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿مَنْسِكاً﴾ بكسر السين[٤]، قال أَبو علي[٥]: الفتح أَولى؛ لأَنه إِما المصدر وإِما المكان وكلاهما مفتوح، والكسر في هذا من الشَّاذِّ في اسم المكان أَن يكون «مَفْعِل» من: فَعَلَ يَفْعُلُ، مثل مَسْجِد، من: سَجَدَ يَسْجُدُ، ولا يسوغ فيه القياسُ، ويشبه أَن الكسائي سمعه من العرب[٦].

وقوله: ﴿لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ معناه: أَمرناهم عند ذبائحهم بذكر الله، وأَن يكون الذبح له؛ لأَنه رازق ذلك، ثم رجع اللفظ من الخبر عن الأُمم إِلى إِخبار الحاضرين بما معناه: فالإِله واحد لجميعكم بالأَمر، فكذلك الأمر في الذَّبيحة إِنما ينبغي أَن تُخلص له.

و﴿أَسْلِمُواْ﴾ معناه: لِحَقِّه ولِوَجْهِه ولإِنْعَامِه آمنوا وأَسْلموا، ويحتمل أَن يريد الاستسلام.

---

(١) في نجيبويه والمطبوع: «وطواف».

(٢) انظر: الموطأ (١/ ٣٦٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٢٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٩٢).

(٤) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٣٦)، والتيسير (ص: ١٥٧).

(٥) في نجيبويه والمطبوع: «أبو الفتح»، وهو خطأ فهذه القراءة غير شاذة بل سبعية.

(٦) انظر الحجة للفارسي (٥/ ٢٧٨).

ثم أَمر تبارك وتعالى نبيَّه ﷺ أن يبشِّر بشارة على الإِطلاق، وهي أَبلغ من المفسَّرة لأَنها مرسلة مع نهاية التخيل.

و﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾: المتواضعين الخاشعين من المؤمنين، و«الخَبْتُ»: ما انخفض من الأَرض، و«المُخْبِتُ»: المتواضع الذي مشيه متطامن، كأَنه في حدورٍ من الأَرض.

وقال عمرو بن أَوْسٍ[١]: «المُخْبِتُون»: الذين لا يَظْلِمُون، وإِنْ ظُلِمُوا لم ينتصروا[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا مثال[٣] شريف من خلق المؤمن الهيِّن اللَّيِّن.

وقال مجاهد: هم المطمئنون بأَمر الله[٤]، ووصفهم تعالى بالخوف والوجل عند ذكر الله، وذلك[٥] لِقُوَّة يقينهم ومراعاتهم لربِّهم وكأَنهم بين يديه، ووصفهم تبارك وتعالى بالصَّبر والصَّلاة وإِقامة الصَّلاة وإِدامتها.

وقرأَ الجمهور: ﴿ٱلصَّلَوٰةِ﴾ بالخفض، وقرأَ ابن أَبي إِسحاق، والحسن: (الصَّلَاةَ) بالنصب على توهم النون، وأَن حذفها للتخفيف، ورُويت عن أَبي عمرو[٦].

وقرأَ الأعمش: (والمقيمين الصلاة) بالنون والنصب في (الصلاة).

وقرأَ الضحاك: (وَالْمُقِيمَ الصَّلَاة)[٧].

---

(١) في حاشية المطبوع: في الأصول: عمرو بن أُويس، وفي بعض النسخ: عمرو بن أبي أويس، وهو: عمرو بن أَوْس بن أبي أَوْسٍ، الثقفي الطائفي، تابعي كبير، من الثانية، قال ابن حجر: وَهِمَ من ذكره في الصحابة، مات بعد التسعين، الإصابة (٥/ ٢٢١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٢٩)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٢)، وتفسير السمعاني (٣/ ٤٣٩).

(٣) في لالاليه: «مقام».

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٢٨)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٢)، وتفسير السمعاني (٣/ ٤٣٩)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٩٨).

(٥) في نجيبويه والمطبوع: «وتلك».

(٦) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في: المحتسب (٢/ ٧٩)، وسقط «الحسن» من الأصل.

(٧) وهما شاذتان، عزا الثانية للضحاك في الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٩)، والأولى لابن مسعود في مختصر الشواذ (ص: ٩٧).

ورُوي أَن هذه الآية ـ قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ ـ نزلت في أَبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليٍّ رضي الله تعالى عنهم(١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

(البُدْن): جمع بَدَنَة، وهي ما أُشعر من ناقة أَو بقرة، قاله عطاءٌ وغيره، وسميت بذلك لأَنها تَبْدُن، أَي تَسْمَن، وقيل: بل هذا الاسم خاص بالإِبل.

وقالت فرقة: «البُدْنُ»: جمع بَدَن ـ بفتح الدال والباء ـ، ثم اختلفت، فقال بعضها: البُدْن مفردٌ اسْمُ جنس يُراد به العظيم السمين من الإِبل والبقر، ويقال للسمين من الرِّجال: بَدُن، وقال بعضها: البُدْن جمع بَدَنَـةٍ كـثَمَرَةٍ وثُمْر، وقرأَ الجمهور: ﴿وَٱلْبُدْنَ﴾ ساكنة الدال.

وقرأَ أبو جعفر، وشيبة، والحسن، وابن أَبي إِسحاق: (والبُدُنَ) بضم الدال(٢)، فيحتمل أَن يكون جمع بَدَنَة كثُمُر، وعدَّد الله تعالى في هذه الآية نِعمه على الناس في هذه البُدْن، وقد تقدم القول في الشعائر.

و«الْخَيْرُ»: قيل فيه ما قيل في المنافع التي تقدم ذكرها، والصواب عمومه في خير الدنيا والآخرة. وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا﴾ يريد: عند نحرها.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿صَوَآفَّ﴾ بفتح الفاءِ وشدها، جمع صافَّةٍ، أَي: مصطفة(٣) في قيامها.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) وهي شاذة، عزاها في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٧٠) لهم إلا شيبة، وفي نجيبويه والمطبوع: «ابن جعفر».

(٣) في المطبوع: «مطيعة».

وقرأ الحسن، ومجاهد، وزيد بن أسلم، وأَبو موسى الأَشعري، وشقيق، وسليمان التيمي، والأَعرج: (صَوَافِي) جمع صافية، أَي: خالصة لوجه الله تعالى، لا شركة فيها لشيءٍ / كما كانت الجاهلية تشرك. [٤/ ٦٧]

وقرأَ الحسن أيضاً: ﴿صَوَافٍ﴾ بكسر الفاءِ وتنوينها مخففة، وهي بمعنى التي قبلها لكن حذفت الياءُ تخفيفاً على غير قياس، وفي هذا نظر.

وقرأَ ابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وأَبو جعفر محمد بن علي: (صَوَافِنَ) بالنون[1] جمع صافِنَةٍ، وهي التي قد رفعت إِحدى يديها بالعقل لئلا تضطرب.

والصافن من الخيل: الرافع ـ لفَرَاهِيَتِه[2]ـ إحدى يديه، وقيل: إحدى رجليه، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلۡجِيَادُ﴾ [ص: ٣١]، وقال عمرو بن كلثوم:

تَـرَكْـنَـا الْخَيْـلَ عَـاكِفَـةً عَـلَـيْـهِ مُـقَلَّـدَةً أَعِـنَّـتُـهـا صُـفُـونَـا[3] [الوافر]

و﴿وَجَبَتۡ﴾ معناه: سقطت بعد نحرها، ومنه: وجبت الشمس، ومنه قول أَوْس ابن حجر:

أَلَمْ تُكْسَفِ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ وَالـ كَوَاكِـبُ لِلْجَبَـلِ الْوَاجِـبِ[4] [المتقارب]

وقوله تعالى: ﴿كُلُواْ﴾ ندبٌ، وكل العلماءِ يستحب أَن يأْكل الإِنسانُ من هديه، وفيه أَجرٌ وامتثال؛ إِذ كان أَهل الجاهلية لا يأْكلون من هديهم.

---

(١) والثلاث شاذة، انظر عزو الأولى والثالثة في المحتسب (٢/ ٨٠)، والثانية في مختصر الشواذ (ص: ٩٨) بلا نسبة، وعزاها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٣٢٩) لأصحاب عبد الله.

(٢) في أحمد٣ والمطبوع ولالاليه: «لفراهته».

(٣) انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٢١)، وشرح المعلقات التسع (ص: ٣١٨)، ومجاز القرآن (١/ ٤٠٤).

(٤) عزاه له: تفسير الطبري (١٨/ ٦٣٤)، ومجاز القرآن (٢/ ٥١)، وكتاب العين (١/ ١٧٠)، وسمط اللآلي (١/ ١٣٤).

وقال مجاهد، وإبراهيم، والطبري: هي إِباحة[١].

و﴿ ٱلْقَانِعَ ﴾: السائل، يقال: قَنَع الرجل يَقْنَع قُنوعاً إِذا سأَل، بفتح النون في الماضي، وقنِع بكسر النون يَقْنَع قناعة فهو قَنِعٌ؛ إِذا تَعَفَّفَ واستغنى بِبُلْغَتِهِ، قاله الخليل[٢].

ومن الأَول قول الشماخ:

[الوافر] لَمَالُ الْمَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيُغْنِي مَفَاقِرَه أَعَفُّ مِنَ الْقُنُوعِ[٣]

فَمُحَرِّرُو القول من أَهل العلم قالوا: ﴿ ٱلْقَانِعَ ﴾: السائل، و(المعترّ): المتعرض[٤] من غير سؤالٍ، قاله محمد بن كعب القرظيُّ، ومجاهد، وإِبراهيم، والكلبي، والحسن ابن أَبي الحسن[٥].

وعكست فرقة هذا القول، حكى الطبري، عن ابن عباس أَنه قال: ﴿ ٱلْقَانِعَ ﴾: المستغني بما أَعطيته، و(المُعْتَرُّ) هو المتعرض[٦].

وحكى عنه أَنه قال: ﴿ ٱلْقَانِعَ ﴾: المُتَعَفِّف، و(المُعْتَرّ): السائل[٧].

وحكي عن مجاهد أَنه قال: القَانِع: الجارُ وإِن كان غنيّاً.

وقرأَ أَبو رجاءٍ (القنع)[٨].

---

(١) انظر قول مجاهد وإبراهيم والطبري في: تفسير الطبري (١٨/ ٦١١).

(٢) العين (١/ ١٧٠)، و«ببلغته» سقطت من الأصل.

(٣) انظر نسبته له في مجاز القرآن (٢/ ٥١)، والاختيارين للأخفش (ص: ٩٠)، والعين (١/ ١٧٠)، وإسفار الفصيح (١/ ٤١٤).

(٤) سقطت من نجيبويه، وفي المطبوع والإماراتية ونور العثمانية ولالاليه: «المعترض».

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٣٦ و٦٣٨)، وتفسير الماوردي (٤/ ٢٧).

(٦) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٣٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٧) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٣٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وانظر فيه قول مجاهد أيضاً.

(٨) وهي شاذة، انظر عزوها له مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٨٠).

فعلى هذا التأْويل معنى الآية: أَطعموا المتعفف الذي لا يأْتي متعرضاً والمتعرض[١].

وذهب أَبو الفتح ابن جنِّي إِلى أَنه أَراد القَانِع فحذف الأَلف تخفيفاً، وهذا بعيد؛ لأَن توجيهه على ما ذكرته آنفاً أَحسن، وإِنما يُلْجَأُ إِلى هذا إِذا لم توجد مندوحة[٢].

وقرأَ أَبو رجاءٍ، وعمرو بن عُبيد: (المعتري)[٣]، والمعنى واحد، ويروى عن أَبي رجاءٍ: (المُعتَر) بتخفيف الراء[٤]، وقال الشاعر:

لَعَمْرُكَ مَا الْمُعْتَـرُّ يَغْشَى بِلَادَنَـا   لِنَمْنَعَـهُ بِالضَّائِـعِ الْمُتَهَضَّـمِ[٥]   [الطويل]

وذهب ابن مسعود إِلى أَن الهديَ أَثْلاث[٦]، فقال جعفر بن محمد عن أَبيه: أُطعم القانع والمُعْتَر ثلثاً، والبائس الفقير ثلثاً، وأَهلي ثلثاً، وقال ابن المسيِّب: ليس لصاحب الهَدْي منه إِلَّا الرُّبع[٧].

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله على جهة الاستحسان لا على الفرض.

ثم قال: ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾، أَي: كما أَمرتكم فيها بهذا كله سخَّرناها لكم.

و﴿ لَعَلَّكُمْ ﴾: تَرَجٍّ في حقنا وبالإِضافة إِلى نظرنا.

وقوله: ﴿ لَن يَنَالَ ﴾ عبارة مبالغة وتوكيد، وهي بمعنى: لن يرتفع عنده ويتحصل

---

(١) سقطت من نجيبويه والمطبوع، وفيه في التي قبلها: «معترضاً».

(٢) في لالاليه: «منه وجه».

(٣) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٨١).

(٤) مع كسر الراء وهي شاذة، عزاها له وللحسن الكرماني في الشواذ (ص: ٣٢٩).

(٥) في لالاليه: «بالضائم»، والبيت لحسان كما في مجاز القرآن (٢/ ٥٢)، وعزاه في حماسة الخالديين (ص: ٩٣) لأبي الوليد الأنصاريّ.

(٦) من بلاغات الإمام مالك، ذكره ابن العربي في أحكام القرآن (٥/ ٤٢٣).

(٧) انظر القولين في تفسير يحيى بن سلام (١/ ٣٦٦).

سبب ثواب، وقال ابن عباس: إِن أَهل الجاهلية كانوا يُضَرِّجُونَ البيت بالدماءِ فأَراد المؤمنون فعل ذلك فنهى الله عن ذلك ونزلت هذه الآية[١]، والمعنى: ولكن ينالُ الرفعةَ عنده والتحصل حسنةً لديه التقوى، أَي الإِخلاص وعمل الطاعات.

وقرأَ مالك بن دينار، والأَعرج، وابن يَعْمر، والزهري: ﴿لَنْ تَنَالَ﴾، ﴿وَلَكِنْ تَنَالُهُ﴾ بتاءٍ فيهما[٢].

والتسمية والتكبير على الهَدْي والأُضحية أَن يقول الذابح: باسم الله والله أَكبر.

ورُوي أَن قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ نزلت في الخلفاءِ الأَربعة[٣] حسبما تقدم في التي قبلها، فأَمَّا ظاهر اللَّفظة فيقتضي العموم في كل محسن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٖ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾.

روي أَن هذه الآية نزلت بسبب المؤمنين، لمَّا كثروا بمكة وآذاهم الكفار وهاجر من هاجر إِلى أَرض الحبشة أَراد بعض مؤمني مكة أَن يقتل من أَمكنه من الكفار ويغتال ويغدر ويحتال، فنزلت هذه الآية إِلى قوله: ﴿كَفُورٍ﴾، ووعد[٤] فيها بالمدافعة، ونهى أَفصح نَهْي عن الخيانة والغدر.

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٥٠٨) من طريق حسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، به، وهذا إسناد ضعيف، حسين، هو سنيد بن داود، ضعيف الحديث، وليس فيه ذكر ابن عباس.

(٢) وهي عشرية، ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٢٦)، وعزاها في زاد المسير (٣/ ٢٣٩) للجحدري، وابن يعمر، وابن أبي عبلة.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في الأصل: «ووكد».

وقرأَ نافع، والحسن، وأَبو جعفر: ﴿يُدَافِعُ﴾، ﴿وَلَوْلَا دِفَاعُ﴾.

وقرأَ أَبو عمرو، وابن كثير: ﴿يَدْفَعُ﴾، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ﴾.

وقرأَ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿يُدَافِعُ﴾، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ﴾[١].

قال أَبو علي: أُجريت «دَافَعَ» في هذه القراءَة مجرى «دَفَعَ»، كعاقبت اللصَّ وطارقت النعل، فجاءَ المصدر دَفْعاً[٢].

قال أَبو الحسن الأَخفش: أَكثر الكلام أَن الله يدفع، ويقولون: دافع الله عنك، إِلَّا أَن دَفَعَ أَكثر[٣].

قال القاضي أَبو محمد: فحسن[٤] في الآية ﴿يُدَافِعُ﴾ لأَنه قد عنَّ للمؤمنين من يدفعهم ويؤذيهم، فتجيءُ معارضته ودفعه مدافعةً عنهم، وحكى الزهراوي أَن «دفاعاً» مصدر «دَفَعَ»، كحسبت حساباً[٥].

ثم أَذن الله تعالى في قتال المؤمنين لمن قاتلهم من الكفار بقوله: ﴿أُذِنَ﴾، وصورة الإِذن مختلفة بحسب القراءَات، فبعضها أَقوى من بعض:

فقرأَ نافع، وحفص عن عاصم: ﴿أُذِنَ﴾ بضم الأَلف، ﴿يُقَـٰتَلُونَ﴾ بفتح التاءِ، أَي: في أَن يقاتلوهم، فالإِذْن في هذه القراءَة ظاهرٌ أَنه في مجازاة.

وقرأَ أَبو عمرو، وأَبو بكر عن عاصم، والحسن، والزهري: ﴿أُذِنَ﴾ بضم الأَلف، ﴿يُقَاتِلُونَ﴾ بكسر التاءِ، فالإِذن في هذه القراءَة في ابتداءِ القتال.

وقرأَ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: ﴿أَذِنَ﴾ بفتح الأَلف، ﴿يُقاتِلُونَ﴾ بكسر التاءِ.

---

(١) وكلها سبعية، انظر: السبعة (ص: ٤٣٧)، والتيسير في (ص: ١٥٧).

(٢) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٢٧٩).

(٣) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة (ص: ١٤١).

(٤) في نجيبويه والمطبوع ونور العثمانية ولالاليه: «يحسن».

(٥) لم أقف عليه.

وقرأ ابن عامر بفتح الأَلف والتاءِ جميعاً[١].

وهي في مصحف ابن مسعود: (أَذن لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ في سَبِيلِ اللهِ) بكسر التاءِ.

وفي مصحف أُبيٍّ: (أُذِنَ) بضم الهمزة، (لِلَّذِينَ قَاتَلُوا)، وكذلك قرأَ طلحة والأَعمش إِلَّا أَنهما فتحا همزة (أُذِنَ) [٢].

وقوله تعالى: ﴿بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْ﴾ معناه: كان الإذن بسبب أَنهم ظُلموا / . [٤/ ٦٨]

قال ابن جريج: وهذه الآية أَول ما نقض الموادعة[٣].

قال ابن عباس[٤]، وابن جبير: نزلت عند هجرة النبي ﷺ إِلى المدينة[٥].

وقال أَبو بكر الصديق: لمَّا سمعتُ علمتُ أَنه سيكون قتال[٦].

وقال مجاهد: الآية في مؤمنين بمكة أَرادوا الهجرة إِلى المدينة فمُنِعُوا[٧].

وما بعد هذه الآية يردُّ هذا القول؛ لأَن هؤلاءِ مُنعوا الخروج لا أُخرجوا، ثم وعد تعالى بالنصر في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾ يريد كلَّ من نَبَتْ به مكة

(١) وكلها سبعية، انظر السبعة (ص: ٤٣٧)، والتيسير (ص: ١٥٧).

(٢) كلها شاذة، انظر الأولى في تفسير الطبري (١٨/ ٦٤٥)، والثانية في الحجة لابن زنجلة (ص: ٤٧٩)، وانظر الكرماني (ص: ٣٢٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٤٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٤٤) من طريق سفيان، عن الأعمش، عن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به. وهذا إسناد صحيح، إن سلم من تدليس الأعمش.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٤٤).

(٦) حسن: هذا الحديث أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٩)، والترمذي (٣١٧١)، وابن جرير الطبري (١٨ ٦٤٣-٦٤٤)، وابن حبان (٤٧١٠) من طريق إسحاق بن يوسف الأزرق، عن سفيان، عن الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة، قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم ليهلكن، فأنزل الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ الآية فقال أبو بكر: لقد علمت أنه سيكون قتال.

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٤٥).

وآذاه أَهلها حتى أَخرجوه بإِذايتهم، طائفة إِلى الحبشة وطائفة إِلى المدينة، ونسب الإِخراج إِلى الكفار لأَن الكلام في معرض تقرير الذنب وإِلزامه.

وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ استثناء منقطع ليس من الأَول، هذا قول سيبويه، ولا يجوز عنده فيه البدل، وجوَّزه أَبو إِسحاق، والأَول أَصوب(١).

وقوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ﴾ الآية تقويةٌ للأَمر بالقتال، وذِكْرُ الحجة بالمصلحة فيه، وذِكْرُ أَنه متقدم في الأُمم، وبه صلحت الشرائع واجتمعت المُتَعَبَّدات، فكأَنه قال: أُذن في القتال فليقاتل المؤمنون، ولولا القتال والجهاد لَتُغُلِّب على الحق في كل أُمة، هذا أَصوب تأْويلات الآية، ثم ما قيل بَعْدُ من مُثُل الدفاع تبع للجهاد.

وقال مجاهد: وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ ظلم قوم بشهادات(٢) العدول ونحو هذا(٣).

وقالت فرقة: ولولا دفع الله ظلم الظلمة بعدل الولاة.

وقال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: المعنى ولولا دفع الله بأَصحاب محمد الكفار عن التابعين فمن بعدهم(٤).

وهذا كله فيه دفع قوم بقوم إِلَّا أَن معنى القتال أَليق بما تقدم من الآية.

وقالت فرقة: وَلَوْلا دَفْعُ الله العذاب بدعاءِ الْفُضلاءِ والأَخيار(٥) ونحوه، وهذا وما شاكله مفسد لمعنى الآية، وذلك أَن الآية تقتضي ـ ولا بُدَّ ـ مدفوعاً من الناس ومدفوعاً عنه، فتأَمله.

وقرأَ نافع، وابن كثير: ﴿لَهُدِمَتْ﴾ مخففة الدال.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٧١).

(٢) في المطبوع: «لشهادة»، وسقط قول مجاهد هذا من نجيبويه، ونسب له بدله قول الفرقة الذي بعده.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٤٧)، والنكت والعيون للماوردي (٤/ ٢٩).

(٤) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (١٨/ ٦٤٦) من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه بإسناد فيه سيف بن عمر صاحب الفتوح، وهو متروك.

(٥) سقط من الأصل.

وقرأ الباقون: ﴿لَّهُدِّمَتۡ﴾ مشدَّدة الدال[١]، وهذه تَحْسُن من حيث هي صوامع كثيرة ففي هدمها تكرارٌ وكثرة، كما قال تعالى: ﴿بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ﴾ [النساء: ٧٨]، فثقَّل الياءَ، وقال: ﴿وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]، فخفف لكونه فرداً، ومنه: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ [يوسف: ٤٣]، و﴿مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ [ص: ٥٠].

و«الصَّوْمَعَةُ»: موضع العبادة، وزنها: فَوْعَلَةٌ، وهي بناءٌ مرتفع منفرد حديد الأَعلى.

والأصمع[٢] من الرجال: الحديد القول[٣]، وكانت قبل الإسلام مختصة بالرهبان النصارى وبعُبَّاد الصابئين، قاله قتادة[٤]، ثم استعمل في مئذنة المسلمين.

و«الْبِيَعُ»: كنائس النصارى، واحدتُها بِيَعَة.

وقال الطبري: وقيل: هي كنائس اليهود، ثم أَدخل عن مجاهد ما لا يقتضي ذلك[٥].

و«الصَّلَوَاتُ»: مشتركة لكل ملَّة، واستُعير الهدم للصلوات من حيث تُعَطَّل، أَو أَراد: موضع صلوات، وذهبت فرقة إِلى أَن الصَّلَوات اسم لشنائع[٦] اليهود، وأَن اللَّفظة عبرانية عُرِّبت، وليست بجمع صلاة، وقال أَبو العالية: الصَّلَوات مساجد الصابئين[٧].

واختلفت القراءَة فيها:

فقرأَ جمهور الناس: ﴿صَلَوَٰتٞ﴾ بفتح الصاد واللام وبالتاءِ بنقطتين، وذلك إِمَّا

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٥٧)، السبعة (ص: ٤٣٨).

(٢) في نجيبويه والمطبوع: «والصَّوْمَعُ».

(٣) في نجيبويه والمطبوع: «القلب».

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٤٨).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٤٩)، وانظر قول مجاهد أيضاً في تفسير الماوردي (٤/ ٣٠)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٠٠).

(٦) المثبت من أحمد ٣ والمطبوع وفي غيرهما: «الشنائع».

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٤٩)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٠٠).

بتقدير: مواضع صلوات، وإِمَّا على أن تعطيل الصلوات هدمها.

وقرأَ جعفر بن محمد: (صَلْوَاتٌ) بفتح الصاد وسكون اللام.

وقرأَت فرقة: (صِلْوَاتٌ) بكسر الصاد وسكون اللام، حكاهما ابن جنِّي.

وقرأَ الجحدري فيما رُوي عنه: (وَصُلُوتٌ) بتاء بنقطتين من فوق وبضم الصاد واللام، على وزن فُعُول، قال: وهي مساجد النصارى.

وقرأَ الجحدري، والحجاج بن يوسف: (وَصُلُوبٌ) بضم الصاد واللام وبالباء، على أَنه جمع صليب.

وقرأَ الضحاكُ والكلبي: (وَصُلُوثٌ) بضم الصاد واللام والثاءِ منقوطة ثلاثاً، قالوا: وهي مساجد اليهود.

وقرأَت فرقة: (صَلْوتٌ) بفتح الصاد وسكون اللام.

وقرأَت فرقة: (وَصُلُوَاتٌ) بضم الصاد واللام، حكاها ابن جنِّي.

وقرأَت فرقة: (صُلُوتَى) بضم الصاد واللام وقصر الأَلف بعد التاءِ.

وحكى ابن جنِّي أَن خارج باب الموصل بيوت تدفن فيها النصارى يقال لها: صَلَوات[1].

وقرأ عكرمة، ومجاهد: (صِلْوِتَى) بكسر الصاد وسكون اللام وكسر الواو وقصر الأَلف بعد التاءِ[2].

---

(١) لفظه في المحتسب (٢/ ٨٤): وعندنا من خارج باب الموصل بيوت يدفن فيها النصارى تعرف بالباصلوث، بثاء منقوطة.

(٢) بعد التاء ساقط من لالاليه، وفي نور العثمانية: «الثاء»، وقد ذكر المؤلف في هذه الكلمة تسع قراءات شاذة، أغلبها من المحتسب (٢/ ٣٤)، وانظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣٣٠)، ومختصر الشواذ (ص: ٩٨)، وسقط ذكر الكلبي من الأصل.

قال القاضي أَبو محمد: وذهب خُصَيفٌ[(١)] إِلى أَن هذه الأَسماءَ قصدها تقسيم متعبدات الأُمم[(٢)]، فالصوامع للرهبان، قال القاضي أَبو محمد: وقيل: للصابئين، والبِيعُ للنصارى، والصَّلَوات لليهود، والمساجد للمسلمين، والأَظهر أَنها قُصد بها المبالغة في ذكر المتعبدات، وهذه الأَسماءُ تشترك الأُمم في مُسَمَّياتها إِلَّا البِيَعة فإِنها مختصة بالنصارى في عرف لغة العرب، ومعاني هذه الأَسماء هي في الأُمم التي لهم كتاب على قديم الدهر، ولم يذكر في هذه الآية المجوس ولا أَهل الإِشراك[(٣)] لأَن هؤلاءِ ليس لهم ما تجب حمايته، ولا يوجد ذكر الله إِلَّا عند أَهل الشرائع.

وقوله تعالى: ﴿يُذْكَرُ فِيهَا﴾ الضمير عائد على جميع ما تقدَّم.

ثم وعد الله تبارك وتعالى بنصره دينَه وشرعَه، وفي ذلك حضٌّ على القتال والجدِّ فيه، ثم الآية تعمُّ كلَّ من نصر حقّاً إِلى يوم القيامة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾.

قالت فرقة: هذه الآية في الخلفاء الأَربعة، ومعنى هذا التخصيص أَن هؤلاءِ خاصة مُكِّنُوا في الأَرض من جملة الذين يُقَاتَلُونَ المذكورين في صدر الآية، والعموم في هذا كله أَبْيَن، وبه[(٤)] يتَّجه الأَمر في جميع الناس، وإِنما الآية آخذةٌ عهداً على كل

(١) هو خصيف بن عبد الرحمن الجزري الحراني الفقيه، أبو عون الخضرمي بخاء معجمة مكسورة، من موالي بني أمية، رأى أنساً وسمع مجاهداً وعكرمة، وعنه السفيانان وشريك، كان امرأ صالحاً، وثقه ابن معين، توفي سنة ١٣٢هـ، تاريخ الإسلام (٨/ ٤٠٦).
(٢) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ٤١٧)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٠١).
(٣) في المطبوع: «الشرك».
(٤) «به»: سقطت من المطبوع.

من مكَّنه الله، كلّ على قدر ما مُكِّن، فأَما الصلاة والزكاة فكلٌّ مأْخوذ بإقامتها، وأَمَّا الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكلٌّ بحسب قوته، والآية أَمكن ما هي في الملوك، والمعروف والمنكر يعُمَّان الإِيمان والكفر فما دونهما.

وقالت فرقة: نزلت هذه الآية في أَصحاب محمد ﷺ خاصةً من الناس، وهذا على أن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من قوله تبارك وتعالى: ﴿يُقَـٰتَلُونَ﴾.

قال القاضي أبو محمد: وعلى أن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ تابع لـ﴿مَن﴾ في قوله تعالى: ﴿مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ توعُّدٌ / للمخالف عن هذه الأَوامر التي [٤/ ٦٩] تقتضيها الآية لمن مُكِّن.

وقوله: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ ﴾ يعني قريشاً، وهذه آية تسلية للنبي ﷺ ووعيد لقريش، وذلك أَنه مثَّلهم بالأُمم المكذِّبة المعذَّبة، وأَسند فعلاً فيه علامة التأْنيث إِلى قوم من حيث أَراد الأمة[١] والقبيلة؛ ليطَّرد القول في عادٍ وثمود، وقومُ نوح هم أَول أُمة كذَّبت نبيَّها.

ثم أَسند التكذيب في موسى عليه السلام إِلى من لم يُسَمَّ[٢] من حيث لم يكذبه قومه؛ بل كذبه القبط وقومه به مؤمنون.

و«أمليت» معناه: أَمهلت، وكأَن الإملاء أَن تُمهل من تنوي فيه المعاقبة، وأَنت في حين[٣] إِمهالك عالمٌ بفعله.

و«النَّكِيرُ»: مصدر كالعَذِير[٤] بمعنى الإنكار والإعذار، وهو في هذه المصادر بناءُ مبالغة، فمعنى هذه الآية: فكما فعلتُ بهذه الأُمم كذلك أَفعل بقومك.

---

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) في نجيبويه والمطبوع: «ما لم يسم فاعله».

(٣) في نجيبويه: حال، وفي المطبوع: «حيز».

(٤) في أحمد٣ والمطبوع: «كالغدير».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ ﴾.

«كأين»: هي كاف التشبيه دخلت على أَي، قاله سيبويه، وقد أَوعبت القول في معنى هذه اللَّفظة[1] وقراءَتها في سورة آل عمران، في قوله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وهي لفظة إِخبار، وقد تجيءُ استفهاماً، وحكى الفراءُ: كأَيِّن مالُك[2]؟ أَي: كمْ مالُك؟.

وقرأَت فرقة: ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾، وقرأَت فرقة: ﴿أَهْلَكْتُهَا﴾ بالإِفراد[3]، والمراد أَهل القرية.

و﴿ ظَالِمَةٌ ﴾ معناه: بالكفر.

و﴿ خَاوِيَةٌ ﴾ معناه: خالية، ومنه: خوى النجم إِذا خلا من النوء[4]، ونحوه: ساقطةٌ على عُرُوشِها.

و«العُرُوشُ»: السُّقُوف، فالمعنى أَن السُّقُوف سقطت، ثم وقعت الحيطان عليها، فهي على العروش.

﴿وَبِئْرٍ﴾ قيل: هي معطوف على العروش، وقيل: على القرية، وهو أَصوب.

---

(١) في أحمد٣: «وقد أوعبت تفسيرها».
(٢) انظر قوله: إن كأين بمعنى كم في معاني القرآن للفراء (١/ ٢٣٧).
(٣) وهما سبعيتان والثانية لأبي عمرو، انظر التيسير (ص: ١٥٧).
(٤) في المطبوع: «القوة».

وقرأت فرقة: ﴿وَبِئْرٍ﴾ بهمزة على الياء، وسهَّلها الجمهور(١).

وقرأت فرقة: (مَعْطَلَةٍ) بفتح الميم وسكون العين وفتح الطاء وتخفيفها(٢).

والجمهور على ﴿مُّعَطَّلَةٍ﴾ بضم الميم وفتح العين وشد الطاءِ.

و«الْمَشِيدُ»: المبني بالشِّيدِ وهو الجِصُّ، وقيل: «الْمَشِيدُ»: المُعَلَّى بالآجُرِّ ونحوه، فمن المَشيد قول عديٍّ بن زيد:

[الخفيف] شَادَهُ مَرْمَراً وَجَلَّلَهُ كِلْـ ... ـساً فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وُكُورُ(٣)

شَادَهُ: بناه بِالشِّيد، والأظهر في البيت أنه أراد: علاه بالمرمر.

وقالت فرقة في هذه الآية: إِن مَشِيداً معناه: مُعلًّى مُحصَّناً، وجملة معنى الآية يقتضي أنه كان كذلك قبل خرابه.

ثم وبَّخهم على الغفلة وترك الاعتبار بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: في البلاد فينظروا في أحوال الأُمم المكذِّبة المعذَّبة، وهذه الآية تقتضي أَن العقل في القلب، وذلك هو الحق، ولا ينكر أَن للدماغ اتصالاً بالقلب يوجب فساد العقل متى(٤) اختل الدماغ.

وقوله تعالى: ﴿فَتَكُونَ﴾ نصب بالفاء في جواب الاستفهام، صُرف الفعل من الجزم إِلى النصب.

وقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ لفظ مبالغة كأَنه قال: ليس العمى عمى العين(٥) وإِنما العمى حق العمى عمى القلب، ومعلوم أَن الأَبصار تَعْمَى ولكن المقصود ما ذكرناه،

(١) وهما سبعيتان، وفي العزو قلب، فالتحقيق للجمهور والإبدال لورش والسوسي، انظر: التيسير (ص: **٣٥**)، وما بعده.

(٢) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٨٤) فقد نسبها للجحدري.

(٣) انظر نسبته له في مجاز القرآن (٢/ ٥٣)، والكامل للمبرد (١/ ٨٥)، والسيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٩٤)، والأغاني (٢/ ١٣١).

(٤) في نجيبويه والمطبوع: «إذا».

(٥) في نجيبويه: «البصر»، وفي المطبوع: «الأبصار».

وهكذا قوله ﷺ: «ليس الشديد بالصُّرَعة»[١]، و«ليس المسكين بهذا الطَّوَّاف»[٢].

والضمير في ﴿فَإِنَّهَا﴾ للقصة ونحوها من التقدير.

وقولـه تعالى: ﴿ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ مبالغـة، كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وكما تقول: نظرتُ إِليه بعيني، ونحو هذا.

والضمير في ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ لقريش.

وقوله: ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾: وعيدٌ وإِخبارٌ بأَن كلَّ شيءٍ إِلى وقت محدود، والوعد هنا مقيد بالعذاب فلذلك ورد في مكروه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾:

قالت فرقة: معناه: وَإِنَّ يَوْماً من أَيام عذاب الله كَأَلْفِ سَنَةٍ ممَّا تَعُدُّون من هذه؛ لِطُول العذاب وبؤسه، فكأَن المعنى: فما أَجهل من يستعجل هذا.

وقالت فرقة: معناه: وَإِنَّ يَوْماً عند الله لإِحاطته به وعلمه وإِنفاذ قدرته كَأَلْفِ سَنَةٍ عندكم.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا التأْويل يقتضي أَن عشرة آلاف سنة إِلى ما لا نهاية له من العدد في حكم الأَلف، ولكنهم قالوا: ذكر الأَلف لأَنها منتهى العدد دون تكرار فاقتصر عليه.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا التأْويل لا يناسب الآية.

وقالت فرقة: إِن المعنى: أَن اليوم عند الله كأَلْف سنة من هذا العدد، فمن ذلك قول النبي ﷺ: «إِنِّي لأَرجو أَن تؤخر أُمتي نصف يوم»[٣].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٧٦٣) ومسلم (٢٦٠٩) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٤٠٩) ومسلم (١٠٣٩) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٣) منقطع، أخرجه أبو داود (٤٣٥٠) من طريق صفوان، هو ابن عمرو السكسكي، عن شريح بن عبيد، =

وقوله: «يدخل فقراءُ المسلمين الجنة قبل الأَغنياء بنصف يوم، وذلك خمس مئة سنة»[١].

ومنه قول ابن عباس: مقدار الحساب يوم القيامة أَلف سنة[٢]، فكأَن المعنى: وإِن طال الإِمهال فإِنه في بعض يوم من أَيام الله.

وكرر قوله: ﴿وَكَأَيِّن﴾ لأَنه جلب معنى آخر، ذكر أَولاً القُرى المُهلَكَةَ دون إِملاءٍ؛ بل بعَقِبِ التكذيب، ثم ثَنَّى بالممهلة[٣] لِئلاَّ يفرح هؤلاءِ بتأَخير العذاب عنهم.

وقرأَت فرقة: ﴿تَعُدُّونَ﴾ بالتَّاءِ، وقرأَت فرقة: ﴿يَعُدُّونَ﴾ بالياءِ على الغائب[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٤٩) فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠) وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ (٥١) وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٤)﴾.

= عن سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، مرفوعاً، به، وشريح لم يدرك سعداً، قاله: أبو داود، انظر: تهذيب الكمال (١٢/ ٤٤٦).

(١) جيد، أخرجه الإمام أحمد (١٣/ ٣٢٨) والترمذي (٢٣٥٣) والنسائي في الكبرى (١١٣٤٨) من طريق محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به. وهذا إسناد لين، وله شاهد لا بأس به من حديث: أبي بكر بن عياش، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، مرفوعاً. أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٣٩٨).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٦٥٨) من طريق عنبسة، عن سماك، عن عكرمة عنه، به، وسماك مضطرب الحديث عن عكرمة.

(٣) في المطبوع: «بالمهلة».

(٤) وهما سبعيتان، والياء لابن كثير وحمزة والكسائي، انظر التيسير (ص: ١٥٨).

[٤/ ٧٠] المعنى: قل يا محمد: إِنَّما أَنا لَكُمْ نَذِير عذاب الله، ليس / إِليَّ أَن أُعجِّل عذاباً ولا أَن أُؤخِّره عن وقته، ثم قسَّم حالة المؤمنين والكافرين بأَن للمؤمنين سُتْرَة ذنوبهم ورِزْقه إِيَّاهم في الجنة، والكريم صفة نفي المذام، كما تقول: ثوب كريم، وبأَن للكافرين المعاجزين عذاب الجحيم، وهذا كلُّه ممَّا أُمر أَن يقوله، أَي: هذا معنى رسالتي لا ما تتمنَّوْن أَنتم.

وقوله: ﴿سَعَوْا﴾ معناه: تحيَّلوا وكادوا، من السِّعاية، و«الآيات»: القرآن[١]، أَيْ: كادوه بالتكذيب وسائر أَقوالهم.

وقرأَت فرقة: ﴿مُعَاجِزِينَ﴾، معناه: مغالبين، كأَنهم طلبوا عجز صاحب الآيات، والآيات تقتضي تعجيزهم، فصارت مُفاعلة، وعبَّر بعض الناس في تفسير ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ بِظانِّين أَنهم يغلبون[٢] الله.

قال القاضي أبو محمد: وهذا تفسير خارج عن اللَّفظة.

وقرأَت فرقة: ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ بغير أَلف وبشد الجيم[٣]، ومعناه: معجِّزين الناس عن الإِيمان، أَي جاعلوهم بالتثبيط عجزة عن الإِيمان.

وقال أَبو علي: ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ معناه: ناسبين أَصحاب النبي ﷺ إِلى العجز، كما تقول: فَسَّقتُ فلاناً وزَيَّنْتُه، أَي نَسَبْته إِلى ذلك[٤].

وقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾ الآية تسلية للنبي ﷺ عن النازلة التي أَلقى الشيطان فيها في أُمنية النبي ﷺ.

و﴿تَمَنَّىٰٓ﴾ معناه المشهور: أَراد وأَحبَّ، وقالت فرقة: هو معناها في الآية، والمراد

---

(١) في المطبوع: «والآيات: آيات القرآن».

(٢) في الأصل: «يفلتون»، وفي نجيبويه: «يفاتلون»، وفي نور العثمانية والإماراتية: «يفتلون»، وفي لالاليه: «يقبلون».

(٣) وهما سبعيتان، والثانية لابن كثير وأبي عمرو، انظر التيسير (ص: ١٥٨)، والسبعة (ص: **٤٣٩**).

(٤) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٢٨٤).

أَن الشيطان أَلقى أَلفاظه بسبب ما تَمَنَّاه رسول الله ﷺ من مقاربة قومه وكونهم متبعين له، قالوا: فلما تمنى رسول الله ﷺ من ذلك ما لم يَقْضِهِ الله وجد الشيطان السبيل، فحين قرأ رسول الله ﷺ سورة النجم في مسجد مكة وقد حضر المسلمون والمشركون بلغ إِلى قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٠] أَلقى الشيطان تلك الغرانيق العُلَى وإِنَّ شفاعتهن لَتُرْتَجَى، فقال الكفار: هذا محمد يذكر آلهتنا بما نريد، وفرحوا بذلك، فلما انتهى إِلى السجدة سجد الناسُ أَجمعون إِلَّا أُمية بن خلف، فإِنه أَخذ قبضة من تراب ثم رفعها إِلى جبهته وقال: يكفيني هذا، قال البخاري: هو أُمية بن خلف[١]، وقال بعض الناس: هو الوليد بن المغيرة، وقال بعض الناس: هو أَبو أُحَيْحَة سعيد بن العاصي، ثم اتصل بمهاجرة الحبشة أَن أَهل مكة اتبعوا محمداً ففرحوا بذلك، وأَقبل بعضهم فوجدوا أُلْقِية الشيطان قد نُسخت وأَهل مكة قد ارتبكوا وافتُتنوا[٢].

وقالت فرقة: ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾ معناه: تَلَا، و«الأُمنية»: التِّلاوة، ومنه قول الشاعر:

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ ... وَآخِرَهَا لَاقَى حِمَام الْمَقَادِرِ[٣] [الطويل]

ومنه قول الآخر:

.... تَمَنِّيَ دَاودَ الزَّبُور عَلَى رِسْلِ[٤] [الطويل]

وتأَوَّلوا قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ أَي: إِلَّا تلاوة.

---

(١) صحيح البخاري (٤٥٨٢) من حديث عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٦٦٣) من طريق محمد بن كعب القرظي، ومحمد بن قيس، عن رسول الله ﷺ، مرسلاً، به، وقصة الغرانيق، قال ابن كثير في تفسيره (٥/ ٤٤١): كلها من طرق مرسلة، ولم أرها مسندة من وجهٍ صحيح، وسقط «الوليد» من لالاليه.

(٣) البيت لكعب بن مالك في عثمان ويعزى لحسَّان بن ثابت، كما تقدم في تفسير الآية ٧٦ من سورة البقرة.

(٤) هذا عجز بيت وصدره: تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ آخِرَ لَيْلِهِ كالذي قبله، وهو بلا نسبة في سيرة ابن هشام (١/ ٥٣٨)، والزاهر للأنباري (٢/ ١٥١)، ويعزى أيضا لحسان كما في حاشية الشهاب الخفاجي (٢/ ١٨٨)، وتفسير السراج المنير (٢/ ٥٦١).

وقالت هذه الفرقة في معنى سبب إِلقاء الشيطان في تلاوة النبيِّ ﷺ ما تقدم آنفاً من ذكر الآلهة[١].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا الحديث الذي فيه: «هن الغرانقة»[٢] وقع في كتب التفسير ونحوها، ولم يدخله البخاري ولا مسلم، ولا ذكره ـ في علمي ـ مصنف مشهور، بل يقتضي مذهب أَهل الحديث أَنَّ الشيطان أَلْقَى، ولا يُعَيِّنون هذا السبب ولا غيره، ولا خلاف أَن إِلقاءَ الشيطان إِنما هو لأَلفاظ مسموعة بها وقعت الفتنة.

ثم اختلف الناس في صورة هذا الإِلقاء:

فالذي في التفاسير ـ وهو مشهور القول ـ أَنَّ النبي ﷺ تكلم بتلك الأَلفاظ، وأَن الشيطان أَوهمه ووسوس في قلبه حتى خرجت تلك الأَلفاظ على لسانه، ورُوي أَنه نزل إِليه جبريل ـ عليه السلام ـ بعد ذلك فدارسه سورة النجم، فلما قالها رسول الله ﷺ قال له جبريل: لم آتِكَ بهذا، فقال رسول الله ﷺ: افتريت على الله، وقلت ما لم يقل لي، وجعل يتفجع ويغْتَمُّ، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ الآية.

قال القاضي أَبو محمد: وحدثني أَبي رضي الله عنه أَنه لقي بالمشرق من شيوخ العلماءِ والمتكلمين من قال: هذا لا يجوز على النبي ﷺ وهو المعصوم في التبليغ، وإِنما الأَمر أَن الشيطان نطق بلفظ أَسمعه الكفار عند قول النبي ﷺ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٠] وقرَّب[٣] صوته من صوت النبي ﷺ حتى التبس الأمر على المشركين وقالوا: محمد قرأَها.

قال القاضي أَبو محمد: وتَمَنَّى على هذا التأْويل بمعنى: تَلَا ولا بُدَّ، وقد روي نحو هذا التأْويل عن الإِمام أَبي المعالي وغيره[٤].

---

(١) في الأصل: «من ذكر الله».

(٢) في نجيبويه والمطبوع: «وهذه الغرانقة».

(٣) في أحمد٣: «قرن»، وفي الأصل: «وصوب».

(٤) من نجيبويه والمطبوع، وانظر ما نسبه المؤلف لأبي المعالي في تفسير الثعالبي (٣/ ٨٥).

قال القاضي أَبو محمد: والرَّسول أَخص من النبي، وكثير من الأَنبياءِ لم يُرْسَلُوا، وكل رسول نبي.

و«النَّسْخُ» في هذه الآية: الإِذهابُ، كماتقول: نسخت الشمسُ الظِّلَّ، وليس برفع ما استقر من الحكم.

قال القاضي أَبو محمد: وطَرَّقَ[1] الطبري وأَشبع الْإِسناد في أَن إِلقاءَ الشيطان كان على لسان النبيِّ ﷺ.

واختلفت الروايات في الأَلفاظ ففي بعضها: «تلك الغرانقة»، وفي بعضها: «تلك الغرانيق»، [وفي بعضها: «وإِن شفاعتهم»][2]، وفي بعضها: «وإِن شفاعتهن»، وفي بعضها: «منها الشفاعة تُرْتَجَى».

قال القاضي أَبو محمد: والغَرَانِيق: السَّادة العظام الأَقدار، ومنه قول الشاعر:

أَهْلاً بِصَائِدَةِ الْغُرَانِقِ[3] .... [الكامل]

وقوله: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ الآية، اللام في قوله: ﴿لِّيَجْعَلَ﴾ متعلِّقة بقوله: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ﴾.

و«الفتنة»: الامتحان والاختبار.

و«الَّذِين في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ»: هم عامة الكفار، و«الْقَاسِيَةُ قُلُوبُهم»: خواص منهم عُتاة كأَبي جهل، والنَّضْر، وعُقْبَة.

و«الشِّقَاقُ»: البعدُ عن الخير، والضلالُ، والكونُ في شقٍّ غير شقِّ الصَّلاح.

---

(١) في المطبوع: «وطوف»، وانظر كلامه في: تفسير الطبري (١٨/ ٦٦٣-٦٦٨).

(٢) سقط من الأصل وأحمد٣.

(٣) لم أقف عليه هكذا، ولعله يقصد قول أعشى بني تغلب كما في الأغاني (١١/ ٢٨١): دار لقاتلة الغرانق ما بها * غير الوحوش خلت له وخلا لها، قال المرزوقي في شرح الحماسة (ص: ٩٧٠): أي هو رسم دار لامرأة كانت تصيد الغرانق وتقتلهم بالحب.

و﴿بَعِيدٍ﴾ معناه: أنه انتهى بهم وتعمق، فَرَجْعَتُهم منه غير مرجوة.

و﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾: هم أصحاب محمد رسول الله ﷺ.

والضمير في ﴿أَنَّهُ﴾: عائد على القرآن.

و«تخبتُ» معناه: تتطامن وتخضع، وهو مأخوذ من الخَبْت، وهو المطمئن من الأَرض.

وقرأَت فرقة: ﴿لَهَادِ﴾ بغير ياءٍ بعد الدال.

وقرأَت فرقة: ﴿لَهَادِي﴾ بياءٍ، وقرأَت فرقة: (لَهَادٍ) بالتنوين وترك الإِضافة[1].

وهذه الآية معادلةٌ لقوله تعالى قبل: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾.

«المِرْيَةُ»: الشَّك، والضمير في قوله: ﴿مِّنْهُ﴾ قالت فرقة: هو عائد على القرآن، وقالت فرقة: على محمد ﷺ، وقالت فرقة: على ما أَلْقَى الشَّيْطانُ.

---

(١) ثلاث قراءات، الأولى هي المتواترة، والثانية لا تمكن وصلًا لالتقاء الساكنين، لكن يقف عليها يعقوب بالياء كما في النشر (٢/ ١٥٦)، والثالثة، قرأ بها أبو حيوة كما في مختصر الشواذ، وزاد الكرماني في الشواذ (ص: ٣٣١) أبا البَرَهْسَم.

وقال سعيد بن جبير أَيضاً: على سجود النبي ﷺ في سورة النجم[١].

و﴿ٱلسَّاعَةُ﴾: قالت فرقة: أَراد يوم القيامة، و«اليوم العقيم»: يوم بدر، وقالت فرقة: السَّاعَةُ ساعة موتهم، أَو قتلهم في الدنيا كيوم بدر ونحوه، و«اليوم العقيم»: يوم القيامة.

قال القاضي أَبو محمد: وهذان القولان جيِّدان لأَنهما أَحرزا التقسيم بـ ﴿أَوۡ﴾، ومن جعل الساعة واليوم العقيم يوم القيامة فقد أَفسد رتبة ﴿أَوۡ﴾، وسُمِّيَ يومُ القيامة أَو يوم الاستئصال عقيماً: لأَنه لا ليلة بعده ولا يوم، والأَيام كأَنها نتائج؛ لمجيءِ واحد إِثر واحد، فكأَن آخر يوم قد عقم، وهذه استعارة، وجُملة هذه الآية تَوَعُّد.

وقوله: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ السابق منه أَنه في يوم القيامة، من حيث لا مُلْكَ فيه لأَحد [من ملوك الدنيا][٢]، ويجوز أَن يريد به يوم بدر ونحوه من حيث ينفذ فيه قضاءُ الله وحده ويبطل ما سواه، ويمضي حكمه فيمن أَراد تعذيبه.

فأَمَّا من تأَوَّله في يوم القيامة فاتَّسق له قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إِلى قوله: ﴿مُّهِينٞ﴾.

ومن تأَوَّله في يوم بدر ونحوه جعل قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ابتداءَ خبر عن حالهم المتركبة على حالهم في ذلك اليوم العقيم من الإِيمان والكفر.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية ابتداءُ معنى آخر، وذلك أَنه لمَّا مات بالمدينة عثمان بن مظعون، وأَبو سلمة بن عبد الأَسد، قال بعض الناس: مَنْ قتل من المهاجرين أَفضل ممن مات حتف أَنفه، فنزلت هذه الآية[٣] مُسَوِّية بينهم في أَن الله تعالى يرزق جميعهم رزقاً حسناً، وليس هذا بقاضٍ بتساويهم في الفضل، وظاهر الشريعة أَن المقتول أَفضل.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٧٠ و٦٧١)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٢٠).

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) لم أقف عليه.

وقد قال بعض الناس: المقتول والميت في سبيل الله شهيدان، ولكن للمقتول مزيَّة ما أَصابه في ذات الله.

و«الرِّزق الحسن»: يحتمل أَن يريد به رزق الشهداء عند ربهم في البرزخ، ويحتمل أَن يريد به بعد يوم القيامة في الجنة.

وقرأَت فرقة: ﴿مُّدْخَلًا﴾ بضم الميم من أَدخل [فهو محمول على الفعل المذكور][1].

وقرأَت فرقة: ﴿مدخلا﴾ بفتح الميم[2] من دَخَلَ، فهو محمول على فعل مقدر تقديره: فَيَدْخُلُون مَدخلاً[3].

وأَسند الطبري عن سَلَامَانِ بن عامر[4] قال: كان فَضَالَةُ بِرُوْدِسَ[5] أَميراً على الأَرباع، فخرج بجنازتَي رجلين أَحدهما قتيل، والآخر متوفى، فرأَى ميل الناس مع جنازة القتيل، فقال: أَراكم أَيها الناس تميلون مع القتيل وتفضلونه، فوالَّذي نفسي بيده ما أُبالي من أَيِّ حفرتيهما بعثت، اقرؤوا قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية إِلى ﴿حَلِيمٌ﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِلى قوله: ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ المعنى: الأَمر ذلك، ثم أَخبر

---

(١) ليس في المطبوع، وفيه تقديم وتأخير بين القراءتين.

(٢) وهما سبعيتان، والثانية لنافع، كما تقدم في النساء، انظر التيسير (ص: ٩٥)، والسبعة (ص: ٤٣٩).

(٣) وقع تقديم وتأخير في ترتيب جمل هذه الفقرة في المطبوع.

(٤) في نجيبويه: «سلمان» وأشار لها في حاشية المطبوع، وهو سلامان بن عامر الشعباني المصري، عن فضالة ابن عبيد، وأبي عثمان صاحب أبي هريرة، وعنه: عبد الرحمن بن شريح، وابن لهيعة، كان رجلاً صالحاً، توفي قريباً من سنة ١٢٠هـ، تاريخ الإسلام (٧/ ١٠٣).

(٥) في أحمد٣ ونجيبويه ونور العثمانية: «فضالة بن دوس»: ورودس جزيرة ببلاد الروم، كما في معجم البلدان (٣/ ٧٨).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٧٤)، من طريق ابن وهب، عن عبد الرحمن بن شريح به.

تعالى عمن عاقب مِنَ المؤمنين مَنْ ظَلَمَه مِنَ الكفرة، ووعد المبغيَّ عليه بأَنه ينصره، وسمَّى الذنب في هذه الآية باسم العقوبة كما تُسمَّى العقوبة كثيراً باسم الذنب، وهذا كلُّه تجوُّزٌ واتِّساع.

وذُكر أَن هذه الآية نزلت في قوم من المؤمنين لقيهم كفار في أشهر الحرم(١)، فأَبى المؤمنون من قتالهم، وأَبى المشركون إِلَّا القتال، فلمَّا اقتَتَلُوا جَدَّ المؤمنون ونصرهم الله فنزلت الآية فيهم(٢).

وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ ﴾ معناه: نصر الله أَولياءَه ومَنْ بُغِيَ عليه بأَنه القادر على العظائم، الذي لا تُضاهى قدرته، فأَوجز العبارة بأَن أَشار بـ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إِلى النصر، وعبَّر عن القدرة بتفصيلها، فذكر منها مثلاً لا يُدَّعى لغير الله تعالى، وجعل تقصير اللَّيل وزيادة النهار وعكسها إِيلاجاً تَجَوُّزاً وتشبيهاً.

وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ معناه نحو ما ذكرناه.

[وقرأت فرقة: ﴿وَأَنَّ﴾ بفتح الألف، وقرأت فرقة: (وإن) بكسر الألف](٣).

وقرأَت فرقة: ﴿تَدْعُوْنَ﴾ بالتاءِ من فوق، وقرأَت فرقة: ﴿يَدْعُونَ﴾(٤).

والإِشارة بما يدعى من دونه، قالت فرقة: هي إِلى الشيطان، وقالت فرقة: هي إِلى الأَصنام، والعموم هاهنا أَحسن.

---

(١) في المطبوع: الشَّهر الحرام.

(٢) ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (١٠/ ١٢)، من طريق مقاتل، به معضلاً.

(٣) سقط من المطبوع ولالاليه والحمزوية، والأولى هي المتواترة، والثانية شاذة عزاها في البحر المحيط (٧/ ٥٣٠) للحسن.

(٤) وهما سبعيتان، الأولى لنافع وابن كثير وابن عامر وشعبة، انظر: التيسير (ص: ١٥٨)، والسبعة (ص: ٤٤٠).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تنبيهٌ، وبعده خبر أَن الله تعالى أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فظلت الأَرض تخضر عنه.

وقوله: ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ﴾ بمنزلة قوله: فتضحى أَو فتصير، عبارة عن استعجالها أَثر نزول الماءِ واستمرارها كذلك عادة، ورفع[1] قوله: ﴿فَتُصْبِحُ﴾ من حيث الآية خبر، والفاءُ عاطفة وليست بجواب؛ لأَن كونها جواباً لقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ فاسد المعنى.

ورُوي عن عكرمة أَنه قال: هذا لا يكون إِلَّا بمكة أَو تِهامة[2].

قال القاضي أبو محمد: ومعنى هذا أَنه أَخذ قوله: ﴿فَتُصْبِحُ﴾ مقصوداً به صباح ليلة المطر، وذهب إِلى أَن ذلك الاخضرار في سائر البلاد يتأَخر.

قال القاضي أَبو محمد: وقد شاهدتُ هذا في السوس الأَقصى، نزل المطر ليلاً بعد قحط وأَصبحت تلك الأَرض الرملة التي تسفيها[3] الرياح قد اخضرت بنبات ضعيف دقيق.

وقرأَ الجمهور: ﴿مُخْضَرَّةً﴾، وقرأَت فرقة: (مَخْضَرَة)[4].

و«اللَّطِيفُ»: المُحكِم للأُمور برفق، واللام في ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ لام الملك، و«الغني»: الذي لا حاجة به إِلى شيءٍ، هكذا هو على الإِطلاق[5].

---

(١) في المطبوع: «ووقع». وفيه: «خبرا»، بالنصب.

(٢) انظر: تفسير السمعاني (٣/ ٤٥٢).

(٣) في نجيبويه: «تسفها»، وفي المطبوع: «نسفتها».

(٤) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٣١) للحسن، وذكرها النحاس في معاني القرآن (٤/ ٤٣٠) بلا نسبة.

(٥) من قوله: «ذلك بأن الله يولج» في المقطع السابق، إلى هنا ساقط من أحمد٣.

وقوله: ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يريد: من الحيوان والمعادن وسائر المرافق.

وقرأ الجمهور: ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾ بالنصب، وذلك يحتمل وجهين من الإِعراب:

أَحدهما: أَن يكون عطفاً على ﴿مَّا﴾ بتقدير: وسخَّر الفُلْكَ.

والآخر: أَن يكون عطفاً على المكتوبة(١)، بتقدير: وأَن الفُلْكَ.

وقوله: ﴿تَجْرِي﴾ على الإعراب الأول / في موضع الحال، وعلى الإِعراب الثاني في موضع الخبر. [٤/ ٧٢]

وقرأَت فرقة: (وَالْفُلْكُ) بالرفع(٢)، فـ﴿تَجْرِي﴾ خبر على هذه القراءة.

وقوله: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ يحتمل أَن يريد يوم القيامة، كأَن طيّ السماءِ ونقض(٣) هذه الهيئة كوقوعها(٤)، ويحتمل أَن يريد بذلك الوعيد لهم في أَنه إِنْ أَذِنَ في سقوط كسفها عليهم(٥) سقطت، ويحتمل أَن يعود قوله: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ على الإِمساك؛ لَأن الكلام يقتضي: بغير عَمَد ونحوهِ فكأَنه أَراد: إِلَّا بإِذْنِهِ فَبِهِ نُمسكها. وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

«الإِحياءُ والإِماتة» في هذه الآية ثلاث مراتب، وسقط منها الموت الأَول الذي

---

(١) يريد بالمكتوبة لفظ الجلالة.

(٢) وهي شاذة، رويت عن الأعرج كما في تفسير الطبري (١٨/ ٦٧٨)، وزاد في الشواذ للكرماني (ص: ٣٣١) الحسن وطلحة.

(٣) في المطبوع والحمزوية: «ونقص».

(٤) في المطبوع: «كوقوعهما».

(٥) في المطبوع: «سقوط السماءِ عليكم»!.

نصَّ عليه في غيرها، إِلَّا أَنه بالمعنى في هذه، و«الْمَنْسَكُ»: المصدر، فهو بمعنى العبادة والشريعة، وهو أيضاً موضع النُّسك.

وقرأَت فرقة بفتح السين وفرقة بكسرها[١]، وقد تقدم القول فيه في هذه السورة.

وقوله: ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ يعطي أَن المَنْسَكَ المصدر، ولو كان الموضع لقيل: هم ناسكون فيه، وروت فرقة أَن هذه الآية نزلت بسبب جدال الكفار في أَمر الذبائح، وقولهم للمؤمنين: تأْكلون ما ذبحتم وهو من قتلكم، ولا تأْكلون مما قتل الله من الميتة، فنزلت الآية بسبب هذه المنازعة[٢].

وقوله: ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾ هذه البِنْيَةُ من الفعل والنهي تحتملُ معنى التخويف، وتحتمل معنى احتقار الفاعل وأَنه أَقلُّ من أَن يُفاعل، وهذا هو المعنى في هذه الآية، وقال أَبو إِسحاق: المعنى: فلا تنازعهم فينازعوك[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا التقدير الذي قَدَّر إِنما يَحْسُن مع معنى التخويف، وإِنما يحسن أَن يُقَدَّر هنا المعنى: فلا تبدأْهم بمنازعتك، فالنهي إِنما يراد به معنى من غير اللفظ، كما يراد في قولهم: لا أَرينك هاهنا، أَي: لا تكن هاهنا.

وقرأَت فرقة: (فلا يَنْـزَعُنَّكَ)[٤].

وقوله: ﴿فِي ٱلْأَمْرِ﴾ معناه ـ على التأْويل أَن المَنْسَك الشريعة ـ: لا ينازعنك في الدين والكتاب ونحوه.

---

(١) وهما سبعيتان، والكسر لحمزة والكسائي كما تقدم في الآية **٣٤** من هذه السورة.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٨٠) من طريق الحسين عن حجاج عن ابن جريج، من قول مجاهد، وحسين، هو سنيد بن داود، ضعيف.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤٣٧).

(٤) وهي شاذة، عزاها لأبي مجلز في معاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٣١)، والمحتسب (٢/ ٨٤)، وضبطت فيه بضم الياء والعين، الشواذ للكرماني (ص: **٣٣١**)، وزاد عكرمة، وضبطها بسكون النون الأخيرة، وفي نجيبويه ونور العثمانية: «ينازعنك»، وفي المطبوع: «ينزغَنك».

وعلى أن المنسك موضع الذبح ـ على ما روت الفرقة المذكورة من أن الآية نزلت في الذبائح ـ: يكون الأمر الذبح، و«الهدى» في هذه الآية: الإرشاد.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن جَـٰدَلُوكَ﴾ الآية موادعةٌ محضة، ونسختها آية السيف.

وباقي الآية وعيد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾.

لمَّا أَخبر تعالى في الآية قبلها بأنه يحكم بين الناس يوم القيامة فيما اختلفوا فيه؛ أَتْبَعَ ذلك الخبر بأَن عنده علْم كل شيءٍ ليقع الحكم في معلوم، فخرجت العبارة على طريق التنبيه[1] على علم الله تعالى وإِحاطته، وأَن ذلك كله في كتاب وهو اللوح المحفوظ.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يحتمل أَن تكون الإِشارة إِلى كون ذلك في كتاب وكونه معلوماً، ويحتمل أَن تكون الإِشارة إِلى الحكم في الاختلاف.

ثم ذكر تعالى ـ على جهة التوبيخ ـ فعل الكفرة في أَنهم يَعْبُدُونَ من الأَصنام مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لَمْ يُنَـزِّلْ الله فيه حُجَّة ولا بُرهاناً، و«السُّلْطَانُ»: الحُجَّة حيث وقع في القرآن الكريم.

وقوله: ﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ توعُّد.

والضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ عائد على كفار قريش، والمعنى: أَنهم كانوا إِذا سمعوا القرآن من النبي ﷺ، أَو من أَحد أَصحابه، وسمعوا ما فيه من رفض آلهتهم والدعاء إِلى التوحيد، عُرفت المساءَة في وجوههم، والْمُنْكَر من معتقدهم وعداوتهم وأَنهم يدبرون[2]

(١) في المطبوع: «التشبيه».

(٢) في الأصل: «يريدون»، وفي نجيبويه: «يريدوه».

ويسرعون إِلى السطوة بالتالي، والمعنى: أَنهم يَـكادُونَ يَسْطُونَ دهرهم أَجمع، وأَما في الشَّاذِّ من الأَوقات فقد سُطي بالتَّالين نحو ما فُعِل بعبد الله بن مسعود وبالنبي ﷺ حين أَغاثه، وحَلَّ الأَمر أَبو بكر الصديق[١]، وبعمر حين أَجاره العاصي بن وائل[٢]، وبأَبي ذرٍّ[٣]، وغير ذلك.

و«السَّطْوُ»: إِيقاع بمباطشة أَوْ أَمْر بها.

ثم أَمر الله تعالى نبيَّه أَن يقول لهم على جهة التوعُّد والتقريع: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم﴾، أَي: أُخبركم بِشَرٍّ مِنْ ذلِكُمُ، والإِشارة بذلكم إِلى السَّطْو، ثم ابتدأَ ينبئُ، كأَن قائلاً قال له: وما هو؟ قال النارُ، أَي نار جهنم.

وقوله: ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يحتمل أَن يكون أَراد أَن الله تعالى وعدهم بالنار، فيكون الوَعْد بالشرِّ ونحو ذلك لمَّا نصَّ عليه، ولم يجئ مطلقاً.

ويحتمل أَن يكون أَراد: أَن الله تعالى وعد النار بأَن يطعمها الكفار، فيكون الوعد على بابه الذي يقتضيه تسرعها إِلى الكفار، وقولها: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠] ونحوه أن ذلك من مسارها[٤].

و﴿ٱلْمَصِيرُ﴾ مَفْعَل من صار؛ إِذا[٥] تحوَّل من حال إِلى حالٍ.

قال القاضي أَبو محمد: ويقتضي كلام الطبري في هذه الآية أَن الإِشارة بـ﴿ذَٰلِكُمُ﴾

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص: ٢٨٠ ـ ابن هشام) من طريق عروة بن الزبير، به، معضلًا، وفي أحمد٣: «وحلَّ الأمر بأبي بكر».

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥١) من حديث عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، به.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٦٤٨) ومسلم (٢٤٧٤) من حديث عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، قال: لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل، الحديث.

(٤) في: المطبوع: «ونحو ذلك من مساوئها».

(٥) في المطبوع: «على».

هي إِلى أَصحاب محمد التَّالين، ثم قال: أَلَا أُخبركم بأَكْرَهَ إِليكم من هؤلاء أَنتم الذين[١] وُعِدْتُم النار، وأَسند نحو هذا القول إِلى قائل لم يُسَمِّه، وهذا كله ضعيف[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾.

الخطاب بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ قيل: هو خطاب يعم جميع[٣] العالم، وقيل: هو خطاب للمؤمنين حينئذ، الذين أَراد الله تعالى أَن يبين عندهم خطأَ الكافرين، ولا شك أَن المخاطب هم ولكنه خطاب يعم جميع / الناس، متى نظره أَحد في أَمر [٤/ ٧٣] عبادة الأَوثان توجَّه له الخطاب.

واختلف المتأَولون في فاعل ﴿ضُرِبَ﴾، من هو؟:

فقالت فرقة: المعنى: ضَرَب أَهلُ الكفر مثلاً لله أَصنامَهُم وأَوْثَانَهُمْ، فاستمعوا أَنتم أَيها الناسُ لأَمر هذه الآلهة، وقالت فرقة: ضَرَب اللهُ مثلاً لهذه الأَصنام وهو كذا وكذا، فالمثال والمثل في القول الأَول هي الأَصنام، والذي جُعل له المثال الله تعالى، والمثال الذي[٤] في التأْويل الثاني هو في الذباب وأَمره، والذي جُعل له هي الأَصنام.

ومعنى ﴿ضُرِبَ﴾: أُثبت وأُلزم، وهذا كقوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [آل عمران: ١١٢]، وكقولنا: ضُربت الجزية، وضُرب البعث.

ويحتمل أَن يكون ضَرْبُ المثلِ من الضَّرْب الذي هو المثل، ومن قولك: هَذَا ضَرْبُ هذا، فكأَنه قال: مُثِّلَ مَثَلٌ.

---

(١) في الأصل: «التي».
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٨٤).
(٣) من نجيبويه والمطبوع.
(٤) من نجيبويه والمطبوع.

وقرأَت فرقة: ﴿يَدْعونَ﴾ بالياءِ من تحت، والضمير للكفار.

وقرأَت فرقة: (يُدْعونَ) بضم الياءِ وفتح العين على ما لم يُسَمَّ فاعله، والضمير للأَصنام[١].

وبدأَ تعالى بنفي الخَلْق والاختراع عنهم من حيث هي صفة ثابتة له مختصة به، فكأَنه قال: ليس لهم صفتي، ثم ثَنَّى بالأَمر الذي بلغ بهم غاية التعجيز، وذكر تعالى أَمر سلْب الذباب لأَنه كان كثيراً محسوساً عند العرب، وذلك أَنهم كانوا يُضَمِّخُون أَوثانهم بأَنواع الطيب فكان الذباب يذهب بذلك، وكانوا متأَلمين من هذه الحجة فجعلت مثلاً[٢].

و«الذُّباب»: جمعه أَذبَّة في القليل، وذِبَّان في الكثير، كغُراب وأَغربة وغِرْبان، ولا يقال: ذبابات إِلَّا في الذيول لا في الحيوان.

واختلف المتأَولون في قوله تعالى: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾:

فقالت فرقة: أَراد بالطالب الأَصنام، وبالمطلوب الذباب، أَي أَنهم ينبغي أَن يكونوا طالبين لما سُلب من طيبهم على معهود الأَنفة من[٣] الحيوان.

وقالت فرقة: معناهُ ضَعْفُ الكفار في طلبهم الصواب والفضيلة من جهة الأَصنام، وضَعْفُ الأَصنام في[٤] إِعطاء ذلك وإِنالته.

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل أَن يريد: ضَعُفَ الطالبُ وهو الذُّبابُ في استلابه ما على الأَصنام، وضَعُف الأَصنام في أَلَّا مَنَعَة لهم، وعلى كل قول: فدلَّ ضَعْفُ

---

(١) وهما شاذتان، عزا الأول الهذلي في الكامل (ص: ٦٠٥) للحسن، ويعقوب، وهارون، والخفاف، ومحبوب عن أبي عمرو، وعزا الثانية في مختصر الشواذ (ص: **٩٩**) لليماني والأسواري، وانظر: الشواذ للكرماني (ص: **٣٣١**).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٦٨٥).

(٣) في أحمد**٣** ونجيبويه والمطبوع ولالاليه: «في».

(٤) في المطبوع: «عن».

الذباب الذي هو محسوسٌ مُجْمع عليه، وضَعْفُ الأَصنام [في أَن لَّا منعة لهم][(١)] عن هذا المُجْمع على ضعفه؛ على أَن الأَصنام في أَحط رُتْبة وأَخَسِّ منزلة.

وقوله: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ خطابٌ للناس المذكورين.

والضمير في ﴿قَدَرُوا۟﴾ للكفار، والمعنى: ما وفَّوه حقَّه من التعظيم والتوحيد.

ثم أَخبر بقوَّة الله تعالى وعزَّته، وهما صفتان مناقضتان لعجز الأَصنام.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

روي أَن هذه الآية إِلى قوله تعالى: ﴿ٱلْأُمُورُ﴾ نزلت بسبب قول الوليد بن المغيرة: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨] الآية[(٢)]، فأَخبر الله تعالى أَنه يَصْطَفِي أَي: يختار مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً إِلى الأَنبياء وغيرهم حسبما ورد في الأَحاديث[(٣)]، وَمِنَ النَّاسِ، وهم الأَنبياءُ المبعوثون لإِصلاح الخلق الذين اجتمعت لهم النُّبُوَّة والرسالة.

وقوله تعالى: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ عبارة عن إِحاطة علمه بهم، وحقيقتها: ما قبلهم من الحوادث وما بعدهم، و﴿ٱلْأُمُورُ﴾: جمع أَمر، ليس يراد به المصدر.

---

(١) ساقط من الأصل والإماراتية والحمزوية.

(٢) وهذا الأثر لم أقف عليه، وسياق الكلام أورده الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٨٧) من دون إسناد.

(٣) منه حديث ضعيف جدّاً، أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٥/ ١٧٠)، والطبراني في الكبير (٥/ ٢٢٠) من طريق نصر بن علي، ثنا عبد المؤمن بن عباد العبدي، عن عبد الله بن شرحبيل، عن رجل من قريش، عن زيد بن أبي أوفى، مرفوعاً: «إني محدثكم بحديث فاحفظوه وعوه، وحدثوا به من بعدكم، إن الله اصطفى من خلقه خلقا ثم تلا هذه الآية ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ خلقاً يدخلهم الجنة»، الحديث، وهذا إسناد ضعيف جداً، عبد المؤمن بن عباد، قال أبو حاتم في الجرح والتعديل (٦/ ٦٦): ضعيف، وفي إسناده من لم يسم، ولما ترجم البخاري في تاريخه الكبير (٣/ ٣٨٦) لزيد بن أبي أوفي، ذكر الحديث، وقال: لا يتابع عليه.

ثم أَمر الله تعالى المؤمنين بعبادته، وخصَّ الرُّكوع والسُّجود بالذِّكر تشريفاً للصَّلاة.

واختلف الناس، هل في هذه الآية سجدة؟: ومذهب مالك رحمه الله أَلَّا يُسْجد هاهنا[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾ ندبٌ فيما عدا الواجبات التي صحَّ وجوبها من غير هذا الموضع[٢].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ ترجٍّ في حق المؤمنين، كقوله سبحانه: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، و«الفَلَاحُ» في هذه الآية: نيل البغية وبلوغ الأمل[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾.

قالت فرقة: هذه الآية أَمر الله تعالى فيها بالجهاد في سبيله، وهو قتال الكفار.

وقالت فرقة: بل هي أَعم من ذلك، وهو جهاد النفس، وجهاد الكافرين، وجهاد الظَّلَمة، وغير ذلك، أَمر الله عباده بأَن يفعلوا ذلك في ذات الله حقَّ فعله.

قال القاضي أَبو محمد: والعُموم حسَنٌ، وبَيِّنٌ أَن عرف اللَّفظة يقتضي الجهاد في سبيل الله.

وقال هِبَـةُ الله وغيره: إِن قوله: ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾، وقوله في الأُخرى: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] منسوخ بالتخفيف إِلى الاستطاعة[٤].

---

(١) انظر قول مالك ومن معه وقول المخالفين لهم في السجود عند الآية في: الاستذكار (٢/ ٥٠٦).

(٢) انظر أصول السرخسي (١/ ١٤)، والعدة لأبي يعلى (١/ ٢١٩-٢٢٠).

(٣) في الأصل: «قيل البلوغ».

(٤) انظر الناسخ والمنسوخ له (ص: ٦٢)، وانظر أيضاً: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤٣٩)، وتفسير الطبري (٧/ ٦٨ و٦٩).

قال القاضي أَبو محمد: ومعنى الاستطاعة في هذه الأَوامر هو المرادُ من أَوَّل الأَمر، فلم يستقر تكليف بلوغ الغاية شرعاً ثابتاً فيقال إِنه نُسخ بالتخفيف[١]، وإِطلاقهم النسخ في هذا غير[٢] محدق.

و﴿ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ معناه: تخيَّركم.

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ معناه: من تضييق، يريد: في شرعة المِلَّة، وذلك أَنها حنيفية سَمْحَة، ليست كشدائد بني إِسرائيل وغيرهم، بل فيها التَّوبة والكَفَّارات والرُّخص ونحو هذا ممَّا كثر عدُّه.

والحَرْجة: الشجر المُلْتَفُّ المتضايق، ورفع الحَرَج صحَّ[٣] لجمهور هذه الأُمَّة ولمن استقام على منهاج الشَّرْع، وأَما السَّلَّابَةُ والسُّرَّاقُ وأَصحاب الحدود فعليهم الحرج، وهم جاعلوه على أَنفسهم بمفارقتهم الدين، وليس في الشَّرع أَعظم حرجاً من إِلزام ثبوت رجلٍ لاثنين في سبيل الله، ومع صحَّة اليقين وجودة العزم ليس بِحَرَجٍ.

وقوله: ﴿مِّلَّةَ﴾ نصب بفعل مضمر تقديره: بل جعلها، أَو نحوه من أَفعال الإِغراء.

وقال الفراءُ: هو نصب على تقدير حذف الكاف، كأَنه قال: كَمِلَّة، وقيل: هو كما ينصب المصدر[٤].

وقوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ﴾، قال ابن زيد[٥]: الضمير لِإبراهيم والإشارة إِلى قوله: / [٤/ ٧٤]
﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[٦].

---

(١) للتوسع في نسخ الحكم قبل العمل انظر: الإحكام لابن حزم (٤/ ٤٩٩)، والبحر المحيط للزركشي (٣/ ١٦٥-١٦٧).

(٢) سقطت «غير» من الحمزوية.

(٣) من المطبوع ونجيبويه.

(٤) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٣١).

(٥) في المطبوع: «أبو زيد».

(٦) البقرة: ١٢٨، وانظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٩٢)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٣)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٣٨).

وقال ابن عباس[(١)]، وقتادة، ومجاهد: الضمير لله تعالى[(٢)].

ومِنْ قَبْلُ معناه: في الكتب القديمة.

﴿وَفِي هَٰذَا﴾: في القرآن، وهذه اللَّفظة تضعف قول مَنْ قال: الضمير لِإبراهيم، ولا يتوجَّه إِلَّا على تقدير محذوف من الكلام مستأْنف.

وقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ أَي: بالتبليغ، وقوله: ﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أَي: بتبليغ رسلهم إِليهم على ما أَخبركم نبيُّكُم.

وأَسند الطبريُّ إِلى قتادة أَنه قال: أُعطيت هذه الأُمة ما لم يُعْطَه إِلَّا نَبيٌّ، كان يقال للنبي: أَنت شهيد على أُمّتك، وقيل لهذه الأُمة[(٣)]: ﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ وكان يقال للنبي: ليس عليك حرجٌ، وقيل لهذه الأُمَّة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، وكان يقال للنبي: سَلْ تُعْطَ، وقيل لهذه الأُمَّة: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠][(٤)].

ثم أَمر الله تعالى بالصلاة المفروضة أَن تُقام ويُدَاوم عليها بجميع حدودها، وبالزكاة أَن تُؤَدَّى، كما أَنعم عليكم فافعلوا كذا، ثم أَمر بالاعتصام بالله تعالى، أَي: بالتَّعَلُّق به، والخُلُوصِ له، وطلبِ النجاة منه، ورَفْضِ التوكُّل على سِواه. و﴿ٱلْمَوْلَىٰ﴾ في هذه الآية معناه: الذي يُليكم نصره وحفظه. وباقي الآية بَيِّن.

كمل تفسير سورة الحج بحمد الله تعالى وعونه[(٥)]

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٩١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٩١)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٩٠)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٣)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٣٨).

(٣) من نجيبويه والمطبوع ونور العثمانية، وكذ في الموضعين التاليين.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٩٣).

(٥) من نجيبويه والمطبوع، وفي الإماراتية: «حق حمده»، وفي لالاليه والحمزوية: «والحمد لله كثيراً».

سُورَةُ المؤمِنُون

تفسير سورة المؤمنون

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦﴾.

أَخبر الله تعالى عن فلاح المؤمنين وأَنهم نالوا البُغْية وأَحرزوا البقاءَ الدائم.

وروي عن كعب الأَحبار أَن الله تعالى لمَّا خلق جنة عدن قال لها: تكلَّمي، فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

وروي عن مجاهد أَن الله تعالى لمَّا خلق الجنة وأَتْقن حسنها قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[2].

وقرأَ طلحة بن مصرف: (قَدْ أَفْلَحُ الْمُؤْمِنُونَ) بضم الحاءِ، يريد: قد أَفلحوا، وهي قراءَة مردودة، وروي عنه: (قد أُفلِح المؤمنون) بضم الهمزة وكسر اللام[3].

ثـم وصـف تعالـى هـؤلاء المفلحيـن فقـال: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾،

---

(١) انظر: الزهد لابن المبارك (ص ٥١٢)، وتفسير الطبري (١٩/ ٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٨).

(٣) وهما شاذتان، انظر عزوهما له في مختصر الشواذ (ص: ٩٩)، والثانية في الشواذ للكرماني (ص: ٣٣١).

و«الخشوعُ»: التَّطامن وتساكن الأَعضاءِ والوقار، وهذا إِنما يظهر في الأَعضاءِ لمن في قلبه خوف واستكانة، ورُوي عن بعض العلماءِ أَنه رأَى رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال: لو خشع هذا خشعت جوارحه[١].

وروي أَن سبب هذه الآية: أَن المسلمين كانوا يلتفتون في صلاتهم يَمْنة ويَسْرة، فنزلت هذه الآية، وأُمروا أَن يكون بصر المصلِّي حذاءَ قبلته أَو بين يديه، وفي الحرم إِلى الكعبة[٢].

وروي عن ابن سيرين وغيره: أَن رسول الله ﷺ كان يلتفت في صلاته إِلى السماءِ فنزلت الآية في ذلك[٣].

و﴿ٱللَّغۡوِ﴾: سقط القول، وهذا يعم جميع ما لا خير فيه، ويجمع آداب الشرع، وكذلك كان النبي ﷺ وأَصحابه، وكأَن الآية فيها موادعة.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ ذهب الطبري وغيره إِلى أَنها الزكاة المفروضة في الأَموال[٤]، وهذا بَيِّنٌ.

---

(١) الزهد لابن المبارك (ص: ٤١٩)، والسنن الكبرى للبيهقي (٢/ ٢٨٥) وقد روي مرفوعاً قال الألباني في الضعيفة (١١٠): عزاه السيوطي في الجامع الصغير لرواية الحكيم عن أبي هريرة. قلت: وصرح الشيخ زكريا الأنصاري في تعليقه على تفسير البيضاوي (٢٠٢/ ٢) بأن سنده ضعيف. وهو أشد من ذلك فقد قال الشيخ المناوي: رواه في النوادر عن صالح بن محمد، عن سليمان بن عمرو، عن ابن عجلان، عن المقبري، عن أبي هريرة قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم رجلاً يعبث بلحيته وهو في الصلاة، فذكره. قال الزين العراقي في شرح الترمذي: وسليمان بن عمرو هو أبو داود النخعي متفق على ضعفه، وإنما يعرف هذا عن ابن المسيب. وقال في المغني: سنده ضعيف، والمعروف أنه من قول سعيد، رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، وفيه رجل لم يسم. وقال ولده: فيه سليمان بن عمرو مجمع على ضعفه. وقال الزيلعي: قال ابن عدي: أجمعوا على أنه يضع الحديث.

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٨) من طريق ابن سيرين، به مرسلًا.

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٨) من طريق أيوب، عن ابن سيرين، قال: نبئت...فذكره مرسلًا، به.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٠).

ويحتمل اللفظ أَن يريد بالزكاة الفضائل، كأَنه أَراد[١] الأزكى من كل فعل، كما قال تعالى: ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ صفة العفة.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ الآية، يقتضي تحريم الزنى، والاستمناء، ومواقعة البهائم[٢]، وكل ذلك في قوله: ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾، ويريد: وراءَ هذا الحدِّ الذي حُدَّ.

ومعنى ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ من النساء.

ولما كان ﴿حَٰفِظُونَ﴾ بمعنى: محجرون[٣] حسُن استعمال ﴿عَلَىٰٓ﴾.

و«العَادِي»: الظالم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾.

قرأ جمهور الناس: ﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ بالجمع، وقرأ ابن كثير: ﴿لأماناتهم﴾ بالإِفراد[٤].

و«الأَمانةُ»: العهدُ، تجمع كل ما تَحمَّله الإِنسان من أَمر دينه ودنياه قولاً وفعلاً، وهذا يعم معاشرة الناس والمواعيدَ وغير ذلك، ورعايةُ ذلك: حفظُه والقيام به، والأَمانة أَعمُّ من العهد؛ إِذ كلُّ عهد فهو أَمانة فيما تقدَّم فيه قول أَو فعل أَو معتقد، وقد تعنُّ[٥]

(١) في الأصل: «أراد كأنه».

(٢) انظر الإجماع على تحريم إتيان البهائم، دون الحد في: الإقناع (٤/ ١٨٥٥-١٨٦٢)، ومنع الاستمناء عند المالكية والجمهور في أحكام القرآن لابن العربي (٥/ ٤٦٤-٤٦٥)، ومخالفة جمهور الحنابلة في: الإنصاف للمرداوي (١٠/ ٢٥١).

(٣) في المطبوع: «محجوزون».

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٥٨)، والسبعة (ص: ٤٤٤).

(٥) في نور العثمانية: «وقد تكون»، وفي الحمزوية: «يعني».

الأمانة فيما لم يعهد فيه تقدم، وهذا إِذا أَخذناهما بنسبتهما إِلى العبد، فإِن أَخذناهما ـ من حيث هُما عَهْد الله إِلى عباده وأمانته التي حَمَّلَهم ـ كانا في رتبة واحدة.

وقرأَ الجمهور: ﴿صَلَوَٰتِهِمْ﴾.

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿صَلَاتِهِمْ﴾ بالْإِفراد[١]، وهذا الِإفراد اسم جنس، فهو بمعنى الجمع.

والمحافظةُ على الصلاة: ترقُّبُ أَوقاتها والمبادرةُ إِلى وقت الفضل فيها.

و﴿ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ يريد: الجنةَ، ورُوي في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إِن الله تعالى جعل لكل إِنسان مسكناً في الجنة ومسكناً في النار، فأَما المؤمنون فيأَخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار، ويحصل الكفار في مساكنهم في النار[٢]».

ويحتمل أَن يسمي الله تعالى الحصول على الجنة وراثة من حيث حصلوها دون غيرهم، فهو اسمٌ مستعار على الوجهين.

و﴿ٱلْفِرْدَوْسَ﴾: مدينة الجنة، وهي جنة الأَعناب، واللفظة فيما قال مجاهد: روميَّة عُرِّبت[٣]، وقيل: هي فارسية عُرِّبت، والعرب تقول للكروم: فراديس، وقال رسول الله ﷺ لأُمِّ حارثة: «إِنها جنان كثيرة، وإِن ابنك قد أَصاب الفردوس الأعلى»[٤].

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٥٨)، والسبعة (ص: ٤٤٤).

(٢) في المطبوع: على منازلهم في النار، والحديث أخرجه ابن ماجه (٤٣٤١) والطبري (١٩/ ١٢) من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به، وهذا إسناد صحيح، إن سلم من تدليس الأعمش.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٣).

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٥٤) من حديث أنس بن مالك، مرفوعاً، ولفظة: «الأعلى» ليس في المطبوع ولالاليه، وفيه: «جنات»، وفي لالاليه ونور العثمانية: «منها»، وسقط القول بأنها فارسية من الأصل.

﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ / . [٤/ ٧٥]

هذا ابتداءُ كلام، والواو في أَوله عاطفةٌ جملةَ الكلام على جملةٍ وإِن تباينت في المعاني.

واختلف المفسرون في قوله: ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: فقال قتادة وغيره: أَراد آدم عليه السلام؛ لأَنه استُلَّ من الطين[١]، ويجيءُ الضمير في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾ عائداً على ابن آدم ـ وإِن كان لم يذكره ـ لشهرة الأَمر، وأَن المعنى لا يصلح إِلَّا له، نظير ذلك: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، وغيره.

وقال ابن عباس وغيره: المراد بقوله: ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: ابن آدم، و﴿سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾: صفوة الماءِ[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا على أَنه اسم الجنس، ويترتب عليه أَنه سلالة من حيث كان الكل عن آدم عليه السلام أَو عن الأَبوين المتغذيين[٣] بما يكون من الماء والطين، وذلك السبع التي جعل الله تعالى رزق ابن آدم فيها، وسيجيءُ قول ابن عباس فيها إِن شاءَ الله.

وعلى هذا يجيءُ قول ابن عباس: إِن السلالة هي صفوة الماء، يعني المنِيَّ.

وقال مجاهد: ﴿سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾: مني آدم[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا نبيل[٥]؛ إِذْ آدم من طين وذريته من سلالة، وما

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٤)، ومعاني القرآن النحاس (٤/ ٤٤٦)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٧).

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ١٤) من طريق الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن أبي يحيى، وهو زياد المكي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وهذا إسناد لا بأس به إن سلم من تدليس الأعمش، وفيه: قوله: «صفوة الماء» فقط، دون ما ذكره المؤلف هاهنا.

(٣) في غير نجيبويه والمطبوع: «المتغذيين».

(٤) في المطبوع: «بني آدم»، وانظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٤٧)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٧).

(٥) في غير نجيبويه والمطبوع: «نبيل».

يكون عن الشيءِ فهو سلالته[١]، وتختلف وجوه ذلك الكون، فمنه قولهم للخمر: سلالةٌ؛ لأنها سلالة العنب، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] إِذا أُنْتِجَتْ مِنْهَا المَهَارَى تَشَابَهَتْ عَلَى العَوْدِ إِلَّا بِالأُنُوفِ سَلَائِلُهْ[٢]

ومن اللفظة قول هند بنت النعمان بن بشير:

[الطويل] .... سَلِيلَةُ أَفْـرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بَغْلُ[٣]

ومنه قول الآخر:

[الطويل] فَجَاءَتْ بِهِ عَضْبَ الأَدِيمِ غَضَنْفَراً سُلَالَةَ فَرْجٍ كَانَ غَيرَ حَصِينِ[٤]

وهذه الفِرقة يترتب مع قولها عود الضمير في «جعلنا» و«أنشأنا».

و«النُّطْفَةُ»: تقع في اللغة على قليل الماءِ وعلى كثيره، وهي هنا لمني ابن آدم.

و«القَرَارُ الْمَكِينُ» من المرأة هو موضع الولد.

و«الْمَكِينُ»: المتمكِّنُ، فكأَن القرار هو المتمكِّنُ في الرحم.

و«العَلَقَةُ»: الدم الغريض[٥]، و«المُضْغَةُ»: بضعة اللحم قَدْر ما يُمْضغُ.

وقرأَ الجمهور: ﴿عِظَـٰمًا﴾ في الموضعين، وقرأَ ابن عامر، وعاصم في رواية أَبي بكر: ﴿عَظْماً﴾ بالإِفراد في الموضعين[٦].

---

(١) في نجيبويه: «سلالة»، بدل سلالته، و«سلالته» بدل سلالة.

(٢) البيت لذي الرمة كما في الأمالي للقالي (١/ ٥٦)، وانظر سمط اللآلي (١/ ٦٠)، وكتاب التنبيه على أوهام أبي علي (١/ ٣٤).

(٣) صدره: وَمَا هِنْدُ إِلَّا مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ، انظر نسبته لها في أدب الكاتب (١/ ٣٥)، وتهذيب اللغة (٢/ ٢٦٠)، والعقد الفريد (٦/ ١٢٣)، والأغاني (٩/ ٢٦٢)، وسماها حميدة، وذكر كامل قصتها مع روح بن زنباع، وتقدم ذكر هند في الآية **١٥٦** من سورة النساء.

(٤) البيت لحسان بن ثابت كما في مجاز القرآن (٢/ ٥٦)، ولسان العرب (١١/ ٣٣٩).

(٥) الغريض: الطري.

(٦) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٤٤٤)، والتيسير (ص: ١٥٨).

وقرأَ السلمي، وقتادة، والأَعرج، والأَعمش بالإِفراد أَولاً، بالجمع في الثاني.

وقرأَ مجاهد، وأَبو رجاءٍ، وإِبراهيم بن أَبي بكر بعكس ذلك(١).

وفي قراءة ابن مسعود: (ثم جعلنا المُضْغَةَ عَظْماً وعَصَباً فكسوناه لحماً) (٢).

واختلف الناس في الخَلْقِ(٣) الآخر:

فقال ابن عباس(٤)، والشعبي، وأَبو العالية، والضحاك، وابن زيد: هو نَفْخُ الروح فيه(٥).

وقال ابن عباس أيضاً: خروجه إِلى الدنيا(٦).

وقال قتادة عن فِرْقَة: نبات شعره، وقال مجاهد: كمال شبابه(٧).

وقال ابن عباس أيضاً: تصرفه في أُمور الدنيا(٨).

قال القاضي أَبو محمد: وهذا التخصيص كله لا وجه(٩) له، وإِنما هو عام في هذا،

---

(١) وهذا الجمع بينهما شاذ في القراءتين، انظرهما في المحتسب (٢/ ٨٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٣١) إلا أنهما اقتصرا في الثانية على مجاهد، وانظر عزوها للباقيين في البحر المحيط (٧/ ٥٥١)، وفي المطبوع: «سلمة»، بدل السلمي، وإبراهيم تقدم في سورة إبراهيم.

(٢) وهي شاذة، انظرها في تفسير الطبري (١٩/ ١٧)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢٢)، في المطبوع: «كسوناها».

(٣) في الأصل: «القول».

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ١٧) من طريق هشيم بن بشير، عن حجاج بن أرطاة، عن عطاء، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به. وهشيم مدلس، وحجاج بن أرطاة، متفق على ضعفه.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٤٨) تفسير الماوردي (٤/ ٤٨).

(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ١٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٧) انظر القولين في تفسير الطبري (١٩/ ١٨)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٨).

(٨) نفس أثر هشيم بن بشير السابق.

(٩) في الأصل: «وحي».

وغيرُه من وجوه النطق والإِدراك وحسن المحاولة هو بها آخر، وأَول رتبة من كونه آخرَ هي نفْخ الروح فيه، والطرف الآخر من كونه آخَر تحصيله المعقولات [إِلى أَن يموت][١].

و«تَـبَارَكَ»: هو مطاوع بارك، كأَنها بمنزلة: تعالى وتقدَّس، في[٢] معنى البركة.

وهذه الآية يروى أَن عمر بن الخطاب لما سمع صدر الآية إِلى قوله: ﴿ءَاخَرَ﴾ قال: «فتبارك اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»، فقال رسول الله ﷺ: «هكذا أُنزلت»[٣].

ويروى أَن قائل ذلك معاذ بن جبل[٤].

ويروى أَن قائل ذلك عبد الله بن أَبي سَرْح، وبهذا السبب ارتدَّ، وقال: أَنا آتي بمثل ما يأْتي به محمد، وفيه نزلت: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣] الآية[٥].

وقوله: ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ معناه: أَحسن الصانعين، يقال لمن صَنَعَ شيئاً: خلقه. ومنه قول الشاعر:

[الكامل] وَلأَنْـتَ تَفْـرِي مَـا خَلَقْـتَ وَبَعْـ ـضُ الْقَـوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي[٦]

وذهب بعض الناس إِلى نفي هذه اللفظة عن الناس، فقال ابن جُرَيْج: إِنما قال:

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) في أحمد٣ والمطبوع: «من».

(٣) ضعيف، أخرجه الآجري في الشريعة (١٣٣٥) من طريق حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، به، وابن جدعان متفق على ضعفه.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٥٦) من طريق آدم بن أبي إياس، عن شيبان، عن جابر، عن عامر الشعبي، عن زيد بن ثابت مرفوعاً، قال الطبراني: لا يروى عن زيد إلا بهذا الإسناد، تفرد به آدم، وجابر، هو: ابن يزيد الجعفي، متفق على ضعفه.

(٥) مرسل، أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٥-٤٦) من طريق ابن إسحاق، قال: حدثني شرحبيل ابن سعد فذكره.

(٦) البيت لزهير بن أبي سُلْمى كما تقدم في تفسير الآية (٢٧) من سورة البقرة.

﴿ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ لأَنه تعالى قد أَذِنَ لعيسى عليه السلام في أَن يخلق[١]، واضطرب بعضهم في ذلك، ولا تُنْفَى اللفظة عن البشر في معنى الصنع، وإِنما هي منفية بمعنى الاختراع والإِيجاد من العدم.

ومن هذه الآية قال[٢] ابن عباس لعمر بن الخطاب حين سأَل[٣] مشيخة الصحابة عن ليلة القدر فقالوا: الله أَعلم، فقال عمر: ما تقول يا بن عباس؟ فقال: يا أَمير المؤمنين، إِن الله تعالى خلق السماوات سبعاً والأَرضين[٤] سبعاً، وخلق ابن آدم من سبع، وجعل رزقه في سبع، فأَراها في ليلة سبع وعشرين، فقال عمر: أَعجزكُمْ أَن تأْتُوا بمثل ما أَتى به هذا الغلام الذي لم تجتمع شؤون رأْسه، وهذا الحديث بطوله في «مسند» ابن أَبي شيبة[٥].

فأَراد ابن عباس بقوله: خلق ابن آدم من سبع هذه الآية، وبقوله: وجعل رزقه في سبع قوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا﴾ [عبس: ٢٧- ٣١] الآية، السَّبع منها لابن آدم، والأَبُّ للأَنعام، والقَضْبُ يأْكله ابن آدم وتسمن به النساءُ، وهذا قول، وقيل: القضب: البقول لأَنها تقضب، فهي رزق ابن آدم.

وقيل: القَضْب والأَبُّ للأَنعام، والسِّتَّة الباقية لابن آدم، والسابعة: هي الأَنعام إِذْ هي من أَعظم رزق ابن آدم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ١٧ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ١٨ فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ١٩ وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ٢٠﴾.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٩)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٥٢).
(٢) في الأصل: قول.
(٣) في المطبوع: «سأله».
(٤) في المطبوع: «الأرض».
(٥) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢١٧٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٠٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٤١٢).

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إِلى ما ذكر من هذه الأَحوال، وقرأَ ابن أبي عبلة: (لَمَائِتُونَ) بالأَلف[١].

و﴿تُبْعَثُونَ﴾ معناه: من قبوركم أَحياءً، وهذا خبر بالبعث والنشور.

و«الطَّرَائِقُ»: كل ما كان طبقاتٍ بعضه[٢] فوق بعض، ومنه: طارقت نعلي، ويريد بالسَّبع الطرائق السماوات، ويجوز أَن تكون الطرائق بمعنى المبسوطات، من: طرقت الشيءَ.

[٤/ ٧٦] / وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ نفيٌ عام، أَي: في إِتقان خلقهم، وعن مصالحهم، وعن أَعمالهم.

وقوله تعالى: ﴿مَآءً بِقَدَرٍ﴾ قال بعض العلماءِ: أَراد المطر.

وقال بعضهم: إِنما أَراد الأَنهار الأَربعة: سيحان وجيحان والفرات والنيل.

قال القاضي أبو محمد: والصواب أَن هذا كله داخل تحت الماء الذي أَنزل الله تعالى.

وقال مجاهد: ليس في الأَرض ماءٌ إِلَّا وهو من السماء، ويمكن أَن يقيد هذا بالعذب، وإِلَّا فالأُجاج ثابت في الأَرض مع القحط، والعذب يقل مع القحط[٣]، وأَيضاً فالأَحاديث تقتضي الماءَ الذي كان قبل خلق السماوات والأَرض، ولا محالة أَن الله تعالى قد جعل في الأَرض ماءً وأَنزل من السماءِ ماءً[٤].

وقوله: ﴿بِقَدَرٍ﴾ أَي على مقدار مصلح؛ لأَنه لو كثر أَهلك.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: **٣٣٣**).

(٢) في نجيبويه: «بعضها»، وفي المطبوع: «من طبقات».

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٢/ ١١٢).

(٤) منها ما أخرجه البخاري في صحيحه (**٣٠١٩**) من حديث عمران بن حصين، رضي الله عنه، مرفوعاً: «كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض».

و﴿فَأَنشَأۡنَا﴾ معناه: أَوجدنا وخلقنا، وذكر تعالى النخيل والأَعناب لأَنها ثمرة الحجاز بالطائف والمدينة وغيرهما، قاله الطبري[١].

ولأَنها أيضاً أَشرف الثمار، فذكرها[٢] مثالًا تشريفاً[٣] لها، وتنبيهاً عليها.

وقوله: ﴿لَّكُمۡ فِيهَا﴾ يحتمل أَن يعود الضمير على الجنَّات، فيريد حينئذ جميع أَنواع الفواكه، ويحتمل أَن يعود على النخيل والأَعناب خاصة؛ إِذْ فيها مراتب وأَنواع، والأَول أَعم لسائر الثمرات.

وقوله: ﴿وَشَجَرَةٗ﴾ عطف على قوله: ﴿جَنَّٰتٖ﴾، ويريد بها الزيتونة، وهي كثيرة في طُورِ سَيْناءَ من أَرض الشام، وهو الجبل الذي كلَّم الله تعالى فيه موسى عليه السلام، قاله ابن عباس وغيره[٤].

و«الطُّور»: الجبل في كلام العرب، وقيل: هو مما عُرِّب من كلام العجم.

واختلف في سَيْناءَ:

فقال قتادة: معناه: الحسن، ويلزم على هذا التأْويل أَن ينون الطُّور.

وقال مجاهد: معناه: مبارك، وقال مَعْمر عن فرقة: معناه: ذو شَجَر[٥].

قال القاضي أَبو محمد: ويلزمهم أَن يُنون الطُّور.

وقال الجمهور: هو اسم الجبل، كما تقول: جبل أُحد، وسَيْناءَ اسمٌ مضافٌ إِليه الجبل.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٢١).

(٢) في المطبوع: «فذكره».

(٣) في نجيبويه والمطبوع: «لا تشريفا»، بالنفي.

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٢) من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وعطاء الخراساني لم يسمع من ابن عباس، رضي الله عنهما، قاله الإمام أحمد، وقال ابن معين: لم يسمع أحداً من أصحاب النبي ﷺ، انظر: جامع التحصيل (٥٢٢).

(٥) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (١٩/ ٢٢)، وتفسير الماوردي (٤/ ٥٠)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٥٦).

وقرأ نافع، وأَبو عمرو، وابن كثير: ﴿سِينَاءَ﴾ بكسر السين، وقرأ الباقون وعمر بن الخطاب: ﴿سَيْنَآءَ﴾ بفتح السين، وكلُّهم بالمدِّ[١].

فعلى فتح السين لا ينصرف الاسم بوجه، وعلى كسر السين فالهمزة كهمزة حِرباءٍ، ولم ينصرف في هذه الآية لأَنه جُعِلَ اسمَ بُقعة أَو أَرض.

وقرأ الجمهور: ﴿تَنۢبُتُ﴾ بفتح التاءِ وضم الباءِ، فالتقدير: تَنْبُت ومعها الدهن، كما تقول: خرج زيد بسلاحه.

وقرأ ابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿تُنْبِتُ﴾ بضم التاءِ [وكسر الباءِ][٢]، واختلف في التقدير على هذه القراءَة:

فقالت فرقة: الباءُ زائدة، وهكذا قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وهذا المثال عندي معترض وإِن كان أَبو علي قد ذكره[٣]، كقول الشاعر:

[الرجز] نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَرْبَابُ الْفَلَجْ نَضْرِبُ بِالْبِيْضِ وَنَرْجُو بِالْفَرَجْ[٤]

ونحو هذا.

وقالت فرقة: التقدير: تُنبت جناها ومعه الدهن، فالمفعول محذوف، قاله أَبو علي الفارسي أيضاً[٥]، وقد قيل: نَبَتَ وأَنبتَ بمعنى، فيكون المعنى كما مضى في قراءَة الجمهور.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٥٩)، والسبعة (ص: ٤٤٤)، وانظر عزو الثانية لعمر تفسير القرطبي (٢٠/ ١١٣).

(٢) سقط من الأصل، وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٤٤٥)، والتيسير (ص: ١٥٩).

(٣) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٢٩١).

(٤) هذا الرجز للنابغة الجعدي، كما في خزانة الأدب (٩/ ٥٢١)، ومعجم البلدان (٤/ ٢٧١)، وتاج العروس (٦/ ١٥٨).

(٥) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٢٩٢).

والأَصمعي يُنكر [أنبت، ويتَّهم قصيدة زهير التي فيها](١): أَنْبَتَ الْبَقْلُ (٢).

وقرأَ الزهري، والحسن، والأَعرج: (تُنْبَتُ) برفع التاءِ ونصب الباءِ(٣)، قال أَبو الفتح: هي باءُ الحال، أَي: تُنْبَتُ ومعها دهنها.

وفي قراءَة ابن مسعود: (تخرجُ بالدُّهْن) (٤)، وهي أيضاً باءُ الحال.

وقرأَ زرُّ بن حُبَيْش: (تُنْبِتُ) بضم التاءِ وكسر الباءِ (الدُّهْنَ) بحذف الباءِ ونصبه(٥).

وقرأَ سليمان بن عبد الملك، والأَشهب: (بِالدِّهَانِ) بالألف(٦).

والمراد في هذه الآية: تعديد نعمة الزيت على الإِنسان، وهي من أَركان النِّعم التي لا غنى للصحة عنها، ويدخل في معنى الزيتونة شجر الزيت كله على اختلافه بحسب الأقطار.

وقرأَت فرقة: ﴿وَصِبْغٍ﴾، وقرأَت فرقة: (وَأَصْبَاغٍ) بالجمع(٧).

وقرأَ عامر بن عبد قيس: (وَمَتَاعًا للآكِلِينَ) (٨).

---

(١) ساقط من نور العثمانية، وفي الأصل: «ينكر البيت، ويتهم» إلخ.

(٢) تمام البيت:

رَأَيْتَ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ   قَطِيْناً بِهَا حَتَّى إِذا أَنْبَتَ الْبَقْلُ

وانظر ذلك كله في جمهرة اللغة (١/ ٢٥٧).

(٣) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٨٧).

(٤) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٨٧)، وفي تفسير الطبري (١٩/ ٢٣): تخرج الدهن.

(٥) وهي شاذة، عزاها له في تفسير القرطبي (١٢/ ١١٦)، وأشار لها في المحتسب (٢/ ٨٨).

(٦) وهي شاذة، عزاها لهما في البحر المحيط (٧/ ٥٥٥)، وللأول في مختصر الشواذ (ص: ٩٩).

(٧) الأولى هي المتواترة، والثانية شاذة، تابعه عليها بلا نسبة في تفسير القرطبي (١٢/ ١١٦)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ٩٩)، والبحر المحيط (٧/ ٥٥٥) لعامر بن عبد الله بلفظ: «وصباغ»، وعزاها كذلك في زاد المسير (٣/ ٢٥٩) لابن السميفع.

(٨) وهي شاذة مخالفة للمصحف، تابعه عليها في البحر المحيط (٧/ ٥٥٦)، وتفسير القرطبي (١٢/ ١١٦)، وفي المطبوع: «عامر بن قيس».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: هي الإِبل والبقر والضأْن والمعز، و«العِبْرَة»: في خلقها وسائر أخبارها(١).

وقرأ الجمهور: ﴿نُّسْقِيكُم﴾ بضم النون من أَسقى، ورويت عن عاصم.

وقرأ نافع، وعاصم وابن عامر: ﴿نسقيكم﴾ بفتح النون من سَقَى(٢).

فمن الناس من قال: هما لغتان بمعنى، ومنهم من قال: سَقَيْتُه إِذا أَعطيته للشَّفة، وأَسْقَيْتُه إِذا جعلت له سقيا لأَرض أَو ثمرة أَو نحوه، فكأَن الله جعل الأَنعام لعباده سقيا يشربون وينتجعون.

وقرأ أَبو جعفر: ﴿تَسْقِيكُمْ﴾ بالتاءِ من فوق، أَي: تسقيكم الأَنعام(٣).

و«المنافع»: الحَمْلُ عليها، وجلودها، وأَصوافها، وأَوبارها، وغير ذلك مما يطول عدُّه.

و﴿ٱلْفُلْكِ﴾: السفن، واحدها فُلْك، الحركاتُ في الواحد كحركات قُفْل وبُرْد(٤)، والحركات في الجمع كحركات أُسْد وكُتُب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾.

هذا ابتداءُ تمثيل لكفار قريش بأُمم كفرت بأَنبيائها فأُهلكوا، ففي ضمن ذلك الوعيد بأَن يحل لهم بلاءٌ نحو ما حلَّ بأُولئك.

---

(١) في أحمد٣: «أجناسها»، وفي الأصل: «خلقتها» وبدل «خلقها».
(٢) وهما سبعيتان، والثانية لنافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر، انظر: السبعة (ص: ٤٤٥).
(٣) وهي عشرية كما تقدم في سورة النحل، انظر: النشر (٢/ ٣٤٢).
(٤) سقط من الأصل.

ونوح عليه السلام أَول نبي أُرسل إِلى الناس[١]، وإِدريس أَول من نُبِّئ ولم يُرْسَل[٢].

و﴿ٱلْمَلَؤُا۟﴾: الأَشراف لأَنهم عنهم يصدر الملأُ، وهو جمع القوم، وفي قول هؤلاءِ استبعادُ بعثة البشر، وهم قوم مُقِرُّون بالملائكة، وذلك لا شك متقرر[٣] عندهم من بقايا نبوة آدم وإِدريس وغيرهما، ولم يكن ذلك عن علم صحيح ولا معرفة بأَخبار نُبُوَّة.

و«الجِنَّـةُ»: الجنون.

و﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ معناه: اصبروا وانتظروا هلاكه / . [٤/ ٧٧]

و﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ معناه: إِلى وقت، ولم يُعَـيِّـنُوه، وإِنما أَرادوا: إِلى وقت يريحكم القدر منه.

ثم إِنَّ نوحاً عليه السلام دعا على قومه حين يئس منهم، وإِن كان دعاؤُه في هذه الآية ليس بنصٍّ، وإِنما هو ظاهر من قوله: ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾، فهذا يقتضي طلب العقوبة، وأَمَّا النُّصرة بمجردها فكانت تكون بِرَدِّهم إِلى الإِيمان.

وقرأَ أَبو جعفر، وابن مُحيصن: (رَبُّ انْصُرْني) برفع الباءِ، وكذلك ﴿رَبُّ احْكُم﴾[٤] وشبهه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

---

(١) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٤٤٠).

(٢) يعني أنه أول نبي بعد آدم؛ لأن آدم كان نبياً، انظر: تاريخ دمشق (١/ ٢٩)، والبدء والتاريخ لابن طاهر المقدسي (٣/ ١١).

(٣) في المطبوع: «مستقر».

(٤) وهي شاذة، عزاها لابن محيصن في الشواذ للكرماني (ص: ٣٣٣)، وتقدمت ﴿رب احكم﴾ لأبي جعفر، وأما هنا فليس له شيء.

قد تقدم القول في صفة السفينة وقدرها في سورة هود، والفُلْك هنا: مفرد لا جمع.

وقوله تعالى: ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾ عبارة عن الإدراك، هذا[(١)] مذهب الحذاق[(٢)]، ووقفت الشريعة على أَعْيُن وعَيْن، ولا يجوز أَن يقال: عينان من حيث لم توقف الشريعة على التثنية[(٣)].

و(وَحْيِنا) معناه: في كيفية العمل ووجه البيان، وذلك أَن جبريل عليه السلام نزل إِلى نوح فقال له: اصنع كذا وكذا لجميع حكم السفينة وما يحتاج إِليه. واستَجَنَّ الكفار نوحاً لادعائه النبوة بزعمهم أَنها دعوى، وسخروا منه لعمله السفينة على غير مجرى، ولكونها أَول سفينة إِن صح ذلك.

وقوله: ﴿أَمۡرُنَا﴾ يحتمل أَن يكون مصدراً بمعنى أَن نأْمر الماءَ بالفيض، ويحتمل أَن يريد واحد الأُمور، أَي إِهلاكنا للكفرة، وقد تقدم القول في معنى قوله تعالى: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾، والصحيح من الأَقوال أَنه تنُّور الخُبز، وأَنها أَمارةٌ كانت بين الله تعالى وبين نوح عليه السلام.

وقوله: ﴿فَٱسۡلُكۡ﴾ معناه: فَأَدْخِلْ، ومنه قول الشاعر:

[البسيط] حَتَّى سَلَكْنَ الشَّوَى مِنْهُن فِي مَسَكٍ ... مِنْ نَسْلِ جَوَّابَةِ الآفَاقِ مِهْدَاجِ[(٤)]

وقال الآخر:

[الوافر] وَكُنْتَ لِزَازَ خَصْمِكَ لَمْ أُعَرِّدْ ... وَقَدْ سَلَكُوكَ فِي يَوْم عَصِيبِ[(٥)]

---

(١) في المطبوع: «على».

(٢) يقصد بهم هنا المتكلمين، ومثل هذا التأويل في لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٢٤٠-٢٤١) بلا نسبة كذلك.

(٣) لأن أسماء الله وصفاته توقيفية، ولمزيد من التوسع في ذلك انظر: الإقناع (١/ ١٥-١٧).

(٤) البيت لأبي وَجْزَةَ السَّعْدِي، كما تقدم، في أول سورة الحجر.

(٥) هذا البيت لِعَدِيِّ بن زيد العباديِّ، وقد تقدم الاستشهاد به في تفسير الآية (٧٧) من سورة هود.

يقال: سَلَكَ وأَسْلَكَ بمعنى.

وقرأَ حفص عن عاصم: ﴿مِن كُلٍّ﴾ بتنوين ﴿كُلٍّ﴾.

وقرأَ الباقون وأَبو بكر عن عاصم بإِضافة ﴿كُلِّ﴾ دون تنوين[١].

و«الزَّوْجَانِ»: كل ما شأْنه الاصطحاب من كل شيء، كالذكر والأُنثى من الحيوان، ونحو النِّعال وغيرها، كل واحد زوج للآخر، هذا موقع اللفظة في اللغة، والعدديُّون يوقعون الزوج على الاثنين، وعلى هذا أَمْرُ استعمال العامة للزوج.

وقوله: ﴿وَأَهْلَكَ﴾ يريد قرابته، ثم استثنى من سبَقَ عليه القولُ بأَنه كافر، وهو ابنه وامرأَته، ثُم أُمر نوح عليه السلام أَلا يراجع ربه ولا يخاطبه شافعاً في أَحد من الظالمين، والإِشارة إِلى من استثني؛ إِذ العُرف من البشر الحُنُوُّ على الأَهل.

ثم أَمره تعالى بأَن يحمد ربَّه على النجاة من الظَّلَمة عند استوائه وتمكنه في الفلك، ثم أَمره بالدعاءِ في بركة المنزل.

وقرأَ عاصم في رواية أَبي بكر: ﴿مَنْزِلاً﴾ بفتح الميم وكسر الزاي، وهو موضع النزول.

وقرأَ الباقون وحفصٌ عن عاصم: ﴿مُنزَلًا﴾ وهو مصدر بمعنى الإِنزال، بضم الميم وفتح الزاي[٢]، ويجوز أَن يراد به موضع النزول.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ﴾ خطاب لمحمد ﷺ، أَي: إِن فيما جرى على هذه الأُمم لعبراً أَو دلائل لمن له نظر وعقل.

ثم أَخبر أَنه تعالى يبتلي عباده الزَّمن بعد الزَّمن، على جهة الوعيد لكفار قريش بهذا الإِخبار.

---

(١) وهما سبعيتان، كما تقدم في حرف سورة هود.

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٩)، والسبعة (ص: ٤٤٥).

﴿وَإِن﴾ عند سيبويه هي المخفَّفة من الثقيلة، واللام لام تأْكيد، والفراءُ يقول: إِنْ نافية، واللام بمعنى إِلا[١].

و﴿لَمُبْتَلِينَ﴾ معناه: مصيبين ببلاءٍ، ومُخْتَبِرين اختباراً يؤدي إِلى ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

قال الطبري رحمه الله: إِن هذا القَرْن هم ثمود، ورسولهم صالح[٢].

قال القاضي أبو محمد: وفي جل[٣] الروايات ما يقتضي أَن قوم عادٍ أَقدم إِلاَّ أَنهم لم يهلكوا بصيحة، وفي هذا احتمالات كثيرة، والله أَعلم.

﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾ معناه: نعَّمناهم وبسطنا لهم الآمال والأَرزاق، ومقالة هؤلاءِ أيضاً تقتضي استبعاد بعثة البشر، وهذه الطائفة وقوم نوح لم يذكر في هذه الآيات أَن المعجزة ظهرت لهم وأَنهم كذبوا بعد وضوحها، ولكن ذلك مقدر معلوم وإِن لم يعين لنا المعجزة، والعقاب لا يتعلق بأَحد إِلا بعد تركه الواجب عليه، ووجوب الاتباع إِنما هو بعد قيام الحجة على المرء أَو على من هو المقصد[٤] والجمهور كالعرب في معجزة القرآن، والأطباء لعيسى، والسحرة لموسى، فقيام الحجة على هؤلاء قامت على جميع من وراءَهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾﴾.

---

(١) يعني أن هذا مذهبهما في مثل هذا كما تقدم مراراً.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٢٨).

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) في نجيبويه: «المقصود».

قوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ﴾ استفهام بمعنى التوقيف، على جهة الاستبعاد، وبمعنى الهزءِ بهذا الوعد.

/ و﴿أَنَّكُمْ﴾ الثانية بدل من الأُولى عند سيبويه، وفيها معنى تأْكيد الأَول، وكُرِّرت لطول الكلام، وإِن كان المبرد أَبى عبارة البدل لكونه غير مستقل؛ إِذ لم يذكر خبر أَنَّ الأُولى[1]، والخبر عند سيبويه محذوف وتقديره: أَنكم تبعثون إِذا متم، وهذا المقدر هو العامل في ﴿إِذَا﴾. [٤/ ٧٨]

وفي قراءة عبد الله بن مسعود: (أَيَعِدُكُم إِذا متم وكنتم تراباً وعِظاماً أَنّـكُم مُخْرَجُونَ)[2]، بحذف ﴿أَنَّكُمْ﴾ الأولى، ويعنون بالإخراج: النشور من القبور.

وقولهم: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ استبعادٌ، وهذه كلمة لها معنى الفعل، التقدير: بَعُدَ كذا، فطوراً تلي[3] الفاعل دون لام، تقول: هيهات مجيءُ زيد، أَي: بَعُدَ ذلك، ومنه قول جرير:

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَهَيْهَاتَ خِلٌّ بِالْعَقِيقِ نُوَاصِلُه[4] [الطويل]

وأَحياناً يكون الفاعل محذوفاً، وذلك عند اللام كهذه الآية، والتقدير: بَعُدَ الوجود لما توعدون، ومن حيث كانت هذه اللفظة بمعنى الفعل أَشبهت الحروف مثل صه[5] وغيرها، فلذلك بنيت على الفتح، وهذه قراءة الجماعة بفتح التاءِ.

(١) انظر: الكتاب لسيبويه (٣/ ١٣٢)، والمقتضب (٢/ ٣٥٦).
(٢) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٥٦).
(٣) في المطبوع: «يليها».
(٤) البيت لجرير كما في كتاب العين (١/ ٦٤)، وتفسير الطبري (١٩/ ٣٠)، والخصائص (٣/ ٤٢)، ومعجم مقاييس اللغة (٤/ ٦).
(٥) في المطبوع: «مَهْ».

وهي مفرد سُمِّي به الفعل في الخبر، أَي: بَعُدَ، كما أَن شَتَّانَ اسم افترق، وعُرْف تسمية الفعل أَن تكون في الأَمر كصَهْ وحس[١].

وقرأَ أَبو جعفر: ﴿هَيْهَاتِ هيهاتِ﴾ بكسر التاءِ غير منونة[٢].

وقرأَها عيسى بن عمر، وأَبو حيوة ـ بخلاف عنه ـ بتاءٍ مكسورة منونة[٣].

وهي على هاتين القراءَتين عند سيبويه جمع هَيْهَاتَ، وكان حقها أَن تكون هَيْهَيَاتٍ، إِلَّا أَن ضعفها لم يقتض إِظهار الياءِ، وقال سيبويه رحمه الله: هي مثل بَيْضَات[٤]، أَراد: في أَنها جمع، وظن بعض النحاة أَنه أَراد: في اتفاق المفرد فقال: واحد هَيْهَاتٍ: هَيْهَة.

وليس كما قال، وتنوين عيسى على إرادة التنكير[٥]، وتَرْكُ [أَبي جعفر التنوين على إِرداة][٦] التعريف.

وقرأَ عيسى الهمداني: (هَيْهَاتْ هَيْهَاتْ) بتاءٍ ساكنة، وهي ـ على هذا ـ جماعة لا مفرد، وقرأَها كذلك الأَعرجُ، ورُويت عن أَبي عمرو[٧].

وقرأَ أَبو حيوة: (هَيْهَاتٌ) بتاءٍ مرفوعة منونة، وهذا على أَنه اسم معرب مستقل وخبره ﴿تُوعَدُونَ﴾، أَي: البُعْد لوعدكم، كما تقول: النجح[٨] لسعيك.

---

(١) في المطبوع: «وهَسْ»، وفي الإماراتية: «وحسن»، وفي الحمزوية وأحمد٣: «وحسى».

(٢) وهي عشرية، انظر عزوها له في النشر (٢/ ٣٦٨)، والمحتسب (٢/ ٨٩).

(٣) وهي شاذة، انظر ها في المحتسب (٢/ ٨٩)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٨٠).

(٤) الكتاب لسيبويه (٣/ ٢٩١)، وفي الأصل: «بيضة».

(٥) في لالاليه: «التكثير».

(٦) سقط من الأصل، وفي أحمد٣: «وترك أبو جعفر».

(٧) وهي شاذة، عزاها لعيسى ورواية أبي عمرو في المحتسب (٢/ ٩٠)، بلا ضبط، وللكل في البحر المحيط (٧/ ٥٦١).

(٨) في المطبوع: «النجم».

ورُوي عن أَبي حيوة: (هَيْهَاتُ) بالرفع دون تنوين[١].

وقرأَ خالد بن إلياس: (هَيْهَاتاً هَيْهَاتاً) بالنصب والتنوين[٢].

والوقف على ﴿هَيْهَاتَ﴾ من حيث هي مبنيَّة بالهاءِ، ومن قرأَ بكسر التاءِ وقف بالتاءِ[٣].

وهي في اللفظة لغاتٌ: هَيْهَا، وهَيْهَاتَ، وهَيْهَان، وأَيْهَاتَ، وهَيْهَاتِ، وهَيْهَاتُ، وهيهاتٌ، وهَيْهَاهْ، قال رؤْبة:

.... هَيْهَاتَ مِنْ مُنْخَرِقٍ هَيْهَاؤُهُ[٤] [الرجز]

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ مَا تُوعَدُونَ) بغير لام[٥].

وقولهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أَرادوا أَنه لا وجود لنا غير هذا الوجود، وإِنما تموت منا طائفة فتذهب وتجيءُ طائفة جديدة، وهذا كفر الدهرية[٦].

و﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾ معناه: بِمُصَدِّقِينَ، ثم دعا عليهم نبيُّهم وطلب عقوبتهم على تكذيبهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (٤٠) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤١) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٤٣) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (٤٤)﴾.

---

(١) وهما شاذتان، انظر عزوهما له في الكامل للهذلي (ص: ٦٠٦)، والأولى خاصة في المحتسب (٢/ ٨٩).

(٢) وهي شاذة، نقلها عنه في الدر المصون (٨/ ٣٣٨)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٣٤) للأعرج.

(٣) وقف عليها أكثر القراء بالتاء، ووقف الكسائي والبزي بالهاء، انظر: التيسير (ص: ٦٠).

(٤) عزاه له الخليل في العين (٤/ ١٠٧)، وابن جني في المحتسب (٢/ ٩٢) ونسبه في لسان العرب (١٣/ ٥٥٢) للعجاج.

(٥) وهي شاذة، عزاها له ولابن مسعود في زاد المسير (٣/ ٢٦٢).

(٦) هم القائلون بقدم العالم وعدم البعث، انظر: التبصير في الدين (١/ ١٤٩)، والملل والنحل لابن حزم (١/ ١٥).

المعنى: قال الله تعالى لهذا النبي الداعي: عمَّا قَلِيلٍ يندم قومك على كفرهم حين لا ينفعهم الندم، ومن ذِكْر الصيحة ذهب الطبري إِلى أَنهم قوم ثمود(١).

وقوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ معناه: بما استحقوا من أَفعالهم، وبما حقَّ منا في عقوبتهم.

والغُثَاءُ: ما يحمله السيل من زَبَدِهِ ومعتاده الذي لا يُنتفع به، فيُشَبَّهُ كل هامدٍ وتالفٍ بذلك.

وبُعْداً: منصوب بفعل مضمر متروك إِظهاره.

ثم أَخبر تعالى عن أَنه أَنشأَ بعد هؤلاءِ أُمماً كثيرة، كل أُمَّة بأَجل وفي كتاب لا تتعداه في وجودها وعند موتها.

و﴿تَتْرَا﴾: مصدر بمنزلة فِعْل، مثل الدعوى والعدوى ونحوهما، وليس تترى بفعل، وإِنما هو مصدر من: تَوَاتَرَ الشيءُ.

وقرأَ الجمهور: ﴿تَتْرَا﴾ كما تقدم، ووقفهم بالأَلف، وحمزة والكسائي يميلانها.

قال أَبو حاتم: هي أَلف تأْنيث.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿تتراً﴾ بالتنوين، ووقفهما بالأَلف، وهي أَلِف إِلحاق(٢).

قال ابن سِيدَهْ: يقال: جاؤُوا تَتْرَى وتَتْرًى، أَي متواترين، التاءُ مُبْدلة من الواو على غير قياس؛ لأَن قياس إِبدال الواو تاءً إِنما هو في اْفْتَعَلَ [وما تَصَرَّف منها إِذا كانت ياؤُه

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٣).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٤٦)، والتيسير في القراءات السبع (ص: ١٥٩)، والإمالة للأخوين أيضا سبعية وكذا تقليل ورش، وأما أبو عمرو فله في الوقف الوجهان، قال في النشر (٢/ ٨٠): ونصوص أكثر أئمتنا تقتضي فتحها له وإن كانت للإلحاق من أجل رسمها بالألف، وقول أبي حاتم لم أقف عليه، وانظر: الحجة لأبي علي (٥/ ٢٩٥).

واواً، فإن فاءَه تنقلب تاءً وتُدغم في تاءِ افْتَعَلَ][1]، وذلك نحو اتَّزَنَ[2] واتَّجَهَ[3].

وقوله: ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ أي: في الإِهلاك.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يريد أَحاديث مَثَل، وقلَّما يستعمل الجعل حديثاً إِلَّا في الشَّرِّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿ثُمَّ﴾: هنا على بابها لترتيب الأُمور واقتضاء المُهْلَة، والآياتُ التي جاء بها موسى وهارون هي اليَدُ والعصا اللتان اقترن بهما التحدي، وهما السُّلْطَان المُبِيْن، ويدخل في عموم اللفظ سائر آياتهما كالبحر والمرسلات السِّت، وأَما غير ذلك مما جرى بعد الخروج من البحر فليست تلك لفرعون؛ بل هي خاصة ببني إِسرائيل.

و«الْمَلأُ» هنا: الجمع، يعمُّ الأَشراف وغيرهم.

و(استكبروا): معناه عن الإِيمان لموسى وأَخيه عليهما السلام؛ لأَنهم أَنِفوا من ذلك.

و﴿عَالِينَ﴾: معناه قاصدين العُلُوَّ بالظلم والكبرياء.

وقوله: ﴿عَٰبِدُونَ﴾ معناه: خادمون مُتَذَلِّلُونَ، ومن هذا قيل لعرب الحيرة: العِبَادُ؛ لأَنهم دخلوا من بين العرب في طاعة كسرى، وهذا أَحد القولين في تسميتهم، والطَّريق المُعَبَّد: المذَلَّل، وعلُوُّ هؤلاءِ هو الذي ذكر الله تعالى في قوله: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣].

وقولُه: ﴿مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ يريد: بالغرق.

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) في لالاليه والأصل: «اتزر».

(٣) المحكم والمحيط الأعظم (٩/ ٥٣٣).

[٤/ ٧٩] / قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: هو التوراة، و﴿لَعَلَّهُمْ﴾: يريد بني إِسرائيل؛ لأَن التوراة إِنما نزلت بعد هلاك فرعون والقبط، والترجِّي في لعل في حيِّز البشر، أَي: كان من فعلنا معهم ما يرجو معه ابن آدم إِيمانهم وهداهم، والقضاءُ قد [حتم بما حتم][(١)].

و﴿ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾: عيسى عليه السلام، وقصتهما كلها آية عظمى بمجموعها، وهي آيات مع التفصيل، وأَخذها من كلا الوجهين متمكن، و«آوَى» معناه: ضَمَّ، واستعمال اللفظة في الأَماكن، أَي أَقررناهما، و«الرَّبْوَة»: المرتفع من الأَرض.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿رُبْوَةٍ﴾ بضم الراء، وقرأَ عاصم، وابن عامر: بفتحها، وهي قراءَة الحسن وأَبي عبد الرحمن[(٢)].

وقرأَ ابن عباس، ونصر عن عاصم بكسرها، وقرأَ محمد بن أَبي إِسحاق: (رُبَاوَةٍ) بضم الراءِ، وقرأَ الأَشهب العقيلي بفتحها، وقرأَت فرقة بكسرها، وكلها لغات قرئَ بها[(٣)].

و«القَرَارُ»: المتمكن، فمعنى هذا أَنها مستوية بسيطة للحرث والغراسة، قاله ابن عباس[(٤)].

---

(١) في المطبوع: «حكم بما حكم».

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٤٦)، والتيسير (ص: ٨٣).

(٣) هذه أربع قراءات شاذة، انظر عزو الأولى لابن عباس في تفسير الثعلبي (٢/ ٢٦٤)، ومختصر الشواذ (ص: ٩٩)، ولإسحاق الأزرق، عن شعبة في جامع البيان (٢/ ٩٣٠)، والثانية لابن أبي إسحاق في الشواذ للكرماني (ص: ٣٣٥)، والثالثة فيه للأشهب، وعزا له الثعلبي الرابعة، وفي المطبوع: محمد بن إسحاق... والشهب العقيلي.

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

وقال قتادة: القرار هنا: الحبوب والثمار[١].

ومعنى الآية: أَنها من البقاع التي كملت خصالها فهي أَهلٌ أَن يُسْتَقَر فيها، وقد يمكن أَن يُسْتَقَرَّ على الكمال في البقاع التي ماؤُها آبارٌ، فيَبِينُ بَعْدُ أَن ماءَ هذه الربوة يُرى معيناً جارياً على وجه الأَرض، قاله ابن عباس[٢]، وهذا كمال الكمال.

و«المَعِينُ»: الظاهرُ الجري للعين، فالميم زائدة، وهو الذي يُعايَن جريه، لا كالبئر ونحوه، وكذلك أَدخل الخليل وغيره هذه اللفظة في باب «ع ي ن»[٣].

وقد يحتمل أَن يكون من قولهم: مَعَن الماءُ، إِذا كثُر، ومن قولهم: المعنُ المعروف والجود، فالميم فاءُ الفعل، وأَنشد الطبري على هذا قول عبيد بن الأَبرص:

وَاهِيَةٌ أَوْ مَعِينٍ مَعْنٍ   أَوْ هَضْبَةٌ دُونَهَا لُهُوبُ[٤]   [مخلع البسيط]

وقد قال رسول الله ﷺ: «يرحم الله هاجر، لو تركت زمزم لكانت عيناً معيناً»[٥]، وهذا يحتمل الوجهين.

وهذه الربوة هي الموضع الذي فرت إِليه مريم حين استحيت في قصة عيسى عليه السلام، وهو الذي قيل لها فيه: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤]، هذا قول بعض المفسرين.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٩).
(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.
(٣) العين (٢/ ٢٥٥).
(٤) عزاه له في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٩٣)، وتهذيب اللغة (١/ ٣١٠)، وتفسير الطبري (١٩/ ٣٩)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٣٩)، وفي أحمد٣: «داهية»، وسقطت منها معن، وفي سائر النسخ: «ممعن»، والتصحيح من المصادر، وبه يستقيم العروض، ويتم الاستشهاد.
(٥) أخرجه البخاري (٢٢٣٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً، به.

واختلف الناس في موضع الربوة:

فقال ابن المسيب سعيدٌ: هي الغوطة بدمشق، وهذا أَشهر الأَقوال؛ لأَن صفة الغوطة أَنها ذات قَرارٍ وَمَعِينٍ على الكمال(١).

وقال أَبو هريرة: هي الرملة في فلسطين(٢)، وأَسْنَدهُ الطبريُّ، عن كريب(٣)، [عن مُرَّةَ](٤) البَهْزِيِّ، عن النبي ﷺ(٥)، يعارض هذا القول أَن الرملة ليس يجري بها ماءٌ البتَّــةَ، ذكره الطبري وضعَّف القول به(٦).

وقال كعب الأَحبار: الرَّبوة بيت المقدس، وزعم أَن في التوراة أَن بيت المقدس أَقرب الأَرض إِلى السماء، وأَنه يزيد على الأَرض ثمانية عشر ميلاً(٧).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٧)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٣٢٠).

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٧) من طريق بشر بن رافع، عن أبي عبد الله، ابن عم لأبي هريرة، عنه، وابن عم أبي هريرة، رضي الله عنه، مستور، قال الذهبي في الميزان (٤/ ٥٤٥): لا يُعرف، ما حدَّث عنه سوى بشر بن رافع.

(٣) هو كريب بن أبي مسلم المكي مولى ابن عباس، كنيته أبو رشدين، أدرك عثمان، وروى عن: زيد بن ثابت، وعائشة، وروى عنه: ابناه رشدين، ومحمد، وطائفة، وثقه ابن معين وغيره، وبعثته أم الفضل إلى الشام، توفي سنة ٩٨هـ، تاريخ الإسلام (٦/ ٤٦٢).

(٤) سقط من الأصل، وفي أحمد٣: «النهزي»، وهو مرة بن كعب البهزي، من بهز بن الحارث بن سليم ابن منصور، نزل البصرة، ثم نزل بالشام، وتوفى مرة بن كعب البهزي بالأردن سنة ٥٧هـ، روى عنه أبو الأشعث، وعبد الله بن شقيق، الاستيعاب (٣/ ١٣٨٢).

(٥) غريب جدّاً، أخرجه الطبري (١٩/ ٣٧)، والطبراني في الأوسط (٧/ ٨) وغيرهم من طريق عباد ابن عباد أبي عتبة الخواص، ثنا يحيى بن أبي عمرو السيباني، عن أبي وعلة، عن كريب السحولي، عن مرة البهزي، مرفوعاً، بلفظ: «الرملة الربوة». قال الطبراني: لا يُروى هذا الحديثُ عن مُرة إلا بهذا الإسناد، تفرد به عباد بن عباد.اهـ، وعباد الخواص، في حفظه ضعف، انظر ميزان الاعتدال (٢/ ٣٦٨)، ولما أورد الحديثَ الحافظُ ابنُ كثير في تفسيره (٥/ ٤٧٧) قال: وهذا الحديث غريب جدّاً.اهـ. وراجع السلسلة الضعيفة (٦٣٩٠).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٧).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٧)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٤٩)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٣٢٠).

قال القاضي أَبو محمد: ويترجَّح أَن الربوة في بيت لحم من بيت المقدس؛ لأَن ولادة عيسى هنالك كانت، وحينئذ كان الإِيواءُ.

وقال ابن زيد: الرَّبوة بأَرض مصر(١)، وذلك أَنها رُبًى يجيء(٢) فيض النيل إِليها فيملأُ الأَرض، ولا ينال تلك الرُّبَى وفيها القرى وبها نجاتها.

قال القاضي أَبومحمد: ويضعف هذا القول أَنه لم يُرْوَ أَن عيسى عليه السلام ومريم كانا بأَرض مصر، ولا حفظت لهما بها قصة.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ يحتمل أَن يكون معناه: وقلنا: يا أَيُّها الرسل، فتكون هذه بعض القصص التي ذَكَر، وكيفما حول المعنى(٣)، فلم يخاطبوا قطُّ مجتمعين، وإِنما خوطب كل واحد في عصره.

وقالت(٤) فرقة: الخطابُ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ لمحمد ﷺ، ثم اختُلف:

فقال بعضهم: أَقامه مقام الرسل، كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾، وقيل غير هذا مما لا يثبت مع النظر.

والوجه في هذا: أَن يكون الخطاب لمحمد، وخرج بهذه الصيغة ليفهم وجيزاً أَن هذه المقالة قد خوطب بها كل نبي، أَو هي طريقتهم التي ينبغي لهم الكون عليها، وهذا كما تقول لتاجرٍ: يا تُجَّار ينبغي أَن تجتنبوا الرِّبَا، فأَنت تخاطبه بالمعنى، وقد اقترن بذلك أَن هذه المقالة تصلح لجميع صنفه.

وقال الطبريُّ: الخطاب بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ لعيسى(٥).

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي (٧/ ٤٩)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٣٢٠)، وفي نجيبويه والمطبوع: «أبو زيد».

(٢) في المطبوع: «يجري».

(٣) سقطت من الأصل، وفي المطبوع: «وكيفما كان قول المعنى».

(٤) في المطبوع: «وقرأت».

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٤٠).

ورُوي: أَنه كان يأْكل من غزل أُمه[١]، والمشهور أَنه كان يأْكل من بقل البريّة[٢].

ووجه خطابه لعيسى عليه السلام ما ذكرناه من تقديره لمحمد ﷺ.

و﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ هنا: الحلالُ بِلَذَّة وبغير ذلك.

وفي قوله: ﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ تنبيه ما على التحفظ، وضرب من الوعيد بالمباحثة، صلى الله على جميع رسله وأَنبيائه، وإِذا كان هذا معهم فما ظنُّ كل الناسِ بأَنفسهم؟ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ٥٤ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ٥٦﴾.

قرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿وَإِنَّ﴾ بكسر الأَلف وشدِّ النون.

وقرأَ ابن عامر: ﴿وَأَنْ هَذِهِ﴾ بفتح الأَلف وتخفيف ﴿أَنْ﴾.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو: ﴿وَأَنَّ هَذِهِ﴾ بفتح الأَلف وتشديد ﴿أَنَّ﴾[٣].

فالقراءَة الأُولى بَيِّنَـةٌ على القطع، وأَما فتح الأَلف وتشديد النون فمذهب سيبويه أَنها متعلقة آخراً بـ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ على تقدير: لأَنَّ، أَي: فاتَّقُونِ لأَنَّ أُمَّتَـكُمْ أُمَّـة واحِدَة وأَنِّي رَبُّـكُمْ، وهذا عنده نحو قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجن: ١٨]، و﴿أَنَّ﴾ عنده في موضع خفض، وهي عند الخليل في موضع نصب لما زال الخافض، وقد عكس هذا الذي نسبتُ إِليهما بعضُ الناس[٤].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٥)، وتفسير الطبري (١٩/ ٤٠)، وتفسير السمعاني (٣/ ٤٧٨)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٧٣).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/ ١٢٨).

(٣) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٥٩)، والسبعة (ص: ٤٤٦)، وسقط عاصم من الأصل.

(٤) انظر قولهما في الكتاب لسيبويه (٣/ ١٢٦).

وقال الفراءُ: ﴿أَنَّ﴾ متعلقة بفعل مضمر، تقديره: واعلموا أَو / احفظوا[١]. [٤/ ٨٠]

وقرأَ الحسن، وابن أَبي إِسحاق: (أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ) بالرفع على البدل[٢].

وقرأَ نافع، وعاصم، وأَبو عمرو: ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ بالنصب على الحال، وقيل على البدل من ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾، وفي هذا نظر.

وهذه الآية تقوِّي أَن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ إِنما هو مخاطبة لجميعهم، وأَنه بتقدير حضورهم، وتجيءُ هذه الآية بعد ذلك بتقدير: وقلنا للناس.

وإِذا قدرت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ مخاطبة لمحمد ﷺ قَلِقَ اتصالُ هذه واتصالُ قوله: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ﴾، أَما أن قوله: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ ـ وإِن كان قيل للأَنبياء ـ فأُممهم داخلون فيه بالمعنى، فيحسن بعد ذلك اتصال ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ﴾.

ومعنى الأُمَّة هنا: المِلَّة والشريعة، والإِشارة بـ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ إِلى الحنيفية السمحة، ملَّةِ إِبراهيم عليه السلام، وهو دين الإسلام.

وقوله: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ﴾ يريد الأُمم؛ أَي: افترقوا، وليس بفعل مطاوع كما تقول: تقطَّع الثوبُ؛ بل هو فعل متعدٍّ بمعنى: قطعوا، ومثله: تجهَّمني الليل، وتخوَّفني السَّيْر، وتَعَرَّقني الزمن[٣].

وقرأَ نافع: ﴿زُبُرًا﴾ بضم الزاي والباءِ، جمع زبور.

وقرأَ الأَعمش، وأَبو عمرو ـ بخلاف ـ: (زُبَراً) بضم الزاي وفتح الباءِ[٤].

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٣٧).

(٢) وهي شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٨١)، والنصب قراءة القراء العشرة كلهم.

(٣) في المطبوع: «تعرفني».

(٤) الضم قراءة القراء العشرة، وبالفتح شاذة عزاها النحاس في معاني القرآن (٤/ ٤٦٦) للأعمش، والهذلي في الكامل (ص: ٦٠٦) لمسعود بن صالح، وعباس، وعبد الوارث، والجعفي، وهارون، وعبيد، وأبو زيد، واللؤلؤي عن أبي عمرو.

فأَما الأُولى فتحتمل معنيين:

أَحدهما: أَن الأُمم تنازعت أَمرها كُتُباً منزلة، فاتبعت فرقة الصُّحف، وفرقة التوراة، وفرقة الزبور، وفرقة الإِنجيل، ثم حَرَّفَ الكلُّ وبدَّل، وهذا قول قتادة.

والثاني: أَنهم تنازعوا أَمرهم كُتباً وضعوها وضلالات أَلَّـفوها، وهذا قول ابن زيد[١]، وأَما القراءة الثانية فمعناها: فِرَقاً كزُبَر الحديد.

ثم ذكر تعالى أَن كل فريق منهم معجب برأْيه وضلالته، وهذا غاية الضلال؛ لأَن المرتاب بما عنده ينظر إِلى طلب الحق.

ومن حيث كان ذكر الأُمم في هذه الآية مثالاً لقريش خاطب محمداً ﷺ في شأْنهم متصلاً بقوله: ﴿فَذَرْهُمْ﴾؛ أَي: فذَرْ هؤلاءِ الذين هم بمنزلة من تقدم.

و«الغَمْرَةُ»: ما عمَّهم من ضلالهم، وفَعَلَ بهم فعلَ[٢] الماءِ الغَمْرِ بما حصل فيه.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن: (فَذَرْهُمْ فِي غَمَرَاتِهِمْ)[٣].

و﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: أَي إِلى وقت فتحٍ فيهم غير محدود. وفي هذه الآية موادعة منسوخة بآية السيف.

ثم وقفهم على خطأ رأْيهم في أَن نعمة الله عندهم بالمال ونحوه إِنما هي لرضاه عن حالهم، وبيَّن تعالى أَن ذلك إِنما هو إِملاءٌ واستدراج.

وخبر «أَنَّ» في قوله: ﴿نُسَارِعُ﴾.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿نُسَارِعُ﴾ بنون العظمة، وفي الكلام ـ على هذه القراءَة ـ ضمير عائد تقديره: لَهُمْ بِهِ.

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (١٩/ ٤٢)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٧٤).

(٢) في المطبوع: «به مفعل».

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له ولأبي البرهسم في الشواذ للكرماني (ص: **٣٣٥**).

وقرأَ عبد الرحمن بن أَبي بكرة[١]: (يُسَارِعُ) بالياءِ [من تحت][٢] وكسر الراءِ بمعنى: أَن إِمدادنا يسارع، ولا ضمير مع هذه القراءَة إِلَّا ما يتضمن الفِعْل.

ورُوي عن ابن أَبي بكرة المذكور (يُسَارَعُ) بفتح الراءِ.

وقرأَ الحرُّ النحوي: (نُسْرِعُ) بالنون وسقوط الأَلف[٣].

و﴿ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾: هنا نعم الدنيا.

وقوله: ﴿بَل لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ وعيد وتهديد، والشُّعور مأْخوذ من الشِّعار وهو ما يلي الإِنسان من ثيابه[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾.

لما فرغ من ذِكر الكفرة وتوعُّدهم عقَّب ذلك بذكر المؤمنين ووعدهم، وذكر ذلك بأَبلغ صفاتهم، والإِشْفَاقُ أَبلغ التوقع والخوف.

و﴿مِّنۡ﴾ في قوله: ﴿مِّنۡ خَشۡيَةِ﴾ لبيان جنس الإِشفاق، والإِشفاقُ إِنما هو من عذاب الله.

و﴿مِّنۡ﴾ في قولنا: ﴿مِّنۡ عَذَابِ﴾[٥] هي لابتداءِ غاية.

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبي بكرة الثقفي، أول مولود بالبصرة، روى عن أبيه، وكان ثقة جليل القدر، وفد مع أبيه على معاوية، قال أبو عمرو الداني: قال شعبة: كان أقرأ أهل البصرة، مات سنة ٩٦هـ، تاريخ الإسلام (٣/ ١٣٠)، وفي الحمزوية: «ابن أبي بكر».

(٢) زيادة من لالاليه.

(٣) وكلها شاذة، انظر الأولى لابن أبي بكرة في تفسير الطبري (١٩/ ٤٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٦٧)، وللحر في المحتسب (٢/ ٩٣)، والثانية فيه وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣٣٦) لابن أبي بكرة، وفي المطبوع وأكثر النسخ: «عن أبي بكرة»، و«ابن» من أحمد٣.

(٤) في المطبوع: «الثياب».

(٥) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾ في الآية (٢٧) من سورة المعارج، في المطبوع: «من عذاب الله».

و«الآياتُ»: تعمُّ القرآن، وتعمُّ العِبَر والمصنوعات التي لله، وغير ذلك مما فيه نظر واعتبار.

[المتقارب] وَفِــي كُــلِّ شَــيْءٍ لَــهُ آيَــةٌ[١] ....

ثم ذَكَرَهُم تعالى من الطرف الآخر وهو نَفْي الإِشراك؛ لأَن لِكُفَّار قريش أَن يقولوا: ونحن نؤمن بآيات ربنا، ويريدون[٢] نصدق بأَنه المخترع الخالق، فذكر تعالى نفي[٣] الإشراك الذي لا حظَّ لهم فيه بسبب أَصنامهم.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ على قراءة الجمهور معناه: يُعطون ما أَعطوا، وقال الطبري: يريد الزكاة المفروضة وسائر الصدقة، وروي نحوه عن ابن عمر[٤]، ومجاهد[٥].

قال القاضي أَبو محمد: وإِنما ضمَّهم إِلى هذا التخصيص أَن العطاءَ مستعمل في المال على الأَغلب، وقال ابن عباس[٦]، وابن جبير: هو عامٌّ في جميع أَعمال البرِّ[٧]، وهذا أحسن، كأَنه قال: والذين يُعطون من أَنفسهم في طاعة الله ما بلغه جهدهم.

---

(١) هذا صدر بيت متداول تمامه: تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ، وهو لأبي العتاهية كما تقدم في الآية (١٩٢) من سورة آل عمران.

(٢) في المطبوع: «ونريد أن»، وفي لالاليه: «نريد نصدق».

(٣) سقطت من الأصل.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ٤٥) من طريق سفيان، عن ابن أبجر، عن رجل، عن ابن عمر، رضي الله عنهما، به. وهذا إسناد ضعيف، فيه من لم يُسم.

(٥) انظر قول الطبري ومجاهد في تفسير الطبري (١٩/ ٤٤) وما بعدها.

(٦) لم أقف عليه من قول ابن عباس، وإنما جاء هذا التفسير من قول الحسن البصري، رحمه الله تعالى، أخرجه الطبري (١٩/ ٤٥)، والذي جاء في تفسيره ـ كما وقفت عليه ـ من قول ابن عباس، رضي الله عنهما، هو: الإنفاق خاصة، أخرجه الطبري (١٩/ ٤٥) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس، به، وابن جريج لم يلق أحداً من الصحابة، قاله: ابن المديني، كما في جامع التحصيل (٤٧٢).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٤٥)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٧٨).

وقرأَت عائشة أُم المؤمنين، وابن عباس، وقتادة، والأَعمش: (يَأْتُونَ مَا أَتَوْا)[(١)].

ومعناه: يفعلون ما فعلوا، ورويت هذه القراءَة عن النبي ﷺ[(٢)].

وذهبت فرقة إِلى أَن معناه: من المعاصي، وذهبت فرقة إِلى أَن ذلك في جميع الأَعمال طاعتها ومعصيتها، وهذا أَمدح، وأَسند الطبري عن عائشة رضي الله تعالى عنها أَنها قالت: قلتُ: يا رسول الله، قوله تعالى: ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ الذي يزني ويسرق؟ قال: «لا يا بنت أَبي بكر؛ بل هي في الرجل يصوم ويتصدق وقلبُه وَجِلٌ يخاف أَلَّا يُتقبل منه»[(٣)].

قال القاضي أَبو محمد: ولا نظر مع الحديث.

و«الوَجَلُ»: نحو الإِشفاق والخوف، وصورة هذا الوجل: أَمَّا المخلِّط فينبغي أَن يكون أَبداً تحت خوف من أَن يكون ينفذ عليه الوعيد بتخليطه، وأَما التَّقي والتائب: فخوفه من الخاتمة وما يطلع عليه بعد الموت، وفي قوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ تنبيه على الخاتمة.

وقال الحسن: معناه: الذين يفعلون ما يفعلون من البر ويخافون أَلَّا يُنجيهم ذلك من عذاب ربهم[(٤)].

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لعائشة، وابن عباس في معاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٦٩)، وللكل في المحتسب (٢/ ٩٤).

(٢) ضعيف، أخرجه الإمام أحمد (٤١/ ١٨٥) والبخاري في الكنى من التاريخ الكبير (ص: ٢٨) والطبري في تفسيره (١٩/ ٤٦) من طريق أبي خلف مولى بني جمح، عن عائشة، مرفوعاً به، وأبو خلف، فيه جهالة، تناوله الذهبي في الميزان (٤/ ٥٢١) وقال: لا يُعرف.

(٣) الصواب فيه الانقطاع، أخرجه الإمام أحمد (٤٢/ ١٥٦) والترمذي (٣١٧٥) والطبري (١٩/ ٤٦) من طريق عبد الرحمن بن سعيد بن وهب، عن عائشة، رضي الله عنها، مرفوعاً، به، وهذا إسناد منقطع، عبد الرحمن بن سعيد بن وهب، لم يلق عائشة، قاله أبو حاتم الرازي، انظر مراسيل ابنه (٤٥٦)، وجاء الحديث من طريق عبد الرحمن بن سعيد عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحو هذا، ولكنها شاذة، وقد صحح الدارقطني في علله (١١/ ١٩٣) الرواية المرسلة، وقال: وهو المحفوظ.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٤٥).

قال القاضي أَبو محمد: وهذه عبارة حسنة.

ورُوي عن الحسن أَيضاً أنه قال: المؤمن يجمع إِحساناً وشفقة، والمنافق يجمع إِساءَةً وأَمْناً(١).

وقرأَ الجمهور: ﴿أَنَّهُمْ﴾ بفتح الأَلف، والتقدير: بأَنَّهم أَو لأَنهم أَو من أَجل أَنهم، ويحتمل أَن يكون قوله: ﴿وَجِلَةٌ﴾ عاملا في «أَنَّ» من حيث هي بمعنى: خائفة. / . [٤/ ٨١]

وقرأَ الأَعمش: (إِنَّهُمْ) بكسر الأَلف(٢) على إِخبارٍ مقطوع في ضمنه تخويف.

ثم أَخبر تعالى عنهم بأَنهم يبادرون إِلى فعل الخيرات.

وقرأَ الجمهور: ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾، وقرأَ الحُرُّ النحوي: (يُسْرِعُون)، و(أَنَّهُمْ إِلَيْهَا سَابِقُونَ)(٣).

وهذا قول بعضهم في قوله تعالى: ﴿لَهَا﴾، وقالت فرقة: معناه: من أَجلها سابقون، فالسباق ـ على هذا التأْويل ـ هو إِلى رضوان الله، وعلى الأَول هو إِلى الخيرات، وقال الطبري عن ابن عباس: المعنى: سبقت لهم السعادة في الأَزل فهم لها(٤)، ورجحه الطبري بأَن اللام متمكنة في المعنى(٥).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٤٥).
(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له ولزيد بن علي في الشواذ للكرماني (ص: ٣٣٦).
(٣) وهي شاذة، انظر عزو (يسرعون) له في المحتسب (٢/ ٩٥)، وظاهره أن الثانية قراءة له كذلك، وهي في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٣٨)، وتفسير الطبري (١٩/ ٤٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٧٠)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٧٩)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٥١)، وتفسير الثعالبي (٤/ ١٥٥)، تفسيرٌ ولم ينسبوه.
(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.
(٥) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٤٧ و٤٨).

قوله تعالى: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ نَسْخٌ لجميع ما ورد في الشرع من تكليف ما لا يطاق على الحقيقة، وتكليف ما لا يُطاق أَربعة أَقسام: ثلاثة حقيقة ورابع مجازي، وهو الذي لا يطاق الاشتغال بغيره مثل الإِيمان للكافر والطاعة للعاصي، وهذا التكليف باقٍ وهو تكليف أَكثر الشريعة، وأَما الثلاثة فورد اثنان منها، وفيها وقع النسخ المحال عقلاً في نازلة أَبي لهب، والمحال عادة في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٤] الآية.

والثالث: لم يرد فيه شيءٌ، وهو النوع المهلك؛ لأَن الله تعالى لم يكلفه عباده، فأَما قتل القاتل ورجم الزاني فعقوبته بما فعل(١)، وقد مضى القول مستوعباً في مسأَلة تكليف ما لا يطاق في سورة البقرة، وفي قولنا: «ناسخ» نظر من جهة التواريخ وما نزل بالمدينة وما نزل بمكة، والله المعين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ﴾ أَظهر ما قيل فيه: أَنه أَراد كتاب إِحصاءِ الأَعمال الذي ترفعه الملائكة، وفي الآية -على هذا التأْويل- تهديدٌ وتأْنيس من الحيف والظلم، وقالت فرقة: الإِشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ﴾ إِلى القرآن.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا يحتمل، والأَول أَظهر.

وقوله تعالى: ﴿فِى غَمْرَةٍ﴾ يريد: في ضلال قد غمرها كما يفعل الماءُ الغَمْرُ بما حصل فيه، وقوله: ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ يحتمل أَن يشير إِلى القرآن، ويحتمل أن يشير(٢) إِلى كتاب الإِحصاءِ، ويحتمل أَن يشير إِلى الأَعمال الصالحة المذكورة قبل، أَي: هم في غمرة من اطِّراحها وتركها، ويحتمل أَن يشير إِلى الدين بجملته، أَو إِلى محمد ﷺ، وكل تأْويل من هذه قد قالته فرقة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾، الإِشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِلى الغَمْرة والضلال

---

(١) انظر هذه الأقسام في: البحر المحيط للزركشي (١/ ٣١١، ٣١٣، ٣١٥).

(٢) سقطت من نور العثمانية والإماراتية.

المحيط بهم، فمعنى الآية: بل هم ضالُّون معرضون عن الحق، وهم ـ مع ذلك ـ لهم سعايات فساد، فوسمهم تعالى بحالتي شرٍّ، قال هذا المعنى قتادة وأَبو العالية.

وعلى هذا التأْويل: فالإِخبار عما سلف من أَعمالهم وعمَّا هم فيه.

وقالت فرقة: الإِشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِلى قوله: ﴿مِّنۡ هَٰذَا﴾ فكأَنه قال: لهم أَعمال من دون الحق أَو القرآن ونحوه.

وقال الحسن بن أَبي الحسن ومجاهد: إِنما أَخبر بقوله: ﴿وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ﴾ عما يُستأْنف من أَعمالهم، أَي أَنهم لهم أَعمال من الفساد سيعملونها[١].

و﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرفُ ابتداءٍ لا غير، وإِذا والثانية[٢] التي هي جواب تمنعان[٣] من أَن تكون ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية لـ﴿عَٰمِلُونَ﴾.

و«المُتْرَفُ»: هو المنعّم في الدنيا الذي هو منها في سَرَف، وهذه حال شائعة في رؤَساء الكفرة من كل أُمة.

و﴿يَجۡـَٔرُونَ﴾ معناه: يستغيثون بصياح كصياح البقر، وكثر استعمال الجؤار في البشر، ومنه قول الأَعشى:

[المتقارب] يــرَاوِحُ مِـنْ صَـلَـوَاتِ الْمَلِيـ ... ـكِ طَوْراً سُجُوداً وَطَوراً جُؤَارا[٤]

وذهب مجاهد وغيره: إِلى أَن هذا العذاب المذكور هو الوعيد بيوم بدر[٥]، وفيه نقد على مُتْرَفِيهِمْ.

والضمير في قوله: ﴿إِذَا هُمۡ﴾ يحتمل أن يعود على المُترفين فقط؛ لأَنهم صاحوا

---

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٩/ ٤٩)، وتفسير الماوردي (٤/ ٦٠)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٨١).

(٢) زاد في المطبوع: «الأولى وإذا»، ونبه في الحاشية على أنه ليس في الأصول.

(٣) في أحمد٣ ونجيبويه: «يمنعان»، وفي المطبوع: «تمنعاه».

(٤) البيت من قصيدة للأعشى يمدح بها قيس بن معد يكرب، وقد تقدم في الآية ٤٨ من سورة النحل.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٥٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٧٣)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٨١).

حين نزل بهم الهزم والقتل يوم بدر، ويحتمل أَن يعود على الباقين بعد المُعَذَّبين.

وقد حكى ذلك الطبري عن ابن جريج، قال: المُعَذَّبون: قتْلى بدرٍ، والذين يجأَرون: أهل مكة لأَنهم ناحوا واستغاثوا[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

المعنى: يقال يوم العذاب عند حلوله: ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾، وهذا القول يجوز أَن يكون حقيقة، أَي تقول لهم ذلك الملائكة، ويحتمل أَن يكون مجازاً، أَي: لسانُ الحال يقول ذلك، وهذا على أَن الذين يجأرون هم المعذَّبون، وأَما على قول ابن جريج[2] فلا يحتمل أَن تقول ذلك الملائكة.

قال القاضي أبو محمد: وقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ الآية يريد بها القرآن.

و﴿تَنكِصُونَ﴾ معناه: ترجعون وراءَكم، وهذه استعارة للإِعراض والإِدبار عن الحق.

وقرأَ علي بن أَبي طالب: (على أَدباركم تَنْكُصُونَ) بضم الكاف[3] وبذكر الأدبار بدلاً من الأَعقاب.

و﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾: حالٌ.

والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ قال الجمهور: هو عائد على الحَرَم والمسجد وإِن لم يتقدم له ذكرٌ لشهرته في الأَمر، والمعنى: إِنكم تعتقدون في أَنفسكم أَن لكم بالمسجد والحَرَم أَعظمَ الحقوق على الناس والمنازل عند الله، فأَنتم تستكبرون لذلك، وليس الاستكبارُ من الحق.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٥١).

(٢) كما سيأتي، وانظر تفسير الطبري (١٩/ ٥١).

(٣) عزاها له القرطبي في تفسيره (١٢/ ١٣٦)، وعزاها في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٣٩) لابن مسعود، دون ضبط الكاف.

وقالت فرقة: الضمير[١] عائد على القرآن من حيث ذكرت الآيات، والمعنى: يُحدث لكم سماع الآيات كبراً[٢] وطغياناً.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قولٌ جيِّدٌ.

وذكر مُنذر بن سعيد أَن الضمير لمحمد ﷺ، وهو متعلق بما بعده، وكأَن الكلام تمَّ[٣] في قوله: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾، ثم قال / لمحمد ﷺ: ﴿سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾. [٤/ ٨٢]

وقوله: ﴿سَـٰمِرًا﴾ حالٌ، وهو مفرد بمعنى الجمع، يقال: قومٌ سَمْرٌ وسُمَّرٌ وسَامِرٌ، ومعناه: سَهَرُ الليل، مأْخوذ من السَّمَر، وهو ما يقع على الأَشخاص من ضوء القمر، فكانت العرب تجلس للسَّمر تتحدث، وهذا أَوجب معرفتها بالنجوم؛ لأَنها تجلس في الصحراء فترى الطوالع مع الغوارب.

وقرأَ الجمهور: ﴿سَـٰمِرًا﴾.

وقرأَ أَبو رجاءٍ: (سُمَّاراً)، وقرأَ ابن عباس، وعكرمة، وابن محيصن: (سُمَّراً)[٤].

ومن هذه اللفظة قول الشاعر:

[أحذ الكامل] مِـنْ دُونِـهِـمْ إِنْ جِئْتَـهُـمْ سَـمَراً عَـزْفُ الْقِيَـانِ وَمَجْلِـسٌ غَمْرُ[٥]

وكانت قريش تسْمُر حول الكعبة مجالسُ في أَباطيلها وكفرها.

وقرأَ الجمهور: ﴿تَهْجُرُونَ﴾ بفتح التاءِ وضم الجيم، واختلف المتأَولون في معناها:

---

(١) في المطبوع زيادة: «في به»، قال في الحاشية: وليس في الأصول.

(٢) في المطبوع: «كفراً».

(٣) سقطت من لالاليه، وكلام منذر بن سعيد لم أقف عليه.

(٤) وهما شاذتان، انظر الأولى في معاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٧٧)، والثانية في المحتسب (٢/ ٩٥).

(٥) البيت لابن أحمر الباهلي كما في مجاز القرآن (٢/ ٦٠)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٢٩١)، وتاج العروس (١٢/ ٧٣).

فقال ابن عباس: معناها: تَهْجُرون الحقَّ وذِكْرَ الله تعالى، وتقطعونه من الهَجْر المعروف(١).

وقال ابن زيد: هو من هَجر المريضُ إِذا هَذَى، أَي: تقولون اللَّغْوَ من القول، وقاله أَبو حاتم(٢).

وقرأَ نافع وحده من السبعة: ﴿تُهْجِرُونَ﴾(٣) بضم التاءِ وكسر الجيم، وهي قراءَة أَهل المدينة، وابن محيصن، وابن عباس أيضاً، ومعناه: تقولون الفُحْش والهُجْر من القول.

وهذه إِشارة إِلى سبِّهم رسول الله ﷺ وأَصحابه، قاله ابن عباس أيضاً وغيره(٤).

وفي الحديث: «كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها ولا تقولوا هُجْراً»(٥).

وقرأَ ابن محيصن، وأَبو نهيك: (تُهَجِّرُونَ) بضم التاءِ وفتح الهاءِ وشدِّ الجيم مكسورة(٦).

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وفي أحمد٣: «تقطعون»، وسقطت من المطبوع.

(٢) انظر قول ابن زيد في تفسير الطبري (١٩/ ٥٥)، وقول أبي حاتم في تفسير الثعالبي (٣/ ١٠١).

(٣) والباقون بفتح التاء وضم الجيم، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٥٩).

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٥) صحيح بدون اللفظة الأخيرة، أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٣٧٦) من طريق عامر بن يساف، عن إبراهيم بن طهمان، عن يحيى بن عباد، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف، من أجل عامر بن يساف، واسمه: عامر بن عبد الله بن يساف، قال ابن عدي لما ترجم له في كامله (٥/ ٨٥): منكر الحديث عن الثقات، ثم إنه خولف فيه، خالفه موسى بن مسعود النهدي، قال: ثنا إبراهيم بن طهمان، ثنا عمرو بن عامر، وعبد الوارث، عن أنس، رضي الله عنه، مرفوعاً، به، وهذا إسناد ضعيف أيضاً، موسى بن مسعود النهدي، ضعيف الحديث، انظر تهذيب الكمال (٢٩/ ١٤٥)، ولكن الحديث صحَّ من حديث بريدة بن الحصيب، رضي الله عنه، مرفوعاً بلفظ: نهيتكم عن زيارة القبور فَـزُورُوهَا، وليس فيه لفظ: ولا تقولوا هُجْراً. أخرجه مسلم (٩٧٧).

(٦) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٧/ ٥٧٣)، وعزاها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٣٦) لابن عباس وعكرمة.

وهو تضعيف هَجَر، وتكثير الهَجْر أو الهُجْر على المعنييْن المتقدمين، وقال ابن جني: لو قيل: إن المعنى أنكم تبالغون في المهاجرة حتى إنكم ـ وإن كنتم سُمَّراً باللَّيل ـ فكأنكم تُهَجِّرون في المهَاجرَةِ[١] على غاية الافتضاح، لكان وجهاً[٢].

قال القاضي أبو محمد: ولا تكون هذه القراءة تكثير تُهْجِرُونَ بضم التاءِ وكسر الجيم؛ لأن أفعل لا يتعدى ولا يُكَثَّر بتضعيف؛ إذ التضعيف والهمزة متعاقبان.

ثم وبخهم على إعراضهم بعد تدبُّر القول لأنهم ـ بعد التدبر والنظر الفاسد ـ قال بعضهم: شِعْرٌ، وقال بعضهم: سِحْرٌ، وسائر ذلك.

وقوله: ﴿أَمْ جَآءَهُم﴾ كذلك توبيخ أيضاً، والمعنى: أَأَبْدَعَ لهم أمراً لم يكن في الناس قبلهم؟ بل قد جاءَ الرسلُ قَبْلُ كنوح وإبراهيم وإسماعيل، وفي هذا التأويل من التجوز أن جَعْلَ سالف الأُمم آباءً؛ إذ الناس في الجملة آخرهم من أولهم، ويحتمل اللفظ معنى آخر، على أن يُراد بآبائهم الْأَوَّلِينَ ومَن فرَطَ من سلفهم في العرب، كأنه قال: أفلم يَدَّبَّروا القول أم جاءَهم أمر غريب من عند الله لم يأت آباءَهم فبهر عقولهم، ونَبَتْ[٣] عنه أذهانُهم، [فكأن التوبيخ يتّسق بأن يُقدَّر الكلام: أفلم يدَّبَّروا أم بُهرت عقولهم ونَبَت أذهانهم][٤] عن أمر من أُمور الله غريب في سلفهم؟ والمعنى الأول أبين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾.

(١) في المطبوع: «الهاجرة».
(٢) انظر: المحتسب (٢/ ٩٦).
(٣) في نور العثمانية: «يقف».
(٤) سقط من الأصل.

هذا أيضاً توبيخ، والمعنى: أَلم يعرفوه صادقاً مدة عمره؟ ولم يقع قط منهم إِنكار لمعرفة وجه محمد ﷺ، وإِنما أَنكروا صدقه.

وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ توبيخٌ أيضاً؛ لأَن الفرق بين الحكمة وفصل الخطاب الذي جاءَ به وبين كلام[١] ذي الجِنَّة لا يخفى على ذِي فِطْرة، ثم بيَّن تعالى حاله ﷺ في مجيئه بالحق.

وقوله: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾، قال ابن جريج وأَبو صالح: ﴿ٱلْحَقُّ﴾: الله تعالى[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ليس من نَمَط الآية.

وقال غيرهما: الحقُّ هنا: الصوابُ والمستقيم.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا هو الأَجرى[٣]، على أَن يكون المذكور قَبْلُ الذي جاءَ به محمد ﷺ، ويستقيم ـ على هذا ـ فساد السماوات والأَرض وَمَنْ فِيهِنَّ لو كان بحكم هوى هؤلاء، وذلك أَنهم جعلوا لله شركاءَ وأَولاداً، ولو كان هذا حقّاً لم تكن لله تعالى الصِّفاتُ العليَّة، ولو لم تكُن[٤] له لم تكُن له تلك الصنعة ولا القدرة، وكان ذلك فساد السماوات والأَرض وَمَنْ فِيهِنَّ.

ومن قال: إِن الحق في الآية الله تعالى بشعت[٥] له لفظة ﴿ٱتَّبَعَ﴾ وصعُب عليه ترتيب الفساد المذكور في الآية؛ لأَن لفظة الاتِّباع ـ على كلا الوجهين ـ إِنما هي استعارة بمعنى أَن تكون أَهواؤُهم يصوبها[٦] الحقُّ ويُقَـرِّرها، فنحن نجد الله تعالى قد

(١) في لالاليه والحمزوية: «من كلام»، وفي نور العثمانية: «والكلام»، وفي المطبوع: «وبين ذي الجنة».
(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٥٧).
(٣) في المطبوع: «الأحرى».
(٤) في المطبوع: «يكن».
(٥) في أحمد٣: «تشغب»، وفي المطبوع ونور العثمانية ولالاليه: «تشَعَّبت»، وفي الحمزوية: «تسعث».
(٦) في المطبوع: «يصونها».

قرَّرَ[١] كُفْر أُمَم وأَهواءَهم، فليس في ذلك فساد سماوات، وأَما الحق نفسه الذي هو الصواب فلو كان طبْق أَهوائهم لفسد كلُّ شيءٍ، فتأَمَّلْهُ.

وقرأَ ابن وثاب: (وَلَوُ اتبَعَ) بضم الواو[٢].

قال أَبو الفتح: الضَّمُّ في هذه الواو قليل، والوجه تشبيهها بواو الجمع كقوله تعالى: ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ﴾ [البقرة: ١٦].

وقوله: ﴿بِذِكْرِهِمْ﴾ يحتمل أَن يريد: بِوَعْظِهِم والبيان لهم، قاله ابن عباس[٣].

وقرأَ قتادة: (نُذَكِّرُهُمْ) بنون مضمومة وذال مفتوحة وكسر الكاف مشددة[٤].

ويحتمل أَن يريد: بِشَرَفهم، وهو مروي.

وقرأَ عيسى بن عمر، وابن أَبي إِسحاق: (بل أَتَيْتُهُمْ بِذِكْرِهِمْ) بضم تاءِ المتكلم.

وقرأَ ابن أَبي إِسحاق أيضاً: (بَلْ أَتَيْتَهُمْ) خطاباً لمحمد ﷺ[٥].

وقرأَ الجمهور: ﴿بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ أَي جئناهم، ورُوي عن أَبي عمرو (آتَيْنَاهُم) بالمدِّ، بمعنى أَعطيناهم[٦].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَـٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَـٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

---

(١) في أحمد٣ ونجيبويه والمطبوع ولالاليه: «قدَّر».

(٢) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٩٦).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٨) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٤) في حاشية المطبوع: في الأصل: «وقال قتادة»، وهي قراءة شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٩٨).

(٥) وهما شاذتان، عزاله الأولى في الشواذ للكرماني (ص: ٣٣٧)، ولأبي بحرية، وعزا الثانية للجحدري، وانظر: الدر المصون (٨/ ٣٦٠).

(٦) وهي شاذة، وهي رواية الحلواني عن المنقبري عن أبي عمرو كما في الكامل للهذلي (ص: ٣٩٥).

هذا توبيخ لهم كأَنه قال: أَم سأَلتهم[١] مالًا فقلقوا لذلك واستثقلوك من أَجله؟

وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿خراجاً فخراج﴾، وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وعاصم: ﴿خَرْجًا فَخَرَاجُ﴾، وقرأَ ابن عامر: ﴿خَرجَاً فَخَرْجُ﴾[٢]، وهو المال الذي يُجْبَى ويُؤْتَى به لأَوقات[٣] محدودة.

قال الأَصمعي: «الخَرْجُ»: الجُعْل مرة واحدة، و«الخَرَاجُ»: ما تَرَدَّد لأَوقات مَّا[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا فرق استعمالي، وإِلَّا فهما في اللغة بمعنى، وقد قرئَ / ﴿خَرَاجاً﴾ في قصة ذي القرنين[٥]. [٤/ ٨٣]

وقوله: ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ يريد ثوابه، سمَّاهُ خراجاً من حيث كان معادلاً للخراج في هذا الكلام، ويحتمل أَن يريد بخراج ربك: رِزْقَ ربك، ويؤيد هذا قولُه: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

و«الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ»: دين الإسلام.

و«ناكبون»: معناه: عادلون ومعرضون.

ثم أَخبر الله تعالى عنهم أَنهم لو زال عنهم القحط ومَنَّ الله عليهم بالخصب ورحمهم بذلك؛ لبقوا على كفرهم وَلَجُّوا فِي طُغْيانِهِمْ، وهذه الآية نزلت في المدة التي أَصابت فيها قريشاً السنون الجدبة والجوع الذي دعا به رسول الله ﷺ في قوله: «اللهُم سبعاً كسني يوسف» الحديث[٦].

---

(١) في أحمد٣ والمطبوع: «سألناهم».
(٢) وكلها سبعية، انظر السبعة (ص: ٤٤٧)، وفي المطبوع: «ابن عباس»، بدل ابن عامر.
(٣) في المطبوع: «لأوقاف».
(٤) لم أجده، وفي اللباب لابن عادل (١٢/ ٥٦٤) قريب منه بلا نسبة.
(٥) كما تقدم في آخر سورة الكهف.
(٦) متفق عليه بغير هذا اللفظ، أخرجه البخاري (٩٦١) ومسلم (٦٧٥) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به، ولكن بلفظ: «سنين كسنين يوسف» وليس فيه ذكر العدد: «سبعاً» كما جاء عند المصنف هاهنا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

هذا إِخبارٌ من الله تعالى عن استكبارهم وطغيانهم بعدما نالهم من الجوع، هذا قول رُوي عن ابن عباس(١)، وابن جريج أَن العذابَ هو الجوع والجدب المشهور نزوله بهم حتى أَكلوا الجلود وما جرى مَجراها(٢)، وأَن الباب(٣) المتوعَّدَ به يومُ بدر، [وهذا القول يردُّه أَن الجدب الذي نالهم إِنما كان بعد وقعة بدر](٤)، ورُوي أَنهم لما بلغهم الجهد جاءَ أَبو سفيان إِلى النبي ﷺ فقال: أَلست تزعم يا محمد أَنك بُعثت رحمة للعالمين؟ قال: «بلى»، قال: فقد قتلت الآباءَ بالسيف والأَبناءَ بالجوع، وقد أَكلنا العِلْهِزَ(٥)، فنزلت الآية(٦).

و﴿ٱسْتَكَانُوا۟﴾ معناه: انخفضوا وتواضعوا، ويحتمل أَن يكون من السُّكون، ويلزمه أَن يكون: اسْتَكَنُوا، ووجهه: أَن فتحة الكاف مطلت فتولدت منها أَلف، ويعطي التصريف أَنه من كان، وأَن وزنه: اسْتَفْعَلَ، وعلى الأَول وزنه: افْتَعَلَ، وكونه من كان أَبْين، والمعنى: فما طلبوا أَن يكونوا لربهم أي(٧) طاعة، وعبيد خير.

ورُوي عن الحسن رضي الله عنه أَنه قال: إِذا أَصاب الناس من قِبَل السلطان(٨)

---

(١) أخرجه ابن جريج في تفسيره (١٩/ ٦٠) عن شيخه محمد بن حميد الرازي، عن أبي تميلة يحيى ابن واضح، عن الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، مرفوعاً، به، وإسناده لا بأس به إلا شيخ ابن جرير: محمد بن حميد، فليس بعمدة.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٦٠)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٩١).

(٣) في أحمد٣ والحمزوية: «العذاب».

(٤) ساقط من نور العثمانية.

(٥) في الأصل: «العهن»، وفي الحمزوية: «العثم». والعِلْهِز: طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة.

(٦) هو الحديث المذكور آنفاً، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٧) في المطبوع: «أَهل».

(٨) في المطبوع ونور العثمانية ولالاليه: «الشيطان».

بلاءٌ فإنما هي نقمة[١]، فلا تستقبلوا نقمة الله بالحميَّة، ولكن استقبلوها بالاستغفار، واستكينوا وتضرعوا إلى الله، وقرأ هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾[٢].

و«الْعَذَابُ الشَّدِيدُ»: إمَّا يوم بدر بالسيوف كما قال بعضهم، وإمَّا توعُّدٌ بعذاب غير معين، وهو الصواب لما ذكرناه من تقدم بدر للمجاعة.

وروي عن مجاهد أن العذاب والباب الشديد هو كله في مجاعة قريش[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا حَسَنٌ، كأن الأَخْذَ في صدر الأَمر، ثم فتح الباب عند تناهيه حيث أبْلسوا وجاءَ أَبو سفيان.

و«الْمُبْلِسُ»: الذي قد نزل به شرٌّ ويئس من زوالِه ونَسْخِه بخير.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

ابتدأ تعالى بتعديد نِعَمٍ في نفسِ تعديدها استدلال بها على عظيم قدرته، وأنها لا يعزب عنها أَمر البعث ولا يعظم.

و﴿أَنشَأَ﴾: بمعنى اخترع.

و﴿السَّمْعَ﴾ مصدر، فلذلك وُحِّد، وقيل: أَراد الجنس.

و(الأفئدة): القلوب، وهذه إشارة إلى النطق والعقل.

---

(١) في المطبوع: «نعمة»، وفيه أيضاً: «نعمة الله» في التي بعدها.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٦٠)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٩١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٦١)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٩١).

وقوله تعالى: ﴿قَلِيلًا﴾ نعت لمصدر محذوف تقديره: شكراً قليلاً ما تشكرون.

وذهبت فرقة إِلى أَنه أَراد: قليلاً منكم من يشكر؛ أَي: من يؤمن ويشكر حق الشكر.

قال القاضي أَبو محمد: والأَول أَظهر.

و«ذرأ»: معناه: بثَّ وخلقٍ.

وقوله: ﴿وَإِلَيْهِ﴾ فيه حذف مضاف، أَي: إِلى حكمه وقضائه.

و﴿تُحْشَرُونَ﴾: يريد آية البعث.

وقوله: ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أَي: له القدرة التي عنها ذلك. والاختلاف هنا: التعاقب والكون خِلْفَةً، ويحتمل أَن يكون الذي هو المغايرة البيِّنة.

وقوله: ﴿بَلْ﴾ إِضرابٌ، والجَحْدُ قبله[1] مقدر، كأَنه قال: ليس لهم نظر في هذه الآيات، أَو نحو هذا.

و﴿ٱلْأَوَّلُونَ﴾: يشير به إِلى الأُمم الكافرة كعاد وثمود.

وقوله: ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾ أَي: لَمُعَادونَ أَحياءً.

وقولهم: ﴿وَءَابَآؤُنَا﴾ إِنْ حَكَى المقالة عن العرب فمرادهم من سلف من العالَم، جعلوهم آباءً من حيث النوع واحد، وإِن حَكَى ذلك عن الأَولين فالأَمر مستقيم فيهم.

و«الأَسَاطِيرُ» قيل: هي جمع أُسطورة كأُعجوبة وأَعاجيب، وأُحدوثة وأَحاديث.

وقيل: هي جمع جمع[2]، يقال: سطْرٌ وأَسْطَارٌ وأَساطير.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

---

(١) في نجيبويه: «بعده».

(٢) «جمع» سقطت من نور العثمانية ولالاليه، و«يقال» زيادة من المطبوع.

أَمر الله تعالى نبيه ﷺ بتوقيفهم على هذه الأَشياء التي لا يمكنهم إِلا الإِقرار بها، ويلزم من الإِقرار بها أَن يؤمنوا بِبَارِئِهَا، ويذعنوا لِشَرْعِه ورسالة رسوله.

وقرأَ الجميع في الأَول: ﴿لِلَّهِ﴾ بلا خلاف، واختلف في الثاني والثالث، فقرأَ أَبو عمرو وحده: ﴿اللهُ﴾ جواباً على اللفظِ، وقرأَ باقي السبعة: ﴿لِلَّهِ﴾[1] جواباً على المعنى، كأَنه قال في السؤال: لِمَنْ ملك السماوات السبع؟ إِذ قولك: لمن هذه الدار؟ وقولك: مَنْ مالك هذه الدار؟ واحدٌ في المعنى.

ثم جعل التوبيخ مدرجاً بحسب وضوح الحجة شيئاً شيئاً، فوقف على الأَرض ومَنْ فيها، وجعل بإِزاءِ ذلك التذكر.

ثم وقف على السَّماواتِ السَّبْعِ، والْعَرْشِ، وجعل بإِزاء ذلك التقية، وهي أَبلغ من التذكر، وهذا بحسب / وضوح الحجة. [٤/ ٨٤]

وفي قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ وعيد.

ثم وقف على ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وفي الإِقرار بهذا التزام كل ما تقع به الغلبة في الاحتجاج، فوقع التوبيخ بعده في غاية البلاغة بقوله: ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾.

ومعنى ﴿أَنَّى﴾: كيف، ومن أَين، وفي هذا تقرير سحرهم، وهو سؤال عن الهيئة التي سحروا بها، والسحر هنا مستعار لهم، وهو تشبيه لما وقع منهم من التخليط ووضع الأَفعال والأَقوال غير مواضعها بما يقع من المسحور، عبَّر عنهم بذلك.

وقالت فرقة: تُسْحَرُونَ: معناه تمنعون، وبعضُهم حكى ذلك لغةً.

وقرأَ ابن محيصن: (العظيمُ)[2] برفع الميم.

و﴿مَلَكُوتُ﴾: مصدر، في بنائه مبالغة.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٤٧)، والتيسير (ص: ١٦٠).

(٢) وهي شاذة، نسبها له الدمياطي في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٠٥).

و«الإِجارة»: المنع من الإِنسان، والمعنى أَن الله إِذا منع أَحداً فلا يقدر عليه، وإِذا أَراد أَحداً فلا مانع له، وكذلك في سائر قدرته وما نفذ من قضائه، لا يُعارض ذلك شيءٌ ولا يحيله عن مجراه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٩٠) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢)﴾.

المعنى: ليس الأَمر كما يقولون من نِسبتهم إِلى الله تعالى ما لا يليق به، ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم﴾.

وقرأَ ابن أَبي إِسحاق: (أَتَيْتهم)[1] على الخطاب لمحمد ﷺ.

و﴿لَكَاذِبُونَ﴾ يراد به: فيما ذكروا لله تعالى من الصاحبة والولد والشريك.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ دليل على التمانع، وهذا هو الفساد الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، والجزء[2] المُخترع محالٌ أَن تتعلق به قدرتان فصاعداً، ولو اختلف إِلهان في إِرادة[3] فمُحال نفوذهما ومحال عجزهما، فإِذا انفردت إِرادة الواحد فهو العالي والآخر ليس بإِله، فإِن قيل: نُقَدِّرهما لا يختلفان[4] في إِرادةٍ، قيل: ذلك بفرض[5]، فإِذا جوَّزه الكفار قامت الحجة فإِن ما التزم جوازه جار في الحجة مجرى ما التزم وقوعه[6].

وقوله: ﴿إِذًا﴾ جواب لمحذوف تقديره: لو كان معه إِله إِذاً لذهب كلُّ إِله.

---

(١) وهي شاذة، تقدم عنه مثلها قريباً، وفي الأصل: «أتيناك».
(٢) في المطبوع: «والخبر».
(٣) في المطبوع: «إدارة».
(٤) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «فإن قيل: بِقُدْرتهما لا يختلفان».
(٥) في المطبوع: «يعرض».
(٦) في الأصل: «جرى» بدل «جار»، وسقطت «مجرى» من نور العثمانية.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ بكسر الميم إِتباعاً للمكتوبة[(١)] في قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾، وقرأَ الباقون وأَبو بكر عن عاصم: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ﴾ بالرفع، والمعنى: هو عالم، قال الأَخفش: الجَرُّ أَجْوَد ليكون الكلام من وجه واحد[(٢)]، وقال أَبو علي: ووجه الرفع أَن الكلام قد انقطع[(٣)].

قال القاضي أَبو محمد: والابتداءُ عندي أَبرع[(٤)].

والفاءُ في قوله: ﴿فَتَعَٰلَىٰ﴾ عاطفة بالمعنى، كأَنه قال: عالم الغيب والشهادة فتعالى، وهذا كما تقول: زيد شجاعٌ فعظمت منزلته، [أَي: شَجُع فعظمت][(٥)].

ويحتمل أَن يكون المعنى: فأَقول تعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ، على إِخبار مُؤْتَنَفٍ.

و﴿ٱلْغَيْبِ﴾: ما غاب عن الناس، ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما شهدوه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾.

أَمر الله تعالى نبيه ﷺ أَن يدعو لنفسه بالنجاة من عذاب الظَّلَمة إِن كان قضي أَن يرى ذلك، و«إِن» شرطٌ و«ما» زائدة، و﴿تُرِيَنِّي﴾ جزم بالشرط لزمته النون الثقيلة، وهي لا تفارق «إِمَّا» عند المبرد، ويجوز عند سيبويه أَن تفارق[(٦)] فيقال: إِمَّا تُرِيَنِي، لكن

---

(١) المكتوبة هي لفظ الجلالة: الله، والقراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٠).

(٢) نقله عنه في زاد المسير (٣/ ٢٧٠).

(٣) انظر الحجة للفارسي (٥/ ٣٠٢).

(٤) في حاشية المطبوع: «في بعض النسخ عنده أي عند أبي عليٍّ، وكذلك جاء في بعض النسخ: والابتداءُ عندي أبدع».

(٥) سقط من الأصل، وسقطت «فعظمت» من نور العثمانية، وفي لالاليه: «فتعظم».

(٦) في نجيبويه والمطبوع: «تفارقها».

استعمال القرآن لزومها، فمن هنالك التزمه المبرد[١].

وهذا الدعاءُ فيه استصحاب الخشية والتحذير[٢] من الأمر المُعَذَّب من أَجله، ثم نظيره لسائر الأُمَّة دعاءٌ في جودة الخاتمة، وفي هذه الآية بجملتها إِعلامٌ بقرب العذاب منهم كما كان في يوم بدر، وقوله ثانياً: ﴿رَّبِّ﴾ اعتراضٌ بين الشرط وجوابه.

وفي قوله: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ الآية أَمْرٌ بالصفح ومكارم الأَخلاق، وما كان منها، لهذا فهو محكم[٣] باق في الأمة أَبداً، وما فيها من معنى موادعة الكفار وتَرْك التعرض لهم والصفح عن أُمورهم منسوخٌ بالقتال؛ وقوله تعالى: ﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ يقتضي أَنها آية موادعة.

وقال مجاهد: الدَّفْع بالتي هي أَحسن هو السلام، يسلِّم عليه إِذا لقيه[٤].

وقال الحسن: والله لا يُصيبها أَحد حتى يكظم غيظه ويصفح عما يكره[٥].

قال القاضي أَبو محمد: [هذان الطرفان.

وفي هذه الآية][٦] عِدَةٌ للنبي ﷺ، أَي: اشتغل أَنت بهذا وكِلْ تعذيبهم والنقمة منهم إِلينا، وأَمره بالتعوُّذ من الشيطان في همزاته، وهي سَوْرَات الغضب التي لا يملك الإِنسان فيها نفسه، وكأَنها هي التي كانت تصيب المؤمنين مع الكفار فتقع المُحَادَّة، فلذلك اتصلت بهذه الآية.

---

(١) لم أقف عليه، وفي الإماراتية وأحمد٣: «التزم»، وفي الأصل والحمزوية: «ألزمها»، وفي المطبوع: «التزمها».

(٢) وفي لالاليه: «التحريز».

(٣) في الأصل: «حكم».

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٦٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٨٣)، وفي أحمد٣ ونجيبويه والمطبوع: «تسلم عليه إذا لقيته».

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٦٨)، وتفسير الماوردي (٤/ ٦٦).

(٦) سقط من لالاليه.

وقال ابن زيد: هَمْزُ الشيطان: الجنون[١].

قال القاضي أَبو محمد: وفي مصنف أَبي داود أَن رسول الله ﷺ قال: «اللهم إِني أَعوذ بك من الشيطان همزه ونفخه [ونفثه»، قال أبو داود: وهمْزه: المُوتَة وهي الجنون، ونَفْخه:][٢] الكِبر، ونَفْثهُ: السحر[٣].

قال القاضي أَبو محمد: والنَّزَغَاتُ[٤] وسَوْراتُ الغضب من الشيطان، وهي المُتَعَوَّذ منها في الآية، والتَّعوذ من الجنون أيضاً وكيد.

وفي قراءَة أُبيِّ بن كعب: (ربِّ عائذاً بك من همزات الشياطين، وعائذاً بك ربِّ أَن يحضرون)[٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٦٨).

(٢) سقط من نور العثمانية.

(٣) له أسانيد كلها ضعيفة، وروي مرسلًا من طريقين، أخرجه أبو داود (٧٦٠) وابن ماجه (٨٠٧) من طريق محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن عاصم العنزي، عن ابن جبير بن مطعم، عن أبيه، رضي الله عنه، مرفوعاً، به، وهذا إسناد ضعيف، عاصم، هو ابن عمير، ضعيف الحديث، انظر: تهذيب الكمال (١٣/ ٥٣٤)، وللحديث طريق أخرى، من حديث أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، مرفوعاً، به، أخرجه الإمام أحمد (١٨/ ٥١) والترمذي (٢٤٠) من طريق جعفر بن سليمان الضبعي، عن علي بن علي الرفاعي، عن أبي المتوكل، عن أبي سعيد به، بمثله، قال الترمذي: «وقد تُكلم في إسناد حديث أبي سعيد، كان يحيى بن سعيد يتكلم في علي بن علي، وقال أحمد: لا يصح هذا الحديث»، وقد ضعفه كذلك غير واحد من الأئمة، وروى الحديث: محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن ابن مسعود مرفوعاً، أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٣٢٥) وعطاء بن السائب اختلط بأخرة، وسمع منه محمد بن فضيل بعد الاختلاط، وروى عبد الرزاق (٢/ ٨٢) عن هشام بن حسان عن الحسن هذا الحديث مرسلاً، ورواه أحمد (٦/ ١٥٦) بإسناد صحيح إلى أبي سلمة مرسلاً أيضاً.

تنبيه: قول المصنف عقب ذكره للحديث: قال أبو داود: وهمزة الموتة... إلخ، ليس هذا من كلام أبي داود؛ بل هو من كلام عمرو بن مرة، أحد رواة الحديث، صرح به ابن ماجه لما روى حديثه هذا.

(٤) في أحمد٣ ونجيبويه والحمزوية والمطبوع: «والنزعات».

(٥) وهي شاذة، عزاها له القرطبي في تفسيره (١٢/ ١٤٨)، وعزاها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٣٣٧) للكسائي عن الحسن.

وقوله: ﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾ معناه: أَن يكونوا معي في أُموري، فإِنهم إِذا حضروا الإِنسان كانوا معدين للهمز، فإِذا لم يكن حضورٌ فلا همز.

قال القاضي أَبو محمد: وأَصل الهمزِ: الدفعُ والوخز بيدٍ وغيرها، ومنه هَمْز الخيل وهمز الناس باللسان، وقيل لبعض العرب: أَتهْمز الفأرةَ؟ سُئل بذلك عن اللفظة فظن أَن المراد شخص الفأْرة فقال: الهِرُّ يهمزها(١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ
صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠) / فَإِذَا نُفِخَ [٤/ ٨٥]
فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ (١٠١) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ (١٠٢)﴾.

حَتَّى في هذا الموضع حرف ابتداء، ويحتمل أَن تكون غاية مجردة بتقدير كلامٍ محذوف، والأَول أَبْيَن لأَن ما بعدها هو المعنيُّ به المقصودُ ذِكْرُه.

والضمير في ﴿أَحَدَهُمُ﴾ للكفار.

وقوله: ﴿ٱرْجِعُونِ﴾ معناه: إِلى الحياة الدنيا.

وجَمْعُ الضمير يتخرج على معنيين: إِمَّا أَن يخاطبه مخاطبة الجمع تعظيماً، على نحو إِخباره تعالى عن نفسه بنون الجماعة في غير موضع.

وإِمَّا أَن تكون استغاثته بربِّه أَوَّلاً، ثم خاطب ملائكة العذاب بقوله: ﴿ٱرْجِعُونِ﴾.

وقال الضحاك: هي في المشرك(٢).

وقال النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «إِذا عاين المؤمن قالت له الملائكة:

---

(١) انظر: عيون الأخبار (٢/ ١٧٣)، والكامل للمبرد (١/ ٣٠٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٧٠)

نُرجِعك؟ فيقول: إِلى دار الهموم والأَحزان؟ بل قدما إِلى الله تعالى، وأَما الكافر فيقول: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا﴾[١].

وقرأَ الحسن والجمهور: ﴿لَعَلِّيٓ﴾ بسكون الياء، وقرأَ طلحة بن مصرِّف: (لَعَلِّيَ) بفتح الياء[٢].

و﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ[٣] وزجر، وهي من كلام الله تعالى.

وقوله: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ يحتمل ثلاثة معان:

أَحدها: الإِخبار المؤكد بأَن هذا الشَّيْءَ يقع ويقول هذه الكلمة.

والآخر: أَن يكون المعنى: إِنها كلمة لا تغني أَكثر من أَن يقولها، ولا نفع له فيها ولا غوث.

والثالث: أَن تكون إِشارةً إِلى أَنه لو رُدَّ لعادَ، فتكون آية ذمٍّ لهم.

والضمير في ﴿وَرَآئِهِم﴾ للكفار، أَي: يأْتي بعد موتهم حاجزٌ من المُدَّة، والبَرْزَخُ في كلام العرب: الحاجز بين المسافتين، ثم يستعار لما عدا ذلك، فهو هنا للمُدَّة التي بين موت الإِنسان وبين بَعْثه، هذا إِجماعٌ من المفسرين.

وقرأَ الجمهور: ﴿ٱلصُّورِ﴾ وهو القَرْن.

وقرأَ ابن عياض: (فِي الصُّوَرِ) بفتح الواو[٤] جمع صورة.

و﴿يَوۡمِ﴾ مضاف إِلى ﴿يُبۡعَثُونَ﴾[٥].

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ٦٩) من طريق ابن جريج قال: زعموا أن النبي ﷺ قال لعائشة.... فذكره، وهذا معضل.

(٢) فيه تخليط فهما سبعيتان، الإسكان للكوفيين، والفتح للباقين على قواعدهم المعروفة في ذلك.

(٣) في الأصل ونور العثمانية ونجيبويه: «ردع»، وفي المطبوع: كلمة «زجر».

(٤) وهي شاذة تقدم مثلها في الأنعام عن الحسن، وفي سورة طه عن ابن عياض، في نور العثمانية هنا: «بن عياش»، وأشار لها في حاشية المطبوع، وزاد عن نسخة ثالثة: «وقرأ ابن عامر».

(٥) كذا وقعت هنا في جميع النسخ التي بين أيدينا، وفي المطبوع وقعت بعد قوله: «إجماع من المفسرين».

وقوله: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ﴾، اختلف المتأَولون في صفة ارتفاع الأَنساب:

فقال ابن عباس وغيره: هذا عند النفخة الأُولى[١]، وذلك أَن الناس بأَجمعهم يموتون فلا يكون بينهم نسب في ذلك الوقت وهم أَموات.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا التأْويل يزيل ما في الآية من ذكر هول الحشر.

وقال ابن مسعود وغيره: إِنما المعنى أَنه عند النفخة الثانية وقيام الناس من القبور[٢]، فهم حينئذ لهول المطلع واشتغال كل امرئ بنفسه، قد انقطعت بينهم الوسائل وزال انتفاع الأَنساب، فلذلك نفاها، فالمعنى: فلا أَنساب نافِعَة.

وروي عن قتادة أَنه قال: ليس أَحد أَبغض إِلى الإِنسان في ذلك اليوم ممن يعرف؛ لأَنه يخاف أَن يكون عنده مظلمة[٣].

وفي ذلك اليوم يفر المرءُ من أَخيه وأُمه وأَبيه وصاحبته وبنيه، ويفرح كل أَحد يومئذ أَن يكون له حق على ابنه وأَبيه، وقد ورد بهذا حديث[٤].

---

(١) ليس إسناده بحجة، أخرجه الطبري (١٩/ ٧١) عن ابن حميد، قال: ثنا حكام بن سلم، قال: ثنا عمرو ابن مطرف، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، أن رجلاً أتى ابن عباس، فذكره.

(٢) إسناده لا بأس به، أخرجه الطبري (١٩/ ٧٢) من طريق هارون بن عنترة أبي وكيع، عن زاذان، عن ابن مسعود، رضي الله عنه، به.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٧٣)، والهداية لمكي (٧/ ٥٠٠٣).

(٤) صحَّ من قول ابن مسعود، وليس مرفوعاً، أخرجه الطبري (٨/ ٣٦٢) من طريق: صدقة بن أبي سهل قال، حدثنا أبو عمرو، عن زاذان قال: أتيت ابن مسعود فقال: إذا كان يوم القيامة، جمع الله الأولين والآخرين، ثم نادى مناد من عند الله: «ألا من كان يطلب مظلمة فليجئ إلى حقه فليأخذه»! قال: فيفرح والله المرء أن يذوب له الحق على والده، أو ولده، أو زوجته، فيأخذ منه، وإن كان صغيراً، ومصداق ذلك في كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾... ولم أعرف أبا عمرو، وأخشى أن يكون الصواب: أبو عمر زاذان، وهو الكندي، مولاهم، الكوفي الضرير البزاز، وهو صدوق، ومن طريق: هارون بن عنترة، عن عبد الله بن السائب قال: سمعت زاذان يقول: قال عبد الله بن مسعود بنحوه. وعزا السيوطي هذا الأثر في الدر المنثور (١٠/ ٦١٧) إلى: ابن المبارك في الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي نعيم في الحلية وابن عساكر.

وكذلك ارتفاع التساؤل والتعارف لهذه الوجوه التي ذكرناها، ثم يأْتي في القيامة مواطن يكون فيها السؤال والتعارف.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا التأْويل حسن، وهو مروي المعنى عن ابن عباس[(١)].

و«ثقل الموازين»: هو بالحسنات، والثقل والخفة إِنما يتعلق[(٢)] بأَجرام يخترع الله تعالى فيها ذلك، وهي فيما روي براءَات.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾.

جمع الموازين من حيث المَوْزون جمع، وهي الأَعمال.

قال القاضي أَبو محمد: ومعنى «الوزن»: إِقامةُ الحجة على الناس بالمحسوس على عادتهم وعرفهم، ووزن الكافر على أَحد وجهين: إِما أَن يوضع كُفره في كفَّة فلا يجد شيئاً يعادله به في الكفَّة الأُخرى، وإِما أَن توضع أَعماله من صلة رحم ووجْه بِرٍّ في كفَّة الحسنات ثم يوضع كُفره في الكِفَّة الأُخرى فتخف أَعماله.

و«لَفْحُ النار»: إِصابتها بالوهج والإِحراق.

وقرأَ أَبو حيوة: (كَلِحُونَ) بغير أَلف[(٣)].

---

(١) سبق قريباً بإسناد لا تقوم به الحجة، أخرجه الطبري (١٩/ ٧١) عن ابن حميد، قال: ثنا حكام بن سلم، قال: ثنا عمرو بن مطرف، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٢) في المطبوع: «يتعاقبان».

(٣) وهي شاذة، عزاها له في مختصر الشواذ (ص: ١٠١)، والكامل للهذلي (ص: ٦٠٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٣٨).

و«الكُلوحُ»[(١)]: انكشاف الشفتين عن الأسنان، وهذا يعتري الإنسان عند المباطشة عند الغضب، ويعتري الرؤوس عند النار.

وقد شبَّه عبد الله بن مسعود ما في هذه الآية بما يعتري رؤوس الكباش إِذا شيطت بالنار فإِنها تكْلَح[(٢)]، ومنه كُلُوح الكلب والأسد، ويستعار للزمن والخطوب.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى﴾ قبله محذوف تقديره: يقال لهم، والآياتُ هنا: القرآن.

وأَخبر عنهم تعالى أَنهم إذا سمعوا هذا التقرير أَذعنوا، وأَقروا على أَنفسهم، وسلموا بقولهم: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿شِقْوَتُنَا﴾ بكسر الشين دون أَلف، وهي قراءَة الحرميَّيْن، وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿شَقَاوَتُنَا﴾ بفتح الشين وأَلف بعد القاف، وهي قراءَة ابن مسعود، وخيَّر عاصم في الوجهين[(٣)]، وهما مصدران من شَقِيَ يَشْقَى، ثم تدرجوا من الإقرار إِلى الرغبة والتضرع، وذلك أَنهم ذلُّوا؛ لأَن الإقرار بالذنب اعتذار وتنصُّل، فوقع جواب رغبتهم بحسب ما حَتَمه الله تعالى من عذابهم بقوله تعالى: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾، وجاء ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ بلفظ نهي وهم لا يستطيعون الكلام على ما رُوي، فهذه مبالغة في المنع، ويقال: إِن هذه الكلمة إِذا سمعوها يئسوا.

وحكى الطبري حديثاً طويلاً في مقاولة تكون بين الكفار وبين مالك خازن النار،

---

(١) في نجيبويه والمطبوع: «الكلح».

(٢) إسناده جيد، أخرجه الطبري (١٩/ ٤٧) من طريق سفيان وإسرائيل ـ مفرقين ـ، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود، رضي الله عنه، به.

(٣) وهما سبعيتان، ومع الحرميين أبو عمرو وابن عامر وعاصم، انظر التيسير (ص: ١٦٠)، والثانية رواية المفضل عن عاصم كما في جامع البيان (٣/ ١٣٩٤)، والتخيير عنه في السبعة (ص: ٤٤٨)، وانظر عزوها لابن مسعود في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٢).

ثم بينهم وبين ربهم، وآخرها هذه الكلمة: «اخْسَئُوا فيها»، قال: فتنطبق عليهم جهنم، ويقع اليأْسُ، ويبقون يَنْبَح بعضهم في وجه بعض[١].

قال القاضي أَبو محمد: واختصرت هذا الحديث لعدم صحته، لكن معناه صحيح، عافانا الله من ناره بِمَنِّه.

وقوله: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ﴾ / زجرٌ، وهو مستعمل في زجر الكلاب، ومنه قول النبي ﷺ لابن صياد: «اخْسَأْ فلن تعدو قَدْرَك»[٢]. [٤/ ٨٦]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ١١١﴾.

قـرأَ هارون: (أَنَّهُ كَانَ) بفتح الأَلف، وهي قـراءَة أُبَـيٍّ بن كعب رضي الله عنه، ورُوي أَنَّ في مصحف أُبي بن كعب (أَنْ كان)، وهذا كله متعاضد.

وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: (وَلَا تُـكَلِّمُونِ كَانَ فَرِيقٌ) بغير (إِنه)[٣].

وهذه تعضد كسر الأَلف من (إِنَّه) لأَنها استئناف، وهذه الهاءُ مبهمةٌ، ضميرٌ للأَمر، والكوفيون يُسَمُّونَهَا المجهولة، وهي عبارة فاسدة، وهذه الآية كلها ممَّا يقال للكفرة على جهة التوبيخ.

والفريق المشار إِليه: كلُّ مستضعف من المؤمنين يتفق أَن يكون حاله مع [كفار مثل][٤] هذه الحال، ونزلت الآية في كفَّار قريش مع صهيب وعمَّار وبلال ونظرائهم، ثم هي عامة فيمن جرى مجراهم قديماً وبقية الدهر.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٧٧).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٨٩) ومسلم (٢٩٣٠) من حديث عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، مرفوعاً، به.
(٣) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٩٧).
(٤) سقط من نور العثمانية.

وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي: ﴿سُخْرِيّاً﴾ بضم السين.

وقرأ الباقون: ﴿سِخْرِيًّا﴾ بكسرها[١].

فقالت طائفة هما بمعنى واحد، وذكر ذلك الطبري[٢]، وقال ذلك أَبو زيد الأَنصاري: إِنهما بمعنى الهزءِ[٣]، وقال أَبو عبيدة وغيره: إِن ضم السين من السخرة والتخديم، وكسر السين من السخر وهو الاستهزاءُ[٤]، ومنه قول الأعشى:

[البسيط] إِنِّـي أَتَانِـي حَديـثٌ لا أُسَـرُّ بِـهِ مِنْ عَلْوَ لَا كَذِبٌ فِيهِ وَلَا سَخَرُ[٥]

قال أَبو علي: قراءَة كسر السين أَوجه لأَنه بمعنى الاستهزاء والكسر فيه أَكثر، وهو أَليق بالآية، أَلا ترى إِلى قوله تعالى: ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾[٦].

قال القاضي أَبو محمد: أَلا ترى إِلى إِجماع القراءِ على ضم السين في قوله: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] لما تخلَّص الأَمر للتخديم.

قال يونس: إِذا أُريد التخديم فهو بضم السِّين لا غير، وإِذا أُريد الهزء فهو بالضم والكسر[٧].

وقرأَ أَصحابُ عبد الله، والأَعرجُ، وابن أَبي إِسحاق كل ما في القرآن بضم السين.

[وقرأَ الحسن، وأَبو عمرو كلَّ ما في القرآن بالكسر][٨] إِلاَّ التي في الزخرف

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٤٨)، والتيسير (ص: ١٦٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٨٠).

(٣) انظر قوله في الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٣٠٣).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٦٢) بمعناه.

(٥) البيت لأعشى باهلة، عامر بن الحارث بن رباح، كما تقدم في تفسير الآية **٩٨** من سورة النحل.

(٦) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٣٠٩).

(٧) انظر قوله في تهذيب اللغة (٧/ ٧٨)، وفي الأصل: «الاستهزاء»، وفي الإماراتية: «الهمزة».

(٨) سقط من الأصل.

فإنهما ضما السين كما فعل الناسُ[١] لأنها من التخديم، وأَضاف الإنساء إِلى الفريق من حيث كان بسببهم، والمعنى: أَن اشتغالهم بالهزءِ بهؤلاءِ أَنساهم ما ينفعهم.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: ﴿أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ بفتح الأَلف، فـ﴿جَزَيْتُهُمُ﴾ عامل في ﴿أَنَّ﴾، ويجوز أَن يعمل في مفعول محذوف، ويكون التقدير: لأَنهم.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وخارجة عن نافع: ﴿إنهم هم الفائزون﴾ بكسر الأَلف[٢]، فالمفعول الثاني لـ(جزيت) مقدر، تقديره: الجَنَّة والرضوان.

و﴿ٱلْفَآئِزُونَ﴾: المُنْتهون إِلى غايتهم التي كانت أَملهم. ومعنى الفوز: النجاة من هلكة إِلى نعمة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾.

قرأَ نافع، وعاصم، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾، [و﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾.

وقرأَ حمزة والكسائي فيهما: ﴿قل كم لبثتم﴾ و﴿قل إن لبثتم﴾.

وروى البَزِّي عن ابن كثير ﴿قُلْ كم لبثتم﴾ على الأمر، ﴿قال إِنْ لَبِثْتُمْ﴾][٣] على الخبر[٤].

---

(١) وهما سبعيتان، كما تقدم، ومثله في البحر المحيط (٧/ ٥٨٧)، إلا أنه اعترض الإجماع على الضم في الزخرف بما في الكامل للهذلي (ص: ٦٠٧) أن ابن محيصن، وابن مسلم كسرا فيها.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٦٠)، ورواية خارجة في السبعة (ص: ٤٤٨).

(٣) سقط من لالاليه، وسقط بعضه من المطبوع، وفي أحمد٣ بدلا منه: «قال كم قال إن بألف بينهما، والباقون قل كم على الأمر قال».

(٤) الأولى والثانية سبعيتان كما في التيسير (ص: ١٦٠)، وابن كثير مع الأخوين، والثالثة للبزي في السبعة (ص: ٤٤٩).

وأَدغم أَبو عمرو، وحمزة، والكسائي التَّاءَ، والباقون لا يدغمونها[١]، فمعنى الأَول: الإِخبارُ بأَن الله يوفقهم للسؤال عن المدة ثم يعلمهم آخراً بلبثهم قليلاً، ومعنى الثانية: الأَمر لواحد منهم مُشَارٍ إِليه، بمعنى: يقال لأَحدهم قل كذا، فإِذا قال غير القويم قيل له: قل: إِن لَبثتم، ومعنى رواية البزي: التوقيفُ ثم الإِخبارُ.

وفي المصاحف: ﴿قال﴾ فيهما، إلا في مصحف الكوفة فإِن فيه ﴿قُلْ﴾ بغير أَلف[٢].

وقوله: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾، قال الطبري: معناه: في الدنيا أَحياءً، وعن هذا وقع السؤال، ونسوا لفرط هول العذاب حتى قالوا: ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[٣].

قال القاضي أَبو محمد: والغرض من هذا توقيفهم على أَن أَعمارهم قصيرة، أَدَّاهم الكفر فيها إِلى عذاب طويل.

وقال جمهور المتأَولين: معناه: في جوف التراب أَمواتاً.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا هو الأَصوب من حيث أَنكروا البعث وكان قولهم: إِنهم لا يقومون من التراب، قيل لهم لمَّا قاموا: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾، وقوله آخراً: ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ يقتضي ما قلناه.

وعَدَدَ: نصب بـ ﴿كَمْ﴾ على التمييز.

وقرأَ الأَعمش: (عَدَداً سِنِينَ) بتنوين (عَدَداً)[٤].

وقال مجاهد: أرادوا بالْعادِّينَ الملائكة، وقال قتادة: أرادوا أهل الحساب[٥].

---

(١) وأدغمها معهم ابن عامر، انظر: التيسير (ص: ٤٤).

(٢) انظر: المقنع في رسم مصاحف الأمصار (ص: ٣٢)، وانظر المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٤٥)، و(ص: ١٥٦).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٨٢).

(٤) وهي شاذة، عزاها في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٨٧) للأعمش، والكرماني في الشواذ (ص: ٣٣٨) له وليحيى.

(٥) انظر القولين في تفسير الطبري (١٩/ ٨٣)، والهداية لمكي (٧/ ٥٠١١)، وتفسير الماوردي (٤/ ٦٩).

قال القاضي أبو محمد: وظاهر اللفظ أنهم أرادوا: سَلْ[1] من يتصف بهذه الصفة، ولم يعينوا ملائكة ولا غيرها؛ لأن النائم والميت لا يعد الحركة فيقدر له الزمن.

وقوله: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ مقصده ـ على القول بأَن المكث في الدنيا ـ أَي قليل القدر في جنب ما تُعَذَّبُونَ، وعلى القول بأَن اللبث[2] في القبور معناه: أَنه قليلٌ، إِذْ كُلُّ آتٍ قريبٌ، ولكنكم كذبتم به إِذ كنتم لا تعلمون؛ إِذ لم ترغبوا في العلم والهدى.

و﴿عَبَثًا﴾: معناه: باطلاً لغير غاية مُراده.

وقرأَ الجمهور: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بضم التاءِ وفتح الجيم.

وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿تَرْجِعُونَ﴾ بفتح التاءِ وكسر الجيم[3]، والمعنى فيها[4] بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١١٨)﴾.

المعنى: فتعالى الله عن مقالتهم في جهته من الصاحبة والولد، ومن حسابهم أَنهم لا يرجعون، أَي: تَنَـزَّه الله عن تلك الأُمور وتعالى عنها.

وقرأَ ابن محيصن: (الكَرِيمُ) بالرفع صفة للرَّبِّ[5].

[٤/ ٨٧] ثم توَّعد جلَّت قدرته عَبَدَةَ الأوثان بقوله: ﴿وَمَن يَدْعُ / مَعَ اللَّهِ ...﴾ الآية، والوعيد قولُه: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾.

و«الْبُرْهَانُ»: الحُجَّة، وظاهر الكلام أَن ﴿وَمَن﴾ شرط، وجوابه في قوله: ﴿فَإِنَّمَا

---

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) في المطبوع: «المكث».

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٦٠)، والسبعة (ص: ٤٤٩).

(٤) في لالاليه ونور العثمانية: «فيهما».

(٥) وهي شاذة، انظر ها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٣٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٠٧).

﴿حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾، وقوله: ﴿لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ في موضع الصفة، وذهب قومٌ إِلى أَن الجواب في قوله: ﴿لَا بُرۡهَٰنَ﴾، وهذا هروب من دليل الخِطَاب من أَن يكونَ ثمَّ داع له بُرهان.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا تحفُّظ مما لا يلزم، ويلحقه حذف الفاءِ من جواب الشرط وهو غير فصيح، قاله سيبويه[(١)].

وفي حرف عبد الله: (عِنْدَ رَبِّكَ)، وفي حرف أُبيٍّ: (عند الله)، ورُوي أَن فيه: (عَلَى الله)[(٢)].

ثم حتم وأَكَّد أَن الكافر لا يبلغ أُمنيته ولا ينجح سعيُه.

وقرأَ الجمهور: ﴿إِنَّهُۥ﴾ بكسر الأَلف.

وقرأَ الحسن وقتادة: (أَنَّهُ) بفتحها[(٣)]، والمعنى: أَنه إِذْ لا يَتَذَكَّر ولا يفلح يؤخر حسابه وعذابه حتى يلقى ربَّه.

وقرأَ الحسن: (يَفْلَحُ) بفتح الياءِ واللام[(٤)].

ثم أَمر رسول الله ﷺ بالدعاءِ في المغفرة والرحمة والذِّكر له تعالى بأَنه خَيْرُ الرَّاحِمِينَ؛ لأَن كلَّ راحم فمتصرفٌ على إِرادة الله تعالى وتوفيقه وتقديره لمقدار هذه الرحمة، ورحمته تعالى لا مشاركة لأَحدٍ فيها، وأيضاً فرحمة كلِّ راحم في أَشياءَ وبأَشياءَ حقيرات بالإِضافة إِلى المعاني التي تقع في رحمة الله تعالى من الاستنقاذ من النار، وهيئة نعيم الجنة، وعلى ما في الحديث فرحمة كل راحم مجموعها كلها جزءٌ

(١) انظر قوله في الحجة للفارسي (٦/ ١٢٩).

(٢) وكلها شاذة مخالفة للرسم، تابعه على بعضها في تفسير الثعالبي (٤/ ١٦٦).

(٣) وهي شاذة، عزاها لهما الكرماني في الشواذ (ص: ٣٣٨).

(٤) وهي شاذة، عزاها له في البحر المحيط (٧/ ٥٩٠)، وكذا في الشواذ للكرماني (ص: ٣٣٨) لكن ضبطها بكسر اللام، وعزا ضم الياء وفتح اللام لابن جبير، وانظر: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٠٧).

من مئة من رحمة الله تعالى جلَّت قدرته؛ إِذْ بثَّ في العالَم واحدة وأَمسك عنده تسعاً وتسعين[١].

وقرأَ ابن محيصن: (وَقُلْ رَبُّ اغْفِرْ) بضم الباءِ من ﴿رَّبِّ﴾[٢].

تمَّ تفسير سورة المؤمنون والحمد لله ربِّ العالمين.

(١) متفق عليه بنحوه، أخرجه البخاري (٦١٠٤) ومسلم (٢٧٥٢) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٢) وهي شاذة، تقدم مثلها قريباً في آخر سورة الأنبياء.

سُورَةُ النُّورِ

سورة النُّور هذه السورة كلها مدنية.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾.

قوله: ﴿سُورَةٌ﴾ قرأ الجمهور: ﴿سُورَةٌ﴾ بالرفع، وقرأ عيسى بن عمر، ومجاهد: (سُورَةً)، بالنصب، ورُوي ذلك أيضاً عن عمر بن عبد العزيز، وعن أم الدرداءِ(١).

فوَجْه الرفع أَنه خبر ابتداءٍ مضمر تقديره: هذه سورة، أَو ابتداءٌ وخبره مقدم(٢)، تقديره: فيما يُتلى عليكم.

ويحتمل أَن يكون قوله: ﴿سُورَةٌ﴾ ابتداءً، وما بعدها صفةٌ لها أَخرجتها عن حدِّ النكرة المحضة، فحسُن الابتداءُ لذلك، ويكون الخبر في قوله: ﴿الزَّانِيَةُ﴾ وفيما بعد ذلك.

والمعنى: السورةُ المُنَزَّلَةُ المفروضة كذا وكذا؛ إِذ السورة عبارة عن آيات مسرودة لها بدءٌ وخَتْمٌ، ولكن يلحق هذا القولَ أَن كون الابتداءِ هو الخبرَ ليس بالبَيِّن، إِلَّا أَن يُقَدَّر الخبر في السُّورة بأَسْرِها، وهذا بعيد في القياس، و[قول الشاعر:

---

(١) وهي شاذة، عزاها ولمجاهد في البحر المحيط (٨/ ٦)، وللباقين في المحتسب (٢/ ٩٨)، وفي الأصل: «أبي الدرداء»، ولعله خطأ.

(٢) في المطبوع: «مفهوم».

[الرمل] فارس مـا تركـوه(١)............ ....

ووَجْه النصب: إِضمار فعل قدَّره بعضهم: أَتْلُ سورةً، أَو نحوه، وجعله بعضهم: أَنزلنا سورةً أَنزلناها، وقال الفراءُ: هي حالٌ من الهاء والأَلف(٢)، والحال من المكنى يجوز أَن تتقدم عليه.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَفَرَضۡنَٰهَا﴾ بتخفيف الراء، ومعناه الإِثبات والإِيجاب بأَبلغ وجوهه؛ إِذ هو مشبَّه بالفرض في الأَجرام(٣).

وقرأَ مجاهد وغيره، وأَبو عمرو، وابن كثير، وعمر بن عبد العزيز، وابن مسعود: ﴿وَفَرَّضْنَاهَا﴾ بشدِّ الرَّاءِ(٤)، ومعناه: جعلناها فرائض فرائض(٥)، فمن حيث تردَّد ذلك ضُعِّف الفعل للمبالغة والتكثير.

وقرأَ الأَعمش: (وَفَرَضْنَاهَا لَكُمْ) (٦).

وحكى الزهراوي عن بعض العلماء أَنه قال: كلُّ ما في السُّورة من أَمر ونهْي فرضٌ، [لا حضٌّ، بهذه اللفظة](٧).

و«الآيَاتُ البيِّنَات»: أَمثالُها ومواعظها وأَحكامها.

---

(١) ساقط من المطبوع، وأشار له في الهامش، ورواية البيت:

فـارس مـــا غـــادروه ملحما غيـر زميـل ولا نـكس وكـل

وهو لامرأة من بني الحارث كما في الحماسة بشرح التبريزي (١/ ٤٦٣)، والحماسة البصرية (١/ ٢٤٣)، وخزانة الأدب للبغدادي (١١/ ٣٠٠).

(٢) انظر كلامه على ذلك في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٤).

(٣) في المطبوع: «الإلزام».

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦١)، والعزو لمجاهد في الطبري (١٩/ ٨٦)، ولعمر وابن مسعود في البحر المحيط (٨/ ٦).

(٥) المكررة ساقطة من الإماراتية والمطبوع ولالاليه.

(٦) وهي شاذة، مخالفة للمصحف إن كانت، ولم أجدها لغير المؤلف، لكن في المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨٠)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٣٨)، عن ابن مسعود: (وفرضنا لكم).

(٧) سقط من المطبوع، ولم أقف على كلام الزهراوي هذا ولا الذي بعده.

وقال الزهراوي: المعنى: ليس فيها مشكل، تأْويلها موافق لظاهرها.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا تحكُّم.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ أَي: على توقُّع البشر ورجائهم.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ٱلزَّانِيَةُ﴾ بالرفع، وقرأَ عيسى الثقفي: (الزَّانِيَـةَ) بالنصب[١].

وهو أَوجه عند سيبويه لأَنه عنده كقولك: زيداً اضرب[٢].

ووجه الرفع عنده: أَنه خبر ابتداءٍ، تقديره: فيما يُتلى عليكم الزَّانِيَـةُ وَالزَّانِي، وأَجمع الناس على الرفع وإِن كان القياس عند سيبويه النصب.

وأَما الفرَّاءُ والمُبَـرِّد والزَّجاج فإِن الرفع عندهم هو الأَوجه[٣]، والخبر في قوله: ﴿فَٱجْلِدُواْ﴾؛ لأَن المعنى: إِن الزانية والزاني مجلودان بحكم الله تعالى، وهذا قول جيد، وهو قول أَكثر النحاة، وإِن شئتَ قدرتَ الخبر: ينبغي أَن يُجلدوا.

وقرأَ ابن مسعود: (وَالزَّانِ) بغير ياءٍ[٤].

وقُدِّمت الزَّانِيَـةُ في اللفظ من حيث كان في ذلك الزمن زنى النساءِ أَفْشَى، وكان لإِماءِ العرب وبغايا الوقت رايات، وكنَّ مجاهرات بذلك، وإذ العارُ[٥] بالنساء أَلْحَق إِذ موضوعهن الحجبة والصيانة، فقدم ذكرهن تغليظاً واهتماماً.

والأَلف واللام في قوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾ للجنس، وذلك يُعطي أَنها عامة في جميع الزناة، وهذه الآية باتِّفاقٍ ناسخةٌ لآية الحبس وآية الأَذى اللَّتين في سورة النساء.

وجماعة من العلماءِ على عموم هذه الآية، وأَن حكم المحصنين منسوخ منها.

---

(١) وهي شاذة انظرها في المحتسب (٢/ ٩٩).

(٢) الكتاب لسيبويه (١/ ١٤٢).

(٣) انظر قول الزجاج وقول المبرد في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٧)، وقول الفراء في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٤).

(٤) وهي شاذة، عزاها له في مختصر الشواذ (ص: ١٠٢).

(٥) في نجيبويه: «وإن العار»، وفي المطبوع: «والعار».

واختلفوا في الناسخ:

فقالت فرقة: النَّاسخُ السُّنَّة المتواترة في الرَّجْم.

وقالت فرقة: بل القرآن الذي ارتفع لفظه وبقي حكمه، وهو الذي قرأَه عُمر على المنبر بمحضر الصحابة رضي الله عنهم: (الشَّيْخُ والشَّيْخَةُ إِذا زنَـيَا فَارْجُمُوهُمَا البَـتَّة)، وقال: «إِنَّا قرأْناهُ في كتاب الله»[١].

واتفق الجميع على أن لفظه رفع وبقي حكمه، وقال الحسن بن أبي الحسن وابن راهويه: ليس في هذه الآية نسخ؛ بل سنة الرجم جاءت بزيادة، فالمحصن ـ على رأي هذه الفرقة / ـ يجلد ثم يرجم، وهو قول علي بن أبي طالب وفعله بشراحة[٢]، ودليلهم قول النبي ﷺ: «والثَّـيِّب بالثَّيب جلْدُ مئة والرجم»[٣]. [٤/ ٨٨]

ويردُّ عليهم فعل النبي ﷺ حيثُ رجم ولم يجلد[٤]، وبه قال جمهور الأمَّة[٥] إِذْ

---

(١) غير محفوظ بهذا اللفظ في حديث عمر، وأصل حديثه في الصحيحين بدون ذكر الآية، أخرجه النسائي في الكبرى (٧١٥٦) من طريق سفيان، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، عن عمر، رضي الله عنهم، به، قال النسائي: لا أعلم أن أحداً ذكر في هذا الحديث: الشيخ والشيخة فارجموهما البتة، غير سفيان، وينبغي أنه وهم، وقد خالف سفيان ثمانيةٌ من أصحاب الزهري في روايتهم عنه، فلم يذكروا الآية، والحديث مختلف فيه على الزهري اختلافاً كبيراً، كما بينه الإمام الدارقطني في علله (٢/ ٩-١٠)، وأصل حديث عمر وقوله: إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها، دون نص الآية في الصحيحين؛ البخاري (٦٨٣٠) (٦٨٤١) ومسلم (١٦٩١).

(٢) انظر قول الحسن وإسحاق بن راهويه وقول علي رضي الله عنه وفعله في: الأوسط (١٢/ ٤٢٧-٤٢٨).

(٣) أخرجه مسلم (١٦٩٠) من حديث عبادة بن الصامت، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٤) وأمثلة ذلك كثيرة مما في الصحيحين، ومنها: قصة ماعز بن مالك، رضي الله عنه، كما عند البخاري (٦٤٣٨) من حديث ابن عباس، رضي الله عنهما، ومسلم (١٦٩٤) من حديث أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، وكذلك قصة الغامدية، كما عند مسلم (١٦٩٥) من حديث بريدة بن الحصيب، رضي الله عنه، وما رواه البخاري (٦٤٢٧) من طريق الشعبي، عن علي، رضي الله عنه في رجمه للمرأة يوم الجمعة، ثم قال: رجمتها بسنة رسول الله ﷺ، وغير ذلك الكثير من المرويات التي فيها رجم المحصن دون الجلد.

(٥) منهم أصحاب المذاهب الأربعة وغيرهم، انظر مذهب مالك في: الموطأ (٢/ ٦٢٩)، ومذهب =

فعله كقوله رفع الجلد عن المحصن[١].

وقال ابن سلام وغيره: هذه الآية خاصة في البِكْرَيْن[٢].

قال القاضي أَبو محمد: لأَنه لو لم يبق مَنْ هذا حكْمه إِلا البِكْرَان، واستدلوا على ذلك بقول النبي ﷺ: «البِكْرُ بالبِكْر جَلْدُ مئة وتغريب عام»[٣]، وبقوله: «على ابنك جَلْدُ مئة»[٤]، واستدلوا على أَنها غير عامة بخروج الإماءِ والعبيد وغيرهم منها[٥].

وقد تقدَّم بسط كثير من هذه المعاني في سورة النساء.

والجَلْد يكون والمجلود قاعد عند مالك، ولا يُجزئ عنده إِلَّا في الظهر[٦]، وأَصحاب الرأْي والشافعيُّ يرون أَن يُجلد الرجل وهو واقف، وهو قول علي بن أَبي طالب[٧].

= أبي حنيفة في: المبسوط للسرخسي (٩/ ٤١-٤٢)، ومذهب الشافعي في: الأم (٦/ ٢١٥-٢١٦)، ومذهب أحمد في: مسائل أحمد وإسحاق رواية الكوسج (٢١١٥).

(١) انظر المحصول لابن العربي (١/ ١١٢)، والبحر المحيط للزركشي (٢/ ٥١٩).

(٢) انظر الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام (ص: ١٠٠)، وما بعدها، وهو قول الجمهور، كما في أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٩٤)، وأحكام القرآن لإلكيا الهَرّاس (٤/ ٢٩٠)، و(١/ ٤٦٢-٤٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٤٣) من حديث زيد بن خالد الجهني، سمعت النبي ﷺ يأمر فيمن زنى ولم يحصن: «جلد مئة وتغريب عام».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٤٤٠) ومسلم (١٦٩٧) من حديث أبي هريرة، وزيد بن خالد، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٥) لمزيد من التوسع في استدلال الجمهور بهذه الأدلة وغيرها؛ انظر الاستذكار (٧/ ٤٧٨-٤٧٩)، وبداية المجتهد (٢/ ٤٣٥-٤٣٧).

(٦) انظر قول مالك في: المدونة (٤/ ٥٠٤، ٥٠٩).

(٧) ضعيف جدّاً، أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٧/ ٣٧٥) عن الحسن بن عمارة، عن الحكم، عن يحيى، عن علي، رضي الله عنه، والحسن بن عمارة، متروك الحديث، وأخرجه البيهقي في الكبرى (٨/ ٣٢٧) من طريق هشيم، قال: أخبرني بعض أصحابنا، عن الحكم، عن يحيى بن الجزار، عن علي، به، وهذا ضعيف، من أجل إبهام من روى عنه هشيم، ولعله الحسن بن عمارة، المذكور في رواية عبد الرزاق.

ويُفرَّق الضربُ على كل الأَعضاء[١]، وأَشار ابن عمر بالضرب إِلى رِجلَيْ أَمة جلدها في الزنا[٢]، والإجماع في تسليم الوجه والعورة والمَقَاتل[٣].

ويترجَّح قول مالك رحمه الله بقول النبي ﷺ: «أَوْ حَدٌّ في ظهرك»[٤]، وقال عمر: «أَوْ لأُوْجِعَنَّ مَتْنَك[٥]».

ويُعرَّى الرجل عند مالك[٦]، والنَّخَعي، وأَبي عبيدة بن الجراح، وابن مسعود، وعمر بن عبد العزيز، والحسن، والشعبي، وغيرُهم يرون أَن يُضرب على قميص، وهو قول عثمان، وابن مسعود أيضاً[٧]، وأَما المرأَة فَتُسْتر قولًا واحداً[٨].

وقرأَ الجمهور: ﴿رَأْفَةٌ﴾ بهمزة ساكنة على وزن فَعْلَة.

---

(١) انظر قول علي في: الأوسط (١٢/ ٤٧٢)، وأصحاب الرأي في: المبسوط للسرخسي (٩/ ٨٣)، وقول الشافعي في: الأم (٧/ ٢٣٦).

(٢) إسناده صحيح، أخرجه عبد الرزاق (٧/ ٣٧٦) والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢٤٥) من طريق ابن جريج، قال: حدثنا ابن أبي مليكة، عن عبد الله بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، به، وقد تحرف اسم عبد الله بن عبد الله بن عمر، في المطبوع من مصنف عبد الرزاق، إلى: «عبيد الله بن عبد الله بن عمر»، وجاء اسمه على الصواب عند البيهقي، وانظر تهذيب الكمال (١٥/ ١٨٠).

(٣) انظر حكاية هذا الإجماع في تفسير القرطبي (١٢/ ١٦٢).

(٤) أخرجه البخاري (٢٥٢٦) من حديث ابن عباس، رضي الله عنهما، مرفوعاً، به.

(٥) إسناده صحيح، أخرجه النسائي في الكبرى (٢٩٢٦) من طريق الليث بن سعد، عن عقيل، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عبد الله بن عمر، رضي الله عنه، به، وهذا إسناد صحيح، على شرط الشيخين، وقد خالف عقيلاً: شعيبُ بنُ أبي حمزة، فرواه عن الزهري، عن عبد الله بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عبد الله بن عمر، به، وعقيل أثبت في الزهري، والله أعلم.

(٦) انظر مذهب مالك في المسألة في: التلقين للقاضي عبد الوهاب (٢/ ١٧٠).

(٧) انظر قول أبي عبيدة بن الجراح وابن مسعود وعثمان رضي الله عنه والنخعي والشعبي في: الأوسط (١٢/ ٤٧٠-٤٧٢)، أما عمر بن عبد العزيز والحسن فلم أقف عليه لهما؛ بل في الأوسط (١٢/ ٤٧٣)، عن عمر بن عبد العزيز أنه جرَّد قاذفاً في حد الجلد.

(٨) انظر نقل الإجماع على أن تحد المرأة وهي مستترة في: تفسير مفاتيح الغيب (٢٣/ ١٢٧).

وقرأَ ابن كثير: ﴿رَأَفَةٌ﴾ على وزن فَعَلة بفتح العين[١].

وقرأَ عاصم أيضاً: (رَآفَةٌ) على وزن فَعَالَة[٢]، كَسَآمة وكآبة.

وهذه مصادر أَشهرها الأُولى، من رَؤُفَ إِذا رقَّ ورحم.

وقرأَ الجمهور: ﴿تَأْخُذْكُم﴾ بالتاءِ من فوق.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن: (يَأْخُذْكُمْ) بالياءِ من تحت[٣].

واختلف الناس في الرأْفة المنهي عنها، فيم هي؟:

فقال أَبو مِجْلَز لاحقُ بن حُمَيد[٤]، ومجاهد، وعكرمة، وعطاءٌ: هي في إِسقاط الحدِّ، أَي: أَقيموه ولا بُدَّ[٥]، وهذا تأْويل ابن عمر[٦]، وابن جبير، وغيرهما، ومن رأْيهم أَن الضرب في الزنا والفِرية والخمر على نحو واحد[٧].

وقال قتادة، وابن المسيب، وغيرهما: الرأْفة المنهيُّ عنها هي تخفيف الضرب عن الزنا.

ومن رأْيهم أَن يُخَفَّف ضرب الخمر والفِرْية ويشتد ضرب الزنا[٨].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ١٦١)، والسبعة (ص: ٤٥٢).

(٢) وهي شاذة، عزاها له ولابن جريج وابن كثير في الشواذ للكرماني (ص: ٣٣٩)، وللثاني فقط في مختصر الشواذ (ص: ١٠٢).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في مختصر الشواذ (ص: ١٠٢).

(٤) في حاشية المطبوع: في الأصول: «فقال أبو مِجْلز ولاحق بن حُميد، وإنما هو رجل واحد».

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٩١و٩٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ١٠٠).

(٦) إسناده صحيح، أخرجه عبد الرزاق (٧/ ٣٧٦) والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢٤٥) من طريق ابن جريج، قال: حدثنا ابن أبي مليكة، عن عبد الله بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، به.وهذا إسناد صحيح، وقد تقدم قبل قليل.

(٧) انظر هذا كله في تفسير الطبري (١٩/ ٩١).

(٨) وقاله عطاء والنخعي والحسن والثوري، انظر: الأوسط (١٢/ ٤٧٨)، وقول ابن المسيب في: تفسير الطبري (١٩/ ٩٢).

وقال سليمان بن يسار: نُهي عن الرأْفة في الوجهين.

وقال أَبو مِجْلَز: إِنَّا لنَـرْجُم المحدود ولكن لا نُسقط الحدَّ(١).

قال القاضي أبو محمد: وقول النبي ﷺ في السوط: «دون هذا» ضربٌ من الرأْفة(٢).

وقال عمر: اضْرِب ولا تُبْدِيَنَّ إِبطك(٣).

واتفق الناس على أَن الضرب سوطٌ بين سوطين.

وقال الزهري: ضرب الزنى والفِرية مشدَّد لأَنهما بمعنى واحد، وضرب الخمر مخفف(٤).

وقوله: ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ بمعنى: في الإِخلال بدين الله، أَي بشرعه، ويحتمل أَن يكون الدِّين هنا بمعنى الحكم.

ثم قررهم على معنى التثبيت والحضِّ بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾، وهذا كما تقول لرجل تَحضُّه: إِن كنت رجلاً فافعل كذا، أَي: هذه أَفعال الرجال.

وقوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، المقصد بالآية: الإِغلاظ على الزُّناة والتوبيخ بحضرة الناس، فلا خلاف أَن الطائفة كلَّما كثرت فهو أَليق بامتثال الأَمر.

واختلف الناس في أَقل ما يُجزي:

(١) انظر قولهما في: تفسير الطبري (١٩/ ٩٢).

(٢) لعله أراد حديث زيد بن أسلم أن النبي ﷺ أتي برجل قد أصاب حداً، فأتي بسوط جديد شديد، فقال: دون هذا، فأتي بسوط منكسر منتشر، فقال: فوق هذا، فأتي بسوط قد ديث، يعني قد لين، فقال: هذا، فإن يكنه، فهو ضعيف لإرساله.

(٣) إسناده صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٨)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٣٢٦) من طريق عاصم الأحول، عن أبي عثمان النهدي، عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، به.

(٤) انظر قول الزهري في: تفسير الطبري (١٩/ ٩٢).

فقال الحسن بن أَبي الحسن: لا بُدَّ من حضور عشرة[١]، رأى[٢] أن هذا العدد عقد خارج عن الآحاد، وهي أَقل الكثرة.

وقال ابن زيد وغيره: لا بُدَّ من حضور أَربعة، ورأَوا أَن شهادة الزنا كذلك، وأَن هذا باب منه، وقال الزهري: الطائفة ثلاثة فصاعداً[٣].

وقال عطاءٌ وعكرمة: لا بُدَّ من اثنين، وهذا مشهور قول مالك، فرآها موضع شهادة.

وقال مجاهد: يجزئ الواحد، ويُسمى طائفة إلى الألف، وقاله ابن عباس[٤]، ونزعا بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٢]، وقوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ﴾ [الحجرات: ٩]، ونزلت في تقاتُل رجلين[٥].

واختلف العلماء في التغريب:

وقد غرّب الصديق إلى فدك[٦]، وهو رأي عمر وعثمان وعلي وأبي ذر وابن

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٥/ ١٠٦).

(٢) في المطبوع: «وقال».

(٣) انظر قول ابن زيد وقول الزهري في: تفسير الطبري (١٩/ ٩٥).

(٤) انظر قول ابن عباس في تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ١٠)، وقول عطاء وعكرمة وقول مجاهد في تفسير الطبري (١٩/ ٩٥)، لكن مشهور مذهب مالك أن أقل الطائفة أربعة، انظر: الكافي (٢/ ١٧٠)، وبداية المجتهد (٢/ ٤٣٨)، وحاشية الدسوقي (٤/ ٣٢٠).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٩٤).

(٦) كأنه مرسل، أخرجه الإمام مالك (٣٠٤٩) عن نافع، عن صفية بنت أبي عبيد، عن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، به، وترجم الحافظ العلائي في جامع التحصيل (١٠٣١) لصفية، وأورد لها هذا الأثر عن الصديق، رضي الله عنه، ثم قال: قال عبد العزيز النخشبي: لا أظن صفية أدركت أبا بكر، رضي الله عنه، فإن لم تكن أدركته فالحديث مرسل، وفي التهذيب: أن لها عن عمر رضي الله عنه رؤية مجردة، وهذا يؤيد قول النخشبي.

مسعود وأبي بن كعب[(١)]، ولكن عمر بعدُ نفى رجلًا فلحق بالروم فقال: لا أنفي أحداً بعدها[(٢)]، وفيه عن مالك قولان[(٣)].

ولا يرى تغريب النساء والعبيد[(٤)]، واحتج بقوله ﷺ: «لا تسافر المرأة مسيرة يوم إلا مع ذي محرم»[(٥)]، وممن أبى التغريب جملةُ أصحابِ الرأي[(٦)].

وقال الشافعي: يُنفى البكر رجلاً كان أو امرأة[(٧)]، ونفى عليٌّ امرأة إلى البصرة[(٨)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾.

في هذه الآية أَربعة أَوجُه من التأْويل:

أَحدها: أَن يكون مقصد الآية تشنيع الزنى[(٩)] وتبشيع أَمره، وأَنه مُحَرَّم على

---

(١) انظر قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي رضي الله عنهم في: الأوسط (١٢/ ٤٩٠-٤٩١)، ولم أجده لأبي ذر.

(٢) لم أقف عليه مسنداً.

(٣) ظاهر كلام المؤلف أن لمالك قولاً بالتغريب وقولاً بخلافه، وما وقفت عليه من ذلك هو قوله بالتغريب للبكر الزاني، انظر قول مالك في: المدونة (٤/ ٥٠٤)، والنوادر (١٤/ ٢٣٦-٢٣٧).

(٤) انظر قول مالك بعدم نفي العبيد، وكذلك قوله بعدم نفي النساء واحتجاجه بالحديث؛ في النوادر (١٤/ ٢٣٦).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٠٣٨) ومسلم (١٣٣٩) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به، بلفظ: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم، وأخرجه البخاري (١٠٨٦) (١٠٨٧) ومسلم (١٣٣٨) بلفظ: «لا تسافر المرأة ثلاثاً...» وفي البخاري (١١٩٧) ومسلم (٨٢٧) بلفظ: «لا تسافر المرأة يومين».

(٦) انظر قول أصحاب الرأي في: المبسوط للسرخسي (٩/ ٥٠-٥١).

(٧) انظر قول الشافعي في: الأم (٦/ ٢٠٢)، وفي لالاليه بدله: «مجاهد»، وسقط منها: «ونفى علي امرأة».

(٨) أخرجه ابن المنذر في الأوسط (١٢/ ٤٩٠) من طريق هشيم، عن الشيباني، قال: سمعت الشعبي، يقول: إن عليّاً جلد ونفى، وأحسبه نفى إلى البصرة، وهشيم مدلس، وقد عنعنه.

(٩) سقطت من الأصل والمطبوع.

المؤمنين، واتصالُ هذا المعنى بما قبْلُ حسنٌ بليغ.

ويريد بقوله: ﴿لَا يَنكِحُ﴾ أَي لا يطأُ، فيكون النكاح بمعنى الجماع، وردَّد القصةَ مبالغة وأَخذاً من كلا الطرفين، ثم زاد تقسيم المشرك والمشركة من حيث الشرك أَعم في المعاصي من الزنا، فالمعنى: الزاني لا يطأُ في وقت زناه إِلَّا زانيةً من المسلمين أَو من هي أَخَسُّ منها من المشركات.

وقد روي عن ابن عباس وأَصحابه أَن النكاح في هذه الآية الوَطْءُ[١]، وأَنكر ذلك الزجاج وقال: لا يُعرف النكاح في كتاب الله تعالى إِلا بمعنى التزويج[٢]، وليس كما قال، وفي القرآن: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، وقد بيَّنه النبي ﷺ أَنه بمعنى الوطءِ[٣].

وذكر الطبري ما ينحو إِلى هذا التأْويل عن سعيد بن جبير، وابن عباس، وعكرمة[٤]، ولكن غير ملَخَّص ولا مكمَّل.

والثاني: أَن تكون الآية نزلت في قوم مخصوصين، وهذا قول روي معناه عن عبد الله بن عمر، وعن ابن عباس وأَصحابه، قالوا: وهم قومٌ كانوا يزنون في جاهليتهم ببغايا مشهورات، فلما جاءَ الإِسلام وأَسلموا لم يمكنهم الزنا، / فأَرادوا ـ لفقرهم ـ [٤/ ٨٩]
زواج أُولئك النسوة؛ إِذ كان من عادتهن الإِنفاق على من ارتسم بزواجهن، فنزلت الآية

---

(١) إسناده مستقيم، الأثر أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٥٢) عن الثوري، عن حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد بن جبير، عنه.

(٢) انظر: معاني القرآن (٤/ ٢٩).

(٣) هو حديث امرأة رفاعة القرظي التي جاءت النبي ﷺ فقالت: كنت عند رفاعة فطلقني فأبتَّ طلاقي فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير إنما معه مثل هدبة الثوب، فقال: «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة، لا حتى تذوقي عُسَيلته ويذوق عُسَيلتك». وهو حديث متفق عليه أخرجه البخاري في غير موضع منه (٢٦٣٩) ومسلم (١٤٣٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٠٠).

بسببهن(١)، والإشارة بالزَّانِي إِلى أَحد أُولئك، حمل عليه اسم الزنا الذي كان في الجاهلية.

وقوله: ﴿لَا يَنكِحُ﴾ أَي لا يتزوج، وفي الآية ـ على هذا التأْويل ـ معنى التفجع عليهم، وفي ذلك توبيخٌ كأَنه يقول: أَيُّ مصاب؟ الزاني لا يريد أَن يتزوج إِلَّا زانية أَو مشركة، أَي: تنـزع نفوسُهم إِلى هذه الخسائس لقلة انضباطهم.

ويَرِدُ على هذا التأْويل: الإِجماعُ على أَن الزانية لا يجوز أَن يتزوجها مشركٌ(٢).

ثمَّ قوله: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أَي نكاح أُولئك البغايا، فيزعم أَهل هذا التأْويل: أَن نكاح أُولئك البغايا حرَّمه الله على أُمَّة محمد ﷺ، ومن أَشهرهن عَنَاق البغي، وكان الذي همَّ بتزوُّجها يلقب(٣) دُلْدُل، كان يستخرج ضعفة المسلمين من مكة سِرّاً، ففطنت له ودعته إِلى نفسها فأَبى الزنا وأَراد التزويج، واستأْذن [في ذلك](٤) النبيَّ ﷺ فنزلت الآية، ولمَّا دعته وأَبى قالت له: «أَنَّى تبرز؟ والله لأَفضحنَّك»(٥).

وذكر الطبري أَن من البغايا المذكورات:

أُم مَهزول، جارية السائب بن أَبي السائب المخزوميِّ، ويقال فيها: أُم مهزوم.

وأُم غُلَيظ، جارية صفوان بن أُميَّة.

---

(١) إسناده لا بأس به، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٥٢) عن الثوري، عن حبيب بن أبي عمرة، عن ابن جبير، عن ابن عباس.

(٢) لأن الزانية مسلمة، والمسلمة لا تحل لكافر بإجماع، انظر نقل الإجماع على ذلك في: التمهيد (١٢/ ٢١).

(٣) سقطت من المطبوع، ودلدل لقبٌ لمرثد، كما في تفسير الطبري (١٨/ ٧٩)، وانظر: الاستيعاب (٣/ ١٣٨٥).

(٤) ليست في المطبوع.

(٥) حسن، هذا الحديث أخرجه أبو داود (٢٠٥١)، والترمذي (٣١٧٧)، والنسائي (٣٢٢٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٢٦)، والحاكم (٢/ ١٦٦)، والبيهقي (٧/ ١٥٣) من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن مرثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الأسارى بمكة، وكان بمكة بغي يقال لها: عناق وكانت صديقته، قال: جئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، أنكح عناق؟ قال: فسكت عني، فنزلت: ﴿وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ فدعاني فقرأها علي وقال: «لا تنكحها».

وحنَّة القبطية، جارية العاصي بن وائل.

ومُزْنة، جارية مالك بن عَمِيلة بن السَّبَّاق [بن عبد الدار][(١)].

وجلالة، جارية سهيل بن عمرو.

وأُم سويد، جارية عمرو بن عثمان المخزوميِّ[(٢)].

وشريفة، جارية زمعة بن الأَسود[(٣)].

وفرسة، جارية هشام بن ربيعة.

وفرنتا، جارية هلال بن أَنس[(٤)]، وغيرهن ممن كان لهن رايات تُعرَفُ منازلهنَّ بها[(٥)].

وكذلك كان بالمدينة إِماءُ عبد الله بن أُبيٍّ وغيره مشهورات.

وحكى الطبري عن ابن عباس أَنه قال في سياق هذا التأْويل: كانت بيوت في الجاهلية تُسمى المواخير، كانوا يؤجرون[(٦)] فيها فتياتهم، وكانت بيوتاً[(٧)] معلومةً للزنا، فحرَّم الله ذٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ[(٨)].

(١) من المطبوع، وورد في الاستيعاب (٣/ ١٣٥٦) أن مالك هذا بدري، وهو خطأ، والصواب أنه الجد الأعلى لسويبط بن سعد بن حرملة بن مالك بن عميلة، انظر: الاستيعاب أيضاً (٢/ ٦٨٩).

(٢) وهو جد سعيد وعمرو ابني حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أسلما يوم الفتح، الاستيعاب (٢/ ٦١٣).

(٣) هو زمعة بن الأسود بن المطلب بن عبد مناف، والد عبد الله ويزيد، قتل يوم بدر كافراً، وهو أحد الأجواد المعروفين بزاد الركب، انظر: الاستيعاب (٣/ ٨٦٨).

(٤) في المطبوع: «ومرثنا»، وفي لالاليه: «بن يونس»، وهلال لم أعرفه، وفي أنساب الأشراف للبلاذري (١/ ٣٥٧) أن هلال بن عَبْد الله بن خطل الأدرمي، وَيُقَالُ هُوَ عَبْد الله بْن هلال، والأول قول الكلبي، له قينتان، هما فرتنا وأرنب، وهم ممن أهدر دمه يوم الفتح.

(٥) جاءت أسماؤهن في الطبري (١٩/ ٩٦ و٩٨) وفيها بعض الاختلاف عما هنا فليراجع.

(٦) في لالاليه: «يؤخرون»، وفي الإماراتية ونجيبويه: «يؤاجرون».

(٧) سقطت من المطبوع.

(٨) أخرجه ابن جرير (١٩/ ٩٨)، وابن أبي حاتم (١٤١٢٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

ويحتمل أَن يكون هذا الكلام في التأْويل الذي ذكرته قبل هذا، وواحد المواخير: ماخورٌ، ومنه قول بعض المحدثين:

[البسيط] فِـي كُلِّ وَادٍ هَبَطْنَـا فِيـهِ دسَـكْرَة فِي كُلِّ نَشْزٍ صَعَدْنَا فِيهِ مَاخور[١]

والتأْويل الثالث: تأويلٌ ذَكَرَهُ الزجاج وغيره عن الحسن، وذلك أَنه قال: المرادُ: الزاني المحدود والزانية المحدودة، قال: وهذا حكم من الله تعالى، فلا يجوز لزانٍ محدُودٍ أَن يتزوج إِلَّا زانية[٢] محدودة، ورُوي أَن محدوداً تزوج غير محدودة فردَّ علي ابن أَبي طالب نكاحهما[٣].

وقوله: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ يريد الزِّنا، وحكى الزهراوي في هذا حديثاً من طريق أبي هريرة أَن رسول الله ﷺ قال: «لا ينكح الزاني المجلودُ إِلَّا مثله»، وهذا حديث لا يصح[٤]، وقولٌ فيه نظر، وإِدخال المشرك في الآية يردُّه، وأَلفاظ الآية تأْباه، وإِن قُدرت المشركة بمعنى الكتابية فلا حيلة في لفظ المشرك.

والرابع: قولٌ[٥] روي عن سعيد بن المسيب، وذلك أَنه قال: هذا حكمٌ كان في

---

(١) عزاه السري في المحب والمحبوب (٣/ ٢٥) والتيفاشي في سرور النفس (ص/ ٢٢١)، لأبي بكر الصنوبري.

(٢) من المطبوع.

(٣) ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٢٧٣) من طريق ليث بن أبي سليم، عن ابن سابط، أن عليّاً، رضي الله عنه....فذكره. وليث بن أبي سليم، ضعيف الحديث، وابن سابط، هو عبد الرحمن، كثير الإرسال عن الصحابة، ولم يصرح بسماع.

(٤) منكر، أخرجه الإمام أحمد (١٤/ ٥٢) وأبو داود (٢٠٥٢) وابن عدي (٢/ ٤١٠) من طريق حبيب المعلم، عن عمرو بن شعيب عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف؛ من أجل حبيب المعلم، وهو وإن كان مُختلفاً فيه، إلا أن لفظ الحديث فيه نكارة، وركاكة، ولذلك لما ترجم ابن عدي في كامله (٢/ ٤٠٩-٤١٠) لحبيب المعلم، استنكر عليه حديثه هذا.

(٥) في المطبوع: «قد».

الزُّناة عامة، أَلا يتزوج زانٍ إِلَّا زانية، ثم جاءت الرُّخصة ونُسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، ورُوي ترتيب هذا النسخ أيضاً عن مجاهد، إِلَّا أَنه قال: إِن التحريم إنما كان في أُولئك النفر خاصةً لا في الزُّناة عامة، ذكر ذلك عنهما أَبو عبيد في «ناسخه»، وذكر عن مجاهد أَنه قال: حُرِّمَ نكاحُ أُولئك البغايا على أولئك النفر(١).

قال القاضي أَبو محمد: وذكر الإِشراك في الآية يضعِّف هذه المناحي.

وقرأَ أَبو البَـرَهْسَم: (وحرَّم اللهُ ذلك على المؤمنين)(٢).

واختلف فيمن زنى بامرأَةٍ وأَراد نكاحها:

فأَجاز ذلك أَبو بكر الصديق، وابن عُمر، وجابر بن عبد الله، وطاوس، وابن المسيب، وجابر بن زيد، وعطاءٌ، والحسن، وعكرمة، وابن عباس، ومالك، والثوري، والشافعي(٣).

ومَنَعه ابن مسعود، والبراءُ بن عازب، وعائشة، وقالوا: لا يزالان زانِيَيْن ما اجتمعا(٤).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

---

(١) الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام (ص: ١٠٠)، وفي المطبوع: «أبو عبيدة»، وانظر قول مجاهد في تفسير الطبري (١٩/ ٩٩).

(٢) وهي شاذة تخالف المصحف، ولعل إدراج لفظ الجلالة هنا خطأ، فالذي في الشواذ للكرماني (ص: ٣٣٩) والبحر المحيط (٨/ ١٢) عنه: (وحرَّم) مبنياً للفاعل أي الله، وفي المطبوع والبحر المحيط: البرهثيم، وهو خطأ.

(٣) انظر قول مالك في: تفسير القرطبي (١٢/ ١٦٩)، وقول الشافعي في الأم (٥/ ٢١)، والباقين في: الأوسط (١٢/ ٥١٢-٥١٣).

(٤) انظر قول ابن مسعود وعائشة والبراء في: الأوسط (١٢/ ٥١٤).

هذه الآية نزلت في القاذفين، قال سعيد بن جبير: كان سببها ما قيل في عائشة أُم المؤمنين رضي الله عنها، وقيل: بل نزلت بسبب القذف عامة لا في تلك النازلة[١].

وذكر الله تعالى في الآية قذف النساءِ من حيث هو أَهَمُّ، ورَمْيُهُنَّ بالفاحشة أَبْشَع وأَنكى للنفوس، وقذف الرجال داخل في حكم الآية بالمعنى وإِجماعِ الأُمة على ذلك[٢]، وهذا نحو نصه تعالى على لحم الخنزير ودخول شحمه وغضاريفه ونحو ذلك بالمعنى والإِجماع[٣].

وحكى الزهراوي أَن في المعنى: الأَنْفُس المحصنات، فهي تعُمُّ بلفظِها الرجال والنساءَ، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٢٤][٤].

والجمهور على فتح الصاد من ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾، وكسرها يحيى بن وثاب[٥].

و«المحْصنات»: العفائف في هذا الموضع؛ لأَن هذا هو الذي يجب به جَلْد القاذف[٦].

والعِفَّةُ أَعلى معاني الإِحصان، إذ في طيِّه الإسلام، وفي هذه النازلة الحرية، ومنه قول حسان: حَصَانٌ رَزَانٌ[٧]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [الأنبياء: ٩١].

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (١٩/ ١٠٢)، والثاني قول الضحاك.

(٢) انظر الإجماع على ذلك في الإقناع (٤/ ١٨٤٣ - ١٨٤٦).

(٣) انظر الإجماع على ذلك في الإقناع (٢/ ٩٨٥).

(٤) وانظر: تفسير القرطبي (١٢/ ١٧٢).

(٥) تابعه في تفسير القرطبي (١٢/ ١٧٢)، وهذا إبعاد للنجعة فالقراءتان سبعيتان، والكسر للكسائي، كما تقدم في النساء.

(٦) انظر الاتفاق على اشتراط العفة في المقذوف في: بداية المجتهد (٢/ ٤٤٠-٤٤١)، والحاوي للماوردي (١٣/ ٢٥٥).

(٧) البيت بتمامه:

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بريبَةٍ ... وتُصْبِح غَرْثَىٰ مِنْ لُحُوم الغَوَافِلِ

انظر عزوه له في سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٦)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٤٣)، والعقد الفريد (٤/ ١٣١)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٠٧)، والصحاح للجوهري (٥/ ٢١٢٣).

وذكَرَ الله تعالى من صفات النساءِ العفةَ المنافية للرمي بالزنا، ولتخرج من ذلك من ثبت عليها الزنا وغير ذلك ممن لم يبلغ الوطءَ من النساء حسب الخلاف في ذلك.

وعبَّر عن القذف بالرَّمي من حيث معتادُ الرمي أنه مُؤْذٍ كالرمي بالحجر والسهم، فلما كان قول القاذف مؤذياً جُعِلَ رمياً، وهذا كما قال:

.... وَجُـرْحُ اللِّسَـانِ كَجُـرْحِ الْيَدِ[1] [المتقارب]

والقذف والرمي بمعنى واحد.

وشدَّد الله تعالى على القاذف بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ رحمةً / بعباده وستراً لهم. [٤/ ٩٠]

وقرأ جمهور الناس: ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ على إِضافة الأَربعة إِلى الشهداء.

وقرأ عبد الله بن مسلم بن يسار[2]، وأَبو زُرْعَة بن جرير: (بأربعةٍ) بالتنوين[3].

وشهداء على هذا: إِمَّا بدلٌ، وإِما صفة للأَربعة، وإِمَّا حالٌ، وإِمَّا تمييز، وفي هذين نظرٌ؛ إِذ الحال من نكرة والتمييز مجموع، وسيبويه يرى أَن تنوين العدد وترك إِضافته إِنما يجوز في الشِّعر، وقد حسَّن أَبو الفتح هذه القراءَة ورجَّحها على قراءَة الجمهور.

وحكم شهادة الأَربعة: أَن تكون على معاينة مبالغة كالمِرْوَدِ والمُكْحُلَة في موطن واحد[4]، فإِن اضطرب منهم واحد جُلد الثلاثة والقاذف[5]، كما فعل عمر بن الخطاب

---

(١) صدره: ولَوْ عن نَثَا غَيْرِهِ جاءَني، قاله امرؤ القيس كما في البيان والتبيين (١/ ٩٦)، والصناعتين الكتابة والشعر (ص/ ٣٩٣)، والعقد الفريد (٢/ ٢٦٢)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٧٦)، وعزاه في (١٢/ ١٧٢) للنابغة، وقال البكري في سمط اللآلي (١/ ١٥٣) اختلف فيه فرواه الطوسيّ لامرئ القيس، وقال ابن حبيب: قال ابن الكلبي: هو لعمرو بن معدي كرب.

(٢) لم أجد له ترجمة كافية، وتقدم ذكر والده، وذكر ابنه عبد الأعلى في سورة النساء.

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ١٠٠)، وفي لالاليه: «ابن مسعود». وفي نور العثمانية: «بن أبي مسلم»، وفي العلمية: «وأبو زرعة وابن جريج».

(٤) وهذا بإجماع من العلماء، كما في الإقناع (٤/ ١٨٧٧-١٨٧٨).

(٥) انظر ذلك في المدونة (٤/ ٤٨٢)، والأم (٦/ ١٨٨)، والمبسوط للسرخسي (٩/ ٧٤).

رضي الله عنه في أَمْر المغيرة بن شعبة، وذلك أَنه شهد عليه بالزِّنى أَبو بكرة نُفَيْع بن الحارث، وأَخوه نافع[١]، ـ وقال الزهراوي: عبد الله بن الحارث[٢] ـ وزياد أَخوهما لأُمٍّ ـ وهو مستلحق معاوية ـ وشبل بن معبد البجلي[٣]، فلما جاؤوا لِأَداءِ الشهادة توقف زيادٌ ولم يؤدِّها كاملةً، فَجَلَد عمر رضي الله عنه الثلاثة المذكورين[٤].

و«الجَلْدُ»: الضربُ، والمجالدة[٥]: المضاربة في الجلود أَو بالجلود، ثم استعير الجلد لغير ذلك من سيف وغيره، ومنه قول قيس بن الخطيم:

[الطويل] أُجَالِدُهُـمْ يَـوْمَ الْحَدِيقَـةِ حَاسِـراً كَأَنَّ يَدِي بِالسَّيْفِ مِخْرَاقُ لَاعِبِ[٦]

ونصب ﴿ثَمَٰنِينَ﴾ على المصدر، و﴿جَلۡدَةٗ﴾ على التمييز.

ثم أَمر الله تعالى أَلَّا نقبل للقَذَفَة المحدودين شهادةً أَبداً، وهذا يقتضي مدةَ أَعمارهم، ثم حكم عليهم بأَنهم فاسقون، أَي خارجون عن طاعة الله عزَّ وجلَّ.

ثمَّ استثنى عزَّ وجلَّ من تاب وأَصلح من بعد القذف، فإِنه وعدهم بالرحمة

---

(١) هو نافع بن الحارث بن كلدة الثَّقفيُّ، أخو أبي بكرة لأمِّه، كان ممن نزل إلى رسول الله ﷺ من الطَّائف، وأمه: سميَّة مولاة الحارث، ادّعاه الحارث واعترف أنه ولده فثبت نسبه منه، وهو أول من اقتنى الخيل بالبصرة، وهو أحد الشهود على المغيرة، الإصابة (٦/ ٣١٩).

(٢) هو نافع المتقدم، ولم أقف على كلام الزهراوي، ولم أجد هذه التسمية لغيره، وزياد تقدمت ترجمته في مقدمات الكتاب.

(٣) في المطبوع: «الجبلي»، وهو شبل بن معبد بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن علي بن أسلم بن أحمس البجلي الأحمسي، يقال: له صحبة، وأمه سميّة والدة أبي بكرة وزياد، وشهد معهم على المغيرة، ثم رجع عن شهادته، انظر القسم الثالث من الإصابة (٣/ ٣٠٣).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٧/ ٢١٥) عن معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن عمر رضي الله عنه، به، وهو منقطع بين ابن المسيب، وعمر، على الراجح، انظر: جامع التحصيل (٢٤٤).

(٥) في أحمد٣ ونجيبويه والمطبوع ولالاليه ونور العثمانية: «المجادلة».

(٦) انظر عزوه له في العقد الفريد (١/ ١٣٣)، والأغاني (٣/ ٩)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٩٤) ضمن المذهبات.

والمغفرة، فتضمنت الآية ثلاثة أَحكام في القاذف: جَلْدُه، وردُّ شهادته أَبداً، وفسقه.

فالاستثناءُ غير عامل في جَلْده بإِجماع، وعامل في فسقه بإِجماع[١].

واختلف الناس في عمله في رَدِّ[٢] الشهادة:

فقال شريح القاضي، وإِبراهيم النَّخَعي، والحسن، والثوري، وأَبو حنيفة: لا يعمل الاستثناءُ في ردِّ شهادته، وإِنما يزول فسقه عند الله تعالى، وأَما شهادة القاذف فلا تقبل البتَّة ولو تاب وأَكذب نفسه ولا بحالٍ من الأَحوال[٣].

وقال جمهور الناس: الاستثناءُ عامل في ردِّ الشهادة، فإِذا تاب القاذف قُبِلَتْ شهادته، ثم اختلفوا في صورة توبته:

فمذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والشعبي وغيره أَن توبته لا تكون إِلَّا بأَن يكذب نفسه في ذلك القذف الذي حُدَّ فيه[٤]، وهكذا فعل شبل بن معبد، ونافع، تابا عن القول في المغيرة، وأَكذبا أَنفسهما فقبل عمر رضي الله عنه شهادتهما، وأَبى أَبو بكرة نُفَيْع من إِكذاب نفسه فردَّ عمر رضي الله عنه شهادته حتى مات[٥].

وقالت فرقة منها مالك رحمه الله، وغيره: توبتُه أَن يَصْلُح وتَحْسُن حاله وإِن لم يرجع عن قوله بتكذيب[٦].

واختلف فقهاءُ المالكيين، متى تسقط شهادة القاذف؟:

---

(١) انظر الإجماع على جلد القاذف وعلى قبول توبة القاذف في: الإقناع (٤/ ١٨٤٣، ١٨٥٤).

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) انظر قول أبي حنيفة في: المبسوط للسرخسي (١٦/ ١٢٥-١٢٦)، وانظر قول الباقين في: الاستذكار (٧/ ١٠٨).

(٤) وهو قول سعيد بن المسيب وعطاء وطاوس والزهري والشافعي، انظر: الاستذكار (٧/ ١٠٧-١٠٨).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٧/ ٢١٥) عن معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن عمر رضي الله عنه، به، وسبق الكلام على مثله قريباً.

(٦) انظر قول مالك في: الاستذكار (٧/ ١٠٧).

فقال ابن الماجشون: بنفس قذفه، وقال ابن القاسم[١]، وأَشهب، وسُحنون: لا تسقط حتى يُجلد، فإِن مَنَعَ من جَلْده مانع ـ عفوٌ أَو غيره ـ لم تُـرَدَّ شهادته[٢]، قال الشيخ أَبو الحسن اللخمي: شهادته في مدة الأَجل في الإِثبات موقوفة، ورجَّح القول بأَن التوبة إِنما تكون[٣] بالتكذيب في القذف، وإِلاَّ فأَيُّ رجوع لعدل إِنْ قَذف وحُدَّ وبقي على عدالته[٤].

و﴿تَابُوا﴾ معناه: رجعوا، وهذا ترجيح، وقد رجَّح الطبريُّ وغيره قول مالك[٥].

واخْتُلف أيضاً ـ على القول بجواز شهادته بعد التوبة ـ في أَي شيءٍ تجوز شهادته؟:

فقال مالك رحمه الله: تجوز في كل شيءٍ بإِطلاق، وكذلك كلُّ من حُدَّ في شيءٍ من الأَشياءِ، وقال سُحْنون رحمه الله: من حُدَّ في شيءٍ من الأَشياءِ فلا تجوز شهادته في مثل ما حُدَّ فيه، وقال مطرِّف، وابن الماجشون: من حُدَّ في قذف أَو زِنا فلا تجوز شهادته في شيءٍ من وجوه الزنا، ولا في قَذْفٍ ولا في لِعَانٍ وإِن كان عدلاً[٦]، ورويا هذا القول عن مالك[٧]، واتفقوا ـ فيما أَحفظه ـ على ولد الزنا أَن شهادته لا تجوز في الزِّنا[٨].

قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

---

(١) في المطبوع: «أبو القاسم».

(٢) انظر قول ابن الماجشون وابن القاسم وأشهب في: الاستذكار (٧/ ١٠٩)، وسحنون في: تفسير القرطبي (١٢/ ١٧٩).

(٣) في المطبوع: «إما أن تكون».

(٤) انظر قول اللخمي في: تفسير القرطبي (١٢/ ١٧٩).

(٥) انظر ترجيح الطبري لقول مالك في تفسيره (١٩/ ١٠٨).

(٦) انظر قول مالك وقول سحنون ومطرف وابن الماجشون في: الاستذكار (٧/ ١٠٦).

(٧) انظر رواية مطرف وابن الماجشون لهذا القول عن مالك في: تفسير القرطبي (١٢/ ١٨٠).

(٨) انظر نقل الاتفاق في مذهب مالك على رد شهادة ولد الزنا في: مواهب الجليل (٨/ ١٧٩).

لما نزلت الآية المتقدمة في الذين يرمون المحصنات تناول ظاهرُها الأَزواجَ وغيرَهُن، فقال سعد بن عُبادة: يا رسول الله، إِنْ وجدت مع امرأَتي رجلاً أُمهله حتى آتي بأَربعة؟ والله لأَضربنَّه بالسيف غير مُصْفح، فقال رسول الله ﷺ: «أَتعجبون من غيرة سعد؟ لأَنا أَغير منه والله أَغير مني»[١]، وفي أَلفاظ سعد روايات مختلفة، وهذا نحو معناها.

ثم جاءَ بعد ذلك هلال بن أُمَيَّة الواقفي فرمى زوجته بشَريك بن السَّحْمَاءِ البَلَوي[٢]، فعزم رسول الله ﷺ على ضربه حدَّ القذف فنزلت هذه الآية عند ذلك، فجمعهما رسول الله ﷺ في المسجد، وتلاعنا فتلكَّأَت المرأَة عند الخامسة لما وُعِظَتْ وقيل: إِنها مُوجبة، ثم قالت: لا أَفضح قومي سائر اليوم ولجَّت، وفرق رسول الله ﷺ بينهما[٣]، وولدت غلاماً كأَنه جمل أَورق[٤]، ثم كان ـ بعد ذلك ـ الغلامُ أَميراً بمصر وهو لا يعرف لنفسه أَباً[٥].

ثم جاءَه أيضاً عُوَيْمر العَجْلاني[٦] فرمى امرأَته ولاَعَنَ[٧].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٤٥٤) ومسلم (١٤٩٩) من حديث سعد بن عبادة، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٢) هو شريك ابن سحماء، وهي أمه، واسم أبيه، عبدة بن مغيث بن الجدّ بن العجلان البلويّ حليف الأنصار، ويقال: إنه شهد مع أبيه أحداً، وأنه أحد الأمراء بالشّام في خلافة أبي بكر، وبعثه عمر رسولاً إلى عمرو بن العاص، الإصابة (٣/ ٢٧٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٤٧٠) من حديث عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، مرفوعاً به، ومسلم (١٤٩٦) مختصراً، من حديث أنس بن مالك، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٤) الأَوْرَقُ من الإبل: ما في لونه بياض إِلى سواد.

(٥) تفسير الثعلبي (٧/ ٧٠).

(٦) هو عويمر ابن أبي أبيض العجلاني، وقال الطبراني: هو عويمر بن الحارث بن زيد بن جابر بن الجدّ ابن العجلان، وأبيض لقب لأحد آبائه، وهو الذي قذف زوجته في عهد رسول الله ﷺ، انظر: الإصابة (٤/ ٦٢٠).

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٤٦٨) ومسلم (١٤٩٢) من حديث سهل بن سعد الساعدي، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

[٤/ ٩١] والمشهور أَن نازلة هلال قَبْلُ، وأَنها سبب الآية، وقيل: نازلة عُوَيْمر قَبْلُ/ ، وهو الذي وسَّط إِلى رسول الله ﷺ عاصم بن عدي(١).

و«الأَزْوَاجُ» في هذا الحُكْم يعُمُّ المسلمات والكافرات والإِماءَ، فكلهنَّ يلاعنهنَّ الزوج للانتفاءِ من الحمل(٢)، وتختصُّ الحرَّة برفع حدِّ القذف عن نفسه.

وقرأَ الجمهور: ﴿أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ﴾ بالنصب، وهو كانتصاب المصدر، والعامل في ذلك قوله: ﴿فَشَهَٰدَةُ﴾، ورفع «الشهادة» على خبر ابتداءٍ تقديره: فالحُكْمُ أَو فالواجبُ، أَو على الابتداءِ بتقدير: فَعَلَيْهم أَن يشهدوا، أَو بتقدير حذف الخبر، وتقديره في آخر الآية: كافيةٌ أَو واجبةٌ.

وقوله: ﴿بِٱللَّهِ﴾ من صلة ﴿شَهَٰدَٰتٍ﴾، ويجوز أَن يكون من صلة ﴿فَشَهَٰدَةُ﴾.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿أَرْبَعُ﴾ بالرفع(٣)، وذلك على خبر قوله: ﴿فَشَهَٰدَةُ﴾، قال أَبو حاتم: لا وجه للرفع لأَن الشهادة(٤) ليست بأَربع.

و﴿بِٱللَّهِ﴾ ـ على هذه القراءَة ـ من صلة ﴿شَهَٰدَٰتٍ﴾، ولا يجوز أَن يكون من صلة (شهادة) لأَنك كنت تفصل بين الصلة والموصول بالخبر الذي هو ﴿أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في قول من نصب ﴿أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ﴾ يجوز أَن يكون من صلة (شهادةُ)، وهي جملة في موضع نصب؛ لأَن الشهادة أَوقعتها موقع المفعول به.

ومن رفع ﴿أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ﴾(٥) فقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ من صلة ﴿شَهَٰدَٰتٍ﴾ لعلة الفصل المتقدمة في قوله: ﴿بِٱللَّهِ﴾.

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي (٧/ ٧٠).

(٢) ممن قال بهذا مالك في: المدونة (٢/ ٣٥٣)، والشافعي في: الأم (٥/ ٤١٠-٤١١)، وأحمد في: مسائل أحمد وإسحاق رواية الكوسج (١٠٢٤، ١٣٥٨)، وهو قول إسحاق وأبي عبيد وأبي ثور والليث وربيعة، كما في: الأوسط (٩/ ٤٧٧-٤٧٨).

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦١)، السبعة (ص: ٤٥٢).

(٤) في الأصل: «لأن الشهادات ليس»، وقول أبي حاتم لا وجه له.

(٥) في الأصل هنا زيادة: «الثانية، وقرأها بالنصب».

وقرأ حفص عن عاصم: ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ ﴾ بالنصب في الثانية.

وقرأها بالنصب فيهما طلحةُ بن مصرف، وأبو عبد الرحمن، والحسن، والأعمش.

وقرأ الجمهور فيهما: ﴿والخامسةُ﴾ بالرفع(١).

فأَمَّا من نَصَب: فإِنْ كانَ في قراءته نصب قوله تعالى: ﴿أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ﴾ فإنه عطف ﴿الْخَامِسَةَ﴾ على ذلك لأَنها من الشهادات.

وإن كان يقرأُ: ﴿أربعُ﴾ بالرفع فإنه جعل نَصْب قوله: ﴿وَالْخَامِسَةَ﴾ على فعل يدل عليه متقدم، والكلام تقديره: وتشهد الخامسة.

وأما من رفع قوله: ﴿وَالْخَامِسَةُ﴾: فإن كان يقرأ: ﴿أَرْبَعُ﴾ بالرفع فقوله: ﴿ وَالْخَامِسَةُ﴾ عطف على ذلك.

وإن كان يقرأُ ﴿أَرْبَعَ﴾ بالنصب فإنه حمل قوله: ﴿وَالْخَامِسَةُ﴾ على المعنى؛ لأَن معنى قوله: (شهادة أحدهم): عليهم أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ والْخَامِسَةُ، واستشهد أَبو عليٍّ لهذا بحمل الشاعر:

وَمُشَجَّجٌ أَمَّا سَوَادُ.......... .... [الكامل]

البيت، على قوله:

.... إِلَّا رَوَاكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءُ(٢) [الكامل]

لأَن المعنى: ثَمَّ رَوَاكِدُ.

---

(١) ثلاث قراءات: الأولى والثالثة سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦١)، والسبعة (ص: ٤٥٢)، والثانية شاذة، انظر عزوها لطلحة في الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٠)، وللباقين في البحر المحيط (٨/ ١٧).

(٢) والبيتان بتمامها:

بادَتْ وغَيَّرَ آيَهُنَّ مَعَ الْبِلَىٰ إِلَّا رواكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءُ
ومُشَجَّجٌ أَمَّا سَوَاءُ قَذَالِهِ فَبَدَا وغَيَّرَ سَارَهُ المَعْزَاءُ

عزاهما في أساس البلاغة (٢/ ٢٢٠) للشماخ، وهما في ملحقات ديوانه (ص: ٤٢٧)، وفي ملحقات ديوان ذي الرمة (٣/ ١٨٤٠)، واستشهد بهما في الكتاب لسيبويه (١/ ١٧٤)، والجمل في النحو (ص: ١٦٨)، بلا نسبة، وسَارَهُ: سائره، لغةٌ فيها.

ولا خلاف في السَّبْعِ في رفع قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ﴾ في الأُولى، وإنما خلاف السَّبع في الثانية فقط، فنصبُه حَمْلٌ على قوله: ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ﴾، ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ﴾ على القطع والحملِ على المعنى.

وقرأ نافع: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللهِ﴾، و﴿أَنْ غَضِبَ﴾.

وقرأ الأَعرج، والحسن، وقتادة، وأَبو رجاءٍ، وعيسى: (أَنْ لَعْنَةُ)، و﴿أَنْ غَضَبُ اللهِ﴾.

وهذا على إِضمار الأمر، وهي المخففة كما هي في قول الشاعر:

[البسيط] فِـي فِـتْـيَـةٍ كَـسُـيُـوفِ الْهِنْدِ ....الـبـيـت[1]

وقرأ باقي السبعة: ﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ﴾ و﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ﴾ بتشديد النون فيهما ونصب اللعنة والغضب[2]، ورجَّح الأخفش القراءَة بتثقيل النون؛ لأن الخفيفة إِنما يراد بها التثقيل ويضمر معها الأَمر والشأْن، وما لا يُحتاج معه إِلى إِضمارٍ أَولى[3].

قال القاضي أَبو محمد: لا سيما وأَن الخفيفة ـ على قراءة نافع ـ في قوله: ﴿أَنْ غَضِبَ﴾ قد وَلِيَهَا الفِعْل.

قال أَبو علي: وأَهل العربية جملةً[4] يستقبحون أَن يليها الفعل، إِلا أَن يفصل بينها وبينه شيءٌ، نحو قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ﴾ [طه: ٨٩].

---

(١) البيت للأعشى، وهو في الديوان، من قصيدته: وَدِّعْ هُرَيْرَةَ كما تقدم.

(٢) ثلاث قراءات: الأولى والثالثة سبعيتان، والثانية عشرية، ليعقوب، انظر: النشر (٢/ ٣٣٠)، والتيسير (ص: ١٦١)، وانظر العزو للباقين في المحتسب (٢/ ١٠٢)، إلا أن ما عزاه ليعقوب غير معروف عنه.

(٣) انظر كلامه على آية الأعراف في معاني القرآن للأخفش (١/ ٣٢٦)، وانظر الحجة لأبي علي (٥/ ٣١٥).

(٤) «جملة» من لالاليه.

وأما قوله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩] فذلك لقلة تمكن «ليس» في الأفعال.

وأما قوله تعالى: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ [النمل: ٨] فـ﴿بُورِكَ﴾ على معنى الدعاء، فلم يجز دخول الفاصل لئلا يفسد المعنى[١].

والْعَذَابُ الْمُدْرَأُ في قول جمهور العلماءِ: الحدُّ، وحكى الطبري عن آخرين أَنه الحبس، وهو قول أَصحاب الرأْي، وأَنه لا حدَّ عليها إِن لم تُلاعن، وليس يوجبه عليها قولُ الزوج[٢].

وظاهر حديث الموقفة في الخامسة حين تلكأَت ثم مرت في لعانها: أَنها كانت تحدُّ[٣]؛ لقول النبي ﷺ لها: «فعذاب الدنيا أَيسر من عذاب الآخرة»[٤].

وجُعلت اللعنةُ للرجل الكاذب؛ لأَنه مُفْتر مباهت بالقول فأُبعد باللَّعنة، وجُعل الغضب ـ الذي هو أَشَدُّ ـ على المرأَة التي باشرت المعصية بالفعل ثم كذبت وباهتت بالقول، فهذا معنى هذه الأَلفاظ، والله أَعلم.

ولا بُدَّ أَن نذكر في تفسير هذه الآية ما يتعلق بها من مسائل اللِّعان؛ إِذ لا يستغنى عنها في معرفة حكمه وحيث يجب:

وأَجمع مالك وأَصحابه على وجوب اللعان بادعاءِ رؤْية زنا لا وطءَ من الزوج بعده، وكذلك مشهور المذهب، وقول مالك أَنَّ اللِّعان؛ يجب بنفي حَمْل يدعي قبله استبراء[٥].

---

(١) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٣١٦).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ١١٤)، وانظر قول أصحاب الرأي في: المبسوط للسرخسي (٧/ ٤٣)، والقول الأول في تفسير الماوردي (٤/ ٧٧)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٦٨)، وفي المطبوع: «في قول العلماء».

(٣) ضبطت في المطبوع: «تحدٍّ»، ولعله خطأ.

(٤) أخرجه مسلم (١٤٩٣) من حديث عبد الله بن عمر، رضي الله عنه، مرفوعاً بلفظ: «أهون».

(٥) انظر مذهب مالك في: المدونة (٢/ ٣٥٤، ٣٥٧)، وقول أصحابه في: الكافي (٢/ ٦١٠).

وحكى اللَّخْمي عن مالك أَنه قال مرة: لا يُنفى الولد بالاستبراءِ؛ لأَن الحيض يأْتي على الحَمْل، وقاله أَشهب في كتاب ابن المواز، وقاله المغيرة، وقال: لا يُنْفَى الولد إِلَّا بخمس سنين[١].

واختلف المذهب في أَن يقذف الرجل أَو ينفي حملاً ولا يُعَلَّل ذلك لا برؤْيَة ولا باستبراء: فَجُلُّ رُواة مالك على أَن ذلك لا يوجب لعاناً؛ بل يُحَدُّ الزوج، وقاله ابن القاسم، ورُوي عنه أيضاً أَنه قال: يلاعن ولا يُسأَل عن شيءٍ[٢].

واختُلف ـ بعد القول باللعان بالاستبراء ـ في قدر الاستبراء، فقال مالك، والمغيرة في أَحد قوليه: يجزي في ذلك حَيْضَةٌ، وقال أيضاً مالك: لا ينفيه[٣] إِلا ثلاث حِيَض[٤].

وأَما موضع اللعان: ففي المسجد وعند الحاكم، والمستحب أَن يكون في المسجد بحضرة الحاكم، وكذلك يستحب بعد العصر تغليظاً بالوقت، وكلُّ وقت مُجْزٍ[٥].

ومن قذف امرأته وهي كبيرة لا تحمل تلاعنا، هو لدفع[٦] الحد، وهي لدرء العذاب، وإن كانت صغيرة لا تحمل لاعن هو لدفع الحد، ولم تلاعن هي؛ لأنها لو أقرت لم يلزمها شيء، وقال ابن الماجشون: لا حدَّ على قاذف من لم يبلغ، قال اللَّخميُّ: فَعَلَى هذا لا لعان على زوج الصغيرة التي لا تحمل[٧].

والمستحب من أَلفاظ اللعان أَن يمشي مع ترتيب القرآن ولفظه، فيقول الزوج:

---

(١) انظر ما حكاه اللخمي عن مالك وقول أشهب وقول المغيرة في: تفسير القرطبي (١٢/ ١٨٦).

(٢) انظر ما نسبه لجل رواة مالك والقولين المرويين عن ابن القاسم في: المدونة (٢/ ٣٦٠).

(٣) في الأصل: «ينفعه».

(٤) انظر قولي مالك وقول المغيرة في: تفسير القرطبي (١٢/ ١٨٥-١٨٦).

(٥) انظر الإجماع على ذلك في: الإقناع (٣/ ١٣٥٧).

(٦) في المطبوع والإماراتية: «لرفع» في الموضعين.

(٧) انظر هذه الأقوال في: تفسير القرطبي (١٢/ ١٨٩).

أَشهد بالله لرأَيت هذه المرأَة تزني، وإِنِّي / في ذلك لمن الصادقين، ثم يقول في الخامسة: [٤/ ٩٢] لعنةُ الله عليَّ إِن كنت من الكاذبين[١].

وقال أَصبغ: لا بُدَّ أَن يقول: كالمِرْود في المُكْحَلة، وقيل: لا يلزمه ذلك، وكذلك يقول أَشهب: لا بُدَّ أَن يقول: بالله الذي لا إله إلَّا هو[٢].

وأَما في لعان نفي الحمل فقيل: يقول الرجل: ما هذا الولد منِّي ولَـزَنت[٣].

وقال ابن القاسم في الموازية: لا يقول: وَزَنَت من حيث يمكن أَن تغصب[٤].

[وتقول المرأة: أشهد بالله ما زنيت وإنه في ذلك لمن الكاذبين][٥]، ثم تقول [في الخامسة][٦]: غَضَبُ الله عليَّ إِن كان من الصادقين، فإِن منع جهلهما من ترتيب هذه الأَلفاظ وأَتيا بما في معناها أَجزأَ ذلك.

وحكى اللَّخمي عن محمد بن أَبي صفرة[٧] أَنه قال: اللعان لا يرفع العصمة لقول عويمر: كذبت عليها يا رسول الله إِنْ أَمسكتها، قال: «فأَحْدثْ طلاقاً»[٨].

ومشهور المذهب: أَن نفس تمام اللعان بينهما فرقة، ولا يحتاج معها إِلى تفريق حاكم[٩]،

---

(١) انظر ذلك في: النوادر (٥/ ٣٣٢)، والاستذكار (٦/ ٩٢)، والذخيرة للقرافي (٤/ ٣٠٦).
(٢) انظر قول أصبغ في: النوادر (٥/ ٣٣٢)، وقول أشهب في: البيان والتحصيل (٦/ ٤٢١).
(٣) انظر ذلك في النوادر (٥/ ٣٣١).
(٤) الذخيرة للقرافي (٤/ ٣٠٦)، وفي الأصل والمطبوع والحمزوية: «تغضب»، وهو تصحيف. وفي لالاليه: «يغضب».
(٥) سقط من المطبوع.
(٦) زيادة من أحمد٣.
(٧) لعله محمد بن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة، هو أخو المهلب بن أبي صفرة، سمع من الأصيلي وكان من كبار أصحابه، وله شرح في اختصار ملخص القابسي، وسمع من أخيه المهلب، توفي قبل ٤٢٠هـ، انظر: الديباج المذهب (ص: ٢٦٧).
(٨) انظر ما حكاه اللخمي عن ابن أبي صفرة في: تفسير القرطبي (١٢/ ١٩٤).
(٩) انظر مذهب مالك في: الاستذكار (٦/ ٩٩).

وابن أَبي صفرة هذا ليس بعدد[١] يُزاحم به الجمهور.

ومذهب الشافعي: أَن الفرقة حاصلة إِثر لعان الزوج وحده[٢].

وقال أَبو حنيفة وأَصحابه: لا تفريق إِلا بحكم السلطان بعد لعانهما، فإِن مات أحدهما بعد تمام لعانهما وقبل حكم القاضي ورثه الآخر[٣].

ومذهب «المدونة»: أَن اللعان حكم تفريقه حكم الطلاق، ويعطى لغير المدخول بها نصف الصداق[٤]، وفي «مختصر ابن الجلاب»: لا شيء لها، وهذا على أَن تفريق اللعان فسخٌ[٥].

وقال ابن القصار: تفريق اللعان عندنا فسخ[٦].

وتحريم اللعان أَبديٌّ بإِجماع فيما أَحفظ من مذهب مالك رحمه الله[٧]، ومن فقهاءِ الكوفة وغيرهم من لا يراه متأَبّداً[٨].

[وإِن أَكذب نفسه بعد اللعان لم ينتفع بذلك، وروي عن عبد العزيز بن أبي سلمة أَنه][٩] إِن أَكذب نفسه بعد اللعان كان خاطباً[١٠] من الخطاب.

---

(١) المثبت من: نجيبويه والمطبوع، وفي الأصل ولالاليه ونور العثمانية والإماراتية: «بعود»، وفي حاشية المطبوع: في بعض النسخ: ليس بعود، وفي العلمية: بعيد، المراد هنا أنه فردٌ وليس بذي منزلة كبيرة يكون له معها رأيٌ يقابل رأي الجمهور.

(٢) انظر مذهب الشافعي في: الأم (٥/ ٤١٧).

(٣) انظر قول أبي حنيفة وأصحابه في: المبسوط (٧/ ٤٦).

(٤) انظر: المدونة (٢/ ٣٦٣).

(٥) انظر: التفريع لابن الجلاب (٢/ ١٠٠).

(٦) انظر قول ابن القصار في: تفسير القرطبي (١٢/ ١٩٥)، ولفظه فيه: قال ابن القصار: تفريق اللعان عندنا ليس بفسخ.

(٧) انظر في ذلك: تفسير القرطبي (١٢/ ١٩٣).

(٨) المبسوط للسرخسي (٧/ ٤٧)، وهو قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير كما في الأوسط (٩/ ٤٩١).

(٩) ما بين معقوفين ساقط من الأصل ونور العثمانية، وانظر تفسير القرطبي (١٢/ ١٩٤).

(١٠) في الأصل: «خطابا»، والتصحيح من: نجيبويه، وأحمد٣.

وإِن تقدمت المرأة في اللعان فقال ابن القاسم: لا تعيد، وقال أَشهب: تعيد[١].

والجواب في قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ الآية محذوفٌ، تقديره: لَكَشَفَ الزناة بأَيسر من هذا، أَو لأَخذهم بعذاب من عنده، ونحو هذا من المعاني التي أَوجب تقديرها إِبهامُ الجواب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

هذه الآية وما بعدها إِلى ست عشرة آية أُنزلت في عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وما اتصل بذلك من أَمر الإِفك، وفي البخاري في غزوة بني المصطلق عن عائشة قالت: «وأَنزل الله العشر الآيات، ثم أَنزل الله ما قرئ[٢] في براءتي[٣]»، فكأَنها عدت ما يختص بها.

و«الإِفْكُ»: الزُّور والكذب، والأَفَّاكُ: الكذَّابُ، والإِفك: قلب الحقيقة عن حالها بالأَقوال وصرفها عن جهة الصواب، وبذلك شُبِّهَ بالكذب.

واختصار حديث الإِفك أَن رسول الله ﷺ خرج بعائشة في غزوة بني المصطلق، وهي غزوة المريسيع، قال ابن إِسحاق: وكانت سنة ستٍّ، وقال ابن عقبة[٤]: كانت سنة أَربع[٥].

---

(١) انظر قول ابن القاسم وقول أشهب في: البيان والتحصيل (٦/ ٤٢١).

(٢) في المطبوع: «هذا».

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٦٦١) (٤١٤١) (٤٧٥٠) ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة.

(٤) هو موسى بن عقبة بن أبي عياش المدني مولى آل الزبير بن العوام، أدرك سهل بن سعد وحدث عن أم خالد بنت خالد وعن عروة وكريب وأبي سلمة والأعرج، وعنه ابن جريج ومالك، وكان من العلماء الثقات، فقيهاً مفتياً، ت ١٤١هـ، تاريخ الإسلام ٩/ ٢٩٩).

(٥) انظر قول ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (٢/ ٢٨٩)، وقول موسى بن عقبة في دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٤٥).

فضاع لها هناك عقد، فلما انصرفت إِلى الرحل شعرت بضياعه فرجعت تطلبه، وسار الناسُ حينئذ، فوجدته وانصرفت فلم تجد أَحداً، وكانت شابةً قليلةَ اللحمِ رفعَ الرجالُ هودجَها ولم يشعروا بزوالها منه، فلمَّا لم تجد أَحداً اضطجعت في مكانها رجاءَ أَن تُفتقد فيُرجع إِليها، فنامت في الموضع ولم يوقظها إِلَّا قول صفوان بن المعطل: إِنَّا لله وإِنا إِليه راجعون، وذلك أَنه تخلف وراءَ الجيش لحفظ الساقة، وقيل: اتفاقاً.

فلما مرَّ بسوادها قرب منها فعرفها فاسترجع، وقال: ظعينة رسول الله ﷺ خُلِّفت هاهنا؟ ونزل عن ناقته وتنحَّى عنها حتى ركبت عائشة، وأَخذ يقودها حتى بلغ بها الجيش في نحْر الظهيرة، فوقع أَهل الإِفك في مقالتهم، وكان الذي يُجتمع إِليه فيه ويَسْتَوْشِيهِ[١] ويُشْعله عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول المنافق.

وكان من أهل[٢] قالَتِه حسان بن ثابت، ومسْطَح بن أُثاثة، وحَمْنَةُ بنت جحش، هذا اختصار الحديث، وهو بكماله وإِتقانه في البخاري ومسلم، وهو في مسلم أَكمل[٣].

وكان صفوان صاحب ساقة رسول الله ﷺ في غزواته لشجاعته، وكان من خيار الصحابة، قال لمَّا سمع ما قال الناسُ فيه: «سبحان الله، والله ما كشفت كَنف أنثى قط»[٤]، أَراد: بِـزِناً، ويدل على ذلك حديثه المروي مع امرأَته، وقول النبي ﷺ في ابْنَتَيْه[٥]: «لَهُمَا أَشْبه به من الغراب بالغراب»[٦]، وقيل: كان حَصُوراً لا يأْتي النساءَ، ذكره ابن إِسحاق

---

(١) من الوشاية، يعني: يستخرجه بالبحث والسؤال عنه ثم يُفشيه ويشيعه وينشره في الناس.

(٢) من المطبوع.

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٦١) (٤١٤١) (٤٧٥٠) ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤١٤١) (٤٧٥٦) ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة، رضي الله عنها، به.

(٥) في الإماراتية: «ابنيه»، قال القرطبي (١٢/ ١٩٩): وكان له ابنان.

(٦) إنما جاء في عبد الرحمن بن الزبير القرظي، وامرأته، أخرجه البخاري (٥٨٢٥) من حديث عائشة، رضي الله عنها.

من طريق عائشة[١]، وقُتل شهيداً رضي الله عنه في غزوة أَرمينية سنة تسع عشرة في زمن عمر، وقيل: في بلاد الروم سنة ثمان وخمسين في زمن معاوية[٢].

وقوله: ﴿عُصْبَةٌ﴾ رفع على البدل من الضمير في ﴿جَآءُو﴾، وخبر ﴿إِنَّ﴾ في قوله: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾، والتقدير: إِنَّ فِعْلَ الذين، وهذا أَنسق في المعنى وأَكثر فائدة من أَن تكون ﴿عُصْبَةٌ﴾ خبر إِنَّ، و«العُصْبَةُ»: الجماعة من العشرة إِلى الأَربعين، قاله يعقوب وغيره[٣]، ولا يقال عُصبة لَأقل من عشرة.

ولم يُسمَّ من أَهل الإِفك إِلَّا حسان، ومِسْطَح، وحَمْنَة، وعبد الله، وجُهل الغير، قاله عروة بن الزبير وقد سأَله عن ذلك عبد الملك بن مروان، وقال: إِلَّا أَنهم كانوا عصبةً كما قال الله تعالى[٤].

وقوله: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ خطاب لكلِّ من ساءَه من المؤمنين، وقوله: ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يريد أَنه تَبْرِئةٌ في الدنيا، وترفيعٌ من الله تعالى في أَن نَزلَ وحيه بالبراءَة من ذلك، وأَجرٌ جزيل في الآخرة، وموعظةٌ للمؤمنين في غابر الزمن، ونقمةٌ من المفترين في الدنيا والآخرة ففي ذلك شفاءٌ وخير، وهذه خمسة وجوه.

والضمير في قوله: ﴿مِّنْهُم﴾ عائد على العصبة المذكورة، و﴿ٱكْتَسَبَ﴾ مستعملة في المآثم ونحوها؛ لأَنها تدل على اعتمالٍ وقصد فهو أَبلغ في التذنيب[٥]، وكَسَبَ مستعملٌ في الخير، وذلك أَن حصوله مُغْنٍ عن الدلالة على اعتمالٍ فيه، وقد تستعمل كَسَبَ في الوجهين، ومِثْلُهُ / : [٤/ ٩٣]

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٤).

(٢) انظر: الاستيعاب (١/ ٢١٨).

(٣) لم أجده في كتابي ابن السكيت، ومثله في العين (١/ ٣٠٩)، والغريب المصنف لأبي عبيد (١/ ٣٨١).

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ١١٦).

(٥) في المطبوع والإماراتية: «الترتيب».

[الكامل] .... فَحَمَلْتُ بَـرَّةَ وَاحْتَمَلْـتَ فَجَارِ[١]

والإِشارة بقوله: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ إلى عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول، والعذابُ المتوعَّد به هو عذاب الآخرة، وهذا قول الجمهور، وهو ظاهر الحديث، ورُوي عن عائشة رضي الله عنها أَن حسَّان بن ثابت دخل عليها يوماً وقد عَمِيَ فأَنشدها مدحَه فيها:

[الطويل] حَـصَـانٌ رَزَانٌ مَـا تُـزَنُّ بِـرِيْـبَـةٍ وَتُصْبِـحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الغَوَافِلِ[٢]

فقالت له عائشة: لكنك لست كذلك، تريد أنه وقع في الغوافل[٣] فأنشد:

[الطويل] فـإن كان مـا قـد قيـل عنـي قلتـه فـلا رفعت سـوطي إلـيّ أناملي[٤]

فلما خرج قال لها مسروق: أَيدخل هذا عليك وقد قال ما قال، وتوعَّده الله بالعذاب على تولِّيه كِبْر الإِفك؟ فقالت عائشة رضي الله عنها: أَيُّ عذاب أَشد من العمى وضرب الحدِّ؟ وفي بعض الروايات: وضربة بالسيف؟[٥].

فأَمَّا قولها عن الحدِّ فإِن حسَّان ومِسْطحاً وحَمْنة حُدُّوا، ذكر ذلك ابن إِسحاق، وذكره الترمذي[٦].

---

(١) صدره: إِنَّا اقْتَسَمْنَا خُطَّـتَـيْنَا بَيْنَنَا، وهو للنابغة الذبياني، كما في في الكتاب لسيبويه (٣/ ٢٧٤)، والمحكم والمحيط الأعظم (٣/ ٣٦٦)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ١٧٨)، والصحاح للجوهري (٢/ ١٥٠)، وبرَّة عَلَم لِلْبِرِّ، وفَجَارِ عَلَم على الفجور.

(٢) سبق الاستشهاد بهذا البيت في أول هذه السورة.

(٣) في الأصل: «الغوائل».

(٤) انظر عزوه له في سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٦)، وهو من نفس قصيدة البيت السابق.

(٥) ضعيف، أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣/ ١١٦) من طريق حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن عائشة، رضي الله عنهم، به، وحسين بن عبد الله، متفق على ضعفه.

(٦) ضعيف، أخرجه الترمذي (٣١٨١) من طريق محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، عن عروة، عن عائشة، رضي الله عنها، به، ومحمد بن إسحاق، مدلس، وقد عنعنه، وقد ورد من قول عروة مرسلا في أثناء حديث الإفك من صحيح البخاري (٤١٤١) بلفظ: قال عروة: لم يُسم من أهل الإفك أيضاً إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة =

[وفي تفسير ابن عباس أَن ابن أُبيٍّ [حُدَّ، وهذا عندي لا يصح عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ لأَنه لم يُحْفَظ عن عبد الله بن أبي الرَّمْيُ، قال عروة في البخاري: «أُخبرتُ أَنه] كان يُشاع ويُتحدَّث به عنده فيُقِرُّهُ ويَسْتمعه ويستوشيه»][1].

وأَما ضربة السيف: فإِن صفوان بن المعطل لما بلغه قول حسَّان في الإِفك جاءَ فضربه بالسيف ضربةً على رأْسه، وقال:

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنَّنِي غُلَامٌ إِذا هُوجِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرِ[2] [الطويل]

فأَخذ جماعةٌ صفوان ولَبَّبُوه وجاؤوا به رسول الله ﷺ، فأَهدر رسول الله ﷺ جرح حسَّان واستوهبه إِيَّاه[3]، وهذا يقتضي أَن حسَّان ممن تولَّى الكِبْرَ.

وقد قال قوم: الإِشارة بـ﴿الَّذِي﴾ إِلى البادئ بهذه الفرية والذي اختلقها، فلكُلٍّ[4] أَحد منهم ما اكتسب، وللبادئ المفتري عذابٌ عظيم، وهو ـ على هذا ـ غير معين، وهذا قول الضحاك، والحسن[5]، وقال ابن زيد وغيره: هو عبد الله بن أُبيٍّ[6].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿كِبْرَهُۥ﴾ بكسر الكاف.

= كما قال الله تعالى، وإن كبر ذلك يقال له: عبد الله بن أبي ابن سلول، قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول إنه الذي قال: فإن أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء. اهـ.

(١) ما بين معقوفين، ساقط من الأصل والحمزوية ولالاليه، وسقط ما في الوسط من الإماراتية، وفي أحمد٣: وفي شهير الدواوين.

(٢) ورد منسوباً له في المستدرك للحاكم (٣/ ٥١٩)، والسيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٢٧١)، والأغاني (٤/ ١٦٣).

(٣) إسناده لين والحكاية شاذة، رواه الطبراني في الكبير (٢٣/ ١١٤) والحاكم في المستدرك (٣/ ٥١٨-٥١٩) من طريق إسماعيل بن أبي أويس، عن أبيه، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، رضي الله عنها، مرفوعاً، وهذا إسنادٌ لين لحال إسماعيل بن أبي أويس.

(٤) في الأصل: «فكل».

(٥) تفسير الطبري (١٩/ ١١٦)، ولم أقف على قول الحسن.

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ١١٩).

وقرأَ حميد والأَعرج[١]، ويعقوب والزهري، وأَبو رجاءٍ، والأعمش، وابن أَبي عبلة: ﴿كُبْـرَهُ﴾ بضم الكاف[٢].

وهما مصدران، من كبر الشيءِ وعظمه، ولكن استعملت العرب ضم الكاف في السِّن، تقول: هذا كُبْر القوم، أَي كبيرهم سنّاً ومكانة، ومنه قول النبي ﷺ في قصة حُوَيِّصَة ومُحَيِّصة: «الكُبْرَ الكبر»[٣].

ومن استعماله في المعنى الثاني قول ابن الخطيم:

[المنسرح] تـنـامُ عَـنْ كُـبْـرِ شَـأْنِـهـا فَـإِذا ... قَامَـتْ رُوَيْـداً تَـكَادُ تَنْقَصِفُ[٤]

قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾.

الخطاب بهاتين الآيتين لجميع المؤمنين حاشا من تولَّى الكِبْر، ويحتمل دخولهم في الخطاب، وفي هذا عتاب للمؤمنين؛ أَي: كان الإِنكار واجباً عليهم، والمعنى: أَنه كان ينبغي أَن يقيس فضلاءُ المؤمنين والمؤمنات الأَمرَ على أَنفسهم، فإِذا كان ذلك يبعد فيهم فكانوا يقضون بأَنه في صفوان وعائشة أَبْعَدُ لفضلهما.

(١) في المطبوع والإماراتية: «الأعرج» بلا واو على أنها صفة لحميد، وفي المطبوع أيضاً: «يعقوب الزهري» بلا واو، وهو خطأ.

(٢) الأولى سبعية، والثانية عشرية ليعقوب، انظر عزوها له وللباقين في النشر (٢/ ٣٣١)، والمحتسب (٢/ ١٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث سهل بن أبي حثمة، رضي الله عنه، مرفوعاً به، والكبر الثانية سقطت من الأصل والمطبوع.

(٤) انظر نسبته له في المحتسب (٢/ ١٠٣)، والمحكم والمحيط الأعظم (٥/ ٤٩٦)، وأدب الكاتب (ص/ ٢٣٨)، والأغاني (٣/ ٢٤)، والاختيارين للأخفش (ص: ٨٧)، قال: وتنغرف: تنقطع، وفي المطبوع: «تنغرف».

وروي أَن هذا النظر السديد وقع من أَبي أَيوب الأَنصاري وامرأَته، وذلك أَنه دخل عليها فقالت له: يا أَبا أَيوب سمعت ما قيل؟ قال: نعم، وذلك الكذب، أَكنت أَنت يا أُمَّ أَيوب تفعلين ذلك؟ فقالت: لا والله، قال: فعائشة والله أَفضل منك، قالت أُمُّ أَيوب: نعم(١).

فهذا الفعل ونحوه هو الذي عاتب الله المؤمنين(٢) إِذ لم يفعله جميعهم.

والضمير في قوله: ﴿جَآءُو﴾ لأُولئك الذين تولوا الكبر، وإِذا كانوا عند الله كَذَبَةً فهي الحقيقة فيهم، وعند هذا حُدُّوا، ولم يُرْوَ في شهير الدواوين أَن عبد الله بن أُبيٍّ حُدَّ، ويشبه ذلك لأَنه لم تقم عليه بالمقالة بينةٌ لنفاقه وتستُّره، وإِنما كان يخوض فيه مع من يذيعه ولا يسأَل عن شهادته، كما قال عروة في البخاري: «وأُخبرت أَنه كان يُقرُّه ويستوشيه»(٣).

قال القاضي أَبو محمد: ولكن النبي ﷺ استعذر منه على المنبر، ووقذه بالقول، ووقع في أَمره بين الأوس والخزرج ما هو مطوَّل في مسلم في حديث الإِفك(٤).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾.

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ١٢٩)، وابن أبي حاتم (١٤٢٢١) في تفسيرهما من طريق محمد ابن إسحاق، عن أبيه، عن بعض رجال بني النجار، أن أبا أيوب...فذكره، وهذا إسناد ضعيف، فيه إبهام راويه عن أبي أيوب، وعنعنة ابن إسحاق، وهو مدلس.

(٢) زاد في المطبوع هنا: «عليه»، قال في الحاشية غير موجود في الأصول، وكذلك نقل القرطبي كلام ابن عطية هذا بدونها.

(٣) صحيح البخاري (٤١٤١).

(٤) صحيح مسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة، رضي الله عنها.

هذا عتاب من الله تعالى بليغ، ذكر أَن حالتهم التي وقع فيها جميعُهم من تعاطيهم الحديثَ وإِن لم يكن المُخْبِر ولا المُخْبَر مصدِّقين، ولكن نفس التعاطي والتَّـلَقِّي من لسان إِلى لسان والإِفاضة في الحديث هو الذي وقع العتاب فيه.

وقرأَ محمد بن السَّميفَع: (إِذْ تُلْقُونَهُ) بضم التاءِ وسكون اللام وضم القاف[(١)]، من الإِلقاء، وهذه قراءَة بيِّـنَةٌ.

وقرأَ أُبيُّ بن كعب، وابن مسعود: (إِذْ تَتَلَقَّوْنَهُ) من التلقي بتاءَين[(٢)].

وقرأَ جمهور السبعة: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ بحذف التاءِ الواحدة وإِظهار الذال دون إِدغام، وهو أَيضاً من التلَقِّي.

وقرأَ أَبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿إِذ تَّلَقَّوْنَهُ﴾ بإِدغام الذال في التاءِ.

وقرأَ ابن كثير: ﴿إِذْ تَّلَقَّوْنَهُ﴾ بإِظهار الذال وإِدغام التاءِ في التاءِ[(٣)]، وهذه قراءَة قلقة لأَنها تقتضي اجتماع ساكنين، وليست كالإِدغام في قراءَة من قرأَ: ﴿فَلَا تَّنَاجَوْا﴾ [المجادلة: ٩]، ﴿ولا تَّنابزوا﴾ [الحجرات: ١١][(٤)] لأَن لدونة الأَلف الساكنة وكونها حرف لينٍ حسَّنت هنالك ما لا يحسن مع سكون الذَّال.

وقرأَ ابن يَعْمر وعائشة رضي الله عنها ـ وهي أَعلم الناس بهذا الأَمر ـ: (إِذْ تَلِقُونَهُ) بفتح التاءِ وكسر اللام وضم القاف[(٥)].

ومعنى هذه القراءَة من قول العرب: وَلَقَ الرَّجلُ ولَقاً إِذا كذب.

---

(١) وهي شاذة، عزاها له في مختصر الشواذ (ص/ ١٠٢).

(٢) وهي شاذة، عزاها لهما الثعلبي في تفسيره (٧/ ٧٩).

(٣) وهذه الثلاث سبعية، ووافق أصحاب الإدغام هشام، والثالثة رواية البزي خاصة على قاعدته، انظر: التيسير (ص: ٨٣).

(٤) وهما من تاءات البزي أيضاً، انظر: التيسير (ص: ٨٣).

(٥) وهي شاذة، عزاها لهما في مختصر الشواذ (ص/ ١٠٢)، وزاد آخرين.

قال ابن سيده في «المحكم»: قرئ: (إِذْ تَلِقُونَهُ)، وحكى أَهل اللغة أَنها من وَلَق إِذا كذب، فجاؤوا بالمتعدي شاهداً على غير المتعدي، وعندي أَنه أَراد: إِذْ تَلِقُونَ فيه، فحذف حرف الجر ووصل بالضمير(١).

وحكى الطبريُّ وغيرُه أَن هذه اللفظة مأْخوذة من الْوَلَق الذي هو إِسراعك بالشيءِ بعد الشيءِ، كعَدْو في أَثر عَدْو، وكلام في أَثر كلام(٢).

يقال: ولق في سيره إِذا أَسرع، ومنه قول الشاعر:

جَاءَتْ بِهِ عَنْسٌ مِنَ الشَّام تَلِقْ(٣) .... [الرجز]

وقوله تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾ مبالغة وإِلْزامٌ وتأْكيد/ . [٤/ ٩٤]

والضمير في قوله: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ﴾ للحديث والخوض فيه والإِذاعة له.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ إلى ﴿حَكِيمٌ﴾ عتابٌ لجميع المؤمنين، أَي: كان ينبغي عليكم أَن تنكروه ولا يتعاطاه بعضكم من بعض على جهة الحكاية والنقل، وأَن تُنَزِّهُوا الله تعالى عن أَن يقع هذا من زوج نبيِّه ﷺ، وأَن تحكموا على هذه المقالة بأَنها بُهتان، وحقيقة البهتان أَن يقال في الإِنسان ما ليس فيه، والغِيبة: أَن يقال في الإِنسان ما فيه(٤).

ثم وعظهم تعالى في العودة إِلى مثل هذه الحالة.

و﴿أَن﴾ مفعول من أَجله بتقدير: كراهيةَ أَن، ونحوه.

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٥٦٦).
(٢) تفسير الطبري (١٩/ ١٣١).
(٣) البيت للقُلاخ بن حَزْن المِنْقَرِيِّ، كما في تاج العروس (٢٦/ ٤٨٢)، ولسان العرب (١٠/ ١٤٤)، وعزاه قبل ذلك (١٠/ ٣٨٤) للشماخ، وفي أدب الكتاب للصولي (١/ ٩٩) أنه لابن الرقيات.
(٤) وهو ما جاء في صحيح مسلم (٢٥٨٩) عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته».

وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ توقيف وتأْكيد، كما تقول: ينبغي لك أَن تفعل كذا وكذا إِن كنت رجلاً.

وسائر الآية بيِّن، و﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ صفتان تقتضيهما الآية.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾.

قال مجاهد، وابن زيد: الإِشارة بهذه الآية إِلى المنافقين، عبد الله بن أُبيٍّ ومن أَشبهه(١)، وهي خاصَّةٌ في أَمر عائشة رضي الله عنها، فحبُّهم شِياع الفاحشة في المؤمنين متمكِّنٌ على وجهه لعداوتهم في أَهل الإِيمان، وعذابُهم الأَليم في الدنيا الحدودُ، وفي الآخرة النارُ.

وقالت فرقة ـ وقولُها هو الأَظهر ـ: الآية عامةٌ في كلِّ قاذف، منافقاً كان أَو مؤمناً.

فالقاذف المؤمن لا يتصف بِحُب شِياع الفاحشة في المؤمنين جملة، لكنه يحبها لمقذوفه، وكذلك آخر لمقذوفه، وآخر حتى تَشِيعَ الْفاحِشَةُ من مجموع فعلهم، فهم لها محبون بهذا الوجه من حيث أَحبَّ كلُّ واحد جزءاً من شياعها، والعذاب الأَليم فِي الدُّنْيا الحُدُود، وفي الآخرة يحتمل وجهين:

أَحدهما أَن يكون القاذفُ مُتوعَّداً من بين العُصاة بعذاب الآخرة لا يزيله الحدُّ حسب مقتضى حديث عبادة بن الصامت(٢)، ويكون أَمرُه كأَمر المحاربين إِذا صلبوا، لهم خزْيٌ في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم(٣).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٣٤).

(٢) حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا، أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه»، فبايعناه على ذلك، أخرجه البخاري (١٨) ومسلم (١٧٠٩).

(٣) «عظيم» زيادة من لالاليه.

والوجه الثاني: أَن يحكم بأَن الحدَّ مُسْقط عذاب الآخرة حسب حديث عبادة، وأَن قوله: ﴿وَٱلْأَخِرَةِ﴾ لا يريد به عموم القَذَفَة؛ بل يريد إِمَّا المنافقين وإِمَّا من لم يُحَدّ، وقال الطبري: معناه: إِن مات مصرّاً غير تائب(١).

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ معناه: يعلم البريءَ من المُذْنب، وسائرَ الأُمور، وَوَجْهَ الحكمة في ستركم والتغليظ في الوعيد والعذاب على قاذفيكم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ الآية، جواب ﴿وَلَوْلَا﴾ محذوف لدلالة الكلام عليه، تقديره: لفضحكم بذنوبكم ولم يستركم، ولعذَّبكم فيما أَفضتم فيه من قول الباطل والبهتان.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾.

هذا الخطاب عام لجميع المؤمنين، و﴿خُطُوَٰتِ﴾ جمع خطوة، وهي ما بين القدمين في المشي، فكأَن المعنى: لا تمشوا في سُبُله وطرقه من الأَفعال الخبيثة.

وقال منذر بن سعيد: يجوز أَن يكون ﴿خُطُوَٰتِ﴾ جمع خَطَأ من الخطيئة، وسُهِّلَت الهمزة فنُطِقَ بها: خطوات(٢).

وقرأ بضم الطاءِ من ﴿خُطُوَٰتِ﴾ الجمهورُ، وقرأ بسكونها عاصم، والأَعمش(٣).

وقرأ الجمهور: ﴿مَا زَكَىٰ﴾ بتخفيف الكاف، أَي: ما اهتدى، ولا أَسلم، ولا عرف رشداً.

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ١٣٣).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) غير متقن، وهما سبعيتان، والضم لقنبل وحفص وابن عامر والكسائي، كما تقدم في البقرة، وانظر: التيسير (ص: ٧٨).

وقرأَ أَبو حيوة، والحسن، والأَعمش: (زَكَّى) بشد الكاف[١]، أَي: تزكيته لكم وتطهيره وهدايته إِنما هي بفضله لا بأَعمالكم وتحرُّزكم من المعاصي.

ثم ذكر تعالى أَنه يزكِّي مَنْ يَشاءُ ممن سبقت له السعادة، وكان عمله الصالح أَمارة على سبق السعادة له، ثم أَخبر بأَنه ﴿سَمِيعٌ﴾ لجميع أَقوالهم وكلامهم من قذف وغيره، ﴿عَلِيمٌ﴾ بحق ذلك من باطله، لا يجوز عليه في ذلك وهْمٌ ولا غلط.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢)﴾.

المشهور من الروايات أَن هذه الآية نزلت في قصة أَبي بكر بن أبي قحافة الصديق[٢] ومِسْطَح بن أُثَاثَة، وذلك أَنه كان ابن بنت[٣] خالته، وكان من المهاجرين البدريِّين المساكين، وهو مِسْطَح بن أُثاثة بن عباد بن المطلب، بن عبد مناف، وقيل: اسمه عوف، ومِسْطح لقب، وكان أَبو بكر ينفق عليه لمسكنته، فلما وقع أَمر الإِفك وقال مسْطَح ما قال حلف أَبو بكر أَلَّا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة أَبداً، فجاءَه مِسْطَح فاعتذر وقال: إِنما كنت أَغشى مجلس حسَّان فأَسمع ولا أَقول، فقال له أَبو بكر: لقد ضحكت وشاركت فيما قيل، ومرَّ على يمينه، فنزلت الآية.

وقال الضحاكُ وابن عباس: إِن جماعة من المؤمنين قطعوا منافعهم عن كل من قال في الإِفك، وقالوا: والله لا نصل من تكلم في شأْن عائشة، فنزلت الآية في جميعهم[٤].

---

(١) انظر عزوها للحسن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤١٠)، ولأبي حيوة في الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٠)، ولهما وللأعمش في البحر المحيط (٨/ ٢٤)، و«الأعمش» زيادة من المطبوع وأحمد٣.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٩١٠) ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة، رضي الله عنها، به.

(٣) ساقط من نور العثمانية.

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ١٣٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما به، وانظر فيه أيضاً قول الضحاك.

والأَول أَصحُّ، غير أَن الآية تتناول الأُمة إِلى يوم القيامة، بأَلَّا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف أَلا ينفع مَن هذه صفته غابر الدهر.

ورأَى الفقهاءُ: أَن من حلف أَن لَا يفعل سُنَّة من السنن أَو مندوباً وأَبَّد ذلك أَنها جرحة في شهادته، ذكره الباجي[١] في «المنتقى»[٢]، ومنه قول النبي ﷺ: «أَيُّكُم المُتَأَلِّي على الله لا يفعل المعروف؟»[٣].

و﴿يَأۡتَلِ﴾ معناه: يحلف، وزنها يفتعل، من الأَلية وهي اليمين، وقالت فرقة: معناه: يقصِّر، من قولك: أَلَوْتُ في كذا إِذا قصَّرت فيه، ومنه قوله: ﴿لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا﴾ [آل عمران: ١١٨].

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع وزيد بن أسلم: ﴿وَلَا يَتَأَلَّ﴾[٤]، وهذا وزنه يَتَفَعَّل من الأَلية بلا خلاف، وهي في المصحف: ياءٌ تاءٌ لام، فلذلك ساغ هذا الخلاف لأَبي جعفر وزيد فروياه، وذكر الطبري أَن خط المصحف مع قراءة الجمهور، فظاهر قوله أَنَّ ثمَّ أَلفاً قبل التاءِ[٥].

و﴿ٱلۡفَضۡلِ﴾، ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ هنا هي: المالُ، وقوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ﴾ الآية تمثيلٌ وحُجَّة/ ، أَي: كما تحبون غفران الله لكم عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن دونكم، وينظر [٤/ ٩٥]

---

(١) هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث، الإمام أبو الوليد التجيبي القرطبي الباجي، صاحب التصانيف، أخذ عن يونس بن عبد الله بن مغيث، ومكي بن أبي طالب، وكان جليلاً رفيع القدر والخطر، توفي سنة ٤٧٤هـ، تاريخ الإسلام (٣٢/ ١١٣).

(٢) انظر المنتقى (٥/ ١٩٣)، وكتبت في المطبوع: «البلخي في المنتفي»، وفيه تصحيف ظاهر.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٥٥٨) ومسلم (١٥٥٧) من حديث عائشة، رضي الله عنها، مرفوعاً به.

(٤) وهي عشرية، انظر عزوها لأبي جعفر في النشر (٢/ ٣٣١)، ولهما في المحتسب (٢/ ١٠٦)، وسقط «زيد بن أسلم» من المطبوع.

(٥) تفسير الطبري (١٩/ ١٣٦).

إِلى هذا المعنى قول النبي ﷺ: «من لا يَرْحَم لا يُرْحَم»(١)، فروي أن أَبا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال: «إِنِّي لأُحِبُّ أَن يغفر الله لي»، ورجع إِلى مِسْطح النفقة والإِحسان الذي كان يجري عليه، قالت عائشة رضي الله عنها: «وكفَّر عن يمينه»(٢).

وقرأَ ابن مسعود، وسفيان بن حسين: (وَلْتَعْفُو وَلْتَصْفَحُوا) بالتاءِ من فوق فيهما، ورويت عن النبي ﷺ(٣).

وقال بعض الناس: هذه أَرجى آية في كتاب الله عزَّ وجلَّ من حيث لطف الله فيها بالقذفة العصاة بهذا اللفظ(٤).

قال القاضي أَبو محمد: وإِنما تعطي الآية تفضلاً من الله في الدنيا، وإِنما الرجاءُ في الآخرة، أَما إِن الرجاءَ في هذه الآية بقياس، أَي إِذا أَمر أُولي السعة بالعفو، فطرد هذا التَّفَضُّل بسعة رحمته لا ربَّ سواه، وإِنما آيات الرجاءِ في قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الزمر: ٥٣]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ١٩].

وسمعت أَبي رضي الله عنه يقول: أَرجى آية في كتاب الله عندي قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٧]، وقد قال تعالى في آية أُخرى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٦٥١) ومسلم (٢٣١٨) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٢) متفق عليه بدون زيادة «وكفر عن يمينه» أخرجها البيهقي في السنن (١٠/ ٣٦) من طريق: عبيد بن شريك حدثنا ابن أبي مريم أنبأنا ابن أبي الزناد حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها. قال البيهقي: وجوب الكفارة فيه بالنص فيه، وقد مضت الأخبار فيه فى كتاب الظهار. اهـ وإسناده لا بأس به، والحديث متفق عليه من غير هذه الزيادة، أخرجه البخاري (٢٥١٨) ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة، رضي الله عنها، به.

(٣) لم أقف عليه مسنداً، وهي شاذة، انظر روايتها عن النبي ﷺ في المحتسب (٢/ ١٠٥)، وعن الباقين في البحر المحيط (٨/ ٢٥).

(٤) لم أقف عليه.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الشورى: ٢٢] فَشَرَح الفضل الكبير في هذه الآية، وبشَّر به المؤمنين في تلك.

وقال بعضهم: أَرجى آية في كتاب الله تعالى قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥]، وذلك أَن رسول الله ﷺ لا يرضى ببقاء أَحد من أُمته في النار.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾.

قال سعيد بن جبير: إِن هذه الآية التي تضمنت لعْن القاذف وتوعُّده الشدائد إِنما هي خاصة في رُماة عائشة.

وقال ابن عباس، والضحاك، وغيرهما: بل هذه لجميع أَزواج النبي ﷺ، غلَّظ الله أَمر رَمْيهن لمكانهن من الدين[1]، فلعن قاذفهن ولم يقرن بآخر الآية توبة، وقاذف غيرهن له اسم الفسق وذُكرت له التوبة.

وقال جماعة من العلماءِ: بل هي في شأْن عائشة إِلَّا أَنه يراد بها كل من اتصف بهذه الصفة، وقال بعض هذه الفرقة: إِن هذه الآية نزلت أَولاً في القاذفين، ثم نزلت بعد ذلك الآية التي في صدر السورة التي فيها التوبة، وقد تقدم القول في المحْصَنَاتِ ما معناه.

واللَّعْنة في هذه الآية: الإِبعادُ، وضربُ الحدِّ، واستيحاشُ المؤمنين منهم وهجرُهم لهم، وزوالُهم عن رُتبة العدالة، وعلى قول من قال إِن هذه الآية خاصة بعائشة تترتب هذه الشدائد في جانب عبد الله بن أُبيٍّ وأَشباهه.

وفي ضمن رمي المحصنة رمي الرجل معها، وقد يكون مؤمناً.

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ١٣٩) من طريق العوام بن حوشب، عن شيخ من بني أسد، ومن طريق عطية العوفي، كلاهما عن ابن عباس، وفي الإسنادين ضعف، انظر قولي ابن جبير والضحاك فيه (١٩/ ١٣٨).

والعامل في قوله: ﴿يَوۡمَ﴾ فعل مضمر يقتضيه العذاب، أَي: يُعذَّبُونَ يومَ، أَو نحوه، وأَخبر الله تعالى أَن جوارحهم تشهد عليهم، وذلك من أَعظم الخزي والتنكيل، فيشهد اللسان وقلب المنافق لا يريد ما يشهد به، وتشهد الأَيدي والأَرجل(١) كلاماً يقدرها الله عليه.

وقرأ جمهور السبعة: ﴿تَشۡهَدُ﴾ بالتاءِ من فوق، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿يَشْهَدُ﴾ بالياءِ(٢).

و«الدِّينُ» في هذه الآية: الجزاءُ، ومنه قول الشاعر:

[مجزوء الوافر] وَلَـمْ يَـبْـقَ سِـوَى الْـعُـدْوَا نِ دِنَّـاهُـمْ كَـمَـا دَانُـوا(٣)

أَي جازيناهم كما فعلوا، ومنه المثل: كَمَا تُدِينُ تُدَان.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ٱلۡحَقَّ﴾ بالنصب على الصفة للدِّين.

وقرأَ مجاهد: (الْحَقُّ) بالرفع على الصفة لله تعالى.

وفي مصحف ابن مسعود وأُبيِّ بن كعب: (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ الله الْحَقُّ ديْنهُم)(٤) بتقديم الصفة على الموصوف، ورويت عن النبي ﷺ(٥).

---

(١) زاد في المطبوع: «وتتكلم»، قال وهي زيادة يحتاج إليها المعنى.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٦١)، والسبعة (ص: ٤٥٤).

(٣) هذا البيت لِلْفِنْد الزِّمَّانيِّ، كما تقدم في تفسير الفاتحة أول الكتاب.

(٤) وهما شاذتان، وانظرهما في تفسير الثعلبي (٧/ ٨٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٤١).

(٥) ضعيف، أخرجه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٣٩)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٤٢٢) كلاهما من طريق غسان بن مالك، عن عون بن ذكوان، عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف من أجل غسان بن مالك، قال فيه أبو حاتم: ليس بقوي، بيّن في حديثه الإنكار. الجرح والتعديل (٧/ ٥٠)، وقال العقيلي: مجهول بالنقل، ولا يُعرف إلا به، ولا يتابع عليه، ثم روى له حديثه هذا في ترجمته.

تنبيه: لما روى العقيلي والطبراني هذا الحديث جاءت الآية في المطبوع عندهما: ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ﴾، وهذا من تصرف النساخ، أو المحققين، ولا سيما عند الطبراني، حيث أورد الآية =

وقوله: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ يقوِّي قول من ذهب إلى أَن الآية في المنافقين عبد الله بن أُبيٍّ وغيره، وذلك أَن كل مؤمن في الدنيا يعلم أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وإِلَّا فليس بمؤمن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾.

اختلف المتأَولون في الموصوف في هذه الآية بالخبيث والطيب، فقال ابن عباس[1]، ومجاهد، والضحاك، وقتادة: هي الأَقوال والأَفعال، ثم اختلفت هذه الجماعة:

فقال بعضهم: المعنى: الكلمات والفعلات الخبيثات لا يقولها ويرضاها إِلا الخبيثون من الناس، فهي لهم وهم لها بهذا الوجه، وكذلك الطيبات للطيبين.

وقال بعضها: المعنى: الكلمات والفعلات الخبيثات لا تليق ولا تلصق عند رمي الرامي وقذف القاذف إِلا بالخبيثين من الناس، فهي لهم وهم لها بهذا الوجه[2].

وقال ابن زيد: الموصوف بالخبث والطيب النساءُ والرجال[3]، وإِنما الآية على نحو التي تقدمت، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ [النور: ٣]، فمعنى هذه: التفريق بين حكم عبد الله بن أُبيٍّ وأَشباهه وبين حكم النبي ﷺ وفضلاءِ صحابته وأُمته، أَي: إِن النبي ﷺ طيب فلم يجعل الله له إِلَّا كل طيبة، وأُولئك خبيثون فهم أَهل النساءِ الخبائث.

قال القاضي أَبو محمد: وبهذه الآية قيل لأَزواج النبي ﷺ: الطيبات المبرآت.

كما عند المصنف هاهنا، السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٦٧) وعزاه للطبراني في الكبير، ولما روى الطبراني الحديث قال: «... هكذا قال» ومكان هذا النقط قال المحقق: لم تقرأ هذه الكلمات التي جعلنا مكانها النقط، وانظر مختصر الشواذ لابن خالويه (ص/ ١٠٣).

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ١٤٢) من طريق عطية العوفي، وابن أبي حاتم (١٤٣١٦) من طريق عبد الله ابن مسلم، عن سعيد بن جبير، كلاهما عن ابن عباس، والإسنادان ضعيفان.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٤١-١٤٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (١٩/ ١٤٤).

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى الطيِّبين المذكورين في قوله: ﴿وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾.

وقال النقاش: الإشارة بـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ﴾ إلى صفوان وعائشة رضي الله عنها، وجمعهم[1] في الضمير على حدِّ قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: ١١] والمراد: أخوان. وفي هذا التمثيل بآية الإخوة نظر.

وبحسب هذه المعاني يتقدر المراد بالضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾، فتأمله. ثم وعد الله تعالى الطيبين من المؤمنين بالمغفرة عند الحساب، وبالرزق الكريم في الجنة./ [٤/ ٩٦]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

سبب هذه الآية فيما ذكر الطبري بسند عن عدي بن ثابت أن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله، إني أكون في منزلي على الحالة التي لا أُحب أن يراني أحد عليها والدٌ ولا ولد، وإنه لا يزال يدخل عليَّ رجلٌ من أهلي وأنا على تلك الحال، فنزلت هذه الآية[2].

ثم هي عامة في الأُمة غابر الدهر من حيث هذه النازلة تختص بكل أحد في نفسه، وبيت الإنسان هو البيت الذي لا أحد معه فيه، أو البيت الذي فيه زوجه أو أَمته، وما عدا هذا فهو غير بيته.

قال ابن مسعود وغيره: ينبغي للإنسان ألَّا يدخل البيت الذي فيه أُمُّه إلَّا بعد الاستئناس[3]، وروي في ذلك حديث عن النبي ﷺ أن رجلًا قال: يا رسول الله، أَستأْذن

---

(١) في المطبوع: «جمعهما»، وكلام النقاش لم أجده.

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ١٤٧) من طريق أشعث بن سوار، عن عدي بن ثابت، به، وأشعث متفق على ضعفه.

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ١٤٧) من طريق أشعث بن سوار، عن كردوس، عن ابن مسعود، به، وهو كسابقه.

على أُمِّي؟ قال: نعم، قال: إِنما هي أُمِّي ولا خادم لها غيري، قال: «أَتحب أَن تراها عريانة»؟ قال: لا، قال: «فاستأْذن عليها»[١]، وكذلك كل ذات محرم منه؛ لأنه لا ينبغي أَن يراهن عاريات، وقالت زينب امرأَة ابن مسعود: كان ابن مسعود إِذا جاءَ منزله تنحنح مخافة أَن يهجم على ما يكره[٢].

و﴿تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾ معناه: تستعلموا، أَي: تستعلموا من في البيت وتستبصروا، تقول: آنسْتُ إِذا علمتَ عن حسٍّ وإِذا أبصرت، ومنه قوله تعالى: ﴿ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾ [النساء: ٦]، وقوله: ﴿ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾[٣]، ومنه قول حسَّان بن ثابت:

انْظُـرْ خَلِيلـي بِبَـابِ جِلَّـقَ هَـلْ   تُؤْنِسُ دُونَ الْبَلْقَاءِ مِنْ أَحَد[٤]   [المنسرح]

وقول الحارث: آنسَتْ نَبْأَةً...البيت[٥].

ووزن آنَسَ: أَفْعَل، واستأْنس وزنه: استفعل، فكأَن المعنى في ﴿تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾: تطلبون [أن تعلموا][٦] ما يُؤْنسكم ويؤنس أَهل البيت منكم، وإِذا طلب الإِنسان أَن

---

(١) مرسل، أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٩٠١) ومن طريقه أبو داود في المراسيل (٤٥٩) عن صفوان ابن سليم، عن عطاء بن يسار، أن رسول الله ﷺ فذكره مرسلاً، قال ابن عبد البر لما أورد حديث مالك في التمهيد (١٦/ ٢٢٩): «وهذا الحديث لا أعلم يستند من وجه صحيح بهذا اللفظ»، ورواه ابن أَبي شيبة (٢٤٢) عن ابن عيينة، عن زيد بن أسلم، عن النبي ﷺ، مرسلاً كذلك.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٣٨١ (٣٦١٥) وأبو داود (٣٨٨٣) وابن ماجه (٣٥٣٠) من طريق: الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن يحيى بن الجزار، عن ابن أخي زينب امرأة عبدالله، عن زينب، عن ابن مسعود، رضي الله عنه، به، وهذا إسناد جيد، إن سلم من تدليس الأعمش، وابن أخي زينب ذكره الحافظ ابن حجر في التقريب، وقال: كأنه صحابي، ولم أره مسمى.

(٣) من الآية ١٠ من سورة طه وتكررت في الآية ٧ من سورة النمل، وفي الآية ٢٩ من سورة القصص.

(٤) انظر نسبته له في الأغاني (١٧/ ١٦٩)، والكامل للمبرد (٢/ ١٩٠)، وجلَّق بكسر الجيم وتشديد اللام: دِمَشق.

(٥) من بيت للحارث بن حِلِّـزَة، من معلقته، وقد تقدم في تفسير الآية ٦ من سورة النساء.

(٦) من لالاليه ونور العثمانية والإماراتية ونجيبويه.

يعلم أَمر البيت الذي يريد دخوله فذلك يكون بالاستئذان على من فيه، أَو بأَن يتنحنح ويُشعر بنفسه بأَيِّ وجه أَمكنه، ويتأَنَّى قدر ما يتحفظ، ويدخل إِثر ذلك.

وذهب الطبريُّ في ﴿تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾ إِلى أَنه بمعنى: حتى تُؤْنسوا أَهل البيت من أَنفسكم بالتَّنحنح والاستئذان ونحوه، وتُؤْنسوا أَنفسكم بأَن تعلموا أَنْ قد شُعر بكم(١).

قال القاضي أبو محمد: وتصريف الفعل يأْبى أَن يكون من أَنس.

وذكر الطبري عن ابن عباس أَنه كان يقرأُ: (حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا)، وهي قراءة أُبي بن كعب، وحكاها أَبو حاتم: (حَتَّى تُسَلِّمُوا وَتَسْتَأْذِنُوا) (٢).

قال ابن عباس: تَسْتَأْنِسُوا خطأٌ أَو وهم من الكُتَّاب(٣).

قال القاضي أَبو محمد: مصاحف الإسلام كلُّها قد ثبت فيها ﴿تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾، وصحَّ الإِجماعُ فيها من لدن مُدَّة عثمان رضي الله عنه، فهي التي لا يجوز خلافها، والقراءَة

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ١٤٩).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر تفسير الطبري (١٩/ ١٤٥)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٨٤)، والمحتسب (٢/ ١٠٨).

(٣) إسناده صحيح وهو غريب عن ابن عباس، أخرجه الطبري (١٩/ ١٤٥) من طريق غندر ووهب ابن جرير عن شعبة عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، به. ومن طريق معاذ بن سليمان كذلك عن أبي بشر نحوه، ومعاذ بن سليمان هذا لم أعرفه، ولم أجد له ترجمة، ولعله معاذ، وهو: ابن معاذ، عن سليمان، وهو: الأعمش أو: التيمي عن جعفر بن إياس، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٩٦) من طريق محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن شعبة عن جعفر بن إياس عن مجاهد عن بن عباس. وفي حديث أبي بشر عن مجاهد ضعف، لكن محمد ابن يوسف وهو الفريابي له أوهام على الثوري، والرواية الأولى هي الأصح، لاسيما وقد روى الطبري في نفس الموضع من طريق: أبي عامر ـ هو العقدي ـ، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش أنه كان يقرؤها: (حتى تستأذنوا وتسلموا) قال سفيان: وبلغني أن ابن عباس كان يقرؤها: (حتى تستأذنوا وتسلموا) وقال: إنها خطأ من الكاتب، فكأن سفيان ليس عنده الخبر عن ابن عباس مسنداً، وقال ابن كثير في التفسير (٦/ ٣٨): «وهذا غريب جداً عن ابن عباس».اهـ، وانظر فتح الباري للحافظ ابن حجر (١١/ ٨). وما سيأتي من كلام المصنف.

(تَسْتَأْذِنُوا) ضعيفة، وإطلاق الخطأ والوهم على الكُتَّاب في لفظٍ أَجمع الصحابة عليه لا يصح عن ابن عباس، والأَشبه أَن يقرأ (تَسْتَأْذِنُوا) على التفسير، وظاهر ما حكى الطبري أَنها قراءَة برواية[١]، ولكن قد روي عن ابن عباس أنه قال: ﴿تَسْتَأْنِسُوا﴾ معناه: تَسْتَأْذِنُوا[٢].

ومما ينفي هذا القول عن ابن عباس أَن ﴿تَسْتَأْنِسُوا﴾ متمكنة في المعنى[٣]، بَيِّنَةُ الوجه في كلام العرب، وقد قال عمر للنبي ﷺ: «أَسْتَأْنِسُ يا رسول الله؟ وعمر واقف على باب الغرفة».. الحديث المشهور[٤].

وذلك يقتضي أَنه طلب الأُنس به ﷺ، فكيف يخطِّئ ابن عباس رضي الله عنه أَصحاب الرسول في مثل هذا.

وحكى الطبريُّ أيضاً بسنده عن ابن جريج، عن ابن عباس[٥]، وعكرمة، والحسن ابن أَبي الحسن أَنهم قالوا: نُسخ واستثني من هذه الآية الأُولى قوله بعدُ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾[النور: ٢٩][٦]، وهذا أيضاً لا يترتب فيه نسخٌ ولا استثناءٌ؛ لأَن الآية الأُولى في البيوت المسكونة والمقصورة، والآية الثانية في المباحة، وكأَن من ذهب إِلى الاستثناءِ رأَى الأُولى عامة.

وصورة الاستئذان أَن يقول الرجل: السلام عليكم، أَدخل؟ فإِن أُذن له دخل، وإِن أُمر بالرجوع انصرف، وإِن سُكت عنه استأْذن ثلاثاً، ثم ينصرف بعد الثلاث، فأَما

---

(١) برواية ليست في المطبوع، انظر تفسير الطبري.

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ١٤٦) من طريق عطية العوفي، ورواه ابن أبي حاتم (١٤٣٤٤) من طريق علي ابن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

(٣) كتبت في المطبوع: «المنعى»، وهو خطأ مطبعي.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٣٣٦) ومسلم (١٤٧٩) من حديث عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، به.

(٥) منقطع، أخرجه الطبري (١٩/ ١٤٧) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٥٣)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٥٨٧).

ثبوت ما ذكرته من صورة الاستئذان فروى الطبريُّ أَنَّ رجلاً جاءَ إِلى بيت النبي ﷺ فقال: أَلِجُ؟ أَو أَتَّلِجُ؟ فقال رسول الله ﷺ لأَمَةٍ له يقال لها روضة: «قولي لهذا: يقول: السلام عليكم، أَدْخُل؟»، فسمعه الرجل فقالها، فقال له النبي ﷺ: ادْخُل(١).

ورُوي أَن ابن عمر آذته الرمضاءُ يوماً فأَتى فُسطاط امرأَة من قريش، فقال: السلام عليكم، أَدْخُلُ؟ فقالت المرأَة: ادْخُلْ بسلام، فأَعاد فأَعادتْ، فقال لها: قولي: ادْخُلْ، فقالت ذلك فدخل(٢)، فكأَنه توقف لما قالت: بسلام؛ لاحتمال اللفظ أَن تُريد: ادخل بسلامك لا بشخصك، ثم لكلِّ قوم في الاستئذان عُرْفهم في العبارة.

وأَما ثبوت الرجوع بعد الاستئذان ثلاثاً: فلحديث أَبي موسى الأَشعري الذي استعمله مع عمر، وشهد به لأَبي موسى أَبو سعيد الخدري، ثم أُبي بن كعب، الحديث المشهور(٣).

وقال عطاءُ بن أَبي رباح: الاستئذان واجب على كل محتلم(٤)، وسيأْتي ذكر هذا.

ورَوى أَبو هريرة أَن رسول الله ﷺ قال: «رسول الرجل إِذنُه»(٥)، أَي: إِذا أُرسل في أَحد فقد أُذن له في الدخول.

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ١٤٦) من طريق ابن سيرين، وسعيد بن عمرو الثقفي، أن رجلًا استأذن على رسول الله ﷺ فذكره. وهذا مرسل، ورواه كذلك أبو داود (٥١٨٠) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/ ٣١٢٩) من طريق ربعي بن حراش حُدِّثت أن رجلاً....فذكره. وهذا منقطع.

(٢) مرسل، أخرجه الطبري (١٩/ ١٤٦) من طريق هشيم بن بشير، قال: قال مغيرة، قال مجاهد: جاء ابن عمر...فذكره.

وهذا إسناد منقطع، هشيم لم يسمع من مغيرة، وهو ابن مقسم الضبي، قاله الإمام أحمد، انظر العلل له، رواية عبد الله (١/ ٣١٤).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٩٥٦) ومسلم (٢١٥٣) من حديث أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه، به.

(٤) انظر قول عطاء في: تفسير الطبري (١٩/ ٢١٥).

(٥) ضعيف والأصح موقوف، أخرجه ابن أبي عمر العدني في مسنده (٦/ ٤٧ ـ إتحاف) من طريق بشر =

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ تم الكلام عنده، وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ معناه: فعلنا ذلك بكم ونبَّهناكم لعلكم.

والضمير في قوله: ﴿تَجِدُوا۟ فِيهَآ﴾ للبيوت التي هي بيوت الغير.

وحكى الطبري عن مجاهد أَنه قال: معنى قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا﴾: إِنْ لم يكن لكم فيها متاع، وضعَّف الطبري هذا التأْويل(1)، وكذلك هو في غاية الضعف، وكأَن مجاهدا رأَى أَن البيوت غير المسكونة إِنما تُدخل دون إِذن/ إِذا كان فيها للداخل متاع، ورأَى لفظة المتاع متاع البيت الذي هو البُسُط والثياب، وهذا كله ضعيف. [٤/ ٩٧]

وأَسند الطبري عن قتادة أَنه قال: قال رجل من المهاجرين: لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أَدركتها، أَن أستأْذن على بعضِ إِخواني فيقول لي: ارجع، فأَرجع وأَنا مغتبط لقوله تعالى: ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾»(2).

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ توعُّد لأَهل التجسُّس على البيوت، وطلب الدخول على غفلة للمعاصي والنظر إِلى ما لا يحلُّ، ولغيرهم ممن يقع في محظور.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

= ابن السري، عن حماد بن سلمة، عن قتادة، عن الحسن، عن زيد، أو غيره، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف، فيه عنعنة قتادة، والحسن، وكلاهما مدلس، وكذلك إبهام شيخ الحسن، هذا، وقد اختلف الحديث على حماد بن سلمة، فرواه البخاري في الأدب المفرد (١٠٧٦) وأبو داود (٥١٨٩) وابن حبان في صحيحه (٥٨١١ ـ إحسان) كلهم من طرق عن حماد ابن سلمة، عن أيوب، وحبيب بن الشهيد، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، مرفوعاً بلفظ: «رسول الرجل إلى الرجل إذنه»، ورواه الإمام أحمد (١٦/ ٥٢٠) والبخاري في الأدب (١٠٧٥) وأبو داود (٥١٩٠) كلهم من طريق قتادة، عن أبي رافع، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً بلفظ: «إذا دُعي أحدكم فجاء مع الرسول فذاك له إذن»، قال أبو داود: قتادة لم يسمع من أبي رافع شيئاً، ثم إن الحديث ذكره الدارقطني في علله (٧/ ٢٩٥) وصحح كونه موقوفاً على أبي هريرة.

(١) تفسير الطبري (١٩/ ١٥٠).

(٢) المصدر السابق (١٩/ ١٥٠).

رُوي أَن بعض الناس لمَّا نزلت آية الاستئذان تعمَّق في الأَمر، فكان لا يأْتي موضعاً خرباً ولا مَسْكُوناً إِلَّا سلَّم واستأْذن، فنزلت هذه الآية(١)، أَباح الله تعالى فيها رفع الاستئذان في كل بيت لا يسكنه أَحد؛ لأَن العلَّة إِنما هي في الاستئذان خوف الكشفة على الحُرُمات، فإِذا زالت العلَّة زال الحكم.

ومثَّل أَهل التأْويل من هذه البيوت أَمثلة، فقال محمد بن الحنفية، وقتادة، ومجاهد: هي الفنادق التي في طرق المسافرين(٢)، قال مجاهد: لا يسكنها أَحد؛ بل هي موقوفة ليأْوي إِليها كل ابن سبيل(٣)، وفيها متاع لهم، أَي: استمتاع بمنفعتها.

ومثَّل عطاءٌ في بيوت غير مسكونة بالخِرَب، التي يدخلها الإِنسان للبول والغائط، ففي هذا أيضاً متاعٌ، وقال ابن زيد والشعبي: هي حوانيت القَيْسارِيَّات، والسوق(٤)، قال الشعبي: لأَنهم جاؤوا ببيوعهم فجعلوها فيها وقالوا للناس: هلُمَّ(٥)، وهذا قول غلط قائله لفظ المتاع(٦)، وذلك أَن بيوت القَيْسَاريَّة محظورة بأَموال الناس، غير مباحة لكل من أَراد دخولها بإِجماع، ولا يدخلها إِلَّا من أُذن له بها(٧)؛ بل أَربابها مُوَكَّلون بدفع الناس عنها، وقال محمد بن الحنفية أيضاً: أَراد تعالى دور مكَّة(٨)، وهذا على القول بأَنَّها غير مُتَملَّكة، وأَن الناس شركاءُ فيها، وأَن مكَّة أُخذت عنوة، وهذا هو في هذه المسأَلة

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٥١).

(٣) معاني القرآن للنحاس (٤/ ٥١٩)، بتصرف.

(٤) انظر القولين في: تفسير الطبري (١٩/ ١٥٢)، تفسير الماوردي (٤/ ٨٨)، وانظر: تفسير الثعلبي (٧/ ٨٦).

(٥) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٢١).

(٦) «لفظ المتاع»: سقط من المطبوع، وهو هكذا في جميع النسخ الخطية، وضبطت في أحمد **٣**: غُلِّط، فكأنه يعني أن صاحب هذا القول أخطأ، لكنه بناها للمجهول أدباً كما يقال: أنسيت بدل نسيت، والله أعلم.

(٧) انظر نقل الإجماع في: تفسير القرطبي (١٢/ ٢٢٢).

(٨) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٥٢)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٨٦)، بتصرف يسير.

القول الضعيف، يردُّه قوله ﷺ: «وهل ترك لنا عقيل منزلاً»[(١)]، وقوله: «من دخل دار أَبي سفيان، ومن دخل داره»[(٢)]، وغير ذلك من وجوه النظر، وباقي الآية بيِّن، ظاهره التوعُّد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴿٣١﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ بمنزلة قوله: انْهَهُمْ، فقول: ﴿يَغُضُّوا۟﴾ جواب الأَمر.

وقال المازني: المعنى: قل لهم غُضُّوا يغضُّوا[(٣)].

ويلحق هذين من الاعتراض: أَن الجواب خبر من الله، وقد يوجد من لا يغض، وينفصل بأَن المراد: يكونون في حكم من يغض.

وقوله: ﴿مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾، أَظهر ما في ﴿مِنْ﴾ أَن تكون للتبعيض، وذلك أَن أَول نظرة لا يملكها الإِنسان، وإِنما يغض فيما بعد ذلك، فقد وقع التبعيض [بخلاف الفروج إذ حفظها عام لها][(٤)].

ويؤيد هذا التأْويل ما روي من قوله ﷺ لعلي بن أَبي طالب: «لا تُتْبع النظرة النظرة فإِن الأُولى لك، وليست لك الثانية» الحديث[(٥)].

وقال جرير بن عبد الله: سأَلت النبي ﷺ عن نظرة الفجأَة فقال: «اصرف بصرك»[(٦)].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٨٩٣) ومسلم (١٣٥١) من حديث أسامة بن زيد مرفوعاً به.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨٠) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٣) تقدم مثل هذا عنه في تفسير الآية (١٧) من سورة الإسراء.

(٤) زيادة من أحمد٣ والإماراتية ونجيبويه ونور العثمانية.

(٥) ضعيف، أخرجه الإمام أحمد (٣٨/ ٧٤) وأبو داود (٢١٤٩) والترمذي (٢٩٨٢) كلهم من طريق شريك النخعي، عن أبي ربيعة، عن ابن بريدة، عن أبيه مرفوعاً به.، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث شريك.اهـ، وشريك النخعي ضعيف الحديث، وشيخه قال فيه أبو حاتم: منكر الحديث، انظر: الجرح والتعديل (٦/ ١٠٩).

(٦) أخرجه مسلم (٢١٥٩) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه، مرفوعاً به.

ويصح أَن تكون ﴿مِنۡ﴾ لبيان الجنس، ويصح أَن تكون لابتداءِ الغاية، والبصر: هو الباب الأَكبر للقلب، وأَعمر[١] طرق الحواسِّ إِليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته، ووجب التحذير منه.

وحِفْظ الفرج يحتمل: في الزنى.

ويحتمل أَن يريد: بستر العورة، والأَظهر أَن الجميع مرادٌ واللفظ عام.

وبهذه الآية حرَّم العلماءُ دخول الحمام بغير مئزر[٢].

وقال أَبو العالية: كل فرج ذُكر في القرآن فهو من الزنا إِلَّا في هاتين الآيتين فإِنه يعني التستُّر[٣]، ولا وجه لهذا التخصيص عندي.

وباقي الآية بيِّن، وظاهره التَّوعُّد.

وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ الآية، أَمَرَ الله تعالى النساءَ في هذه الآية بغض البصر عن كل ما يُكره من جهة الشرع النَّظرُ إِليه، وفي حديث أُم سلمة قالت: كنت أَنا وعائشة عند النبي ﷺ، فدخل ابن أُم مكتوم، فقال النبي ﷺ: «احتجبن» فقلنا: إِنه أَعمى، فقال النبي ﷺ: «أَفَعَمْيَاوَانِ أَنتما؟»[٤].

و﴿مِنۡ﴾ يحتمل ما تقدم في الأُولى، وحفظ الفروج: يعُمُّ الفواحش، وستْرَ العورة، وما دون ذلك مما فيه حفظ.

---

(١) في لالاليه ونور العثمانية: «وأعم».

(٢) انظر في ذلك: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ٣٩٦)، وتفسير القرطبي (١٢/ ٢٢٤).

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ١٥٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٧١).

(٤) في إسناده جهالة، أخرجه الإمام أحمد (٤٤/ ١٥٩) وأبو داود (٤١١٢) والترمذي (٢٧٧٨) كلهم من طريق عبد الله بن المبارك، عن يونس بن يزيد، عن الزهري، عن نبهان، عن أم سلمة، رضي الله عنها، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف، من أجل نبهان، وهو مولى أم سلمة، فيه جهالة، انظر: تهذيب الكمال (٢٩/ ٣١١).

وأَمر الله تعالى بأَلَّا يُبْدِينَ زِينَـتَهُنَّ للناظرين، إِلَّا ما استثناه من الناظرين في باقي الآية، ثم استثنى ما يظهر من الزينة، فاختلف الناسُ في قدر ذلك:

فقال ابن مسعود: ظاهر الزينة هو الثياب(١).

وقال سعيد بن جبير: الوجه والثياب.

وقال سعيد بن جبير أَيضاً، وعطاءٌ، والأَوزاعي: الوجه والكفان والثياب(٢).

وقال ابن عباس(٣)، وقتادة، والمِسْوَرُ بن مخرمة(٤): ظاهر الزينة هو الكحل والسِّواك والخضابُ إِلى نصف الذراع والقِرَطةُ والفَتَخُ، ونحو هذا فمباح أَن تبديه المرأَة لكل من دخل عليها من الناس(٥).

وذكر الطبري عن قتادة في معنى نصف الذراع حديثاً عن النبي ﷺ(٦)، وذكر آخر عن عائشة، عن النبي ﷺ(٧).

---

(١) ضعيف: هذا الأثر أخرجه ابن جرير الطبري (١٩/ ١٥٥) عن ابن حميد، عن هارون بن المغيرة، عن الحجاج، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود، قال: الزينة زينتان: فالظاهرة منها الثياب، وما خفي: الخَلْخَالان والقرطان والسواران، وابن حميد ضعيف.

(٢) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٩/ ١٥٧-١٥٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ١٦٠) وابن أبي حاتم (١٤٤٠٩) في تفسيرهما من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٤) هو المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن زهرة القرشيّ الزهريّ، ولد بعد الهجرة بسنتين، وقدم المدينة بعد الفتح، وكان من أهل الفضل والدين، مات سنة ٦٤هـ، في حصار ابن الزبير، الحصار الأول أصابه حجر من المنجنيق، الإصابة (٦/ ٩٣).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٥٧).

(٦) معضل، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٥٧) ومن طريقه الطبري (١٩/ ١٥٧) عن معمر، عن قتادة، قال: بلغنا أن النبي ﷺ قال: «لا تحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تخرج من يدها إلا ها هنا وقبض على نصف الذراع»، وهذا إسناد ضعيف لإعضاله.

(٧) منقطع، أخرجه الطبري (١٩/ ١٥٧) من طريق ابن جريج، عن عائشة، رضي الله عنها، مرفوعاً به. وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، ابن جريج لم يلق أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، قاله ابن المديني، انظر: جامع التحصيل (٤٧٢).

ويظهر لي بحكم أَلفاظ الآية: أَن المرأَة مأْمورة بأَلا تُبدي، وأَن تجتهد في الإِخفاء لكل ما هو زينة، ويقع الاستثناءُ في كل ما غلبها فظهر بحكم ضرورةِ حركةٍ فيما لا بد منه، أَو إِصلاح شأْن ونحو ذلك، فما ظهر على هذا الوجه فهو المعفو عنه، فغالب الأَمر أَن الوجه بما فيه والكفين يكثر منهما الظهور، وهو الظاهر في الصلاة، ويحسُنُ بالحسنة الوجه أَن تستتر إِلَّا من ذي حرمة محرمة.

ويحتمل لفظ الآية أَن الظاهر من الزينة لها أَن تبديه، ولكن يقوِّي ما قلناه الاحتياطُ ومراعاةُ فساد الناس، فلا يظن أَن يباح للنساء من/ إِبداء الزينة إِلَّا ما كان بذلك الوجه، والله الموفق للصواب برحمته. [٤/ ٩٨]

وقرأَ الجمهور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ﴾ بسكون اللام التي هي للأَمر.

وقرأَ أَبو عمرو في رواية عباس[١] عنه: (وَلِيَضْرِبْنَ) بكسر اللام[٢] على الأَصل؛ لأَنّ أَصل لام الأَمر الكسر في: لِيَذْهب ولِيَضْرِب، وإِنما تسكينها كتسكين عَضُد وفَخِذ.

وسبب هذه الآية: أَن النساءَ كنَّ في ذلك الزمان إِذا غطَّين رؤوسهن بالأخمرة سدَلْنها من وراءِ الظهر[٣]، قال النقاش: كما يصنع النَّبَطُ[٤]، فيبقى النحر والعنق والأذنان لا ستر على ذلك، فأَمر الله تعالى بِلَيِّ الخمار على الجيوب، وهيئة ذلك[٥] تستر[٦] جميع ما ذكرناه.

---

(١) في الأصل كما في المطبوع ولالاليه ونور العثمانية: «عباس»، والتصحيح من: أحمد٣ والحمزوية.

(٢) وهي رواية عباس بن الفضل كما في السبعة (١/ ٤٥٤)، وفي نجيبويه ولالاليه والحمزوية: «ابن عباس»، وفي أحمد٣: «ابن عياش».

(٣) لم أقف عليه مسنداً.

(٤) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٣٠).

(٥) زاد في المطبوع: «أن تضرب المرأة بخمارها على جيبها»، قال في الحاشية: زدناه من القرطبي الذي نقل كلام المصنف.

(٦) من نجيبويه، وفي النسخ الأخرى: «يستر».

وقالت عائشة رضي الله عنها: رحم الله المهاجرات الأُول، لما نزلت هذه الآية عَمَدْنَ إِلى أَكثف المروط فَشَقَقْنَها أَخمرة، وضَرَبْن بها على الجيوب(١).

ودخلت على عائشةَ حفصةُ بنت أَخيها عبد الرحمن وقد اختمرت بشيءٍ يشِفُّ عن عنقها وما هنالك، فَشَقَّته عليها وقالت: إِنما يُضرب بالكثيف الذي يستر(٢).

ومشهورُ القراءة ضمُّ الجيم من ﴿جُيُوبِهِنَّ﴾، وقرأَ بعض الكوفيين بكسرها بسبب الياءِ، كقراءَتهم ذلك في بُيوت وشُيوخ، ذكره الزهراوي(٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ (٣١)﴾.

المعنى في هذه الآية: ولا يقصدن ترك الإِخفاء للزينة الباطنة كالخَلْخَالِ والأَقراط ونحوه، ويطرحنَ مؤونةَ التحفظ إِلَّا مع من سمى. وبدأَ بالبعولة وهم الأَزواج؛ لأَن اطلاعهم يقع على أعظم من هذا، ثم ثنَّى بذوي المحارم وسوَّى بينهم في إِبداءِ الزينة، ولكنهم تختلف مراتبهم في الحرمة بحسب ما في نفوس البشر، فلا مرية أَن كشف الأَب والأَخ على المرأَة أَحوط من كشف ولد زوجها، وتختلف مراتب ما يُبدَى لهم، فيُبدَى للأَب ما لا يجوز إِبداؤه لولد الزوج.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٨١) من قول عائشة، رضي الله عنها، به.

(٢) هذا الأثر أخرجه مالك في الموطأ (٦) عن علقمة بن علقمة، عن أمه أَنَّهَا قَالَتْ: «دَخَلَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَى عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى حَفْصَةَ خِمَارٌ رَقِيقٌ، فَشَقَّتْهُ عَائِشَةُ وَكَسَتْهَا خِمَاراً كَثِيفاً» وأم علقمة هذه: اسمها مرجانة، ذكرها ابن حبان في «الثقات» (٥/ ٤٦٦)، وقال الذهبي: لا تعرف.

(٣) غير متقن، وهما سبعيتان، والكسر للأكثر وهم: ابن كثير وحمزة والكسائي وشعبة وابن ذكوان، انظر: التيسير (ص: ١٦١).

وقوله تعالى: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني جميع المؤمنات، فكأَنه قال: أَو صنفهن، ويدخل في هذا: الإِماءُ المؤمنات، ويخرج منه نساءُ المشركين من أَهل الذمة وغيرهم.

وكتب عمر رضي الله عنه إِلى أَبي عبيدة بن الجراح: إِنه بلغني أَن نساءَ أَهل الذمة يدخلن الحمامات مع نساءِ المسلمين، فامنع من ذلك وحُلْ دونه، فإِنه لا يجوز أَن ترى الذمية عِرْيَة[1] المسلمة، قال: فعند ذلك قام أَبو عبيدة وابتهل، وقال: أَيما امرأَة تدخل الحمام من غير عذر، لا تريد إِلَّا أَن تُبَيِّض وجهها فسَوَّد الله وجهها يوم تَبْيَضُّ الوجوه[2].

وقوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ يدخل فيه الإِماءُ الكتابيات، ويدخل فيه العبيد عند جماعة من أَهل العلم، وهو الظاهر من مذهب عائشة وأُمِّ سلمة رضي الله عنهما[3].

وقال ابن عباس وجماعة من العلماءِ: لا يدخل العبد على سيدته فيرى شعرها ونحو ذلك إِلَّا أَن يكون وغداً[4]، فمنعت هذه الفرقة الكشف بمِلْك اليمين، وأَباحته بأَن يكون من التابعين غير أُولي الإِرْبة.

وفي بعض المصاحف: (أَوْ ما مَلَكَتْ أَيمانُكُم) فيدخل فيه عبْد الغير[5].

---

(١) يعني: ما يُعرى منها ويُكشف.

(٢) في إسناده انقطاع، أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٧/ ٩٥) من طريق إسماعيل بن عياش، عن هشام ابن الغاز، عن عبادة بن نسي، عن أبيه عن الحارث بن قيس، قال: كتب عمر بن الخطاب.... فذكره، وخولف إسماعيل بن عياش في إسناده، فرواه عيسى بن يونس عند البيهقي عن هشام ابن الغاز بن ربيعة الجرشي، عن عبادة بن نسي الكندي، قال: كتب عمر بن الخطاب....فذكره، وعيسى أثبت من إسماعيل، وعليه فالإسناد منقطع؛ لأن عبادة بن نسي يكثر الإرسال عن الصحابة، ولا أراه أدرك عمر ابن الخطاب، رضي الله عنه.

(٣) انظر ما نسبه المؤلف لعائشة وأم سلمة في: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٣٧٣).

(٤) لم أقف عليه مسنداً من قول ابن عباس، رضي الله عنهما.

(٥) وهي شاذة، إن كانت، ولم أجدها لغير المصنف.

وقوله: ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ﴾ يريد الأَتباع ليطعموا الفسول[١] من الرجال الذين لا إِرْبة لهم في الوطءِ، فهي شرطان، ويدخل في هذه الصنفية[٢] المجبوب، والمعتوه، والمُخَنَّث، والشيخ الفاني، والزَّمِنُ الموقوذ بزمانته، ونحو هذا هو الغالب في هذه الأَصناف.

ورُبَّ مُخَنَّث لا ينبغي أَن يكشف؛ أَلا ترى إِلى حديث «هيت»، ونَهْي رسول الله ﷺ عن كشفه على النساءِ لمَّا وصف بَادِيَةَ بنت غيلان بن معتب[٣]؟ وتأَمل ما روي في أَخبار الدَّلَّال المُخَنَّث[٤]، وكذلك الحمقى والمعتوهون فيهم من لا ينبغي أَن يكشف[٥]، والذي لا إِربة له من الرجال قليل.

و﴿ٱلْإِرْبَةِ﴾: الحاجة إِلى الوطءِ، وعبَّر عن هذا بعض المفسرين فقال: هو الذي يتبعك لا يريد إِلَّا الطعام وما تأكله.

وقرأَ عاصم، وابن عامر: ﴿غَيْرَ﴾ بالنصب، وهو على الحال من الذِّكر الذي في ﴿ٱلتَّٰبِعِينَ﴾، أَو على الاستثناءِ من ﴿ٱلتَّٰبِعِينَ﴾.

وقرأَ الباقون: ﴿غَيْرِ﴾ بالخفض[٦] على النعت لـ﴿ٱلتَّٰبِعِينَ﴾، والقول فيها كالقول في ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾ [الفاتحة: ٧].

---

(١) في الأصل بدلها بياض، وفي لالاليه: «ليطمعوا السفول»، وفي المطبوع: «الأتباع الذين يدخلون ليطعموا الفضول وهم من الرجال» إلخ.

(٢) في المطبوع: «الصيغة»، وفي الحمزوية ونجيبويه: «الصفة»، وفي حاشية المطبوع: في بعض النسخ: المجنون بدلاً من المجبوب.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٠٦٩) ومسلم (٢١٨٠) من حديث هند أم سلمة، رضي الله عنها، به.

(٤) اسمه: ناقد وكنيته أبو زيد، وهو مدني مولى بني فهم، قال إسحاق: لم يكن في المخنثين أحسن وجهاً ولا أنظف ثوباً ولا أظرف من الدلال، قال: وهو أحد من خصاه ابن حزم، وقيل: هو مولى عائشة بنت سعيد بن العاص، انظر خبره في الأغاني (٤/ ٢٦٦).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٦٣)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٨٨).

(٦) وهما سبعيتان، والأولى لابن عامر وشعبة، انظر: التيسير (ص: ١٦١).

وقوله: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ﴾ اسم جنس بمعنى الجمع، ويقال: طِفْل ما لم يراهق الحُلُم، و﴿يَظْهَرُوا۟﴾ معناه: يَطَّلِعُون بالوطءِ.

والجمهور على إِسكان الواو من ﴿عَوْرَٰتِ﴾، وروي عن ابن عامر فتح الواو[١].

وقال الزجاج: الأَكثر سكون الواو كجَوْزَات وبيْضَات لثقل الحركة على الواو والياءِ[٢]، ومن قرأ بالفتح فعلى الأصل في فَعْلَة وفَعَلات.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿... وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾.

أَسند الطبري عن المعتمر عن أَبيه قال: زعم حضرمي أَن امرأَةً اتَّخذت بُرَتَيْن[٣] من فضة، واتخذت جَزْعاً، فجعلت في ساقيها، فمرت على القوم فضربت برجلها الأرض، فوقع الخَلْخَالُ على الجزع فصوَّت، فنزلت هذه الآية[٤]، وسماع صوت[٥] هذه الزينة أَشدُّ تحريكاً للشهوة من إِبدائها، ذكره الزجاج[٦].

قال مكي رحمه الله: ليس في كتاب الله آية أَكثر ضمائر من هذه، جمعت خمسة وعشرين ضميراً للمؤمنات من مخفوض ومرفوع[٧].

وقرأَ عبد الله بن مسعود: (ليُعْلَمَ ما سُرَّ مِنْ زينتهنَّ)[٨].

---

(١) وهي شاذة، من رواية عبد الحميد بن بكّار، قال في جامع البيان (٣/ ١٤٠٢): ولم يذكر ذلك غيره.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٢).

(٣) مُثَـنَّى بُرَة بضم الباء وفتح الراء خفيفة: وهي الخَلْخَالُ.

(٤) معضل، أخرجه الطبري (١٩/ ١٦٤) من طريق حضرمي بن لاحق به، وهو معضل.

(٥) سقط من الأصل والمطبوع.

(٦) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٤٠).

(٧) نقله عنه في تفسير القرطبي (١٢/ ٢٣٨)، والبحر المحيط (٨/ ٣٧)، وهو واضح.

(٨) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ١٠٣)، وفي حاشية المطبوع: في بعض النسخ: لِيُعْلَمَ مَا يَسْتُرْنَ، ولم أجدها.

ثم أَمر عزَّ وجلَّ بالتوبة مطلقة، وقد قيَّد توبة الكفار بالإِخلاص، وبالانتهاء في آية أُخرى[١]، وتوبة أَهل الذّمة بالتَّبيين، يريد لأمر محمد ﷺ[٢]، وأَمر بهذه التوبة مطلقة عامة من كلِّ شيءٍ صغير وكبير.

[وقرأ الجمهور: ﴿أَيُّهَ﴾ بفتح الهاء][٣]، وقرأ ابن عامر: ﴿أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ بضم الهاءِ من ﴿أَيُّهَ﴾[٤]، ووجهه أَن يجعل الهاء[٥] كأَنها من نفس الكلمة/ ، فيكون إِعراب المنادى فيها، وضعَّف أَبو عليٍّ ذلك جدّاً[٦]. [٤/ ٩٩]

وبعضهم يقف ﴿أَيُّهْ﴾، وبعضهم يقف (أَيُّهَا) بالأَلف[٧].

وقوَّى أَبو عليٍّ الوقف بالأَلف؛ لأَن علَّة حذفها في الوصل إِنما هو سكونها وسكون اللام، فإِذا كان الوقف ذهبت العلَّة، فرجعت الأَلف كما ترجع الياءُ إِذا وقفت على ﴿مُحِلِّي﴾ من قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾ [المائدة: ١][٨].

والاختلاف الذي ذكرناه في ﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ كذلك هو ﴿أَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ [الزخرف: ٤٩]، و﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ﴾، هذه المخاطبة لكل من تصور أَن ينكح في نازلة ما، فهم المأْمورون بتزويج من لا زوج له ومن لا زوجة له، وظاهر الآية أَن المرأَة لا تتزوج إِلَّا بِوَليٍّ، والأَيِّمُ يقال للرجل والمرأَة، ومنه قول الشاعر:

---

(١) في الآية (٢٨) من سورة الأنفال.
(٢) في الآية (١٦٠) من سورة البقرة، وانظر أيضاً أول سورة البينة.
(٣) سقط من المطبوع.
(٤) وهما سبعيتان، وكذلك في حرفي الرحمن والزخرف، انظر التيسير (ص: ١٦١).
(٥) في المطبوع: «الخاءَ»، ولعله سبق قلم في الطباعة.
(٦) انظره في الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٣٢٠).
(٧) وهما سبعيتان، وقف بالألف أبو عمرو والكسائي، وبدونها الباقون، انظر: التيسير (ص: ١٦٢).
(٨) انظر ما نسبه لأبي علي في: حجته (٥/ ٢٣١).

[مجزوء الكامل]

لِلَّـــهِ درُّ بَـنِــــي عَـلِـــــ ـــيٍّ أَيِّم مِـنْـهُـم وَنَــاكِـح[١]

ولعموم [هذه اللفظة قالت][٢] فرقة: إِن هذه الآية ناسخةٌ لحكم قوله تعالى: ﴿وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور: ٣].

وقوله: ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يريد: للنكاح.

وقرأ الحسن بن أَبي الحسن: (مِنْ عَبِيدِكُمْ) [٣]، والجمهور على ﴿عِبَادِكُمْ﴾، والمعنى واحد، إِلَّا أَن قرينة الترفيع بالنكاح تؤيد قراءة الجمهور.

وهذا الأَمر بالإنكاح[٤] يختلف بحسب شخص شخص، ففي نازلة يُتصور وجوبه، وفي نازلةٍ الندبُ، وغير ذلك، وهذا بحسب ما قيل في النكاح[٥].

ثم وعد الله تعالى بإِغناءِ الفقراءِ المتزوجين طلباً لرضا الله عنهم، واعتصاماً من معاصيه.

وقال ابن مسعود: التمسوا الغنى في النكاح[٦]، وقال عمر رضي الله عنه: عجبي ممن لا يطلب الغنى بالنكاح، وقد قال تعالى: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[٧].

---

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت، كما في السيرة لابن هشام (٣/ ٢٩٩)، والاشتقاق لابن دريد (١/ ٥٥)، والعقد الفريد (٣/ ٢٦٢).

(٢) من المطبوع والحمزوية وأحمد٣ ولالاليه ونور العثمانية.

(٣) وهي شاذة، انظرها في تفسير الثعلبي (٧/ ٨٩).

(٤) في المطبوع: «بالنكاح».

(٥) انظر هذا المعنى في: بداية المجتهد (٢/ ٢).

(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ١٦٦) من طريق القاسم بن الوليد، عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، به، وهذا منقطع، فالقاسم بن الوليد من كبار أتباع التابعين، توفي سنة ١٤١هـ، قال الإمام أحمد: لم يسمع من إبراهيم النخعي شيئاً. اهـ فكيف بابن مسعود.

(٧) أخرج ابن أبي شيبة في المصنف (٤/ ١٢٧) عن وكيع، عن مسعر، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، قال: قال عمر: ابتغوا الغنى في الباءة، وهذا منقطع، إبراهيم لم يدرك عمر.

قال النقاش: هذه الآية حجةٌ على من قال إن القاضي يفرق بين الزوجين إذا كان الزوج فقيراً لا يقدر على النفقة؛ لأَن الله تعالى قال: ﴿يُغْنِهِمُ﴾ ولم يقل: يفرق بينهما[1].

وهذا انتزاعٌ ضعيف، وليست هذه الآية حُكْماً فيمن عجز عن النفقة، وإنما هي وعْدٌ بالإغناء، كما وعد به تعالى مع التفرق في قوله: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣]، ونفحات رحمة الله تعالى مأْمولةٌ في كل حالٍ، موعودٌ بها.

وقوله: ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ صفتان نحو المعنى الذي فيه القول، أَي واسع الفضل، عليمٌ بِمُسْتَحِقِّ التوسعةِ والإغناءِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴿٣٣﴾﴾.

استعفَّ وزنه: اسْتَفْعَل، ومعناه: طلب أَن يكون عفيفاً، فأَمر الله تعالى في هذه الآية كل من يتعذَّرُ عليه النكاح ولا يجده بأَي وجه تعذَّر أَن يستعفَّ، ثم لما كان أَغلب الموانع على النكاح عدم المال وعَدَ بالإغناءِ من فضله، فعلى هذا التأْويل يعمُّ الأَمر بالاستعفاف كلَّ من تعذَّر عليه النكاح بأَي وجه تعذَّر.

وقالت جماعة من المفسِّرين: النكاحُ في هذه الآية اسم ما يُمْهَر ويُنْفق في الزواج كاللِّحاف واللباس لما يُلْتَحف به ولما يلبس، وحملهم على هذا قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾، فظنوا أَن المأْمور بالاستعفاف إنما هو من عدم المال الذي يتزوج به، وفي هذا القول تخصيص المأْمورين بالاستعفاف، وذلك ضعيف.

ثم أَمر الله تعالى المؤمنين كافة أَن يكاتِب منهم كلُّ من له مملوك وطَلَب المملوك الكتابة، وعَلم سيِّدُه منه خيراً.

---

(١) انظر قول النقاش في: تفسير القرطبي (١٢/ ٢٤٢).

قال النقاش: سببها أَن غلاماً لحويطب بن عبد العُزَّى[١] سأَل مولاه الكتابة فأَبى عليه[٢].

وقال مكي: هو صُبَيْح القبطي غلام حاطب بن أَبي بلتعة[٣].

ولفظ الكتاب في الآية مصدر؛ كالقتال والجِلاد ونحوه من مصادر فاعَلَ، والمكاتبة: مفاعلة من حيث هذا يكتب على نفسه، وهذا على نفسه.

واختلف الناس، هل هذا الأَمر بالكتابة على الوجوب أَو على الندب؟ على قولين:

فمذهب مالك رحمه الله أَن ذلك على الندب[٤]، وقال عطاءٌ: ذلك واجب، وهو ظاهر قول عمر بن الخطاب لأَنس بن مالك في سيرين، حين سأَل سيرين الكتابة فتلكَّأَ أَنس، فقال عمر: كاتبهُ أَو لأَضربنَّك بالدِّرَّة[٥]، وهو قول عمرو بن دينار والضحاك[٦].

واختلف الناس في المراد بالخير:

فقالت فرقة: هو المال، ولم تَـرَ على سيِّد عبد أَن يكاتب إِلَّا إِذا علم أَن له مالاً يؤدي منه أَو من التَّجْر فيه.

وروي عن ابن عمر وسلمان أَنهما أَبيا من كتابة عبدين رَغِبَا في الكتابة ووعدا باسْتِرْفَاق الناس، فقال كلُّ واحد منهما لعبده: أَتريد أَن تطعمني أَوساخ الناس؟[٧].

---

(١) هو حويطب بن عبد العزَّى بن أبي قيس بن عبد ودٍّ القرشي العامريُّ، أسلم عام الفتح، وشهد حنيناً، وكان من المؤلَّفة، وجدَّد أنصاب الحرم في عهد عمر، عاش مئة وعشرين سنة. ومات في خلافة معاوية سنة ٥٤هـ، الإصابة (٢/ ١٢٤).

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٠/ ١٣٤) لابن السكن في كتابه الصحابة.

(٣) الهداية لمكي (٨/ ٥٠٨٥).

(٤) انظر مذهب مالك في: الاستذكار (٧/ ٣٧٩)، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٧٦).

(٥) إسناده جيد، أخرجه الطبري (١٩/ ١٦٧) من طريق محمد بن بكر البرساني عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، بلفظ: «لتكاتبنه» فقط.

(٦) انظر ما نسبه لعطاء وعمر رضي الله عنه وعمرو بن دينار والضحاك؛ في الأوسط (١١/ ٤٦١).

(٧) أما أثر ابن عمر، رضي الله عنه، فأخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٧٨) والبيهقي في الكبرى =

وقال مالك: إِنه ليقال: الخير القوة والأَداءُ[١].

وقال الحسن بن أَبي الحسن: الخير هو صدقُ الموعد، وقلَّة الكذب، والوفاءُ، وإِن لم يكن للعبد مالٌ[٢].

وقال عبيدةُ السَّلْمَاني: الخيرُ هو الصلاح في الدين[٣]، وهذا في ضمنه القول الذي قبله.

والْمُكَاتَبُ عبدٌ ما بقي عليه درهم، وحرمة العتق إِنما يتلبَّس بها بعد الأَداء، هذا قول جمهور الأُمَّة، وقال ابن مسعود: إِذا أَدَّى ثُلث الكتابة فهو عتيق غريم[٤].

وقال علي بن أَبي طالب: العتاقة تجري فيه بأَول نَجْم يؤديه[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم﴾، قال المفسرون: هو أَمر لكل مكاتب أَن يضع للعبد من مال كتابته، واستحسن ذلك علي بن أَبي طالب أَن يكون ذلك ربع الكتابة، قال الزهراوي: ورُوي ذلك عن النبي ﷺ[٦].

= (١٠/ ٣١٨) من طريق الثوري، عن عبد الكريم الجزري، عن نافع، عن ابن عمر، رضي الله عنه، به، وهذا إسناد مستقيم، وأما أثر سلمان، رضي الله عنه، فرواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٤) من طريق الثوري عن أبي جعفر الفراء، عن أبي ليلى الكندي، وهذا إسناد لا بأس به إن كان الكندي سمعه من سلمان.

(١) انظر قول مالك في: شرح البخاري لابن بطال (٧/ ٧٦).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ١٧٨) بتصرف.

(٣) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٤٥).

(٤) في إسناده انقطاع، أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٨/ ٤٠٦) من طريق طارق بن عبد الرحمن، عن الشعبي، عن ابن مسعود، رضي الله عنه، به، والشعبي لم يسمع من ابن مسعود، قاله أبو حاتم الرازي، انظر المراسيل لابن أبي حاتم (٥٩١).

(٥) «يؤديه»: من المطبوع ولالاليه ونور العثمانية، والأثر في إسناده انقطاع، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٥٠) من طريق الحكم، عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، به، والحكم هو ابن عتيبة، وروايته إنما تقع عن التابعين.

(٦) غريب، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٣٠٥) من طريق ابن جريج، قال: أخبرني عطاء بن السائب، أن عبد الله بن جندب، أخبره عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وعبد الله =

واستحسن الحسن بن أَبي الحسن، وابن مسعود ثُلُثَها[١]، وقال قتادة: عُشْرَها[٢].

ورأَى عمر بن الخطاب أَن يكون ذلك من أَول نجومه مبادرةً إِلى الخير وخوف أَلَّا يُدرك آخرها[٣]، ورأَى مالك رحمه الله، وغيره أَن يكون الوضع من آخر نَجْم[٤]، وعلة ذلك أَنه إِذا وضع من أَول نجْم ربما عجز العبد فرجع هو ومالُه إِلى السيِّد، فعادت إِليه وضيعته، وهي شبه الصدقة، وهذا قول عبد الله بن عمر[٥].

[٤/ ١٠٠] ورأَى مالك رحمه الله هذا الأمر على / الندب، ولم يَـرَ لقدر الوضيعة حدّاً[٦].

ورأَى الشافعي وغيره الوضيعة واجبة يحكم بها الحاكم على المكاتب وعلى ورثته[٧].

وقال الحسن، والنَّخَعيُّ، وبُـرَيْدَة: إِنما الخطاب بقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم﴾ للناس أَجمعين في أَن يتصدَّقوا على المكاتَبين، وأَن يعينوهم في فكاك رقابهم[٨].

وقال زيد بن أَسلم: إِنما الخطاب لولاة الأُمور بأَن يعطوا للمكاتَبين من مال

= ابن جندب إن كان الأزدي فروايته عن التابعين، انظر: التاريخ الكبير (٥/ ٦٢).

(١) انظر قول الحسن وابن مسعود رضي الله عنه في: تفسير القرطبي (١٢/ ٢٥٢).

(٢) انظر قول قتادة في: الأوسط (١١/ ٤٧٠)، وانظر قول عمر في: تفسير الطبري (١٩/ ١٧١).

(٣) ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٥١٠) من طريق أبي شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب، وهذا إسناد ضعيف، أبو شبيب هو يوسف بن عبد الله القيسي، قال فيه ابن معين: لا شيء، انظر: الجرح والتعديل (٩/ ٢٢٥).

(٤) انظر قول مالك وابن عمر رضي الله عنه في: الاستذكار (٧/ ٣٨٣-٣٨٥).

(٥) صحيح، أخرجه الطبري (١٩/ ١٧٢) من طريق سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر، رضي الله عنهما، به.

(٦) الكافي في فقه أهل المدينة (٢/ ٩٨٧).

(٧) انظر: الأم (٨/ ٣٩).

(٨) لا بأس به، أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (١١/ ١٧١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٥٠٣)، من طريق الحسين بن واقد، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه به، وهذا إسناد صحيح، وانظره مع قول الحسن والنخعي في: الأوسط (١١/ ٤٦٨).

الصدقة حظَّهم، وهو الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧][١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿...وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

روي أَن سبب هذه الآية هو أَن عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول كانت له أَمَةٌ تسمى مُسيْكَة، وقيل: معاذة، فكان يأْمرها بالزنا والكسب به، فشكت ذلك إِلى النبي ﷺ، فنزلت الآية فيه وفيمن فعل فعله من المنافقين[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ راجع إِلى الفتيات، وذلك أَن الفتاة إِذا أَرادت التَّحَصُّن فحينئذ يُتَصور ويمكن أَن يكون السَّيِّد مكرِهاً، ويمكن أَن يُنْهَى عن الإِكراه، وإِذا كانت الفتاة لا تريد التَّحصُّن فلا يُتصوَّر أَن يقال للسيِّد: لا تُكْرِهْها؛ لأَن الإِكراه لا يُتصور فيها وهي مريدةٌ للزنى، فهذا أَمر في [سادة وفتيات][٣] حالهم هذه.

وذهب هذا النظر عن كثير من المفسرين، فقال بعضهم: قوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَ﴾ راجعٌ إِلى ﴿ٱلْأَيَـٰمَىٰ﴾ في قوله: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾، وقال بعضهم: هذا الشرط في قوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَ﴾ مُلغى، ونحو هذا مما ضُعِّف، والله الموفق للصواب برحمته.

و﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في هذه الآية: الشيءُ الذي تكتسبه الأَمَةُ بفرجها، ومعنى باقي الآية: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بهن، وقد يُتَصوَّر الغُفْران والرحمةُ بالمُكْرَهين بعد أَن تقع التوبة من ذلك، فالمعنى: غفور لمن تاب.

وقرأَ ابن مسعود، وجابر بن عبد الله، وابن جبير: (لَهُنَّ غفورٌ رحيمٌ) بزيادة: (لَهُنَّ)[٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٧٣).

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٢٩) من حديث جابر بن عبد الله، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٣) سقطت من أصول المطبوع فقال في الحاشية إنه نقلها عن القرطبي، مع أنها في أصولنا كلها.

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لابن جبير: في: تفسير الطبري (١٨/ ١٣٣)، ولابن عباس في المحتسب (٢/ ١٠٧)، ولابن مسعود في غرائب التفسير (٢/ ٧٩٦)، ولجابر في تفسير القرطبي (١٢/ ٢٥٥).

ثم عدَّد تعالى على المؤمنين نعمته فيما أنزل إليهم من الآيات المنيرات، وفيما ضرب لهم من أَمثال الماضين من الأمم ليقع التحفُّظ مما وقع أُولئك فيه، وفيما ذكر لهم من المواعظ.

وقرأ جمهور الناس: ﴿مُبَيَّنَاتٍ﴾ بفتح الياءِ، أَي: بَيَّنَها الله تعالى وأَوضحها، وقرأَ الحسن، وطلحة، وعاصم، والأَعمش: ﴿مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ بكسر الياءِ[١]، أَي: بَيَّنت الحقَّ وأَوضحته.

قوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾.

النُّور في كلام العرب: الأَضواءُ المدركة بالبصر، ويستعمل مجازاً فيما صحَّ من المعاني ولاح، فيقال منه[٢]: كلام له نور، ومنه الكتابُ المنير، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] نَسَبٌ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى ... نُـوراً وَمِنْ فَلَـقِ الصَّبَـاحِ عَمُوداً[٣]

والله تعالى ليس كمثله شيءٌ، فبيَّن أَنه ليس كالأَضواء المُدْركة، ولم يبق للآية معنى إِلَّا أَنه أَراد: الله ذو نور السماوات والأَرض، أَي به[٤] وبقدرته أَنارت أَضواؤُها، واستقامت أُمُورُها، وقامت مصنوعاتها، فالكلام على التقرير للذهن، كما تقول: الملِك نور الأُمَّة، أَي به قوام أُمورها وصلاحُ جُملتها، والأَمر في الملك مجازٌ، وهو في صفة الله تعالى حقيقة محضة؛ إِذ هو الذي أَبدع الموجودات، وخلق العقل نوراً هادياً؛ لأَن

---

(١) وهما سبعيتان، والثانية لابن عامر وحمزة والكسائي وحفص، انظر: التيسير (ص: ١٦٢)، وعزوها للحسن والأعمش في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٣٩)، ولطلحة في البحر المحيط (٨/ ٤٢).

(٢) «منه» ليست في المطبوع.

(٣) البيت لأبي تمام كما في الأغاني (١٦/ ٤١٦)، والحماسة المغربية (١/ ٣٥١)، ومحاضرات الأدباء (١/ ٤٠٤).

(٤) «به» مع الواو بعدها ليست في المطبوع.

ظهور الوجود به حصل، كما حصل بالضوء ظهور المُبْصَرَاتِ، تبارك الله لا ربَّ سواه.

وقالت فرقة: التقدير: دينُ الله نور السماوات والأَرض، قال ابن عباس: المعنى: الله[١] هادي أَهل السماوات والأرض، والأول أَعمُّ للمعاني وأَوضح مع التأَمل.

وقرأَ عبد الله بن عياش بن أَبي ربيعة، وأَبو عبد الرحمن السُّلَمي: (الله نوَّرَ) بفتح النون والواو المشددة وفتح الراءِ على أَنه فِعْل[٢].

وروي أَن اليهود لما نزلت هذه الآية جسموا في تأْويلها، واعترضوا محمداً ﷺ بأَن قالوا: كيف هو نور الأَرض والسماء بيننا وبينه، فنزلت حينئذ ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ الآية[٣]، أَي: ليس الأمر كما ظننتم، وإِنما هو نور بأَنه قوامُ كل شيءٍ وخالقُه ومُوجده، مثل نوره كذا وكذا.

واختلف المتأَولون في الضمير في ﴿نُورِهِۦ﴾ على من يعود:

فقال كعب الأحبار، وابن جبير: هو عائد على محمد ﷺ، أَي: مَثَل نور محمد[٤].

وقال أُبيٌّ بن كعب[٥]، وابن جبير، والضحاك: هو عائد على المؤمنين.

وفي قراءة أُبي بن كعب: (مَثَل نُور المؤمن)، ورُوي أَن في قراءَته: (مَثَل نُور المؤمنين)، وروي أَن فيها: (مَثَلُ نُور من آمَنَ بِهِ)[٦].

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في تفسير القرطبي (١٢/ ٢٥٩)، ولآخرين في تفسير الثعلبي (٧/ ١٠١)، والكامل للهذلي (ص: ٦٠٨)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٤٢).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ١٨٢)، وابن أبي حاتم (١٤٥٧٠) في تفسيرهما، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، مرفوعاً به.

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ١٧٩)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٠١).

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ١٧٨) من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، رضي الله عنه، به، وهذا إسناد ضعيف، أبو جعفر الرازي، سيئ الحفظ، انظر: تهذيب الكمال (٣٣/ ١٩٢)، ولم أجد من تابعه على روايته تلك.

(٦) وكلها شاذة، انظر الأولى والثالثة في تفسير الطبري (١٩/ ١٧٩)، والثانية في تفسير القرطبي (١٢/ ٢٦)، =

وقال الحسن: هو عائد على القرآن والإِيمان[١].

وقال مكي بن أَبي طالب: وعلى هذه الأَقوال يوقف في قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهذه أَقوال فيها عود الضمير على من لم يجر له ذكر، وفيها تقطع المعنى المراد بالآية.

وقالت فرقة: الضمير في ﴿نُورِهِۦ﴾ عائد على الله، ثم اختلفت هذه الفرقة في المراد بالنور الذي أُضيف إِلى الله تعالى:

[فقال قوم: إضافته إلى الله تعالى][٣] إِضافة خلق إِلى خالق، كما تقول: سماءُ اللَّهِ، وناقةُ اللَّهِ، فقال بعضها: هو محمد، وقال بعضها: هو المؤمن، وقال بعضها: هو الإِيمان والقرآن.

وهذه الأَقوال متَّجهة مُطَّرد معها المعنى، فكأَن اليهود لما تأَولوا ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بمعنى الضوء قيل لهم: ليس كذلك، وإِنما هو نور بأَنه قوام كل شيءٍ وهاديه، مثل نوره في محمد، أَو في المؤمن، أَو في القرآن والإِيمان كمشكاة، وهي الكُوَّةُ غير النافذة فيها القنديل ونحوه/. [٤/ ١٠١]

وهذه الأَقوال الثلاثة تطَّرد[٤] فيها مقابلة جزءٍ من المثال لجزءٍ من المُمَثَّل، فعلى قول من قال: المُمَثَّل به محمد ﷺ، وهو قول كعب الحبر[٥]، فرسول الله ﷺ هو المشكاة، أَو صدره، والمصباح: هو النبوة وما يتصل بها من علمه[٦] وهداه، والزجاجة:

= وسقطت هذه الفقرة كلها من نور العثمانية والقراءة الأولى من نجيبويه، وهي في الأصل والإماراتية بلفظ الجمع كالثانية.

(١) تفسير الطبري (١٩/ ١٧٩)، وتفسير ابن أبي حاتم رقم: (١٥٣٥٦).

(٢) الهداية لمكي (٨/ ٥١٠٨).

(٣) زيادة من لالاليه والحمزوية.

(٤) في المطبوع: «تضطرد».

(٥) في المطبوع: «الخير»، وفي لالاليه: «الأحبار»، وانظر قوله في تفسير الطبري (١٩/ ١٧٩).

(٦) في لالاليه ونور العثمانية: «عمله».

قلبه، والشجرة المباركة: هي الوحيُ والملائكة رسل الله إليه وسببه المتصل به، والزيت: هو الحجج والبراهين والآيات التي تضمنها الوحي.

وعلى قول من قال: المُمَثَّل به المؤمن، وهو قول أُبيٍّ بن كعب، فالمشكاة: صدره، والمصباح: الإِيمان والعلم، والزجاجة: قلبه، والشجرة: القرآن، وزيتُها: هو الحجج والحكمة التي تضمنها.

قال أُبي: فهو على أَحسن الحال يمشي في الناس كالرجل الحيِّ يمشي في قبور الأَموات[١].

ومن قال: إِنَّ المُمَثَّل به القرآن والإِيمان فتقدير الكلام: مثل نوره ـ الذي هو الإِيمان في صدر المؤمن ـ في قلبه كمشكاة، أَي: كهذه الجملة.

وهذا القول ليس في مقابلة التشبيه كالأَولين؛ لأَن المشكاة ليست تقابل الإِيمان.

وتحتمل الآية معنى آخر ليس فيه مقابلة جزءٍ من المثال لجزءٍ من المُمَثَّل به؛ بل وقع التشبيه فيه جملة بجملة، [وذلك أَن يريد: مثل نور الله الذي هو هُداه وإِتقانه صنعةَ كل مخلوق وبراهينُه الساطعة على الجملة][٢] كهذه الجملة من النور الذي تتخذونه أَنتم على هذه الصفة التي هي أَبلغ صفات النور الذي بين أَيدي الناس، أَي: فمَثَلُ نور الله في الوضوح كهذا الذي هو منتهاكم أَيُّها البشر.

و«المِشْكَاةُ»: الكُوَّة في الحائط غير النافذة، قاله ابن جُبير، وسعيد بن عياض[٣]،

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ١٧٨) من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، رضي الله عنه، به.
وهذا إسناد ضعيف، أبو جعفر الرازي، وهو صدوق سيئ الحفظ.

(٢) سقط من الأصل، قال في حاشية المطبوع: إن هذه الجملة سقطت من كل النسخ الأصلية إلا نسخة واحدة.

(٣) هو سعيد بن عياض أبو عثمان. طليطلي. كنيته: أبو يحيى، رحل، فسمع من سحنون، ومن يحيى بن =

وجمهور المفسرين[١]، وهي أَجمع للضوءِ، والمصباح فيها أَكثر إِنارة منه في غيرها.

وقال مجاهد: المشكاة: العمود الذي يكون المصباح على رأْسه[٢].

وقال أَبو موسى: المشكاة: الحديدة أَو الرصاصة التي يكون فيها الفتيل في جوف الزجاجة[٣].

وقال مجاهد أيضاً: المشكاة: الحدائد التي يعلق بها القنديل[٤].

والأَول أَصحُّ[٥] هذه الأقوال.

وقوله: ﴿فِي زُجَاجَةٍ﴾ لأَنه جسم شفاف، المصباح فيه أَنورُ منه في غير الزجاج.

و«المصْبَاحُ»: الفتيل بناره.

وأَمال الكسائي ـ فيما روى عنه أَبو عمر الدوري[٦] ـ الألفَ من ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ فكسر الكاف التي قبلها[٧].

وقرأَ نصر بن عاصم: (فِي زَجَاجَة) بفتح الزاي و(الزَّجاجة) كذلك[٨]، وهي لغة.

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ أَي في الإِنارة والضوءِ، وذلك يحتمل معنيين: إِمَّا أَن يريد أَنها بالمصباح كذلك.

= مزين، وعليه عول. وكان من أهل المسائل والفتيا والفقه. قال ابن الفرضي: وكان من أهل الرواية، انظر: ترتيب المدارك (٤/ ٢٧١).

(١) تفسير الطبري (١٩/ ١٨٣)، ولم أقف على قول ابن جبير.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ١٨٣)، بتصرف يسير.

(٣) لم أقف عليه مسنداً.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٩٥).

(٥) في أحمد٣ والحمزوية ولالاليه: «أوضح».

(٦) في الأصل والمطبوع: «أبو عمرو الداني».

(٧) والباقون بالفتح، وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٥٥).

(٨) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: تفسير الثعلبي (٧/ ١٠٢)، والمحتسب لابن جني (٢/ ١٠٨).

وإِمَّا أَن يريد أَنها في نفسها لصفائها وجودة جوهرها كذلك.

وهذا التأْويل أَبلغُ في التعاون على النور.

قال الضحاك: الكوكب الدُّرِّيُّ هو الزُّهرة(١).

وقرأَ نافع، وابن عامر، وحفص [عن عاصم](٢): ﴿دُرِّيٌّ﴾ بضم الدال وشد الياءِ، ولهذه القراءة وجهان:

إِمَّا أَن يُنْسب الكوكبُ إِلى الدُّرِّ لبياضه وصفائه.

وإِما أَن يكون أَصله: دُرِّيءٌ مهموز من الدَّرءِ(٣) وهو الدفع، وخُفِّفَت الهمزة.

وقرأَ حمزة، وأَبو بكر عن عاصم: ﴿دُرِّيءٌ﴾ بالهمز، وهو فُعِّيل من الدَّرأ، بمعنى أَنها تدفع بعضها بعضاً، أَو بمعنى أَن بها ما يدفع خفاءَها، وفُعِّيل: بناءٌ لا يوجد في الأَسماء إِلَّا في قولهم: مُرِّيق للْعُصْفُور، وفي السُّرِّية إِذا اشتقت من السِّر.

وَوَجَّه هذه القراءة أَبو عليٍّ(٤) وضَعَّفَها غيره.

وقرأَ أَبو عمرو، والكسائي: ﴿دِرِّيءٌ﴾ على وزن فِعِّيل بكسر الفاءِ، من الدَّرْءِ، وهذه متوجهة(٥).

وقرأَ قتادة: (دَرِّيءٌ) بفتح الدال والهمزة، قال أَبو الفتح: وهذا عزيزٌ، وإِنما حُفظ منه السَّكِّينَةُ بشد الكاف.

وقرأَ سعيد بن المسيب، وأَبو رجاءٍ، ونصر بن عاصم: (دَرِّيٌ) بفتح الدال دون همز(٦).

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٩٨)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٠٣).

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) في المطبوع: الدرأ في الموضعين.

(٤) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٣٢٣).

(٥) ثلاث قراءات سبعية، وابن كثير مع نافع انظر التيسير (ص: ١٦٢).

(٦) وهما قراءتان شاذتان انظرهما في مختصر الشواذ (ص ١٠٣)، ومع التوجيه في المحتسب (٢/ ١٠٩)، مع اختلاف في الضبط.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وأَبو بكر عن عاصم، وطلحة، والأَعمش، والحسن، وقتادة، وابن وثاب، وعيسى: ﴿تُوقَدُ﴾ بضم التاءِ، أَي: الزجاجة.

وقرأَ أَبو عمرو، وأَهل الكوفة، والحسن، وابن محيصن: (تَوَقَّدُ) بفتح التاءِ والواو وشد القاف وضم الدال، أَي: الزجاجة.

وقرأَ أَبو عمرو أَيضاً، وابن كثير: ﴿تَوَقَّدَ﴾ بفتح التاءِ والدال، أَي: المصباحُ.

وقرأَ عاصم فيما روى عنه إِسماعيل: (يُوَقَّد) بالياءِ المرفوعة [وفتح الواو][1]، على معنى: يُوقَدُ المصباح.

[وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم: ﴿يُوقَدُ﴾ بضم الياء، أي: المصباح][2].

قال أَبو الفتح: وقرأَ السُّلَمي، والحسن، وابن محيصن، وسَلَّام، وقتادة: (يَوَقَّد) بفتح الياءِ والواو والقاف المشددة ورفع الدال، أَصله: يَتَوَقَّدُ[3].

وقوله: ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ أَي: من زيت شجرة.

و«المباركة»: المُنَمَّاة، والزيتون من أَعظم الثمار نماءً، واطِّرادَ أَفنانٍ، وغضارةً لا سيما بالشام، والرُّمان كذلك، والعيان يقضي بذلك، وقول أَبي طالب يرثي مسافر بن أَبي عمرو ابن أُمية بن عبد شمس:

[الخفيف]
لَيْتَ شِعْرِي مُسَافَرَ بنَ أَبي عَمْـ ـرٍو، وليْـتٌ يَـقُـولُـهـا الْمَحْـزُون
بُـورِكَ الْمَيِّـتُ الْغَرِيـبُ كَمَـا بُو رِكَ نَـبْـعُ الـرُّمَّـان والـزَّيْتُـونُ[4]

---

(١) سقط من المطبوع والأصل، وفي أحمد٣: «وفتح القاف».
(٢) سقط من المطبوع والأصل، وهذه خمس قراءات الأولى والثالثة والخامسة سبعية كما في التيسير (ص: ١٦٢)، والثانية في السبعة (ص: ٤٥٦)، والرابعة في الكامل للهذلي (ص: ٦٠٨).
(٣) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ١٠٩).
(٤) انظر نسبتها له في الاشتقاق (١/ ١٦٦)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٢٦٠)، والأغاني (٩/ ٦٣)، وتهذيب اللغة (١/ ٢٦٨).

وقوله تعالى: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قرأ الجمهور فيهما بالخفض عطفاً على ﴿زَيْتُونَةٍ﴾.

وقرأ الضحاك: (لا شَرْقيّةٌ ولا غَرْبيّةٌ) بالرفع(١).

واختلف المتأولون في معناه:

فقال ابن عباس ـ فيما حكى عنه الطبري ـ: معناه أَنها شجرة في دوحة قد أَحاطت بها، فهي غير منكشفة من جهة الشرق ولا من جهة الغرب(٢).

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول لا يصح عندي عن ابن عباس؛ لأَن الوجود يقتضي أَن الشجرة التي تكون بهذه الصفة ينفسد جناها.

وقال الحسن: ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا، وإِنما هو مثل ضربه الله لنوره، ولو كانت في الدنيا لكانت إِما شرقية وإِما غربية(٣).

وقال ابن زيد: أَراد أَنها من شجر الشام؛ [فهي ليست من شرق الأرض ولا من غربها](٤) لأن شجر الشام هي أَفضل الشجر، وهي الأرض المباركة(٥).

وقال ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، وغيرهم: المعنى في قوله: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أَنها في منكشف من الأَرض، تصيبها الشمس طول النهار، تستدير عليها، أي فليست خالصة للشرْق فتُسمَّى شرقية، ولا للغرب فتُسمَّى غربية، [بل هي شرقية وغربية](٦).

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٣).

(٢) نحوه في تفسير الطبري (١٩/ ١٨٠) عن ابن عباس عن كعب الأحبار بلفظ: لم تمسها شمس المشرق ولا شمس المغرب.

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ١٨٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠١)، بتصرف يسير.

(٤) سقط من الأصل والمطبوع، وفيه: «أبو زيد».

(٥) تفسير الطبري (١٩/ ١٨٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٢)، تفسير الثعلبي (٧/ ١٠٣)، بتصرف يسير.

(٦) سقط من الأصل والمطبوع، والأثر أخرجه الطبري (١٩/ ١٨٦) من طريق قابوس بن أبي ظبيان، =

وقوله: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ﴾ مبالغة في صفة صفائه وحُسنه وجودته[١].

وقرأ الجمهور: ﴿تَمْسَسْهُ﴾ بالتاءِ من فوق، وقرأ ابن عباس، والحسن بالياءِ من تحت[٢].

وقوله: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ أي هذه كلها معادن تكامل بها هذا النور المُمَثَّل به.

وفي هذا الموضع تم المثال.

ثم ذكر تعالى هداه لنوره من شاءَ وأَسعد من عباده، وذكر تفضُّله في ضرب الأمثال[٣] للعباد؛ ليقع لهم العبرة والنظر/ المؤدي إلى الإيمان. [٤/ ١٠٢]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾﴾.

الباءُ في ﴿بُيُوتٍ﴾ تُضم وتُكسر لغة[٤].

واختُلف في الفاء من قوله: ﴿فِى﴾ فقيل: هي متعلقة بـ﴿مِصْبَاحٌ﴾، قال أَبو حاتم: وقيل: متعلقة بـ﴿يُسَبِّحُ﴾ المتأَخر، فعلى هذا التأْويل يوقف على ﴿عَلِيمٌ﴾.

قال الرماني: هي متعلقة بـ﴿يُوقَدُ﴾[٥].

واختلف الناس في البيوت التي أَرادها بقوله تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾

= عن أبيه، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وقابوس ضعيف الحديث، انظر: تهذيب الكمال (٢٣/ ٣٢٧).

(١) في المطبوع: «في صفة من صفاته وحسن جودته».

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها لابن عباس رضي الله عنهما في المحتسب (٢/ ١١٠)، ومختصر الشواذ (ص: ١٠٤).

(٣) في المطبوع: «الأفعال».

(٤) سقطت من الأصل والمطبوع، والقراءتان فيها سبعيتان كما تقدم في البقرة.

(٥) انظر القولين في البحر المحيط (٨/ ٤٧).

فقال ابن عباس، والحسن، ومجاهد: هي المساجد المخصوصة لله تعالى التي من عادتها أَن تُنَوَّر بذلك النوع من المصابيح.

وقال الحسن بن أَبي الحسن: أَراد بيت المقدس، وسمَّاه بيوتاً من حيث فيه مواضع يتحيَّز بعضها عن بعض(١).

ويؤثر أَن عادة بني إِسرائيل في وقيد بيت المقدس كانت غاية في التَّهمُّم به، وكان الزيت(٢) منتخباً مختوماً على ظروفه، وقد صُنع صنعة وقُدِّس حتى لا يجري الوقيد بغيره، فكان [لهذا ونحوه](٣) أَضوأَ بيوت أهل(٤) الأرض.

وقال عكرمة: أَراد بيوت الإِيمان على الإِطلاق، مساجد ومساكن، فهي التي يستصبح فيها بالليل للصلاة وقراءَة العلم.

وقال مجاهد: أَراد بيوت النبي ﷺ(٥).

قال القاضي أَبو محمد: وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ٣٦ رِجَالٌ﴾ يُقَوِّي أَنها المساجد.

وقوله: ﴿أَذِنَ﴾ بمعنى أَمَرَ وقَضَى، وحقيقة الإِذن: العلمُ والتمكين دون حظر، فإِن اقترن بذلك أَمْرٌ وإِنفاذ كان أَقوى.

و﴿تُرْفَعَ﴾ قيل: معناه تُبْنى وتُعَلَّى، قاله مجاهد وغيره(٦)، فذلك كنحو قوله

---

(١) انظر القولين في تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٥)، والأول في تفسير الطبري (١٩/ ١٨٩)، ولم أقف عليه من قول ابن عباس.

(٢) في الأصل: «البيت».

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) من الإماراتية.

(٥) انظر القولين في تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٤)، والأول في تفسير الطبري (١٩/ ١٩٠)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٠٦).

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ١٨٩)، وتفسير ابن ابي حاتم (٨/ ٢٦٠٥)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٠٦).

تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وقال رسول الله ﷺ: «من بنى مسجداً من ماله بنى الله له بيتاً في الجنة»[١]، وفي هذا المعنى أَحاديث.

وقال الحسن بن أَبي الحسن وغيره: معناه تُعظَّم ويُرفع شأْنها[٢].

وذِكْرُ اسْمه تعالى هو بالصلاة والعبادة قولاً وفعلاً.

وقرأَ ابن كثير، وعاصم: ﴿يُسَبَّحُ﴾ بفتح الباءِ المشددة، وقرأَ الباقون وحفص عن عاصم: ﴿يُسَبِّحُ﴾ بكسر الباءِ المشددة[٣].

فـ﴿رِجَالٌ﴾ على القراءَة الأُولى مرتفع بفعل مضمر يدل عليه ﴿يسبَّح﴾، تقديره: يُسبِّحُه رجال، فهذا عند سيبويه نظير قول الشاعر:

[الطويل]
لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ[٤] ....

أَي: يبكيه ضارعٌ، و﴿رِجَالٌ﴾ ـ على القراءة الثانية ـ مرتفع بـ﴿يُسَبِّحُ﴾ الظاهر.

وروي عن يحيى بن وثاب أَنه قرأَ: (تُسَبِّحُ) بالتاءِ من فوق[٥].

و«الغُدُو والآصال»: قال الضحاك: أَراد الصبح والعصر[٦].

وقال ابن عباس: أَراد ركعتي الضحى والعصر، وإِن ركعتي الضحى لفي كتاب الله، وما يغوص عليهما إِلا غواص[٧].

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٣) من حديث عثمان بن عفان، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وليست فيه قوله: من ماله.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ١٩٠)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٠٦)، ولفظة: «وغيره» ليست في المطبوع.

(٣) من المطبوع وهما سبعيتان، والصواب عزو الأولى لابن عامر وشعبة، انظر التيسير (ص: ١٦٢).

(٤) تمامه: وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ، وقد تقدم في تفسير الآية (٧٢) من سورة الأنعام.

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص: ١٠٤).

(٦) لم أقف عليه، وفي الأصل والمطبوع: «الصبح والظهر».

(٧) إسناده لا بأس به، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٤٠٧) من طريق محمد بن شريك، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقرأ أَبو مجْلَز: (والإِيصَالِ) (١).

ثم وصف تعالى المسبحين بأَنهم لمراقبتهم أَمر الله تعالى وطلبهم لرضاه لا يشغلهم عن الصلاة وذكر الله شيءٌ من أُمور الدنيا.

وقال كثير من الصحابة: نزلت هذه الآية في أَهل الأَسواق الذين إذا سمعوا النداءَ بالصلاة تركوا كل شغل وبادروا إِليها، فرأَى سالم بن عبد الله بن عمر أَهل الأَسواق وهم مقبلون إِلى الصلاة فقال: هؤلاءِ الذي أَراد الله تعالى بقوله: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾(٢)، وروي ذلك عن ابن مسعود(٣).

﴿وَإِقَامِ﴾: مصدرٌ من أَقام يُقيم، أَصله إِقْوَام، نقلت حركة الواو إِلى القاف فبقيت ساكنة والأَلف ساكنة، فحذفت [الواو لالتقاء الساكنين](٤)، فجاءَ إِقام.

فقال بعض النحويين: هو مصدر بنفسه قد لا يضاف، وقيل: لا يجوز أَقمته إِقاماً، وإِنما يستعمل مضافاً، ذكره الرماني(٥).

وقال بعضهم من حيث رأَوْهُ(٦) لا يستعمل إِلا مضافاً: إنه(٧) أُلْحقت به هاءٌ عِوَضاً من المحذوف فجاءَ إِقامة(٨)، فهم إِذا أَضافوه حذفوا العِوَض لاستغنائهم عنه، فإِن المضاف والمضاف إِليه كاسم واحد.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص: ١٠٤).
(٢) تفسير الطبري (١٩/ ١٩٢)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٠٩).
(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ١٩٢) والطبراني في الكبير (٩/ ٢٢٢) والبيهقي في الشعب (٣/ ٧٦) كلهم من طريق هشيم، عن سيار، عمن حدثه عن ابن مسعود رضي الله عنه به، وإسناده ضعيف لتدليس هشيم وإبهام راويه عن ابن مسعود.
(٤) في الأصل والإماراتية بدله: «للالتقاء».
(٥) لم أقف عليه.
(٦) في الأصل والإماراتية: «رواه».
(٧) زيادة من لالاليه ونور العثمانية والإماراتية.
(٨) في المطبوع: «إقامه».

و﴿ٱلزَّكَوٰةِ﴾ هنا عند ابن عباس: الطاعة لله[١]، وقال الحسن: هي الزكاة المفروضة في المال[٢]. واليوم المخوف الذي ذكره تعالى هو يوم القيامة.

واختلف الناس في تقلُّب القلوب والأَبصار، كيف هو؟ فقالت فرقة: يرى الناس الحقائق عياناً فتتقلب قلوب الشَّاكِّين ومعتقدي الضلال عن معتقداتها إِلى اعتقاد الحق على وجهه، وكذلك الأَبصار، وقالت فرقة: هو تَقَلُّبٌ على جمر جهنم.

ومقصد الآية: هو وصف هول يوم القيامة، فأَما القول الأَول فليس يقتضي هَوْلاً، وأَما الثاني فليس التقلب في جمر جهنم في يوم القيامة، وإِنما هو بعده، وإِنما معنى الآية عندي: أَن ذلك اليوم[٣] ـ لشدة هوله ومطلعه ـ القلوبُ والأبصار فيه مضطربةٌ قلقة متقلبة من طمع في النجاة إِلى طمع، ومن حذر هلاك إِلى حذر، ومن نظر في هول إِلى النظر في الآخر. والعرب تستعمل هذا المعنى في الحروب ونحوها، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] .... بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحَيْ طَائِرِ[٤]

ومنه قول بشَّار:

[الوافر] كَــأَنَّ فُــؤَادَهُ كُــرَةٌ تَـنَـزَّى[٥] ....

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٦٥٩) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.
(٢) تفسير الثعلبي (٧/ ١٠٩).
(٣) «اليوم» ساقطة من المطبوع.
(٤) صدره: هلا كررت على غزالة في الوغى، وغزالة امرأة من الحرورية، وهو لعمران بن حطان يهجو الحجاج، كما في الأغاني (١٨/ ١٢٢)، والحماسة البصرية (١/ ٧٠)، وحاشية الخفاجي على البيضاوي (١/ ٣٨٣)، ونسبه في الكامل (٣/ ٢٩) للشيباني.
(٥) عجزه: حِذَار البَيْنِ لَوْ نَفَعَ الحِذَارُ، نسبه له القالي في الأمالي (٢/ ٦٣)، والجاحظ في الحيوان (٥/ ٢٤١)، والمبرد في الكامل (٣/ ٣٦)، ونسبه في تاج العروس (٤٠/ ٦٧) لنُصَيْب، وأنشده في لسان العرب (١٥/ ٣١٩) على الخلاف بينهما.

[ومنه قول الآخر: إذا حملق(١) النَّجِيد، وصَلْصَلَ الحديد](٢)، وهذا كثير.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾.

اللام في قوله: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾ متعلقة بفعل مضمر تقديره: فعلوا ذلك، ويسَّروا لذلك، ونحو هذا، ويحتمل أن تكون متعلقة بـ ﴿يُسَبِّحُ﴾.

وقوله: ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ فيه حذف مضاف تقديره: ثواب أَحسن، ثم وعدهم عزَّ وجلَّ / بالزيادة من فضله على ما تقتضيه أَعمالهم، فأَهل الجنة أَبداً في مزيد، ثم ذكر [٤/ ١٠٣]
أَنه يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ، ويخصه بما يشاءُ من رحمته دون حساب ولا تعديد، وكل تفضُّل لله فهو بِغَيْرِ حِسابٍ، وكل جزاءٍ على عمل فهو بحساب.

ولما ذكر الله تعالى فيما تقدم من هذه الآية حالة الإِيمان والمؤمنين وتنويره قلوبهم، عقَّب ذلك بذكر الكفرة وأَعمالهم، فمثَّل لها ولهم تمثيلين:

الأَول منهما: يقتضي حال أَعمالهم في الآخرة، من أَنها غير نافعة ولا مجدية.

والثاني(٣): يقتضي حالها في الدنيا، من أَنها في الغاية من الضلال والغُمَّة التي مثالها ما ذكر من تناهي الظُّلمة في قوله: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾.

و«السَّرَابُ»: ما ترقرق من الهواءِ في الهجير في فيافي الأَرض المنبسطة، وأَوهم الناظر إِليه على بُعْد أَنه ماءٌ، سُمِّي بذلك لأَنه ينسرب كالماءِ، فكذلك أَعمالُ الكافر،

---

(١) في الأصل: «حلق»، وفي نجيبويه: «حمل».

(٢) من كلام علبة بن مسهر الحارثي يصف عمه زياداً، كما في أمالي القالي (١/ ٢٣).

(٣) وفي المطبوع: «ذلك» بدل «الثاني».

يظن في دنياه أَنها نافعته، فإِذا كان يوم القيامة لم يجدها شيئاً، فهي كالسراب الذي يظنه الرائي العطشان ماءً، فإِذا قصده وأَتعب نفسه بالوصول إِليه لم يجد شيئاً.

و«القِيعَة»: جمع قاعٍ، كجارٍ وجيرة، والقاعُ: المنخفض البساط من الأَرض، ومنه قول النبي ﷺ في مانع زكاة الأنعام: «فَيُبْطَحُ لها بقاعٍ قَرْقَرٍ»(١)، وقيل: القيعة مفرد، وهو بمعنى القاع.

وقرأَ مسلمة بن محارب: (بِقِيعَاتٍ) (٢).

وقرأَ أَبو جعفر، وشيبة، ونافع بخلاف: (الظَّمَان) بفتح الميم وطرح حركة الهمزة على الميم وترك الهمزة(٣).

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ يريد: شيئاً نافعاً في العطش، أَو يريد: شيئاً موجوداً على العموم، ويريد بـ﴿جَآءَهُۥ﴾: جاءَ موضعه الذي تخيله فيه.

ويحتمل أَن يعود الضمير في ﴿جَآءَهُۥ﴾ على السراب، ثم يكون في الكلام بعد ذلك متروك يدل عليه الظاهر، تقديره: فكذلك الكافر يوم القيامة يظن عمله نافعاً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً.

ويحتمل الضمير أَن يعود على العمل الذي يدل عليه قوله: ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾، ويكون تمام المثل في قوله: ﴿مَآءً﴾، ويستغني الكلام عن متروكٍ على هذا التأْويل، لكن يكون في المثل إِيجازٌ واقتضاب لوضوح المعنى المراد به.

وقوله: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أَي: بالمجازَاة(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر نسبتها له في: مختصر الشواذ (ص: ١٠٤)، والمحتسب (٢/ ١١٣)، وفي الحمزوية: «مسلم».

(٣) وهي شاذة، انظرها في: القرطبي (١٢/ ٢٨٣)، والبحر المحيط (٨/ ٥١)، وهي في الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٣) للزهري والعمري.

(٤) في المطبوع: «بالمجازات»، وكأنها جمع مجاز.

والضمير في ﴿عِندَهُۥ﴾ عائد على العمل.

وباقي الآية بيِّن، فيه توعدٌ وسُرعةُ الحساب من حيث هو بعلم لا تكلف فيه.

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ﴾ عطف على قوله: ﴿كَسَرَابِۭ﴾، وهذا المثال الأخير تضمن صفة أَعمالهم في الدنيا، أَي: أَنهم من الضلال ونحوه في مثل هذه الظلمة المجتمعة من هذه الأَشياء، وذهب بعض الناس إِلى أَن في هذا المثال أَجزاءً تقابل أَجزاءً من المُمَثَّل به، فقال: الظلمات: الأَعمال الفاسدة والمعتقدات الباطلة.

و«البَحْرُ اللُّجيُّ»: صدر الكافر وقلبه، واللُّجِّيُّ معناه: ذو اللُّجَّة، وهي معظم الماءِ وغمره، واجتماع مائه أَشدُّ لظُلْمَته، و«الموجُ»: هو الضلال أَو الجهالة التي غمرت قلبه، والفِكَر المعوجة، و«السَّحاب»: هو شهوته في الكفر وإِعراضه عن الإِيمان، وما رِين به على قلبه.

وهذا التأْويل سائغ، وأَن لَا يُقَدَّر هذا التقابل سائغ.

وقرأَ سفيان بن حسين: (أَوَ كَظُلُمَاتٍ) بفتح الواو[١].

وقرأَ جمهور السبعة: ﴿سَحَابٌ﴾ بالرفع والتنوين ﴿ظُلُمَٰتُۢ﴾ بالرفع[٢].

وقرأَ ابن كثير في رواية قنبل: ﴿سَحَابٌ﴾ بالرفع والتنوين ﴿ظُلُمَاتٍ﴾ بالخفض على البدل من (ظُلُمَاتٍ) الأَول.

وقرأَ ابن أَبي بزة عن ابن كثير: ﴿سَحَابُ﴾ بغير تنوين على الإِضافة إِلى ﴿ظُلُمَاتٍ﴾[٣].

وقوله: ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا﴾ لفظ يقتضي مبالغة الظُّلْمَة، واختلف الناس في هذا اللفظ، هل يقتضي أَن هذا الرجل ـ المقدر في هذه الأَحوال وأَخرج يده ـ رأَى

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: البحر المحيط (٨/ ٥٣).

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٦٢).

يده أَو لم يرها البَتَّة؟ فقالت فرقة: لم يرها جملة، وذلك أَن كادَ معناه قاربَ، فكأنه قال: إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لم يقارب رؤْيتها، وهذا يقتضي نفي الرؤْية جملة.

وقالت فرقة: بل رآها بعد عُسْر وشدَّة، وكاد أَلَّا يراها، ووجه ذلك أَن كادَ إِذا صحبها حرف النفي وجب الفعل الذي بعدها، وإِذا لم يصحبها انتفى الفعل.

وهذا لازم متى كان حرف النفي بعد كادَ داخلاً على الفعل الذي بعدها، تقول: كاد زيد يقوم، فالقيام منفي، فإِذا قلت: كاد زيد أَلَّا يقوم، فالقيام واجبٌ واقع، وتقول: كاد النعام يطير، فهذا يقتضي نفي الطيران عنه، فإِذا قلت: كاد النعام أَن لَا يطير، وجب الطيران له.

فإِذا كان حرف النفي مع كادَ فالأَمر محتمل، مرة يوجب الفعل، ومرة ينفيه، تقول: المفلوج لا يكاد يسكن، فهذا كلام صحيح تضمن نفي السكون، وتقول: رجل متكلم[1] لا يكاد يسكن، فهذا كلام صحيح يتضمن إِيجاب السكون بعد جهد ونادراً، ومنه قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] نَفْيٌ مع كادَ تضمن وجوب الذبح، وقوله في هذه الآية: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ نَفْيٌ مع كادَ يتضمن في أَحد التأْويلين نفي الرؤْية، ولهذا ونحوه قال سيبويه رحمه الله: إِن أَفعال المقاربة لها نحوٌ آخر[2] بمعنى أَنها دقيقة التصرف.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾:

قالت فرقة: يريد: في الدنيا، أَي: من لم يهده الله لم يهتد.

وقالت فرقة: أَراد: في الآخرة، أَي: من لم يرحمه الله ويُنَوِّر حاله بالعفو والرحمة فلا رحمة له، والأَول أَبين وأَليق بلفظ الآية، وأَيضاً فذلك متلازمٌ[3]، نور الآخرة إِنما

---

(١) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «متصرف».

(٢) انظر كلامه على أفعال المقاربة ومعانيها في الكتاب (٣/ ١٥٩) وما بعدها.

(٣) في لالاليه: «ملازم»، وفي الأصل: «لازم».

هو لمن نُوِّر قلبه في الدنيا وهُدِي، وقد قررت الشريعة أَن من مَرَّ لآخرته على كفره فهو غير مرحوم ولا مغفور له.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنبيهٌ، والرُّؤْيَةُ رؤْية الفكر.

قال سيبويه: كأَنه قال: انْتَبِهْ، الله يُسَبِّح له من في السماوات[(١)].

و«التسبيح» هنا: التعظيم والتنزيه، فهو من العقلاءِ بالنطق وبالصلاة من كل ذي دين.

واختُلف في تسبيح الطير وغير ذلك مما قد ورد الكتاب بتسبيحه:

فالجمهور على أَنه تسبيح حقيقي.

وقال الحسن وغيره: هو / لفظ تجوُّز، وإِنما تسبيحه بظهور الحكمة فيه، فهو ـ لذلك ـ يدعو إِلى التسبيح[(٢)]. [٤/ ١٠٤]

وقال المفسرون: قوله: ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ عامةٌ لكل شيءٍ، من له عقلٌ وسائر الجمادات، لكنه لمَّا اجتمع ذلك عبَّر عنه بـ﴿مَن﴾ تغليباً لحكم من يعقل.

و﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ معناه: مصطفة في الهواءِ.

وقرأَ الأَعرج: (وَالطَّيْرَ) بنصب الراءِ.

وقرأَ الحسن: (وَالطَّيْرُ صَافَّاتٌ) مرفوعتان[(٣)].

---

(١) الكتاب لسيبويه (٣/ ٤٠).

(٢) البحر المحيط (٨/ ٥٦).

(٣) وهما شاذتان، انظر الأولى في مختصر الشواذ (ص: ١٠٤)، والثانية في البحر المحيط (٨/ ٥٦)، وعزاها الهذلي في الكامل (ص: ٦٠٩) لخارجة عن نافع.

وقوله: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾، قال الحسن: المعنى: كلٌّ قد عَلِم صلاةَ نفسه وتسبيح نفسه، فهو يثابر عليهما ويؤديهما.

وقال مجاهد: الصلاة للبشر، والتسبيح لما عداهم[١].

وقالت فرقة: المعنى: كلٌّ قد علم صلاة الله وتسبيح الله اللَّذيْن أَمر بهما وهَدَى إِليهما، فهذه إِضافة خلق إِلى خالق.

وقال الزجاج وغيره: المعنى: كُلٌّ قَدْ عَلِمَ اللهُ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ، فالضميران للكُلِّ[٢].

وقرأَت فرقة: (عُلِمَ صَلاتُه وتَسبيحُه) بالرفع وبناءِ الفعل للمفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله، ذكرها أَبو حاتم[٣].

وقرأَ الجمهور: ﴿يَفْعَلُونَ﴾ بالياءِ، على معنى المبالغة في وصف قدرة الله وعلمه بخلقه.

وقرأَ عيسى، والحسن: (تَفْعَلُون) بالتاءِ من فوق[٤]، ففيه المعنى المذكور وزيادة الوعيد والتخويف من الله تعالى، وإِعلامٌ بَعْدُ بكون المُلْك على الإِطلاق له، وتذكيرُه بأَمر المصير إِليه والحَشْر يُقَوِّي معنى التخويف من الله تعالى.

وفي مصحف أُبي بن كعب، وابن مسعود: (وَاللهُ بَصيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)[٥].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (٤٣) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (٤٤)﴾.

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٢٠٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦١٦)، وتفسير الماوردي (٤/ ١١٢).
(٢) معاني القرآن وإعرابه له (٤/ ٤٨-٤٩).
(٣) وهي شاذة نسبها في مختصر الشواذ (ص: ١٠٤) لقتادة، وكتاب أبي حاتم لم أقف عليه.
(٤) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ١٠٤).
(٥) وهي شاذة، لم أجد له فيها سلفاً ولا خلفاً.

الرُّؤْيَةُ في هذه الآية رؤْية عيْن، والتقدير: أَن أَمْر الله وقدرته.

و﴿ يُـزْجِى ﴾ معناه: يسوق، والإِزْجاءُ إِنما يستعمل في سَوْقِ كلِّ ثقيل ومدافعته كالسحاب والإِبل المزاحيف، كما قال الفرزدق:

.... عَلَى مَزَاحِفَ تُزْجِيهَا مَحَاسِير[1] [البسيط]

والبضاعةُ المُزْجَاةُ: التي تحتاج من الشفاعة والتحسين إِلى ما هو كسَوْقِ الثقيل، ومنه قول حبيب في الشيب: وَنَحْنُ نُزَجِّيهِ[2].

وسيبويه أَبداً يقول في كلامه: فأَنت تزجيه إِلى كذا، أَي تسوقه ثقيلاً متباطئاً[3].

وقوله: ﴿يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ أَي بين مفترق السحاب نفسه؛ لأَن مفهوم السحاب يقتضي أَن بينه فروجاً، وهذا كما تقول: جلست بين الدور، ولو أُضيفت «بين» إِلى مفرد لم يصح إِلَّا أَن تريد آخر، لا تقول: جلست بين الدار إِلا أَن تريد: وبين كذا.

وورش عن نافع لا يهمز ﴿يُوَلِّفُ﴾.

وقالون عن نافع، والباقون يهمزون ﴿يُؤَلِّفُ ﴾، وهو الأَصل[4].

و«الرُّكَامُ»: الذي يركب بعضه بعضاً ويتكاثف، والعرب تقول: إِن الله تعالى إِذا جعل السحاب ركاماً بالريح عصر بعضُه بعضاً فخرج الودق منه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ [النبأ: ١٤]، ومن ذلك قول حسان بن ثابت:

كِلْتَاهُمَـا حَلبُ الْعَصِيـرِ فَعَاطِنِي ... بِزُجَاجَـةٍ أَرْخَاهُمَـا لِلْمَفْصِلِ[5] [الكامل]

---

(١) تقدم في تفسير الآية (٨٨) من سورة يوسف، وذكر الرواية الأخرى فيه وهي: مخها رير.

(٢) يشير لقول أبي تمام كما في حماسة الظرفاء (١/ ٦): ونحن نُزجِّيه على الكُرهِ والرِّضَا * وأنفُ الفَتَى من وجهِهِ وهو أجدَعُ.

(٣) لم أجد مثل هذا في الكتاب ولا من نقله عنه.

(٤) وهما سبعيتان، انظر قاعدة ورش في التيسير (ص: ٣٤).

(٥) انظر نسبته له في الأغاني (٩/ ٣٢٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤١٦)، والمحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٣٣٠).

ويُـروى لِلمفْصَـل بكسـر الميـم وفتـح الصـاد، فالمِفْصَـلُ: واحـد الْمَفَاصِل، والمَفْصِل: اللِّسَـان، ويروى بالقاف، أَراد حسَّـان: الخمر والماءَ الذي مزجت به، أَي: هذه من عصر العنب وهذه من عصر السحاب، فسَّر هذا التفسير قاضي البصرة عبد الله ابن الحسن العنبري للقوم الذين حلف صاحبهم بالطلاق أَن يسأَل القاضي عن تفسير بيت حسان(١).

و﴿ٱلْوَدْقَ﴾: المطر، ومنه قول الشاعر:

[المتقارب] فَـلَا مُـزْنَـةٌ وَدَقَـتْ وَدْقَـهَـا وَلَا أَرْضَ أَبْـقَـلَ إِبْقَـالَهَـا(٢)

وقرأَ جمهور الناس: ﴿مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ وهو جمع خَلَل، كَجَبَل وجبال.

وقرأَ ابن عباس، والضحاك: (مِنْ خَلَلِه) (٣).

وقرأَ عاصم، والأَعرج: ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ على المبالغة، والجمهور على التخفيف(٤).

وقوله: ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ قيل: تلك حقيقة، وقد جعل الله تعالى في السماءِ جبالاً مِنْ بَرَدٍ.

وقالت فرقة: ذلك مجاز، وإِنما أَراد وصف كثرته، وهذا كما تقول: عند فلان جبالٌ من المال، أَو جبالٌ من العلم، أَي في الكثرة مثل الجبال.

وحُكي عن الأَخفش تقديره زيادة ﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾(٥)، وهو قول ضعيف.

و﴿من﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ هي لابتداءِ الغاية، وفي قوله: ﴿مِن جِبَالٍ﴾ هي للتبعيض، وفي قوله: ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾ هي لبيان الجنس.

---

(١) انظر بعض هذه الروايات في الأغاني (٩/ ٣٢٩)، والقصة في درة الغواص (ص: ١٤٢).

(٢) البيت لعامر بن جُوَيْن الطَّائي كما تقدم في تفسيرالآية (٤٢) من سورة الإسراء.

(٣) انظر نسبتها لهما في تفسير الثعلبي (٧/ ١١٢).

(٤) ليس كذلك فالتشديد للجمهور، والتخفيف لابن كثير وأبي عمرو على قاعدتهما التي تقدمت مراراً.

(٥) انظر معاني القرآن للأخفش (١/ ٢٧٦).

والسَّنا مقصوراً: الضوءُ، والسَّناءُ ممدوداً: المجد والارتفاع في المنزلة.

وقرأَ الجمهور: ﴿سَنَا﴾ بالقصر، وقرأَ طلحة بن مصرف: (سَنَاءُ) بالمدِّ والهمز.

وقرأَ طلحة أيضاً: (بُرَقِهِ) بضم الباءِ وفتح الراءِ[١]، وهي جمع بُرْقة ـ بضم الباءِ وسكون الراءِ ـ فُعْلة، وهي القدر من البرق، كلُقْمَة ولُقَم وغُرْفَة وغُرَف.

وقرأَ الجمهور: ﴿يَذْهَبُ﴾ بفتح الياءِ.

وقرأَ أَبو جعفر: ﴿يُذْهِبُ﴾ بضمها[٢]، من أَذهب، كأَن التقدير: يُذهب النفوس بالأَبصار، نحو قوله: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، ويحتمل أَن يكون كقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ [الحج: ٢٥] فالباءُ زائدة دالة على فعل يناسبها.

ثم اقتضت أَلفاظُ الآية الإِخبارَ عن تقلب الليل والنهار، والإِتيان بهذا بعد هذا دون توطئة، وهذا هو الذي تعجز عنه الفصحاءُ حتى يقع منهم التخليط في الأَلفاظ والتوطئة بالكلام.

وباقي الآية بَيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَاءٍ فَمِنْهُم مَن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٥) لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٦) وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُم مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُم مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِن يَكُن لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠)﴾.

هذه آية اعتبار.

---

(١) وهما شاذتان انظر نسبتهما له في مختصر الشواذ (ص: ١٠٤).

(٢) وهي عشرية انظر نسبتها له في: النشر (٢/ ٣٣٢).

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿وَاللهُ خَالِقُ كُلِّ﴾، على الإضافة، وقرأ الجمهور: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ﴾[١].

[٤/ ١٠٥] و«الدَّابةُ»: كلُّ ما يدبُّ / من الحيوان، أَي: تحرك متنقلاً أَمامهُ قُدُماً، ويدخل فيه الطير إِذ قد يدبُّ، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] .... دَبِيبَ قَطَا الْبَطْحَاءِ فِي كُلِّ مَنْهَلِ[٢]

ويدخل فيه الحوت، وفي الحديث: «دابَّةٌ من البحر مثل الظَّرب»[٣].

وقوله: ﴿مِّن مَّآءٍ﴾ قال النقاش: أَراد أَمْنِيَة الذكور[٤].

وقال جمهور النَّظَرة: أَراد أَن خِلْقَةَ كل حيوان فيها ماء كما خلق آدم من الماءِ والطين»[٥].

وعلى هذا يتخرج قول النبي ﷺ للشيخ الذي سأَله في غزاة بدر: ممن أَنتما؟ فقال النبي ﷺ: «نحن من ماء» الحديث[٦].

والمشي على البطن للحيَّات والحوت ونحوه من الدود وغيره، وعلى الرِّجْلَيْن للإِنسان والطير إِذا مشى، والأَربع لسائر الحيوان.

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (ومنهم من يمشي على أَكثر)[٧].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٥٧).

(٢) وصدره: نيافٌ كغصن البان ترتج إن مشت، وتقدم الاستشهاد به في تفسير الآية (١٦٤) من سورة البقرة.

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٥١) من حديث جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما، به.

(٤) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٩١).

(٥) انظر: تفسير الماوردي (٤/ ١١٤)، وتفسير ابن السمعاني (٣/ ٥٤٠).

(٦) معضل، أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص: ٥١٩ ـ ابن هشام) قال: حدثني محمد بن يحيى بن حبان، فذكره معضلاً به.

(٧) وهي شاذة، انظر عزوها له في تفسير السمعاني (٣/ ٥٤٠)، وغرائب التفسير للكرماني (٢/ ٨٠٣).

فعمَّ بهذه الزيادة جميع الحيوان، ولكنه قرآن لم يثبته الإِجماع، لكن قال النقاش: إِنما اكتفى القول بذكر ما يمشي على أَربع عن ذكر ما يمشي على أَكثر لأَن جميع الحيوان إِنما اعتماده على أَربع، وهي قوام مشيه، وكثرة الأَرجل في بعضه زيادة في الخِلْقة لا يحتاج ذلك الحيوان في مشيه إِلى جميعها[(١)].

قال القاضي أَبو محمد: والظاهر أَن تلك الأَرجل الكثيرة ليست باطلاً؛ بل هي محتاج إِليها في تنقل الحيوان، وهي كلها تتحرك في تصرفه.

وقوله: ﴿ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ﴾ يعم كلَّ ما نصب الله تعالى من آية وصَنْعَة للعبرة، وكلَّ ما نص في كتابه من آيةٍ تنبيه وتذكير، وأَخبر تعالى أَنه أَنزل الآيات ثم قيَّد الهداية إِليها لأَنه من قِبَله لبعض دون بعض.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ الآية، نزلت في المنافقين، وسببها فيما روي: أَن رجلاً من المنافقين اسمه بشر كان بينه وبين رجل من اليهود خصومة، فدعاه اليهودي إِلى التحاكم عند رسول الله ﷺ، وكان المنافق مبطلاً، فأَبى من ذلك ودعا اليهودي إِلى كعب بن الأَشرف، فنزلت هذه الآية فيه[(٢)].

وأَسند الزهراوي عن الحسن بن أَبي الحسن أَنه قال: من دعاه خصمه إِلى حكم من حكام المسلمين فلم يجب فهو ظالم[(٣)].

و﴿مُذْعِنِينَ﴾ أَي مظهرين للانقياد والطاعة، وهم إِنما فعلوا ذلك حيث أَيقنوا بالنُّجح، وأَما إِذا طُلبوا بحق فهم عنه معرضون، ثم وَقَفَهم تعالى على أَسباب فعلهم توقيف توبيخ، أَي لِيُقِرُّوا [بأَحد هذه الوجوه التي عليهم في الإِقرار بها ما عليهم، وهذا

---

(١) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٩٢).

(٢) لم أقف عليه مسنداً.

(٣) نقله عنه في تفسير القرطبي (١٢/ ٢٩٤)، لكن جعله مرفوعاً مرسلاً، ثم نقل عن ابن العربي أنه باطل.

التوقيف يستعمل في الأُمور الظاهرة][(١)] مما يُوبَّخ به أَو مما يُمدح به، فهو بليغ جداً، ومنه قول جرير:

[الوافر] أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا[(٢)] ....

ثم حكم عليهم بأَنهم هم الظالمون، وقال: ﴿أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ من حيث الرسول إِنما يحكم بأَمر الله وشرعه، والحَيْف: المَيْلُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾.

قرأ الجمهور: ﴿قَوْلَ﴾ بالنصب.

وقرأ علي بن أَبي طالب رضي الله عنه، والحسن، وابن أَبي إِسحاق: (قَوْلُ) بالرفع، واختلف عنهما[(٣)].

قال أَبو الفتح: شرط «كان» أَن يكون اسمها أَعرف من خبرها، فقراءَة الجمهور أَقوى.

والمعنى: إِنما كان الواجب أَن يقوله المؤمنون إِذا دُعوا إِلى حكم الله ورسوله: سمعنا وأَطعنا، فـ﴿كَانَ﴾ هذه ليست إِخباراً عن الماضي، وإِنما هي كقول الصِّدِّيق

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) عجزه: وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ، انظر نسبته له في مجاز القرآن (١/ ١٨٤)، والأغاني (٨/ ٩)، والأمالي للقالي (٣/ ٤٥).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها لهم مع التوجيه الآتي في المحتسب (٢/ ١١٥).

رضي الله عنه: ما كان لابن أَبي قحافة أَن يصلي بين يدي رسول الله ﷺ[١].

وجُعل الدعاءُ إِلى الله من حيث هو إِلى شرعه ودينه.

وقرأَ الجمهور: ﴿لِيَحْكُمَ﴾ على بناءِ الفعل للفاعل، وقرأَ أَبو جعفر، والجَحْدَري، وخالد بن إِلياس، والحسن: ﴿لِيُحْكَمَ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول[٢].

و﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: البالغون آمالهم في دنياهم وآخرتهم.

و«جَهْدُ الْيَمِينِ»: بلوغ الغاية في تعقيدها.

و﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾ معناه: إِلى الغزو، وهذه في المنافقين الذين تولَّوا حين دُعوا إِلى الله ورسوله.

وقوله: ﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ يحتمل معاني:

أَحدها النهي عن القَسَم الكاذب؛ إِذ قد عرف أَن طاعتهم دغْلَةٌ رديَّةٌ، فكأَنه يقول: لا تُغالطوا فقد عرف ما أَنتم عليه.

والثاني أَن يكون المعنى: لا تتكلفوا القسم، طاعة عرف[٣] متوسطة على قدر الاستطاعة أَمْثل وأَجْدى عليكم، وفي هذا الوجه إِبقاءٌ عليهم.

والثالث أَن يكون المعنى: لا تقنعوا بالقسم، طاعة تُعرف منكم وتظهر عليكم هو المطلوب منكم.

والرابع أَن يكون المعنى: لا تقنعوا لأَنفسكم بإِرضائنا بالقسم، طاعة الله معروفة، وشرعه وجهاد عدوه مَهْيَعٌ لائح.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٥٢) ومسلم (٤٢١) من حديث سهل بن سعد الساعدي، رضي الله عنه، به.

(٢) وهي عشرية، انظر عزوها لأبي جعفر في النشر (٢/ ٢٢٧)، وللباقين في البحر المحيط (٨/ ٦٢).

(٣) في نور العثمانية: «لا تجعلوا القسم طاعة معرفة»، وفي نجيبويه: «لا تكلفوا أنفسكم طاعة».

وقولـه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ﴾ متصـل بقولـه: ﴿قُل لَّا تُقْسِمُواْ﴾، و﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ اعتراضٌ بليغ.

وقوله: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ الآية مخاطبةٌ لأُولئك المنافقين وغيرهم من الكفار، وكلٍّ من يتعتَّى على أَمر محمد ﷺ.

وقوله: ﴿تَوَلَّوْاْ﴾ معناه: تَتَوَلَّوْا، محذوف التاءِ الواحدة، يدل على ذلك قوله: ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾، ولو جعلنا ﴿تَوَلَّوْاْ﴾ فعلاً ماضياً وقدرنا في الكلام خروجاً من خطاب الحاضر إِلى ذكر الغائب لاقتضى الكلامُ أَن يكون بعد ذلك: وعليهم ما حُمِّلُوا.

والذي حُمِّل رسول الله ﷺ: هو التبليغ، ومكافحة الناس بالرسالة، وإِعْمال الجهد في إِنذارهم، والذي حُمِّل الناسُ: هو السمع والطاعة واتِّباع الحق.

وباقي الآية بيِّنٌ.

وقرأَ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، ونافع في رواية ورش: ﴿وَيَتَّقِهِي﴾ بياءٍ بعد الهاء.

قال أَبو عليٍّ: وهو الوجه/ . [٤/ ١٠٦]

وقرأَ قالون عن نافع: ﴿وَيَتَّقِهِ﴾ بكسر الهاءِ، لا يبلغ بها الياءَ.

وقرأَ أَبو عمرو، وابن عامر، وعاصم في رواية أَبي بكر: ﴿وَيَتَّقِهْ﴾ جزماً للهاءِ.

وقرأَ حفص عن عاصم: ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ بسكون القاف وكسر الهاءِ[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾.

---

(١) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٦٢)، وزاد لخلاد وجهاً كأبي عمرو، وانظر قول أبي علي في الحجة (٥/ ٣٢٧).

قرأ الجمهور: ﴿ٱسۡتَخۡلَفَ﴾ على بناءِ الفعل [للفاعل.

وقرأ أبو بكر عن عاصم والأعرج: ﴿استُخلِف﴾ على بناء الفعل] للمفعول[(١)].

وروي أَن سبب هذه الآية: أَن بعض أَصحاب النبي ﷺ شكا جهد مكافحة العدو، وما كانوا فيه من الخوف على أنفسهم، وأَنهم لا يضعون أَسلحتهم، فنزلت هذه الآية عامة لأُمة محمد ﷺ[(٢)].

وقوله: ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يريد: في البلاد التي تجاورهم، والأَصقاع التي قضى بامتدادهم إِليها، واستخلافُهم: هو أَن يُمَلِّكهم البلاد ويجعلهم أَهلها، كما جرى في الشام وفي العراق وخراسان والمغرب.

وقال الضحاك في كتاب النقاش: هذه الآية تتضمن خلافة أَبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم لأَنهم أَهل الإِيمان وعمل الصالحات[(٣)].

وقد قال رسول الله ﷺ: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»[(٤)].

والصحيح في الآية أَنها في استخلاف الجمهور.

واللام في قوله: ﴿لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ﴾ لام القَسَم.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وابن عامر: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾ بفتح الباءِ وشدِّ الدال، وقرأَ ابن كثير، وعاصم في رواية أَبي بكر، والحسن، وابن محيصن بسكون الباءِ وتخفيف الدال[(٥)].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٦٢)، وما بين معقوفين ساقط من الأصل.

(٢) مرسل، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٠٩) من طريق أبي العالية، عن النبي ﷺ، به مرسلًا.

(٣) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٩٧).

(٤) غريب حسن، أخرجه الإمام أحمد (٣٦/ ٢٤٨)، وأبو داود (٤٦١٤)، والترمذي (٢٣٧٥)، والنسائي في الكبرى (٨١٥٥) كلهم من طريق سعيد بن جمهان، عن سفينة مولى رسول الله ﷺ، مرفوعاً به، قال الترمذي: هذا حديث حسن، قد رواه غير واحد عن سعيد بن جمهان، ولا نعرفه إلا من حديثه.

(٥) غير متقن، فهما سبعيتان، وبقي من الأولى نافع وحفص وأبو عمرو، انظر: التيسير (ص: ١٦٢).

وجاءَ في معنى تبديل خوفهم بالأَمن أَن رسول الله ﷺ لمَّا قال أَصحابه: يأْتي علينا يوم نأْمن فيه ونضع السلاح؟ قال رسول الله ﷺ: «لا تغبرون إِلا قليلاً حتى يجلس الرجل منكم في الملإِ العظيم محتبياً ليس فيه حديدة»(١).

وقوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ فعل مستأْنف، أَي: هم يعبدونني.

وقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ يحتمل أن يريد: كفر هذه النعم إِذا وقعت، ويكون الفسق على هذا غير المُخرج عن المِلَّة، قال بعض الناس في كتاب الطبري: ظهر ذلك في قَتَلة عثمان رضي الله عنه(٢).

ويحتمل أَن يريد: الكفر والفسق المُخْرِجَيْن عن المِلَّة، وهو ظاهر قول حذيفة بن اليمان، فإِنه قال: كان على عهد النبيّ ﷺ نفاق وقد ذهب، ولم يبق إِلا كفر بعد إِيمان(٣).

ولمَّا قدَّم تعالى عَمَل الصالحات بَيَّنها في هذه الآية، فَنَصَّ على عُظْمها وهي إِقامة الصلاة وإِيتاءُ الزكاة، وعَمَّ بطاعة الرسول لأَنها عامة لجميع الطاعات.

و﴿لَعَلَّكُمْ﴾: معناه: في حقكم ومعتقدكم.

ثم أَنحى القول على الكفرة بأَن نبَّه على أَنهم ليسوا بِمُفْلِتِين من عذاب الله تعالى.

وقرأَ جمهور السبعة: ﴿لا تحسِبن﴾ بالتاءِ على المخاطبة للنبي ﷺ، وقرأَها الحسن بن أَبي الحسن بفتح السين، وقرأَ حمزة، وابن عامر: ﴿لَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياءِ(٤).

---

(١) ضعيف مرسل، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٠٩) وابن أبي حاتم (١٤٧٧٢) في تفسيرهما من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، مرسلاً به.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٢٠٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٢١٠) وابن أبي حاتم (١٤٧٦٢) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الشعثاء، عن حذيفة، رضي الله عنه، به. وإسناده مستقيم إذا سلم من تدليس حبيب.

(٤) وفتح السين، وهي ثلاث قراءات سبعية، والثانية بالتاء مع الفتح لعاصم فعزوها للحسن قصور، انظر التيسير (ص: ١٦٣).

قال أَبو علي: وذلك يحتمل وجْهَين:

أَحدهما أَن يكون التقدير: لا يحسبن محمد.

والآخر أَن يسند الفعل إِلى الذين كفروا، والمفعول أَنفسهم[١].

وأَعْجَزَ الرجل: إِذا ذهب في الأَرض فلم يُقْدَر عليه، ثم أَخبر بأن مثواهم النار، وأَنها بئس الخاتمة والمصير.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾.

قال ابن عمر: ﴿ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ﴾ يُراد به الرجال خاصةً[٢]، وقال أَبو عبد الرحمن السُّلَمي: يرادُ به النساء خاصةً، وسبيل الرجال أَن يستأْذنوا في كل وقت، وحكى الزهراوي عن ابن عمر نحوه، وقيل: الرجال والنساءُ كلُّهم مرادٌ، ورجَّحه الطبري[٣].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ٱلْحُلُمَ﴾ بضم اللام.

[وقرأَ الحسن ابن أَبي الحسن: (الْحُلْمَ) بسكون اللام][٤]، وكان أَبو عمرو يستحسنها.

وهذه الآية مُحْكَمَةٌ، قال ابن عباس وغيره[٥]: تركها الناس، وكذلك تَرَكَ الناسُ

(١) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٣٣٢).

(٢) هذا الأثر أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٠٥٧)، وابن جرير الطبري (١٩/ ٢١١) من طريق ليث بن أبي سليم، عن نافع به.

(٣) انظره مع القولين قبله في تفسير الطبري (١٩/ ٢١١)، ونقل الزهراوي لم أجده.

(٤) سقط من الأصل، وهي شاذة، عزاها الهذلي في الكامل (ص: ٦٠٩) لعبد الوارث واللؤلؤي عن عباس، وطلحة، والحسن.

(٥) من نور العثمانية.

قوله: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٣]، فأَبى الناس إِلَّا أَن الأَكرم هو الأَنسب(١).

وهذه العبارة بـ«ترك»(٢) إِغْلاظٌ وزجرٌ، إِذ لم تُلْتَزَم حق الالتزام، وإِلاَّ فما قال الله تعالى هو المعتقد في ذلك عند العلماءِ المكتوب في تواليفهم، أَعني أَن الكرم التقوى، وأَما أَمر الاستئذان فإِن تغيير المباني والحُجُب أَغنت عن كثير من الاستئذان، وصيرته على حدٍّ آخر، وأَين أَبواب المنازل اليوم من مواضع النوم؟ وقد ذكر المهدوي عن ابن عباس أَنه قال: كان العمل بهذه الآية واجباً إِذ كانوا لا غَلَقَ ولا أَبواب، ولو عادت الحال لعاد الوجوب(٣).

قال القاضي أَبو محمد: فهي الآن واجبة في كثير من مساكن المسلمين في البوادي والصحارى ونحوها.

ومعنى الآية عند جماعة من العلماءِ: أَن الله تعالى أَدَّب عباده بأَن يكون العبيدُ ـ إِذْ لا بالَ لهم ـ والأَطفال الذين لم يبلغوا الحُلُم إِلَّا أَنهم عقلوا معاني الكشفة ونحوها، يستأْذنون على أَهليهم في هذه الأَوقات الثلاثة، وهي الأَوقات التي تقتضي عادةُ الناس الانكشاف فيها وملازمة التَّعري في المضاجع، وهي: عند الصباح؛ لأَن الناس في ذلك

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٧٨٩) في تفسيره، من طريق عبد الله بن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وهذا إسناد ضعيف، عبد الله بن لهيعة، ضعيف الحديث، وشيخه عطاء بن دينار، متكلم في روايته عن سعيد بن جبير، انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ٦٧).

(٢) زاد في المطبوع هنا: «الناس»، قال في الحاشية: واضح أن المقصود هو ما ذكرناه وأن كلمة الناس سقطت من النُّسَّاخ.

(٣) انظر ما حكاه المهدوي عن ابن عباس في التحصيل (٤/ ٥٦٠)، وتفسير القرطبي (١٢/ ٣٠٢)، والصحيح عن ابن عباس بخلافه، أخرجه أبو داود (٥١٥٠) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٧٨٧) من طريق عمرو بن أبي عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، لكن قال أبو داود عقبه: «حديث عبيد الله وعطاء يفسد هذا». يعني ما أورده قبل هذا من رواية عبيد الله بن أبي يزيد وتابعه عطاء كلاهما عن ابن عباس أنه قال: لم يأمر بها أكثر الناس آية الإذن وإني لآمر جاريتي هذه تستأذن علي.

الوقت عراة في مضاجعهم، وقد ينكشف النائم، فمن مشى ودخل وخرج فحكمه أن يستأذن لئلا يطلع على ما يجب ستره، وكذلك في وقت القائلة ـ وهي الظهيرة ـ لأَن النهار يظهر فيها إِذا عَلَا واشتد حرُّه، وبعد العشاءِ لأَنه وقت التعري للنوم والتبذُّل للفراش.

وأَما/ في غير هذه الأَوقات التي هي عورة، أَي ذات انكشاف، فالعرف من الناس التَّحرُّز والتَّحفُّظ، فلا حرج في دخول هذه الصنيفة بغير إِذن؛ إِذ هم طوَّافون يمضون ويجيئون لا يجد الناس بُدّاً من ذلك. [٤/ ١٠٧]

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (طَوَّافِينَ) بالياءِ[١].

وقال الحسن: إِذا أَبات الرجل خادمه معه فلا استئذان عليه، ولا في هذه الأَوقات الثلاثة[٢].

وقوله: ﴿بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿طَوَّٰفُونَ﴾.

و﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾[٣] نصب على الظرف؛ لأَنهم لم يُؤمَروا بالاستئذان ثلاثاً، إِنما أُمروا بالاستئذان في ثلاثة مواطن، فالظرفية في ﴿ثَلَٰثَ﴾ بيِّنةٌ.

وقرأَ جمهور السبعة: ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ﴾ برفع ﴿ثَلَٰثُ﴾، وهذا[٤] على الابتداء.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وأَبو بكر عن عاصم: ﴿ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ﴾ بنصب ﴿ثَلَاثَ﴾[٥]، وهذه على البدل من الظرف في قوله: ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾[٦]، وهذا البدل إِنما يصح معناه بتقدير: أَوقات ثلاث عورات، فحذف المضاف وأَقيم المضاف إِليه مُقَامه.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٥).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٢١٣).

(٣) في المطبوع: «ثلاث عورات»، ولعله سبق نظر.

(٤) في المطبوع: «وكذا».

(٥) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٦٣)، والسبعة (ص: ٤٥٩).

(٦) في الأصل: «ثلاث عورات».

و﴿عَوْرَاتٍ﴾: جمع عورة، وبابه في الصحيح أَن يجيءَ على فَعَلاتٍ بفتح العين، كَجَفْنَة وَجَفَنَاتٍ ونحو ذلك، وسكَّنوا العين في المعتل كَبَيْضَةٍ وَبَيْضَاتٍ وجَوْبَةٍ وَجَوْبَاتٍ ونحوه، لأَن فتحه داعٍ إِلى اعتلاله فلم يفتح لذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾.

المعنى: أَن الأَطفال أُمروا بالاستئذان في الأَوقات الثلاثة المذكورة، وأُبيح لهم الأَمر في غير ذلك من الأَوقات، ثم أَمر تعالى في هذه الآية أَن يكونوا ـ إِذا بلغوا الحلم ـ على حكم الرجال في الاستئذان في كل وقت، وهذا بيان من الله عزَّ وجلَّ.

وقوله: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ﴾ يريد النساءَ اللاتي قد أَسْنَنَّ وقعدن عن الولد، واحِدَتُهُنَّ قاعد.

وقال ربيعة: هي هنا التي تُسْتقذر من كبرها، قال غيره: وقد تقعد المرأَة عن الولد وفيها مسْتَمتع، فلما كان الغالب من النساء أَن ذوات هذا السن لا مذهب للرجال فيهن أُبيح لهنَّ ما لم يُبح لغيرهن، وأُزيل عنهن كلفة التحفظ المتعب؛ إِذ علَّة التحفظ مرتفعة منهن(١).

وقرأَ ابن مسعود: (أَنْ يَضَعْنَ مِن ثِيَابِهِنَّ)، وهي قراءَة أُبيّ.

وروي عن ابن مسعود أَيضاً: (مِن جَلَابِيبِهِنَّ)(٢).

والعرب تقول: امرأَة واضع للتي كبرت فوضعت خمارها، ثم استثنى عليهن في وضع الثياب أَلا يقصدن به التبرج وإِبداءَ الزينة، فرُبَّ عجوز يبدو منها الحرص على أَن

(١) انظر القولين في تفسير البغوي (٣/ ٤٢٩).

(٢) وهما شاذتان، انظر نسبة الأولى لأبي في تفسير الطبري (١٨/ ١٦٧)، ولابن مسعود في تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٤٢)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٥٥٦)، والثانية في الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٥).

يظهر لها جمال ونحو هذا مما هو أَقبح الأَشياءِ وأَبعده عن الحق.

و«التَّـبَـرُّج»: طلب البُدُوِّ والظهور، ومنه: ﴿فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، وأَصل ذلك بروج السماءِ والأَسوار، والذي أُبيح وضعه لهذه الصنيفة الجلبابُ الذي فوق الخمار والرداءِ، قاله ابن مسعود[١]، وابن جبير، وغيرهما[٢].

ثم ذكر تعالى أَن تحفُّظ الجميع منهن واستعفافهن عن وضع الثياب والتزامهن ما يلتزمه الشباب من الستر، أَفضل لهن وخيرٌ.

وقرأَ ابن مسعود: (وَأَنْ يَتَعَفَّفْنَ) بغير سين[٣].

ثم ذكر تعالى أَنه سميع لما يقول كلُّ قائل وقائلة، عليم بمقصد كلِّ أَحد في قوله، وفي هاتين الصفتين توعُّد وتحذير، والله الموفق للصواب برحمته.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦١)﴾.

اختلف الناسُ في المعنى الذي رفع الله فيه الحرج عن الأَصناف الثلاثة، فظاهر

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٢١٧) من طريق الأعمش، عن مالك بن الحارث، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن ابن مسعود، رضي الله عنه، به، وهذا إسناد صحيح، إن سلم من تدليس الأعمش.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٢١٦-٢١٧).

(٣) وهي شاذة، نسبتها له في: تفسير القرطبي (١٢/ ٣١٠)، وفي الإماراتية والحمزوية ولالاليه ونور العثمانية: «يعففن»، وكذا عزاها له في مختصر الشواذ (ص: ١٠٣).

الآية وأَمر الشريعة: أَن الحرج مرفوع عنهم في كل ما يضطرهم إِليه العذر، وتقتضي نيتهم الإِتيان فيه بالأَكمل، ويقتضي العذر أَن يقع منهم الأَنقص، فالحرج مرفوع عنهم في هذا.

فأَما ما قال الناس في هذا الحرج هنا، فقال ابن زيد: هو الحرج في الغزو، أَي: لا حرج عليهم في تأَخرهم، وقوله: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ الآية معنى مقطوع من الأَول[١].

وقالت فرقة: الآية كلها في معنى المطاعم، قالت: وكانت العرب ومَنْ بالمدينة قبل المبعث تتجنب الأَكل مع أَهل الأَعذار، فبعضهم كان يفعل ذلك تقذراً لِجَوَلان اليد من الأَعمى، ولانْبساط الجلسة من الأَعرج، ولرائحة المريض وعِلَّاته، وهي أَخلاق جاهلية وَكِبْر، فنزلت الآية مؤدِّبة.

وبعضهم كان يفعل ذلك تحرجاً من غير أَهل الأَعذار؛ إِذ هم مقصورون في الأَكل عن درجة الأَصحاء، لعدم الرؤْية في الأَعمى، وللعجز عن المزاحمة في الأَعرج، ولضعف المريض، فنزلت الآية في إِباحة الأَكل معهم.

وقال ابن عباس في كتاب الزهراوي: إِن أَهل هذه الأَعذار تحرجوا في الأَكل مع الناس لأَجل عذرهم فنزلت الآية مبيحة لهم[٢].

وقال ابن عباس أَيضاً: الآية من أَولها إِلى آخرها إِنما نزلت بسبب أَن الناس لما نزلت: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨] قالوا: لا مال أَعز من الطعام، وتحرَّجوا من أَن يأْكل أَحد مع هؤلاءِ فيغبنهم في الأَكل فيقع في أَكل المال بالباطل، وكذلك تحرجوا عن أَكل طعام القرابات لذلك، فنزلت الآية مبيحة جميع هذه المطاعم، ومُبَيِّنَةً أَن تلك إِنما هي في التعدِّي/ والقمارِ وكل ما يأْكله المرءُ من مال الغير والغيرُ كاره، أَو بصفة فاسدة ونحوه[٣]. [٤/ ١٠٨]

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٢٢١)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١١٨).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) إسناده جيد، الأثر أخرجه أبو داود (٣٧٤٧) من طريق علي بن حسين بن واقد، عن أبيه، عن يزيد =

وقال عُبَيْد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: قوله في الأَصناف الثلاثة إِنما نزل بسبب أَن الناس كانوا إِذا نهضوا إِلى الغزو وخلَّفوا أَهل العذر في منازلهم وأَموالهم، فكان أَهل العذر يتجنبون أَكل مال الغائب، فنزلت الآية مبيحة لهم أَكل الحاجة من طعام الغائب إِذا كان الغائب قد بنى على ذلك(١).

وقيل: كان الرجل إِذا ساق أَهل العذر إِلى بيته فلم يجد فيه شيئاً ذهب بهم إِلى بيت قرابته، فتحرَّج أَهل الأَعذار من ذلك فنزلت الآية(٢).

وذكر الله تعالى بيوت القرابات وسقط منها بيوت الأَبناءِ، فقال المفسرون: ذلك داخل(٣) في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بُيُوتِكُمۡ﴾؛ لأن بيت ابن الرجل بيته.

وقرأَ طلحة بن مصرف: ﴿إِمَّهَاتِكُمْ﴾ بكسر الهمزة(٤).

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ يعني ما حُزْتُم وصار في قبضتكم، فعُظْمه ما ملكه الرجل في بيته وتحت غَلَقِه، وذلك هو تأْويل الضحاك ومجاهد(٥)، وعند جمهور المفسرين يدخل في الآية الوكلاءُ والعبيد والأُجراءُ بالمعروف.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿مَلَكۡتُم﴾ بفتح الميم واللام.

وقرأَ سعيد بن جُبير: (مُلِّكْتُمْ) بضم الميم وكسر اللام وشدها(٦).

= النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، علي بن حسين بن واقد لا بأس به، انظر تهذيب الكمال (٢٠/ ٤٠٦).

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٢٢٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٥٥٧)، بتصرف.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري (١٩/ ٢٢٠) من قول مجاهد.

(٣) في لالاليه: «ذلك لأنها داخلة»... إلخ.

(٤) هي سبعية للكسائي، وزاد حمزة كسر الميم، كما تقدم، انظر: السبعة (ص: ٢٢٨).

(٥) راجع تفسير الطبري (١٩/ ٢٢١).

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: تفسير الثعلبي (٧/ ١١٩).

وقرأ جمهور الناس: ﴿مَفَاتِحَهُۥٓ﴾، وقرأ سعيد بن جبير: (مَفَاتِيحَهُ) بياءٍ بين التاءِ والحاءِ، الأُولى على جمع مَفْتح، والثانية على جمع مِفْتَاح، وقرأ قتادة: (مَلَكْتُمْ مِفْتَاحَهُ) [١].

وقَرَن تعالى في هذه الآية الصَّديق بالقرابة المحضة الوَكيدَة؛ لأَن قرب المودة لصيق.

قال معمر: قلتُ لقتادة: أَلا أَشربُ من هذا الجب[٢]؟ فقال: أَنت لي صديق فما هذا الاستئذان؟[٣].

قال ابن عباس في كتاب النقاش: الصديق أَوكد من القرابة، أَلا ترى في استغاثة الجهنَّمِيِّين: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[الشعراء: ١٠٠-١٠١][٤].

وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ ردٌّ لمذهب جماعة من العرب كانت لا تأْكل أَفراداً البَتَّـةَ، قاله الطبري[٥]، ومن ذلك قول بعض الشعراء:

[الطويل] إِذا مَا صَنَعْتِ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ ... أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ آكُلُهُ وَحْدِي[٦]

وكان بعض العرب إِذا كان له ضيف لا يأْكل إِلَّا أَن يأْكل مع ضيفه، فنزلت هذه الآية مُبَيِّنةً سُنَّة الأَكل، ومُذْهِبَةً كل ما خالفها من سنَّة العرب، ومبيحة من أَكل المنفرد ما كان عند العرب محرماً، نَحَتْ به نحو كرم الخُلُق فأَفرطت في إِلزامه، وإِن إِحضار الأَكيل لحسنٌ ولكن بأَلَّا يحرم الانفراد.

---

(١) وهما شاذتان، انظرهما في مختصر الشواذ (ص: ١٠٥، ١٠٦).
(٢) في المطبوع: «الحُبِّ»، وفي الإماراتية: «أَلا أشرف».
(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٢٢٣).
(٤) هذا الأثر لم أقف عليه.
(٥) تفسير الطبري (١٩/ ٢٢٣).
(٦) عزاه في الأغاني (١٤/ ٦٩)، والجليس الصالح الكافي (ص: ٦٠) لقيس بن عاصم المنقري، وفي شرح الحماسة للتبريزي (٢/ ٢٤٥) ولباب الآداب (١/ ١٢٠)، لحاتم الطائيّ، وفي الحماسة البصرية (٢/ ٢٣٨) على الخلاف بينهما.

وقال بعض أَهل العلم: هذه الآية منسوخة بقوله ﷺ: «إِنَّ دِماءَكم وأَموالكم عليكم حرام»[١]، وبقوله تعالى: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾ [النور: ٢٧] الآية، وبقوله ﷺ من حديث ابن عمر: «لا يَحْلُبَنَّ أَحَدٌ مَاشية أَحد إِلَّا بإِذنه»[٢] الحديث.

ثم ختم الله تعالى الآية بِتَبْيِينِهِ سُنَّة السلام في البيوت؛ واختلف الناس في أَي البيوت أَراد:

فقال إِبراهيم النَّخعي: أَراد المساجد[٣]، والمعنى: سلِّموا على من فيها من صنفكم، فهذا كما قال: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فإِن لم يكن في المساجد أَحد فالسلام أَن يقول المرءُ: السلام على رسول الله، وقيل: يقول: السلام عليكم، يريد الملائكة، ثم يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

[وقال جابر بن عبد الله وابن عباس وعطاء بن أبي رباح؛ المراد البيوت المسكونة، أي: فسلموا على صنفكم كما قال: ﴿رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾، وقالوا تدخل في ذلك البيوت غير المسكونة ويسلم فيها المرء على نفسه بأن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين][٤].

وقوله: ﴿تَحِيَّةٗ﴾ مصدر، ووصفها بالبركة لأَن فيها الدعاءَ واستجلاب مودة المسلم عليه، والكاف من قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كاف تشبيه، وذلك إِشارة إِلى هذه السُّنَن، أَي: كهذا الذي وصف يطَّرد بتَبيين الآيات لَعَلَّكُمْ تعقلونها وتعملون بها.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٧) ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة الثقفي، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٣٠٣) ومسلم (١٧٢٦) من حديث عبد الله بن عمر، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٣) تفسير القرطبي (١٢/ ٣١٨).

(٤) سقط من الأصل والمطبوع، خبر جابر أخرجه الطبري (١٩/ ٢٢٥-٢٢٦) من طريق ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر وإسناده جيد، وخبر ابن عباس أخرجه أيضاً الطبري من طريق ابن جريج أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس به. وعطاء لم يسمع ابن عباس.

وقال بعض الناس في هذه الآية: إِنها منسوخة بآية الاستئذان الذي أُمر به الناسُ، وهي المتقدمة في السُّورة، فإِذا كان الإِذن محجوراً فالطعام أَحرى، وكذلك أيضاً[١] فرضت فرقة نسخاً بينها وبين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

والنسخ لا يتصور في شيءٍ من هذه الآيات؛ بل هي كلها محكمة، أَما قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾، ففي التعدي والخدع والإغرار واللهو والقمار ونحوه، وأَما هذه الآية: ففي إِباحة طعام هذه الأَصناف التي يَسُرُّها استباحة طعامها على هذه الصفة.

وأَما آية الإِذن: فعِلَّـةُ إِيجاب الاستئذان خوف الكشف، فإِذا استأْذن الرجل خوف الكشفة ودخل المنزل بالوجه المباح صحَّ له بعد ذلك أَكل الطعام بهذه الإِباحة، وليس يكون في الآيات نسخٌ، فتأَمله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿إِنَّمَا﴾ في هذه الآية للحصر، اقتضى ذلك المعنى؛ لأَنه لا يتم إِيمانٌ إِلَّا بأَن يؤمن المرءُ بالله ورسوله، وبأَن يكون من الرسول سامعاً غير معنت[٢] في أَن يكون الرسول يريد إكمال أَمر فيريد هو إِفساده بزواله[٣] في وقت الجمع ونحو ذلك.

و«الأَمر الجامع»: يُراد به ما للإِمام حاجة إِلى جمع الناس فيه لإِذاعة مصلحة،

---

(١) من نور العثمانية.

(٢) في لالاليه: «معتبر».

(٣) في المطبوع: «بزاوله»، وهو سهو من الطابع.

فأَدب الإسلام اللازم في ذلك ـ إِذا كان الأَمر حاضراً ـ أَلَّا يذهب أَحد لعذر إِلَّا بإِذنه، فإِذا ذهب بإِذن ارتفع عنه الظن السيئُ، والإمامُ الذي يُرتقب إِذنه في هذه الآية هو إِمامُ الإِمرة.

وقال مكحول، والزهري: الجمعة من الأَمر الجامع، وإِمام الصلاة ينبغي أَن يُستأْذن إِذا قدمه إِمامُ الإِمرة إِذا كان يرى المستأْذن[١].

ومشى بعض الناس دهراً على استئذان إِمام الصلاة.

وروي أَن هرم بن حيان[٢] كان يخطب، فقام رجل فوضع يده على أَنفه، وأَشار إِلى هرم بالاستئذان فأَذن له، فلما قُضيت الصلاة كشف عن أَمره أَنه إِنما ذهب لغير ضرورة / ، فقال هرم: اللهم أَخر رجال السوء لزمان السوء[٣]. [٤/ ١٠٩]

وظاهر الآية إِنَّما يقتضي أَن يُستأْذن أَمير الإِمرة الذي هو في مقعد النبوة؛ فإِنه ربما كان له رأْي في حبس ذلك الرجل لأَمر من أُمور الدين[٤]، فأَما إِمام الصلاة فقط فليس ذلك إِليه؛ لأَنه وكيل على جزءٍ من أَجزاءِ الدين للذي هو في مقعد النبوة[٥].

ثم أَمر الله تعالى نبيه أَن يأْذن لمن عرف منه صحة العذر وهم الذين يشاء.

وروي أَن هذه الآية نزلت في وقت حفر رسول الله ﷺ خندق المدينة، وذلك أَن

---

(١) انظر البيان والتحصيل (١/ ٤١٧)، ومواهب الجليل (٢/ ٤٣٠-٤٣١)، وفي المطبوع: الزهراوي: بدل الزهري.

(٢) في المطبوع: ابن حبان، وهو هرم بن حيان العبدي الربعي، ويقال الأزدي البصري، روى عن عمر، وعنه الحسن البصري، وغيره، كان من سادة العباد، وكان ثقة له فضل، كان عاملا لعمر، وولي له ولعثمان بعض الحروب بأرض فارس، تاريخ الإسلام (٥/ ٥٣٣).

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٢٢٩).

(٤) في نور العثمانية: «الدنيا».

(٥) هذا مذهب الحسن البصري، وقال الجمهور بأن ذلك خاص بالنبي ﷺ، انظر: فتح الباري لابن حجر (٦/ ١٢١).

بعض المؤمنين كان يستأْذن لضرورة، وكان المنافقون يذهبون دون استئذان[(١)]، فأَخرج الله تعالى الذين لا يستأْذنون عن صنيفة المؤمنين، وأَمر النبيَّ ﷺ أَن يأْذن للمؤمن الذي لا تدعوه ضرورة إِلى حبسه، وهو الذي يشاء، ثم أَمره بالاستغفار لصنفي المؤمنين من أُذن له ومن لم يُؤذن له، وفي ذلك تأْنيس للمؤمنين ورأْفة بهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٤)﴾.

هذه الآية مخاطبة لجميع معاصري رسول الله، وأَمرهم الله تعالى أَلَّا يجعلوا مخاطبة رسول الله في النداءِ كمخاطبة بعضهم لبعض، فإِن سيرتهم كانت التداعي بالأَسماءِ، وعلى غاية البداوة وقلة الاهتمام، فأَمرهم الله تعالى في هذه الآية وفي غيرها أَن يدعوا رسول الله ﷺ بأَشرف أَسمائِه، وذلك هو مقتضى التوقير والتعزير، فالمبتغى في الدعاء أَن يقول: يا رسول الله، وأَن يكون ذلك بتوقير وخفض صوت وبر، وأَلا يجري ذلك على عادتهم بعضهم في بعض، قاله مجاهد وغيره[(٢)].

وقال ابن عباس: المعنى في هذه الآية إِنما هو: لا تحسبوا دعاءَ الرسول عليكم كدعاءِ بعضكم على بعض، أَي: دعاؤه عليكم مجاب فاحذروه[(٣)].

ولفظ الآية يدفع هذا المعنى، والأَول أَصح.

---

(١) ضعيف، أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣٥٧) من طريق محمد بن كعب القرظي، وعثمان بن يهوذا، عن رجال من قومه، به، وهذا إسناد ضعيف لإرساله، والإبهام.

(٢) انظر تفسير الطبري (١٩/ ٢٣٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٥٥)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٢٨).

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٣٠)، وابن أبي حاتم (١٤٩٢٩) في تفسيرهما من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

ثم أَخبرهم الله تعالى أَن المتسلِّلين منهم لواذاً قد علمهم، و«اللِّواذ»: الرَّوَغان والمخالفة، وهو مصدر: لاوَذَ، وليس بمصدر: لاذَ؛ لأَنه كان يقال له: لِيَاذاً، ذكره الزجاج وغيره[(١)].

ثم أَمرهم بالحذر من عذاب الله تعالى ونقمته إِذا خالفوا عن أَمره.

وقوله تعالى: ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ معناه: يقع خلافهم بعد أَمره، وهذا كما تقول: كان المطر عن ريح، و﴿عَنْ﴾ هي لِمَا عَدَا الشيء، والفتنة في هذا الموضع: الاختبار والرزايا في الدنيا، أَو بالعذاب الأَليم في الآخرة، ولا بد للمنافقين من أَحد هذين.

[وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ﴾ استفتاح كلام، وإخبار [بأن الآتي على جميع ما تقدم لمن اعتبر][(٢)] أَن الله تعالى له ما في السماوات والأرض][(٣)] مِلْكاً وخَلْقاً.

ثم أَخبرهم أَنه قد علم ما أَهل الأرض والسماءِ عليه، وخصَّ بالذكر منهم المخاطبين؛ لأَن ذلك موضع الحجة عليهم، وهم به أَعنى.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ﴾ يجوز أَن يكون معمولاً لقوله: ﴿يَعْلَمُ﴾، ويجوز أَن يكون التقدير: والعلم الظاهر لكم ـ أَو نحو هذا ـ يَوْمَ، فيكون النصب على الظرف.

وقرأَ الجمهور: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بضم الياءِ وفتح الجيم.

وقرأَ يحيى بن يَعْمَر، وابن أَبي إِسحاق، وأَبو عمرو: ﴿يَرْجِعُونَ﴾ بفتح الياءِ وكسر الجيم[(٤)].

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٥٦).

(٢) من نجيبويه والحمزوية وأحمد٣ ولالاليه ونور العثمانية.

(٣) سقط من الإماراتية والأصل، وبعضه سقط من المطبوع.

(٤) وهي عشرية ليعقوب على قاعدته، كما في النشر (٢/ ٢٠٨)، ورواها علي بن نصر وعبيد بن عقيل وهارون الأعور عن أبي عمرو كما في السبعة (ص: ٤٥٩)، وجامع البيان (٣/ ١٤١٠)، وانظر موافقة الباقين في البحر المحيط (٨/ ٧٧).

وقال عقبة بن عامر الجهني: رأَيت النبي ﷺ يقرأُ هذه الآية خاتمة النُّور فقال: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [١].

وباقي الآية بيِّنٌ.

كمل تفسير سورة النور[٢]

(١) وهي شاذة، والحديث ضعيف، أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (٥٣٧) والطبراني في الكبير (١٧/ ٢١٢) من طريق ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عقبة بن عامر، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وابن لهيعة ضعيف الحديث.

(٢) ليس في الأصل وأحمد٣، وفي نجيبويه: «والحمد لله على ذلك»، وفي الإماراتية: «والحمد لله حق حمده»، وفي الحمزوية: «والحمد لله كثيراً»، وفي لالاليه زيادة: «وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم»، وفي المطبوع زيادة: «وآله وصحبه أجمعين».

سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الفرقان

هذه السورة مكِّيَّة في قول الجمهور[1]، وقال الضحاك: هي مدنية، وفيها آيات مكية: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] الآيات[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾.

﴿تَبَارَكَ﴾: وزنه تفاعل، وهو فعل مطاوع[3] بارَكَ، من البركة، وبَارَكَ فاعل من واحد، ومعناه: زادَ، و﴿تَبَارَكَ﴾ فعل مختصٌّ بالله تعالى، لم يستعمل في غيره، ولذلك لم يصرَّف منه مستقبل، ولا اسم فاعل، وهو صفة فعل، أَي: كثُرت بركاته، ومن جُمْلتها إِنزال كتابه الذي هو الفُرقان بين الحق والباطل.

---

(١) تفسير الماوردي (٤/ ١٣٠)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٢٢)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٤٧٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٧).

(٢) وانظر تفسير القرطبي (١٣/ ١).

(٣) في المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية: «مضارع».

وصدر هذه السورة[١] إنما هو ردٌّ على مقالات كانت لقريش، فمن جُمْلتها قولهم: إِن القرآن افتراه محمد، وإِنه ليس من عند الله، فهو ردٌّ على هذه المقالات.

وقرأَ الجمهور: ﴿عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾، وقرأَ عبد الله بن الزُّبير: (عَلَى عِبَادِهِ)[٢].

والضمير في قوله: ﴿لِيَكُونَ﴾ يحتمل أَن يكون لمحمد، وهو عبده المذكور، وهذا تأْويل ابن زيد[٣]، ويحتمل أَن يكون للقرآن.

وأَما على قراءَة ابن الزبير فهو للقرآن، لا يحتمل غير ذلك إِلَّا بِكُرْه.

وقوله تعالى: ﴿لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ عامٌّ في كل إِنسي وجني، عاصَرَه أَو جاءَ بعده، وهو متأيد من غير ما موضع من الحديث المتواتر وظاهر الآيات.

و«النذير»: المُحَذِّر من الشَّرِّ، والرسول من عند الله نذير، وقد يكون النذير ليس برسول، كما روي في ذي القرنين، وكما ورد في رُسُل رسول الله ﷺ إِلى الجن، فإِنهم نذر وليسوا برسل الله.

[٤/ ١١٠] / وقوله: ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية، هي من الرَّدِّ على قريش في قولهم: إِن لله شريكاً، وفي قولهم: اتَّخذ البنات، وفي قولهم في التلْبية: إِلَّا شريك هو لك[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ عامٌّ في كل مخلوق، وتقديرُ الأَشياءِ: هو حدُّها بالأَمكنة والأَزمان والمقادير والمصلحة والإِتقان.

ثم عقَّب ذكر هذه الصفات التي هي للأُلوهية بالطعن على قريش في اتخاذهم آلهة ليست لهم هذه الصفات، فالعقل يعطي أَنهم ليسوا بآلهة.

(١) في المطبوع: «الآية».

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٦).

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٢٣٣).

(٤) ورد هذا اللفظ في صحيح مسلم (٢/ ٨٤٣) بالنصب، وهو في جميع النسخ وبعض المصادر الأخرى بالرفع.

وقوله: ﴿وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾؛ يحتمل أن يريد يخلقهم الله بالاختراع والإيجاد[١].

ويحتمل أَن يريد: يخلقهم البشر بالنحت والنجارة، وهذا التأْويل أَشد إِبداءً لخساسة الأَصنام، وخلق البشر تجوز، ولكن العرب تستعمله، ومنه قول زهير:

وَلأَنْـتَ تَفْـرِي مَـا خَلَقْـتَ وَبَعْـ ... ـضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لا يَفْرِي[٢] [أحذالكامل]

وهذا من قولهم: خلَقْتُ الجلد، إِذا عملتَ فيه رسوماً يقطع عليها، فالفَرْيُ هو أَن يُقَطَّع على تلك الرسوم.

وقوله: ﴿مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ﴾ يريد: إِماتة ولا إِحياءً، و«النُّشور»: بعث الناس من القبور.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦﴾.

المرادُ بـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ قريش، وذلك أَن بعضهم قالوا: هذا إِفْكٌ وكذبٌ افتراه محمد.

واختلف الناس في القوم المُعِينين لمحمد ﷺ على زَعْم قريش:

فقال مجاهد: أَشاروا إِلى قوم من اليهود[٣].

وقال ابن عباس: أَشاروا إِلى عَبِيد كانوا للعرب من الفرس، أَحدهم أَبو فُكَيْهة مولى الحضرميِّين، وجبر، ويسار، وعدَّاس، وغيرهم[٤].

ثم أَخبر الله تعالى أَنَّهم ما جاؤوا إِلَّا إِثماً وزوراً، أَي: ما قالوا إِلَّا باطلا[٥] وبهتاناً وزوراً.

---

(١) هذا الاحتمال الأول سقط من المطبوع.

(٢) تقدم في تفسير الآية (٢٩) من سورة البقرة.

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٢٣٧).

(٤) لم أقف عليه من قول ابن عباس، وأورده الثعلبي في تفسيره (٨/ ٢٩٨) عن مقاتل مرفوعاً.

(٥) ليست في المطبوع.

و«الزُّور»: تحسين الباطل، هذا عرفه، وأَصله التحسين مطلقاً، ومنه قول عمر رضي الله عنه: فأَردت أَن أُقدم بين يدي أَبي بكر مقالةً كنتُ زَوَّرْتُها[١].

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، قال ابن عباس: يعني بذلك قول النضر بن الحارث[٢]، وذلك أَنَّ كلَّ ما في القرآن من ذكر أَساطير الأولين فإِنما هو بسبب قول النضر بن الحارث [حسب الحديث][٣] المشهور في ذلك[٤]، ثم رمَوْا محمداً ﷺ بأَنه اكْتَتَبها.

وقرأَ طلحة بن مصرف: (اكتُتِبها) بضم التاءِ الأُولى وكسر الثانية، على معنى: اكتُتِبَتْ له، ذكرها أَبو الفتح[٥].

وقرأَ طلحة: (تُتْلَى) بتاءٍ بدل الميم[٦].

ثم أَمره تعالى أَن يقول: الذي أَنزله هو الله الذي يعلم سرَّ جميع الأَشياءِ التي في السماوات والأَرض، ثم أَعلم بأَنه غفور رحيم لِيُـرَجِّي كل سامع في عفوه ورحمته مع التوبة والإِنابة، والمعنى: أَن الله غفور رحيم في إِبقائه على أَهل هذه المقالات [والكفر، لعلهم أَن يؤمنوا][٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، به.

(٢) منقطع: هذا الأثر أخرجه الطبري (١٩/ ٢٣٨) من طريق محمد بن إسحاق عن شيخ من أهل مصر، عن عكرمة، به.

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٣٨) من طريق محمد بن إسحاق، قال: ثنا شيخ من أهل مصر، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وهذا إسناد ضعيف لإبهام شيخ ابن إسحاق. وأخرجه الطبري أيضاً من قول السدي وابن جريج وغيرهما معضلاً.

(٥) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ١١٧).

(٦) وهي قراءة شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٦).

(٧) سقط من الأصل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٨ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٩ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ۝١٠﴾.

الضمير في قوله: ﴿وَقَالُواْ﴾ لقريش، وذلك أَنهم كان لهم مع رسول الله ﷺ مجلس مشهور، ذكره ابن إِسحاق في السير، وغيرُه، مضمنه: أَن سادتهم ـ عتبة وغيره ـ اجتمعوا معه، فقالوا: يا محمد، إِن كنت تحب الرياسة وَلَّيْنَاكَ علينا، وإِن كنت تُحب المال جمعنا لك من أَموالنا، فلما أَبَى رسول الله ﷺ عليهم رجعوا في باب الاحتجاج عليه، فقالوا له: ما بالك ـ وأَنت رسول من الله ـ تأْكل الطعام، وتقف بالأَسواق وتريد التماس الرزق؟ أَي: إن من كان رسول الله مستغنٍ عن جميع ذلك، ثم قالوا له: سلْ ربَّك أَن يُنزل معك مَلَكاً يُنْذر معك، أَو يُلقى إِليك كنزٌ تُنفق منه، أَو يرُدُّ لك جبال مكة ذهباً، أَو تُزالُ الجبال ويكون مكانها جنات تطَّرد فيها المياه، وأَشاعوا هذه المحاجَّة، فنزلت هذه الآية[1].

وكُتبت اللام مفردة من قولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا﴾ إِمَّا لأَن مُمْلي المصحف قطع لفظه فاتَّبعه الكاتب؛ وإِمَّا لأَنهم رأَوْا أَن حروف الجرّ [بابها الانفصال][2]، نحو: مِنْ، وفي، وعَنْ، وعَلَى.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ بالياءِ.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص ١٩٧) عن شيخ من أهل مكة، عن عكرمة، عن ابن عباس فذكره بنحوه.

(٢) في المطبوع: «بإنهاء الانفصال».

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿نَأْكُل منها﴾ بالنون، وهي قراءَة ابن وثاب، وابن مُصرِّف، وسليمان بن مهران[(١)].

ثُمَّ أَخبر تعالى عنهم، وهُمُ الظالمون الذين أُشير إِليهم، أَنهم قالوا حين يَـئِسوا من محمد ﷺ: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾، [أي: قد سحر فهو لا يرى مراشده][(٢)].

ويجوز أَن يكون من السَّحْر وهي الرئة[(٣)]، فكأَنهم ذهبوا إِلى تحقيره، أَي: رجل مثلكم[(٤)] في الخلقة، ذكره مكي وغيره[(٥)].

ثم نبَّهه الله تعالى مسلِّياً عن مقالتهم فقال: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ﴾، [بالمسحور والكاهن والساحر وغيره فضلوا][(٦)] أَي: أَخطؤوا الطريق فلا يجدون سبيلاً[(٧)] هداية، ولا يطيقونه لالتباسهم بضدِّه من الضلال.

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ﴾ الآية، رجوع بأُمور محمد ﷺ إِلى الله تعالى، أَي: هذه جهتك، لا هؤلاءِ الضَّالُّون في أَمرك.

والإِشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾، قال مجاهد: هي إِلى ما ذكره الكفار من الكنز والجنة في الدنيا.

وقال ابن عباس: هي إِلى أَكله الطعام ومشيه في الأَسواق[(٨)].

---

(١) وهو الأعمش، والقراءتان سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٦٣)، والعزو للباقين في البحر المحيط (٨/ ٨٤).

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) كتبت في الأصل: «الرؤية».

(٤) في المطبوع: «منكم».

(٥) الهداية لمكي (٨/ ٥١٧٩)، وفيه: «الرئة» بدل: «الرؤية»، ولعله هو الصواب.

(٦) سقط من المطبوع.

(٧) في لالاليه ونور العثمانية: «سبيل».

(٨) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٤٢) من طريق ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وهو إسناد يتكرر، وشيخ ابن إسحاق لا يعرف، قاله الذهبي في الميزان (٤/ ٢٦).

قال الطبري: والأَول أَظهر[١].

قال القاضي أَبو محمد: لأَن التأْويل الثاني يوهم أَن الجنات والقصور التي في هذه الآية / [هي في الدنيا][٢]، وهذا تأْويل الثعلبي وغيره[٣]. [٤/ ١١١]

ويَـرُدُّ ذلك قوله بعد ذلك: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ﴾، والكل محتمل.

وقرأ عاصمٌ ـ في رواية أَبي بكرٍ وحفصٍ ـ ونافعٌ، وأَبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿وَيَجۡعَل﴾ بالجزم، على العطف على موضع الجواب في قوله: (جَعَلَ)؛ لأَن التقدير: [تبارك الذي][٤] إِن يشأْ يجعل.

وقـرأَ أَبـو بكر عـن عاصم أَيضـاً، وابنُ كثيـر، وابن عامـر: ﴿وَيَجْعَـلُ﴾ بالرفع والاستئناف، وهي قراءَة مجاهد[٥]، ووجهُه العطفُ على المعنى في قوله: ﴿جَعَلَ﴾؛ لأن جواب الشرط هو موضع استئناف، أَلا ترى أَن الجمل من الابتداءِ والخبر قد تقع موقع جواب الشرط.

وقرأَ عبد الله[٦] بن موسى، وطلحةُ بن سليمان: (وَيَجْعَلَ) بالنصب، وهي على تقدير (أَن) في صدر الكلام، قال أَبو الفتح: هي على جواب الجزاءِ، بالواو وهي قراءَةٌ ضعيفة[٧].

---

(١) انظر مع قول مجاهد في تفسير الطبري (١٩/ ٢٤٢)، بتصرف.

(٢) ساقط من المطبوع.

(٣) تفسير الثعلبي (٧/ ١٢٤).

(٤) ساقط من المطبوع.

(٥) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٦٣)، وليس فيه لشعبة إلا الثانية، والأولى للكسائي عنه في السبعة في (ص: ٤٦٢).

(٦) كذا في جميع النسخ: «عبد الله»، وهو عبيد الله بن موسى العبسي مولاهم الكوفي أبو محمد المقرئ الحافظ الشيعي، شيخ البخاري، أخذ الحروف عن حمزة والكسائي، وجلس للإقراء، وكان صاحب عبادة وزهد، توفي سنة ٢١٣هـ، معرفة القراء الكبار (ص: ١٠٠).

(٧) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١١٨).

وأَدغم الأَعرج: ﴿جَعَل لَّكَ﴾، ﴿وَيَجْعَل لَّكَ﴾، وروي ذلك عن ابن محيصن[١].

و«القصور»: البيوت المبنية بالجدران، قاله مجاهد وغيره[٢]، وكانت العرب تُسمِّي ما كان من الشَّعر والصوف والقصب بيتاً، وتُسمِّي ما كان بالجدران قصراً؛ لأَنه قُصر على الداخلين والمستأذنين[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾.

المعنى: ليس يهم في تكذيبك مشْيُك في الأَسواق؛ بل إِنهم كفرة لا يفقهون الحق، فقوله: ﴿بَلْ﴾ تَرْكٌ لنفس اللَّفظ المتقدم لا لمعناه، على ما تقتضيه ﴿بَلْ﴾ في مشهور معناها.

﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: جعلْنَا مُعَدّاً، والعَتَادُ: مَا يُعَدُّ من الأَشياءِ.

و﴿سَعِيرًا﴾: طبَقٌ من أَطباق جهنم.

وقوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾ يريد: جهنم؛ إِذ اقتضاها لفظ السعير، ولفظ ﴿رَأَتْهُم﴾ يحتمل الحقيقة، ويحتمل المجاز على معنى: صارت منهم قدْر ما يرى الرائي من البعد، إِلَّا أَنه ورد حديث يقتضي الحقيقة [ويحتمل المجاز][٤] في هذا، ذَكره الطبري، وهو أَن رسول الله ﷺ قال: «من كذب عليَّ متعمداً فَلْيَتَبَوَّأْ مقعده من النار بين عيني جهنم»، فقيل: يا رسول الله، أَوَ لجهنم عينان؟ فقال: «اقرؤوا إِن شئتم: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ...﴾ الآية[٥]، وروي

---

(١) القراءتان سبعيتان، الثانية للجمهور كما مر، والأولى للسوسي على قاعدته، وهي من المطبوع والحمزوية ونجيبويه ولالاليه.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٢٤٣).

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) من الأصل، ولعلها تكرار مع ما سبق.

(٥) إسناده لين ولا يثبت اتصاله، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٤٤)، وابن أبي حاتم (١٤٩٩٩) في تفسيرهما، من طريق أصبغ بن زيد، عن خالد بن كثير، عن خالد بن دريك، عن رجل من أصحاب رسول الله=

في بعض الآثار أَن البعد الذي تراهم منه مسيرة سنة، وروي أَنه مسيرة خمس مئة سنة[١].

وقوله تعالى: ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ لفظ فيه تجوُّز، وذلك أَن التَّغيُّظ لا يُسمع، وإِنما المسموع أَصوات دالة على التَّغيُّظ، وهي ولا شكَّ احتداماتٌ في النَّار كالذي يسمع في نار الدُّنيا إذا اضطرمت، ونِسْبَـةُ هذا المسموع في الدنيا من ذلك نِسْبَـةُ الإِحراق من الإِحراق، وهي سبعون درجة كما ورد في الصحيح[٢].

و«الزَّفير»: صوتٌ ممدود كصوت الحمار المرجع في نهيقه.

قال النَّقاش: الزَّفير: آخر[٣] صوت الحمار عند نهيقه.

وقال عبيد بن عمير: إِن جهنم لتَزْفِر زَفْرة لا يبقَى ملَك ولا نبيٌّ إِلَّا خَرَّ، ترعد فرائصه[٤].

و«المكان الضَّيِّق منها»: هو مقصد إِلى التضييق عليهم في المكان من النار، وذلك نوع في التعذيب، قال ﷺ: «إِنَّهم ليُكرهون في النَّار كما يُكره الوتد في الحائط»[٥]، أَي:

= ﷺ، مرفوعاً به، وهذا إسناد لين، وخالد بن دريك كثير الإرسال عن الصحابة، ولا ندري اسم الصحابي الذي روى عنه حديثه هذا، وله طريق أخرى واهية جدّاً، رواها الطبراني في الكبير (٨/ ١٣١) من طريق محمد بن الفضل بن عطية، عن الأحوص بن حكيم، عن مكحول، عن أبي أمامة، رضي الله عنه، مرفوعاً به، ومحمد بن الفضل بن عطية، رُمي بالكذب ووضع الحديث، انظر: ميزان الاعتدال (٤/ ٦).

(١) تفسير ابن أبي زمنين (١/ ٤٧٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٠٩٢) ومسلم (٢٨٤٣) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً بلفظ: «سبعين جزءاً».

(٣) سقطت من المطبوع.

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٢٤٤).

(٥) معضل، أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٠٠٥) في تفسيره من طريق يحيى بن أبي أسيد، رفعه إلى النبي ﷺ. وهذا إسناد معضل، يحيى بن أبي أسيد يروي عن أتباع التابعين، انظر: الجرح والتعديل (٩/ ١٢٩) وثقات ابن حبان (٩/ ٢٥١).

[يدخلون لزاً][(١)] وعنفاً، وقال ابن عباس: تُضيَّق عليهم كما يُضيَّق الزُّج على الرمح[(٢)].

وقرأ ابن كثير، وعبيد عن أَبي عمرو: ﴿ضَيْقاً﴾ بتخفيف الياءِ، والباقون يُشدِّدون[(٣)].

و﴿مُّقَرَّنِينَ﴾: معناه مربوطٌ بعضهم إِلى بعض، ورُوي أَن ذلك بسلاسل من نارٍ، والقرينان من الثيران: ما قُرِنا بحبل للحرث، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] إِذَا لَمْ يَزَلْ حَبْلُ الْقَرِينَـيْنِ يلتوي فَلَا بُدَّ يَوْماً مِنْ قوىً أن تجذمَّا[(٤)]

وقرأَ أَبو شيبة المهري[(٥)] صاحب معاذ بن جبل رحمه الله: (مُقَرَّنُون) بالواو، وهي قراءَة شاذة[(٦)]، والوجه قراءَة الناس.

وقوله: ﴿ثُبُورًا﴾ مصدر، وليس بالمدعُوِّ، ومفعول ﴿دَعَوۡاْ﴾ محذوف، تقديره: دعَوْا من لا يُجيبهم، ونحو هذا من التقديرات.

ويصح أن يكون الثُّبُور هو المدعُوُّ، كما يُدعى الحسرة والويل.

و«الثُّبُورُ»: قال ابن عباس: هو الويل[(٧)]، وقال الضحاك: هو الهلاك[(٨)].

---

(١) في المطبوع: «يدخلون كرهاً»، وفي الأصل: «يدعون لزا».

(٢) لا بأس به، ولكن من قول عبد الله بن عمرو، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٠٠٧) من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة، عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما، به، وهذا إسناد صحيح، ولم أقف عليه من قول ابن عباس، رضي الله عنهما.

(٣) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٦٢)، وفي نجيبويه: «الضحاك»، بدل ابن كثير.

(٤) في الأصل: «تخذما»، والبيت للمتلمس كما في الأغاني (٢٤/ ٢٥٥)، والأصمعيات (ص: ٢٤٦)، ومختارات ابن الشجري (١/ ٢٧).

(٥) هو أبو شيبة المهري روى عن ثوبان وعمرو بن عبسة، وروى عنه بلج وجنادة بن أبي خالد، قال أبو زرعة: من التابعين ولا يعرف اسمه، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٩/ ٣٩٠)، وتعجيل المنفعة (٢/ ٤٨٢)، والثقات لابن حبان (٥/ ٥٨٩).

(٦) نقله في البحر المحيط (٨/ ٨٧)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٠٥) لمعاذ، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٧) لابن جبير.

(٧) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٤٥) وابن أبي حاتم (١٥٠٠٩) في تفسيرهما، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما.

(٨) تفسير الطبري (١٩/ ٢٤٤).

ومنه قول ابن الزِّبعرى:

إِذْ أُجَارِي الشَّيْطَانَ في سَنَنِ الْغَـ ـيِّ، ومَـن مَـالَ مَيْلَـهُ مَثْبُـور[١] [الخفيف]

وقوله: ﴿لَّا تَدْعُواْ﴾ إلى آخر الآية معناه: يقال لهم على معنى التَّوبيخ والإِعلام بأَنهم مخلدون: لا تقتصروا على حُزْن واحد؛ بل احزنوا كثيراً؛ لأَنكم أهلٌ لذلك.

قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾.

المعنى: قل يا محمد لهؤلاء الكفرة الذين هم بسبيل مصير إلى هذه الأَحوال من النار: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾؟، وذلك على جهة التوقيف والتوبيخ، ومن حيث كان الكلام استفهاماً جاز فيه مجيءُ لفظة التفضيل بين الجنة والنار في الخير؛ لأَن المُوقِف جائز له أَن يُوقِف مُحاوره على ما يشاءُ ليرى هل يجيبه بالصواب أَو بالخطأ، وإِنما يمنع سيبويه وغيره من التفضيل بين شيئين لا اشتراك بينهما في المعنى الذي فيه تفضيل إِذا كان الكلام خبراً؛ لأَن فيه محالية[٢]، وأَما إِذا كان استفهاماً فذلك سائغ.

وقيل: الإِشارة بقوله: «ذَٰلِكَ» إِلى الجنَّات التي تجري من تحتها الأَنهارُ، وإِلى القصور التي في قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ﴾، هذا على أَن يكون الجَعْلُ في الدنيا.

وقيل: الإِشارة بقوله: «ذَٰلِكَ» إِلى الكنز والجَنَّة اللَّتين ذكر الكفار.

قال القاضي أَبو محمد: والأَصحُّ [إن شاء الله][٣] أَن الإشارة بقوله: «ذَٰلِكَ» إِلى النار، كما شرحناه آنفاً.

و﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾ في هذه الآية: مَن اتَّقى الشِّرك، فإِنه داخل في الوعد، ثم تختلف المنازل في الوعد بحسب تَقوى المعاصي.

---

(١) انظر نسبته له في تفسير الثعلبي (٦/ ١٣٩)، ومجاز القرآن (١/ ٣٩٢).

(٢) في المطبوع: «مخالفة».

(٣) سقطت من المطبوع وفيض الله.

وقوله: ﴿وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا﴾ يحتمل معنيين:

[٤/ ١١٢] أَحدهما ـ وهو قول ابن عباس(١)، وابن زيد / ـ أَنه مسؤولٌ لأن المؤمنين سأَلوه أَو يسأَلونه(٢)، ورُوي أَن الملائكة سأَلت الله تنعيم المتقين فوعدهم بذلك، قال محمد بن كعب: هو قول الملائكة، وتَلا: ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ﴾ [غافر: ٨](٣).

والمعنى الثاني ذكره الطبريُّ عن بعض أَهل العربية: أَن يريد وعداً واجباً قد حتمه، فهو لذلك مُعَدٌّ أَن يُسأَل ويُقْتَضى، وليس يتضمن هذا التأْويل أَن أَحداً سأَل الوعد المذكور.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ۝١٧ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا ۝١٨ فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ۝١٩﴾.

المعنى: واذكر يومَ، والضمير في ﴿يَحۡشُرُهُمۡ﴾ للكفار.

وقوله: ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ﴾ يريد به كلَّ شيءٍ عُبد من دون الله، فغلَّب العبارة عما لا يعقلُ من الأَوثان؛ لأَنها كانت الأَغلب وقت المخاطبة.

وقرأَ ابن كثير، وعاصم ـ في رواية حفص ـ، والأَعرج، وأَبو جعفر: ﴿يَحۡشُرُهُمۡ﴾، ﴿فَيَقُولُ﴾ بالياءِ، [فيهما.

---

(١) منقطع، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٤٦)، وابن أبي حاتم (١٥٠٢١) في تفسيرهما من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال ابن معين: عطاء لا أعلمه لقي أحداً من الصحابة، وقال الإمام أحمد: لم يسمع من ابن عباس شيئاً. انظر جامع التحصيل (٥٢٢).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٧١)، تفسير الطبري (١٩/ ٢٤٦)، مع ما سيأتي عنه.

(٣) انظر: تفسير الماوردي (٤/ ١٣٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ١٣)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٢٦-١٢٧).

وقرأَ ابن عامر بالنون فيهما، وهي قراءَة الحسن، وطلحة، وعاصم أَيضاً.

وقرأَ نافع: ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون ﴿فَيَقُولُ﴾ بالياءِ][1].

وفي قراءَة عبد الله: (وَمَا يَعْبُدونَ مِنْ دُونِنَا)[2].

وقرأَ الأَعرج: (نَحْشِرُهُم) بكسر الشِّين[3]، وهي قليل في الاستعمال قوية في القياس؛ لأَن يَفْعِلُ بكسر العين في المتعدي أَقيس من يفعُل بضم العين.

وهذه الآية تتضمن الخبر على أَن الله يوبِّخ الكفار في القيامة بأَن يوقف المعبودين على هذا المعنى؛ ليقع الجواب بالتَّبَـرِّي من الذنب فيقع الخزي على الكافرين.

واختلف الناس في المُوقَفِ المُجِيبِ في هذه الآية، فقال جمهور المفسِّرين: هو كل من ظُلم بأَن عُبد ممن يعقل، كالملائكة وعُزَير وعيسى وغيرهم[4].

وقال الضحاك، وعكرمة: المُوقَفُ المجيبُ: الأَصنام التي لا تعقل، يقدرها الله تعالى يومئذٍ على هذه المقالة، ويجيءُ خزْي الكفرة لذلك أَبلغ[5].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿نَّتَّخِذَ﴾ بفتح النون، وذهبوا بالمعنى إِلى أَنه من قول من يَعْقل، وأَن هذه الآية بمعنى التي في سورة سبأ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [سبأ: ٤٠-٤١]، وكقول عيسى ﷺ: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ﴾ [المائدة: ١١٧]، و﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ ـ في هذه القراءَة ـ في موضع المفعول به.

---

(١) سقط من الأصل، وهي قراءة الباقين شعبة وغيره، وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٦٣)، النشر (٢/ ٣٣٣).

(٢) في الأصل: من دونك، وكلاهما شاذة، لم أجد للمصنف فيها سلفاً ولا خلفاً، وتقدم مثلها في الكهف.

(٣) وهي شاذة، كما تقدم، انظر نسبتها له مع التوجيه في المحتسب (٢/ ١١٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٢٤٧)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٣٦).

(٥) انظر قولهما في تفسير الثعلبي (٧/ ١٢٧).

وقرأَ أَبو جعفر، والحسن، وأَبو الدرداءِ، وزيد بن ثابت، وأَبو رجاءٍ، ونصر بن علقمة(١)، ومكحول، وزيد بن علي، وحفص بن حميد(٢): ﴿نُتَّخَذَ﴾ بضم النون(٣).

وتذهب هذه مذهبَ من يرى أَن المُوقَف المُجيبَ الأَوثان، ويضعف هذه القراءَة دخول ﴿مِنۡ﴾ في قوله: ﴿مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾، اعترض بذلك سعيد بن جبير وغيره(٤).

وقال أَبو الفتح: ﴿مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ في موضع الحال، ودخلت ﴿مِنۡ﴾ زيادة لمكان النفي المتقدم، كما تقول: ما اتخذت زيداً من وكيل.

وقرأَ علقمة: (ما ينبغي) بسقوط ﴿كَانَ﴾(٥)، وثبوتُها أَمكنُ في المعنى؛ لأنهم أَخبروا عن حالٍ كانت في الدنيا، ووقت الإِخبار لا عمل فيه.

وفسَّر هذا المُجيبُ ـ بحسب الخلاف فيه ـ الوجهَ في ضلال الكفار، كيف وقع، وأَنه لما متَّعهم الله تعالى بالنعم الدنياوية وأَدَرَّها لهم ولأَسلافهم الأَحقاب الطويلة نسوا الذكر، أَيْ: ما ذُكِّر بِهِ النَّاسُ على أَلسنة الأَنبياءِ.

و﴿بُورًا﴾ معناه: هَلْكى، و«البوار»: الهلاكُ، واختلف في لفظة بور، فقالت فرقة: هو مصدر يوصف به الجميع والواحد، ومنه قول ابن الزِّبعرى:

---

(١) هو نصر بن علقمة الحضرمي أبو علقمة الحمصي، روى عن أخيه محفوظ وجبير بن نفير وكثير ابن مرة وعمرو بن الأسود العنسي، وعنه الوضين بن عطاء وصدقة السمين، قال دحيم: هو وأخوه ثقتان، تاريخ الإسلام (٨/ ٥٥٣).

(٢) هو حفص بن حميد أبو عبيد من أهل قم، قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي، سمع شمر بن عطية، وعكرمة، حدث عنه يعقوب القمي وغيره، قال يحيى بن معين: صالح، وقال النسائي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٧/ ٩).

(٣) وهي عشرية عزاها لأبي جعفر في النشر (٢/ ٣٣٣)، وللجميع في المحتسب (٢/ ١١٩)، مع التوجيه.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) وهي شاذة لمخالفتها مصاحف المسلمين، تابعه عليها في البحر المحيط (٨/ ٩١).

يَـا رَسُـولَ المَلِيـكِ إِنَّ لِسَـانِي رَاتِـقٌ مـا فَتَقْـتُ إِذْ أَنـا بُـورُ[١] [الخفيف]

وقالت فرقة: هي جمع باير، وهو الذي قد فارقه الخير فحصل بذلك في حكم الهلاك، باشره الهلاك بعْدُ أَو لم يباشر، قال الحسن: البايرُ: الذي لا خير فيه[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ الآية، خطاب من الله تعالى بلا خلاف، فمن قال: إِنَّ المُجيب الأَصنامُ كان معنى هذه إِخبار الكفار أَن أَصنامهم قد كذبوهم، وفي هذا الإِخبار خِزْيٌ وتوبيخ، والفرقة التي قالت: إِن المُجيبَ هو الملائكة، وعُزير، وعيسى، ونحوهم، اختلفت في المخاطب بهذه الآية:

فقالت فرقة: المخاطب الكفار على جهة التقريع والتوبيخ.

وقالت طائفة: المخاطب هؤلاءِ المعبودون، أَعلمهم الله تعالى أَن الكفار بأَفعالهم القبيحة قد كذبوا هذه[٣] المقالة، وزعموا أَن هؤلاءِ هم الأولياءُ من دون الله تعالى.

وقالت فرقة: خاطب الله تعالى المؤمنين من أُمة محمد ﷺ، أَي: قد كذبكم أَيها المؤمنون الكفارُ فيما تقولون من التوحيد والشرع.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو بكر عن عاصم: [﴿بما يقولون فما يستطيعون﴾ بالياء فيهما[٤].

وقـرأ حفص عـن عاصـم: ﴿بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتـاء من فـوق فيهما.

---

(١) هذا هو الصواب، وتقدم للمؤلف نسبته لأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، في الآية ٢٨ من سورة إبراهيم.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٢٤٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٧٣)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٣٧)، والهداية لمكي (٨/ ٥١٩١).

(٣) في المطبوع: «بهذه».

(٤) الخلاف في «يقولون» ليس من طرق التيسير، وهو عن ابن كثير في السبعة (ص: ٤٦٣)، ولم أجده عن شعبة.

وقرأ الباقون وأبو بكر أيضاً عن عاصم][1] والناس: ﴿تَقُولُونَ﴾ بالتاءِ من فوق ﴿فما يَسْتَطِيعُونَ﴾ بالياءِ من تحت، ورجَّحها أَبو حاتم[2].

وقرأ أَبو حيوة: (يَقُولُونَ) بالياءِ من تحت، (فما تستطيعون) بالتاءِ من فوق[3].

وقال مجاهد: الضمير في (يَسْتَطِيعُونَ) هو للمشركين[4].

قال الطبري: وفي مصحف ابن مسعود: (فَمَا يَسْتَطِيعُونَ لَكَ صَرْفاً)[5].

وفي قراءَة أُبيٍّ بن كعب: (لَقَدْ كَذَّبُوكَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَكَ).

قال أَبو حاتم: في حرف عبد الله: (لَكُمْ صَرْفاً) على جمع الضمير[6].

و﴿صَرْفًا﴾ معناه: ردُّ التكذيب أَو العذاب أَو ما اقتضاه المعنى، بحسب الخلاف المتقدم.

وقوله: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ﴾ قيل: هو خطاب للكفار، وقيل: للمؤمنين، والظُّلْم هنا الشِّرك، قاله الحسن وابن جريج[7]، وقد يحتمل أَن يعم غيره من المعاصي.

وفي حرف أُبيٍّ: (وَمَنْ يَكْذِبْ منْكُم [نُذِقْهُ عَذَاباً كبيراً])[8].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٣).

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له ولأبي البَرَهْسَم في الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٧).

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٢٥١).

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: تفسير الطبري (١٨/ ١٩٣).

(٦) وهما شاذتان، انظر فتح الباري لابن حجر (٩/ ٣٧)، ولم أجد كلام أبي حاتم.

(٧) تفسير الطبري (١٩/ ٢٥٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ١٥).

(٨) سقط من أحمد٣ وهي شاذة، عزاها ابن حجر في فتح الباري (٩/ ٣٧) ليحيى بن واضح بالتخفيف، وهارون الأعور يكذب بالتشديد، قال: وقرأ شعيب عن أبي حمزة بالمثلثة بدل الموحدة، وفي نور العثمانية: «كثيراً»، وفي المطبوع: «أليماً»، وقراءة أبي هذه لم أجدها.

﴿بَصِيرًا ۝٢٠ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا / لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ [٤/ ١١٣]
فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ۝٢١﴾.

هذه الآية ردٌّ على كفار قريش في استبعادهم أَن يكون من البَشَر رسولٌ، وقولهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

وأَخبر الله تعالى محمداً ﷺ وأُمَّته أَنه لم يرسل قبلُ في سائر الدهر نبيّاً إِلا بهذه الصفة.

والمفعول بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ محذوف يدل عليه الكلام، تقديره: رجالاً أَو رُسُلاً، وعلى هذا المحذوف المقدَّر يعود الضمير في قوله: ﴿إِلَّآ إِنَّهُمْ﴾، وذهبت فرقة إِلى أَن قوله: ﴿لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ كناية عن الحدث.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَيَمْشُونَ﴾ بفتح الياءِ[(١)] وسكون الميم وتخفيف الشين.

وقرأَ علي، وعبد الرحمن، وابن مسعود: (وَيُمَشَّونَ) بضم الياءِ وفتح الميم وشد الشِّين المفتوحة، بمعنى: يُدْعون إِلى المشي ويُحملون عليه[(٢)].

وقرأَ أَبو عبد الرحمن: بضم الياءِ وفتح الميم وضم الشِّين المشددة[(٣)]، وهي بمعنى يَمْشُون.

ومنه قول الشاعر:

[الطويل] أُمَشِّي بأَعْطَانِ المياهِ وأَبْتَغِي ... قَلَائِصَ مِنْهَا صَعْبَةٌ وَرَكوبُ[(٤)]

ثم أَخبر عزَّ وجلَّ أن السبب في ذلك أَن الله تعالى يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس، مؤمنٍ وكافر، فالصحيحُ فتنةٌ للمريض، والغنيُّ فتنة للفقير، والفقير

---

(١) في المطبوع: «بضم الياء»، وهو خطأ ظاهر.
(٢) وهي شاذة انظر نسبتها لهم في (٢/ ١٢٠)، وعبد الرحمن هو ابن عبد الله بن مسعود.
(٣) وهي شاذة، عزاها له تفسير القرطبي (١٣/ ١٣)، وفي فتح الباري لابن حجر (٩/ ٣٤) عنه الوجهان.
(٤) البيت للعلاء بن حذيفة الغنوي كما في الأمالي للقالي (١/ ٢٩).

الشاكر فتنة للغنيِّ، والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة لأَشراف الناس الكفار في عصره، وكذلك العلماءُ وحكام العدل، وقد تلا ابن القاسم هذه الآية حين رأَى أَشهب[١].

والتوقيف بـ ﴿أَتَصۡبِرُونَۗ﴾ خاص للمؤمنين الْمُحِقِّين، فهو لأُمة محمد ﷺ، كأَنه جعل إِمهال الكفار فتنة للمؤمنين، أَي اختباراً، ثم وَقَفَهم: هل يصبرون أَم لا؟ ثم أَعرب قوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا﴾ عن الوعد للصابرين والوعيد للعاصين.

ثم أَخبر عن مقالة الكفار: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿يَرۡجُونَ﴾، قال أَبو عبيدة وقوم: معناه: يخافون.

والشاهد لذلك قول الهذلي:

[الطويل] إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَخَالَفَهَا في بَيْتِ نُوبٍ عَوَامِلِ[٢]

قال القاضي أَبو محمد: والذي يظهر لي أَن الرجاءَ في الآية والبيت على بابه؛ لأَن خوف لقاءِ الله تعالى مقترن أَبداً برجائه، فإِذا نَفَى الرجاءَ عن أَحد فإِنما أَخبر عنه أَنه مُكَذِّب بالبعث لنفي الخوف والرجاءِ، وفي ذكر الكفار بنفي الرجاءِ تنبيه على غبطة ما فاتهم من رجاءِ الله تعالى. وأَما بيت الشعر المذكور فمعناه عندي: لم يرج دفعها ولا الانفكاك عنها، فهو لذلك يوطن الصبر ويجِدُّ في شغله.

ولما تمنت كفار قريش رؤْية ربِّهم أَخبر تعالى عنهم أَنهم عظموا أَنفسهم، وسأَلوا ما ليسوا له بأَهل.

و﴿وَعَتَوۡ﴾ معناه: صعبوا عن الحق واشتدوا، ويقال: عُتُـوٌّ وعِتِيٌّ، عُتُـوٌّ على الأَصل، وعِتِيٌّ لاستثقال الضم على الواو فقُلبت ياءً ثم كُسِر ما قبلها طلباً للتناسب.

---

(١) انظر ما حكاه عن ابن القاسم في: تفسير القرطبي (١٣/ ١٨).

(٢) تقدم الاستشهاد به، وقول أبي عبيدة في تفسير الآية (٢١٨) من سورة البقرة، وانظر: مجاز القرآن (٢/ ٧٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا (٢٢) وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (٢٣) أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا (٢٤) وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (٢٥) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (٢٦)﴾.

المعنى في هذه الآية أَن الكفار لما قالوا: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾؛ [أخبر الله تعالى أنهم يوم يرون الملائكة](١) إنما هو يوم القيامة، وقد كان أَول الآية يحتمل أَن يريد يوم تُقبض أَرواحهم، لكن آخرها يقتضي أَن الإِشارة إِلى يوم القيامة، وأَمر العوامل في هذه الظُّروف بيِّن إِذا تُؤمل، فاختصرناه لذلك.

ومعنى الآية: إِن هؤلاءِ الذين تمنوا نزول الملائكة لا يعرفون ما قدَّر الله تعالى في ذلك؛ فإِنهم يوم يرون الملائكة هو شرٌّ لهم، ولا بُشْرى لهم؛ بل لهم الخسار ولُقيا المكروه، ويومئذ لا خير ولا بشرى؛ لأَن الظروف تكون إِخباراً عن المصادر.

والضمير في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾، قال الحسن، وقتادة، والضحاك، ومجاهد: هو للملائكة(٢)، المعنى: وتقول الملائكة للمجرمين: ﴿حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ عليكم البشرى، أَي: حراماً مُحَرَّماً.

[و«الحجرُ»: الحرام](٣)، ومنه قول جرير بن عبد المسيح:

حَنَّتْ إِلى النَّخْلَةِ الْقُصْوَى فَقُلْتُ لَهَا ... حِجْرٌ حَرامٌ أَلا تِلْـكَ الدَّهَاريسُ(٤) [البسيط]

وقال مجاهد أَيضاً، وابن جريج: إِن الضمير في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ هو للكفار المجرمين.

---

(١) سقط من المطبوع.
(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٢٥٥).
(٣) سقط من المطبوع.
(٤) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٢٠٧)، وتفسير الطبري (١٢/ ١٤٠)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٧٣).

قال ابن جريج: كانت العرب إِذا كرهوا شيئاً قالوا: حِجْراً.

قال مجاهد: ﴿حِجۡرٗا﴾: عوذاً، يستعيذون بالملائكة(١).

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل أَن يكون المعنى: ويقولون: حرام محرم علينا العفو، وقد ذكر أَبو عبيدة أَن هاتين اللفظتين عوذة عند العرب، يقولها من خاف آخَرَ في الحرم، أَو في شهر حرام إِذا لقيه وبينهما تِرَةٌ(٢).

قال القاضي أَبو محمد: وهذا المعنى هو مقصد بيت المتلمس الذي تقدم، أَي: هذا الذي حنَّت إِليه ممنوع.

وقرأَ الحسن، وأَبو رجاءٍ: (حُجْراً) بضم الحاءِ(٣)، والناس على كسرها.

ثم أَخبر تعالى عما يأْتي عليه(٤) قضاؤُه وفعله فقال حكاية عن يوم القيامة: ﴿وَقَدِمۡنَآ﴾، أَي: قَصَد حكمُنا وإِنفاذُنا، ونحو هذا من الأَلفاظ اللائقة، وقيل: هو قدوم الملائكة أَسنده إِليه لأَنه عن أَمره، وحسنت لفظة (قَدِمْنَا) لأَن القادم على شيءٍ مكروه لم يُقَرِّره ولا أَمر به مُغَيِّر له ومُذهب، وأَما قول الراجز:

[الرجز]
وَقَدِمَ الْخَوَارِجُ الضُّلَّالُ ... إِلَى عِبَادِ رَبِّنَا فَقَالُوا
إِنَّ دِمَاءَكُمْ لَنَا حَلَالُ(٥)

فالقُدوم فيه(٦) على بابه.

(١) انظر الأقوال الثلاثة في: تفسير الطبري (١٩/ ٢٥٦).
(٢) انظر كلامه على هذه الآية في مجاز القرآن (٢/ ٧٣)، وليس فيه ما يقتضي هذا.
(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها لهما في: الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٧).
(٤) ليست في المطبوع.
(٥) استشهد به بلا نسبة في غريب القرآن للسجستاني (١/ ٣٧٧)، ومجاز القرآن (٢/ ٧٤)، وتفسير الطبري (١٩/ ٢٥٧).
(٦) ليست في المطبوع.

ومعنى الآية: وقصدنا إلى أَعمالهم التي هي في الحقيقة لا تزن شيئاً؛ إِذ لا نِيَّةَ مَعَهَا، فجعلناها على ما تستحق لا تعدل شيئاً، وصيَّرناها هباءً منثوراً، أَي: شيئاً لا تحصيل له، و«الهباءُ»: هي الأجرام/ المستدَقَّة الشائعة في الهواءِ التي لا يدركها حِسٌّ [٤/ ١١٤] إِلا حين تدخل الشمس على مكان ضيِّق يحيط به الظِّل كالكُوَّة ونحوها، فيظهر حينئذ فيما قابل الشمس أَشياء تغيب وتظهر، فذلك هو الهباءُ.

ووصفه في هذه الآية بـ«منْثُورٍ»، ووصفه في غيرها بـ«مُنْبَثٍّ»[١]:

فقالت فرقة: هما سواءٌ.

وقالت فرقة: المُنْبَثُّ أَرَقُّ وأَدَقُّ من المَنْثُور؛ لأَن المنثور يقتضي أَن غيره نثره، كسنابك الخيل أَو الرياح أَو هدم حائط ونحو ذلك، والمُنْبَثُّ: كأَنه انْبَثَّ من دقَّته[٢].

وقال ابن عباس: «الهباءُ المنثور» ما تسفي به الرياح وتبثُّه[٣].

وروي عنه أَيضاً أَنه قال: «الهباءُ»: الماءُ المهراق[٤]، والأول أَصح، والعرب تقول: أهبأت الغبار والتراب[٥] ونحوه إِذا بثثته، وقال الشاعر:

فَتَـرَى خَلْفَهَا مِنَ الرَّجْـعِ والْوَقْـ ـعِ مَنِـيـنـاً كـأَنَّــهُ أَهْـبَــاءُ[٦] [الخفيف]

ومعنى هذه الآية: جعلنا أَعمالهم لا حكم لها ولا منزلة.

ثم أَخبر عزَّ وجلَّ بأَن مُسْتَقَرَّ أَهل الجنة خير من مُستقر أَهل النار، وجاءَت ﴿خَيۡرٌ﴾

---

(١) الواقعة: ٦.

(٢) في المطبوع: «رقته».

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٥٨) من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وفي المطبوع: وقال غيرهما بدل ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٥٨) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٥) ليست في المطبوع.

(٦) البيت للحارث بن حِلِّـزَة، من معلقته، كما في جمهرة اللغة (١/ ١٧٠)، والحيوان (٤/ ٣٨٨)، والكامل للمبرد (٣/ ١٦٧).

ها هنا للتفضيل بين شيئين لا شركة بينهما، فذكر الزجاج وغيره في ذلك: أنه لما اشتركا في أَن هذا مُسْتَقَر وهذا مُسْتَقَر، فضَّل الاستقرار الواحد[١].

قال القاضي أَبو محمد: ويظهر لي أَن هذه الأَلفاظ التي فيها عموم ما، ويتوجَّه حكمها من جهات شتَّى، نحو قولك: أَحبُّ، وأَحْسَنُ، وخيْر، وشرٌّ، يسوغ أَن يُجَاءَ بها بين شيئين لا شركة بينهما، فتقول: السَّعد في الدنيا أَحب إِلينا من الشقاءِ، أَي: قد يوجد بوجه ما من يستحب الشقاءَ كالمتَعَبِّد والمغتاظ، وكذلك في غيرها، فإِذا كانت أَفْعل في معنى بيِّن أَن الواحد من الشيئين لا حظَّ له فيه بوجهٍ فسد الإِخبار بالتفضيل به، كقولك: الماءُ أَبرد من النار، ومن هذا أَنك تقول في ياقوتة ومَدَرَة ـ وتُشير إِلى المَدَرة ـ: هذه أحسن وخير وأَحب وأَفضل من هذه، ولو قلتَ: هذه أَلمع وأَشدُّ شراقة من هذه، لكان فاسداً.

وقوله: ﴿مَقِيلًا﴾، ذهب ابن عباس[٢]، والنَّخعي، وابن جريج إِلى أَن حساب الخلق يكمل في وقت ارتفاع النهار ويَقيل أَهل الجنة في الجنة، وأَهل النار في النار، فالمقيل من القائلة[٣].

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل أَن اللفظة إِنما تضمنت تفضيل الجنة جملةً [وحُسْنَ هوائها][٤]، فالعربُ تفضل البلاد بحُسْنِ المقيل؛ لأن وقت القيلولة يبدو فيه فساد هواءِ البلاد، فإِذا كان بلدٌ في وقت فساد الهواءِ حَسَناً حاز الفضل، ومن ذلك قول الأَسود بن يَعْفُر الإِيادي:

---

(١) انظر كلامه على هذه الآية في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٦٤)، وليس فيه ما يقتضي ذلك.

(٢) ضعيف جداً، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٠٨٠) من طريق رَوَّاد بن الجراح، عن نَهْشل، عن الضحاك، عن ابن عباس، به.

ونهشل، وهو ابن سعيد الورداني، متروك، وكذبه الطيالسي وابن راهويه، انظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ٣١).

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٢٥٩)، بتصرف يسير.

(٤) سقط من الأصل.

أَرْضٌ تَخَيَّرَهَا لِطِيبِ مَقِيلِهَا كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وابن أُمِّ دُؤَاد[١] [الكامل]

وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾، يريد يوم القيامة عند انفطار السماءِ، ونزول الملائكة، ووقوع الجزاءِ بحقيقة الحساب.

وقرأَ نافع وابن كثير،، وابن عامر: ﴿تَشَّقَّقُ﴾ بشد الشِّين والقاف.

وقرأَ الباقون بتخفيف الشِّين[٢].

وقوله: ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾، أَي: تشقَّق عنه، و«الغمام»: سحاب رقيق أَبيض جميل، لم يره البشر بعد إِلَّا ما جاءَ في تظليل بني إِسرائيل.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بضم النون وشد الزاي المكسورة ورفع ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ على مفعول لم يُسَمَّ فاعله.

وقرأَ أَبو عمرو في رواية عبد الوهاب: (وَنُزِلَ) بتخفيف الزاي المكسورة[٣].

قال أَبو الفتح: وهذا غير معروف؛ لأَن نَزَل لا يتعدى إِلى مفعول فيبنى هنا للملائكة، ووجهه أَن يكون مثل: زُكِمَ الرجل وجُنَّ، فإِنه لا يقال إِلَّا أَزْكَمه الله وأَجَنَّه، وهذا باب سماع لا قياس.

وقرأَ أَبو رجاءٍ: (وَنَزَّل) بفتح النون وشدِّ الزاي.

وقرأَ الأَعمش: (وأَنْزل الملائكة)، وكذلك قرأَ ابن مسعود.

وقرأَ أُبيٌّ بن كعب: (ونَزَلت الملائكة)[٤].

---

(١) انظر عزوه له في معجم البلدان (٣/ ٢٦٦)، نهاية الأرب (٣/ ٥٩)، عيار الشعر (١/ ٨٨)، الحماسة المغربية (٢/ ١٤٠١).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٣).

(٣) وهي شاذة، نقلها عنه في المحتسب (٢/ ١٢١) وانظر فيه ما سيأتي عنه.

(٤) هذه ثلاث قراءات شاذة، انظر عزوها لأصحابها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٨).

وقرأ ابن كثير وحده: ﴿ونُنزل الملائكةَ﴾ بنونين، وهي قراءَة أَهل مكة، ورويت عن أَبي عمرو[١].

وقرأ هارون عن أَبي عمرو: (وَنَزَّل الملائكةُ) بإِسناد الفعل إِليها.

وقرأت فرقة: (وينزل الملائكة).

وقرأ أُبيُّ بن كعب أَيضاً: (وتَنَزَّلت الملائكة)[٢].

ثم قرَّر أَن المُلْك الحق هو يومئذ للرحمن؛ إِذ قد بطل في ذلك اليوم كل ملك. وعسرُهُ على الكافرين: يُوَجَّه بدخول النار عليهم فيه، وما في خلال ذلك من المخاوف.

وقوله: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ دليله[٣] أَن ذلك اليوم سهلٌ على المؤمنين.

ورُوي عن النبي ﷺ أَنه قال: «إِن الله لَيهوّنُ يومَ القيامة على المؤمن حتى يكونَ أَخفَّ من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا»[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ ﴾ ظرفٌ، العاملُ فيه مضمر، و«عضُّ اليدين»: هو فعل النادم الملهوف المتفجع.

---

(١) وهي والأولى سبعيتان، كما في السبعة (ص: ٤٦٤)، وهي رواية شعيب عن أبي عمرو كما في الكامل للهذلي (ص: ٦١٠).

(٢) وهذه الثلاث شاذة أيضاً، انظر الأولى والثالثة في الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٨)، أما الثانية فلم أجدها بالياء.

(٣) أي مفهومه بدليل الخطاب، وفي المطبوع: «دليل على».

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٠٢) من طريق دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، مرفوعاً به، ودراج هو ابن سمعان أبو السمح، في حديثه عن أبي الهيثم ضعف.

وقال ابن عباس وجماعة من المفسرين: الظَّالِمُ في هذه الآية عُقبة بن أَبي معيط؛ وذلك أَنه أَسلم أَو جنح للإِسلام، وكان أُبي بن خلف الذي قتله رسول الله ﷺ بيده يوم أُحد خليلاً لِعقُبة، فنهاه عن الإِسلام، فقبل نهيَه، فنزلت الآية فيهما، فالظالم عُقبة، وفلانٌ أُبيّ[١].

وفي بعض الروايات عن ابن عباس: أَن الظالم أُبيّ، فإنه كان يحضر إِلى النبي ﷺ، فنهاه عُقبة، فأَطاعه[٢].

قال القاضي أَبو محمد: ومن أَدخل في هذه الآية أُمَيَّة بن خلف فقد وهم، إِلَّا على قول من يرى «﴿ٱلظَّـالِمُ﴾» اسم جنس.

وقال مجاهد، وأَبو رجاءٍ: الظالم: عام[٣] اسمُ جنس، وفلان: الشَّيطان[٤].

قال القاضي أَبو محمد: ويظهر لي أَن الظَّالم عامٌّ، وأَن مقصد الآية: تعظيم [يوم القيامة وذكر هوله بأنه يوم تندم فيه الظلمة وتتمنى أن لو لم تطع في دنياها خلانها الذين][٥] أَمروهم بالظلم، فلما كان خليلُ كل ظالم غيرَ خليل/ الآخر، وكان كل ظالم [٤/ ١١٥] يسمي رجلاً خاصاً به عبَّر عن ذلك بـ (فُلان) الذي فيه الشياع التَّام، ومعناه واحد من الناس، وليس من ظالم إِلا وله في دنياه خليلٌ يعينه ويحرِّضه، هذا في الأَغلب، ويشبه أَن سبب الآية وترتُّب هذه المعنى كان عُقبة وأُبيّاً.

وقوله: ﴿مَعَ ٱلرَّسُولِ﴾ يُقَوِّي ذلك بأَن نجعل تعريف ﴿ٱلرَّسُولِ﴾ للعهد، والإِشارة إِلى محمد ﷺ، وعلى التأْويل الأَول التَّعريفُ للجنس.

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٦٢) من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٦٣)، وابن أبي حاتم (١٥/ ٩٧) في تفسيرهما من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه، وفي كليهما ضعف.

(٣) سقط من الأصل والمطبوع.

(٤) تفسير الماوردي (٤/ ١٤٣).

(٥) في المطبوع بدله: «يوم يتبرَّأُ فيه الظالمون من خلانهم الذين».

وكلُّهم قرأَ ﴿لَيْتَنِي﴾ ساكنة الياءِ غير أَبي عمرو فإِنه حرَّكَ الياءَ في ﴿ليتنيَ اتخذت﴾، ورواها أَبو خليد[١] عن نافع مثل أَبي عمرو[٢].

و«السَّبِيلُ المتمنَّاة»: هي طريق الآخرة.

وفي هذه الآية لكل ذي نُهْيةٍ تنبيهٌ على تجنُّب قرين السوءِ، والأَحاديث والحِكَم في هذا الباب كثيرة مشهورة.

وقوله: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ﴾ التاء[٣] فيه عِوَض من الياءِ في: يا وَيْلي، والألف هي التي في قولهم: يا غلاما، وهي لغة.

وقرأَت فرقة بإِمالة: ﴿يا ويلتى﴾[٤].

قال أَبو علي: وترك الإِمالة أَحسن؛ لأَن أَصل هذه اللفظة الياءُ: يا وَيْلَتِي، فبدلت الكسرة فتحة والياءُ أَلفاً فِراراً من الياءِ، فمن أَمال رجع إِلى[٥] الذي فرَّ منه أَولًا[٦].

و﴿ٱلذِّكْرِ﴾: هو ما ذكر به الإِنسان أَمر آخرته من قرآن أَو موعظة ونحوه.

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ يحتمل أَن يكون من قول الظالم، ويحتمل أَن يكون ابتداءَ إِخبار من الله تعالى على جهة الدلالة على وجه ضلالتهم، والتحذيرِ من الشيطان الذي بلغهم[٧] ذلك المبلغ.

---

(١) في المطبوع: «أبو حامد»، ولعله خطأ، وأبو خليد هو عتبة بن حماد، تقدم في الأنعام.

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٥)، ورواية أبي خليد ليست من طرق التيسير لكنها في السبعة (ص: ٤٦٤).

(٣) في المطبوع: «الياءُ»، ووجَّهه في حاشيته مع أنه خطأ.

(٤) منهم حمزة والكسائي على أصلهما، وقللها ورش وأبو عمرو، انظر: التيسير (ص: ٤٨).

(٥) في لالاليه ونور العثمانية: «عن».

(٦) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٣٤٣).

(٧) في المطبوع: «بلغ ثَمَّ».

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ حكاية عن قول الرسول ﷺ في الدنيا، وتَشَكِّيه ما يلقى من قومه، هذا قول الجمهور، وهو الظاهر.

وقالت فرقة: هو حكاية عن قوله ذلك في الآخرة.

وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو: ﴿قَوْمِيَ﴾ بتحريك الياءِ، والباقون بسكونها[١].

و﴿مَهْجُورًا﴾ يحتمل أن يريد: مُبعداً مَقْصِيّاً، [من الهَجْر بفتح الهاء، وهذا قول ابن زيد.

ويحتمل أن يريد: مقولاً فيه الهُجر بضم الهاءِ][٢] إشارة إلى قولهم: شعر وكهانة وسحر، وهذا قول مجاهد وإبراهيم النخعي[٣].

قال القاضي أبو محمد: وقول ابن زيد منبه للمؤمنين على ملازمة المصحف، وأَلَّا يكون الغبَار يعلوه في البيوت ويشتغل بغيره.

وروى أَنس عن النبي ﷺ أَنه قال: «من علَّق مصحفاً ولم يتعاهده أَتى يوم القيامة متعلقاً[٤] به، يقول: هذا اتخذني مهجوراً، اقْض يا ربِّ بيني وبينه»[٥].

ثمَّ سلاه[٦] عن فعل قومه بأَن أَعلمه أَن غيره من الرسل كذلك امتُحن بأَعداء في زمنه، أَي: فاصبر كما صبروا، [قاله ابن عباس][٧].

---

(١) وهما سبعيتان، إلا أن قنبلًا أسكن، انظر: التيسير (ص: ١٦٥).

(٢) سقط من المطبوع، وفيه بدله: «ويحتمل أن يكون من الهجر بضم الهاء»، قال في الحاشية: زيادة لا بد منها، فكأنه ليس في أصولهم.

(٣) انظر قولهما مع قول ابن زيد في تفسير الطبري (١٩/ ٢٦٤)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٤٣).

(٤) في المطبوع: «معلقاً».

(٥) ضعيف، الحديث عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ٤٥٩) للثعلبي من حديث أنس ابن مالك، رضي الله عنه، وذكر سنده، وفيه: الخضر بن أبان الهاشمي، وهو ضعيف الحديث، انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٦٥٤).

(٦) في المطبوع: «آنسه».

(٧) سقط من الأصل، وهو معضل، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٦٥) من طريق حجاج، وهو المصيصي، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

و﴿عَدُوًّا﴾ يراد به الجمع، تقول: هؤُلاءِ عدُوٌّ لي، فتصف به الجمع والواحد والمؤنث.

ثم وعده تعالى بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾، والباءُ في ﴿بِرَبِّكَ﴾ للتأْكيد، دالة على [الأمر؛ إذ المعنى][1]: اكتف بربك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾.

رُوي عن ابن عباس وغيره: أَن كفار قريش قالوا في بعض معارضاتهم: لو كان هذا القرآن من عند الله لنزلَ جملةً كما نزلت التوراة والإِنجيل[2].

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يحتمل أَن يكون من قول الكفار، [إشارة إلى التوراة والإنجيل.

ويحتمل أن يكون من الكلام المستأنف][3]، وهو أَوْلى، ومعناه: كما نزل أَردناه، فالإِشارة إِلى نزوله متفرقاً، وجعل الله تعالى السببَ في نزوله متفرقاً في الزمان تثبيتَ فؤاد محمد ﷺ، وليحفظه.

وقال مكيٌّ، والرُّمَّانيُّ: من حيث كان أُمِّيّاً لا يكتب، وليطابق الأَسباب المؤقتة، فنزل في نيّف على عشرين سنة، وكان غيره من الرسل يكتب فنزل إليه جملة[4].

وقرأَ عبد الله بن مسعود: (لِيُثَبِّتَ) بالياءِ[5].

---

(١) في المطبوع: «على المعنى إذ هو».
(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٦٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.
(٣) ساقط من المطبوع وفيه بدلًا منه: «ويحتمل أَن يكون مستأْنفاً من كلام الله تبارك وتعالى لا من كلامهم»، إلا أنه قال في الحاشية: زيادة لا بُدَّ منها حتَّى يستقيم المعنى، بمعنى أنها ليست في أصولهم.
(٤) راجع الهداية لمكي (٨/ ٥٢١٦)، وتفسير الرماني لم أقف عليه.
(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص: ١٠٦).

و«التَّرْتيلُ»: التفريق بين الشيءِ المتتابع، ومنه قولهم: ثغر رَتَلٌ[١]، ومنه ترتيل القراءَة، وأَراد الله تعالى أَن يُنَزل القرآن في النوازل والحوادث التي قدَّرها وقدَّر نزوله فيها.

ثم أَخبر تعالى نبيه أَن هؤلاءِ الكفرة لا يجيئون بِمَثَلٍ يضربونه على جهة المعارضة منهم[٢] ـ كتمثيلهم في هذه بالتوراة والإِنجيل ـ إلاَّ جاءَ القرآن بالحق في ذلك، بالجلية[٣]، ثم هو أَحسن تفسيراً، أَو أَفصح بياناً وتفصيلًا.

ثم توعد الكفار بما ينزل بهم يوم القيامة من الحشر على وجوههم إِلى النار.

وذهب الجمهور إِلى أَن هذا المشي على الوجوه حقيقة، ورُوي في ذلك من طريق أَنس بن مالك حديثٌ: أَن النبي ﷺ قال له رجل: يا رسول الله، كيف يقدرون على المشي على وجوههم؟ قال: «إِن الذي أَقدرهم على المشي على أَرجلهم قادر أَن يمشيهم على وجوههم»[٤].

وقالت فرقة: المشي على الوجوه استعارة للمذلة المفرطة والهوان والخزي.

وقوله تعالى: ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ القول فيه كالقول في قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾.

---

(١) في المطبوع: «بقر رتل».

(٢) في المطبوع: مبهم.

(٣) في المطبوع: «أَي بالذي هو حقٌّ».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٤٨٢) ومسلم (٢٨٠٦) من حديث أنس بن مالك، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

هذه الآيات التي ذكر فيها الأُمم هي تمثيلٌ لهم وتوعُّدٌ أَن يحل بهم ما حلَّ بهؤلاءِ المعذَّبين.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة.

و«الْوَزير»: المُعين، وهو من تحمُّل الوزْر، أَي ثقل الحال، ومن الوَزَر الذي هو الملجأُ.

و﴿ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾: هم فرعون ومَلؤُهُ من القبط، ثم حذف من الكلام كثير دلَّ عليه ما بقي، وتقدير المحذوف: فَذَهبا[1] فَأَدَّيا الرسالة فكذبوهما فدمَّرْناهم.

وقرأَ عليٌّ بن أَبي طالب، ومسلمة بن محارب: (فَدَمِّرَانِّهِمْ)[2]، أَي: كونا سبب ذلك، قال أَبو الفتح: أَلْحَقَ نون التوكيد أَلف التَّثنية، كما تقول: اضربانِّ / زيداً. [٤/ ١١٦]

ورُوي عن عليٍّ بن أَبي طالب رضي الله عنه: (فَدَمِّراهم).

وحكى عنهم أَبو عمرو الدَّاني: (فَدَمِرْناهُمْ) بكسر الميم خفيفة.

قال: وروي عنهم: (فدمِّروا بِهِمْ)[3] على الأمر لجماعة وبزيادة باءٍ، والذي فسَّر أَبو الفتح وهم، وإِنما القراءَة: (فَدَمِّروا بِهِمِ)، وكذلك ذكره المهدوي[4].

ونُصِب قوله: (قَوْمَ) بفعل مضمر يدلُّ عليه ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾.

وقوله: ﴿ٱلرُّسُلَ﴾ ـ وهم إِنما كذبوا نوحاً فقط ـ معناه: أَن الأُمة التي تكذب نبيّاً واحداً ففي ضمن ذلك تكذيب جميع الأَنبياءِ، فجاءَت العبارة بما يتضمنه فعلهم تغليظاً[5] في القول عليهم.

---

(١) سقطت من الأصل وفيض الله، وفي الحمزوية: «قدما فأديا».

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها لهم في المحتسب (٢/ ١٢٢)، مع التوجيه المنقول عنه.

(٣) في فيض الله: «وروي عنه: فدمرا بهم بالياء على الأمر لجماعة وبزيادة باء... إلخ»، وفي أحمد٣: «فدمرا بهم» وسقطت الثانية مع ما بينهما، وفي لالاليه والحمزوية: «فدمرا بهم»، في الثانية.

(٤) وكلها شاذة، انظر التحصيل للمهدوي (٥/ ١٩) مع تعليق المحقق، وانظر قول ابن جني مع نقل أبي عمرو في المحتسب (٢/ ١٢١)، ويُنظر هل هو الداني؟.

(٥) في المطبوع: «تعبيراً».

وقوله: ﴿ءَايَةً﴾ أي علامةً على سطوة الله تعالى بكل كافر بأنبيائه.

و«عاد» و«ثمود»: يُصرف ولا يصرف، وجاءَ هاهنا مصروفاً، وقرأَ ابن مسعود، وعمرو ابن ميمون، والحسن، وعيسى: ﴿وَعَادًا﴾ مصروفاً، ﴿وَثَمُودَاْ﴾ غير مصروف[١].

واختلف الناس في (أصحاب الرسِّ):

فقال ابن عباس: قوم من ثمود[٢].

وقال قتادة: هم أَهل قرية من اليمامة يقال لها: الرَّسُّ [والفلج[٣].

وقال مجاهد: هم أهل قرية فيها بئر عظيمة يقال لها: الرَّسُّ][٤].

وقال كعب، ومقاتل، والسُّدي: «الرَّس»: بئر بأَنطاكية الشام، قُتل بها صاحب ياسين[٥].

وقال الكلبي: [«أَصحاب الرَّسِّ» قوم بُعث إِليهم نبيٌّ فأكلوه[٦].

وقال قتادة][٧]: «أَصحاب الرَّسِّ» و«أَصحاب الأيْكة» قومان أُرسل إِليهم شعيب عليه السلام، وقاله وهب بن مُنَبِّه[٨].

وقال عليٌّ رضي الله عنه ـ في كتاب الثعلبي ـ: «أَصحاب الرَّسِّ» قوم عبدوا شجرة صنوبر يقال لها: شاه درخت، رسُّوا نبيهم في بئر [حفروه له في حديث طويل[٩].

---

(١) وهي سبعية، منعُ الصرف لحفص وحمزة، والباقون بالصرف، انظر التيسير (ص: ١٢٥).
(٢) منقطع، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٦٩) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.
(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٢٦٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٩٥)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٤٥).
(٤) سقط من المطبوع، وسقط قول مجاهد من فيض الله ونور العثمانية، وانظر: تفسير الطبري (١٩/ ٢٧٠).
(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٢٣٥)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٣٤).
(٦) لم أقف عليه، وفي المطبوع: «فقتلوه»، وانظر: تفسير الثعلبي (٧/ ١٣٤).
(٧) سقط من لالاليه ونور العثمانية.
(٨) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٣٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٢٨).
(٩) ذكره الثعلبي (٧/ ١٣٥) عن علي بن الحسين زين العابدين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب بلفظ مطولًا.

و«الرَّسُّ» في اللغة: كل محفور من بئر][1] أَو قبر أَو معدن، ومنه قول الشاعر:

[المتقارب] سبقْتَ إِلى فَرَطٍ بَاهِلٍ تَنَابِلَةٍ يَحْفُرُونَ الرِّسَاسَا[2]

وروى عكرمة، ومحمد بن كعب القرظي عن النبي ﷺ أَن أَهل الرَّسِّ المشار إليهم في هذه الآية: قومٌ أَخذوا نَبِيَّهم فرسوه في بئر وأَطبقوا عليه صخرة، قال: فكان عبْدٌ أَسود قد آمن به، يجيءُ بطعام إِلى ذلك البئر فيعينه الله على تلك الصخرة [فيقلعها، وهو مؤمن بذلك النبي، فيعطيه ما يغذيه، ثم يردُّ تلك الصخرة][3]، إِلى أَن ضرب الله يوماً على أُذن ذلك الأَسود بالنوم أَربع عشرة سنة، وأَخرج أَهل القرية نبيهم وآمنوا به... في حديث طويل[4].

قال الطبري: فيمكن أَنهم كفروا به بعد ذلك فذكرهم الله تعالى في هذه الآية[5].

وقوله: ﴿وَقُرُونَا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ إبهام[6] لا يعلم حقيقته إِلا الله عز وجل، وقد تقدم شرح القرن، وكم هو، ومن هذا اللفظ قال رسول الله ﷺ فيما يروى ـ ويروى أَن ابن عباس قاله ـ: «كذب النَّسَّابون من فوق عدنان»[7]، لأن الله تعالى أَخبر عن كثير من الخلق والأُمم ولم يحد، [ولم يخبر عن غيرهم][8].

---

(١) سقط من المطبوع.
(٢) البيت للنابغة الجعدي كما سيأتي للمؤلف في سورة ق، وانظره في مجاز القرآن (٢/ ٧٥)، والمحكم (٨/ ٤١٠).
(٣) سقط من الأصل.
(٤) مرسل، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٧٠) من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي، عن النبي ﷺ مرسلاً.
(٥) تفسير الطبري (١٩/ ٢٧١)، بتصرف.
(٦) في المطبوع: «إيهامٌ».
(٧) لم أجده من قول ابن عباس، ولكن رواه الطبري (١٦/ ٥٣٠) من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن عمرو بن ميمون، عن ابن مسعود، به، وهذا إسناد صحيح، لو سلم من تدليس أبي إسحاق.
(٨) سقط من الأصل.

ثم قال تعالى: إِن كلَّ هؤلاءِ ضُرب له الأَمثال ليهتدي فلم يهتد، فَتبَّـرَهُ اللهُ، أَي أَهلكه، و«التَّبارُ»: الهلاكُ، ومنه التِّبْرُ: الذَّهب، أَي: المُكَسَّر المُفَتَّت، ولذلك يقال لِفُتات الرُّخام والزُّجاج: تِبْر، وقال ابن جرير: إِن أَصل الكلمة نبطي، ولكن العرب قد استعملته(١).

قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾.

قال ابن عباس وابن جريج، والجماعة: الإِشارة إِلى مدينة قوم لوط، وهي سَدُوم بالشام(٢).

و﴿ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ﴾: حجارة السِّجِّيل.

وقرأَ أَبو السّمال: (السُّوءِ) بضم السِّين المشددة(٣).

ثم وقفهم على إِعراضهم وتعرضهم لسخط الله تعالى بعد رؤْيتهم العبرة من تلك القرية، ثم حكم عليهم [بأَن كفرهم إِنما أَوجبه فساد معتقدهم في أَمر الآخرة، وأَنهم لا يرجون البعث، وكذلك لا يخافونه.

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٢٧٢).

(٢) إنما روي من قول ابن جريج، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٧٢-٢٧٣) من طريق الحسين، ثنا حجاج، عن ابن جريج، به من قوله، ثم أورد عن ابن عباس قولاً آخر. والحسين: هو سنيد بن داود المصيصي، ضعيف الحديث.

(٣) وهي شاذة، انظرها في الدر المصون (٨/ ٤٨٤).

ثم حكى الله تعالى عنهم][(١)] أنهم إذا رأوا محمداً ﷺ استهزؤوا به واحتقروه، واستبعدوا أن يبعثه الله تعالى رسولاً، فقالوا ـ على جهة الاستهزاءِ ـ: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾.

وفي ﴿بَعَثَ﴾ ضمير يعود على ﴿ٱلَّذِى﴾ حذف[(٢)] اختصاراً، وحسن ذلك في الصفة.

ثم آيَسَ النبيَّ ﷺ عن كفرهم بقوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ الآية، والمعنى: لا تتأَسف عليهم ودَعهم لرأْيهم، ولا تحسب أَنهم على ما تحب من التحصيل والعقل؛ بل هم كالأَنعام في الجهل بالمنافع، وقلَّة التَّحَسُّس للعواقب، ثم حكم بأَنهم أَضلُّ سبيلاً من حيث لهم الفَهْم وتركوه، والأَنعام لا سبيل لهم إِلى فهم الصالح، ومن حيث جهالة هؤلاءِ وضلالتهم في أَمر أَخطر من الأمر الذي فيه جهالة الأَنعام.

وقوله: ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ معناه: جعل هواهُ مطاعاً فصار كالإِله، والهوى قائد إِلى كل فساد؛ لأن النفس أَمارة بالسوءِ، وإِنما الصلاح إِذا ائتمرت للعقل[(٣)].

وقال ابن عباس: الهوى إِله يُعبد من دون الله، وذكره الثعلبي[(٤)].

وقيل: الإِشارة بقوله: ﴿إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ إِلى ما كانوا عليه من أَنهم كانوا يعبدون حجراً، فإِذا وجدوا أَحسن منه طرحوا الأَول وعبدوا الثاني الذي وقع هواهم عليه.

قال أَبو حاتم: وروي عن رجل من أَهل المدينة؛ قال ابن جني هو الأَعرج: (إِلاهَةً هواهُ)[(٥)].

---

(١) سقط من الأصل، وفي لالاليه ونور العثمانية وفيض الله: «حكم»، بدل حكى.

(٢) في المطبوع: «حذفت».

(٣) في المطبوع: «العقل».

(٤) لم أقف عليه من قول ابن عباس رضي الله عنه.

(٥) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ١٢٢).

والمعنى: اتخذ شمساً يستضيءُ بها، إِذ الشمس يقال لها: إلاهة، وتصرف [ولا تصرف][(١)].

و«الوكيل»: القائم على الأَمر الناهض به.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ معناه: انتبه، والرؤْية هنا: رؤْية القلب.

وأَدغم عيسى بن عمر: ﴿رَبِّك كَّيفَ﴾، قال أَبو حاتم: والبيان أَحسن[(٢)].

و«مَدُّ الظِّلّ»: بإِطلاق، هو ما بين أَول الإِسفار إِلى بزوغ الشمس، ومن بعد مغيبها مدة يسيرة، فإِن في هذين الوقتين على الأرض كلها ظلّ ممدود[(٣)] مع أَنه نهار، وفي سائر أَوقات النهار ظلال متقطعة، والمَدُّ والْقَبْضُ مطرد فيها، وهو عندي المراد في الآية، والله أَعلم.

ومن الظل الممدود: ما ذكر الله في هواءِ الجنة؛ لأَنها لما كانت لا شمس فيها كان ظلها ممدوداً أَبداً / . [٤/ ١١٧]

وتظاهرت أَقوال المفسرين على أَن مدَّ[(٤)] الظلِّ: هو من الفجر إِلى طلوع الشمس، وهذا معترض بأَن ذلك في غير نهار؛ بل في بقايا الليل، لا يقال له ظل.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ أَي: ثابتاً غير متحرك ولا منسوخ، لكنه جعل الشمس ونسخها إِياه وطردها له من موضع إِلى موضع دليلاً عليه، مبيناً لوجوده ولوجه العبرة فيه.

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) وهما سبعيتان، والأولى للسوسي على قاعدته في الإدغام الكبير.

(٣) كذا في المطبوع وجميع النسخ بالرفع، وهي لغة يقدر فيها ضمير الشأن، وقد جاءت بها أحاديث ولها نظائر في الشعر كثيرة، وفي نور العثمانية هنا زيادة «صوابه: ظلاً ممدوداً»، وهي مدرجة، تدل على أنه ليس من خطأ النساخ، وفي المطبوع تقديم وتأخير غير مؤثر، وفي الأصل: على أنه بدل مع أنه.

(٤) في المطبوع: «أن هذا الظل».

وحكى الطبري أَنه لولا الشمس لم يعلم أَن الظل شيءٌ؛ إِذ الأَشياءُ إِنما تعرف بأَضدادها[١].

وقوله: ﴿قَبۡضٗا يَسِيرٗا﴾ يحتمل أَن يريد: لطيفاً، أَي: شيئاً بعد شيءٍ لا في مرة واحدة ولا بعنف.

قال مجاهد: ويحتمل أَن يريد: معجلاً، وهذا قول ابن عباس[٢].

ويحتمل أَن يريد: سهلاً قريب المتناول.

قال الطبري: ووصف الليل باللباس تشبيهاً من حيث يستر الأَشياءَ ويغشاها[٣].

و«السُّبات»: ضرب من الإِغماءِ يعتري اليقظان مرضاً، فشُبِّه النائم به، والسبت: الإِقامة في المكان، فكأَن السبات سكونٌ مَا وثبوت عليه.

و«النُّشورُ» في هذا الموضع: الإِحياءُ، شبَّه اليقظة به ليتطابق الإِحياءُ مع الإِماتة والتوفي اللَّذين يتضمنهما النوم والسبات.

ويحتمل أَن يريد بالنشور: وقت انتشارٍ وتفرقٍ لطلب المعاش وابتغاءَ فضل الله.

وقوله: ﴿ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا﴾ وَمَا قبله من باب: ليلٌ نائم ونهار صائم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ﴿٤٨﴾ لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴿٥٢﴾﴾.

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٢٧٦).

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٧٧) وابن أبي حاتم (١٥٢٢٩) في تفسيرهما من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنه.

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٢٧٨)، بتصرف.

قرأت فرقة: ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾، وقرأت فرقة: ﴿الرِّيحَ﴾ على الجنس، فهي بمعنى الرياح، وقد نسبنا القراءَة في سورة الأَعراف[١].

وقراءَة الجمع أَوجه؛ لأَن عرف الريح متى وردت في القرآن مفردة فإِنما هي للعذاب، ومتى كانت للمطر والرحمة فإِنما هي رياح؛ لأَن ريح المطر تتشعب، وتتداءَب[٢]، وتتفرق وتأْتي ليِّنة من ها هنا وها هنا، وشيئاً إِثْر شيءٍ، وريح العذاب حرجف[٣]، لا تتداءَب، وإِنما تأْتي جسداً واحداً، أَلا ترى أَنها تُحَطِّم ما تجد وتهدمه؟.

قال الرُّماني: جُمعت رياح الرحمة لأَنها ثلاثة لواقح: الجنوب والصَّبا والشمال، وأُفردت ريح العذاب لأَنها واحدة لا تلقح، وهي الدَّبور[٤].

قال القاضي أَبو محمد: ويرد[٥] على هذا قولُ النبي ﷺ إِذا هبَّت الريح: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»[٦].

واختلف القراءُ في النشر في النون والباءِ، وغير ذلك اختلافاً قد ذكرناه في سورة الأَعراف[٧].

و﴿نَشْراً﴾ معناه: منتشرة متفرقة.

---

(١) وهما هنا سبعيتان، الإفراد لابن كثير، انظر: التيسير (ص: ٧٨)، وفي فيض الله ونور العثمانية: «وقد بينا».
(٢) قال في حاشية المطبوع: هكذا في الأصول، ونقلها أبو حيان في البحر أيضاً بهذا اللفظ، ولا نجد لها هنا معنى، فلعلها تحريف عن كلمة أُخرى، أو لعل معناها: تَستمر وتدوم وتُلازم.
(٣) الحَرْجَفُ من الرياح: الباردة الشديدة الهبوب مع جفاف، ولَيْلَةٌ حرجف: باردةُ الريح.
(٤) نقله في البحر المحيط (٨/ ١١٥).
(٥) قال في حاشية المطبوع: غير موجودة في الأصول، ولكن المعنى هنا يقتضيها، وهي عندنا في كل النسخ.
(٦) ضعيف، أخرجه أبو يَعلى في مسنده (٤/ ٣٤١) والطبراني في الكبير (١١/ ٢١٣) من طريق الحسين بن قيس، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف جدّاً، الحسين بن قيس هو الرحبي، متروك الحديث، انظر: تهذيب الكمال (٦/ ٤٦٥)، ورواه الشافعي عمن لا يتَّهِم عن العلاء بن راشد عن عكرمة عن ابن عباس به (مسند الشافعي ترتيب السندي ٥٠٢).
(٧) انظر تفسير الآية (٥٧).

و«الطَّهُور»: بناءُ مبالغة في طاهر، وهذه المبالغة اقتضته في ماءِ السماءِ وفي كل ما هو منه وبسبيله أَن يكون طاهراً مُطَهِّراً، [وفيما كثرت فيه التغايير، كماء الورد وعصير العنب أن يكون الماءُ طاهراً لا مطهراً][(١)]، [ثم إذا أفرط التغيير بخلطه الخبث لم يكن الماء طاهراً ولا مطهراً][(٢)]، ووصف البلدة بالميت لأنه جعله كالمصدر الذي يوصف به المذكَّر والمؤنث، وجاز ذلك من حيث الْبَلْدَة بمعنى الْبَلَد.

وقرأَ طلحة بن مصرف: (لننشئ به بلْدةً) [(٣)].

﴿وَنُسْقِيَهُۥ﴾ بضم النون، وهي قراءَة الجمهور، ومعناه: نجعله لهم سقياً، هذا قول بعض اللغويِّين في أَسْقَى، قالوا: وسَقَى معناه للشَّفَةِ، وقال الجمهور: سَقَى وأَسْقَى بمعنى واحد، وينشد على ذلك بيت لبيد:

[الوافر] سَقَى قَومِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى ... نُمَيْراً والْقَبَائِلَ مِنْ هِلال[(٤)]

وقرأَ أَبو عمرو: (ونَسْقِيَهُ) بفتح النون، وهي قراءَة ابن مسعود، وابن أَبي عبلة، وأَبي حيوة، ورويت عن عمر بن الخطاب[(٥)].

﴿وَأَنَاسِيَّ﴾ قيل: هو جمع إِنسان، والياءُ المشددة بدل من النون في الواحد، قاله سيبويه، وقال المبرد: هو جمع إِنْسيٍّ، فكان القياس أَن يكون: أَنَاسِيَة، كما قالوا في مهلبي: مهالبة، وحكى الطبريُّ عن بعض اللغويين في جمع إِنسان: أَنَاسِينَ بالنون، كسرحان وبستان[(٦)].

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) سقط من الأصل.

(٣) هكذا في جميع الأصول، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٩) عنه: «لننشر» من النشر، وكذا عزاها في فتح الباري (٩/ ٣٥) لابن مَسْعُود.

(٤) تقدم في تفسير الآية (٢٢) من سورة الحجر.

(٥) وهي شاذة، إذ لا خلاف هنا بين العشر كما في النشر (٢/ ٣٠٤)، وانظر نسبتها لعمر في تفسير الثعلبي (٧/ ١٤٠)، وللباقين في فتح الباري لابن حجر (٩/ ٣٥).

(٦) انظر: الكتاب لسيبويه (٣/ ٦٢١)، وتفسير الطبري (١٩/ ٢٧٩)، وقول المبرد في الهداية لمكي (٨/ ٥٢٣٥).

وقرأ يحيى بن الحارث (أَناسِي) بتخفيف الياء[١].

والضمير في ﴿صَرَّفْنَٰهُ﴾ قال ابن عباس[٢]، ومجاهد: هو عائد على الماءِ المنزل من السماءِ[٣]، المعنى أَن الله تعالى جعل لهم إِنزال الماءِ تذكرة بأَن يصرفه عن بعض المواضع إِلى بعض المواضع، وهو كله في كل عام بمقدار واحد، وقاله ابن مسعود[٤]، وقوله ـ عَلَى هذا ـ: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ أَيْ: في قولهم بالأَنواءِ والكواكب، قاله عكرمة[٥].

وقيل: ﴿كُفُورًا﴾ على الإِطلاق لما تركوا التذكر.

وقال ابن عباس: الضمير في ﴿صَرَّفْنَٰهُ﴾ للقرآن[٦]، وإِن كان لم يتقدم له ذكر لوضوح الأَمر، ويعضد ذلك قوله بعد ذلك: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾.

وعلى التأْويل الأَول الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يُراد به: القرآن على نحو ما ذكرناه، وقال ابن زيد: يرادُ به الإِسلام[٧].

وقرأ عكرمة: (صَرَفْنَاهُ) بتخفيف الراءِ[٨].

وقرأ حمزة، والكسائي، والكوفيُّون: ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ بسكون الذَّال.

---

(١) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ١٠٦).

(٢) صحيح، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٨٠) من طريق سليمان التيمي، قال: ثنا الحسن بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٢٨٠)، بتصرف.

(٤) إسناده ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٨٠) من طريق يزيد بن أبي زياد، عن أبي جحيفة، عن ابن مسعود، رضي الله عنه، به. ويزيد بن أبي زياد، هو الكوفي، متفق على تضعيفه، انظر: تهذيب الكمال (٣٢/ ١٣٥).

(٥) تفسير الطبري (١٩/ ٢٨٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٠٧)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٤٩).

(٦) لم أقف عليه من قول ابن عباس.

(٧) تفسير الطبري (١٩/ ٢٨١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٠٧).

(٨) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٠).

وقرأ الباقون: ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ بشد الذَّال والكاف[١].

وفي قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ الآية اقتضاب يدل عليه ما ذكر، تقديره: ولكنا أَفردناك بالنذارة وحملناك فلا تطع الكافرين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾.

اضطرب الناس في تفسير هذه الآية؛ فقال ابن عباس: أَراد: بحر السحاب[٢] والبحر الذي في الأَرض[٣]، ورُتِّبت أَلفاظ الآية على ذلك.

وقال مجاهد: البحر العذب هو مياه الأَنهار الواقعة في البحر الأُجاج، ووقوعها فيه مَرْجُهَا، قال: والبرزخ والحِجْر هو حاجز في علم الله لا يراه البشر[٤]، قاله الزَّجاج[٥].

وقالت فرقة: معنى ﴿مَرَجَ﴾: أَدام[٦] أَحدهما في الآخر.

وقال ابن عباس: خلَّى[٧] أَحدهما على الآخر[٨]، ونحو هذا من الأَقوال التي تتداعى [مع بعض أَلفاظ الآية][٩].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٦٥).

(٢) في المطبوع: «السماء».

(٣) لم أقف عليه.

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٢٨٣)، بتصرف.

(٥) معاني القرآن (٤/ ٧٢)، بتصرف.

(٦) في الأصل ولالاليه: «معناه مرج أحدهما» إلخ.

(٧) في المطبوع ونجيبويه: «علّى»، وفي الحمزوية ولالاليه ونور العثمانية: «حلى».

(٨) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٨٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، به.

(٩) سقط من المطبوع.

والذي أَقول في الآية: أن المقصد/ بها التنبيه على قدرة الله تعالى، وإِتقان خلقه للأَشياءِ، في أَن بث في الأَرض مياهاً عذبة كثيرة من أَنهار وعيون وآبار، وجعلها خلال الأُجاج، [وجعل الأُجاج][١] خلالها، فتلقى البحر قد اكتنفته المياه العذبة في ضفتيه، وتَلْقى الماءَ العذب[٢] في الجزائر ونحوها قد اكتنفه الماءُ الأجاج، فبَثُّها هكذا في الأرض هو خلطها، وهو قوله: ﴿مَرَجَ﴾. [٤/ ١١٨]

ومنه: ﴿أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥]، [أي: مختلط مشتبك.

ومنه: «مرجت عهودهم» في الحديث المشهور][٣].

و«الْبَحْرَان»: يراد بهما جميع الماءِ العذب وجميع الماءِ الأُجاج، كأَنه قال: مَرَجَ نَوْعَي الماءِ، و«البَرْزخ والحِجْر»: هو ما بين البحرين من الأَرض واليبس، قاله الحسن[٤].

ومنه القدرة التي تمسكهما[٥] مع قُرب ما بينهما في بعض المواضع.

وبكسر الحاءِ قرأَ الناسُ كلهم هنا، والحسن بضم الحاءِ في سائر القرآن[٦].

---

(١) ما بين معقوفين سقط من الأصل.

(٢) في المطبوع: «الماء في البحر»، بدل العذب.

(٣) سقط من المطبوع، والحديث صحيح، روي من طرق عن عبد الله بن عمرو العاصي أن النبي ﷺ قال له: «كيف بك يا عبد الله إذا بقيت في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأمانتهم واختلفوا فصاروا هكذا وشبك بين أصابعه قال: فكيف أفعل يا رسول الله؟ قال: تأخذ ما تعرف وتدع ما تنكر وتقبل على خاصتك وتدعهم وعوامهم»، تراجع السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني رقم (٢٠٥-٢٠٦)، وعلق البخاري (٤٨٠) أول هذا الحديث ولم يسق بقيته، وساقه الحميدي بتمامه في الجمع بين الصحيحين (١٤٣٥) وقال: ليس هذا الحديث في أكثر النسخ وإنما حكى أبو مسعود أنه رآه في كتاب أبي رميح عن الفربري وحماد بن شاكر عن البخاري. اهـ. ويراجع فتح الباري لابن حجر (١/ ٥٦٦).

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٢٨٣)، تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٠٨).

(٥) في الأصل: «تمسكها».

(٦) وهي قراءة شاذة، كما تقدم قريباً عنه وعن أبي رجاء، وانظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٧).

[و«الفرات»: الصافي اللذيذ المطعم][١].

و«البرزخ»: الحاجز بين الشيئين.

وقرأ الجمهور: ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ﴾.

وقرأ طلحة بن مصرّف: (وهذا مَلِحٌ) بكسر اللام وفتح الميم، قال أبو حاتم: هذا منكر في القراءة، قال ابن جني: أراد: مالحاً، وحذف الأَلف، كعَرِدٍ وبَرِدٍ[٢].

و«الأُجاجُ»: أَبلغ ما يكون من الملوحة.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ الآية، هو تعديد النعمة على الناس في إِيجادهم بعد العدم، والتنبيه على العبرة في ذلك، وتعديد النعمة في التواشج الذي جعل بينهم من النسب والصهر.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ إما أَن يريد: أَصل الخلقة في أَن كل حيٍّ مخلوق من الماءِ، وإِما أَن يريد: نُطَف الرجال، وكلٌّ من ذلك قالته فرقة، والأَول أَفصح وأَبين.

و«النَّسَب والصِّهر»: معنيان يعمان كل قربى تكون بين آدميَّيْن، «فالنَّسب»: هو أَنْ يجتمع إِنسانٌ مع آخر في أَب أَو في أُمٍّ، قَرُبَ ذلك أَو بعد ذلك، و«الصِّهر»: تواشج المناكحة، فقرابة الزوجة هم الأَخْتان، وقرابة الزوج هم الأَحْماءُ، والأَصهار يقع عامّاً لذلك كله.

وقال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: «النَّسب» ما لا يحل نكاحه، و«الصِّهر» ما يحل نكاحه[٣].

وقال الضَّحاك: «الصِّهر» قرابة الرضاع[٤].

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) «في القراءة» ليست في المطبوع؛ وهي شاذة، انظر عزوها مع تعليق أبي حاتم، وتوجيه ابن جني في المحتسب (٢/ ١٢٤).

(٣) لم أقف عليه مسنداً.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٢٨٤).

قال القاضي أَبو محمد: وذلك عندي وَهْم أَوجبه أَن ابن عباس قال: حُرِّم من النَّسب سبع، ومن الصِّهر خمس، وفي رواية أُخرى: ومن الصِّهر سبع[(١)]، يريد قول الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ [النساء: ٢٣] فهذا هو من النَّسَب، ثم يريد بالصِّهر قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾، ثم ذكر المحصنات.

ويحتمل هذا أنَّ ابن عباس أَراد: حرم من الصهر مع[(٢)] ما ذُكر معه، فقصد بـ «ما ذُكِرَ» إِلى عُظْمه وهو الصهر، لا أَن الرضاع صِهْرٌ، وإِنما الرضاع عديل النَّسب يحرم منه ما يحرم من النسب، بحكم الحديث المأْثور فيه[(٣)]، ومن روى: وحُرِّم من الصِّهر خمس[(٤)] أَسقط من الآيتين الجمع بين الأُختين، والمحصنات، وهن ذوات الأَزواج.

وحكى الزهراوي قولاً: أَن النَّسب من جهة البنين، والصِّهر من جهة البنات[(٥)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا حسن، وفي دَرْجِ ما قَدَّمته.

وقال ابن سيرين: نزلت هذه الآية في النبي ﷺ، وعلي؛ لأَنه جمعه معه نسب وصهر[(٦)].

فاجتماعهما وكادةُ حرمة إِلى يوم القيامة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٠٥) من حديث ابن عباس، رضي الله عنه، به.

(٢) سقطت من المطبوع وفيض الله والحمزوية.

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٠٢) من حديث ابن عباس، رضي الله عنه، مرفوعاً، وانظر الإجماع على ذلك في: الإقناع (٣/ ١١٨٤).

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٥) تفسير القرطبي (١٣/ ٦١).

(٦) تفسير الثعلبي (٧/ ١٤٢)، بتصرف.

وقوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ هي «كان» التي للدوام قبل وبعد، لا أَنَّها تعطي مضيّاً فقط.

ثم ذكر تعالى خطأَهم في عبادتهم أَصناماً لا تملك لهم ضرّاً ولا نفعاً.

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ فيه تأْويلان:

أَحدهما: أَن الظهير المعينُ، فتكون الآية بمعنى توبيخهم على ذلك، من أَن الكفار يعينون على ربِّهم غيرَهم من الكفرة، والشيطان بأَن يطيعوه ويظاهروه، وهذا هو تأْويل مجاهد، والحسن، وابن زيد[(١)].

والثاني: ذكر الطبري أَن يكون الظهير فعيلاً من قولك: ظهرتُ الشيءَ إِذا طرحته وراءَ ظهرك واتخذته ظهريّاً، فيكون معنى الآية على هذا التأْويل: احتقار الكفرة.

و﴿ٱلْكَافِرُ﴾ في هذه الآية اسم جنس.

وقال ابن عباس: بل هو مُعيَّن أَراد به أَبا جهل ابن هشام[(٢)].

قال القاضي أَبو محمد: ويُشبه أَن أَبا جهل سببُ الآية، ولكن اللفظ عام للجنس كله.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ الآية، تسلية لمحمد ﷺ، أَي: لا تَهْتَم بهم، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات حرصاً عليهم، فإِنما أَنت رسول تُبشر المؤْمنين بالجنة، وتنذر الكفرة النار، ولست بمطلوب بإِيمانهم أجمعين.

ثم أَمره تعالى بأَن يحتَجَّ عليهم مُزيلاً لوجوه التُّهم بقوله: ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾، أَي: لا أَطلب مالاً ولا نفعاً يختص بي.

وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ﴾، الظاهر فيه أَنه استثناءٌ منقطع، والمعنى: لكن مسؤولي

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧١١)، وتفسير الطبري (١٩/ ٢٨٥)، مع ما سيأتي عنه، بتصرف.
(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٨٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

ومطلوبي من شاءَ أَن يهتدي ويؤمن ويتخذ إِلى رحمة ربه طريق نجاة، قال الطبري: المعنى: لا أَسأَلكم أَجْراً إِلا إِنفاق المال في سبيل الله، فهو المسؤول، وهو السبيل إِلى الربِّ(١).

قال القاضي أَبو محمد: فالاستثناءُ ـ على هذا ـ كالمتَّصل، وكأَنه قال: إِلَّا أَجر من شاءَ، والتأْويل الأَول أَظهر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾﴾.

المعنى: قل لهم يا محمد هذه المقالة التي لا ظَنَّ يتطرق إِليك معها، ولا تهتم بهم، وبشِّر، وأَنذر، وتوكَّل على المتكفِّل بنصرك وعضدك في كل أَمرك.

ثم وصف تعالى نفسه بالصفة التي / تقتضي التوكل في قوله: ﴿ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾؛ إِذ هذا المعنى يختص بالله تعالى دون كل ما لدنيا(٢) مما يقع عليه اسمُ حيٍّ. [٤/ ١١٩]

وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ قل سبحان الله وبحمده، أَي: تنزيهُه واجب، وبحمده أَقول.

قال القاضي أَبو محمد: وقال رسول الله ﷺ: «من قال في كل يوم سبحان الله وبحمده مئة مرة غُفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»(٣)، فهذا معنى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾، وهي إِحدى الكلمتين الخفيفتين على اللسان، الثقيلتين في الميزان(٤).

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٢٨٥).

(٢) في المطبوع: «كل ما في الدنيا».

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٤٠٥) ومسلم (٥٩٧).

(٤) يشير إلى الحديث المتفق عليه الذي أخرجه البخاري (٦٤٠٦) (٦٦٨٢) (٧٥٦٣) ومسلم (٢٦٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم».

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ﴾ توعُّد، وإِزالة كَلٍّ[١] عن محمد ﷺ في همِّه بهم.

وقوله: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ مع جمعه ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، قيل: سائغ من حيث عَادَل لَفظُ الْأَرْض لفظَ السَّماواتِ، ونحوه قول عُمَر بن شُيَيْم:

[الوافر] أَلَـمْ يَحْزُنْـكَ أنَّ حِبَـالَ قَيْـسٍ وَتَغْلِـبَ قَـدْ تَبايَنَتَـا انْقِطَاعـا[٢]

من حيث عادَلَت حبال[٣] حبالًا، ومنه قول الآخر:

[الكامل] إِنَّ الـمَنِيَّـةَ والْحُتُـوفَ كِلَاهُمـا يُوفي الْمَخَارِمَ يَرْقُبَانِ سَوَادي[٤]

وقوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، اختلفت الرواية في اليوم الذي ابتدأَ الله فيه الخلق، فأَكثر الروايات على يوم الأَحد، وفي مسلم وكتاب الدلائل: يوم السبت[٥].

وبيَّن بكون ذلك في ستة أَيام وضعَ الأَناة والتمهل في الأُمور؛ لأَن قدرته تقتضي أَنه يخلقها في طرفة عين لو شاءَ، لا إِله إلا هو، وقد تقدم القول في الاستواءِ.

وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ يحتمل أَن يكون رفعه بإِضمار مبتدأٍ، أَي: وهو الرحمن.

ويحتمل أَن يكون بدلاً من الضمير في قوله: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾.

وقرأَ زيد بن علي بن الحسين: (الرَّحْمنِ) بالخفض[٦].

---

(١) «كل» ليست في المطبوع.

(٢) هو القطامي، كما في مجاز القرآن (٢/ ٣٧)، وقد تقدم في الآية ٣٠ من سورة الأنبياء، وفي الأصل ونجيبويه والتركية: «جبال».

(٣) في المطبوع: «عادل حبل»، وفي نجيبويه: «عادلت جبال جبالا».

(٤) البيت للأسود بن يَعْفُر، كما في مجاز القرآن (٢/ ٣٦)، وتفسير الطبري (١٧/ ٢٣٩)، والمفضليات (ص: ٢١٦).

(٥) أخرجه مسلم (٢٧٨٩) من حديث أبي هريرة، مرفوعاً به، وصوب البخاري أنه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار من قوله.

(٦) وهي شاذة، عزاها له في البحر المحيط (٨/ ١٢٠)، وفتح الباري (٩/ ٣٥)، وعزاها الكرماني في الشواذ لابن عمير (ص: ٣٥١).

وقوله: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ فيه تأويلان:

أَحدهما: فاسأَل عنه، و﴿خَبِيرًا ﴾ ـ على هذا ـ منصوب بوقوع السؤال عليه، والمعنى: اسأَل جبريل والعلماءَ وأَهل الكتب المنزلة.

والثاني: أَن يكون المعنى كما تقول: لو لقيتَ فلاناً لَقيتَ به البحر كرماً، أَي: لقيتَ منه، والمعنى: فاسأَل الله عن كل أَمر، و﴿خَبِيرًا ﴾ ـ على هذا ـ منصوب إِمَّا بوقوع السؤال، وإِمَّا على الحال المؤكدة، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١]، وليست هذه بحال مُنتَقلة؛ إِذ الصِّفة العَلِيَّة لا تتغير.

ولما ذكر ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ في هذه الآية كانت قريش لا تعرف هذا في أَسماءِ الله تبارك وتعالى، وكان مسيلمةُ كذَّابُ اليمامةِ تَسمَّى بالرحمن، فغالطت قريش بذلك، وقالت: إِن محمداً يأْمر بعبادة رحمان اليمامة، فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ... ﴾ الآية.

وقولهم: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾؟ استفهامٌ عن مجهول عندهم، فـ (مَا) على بابها المشهور.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿تَأْمُرُنَا﴾ بالتاءِ، أَي: أَنت يا محمد.

وقرأَ حمزة، والكسائي، والأَسود بن يزيد، وابن مسعود: ﴿يَأْمُرُنَا﴾ بالياءِ من تحت[1]، إِمَّا على إِرادة محمد، والكناية عنه بالغيبة، وإِمَّا على إِرادة رحمان اليمامة.

وقوله: ﴿ وَزَادَهُمْ ﴾ أَي: أَضَلَّهُمْ هذا اللفظ ضلالاً يختص[2] به، حاشى ما تقدَّم منهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٤).

(٢) في الأصل: «لا يختص».

لما جعلت قريش سؤالها عن الله تعالى وعن اسمه الذي هو الرحمن سؤالاً عن مجهول: نزلت هذه الآية مصرحةً بصفاته التي تُعرِّف به، وتُوجب الإِقرار بألوهيته.

و«البروج»: هي التي علمتها العرب بالتجربة وكلُّ[١] أُمة مُصْحرة، وهي المشهورة[٢] عند اللغويِّين وأَهل تعديل الأَوقات، وكل برج منها على منزلتين وثلث من منازل القمر التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩]، والعرب تُسمي البناءَ المرتفع المستغني بنفسه: برجاً تشبيهاً ببرج السماءِ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، وقال الأَخطل:

[البسيط] كَـأَنَّــهَـا بُـرْجُ رُومِـيٍّ يُـشَـيِّـدُهُ ... بـانٍ بِجِـصٍّ وآجُـرٍّ وأَحْجَـارِ[٣]

وقال بعض الناس في هذه الآية التي نحن فيها: «البروج»: القصور في الجنة.

وقال الأَعمش: كان أَصحاب عبد الله يقرؤونها: (في السماءِ قصوراً)[٤].

وقيل: «البروج»: الكواكب العظام، حكاه الثعلبي عن أَبي صالح[٥].

وهذا نحو ما بيَّـنَّاه إِلَّا أَنه غير ملَخص، وأما القول بأَنها قصور في الجنة فقول يحط غرض الآية في التنبيه على أَشياءَ مدركات تقوم بها الحجة على كل منكِرٍ للَّهِ أَو جاهل به.

وقرأَ الجمهور: ﴿سِرَٰجًا﴾، وهي الشمس.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وعبد الله بن مسعود، وعلقمة، والأَعمش: ﴿سُرُجاً﴾[٦]،

---

(١) في الأصل: «وترى كل أمة».

(٢) في نور العثمانية: «المشهور»، وفي المطبوع: «الشهور».

(٣) البيت للأخطل كما في تفسير الطبري (١٩/ ٢٨٩)، جمهرة أشعار العرب (ص: ٢٧١)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٤٤).

(٤) وهي شاذة، لمخالفة المصحف، تابعه في البحر المحيط (٨/ ١٢٤)، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٠) عن ابن مسعود وإبراهيم وقتادة: (برْجا) بسكون الراء، ثم قال بعد ذلك: وعن قربي: في السماء مقصورا!، وعزا (برْجا) لقتادة وحده في تفسير الماوردي (٤/ ١٥٣).

(٥) تفسير الثعلبي (٧/ ١٤٤).

(٦) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٤).

وهو اسم جميع الأَنوار، ثم خصَّ القمر بالذكر تشريفاً.

وقرأَ النَّخَعي، وابن وثاب، والأَعمش أَيضاً: (سُرْجاً) بسكون الراءِ[١].

قال أَبو حاتم: روى عصمة عن الحسن: (وقُمْراً) بضم القاف ساكنة الميم، ولا أَدري ما أَراد إلا أَن يكون عنى[٢] جمعاً كثَمَر وثُمُر، قال أَبو عمرو: وهي قراءَة الأعمش، والنَّخَعي[٣].

وقوله: ﴿خِلْفَةً﴾ أَي: هذا يخلف هذا، ومن المعنى قول زهير:

بِهَـا الْعِيـنُ والآرامُ يمْشِـينَ خِلْفَـةً وَأَطلاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ[٤] [الطويل]

ومن هذا قول الآخر يصف امرأَة تنتقل من منزل في الشتاءِ لمنزل في الصيف دأْباً:

[المديد]
ولـهـا بـالْـمَـاطِـرُونِ إِذَا أَكَـلَ الـنَّـمْـلُ الـذي جَمَعَا
خِـلْـفَـةً حتَّى إِذا ارتَـبَعَـتْ سَـكَـنَـتْ مِـن جِـلَّـقٍ بِيَعَا
فـي بُـيـوتٍ وَسْـطَ دَسْـكَـرَةٍ حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنَعَا[٥]

وقال مجاهد: ﴿خِلْفَةً﴾ من الخلاف، هذا أَبيض وهذا أَسود[٦]، وما قدمناه أقوى.

وقال مجاهد وغيره من النظار: ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ أَي: يعتبر بالمصنوعات ويشكر الله على نعمه عليه في العقل والفهم والفكر[٧]، وقال عمر بن الخطاب[٨]،

---

(١) وهي شاذة انظر عزوها لهم في فتح الباري لابن حجر (٩/ ٣٥).
(٢) سقطت من المطبوع.
(٣) وهي شاذة، عزاها لهم في فتح الباري لابن حجر (٩/ ٣٥)، ولم أقف على قول أبي حاتم ولا أبي عمرو.
(٤) البيت من معلقة زهير، وقد تقدم في تفسير الآية (١٦١) من سورة البقرة.
(٥) الأبيات ليزيد بن معاوية، وقيل للأحوص، وقد تقدمت في تفسير الآية (١٦١) من سورة البقرة.
(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٢٩١).
(٧) انظر قولي مجاهد في تفسير الطبري (١٩/ ٢٩٢)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٥٣)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٤٤).
(٨) لا بأس به، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٩٠) من طريق حفص بن حميد القمي، عن شمر بن عطية، عن شقيق بن سلمة، عن عمر به.

والحسن[١]، وابن عباس: معناه: لمن أَراد أَن يذكر ما فاته من الخير والصلاة ونحوه في أَحدهما، فيستدركه في الذي / يليه[٢]. [٤/ ١٢٠]

وقرأَ حمزة وحده: ﴿يَذْكُرَ﴾ بسكون الذال وضم الكاف، وهي قراءَة ابن وثاب، وطلحة، والنَّخَعي، وقرأَ الباقون: ﴿يَذَّكَّرَ﴾ بشد الذال.

وفي مصحف أُبي بن كعب: (يَتَذَكَّر) بزيادة تاءٍ[٣].

ثم لمَّا قال تعالى: ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ جاءَ بصفة عباده الذين هم أَهْلُ التذكُّر والشكور.

والعباد والعبيد بمعنى، إِلا أَن العبادَ تستعمل في مواضع التنويه، وسُمي قومٌ من عبد القيس العبادَ لأَن كسرى ملكهم دون العرب، وقيل: لأَنهم تأَلَّهوا مع نصارى الحيرة فصاروا عباداً للَّهِ، وإِليهم ينسب عديٌّ بن زيد العِبَادي.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (وعَبِيد الرحمن)، ذكره الثعلبي[٤].

[وقوله: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ خبر ابتداءٍ، والمعنى: وعباده حق عباده هم الذين يمشون][٥].

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ [عبارة عن عيشهم ومدة حياتهم وتصرفاتهم، فذكر من ذلك العظم، لا سيما وفي الانتقال في الأَرض][٦] هي معاشرةُ الناس وخلطتهم.

ثم قال: ﴿هَوْنًا﴾ بمعنى أَمْرُه كله هون، أَي ليِّنٌ حسن.

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٢٩٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧١٨)، بتصرف.

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٩٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

(٣) الأولى والثانية سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٤)، والثالثة شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥١).

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها له في تفسير الثعلبي (٧/ ١٤٥)، وفي الأصل والمطبوع: «وعُبُد الرحمن».

(٥) سقط من الأصل.

(٦) ساقط من نجيبويه، وفي المطبوع: «لا سيما وفي ذلك الانتقال في الأرض معاشرة الناس».

قال مجاهد: بالحلم والوقار.

وقال ابن عباس: بالطاعة والعفاف والتواضع(١).

وقال الحسن: حلماً، إن جُهل عليهم لم يجهلوا(٢).

وذهبت فرقة إلى أنَّ ﴿هَوۡنًا﴾ مرتبط بقوله تعالى: ﴿يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أَي أَن المشي هو هون، ويشبه أن يُتأَول هذا على أَن تكون أَخلاق ذلك الماشي هوناً مناسبة لمشيه، فيرجع القول إلى نحو ما بيَّنَّاه، وأَما أَن يكون المراد صفة المشي وحده فباطل؛ لأَنه رُبَّ ماشٍ هوناً رُوَيْداً وهو ذئب أَطلس، وقد كان رسول الله ﷺ يتكفَّأُ في مشيه كأَنما يمشي في صبب(٣)،

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٩٤)، وابن أبي حاتم (١٥٣٤٠) في تفسيرهما من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنه.

(٢) انظره مع قول مجاهد في تفسير الطبري (١٩/ ٢٩٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢١٢٠).

(٣) له طرق فيها لين، روي من حديث علي بن أبي طالب وهند بن أبي هالة، أما حديث علي فمن طرق عنه، منها: عمر بن عبد الله مولى غفرة، حدثني إبراهيم بن محمد من ولد علي بن أبي طالب، قال: «كان علي يصف رسول الله ﷺ...» أخرجه الترمذي (٣٦٣٨) وقال عقبه: حسن غريب، ليس إسناده بمتصل، ومن طريق: المسعودي عن عثمان بن مسلم بن هرمز عن نافع بن جبير بن مطعم عن علي به. أخرجه الترمذي أيضاً (٣٦٣٧) وقال: حسن صحيح، ومن حديث: شريك بن عبد الله، عن عبد الملك ابن عمير، عن نافع بن جبير، قال: وصف لنا علي النبي ﷺ.. أخرجه البيهقي في الدلائل (١/ ٢٣٢)، وقد اختلف الحديث عن نافع بن جبير، فتارة يروى عنه، عن أبيه، عن علي، وتارة أخرى لا يذكرون أباه في السند، وقد صحح الدارقطني في علله (٣/ ١٢٠-١٢٢) رواية نافع عن علي، من غير ذكر أبيه بينهما. والأسانيد إلى نافع لينة، وأما حديث هند بن أبي هالة فمن طريق: رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة يكنى أبا عبد الله عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصافاً عن حلية رسول الله ﷺ... أخرجه الترمذي في الشمائل رقم (٨). وهذا فيه مجاهيل، وترجم البخاري لهند في التاريخ البخاري (٨/ ٢٤٠) قال: وكان وصافاً للنبي ﷺ، روى عنه الحسن بن علي، يُتكلم في حديثه، وذكره العقيلي في الضعفاء (٣/ ١٩٨) في ترجمة: عمر التميمي عن الحسن بن علي، وذكر قول البخاري: لا أُراه يصح، ومن حديث يزيد بن عمر التميمي عن أبيه عن الحسن بن علي عن هند، وقال البخاري: في حديثه نظر.اهـ. ضعفاء العقيلي (٤/ ٣٨٥)، وقال أبو حاتم في ترجمة هند من الجرح (٩/ ١١٦): روى عنه قوم مجهولون.

وهو ﷺ الصدر في هذه الآية، وقوله ﷺ: «مَن مشى منكم في طمع فليمش رويداً»[١]، إنما أَراد في عقد نفسه، ولم يرد المشي وحده، أَلا ترى أَن المبطلين المتَحَلِّين بالدين تمسكوا بصورة المشي فقط حتى قال فيهم الشاعر ذمّاً لهم:

[مجزوء الرمل] كُـلُّـهُـمْ يَـمْـشـي رُوَيْـد كُـلُّـهُـمْ يَـطْـلُـبُ صَـيْـد[٢]

وقال الزهري: سرعة المشي تذهب بهاءَ الوجه[٣].

قال القاضي أَبو محمد: يريد الإِسراع الحثيث؛ لأَنه يخل بالوقار، والخير في التوسط.

وقال زيد بن أَسلم: كنت أَسأَل عن تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ فما وجدت في ذلك شفاءً، فرأَيت في النوم من جاءَني فقال لي: هم الذين لا يريدون أَن يفسدوا في الأرض[٤].

قال القاضي أَبو محمد: فهذا تفسير في الخلق.

و﴿هَوْنًا﴾ معناه: رفقاً وقصداً، ومنه قول النبي ﷺ: «أَحْبِبْ حبيبك هوناً ما» الحديث[٥].

---

(١) ضعيف جدّاً، أخرجه الخطابي في العزلة (٦٢) من طريق إبراهيم بن زياد العجلي، ثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف جداً، إبراهيم بن زياد هذا قال فيه الأزدي: متروك الحديث، أورده الذهبي في الميزان (١/ ٣٢) ثم أورد حديثه هذا مستنكراً إياه عليه.

(٢) الأبيات للمنصور في عمرو بن عبيد، كما في العقد الفريد (٣/ ١٠٩)، والروض الأنف (٦/ ١٨٤).

(٣) تفسير القرطبي (١٣/ ٦٨)، وأورده الثعلبي (٧/ ٣١٥) مرفوعاً، وعيون الأخبار (١/ ٤١٢)، بلا نسبة، كلاهما بلفظ: «بهاء المؤمن».

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٢٩٤).

(٥) ضعيف مرفوعاً، والصحيح أنه من قول علي، أخرجه الترمذي (٢١١٥) وابن حبان في المجروحين (١/ ٣٤٧) وابن عدي في كامله (٢/ ٢٩٨) والبيهقي في الشعب (٥/ ٢٦٠) وذكره الدارقطني في العلل (٨/ ١١١) كلهم من طريق سويد بن عمرو الكلبي، عن حماد بن سلمة، عن أيوب، =

وقوله: ﴿خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾، اختلف في تأْويل ذلك:

فقالت فرقة: ينبغي للمخاطب أَن يقول للجاهل: سلاماً بهذا اللفظ، أَي: سلمنا سلاماً أو تسليماً أَو نحو هذا، فيكون العامل فيه فعلاً من لفظه على طريقة النحويين.

والذي أَقول: إِن: ﴿قَالُوا۟﴾ هو العامل في ﴿سَلَـٰمًا﴾؛ لأَن المعنى: قالوا هذا اللفظ.

وقال مجاهد: معنى ﴿سَلَـٰمًا﴾ سداداً، أَي: يقول للجاهل كلاماً يدفعه به برفق ولين، فـ﴿قَالُوا۟﴾ على هذا التأْويل: عامل في ﴿سَلَـٰمًا﴾ على طريقة النحويين، وذلك أَنه بمعنى: قولاً، وهذه الآية كانت قبل آية السيف، فنسخ منها ما يخُصُّ الكفرة، وبقي أَدبها في المسلمين إِلى يوم القيامة، وذكر سيبويه النسخ في هذه الآية في كتابه، وما تكلم على نَسْخ سواه، ورجَّح به أَن المراد السلامة لا التسليم؛ لأَن المؤمنين لم يؤْمروا قط بالسلام على غير المسلمين، والآية مكِّيَّة فنسختها آية السيف[1].

= عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، رضي لله عنه، مرفوعاً به، قال الترمذي: هذ حديث غريب، لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه، وقال الدارقطني: لا يصح رفعه، والصحيح عن علي موقوفاً، وقال البيهقي: هو وهم، قلت: وفي إسناده سويد بن عمرو الكلبي، قال ابن حبان بعد أن روى حديثه هذا في مناكيره: كان يقلب الأسانيد، ويضع على الأسانيد الصحاح المتون الواهية، لا يجوز الاحتجاج به بحال، فإن قيل: إن سويد بن عمرو هذا من رجال مسلم، ومسلم لم يرو له إلا حديثاً واحداً في الشواهد فقط، وهو حديث: كان رسول الله ﷺ يؤخر العشاء إلى ثلث الليل رقم: (٦٤٧)، هذا، ثم إن سويداً قد خولف فيه، فقد خالفه الحسن بن أبي جعفر، فرواه عن أيوب، عن حميد الحميري، عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، مرفوعاً به، رواه ابن عدي في كامله (٢/ ٢٩٨) وذكره الترمذي (٢١١٥) والدارقطني في علله (٨/ ١١١)، قال الترمذي: هو حديث ضعيف أيضاً، بإسناد له عن علي، عن النبي ﷺ، والصحيح هذا عن علي موقوفاً، ثم إن موسى بن إسماعيل التبوذكي ـ ثقة ثبت ـ خالف سويداً، في شيخه حماد، عن أيوب، فرواه عن حماد، عن أيوب، عن حميد بن عبد الرحمن، عن علي، رضي الله عنه، موقوفاً عليه، رواه البيهقي في الشعب (٥/ ٢٦٠)، قال الترمذي، والدارقطني ـ فيما سبق لهما من مصادر ـ: يرفعه كلهم، ولا يصح رفعه، والصحيح عن علي موقوفاً.

(١) انظر: الكتاب (١/ ٣٢٥).

قال القاضي أَبو محمد: ورأَيت في بعض التواريخ[١] أَن إِبراهيم بن المهدي[٢] ـ وكان من المائلين على عليٍّ بن أَبي طالب رضي الله عنه ـ قال يوماً بمحضر المأْمون ـ وعنده جماعة ـ: كنت أَرى عليّاً في النوم، فكنت أَقول له: من أَنت؟ فكان يقول: علي ابن أَبي طالب، فكنت أَجيءُ معه إِلى قنطرة، فيذهب يتقدمني في عبورها، فكنت أَقول له: إِنما تدَّعي هذا الأَمر بامرأَةٍ، ونحن أَحق به منك، فما رأَيت له في الجواب بلاغة كما يُذكر عنه، قال المأْمون: وبماذا جاوبك؟ قال: فكان يقول لي: سلاماً سلاماً، قال الراوي: وكان إِبراهيم بن المهدي لا يحفظ الآية، أَو ذهبت عنه في ذلك الوقت، فنبهه المأْمون على الآية أَمام من حضره، وقال: هو والله يا عم عليُّ بن أَبي طالب، وقد جاوبك أَبلغ جواب، فخزي إِبراهيم واستحيا، وكانت رؤْياه لا محالة صحيحة[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾.

هذه آية فيها تحريض على القيام بالليل للصلاة.

قال الحسن: لما فرغ من وصف نهارهم وَصفَ في هذه ليلهم[٤].

وقال بعض الناس: من صلى العشاءَ الآخرة، وشفع وأَوتر، فهو داخل في هذه الآية.

---

(١) في المطبوع زيادة: «مصاحف»، قال في الحاشية كذا في الأصل، ولم أجدها عند المفسرين الذين ذكروا القصة، وأظنها من النساخ.

(٢) إبراهيم بن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر، أبو إسحاق العباسي الهاشمي الأسود، الملقب بالمبارك، كان فصيحاً مفوهاً بارعاً في الأدب والشعر والغناء ومعرفة الموسيقى، بايعه أهل بغداد ثم عفا عنه المنصور، مات سنة ٢٢٤هـ، تاريخ الإسلام (١٦/ ٦٩).

(٣) نقلها عنه تفسير القرطبي (١٣/ ٧١).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٢٣)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٤٦).

قال القاضي أَبو محمد: إِلَّا أَنه دخول غير مستوفى.

وقرأَ أَبو البَـرَهْسَم: (سجوداً وقياما)[١].

ومدحهم تعالى بدعائهم في صرف عذاب جهنم من حيث ذلك دليل على صحة عقيدتهم وإيمانهم، ومن حيث أَعمالهم بحسبه، و﴿غَـرَامًا﴾ معناه: ملازماً ثقيلاً مجحفاً، ومنه غرام الحب، [ومنه المغرم][٢] ومنه قول الأعشى:

إِنْ يُعَاقِـبْ يَكُـنْ غَرَامـاً وإِنْ يُعْـ ـطِ جَـزِيـلاً فإِنَّـهُ لا يُـبَالـي[٣] [الخفيف]

وقول بشر بن أَبي خازم:

ويَـوْمَ النِّـسَـارِ ويَـوْمَ الْجِـفَـا رِ كـانَ عقابـاً وكـانَ غَرامـاً[٤] [المتقارب]

[وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَمُقَامًا﴾ بضم الميم، من الإِقامة][٥]، ومنه قول الشاعر:

حَيُّوا المُقامَ وحَيُّوا ساكِنَ الدَّار[٦] .... [البسيط]

وقرأَت فرقة: (مَقَاماً) بفتح الميم، وأَنه من قام يقوم، فجهنم [ضد مقام كريم][٧].

والأَول أَفصح وأَشهر.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥١).

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٣٢٥)، معاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٧)، تفسير الطبري (١٩/ ٢٩٦)، تفسير الثعلبي (٧/ ١٤٦).

(٤) عزاه له في تفسير الطبري (١٩/ ٢٩٧)، وفي الأصل؛ فكانا عناء وكانا، ويوما النّسار والجفار كانا لبني أسد على بني عامر، وتميم.

(٥) سقط من الأصل.

(٦) البيت لجرير كما في مجاز القرآن (٢/ ٨٠)، وفقه اللغة للصاحبي (١/ ٣٩)، وتتمته فيه: «ما كدت أعرف إلا بعد إنكار».

(٧) في المطبوع: «موضع قيام لهم»، والقراءة شاذة، قرأ بها أبو زيد كما في فتح الباري لابن حجر (٩/ ٣٥).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾
[٤/ ١٢١] إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ / سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾.

اختلف المفسرون في هذه الآية التي في الإِنفاق، فعبارة أَكثرهم أَن الذي لا يسرف هو المنفق في الطاعة وإِن أَفرط[١]، و«المسرف»: هو المنفق في المعصية وإِن قَلَّ إِنفاقه، وأَن «المقتر»: هو الذي يمنع حقاً عليه، وهذا قول ابن عباس[٢]، ومجاهد، وابن زيد[٣].

وقال عون بن عبد الله بن عتبة: «الإِسرافُ»: أَن تنفق مال غيرك[٤]، ونحو هذه من الأَقوال التي هي غير مرتبطة بلفظ الآية، وخلْط الطاعة والمعصية بالإِسراف والتقتير فيه نظر.

والوَجْه أَن يُقال: إِن النفقة في معصية أَمر قد حظرت الشريعة قليله وكثيره، وكذلك التعدي على مال الغير، وهؤلاءِ الموصوفون منزهون عن ذلك، وإِنما التأْديب في هذه الآية هو في نفقة الطاعات وفي المباحات، فأَدب الشرع فيها أَلَّا يفرط الإِنسان حتى يضيع حقاً آخر أَو عيالاً ونحو هذا، وأَلَّا يضيق أَيضاً ويقتر حتى يجيع العيال ويفرط في الشُّح، والحسن في ذلك هو القَوَام، أَي: المعتدل[٥]، والقَوام في كل بحسب عياله وحاله، وخفَّة ظهره وصبره وجلده على الكسب، أَو ضد هذه الخصال، وخير الأُمور أَوساطُها.

(١) في الأصل: «أسرف».
(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٩٨) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.
(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٢٩٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٢٦).
(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٣٠٠)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٤٧).
(٥) في المطبوع: «العدل».

ولهذا ترك رسول الله ﷺ أَبا بكر يتصدق بجميع ماله[١]؛ لأن ذلك وسط بنسبة جَلَدِه وصبره في الدين، ومنع غيره من ذلك، ونِعْمَ ما قال إِبراهيم النَّخَعي: هو الذي لا يجيع ولا يعري، ولا ينفق نفقة يقول الناس: قد أَسرف[٢].

وقال يزيد بن أَبي حبيب: هم الذين لا يلبسون الثياب للجمال، ولا يأْكلون طعاماً للَذة[٣].

وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز حين زوّجه ابنته فاطمة: ما نَفَقَتُك؟ فقال له عمر: الحسنة بين سيئتين، ثم تلا الآية[٤].

[وقال يزيد بن أبي حبيب أَيضاً في هذه الآية: أُولئك أَصحاب محمد ﷺ، كانوا لا يأْكلون طعاماً للتَّـنَعُّم واللَّذة، ولا يلبسون ثياباً للجمال، ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسدُّ عنهم الجوع، ويقوِّيهم على عبادة ربِّهم، ومن اللباس ما يستر عوراتهم، ويكنُّهم من الحرِّ والبرد][٥].

وقال عمر بن الخطاب: كفى بالمرءِ سرفاً أَلَّا يشتهي شيئاً إِلا اشتراه فأَكله[٦].

---

(١) إسناده جيد، أخرجه أبو داود (١٦٧٥) والترمذي (٤٠٠٦) والبزار (١/ ٣٩٤) كلهم من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، مرفوعاً به قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلم رواه عن هشام ابن سعد، عن زيد، عن أبيه، عن عمر إلا أبو نعيم، قلت: وهشام بن سعد، وإن كان ضعيف الحديث، إلا أنه من أثبت الناس في زيد بن أسلم، كما قال أبو داود، انظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ٢٠٨)، وقد احتج مسلم في صحيحه بخمسة أحاديث من رواية هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم.

(٢) تفسير القرطبي (١٣/ ٧٣).

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٣٠٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٢٥)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٤٧).

(٤) القصة بكاملها في تاريخ دمشق لابن عساكر (٧٠/ ٢٩).

(٥) من المطبوع بلفظ: «ابن حبيب»، ولم نجده في شيء من النسخ الخطية، وقد تقدم قريب منه، وانظر تفسير يحيى بن سلام (١/ ٤٩٠).

(٦) ضعيف، أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٧٢) عن ابن عيينة، عن رجل، عن الحسن، أن عمر... فذكره، وهذا إسناد ضعيف؛ لإبهام راويه عن الحسن، ثم إن رواية الحسن عن عمر منقطعة.

[وفي سنن ابن ماجه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ من السَّرف أَن تأْكل ما اشتهيتَه»(١).

وقال الشاعر:

[الطويل] وَلَا تَغْلُ فِي شَيْءٍ مِنَ الأَمْرِ وَاقْتَصِدْ كِلَا طَرَفَيْ قَصْدِ الأُمورِ ذَميمُ](٢)

وقرأَ نافع، وابن عامر، وأبو بكر [عن عاصم: ﴿يُقتِرُوا﴾، بضم الياء وكسر التاء.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو](٣)، ومجاهد، وحفص عن عاصم: ﴿يَقْتِرُوا﴾ بفتح الياءِ وكسر التاءِ.

وقرأَ حمزة، والكسائي بفتح الياءِ وضم التاءِ، وهي قراءَة الحسن، والأَعمش، وطلحة، وعاصم بخلاف(٤).

وقرأَ أَبو عبد الرحمن بضم الياءِ وفتح التاءِ(٥).

---

(١) ضعيف، أخرجه ابن ماجه (٣٣٥٢) وأبو يعلى (٢٧٦٥) والدارقطني في الغرائب والأفراد (٧٨٦ ـ أطراف) كلهم من طريق بقية بن الوليد، ثنا يوسف ين أبي كثير، عن نوح بن ذكوان، عن الحسن، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، مرفوعاً به، قال الدارقطني: تفرد به بقية، عن يوسف، عن نوح، عن الحسن، وهذا إسناد ضعيف، يوسف بن أبي كثير، قال فيه الذهبي: شيخ لبقية، لا يعرف. ميزان الاعتدال (٤/ ٤٧٢)، ونوح بن ذكوان هذا متفق على ضعفه، انظر تهذيب الكمال (٣٠/ ٤٨) وهامشه.

(٢) ما بين المعكوفتين زيادة من المطبوع، لم نجده في شيء من النسخ الخطية، وقال البغدادي في خزانة الأدب (٢/ ١٢٢): عن هذا البيت لا أعلم قائله ولا رأيته إلا في كتاب العباب في شرح أبيات الآداب، قال: وقد ضمنه الخطابي في أبيات له، وعزاها له في قرى الضيف (٤/ ٣٨٥)، ومعجم الأدباء (١/ ٤٤٧)، ويتيمة الدهر (٢/ ٩٤).

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) الثلاث سبعية، إلا أن عاصماً بكماله مع حمزة، انظر: التيسير (ص: ١٦٤)، وانظر الوجه الأول لشعبة في السبعة (ص: ٤٦٦)، وجامع البيان (٤/ ١٤١٧)، ولم أجد الثاني لحفص، وانظر العزو للباقين في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١١٦).

(٥) وهي شاذة، لم أجدها لغيره، إلا أن في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٧٢) أنه قرأه رباعياً، مع عاصم.

وقرأ أبو عمرو والناس: ﴿قَوَامًا﴾ بفتح القاف، أي: معتدلاً.

وقرأ حسَّان بن عبد الرحمن[1] بكسر القاف، أي: مبلغاً وسداداً وملاك حال[2].

و﴿قَوَامًا﴾ خبر ﴿وَكَانَ﴾، واسمُها مُقَدَّرٌ، أي: الإنفاق.

وجوَّز الفراءُ أن يكون اسمها قوله: ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ﴾ الآية، إخراج لعباده المؤمنين من صفات الكفرة في: عبادتهم الأوثان، وقتلهم النفس بوأْد البنات، وغير ذلك من الظلم والاغتيال والغارات، وبالزنا الذي كان عندهم مباحاً.

وفي نحو هذه الآية قال عبد الله بن مسعود: قلت يوماً لرسول الله ﷺ: أَيُّ الذنب أَعظم؟ قال: «أَن تجعل لله نداً وهو خلقك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أَن تقتل ولدك خشية أَن يطعم معك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أَن تُزاني حليلة جارك»، ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية[4].

قال القاضي أَبو محمد: والقتل والزنا يدخل في هذه الآية العصاة من المؤمنين، ولهم من الوعيد بقدر ذلك، والحق الذي تُقتل به النفس هو قَتْلُ النفس، والكفرُ بعد الإيمان، والزنا بعد الإحصان، والكفر الذي لم يتقدمه إيمان في الحربيِّين.

و«الأَثامُ» في كلام العرب: العقاب، وبه فسَّر ابن زيد وقتادة هذه الآية[5]، ومنه قول الشاعر:

---

(١) هو حسان بن عبد الرحمن الضبعي تابعي أرسل حديثاً، فذكره العسكريُّ في الصَّحابة، الإصابة القسم الرابع (٢/ ١٧٨).

(٢) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٠٦)، والمحتسب (٢/ ١٢٥) قال: وهو صاحب عائشة الذي يروي عنه قتادة.

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٧٢).

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٨٣) من حديث عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وهو أيضاً عند مسلم (١٤١) من حديث ابن مسعود كذلك، ولكن من غير ذكر الآية الكريمة.

(٥) نقله عنهما القرطبي (١٣/ ٧٥)، وفي تفسير الثعلبي (٧/ ١٤٩): عن أبي عبيد: الأثام: العقوبة و«قتادة»: سقطت من المطبوع.

[الوافر] جَزَى اللهُ ابْنَ عُرْوَةَ حَيْثُ أَمْسَى عُقُوقاً والْعُقُوقُ لَهُ أَثامُ[(١)]

أَي: جزاءً وعقوبة.

وقال عكرمة، وعبد الله بن عمرو[(٢)]، ومجاهد: إن ﴿أَثَامًا﴾ واد في جهنم، هذا اسمه، وقد جعله الله تعالى عقاباً للكفرة[(٣)].

وقرأ نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿يُضَٰعَفْ﴾، ﴿وَيَخْلُدْ﴾ جزماً.

وقرأ ابن كثير، وأبو جعفر، والحسن، وابن عامر: ﴿يُضَعَّفْ﴾ بشد العين وطرح الأَلف، وبالجزم في ﴿يُضَعَّفْ﴾، ﴿وَيَخْلُدْ﴾[(٤)].

وقرأ طلحة بن سليمان: (نُضَعِّفْ) بضم النون وكسر العين المشددة (الْعَذَابَ) بالنصب، ﴿وَيَخْلُدْ﴾ بالجزم، وهي قراءَة أَبي جعفر [وشيبة[(٥)].

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿يضاعفُ﴾ ﴿ويخلدُ﴾ بالرفع فيهما][(٦)].

وقرأ طلحة بن سليمان: (وَتَخْلدْ) بالتاءِ[(٧)]، على معنى مخاطبة الكافر بذلك.

---

(١) البيت لِبَلْعَاءَ بن قَيْس كما في مجاز القرآن (٢/ ٨١)، وتفسير الطبري (١٩/ ٣٠٣)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٥٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٠٨) وابن أبي حاتم (١٥٤٠٧) في تفسيرهما من طريق قتادة، عن أبي أيوب الأزدي عنه، وهذا إسناد لا بأس به إن سلم من تدليس قتادة، وفي لالاليه وفيض الله ونور العثمانية: «ابن عمر».

(٣) انظر قول عكرمة ومجاهد في تفسير الطبري (١٩/ ٣٠٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٣٠).

(٤) خلَّط كثيراً، وحاصل تلفيق الكلمتين أربع قراءات سبعية، وذلك أن ابن عامر قرأ بالرفع، ووافقه فيه شعبة، وبالتشديد ووافقه ابن كثير، انظر التيسير (ص: ١٦٤)، والسبعة (ص: ٤٦٧)، فذكر قراءتي الجزم، وسيأتي بالرفع لشعبة، وأهمل قراءة ابن عامر وعزا له الجزم ولم أجده له، وتكراره من المطبوع، وقراءة أبي جعفر في النشر (٢/ ٣٣٤)، وظاهر إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤١٩) أن الحسن كنافع.

(٥) وهي قراءة شاذة انظر نسبتها لهم في: تفسير القرطبي (١٣/ ٧٦).

(٦) سقط من المطبوع وهي سبعية كما تقدم فوق.

(٧) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ١٢٤).

ورُوي عن أَبي عمرو: (وَيُخْلَد) بضم الياءِ من تحت، وفتح اللام، قال أَبو عليٍّ: وهي غلط من جهة الرواية.(١)

و﴿ يُضَٰعَفۡ ﴾ بالجزم(٢) بدلٌ من ﴿يَلۡقَ﴾.

قال سيبويه: مضاعفة العذاب لُقِيُّ الأَثام(٣)، قال الشاعر:

مَتَى تَأْتِنَا تُلْمِمْ بِنَا فِي دِيارِنَا ... تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وَنَاراً تَأَجَّجَا(٤) [الطويل]

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ... ﴾ الآية، لا خلاف بين العلماءِ أَن الاستثناءَ عامل في الكافر والزاني، واختلفوا في القاتل من المسلمين، فقال جمهور العلماءِ: لَهُ التوبة، وجعلت هذه الفرقة قاعدتها قوله تعالى: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [النساء: ٤٨]، فحصل القاتل في المشيئة كسائر التَّائبين من ذنوب، ويتأَولون الخلود الذي في آية القتل في سورة النساء(٥)، بمعنى الدوام إِلى مدة كخلود الدول ونحوه.

وروى أَبو هريرة [في أن التوبة](٦) لمن قَتَل حديثاً عن النبي ﷺ(٧).

---

(١) وهي رواية حسين الجعبي عنه ونص ابن مجاهد على أنها خطأ كما قال أبو علي، انظر: السبعة (ص: ٤٦٧).

(٢) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٣٥٢).

(٣) الكتاب لسيبويه (٣/ ٨٧).

(٤) الشطر الأخير، لم يرد في الأصل، والبيت لعُبَيْد الله بن الحُرِّ الجُعْفِيِّ، كما في المفصل في صنعة الإعراب (١/ ٣٣٥)، وسر صناعة الإعراب (٢/ ٦٧٨)، وخزانة الأدب (٩/ ١٠١)، وقد ورد البيت بلا نسبة هكذا في الجمل (١/ ١٦٦)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٨٦)، والمقتضب (٢/ ٦٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٥١)، وورد صدر البيت في تفسير الطبري (٢١/ ٦٠٣)، ومعاني القرآن للأخفش (٤/ ١٤): مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نارِه، والصحيح أن ذلك صدر بيت آخر للحطيئة.

(٥) وهي قوله تعالى في الآية ٩٣: ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴾.

(٦) «في أن التوبة»: ساقط من المطبوع.

(٧) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ٣٠٦) والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٣٨٠) من طريق إبراهيم بن المنذر، قال: ثنا عيسى بن شعيب بن ثوبان، عن فليح الشماسي، عن عبيد بن أبي عبيد، عن أبي هريرة، رضي الله =

وقيل: إِن هذه الآية نزلت في وحشي قاتل حمزة، وقاله سعيد بن جبير(١).

وقال ابن عباس وغيره: لا توبة للقاتل(٢)، قال ابن عباس: وهذه الآية إِنما أُريد بالتوبة فيها المشركون، وذلك أَنها لما نزلت [قالت طوائف من المشركين: كيف لنا بالدخول في الإِسلام ونحن قد فعلنا جميع هذا؟ فنزلت](٣): ﴿إِلَّا مَن تَابَ...﴾ الآية، ونزلت ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] الآية، فما رأَينا رسول الله ﷺ فرح بشيءٍ(٤) فرحه بها وبسورة الفتح(٥).

وقال غير ابن عباس ممن قال بأَنْ لا توبةَ للقاتل: إِن هذه الآية منسوخة بآية سورة النساءِ، قاله زيد بن ثابت(٦).

= عنه، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف، عيسى بن شعيب بن ثوبان، أورده العقيلي في الضعفاء، وقال: لا يتابع على حديثه ثم أورد حديثه هذا مستنكراً إياه عليه، وقال أيضاً: وعبيد بن أبي عبيد مجهول.

(١) ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٤١٨) من طريق حجاج، عن عطية، عن أبي سعيد، به، وهذا إسناد ضعيف، حجاج، هو: ابن أرطاة، متفق على تضعيفه، وشيخه، هو: العوفي، ضعيف الحديث، شيعي، مدلس، وقد عنعنه.

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٢٣) من طريق سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس ألمن قتل مؤمناً متعمداً من توبة؟ قال لا، قال فتلوت عليه هذه الآية التي في الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلى آخر الآية قال: هذه آية مكية نسختها آية مدنية ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا﴾.

(٣) سقط من الأصل.

(٤) من المطبوع.

(٥) أخرج البخاري (٤٥٣٢) من حديث ابن عباس، رضي الله عنه، مرفوعاً نحوه. ولكن ليس فيه قوله: «فما رأينا رسول الله ﷺ فرح».. إلخ.

(٦) كأن المحفوظ عن زيد بخلاف هذا، أخرجه النسائي (٧/ ٨٧) أولا عن محمد بن المثنى، قال: حدثنا الأنصاري، قال حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي الزناد، عن خارجة بن زيد قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا﴾.. الآية كلها بعد الآية التي نزلت في الفرقان بستة أشهر، قال أبو عبد الرحمن: محمد بن عمرو لم يسمعه من أبي الزناد، وأخرجه النسائي =

ورواه أَيضاً سعيد بن جبير عن ابن عباس[(١)].

وقال أَبو الجوزاءِ: صحبت ابن عباس ثلاث عشرة سنة فما شيء من القرآن إِلَّا سأَلْتُه عنه، فما سمعته يقول/ : إِن الله تعالى يقول لذنب: لا أَغفره[(٢)]. [٤/ ١٢٢]

وقوله تعالى: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ معناه: يجعل أَعمالهم بدل معاصيهم الأُولى طاعة، فيكون ذلك سبباً لرحمة الله عزَّ وجلَّ إِياهم، قاله ابن عباس[(٣)]، وابن جبير، وابن زيد، والحسن، ورَدُّوا على من قال: هو في يوم القيامة[(٤)].

= (٧/ ٨٧) عن محمد بن بشار، عن عبد الوهاب قال: حدثنا محمد بن عمرو، عن موسى بن عقبة، عن أبي الزناد، عن خارجة بن زيد عن زيد: وفيه: بثمانية أشهر، قال أبو عبد الرحمن أدخل أبو الزناد بينه وبين خارجة مجالد بن عوف، ثم رواه من طريق: مسلم بن إبراهيم قال حدثنا حماد بن سلمة عن عبد الرحمن بن إسحاق عن أبي الزناد عن مجالد بن عوف قال سمعت خارجة بن زيد بن ثابت يحدث عن أبيه أنه قال: نزلت: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ أشفقنا منها فنزلت الآية التي في الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، وهذا السياق بخلاف ما مضى، لكن أخرجه أبو داود (٤٢٧٢) من طريق مسلم بن إبراهيم نفسه به باللفظ الأول، وأخرج الطبراني في الكبير (٥/ ١٣٦) من طريق الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن جهم بن أبي جهم أن أبا الزناد أخبرهم أن خارجة بن زيد بن ثابت أخبره بنحو اللفظ الأول، وكذا في (٥/ ١٤٩) من طريق: سعيد بن أبي مريم ثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد حدثني أبي أن عوف ابن مجالد الحضرمي أخبره قال: وكان امرأ صدق قال: وأخبرني ونحن عند خارجة بن زيد بن ثابت بنحوه. وهكذا ذكره المزي في تحفة الأشراف (٣٧٠٦)، ومجالد بن عوف ويقال عوف بن مجالد قد تفرد بالرواية عنه أبو الزناد، كما ذكر مسلم في المنفردات (٨٨٩) وقال في الرواية عنه: وكان امرأ صدق، لكن لم يوثق توثيقاً اصطلاحياً، وكأن النسائي يميل إلى ترجيح الرواية الأخيرة التي تدل على أن صواب الرواية نسخ آية سورة النساء، لا أنها هي الناسخة، فيكون قول مجاهد كغيره أن للقاتل توبة.

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ٣٠٧-٣٠٨) بإسناد فيه سنيد بن داود المصيصي، وهو ضعيف الحديث.

(٢) لا بأس به، أخرجه الطبري (١٩/ ٣٠٧) من طريق جعفر بن سليمان، عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء به.

(٣) هذا الأثر أخرجه ابن جرير الطبري (١٩/ ٣١٠) من طريق علي بن أبي طلحة، به بنحوه.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٣٣)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٥٨)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٥٠).

[وقد ورد حديث في كتاب مسلم من طريق أبي ذر يقتضي أن الله تعالى يبدل يوم القيامة لمن يريد المغفرة له من الموحدين بدل سيئات حسنات، وذكره الترمذي والطبري][1].

وهذا تأْويل ابن المسيب في هذه الآية[2].

قال القاضي أَبو محمد: وهو معنى كرم العفو.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (يُبْدِل) بسكون الباءِ وتخفيف الدال[3].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾.

أَكَّد بهذا اللفظ أَمر التوبة، والمعنى: ومن تاب فإِنه قد تمسَّك بأَمر وثيق، وهكذا كما تقول لمن تسْتَحْسن قوله في أَمْره: لقد قلتَ يا فلان قولاً، فكذلك الآية معناها مدح المتاب، كأَنه قال: فإِنه يجد باباً للفرج والمغفرة عظيماً.

ثم استمرت الآية في وصف عباد الله المؤمنين بأَن نفى عنهم شهادة الزُّور.

و﴿يَشْهَدُونَ﴾ في هذه الآية ظاهرُ معناها: يشاهِدونَ ويحضُرون.

و﴿ٱلزُّورَ﴾: كل باطلٍ زُوِّرَ وزُخْرِفَ، فَأَعْظَمُه الشِّركُ، وبه فسَّر الضحاك، وابن

---

(١) أخرجه مسلم (٣١٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها رجل يؤتى به يوم القيامة..، وفيه: «فيقال له فإن لك مكان كل سيئة حسنة» إلخ، وقد أخرجه الترمذي (٢٥٩٦) والطبري (١٩/ ٣١٢) وفي المطبوع بدله: «لمن يريد المغفرة له من الموحدين، يبدل السيئات حسنات».

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٣١٢).

(٣) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥١).

زيد، ومنه الغناءُ، وبه فسَّر مجاهد، ومنه الكذب، وبه فَسَّر ابن جريج[١].

وقال عليٌّ بن أَبي طالب، ومحمد بن علي: المعنى: لا يشهدون بالزُّور، فهو من الشهادة لَا من المشاهدة، والزُّورُ: الكذب[٢].

قال القاضي أَبو محمد: والشاهد بالزُّور: حاضره ومُؤَدِّيه جرأة[٣]، فالمعنى الأول أَعَمُّ، لكن المعنى الثاني أَغرق في المعاصي وأَنكى.

و«اللَّغْوُ»: كل سقط من فعل أَو قول، ويدخل فيه: الغناءُ واللهو وغير ذلك مما قاربه، ويدخل في ذلك سَفَهُ المشركين وأَذاهم للمؤمنين، وذكر النساءِ وغير ذلك من المنكر.

و﴿كِرَامًا﴾ معناه: معرضين مُسْتَحِيينَ[٤] يتجافَوْن عن ذلك، ويصبرون على الأذى منه، وروي أَن عبد الله بن مسعود سمع غناءً فأَسرع في مشيه وذهب، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «لقد أَصبح ابن أُم عبد كريماً»[٥]، وقرأَ الآية.

قال القاضي أَبو محمد: وأَما إذا مرَّ المسلم بمنكر فكَرَمُه أَنْ يُغيِّره، وحدود التغيير معروفة.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: ذكروا بالقرآن آخرتهم ومعادهم، وقوله: ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ يحتمل تأْويلين:

أَحدهما أَن المعنى: لم يكن خرورهم[٦] بهذه الصفة؛ بل يكونون سجداً وبُكيّاً،

---

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٩/ ٣١٣)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٥٩).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في المطبوع: «فجرةٌ»، على أنها خبر والشاهد.. إلخ.

(٤) في المطبوع: «مستخفين».

(٥) منقطع، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٤٦٤) من طريق محمد بن مسلم، قال: أخبرني إبراهيم ابن ميسرة، قال: بلغني أن ابن مسعود...فذكره.

(٦) في المطبوع: «خروجهم»، وفيه: «بل يكون خروجهم سجداً» إلخ.

وهذا كما تقول: لم يخرج زيد للحرب جزعاً، أَي: إِنما خرج جريئاً مقدماً، وكأَن الذي يَخِرُّ أَصمَّ وأَعمى هو المنافق أَو الشاك.

والتأْويل[١] الثاني، وإِليه ذهب الطبري، وهو أَنَّ «يخروا صما وعميانا» هي صفة الكفار، وهي عبارة عن إِعراضهم وجهدهم في ذلك، وقرن ذلك بقوله[٢]: قعد فلان يشتمني، وقام فلان يصيح، وأَنت لم تقصد الإِخبار بقعود ولا قيام، وإِنما هي توطئات في الكلام والعبارة[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وكأَن المستمع للذكر قائم القناة قويم الأَمر، فإِذا أَعرض وضلَّ كان ذلك خروراً، وهو السقوط على غير نظام ولا ترتيب، وإِن كان قد شبه به الذي يخر ساجداً، لكن أَصله أَن يكون على غير ترتيب.

ثم مدح المؤمنين حال الدعاءِ إِليه بأَن يُقِرَّ العيون بالأَهل والذرية.

و«قُـرَّة العين»: يحتمل أَن تكون من القرار، ويحتمل أَن تكون من القَرِّ، وهو الأَشهر؛ لأَن دمع السرور باردٌ ودمع الحزن سخن، فمن هذا يقال: أَقَرَّ الله عينك وأَسْخَن الله عين العدو.

وقُرّة العين في الأَزواج والذرية: أَن يراهم الإِنسان مطيعين لله تعالى، قاله ابن عباس[٤]، والحسن، وحضرمي[٥].

وبيَّن المقداد ابن الأَسود الوجه في ذلك بأَنهم كانوا في أَول الإِسلام يهتدي الأَب، والابن كافر، والزَّوجُ، والزوجة كافرة، فكانت قرة عيونهم في إِيمان أَحبابهم[٦].

---

(١) في المطبوع: «وهو التأويل».

(٢) في المطبوع: «بقولك».

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٣١٧)

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٣١٨) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

(٥) الطبري (١٩/ ٣١٨)، تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٤٢).

(٦) إسناده صحيح، أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨٧) والطبري (١٩/ ٣١٩) من طريق صفوان =

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والحسن: ﴿وَذُرِّيَّٰتِنَا﴾.

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وطلحة، وعيسى: ﴿ذُرِّيَّتِنَا﴾ بالإفراد(١).

وقوله تعالى: ﴿لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ قيل: هو جمع آمٍّ، مثل قائم وقيام.

وقيل: هو مفرد اسم جنس، أي: اجعلنا يأْتم بنا المتقون، وهذا لا يكون إِلَّا أَن يكون الداعي مُتَّقياً قدوة، وهذا هو قصد الداعي.

وقال إبراهيم النَّخَعي: لم يطلبوا الرياسة: بل أَن يكونوا قدوة في الدين(٢)، وهذا حسن أَن يُطلب ويُسعى إِليه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾﴾.

قرأ أُبيُّ بن كعب: (يُجازَوْنَ) بأَلف(٣).

و﴿ٱلْغُرْفَةَ﴾ من منازل الجنة، وهي الغُرف فوق الغُرف، وهي اسم جنس، كما قال:

وَلَــوْلَا الْحَبَّــةُ السَّـمْـرَا ءُ لَـمْ أَحْـلُـلْ بِـوَادِيكُـمْ(٤) [مجزوء الوافر]

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو: ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ بضم الياءِ وفتح اللام وشدِّ القاف، وهي قراءَة أَبي جعفر، وشيبة، والحسن.

وقرأ حمزة، والكسائي، وابن عامر، وعاصم، وطلحة، ومحمد اليماني، ورُويت

= ابن عمرو، عن عبد الرحمن بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن أبي ذر، رضي الله عنه، به.

(١) وهما سبعيتان، وحفص مع نافع، انظر: التيسير (ص: ١٦٤).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/ ٨٣).

(٣) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٢).

(٤) نسبه ابن سيده في المخصص (٥/ ٣٤) لبعض نساء العرب، وورد في حديث رواه الطبراني في الأوسط (٣/ ٣١٥).

عن النبي ﷺ[١]: ﴿وَيَلْقَوْنَ﴾ بفتح الياءِ وسكون اللام وتخفيف القاف، واختلف عن عاصم[٢].

[وقوله: ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ معادل لقوله في جهنم: ﴿سَاءَتْ﴾][٣].

وقوله: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ﴾ الآية، أمرٌ لمحمد ﷺ أن يخاطب بذلك.

و﴿مَا﴾ تحتمل النفي، وتحتمل التقرير، والكلام في نفسه يحتمل تأْويلات:

أَحدها: أَن تكون/ الآية إِلى قوله: ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ خطاباً لجميع الناس، فكأَنه قال لقريش منهم: ما يبالي الله بكم، ولا ينظر إِليكم لولا عبادتكم إِياه أَن لو كانت، إذ ذلك الذي يُعبأُ بالبَشَر من أَجْله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. [٤/ ١٢٣]

وقال النقاش وغيره: المعنى: لولا استغاثتكم إِليه في الشدائد، ونحو ذلك، فهو عرف الناس المرعي[٤] فيهم[٥].

وقرأَ ابن الزُّبير وغيره: (فقد كذَّب الكافِرونَ)[٦].

وهذا يؤيد أَن الخطاب بـ﴿مَا يَعْبَؤُا﴾ هو لجميع الناس، ثم يقول لقريش: فأَنتم قد كذبتم ولم تعبدوه، فسوف يكون العذاب ـ أَو يكون التكذيب الذي هو سبب العذاب ـ لزاماً.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) وهما سبعيتان، وحفص وابن عامر مع نافع، كما في التيسير (ص: ١٦٥)، وانظر الخلاف عنهما في جامع البيان (٤/ ١٤١٩).

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: المدَّعى فيهم.

(٥) تفسير القرطبي (١٦/ ٨٥).

(٦) وهي قراءة شاذة انظر نسبتها له في: الطبري (١٩/ ٢٢٣)، والمحتسب (٢/ ١٢٥)، وزادا ابن عباس رضي الله عنه كما سيأتي.

والثاني: أَن يكون الخطاب بالآيتين لقريش خاصة، أَي: ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعاؤُكُمْ الأَصنام آلهة دونه، فإِن ذلك يوجب تعذيبكم.

والثالث: وهو قول مجاهد: أي ما يعبأُ بكم ربِّي لولا أن دعاكم[١] إِلى شرعه، فوقع منكم الكفر والإِعراض[٢].

قال القاضي أَبو محمد: والمصدر في هذا التأْويل مضاف إِلى المفعول، وفي الأَولين مضاف إِلى الفاعل.

و﴿ يَعۡبَؤُاْ ﴾: مشتق من العبءِ، وهو الثقل الذي يعبأُ ويرَتَّب كما يُعَبَّأُ الجيش.

[وقرأ ابن الزبير: (وقد كذبت الكافرون فسوف).

قال ابن جني]: قرأَ ابن الزبير وابن عباس: (فقد كذب الكافرون).

قال الزهراوي: وهي قراءَة ابن مسعود، قال: وهي على التفسير[٣].

وأَكثر الناس على أَن اللِّزام المشار إِليه في هذا الموضع هو يوم بدر، وهو قول أُبيّ بن كعب[٤]، وابن مسعود[٥]، والمعنى: فسوف يكون جزاءُ التكذيب.

---

(١) في المطبوع: «لولا دعاؤكم».

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٣٢٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٤٥).

(٣) سقط من المطبوع والأصل، وقول ابن جني سقط من فيض الله، وانظر قول الزهراوي في القرطبي (١٣/ ٨٥)، وكلها شاذة.

(٤) منقطع، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٧٣) ومن طريقه الطبري (١٩/ ٣٢٤) من طريق قتادة، عن أبي بن كعب، رضي الله عنه، وقتادة كثير التدليس والإرسال، ولم أر من نص على روايته عن أبي ابن كعب.

(٥) منقطع، أخرجه الطبري (١٩/ ٣٢٤) من طريق عامر الشعبي، عن ابن مسعود، به، والشعبي لم يسمع من ابن مسعود، قاله: أبو حاتم الرازي، انظر مراسيل ابن أبي حاتم (٥٩١).
تنبيه: أخرج البخاري في صحيحه (٤٤٨٩) عن ابن مسعود، رضي الله عنه، قوله: خمس قد مضين الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام ﴿فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ﴾»، ولكن لم يأت عنده تفسيره اللزام بالموت يوم بدر.

وقالت فرقة: هو توعُّد بعذاب الآخرة.

وقال ابن مسعود: «اللِّزام» هو التكذيب نفسه، أَي: لا يُعْطَوْن توبة، ذكره الزهراوي[(١)].

وقال ابن عباس أَيضاً: «اللِّزام» الموتُ[(٢)]، وهذا نحو القول ببدر.

وإِن أَراد به متأَول الموت المعتاد في الناس عرفاً فهو ضعيف.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿لِزَامًا﴾ بكسر اللام، من لوزم، وأَنشد أَبو عبيدة لِصَخْرِ الغَيِّ[(٣)]:

[الوافر] فَإِمَّـا يَنْجُـوَا مِـنْ حَتْـفِ أَرْضٍ   فَقَـدْ لَقِيَـا حُتُوفَهُمَـا لِزَامـاً[(٤)]

وقرأَ أَبو السمال: (لَزَاماً) بفتح اللام[(٥)]، من لَزِم.

[والله أَعلم، كمل تفسير سورة الفرقان والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أَجمعين][(٦)].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٢٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

(٣) قال في الإصابة (٣/ ٣٧٢): هو صخر بن عبد الله الهذلي المعروف بصخر الغيّ، ذكره المرزباني في معجمه وقال: «إنه مخضرم».

(٤) انظر عزوه له في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٧٨)، مجاز القرآن (٢/ ٨٢)، وتهذيب اللغة (٤/ ٣٦٧).

(٥) وهي شاذة انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٨٥٢).

(٦) من المطبوع، وفي لالاليه: «والله عز وجل المستعان، لا رب سواه»، زاد في الحمزوية: «نجز تفسير هذه السورة، والحمد لله كثيراً»، وفي من نور العثمانية: «والله المعين»، زاد في فيض الله: «لا رب سواه كمل تفسير سورة الفرقان».

سُورَةُ الشُّعَراء

تفسير سورة الشُّعَراءِ

هذه السورة مكية كلُّها، فيما قال جمهور الناس، وقال مقاتل: منها مدني الآية التي يذكر فيها الشعراء، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾.

﴿طسٓمٓ﴾ تقدم القول في الحروف التي[1] في أَوائل السُّوَر مستوعَباً.

و﴿تِلْكَ﴾: رفع بالابتداءِ، وهو وخبره سادٌّ مَسدَّ الخبر عن ﴿طسٓمٓ﴾ في بعض التأْويلات.

والإِشارة بـ﴿تِلْكَ﴾ هي بحسب الخلاف في ﴿طسٓمٓ﴾، وفي بعض الأَقوال: أَن تكون ﴿تِلْكَ﴾ إِشارة إِلى حاضر، وذلك موجود في الكلام[2]، كما أَن هذه قد تكون الإِشارة بها إِلى غائب معهود كأَنه حاضر.

---

(١) ليست في المطبوع.

(٢) في المطبوع: «وذلك إلى موجود كما أن» إلخ.

و﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾: القرآن.

وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: ﴿طسم﴾ بكسر الطاءِ.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر بفتحها وبإدغام النون من سِين في الميم.

وقرأ حمزة وحده بإظهارها، وهي قراءَة أَبي جعفر، ورويت عن نافع، وروى يعقوب عن أَبي جعفر ونافع قَطْع كل حرف منها على حِدَة[١].

قال أَبو حاتم: الاختيار فتح الطاءِ وإِدغام آخر «سين» في أَول «ميم» فتصير الميم مثقلة[٢].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ﴾ الآية، تسلية لمحمد ﷺ عما كان فيه من القلق والحرص على إِيمانهم، فكانَ مِنْ شغلِ البال في حيِّز الخوف على نفسه.

و«الْبَاخِعُ»: معناه القاتل والمهلك[٣] بالهم، قاله ابن عباس والناسُ[٤].

ومن ذلك قول ذي الرمة:

[الطويل] أَلا أَيُّهَـذَا البَاخِـعُ الْوَجْـدُ نَفْسَـهُ لِشَيْءٍ نَحَتْهُ عَنْ يَدَيْهِ المقَادِرُ[٥]

وخوطب بـ«لَعَلَّ» على ما في نفس البشر من توقع الهلاك في مثل تلك الحال.

ومعنى الآية: أَي لا[٦] تَهْتَم يا محمد بهم، وبلِّغ رسالتك، وما عليك من إِيمانهم، فإِن ذلك بيد الله تعالى، لو شاءَ لآمنوا.

---

(١) الثلاث الأولى سبعية، والكسر: الإمالة، كما في التيسير (ص: ١٦٥)، والرابعة عشرية لأبي جعفر كما في النشر (١/ ٤٢٤).

(٢) في الأصل: «متعلقة».

(٣) في المطبوع: «القاتل نفسه، والمهلك لها».

(٤) منقطع، أخرجه الطبري (١٩/ ٣٣٠) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس، ولم يلقه.

(٥) عزاه له تفسير الطبري (١٧/ ٥٩٧)، ومجاز القرآن (١/ ٣٩٣)، وقد تقدم في أول سورة الكهف.

(٦) في المطبوع: «أن لا تهتم».

وقوله: ﴿أَلَّا﴾ مفعول من أَجله.

وقوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأۡ﴾ شرطٌ، وما في الشرط من الإِبهام هو في هذه الآية في حيِّزنا، وأَما الله تعالى فقد علم أَنه لا ينزل عليهم آية اضطرار، وإِنما جعل الله تعالى آيات الأَنبياء والآيات الدالة عليه معرضة للنظر والفكر ليهتدي من سبق في علمه هداه، ويضل من سبق ضلالُه، وليكون للنظر تكسب به يتعلَّق الثواب والعقاب، وآية الاضطرار تدفع جميع هذا إِن لو كانت.

وقرأَ: ﴿نُنَزِّلۡ﴾ بفتح النون وشدِّ الزاي أَبو جعفر، ونافع، وشيبة، والأَعرج، وعاصم والحسن، وقرَأَ أَبو عمرو وأَهل البصرة بسكون النون وتخفيف الزاي[(١)].

وروى هارون عن أَبي عمرو: (يشأ يُنزِّل) بالياءِ فيهما[(٢)].

والخضوع للآية المَنزَّلة كان يترتب بأَحد وجهين: إِما بخوف هلاك في مخالفة الأَمر المقترن بها كنَتْق الجبل على بني إِسرائيل، وإِمَّا أَن تكون من الوضوح وبهر العقول / بحيث يقع الإِذعان لها وانقياد النفوس، وكلُّ هذيْن لم يأْت به نبيٌّ، ووجه ذلك ما ذكرناه، وهو توجيهٌ منصوص للعلماءِ. [٤/ ١٢٤]

وقرأَ طلحة: (فتَظَل أَعْنَاقُهُم)[(٣)]، وهو المراد في قراءَة الجمهور، وجعل الماضي موضع المستقبل إِشارة إِلى تقوية وقوع الفعل.

وقوله تعالى: ﴿أَعۡنَٰقُهُمۡ﴾ يحتمل تأْويلين:

أَحدهما ـ وهو قول مجاهد، وابن زيد، والأَخفش ـ أَن يريد: جماعاتهم[(٤)]،

---

(١) وهما سبعيتان، ومع أبي عمرو ابن كثير، والباقون بالتشديد على قواعدهم كما تقدم مراراً.

(٢) وهي شاذة، انظر: الكامل (ص: ٦١١).

(٣) وهي قراءة شاذة لمخالفتها للرسم، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٢)، وفيه وفي مختصر الشواذ (ص ١٠٧) عنه بلامين.

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٣٣١)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٦٢)، وفي الأصل: «وأبي زيد».

يقال: جاءني عُنُق من الناس أي جماعة، ومنه قول الشاعر:

[مجزوء الكامل] أَنَّ الْـعِـرَاقَ وَأَهْـلَـهُ عُـنُـقٌ إِلَـيْـكَ فَـهَيْـتَ هَيْـتَـا[1]

وعليه حُمل قول أَبي مِحْجن:

[البسيط] .... وأَكْتُمُ السِّـرَّ فيهِ ضَرْبَـة الْعُنُقِ[2]

ولهذا قيل: عتق[3] رقبة، ولم يُقَل: عتق عُنُق فراراً من الاشتراك، قاله الزهراوي[4].

[فعلى هذا التأويل ليس في قوله: ﴿خَٰضِعِينَ﴾ موضع قول][5].

والتأْويل الآخر: أَن يريد بـ«الأَعْنَاقِ» الجارحة المعلومة، وذلك أَن خضوع العُنُق والرقبة هو علامة الذِّلة والانقياد، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] وَإِذَا الرِّجَـالُ رَأَوْا يَزِيـدَ رَأَيْتَهُـمْ خُضُعَ الرِّقَابِ نَوَاكِسَ الأَبْصَارِ[6]

فعلى[7] هذا التأْويل يتكلم على قوله: ﴿خَٰضِعِينَ﴾، كيف جمعه جَمْع من يعقل؟ وذلك متخرج على نحويْن من كلام العرب:

أَحدهما: أَن الإِضافة إِلى من يعقل أَفادت [حُكْمَ من يعقل][8]، كما تفيد الإضافة إِلى المؤنث تأْنيث علامة المذكر، ومنه قول الأَعشى:

---

(١) تقدم الاستشهاد به في سورة يوسف.

(٢) صدره: قَدْ أَرْكَبُ الهوْلَ مَسْدولاً عَسَاكِرُهُ، انظر عزوه له في الحيوان (٥/ ١٨٢)، والعقد الفريد (١/ ٧١)، والأغاني (١٩/ ١٤).

(٣) في المطبوع: «عنق»، وكذا في التي بعدها.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) سقط من المطبوع.

(٦) البيت للفرزدق، كما في الكتاب لسيبويه (٣/ ٦٣٣)، والكامل للمبرد (٢/ ٤٥)، والعقد الفريد (٢/ ٢٩٩)، والأغاني (١٠/ ٣٤٨).

(٧) في المطبوع: «فمعنى».

(٨) في المطبوع: «حكمه لمن لا يعقل».

. . . . كما شَرِقَتْ صدْرُ الْقَنَاةِ من الدَّم[(١)] [الطويل]

وهذا كثير.

والنحو الآخر: أَن «الأَعناق» لمَّا وُصفت بفعل لا يكون إِلَّا مقصودا للبَشَر ـ وهو الخضوع ـ؛ إِذ هو فعل يتبع أَمْراً في النفس جمعها فيه جمع من يعقل، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وقوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (لَهَا خَاضِعَة)[(٢)].

ثم عنَّفَ الكفار ونبَّه على سوء فعلهم بقوله: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم... ﴾ الآية.

وقوله: ﴿مُّحْدَثٍ﴾ يريد: مُحْدَث الإِتيان، أَي: مجيءُ القرآن للبشر كان مجيءَ شيءٍ بعد شيءٍ.

وقالت فرقة: يحتمل أَن يريد بالذِّكْر محمداً ﷺ، كما قال في آية أُخرى: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطلاق: ١٠]، فيكون الوصف بالمُحْدَثِ متمكناً.

قال القاضي أَبو محمد: والقول الأَول أَفصح.

وقوله تعالى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ ...﴾ الآيـة وعيد بعذاب الدنيا والآخرة، ويُقَوِّي أَنه وعيد بعذاب الدنيا؛ أَن ذلك قد نزل بهم، كبدر وغيرها.

ولما كان إِعراضهم عن النظر في الصانع والإِله من[(٣)] أَعظم كفرهم، وكانوا يجعلون الأَصنام آلهة، ويعرضون عن الذكر في ذلك؛ نبَّه على قدرة الله تعالى، وأَنه

---

(١) وصدره: وَتَشْرَقُ بالقَوْلِ الَّذي قَدْ أَذَعْتَهُ، انظر نسبته له في معاني القرآن للفراء (٢/ ١٨٧)، والكتاب لسيبويه (١/ ٥٢)، والأصول في النحو (٣/ ٤٧٨)، والكامل للمبرد (٢/ ١٠٥)، وتفسير الطبري (١٩/ ٣٣٢)، وتهذيب اللغة (٨/ ٢٥٠).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٢).

(٣) من لالاليه وفيض الله ونور العثمانية.

الخالق المنشئُ الذي يستحق العبادة بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ... الآية﴾.

و«الزَّوْجُ»: النوع والصنف، و«الكريم»: الحسن المُتْقن، قاله مجاهد وقتادة(١).

ويراد: الأَشياءُ التي بها قوام الأُمور والأَغذيةُ والنباتاتُ، ويدخل في ذلك الحيوان لأَنه عن إِنبات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧].

قال الشعبي: الناس من نبات الأَرض، فمن صار إِلى الجنة فهو كريم، ومن صار إلى النار فبضد ذلك(٢).

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حتم على أَكثرهم بالكفر.

ثم توعَّد بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾، يريد: عزَّ في نقمته من الكفار وَرَحِمَ مُؤمني كل أُمَّة، وقال نحو هذا ابن جريج(٣).

وفي لفظة ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ وعْدٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾.

التقدير: واذكر إِذ نادى ربك موسى. وسوقُ هذه القصة تمثيلٌ لكفار قريش

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٣٣٦)، معاني القرآن للنحاس (٥/ ٦٥).

(٢) «إلى النار» سقطت من المطبوع، وفيه: «بضد ذلك فهو لئيم»، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٥٠)، والماوردي (٤/ ٣٣٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٦٥)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٥٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٣٦).

لتكذيبهم محمداً ﷺ، [و﴿أَنِ﴾ في][١] قوله: ﴿أَنِ ٱئْتِ﴾ يجوز فيه أَن تكون مفسِّرة لا موضع لها من الإِعراب، بمنزلة أَي، ويجوز أَن تكون غيرها، وهي في موضع نصب بتقدير: بأن ائت.

وقوله: ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾، معناه: قل لهم، فجمع في هذه العبارة من المعاني: نَفْيَ التقوى عنهم، وأَمْرَهُم بالتقوى.

وقرأَ الجمهور: ﴿يَتَّقُونَ﴾ بالياءِ من تحت.

وقرأَ عبد الله بن مسلم، وحماد بن سلمة[٢]، وأَبو قُلابة: (تَتَّقُونَ) بالتاءِ من فوق[٣]، على معنى: قل لهم.

ولِعظيم نخوة فرعون وتألُّهه وطول مُدَّته وما أُشربت القلوب من مهابته، قال موسى عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَيَضِيقُ﴾ بالرفع، و﴿يَنطَلِقُ﴾ كذلك.

وقرأَ الأَعرج، وطلحة، وعيسى ذلك بالنصب فيهما[٤].

فقراءَة الرفع: هي إِخبارٌ من موسى عليه السلام بوقوع ضيق صدره، وعدم انطلاق لسانه، وبهذا رجَّح أَبو حاتم هذه القراءَة[٥].

وقراءَة النصب تقتضي: أَن ذلك داخل تحت خوفه، وهو عطف على ﴿يُكَذِّبُونِ﴾.

---

(١) ما بين معكوفتين مثبت من المطبوع.

(٢) في لالاليه ونور العثمانية: «مسلمة»، وفي الشواذ للكرماني (ص: **٣٥٣**) عبد الله بن مسلم بن مسلمة.

(٣) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٠٨) لعبد الله بن مسلم بن يسار، وفي المحتسب (٢/ ١٢٧) له ولحماد بن سلمة.

(٤) وهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٣٥)، وعزاها للأعرج في الشواذ للكرماني (ص: **٣٥٣**) وللباقين في القرطبي (١٣/ ٩٢).

(٥) في الأصل: «أبو علي» بدل «أبي حاتم»، ولم أقف على قوله.

وكان في خلق موسى عليه السلام حِدة، وكانت في لسانه حبْسة بسبب الجمرة في طفولته.

وحكى أَبو عمرو عن الأَعرج أَنه قرأَ بنصب (وَيَضِيقَ) وبرفع (يَنطَلِقُ) [1].

وقد يكون عدم انطلاق اللسان بالقول لغموض المعاني التي تطلب لها ألفاظ محررة، فإِذا كان هذا في وقت ضيق صدره لم ينطلق اللسان، وقد قال عليه السلام: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ [طه: ٢٧]، فالراجح قراءَة الرفع.

وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ معناه: يُعينني ويُؤازرني، وكان هارون عليه السلام فصيحاً واسع الصدر، فحذف بعض المراد من القول، إِذ باقيه دالٌّ عليه.

ثم ذكر موسى خوفَه القبط من أَجل ذَنْبِهِ، وهو قتله الرجل الذي وكزه، قاله قتادة ومجاهد والناس [2]، فخشي أَن يستقاد منه لذلك، فقال الله عزَّ وجلَّ له: ﴿كَلَّا﴾ ردّاً لقوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾، أَي: لا تخف ذلك فإِني لم أُحَمِّلك / ما حملتك إِلا وقد قضيتُ بنصرك وظهورك. [٤/ ١٢٥]

وأَمر موسى وهارون بخطاب موسى فقط؛ لأَن هارون ليس بمكلَّم بإِجماعٍ، ولكن قال لموسى: ﴿فَٱذْهَبَا﴾ أَي أَنت وأَخوك، والآيات تعم جميع ما بعثهما الله تعالى به، وأَعظم ذلك العصا بها وقع العجز [3]، وبالآيتين تحدَّى موسى عليه السلام، ولا خلاف في أَن موسى عليه السلام هو الذي حمله الله أَمر النبوة وكلها، وأَن هارون كان نبيّاً رسولاً معيناً له وزيراً.

وقوله: ﴿إِنَّا مَعَكُم﴾ إِما على أَن يجعل الاثنين جماعة، وإِما أَن يريدهما والمبعوث إِليهم وبني إِسرائيل.

---

(١) وهي شاذة، نقلها عن الداني في البحر المحيط (٨/ ١٤٣).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٣٣٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٥٢)، في المطبوع: «قال»، بلا هاء ضمير.

(٣) زاد في المطبوع: «وَالْيَد الْبَيْضَاءُ»، قال في الحاشية: زيادة يقتضيها المقام وسلامة العبارة.

وقوله: ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾ [على نحو التعظيم والجبروت الذي لله تعالى، وصيغة ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾][(١)] تُعْطي اهتبالًا بالأمر ليست في صيغة قوله: سامعون، وإِلَّا فليس يوصف الله تعالى بطلب الاستماع، وإِنما المقصد إِظهار التَّهَمُّم ليعظم أُنس موسى، أَو تكون الملائكة ـ بأَمر الله إِيَّاها ـ تستمع.

وقوله: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هو على أَن العرب أَجرت الرسول مجرى المصدر في أَن وصفت به الجميع والواحد والمؤنث، ومن ذلك قول الهذلي:

[المتقارب]

أَلِكْنِي إِلَيْهَا وَخَيْرُ الرَّسُو ... لِ أَعْلَمُهُمْ بنَوَاحِي الْخَبَرْ[(٢)]

ومنه قول الشاعر وإِن كان مُوَلَّدا:

[مجزوء الكامل]

إِنَّ الَّتِي أَبْصَرْتُهَا ... سَحَراً تُكَلِّمني رسُولُ[(٣)]

وقوله: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ معناه: سرِّح، فهو بمعنى الإِرسال الذي هو بمعنى الإِطلاق، كما تقول: أَرسلت الحَجَر من يدي.

وكان موسى مبعوثاً إِلى فرعون في أَمريْن: أَحدهما: أَن يرسل بني إِسرئيل ويزيل عنهم ذُلَّ العبودية والغلبة، والثاني: أَن يؤمن ويهتدي، وأَمر بمكافحته ومقاومته في الأَول، ولم يؤمر بذلك في الثاني على ما بلغ من أَمره، وبُعث بالعبادات والشرع إِلى بني إِسرائيل فقط، هذا قول بعض العلماءِ.

وقول فرعون لموسى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾ هو على جهة المنِّ عليه والاحتقار، أَي: ربَّيْنَاكَ صغيراً، أَوْ: لم نقتلك في جملة من قتلنا ولبثت فينا سنين، فمتى كان هذا الذي تدَّعيه؟.

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) هو أبو ذؤيب، كما في تفسير الماوردي (١/ ٩٣)، والمحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٤٧٣)، والصحاح للجوهري (٤/ ٢٩٣).

(٣) البيت لأبي نواس كما في نور القبس (ص: ٢٠٠).

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿مِنۡ عُمُرِكَ﴾ بضم الميم، وقرأَ أَبو عمرو: (عُمْرِكَ) بسكونها[١].

ثم قرَّره على قتل القبطي بقوله: ﴿وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ﴾ والفَعلة بفتح الفاءِ: المرَّة من الفعل.

وقرأَ الشَّعبي: (فِعْلَتَكَ) بكسر الفاءِ[٢]، وهي هيئة الفعل.

وقوله: ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ يحتمل ثلاثة أَوجه:

أَحدها أَن يريد: وقتلتَ القبطي وأَنت في قتلك إِياه من الكافرين؛ إِذْ هو نفس لا يحل قتله، قاله الضحاك[٣]، أَو يريد: وأَنت من الكافرين بنعمتي في قتلك إِياه، قاله[٤] ابن زيد[٥]، وهذان بمعنى واحد في حق لفظ الكفر، وإِنما اختلفا باشتراك لفظ الكفر.

والثاني أَن يكون بمعنى الهزؤ، وأَنت على هذا الدين، فأَنتَ من الكافرين بزعمك. قاله السدي[٦].

والثالث ـ وهو قول الحسن ـ أَن يريد: وأَنتَ من الكافرين الآن[٧]، يعني فرعون: بالعقيدة التي كان يبثها، فيكون الكلام مقطوعاً من قوله: ﴿وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ﴾، وإِنما هو إِخبارٌ مبتدأٌ أَنه كان من الكافرين، وهذا التأويل أَيضاً يحتمل أَن يريد به كُفْرَ النعمة.

قال القاضي أَبو محمد: وكان بين خروج موسى عليه السلام حين قتل القبطي وبين رجوعه نبياً إِلى فرعون، أَحد عشر عاماً غير أَشهر.

---

(١) قراءة أبي عمرو هي من رواية أبي عبيد عن هارون والخفاف وهي شاذة، انظر: السبعة (ص: ٤٧١)، ومختصر الشواذ (ص: ١٠٧).

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: تفسير الثعلبي (٧/ ١٦٠).

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٣٤١)، بتصرف.

(٤) في المطبوع: «قال»، بلا هاء ضمير.

(٥) تفسير الطبري (١٩/ ٣٤٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٥٤).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٤٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٥٤)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٦٧).

(٧) لم أقف عليه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

القائل هنا هو موسى عليه السلام، والضمير في قوله: ﴿فَعَلْتُهَآ﴾ لقتله القبطي.

وقوله: ﴿إِذًا﴾ صلة في الكلام، وكأنها بمعنى: حينئذ.

وقوله: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال ابن زيد: معناه من الجاهلين بأنَّ وَكْزتي إِيَّاه تأْتي على نفْسه.

وقال أَبو عبيدة: معناه: من النَّاسِين لذلك، ونزع بقوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢][(١)].

وفي قراءَة عبد الله بن مسعود، وابن عباس: (وأنا من الجاهلين)[(٢)].

ويشبه أَن تكون هذه القراءَة على جهة التفسير.

وقوله: ﴿حُكْمًا﴾ يريد النبوة وحكمتها، وقرأَ عيسى: (حُكُماً) بضم الحاءِ والكاف[(٣)].

وقوله: ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ درجة ثانية للنبوة، فرُبَّ نَبِيٍّ ليس برسول.

ثم حاجَّه عليه السلام في منِّه عليه بالتربية وترْك القتل بقوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، واختلف الناس في تأْويل هذا الكلام، فقال قتادة: هذا منه على

(١) القولان في معاني القرآن للنحاس (٥/ ٧١).

(٢) وهي شاذة انظر نسبتها لابن مسعود في مختصر الشواذ (ص: ١٠٧)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٦٠).

(٣) وهي شاذة انظر نسبتها له في: مختصر الشواذ (ص: ١٠٧).

جهة الإِنكار أَن تكون نعمة[(١)]، كأَنه قال: أَو يَصحُّ لك أَن تعتد عليَّ نعمةَ تركِ قتلي من أَجل أَنك ظلمتَ بني إِسرائيل وقتلتهم؟ أَي: ليست نعمة؛ لأَن الواجب كان أَلَّا تقتلني وأَلَّا تقْتلهم ولا تستعبدهم بالقتل ولا بالخدمة وغير ذلك.

وقرأَ الضحاك: (وتلك نعمة مالَك أَن تَمُنَّها) [(٢)]، وهذه قراءَة تؤيد هذا التأْويل.

وقال الأَخفش: قيل: أَلف الاستفهام محذوفة، والمعنى: أَوَ تلك؟[(٣)]، وهذا لا يجوز إِلا إِذا عادَلَتْها أَمْ[(٤)] كما قال:

[المتقارب] تَـرُوحُ مِـنَ الْحَـيِّ أَم تَبْتَـكِـرْ[(٥)] ....

قال القاضي أَبو محمد: وهذا القول تكلُّف، وقولُ موسى عليه السلام تقريرٌ بغير أَلف، وهو صحيح كما قال قتادة، والله المعين.

وقال السدي، والطبري: هذا الكلام من موسى عليه السلام على جهة الإِقرار بالنعمة[(٦)]، كأَنه يقول: نعم[(٧)]، وتربيتك نعمةٌ عليَّ من حيث عبَّدت غيري وتركتني، ولكن ذلك لا يدفع رسالتي.

قال القاضي أَبو محمد: ولكلِّ وَجْه ناحيةٌ من الاحتجاج، فالأَول: ماض في طريق المخالفة لفرعون ونقْض كلامه كله[(٨)]، والثاني: مُبْدٍ مِنْ موسى عليه السلام أَنه

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٤٣).
(٢) وهي شاذة مخالفة لمصاحف المسلمين، تابعه عليها في البحر المحيط (٨/ ١٤٨).
(٣) انظر: ما قاله الأخفش في كتابه: معاني القرآن (٢/ ٤٦١)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٧٢)
(٤) في نور العثمانية: «أو».
(٥) لامرئ القيس وعجزه: وماذَا عَلَيْكَ بِأَنْ تَنْتَظِرْ، انظر: الحجة للفارسي (ص: ١٥٨)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٣٧)، وفي فيض الله: «أو».
(٦) انظر قولهما مع قول قتادة في: تفسير الطبري (١٩/ ٣٤٢-٣٤٣).
(٧) سقطت من الأصل وفيض الله ونور العثمانية.
(٨) ليست في المطبوع وفيض الله.

منتصف من نفسه معترف بالحق، ومتى حصل أَحد المتجادليْن في هذه الرتبة، وكان خصمه في ضدها غلب المنتصف بذلك، وصار قوله أَوقع في النفوس.

ولمَّا لم يَجِدْ فرعون في هذا الطريق من تقريره/ على التربية وغير ذلك حجةً، [٤/ ١٢٦] رجع إِلى معارضة موسى عليه السلام في قوله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فاستفهمه استفهاماً عن مجهول من الأَشياءِ، قال مكي: كما يستفهم عن الأَجناس[١]، فلذلك استفهم بـ (مَا)، وقد ورد له استفهام بـ (مَنْ) في موضع آخر[٢]، ويشبه أَنها مواطن.

فأَتى موسى عليه السلام بالصفات التي تبيَّن للسامع منها أَنه لا مشاركة لفرعون فيها، وهي ربوبية السماوات والأَرض.

وهذه المجادلة من فرعون تدل على أَن موسى عليه السلام دعاه إِلى التوحيد، فقال فرعون عند ذلك: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ على وجه الإِغراءِ أَو التعجب من شنعة المقالة؛ إِذ كانت عقيدة القوم أَن فرعونَ ربُّهم ومعبودهم، والفراعنة قبله كذلك، وهذه ضلالة منها في مصر وديارها[٣] إِلى اليوم بقية، فزاده موسى في البيان بقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، فقال فرعون حينئذ على جهة الاستخفاف: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿أُرْسِلَ﴾ [على بناء الفعل للمفعول.

وقرأَ حميد والأعرج ومجاهد: (أَرْسَل)] على بناء الفعل للفاعل[٤].

فزاد موسى عليه السلام في بيان الصفات التي تُظهر نقص فرعون، وتُبيِّن له أَنه

(١) انظر: الهداية لمكي (٨/ ٥٢٨٩).
(٢) هو قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩].
(٣) في المطبوع وفيض الله: «ديارنا».
(٤) سقط من المطبوع ولالاليه، وهي شاذة، انظر لمجاهد في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٤)، ومع حميد في مختصر الشواذ (ص/ ١٠٧).

في غاية البعد عن القدرة عليها، وهي ربوبية المشرق والمغرب، ولم يكن لفرعون إِلَّا مُلْك مصر من البحر إِلى أَسوان وأَرض الإِسكندرية.

وفي قراءَة ابن مسعود وأَصحابه: (رَبُّ المَشارِقِ والمَغارِبِ وما بَيْنَهُمَا) [١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ۝٢٩ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ۝٣٠ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٣١ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۝٣٢ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ۝٣٣ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝٣٤ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝٣٥ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٣٦ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ۝٣٧﴾.

لما انقطع فرعون في الحجة رجع إِلى الاستعلاءِ والتَّغلب، وهذه أَبين علامات الانقطاع، فتوعَّد موسى عليه السلام بالسجن[٢] حين أَعياه خطابه، وفي توعُّده بالسجن ضعف؛ لأَنه خارت[٣] طباعه مَعَه، وكان ـ فيما روي ـ يفزع منه فزعاً شديداً حتى كان لا يُمسك بوله، ورُوي أَن سجنه كان أَشد من القتل في مطبق لا ينطلق منه أَبداً، فكان مخوفاً.

قال القاضي أَبو محمد: وهذه نزعة[٤] دار النبود[٥] إِلى اليوم.

وكان عند موسى عليه السلام من أَمر الله تعالى ما لا يفزعه[٦] توعُّد فرعون، فقال موسى له على جهة التَّلَطُّف[٧] به والطمع في إِيمانه: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ يتَّضح

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر ها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٤)، ومختصر الشواذ (ص: ١٠٧).

(٢) «بالسجن»، ساقطة من المطبوع.

(٣) في المطبوع: «حارب»، وفي أكثر النسخ: «حارت»، بالمهملة.

(٤) في نجيبويه: «تدعى».

(٥) وضعت مكانها في المطبوع نقاط هكذا:....، قال في الحاشية: كلمة غير واضحة، وفي لالاليه: «النبوة»، وفي فيض الله: «البنود».

(٦) في المطبوع: «يروعه».

(٧) في الأصل: «اللفظ».

لك معه صدقي؟ أَفكنتَ تسجنني؟ فلما سمع فرعون ذلك طمع في أَن يجد أَثناءَه موضع معارضة، فقال له: ﴿فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، فَأَلْقى موسى عصاه مِنْ يده، وكانت من عصي الجنة، وكانت عصا آدم عليه السلام.

ويروى أَنها كانت من عير[1] ورقة الريحان، وكانت عند شعيب عليه السلام في جملة عصي الأَنبياءِ عليهم السلام فأَعطاها لموسى عليه السلام عند رعايته له الغنم على صورة قد تقدم ذكرها دلَّت على نُبوَّة موسى، وكان لها في رأْسها شعبتان، فثمَّ كان فمُ الحيَّة.

[و«الثعبانُ»: أَعظم ما يكون من الحيَّات، وقد ذكرنا فيما تقدم ما روي في عظم الحيَّة][2] وغير ذلك من قصص هذه الآية.

ونزع موسى يده من جيبه فإِذا هي تتلأْلأُ كأَنها قطعة من الشمس، فلما رأَى فرعون ذلك هالَه، ولم يكن له فيه مدفع، غير أَنه فزع إِلى رميه بالسِّحر، وطمِع ـ لِعُلُوِّ علم السِّحر في ذلك الوقت وكثرته ـ أَن يكون فيه سببٌ لمقاومة موسى، فأَوهم قومَه وأَتباعه أَن موسى عليه السلام ساحر، [وانتصب ﴿حَوْلَهُۥٓ﴾ على الظرف وهو في موضع الحال، أَي: كائنين حوله، فالعامل فيه محذوف، والعامل فيه هو الحال حقيقة، والناصب له ﴿قَالَ﴾ لأَنه هو العامل في ذي الحال بواسطة لام الجرِّ، نحو مررت بهند ضاحكة][3].

ثم استشارهم في أَمره وأَغراهم به في قوله: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾، فأَشاروا عليه بتأْخير أَمره وأَمر أَخيه وجمْع السحرة لمقاومته، ورُوي أَنهم أَشاروا بسجنه، وهو كان الإِرجاءَ عندهم، و«الإِرجاءُ»: التَّأْخير، ولم يشيروا بقتله لأَن حجَّته نيِّرة

(١) ليست في المطبوع، وفي نجيبويه: «عين»، وفي نور العثمانية: «عرق»، وأشار لها في هامش أحمد ٣ وكتبت في سائر النسخ: «غير» بالمعجمة، والصواب: «عير» بالمهملة، كما تقدم مفسراً في تفسير سورتي الأعراف وطه، قال في تاج العروس (١٣/ ١٧٣): وعير الورقة: الخط الناتئ في وسطها كأنه جدير.

(٢) سقط من الأصل، وفي المطبوع: «الحيات»، بدل «الحية».

(٣) ما بين معقوفتين زيادة من المطبوع، ولم نجده في شيء من النسخ الخطية.

وضلالتهم في ربوبية فرعون مبينة، فخشوا الفتنة، وطمعوا أن يُغلَبَ بحجَّة تقنع العوام.

و«الحاشر»: الجامع.

وقرأ نافع، وأبو عمرو، وعاصم: ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾، وهو بناءٌ للمبالغة.

وقرأ عاصم أيضاً والأعمش: (بكل ساحر)[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

«اليوم»: هو يوم الزينة، وقيل: يوم كسر خليج النيل، فهو كان يوم الزينة على وجه الدهر بمصر، وقال ابن زيد: إن هذا الجمع كان بالإسكندرية[٢].

وقوله: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ ليس معناه نتبعهم في السِّحرِ، إنما أراد: نتَّبعهم في نصرة ديننا وملَّتنا، والإبطال على مُعارضها[٣].

وقرأ الأعرج، وأبو عمرو: ﴿أَئِنَّ لَنَا﴾ بألف الاستفهام.

[وقرأ نافع، وأبو عمرو، وشيبة: (إن لنا) على الإيجاب][٤].

وقرأ عيسى: ﴿نَعِم﴾ بكسر العين[٥].

---

(١) الأولى متفق عليها هنا بين كل العشرة كما في النشر (٢/ ٢٧١)، والثانية شاذة، عزاها للأعمش في مختصر الشواذ (ص: ١٠٧)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٥٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٢٠) ولم أجدها لعاصم.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٣٤٧)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٦٩)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٦٣).

(٣) في الأصل: «معارضينا».

(٤) سقط من الأصل، وهذا تخليط فالقراءة بالاستفهام للكل ولم يقرأ أحد هنا بالخبر، وفي الحمزوية ولالاليه ونور العثمانية: «أبو جعفر».

(٥) تخليط آخر فهي سبعية للكسائي، كما تقدم للمؤلف في سورة الأعراف.

و«التقريب» الذي وعدهم به فرعون: هو الجاه الزائد على العطاءِ الذي طلبوا، والقرب من الملك الذي كان عندهم إلهَهُم[١].

واختلف الناس في عدد السحرة، وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم، وكانوا مجموعين من مدائن مصر وريف النيل، وهي كانت بلاد السِّحر: الفرما وآنصينا، وغير ذلك، ومعظمهم كان من الفرما، والحبال[٢] والعصي كانت أَوقار إِبل.

وقولهم: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ يحتمل وجهين: أَحدهما القسم، فكأَنهم أَقسموا بعزة فرعون، كما تقول: بالله لا أَفعل كذا وكذا، فكان قسمهم بعزة فرعون غير مبرور.

والآخر: أَن يكون على جهة التعظيم لفرعون ـ إِذ كانوا يعبدونه ـ والتبرُّك باسمه، كما تقول ـ إِذا ابتدأْت بعمل شغل ـ: باسم الله، وعلى بركة الله، ونحو هذا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ
سَٰجِدِينَ (٤٦) قَالُوٓاْ ءَامَنَّا / بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (٤٨) قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ [٤/ ١٢٧]
إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ
أَجْمَعِينَ (٤٩) قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ (٥١)﴾.

تقدم في غير هذه السورة ما ذكر الناس في عظم الحيَّة حين أَلقى موسى عصاه، وفي هذه الآية متروك كثير يدل عليه الظاهر، وقد ذُكر في مواضع أُخر، وهو خوف موسى من ظهور سحرهم واسترهابهم للناس وتخييلهم في حبالهم وعصيهم أَنها تسعى بقصد.

ثم إِن الحيَّة التي خلق الله من العصا التقمت تلك الحبال والعصي عن آخرها، وأَعدمها الله تعالى في جوفها، وعادت العصا إِلى حالها حين أَخذ موسى عليه السلام بالفرجة التي كانت في رأْسها، فأَدخل يده في فمها فعادت عصا بإِذن الله عز وجل.

---

(١) في لالاليه: «والعرب تسمي الملك الذي كان عندهم إلههم»...إلخ.
(٢) في المطبوع: «الجبال».

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿تَلَقَّفُ﴾ بفتح التاءِ خفيفة واللام وشد القاف، وقرأ حفص عن عاصم: ﴿تَلْقَفُ﴾ بسكون اللام وتخفيف القاف، وروى البزِّي وابن فليح[١] عن ابن كثير بشد التَّاءِ وفتح اللَّام وشدِّ القاف[٢]، ويلزم على هذه القراءَة إِذا ابتدأَ أَن يجلبَ همزة الوصل، وهمزةُ الوصل لا تدخل على الأَفعال المضارعة، كما لا تدخل على أَسماء الفاعلين[٣].

وقوله: ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ أَي: ما يكذبون معه وبسببه في قولهم: إِنها معارضة موسى ونوع من فعله، و«الإِفك»: الكذب.

ثم إِن السحرة لما رأَوا العصا خالية من صنعة السِّحر، ورأَوا فيها بَعْدُ من أَمر الله تعالى ما أَيقنوا أَنه ليس في قوة بشر أَذعنوا، ورأَوا أَن الغنيمة هي الإِيمان والتمسك بأَمر الله عزَّ وجلَّ، فسجدوا كلهم لله عز وجل مُقِرِّين بوحدانيته وقدرته، ووصلوا إِلى إِيمانهم بسبب موسى وهارون، وصرحوا بأَن ذلك على أَيديهما؛ لأَن قولهم: ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مغن[٤].

فلم يكرروا البيان في قولهم: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ إِلَّا لما ذكرناه.

فلما رأَى فرعون وملؤه إِيمان السحرة، وقامت الحجَّة بإِيمان أَهل علمهم ومظنَّة نصرتهم، وقع فرعون في الورطة العظمى، فرجع إِلى السحرة بهذه الحجة الأُخرى، فوقفهم مُوَبِّخاً لهم على إِيمانهم بموسى قبل إِذنه، وفي هذه اللفظة مقاربة عظيمة

---

(١) في نجيبويه: «وابن فليح»، وهو عبد الوهاب بن فليح بن رياح أبو إسحاق المكي إمام أهل مكة في القراءة في زمانه صدوق، أخذ القراءة عن داود بن شبل، وغيره، توفي في حدود ٢٥٠هـ، غاية النهاية (١/ ٤٨٠).

(٢) وكلها سبعية، انظر: السبعة لابن مجاهد (١/ ٤٧١).

(٣) قال في النشر (٢/ ٢٣٣) في الابتداء بهمزة وصل: وهذا وإن جاز عند أهل العربية في الكلام فإنه غير جائز عند القراء في كلام الملك العلام إذ القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول،... فيبتدأ بهن مخففات لامتناع الابتداء بالساكن وموافقته الرسم والرواية.

(٤) في المطبوع: «يعني ذلك».

وبعض إذعان؛ لأَن أَحد محتملاتها أَنهم لو طلبوا إِذنه في ذلك أَذِنَ.

ثم توعدهم بقطع الأَيدي والأَرجل من خلاف، والصلب في جذوع النخل، فقالوا له: ﴿لَا ضَيْرَ﴾ أَي: لا يضرنا ذلك مع انقلابنا إِلى مغفرة الله تعالى ورضوانه.

ورُوي أَنه أَنفذ فيهم ذلك الوعيد وصلبهم على النيل.

وقال ابن عباس: أَصبحوا سحرة وأَمسوا شهداءَ[1].

وقولهم: ﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يريد: من القبط وصنيفتهم[2]، وإِلَّا فقد كانت بنو إِسرائيل آمنت.

وقرأَ الناس: ﴿أَن كُنَّآ﴾ بفتح الأَلف، وقرأَ أَبان بن تغلب: (إِن) بكسر الأَلف بمعنى أَن طمعهم إِنما هو بهذا الشرط[3].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾.

ثم إِن الله عزَّ وجلَّ لما أَراد إِظهار أَمره في نجاة بني إِسرائيل وغرق فرعون وقومه، أَمر موسى أَن يخرج ببني إِسرائيل ليلاً من مصر، وأَخبره أَنهم سيُتَّبعون، وأَمره بالسير تجاه البحر، وأَمره بأَن يستعير بنو إِسرائيل حلي القبط وأَموالهم، وأَن يكثروا من أَخذ أَموالهم كيفما استطاعوا، هذا ما رواه بعض المفسرين، وأَمره باتخاذ خبز الزاد،

(١) لا بأس به، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٣٤٧) من طريق علي بن حسين بن واقد، عن أبيه، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

(٢) في المطبوع ولالاليه: «وصنيعتهم».

(٣) وهي شاذة انظر ها مع تعليلها في: المحتسب (٢/ ١٢٦).

فروي أنه أَمر باتخاذه فطيراً لأَنه أَبقى وأَثبت، وروي أَن الحركة أَعجلتهم عن اختمار خبز الزاد[١]، وخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل سَحَراً، فترك الطريق إِلى الشام على يساره وتوجه نحو البحر، فكان الرجل من بني إِسرائيل يقول له في ترك الطريق فيقول موسى: كذا أُمرت، فلما أَصبح فرعون وعلم بسري موسى ببني إِسرائيل خرج في أَثرهم، وبعث إِلى مدائن مصر لتلحقه العساكر.

فروي أَنه لحقه ومعه ست مئة أَلف أَدهم من الخيل حاشا سائر الأَلوان.

وروي أَن بني إِسرائيل كانوا ست مئة أَلف وسبعين أَلفاً، قاله ابن عباس[٢]، والله أَعلم بصحته.

وإِنما اللازم من الآية الذي يُقطع به أَن موسى عليه السلام خرج بجمع عظيم من بني إِسرائيل، وأَن فرعون تبعه بأَضعاف ذلك العدد.

قال ابن عباس: كان مع فرعون أَلف جبَّار، كلهم عليه تاج، وكلهم أَمير خيل.

و«الشِّرذمة»: الجمع القليل المحتقر، وشرذمة كل شيءٍ: بقيته الخسيسة، وأَنشد أَبو عبيدة:

[الرجز] يحذين في شراذِمِ النِّعَالِ[٣] ....

وقال الآخر:

[الرجز] جاءَ الشِّتَاءُ وقَمِيصي أَخْلاقْ شَراذمٌ يَضْحَكُ مِنْهَا التَّوَّاقْ[٤]

---

(١) في المطبوع: «عن اتخاذ جراءِ الزاد»، وكذا في الموضع الذي قبله.

(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٩٧٢) من طريق سفيان، عن أبي سعيد، عن عكرمة، به دون قوله: «وسبعين ألفاً».

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٨٦) والفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٩٨)، بلا نسبة وفي المطبوع: «مجدِّين»، وفي الأصل: «تحدين».

(٤) البيت بلا نسبة في: العين (٦/ ٣٠٢)، وتفسير الطبري (١٧/ ٨٥)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٩٨)، والصحاح للجوهري (٤/ ١٣٩).

وقوله: ﴿لَغَآئِظُونَ﴾ يريد: بخلافهم الأَمر، وبأَخذهم الأموال عارية، وتفلتهم منهم تلك الليلة على ما روي.

قال أَبو حاتم[١]: وقرأَ من لا يؤخذ عنه: (لَشِرْدمةٌ قَلِيلُونَ)، وليست هذه موثوقة[٢].

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿حَذِرُونَ﴾، وهو جمع حَذِر، وهو المطبوع على الْحَذَرِ، وهو هنا غير عامل، وكذلك هو في قول ابن أَحمر:

هَلْ أُنْسَأَنْ يَوْماً إِلى غَيْرِهِ   إِنِّي حَوَالِيٌّ وإِنِّي حَذِرْ[٣]   [السريع]

واختُلف في عمل فَعِل؛ فقال سيبويه: إِنه عامل، وأَنشد:

حَذِرٌ أُمُوراً لا تَضِيرُ وآمِنٌ   ما لَيْسَ مُنْجِيَهُ مِنَ الأَقْدَارِ[٤]   [الكامل]

وادَّعى اللاحقيُّ[٥] تدليس هذا البيت على سيبويه[٦].

---

(١) في لالاليه ونور العثمانية: «على ما روى أبو حاتم، وقرأ»...إلخ.

(٢) في المطبوع: «موقوفة»، وفيه: شردمة بالمهملة، وكذا في فيض الله ونور العثمانية، وهي لغة، حكاها الوزير عن أبي عمرو، كما في تاج العروس (٣٢/ ٤٦٤)، وفي سائر النسخ لشرذمة بالمعجمة، وكذا في البحر المحيط (٨/ ١٥٧)، مع نقل أبي حاتم، وكذا ضبطها في تفسير الألوسي (١٠/ ٨١) بإضافة شر مقابل خير إلى ذمة، وعلى كل فهي شاذة، لم نجدها لغير من ذكر.

(٣) نسبه له تفسير الطبري (١٩/ ٣٥٣)، ومجاز القرآن (٢/ ٨٦)، والكامل للمبرد (٢/ ١٦٩)، وطبقات فحول الشعراء (٢/ ٥٨٠)، ويقال إنه للمَرَّار بن مُنْقذ العدوي، وفي الأصل: «يومي».

(٤) استشهد به سيبويه في الكتاب (١/ ١١٣)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٥)، والمقتضب (٢/ ١١٦)، وغيرهم بلا نسبة.

(٥) في نور العثمانية: «الأخفش»، واللاحقي هو علي بن عثمان اللاحقي البصري، روى عن حماد بن سلمة، وأبي عوانة، وعنه: معاذ بن المثنى، وأحمد بن علي الأبار، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وكان صدوقاً، توفي بالبصرة سنة ٢٢٨هـ، تاريخ الإسلام (١٦/ ٢٨٤)

(٦) في شرح الكافية لابن مالك (١/ ٧٩): وروى عن المازني أن اللاحقي... إلخ.

وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿حَٰذِرُونَ﴾[١] وهو الذي أخذ يحذر.

وقال عباس بن مرداس:

[الوافر] وإنِّي حاذِرٌ أَنْمي سِلاحِي ... إِلى أَوْصالِ ذَيَّالٍ صنيع[٢]

[٤/ ١٢٨] / وقرأ ابن أَبي عمَّار[٣]، وشُميْط بن عجلان[٤]: (حَادِرُونَ) بالدال غير منقوطة[٥].

من قولهم: عيْن حَدِرة؛ أَي: معينة[٦]، فالمعنى: ممتلئون غيظاً وأَنفة.

والضمير في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾ عائد على القبط، و«الجنَّات والعيون» بحافتي النيل من أَسوان إِلى رشيد، قاله ابن عمر وغيره[٧].

و«الكُنُوز» قيل: هو إِشارة إِلى الأَموال التي احتجبوها[٨]، قال مجاهد: لأنهم لم

---

(١) قراءة ابن عامر من رواية ابن ذكوان، ووافق هشام ونافع الأولين فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٥)، والسبعة (ص: ٤٧١).

(٢) انظر نسبته له في مجاز القرآن (٢/ ٨٦)، بلفظ منيع، وكذلك في الدر المصون (١/ ٣٧٥٥)، وفي الأصل: «أنهي».

(٣) هو محمد بن موسى بن عبد الرحمن بن أبي عمار، أبو العباس الصوري الدمشقي، مقرئ مشهور ضابط ثقة، أخذ القراءة عرضاً عن ابن ذكوان وروى القراءة عنه محمد بن أحمد الداجوني والحسن ابن سعيد المطوعي، مات سنة ٣٠٧هـ، غاية النهاية (٢/ ٢٦٨)

(٤) في المطبوع: «سميط»، وهو شميط بن عجلان البصري العابد، أحد زهاد البصرة، أسند شيئاً يسيراً عن التابعين وله مواعظ نافعة، قال أبو حاتم: لا بأس به يكتب حديثه، تاريخ الإسلام (٩/ ١٧٤).

(٥) وهي شاذة نسبها لشميط الثعلبيُّ (٧/ ١٦٥)، ولابن أبي عمار في المحتسب (٢/ ١٢٦)، ولهما في مختصر الشواذ (ص: ١٠٨).

(٦) في المطبوع: «ممتلئة».

(٧) ضعيف، ذكره السيوطي في حسن المحاضرة (٢/ ٩١) من طريق ابن لهيعة، عن وهب بن عبد الله المعافري، عن عبد الله بن عمرو، رضي الله عنه، وهذا إسناد ضعيف، من أجل ابن لهيعة.
تنبيه: جاء في المطبوع هاهنا الأثر عن ابن عمر، والذي وقفت عليه هو عن ابن عمرو.

(٨) في المطبوع: «خربوها»، وفي نجيبويه وفيض الله: «احتجنوها».

ينفقوها قط في طاعة[١]، وقيل: هي إِشارة إِلى كنوز المقطَّم[٢] ومطالبه، وهي باقية إِلى اليوم.

و«المقام الكريم» قال ابن لَهيعَة[٣]: هو الفيُّوم[٤].

وقيل: يعني به المنابر، وقيل: مجالس الأُمراءِ والحكام، وقال النقاش: المساكن الحسان[٥].

وقرأَ الأَعرج وقتادة بضم الميم، من: «مقام»[٦].

وتوريث بني إِسرائيل يحتمل مقصدين:

أَحدهما: أَنه قد ورَّثهم هذه الضفة من أَرض الشام، والآخر: أَنه ورَّثهم مصر ولكن بعد مدة طويلة من الدهر، قاله الحسن[٧]، على أَن التواريخ لم تتضمن ملك بني إِسرائيل في مصر.

و﴿ مُّشۡرِقِينَ ﴾ معناه: عند شروق الشمس، أَي: حين دخلوا فيه، وقيل: معناه: نحو الشرق.

وقرأَ الحسن: (فاتَّبَعُوهُم) بصلة الأَلف وشدِّ التاءِ[٨].

[والجمهور على قطع الألف وسكون التاء][٩].

---

(١) تفسير الثعلبي (٧/ ١٦٥).

(٢) في نجيبويه: «المعظم».

(٣) هو عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن قرعان، عالم الديار المصرية، وقاضيها ومفتيها ومحدثها أبو عبد الرحمن الحضرمي، روى عن الأعرج، وعطاء، وعنه ابن وهب والوليد بن مسلم وابن المبارك، وفي حديثه ضعف، توفي سنة ١٧٤هـ، تاريخ الإسلام (١١/ ٢١٧).

(٤) تفسير الماوردي (٥/ ٢٥١).

(٥) انظر: البحر المحيط (٨/ ١٥٩)، وفي المطبوع: «الحسن»، بدل النقاش، وفي نور العثمانية: «الجنان»، بدل: «الحسان».

(٦) وهي شاذة، انظرها للأعرج في مختصر الشواذ (ص: ١٠٨)، ولهما في البحر المحيط (٨/ ١٥٩).

(٧) تفسير ابن أبي زمنين (١/ ٤٨٧)، بتصرف.

(٨) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٤)، في حاشية المطبوع في الأصول: «وسكون التاء».

(٩) سقط من المطبوع.

فلما لحق فرعونُ بِجَمْعه جمْعَ موسى وقرب منهم، ورأَت بنو إِسرائيل العدوَّ القويَّ وراءَهم والبحر أَمامهم ساءَت ظنونهم، وقالوا لموسى عليه السلام ـ على جهة التَّوبيخ والجفاءِ ـ: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، أَي: هذا رأيك[١].

فردَّ عليهم قولهم وزَجرهم، وذَكَر وعْد الله تعالى له بالهداية والظَّفر.

وقرأَ الجمهور: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، وقرأَ الأَعرج وابن عمير: (إِنَّا لمُدَرَّكُون) بفتح الدال وشد الرَّاءِ[٢]، ومعناها: يُتَتَابع علينا حتى نفنى.

وقرأَ حمزة: ﴿تراءى الجمعان﴾ بكسر الراءِ وبمدٍّ ثُمَّ بِهَمْزٍ، ورُوي مثله عن عاصم، ورُوي أَيضاً عنه مفتوحاً ممدوداً، والجمهور يقرؤُونه مثل تَراعَى[٣]، وهذا هو الصواب؛ لأَنه تفاعل، قال أَبو حاتم: وقراءَة حمزة في هذا الحرف محال، وحَمَل عليه، وقال: وما رُوي عن الأَعمش وابن وثاب خطأٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾.

---

(١) في المطبوع: «هذا دأبك»، وفي لالاليه: «أي هذا فعل ربك».

(٢) كذا في جميع النسخ الخطية، وهو ظاهر قول الطبري (١٩/ ٣٥٦): كما يقال: نزلت وأنزلت، وفي المطبوع: بتشديد الدال وفتح الراء، وهو ظاهر النقل عنهما في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٢٥)، وصرح في تفسير الثعلبي (٧/ ١٦٥)، بتشديد الدال، ونص على فتح الراء الكرماني في الشواذ (ص: ٣٥٤)، وظاهر قول المحتسب (٢/ ١٢٨): وادَّرك الشيء إذا تتابع وفني أنها بكسر الراء، وصرح به في الكشاف (٣/ ٣١٦)، قال في البحر المحيط (٨/ ١٦٠) نص على كسرها أبو الفضل في اللوامح والزمخشري وغيرهما، وقال أبو الفضل: وقد يكون ادرك على افتعل متعدياً، فلو كانت القراءة من ذلك، لوجب فتح الراء، ولم يبلغني ذلك عنهما، وعلى كل فهي شاذة.

(٣) وهي سبعية، انظرها لحمزة خاصة في التيسير (ص: ١٦٥)، وانظر الخلاف عن عاصم في السبعة (ص: ٤٧١)، وفي المطبوع: «والكسائي»، ولم أجدها له، وانظر العزو للباقين وقول أبي حاتم في البحر المحيط (٨/ ١٥٩).

لما عظم البلاءُ على بني إِسرائيل، أَمر الله تعالى موسى أَن يضرب البحر بعصاه؛ وذلك أَنه عزَّ وجلَّ أَراد أَن تكون الآية متَّصلة بموسى، ومتعلقة بفعلٍ فَعَله، وإِلَّا فَضَرْبُ العصا ليس بفالق للبحر ولا مُعين على ذلك بذاته، إِلَّا بما اقترن به من قدرة الله واختراعه، ولما انفلق البحر صار فيه اثنا عشر طريقاً على عدد أَسباط بني إِسرائيل، ووقف الماءُ بينها كالجبل العظيم، [والطَّوْدُ: الجبل][١].

ورُوي عن ابن جريج والسُّدي وغيرهما: أَن بني إِسرائيل ظن كل فريق منهم أَن الثاني قد غرق، فأَمر الله تعالى الماءَ فصار كالشراجب الطِّيقان، فرأَى بعضهم بعضاً فتأنسوا[٢].

﴿وَأَزۡلَفۡنَا﴾ معناه: قربنا.

[وقرأ ابن عباس عن أبي بن كعب (وأزلقنا) بالقاف][٣]، ونسبها أَبو الفتح إِلى عبد الله بن الحارث[٤].

وقرأَ أَبو حيوة والحسن: (وَزَلَفْنَا) بغير أَلف[٥].

وذلك أَن فرعون لما وصل إِلى البحر وقد دخل بنو إِسرائيل، قيل: إنه صمَّم ومخرق بأن قال: لي انفرق فدخل على ذلك، وقيل: بل كعَّ، وهمَّ بتدبير الانصراف، فعرض جبريل على فرسٍ وديقٍ، فمضى وراءَهَا حصان فرعون، فدخل على نحو هذا واتَّبعه الناسُ.

ورُوي أَن الله تعالى جعل ملائكة تسوق قومه حتى حصلوهم في البحر.

---

(١) سقط من الأصل.
(٢) المعنى في تفسير الطبري (١٩/ ٣٥٧)، وفي المطبوع: «فتأَسوا».
(٣) في المطبوع: «وقرئ بالقاف».
(٤) وهي شاذة انظر: المحتسب (٢/ ١٢٨)، ونسبها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٥)، ولأبي وابن عباس في مختصر الشواذ (ص: ١٠٨).
(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها للحسن في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٥)، ولهما في البحر المحيط (٨/ ١٦١).

ثم إِن موسى وقومه خرجوا إِلى البر من تلك الطرق، ولما أَحَسُّوا باتباع فرعون وقومه فزعوا من أَن يخرج وراءَهم، فهَمَّ موسى عليه السلام بخلط البحر، فحينئذ قيل له: ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًا﴾ [الدخان: ٢٤]، ولما تكامل جند فرعون، وهَمَّ مقدمتهم بالخروج انطبق البحر عليهم وغرقوا، ودخل موسى عليه السلام البحر بالطول، وخرج في الضفة التي دخل منها بعد مسافة، [وكان بين موضع دخوله وموضع خروجه أوعار وجبال لا تسلك إلا على تخليق الأيام][(١)] وكان ذلك في يوم عاشوراءِ.

وقال النقاش: البحر الذي انفلق لموسى عليه السلام نهر النيل [بين إيلة ومصر][(٢)].

وهذا مردود إن شاءَ الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ تنبيه على موضع العبرة. وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أَي: عزَّ في نقمته من الكفار، ورحم المؤمنين من الأُمة، وقد مضى كثير مما يلزم ذكره من قصة موسى عليه السلام.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٧٠ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۝٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ۝٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ۝٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ۝٧٤ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٧﴾.

هذه القصة تضمنت الإِعلام بغيب، والإِتيان بما يقطع أَن محمداً ﷺ لم يكن يعرفه، ثم ظهر على لسانه في ذلك ما في الكتب المتقدمة.

وليست هذه الآية مثالاً لقريش في أَمر الأَصنام فقط، لأَنه ليس فيها تكذيب وعذاب.

وقول إِبراهيم عليه السلام: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾ استفهامٌ بمعنى التقرير.

(١) سقط من المطبوع، وفي أحمد٣ والحمزوية وأحمد٣: «تحليق».

(٢) سقط من المطبوع، وانظر: تفسير الماوردي (٤/ ١٧٤).

و«الصَّنم»: ما كان من الأَوثان على صورة ابن آدم، كان من حجر أَو عود أَو غير ذلك.

و«ظَلَّ»: عرفها في فعل الشيء نهاراً، وبات: عرفها في فعله ليلاً، وطفق: عامة للوجهين، ولكن قد يجيءُ ظَلَّ بمعنى العموم، وهذا الموضع من ذلك.

و«العُكوفُ»: اللُّزوم، ومنه المعتكف، ومنه قول الراجز:

.... عَكْفَ النَّبِيطِ يَلْعَبُونَ الْفَنْزَجَا[1] [الرجز]

ثم أَخذ إِبراهيم عليه السلام يوقفهم على أشياءَ يشهد العقل أَنها بعيدة من صفات إِله.

وقرأَ الجمهور بفتح الياءِ من: ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾/ . [٤/ ١٢٩]

وقرأَ قتادة بِضَمِّها من أَسمع وبكسر الميم[2]، والمفعول ـ على هذه القراءَة ـ محذوف.

[وقرأ جماعة من القراء: ﴿إِذْتَدْعُونَ﴾ بإظهار الذال والتاء][3].

وقرأَ الجمهور: ﴿إِذ تَّدْعُونَ﴾ بِإدغام الدال في التاءِ بعد القلب[4]، ويجوز فيه قياس مُدَّكر، ولم يقرأ به، وطرد القياس أَن يكون اللفظ به: إِذْ ددعون، والذي منع من هذا اللفظ اتصال الدال الأَصلية في الفعل فكثرت المتماثلات.

وقولهم: ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أَقبح وجوه التقليد؛ لأَنه على ضلالة، وفي أَمْر بيِّنٌ خلافُه، وعظيمٌ قدرُه، فلما صرحوا لإِبراهيم عليه السلام عن عدم نظرهم، وأَنه لا حجة لهم، خاطبهم ببراءَته من جميع ما عُبد من دون الله وعداوته له، وعبَّر عن بغضته

---

(١) في الأصل: «الفرزجا»، والبيت تقدم في تفسير الآية ١٢٥ من سورة البقرة.

(٢) وهي شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (٧/ ١٦).

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) قرأ با لإظهار من السبعة نافع، وابن كثير، وعاصم، وابن ذكوان، والباقون بالإدغام، انظر: التيسير (ص: ٤٢).

واطِّراحه لكل معبود سوى الله تعالى بالعداوة؛ إذ هي تقتضي التغيير(١)، ومحو الرسم.

وقيل: في الكلام قلْبٌ؛ لأَن الأَصنام لا تُعَادِي وإِنما هو عاداها.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

قالت فرقة: هو استثناءٌ متصل؛ لأَن في الآباءِ الأَقدمين مَنْ قَدْ عبد الله(٢).

وقالت فرقة: هو استثناءٌ منقطع؛ لأَنه إِنما أَراد عبادة الأَوثان من كل قرن منهم.

ولفظة ﴿عَدُوٌّ﴾ تقتضي الجمع والمفرد والمؤنث والمذكر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

[أَتى إِبراهيم عليه السلام في هذه الأَوصاف التي وصف اللهَ عز وجل بها، بالصفات التي المتصف بها يستحق الألوهية وهي الأَوصاف الفعلية التي تخصّ البشر، ومنها يجب أن يفهم ربه عزَّ وجلَّ](٣).

[و﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى﴾ بقدرته، ﴿يَهْدِينِ﴾ أَي: يرشدني إِلى طاعته](٤).

وقوله: ﴿يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ تعديد للنعمة في الرزق.

---

(١) في المطبوع: «التفسير»، وسقط منه: «ومحو الرسم».

(٢) في المطبوع: «من قد عبد من دون الله»، وهو مفسد للمعنى.

(٣) في المطبوع: وأَثنى إِبراهيم عليه السلام بهذه الأَوصاف التي وصف اللهَ عز وجل بها والمتصف بها يستحق الأَوصاف الفعلية التي تخصّ البشر، وسقط ما زاد على ذلك، وبعضه في فيض الله ملحق في الهامش.

(٤) من المطبوع، ولم نجده في شيء من النسخ الخطية.

وقال أَبو بكر الوَرَّاق في كتاب الثعلبي: المعنى: يطعمني بلا طعام، ويسقيني بلا شراب[١]، كما قال النبي ﷺ: «إِنِّي أَبيت عند ربِّي يطعمني ويسقيني»[٢].

وأَسند إِبراهيم المرض إِلى نفسه، والشفاءَ إِلى الله عزَّ وجلَّ، وهذا من حسن الأَدب في العبارة، والكل من عند الله تعالى، وهذا كقول الخضر عليه السلام: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩].

وقال جعفر الصادق: إِذا مرضتُ بالذنوب، شفاني بالتوبة[٣].

وقرأَ الجمهور هذه الأَفعال: ﴿يَهْدِينِ﴾، [﴿يسقين﴾، ﴿يشفين﴾، ﴿يحيين﴾][٤] بغير ياءٍ.

وقرأَ نافع وابن أَبي إِسحاق: ﴿يَهْدِينِي﴾ بالياءِ، وكذلك ما بعده[٥].

وأَوقف عليه السلام نفسه على الطمع في المغفرة، وهذا دليل على شدة خوفه مع منزلته وخلَّته.

وقوله: ﴿خَطِيٓـَٔتِى﴾ ذهب فيه أَكثر المفسرين إِلى أَنه أَراد كذباته الثلاث: قوله: «هي أُخْتي» في شأْن سارة، وقوله: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٩٣][٦].

---

(١) تفسير الثعلبي (٧/ ١٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٦٤) ومسلم (١١٠٣) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً بلفظ: «إني أبيت يطعمني ربي ويسقين».

(٣) تفسير الثعلبي (٧/ ١٦٨).

(٤) من المطبوع.

(٥) وهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٣٦)، وعزاها لابن أبي إسحاق في: معاني القرآن للنحاس (٥/ ٨٧)، ولا شيء هنا لنافع، وفي المطبوع: ابن إسحاق.

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٧٩) ومسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً.

وقالت فرقة: أَراد بالخطيئة اسم الجنس، فدعا[١] في كل أَمره من غير تعْيين.

وهذا أَظهر عندي؛ لأَن تلك الثلاث قد خرَّجها كثير من العلماءِ على المعاريض، وهي - وإِن كانت كذبات بحكم قول النبي ﷺ: «لم يكذب إِبراهيم إِلَّا ثلاث كذبات»[٢]، وبحكم ما في حديث الشفاعة من قوله في شأْن إِبراهيم: «نفسي نفسي، وذَكر كذباته»[٣] - فهي في مصالح، وعونِ شرع، وحقٍّ.

وقرأَ الجمهور: ﴿خَطِيٓـَٔتِى﴾ بالإِفراد، وقرأَ الحسن: (خَطَايَايَ) بالجمع[٤].

والحُكْمُ الذي دَعَا فيه إِبراهيم هو الحكمة والنبوة، ودعاءُ إِبراهيم في مثل هذا هو في معنى التثبيت والدوام.

[وإِلحاقه بالصالحين: توفيقه لعمل ينتظمه في جملتهم أَو يجمع بينه وبينهم في الجنة، وقد أَجابه تعالى حيث قال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾][٥].

و«لِسَانُ الصِّدْق في الآخرين»: هو الثناءُ وخلد المكانة بإِجماع من المفسرين، وكذلك أَجاب الله دعوته، فكلُّ ملَّة تتمسَّك به وتُعظِّمه، وهو على الحنيفية التي جاءَ بها محمد ﷺ.

قال مكِّيٌّ: وقيل: معنى سؤاله أَن يكون من ذريته في آخر الزمان من يقوم بالحق فأُجيبت الدعوة في محمد ﷺ[٦].

---

(١) في المطبوع: «قدرها».

(٢) متفق عليه، تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٨٢) ومسلم (٣٢٧) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٤) وهي شاذة، انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٢٢)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٧٠).

(٥) من المطبوع، ليس في شيء من النسخ الخطية، والآية تكررت في البقرة: ١٣٠، النحل: ١٢٢، العنكبوت: ٢٧.

(٦) الهداية لمكي (٨/ ٥٣٢١).

قال القاضي أَبو محمد: وهذا معنى حسن، إِلَّا أَن لفظ الآية لا يعطيه إِلَّا بتحكُّم على اللفظ.

[ولما فرغ من مطالب الدنيا طلب سعادة الآخرة وهي جنَّة النَّعيم، وشبهها بما يورث، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾[مريم: ٦٣]](١).

واستغفاره لأَبيه في هذه الآية هو قبل أَن يتبيَّن له بموته على الكفر أَنَّه عدُوٌّ لله، أَي: محتوم عليه، وهو من الموعدة المذكورة [في غير هذه الآية](٢).

وفي قراءة أُبيٍّ بن كعب: (واغْفِرْ لي ولأَبوَيَّ إِنهما كانا من الضالِّين) (٣).

[﴿وَلَا تُخْزِنِى﴾ إِما من الخِزْي وهو الهوان، وإِما من الخزاية وهي الحياءُ، والضمير في ﴿يُبْعَثُونَ﴾ ضمير العباد لأَنه معلوم، أَو ضمير الضَّالين، ويكون من جملة الاستغفار](٤).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

﴿يَوْمَ﴾ بدل من الأَول في قوله: ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾، والمعنى: يوم لا ينفع أَعلاق الدنيا ومحاسنها، فقصد من ذكر ذلك العُظم(٥) والأَكْثَر؛ لأَن المال والبنين هما زينة الحياة الدنيا.

[والظاهر أَن الاستثناءَ منقطع، أَي: لكن من أَتى الله بقلب سليم ينفعه سلامة قلبه](٦).

---

(١) زيادة من المطبوع، ليس في النسخ الخطية.
(٢) سقط من المطبوع.
(٣) وهي شاذة، عزاها له في مختصر الشواذ (ص: ٣٥٥)، دون لفظة: «لي».
(٤) من المطبوع، ليس في النسخ الخطية.
(٥) في المطبوع: «من ذلك الذكر العظيم».
(٦) من المطبوع، وليست في النسخ الخطية.

وقوله: ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ معناه: خالص من الشِّرك والمعاصي وعلق الدنيا المتروكة وإِن كانت مباحة كالمال والبنين، قال سفيان: هو الذي يلقى ربَّه وليس في قلبه شيءٌ غيره[1].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا يقتضي عموم اللفظة، ولكن السليم من الشِّرك هو الأَهم.

وقال جنيد: بقلب لديغ من خشية الله، والسليم: اللَّديغ[2].

﴿وَأُزْلِفَتِ﴾ معناه: قُربت.

والغاوون الذين بُرِّزت لهم الجحيم هم المشركون، بدلالة أَنهم خوطبوا في أَمر الأَصنام.

والقول لهم: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ هو على جهة التقريع والتوبيخ والتوقيف على عدم نصرتهم[3] نحوه.

وقرأَ الأَعمش: (فَبُرِّزَت) بالفاءِ[4]، والجمهور بالواو.

وقرأ مالك بن دينار: (وَبَـرَزَت) بفتح الراء والزاء والتخفيف[5] ورفع (الْجَحِيم).

ثم أَخبر عن حال يوم القيامة من أَن الأَصنام تُكَبْكَب في النَّار، أَي تُلْقَى كَبَّةً واحدة، ووصل بها ضمير من يعقل من حيث ذكرت بالعبادة، وكانت يسند إِليها فعل من يعقل.

[٤/ ١٣٠] وقيل: الضمير في قوله: ﴿هُمْ﴾ يعود للكفار، ﴿وَالْغَاوُونَ﴾: الشياطين/ .

---

(١) البحر المحيط (٨/ ١٦٩).

(٢) تفسير الثعلبي (٧/ ١٧١).

(٣) في المطبوع: «نظرتهم».

(٤) وهي شاذة مخالفة للرسم، تابعه عليها في البحر المحيط (٨/ ١٦٩).

(٥) من المطبوع، «وفيه بفتح الباء»، وفي أحمد٣ والحمزوية: «بفتح الباء والراء»، وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٣٥٥).

و«كُبْكِبَ»: مضاعف من كَبَّ، هذا قول الجمهور، وهو الصحيح؛ لأَن معناهما واحد، والتضعيف بيِّن، مثل: صرَّ وصرصر، وغير ذلك.

﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾: الكفرة الذين شملتهم الغواية.

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾: نَسْلُه، وكلُّ من تبعه؛ لأَنهم جنْدٌ له وأَعوان.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾.

ثم وصف تعالى أَن أَهل النار يختصمون فيها ويتلاومون، ويأْخذون في شأْنهم بجدال.

ومن جملة[1] قولهم لأَصنامهم على جهة الإِقرار وقول الحقِّ: قسماً تالله إِن كنَّا إلا ضالين في أَن نعبدكم ونجعلكم سواءً مع الله تعالى، الذي هو ربُّ العالمين وخالقهم ومالكهم، ثم عطفوا يردُّون الملامة على غيرهم، أَي: ما أَضلَّنا إِلا كبراؤُنا وأَهل الجزم والجرأَة والمكانة، ثم قالوا ـ على جهة التلهف والتأَسف ـ حين رأَوا شفاعة الملائكة والأَنبياءِ والعلماءِ نافعة في أَهل الإِيمان عموماً، وشفاعة الصديق في صديقه خاصة: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾، وفي هذه اللفظة تنبيه على محلِّ الصديق من المرءِ.

قال ابن جريج: ﴿شَٰفِعِينَ﴾ من الملائكة، و﴿صَدِيقٍ﴾ من الناس[2].

ولفظة الشفيع تقتضي رِفعة مكانه [عند المشفوعِ عنده][3]، ولفظ الصديق

(١) في المطبوع: «جهلهم».

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٣٦٨).

(٣) من المطبوع، وفيه وفي الحمزوية: «رفعة مكانة»، وفي نجيبويه: «مكانة ورفعة»، وسقطت «تقتضي» من الأصل.

يقتضي شدة مساهمة ونصرة، وهو فعيل من صدق الودِّ [من أَبنية المبالغة][(١)].

و«الحميم»: الوَلِيُّ والقريب الذي يخصك أَمره ويخصه أَمرك، وحامَّة[(٢)] الرجل: خاصته.

وباقي الآية بيِّن قد مضى.

وهذه الآياتُ من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ هي عندي منقطعة من كلام إِبراهيم عليه السلام، وهي إِخبارٌ من الله عزَّ وجلَّ تعلق من صفة اليوم الذي وقف إِبراهيم عليه السلام عنده في دعائه أَلاّ يخزى فيه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾.

أَسند ﴿كَذَّبَتْ﴾ إِلى القوم وفيه علامة[(٣)] التأْنيث، من حيث القوم في معنى الأُمة والجماعة.

وقوله: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ من حيث إِنَّ من كذَّب نبيّاً واحداً فقد كذَّب جميع الأَنبياءِ؛ إِذ قولهم واحد، ودعوتهم سواءٌ.

---

(١) من المطبوع.

(٢) في المطبوع: «جامعة».

(٣) في المطبوع: «عدم».

وقوله: ﴿أَخُوهُمْ﴾ يريد: في النسب والمنشأ، لا في الدين.

و﴿أَمِينٌ﴾ معناه: على وحي الله تعالى ورسالته[١].

وقرأ ابن كثير، وعاصم: ﴿أَجْرِيْ﴾ ساكنة الياءِ.

وقرأ نافع، وأبو جعفر، وشيبة بفتح الياءِ في كل القرآن[٢].

ثم ردَّد عليهم الأَمرَ بالتقوى والدعاءِ إِلى طاعته تحذيراً ونذارة وحرصاً عليهم، فذهب أَشرافهم إِلى استنقاص أَتباعه بسبب صغار الناس الذين اتبعوه وضعفائهم، وهذا كفعل قريش في شأن عمَّار بن ياسر، وصهيب، وغيرهما.

وقال بعض الناس: ﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾: الحاكة والحجَّامون والأَساكفة، وهذا عندي على جهة المثال، أَي: أَهل الصنائع الخسيسة، لا أَن هذه الصنائع المذكورة خصت بهذا.

و﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾: جمع الأَرذل، ولا يستعمل إِلَّا مُعرفاً أَو مضافاً، أَو بمن.

ويظهر من الآية أَن مراد قوم نوح بنسبة الرذيلة إِلى المؤمنين تهجين أَفعالهم، لا النظر في صنائعهم، ويدل على ذلك قول نوح: ﴿وَمَا عِلْمِى﴾... الآية؛ لأَن معنى كلامه: ليس في نظري وعلمي بأَعمالهم ومعتقداتهم فائدة، إِنما أَقنع بظاهرهم وأجتزئ به، ثم حسابهم على الله تعالى، وهذا نحو قول رسول الله ﷺ: «أُمرت أَن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إِله إِلا الله» الحديث بجملته[٣].

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَٱتَّبَعَكَ﴾ على الفعل الماضي.

---

(١) في المطبوع هنا زيادة: «يريد: في المنشأ»، ولعلها تكرار مع ما سبق.

(٢) وهما سبعيتان، الفتح لنافع وابن عامر وأبي عمر وحفص وأسكن الباقون، انظر: التيسير (ص: ١٦٧)، النشر (٢/ ٣٣٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٣٣٥) ومسلم (٣٢) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً.

وقرأَ ابن السميفع اليماني، وسعيد بن أسعد[١] الأَنصاري: ﴿وَأَتْبَاعُكَ﴾ على الجمع، ونسبها أَبو الفتح إِلى ابن مسعود، والضحاك، وطلحة، قال أَبو عمرو: وهي قراءَة ابن عباس رضي الله عنه، والأَعمش، وأَبي حيوة[٢].

وقرأَ عيسى بن عمر الهمذاني: (لو يَشْعُرون) بالياءِ من تحت[٣].

وقرأَ الجمهور: ﴿تَشْعُرُونَ﴾ بتاءِ الخطاب.

وإِعراب قوله: ﴿وَأَتْبَاعُكَ﴾ إِما جعله في موضع الحال، وإِما عطف على الضمير المرفوع في قوله: ﴿أَنُؤْمِنُ﴾[٤]، وحسَّن ذلك الفصلُ بقوله: ﴿لَكَ﴾.

وقولهم: ﴿مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ يحتمل أَن يريدوا: بالحجارة، ويحتمل أَن يريدوا: بالقول[٥] والشتم ونحوه وهو شبيه برجم الحجارة، وهو من الرجم بالغيب والظن ونحو ذلك.

وقوله: ﴿ٱفْتَحْ﴾ معناه: احكم، والفَتَّاح: القاضي بلغة يمنية.

و﴿ٱلْفُلْكِ﴾: السفينة، وجمعها فُلْكٌ أَيضاً، وقد تقدم بسط القول في هذا الجمع في سورة الأَعراف.

و﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾ معناه: المملوءُ بما ينبغي له من قدر ما يحمل، وباقي الآية بيِّن.

---

(١) في المطبوع: «ابن أبي سعيد الأنصاري»، وهو سعيد بن أسعد بن حمير بن عبد الأعلى التباعي اليمني مقرئ متصدر باليمن، قرأ بالروايات على محمد بن إبراهيم الحضرمي، قرأ عليه علي بن همدان المعجلي، انظر غاية النهاية (١/ ٣٠٥).

(٢) أبعد وأغرب، فهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٣٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٩٠)، والهداية لمكي (٨/ ٥٣٣٠)، ومعاني القراءات للأزهري (٢/ ٢٢٧)، والمحتسب (٢/ ١٣١) نسبها له ولكل المذكورين أولاً، وانظر العزو للباقين في البحر المحيط (٨/ ١٧٦).

(٣) وهي شاذة، عزاها للأعرج وأبي زرعة في مختصر الشواذ (ص: ١٠٨)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٥٥).

(٤) «في قوله أنؤمن»، من المطبوع، وسقطت منه لفظة: «المرفوع».

(٥) في المطبوع: «بالقرآن».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥) قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ / (١٣٨) [٤/ ١٣١]
فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٤٠)﴾.

﴿عَادٌ﴾: قبيلة، وانصرف للخفة، وقيل: هو اسم أبيهم.

وخاطبهم هود عليه السلام بمثل مخاطبة سائر الرُّسل، ثم كلمهم فيما انفردوا به من الأَفعال التي اقتضتها أَحوالهم، فقال: ﴿أَتَبْنُونَ﴾ على جهة التوبيخ.

و«الرِّيعُ»: المرتفع من الأَرض، ومنه قول المسَيَّب ابن علس[1] يصف ظعنا:

فـي الآلِ يخْفِضُهَـا ويَرْفَعُهَـا ... رِيـعٌ يَـلُـوحُ كـأَنَّـهُ سَـحْـلُ[2] [أحذ الكامل]

والسَّحْل: الثوب الأَبيض، ومنه قول ذي الرُّمَّة:

طِرَاقُ الْخَوَافِي مُشْرِقٌ فوقَ رِيعَةٍ ... نَدَى لَيْلِهِ في ريشِهِ يَتَرَقْرَقُ[3] [الطويل]

---

(١) هو المسيب بن علس بن عمرو من شعراء بكر بن وائل المعدودين، وهو خال الأعشى ميمون بن قيس، وهو جاهليّ لم يدرك الإسلام، وكان امتدح بعض الأعاجم، فأعطاه، ثم أتى عدوّاً له يسأله، فسمّه فمات، ولا عقب له، الشعر والشعراء (١/ ١٧٢).

(٢) انظر عزوه له في غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٣١٨)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٨٠)، والصحاح للجوهري (٣/ ٣٥٩)، والاستذكار (٣/ ١٦)، وشمس العلوم (٤/ ٢٦٩٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٥)، وفي الحيوان للجاحظ (٦/ ٣٣٥) أنه لغيلان بن سلمة.

(٣) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٨٨)، والكامل للمبرد (١/ ١٢٩)، وتفسير الطبري (١٩/ ٣٧٣)، والحيوان (٥/ ٥٨٠).

ومنه قول الأَعشى:

[المتقارب] ويَـهْـمَـاءَ قَـفْـرٍ تَـجَـاوَزْتُـهَـا إِذَا خَـبَّ فـي رِيعِـهَـا آلُـهَـا[(١)]

ويقال: ريعٌ بكسر الراءِ، ويقال: رَيْعٌ بفتحها، وبها قرأَ ابن أَبي عبلة[(٢)].

وعبَّر بعض المفسرين عن الرِّيع بالطريق، وبعضهم بالفَجِّ، وبعضهم بالثَّنِيَّة الصغيرة.

وجملة ذلك أنَّه المكان المشرف[(٣)]، وهو الذي يتنافس البشر في مبانيه، و«الآية»: البنيان.

قال ابن عباس: ﴿ءَايَةً﴾: عَلَم[(٤)].

وقال مجاهد: أَبراج الحمام، وقال النقاش وغيره: القُصور الطوال[(٥)].

و«المصانع»: جمع مصنع، وهو ما صنع وأُتقن في بنائه من قصر مشيد ونحوه.

وقال قتادة: هي مآخذ للماءِ[(٦)].

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾، إِما أَن يريد: على أَملكم ورجائكم، وإِما أَن يريد الاستفهام على معنى التوبيخ والهزءِ بهم.

---

(١) عزاه له الطبري (١٩/ ٣٧٣)، واليهماءُ: الفَلاةُ لا يُهْتَدى فيها، وخَبَّ: تحرك واضْطَرب، والآل: السراب.

(٢) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ، (ص: ١٠٨).

(٣) في المطبوع: «المشرق».

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٧٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به، وفي المطبوع: «إنه»، بدل «آية».

(٥) القولان في البحر المحيط (٨/ ١٧٨)، والأول قال في تفسير الماوردي (٤/ ١٨١): حكاه ابن أبي نجيح.

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٣٧٦)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٨١)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٧٤).

وقرأ الجمهور: ﴿تَخۡلُدُونَ﴾ بفتح التاءِ وضم اللام.

وقرأ قتادة: (تُخْلَدُونَ) بضم التاءِ وفتح اللام، يقال: خَلَد الشيءُ، وأَخْلَدَهُ غيره.

وقرأ أُبيٌّ وعلقمة: (لعلكم تُخَلَّدون) بضم التاءِ وفتح الخاءِ وفتح اللام وشدها.

وروي عن أُبي: (كأَنكم تخلدون).

وروي عن ابن مسعود: (كي تخلدون).

وروي عن ابن عباس: (كأَنكم خالدون) [١].

و«البَطْشُ»: الأَخذ بقوة وسرعة، و«الجَبَّارُ»: المتكبر، ومنه قولهم: نخلة جبارة إِذا كانت لا تُدرَك علوّاً، ومنه قوله ﷺ في المرأَة التي أَبت أَن تتنحى عن طريقه: «إِنها جبارة»[٢]، ومنه الجبروت، فالمعنى: إِنكم كفار الغضب، لكم السطوات المفرطة، والبوادر من غير تثبت.

ثم ذكَّرهم عليه السلام بأَيادي الله قِبَلهم فيما منحهم من الأَنعام والذرية والجنات والمياه المطردة فيها، ثم خوفهم عذاب الله في الدنيا، وكانت مراجعتهم أَن سوَّوا بين وعظه وتركه الوعظ.

وقرأ ابن محيصن: (وَعَظتَّ) بإِدغام الظَّاءِ في التَّاءِ[٣].

---

(١) خمس قراءات شاذة، الأخيرة من المطبوع، وسقطت منه الرابعة، انظر الأولى والثانية في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٥)، والثالثة في تفسير الطبري (١٩/ ٣٧٦) عن قتادة وفي معاني القرآن للنحاس (٥/ ٩٣) أنها في بعض الحروف، والرابعة في البحر المحيط (٨/ ١٧٨)، والخامسة في تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٧٩٥) عن قتادة أنها كانت في بعض القراءات.

(٢) ضعيف جداً، أخرجه الطبراني في الأوسط (٨/ ١٢٢) وأبو يعلى (٦/ ٣٤) وعنه ابن عدي في كامله (٢/ ١٤٨) من طريق يحيى بن عبد الحميد الحماني، قال: ثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف جداً، يحيى بن عبد الحميد الحماني متفق على تضعيفه، وقد اتهم بسرقة الحديث، انظر: تهذيب الكمال (٣١/ ٤١٩).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في النشر (١/ ٢٢٠).

ثم قالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، واختلفت القراءة في ذلك؛ فقرأَ نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وابن عامر: ﴿خُلُقُ﴾ بضم اللام، فالإِشارة بـ ﴿هَٰذَآ﴾ إِلى دينهم وعبادتهم وتصرفهم في المصانع، أَي: هذا الذي نحن عليه خُلُق الناس وعادتهم، وما بعد ذلك بعث ولا تعذيب كما تزعم أَنت.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأَبو قلابة: (خُلْق) بضم الخاءِ وسكون اللام، ورواها الأَصمعي عن نافع.

وقرأَ أَبو جعفر، وأَبو عمرو: ﴿خَلْقُ الأولين﴾ بفتح الخاءِ وسكون اللام، وهي قراءَة ابن مسعود، وعلقمة، والحسن[1].

وهذا يحتمل وجهين: أَحدهما:

وما هذا الذي تزعمه إِلَّا اختلاق الأَولين من الكَذَبَة قبلك وكذبهم[2]، فأَنت على منهاجهم.

والثاني أَن يريدوا: ما هذه البنية التي نحن عليها إِلا البنية التي عليها الأَولون، حياة وموت، وما ثَمَّ بعثٌ ولا تعذيب، وكل معنى مِمَّا ذكرته تحتمله كل قراءة[3].

وروى علقمة عن ابن مسعود: (إِلَّا اخْتِلَاقُ الأَوَّلين) [4]، وباقي الآية قد مضى تفسيره.

---

(١) ليس كذلك، فالقراءتان الأولى والثالثة سبعيتان، والثالثة لابن كثير وأبي عمرو، والكسائي كما في السبعة (ص: ٤٧٢)، التيسير (ص: ١٦٦)، ومعهم أبو جعفر ويعقوب، كما في تحبير التيسير (ص: ٤٨٨)، والثانية شاذة عزاها لرواية الأصمعي في الكامل للهذلي (ص: ٦١١)، ولأبي قلابة في مختصر الشواذ (ص: ١٠٩)، ولم أجدها للباقين من المذكورين، والكسائي في الأولى من المطبوع وحمزة في الثانية منه ومن نور العثمانية وفيض الله.

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) في المطبوع: «تحتمله قراءة: خلق».

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر ها في تفسير الطبري (١٩/ ٣٧٨).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾.

﴿ثَمُودُ﴾: قبيلة عربية، وتصرف ولا تصرف، على مقصد الحيِّ أَو القبيلة، وقرئ بالوجهين: الجمهور بغير صرف، وابن وثاب وغيره بالصرف(١).

و﴿صَٰلِحٌ﴾ أَخوهم في النَّسب، والأَنبياءُ من العرب أَربعة: هود وصالح وشعيب ومحمد عليهم السلام، وإِسماعيل عليه السلام عربيٌّ اللسان سرياني النَّسب، وهو أَبو(٢) العرب الموجودين اليوم.

وقوله: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ﴾ تخويف لهم، بمعنى: أَتطمعون أَن تقروا في النعم على معاصيكم؟

و«الْهَضِيم» معناه: اللَّيِّن الرَّطْب.

و«الطَّلْع»: الكفرى(٣)، وهو عنقود التمر(٤) قبل أَن يخرج من الكم في أَول نباته، فكأَن الإِشارة إِلى أَن طلعها يثمر ويرطب.

---

(١) وهي شاذة، كما تقدم في الأعراف، وانظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٦١).
(٢) كتبت في المطبوع: «أب»، على الإعراب بالحركات.
(٣) في الأصل: «الكفر»، وفي نجيبويه: «الكبرى».
(٤) في المطبوع ونجيبويه: «النخل».

قال ابن عباس: أَيْنَع وبلغ فهو هضيم(١).

وقال الزهري: الهضيم: الرَّخْصُ اللطيف أَول ما يخرج(٢).

وقال الزجاج: هو فيما قيل الذي رطبه بغير نوى(٣).

وقال الضحاك: الهضيم: معناه المنضَّد بعضه على بعض(٤)، وهذا ضعيف.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَتَنْحِتُونَ﴾ بكسر الحاءِ، وقرأَ عيسى بفتحها، وذكر أَنها لغة، قال أَبو عمرو: وهي قراءَة الحسن، وأَبي حيوة(٥).

وقرأَ حمزة، والكسائي، وعاصم، وابن عامر: ﴿فَٰرِهِينَ﴾، وهي قراءَة ابن مسعود، وابن عباس، وقرأَ نافع، وابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿فَرِهين﴾(٦).

وقرأَ مجاهد: (مُتَفَرِّهين) (٧)، على وزن: مُتَفَعِّلين.

واللفظة مأْخوذة من الفراهة، وهي جودة منظر الشيءِ وخبرته وقوته وكماله في نوعه.

فمعنى الآية: كَيِّسين مُتهمِّمِينَ(٨)، قاله ابن عباس(٩).

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٨٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.
(٢) الهداية لمكي (٨/ ٥٣٣٨).
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٩٦).
(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٣٨١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٠٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٩٥).
(٥) وهي شاذة، انظر عزوها للحسن في تفسير الثعلبي (٤/ ٢٥١)، وإتحاف فضلاء الشر (ص: ٢٨٥)، وللباقين في البحر المحيط (٨/ ١٨٢)، وفي المطبوع: «الكسائي» بدل عيسى.
(٦) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٦)، والسبعة (ص: ٤٧٢).
(٧) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٨/ ١٨٢).
(٨) في المطبوع: «مهتمين».
(٩) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٨٣) وابن أبي حاتم (١٥٨٥٩) في تفسيريهما من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، به.

وقال مجاهد: شرهين، / وقال ابن زيد: أَقوياءَ[١]. [٤/ ١٣٢]

وقال أَبو عمرو بن العلاءِ: أَشِرين بَطِرين[٢]، وذهب عبد الله بن شداد إِلى أَنه بمعنى: مستفرهين[٣]، أَي: مبالغين في استجادة[٤] الفاره من كل ما تصنعونه وتشتهونه.

وقوله: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ خاطب به جمهور قومه، وعنى بالمسرفين كبراءَهم وأَعلام الكفر والإِضلال فيهم.

وقولهم: ﴿مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾ فيه تأْويلان:

أَحدهما: مأْخوذ من السِّحر بكسر السِّين؛ أَي: قد سُحِرْتَ فأَنت لذلك مخبولٌ لا تنطق بقويم.

والثاني: أَنه مأْخوذ من السَّحر بفتح السِّين وهي الرئة، [وبسببها يقال: انتفخ سحره][٥].

وقيل: السَّحر: قصبة الرئة بما يتعلق بها من كبد وغيره، أَي: أنت ابن آدم مثلنا لا يصح أَن تكون رسولاً عن الله تعالى، وما بعده في الآية يُقَوِّي هذا التأْويل، ومن اللفظة قول لبيد:

فَإِنْ تَسْأَلِينا فيمَ نَحْن فَإِنَّنَا عَصافيرُ مِن هَذا الأَنامِ المُسَحَّرِ[٦] [الطويل]

ويقال للاغتداءِ[٧]: التَّسْحير، ومنه قول امرئ القيس:

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (١٩/ ٣٨٣)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٧٦).

(٢) هذا قول ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٦٨)، وعزاه في معاني القرآن للنحاس (٥/ ٩٦) لمجاهد، ولم أجده لأبي عمرو.

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٣٨٢)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٧٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٩٦).

(٤) في المطبوع: «استحازة».

(٥) ساقط من المطبوع.

(٦) تقدم في تفسير الآية (٤٧) من سورة الإسراء.

(٧) في الحمزوية: «الاغتذاء».

[الوافر] .... ونُسْحَر بالطَّعَام وبالشَّرابِ[١]

ثم اقترحوا عليه آية، ورُوي أَنهم اقترحوا خروج ناقة من جبل من جبالهم. وقصتها في هذه الآية وجيزة وقد مضت مستوعَبة.

فلما خرجت الناقة قال لهم: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرۡبٌ﴾، أَي: حظٌّ من الماءِ.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (لها شُرب) بضم الشين[٢]، وقد تقدم قصص ورود الناقة.

و«السُّوءُ»: عَقْرها، وتوعدهم عليه بعذاب، وظاهر أَمره أَنه أَراد: في الدنيا، [وكذلك استمر الوجود][٣]، ونسب عقرها إِلى جميعهم مع اختصاص قدار الأَحمر بعقرها من حيث اتفقوا على ذلك رأْياً وتدبيراً.

وقوله: ﴿فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ﴾، لما ظهر لهم تغيُّر أَلوانهم حسبما كان صالح أَخبرهم ندموا، ورأَوا أَن الأَمر على ما أَخبر به حتى نزل بهم العذاب، وكانت صيحة خمدت[٤] لها أَبدانهم، وانشقت قلوبهم، وماتوا عن آخرهم، وصبت عليهم حجارة خلال ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةًۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾.

---

(١) هذا عجز بيت، وصدره: أرانا مُوضِعينَ لأمْر غَيْبٍ، وقد تقدم أيضاً في تفسير الآية (٤٧) من سورة الإسراء.

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٦).

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) في لالاليه: «جهدت».

قال النقاش: إِن في مصحف ابن مسعود، وأُبي، وحفصة: (إِذْ قَالَ لهم لوط)، وسقط أَخوهم[١].

واختُصرت الياءُ في الخط واللفظِ من قوله: ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ مراعاةً لرؤُوس الآي أَن تتناسب.

ثم وقفهم على معصيتهم البشعة في إِتيان الذكران وترك فروج الأَزواج، والمعنى: ويذر ذلك العاصي في حين معصيته، لا أَنَّ معناه: أنهم تركوا النساءَ جملة.

وفي قراءَة ابن مسعود: (ما أَصْلح لكُمْ ربُّكم)[٢].

و﴿عَادُونَ﴾ معناه: ظالمون مرتكبون للحظر، فتوعَّدوه بالإِخراج من أَرضه وداره [فلاينهم عند ذلك][٣]، واقتصر على الإِخبار بأَنه قَالٍ[٤] لِعَمَلِهِمْ.

و«الْقِلَى»: بُغْض الشيءِ وتركه، ثم دعا بالنجاة فنجاه الله تعالى بأَن أَمره بالرحلة ليلاً، وكانت امرأَته كافرة تعين عليه قومَه فأَصابها حجر فهلكت فيمن هلك.

وقوله: ﴿فِي ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ معناه: في الباقين:

فإِما أَن يريد: في الباقين من لِدَاتها وأَهل سنِّها، وهذا تأْويل أَبي عبيدة[٥].

وإِما أَن يريد: في الباقين في العذاب النازل بهم، وهذا تأْويل قتادة[٦].

والمشهور في غبر أَنها بمعنى: بَقِي.

---

(١) وهي شاذة، تابعه عليها في تفسير الثعالبي (٤/ ٢٣٤).

(٢) وهي شاذة، انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٨٨).

(٣) في الأصل والمطبوع: «فلا يتهم عند ذلك».

(٤) كتبت في المطبوع: «بأنه قال»: وكأنه فعل ماض من القول.

(٥) مجاز القرآن (٢/ ٨٩)، بتصرف.

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٥٥٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٦٦).

وغابر الزمان: مستقبله، ولكن الأَعشى قد استعمل غابر الزمان بمعنى ماضيه في شعر المنافرة المشهور[١].

وقال الزهراوي: يقال للذاهب غابر، وللباقي غابر[٢].

و«التدمير»: الإِهلاك بإِمطار الحجارة، وبذلك جرت السنن[٣] في رجم اللوطي.

وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾
إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا
تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾
قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾
فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾.

قال النقاش: في مصحف ابن مسعود، وأُبيٍّ، وحفصة: (إذ قال لهم أخوهم شعيب)[٤].

وقالوا: لا وجه لمراعاة النسب، وإِنما هو أَخوهم من حيث هو رسولهم وآدميٌّ مثلهم.

---

(١) بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة، وذلك في قوله: عَضَّ بِمَا أبْقَى الْمَوَاسِي لَهُ مِنْ أُمِّهِ في الزَّمَنِ الغَابِرِ.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في المطبوع: «السير».

(٤) «أخوهم»: ساقطة من نور العثمانية، وهذه القراءة شاذة، لم نجد للنقاش فيها سلفاً ولا خلفاً غير المصنف.

وقرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر: ﴿أصحاب لَيْكَةَ﴾ على وزن فَعْلَة هنا وفي ص[(١)].

وقرأ الباقون: ﴿لْئَيْكَةِ﴾، وهي الدوحة الملتفة من الشجر على الإطلاق، وقيل: من شجر معروف له غضارة تأْلفه الحمام والقمارى ونحوه، وقال قتادة: كان شجرهم هذا دوْما[(٢)].

و﴿لَيْكَة﴾: اسم البلد في قراءَة من قرأ ذلك، قاله بعض المفسرين، ذكره أَبو عبيد القاسم بن سلام[(٣)].

وذهب قوم إلى أنها مُسَهَّلةٌ من الأَيكة، وأَنها وقعت في المصحف هنا وفي سورة ص بغير أَلف، وقال أَبو علي: سقوط ذلك من المصحف لا يرجح النطق بها هكذا؛ لَأن خط المصحف/ اتُّبع فيه تسهيل اللفظ، كلَّما سقطت الأَلف من اللفظ سقطت من الخط، نحو سقوط الواو من قوله: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨]، لمَّا سقطت من اللفظ[(٤)]. [٤/ ١٣٣]

وأَما ترجيح القراءَة في ﴿لَيكَةَ﴾ بفتح التاءِ[(٥)] في موضع الجرِّ فلا يقتضيه ما في المصحف، وهي قراءَة ضعيفة، ويدل على ضعفها أَن سائر ما في القرآن غير هذين الموضعين مُجمع فيه على ﴿لْئَيْكَةِ﴾ بالهمز والأَلف والخفض.

وكانت مدن القوم سبعة فيما روي، ولم يكن شعيب منهم، فلذلك لم يذكر هنا بأَنه أَخٌ لهم، وإِنما كان من بني مدين، ولذلك ذُكِر بِأَخُوتهم، وجاءَت الأَلفاظ في دعاءِ كل واحد من هؤلاءِ الأَنبياءِ واحدة بعينها؛ إِذْ كان الإيمانُ المدعُوُّ إِليه معنىً واحداً بعينه.

وفي قولهم عليهم السلام: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ عرض رقيق وتلطف، كما قال تبارك وتعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨].

---

(١) الآية ١٣، وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٧٣)، والتيسير (ص: ١٦٦).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٥٥٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٦٦).

(٣) تهذيب اللغة (١٠/ ٢٢٤).

(٤) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٣٦٧).

(٥) سقطت من نور العثمانية، وفي المطبوع وأحمد٣: «الياء».

وكانت معصيتهم المضافة إِلى كفرهم؛ بخس الموازين وتنقص أَموال الناس بذلك. و«الْقِسْطَاسُ»: المعتدل من الموازين، وهو بناءُ مبالغة من القسط، وذهب ابن عباس[١] ومجاهد إِلى أَن معنى قوله: ﴿وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ﴾: [اعدلوا أموركم بميزان العدل الذي جعله الله لعباده[٢].

وقرأ الجمهور: ﴿ بالقُسْطاس ﴾][٣] بضم القاف من القسطاس[٤].

وقرأ عيسى وأَهل الكوفة بكسرها[٥].

و﴿تَعْثَوْاْ﴾ معناه: تفسدون، يقال: عَثَا إِذا أَفسد.

﴿ وَٱلْجِبِلَّةَ ﴾: القرون والخليقة الماضية، وقال الشاعر:

[مجزوء الكامل]

والْـمَـوْتُ أَعْـظَـمُ حـادِثٍ ... مـمـا يَـمُرُّ عَـلَـى الجِـبِـلَّـه[٦]

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَٱلْجِبِلَّةَ ﴾بكسر الجيم والباءِ.

وقرأَ أبو حصين[٧] والحسن بخلاف: (وَالْجُبُلَّة) بضمهما[٨].

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٤٦) من طريق قتادة، قال: أُخبرنا أن ابن عباس قال....فذكره، وهذا إسناد منقطع.

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٤٤٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٨١٢)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٨٤).

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) في حاشية المطبوع: هكذا في نسخ الأصول، ولعله سهو النساخ.

(٥) وهما سبعيتان، والثانية لحفص وحمزة والكسائي، كما تقدم في حرف الإسراء، انظر: التيسير (ص: ١٤٠).

(٦) عزاه في تفسير الماوردي (٤/ ١٨٦)، لامرئ القيس، وجاء في مجمع الحكم والأمثال (١/ ١٠٥) ضمن أبيات لأحمد بن يحيى وهو بلا نسبة في تفسير الثعلبي (٧/ ١٧٨)، وتفسير السمعاني (٤/ ٦٥).

(٧) في لالاليه والحمزوية: «ابن محيصن»، وأبو حصين هو عثمان بن عاصم الأسدي الكوفي ثقة ثبت، أخذ القراءة عرضاً عن يحيى بن وثاب، وروى عنه القراءات الأعمشُ، وسمع منه شعبة، وكان صاحب سنة، ومات سنة ١٣٢هـ، غاية النهاية (١/ ٥٠٥).

(٨) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ١٠٩)، والمحتسب (٢/ ١٣٢).

و«الكِسَفُ»: القطع، واحدها: كِسْفَة، كتَمْرَة وتَمْر.

و﴿ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِ ﴾: هو يوم عذابهم، وصورته ـ فيما رُوي ـ: أَن الله امتحنهم بِحَرٍّ شديد، فلما كان ذلك اليوم غشى بعض قطرهم سحاب، [فجاء بعضهم إلى ظله فأحس فيه برداً وروحاً فتداعوا إليه، حتى تكاملوا فيه](١)، فاضطرمت عليهم تلك السحابة ناراً فأَحرقتهم عن آخرهم(٢).

وللناس في حديث يوم الظلة تطويلات لا تثبت، والحق أَنه عذاب جعله الله ظُلَّة عليهم.

وذكر الطبري عن ابن عباس أَنه قال: من حدثك ما عذاب يوم الظُّلَّة فقد كذب(٣).

وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٩٦ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٩٧ وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ١٩٨ فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ١٩٩ ﴾.

الضمير في ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ للقرآن، أَي: إِنه ليس بكهانة ولا سحر، إِنما هو من عند الله تعالى.

و﴿ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾: جبريل عليه السلام بإِجماع، ونزل باللفظ العربي والمعاني

---

(١) في المطبوع بدله: «فاجتمعوا تحتها».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٩٥).

(٣) الذي وقفت عليه ما رواه الطبري (١٩/ ٣٩٤) من طريق سعيد بن زيد أخي حماد بن زيد، عن حاتم ابن أبي صغيرة، عن يزيد الباهلي، قال: سألت عبد الله بن عباس، عن هذه الآية: ﴿ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾ فقال عبد الله بن عباس: بعث الله عليهم ومدة وحرّاً شديداً، فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا البيوت، فدخل عليهم أجواف البيوت، فأخذ بأنفاسهم، فخرجوا من البيوت هراباً إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة، فأظلتهم من الشمس، فوجدوا لها برداً ولذة، فنادى بعضهم بعضاً، حتى إذا اجتمعوا تحتها، أرسلها الله عليهم ناراً. قال عبد الله بن عباس: فذلك عذاب يوم الظلة، ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾.

الثابتة في الصدور والمصاحف، وعلى ذلك كله يعود الضمير في ﴿بِهِ﴾.

و«اللسان»: عبارة عن اللغة.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم في رواية حفص: ﴿نَزَلَ﴾ خفيفة الزاي ﴿ٱلرُّوحُ﴾، بالرفع.

وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم وحمزة، والكسائي بشدّ الزاي ﴿الروحَ﴾ نصْباً، ورجحها أبو حاتم بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧][(١)]، وبقوله: ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقوله: ﴿بِهِ﴾ في موضع الحال، كقوله تعالى: ﴿وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٦١].

وقوله: ﴿قَلْبِكَ﴾ إشارة إلى حفظه إياه، وعلَّل النزول على قلبه بكونه من المنذرين؛ لأنه لا يمكن أن يُنذر به إلا بعد حفظه.

وقوله: ﴿بِلِسَانٍ﴾ يمكن أن تتعلق الباءِ بـ ﴿نَزَلَ بِهِ﴾، وهذا على أن النبي ﷺ إنما كان يسمع من جبريل عليه السلام حروفاً عربية، وهو القول الصحيح[(٢)]، وتكون صلصلة الجرس صفة لشدة الصوت وتداخل حروفه وعجلة مورده وإغلاظه.

ويمكن أن يتعلق بقوله: ﴿لِتَكُونَ﴾، وتمَسَّك بهذا من رأى أن النبي ﷺ كان يسمع أحياناً مثل صلصلة الجرس[(٣)] يتفهم له منه القرآن.

وهذا قول ضعيف، مقتضاه: أن بعض ألفاظ القرآن هي من لدن النبي ﷺ، وهو مردود.

---

(١) هما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٦)، وانظر: اختيار أبي حاتم في تفسير الثعلبي (٧/ ١٧٩).

(٢) انظر البحر المحيط للزركشي (١/ ٣٥٩)، وروضة الناظر لابن قدامة (١/ ٦٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٠٤٣) ومسلم (٢٣٣٣) من حديث أنس بن مالك، رضي الله عنه، به.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أَي في كتبهم، يريد أَنَّ القُرآن مذكور في الكتب المنزلة القديمة، مُنَبَّه عليه مشارٌ إِليه.

وقرأَ الجمهور: ﴿زُبُرِ﴾ بضم الباءِ، وقرأَ الأَعمش بسكونها[١].

ثم احتج عليهم بأَنهم كان ينبغي أَن يُصَحَّح عندهم أَمره كون[٢] علماء بني إِسرائيل يعلمونه[٣]، كعبد الله بن سلام ونحوه، قاله ابن عباس[٤] ومجاهد[٥].

وقال ابن عباس أَيضاً ـ فيما حكى عنه الثعلبي ـ: إِن أَهل مكة بعثوا إِلى أَحبار يثرب يسأَلونهم عن النبي ﷺ، فقالوا: هذا زمانه، ووصفوا نعته[٦]، ثم خلطوا في أَمر محمد ﷺ، فنزلت الآية في ذلك[٧].

قال القاضي أَبو محمد: ويؤيد هذا كون الآية مكية، وقال مقاتل: هذه الآية مدنية[٨]، فمن قال: إِنها مكية، ذهب إِلى أَن علماءَ بني إِسرائيل ذكروا أَن في التوراة صفة النبي الأمي، فهذه الإِشارة إِلى ذلك.

وكلهم قرأَ: ﴿يَكُن﴾ بالياءِ ﴿ءَايَةً﴾ نصباً، غير ابن عامر فإِنه قرأَ: ﴿تكُن﴾ بالتاءِ من فوق: ﴿آيَةٌ﴾ رفعاً، وهي قراءَة عاصم الجحدري[٩].

---

(١) وهي شاذة، انظر ها في تفسير الثعلبي (٧/ ١٨٠).
(٢) في المطبوع: «كان».
(٣) ليست في الأصل.
(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٩٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.
(٥) تفسير الطبري (١٩/ ٣٩٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨١٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ١٠٤).
(٦) في المطبوع: «بعثه».
(٧) ذكره الثعلبي (٧/ ١٨٠) عن ابن عباس بلا سند.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٥٧).
(٩) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٧٣)، وفي المطبوع: «عاصم والجحدري»، وقد نبه في حاشية المطبوع على أن الواو زائدة.

وقرأ جمهور الناس: ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ بالياءِ من تحت.

وقرأ الجحدري: (تعلمه) بالتاءِ من فوق[١].

ثم سلَّى محمداً ﷺ عن صدود قومه عن الشرع بأَن أَخبر أَن هذا القرآن العربي لو سمعوه مِن أَعْجَم، أَي: من حيوان غير ناطق، أَو من جماد، ـ والأَعجم: كل ما لا يُفصح ـ ما كانوا يؤمنون، أَي: قد حتم الكفر عليهم فلا سبيل إِلى إِيمانهم.

و«الأَعْجَمون»: جمع أَعجم، وهو الذي لا يفصح، وإِن كان عربيَّ النسب[٢] يقال له: أَعجم، وكذلك يقال للحيوانات والجمادات، ومنه قول النبي ﷺ: «جُرْحُ العَجْماءِ جُبَارٌ»[٣].

وأَسند الطبري عن عبد الله بن مطيع[٤] أَنه قال حين قرأَ هذه الآية وهو واقف بعرفة: جملي هذا أَعجم، فلو نزل عليه، ما كانوا يؤمنون[٥].

[٤/ ١٣٤] والعجمي: هو الذي نسبه في العجم وإِن كان أفصح الناس[٦] / .

وقرأ الحسن: (الأَعْجَمِيِّينَ)[٧]، قال أَبو حاتم: أَراد جمع الأَعْجمِيِّ المنسوب،

---

(١) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ١٠٨).

(٢) في المطبوع: «اللسان»، بدل: النسب.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٤٢٨) ومسلم (١٧١٠) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٤) هو عبد الله بن مطيع بن الأسود بن غالب القرشي العدوي المدني، ذكره ابن حبَّان، وابن قانع، وغيرهما في الصحابة، فر يوم الحرة، ثم سكن مكة، ووازر ابن الزبير على أمره وولي له الكوفة ثم كان معه إلى أن قتل معه في حصار الحجاج له، الإصابة (٥/ ٢١).

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٩٩) من طريق محمد بن أبي موسى، عن عبد الله بن مطيع، رضي الله عنه، به، ومحمد بن أبي موسى ترجم له الحافظ ابن حجر في التعجيل (٢/ ٢١٤) ونقل عن الحسيني قوله: مجهول، والله تعالى أعلم.

(٦) في المطبوع: «فصيح اللسان».

(٧) وهي شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (٧/ ١٨٠)، ومختصر الشواذ (ص: ١٠٩)، ولم أقف على قول أبي حاتم.

وقال بعض النحويين: الأَعجمون جمع أَعْجَم، وهو أَعجم، أُضيف فقويت بالإِضافة رتبته في الأَسماءِ فجمع، وليس بأَعجمي النسبة إِلى العجم.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿أَوَلَمْ يَكُن﴾ بالياءِ ﴿ءَايَةً﴾ بالنصب.

وقرأَ: (أَوَ لَيْس لَكم آيَة) ابن مسعود والأَعمش.

وفي مصحف أُبيٍّ: (أَلَـيْسَ) بغير واوٍ أَو فاءٍ.

وقرأَت فرقة: ﴿تَـكُن﴾ بالتاءِ من فوق ﴿آيَةٌ﴾ رفعاً، وقرأَ بعض من قرأَ بالتاءِ (آيَةً) بالنصب، وسائرهم بالرفع، وقد مضى ذكر ما في السبع(١).

وذكر الطبريُّ أَن الضمير في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ﴾ عائد على الذِّكْرِ في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم﴾(٢).

قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾.

الإِشارة بـ (ذَلِكَ) إِلى ما يتحصل لسامع الآيات المتقدمة من الحتم عليهم بأَنهم لا يؤمنون، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾... الآية.

و﴿سَلَكْنَٰهُ﴾ معناه: أَدخلناه، والضمير فيه للكفر الذي يتضمنه قوله: ﴿مَّا كَانُوا۟

(١) وهو الياء مع النصب والتاء مع الرفع، وهنا ثلاث أخرى شاذة، الأولى لابن مسعود في معاني القرآن للنحاس (٥/ ١٠٤)، والثانية لم أجدها، والثالثة بالتاء مع النصب، جوزها في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٠١)، وعزاها في البحر المحيط (٨/ ١٩٠) لابن عباس.

(٢) من الآية (٥) من هذه السورة، وانظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٩٥).

بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾، قاله الحسن[١]، قال الرُّمَّاني: لا وجه لهذا لأَنه[٢] لم يجر ذكره، وإِنما الضمير للقرآن وإِخطاره بالبال[٣]، وحكى الزهراوي أَن الضمير للتكذيب المفهوم، وحكاه الثعلبي[٤].

وقرأَ ابن مسعود: (كذلك جعلناه في قلوب)، ورُوي عنه: (نَجْعَلُه)[٥].

و«المجرمون»: أَراد به مجرمي كل أُمة، أَي: أَن هذه عادة الله تعالى فيهم أَنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب، ولا ينفعهم الإِيمان بعد تلبس العذاب بهم، وهذا على جهة المثال لقريش، أَي: هؤلاءِ كذلك. وكشف الغيب ما تضمنته هذه الآية يوم بدر.

وقرأَ الجمهور: ﴿فَيَأۡتِيَهُم﴾ بالياءِ، أَي العذاب.

وقرأَ الحسن بن أبي الحسن: (فَتَـأْتِيَهُمْ) بالتاءِ من فوق، يعني الساعة[٦].

وفي قراءَة أبي ابن كعب: (فَيَـرَوْهُ بَغْتَةً)[٧].

ومن قول كل أُمَّة مُعَذَّبة: ﴿هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ﴾ أَي مُؤَخَّرون، وهذا على جهة التمني منهم والرغبة حيث لا تنفع الرغبة.

ثم رجع لفظ الآية إِلى توبيخ قريش على استعجالهم عذاب الله تعالى في طلبهم سقوط السماءِ كسفاً وغير ذلك، وقولهم لمحمد ﷺ: أَين ما تَعِدُنا؟ أَي أَنه لا ينبغي لهم ذلك لأَن عذابنا بالمرصاد إِذا حان حينه.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٤٠١).

(٢) في المطبوع: «إلا أنه»، وفي لالاليه: «يجز»، بدل: «يجر».

(٣) البحر المحيط (٨/ ١٩١).

(٤) انظر: تفسير الثعلبي (٧/ ١٨٠)، وقول الزهراوي لم أجده.

(٥) كلاهما شاذة، لم أجد له فيهما سلفاً ولا خلفاً، والأولى في تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٢٥)، ومثله في الدر المنثور (٦/ ٣٢٣) عَن الْحسن، وكذلك الثانية في معاني القرآن للفراء (٢/ ٨٥).

(٦) وهي شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (٧/ ١٨١).

(٧) وهي شاذة، وهي في مختصر الشواذ (ص: ١٠٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٧): ويروه، بالواو، وأما بالفاء فلم أجدها.

ثم خاطب محمداً ﷺ بإقامة الحجة عليهم في أَن مُدَّةَ الإِرجاءِ والإِمهال والإِملاءِ لا يعني منع نزول العذاب بعدها، ووقوع النقمة، وذلك في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ﴾ الآية.

قال عكرمة: ﴿سِنِينَ﴾ يريد: عُمْر الدنيا(١)، ولأَبي جعفر المنصور قصة في هذه الآية(٢).

ثم أَخبر تعالى أَنه لم يُهلك قرية من القرى إِلا بعد إِرسال من ينذرهم عذاب الله عز وجل، ذِكْرى لهم وتبصرةً وإِقامة حجة؛ ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

و﴿ذِكْرَىٰ﴾ عند الكسائي نصب على الحال، ويصح أَن يكون نصب على المصدر، وهو قول الزجاج(٣)، ويصح أَن يكون في موضع رفع على خبر ابتداءٍ، تقديره: ذلك ذكرى، ثم نفى عن جهته عزَّ وجلَّ الظلم؛ إِذ هو مما لا يليق به.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾.

لما كان بعض(٤) ما قال الكفار إِن هذا القرآن كهانة نزلت هذه الآية مكذبة لذلك،

---

(١) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٢٥).

(٢) وخلاصتها على ما في محاضرات الأدباء (١/ ٢٣٦): أنه دعا جماعة من القراء فقال لأحدهم: اقرأ، فقرأ: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾، فغضب وقال لآخر: اقرأ فقرأ: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾، فغضب وأخرجه ثم قال لآخر: اقرأ فقرأ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فأمر له بصلة.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٠٢).

(٤) في المطبوع: «في هذا الموضع»، بدل كلمة «بعض».

أَي: ما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطِينُ؛ لأَنها قد عُزلت عن السمع الذي كانت تأْخذ له مقاعدها.

وقوله: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ ﴾ أَي: ما يمكنهم، وقد تجيءُ هذه اللفظة عبارة عمَّا لا يمكن[١]، وعبارة عمَّا لا يليق وإِن كان ممكناً، ولما جاءَ الله تعالى بالإِسلام حرسَ السماءَ بالشهب الجارية إِثر الشياطين، فلم يخْلص شيطان بشيءٍ يلقيه[٢] كما كان يتفق لهم في الجاهلية.

وقرأَ الجمهور: ﴿ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾، وروي عن الحسن أَنه قرأَ: (الشياطون)، وهي قراءَة مردودة، قال أَبو حاتم: هي غلط منه أَو عليه، وحكاها الثعلبي أَيضاً عن ابن السميفع[٣].

وذكر عن يونس بن حبيب أَنه قال: سمعت أَعرابيّاً يقول: دخلت بساتين من ورائها بساتون، قال يونس: فقلت: ما أَشبه هذا بقراءَة الحسن[٤].

ثم وصَّى عزَّ وجلَّ نبيَّه ﷺ بالثبوت على توحيد[٥] الله تعالى، وأَمَرَه بنذارة عشيرته تخصيصاً لهم؛ إِذ العشيرة مظنة المقاربة والطواعية، وإِذ يمكنه معهم من الإِغلاظ عليهم ما لا يحتمله غيرهم، فإِن البِرَّ بهم في مثل هذا الحمل عليهم، والإِنسان غير متَّهم على عشيرته، وكان هذا التخصيص مع الأَمر العام بنذارة العالم.

وروي عن ابن جريج أَن المؤمنين من غير عشيرته في ذلك الوقت نالهم همٌّ من هذا التخصيص وخروجهم منه، فنزلت: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[٦].

---

(١) في المطبوع: «يكون».

(٢) في المطبوع: «يُلَقِّنه».

(٣) وهي شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (١/ ٢٤٣) ونسبتها للحسن في المحتسب (٢/ ١٣٢)، وتفسير الطبري (١٩/ ٤٠٤)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٦١) وغلطها النحاس في إعراب القرآن (٣/ ١٩٤) عن جميع النحويين، وتقدم له مثلها في البقرة والأنعام.

(٤) تفسير الثعلبي (٧/ ١٨٢).

(٥) في المطبوع: «على أمر الله».

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٤١١).

ولما أُمر رسول الله ﷺ بهذه النذارة عظم موقع الأَمر عليه وصعُب، ولكنه تلقَّاه بالجَلَد، وصنع أَشياءَ مختلفة كلها بحسب الأَمر، فمن ذلك: أَنه أَمر عليّاً رضي الله عنه بأَن يصنع طعاماً، وجمع عليه بني جَدِّه عبد المطلب، وأَراد نذارتهم ودعوتهم في ذلك الجمع، فظهر منه ﷺ بركة في الطعام، قال علي: وهم يومئذ أَربعون رجلاً، ينقصون رجلاً أَو يزيدونه، فرماه أَبو لهب بالسحر، فوجم رسول الله ﷺ، وافترق جمعهم من غير شيءٍ، ثم جمعهم كذلك مرة[(١)] ثانية وأَنذرهم ووعظهم فتضاحكوا ولم يجيبوا[(٢)].

ومن ذلك: أَنه نادى عمَّه العباس، وصفيَّة عمته، وفاطمة ابنته، وقال: «لا أُغْني عنكم من الله شيئاً، إِني لكم نذير بين يدي عذاب شديد»[(٣)] في حديث مشهور.

ومن ذلك: أَنه / صعد على الصَّفا، أَو أَبي قُبَيْس، ونادى: «يا بني عبد مناف، واصباحاه»، فاجتمع إِليه الناس من أَهل مكة، فقال: يا بني فلان، [يا بني فلان][(٤)]، حتى أَتى على بطون قريش جميعاً، فلما تكامل خلق كثير من كل بَطْن قال لهم: «أَرَأَيتم لو أَخبرتكم أَن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد الغارة عليكم، أَكنتم مُصَدِّقي»؟ قالوا: نعم، فإِنا لم نجرب عليك كذباً، فقال لهم: «فإِنِّي لكم نذير بين يدي عذابٍ شديد»، فقال له أَبو لهب: أَلهذا جمعتنا؟ تبّاً لك سائر اليوم، فنزلت: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾ السورة [المسد: ١][(٥)]. [٤/ ١٣٥]

---

(١) من المطبوع.

(٢) في إسناده هالك، أخرجه الطبري (١٩/ ٤٠٩-٤١٠)، من طريق عبد الغفار بن القاسم، عن المنهال ابن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، عن علي، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وعبد الغفار هذا: متفق على تركه، وقال ابن المديني: كان يضع الحديث، انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٦٤٠).

(٣) متفق عليه، وهما حديثان، أخرج البخاري (٢٦٠٢)، ومسلم (٢٠٦)، كلاهما من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، وفيه أنه قال للعباس، وصفية، وفاطمة: «لا أغني عنكم من الله شيئاً». وليس فيه: «إني لكم نذير بين يدي عذاب شديد»، بل هذه العبارة جاءت فيما أخرجه البخاري (٤٤٩٢)، ومسلم (٢٠٨) لما جمع قومه جميعاً وفيهم أبو لهب، وهو من رواية ابن عباس، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٤) سقط من الأصل.

(٥) رواه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨) من حديث ابن عباس.

و«الْعَشِيرَة»: قرابة الرجل، وهي في الرتبة تحت الفخذ وفوق الفصيلة(١).

و«خفض الجناح»: استعارة، ومعناه: لِينُ الكلمة وبَسْط الوجه والبرُّ، والضمير في ﴿عَصَوۡكَ﴾ عائد على عشيرته من حيث جمعت رجالاً، فأَمره الله بالتَّبـرِّي منْهم، وفي هذه الآية موادعةٌ نسختها آية السيف(٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾.

قرأ نافع، وابن عامر، وأَبو جعفر، وشيبة: ﴿فَتَوَكَّلْ﴾ بالفاءِ، وكذلك في مصاحف أَهل المدينة والشام، والجمهور بالواو، وكذلك في سائر المصاحف(٣).

وأَمره الله تعالى بالتوكل عليه في كل أَمره، ثم جاءَ بالصفات التي تؤنس المتوكِّل، وهي العزَّة والرحمة المذكورتان في آخر قصص الأُمم المذكورة في هذه السورة، وضمنها نصر كل نبي على الكفرة، والتَّهمُّم بأَمره والنظر إِليه.

وقوله: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾، يَراكَ: عبارة عن إِدراك، وظاهر الآية أَنه أَراد قيام الصلاة، ويحتمل أَنه يريد سائر التصرفات، وهو تأْويل مجاهد وقتادة(٤).

وقوله: ﴿فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ أَي: في أَهل الصلاة، أَي صلاتك مع المصلين، قاله ابن

---

(١) في المطبوع: «العصبة»، وفي الحمزوية: «العضد».

(٢) في تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٢٧): «أمره بهذا ثم نسخه فأمره بجهادهم».

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٧)، والنشر (٢/ ٣٣٦)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٤٧).

(٤) نقله عن مجاهد في تفسير الطبري (١٩/ ٤١١)، وعن قتادة تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٢٨).

عباس[١] وعكرمة وغيرهما[٢]، وقال أَيضاً مجاهد: [يريد تقلبك، أي:][٣] تقليبك أَعينك وأَبصارك في الساجدين حين تراهم من وراءِ ظهرك[٤]، وهذا معنى أَجنبي هنا.

وقال ابن عباس[٥] أَيضاً وقتادة: أَراد: تقلُّبك في المؤمنين، فعبَّر عنهم بالساجدين[٦].

وقال ابن جبير: أَراد الأَنبياءَ[٧]، أَي: تقلبك كما تقلب غيرك من الأَنبياءِ.

وقوله تعالى: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ﴾، [معناه: قل لهم يا محمد: هل أخبركم على من تنزل الشياطين؟ وهذا][٨] استفهام وتوقيف تقرير، و«الأَفَّاكُ»: الكذاب، و«الأَثيم»: الآثم، ويريد الكهنة؛ لأَنهم كانوا يتلقون من الشيطان الكلمة الواحدة التي سمعت من السماءِ فيخلطون معها مئة كذبة، فإِذا صدقت تلك الكلمة كانت سبب ضلالةٍ لمن سمعها.

وقوله: ﴿ يُلۡقُونَ ﴾ يعني الشياطين، ومُقْتَضى ذلك أَن الشيطان المسترق أَيضاً كان يكذب إِلى ما سمع، هذا في الأَكثر، ويحتمل الضمير في ﴿ يُلۡقُونَ ﴾ [أَن يكون للكهنة][٩].

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٤١٢)، من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به، وهو منقطع.

(٢) نقل عنه الطبري (١٩/ ٤١٢)، والثعلبي (٧/ ١٨٣): في حال قيامك وقعودك وركوعك وسجودك، ونقل (٧/ ١٨٣) عن قتادة وابن زيد ومقاتل والكلبي: يعني وتصرّفك مع المصلّين.

(٣) ليس في المطبوع وأحمد٣.

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٤١٢).

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري (١٩/ ٤١٢) من طريق ابن جُرَيج: أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس، قال: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ قال: يراك وأنت مع الساجدين تقلب وتقوم وتقعد معهم.

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٤١٢)، بلفظ: «المصلين»، بدل «المؤمنين».

(٧) تفسير الثعلبي (٧/ ١٨٣).

(٨) سقط من المطبوع وفيه بدل هذا: «هنا».

(٩) في المطبوع: «أي يكذبون الكهنة».

ولما ذكر الكهنة بإفكهم وحالهم التي[(١)] تقتضي نفي كلامهم عن كلام كتاب[(٢)] الله عقَّب ذلك بذكر الشعراءِ وحالهم لينَـبِّه على بُعْد كلامهم من كلام [الله تعالى في][(٣)] القرآن، إذ قال في القرآن بعض الكفرة: إِنَّه شعر، وهذه الكناية هي عن شعراء الجاهلية، حكى النقاش عن السدِّي أَنها في ابن الزِّبعرى، وأَبي سفيان بن الحارث، وهبيرة بن أَبي وهب، ومسافع الجمحي[(٤)]، وأَبي عزة، وأُميَّة بن أَبي الصلت[(٥)].

قال القاضي أَبو محمد: والأَولان ممن تاب وآمن[(٦)] رضي الله عنهما، ويدخل في الآية كل شاعر مخلط يهجو أَو يمدح شهوة، ويقذف المحصنات، ويقول الزُّور.

وقرأَ نافع: ﴿يَتْبَعُهُمُ﴾ بسكون التاءِ [وفتح الباءِ][(٧)]، وهي قراءَة أَبي عبد الرحمن، والحسن بخلاف عنه، وقرأَ الباقون بشدِّ التاءِ وكسر الباء[(٨)].

واختلف الناس في قوله: ﴿الغَاوُون﴾:

فقال ابن عباس: هم الرُّواة[(٩)].

---

(١) في المطبوع: «وكذبهم الذي يقتضي».

(٢) ليس في المطبوع، وفي لالاليه: «عن كتاب كتاب».

(٣) من المطبوع.

(٤) هو مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح، له شعر يبكي فيه عمرو بن عبد ود، انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٦٦).

(٥) مثله في تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٨٢)، دون نسبة، ونقله عنه التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٣٦٥)، وتفسير البغوي (٣/ ٤٨٤)، وزاد المسير (٣/ ٣٥٠)، واللباب في علوم الكتاب (١٥/ ٩٩)، وغيرهم، فلعل الصواب مقاتل بدل السدي والله أعلم.

(٦) سقط من الأصل وأحمد٣.

(٧) سقط من الأصل.

(٨) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٧٤)، وأبو عبد الرحمن هو السلمي، كما في البحر المحيط (٨/ ٢٠٠)، وفي المطبوع: «أبي عبد الله» ولعله تحريف.

(٩) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ٤١٥)، وابن أبي حاتم (١٦٨١٥)، في تفسيرهما كلاهما من طريق قيس، عن يعلى بن النعمان، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به، وقيس هو ابن ربيع =

وقال ابن عباس أَيضاً: هم المستحسنون لأَشعارهم، المصاحبون لهم[(١)].

وقال عكرمة: هم الرعاع الذين يتبعون الشاعر [ويتغنمون إنشاده][(٢)]، وهذا أَرجح الأَقوال.

وقال مجاهد وقتادة: ﴿الغاوون﴾: الشياطين[(٣)].

وقوله: ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ عبارة عن تخليطهم وخوضهم في كل فن من غثِّ الكلام وباطله، وتحسينهم القبيح وتقبيحهم الحسن، قاله ابن عباس وغيره[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ ذكر لتعاطيهم وتعمُّقهم في مجاز الكلام حتى يؤول إِلى الكذب، ولكن[(٥)] في هذا اللفظ عذرٌ لبعضهم أَحياناً، فإِنه يُرْوى أَن النعمان بن عدي[(٦)] لما ولاَّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ميسان، وقال لزوجته الشعر المشهور عَزَلَهُ عمر، فاحْتَجَّ عليه بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ فدرأَ عنه عمر رضي الله عنه الحدَّ في الخمر[(٧)].

= الأسدي، متكلم فيه، انظر: تهذيب الكمال (٢٤/ ٢٥).

(١) لم أقف على قول ابن عباس، رضي الله عنه، في شيء من المصادر.

(٢) ليس في المطبوع، ومثله في البحر المحيط (٨/ ٢٠٠)، وفي نجيبويه: «ويتعنون»، وفي الأصل: «ويتغنمون»، وفي لالاليه: «ويتعلمون».

(٣) رواه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٨٦)، عن قتادة، ونقله السمعاني (٤/ ٧٢) عن مجاهد، ورواه عنهما الطبري (١٩/ ٤١٦).

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٤١٧)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

(٥) ساقط من الأصل.

(٦) هو النُّعمان بن عديٍّ بن نضلة العدويُّ، من مهاجرة الحبشة، ولاه عمر ميسان، ثم عزله بسبب شعره الذي يقول فيه: لعل أمير المؤمنين يسوءه... تنادمنا في الجوسق المتهدّم، فقال عمر: بلى ساءني، انظر: الإصابة (٦/ ٣٥٢)

(٧) معضل، أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم المسكر (٤٤)، من طريق ابن إسحاق، عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، معضلاً به.

وروى جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «من مشى سبع خطوات في شعر كتب من الغاوين»، ذكره أسد بن موسى[١]، وذكره النقاش[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾.

هذا الاستثناءُ هو في شعراءِ الإِسلام، كحسَّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وكل من اتصف بهذه الصفة، وروي عن عطاءِ بن يسار وغيره أَن هؤلاءِ شقَّ عليهم ما ذكر قَبْلُ في الشعراء، وذكروا ذلك للنبي ﷺ فنزلت [آية الاستثناء بالمدينة][٣].

وقوله: ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ يحتمل أَن يريد: في أَشعارهم، وهو تأْويل ابن زيد، ويحتمل أَن يريد: ذلك خُلُق لهم وعادة وعبادة، قاله ابن عباس[٤]، وهذا كما قال لبيد حين طلب منه شعر: إِن الله أَبدلني بالشعر القرآنَ خيراً منه[٥]، وكلُّ شاعر في الإِسلام يهجو أَو يمدح عن غير حقٍّ، ويقذف ولا يرتدع عن قول دنيءٍ، فهو داخل في هذه الآية، وكل تقيٍّ منهم يكثر من الزهد[٦]، ويُمسك عن كل ما يعاب فهو داخل في الاستثناءِ.

---

(١) هو أسد بن موسى بن إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الحافظ الأموي المرواني، أسد السنة المصري، ولد عند زوال دولة بني مروان، فنشأ في طلب الحديث، وروى عن شعبة، وغيره، وعنه أحمد بن صالح، وابن حبيب، قال النسائي: ثقة، ولو لم يصنف كان خيراً له، واستشهد به البخاري وقال: هو مشهور الحديث، وقال ابن يونس: ثقة، توفي سنة **٢١٢**هـ، تاريخ الإسلام (**١٥/ ٦٩**).

(٢) لم أقف عليه، وانظر: مسند الفردوس.

(٣) في المطبوع: الآية للاستثناءِ في الشعر، والأثر ضعيف بهذا اللفظ، أخرجه الطبري (**١٩/ ٤١٩**)، من طريق ابن جريج، عن ابن عباس، رضي الله عنه، مرفوعاً، وهذا إسناد منقطع، ولكن جاء عند البخاري في الأدب المفرد (**٨٧١**)، عن ابن عباس بدون ذكر أسماء الشعراء.

(٤) أخرجه الطبري (**١٩/ ٤١٩**)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) في المطبوع: «الذكر».

وقولُه: ﴿وَٱنتَصَرُواْ﴾ إشارة إلى ما قاله من الشعر عليٌّ وغيره في قريش[١].

قال قتادة: [وفي بعض القراءة:][٢] (وانتصروا بمثل ما ظلموا).

وباقي الآية وعيدٌ للظَّلَمة كفارِ مكة، وتهديدٌ لهم، وعَمِل ﴿يَنقَلِبُونَ﴾ في ﴿أَىَّ﴾ لتأَخره.

[والحول والقوة لله عزَّ وجلَّ، والله وتعالى أَعلم.

تمَّ بحمد الله وتوفيقه تفسير سورة الشُّعراءِ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم][٣].

(١) في المطبوع: «ما قالوه من الشعر وغيره في قريش».

(٢) سقط من المطبوع، وهذه القراءة شاذة، نقلها عنه في تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٣٦).

(٣) من المطبوع، وفي نجيبويه: «والحول والقوة لله عز وجل، كمل تفسير السورة والحمد لله رب العالمين»، وفي فيض الله ولالاليه: «كمل تفسير سورة الشعراء والحمد لله كثيراً».

/ تفسير سورة النمل [٤/ ١٣٦]

[هذه السورة مكية][1]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٥﴾.

تقدم القول في الحروف المقطعة في كل السُّور، وكل ما قيل مترتب هاهنا، وعلى القول بأَنها حروف من أَسماءِ الله فالأَسماءُ هنا: لطيف وسميع، وكونها إِشارة إِلى نوع حروف المعجم أَبْين الأَقوال، وعطف ﴿وَكِتَابٖ﴾ على ﴿ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ وهما لِمُسَمًّى واحد من حيث هما صفتان لمعنيين، فالقرآن لأَنه اجتمع، والكتاب لأَنه يُكتب.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (وكتابٌ مبينٌ) بالرفع[2].

وقوله: ﴿هُدٗى وَبُشۡرَىٰ﴾ يحتمل أَن يكون في موضع نصب على المصدر، ويحتمل أَن يكون في موضع رفع على خبر ابتداءٍ مضمر، تقديره: ذلك هُدىً وَبُشْرى.

---

(١) ليس في المطبوع.

(٢) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٣٥٧)، والهذلي في الكامل (ص: ٦١٢).

ثم وصف تعالى المؤمنين بالأَوصاف الخليقة بهم، و«إِقامةُ الصلاة»: إِدامتها وأداؤها[١] على وجهها، و«الزَّكَاة» هنا يحتمل أَن تكون غير المفروضة؛ لأَن السورة مكية قديمة، ويحتمل أَن تكون المفروضة من غير تفسير، وقيل: «الزَّكَاةُ» هنا بمعنى الطهارة من النقائص وملازمة مكارم الأَخلاق، وتكرار الضمير في قوله: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ للتأْكيد.

ثم ذكر تعالى الكفرة الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالبعث، والإِشارة إِلى قريش.

وقوله: ﴿زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ يحتمل أَنه تعالى حتم عليهم الكفر، وحبَّب إِليهم الشِّرك، وزيَّنه بأَن خلقه واخترعه في نفوسهم، ومع ذلك اكتسابهم وحرصهم [على كفرهم][٢]، وهذا على أَن تكون الأَعمال المُزَيَّنة: كفرهم وطغيانهم، ويحتمل أَن الأَعمال المُزيَّنة هي الشريعة[٣] التي كان الواجب أَن تكون أَعمالهم، فأَخبر الله تعالى على جهة الذكر لنقصهم[٤] أَنه بفضله ونعمته[٥] زيَّن الدِّين وبَيَّنه، ورسم الأَعمال والتوحيد، لكن هؤلاءِ ﴿يَعۡمَهُونَ﴾، أَي: يُعرضون، «والعَمَه»: الحيرة والتردُّد في الضلال.

ثم توعدهم تعالى بسوءِ العذاب، فمن ناله شيءٌ منه في الدنيا بقي عليه عذاب الآخرة، ومن لم ينله عذاب في الدنيا كان سوءُ عذابه في موته وفيما بعده.

و﴿ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾: جمع أَخْسَر؛ لأَن أَفعل صفة، لا يجمع إِلا أَن يضاف فتقوى رتبته في الأَسماءِ، [وفي هذا نظر][٦].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ۝٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ

(١) ليست في المطبوع.
(٢) من المطبوع ونور العثمانية.
(٣) في فيض الله: «الشرعية».
(٤) سقطت من المطبوع، وفي لالاليه: «لبعضهم».
(٥) في المطبوع: «ورحمته».
(٦) سقطت من الأصل.

مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾.

(تُلَقَّى): تُفَعَّل، مضاعف [لقي يلقى][١]، ومعناه: تُعطى، كما قال: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصّلت: ٣٥].

قال الحسن: المعنى: إنك لتقبل القرآن[٢]. ولا شك أنه يفيض عليه فضل الله [ويعتمد به][٣] فيقبله ﷺ.

وهذه الآية ردٌّ على كفار قريش في قولهم: إن القرآن من تلقاءِ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ابن عبد الله.

و﴿مِن لَّدُنْ﴾: معناه: من عنده ومن جهته.

و«الْحَكِيمُ»: ذو الحكمة في معرفته حيث يجعل رسالاته، وفي غير ذلك، لا إله إلَّا هو.

ثم قصَّ تعالى خبر موسى، والتقدير: اذكر إذْ قالَ مُوسى، وكان من أَمر موسى عليه السلام أَنه حين خرج بزوجه بنت شعيب عليه السلام يريد مصر ـ وقد قرب وقت نبوته ـ مشوا في ليلة ظلماءَ ذات برد ومطر، ففقدوا النار ومسَّهم البرد واشتدت عليهم الظلمة وضلوا الطريق، وأَصْلَدَ[٤] زناد موسى عليه السلام، فبينا هو في هذه الحال إذْ رأَى ناراً على بُعد.

و﴿ءَانَسْتُ﴾ معناه: رأَيتُ، ومنه قول حسَّان بن ثابت:

[المنسرح]

انْظُرْ خَليلي بِبَابِ جِلَّقَ هَلْ تُؤْنِسُ دونَ الْبَلْقاءِ مِنْ أَحَدِ[٥]

فلما رأَى موسى ذلك قال لأَهله ما في الآية، ومشى نحوها، فلما دنا منها [رأى

---

(١) ليس في المطبوع.
(٢) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٣٣).
(٣) المثبت من الحمزوية، وسقطت من المطبوع، وفي لالاليه: «ونعمته به».
(٤) أَصْلَدَ الزَّنْد: صوَّتَ ولَمْ يُورِ.
(٥) انظر عزوه له في عيون الأخبار (١/ ٤٤١)، والكامل للمبرد (٢/ ١٩٠)، والعقد الفريد (٧/ ٧)، والأغاني (١٧/ ١٦٩).

النار في شجر سمر خضراء وهي لا تحرقها، وكلما قرب هو منها][1] بعدت هي منه، وكان ذلك نوراً من نور الله عزَّ وجلَّ، ولم يكن ناراً في نفسها، لكن ظنه موسى ناراً، فناداه الله عزَّ وجلَّ عند ذلك، وسمع موسى عليه السلام النداءَ من جهة الشجرة، وأَسمعه الله تعالى كلامه.

والْخَبَر الذي رجاه موسى عليه السلام هو الإِعلام بالطريق.

وقوله: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾، شبه النار التي توجد في طرف عود أَو غيره بالشهاب، ثم خصَّصه بأَنه مما اقتبس؛ إِذ الشهب قد تكون من غير اقتباس، و«القبس»: اسم لقطعة النار تُقْتبس في عود أَو غيره، كما أَن القبض اسم ما يُقْبض، ومنه قول أَبي زبيد[2]:

[المنسرح] فِـي كَـفِّـهِ صَـعْـدَةٌ مُـثَـقَّـفَـةٌ فيهـا سِـنَـانٌ كَشُـعْلَةِ الْقَبَـسِ[3]

ومنه قول الآخر:

[الرجز] .... مَنْ شَاءَ مِنْ نارِ الْجَحِيمِ اقْتَبَسَا[4]

وأَصل الشهاب: الكوكب المنقض في أَثر مُسْتَرِق السمع، وكل ما يقال له شهاب من المنيرات[5] فعلى التشبيه.

[وقال الزجاج][6]: كل أَبيض ذي نور فهو شهاب[7]، وكلامه مُعترَض.

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) في الأصل والمطبوع وأكثر النسخ: «أبي زيد»، وفي أحمد ٣: «أبي زييد»، والتصويب من نجيبويه، وهو حرملة بن منذر الطائي، تقدم في تفسير الآية ١٣ من سورة المائدة.

(٣) البيت لأبي زيد كما في الحجة لأبي علي (٥/ ٣٧٢)، وهو في مجاز القرآن (٢/ ٩٢)، وتفسير الطبري (١٩/ ٤٢٧)، وغيرهما بلا نسبة.

(٤) جاء هكذا في الأغاني (٨/ ٥٩) ضمن أبيات منسوبة لجرير، وفي المطبوع ونجيبويه ولالاليه أحمد٣: «استقبسا».

(٥) في المطبوع ونور العثمانية: «النيران».

(٦) سقط من أحمد٣.

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٠٨).

و«القبس»: يحتمل أَن يكون اسماً غير صفة، [ويحتمل أن يكون صفة، فعلى كونه اسماً فهي صفة][١] أَضاف إِليه، بمعنى: بشهاب أَقتبسه أَو اقتبسته، وعلى كونه صفة يكون ذلك كإِضافة الدار إِلى الآخرة[٢] والصلاة إِلى الأُولى، وغير ذلك.

وقرأَ الجمهور بإِضافة (شِهَابِ) إِلى ﴿قَبَسٍ﴾، وهي قراءَة الحسن وأَهل المدينة ومكة والشام.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ بتنوين (شِهَابٍ) [٣]، فهذا على الصفة / . [٤/ ١٣٧]

ويجوز أَن يكون القبس[٤] مصدر: قَبَسَ يَقْبِسُ، كما أَن الجلْب مصدر: جَلَب يَجْلب[٥].

وقال أَبو الحسن: الإِضافة أَجود وأَكثر في القراءَة، كما تقول: دارُ آجُرٍّ وسوارُ ذهبٍ، حكاه أَبو علي[٦].

و﴿تَصْطَلُونَ﴾ معناه: تستدفئون من البرد.

والضمير في ﴿جَآءَهَا﴾ للنار التي رآها موسى، وقوله: ﴿أَنۢ بُورِكَ﴾ يحتمل أَن تكون ﴿أَنۢ﴾ مُفسِّرة، ويحتمل أَن تكون في موضع[٧] نصب على تقدير: بأَن بُورك، ويحتمل أَن تكون في موضع رفع على تقدير: نُودِيَ أَنَّهُ، قاله الزَّجاج[٨].

---

(١) سقط من المطبوع.
(٢) في قوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾، يوسف الآية ١٠٩.
(٣) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٤٧٨)، والتيسير (ص: ١٦٧)، وانظر موافقة الحسن للأولين في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٢٦).
(٤) في المطبوع: «تكون الصفة».
(٥) في المطبوع والحمزوية ولالاليه ونور العثمانية: «الحلب مصدر حلب يحلب بالمهملة في الثلاثة».
(٦) الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٣٧٧).
(٧) سقط من الأصل سهواً.
(٨) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٠٩).

وقوله: ﴿بُورِكَ﴾ معناه: قُدِّس وضوعف خيره ونُمِّي، والبركة مختصة بالخير، ومن هذا قول أَبي طالب [عبد مناف][(١)] بن عبد المطلب:

[الخفيف]
بُـورِكَ الميِّـتُ الْغَريـبُ كمـا بُو ... ركَ يَـنْـعُ الرُّمَّـانِ والزَّيْـتُـونِ[(٢)]

وبَارَكَ: مُتعد بغير حرف، تقول العرب: بَارَكَكَ الله.

وقوله: ﴿مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ اضطرب المتأَولون فيه:

فقال ابن عباس[(٣)]، وابن جبير، والحسن، وغيرهم: أَراد عزَّ وجلَّ نفسه[(٤)]، وعبَّر بعضهم في هذا القول عبارات مردودة شنيعة.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: أَراد النورَ[(٥)].

وقال الحسن[(٦)]، وابن عباس: أَراد بمن حولها: الملائكة وموسى[(٧)]، فأَما قول الحسن وغيره فإِنما يتخرج على حذف مضاف، بمعنى: بُورِكَ مَنْ قدرتُه وسلطانه فِي النَّارِ، والمعنى: في النَّار على ظنِّك وما حسبتَ.

وأَما القول بأَن ﴿مَن﴾ للنور، فهذا على أَن يُعبَّر عن النور من حيث كان من نور

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) تقدم في تفسير الآية (٣٦) من سورة النور، وفي المطبوع وأحمد٣ ونور العثماية: «نبع بدل ينع».

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ٤٢٨)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه به، ورواه ابن أبي حاتم (١٦١٢٦)، بإسناد فيه شريك النخعي، والإِسنادان ضعيفان.

(٤) نقله عنهما تفسير الطبري (١٩/ ٤٢٨).

(٥) إسناده لين، أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٨٨٨)، من طريق محمد بن علي بن حمزة، عن علي بن الحسين ابن واقد، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٤٢٩)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٧٠).

(٧) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ٤٢٩)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه به، ورواه ابن أبي حاتم (١٦١٣٦)، من طريق شريك النخعي، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، والإسنادان ضعيفان.

الله، ويحتمل أَن يكون من الملائكة؛ لأَن ذلك النور الذي حسبه موسى ناراً لم يخْل من ملائكة، و(مَنْ حَوْلَها) يكون موسى والملائكة المطيفين به.

وقرأ أُبيٌّ بن كعب: (بُورِكَت النَّارُ، ومن حولها)[١]، كذا حكى أَبو حاتم، وحكى ابن جني أنه قرأَ: (تباركت النَّارُ ومَنْ حولها)[٢].

وحكى الداني أَبو عمرو أنه قرأَ: (ومَنْ حَوْلَهَا مِنَ الملائكة)، قال: وكذلك قرأَ ابن عباس ومجاهد وعكرمة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يحتمل أَن يكون مما قيل في النداءِ لموسى عليه السلام، ويحتمل أَن يكون خطاباً لمحمد ﷺ اعتراضاً بين الكلامين، والمقصد به ـ على كلا الوجهين ـ تنـزيه الله تعالى ممَّا عسى أَن يخطر ببال في معنى النداءِ من الشجرة وكون قدرته وسلطانه في النَّار.

وعَوْد ﴿مَن﴾ عليه، أَي: هو مُنَـزَّه في جميع هذه الحالات عن التشبيه والتَّكْييف.

قال الثعلبي: وإِنما الأَمر ـ كما رُوي في التوراة ـ: جاءَ الله من سيناءَ، وأَشرق من ساعير[٤]، واستَعلن من فاران[٥]، المعنى: ظهرت أَوامره بأَنبيائه في هذه الجهات.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٨٦)، وتفسير ابن أبي زمنين (٣/ ٢٩٤)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٣٦)، وفي المطبوع زيادة: «يكون موسى والملائكة»، ولعلها تكرار مع ما تقدم فوق.

(٢) وكلها شاذة، وهذا اللفظ جاء في الشواذ للكرماني (٣٥٧) عن أُبيٍّ، أما ابن جني فلفظه في المحتسب (٢/ ١٣٤): تَبارَكت الأرضُ، وكذا في تفسير الزمخشري (٣/ ٣٤٩)، وتفسير الرازي (٢٤/ ٥٤٤)، وفي المطبوع: «بن مكي»، بدل ابن جني.

(٣) وهي شاذة، أيضاً، عزاها في حاشية الشهاب على البيضاوي (٧/ ٣٣) لأُبيٍّ، وللكل في البحر المحيط (٨/ ٢١٢).

(٤) في الأصل: «ساغين».

(٥) تفسير الثعلبي (٧/ ١٨٩).

[وفاران: جبل بمكة، وباقي الآية إعلام بأنه الله تعالى][(١)].

والضمير في ﴿إِنَّهُۥٓ﴾ للأَمر والشأْنِ، قال الطبري: ويُسميها أَهل الكوفة المجهولة[(٢)].

وآنسَه بصفاته من العزَّة؛ أي لا خوف معي، و«الحكمة»؛ أَي: لا نقْص في أَفعالي[(٣)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍۖ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾.

أَمره الله عز وجل بهذين الأَمرين تدريباً له في استعمالهما، وفي الكلام حذف تقديره: فأَلْقى العصا، فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ.

وأَمال ﴿رَءَاهَا﴾ بعض القراءِ[(٤)].

و«الجانُّ»: الحيَّات؛ لأَنها تخفي أَنفسها، أَي تسترها، وقالت فرقة: الجان: صغار الحيَّات، وعصا موسى صارت حيَّة ثعباناً وهو العظيم، وإِنما شبهت بالجانِّ في سرعة الاضطراب؛ لأَن الصغار أَكثر حركة من الكبار، وعلى كل قول فإِن الله خلق في العصا حياة[(٥)] وغيَّر أَوصافها وأَعراضها فصارت حيَّة.

وقرأَ الحسن والزهري، وعمرو بن عُبَيْد: (جَأْن) بالهمز[(٦)].

---

(١) سقط من المطبوع، وفيه: «هذه الحالات».

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٤٣٠).

(٣) في المطبوع: «أفعاله».

(٤) إمالة الهمزة وحدها لأبي عمرو، ومع الراء لشعبة وحمزة والكسائي، وقللهما ورش، انظر: السبعة (ص: ٤٧٨).

(٥) سقط من المطبوع.

(٦) وهي شاذة، عزاها للحسن وعمرو في المحتسب (٢/ ١٣٥)، وللزهري في البحر المحيط (٨/ ٢١٣)، وسقط «الحسن» من المطبوع والحمزوية.

فلما أَبصر موسى عليه السلام هول ذلك المنظر وَلَّى فاراً، قال مجاهد: لم يرجع[١]، وقال قتادة: ولم يلتفت[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وعقَّب الرجل: إِذا ولَّى عن أَمر ثم صرف بدنه أَو وجهه إِليه كأَنه انصرف على عقبيه، وناداه الله مؤنساً ومُقَوِّياً على الأَمر: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ﴾ فإِن رسلي الذين اصطفيتهم للنبوة لا يخافون عندي ومعي، فأَخذ موسى الحيَّة فرجعت عصا[٣]، ثم صارت له عادة.

واختلف الناس في الاستثناءِ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾: فقال مقاتل وغيره: الاستثناءُ متَّصل، وهو من الأَنبياءِ، وروى الحسن أَن الله تعالى قال لموسى: «أَخفتك لِقَتْلك النفس».

وقال الحسن أَيضاً: كانت الأَنبياءُ تذنب فَتُعَاقَب، [ثم تذنب ـ والله ـ فتعاقب][٤]، فكيف بنا؟[٥].

وقال ابن جريج: لا يخيف الله تعالى الأَنبياءَ إِلا بذنب يصيبه أَحدهم، فإِن أَصابه أَخافه حتى يأْخذه منه[٦]، قال كثير من العلماءِ: لم يَعْرُ[٧] أَحد من البشر من ذنب إِلا ما رُوي عن يحيى بن زكريا.

وأَجمع العلماءُ أَن الأَنبياءَ عليهم السلام معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي هي رذائل، واختلف فيما عدا هذا، فعسى أَن يشير الحسن وابن جريج إِلى ما عدا ذلك.

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٥١٦)، وتفسير الطبري (١٩/ ٤٣١).
(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٤٣١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٤٨).
(٣) كتبت في المطبوع: «عصاه».
(٤) سقط من الحمزوية ولالاليه ونور العثمانية.
(٥) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٩/ ٤٣٢)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٩٢).
(٦) الهداية الى بلوغ النهاية (٨/ ٥٣٧٥).
(٧) كتبت في المطبوع: «يعرف أحد من البشر لهم من ذنب».

وفي الآية على هذا التأْويل حذف اقتضى الإِيجازُ والفصاحةُ تركَ نَصِّه، تقديره: فمن ظلم ثم بدَّل.

وقال الفراءُ وجماعة: الاستثناءُ منقطع، وهو إِخبارٌ عن غير الأَنبياءِ، كأَنه قال: لكن[١] من ظلم من الناس ثم تاب فإِني غفور رحيم[٢].

وقالت فرقة: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى الواو.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول لا وجه له.

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع، وزيد بن أَسلم: (أَلَا مَنْ ظَلَمَ) مخففة[٣] على الاستفتاح[٤].

وقوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾ معناه: عملاً صالحاً مقترناً بتوبة، وهذه الآية تقتضي حتم المغفرة للتائب، وأَجمع الناس على ذلك في التوبة من الشرك، وأَهل السُّنة في التائب من المعاصي، على أنه في المشيئة كالمُصّر، لكن يغلب / الرجاءُ على التائب والخوف على المُصِرّ. [٤/ ١٣٨]

وقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[٥] عمَّت الجميع من التائب والمُصِرِّ.

[وقالت المعتزلة: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ معناه للتائبين.

قال القاضي أبو محمد: وذلك مردود من لفظ الآية لأن تفصيلها بين الشرك وغيره كان][٦] يذهب فائدته؛ إِذِ الشِّرك يُغفر للتائب، وما دونه كذلك على تأْويلهم، فما فائدة التفصيل في الآية؟ وهذا الاحتجاج لازم فتأَمله.

---

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٨٧).

(٣) من أحمد٣.

(٤) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٣٦)، مختصر الشواذ (ص: ١١٠)، وهي شاذة والمتواتر عن أبي جعفر موافقة قراءة الجمهور.

(٥) تكررت في الآيتين (٤٨) و(١١٦) من سورة النساء.

(٦) في المطبوع بدلا منه: «ولا فرق بين المشرك وغيره لأنه».

ورُوي عن أَبي عمرو أَنه قرأَ: (حَسَناً بعد سوء) بفتح الحاءِ والسين، وهي قراءَة مجاهد، وابن أَبي ليلى.

وقرأَ محمد بن عيسى الأَصبهاني[١]: (حُسْنَى) مثل فُعْلَى[٢].

ثم أَمر تعالى موسى بأَن يدخل يده في جيب جبته؛ لأَنها لم يكن لها كُمٌّ كما قال ابن عباس[٣]، وقال مجاهد: كانت[٤] مِدْرَعة صوف إِلى بعض يده[٥].

و«الجيب»: الفتح في الثوب لرأْس الإِنسان، ورُوي أَن يد موسى عليه السلام كانت تخرج تتلأْلأُ كأَنها قطعة نور، ومعنى إِدخال اليد في الجيب ضم الآية إِلى موسى، وإِظهار تلبسها به؛ لأَن المعجزات من شروطها أَن يكون لها اتصال بالآتي بها[٦].

وقوله: ﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ أَي: من غير برص ولا علَّة، وإِنما هي آية تجيءُ وتذهب.

وقوله: ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾ متصل بقوله: (أَلـق)، و(أَدخِلْ)، وفيه اقتضاب وحذف، تقديره: تمهد وتيسر لك ذلك في جملة تسع آياتٍ، وهي: العصا، واليد البيضاءُ[٧]،

---

(١) في المطبوع: «محمد بن علي»، وهو محمد بن عيسى بن رزين التيمي الرازي ثم الأصبهاني المقرئ، أحد أعلام القرآن العظيم، قرأ على نصير، وخلاد بن خالد، وصنف كتاب الجامع في القراءات، وكان رأساً في العربية، توفي سنة **٢٥٣**هـ. تاريخ الإسلام (**١٩/ ٣٠٧**).

(٢) وهما شاذتان، انظر قراءة مجاهد في الشواذ للكرماني (ص: **٣٥٧**)، وقراءة أبي عمرو من رواية عبد الوارث، وهارون، وعصمة، والجعفي، والواقدي... في الكامل للهذلي (ص: **٦١٢**)، والباقي في البحر المحيط (**٨/ ٢١٥**).

(٣) ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم (**١٦٩١٥**)، من طريق شريك، عن يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس رضي الله عنه به. ويزيد هو القرشي، ضعيف الحديث، كبر فتغير وصار يتلقن. وشريك: هو ابن أبي نمر.

(٤) ليست في المطبوع.

(٥) تفسير الطبري (**١٩/ ٤٣٤**).

(٦) في المطبوع: «بالرائي».

(٧) من المطبوع.

والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمس، والحجر، وفي هذين الأَخيرين اختلاف، والمعنى: يجيءُ بهن إِلى فرعون وقومه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٣ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝١٤﴾.

الضمير في قوله: ﴿جَآءَتْهُمْ﴾ لفرعون وقومه.

و﴿مُبْصِرَةً﴾ معناه: معها الإِبصار والوضوح، وهذا على نحو قولهم: نهارٌ صائم، وليل قائمٌ ونائمٌ.

وقرأَ قتادة [وعلي بن الحسين][(١)]: (مَبْصَرَة) بفتح الميم والصاد[(٢)].

وظاهر قوله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ حصول الكفر عناداً، وهي مسأَلة فيها قولان: هل يجوز أَن يقع أَمْ لا؟ فجوَّزت ذلك فرقة وقالت: يجوز أَن يكون الرجل عارفاً إِلَّا أَنَّه يجحد عناداً ويموت على معرفته وجحوده، فهو بذلك في حكم الكافر المخلد، قالوا: وهذا حكم إِبليس، وحكم حيي بن أَخطب وأَخيه حسب ما رُوي عنهما.

قال القاضي أَبو محمد: وإِن عورض هذا المثال فُرض إِنسان ويجوز ذلك فيه.

وقالت فرقة: لا يصح لوجهين: أَحدهما أَن هذا لا يجوز وقوعه من عاقل، والوجه الآخر أَن المعرفة تقتضي أَن يحل في القلب، وذلك إِيمانٌ، وحكم الكافر لا يلحقه إِلَّا بأَن يحلَّ في القلب كفر، ولا يصح اجتماع الضدين في محل واحد[(٣)]، قالوا: ويشبه في هذا العارف الجاحد أَن يسلب عند الموافاة تلك المعرفة ويحل بدلها الكفر.

قال القاضي أَبو محمد: والذي يظهر عندي في هذه الآية وكل[(٤)] ما جرى مجراها

---

(١) في المطبوع: «والحسن».

(٢) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٣٦).

(٣) من الحمزوية والأصل.

(٤) «كل» ليست في المطبوع.

أَن هؤلاءِ الكفرة إِذا نظروا في آيات موسى أَعطتهم قولهم: إِن هذا ليس تحت قدرة بشر، وحصل لهم اليقين أَنها من عند الله تعالى، فيغلبهم أَثناءَ ذلك الحسدُ، ويتمسكون بالظنون في أَنها سحر وغير ذلك [مما يختلج في الظن بحسب كل آية، ويلجون في عماهم فيضطرب ذلك اليقين ويدفعونه في كل حيلة من التحيل لربوبية فرعون وغير ذلك][(١)]، حتى يُستلب ذلك اليقين [أَو يدوم كذلك مضطرباً][(٢)]، وحكمه حكم المستلب في وجوب عذابهم.

و﴿ظُلْمًا﴾: معناه على غير استحقاق للجحد، والعلو في الأرض أعظم آفة على طالبه، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣].

ثم عجَّبه تعالى من عاقبة الْمُفْسِدِينَ قوم فرعون، وسوءِ مُنقلبهم حين كذَّبوا موسى، وفي هذا تمثيل لكفار قريش إِذْ كانوا مفسدين مسْتعْلِينَ.

وقرأَ ابن وثاب، وطلحة، والأَعمش: (ظلما وَعُلِيّاً)، وحكى أَبو عمرو الداني عنهم وعن أَبان بن تغلب أَنهم كسروا العين من (عِلِيّاً)[(٣)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾.

هذا ابتداءُ قصص فيه غيوب وعبر، وليس بمثال لقريش، وداود من بني إِسرائيل وكان ملكاً، وورث سليمانُ مُلْكه ومنـزلته من النبوة، بمعنى: صار ذلك إِليه بعد موت

(١) سقط من المطبوع.
(٢) في المطبوع بدل هذا: «يدفع».
(٣) وهما شاذتان، عزا في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٨٨) الأولى لابن مسعود، وعزاها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٨) لطلحة، وعزا الثانية لابن مسعود ويحيى والأعمش، وانظر: مختصر الشواذ (ص: ١١٠)، ففيه عنهم الوجهان أيضاً.

أَبيه، فسُمي ميراثاً تجوزاً، وهذا نحو قولهم: «العلماءُ ورثة الأَنبياءِ»[١]، وحقيقة الميراث في المال، والأَنبياءُ لا تورث أَموالهم؛ لأَن النبي ﷺ قال: «إِنَّا معشر الأَنبياءِ لا نورث»[٢]، يريد به أَن ذلك من فعل الأَنبياءِ وسيرتهم، وإِن كان فيهم من ورث ماله كزكريا على أَشهر الأَقوال فيه، وهذا كما تقول: إِنَّا معشر المسلمين إِنما شُغلنا العبادة، فالمراد أَن ذلك فيه[٣] فعل الَأكثر، ومنه ما حكى سيبويه: إِنَّا معشر العرب أَقْرى الناس لضيف[٤].

وقوله تعالى: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ إِخبارٌ بنعمة الله عندهما في أَن فهمهما من أَصوات الطير المعاني التي في نفوسها، فهذا نحو ما كان نبينا محمد ﷺ يسمع أَصوات الحجارة بالسلام، وسليمان عليه السلام حكى عن البلبل أَنه قال: أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاءُ[٥]، إلى كثير من هذا / النوع. [٤/ ١٣٩]

وقال قتادة والشعبي وغيرهما: إِنما كان هذا الأَمر في الطير خاصة، والنملة طائر؛ إِذ قد يوجد لها الأَجنحة[٦]، قال الشعبي: وكذلك كانت هذه القائلة ذات جناحين[٧].

وقالت فرقة: بل كان في جميع الحيوان، وإِنما ذكر الطير لأَنه كان جنداً من جنود سليمان [يحتاجه في التظليل عن][٨] الشمس، وفي البعث في الأُمور، فخُصَّ لكثرة مداخلته، ولأَن أَمر سائر الحيوان نادر وغير متردد ترداد أَمر الطير، والنمل حيوان فَطِنٌ

---

(١) وردت هذه العبارة في حديث طويل، رواه الترمذي (٥/ ٤٩)، وأبو داود (٣/ ٣١٧) بسند صحيح.
(٢) سبق تخريج هذا الخبر بهذا اللفظ، وقد أخرجه البخاري (٣٥٠٨)، ومسلم (١٧٥٩)، كلاهما من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولكن بلفظ: «لا نورث ما تركنا صدقة». والله أعلم.
(٣) ليست في المطبوع ونجيبويه.
(٤) الكتاب لسيبويه (٢/ ٢٣٤).
(٥) كأنه من الإسرائيليات، أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ٢٣٢)، من طريق فرقد السبخي ـ وهو ضعيف بمرة ـ من قوله به.
(٦) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٧٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٥٥).
(٧) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٥٧)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٩٧).
(٨) في المطبوع: «يحجب عنه».

قوي شمام جدّاً، يدَّخر ويتَّخذ القِرى، ويشق الحب بقطعتين لئلا ينبت، ويشق الكزبرة بأَربع قطع لأَنها تنبت إِذا قسمت شقين، ويأْكل في عامه نصف ما جمع ويستبقي سائره عُدة[١].

وقوله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ معناه: يصلح لنا ونتمنَّاه، وليست على العموم، ثم رَدَّد شُكْر فضل[٢] الله تعالى.

ثم قصَّ تعالى حال سليمان فقال: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ﴾ أي: جُمِع.

واختلف الناس في مقدار جند سليمان عليه السلام اختلافاً شديداً لم أر[٣] ذكره لعدم صحة التحديد[٤]، غير أَن الصحيح أَن مُلْكه كان عظيماً، ملأَ الأَرض، وانقادت له المعمورة كلها، وكان كرسيه يحمل[٥] أَجناده من الجن والإِنس، وكانت الطير تظلله من الشمس، ويبعثها في الأُمور، فكان له في الكرسي الأَعظم موضع يخصه.

و﴿يُوزَعُونَ﴾: معناه: يُـرَدُّ أَوَّلهم على آخِرهم ويُكفُّون، قال قتادة: فكان لكل صنف وزعة في رتبتهم ومواضعهم من الكرسي ومن الأَرض إِذا مشوا فيها، فرُبَّ وقت كان يسير فيه في الأَرض[٦]، ومنه قول الحسن البصري حين وَلي قضاءَ البصرة: لا بُدَّ للحاكم من وَزَعة[٧]، ومنه قول أَبي قحافة حين وصفت له الجارية في يوم الفتح

---

(١) في المطبوع: «مدة».

(٢) ليست في المطبوع ونور العثمانية.

(٣) في المطبوع: «أُرِدْ».

(٤) في الأصل: «لعدم صحة التحرير»، وفي المطبوع والحمزوية: «لعدم صحته».

(٥) المثبت من المطبوع.

(٦) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٣٧)، وتفسير الطبري (١٩/ ٥٠١).

(٧) نقله عنه الذهبي في تاريخ الإسلام (٤/ ٧٢) بلفظ لا بد لهؤلاء، ومغلطاي في التراجم الساقطة من كتاب إكمال تهذيب الكمال (ص: ٥١) عن كتاب المبرد بلفظ لا بد للسلطان، وجعله بعضهم حديثاً كما في جمهرة اللغة (٢/ ٨١٨)، وغيرها.

أَنها ترى سواداً أَمامه فارس قد نهد[١] من الصَّف، فقال لها: ذاكَ الوازع[٢]، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] عَلَى حينَ عاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبَا ... وَقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ والشَّيْبُ وَازعُ[٣]

أَي: كافٌّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾.

ظاهر هذه الآية أَن سليمان وجنوده كانوا مشاةً في الأَرض، ولذلك يتفق حطم النمل[٤]، ويحتمل أَنهم كانوا في الكرسي المحمول بالريح، وأَحَسَّت النمل بنزولهم في وادي النمل[٥].

وأَمال أبو عمرو الواو من ﴿وَادِ﴾، والجميع فخَّم، والإِمالة قراءَة ابن أَبي إِسحاق[٦].

---

(١) في المطبوع: «تقدم»، وفي الحمزوية ولالاليه: «نهز».

(٢) أخرجه ابن راهويه في مسنده (٥/ ١٣٢)، من طريق جرير بن حازم، قال: سمعت محمد بن إسحاق، يحدث عن يحيى بن عباد، عن أبيه عن أسماء به، ومحمد بن إسحاق، يدلس، ولم يصرح بالسماع.

(٣) البيت للنابغة كما تقدم في تفسير الآية ١١٨ من سورة المائدة.

(٤) زاد في المطبوع: «بنزولهم في وادي النمل»، قال في الحاشية: وهو غير موجود في الأصول، ولكنا نقلناه عن البحر المحيط.

(٥) زاد في المطبوع: «ووادي النمل قيل: بالشام، وقيل بأَقصى اليمن، وهو معروف عند العرب مذكور في أَشعارها»، قال في الحاشية: وهو غير موجود في الأصول، ولكنا نقلناه عن البحر المحيط حيث نقل نصَّ كلام ابن عطية.

(٦) وهي شاذة عزاها في السبعة (ص: ٤٧٨) لعباس عن أبي عمرو، ولم أجدها لابن أبي إسحاق، وفي الأصل: «ابن إسحاق».

وقرأ المعتمر بن سليمان عن أَبيه: (النَّمُلِ) بضم الميم كالسمر [١]، و(قالتْ نَمُلة) بالضَّم أَيضاً كسَمُرة، ورُوي عنه أَيضاً ضم النون والميم من (النُّمُل) [٢].

قال نَوْف البِكَالي: كان ذلك النمل على قدر الذباب [٣].

وقالت فرقة: بل كانت صغاراً.

قال القاضي أَبو محمد: والذي يقال في هذا أَن النمل كانت نسبتها من هذا الخلق نسبة هذا النمل منَّا، فيحتمل أَن كان الخلق كله أَكمل.

وهذه النملة قالت هذا المعنى، الذي لا يصلح له إِلَّا هذه العبارة، قولاً فهمه عنها النمل، فسمعه سليمان على بُعْده، وجاءَت المخاطبة كمن يعقل؛ لأَنها أَمرتهم بما يؤمر به من يعقل، وروي أَنه كان على ثلاثة أَميال فتَـبَسَّم من قولها.

والتَّـبَسم ضحك الأَنبياءِ في غالب أَمرهم، لا يليق بهم سواه.

وكان ضحكه سروراً، واخْتُلِفَ بِمَ؟:

فقالت فرقة: بنعمة الله تعالى في إِسماعه وتَفْهيمه ونحو ذلك.

وقالت فرقة: بثناء [٤] النملة عليه وعلى جنوده في أَن نَفَت عنهم تعمُّد القبيح من الفعل، فجعلت الحطم وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ.

وقرأَ شهر بن حوشب: (مَسْكَنَـكُمْ) بسكون السِّين على الإِفراد.

وفي مصحف أُبيٍّ (مَسَاكِنَـكُنَّ) [٥].

و﴿ضَاحِكًا﴾ نصب على الحال.

---

(١) في المطبوع: «كالشَّمُس».

(٢) وكلها شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (٢/ ١٣٧).

(٣) تفسير الثعلبي (٧/ ١٩٧)، وسماه: نوفاً الحميري، الهداية إلى بلوغ النهاية (٨/ ٥٣٨٨).

(٤) في المطبوع: «بنبَأ».

(٥) وهما شاذتان، انظرهما في الشواذ للكرماني (ص٣٥٨)، والأولى في مختصر الشواذ (ص١١٠).

وقرأ محمد بن السمَيْفَع: (ضَحِكاً)[١]، وهو نصب على المصدر [إما بتبسم، على مذهب المبرد إذ هو في معنى الضحك، وإما بتقدير: ضحك، وهو مذهب سيبويه][٢].

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ بشد النون وسكون الحاءِ، وقرأ أَبو عمرو في رواية عبيد[٣]: ﴿لا يَحْطِمَنْكُمْ﴾ بسكون النون، وهي قراءَة ابن أَبي إِسحاق[٤].

وقرأَ الحسن، وأَبو رجاءٍ: (لا يحَطِّمِنَّكُمْ) بضم الياءِ وفتح الحاءِ وكسر الطاءِ وشدِّها وشدِّ النون، وعنه أَيضاً: (يَحِطِّمَنَّكُمْ) بفتح الياءِ وكسر الحاءِ والطَّاءِ وشدِّها[٥].

وقرأَ الأَعمش وطلحة: (لا يَحْطِمَكُمْ) مخففة بغير نون[٦].

وفي مصحف أُبَيٍّ بن كعب: (لا يَحْطِمَنكُنَّ)[٧] مخففة النون التي قبل الكاف.

ثم دعا سليمان ربَّه في أَن يُعينه الله تعالى ويفرغه إلى شكر نعمته، وهذا هو معنى إِيزاع الشكر، وباقي الآية بيِّن.

---

(١) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ١٣٩).

(٢) جاءت هذه الجملة في المطبوع هكذا: [بفعل محذوف يدلُّ عليه (تَبَسَّم)، كأَنه قال: «ضَحِكَ ضَحِكاً»، وهذا مذهب صاحب الكتاب، أَو يكون منصوباً بنفس (تَبَسَّمَ) لأَنه في معنى «ضَحك»]، وقال في الحاشية: اضطربت الأصول في هذا الجزء الذي أثبتناه وقد آثرنا أن ننقل عبارة ابن جني. والفقرة كلها في المطبوع متأخرة عن الكلام على ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ ولعله لأنها قبلها في لفظ الآية.

(٣) في المطبوع: «عبيدة».

(٤) وهي عشرية من رواية رويس عن يعقوب كما في النشر (٢/ ٣٣٧) وعزاها لعبيد في الكامل للهذلي (ص: ٥٢٣)، والسبعة (ص: ٤٧٩)، قال: وهو غلط، قال الفارسي في الحجة (٥/ ٣٨١) أي من جهة الرواية، وعزاها لابن أبي إسحاق في البحر المحيط (٨/ ٢٢٠).

(٥) وهما شاذتان، انظر عزوهما للحسن في المحتسب (٢/ ١٣٧)، وقراءة أبي رجاء في الشواذ للكرماني (ص٣٥٨).

(٦) وهي شاذة، عزاها للأعمش في الشواذ للكرماني (ص٣٥٨)، والبحر المحيط (٨/ ٢٢٠)، ولم أجدها لطلحة، وفي المطبوع: «يحطمنكم».

(٧) شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص٣٥٨)، وفي المطبوع وفيض الله: «يحطمنكم»، وسقطت من لالاليه ومع قراءة الأعمش من نور العثمانية.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

اختلف الناس في معنى تفَقُّده الطيرَ: فقالت فرقة: ذلك بحسب ما تقتضيه العناية بأُمور المُلْك والتَّهمُّم بكل جزءٍ منها.

قال القاضي أَبو محمد: وظاهر الآية أَنه تفقَّد جميع الطير، وقالت فرقة: بل تفَقَّد الطير لأَن الشمس دخلت [على المَلِك][1] من موضع الهدهد حين غاب، فكان ذلك سبب تفقد الطير ليتبيَّن من أَين دخلت الشمس، وقال عبد الله بن سلام: إِنما طلب الهدهدَ لأَنه احتاج إِلى معرفة الماءِ على كم هو من وجه الأرض[2]؛ لَأنه كان نزل في مفازة عدم[3] فيها الماءَ، ولأن الهدهد كان يرى بطن الأَرض وظاهرها، كانت تشف له، فكان يخبر سليمان بموضع / الماءِ، ثم كانت الجن تخرجه في ساعة يسيرة، تسلخ عنه [٤/ ١٤٠] وجه الأَرض كما تسلخ الشاة، قاله ابن عباس فيما روى عن ابن سلام وغيره.

وقال في كتاب النقاش: كان الهدهد مهندساً[4].

ورُوي أَن نافع بن الأَزرق سمع ابن عباس يقول هذا، فقال له: قف يا وقَّاف، كيف يرى الهدهدُ بطن الأَرض وهو لا يرى الفخَّ حين يقع فيه؟ فقال له ابن عباس رضي الله عنه: إِذا جاءَ القدر[5] عمي البصر[6].

(١) من المطبوع.
(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٤٠-٤٤١)، من طريق صحيح، إلى أبي مجلز ـ وهو لاحق بن حميد، قال: جلس ابن عباس، إلى عبد الله بن سلام، فذكره، وينقصه ثبوت الاتصال، وهو الأثر الآتي عن ابن عباس.
(٣) في المطبوع: «حُرم».
(٤) علقه ابن أبي حاتم في التفسير (١٦٢١٢) بإسناد ضعيف عن عكرمة عن ابن عباس.
(٥) في المطبوع: «القضاءُ».
(٦) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٠٥)، من طريق حماد بن زيد، عن الزبير بن خريت، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وهذا إسناد لا بأس به.

وقال وهب بن منبه: كانت الطير تنتاب سليمان كل يوم، من كل نوع واحد نوبة معهودة، ففقد الهدهد[١].

وقوله: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ إنما مقصد الكلام أَن الهدهد غاب، لكنه أَخذ اللازم عن مغيبه وهو أَلَّا يراه، فاستفهم ـ على جهة التوقيف ـ عن اللازم، وهذا ضرب من الإِيجاز والاستفهامُ الذي في قوله: ﴿مَالِيَ﴾ ناب مناب الأَلف التي تحتاجها أَمْ.

ثم توعَّده عليه السلام بالعذاب، وروي عن ابن عباس[٢] ومجاهد وابن جريج أَن تعذيبه للطير كان بأَن ينتف ريشه أَجمع[٣]، وقال يزيد بن رومان: جناحاه[٤]، ورُوي عن وهب أنه بأَن [ينتف بعضه ويبقي بعضه][٥].

و«السُّلْطَانُ»: الحُجَّة حيث وقع في القرآن، قاله عكرمة عن ابن عباس[٦].

وقرأ ابن كثير وحده: ﴿ليأتينَّنِي﴾ بنونين[٧].

وفعل سليمان عليه السلام هذا بالهدهد وحده[٨] إغلاظاً[٩] على العاصين،

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٤٤١).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٢٢٥)، من طريق يحيى القطان، عن ربيعة بن كلثوم، عن أبيه، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه به، والإسناد لا بأس به لكن حكى القطان عن ربيعة بن كلثوم في روايته عن أبيه عن سعيد بن جبير ما قد يسبب هاجساً ما.
(٣) تفسير مجاهد (ص: ٥١٧)، وتفسير الطبري (١٩/ ٤٤٣).
(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٦٢)، وفي المطبوع والحمزوية: «جناحه بالإفراد».
(٥) لم أجده، وفي الحمزوية وأحمد٣: «وينتف أجمع ويضعه ينزو»، وفي نجيبويه وفيض الله: «وينتف أجمع ويبقي بعضه ينزو».
(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٤٤)، وابن أبي حاتم (١٦٢٣٢)، من طريق عبد الله بن يزيد المقرئ، عن قباث بن رزين اللخمي، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وهذا إسناد لا بأس به.
(٧) وهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٦٧)، في المطبوع: «عكرمة وحده»، وهو خطأ.
(٨) من المطبوع.
(٩) في المطبوع: «غلاظا».

وعقاباً[١] على إِخلاله بِنَوْبته[٢] ورتبته.

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿فَمَكُثَ﴾ بضم الكاف، وقرأ عاصم وحده: ﴿ فَمَكَثَ ﴾ بفتحها[٣].

ومعناه في القراءَتين: أَقامَ، والفتح في الكاف أَحسن؛ لأَنها لغة القرآن في قوله: ﴿مَّٰكِثِينَ﴾ [الكهف: ٣]؛ إِذ هو من مَكَثَ بفتح الكاف، ولو كان من مَكُثَ بضم الكاف لكان جمع[٤] مَكِيثٍ.

والضمير في مكث يحتمل أَن يكون لسليمان أَو الهدهد.

وفي قراءَة ابن مسعود: (فَـتَمَكَّثَ ثم جاءَ فقال).

وفي قراءَة أُبي بن كعب: (فَـتَمَكَّثَ ثم قال أَحطتُ)[٥].

وقوله: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ كما في مصاحف الجمهور يريد به الزمن والمدة، وقوله: ﴿ أَحَطتُ ﴾ أَي: علمتُ علماً تامّاً ليس في علمك.

واختلف القراءُ في ﴿سَبَإٍ﴾:

فقرأَ جمهور القراء[٦]: ﴿سَبَإٍ﴾ بالصرف.

---

(١) ليست في المطبوع.

(٢) في المطبوع: «بنوبه».

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٧).

(٤) سقط من الأصل.

(٥) وهما شاذتان، في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٨٩)، عن ابن مسعود فتمكث، وفي المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨١) عنه: فيمكث غير بعيد، والقراءتان في البحر المحيط (٨/ ٢٢٤) بالياء بدل التاء، قال: وكلاهما تفسير لا قراءة، لمخالفة ذلك سواد المصحف.

(٦) في الأصل: «الناس»، وفي المطبوع: «الجمهور».

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿سَبَأَ﴾ بفتح الهمزة وترك الصرف[١].

[وقرأ الأعمش: (من سبأ) بالكسر وترك الصرف][٢].

وروى ابن حبيب عن اليزيدي: (سَبَا) بالألف ساكنة[٣].

وقرأ قنبل عن النبال بسكون الهمزة.

فالأولى على أنه اسم رجل، وعليه قول الشاعر:

[البسيط] الْـوَارِدُونَ وتَـيْـمٌ فـي ذُرَى سَـبَــأٍ قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ[٤]

وقال آخر:

[المنسرح] مِـنْ سَـبَأَ الْحَاضِرِيـنَ مَـأْرِبَ..[٥] ....

وهذا على أنها قبيلة، والثانية على أنها اسم بلدة، قاله الحسن وقتادة[٦]، وكلا القولين قد قيل، ولكن رُوي عن رسول الله ﷺ من حديث فروة بن مُسَيْك[٧] وغيره أنَّهُ

---

(١) هاتان سبعيتان، والثانية في التيسير (ص: ١٦٧) من رواية البزي خاصة، أما قنبل فبالسكون كما سيأتي وهي أيضاً سبعية.

(٢) سقط من لالاليه.

(٣) وهما شاذتان، انظر قراءة الأعمش في مختصر الشواذ لابن خالويه (ص١١٠)، ورواية ابن حبيب في البحر المحيط (٨/ ٢٢٦).

(٤) تقدم الاستشهاد به في تفسير الآيات ٤٥ - ٤٨ من سورة النحل.

(٥) تمامه:

مِنْ سَبَأَ الْحَاضِرِينَ مَأْرِبَ إِذْ يَبْنُونَ مِنْ دونِ سَيْلِهِ الْعَرِمَا

وهو للنابغة الجعدي كما في الأصول في النحو (٢/ ٩٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٤٠)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ١٢٦)، وجمهرة اللغة (٢/ ٧٧٣)، والكامل للمبرد (٣/ ٢٠٧).

(٦) نقله عنهما تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٣٩)، ونقله تفسير الماوردي (٤/ ٤٤٣) عن سفيان.

(٧) هو فروة بن مسيك بالتصغير، ابن الحارث بن سلمة المرادي الغطيفي، أبو عمر، له صحبة، يعد في الكوفيين، وأصله من اليمن، وفد فروة على النبي ﷺ، فاستعمله على مراد ومذحج كلّها، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص، الإصابة (٥/ ٢٨١).

وُلد له عشرة من الولد، تيامن منهم ستة وتشاءمَ أَربعة[(١)].

وخفي[(٢)] هذا الحديث على الزجاج فخبط عشواءَ[(٣)].

والثالثة على البناءِ، والرابعة والخامسة لتوالي الحركات السبع فسكن تخفيفاً للتثقيل في توالي الحركات، وهذه القراءَة لا تبنى على الأُولى؛ بل هي إِما على الثانية أَو الثالثة.

[وقرأت فرقة: ﴿بِنَبَإٍ﴾][(٤)] منونا.

وقرأَت فرقة دون تنوين على الإِضافة، وقرأَت فرقة: (بِنَبَى) بالأَلف مقصورة[(٥)].

---

(١) مداره على ضعفاء ومجاهيل، أخرجه أبو داود (٣٩٩٠)، والترمذي (٣٢٢٢)، والطبري (٢٠/ ٣٧٥)، كلهم من طريق حماد بن أسامة، عن الحسن بن الحكم، عن أبي سبرة النخعي، عن فروة بن مسيك به، قال الترمذي: «حديث حسن غريب» اهـ، وأبو سبرة النخعي، هو: عبد الله بن عابس، فيه جهالة، ينظر تهذيب الكمال (٣٣/ ٣٤٠).

ورواه الإمام أحمد في العلل ـ رواية عبد الله ـ (٢/ ١٥٦)، والطبري (٢٠/ ٣٧٥)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٣٢٣)، كلهم من طريق أبي جناب يحيى بن أبي حية الكلبي، عن يحيى بن هانئ بن عروة المرادي، عن فروة بن مسيك به، وأبو جناب الكلبي ضعيف الحديث، مكثر من التدليس، وقد عنعنه.

ورواه البخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٥٨)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣/ ٣٢٢)، من طريق فرج بن سعيد، عن عمه ثابت بن سعيد، عن أبيه سعيد أن فروة بن مسيك حدثه...فذكره، وسعيد هو ابن أبيض بن حمال، ذكره الذهبي في الميزان (٢/ ١٢٦)، وقال: «فيه جهالة»، وابنه ثابت بن سعيد قال فيه الذهبي في الميزان (١/ ٣٦٤): «لا يعرف».

ورواه الطبراني في الكبير (١٨/ ٣٢٤)، من طريق عباد بن كثير الرملي، قال: ثنا ثور بن يزيد، عن البراء بن عبد الرحمن، عن فروة به، وعباد بن كثير الرملي ضعيف الحديث.

والحديث رواه الطحاوي في مشكل الآثار (٤/ ١٦٤)، من طريق عبد الله بن لهيعة، عن عبد الله ابن هبيرة السبائي، عن عبد الرحمن بن وعلة، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وعبد الله بن لهيعة ضعيف الحديث. وهذه الطرق لا يصلح منها شيء لتقوية الحديث، والله تعالى أعلم.

(٢) في المطبوع: «وحكي»، وأشار في الحاشية إلى النسخة الأخرى.

(٣) لفظه في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٤): وأما الذين قالوا إن سبأ اسم رجل فغلط أيضاً لأن سبأ هي مدينة تعرف بمأرب مِنَ اليَمَنِ بينها وبين صَنْعَاءَ ثلاثَةُ أَيام، والله أعلم.

(٤) سقط من المطبوع والحمزوية، و«منوناً» زيادة من أحمد٣، وهذه هي القراءة المتواترة.

(٥) وهما شاذتان إن وجدتا، أولاهما لم أقف عليها، والثانية ذكرها في البحر المحيط (٨/ ٢٢٦) =

وقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ مبالغة، أَي: مما تحتاجه المملكة، قال الحسن: من كل أمر الدنيا(١)، ووصف عرشها بالعظم في الهيئة ورتبة السلطان.

وروي عن نافع الوقف على ﴿عَرْشٌ﴾، فـ﴿عَظِيمٌ﴾ على هذا يتعلق بما بعده(٢).

وهذه المرأَة: هي بلقيس بنت شراحيل فيما قال بعضهم، وقيل: بنت الفشرح(٣)، وقيل: كانت أُمُّها جِنِّيَّة، وأَكثر بعض الناس في قصصها بما رأَيتُ اختصاره لعدم صحته، وإِنما اللازم من الآية أَنها مختصة(٤) بامرأَة ملكة على مدائن اليمن، وكانت ذات مُلْك عظيم، وكانت كافرة من قوم كفار.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

كانت هذه الأُمة أُمة تعبد الشمس؛ لأَنهم كانوا زنادقة فيما روي، وقيل: كانوا مجوساً يعبدون الأَنوار.

وقوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟﴾ إِلى قوله: ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ ظاهره أَنه من قول الهدهد، وهو قول ابن زيد وابن إِسحاق(٥)، ويعترض بأَنه غير مخاطب فكيف(٦) يتكلم في معنى شرع(٧)؟

= بلا نسبة، قال: وكأَنها قراءة من قرأ: (لسبا)، بالألف، لتتوازن الكلمتان، وأشار لها العكبري في إعراب الشواذ (ص٢٣٦).

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٤٤٧).

(٢) الهداية لمكي (٨/ ٥٣٩٦)، قال: وليس بشيء.

(٣) في المطبوع ولالاليه: «القَشْرح»، وفي أحمد٣: «الفرح»، وفي الحمزوية: «الفرسح».

(٤) «مختصة ب»: من المطبوع، وفيه «ملكت» بصيغة الفعل.

(٥) تفسير الطبري (١٩/ ٤٥٠)، عنهما.

(٦) «كيف»: سقطت من الأصل.

(٧) في المطبوع زيادة: «ويحتمل أَن يكون من قول سليمان لما أَخبره الهدهد عن القوم» قال في =

ويحتمل أَن يكون من قول الله تعالى، اعتراضاً بين الكلامين، وهو الثابت مع التأَمل، وقراءَة التشديد في ﴿أَلَّا﴾ تعطي أَن الكلام للهدهد، وقراءَة التخفيف تمنعه وتقوي الآخر حسب ما سمع، ويتأَمل إِن شاءَ الله تعالى.

وقرأَ جمهور القراءِ ﴿أن لا يسجدوا﴾[١]، فـ (أَنْ) في موضع نصب على البدل من ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾، أَو في موضع خفض على البدل من ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾، أَو يكون الكلام بتقدير: لِئَلَّا يَسْجُدوا، فـ (أَنْ) متعلقة إِمَّا بـ (زين)، وإِمَّا بـ ﴿فَصَدَّهُمْ﴾، واللام الداخلة على (أَنْ) داخلة على مفعول له.

وقرأَ ابن عباس، وأَبو جعفر، والزهري[٢]، وأَبو عبد الرحمن، والحسن، والكسائي، وحميد[٣] الأعرج: ﴿أَلاَ يسجدوا﴾[٤] [بتخفيف اللام][٥]، [على جهة الاستفتاح.

ووقف الكسائي من هذه الفرقة على «يا»][٦] ثم يبتدئ: ﴿اسجُدُوا﴾، واحتج الكسائي لقراءَته هذه بأَنه روي عن النبي ﷺ أَنه موضع سجدة[٧].

[قال القاضي أبو محمد: وهذه القراءة مقدر فيها النداء، والمنادى محذوف

= الحاشية نقلناها عن القرطبي، لأنه نقل كلام ابن عطية وفيه هذه العبارة، أما الأصول التي بين أيدينا فقد خلت منها

(١) من المطبوع زيادة: «أي لا».

(٢) في الحمزوية ولالاليه: «أبو جعفر الزهري»، دون عطف.

(٣) في المطبوع بدله: «والحسين»، و«الأعرج» زيادة من نجيبويه.

(٤) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٤٨٠)، والتيسير (ص: ١٦٧)، وينظر موافقة أبي جعفر ورويس في النشر (٢/ ٣٣٧)، وموافقة أبي عبد الرّحمن والحسن وحميد والأعرج في تفسير الثعلبي (٧/ ٢٠٣)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩٠)، والباقين في البحر المحيط (٨/ ٢٢٩).

(٥) من المطبوع.

(٦) في المطبوع بدلًا من هذا: «فعلى هذا له أَن يقف عَلَى ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ويبتدئ بـ ﴿أَلَا يسْجُدُوا﴾، وإِن شاءَ وقف عَلَى ﴿أَلَا يَا﴾».

(٧) لم أقف عليه مسنداً.

تقديره - إن جعلناه اعتراضاً - يا هؤلاء، ويجيء موضع سجدة][(١)]، وإن جعلناه من كلام الهدهد، بمعنى: أَلا يا قوم [أو يا عقلاء][(٢)]، ونحو هذا، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] أَلَا يا اسْـلَمِي يا دارَ مَـيَّ عَلَى البِلَى وَلا زالَ مُنْهَـلًّا بِجَرْعَائِكِ الْقَطْرُ[(٣)]

ونحو قول الأَخطل:

[الطويل] أَلَا يا اسْـلَمِي يـا هِنْدُ هِنْـدَ بَني بَدْرِ وَإِنْ كانَ حَيَّانَـا عِـداً آخِـرَ الدَّهْرِ[(٤)]

[٤/ ١٤١] / ومنه قول الآخر:

[الطويل] فقالت أَلَا يَا اسْـمَعْ أَعِظْـكَ بِخُطْبَةٍ فَقُلْتُ سَـمِعْنَا فانْطِقـي وَأَصِيبي[(٥)]

وتحتمل قراءَة من شَدَّد ﴿أَلَّا﴾ أَن نجعلها بمعنى التَّحْضيض، ويقدر هذا النداءُ بعدها، ويجيءُ في الكلام إِضمار كثير[(٦)] ولكنه متوجه، وسقطت الأَلف كما كتبت في: يا عيسى ويا قوم.

وقرأَ الأَعمش: (هَلَّا يَسْجُدونَ)، وفي حرف عبد الله بن مسعود: (أَلَا هَلْ تَسْجُدُونَ) بالتَّاءِ، وفي قراءَة أُبيٍّ: (أَلَّا تَسْجُدُوا) بالتاءِ أَيضاً[(٧)].

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) البيت لذي الرُّمَّة، كما في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١١٥)، والكامل للمبرد (١/ ١٢١)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٥٦٣)، والخصائص (٢/ ٢٨٠)، وفي الأصل بدل الشطر الأخير: إلخ البيت.

(٤) انظر عزوه له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩٠)، وتفسير الطبري (١٩/ ٤٤٨)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١١٥)، وطبقات فحول الشعراء (٢/ ٤٩٨)، في الأصل: «جنا قاعدا»، والبيتان سقطا من أحمد٣.

(٥) استشهد به في البحر المحيط (٨/ ٢٣٠)، ولم أجده لمن قبله، وكتبت في الأصل: «واصمتي»، سقطت «فقالت» أوله من المطبوع.

(٦) في المطبوع: «كبير».

(٧) وكلها شاذة، انظر الأولى في الشواذ للكرماني (ص٤٦٠)، والأخيرتين في البحر المحيط (٨/ ٢٢٩)، وفي مختصر الشواذ (ص١١٠) عنهما: (هلا تسجدوا)، و(هلا يسجدوا).

و﴿ٱلْخَبْءَ﴾: الخفيُّ من الأُمور، وهو من خبأْتُ الشيءَ، وخبْءُ السماءِ: مطرها، وخبْءُ الأَرض: كنوزُها ونباتُها.

واللفظة بعد هذا تعُمُّ كل خفي من الأُمور، وبه فسَّر ابن عباس(١).

وقرأ جمهور الناس: ﴿ٱلْخَبْءَ﴾ بسكون الباءِ، والهمز(٢).

وقرأ أُبيٌّ بن كعب: (الْخَبَ) بفتح الباءِ وترك الهمز(٣).

وقرأ عكرمة: (الْخَبَا) بالأَلف مقصورة(٤).

وحكى سيبويه أَن بعض العرب يقلب الهمزة إذا كانت في مثل هذا مفتوحة وقبلها ساكن يقلبها ألفاً، وإذا كانت مضمومة وقبلها ساكن قلبها واواً، وإِذا كانت مكسورة وقبلها ساكن(٥) قلبها ياءً، ومثَّل سيبويه في ذلك بالوَثْي، تقول: رأَيتُ الْوَثا، وهذا الوَثْوُ، وعجبت من الوَثْيِ، وكذلك يجيءُ «الْخَبا» في حال النَّصب، وتقول: اطلعت على الخَبِي، وراقني الخَبُو(٦).

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿ويعلم ما يخفون وما يعلنون﴾ بياءِ الغائب.

قال القاضي أَبو محمد: وهذه القراءَة تعطي أَن الآية من كلام الهدهد.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٢٦٨)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٢) في المطبوع: «بالهمز»، قال في الحاشية: لما كان من الممكن أن يفهم منها أن الكلمة بسكون الباء وسكون الهمز آثرنا زيادة الباء على كلمة «الهمز» حتى يتضح المعنى المقصود مباشرة، وهو أن الكلمة بالهمز لا بغير همز.

(٣) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص١١٠) لابن مسعود ومالك بن دينار.

(٤) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص٣٥٩).

(٥) ذكر في حاشية المطبوع أن الفقرة المتعلقة بالألف إنما زادها ليستقيم المعنى، مما يقتضي أنها ليست في أصوله، وسقطت: «وقبلها ساكن» من نجيبويه، وفي الأصل: «وقبلها ياء».

(٦) الكتاب لسيبويه (٤/ ١٧٩)، والوَثْي: الضرب حتى يرهص اللحم ويصل الضرب إلى العظم من غير كسر، وعبارة أكثر النسخ هنا: «بالوثا والوثو والوثي»، وبسط الأمثلة زيادة من المطبوع.

وقرأ الكسائي، وعاصم في رواية حفْص: ﴿تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ بتاءِ المخاطبة[1]، وهذه القراءَة تعطي أَن الآية من خطاب الله عزَّ وجلَّ لأُمة محمد ﷺ.

وفي مصحف ابن كعب: (أَلَّا تَسْجُدوا للَّهِ الذي يخرج الخَبْء من السماوات والأَرض ويعلم سِرَّكم وما تُعلنون)[2].

وخصَّ العرش بالذكر في قوله: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ لأَنه أَعظم المخلوقات، وما عداه في ضمنه وفي قبضته.

ثم إِن سليمان عليه السلام أَخَّر أَمر الهدهد إِلى أَن يتبيَّن له حقه من باطله، فسوَّفه بالنظر في ذلك، وأَمر بكتاب فكُتب، وحمَّله إِياه، وأَمره بإِلقائه إِلى القوم والتَّوَلِّي بعد ذلك.

وقال وهب بن منبه: أَمره بالتَّولِّي حُسْن أَدب ليَتَنَحَّى حسب ما يتأَدب به مع الملوك، بمعنى: وكن قريباً حتَّى ترى مراجعاتهم.

[وقال ابن زيد: أمره بالتولي بمعنى الرجوع إليه؛ أي: ألقه وارجع][3]، قال: وقوله: ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ في معنى التقديم على قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّ﴾[4].

قال القاضي أَبو محمد: واتِّساق رتبة الكلام أَظهر، أَي: أَلْقه ثمَّ تَوَلَّ، وفي خلال ذلك فانظر، وإِنما أَراد أَن يكل الأَمر إِلى حكم ما في الكتاب دون أَن يكون الرسول ملازمه وبلا إِلحاح.

وقرأ نافع: ﴿فَأَلْقِهِ﴾ بكسر الهاءِ، وفرقة: (فَأَلْقِهُ) بضمها.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٨).

(٢) وهي شاذة، الخطاب نقلها عنه الكرماني في شواذ القراءات (ص٣٦٠) بلفظ: «سركم وجهركم».

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) انظر القولين في تفسير ابن أبي حاتم (١٣/ ٧٨٩).

وقرأَ ابن كثير، وابن عامر، والكسائي بإِشباع ياء[(١)] بعد الكسرة في الهاءِ، وروى عنه ورش بياءٍ بعد الهاءِ في الوصل.

وقرأَ قوم بإِشباع واوٍ بعد الضمة.

وقرأَ اليزيدي عن أَبي عمرو، وعاصم، وحمزة: ﴿فَأَلْقِهْ﴾ بسكون الهاءِ[(٢)].

وروي عن وهب بن منبه في قصص هذه الآية: أَن الهدهد وصل فألفى[(٣)] دون هذه الملكة حجب جدران[(٤)]، فعمد إِلى كُوَّة كانت بلقيس صنعتها لتدخل منها الشمس عند طلوعها لمعنى عبادتها إِيَّاها، فدخل منها ورمى الكتاب على بلقيس وهي ـ فيما يُروى ـ نائمة، فلما انتبهت وجدته، فراعها وظنت أَنه قد دخل عليها أَحد، ثم قامت فوجدت حالها كما عهدته، فنظرت إِلى الكُوَّة تَهَمُّماً بأَمر الشمس فرأَت الهدهد فعلمت أَمره، ثم جمعت أَهل مملكتها وعِلْية قومها فخاطبتهم بما يأْتي بعد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤)﴾.

في هذا الموضع اختصار لما يدل ظاهر القول عليه، تقديره: فأَلْقى الكتاب وقرأَته وجمعت له أَهل ملكها، و﴿ٱلْمَلَؤُا۟﴾: أَشراف الناس الذين ينوبون مناب الجميع،

---

(١) ليست في المطبوع.

(٢) كلها متواترة كما في التيسير (ص: ١٦٨) إلا الضمة وإشباعها بواو فشاذ، نسبه في مختصر الشواذ (ص١١٠) لمسلم بن جندب.

(٣) في المطبوع والحمزوية ولالاليه ونور العمانية: «فألقى».

(٤) في الحمزوية ونجيبويه ولالاليه: «جدرات».

ووصفت الكتاب بالكرم، إِمَّا لأَنه من عند عظيم في نفسها ونفوسهم، فعظَّمته إِجلالاً لسليمان، وهذا قول ابن زيد[(١)]، وإِمَّا أَنها أشارت[(٢)] إِلى أَنه مطبوع عليه بالخاتم، ورُوي عن رسول الله ﷺ أَنه قال: «كرم الكتاب ختمه»[(٣)]، وإِمَّا أَنها أَرادت أَنه بدئ باسم الله [فكريم ضد أجذم][(٤)]، وقد[(٥)] قال ﷺ: «كل كلام لم يبدأ باسم الله تعالى فهو أَجذم»[(٦)].

ثم أَخذت تصف لهم ما في الكتاب، فيحتمل اللفظ أَنه نصُّ الكتاب موجزاً بليغاً، وكذلك كتب الأَنبياءِ، قدم فيه العنوان ـ وهي عادة الناس على وجه الدهر ـ ثم سمَّى الله تعالى، ثم أَمرهم أَلَّا يعلوا عليه طغياناً وكفراً، وأَن يأْتوه مُسْلِمِينَ، ويحتمل أَنها قصدت إِلى اقتضاب معانيه دون ترتيبه، فأَعلمتهم أَنه من سليمان، وأَن معناه كذا وكذا.

وقرأَ أُبيٌّ: (وأنْ باسم الله) بفتح الهمزة وتخفيف النون وحذف الهاءِ.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (أنه من)، (وأنه) بفتح الهمزة فيهما.

وفي قراءَة عبد الله: (وإنه من سليمان) بزيادة واو[(٧)].

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٤٥٢).

(٢) في المطبوع: «إِشاراتٌ»، وفي نجيبويه ولالاليه ونور العثمانية: «إشارة».

(٣) فيه متهم بالكذب، أخرجه الطبراني في الأوسط (٤/ ١٦٢)، من طريق محمد بن مروان السدي، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً به، ومحمد بن مروان السدي، متفق على تركه، وقد اتهم بالكذب، ينظر: ميزان الاعتدال (٤/ ٣٢).

(٤) سقط من المطبوع

(٥) في لالاليه ونور العثمانية وفيض الله ونجيبويه: «كما».

(٦) ضعيف جداً بلفظ التسمية، والمشهور بلفظ: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد»، أما اللفظ الوارد هنا فأخرجه بهذا اللفظ ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (١/ ٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد فيه أحمد بن محمد بن عمران ابن الجندي، وهو متروك الحديث، ينظر لسان الميزان (١/ ٣٨٧) وإرواء الغليل حديث رقم (١).

(٧) وكلها شاذة، الأولى والثالثة في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩١)، والثانية ذكرها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٦٠) عن الزجاج جوازاً، وعزا لابن أبي عبلة وجهين بفتح إحدى الهمزتين وكسر الأخرى.

و﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ استفتاح شريف بارع المعنى، مُعبَّر عنه بكل لغة، وفي كل شرع.

و(أَنْ) في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾ يحتمل أَن تكون رفعاً على البدل من ﴿كِتَٰبٌ﴾، أَو نصباً على معنى: بأَنْ لا تعلوا، أَو مفسِّرة بمنزلة أَيْ، قاله سيبويه[١].

وقرأَ وهب بن منبه: (أَلَّا تَغْلوا) بالغين منقوطة، قال أَبو الفتح: رواها وهب عن ابن عباس، وهي قراءَة أَشهب العقيلي، ذكرها الثعلبي[٢].

ثم أَخذت / في حُسْن الأَدب مع رجالها، ومشاورتهم في أَمرها، وأَعلمتهم أَن ذلك مطرد عندها في كل أَمْر، فكيف في هذه النازلة الكبرى، فراجعها الملأُ بما يقرُّ عينها من إِعلامهم إِياها بالقوة والبأْس، أَي: وذلك مبذول لك، فقاتلي إِن شئت، ثم سلَّموا الأَمر إِلى نظرها، وهذه محاورة حسنة من الجميع. [٤/ ١٤٢]

وفي قراءَة عبد الله: (مَا كُنْتُ قَاضِيَةً أَمْراً) بالضاد من القضاءِ[٣].

وذكر مجاهد في عدد أجنادها[٤] أَنها كان لها اثنا عشر أَلف قَيْل[٥]، تحت يد كل واحد مئة أَلف[٦].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا بعيد، وذكر غيرهُ نحوه فاختصرته لبعد الصحة عنه[٧].

---

(١) في المطبوع: «قال» على أن مقوله ما يأتي بعد، وهو خطأ، وانظر الكتاب لسيبويه (٣/ ١٦٢): باب ما تكون فيه أن بمنزلة أي.

(٢) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٣٩)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٤٣)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٠٦).

(٣) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩٢).

(٤) في المطبوع: «أَحشادها».

(٥) في الحمزوية: «قائد».

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٤٥٤).

(٧) في المطبوع: «لعدم صحته».

ثم أَخبرت بلقيس عند ذلك بفعل الملوك بالقرى التي يتغلبون عليها، وفي الكلام خوف على قومها، وحيطة لهم، واستعظام لأَمر سليمان عليه السلام.

وقالت فرقة: إِنَّ ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ هو من قول بلقيس تأْكيداً منها للمعنى الذي أَرادته.

وقال ابن عباس: هو من قول الله تعالى معرفاً لمحمد ﷺ وأُمَّته بذلك، ومخبراً به[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

رُوي أَن بلقيس قالت لقومها: إِني أُجرب هذا الرجل بِهَدِيَّةٍ أُعطيه فيها نفائس الأَموال، وأُغرب عليه بأُمور المملكة، فإِن كان مَلِكاً دنياويّاً أَرضاه المال فعملنا معه بحسب ذلك، وإِن كان نبيّاً لم يرضه المال، ولَازَمَنَا في أَمر الدين، فينبغي أَن نؤمن به ونتبعه على دينه، فبعثت إِليه بِهَدِيَّةٍ عظيمة أَكثَرَ بعضُ الناس في تفصيلها، فرأَيت اختصار ذلك لعدم صحته.

واخْتَبَرَتْ علمه ـ فيما رُوي ـ بأَن بعثت إِليه قدحاً فقالت له: امْلأْه لي مِمَّا ليس من الأَرْض ولا من السماء، وبعثت إِليه دُرَّة فيها ثقب محلزن[2] وقالت: تدخل سلكها دون أَن يقربها إِنسٌ ولا جان، وبعثت إِليه أُخرى غير مثقوبة وقالت: يثقب هذه غير الإِنس والجن، فمَلأَ سليمان القدح من عرق الخيل[3]، وأَدخلت السلك دودةٌ، وثقبت

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٥٥)، من طريق ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنه به وهذا منقطع، ورواه ابن أبي حاتم (١٧٠٨٥)، من طريق جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وجعفر ليس بقوي في سعيد بن جبير، ينظر: إكمال مغلطاي (٣/ ٢٣٣).

(٢) في المطبوع: «مخلوق»، وفي الأصل: «محلزق».

(٣) في المطبوع: «الجبل».

الدرَّة أَرَضة ماء[١]، وراجع سليمان عليه السلام في رَدِّ الهدية بما في الآية.

وعبَّر عن المرسلين بـ ﴿جَآءَ﴾ وبقوله: ﴿ٱرْجِعْ﴾ لَمَّا أَراد به الرَّسولَ الذي يقع على الجمع والإِفراد والتأْنيث والتذكير.

وقرأَ ابن مسعود: (فَلَمَّا جاؤُوا سُلَيْمَانَ)، وقرأَ: (ارْجِعُوا) [٢].

ووعيد سليمان لهم مقترن بدوامهم على الكفر، وذكر مجاهد أَنها بعثت في هديتها بعدد كثير من العبيد بين غلام وجارية، وجعلت زِيَّهم واحداً[٣]، وجربته في التفريق بينهم.

قال القاضي أَبو محمد: وليس هذا بتجربة في مثل هذا الأَمر الخطير.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿أَتُمِدُّونَنِي﴾ بنونين وياءٍ في الوصل.

وقرأَ ابن عامر، وعاصم، والكسائي: ﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾ بغير ياءٍ في وقف ووصل.

وقرأَ حمزة: ﴿أَتُمِدُّونِّي﴾ بشد النون وإِثبات الياءِ[٤].

وقرأَ عاصم: ﴿فما آتان الله﴾ بكسر النون دون ياءٍ.

وقرأَت فرقة: ﴿آتَانِي﴾ بياءٍ ساكنة.

وقرأَ أَبو عمرو، ونافع: ﴿ءَاتَىٰنِۦَ﴾ بياءٍ مفتوحة[٥].

ثم توعدهم بالجنود والغلبة والإِخراج، والمعنى: إِذا لم يُسْلموا.

---

(١) «ماء» ليست في المطبوع، إلا أنها كتبت في بعض المخطوطات دون همز: «ما».

(٢) وهما شاذتان، عزا الأولى له تفسير الطبري (١٩/ ٤٥٨)، وعزاهما له معاً معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩٣).

(٣) سقطت من لالاليه.

(٤) وكلها سبعية، ونافع مع ابن كثير، انظر: التيسير (ص: ١٧٠).

(٥) غير متقن، والقرءات السبعية ثلاث: إثباتها وصلًا مفتوحة ووقفاً، لحفص وقالون وأبي عمرو، وفتحها في الوصل وحذفها في الوقف لورش وحذفها في الحالين للباقين، انظر: التيسير (ص: ١٧٠).

وقرأ عبد الله: (لَا قِبَلَ لهم بهم) (١) على جمع ضمير الجنود.

و﴿ لَّا قِبَلَ ﴾ معناه: لا طاقة ولا مقاومة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.

القائل سليمان عليه السلام، والملأُ المنادى جمعه من الجن والإِنس.

واختلف المتأَولون في غرضه في استدعاءِ عرشها:

فقال قتادة: ذُكر له بِعِظَمٍ وجَوْدة، فأَراد أَخذه قبل أَن يعصمها وقومَها الإِسلامُ ويحمي أَموالهم(٢)، والإسلام ـ على هذا التأويل(٣) ـ الدِّينُ، وهو قول ابن جريج.

وقال ابن زيد: استدعاه لِيُرِيَها القدرة التي هي من عند الله، ولِيُغْرب عليها(٤)، و﴿ مُسْلِمِينَ ﴾ ـ في هذا التأْويل ـ هو بمعنى: مُسْتسلمين، وهو قول ابن عباس(٥)، وذكره صلةً في العبارة، ولا تأْثير لاستسلامهم في عرض(٦) سليمان، ويحتمل أَن يكون بمعنى: الإِسلام، [وأَما في التأْويل الأَول فيلزم أَن يكون بمعنى الإِسلام](٧).

---

(١) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩٣)، وتفسير الزمخشري (٣/ ٣٦٦).

(٢) عبارة تفسير الثعلبي (٧/ ٢١٠)، عنه: «لأنه أعجبته صفته لمّا وصفه الهدهد»، وقول ابن جريج فيه بلا نسبة.

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) عبارة تفسير الثعلبي (٧/ ٢١٠) عنه: «أراد أن يختبر عقلها».

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٦٣)، من طريق علي بن أبي طلحة، عنه، وفي حاشية المطبوع: في الأصول وهو قول ابن عبد الله!.

(٦) في الأصل: «غرض».

(٧) سقط من الأصل.

وظاهر هذه الآيات: أَن هذه المقالة من سليمان عليه السلام بعد مجيءِ هديتها وردِّه إِياها، وبعثه الهدهد بالكتاب، وعلى هذا جمهور المفسرين.

وحكى الطبري [عن ابن عباس][١] أَنه قال: [هذه المقالة ابتداء النظر في][٢] صدق الهدهد من كذبه لمَّا قال له: ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٌ﴾، قال سليمان: ﴿أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا﴾، ثم وقع في ترتيب القصص تقديم وتأْخير[٣].

قال القاضي أَبو محمد: والقول الأَول أَصح.

ورُوي أَن عرشها كان من ذهب وفضة مرصعاً بالياقوت والجوهر، وأَنه كان في جوف سبعة أَبيات عليه سبعة أَغلاق.

وقرأَ الجمهور: ﴿قَالَ عِفۡرِيتٌ﴾، وقرأَ أَبو رجاءٍ، وعيسى الثقفي: (قال عِفْرِيَةٌ)، ورُويت عن أَبي بكر الصديق رضي الله عنه[٤].

وقرأَت فرقة: (قال عِفر)[٥] بكسر العين[٦]، وكل ذلك لغات فيه.

وهو من الشياطين: القويُّ الماردُ، والتاءُ في ﴿عِفۡرِيتٌ﴾ زائدة، وقد قالوا: تَعَفْرَتَ الرجل إِذا تخلق بخلق الإِذاية، قال وهب بن منبه: اسم هذا العفريت كوذا[٧]، ورُوي

---

(١) ليست في المطبوع.
(٢) في المطبوع: «ذلك في اختباره».
(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٤٦٠).
(٤) وهي شاذة، انظر قراءة أبي رجاء مع الرواية عن أبي بكر في تفسير الثعلبي (٧/ ٢١٠)، ومع عيسى في المحتسب (٢/ ١٤١).
(٥) في المطبوع: «عفرة».
(٦) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (٨/ ٢٣٩)، وحكاها في مختصر الشواذ (ص: ١١١) لغة.
(٧) في المطبوع: «كوري»، وفي الحمزوية: «كودي»، وفي لالاليه: «كوفا»، وفي تفسير الطبري (١٩/ ٤٦٤) وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٨٤): عن وهب بن سليمان، عن شعيب الجبائي: كوزن، وفي معاني القرآن للنحاس (٥/ ١٣٣)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢١٠)، والهداية لمكي (٨/ ٥٤٣٠)، وتفسير البغوي (٣/ ٥٠٥): وهب غير منسوب.

عن ابن عباس: أَنه صخر الجني[١]، ومن هذا الاسم؛ قول ذي الرُّمَّة:

[البسيط] كَـأَنَّـهُ كَـوْكَـبٌ فـي إِثْـرِ عِـفْـرِيَـةٍ مُصَوَّبٌ في سوادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبُ[٢]

[٤/ ١٤٣] / وقوله: ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾، قال مجاهد، وقتادة، وابن منبه: معناه: [قبل قيامك من مجلس الحكم، وكان يجلس من الصبح إلى وقت الظهر في كل يوم، وقيل معناه:][٣] قبل أَن تستوي من جلوسك قائماً.

وقول[٤] الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾، قال ابن جبير، وقتادة: قبل أَن يصل إِليك من يقع طرفك عليه من أَبعد ما ترى، وقال مجاهد: معناه: قبل أَن تحتاج إِلى التَّغْمِيضِ، أَي: مُدَّة ما يمكنك أَن تَمُدَّ بصرك دون تغميض، وذلك ارتدادُه[٥].

قال القاضي أَبو محمد: وهذان القولان يقابلان قول من قال: إِن القيام هو من مجلس الحكم، ومن قال: إن القيام هو من الجلوس، فيقول في ارتداد الطَّرْف: هو أَن يطرف، أَي: قبل أَن تصلح[٦] عينيك وتفتحهما، وذلك أَن الثاني يعاطي الأَقصر في المدة ولا بُدَّ.

وقوله: ﴿لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ معناه: قَوِيٌّ على حملِه، أَمينٌ على ما فيه.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٠/ ٣٠٦)، للطبري، وابن أبي حاتم، ولم أجده عندهما، نعم، وجدت الطبري روى في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾، عن ابن عباس قال: هو صخر الجني، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٢) انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٧٧٤)، ومجاز القرآن (٢/ ٩٤)، والمعاني الكبير في أبيات المعاني (٢/ ٧٣٨).

(٣) سقط من المطبوع، وفيه هنا تقديم وتأخير ربما يؤثر في نسبة الأقوال إلى أصحابها.

(٤) في المطبوع: «وقال».

(٥) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (١٩/ ٤٦٧)، وتفسير ابن فورك (١/ ٢٩٩).

(٦) في المطبوع: «تُغْمِضَ»، مع الإشارة للنسخة الأخرى.

ويُروى أَن بلقيس لما فصلت من بلدها متوجهة إِلى سليمان عليه السلام، تركت العرش [تحت أقفال وثقاف حصين][(١)]، فلما علم سليمان بانفصالها أَراد أَن يُغْرب عليها بأَن تجد عرشها عنده ليبين لها أَن مُلْكه لا يُضَاهى، فاستدعى سَوْقَه، فدعا الذي عنده[(٢)] علم من التوراة ـ وهو الكتاب المشار إِليه ـ باسم الله الأَعظم الذي كانت العادة في ذلك الزمان أَلَّا يدعو به أَحد إِلَّا أُجيب، فشُقت الأَرض بذلك العرش حتى نبع بين يديْ سليمان عليه السلام، وقيل: بل جيءَ به في الهواءِ.

قال مجاهد: وكان بين سليمان وبين العرش كما بين الكوفة والحيرة[(٣)].

وحكى الرماني أَن العرش حُمل من مأْرب إِلى الشام في قدر رجع البصر[(٤)].

قال القاضي أَبو محمد: وهو مسيرة شهرين للمُجِدِّ، وقول مجاهد أَشهر[(٥)].

ورُوي أَن الجن كانت تخبر سليمان عليه السلام بمناقل سريرها، فلما قربت قال: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾؟

واختلف المفسرون في الذي عِنْدَهُ عِلْمٌ من الكتاب، من هو؟

فجمهور الناس على أَنه رجل صالح من بني إِسرائيل اسمه آصِف بن برخيا، رُوي أَنه صلى ركعتين ثم قال لسليمان: يا نبي الله امدُد بصرك، فمَدَّ بصره نحو اليمن فإِذا بالعرش، فما ردَّ سليمان بصره إِلَّا والعرش عنده، وقال قتادة: اسمه بليخا[(٦)].

وقال إِبراهيم النَّخَعي: هو جبريل عليه السلام[(٧)].

---

(١) في المطبوع: «تحت سقف حصين».
(٢) ليست في المطبوع، وبناء على سقوطها ضبطت علم على أنها فعل ماض.
(٣) نقله تفسير القرطبي (١٣/ ٢٠٦).
(٤) مثله في تفسير الطبري (١٩/ ٤٦٨).
(٥) في لالاليه: «شهر».
(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٤٦٥)، وفي المطبوع والحمزوية ونور العثمانية ولالاليه: «مليخا».
(٧) معاني القرآن للنحاس (٥/ ١٣٤).

وقال ابن لهيعة: هو الخضر[١].

وحكى النقاش عن جماعة أَنهم سمعوا أَنه ضبَّة بن [أُدٍّ، جَدُّ][٢] بني ضبة من العرب، قالوا: وكان رجلاً فاضلاً يخدم سليمان على قطعة من خيله[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قولٌ ضعيف.

وقالت فرقة: بل هو سليمان عليه السلام، والمخاطبة ـ في هذا التأْويل ـ للعفريت، لما قال هو: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ أَن سليمان عليه السلام استبطأَ ذلك فقال له على جهة تحقيره: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾، واستدل قائل هذا القول بقول سليمان: ﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي﴾، واستدلَّ أَيضاً بهذا القول مناقضُه؛ إِذْ في كلا الأَمرين على سليمان فضلٌ من الله[٤] تعالى.

وعلى الأَقوال الأُوَل: المخاطبةُ لسليمان عليه السلام، ولفظ ﴿ءَاتِيكَ﴾ يحتمل أَن يكون فعلاً مستقبلاً، ويحتمل أَن يكون اسم فاعل، وفي الكلام حذف تقديره: فدعا باسم الله تعالى فجاءَ العرش بقدرة الله تعالى، فلما رآه سليمان مستقراً عنده جعل يشكر نعمة ربِّه بعبارة فيها تعليم للناس، وهي عرضة للاقتداءِ بها والاقتباس منها.

وقال ابن عباس: المعنى: أَأَشْكر على السرير وسوقه أَمْ أَكفر إِذ رأَيت من هو دوني في الدنيا أَعلم منِّي؟[٥].

وظهر العامل في الظرف من قوله: ﴿مُسۡتَقِرًّا﴾، وهذا هو المقدَّر أَبداً في كل ظرف جاءَ هنا مُظْهَراً، وليس في كتاب الله تعالى مثله، وباقي الآية بيِّن.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٨٥).
(٢) في لالاليه: «آدم أحد».
(٣) مثله في تفسير الثعلبي (٧/ ٢١١).
(٤) في المطبوع: «علم سليمان فضل الله».
(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٦٨)، من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

أَراد سليمان عليه السلام في هذا التَّـنْكير تجربة ميزها ونظرها، وليزيد في الإِغراب عليها، وروت فرقة: أَن الجن أَحسَّت من سليمان أَو ظنَّت به أَنه ربما تزوج بلقيس، فكرهوا ذلك، وعابوها[1] عنده بأَنها غير عاقلة ولا مميزة، وبأَن رجلها كحافر دابَّة، فجرَّب عقلها وميزها بتنكير عرشها، وجرَّب أَمر رجلها بأَمر الصرح لتكشف عن ساقها عنده.

وقرأَ أَبو حيوة: (نَنْظُرُ) بضم الراءِ[2].

و«تنكير العرش»: تغيير وضعه[3] وستر بعضه ونحو هذا، وقال ابن عباس[4]، ومجاهد، والضحاك: تنكيره بأَن زيد فيه ونقص منه[5].

ويعترض هذا بأَن من حقِّها ـ على هذا ـ أَن تقول: ليس به وتكون صادقة.

وقولها: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ تجوُّز[6] فصيح، ونحوه قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

---

(١) في المطبوع: «ورَمَوْها»، وفي الحمزوية وأحمد٣: «ظلموها»، وفي نجيبويه: «وطلبوها».

(٢) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص١١٠).

(٣) في المطبوع: «وصفه».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٤٠٩)، من طريق الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وفيه عنعنة الأعمش، والمنهال فيه لين، وأخرجه كذلك الطبري (١٩/ ٤٦٩)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، به.

(٥) تفسير الطبري (١٩/ ٤٦٩).

(٦) في المطبوع وفيض الله ونجيبويه: «تحرز».

وقال الحسن بن الفضل[(١)]: شبَّهوا عليها فشبهت عليهم[(٢)]، ولو قالوا: هذا عرشك؟ لقالت: نعم، وفي الكلام حذف تقديره: [كأنه هو][(٣)].

وقال سليمان عليه السلام عند ذلك: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ الآية، وهذا منه على جهة تعديد نعم الله تعالى، [وإنما قال ذلك لما علمت هي وفهمت، ذكر هو نعمة الله][(٤)] عليه وعلى آبائه.

وقوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا﴾ الآية، يحتمل أَن يكون من قول نبي الله سليمان عليه السلام، ويحتمل أَن يكون من قول الله تعالى إِخباراً لمحمد ﷺ[(٥)].

و«الصَّادُّ»: ما كانت تعبد، أَي عن الإِيمان ونحوه، قال الرماني: عن التَّفَطُّن للعرش[(٦)]؛ لأَن المؤمن فطن[(٧)] يقظ والكافر خشيب[(٨)]، أَو يكون الصادُّ سليمان / [٤/ ١٤٤] عليه السلام، قاله الطبري[(٩)]، أَو يكون الصَّادُّ الله عزَّ وجلَّ.

ولما كان (صدَّها) بمعنى مَنَعَهَا تجاوز ـ على هذا التأْويل ـ بغير حرف جرٍّ، وإِلَّا فبابه أَلَّا[(١٠)] يتعدى إِلَّا بـ«عَنْ».

---

(١) هو الحسن بن الفضل بن السمح، أبو علي الزعفراني البوصرائي، عن: مسلم بن إبراهيم، وأبي معمر النقري، وعنه: ابن صاعد، وإسماعيل الصفار، وأحمد بن عثمان الأدمي، وجماعة، قال ابن المنادى: مات ٢٨٠هـ، تاريخ الإسلام (٢٠/ ٣٣٤).

(٢) تفسير الثعلبي (٧/ ٢١٢).

(٣) سقط من أحمد٣، وفي المطبوع بدلًا منه: «فنكَّروا عرشها، ونظروا ما جوابها إِذا سُئِلت عنه، فلما جاءَت قيل: أَهكذا عرشك؟».

(٤) سقط من المطبوع.

(٥) الاحتمال الأول ساقط من الأصل، والثاني ساقط من نجيبويه.

(٦) نقله عنه في البحر المحيط (٨/ ٢٤٣).

(٧) من المطبوع.

(٨) في المطبوع: «خبيث».

(٩) ولفظه في تفسيره (١٩/ ٤٧٢): «ولو قيل وصدّها سليمان... بمعنى منعها وحال بينها وبينه، كان وجها حسناً».

(١٠) في المطبوع: «فإِنه لا».

وقرأ جمهور الناس: ﴿إِنَّهَا﴾ بكسر الهمزة.

وقرأ سعيد بن جُبير، وابن أَبي عبلة: (أَنَّهَا) بفتح الهمزة[١]، وهو على تقدير: ذلك أَنَّهَا، أَو على البدل من ﴿مَا﴾.

قال محمد بن كعب القرظي وغيره[٢]: ولما وصلت بلقيس: أَمَرَ سليمان عليه السلام الجِنَّ فصنعت له صرحاً، وهو [السطح في][٣] الصحن من غير سقف، وجعلته متيناً[٤] كالصهريج، ومُلِئَ ماءً، وبث فيه السمك والضفادع، وطُبِّق بالزجاج الأبيض[٥] الشَّفَّاف، وبهذا جاءَ صرحاً، والصَّرْح أَيضاً كل بناءٍ عالٍ، وكل هذا من التصريح، وهو الإِعلان البالغ، وجُعل لسليمان في وسطه كرسيٌّ، فلما وصلته بلقيس قيل لها: ادخلي إِلى النبي ﷺ، فرأَت اللجة وفزعت وظنت أَنه قصد بها الغرق، وعجبت من كون كرسيه على الماءِ، ورأَت ما هالَهَا، ولم يكن لها بُدٌّ من امتثال الأَمر فكشفت عن ساقيها، فرأَى سليمان ساقيها سليمة غير أَنَّها كثيرة الشَّعر، فلمَّا بلغت هذا الحدّ قال لها سليمان: ﴿إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَ﴾[٦].

و«المُمَرَّد»: المحكوك المملس، ومنه: الأَمْرَدُ، والشجرةُ المَرْدَاءُ: التي لا ورق عليها، والمُمَرَّدُ أَيضاً: المُطَوَّل ومنه قيل للحصن: ماردٌ، وعند ذلك استسلمت بلقيس وأَذعنت وأَسلمت، وأَقرت على نفسها بالظلم، فيروى أَن سليمان تزوجها عند ذلك وأَسكنها الشام، قاله الضحاك[٧].

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ٣٦٠).

(٢) «وغيره» ليست في المطبوع، وفيه قاله محمد، على أنه مقوله ما تقدم.

(٣) سقط من الأصل، وسقط من الحمزوية إلى: «وجعلته».

(٤) في لالاليه ونور العثمانية: «مبنيا».

(٥) ليست في المطبوع.

(٦) انظر كلامه بالمعنى في تفسير الطبري (١٩/ ٤٧٣).

(٧) نقله تفسير القرطبي (١٣/ ٢٠٩)، والقول في تفسير ابن فورك (١/ ٣٠٥) بلا نسبة، وفي تفسير الثعلبي (٧/ ٢١٤) عن ابن عباس.

وقال سعيد بن عبد العزيز في كتاب النقَّاش: تزوجها وردَّها إِلى مُلْكها باليمن، وكان يأْتيها على الريح كل شهر مرة، فولدت له ولداً أَسماه داود، مات في حياته[(١)].

و﴿مَعَ﴾ ظرف، وقيل: حرف بُني على الفتح، وأَمَّا إِذا سُكِّنت العَيْن فلا خلاف أَنه حرفٌ جاءَ لمعنى.

وقرأَ ابن كثير وحده ـ في رواية الإِخريط ـ: ﴿عن سأقيها﴾ بالهمز[(٢)]، قال أَبو عليٍّ: وهي ضعيفة، وكذلك يضعف الهمز في قراءَة قنبل: (يكشف عن سأْق) [القلم: ٤٢]، وأَما همز ﴿بِالسُّؤْقِ﴾ [صٓ: ٣٣]، و﴿على سؤقه﴾ [الفتح: ٢٩] فلغة[(٣)] مشهورة في همز الواو التي قبلها ضمة، حكى أَبو عليٍّ أَن أَبا حيَّةَ النُّمَيْرِيَّ كان يهمز كلَّ واو قبلها ضمَّة، وأَنشد:

[الوافر] أَحَبُّ المؤْقدان إِلَيْكَ مُؤْسَى[(٤)] ....

وَوَجْهُهَا أَن الضمة تقدر على الواو إِذ لا حائل بينهما.

وقرأَ ابن مسعود: (عَنْ رجليها)[(٥)].

ورُوي أَن سليمان عليه السلام لما أَراد زوال شَعْر ساقيها أَشفق من حمل الموسى عليها، وقيل: إِنها قالت: ما مَسَّنِي حديد قط، فأَمر الجن بالتَّلَطُّف في زواله فصنعوا النُّورَةَ، ولم تكن قبل في الأُمم.

---

(١) نقله عنه تفسير القرطبي (١٣/ ٢١٠).

(٢) وهي سبعية، من رواية قنبل هنا وفي حرفي الفتح وص، كما في التيسير (ص: ١٦٨)، والسبعة (ص: ٤٨٣) وفيه: أبو الإخريط، قال: ولم يهمز أحد ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]، وانظر قول أبي علي في الحجة له (٥/ ٣٩٢).

(٣) سقطت من الأصل.

(٤) هذا صدر بيت لجرير وعجزه: وَجَعْدَةَ إِذْ أَضَاءَهُمَا الْوَقُودُ، انظر عزوه له في المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٥٢٦)، والمحتسب (١/ ٤٧)، ولسان العرب (١٠/ ١٦٩)، وتاج العروس (٢٥/ ٤٨٢).

(٥) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩٥)، وفي المطبوع ولالاليه: «رِجْلِهَا».

وهذه الأُمور التي فعلها سليمان عليه السلام: من سَوْق العرش، وعمل الصَّرْح، وغير ذلك، قصد بها معاياتها[١] والإغرابَ عليها، كما سلكتْ هي قبْلُ سبيل ملوك الدنيا في ذلك بأَن أَرسلت الجواري والغلمان، واقترحت في أَمر القَدَح والدُّرَّتَيْن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

هذه الآية على جهة التمثيل لقريش، و﴿أَنِ﴾ من قوله: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يحتمل أَن تكون مُفَسِّرَة، ويحتمل أَن تكون في موضع نصب، والتقدير: بأَن اعبدوا الله.

و﴿فَرِيقَانِ﴾ يريد بهما: من آمن بصالح ومن كفر به، و«اخْتِصَامُهُم»: تنازُعهم وجدلهم[٢]، وقد ذكره اللهُ تعالى في سورة الأَعراف.

ثم إِن صالحاً تلطَّف بقومه، وترفَّق بهم في الخطاب، فوقفهم على خطابهم[٣] في استعجالهم العذاب [قبل الرحمة، والمعصية لله تعالى قبل الطاعة، وفي أن يكون اقتراحهم وطلبهم][٤] يقتضي هلاكهم ثم حضهم على ما هو أيسر[٥] من ذلك وأَعْود بالخير، وهو الإِيمان وطلب المغفرة ورجاءُ الرحمة، فخاطبوه ـ عند ذلك ـ بقول سَفْسَاف، معناه: تَشَاءَمْنا بك، قال المفسرون: وكانوا في قحط فجعلوه لذات صالح عليه السلام.

وأَصل «الطِّيَـرَةِ»: ما تعارفه أَهل الجهل من زَجْر الطَّيْر، وشبَّهت العرب ما عنَّ

(١) «معاياتها» ليست في المطبوع.
(٢) في المطبوع: «وحدهم».
(٣) في المطبوع والأصل: «خطئهم».
(٤) سقط من المطبوع، وفيه: «مما يقتضي».
(٥) في المطبوع: «أَسرُّ».

بما طار حتى سُمي[١] ما حصل للإنسان في فزعه ونحوه طائراً، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣]، وخاطبهم صالح ببيان الحق، أَي: طائركم على زعمكم وتسميتكم، وهو حَظُّكُم في الحقيقة، من تعذيب أَو إِعفاءٍ هو عند الله تعالى، وبقضائه وقدره، وإِنما أنتم قوم تختبرون، وهذا أَحد وجوه الفتنة، وقد يحتمل أَن يريد: بل أَنتم قوم تولعون بشهواتكم، وهذا معنى قد تعورف استعمال لفظ الفتنة منه، ومنه قولك: فُتِن فلانٌ بفلان، وشاهد ذلك كثير.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾.

ذكر الله تعالى في هذه الآية تسعة رجال كانوا من أَوجه القوم وأَقناهم وأَغناهم، وكانوا أَهل كفر ومعاص جَمَّة، جملة أَمرهم أَنهم يُفْسِدُونَ في الأَرض وَلا يُصْلِحُونَ.

قال عطاءُ بن أَبي رباح: بلغني أَنهم كانوا يقرضون الدنانير والدراهم[٢].

وهذا نحو الأَثر المروي: قطع الدنانير والدراهم من الفساد في الأَرض[٣].

و﴿ٱلْمَدِينَةِ﴾: مجتمع ثمود وقريتهم.

و«الرَّهْطُ»: من أَسماءِ الجمع القليل، العشرة فما دونها، و﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ كما

---

(١) في المطبوع: «حتى حصل، سمي»، وحصل هنا زائدة خطأ.

(٢) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٧٩)، تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٠١).

(٣) هو من قول سعيد بن المسيب، أخرجه مالك في الموطأ (١٣٠٧) عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد ابن المسيب به. وإسناده صحيح.

تقول: تسعة رجال، وهؤلاءِ المذكورون كانوا أَصحاب قدار [بن سالف][١]: عاقر الناقة، وقد / تقدم في غير هذا الموضع ما ذُكر في أَسمائهم. [٤/ ١٤٥]

وقوله تعالى: ﴿تَقَاسَمُواْ﴾، حكى الطبري أَنه يجوز أَن يكون فعلاً ماضياً في موضع الحال[٢]، كأَنه قال: متقاسمين، أَو متحالفين بالله، وكأَن[٣] قولهم: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ حَلِفٌ.

ويؤيد هذا التأْويل أَن في قراءَة عبد الله: (وَلَا يُصْلِحُونَ، تَقَاسَمُوا) [٤] بسقوط ﴿قَالُواْ﴾.

ويحتمل ـ وهو تأْويل الجمهور ـ أَن يكون ﴿تَقَاسَمُواْ﴾ فعل أَمر، أَشار بعضهم على بعض بأَن يتحالفوا على هذا الفعل بصالح، فـ﴿تَقَاسَمُواْ﴾ هو قولهم على هذا التأْويل، وهذه الأَلفاظ الدالة على قسم أَو حلف تجاوب[٥] باللام وإِن لم يتقدم قَسَم ظاهر، فالَّلام في ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ جوابُ ذلك.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ بالنون، ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ بنون وفتح اللام[٦].

[وقرأَ الأعمش وطلحة وابن وثاب: (لتبيتنه) بالتاء مضمومة فيهما (ثم ليقولن) بالياء وضم اللام[٧].

وفي قراءة عبد الله: (ثم لتقسمن ما شهدنا)][٨].

---

(١) من المطبوع.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٤٧٨).

(٣) من المطبوع، وفي لالاليه: «وكل قولهم»، وفي النسخ الخطية الأخرى: «وكان».

(٤) وهي شاذة، انظرها في: تفسير الطبري (١٩/ ٤٧٨)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩٦).

(٥) في المطبوع: «جواب».

(٦) وفتح اللام ليست في المطبوع، وفيه بالنون فيهما، وهذه القراءة متواترة للسبعة إلا حمزة والكسائي.

(٧) وهي شاذة، عزا لهما الثعلبي (٧/ ٢١٦) مثل قراءة حمزة، وعزا قراءتهما لمجاهد وحميد، وزاد في الشواذ للكرماني (ص: ٣٦١): «الحسن».

(٨) سقط من المطبوع، وهي شاذة إن كانت، ولم أجد للمؤلف فيها سلفاً ولا خلفاً.

[وقرأ حمزة، والكسائي ﴿لتبيتُنه﴾ بالتاءِ[١] ﴿ثم لتقولُنَّ﴾ بالتاء وضم اللام وهي قراءة الحسن وحميد][٢]، فهذا ذَكَرَ اللهُ فيه المعنى الذي أَرادوه لا بحسب لفظهم.

وروي في قصص هذه الآية أَن هؤلاءِ التسعة لما كان في صدر الثلاثة الأَيام بعد عقر الناقة وقد أَخبرهم صالح بمجيءِ العذاب، اتفق هؤلاءِ التسعة فتحالفوا على أَن يأْتوا دار صالح ليلاً فيقتلوه وأَهله المختصين به، قالوا: فإِن كان كاذباً في وعيده أَوقعنا به ما يستحق، وإِن كان صادقاً كنا قد أَعجلناه قبلنا وشفينا نفوسنا.

قال الـراوي[٣]: فجاؤُوا واختفوا لذلك في غار قريب من داره، فروي [أَنه انحدرت عليهم صخرة شدختهم جميعاً، ورُوي][٤] أَنها طبقت عليهم الغار فهلكوا فيه حين هلك قومهم، وكل فريق لا يعلم بما جرى على الآخر، وكانوا قد بنوا على جحود الأَمر من قرابة صالح الذين يمكن أَن يغضبوا له، فهذا كان مكرهم.

و«المكر»: نحو الخديعة، وسمَّى الله تعالى عقوبتهم باسم ذنبهم، وهذا مَهْيَع، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، وغير ذلك.

وقرأ الجمهور: ﴿مُهْلَك﴾ بضم الميم وفتح اللام، وقرأ عاصم في رواية أَبي بكر بفتحهما، ورُوي عنه بفتح الميم وكسر اللام[٥].

و«العَاقِبَةُ»: حالٌ تقتضيها البدأَة وتؤدي إِليها بواجب[٦].

---

(١) في لالاليه: «بالياء»، وسقطت قراءة عبد الله وحمزة والكسائي من نور العثمانية وفيض الله.

(٢) وهي سبعية كالأولى، انظر: التيسير (ص: ١٦٨)، والسبعة (ص: ٤٨٣)، ولم أجد من عزاها لحميد، وقد جاءت الفقرة في المطبوع هكذا: «وقرأ الحسن، وحمزة، والكسائي بالتاءِ فيهما، وبِضَمِّ التَّاءِ واللام على الخطاب، أَي: تخاطبوا بذلك، وقرأ مجاهد، وحميد بن قيس بالياءِ فيهما على الخبر، وهذا أقرب للصحة».

(٣) في الأصل: «الداودي».

(٤) سقط من أحمد٣، وفي المطبوع: «سدحتهم».

(٥) وهي رواية حفص، والثلاث سبعية، التيسير (ص: ١٤٤).

(٦) ليست في المطبوع.

ويعني بـ«الأَهل»: كل من آمن معه، قاله الحسن(١).

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿إنا دمرناهم﴾ بكسر الأَلف، وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ﴾ بفتح الهمزة، وهي قراءَة الحسن وابن أَبي إِسحاق(٢).

فـ﴿كَانَ﴾ ـ على قراءَة الكسر في الأَلف ـ تامَّة، وإِن قُدِّرت ناقصة فخبرها محذوف، أَو يكون الخبر ﴿كَيْفَ﴾ مقدماً؛ لأَن صدر الكلام لها، ولا يعمل ـ على هذا ـ (انْظُرْ) في ﴿كَيْفَ﴾، لكن يعمل في موضع الجملة كلها، وهي على قراءَة فتح الأَلف ناقصة، وخبرها ﴿أَنَّا﴾، ويجوز أَن يكون الخبر ﴿كَيْفَ﴾، ويكون ﴿أَنَّا﴾ بدلاً من العاقبة، ويجوز أَن تكون ﴿كَانَ﴾ تامة و﴿أَنَّا﴾ بدلاً من العاقبة، ووقع تقرير(٣) السؤال بـ﴿كَيْفَ﴾ عن جملة قوله: ﴿كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ﴾، [وليس بمحض سؤال ولكنه حقه أن يسأل عنه، والتدمير الهلاك، ويحتمل أن تتقدر ﴿كَانَ﴾ تامة على قراءة الفتح، وغيره أظهر](٤).

وقرأَ أُبي بن كعب: (أَنْ دَمَّرْنَاهُمْ) (٥)، فهذه تؤيد قراءَة الفتح في ﴿أَنَّا﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

(١) لم أجده.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٦٨)، والعزو للباقين في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٤٧).

(٣) في المطبوع والحمزوية ولالاليه: «تقدير».

(٤) سقط من المطبوع.

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٤٨).

إخواء[١] البيوت وخرابها مما أَخبر الله تعالى به في كل الشرائع أَنه مما يعاقب به الظلمة، وفي التوراة: ابن آدم، لا تظلم، يخرب بيتك.

و﴿خَاوِيَةً﴾: نصب على الحال التي فيها الفائدة، ومعناها: الخالية قفراً.

قال الزَّجاج: وقرئت (خَاوِيَةٌ) بالرفع[٢]، وذلك على الابتداءِ المضمر، والتقدير: هي خاوية، أَو عن الخبر عن ﴿تِلْكَ﴾ و﴿بُيُوتُهُمْ﴾ بدلٌ، أَو على خبر ثان.

وهذه البيوت المشار إِليها هي التي قال فيها النبي ﷺ عام تبوك: «لا تدخلوا على هؤلاءِ المعذبين إِلَّا أَن تكونوا باكين» الحديث[٣].

ثم قال تعالى: ﴿وَلُوطًا﴾، تقديره: واذكر لوطاً، و﴿الْفَاحِشَةَ﴾: إِتيان الرجال في الأَدبار، و﴿تُبْصِرُونَ﴾ معناه: بقلوبكم أَنها خطيئة وفاحشة، وقالت فرقة: تبصرون بأَبصاركم؛ [لأنهم كانوا يتكشفون][٤] بفعل ذلك ولا يستتر بعضكم من بعض.

واختلف القراءُ في قوله: ﴿أَئِنَّكُمْ﴾، وقد تقدم.

وقرأَ جمهور الناسِ: ﴿جَوَابَ﴾ نصباً، وقرأَ الحسن، وابن أَبي إِسحاق: (جَوَابُ) بالرفع، ونسب ابن جني قراءَة النصب إِلى الحسن، وفسَّرها في الشَّاذِّ[٥].

---

(١) سقطت من نور العثمانية، وفي المطبوع: «أمر»، وفي الحمزوية وفيض الله: «إقواء»، وفي أحمد٣: «إخواؤها وإقواؤها»، وفي لالاليه: «أندر».

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٢٥) بلا عزو، وهي شاذة، نسبها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٦١) لزيد بن علي.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٢٣)، ومسلم (٢٩٨٠)، كلاهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٤) في المطبوع: «لأنكم تتكشفون».

(٥) وهي شاذة، عزاها لهما في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٤٨)، وللحسن في الشواذ للكرماني (ص: ٣٦١)، وفي المطبوع: قراءة الرفع، وهو الموافق لما في المحتسب (٢/ ١٤٠) ولفظه: ومن ذلك قراءة الحسن: (فَمَا كَانَ جَوَابُ قَوْمِهِ)، برفع الباء، أو لعل الخطأ من ابن عطية.

وأَخبر الله تعالى عن قوم لوط أَنهم تركوا في جوابهم طريق الحجة، وأَخذوا بالمغالبة(١)، فتآمروا بإِخراجه وإِخراج من آمن معه، ثم ذمُّوهم بمدحة وهي التَّطهُّر من هذه الدناءَة التي هم أَصفقوا عليها، قال قتادة: عابوهم والله بغير عيب(٢).

وقرأَ عاصم ـ في رواية أَبي بكر ـ: ﴿قَدَرْنَاهَا﴾ بتخفيف الدال.

وقرأَ جمهور القراءِ ﴿قَدَّرْنَـٰهَا﴾ بشد الدَّال(٣).

والأُولى بمعنى: جعلناها وحصلناها، والثانية بمعنى: قدَّرنا عليها، من القضاء والقدر.

و«الغابرون»: الباقون في العذاب، وغَبَـرَ: بمعنى بَقِيَ، وقد يجيءُ أَحياناً في بعض كلام العرب ما يوهم أَنه بمعنى مَضَى، وإِذا تُؤمل توجه حمله على معنى البقاءِ، والمطر الذي أُمطر عليهم هو حجارة السجيل(٤) أَهلكت جميعهم.

وهذه الآية أَصل لمن جعل من الفقهاءِ الرَّجم في اللوطية(٥)، وبها تأَنَّس لأَن الله تعالى عذَّبهم على كفرهم به، وأَرسل عليهم الحجارة لمعصيتهم، ولم يقس هذا القول على الزِّنا فيعتبر الإِحصان، / بل قال مالك وغيره: يرجمان في اللُّوطية أُحصنا أَو لم يُحْصنا(٦)، وإِنما [٤/ ١٤٦]
وَرَدَ عن النبي ﷺ: «اقتلوا الفاعل والمفعول به»(٧)، فذهب من ذهب إِلى رجمهما بهذه الآية.

---

(١) في الأصل: «وأخبروا بالمبالغة».

(٢) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٨٠)، تفسير الطبري (١٢/ ٥٥٠).

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٦).

(٤) في المطبوع وأحمد٣ والحمزوية: «السِّجِّين».

(٥) قال الثعلبي في تفسيره (٤/ ٢٥٩): وروى أبو اليمان الحكم بن نافع الحمصي عن صفوان بن عمر قال: كتب عبد الملك بن مروان إلى ابن حبيب قاضي حمص سأله كم عقوبة اللوطي فكتب أن عليه أن يرمى بالحجارة كما رجم قوم لوط فإن الله تعالى قال: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ وقال: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ فقبل عبد الملك ذلك منه واستحسنه.

(٦) المدخل لابن الحاج (٣/ ١١٥).

(٧) منكر، أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٤٦٤)، وأبو داود (٤٤٦٢)، والترمذي (١٤٥٦)، وفي علله الكبير =

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾.

قرأ أبو السمال: (قلَ) بفتح اللام، وكذلك في آخر السورة[١].

وهو ابتداءُ تقرير وتثبيت لقريش، وهو بعد يعم كلَّ مكلف من الناس جميعاً، وافتتح ذلك بالقول بحمده وتمجيده[٢] وبالسلام على عباده الذين اصطفاهم للنبوة والإيمان، وهذا اللفظ عام لجميعهم من ولد آدم، وكأن هذا صدر خطبة للتقرير المذكور.

وقال ابن عباس: العبادُ المُسَلَّم عليهم هم أَصحاب النبي ﷺ، واصطفاهم لنبيِّه[٣].

= (٤٢٧)، وابن عدي (٥/ ١١٧)، كلهم من طريق عمرو بن أبي عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً به، قلت: وهذا إسناد ضعيف، من أجل عمرو بن أبي عمرو، قال الترمذي في العلل الكبير، بعد روايته لحديث عمرو هذا: سألت محمداً ـ يعني: البخاري ـ عن حديث عمرو بن أبي عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس؟ فقال: عمرو بن أبي عمرو صدوق، ولكن روى عن عكرمة مناكير، ولم يذكر في شيء من ذلك أنه سمع عن عكرمة، ونقل الحافظ ابن حجر في التلخيص (٤/ ٥٤) عن النسائي أنه استنكر هذا الحديث، وعن ابن معين قال: عمرو بن أبي عمرو ثقة ينكر عليه حديث عكرمة، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال: «اقتلوا الفاعل والمفعول به».

(١) الآية (٩٣)، وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٣٦١)، وأشار لها في المحتسب (١/ ٥٥)، بلا نسبة.

(٢) في الأصل: «وتحميده»، والحمزوية: «توحيده».

(٣) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (١٩/ ٤٨٢)، وابن أبي حاتم (١٦٤٩٥)،، كلاهما من طريق الحكم ابن ظهير، عن السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وهذا إسناد ضعيف جداً، من أجل الحكم بن ظهير، وهو الفزاري، ابن أبي ليلى الكوفي، متفق على تركه، ينظر: تهذيب الكمال (٧/ ٩٩).

قال القاضي أَبو محمد: وفي هذا الاختصاص توبيخ للمعاصرين من الكفار.

وقال الفراءُ: الأَمر بالقول في هذه الآية هو لِلُوطٍ عليه السلام[١]، قال المفسرون: وهذه عجمة من الفَرَّاءِ رحمه الله[٢].

ثم وقف قريشاً والعربَ ـ على جهة التوبيخ ـ على موضع التَّبايُن بين الله عزَّ وجلَّ وبين الأَوثان والأَنصاب.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿تُشرِكُونَ﴾ بالتاءِ من فوق، وحكى المهدوي عن أَبي عمرو، وعاصم: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بالياءِ من تحت[٣].

وفي هذا التفضيل بلفظة ﴿خَيْرٌ﴾ أَقوال: أَحدها أَن التفضيل وقع بحسب معتقد المشركين؛ إِذْ كانوا يعتقدون أَن في آلهتهم خيراً بوجه مَّا.

وقالت فرقة: في الكلام حذف مضاف في الموضعين، التقدير: أَتوحيد الله خير أَم عبادة ما تشركون؟ فـ (ما) في هذا التأْويل بمعنى الذي.

وقالت فرقة: (مَا) مصدرية، وحذف المضاف إِنما هو أَولاً، وتقديره: أَتوحيد الله خير أَمْ شِرْكُكُم؟ وقيل: ﴿خَيْرٌ﴾ هنا ليست بأَفعل، وإِنما هي بفعل، كما تقول: الصلاة خيْرٌ دون تفضيل.

قال القاضي أَبو محمد: وقد تقدم أَن هذه الأَلفاظ التي تعم معاني كثيرة كخَيْر وشَرٍّ وأَحب ونحو ذلك قد يقع التفضيل بها بيْن أَشياءَ متباينة؛ لأَن المتباينات رُبَّما اشتركت فيها ولو بوجه ضعيف بعيد، وأَيضاً فهذا تقرير، والمجادل يقرر خصمه [على

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩٧).

(٢) قال ابن أبي حاتم في التفسير (١٣/ ٧٩٥) وقد خالف جماعة من العلماء الفراء في هذا وقالوا: هو مخاطبة لنبينا محمد ﷺ.

(٣) فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٨)، والتحصيل للمهدوي (٥/ ١١٧).

قسمين أحدهما فاسد، ليرى وقوعه][١]، وقد استوعبنا هذا فيما مضى، وقالت فرقة: تقدير هذه الآية: آللهُ ذو خير أَمَّا تُشركون؟.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا النوع من الحذف بعيد تأوله[٢].

وقرأَ الحسن، وقتادة، وعاصم: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بالياءِ من تحت.

وقرأَ أَهل المدينة ومكة والكوفة بالتَّاءِ من فوق[٣].

وقوله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ﴾ وما بعدها من التوقيفات توبيخٌ لهم، وتقرير على ما لا مندوحة لهم عن الإِقرار به.

وقرأَ الجمهور: ﴿أَمَّنْ﴾ بشدِّ الميم، وهي (أَمْ) دخلت على (مَنْ).

وقرأَ الأَعمش: (أَمَنْ) بفتح الميم مسهَّلة[٤]، ويحتمل ـ على هذه القراءَة ـ [أَن تكون (مَن) استفهاما فتكون في معنى (أم من) المتقدمة، ويحتمل][٥] أن تكون الأَلف للاستفهام و(مَنْ) ابتداءً، وتقدير الخبر: يُكْفَر بنعمته ويُشْرَك به؟ ونحو هذا من المعنى.

و«الحدائق»: مُجْتَمع الأَشجار من العنب والنخيل وغير ذلك.

وقال قوم: لا يقال: حديقة إِلَّا لما عليه جدار قد أَحدق به.

وقال قوم: تقول ذلك كان جدار أَوْ لم يكن لأَن البياض محدق بالأَشجار.

و«الْبَهْجَة»: الجمال والنُّضرة.

---

(١) في المطبوع بدلًا منه: «لتنبيهه على خطئه وإِلزامه بحصر التفضيل في جانب واحد وانتفائه عن الآخر».

(٢) ليست في المطبوع.

(٣) إن كان يقصد التي في هذه الآية (٥٩) فقد تقدمت على ما فيها، وهذا في حقها غير دقيق، ولعله من بليات أبي حاتم، وإن كان يقصد التي في الآية (٦٣) ففيها طامة أخرى، وسيأتي الكلام عليها في موضعها، وعلى كل فلا محل لهذه الفقرة هنا، والله أعلم.

(٤) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص١١١)، والشواذ للكرماني (ص ٣٦١).

(٥) سقط من المطبوع.

وقرأ ابن أَبي عبلة: (ذَوَاتِ بَهَجَةٍ)، [بجمع ذات وفتح الهاء من بهجة][١].

ثم أَخبر ـ على جهة التوقيف ـ أَنه ما كان للبشر، أَي: ما يتهيَّأُ لهم، ولا يقع تحت قدرتهم أَنْ ينْبتوا[٢] شجرها؛ لأَن ذلك يكون بإِخراج شيءٍ من العدم إلى الوجود.

وقد تقدم ترتيب القراءَة في الهمزتين من قوله: [﴿أَءِلَٰهٌ﴾، و﴿أَءِذَا﴾][٣]، و﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ [يوسف: ٩٠]، قال أَبو حاتم: القراءَة باجتماع الهمزتين محدثة لا توجد في كلام العرب ولا قرأَ بها قارئ عتيق[٤].

و﴿يَعۡدِلُونَ﴾ يجوز أَن يراد به: يعدلون عن طريق الحق، أَي: يجورون في فعلهم، ويجوز أَن يراد به: يعدلون بالله غَيْرَه، أَي: يجعلون له عديلاً ومثيلاً.

﴿خِلَٰلَهَآ﴾ معناه: بَيْنَها وأَثْناءَها.

«الرَّوَاسي»: الجبال، رَسَا الشيءُ يرسو إِذا ثبت وتأَصَّل.

و«الْبَحْرَانِ»: الماءُ العذب بجملته، والماءُ الأُجاج بجملته.

و«الحاجِزُ»: ما جعل الله بينهما من حواجز الأَرْض وموانعها على رِقَّتها في بعض المواضع ولطافتها التي لولا قدرة الله تعالى لغلب المِلْحُ العذبَ، وكلُّ ما مضى من القول في تأْويل قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ الآية فهو مترتب هاهنا فتأَمله، وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن

(١) سقط من المطبوع، وهي شاذة، انظر: الدر المصون (٨/ ٦٣١)، وفي الشواذ للكرماني (ص٣٦١)، عنه ذاتِ بكسر التاء.

(٢) في لالاليه: «يشترى».

(٣) في المطبوع بدلا منهما: «أئن».

(٤) لم أقف عليه.

يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾».

وقفهم في هذه الآيات على المعاني التي يتبيَّن لكل عاقل أنه لا مدخل لِصَنم ولا لِوَثن فيها، فهي عِبَـرٌ ونِعَمٌ، فالحجة قائمة بها من الوجهين.

وقوله تعالى: «يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ» معناه: بشرط أَنْ يشاءَ على المعتقد في الإِجابة، لكن المضطر لا يُجيبه متى أُجيب إِلَّا الله عزَّ وجلَّ.

و«ٱلسُّوٓءَ» عامٌّ في كل ضر يكشفه الله تعالى عن عباده.

وقرأ الحسن: «وَيَجْعَلُكُمْ» بياءٍ على صيغة المستقبل، ورويت عنه بنون[1].

[٤/ ١٤٧] وكل قرْنٍ خلف لِلَّذِي / قبله.

وقرأ جمهور القراء: «تَذَكَّرُونَ» بالتاءِ على المخاطبة، وقرأ أَبو عمرو وحده، والحسن، والأَعمش بالياءِ على الغيبة[2].

و«الظُّلُمَات»: عام لظُلْمة الليل التي هي الحقيقة في اللغة، ولِظُلَم الجهل والضَّلال والخوف التي هي مجازات وتشبيهات، وهذا كقول الشاعر:

[الطويل] تَجَلَّتْ عَمَايَاتُ الرِّجالِ.......[3] ....

وكما تقول: أَظْلَم الأَمر وأَنار.

---

(١) غريب، فالقراءة بالياء موافقة للجماعة، وأما قراءة النون فشاذة، نقلها عنه في البحر المحيط (٨/ ٢٥٩)، وقد ضبطت في المطبوع: «يجعلَكم بالنصب».

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٨)، والسبعة (ص: ٤٨٤)، وزادا هشاماً، وانظر الباقين في البحر المحيط (٨/ ٢٥٩).

(٣) من معلقة امرئ القيس انظر جمهرة أشعار العرب (ص: ١٣١)، وشرح المعلقات التسع (ص: ١٥٤)، والأغاني (٩/ ٨٦)، وشرح المعلقات السبع للزوزني (ص: ٥٨)، والرواية عند جميعهم «تسلت» بالسين، وهي كذلك في لالاليه.

وقد تقدم اختلاف القراءِ في قوله: ﴿بُشْرًا﴾[١].

وقرأ الحسن وغيره: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بالياءِ على الغيبة، وقرأ الجمهور: (تُشْرِكُونَ) على المخاطبة[٢].

و«بَدْءُ الْخَلْق»: اختراعُه وإِيجادُه، و﴿ٱلْخَلْقَ﴾: هنا المخلوق من جميع الأَشياءِ، لكن المقصود بنو آدم من حيث ذكر الإِعادة والإعادة[٣] البعث من القبور، ويحتمل أَن يريد بـ ﴿ٱلْخَلْقَ﴾ مصدر: خَلَق يخْلُق، ويكون «يَبْدَأُ» و«يُعيدُ» استعارة للإِتقان والإِحسان، كما تقول: فلان يبدئ ويعيد في أَمر كذا وكذا، إذا كان يُتقنه، والرِّزْق من السماءِ بالمطر، ومن الأَرض بالنبات، هذا مشهور ما يحسُّه البشر، وكم لله تعالى بعد[٤] من لطف خفي.

ثم أَمر عزَّ وجلَّ نبيَّه أَن يوقفهم على أَن الغيب ممَّا انفرد الله بعلمه، ولذلك سُمِّي غيباً لغيبته عن المخلوقين، ورُوي أَن هذه الآية من قوله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ﴾ إِنما أُنزلت لأَن الكفار سأَلوا وأَلحُّوا عن وقت القيامة التي يعدهم محمد، فنـزلت هذه الآية بالتسليم لأَمر الله تعالى وترك التحديد، فأَعلم عزَّ وجلَّ أَنه لا يعلم وقت الساعة سواه، فجاءَ بلفظ يعُمُّ الساعة[٥] وغيرها، وأَخبر عن البشر أَنهم لا يشعرون أَيَّان يُبعثون.

---

(١) في تفسير الآية (٥٧) من سورة الأعراف.

(٢) هكذا جاءت هذه الفقرة في المطبوع والنسخة الأخرى دون تعليق، وعلى هامشه في الأصل عبارة: «في هذا نظر»، ولعل في العبارة قلباً، فالقراءة بالياء هي قراءة الجمهور، بل هي المتفق عليها، وكلهم قيدوا القراءة في الآية السابقة بلفظ: «أما»، قال السرقسطي في العنوان في القراءات السبع (ص: ١٤٥): ولا خلاف في الثاني أنه بالياء، وقال في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٣٠): وخرج بقيد أما: «عما يشركون» المتفق الغيب، وقد ضعف في البحر المحيط (٨/ ٢٥٩) قراءة التاء ولم ينسبها لمعين.

(٣) ليست في المطبوع

(٤) من نجيبويه والحمزوية وفيض الله.

(٥) في المطبوع: «السامع».

وبهذه الآية احتجت عائشة رضي الله عنها على قولها: «ومَنْ زَعم أَن محمداً يعلم الغيب فقد أَعظم على الله الفرية»[١].

والمكتوبة[٢] في قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ بدل مِنْ ﴿مَن﴾.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿أَيَّانَ﴾ بفتح الهمزة، وقرأَ أَبو عبد الرحمن السُّلَمي: (إِيَّانَ) بكسرها[٣]، وهما لغتان.

وقرأَ جمهور القراء: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ ﴾، أَصله: تَدَارَك، أُدغمت التاءُ في الدال بعد أَن أُبدلت، ثم احتيج إِلى أَلف الوصل.

وقرأَ أُبيُّ بن كعب ـ فيما رُوي عنه ـ: (تَدَارَكَ).

وقرأَ عاصم ـ في رواية أَبي بكر ـ: (بلِ ادَّرك) على وزن افتَعَل، وهي بمعنى تفاعل.

وقرأَ سليمان بن يسار، وعطاءُ بن يسار: (بلَ ادَّرك) [بفتح اللام][٤] ولا همز، وبتشديد الدال دون أَلف.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وأبو جعفر[٥]، وأَهل مكة: ﴿بَلْ أَدْرَكَ﴾.

[وقرأ مجاهد: (أم أدرك)، بدل ﴿ بَلِ ﴾][٦].

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (أم تَدَارَك عِلْمُهُم).

وقرأَ ابن عباس: (بَلَ ادْرَكَ).

وقرأَ ابن عباس أَيضاً: (بَلْ آدَّارَكَ) بهمزة ومدَّة على جهة الاستفهام.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧)، من حديث عائشة، رضي الله عنها.

(٢) المكتوبةُ هي لفظ الجلالة.

(٣) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ١٤٢)، وتفسير الزمخشري (٢/ ١٨٣).

(٤) سقط من الأصل، و«عطاء بن يسار»: ساقط من لالاليه.

(٥) في المطبوع: «وجعفر».

(٦) سقط من المطبوع ولالاليه وكذا من نور العثمانية إلى قوله: «الداني».

وقرأ ابن محيصن: (بل آدرك) على الاستفهام، ونسبها أَبو عمرو الداني إِلى ابن عباس والحسن(١).

فأَمَّا قراءَة الاستفهام فهي على معنى الهُزْءِ بالكفرة، والتقرير لهم على ما هو في غاية البعد عنهم، أَيْ: أَعَلِمُوا أَمْر الآخرة وأَدركها علمهم؟ وأَما القراءَات الأُولى فتحتمل معنيَيْن:

أَحدهما: بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهم، أَيْ: تناهَى، كما تقول: أَدْرك النباتُ وغيره، وكما تقول: هذا ما أَدرك علمي من كذا وكذا، فهذا قد تتابع وتناهَى علمُهم بالآخرة إِلى أَن يعرفوا لها مقداراً فيؤمنوا، وإِنما لهم ظنون كاذبةٌ، أَو أَلَّا يعرفوا لها وقتاً، وكذلك ادَّارَكَ وتَدَارَكَ وسواها، وإِن حملت هذه القراءَة معنى التوقيف والاستفهامِ ساغَ، وجاءَ إِنكاراً لأَنْ أَدركوا شيئاً نافعاً.

والمعنى الثاني: بَلْ أَدْرَك بمعنى يُدْرك، أَيْ أَنهم في الآخرة يدرك علمهم وقت القيامة، ويرَوْا العذاب والحقائق التي كذبوا بها، وأَما في الدنيا فلا، وهذا تأْويل ابن عباس(٢)،

---

(١) ذكر في هذه الكلمة تسع قراءات: اثنتان منها سبعيتان، والبواقي شواذ، فالأولى: ﴿ ٱدَّٰرَكَ ﴾، قراءة الجمهور، والثانية: ﴿بلْ أدرك﴾ لابن كثير وأبي عمرو وأبي جعفر، كما في السبعة (ص: ٤٨٥)، والنشر (٢/ ٣٣٩)، والثالثة: (أم تدارك)، كرر نسبتها لأبي، وعزاها له في مختصر الشواذ (ص١١١)، والرابعة (بل ادّرك) لشعبة، وهي من رواية الأعشى عنه كما في السبعة (ص: ٤٨٥)، والخامسة: (بلَ ادّرك) لابني يسار، عزاها لهما الكرماني في الشواذ (ص٣٦٢)، وابن جني في المحتسب (٢/ ١٤٢)، والسادسة: (أم أدرك) لمجاهد، عزاها له في مختصر الشواذ (ص١١١)، والسابعة: (بلَ ادْرك) لابن عباس نسبها له في الشواذ للكرماني (ص٣٦٢)، والثامنة: (بل آدّارك) لابن عباس، ولعل صوابها (بلى) بياء كما في المحتسب (٢/ ١٤٢)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٢٧)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٢٠)، والشواذ للكرماني (ص٣٦٢)، والتاسعة: (بلْ آدَّرك) لابن محيصن، نسبها له النحاس في معاني القرآن (٥/ ١٤٦)، ومختصر الشواذ (ص١١١)، والمحتسب (٢/ ١٤٢)، وزاد: الحسن وأبا رجاء وقتادة، ونسبها لابن عباس في البحر المحيط (٨/ ٢٦٢)، وكلام الداني لم أقف عليه.

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٨٨)، من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

ونَحَا إِليه الزَّجاج[١]، فقوله: ﴿فِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ ـ على هذا التأْويل ـ ظرف، وعلى التأْويل الأَول في معنى الباءِ، والعِلْم: قد يتعدى بحرف الجرِّ، تقول: علمي بزيد كذا، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] وَعِلْمِي بأَسـدام الميـاه......[٢] ....

ثم وصفهم عزَّ وجلَّ بأَنهم في شكٍّ منها، ثم أَردفهم بصفة أَبلغ من الشك وهي العمى بالجملة عن أَمر الآخرة.

و﴿عَمُونَ﴾ أَصله عَمِيُون؛ فَعِلون كحَذِرون وغيره.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

استبعد الكفار أَن تُبعث الأَجساد والرِّمَمُ [من القبور][٣]، [واستملحوا ذلك][٤]، فذكر ذلك عنهم على جهة الردِّ عليهم.

وقرأَ أَبو عمرو، وابن كثير: ﴿أَيِذَا﴾ و﴿أَيِنَّا﴾ مهموزاً[٥] غير أَن أَبا عمرو يمُدُّ وابن كثير لَا يَمُدُّ، وقرأَ عاصم وحمزة: ﴿أَءِذَا﴾ و﴿أَءِنَّا﴾ [بهمزتين فيهما، وقرأَ نافع:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٢٧).

(٢) تمامه:

وعلمي بأسدام المياه فلم تزل قلائص تخدىٰ في طريق طلائح

وهو لتميم بن مقبل كما في الكتاب لسيبويه (٣/ ١٣٣)، والحجة لأبي علي (٣/ ٣١٣)، وفي المطبوع: «بأَسوامِ».

(٣) سقط من الأصل.

(٤) سقط من المطبوع.

(٥) سقط من المطبوع ونور العثمانية ونجيبويه وفيض الله.

﴿إِذَا﴾ مكسورة الأَلف ﴿آينَّا﴾][1] ممدودة الأَلف، وقرأَ الباقون: ﴿أَءِذَا﴾ ممدودة ﴿إِنَّنَا﴾ بنونين وكسر الأَلف[2].

ثم ذكر الكفارُ أَن هذه المقالة ممَّا وعد بها قبْلُ، [وردوا على جميع الأنبياء وجعلوها][3] من أَساطير الأَولين.

ثم وعظهم تعالى بحال من عُذِّب[4] [من الأمم فأمر نبيه أن يأمرهم بالسير والتطلع على حال مجرمي الأمم][5] وبالحذَر أَن يُصيبهم ما أَصاب أُولئك، وهذا التحذير يقتضيه المعنى.

ثم سلَّى الله تعالى نبيَّه ﷺ عنهم، وهذا بحسب ما كان عنده من الحرص عليهم والاهتمام بأَمرهم.

وقرأَ ابن كثير: ﴿في ضِيق﴾ بكسر الضاد، ورويت عن نافع، وقرأَ الباقون بفتحها[6].

والضِّيقُ والضَّيْق مصدران بمعنى واحد، وكره أَبو عليٍّ أَن يكون «ضَيْق» كهَيْن ولَيْن مسهلة من ضَيِّق، قال: لأَن ذلك يقتضي أَن تقام الصفة مقام الموصوف، ثم ذكر استعجال قريش لأَمر الساعة والعذاب، [بقولهم مَتى هذَا الْوَعْدُ، على معنى التعجيز للواعد به، فأمر تعالى نبيه أن يتوعدهم بأنه عسى أن يأذن الله في أن يقرب منهم بعض ما استعجلوه من الساعة والعذاب][7] / . [٤/ ١٤٨]

(١) سقط من الحمزوية.
(٢) وكلها سبعية، انظر: السبعة (ص: ٤٨٥)، وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الرعد، وفي الحمزوية زيادة الكسائي مع حمزة وعاصم.
(٣) في المطبوع بدلا منه: «وقد ورد ذلك على لسان جميع الْأَنبياءِ، وجزموا أَن ذلك».
(٤) في الأصل: «كذب».
(٥) سقط من المطبوع
(٦) وهما سبعيتان: انظر السبعة (ص: ٤٨٥)، والرواية عن نافع هي من طريق خلف عن المسيبي، وليست من طرق التيسير.
(٧) ساقط من المطبوع.

و﴿رَدِفَ﴾ معناه: قَـرُب وأَزِفَ، قاله ابن عباس وغيره[١]، ولكنها عبارة عما يجيءُ بعد الشيءِ قريباً منه، ولكونه بمعنى هذه الأَفعال الواقفة[٢] تعدَّى بحرف وإِلَّا فبابه أَن يتجاوز بنفسه.

وقرأَ الجمهور بكسر الدال، وقرأَ الأَعرج: (رَدَفَ) بفتح الدال[٣].

وقرأَ الجمهور من الناس: ﴿تُكِنُّ﴾ من أَكَنَّ.

وقرأَ ابن محيصن وابن السميفع: (تَـكُنُّ)[٤]، من كَنَّ، وهما بمعنى واحد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

الهاءُ في ﴿غَآئِبَةٍ﴾ للمبالغة، أَي: ما من شيء في غاية الغيب والخفاءِ إِلَّا في كتاب عند الله عزَّ وجلَّ في مكنون علمه، ثم نَبَّه تعالى على أَن هذَا الْقُرْآنَ أخبر بَنِي إِسْرائِيلَ بأَكثر الأَشياءِ التي كان بينهم اختلاف في صفتها، فجاءَت في القرآن على وَجْهها، ثم وصفه تعالى بأَنه هدىً ورحمةٌ للمؤمنين، كما أَنه عمًّى على الكافرين المحتوم عليهم، ومعنى

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٩٢)، من طريق علي بن أبي طلحة وعطية العوفي، كلاهما ـ مفرقين ـ عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٢) ليست في المطبوع، وفي الحمزوية وفيض الله وأحمد٣ ولالاليه: «الواقعة»، وهي بعكسها، لأن الواقفة هي اللازمة، والواقعة المتعدية.

(٣) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٤٣)، وتفسير الزمخشري (٣/ ٣٨١).

(٤) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (١١١)، والمحتسب (٢/ ١٤٤).

ذلك أَن كفرهم اسَتَتبَّ مع قيام الحجة ووضوح الطريق، فكثر عماهم بهذه الجهة[١].

ثم أَخبر أَن ذلك كله بقضاءٍ من الله وحكم قضاه فيهم وبينهم، ثم أَمرهم بالتوكل عليه، وبالثقة بالله، وبأَنه على الحق، أَي: إِنك الجدير بالنُّصرة والظهور، ثم سلَّاه عنهم، وشبههم بالموتى من حيث الفائدة بالقول لهؤلاءِ وهؤلاءِ معدومة، فشبههم مرَّة بالموتى ومرَّة بالصُّمِّ.

قال العلماءُ: الميت من الأَحياءِ هو الذي يلقى الله بكفره.

واحتجت عائشة رضي الله عنها في إِنكارها أَن النبي ﷺ أَسمع موتى بدر بهذه الآية، ونظرت هي في الأَمر بقياس عقلي، ووقفت مع هذه الآية[٢].

وقد صحَّ عن النبي ﷺ أَنه قال: «ما أَنتم بأَسمع منهم»[٣]، فيشبه أَن قصة بدر هي خرق عادة لمحمد ﷺ في أَنْ ردَّ الله تعالى إِليهم إِدراكاً سمعوا به مقاله، ولولا إِخبار رسول الله ﷺ بسماعهم لحملنا نداءَه إِياهم على معنى التوبيخ على مَنْ بقي من الكفرة، وعلى معنى شفاءِ صدور المسلمين منهم.

وقد عورضت هذه الآية بالسلام على القبور[٤]، وبما روي في ذلك أَن الأَرواح تكون في شفير القبور في أَوقات[٥]، قالوا: فلو لم يَسْمع الميتُ لم يُسَلَّم عليه.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا كله غير معارض للآية؛ لأَن السلام على القبور إِنما هو عبادة، وعند الله الثواب عليها، وهو تذكير للنفس بحالة الموت وبحالة الموتى في حياتهم،

(١) في المطبوع ولالاليه: «الحجة».
(٢) أخرجه البخاري (٣٧٦٠)، من حديث عائشة، رضي الله عنها، به
(٣) أخرجه مسلم (٢٨٧٤)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً به.
(٤) من ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه (٩٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين.
(٥) لم أقف عليه.

وإِن جوَّزنا مع هذا أَن الأَرواح في وقت على القبور، فإِن سَمِع فليس الروح بميت.

وإِنما المراد بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الأَشخاص الموجودة مفارقة لأَرواحها، وفيها نقول: خرقت العادة لمحمد ﷺ في أَهل القليب، وذلك كنحو قوله ﷺ في الموتى إِذا دخل عليهم الملكان[١]: «إِنهم يسمعون خفق النِّعال»[٢].

وقرأَ ابن كثير: ﴿ولا يَسْمَعُ﴾ بالياءِ من تحت ﴿الصُّمُّ﴾ رفعاً، ومثله في الرُّوم [٥٢][٣]، وقرأَ الباقون: ﴿تُسْمِعُ﴾ بالتَّاءِ ﴿ٱلصُّمَّ﴾ نصباً.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ﴾ بالإِضافة.

وقرأَ يحيى بن الحارث، وأَبو حيوة: (بهادٍ العميَ) بتنوين الدال ونصب (الْعُمْيَ)[٤].

وقرأَ حمزة وحده: ﴿وما أنتَ تَهْدِي العمْيَ﴾ بفعل مستقبل، وهي قراءَة طلحة وابن وثَّاب، وابن يَعْمر[٥].

وفي مصحف عبد الله: (وما إن تهدي العمي)[٦].

ومعنى قوله: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ إِذا انْتُجِز وعْدُ عذابهم الذي تضمنه القولُ الأزلي[٧] من الله تعالى في ذلك ـ أَي حتمه الله عليهم ـ

---

(١) في المطبوع: «المكان».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٧٣)، ومسلم (٢٨٧٠)، كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٣) وهي والتي بعدها سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٩).

(٤) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص٣٦٣).

(٥) وهي والأولى سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٩)، والسبعة (ص: ٤٨٦)، والعزو للباقين في تفسير الثعلبي (٧/ ٢٢٢)، وابن يعمر وابن وثاب كلاهما اسمه يحيى، وطلحة هو ابن مصرف، وفي المطبوع: «طلحة بن وثاب»، على أنهما شخص واحد.

(٦) وهي شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٥١)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٠٠)، وضبطها بالكسر، وفي المطبوع: «أن بالفتح».

(٧) في المطبوع: «الآن»، وفي أحمد٣: «الألى».

وقَضَاؤُه، وهذا بمنزلة قوله تعالى: ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ فمعنى الآية: وإذا أَراد الله أَن ينفذ في الكافرين سابق علمه لهم من العذاب أَخرج لهم دابة من الأَرض.

ورُوي أَن ذلك حين ينقطع الخير، ولا يُؤمر بمعروف، ولا يُنهى عن منكر، ولا يبقى مُنيب ولا تائب، كما أَوحى الله تعالى إلى نوح أنه ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦].

و﴿وَقَعَ﴾: عبارة عن الثُّبوت واللزوم، وفي الحديث: «إِن الدابة وطلوع الشمس من المغرب من أَول الأَشراط ـ ولم يُعيِّن الأُولى ـ وكذلك الدَّجَّال»[١].

قال القاضي أَبو محمد: وظاهر الأَحاديث والروايات أَن الشمس آخرها[٢]؛ لأن التوبة تنقطع معها، وتُعطي الحال أَن الإِيمان لا يبقى إِلَّا في أَفرادٍ، وعليهم تهب الريح التي لا تُبقي إِيماناً، وحينئذ يُنفخ في الصُّور[٣]، ونحن نروي أَن الدابة تَسِمُ قوماً بالإِيمان، ونجد عيسى ابن مريم عليه السلام يعدل بعد قتل[٤] الدَّجَّال، ويؤمنُ الناسُ به.

وهذه الدابة رُوي أَنها تخرج من جبل الصفا بمكة، قاله عبد الله بن عمر[٥].

وقال عبد الله بن عمرٍو نحوه، وقال: لو شئت أَن أَضع قدمي على موضع خروجها لفعلت[٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.
(٢) وهو ما جاء عند البخاري في صحيحه (٦٧٠٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.
(٣) في المطبوع: «وحينئذ ينفد وينفخ».
(٤) من أحمد٣.
(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٩٧)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عمر رضي الله عنه به، وإسناده ضعيف.
(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٩٨)، من طريق هشام بن حسان، عن قيس بن سعد، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمرو رضي الله عنهما به، وعطاء كثير الإرسال.

ورُوي عن قتادة أَنها تخرج من تِهامة[١].

ورُوي أَنها تخرج من مسجد الكوفة من حيث فار تنُّور نوح عليه السلام.

ورَوى بعضهم عن حذيفة بن اليمان أَنها تخرج ثلاث خرجات[٢].

ورُوي أَنها دابَّة مزغبة[٣] شعراءُ.

ورُوي عن ابن عمر أَنها على خِلْقة الآدميين[٤]، وهي في السحاب، وقوائمها في الأَرض.

ورُوي أَنها جمعت من خَلْق كل حيوان.

ورَوى الثعلبي عن أبي الزبير نحوه[٥].

ورُوي أَنها دابة مبثوث نوعها في الأَرض، فهي تخرج في كل بلد وفي كل قوم[٦]، فقوله على هذا التأْويل: ﴿دَآبَّةً﴾ إِنما هو اسم جنس.

وحكى النقاش عن ابن عباس أَنها الثعبان المشرف على جدار الكعبة التي اقتلعتها العقاب حين أَرادت قريش بناءَ الكعبة[٧].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ من الكلام.

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٤٩٩)، وفي تفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٨٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٥)، أنه من روايته عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٩٧)، من طريقين جيدين، عن حذيفة بن أسيد، وليس حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٣) في لالاليه: «مرعبة».

(٤) لم أقف عليه.

(٥) تفسير الثعلبي (٧/ ٢٢٤)، وفي لالاليه ونور العثمانية وفيض الله: «وذكر»، وفيها وفي المطبوع وفيض الله: «ابن الزبير»، ولعله خطأ.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) لم أقف عليه مسنداً.

وفي مصحف أُبيٍّ: (تُنْبِيهم)، وفسَّرها عكرمة بـ «تَسِمُهُم»، قال قتادة: وفي بعض القراءَة: (تُحَدِّثُهم) (١) / . [٤/ ١٤٩]

وقرأَ أَبو زُرْعة بن عمرو بن جرير: (تَـكْلِمُهُم) بكسر اللام من الكَلْمِ وهو الجرح، قال أَبو الفتح: هي قراءَة ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، والجحدري(٢).

وقال ابن عباس: كلا والله تفْعل تُكَلِّمُهُمْ وَتَكْلِمُهُمْ(٣).

ورُوِي في هذا أَنها تمر على الناس فَتَسِم الكافر في جبهته وتزبره وتشتمه وربما حطمته(٤)، تمسح على وجه المؤمن فتبيضه، ويُعرف ـ بعد ذلك ـ الإِيمان والكفر من أثرها(٥).

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿إِنَّ الناس﴾ بكسر ﴿إِنَّ﴾.

[وقرأَ حمزة، والكسائي، وعاصم: ﴿أَنَّ﴾ بفتح الأَلف(٦).

وفي قراءَة عبد الله: (تُكَلِّمُهُمْ بِأَنَّ) (٧)، وهذا تصديق للفتح](٨).

وعلى هذه القراءَة يكون قوله: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾ إِلى آخر الآية من كلام الدابة، ورُوي

---

(١) وكلاهما شاذة، انظر قراءة أبي في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٠٠)، والمحتسب (٢/ ١٤٥)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٢٢)، وكتبت في الأصل: «ابن مسعود»، ثم صححت، وقول قتادة في تفسير الطبري (١٩/ ٥٠٠).

(٢) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ١٤٤)، وتفسير الطبري (١٩/ ٤٩٩)، والشواذ للكرماني (ص٣٦٣)، وفي الأصل: بن جريج.

(٣) ضعيف جداً، أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٦٠٦)، من طريق أبي داود نفيع الأعمى، عن ابن عباس رضي الله عنه به، ونفيع هذا متروك الحديث، واتهمه ابن معين بالكذب، ينظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ٩).

(٤) في المطبوع ولالاليه: «خَطَمَته»، بالخاء، وفي الحمزوية: «تسمه»، وفي المطبوع: «وتُرَمِّده»، بدل «تزبره».

(٥) في المطبوع: «قِبَلِهَا».

(٦) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٨٧)، والتيسير (ص: ١٦٩).

(٧) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٠٠)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨١).

(٨) جاءت الفقرة في أحمد٣ هكذا: «وفي قراءة الكوفيين مفتوحة وبها قرأ عبد الله وروي عنه تكلمه بأن».

ذلك عن ابن عباس[١]، ويحتمل أن يكون ذلك من كلام الله عزَّ وجلَّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

المعنى: واذكُر يومَ، وهذا تذكير بيوم القيامة.

و﴿نَحْشُرُ﴾: نَجْمع، و﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾ يريد: من كل قَرْن من الناس متقدم؛ لأَن كل عصر لم يَخْل من كَفَرَة بالله من لدُن تَفرُّق بني آدم.

و«الفَوْجُ»: الجماعة الكبيرة من الناس، والمعنى: مِمَّن حاله أَنه مكذب بآياتنا.

و﴿يُوزَعُونَ﴾ معناه: يُكَفُّونَ في السَّوْق، أَي: يُحْبس أَوَّلهم على آخرهم، قاله قتادة وغيره[٢]، ومنه وازع الجيش[٣]، وفيه يقول عبد الشارق[٤] بن عبد العزَّى:

[الوافر] فَجاؤوا عارضاً بَرِداً وحِيناً كمِثْلِ السَّيْلِ تركب وَازِعينَا[٥]

ثم أخبر تعالى عن توقيفه الكفرة يوم القيامة وسؤالهم على جهة التوبيخ ﴿أَكَذَّبْتُم﴾ الآية.

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٠٠)، من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس رضي الله عنه به.
(٢) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٦٨)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٧٠)، وتفسير الطبري (١٩/ ٥٠١).
(٣) في المطبوع: «الحبْس».
(٤) في المطبوع: «الشارف»، وفي الحمزوية وأحمد٣ ولالاليه وفيض الله «السارق»: وهو شاعر جهني جاهلي، والشارق الشمس، أو صنم.
(٥) عزاه له في عيار الشعر (ص: ١٠١)، والحماسة بشرح التبريزي (١/ ١٦٩)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ص: ٣١٩).

ثم قال: ﴿أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ على معنى استيفاء الحجج، أي إن كان لكم عمل أو حجة فهاتوها.

وقرأ أبو حيوة: (أمَا ذا كنتم تعملون) بتخفيف الميم[١].

ثم أَخبر عن وقوع القول عليهم، أَي نفوذ العذاب وحتم القضاءِ، وأَنهم لا ينطقون بحُجَّة، لأَنها ليست لهم، وهذا في موطن من مواطن القيامة، وفي فريق من الناس؛ لأَن القرآن يقتضي أَنهم يتكلَّمون بِحُجَجٍ في غير هذا الموطن.

ثم ذكر تعالى الآية في اللَّيل وكونه وقت سكون ووداعة لجميع الحيوان، والمهم في ذلك بنو آدم، وكون النهار مبصراً، أَي: ذا إِبصار، وهذا كما تقول: ليلٌ نائمٌ ونهارٌ صائمٌ، ومعنى ذلك: يُنام[٢] فيه ويصام[٣]، فكذلك هذا معناه: يُبصر فيه، فهو لذلك: ذو إِبصار، ثم تجوز بأَن قيل: مُبْصِراً، فهو على النسب كعيشة راضية.

والآيات في ذلك هي للمؤمنين والكافرين، هي آية لجميعهم في نفسها، لكن من حيث الانتفاع بها والنظر النافع إِنما هو للمؤمنين فلذلك خُصُّوا بالذكر.

ثم ذكر تعالى «يوم النَّفخ في الصُّور» وهو القَرْنُ في قول جمهور الأُمة، وهو مقتضى الأَحاديث، وقال مجاهد: هو كهيئة البوق.

وقالت فرقة: الصُّور جمع صورة، كتَمْرَةٍ وتَمْر وجَمْرَةٍ وجَمْر، والأَول أَشهر، وفي الأَحاديث المتداولة أَن إِسرافيل عليه السلام هو صاحب الصُّور، وأَنه قد جثا على ركبته الواحدة وأَقام الأُخرى وأَمال خده والْتَقم القرن ينتظر متى يُؤمر ويُؤذن له بالنَّفخ، وهذه النَّفخة المذكورة في هذه الآية هي نفخة الفزع.

---

(١) وهي شاذة، تابعه في البحر المحيط (٨/ ٢٧٠)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص٣٦٣) لأبي البرهسم.

(٢) في نجيبويه: «ليل قائم....، يقام».

(٣) ليست في المطبوع.

[وروى أَبو هريرة: أَن المَلَك له في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع][1]، وهو فزع حياة الدُّنيا وليس بالفزع الأَكبر، ونفخة الصَّعق، ونفخة القيام من القبور[2].

وقالت فرقة: إِنما هما نفختان، كأَنهم جعلوا الفزع والصعق في نفخة واحدة، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقالوا: ﴿أُخْرَىٰ﴾ لا تقال إِلَّا في الثانية.

قال القاضي أَبو محمد: والقول الأَول أَصح، و﴿أُخْرَىٰ﴾ تقال في الثالثة، ومنه قول ربيعة بن مكدم[3]:

[الكامل] وَلَقَـدْ شَـفَعْتُهُمَا بآخَـرَ ثَالِـثٍ[4] ....

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٠]، وأَما قول الشاعر:

[مجزوء الكامل] جَعَلت لَـهَـا عُـودَيْـن مِـنْ نَـشَـمٍ وآخَـرَ مِـنْ ثُـمَـامَـهْ[5]

فهو يحتمل أَن يريد ثانياً أَو ثالثاً فَلَا حُجَّة فيه.

(١) سقط من نجيبويه، وسقط «في الصور» من المطبوع.

(٢) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (١٨/ ٥٥٨)، من طريق إسماعيل بن رافع، عن يزيد بن أبي زياد، عن رجل من الأنصار، عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به، وإسماعيل بن رافع متفق على تضعيفه، ينظر: تهذيب الكمال (٣/ ٨٥)، وفي إسناده كذلك رجلان مبهمان، وورد الإسناد أحياناً بدونهما أو أحدهما.

(٣) في المطبوع: «مقروم»، وهو ربيعة بن مكدم بن عامر بن حرثان بن جذيمة بن علقمة بن جذل الطعان ابن فراس بن عثمان بن ثعلبة بن مالك بن كنانة أحد فرسان مضر المعدودين وشجعانهم، المشهورين، الأغاني (١٦/ ٦٤)، وأما ابن مقروم فهو شاعر آخر من بني ضبة.

(٤) تمامه: وأبى الفرار عن العداة تكرّمي، عزاه له في أمالي القالي (٢/ ٢٧٢)، والعقد الفريد (٦/ ٣٦)، ولباب الآداب لابن منقذ (١/ ٢١١).

(٥) البيت لعبيد بن الأبرص، كما في الحيوان (٣/ ٩٤)، والمعاني الكبير (١/ ٣٥٩)، وإيضاح شواهد الإيضاح (٢/ ٨٩٨).

وقال تعالى: ﴿فَفَزِعَ﴾ ـ وهو أَمْرٌ لم يقع بعدُ[١] ـ إِشعاراً بصحة وقوعه، وهذا معنى وضع الماضي موضع المستقبل.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ استثناءٌ فيمن قضى الله تعالى من ملائكته وأَنبيائه وشهداءِ عبيده أَلَّا ينالهم فزع النَّفخ في الصُّور.

وقال أَبو هريرة: هي في الشهداءِ، وذكر الرُّمَّاني أَنه قول[٢] النبي ﷺ[٣].

وقال مقاتل: هي في جبريل وميكائيل وإِسرافيل وملَك الموت، وإِذا كان الفزع[٤] الأَكبر لا ينالهم فهم حَرِيُّون أَلَّا ينالهم هذا[٥].

قال القاضي أَبو محمد: على أَن هذا في وقت ترقُّب وذلك في وقت أَمْن؛ إِذ هو إِطباق جهنم على أَهلها.

وقرأَ جمهور القُرَّاءِ: ﴿وكلٌّ آتُوهُ﴾ على وزن فاعلوه، وقرأَ حمزة، وحفص عن عاصم: ﴿أَتَوۡهُ﴾ على صيغة الفعل الماضي، وهي قراءَة ابن مسعود وأَهل الكوفة[٦].

وقرأَ قتادة: (أَتَاهُ) على الإِفراد إِتباعاً للفظ ﴿وَكُلٌّ﴾، وإِلى هذه القراءَة أَشار الزَّجَّاج ولم يذكرها[٧].

---

(١) سقطت من نجيبويه ولالاليه ونور العثمانية، وفي المطبوع: «يُعَدُّ»، وفيه: «وقوله» بدل «وقال».

(٢) ليست في المطبوع.

(٣) ضعيف، رُوِي من طريق أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وموقوفاً، أما المرفوع، فهو جزء من الحديث المذكور آنفاً، وأما الموقوف، فأخرجه الطبري (١٩/ ٥٠٤)، من طريق العوام، عمن حدثه عن أبي هريرة، به، وهذا إسناد ضعيف لإبهام راويه.

(٤) ليست في المطبوع.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣١٨).

(٦) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٩).

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٣٠)، وهي شاذة انظر عزوها لقتادة في المحتسب (٢/ ١٤٥).

و«الدَّاخِرُ»: المتذلِّل الخاضع، قال ابن زيد(١)، وابن عباس: الدَّاخر: الصاغر(٢).

وقرأ الحسن: (دَخِرِينَ) بغير ألف(٣).

وتظاهرت الروايات بأَن الاستثناءَ في هذه الآية إنما أُريد به الشهداءُ؛ لأَنهم أَحياءٌ عند ربهم يرزقون، وهم أَهل للفزع لأَنهم بشر لكنهم فُضِّلوا بالأَمن في ذلك اليوم/. [٤/ ١٥٠]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

هذا وصف حال الأَشياءِ يوم القيامة عقب النَّفخ في الصُّور، والرؤْية هي بالعين، وهذه الحال للجبال في أَول الأَمر تسير وتموج، وأَمر الله تعالى ينسفها ويفتها(٤) خلال ذلك فتصير كالعهن، ثم تصير في آخر الأَمر هباءً منبثاً(٥).

و«الجمود»: التضام(٦) والتلزز في الجوهر.

قال ابن عباس: ﴿جَامِدَةً﴾: قائمة(٧)، ونظيره قول الشاعر:

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٥٠٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٣٣). وفي لالاليه: «أبو زيد».

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٠٥)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٣) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص١١٢)، والشواذ للكرماني (ص٣٦٤).

(٤) في المطبوع: «بنسفها ونفشها»، وفي نجيبويه: «وبثها»، وفي الحمزوية: «وتفننها».

(٥) في المطبوع: «منثوراً».

(٦) في المطبوع: «التَّصامُّ»، وفي الحمزوية ونجيبويه: «النظام»، والتلزز ليست في المطبوع.

(٧) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٠٥) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

بِأَرْعَنَ مِثْلِ الطَّوْدِ تَحْسَبُ أَنَّهُمْ وُقُوفٌ لِحَاجٍ والرِّكابُ تُهَمْلِجُ[١] [الطويل]

و﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ مصدر معرف، والعامل فيه فعلٌ مضمر من لفظه، وقيل: هو نصبٌ على الإغراءِ، بمعنى: انظروا صُنْعَ اللَّهِ.

و«الإِتْقَانُ»: الإحسان في المعمولات، وأَن تكون حساناً وثيقة القوة.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿يَفْعَلُونَ﴾ بالياءِ.

وقرأَ الباقون: ﴿تَفْعَلُونَ﴾ بالتاءِ على الخطاب[٢].

و«الْحَسَنَة»: الإيمان، وقال الحسن، وابن عباس[٣]، والنَّخَعي، وقتادة: هي لاَ إِلهَ إِلَّا الله[٤].

ورُوي عن علي بن الحسين أَنه قال: كنت في بعض خلواتي، فرفعت صوتي بـ «لَا إِلهَ إِلَّا الله»، فسمعت قائلاً يقول: إِنها الكلمة التي قال الله فيها: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾[٥].

وقوله: ﴿خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ يحتمل أَن يكون للتفضيل، ويكون في قوله: ﴿مِّنْهَا﴾ حذف مضاف تقديره: خيرٌ من قدْرها أَو استحقاقها، بمعنى أَن الله تعالى تفضَّل عليه بفوق ما تَسْتَحق حسنَتُه، وقال ابن زيد: يعطى بالواحدة عشرة[٦].

---

(١) البيت للنابغة الجعدي، كما في تفسير الطبري (١٩/ ٥٠٦)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١٢)، وتفسير الزمخشري (٣/ ٣٨٧).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٨٧)، والتيسير (ص: ١٦٩)، إلا أن ابن ذكوان ليس من طرقه، وفي المطبوع: «أبو جعفر»، بدل «ابن كثير»، وهو خطأ لأن أبا جعفر قرأ بالتاء، كما في النشر (٢/ ٣٣٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٠٧)، من طريق عبد الحميد الحماني، عن النضر بن عربي، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وإسناده لين.

(٤) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (١٩/ ٥٠٨)، وتفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٧٣)، و«الحسن» زيادة من المطبوع ليست في النسخ الخطية.

(٥) الهداية لمكي (٨/ ٥٤٧٨).

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٥٠٩).

والداعيةُ إِلى هذا التقدير: أَن الحسنة لا يُتصور بينها وبين الثواب تفضيل، ويحتمل أَن يكون ﴿خَيْرٌ﴾ ليس للتفضيل، بل اسمٌ للثواب والنعمة، ويكون قوله: ﴿مِّنْهَا﴾ لابتداءِ الغاية، أَي: هذا الخير[1] الذي يكون له هو من حَسَنَته وبِسَبَبِهَا، هذا قول الحسن، وابن جريج.

وقال عكرمة: ليس شيءٌ خيراً من لَا إِلهَ إِلَّا الله، وإِنما له الخير منها[2].

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿من فَزَعِ يَوْمئذٍ﴾ بالإِضافة، ثم اختلفوا في فتح الميم وكسرها من ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، فقرأَ أَكثرهم بفتح الميم على بناءِ الظرف لما أُضيف إِلى غير ممكن، وقرأَ إِسماعيل بن جعفر عن نافع بكسر الميم على إِعمال الإِضافة؛ وذلك أَن الظروف إِذا أُضيفت إِلى غير ممكن جاز بناؤُها وإِعمال الإِضافة فيها.

ومن ذلك قول الشاعر:

[الطويل] عَلَى حينَ عاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصِّبَا وقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ والشَّيْبُ وَازِعُ[3]

فإِنه يُروى: على حينَ بفتح النون، وعَلَى حِينِ بكسرها.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿مِّن فَزَعٍ﴾ بالتنوين وترك الإِضافة[4]، ولا يجوز ـ مع هذه القراءَة ـ إِلَّا فتح الميم من ﴿يَوْمَئِذٍ﴾.

و(السَّيِّـئَةُ): التي في هذه الآية هي الكفر والمعاصي مِمَّن حتم الله تبارك وتعالى عليه من أَهل المشيئة بدخول النَّار.

و(كُبَّتْ) معناه: تُلَّتْ في النَّار، وجاءَ هذا كبّاً من حيث خَلْقُها في الدنيا يعطي ارتفاعها، وإِذا كُبَّت الوجوه فسائر البدن أَدخلُ في النار؛ إِذ الوجه موضع الشرف والحواسِّ.

(١) في المطبوع: «الجزاءُ».
(٢) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (١٩/ ٥٠٩).
(٣) البيت للنابغة الذبياني كما تقدم في تفسير الآية (١١٩) من سورة المائدة.
(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٧٠)، وانظر رواية إسماعيل عن نافع في السبعة (ص: ٤٨٧).

وقوله: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾ بمعنى: فقال لهم ذلك، وهذا على جهة التوبيخ.

وقوله: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ﴾ بمعنى: قل يا محمد لقومك: إِنَّمَا أُمِرْتُ، والْبَلْدَةُ المشار إِليها مكَّةُ.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾، وقرأَ ابن عباس، وابن مسعود: (التي حَرمها)[1].

وأَضافَ ـ في هذه الآية ـ التحريم إِلى الله تعالى من حيث ذلك بقضائه وسابق علمه، وأَضاف النبي ﷺ ذلك إِلى إِبراهيم في قوله: «إِن إِبراهيم حَرَّم مكَّة وإِنِّي حرَّمت المدينة»[2]، من حيث كان ظاهر ذلك بدعائه ورغبته وتبليغه لأُمته، فليس بين الآية والحديث تعارض.

وفي قوله: ﴿حَرَّمَهَا﴾ تعديد للنعمة على قريش في رفع الله تعالى عن بلدهم الغارات والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب.

وقوله: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ معناه: بالملك والعبودية.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟﴾ عطفاً على قوله: ﴿أَنْ أَكُونَ﴾.

وقرأَ ابن مسعود: (وأَنِ اتلُ القرآنَ)[3]، بمعنى: وأَن قيل لي: اتْلُ القرآن، واتْلُ معناه: تابع بقراءَتك بين آياته واسْرُدْه، وتلاوة القرآن سبب الاهتداءِ إِلى [كل خير][4].

وقوله: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ معناه: من تكسَّب الهُدى والإِيمان ونظر نظراً ينجيه فلنفسه سعيُه.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لابن عباس في تفسير الثعلبي (٧/ ٢٣١)، وابن مسعود في مختصر الشواذ (ص١١٢)، والكل في الكرماني (ص٣٦٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٦٠)، من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٣) وهي شاذة، انظر: تفسير الزمخشري (٣/ ٣٨٩)، ونقلها في مختصر الشواذ عنه وعن أبي (ص١١٢).

(٤) في الأصل وفيض الله ونور العثمانية: «خير كثير».

قال القاضي أَبو محمد: فنِسْبَة الهدى والضلال إِلى البشر من هذه الأُمة إِنما هي بالتَّـكَسُّب والحرص، والحال التي عليها يقع الثواب والعقاب، والكلُّ أَيضاً من الله تعالى بالاختراع.

وقوله: ﴿سَيُرِيكُمْ﴾ توعُّد بعذاب الدنيا كبدر والفتح ونحوه، وبعذاب الآخرة.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿عما يَعمَلُون﴾ بالياءِ، وقرأَ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالتَّاءِ من فوق[1] على مخاطبتهم.

كَمُلَ تفسير سورة النَّمل والحمد لله ربِّ العالمين[2].

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٨٨).

(٢) زاد في الحمزوية: «بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وكرمه والحمد لله رب العالمين»، وفي لالاليه: «بمنه ولطفه».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

/ تفسير سورة القصص

[٤/ ١٥١]

هذه السُّورة مكِّيَّة إِلَّا قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] نزلت هذه بالجحفة في وقت هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة، قاله ابن سلام وغيره(١).

وقال مقاتل: فيها من المدنيِّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [٥٢ - ٥٥](٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾.

تقدم القول في الحروف التي في أَوائل السُّور بما أَغنى عن الإِعادة، فمن قال: إن هذه الحروف من أَسماءِ الله تعالى قال: إِن الطَّاءَ من الطَّوْل الذي لله تعالى، والسِّين من السلام، والميم من المنعم، أَو من الرحيم، ونحو هذا.

---

(١) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٦١٣)، تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٢٦)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٦٧).
(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٣٤).

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ﴾ يتقدر موضعها بحسب كل قول من الأَقوال في الحروف، فمن جعل ﴿طسٓمٓ﴾ مثالاً لحروف المعجم جاءَت الإِشارة بـ ﴿تِلْكَ﴾ إِلى حروف المعجم، ومن قطعها قال: ﴿تِلْكَ﴾ في موضع هذه، وساغ هذا من حيث لم تكن حاضرة عتيدة؛ بل هي أَقوال ينقضي[١] بعضها شيئاً فشيئاً، فسائغٌ أَن يقال في الإِشارة إِليها: ﴿تِلْكَ﴾.

قال القاضي أَبو محمد: والأَصل أَن «تِلْكَ» إِشارة إِلى ما غاب، و«هذه» إِشارة إِلى ما حضر، وقد تتداخل متى كان في الغيبة حصولٌ وثقةٌ به يقوم مقام الحضور، ومتى كان في الحضور بُعْدٌ مَا يقوم مقام الغيبة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧] لما كان موسى لا يرى ربَّه تعالى، فهو وعصاه في منزل غيب، فساغ ذلك، ومن النقيض قول المؤلف لكتاب ونحوه: هذا كتاب، وما جرى هذا المجرى فتتبعه.

ويشبه في آيتنا هذه أَن تكون ﴿تِلْكَ﴾ بمنزلة: هذه آيات الكتاب المبين، ويشبه أَن تكون متمكنة من حيث الآيات كلها وقت هذه المخاطبة لم تكن عتيدة.

و﴿نَتْلُواْ﴾ معناه: نَقُصُّ ونتابع القصص.

وخصَّ تعالى في قوله: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ من حيث إنهم هم المنتفعون بذلك دون غيرهم، [فخصوا تشريفاً][٢].

و﴿عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: مِن عُلُوِّ الطُّغْيان والتغلب.

وقوله: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يريد أَرضَ مصر وموضع مُلْكه، ومتى جاءَت الأَرْض هكذا عامةً فإِنَّما يُراد بها الأَرض التي تشبه قصة المسوق؛ لأَن الأشياء[٣] التي تعم الأَرض كلَّها قليلة، والأَكثر ما ذكرناه.

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «تقتضي».

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) في المطبوع: «الأَنباء».

و«الشِّيَعُ»: الفِرَقُ، وكان هذا الفعل[١] من فرعون بأَن جعل القبط ملوكاً، مستخدِمين[٢]، وجعل بني إِسرائيل عبيداً مستخدَمين، وهم كانوا الطائفة المُسْتَضعَفَة.

و﴿يُذَبِّحُ﴾: مضعف للمبالغة والعبارةِ عن تكرار الفعل.

قال قتادة: كان هذا الفعل من فرعون لأَنه قال له كهنته وعلماؤُه: إِن غلاماً لبني إِسرائيل يفسد مُلْكك[٣]، وقال السدي: رأَى في ذلك رؤْيا فأَخذ بني إِسرائيل بِذَبْح الأَطفال سنين، فرأَى أَنه يقطع نسلهم، فعاد يذبح عاماً ويستحيي عاماً، فوُلد هارون في عام الاستحياءِ، وولد موسى في عام الذَّبح[٤].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿يُذَبِّحُ﴾ بضم الياءِ وكسر الباءِ [على التكثير.

وقرأَ أَبو حيوة، وابن محيصن بفتح الياءِ والباءِ] وسكون الذال[٥].

قال وهب بن منبه: بلغني أَن فرعون ذبح في هذه المحاولة سبعين أَلفاً من الأَطفال.

وقال النقاش: جميع ما قتل ستة عشر طفلاً[٦].

قال القاضي أَبو محمد: طمع بجهله أَن يرُدَّ القدر، وأَين هذا المنـزع من قول النبي ﷺ [لعمر: «إِن يَكُنْه] فلن تقدر عليه»[٧]، يعني ابن صياد، وباقي الآية بَيِّن.

---

(١) في المطبوع: «القول».

(٢) سقط من المطبوع، وكذا «عبيداً» في الجملة التي بعيدها.

(٣) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٧٩)، وتفسير الطبري (١٩/ ٥١٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤٠).

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٥١٦).

(٥) وهي شاذة انظر: الشواذ للكرماني (ص ٣٦٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٣٤)، وما بين المعكوفتين ساقط من الحمزوية.

(٦) استغربه الكرماني في غرائب التفسير (٢/ ٨٦٣)، ولم أقف على قول وهب بن منبه.

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٨٩)، ومسلم (٢٩٣٠)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه مرفوعاً، وسقط أوله من الأصل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾.

المعنى: يستضعف فرعونُ، ونحن نريد أن نُنْعم ونُعظم المنَّة على أولئك المستضعفين، والأَئمة: ولاة الأُمور، قال قتادة ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ يريد: أَرض مصر والشام[1].

وقرأَ الأَعمش: (وَلِنُمَكِّنَ) بلام[2].

وقرأَ الجمهور: ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ﴾ بضم النون وكسر الراءِ وفتح الياءِ ونصب ﴿فِرْعَوْنَ﴾.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وابن مسعود: ﴿وَيَرَى﴾ بالياءِ وفتح الرَّاءِ وسكون الياءِ على الفعل الماضي، وإِسناد الفعل إِلى فرعون ومَنْ بعده[3].

[والمعنى: ويقع فرعون وقومه وجنوده فيما خافوه وحَذِروه من جهة بني إِسرائيل وظهورهم][4].

و«هامانُ» هو وزير فرعون وأَكبر رجاله، وذُكر لِمَحَلِّه من الكفر ولنباهته في قومه، فله في هذا الموضع صغار ولعنة لا شرف.

وهذا الوحيُ إِلى أُمِّ موسى قالت فرقة: كان قولاً في منامها، وقال قتادة: كان إِلهاماً[5].

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٥١٨)، وفي الأصل ولالاليه ونور العثمانية: «قاله قتاده».

(٢) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص٣٦٤).

(٣) فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٧٠)، وابن مسعود ساقط من الأصل.

(٤) سقط من لالاليه.

(٥) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٧٩)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٨٧)، وتفسير الطبري (١٩/ ٥١٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤١).

وقالت فرقة: كان بِمَلَك تَمَثَّل لها، وأَجمع الكل على أَنها لم تكن نبيَّة، وإِنما إِرسال المَلَك لها على نحو تكليم المَلَك للأَقرع والأَبرص في الحديث المشهور(١)، وغير ذلك مما رُوي من تكليم الملائكة للناس من غير نُبُوَّة.

وجملة أَمْر أُمِّ موسى أَنها علمت أَن الذي وقع في نفسها هو من عند الله ووعْد منه؛ يقتضي ذلك قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [القصص: ١٣]، وهذا معنى قوله: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أَي: بالوعْد.

وقال السدي وغيره: أُمرت أَن ترضعه عقب الولادة، وأَن تصنع به ما في الآية؛ / [٤/ ١٥٢] لأَن الخوف كان عقب الولادة، وقال ابن جريج: أُمِرَت برضاعه أَربعة أَشهر في بستان، فإِذا خافت أَن يصيح ـ لأَن لبنها لا يكفيه ـ صنعت به هذا(٢).

قال القاضي أَبو محمد: والأَول أَظهر، إِلَّا أَنَّ الآخر يعضده أَمران: أَحدهما قوله: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ و«إِذَا» ظرف لما يُستقبل من الزمان، والآخر لأَنه لم يقبل المراضع، والطفلُ إِثر ولادته لا يفعل(٣) ذلك، اللهم إِلاَّ أَن يكون هذا منه بأَن الله تعالى حرَّمَها عليه وجعله يأْباها بخلاف سائر الأَطفال.

وقرأ عمرو بن عبد الواحد(٤): (أَنِ ارضِعِيهِ) بكسر النون [وذلك على حذف

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٢٧٧)، ومسلم (٢٩٦٤)، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٢) ينظر القولين في تفسير الطبري (١٩/ ٥٢٠).

(٣) في الأصل: «يعقل».

(٤) في فيض الله: «أبو عمر»، وفي نجيبويه: «بن عبد الرحمن»، وهو عمر بن عبد الواحد بن قيس أبو حفص السلمي الدمشقي، روى عن يحيى الذماري وتلا عليه كتاب الله، وقرأ عليه هشام بن عمار، وثقه العجلي وغيره توفي سنة (٢٠٠هـ)، تاريخ الإسلام (١٣/ ٣١٨).

الهمزة][١] عبطا لا تخفيفاً، والتخفيف القياسي[٢] فتح النون، قاله ابن جِنِّي[٣].

ونسب المهدوي هذه القراءَة إِلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه[٤].

و﴿ٱلۡيَمِّ﴾: جمهور الماءِ ومعظمه، والمراد نِيل مصر.

ورُوي في قصص هذه الآية أَن أُمَّ موسى ـ واسمها يوحانة ـ أَخذته ولفَّته في ثيابه، وجعلت له تابوتاً صغيراً، وشدته[٥] عليه بقفل وعلَّقت عليه مفتاحه وأَسلمته ثقة بالله وانتظاراً لوعده، فلما غاب عنها عاودها بثها[٦]، وأسفت[٧] عليه، وأَقنطها الشيطان، فاهتمت به وكادت تفتضح، وجعلت الأُخت تقُصُّه، أَي: تطلب أَثره.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ۝٨ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٠ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝١١﴾.

«الالْتِقَاطُ»: اللقاءُ عن غير قصد ورؤية[٨]، ومنه قول الشاعر:

[الرجز] وَمَـنْـهَـلٍ وَرَدْتُـهُ الْـتِـقَـاطا   لَـمْ أَلْـقَ إِذْ وَرَدْتُـهُ فُـرَّاطـا

---

(١) سقط من المطبوع، وفيه: «اعتباطاً»، بدل «عبطاً».
(٢) في المطبوع: «الفاشي».
(٣) المحتسب (٢/ ١٤٧)، وهي شاذة، انظرها فيه وفي الشواذ للكرماني (ص٣٦٥).
(٤) التحصيل للمهدوي (٥/ ١٤٣)، وكأن المؤلف خشي أن يكون وقع له لبس، وقد نسبها في البحر المحيط (٨/ ٢٨٧) لهما.
(٥) في الأصل ونور العثمانية وفيض الله: «وسدته».
(٦) في المطبوع: «خوفها».
(٧) في المطبوع: «وانشغلت».
(٨) سقط من المطبوع.

[إلا الحمـام القمـر والغطاطا فـهـن يلغطـن بـه إلغـاطـا[١]

ومنه اللقطة][٢].

و﴿ءَالُ فِرۡعَوۡنَ﴾: أَهْلُه وجملته[٣].

ويروى أَن آسية امرأَة فرعون رأَت التَّابوت يعوم في اليَمِّ فأَمرت بِسَوقه وفَتْحِهِ، فرأَت فيه صبيّاً صغيراً فرحمته وأَحبته.

وقال السدي: إِن جواريها كان لهن في القصر على النيل فُرْضة[٤]، يدخل الماءُ فيها إِلى القصر حتى يَنَلْنَه في المرافق والمنافع، فبينا هُنَّ يغسلن في تلك الفُرْضة إِذ جاءَ التابوت فحملنه إِلى مولاتهن.

وقال ابن إِسحاق: رآه فرعون يعوم فأَمر بسوقه، وآسيةُ جالسةٌ معه، فكان ما تقدم[٥].

وقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا﴾ هي لام العاقبة، لا أَن القصد بالالتقاط كان لأَن يكون عدوّاً.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَحَزَنًا﴾ بفتح الحاءِ والزاي، وقرأَ حمزة، والكسائي، وابن وثاب، وطلحة، والأَعمش: ﴿وَحُزْناً﴾ بضم الحاءِ وسكون الزَّاي[٦].

و«الخَاطِئُ»: مُتَعَمِّدُ الخطأِ، و«المُخْطِئُ»: الذي لا يَتَعَمَّدُهُ.

---

(١) البيتان لِنِقادة الأَسَدِيِّ، كما في لسان العرب (٧/ ٣٦٧)، وتاج العروس (٢٠/ ٧٤)، وفي لالاليه: «يلقطن إلقاطا».

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) الفُرْضة من النهر: مشرب الماءِ منه، ومن البحر: محط السفن.

(٥) انظر قولي السدي وابن إسحاق في تفسير الطبري (١٩/ ٥٢٢)، بالمعنى.

(٦) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٩٢)، وانظر الباقين في البحر المحيط (٨/ ٢٨٧).

واختلف المتأولون في الوقت الذي قالت فيه امرأةُ فرعون: ﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَ﴾:
فقالت فرقة: كان ذلك عند التقاط التابوت لمَّا أَشعرت فرعون به؛ إذ[١] سبق إِلى وَهْمه أَنه من بني إِسرائيل، وأَن ذلك قُصِدَ بِهِ التَّخَلُّص من الذَّبْح، فقال: عليَّ بالذَّبَّاحين، فقالت امرأَته ما ذُكر، فقال فرعون: أَمَّا لي فَلَا، قال النبي ﷺ: «لو قال نعم لآمن بموسَى ولكان قُـرَّة عين له»[٢].

وقال السدي: بل رَبَّتْهُ حتى درج، فرأَى فرعون فيه شهامة، وظنَّه من بني إِسرائيل، وأَخذه في يده، فمدَّ موسى عليه السلام يده ونتف لحية فرعون، فهَمَّ حينئذ بذبحه، وحينئذ خاطبته بهذا، واختبرته له في الجمرة والياقوتة فاحترق لسانه[٣]، [وعلق العقدة][٤].

وقوله: ﴿لَا يَشۡعُرُونَ﴾ أَي بأَنه الذي يَفْسُد المُلْكُ على يديه، قاله قتادة وغيره[٥].

وقرأَ ابن مسعود: (لا تقتلوه قُرَّة عَيْن لي وَلَكَ) [٦]، قدَّم وأَخَّر.

وقوله: ﴿وَأَصۡبَحَ﴾ عبارة عن دوام الحال واستقرارها، وهي كظَلَّ.

ومنه قول أَبي سفيان للعباس يوم الفتح: لقد أَصبح مُلْكُ ابن أَخيك اليوم[٧] عظيماً[٨].

---

(١) من المطبوع.

(٢) ضعيف جداً، أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٦١/ ٢٠-٢٢)، من طريق مقاتل، وجويبر، كلاهما عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف جداً، مقاتل هو ابن سليمان، كذبوه، وجويبر هو الأزدي، ضعيف جداً، ينظر: تهذيب الكمال (٢٨/ ٤٣٤، ٥/ ١٦٧)، ورواه الطبري (١٩/ ٥٢٤)، من طريق محمد بن قيس، عن رسول الله ﷺ، مرفوعاً به، وهذا إسناد معضل.

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٣٠٠).

(٤) ساقط من المطبوع.

(٥) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٨٠)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٨٧)، وتفسير الطبري (١٩/ ٥٢٦).

(٦) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٠٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ١٥٩)، وتفسير الزمخشري (٣/ ٣٩٥).

(٧) سقط من المطبوع.

(٨) إسناده جيد، أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ١٠)، من طريق محمد بن إسحاق، قال: حدثني محمد =

يريد: استقرت حاله عظيماً.

وقرأ جمهور الناس: ﴿فَـٰرِغًا﴾ من الفراغ، واخْتُلف في معنى ذلك، فقال ابن عباس: فارغاً من كل شيءٍ إِلَّا من ذِكر موسى[1]، وقال مالك: هو ذهاب العقل[2].

قال القاضي أَبو محمد: كقوله تعالى: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣].

وقالت فرقة: فارغاً من الصبر.

وقال ابن زيد: فارغاً من وعْد الله تعالى ووحْيه إِليها[3]، أَي: تناسَتْه بالهَمِّ، وفَتَر أَثَرُه في نفسها، وقال لها إِبليس: فررت به من قتْل لك فيه أَجْر، وقَتلْته بيدك.

وقال أَبو عُبَيْدَة: فارغاً من الحزن[4]؛ إِذْ لم يغرق.

وقرأَ فَضَالة بن عبد الله ـ ويقال: ابن عُبَيْد[5] ـ والحسن: (فَزِعاً) من الفزع بالفاءِ والزاي[6].

= ابن مسلم الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٢٧)، من طريقي سفيان الثوري، وجابر بن نوح، كلاهما عن الأعمش، عن مجاهد، وحسان بن أبي الأشرس، كلاهما عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وهذا إسناد لا بأس به.

(٢) انظره في الهداية لمكي (٨/ ٥٤٩٥)، والبيان والتحصيل (١٧/ ٤٨٣).

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٥٢٨).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٩٨).

(٥) أما الأول: فهو فضالة بن عبد الله الليثي، ويقال الزهراني، له صحبة ورواية، وحديثه في البصريين لم يروه غير داود بن أبي هند، وفي إسناد حديثه اختلاف، الإصابة (٥/ ٢٨٦)، وأما الثاني: فهو فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس الأنصاري الأوسي، أبو محمد، أسلم قديماً، وشهد أحداً فما بعدها، وشهد فتح مصر والشام قبلها، وولي الغزو، وولاه معاوية قضاء دمشق وتوفي في خلافته، الإصابة (٥/ ٢٨٣).

(٦) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ١٤٧)، وفيه: «ابن عبد الله»، ومختصر الشواذ (ص١١٣)، وفيه: «ابن عبيد»، وكلاهما زاد آخرين.

وقرأ ابن عباس: (قَرِعاً) بالقاف والرَّاءِ، من القارعة، وهي الهَمُّ العظيم، وقرأ بعض الصحابة رضي الله عنهم: (فِرْغاً) بالفاءِ المكسورة والراءِ الساكنة والغين المنقوطة[1]، ومعناها: ذاهباً هدراً تالفاً من الهمِّ والحزن، ومنه قول طلحة الأَسديِّ [في حبالٍ أخيه][2]:

[الطويل] فَإِنْ يَكُ قَتْلَى قَدْ أُصِيبَتْ نُفُوسُهُمْ   فَلَنْ يَذْهَبُوا فِرْغاً بِقَتْلِ حِبَالِ[3]

أَي: هدراً تالفاً لا يتبع[4].

وقرأ الخليل بن أَحمد: (فُرُغاً) بضم الفاءِ والرَّاءِ[5].

وقوله تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ أي أَمْر ابنها، ورُوي أَن رسول الله ﷺ قال: «كادت أُمُّ موسى أَن تقول: وا ابناه، وتخرج صائحة على وجهها»[6].

و«الرَّبْط على القلب»: تأْنيسُه وتقويته، ومنه قولهم للشجاع والصابر في المضائق:

---

(١) وهما شاذتان، انظرهما في المحتسب (٢/ ١٤٨)، نقل الأولى عن ابن عباس، والثانية عن قطرب عن بعض الصحابة.

(٢) سقط من المطبوع ونجيبويه، وفي لالاليه: «حال أخيه»، وحبال هذا لم أجد له ترجمة، وفي المزهر للسيوطي (٢/ ١٦٨) أنه أخوه ويسميان بالطُّلَيحتين، وفي الروض الأنف (٥/ ١٠١) أنه ابن أخيه فهو حبال بن مسلمة بن خويلد، وفي تاريخ الطبري (٣/ ١٨٦) قصة قدومه على النبي ﷺ من عند عمه طليحة، وأما في الإصابة (٢/ ١٤٠) فقد ترجم له في القسم الثالث على أنه ابن طليحة، وأنه كان موجوداً لما ادّعى أبوه النُّبوة، وهذا أيضاً ظاهر مجمع الأمثال (٢/ ٢٢١)، وأورد فيه مثلاً قالته بنو أسد لما رأوا صنيع طليحة وطلبه بثأر ابنه.

(٣) انظر عزوه له في سيرة ابن هشام (١/ ٦٣٧)، الصحاح للجوهري (٤/ ١٦٦٥).

(٤) في المطبوع: ينفع.

(٥) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (٨/ ٢٨٩)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص٣٦٤) له ولأبي حيوة غير مضبوطة.

(٦) أخرج الطبري (١٩/ ٥٢٩) من طريق: سفيان، عن الأعمش، عن حسان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ أن تقول: يا ابناه، وحسان هو ابن أبي الأشرس، وثقه النسائي وابن حبان.

رابط الجأش، قال قتادة: ربط على قلبها بالإيمان(١).

وقوله: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي المصدقين بوعد الله، وبما أُوحي إِلَيْها بِهِ.

ثم قالت / لأُخت موسى طمعاً منها وطَلَباً له: ﴿قُصِّيهِ﴾، والقَصُّ: طلب الأَثر، [٤/ ١٥٣] فيُروى أَن أُخته خَرجت في سِكَك المدينة تبحث مختفية، فرأَته عند قوم من حاشية امرأة فرعون يطلبون له امرأَة تُرضعه حين لم يقبل المراضع.

و﴿عَن جُنُبٍ﴾ أَي: عن ناحية من غير قصْد ولا قُرْب يشعر لها به، يقال: [فيه جنب، و](٢) عن جنابة ومن جَنَاب، ومن جناب قول الشاعر(٣):

لَقَـدْ ذَكَّرَتْنـي عَـنْ جَنَـابٍ حمَامَـةٌ ... بِعُسْـفَانَ أَهْلِـي فالفُـؤَادُ حزيـنُ(٤) [الطويل]

ومن الجنابة قول الأَعشى:

أَتَيْـتُ حُرَيْثـاً زائِـراً عَـنْ جَنَابَـةٍ ... فكان حُرَيْثٌ عَـنْ عَطَائِي جَامِدَا(٥) [الطويل]

قال القاضي أَبو محمد: وكان معنى هذه الأَلفاظ: عن مكان جُنُب، أَو عن بُعْد، ومعنى الآية: عن بُعْد، لم تَدْنُ منه فيشعر بها، وأَنشد أَبو عبيدة لعلقمة بن عبدة:

فَـلَا تَحْرِمَنِّـي نائِـلاً عَـنْ جَنَابَـةٍ ... فَإِنِّي امرؤٌ وسْـطَ الْقِبَـابِ غَرِيبُ(٦) [الطويل]

---

(١) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٨٠)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٨٧)، وتفسير الطبري (١٩/ ٥٣٠)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤٧).

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) في لالاليه: «جنب يجنب جنابة»، ونور العثمانية: «جنب وجناب وجنابة وجناب ومنه قول الشاعر»، وفي فيض الله: «وجناب وجنابة».

(٤) نسبه ياقوت في معجم البلدان (٤/ ١٢٢) لأعرابي لم يسمه.

(٥) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ١٢٦)، وتفسير الطبري (٨/ ٣٣٩)، والكامل للمبرد (٣/ ١٢)، والحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ١٥٩).

(٦) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ١٢٦)، والمفضليات (ص: ٣٩٤)، والكامل للمبرد (٣/ ١٣)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٥٠).

وقرأ قتادة: (عن جَنْب) بفتح الجيم وسكون النون، وهي قراءة الحسن، والأعرج.

وقرأ: (عن جانِب) النعمانُ بن سالم(١).

وقرأ الجمهور: ﴿عَن جُنُبٍ﴾ بضم الجيم والنون(٢).

وقوله: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ معناه: [لا يشعرون](٣) أَنها أُخته، وهذا من جملة لطائف الله تعالى له ولأُمِّه حسب الوعد الذي أُوحي إِليها، ويقال: بصرتُ بالشيءِ وأَبْصرتُ بمعنى واحد متقارب، قال المهدوي: وقيل: ﴿عَن جُنُبٍ﴾ معناه: عن شوق، وهي لغة لِجذام، يقولون: جنبت إِلى لقائك، أَي اشتقت إِليه(٤).

وقال قتادة: معنى ﴿عَن جُنُبٍ﴾ أَنها تنظر إِليه كأَنها لا تريده(٥).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ١٢ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ١٥﴾.

قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمۡنَا﴾ يقتضي أَن الله تعالى خَصَّه من الامتناع من ثدي النساءِ

---

(١) هو النعمان بن سالم الطائفي روى عن ابن عمر، وعنه: داود بن أبي هند، وشعبة، وثقه النسائي تاريخ الإسلام (٧/ ٤٩١).

(٢) واللتان قبلها شاذتان، عزا الأولى للثلاثة في المحتسب (٢/ ١٤٩)، والثانية فيه وفي تفسير الثعلبي (٧/ ٢٣٨)، ومختصر الشواذ (١١٣).

(٣) من المطبوع.

(٤) التحصيل للمهدوي (٥/ ١٣٥)، وفي تفسير الماوردي (٤/ ٢٣٩): «حكاه أبوعمرو بن العلاء».

(٥) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٨١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤٩)، وتفسير الثعلبي القرآن (٧/ ٢٣٨)، وفي المطبوع: «تريده»، دون «لا».

بما يشذُّ به عن عرف الأَطفال، وهو تحريم تبغيض[١].

و﴿ٱلْمَرَاضِعَ﴾: جمع مُرْضع، واستعمل دون هاءِ التأْنيث لأَنه لا يلتبس بالرجال.

وقوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ﴾ معناه من أَول أَمره، و﴿قَبْلُ﴾ مبني، والضمير في ﴿فَقَالَتْ﴾ لأُخت موسى، قال النقاش: اسمها مريم[٢].

و﴿يَكْفُلُونَهُۥ﴾ معناه: يُحسنون تربيته وإِرضاعه. وعلم القوم أَن مُكَلِّمتهم من بني إِسرائيل، وكان ذلك عرف بني إِسرائيل، أَن يكونوا مراضع وخدمة.

وقوله: ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَاصِحُونَ﴾ يحتمل أَن الضمير يعود على الطفل، [ويحتمل أن يعود على الملك الذي كان الطفل في ظاهر أمره من جملته، وقال ابن جريج: إن القوم تأولوا أنها أعادت الضمير على الطفل][٣] فقالوا لها: إِنك قد عرفتِهِ فأَخبرينا من هو؟ فقالت: ما أَردت إِلَّا أَنهم ناصحون للملِك[٤]، فتخلصت منهم بهذا التأْويل.

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل أَن يعود الضمير على الطفل ولكن يكون النصح له بسبب الملك وحرصاً على التَّزلُّف إِليه والقُرب منه، وفي الكلام هنا حذف يقتضيه الظاهر، وهو أَنها حملتهم إِلى أُمِّ موسى وكلموها في ذلك، فَدَرَّت عليه وَقَبِلَها، وحظيت بذلك، وأُحسن إِليها وإِلى أَهل بيتها، وقرَّت عينها، أَي سُرَّت بذلك.

وروي أَن فرعون قال لها: ما سبب قبول هذا الطفل؟ قالت له: إِنِّي طيبة الرائحة طيبة اللبن، ودمع الفرح بارد، وعين المهموم[٥] حرى سخنة، فمن هذا المعنى قيل: قَرَّت العين وسخنت.

---

(١) في الأصل: «تنقيص».

(٢) مثله في تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٣٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٣/ ٨٠٢)، بلا نسبة.

(٣) سقط من المطبوع، وسقط الاحتمال الأول من لالاليه.

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٥٣٤).

(٥) في الأصل: «ودموع الهم».

وقرأ يعقوب: (نُقِرَّ) بنون مضمومة وكسر القاف(١).

ووَعْدُ اللَّهِ تعالى المشار إليه هو الذي أَوحاه إِليها أَوَّلاً، إِمَّا بِمَلَك وإما بمنامة(٢)، وإِمَّا بإِلهام حسب اختلاف المفسرين في ذلك، والقول بالإِلهام يضعف أَن يقال فيه: وعْد، وقوله تعالى: ﴿أَكۡثَرَهُمۡ﴾ يريد القبط.

و«الأَشُدُّ»: جمع شدة، [كنعمة وأنعم، هذا قول سيبويه(٣)، وقال غيره: الأشد جمع شد، وقالت فرقة: الأشد اسم مفرد وليس بجمع.

واختلف في قدر الأشد](٤) من السِّنين:

فقالت فرقة: بلوغ الحُلُم، وهي نحو مدة خمسة عشر عاماً، وقالت فرقة: ثمانية عشر عاماً، وقال السدي: عشرون، وقالت فرقة: خمسة وعشرون، وقالت فرقة: ثلاثون(٥).

وقال مجاهد وابن عباس: ثلاثة وثلاثون(٦)، وقالت فرقة عظيمة: ستة وثلاثون، وقال مجاهد وقتادة: الاستواءُ: أَربعون سنة، وقال مكي: وقيل هو ستون سنة(٧)، وهذا ضعيف.

و«الأَشُدّ»: شِدَّة الْبَدَن واستحكام أَسْره وقوته.

﴿وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ معناه: تكامل عقله وحزمه، وذلك ـ عند الجمهور ـ مع الأَربعين.

---

(١) وهي شاذة، لم أجدها لغير المؤلف، والمعروف عن يعقوب قراءة الجماعة.
(٢) في المطبوع: «تمثُّله».
(٣) الكتاب لسيبويه (٣/ ٥٨٢).
(٤) سقط من المطبوع.
(٥) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الماوردي (٤/ ٢٤٠)، لكنه نسب هو وتفسير البغوي (٢/ ١٧١) للسدي الأخير.
(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٣٥)، من طريق ابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنه به.
(٧) لفظه في الهداية لمكي (٨/ ٥٥٠١): «وقيل: الاستواء: ستون سنة»، وقد تقدم أكثر هذه الأقوال في سورة الأنعام.

و«الحُكْمُ»: الحِكْمَة، و«العِلْمُ»: المعرفةُ بشرع إبراهيم عليه السلام، وهي مقدمة لنبوته ﷺ.

واختلف المتأولون في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ فقال السدي: كان موسى في وقت هذه القصة على رسم التعلُّق بفرعون، وكان يركب مراكبه[١] حتى أنه كان يدعى موسى بن فرعون، قالوا: فركب فرعون يوماً وسار إلى مدينة من مدائن مصر يقال لها منف، ثم علم موسى بركوب فرعون فركب بعده ولحق بتلك المدينة في وقت القائلة، وهو حين الغفلة، قاله ابن عباس[٢]، وقال أيضاً: هو ما بين العشاءِ والعَتَمة[٣].

وقال ابن إسحاق: بل المدينةُ مصرُ نفسها[٤].

وكان موسى في هذا الوقت قد بَدَت منه مجاهرة[٥] لفرعون وقومه بما يكرهون، فكان مختفياً بنفسه متخوفاً منهم، فدخل متنكراً حذراً[٦] / مغتفلًا للناس، وقال ابن [٤/ ١٥٤] زيد: بل كان فرعون قد نابذه وأخرجه من المدينة وغاب عنها سنين فنسي[٧] أمره، وجاءَ هو، والناس على غفلة بنسيانهم لأمره وبُعْد عَهْدهم به[٨]، وقيل: كان يوم عيد.

وقوله تعالى: ﴿يَقْتَتِلَانِ﴾ في موضع الحال، أي: مُقْتَتِلين.

---

(١) في المطبوع: «مواكبه».
(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٣٨)، وابن أبي حاتم (١٦٧٥٥) من طريق ابن جريج، عن محمد بن المنكدر، عن عطاء بن يسار، عنه.
(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٣٨)، وابن أبي حاتم (١٦٧٥٨)، كلاهما من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس رضي الله عنه، وفيهما ضعف.
(٤) تفسير القرطبي (١٣/ ٢٦٠)، وفي تفسير الطبري (١٩/ ٥٤٣)، بمعناه.
(٥) في المطبوع ولالاليه: «مجاهدة».
(٦) سقطت من المطبوع وأحمد٣.
(٧) في المطبوع: «ففشا».
(٨) تفسير الطبري (١٩/ ٥٣٧)، بمعناه.

و﴿ شِيعَتِهِۦ ﴾: بنو إِسرائيل، ﴿عَدُوِّهِۦ﴾: القبط.

وذكر الأَخفش سعيدُ [بنُ مسعدةَ أَنها][1]: (فاسْتَعَانَه) بالعين غير معجمة[2]، وهي تصحيف لا قراءَة.

وذكر الثعلبي أَن الذي من شيعته هو السَّامِري، وأَن الآخر طباخ فرعون[3].

وقوله: ﴿هَٰذَا ﴾، و﴿هَٰذَا ﴾ حكاية حال قد كانت حاضرة، ولذلك عبَّر بـ﴿ هَٰذَا ﴾ عن غائب ماض.

و«الوَكْزُ»: الضرب باليد مجموعاً كعقد ثلاث وسبعين.

وقرأَ ابن مسعود: (فَلَكَزَه)، والمعنى واحد إِلَّا أَن اللَّكْز في اللِّحى، والوَكْز على القلب، وحكى الثعلبي أَن في مصحف ابن مسعود: (فَنَـكَزَه) [4]، والمعنى واحد.

و(قضى عليه) معناه: قَتَلَه مجهزاً[5].

وكان موسى عليه السلام لم يُرد قتل القبطي لكن وافقت وكزتُه الأَجل وكان عنها موته، فندم، ورأَى أَن ذلك من نزغ الشيطان في يده، وأَن الغضب الذي اقترنت به تلك الوكزة كان من الشيطان ومن هَمْزه، ونصَّ هو عليه السلام على ذلك، وبهذا الوجه جعله من عمله، وكان فضل قوة موسى ربما[6] أَفرط في وقت غضبه بأَكثر مما يقصد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾.

---

(١) من المطبوع، وفي فيض الله: «الأخفش عن سعيد».

(٢) وهي شاذة، عزاها له ولسيبويه في الشواذ للكرماني (ص: ٣٦٦)، وفي إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٣٥) للحسن.

(٣) تفسير الثعلبي (٧/ ٢٤٠).

(٤) وهما شاذتان، انظر عزو الأولى في تفسير الزمخشري (٣/ ٣٩٨)، والثانية في تفسير الثعلبي (٧/ ٢٤١).

(٥) سقط من المطبوع.

(٦) كتبت في المطبوع: «بما».

ثـم إِن ندامة موسـى حملتـه على الخضوع لربـه تعالى، والاسـتغفار عن ذنب [بـاء به عنـده تعالى][١]، فغفـر الله له خطأَه ذلك، قـال قتادة: عـرف ـ والله ـ المخرج فاستغفر[٢].

قال القاضي أَبو محمد: ولـم يزل عليه السلام يَعْتدُّ[٣] ذلك على نفسه مع علمه بأَنه قد غُفِر له، حتى أَنه في القيامة يقول: وقتلتُ نفساً لم أُومر بقتلها حسب ما صحَّ في حديث الشفاعة[٤].

ثم قال عليه السلام لربه معاهداً: رَبِّ بنعمتك عليَّ وبسبب إِحسانك وغفرانك فأَنا ملتزم أَلَّا أَكون مُعيناً للمجرمين، هذا أَحسن ما تُؤُوِّل.

وقال الطبري: إِنه قَسَم، أَقْسَم بنعمة الله تعالى عنده[٥]، ويضعفه صورة جواب القسم؛ فإِنه غير متمكن في قوله: ﴿فَلَنۡ أَكُونَ﴾؛ لأَن القسم لا يتلقى بـ«لَنْ»، والفاءُ تمنع أَن تُنَـزَّل «لَنْ» منزلة «لا» أَو «ما» فتأَمَّله.

واحتج الطبري بأَن في قراءَة عبد الله: (فَلا تَجْعَلني ظَهِيراً) [٦].

قال القاضي أَبو محمد: واحتجَّ أَهل العلم والفضل بهذه الآية في[٧] خدمة أَهل

---

(١) سقط من المطبوع، وفيه: «عن ذنبه».

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٥٤١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٥٥).

(٣) في المطبوع ولالاليه ونجيبويه: «يعيد».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٤٣٥)، ومسلم (٣٢٧)، كلاهما من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٥) لفظه في التفسير الطبري (١٩/ ٥٤١): «قال موسى رب بإنعامك علي بعفوك عن قتل هذه النفس... كأنه أقسم بذلك».

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٥٤٢)، وهي شاذة، وعزاها له أيضاً في معاني القرآن للنحاس (٥/ ١٦٧).

(٧) في المطبوع زيادة: «مَنْع»، قال في الحاشية: هذه الكلمة سقطت من الأصل، والمعنى بدونها قد يفهم بما يمكن أن يكون ضِدّاً للمقصود.

الجوْر ومعونتهم[١] في شيءٍ من أَمرهم، ورأَوا أَنها تتناول ذلك، نصَّ عليه عطاءُ بن أَبي رباح وغيره[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ﴾ عبارة عن كونه دائم الخوف في كل أَوقاته، كما تقول: أَصبح زيد عالماً.

و﴿يَتَرَقَّبُ﴾ معناه: عليه رقبة من فعله في القتل، فهو متحسّس.

قال ابن عباس: فَمَرَّ وهو بحالة الترقُّب وإِذا ذلك الإِسرائيلي الذي قاتل القبطي بالأَمس يقاتل آخر من القبط[٣].

وكان قتلُ القبطي قد خفي عن الناس واكتُتم، فلما رأَى الإِسرائيليُّ موسى استصرخه، بمعنى صاح به مستغيثاً، ومنه قول الشاعر:

كُنَّا إِذا مَا أَتَانَا صارِخٌ فَزِعٌ كان الصّراخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنَابيب[٤] [البسيط]

فلما رأَى موسى قتاله لذلك الآخر؛ أَعظم ذلك، وقال له معاتباً ومُؤَنِّباً: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾، وكانت إِرادة موسى ـ مع ذلك ـ أَن ينصر[٥] الإسرائيلي، فلما دنا منهما وجس[٦] الإِسرائيلي وفزع منه، وظنَّ أَنه ربما ضربه، وفزع من قوته التي رأَى بالأَمس، [فناداه بالفضيحة][٧] وشهر[٨] أَمر المقتول.

---

(١) في لالاليه: «معرفتهم».
(٢) إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٦٠)، وغيره ليست في المطبوع.
(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٤٣)، من طريق أصبغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه به.
(٤) البيت لسَلامة بن جَنْدل، كما تقدم في تفسير الآية **٢٤** من سورة إبراهيم.
(٥) في نجيبويه: «ينصرف».
(٦) في الأصل: «خشي».
(٧) سقط من المطبوع.
(٨) في المطبوع: «وشهد».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾.

قرأَ جمهور الناس: ﴿يَبْطِشَ﴾ بكسر الطاءِ.

وقرأَ الحسن، وأَبو جعفر: ﴿يَبْطُشَ﴾ بضم الطاء[1]، وهما لغتان.

فقال الإِسرائيلي لموسى معنى الآية بلسانه، وفر منه فشهر أَمر القتيل، والجبابرة شأْنهم قتل الناس بغير حق؛ فلذلك جعله الإِسرائيلي كذلك ونفى عنه الإِصلاح.

قال الشعبي: من قتل رجلين فهو جبار[2].

ولما اشتهر أنَّ موسى قتل القتيل، وكان قول الإِسرائيلي يغلب على النفوس تصديقه على موسى مع ما كان لموسى من المقدمات [أتى رأي فرعون وملئه على قتل موسى وذبحه، وغلب على نفس فرعون][3] أَنه المشار إِليه بفساد المملكة، فأَنفذ فرعون إِليه من يطلبه من جنده ويأْتي به للقتل، فخرج على الطريق الأَعظم.

وأَخذ رجل ـ يقال: إِنه مؤمن آل فرعون، ويقال: إِنه غيره ـ في بُنَيَّات الطريق قصداً إِلى موضع موسى فبلغه قولهم وقال له: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾ الآية.

و﴿يَسْعَىٰ﴾ معناه: يُسرع في مشيه، قاله الزجاج وغيره[4]، وهو دون الجري.

---

(١) عشرية لأبي جعفر في النشر (٢/ ٢٧٤)، وللحسن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٩٤)، وفي المطبوع: «بضم التاءِ»، وهو سبق قلم.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٥٤٥)، في نجيبويه: «الشافعي»، وفي المطبوع بعد هذا زيادة: «قال الشعبي»، وليست في النسخ الخطية.

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) لفظه في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٣٨): «يعدو».

وقال ابن جريج: معناه: يعمل وليس بالشَّدِّ[(١)].

قال القاضي أَبو محمد: وهذه نزعة مالك رحمه الله في سَعي الجمعة، والأَول عندي أَظهر في هذه الآية[(٢)].

و﴿يَأْتَمِرُونَ﴾: وزنه يفْتَعِلُونَ، ويَفْتَعِلُونَ يأْتي كثيراً بمعنى يَتَفَاعَلُون، ومنه ازْدَوج بمعنى تَزَاوج، وذهب ابن قتيبة إِلى أَنه بمعنى: يأْمر بعضُهم بعضاً، قال: لو كان ذلك لكان: يتآمرون[(٣)].

[٤/ ١٥٥] قال القاضي أَبو محمد: وذهب عنه أَنَّ / يَفْتَعل بمعنى يَتفَاعَل، وفي القرآن: ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٦]، وقد قال النَّمِر بن تَوْلَب:

[المتقارب] أَرَى النَّـاسَ قَـدْ أَحْدَثُـوا شِـيمَةً ... وفـي كُـلِّ حـادِثَـةٍ يُـؤْتَـمَـرْ[(٤)]

وأَنشد الطبري:

[مجزوء الكامل] مـا تَـأْتَـمِـرْ فِـيـنَـا فَـأَمْـ ... ـرُكَ فـي يَمِينِـكَ أَوْ شِـمالِكْ[(٥)]

ومنه قول ربيعة بن جشم[(٦)]:

[المتقارب] أَحَـارِ بْـنَ كَعْـبٍ كَأَنِّـي خَمِـرْ ... ويَعْـدُو على الْمَـرْءِ مـا يَأْتَمِرْ[(٧)]

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢٣٨)، وفي المطبوع: «وقال الزجاج»، وفيه: «يعجل»، بدل «يعمل».
(٢) موطأ مالك (٢/ ١٤٨).
(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٣٣١)، وفيه: «أي يهمون بك» بدل «يأمر بعضهم بعضاً».
(٤) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ١٠٠)، وتفسير الطبري (١٩/ ٥٤٨)، وغريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٦٠٥).
(٥) تفسير الطبري (١٩/ ٥٤٧)، بلا نسبة.
(٦) في المطبوع: «جثم»، وفي مجاز القرآن أنه نمري.
(٧) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ١٠٠)، وغريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٦٠٤) وفي تفسير الماوردي (٤/ ٢٤٤)، والصحاح للجوهري (٢/ ٥٨٢)، وخزانة الأدب (١/ ٣٧٤) عن الشيباني والمفضل أنه لامرئ القيس. وفي تهذيب اللغة (١٥/ ٢١١) أنه للنمر بن تولب.

فخرج موسى عليه السلام وأَفلت من القوم فلم يجده أحد منهم، وخرج بحكم فزعه ومبادرته[١] إِلى الطريق المؤدية إِلى مدين، وهي مدينة قوم شعيب عليه السلام، وكان موسى لا يعرف ذلك الطريق، ولم يصحب أَحداً، فركب مجهلتها واثقاً بالله تعالى ومتوكلاً عليه.

قال السدي ومقاتل: فَرُوي أَن الله تعالى بعث إِليه جبريل ـ وقيل: مَلَكاً غيره ـ فسَدَّده إِلى طريق مدين وأَعطاه عصاً ـ يقال هي كانت عصاه[٢]، ورُوي أَن عصاه إِنما أَخذها لرعي الغنم في مدين، وهو أَصحُّ وأَكثر، وبين مدين ومصر مسيرة[٣] ثمانية أَيام، قاله ابن جُبَيْر والناس[٤]، وكان مُلْك مدين لغير فرعون.

وحكى الطبري عن ابن جُرَيْج، أَو ابن أَبي نَجِيْح ـ شَكَّ الطبريُّ ـ أَنه قال: إِن الذي أَرادَ أَنْ يَبْطِشَ هو الإِسرائيليُّ، فنَهَاهُ موسى عن ذلك بعد أَن قال له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾، ففزع الإِسرائيليُّ عند ذلك من موسى وخاطبه بالفضح[٥]، وكان موسى من الندامة والتَّوبة في حد[٦] لا يُتَصور معه أَن يريد البطش بهذا الفرعوني الآخر[٧].

وروى ابن جريج أَن اسم الرجل الساعي من أَقصى المدينة شمعون، وقال ابن إِسحاق: سمعان[٨].

قال القاضي أَبو محمد: والتَّـثَـبُّت في هذا ونحوه بعيد.

---

(١) ليست في المطبوع، وكذا لفظة: «المؤدية».

(٢) انظر قول مقاتل في تفسيره (٣/ ٣٤٠)، وسماه جبريل، وقول السدي في تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦٠).

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦١) عنه عن ابن عباس.

(٥) في المطبوع: «بالفصيح».

(٦) في المطبوع والتركية ونور العثمانية: «حين»، وفي نجيبويه: «خبر».

(٧) تفسير الطبري (١٩/ ٥٤٤)، وفيه ذكر الشك.

(٨) انظر القولين في تفسير الطبري (١٩/ ٥٤٧).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾.

ولمَّا خرج موسى عليه السلام فارّاً بنفسه منفرداً حافياً لا شيءَ معه؛ رأى حاله وعدم معرفته بالطريق، وخُلُوَّه من زادٍ وغيره فاستند إلى الله تعالى وقال: ﴿عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾، وهذه الأقوال منه تقتضي أنه كان عارفاً بالله تعالى، عالماً بالحكمة والعلم الذي آتاه الله تعالى.

و﴿تَوَجَّهَ﴾: ردَّ وجهه إليها.

و﴿تِلْقَآءَ﴾ معناه: إلى ناحية، أي إلى الجهة التي يلقى فيها الشيءَ المذكور.

و﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ معناه: وسطه وقويمه[١].

وفي هذا الوقت بعث الله تعالى الملَك المُسَدِّد حسب ما ذكرناه قَبْلُ.

وقال مجاهد: أراد بـ ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ طريقَ مدين، وقال الحسن: أراد سبيل الهدى[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا أبرع[٣]، ونظيره قول الصِّديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «هو الذي يهديني السبيل» الحديث[٤].

فمشى عليه السلام حتى ورد مَدْيَنَ، أيْ: بَلَغَهَا، وَوُرُودُه الماءَ معناه: بلوغه؛ لا أنه[٥]

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) انظر القولين في تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦١)، والأول في تفسير الطبري (١٩/ ٥٥٠).

(٣) تحتمل في الأصل وفيض الله: «أبدع».

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٩٩)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٥) في المطبوع بدل: لا أنه: «لأنه»، وهو مفسد للمعنى.

دخل فيه، ولفظة الوُرود قد تكون بمعنى الدخول في المورود[١]، وقد تكون بمعنى الإِطلال عليه والبلوغ إِليه وإِن لم يدخل فيه، فوُرود موسى هذا الماءَ كان بالوصول إِليه، وهذه الوجوه في اللفظة تتأول[٢] في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١].

و﴿مَدْيَنَ﴾: لا ينصرف؛ إِذ هي بلدة معروفة.

و«الأُمَّةُ»: الجمع الكثير.

و﴿يَسْقُونَ﴾ معناه: ماشِيَتَهُمْ.

و﴿مِن دُونِهِمُ﴾ معناه: ناحية إِلى الجهة التي جاءَ منها، فوصل إِلى المْرأَتين قبل وصوله إِلى الأُمة، وهكذا هما من دونهم بالإِضافة إِليه.

و﴿تَذُودَانِ﴾ معناه: تَمْنَعان وتَحْبِسان، ومنه قوله ﷺ: «فليذادن[٣] رجالٌ عن حوضي» الحديث[٤]، وشاهد الشعر في ذلك كثير.

وفي بعض المصاحف: (امْرَأَتيْنِ حابِسَتَيْنِ تَذُودان)[٥].

واختُلف في المذود[٦]، فقال ابن عباس وغيره: تذودان غنمهما عن الماءِ خوفاً من السُّقَاةِ الأَقوياءِ[٧]، وقال قتادة: تذودان الناس عن غنمهما[٨]، فلما رأَى موسى عليه السلام

---

(١) في المطبوع: «الشيء».

(٢) في المطبوع: «تتناول قوله».

(٣) في المطبوع: «أَلاَ لَيُذَادَنَّ»، وفي نور العثمانية وفيض الله: «فلا يذادن».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٢٣٨)، ومسلم (٢٤٩)، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٥) وهي شاذة، عزاها في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٠٥) لابن مسعود بلفظ: (وَدُونَهُمُ امْرَأَتانِ حَابِسَتَانِ).

(٦) في المطبوع ونجيبويه: «الذَّوْد».

(٧) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٥٢)، وابن أبي حاتم (١٧٥٧٢)، كلاهما من طريق يزيد بن هارون، عن أصبغ بن يزيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه به وهو حديث الفتون.

(٨) تفسير الطبري (١٩/ ٥٥٣)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٤٣).

انتزاح[1] المرأَتين قال: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾؟ أَي: ما أَمركما وشأْنكما؟ وكأَن استعمال السؤال بالخطب إِنما هو في مصاب أَو مضطهد أَو من يشفق عليه أَو يأْتي بمنكر من الأَمر، فكأَنه بالجملة في شرٍّ، فأَخبرتاه بخبرهما، وأَن أَباهما شيخ كبير، فالمعنى أَنه لا يستطيع لضعفه أَن يباشر أَمْر غنمه، وأَنهما لضعفهما وقلَّة طاقتهما لا تقدران على مزاحمة الأَقوياءِ، وأَن عادتهما التأَنِّي حتى يُصدر [الرعاءُ ـ أَي][2] الناسُ ـ عن الماءِ ويخلو، وحينئذ تَرِدان.

وقالت فرقة: كانت الآبار مكشوفة، وكان زَحْمُ الناس يمنعهما، فلما أَن أَراد موسى أَن يسقي لهما؛ زَحَمَ الناسَ وغلبهم على الماءِ حتى سقى، فعن هذا الغلب الذي كان منه، وصَفَتْهُ إِحداهما بالقوة.

وقالت فرقة: بل كانت آبارهم على أَفواهها حجارة كبار، وكان ورد المرأَتين يتبع ما في صهاريج الشرب من الفضلات التي تبقى للسقاة، وأَن موسى عليه السلام عمد إِلى بئر كانت مُغطَّاة والناس يسقون من غيرها، وكان حَجَرُها لا يرفعه إِلا سبعة، قاله ابن زيد، وقال ابن جريج: عشرة[3]، وقال ابن عباس: ثلاثون[4]، وقال الزَّجَّاج: أَربعون[5].

فرفعه موسى وسقى للمرأَتين، فعن رفع الصخرة، وصَفَته بالقوة.

وقيل: إِن بئرهم كانت واحدة، وأَنه رفع عنها الحجر بعد انفصال السقاة؛ إِذ كانت عادة المرأَتين شرب الفضلات.

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) من المطبوع.

(٣) انظر القولين في الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٦٩)، والثاني نقله الطبري (١٩/ ٥٥٥) عن شريح، ورواه تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦٤) والنحاس في معاني القرآن (٥/ ١٧٤)، عن عمر ابن الخطاب، وفي الأصل في الثاني: «ابن زيد».

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٦٢-٥٦٣)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٥) لفظه في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤١) بعد أن ذكر القول بالعشرة: وقد قيل: إنه كان لا يقله أقل من أرْبعين نَفْساً.

وقرأ الجمهور: ﴿نَسۡقِي﴾ بفتح النون، وقرأ طلحة: (نُسقي) بضمها[١].

وقرأ أبو عمرو، وابن عامر: ﴿حتى يَصْدُر﴾ بفتح الياء وضم الدال، وهي قراءة الحسن، وأبي جعفر، وقتادة.

وقرأ الباقون: ﴿يُصۡدِرَ﴾ بضم الياءِ وكسر الدال على حذف المفعول، تقديره: مواشيهم، وحذف المفعول كثير في القرآن والكلام، / وهي قراءة الأعرج، وطلحة، [٤/ ١٥٦] والأعمش، وابن أبي إسحاق، وعيسى[٢].

و﴿ٱلرِّعَآءُ﴾ جمع راعٍ.

وتولَّى موسى عليه السلام إلى ظِلِّ سَمُرة، قاله ابن مسعود[٣].

وتعرض لسؤال ما يَطْعَمُه بقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾، ولم يصرح بسؤال، هكذا رَوَى سائر المفسرين أنه طلب في هذا الكلام ما يأْكله.

قال ابن عباس: وكان قد بلغ به الجوع، واخْضَرَّ لونه من أكل البقل، وضعف حتى لصق بطنه بظهره ورؤيت خضرة البقل في بطنه، وإنه لأكرم الخلق يومئذ على الله[٤].

ويُروى أنه لم يصل إلى مدين حتى سقط باطن قدمه، وفي هذا معتبر وحاكم بِهَوَان الدُّنيا على الله تعالى.

---

(١) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣٦٦).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٣) وقراءة أبي جعفر في تحبير التيسير (ص: ٤٩٧)، والباقين في البحر المحيط (٨/ ٢٩٧).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٥٦)، من طريق إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٥٧)، وابن أبي حاتم (١٦٨٠٩)، كلاهما من طريق حكام ـ هو ابن سلم ـ، عن عنبسة ـ هو ابن سعيد الرازي ـ، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه به، قال الإمام أحمد: حكام كان يحدث عن عنبسة أحاديث غرائب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

في هذا الموضع اختصارٌ يدل عليه الظاهر، قدَّره ابن إسحاق: فذهبَتَا إِلى أَبيهما سريعتين، وكانت عادتهما الإِبطاءَ في السقي، فحدثتاه بما كان من الرجل الذي سقى لهما، فأَمر الكبرى من بنتيه ـ وقيل الصغرى ـ أَن تدعوه له، فجاءَت على ما في هذه الآية(١)، وروي أَن اسم إِحداهما «ليا» والأُخرى «شرفا».

وروي أَن اسم زوجة نبي الله موسى منهما: «صفورة»، وقيل: اسمها «صوريا»(٢).

وقال وهب بن منبه: زوَّجه الكبرى(٣)، ورُوي عن النبي ﷺ أَنه زوَّجه الصغرى، ذكره الثعلبي ومكي من طريق أَبي ذر(٤).

وقال النقاش: ويقال: كانتا توأمتين وَوُلدت الأُولى قبل الأُخرى بنصف نهار(٥).

وقوله: ﴿تَمْشِى﴾ حال من ﴿إِحْدَىٰهُمَا﴾، وقوله: ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ أَيْ خَفِرة

---

(١) انظر رواية ابن إسحاق للقصة في تفسير الطبري (١٩/ ٥٦٠).

(٢) انظر هذا الخلاف في أسمائهما في الهداية لمكي (٨/ ٥٥٢١)، وغيره.

(٣) عزاه في زاد المسير (٦/ ٢١٦) لمقاتل.

(٤) ضعيف جداً، أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٣٢١)، من طريق عوبد بن أبي عمران، عن أبيه، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً به، قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن أبي عمران إلا ابنه عوبد، ولا يروى عن أبي ذر إلا بهذا الإسناد، وعوبد هذا متفق على تركه، انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٣٠٤)، وانظر الهداية لمكي (٨/ ٥٥١٥)، ولم أجده في تفسير الثعلبي المتوفر.

(٥) انظر مثل هذا في تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٩٣)، وتفسير البحر المحيط (٨/ ٢٩٨).

قد سترت وجهها بكم درعها، قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه(١)، وقال عمرو بن ميمون: لم تكن سَلْفَعاً من النساءِ، ولَّاجَةً خرَّاجَةً(٢).

واختلف الناسُ في الرجل الداعي لموسى عليه السلام، من هو؟

فقال الجمهور: هو شعيب عليه السلام، وهما ابنتاه.

وقال الحسن: هو ابن أَخي شعيب واسمه ثروان، وقال أبو عبيدة: يثرون، وقيل: هو رجل صالح ليس من شعيب بنسب(٣).

وقيل: إِن المرأَتين إِنما كان مرسلهما عمهما، وهو كان صاحب الغنم، وهو المزَوِّج، لكن عبّر عن العم بالأَب في جميع الأَمر إِذ هو بمثابته.

وروي أَن موسى عليه السلام لمَّا جاءَته بالرسالة أَجاب، فقام يتبعها إِلى أَبيها، فهبت ريح ضمَّت قميصها إِلى بدنها فوصفت عجيزتها، فتحرَّج موسى عليه السلام من النظر إليها، فقال لها: ارجعي خلفي وأَرشديني الطريق، ففهمت عنه [فذلك سبب وصفها له](٤) بالأَمانة، قاله ابن عباس(٥).

فوصل موسى إِلى داعيه، فقصَّ عليه أَمْره من أَوله إِلى آخره، فآنسه بقوله: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وكانت مَدْيَن خارجة عن مملكة فرعون، فلما فرغ كلامهما قالت الابنة التي ذهبت عنه: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ الآية، فلما وصفته بالقوة

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٣٢)، من طريق إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عمر ابن الخطاب، رضي الله عنه به.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦٥)، وتفسير الطبري (١٩/ ٥٥٩)، والسلفع: الجريئة على الرجال.

(٣) انظر قول أبي عبيدة في تفسير الطبري (١٩/ ٥٦١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦٦)، وفيهما عن الحسن أنه سيد الماء وفي المطبوع: «ابن أَبي عبيدة»، وفي لالاليه: «أبو عبيد»، وفي الأصل: «بسبب» مع الإشارة للنسخة الأخرى في الهامش.

(٤) في المطبوع: «ذلك فوصفته».

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٦٢)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

والأَمانة قال لها أَبوها: ومن أَين عرفت هذا منه؟ فقالت: أَما قُوَّته ففي رفع الصخرة، وأَما أَمانته ففي تحرُّجه عَنِ النَّظر إِلَيَّ وقت هبوب الرياح، قاله ابن عباس، وقتادة وابن زيد وغيرهم(١).

فقال له عند ذلك الأَب: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ﴾ الآية، قال ابن عباس: فزوَّجه التي دعته(٢).

و«تَأْجُر» معناه: تثيب، وقال مكي: في هذه الآية خصائص في النكاح، منها أَنه لم يُعَيِّن الزوجة، ولا حدَّ أَول الأَمد، وجعل المهر إِجارة، ودخل ولم يَنْقُدْ شَيئاً(٣).

قال القاضي أَبو محمد: أَمَّا التعيين فيشبه أَنه كان في ثاني حال المراوضة، وإِنما عرض الأَمر مجملاً، وعيَّن بعد ذلك، وأَمَّا ذِكْرُ أَول المدة فليس في الآية ما يقتضي إِسقاطه؛ بل هو مسكوت عنه؛ فإِما رسماه وإِلَّا فهو من وقت العقد.

وأَما النكاح بالإِجارة فظاهر من الآية، وهو أَمر قد قرَّره شرعنا، وجرى به في حديث الذي لم يكن عنده إِلَّا شيءٌ من القرآن(٤).

وذهب بعض العلماءِ إِلى أَن ذلك خاصٌّ، وبعضهم إِلى أَنه منسوخ، ولم يجوِّز مالك رحمه الله النكاح بالإِجارة، وجوَّزها ابن حبيب وغيره، إِذا كانت الأُجرة تصل إِلى الزوجة(٥).

قيل: ومن لفظ شعيب عليه السلام حَسُن في لفظ العقود في النكاح: أَنْكَحَه

---

(١) انظر قولهما في تفسير الطبري (١٩/ ٥٦٤)، وأثر ابن عباس تقدم، وفي المطبوع بدل قتادة: «وقاله»، ولعله تحريف.

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٦٦)، من طريق السدي، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وهو منقطع.

(٣) الهداية لمكي (٨/ ٥٥٢٢)، وهو منقول بالمعنى.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٠٢٩) (٥٨٧١) ومواضع أخرى ومسلم (١٤٢٥).

(٥) انظر قول مالك في جامع الأمهات (ص: ٢٧٧) ومع قول ابن حبيب في الاستذكار (٥/ ٤١٦).

إِيَّاها، أَكثر من أَنْكَحَهَا إِيَّاهُ، وهذا مُعْترض، وجعل شعيب الثمانية الأَعوام شرطاً، ووكل العامين إِلى المروءَة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

لمَّا فرغ كلام شعيب قرره(١) موسى عليه السلام، وكرَّر معناه على جهة التوثق في أَن الشرط إِنما وقع في ثماني حجج.

و﴿أَيَّمَا﴾ استفهامٌ نُصب بـ ﴿قَضَيْتُ﴾، / و(مَا) صلة للتأْكيد. [٤/ ١٥٧]

[وقرأ الحسن: (أيْما) بسكون الياء، وقرأ ابن مسعود: (أي الأجلين ما قضيت)](٢).

وقرأَ الجمهور: ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ﴾ بضم العين، وقرأَ أَبو حيوة: (فلا عِدوان) بكسر العين(٣).

والمعنى: لا تَبِعة عليَّ من قولٍ ولا فعلٍ.

و«الوَكيلُ»: الشاهد القائم بالأُمور.

قال ابن زيد: ولمَّا كمل هذا النكاح بينهما أَمر شعيب موسى أَن يسير إِلى بيت له

---

(١) كتبت في المطبوع: «كرره».

(٢) ساقط من المطبوع، وهما شاذتان، انظر الأولى في المحتسب (٢/ ١٥٠)، والشواذ للكرماني (ص٣٦٧)، والثانية في مختصر الشواذ (ص١١٣)، وتفسير الزمخشري (٣/ ٤٠٦)، وفي لالاليه: «أي الأجلين قضيت».

(٣) وهي شاذة، انظرها في الكامل للهذلي (ص: ٦١٤).

فيه عِصِيٌّ، وفيه هذه العَصَا، فرُوي أَن العَصَا وثبت إِلى موسى فأَخذها، وكانت عَصَا آدم، وكانت من عير[١] ورقة الريحان، فروي أَن شعيباً أَمره بردِّها ففعل وذهب يأْخذ غيرها فوثبت إِليه، وفعل ذلك ثالثة، فلما رأَى شعيب ذلك علم أَنه مرشح للنبوة فتركها له.

وقيل: إِنما تركها له لأَنه أَمر موسى بتركها فأَبَى موسى من ذلك، فقال له شعيب: نمدُّ إِليها جميعاً فمن طاوعت له فهي له، فمدَّ إِليها شعيب فثقلت، ومدَّ موسى فخفَّت ووثبت إِليه، فعلما أَن هذا من الترشيح.

وقال عكرمة: إِن عصا موسى إِنما دفعها إِليه جبريل عليه السلام ليلاً عند توجُّهه إِلى مدين[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾؛ قال سعيد بن جبير: سأَلني رجل من النصارى: أَي الأَجلين قضى موسى؟ فقلت: لا أَدري حتى أَقدم على حبر[٣] العرب، أَعني ابن عباس، فقدمتُ عليه فسأَلته، فقال: قضى أَكملهما وأَوفاهما، إِن رسول الله إِذا قال وفَّى، فعدت فأَعلمتُ النصراني، فقال: صدق والله هذا العالِمُ[٤].

وروي عن ابن عباس أَن النبي ﷺ سأَل في ذلك جبريل عليه السلام، فأَخبره أَنه قضى عشر سنين[٥]، وحكى الطبري عن مجاهد أَنه قضى عشراً وعشراً بعدها[٦].

---

(١) كتبت في أكثر النسخ: «غير»، وأشار في هامش أحمد٣ إلى أن في نسخة: «من عين»، وقد تقدم التعليق عليها في تفسير سورة الشعراء.

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (١٩/ ٥٦٨)، وفي المطبوع: «رفعها»، بدل: «دفعها».

(٣) في المطبوع ولالاليه: «خير».

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ٥٦٩)، من طريق ابن إسحاق، عن حكيم بن جبير، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنه به، حكيم بن جبير، متروك الحديث، انظر: تهذيب الكمال (٧/ ١٦٥).

(٥) منكر، أخرجه الحميدي في مسنده (٥٣٥)، ومن طريقه ابن أبي حاتم (١٦٨٦٥)، من طريق إبراهيم ابن يحيى بن أبي يعقوب، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً به، وليس فيه ذكر العشر سنين، وهذا إسناد ضعيف جداً، إبراهيم بن أبي يحيى، ذكره الذهبي في الميزان (١/ ٧٣-٧٤)، وقال: عن الحكم بن أبان بخبر منكر، والرجل منكر، ثم ذكر حديثه هذا. ورواه ابن أبي حاتم (١٦٨٦٦)، من طريق يوسف بن سرج، عن النبي ﷺ، مرسلاً.

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٥٧٠).

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيف.

وفي قصص هذه الآية: أَن موسى عليه السلام لما قضى الأَجل أَراد أَن يسير بأَهله إِلى مصر بلده[١] وقومه، وقد كان لا محالة أَحَسَّ بالترشيح للنبوة، فسار[٢] وكان رجلًا غيوراً لا يصحب الرِّفاق، فلما جاء في بعض طريقه في ليلة مظلمة، مردة حرة[٣] قال النقاش: كانت ليلة جمعة، ففقدوا النار، وأَصْلَدَ الزِّناد، وضلُّوا الطريق، واشتد عليهم الخَصَر[٤].

فبينا هو كذلك إِذ رأَى ناراً، وكان ذلك نوراً من نور[٥] الله تعالى قد التبس بشجرة.

قال وهب: كانت عُلَّيقاً، وقال قتادة: كانت عَوْسَجاً[٦]، وقيل: زَعْروراً.

وقيل: سمُرة، قاله ابن مسعود[٧].

و﴿ءَانَسَ﴾ معناه: أَحسَّ، والإِحساس هاهنا بالبصر، ومن هذه اللفظة قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦]، ومنها قول حسَّان:

انْظُرْ خَلِيلِي ببابِ جِلَّقَ هَلْ تُؤْنِسُ دونَ البَلْقَاءِ مِنْ أَحَدِ[٨] [المنسرح]

وكان هذا الأَمر كله في جانب الطور، وهو جبل معروف بالشام، و«الطُّور»: كلُّ جبل، وخصَّصه قوم بأَنه الذي لا ينبت.

فلما رأَى موسى النار سُرَّ، فقال لأَهله: أَقيموا فقد رأَيت ناراً، آتيكم منها بخبر[٩]

(١) ليست في المطبوع.
(٢) ليست في المطبوع.
(٣) ليستا في المطبوع.
(٤) الخَصرُ: شدة البَرْد، أو ألم البَرْد في الأطراف.
(٥) من المطبوع ولالاليه.
(٦) انظر قول وهب (٧/ ٢٤٨)، وقول قتادة في تفسير الطبري (١٩/ ٥٧٣).
(٧) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٥٦)، من طريق إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه به.
(٨) تقدم في تفسير الآية (٢٧) من سورة النور.
(٩) في المطبوع بدل هذه الآية: «فلما قضى موسى الأجل»، ولعله خطأ.

عن الطريق، أَين هو، ﴿أَوۡ جَذۡوَةٍ﴾ وهي: القطعة من النار في قطعة عُودٍ كبيرة لا لهب لَهَا، إِنما هي جمرة، ومن ذلك قول الشاعر:

[البسيط]
باتَتْ حواطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لَهَا جَزْلَ الجِذَا غَيْرَ خَوَّارٍ وَلَا دَعِرِ[١]

قال القاضي أَبو محمد: وأَحسب أَن أصل الجذوة أُصول الشجر، وأَهل البوادي أَبداً يوقدونها، فتلك هي الجذوة في الحقيقة، ومنه قول السُّلَمي[٢] يصف الصَّلى:

[الطويل]
حما حُبُّ هذا النَّارِ حُبَّ خَليلتي وحُبَّ الْغَوَاني فَهو دُونَ الحَبائِبِ
وبُدِّلْتُ بعد الْبَانِ والمِسْكِ شِقْوَةً دُخانَ الْجِذَا في رأْسِ أَشْمَطَ شاحِبِ[٣]

وقرأَ الجمهور: ﴿جِذْوَةٍ﴾ بكسر الجيم.

وقرأَ حمزة، والأَعمش: ﴿جُذْوَةٍ﴾ بضمها.

وقرأَ عاصم: ﴿جَذۡوَةٍ﴾ بفتحها[٤]، وهي لغات.

و«الصَّلَى»: حرُّ النار.

و﴿تَصۡطَلُونَ﴾: تَفْتَعِلُونَ، أُبدلت التَّاءُ طاءً.

فلما أَتى موسى ذلك الضوءَ الذي ـ رآه وهو في تلك الليلة ابن أَربعين سنة ـ نُبِّئَ ﷺ.

فرُوي أَنه كان يمشي إِلى ذلك النور فكان يبعد منه، تمشي به الشجرة وهي خضراءُ غَضَّةٌ حتَّى نودي.

---

(١) البيت لتميم بن مقبل، كما في مجاز القرآن (٢/ ١٠٣)، والكامل للمبرد (٢/ ١١٤)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٢٠).

(٢) هو أشجع بن عمرو من ولد الشريد بن مطرود السلمي يكنى أبا الوليد، قال الشعر فأجاد وعد في الفحول وافتخرت به قيس، مدح البرامكة وانقطع إلى جعفر خاصة وأصفاه مدحه فأعجب به، ووصله إلى الرشيد ومدحه فأعجب به أيضاً، الأغاني (١٨/ ٢١٩).

(٣) انظر عزوه له في البحر المحيط (٨/ ٢٨٤)، والدر المصون (٨/ ٦٦٨).

(٤) فهي ثلاث قراءات سبعية، انظر التيسير (ص: ١٧١).

و«الشَّاطئُ والشَّطُّ»: ضفة الوادي.

وقوله: ﴿ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ يحتمل أَن يكون من اليُمْن صفةً للوادي أَو الشاطئ، ويحتمل أَن يكون معادلاً لليسار، فذلك لا يوصف به الشاطئ إِلَّا بالإِضافة إِلى موسى في استقباله مهبط الوادي، أَو بعكس ذلك، وكل هذا قد قيل.

و«بَرَكَةُ البُقْعة» هي ما خُصَّتْ به من آيات الله تعالى وأَنواره وتكليمه لموسى عليه السلام.

والناسُ على ضمِّ الباءِ من (بُقْعَة)، وقرأَ بفتحها الأَشهب العقيلي[(١)].

قال أَبو زيد: سمعت من العرب: هذه بَقعة طيبة بفتح الباءِ[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ يقتضي أَن موسى عليه السلام سمع ما سمع من جهة الشجرة، وسمع وأَدرك غير مكيف ولا محدد.

وقوله تعالى: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾؛ يحتمل أَن تكون ﴿أَن﴾ مفسِّرة، ويحتمل أَن تكون في موضع نصب بإِسقاط حرف الجرِّ.

وقرأَت فرقة: (أني أنا الله) بفتح الهمزة[(٣)] من ﴿إِنِّيٓ﴾.

ثم أَمره تعالى بإِلقاء العصا فأَلقاها فانقلبت حيَّةً عظيمة، ولها اضطراب الجانِّ، [وهي صغير الحيَّات، فجمعت هول الثعبان ونشاط الجانِّ][(٤)]، هذا قول بعضهم.

وقالت فرقة: بل الجانُّ يعُمُّ الصغير والكبير، وإِنما شبه بالجان جملة العصا

---

(١) مختصر الشواذ (ص١١٤)، والشواذ للكرماني (ص ٣٦٧)، وفي لالاليه ونور العثمانية وفيض الله: «أبو الأشهب»، دون ذكر العقيلي.

(٢) إصلاح المنطق (ص: ٩٠).

(٣) في نجيبويه ونور العثمانية: بفتح «إني»، وفي التركية: «بفتح الياء»، وهي شاذة، لم أقف عليها لغير المؤلف.

(٤) سقط من الأصل.

لاضطرابها فقط، وولَّى موسى عليه السلام مدبراً فزِعاً منها.

و(لم يعقِّب) معناه: لم يرجع على عقبه من تولِّيه، فقال الله تعالى له: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ﴾، [فأقبل وقد أمن بتأمين](١) الله تعالى إيَّاه.

ثمَّ أَمره بأَن يدخل يده في جيبه، وهو فتح الجبَّة من حيث يخرج رأْس الإِنسان، ورُوي أَن كمَّ الجبَّة كان في غاية الضِّيق فلم يكن له حيث(٢) يدخل يده فيه إِلاَّ في جيبه.

واسْلُكْ معناه: أَدْخِل، ومنه قول الشاعر:

[البسيط] حَتَّى سَلَكْنَ الشَّوى منهُنَّ في مَسَكٍ ... مِـنْ نَسْـلِ جَوَّابَةِ الآفـاقِ مِهْدَاجِ(٣)

[٤/ ١٥٨] وقوله تعالى: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾؛ أَيْ: مِن غير برص ولا مثلة(٤)، / ورُوي أَن يده كانت تُضِيءُ كأَنها قطعة شمس.

وقوله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾؛ ذهب مجاهد، وابن زيد [إلى أن ذلك حقيقة(٥)، أمره بضم عضده وذراعه وهو الجناح إلى جنبه ليخف بذلك فزعه، ومن شأن الإنسان إذا فعل ذلك في أوقات فزعه أن يقوى قلبه.

وذهبت فرقة](٦) إِلى أَن ذلك على المجاز والاستعارة، وأَنه أَمره بالعزم على ما أُمِرَ به، وأَنه كما تقول العرب: اشدد حَيازِيمك، واربط جأْشك؛ أَي: شمِّر في أَمرك،

---

(١) في المطبوع: «وهذا من تأْمين».

(٢) في المطبوع والحمزوية وفيض الله: «جيب».

(٣) البيت لأبي وجْزَةَ السَّعْدِيِّ، كما تقدم في تفسير الآية (١٢) من سورة الحجر، والشَّوَى: قوائم الحُمُر الوحشية، والمَسَك هنا: الماءُ الذي سارت فيه الأُتُنُ ووضعت قوائمها فيه فصار حولها كالمَسَك وهو السِّوار، وقوله: جوابة الآفاق: يريد الرِّيح، والمهداج: التي لها صوت وحنين.

(٤) في المطبوع ولالاليه: «مرض ولا مثله»، وفي نجيبويه: «مرض ولا مثلة».

(٥) تفسير مجاهد (ص: ٥٢٨)، ونقله عنهما تفسير الطبري (١٩/ ٥٧٥)، بمعناه.

(٦) ساقط من المطبوع.

ودع الرهب، وذلك لمَّا كثُر تخوفه وفزعه في غير ما موطن، قاله أَبو علي[١].

وقوله تعالى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ﴾ قال مجاهد، والسدي: «هي إِشارة إِلى العصا واليد»[٢].

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، والناس: ﴿الرَّهَب﴾ بفتح الراءِ والهاءِ.

وقرأَ عاصم، وقتادة: ﴿ٱلرَّهۡبِ﴾ بسكون الهاءِ.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وابن عامر، وعاصم أَيضاً: ﴿الرُّهْب﴾ [بضم الراءِ وسكون الهاءِ.

وقرأ الجحدري: (الرُّهُب)][٣] بضم الراء والهاء.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿فَذَانِّكَ﴾ بشد النون، وقرأَ الباقون: ﴿فَذَٰنِكَ﴾ بتخفيف النون.

وقرأَ شبل عن ابن كثير: (فَذَانِيكَ) بياءٍ بعد النون المخففة، أَبدل إِحدى النونين ياءً كراهة التضعيف، وقرأَ ابن مسعود: (فَذَانِّيكَ) بالياءِ أَيضاً مع شد النون، وهي لغة هذيل، وحكى المهدوي أَن لغتهم تخفيف النون[٤].

و﴿بُرْهَـٰنَانِ﴾: حُجَّتان ومُعْجِزتَانِ.

وباقي الآية بَيِّن.

---

(١) انظر كلامه على الآية في الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٤١٥).

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٥٢٩)، تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٩١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٧٦).

(٣) ساقط من المطبوع، والقراءات الثلاث الأولى سبعية، والأولى عن عاصم لحفص والأخرى لشعبة انظر: السبعة (ص: ٤٩٣)، والتيسير (ص: ١٧١)، والرابعة شاذة، انظر عزوها للجحدري في الشواذ للكرماني (ص٣٦٧).

(٤) القراءتان بلا ياء سبعيتان، كما في التيسير (ص: ١٧١)، وانظر رواية شبل في السبعة (ص: ٤٩٣)، وقراءة ابن مسعود في البحر المحيط (٨/ ٣٠٤)، وقول المهدوي في التحصيل (٥/ ١٤٦).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

كان موسى عليه السلام قد امتُحن بمخاوف فطلب شدَّ العضد بأَخيه هارون؛ لأَنه كان فصيح اللسان سمح الخُلُق.

وقرأَ الجمهور: ﴿رِدْءًا﴾ بالهمز، وقرأَ نافع وحده: ﴿رِداً﴾ بتنوين الدال دون همز، وهي قراءَة أَبي جعفر والمدنيين[1]، وذلك على التخفيف من «رِدْءٍ».

و«الرِّدْءُ»: الوزير المعين والذي يستند إِليه في الأَمر، وذهبت فرقة إِلى أَنها من معنى الزِّيادة، كما قال الشاعر:

وأَسْمَرَ خَطِّيّاً كأَنَّ كُعُوبَهُ ... نَوَى القَسْبِ قَدْ أَرْدَى ذِرَاعاً عَلَى العَشْرِ[2] [الطويل]

وهذا على ترك الهمز، وأَن يكون وزنه فِعْلاً.

---

(١) سقطت من المطبوع، وفيه بتنوين النون، وهو سبق قلم، والقراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٧١)، النشر (١/ ٤١٤).

(٢) البيت لحاتم الطائي، كما في شرح ديوان الحماسة للتبريزي (٢/ ٣٧٤)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٣٦٢)، معجم ديوان الأدب (٤/ ١٠٧)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٢٠٠)، ونسبه في تهذيب اللغة (١٤/ ١١٨) لأوس بن حجر، وفي الوساطة للجرجاني (ص: ٢٤١): ويروى لربيعة بن مِرداس، وفي سمط اللآلي (١/ ٦٨٦): الصحيح أنها لعتيبة بن مرداس أحد بني كعب بن عمرو بن تميم، وهو المعروف بابن فسوة.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿يُصَدِّقْني﴾ بالجزم، وذلك على جواب ﴿فَأَرْسِلْهُ﴾.

وقرأَ عاصمٌ وحمزة: ﴿يُصَدِّقُنِي﴾[١]؛ أَي: مصدقاً، فهو صفة للرِّدْءِ، أَو حالٌ.

و«شَدُّ العَضُد»: استعارةٌ في المعونة والإِنهاض.

وقرأَ الحسن بضم العين من (عُضُدَكَ)، وقرأَ عيسى بن عمر بفتح العين والضاد[٢].

و«السُّلْطَانُ»: الحُجَّةُ.

وقوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يحتمل أَن تتعلق الباءُ بقوله: ﴿وَنَجۡعَلُ لَكُمَا﴾، أَو بـ﴿يَصِلُونَ﴾ وتكون باءَ السَّبَب، ويحتمل أَن تتعلَّق بقوله: ﴿ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾؛ أَي: تَغْلبون بآياتنا.

والآياتُ هاهنا معجزاته عليه السلام، ولمَّا كذبوه ورموه بالسِّحر قارب موسى عليه السلام في احتجاجه، وراعَهُ تكذيبهم، فردَّ الأَمر إِلى الله عز وجل، وعوَّل على ما يظهره الله تعالى في شأْنهم، وتوعدهم بنقمة الله تعالى منهم.

وقرأَ ابن كثير: ﴿قال موسى﴾ بغير واو، وقرأَ غيرُه وجميع السبعة: ﴿وَقَالَ﴾ بواو[٣].

وقرأَ الجمهور: ﴿تَكُونُ لَهُۥ﴾ بالتَّاءِ، وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿يَكُونُ﴾ بالياءِ[٤] على التذكير؛ إِذ هي بمنزلة العاقب، [فهي كالصوت والصيحة والوعظ والموعظة][٥].

واستمر فرعون على طريق مَخْرَقَته على قومه، وأَمر هامان أَن يطبخ له الآجُرَّ، وأَن يبني له صرحاً؛ أَي: سَطْحاً في أَعلى الهواءِ، وليس الصَّرْح إِلَّا ما له سطْحٌ، ويحتمل

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٧١)، وفي المطبوع بدل حمزة: «وحده»، وهو خطأ.

(٢) وهما شاذتان، انظر: الشواذ للكرماني (ص٣٦٨).

(٣) فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٧١).

(٤) فهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٩٤).

(٥) ساقط من المطبوع.

أَن يكون الإِيقاد على الطِّين كَالْبَراني[١]، وتَـرَجَّى بزعمه أَن يطلع في السماءِ، فروي عن السدي أَنه بناه أَعلى ما يمكن، ثم صعد فيه، ورمى بالنبل فردَّها الله تعالى إِليه مخضوبة بالدَّم ليزيدهم عمًى وفتنة[٢]، فقال فرعون حنيئذ: إِنِّي قتلت إِله موسى، ثم قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ يريد في أَن موسى أرسله مرسل[٣]، فالظن على بابه، وهو في معنى إِيجاب الكفر له بمنزلة التصميم على التكذيب.

وقرأَ حمزة، والكسائي، ونافع: ﴿لا يَرْجِعون﴾، وقرأَ الباقون والحسن وخالد[٤]: ﴿لَا يُرۡجَعُونَ﴾ بضم الياءِ وفتح الجيم[٥].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

(نَـبَذْنَاهُم) معناه: طرحناهم، ومنه نبذ النواة، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] نَـظَـرْتُ إِلَـى عُـنْوانِـهِ فَـنَـبَذْتُـهُ ... كَـنَـبْـذِكَ نَعْلاً مِنْ نِعالِـكَ بالِيَا[٦]

---

(١) البَرَانِيُّ: جمع بَرْنِيَّة، وهي إِناءٌ واسع الفم من خزف أو زجاج ثخين.

(٢) الهداية لمكي (٨/ ٥٥٣٦)، بمعناه.

(٣) في المطبوع: «في أن موسى راسله».

(٤) «وخالد» ليس في المطبوع والتركية، وفي نجيبويه بدلًا منه: «مجاهد».

(٥) فهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٩٤).

(٦) هذا البيت لأبي الأسود الدؤلي كما في مجاز القرآن (١/ ٤٨)، وتفسير الطبري (٢/ ٤٠١)، والدلائل في غريب الحديث (٢/ ٥٠١)، والزاهر للأنباري (١/ ١٨٣)، وإسفار الفصيح (٢/ ٧٠٠)، والرواية في جميع المصادر: كنبذك نعلاً أخلقت من نعالكا، والقصيدة كافية لا يائية، انظر الأغاني (١٢/ ٣٥٧)، ولم يتبع المصنف على هذا الخطأ إلا صاحب البحر المحيط (٨/ ٣٠٧).

وقوم فرعون ـ وإِن كانوا ساروا إِلى البحر ودخلوه باختيارهم ـ فإِنَّ ما ضمَّهم من القدر السابق السائق[١] هو نبذ الله تعالى إِيَّاهم فيه.

و﴿ٱلْيَمِّ﴾ هو بحر القُلْزم في قول أَكثر الناس، وقالت فرقة: كان غرقهم في نيل مصر، والأَول أَشهر.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ﴾ [عبارة عن حالهم وأفعالهم / [٤/ ١٥٩]
وخاتمتهم؛ أي: هم بذلك كالداعين إلى النار وهم فيه][٢] أَئمة من حيث اشتهروا وبقي [حديثهم فهم][٣] قدوة لكل كافر وعاتٍ إِلى يوم القيامة، و﴿ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾: الذين يَقْبُح كلُّ أَمرهم، قولاً لهم وفِعْلاً بهم، قال ابن عباس: هم الذين قبحوا بسواد الوجوه وزرقة العيون[٤].

و(يَوْمَ) ظرفٌ مقدم.

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ إِخبارٌ عن أَنه أَنزل التوراة على موسى بعد إِهلاك فرعون وقومه، وبعد هذه الأُمم التي تقدم ذكرها من عاد وثمود وقرية قوم لوط وغيرها، والقصد بهذا الإِخبار التمثيلُ لقريش بما تقدم في غيرها من الأُمم، وقالت فرقة: إِن الآية متضمنة أَن إِنزال التوراة على موسى هو بعد أَن رفع الله تعالى عذاب الأُمم؛ فلم تعذَّب أُمةٌ بعد نزول التوراة، إِلَّا القرية التي مسخت قردة فيما رُوي.

وقوله: ﴿بَصَآئِرَ﴾ نصب على الحال، أَي: طرائق هادية.

---

(١) زيادة من الأصل، وفي المطبوع: زيادة: «وإِغراقهم في البحر» قال في الحاشية: «زيادة عن البحر المحيط».
(٢) ساقط من المطبوع.
(٣) ساقط من المطبوع، وفيه: «وبقوا بدل وبقي».
(٤) لم أقف عليه.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾؛ أَي: على ترجي البشر[١]، وما تعطيه تأْميل من تأمل الأمر[٢].

ورُوي عن أَبي سعيد الخدري أَنه قال: ما أَهلَك الله تعالى أُمة بعذاب منذ[٣] أَنزل التوراة إِلى الأَرض غير القرية التي مُسخت قردة[٤]؛ أَي: الذين تعدوا في السبت، وهذا التعذيب من سبب شرع موسى؛ فكأَنه لا ينقص فضيلة التوراة برفع العذاب عن الأَرض.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

المعنى: ولم تحضر يا محمد هذه الغيوب التي نخبر بها، ولكنها صارت إِليك بوحينا؛ أَي: فكان الواجب أَنْ يُسارع إِلى الإِيمان بك، ولكن تطاول الأَمر على القرون التي أَنشأْناها زمناً زمناً، فعزبت حلومهم، واستحكمت جهالتهم وضلالتهم.

و﴿قَضَيۡنَآ﴾ معناه: أنفذنا وصيرنا[٥].

و﴿ٱلۡأَمۡرَ﴾؛ يعني: النبوة[٦]، وقالت فرقة: يعني به ما أَعلمه به من أَمر محمد ﷺ.

---

(١) «البشر» ليست في المطبوع.

(٢) في المطبوع: «وما يعطيه من تأميل وروي»، وفي فيض الله: «تأميل من تأمل البشر وروي... إلخ»، وفي نجيبويه: «تأميل من أمل الأمر».

(٣) في المطبوع: «بعد أن».

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٨٤)، وابن أبي حاتم (١٧٦٨٢)، من طريق عوف بن أبي جميلة، عن أبي نضرة العبدي، عن أبي سعيد الخدري.

(٥) في المطبوع: «وصرفنا»، وفي الأصل: «أبعدنا».

(٦) في المطبوع ولالاليه: «التوراة».

قال القاضي أَبو محمد: وهذا تأْويل حسن يلْتئم معه ما بعده من قوله: ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا﴾.

و«الثَّاوِي»: المقيم.

وقوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾؛ يريد: وقْتَ إِنزال التوراة إِلى موسى.

وقوله تعالى: ﴿إِذۡ نَادَيۡنَا﴾، رُوي عن أَبي هريرة أَنه نودي يومئذ من السماءِ: «يا أُمَّة محمد، استجبت لكم قبل أَن تدعوني، وغفرت لكم قبل أن تسألوني»[(١)]، فحينئذ [قال موسى عليه السلام: اللهم اجعلني من أمة محمد][(٢)]، فالمعنى: إِذْ نادينا بأَمرك، وأَخبرنا بنبوتك.

وقوله: ﴿رَّحۡمَةٗ﴾: نصب على المصدر، أَو على المفعول من أَجله.

وقوله: ﴿وَلَٰكِن﴾ [مرتبط بقوله: ﴿وَمَا كُنتَ﴾؛ أي: ولكن][(٣)] جعلناك وأَنفذنا أَمرك قديماً رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ، أو يكون المعنى: ولكن أَعلمناك ونبأناك[(٤)] رحمةً منَّا لك وإِفضالاً.

وقرأَ الناس: ﴿رَّحۡمَةٗ﴾ بالنصب، وقرأَ عيسى: (رَحْمَةٌ) بالرفع[(٥)].

---

(١) ضعيف، أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٤٢٤-٤٢٥)، من طريق حمزة الزيات، عن الأعمش، عن علي بن مدرك، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه به، وحمزة الزيات لا يحتج به في مثل هذا، ولم أجد من تابعه، انظر تهذيب الكمال (٧/ ٣١٤).

(٢) في المطبوع: يسأَل موسى عليه السلام أَن يكون من أُمة محمد ﷺ، والأثر ضعيف، أخرجه قريباً من هذا اللفظ الطبري (١٩/ ٥٨٦)، بنفس رجال الأثر المتقدم آنفاً، وفي متنه زيادة: «قال: وهو قوله: حين قال موسى: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾... الآية». وليس فيه: «فحينئذ قال موسى عليه السلام: «اللهم اجعلني من أمة محمد»، كما ذكره المصنف هاهنا.

(٣) ساقط من المطبوع.

(٤) سقطت من المطبوع.

(٥) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٦٨)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ١١٤) لأبي حيوة.

ويريد بالقوم الذين لم يأْتهم نذيرٌ: معاصريه من العرب، وباقي الآية بيِّن.

وقال الطبريُّ: معنى قوله: ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ بأَنْ ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧] الآية.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾.

«المُصِيبَةُ»: عذاب في الدنيا على كفرهم، وجواب (لَوْلَا) محذوف، [يقتضيه الكلام، تقديره: لعاجلناهم بما يستحقونه، وقال الزجاج][(١)]: تقديره: لما أَرْسلنا الرسل[(٢)].

وقوله: ﴿جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ يريد: القرآن ومحمداً ﷺ، والمقالة التي قالتها قريش: ﴿لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ كانت من تعليم اليهود لهم، قالوا لهم: لِمَ لا يأْتي بآية باهرة كالعصا واليد ونتق الجبل وغير ذلك، فعكس قولُ الله تعالى عليهم قولهم، ووقفهم على أَنهم قد وقع منهم في تلك الآيات ما وقع من هؤلاءِ في هذه، فالضمير في قوله: ﴿يَكْفُرُوا۟﴾ لليهود.

وقرأَ الجمهور: ﴿ساحران﴾، والمراد بهما موسى وهارون، قاله مجاهد، وقال

---

(١) ساقط من المطبوع.

(٢) لفظه في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٧): «أي: لولا ذلك لم يحتج إلى إرسال الرسل، ومواترة الاحتجاج».

الحسن: موسى وعيسى[١]، وقال ابن عباس: موسى ومحمد ﷺ[٢]، وقال الحسن أَيضاً: عيسى ومحمد عليهما السلام، والأَول أَظهر.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿سِحْرَانِ﴾[٣]، والمراد بهما التوراة والإِنجيل، قاله عكرمة[٤].

وقال ابن عباس: التوراة والفرقان[٥].

وقرأ ابن مسعود: (سحران اظَّاهرا)، وهي قراءَة طلحة والضحاك[٦].

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل أَن يريد بـ ﴿مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ﴾ أَمْرَ محمد الذي هو في التوراة، كأَنه يقول: وما يطلبون من أَن يأْتي بمثل ما أُوتي موسى وهم قد كفروا ـ في التكذيب بك ـ بما أُوتيه موسى من الإِخبار بك، [وقالوا: إِنَّا بكلٍّ كافرون][٧].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ يؤيد هذا التأْويل.

و﴿تَظَٰهَرَا﴾ معناه: تعاونا.

---

(١) انظر القولين، وقول الحسن الآتي في تفسير الطبري (١٩/ ٥٨٩).

(٢) أخرجه البخاري في الكبير (٥/ ٣١٧)، والطبري (١٩/ ٥٨٨)، وابن أبي حاتم (١٦٩٥٥)، كلهم من طريق شعبة، عن أبي حمزة، عن مسلم بن يسار، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وهذا إسناد حسن، أبو حمزة، ترجم له البخاري في الكبير (٥/ ٣١٧)، وذكر رواية شعبة عنه، وشعبة لا يروي في الغالب إلا عن الثقات.

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٧٢)، والسبعة (ص: ٤٩٥)، و«عاصم» سقط من الأصل.

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٥٩٠)، قال: وكان يقرؤها سحران.

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٨٩)، وابن أبي حاتم (١٦٩٥٩)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنه به.

(٦) وهي شاذة، عزاها لهم في مختصر الشواذ (ص١١٤)، ولابن مسعود في الشواذ للكرماني (ص ٣٦٨)، إلا أنه ضبطها بشدتين، و«طلحة» سقط من نور العثمانية.

(٧) ساقط من الأصل وفيض الله.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾... الآية، هذه حجةٌ أَمَرَه الله تعالى أَن يصدع بها؛ أَي: أَنتم أَيها المكذبون بهذه الكتب التي قد / تضمنت الأَمر بالعبادات [٤/ ١٦٠] ومكارم الأَخلاق، ونهت عن الكفر والنقائص، ووعد الله تعالى ـ مع ذلك ـ عليها الثواب الجزيل، إِن كان تكذيبكم لمعنى [وبحال صحة][1] فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يهدي أَكثر من هدى هذه أَتَّبعه معكم.

ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ ـ وقد علم أَنهم لا يستجيبون ـ على معنى الإِيضاح لفساد حالهم، وسياق القياس المبين[2]: لأَنهم متبعون لأَهوائهم.

ثم عجب تعالى من ضلال من يتبع هوَاه بغير هداية ولغير مقصد بين[3]، وقرر ذلك على جهة البيان؛ أَي: لا أَحد أَضل منه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥)﴾.

«الذين وُصِّل إِليهم القول» قريشٌ، قاله مجاهد وغيره.

وقال أَبو رفاعة القرظي: نزلت في اليهود في عشرة أَنا أَحدهم، ذكره الطبري[4].

وقال الجمهور: معناه: واصلنا لهم في القرآن وتابعناه موصولاً بعضه ببعض في المواعظ والزجر والدعاءِ إِلى الإِسلام، قال الحسن: وفي ذكر الأُمم المُهلَكة، وصلت لهم

---

(١) ساقط من المطبوع.

(٢) ساقط من المطبوع، وفي الأصل: «الهين»، وفي لالاليه: «سياق البيان».

(٣) سقطت من التركية، وفي الأصل والحمزوية وفيض الله: «نير».

(٤) انظره مع قول مجاهد ورفاعة في تفسير الطبري (١٩/ ٥٩٤).

قصة بقصة، حسب مرور الأَيام، وذهب مجاهد إِلى أَن معنى ﴿ وَصَّلْنَا ﴾: فَصَّلْنا؛ أَي: جعلناه أَوصالاً من حيث كان أَنواعاً من القول في معانٍ مختلفة[١]، ومعنى اتصال بعضه ببعض: حاصل من جهة أُخرى، لكن إِنما عدد عليهم هاهنا تقسيمه في أَنواع من القول.

وذهب الجمهور إِلى أَن هذا التوصل الذي وصَّل لهم القول معناه: وصل المعاني من الوعظ والزجر، [وذكر الآخرة][٢] وغير ذلك، وذهبت فرقة إِلى أَن الإشارة بتوصيل القول إِنما هي إِلى الأَلفاظ؛ أَي الإِعجاز، فالمعنى: ولقد وصَّلنا لهم قولاً معجزاً دالاًّ على نُبُوَّتك.

قال القاضي أَبو محمد: والمعنى الأَول تقديره: ولقد وصَّلنا لهم قولاً تضمن معاني من تدبرها[٣] اهتدى.

وقرأَ الحسن بن أبي الحسن: (ولقد وَصَلنا) بتخفيف الصاد[٤].

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾؛ [أي: في طمع البشر، وظاهر الأمر عندهم وبحسبهم][٥].

ثم ذكر تعالى القوم الذين آمنوا من أَهل الكتاب مباهياً بهم قريشاً، واخْتُلف إِلى من الإِشارة؟

فقيل: إِلى جماعة من اليهود أَسلمت وكانت تَلْقى من الكفار أَذى.

وقيل: إِلى بَحِيرَى الرَّاهب، وقال الزهري: إِلى النجاشي، وقيل: إِلى سلمان، وابن سلام.

---

(١) انظر قول مجاهد في تفسير الطبري (١٩/ ٥٩٣)، وأما قول الحسن فلم أجده.
(٢) في المطبوع: «وفي الأَجر».
(٣) ساقط من المطبوع، وفي التركية: «من يدرها».
(٤) مختصر الشواذ (ص١١٤)، والشواذ للكرماني (ص ٣٦٨).
(٥) في المطبوع: «أَي: يتعظون بالقرآن عن عبادة الأَصنام، أَو يتذكرون محمداً فيؤمنوا به».

وأَسند الطبري عن علي بن أَبي رفاعة قال: خرج عشرة رهط من أَهل الكتاب، فيهم أَبو رفاعة ـ يعني: أَباه ـ فأَسلموا، فأُوذوا، فنزلت فيهم هذه الآية[١].

والضمير في ﴿قَبۡلِهِۦ﴾ يحتمل أَن يعود على النبي ﷺ، ويحتمل أَن يعود على القرآن، وما بعْدُ يؤيد هذا، وهو قوله: ﴿وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ﴾ يريدون الإِسلام المتحصل لهم من شريعة موسى وعيسى عليهما السلام، وإِيتاءُ[٢] أَجرهم مرتين معناه: على ملَّتين، وبحظوة شريعتين[٣].

وهذا المعنى هو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتيهم الله أَجرهم مرتين: رجل من أَهل الكتاب آمن بنبيِّه وآمن بي، والعبد الناصح في عبادة ربِّه وخدمة سيِّده، ورجل كانت له أَمَةٌ فأَدبها وعلمها ثم أَعتقها وتَزَوَّجها»[٤].

وقوله تعالى: ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ عام في صبرهم على ملَّتهم، ثم على هذه وعلى الأَذى الذي يلقونه من الكفار وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَيَدۡرَءُونَ﴾ معناه: يدفعون، وهذا وصف لمكارم الأَخلاق؛ أَي: يتعاقبون[٥]، ومن قال لهم سوءاً لاَيَنُوهُ وقابلوه من القول الحسن بما يدفعه، وهذه آية مهادنة، وهي في صدر الإِسلام، وهي مما نسخته آية السيف، وبقي حُكْمها فيما دون الكفر تتعاطاه أُمَّة محمد ﷺ إِلى يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ مدحٌ لهم بالنفقة في الطاعات، وعلى رسم الشرع، وفي ذلك حضٌّ على الصدقات ونحوها.

---

(١) انظره مع قول الزهري في تفسير الطبري (١٠/ ٥٠٨).

(٢) من المطبوع.

(٣) في المطبوع: «ولإِيمانهم بشريعتين».

(٤) أخرجه البخاري (٤٧٩٥)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٥) في المطبوع: «يتعاونون»، وفي نجيبويه: «يتعاينون»، وفي التركية: «يتعامون»، وفي فيض الله ولالاليه: «يتغابنون».

و﴿ٱللَّغۡوَ﴾: سَقط[١] القول، [والقول يسقط لوجوه يعز حصرها، فالفحش لغو، والسِّباب لغو][٢]، واليمين لَغْوٌ، حسب الخلاف فيهما، وكلام مستمع الخطبة لَغْوٌ، والمراد من هذا ـ في هذه الآية ـ ما كان سَبّاً وأَذًى ونحوه، فأَدب أَهل الإِسلام الإِعراض عنه، والقول ـ على جهة التَّبـرِّي ـ ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾.

وقال ابن زيد: اللَّغْو هاهنا ما كان بنو إِسرائيل كتبوه في التوراة مما ليس من عند الله[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وهذه المهادنة هي لبني إِسرائيل، الكفار منهم.

و﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ في هذا الموضع ليس المقصود بها التحية، لكنه لفظ التحية قُصد به المُتارَكَة، وهو لفظ مؤنس مستنْزِل لسامعه؛ إِذْ هو في عرف استعماله تحية.

قال الزجاج: وهذا قبل الأَمر بالقتال[٤].

و﴿لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ معناه: لا نطلبهم للجدال والمراجعة والمسابَّة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥٨﴾.

أَجمع جُلُّ المفسرين على أَن قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ إِنما نزلت في شأْن أَبي طالب عمِّ رسول الله ﷺ، قال أَبو هريرة، وابن المسيَّب، وغيرهم: إِن النبي

(١) في المطبوع: «لَغْو».
(٢) ساقط من المطبوع.
(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٥٩٧).
(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٤٩).

[٤/ ١٦١] ﷺ دخل عليه وهو يجود بنفسه، فقال / له: «أَيْ عَمِّ، قل: لَا إِلهَ إِلَّا الله كلمةً أَشهد لك بها عند الله»، وكان بحضرته عبد الله بن أبي أُمية[١]، وأَبو جهل بن هشام، فقالا له: أَترغب عن ملَّة عبد المطلب يا أَبا طالب؟ فقال أبو طالب: يا محمد، لولا أَني أَخاف أَنْ يُعَيَّر بها ولدي من بعدي لأَقررتُ بها عينك، ثم قال أَبو طالب: أَنا على مِلَّةِ عبد المطلب والأَشياخ، فتفجع رسول الله ﷺ وخرج عنه، فمات أَبو طالب على كفره، فنزلت هذه الآية: [﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ إشارة إِلى أَبي طالب][٢]، [قال أبو رَوْق[٣]: قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ إشارة إلى العباس][٤].

والضمير في قوله: ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ لقريش، قال ابن عباس[٥]: والمتكلم بذلك منهم الحارث بن نوفل، وقصد الإِخبار بأَن العرب تنكر عليهم رفض الأَوثان وفراق حكم الجاهلية بتخطُّفهم من أَرضهم.

وقوله: ﴿الْهُدَىٰ﴾ معناه: على زعمك، وحكى الثعلبي عنه أَنه قال: إِنا لنعلم أَن الذي تقول حق، ولكن إِن اتبعناك يتخطفنا العرب[٦]، فقطعهم الله تعالى بالحجة؛ أَي: أَليس كون الحرم لكم مما يَسَّرناه وكففنا عنكم الأَيدي فيه؟ فكيف بكم لو أَسلمتم واتبعتم ديني وشرعي؟

---

(١) في المطبوع وفيض الله ونجيبويه: «ابن أمية»، وهو خطأ.

(٢) من المطبوع، والحديث متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٦٧١)، ومسلم (٣٩)، كلاهما من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه مرفوعاً به، ورواه مسلم (٤٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٣) في الأصل: «أبو رزق»، وأبو روق هو عطية بن الحارث الهمداني من بطن منهم يقال لهم: بنو وثن من أنفسهم، وهو صاحب التفسير، وروى عن الضحاك بن مزاحم وغيره، الطبقات الكبرى (٦/ ٣٤٨).

(٤) ساقط من المطبوع، وربما كان ما قبله بدلًا منه، والله أعلم، وانظر تفسير القرطبي (١٣/ ٢٩٩).

(٥) في المطبوع: «ابن مسعود».

(٦) تفسير الثعلبي (٧/ ٢٥٥)، وفيه أن القائل: الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف.

وروي عن أَبي عمرو: (نُتَخَطَّفُ) بضم الفاءِ[١].

و«أمْن الحرم»: هو ألَّا يُغْزى ولا يؤذى[٢] فيه أَحد.

وقوله تعالى: ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾؛ أَي: يُجمع ويُجْلَب.

وقرأَ نافع وحده: ﴿تُجْبَى﴾ بالتاءِ من فوق، وقرأَ الباقون: ﴿يُجْبَىٰٓ﴾[٣]، بالياءِ من تحت، ورويت التاءُ من فوق عن أَبي عمرو، وأَبي جعفر، وشيبة بن نصاح.

وقوله تعالى: ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾ يريد مما به صلاح حالهم وقوام أَمرهم، وليس العموم فيه على الإِطلاق.

وقرأَ أَبان بن تغلب: (ثُمُرَاتِ) بضم الثاءِ والميم[٤].

ثم توعَّد تعالى قريشاً بضرب المثل بالقُرى المُهْلَكة؛ أَي: فلا تغتروا بالحرم الآمن والثمرات التي تُجبى؛ فإِن الله تعالى يهلك الكفرة على ما سلف في الأُمم.

و﴿بَطِرَتْ﴾ معناه: سفهت وأَشِرت وطغت، قاله ابن زيد وغيره[٥].

و﴿مَعِيشَتَهَا﴾ نصبٌ على التفسير[٦]، مثل قوله: ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وقال الأَخفش: هو على إِسقاط حرف الجر؛ أَي: بَطِرت في معيشتها[٧].

---

(١) وهي شاذة، عزاها الهذلي في الكامل (ص: ٦١٤) للمنقري، وكذا في البحر المحيط (٨/ ٣١٥)، إلا أنه كتبت فيه يتخطف بالياء.

(٢) في المطبوع: «يودى».

(٣) فهما سبعيتان، انظر قراءة نافع في التيسير (ص: ١٧٢)، وأبي جعفر في النشر (٢/ ٣٤٢)، وفي المطبوع زيادة: «أَي: يجمع».

(٤) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٥٣)، وفي نجيبويه ولالاليه: «بن ثعلب».

(٥) لفظ ابن زيد في تفسير الطبري (١٩/ ٦٠٢): البطر: أَشَرُ أهل الغفلة وأهل الباطل والركوب لمعاصي الله.

(٦) في لالاليه: «التمييز»، وهو المقصود به.

(٧) انظر: الهداية لمكي (١/ ٤٥٢).

ثم أَحالهم على الاعتبار في خراب ديار الأُمم المُهْلَكة كحجر ثمود وغيره، وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾.

إِن كانت الإرادة(١) [بالْقُرى المدن التي في عصر النبي ﷺ فأُم القرى مكة، وإن كانت الإرادة](٢) للقرى بالإِطلاق في كل زمن فأُمُّهَا في هذا الموضع عظيمها وأَفضلها التي هي بمثابة مكة في عصر محمد ﷺ، وإِن كانت مكَّة أُم القرى كلها أَيضاً من حيث هي أَول ما خلق الله من الأَرض، ومن حيث فيها البيت، ومعنى الآية: أَن الله تعالى يقيم الحجة على عباده بالرسل، فلا يعذب إِلَّا بعد نذارة، وبعد أَن يتمادى أَهل القُرى في ظلم وطغيان، و«الظُّلْم» ـ هنا ـ يجمع الكفر والمعاصي والتَّقصير في الجهاد، وبالجملة وضع الباطل موضع الحق.

ثم خاطب تعالى قريشاً محقِّراً لما كانوا يفخرون به من مال وبنين وغير ذلك من قوة لم تكن عند محمد ﷺ ولا عند من آمن به، فأَخبر الله تعالى قريشاً أَن ذلك متاع الدنيا الفاني، وأَن الآخرة وما فيها من النعم التي أعد الله لهؤلاءِ المؤمنين خيرٌ وأَبقى.

ثمَّ وبَّخهم بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

وقرأَ الجمهور: ﴿أَفَلا يعْقِلُونَ﴾ بالياءِ، وقرأَ أَبو عمرو وحده: ﴿تَعْقِلُونَ﴾ بالتاءِ من فوق، [وروي عنه بالياء، كذا قال أَبو علي في الحجة، وذلك خلاف ما حكى أبو

(١) في المطبوع: «الإبادة».

(٢) ساقط من المطبوع.

حاتم والناس، فإن نافعاً يقرأ بالتاء من فوق][(١)]، وهي قراءَة الأَعرج، والحسن، وعيسى.

ثم زادهم توبيخاً بقوله: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ الآية.

وقوله: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ﴾ آية يعم معناها جميع العالم، لكن اختلف الناسُ فيمن نزلت، فقال مجاهد: الذي وُعد الوعد الحسن هو محمد ﷺ، وضده أَبو جهل.

وقال مجاهد أيضاً: نزلت في حمزة وأَبي جهل، [وقيل: في علي وأبي جهل][(٢)].

وقال قتادة: نزلت عامة في المؤمن والكافر[(٣)]، كما أَنَّ معناها عام.

قال القاضي أَبو محمد: ونزولها عامٌّ بيِّن الاتساق بما قبله من توبيخ قريش.

و﴿مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ معناه: في عذاب الله، قاله مجاهد وقتادة[(٤)].

ولفظة «مُحْضَرِينَ» مشيرةٌ إِلى سَوْق بجبر[(٥)].

وقرأَ طلحة: (أَمَنْ وَعَدْنَاهُ) بغير فاءٍ، وقرأَ مسروق: (أَفمن وعدناه نعمة منا فهو لاقيها)[(٦)].

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من المطبوع، وقد حكى المصنف هنا عن أبي علي الياء للجمهور، والوجهين لأبي عمرو، وهذا سهو منه رحمه الله، فأبو علي في الحجة (٥/ ٤٢٤)، أثبت للجمهور التاء ولأبي عمرو الوجهين وكذا في السبعة (ص: ٤٩٥)، والصواب أن أبا عمرو قرأ بالياء وجهاً واحداً من طرق التيسير (ص: ١٧٢)، وجزم بذلك في النشر (٢/ ٣٤٢) للدوري، قال: وقطع به للسوسي كثير من الأئمة.

(٢) ساقط من المطبوع والتركية ونجيبويه.

(٣) انظره مع قولي مجاهد في تفسير الطبري (١٩/ ٦٠٤)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٩٨، ولفظ: «عامة» ليس في المطبوع.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٩٩).

(٥) في المطبوع: «وجَرٍّ».

(٦) وهما شاذتان، الأولى في الشواذ للكرماني (ص٣٦٩)، والثانية في تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٩٩)، وكتبت في المطبوع: «لاقيه»، بالتذكير.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

التقدير: واذكر يومَ، وهذا النداءُ يحتمل أَن يكون بواسطة، ويحتمل أَن يكون بغير ذلك، والضمير المتصل[1] بـ ﴿يُنَادِى﴾ لعبدة الأَصنام، والإِشارة إِلى قريش، [وكفار العرب][2].

وقوله: ﴿أَيْنَ﴾ على جهة التقريع والتوبيخ، وقوله: ﴿شُرَكَآءِىَ﴾؛ أَي: عَلَى قولكم وزعمكم.

ولما كان هذا السؤال مُسْكِتاً لهم مبهتاً[3] فكأَنه [لا متعلق لجمهور الكفرة إلا بالمغوين لهم][4]، والأَعيان والرؤوس منهم، وبالشياطين المُغْوين، فكأَن هذه الصنيفة[5] المُغْوية إِنما أَتت الكفر على علم بأَن القول عليها متحقق، وكلمة العذاب ماضية، لكنهم طمعوا في التبَـرِّي من كل أُولئك الكفرة الأَتباع فقالوا: ربنا هؤلاءِ أَضللناهم كما ضللنا نحن باجتهاد لنا ولهم، وأَرادوا هم أَتباعنا، وأَحبُّوا الكفر كما أَحببناه، / فنحن نتبرَّأُ إِليك منهم، وهم لم يعبدونا إِنما عبدوا غيرنا. [٤/ ١٦٢]

قال القاضي أَبو محمد: فهذا التوقيف يعم جميع الكفرة، والمجيبون هم كل مغو داع إِلى الكفر، من الشياطين الجن[6]، ومن الإنس الرُّؤساءُ والعرفاءُ والسادة [في الكفر][7].

---

(١) ساقط من المطبوع.
(٢) ساقط من المطبوع.
(٣) في المطبوع: «مهيناً».
(٤) في المطبوع بدلًا منه: «لا يتعلق بجمهور الكفرة، بل بالمُغْوين لهم»، وفي لالاليه: «بالمقربين».
(٥) في المطبوع: «الفئة»، وفي لالاليه: «الصفة»، وفي نور العثمانية: «الصيغة».
(٦) من المطبوع.
(٧) ساقط من المطبوع.

وقرأ الجمهور: ﴿غَوَيْنَا﴾ بفتح الواو، ويقال: غَوَى الرجل يَغْوِي بكسر الواو.

وروي عن ابن عامر، وعاصم: (غَوِينَا) بكسر الواو(١).

ثم أَخبر تعالى أَنه يقال للكفرة العابدين للأَصنام الذين اعتقدوهم آلهةً: ﴿ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾؛ أَي: الأَصنام التي كنتم تزعمون أَنهم شركاءُ لله، وأَضاف الشركاءَ إِليهم لمَّا كان ذلك الاسم بزعمهم ودعواهم، فهذا القول أَصل من الاختصاص، أَضاف الشركاءَ إِليهم ثم أَخبر أَنهم دعَوْهم، فلم يكن في الجمادات ما يجيب، ورأَى الكفار العذاب.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾، ذهب الزجاج وغيره من المفسرين إِلى أَن جواب ﴿لَوْ﴾ محذوف تقديره: لما نالهم العذاب، أَو: لما كانوا في الدنيا عابدين للأَصنام(٢)، ففي الكلام ـ على هذا التأْويل ـ تأَسُّف عليهم، وذلك محتمل مع تقديرنا الجواب: لما كانوا عابدين للأَصنام، وفيه مع تقديرنا الجواب: لما نالهم العذاب نعمة منا.

وقالت فرقة: ﴿لَوْ﴾ متعلقة بما قبلها، تقديره: فودُّوا لَوْ أَنَّهُمْ كانُوا يَهْتَدُونَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

وهذا النداءُ أَيضاً كالأَول في احتماله الواسطة من الملائكة، وهذا النداءُ أَيضاً للكفار يوقفهم على ما أَجابوا به المرسلين الذين دعوهم إِلى الله تعالى.

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾؛ أَي: أَظلمت الأُمور، فلم يجدوا خبراً يخبرون به مما لهم فيه نجاة.

---

(١) وليست من طرق التيسير، عزاها لعبد الحميد بن بكّار عن ابن عامر في جامع البيان (٤/ ١٤٥٤)، ولأبان عاصم في مختصر الشواذ (ص١١٤)، والكامل للهذلي (ص: ٦١٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٥١).

وساق الفعل في صيغة الماضي لِتَحقق وقوعه وأَنه يقين[١]، والماضي من الأفعال مُتَيَقَّن[٢]؛ فلذلك توضع صيغته بدل المستقبل المُتَيَقَّن فيقوى وقوعه وصحته.

وعميت معناه: أَظلمت جهاتُها.

وقرأ الأَعمش: (فَعُمِّيَت) بضم العين وشدِّ الميم[٣].

وروي في بعض الحديث: «كان الله في عماءٍ»[٤]، وذلك قبل أَن يخلق الأَنوار وسائر المخلوقات.

و﴿ٱلۡأَنۢبَآءُ﴾: جمع نَبأٍ.

وقوله تعالى: ﴿فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ معناه فيما قال مجاهد وغيره: بالأَرحام والمتات[٥] الذي عُرْفه في الدنيا أَن يُتَسَاءَل به؛ لأنهم قد أَيقنوا أَنهم كلَّهم لا حيلة لهم ولا مكانة، ويحتمل أَن يريد أَنهم لا يتساءَلون عن الأَنباءِ لتيقُّن جميعهم أَنه لا حُجة لهم.

ثم انتزع تعالى من الكفرة من تاب من كفره، وآمن بالله ورسله، وعمل بالتقوى، ورَجَّى عزَّ وجلَّ فيهم أَنهم يفوزون ببغيتهم ويبقون في النعيم الدائم.

وقال كثير من العلماءِ: «عَسَى» من الله واجبة.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ظن حسن بالله تعالى يشبه فضله وكرمه، واللازم من

---

(١) سقطت من التركية، وفي المطبوع: «تعيَّن».

(٢) في لالاليه: «متعين».

(٣) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٨/ ٣٢٠)، وزاد جناح بن حبيش، وأبا زرعة، وعزاها للأخيرين خاصة في مختصر الشواذ (ص١١٤).

(٤) في إسناده جهالة، أخرجه الإمام أحمد (٢٦/ ١٠٨)، والترمذي (٣١٠٩)، وابن ماجه (١٨٢)، كلهم من طريق يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حدس، عن عمه أبي رزين، مرفوعاً به، ووكيع هذا أورده الذهبي في الميزان (٤/ ٣٣٥)، وقال: لا يعرف، تفرد عنه يعلى ابن عطاء.

(٥) في المطبوع: «والأنساب»، وفي التركية: «الموات».

«عَسَى» أَنها ترجية لا واجبة، وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ [التحريم: ٥].

وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ الآية، قيل: سببها ما تكلمت به قريش من استغراب أَمر النبي ﷺ، وقول بعضهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] فنزلت هذه الآية بسبب تلك المنازع، ورد الله تعالى عليهم، وأَخبر أَنه يخلق من عباده وسائر مخلوقاته ما يشاءُ، وأَنه يختار لرسالته من يريد ويعلم(١) فيه المصلحة، ثم نفى أَن يكون الاختيار للناس في هذا ونحوه، هذا قول جماعة من المفسرين(٢)، [قالوا: والظاهر](٣) أَن ﴿مَا﴾ نافية؛ أي: ليس لهم الخيرة عن الله تعالى، فتجيءُ الآية كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ﴾ [الأحزاب: ٣٦].. الآية.

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل أَن يريد: ويختار الله تعالى الأَديَانَ والشرائع، وليس لهم الخِيَرَةُ في أَن يميلوا إِلى الأَصنام ونحوها في العبادة، ويؤيد هذا التأْويل قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وذهب الطبريُّ إِلى أَن ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيَخْتَارُ مَا كَانَ﴾ مفعولة بـ(يختار)، قال: والمعنى أَن الكفار كانوا يختارون من أَموالهم لأَصنامهم أشياء(٤)، فأَخبر الله تعالى أَن الاختيار إِنما هو له وحده، يخلق ويختار من الرُّسل والشرائع ما كان خيرة للناس، لا كما يختارون هم ما ليس إليهم، ويفعلون ما لم يُؤْمروا به.

قال القاضي أَبو محمد: واعتذر الطبريُّ عن الرفع الذي أَجمع عليه القراءُ في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ بأَقوالٍ لا تتحصل(٥)، وقد ردَّ الناسُ عليه في ذلك.

---

(١) في المطبوع: «ويجعل».

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٥٢)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٦٥)، وفيه رد على قول الطبري دون تسميته.

(٣) من المطبوع.

(٤) في المطبوع: «خيارها».

(٥) انظر كلامه في التفسير (١٩/ ٦٠٨).

وذَكَر عن الفراءِ أَن القاسم بن معن أَنشده بيت عنترة:

[البسيط] أَمِنْ سُمَيَّةَ دَمْعُ الْعَيْنِ تَذْرِيفُ   لَوْ كَانَ ذَا مِنْكِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفُ(١)

وقرن الآية بهذا البيت، والرواية في البيت: لَوْ أَنَّ ذَا، ولكن على ما رواه القاسم يَتَّجه في بيت عنترة أَن يكون [الأمر والشأن مضمراً في «كان» وذلك في الآية ضعيف؛ لأن تفسير الأمر والشأن لا يكون بجملة فيها مجرور](٢)، وفي هذا كله نظر.

والوقف على ما ذهب إِليه جمهور الناس في قوله تعالى: ﴿وَيَخْتَارُ﴾، وعلى ما ذهب إِليه الطبريُّ لا يوقف على ذلك.

ويتَّجه عندي أَن تكون ﴿مَا﴾ مفعولة إِذا قدرنا ﴿كَانَ﴾ تامة؛ أَي: أَن الله تعالى يختار كل كائن، ولا يكون شيءٌ إِلَّا بإِذنه، وقوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾: جملة مستأْنفة معناها تعديد النِّعمة عليهم في اختيار الله تعالى لهم لو قبلوا وفهموا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٦٩) وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠) قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن/ جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣)﴾. [٤/ ١٦٣]

ذكر تعالى في هذه الآيات أُموراً يشهد عقل كل مفطور بأَن الأَصنام لا شركة لها فيها، فمنها علم ما في النفس وما يهجس بالخواطر.

و﴿تُكِنُّ﴾ معناه: تستر.

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٦٠٨)، وعزاه له أيضاً في المحاسن والأضداد (ص: ٢٦٢)، والأزمنة والأمكنة (ص: ٥٠٠)، وفي التركية: مذروف.

(٢) في المطبوع بدلًا منه: «في كان ضمير الأَمر والشأْن، فأَما في الآية فلا يكون بجملة فيها محذوف».

وقرأَ ابن محيصن: (تَـكُنُّ) بفتح التاءِ وضم الكاف[١].

وعبَّر عن القلب بالصدر من حيث كان محتوياً عليه، ومعنى الآية: أَن الله تعالى يعلم السِّرَّ والإِعلان.

ثم أَفرد نفسه بالأُلوهية ونفاها عمَّا سواه، وأَخبر أَن الحمد له في الدُّنيا والآخرة؛ إِذ له الصِّفات التي تقتضي ذلك، والحُكْم ـ في هذا الموضع ـ القضاءُ والفصل في الأَمر، ثم أَخبر تعالى بالرَّجعة إِليه والحشر.

ثم أَمر[٢] تعالى نبيَّه أَن يوقفهم على أَمر الليل والنهار، وما منح الله تعالى فيهما من المصالح والمرافق، وأَن يوقفهم على إيجاده[٣] تعالى بتقليب[٤] الليل والنهار، وأَنه لو مدَّ أَحدهما سرمداً لما وجد من يأْتي بالآخر.

و«السَّرْمَد» من الأَشياءِ: الدائم الذي لا ينقطع.

وقرأَت فرقة هي الجمهور: ﴿بِضِيَآءٍ﴾ بالياءِ.

وقرأَ ابن كثير في رواية قنبل: ﴿بِضِئَاءٍ﴾ بهمزتين، وضعَّفه أَبو عليٍّ[٥].

ثم ذكر عزَّ وجلَّ انقسام الليل والنهار على السكون وابتغاءِ الفضل بالمشي والتصرف، وهذا هو الغالب في أَمر الليل والنهار، فعدَّد النعمة بالأَغلب، وإِن وُجد من يسكن بالنهار ويبتغي فضل الله بالليل فشاذٌّ نادرٌ لا يُعْتَدُّ به.

---

(١) وهي شاذة عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: **٣٦٣**)، كما تقدم في النمل.

(٢) في المطبوع: «أخبر».

(٣) في المطبوع: «إنعامه»، وفي التركية: «إعادته»، وفي نجيبويه وفيض الله: «اتخاذه»، وفي الحمزوية: «على تقلب الليل».

(٤) في المطبوع: «بتوفيق».

(٥) لفظه في الحجة (**٤/ ٢٥٨**): وهو غلط، وهو غلط منه، فهما سبعيتان، كما مر في (الأنبياء)، وانظر: التيسير (ص: **١٢٠**).

وقال بعض الناس: قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ إنما عبَّر به عن الزمان، فكأَنه لم يقصد لتقسيم؛ أَي: في هذا الوقت الذي هو ليلٌ ونهارٌ يقع السكون وابتغاءُ الفضل.

وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمۡ﴾؛ أَي: على نظر البشر، من يرى هذا التلطُّف والرفق يرى أَن ذلك يستدعي الشكر ولا بُدَّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٧٤ وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلۡنَا هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٧٥﴾.

التقدير: واذكر يوم يناديهم، وكرر هذا المعنى إبلاغاً وتحذيراً، وهذا النداءُ عند ظهور كل ما وعد الرحمنُ على أَلْسنة المرسلين من وجوب الرحمة لقوم والعذاب لآخرين، ومن خضوع كل جبار وذلَّة الكل لعزَّة ربِّ العالمين، فيتوجه حينئذ توبيخ الكفار، فيقول الله تعالى لهم: ﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ﴾ على معنى التقريع.

ثم أَخبر تعالى أَنه يُخرج في ذلك اليوم من كل أُمَّة شهيداً يُمَيِّز بينه وبين الناس، وهذا هو النَّزْعُ؛ أَي: يُمَيِّز بين شيئين فينتزع أَحدهما من الآخر، وقال مجاهد: أَراد بالشَّهيد الذي يشهد على أُمَّته(١)، وقال الرماني: وقيل: أَراد عُدولًا من الأُمم وأَخياراً(٢).

قال القاضي أَبو محمد: وهم حملة الحجة الذين لا يخلو منهم زمن، والشَّهِيدُ ـ على هذا التأْويل ـ اسم الجنس، وفي هذا الموضع حذف يدل عليه الظاهر، تقديره: يشهد الشهيد على الأُمة بخيرها وشرها، فيحق العذاب على من [شهد عليه بكفر](٣).

---

(١) لفظه في تفسير مجاهد (ص: ٥٣١): يعني: رسولًا، وكذا في تفسير الطبري (١٩/ ٦١٤) عنه، وفيه عن قتادة: يشهد عليها.
(٢) لم أجد من نقله عنه.
(٣) ساقط من المطبوع، وفيه فقط: «كفر».

ويقال لهم ـ عَلَى جهة استبراءِ الحُجَّة والإِعذار في المحاورة[1] ـ: ﴿هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾، [على حق بأيديكم][2] إِن كان لكم، فيسقط حينئذ في أَيديهم، ويعلمون أَن الحق متوجه لله سبحانه عليهم في تعذيبهم، ويَنْتَلِف[3] لهم ما كانوا بسبيله في الدنيا من كذب مختلق وزور في قولهم: [هذه آلهتنا][4] للأَصنام، وفي تكذيبهم الرُّسل، وغير ذلك.

ومن هذه الآية انتزع قول القاضي عند إِرادة الحكم: أَبقيت لك حجة؟

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

﴿قَٰرُونَ﴾ اسم أَعْجَمي، فلذلك لم ينصرف، واختلف الناس في قرابة قارون لموسى:

فقال ابن إِسحاق: هو عمُّه.

وقال ابن جريج، وإِبراهيم النَّخَعي: هو ابن عمِّه لحاً[5]، وهذا أَشهر.

وقيل: ابن خالته، فهو بإِجماع رجلٌ من بني إِسرائيل، كان ممن آمن بموسى، وحفظ التوراة، وكان من أَقْرأ الناس لها، وكان عند موسى عليه السلام من عُبَّاد المؤمنين.

ثم إنه لحقه الزهو والإِعجاب، فبغى على قومه بأَنواع من البغي، فمن ذلك كُفْره بموسى واستخفافه به، ومطالبته له [بأَن يجعل له شيئاً][6]، فيما قال ابن عباس: بأنه

---

(١) في المطبوع: «المحاولة».
(٢) في المطبوع بدلًا منه: «أَي: حجتكم على ما كنتم عليه في الدنيا».
(٣) في المطبوع: «وينكشف».
(٤) في المطبوع: «هذه آلهة»، وتأخرت عن: «للأصنام».
(٥) «لحّاً» سقطت من المطبوع، ومعناها: دِنية؛ أي: ابن عمه مباشرة، وانظر القولين في تفسير الطبري (١٩/ ٦١٥).
(٦) من المطبوع.

عمد إِلى امرأَة مُومِسَة ذات جمال، وقال لها: أَنا أُحْسِنُ إِليك، [وأخلطك بأهلي][(١)] على أَن تجيئي في مَلأٍ من بني إِسرائيل عندي فتقولي: يا قارون اكفني أَمر موسى فإِنه يعترضني في نفسي، فجاءَت المرأَة، فلما وقفت على المَلأِ أَحدث الله تعالى لها توبة، فقالت: يا بني إِسرائيل، إِن قارون قال لي: كذا وكذا، ففضحته في جميع القصة، وبرَّأَ الله تعالى [بقدرته نبيَّه][(٢)] موسى من مطالبته[(٣)].

وقيل: بل قالت المرأَة ذلك عن موسى، فلما بلغه الخبر وقف بالمرأَة بمحضر من بني إِسرائيل، فقالت: [يا نبي الله، كذبتُ عليك][(٤)]، وإِنما دخلني[(٥)] قارون إِلى هذه المقالة[(٦)].

وكان من بغيه أَنه زاد في ثيابه شبراً على ثياب الناس، قاله شهر بن حَوشب[(٧)].

إِلى غير ذلك مما يصدر عمن فسد اعتقاده، وكان من أَعظم الناس مالاً، وسميت أَمواله كنوزاً؛ إِذ كان ممتنعاً من أَداءِ الزكاة، وبسبب ذلك عادى موسى عليه السلام أَول عداوته.

و«المفاتيح»: ظاهرها أَنها التي يفتح بها، ويحتمل أَن يريد بها الخزائن / [٤/ ١٦٤] والأَوعية الكبار، قاله الضحاك[(٨)]؛ لأَن المفتاح في كلام العرب الخزانة.

---

(١) في المطبوع بدلًا منه: «وأحفظك في أَهلي».
(٢) من المطبوع.
(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٦٣١)، من طريق علي بن هاشم، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنه.
(٤) في لالاليه: «يا بني إسرائيل كذبت على نبي الله».
(٥) في المطبوع: «دفعني»، وفي الأصل: «دعاني»، وفي التركية: «وصلني».
(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ٦٢٩)، من طريق جابر بن نوح، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، عنه.
(٧) تفسير الطبري (١٩/ ٦١٦).
(٨) تفسير الطبري (١٩/ ٦١٦).

قال القاضي أَبو محمد: وأَكثَرَ المفسرون في شأْن قارون، فروي عن خيثمة[١] أَنه قال: نجد في الإِنجيل مكتوباً: إِن مفاتيح قارون كانت من جلود الإِبل، وكان المفتاح من نصف شبر، وكانت وِقْر ستِّين بعيراً أَو بغلاً، لكل مفتاح كنز[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وروي غير هذا مما يقرب منه، وذلك كله ضعيف، والنظر يشهد بفساد هذا، ومن كان الذي يميز بعضها من بعض؟ وما الداعي لهذا وفي الممكن أَن ترجع كلها إِلى ما يحصى ويقدر على حصره[٣] بسهولة؟

وكان يلزم ـ على هذا المعنى ـ أَن تكون (مفاتيح) بياءٍ، وهي قراءَة الأَعمش[٤].

والذي يشبه إِنما هو أَن تكون المفاتيح من الحديد ونحوه، وعلى هذا تنوءُ بالعصبة؛ إِذ كانت كثيرة لكثرة مخازنه [وافتراقها من المواضع][٥]، أَو تكون المفاتحُ الخزائن.

قال أَبو صالح: كانت خزائنه تحمل على أَربعين بغلاً[٦].

وأَما قوله: ﴿لَتَنُوأُ﴾ فمعناه: تنهض بتحامُل واشتداد[٧]، ومن ذلك قول [الشاعر:

ينُؤْن ولم يكسِبْنَ إلا قنَازعاً ... من الرِّيش تنْوَاءَ النعَاجِ الهزَائِلِ[٨] [الطويل]

---

(١) هو خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي الكوفي، أبوه وجده صحابيان، يروي عن: أبيه، وعائشة، وعنه: منصور، والأعمش، وغيرهما، وكان رجلاً صالحاً، كبير القدر، وحديثه في الكتب الستة، وكان سخياً كريماً، تاريخ الإسلام (٦/ ٥٨).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٦١٨).

(٣) في المطبوع: «على حمله».

(٤) وهي شاذة، انظرها في البحر المحيط (٨/ ٣٢٣)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص٣٧٠) لأبي البرهسم.

(٥) ساقط من المطبوع.

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٦١٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٠٨).

(٧) سقطت من المطبوع.

(٨) قاله ذُو الرمة كما في الأزمنة والأمكنة (ص: ١٣٦)، وتهذيب اللغة (٣/ ١٨٣).

ومنه قول][(١)] الآخر يصف رامياً:

[الرجز] حَـتَّـى إِذَا مَـا اعتـدلَـتْ مَـفَـاصِلُهْ وَنَـاءَ فـي شِـقِّ الشَّـمَالِ كاهِلُـهْ[(٢)]

والوجه أَن يقال: إِن العُصْبَة تنوءُ بالمفاتح المثقِلة لها، وكذلك قال كثير من المتأوِّلين: إِن المراد هذا، لكنه قَلْبٌ كما تفعل العرب كثيراً، فمن ذلك قول الشاعر:

[الوافر] فَـدَيْـتُ بِنَـفْـسِـهِ نَـفْسِـي وَمَـالِـي وَمَـا آلُـوكَ إِلَّا مَـا أُطِـيـقُ[(٣)]

ومن ذلك قول الآخر:

[الطويل] وَتَـرْكَـبُ خَيْـلاً لَا هَـوَادَةَ بَيْـنَـهَـا وتَشْقَى الرِّمَاحُ بِالضَّيَاطِرَةِ الْحُمْرِ[(٤)]

وهذا البيت لا حُجَّة فيه؛ إِذْ يتَّجه على وجهه فتأَمله، ومن ذلك قول الآخر:

[الكامل] مـا كُنْتَ في الْحَرْبِ الْعَـوَانِ مُغَمَّراً إِذْ شَـبَّ حَـرُّ وَقُودِهَـا أَجْذَالَهَـا[(٥)]

وقال سيبويه والخليل: التقدير: لَـتُنِـيءُ العُصْبَةَ، فجعل بدل ذلك تعدية الفعل بحرف الجرِّ، كما تقول: ناءَ الحِمْلُ وأَناْتُه ونؤْتُ به بمعنى: جعلته يَنُوءُ، والعرب تقول: ناءَ الحِمْلُ بالبعير: إِذا أَثقَلَه.

---

(١) ساقط من المطبوع.

(٢) تقدم في تفسير الآية (١٧) من سورة الإسراء، وفي المطبوع: «التأمتْ مَفَاصله».

(٣) البيت لعروة بن الورد كما في نقد الشعر (ص: ٨٧)، وسر الفصاحة (ص: ١١٤)، وعزاه في ضرائر الشعر (ص: ٢٦٨) للعباس بن مرداس، وينسب للحطيئة، وهو في مجاز القرآن (٢/ ٧٩)، وتفسير الطبري (١٩/ ٦١٩)، بلا نسبة.

(٤) البيت لخِدَاش بنُ زهير بن صعصعة، من شعراء قيس المجيدين في الجاهلية، أَدرك الرسول ﷺ ولم يره، انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٤١٦)، والكامل في اللغة والأدب (٢/ ٤٨)، والاختيارين (ص: ٤٣٩)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١٢٥)، والصحاح للجوهري (٢/ ٧٢١)، والموازنة (ص: ٢١٩)، والضياطرة: جمع ضَيْطر، وهم العظماءُ من الرجال.

(٥) البيت للأعشى، كما في تفسير الطبري (١٩/ ٦٢٠)، ونسبه صاحب الجليس الصالح الكافي (ص: ٧٠٩) لذي الرمة.

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل أَن يُسنَد ﴿لَتَنُوٓأُ﴾ إِلى المفاتيح مجازاً؛ لأَنه تنهض بتحامل إِذا فعل ذلك الذي ينهض بها، وهذا مطَّرد في قولهم: ناءَ الحملُ بالبعير، ونحوه، فتأَمله.

واختلف الناسُ في «العُصْبَة»، كم هي؟

فقال ابن عباس: ثلاثة[١]، وقال قتادة: من العشرة إِلى الأَربعين، وقال مجاهد: خمسة عشر[٢]، وقيل: أَحد عشر حَمْلًا على إِخوة يوسف، وقيل: أَربعون.

وقرأ بُدَيْلُ بنُ مَيْسَرة: (لَيَنُوءُ) بالياءِ[٣]، ووجَّهها أَبو الفتح على أَنه يقرأُ: ﴿مَفَاتِحَهُۥ﴾ جمعاً.

وذكر أَبو عمرو الداني أَن بُدَيْلَ بنَ مَيْسَرَة قرأَ: (ما إِنَّ مِفْتاحه) على الإِفراد[٤].

فيستغنى على هذا عن توجيه أَبي الفتح.

وقوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ﴾ متعلق بقوله: ﴿فَبَغَىٰ﴾، ونَهَوْهُ عن الفرح المطْغِي الذي هو انْهماكٌ وانحلالُ نفسٍ وأَشَرٌ وإِعجابٌ.

[و«الفرِح»: هو الذي تَخلَّق دائما بالفرح][٥].

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ٦١٨)، من طريق الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، فالضحاك لم يسمع من ابن عباس، انظر جامع التحصيل (٣٠٤).

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (١٩/ ٦١٨)، والثاني في تفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٩٦)، وتفسير مجاهد (ص: ٥٣١).

(٣) المحتسب (٢/ ١٥٣)، وتفسير الزمخشري (٣/ ٤٣٠).

(٤) وهما شاذتان، الأولى مع التوجيه في المحتسب (٢/ ١٥٣)، والثانية عن الداني في البحر المحيط (٨/ ٣٢٤)، ومثله في تفسير الزمخشري (٣/ ٤٣٠)، وعزا له القرءاة بالإفراد مع الياء أيضاً الكرماني في الشواذ (ص٣٦٩)، وزاد الضحاك وابن يعمر.

(٥) ساقط من المطبوع.

و﴿لَا يُحِبُّ﴾ ـ في هذا الموضع ـ: صفة فعل؛ لأَنه أَمْرٌ قد وقع، فمحالٌ أَنْ يرجع إِلى الإِرادة، وإِنما هو لا يُظهر عليهم بركته، ولا يهبهم رحمته.

ثم وصَّوه بأَن يطلب بماله رضى الله وآخرته.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾، اختلف المتأَولون فيه:

فقال ابن عباس والجمهور: معناه: لا تُضيع عمرك في أَلَّا تعمل عملاً صالحاً في دنياكَ؛ إِذ الآخرة إِنما يَعْمَل لها في الدنيا، فنصيب الإِنسان عمره وعمله الصالح فيها فينبغي أَلَّا تهمله[1].

قال القاضي أَبو محمد: فالكلام كله ـ على هذا التأْويل ـ شدة في الموعظة.

وقال الحسن وقتادة: معناه: ولا تُضيع أَيضاً حظَّك من دنياك في تمتعك بالحلال بطلبك إِياه، ونظرك إِلى عاقبة دنياك[2]، فالكلام ـ على هذا التأْويل ـ فيه بعض الرفق به وإِصلاح الأَمر الذي يشتهيه، وهذا مما يجب استعماله مع الموعظة خشية النَّبْوة من الشدة.

وقال الحسن: معناه: قدم الفضل وأَمسك ما يبلغ به.

وقال مالك: هو الأَكل والشرب بلا سَرف[3].

وحكى الثعلبي أَنه قيل: أَرادوا بنصيبه الكفن[4].

وهذا وعظ متصل، كأَنهم قالوا: لا تَنْس أَنك تترك جميع مَالِكَ إِلَّا نصيبك الذي هو الكفن، ونحو هذا قول الشاعر:

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٢٤)، وابن أبي حاتم (١٧٨٦٢)، كلاهما من طريق علي بن أبي طلحة ورواه ابن أبي حاتم (١٧٨٦١)، من طريق الأعمش، عن رجل، كلاهما عن ابن عباس، رضي الله عنه به.

(٢) انظر معناه عنهما في تفسير الطبري (١٩/ ٦٢٥).

(٣) انظر القولين في تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠١١).

(٤) تفسير الثعلبي (٧/ ٢٦٢).

نَصيبُـكَ مِمَّـا تَجْمَعُ الدَّهْـرَ كُلَّهُ رِدَاءَانِ تُلْوَى فيهما وَحَنُوطُ[١] [الطويل]

وقوله: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أَمْر بصلة المساكين وذوي الحاجة.

وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾.

[القائل: قارون][٢]، لمَّا وعظه قومه وندبوه إِلى اتقاءِ الله تعالى في المال الذي أَعطاه تفضُّلاً منه عليه؛ أَخذته العزة بالإِثم فأُعجب بنفسه، وقال لهم على جهة الرَّدِّ عليهم والروَغان عما أَلزموه فيه: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾.

ولكلامه هذا وجهان يحتملهما، وبكل واحد منهما قالت فرقة من المفسرين:

فقال الجمهور منهم: إِنه ادعى أَن عنده علماً استوجب به أَن يكون صاحب ذلك المال وتلك النعمة، ثم اختلفوا في العلم الذي أَشار إِليه ما هو؟

فقال بعضهم: علم التوراة وحفظها، قالوا: وكانت هذه مغالطة منه ورياءً.

وقال أَبو سليمان الداراني[٣]: أَراد العلم بالتجارات ووجوه تمييز المال، فكأَنه قال: أُوتيته بإِدراكي وبِسَعْيي، وقال ابن المسيَّب: أَراد علم الكيمياءِ[٤].

---

(١) استشهد به تفسير القرطبي (١٣/ ٣١٤)، والبحر المحيط (١٠/ ٤٩٣)، والدر المصون (١١/ ٣٠)، كلهم بلا نسبة.

(٢) ساقط من التركية.

(٣) في فيض الله: «الرازي»، وقد تقدم التعريف بالداراني في آل عمران.

(٤) انظر تفسير الثعلبي (٧/ ٢٦٢).

وقال ابن زيد وغيره: إِنما أَراد: أُوتيته على علم من الله تعالى وتخصيص من لدنه قصدني به، فلا يلزمني فيه شيءٌ مما قلتم(١)، ثم جعل قوله: ﴿عِندِيٓ﴾ كما تقول: في معتقدي وعَلَى ما أَراه / . [٤/ ١٦٥]

قال القاضي أَبو محمد: وعلى كلا الاحتمالين معاً فقد نبَّه القرآن على خطئه في اغتراره، وعارض منْزعه بأَن من معلومات الناس المتحققة عندهم أَن الله تعالى قد أَهلك من الأُمم والقرون والملوك مَنْ هو أَشد من قارون قوة وأَكثر جمعاً، إِمَّا للمال وإما للحاشية والغاشية(٢).

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ يرجِّح أَن قارون تشبَّع بعلم نفسه على زعمه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾، قال محمد بن كعب: هو كلام متَّصل بمعنى ما قبله(٣)، والضمير في ﴿ذُنُوبِهِمُ﴾ عائدٌ عَلَى مَنْ أَهلك من القرون؛ أَي: أُهلكوا ولم يُسأَل غيرُهُم بعدهم عن ذنوبهم؛ أَي: كلُّ أَحد إِنما يُسأَل ويعاقب بحسب ما يخصه.

وقالت فرقة: هو إِخبارٌ مستأْنف عن حالهم يوم القيامة، معناه: أَن المجرمين لا يُسْأَلون عن ذنوبهم، [قال قتادة: ذلك لأنهم يدخلون النار بغير حساب، وقال قتادة أيضاً ومجاهد: معناه](٤): أَن الملائكة لا تَسْأَل عن ذنوبهم؛ لأَنهم يعرفونهم بسيماهم من السَّواد والتشويه(٥)، ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ﴾ [الرحمن: ٤١].

قال القاضي أَبو محمد: وفي كتاب الله آيات تقتضي(٦) أَن الناسَ يوم القيامة

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٦٢٦) بمعناه.

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (١٩/ ٦٢٧).

(٤) ساقط من المطبوع، ومن التركية ما عدا: «وقال قتادة أيضاً ومجاهد: معناه».

(٥) تفسير الطبري (١٩/ ٦٢٧).

(٦) في المطبوع: «في آيات الله ما يقتضي» إلخ.

يُسْأَلون، كقوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، وغير ذلك، وفيه آيات تقتضي أنه لا يُسْأَلُ أَحدٌ، كقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]، وغير ذلك:

[فقال الناس في هذا: إنها مواطن وطوائف، وذلك من قوله محتمل][١].

ويشبه عندي[٢] أَن تكون الآيات التي توجب السؤال إِنما يريد بها أَسئلة التوبيخ والتقرير، والتي تنفي السؤال يراد بها أَسئلة الاستفهام والاستخبار[٣] على جهة الحاجة إِلى علم ذلك من المسؤولين؛ أَي: أَن ذلك لا يقع؛ لأَن العلم بهم محيط، وسؤال التوبيخ غير مُعْتَدٍّ به.

ثم أَخبر تعالى أَن قارون خرج على قومه وقد أَظهر قدرته من الملابس والمراكب وزينة الدنيا، [قال جابر ومجاهد: خرج في ثياب حمر][٤].

وقال ابن زيد: خرج هو وجملته[٥] في ثياب مُعَصْفرة.

وقيل: في ثياب الأُرجُوان، وقيل غير هذا[٦].

وأَكْثَر المفسرون في تحديد زينة قارون وتعيينها ـ مما لا صحة له ـ فاختصرته.

وباقي الآية في اغترار الجهلة والأَغْمارِ[٧] من الناس بَيِّنٌ.

---

(١) ساقط من المطبوع

(٢) في المطبوع: «ويمكن».

(٣) سقطت من المطبوع

(٤) ساقط من التركية.

(٥) في المطبوع: «وحَشَمه».

(٦) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٩/ ٥٢٨)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٩٧)، وغيرهما.

(٧) الأغمار: جمع غَمْر، والرجل الغَمْر هو الذي لم يجرب الأمور، أو الذي أصابته الغَمْرةُ، وهي الضلالة التي تغمر صاحبها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

أَخبر تعالى عن الذين أُوتوا العلم والمعرفة بالله تعالى وبحق طاعته والإِيمان به أَنَّهم زجروا الأَغمار الذين تَمَنَّوْا حالَ قارون، وحملوهم على الطريقة المُثْلَى من أَن النظر والتَّمَنِّي إِنما [ينبغي أن][1] يكون في أُمور الآخرة، وأَن حالة المؤمن العامل الذي ينتظر ثواب الله تعالى خيرٌ من حال كلِّ ذي دنيا.

ثم أَخبر تعالى عن هذه النَّزعة وهذه القوة في الخير في الدِّين أَنَّه لَا يُلَقَّاهَا؛ أَي: لا يُمَكَّن فيها ويُخَوَّلُها إِلَّا الصَّابر على طاعة الله، وعن شهوات نفسه، وهذا هو جماعُ الخير كله، والضمير في ﴿يُلَقَّىٰهَآ﴾: عائد على ما لم يتقدم له ذكر من حيْثُ الكلامُ دالٌّ عليه، فلذلك يجري مجرى: ﴿تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، و﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].

وقال الطبري: الضمير عائد على الكلمة، وهي قوله: ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾؛ أَيْ: لا يُلَقَّى هذه الكلمة إِلَّا الصابرون، وعنهم تصدر[2].

ورُوي في الخسف بقارون وبداره أَن موسى عليه السلام لمَّا أَمَضَّه فعلُ قارون به، وتعدِّيه عليه، ورميه بأَمر المرأَة، وغير ذلك من فعله به، استجار بالله تعالى وبكى وطلب النُّصرة، فأَوحى الله تعالى إِليه: لا تهتم فإِنِّي قد أَمرتُ الأَرض أَن تطيعك في قارون وأَهله وخاصَّته[3] وأَتباعه، فقال موسى للأَرض: خُذيهم، [فأَخذت منهم إِلى

(١) ساقط من المطبوع.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٦٢٩).

(٣) سقطت من فيض الله، وفي الأصل ولالاليه والحمزوية والتركية: «وحامَّته».

الرُّكب، فاستغاثوا بموسى: يا موسى](١)، فأَخذتهم شيئاً شيئاً، وهم يستغيثونَ به كلَّ مرَّة، وهو يُلجُّ إِلى أَن تَمَّ الخسف بهم، فأَوحى الله تعالى إِليه: يا موسى، استغاثوا بك فلم ترحمهم، لَوْ بِيَ استغاثوا وإِليَّ تابوا لرحمتهم وكشفت ما بهم.

وقال قتادة، ومالك بن دينار: رُوي لنا أَنه يخسف به كل يوم قامة فهو يتجلجل إِلى يوم القيامة(٢).

و«الْفِئَةُ»: الجماعة الناصرة التي يفيءُ إِليها الإِنسان الطالب للنُّصْرة.

وقصة قارون(٣) هي بَعْدَ جوازهم الْيَمَّ؛ لأَن الرُّواة ذكروا أَنه كان ممن حفظ التوراة، وكان يقرؤُها.

ثم أَخبر تعالى عن حال الذين تمنَّوْا مكانه بالأَمس، وندمهم واستشعارهم أَن الحولَ والقوة لله تعالى.

وقوله: ﴿وَيۡكَأَنَّ﴾ مذهب سيبويه والخليل أَن «وَيْ»: حرف تنبيه، وهي منفصلة من «كَأَنَّ»، لكن أُضيفت في الكتابة لكثرة الاستعمال، [والمعنى أنهم نبهوا من خاطبوه ثم قالوا بين الأخبار](٤) وعلى جهة التَّعَجُّب والتثبت(٥): كأن الله يبسط الرزق.

وقال أَبو حاتم وجماعة من النحويين: (وَيْكَ) هي: وَيْلَك، حذفت [اللام منها

(١) ساقط من الأصل.

(٢) أخرج الطبري (١٩/ ٦٣٢)، وابن أبي حاتم (١٧١٦٠)، كلاهما من طريق قتادة به، معضلًا، وروى الطبري (١٩/ ٦٣٢)، من طريق مالك بن دينار به، معضلاً.

(٣) في الأصل: «ما روي».

(٤) في المطبوع بدله: «والمعنى: أَن القوم انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم، أَو نُبِّهُوا فقيل لهم: أَما يُشبه أَن يكون هذا عندكم هكذا فقالوا على جهة التعجب... إلخ» قال في الحاشية: غير واضح في الأصل، وفيه تخليط، وقد نقلناه مصوباً عن الكتاب لسيبويه (٢/ ١٥٥).

(٥) في المطبوع: «والتَّندم»، وفيه: «فإِنَّ»، بدل: «كأن».

لكثرة الاستعمال][1]، وجرت في الكلام كذلك، ومنه قول عنترة:

[الكامل] وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا ... قِيلُ الْفَوَارِسِ: وَيْكَ عَنْتَرُ أَقْدِمِ[2]

فكأن المعنى: ويْلَكَ، اعلم أنَّ الله، ونحو هذا من الإِضمار للفعل.

وقالت فرقة من النحويِّين: ﴿وَيْكَأَنَّ﴾ بِجُملتها دون تقدير انفصالٍ، كلمةٌ بمنْزلة قولك: أَلم تَـرَ أَنَّ.

قال القاضي أَبو محمد: ويَقْوَى الانفصالُ فيها على ما قاله سيبويه؛ لأَنها تجيءُ مع «أَنَّ» [ومع «أَنْ»][3]، وأَنشد سيبويه:

[الخفيف] وَيْ كَأَنْ منْ يكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْـ ... ـبَبْ ومَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ[4]

وهذا البيت لزيد بن عمرو بن نُفَيْل.

وقرأَ الأَعمش: (لولا مَنَّ الله) بحذف ﴿أَن﴾، ورُوي عنه: (لولا مَنُّ) برفع النون، وبالإِضافة إِلى (اللَّهِ)[5].

---

(١) ساقط من المطبوع، وفيه فقط: «ولامه»، قال في الحاشية: سقطت كلمة «لامُه» من الأصل، والمعنى يقتضيها.

(٢) البيت من معلقته المعروفة، انظر عزوه له في، جمهرة أشعار العرب (ص: ٣٧٣)، وشرح المعلقات التسع (ص: ٢٥٥)، والأغاني (٩/ ٢٥٤).

(٣) ساقط من نجيبويه، وهو في فيض الله ملحق بالهامش.

(٤) البيت لزيد بن عمرو بن نُفَيل، كما في الكتاب لسيبويه (٢/ ١٥٥)، والأصول في النحو (١/ ٢٥١)، وعيون الأخبار (١/ ٣٤٨)، وأمالي الزجاجي (ص: ٢٣٢)، ونسبه في تاريخ دمشق (٢١/ ٨٩)، والبيان والتبيين (١/ ١٩٨) لابنه سعيد بن زيد، وعزاه في شرح المعلقات التسع (ص: ٢٥٥)، والأغاني (١٧/ ٢٨٣)، لنبيه بن الحجاج السهمي، وانظر خزانة الأدب (٦/ ٤١٥).

(٥) وهما شاذتان، ذكرهما معاً في البحر المحيط (٨/ ٣٢٩)، وضبط الثانية الكرماني في الشواذ (ص٣٧٠)، وفي مختصر الشواذ (ص١١٥)، وتفسير الزمخشري (٣/ ٤٣٥)، قراءة واحدة غير مضبوطة بالشكل.

وقرأ الجمهور: ﴿لَخُسِفَ﴾ بضم الخاءِ وكسر السين، وقرأ عاصم بفتح الخاءِ والسين[١].

وقرأ الأعمش، وطلحة بن مصرف: (لانْخُسِفَ)[٢]، كأنه فعل مطاوع[٣] أراد به / أن الأرض كانت تنفعله[٤]. [٤/ ١٦٦]

ورُوي عن الكسائي أنه كان يقف على (وَيْ)، ويبتدئ (كَأَنَّ)، وروي عنه الوصل كالجماعة، وروي عن أبي عمرو أنه كان يقف على (وَيْكَ)، ويبتدئ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾، وعلى هذا المعنى قال الحسن: إن شئت: (وَيْكَ أَنَّ)، أَوْ (وَيْكَ إِنَّ) بفتح الهمزة وبكسرها، فكذلك في ﴿وَيۡكَأَنَّهُۥ﴾[٥].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٨٣ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٤ إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٨٥﴾.

هذا إخبارٌ مستأنف من الله تعالى لنبيِّه محمد ﷺ، يُراد به إخبار جميع العالم وحَضِّهم على السعي[٦] بحسب ما تضمَّنته الآية، وهذا الحضُّ[٧] يتضمَّن الإنحاءَ على حال قارون ونُظرائه.

---

(١) وهما سبعيتان، والثانية لحفص خاصة، انظر التيسير (ص: ١٧٢)، والسبعة (ص: ٤٩٥).

(٢) وهي شاذة، عزاها لهما في المحتسب (٢/ ١٥٧)، وزاد ابن مسعود، واقتصر عليه في المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨١).

(٣) في نجيبويه: «فعل مضارع مطاوع».

(٤) في المطبوع: «منفعلة»، وأشار في هامش الأصل إلى نسخة أخرى: «تبتلعه».

(٥) انظر وقف الكسائي وأبي عمرو في التيسير (ص: ٦١)، ولم أجد للحسن هنا شيئاً.

(٦) في المطبوع: «السَّيْر».

(٧) في الأصل: «الحدُّ»، وفي لالاليه: «الحظ».

والمعنى: أَن الآخرة ليست في شيءٍ من أَمر قارون، إِنما هي لمن صفتُه كذا وكذا، والعُلُوُّ المذموم هو بالظُّلْم والانتحاء[(١)] والتَّجبُّر، قال النبي ﷺ: «وذلك أَن تُرِيد أَن يكون شِرَاك نعلك أَفضل من شِرَاك نعل أَخيك»[(٢)].

والفَسَادُ يعم جميع الوجوه من الشَّرِّ، ومما قال العلماءُ: هو أَخْذ المال بغير حق.

وقوله: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: خبر منفصل جزم[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ﴾ معناه: إِمَّا في الدُّنيا، وإلا ففي الآخرة ولا بُدَّ.

ثم وصف تعالى أَمر جزاءِ الآخرة أَنَّه من عمِلَ صالحاً فَلَهُ خَيْرٌ من القَدْر الذي يقتضي النظرُ أَنه مُوَازٍ لذلك العمل، هذا على أن تُجعل الحسنة في التَّفْضيل، وفي القول حذفُ مضافٍ؛ أَي: مِن ثوابها الموازي لها.

ويحتمل أَن تكون ﴿مَن﴾ لابتداءِ الغاية؛ أَي: له خير بحسب حسنته ومِن أَجلها، وأَخبر تعالى أَن السيئة لا يضاعف جزاؤُها فَضْلاً منه ورحمة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ معناه: أَنْزَلَهُ عليك وأَثبته، والفَرْضُ أَصله عَمَل فَرَضَة[(٤)] في عودٍ أَو نحوه، فكأَن الأَشياءَ التي تثبت وتمكن وتبقى تشبه ذلك الفرض.

---

(١) في المطبوع: «والعلو مذموم وهو الظلم والتجبر»، وسقطت منه: «الانتحاء»، وفي نجيبويه: «إنحاء».

(٢) موقوف ضعيف، لم أجده مرفوعا، ووقفت عليه موقوفاً على علي رضي الله عنه، أخرجه الطبري (١٩/ ٦٣٨)، قال: حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أشعث السمان، عن أبي سلمان الأعرج، عن علي رضي الله عنه، وهذا إسناد ضعيف، ابن وكيع، هو سفيان، ضعيف الحديث، وأما أشعث السمان، فهو متروك الحديث، انظر تهذيب الكمال (٣/ ٢٦١)، وأبو سلمان الأعرج لم أقف عليه، ولعله محرف من أبي سلام، وهو ممطور الأعرج الأسود، فإن يَكُنْه، فإن روايته عن علي لم تثبت، انظر جامع التحصيل (٧٩٧)، والله أعلم.

(٣) ساقط من المطبوع.

(٤) كتبت وضبطت في المطبوع: «عملٌ فرضهُ»، وفي نجيبويه والتركية: «في عمود».

وقال مجاهد: معناه: أَعطاك القرآن[١].

[وقالت فرقة: في هذا القول حذف مضاف، والمعنى: فَرَضَ عليك أَحكام القرآن][٢].

واختلف المتأَولون في معنى قوله: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾:

فقال جمهور المتأَوِّلين: أَراد: إِلى الآخرة؛ أَي: باعثُك بعد الموت، فالآية ـ على هذا ـ مقصدها إِثباتُ الحشر، والإِعلامُ بوقوعه.

وقال ابن عباس[٣]، وأَبو سعيد الخدري وغيرهما: الْمَعَاد: الجنة[٤].

وقال ابن عباس أَيضاً وجماعة: المعادُ: الموتُ[٥].

قال القاضي أَبو محمد: فكأَن الآية ـ على هذا ـ واعظةٌ ومذكرة.

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٥٣٢)، وتفسير الطبري (١٩/ ٦٣٨).

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ٦٣٩)، وابن أبي حاتم (١٧٢٠٣)، من طريق خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وهذا إسناد ضعيف، خصيف، هو ابن عبد الرحمن الجزري، ضعيف الحديث، انظر تهذيب الكمال (٨/ ٢٥٧)، ورواه الطبري (١٩/ ٦٣٩)، من طريق الأعمش، عن رجل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وهذا إسناد ضعيف؛ لإبهام راويه، ورواه ابن أبي حاتم (١٧١٩٨)، من طريق المقدسي قال: ثنا رجل ـ سماه ـ عن السدي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وهذا إسناد ضعيف أيضاً لإبهام راويه.

(٤) ضعيف، أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢٨٠)، من طريق إبراهيم بن حيان، قال: سمعت أبا جعفر قال: دخلت على أبي سعيد الخدري قال: معاده: الجنة، وهذا إسناد ضعيف، إبراهيم بن حيان، قال فيه أبو زرعة: مجهول، انظر الجرح والتعديل (٢/ ٩٤)، ورواه الطبري (١٩/ ٦٣٩)، قال: ثنا ابن وكيع، عن أبيه، عن إبراهيم بن حيان، قال: سمعت أبا جعفر، عن ابن عباس، عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنهم، به، وفي سياق السند زيادة ابن عباس، ولعل الاضطراب من إبراهيم بن حيان، أو سفيان بن وكيع.

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٦٤٠)، وابن أبي حاتم (١٧١٩٩)، كلاهما من طريق سفيان، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وهذا إسناد جيد لو سلم من تدليس الأعمش.

وقال ابن عباس أَيضاً[١] ومجاهد: المعادُ: مكة[٢].

وهذه الآية نزلت بالجُحْفة، مقدم[٣] رسول الله ﷺ في هجرته إِلى المدينة.

قال القاضي أَبو محمد: فالآية ـ على هذا ـ مُعْلِمة بغيب قد ظهر للأُمَّة، ومؤْنسة بفتح.

والمعاد: الموضع الذي يُعاد إِليه، وقد اشتهر به يوم القيامة لأَنه مَعادٌ للكل.

وقوله تعالى: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ﴾ الآية، آية متاركة[٤] للكفار وتوبيخ.

وأَسند الطبريُّ في تفسير قوله ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ قال: الجنة[٥].

وسمَّاها معاداً: إِمَّا من حيث قد دخلها النبي ﷺ في الإِسراءِ[٦] وغيره.

وإِمَّا من حيث قد كان فيها آدم عليه السلام؛ فهي معادٌ لذريته.

قال القاضي أَبو محمد: وإِنما قال هذا من حيث تعطي لفظة «المعاد» أَن المخاطب قد كان في حال يعود إِليها، وهذا وإِن كان مما يظهر في اللفظة فيتوجه أَن يُسمى معاداً ما لم يكن المرءُ قط فيه تجوُّزاً[٧]؛ ولأَنها أَحوالٌ تابعة للمعاد الذي هو النشور من القبور.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ٨٦ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٨٧ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٨﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٩٥)، من قول ابن عباس رضي الله عنه به.

(٢) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٦١٣)، وتفسير الطبري (١٩/ ٦٤١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٢٦).

(٣) في المطبوع: «فتقدم».

(٤) في لالاليه: «مشارة».

(٥) تفسير الطبري (١٩/ ٦٤٢).

(٦) في المطبوع زيادة: «والمعراج».

(٧) في المطبوع: «مجوزاً»، وسقطت منه كلمة: «قط».

قال بعض المفسرين: ﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ﴾... الآية، ابتداءُ كلام مضمنه تعديد[١] النعمة على محمد ﷺ، وأَن الله تعالى رحِمَهُ رحْمَةً لم يحتسبها ولا بلغها أَمَلُه.

وقال بعضهم: بل هو كلام متعلق بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾؛ أَي: وأَنت بحال من لا يرجو ذلك.

وقوله تعالى: ﴿يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾ عبارة عن تقليده النُّبُوَّة[٢] وتبليغ القرآن، كما تقول: أَلْقَى فُلانٌ إِلى فلانٍ بالرياسة، ونحو هذا.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا رَحۡمَةً﴾: نصب على استثناءٍ منقطع، و«الظَّهيرُ»: المُعين؛ أَي: اشتد يا محمد في تبليغك، ولا تَلِنْ، وَلَا تفشل، فتكون معونَتُه للكافرين بهذا الوجه؛ أَي: بالفتور عنهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾؛ أَي: بأَقوالهم وكذبهم وأَذاهم، فلا تلتفت نحوه وامْض لشأْنك.

وقرأَ يعقوب: (ولَا يَصُدُّنْك) بجزم النون[٣].

وقوله: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وجميع الآية يتضمن المهادنة والموادعة، وهذا كله منسوخ بآية السيف.

وسبب هذه الآية ما كانت قريش تدعو رسول الله ﷺ إِليه من تعظيم أَوثانهم، وعند ذلك أَلقى الشيطانُ في أُمنيته أَمْر الغَرانيق.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ نَهْي عما هم بسبيله، فهم المراد وإِن عَرِي اللفظ من ذكرهم.

---

(١) في المطبوع: «تقدير».
(٢) في المطبوع: «إِعلان النبوة»، و«النبوة» سقطت من التركية.
(٣) وهي شاذة، عزاها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٠) لابن أبي إسحاق، وليست في شيء من طرق النشر، ولا الهذلي.

وقوله: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ قالت فرقة: هي عبارة عن الذات.

والمعنى: هالك إِلَّا هُو، قاله الطبري وجماعة منهم أَبو المعالي رحمه الله[١].

وقال الزَّجَّاج: إِلَّا إِيَّاه[٢].

وقال سفيان الثوري: المراد: إِلَّا ذا وجهه[٣]؛ أَي: ما عُمل لذاته من طاعة، وتُوُجِّه به نحوه، ومن هذا قول الشاعر:

[البسيط] .... ربَّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ والْعَمَلُ[٤]

ومنه قول القائل: أَردتُ بفعلي وجْهَ الله تعالى، ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾؛ أَي: فصْل القضاءِ وإِنفاذ القدرة[٥] في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ إِخبارٌ بالحَشْرِ والعودة من القبور.

وقرأَ الجمهور: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بضم التاءِ وفتح الجيم.

وقرأَ عيسى: ﴿تَرْجِعُونَ﴾ بفتح التاء[٦] وكسر الجيم، وقرأَ أَبو عمرو بالوجهين[٧].

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٦٤٣)، وانظر قول أبي المعالي في تفسير القرطبي (١٧/ ١٦٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٥٨).

(٣) في المطبوع: «ما أُدِّي لوجهه»، ولم أقف على نسبة هذا القول له.

(٤) صدره: أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ، وهو بلا نسبة في الكتاب لسيبويه (١/ ٣٧)، والمقتضب (٢/ ٣٢١)، والأصول في النحو (١/ ١٧٨)، وغيرهم، قال في خزانة الأدب (٣/ ١١١)، وهو من الأبيات الخمسين التي لم يُعرف قائلها.

(٥) في المطبوع: «إنفاذه»، وفي نجيبويه: «إبقاء القدرة».

(٦) في المطبوع: «الياءِ».

(٧) الأولى للسبعة، والثانية عشرية ليعقوب على قاعدته كما في النشر (٢/ ٢٠٨)، وأبعد في البحر المحيط (٨/ ٣٣٢) فنسبها لعيسى، وليس هنا لأبي عمرو شيء، والله أعلم.

كمل تفسير سورة القصص، والحمد لله ربِّ العالمين.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أَجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

/ سورة العنكبوت

[٤/ ١٦٧]

هذه السُّورة مكيَّة إِلَّا الصدر منها، العشر الآيات، فإِنها مدنية، نزلت في شأْن من كان من المسلمين بمكة، وفي هذا الفصل اختلاف، وهذا أصح ما قيل فيه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾.

تقدم القول في الحروف المقطَّعة في أَوائل السُّور، وقرأَ ورش: ﴿الٓمٓ اَحَسِبَ﴾ بفتح الميم من غير همز بعدها، وذلك على تخفيف الهمزة وإِلْقاءِ حركتها على الميم(١).

وهذه الآية نزلت في قوم من المؤمنين كانوا بمكة، وكان الكفار من قريش يُؤذونهم، ويُعذبونهم على الإِسلام، فكانت صدورهم تضيق لذلك، وربما اسْتُنْكِر أَن يُمَكِّن الله الكفرة من المؤمنين، قال مجاهد وغيره: فنزلت هذه الآية مُسَلِّية ومعلِّمة أَن هذه هي سيرة الله تعالى في عباده، اختباراً للمؤمنين وفتنة؛ ليعلم الصادق ويرى ثواب الله تعالى له، ويعلم الكاذب ويرى عقابه إِياه(٢).

---

(١) على قاعدته في النقل، انظر: التيسير (ص: ٣٦).
(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٢١١)، بتصرف.

قال القاضي أَبو محمد: وهذه الآية ـ وإِن كانت نزلت بهذا السبب، وفي هذه الجماعة ـ فهي بمعناها باقية في أُمَّة محمد ﷺ، موجودٌ حُكْمها بقية الدهر، وذلك أَن الفتنة من الله تعالى باقية في ثغور المسلمين بالأَسر ونِكاية العدوِّ وغير ذلك، وإِذا اعتبر أَيضاً كلُّ موضع ففيه ذلك بالأَمراض وأَنواع المحن، ولكن التي تُشبه نازلة المؤمنين مع قريش هي ما ذكرناه مع أَمر العدوِّ في كل ثغر.

وقال عبد الله بن عبيد بن عمير[1]: نزلت هذه الآية في عمَّار بن ياسر ـ إِذ كان يُعذب في الله تعالى ـ ونُظَرائه[2].

وقال الشعبي: سبب الآية: ما كُلِّفه المؤمنون من الهجرة، فهي الفتنة[3] التي لم يتركوا دونها؛ لا سيَّما وقد لحقهم بسببها أَن اتبعهم الكفَّار وردُّوهم وقاتلوهم، فقُتل من قُتل، ونجا من نجا.

وقال السدي: نزلت في مسلمين كانوا بمكة وكرهوا الجهاد والقتال حين فرض على النبي ﷺ [في المدينة][4].

و(حَسِبَ) معناه: ظَنَّ، و﴿أَن﴾ نصب بـ (حَسِبَ)، وهي والجملة التي بعدها تَسُدُّ مسدَّ مفعولَيْ (حَسِبَ)، و﴿أَن﴾ الثانية في موضع نصب على تقدير إِسقاط حرف الخفض، وتقديره: بأَنْ يقولوا، ويحتمل أَن يقدر: لأَنْ يقولوا، والمعنى في الباءِ واللام مختلف، وذلك أَنه في الباءِ كما تقول: تركت زيداً بحاله، وهو في اللام بمعنى: مِنْ أَجْل؛ أَي: حسبوا أَن إِيمانهم علَّـةٌ للترك.

(١) في المطبوع: «عبد الله بن عمر رضي الله عنه»، وهو خطأ، وعبد الله هذا تقدم ذكره في تفسير سورة الفاتحة.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٨-٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣٢)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٧٠).

(٣) في المطبوع أَمَّا الفتنة فهي الهجرة، وانظر قول الشعبي في تفسير الطبري (١٩/ ٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣١)، بتصرف.

(٤) ليست في المطبوع، وانظر: البحر المحيط (٨/ ٣٣٨).

و﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: يريد بهم المؤمنين مع الأَنبياءِ في سالف الدهر.

وقرأَ الجمهور: ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ﴾ بفتح الياءِ واللام الثانية، ومعنى ذلك: ليُظْهرنَّ علمه ويُوجدن ما علمه أَزلاً، وذلك أَن علمه بهذا أَزلاً[١] قديم، وإِنما هذه عبارة عن الإيجاد بالحالة التي تضمنها العلم القديم، والصدق والكذب على بابهما؛ أَي: مَنْ صَدَق فعلُه وقولُه ومَن كذَب، ونظير هذا قول زهير:

لَيْثٌ بِعَثَّرَ يصْطَادُ الرِّجالَ إِذا ... ما كذَّبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقَا[٢] [البسيط]

قال النقاش: وقيل: إِن الإِشارة بـ ﴿صَدَقُواْ﴾ إِلى مِهْجع مولى عمر بن الخطاب؛ لأَنه أَوَّل قتيل قُتل من المؤمنين يوم بدر[٣].

وقالت فرقة: إنما هي استعارة وإنما أراد بها الصلابة في الدين أو الاضطراب فيه وفي جهاد العدو ونحو هذا.

وقرأَ علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: (فَلَيُعْلِمَنَّ) بضم الياءِ وكسر اللام الثانية[٤].

وهذه القراءَة تحتمل ثلاثة معانٍ:

أَحدها: أَن يُعْلِم في الآخرة هؤلاءِ الصَّادقين والكاذبين بمنازلهم من ثوابه وعقابه، وبأَعمالهم في الدنيا، بمعنى يوقفهم على ما كان منهم.

والثاني: [أن يكون المفعول الأول محذوفاً تقديره: ليعلمن][٥] الناس أو العالم

---

(١) من المطبوع والتركية ونجيبويه، وسقطت «قديم» من هاتين النسختين.

(٢) انظر عزوه له في جمهرة اللغة (٢/ ١١٦٧)، وتهذيب اللغة (١٠/ ١٠١)، والمبهج لابن جني (ص: ٤٩)، وعَثَّر: موضع.

(٣) لم أجده مسنداً، وانظر القصة في تفسير الماوردي (٤/ ٢٧٥)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٧٠).

(٤) الثانية من المطبوع، والقراءة شاذة، انظر عزوها لعلي مع التوجيه في المحتسب (٢/ ١٥٩).

(٥) في المطبوع بدله: «أَن يُعْلِمَ»، وسقط من فيض الله ما بين «الصادقين والكاذبين»، إلى «الصادقين والكاذبين» الثانية.

هؤلاءِ الصادقين والكاذبين؛ أَي: يفضحهم وَيُشَهِّرهم، هؤلاءِ في الخير، وهؤلاءِ في الشَّر، وذلك في الدنيا والآخرة.

والثالث: أَن يكون ذلك من العلامة؛ أَيْ: يضع لكل طائفة عَلَماً تُشهر به، فالآية ـ على هذا ـ ينظر إِليها قولُ النبي ﷺ: «من أَسرَّ سريرة أَلْبسه الله رداءَها»[١].

وعلى كلِّ معنىً مِنْها ففيها وعْدٌ للمؤمنين الصادقين، ووعيدٌ للكافرين.

وقرأَ الزهري الأُولى كقراءَة الجماعة، والثانية كقراءَة علي رضي الله عنه[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾.

﴿أَمْ﴾: معادلة للأَلف في قوله: ﴿حَسِبَ﴾، وكأَنه عزَّ وجلَّ قرَّر الفريقين، قرَّر المؤمنين على ظنهم أَنهم لا يفتنون، وقرر الكافرين الذين يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ بتعذيب المؤمنين وغير ذلك على ظنهم أَنهم يسبقون عقاب الله ويُعجزونه.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ ـ وإِن كان الكفَّارُ المرادَ الأَول بحسب النازلة التي الكلام فيها ـ فإِن لفظ الآية يعم كل عاصٍ وعامِل سيئة من المسلمين وغيرهم.

---

(١) ساقط، أخرجه الطبري (١٢/ ٣٦٧)، من حديث عثمان مرفوعاً، وفي إسناده سليمان بن أرقم وهو متروك، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١/ ٤١٠)، من حديث جندب بن سفيان البجلي، وفي إسناده حامد بن آدم المروزي وهو كذاب، ومحمد بن عبيد الله العرزمي وهو متروك، وقيل: إنه روي عن ابن مسعود من قوله، ولم أقف عليه.

(٢) وفي مختصر الشواذ (ص١١٥)، والشواذ للكرماني (ص٣٧١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٤٠)، عنه موافقة علي فيهما.

وقوله: ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ يجوز أَن تكون ﴿مَا﴾ بمعنى «الذي»، فهي في موضع رفع، ويجوز أَن تكون في موضع نصب على تقدير: ساءَ حُكْماً يحكمونه[١].

[وقال ابن كيسان: ﴿مَا يَحۡكُمُونَ﴾ في موضع المصدر، كأنه قال: ساءَ حُكمُهُم][٢].

وفي هذه الآية وعيدٌ للكفرة الفاتنين[٣]، وتأْنيس [وعدة بالنصر للمؤمنين / [٤/ ١٦٨]
المفتونين المغلوبين، ثم أخبر تعالى عن الحشر والرجوع إلى الله تعالى][٤] في القيامة، وبأَنه آتٍ؛ إِذ قد أَجَّله الله تعالى وأَخبر به.

وفي قوله: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ تثبيتٌ؛ أَي: من كان على هذا الحق فليُوقن بأَنه آتٍ وليتزَيَّدْ[٥] بصيرة.

وقال أَبو عبيدة: يَرْجُو هاهنا بمعنى: يخاف، والصحيح: أَن الرجاءَ هنا على بابه متمكناً[٦].

وقال الزَّجَّاج: المعنى: يرجو لقاءَ ثواب الله[٧]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ معناه: السميع لأَقوال كلِّ فِرْقَة، العليم بالمعتقدات التي لهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓ﴾ إعلامٌ بأَن كل أَحد مجازى بفعله الحسن، فهو [إذاً له وهو][٨] حظُّه الذي ينبغي أَلاَّ يفرط فيه، فإِن الله غني عن جهاده وعن العالمين بأَسرهم.

---

(١) مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٥٥٠)، والهداية لمكي أيضاً (٩/ ٥٥٩٩).
(٢) سقط من المطبوع، وانظر البحر المحيط (٨/ ٣٤١).
(٣) ليست في المطبوع.
(٤) سقط من المطبوع وفيه بدلًا منه: «للمؤمنين يظهر في وعده بالنصر»، وفي لالاليه هنا طمس.
(٥) في المطبوع: «وليزدد».
(٦) «متمكناً» ليست في المطبوع، وانظر قول أبي عبيدة في مجاز القرآن له (٢/ ١١٣).
(٧) معاني القرآن وإعرابه له (٤/ ١٦٠).
(٨) ليس في المطبوع.

وهاتان الآيتان [كأَنهما نبذ][(١)] على سواءٍ إِلى الطائفة المرتابة المترددة في فتنة الكفار، التي كانت تنكر أَن ينال الكفارُ المؤمنين بمكروه، وترتاب من أَجل ذلك، فكأَنهم قيل لهم: من كان يؤمن بالبعث فإِن الأَمر حق في نفسه، والله تعالى بالمرصاد؛ أَي: هذه بصيرة لا ينبغي لأحد[(٢)] أَن يعتقدها لوجه أَحد، وكذلك من جاهد فثمرة جهاده له، فلا يَمُنُّ بذلك على أَحد، وهذا كما يقول المناظر عند سَوْق حجته: من أَراد أَن ينظر إِلى الحق فإِن الأَمر كذا وكذا، ونحو هذا فتأَمله.

[وقيل: معنى الآية: ومن جاهد المؤمنين ودفع في صدر الدين فإنما جهاده لنفسه لا لله، فالله غني][(٣)].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول ذكره المفسرون، وهو ضعيف.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية، إِخبارٌ عن المؤمنين المهاجرين[(٤)] الذين هم في أَعلى رتبة من البدار إِلى الله تعالى، رفع[(٥)] بهم عزَّ وجلَّ وبحالهم ليُقِيم نفوس المتخلفين عن الهجرة، وهم الذين فتنهم الكفار إِلى الحصول في هذه المرتبة.

و﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الكفر وما اشتمل عليه، ويدخل في ذلك المعاصي من المؤمنين مع الأَعمال الصالحات واجتناب الكبائر.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ﴾ حذف مضاف تقديره: ثوابَ أَحْسن الذي كانوا يعملون.

---

(١) في فيض الله بدل هذه الكلمة فراغ، وفي المطبوع نقاط، قال في الحاشية: كلمة لم نستطع قراءتها.

(٢) ليسن في المطبوع.

(٣) في المطبوع: «وقيل معنى الآية: ومن جاهد عدوَّه لنفسه لا يريد وجه الله، فإِنما جهاده لنفسه لا للَّهِ تعالى وليس لله حاجة بجهاده».

(٤) سقطت من فيض الله، وفي المطبوع: «المجاهدين».

(٥) في المطبوع: «أَشاد».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾... الآية؛ رُوي عن قتادة أَنها نزلت في شأن سعد بن أَبي وقاص، وذلك أَنَّه هاجر، فحلفت أُمُّه أَلَّا تَسْتظِل بِظِلٍّ حتى يرجع إِليها ويكفر بمحمد ﷺ، فَلَجَّ هو في هجرته، ونزلت الآية[١].

وقيل: بل نزلت في عياش بن أَبي ربيعة، وذلك أَنه اعتراه في دينه نحو من هذا بعد أن خدعه أَبو جهل وردَّه إِلى أُمِّه، الحديث في كتاب السيرة[٢].

ولا مِرْية أَنها نزلت فيمن كان من المؤمنين بمكة يشقى بجهاد أَبويه في شأْن الإِسلام والهجرة، فكأَن القصد بهذه الآية النهي عن طاعة الأَبوين في مثل هذا؛ لعظم الأمر، [وكثرة الخطر فيه مع الله تعالى][٣].

ثم إنه لما كان برُّ الوالدين وطاعتهما من الأُمور التي قررتها الشريعة وأكدت فيه، وكان من الأَمر[٤] القوي عندهم الملتزم؛ قدَّم تعالى على النهي عن طاعتهما [في الشِّرك بالله][٥] قولَه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾، على معنى: [إنا لا نُخِل ببر][٦] الوالدين، لكنا لا[٧] نسلط ذلك على طاعة الله تعالى، لا سيما في معنى الإِيمان والكفر.

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ١٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣٦).
(٢) لم أجده مسنداً.
(٣) ساقط من المطبوع، وفيه: «هذا الأمر العظيم»، وفيه: «ولما»، بدل: «ثم إنه لما».
(٤) من المطبوع.
(٥) من المطبوع، وسقط من نجيبويه ما قبله من قوله: «من الأمر».
(٦) في المطبوع: «إِنا لا نحل عقوق».
(٧) في فيض الله لالاليه ونور العثمانية: «لكنا نسلطه»، ليس قبلها نفي.

وقوله: ﴿حُسۡنًا﴾ يحتمل أَن ينتصب على المفعول، وفي ذلك تجوُّز، ويسهله كونه عامّاً لمعان، كما تقول: وصيتك خيراً، أو أَوصيتك شرّاً، عبَّر بذلك عن جملة ما قلتَ له، وَيُحَصِّن ذلك دون حرف الجرِّ [كونُ حرف الجرِّ][1] في قوله: ﴿بِوَٰلِدَيۡهِ﴾؛ لأَن المعنى: ووصينا الإِنسان بالحسن في فعله مع والديه، ونظير هذا قول الشاعر:

[الرجز]

عَجِبْتُ مِـن دَهْمَـاءَ إِذْ تَشْـكُونَا ... وَمِـنْ أَبـي دَهْمَـاءَ إِذْ يُـوصِينَـا
خَـيْـراً بِهَـا كَـأَنَّـنَـا جَـافُونَـا[2] ... .

ويحتمل أَن يكون المفعول الثاني في قوله: ﴿بِوَٰلِدَيۡهِ﴾، وينتصب ﴿حُسۡنًا﴾ بفعل مضمر تقديره: يحسن حسناً، وينتصب انتصاب المصدر.

[والجمهور على ضم الحاء وسكون السين][3].

وقرأ عيسى والجحدري: (حَسَناً) بفتحهما، وقال الجحدري: في الإِمام مكتوب: (بِوَالِدَيْهِ إِحْساناً)، قال أَبو حاتم: يعني في الأَحقاف، وقال الثعلبي: في مصحف أُبيِّ بن كعب: (إِحْسَاناً)، [ووجوه إعرابه كالذي تقدم في قراءة من قرأ: ﴿حُسۡنًا﴾][4].

وقوله تعالى: ﴿إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ وعيد في طاعة الوالدين في معنى[5] الكفر.

ثم كرَّر تعالى التمثيل بحالة المؤمنين العاملين[6] ليحرِّك النفوسَ إِلى نيل مراتبهم.

---

(١) ساقط من لالاليه.
(٢) البيت في معاني القرآن للفراء (٣/ ٦٨)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١١)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٧١)، بدون نسبة.
(٣) سقط من المطبوع.
(٤) سقط من المطبوع، وهما شاذتان، والجحدري زيادة منه، انظر عزو الأولى في مختصر الشواذ (ص: ١١٥)، والثانية في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧١)، وكلام الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٧١)، وفي المطبوع: «التغلبي»، وتأويل أبي حاتم لم أجده، وفي المطبوع: «كالأحقاف»، يشير إلى الآية رقم (١٥) من سورة الأحقاف، وسيأتي الخلاف فيها في محله.
(٥) في نجيبويه: «غير».
(٦) سقط من المطبوع.

وقوله تعالى: ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ مبالغة، على معنى: في الذين هم في نهاية الصلاح وأَبْعَدِ غاياتِه، وإذا تحصَّل للمؤمنين هذا الحكم تحصل ثَمَرُه، وجزاؤُه هو الجنة.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾... الآية إلى قوله: ﴿ٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾، نزلت في قوم من المسلمين كانوا بمكة مختفين بإسلامهم، قال ابن عباس: فلما خرج كفار قريش إلى بدر أَخرجوا مع أَنفسهم طائفة من هؤلاءِ، فأُصيب بعضهم، فقال المسلمون: كانوا أَصحابنا وأُكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية [النساء: ٩٧].

قال: فكتب المسلمون لمن بقي بمكة هذه الآية، وأَلَّا عُذْر لهم، فخرجوا فلحقهم المشركون فأَعطوهم الفتنة وردُّوهم إلى مكة، فنزلت فيهم هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾... الآية، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا(١) ويئسوا من كل خير، ثم نزلت فيهم: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَـٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠]، فكتب المسلمون(٢) إليهم / بذلك، وأَن الله تعالى قد جعل لكم مخرجاً فخرجوا، فلحقهم [٤/ ١٦٩] المشركون فقاتلوهم، فنجا من نجا، وقُتل من قُتل(٣).

وقال ابن زيد: نزل قوله تعالى: ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية في منافقين كفروا لمَّا أُوذوا(٤).

---

(١) في المطبوع: «فحزنوا».
(٢) من المطبوع.
(٣) أخرج البخاري (٤٣٢٠) (٧٠٨٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه: أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله ﷺ، يأتي السهم فيرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية. فقط، أما بقية ما ساقه المصنف بعد ذلك فمن قول عكرمة، أخرجه الطبري (٩/ ١٠٦) بإسناد صحيح.
(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ١٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣٨).

وقوله تعالى: ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: صعب عليه أذى الناس حين صدُّوه، وكان حقُّه ألَّا يلتفت إِليه، وأن يصبر عليه في جنب نجاته من عذاب الله، ثم أزال تعالى موضع تعلُّقهم ومغالطتهم إِنْ جاءَ نَصر، ثم قرَّرهم على علم الله تعالى بما في صدورهم؛ أَيْ: لو كان يقيناً تامّاً وإِسلاماً خالصاً لما توقفوا ساعة، ولركبوا كل هول إِلى هجرتهم وراءَ نبيِّهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ تفسيره على حدِّ ما تَقَدَّم في نظيره.

وهنا انتهى المدني من هذه السورة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾.

رُوي أَن قائل هذه المقالة الوليدُ بن المغيرة، وقيل: بل كانت شائعة من كفار قريش، قالوا لأَتباع النبي ﷺ: ادخلوا في أَمرنا، وأَقروا بآلهتنا واعبدوها معنا، ونحن ليقيننا أَنه لا بعث بعد الموت ولا رجوع؛ نضمن لكم حمل[1] خطاياكم، ونحملها عنكم فيما دعوناكم إِليه، إِن كان في ذلك درك كما تزعمون أَنتم[2].

وقولهم: ﴿وَلْنَحْمِلْ﴾ إِخبارٌ أَنهم يحملون خطاياهم على جهة التشبيه بالثقل[3]، ولكنهم أَخرجوه في صيغة الأَمر؛ لأَنها أَوجب وأَشدُّ تأَكداً في نفس السامع من

(١) ليست في المطبوع.
(٢) روي عن مجاهد، أخرجه الطبري (٢٠/ ١٥).
(٣) في المطبوع: «بالنقل».

المجازات، وهذا نحو قول الشاعر:

فقُلْـتُ ادْعِـي وأَدْعُ فَـإِنَّ أَنْـدَى   لِصَـوْتٍ أَنْ يُنَـادِيَ دَاعِيَـانِ[١]   [الوافر]

ولكونه خبراً حسُن تكذيبهم فيه، فأخبر الله عزَّ وجلَّ أن جميع ذلك باطلٌ، وأنهم لو فعلوه لم يُتَحَمَّل عن أَحد من هؤلاءِ المغتَـرِّين بهم شيءٌ من خطاياه التي تختص به.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَلْنَحْمِلْ﴾ بجزم اللام.

وقرأَ عيسى ونوح القارئ: (وَلِنَحْمِلْ) بكسر اللام[٢].

وقرأَ داود بن أَبي هند: (مِنْ خَطَيِهِمْ) بفتح الطَّاءِ وكسر الياءِ.

وحكى عنه أَبو عمرو أَنه قَرأَ: (مِنْ خَطِيئَاتِهِمْ) بكسر الطَّاءِ وهمزة وتاءٍ بعد الأَلف[٣].

وقال مجاهد: الحملُ هنا: من الْحَمَالة، لا من الْحَمْل على الظهر[٤].

ثم أَخبر تعالى عن أُولئك الكفرة أَنهم يحملون أَثقالهم [وأَثقالاً مع أَثقالهم؛ أَي: أَثْقَالاً][٥] من كفرهم الذي يجترحونه[٦] ويتلبَّسون به، وأثقالًا مع أثقالهم؛ يريد: ما

---

(١) عزاه في الكتاب لسيبويه (٣/ ٤٥) للأعشى، وفي المفصل (ص: ٣٢٧) لربيعة بن جشم، وفي أمالي القالي (٢/ ٩٠) للفرزدق، وفي سمط اللآلي (١/ ٧٢٦) لدثار بن شيبان النمري، وفي مختارات ابن الشجري (٣/ ٦): دثار بن سنان، وانظر: الأغاني (٢/ ١٨٣).

(٢) وهي شاذة، عزاها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص١١٥) لعيسى والحسن، وزاد الكرماني (ص٣٧١) نوحاً والثقفي.

(٣) وهما شاذتان، ونقل عنه الأولى الكرماني في الشواذ (ص: ٣٧١)، والثانية ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١١٦).

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ١٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٢١٥)، بتصرف.

(٥) من المطبوع.

(٦) في المطبوع: «يخترعونه».

يلحقهم من [إغوائهم لعامتهم][١] وأَتباعهم؛ فإِنه يَلحق بكلِّ داعٍ إِلى ضلالة كِفْلٌ منها حسب الحديث المشهور: «أَيما داعٍ دعا إِلى هُدًى فاتُّبع عليه فله مثل أُجور من اتبعه، لا ينقص ذلك من أُجورهم شيئاً، وأَيما داعٍ دعا إِلى ضلالة» الحديث[٢].

قال القاضي أَبو محمد: [وهي وإن كانت من أثقالهم فلكونها][٣] بسبب غيرهم وعن غير كفر تلبسوه، فرَّق بينها وبين أَثقالهم، ولم ينسبها إِلى غيرهم، بل جعلها في رُتْبة أُخرى فقط، فهم فيها إِنما يَزِرُون وِزْر أَنفسهم، وقد يترتب حمل أَثقال الغير بما ورد عن النبي ﷺ: «[أنه يقتص للمظلوم بأن يعطى من حسنات ظالمه][٤]، فَإِن لم يبق للظالم حسنة[٥]؛ أُخذ من سيئات المظلوم فطُرحت عليه»[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ﴾ على جهة التوبيخ والتَّقريع، لا على جهة الاستفهام والاستعلام[٧].

و﴿يَفْتَرُونَ﴾ معناه: يختلقون من الكفر ودعْوى الصاحبة والولد لله تعالى وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾... الآية؛ قصة فيها تسلية لمحمد ﷺ عمَّا تضمنته الآيات قبلها[٨] من تعنُّت قومه، وفتنتهم للمؤمنين وغير ذلك، وفيها وعيدٌ لهم بتمثيل أَمرهم بأَمر قوم نوح.

---

(١) في المطبوع بدل الكلمتين: «أَعوانهم».
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٤)، من حديث أَبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، به.
(٣) في المطبوع: «وإِنَّما كانت مع أَثقالهم لكونها».
(٤) ساقط من المطبوع.
(٥) ليست في المطبوع.
(٦) أخرجه مسلم (٢٥٨١)، من حديث أَبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، به، وكذلك البخاري مختصراً ـ (٦١٦٩)، من حديث أَبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به، وفي المطبوع: «المظلوم فاطرح فطرح عليه».
(٧) سقطت من الحمزوية والتركية.
(٨) في المطبوع: «فيها».

والواو في قوله: ﴿وَلَقَدْ﴾: عاطفةٌ جملةَ كلام على جملة كلام، والقَسَم فيها بعيد.

وقوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَا﴾، ﴿فَلَبِثَ﴾، هذا العطف بالفاءِ يقتضي ظاهِرُه أَنه لبث هذه المدة رسولاً يدعو.

وقد يحتمل أَن تكون المدة المذكورة مدة إِقامته في قومه، من لَدُن مولده إِلى غرق قومه.

وأَما على التأْويل الأَول فاختُلف في سنِّه التي بُعث عندها:

فقيل: أَربعون، وقيل: ثمانون، وقال عون[١] بن أَبي شدَّاد: ثلاث مئة وخمسون[٢].

وكذلك[٣] يحتمل أَن تكون وفاته عليه السلام عند غرق قومه بعد ذلك بِيَسير.

وقد رُوي أَنه عُمِّر بعد ذلك ثلاث مئة وخمسين عاماً، وأَنه عاش أَلف سنة وست مئة وخمسين سنة.

وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ يقتضي أَنه أَخذ قومه فقط، وقد اختُلف في ذلك:

فقالت فرقة: إِنما غرق في الطوفان طائفة من الأَرض وهي المختصة بقوم نوح.

وقالت فرقة ـ هي الجمهور ـ: إِنما غرقت المعمورة كلها.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا هو ظاهر الأَمر؛ لاتخاذه السفينة، ولبعثه الطيرَ ترتاد زوال الماءِ، ولغير ذلك من الدلائل، وبقي أَن يعترض هذا بأَن يقال: كيف غرق الجميع والرسالة إِلى البعض؟ فالوجه في ذلك أَن يقال: إِن اختصاص نَبيٍّ بأُمَّة ليس هو بأَلَّا يهدي غيرها، ولا يدعوها إِلى توحيد الله تعالى، وإِنما هو بأَلَّا يؤخذ بقتال غيرها،

---

(١) في لالاليه: «علي»، وهو العقيلي، تقدم التعريف به في سورة المائدة.
(٢) تفسير الماوردي (٤/ ٢٧٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٢).
(٣) في المطبوع: «ولذلك»، وفي لالاليه: «قولك».

ولا يبث العبادات فيهم، [لكن إذا كانت نبوة قائمة هذه المدة الطويلة والناس حولها يعبدون الأوثان][1]، ولم يكن الناس يومئذ كثيرين / بحكم القرب من آدم، فلا محالة أنَّ دعاءَه إِلى توحيد الله تعالى كان قد بلغ الكل، فنالهم الغرق لإِعراضهم وتماديهم. [٤/ ١٧٠]

و﴿ٱلطُّوفَانُ﴾: العظيم الطَّامي، ويقال ذلك لكل طامٍ خرج عن العادة من ماءٍ أَو نارٍ أَو موت، ومنه قول الشاعر:

[الرجز] أَفْنَاهُمُ طُوفَانُ مَوْتٍ جارفٍ[2] ....

و«طوفان»: وزنه فُعْلان، بناءُ مبالغة من: طاف يطوف إِذا عمَّ من كل جهة، ولكنه كثر استعماله في الماءِ خاصة.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ يريد: بالشِّرك.

و(أَصْحاب السَّفِينَةِ) قد تقدم في غير هذه السورة الاختلاف في عددهم، وهم بَنُوه وقوم آمنوا معه.

والضمير في قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾ يحتمل أَن يعود على السفينة.

[ويحتمل أن يعود على العقوبة، ويحتمل أن يعود على النجاة][3].

و«الآيةُ» هنا: العِبْرَةُ والعلامة على قدرة الله تعالى في شدَّة بطشه.

قال قتادة: أَبقاها آيةً على الجودي[4].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) ساقط من المطبوع.

(٢) استشهد به بلا نسبة في مجاز القرآن (٢/ ١١٤)، وتفسير الطبري (١٧/ ٢٠)، وتفسير الماوردي (٤/ ٢٧٩)، وفي الأصل: «فجاءهم».

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ١٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٣).

تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾.

يجوز أن يكون (إبراهيم) معطوفاً على (نوح)، ويجوز أن يكون معطوفاً على الضمير في (أَنْجَيْنَاهُ)، ويجوز أن ينصبه فعل تقديره: واذكر إبراهيم.

وهذه القصة أيضاً تمثيل لقريش، وكان نُمْروذ وأهل مدينته عَبَدَة أصنام، فدعاهم إبراهيم عليه السلام إلى توحيد الله تعالى وعبادته، ثم قرر لهم ما هم عليه من الضلال.

وقرأ جمهور الناس: ﴿ تخْلُقون إفكاً ﴾، [وقرأ ابن الزُّبَيْر، وفضيل: (أَفِكاً)][1] على وزن «فَعِل»، وهو مصدر كالكَذِب والضَّحِك ونحوه.

واختلف في معنى (تخلقون)؛ [فقال ابن عباس][2]: هو نحْت الأصنام وخلقها[3]، سمَّاها إِفْكاً توسُّعاً من حيث يفترون بها الإفك في أنها آلهة.

وقال مجاهد: هو اختلاق الكذب في أمر الأوثان، وغير ذلك[4].

وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلَمي، وعَوْن الْعَقِيلي، وقتادة، وابن أبي ليلى: (وتخَلَّقون إفكاً) بفتح الخاءِ وشدِّ اللام وفتحها[5]، و«الإفْكُ» على هذه القراءَة: الكذبُ.

ثم وقفهم على جهة الاحتجاج عليهم بأمر تفهمه عامَّتهم وخاصَّتهم، وهو أمر

---

(١) ساقط من الحمزوية، «والفضيل» سقطت من التركية، وفي الأصل: «وفضل»، وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٦٠).

(٢) في المطبوع بدلًا منه: «فقيل».

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٩)، من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس رضي الله عنه، ولم يسمع منه، انظر: جامع التحصيل (٥٢٢).

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ١٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٢١٨).

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها للسلمي في المحتسب (٢/ ١٦٠)، وزاد زيد بن علي، وللباقين في البحر المحيط (٨/ ٣٤٧).

الرِّزق، فقرَّر أَن الأَصنام لا ترزق، وأَمَر بابتغاء[١] الخير عند الله تعالى، وخصَّص الرزق لمكانته من الخلق، فهو جزء[٢] يدل على جنسه كلِّه.

[وقوله: ﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ﴾؛ أي: اشكروه][٣]، ويقال: شكرْتُ لك، وشكرتُك، بمعنى واحد، ثم أَخبرهم بالمعاد والحشْر إِليه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ١٨ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ١٩ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٠﴾.

في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ﴾... الآية؛ وعيدٌ؛ أَي: قد كذب غيركم وعُذِّب، وإِنما على الرسول البلاغ، وكلُّ أَحد ـ مع ذلك ـ مأْخوذ بعمله.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وعاصم بخلاف عنه: ﴿أو لم تروا﴾ بالتاءِ.

وقرأَ الباقون: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ بالياءِ، الأُولى على المخاطبة، والثانية على الحكاية عن الغائب[٤].

وقرأَ الجمهور: ﴿يُبْدِئُ﴾، وقرأَ عيسى، وأَبو عمرو بخلاف عنه، والزهري: (يَبْدَا)[٥].

---

(١) في المطبوع: «وأمْر بالخير».

(٢) في المطبوع والتركية: «خير»، وفي نور العثمانية وفيض الله: «جنس».

(٣) من الحمزوية والتركية.

(٤) فهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٩٨)، وجزم في التيسير (ص: ١٧٣) بالتاء لشعبة والياء لحفص.

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها للزهري في مختصر الشواذ (ص١١٦)، والمحتسب (٢/ ١٦١)، وضبطها بغير همز، وفي المطبوع: «والزُّبير»، بدل: «الزهري»، وعزاها له في البحر المحيط (٨/ ٣٤٨) ولأبي عمرو، وعزا للزهري (بدا) بصيغة الماضي، وكذا في الشواذ للكرماني (ص٣٧٢) عنه.

وهذه الإِحالات على ما يظهر [مع الأحيان من][١] إِحياء الأَرض والنبات وإِعادته ونحو ذلك مما هو دليل على البعث من القبور والحشر، ويحتمل أَن يريد: أَو لم يروا بالدلائل والنظر كيف يجوز أَن يعيد الله الأَجسام بعد الموت، وهذا تأْويل قتادة[٢].

وقال الربيع بن أَنس: المعنى: كيف يبدأُ خلقَ الإِنسان ثم يعيده إِلى أَحوالٍ أُخر حتَّى إِلى التراب[٣].

وقال مقاتل: الخلق في هذه الآية الليلُ والنَّهار[٤].

ثم أَمر الله تعالى نبيَّه ـ ويحتمل أن يكون إبراهيم، ويحتمل أَن يكون محمداً إِن كان في قصة إِبراهيم اعتراض بين كلامين ـ بأَن يأْمرهم ـ على جهة الاحتجاج ـ بالسير في الأَرض، والنظر في كل قطر، وفي كل أُمَّة قديماً وحديثاً، فإِن ذلك يُوجد أَلَّا خالق إِلَّا الله تعالى، ولا يبتدئ بالخلق سواه، ثم ساق ـ على جهة الخبر ـ أَن الله تعالى [يعيد ويُنْشِئ نشأَة][٥] القيام من القبور.

[وقرأت فرقة: النشاة[٦]].

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿النَّشَاءَةَ﴾ على وزن «الْفَعَالَة»، وهي قراءَة الأَعرج، وهذا كما تقول: رأْفَةٌ ورَآفَةٌ.

وقرأَ الباقون: ﴿النَّشْأَةَ﴾ على وزن «الفَعْلَة»[٧].

---

(١) في المطبوع: «على الإخبار من».

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٢١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٥)، بتصرف.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٦).

(٤) تفسير البحر المحيط (٧/ ١٣٧).

(٥) في المطبوع: «هو المبتدئُ لنشأَة».

(٦) ساقط من المطبوع، وهي قراءة شاذة بالمد دون همز، ظاهر الكرماني (ص: ٣٧٢) عزوها للزهري وأبي جعفر.

(٧) هاتان سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٩٨)، والأولى ليست في المطبوع، ولعل فيها مع الأخيرة تكراراً، والله أعلم.

وقرأ الزهري: (النَّشَّةَ) بشين مشددة في جميع القرآن[١].

والبعث من القبور يقوم دليل العقل على جوازه، وأخبرت الشرائع بوقوعه ووجوده.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

المعنى: يُيَسِّر من يشاءُ لأَعمالِ مَنْ حقَّ عليه العذابُ، ويُيَسِّر من يشاءُ لأَعمالِ مَنْ سبقت له السعادة، فيتعلق الثوابُ والعقاب بالاكتساب المقترن بالاختراع الذي لله تعالى في أَعمال العبد، ثم أَخبر بأَنه إِليه المنقلب، وأَن البَشَر ليس بمعجز ولا مُفْلت في الأَرض ولا في السماءِ، ويحتمل أَن يريد بالسماءِ الهواءَ عُلُوّاً؛ أَي: ليس للإِنسان حيلة صَعَدَ أَوْ نَزَلَ، حكى نحوه الزهراوي[٢].

ويحتمل أَن يريد السماءَ المعروفة[٣]؛ أَي: لستم بمعجزين في الأَرض ولو كنتم في السماءِ، وقال ابن زيد: معناه: ولا مَنْ في السماءِ مُعْجِزٌ إِن عَصَى[٤]، ونظَّروه ـ على هذا ـ بقول حسَّان بن ثابت:

[الوافر] أَمَـنْ يَهجُـو رَسُـولَ اللَّـهِ مِنْكُـمْ ... وَيَـمْـدَحُـهُ وَيَـنْـصُـرُهُ سَــوَاءُ[٥]

[٤/ ١٧١] والتأْويل الأَوسط / أَحسنها، ونحوه قول الأَعشى:

[الطويل] وَلَـوْ كُنْتَ في جُبٍّ ثمانِيـنَ قَامَةً ... وَرُقِّيـتَ أَسْـبَابَ السَّـمَاءِ بِسُـلَّمِ

---

(١) وهي شاذة، عزاها له وللحسن: المهدوي في التحصيل (٥/ ١٨٤).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في الأصل: «المرفوعة».

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٢١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٧)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٧٥).

(٥) انظر عزوه له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣١٥)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٤٢٤)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٢٢)، وفي المطبوع: «فمن».

لَيَعْتَوِرَنْكَ الْقَوْلُ حَتَّى تَهِرَّهُ وَتَعْلَمَ أَنِّي عَنْكَ لَسْتُ بمحْرِمِ(١)

و«الوَلِيُّ»: أَخَصُّ من النصير.

وقرأ [يحيى بن الحارث وابن القعقاع](٢): (يَيِسُوا) بغير همز(٣).

قال قتادة: ذمَّ الله تعالى قوماً هانوا عليه فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي﴾(٤).

قال القاضي أَبو محمد: وما تقدم من قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ إِلى هذه الآية يحتمل أَن يكون خطاباً لمحمد ﷺ، ويكون اعتراضاً في قصة إِبراهيم، ويحتمل أَن يكون خطاباً لإِبراهيم ومحاورة لقومه، وعند آخر ذلك ذكر جواب قومه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٢٤ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٥﴾.

قرأَ الجمهور: ﴿جَوَابَ﴾ بالنصب.

وقرأَ الحسن: (جَوَابُ) بالرفع، وكذلك قرأ سالم الأَفطس(٥).

---

(١) انظر عزوه له في الجمل في النحو (ص: ٧٤)، والكتاب لسيبويه (٢/ ٢٨)، ومجاز القرآن (١/ ٣٠٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٦٧)، وفي المطبوع: «ليستدرجنك»، وهي عبارة أكثر المصادر، وفيه: «بملجم»، وهي رواية في بعضها.

(٢) في المطبوع: «يحيى بن القعقاع، وابن الحارث»، وهو خطأ، وابن القعقاع هو يزيد أبو جعفر، أما ابن الحارث فهو يحيى الذماري.

(٣) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٨/ ٣٥٠).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٦٥)، والهداية لمكي (٩/ ٥٦١٦)، وفي المطبوع بدل «قتادة»: «القاضي أبو محمد رحمه الله».

(٥) وهي شاذة، عزاها للحسن الكرماني في الشواذ (ص ٣٧٢)، وزاد ابن أبي إسحاق، وله ولسالم في البحر المحيط (٨/ ٣٥٠).

وأَخبر الله تعالى عنهم أَنهم لمَّا بيَّن إِبراهيم عليه السلام الحُجَجَ، وأَوضح أَمر الدين، رجعوا معه إِلى الغلبة والقهر(١) والغَشْم، وعدلوا عن طريق الاحتجاج حين لم يكن لهم قِبَل به، فتآمروا على قتله وتحريقه بالنَّار، وأَنفذوا أَمر تحريقه حسبما قد اقتص(٢) في غير هذا الموضع، وأَنجاه الله تعالى من نارهم، وجعلها عليه برداً وسلاماً.

قال كعب الأَحبار: لم يحرق بالنار إِلَّا الحَبْل الذي أَوثقوه به(٣)، وجعل ذلك آية وعِبْرة، ودليلاً على وحدانيته لمن شرح صدره ويَسَّره للإِيمان؛ أَي: هذا الصنف ينتفع بالآية، والكفار هي عليهم عمًى وإِن كانت في نفسها آيةً للكل.

ثم ذكر تعالى أَن إِبراهيم عليه السلام قَرَّرهم على أَن اتخاذهم الأَوثان والأَنصاب إِنما كان اتِّباعاً من بعضهم لبعض، وحِفْظاً لمودَّاتهم ومحبَّاتهم الدنياوية، وأَنهم يوم القيامة يجحد بعضهم بعضاً ويتلاعنون؛ لأَن توادَّهم كان على غير تقوى، و﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧].

وقرأ عاصم في رواية الأَعشى عن أَبي بكر عنه: (مَوَدَّةٌ) بالرفع (بَيْنَكُمْ) [بالنصب وهي قراءة الحسن وأَبي حَيْوة.

وقرأ أبو عمرو وابن كثير والكسائي وعاصم في رواية المفضل ﴿مودةُ﴾ بترك التنوين والرفع ﴿بينِكم﴾] بالخفض.

وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم في رواية أَبي بكر، وأَبو عمرو في رواية أَبي زيد: ﴿مودةً بينكم﴾ بالتنوين والنَّصْبِ، ونصب ﴿بَيْنَ﴾.

وقرأ حمزة ﴿مَّوَدَّةَ﴾ بالنصب وترك التنوين والإضافة إلى ﴿بينِ﴾(٤).

---

(١) من الأصل، وسقطت: «الغشم» من المطبوع ونجيبويه.

(٢) في المطبوع: «أُفيض».

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٨)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٧٦).

(٤) هذه أربع قراءات: الأولى للأعشى في السبعة (ص: ٤٩٩)، والباقين في الكامل للهذلي (ص: ٦١٥)، وليست من طرق التيسير، وكذا رواية أبي زيد والمفضل، والثلاث البواقي في التيسير =

فأَما قراءَتا رفع ﴿مَوَدَّةَ﴾ فوجهُهما أَن تكون ﴿مَا﴾ بمعنى «الذي»، وفي قوله: ﴿ٱتَّخَذْتُم﴾ ضمير عائد على «الَّذي»، وهذا الضمير هو مفعول أَول لِـ ﴿ٱتَّخَذْتُم﴾، و﴿أَوْثَٰنًا﴾ مفعولٌ ثانٍ، و﴿مَوَدَّة﴾ خبر (إِنَّ) في قراءَة من نَوَّنَهَا، وفي قراءَة من لم ينونها.

ويجوز أَن تكون «مَا»: كافَّة، ولا يكون في قوله: ﴿ٱتَّخَذْتُم﴾ ضمير، ويكون قوله: ﴿أَوْثَٰنًا﴾: مفعولاً بقوله: ﴿ٱتَّخَذْتُم﴾ ثُمَّ يقْتصر عليه، ويُقَدَّر الثاني: «آلِهَةً» أَو نحوه، كما يقدر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾؛ أَي: (إِلهاً) ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ﴾ [الأعارف: ١٥٢]، ويكون قوله: ﴿مَوَدَّةٌ﴾: خبر ابتداءٍ تقديره: «هِيَ مَوَدَّةٌ»، وفي هذه التأْويلات مجازٌ واتساعٌ في تسمية الأَوثان مودة، أَو يكون ذلك على حذف مضاف.

وأَمَّا من نصب ﴿مَوَدَّةَ﴾ فعلى أَن (مَا) كافة، وعلى خُلُوِّ ﴿ٱتَّخَذْتُم﴾ من الضمير، والاقتصار على المفعول الواحد كما تقدم، ويكون نصب «المودَّة» على المفعول من أَجله.

ومن أَضاف [«المودَّة» إِلى «الْبَيْنِ»][(١)] في القراءَتيْن بالنصب والرفع فقد تجوَّز في ذلك وأَجرى الظرف مجرى الأَسماءِ، ومن نصب ﴿بَيْنَكُمْ﴾ في القراءَتَيْن ـ النصب والرَّفع ـ في ﴿مَوَدَّة﴾ فكذلك يحتمل أَن ينتصب انتصاب الظروف، ويكون معلقاً بـ ﴿مَوَدَّة﴾، وكذلك ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ظرفٌ أَيضاً متعلق بـ ﴿مَوَدَّة﴾، وهو مصدرٌ عمل في ظرفين من حيث افترقا بالمكان والزمان، ولو كانا لواحد منهما لم يجز ذلك، تقول: رأَيت زيداً أَمس في السوق، ولا تقول: رأَيت زيداً أَمس البارحة؛ اللهم[(٢)] إِلاَّ أَن يكون أَحد الظرفين جزءاً للآخر، تقول: رأَيت زيداً أَمْس عشية.

= (ص: ١٧٣) وعزا لحفص مثل قراءة حمزة، وفي المطبوع: «الأعمش»، بدل «الأعشى»، وسقطت منه قراءة حمزة، وكذا ما بين المعكوفتين.

(١) ساقط من التركية.

(٢) ليست في المطبوع.

ويجوز أَن ينتصب ﴿بَيْنَكُمْ﴾ على أَنه صفة «المودَّة»، وهنا محذوف مقدَّر، تقديره: مودَّة ثابتة[١] بينكم، وفي الظرف ضمير عائد على ﴿مَوَدَّةَ﴾، لما حذفت ثابتة استقر الضمير في الظرف نفسه، وقوله: ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: ظرف في موضع الحال من الضمير الكائن في ﴿بَيْنِكُمْ﴾ بعد حذف ثابتة، وهذه الحال متعلقة بـ ﴿مَوَدَّةَ﴾، وجاز تعلقها بها وهي قد وصفت؛ لأَن معنى الفعل فيها، وإِن وصفت فلا يمتنع أَن يعمل معنى الفعل إِلَّا في المفعول، فأَمَّا في الظرف وفي الحال فيعمل.

قال مكيٌّ: ويجوز أَن يكون ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾ صفة ثابتة[٢] لـ ﴿مَوَدَّةَ﴾، ويكون فيها مقدر مستقرة، وفيها ضمير ثانٍ[٣] عائد إِلى ﴿مَوَدَّةَ﴾، فالتقدير ـ على هذا ـ مودة ثابتة[٤] بينكم مستقرة في الحياة الدنيا[٥].

قال القاضي أَبو محمد: ويصح أَن يكون قوله: ﴿مَوَدَّةَ﴾ في قراءَة من نصب مفعولاً ثانياً بقوله: ﴿ٱتَّخَذْتُم﴾، ويكون في ذلك اتساعٌ، فتأَمله.

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (مَوَدَّة بَيْنَهُمْ) بالهاءِ.

وفي مصحف ابن مسعود: (إِنَّما مَوَدَّة بَيْنِكُمْ)[٦].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

---

(١) في الأصل ولالاليه: «ثانية».

(٢) في المطبوع ونجيبويه والحمزوية: «ثانية».

(٣) سقطت من نجيبويه ولالاليه ونور العثمانية.

(٤) سقطت من الأصل والمطبوع.

(٥) مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٥٥٥).

(٦) وهما شاذتان، الأولى في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣١٥)، والثانية فيه: (١/ ١٠١)، وفي المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨١).

(آمَنَ) معناه: صدَّق، وهو فعل يتعدى بالباءِ وباللام، والقائل: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ هو إِبراهيم عليه السلام، قاله قتادة، والنَّخَعي[(١)]، / وقالت فرقة: هو لوط عليه السلام. [٤/ ١٧٢]

ومما صحَّ من القصص أَن إِبراهيم ولوطاً هاجرا من قريتهما كوثى، وهي في سواد الكوفة من أَرض بابل إِلى بلاد الشام، وفلسطين وغيرها، قال ابن جريج: هاجرا إِلى حرَّان، ثم أُمرا بعْدُ إِلى الشام.

وفي هذه الهجرة كانت سارة في صحبة إِبراهيم، واعتراها أَمر الملِك.

و«المُهَاجر»: النازع عن الأَمر، وهي في عرف الشرع من ترك وطنه رغبة في رضا الله تعالى، وقد ذهب بهذا الاسم أَصحاب محمد ﷺ قبل الفتح.

وقوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ مع الهجرة إِليه صفتان بليغتان تقتضي استحقاق التوكُّل عليه.

وفي قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ حذف مضاف، كأنه يقول[(٢)]: إِلى رضا رَبِّي، أَو نحو هذا.

وإِسحاق بن إِبراهيم هو الذي بُشِّر به [في شَيَخِه][(٣)]، وبُشِّر بيعقوب من ورائه، وهو ولد إِسحاق.

و«الْكِتَاب»: هو اسم جنس؛ أَي: جعل الله تعالى في ذرية إِبراهيم جميع الكتب المنزَّلة: [التوراة والإِنجيل والزبور والفرقان][(٤)]، وعيسى عليه السلام من ذريَّته.

وقوله: ﴿أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ يريد: في حياته بحيث أَدرك ذلك وسُرَّ به، والأَجر الذي آتاه الله تعالى العافية من النار، ومن الملِك الجائر، والعمل الصالح، والثناءُ الحسن؛ قاله مجاهد[(٥)].

---

(١) انظر قولهما مع قول ابن جريج الآتي في تفسير الطبري (٢٠/ ٢٦).
(٢) في المطبوع: «تقديره».
(٣) سقط من المطبوع.
(٤) ساقط من التركية.
(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٥٣)، بتصرف.

وأَنَّ كل أُمَّة تتولَّاه، قاله ابن جريج.

والولد الذي قرَّت به العين بحسب طاعة الله تعالى، قاله الحسن(١).

ثمَّ أَخبر عنه أنه في الآخرة في عداد الصالحين الذين نالوا رضا الله تعالى، وفازوا برحمته وكرامته العليا.

وقوله تعالى: ﴿وَلُوطًا﴾: نصب بفعل مضمر، تقديره: واذكر لوطاً.

و﴿ٱلْفَـٰحِشَةَ﴾: إتيان الرجال في الأَدبار، وهي معصية ابتدعها قوم لوط.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

تقدم ذكر(٢) القراءَات في ﴿أَئِنَّكُمْ﴾.

واختلف الناسُ في «قَطْع السبيل» المشار إِليه هنا:

فقالت فرقة: كان قطْع الطرق بالسلب فاشياً فيهم.

وقال ابن زيد: كانوا يقطعون الطرق على الناس لطلب الفاحشة، فكانوا يخيفون(٣).

وقالت فرقة: بل أَرَادَ قَطْعَ سبيل النسل في ترك النساءِ وإِتيان الرجال.

وقالت فرقة: أَراد أَنهم بفَتْح الأُحدوثة عنهم يقطعون سبيل الناس عن قصدهم في التجارات وغيرها.

و«النَّادي»: المجلس الذي يجتمع فيه الناسُ، وهو اسم جنس؛ لأَن الأَندية في

---

(١) لم أقف على قولهما.

(٢) في الأصل: «تقدم القول في القرآن».

(٣) في المطبوع: «يحيفون» بالمهملة، وانظر تفسير الطبري (٢٠/ ٢٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٥٤).

المدن كثيرة، كأَنه قال: وتأْتون في اجتماعكم حيث اجتمعتم.

واختلف الناسُ في ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾:

فقالت فرقة: كانوا يَخْذِفون الناس بالحصباء(١)، ويستخفُّون بالغريب والخاطر عليهم، وروته أُم هانئ عن النبي ﷺ(٢)، [وكانت خِلقهم مهملة](٣)، لا يربطهم دين ولا مروءَة.

وقال مجاهد، ومنصور: كانوا يأْتون الرجال في مجالسهم وبعضهم يرى بعضاً(٤).

وقال القاسم بن محمد: منكرهم: أَنهم كانوا يتفاعلون في مجالسهم(٥)، ذكره الزهراوي.

وقال ابن عباس: كان يتضارطون في مجالسهم(٦).

وقال مجاهد أَيضاً: كان من أَمرهم لعب الحمام، وتَطْريف الأَصابع بالحناءِ، والصفير، والحذف، ونبذ الحياءِ في جميع أُمورهم(٧).

---

(١) في المطبوع ولالاليه: «بالحصى».

(٢) ضعيف، أخرجه الإمام أحمد (٤٤/ ٤٥٩)، والترمذي (٣٤٦٧) من طريق أبي أسامة، عن حاتم ابن أبي صغيرة، عن سماك بن حرب، عن أبي صالح مولى أم هانئ، عن أم هانئ رضي الله عنها، مرفوعاً به، وأبو صالح هو: باذام، ضعيف الحديث، انظر تهذيب الكمال (٤/ ٦).

(٣) في المطبوع بدلًا منه: «وكانوا».

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٥٥)، وتفسير الماوردي (٤/ ٢٨٢).

(٥) معاني القرآن للنحاس (٥/ ٢٢٣)، وقول الزهراوي لم أقف عليه.

(٦) ضعيف جداً، أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٦/ ١٩٦)، والطبري (٢٠/ ٢٩)، وابن عدي في كامله (٣/ ١٣٨)، كلهم من طريق روح بن غضيف، عن عمرو بن مصعب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، وليس ابن عباس كما ذكر المصنف هاهنا، وهذا إسناد ضعيف جداً، من أجل روح بن غطيف، فهو متروك الحديث، انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٦٠)، ولما ترجم له ابن عدي في كامله (٣/ ١٣٨) أورد حديثه هذا في مناكيره.

(٧) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٥٥)، وتفسير الماوردي (٤/ ٢٨٢).

وقد توجد هذه الأمور في بعض عُصاة أُمة محمد ﷺ، فالتناهي واجب.

فلما وقفهم لوط عليه السلام على هذه القبائح رجعوا إِلى التكذيب واللَّجاج، فقالوا: ائتنا بالعذاب، فإِن ذلك لا يكون، ولا تقدر عليه، وهم لم يقولوا هذا إِلَّا وهم مصمِّمون على اعتقاد كذبه، وليس يصح في الفطرة أَن يكون معاندٌ يقول هذا.

[ثم استنصر لوط عليه السلام ربَّه عليهم، فبعث ملائكة لعذابهم ورَجْمهم بالحاصب][(١)].

فجاءُوا إِبراهيم أَولاً مبشرين بإِسحاق، ومبشرين بنُصرة لوط على قومه، وكان لقاؤُهم لإِبراهيم على الصورة التي بينت في غير هذا الموضع، فلفظة (الْبُشْرَى) ـ في هذا الموضع ـ تتضمن أَمر إِسحاق ونصرة لوط، فلما أخبروه بإِهلاك القرية على ظلمهم؛ أَشفق إِبراهيم عليه السلام على لوط عليه السلام، فعارضهم بأمره[(٢)] بحسب ما يأْتي.

قوله عزَّ وجلَّ ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

روي عن ابن عباس أَن إِبراهيم عليه السلام لمَّا علِم مِنْ قِبَل الملائكة أَن قرية[(٣)] لوط تعذَّب؛ أَشفق على المؤمنين، فجادل الملائكة، وقال: أَرأَيتم إِن كان فيهم مئة بيت من المؤمنين أَتتركونهم؟ قالوا: ليس فيهم ذلك، فجعل ينحدر حتى انتهى إِلى عشرة

---

(١) ساقط من أصل المطبوع، قال في الحاشية: وقد نقلناها عن القرطبي، مع أنها موجودة في كل النسخ عندنا.

(٢) ليست في المطبوع، وفي نجيبويه: «فقال لهم»، بدل: «فعارضهم».

(٣) في المطبوع: «قوم».

أَبيات، فقالت له الملائكة: ليس فيها عشرة، ولا خمسة، ولا ثلاثة، ولا اثنان، فحينئذ قال إِبراهيم: إِن فيها لوطاً، فراجعوه حينئذ بأَنا نحن أَعلم بمن فيها؛ أَي: لا تخف أَن يقع حَيف على مؤمن(١).

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾ بفتح النون الوسطى وشد الجيم، و﴿مُنَجُّوكَ﴾ بفتح النون وشدِّ الجيم / . [٤/ ١٧٣]

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿لَنُنْجِيَنَّه﴾ بسكون النون وتخفيف الجيم، [و﴿ مُنْجُوكَ ﴾ بسكون النون وتخفيف الجيم](٢).

وقرأَ ابن كثير، وعاصم في رواية أَبي بكر: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾ بالتشديد، و﴿مُنْجُوكَ﴾ بالتخفيف(٣).

وقرأَت فرقة: (لَنُنَجِّيَنْه) بسكون النون الأَخيرة من الكلمة، وهذا إِنما يجيءُ على أَنه خفف النون المشددة وهو يريدها(٤).

وامرأَة لوط هذه كانت كافرة، تُعين عليه(٥)، وتنبِّه على أَضيافه.

و«الْغَابر»: الباقي، ومعناه: من الغابرين في العذاب.

وقالت فرقة: ﴿مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾؛ أَي: ممَّن عُمِّر(٦) وبَقِيَ من الناس وعما(٧) في كفره.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣١)، من طريق العوفي عن ابن عباس.

(٢) ساقط من المطبوع ونجيبويه، وفي أحمد٣: «وحمزة والكسائي بالتخفيف، وكذا منجوك».

(٣) وهذه الثلاث سبعية، وحفص مع الأولين، انظر: السبعة (ص: ٥٠٠).

(٤) وهي شاذة، أشار لها بلا نسبة في البحر المحيط (٨/ ٣٥٥).

(٥) «تعين عليه»: ليست في المطبوع.

(٦) في المطبوع والحمزوية: «غَبَر».

(٧) في المطبوع والحمزوية والتركية: «وعَسَى»، وفي نجيبويه: «رغماً»، وفي فيض الله: «وعصا».

والضمير في ﴿بِهِمْ﴾ في الموضعين: عائد على الأَضياف الرُّسل، وذلك [بخوفه من قومه][(١)] عليهم، فلما أَخبروه بما هم فيه فُرِّج عنه.

وقرأَ عامة القراءِ: ﴿سِيٓءَ﴾ بكسر السين، وقرأَ عيسى وطلحة بضمها[(٢)].

و«الرِّجْزُ»: العذاب.

وقوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾؛ أَي: عذابهم بسبب فسقهم، وكذلك كل أُمَّةٍ عذَّبها الله فإِنما عذَّبها على الفسوق والمعصية، ولكن بأَن يقترن ذلك بالكفر الذي يوجب عذاب الآخرة.

وقرأَ أَبو حَيْوة، والأَعمش: (يَفْسِقُونَ) بكسر السِّين[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ﴾؛ أَي: من خبرها وما بقي من آثارها، فـ(من) لابتداءِ الغاية، ويصح أَن تكون للتبعيض، على أَن تريد ما ترك من بقايا تلك القرية ومنظرها، والآية موقع العبرة، وعلامة القدرة، ومزدجر النفوس عن الوقوع في سخط الله تعالى.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿مُنزِلُونَ﴾ بتخفيف الزاي.

وقرأَ ابن عامر: ﴿مُنَزِّلُونَ﴾ بشد الزَّاي، وهي قراءَة الحسن وعاصم بخلاف عنهما[(٤)].

---

(١) في الأصل: «من تخوفه لقومه».

(٢) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٨/ ٣٥٥)، قال: وهي لغة بني هذيل، وأما قراءة الإشمام فسبعية، ولعلها داخلة في الكسر.

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها للأعمش في الكامل للهذلي (ص: ٤٨٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١١)، ولهما في البحر المحيط (٨/ ٣٥٥).

(٤) وهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ٩٠)، وعزاها في السبعة (ص: ٥٠٠): لرواية الكسائي والأعشى عن أبى بكر عن عاصم.

وقرأَ الأَعمش: (إِنَّا مُرْسِلُونَ) بدل ﴿مُنزِلُونَ﴾[١].

وقرأَ ابن محيصن: (رُجْزاً) بضم الراءِ[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

نصب ﴿شُعَيْبًا﴾ بفعل مضمر يحسن مع (إلى) تقديره[٣]: وبعثنا أَو أَرسلنا.

فأمرَ شُعيبٌ بعبادة الله تعالى، والإِيمان بالبعث واليوم الآخر، ومع الإِيمان به يصح رجاؤُه.

وذهب أَبو عبيدة إِلى أَن المعنى: وخافوا[٤].

و﴿تَعْثَوْاْ﴾ معناه: تفسدون، يقال: عَثَا يَعْثُو، وعث يعث، وعاثَ يَعيثُ[٥]، وعَثِيَ يَعْثَى: إِذا أَفسد.

و«أَهْلُ مَدْيَن»: قومُ شعيب، وهذا على أَنها اسم البلدة، وقيل: مَدْيَنُ: اسم القبيلة.

وأَصحاب الأَيْكةِ غيرُهم، وقيل: هم بعضهم ومنهم، وذلك لأَن معصيتهم في أَمر الموازين والمكاييل كانت واحدة.

و﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾: مَيْدُ الأَرض بهم، وزلزلتها عليهم، وتداعيها بهم، وذلك نحو من الخسف، ومنه الإِرجاف بالأَخبار.

---

(١) وهي شاذة تخالف المصحف، عزاها له ولابن مسعود الكرماني في الشواذ (ص: **٣٧٢**).

(٢) وهي شاذة، عزاها له الهذلي في الكامل (ص: ٤٨٦)، ولمجاهد، والقورسي عن أبي جعفر، وَحُمَيْد.

(٣) في المطبوع: «يحسن مع التقدير».

(٤) مجاز القرآن (٢/ ١١٥)، ولفظه: واخشوا اليوم الآخر، وتقدم مثل هذا له مراراً.

(٥) سقطت: «عث يعث» من المطبوع، و«عاث يعيث» من الحمزوية.

و«الجُثُومُ» في هذا الموضع: تشبيه؛ أَي: كان همودُهُم على الأَرض كالجثوم الذي هو للطائر والحيوان، ومنه قول لبيد:

[الكامل] فَغَـدَوْتُ في غَلَـسِ الظَّـلَام وطَيْرُهُ عُصَبٌ على خَضِلِ الْعِضَاهِ جُثُومُ[(١)]

قوله ﴿ وَعَـادًا ﴾: منصوب بفعل مضمر تقديره: واذكر عاداً.

وقيل هو معطوف على الضمير في قوله: ﴿فَأَخَـذَتْهُمُ ﴾.

وقال الكسائي: هو معطوف على قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٣][(٢)].

وقرأَ: ﴿وَثَمُوداً﴾ عاصم، وأَبو عمرو، وابن وثاب.

وقرأَ: ﴿وَثَمُودَاْ ﴾ بغير تنوين أَبو جعفر، وشيبة، والحسن[(٣)].

وقرأَ يحيى بن وثاب: (وعادٍ وثمودٍ) بالخفض فيهما والتنوين[(٤)].

ثم دلَّ عزَّ وجلَّ على ما يعطي العبرة من بقايا مساكنهم ورسوم منازلهم ودُثُور[(٥)] آثارهم.

وقرأَ الأَعمش: (وَقَدْ تَبيَّنَ لَكُمْ مَسَاكِنُهُمْ) دون ﴿مِّن ﴾[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ﴾ عطف جملة من الكلام على جملة.

و﴿ٱلسَّبِيلِ ﴾: هي طريق الإِيمان بالله تعالى ورسله، ومنهج النجاة من النَّار.

---

(١) البيت في ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ص: ١٠٣)، وورد في المخصص (٢/ ١٠٣).

(٢) انظر قوله في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٧٤).

(٣) غير متقن، وهما سبعيتان، المنع من الصرف لحفص وحمزة والتنوين للباقين، انظر: التيسير (ص: ١٢٥)، والسبعة (ص: ٣٣٧)، والعزو لأبي جعفر في النشر (٢/ ٢٨٩)، وللحسن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٤٠)، ولشيبة في الكامل للهذلي (ص: ٥٥٤)، ولابن وثاب كما في تفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٠)، وفي إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٧٣) عن الحسن عدم الصرف.

(٤) وهي شاذة، انظرها في الدر المصون (٩/ ٢١)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص٣٧٢) للأعمش.

(٥) في المطبوع: «ودُنُوِّ».

(٦) وهي شاذة مخالفة للمصحف، انظرها في الشواذ للكرماني (ص٣٧٢).

وقوله: ﴿مُسْتَبْصِرِينَ﴾، قال ابن عباس[١]، ومجاهد، والضحاك: معناه: لهم بصيرة في كفرهم، وإِعجابٌ به، وإِصرارٌ عليه، فذمَّهُم بذلك[٢].

وقيل: لهم بصيرة في أَن الرسالة والآيات حق، لكنهم كانوا مع ذلك يكفرون عناداً، ويردُّهم الضلال إِلى مجاهله ومتالفه، فيجري هذا مجرى قوله تعالى في غيرهم: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤].

و«تزْيينُ الشيطان»: هو بالوسواس ومناجاة ضمائر الناس، وتَزْيينُ الله تعالى الشيءَ هو بالاختراع، وخَلْقِ محبته والتَّلَبُّس به في نفس العبد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

نصب «قَارُونَ» إِمَّا[٣] بفعل مضمر تقديره: اذكر، وإِمَّا بالعطف على ما تقدم.

وقارون من بني إِسرائيل، وهو الذي تقدمت قصته في الكنوز، وفي البغي على موسى بن عمران عليه السلام، وفرعون مشهور، وهامان وزيره، وهو من القِبْط.

و(البَيِّنَات): المعجزات والآيات الواضحة.

و﴿سَٰبِقِينَ﴾ معناه: مفلتين أَخْذنا وعقابنا، وقيل: معناه: سابقين أَولياءنا، وقيل: معناه: ما كانوا سابقين الأُمم إِلى الكفر؛ أَي: قد كانت تلك عادة الأُمم مع الرُّسل.

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٥)، وابن أبي حاتم (١٧٣٠٧)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه به.
(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٥).
(٣) من المطبوع والأصل.

والَّذين أُرْسل عليهم الحاصِبُ؛ قال ابن عباس: هم قوم لوط(١).

قال القاضي أَبو محمد: ويشبه أَن يدخل قوم عادٍ في الحاصب؛ لأَن تلك الريح لا بد أَنَّها كانت تحصبهم بأُمور مؤذية.

و«الْحَاصِبُ»: هو العارض من ريح، أَو سحاب، أَو رمي بشيءٍ، ومنه قول الأَخطل:

[الكامل] ترْمِي الْعِضَاهَ بِحَاصِبٍ مِنْ ثَلْجِهَا حَتَّى يَبِيتَ عَلَى العِضَاهِ جُفَالا(٢)

[٤/ ١٧٤] / ومنه قول الفرزدق:

[البسيط] مُسْتَقْبِلِينَ شمالَ الشَّامِ تَضْرِبُهُم بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ(٣)

و«الَّذين أَخذتهم الصَّيْحة»: قومُ ثمود، قاله ابن عباس(٤)، وقال قتادة: هم قوم شعيب.

و«الْخَسْفُ» كان بقارون، قاله ابن عباس.

قال القاضي أَبو محمد: ويشبه أَن يكون أَصحاب الرجفة في هذا النوع من العذاب.

و«الْغَرَقُ» كان في قوم نوح، وبه فسَّر ابن عباس، وفي فرعون وحزبه، وبه فسَّر قتادة.

و«ظُلْمهم أَنْفُسَهم»: كان بالكفر ووضع العبادة في غير موضعها.

وقدم المفعول على ﴿يَظْلِمُونَ﴾ للاهتمام، وهذا نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٦)، من طريق ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنه به، ولم يلقه، انظر: جامع التحصيل (٤٧٢).

(٢) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٧/ ٤٩٩).

(٣) انظر عزوه له في الكامل للمبرد (٣/ ٥٤)، والصحاح للجوهري (٥/ ٥٤).

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٦)، من طريق ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وانظر فيه قول قتادة، مع ما سيأتي عنهما في قارون وفرعون.

وغيره، وحكى الطبري [عن قتادة][١]: أَن رجفة قوم شعيب كانت صيحة أَرجفتهم فهم على هذا مع ثمود.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

شبه تعالى الكفار في عبادتهم الأَصنامَ، وبنائهم جميع أُمورهم على ذلك؛ بالعنكبوت التي تبني وتجتهد، وأَمرها كله ضعيف متى مسَّته أَدنى هابَّة[٢] أَو دَهِمته، وكذلك أَمر أُولئك وسعيهم مضمحلٌّ لا قوة له ولا معتمد.

ومن حديث ذكره النقاش: العنكبوت شيطان مسخه الله تعالى فاقتلوه[٣].

ورُوي عن عليٍّ رضي الله عنه أَنه قال: طهِّروا بيوتكم من نسج العنكبوت، فإِن تركه يورث الفقر[٤].

---

(١) ليس في المطبوع، وانظر قوله في تفسير الطبري (٢٠/ ٣٦-٣٧).

(٢) في المطبوع: «هامة»، وفي نجيبويه: «دابة».

(٣) باطل مرفوعاً، أخرجه ابن عدي (٦/ ٣١٦) في ترجمة مسلمة بن علي الخشني، حدثنا سعيد بن سنان، عن أبي الزاهرية، عن عبد الله بن عمر، مرفوعاً، وقال ابن عدي: مسلمة كل أحاديثه أو عامتها غير محفوظة، ومما يدل على بطلان هذا الحديث أنه مخالف لما ثبت في الصحيح مرفوعاً: «إن الله لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقباً»، أخرجه مسلم (٢٦٦٣)، وأخرجه أبو داود في مراسيله (٤٧١)، عن محمد بن المصفى، حدثنا بقية، عن الوضين بن عطاء، عن يزيد بن مرثد به مرفوعاً، وأخرج ابن أبي حاتم في التفسير (١٧٣٢٢)، عن هشام بن عمار، ثنا إسماعيل بن عياش، ثنا سليمان بن سليم الكناني؛ يعني: أبا سلمة، عن يحيى بن جابر بن يزيد بن ميسرة، عن ابن عائذ أنه قال: العنكبوت شيطان، وفي الدر المنثور (١١/ ٥٤٨): أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن ميسرة قال: العنكبوت شيطان.

(٤) باطل، عزاه في فيض القدير (٤/ ٥١٩) إلى الثعلبي، وقد أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان له =

وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾؛ أَي: يعلمون أَن هذا مثلهم، وأَن حالهم ونسبتهم من الحقِّ هذه الحالة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾:

قرأَ أَبو عمرو، وسلام: ﴿يعلم مَّا﴾ بالإِدغام، وقرأَ عامة القراءِ بالفكِّ[١].

وقرأَ الجمهور: ﴿تَدْعُونَ﴾ بالتاءِ من فوق.

وقرأَ أَبو عمرو، وعاصم بخلاف: ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياءِ من تحت على الغيبة[٢].

فأَمَّا موضع ﴿مَا﴾ من الإِعراب، فقيل: معناه أَن الله يعلم الذين يدعون من دونه من جميع الأَشياءِ أَن حالهم هذه، وأَنَّهم أَمْرٌ لا قَدْر له.

وقيل: قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ إِخبارٌ تامٌّ، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ متصل به، واعترض بين الكلامين ﴿مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾، وذلك على هذا النحو من النظر.

ويحتمل معنيين: أَحدهما أَن تكون ﴿مَا﴾ نافيةً؛ أَي: لستم تدعون شيئاً له بال ولا قَدْر ولا خلاق[٣] فيصلح أَن يُسَمَّى شيئاً، وفي هذا تعليق ﴿يَعْلَمُ﴾، وفيه نظر.

والثاني أَن تكون ﴿مَا﴾ استفهاماً، كأَنه قرَّر ـ على جهة التوبيخ ـ على هذا المعبود من جميع الأَشياءِ ما هو إِذْ لم يكن الله تعالى؛ أَي: ليس لهم ـ على هذا التقدير ـ مقنع إِليه.

= (٧/ ٢٨٠) قال: أخبرني ابن فنجويه، قال: حدثنا ابن شنبه، قال: حدثنا أبو حامد المستملي، قال: حدثنا محمد بن عمران الضبي، قال: حدثني محمد بن سليمان المكي، قال: حدثني عبد الله بن ميمون القداح، قال: سمعت جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي يقول: قال علي بن أبي طالب به، والقداح واهٍ بمرة.

(١) وهما سبعيتان، الإدغام لأبي عمرو من رواية السوسي على قاعدته، انظر: التيسير (ص: ٢٠).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٧٤)، وعاصم بالياء، والخلاف عنه في السبعة (ص: ٥٠١).

(٣) سقطت من المطبوع، وفي الأصل وفيض الله: «وقدر»، دون «لا»، وسقط من لالاليه من هنا إلى آخر المقطع.

فـ ﴿مِن﴾ على القول الأَول والثالث للتبعيض المجرد، وعلى القول الوسط هي زائدة في الجحد، ومعناها التَّـأْكيد.

وقال أبو علي: ﴿مَا﴾ استفهام نصب بـ ﴿يَدْعُونَ﴾، ولا يجوز نصبها بـ ﴿يَعْلَمُ﴾، والجملة التي هي منها في موضع نصب بـ ﴿يَعْلَمُ﴾[(١)]، والتقدير: إِن الله تعالى يعلم أَوثاناً تدعون من دونه أَو غيرها لا يخفى ذلك عليه.

وقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ إِشارة إِلى هذا المثل ونحوه.

و﴿نَضْرِبُهَا﴾: مأْخوذ من الضَّرْب؛ أَي النوع، كما تقول: هذان من ضَرْبٍ واحد، هذا ضرْبُ هذا؛ أَي: قرينه وشبيهه، فكأَن ضَرْب الْمَثَل هو أَن تجعل للأَمر المُمَثَّل ضريباً.

وباقي الآية بيِّن.

[وقرأت فرقة: ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياء من تحت، وقرأت فرقة: ﴿تَدْعُونَ﴾ بالتاء على المخاطبة][(٢)].

وقال جابر: قال النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾: «العاقِلُ من عَقَل عن الله تعالى، وعمل بطاعته، وانتهى عن معصيته»[(٣)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

نَبَّه في ذِكْر خلْق السماوات والأَرض على أَمر يُوقع الذِّهن، على صِغَر قدر الأَوثانِ وكُلِّ معبود من دون الله تعالى.

---

(١) الحجة للفارسي (٥/ ٤٣٤).

(٢) سقط من المطبوع، وهو تكرار مع ما سبق قريباً، وسقط معه حديث جابر من نجيبويه، وسقطت الفقرة كلها من لالاليه.

(٣) لم أقف عليه.

وقوله سبحانه: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾؛ أَي: بالواجب النَّيِّر، لا للعبث واللعب، بل ليدلَّ على سلطانه، ويثبت شرائعه، ويضع الدلالات لأَهلها، ويعم بالمنافع، إِلى غير ذلك مما لا يُحصى عدّاً.

ثم أَمر الله تعالى نبِيَّه ﷺ بالخضوع لأَمره، وتلاوة القرآن الذي أُوحي إِليه، و«إِقامة الصلاة»؛ أَيْ: إِدامتها والقيام بحدودها، ثم أَخبر ـ حُكْماً مِنه ـ أَن الصلاة تنهى عن الفحشاءِ والمنكر.

قال القاضي أَبو محمد: وذلك عندي بأَن المصلِّي إِذا كان على الواجب من الخشوع والإِخبات، وتذكُّر الله تعالى، وتوهُّم الوقوف بين يديه، وأَن قلبه وإِخلاصه مطَّلَع عليه مرقوب، صلحت لذلك نفسه وتذلَّلت، وخامرها ارتقاب الله تعالى، فاطَّرد ذلك في أَقواله وأَفعاله وانتهى عن الفحشاءِ والمنكر، ولا يكادُ يَفْتُر من ذلك حتى تظله صلاة أُخرى يَرْجع بها إِلى أَفضل حالة، فهذا معنى هذا الإِخبار؛ لأَن صلاة المؤمن هكذا ينبغي أَن تكون.

وقد رُوي عن بعض السَّلف: أَنه كان إِذا قام إِلى الصلاة ارْتَعد واصْفَرَّ لونه، فكُلِّم في ذلك فقال: إِنِّي واقف بين يدي الله تعالى، وحق لي هذا مع ملوك الدُّنيا، فكيف مع مِلك الملوك[١].

قال القاضي أَبو محمد: فهذه صلاةٌ تَنْهى ولا بُدَّ عن الفحشاءِ والمنكر، ومن كانت صلاته دائرة حول الإِجْزاءِ، لا خشوع فيها، ولا تذكُّر، ولا فضائل، فتلك تتركُ[٢] صاحبَها من منزلته حيث [كان، فإِن][٣] كان على طريقِهِ معاصٍ تبعده عن الله[٤] تركته الصلاة تمادى على بُعده.

---

(١) تفسير القرطبي (١٣/ ٣٤٨).

(٢) في المطبوع: «فذلك يترك».

(٣) في الأصل بدلًا منه: «كل ما كان».

(٤) «تبعده عن الله» ليست في لالاليه، و«تركته صلاته» ليست في المطبوع.

وعلى هذا يُخَرَّج الحديث المروي عن ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، والأَعمش، وهو قولهم: من لم تنهه صلاته عن الفحشاءِ والمنكر لم يزْدَدْ من الله إِلَّا بُعْداً، وقد روي أَن الحسن أَرسله عن النبي ﷺ، وذلك غير صحيح السَّند[١]، سمعتُ أَبي رضي الله عنه يقوله[٢].

فإِذا قدرناه، ونظرنا معناه؛ فغير جائز أَن نقول: إِن نفس صلاة العاصي / تبعده [٤/ ١٧٥] من الله تعالى حتَّى كأَنها معصية، وإِنما يتخرج ذلك على أَنها لا تؤثر في تقريبه من الله تعالى، بل تتركه في حاله ومعاصيه من الفحشاءِ والمنكرِ تبعده، فلم تزدهُ الصلاةُ إِلَّا تقرير ذلك البُعْد الذي كان سبيله، فكأَنها بَعَّدَتْهُ حين لم تَكُفَّ بُعْدَهُ عن الله تعالى.

وقيل لابن مسعود: إن فلاناً كثير الصلاة، فقال: إِنها لا تنفع إِلَّا من أَطاعها[٣].

وقرأَ الربيع بن أَنس: إن الصلاة تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر[٤].

وقال ابن عُمر: الصلاة هاهنا القرآن[٥].

وقال حمَّاد بن أَبي سليمان، وابن جريج، والكلبي: إِن الصلاة تنهى ما دمتَ فيها[٦].

---

(١) لا يصح مرفوعاً، وورد مرسلًا وموقوفاً، قال العراقي في تخريج الإحياء (١/ ٢٩٢): أخرجه علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية من حديث الحسن مرسلا بإسناد صحيح، ورواه الطبراني وأسنده ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عباس بإسناد لين، والطبراني من قول ابن مسعود وإسناده صحيح. اهـ، تراجع السلسلة الضعيفة (رقم ٢) وقال: باطل، وروي نحوه عن قتادة والحسن.

(٢) في المطبوع: «يقول».

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤١)، من طريق: العلاء بن المسيب، عن سمرة بن عطية، قال: قيل لابن مسعود... وإسناده لين.

(٤) شاذة، أخرجها عنه عبد بن حميد وابن المنذر كما في تفسير الآلوسي (١٠/ ٣٦٨)، ولعلها من باب التفسير.

(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤١)، من طريق: أبي الوفاء، عن أبيه، عن ابن عمر، ولم أعرف هذا الإسناد.

(٦) تفسير الماوردي (٤/ ٢٨٤)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٢).

قال القاضي أَبو محمد: وهذه عُجْمة، وأَين هذا مما رواه أَنس بن مالك؟ قال: كان فَتًى من الأَنصار يصلي مع النبي ﷺ، ولا يدع شيئاً من الفواحش والسرقة إِلَّا ركبه، فقيل ذلك للنبي ﷺ، فقال: «إِنَّ صلاته ستنهاهُ»، فلم يلبث أَن تاب وصلحت حاله، فقال رسول الله ﷺ: «أَلم أَقُلْ لَكُمْ؟»[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾، قال ابن عباس[٢]، وأَبو الدرداءِ[٣]، وسلمان[٤]، وابن مسعود[٥]، وأَبو قُرة: معناه: ولذِكْرُ الله إِياكم أَكبر من ذكركم إِيَّاه[٦].

وقيل: معناه: ولذكْرُ الله أَكبر مع المداومة من الصلاة[٧] في النهي عن الفحشاءِ والمنكر.

وقال ابن زيد، وقتادة: معناه: لذِكْرُ الله أَكبر من كل شيءٍ[٨].

---

(١) ضعيف، أخرج البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ١٧٤)، من طريق: وكيع عن الأعمش قال: أرى أبا صالح ذكره عن أبي هريرة قالوا: يارسول الله إن فلاناً يصلي من الليل، فإذا أصبح سرق، قال: «ستنهاه ما يقول»، وهذا الشك يوهن الرواية، وأخرج ابن الجعد في مسنده (١/ ٣٠٦)، من طريق: قيس عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: قال رجل للنبي ﷺ، بنحوه، وأبو سفيان لم يسمع من جابر إلا أربعة أحاديث، ليس هذا منها.

(٢) لا بأس به، روي من طرق عدة عن ابن عباس، أخرجها الطبري في التفسير (٢٠/ ٤٣).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ: الطبري (٢٠/ ٤٤)، من طريق: عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مرة الحضرمي، قال: سمعت أبا الدرداء به مطولاً، وصالح مستور، والخبر يروى من طريق آخر عن أبي الدرداء مرفوعاً بدون هذه العبارة كما سيأتي.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٤)، من طريق: جابر، عن عامر، عن أبي قرة، عن سلمان به، وجابر هو الجعفي.

(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٤)، من طريق: زائدة، عن عاصم، عن شقيق، عن عبد الله به، وعاصم هو ابن أبي النجود.

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٤).

(٧) في المطبوع: «على الصلاة».

(٨) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٥)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٨١).

وقيل لسلمان: أَيُّ الأَعمال أَفضل؟ فقال: أَما تقرأُ القرآن: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[(١)].

[ومنه حديث الموطأ عن أبي الدرداء: «ألا أخبركم بخير أعمالكم؟» الحديث[(٢)].

وقيل: معناه: وَلَذِكْرُ اللَّهِ كبير][(٣)]، كأَنه يحضُّ عليه في هذين التأْويلين الأَخيرين.

قال القاضي أَبو محمد: وعندي أَن المعنى: ولذِكْرُ الله أَكبر على الإِطلاق؛ أَي: هو الذي ينهى عن الفحشاءِ والمنكر، فالجزءُ الذي منه في الصلاة يفعل ذلك، وكذلك يفعل في غير الصلاة؛ لأَن الانتهاءَ لا يكون إِلا من ذاكرٍ اللَّهَ مراقبٍ له، وثواب ذلك الذِّكر أَن يذكره الله تعالى، كما في الحديث: «[مَنْ ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي][(٤)]، ومن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خير منهم»[(٥)].

والحركات التي في الصلاة لا تأْثير لها في نَهْي، والذكر النافع هو مع العلم وإِقبال القلب وتفرغه إِلَّا من الله تعالى، وأَمَّا ما لا يتجاوز اللِّسان ففي رتبة أُخرى، وذكْرُ الله تعالى للعبد هو إِفاضة الهدى ونور العلم عليه، وذلك ثمرة لذكر العبد ربَّه، قال الله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وباقي الآية ضربٌ من التَّوعُّد والحث على المراقبة.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٤)، من طريق: عمر بن أبي زائدة، عن العيزار بن حريث، عن رجل، عن سلمان، وفي الإسناد جهالة ذلك الرجل، ثم أخرج عن سفيان بن وكيع، قال: ثنا أبي، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، قال: قال رجل لسلمان: أي العمل أفضل؟ قال: ذكر الله، والأعمش مدلس وقد عنعن، وأبو إسحاق كذلك ولم يصرح بالسماع.

(٢) الموطأ رقم (٧١٦) من قول أبي الدرداء بلفظ: ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأرفعها في درجاتكم، وأزكاها عند مليككم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى. اهـ دون محل الشاهد وهو قوله: ولذِكْرُ الله إِياكم أكبر من ذكركم إِيَّاه. اهـ، وقد روي عن أبي الدرداء أيضاً مرفوعاً، أخرجه الترمذي (٣٣٧٧).

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) من المطبوع.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾.

قـرأَ الجمهـور: ﴿إِلَّا﴾ علـى الاسـتثناءِ، وقـرأَ ابن عبـاس: (أَلَا) بفتـح الهمزة وتخفيف اللام(١).

واختلف المفسرون في المراد بهذه الآية؛ فقال ابن زيد: معناها: لا تجادلوا من آمن بمحمد ﷺ من أَهل الكتاب، فكأَنه قال: أهلَ الكتاب المؤمنين، ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾؛ أَي: بالموافقة فيما حدَّثوكم به من أَخبار أَوائلكم، وغير ذلك(٢)، وقوله تعالى ـ على هذا التأْويل ـ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ يريد به من بقي على كفره منهم، كمن كفر وغدر من بني قريظة والنضير وغيرهم، فالآية ـ على هذا ـ مُحكمة غير منسوخة.

وقـال مجاهـد: المـراد بأَهل الكتـاب اليهود والنصـارى والباقون علـى دينهم، أَمـر الله تعالى المؤمنين أَلَّا يجادلوهم إِلَّا بالأَحسـن من الدعاءِ إِلـى الله تعالى، والتنبيه على آياته؛ [وأن يزال معهم عن طريق](٣) الإِغلاظ والمخاشنة(٤).

وقوله ـ على هذا التأْويل ـ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ معناه: ظَلَموكم، وإِلَّا فَكُلُّهم ظَلَمة على الإِطلاق، فيُـرَادُ به مَنْ لم يُؤَدِّ جِزْية، ونَصَب الحرب، ومَن قال وصرَّح بأَنَّ للَّهِ ولداً، أَو لَهُ شريك، أَوْ يَدُهُ مغلولة، فالآية ـ على هذا ـ منسوخة في مهادنة من لم يحارب.

قال قتادة: هي منسوخة بقول الله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ الآية(٥).

---

(١) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٨/ ٣٦٠)، وعزا في المحتسب (١/ ١١٤) مثلها لزيد بن علي، في حرف (البقرة: ١٥٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٧).

(٣) في المطبوع بدلًا منه: «رجاءَ إِجابتهم إِلى الإِيمان، لا على طريق».

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٦).

(٥) (التَّوبة: ٢٩)، وانظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٤٨).

قال القاضي أَبو محمد: والذي يتوجَّه في معنى الآية إِنما يتَّضح في معرفة الحال في وقت نزول الآية، وذلك أَن السُّورة مكِّيَّة من بعد الآيات العشر الأُول، ولم يكن في ذلك الوقت قتال مفروض، ولا طلب جزْية ولا غير ذلك، وكانت اليهود بمكَّة وفيما جاورها، فربما وقع بينهم وبين المؤمنين جدالٌ واحتجاجٌ في أَمر الدين وتكذيب، فأَمر الله تعالى المؤمنين أَلَّا يجادلوهم بالمحاجَّة إِلَّا بالحسنى دعاءً إِلى الله تعالى ومُلاينة، ثم استثنى مَن ظلم منهم المؤمنين، إِمَّا بفعل وإِمَّا بقول، وإِمَّا بإِذاية محمد ﷺ، وإِمَّا بإِعلان كفر فاحش، كقول بعضهم: عُزَيْر ابن الله، ونحو هذا، فإِن هذه الصَّنيفة[١] اسْتُثْنِيَ لأَهَل الإِسلام معارضتها[٢] [بالتغيير عليها والخروج][٣] معها عن التي هي أَحسن، ثم نُسخ هذا بعْدُ بآية القتال والجزية، وهذا قول قتادة[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ الآية؛ قال أَبو هريرة: كان أَهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، فيفسرونها بالعربية للمسلمين، فقال رسول الله ﷺ: «لا تُصدِّقوا أَهل الكتاب ولا تكذِّبوهم، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾»[٥].

وروى عبد الله بن مسعود أَن النبي ﷺ قال: «لَا تَسأَلوا أَهل الكتاب عن شيءٍ؛ فإِنهم لن يهدوكم وقد ضَلُّوا، إِمَّا أَن تُكذِّبوا بحق، وإِمَّا أَن تُصَدِّقوا بباطل»[٦].

---

(١) في المطبوع: «الصفة».

(٢) في التركية: «مفاوضتها».

(٣) في المطبوع بدلًا منه: «بالخروج».

(٤) كما تقدم قريباً عن تفسير الطبري (٢٠/ ٤٨).

(٥) أخرجه البخاري (٤٤٨٥)، (٧٣٦٢).

(٦) ضعيف، أخرجه الإمام أحمد (٢٢/ ٤٦٨)، وأبو يعلى في مسنده (٤/ ١٠٢)، وغيرهما، من طريق حماد ابن زيد، عن مجالد، عن عامر الشعبي، عن جابر بن عبد الله، رضي الله عنه مرفوعاً به، ومجالد هو ابن سعيد، وهو ضعيف الحديث، انظر: تهذيب الكمال (٢٧/ ٢١٩).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤/ ١٧٦] تقدم القول في الآية التي قبل هذه / ما يتضمَّن نزول شرع وكتاب من الله تعالى على أَنبيائه قبل محمد ﷺ، فحسُن لذلك عطف: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ﴾ على ما في الضمن؛ أَي: وكإِنزالنا على من تقدَّمك كذلك أَنزلنا إِليك الكتاب.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن.

وقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يريد التوراة والإِنجيل؛ أَيْ: فالذين كانوا في عصر نزول الكتاب وأُوتوه حينئذ يؤمنون به؛ أَي: كانوا مصدقين بهذا الكتاب الذي أَنزلناه إِليك، فالضمير في ﴿بِهِۦ﴾: عائد على القرآن، ثمَّ أَخبر عن معاصري محمد ﷺ أَن منهم أيضا من يؤمن به، ولم يكونوا آمنوا بعد، ففي هذا إِخبارٌ بِغَيْب بيَّنه الوجود بعد ذلك.

ثمَّ أَنْحَى على الجاحدين مِن أُمَّة قد آمن سلفُها في القديم وبعضها في الحديث، وحصل الجاحدون منهم في أَحسن رُتبة من الضلال، ويُشبه أَن يُراد أَيضاً في هذا الإِنحاءِ كفَّار قريش مع كفَّار بني إِسرائيل.

ثمَّ بيَّن تعالى الحُجَّة على المُبْطلين المرتابين، وأَوضح أَنَّ مِمَّا يُقوِّي نزول هذا القرآن من عند الله تعالى أَنَّ محمداً ﷺ جاءَ به في غاية الإِعْجَازِ والطول والتضمُّن للغيوب وغير ذلك، وهو أُمِّيٌّ لا يقرأُ ولا يكتب، ولا يتلو كتاباً، ولا يخُط حرفاً، ولا سبيل له إِلى التَّعلُّم، فإِنه لو كان ممَّن يقرأُ لارتاب المُبطلون، ولكان لهم في ارتيابهم تعلُّق، وأَما ارتيابهم مع وضوح هذه الحُجَّة؛ فظاهرٌ فساده.

قال مجاهد: كان أَهل الكتاب يجدون في كتبهم أَنَّ محمداً ﷺ لا يخط، ولا يقرأُ كتاباً، فنزلت هذه الآية[١].

وذكر النقاش في تفسير هذه الآية عن الشعبي أَنه قال: ما مات النبيُّ ﷺ حتَّى كتَب[٢].

وأَسند أَيضاً حديثاً لأَبي كَبْشَة السَّلُولي[٣]، مُضَمَّنه: أَنه ﷺ قرأَ صحيفة لِعُيَيْنَة بن حصن، وأَخبر بمعناها[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا كله ضعيف، وقول الباجِيِّ رحمه الله منه[٥].

وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ إِضرابٌ عن مُقَدَّر من الكلام يقتضي ما تقدَّم، كأَنه قال: ليس الأَمر كما حسبوا، بل هو.

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٥١).

(٢) تفسير السمعاني (٤/ ١٨٦)، قال: وأظن أنه لا يصح عن الشعبي هذا؛ لأنه كان عالماً كبيراً.

(٣) أبو كبشة السلولي الدمشقي شامي ثقة، روى عن عبد الله بن عمرو، وسهل بن الحنظلية، وعنه: حسان ابن عطية، وأبو سلام الأسود، وربيعة بن يزيد، تاريخ الإسلام (٦/ ٢٤٥).

(٤) في ثبوت الخبر بهذا اللفظ نظر، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٥)، من طريق: الوليد بن مسلم، حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، حدثني ربيعة بن يزيد، حدثني أبو كبشة السلولي أنه سمع ابن الحنظلية الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ يقول، ومن طريق: النفيلي حدثنا مسكين بن بكير، حدثنا محمد بن مهاجر، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي كبشة السلولي، حدثنا سهل بن الحنظلية به بلفظ: أما عيينة فأخذ كتابه فأتى النبي ﷺ فقال: يا محمد ترى أني حامل إلى قومي كتاباً لا أدري ما فيه كصحيفة متلمس، قال: فأخذه النبي ﷺ فنظر فيه فقال: «قد كتب لك بالذي أمرت لك به»، وقد ساق البيهقي الإسنادين وساق متناً واحداً، وفيه محل الشاهد، وأخرج ابن زنجويه في الأموال (٧٩٩) رواية النفيلي أيضاً بنفس اللفظ، وفي آخره زيادة: قال ابن مهاجر: قال ابن حلبس: فنرى أن رسولَ الله ﷺ قد كتب بعد أن أنزل عليه، وليس لابن حلبس وهو يونس بن ميسرة بن حلبس ذكر عندهما، لكن ذكره الحافظ ابن حجر في التلخيص (٣/ ٢٧١)، من طريق: محمد بن المهاجر، عن يونس بن ميسرة، عن أبي كبشة السلولي، عن سهل بن الحنظلية بنفس اللفظ، لكن أخرجه أبو داود في السنن (١٦٣١)، من طريق النفيلي به، وهو الإسناد الثاني عند البيهقي، وليس فيه عبارة: «فنظر فيه».

(٥) أي: قوله: إن النبيّ ﷺ كتب بيده، وأن ذلك لا يعارض كونه أمياً، نقله عنه تفسير القرطبي (١٣/ ٣٥٢).

وهذا الضمير يحتمل أَن يعود على القرآن.

ويؤيده أَن في قراءَة ابن مسعود: (بَلْ هِيَ آيَاتٌ) [١].

ويحتمل أَن يعود على محمد ﷺ.

ويؤيده أن قتادة[٢] قرأَ: (بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَةٌ) على الإِفراد[٣]، وقال: المراد: النبي ﷺ.

ويحتمل أَن يعود على أَمر محمد ﷺ أَنه لم يَتْلُ ولا خَطَّ، وبكلِّ احتمالٍ قالت فرقة، وكون هذا كله آيات ـ أَي: علامات في صدور العلماءِ من المؤمنين بمحمد ﷺ ـ يراد به مع النظر والاعتبار.

و﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ و﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾، قيل: يعم لفظهما كلَّ مكذِّب بمحمد ﷺ، ولكن معظم الإِشارة بهما إِلى قريش؛ لأَنهم الأَهم، قاله مجاهد، وقال قتادة: الْمُبْطِلُونَ: اليهود[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

الضمير في ﴿وَقَالُوا۟﴾ لقريش ولبعض اليهود؛ لأَنهم كانوا يُعَلِّمون قريشاً مثل هذه الحُجَّة: لم يَأْتِكُم بمثل ما جاءَ به موسى من العصا وغيرها.

وقرأَ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأَبو بكر عن عاصم، وعلي بن نصر عن

---

(١) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣١١)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٨٦).

(٢) في المطبوع: «ويؤيده قراءة من قرأ».

(٣) وبها قرأ ابن كثير وأبو بكر وحمزة والكسائي، كما سيأتي، انظر: التيسير (ص: ١٧٤).

(٤) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٠/ ٥١).

أَبي عمرو: ﴿آية من ربه﴾، وقرأ نافع، وابن عامر، وأَبو عمرو، وحفص عن عاصم: ﴿ ءَايَٰتٌ ﴾(١).

فأَمر الله تعالى نبِيَّه ﷺ أَن يعلِّمهم أَن هذا الأَمر بيد الله عزَّ وجلَّ لا يستنـزله الاقتراح والتمنِّي، وأَنه بُعث نذيراً، ولم يؤمر بغير ذلك.

وفي مصحف أُبي بن كعب: (لو ما يأْتينا بآيات من ربه قل إِنما الآيات) (٢).

ثم احتج عليهم في طلبهم آية بأَمر القرآن الذي هو أَعظم الآيات، ومعجزٌ للجن والإِنس، فقال: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾، ثم قرَّر ما فيه من الرحمة والذكرى للمؤمنين، فقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ ﴾: جواب لمن قال: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ ﴾.

وحكى الطبري: أَن هذه الآية نزلت بسبب قوم من المؤمنين [كتبوا عن اليهود بطائق](٣) أَخبروهم بشيءٍ من التوراة، فكتبوه فأَنكر رسول الله ﷺ ذلك، قال: «كفى بها(٤) ضلالة، قوم رغبوا عمَّا أَتاهم به نبيُّهم إلى ما أَتى به غيره»، ونزلت الآية بسببه(٥).

قال القاضي أَبو محمد: والتأْويل الأَول أَجرى مع نسق الآيات.

ثمَّ أَمر الله تعالى نبِيَّه ﷺ بالاستناد إِلى أَمر الله تعالى، وأَن يجعله حسبه شهيداً وحاكماً بينه وبينهم بعلمه وتحصيله جميع أُمورهم.

وقوله: ﴿بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ يريد: بالأَصنام والأَوثان وما يتبع أَمرها من المعتقدات.

و(الباطل): هو أَن يُفعل فعل يُراد به أَمر ما، وذلك الأَمر لا يكون عن ذلك الفعل،

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٧٤)، ورواية علي بن نصر في السبعة (ص: ٥٠١).

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٤٣٥).

(٣) في المطبوع بدلًا منه: «أَتَوْا النبي ﷺ بكُتُب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود الذين».

(٤) في المطبوع: «بهذا»، وفي فيض الله: «بهؤلاء».

(٥) مرسل فيه لين، الطبري (٢٠/ ٥٣)، من طريق: حجاج، عن ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن يحيى بن جعدة أن ناساً من المسلمين... وهذا مرسل.

والأَصنام أُريد بأَمرها الأَكملُ والأَنجحُ في زعم عُبَّادها، وليس الأَكمل والأَرجح إِلَّا رفْضُهَا، فهي إِذاً باطلٌ، وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ يريد كُفَّار قريش في قولهم: ائتنا بما تعدنا، وغير ذلك من استدعائهم[1] ـ على جهة التعجيز والتكذيب ـ بعذاب الله تعالى الذي يتوعدهم محمد ﷺ.

ثمَّ أَخبر تعالى أنه يأْتيهم بغتة؛ أَي: فجأَة، وهذا هو عذاب الدنيا، وهو الذي ظهر يوم بدر، وفي السنين السبع، / ثمَّ ذكر تعالى أَن تأَخُّره إِنما هو بحسب الأَجل المقدور [٤/ ١٧٧]
السابق، وذكر المفسرون عن الضحاك: أَن الأَجل المسمَّى بهذه الآيات الآجالُ[2].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيف يردُّه النظر، والآجال لا محالة أَجلٌ مُسَمًّى، ولكن ليس هذا موضعها.

ثمَّ توعدهم تبارك وتعالى بَعْدُ بعذاب الآخرة في قوله: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، كرَّر فِعْلَهم وقَبَّحه، وأَخبر أَن وراءَهم إِحاطة جهنم بهم.

وقال عكرمة ـ فيما حكى الطبري ـ أَن جهنم هاهنا أَراد بها الْبَحْر[3].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيف.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ﴾: ظرفٌ يعمل فيه قوله: ﴿مُحِيطٌ﴾.

---

(١) في المطبوع: «استعجالهم».
(٢) تفسير الثعلبي (٧/ ٢٨٦).
(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٥).

و﴿ يَغْشَىٰهُمُ ﴾ معناه: يغطِّيهم من كل جهة من جهاتهم.

وقرأَ نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿وَيَقُولُ ﴾؛ أَي: ويقول الله.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿وَنَقُولُ﴾ بالنون[1]، فإِمَّا أَن تكون نون العظمة، أَو نون جماعة[2] الملائكة.

وقرأَ ابن مسعود: (وَيُقَالُ) بياءٍ وأَلِف، وهي قراءَةُ ابن أَبي عبلة[3].

وقوله تعالى: ﴿ذُوقُواْ﴾ توبيخٌ، ويُشَبَّه مسُّ العذاب بالذَّوق، ومنه قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩]، ومنه قول أَبي سفيان: ذُقْ عَقَق[4]، ونحو هذا كثير.

وقوله تعالى: ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾؛ أَي: بما في أَعمالكم من اكتسابكم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

هذه الآياتُ نزلت في تحريض المؤمنين الذين كانوا بمكة على الهجرة، فأَخبرهم تعالى بِسَعَةِ أَرضه، وأَن البقاءَ في بقعة على أَذى الكفار ليس بصواب، بل الصواب أَن تُلْتمس عبادة الله تعالى في أَرضه.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٧٤).

(٢) في المطبوع: «نون الجماعة، جماعة الملائكة».

(٣) وهي شاذة انظر عزوها لابن مسعود في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣١٨)، ولهما في البحر المحيط (٨/ ٣٦٣)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص٣٧٣) للأعمش.

(٤) أخرجه الحربي في غريب الحديث (١/ ٤٤)، من طريق: يوسف بن بهلول، حدثنا ابن إدريس، عن ابن إسحاق: مر أبو سفيان بحمزة فجعل يضرب في شدقه بزج الرمح ويقول: ذق عقق، وهذا معضل جداً.

وقال ابن جبير، وعطاء، ومجاهد: إِن الأَرض التي فيها الظلم والمنكر تترتب فيها هذه الآية، وتلزم الهجرة عنها إِلى بلدٍ حقٍّ[١]، وقاله مالك[٢].

وقال مُطَـرِّف بن الشِّخِّير: قوله: ﴿إِنَّ أَرۡضِى وَٰسِعَةٌ﴾ عدةٌ بِسَعة الرزق في جميع الأَرض[٣].

وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر: ﴿يَـٰعِبَادِىَ﴾ بفتح الياءِ[٤].

[وقرأ ابن عامر وحده: ﴿إِن أرضيَ﴾ بفتح الياء أيضاً].

وقرأ أَبو عمرو، وحمزة، والكسائي بسكونها، وكذلك قرأَ نافع وعاصم: ﴿أَرۡضِى﴾ ساكنةً[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَإِيَّـٰىَ﴾[٦] منصوب بفعل مقدَّر يدلُّ عليه الظاهر، تقديره: فإِيَّايَ اعبدوا فاعبدون، على الاهتمام أَيضاً في التقدير[٧].

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٍ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ الآية، تحقير لأَمر الدنيا ومخاوفها، كأَن بعض المؤمنين نظر في عاقبة ما يلحقه في خروجه من وطنه أَنه يموت أَو يجوع ونحو هذا، فحقَّر الله تعالى شأْن الدنيا؛ أَي: أَنتم لا محالة ميتون ومحشورون إلينا[٨]، فالبِدار إِلى طاعة الله عزَّ وجلَّ والهجرة إِليه أَوْلى ما يُمتثل.

---

(١) انظر عزوه لهم في تفسير الطبري (٢٠/ ٥٦)، ولبعضهم في تفسير سفيان الثوري (ص: ٢٣٦)، وتفسير عبد الرزاق (٣/ ١١).

(٢) انظر قول مالك في: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٦١١)، والهداية لمكي (٢/ ١٤٤٣).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٦).

(٤) وحذفها الباقون في الوصل، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٤)، والسبعة (ص: ٥٠٣).

(٥) وابن كثير وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٧٤)، وسقطت قراءة ابن عامر من المطبوع.

(٦) في لالاليه: «يا عبادي».

(٧) في الأصل: «التقديم».

(٨) سقطت من الأصل، وفي المطبوع: «إِلى الله تبارك وتعالى».

وقرأَ الجمهور: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بالتاءِ من فوق، ورويت عن عاصم بالياءِ من تحت، وذكرها أَبو حاتم عن أَبي عمرو[(١)].

وقرأَ أَبو حيوة: (كل نفس ذائقةٌ) بالتنوين (الْمَوْتَ) بالنصب[(٢)].

ثم وعد المؤمنين[(٣)] العاملين بسكنى الجنَّة تحريضاً منه تعالى، وذكر الجزاءَ الذي ينالونه.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ بالباءِ [من المباءة][(٤)]؛ أَي: لَنُنْزِلَنَّهُم ولَنُمَكِّنَنَّهُم ليدوموا فيها، و﴿غُرَفًا﴾ مفعول ثان؛ لأَنه فعل يتعدى إِلى مفعولين.

وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿لَنُثْوِيَنَّهُمْ﴾، من: أَثوى يُثوي، وهو مُعَدَّى: ثَوَى، بمعنى: أَقام، وهي قراءَة علي بن أَبي طالب رضي الله عنه، وابن مسعود، والربيع بن خُثَيْم، وابن وثاب، وطلحة[(٥)].

[وقرأَها بعضهم: (لَنُثَوِيَنَّهُمْ) بفتح الثاءِ وتشديد الواو مُعَدَّى بالتضعيف][(٦)] لا بالهمزة.

وقوله: ﴿غُرَفًا﴾: نصب بإِسقاط حرف الجرِّ، والتقدير: في غُرف.

وقرأَ يعقوب: (لَيُبَوِّئَنَّهُم) بالياءِ من تحت[(٧)].

---

(١) وهما سبعيتان، والياء رواية شعبة، كما في التيسير (ص: ١٧٤)، والسبعة (ص: ٥٠٢)، ولم أجدها لأبي عمرو.

(٢) وهي شاذة، انظرها في الكامل للهذلي (ص: ٥٢٣).

(٣) تكررت في الأصل خطأ.

(٤) سقطت من نجيبويه والمطبوع، ولفظة: «بالباء» زيادة منهما.

(٥) فهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٠٢)، وسقط «الكسائي» من المطبوع، وانظر عزوها لابن مسعود وابن وثاب في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣١٨)، وللباقين في البحر المحيط (٨/ ٣٦٤).

(٦) ساقط من التركية، وهي شاذة، أشار لها بلا نسبة في الدر المصون (٩/ ٢٥).

(٧) وهي شاذة، وعزاها القرطبي (١٣/ ٣٥٩) أنها من رواية رويس عنه وقراءة الجحدري والسلمي، وكتبت في المطبوع: «النبوينهم»، وهذا يوهم أن المقصود الياء الأخيرة، وذلك خطأ.

وروي عن ابن عامر: (غُرُفاً) بضم الغين والراءِ[١].

ثم وصفهم تعالى بالصبر والتوكُّل، وهاتان جماعُ الخير كلِّه؛ أَي: الصبر على الطاعات، وعن الشهوات.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

(كَأَيِّنْ) بمعنى: «كَمْ»، وهذه الآية تحريض على الهجرة؛ لأَن بعض المؤمنين فكَّر في الفقر والجوع الذي يلحقه في الهجرة، وقالوا: غربة في بلد لا دار لنا فيه ولا عقار ولا من يطعم، فمثَّل لهم بأَكثر الدواب التي لا تتقوت[٢] ولا تَدَّخر ولا تَـرَوَّى في رزقها، والمعنى: فهو يرزقكم أَنتم، ففضِّلوا طاعته على كل شيءٍ.

وقوله تعالى: ﴿لَّا تَحْمِلُ﴾ يجوز أَن يريد: من الحَمْل؛ أَي: لا تستقل[٣] ولا تنظر في ادخاره، قاله أَبو مَجْلَز، ومجاهد، وعلي بن الأَقمر[٤].

قال القاضي أَبو محمد: والادخار ليس من خلق الموقنين، وقد قال رسول الله ﷺ

(١) ليست من طرق التيسير، بل هي رواية عبد الحميد بن بكَّار بإسناده عن ابن عامر، ولم يروه غيره، قاله في جامع البيان (٤/ ١٤٦٧).

(٢) في المطبوع: «التي تتقوت»، دون لفظة «لا».

(٣) في المطبوع ونجيبويه: «تنقل»، وفي لالاليه ونور العثمانية: «ينتقل»، وفي فيض الله: «تنتقل».

(٤) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢٠/ ٥٨)، وعلي هو ابن الأقمر بن عمرو بن الحارث الهمداني الوادعي، أبو الوازع الكوفي، يروي عن أبي جحيفة، وغيره، وعنه الأعمش، وشعبة، وسفيان، والحسن بن صالح، وشريك، وآخرون، وثقه جماعة، تاريخ الإسلام (٧/ ٤٢٦).

لابـن عمـر: «كيف بـك إِذا بقيـتَ فـي حُثالة من النـاس يخبئـون رزق سـنة بضعف[١] اليقين»[٢].

ويجوز أَن يريد من الحمالة؛ أَي: لا تتكفَّل برزقها ولا تَـرَوَّى فيه.

ثمَّ خاطب تعالى نبيه ﷺ[٣] في أَمر الكفَّار وإِقامة الحُجَّة عليهم بأَنهم إِن سأَلوا عن الأُمور العظام التي هي دلائل القدرة؛ لم يكن لهم إِلَّا التسليم بأَنها لله تعالى.

و﴿يُؤْفَكُونَ﴾ معناه: يصرفون، ونبَّه تعالى على خلْق السماوات والأَرض وتسخير الكواكب، وذكر عظمها، [فاقتضى ذلك ما دونه][٤].

ونبَّه تعالى على بسط الرِّزق وقَدْره لقوم، وإِنزال المطر من السماءِ، وهذه عِبَـرٌ كثيرة لمن تأَمَّل بالنجاة والمعتقد الأَقوم.

ثمَّ أَمر تعالى / نبيَّه محمداً ﷺ بحمده على جهة التوبيخ لعقولهم، وحَكَم عليهم بأَن أَكثرهم لا يعقلون ولا يتسدد[٥] منهم نظر. [٤/ ١٧٨]

---

(١) في التركية: «لضعف اليقين»، وفي لالاليه ونور العثمانية: «ويضعف اليقين».

(٢) لا يثبت بهذا اللفظ، عزاه في كنز العمال (٧٣٤٠) بهذا اللفظ للبخاري في رواية حماد بن شاكر، عن ابن عمر، ولم أجده بهذا اللفظ في مكان آخر، وقد علق منه البخاري أوله: يا عبد الله بن عمرو، كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس...» الحديث، قال الحافظ في تغليق التعليق (٢/ ٢٤٥): ليس هذا التعليق في روايتنا من طريق أبي ذر وإنما ثبت في بعض الروايات، وقد رواه إبراهيم الحربي في غريب الحديث له، قال: حدثنا عاصم بن علي، ثنا عاصم بن محمد، عن واقد، سمعت أبي يقول: قال عبد الله: قال رسول الله ﷺ: «كيف بك يا عبد الله بن عمرو إذا بقيت في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم». اهـ، وقد رواه بنحوه غير واحد من الأئمة، لكن ليس فيه محل الشاهد.

(٣) «نبيه ﷺ» زيادة من المطبوع.

(٤) ساقط من المطبوع.

(٥) في المطبوع: «يبدو»، وغير واضحة في التركية والحمزوية، وفي لالاليه ونور العثمانية: «ينسد»، وفي فيض الله: «يستد».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

وصف الله تعالى الدُّنيا في هذه الآية بأَنها لهوٌ ولعب؛ أَي: ما كان منها لغير وجه الله تعالى؛ فإِن ما كان لله تعالى فهو من الآخرة، وأَمَّا أُمور الدُّنيا التي هي زائدة على الضروري الذي به قِوام العيش والقوة على الطاعات فإِنما هو لهوٌ ولعب، وتأَمل ذلك في الملابس والمطاعم والمشارب[١] والأَقوات[٢] والمكسبات[٣] وغير ذلك.

وانظر إِلى حاجة الغني والفقير في الأُمور الضرورية فإِنها واحدة، كالتَّـنَـفُّس في الهواءِ، وسدِّ الجوع، وستر العورة، وتوقِّي الحر والبرد، وهذه كلها عظم أَمر العيش.

والْحَيَوَان والحياةُ بمعنى واحد[٤]، وهو عند سيبويه والخليل مصدر، كالهَيَمان ونحوه[٥].

والمعنى: لا موت فيها، قاله مجاهد[٦]، وهو حسن.

وأَصله: حَيَان، فأُبدلت إِحداهما واواً لاجتماع المثلين.

---

(١) زيادة من المطبوع.

(٢) في نجيبويه: «الأموال»، وفي المطبوع والتركية ونور العثمانية: «الأقوال».

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) سقطت لفظة: «واحد» من نجيبويه والتركية.

(٥) انظر قولهما في سر صناعة الإعراب (٢/ ٢٣٨)، والمحكم والمحيط الأعظم (٣/ ٣٩٧)، والبحر المحيط (٨/ ٣٦٦)، وتاج العروس (٣٧/ ٥١٠).

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٦٠).

ثم وقفهم تعالى على حالهم في البحر عند الخوف العظيم، فإن كل بشرٍ يَنْسَى كل صنم وغيره، ويتمسَّك بالدعاءِ والرغبة إلى الله تعالى.

وقوله: ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾؛ أي: يرجعون إلى ذكر أَصنامهم وتعظيمها.

وقوله: ﴿لِيَكْفُرُوا﴾: نصب بلام «كيْ».

وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ [بكسر اللام.

وقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: ﴿وَلْيَتَمَتَّعُوا﴾][1]، بسكون اللام على صيغة الأمر التي هي للوعيد والتهديد[2]، والواو ـ على هذا ـ: عاطفةٌ جملةَ كلام، لا عاطفةٌ فعلاً على فعل.

وفي مصحف أُبَيٍّ بن كعب: (فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) [3].

وفي قراءَة ابن مسعود: (فَلَسَوْف تعلمونَ) باللَّام[4].

ثمَّ عدَّد تعالى على كفرة قريش نعمته عليهم في الحرم في أَنه جعله لهم آمناً لا خوف فيه من أَحوال العرب وغاراتهم[5] وسوءِ أَفعالهم، من القتل وأَخذ الأَموال ونحوه، وذلك هو التَّخَطُّف الذي كان الناس بسبيله، ثم قررهم ـ على جهة التوبيخ ـ على إِيمانهم بالباطل وكفرهم بالله ونعمته.

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ بالياءِ [من تحت، وكذلك: ﴿يَكْفُرُونَ﴾.

---

(١) ساقط من الحمزوية ولالاليه ونور العثمانة، وهما سبعيتان، إلا أن قالون أسكن، انظر: التيسير (ص: ١٧٤)، والسبعة (ص: ٥٠٢).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها للسلمي في مختصر الشواذ (ص١١٦)، ولهما في البحر المحيط (٨/ ٣٦٧).

(٣) وهي شاذة، انظرها في تفسير الثعلبي (٧/ ٢٨٩).

(٤) وهي شاذة، أشار لها في البحر المحيط (٨/ ٣٦٧)، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٣) عنه: (قل تمتعوا فسوف تعلمون) بالتاء فيهما.

(٥) في المطبوع: «وعاداتهم».

وقرأهما بالتاءِ][1] من فوق الحسنُ، وأَبو عبد الرحمن[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

قررهم عزَّ وجلَّ على حال من افترى على الله كذباً أَو كذَّب بآياته، وهذه كانت حالهم، وأَعلمهم أَنه لا أَحد أَظلم منه، وهذا في ضمنه وعيدٌ شديد، ثم بيَّن الوعيد أَيضاً بالتقرير على أَمر جهنم، والمَثْوَى: موضع الإِقامة.

وأَلفاظ هذه الآيات في غاية الاقتضاب والإِيجاز وجَمْع المعاني.

ثم ذكر تعالى حال أَوليائه والمجاهدين فيه، وقرن ذلك بذكر الكفرة الظلمة؛ لِيُبَيِّن تباين الحالين.

وقوله تعالى: ﴿فِينَا﴾ معناه: في مرضاتنا وبُغْية ثوابنا.

قال السدي وغيره: نزلت هذه الآية قبل فرض القتال[3].

قال القاضي أَبو محمد: فهي قبل الجهاد العُرفي، وإِنما هو جهاد عام في دين الله تعالى وطلبِ مرضاته.

وقال الحسن: الآية في العُبَّاد[4].

وقال عياش[5] وإِبراهيم بن أَدهم[6]: هي في الذين يعملون بما يعلمون[7].

---

(١) ساقط من الحمزوية.

(٢) وهي شاذة، عزاها لهما في البحر المحيط (٨/ ٣٦٧)، والدر المصون (٩/ ٢٨).

(٣) نقله عنه في تفسير القرطبي (١٣/ ٣٦٤).

(٤) لم أجده بهذا اللفظ إلا في تفسير القرطبي (١٣/ ٣٦٤)، وسيأتي بمعناه.

(٥) في المطبوع بدلًا منه: «ابن عباس والحسن».

(٦) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور، أبو إسحاق العجلي، وقيل: التميمي البلخي الزاهد، أحد الأعلام، روى عن أبيه، ومنصور، والباقر، والأعمش، وجماعة، وعنه: الثوري وشقيق البلخي، أحد الزهاد، ثقة مأمون، توفي سنة (١٦١هـ)، تاريخ الإسلام (١٠/ ٤٤).

(٧) نقله عن ابن أدهم تفسير السمعاني (٤/ ١٩٤) بمعناه، ولم أجد من ذكر لعياش شيئاً هنا.

وقد قال النبي ﷺ: «من عَمِلَ بما عَلمَ؛ عَلَّمه الله ما لم يَعْلَم»[١].

ونزع بعض العلماءِ إلى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقال عُمَر بن عبد العزيز: إنما قصَّر بنا عن علم ما جهلنا تقصيرُنا في العمل بما علمنا[٢].

وقال أَبو سليمان الداراني: ليس الجهاد في هذه الآية قتالَ العدو فقط، بل هو نصرُ الدين، والرَّدُّ على المبطلين، وقَمْع الظالمين، وعُظْمُه الأَمْر بالمعروف والنَّهْي عن المنكر[٣].

ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله تعالى، وهو الجهاد الأَكبر، [قاله الحسن وغيره[٤].

وفيه حديث عن النبي ﷺ: «رجعتم من الجهاد الأَصغر إِلى الجهاد الأَكبر»][٥].

وقال سفيان بن عُيَيْنَة لابن المبارك: إِذا رأَيت الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين وأَهل الثغور، فإِن الله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٦].

---

(١) موضوع، ذكره أبو نعيم في الحلية (١٠/ ١٥)، بإسناد إلى الإمام أحمد بن حنبل أنه ذكره عن يزيد ابن هارون، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم»، قال أبو نعيم رحمه الله: ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى ابن مريم عليه السلام، فوهم بعضُ الرواة أنه ذكره عن النبي ﷺ فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقربه، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل.اهـ، وسقط الحديث كله من فيض الله، وفي نجيبويه: «أورثه»، بدل: «علمه».

(٢) تفسير الثعلبي (٧/ ٢٩٠)، والقائل هو عمر جواباً لوضين بن عطاء، وفي المطبوع: «وقال بعض العلماءِ لِعُمَر... إلخ».

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٤)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٩٠).

(٤) تفسير السمعاني (٤/ ١٩٤).

(٥) ساقط من لالاليه، وهو ضعيف، أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (٣٨٤)، من طريق: أحمد بن عبيد، حدثنا تمتام، حدثنا عيسى بن إبراهيم، حدثنا يحيى بن يعلى، عن ليث، عن عطاء، عن جابر، وقال: هذا إسناد ضعيف.

(٦) تفسير السمعاني (٤/ ١٩٤).

وقال الضحاك: معنى الآية: [وَالَّذِينَ جاهَدُوا في الهجرة لَنَهْدِيَنَّهُمْ سبيل الثبوت[١] على الإيمان][٢].

و«السَّبيلُ» هاهنا يحتمل أَن يكون طرق الجنَّة ومسالكها.

ويحتمل أَن يكون سبيل الأَعمال المؤدية إِلى الجنة والعقائد النَّـيِّرة.

وقال يوسف بن أَسباط: هي إِصلاح النِّيَّة في الأَعمال، وحبُّ التزَيُّد والتَّفهم[٣].

وهذا هو أَن يُجازى العبد على حُسْنه بازدياد حُسنه، وبعلم يقتدح[٤] من عِلْم متقدم، وهي حالُ من رضي الله عنه، وباقي الآية وعْدٌ.

و(مَعَ): يحتمل أَن تكون هنا اسماً؛ ولذلك دخلت عليها اللام للتأْكيد، ويحتمل أَن تكون حرفاً، ودخلت اللام لما فيها من معنى الاستقرار، كما دخلت في: إِنَّ زيداً لفي الدار.

كمل تفسير سورة العنكبوت، والحمد لله ربِّ العالمين،

والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله وصحبه أَجمعين.

(١) في نجيبويه: «الثواب».

(٢) ساقط من الحمزوية، وانظر تفسير الثعلبي (٧/ ٢٩٠).

(٣) تفسير الماوردي (٤/ ٢٩٥).

(٤) في المطبوع: «ويُعَلَّم بجديد»، وفي نجيبويه: «من علم مقترح».

/ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ [٤/ ١٧٩]

تَفسير سُورة الرُّوم

هذه السُّورة مَكِّيَّة، ولا خلاف أَحفظه في ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾﴾.

تقدم القول في الحروف التي في أَوائل السُّور بما فيه كفاية.

وقرأَ الجمهور: ﴿غُلِبَتِ﴾ بضم الغين، وقالوا: معْنى الآية: أنه طرأَ بمكة أَن الملك كسرى هزم جيش ملك الرُّوم، قال مجاهد: في الجزيرة، وهو موضع بين العراق والشَّام، وقال عكرمة: بأَذرِعات، وهي بين بلاد العرب والشام، وقال مقاتل: بالأُردن وفلسطين(١).

فلما طرأَ ذلك سُرَّ الكفَّار، فبشَّر الله تعالى عباده بأَن الرُّوم سيغلِبون في بضع سنين، وتكون الدولة لهم في الحرب.

---

(١) انظر قول عكرمة في تفسير الطبري (٢٠/ ٦٩)، وقوله وقول مقاتل ومجاهد في تفسير الثعلبي (٧/ ٢٩٤).

وقرأَ أَبو سعيد الخدري، وعلي بن أَبي طالب، ومعاوية بن قُرة، وعبد الله بن عمر: (غَلَبَت) بفتح الغين واللام[١]، وتأْويل ذلك أَن الذي طرأَ يوم بدر إِنما كان أَن الرُّوم غَلَبَت، فعزَّ ذلك على الكفَّار من قريش، وسُرَّ المسلمون، فبشَّر الله تعالى عباده بأَنهم سيغلِبون أَيضاً في بضع سنين، ذَكَر هذا التأْويل أَبو حاتم[٢]، والروايةُ الأُولى، والقراءَةُ بضم الغين أَصحُّ.

وأَجمع الناسُ على ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ أَنه بفتح الياءِ، يُراد به الروم.

ورُوي عن ابن عمر أَنه قرأَ أَيضاً: (سَيُغْلَبُونَ) بضم الياءِ[٣]، وفي هذه القراءَة قلب للمعنى الذي تظاهرت به [الأخبار في][٤] الروايات.

و﴿أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ معناه: أَقرب الأَرض، فإِن كانت الوقعة في أَذْرِعات فهي من أَدنى الأَرض بالقياس إِلى مكة، وهي التي ذكرها امرؤُ القيس في قوله:

[الطويل]

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وأَهْلُهَا بِيَثْرِبَ أَدْنَى دارِها نَظَرٌ عَالي[٥]

وإِن كانت الوقعة بالجزيرة فهي أَدنى بالقياس إِلى أَرض كسرى، وإِن كانت بالأُردن فهي أَدنى إِلى أَرض الروم.

قال أَبو حاتم: وقُرِئ: (أداني الأرض)[٦].

---

(١) وهي شاذة، عزاها لأبي سعيد الخدري في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٧٨)، ولابن عمر في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣١٩)، ولعلي وابن قرة في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٤)، وفي فيض الله: «ابن أبي قرة».

(٢) نقله القرطبي في تفسيره (١٤/ ٤).

(٣) وهي شاذة، عزاها لعلي ومعاوية في مختصر الشواذ (ص: ١١٧)، ولأبي سعيد الخدري في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٧٨).

(٤) من أحمد٣.

(٥) الكتاب لسيبويه (٣/ ٢٣٣)، والأصول في النحو (٢/ ١٠٦)، والمعاني الكبير (١/ ٤٣٥)، والعمدة لابن رشيق (٢/ ٥٦).

(٦) وهي شاذة، عزاها الثعلبي (٧/ ٢٩٤) لابن جبير وطلحة، ومختصر الشواذ (ص: ١١٧) للكلبي، وفي المطبوع: «أدنى».

وقرأ جمهور الناس: ﴿غَلَبِهِمْ﴾ بفتح اللام، كما يقال: احْلُبْ حَلَباً لَكَ شَطْرُه[١].

وقرأ ابن عُمر بسكونها، [وهما مصدران بمعنى واحد، و][٢] أُضيف إِلى المفعول[٣].

ورُوي في قصص هذه الآية عن ابن عباس وغيره: أَن الكفار لما فرحوا بمكَّة بِغَلَب الروم؛ بشَّر الله تعالى نبيَّه ﷺ والمؤمنين بأَن الرُّوم سيَغْلِبون في بضع سنين؛ أَي: من الثلاثة إِلى التسعة[٤]، على مشهور قول اللغويين، كأَنه تبضيع العشرة؛ أَي: تقطيعها.

وقال أَبو عبيدة: من الثلاث إِلى الخَمْس[٥]، وقوله مردود.

فلما بشَّرهم بذلك خرج أَبو بكر الصديق إِلى المسجد، فقال لهم: أَسَرَّكُم أَن غُلِبت الرُّوم؟ فإِن نبينا أَخبرنا عن الله تعالى أَنهم سَيَغْلِبون في بضع سنين، فقال له أُبَيُّ ابن خلف وأُمَيَّةُ أَخوه ـ وقيل: أَبو سفيان بن حرب ـ: تعالَ يا أَبا فَصِيلٍ ـ يعرِّضون بكنيته بالبكر ـ فَلْنتناحَبْ ـ أَي: نتراهن ـ في ذلك، فراهنهم أَبو بكر، قال قتادة: وذلك قبل أَن يحرَّم القمار[٦]، وجعل الرهان خمس قلائص، والأَجل ثلاث سنين.

فأَخبر النبيَّ ﷺ بذلك، فقال له: إِن البِضْع إِلى التِّسع، ولكن ارجع فزدهم في الرهان واستزدهم في الأَجل، ففعل أَبو بكر، فجعلوا القلائص مئة والأَجل تسعة أَعوام، فَغَلَبَت الروم في أَثناءِ الأَجل.

فروي عن أَبي سعيد الخدري أَن إِيقاع الروم بالفرس كان يوم بدر[٧].

---

(١) في فيض الله ولالاليه: «اجلب جلباً»، وهو مثلٌ يضرب في الحثِّ على الطلب، والمساواة في المطلوب.
(٢) في المطبوع: «وهو مصدر».
(٣) وهي شاذة، عزاها له وللأعمش في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٤).
(٤) صحيح، أخرجه الطبري (٢٠/ ٦٨)، من عدة طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٥) مجاز القرآن (٢/ ١١٩).
(٦) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٧).
(٧) جاء ذلك في خبر ابن عباس الذي سبقت الإشارة إليه.

وروي أَن ذلك كان يوم الحُدَيْبِيَة، وأَن الخبر بذلك وصل يومَ بيعة الرضوان[١]، رُوي نحوه عن قتادة[٢]، وفي كلا اليومين كان نصر من الله تعالى للمؤمنين.

وذكر الناسُ أَن سبب سرور المسلمين بغَلَبَة الروم وهمِّهم أَن تَغْلِب، وكون المشركين من قريش على ضدِّ ذلك، إِنما هو أَن الروم أَهل كتاب كالمسلمين، والفرس أَهل الأَوثان ونحوه من عبادة النار ككفار قريش والعرب.

قال القاضي أَبو محمد: ويُشبه أَن يعلل[٣] ذلك بما يقتضيه النظر[٤] من محبة أن يغلب العدوُّ الأَصغر؛ لأَنه أَيْسر مؤونة، ومتى غَلَبَ الأَكبر كثر الخوف منه، فتأَمل هذا مع ما كان رسول الله ﷺ ترجَّاه من ظهور دينه وشرْعِ الله الذي بعثه به، وغلبته على الأُمم، وإِرادة كفار مكة أَن يرميه الله تعالى بمَلِك يستأْصله ويُريحهم منه.

و﴿سِنِينَ﴾ يجمع كجمع من يعقل عوضاً عن النقص الذي في واحده؛ لأَن أَصل سنة: سنهة، أَو سنوة، وكُسرت السِّين منه دلالة على أَن جمعه خارج عن قياسه ونمطه.

ثم أَخبر تعالى بانفراده بالقدرة، وأَن ما في العالم من غَلَبة وغيرها إِنما هو منه وبإِرادته وقدرته، فقال: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ﴾؛ أَي: إِنفاذ الأَحكام، ﴿مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾؛ أَي: من قبل هذه الغلبة [التي بين هؤلاء القوم][٥].

و﴿قَبْلُ﴾ و﴿بَعْدُ﴾: ظرفان بُنِيا على الضَّمِّ؛ لأَنهما تعرَّفا بحذف ما [أُضيفا إِليه][٦]،

(١) ضعيف، أخرج ذلك الطبري في خبر طويل من قول عكرمة، لكن إسناده واه، رواه عنه أبو بكر، هو الهذلي، أخباري تالف، متروك.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٧).

(٣) في المطبوع: «يقال»، وهي غير واضحة في لالاليه ونجيبويه.

(٤) في الأصل: «الفطر».

(٥) في المطبوع بدلًا منه: «ومن بعدها».

(٦) في المطبوع: «أُضيف إِليهما».

وصارا مُتَضَمِّنَيْن ما حُذف، فخالفا معرب[1] الأَسماءِ وأَشبها الحروف في التضمين فَبُنِيا، وخُصَّا بالضَّم لشبههما بالمنادى المفرد؛ لأَنه إِذا نُكِّر وأُضيف زال بناؤُه، فكذلك هما، فضُمَّا كما أَنَّ المنادى مبني على الضم، وكذلك قيل في ذلك أَيضاً: إِن الفتح تعذَّر فيهما؛ لأَنه حالهما في إظهار ما أضيفا إليه، وتعذر الكسر؛ لأنه حالهما عند إِضافتهما إِلى المتكلم، وتعذَّر السكون؛ لأَن ما قبل آخرهما ساكن، فلم يبق إِلَّا الضم، فَبُنِيا عليه.

ومن العرب [من يقول: مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ، بالخفض والتنوين/ . [٤/ ١٨٠]

قال الفراءُ: ويجوز تركُ التنوين][2] فيبقى كما هو في الإِضافة وإِن حُذِف المضافُ[3].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ يحتمل أَن يكون عطفاً على «القَبْل» و«البَعْد»، كأَنه حصر الأَزمنة الثلاثة: الماضي والمستقبل والحال، ثم ابتدأَ الإِخبار بفرح المؤمنين [بالنصر، ويحتمل أَن يكون الكلام قد تمَّ في قوله: ﴿بَعۡدُ﴾، ثم استأْنف عطف جملة أَخبر فيها أَنَّ يومَ غَلَبَة الرُّوم للفرس يُفْرِح المؤمنين][4] بنصر الله، وعلى هذا الاحتمال مشى المفسرون.

و«النصر الذي يفرح به المؤمنون» يحتمل أَن يُشار فيه إِلى نصر الرُّوم على فارس، وهي نُصرة للإِسلام بحكم [السببين الذين قد ذكرتهما][5]، ويُحتمل أَن يُشار فيه إِلى نصر يخصُّ المؤمنين على عدوهم، وهذا أَيضاً غيبٌ أَخبر به وأَخرجه الوجود إِمَّا بيوم بدر، وإِمَّا ببيعة الرضوان، ويحتمل أَن يُشار به إِلى فرح المسلمين بنصر الله تعالى إِيَّاهم في أَن صدق ما قال نَبِيُّهم عليه السلام في أَن الروم ستغلب فارس، فإِن هذا ضربٌ من النصر عظيم.

---

(١) في المطبوع: «تعريف»، وفي نجيبويه: «تصرف»، وفي الحمزوية ولالاليه ونور الأسماء: «بعرف»، وفي أحمد٣ وفيض الله: «تعرف».

(٢) في أحمد٣ بدلًا منه: «من يخفضهما وينونهما».

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣١٩).

(٤) ساقط من أحمد٣، وفيه: «فسر المفسرون» بدل «مشى».

(٥) في نجيبويه: «السبيلين»، وفي المطبوع وفيض الله: «السنين التي قد ذكرناها».

وقوله تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ نصب على المصدر المؤكد، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يريد الكفار من قريش والعرب؛ أَي: لا يعلمون أَن الأُمور من عِند الله تعالى، وأَن وعده لا يخلف، وأَن ما يورده نبيُّه ـ عليه السلام ـ حقٌّ.

قال القاضي أَبو محمد: هذا الذي ذكرناه هو عُمْدة ما قيل، وقد حكى الطبري وغيره روايات يردُّها النظر [وقول الجمهور][1]، من ذلك أَنَّ بعضهم قال: إِنما نزلت ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ بعد غلبة الروم لفارس ووصول الخبر بذلك، فهذا يقتضي أَنَّ الآية مدنية، والسورةُ كلُّها مكيَّة بإِجماع، ونحو هذا من الأَقوال.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ۝٨﴾.

وصف تعالى الكفرة الذين لا يعلمون أَمر الله تعالى وصِدْقَ وعده بأَنهم إِنما يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا.

واختلف الناس في معنى ﴿ظَٰهِرًا﴾:

فقالت فرقة: معناه: بَيِّناً؛ أَي ما أَدَّته إِليهم حواسهم، فكأَن علومهم إِنما هي علوم البهائم.

وقال ابن عباس[2]، والحسن، والجمهور: معناه: ما فيه الظهور والعُلُوُّ في الدُّنيا، من إِتقان الصناعات والمباني ومظانِّ كسْب المال والفلاحات ونحو هذا[3].

وقالت فرقة: معناه: ذاهباً زائلاً؛ أَي: يعلمون من أُمور الدنيا التي لا بقاءَ لها ولا

(١) في المطبوع: «أَوَّل قول»، وانظر الروايات المشار لها في تفسير الطبري (٢٠/ ٧٠).
(٢) صحيح، أخرجه الطبري (٢٠/ ٧٥)، من طريق: أبي تميلة يحيى بن واضح الأنصاري، قال: ثنا الحسين ابن واقد، قال: ثنا يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس، وإسناده مستقيم.
(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٧٦).

عاقبة، ومثل هذه اللفظة قول الهُذَلِّي:

وَعَـيَّـرَها الْوَاشُـونَ أَنِّـي أُحِبُّـهَا وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عارُهَا[١] [الطويل]

وقال سعيد بن جبير: إن قوله: ﴿ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ إنما هو إِشارة إِلى ما يُعلم مِنْ قِبَل الكَهنة مما يسترقه الشياطين[٢]، وقال الرمَّاني: كل ما يُعلم بأَوائل العقول[٣] فهو الظاهر، وما يعلم بدليل العقل فهو الباطن[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وفيه تقع الغفلة وتقصير الجهال.

ثم وصفهم بالغفلة والإِعراض عن أَمر الآخرة، وكرَّر الضمير تأْكيداً، وغفلة الكافر هي على الكمالِ، والمؤمنُ المنهمك في أُمور الدُّنيا التي هي أَكبر همِّه يأْخذُ من هذه الآية بحظٍّ، [نوَّر الله قلوبنا بهداه][٥].

[ثمَّ وقفهم ـ على جهة التوبيخ ـ على أَنهم قد فكروا فلم تنفعهم الفِكْرة والنَّظر؛ إِذ لم يكن على سداد][٦].

وقوله تعالى: ﴿فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ يحتمل معنييْن:

أَحدهما: أَن تكون الفكرة في ذواتهم وحواسهم وخلقهم ليستدلُّوا بذلك على الخالق المخترع، [ثم أَخبر عقب هذا المعنى بأَن الحق هو السبب في خلق السماوات

(١) هو أبو ذُؤَيْب الهُذَليُّ، انظر عزوه له في غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٤٣٨)، والدلائل في غريب الحديث (٣/ ١١٥٣)، وتهذيب اللغة (٦/ ١٣٨)، ومقاييس اللغة (٣/ ٤٧٢)، والواشون: جمع واشٍ، وهو الذي يَنِمُّ بالإنسان ويسعى.

(٢) نقله أبو حيان في البحر المحيط (٨/ ٣٧٦).

(٣) في المطبوع: «الرُّؤْية».

(٤) تفسير ابن فورك (١/ ٤١٦) بلا نسبة، ونقله في البحر المحيط (٨/ ٣٧٦).

(٥) ليس في أحمد٣، وفي المطبوع: «وهدى»، بدل: «بهداه».

(٦) ساقط من فيض الله.

والأَرض، فيفهم على طريقة الإيجاز والاختصار مَن فكر في نفسه عِلْم حقيقة هذا الخبر ووقف عليه ببصيرة نفسه.

والمعنى الثاني: أن تكون النفس ظرفاً للفكرة في خلق السماوات والأرض][(١)]، فيكون قوله: ﴿فِيٓ أَنفُسِهِم﴾ تأْكيداً لقوله: ﴿يَتَفَكَّرُواْ﴾، كما تقول: أَبْصِر بعينك واسْمَع بأُذنك، فقولك: «بعينك» و«بأُذنك» تأْكيد.

وقوله: ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾؛ أَي: بسبب المنافع التي هي حقٌّ وواجبٌ، يريد: من الدلالةِ عليه، والعبادة له دون فتور، والانتصاب[(٢)] للعبرة ومنافع الأَرزاق وغير ذلك.

و(أَجَل) عطف على ﴿ٱلۡحَقِّ﴾؛ أَي: وبأَجل مُسَمًّى وهو يوم القيامة، ففي الآية إِشارة إِلى البعث والنُّشور وفساد بِنْيَة مرئي[(٣)] هذا العالم، ثم أَخبر عن كثير من الناس أَنهم كفرة بذلك المعنى، فعبَّر عنه بلقاءِ الله؛ لأَن لقاءَ الله تعالى هو أَعظم الأُمور، وفيه النَّجاةُ أَو الْهَلَكَةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٩﴾.

هذا أَيضاً توقيف وتوبيخ على أَنهم ساروا ونظروا، أَي أَن ذلك لم ينفعهم حين[(٤)] لم يعملوا بحسب العبرة وخوف العاقبة.

قال القاضي أَبو محمد: ولا يتوجَّه للكفرة أَن يُعارض منهم من لم يَسِر فيقول:

---

(١) في المطبوع بدلًا منه: «والثاني أَن يكون قوله: ﴿فِيٓ أَنفُسِهِم﴾ ظرفاً للفكرة في خلق السماوات والأَرض، ثم أَخبر عقب هذا المعنى بأَن الحق هو السبب في خلق السماوات والأَرض، فيكون قوله... إلخ».

(٢) في المطبوع: «والانتصار».

(٣) في المطبوع ونجيبويه: «من في»، وفي الحمزوية وأحمد٣: «من بنى»، وفي فيض الله: «مربي».

(٤) في المطبوع: «حتى».

لم أَسِرْ؛ لأَنَّ كافَّة من سار من الناس قد نقلت معارفهم[١] إِلى من لم يَسِرْ، فاستوت المعرفة وحصل اليقين للكُلِّ وقامت الحُجَّة، وهذا بيِّن.

وقوله تعالى: ﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ يريد: بالمباني والحرث والحروب، وسائر الحوادث[٢] التي أَحدثوها هي كلها إِثارة، بعضها حقيقة وبعضها بتجوُّز؛ لِأن إِثارة أَهل الأَرض والحيوان والمتاع إِثارةٌ للأَرض.

وقرأَ أَبو جعفر: (وَآثَارُوا) بمدِّ الهمزة[٣]، قال ابن مجاهد: ليس هذا بشيءٍ.

وقال أَبو الفتح: وجْهُهَا: أَنه أَشْبع فتحة الهمزة فنشأَت أَلف، ونحوه قول ابن هَرْمَة:

فَأَنْتَ مِنَ الْغَوَائِلِ حِينَ تُرْمَى ... ومِنْ ذَمِّ الرِّجَالِ بِمُنْتَزَاحِ[٤] [الوافر]

وقال: وهذا من ضرورة الشِّعر لا يجيءُ في القرآن.

وقرأَ أَبو حيْوة: (وَآثَرُوا الأرض) بالمدِّ بغير أَلف بعد الثَّاءِ[٥]، من الأَثَرة، والضمير في: (عَمَروها) / الأَول للماضين، وفي الثاني للحاضرين المعاصرين[٦]، وباقي الآية [٤/ ١٨١] بيِّن يتضمَّن الوعظ والتخويف من عدل[٧] الله تعالى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾﴾.

---

(١) من المطبوع.
(٢) في المطبوع: «المباني».
(٣) وهي شاذة من رواية الواقدي عن سليمان عنه كما في المحتسب (٢/ ١٦٣)، وانظر فيه قول ابن مجاهد مع التوجيه.
(٤) تقدم في تفسير الآية (٢٣) من سورة آل عمران، وفي نجيبويه: «قول أبي هرمة».
(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في مختصر الشواذ (ص: ١١٧).
(٦) في لالاليه: «المعارضين».
(٧) سقطت من المطبوع، وفي نجيبويه: «عند».

قرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو: ﴿عَاقِبَةُ﴾ بالرفع على أَنها اسم ﴿كَانَ﴾، والخبر يجوز أَن يكون ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾، ويجوز أَن يكون: ﴿أَن كَذَّبُواْ﴾، وتكون ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ على هذا [مفعولاً بـ﴿أَسَٰٓـُٔواْ﴾][(١)]، وإِذا كان ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ خَبراً؛ فإِنَّ ﴿أَن كَذَّبُواْ﴾ مفعولٌ من أَجْله، ولا يصح تعلُّقه بـ﴿أَسَٰٓـُٔواْ﴾؛ لأَن في ذلك فصلاً بين الصلة والموصول بخبر ﴿كَانَ﴾.

وقرأَ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿عَٰقِبَةَ﴾ بالنصب[(٢)] على أَنها خبرٌ مقدم، واسم كان أَحَدُ ما تقدم، و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ مصدرٌ، كالرُّجْعَى، والفُتْيَا، والشُّورَى[(٣)]، ويجوز أَن تكون صفة لمحذوف تقديره: الخلَّة السُّوءَى، [أو الخلال السوأى][(٤)].

قال أَبو حاتم: هذه قراءَة العامة بالمدِّ على الواو وفتح الهمزة وياءِ التأْنيث، فبعض القراءِ فخَّم، وبعضهم أَمال[(٥)].

وقرأَ الحسن: [(السوَّى) بشد الواو دون همز.

وقرأَ الأعمش وابن مسعود:][(٦)] (السُّوءَ) بالتذكير[(٧)].

وروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أَنه قال: السُّوءَ والسُّوءَى، اقرأْ بما شئت.

قال ابن عباس: ﴿أَسَٰٓـُٔواْ﴾ هنا بمعنى: كفروا، والسُّوءَى: هي النار[(٨)].

---

(١) في أحمد٣ بدلًا منه: «مفعولًا ثانياً».

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٤)، والسبعة (ص: ٥٠٦).

(٣) سقطت من الحمزوية، وفي نجيبويه: «البشرى»، وفي أحمد٣ بدل «الفتيا»: «العتبى».

(٤) ساقط من المطبوع.

(٥) وهما سبعيتان، أمال حمزة والكسائي وقلل أبو عمرو وورش بخلفه، وفخم الباقون على قواعدهم.

(٦) سقط من المطبوع.

(٧) وهما شاذتان، انظرهما مع قول عثمان في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٤).

(٨) هذا الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٠/ ٧٩)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ يقول: الذين كفروا جزاؤهم العذاب، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٥٣) لابن المنذر، وابن أبي حاتم.

والتكذيب بآيات الله تعالى غير الاستهزاءِ بها، فلذلك عدَّد عليهم الفعلين.

ثم أَخبر تعالى إِخباراً مطلقاً لجميع العالم بالحشر والبعث من القبور.

وقرأَ طلحة، وابن مسعود: (يُبْدِئُ) بضم الياءِ وكسر الدال[١].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بالتاءِ من فوق.

وقرأَ أَبو عمرو، وأَبو بكر عن عاصم بالياءِ[٢].

وقوله: (يَوْمَ) منصوب بـ﴿يُبْلِسُ﴾، و«الإِبْلاسُ»: الكونُ في شرٍّ مع اليأْس من الخير في ذلك الشيءِ بِعَيْنه، فإِبلاسُهم هو في عذاب الله تعالى.

وقرأَ عامة القراءِ بكسر اللام.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن، وأَمير المؤمنين علي ابن أَبي طالب رضي الله عنه بفتحها[٣].

وأَبْلس الرَّبْع: إِذا بلي، وكأَنه يئس من العمارة، ومنه قول العَجَّاج:

يا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رسماً مُكْرَسَا قَـالَ نَـعَـمْ أَعْـرِفُـهُ وَأَبْـلَـسَـا[٤] [الرجز]

وقرأَ عامة القراءِ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم﴾ بالياءِ من تحت.

ورُوي عن نافع: (تَكُنْ) بالتاءِ من فوق[٥].

و«الشركاءُ»: المشار إِليهم هُم الأَصنام؛ أَي: الذين كانوا يجعلونهم شركاءَ الله بزعمهم.

وقوله: ﴿وَمَا كَانُواْ﴾ معناه: يُكَذِّبون عند معاينتهم أَمر الله تعالى وفساد حال الأَصنام، فعبَّر عنه بالماضي لتيَقُّن الأَمْر وصحة وقوعه.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لطلحة في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٥)، وابن مسعود تفسير الثعلبي (٧/ ٣٠٠).

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٥)، والسبعة (ص: ٥٠٦).

(٣) ليست في أحمد٣، وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهما في مختصر الشواذ (ص: ١١٧).

(٤) تقدم في تفسير الآية (٣٤) من سورة البقرة، وفي الحمزوية والمطبوع وأحمد٣: «ربعاً».

(٥) وهي شاذة، عزاها الهذلي في الكامل (ص: ٦١٦) للزعفراني، والمنادري، والأويسي عن نافع، والقورسي، وميمونة، وابن سنان عن أبي جعفر، والإنطاكي عن شيبة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ١٨﴾.

﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ معناه: في المنازل والأَحكام والجزاءِ، قال قتادة: فُرْقةٌ واللهِ لا اجتماع بعدها[1].

و﴿يُحۡبَرُونَ﴾ معناه: يُنَعَّمون، قاله مجاهد[2].

والحَبْرةُ والحبور: السُّرور والتنعم، وقال يحيى بن أَبي كثير: يُحْبَرُونَ معناه: يسمعون الأَغاني[3]، وهذا نوعٌ من الحَبْرة.

وقال ابن عباس: ﴿يُحۡبَرُونَ﴾: يكرمون[4].

وفي المثل: امتلأَت بيوتهم حَبْرة، فهم ينتظرون العِبْرة[5]، ومنه بيت أَبي ذُؤَيب:

[الطويل] فِـرَاقٌ كَقَيْصِ السِّـنِّ فَالصَّبْـرَ إِنَّهُ لِكُـلِّ أُنَـاسٍ عبـرة وحُـبُـورُ[6]

هذا على هذه الرواية، ويُرْوى: عَثْرَةٌ وجُبُورُ، وهي أَكثر.

وذكر تعالى الروضة؛ لأَنها من أَحسن ما يعلم من بقاع الأَرض، وهي حيث يكثر النبت الأَخضر وجل[7]، وما كان منها في المرتفع من الأَرض كان أَحسن، ومنه قول الأَعشى:

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٨١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٩)، والهداية لمكي (٩/ ٥٦٦٦).
(٢) تفسير مجاهد (ص: ٥٣٨)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٨٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٩).
(٣) نقله في البحر المحيط (٨/ ٣٨٠)، وفي نجيبويه: «ابن كثير».
(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٨٢)، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٥) مجاز القرآن (٢/ ١٢٠).
(٦) سقط البيت من لالاليه، وقد تقدم في تفسير الآية (٧٩) من سورة الكهف، وفي الأصل: «كنقص»، وفي المطبوع: «عِزَّةٌ».
(٧) سقطت من المطبوع، وفي نجيبويه: «يجذ»، وفي الحمزوية: «وحر»، وفي لالاليه وفيض الله وأحمد٣: «حيث اكتمل النبت الأخضر وجن».

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزْنِ مُعْشِبَةٌ خَضْـرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْـبِلٌ هَطِلُ[١] [البسيط]

ومنه قول كُثَيِّر:

فَمَـا رَوْضَـةٌ بالْحَـزْنِ طَيِّبَـةُ الثَّـرَى يَمُجُّ النَّـدَى جَثْجَاثُهَـا وَعَرَارُهَا[٢] [الطويل]

قال الأَصمعي: ولا يُقَال: روضة حتَّى يكون فيها ما يشرب منه[٣].

[و﴿مُحْضَرُونَ﴾ معناه: مجموعون له لا يغيب أحد عنه][٤].

وقوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ﴾ خطابٌ للمؤمنين بالأَمر بالعبادة والحضِّ على الصلاة في هذه الأَوقات، كأَنه يقول: [إذ هذه الفرق هكذا][٥] من النِّعَمِ والعذاب فجِدّاً أيُّها[٦] المؤمن في طريق الفوز برحمة الله.

وقال ابن عباس[٧]، وقتادة، وبعض الفقهاءِ: في هذه الآية تنبيه على أَربع صلوات: المغرب والصبح والعصر والظهر[٨]، قالوا: والعشاءُ الآخرة في آية أُخرى، في (زُلَفاً من اللَّيل) [هود: ١١٤]، وفي ذكر أَوقات العورة[٩].

---

(١) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ١٢٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٨٢)، وعيون الأخبار (٢/ ١٢١)، والطبري (٥/ ٥٣٥).

(٢) انظر عزوه له في جمهرة اللغة (١/ ١٨٠)، والكامل للمبرد (٣/ ٨٦)، والعقد الفريد (٦/ ٢١٨)، والشعر والشعراء (١/ ٤٩٩).

(٣) لم أجده.

(٤) ساقط من المطبوع.

(٥) في المطبوع: «أدَّى هذا التفرق إلى أنواع».

(٦) في المطبوع: «فجرى بها».

(٧) إسناده لين، أخرجه الطبري (٢٠/ ٨٤)، من طريق: سفيان، عن عاصم، عن أبي رزين، قال: سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن الصلوات الخمس في القرآن... وعاصم هو ابن أبي النجود، وهو لين الحديث.

(٨) ممن قال ذلك غير ابن عباس وقتادة ابن زيد، انظر تفسير الطبري (٢٠/ ٨٤-٨٥).

(٩) وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ﴾ الآية، [النور: ٥٨]، انظر تفسير القرطبي (١٤/ ١٤).

وقال ابن عباس أَيضاً وفرقة من الفقهاءِ: في هذه الآية تنبيه على الصلوات الخمس؛ لأَن قوله تعالى: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ يتضمن الصلاتين[(١)].

وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ اعتراض [بين الكلامين من نوع][(٢)] تعظيم الله تعالى والحضِّ على عبادته.

وقرأَ عكرمة: (حيناً تمسون وحيناً تصبحون)[(٣)].

والمعنى: حيناً تمسون فيه، [وحيناً تصبحون فيه][(٤)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

«الحَيُّ والميِّتُ» في هذه الآية: يستعمل حقيقة، ويستعمل مجازاً، فالحقيقة: المنيُّ يخرج منه الإِنسان، والبيضة يخرج منها الطائر، وهذه بعينها ميتة تخرج من حي، وما جرى هذا المجرى، وبهذا المعنى فسَّر ابن عباس[(٥)] [وابن مسعود][(٦)].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٨٤)، من طريق: ليث، عن الحكم، عن أبي عياض، عن ابن عباس، ولم أعرف أبا عياض.

(٢) في نجيبويه والحمزوية: «الكلام»، وفي المطبوع: «من الكلام بين وقوع».

(٣) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٦٣).

(٤) زيادة من المطبوع، قال في الحاشية: يقتضيها المقام، وقد سقطت من الأصل، وسقطت قراءة عكرمة وما تعلق بها من أحمد٣.

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٥٥٣)، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وفي (٢٠/ ٨٥)، من طريق العوفي عنه.

(٦) ساقط من الأصل، وقد أخرجه الطبري (٢٠/ ٨٥)، من طريق الأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود، ولم يلقه.

وقال الحسن: المعنى: المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن(١).

قال القاضي أبو محمد: وروي هذا المعنى عن النبي ﷺ، أنه قرأ هذه الآية عندما كلَّمَتْه بالإِسلام / أُم كلثوم بنت عقبة بن أَبي مُعيط(٢). [٤/ ١٨٢]

والمجاز: إِخراج النبات الأَخضر من الأَرض، وإِخراج الطعم(٣) من النبات، وما جرى هذا المجرى، ومثَّل بَعْدُ بإِحياءِ الأَرض بالمطر بعد موتها [بالدثور والعطش](٤)، ثم بعد هذه الأَمثلة القاضية بتجويز بعث الأَجساد عقلاً ساق الخبر بأَن كذلك خروجنا من القبور.

وقرأَت فرقة: (يُخْرَجُونَ) بالياءِ من تحت(٥).

وقرأَ عامة القراءِ: ﴿تُخْرَجُونَ﴾ بالتاءِ المضمومة.

وقرأَ الحسن، وابن وثاب، والأَعمش، وطلحة بفتح التاءِ وضم الراءِ(٦).

و(من) في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم ﴾ للتبعيض.

وقال: ﴿خَلَقَكُم﴾ من حيث خلق أَباهم آدم، قاله قتادة(٧).

و﴿تَنتَشِرُونَ﴾ معناه: تتصرفون وتتفرقون في الأغراض(٨) والأَسفار ونحوها.

وقوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يحتمل أَن يريد خلْقَه حواءَ من ضلع آدم، فحمل ذلك

---

(١) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٦٥٠)، وتفسير عبد الرزاق (١/ ٣٨٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٧).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في أحمد٣: «العظم».

(٤) ساقط من المطبوع.

(٥) وهي شاذة، لم أجد للمصنف فيها سلفاً ولا خلفاً.

(٦) تابعه في البحر المحيط (٨/ ٣٨١)، مع أنهما سبعيتان، الثانية لحمزة والكسائي، كما في السبعة (ص: ٥٠٦)، والتيسير (ص: ١٧٥).

(٧) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٤٧).

(٨) في المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية والحمزوية: «الأَعراض».

على جميع النساء[١] من حيث أُمُّهم مخلوقة من نفس آدم؛ أَي: من ذاتِ شخصه.

ويحتمل أَن يُريد: من نوعكم وجنسكم.

و«المودة والرَّحمة»: على بابهما المشهور من التواد والتراحم، هذا هو البليغ.

وقال مجاهد والحسن وعكرمة: عنى بالمودة الجماعَ، وبالرحمة الولدَ[٢].

ثم نبَّه تعالى على خلق السماوات والأَرض، واختلاف اللغات والأَلوان، وهذه: [عظم مواقع العبرة من هذه الآيات.

وقوله: ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ يحتمل أن يريد][٣] البياض والسواد وغيرهما، ويحتمل أَن يريد ضروب بني آدم وأَنواعهم، [نعم وأشخاص الإخوة ونحوهم تختلف بالألوان ونغم الألسنة، وبذلك تصح الشهادات والمداينات وتقع الفروق والتعيين، فهكذا تبين النعمة][٤].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ بفتح اللام.

وقرأَ حفص عن عاصم: ﴿لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ بكسر اللام[٥].

فالأُولى على أَن هذه الآية هي في نفسها منصوبة لجميع العالم، والثانية على معنى أَن أَهل الانتفاع بالنظر فيها إِنما هم أَهل العلم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ

---

(١) في المطبوع: «الناس».

(٢) انظر قول الحسن في تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢/ ٥٢)، ومجاهد في الهداية إلى بلوغ النهاية (٩/ ٥٦٧٧)، وعكرمة في تفسير الآلوسي (١١/ ٣٢).

(٣) ساقط من المطبوع.

(٤) في المطبوع بدلًا منه: «فتَعُم شخوص البشر الذين يختلفون بالأَلوان، وتعم الأَلسنة»، وفي الحمزوية: «تعم»، وليس فيها لفظ: «الإخوة».

(٥) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٥)، والسبعة (ص: ٥٠٦).

ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

ذكر تعالى النوم بالليل والنَّهار وعُرْف النوم إنما هو بالليل وحده، ثم ذكر الابتغاءَ من فضله كأَنه فيهما، وإِنما معنى ذلك أنه عمَّ الليل والنهار فسمَّى الزمان، وقصد من ذلك تعديد آية النوم وتعديد آية ابتغاءِ الفضل، فإِنَّهما آيتان ونعمتان تكونان في ليل ونهار، والفرق يجيز(١) كل واحدة من النعمتين إِلى محلها في الأغلب.

وقال بعض المفسرين: في الكلام تقديم وتأْخير.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيف، وإِنما أَراد أَن يُرتِّب النوم للَّيل، والابتغاءَ للنهار، ولفظ الآية لا يُعطي ما أَراد.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيكُمُ﴾: فعلٌ مرتفع لما حذفت «أَنْ» التي لو كانت لنصبته، فلمَّا حلَّ الفعل محلَّ الاسم أُعرب بالرَّفع، ومثله قول طرفة:

أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِي أَحْضُرَ الْوَغى ... وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي(٢) [الطويل]

قال الرماني: وتحتمل الآية أَن يكون التقدير: ومنْ آياته آيَةٌ يريكم البرق، وحذفت «آيَةٌ»؛ لدلالة ﴿مِنْ﴾ عليها(٣)، ومنه قول الشاعر:

وما الدَّهْرُ إِلَّا تارتانِ فمِنْهُما ... أَموتُ وَأُخْرى أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ(٤) [الطويل]

التقدير: فمنهما تارة أَموت.

---

(١) في فيض الله: «العرف»، وفي لالاليه: «العرب»، وفي المطبوع: «تحيُّز»، قال في الحاشية: هكذا بالأصل، والمعنى قد يقبلها على قلق في التعبير.

(٢) البيت من معلقته، وصرح بنسبته له في الكتاب لسيبويه (٣/ ٩٩)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٤٤٢)، وإيضاح الشواهد (١/ ٢٨٤).

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٢٣)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٨٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٢٥٣)، بلا نسبة.

(٤) البيت لتميم بن مُقبل كما تقدم في تفسير الآية (٥١) من سورة المائدة.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا على أَن ﴿مِنْ﴾ للتبعيض كسائر هذه الآيات، ويحتمل في هذه وحدها أَن تكون ﴿مِنْ﴾ لابتداءِ الغاية، فلا يحتاج إلى تقدير «أن»، ولا إِلى تقدير «آية»، وإِنما يكون الفعل مخلصاً للاستقبال.

وقوله: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، قال قتادة: خوفاً للمسافر، وطمَعاً للمقيم[(١)].

قال القاضي أَبو محمد: ولا وجه لهذا التخصيص ونحوه، بل فيه الخوف والطمع لكل بشر، وقال الضحاك: الخوف من صواعقه، والطمع في مطره[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ معناه: تَثْبُت، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾ [البقرة: ٢٠]، وهذا كثير، وقيل: هو فعل مُسْتَقْبل، أَحَلَّه محلَّ الماضي ليعطي فيه معنى الدوام الذي هو في المستقبل.

و«الدَّعْوَةُ من الأَرْضِ» هي البعث يوم القيامة، و﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ حالٌ من المخاطبين، كأَنه قال: خارجين من الأَرض، ويجوز أَن يكون ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ صفة الدعوة.

قال القاضي أَبو محمد: و﴿مِّنَ﴾ عندي هاهنا: هي لانتهاءِ الغاية، كما تقول: دعوتُك من الجبل، إِذا كان المدعُوُّ في الجبل.

والوقف في هذه الآية عند نافع ويعقوب الحضرمي على: ﴿دَعْوَةً﴾، والمعنى: بعد إِذا أَنتم تخرجون من الأَرض، وهذا على أَن ﴿مِّنَ﴾ لابتداءِ الغاية.

[والوقف عند أبي حاتم على قوله: ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ على أَن ﴿مِّنَ﴾ لانتهاءِ الغاية][(٣)].

قال مكي: والأَحسن عند أَهل النظر: أَن الوقف في آخر الآية؛ لأَن مذهب سيبويه والخليل في ﴿إِذَآ﴾ الثانية: أَنها جواب الأُولى، كأَنه قال: ثم إِذا دعاكم خرجتم، وهذا أَسدُّ الأَقوال[(٤)].

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٨٨).
(٢) تفسير الماوردي (٤/ ٣٠٧).
(٣) ساقط من المطبوع.
(٤) انظر كلامه في الهداية لمكي (٩/ ٥٦٧٩)، مع النقل عن نافع ويعقوب وأبي حاتم.

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿تَخْرُجُونَ﴾ بفتح التاءِ، وقرأ الباقون: (تُخرَجون) بضم التاءِ[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

اللام في له الأُولى لام الملك، وفي الثانية لام تعدية لـ«قَنَتَ»، و«قَنَتَ»: بمعنى: خضع في طاعته وانقياده، وهذه الآية ظاهرُ لفظها العمومُ في القُنَّت، والعموم في كلِّ من يعقل، وتعميم ذلك في المعنى لا يصح؛ لأَنه خبر ونحن نجد كثيراً من الجن والإِنس لا يَقْنُت في كثير من المعْتَقَد والأَعمال، فلا بُدَّ أَنَّ عموم ظاهر هذه الآية معناه الخصوص.

واختلف المتأَولون في الخصوص أَين هو؟

فقال ابن / عباس وقتادة: هو في القنوت والطاعة[2]، وذلك أَن جميع من يعقل [٤/ ١٨٣] هو قانت لله في معظم الأُمور من الحياة والموت والرزق والقدرة ونحو ذلك، وبعضهم يخل بالعبادة وفي المعتقدات فلا يقنت فيها، فكأَنه قال: كلٌّ له قانتون في معظم الأُمور وفي غالب الشأْن.

---

(١) تابعه في البحر المحيط (٨/ ٣٨٤)، وهو خطأ عجيب منهما، سببه الخطأ في التي قبلها، فقد نص في التيسير (ص: ١٧٥) أن هذا الموضع لا خلاف فيه، ونقل الاتفاق عليه أيضاً إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٨٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٤٤)، بل شاذة، عزاها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٣٧٥) للزهري وابن أبي ليلى وطلحة، وأشار في النشر (٢/ ٢٦٨) إلى أنها رويت عن أبي السمال، ووردت في بعض طرق عاصم وابن عامر، قال: وعزاها ابن جرير لورش، قال الداني: وذلك منه قلة إمعان وغفلة مع تمكنه ووفورة معرفته.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٩٠)، من طريق: عطية العوفي عن ابن عباس، و«قتادة»: سقط من المطبوع.

وقال ابن زيد ما معناه: إِن الخصوص هو في الأَعيان المذكورين(١)، كأَنه قال: وله من في السماوات والأَرض من ملَك ومؤمن.

وقوله: ﴿يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ﴾ معناه: يُنْشئُ ويخرجه من العدم، وجاءَ الفعل بصيغة الحال لمَّا كان في هذا المعنى ما قد مضى كآدم وسائر القرون، وفيه ما يأْتي في المستقبل، فكانت(٢) صيغة الحال تعطي هذا كله.

و﴿يُعِيدُهُۥ﴾: يبعثه من القبور، ويُنشئُهُ تارةً أُخرى.

واختلف المتأَولون في قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾:

فقال ابن عباس(٣)، والربيع بن خُثَيْم: المعنى: وهو هَيِّنٌ، ونظيره قول الشاعر:

[الطويل] لَعَمْرُكَ ما أَدْرِي وَإِنِّي لأَوْجَلُ(٤) ....

بمعنى: لَوَجِلٌ، وقول الآخر:

[الكامل] .... بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ(٥)

[وقولهم في الأَذان: الله أَكبر](٦)، وقول الآخر وهو الشافعي:

[الطويل] .... فَتِلْكَ سَبِيلي لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدِ(٧)

---

(١) لفظه في تفسير الطبري (٢٠/ ٩١): أي: «مطيع مقر بأن الله ربه وخالقه»، وذكره تفسير الماوردي (٤/ ٣٠٨) عن مجاهد.

(٢) في المطبوع: «فكأَن».

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٩٢)، من طريق: عطية العوفي عن ابن عباس، وانظر فيه قول الربيع.

(٤) تمامه: على أَيِّنَا تَغْدُو الْمنية أول، وهو لمعن بن أوس المزني، كما في الكامل للمبرد (٢/ ١٥٧)، ومجاز القرآن (١/ ٢٤٠)، والعقد الفريد (٥/ ١٩٠).

(٥) صدره: إن الذي سمك السماء بنى لنا، وهو للفرزدق، كما في مجاز القرآن (٢/ ١٢١)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٢٧)، والعين (١/ ٧٦)، والكامل للمبرد (٢/ ٢٢٧).

(٦) ساقط من الحمزوية.

(٧) جاء عنه حكاية في تهذيب المدونة (١/ ١٩)، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١٤٩)، =

[يريد: بواحد][١]، واستشهد بهذا البيت أَبو عبيدة[٢]، وهذا شاهد كَثير.

وفي مصحف ابن مسعود: (وهو هين عليه)، وفي بعض المصاحف: (وكُلٌّ هَيِّنٌ عَلَيْهِ) [٣].

وقال ابن عباس أَيضاً[٤]، ومجاهد، وعكرمة: المعنى: وهو أَيسر عليه[٥]، وإِن كان الكلُّ من اليُسْر عليه في حيِّز واحد وحالٍ متماثلة، قال: ولكن هذا التفضيل بحسب معتقد البشر، وما يعطيهم النظر في الشاهد[٦] من أَن الإِعادة في كثير من الأَشياءِ أَهون علينا من البداءَة؛ للتَّمَرُّن والاستغناءِ عن الرَّوِيَّة التي كانت في البداءَة، وهذان القولان الضمير فيهما عائد على الله تعالى، وقالت فرقة أُخرى: الضمير في ﴿عَلَيۡهِ﴾ عائد على ﴿ٱلۡخَلۡقَ﴾.

قال القاضي أَبو محمد: فهو بمعنى «المخلوق» فقط، وعلى التأْويلين الأَوَّلين يصح أَن يكون «المخلوق»، أَو يكون مصدراً من «خَلَقَ»، فقال الحسن بن أبي الحسن: إِن الإِعادة أَهون على المخلوق من إِنشائه؛ لأَنه في إِنشائه يصير من حالة إِلى حالة[٧]، من نطفة إِلى عَلَقة إِلى مضغة ونحو هذا، وفي الإِعادة إِنما يقوم في [حال واحد][٨]، فكأَنه قال: وهو أَيْسَر عليه، أَي: أَقصر مدة وأَقلُّ انتقالاً.

= وروضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٢٨٧)، والكامل في ضعفاء الرجال (٢/ ٤٦٠)، وترتيب المدارك لعياض (٣/ ٢٧٠)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥١/ ٤٢٨).

(١) ساقط من الأصل.

(٢) في مجاز القرآن (٢/ ٣٠١)، وعزاه لطرفة، ونسبه الأخفش في الاختيارين (ص: ١٦١) لمالك بن القين الخزرجي.

(٣) وهما شاذتان، انظر تفسير الطبري (٢٠/ ٩٢)، وسقطت قراءة ابن مسعود من المطبوع.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٩٢)، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٩٢).

(٦) في المطبوع: «المُشاهَد».

(٧) لفظه في تفسير الثعلبي (٧/ ٣٠٠): «وهو هين عليه وما شيء عليه بعزيز».

(٨) في المطبوع بدلًا منه: «مرة واحدة»، وفي الحمزوية: «في خبر واحد»، وفي نجيبويه ولالاليه: «حين واحد».

وقال بعضهم: وهو أَهون على المخلوق أَن يعيد شيئاً بعد إِنشائه؛ أي: فهذا عُرْف المخلوقين، فكيف تنكرون أَنتم الإِعادة في جانب الخالق[١].

قال القاضي أَبو محمد: والأَظهر عندي عَود الضمير على الله تعالى، ويؤيده قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، لما جاءَ بلفظ فيه استعارة واستشهادٌ بالمخلوق على الخالق، وتشبيهٌ بما يعهده الناس من أَنفسهم، خلص جانب العظمة بأَن جَعَلَ له المثل الأَعلى الذي لا يتصل به تَكْيِيفٌ ولا تَمَاثُلٌ مع شيءٍ، والعزَّةُ والحكمةُ صفتان موافقتان لمعنى الآية، فبهما يُعيد ويُنَفِّذ أَمره في عباده كيف شاءَ.

ثم بيَّن تعالى أَمْر الأَصنام وفسادَ مُعْتَقَد من يشركها بالله تعالى بضرب هذا المثل، ومعناه: إِنكم أَيُّهَا الناس إِذا كان لكم عبيدٌ تملكونها؛ فإِنكم لا تشركونهم في أَموالكم، ولا في مهم أُموركم، ولا في شيءٍ على جهة استواءِ المنزلة، وليس من شأْنكم أَن تخافوهم في أَن يرثوا أَموالكم، أَو يقاسموكم إِياها في حياتكم، كما يفعل بعضكم ببعض، فإِذا كان هذا فيكم فكيف تقولون: إِن من عبيده ومُلكه شركاءَ في سلطانه وأُلوهيته، وتثبتون في جانبه ما لا يليق عندكم بجوانبكم؟ هذا تفسير ابن عباس[٢] وجماعة، وجاءَ هذا[٣] المعنى في معرض السؤال والتقرير.

وقرأَ الناس: ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ بنصب السِّين.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (أنفسُكم) بضمها[٤].

وقرأَ الجمهور: ﴿نُفَصِّلُ﴾ بالنون حمْلاً على ﴿رَزَقْنَٰكُمْ﴾.

وقرأَ عباسٌ عن أَبي عَمْرٍو: (يُفَصِّلُ) بالياءِ حمْلاً على: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا﴾[٥].

---

(١) في الأصل: «الخلق».

(٢) لم أجده عنهما.

(٣) كتب في أحمد٣ بدله: «ومجاهد»، ولعله سبق قلم، وفي فيض الله ولالاليه: «والجماعة».

(٤) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في شواذ القراءات (ص: **٣٧٥**).

(٥) في أحمد**٣**: عياش، وهي شاذة، عزاها له الهذلي في الكامل (ص: ٦١٦).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

الإِضراب بـ ﴿بَلِ﴾ هو عمَّا يتضمَّنه معنى الآية المتقدمة، كأَنه يقول: ليس لهم حجة ولا معذرة فيما فعلوا من تَشْريكهم مع الله تعالى، بل اتبعوا أَهواءَهم جهالةً وشهوةً وقصداً لأُمور دنياهم.

ثم قرَّر ـ على جهة التوبيخ لهم ـ على من يهدي إِذا أَضل الله؟ أَيْ: لا هادي لأَهل هذه الحال، ثم أَخبر أَنه لا ناصر لهم.

ثم أَمر تعالى نبيَّه عليه السلام بإِقامة وجهه للدين المستقيم، وهو دين الإِسلام، وإِقامةُ الوجه هو تقويم المعْتَقَد والقوَّةُ على الجدِّ في أَعمال الدين، وذكر الوجه لأَنه جامعٌ حواسَّ الإِنسان وأَشْرَفُه.

و﴿حَنِيفًا﴾: معناه: معتدلاً مقوماً مائلاً عن جميع الأَديان المحرَّفة المنسوخة.

وقوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾: نصب على المصدر، كقوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨].

وقيل: هو نصب بفعل مضمر تقديره: فاتَّبع والْتزم فطرةَ الله تعالى.

واختلف الناس في «الفطرة» هاهنا: فذكر مكي وغيره في ذلك جميع ما يمكن أَن تصرف هذه اللَّفظة عليه(١)، وفي بعض ذلك قلق.

والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللَّفظة أَنها الخِلْقة والهيئة في نفس الطفل التي هي مُعدَّة مُهَيَّأَةٌ لأَن يُمَيِّزَ بها مصنوعات الله تعالى، ويَسْتَدلَّ بها على ربِّه، ويعرفَ

(١) انظر كلامه عليها في الهداية لمكي (٩/ ٥٦٨٦).

شرائعه، ويُؤْمنَ به، فكأَنه قال: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الذي هو الحنيف وهو فطرة الله الذي على الإِعداد / له فَطَرَ(١) البشر، لكن تَعْرِضُهم العوارض. [٤/ ١٨٤]

ومنه قول النبي ﷺ: «كُلُّ مولود يولد على الفطرة، فأَبواه يُهَوِّدانه أَو يُنَصِّرانه...» الحديث(٢)، وَذِكْرُ الأَبَوَيْن إِنما هو مثال للعوارض التي هي كثيرة.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل تأْويلين:

أَحدهما: أَن يريد بها هذه(٣) الفطرة المذكورة؛ أَي: اعْلَم أَن هذه الفطرة لا تبديل لها من جهة الخالق، ولا يجيءُ الأَمر على خلافها بوجه.

والآخر: أَن يكون قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ إِنحاءً على الكفرة، اعترض به أَثناءَ الكلام، كأَنه يقول: أَقِمْ وجهك للدين الذي من صفته كذا وكذا، فإِنَّ هؤلاءِ الكفار قد(٤) خلق الله لهم الكفر، ولا تبديل لخلق الله؛ أَي: أَنهم لا يفلحون.

وقال مجاهد: المعنى: لا تبديل لدين الله، وهو قول ابن جُبَيْر، والضحاك، وابن زيد، والنَّخَعي(٥).

قال القاضي أَبو محمد: وهذا معناه: لا تبديل للمعتقدات التي هي في الدين الحنيف، فإِن كل شريعة هي عقائدها.

وذهب بعض المفسرين في هذه الآية إِلى تأْويلات:

---

(١) في الأصل: «فطرة».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٩٢)، (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في المطبوع: «مدة».

(٤) في المطبوع: «الذين»، بدل: «قد».

(٥) نقله عن الضحاك وغيره مكي في الهداية (٩/ ٥٦٨٨)، وعن الباقين مجاهد وعكرمة وقتادة الطبري في تفسيره (٢٠/ ٩٩).

منها قول عِكْرمة وقد رُوي عن ابن عباس: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾ معناه: النهي عن خصاءِ الفحول من الحيوان[١].

ومنها قول بعضهم في الفطرة: إِنها المِلَّة، على أَنه قد قيل في الفطرة: الدين، وتُؤُوِّل قوله: ﴿فَطَرَ ٱلنَّاسَ﴾ على الخصوص؛ أَي: المؤمنين.

وقيل: الفطرة هي العهد الذي أَخذه الله تعالى على ذُرِّيَّة آدم حين أَخرجهم نَسَماً من ظهره.

ونحوه حديث معاذ حين مرَّ به عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: يا مُعاذ، ما قوام هذه الأُمَّة؟ قال: الإِخلاص، وهو الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والصلاة وهي الدين، والطاعة وهي العصمة، فقال عمر: صدقت[٢].

و﴿ٱلۡقَيِّمُ﴾: بناءُ مبالغة من القيام الذي هو بمعنى الاستقامة.

وقوله: ﴿مُنِيبِينَ﴾ يحتمل أَن يكون حالاً من قوله: ﴿فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾، لا سيَّما على رأْي من رأَى أَن ذلك خصوص في المؤمنين.

ويحتمل أَن يكون حالاً من قوله: ﴿أَقِمۡ وَجۡهَكَ﴾، وجَمَعَه لأَن الخطاب بإِقامة الوجه هي للنبي ﷺ ولأُمَّته، ونظيرها قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١].

و«الْمُنِيبُ»: الراجع المخلص المائل إِلى جهة ما تودُّه نفسه.

و«المُشْرِكُونَ» المشار إِليهم في هذه الآية هم اليهود والنصارى، قاله قتادة.

---

(١) فيه رجل لا يعرف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٩٩)، من طريق: ابن فضيل، عن مطرف، عن رجل، سأل ابن عباس، وعن عكرمة.

(٢) منقطع، أخرجه الطبري (٢٠/ ٩٧) من طريق: يحيى بن واضح، قال: ثنا يونس بن أبي صالح بن يزيد بن أبي مريم، قال: مر عمر بمعاذ بن جبل، فقال... ويزيد لم يدركهما، ثم قال الطبري: حدثني يعقوب، قال: ثني ابن علية، قال: ثنا أيوب، عن أبي قلابة أن عمر قال لمعاذ... وأبو قلابة لم يدركهما كذلك.

وقال ابن زيد: هم اليهود(١).

وقالت عائشة وأَبو هريرة: هي في أَهل القبلة(٢).

قال القاضي أَبو محمد: ولفظة الإِشراك على هذا فيها تجوُّز، فإِنهم صاروا في دينهم فِرَقاً.

و«الشِّيَع»: الفِرَق، واحدها: شِيعَة.

وقوله: ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ معناه: أَنهم مفتونون بآرائهم، مُعجبون بضلالهم، وذلك [أَصيل فيهم](٣).

وقرأَت فرقة: ﴿فَارَقُوا دِينَهُمْ﴾ بالألف(٤).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

هذا ابتداءُ إنحاءٍ على عَبَدَة الأَصنام المشركين بالله عز وجل غَيْرَه، بيَّن الله تعالى أَنهم كسائر البشر في أَنَّهم إذا مسَّهم ضرٌّ دعوا الله سبحانه، وتركوا الأَصنام مطروحة، ولهم في ذلك الوقت إنابَةٌ وخضوع، فإِذا أَذاقهم رحمته؛ أَي: باشَرَهُم أَمْرُهُ بها ـ و«الذوق» مستعار ـ إِذا طائفة تشرك به أَصناماً ونحو هذا، و﴿إِذَا﴾ للمفاجأَة، فلذلك صلحت في جواب ﴿إِذَآ﴾ الأُولى، فهي بمنزلة الفاءِ، وهذه الطائفة هي عَبَدَة الأَصنام.

قال القاضي أَبو محمد: ويلحق من هذه الأَلفاظ شيءٌ للمؤمنين إِذا جاءَهم فرج(٥)

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٠/ ١٠٠).

(٢) لم أجده عنهما.

(٣) في فيض الله ولالاليه: «أضل لهم».

(٤) وهي سبعية، لحمزة والكسائي والباقون بغير ألف مشدداً، انظر التيسير (ص: ١٠٨).

(٥) في المطبوع والحموية ونجيبويه: «فرحٌ».

بعد شِدَّة، فعلَّقوا ذلك بمخلوقين، أَو بحِذْق آرائهم، أَو بغير ذلك؛ لأَن فيه قِلَّة شكر الله تعالى، ويسمى تشريكاً مجازاً.

وقوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُواْ﴾ اللام لام «كَيْ»، وقالت فرقة: هي لام الأَمر على جهة الوعيد [والتهديد، وأَمَّا قوله تعالى: ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ فأَمر على جهة الوعيد][١]، والتقرير؛ أَي: قل لهم يا محمد: فَتَمَتَّعُوا.

وقرأَ أَبو العالية: (فَيَتَمَتَّعوا) بياءٍ قبل التاءِ[٢]، وذلك عطف على ﴿لِيَكْفُرُواْ﴾؛ أَي: لتطول أَعمارهم على الكفر.

وفي حرف ابن مسعود: (فَلْيَتَمَتَّعُوا)[٣].

ورُوي عن أَبي العالية: (فَيُمَتَّعُوا) بضم الياءِ دون تاءٍ أُولى[٤].

وفي مصحف ابن مسعود: (تَمَتَّعُوا)، هكذا قال هارون[٥].

وقرأَ عامة الناس: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتَّاءِ على المخاطبة.

وقرأَ أَبو العالية: (يَعْلَمُونَ) بالياءِ على ذكر الغائب[٦].

وقوله: ﴿أَمْ﴾ هي بمعنى «بَلْ» وأَلِف الاستفهام، كأَنه أَضرب عن صدر الكلام ورجع إلى هذه الحُجَّة.

و«السُّلْطَانُ» هاهنا: البُرهان، من رسول أَو كتاب ونحوه، والسُّلْطان في كلام العرب جمع سَلِيطٍ، كرغيف ورُغفان، وغَدير وغُدْران، فهو مأْخوذٌ من التَّسَلُّط والتَّغَلُّب،

---

(١) من المطبوع ونجيبويه، وهو في لالاليه وفيض الله ملحق في الهامش، وفي الأصل: «التقدير»، بدل: «التقرير».

(٢) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٥).

(٣) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٥).

(٤) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٦٤).

(٥) وهي شاذة، عزاها له في المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨١)، بلفظ: (قل تمتعوا).

(٦) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٥).

ولَزِمَ هذا الاسمُ في العرف الرئيسَ؛ لأَنه سليط[١] بوجه الحق، [وهو اسم][٢] جمع من حيث أَنواعُ الغَلَبَة والملك عنده، وقال قوم: هو اسم مفرد وزنه فُعْلان.

وقوله تعالى: ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ معناه: أَنَّه يُظهر حجتهم، [ويغلب مذهبهم][٣]، وينطق بشركهم، قاله قتادة[٤]، فيقوم بذلك مقام الكلام[٥]، كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةً فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾ / . [٤/ ١٨٥]

لما ذكر تعالى حال الناس متى تأْتيهم شدة وضرٌّ وَخرجوا[٦] منه إِلى سَعَةٍ، ذَكَرَ في هذه الآية الأَمر أَيضاً من الطرف الآخر بأَن تنال الرحمة ثم تعقب الشِّدَّة، فلهم في الأُولى تضرُّعٌ ثم إِشراكٌ، [وقلة شكر][٧] ولهم في الثانية فرحٌ وبطر ثم قُنوط ويأْس، وكلُّ أَحدٍ يأْخذ من هذا الخُلُق بقسط، فمنهم المُقِلُّ ومنهم المُكْثر، إِلَّا من ربطت الشريعة [جأشه ونهجت السنة سبيله][٨]، وتأَدَّب بأَدب الله تعالى، فصبر عند الضَّرَّاءِ، وشكر[٩] عند السَّرَّاءِ، ولم يبطر عند النعمة، ولم يقنط عند الابتلاءِ.

---

(١) في المطبوع: «تَسَلط»، وفي نجيبويه: «تسليط».
(٢) في الأصل: «ولزم اسمع»، وفي لالاليه وأحمد٣ وفيض الله: «ولزمه اسم».
(٣) ليست في الأصل.
(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ١٠٢).
(٥) في الحمزوية هنا زيادة: «معناه».
(٦) في الأصل: «ونجوا»، وفي المطبوع: «ولجوا».
(٧) ساقط من المطبوع.
(٨) في المطبوع بدلًا منه: «على قلبه».
(٩) في المطبوع: «سكن».

وقوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أَي: أَن الله تعالى يمتحن الأُمم، ويصيب منهم عند فُشُوِّ المعاصي وظهور المناكر، وكذلك فقد يصاب شخص لِسُوءِ أَعماله بشيءٍ وَحْدَه، [ويصاب وحده في الأغلب، بعفو الله][1] عن كثير.

و«القُنُوط»: اليأْسُ.

وقرأَ أَبو عمرو، وجماعة: ﴿يقنِطون﴾ بكسر النون.

وقرأَ نافع، والحسن، وجماعة: ﴿يَقْنَطُونَ﴾ بفتحها[2].

وجواب الشرط في قوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ قوله: ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾، وذلك أَنها للمفاجأَة لا يُبْتَدَأُ بها؛ فهي بمنزلة الفاءِ، [لا يُبْتَدَأُ بها][3] ويجاب بها الشرط، وأَما «إذا» التي للشرط، أَو التي فيها معنى الشرط؛ [فهما يُبْتَدَأُ بهما][4]، [ولا يكون فيها جواب الشرط][5].

ثم ذكر تعالى الأَمر الذي من اعتبره لم ييأَس من روح الله تعالى على حال، وهو أَن الله تعالى يخص من يشاء من عباده ببسط الرزق، [ويقدر على من شاء منهم][6]، فينبغي لكل عبد أَن يكون راجياً ما عند ربِّه، ثم أَمر تعالى نبيَّه ﷺ أَمراً تدخل الأُمة فيه، وهذا على جهة النَّدْب إِلى إِيتاءِ ذي القُرْبَى حقَّه من صلة المال وحُسْن المعاشرة ولين القول.

قال الحسن: حقُّه المواساة في اليُسْر [وقول ميسور في العسر][7].

---

(١) سقط من المطبوع، وفيه فقط: «ويعفو الله».

(٢) وهما سبعيتان، والكسائي مع أبي عمرو، والباقون مع نافع، انظر التيسير (ص: ١٣٦).

(٣) سقطت من المطبوع.

(٤) ساقط من الحمزوية، وفي المطبوع: «فيبتدأ بها».

(٥) سقط من المطبوع، وفي أحمد٣: «ولا تكون جواباً للشرط».

(٦) سقط من المطبوع.

(٧) سقط من المطبوع، وهو في تفسير الطبري (٢٠/ ١٠٣)، بمعناه.

قال القاضي أبو محمد: ومعظم ما قصد أَمر المعونة بالمال، ومنه قول النبي ﷺ: «في المال حق سوى الزكاة»[1]، وكذلك للمسكين وابن السبيل حق، وبين أن حق هذين إنما هو في المال وغير ذلك معهما لا غناء له وكذلك يلزم القريب المعدم الذي يقضي حقه أن يقضي أيضا حق قريبه في جودة العشرة ووَجْه اللَّهِ هنا جهة عبادته ورضاه والْمُفْلِحُونَ الفائزون ببغيتهم البالغون لآمالهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

قرأ الجمهور: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم﴾ بمعنى: أعطيتم.

---

(١) لا يصح مرفوعاً، والصحيح من قول الشعبي وغيره، أخرجه الترمذي (٦٥٩) من طريق: الأسود بن عامر، عن شريك، عن أبي حمزة، عن الشعبي، عن فاطمة بنت قيس قالت: سألت ـ أو سئل ـ النبيّ ﷺ عن الزكاة فقال: «إن في المال لحقاً سوى الزكاة» ثم تلا هذه الآية التي في (البقرة): ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ﴾ الآية، ثم أخرجه من طريق: محمد بن الطفيل، عن شريك، عن أبي حمزة، عن عامر الشعبي، عن فاطمة بنت قيس، عن النبي ﷺ قال: «إن في المال حقاً سوى الزكاة»، قال أبو عيسى: هذا حديث إسناده ليس بذاك وأبو حمزة ميمون الأعور يضعف، وروى بيان وإسماعيل ابن سالم عن الشعبي هذا الحديث قوله وهذا أصح، وروي هذا الكلام هكذا بالإثبات، كرواية الترمذي عن الشعبي وإبراهيم النخعي ومجاهد، كما في مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٨١) وهذا أشبه، وروي كذلك عن ابن عمر كما عند ابن زنجويه في الأموال (٣/ ١٦٢)، والقاسم بن سلام (٢/ ٣٢٩) كذلك، لكن أخرجه ابن ماجه (١٧٨٩) عن علي بن محمد، حدثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن أبي حمزة، عن الشعبي، عن فاطمة بنت قيس: أنها سمعته؛ تعني: النبي ﷺ يقول: «ليس في المال حق سوى الزكاة»، وهذا مقلوب، ويضرب به المثل في مضطرب المتن، وقال البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٨٤): والذي يرويه أصحابنا في التعاليق: «ليس في المال حق سوى الزكاة»، فلست أحفظ فيه إسناداً، وقد سبق ما عند ابن ماجه.

وقرأ ابن كثير: ﴿وما أتيتم﴾ بغير مدٍّ[١]، بمعنى: ما فعلتم، كما تقول: أَتَيْتُ صواباً وأَتَيْتُ خطأً[٢]، وأجمعوا على المدِّ في قوله: ﴿وَمَآءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾، و«الرِّبَا»: الزيادة.

واختلف المتأولون في معنى هذه الآية:

فقال ابن عباس[٣]، [وابن جبير، ومجاهد، وطاووس: هذه آية نزلت في هِبات الثواب[٤].

قال القاضي أبو محمد: وما جرى مجراها مما يصنعه الإِنسان ليجازى عليه؛ كالسَّلام وغيره، فهو وإِن كان لا إِثم فيه، فلا أَجر فيه ولا زيادة عند الله تعالى[٥].

وقال ابن عباس أَيضاً][٦]، وإِبراهيم النَّخَعي: نزلت في قوم يعطون قراباتهم وإِخوانهم على معنى نَفْعهم وتمويلهم، والتَّفَضُّل عليهم، وليزيدوا في أَموالهم على وجه النفع لهم.

وقال الشعبي: معنى الآية أَن ما خدم الإِنسانُ به أَحداً، وخفَّ له لينتفع به في دنياه، فإِن ذلك النفع الذي يجزي به الخدمة لا يَرْبُو عند الله تعالى[٧].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا كلُّه قريب وجزءٌ من التأْويل، ويحتمل أَن يكون معنى هذه الآية النهي عن الرِّبا في التجارات، لمَّا حَضَّ عزَّ وجلَّ على نفع ذوي القُرْبَى

---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة في القراءات (ص: ٥٠٧)، مع ذكر الاتفاق على الثاني.

(٢) كتبت في الأصل: «غظاً».

(٣) لا يصح عن ابن عباس، أخرجه الطبري (٢٠/ ١٠٤)، من طريق عطية العوفي عن ابن عباس بلفظ: هو ما يعطي الناس بينهم بعضهم بعضاً، يعطي الرجل الرجل العطية، يريد أن يعطى أكثر منها. وأظن صواب عبارة المصنف: ثواب الهبات.

(٤) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢٠/ ١٠٥-١٠٤).

(٥) قال في حاشية المطبوع: هكذا في جميع الأصول، وما بين المعكوفتين كله ساقط من الحمزوية.

(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٠٥)، عن ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن أبي حصين، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن حميد ليس بعمدة.

(٧) انظر قوله وقول النخعي في تفسير الطبري (٢٠/ ١٠٥).

والمساكين وابن السبيل؛ أَعْلَمَ أَن ما فعل المرءُ من رباً ليزداد به مالاً ـ وفِعْله ذلك إِنما هو في أَموال الناس ـ فإِن ذلك لا يربو عند الله تعالى ولا يزكو، بل يتعلق فيه الإِثم ومَحْق البركة، وما أَعطى الإِنسان من زكاة تنميةً لماله وتطهيراً، يريد بذلك وجه الله تعالى، فذلك هو الذي يُجَازى به أَضعافاً مضاعفة على ما شاءَ الله تعالى له.

وقال السُّدي: نزلت هذه الآية في رِبَا ثقيف؛ لأَنهم كانوا يعملون بالربا وتعمله فيهم قريش[١].

وقرأَ جمهور القراءِ السبعة: ﴿لِّيَرْبُوَاْ﴾ بالياءِ وإِسناد الفعل إِلى الرِّبَا.

وقرأَ نافع وحده: ﴿لِتُرْبُوا﴾ بضم التاء على وزن تُفعِلوا، والواو ساكنة[٢]، بمعنى: يكونوا ذوي زياداتٍ، وهذه قراءَة ابن عباس وأَهل المدينة، والحسن، وقتادة، وأَبي رجاءٍ، والشعبي، قال أَبو حاتم: هي قِراءَتُنا[٣].

وقرأَ أَبو مالك: (لِتُرْبُوهَا) بضمير مؤنث[٤].

«والمُضْعِف» الذي هو ذو أَضعاف من التراث، كما أَن المؤلف الذي له الأَلْف، وكما تقول: أَخصب إِذا كان ذا خصب، وهذا كثير، ومنه: أَرْبَى المتقدم في قراءَةِ من قرأَ: ﴿لِتُرْبُوا﴾ بضم التاءِ.

ثم كرَّر مخاطبة الكفرة في أَمر أَوثانهم، فذكر أَفعال الله تعالى التي لا شريك له فيها، وهي الخَلْق والرزق والإِماتة والإِحياءُ، ولا يمكن أَن ينكر ذلك عاقل.

ثم وقف الكفار ـ على جهة التقرير والتوبيخ ـ ﴿هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم﴾؛ أَي: الذين

---

(١) تابعه في نقله عنه تفسير القرطبي (١٤/ ٣٧)، والبحر المحيط في التفسير (٨/ ٣٩٣)، وقد تقدم في سورة البقرة: أن هذا سبب نزول آية الربا التي فيها، دون عزو للسدي، وهو الذي عليه أكثر المفسرين، والله أعلم.

(٢) «والواو ساكنة»: زيادة من المطبوع، وسقط منه: «على وزن: تفعلوا».

(٣) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٠٧)، والتيسير (ص: ١٧٥).

(٤) وهي شاذة، تابعه عليها تفسير القرطبي (١٤/ ٣٩).

جعلوهم شركاءَ، مَن يفعل[١] مِنْ شيءٍ من ذلك؟ وهذا الترتيب بـ﴿ثُمَّ﴾ هو في الإِيجاد شيئاً بعد شيءٍ، ومن هنا أَدخل الفقهاءُ الولد مع أَبيه في تعقيب الأحباس[٢] إِذا كان اللفظ: ثُمَّ على أَعقابهم، [ثم على أَعقاب أَعقابهم][٣].

ثم نزَّه تعالى نفسه عن / مقالتهم في الإِشراك. [٤/ ١٨٦]

وقرأَ الجمهور: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بالياءِ من تحت.

وقرأَ الأَعمش، وابن وثاب بالتاءِ من فوق[٤].

ثم ذكر تعالى على جهة العبرة ما ظهر من الفساد بسبب المعاصي في قوله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾، واختلف الناس في معنى ﴿ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ في هذه الآية:

فقال مجاهد: البَرُّ: البلادُ البعيدة من البحر، والبَحْرُ: السَّواحلُ والمدن التي على ضفة البحر والأَنهار الكبار[٥].

وقال قتادة: البَرُّ: الفيافي ومواضع القبائل والصحارى والعمود، والبحرُ: المدن جمع بَحْرَة[٦].

قال القاضي أَبو محمد: ومنه قول سعد بن عبادة رضي الله عنه للنبي ﷺ في شأْن عبد الله بن أَبي بن سلول: ولَقَدْ أَجمع أَهل هذه البُحَيْرَة على أَن يُتَوِّجُوهُ... الحديث[٧].

---

(١) كتبت في الأصل: «يعقل»، والمثبت من النسخ الأخرى.

(٢) في السليمانية والمطبوع: «الأَجناس»، ولفظة: «تعقيب زيادة منه»، وفي الحمزوية: «تعصيب».

(٣) من المطبوع ونجيبويه والسليمانية وفيض الله، ولمزيد من التوسع انظر: البيان والتحصيل (١٢/ ١٩٨-١٩٩)، ومغني المحتاج للشربيني (٢/ ٣٨٦)، وكشاف القناع للبهوتي (٤/ ٢٧٩).

(٤) أبعد، فهما سبعيتان، والثانية لحمزة والكسائي، انظر التيسير (ص: ١٢١).

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ١٠٨).

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ١٠٨)، و«العمود»: من أحمد٣ ونجيبويه.

(٧) إسناده جيد، أخرجه ابن حبان (٦٥٨١)، من طريق: عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن أسامة بن زيد بن حارثة أن رسول الله ﷺ ركب حماراً وعليه إكاف وتحته قطيفة، فركب وأردف أسامة بن زيد وهو يعود سعد بن معاذ، وفي المطبوع: «ابن أبي سلول».

ومما يؤيد هذا أَن عكرمة قرأَ: (في البَرِّ والبُحُور)، ورويت عن ابن عباس[١].

وقال مجاهد أَيضاً: ظهورُ الفساد في البر [قتل أحد ابني آدم لأخيه][٢]، وفي البحر أَخذ السفن غصْباً[٣].

وقال بعض العُبَّاد: البحرُ: القَلْبُ، والبَرُّ: اللِّسان[٤].

وقال الحسن: البَرُّ والبَحْرُ: هما المعروفان المشهوران في اللغة[٥].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا القول صحيح[٦]، وظهور الفساد فيهما هو ارتفاع البركات، ونزول رزايا وحدوث فتن، وتغلُّب عدوٍّ كافر، وهذه الثلاثة توجد في البر والبحر.

وقال ابن عباس: الفساد في البحر: انقطاع صيده بذنوب بني آدم، وقلَّما توجد أُمَّة فاضلة مطيعة مستقيمة الأَعمال لا يدفع الله عنها هذه[٧]، والأَمر بالعكس في أَمر المعاصي وبطر النعمة، وكذلك كان أَمر البلاد في وقت بعث النبي ﷺ، قد كان الظلم عمَّ الأَرْض برّاً وبحراً، وقد جعل الله تعالى هذه الأَشياءَ ليجازي بها على المعاصي، فيُذيق الناس عاقبة ذنوبهم لعلهم يتوبون ويراجعون بصائرهم في طاعة الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ تقديره: جزاءَ ما كسبت، ويجوز أَن تتعلق الباءُ بـ﴿ظَهَرَ﴾؛ أي: بِكَسْبهم المعاصي في البر والبحر، وهو نفس الفساد الظاهر.

---

(١) وهي شاذة، عزاها لابن عباس في مختصر الشواذ (ص: ١١٧)، ولهما الكرماني في الشواذ (ص: ٣٧٦).
(٢) في المطبوع: «قتال بني آدم لأَخيهم».
(٣) تفسير مجاهد (ص: ٥٣٩)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١٠٩).
(٤) تفسير الماوردي (٤/ ٣١٨).
(٥) لفظه في تفسير الطبري (٢٠/ ١٠٨): «أفسدهم الله بذنوبهم، في بحر الأرض وبرها بأعمالهم الخبيثة»، ونقل عنه تفسير الثعلبي (٧/ ٣٠٥): أن البحر القرى على شاطئ البحر.
(٦) في الحمزوية وأحمد٣ ونجيبويه: «القول الصحيح»، وفي فيض الله: «وهذا هو القول الصحيح».
(٧) لم أقف عليه.

والتَّرَجِّي في «لَعَلَّ» هو على معتقداتنا، وبِحَسَب نظرنا في الأُمور.

وقرأت عامة القراءِ والناس: ﴿لِيُذِيقَهُم﴾ بالياءِ.

وقرأ قنبل عن ابن كثير، والأعرج، وأبو عبد الرحمن السُّلَمي: ﴿لنذيقهم﴾ بالنون[١]، ومعناهما بيِّن.

وقرأ أيضاً أبو عبد الرحمن: (لِتُذِيقَهُم) بالتاءِ من فوق[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

هذا تنبيهٌ لقريش وأَمْرٌ لهم بالاعتبار بمن سلف من الأُمم وبِسُوءِ عواقبهم بكفرهم وإِشراكهم، ثم أَمَر تعالى نَبِيَّه ﷺ بإِقامة وجهه، والمعنى: اجعل قصدكَ ومسعاكَ للدِّين؛ أَي: لطريقه ولأَعماله واعتقاداته.

و﴿ٱلْقَيِّمِ﴾ أَصله: قَيْوِم، اجتمعت الياءُ والواوُ وسبقت الياءُ وهي ساكنة، وأُبْدِلت الواو ياءً وأُدغمت الأُولى في الثانية.

ثم حذَّره تعالى من يوم القيامة تحذيراً يعُمُّ العالم، وإِياهم القصد.

و﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾: معناه: ليس فيه رجوع لعمل ولا رغبة، ولا عنه مدخل[٣].

ويحتمل أَن يريد: لا يَرُدُّهُ رادٌّ حتى لا يقع، وهذا ظاهر بحسب اللفظ.

و﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ معناه: يتفرقون بعد جمعهم، وهذا هو التصدع.

ومعنى يتفرَّقون: إِلى الجنة وإِلى النار.

---

(١) وهي سبعية، انظر عزوها لقنبل في التيسير (ص: ١٧٥).

(٢) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٩/ ٢٩٦)، لكن دون نسبة.

(٣) في المطبوع: «مرتحل»، وفي الحمزوية: «مرحل»، وفي السليمانية: «موجل».

ثم قسَّم الفريقين بأَحكام تلحقهم من أَعمالهم في الدنيا، ثم عبَّر عن الكفر بـ(عَلَيْهِ)، وهي تعطي الثِّقَل والمشَقَّة، وعن العمل الصالح باللام التي هي لام الملك.

و﴿يَمْهَدُونَ﴾ معناه: يُوطئون ويُهيئون، وهي استعارة منقولة من الفُرُش ونحوها إِلى الأَحوال والمراتب.

وقال مجاهد: هذا التَّمهيد هو للقبر[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

اللام في ﴿لِيَجْزِىَ﴾ متعلقة بـ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾، ويجوز أَن تكون متعلقة بمحذوف تقديره: ذلك، أَو: فَعَلَ ذلك ليجزي، وتكون الإِشارة إِلى ما تقرر من قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ﴾، و﴿عَمِلَ صَٰلِحًا﴾.

وقوله: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ليس الحب بمعنى الإِرادة، ولكنه بمعنى: لا يُظْهِر عليهم أَماراتِ رحمته، ولا يرضاه لهم ديناً[2]، ونحو هذا.

ثم ذكر تعالى من آياته أَشياءَ يقضي[3] كل عقل بأَنها لا مشاركة للأَوثان فيها، وهي ما في الريح من المنافع، وذلك أَنها بُشرى[4] بالمطر، ويذيق الله بها المطر[5] ويلقح بها الشجر وغير ذلك، وتجري السفن بها في البحر، ويبتغي الناسُ بها من فضل الله تعالى في التجارات في البحر، وفي ذَرْو الأَطعمة وغير ذلك.

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ١١٢)، ولفظه في تفسير مجاهد (ص: ٥٤٠): يسوون المضاجع.

(٢) ليست في الأَصل، والمثبت من النسخ الأخرى.

(٣) في المطبوع: «تقتضي».

(٤) في أحمد٣: «تسري».

(٥) في المطبوع بدل «المطر»: «الرحمة»؛ يعني: الغيث والخصب.

ثم آنسَ محمداً ﷺ بأَن ضرب له مثل من أَرسل من الأَنبياءِ، [وتوعد قريشاً بأن ضرب لهم مثل من هلك من الأمم الذين أجرموا وكذبوا الأنبياء][١].

ثم وعد تعالى محمداً ﷺ وأُمَّته النصر؛ إِذْ أَخبر أنه جعله حقّاً عليه تبارك وتعالى.

و﴿حَقًّا﴾: خبر (كان) قدَّمه اهتماماً؛ لأَنه موضع فائدة الجملة.

وبعض القراءِ في هذه الآية وقف على قوله: ﴿حَقًّا﴾، وجعله من الكلام المتقدم، ثم استأْنف جملة مكونة[٢] من قوله: ﴿عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، وهذا قول ضعيف؛ لأَنه لم يدر قدر ما عرضه[٣] في نظم الآية.

/ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ [٤/ ١٨٧]
يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ
يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ
ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾﴾.

«إِثارة السُّحب»: تحريكها من سكون وتَسْيِيرُها، وبَسْطُها في السماءِ هو نشرها في الآفاق.

و«الْكِسَفُ»: القِطَعُ.

وقرأَ جمهور القراءِ: [﴿كِسَفًا﴾ بفتح السِّين.

وقرأَ ابن عامر: ﴿كِسْفاً﴾][٤] بسكون السِّين، وهي قراءَة الحسن، وأَبي جعفر، والأَعرج[٥].

---

(١) سقط من المطبوع.
(٢) من المطبوع.
(٣) في الأصل: «عوض له»، وفي فيض الله: «عرض له»، في نجيبويه: «في هذه الآية»، وفي فيض الله: «نظير».
(٤) سقط من أحمد٣، وفي الأصل: «ابن عباس».
(٥) وهما سبعيتان، الثانية لابن عامر بخلاف عن هشام، كما في التيسير (ص: ١٧٥).

وهما بناءَان للجمع، كما يقال: سِدْرَةٌ وسِدْر بسكون الدال، وسِدَر بفتح الدال.

وقال مكي: من أَسكن السِّين فمعناه: يجعل السحاب قطعة واحدة[١].

و﴿ٱلْوَدْقَ﴾: الماءُ يمطر، ومنه قول الشاعر:

[المتقارب]

فَـلَا مُـزْنَـةٌ وَدَقَــتْ وَدْقَـهَـا وَلَا أَرْضٌ أَبْـقَـلَ إِبْـقَـالَـهَـا[٢]

و﴿خِلَٰلِهِۦ﴾: الفطور الذي بين بعضه وبعض؛ لأَنهُ متخلخل[٣] الأَجزاءِ.

وقرأَ الجمهور: ﴿مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ بكسر الخاءِ وأَلف بعد اللام، جَمْعُ: خَلَل، كجَبَل وجِبَال.

وقرأَ عليٌّ بن أَبي طالب، وابن عباس، والضحاك، والحسن بخلاف عنه: (مِنْ خِلَلِهِ)[٤]، وهو اسم جنس.

والضمير في ﴿خِلَٰلِهِۦ﴾ يحتمل أَن يعود على «السحاب».

ويحتمل أَن يعود على «الكِسْف» في قراءَة من قرأَ بسكون السِّين، وذكَّر الضمير مراعاةً لِلَّفظ لا لمعنى الجمع، كما تقول: هذا تَمْرٌ جَيِّدٌ، و﴿مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يسٓ: ٨٠][٥].

ومن قرأَ: ﴿كِسَفًا﴾ بفتح السِّين فلا يعيد الضمير إِلَّا على «السحاب» فقط.

قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ تأْكيد أَفاد الإِعلام بسرعة تقلب[٦] قلوب البشر من الإِبلاس إِلى الاستبشار، وذلك أَن قوله: ﴿مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾ يحتمل الفسحة في الزمان؛ أَي: من قبل [ذلك؛ أَي: من قبل][٧] أَن ينزل بكثير من الأَيام ونحوه، فجاءَ قوله:

---

(١) الهداية لمكي (٦/ ٤٢٨٧).

(٢) البيت لعامر بن جُوَيْنٍ الطَّائي، كما تقدم في تفسير الآية (٤١) من سورة الإسراء.

(٣) في المطبوع والسليمانية: «مُتَحلل»، في الحمزوية: «متخلل».

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لهم في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٦).

(٥) في حاشية المطبوع: يظهر أن في الكلام نقصاً سقط من النساخ.

(٦) سقطت لفظة: «تقلب» من الحمزوية، وسقطت لفظة: «الإعلام بـ» من الأصل.

(٧) من المطبوع.

﴿مِن قَبۡلِهِۦ﴾ بمعنى أَنَّ ذلك متصل بالمطر، فهو تأْكيدٌ مفيد[١].

وقرأَ يعقوب، وعيسى، وأَبو عمرو بخلاف عنه: ﴿يُنْزَلَ﴾ مخففة.

وقرأَت عامة القراءِ بالتثقيل في الزَّاي[٢].

وقرأَ ابن مسعود: (عَلَيْهِمْ لَمُبْلِسِينَ)[٣] بسقوط ﴿مِن قَبۡلِهِۦ﴾.

و«الإِبْلَاسُ»: الكَوْنُ في حال سوءٍ مع اليأْسِ مِنْ زوالها.

ثم عجَّبَه بمخاطبة يُرادُ بها جميع الناس من أَثر رحمة الله وهي المطر.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو: ﴿أَثَرِ﴾ بالإِفراد، وقرأَ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿ءَاثَٰرِ﴾ بالجمع، واختلف عن عاصم[٤].

[وقرأ سلام: (إلى إثر) بكسر الهمزة وسكون الثاء][٥].

وقوله: ﴿كَيۡفَ يُحۡيِ﴾ يحتمل أَن يكون الضمير الذي في الفعل للأَثر، ويحتمل أَن يكون للَّهِ تعالى، وهذا أَظهر.

وقرأَت فرقة: (كيف تحيى) بالتَّاءِ المفتوحة (الأَرْضُ) بالرفع[٦].

وقرأَ الجحدريُّ، وابن السَّمَيْفَع، وأبو حَيوة: (تُحْيي) بتاءٍ مضمومة على أَن إِسناد الفعل إِلى ضمير الرحمة، (الأرضَ) نصباً[٧].

قال أَبو الفتح: قوله: (كيف تحيى): جملة منصوبة الموضع على الحال حملاً

(١) في المطبوع: «مُقَيّد»، وفي الحمزوية: «مؤكد».

(٢) وهما سبعيتان، الأولى لابن كثير وأبي عمرو ويعقوب، والثانية للباقين كما هو المطرد.

(٣) وهي شاذة، انظرها في تفسير الثعلبي (٧/ ٣٠٦).

(٤) فروى شعبة الأولى وحفص الثانية، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٥).

(٥) سقط من المطبوع، وهي شاذة، لم أجدها له، لكن عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٧٧) لأبي حيوة والجحدري واليماني.

(٦) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٧٧) لأبي البرهسم والجحدري وكرداب.

(٧) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٦٥)، مع التوجيه، ولفظة: «الأرض» ليست في المطبوع.

على المعنى، كأَنه قال: محْيِيَةً، وهذه الحياة والموت استعارة في القَحْط والإِعْشَاب.

ثم أَخبر تعالى ـ على جهة القياس والتَّنْبيه عليه ـ بالبعث والنُّشور.

وقوله: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ عُمومٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

ثم أَخبر تعالى عن حال تقلُّب ابن آدم في أَنه بعد الاستبشار بالمطر إِذا بعث الله ريحاً فاصْفَرَّ بها النباتُ؛ ظلُّوا يكفرون قَلَقاً منهم وَقِلَّةَ تَوكُّلٍ وتسليم لله عزَّ وجلَّ.

والضمير في ﴿فَرَأَوْهُ﴾ للنبات كما قُلْنَا، أَو للأَثر وهو حُوَّة النبات الذي أُحييت به الأَرض، وقال قومٌ: هو للسحاب، وقال قوم: هو للرِّيح، وهذا كله ضعيف.

واللام في (لَئِن): مؤذنة بِمَجِيءِ القَسَم، وهو في ﴿لَّظَلُّوا﴾، فاللام لام القَسَم.

وقوله تعالى: (ظَلُّوا): فعل ماض أَنزله منزلة المستقبل واستنابه منابه؛ لأَن الجزاءَ هنا لا يكون إِلَّا بفعل مستقبل، لكن استُعْمل الماضي موضع المستقبل في بعض المواضع توثيقاً لوقوعه.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الآية استعارة للكفار، وقد تقدم القول على مثل هذه الآية في سورة النمل.

وكلُّهم قرأَ: [﴿وَلَا تُسْمِعُ﴾ بتاءٍ مضمومة ونصب ﴿ٱلصُّمَّ﴾.

وقرأَ ابن كثير، وعباسٌ عن أَبي عمرو:][1] ﴿يَسْمَعُ﴾ بياءٍ مفتوحة ﴿الصُّمُّ﴾ رفعاً[2].

---

(١) ساقط من الأصل، وفي أحمد٣: «عياش».

(٢) وهما سبعيتان، انظر عزو الثانية لابن كثير في التيسير (ص: ١٦٩)، ولرواية عباس في السبعة (ص: ٥٠٨). وفي المطبوع: «تسمع بتاء»، وهو خطأ.

وقرأ الجمهور: ﴿بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ﴾ بالإضافة.

وقرأ يحيى بن الحارث، وأبو حيوة: (بِهَادٍ) بالتنوين (الْعُمْيَ) نصباً[1].

وقوله: ﴿إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ﴾ معناه: إِنْ تُسْمع إِسماعاً ينفع ويُجدي، وأَما سماع الكفرة فغير مُجْدٍ فاستويا.

وقوله تعالى: ﴿عَن ضَلَٰلَتِهِمۡ﴾، لما كانت الهداية تتضمن الصرف عديت بـ﴿عَن﴾ كما تتعدى «صرفت»، ومعنى الآية: ليس في قدرتك يا محمد ولا عليك أَن تهدي.

وقرأ ابن أَبي عبلة: (من ضلالتهم) [2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ٥٤ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ٥٥ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٥٦﴾.

هذه أَيضاً عِبَرٌ[3] بَيِّنٌ فيها أَن الأَوثان لا مدخل لَها في هذا الأَمر / . [٤/ ١٨٨]

وقرأ جمهور القراءِ والناس بضم الضاد في ﴿ضُعْف﴾، وقرأ عاصم، وحمزة بفتحها، وهي قراءَة ابن مسعود وأَبي رجاءٍ، والضَّمُّ أَصوب[4].

وروي عن ابن عمر أَنه قرأَها على رسول الله ﷺ بالفتح فردَّها عليه بالضم[5].

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٧).

(٢) وهي شاذة مخالفة للمصحف، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٣٧٧)، وعزا له أيضاً: (ضلالاتهم)، بالجمع.

(٣) في المطبوع: «آية».

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٦٩)، والسبعة (ص: ٥٠٨).

(٥) ضعيف. أخرجه أحمد (٩/ ١٨٥)، أبو داود (٣٩٨٠)، والترمذي (٢٩٣٦)، من حديث فضيل بن مرزوق، عن عطية العوفي، عن ابن عمر به، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث فضيل بن مرزوق، وأخرجه أبو داود أيضاً عقبه من طريق عبيد ـ يعني: ابن عقيل ـ عن =

وقال كثير من اللغويين: ضمُّ الضاد[١] في البدن وفَتْحها في العقل[٢].

وروي عن أبي[٣] عبد الرحمن، والجحدري، والضحاك: أَنهم ضموا الضاد في الأوَل والثاني، وفتحوا ﴿ضَعۡفًا﴾[٤].

وقرأ عيسى بن عمر: (من ضُعُف) بضمتين[٥].

وهذه الآية إِنما يراد بها حال الإنسان[٦]:

والضعف الأَول هو كون الإِنسان من ماءٍ مهين، والقوة بعد ذلك الشبيبة وشدة الأسر[٧].

والضعف الثاني الهرم والشيَخ[٨]، هذا قول قتادة وغيره[٩].

ثم أَخبر تعالى عن يوم القيامة أَن المجرمين يُقْسِمون لجاجاً منهم ونشوزاً على ما لا علم لهم به؛ أَنهم ما لبثوا تحت التراب غير ساعة، وهذا اتباع لتخيلهم[١٠] الفاسد، ونظرهم في ذلك الوقت على ما كانوا في الدنيا يبتغون، فيؤفكون عن الحق؛ أَي: يُصرفون.

وقيل: المعنى: ما لبثوا في الدنيا، كأَنهم استقلُّوا لـمَّا عاينوا أَمر الآخرة.

= هارون، عن عبد الله بن جابر، عن عطية عن أبي سعيد به، لكن لم يقع في هذه النصوص بيان للفرق بين القراءتين، وعطية العوفي ضعيف على كل حال.

(١) كتبت في الأصل: «الدال»، وهو خطأ.
(٢) في الحمزوية وأحمد٣: «الفعل».
(٣) سقطت من المطبوع.
(٤) وكلاهما سبعية في المواضع الثلاثة كما تقدم، لكن التلفيق بينهما شاذ.
(٥) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٧٧) لعيسى الكوفة.
(٦) في المطبوع ونجيبويه والحمزوية والسليمانية وفيض الله: «الجسم».
(٧) في المطبوع: «الأَمر».
(٨) في المطبوع: «والشُّح».
(٩) تفسير الطبري (٢٠/ ١١٨)، وتفسير الماوردي (٤/ ٣٢٢).
(١٠) كتبت في الأصل: «لتحليهم».

قال القاضي أَبو محمد: وهذا يضعفه قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾؛ إِذ لو أَرادوا تقليل الدنيا بالإِضافة إِلى الآخرة لكان منزعاً شديداً، وكان قولهم: ﴿سَاعَةٍ﴾ تجوُّزاً؛ أَي: في القدر والموازنة.

ثم أَخبر تعالى عن الذين أُوتُوا العلم والإِيمان أَنهم يقفون في تلك الحال على الحق، ويعرفون أَنه الوعد المتقرر في الدنيا.

وقال بعض المفسرين: إِنما أَراد: أُوتُوا الإِيمانَ والعِلْمَ، ففي الكلام تقديم وتأْخير.

قال القاضي أَبو محمد: ولا يحتاج إِلى هذا، بل ذكر العلم يتضمن الإِيمان، ولا يصف الله تعالى بِعِلْم مَنْ لم يعلم كلَّ ما يوجب الإِيمان، ثم ذكر الإِيمان بعد ذلك تنبيهاً عليه وتشريفاً لأَمره، كما قال: ﴿فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]، فنبَّه تعالى على مكان الإِيمان وخصه بالذكر تشريفاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝٥٧ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ۝٥٨ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٩ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾.

هذا إِخبارٌ عن هول يوم القيامة وشدة أَحواله على الكفرة؛ في أَنهم لا ينفعهم الاعتذار، ولا يُعطون عُتْبى، وهي الرِّضا.

و﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾ بمعنى: يعتبون، كما تقول: يملك ويستملك، والباب في «اسْتَفْعَل» أَنه طلب الشيءِ، وليس هذا منه؛ لأَن المعنى كان[1] يفسد إِذا كان المفهوم منه: ولا يطلب منهم عُتْبى.

---

(١) في المطبوع: «لا» بدل: «كان».

وقرأَ عاصم، والأَعمش: ﴿يَنفَعُ﴾ بالياءِ(١)، كما قال تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٧٥]، وحَسُن هذا أَيضاً بالتفرقة التي بين الفعل وما استند إِليه، كما قال الشاعر:

[الطويل] وهلْ يرجع التَّسْليمَ أَو يَكْشِفُ الْعَمَى ... ثـلاثُ الأَثَافـي والدِّيَـارُ الْبَلَاقِـعُ(٢)

ثم أَخبر تعالى عن قسوة قلوبهم، وعجرفة طباعهم، في أَنه ضرب لهم كلَّ مثل، وبيَّن عليهم بيان الحق، ثمَّ هُمْ مع ذلك عند الآية والمعجزة يكفرون ويُلحفون ويعمهون في كفرهم، ويصفون أَهل الحق بالإِبطال(٣).

ثم أَخبر تعالى أَن هذا إِنما هو من طَبْعِه وخَتْمِه على قلوب الجهلة الذين قد حتم(٤) عليهم الكفر في الأَزل.

وذهب أَبو عبيدة إِلى أَنه من قولهم: طَبَعَ السَّيْفُ(٥)؛ أَي: صَدِئ أَشَدَّ صدأ.

ثم أَمر تعالى نبيَّه ﷺ بالصبر، وقوَّى نفسه بتحقيق الوعد، ونهاه عن الاهتزاز لكلامهم، أَو التحرك واضطراب النفس لأَقوالهم؛ إِذْ هم لا يقين لهم ولا بصيرة.

وقرأَ ابن أَبي إِسحاق، ويعقوب: (يَسْتَحِقَّنَّكَ) بحاءٍ غير معجمة وقاف، من الاستحقاق، والجمهور على الخاءِ المعجمة والفاءِ، من الاستخفاف، [إِلَّا أن ابن أبي](٦) إِسحاق ويعقوب سكَّنا النون من ﴿يَسۡتَخِفَّنَّكَ﴾.

---

(١) وكذلك حمزة والكسائي، والباقون بالتاء، وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٠٩)، والتيسير (ص: ١٧٦).

(٢) البيت لذي الرمة كما في المخصص (٥/ ١٩٥)، والفائق في غريب الحديث (١/ ٧٧)، والمفصل في صنعة الإعراب (ص: ١١٤)، وحماسة الخالديين (ص: ٨١)، والعدد في اللغة (ص: ٢٥).

(٣) في المطبوع: «الأباطيل».

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «ختم».

(٥) مجاز القرآن (٢/ ١٢٥).

(٦) من أحمد٣ والحمزوية، وفي الأصل ونجيبويه والسليمانية وفيض الله: «إلا ابن أبي»، وفيه: «عون» بدل: «إسحاق»، وفي المطبوع: «إلا أن أبا»، وسقط «يعقوب» الأول من الأصل، وهما شاذتان، عزا لهما الأولى في المحتسب (٢/ ١٦٦)، ومع الثانية في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٧).

وروي أَن علي بن أَبي طالب رضي الله عنه كان في صلاة الفجر، فناداه رجل من الخوارج بأَعلى صوته يقرأُ هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فَعَلِمَ عَلِيٌّ رضي الله عنه مقصده في هذا، وتعريضه به، فأَجابه وهو في الصلاة بهذه الآية: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾(١).

كمل تفسير سورة الرُّوم، والحمد لله رب العالمين،

وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم.

(١) في اتصاله نظر، أخرجه الطبري (٢٠/ ١٢٠)، من طريق: وكيع عن سعيد بن جبير، عن علي بن ربيعة، أن رجلا من الخوارج، قرأ... ثم أخرجه من طريق: شريك، عن عثمان بن أبي زرعة، عن علي بن ربيعة قال: نادى رجل من الخوارج علياً... والإسنادان لا بأس بهما، لكن لم يذكر علي ابن ربيعة ما يدل على أنه حضر القصة، ثم من طريق: سعيد، عن قتادة قال: قال رجل من الخوارج خلف علي في صلاة الغداة... وهذا مرسل.

سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم

تَفسير سُورَة لقمَانَ [على بركة الله عز وجل][(١)]

هذه السورة مكِّيَّة غير آيتين، قال قتادة: أَوَّلُهما: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾... إلى آخر الآيتين[(٢)]، وقال ابن عباس: ثلاث آيات أولهن: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ﴾[(٣)]... [إلى آخر الثلاثة][(٤)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿الم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾.

تقدم القول في الحروف التي في أوائل السُّور، وفي ترتيب ﴿ تِلْكَ ﴾ مع كل قول منها.

و﴿ الْحَكِيمِ ﴾: يصحُّ أَن يكون من الحكمة، ويصحُّ أَن يكون من الحُكْم.

---

(١) زيادة من الحمزوية ونجيبويه.

(٢) تابعه تفسير القرطبي (١٤/ ٥٠)، والبحر المحيط في التفسير (٨/ ٤٠٨)، ولم أجده لمن سبقه.

(٣) عزاه في الدر المنثور (١١/ ٦١٣) للنحاس في تاريخه، ولم يذكر سنده.

(٤) من فيض الله.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً ﴾ بالنصب على الحال من المبهم، ولا يصح أَن يكون من ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ لأَنه مضافٌ إِليه.

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿هدى ورحمةٌ﴾ بالرفع(١) على تقدير: هو هدى، وخصَّصه لِلْمُحْسِنِينَ من حيث لهم نفعه، وهم نظروه بعين الحقيقة، وإِلَّا فهو هدى في نفسه.

[٤/ ١٨٩] / وفي قراءَة ابن مسعود: (هُدًى وَبُشْرى للمؤمنينَ) (٢).

ثم وصف تعالى المحسنين بأَنهم الذين عندهم اليقين بالبعث وبكل ما جاءَ به الرسول ﷺ، وعندهم إِقامة الصلاة وإِيتاءُ الزَّكاة.

ومِنْ صِفَتهم ما قال رسول الله ﷺ حين سأَله جبريل عليه السلام عن الإِحسان، فقال: «أَن تعبد الله كأَنك تَرَاه، فإِنْ لم تكن تراه فإِنَّهُ يراك» الحديث(٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ رُوي أَنَّها نزلت في قُرَشي اشترى جارية مُغَنِّية لتُغَنِّي بهجاءِ رسول الله ﷺ وسَبِّه، فنزلت الآية في ذلك(٤)، [وقيل: إنه ابن خَطَل](٥).

ورُوي عن أَبي أُمامة الباهلي أَن النبي ﷺ قال: «شراءُ المُغَنِّيَات وبيعهن حرام»، وقرأَ هذه الآية، وقال: «في هذا المعنى نزلت عليَّ هذه الآية»(٦)، وبهذا فسَّر ابن

---

(١) وهما سبعيتان، والثانية لحمزة خاصة، انظر التيسير (ص: ١٧٦)، والسبعة (ص: ٥١٢)، أما الكسائي فبالنصب، وذكره هنا خطأ نبه عليه في حاشية الأصل والحمزوية.

(٢) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٢٦)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٠)، (٤٧٧٧)، ومسلم (٩).

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٣٠)، من طريق عطية بن سعد العوفي عن ابن عباس، وإسناده ضعيف جداً.

(٥) ليس في المطبوع، وفي الأصل والحمزوية: «أخطل».

(٦) ضعيف، أخرج أحمد (٣٦/ ٦١١)، والترمذي (١٢٨٢)، وغيرهما من طريق: عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد عن القاسم، عن أبي أمامة: عن رسول الله ﷺ قال: «لا تبيعوا القينات، ولا تشتروهن، ولا تعلموهن، ولا خير في تجارة فيهن، وثمنهن حرام في مثل هذا أنزلت هذه الآية»... وقال الترمذي: حديث أبي أمامة إنما نعرفه مثل هذا من هذا الوجه وقد تكلم بعض أهل العلم في =

مسعود[١]، وابن عباس[٢]، وجابر بن عبد الله[٣]، ومجاهد[٤].

وقال الحسن: ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾: المعازفُ والغناءُ[٥].

وقال بعض الناس: نزلت في النضر بن الحارث؛ لأَنه اشترى كتب رُسْتم واسبنديان[٦]، وكان يخلف رسول الله ﷺ فيحدثهم بتلك الأَباطيل، ويقول: أَنا أَحْسَنُ حديثاً من محمد[٧].

وقال قتادة: الشراءُ في هذه الآية مُستعارٌ، وإِنما نزلت في أَحاديث قريش، وتَلَهِّيهِم بأَمر الإِسلام، وخوضهم في الأَباطيل[٨].

قال القاضي أَبو محمد: فكأَن تَرْك ما يجب فعله، وامتثال هذه المنكرات شراءٌ لها، على حدِّ قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦].

= علي بن يزيد وضعفه وهو شامي، وقال الترمذي في موضع آخر (٣١٩٥): هذا حديث غريب إنما يروى من حديث القاسم، عن أبي أمامة، والقاسم ثقة، وعلي بن يزيد يضعف في الحديث، قال: سمعت محمداً يقول: القاسم ثقة، وعلي بن يزيد يضعف.

(١) في إسناده لين، أخرجه الطبري (٢٠/ ١٢٧) من طريق: يزيد بن يونس، عن أبي صخر، عن أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جبير، عن أبي الصهباء البكري، أنه سمع عبد الله بن مسعود، ثم من طريق: حميد الخراط، عن عمار، عن سعيد بن جبير، عن أبي الصهباء، أنه سأل ابن مسعود، وسقط ذكر ابن مسعود من أحمد٣.

(٢) جيد، أخرجه الطبري (٢٠/ ١٢٧-١٢٨)، من طريق عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، ومن طريق: الحكم عن مقسم، ومن طريق: عطية العوفي، ومن طريق مجاهد، جميعاً عن ابن عباس.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ١٢٨)، من طريق: سفيان، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن جابر.

(٤) انظر نقله عنه في تفسير الطبري (٢٠/ ١٢٨).

(٥) تفسير السمعاني (٤/ ٢٢٦).

(٦) في المطبوع والحمزوية: «واسفنديار»، وفي نجيبويه: «اسفندياد»، وفي فيض الله: «اسبنداد».

(٧) الهداية لمكي (١٠/ ٥٧٧١)، وتفسير السمعاني (٤/ ٢٢٦).

(٨) تفسير الثعلبي (٧/ ٣١٠)، بمعناه.

وقد قال مُطَرِّف: شراءُ لَهْو الحديث استحبابُه[١].

قال قتادة: ولعلَّه لا[٢] يُنفق فيه مالًا، ولكن سماعه هو شراؤُه[٣].

وقال الضحاك: لهْوُ الحديث الشِّرْكُ[٤].

وقال مجاهد أَيضاً: لهْوُ الْحديث الطبْلُ، وهذا ضربٌ من الغِنَاءِ[٥].

قال القاضي أَبو محمد: والذي يترجَّح أَن الآية نزلت في لهْو حديث منضاف إِلى كُفْر، فلذلك اشتدت[٦] أَلفاظ الآية بقوله: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ وبالتوعد بالعذاب المهين.

وأَما لفظة (الشراءِ) فمحتملة الحقيقة والمجاز على ما بيَّنَّا.

و﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾: كلُّ ما يُلْهي من غِنَاءٍ وخَنا ونحوه، والآية باقية المعنى في أُمَّة محمد ﷺ، ولكن ليس لِيُضِلُّوا عن سبيل الله بكفر، ولا لِيَتَّخذوا الآياتِ هُزواً، ولا عليهم هذا الوعيد، بل ليعطل[٧] عبادة، وبِقَطْعهم زمناً بمكروه، وليكون من جملة العصاة، والنفوس الناقصة تروم تتْميمَ ذلك النقص بالأَحاديث، وقد جعلوا الحديث من القِرَى.

وقيل لبعضهم: أَتَملُّ الحديث؟ فقال: إِنما يُمَلُّ العتيق[٨].

قال القاضي أَبو محمد: القديم المعاد؛ لأَن الجديد من الأَحاديث فيه الطرافة التي تَمْنَع من الملل.

---

(١) الهداية لمكي (٩/ ٥٧١٠).

(٢) «لا»: ليست في أحمد٣، وفيه: «سماعه وشراؤه»، بالعطف.

(٣) انظر القولين في الهداية لمكي (٩/ ٥٧١٠).

(٤) انظر قول الضحاك ومجاهد في تفسير الطبري (٢٠/ ١٢٩).

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ١٢٩)، والهداية لمكي (٩/ ٥٧١٣).

(٦) في أحمد٣: «أسندت».

(٧) «بل»: ليست في الأصل، وفي المطبوع والحمزوية: «بل لِتَعَطُّلِ».

(٨) تفسير ابن فورك (١/ ٤٤٧).

وقرأ نافع، وعاصم، والحسن وجماعة: ﴿لِيُضِلَّ﴾ بضم الياءِ.

وقرأ ابن كثير، وأَبو عمرٍو بفتحها[١].

وفي حرف أُبيٍّ: (لِيُضِلَّ الناس عَنْ سبيلِ اللَّهِ)[٢].

وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ بالنصب عطفاً على: ﴿لِيُضِلَّ﴾.

وقرأ الباقون: ﴿ويتَّخِذُهَا﴾ بالرفع[٣] عطفاً على ﴿يَشْتَرِى﴾.

والضمير في: ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ يحتمل أَن يعود على ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ المذكور أَولاً، ويحتمل أَن يعود على «السَّبيل»، ويحتمل أَن يعود على الأَحاديث؛ لأَن الحديث اسم جِنْسٍ [بمعنى الأَحاديث، وكذلك ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ اسم جِنْسٍ][٤]، ولكُلِّ وجهٍ من الحديث وجْهٌ يليق به من السبيل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ
وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى
ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ
زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾.

هذا دليلٌ على كفرِ هذا الذي نزلت فيه هذه الآية التي قبلها.

---

(١) وهما سبعيتان، وحمزة وابن عامر والكسائي مع نافع وعاصم، انظر التيسير (ص: ١٣٤)، ولفظة: «وجماعة» ليست في المطبوع.

(٢) وهي شاذة، مخالفة للمصحف، ولم أجدها لغير المصنف.

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٦)، والسبعة (ص: ٥١٢).

(٤) ساقط من الأصل، وهو في السليمانية ملحق.

و«الْوَقْر في الأُذن»: الثقل الذي يعسر[١] إِدراك المسموعات، وجاءَت البشارة بالعذاب من حيث قُيِّدت ونُصَّ عليها.

ولما ذكر عزَّ وجلَّ حال هؤلاءِ الكفرة، وتوعدهم بالنار على أَفعالهم؛ عقَّب بذكر المؤمنين وما وعدهم به من جنَّات النَّعيم؛ ليبين الفرق.

و(وَعْدَ الله): منصوبٌ على المصدر، و﴿حَقًّا﴾: مصدرٌ مؤكد.

وقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ يحتمل أَن يعود الضمير على «السماءِ»، فيكون المعنى: إِن السماءَ بغير عمَدٍ، وأَنها تُرَى كذلك، وهذا قول الحسن والناس[٢].

و﴿تَرَوْنَهَا﴾ على هذا القول: في موضع نصب على الحال، ويحتمل أن يعود الضمير على العَمَد، فيكون ﴿تَرَوْنَهَا﴾: صفةً لِلْعَمَد في موضع خفض، ويكون المعنى: إِن السماءَ لها عَمَدٌ لكن غير مرئية، قاله مجاهد[٣]، ونَحَا إِليه ابن عباس[٤]، والمعنى الأَول أَصح، والجمهور عليه، ويجوز أَن تكون ﴿تَرَوْنَهَا﴾: في موضع رفع على القطع، ولَا عَمَدَ ثَمَّ.

و«الرَّوَاسي»: هي الجبال التي [رست؛ أي][٥]: ثبتت في الأَرض، وقوله: ﴿أَن تَمِيدَ﴾ بمعنى: أَلَّا تميد، والمَيَدُ: التَّحرُّك يَمْنةً ويَسْرةً وما قرب من ذلك.

وقوله: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾؛ أَي: من كل نوع، و«الـزَّوْجُ» في اللغة: النَّوْعُ والصنف[٦]، وليس بالذي هو ضد الفرد.

وقوله تعالى: ﴿كَرِيمٍ﴾ يحتمل أَن يريد مدْحته من جهة إِتقان صنعه وظهور

---

(١) في المطبوع: «يُغَيِّـرُ».

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ١٣٢).

(٣) المصدر السابق.

(٤) صحيح، أخرجه الطبري (١٦/ ٣٢٣)، من طريق: عمران بن حدير، عن عكرمة، عن ابن عباس.

(٥) ليس في المطبوع.

(٦) في الأصل: «الصفة».

حسن الرُّتبة والتَّحكيم[1] للصنع فيها، فيعُمُّ حينئذ جميع الأَنواع؛ لأَن هذا المعنى في كلها، ويحتمل أَن يريد مدحه بكرم جوهره، وحسن منظره، وما تقتضي له النفوس بأَنه أَفضل من سواهُ حتى يستحق الكرم، فتكون الأَزواج ـ على هذا ـ مخصوصة في نفائس الَأشياءِ ومُستحسَناتها، ولما كان عُظْمُ الموجودات / كذلك خصص الحجة بها. [٤/ ١٩٠]

وقوله: ﴿أَنۢبَتۡنَا﴾ يعم جميع أَنواع الحيوان وأَنواع النبات والمعادن[2].

ثم وقف تعالى الكفار ـ على جهة التوبيخ وإِظهار الحُجَّة ـ على أَن هذه الأَشياءَ هي مخلوقات الله تعالى، ثم سأَلهم أَن يوجدوه[3] ما خلق الأَصنامُ والأَوثان وغيرُهم مِمَّن عُبِد؛ أَي: أَنهم لم يخلقوا شيئاً، بل هذا الذي قريشٌ فيه ضلالٌ مبينٌ، فذكَّرهم بالصفة التي تعُمُّ معهم سواهم مِمَّن فعل فعلهم من الأُمم.

وقوله: ﴿مَاذَا﴾ يجوز أَن تكون (ما): استفهاماً في موضع رفع بالابتداءِ، و(ذَا): خبرها بمعنى «الذي»، والعائد محذوف، ويجوز أَن تكون (مَا): مفعولةً بـ (أروني)، و(ذَا): صلة، و(مَا) بمعنى «الذي»، والعائد محذوف، تقديره في الوجْهيْن: خَلَقَه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ١٢ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾.

﴿لُقْمان﴾ رجلٌ حكيمٌ بحكمة الله تعالى، وهي الصواب في المعتقدات، والفقه في الدين والعقل[4]، واخْتُلف هل هو نبي مع ذلك أَو رجلٌ صالح فقط:

فقال بِنُبوَّته عكرمة والشعبي، وقال بصلاحه فقط مجاهد وغيره[5].

(١) في المطبوع: «تحكم»، وفي السليمانية: «التحكم».
(٢) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «يعم أنواع المعادن والنبات».
(٣) في المطبوع: «يوجدوا».
(٤) في المطبوع: «والعمل»، مع الإشارة إلى النسخة الأخرى.
(٥) انظر قول مجاهد وعكرمة في تفسير الطبري (٢٠/ ١٣٦)، وقول الشعبي في تفسير الماوردي (٤/ ٣٣١).

وقال ابن عمر: سمعت النبي ﷺ يقول: «لم يكن لقمان نبيّاً، ولكن كان عبداً كثير التفكير، حسَنَ اليقين، أَحبَّ الله فأَحبَّه، فمن[١] عليه بالحكمة، وخيَّره في أَن يجعله خليفة يحكم بالحق، فقال: ربِّ إِن خيَّرتني قبلتُ العافية وتركت البلاءَ، وإِن عزَمْتَ عليَّ فسمعاً وطاعةً؛ فإِنك ستعصمني»[٢].

وكان قاضياً في بني إِسرائيل، نوبيّاً أَسود، مُشَقَّق الرجلين، ذا مَشافر، قاله سعيد ابن المسيب، ومجاهد[٣]، وابن عباس[٤].

وقال له رجلٌ كان قد رعى معه الغنم: ما بلغ بك يا لقمان ما أَرى؟ قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، والصَّمْتُ عما لا يعنيني[٥].

وقال ابن المسيب: كان من سودان مصر، من النُّوبة، وقال خالد بن الربيع: كان نجاراً[٦].

وقيل: كان خيَّاطاً، وقيل: كان راعياً، وحِكَمُ لقمان كثيرة مأْثورة، قيل له: أَيُّ الناس شرٌّ؟ قال: الذي لا يبالي أن رآه الناس مُسِيئاً[٧].

---

(١) في المطبوع والحمزوية والسليمانية وفيض الله: «فمنَّ»، وفي نجيبويه: «أن».

(٢) موضوع، أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة، وفيه سعيد بن موسى وأبو أيوب سليمان بن أبي سلمة الخبائري، وقد صرح الذهبي فى الميزان بأنه موضوع، هكذا في تنزيه الشريعة (**١/ ٢٧٩**)، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (**١٧/ ٨٥**)، وفي إسناده نوفل بن سليمان، ضعيف وله بلايا بهذا الإسناد، وعزي أيضاً للديلمي في مسند الفردوس، وفي الأصل: «ابن عباس».

(٣) انظر قولهما بالمعنى في تفسير الطبري (**٢٠/ ١٣٥**).

(٤) لا يثبت، أخرج الطبري (**٢٠/ ١٣٥**)، من طريق: سفيان، عن أشعث، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان لقمان عبداً حبشياً فقط، والكلام الباقي عن الباقين، وأشعث هو ابن سوار، الأكثر على ضعفه.

(٥) تفسير الطبري (**٢٠/ ١٣٥**)، وليس فيه ذكر الأمانة، وهي زيادة من نجيبويه.

(٦) انظر قولهما في تفسير الطبري (**٢٠/ ١٣٥**).

(٧) تفسير الثعلبي (**٧/ ٣١٨**)، وفي المطبوع: «إِذا رآه».

وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ﴾[1] يجوز أَن تكون ﴿أَنِ﴾: في موضع نصب على إِسقاط حرف الجرِّ؛ أَي: بأَن اشكر لله، ويجوز أَن تكون مُفَسِّرَة؛ أَي: كانت حكمته دائرة على الشُّكر لله تعالى ومعانيه، وجميعُ العبادات والمعتقدات داخلة في شكر الله تعالى.

ثم أَخبر تعالى أَن الشاكر حظه عائد عليه، وهو المنتفع بذلك، والله تعالى غني عن الشكر، فلا ينفعه شكر العباد، وحميدٌ في نفسه، فلا يضره كفْرُ الكافرين.

و﴿حَمِيدٌ﴾ بمعنى: محمود؛ أَي: هو مستحق الحمد بصفاته وذاته.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ يحتمل أَن يكون التقدير: واذكر إِذ قال، واختصر ذلك لدلالة المتقدم عليه، واسم ابنه ثاران[2].

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأَبو بكر عن عاصم: ﴿يا بُنَيِّ﴾ بالشَّدِّ والكسر في الياءِ، في الثلاثة، على إِدغام إِحدى الياءَيْن في الأُخرى.

وقرأَ حفْص، والمفضل عن عاصم: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ بالشَّدِّ والفتح في الثلاثة، على قولك: يا بُنَيًّا، ويا غلامًا.

وقرأَ ابن أَبي بزة عن ابن كثير: ﴿يا بُنَيْ﴾ بسكون الياءِ، و﴿يا بنيِّ إنها﴾ بكسر الياءِ، و﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بفتح الياءِ، وروى عنه قنبل بالسكون في الأُولى والثَّالِثة، وبكسر الوُسْطى[3].

وظاهر قوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ أَنه من كلام لقمان، ويحتمل أَن يكون خبراً من الله تعالى منقطعاً من كلام لقمان، مُتَّصلاً به في تأْكيد المعنى، ويؤيد

---

(١) من «وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ﴾...» إلى قوله في المقطع الآتي: «قوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ﴾»، ساقط من الأصل، وأثبتناه من النسخ الأخرى.

(٢) في المطبوع: «تاران».

(٣) وهما في (لقمان: ١٦، ١٧)، وفي المطبوع بدل «بزة»: «برة»، وفي نجيبويه: «قرة»، والقراءات كلها سبعية، انظر السبعة (ص: ٥١٢).

هذا الحديث المأْثور: إِنه لمَّا نزلت: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] أَشفق أَصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أَيُّنا لَمْ يظلم؟ فأَنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، فسكن إِشفاقهم[1].

قال القاضي أبو محمد: وإنما يسكن إشفاقهم بأن يكون ذلك خبراً من الله تعالى.

وقد يسكن الإشفاق بأن يذكر الله ذلك عن عبد قد وصفه بالحكمة والسداد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾.

هاتان الآيتان اعتراض أَثناءَ وصيَّة لقمان، ووجَّه الطبري ذلك بأَنها من معنى كلام لقمان، ومِمَّا قصده[2]، وذلك غير متوجِّه؛ لأن كون الآيتين في شأْن سعد بن أَبي وقاص حسبما ذكره[3] بعد يضعف أَن يكون مما قاله لقمان، وإِنما الذي يشبه أنه اعتراض أَثناءَ الموعظة، وليس ذلك بمُفْسِدٍ الأَول منها ولا الآخر، [بل لما][4] فرغ من هاتين الآيتين؛ عاد إِلى الموعظة على تقدير إِضمار: وقال أَيضاً لقمان، ثم اختصر ذلك لدلالة المتقدم عليه.

وهذه الآية شَرِكَ الله تعالى الأُمَّ والوالد منها في رتبة الوصية بهما، ثم خصَّص الأُمَّ بدرجة ذِكْر الحمل، وبدرجة ذِكْر الرضاع[5]، فتحصَّل للأُم ثلاث مراتب، وللأَب واحدة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٩)، بدون قوله: «فسكن إشفاقهم».
(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ١٣٩).
(٣) في السليمانية: «أذكره».
(٤) في المطبوع: «ولما».
(٥) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «ثم خصص الأم بذكر درجة الحمل، وبذكر الرضاع».

وأَشبه ذلك قول الرسول ﷺ حين قال له رجلٌ: من أَبرُّ؟ قال: «أُمَّك»، قال: ثُمَّ منْ؟ قال: «أُمَّك»، قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أُمَّك»، قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «ثُمَّ أَباكَ»[١]، فجعل له الربع من المبرَّة كالآية.

و﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ معناه: ضعفاً على ضعف، وقيل: أَشار إِلى مشقَّة الحمل ومشقة الولادة بعده، وقيل: أَشار إِلى ضعف الولد وضعف الأُم معه، ويحتمل أَنه أَشار إِلى تدرُّج حالها في زيادة الضَّعف، كأَنه لم يعيِّن ضعْفين، بل كأَنه قال: حملته أُمه والضعف يتزَيَّد بعد الضعف إِلى أَن ينقضي أمره[٢].

وقرأَ عيسى الثقفي: (وَهَناً عَلَى وَهَنٍ) بفتح الهاءِ، ورويت عن أَبي عمرو[٣].

وهما بمعنى واحد.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَفِصَـٰلُهُۥ﴾.

وقرأَ الحسن، وأَبو رجاءٍ، والجحدري، ويعقوب: (وَفَصْلُهُ)[٤].

وأَشار بالفِصَال إِلى تحديد مُدَّة الرضاع، فَعبَّر عنه بغايته ونهايته، والناس مجمعون [على العامين][٥] في مدة الرضاع في باب الأَحكام والنفقات[٦].

وأَما في تحريم اللبن فحددت فرقة بالعامَيْن لا زيادة ولا نقص[٧].

---

(١) في المطبوع: «أبوك»، والحديث متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨)، بنحوه.

(٢) في المطبوع والسليمانية: «أَمدُه».

(٣) وهي شاذة، عزاها في المحتسب (٢/ ١٦٧)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٧٨)، لعيسى ولرواية أحمد بن موسى عن أبي عمرو، ورواها ابن مقسم، وأبو معمر عن عبد الوارث وابن موسى عن أبي عمرو، كما في الكامل في للهذلي (ص: ٦١٧).

(٤) وهي شاذة هنا، عزاها لهم في المحتسب (٢/ ١٦٧)، وهي في (الأحقاف) عشرية ليعقوب.

(٥) سقطت من أصول المطبوع، قال في الحاشية: زيادة من القرطبي الذي نقل هذه الفقرة من كلام ابن عطية كاملةً.

(٦) انظر نقل الإجماع الذي حكاه المؤلف في: تفسير القرطبي (١٤/ ٦٤).

(٧) قال بذلك جمهور العلماء؛ منهم أبو يوسف ومحمد بن الحسن، كما في المبسوط للسرخسي (٥/ ١٣٦)، =

وقالت فرقة: العامان وما اتصل بهما من الشهر ونحوه إِذا كان متَّصل الرضاع في حكم واحد يحرم[١].

وقالت فرقة: إِن فُطم الصبي قبل العامين ونزل[٢] اللبن؛ فإِن ما شرب بعد ذلك في الحولين لا يحرم[٣].

وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ﴾ يحتمل أَن يكون التقدير: بأَن اشكر، ويحتمل أَن تكون مفسرة، [لما قبلها][٤] وقال سفيان بن عُيَيْنة: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى، ومن دعا لوالديه في دبر الصلوات فقد شكرهما[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ توعُّد أَثناءَ الوصيَّة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ الآية؛ رُوي أَن هاتين الآيتين نزلتا في شأْن سعد ابن أَبي وقَّاص، وذلك أَن أُمه ـ وهي حَمْنَةُ بنتُ أَبي سفيان بن أُميَّة[٦] [لمّا أسلم][٧] ـ حلفت أَلَّا تأْكل ولا تشرب حتَّى يفارق دينه ويرجع إِلى دين آبائه وقومه، فلجَّ سعد في

= والشافعي كما في الحاوي للماوردي (١١/ ٣٦٧)، وأحمد كما في المغني (٨/ ١٤١)، ومالك والأوزاعي والثوري وإسحاق وأبو ثور كما في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ١٩٨).

(١) قال بذلك مالك، كما في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ١٩٨).

(٢) في فيض الله والسليمانية: «ترك».

(٣) قال بذلك أبو حنيفة، كما في بدائع الصنائع (٤/ ٧٠٦)، وفتح القدير (٣/ ٣٠٨-٣٠٩).

(٤) من أحمد٣.

(٥) تفسير الثعلبي (٧/ ٣١٣).

(٦) الأكثر أنها بنت سفيان، وهو أخو أبي سفيان ابني أمية الأكبر، انظر، الطبقات الكبرى (٣/ ١٣٧)، ونسب قريش (ص: ٢٦٣)، وطبقات خليفة بن خياط (ص: ٤٥)، وأنساب الأشراف (١٠/ ١١)، والإصابة (٣/ ٦٢)، وفي جمهرة أنساب العرب لابن حزم (١/ ٧٩) أنها بنت طليق بن سفيان، وأخوها حكيم بن طليق، كان من المؤلفة قلوبهم، وفي معرفة الصحابة لأبي نعيم (١/ ١٣٠)، وأسد الغابة (٢/ ٤٥٢): وقيل: حمنة بنت أَبِي سفيان.

(٧) من فيض الله، وهي في السليمانية ملحقة في الهامش.

الإِسلام، [وكانت هي إذا أفرط عليها الجوع والعطش شحوا فاها][(١)]، ويروى: شَجَرُوا؛ أَي: فتحوه بعود ونحوه وصبوا ما يرمقها، فلما طال ذلك ورأَت أَن سعداً لا يرجع أَكلت، ففي هذه القصة نزلت الآياتُ، قاله سعد بن أَبي وقَّاص[(٢)] والجماعة من المفسرين.

قال القاضي أَبو محمد: وواطأَت الآية الأُولى الأَمر بِبِرِّ الوالدين وتعظيمه[(٣)]، ثم حَكَمَ بأَنَّ ذلك لا يكون في الكفر والمعاصي، وجُمْلة هذا الباب: أَن طاعة الأَبوين لا تُراعى في ركوب كبيرة، ولا في ترك فريضة على الأَعيان، وتلزم طاعتهما في المباحات، ويُستحسن في ترك الطاعات الندب، ومنه أَمر الجهاد الكفاية[(٤)]، والإِجابة للأم في الصلاة مع إِمكان الإعادة، على أَن هذا أَقوى من الندب، لكن يُعَلَّل بخوف هلكة عليها ونحوه مما يبيح قطع الصلاة فلا يكون أَقوى من الندب، وخالف الحسن في هذا الفصل[(٥)]، فقال: إِنْ منعته أُمه من شهود العشاءِ الآخرة شفقة فلا يطعها[(٦)].

وقوله: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾؛ يعني: الأَبَوَيْن الكافرين؛ أَي: صلهما بالمال، وادْعهما برفق، ومنه قول أَسماءَ بنت أَبي بكر للنبي ﷺ ـ وقد قدمت عليها خالتُها، وقيل: أُمها من الرضاعة ـ فقالت: يا رسول الله، إِن أُمِّي قد قدمت عليَّ وهي راغبة، أَفَأَصِلُها؟ قال: «نعم»[(٧)]، وراغبة، قيل: معناه: عن الإِسلام.

---

(١) في المطبوع: «ويروى أَنها كانت إِذا أَجهدها العطش شَجُّوا فاها».

(٢) في إسناده لين واختلاف، أخرجه الطبري (٢٠/ ١٣٨)، وغيره من طريق: سماك بن حرب، عن مصعب بن سعد، عن أبيه، وروي عن سماك بن حرب، قال: قال سعد بن مالك.

(٣) في المطبوع: «وحكمه».

(٤) للتوسع في ذلك انظر الفروق للقرافي (١/ ١٤٤-١٤٥، ١٥٠)، وشرح النووي على مسلم (٢/ ٨٧).

(٥) في المطبوع: «التفصيل».

(٦) انظر كلام الحسن وما ذكره المؤلف من جواز أن يقطع الولد الصلاة إذا دعته أمه في تفسير القرطبي (١٤/ ٦٤).

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٨٣)، ومسلم (١٠٠٣).

قال القاضي أَبو محمد: والأَظهر عندي: أَنها راغبة في الصلة، وما كانت لِتَقْدَمَ على أَسماءَ لولا حاجتها، ووالدة أَسماءَ هي قُتَيْلَة بنت عبد العُزَّى بن [عبد أَسعد](١)، وأُم عائشة وعبد الرحمن هي أُم رُومان قديمة الإِسلام(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ وصيَّةٌ لجميع العالم، كأَنَّ المأْمور الإِنسان.

و﴿أَنَابَ﴾ معناه: مال ورجع(٣) إِلى الشيءِ، وهذه سبيل الأَنبياءِ والصالحين.

وحكى النَّقَّاش أَن المأْمور سعد، والذي أَناب أَبو بكر، وقال: إِن أَبا بكر لما أَسلم أَتاه سعد، وعبد الرحمن بن عوف، [وعثمان، وطلحة](٤)، وسعيد، والزُّبير، فقالوا: آمنت؟ قال: نعم، فنزلت فيه: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ [الزمر: ٩]، فلما سمعها الستَّة آمنوا، فأَنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾... إِلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾(٥).

ثم توعَّد تعالى بالبعث من القبور، والرجوع للجزاءِ، والتوقيف على صغير الأَعمال وكبيرها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ / يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ [٤/ ١٩١]
بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ
لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن
صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾.

المعنى: وقال لقمان: يا بُنَيَّ، وهذا القول من لقمان إِنما قصد به إِعلام ابنه بقدر

---

(١) في أحمد٣: «سعيد»، وفي نجيبويه: «أسعد» دون: «عبد».

(٢) انظر تفصيل أبناء أبي بكر وأمهاتهم في الطبقات الكبرى (٣/ ١٦٩) لابن سعد.

(٣) «مال»: ليست في المطبوع.

(٤) في الحمزوية: «عثمان بن طلحة»، وسقط: «عثمان» من فيض الله.

(٥) (الزُّمَر الآيتان: ١٨، ١٧)، وهذا الأثر لم أقف عليه.

قُدرة الله تعالى، وهذه الغاية التي أَمكنه أَن يفهِّمه؛ لأَن الخَرْدَلَة يقال: إِنَّ الحِسَّ لا يُدْرِك لها ثقلاً؛ إِذ لا ترجح ميزاناً، وقد نطقت هذه الآية بأَن الله تعالى قد أَحاط بها علماً.

وقوله تعالى: ﴿مِثۡقَالَ حَبَّةٖ﴾ عبارة تصلح للجواهر؛ أَيْ: قدْر حبة، وتصلح للأَعمال؛ أَي: ما زِنَتُه على جهة المماثلة قدر حبَّة، فظاهر الآية أَنه أَراد شيئاً من الأَشياءِ خفيّاً قدر حبة.

ويؤيد ذلك ما روي من أَن ابن لقمان سأَل أَباه عن الحبة تقع في مَقْل[1] البحر، أَيعلمها الله؟ فراجعه لقمان بهذه الآية.

وذكر كثير من المفسرين أَنه أَراد الأَعمال: المعاصي والطَّاعات، ويؤيد ذلك قوله: ﴿يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾؛ أَي: لا يفوت، وبهذا المعنى يتحصل في الموعظة ترجية وتخويف منضاف[2] ذلك إِلى تَبْيين قدرة الله تعالى، وفي القول الآخر ليس ترجية ولا تخويف.

ومما يؤيد قول من قال: هي من الجواهر: قراءَة عبد الكريم الجزري[3]: (فَتكِنُّ) بكسر الكاف وشد النون[4]، من الكِنِّ الذي هو الشيءُ المغطَّى.

وقرأَ جمهور النَّاس: ﴿إِن تَكُ﴾ بالتَّاءِ من فوق ﴿مِثۡقَالَ﴾ بالنصب على خبر «كان»، واسمُها مضمر تقديره: مسأَلتُك ـ على ما رُوي ـ أَو: المعصية أَو الطاعة على القول الثاني، [ولهذا المقدر][5]، هو الضمير في: ﴿إِنَّهَآ﴾.

---

(١) في المطبوع والسليمانية: «مثل».

(٢) في المطبوع: «فيضاف»، وفي أحمد٣: «مضاف».

(٣) في أحمد٣: «الحروري»، وهو عبد الكريم بن مالك الجزري أبو سعيد الحراني مولى بني أمية، روى عن ابن المسيب وابن جبير، وعنه الثوري ومالك وابن جريج وابن عيينة، كان ثبتاً، وثقه النسائي ووصفه بالحفظ، مات سنة (١٢٧هـ)، تاريخ الإسلام (٨/ ١٦٧).

(٤) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٧٨) لابن السميفع، وعزا للجزري هو وابن جني في المحتسب (٢/ ١٦٨) تخفيف النون.

(٥) ليس في المطبوع، وفيه: «والضمير في ﴿إِنَّهَآ﴾ ضمير القصة».

وقرأَ نافع وحده بالتاءِ أيضاً، ﴿مِثْقَالُ﴾ بالرفع، على اسم «كان»، وهي التَّامَّة، وأَسند إِلى المثقال فعلاً فيه علامة التأْنيث من حيث انضاف إِلى مؤنث هو منه، وهذا كقول الشاعر:

[الطويل]
مَشَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ أَعَالِيَهَا مَرُّ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ[١]

وهي قراءَة الأَعرج وأَبي جعفر[٢].

وقوله: ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾، قيل: أَراد الصخرة التي عليها الأَرض والحوت والماءُ، وهي على ظهر مَلك، وقيل: هي صخرة في الريح.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا كله ضعيف، لا يُثْبته سند، وإِنما معنى الكلام المبالغة والانتهاءُ في التفهيم؛ أَي: إِنَّ قدرته تنال[٣] ما يكون في تضاعيف صخرة، وما يكون في السماءِ وفي الأَرض.

وقرأَ قتادة: (فَتَكِنْ) بكسر الكاف والتخفيف[٤]: من: وَكَن يَكِنُ، وتقدمت قراءَة عبد الكريم (فَتَكِنُّ).

وقوله: ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾، إِن أَراد بها الجواهر؛ فالمعنى: يأْتِ بها إِن احتيج إِلى ذلك، أو كانت رزقاً ونحو هذا، وإِن أَراد الأَعمال؛ فمعناه: يأْت بذكرها وحفظها، فيجازي عليها بثواب أَو بعقاب.

و﴿لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ صفتان لائقتان بإِظهار غرائب القدرة.

ثم وصَّى ابنه بِعُظْم الطَّاعات، وهي الصلاة والأَمرُ بالمعروف والنهي عن

(١) البيت لذي الرُّمَّة، وقد سبق الاستشهاد به في تفسير الآية (١٣) من سورة البقرة.
(٢) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥١٣)، والنشر (٢/ ٣٢٤)، ولم يختلفوا في ﴿تَكُ﴾ أنها بالتاء.
(٣) في المطبوع: «مثال».
(٤) وهي شاذة، عزاها له في مختصر الشواذ (ص: ١١٨)، وتقدم عزوها لعبد الكريم الجزري.

المنكر، وهذا إِنما يريد به بعد أَن يَمْتَثِل هو في نفسه[١]، ويَزْدَجِرَ عن المنكر، وهنا هي الطَّاعات والفضائل أَجمع.

وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ يقتضي حضّاً على تغيير المنكر وإِن نالك ضرر، فهو إِشعارٌ بأَنَّ المغيِّر يؤْذَى أَحياناً، وهذا القدر هو على جهة الندب والقوة في ذات الله عزَّ وجلَّ، وأَمَّا على اللزوم فَلا[٢].

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [يحتمل أن يريد][٣]: مما عزمه اللهُ وأَمر به، [قاله ابن جريج][٤]، ويحتمل أَن ذلك من مكارم الأَخلاق وعزائِم أَهل الحَزْم السالكين طريقَ النجاة، والأَول أَصوب، وبكليهما قالت طائفة.

وقرأَ نافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وابن محيصن: ﴿ولا تصَاعِرْ﴾.

وقرأَ ابن كثير، وعاصم، وابن عامر، والحسن، ومجاهد، وأَبو جعفر: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾[٥].

وقرأَ الجحدري: (ولا تُصْعِرْ) بسكون الصاد[٦]، والمعنى متقارب.

و«الصَّعَر»: المَيْل، ومنه قول الأَعرابي: وقد أَقام الدهرُ صَعْري بعد أَن أَقمتُ صَعْره[٧].

ومنه قول عمرو بن حُنَيٍّ التَّغْلبي[٨]:

---

(١) في المطبوع: «يقينه».
(٢) للتوسع في درجات تغيير المنكر وأحكامها؛ انظر الإقناع في مسائل الإجماع (٤/ ٢٠٤٩)، والمقدمات لابن رشد (٣/ ٤٢٥).
(٣) في المطبوع بدله: «معناه».
(٤) سقط من المطبوع، وانظر تفسير الطبري (٢٠/ ١٤٣).
(٥) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥١٣)، والنشر (٢/ ٣٤٦)، وزاد: يعقوب.
(٦) وهي شاذة، عزاها له وللحسن الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٣٧٨).
(٧) أمالي القالي (١/ ١٤)، والعقد الفريد (٢/ ٣٦٧).
(٨) سقطت من السليمانية، وكتبت في الأصل والحمزوية ونجيبويه: «الثعلبي»، وهو فارس جاهلي.

[الطويل] وكُنَّا إِذَا الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ... أَقَمْنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَّمِ[١]

أَي: فتَقَوَّمْ أَنْتَ، قاله أَبو عبيدة[٢]، وأَنشده الطبري[٣]: (فَتَقَوَّما)[٤]، وهو خطأٌ؛ لأَن قافية الشعر مخفوضة[٥]، وفي بيت آخر:

[الطويل] .... أَقَمْنَا لَهُ مِنْ خَدِّهِ المُتَصَعِّرِ[٦]

فمعنى الآية: ولا تمل خدَّك للناس كبراً عليهم، ونخوة[٧] وإِعجاباً، واحتقاراً

---

(١) انظر عزوه له في معجم الشعراء (ص: ٢٠٧)، ومجاز القرآن (٢/ ١٢٧)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١٤٣)، وعلى أنه بالفتح، فينسب للمتلمس، وهو البيت التاسع من قصيدة من نحو عشرين بيتاً في آخر الأصمعيات (ص: ٢٤٦)، والتذكرة الحمدونية (٣/ ٤٣٢)، وانظر أيضاً جمهرة أشعار العرب (ص: ٢٦)، وغريب الحديث للخطابي (١/ ٣٥١)، وتفسير ابن أبي زمنين (٣/ ٣٧٦)، والصحاح للجوهري (١/ ٤٩)، ونسبه في تفسير الماوردي (٤/ ٣٣٩) بالفتح لعمرو بن كلثوم، وجاء صدره في أساس البلاغة (١/ ٢٣٤) لجرير، وعجزه عنده: ضربناه حتى تستقيم الأخادع، ومثله لابن ثابت في الدلائل (٣/ ١٠٠٧)، والموازنة (ص: ٢٧١) والحماسة المغربية (١/ ٦٣٣) منسوباً للفردزق، وكذا في المحكم (٦/ ٧٤٨)، والمخصص (٤/ ٤٨٢)، إلا أن العجز عنده: ضَرَبْنَاهُ دون الأنثيين على الكرد، وكذا في شرح أدب الكاتب (ص: ٢٤٧)، والمرزباني في الموشح (ص: ١٤٢)، وذكر رواية أخرى في صدره.

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١٢٧)، إلا أنه كتب في المطبوع: «فتقوما»، بالألف.

(٣) في المطبوع: «أَبو عبيدة».

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ١٤٣)، وفي أحمد٣: «بالنصب»، بدل: «فتقوما».

(٥) وقد ورد الشعر في معجم الشعراء للمرزباني (ص: ٢٠٧):

نعاطي الملوك الحق ما قصدوا بنا ... وليس علينا قتلهم بمحرم

أنفت لهم من عقل عمرو بن مرثد ... إذا وردوا ماء ورمح ابن هرثم

وكنا إذا الجبار صعر خده ... أقمنا له من ميله فتقوم

قال: يريد: فتقوم أنت، ثم قال: وهذا البيت يروى من قصيدة المتلمس التي أولها:

يعيرني أمي رجال ولن ترى ... أخا كرم إلا بأن يتكرما

(٦) استشهد به بلا نسبة: تفسير القرطبي (١٤/ ٦٩)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠٧).

(٧) سقطت من المطبوع.

لهم، وهذا هو تأْويل ابن عباس[١] وجماعة.

ويحتمل أَن يريد أَيضاً الضد؛ أَي: ولَا تصاعر خدك سؤالاً ولا ضراعة بالفقر، والأَول أَظهر؛ بدلالة ذكر الاختيال والفخر بعده.

وقال مجاهد: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾: أَراد به الإِعراض [هجرة بسبب إِحْنة][٢].

و«المَرَحُ»: النَّشاط، و«المَشْيُ مَرَحاً»: هو في غير شغل ولغير حاجة، وأَهل هذا الخُلق ملازمون للفخر والخُيَلَاءِ، فالمَرِح مُخْتال في مشيته.

وقد قال ﷺ: «مَنْ جرَّ ثوبه خُيَلاء لم ينظر الله إِليه يوم القيامة»[٣]، وقال: «بينما رجل من بني إِسرائيل يجُرُّ ثوبه خُيَلاء خسف الله[٤] به، فهو يتجلجل في الأَرض إِلى يوم القيامة»[٥].

وقال مجاهد: «الفَخور»: هو الذي يعدد ما أُعطي ولا يشكر الله تعالى.

قال[٦] القاضي أبو محمد: وفي اللفظ الفخر بالنسب وغير ذلك.

ولما نهاهُ عن الخُلُق الذميم رسم له الخُلُق الكريم الذي ينبغي أَن يستعمله، من القَصْدِ في المَشْي، وهو أَلَّا يتخرق في إِسراع، ولا يُرائي في إِبطاءٍ وتضاؤُل، وعلى نحو ما قال القائل:

كُلُّنَا يَمْشِي رُوَيْدْ   كُلُّنَا يَطْلُبُ صَيْدْ   [الرجز]
غَيْرَ عَمْرِو بن عُبَيْدْ[٧]   ....

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٤٤) وغيره، من طريق علي بن أبي طلحة وعطية العوفي، كلاهما عن ابن عباس.
(٢) في المطبوع: «وهجره بسبب أخيه»، وانظر تفسير مجاهد (ص: ٥٤٢)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١٤٤)، واللفظ فيهما: هو الصدود والإعراض بالوجه عن الناس، وفي الطبري (٢٠/ ١٤٥): الرجل يكون بينه وبين أخيه الحنة، فيراه فيعرض عنه.
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٦٦٥)، (٥٧٨٣)، (٥٧٨٤)، ومسلم (٢٠٨٥).
(٤) اسم الجلالة من المطبوع.
(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٤٨٥)، (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).
(٦) اقتصر عليها في المطبوع، وذلك يوهم أن المقول من بقية كلام مجاهد.
(٧) الأبيات مروية عن المنصور في عمرو بن عبيد، انظر العقد الفريد (٣/ ١٠٩).

[٤/ ١٩٢] / وأَلَّا يمشي مختالاً متبختراً، ونحو هذا مما ليس بقصد.

وغَضُّ الصوت أَوْفر للمتكلم، وأَبسط لنفس السامع وفهمه، ثم عارض متمثِّلاً بصوت الحمير على جهة التشبيه؛ أَي: تلك هي التي بعُدت عن الغَضِّ، [فهي أَنكر الأَصوات، فكذلك كل ما بعُد عن الغَضِّ][١] من أَصوات البشر فهو في طريق تلك.

وفي الحديث: «إِذا سمعتم نهيق الحمير فتعوَّذوا بالله من الشيطان؛ فإِنها رأَت شيطاناً»[٢].

وقال سفيان الثوري: صياح كل شيءٍ تسبيح، إِلَّا صياح الحمير[٣].

وقال عطاءٌ: صياح[٤] الحمير دعاءٌ على الظَّلَمة[٥].

وأَنْكَرُ معناه: أَقبح وأَوحش، وأَنْكَرُ عبارة تجمع المذامَّ اللاحقة للصوت الجهير، وكانت العرب تفخر بجهارة الصوت الجهير، على خُلُق الجاهلية، ومنه قول الشاعر [يمدح آخر][٦]:

[المتقارب]
جَهِيرُ الْكَلَام جَهِيرُ العُطَاسِ جَـهِـيـرُ الـرُّواءِ جَـهِيرُ الـنَّـغَمْ
ويَعْـدُو عَلَى الأَيْنِ عَـدْوَ الظَّلِيم ويَعْلُـو الرِّجَـالَ بخَلْـقٍ عَمَـمْ[٧]

فنهى الله تعالى عن هذه الخلق الجاهلية.

---

(١) من المطبوع وفيض الله والسليمانية.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢٩)، وغيره.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠٠)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٣١٦).

(٤) في المطبوع والحمزوية ونجيبويه: «نهيق».

(٥) تفسير القرطبي (١٤/ ٧٢)، ونقله تفسير الماوردي (٤/ ٣٤١) عن بشر بن الحارث.

(٦) سقط من المطبوع والحمزوية.

(٧) الأبيات لبعض الأعراب في مدح هارون الرشيد، كما في العمدة في محاسن الشعر وآدابه (١/ ٣٣٥)، والكامل في اللغة والأدب (٢/ ١٢١)، وأساس البلاغة (١/ ١٥٣)، وسماه الجاحظ في البيان والتبيين (١/ ١٢١) العماني.

وقوله: ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ أَراد بالصوت اسم الجنس، ولذلك جاءَ مفرداً.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (أنكر الأصوات أصوات الحمير) بالجمع في الثاني دون لام[1].

و«الغَضُّ»: ردُّ طَفَحان الشيءِ، كالنَّظر، وزمام الناقة، والصوت، وغير ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾.

هذه آية تنبيه على الصنعة الدالة على الصانع، وذلك أَن تسخير هذه الأُمور العظام، كالشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح والحيوان والنبات؛ إِنما هو لمسخِّرٍ ومالك.

وقرأَ يحيى بن عمارة، وابن عباس: (وَأَصْبَغَ) بالصاد[2] على بدلها من السين؛ لأن حروف الاستعلاءِ تجتذب السين من سُفلها إِلى عُلوها فتردُّها صاداً.

والجمهور قراءَتهم بالسين.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وحفص عن عاصم، والحسن، والأَعرج، وأبو جعفر، وابن نصاح، وغيرهم: ﴿نِعَمَهُۥ﴾ جمع: نِعْمَةٍ، كسِدْرَةٍ وسِدَر، بفتح الدال[3].

و«الظاهرة»: هي الصحة وحُسْن الخِلْقَة والمال وغير ذلك، و«الباطنة» المعتقداتُ من الإِيمان ونحوه، والعقلُ.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٨)، وهي فيه بلا لام، لكن لم يصرح بذلك.

(٢) لفظ: «صاداً» ليس في أحمد٣، وهي شاذة، انظر عزوها للأول في المحتسب (٢/ ١٦٨)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٧٨).

(٣) في هامش السليمانية هنا زيادة: «وقرأ الباقون ﴿نِعَمَهُۥ﴾ على التوحيد»، وهو تكرار لعل ما سيأتي يغني عنه.

قال ابن عباس: الظَّاهرة: الإِسلام وحُسْن الخِلْقَة، والباطنةُ: ما ستر من سيئ العمل[١].

وفي الحديث: قيل لرسول الله ﷺ: قد عرفنا الظَّاهرة، فما الباطنة؟ قال: «ستْر ما لو رآك الناس عليه لقتلوك»[٢].

قال القاضي أَبو محمد: ومن الباطنة التنفس والهضم والتغذي وما لا يحُصى كثرة، ومن الظاهرة عمل الجوارح بالطاعة.

قال المحاسبي رحمه الله: الظاهرة: نِعَم الدنيا، والباطنة: نِعم العقبى[٣].

وقرأ جمهور الناس: ﴿نِعْمَةً﴾ على الإِفراد[٤].

فقال مجاهد: المراد: «لا إِله إِلَّا الله»[٥].

وقال ابن عباس: أَراد الإِسلام[٦].

والظاهر عندي: أَنه اسم جنس، كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

ثم عارض بالكفرة مُنَبِّهاً على فساد حالهم، وهم المشار إِليهم بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

---

(١) إسناده جيد، وقد أخرجه ابن جرير الطبري (٢٠/ ١٤٨)، من طريق حميد الأعرج، عن مجاهد، به مختصراً.

(٢) في المطبوع والحمزوية ونجيبويه والتركية وفيض الله: «لَمَقَتُوكَ»، ولم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٣) تفسير الثعلبي (٧/ ٣١٩).

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٧)، والنشر (٢/ ٣٤٧).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠٠).

(٦) لا بأس به، أخرجه الطبري (٢٠/١٤٨)، من طريق: حجاج، ثني مستور الهنائي، عن حميد الأعرج، عن مجاهد، عن ابن عباس.

وقال النقاش: الإِشارة إِلى النضر بن الحارث ونظرائه؛ لأَنهم كانوا ينكرون الله تعالى ويشركون الأَصنام في الأُلوهية، وذلك جدالهم(١).

و﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾؛ أَي: لم يُعْلمْهم من يُقْبَل قوله، ولا عندهم هُدَى قلْبٍ، ولا نُورُ بصيرة [يُقيمون بها حُجَّة](٢)، ولا يتبعون(٣) بذلك كتاباً من الله يقر(٤) بأَنه وحي، بل ذلك دعوى منهم وتخرُّص، وإِذا دُعوا إِلى اتباع وحي الله رجعوا إِلى التقليد المحض بغير حجة، فسلكوا طريق الآباءِ.

ثم وقف الله تعالى ـ وهم المراد بالتوقيف ـ على اتباعهم دين آبائهم، أَيكون وهو بحال من يصير إِلى عذاب السعير؟ فكأَن القائل منهم يقول: هم يتبعون دين آبائهم ولو كان مصيرهم إِلى السعير، فدخلت أَلف التوقيف على حرف العطف كما كان اتساق الكلام، فتأَمله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾.

لما ذكر الله تعالى حال الكفرة؛ أَعقب ذلك بذكر حال المؤمنين لِيَتَبيَّنَ الفرقُ، وتتحرَّكَ النُّفوس إِلى طلب الأَفضل.

وقرأَت عامة القراءِ: ﴿يُسۡلِمۡ﴾ بسكون السين وتخفيف اللام.

---

(١) انظر تفسير الثعلبي (٧/ ٣٢٠)، والهداية لمكي (٩/ ٥٧٣٤).

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) في المطبوع: «يبتغون».

(٤) في المطبوع: «يبشر»، وفي نجيبويه وفيض الله والسليمانية: «ينير».

وقرأ عبد الله بن مسلم، وأَبو عبد الرحمن: (يُسَلِّمْ) بفتح السِّين وشد اللام[١]، ومعناه: يخلص ويوجه[٢] ويستسلم به.

و«الوَجْهُ» هنا: الجارحة، استُعير للقصد؛ لأَن القاصد للشيءِ فهو مستقبله بوجهه، فاستُعير ذلك للمعاني[٣].

و«المُحْسِن»: هو الذي جمع القول والعمل، وهو الذي شرح رسول الله ﷺ حين سأَله جبريل عليه السلام عن الإحسان[٤].

و«الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى»: هي استعارةٌ للأَمر المنجي الذي لا يخاف عليه استحالة ولا إِخلال، والعُرى: موضع التعليق، فكأَن المؤمن متعلق بأَمر الله تعالى، فشبَّه ذلك بالعُروة.

و﴿ٱلْأُمُورِ﴾: جمع أَمْر، / وليس بالمضاد للنهي. [٤/ ١٩٣]

ثم سلَّى عزَّ وجلَّ نبيَّه عليه السلام عن مَوْجِدَته لكفر قومه وإِعراضهم، فأَمره أَلَّا يحزن لذلك، بل يعمد لما كُلِّفَ من التبليغ ويُرجع الكل إِلى الله تعالى.

وقرأَت فرقة: ﴿يُحْزِنْكَ﴾ من الرباعي، وقرأَت فرقة: ﴿يَحْزُنكَ﴾ من الثلاثي[٥].

وذات الصُّدور ما فيها، والقصد من ذلك: إِلى المعتقدات والآراءِ، ومن ذلك قولهم: الذئب مغبوط بذي بطنه، ومنه قول أَبي بكر الصديق رضي الله عنه: ذو بطن بنت خارجة[٦].

و«المَتَاعُ الْقَلِيلُ»: هو العُمْر في الدنيا.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في مختصر الشواذ (ص: ١١٨)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٧٨).

(٢) في المطبوع: «وجهه».

(٣) في الأصل: «للمقاصد».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٠) (٤٧٧٧) ومسلم (٨)، وفي المطبوع: «الإسلام».

(٥) وهما سبعيتان، والأولى لنافع كما تقدم في (آل عمران).

(٦) صحيح، أخرجه مالك في الموطأ (١٤٣٨)، من طريق: ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، وقد تقدم.

و«الْعَذَابُ الْغَلِيظُ» معناه: المغَلَّظ المؤلم.

ثم أَقام عليهم الحُجَّة في أَمر الأَصنام بأَنهم يُقِرُّون بأَن الله تعالى هو خالق المخلوقات، ويدعون[1] مع ذلك إِلهاً غيره، والمعنى: قل الحمد لله على ظهور الحُجَّة عليكم.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ إِضراب عن مقدر، تقديره: ليست دعواهم بحق، ونحو هذا، وقوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ على أَصله؛ لأَن منهم من شذَّ فعَلِم، كزيد بن عمرو ابن نُفيل، وقُس بن ساعدة[2]، وورقة بن نوفل، ويحتمل أَن تكون الإِشارة أَيضاً إِلى من هو مُعَدٌّ أَن يسلم.

ثم أَخبر على جهة الحكم وفصل القضية بأَن الله عزَّ وجلَّ له ملك السماوات والأَرض وما فيهما؛ أَي: وأَقوال هؤلاءِ لا معنى لها ولا حقيقة.

و﴿الْغَنِيُّ﴾[3]: الذي لا حاجة به في وجوده وكماله إِلى شيءٍ، ولا نقص بجهة من الجهات.

و﴿الْحَمِيدُ﴾: المحمود؛ أَي: كذلك هو بذاته وصفاته.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾.

رُوي عن ابن عباس أَن سبب هذه الآية: أَن اليهود قالت: يا محمد، كيف عُنينا بهذا القول: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، ونحن قد أُوتينا التوراة فيها كلام الله وأَحكامه، وعندك أَنها تِبْيَانُ كل شيءٍ؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: «التوراة قليل

(١) في المطبوع: «يدعو».
(٢) «قس» ليس في المطبوع، وفي الحمزوية: «بشر»، ونسبته من نجيبويه وأحمد٣.
(٣) في المطبوع: «والمعنى».

من كثير»[١]، ونزلت هذه الآية، وهذا هو القول الصحيح، والآية مدنية.

وقال قوم: إِن سبب الآية: أَن قريشاً قالت: سيتم الكلام لمحمد وينحسر، فنزلت هذه الآية.

وقال السُّدي: قالت قريش: ما أَكثر كلام محمد، فنزلت[٢].

قال القاضي أَبو محمد: والغرض منها الإِعلام بكثرة كلمات الله تعالى، وهي في نفسها غير متناهية، وإِنما قرب الأَمر على أَفهام البشر بما يتناهى؛ لأَنه غاية ما يعهده البشر من الكثرة، وأَيضاً فإِن الآية إِنما تضمنت أَن كلمات الله تعالى لم تكن لتنفد[٣]، وليس تقتضي الآية أَنها تنفد بأَكثر من هذه الأَقلام والبحور.

وقال أبو عليٍّ: المراد بالكلمات ـ والله أعلم ـ: ما في المقدور دون ما خرج منه إِلى الوجود[٤]، وذهبت فرقة إِلى أَن الكلمات هنا إِشارة إِلى المعلومات.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول ينحو إِلى الاعتزال من حيث يرون [في الكلام][٥] أَنه مخلوق، [وهذه الآية بحر نظر][٦]، نوَّر الله تعالى قلوبنا بهداه[٧].

وقرأَ أَبو عمرو وحده من السبعة، وابن أَبي إِسحاق، وعيسى: ﴿وَالْبَحْرَ﴾ بالنصب عطفاً على (مَا) التي هي اسم (أَنّ).

---

(١) في إسناده جهالة، رواه ابن إسحاق، قال: ثني رجل من أهل مكة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به، أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٢)، عن ابن إسحاق، والرجل المكي لا يعرف، ورويت عدة مراسيل في ذات المعنى.

(٢) تابعه تفسير القرطبي (١٤/ ٧٧).

(٣) في المطبوع: «لتنفذ».

(٤) لفظه في الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٥/ ٤٥٨)، المعنى: فكتب ما في تقدير الله لنفد ذلك قبل نفاد المقدور.

(٥) ليس في المطبوع، وزاد في أحمد٣: «وفكرة».

(٦) ليس في المطبوع.

(٧) في الحمزوية: «بهذا».

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَٱلۡبَحۡرُ﴾ بالرفع[١] على أنه ابتداءٌ، وخبره في الجملة التي بعده؛ لأَن تقديره: هذه حالُه، كذا قدره سيبويه، وقال بعض النحويين: هو عطف على (أنَّ)؛ لأَنها في موضع رفع بالابتداءِ[٢].

وقرأ جمهور الناس: ﴿يَمُدُّهُۥ﴾، من: مَدَّ.

وقرأ الحسن ابن أَبي الحسن: (يُمِدُّه) من: أَمَدَّ[٣].

وقالت فرقة: هما بمعنى واحد[٤].

وقالت فرقة: مدَّ الشيءُ بعضه بعضاً، وأَمَدَّ الشيءُ ما ليس منه، فكأَن الأَبْحُر السبعة المتوهَّمة ليست من البحر الموجود.

وقرأ جعفر بن محمد: (والبحر مِدَادُهُ)، وهو مصدر، وقرأ ابن مسعود: (وَبَحْرٌ يَمُدُّهُ) [٥].

وقرأ الحسن: (مَا نفِد كلامُ اللَّهِ) [٦].

ثم ذكر تعالى أَمر الخلْق والبعث أَنه في الجميع وفي شخص واحد بالسواءِ؛ لأَنه كله[٧] بـ «كن» فيكون، قاله مجاهد[٨].

وحكى النَّقَّاش أَن هذه الآية في أُبيٍّ بن خلف، وأَبي الأَسود[٩]، ونبيه ومنبِّه ابني

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٧)، والسبعة (ص: ٥١٣)، وفي الحمزوية: «ابن إسحاق».
(٢) الكتاب لسيبويه (١/ ٢٨٥).
(٣) وهي شاذة، عزاها له المحتسب (٢/ ١٦٩)، والكرماني في الشواذ (ص: ٣٧٩).
(٤) سقط هذا القول من نجيبويه.
(٥) وهما شاذتان، انظرهما في المحتسب (٢/ ١٦٩).
(٦) زاد في المطبوع: «تَعَالى»، وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٨/ ٤٢١).
(٧) في أحمد٣: «كلمه».
(٨) تفسير الطبري (٢٠/ ١٥٣).
(٩) في الحمزوية ونجيبويه: «الأسد»، وفي أحمد٣: «في الجميع وفي شخص واحد، وهو أبي بن خلف، وقيل: أبو الأسود...» إلخ.

الحجاج[١]، وذلك أَنَّهم قالوا: يا محمد، إِنَّا نرى الطفل يُخْلق بتدريج وأَنت تقول: الله يعيدنا دفعة واحدة، فنزلت الآية بسببهم[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾.

هذا تنبيه خُوطب به النبي ﷺ، والمراد به جميع العالم، وهذه عبرة تدل على أَن الخالق المخترع أَن يكون الليل يندرج[٣]، والنهار كذلك، فما قَصُرَ من أَحدهما زاد في الآخر، ثم بالعكس ينقسم الزمان بحكمة بارئ العالم، لا ربَّ غيره.

و﴿يُولِجُ﴾ معناه: يُدخل.

و«الأَجَلُ الْمُسَمَّى»: القيامة التي تنتقض فيها هذه البِنْية، وتُكوَّر الشمس.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاءِ من فوق.

وقرأَ عباس عن أَبي عمرو: (يَعْمَلُونَ) بالياءِ[٤].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾، الإِشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِلى هذه العبرة وما جرى مجراها، ومعنى: ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾؛ أَي: صفة الأُلوهية له حق، فيحسن في القول تقدير: «ذو»، وكذلك البابُ متى أُخبر بمصدر عن عيْن، فالتقدير: ذو كذا.

و«حَقٌّ» مصدر، ومنه قول الشاعر:

---

(١) في نجيبويه: «وبنيه ومنبه»، وكذا في المطبوع، وفيه: «ابن الحجاج» على الإفراد.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في المطبوع والحمزوية: «بتدرج»، وفي نور العثمانية: «بتدريج».

(٤) شاذة، عزاها له في السبعة (ص: ٥١٤)، وزاد في الكامل (ص: ٦١٨): محبوباً، وفي فيض الله: «ابن عباس»، وفي السليمانية: «عياش».

.... فَإِنَّمَا هِـيَ إِقْبَـالٌ وَإِدْبَـــارُ[١] [البسيط]

وهذا كثير، ومتى قلت: كذا وكذا حقٌّ، فإنما معناه: اتِّصافُ كذا بكذا حقٌّ.

وقوله: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ / مِن دُونِهِ﴾ يصحُّ أَنْ يريد الأَصنام، وتكون ﴿مَا﴾ بمعنى [٤/ ١٩٤] «الذي»، ويكون الإِخبارُ عنها بالباطل على نحو ما قدَّمناه في: ﴿الْحَقُّ﴾، ويصحُّ أَن تكون ﴿مَا﴾ مصدرية، كأَنه قال: وأَنَّ دعاءَكم من دونه آلِهَة الباطل؛ أَي الفعل الذي لا يُؤَدِّي إِلى الغاية المطلوبة به.

وقرأَ الجمهور: ﴿تَدْعُونَ﴾ بالتاءِ من فوق، وقرأَ: ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياءِ ابنُ وثَّاب، والأَعمش، وأَهل مكة، ورويت عن أَبي عمرو[٢].

وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢)﴾.

الرُّؤْية في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: رؤية العين يتركب[٣] عليها النظر والاعتبار، والمخاطَب محمد ﷺ، والمراد النَّاسُ أَجمع.

و﴿الْفُلْكَ﴾: جمعٌ وواحدٌ بلفظ واحد.

وقرأَ موسى بن الزُّبير: (الْفُلُك) بضم اللام[٤].

---

(١) هذا عجز بيت للخنساءِ، صدره: تَرْتَعُ مَا غَفَلَتْ حَتَّى إِذَا ذَكَرَتْ، وقد تقدم في تفسير الآية (٤٥) من سورة هود.

(٢) تخليط عجيب، وانظر رسالة منهج ابن عطية في القراءات (ص: ٥١٧)، ففيها ما هو أعجب، فالقراءتان سبعيتان، والثانية لأبي عمرو وحمزة والكسائي وحفص، لا خلاف عن أحد منهم فيها، انظر التيسير (ص: ١٥٨)، والسبعة (ص: ٤٤٠)، والنشر (٢/ ٣٢٧).

(٣) في المطبوع: «يترتب».

(٤) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٧٠).

وقوله: ﴿بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ﴾[١] يحتمل أَن يريد ما تحمله السفن من الطعام والأَرزاق والتجارات، فالباءُ للإِلْصَاقِ[٢].

ويحتمل أَن يريد: بالريح وتسخير الله تعالى البحر ونحو هذا، فالباءُ باءُ السبب.

وقرأَ الجمهور: ﴿بِنِعۡمَتِ﴾.

وقرأ الأعرج، ويحيى بن يعمر: (بنعْمات) على الجمع.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (بِنَعِماتِ) بفتح النون وكسر العيْن[٣].

وذكر تعالى من صفة المؤمن الصَّبَّار والشَّكور؛ [لأنهما عُظم أخلاقه، والصبر على الطاعات، وعلى النوائب، وعن الشهوات، والشكر][٤] على الضَّرَّاءِ والسَّرَّاءِ.

وقال الشعبي: الصَّبْر نصف الإِيمان، والشُّكر نصفه الآخر، واليقين الإِيمان كلُّه[٥].

و«غَشِي»: غَطَّى أَو قَارَب، و«الظُّلُ»: السحابُ.

وقرأَ محمد ابن الحنفية: (كالظِّلال)[٦].

ومنه قول النابغة الجعدي يصف البحر:

[الوافر] يُمَاشِيهِنَّ أَخْضَرُ ذُو ظِلَالٍ عَلَى حافاتِهِ فِلَقُ الدِّنَانِ[٧]

---

(١) في المطبوع: وقوله: «ألم تر».

(٢) في الأصل: «للأرزاق»، وفي نجيبويه ونور العثمانية والسليمانية وفيض الله: «للإلزاق».

(٣) وهما شاذتان، انظرهما في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٩)، وسقطت أولاهما من المطبوع.

(٤) سقط من المطبوع.

(٥)) تفسير الطبري (٢٠/ ١٥٦)، والهداية لمكي (٩/ ٥٧٣٩).

(٦) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٩).

(٧) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ١٢٩)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١٥٦)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٣٢٢)، وفي الأصل: «على سحاباته».

ووصف تعالى في هذه الآية حالة البشر الذين لا يعتبرون حق العبرة، والمقصد بالآية تَبْيين آية تشهد العقولُ بأَن الأَصنام والأَوثان لا شركة لها فيها ولا مدخل.

وقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾:

قال الحسن: منهم مؤمن يعرف حق الله تعالى في هذه النعم(١).

وقال مجاهد: يريد: منهم مقتصد على كفره؛ أَي: منهم من يسَلِّم لله تعالى ويفهم نحو هذا من القدرة، وإِن ضلَّ في الأَصنام من جهة أَنه يُعَظِّمها بسيرته ونشأته(٢).

و«الْخَتَّارُ»: القبيح الغدْر(٣)، وذلك أَن نِعَم الله تعالى على العباد كأَنها عهودٌ ومِنَنٌ يلزم عنها أَداءُ شكرها، [والعبادة لمُسْدِيها](٤)، فمن كفر بذلك وجحد به فكأَنه خَترَ وخَانَ.

ومن الخَتْر قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

فَـإِنَّـكَ لَـوْ رَأَيْـتَ أَبـا عُمَيْرٍ مَلأْتَ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرٍ وخَتْرِ(٥) [الوافر]

وقال الحسن: الخَتَّارُ: هو الغَدَّارُ(٦).

و﴿كَفُورٍ﴾: بناءُ مبالغة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسُۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾.

(١) نقله عنه تفسير الماوردي (٤/ ٣٤٨) بمعناه.
(٢) تابعه في البحر المحيط (٨/ ٤٢٣)، وفي المطبوع: «ولسانه»، وسقط القولان من نور العثمانية.
(٣) في الأصل: «القدر».
(٤) سقط من الأصل، وفي الحمزوية: «لمبتديها».
(٥) عزاه له في مجاز القرآن (٢/ ١٢٩)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١٥٧)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٥٨٥)، وفيه: «خبث»، بدل: «ختر».
(٦) نقله في تفسير الطبري (٢٠/ ١٥٧)، عنه وعن مجاهد.

﴿يَجۡزِي﴾ معناه: يقضي، والمعنى: لا ينفعه بشيءٍ، ولا يدفع عنه شيئاً.

و﴿هُوَ جَازٍ﴾ جملة في موضع الصفة؛ أَي: ولا يجزي مولودٌ قد كان في الدنيا يجزي.

و﴿ٱلۡغَرُورُ﴾: التَّطميع بما لا يتحصل، والْغَرُورُ: الشيطان، بذلك فسَّر مجاهد والضَّحَّاك[1]، وقال: هو الأَمل والتسويف[2].

وقرأَ سِمَاكُ بْنُ حَرْب[3]، وأَبو حيوة: (الغُرُور) بضم الغين[4].

وقال سعيد بن جُبَيْر: معنى الآية أن تَعْمل المعصية وتَتَمنى المغفرة[5].

وقرأَ الجمهور: ﴿يَجۡزِي﴾ بفتح الياءِ، من: جَزَى.

وقرأَ عكرمة: (يُجْزَى) بضم الياءِ على ما لم يُسَمَّ فاعله[6].

وحكى ابن مجاهد قراءَة: (لَا يُجْزِئ) بضم الياءِ والهمز[7].

وفي رفع ﴿مَوۡلُودٌ﴾ اضطرابٌ من النحاة، قال المهدوي: ولا يكون مبتدأً؛ لأَنه نكرة وما بعده صفة له، فيبقى بغير خبر[8].

---

(١) انظر قول مجاهد في تفسير مجاهد (ص: ٥٤٣)، ومع قول الضحاك في تفسير الطبري (٢٠/ ١٥٩).

(٢) العبارة في تفسير ابن جزي (٢/ ١٤٠): وقيل: الأمل والتسويف، وعلى ما هنا يكون الضمير للضحاك خاصة.

(٣) هو سماك بن حرب بن أوس بن خالد أبو المغيرة الذهلي البكري الكوفي، أحد أئمة الحديث، وكان عالماً بالشعر وأيام العرب، فصيحاً، وقال ابن معين: ثقة أسند أحاديث لم يسندها غيره، وضعفه ابن المبارك، توفي سنة (١٢٣هـ)، تاريخ الإسلام (٨/ ١٢٤).

(٤) وهي شاذة، عزاها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٠).

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ١٥٩).

(٦) وهي شاذة، انظرها في الدر المصون (٩/ ٧٤).

(٧) وهي شاذة عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١١٨) لأبي السمال وآخرين، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٩) لأبان بن تغلب.

(٨) التحصيل للمهدوي (٥/ ٢٤٤).

وقرأ ابن أَبي إِسحاق، وابن أَبي عبلة، ويعقوب: (ولا تغرْنكم) خفيفة النون[(١)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ الآية؛ ذكر النقاش أَن رجلاً سأَل رسول الله ﷺ عن هذه الخمس، ورُوي أَنه سأَل عن بعضها [عن جنين وعما يكسب، ونحو هذا][(٢)] فنزلت الآية حاصرةً لمفاتيح الغيب التي لا يعلمها إِلاَّ الله عزَّ وجلَّ، [ذكر ذلك مجاهد][(٣)]، ولن تجد من المغيبات شيئاً إِلاَّ هذه أَو ما يعيده النظر والتأْويل إِليها[(٤)].

و﴿عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ مصدرٌ مضاف إِلى مفعول؛ أَي: كلُّ ما شأْنه أَنْ يُعْلَم من أَمر الساعة، ولكن الذي استأْثر الله به هو علم الوقت، وغير ذلك [قد أعلم][(٥)] ببعض منه.

وكذلك نزول الغيث أَمر قد استأْثر الله عزَّ وجلَّ بتفصيله وعَلِمَ وقته الخاصَّ به.

وأَمْرُ الأَجِنَّة كذلك، وأَفعالُ البشر وجميعُ كسْبهم كذلك، وموضعُ موت كل بشر كذلك الأَصقاع والموضع الخاص بالجسد.

وقرأ ابن أَبي عبلة: (بأَيَّةِ أرض) بفتح الياءِ وزيادة تاءِ تأْنيث[(٦)].

و﴿عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾: صفتان مشابهتان لمعنى الآية.

---

(١) وهي شاذة، عزاها لهم في البحر المحيط (٨/ ٤٢٤)، وليعقوب خاصة في الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٠)، وليست من طرق النشر.

(٢) ليس في المطبوع، وسقط: «عن جنين» من فيض الله.

(٣) ليس في الأصل، والأثر لم أقف عليه، لكن جاء في تفسير مجاهد (ص: ٥٤٣)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١٦٠): جاء رجل من أهل البادية إلى رسول الله ﷺ، فقال: إن امرأتي حبلى فأخبرني ماذا تلد؟ وبلدنا جدبة محل، فأخبرني متى ينزل الغيث، وقد علمت أين ولدت، فأخبرني أين أموت، فأنزل الله هذه الآية، قال مجاهد: وهن مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو.

(٤) سقطت من المطبوع، وفيه: «يفيده النظر».

(٥) في المطبوع: «فذا علم».

(٦) وهي شاذة عزاها له الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٣٨٠).

وقال ابن مسعود: كلُّ شيءٍ أُوتي نَبِيُّكُم إِلَّا مفاتيح الخمس، ثم تلا الآية[١].

وقرأَ: ﴿ويُنْزِلُ الغيث﴾ خفيفةً أَهلُ الكوفة، وأَبو عمرٍو، وعيسى.

وقرأَ: ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ بالتثقيل نافع، وأَبو جعفر، وعاصم، وشيبة[٢].

وذكر أَبو حاتم في ترجيح التثقيل رؤيا[٣].

كمل تفسير سورة لقمان، والحمد لله ربِّ العالمين[٤].

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٦١)، من طريق: مسعر، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، عنه، وعبد الله هذا إلى الضعف أقرب.

(٢) وهما سبعيتان، التخفيف لابن كثير وأبي عمرو على قاعدتهما ووافقهما هنا حمزة والكسائي، والتثقيل للباقين، انظر التيسير (ص: ٧٥).

(٣) في المطبوع: «رأْياً»، ولم أقف على هذه الرؤيا.

(٤) من المطبوع ونجيبويه، وفي الحمزوية: «الحمد لله على ذلك حق حمده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكرم».

سُورَةُ السَّجْدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

/ تفسير سُورة السَّجدة

[٤/ ١٩٥]

هذه السُّورة مكيَّة غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة، [وهي قوله][(١)]: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ﴾ إلى تمام ثلاث آيات، ويأْتي تفسيرها][(٢)].

وقال جابر بن عبد الله: ما كان رسول الله ﷺ ينام حتى يقرأَ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ «السجدة»، و﴿تَبَارَكَ﴾ «الملك»[(٣)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۚ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

---

(١) في أحمد٣: «أولهن».

(٢) ساقط من أحمد٣.

(٣) ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٤٣٥)، والبخاري في الأدب المفرد (١٢٠٩)، وغيرهما من طريق: ليث ـ وهو ابن أبي سليم ـ عن أبي الزبير، عن جابر به مرفوعاً، ورواه كرواية ليث: المغيرة بن مسلم الخراساني، أخرجه النسائي في الكبرى (١٧٨)، لكن رواه النسائي عقب ذلك من طريق: زهير قال سألت أبا الزبير أسمعت جابراً يذكر أن نبي الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ: «ألم تنزيل» و«تبارك» قال: ليس جابر حدثنيه، ولكن حدثني صفوان أو أبو صفوان، وذكر هذا الدارقطني في العلل (١٣/ ٣٤٠)، ثم قال: قول زهير أشبه بالصواب من قول ليث، ومن تابعه. اهـ، وفي فيض الله والسليمانية: «تبارك الذي بيده الملك».

﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾.

﴿تَنزِيلُ﴾: يصح أَن يرتفع بالابتداءِ، والخبر ﴿لَا رَيْبَ﴾، ويصح أَن يرتفع على أَنه خبر ابتداءٍ، وهو: إِمَّا الحروف[١] المشار إِليها على بعض الأَقوال في أَوائل السُّور، وإِمَّا: ذلك تنزيل، أَو نحو هذا من التقدير بحسب [القول في][٢] الحروف.

وقوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ أَي: هو هكذا في نفسه، ولا يراعى ارتياب الكفرة، وقوله تعالى: ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ متعلق بـ ﴿تَنزِيلُ﴾، ففي الكلام تقديم وتأْخير.

ويجوز أَن يتعلق بقوله: ﴿لَا رَيْبَ﴾؛ أَي: لا شكَّ فيه من جهة الله تعالى، وإِن وقع شكٌّ للكفرة فذلك لا يُراعى.

و«الرَّيْبُ»: الشَّكُّ، وكذلك هو في كل القرآن إِلَّا قوله: ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ إِضرابٌ، وتقديره[٣] كأَنه قال: بَل أَيقولون.

و﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾: اختلقه، ثم ردَّ تعالى على مقالتهم هذه، وأَخبر أَنه الحق من عند الله تعالى.

واللام في قوله: ﴿لِتُنذِرَ﴾ يجوز أَن تتعلق [بما قبلها، ولا يجوز الوقف على قوله: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾.

ويجوز أن يتعلق][٤] بفعل مضمر تقديره: أَنزله لِتُنْذر، فيوقف حينئذ على قوله: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ﴾؛ أَي: لم يباشرهم، ولا رأَوْه هم ولا آباؤُهم العرب، وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] يَعُمُّ من بُوشر من النُّذر

(١) ليست في أحمد٣.
(٢) ساقط من الأصل.
(٣) سقطت من الأصل.
(٤) ساقط من المطبوع.

ومن يُسمع به، فالعرب من الأُمم[١] التي خلَت فيها النُّذُر على هذا الوجه؛ لأَنها علمت بإِبراهيم وبَنِيه ودعوتِهم، وهم ممن لم يأْتهم نذيرٌ مباشر لهم سوى محمد ﷺ.

وقال ابن عباس، ومقاتل: المعنى: لم يأْتهم نذيرٌ في الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ[٢].

وقوله تعالى: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ يقضي بأَن يوماً من أَيام الجمعة بقي لم يُخلق فيه شيءٌ، وتظاهرت الأَحاديث الصحاح أَن الخلق ابتدأَ يوم الأَحد، وخلق آدم يوم الجمعة آخر الأَشياءِ، فهذا مستقيم مع هذه الآية، ووقع في كتاب مسلم: أَن الخلق ابتدأَ يوم السبت[٣]، فهذا يخالف الآية، اللَّهُمَّ إِلاَّ أَن يكون أَراد في الآية جميع الأَشياءِ غير آدم عليه السلام، ثم يكون يوم الجمعة هو الذي لم يُخلق فيه شيءٌ مما بين السماءِ والأَرض؛ لأَن آدم لم يكن حينئذ مما بينهما.

وقد تقدم القول في قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ بما فيه كفاية.

و﴿ثُمَّ﴾ في هذا الموضع لترتيب الجمل، لا[٤] لأَن الاستواءَ كان بعد أَن لم يكن، وهذا على المختار في معنى ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾.

ونفْيُ الشفاعة محمولٌ على أَحد وجهين: إِمَّا نفيٌ عن الكَفَرَة، وإِمَّا نَفْي الشفعاءِ من ذاتهم على حدِّ شفاعة الدنيا؛ لأَن شفاعة الآخرة إِنما هي بعد إِذن من الله تعالى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾.

---

(١) في الأصل: «فالعرب من الأمة من العرب».

(٢) تفسير الثعلبي (٧/ ٣٢٦)، وقول ابن عباس لم أجده.

(٣) صحيح مسلم (٢٧٨٩)، من حديث عبد الله بن رافع مولى أم سلمة، عن أبي هريرة كما تقدم، والأصح أن هذا الحديث موقوف على كعب الأحبار، رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه، وأخطأ في رفعه بعض الرواة، كما أشار إلى ذلك البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٤١٣-٤١٤).

(٤) ليست في الأصل وفيض الله.

﴿ٱلْأَمْرَ﴾: اسم جنس لجميع الأُمور، والمعنى: ينفذ الله تعالى قضاءَه لجميع ما يشاؤُه، ثُمَّ يَعْرُجُ[١] إِلَيْهِ خبر ذلك فِي يَوْمٍ من أيام الدنيا مِقْدارُهُ ـ أن لو سير فيه السير المعروف [في الدنيا][٢] من البشر ـ أَلف سنة؛ لأَن ما بين السماءِ والأَرض خمس مئة سنة، هذا أحد الأَقوال، [وهو قول مجاهد، وابن عباس[٣]، وقتادة، وعكرمة، والضحاك[٤].

وقال مجاهد أَيضاً: إن][٥] المعنى أَن الضمير في ﴿مِقْدَارُهُۥ﴾: عائد على التدبير[٦]؛ أَي: كأَن مقدار التدبير المنقضي في يوم القيامة أَلفُ سنة لو دبَّرهُ البشر.

وقال مجاهد أَيضاً: المعنى: أَن الله تعالى يُدَبِّر ويُلقي إِلى الملائكة أُمور أَلف سنة من عَدِّنا، وهو اليوم عنده[٧]، فإِذا فرغت أَلْقى إِليهم مثلها[٨]، فالمعنى: أَن الأُمور تُنَفَّذ عنده لهذه المدة، ثم تصير إِليه آخراً؛ لأَن عاقبة الأُمور إِليه.

وقيل: المعنى: يُدَبِّر الأَمر من السماءِ إِلى الأَرض في مدَّة الدنيا، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ يوم القيامة و[يوم القيامة][٩] مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ من عدنا[١٠]، وهو على الكفار قدر خمسين أَلف سنة لِهَوْلِهِ وشُنعته حسب ما في سورة (سَأَلَ سَائِلٌ)، وسنذكر [هناك ما فيه من

---

(١) في المطبوع: «يرجع»، وكذلك في الموضع الآتي قريباً.

(٢) من أحمد٣.

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٦٧)، من طريق: أبي الأحوص، عن أبي الحارث، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه، وأبو الحارث هذا أظنه أبو الحارث التيمي الذي يروي عن أم معبد، وعنه أبو الأحوص، المترجم في الكتب، وهو مستور.

(٤) انظر أقوال الثلاثة مع قول مجاهد السابق في تفسير الطبري (٢٠/ ١٦٧).

(٥) سقط من أحمد٣ وفيها بدلًا منه: «وهو قول مجاهد أن...إلخ».

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ١٦٩).

(٧) في الأصل: «من عده».

(٨) نقله في البحر المحيط (٨/ ٤٣١)، وذكره ابن جزي في التسهيل (٢/ ١٤١) بلا نسبة.

(٩) ساقط من أحمد٣.

(١٠) في الأصل: «عندنا»، والمثبت من النسخ الأخرى.

التأْويل والأَقوال إِن شاءَ الله تعالى][1].

وحكى الطبري في هذه الآية عن بعضهم أنه قال: قوله: ﴿فِي يَوْمٍ﴾ إِلى آخر الآية متعلق بقوله قبل هذا: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ومُتَّصل به؛ أَي: أَن تلك السِّتَّة كل واحد منها من أَلف سنة[2].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قولٌ ضعيف مُكرهةٌ أَلفاظ هذه الآية عليه، رادَّةٌ له الأَحاديثُ التي بينت[3] أَيام خلق الله تعالى المخلوقات.

وحَكَى أَيضاً عن ابن زيد عن بعض أَهل العلم أن الضمير في ﴿مِقْدَارُهُ﴾ عائد على العروج[4].

و«العروج»: الصعود، والمعارج: الأَدراج التي يصعد عليها.

وقالت فرقة: معنى الآية: يُدبِّر أَمر الشمس في أَنها تصعد وتنزل في يوم، وذلك قدر أَلف سنة.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا أَيضاً ضعيف، وظاهرٌ عودُ الضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ على اسم الله تعالى، كما قال: / ﴿ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات: ٩٩]، وكما قال: ﴿مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، وهذا كله بريءٌ من التَّحيُّز. [٤/ ١٩٦]

وقيل: إِن الضمير يعود على ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾؛ لأَنها قد تُذَكَّر.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿تَعُدُّونَ﴾ بالتاءِ.

وقرأَ الأَعمش، والحسن ـ بخلاف عنه ـ: (يَعُدُّونَ) بالياءِ من تحت[5].

---

(١) ليس في أحمد٣، بل فيها فقط: «وسنذكره».
(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ١٦٨): ونقله عن الضحاك.
(٣) في المطبوع: «تُثْبِت».
(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ١٦٩)، وفي أحمد٣: «وحكى أيضاً ابن زيد»، دون لفظة: «عن».
(٥) عزاها للحسن في مختصر الشواذ (ص: ١١٨)، وزاد في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٤٩) المطوعي، =

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾﴾.

قالت فرقة: أَراد بالغيب الآخرة وبالشهادة الدنيا، وقيل: أَراد بالْغيب ما غاب عن المخلوقين، وبالشهادة ما شُوهد من الأَشياءِ، فكأَنه حصر بهذه الأَلفاظ جميع الأَشياءِ.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿خَلَقَهُۥ﴾ بفتح اللام على أَنه فعل ماضٍ.

ومعنى ﴿أَحۡسَنَ﴾: أَتْقَنَ وأَحكم، فهو حسنٌ من جهة ما هو لِمَقَاصِدِه التي أُريد لها، ومن هذا المعنى قال ابن عباس وعكرمة: ليست اسْتُ القرد بحسنة، ولكنها متقَنة محكمة(١).

والجملة في ﴿خَلَقَهُۥ﴾ يحتمل أَن تكون في موضع نصب صفة لـ ﴿كُلَّ﴾، أَو في موضع خفض صفة لـ﴿شَيۡءٍ﴾.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿خَلْقَهُ﴾ بسكون اللام(٢)، وذلك منصوب على المصدر، والضمير فيه إِمَّا(٣) عائد على الله تعالى، وإِمَّا على المفعول، ويصح أَن يكون بدلاً من ﴿كُلَّ﴾، وذهب بعض الناس ـ على هذه القراءَة ـ إِلى أَن ﴿أَحۡسَنَ﴾

= وعزاها لهما الكرماني في الشواذ (ص: ٣٨٠)، وزاد يحيى والرفاعي، وزاد في البحر المحيط (٨/ ٤٣٢)، السملي وابن وثاب.

(١) نقله عنه القرطبي في التفسير (١٤/ ٩٠)، وانظره من روايته عن ابن عباس في تفسير الطبري (٢٠/ ١٧٠).

(٢) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥١٦)، والتيسير (ص: ١٧٧).

(٣) ليست في الأصل.

معناها: أَلْهَمَ، وأَن هذه الآية بمعنى قوله: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]؛ أَي: أَلهم الرجل إِلى المرأَة، والجَمَل إِلى النَّاقة[١]، وهذا قولٌ فيه بُعْد، ورجَّحه الطبري[٢].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَبَدَأَ﴾.

وقرأَ الزهري: (وبدا خلق الإنسان) بأَلف دون همز، وبنصب القاف[٣].

قال أَبو الفتح: ذلك على البدل لا على التخفيف.

قال القاضي أَبو محمد: كأَنه أَبدل [الياء من «بدى» ألفاً][٤].

و«بَدِي» لغة الأَنصار، قال ابن رواحة:

بـاسْـمِ الإلـــهِ وبِـــهِ بَـدِيـنَـا وَلَـوْ عَـبَـدْنَـا غَيْـرَهُ شَـقِـينَا[٥] [الرجز]

و﴿ٱلْإِنسَٰنِ﴾: آدم، عدَّد أَمره على بنيه؛ إِذْ خَلْقُه خلْق لهم؛ من حيث هو مُنْسِلهم.

و«النَّسْل»: ما يكون عن الحيوان من الولد، كأَنه مأَخوذٌ من: نَسَلَ الشيءُ: إِذا خرج من موضعه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]، ومنه: نَسَلَ ريشُ الطائر: إِذا تساقط.

و«السُّلَالَةُ» من: سُلَّ يُسلُّ؛ فكأَن الماءَ يُسَلُّ من الإِنسان، ومن ذلك قول الشاعر:

فَجَاءَتْ بِهِ عَضْبَ الأَدِيمِ غَضَنْفَرا سُلَالَةَ فَرْجٍ كَانَ غَيْرَ حَصِينِ[٦] [الطويل]

---

(١) سقطت «إلى» من أحمد٣ في الجملتين.

(٢) بقوله في التفسير (٢٠/ ١٧٢): لأن ذلك أظهر معانيه.

(٣) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه المحتسب (٢/ ١٧٣)، وسقط ذكر أبي الفتح من الأصل، في أحمد٣ بدله: «أبو القاسم».

(٤) في المطبوع: «الألف من الهمزة».

(٥) عزاه له في مجاز القرآن (١/ ٢٠)، وجمهرة اللغة (٢/ ١٠١٩)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٢٧٩)، والروض الأنف (٦/ ٢٠٢).

(٦) البيت لحسَّان بن ثابت، كما في مجاز القرآن (٢/ ٥٦).

و«المهين»: الضعيف، مهن الإنسان: إذا ضعف وذل.

وقوله تعالى: ﴿وَنَفَخَ﴾ عبارة عن إِفَاضة الروح في جسد آدم[(١)].

والضمير في ﴿رُّوحِهِۦ﴾ لله تعالى، وهي إِضافة مِلْكٍ إِلى مَالِكٍ، وخَلْقٍ إِلى خَالق.

ثم أَظهر تعديد النعم عليهم في أَن خصَّهم في قوله: ﴿لَكُمُ﴾ بضمير، [السَّمْع وَالْأَبْصار وَالْأَفْئِدَة وهي لمن تقدم ذكره أيضاً][(٢)] كما خصَّ آدم بالتَّسوية ونفخ الروح، وهو لجميع ذرِّيته، وهذا كله إيجاز[(٣)] واقتضاب وترْكٌ لما يدل عليه المنطوق به.

ويحتمل أَن يكون ﴿ٱلْإِنسَٰنِ﴾ في هذه الآية اسم الجنس.

وقوله تعالى: ﴿قَلِيلًا﴾ صفة لمصدر محذوف وهو في موضع الحال حين يحذف الموصوف به.

والضمير في ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ للكفار الجاحدين البعثَ من القبور، المستبعدين لذلك دون حجة ولا دليل، وموضع ﴿أَءِذَا﴾ نصب[(٤)] بما في قوله: ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ لأَن معناه: لنعاد[(٥)].

واختلف القراءُ في ﴿أَءِذَا﴾[(٦)]، وقد تقدم [استيعاب ذكره في غير هذا الموضع][(٧)].

وقرأَ جمهور القُرَّاءِ: ﴿ضَلَلْنَا﴾ بفتح اللام.

وقرأَ ابن عامر، وأَبو رجاءٍ، وطلحة، وابن وثاب: (ضَلِلْنَا) بكسر اللام[(٨)].

---

(١) في المطبوع: «ابن آدم».

(٢) ساقط من المطبوع.

(٣) في المطبوع: «تجاوز».

(٤) سقطت من الأصل.

(٥) في أحمد٣: «المعاد».

(٦) كتبت في أحمد٣: «إنذارٍ».

(٧) سقط من أحمد٣.

(٨) عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١١٩) لابن وثاب، ومكي في الهداية (٩/ ٥٧٥٣) لطلحة وأبي رجاء، وليس لابن عامر هنا شيء.

والمعنى: تَلِفْنَا وتقطَّعت أَوْصالُنَا فذهبنا حتى[١] لم نوجد، ومنه قول الأَخطل:

كُنْتَ القَذى في مَوْجِ أَكْدَرَ مُزْبِدٍ قَذَفَ الأَتِيُّ بِهِ فَضَلَّ ضَلَالا[٢] [الكامل]

ومنه قول النابغة:

فَآبَ مُضِلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ وغُودِرَ بالْجَولَانِ حَزْمٌ وَنَائِلُ[٣] [الطويل]

أَي: مُتْلفوه دفناً، ومنه قول امرئ القيس:

.... تَضِلُّ الْمَدَارِي في مُثَنًّى وَمُرْسَلِ[٤] [الطويل]

وقرأَ الحسن البصري: (صَلَلْنَا) بالصاد غير منقوطة وفتح اللام، قال الفراءُ: وتروى عن علي بن أَبي طالب رضي الله عنه[٥]، ومعناه: صِرْنَا من الصَّلَّة، وهي الأَرْض اليابسة الصلبة[٦].

ويجوز أَن يراد به: من التَّغَيُّر، كما يقال: صَلَّ اللَّحْم.

ورويت هذه القراءَة عن ابن عباس، وأَبان بن سعيد بن العاص[٧].

---

(١) في المطبوع: «حيث».

(٢) انظر عزوه له في تفسير الطبري (٢/ ٤٩٦)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٩٠).

(٣) يرثي النعمان بن الحارث الغساني، كما في أمالي القالي (١/ ٢٤٧)، وتفسير الطبري (٦/ ٥٠٠)، وجمهرة اللغة (٢/ ١٠٤٤)، والمعاني الكبير (٣/ ١٢٠٠)، والحيوان (٣/ ٢٣٦)، وفي نجيبويه: «بالجدثان»، وفي الحمزوية: «بالحرمان»، وفي هامشه: «بالخولان».

(٤) من معلقته، وصدره: غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إلى العُلا، انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ١٢٨)، وأساس البلاغة (١/ ٢٨٥).

(٥) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣١)، وهي شاذة، عزاها لهما كذلك في مختصر الشواذ (ص: ١١٩)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٨٠).

(٦) ليست في أحمد٣.

(٧) المحتسب (٢/ ١٧٣) إلا أنه جعلها عن الأربعة بكسر اللام وزاد للحسن فتح اللام، وتابعه في البحر المحيط (٨/ ٤٣٤).

وقرأ الحسن أيضاً: (صَلِلْنَا) بالصاد غير منقوطة وكسر اللام[١].

وقرأ علي بن أَبي طالب رضي الله عنه، وأَبو حيوة: (ضُلِّلْنَا)، [بضم الضاد][٢] وكسر اللام وشدِّها[٣].

وقولهم: ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾؛ أَي: أَئِنَّا لفي هذه الحالة نُعاد ويجدد خلقنا.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ﴾: إضرَابٌ عن معنى استفهامهم، كأَنه قال: ليسوا مستفهمين، بل هم كافرون جاحدون بلقاءِ الله تعالى.

ثم أَمر تعالى نبيَّه ﷺ أَن يخبرهم بجملة الحال غير مفصلة، فبدأ بالإِخبار من وقت تفقد روح الإِنسان إِلى الوقت الذي يعود فيه إِلى ربِّه، فجمع الغايتين[٤] الأُولى والآخرة.

[٤/ ١٩٧] و﴿يَتَوَفَّىٰكُم﴾ معناه: يستوفيكم، / ومنه قول الشاعر:

[الرجز] إِنَّ بَنِي الأَدْرَمِ لَيْسُوا منْ أَحَدْ وَلَا تَوَفَّاهُمْ قُرَيْشٌ في الْعَدَدْ[٥]

و﴿مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾: اسمه عزرائيل، وتصرفه كله بأَمر الله تعالى وخَلْقِه واختراعِه.

ورُوي في الحديث: أَن البهائم كلها يَتَوفَّى الله أَرْواحها دون مَلَك[٦].

---

(١) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٠)، المحتسب (٢/ ١٧٣).

(٢) في المطبوع: «بالصاد غير منقوطة»، وفي أحمد٣: «بالضاد المعجمة مضمومة».

(٣) وهي شاذة، نقلها معجمة عن أبي حيوة في الشواذ للكرماني (ص: ٣٨١)، ومختصر الشواذ (ص: ١١٩)، وأما المهملة فهي أيضا شاذة، نقلها في مختصر الشواذ عن الحسن، دون شد اللام، وعنهما في البحر المحيط (٨/ ٤٣٤) كذلك.

(٤) في المطبوع: «الغائبين»، وهو تحريف.

(٥) البيت لمنظور الزُّبيري كما في تهذيب اللغة (١٥/ ٤١٩)، مجاز القرآن (٢/ ١٣٢)، وفيه بينهما: ليسوا إلى قيس وليسوا من أسد.

(٦) موضوع، أخرجه العقيلي في الضعفاء (٤/ ٣٢١-٣٢٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٣/ ٣٠٠)، وذكره غير واحد في الموضوعات، راجع موضوعات ابن الجوزي (٣/ ٢٢٢)، ولسان الميزان (٦/ ٢٢٧)، والسلسلة الضعيفة (٦١١٤).

قال القاضي أَبو محمد: كأَنه يعدم حياتها، وكذلك الأَمر في بني آدم؛ إِلَّا أَنه نوع شُرِّف بتصرف مَلَك وملائكة معه في قبض أَرواحهم، وكذلك أَيضاً غلظ العذاب على الكافرين في ذلك.

ورُوي عن مجاهد أَن الدنيا بين يَدَيْ ملَك الموت كالطست بين يدي الإِنسان، يأْخذ من حيث أُمر(١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ تعجيب لمحمد ﷺ وأُمَّته من حال الكفرة ومما حلَّ بهم، وجواب «لَوْ» محذوف؛ لأَن حذفه أَهول؛ إِذْ يُتْرك الإِنسان فيه مع أَقصى تخيُّله.

و﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ هم الكافرون؛ بدليل [التوعد بالنار، وبدليل](٢) قولهم: ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾؛ أَي: أَنهم كانوا في الدنيا غير موقنين.

و«تَنْكِيسُ الرُّؤُوسِ»: هو من الذل واليأس والهمِّ بحلول العذاب، وتعلُّق نفوسهم بالرجعة إِلى الدنيا، وفي القول محذوف تقديره: يقولون ربَّنا، وقولهم: ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾؛ أَي: ما كنا نُخْبَر به في الدنيا فكنا مكذبين به، ثم طلبوا الرجعة حين لا ينفع ذلك.

ثم أَخبر تعالى عن نفسه أَنه لو شاءَ لهدى الناسَ أَجمعين؛ أَي: يلطف بهم لطفاً يؤمنون به ويخترع الإِيمان في قلوبهم؛ هذا مذهب أَهل السُّنَّة.

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ١٧٥)، بتصرف.

(٢) سقط من المطبوع والأصل ونور العثمانية.

وقال بعض المفسِّرين: لعرض[١] عليهم آية يضطرهم بها إِلى الإِيمان.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول بعض المعتزلة، إِلَّا أَن من أَشرنا إِليه من المفسِّرين لم يَدْرِ قَدْر القول [الذي قالوه ولا قدر][٢] مغزاه ولذلك حكاه، والذي يقود المعتزلة إِلى هذه المقالة أَنهم يَرَوْن أَن من يقدر على اللطف بإِنسان حتى يؤمن ولا يفعل؛ فإِن ذلك ليس من الحكمة ولا من الأَمر المستقيم، والكلام على هذه المسأَلة يطول، [وله تواليفه][٣].

و﴿ٱلْجِنَّةِ﴾: الشياطين.

وقوله: ﴿فَذُوقُواْ﴾ بمعنى: يقال لهم: ذُوقُوا.

و﴿نَسِيتُمْ﴾ معناه: تركتم، قاله ابن عباس وغيره[٤].

وفي الكلام حذف مضاف تقديره: عمل، أَو عدة ونحوه.

وقوله: ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ سَمَّى العقوبة باسم الذنب.

وقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أَي: بِتَكَسُّبِكُم الآثام.

ثم أَثنى عزَّ وجلَّ على القوم الذين يؤمنون بآياته، ووصفهم بالصفة الحسنى، من سجودهم عند التذكير [وتسبيحِهم وعدم استكبارهم، بخلاف ما يصنع الكفرة من الإِعراض عند التذكير، وقول][٥] الهُجْر، وإِظهار التكبُّر، وهذه السجدة من عزائم السجود في القرآن.

وقال ابن عباس: «السجود» هنا بمعنى الركوع[٦].

---

(١) في الأصل وفيض الله: «تعرض»، وفي السليمانية: «أعرض».

(٢) من أحمد٣، وفي سائر النسخ: «ولا مغزاه».

(٣) ليس في أحمد٣، وانظر قول المعتزلة في الملل والنحل لابن حزم (٤/ ١٤٦)، وشرح المقاصد للتفتازاني (٢/ ١٦٢-١٦٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٧٧)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٥) ساقط من أحمد٣، وفيها فقط: «وترك» بدلًا منه.

(٦) لم أجده.

وقد رُوي عن ابن جريج، ومجاهد أَن هذه الآية نزلت بسبب قوم من المنافقين كانوا إِذا أُقيمت الصَّلاة خرجوا من المسجد، فكأَن الركوع يقصد[١] من هذا[٢]، ويلزم على هذا أن تكون الآية مدنية.

وأَيضاً فمن مذهب ابن عباس: أَن القارئ للسجدة يركع[٣]، واستدل بقوله: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

جَفَا الرَّجلُ الموضع: إِذا تركه، وتجافى الجنْبُ عن مضجعه: إِذا تركه، وجافى الرجل جنبه عن مضجعه، ومنه في الحديث: ويجافي بضبعيه[٤]؛ أَي: يبعدهما عن الأرض وعن يديه[٥]، فقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾؛ أَي: تبتعد وتزول.

ومنه قول عبد الله بن رواحة:

نَبِيٌّ تَجَافَى جَنْبُهُ عَنْ فِرَاشِهِ ... إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ[٦] [الطويل]

---

(١) في أحمد٣: «يعضد».

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ١٧٧)، من رواية حجاج عن ابن جريج.

(٣) تبعه القرطبي (١٤/ ٩٩)، وأبو حيان في البحر المحيط (٨/ ٤٧٣)، ولم أجده لغيرهم.

(٤) في المطبوع بدل «بضبعيه»: «بعضديه عن جَنْبَيْه»، وفي صحيح البخاري: باب يبدي ضبعيه ويجافي في السجود، ثم أخرج (٣٩٠) حديث عبد الله بن مالك ابن بحينة أن النبي ﷺ كان إذا صلى فرج بين يديه حتى يبدو بياض إبطيه.اهـ.

(٥) «عن الأرض»: ليست في المطبوع، وفيه وفي نجيبويه وأحمد٣ والحمزوية: «عن بدنه»، بدل: «يديه».

(٦) كما في تفسير الطبري (٢٠/ ١٨١)، وتفسير الماوردي (٤/ ٣٦١)، وعزاه السمعاني (٤/ ٢٤٨) لحسان بن ثابت.

ويروى: يَبِيتُ يُجَافي جنبه[١].

قال الزَّجَّاج، والرُّمَّاني: التَّجافي: التَّنَحِّي[٢] إِلى جهة فوق[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول حسن، وكذلك هو في الصفح عن المخطئ في سبٍّ[٤] ونحوه.

و«الْجُنُوبُ»: جمع جَنْب، و﴿ٱلْمَضَاجِعِ﴾: موضع الاضطجاع للنوم.

وقال أَنس بن مالك: أَراد بهذه الآية الصلاة بين المغرب والعشاءِ[٥].

وقال عطاءٌ، وأَبو سلمة: أَراد صلاة العشاءِ الآخرة[٦].

وكانت الجاهلية ينامون من أول المغرب، ومن أي وقت شاء الإنسان، فجاء انتظار وقت العشاء الآخرة غريباً شاقاً.

وقال أنس بن مالك أَيضاً: أَراد انتظار صلاة العشاءِ الآخرة[٧]؛ لأَن رسول الله ﷺ كان يؤخرها إِلى نحو ثلث الليل، وفي ذلك أَحاديث كثيرة[٨].

قال الضحاك: تجافي الجَنْبِ: هو أَن يصلي الرجلُ العشاءَ والصبح في جماعة[٩].

---

(١) وهي رواية الطبري (٢٠/ ١٨١).

(٢) ليست في نجيبويه، وفي الحمزوية: «التجفي».

(٣) نقله عنهما تفسير القرطبي (١٤/ ١٠٠)، والبحر المحيط (٨/ ٤٣٧).

(٤) في السليمانية: «سبب».

(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٧٨) من طريق: ابن أبي عروبة، قال: قال قتادة، قال أنس، وفي بعض الطرق: عن سعيد عن قتادة عن أنس، وفي بعضها: الحارث بن وجيه الراسبي، قال: ثنا مالك بن دينار، عن أنس بن مالك، والحارث ضعيف منكر الحديث.

(٦) انظر قولهما في تفسير الطبري (٢٠/ ١٧٩).

(٧) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٨٠)، من طريق: سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، عن أنس بن مالك، وإسناده صحيح.

(٨) منها ما في صحيح البخاري (٥٤١)، (٧٧١)، ومسلم (٦١٣)، (٦٤٧).

(٩) تفسير الثعلبي (٧/ ٣٣٢)، وزاد المسير (٣/ ٤٤١).

وهذا قولٌ حسن، يسعده(١) لفظ الآية.

وقال الجمهور من / المفسرين: أَراد بهذا التجافي صلاة النوافل بالليل. [٤/ ١٩٨]

قال القاضي أَبو محمد: وعلى هذا التأْويل أَكثر الناس، وهو الذي فيه المدح، وفيه حديثٌ عن النبي ﷺ يذكر قيام الليل ثم يستشهد بالآية، ذكره الطبري عن معاذ بن جبل(٢).

ورجح الزجاج هذا القول بأَنهم جُوزوا بإخفاء، فدل ذلك على أَن العمل إخفاء أَيضاً هو قيام الليل(٣).

وقوله: ﴿يَدْعُونَ﴾ يحتمل أَن يكون في موضع الحال من الموصوفين، أَي: في وقت التجافي، ويحتمل أَن يكون صفة مستأْنفة؛ أَي: تَتَجافى جُنُوبُهُمْ وهم أَيضاً في كل أَحوالهم يدعون في ليلهم ونهارهم.

و«الْخَوْفُ»: من عذاب الله، والطَّمَعُ: في ثواب الله.

و﴿يُنفِقُونَ﴾ قيل: معناه: الزكاة المفروضة، وقيل: النوافل والصدقات غير المفروضة، وهذا القول أَمدح.

---

(١) في الأصل: «يساعده»، وفي المطبوع: «يبعده».

(٢) مرسل، أخرجه الطبري (٢٠/ ١٨١)، من طريق: شعبة، عن الحكم، قال: سمعت عروة بن الزبير يحدث عن معاذ بن جبل، أن رسول الله ﷺ قال له: «ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تكفر الخطيئة، وقيام العبد في جوف الليل» وتلا هذه الآية: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾، وعروة لم يدرك معاذاً، ومن طريق: أبي أسامة، عن سليمان، عن حبيب بن أبي ثابت والحكم، عن ميمون بن أبي شبيب، عن معاذ بن جبل، عن رسول الله ﷺ، بنحوه، وميمون يرسل كثيراً، ولم يثبت سماعه من معاذ، ومن طريق: حماد بن سلمة، قال: ثنا عاصم بن أبي النجود، عن شهر بن حوشب، عن معاذ بن جبل به مرفوعاً، وعاصم ضعيف، وشهر ـ على ضعفه ـ عن معاذ مرسل.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٠٧) للزجاج، في المطبوع: «إِجفاءٌ»، وكذا في التي قبلها: «بإجفاء».

ثم ذكر تعالى ما وعدهم من النَّعيم مِمَّا لم تعلمه نفْس ولا بَشر ولا مَلَك.

وقرأ حمزة وحده: ﴿أُخْفِىَ﴾ بسكون الياءِ، كأَنه قال: أُخفِي أَنَا، وهي قراءَة الأَعمش[(١)].

ورُوي عنه: (ما أَخفيتُ لهم من قُرَّات أَعين)[(٢)].

وقرأ عبد الله: (مَا نُخْفِي لهم) بالنون مضمومة[(٣)].

ورَوى المفضل عن الأَعمش: (مَا يُخْفَى لهم) بالياءِ المضمومة وفتح الفاءِ[(٤)].

وقرأ محمد بن كعب: (ما أَخْفَى) بفتح الهمزة[(٥)]؛ أَي: ما أَخفى الله لهم.

وقرأ جمهور الناس بفتح الياءِ على بناءِ الفعل للمفعول.

و﴿مَّآ﴾ يحتمل أَن تكون بمعنى الذي، فعلى القراءَة الأُولى فَثَمَّ ضمير محذوف تقديره: أُخفيه، وعلى قراءَة الجمهور فالضمير الذي لم يُسَمَّ فاعله يجري في العودة على «الذي»، ويحتمل أَن تكون استفهاماً، فعلى القراءَة الأُولى فهي في موضع نصبٍ بـ﴿أُخْفِىَ﴾، وعلى القراءَة الثانية هي في موضع رفع بالابتداءِ.

و«قُرَّة الْعَيْن»: ما تلذُّه وتشتهيه، وهي مأْخوذة من القُرِّ، كما أَن سخنة العين مأْخوذة من السَّخَانة، وأَصل هذا ـ فيما يزعمون ـ أَن دمع الفرح بارد، ودمع الحزن سخن.

وفي معنى هذه الآية: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عزَّ وجلَّ: أَعددتُ لعباديَ

---

(١) وهي سبعية، انظر التيسير (ص: ١٧٧)، وانظر عزوها للأعمش في الحجة للفارسي (٥/ ٤٦٣)، والكامل للهذلي (ص: ٦١٨).

(٢) وهي شاذة، عزاها له في مختصر الشواذ (ص: ١١٩)، وفي نجيبويه: «قرة».

(٣) انظرهما في مختصر الشواذ (ص: ١١٩)، والهداية لمكي (٩/ ٥٧٦٠).

(٤) وهي شاذة، تابعه عليها القرطبي (١٤/ ١٠٣)، ونقلها ابن أبي داود في المصاحف عن عبد الله بن مسعود (ص: ١٨٢).

(٥) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (٧/ ٣٣٢).

الصالحين مَا لَا عيْنٌ رأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سمعتْ، ولَا خَطر على قلب بشر، واقرؤوا إِن شئتم: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ ﴾»(١).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: في التوراة مكتوبٌ: «على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لا عيْنٌ رأَت، ولا أُذن سمعَتْ، ولا خطر على قلب بشر»(٢).

وقرأ ابن مسعود، وأَبو هريرة، وأَبو الدرداءِ: (قُرَّاتِ) على الجمع(٣).

وقوله: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾؛ أَي: بِتَكَسُّبِهِمْ.

وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا ﴾ الآية؛ روى عطاءُ بن يسارٍ أَنها نزلت في علي ابن أَبي طالب رضي الله عنه، والوليد بن عقبة بن أَبي مُعيط، وذلك أَنهما تلاحَيَا(٤)، [فقال له الوليد: أنا أبسط منك لساناً، وأحدُّ سناناً، وأرد للكتيبة](٥)، فقال له عليٌّ بن أَبي طالب رضي الله عنه: اسكت فإِنك فاسق، فنزلت الآية(٦).

وذكر الزجاج، والنحاس، وغيرهما أَنها نزلت في عليٍّ وعقبة ابن أَبي مُعيط(٧).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، (٤٧٧٩)، (٤٧٨٠)، (٧٤٩٨)، ومسلم (٢٨٢٤).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٨٢-١٨٣)، من طرق صحيحة عن أبي إسحاق السبيعي، عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود، ومن طريق ضعيف عن أبي إسحاق، عن عبيدة بن ربيعة الحارثي، عن عبد الله، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه على الراجح.

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها لأبي هريرة في تفسير الطبري (٢٠/ ١٨٥)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣٢)، ورفعها عنه النحاس في معاني القرآن (٥/ ٣٠٦)، ومكي في الهداية (٩/ ٥٧٦١)، وابن جني في المحتسب (٢/ ١٧٤)، ونسبها للثلاثة ولعون العقيلي.

(٤) في المطبوع: «تلاحنا».

(٥) ساقط من المطبوع.

(٦) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ١٨٧)، من طريق: ابن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قال: ثني ابن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار، قال: نزلت بالمدينة، في علي بن أبي طالب، والوليد ابن عقبة بن أبي معيط.

(٧) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٠٨)، ومثله في تفسير ابن كثير (٦/ ٣٦٩)، وأحكام القرآن =

وعلى هذا يلزم أَن تكون الآية مكِّيَّة؛ لأَن عقبة لم يكن بالمدينة، وإِنما قُتل في طريق مكة منصرف رسول الله ﷺ من بدر، ويعترض القول الآخر بإِطلاق اسم الفِسْق على الوليد، وذلك يحتمل أَن يكون في صدر[1] إِسلام الوليد لشيءٍ كان في نفسه، أَو لما رُوي من نقله عن بني المصطلق ما لم يكن حتى نزلت فيه: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾[الحجرات: ٦] الآية[2].

ويحتمل أَيضاً أَن تطلق الشريعة ذلك عليه؛ لأَنه كان على طرف مما ينعى[3]، وهو الذي شرب الخمر في خلافة عثمان رضي الله عنه، وصلى الصُّبْحَ بالناس أَربعاً، ثم التفت وقال: أَتريدون أَن أَزيدكم؟[4] ونحوه مما يطول ذكره.

ثم قسَّم الله تعالى المؤمنين والفاسقين الذين فسقهم بالكفر؛ لأَن التكذيب الذي في آخر الآية يقتضي ذلك.

وقرأَ طلحة: (جَنَّةُ) بالإِفراد[5]، وقرأَ أَبو حيوة: (نُزْلًا) بإِسكان الزاي[6].

= لابن العربي (٣/ ٥٣٥)، وأما النحاس فالذي في إعراب القرآن (٣/ ٢٠٢) له، ومعاني القرآن (٥/ ٣٠٧) له: الوليد بن عقبة، فلينظر.

(١) سقطت من الأصل.

(٢) الأثر ضعيف، أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٨٦)، من طريق: جعفر بن عون، عن موسى ابن عبيدة، عن ثابت مولى أم سلمة، عن أم سلمة قالت: بعث رسول الله ﷺ رجلاً في صدقات بني المصطلق بعد الوقعة، فسمع بذلك القوم... وموسى ضعيف باتفاق، وأحاديثه مناكير.

(٣) في نجيبويه: «لا ينبغي»، وفي المطبوع: «ينبغي»، وفي الحمزوية: «يبغي»، وفي السليمانية: «يبقى»، وغير منقوطة في نور العثمانية وأحمد٣.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١٢٣٠)، من طريق: سعيد بن أبي عروبة، عن عبد الله الداناج، عن حضين ابن المنذر بن الحارث بن وعلة، أن الوليد بن عقبة، صلى بالناس الصبح أربعاً، وأخرجه مسلم فى الصحيح من حديث ابن علية، عن سعيد بن أبي عروبة مختصراً.

(٥) وهي شاذة، انظر عزوه له في مختصر الشواذ (ص: ١١٩)، والكامل للهذلي (ص: ٦١٨) من رواية السمان عنه.

(٦) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٨/ ٤٣٨)، وعزاها الهذلي في الكامل (ص: ٥٢٣) لابن محيصن ونعيم، وعباس عن أبي عمرو.

والجمهور على ضمها، وسائر باقي[(١)] الآية بيِّنٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢١ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ۝٢٢﴾.

الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم﴾ لكفار قريش، أَعلم الله تعالى أَنه يصيبهم[(٢)] بعذاب دون عذاب الآخرة [لعلهم يتوبون ويتعظون، ولا خلاف أَن العذاب الأَكبر هو عذاب الآخرة][(٣)].

واختلف المتأَولون في تعْيين العذاب الأَدنى:

فقال إِبراهيم النَّخَعي، ومقاتل: هو السنون التي أَجاعهم الله تعالى فيها[(٤)].

وقال ابن عباس[(٥)]، وأُبيٌّ بن كعب: هي مصائب الدنيا من الأَمراض ونحوها[(٦)]، وقاله ابن زيد.

وقال ابن مسعود[(٧)]، والحسن بن عليٍّ: هو القتل بالسيف كبدر وغيرها[(٨)].

---

(١) في المطبوع ونور العثمانية وفيض الله: «ما في»، بدل: «باقي»، وسقطت: «سائر» من السليمانية وأحمد٣.
(٢) في المطبوع: «يصبهم»، وفيه: «بكفار»، بالباء.
(٣) ساقط من الأصل، وهو في السليمانية ملحق في الهامش.
(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ١٩١).
(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٨٨-١٨٩)، من طريق: علي بن أبي طلحة وعطية العوفي ـ مفرقين ـ عن ابن عباس.
(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٨٩)، من طريق: قتادة، عن عزرة [في المطبوع: «عروة» خطأ]، عن الحسن العرني، عن يحيى بن الجزار، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، أبي بن كعب، وإسناده جيد، وانظر قول ابن زيد في تفسير الطبري (٢٠/ ١٩١)، بلفظ: عذاب الدنيا.
(٧) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٩٠)، من طريق: سفيان، عن السدي، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله، وروي بلا أبي الضحى، وفي السدي كلام، وقد اختلف في إسناده، والسدي لا يروي عن مسروق.
(٨) منقطع: هذا الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٠/ ١٩٠)، من طريق عوف بن أبي جميلة، عمن حدثه، عن الحسن بن علي قال: القتل بالسيف صبراً.

قال القاضي أَبو محمد: فيكون ـ على هذا التأْويل ـ الرَّاجعُ غير الذي يَذُوقُ، بل الذي يبقى بعده، وتختلف رتبتا ضمير الذوق مع ضمير «لعلَّ».

وقال أُبيُّ بن كعب أَيضاً: هي البطشة واللزام والدخان(١).

وقال ابن عباس أَيضاً: عنى بذلك الحدود(٢).

قال القاضي أَبو محمد: ويتَّجه ـ على هذا التأْويل ـ أَن تكون في فسقة المؤمنين.

وقال مجاهد: عنى بذلك عذاب القبر(٣).

ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ على جهة التعجب والتقرير؛ أَي: لا أَحد أَظْلَم ممن هذه صفته، وهي بخلاف ما تقدَّم في صفة المؤمنين من أَنهم إِذا ذُكِّروا بآيات ربهم خرُّوا سُجَّداً.

ثم توعَّد تعالى المجرمين، وهم المتجاسرون على ركوب الكفر والمعاصي بالنقمة(٤).

وظاهر الإِجرام هنا: أَنه الكفر.

وحكى الطبري عن يزيد بن رفيع أَنه قال: إِن قول الله في القرآن: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ إِنما هو في أَهل القَدَر(٥).

قال القاضي أَبو محمد: يريد القائلين بأَن [الأمر أنف، وأن](٦) أَفعال العبد من قبله(٧).

---

(١) هو نفس أثره السابق.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٩٠)، من طريق: أبي عاصم ـ هو النبيل ـ عن شبيب ـ هو ابن بشر البجلي ـ عن عكرمة، عن ابن عباس، وشبيب لين الحديث، ولم يرو عنه إلا أبو عاصم.

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ١٩١).

(٤) في المطبوع: «بالقوة».

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ١٩٣).

(٦) ساقط من المطبوع.

(٧) هذا قول جمهور المعتزلة، وانظر الملل والنحل لابن حزم (٣/ ٣٢)، وما بعدها، والمواقف للإيجي (٣/ ٦٥٨).

قال: ثم قرأ يزيد بن رفيع: / ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ۝٤٧ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ [٤/ ١٩٩]
عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٧-٤٩].

قال القاضي أَبو محمد: وفي هذا المنزع من البعد ما لا خفاءَ به.

وروى معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاث من فعلهن فقد أَجرم: من عَقَد لواءً في غير حقٍّ، ومن عَقَّ والدَيْه، [ومن نصر ظالماً]»(١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝٢٣ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ۝٢٥﴾.

قرأَ الناسُ: ﴿فِي مِرۡيَةٖ﴾ بكسر الميم، وقرأَ الحسن بضمها(٢).

واختلف المتأَولون في الضمير الذي في ﴿لِّقَآئِهِۦ﴾ على من يعود:

فقال أَبو العالية الرياحي، وقتادة: يعود على ﴿مُوسَى﴾(٣).

والمعنى: لا تَكُ في شك من أَنك تَلْقى موسى؛ أَي: في ليلة الإِسراءِ، وهذا قول جماعة من السلف، وقاله المُبَرِّد حين امتحن أَبا إِسحاق الزجاج بهذه المسأَلة(٤).

وقالت فرقة: الضمير عائد على الْكِتَاب؛ أَي: أَنه لقي موسى [حين لقيه موسى عليه السلام، والمصدر في هذا التأْويل](٥) يصح أَن يكون مضافاً إِلى الفاعل، [بمعنى: لقي الكتاب موسى.

---

(١) في المطبوع: «أَو مشى مع ظالم ينصره»، والحديث ضعيف جداً، أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٦١) وغيره، من طريق: إسماعيل بن عياش، عن عبد العزيز بن عبيد الله، عن عبادة بن نسي، عن جنادة بن أبي أمية عن معاذ، وعبد العزيز هذا واه ولم يرو عنه إلا ابن عياش.

(٢) وهي شاذة، انظر: الكامل للهذلي (ص: ٥٧٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٣١٩).

(٣) انظر قول قتادة في تفسير الطبري (٢٠/ ١٩٣)، وقول أبي العالية في تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٠).

(٤) نقله في البحر المحيط (٨/ ٤٤٠)، ولم أقف على تفصيله.

(٥) ساقط من أحمد٣ والحمزوية.

ويصح أَن يكون مضافاً إِلى المفعول][1]، بمعنى: لقي الكتابَ بالنصب موسى عليه السلام.

وقال الحسن: الضمير عائد على ما يتضمنه القول من الشدة والمِحْنَة التي [لقي موسى وذلك بأن][2] إخباره بأَنه آتى موسى الكتاب[3]، كأَنه قال: ولقد آتينا موسى هذا العبْءَ الذي أَنت بسبيله، فلا تَمْتَرَ أَنك تلْقى ما لَقي هو من المِحْنَة بالناس، وكأَن الآية تَسْلِيَةٌ لمحمد ﷺ.

وقالت فرقة: معناه: فلا تكن في شكٍّ من لقائه في الآخرة.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قولٌ ضعيف.

وقالت فرقة: الضمير عائد على مَلَك الموت الذي تقدم ذكره، وقوله: ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ اعتراضٌ بين الكلامين.

قال القاضي أبو محمد: وهذا أيضاً ضعيف.

و«المِرْيَةُ»: الشَّكُّ.

والضمير في: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ يحتمل أن يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، وهو قول قتادة[4].

ويحتمل أَن يعود على ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾.

و﴿أَئِمَّةً﴾: جمع إِمام، وهو الذي يُقتدى به، وأَصْلُه: خَيْطُ الْبَنَّاءِ.

وجمهور النحويين على (أَيِمَّة) بياءٍ وتخفيف الهمزة، إِلَّا ابن أَبي إِسحاق، فإِنه جوَّز اجتماع الهمزتين، وقرأَ: ﴿أَئِمَّةً﴾[5].

---

(١) سقط من أحمد٣.

(٢) ساقط من المطبوع وفيه بدل «منه»: «في».

(٣) نقله الحلبي في الدر المصون (٩/ ٨٩).

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ١٩٤): بلفظ: جعل الله موسى هدى لبني إسرائيل.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٠٩)، وهي سبعية، وسهلها نافع وابن كثير وأبو عمرو، انظر التيسير (ص: ١١٧).

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿لَمَّا صَبَرُواْ﴾ بفتح اللام وشدِّ الميم.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿لِمَا صبروا﴾ بكسر اللام وتخفيف الميم، وهي قراءَة ابن مسعود، وطلحة، والأَعمش[١]، فالأُولى في معنى الظرف، والثانية كأَنه قال: لأجل صبرهم، فـ (ما): مصدرية، وفي القراءَتين معنى المجازاة؛ أَي: جعلهم أَئِمَّةً جزاءً على صبرهم عن الدنيا، وكونهم موقنين بآيات الله تعالى وأوامره[٢] وجميع ما تُورده الشريعة.

وقرأ ابن مسعود: (بما صَبَرُوا)[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ الآية حُكْم يعم جميع الخَلْق، وذهب بعض المتأَولين إِلى تخصيص الضمير، وذلك ضعيف.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿يَهْدِ﴾ معناه: يُبيِّن، قاله ابن عباس[٤].

وقرأ جمهور الناس: ﴿يَهْدِ﴾ بالياءِ، فالفاعِلُ اللهُ في قول فرقة، والرسولُ في قول فرقة، والمصدرُ في قول فرقة[٥]، كأَنه قال: أَو لم يُبيِّن لهم الهُدى.

وجوَّز الكوفيون أَن يكون الفاعل ﴿كَمْ﴾، ولا يجوز ذلك عند البصريِّين؛ لأَنها في الخبر على حكمها في الاستفهام في أَنها لا يعمل فيها ما قبلها[٦].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥١٦)، والتيسير (ص: ١٧٧)، والباقين في البحر المحيط (٨/ ٤٤١).
(٢) سقطت من فيض الله.
(٣) وهي شاذة، تفسير الطبري (٢٠/ ١٩٤)، والهداية لمكي (٩/ ٥٧٧١)، وكتبت في الأصل: «مما صبروا».
(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٩٥)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.
(٥) هذا القول ساقط من الأصل، وسقط هو والذي قبله من الحمزوية.
(٦) مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٤٧٤).

وقرأ أَبو عبد الرحمن: (نهد لهم) بالنون، وهي قراءَة الحسن وقتادة[١].

فالفاعلُ اللهُ تعالى، و﴿كَمْ﴾ في موضع نصب: فعند الكوفيين بـ ﴿يَهْدِ﴾، وعند البصريين بـ ﴿أَهْلَكْنَا﴾ على القراءَتين جميعاً.

وقرأ جمهور الناس: ﴿يَمْشُونَ﴾ بفتح الياءِ وتخفيف الشِّين.

وقرأ ابن السمَيفَع اليماني: (يُمَشُّونَ) بضم الياءِ وفتح الميم وشد الشِّين.

وقرأ عيسى بن عمر: (يُمْشُونَ) بضم الياءِ وسكون الميم وشين مضمومة مُخَفَّفَة[٢].

والضمير في ﴿يَمْشُونَ﴾ يحتمل أَن يكون للمُخاطَبين بالتنبيه[٣] المُحْتَجِّ عليهم.

ويحتمل أَن يكون للمُهْلَكِين، فـ﴿يَمْشُونَ﴾: في موضع الحال؛ أَيْ: أُهلكوا وهم ماشون في مساكنهم.

والضمير في ﴿يَسْمَعُونَ﴾ لِلْمَنْهِيِّينَ.

ومعنى هذه الآية: إِقامة الحجة على الكفرة بالأُمم السالفة الذين كفروا فأُهلكوا[٤].

ثم أَقام عزَّ وجلَّ الحُجَّة عليهم في معنى الإِيمان بالقدرة وبالبعث بأن[٥] نبَّههم على إِحْياءِ الأَرض الموات بالماءِ والنبات[٦].

و«السَّوْقُ» هو بالسحاب، [وإن كان سوق بنهر فأصله من السحاب][٧].

---

(١) وهي شاذة، انظر إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٠٤).

(٢) وهما شاذتان، انظر الأولى في المحتسب (٢/ ١٧٥)، ونسبها في مختصر الشواذ (ص: ١١٩) غير مضبوطة لهما معاً ولعلي.

(٣) في المطبوع: «بالبيِّنة».

(٤) سقطت من الأصل.

(٥) في الأصل: «بل»، والمثبت من النسخ الأخرى.

(٦) ليس في المطبوع والسليمانية.

(٧) سقط من المطبوع وأحمد٣.

و﴿ٱلۡجُرُزِ﴾: الأَرْضُ العاطِشَةُ التي قد أَكلت نباتها من العطش والقيظ، ومنه قيل للأَكول: جُروزٌ، قال الشاعر:

خِبٌّ جَرُوزٌ وَإِذَا جَاعَ بَكَى[١] .... [الرجز]

ومَنْ عَبَّر عنها بأَنها الأَرض التي لا تُنْبت؛ فإِنها عبارة غير مُخَلِّصة.

وعمَّ تعالى كلَّ أَرض هي بهذه الصفة؛ لأَن الآيةَ فيها والعبرةَ بيِّنةٌ.

وقال ابن عباس وغيره أَيضاً: الأَرض الجُرُزُ هي أرْضُ أَبْيَن من اليمن[٢]، وهي أَرض تشرب [بسيول لا بمطر][٣].

وجمهور الناس على ضم الراءِ، قال الزَّجَّاج: وتُقرأُ: (الجُرْز) بسكون الراءِ[٤].

ثم خصَّ الله تعالى الزرع بالذكر تشريفاً له؛ ولأَنه عُظْم ما يقصد بالنبات، وإِلَّا فعرف أَكل الأنعام / إِنما هو من غير الزرع، لكنه أَوقع الزرع موقع النبات [على العموم][٥]، ثم فصل ذلك بأَكل الأَنعام وبني آدم. [٤/ ٢٠٠]

وقرأَ أَبو بكر بن عياش، وأَبو حيوة: (يأْكُلُ) بالياءِ من تحت[٦].

---

(١) البيت للشماخ كما في لسان العرب (١/ ٣٢٢)، وهو في ديوانه (ص: ١٠٧)، وبعده: وَيَأْكُلُ التَّمْر وَلَا يُلْقي النَّوَى، ويقال: رجلٌ خَبٌّ وخِبٌّ بالفتح والكسر؛ أي: خدَّاعٌ خبيث مُنْكر، والجَرُوز: الذي يأكل ما أمامه ولا يبقي على شيءٍ منه.

(٢) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (٢٠/ ١٩٧)، من طريق: سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس، لكن بلفظ: أرض باليمن، والذي قال: أبين هو مجاهد.

(٣) في أحمد٣: «بسيول المطر».

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢١١)، وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٦).

(٥) سقط من المطبوع.

(٦) وهي شاذة، عزاها في الكامل (ص: ٦١٨) لأبي حيوة عن حمزة، وفي مختصر الشواذ (ص: ١١٩) لبعضهم عن الزيات، في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٦) عن حمزة وابن مقسم، ولم أقف عليها لشعبة.

[وقرأَ ابن مسعود: (تُبْصِرُونَ) بالتاءِ من فوق، وقرأَ جمهور الناس: ﴿يُبْصِرُونَ﴾ بالياءِ][(١)].

ثم حكى عن الكفرة: أَنهم يستفتحون ويستعجلون فصل القضاءِ بينهم وبين الرسول ﷺ، على معنى الهُزْءِ والتكذيب.

و﴿ٱلْفَتْحُ﴾: الحُكم، هذا قول جماعة المفسرين، وهو أَقوى الأَقوال.

وقالت فرقة: الإِشارة إِلى فتح مكة.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيف، يردُّه الإِخبارُ بأَن الكفرة لا ينفعهم الإِيمان، فلم يبْق أَن يكون الفتح إلا[(٢)] إِمَّا حُكم الآخرة، وهذا قول مجاهد[(٣)]، وإِمَّا فَصْل في الدنيا كبدر ونحوها.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾ إِشارة إِلى الفتح الأَول حسب محتملاته، فالأَلف واللام في ﴿ٱلْفَتْحُ﴾ الثاني للعهد.

و﴿يَوْمَ﴾ ظرف، والعامل فيه ﴿يَنفَعُ﴾.

و﴿يُنظَرُونَ﴾ معناه: يُؤَخَّرُونَ.

ثم أَمره تعالى بالإِعراض عن الكفار وانتظار[(٤)] الفرج، وهذا مما نسخته آية السيف.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾؛ أَي: العذابَ، بمعنى أَن هذا حكمهم وإِن كانوا لا يشعرون.

---

(١) هكذا في المطبوع والسليمانية، وزادت: «من تحت»، وجاءت العبارة في كافة المخطوطات معكوسة، التاء من فوق للجمهور، والياء من تحت لابن مسعود، وهو خطأ، إلا أن قراءة الجمهور سقطت من نور العثمانية، وقراءة ابن مسعود شاذة، انظر البحر المحيط (٨/ ٤٤٢).

(٢) سقطت من المطبوع، وجاءت في الأصل بعد: «يبق» مكررة.

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ١٩٩).

(٤) في المطبوع: «دون انتظار».

وقرأَ محمد بن السمَيفَع: (مُنْتَظَرُونَ) [بفتح الظاء][1]؛ أَي: لِلْعذاب النازل بهم، والله أَعلم.

كمل تفسير سورة السجدة، والحمد لله رب العالمين[2].

(١) ليس في المطبوع، وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ١٧٥)، ومختصر الشواذ (ص: ١١٩).

(٢) في المطبوع: «والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أَجمعين».

سورة الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الأحزاب

هذه السورة مدنية بإجماع فيما علمت، وكذلك قال المهدوي وغيره[(١)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾.

قوله: ﴿اتَّقِ﴾ معناه: دُمْ على التقوى، ومتى أُمر أَحد بشيءٍ هو به متلبس فإنما معناه الدَّوام في المستقبل على مثل الحالة الماضية، وحذَّره تعالى من طاعة الكافرين، وهم المُجَلِّحون[(٢)] بالكفر، والمنافقين وهم المُظهرون للإيمان وهم لا يبطنونه.

وسبب الآية: أَنهم كانوا يلحُّون[(٣)] على رسول الله ﷺ بالطلبات والإرادات، وربما كان في إرادتهم سعي على الشرع، وهم يدخلونها مدخل النصائح[(٤)]، فكان

---

(١) نقل هذا الإجماع ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٤٦)، وانظر التحصيل للمهدوي (٥/ ٣١٨).

(٢) جَلَّحَ في الأمر: ركب رأسه فيه وأقدم ومَضَى.

(٣) كذا في المطبوع، وكتبت في الأصل: «يتسخبون»، وفي نجيبويه والحمزوية: «يستحبون»، وفي النسخ الأخرى: «يتسحبون».

(٤) في المطبوع والسليمانية: «المصالح».

رسول الله ﷺ: بخلقه العظيم وحرصه على استئلافهم[١] ربما لايَنَهُم[٢] في بعض الأمور، فنزلت الآية بسبب ذلك، تحذيراً له منهم، وتنبيهاً على عداوتهم[٣]، والنوازل في طلباتهم كثيرة محفوظة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ تسليةٌ لمحمد ﷺ؛ أي: لا عليك منهم ولا من إيمانهم، فالله عليمٌ بما ينبغي لك، حكيم في هدي من شاءَ وإضلال من شاءَ.

ثم أَمره تعالى باتباع ما يوحى إليه ـ وهو القرآن الحكيم ـ والاقتصار على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ تَوَعُّدٌ مَّا.

وقرأَ أَبو عمروٍ وحده: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بالياءِ[٤].

والتوعُّد على هذه القراءَة للكافرين والمنافقين أَبْيَنُ.

وقوله: ﴿كَانَ﴾ في هاتين الآيتين هي التي تقتضي الدوام؛ أَي: كان ويكون، وليست الدالةَ على زمان مخصوص للمضي.

ثم أَمره تعالى بالتوكل على الله في جميع أمره، وأَعلمه أَن ذلك كافٍ مُقْنع.

والباءُ في قوله: ﴿بِٱللَّهِ﴾: زائدة على مذهب سيبويه، وكأَنه قال: وكَفَى اللهُ، وهي عنده نحو قولهم: بحسبك أَن تفعل.

وغَيْرُه يراها غيْرَ زائدة متعلِّقة بـ (كَفَى)، على أنه بمعنى: اكتف[٥] بالله.

و«الْوَكِيلُ»: القائم بالأَمر المغني فيه عن كل شيءٍ.

---

(١) في الحمزوية: «إسلامهم».

(٢) في الأصل: «لا يتهم»، وفي أحمد٣: «لا يتهمهم»، وفي السليمانية: «لم ينههم»، وفي نور العثمانية وفيض الله: «لا ينهر».

(٣) في نجيبويه: «غدراتهم».

(٤) والباقون بالتاء، وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥١٨)، والتيسير (ص: ١٧٧).

(٥) في المطبوع: «أكْيِف».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾.

[اختلف الناس في السبب في قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾][(١)]:

فقال ابن عباس: سببها: أَن بعض المنافقين قال: إنَّ محمداً له قلبان؛ لأَنه ربما كان في شيءٍ فنزع في غيره نزعة ثم عاد إلى شأْنه الأَول، فقالوا ذلك عنه، فنفاه الله تعالى عنه[(٢)].

وقال ابن عباس أَيضاً: بل السبب: أَنه كان في قريش في بني فِهْر رجلٌ فهِم[(٣)] يدَّعي أَن له قلبين؛ ويقال له: ذو القَلبين[(٤)] ـ قال الثعلبي: هو أَبو مَعْمَر[(٥)] ـ وكان يقول: أَنا أَذكى من محمد وأَفهم، فلما وقعت[(٦)] هزيمة بدر طاش لُبُّه، وحدَّث أبا سفيان بن حرب بحديث كالمختبل[(٧)]، فنزلت الآية بسببه ونفياً لدعواه، وقيل: إنه كان ابن خَطَل[(٨)].

وقال الزهري: جاءَ هذا اللَّفظ على جهة المثل في زيد بن حارثة والتوطئة لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾؛ أَي: كما أنه ليس لأَحد قلبان، كذلك ليس دعِيُّه ابنَه[(٩)].

---

(١) ليس في نور العثمانية وأحمد٣، وفيهما فقط: «قال ابن عباس».

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٠٤)، من طريق: حفص بن نفيل، قال: ثنا زهير بن معاوية، عن قابوس بن أبي ظبيان أن أباه حدثه، قال: قلنا لابن عباس... وقابوس ضعيف، لا يحتج به.

(٣) سقطت من الحمزوية، وفي المطبوع: «منهم»، وفي نور العثمانية: «فيهم».

(٤) أخرجه الطبري في نفس الموضع من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس.

(٥) تفسير الثعلبي (٨/ ٦)، وسماه جميل بن معمر بن حبيب بن عبد الله الفهري، وفي أحمد٣: «ابن معمر».

(٦) في أحمد٣: «بلغت».

(٧) في المطبوع والحمزوية: «كالمختلِّ».

(٨) لم أجد ما نقله عن الثعلبي مسنداً.

(٩) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٠٥)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٦)، وفي المطبوع: «الزهراوي».

قال القاضي أَبو محمد: ويظهر من الآية أنها بجملتها نفي لأَشياءَ كانت العرب تعتقدها في ذلك الوقت، وإِعلامٌ بحقيقة الأَمر، فمنها أَن بعض العرب كانت تقول: إِن الإِنسان له قلب يأْمره وقلب ينهاه، وكان تضَادُّ الخواطر يحملها[1] على ذلك.

ومن هذا قول الكميت:

[الطويل] تَذَكَّـر مِـنْ أَنَّـى ومِـنْ أَيْنَ شُـرْبُهُ   يُؤامِرُ نَفْسَيْهِ كَذِي الثلَّةِ الأَبِلِ[2]

والناس حتى الآن يقولون إذا وصفوا أَفكارهم في شيءٍ ما: يقول لي أحدُ قلْبَيَّ كذا، ويقول الآخر كذا، وكذلك كانت العرب تعتقد [الزوجة إذا ظُوهر منها بمنزلة الأُم وتراه طلاقاً، وكانت تعتقد][3] / الدَّعيَّ المُتبَنَّى ابناً، فأَعلم الله تعالى أَنه لا أَحد بقلبين. [٤/ ٢٠١]

ويكون في هذا أيضاً طعن على المنافقين الذين تقدم ذكرهم؛ أَي: إنما هو قلبٌ واحد، فإِمَّا حَلَّه إيمانٌ وإمَّا كفر؛ لأَن درجة النفاق[4] كأَنَّها متوسطة يؤمن قلبٌ ويكفر الآخر، فنفاها الله تعالى، وبيَّن أَنه قلب واحد.

وعلى هذا النحو يستشهد الإنسان بهذه الآية متى نسي شيئاً أو وَهِمَ، يقول على جهة الاعتذار: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾؛ أَيْ: إذا نسي قلبُه الواحد يُذكِّره الآخر، وكذلك أَعلم أَن الزوجة لا تكون أُمّاً، وأَن الدعيَّ لم يجعله ابناً.

وقرأَ نافع، وابن كثير: ﴿الَّلاءِ﴾ دون ياءٍ.

ورُوي عن أَبي عمرٍو، وابن جُبَيْر: ﴿اللَّايْ﴾ بياءٍ ساكنة بغير هَمْز.

وقرأَ ورشٌ بياءٍ مكسورة من غير هَمْز.

---

(١) في المطبوع: «بجملتها».
(٢) البيت للكميت كما في تفسير الطبري (٤/ ٤١٥)، وقد تقدم في تفسير الآية (٨) من سورة البقرة، وفي المطبوع: «الْهَجْمَة».
(٣) ساقط من الحمزوية.
(٤) في المطبوع: «الكفار».

وقرأ عاصمٌ، وحمزة، والكسائي، [وابن عامر، وطلحة، والأَعمش؛ بِهَمْزةٍ مكسورة بعدها ياءٌ](١).

وقرأ ابن عامر: ﴿تَظَّاهَرُونَ﴾ بشدِّ الظاءِ وأَلف.

وقرأ عاصم، والحسن، وأَبو جعفر، وقتادة: ﴿تُظَـٰهِرُونَ﴾ بضم التَّاءِ وتخفيف الظاءِ.

وأَنكرها أَبو عمرٍو، وقال: إنما هذا في المُعَاونَة.

قال القاضي أبو محمد: وليس بمنكر، ولفظة ظهار تقتضيه.

وقرأ الكسائي وحمزة وأَبو بكر عن عاصم: ﴿تَظَاهَرُونَ﴾ بفتح التاءِ والظاءِ مخففة وألف(٢).

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو: ﴿تَظَّهَّرُونَ﴾ بشد الظاءِ والهاءِ دون أَلف(٣).

وقرأ يحيى بن وثاب: (تُظْهِرُونَ) بضم التَّاء وسكون الظاءِ وكسر الهاءِ(٤).

وفي مصحف أُبي بن كعب: (تَتَظَهَّرُونَ) بتاءَين(٥).

وكانت العرب تُطَلِّق وتقول: أَنْتِ مني كظهر أُمِّي، فنزلت الآية، وأنزل الله تعالى كفارة الظهار، وتفسير الظهار وبيانه أثبتناه في سورة المجادلة.

---

(١) ساقط من الحمزوية، وفي أحمد٣ بدلًا منه: «وقرأ الكوفيون وابن عامر وطلحة والأعمش»، وسقطت رواية ورش من فيض الله، وهذه أربع قراءات سبعية، إلا أن ورش سهل، انظر السبعة (ص: ٥١٨)، والتيسير (ص: ١٧٧)، وانظر تفسير الثعلبي (٨/ ٧).

(٢) زيادة من السليمانية ملحقة في هامشها، وفي المطبوع: «وقرأ عاصم»، بدل: «الكسائي».

(٣) هذه أربع قراءات سبعية، انظر التيسير (ص: ١٧٨)، والسبعة (ص: ٥١٩)، والوجه الثاني لشعبة هو من رواية يحيى الجعفي وأبي عمر عن الكسائي عنه كما في جامع البيان (٤/ ١٤٨٨)، وانظر إنكار أبي عمرو وقراءة الحسن في تفسير الثعلبي (٨/ ٧)، وقراءة قتادة في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٦٥) غير مضبوطة، وأما أبو جعفر فالذي في النشر (٢/ ٣٤٧) أنه كنافع.

(٤) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣٤)، والبحر المحيط (٨/ ٤٥٢)، ونقل عن الرازي عنه تشديد الهاء.

(٥) وهي شاذة، البحر المحيط (٨/ ٤٥٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ الآية، سببُها أمر زيد بن حارثة كانوا يدعونه زيْدَ بنَ محمد، وذلك أَنه كان عبداً لخديجة، فوهبته لرسول الله ﷺ، فأَقام عنده مُدَّة، ثم جاءَ عمُّه وأَبوه يرغبان في فدائه، فقال لهما النبي ﷺ ـ وذلك قبل البعث ـ: خيِّراهُ، فإِن اختاركما فهو لكما دون فداءٍ، فخيَّراه فاختار الرِّقَّ مع محمد ﷺ على حُرِّيته وقومِه، فقال محمد ﷺ: «يا معشر قريش، اشهدوا أنه ابْني، يرثني وأَرِثُه»، فرضي بذلك أَبوه وعمُّه وانصرفا(١).

وقوله تعالى: ﴿بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ تأْكيد لبطلان القول؛ [أَي: أَنه لا حقيقة له في الوجود، إنما هو قول فقط، وهذا](٢) كما تقول: أَنَا أَمْشي إليك على قدم، فإنما تؤكد بذلك المبرة(٣)، وهذا كثير.

و﴿يَهْدِى﴾ معناه: يُبيِّن، وهو يتعدى بغير حرف جرٍّ.

وقرأَ قتادة: (يُهَدِّي) بضم الياء وفتح الهاء وشد الدَّال(٤).

و﴿ٱلسَّبِيلَ﴾: هي سبيل الشرع والإِيمان.

وابن كثير، والكسائي، وعاصم في رواية حفص يقفون: ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾، ويطرحونها في الوصل.

وقرأَ نافع، وابن عامر، وعاصم بالأَلف وصْلاً ووقْفاً.

[وقرأَ أَبو عمرٍو، وحمزة بغير أَلِفٍ وصْلاً ووقْفاً، وهذا كله في غير هذا الموضع(٥).

---

(١) أما كون زيد بن حارثة كان يدعى زيد بن محمد حتى نزلت هذه الآية، فمتفق عليه، أخرجه البخاري (٤٧٨٢)، ومسلم (٢٤٢٥)، وأما بقية السياق فذكر نحوه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٤٢) عن هشام ابن محمد الكلبي، عن أبيه وعن جميل بن مرثد الطائي وغيرهما.

(٢) ساقط من فيض الله.

(٣) في المطبوع: «المسيرة».

(٤) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١١٩)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٨٢).

(٥) بل هو في الآية (٦٧) من هذه السورة، وكلها سبعية، انظر السبعة (ص: ٥٢٠)، والتيسير (ص: ١٧٨)، =

واتفقوا هنا خاصَّةً على طرح الأَلف وصْلاً ووقْفاً] لمكان أَلف الوصل التي تلقى اللام(١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ ﴾.

أَمر الله تعالى في هذه الآية بدعاءِ الأَدعياءِ إلى آبائهم للصُّلْب، فمن جُهل ذلك فيه كان مولًى وأَخاً في الدين، فقال الناس: زيد بن حارثة، وسالم مولى أَبي حذيفة، إلى غير ذلك، وذكر الطبريُّ أَن أَبا بَكْرَةَ قَرأَ هذه الآية ثم قال: أَنا ممَّن لا يُعرف أَبوه، وأَنا أَخوكم في الدين ومولاكم، قال الرَّاوي عنه: ولو علم ـ والله ـ أَن أَباه حَمَّارٌ لانتمى إليه(٢).

قال القاضي أَبو محمد: ورجال الحديث يقولون في أبي بَكْرَة: نُفَيْع بن الحارث(٣).

و﴿أَقْسَطُ﴾ معناه: أَعْدَل.

وقال قتادة: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «من ادَّعى إلى غير أبيه متعمداً؛ حرَّم الله عليه الجنَّة»(٤).

= والمقصود بعاصم في القراءة الثانية رواية شعبة؛ لتقدم حفص، وفي المطبوع بدله: «جعفر»، وفيه بدل «الكسائي»: «وابن عامر»، وكذا في السليمانية مكرراً، ولعله خطأ.

(١) في السليمانية: «تلي اللام»؛ يعني: أنه لا يمكن مده في الوصل بسبب همز الوصل في ﴿ ٱدْعُوهُمْ ﴾، وما بين المعكوفتين ساقط من الأصل.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٠٧)، من طريق: ابن علية، عن عيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: قال أبو بكرة، وإسناده لا بأس به.

(٣) انظر مثلاً: الطبقات لخليفة بن خياط (ص: ١٠٦)، والتاريخ الكبير للبخاري (٩/ ٩١)، والكنى والأسماء للإمام مسلم (١/ ١٥٢).

(٤) بل الحديث متفق عليه بنحو هذا اللفظ، ففي البخاري (٤٣٢٦)، (٤٣٢٧)، (٦٧٦٦)، ومسلم (٦٣) =

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ الآية، رفْعٌ للحرج عمَّن وَهِمَ ونَسِيَ وأَخطأَ فجرى لسانه[١] على العادة من نِسْبة زيْد إلى محمد ﷺ، وغير ذلك مما يُشبهه، وأَبقى الجُناح في التعمد مع النهي[٢] المنصوص.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾؛ يريد: لما مَضَى من فِعْلهم في ذلك، ثم هما صِفَتان للَّهِ عزَّ وجلَّ تطَّردان في كل شيءٍ.

وقالت فرقة: خطؤُهم فيما كان سلف من قولهم ذلك.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيف، ولا يوصف ذلك بالخطأ إلَّا بعد النهي، وإنما الخطأُ هنا بمعنى النسيان، وما كان مُقابل العمد.

وحكى الطبري عن قتادة أنه قال: الخطأُ الذي رفع الله فيه الجناح أن يعتقد في أحد أَنه ابن فلان فينسبه إليه، وهو في الحقيقة ليس بابنه، والعمد هو أن تنسبه إلى فلان وأنت تدري أَنه ابن غيره[٣].

والخطأُ مرفوع عن هذه الأُمة عقابه، وقد قال النبي ﷺ: «وُضِع عن أُمَّتي الخطأُ والنسيان وما أُكْرهوا عليه»[٤].

وقال ﷺ: «ما أَخشى عليكم الخطأَ، وإنما أَخشى عليكم العمد»[٥].

= من حديث سعد بن أبي وقاص وأبي بكرة بلفظ: «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم؛ فالجنة عليه حرام».

(١) من المطبوع.

(٢) في المطبوع بدل: «النهي»: «الشرط أو الجزاءِ».

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٠٦).

(٤) حسن، أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥)، وابن حبان (٧٢١٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢١٦)، والطبراني في الكبير (٧٦٥)، وفي الأوسط (٨٢٧٣)، من طرق عن الأوزاعي، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً، وفي لفظ: «إن الله قد تجاوز عن أمتي الخطأ»، وعند ابن حبان: عطاء، عن عبيد بن عمير، عن ابن عباس، وفي الباب عن أبي ذر وأبي الدرداء وثوبان وابن عمر وأبي بكرة، رضي الله عنهم أجمعين.

(٥) ضعيف، أخرجه أحمد في المسند (١٣/ ٤٤٠)، وابن حبان في صحيحه (٣٢٢٢)، من طريق: خالد بن حيان عن جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة مرفوعاً، وخالد قال أبو بكر =

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الآية؛ أَزال الله تعالى بها أَحكاماً كانت في صدر الإِسلام، منها أَن النبي ﷺ كان لا يُصلي على ميِّت عليه دَيْن[١]، فذكر الله تعالى أَنه أولى بالمؤمنين من أَنفسهم، فجمع هذا أَن المؤمن يلزم أن يحب النبيَّ ﷺ أَكثر من نفسه، حسب حديث عمر بن الخطاب[٢]، ويلزم أن يمتثل أَوامره، أَحبَّت نفسه ذلك أَم كرهته.

قال رسول الله ﷺ حين نزلت هذه الآية: «أَنا أولى بالمؤمنين من أَنفسهم، من ترك مالًا فلورثته، ومن ترك دَيْناً أو ضياعاً فعلَيَّ، أَنا وليُّه، اقرءُوا / إن شئتم: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾»[٣]. [٤/ ٢٠٢]

وقال بعض العلماءِ العارفين: هو أَوْلى بهم من أَنفسهم؛ لأَن أَنفسهم تدعوهم إلى الهلاك، وهو يدعوهم إلى النجاة[٤].

قال القاضي أَبو محمد: ويؤيد هذا قوله ﷺ: «أَنا آخِذٌ بحجزكم عن النار وأَنتم تَقَحَّمون فيها تقحُّم الفَراش»[٥].

وشرَّف[٦] تعالى أزواج النبي ﷺ بأَن جعلهن أُمَّهات للمؤمنين: في حرمة النكاح وفي المبرَّة، وحجبن رضي الله عنهن بخلاف الأُمَّهات.

= الأثرم، عن أحمد بن حنبل: قدم علينا، لم يكن به بأس، كان يروى عن جعفر غرائب، كتبنا عنه غرائب، ونحوه أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ١٠٩)، من حديث بقية، عن ثابت بن عجلان، عن عطاء، عن عائشة مرفوعاً، وبقية ليس بعمدة وهو مدلس وقد عنعن، وثابت كذلك لا يعتمد عليه، ولفظة: «عليكم» الثانية من المطبوع.

(١) أخرجه البخاري (٢٢٨٩)، (٢٢٩٥)، من حديث سلمة بن الأكوع، و(٢٢٩٨)، (٥٣٧١)، ومسلم (١٦١٩)، عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٣٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٣٩٨)، (٢٣٩٩)، (٦٧٦٣)، ومسلم (١٦١٩).

(٤) نقله القرطبي في تفسيره (١٤/ ١٢٢)، وأبو حيان في البحر المحيط (٨/ ٤٥٣).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤)، بنحوه.

(٦) في الأصل: «وبشر».

قال مسروق: قالت امرأة لعائشة رضي الله تعالى عنها: يا أُمَّه، فقالت: لستُ لك بأُمٍّ، إِنما أَنا أُمُّ رجالكم[١].

وفي مصحف أُبي بن كعب: (وأَزواجه أُمهاتُهم وهو أَبٌ لهم)[٢].

وقرأَ ابن عباس: (مِنْ أَنْفُسهم وهو أَب لهم وأزواجه أُمهاتهم)[٣].

وسمع عمر رضي الله عنه هذه القراءة فأَنكرها، فقيل له: إِنها في مصحف أُبَيٍّ، فسأَله فقرَّرها أُبيٌّ وأَغلظ لعمر[٤].

وقد قيل في قول لوط عليه السلام: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ [هود: ٧٨] إنما أَراد المؤمنات أَن يزوجوهن[٥].

ثم حكم تعالى بأَن أُولي الأَرحام أَحق مما كانت الشريعة قررته من التوارث[٦] بأُخوَّة الإِسلام وبالهجرة، فإِنه كان بالمدينة توارثٌ في صدر الإِسلام بهذين الوجهين،

---

(١) في أحمد٣ والسليمانية: «رجالكن»، والأثر صحيح، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٧٠)، من طريق: أبي عوانة، وابن سعد في الطبقات (٨/ ٦٧) من طريق: سفيان، كلاهما عن فراس عن عامر، عن مسروق، عن عائشة به.

(٢) وهي شاذة، انظر تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٣٠١)، ونقلها مكي في الهداية (٥/ ٣٤٤٣)، والزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٢٣)، عن ابن مسعود، وجاءت في معاني القرآن للنحاس (٣/ ٣٦٨) لهما، وفي معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣٥) على الشك بينهما.

(٣) وهي شاذة، أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤١٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٦٩)، من حديث طلحة عن عطاء عنه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٠/ ١٨١)، عن ابن جريج، أخبرني عمرو بن دينار، عن بجالة التميمي قال: وجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مصحفاً في حجر غلام له، وإسناده جيد، وهي في تفسير الثعلبي (٨/ ٨)، إلا أنها فيه كالأولى بتأخير: (وهو أب لهم).

(٥) في أحمد٣: «يتزوجوهن»، وفي السليمانية ونور العثمانية وفيض الله: «أي: تزوجوهن»، وقد تقدم ذلك في محله.

(٦) في الأصل وفيض الله: «الثواب».

اختلف الرواة في صفته، وليس لمعرفته الآن حكم فاختصرته، وردَّ الله تعالى المواريث على الأَنساب الصحيحة.

وقوله تعالى: ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد القرآن، ويحتمل أن يريد اللَّوح المحفوظ.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ متعلِّق بـ﴿أَوْلَىٰ﴾ الثانية، وهذه الأُخوَّة والهجرة التي ذكرنا.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ﴾ يريد الإحسان في الحياة، والصِّلة والوصية عند الموت، قاله قتادة، والحسن، وعطاءٌ، وابن الحنفية[١]، وهذا كله جائز أَن يُفعل مع الوَلِي على أَقسامه[٢]، والقريب الكافر[٣] يوصى له بوصية[٤].

واختلف العلماءُ، هل يجعل هو وصيّاً؟ فجوَّز بعض، ومنع بعض، ورد النظر في ذلك إلى السلطان [بعضٌ، منهم][٥] مالك بن أنس رضي الله عنه[٦].

وذهب[٧] مجاهد، وابن زيد، والرمانيُّ، وغيرهم إلى أَن المعنى: إلى أوليائكم من المؤمنين[٨].

(١) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢٠/ ٢١١).
(٢) في فيض الله: «أنسابه».
(٣) في أحمد٣: «والكافر بالعطف»، وأشار لها في حاشية المطبوع.
(٤) هذا بإجماع العلماء إذا لم يكن القريب وارثاً بسبب رق أو كفر، انظر الإقناع (٣/ ١٣٨٠).
(٥) ساقط من نور العثمانية وفيض الله.
(٦) انظر البيان والتحصيل (٤/ ٤٨٦)، والذخيرة للقرافي (٧/ ١٥٨)، وقال في المدونة (٤/ ٣٣٤) بعدم جواز ولاية الذمي على المسلم دون قيد، وهو قول الشافعي كما في الحاوي للماوردي (٨/ ٣٣٠)، وأجازها بلا قيد الحنفية، كما في المبسوط للسرخسي (٢٨/ ٣٠)، وأما الكافر غير الذمي فلا تجوز ولايته إجماعاً، كما في الأوسط (٨/ ١٤٧)، والمغني لابن قدامة (٦/ ١٤٣).
(٧) في الأصل: «ومجاهد»، كأنه عطف على ما قبله، والمثبت من النسخ الأخرى.
(٨) نقله عنهم تفسير القرطبي (١٤/ ١٢٦)، وذكره ابن فورك في تفسيره (٢/ ٨٤) بلا نسبة.

قال القاضي أبو محمد: ولفظ الآية يعضد هذا المذهب، وتعميم لفظ «الوَلِيِّ» أَيضاً حسنٌ كما قدَّمناه؛ إذ ولاية النسب لا تدفعه في الكافر، وإنما يدفع أن يلقى إليه بالمودة كولي الإسلام.

[والْكِتاب الذي سطر][١] ذلك فيه يحتمل الوجهين اللذين ذكرنا.

و﴿مَسْطُورًا﴾ من قولك: سَطَرْتُ الْكِتَابَ: إذا أَثْبَته أَسْطَاراً، ومنه قول العَجَّاج:

في الصُّحُف الأُولى الَّتي كانَ سَطَرْ[٢]

قال قتادة: وفي بعض القراءَة[٣]: (كان ذلك عند الله مكتوباً)[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾.

(إِذْ): يحتمل أن يكون ظرفاً لتسطير الأَحكام المتقدمة في الكتاب، كأَنه قال: كانت الأَحكام مسطرةً مُلقاةً إلى الأنبياء إذْ أَخذنا عليهم الميثاق في التبليغ والشرائع، فتكون (إذْ) متعلقةً بقوله: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: ٦].

ويحتمل أن يكون في موضع نصب بإضمار فعل تقديره: واذكر إذْ.

وهذا التَأْويل أَبينُ من الأَول.

وهذا «الميثاق» المشار إليه؛ قال الزجاج وغيره: إنه الذي أُخذ عليهم وقت

---

(١) في المطبوع بدلًا منه: «والكتابي الذي ينتظر».

(٢) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٣٨٣)، وتفسير الطبري (١٧/ ٤٧٦).

(٣) في نجيبويه: «المصاحف».

(٤) والعبارة في أحمد٣: «وقرئ مكتوباً»، وهي من غرائب الشيخ رحمه الله، وتبعه القرطبي في التفسير (١٤/ ١٢٦)، وفي معاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٢٦): قال قتادة: أي: مكتوباً لا يرث كافر مسلماً.

استخراج البشر من صُلب آدم كالذَّرِّ[١]، قالوا: وأَخذ الله تعالى حينئذ ميثاق النَّبيِّين بالتبليغ وتصديق بعضهم بعضاً، وبجميع ما تتضمَّنه النبوة، ورُوي نحوه عن أُبَيٍّ بن كعب[٢].

وقالت فرقة: بل أشار إلى أَخذ الميثاق على كل واحد منهم عند بعثه، وعند إِلقاءِ الرسالة إليه وأَوامرها ومعتقداتها.

وذكر الله تعالى ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ جملةً، ثم خصص بالذكر أفذاذاً[٣] منهم تشريفاً وتخصيصاً؛ إذ هؤلاءِ الخمسة ـ صلى الله عليهم وسلم ـ هم أصحاب الكتب والشرائع والحروب الفاصلة على التوحيد وأُلو العزم، ذكره الثعلبي[٤].

وقدَّم ذكر محمد ﷺ على مرتبته[٥] في الزمن تشريفاً خاصاً له أَيضاً.

ورُوي عنه ﷺ أنه قال: «كنت أَوَّل الأَنبياءِ في الخَلْق وآخرهم في البعث»[٦].

وكرَّر «أخذ الميثاق» لمكان الصفة التي وُصف بها.

و﴿غَلِيظًا﴾ إشعارٌ بحرمة هذا الميثاق وقوتها.

واللام في قوله تعالى: ﴿لِّيَسْـَٔلَ﴾: متعلقة بـ ﴿أَخَذْنَا﴾.

ويحتمل أَن تكون لام «كيْ»؛ أَي: بعثت الرسل وأَخذت عليهم المواثيق في التبليغ لكي يجعل الله خلقه فرقتين:

فرقة صادقة[٧] يسأَلها عن صدقها، على معنى إقامة الحجة والتقرير، كما قال

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢١٦).
(٢) لم أقف على أثر أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو مروي عن مجاهد، أخرجه الطبري (٢٠/ ٢١٣).
(٣) في المطبوع ونور العثمانية وأحمد٣: «أَفراداً».
(٤) تفسير الثعلبي (٨/ ١٠).
(٥) في المطبوع: «مزِيته».
(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢١٣)، عن قتادة قال: وذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول... وهذا مرسل، وروي عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً، ذكره في الدر المنثور عن جماعة، والأول أشبه، وهذا مع ذلك فيه انقطاع.
(٧) من السليمانية.

لعيسى عليه السلام: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦] فتجيب كأَنها قد صدقت الله في إيمانها في جميع أَفعالها، فَيُثِيبُها على ذلك.

وفرقة كفرت فينالها ما أَعدَّ لها من العذاب الأَليم.

ويحتمل أَن تكون اللام في قوله: ﴿لِّيَسْـَٔلَ﴾ لامَ الصَّيرورة؛ أَيْ: أَخذ الميثاق على الأَنبياء ليصير الأَمر إلى كذا، والأَول أَصوب.

والصدق في هذه الآية يحتمل أَن يكون المضاد للكذب في القول.

ويحتمل أَن يكون من صدق الأَفعال واستقامتها، ومنه: عود صدق، وصدقني السيف والمال.

وقال مجاهد: ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في هذه الآية أَراد بهم الرُّسل؛ أَي: يسأَل عن تبليغهم[١].

وقال أَيضاً: أَراد المؤَدِّين المبلغين عن الرسل[٢]، وهذا كله محتمل.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآيات إلى قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ / نزلت في شأْن غزوة الخندق وما اتصل بها من أَمر بني قريظة. [٤/ ٢٠٣]

وذلك أَن رسول الله ﷺ أَجلى بني النضير من موضعهم [عند المدينة][٣] إلى خيبر، واجتمعت جماعة منهم ومن غيرهم من اليهود وخرجوا إلى مكة مستنهضين قريشاً إلى حرب رسول الله ﷺ، وجَسَّرُوهم على ذلك، وأَزمعت قريش السير إلى المدينة.

ونهض اليهود إلى غطفان [وبني أَسد][٤] ومَنْ أمكنهم[٥] من أَهل نجد وتِهَامة، واستنفروهم [إلى ذلك][٦]، فتحزب الناس وساروا إلى المدينة.

---

(١) بلا نسبة في تفسير الماوردي (٤/ ٣٧٨)، وتفسير السمعاني (٤/ ٢٦٢)، وتفسير البغوي (٣/ ٦١١).
(٢) بلا نسبة في الوجيز للواحدي (ص: ٨٥٩)، وفي المطبوع: «من الرسل».
(٣) في المطبوع: «عن المدينة».
(٤) في نجيبويه: «بني أمية»، وفي الحمزوية: «والسدوس».
(٥) في المطبوع: «أَمَّلهم».
(٦) في نجيبويه: «إلى المدينة».

واتصل الخبر برسول الله ﷺ، فحفر الخندق حول ديار المدينة وحصَّنه، وكان أَمراً لم تعهده العرب، وإنما كان من أَعمال فارس والروم، وأَشار به سلمان الفارسي، رضي الله عنه.

فورد الأَحزاب؛ قريش وكنانة والأحابيشُ في نحو عشرة آلاف عليهم أَبو سفيان ابن حرب، ووردت غطفان وأهل نجد عليهم عُيَيْنَة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، ووردت بنو عامر وغيرهم عليهم عامر بن الطفيل إلى غير هؤلاء، فحصروا المدينة.

وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة، على ما قال ابن إِسحاق[١].

وقال مالك: كانت سنة أَربع[٢].

وكانت بنو قريظة قد عاهدوا رسول الله ﷺ على الهدنة، وعاقدوه على أَلَّا يلحقه منهم ضرر، فلما تمكن هذا الحصار داخَلَهم[٣] بنو النَّضير، فغدروا رسول ﷺ، ونقضوا عهوده، وصاروا له حزباً مع[٤] الأَحزاب، فضاقت الحال على رسول الله ﷺ والمؤمنين، [ونجم النفاق][٥] وساءت الظنون، ورسول الله ﷺ يبشِّرُ ويعد بالنصر.

وأَلقى الله الرعب في قلوب المشركين، ويئسوا من الظفر بِمَنَعَة الخندق، وبما

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٤).

(٢) البيان والتحصيل (١٧/ ٢٠٥)، عن العتبية، قال: وهو خلاف ما قاله أهل السير، وقد رجحه ابن حزم في جوامع السيرة (ص: ١٤٧) بقوله: والثابت أنها في الرابعة بلا شك، وفي دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣٩٥): أنه قول موسى بن عقبة وابن شهاب، ثم قال: ولا اختلاف بينهم في الحقيقة، وذلك لأن رسول الله ﷺ قاتل يوم الخندق بعد أحد بسنتين على رأس أربع سنين ونصف من مقدمه المدينة، فمن قال سنة أربع: أراد بعد أربع سنين، وقبل بلوغ الخمس، ومن قال: سنة خمس أراد بعد الدخول في السنة الخامسة.

(٣) في المطبوع: «واثقهم».

(٤) في المطبوع: «من».

(٥) ساقط من المطبوع، وفيه: «وكثرت» بدل: «ساءت».

رأَوا من جَلَد المؤْمنين، وجاء رجل من قريش اسمه نوفل بن الحارث ـ وقيل غير هذا ـ[(١)]، فاقتحم الخندق بفرسه فقُتل فيه، فكان ذلك حاجزاً بينهم.

ثم إن الله تعالى بعث الصَّبا لنصرة نبيِّه ﷺ على الكفار، فأصردتهم[(٢)]، وهجمت[(٣)] بيوتهم، وأَطفأَت نيرانهم، وقطعت حبالهم، وكفأَت قدورهم، ولم يمكنهم معها قرار.

وبعث الله مع الصَّبا ملائكة تسدد[(٤)] الريح، وتفعل نحو فعلها، وتلقي الرعب في قلوب الكفرة حتى أزمعوا الرحلة بعد بضع وعشرين ليلة للحَصْر[(٥)]، فانصرفوا خائبين، فهذه الجنود التي لم تُر.

وقرأَ الحسن: (وَجَنُوداً) بفتح الجيم[(٦)].

وقرأَ الجمهور: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاءِ، فكأَن في الآية مُقابلة لهم؛ أي: أنتم لم تروا جنوده وهو بصير بأَعمالكم، يبين في هذا القدرة والسلطان.

وقرأَ أبو عمرو وحده: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بالياءِ على معنى الوعيد للكفرة، وقرأَ أَبو عمرو أَيضاً بالتاءِ، وهما حسنتان[(٧)].

ورُوي عن أبي عمرو: (لم يروها) بالياء من تحت[(٨)].

---

(١) المعروف: أنه نوفل بن عبد الله بن المغيرة، انظر: السير لأبي إسحاق الفزاري (ص: ١١٥)، ومغازي الواقدي (٢/ ٤٧٢)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٤٣٧)، والسيرة الحلبية (٢/ ٤٢٣)، وغيرها.

(٢) في المطبوع: «فطردتهم»، وبدلها بياض في الأصل بمقدار ثلاث كلمات، وفي تاج العروس (٨/ ٢٧٥): التصريد التفريق والتقطيع.

(٣) في المطبوع: «وهدَّدت».

(٤) في المطبوع ونور العثمانية وأحمد٣: «تُشدِّد»، وفي نجيبويه: «تشرد».

(٥) في أحمد٣: «للحفر».

(٦) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٧).

(٧) وهما سبيعتان، انظر التيسير (ص: ١٧٧)، والوجه الثاني لأبي عمرو من رواية أبي زيد وعبيد وهارون كما في السبعة (ص: ٥١٩).

(٨) شاذة، نقلها في مختصر الشواذ (ص: ١١٩)، والكرماني في الشواذ (ص: ٣٨٣)، عن علي بن نصر عن أبيه عنه، وفي المطبوع: «عمرة».

قال أبو حاتم: قراءة العامة: ﴿لَّمْ تَرَوْهَا﴾ بالتاء من فوق، [﴿ يعملون﴾ بالياء من تحت][(١)].

ورُوي عن الحسن، ونافع، والأعرج: (تِعْمَلُون) بالتاء مكسورة، وهي لغة[(٢)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾.

﴿إِذْ﴾ هذه [بدلٌ من الأُولى][(٣)] من قوله: ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾؛ يريد: أَهل نَجْد مع عُيَيْنَة بن حصن، ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾؛ يريد: مكة وسائر تِهَامة، قاله مجاهد[(٤)].

[وقيل: ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾؛ أَي: من أَعلى الوادي من قِبَل مشرف غطفان، ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ من أَسفل الوادي منه قِبَلَ المغرب][(٥)].

وقيل[: بل (من فوق) و(أسفل) هنا][(٦)] إِنما يراد به ما يختص ببقعة المدينة؛ أَي: نزلت طائفة في أَعلى المدينة، وطائفة من أَسفلها، وهذه عبارة عن الحصر.

و﴿زَاغَتِ﴾ معناه: مالت عن مواضعها، وذلك فِعل الواله الفَزِع المختبل[(٧)].

---

(١) سقط من المطبوع، وكلام أبي حاتم في ترونها واضح مما تقدم، وفي ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بعيد من التحرير كما هو واضح أيضاً مما تقدم.

(٢) وهي شاذة، لم أجدها لهم، لكن تقدمت الإشارة لمثلها، وفي البحر المحيط (٦/ ٢٢٠): وعن أبي عمرو: بكسر التاء على لغة تميم في مضارع علم غير الياء، سقط الأعرج من الأصل، وسقطت وهي لغة منه ومن المطبوع، وسقطت مكسورة من المطبوع، وفيه: «يعملون».

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٨).

(٥) من المطبوع.

(٦) ليس في المطبوع، ويحتمل أن يكون بدلًا مما قبله.

(٧) ليس في المطبوع.

وأَدغم الأعمش: ﴿إذ زَّاغت﴾، وبيَّن الذال الجمهورُ، وكُلٌّ حسن[١].

و(بلغَت القلوبُ الحناجِرَ): عبارة عما يجده الهَلِعُ من ثوران نفسه وتفرقها شعاعاً، ويجد كأَن حشوته[٢] وقلبه يصْعَد علوّاً لينفصل، فليس بُلُوغ القلوب الحناجر حقيقة بالنقلة، بل تشير إلى ذلك وتجيش[٣]، فيستعار لها بلوغ الحناجر.

ورَوى أَبو سعيد الخدري أَن المؤمنين قالوا يوم الخندق: يا رسول الله، بلغت القلوب الحناجر، فهل من شيءٍ نقوله؟ قال: نعم، قولوا: «اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا»، فقالوها فضرب اللهُ وجوه الكفار بالريح فهزمهم[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾؛ أَي: تكادون تضطربون وتقولون: ما هذا الخُلْفُ للموعد؟ وهذه عبارة عن خواطر خطرت[٥] للمؤمنين لا يمكن للْبَشَرِ دفعها، وأما المنافقون فجَلَّحُوا ونطقوا.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وعاصم، وأبو جعفر، وشيبة، والأَعمش، وطلحة: ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ بأَلف في الوصل والوقف، وذلك اتباع لخط المصحف، وعلته تعديل رؤوس الآي.

وطَرْد هذه العلَّة أن يلازم الوقف، وقد روي عن أبي عمرو أَنه كان لا يصل، وكان[٦] يوافق خط المصحف وقياس الفواصل.

---

(١) أبعد، فهما سبعيتان، الأولى لأبي عمرو وهشام وخلاد والكسائي، انظر التيسير (ص: **٤٢**).

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) كذا في نجيبويه، «وتجيش» سقطت من المطبوع، وفي الأصل: «وتحبش»، وفي السليمانية: «وتخنس»، وفي الحمزوية وأحمد٣: «ويحسن»، وفي فيض الله وفي نور العثمانية: «بل ينشر إلى ذلك ويحيس».

(٤) إسناده لين، أخرجه أحمد (**١٧/ ٢٧**)، من طريق: الزبير بن عبد الله، حدثني ربيح بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه.

(٥) ليست في المطبوع.

(٦) في أحمد٣: «فكان»، وفي الأصل هنا زيادة: «لا»، وليست في النسخ الأخرى.

وقرأ أبو عمرو أَيضاً، وحمزة في الوصل والوقف: ﴿الظُّنُونَ﴾ بغير أَلف، وهذا هو الأَصل.

وقرأ ابن كثير، والكسائي، وعاصم، وأَبو عمرو بالأَلف في الوقف، وبحذفها في الوصل(١).

وعلَّلوا الوقف بتساوي رؤُوس الآي، على نحو فعل العرب في القوافي من الزيادة والنقص.

وقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ﴾ ظرف زمان، والعامل فيه ﴿ٱبْتُلِيَ﴾.

ومن قال: إن العامل فيه ﴿وَتَظُنُّونَ﴾ فليس قوله بالقوي؛ لأَن البداءَة ليست متمكنة.

و﴿ٱبْتُلِيَ﴾ معناه: اخْتُبِر وامتحن الصابر منهم من الجازع.

﴿وَزُلْزِلُواْ﴾ معناه: حركوا بعنف.

وقرأ الجمهور: / ﴿زِلْزَالًا﴾ بكسر الزاي. [٤/ ٢٠٤]

وقرأَها: (زَلْزَالاً) بالفتح: الجحدريُّ، وكذلك (زَلْزَالَهَا) في «إذا زلزلت» [الزلزلة: ١](٢).

[وهذا الفعل هو مضاعف: زل؛ أي: زلزله غيره](٣).

ثم ذكر تعالى قول المنافقين والمرضى القلوب، [ونبه عليهم](٤) على جهة الذَّم لهم.

---

(١) في هذه الكلمات ثلاث قراءات؛ الأولى: بالألف وصلًا ووقفاً لنافع وابن عامر وشعبة، وافقهم أبو جعفر كما في النشر (٢/ ٣٤٧)، والثانية بلا ألف وصلاً ووقفاً لحمزة وأبي عمرو، والثالثة بالألف وقفاً لا وصلاً لابن كثير وحفص والكسائي، انظر التيسير (ص: ١٧٨)، فيستدرك عليه ابن عامر وعدم الدقة في النقل عن عاصم، وانظر الأوجه الأخرى لأبي عمرو في السبعة (ص: ٥١٩).

(٢) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١١٩)، وعزا له الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٣٨٣) الكسر في (زلزلوا).

(٣) ساقط من المطبوع.

(٤) ليس في المطبوع.

ورُوي عن يزيد بن رومان أن معتِّب بن قُشير قال: يعدنا محمد أَن نفتح كنوز كسرى وقيصر ومكة، ونحن الآن لا يقدر أَحدنا أن يذهب إلى الغائط، ما يعدنا إِلَّا غروراً؛ أَي: أَمراً يغرُّنا ويوقعنا فيما لا طاقة لنا به، وقال غيره من المنافقين نحو هذا فنزلت الآية فيهم(١).

وقولهم: ﴿ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ إنما هو على جهة الهزءِ، كأنهم يقولون: على زعم هذا الذي يدعي أَنه رسول، ويدل على هذا أَن من المحال أن يكون اعتقادهم أَن ذلك الوعد هو من الله ومن رسوله ثم يصفونه بالغرور، بل معناه: على زعم هذا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾.

هذه المقالة رُوي أن بني حارثة قالوها(٢)، [وبيوتهم بحدود المدينة، وقال مقاتل: بنو سَلِمة(٣)، وقيل: القائل لذلك عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سلول وأَصحابه](٤).

---

(١) مرسل، أخرجه الطبري (٢٠/ ٢١٧)، عن ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان مولى آل الزبير، عن عروة بن الزبير، وعمن لا أتهم، عن عبيد الله بن كعب بن مالك، وعن الزهري، وعن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم، وعن محمد بن كعب القرظي، وعن غيرهم من علمائنا أنه كان من حديث الخندق، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٥)، من طريق: يونس بن بكير عن ابن إسحاق: حدثنا يزيد ابن رومان، عن عروة بن الزبير، ويزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، وعثمان بن كعب بن يهوذا، أحد بني قريظة، عن رجال من قومه قال: قال معتب بن قشير... إلخ.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٢٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس.

(٣) في حاشية المطبوع: «ذكر في بعض النسخ»، وفي تفسير البحر المحيط أنهم بنو مسلمة، والثابت في سيرة ابن هشام أنهم بنو سَلَمَة.

(٤) من المطبوع.

[و﴿يَثۡرِبَ﴾: قطر محدودٌ، المدينة في طرف منه][(١)].

وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلمي، وحفص عن عاصم، ومحمد اليماني، والأعرج: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمۡ﴾ بضم الميم، والمعنى: [لا موضع إقامة.

وقرأ الباقون: ﴿لا مَقامَ﴾ بفتح الميم بمعنى: [(٢)] لا موضع قيام، وهي قراءَة أَبي جعفر، وشيبة، وأَبي رجاءٍ، والحسن، وقتادة، والنَّخَعي، وعبد الله بن مسلم، وطلحة[(٣)]، والمعنى: في حومة[(٤)] القتال وموضع الممانعة.

﴿فَٱرۡجِعُواْ﴾ معناه: إلى منازلكم وبيوتكم، وكان هذا على جهة التخذيل عن رسول الله ﷺ.

و«الفريق المستأْذن»: روُي أَن أوس بن قَيْظِي، استأْذن في ذلك عن اتفاق من عشيرته، فقال: إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ[(٥)]؛ أَي: منكشفة للعدو، وقيل: بل أَراد[(٦)]: خالية للسراق، يقال: اعوَرَّ المنزل إذا انكشف، ومنه قول الشاعر:

له الشَّدَّةُ الأُولى إذا القِرْنُ أَعْوَرَا[(٧)] .... [الطويل]

قال ابن عباس: الفريق بنو حارثة[(٨)]، وهم كانوا عاهدوا الله إِثر أُحُد لا يُوَلُّون الأَدبار.

---

(١) ليس في المطبوع، وكأن ما قبله بدل منه.
(٢) سقط من المطبوع.
(٣) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٢٠)، وموافقة السلمي في تفسير الطبري (٢٠/ ٢٢٦)، والباقين في البحر المحيط (٨/ ٤٦٠).
(٤) في المطبوع: «موضع»، وفي السليمانية: «حرمة».
(٥) نفس الخبر السابق الذي خرجناه من الطبري والبيهقي.
(٦) ليست في الأصل، «وبل»: زيادة من الحمزوية.
(٧) بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣٧)، وتفسير الماوردي (٤/ ٣٨٣)، وتهذيب اللغة (٣/ ١١٠)، وفي المطبوع: «لَنَا».
(٨) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٢٦) بسند ضعيف.

وقرأَ ابن عباس، وابن يعمر، وقتادة، وأبو رجاءٍ: (عَوِرَةٌ) بكسر الواو فيهما، وهو اسم فاعل، قال أَبو الفتح: صحة الواو في هذه شاذة؛ لأَنها متحركة قبلها فتحة[١].

وقرأَ الجمهور: ﴿عَوْرَةٌ﴾ ساكنة الواو على أَنه مصدر وُصف به، والبيت المُعْوِرُ هو المنفرد المعرَّض لمن شاءَه بسوءٍ، فأَخبر الله تعالى عن بيوتهم أنها ليست كما ذكروه، وأَن قصدهم الفِرار، وأَن ما أَظهروه من أنهم يريدون حماية بيوتهم وخاصة نفوسهم ليس كذلك، وأَنهم إنما يكرهون نصر رسول الله ﷺ، ويريدون حربه[٢] وأَن يُغلب.

ولو دُخِلت المدينة من أقطارِها، واشتد الخوف الحقيقي، ثم سُئلوا الفتنة والحرب لمحمد ﷺ وأصحابه، لطاروا إليها وأتوها مُحِبِّين[٣] فيها، ولم يتلبثوا في بيوتهم لحفظها إلَّا يسيراً، قيل: قَدْر ما يأْخذون سلاحهم.

وقرأَ الحسن البصري: (ثم سُولو الفتنة) بغير همز، وهي من: سَالَ يَسَالُ، كخاف يخاف، لغة في «سأَل» العين فيها واو، وحكى أَبو زيد: هما يتساولان[٤].

ورُوي عن الحسن: (سُيِلُوا الْفِتْنَةَ)، وقرأَ مجاهد: (سُوئِلُوا) بالمدِّ[٥] والهمز[٦].

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: ﴿لأَتَوها﴾ قصراً[٧] بمعنى: لجاؤُوها.

وقرأَ عاصم، وأَبو عمرو: ﴿لَآتَوْهَا﴾ بمعنى: لأَعْطَوْهَا من أَنفسهم، وهي قراءَة

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهم وكلام أبي الفتح في المحتسب (٢/ ١٧٦).

(٢) في المطبوع: «خِزْيه».

(٣) في المطبوع: «مجيبين»، مع الإشارة للمثبت، قلت: ولعل الصواب: مخبين، بالخاء، لم تظهر نقطتها في المخطوطات.

(٤) المحتسب (٢/ ١٧٧)، والمحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٦١٢).

(٥) انظر قراءة مجاهد والوجه الأول للحسن في مختصر الشواذ (ص: ١٢٠)، ونقل الكرماني في الشواذ (ص: ٣٨٣) عن الحسن والزهري: (سُيلوا) بتخفيف الهمز، (وسِيلوا) بكسر السين، والأولى في المطبوع ونجيبويه وفيض الله: «سلوا»، ولم أقف على ما يوافقها في شيء من مصادر القراءات.

(٦) زيادة من السليمانية ملحقة في هامشها وعليها علامة تصحيح.

(٧) من السليمانية وكأنها ملحقة.

حمزة، والكسائي[١]، فكأَنها ردٌّ على السؤال ومشبهة له.

قال الشعبي: وقرأَها النبي ﷺ بالمدِّ[٢].

ثم أَخبر عنهم تعالى أَنهم قد كانوا عاهدوا على أَلَّا يفرُّوا، ورُوي عن يزيد بن رومان أن هذه الإشارة إلى بني حارثة[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهم مع بني سَلَمة كانتا الطائفتين اللتين همَّتا بالفشل في يوم أحد، ثم تابا وعاهدا على أَلَّا يقع منهم فرار، فوقع[٤] يوم الخندق من بني حارثة [هذا الاستئذان][٥].

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ تَوَعُّدٌ، والأقطار النواحي واحدها قطر، وقتر، والضمير في بِها يحتمل المدينة ويحتمل الْفِتْنَةَ[٦].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾.

أَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ في هذه الآية أَن يخَاطبهم بتوبيخ، فأَعلمهم بأَن الفرار لا ينجي من القدر، وأعلمهم أَنهم لا يُمتَّعُون في تلك الأَوطان كثيراً[٧]، بل تنقطع أَعمارهم

(١) انظر السبعة (ص: ٥٢٠)، والمعروف عن ابن عامر في التيسير (ص: ١٧٨) المد، وكذا النشر (٢/ ٣٤٨)، إلا الصوري عن ابن ذكوان فبالقصر.

(٢) لم أقف عليه، ولو ثبت عن الشعبي فهو على كل حال مرسل.

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٢٨).

(٤) سقط من أحمد٣، وزاد بعد «يوم الخندق»: «ولم يصدر»، وأشار لها في هامش السليمانية وعليها علامة «نخ».

(٥) ساقط من المطبوع.

(٦) في المطبوع: «البيوت».

(٧) ليست في المطبوع.

في يسير من المدة، والقليل الذي استثناه هي مدة الآجال، قاله الربيع بن خُثَيْم[١]، ثم وقفهم على [عاصمٍ من أمر الله][٢] يستندون إليه، ثم حكم بأَنهم لا يجدون ذلك، ولا وليَّ ولا نصير من الله عزَّ وجلَّ.

وقرأَت فرقة: (يُمَتَّعُونَ) بالياء، [وقرأَت فرقة: ﴿تُمَتَّعُونَ﴾ بالتاء][٣] على المخاطبة[٤].

ثم وبَّخهم بإخباره[٥] أَن الله تعالى يعلم المعوقين، وهم الذين يعوقون الناس عن نُصْرَة الرسول ﷺ، ويمنعونهم بالأَقوال والأفعال من ذلك، ويسعون على الدين[٦]، تقول: عاقني أَمر كذا، وعوَّقني: إذا بالغت وضعفت الفعل.

وأَما القائلون فاختلف الناسُ في حالهم ـ فقال ابن زيد وغيره: أَراد [من كان من][٧] المنافقين، / يقول المنافق لإِخوانه في النسب وقرابته: هَلُمَّ إلينا؛ أَي: إلى المنازل والأَكل والشرب وترك القتال. [٤/ ٢٠٥]

ورُوي أَن جماعةً منهم فعلت ذلك.

ورُوي أَن رجلاً من المؤمنين رجع إلى داره فوجد أَخاً له منافقاً، بين يديه رغيف وشواءٌ ونبيذ[٨]، فقال له: أَتجلس يا فلان هكذا ورسول الله ﷺ في القتال؟ فقال له أَخوه: هلُمَّ إلى ما أَنا فيه يا فلانُ، ودعنا من محمد فقد ـ والله ـ هَلَكَ، وماله قِبَلٌ بأَعدائه، فشتمه

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٢٩).

(٢) في فيض الله: «على أن لا عاصم»، وفي السليمانية: «من أمر الله»، وفي الأصل: «يسيرون»، بدل: «يستندون».

(٣) ساقط من الأصل والسليمانية.

(٤) تفسير القرطبي (١٤/ ١٥١)، وعزا الياء لرواية الساجي عن يعقوب الحضرمي.

(٥) سقطت من الأصل.

(٦) في المطبوع بدلًا منه: «الذين ينصرونه».

(٧) ليس في المطبوع.

(٨) في الأصل: «وتين».

أَخوه وقال: والله لأُعَرِّفن رسول الله ﷺ، فذهب إلى النبي ﷺ فوجد الآية نزلت[١].

وقالت فرقة: بل أَراد من كان من المنافقين يداخل كفار قريش والعرب[٢]، فإنه كان منهم من داخلهم، وقال لهم: هَلُمَّ إلينا؛ أَي: إلى المدينة فإنكم تغلبون محمداً، وتستأصلونه[٣] والإخوان ـ على هذا ـ هم في الكفر والمذهب السُّوءِ.

و﴿هَلُمَّ﴾ [معناه الدعاء إلى الشيء][٤]، ومن العرب من يستعملها على حدٍّ واحد في المذكَّر والمؤنث والمفرد والجمع، وهذا على أَنها اسم فعل، وهذه لغة أَهل الحجاز، ومنهم من يُجريها مجرى الأفعال فيُلحقها الضمائر المختلفة، فيقولون: هَلُمَّ، وهلمي[٥] وَهَلُمُّوا. وأَصل «هَلُمَّ»: هَالْمُمْ، نقلت حركة الميم إلى اللام فاستُغْني عن الأَلف، وأُدغمت الميم في الميم لسكونها فجاءَ «هَلُمَّ»، وهذا مثلُ تعليل: رُدَّ، من: ارْدُدْ.

و﴿ٱلْبَأْسَ﴾: القتال، و﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ معناه: إلَّا إتياناً قليلاً، وقِلَّته يحتمل أَن تكون لِقِصَر مُدَّته وقِلَّة أزمنته، ويحتمل أَن تكون [لخساسته وقلة غنائه][٦]، وأَنه رياءٌ وتلميع لا تحقيق.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

﴿أَشِحَّةً﴾ جمع شحيح، ونصبه على الحال من «القَائِلِينَ»: أو من فعل مضمر دلَّ عليه قوله: ﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾، أَوْ من الضمير في ﴿يَأْتُونَ﴾، أو على الذم.

---

(١) هذا أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٣٠)، من قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٢) في الأصل: «من العرب»، والمثبت من النسخ الأخرى.

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) في المطبوع بدلًا منه: «بمعنى: أَقْبِل».

(٥) ليست في المطبوع

(٦) في المطبوع بدلًا منه: «لقلَّة عقابه»، وفي السليمانية: «عنائه».

وقد منع بعض النحاة أَن يعمَل في هذه الحال ﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ أَو «الْقَائِلِينَ» لمكان التفريق بين الصلة والموصول بقوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾ وهو غير داخل في الصلة.

وهذا الشُّحُّ: قيل هو بأَنفسهم يشحون على المؤمنين بها، [وقيل: بإخوانهم][(١)]، وقيل: بأَموالهم في النفقات في سبيل الله، وقيل: بالغنيمة عند القَسْم، والصواب تعميم الشُّح، وأَن يكون بكل ما فيه للمؤمنين منفعة.

وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ﴾، قيل: معناه: فإذا قوي الخوف من العدوِّ، وتُوُقِّع أَن يسْتأْصل جميع أَهل المدينة، لاذ هؤلاءِ المنافقون بك، ينظرون نظر الهَلِعِ المختلط، كنظر الذي يغشى عليه [من الموت][(٢)]، فإذا ذهب ذلك الخوف العظيم [وتنفس المحنق][(٣)] ﴿سَلَقُوكُم﴾؛ أَي: خاطبوكم مخاطبة بليغة، يقال: خطيب سَلاَّقٌ ومِسْلَاقٌ[(٤)]، ومسلق، ولسانٌ أَيضاً كذلك إذا كان فصيحاً مقتدراً.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (صَلَقُوكُمْ) بالصَّاد[(٥)].

ووصف الأَلسنة بالحِدَّة لِقَطْعها المعاني، ونفوذها في الأَقوال.

وقالت فرقة: معنى قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ﴾؛ أَي: إذا كان المؤمنون في قوة وظهور، وخشي هؤلاءِ المنافقون سطوتك يا محمد رأَيتهم يصانعون وينظرون إِليك نظر فازع منك خائف هلع، فإِذا ذهب خوفك عنهم باشتغالك بعدوٍّ ونحوه ـ كما كان مع الأَحزاب ـ سلقوكم حينئذ، واختلف الناس في المعنى الذي فيه يسلقون:

فقال يزيد بن رومان وغيره: ذلك في أذى المؤمنين وسبِّهم وتنقيص الشرع ونحو هذا.

---

(١) ليست في أحمد٣.

(٢) من المطبوع.

(٣) ليس في المطبوع، وفي السليمانية: «المختنق»، وفي فيض الله: «المحتنق».

(٤) سقطت من المطبوع.

(٥) وهي شاذة، انظرها في الكامل للهذلي (ص: ٦١٩)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٨٤).

وقال قتادة: ذلك في طلب العطاء من الغنيمة والإِلحاف في المسألة[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذان القولان يترتَّبَان مع كل واحد من التأْويلين المتقدمين في الخوف.

وقالت فرقة: السَّلْقُ: هو في مخادعة المؤمنين بما يُرضيهم من القول على جهة المصانعة والمخاتلة.

وقوله: ﴿أَشِحَّةً﴾: حال من الضمير في ﴿سَلَقُوكُم﴾، وقوله: ﴿عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ يَدُلُّ على عموم الشُّحِّ في قوله أَولاً: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾.

وقيل في هذا: معناه: أَشحةً على مال[٢] الغنائم، وهذا على مذهب من قال: إِن الخيرَ في كتاب الله حيث وقع فهو بمعنى المال.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (أَشِحَّةٌ) بالرفع[٣].

ثم أَخبر تعالى عنهم أنهم لم يؤمنوا، ولا كمل تصديقهم، وجمهور المفسرين على أن هذه الإِشارة إلى منافقين لم يكن لهم قط إيمان، ويكون قوله: ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ﴾؛ أَي: أَنها لم تقبل[٤] قط فكانت[٥] كالْمُحْبَطَة.

وحكى الطبري عن ابن زيد عن أَبيه أَنه قال: نزلت في رجل بدريٍّ نافق بعد ذلك، ووقع في هذه المعاني فأَحبط الله عمله في بدر وغيرها[٦].

قال القاضي أبو محمد: وهذا فيه ضعف.

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٠/ ٢٣٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٣٦).

(٢) في السليمانية: «حال».

(٣) وهي شاذة، انظرها في الكامل للهذلي (ص: ٦١٩)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٨٤).

(٤) في المطبوع: «تكمل»، ولفظة: «قط» زيادة من المطبوع والسليمانية وفيض الله.

(٥) في المطبوع: «أَيْ أَنها».

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٣٣).

والإِشارة بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ يحتمل أَن تكون إِلى إِحباط عمل هؤلاءِ المنافقين.

ويحتمل أَن تكون إلى جملة حالهم التي وصف من شحهم ونظرهم(١) وغير ذلك من أَعمالهم؛ أَي: أَن أَمرهم يسير لا يبالى به، ولَا له أَثر في دفع خير ولا جلب شر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾.

الضمير في ﴿يَحْسَبُونَ﴾ للمنافقين، والمعنى: أنهم من الجزع والفزع بحيث رحل الأَحزاب / وهزمهم الله تعالى وهؤلاءِ يظنون أنها من الخدع(٢) وأنهم لم يذهبوا، [٤/ ٢٠٦] بل يريدون الكَرَّة إلى غلب(٣) المدينة، ثم أَخبر تعالى عن معتقد هؤلاءِ المنافقين أَن ودَّهم لو أَتى الأَحزاب وحاصروا المدينة أَن يكونوا هم قد خرجوا إلى البادية في جملة الأعراب، وهم أَهل العمود والرحيل من قُطر إلى قُطر، ومن كان من العرب مقيماً بأَرض مستوطناً فلا يُسمَّونَ أَعراباً، وغرضهم من البداوة أَن يكونوا سالمين من القتال.

وقرأَ ابن عباس، وطلحة بن مصرِّف: (لو أنهم بُدًّى في الأعراب) شديدة الدال منونة، وهو جمع بادٍ، كغازٍ وغُزًّى.

وروي عن ابن عباس: [(لو أنهم بدوا)](٤).

---

(١) في أحمد٣: «وبطرهم».

(٢) «أنها من الخدع و»: سقطت من المطبوع.

(٣) سقطت من المطبوع.

(٤) في المطبوع: «بدا» فعلًا ماضياً، قال في حاشيته: هكذا في الأصول، والقراءتان شاذن، نقل الأولى عن ابن عباس في المحتسب (٢/ ١٧٧)، وضبطها شديدة الدال، منونة، ونقلها عن طلحة في مختصر الشواذ (ص: ١٢٠)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٨٤)، وضبط قراءة ابن عباس الثانية: (بداء) بالتشديد والمد والهمز، وضبطها في البحر المحيط (٨/ ٤٦٥)، (بدا) فعلاً ماضياً، قال: وفي رواية صاحب الإقليد: (بدي) بوزن عدي، وضبطها الآلوسي (١١/ ١٦٤): (بدوا) فعلاً ماضياً.

وقرأَ أَهل مكة، ونافع، وابن كثير، والحسن: ﴿يَسَّئَلُونَ﴾؛ أَي: [من ورد عليهم][(١)] عن أَنبائكم.

وقرأَ أبو عمرو، وعاصم، والأَعمش، [والحسن بخلاف][(٢)]: (يَسَلُونَ) خفيفة[(٣)] بغير همز[(٤)]، نحو قوله تعالى: ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة: ٢١١].

وقرأَ الجحدري، وقتادة، والحسن بخلاف عنه: ﴿يَسَّاءَلُونَ﴾؛ أَي: يسأَل بعضهم بعضاً[(٥)].

قال الجحدري في الإِمام: (يَتَسَاءَلُونَ)[(٦)].

ثم سَلَّى الله تعالى نبيَّه[(٧)] عنهم، وحقَّر شأْنهم بأَن أَخبر أَنهم لو حضروا لما أَغنوا ولما قاتلوا إِلَّا قتالاً قليلاً لا نفع له.

قال الثعلبي: هو قليل من حيث هو رياءٌ من غير حسبة ولو كان لله لكان كثيراً[(٨)].

---

(١) ليس في المطبوع.

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) كتبت في المطبوع: (يسالون) بالألف، ولفظ: «خفيفة» ليست في المطبوع وفيض الله، وفي الحمزوية: «حقيقة».

(٤) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٨/ ٤٦٥)، قال: ولا يعرف ذلك عن أبي عمرو وعاصم، وما في حاشية المطبوع لعله تخمين.

(٥) وهي عشرية من رواية رويس عن يعقوب كما في تحبير التيسير (ص: ٥١١)، وعزاها الطبري (٢٠/ ٢٣٥) للجحدري، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣٩) للحسن، وانظر الباقين في البحر المحيط (٨/ ٤٦٥).

(٦) لم أقف عليه، وهي شاذة عزاها تفسير القرطبي (١٤/ ١٥٥)، وفي نجيبويه: «في الأيام»، وفي حاشية المطبوع: لعلها: «وَقَرَأَ الجحدري».

(٧) من المطبوع، وفي نجيبويه: «ثم مثل».

(٨) ولفظه في التفسير (٨/ ٢٢): ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيراً، وفي المطبوع: «التغلبي».

ثم أخبر تعالى على جهة الموعظة بأَن كل مسلم ومدع في الإِسلام [لقد كان](١) يجب أن يقتدي بمحمد ﷺ حين قاتل وصبر وجاد بنفسه.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿إِسْوَةٌ﴾ بكسر الهمزة، وقرأَ عاصم وحده: ﴿أُسْوَةٌ﴾ بضم الهمزة(٢).

وهما لغتان، ومعناه: قدوة، وتأَسَّى الرَّجلُ(٣): إذا اقتدى.

و«رجاءُ الله» تابع للمعرفة به، و«رجاءُ اليوم الآخر» ثمرةُ العمل الصالح.

و«ذِكْرُ الله كثيراً» من خير الأَعمال، فنبَّه عليه.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (يحسبون الأَحزاب [قد ذهبوا، فإِذا وجدوهم لم يذهبوا](٤) ودُّوا أَنهم بادون في الأعراب)(٥).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾.

وصف الله تعالى فِعْلَ(٦) المؤمنين حين رأَوا تجمع الأحزاب لحربهم، وصبرهم على الشدة(٧)، وتصديقَهم وعد الله تعالى على لسان نبيِّه ﷺ.

---

(١) ليس في المطبوع، وفي أحمد٣: «قد»، دون لام.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٨)، والسبعة (ص: ٥٢٠).

(٣) ليست في الأصل، وهي في السليمانية ملحقة.

(٤) في الأصل: «لم يذهبوا فإذا وجدوهم قد ذهبوا».

(٥) وهي شاذة مخالفة للمصحف، انظرها في تفسير الطبري (٢٠/ ٢٣٤)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣٩).

(٦) سقطت من الأصل ونجيبويه، وهي في السليمانية ملحقة، وفي أحمد٣: «وصف تعالى فعلهم».

(٧) في المطبوع: «البلاءِ».

[واختلف في مراد المؤمنين بوعد الله ورسوله لهم][(١)]:

فقالت فرقة: أَرادوا ما أَعلمهم به رسول الله ﷺ حين أَمرهم بحفر[(٢)] الخندق، فإِنه أَعلمهم بأَنهم سَيُحْصَرون، وأَمرهم[(٣)] بالاستعداد لذلك، وبأَنهم[(٤)] سينتصرون من بعد ذلك، فلما رأَوا الأَحزاب قالوا: ما وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ، فسَلَّموا لأول الأَمر وانتظروا آخره[(٥)].

وقالت فرقة: أَرادوا بوعد الله ما نزل في سورة البقرة، من قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أن يكون المؤمنون نظروا في هذه الآية، وفي قول رسول الله ﷺ عند أَمرهم بحفر الخندق، وأَشاروا بالوعد إلى جميع ذلك، وهما مقالتان، إحداهما من الله تعالى، والأُخرى من رسوله ﷺ.

و«زيادة الإِيمان» هنا: هي في أَوصافه لا في ذاته؛ لأَن ثُبوته وإِبعاد الشُّكوك عنه والشُّبَه زيادة في أَوصافه، ويحتمل أَن يزيد إيمانُهم بما وقع، وبما أخبر به رسول الله ﷺ مما لم يقع، فتكون الزيادة[(٦)] بهذا الوجه فيما يُؤْمَن به لا في نفس الإِيمان.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (وما زادوهم) بواو جمع[(٧)].

و«التَّسْلِيمُ»: الانقياد لأَمر الله تعالى كيف جاءَ، ومن ذلك ما ذكرناه من أَن

(١) في المطبوع: «واختلف المتأَولون مَاذا أَرادوا بوعد الله ورسوله؟».
(٢) في السليمانية وفيض الله: «بفتح».
(٣) في نجيبويه: «أعلمهم».
(٤) في السليمانية وفيض الله: «وأعلمهم بأنهم».
(٥) في المطبوع وفيض الله: «أجره».
(٦) في أحمد**٣**: «الشهادة».
(٧) وهي شاذة تابعه عليها في البحر المحيط (٨/ ٤٦٧).

المؤمنين قالوا لرسول الله ﷺ عند اشتداد ذلك الخوف: يا رسول الله إِن هذا أَمر عظيم، فهل من شيءٍ نقوله؟ فقال: «قولوا: اللهم آمن روعاتنا واستُر عوراتنا»[١]، فقالها المسلمون في تلك الضِّيقات.

ثم أَثنى الله عزَّ وجلَّ على رجال من المؤمنين عاهدوا الله تعالى على الاستقامة التامة، فوفوا وقضَوْا نَحْبهم؛ أَي: نَذْرَهُم وعهدهم.

و«النَّحْبُ» في كلام العرب: النَّذْرُ والشيءُ الذي يلتزمه الإِنسان ويعتقد الوفاءَ به.

ومنه قول الشاعر:

.... قَضَى نَحْبَهُ في مُلْتَقَى الْقَوْمِ هَوْبَرُ[٢] [الطويل]

المعنى: أَنه التزم الصبر إِلى موت أَو فتْح فمات[٣]، ومن ذلك قول جرير:

بِطَخْفَـةَ جالَدْنَـا الْمُلُـوكَ وَخَيْلُنَـا عَشِـيَّةَ بِسْـطَامٍ جَرَيْنَ عَلَى نَحْبِ[٤] [الطويل]

أَي: على أَمر عظيم التزم القيام به، كأَنه خطر عظيم، وشبهه.

وقد يُسمَّى الموتُ نحباً، وبه فسَّر ابن عباسٍ هذه الآية[٥].

وقال الحسن: ﴿قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾: مات على ما عهد[٦].

(١) في المطبوع: «عيوبنا»، والحديث سبق تخريجه في تفسير الآية رقم (١٠) من سورة الأحزاب.

(٢) صدره: عَشِيَّةَ فَرَّ الحارثيون بَعْدَمَا، وهو لذي الرمة كما في تأويل مشكل القرآن (ص: ١٢٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٣)، والزاهر للأنباري (١/ ٣٥٦)، والمحكم (٤/ ٣٠٩)، والمفصل (ص: ١٣٥)، وهَوْبَر: اسم رجل ويزيد بن هَوْبر، من بني الحارث بن كعب.

(٣) ليست في الأصل.

(٤) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ١٣٥)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٢٤٨)، وتهذيب اللغة (٥/ ٧٥)، وطَخْفَة: جبل.

(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٣٩)، من طريق: شريك بن عبد الله، عن سالم ـ هو الأفطس ـ عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وإسناده جيد.

(٦) تفسير عبد الرزاق (٣/ ٣٤)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٢٣٨)، وتفسير ابن فورك (٢/ ١٠٠).

ويقال للَّذي جاهد في أَمر حتى مات: قَضى نَحْبه، ويقال لمن مات: قضى فلانٌ نحْبه، وهذا تجوُّز، كأَن الموتَ أَمرٌ لابد للإنسان أَن يقع به، فسُمِّي نَحْباً لذلك.

فمِمَّن سمَّى المفسرون أَنه أُشير إِليه بهذه الآية: أَنَسُ بن النضر، عَمُّ أَنس بن مالك، وذلك أَنه غاب عن بدر، فساءَه ذلك وقال: لَئِن شهدتُ مع رسول الله ﷺ مشهداً لَيَـرَيَنَّ الله ما أَصنع، فلما كانت أُحد أَبْلى بلاءً حسناً حتَّى قُتل، ووجد فيه نيِّف على ثمانين جرحاً[١].

فقالت فرقة: إِن هذه الإِشارة هي إِلى أَنس بن النَّضْر ونظرائه / ممن استشهد في ذات الله تعالى. [٤/ ٢٠٧]

وقال مقاتل والكلبي: الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه هم أَهلُ العقبة السبعون أَهل البيعة[٢].

وقالت فرقة: الموصوفون بقضاءِ النَّحْب هم جماعة من أَصحاب رسول الله ﷺ، وفوا بعهود الإسلام على التمام، فالشُّهداءُ منهم، والعَشَرَةُ الذين شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة منهم، إلى من حصل في هذه المرتبة مِمَّن لم يُنَصَّ عليه.

ويُصحح هذه المقالة ما روي أن رسول الله ﷺ كان على المنبر، فقال له أَعرابي: يا رسول الله، من الذي قضى نحبه؟ فسكت عنه النبي ﷺ ساعة، ثم دخل طلحة بن عبيد الله على باب المسجد، وعليه ثوبان أَخضران، فقال رسول الله ﷺ: «أَين السائل؟» فقال: هأَنذا يا رسول الله، قال: «هذا ممن قضى نَحْبه»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٥).

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٠).

(٣) غريب اختلف في إسناده وصلًا وإرسالًا، أخرجه الترمذي (٣٢٠٣)، عن أبي كريب، عن يونس بن بكير، عن طلحة بن يحيى، عن موسى وعيسى ابني طلحة، عن أبيهما طلحة بنحوه، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث يونس بن بكير، وقال في (٣٧٤٢): هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي كريب، عن يونس بن بكير، وقد رواه غير واحد من كبار أهل الحديث عن أبي كريب هذا الحديث، وسمعت محمد بن إسماعيل يحدث بهذا عن أبي =

قال القاضي أبو محمد: فهذا أدل[١] دليل على أَن النَّحْب ليس من شروطه الموت.

وقال معاوية بن أَبي سفيان: إِني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «طلحة ممن قضى نَحْبه»[٢].

وروت هذا المعنى عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾[٤]؛ يريد: ومنهم من ينتظر الحصول على أعلى مراتب الإِيمان والصلاح، وهو بسبيل ذلك، وما بدَّلوا ولا غيَّروا، ثم أَكَّد بالمصدر.

= كريب، ووضعه في كتاب الفوائد. اهـ، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٣٩٩)، عن عبدالله ابن إدريس عن طلحة بن يحيى، عن عمه عيسى بن طلحة أن أعرابياً، ثم عن الحسن بن علي، ثنا سليمان بن أيوب بن عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله، حدثني أبي، عن جدي سليمان، عن موسى بن طلحة، عن أبيه طلحة، وذكر الطبري في تهذيب الآثار (١/ ٣٣٤) علل هذا الخبر عند أهل الحديث، فقال: إحداها: أنه خبر لا يعرف له مخرج عن طلحة، عن رسول الله ﷺ إلا من هذا الوجه، والخبر إذا انفرد به عندهم منفرد، وجب التثبت فيه، والثانية: أنه من رواية طلحة بن يحيى، وطلحة بن يحيى ـ عندهم ـ ممن لا يثبت بنقله في الدين حجة، والثالثة: أنه خبر قد حدث به عن موسى بن طلحة، غير طلحة بن يحيى، فقال فيه: عنه عن معاوية عن رسول الله ﷺ، وقد حدث هذا الحديث عن إسحاق بن يحيى غير عبد الحميد الحماني، فوافق في روايته عنه، طلحة بن يحيى، فقال فيه: عن موسى بن طلحة، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ، والرابعة: أنه قد حدث به عن طلحة بن يحيى، غير يونس بن بكير فقال فيه: عنه، عن عيسى بن طلحة، أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فأرسله عن عيسى، ولم يرفعه إلى طلحة، ولم يذكر فيه موسى بن طلحة.اهـ.

(١) ليست في المطبوع، وفي أحمد٣: «من أدل دليل».

(٢) وقد سبقت الإشارة لهذه الرواية في نفس الحديث السابق، وهي رواية غير محفوظة، أتى بها إسحاق بن يحيى الطلحي، وهو ضعيف جداً، واختلف مع ذلك عليه فيه.

(٣) ضعيف، أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٠)، من طريق: إسحاق بن يحيى بن طلحة أيضاً، وصحح إسناده الحاكم فقال الذهبي: إسحاق بن يحيى بن طلحة متروك قاله أحمد.اهـ.

(٤) جاء في نسخة أحمد٣ هنا: «كمل الجزء الخامس، ولله الحمد والمنة، في يوم الأربعاء، ثالث شعبان سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة، على يد العبد المستغفر لله من ذنبه محمد بن أحمد غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين».

وقرأ ابن عباس على منبر البصرة: (ومنهم مَنْ بَدَّلَ تَبديلاً)، [رواه عنه أبو نصرة[١].

وروى عنه عمرو بن دينار: (ومِنْهُم من يَنْتَظر وآخرون بَدَّلوا تبديلاً)][٢].

واللام في قوله تعالى: ﴿لِّيَجۡزِيَ﴾ لام الصيرورة والعاقبة، ويحتمل أن تكون لام كي، وتعذيب المنافقين ثمرة إدامتهم الإقامة على النفاق إلى موتهم، والتوبة موازية لتلك الإدامة، وثمرة التوبة تركهم دون عذاب، فهما درجتان: إدامة على نفاق، أو توبة منه، وعنهما ثمرتان: تعذيب أو رحمة، فَذَكَر الله تعالى ـ على جهة الإيجاز ـ واحدةً من هاتين، وواحدة من هاتين، ودلَّ ما ذكر على ما ترك ذكره.

ويَدُلُّك على أن معنى قوله: ﴿وَيُعَذِّبَ﴾[٣]: ليديم على النفاق قولُه: ﴿إِن شَآءَ﴾ معادلته بالتوبة [وبحرف ﴿أَوۡ﴾][٤]، ولا يُجَوِّز أَحدٌ أنَّ ﴿إِن شَآءَ﴾ يصحُّ في تعذيب منافق على نفاقه، بل قد حتم الله على نفسه بتعذيبه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ﴿٢٦﴾ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴿٢٧﴾﴾.

عدَّدَ الله تعالى في هذه الآية نعمه على المؤمنين في هزم الأحزاب، وأن الله

---

(١) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٤)، وروى ابن حبان في الصحيح (١١/ ٩٢)، عن حماد قال: قرأت في مصحف أبي... إلخ، وفي تفسير القرطبي (١٤/ ١٦٠): قال أبو بكر الأنباري: وهذا الحديث عند أهل العلم مردود؛ لخلافه الإجماع.

(٢) ساقط من نور العثمانية، وهي شاذة، وهي من غرائب الشيخ، لم أجد له فيها سلفاً ولا خلفاً، وكتبت في المطبوع: «ومنهم من ينتطر».

(٣) كتبت في المطبوع: «ليعذب».

(٤) ساقط من الأصل، وفيه: «معادلة».

تعالى ردَّهم بغيظهم لَمْ يَشْفوا منه شيئاً، ولا نالوا مُراداً، وكفى الله كلَّ مؤمن(١) كان مع رسول الله ﷺ أَن يُقاتل الأَحزاب.

ورُوي أَن المراد بالمؤمنين هنا عليُّ بن أَبي طالب، وقوم معه عبئوا(٢) للقتال وبرزوا(٣) ودعَوْا إليه، [وقتل علي](٤) رجلًا من المشركين اسمه عمرو بن عَبْد وُدٍّ(٥)، فكفاهم الله مداومة ذلك وعودته(٦) بأَنْ هزم الأَحزاب بالريح والملائكة، وصنع ذلك بقوته وعزته.

قال أَبو سعيد الخُدْري: حُبسنا يوم الخندق فلم نُصَلِّ الظهر ولا العصر ولا المغرب ولا العشاءَ، حتى كان بعد هوي من اللَّيل كفينا، وأَنزل الله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾، وأَمر رسول الله ﷺ بلالاً فأَقام، وصلى الظهر فأَحسنها، ثم كذلك [حتى صلّى](٧) كل صلاة بإقامة إقامة(٨).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾؛ يريد بني قريظة بإِجماعٍ من المفسرين، قال الرماني: وقال الحسن: الذين أُنزلوا من صياصيهم بنو النضير، وقال الناس: هم بنو قريظة(٩)، وذلك أَنهم لما غدروا برسول الله ﷺ وظاهروا الأحزاب عليه أَراد الله النقمة منهم، فلما ذهب الأَحزاب جاءَ جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ وقت

---

(١) اسم الجلالة من المطبوع، وفي نجيبويه: «على كل مؤمن».

(٢) في الأصل ونجيبويه والسليمانية ونور العثمانية: «عنوا»، وفي أحمد٣: «عبوا»، وفي فيض الله: «عينوا».

(٣) في نجيبويه: «نذروا».

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «وقيل: عنى».

(٥) ورد هذا من طرق أشهرها وأمثلها ما سبق تخريجه في الآية (١٠) في قصة غزوة الخندق حسبما ساقها ابن إسحاق في السيرة.

(٦) في المطبوع وأحمد٣ والحمزوية: «ودعوتَه».

(٧) من السليمانية، وسقطت منها: «إقامة»، وفي أحمد٣: «حتى كل صلاة».

(٨) صحيح، أخرجه أحمد (١٧/ ٢٩٣)، والدارمي (١٥٢٤)، وابن خزيمة (٩٩٦) (١٧٠٣)، وغيرهم من طريق: ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه.

(٩) انظر القولين في تفسير ابن فورك (٢/ ١٠٣).

الظهر، فقال: يا محمد، إِن الله يأْمرك بالخروج إلى بني قريظة، فنادى رسول الله ﷺ في الناس، وقال لهم: «لا يُصَلِّيَنَّ أَحدٌ العصر إِلَّا في بني قريظة»، فخرج الناس إليها، ووصلها قوم من الصحابة بعد العشاءِ وهم لم يُصلوا العصر وقوفاً مع لفظ النبي ﷺ، فلم يخطِّئهم رسول الله ﷺ في ذلك، وصلى قومٌ في الطريق، ورأَوا أن قول النبي ﷺ إِنما خرج مخرج التأْكيد، فلم يخطئهم أَيضاً[1].

وحاصر رسول الله ﷺ بني قُرَيْظَةَ خمساً وعشرين ليلة، ثم نزلوا على حكم سعد ابن معاذ الأَوْسي، وكان بينهم وبين الأَوس حِلْف، فَرَجَوْا حُنَوَّه عليهم، فحكم فيهم سعْدٌ بأَن تقتل المقاتلة، وتُسبى الذرية والعيال والأَموال، وأَن تكون الأَرض والثمار للمهاجرين دون الأَنصار، فقالت له الأَنصار في ذلك، فقال: أَردتُ أَن تكون لهم أَموال كما لكم أَموالٌ، فقال له رسول الله ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك[2] من فوق سبعة أَرْقِعة»، فأَمر رسول الله ﷺ برجالهم فأُخرجوا أَرسالاً، وضرب أَعناقهم، وهم من الثمان مئة إلى التسع مئة، وسيق فيهم حُيَيُّ بن أَخطب النضري، وهو الذي كان أَدخلهم في الغدر برسول الله ﷺ[3].

فلما ذهب الأَحزاب دخل عندهم، [وفاء لهم][4]، فأَخذه الحَصْر حتى نزل فيمن نزل على حُكْم سعدٍ، فلما قُرِّب[5] وعليه حُلَّتان فُقَّاحِيَّتَانِ[6]، ويداه مجموعتان

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٩٤٦) (٤١١٩)، ومسلم (٢٥).

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «المليك».

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٩)، دون قوله: «من فوق سبعة أَرقعة»، أما بهذا اللفظ فرواه ابن إسحاق من مرسل علقمة بن وقاص، أخرجه عنه ابن زنجويه في الأموال (٤٢١) وغيره.

(٤) ليس في المطبوع.

(٥) في الأصل: «نزل»، والمثبت من النسخ الأخرى.

(٦) الحُلَّة الفُقَّاحِيَّةُ: هي التي لونها بلون الورد حين يبدأ في التَّفَتُّح.

[٤/ ٢٠٨] إلى عنقه وأَبصر رسول الله ﷺ / فقال له: والله يا محمد، ما لُمْتُ نفسي في عداوتك،؛ ولقد اجتهدت ولكن من يَخْذل الله يُخذل[١]، ثم قال: أَيُّها الناس، إِنه لا بأْس، أمر الله وقَدَرُه ومَلْحَمَةٌ كُتبت على بني إِسرائيل، ثم تقدم فضربت عنقه، وفيه يقول جَبَل بن جَوَّال الثعلبي[٢]:

[الطويل]
لَعَمْرك ما لَامَ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ ... ولكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ الله يُخْذَلِ
لَجَاهَدَ حَتَّى أَبْلَغَ النَّفْسَ عُذْرَهَا ... وقَلْقَلَ يَبْغِي الْعِزَّ كُلَّ مُقَلْقِلِ[٣]

وقوله: ﴿ظَاهَرُوهُم﴾ معناه: عاونوهم.

وقرأ عبد الله بن مسعود: «الَّذِينَ آزَرُوهُمْ»[٤]، وهي بمعنى: ظاهروهم.

و«الصَّياصِي»: الحصون، وإحداها: صِيصَة، وهي كل ما يُتَمَنع به، ومنه يقال لقرون البقر: الصَّيَاصِي، والصَّيَاصِي أَيضاً: شوكُ الحاكة، وتُتَّخَذ من حديد، ومنه قول دُرَيْد بن الصِّمَّة:

[الطويل]
.... كَوَقْعِ الصَّيَاصي في النَّسيجِ الْمُمَدَّدِ[٥]

و«الفريقُ المقتول»: الرِّجال المقاتلة، و«الفريقُ المأْسورُ»: العيالُ والذرية.

---

(١) هو ضمن حديث غزوة الخندق الذي سبق حسبما ساقها ابن إسحاق في السيرة.
(٢) هو جبل بن جوال بن صفوان بن بلال بن أصرم بن إياس بن عبد غنم بن جحاش بن بجالة بن مازن ابن ثعلبة بن سعد بن ذبيان، الشاعر الذبياني، ثم الثعلبي، كان يهودياً فأسلم، قال الدارقطني، وأبو نصر: له صحبة، أسد الغابة (١/ ٥٠٨)، وفي المطبوع: «التَّغْلبيُّ».
(٣) انظر عزو البيتين له في تفسير الطبري (٢٠/ ٢٤٨)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٢٤١)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٨)، في السليمانية: «لعمري»، وفيها وفي فيض الله: «لأجهد».
(٤) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٤٠).
(٥) صدره: نَظَرْتُ إِلَيْهِ والرِّمَاحُ تَنُوشُهُ، عزاه له في العين (٧/ ١٧٦)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٢٥٠)، وتهذيب اللغة (١٢/ ١٨٦).

وقرأ الجمهور: ﴿وَتَأْسِرُونَ﴾ بكسر السين، وقرأها أبو حيوة: (وَتَأْسُرُونَ) بضم السِّين(١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ﴾ استعارة، من حيث حصل ذلك لهم بعد موت الآخرين من قبلهم(٢).

وقوله: ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾؛ يريد: بها البلاد التي فتحت [على المسلمين](٣) بعْدُ كالعراق والشام واليمن ومكة، فوعَدَ الله بها عند فتح حصون بني قُرَيْظَة، وأَخبر أَنه قد قضى بذلك، قاله عكرمة(٤).

وذكر الطبري عن فِرَقٍ أَنهم خصصوا ذلك:

فقال الحسن بن أبي الحسن: أَراد الروم وفارس، وقال قتادة: كنا نتحدث أَنها مكة.

وقال يزيد بن رومان، ومقاتل، وابن زيد: هي خَيْبر، وقالت فرقة: اليمن(٥).

قال القاضي أَبو محمد: ولا وجه لتخصيص شيءٍ من ذلك دون شيءٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾.

اختلف الناسُ في سببها:

فقال قتادة: سببها غَيْرة غارتها عائشة(٦).

---

(١) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٢٠)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٨٤).
(٢) في المطبوع وأحمد٣: «وقتلهم».
(٣) ليس في المطبوع.
(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٢٦)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣١)، وتفسير الماوردي (٤/ ٣٩٣)، وتفسير السمعاني (٤/ ٢٧٤).
(٥) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (٢٠/ ٢٥٠).
(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٥٢) من قول قتادة، وفي الأصل: «فقالت فرقة».

وقال ابن زيد: وقع بين أَزواجه تغاير ونحوه مما شقي[(١)] هو به ﷺ، فنزلت الآية بسبب ذلك، ويسر[(٢)] الله أَن يصرف إِرادته في أن يؤوي إِليه من يشاءُ[(٣)].

وقال أَبو الزُّبَيْر: نزل ذلك بسبب أَن رسول الله ﷺ سأَله أَزواجه النفقة، وتَشَطَّطْن في تكليفه منها فوق وُسْعه[(٤)].

وقالت فرقة: بل سبب ذلك: أَنهن طلبن منه ثياباً وملابس، وقالت واحدة: لو كُنَّا عند غير رسول الله ﷺ لكنا لنا حُلي ومتاع.

وقال بعض الناس: هذه الآية أُمر رسول الله ﷺ بتلاوتها عليهن، وتَخييرهن بين الدنيا والآخرة وأَمر الطلاق مُرْجأٌ[(٥)]، فلو اخترن أنفسهن نظر هو كيف يسرحهن، وليس فيها تَخْييرهن في الطلاق؛ لأَن التخيير يتضمن ثلاث تطليقات، وهو قد قال: ﴿وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾، وليس مع بَتِّ الطلاق سراحٌ جميلٌ[(٦)].

وقالت فرقة: بل هي آية تَخْيير، [واخْتَرْنه ﷺ، ولم][(٧)] يعد ذلك طلاقاً، وهو قول عائشة أَيضاً[(٨)].

---

(١) سقطت من فيض الله، وفي السليمانية: «سيئ»، ولفظة: «ونحوه» سقطت من الأصل.

(٢) في المطبوع: «وبشره».

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٥٢)، وهو من قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٥١)، بإسناد صحيح عن أبي الزبير به مرسلًا، وفي نجيبويه وفيض الله: «ابن الزبير».

(٥) في فيض الله: «مؤخر».

(٦) هذا قول ابن عبد الحكم المالكي كما في الهداية لمكي (٩/ ٥٨٢٦)، وقد رد عليه ابن العربي في أحكام القرآن له (٣/ ٥٦١).

(٧) في الحمزوية: «ولو اخترنه لم».

(٨) أخرج مسلم (١٤٧٥): أن عائشة، قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه، بدأ بي، فقال: «إني ذاكر لك أمراً، فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك»، قالت: قد علم أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: «إن الله عز وجل قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا =

واختلف الناس في التَّخْيير إذا اختارت المرأَة نفسها:

فقال مالك: هي طالقٌ ثلاثاً، ولا مناكرة للزوج، بخلاف التمليك[١].

وقال غيره: هي طلقة بائنة[٢].

وقال بعض الصحابة: إِذا خيَّر الرجل امرأَته فاختارت فهي طلقة[٣]، وهذا مخالف جداً.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أَي: إِنْ كانت عظم همتكن ومطلبكن الدنيا[٤]؛ أَي: التَّعَمُّق فيها والنَّيْل من نعيمها.

و«زينةُ الدنيا»: المالُ والبنون.

و(تَعَالَيْنَ): دعاءٌ.

و﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾ معناه: أُعطيكن المتاع الذي ندب الله إليه في قوله: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

وأَكثر الناس على أَنها من [المندوب إليه][٥]، وقالت فرقة: هي واجبةٌ[٦].

= وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۞ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٩]»، قالت: فقلت: في أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت.

(١) انظر قول مالك في: الاستذكار (٦/ ٧٣).

(٢) ممن قال بهذا القول علي رضي الله عنه كما في الأوسط (٩/ ٢١٥)، وأبو حنيفة وأصحابه، كما في المبسوط للسرخسي (٦/ ٢٤٨).

(٣) روي هذا القول عن علي وزيد بن ثابت كما في الأوسط (٩/ ٢١٣).

(٤) ليست في المطبوع وأحمد٣.

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «المندوبات»، وهذا قول مالك كما في الاستذكار (٦/ ١٢١)، وفيه في بعض المذاهب الأخرى تفصيل.

(٦) وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وأبي العالية وأبي قلابة، كما في الاستذكار (٦/ ١٢٠).

و«السَّرَاحُ الجَميلُ»: يحتمل أَن يكون ما دون بَتِّ الطلاق، ويحتمل أَن يكون في بقاءِ جميل[١] المعتقد وحُسْن العشرة وجميل الثناءِ وإِن كان الطلاق باتّاً.

و﴿أَعَدَّ﴾ معناه: يَسَّر وهيأ[٢].

و«المُحْسِنَاتُ»: الطائعات لله والرسول.

قال القاضي أبو محمد: وأزواج الرسول ﷺ اللائي نزلت الآية فيهن تِسْعٌ:

خمْسٌ من قُريش: عائشة بنت أَبي بكر رضي الله عنه، وحفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأُمُّ حبيبة بنت أَبي سفيان، وسودةُ بنت زمعةَ، وأُمُّ سَلَمَة بنت أَبي أميَّة.

وأَربعٌ غير قرشيَّات: ميمونةُ بنت الحارث الهلالية، وصفيةُ بنت حُيَيٍّ بن أَخطب الخَيْبَرِيَّة، وزينب بنت جحش الأَسدية، وجُوَيْرِيةُ بنت الحارث المصطلقيَّة، [رضي الله عن أَزواج رسول الله أجمعين][٣].

قال القاضي أبو محمد: [وفي الحديث][٤]: أَن رسول الله ﷺ لما خرج من إِيلائه الشهر، ونزلت عليه هذه الآية، بدأ بعائشة فقال: «إِنِّي ذاكرٌ لكِ أَمراً، ولا عليك أَلَّا تعجلي حتى تسْتَأْمري أَبويك»، ثم تلا عليها الآية، فقالت له: وفي أي هذا أَستأْمر أَبَوَيَّ؟ فإِني أُريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: وقد علم أَن أَبويَّ لا يأْمراني بفراقه، ثم تتابع أَزواج النبي ﷺ على مثل قول عائشة، رضي الله عنها، فاخترن الله ورسوله، رضي الله عنهن[٥].

---

(١) سقطت من الأصل.

(٢) في المطبوع وفيض الله والسليمانية: «وسَنَّى».

(٣) من المطبوع.

(٤) ساقط من فيض الله.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٤٦٨)، (٤٧٨٥)، ومسلم (١٤٧٥).

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تفسير ابن عطية

المحرر الوجيز

مختصر

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي

تحقيق
مجموعة من الباحثين

بإشراف
إدارة الشؤون الإسلامية

الجزء الثامن
من تفسير الآية ٣٠ من الأحزاب حتى نهاية الأحقاف

إصدارات
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

تفسير ابن عطيّة

المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمّد عبد الحقّ بن عطيّة الأندلسيّ

□ **تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**
تأليف : الإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي
تحقيق : مجموعة من الباحثين – بإشراف إدارة الشؤون الإسلامية
الطبعة المحققة الأولى : ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م

قياس القطع : ١٧ × ٢٤

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

ص.ب ٤٢٢ الدوحة
البريد الإلكتروني : turathuna@islam.gov.qa

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢﴾.

قال أَبو رافع / : كان عمر كثيراً ما يقرأُ سورة يوسف وسورة الأَحزاب في الصبح، [٤/ ٢٠٩] وكان إذا بلغ ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾ رفع بها صوتَه، فقيل له؛ فقال: أُذكِّرهن العهد[١].

وقرأَ الجمهور: [﴿مَن يَأۡتِ﴾ بياءٍ وكذلك، ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ﴾؛ حملاً على لفظ (من)][٢].

وقرأَ عمرو بن فايد، والجحدري، ويعقوب: (من تَأْتِ)[٣] و(تَقْنُتْ) بتاءٍ منقوطة من فوق؛ حملاً على المعنى[٤].

وقال قوم: الفاحشةُ إِذا وردت معرفةً فهي الزنا واللواط، وإِذا وردت منكرة فهي سائر المعاصي وكل ما يستفحش، وإِذا وردت[٥] منعوتة بالبيان فهي عقوق الزوج وفساد عشرته، ولذلك نصفها بالبيان إِذ لا يمكن سترها، والزنا وغيره هو مما يُتَسَتَّر به فلا يكون مبيناً، ولا محالة أَن الوعيد واقع على ما خفي منه وما ظهر.

وقالت فرقة: بل قوله: ﴿بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ يعم جميع المعاصي، وكذلك الفاحشة حيث وردت.

ولما كان أَزواج النبي ﷺ في مهبط الوحي وفي منزل أَوامر الله ونواهيه قَوِيَ

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ٣٣) من طريق أحمد بن منيع، عن يزيد، عن حمّاد ابن سلمة، عن ثابت عنه.

(٢) «بياء» سقطت من الأصل، وفي المطبوع وأحمد٣: «بياء وتاء، (يقنت) بياء حملًا على اللفظ».

(٣) في المطبوع، وأحمد٣: زيادة: «بتاءَين»، ولفظة «منقوطة» زيادة من الحمزوية ونجيبويه.

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لهم في: البحر المحيط (٨/ ٤٧٣)، وانظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٤)، المحتسب (٢/ ١٧٩).

(٥) في المطبوع: «ردت»، وفي المطبوع والسليمانية وفيض الله: «منعوتة» بدل «موصوفة».

الأَمرُ عليهن ولَزِمَهُنَّ بسبب مكانتهن أَكثر مما يلزم غيرهن، فضوعف لهن الأَجر والعذاب، والإِشارة بالفاحشة إِلى الزنا وغيره.

وقرأ ابن كثير، وشبل، وعاصم: ﴿مُبَيَّنَة﴾ بفتح الياءِ.

وقرأ نافع، وأَبو عمرو، وقتادة: ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾ بكسرها[١].

وقرأَت فرقة: (يُضَاعِفْ) بالياء [بكسر العين][٢] على إِسناد الفعل إلى الله تعالى.

وقرأ أَبو عمرو [فيما روى عنه خارجة][٣]: (نضَاعِفْ) بنون مضمومة ونصب (العَذَابَ)، وهي قراءَة ابن محيصن، وهذه مُفاعلة من واحد؛ كطارقتُ النعل، وعاقبتُ اللِّص.

وقرأ نافع وحمزة والكسائي: ﴿يُضَٰعَفۡ﴾ بياءٍ مضمومة وعين مفتوحة ﴿ٱلۡعَذَابُ﴾ رفعاً.

وقرأَ أَبو عمرو: ﴿يُضَعَّفْ﴾ [بتشديد العين][٤] على بناءِ المبالغة بالياء[٥] ﴿العَذَابُ﴾ رفعاً، وهي قراءَة الحسن، وابن كثير، وعيسى[٦].

وقرأ ابن كثير، وابن عامر: ﴿نُضَعِّفْ﴾ بالنون وكسر العين المشددة ﴿الْعَذَابَ﴾ نصباً، وهي قراءَة الجحدري[٧].

---

(١) وهما سبعيتان، الفتح لابن كثير وشعبة، والكسر للباقين، انظر: التيسير (ص: ٩٥).

(٢) من المطبوع وأحمد٣، وليس فيهما بالياء، وهي شاذة، عزها الهذلي في الكامل (ص: ٦٢٠) لابن مقسم.

(٣) في المطبوع: «فيما روي عنه»، وهي شاذة، عزاها في الكامل (ص: ٦٢٠) لأحمد بن موسى، ومحبوب، وخارجة عن أبي عمرو.

(٤) من المطبوع وأحمد٣.

(٥) من فيض الله.

(٦) في فيض الله: «موسى».

(٧) هذه ثلاث قراءات سبعية، وعاصم مع نافع، انظر: التيسير (ص: ١٧٩)، والسبعة (ص: ٥٢١)، ولم أجد ذكراً لابن كثير في الثانية.

وقوله: ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ معناه: يكون العذاب عذابين، أَي: يضاف[١] إلى عذاب سائر الناس عذاب آخر مثله.

وقال أَبو عبيدة، وأَبو عمرو فيما حكى الطبري عنهما: بل يضاف إِليه عذابان مثله فيكون ثلاثة أَعذبة، وضَعَّفه الطبري[٢]، وكذلك هو غير صحيح، وإِن كان له باللفظ تعلُّقُ احتمال، وكون الأَجر مرتين مما يفسد هذا القول؛ لأَن العذاب في الفاحشة بإِزاءِ الأَجْرِ في الطاعة، والإِشارة بذلك إِلى تضعيف العذاب.

و﴿يَقْنُتْ﴾ معناه: يطع ويخضع بالعبودية، قاله الشعبي وقتادة[٣].

وقرأَ نافع، وابن كثير، وعاصم، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿يَقْنُتْ﴾ بالياءِ، ﴿وَتَعْمَلْ﴾ بالتاءِ، ﴿نُّؤْتِهَآ﴾ بالنون، وهي قراءَة الجمهور، قال أَبو علي: أُسند ﴿يَقْنُتْ﴾ إِلى ضمير، فلما تبيَّن أَنَّه لمؤنث [حمل في (تعمل)][٤] على المعنى.

وقرأَ حمزة، والكسائي [الثلاثة المواضع][٥] بالياءِ حملًا في الأولينِ على لفظ ﴿مَن﴾[٦]، وهي قراءة الْأَعمش، وأَبي عبد الرحمن، وابن وثاب.

وقرأَ الأَعمش أَيضاً: (فَسَوْفَ يُؤْتِهَا الله أَجْرَهَا)[٧].

و«الإِعْتَادُ»: التَّيْسير والإِعْدادُ، و«الرِّزْقُ الكريمُ»: الجنة، ويجوز أَن يكون في

---

(١) في الحمزوية ونجيبويه والأصل: «يضاعف».

(٢) ولفظه في تفسير الطبري (٢٠/ ٢٥٥): وأما التأويل الذي ذهب إليه أبو عمرو، فتأويل لا نعلم أحداً من أهل العلم ادعاه غيره، وغير أبي عبيدة معمر بن المثنى، ولا يجوز خلاف ما جاءت به الحجة مجمعة عليه بتأويل لا برهان له من الوجه الذي يجب التسليم له.

(٣) انظر قولهما في: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٥٦)، وانظر: تفسير عبد الرزاق (٣/ ٣٧).

(٤) في الأصل: «عمل فيما يعمل»، وانظر قوله في كتابه الحجة (٥/ ٤٧٤).

(٥) في المطبوع: «كل المواضع»، وفي فيض الله والسليمانية: «كل الثلاثة المواضع».

(٦) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٩)، والسبعة (ص: ٥٢١).

(٧) لم نجد للمؤلف في نسبة هذه القراءة سلفاً ولا خلفاً.

ذلك وعْدٌ دنياوي، أَي: أَن رزقها في الدنيا على الله، وهو كريمٌ من حيث هو حلالٌ وقصد وبرضا من الله في نيله.

وقال بعض المفسرين: العذاب الذي تُوُعِّدْن به ضعفين هو عذاب الدنيا، ثم عذاب الآخرة، وكذلك الأَجر.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، اللهم إِلَّا أَن يكون أَزواج النبي ﷺ لا تدفع عنهن حدودُ الدنيا عذابَ الآخرة، على ما هي حالُ الناس عليه، بحكم حديث عُبادة بن الصامت[١]، وهذا أَمرٌ لمْ يُروَ في أَزواج النبي ﷺ، ولا حُفِظَ تقرُّرُهُ.

ثم خاطبهن الله تعالى بأَنهن لَسْنَ كأَحد من نساءِ عصرهن فما بَعْدُ، بل هُنَّ أَفضل بشرط التقوى؛ لما منحهن الله من صحبة الرسول ﷺ، وعِظَم المحلِّ منه، ونزول القرآن في لحفهن[٢].

وإِنما خصص النساءَ؛ لأَن فيمن تقدم آسيةُ ومريم، فتأَمَّله، وقد أَشار إِلى هذا قتادة[٣].

ثم نهاهُنَّ الله عمَّا كانت الحال عليه في نساءِ العرب من مكالمة الرجال برخيم القول[٤].

و(لا تخضعن) معناه: لا تَلِنَّ، وقد يكون الخضوع في القول في نفس الأَلفاظ ورخامتها وهيئتها[٥]، وإِن لم يكن المعنى مُريباً، والعرب تستعمل لفظة الخضوع بمعنى الميل والغزل.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٨٩٤) (٦٨٠١) (٧٢١٣) ومسلم (١٧٠٩) ولفظه: كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس فقال: «تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به فهو كفارة له ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه».

(٢) في المطبوع والحمزوية والسليمانية: «حقِّهن»، ولعله تحريف.

(٣) بلفظ يعني من نساء هذه الأمة، انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٥٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٠).

(٤) في المطبوع والحمزوية وأحمد٣: «الصوت».

(٥) سقط من الأصل.

ومنه قول ليلى الأَخيلية حين قال لها الحجاج: هل رأَيْت قط من تَوْبَةَ[1] شيئاً تنكرينه؟ فقالت: لا والله أَيُّها الأَمير؛ إِلَّا أَنه أنشدني يوماً شعراً ظننت منه أنه خضع لبعض الأَمر، فأَنشدته أنا:

وَذِي حاجَـةٍ قُلْنَـا لَـهُ لَا تَبُـحْ بِهَا   فَلَيْـسَ إِلَيْهَـا ما حَيِيتَ سَـبِيلُ[2]   [الطويل]

الحكاية.

وقال ابن زيد: الخضوعُ بالقول: ما يُدخلُ في القلوب الغزلَ[3].

وقرأَ الجمهور: ﴿فَيَطْمَعَ﴾ بالنصب على أَنه نصب بالفاءِ في جواب التمني.

وقرأَ الأَعرج، وأَبان بن عثمان: (فَيَطْمَعِ) بالجزم وكُسِر للالتقاءِ[4]، وهذه فاءُ عطف محضة، وكأن النهي دون جواب ظاهر.

وقراءَة الجمهور أَبلغ [في النهي][5]؛ لَأنها تُعطي أن الخضوع سبب[6] الطمع.

قال أَبو عمرو الداني: قرأَ الأَعرج، وعيسى بن عمر: (فَيَطْمِعَ) بفتح الياءِ وكسر الميم[7].

و«الْمَرَضُ» في هذه الآية: قال قتادة: هو النفاق.

---

(١) في الأصل بدلها بياض، وهو توبة بن الحميّر الشاعر المعروف، تقدم ذكره في (سورة آل عمران).

(٢) انظر القصة في التعازي للمبرد (ص: ١٠٦)، وأمالي القالي (١/ ٨٨)، ونَسَب البيت مع آخر باختلاف يسير (٢/ ٨٧): لزينب بنت فروة المرية، في ابن عم لها يقال له: المغيرة، واعترضه البكري في التنبيه (ص: ٩١)، وسمط اللآلي (١/ ٧١٩).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٥٨).

(٤) في فيض الله: «لالتقاء الساكنين»، وهي شاذة، عزاها لهما في المحتسب (٢/ ١٨١)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٨٥).

(٥) ليس في المطبوع.

(٦) في المطبوع: «بسبب»، وفيه قلب للعبارة.

(٧) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٨٥) لابن محيصن، ونقل عن القتيبي أحسب أنها بضم الياء.

وقال عكرمة: الفِسْق والغزل[١]، وهذا أَصوبُ، وليس للنفاق مدخلٌ في هذه الآية.

و«القول المعروف»: هو الصوابُ الذي لا تنكره الشريعة ولا النفوس.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾.

قرأَ الجمهور بكسر القاف، وقرأ عاصم / ونافع بالفتح[٢]. [٤/ ٢١٠]

فأَما الأُولى فيصح أَن تكون من الوقار، تقول: وَقَر يَقِرُ وقاراً، وقِرْنَ مثل: عِدْن، ويصح أن تكون من القَرَار، تقول: قَرَرْت بالمكان ـ بفتح الراءِ ـ أَقِرُّ، والأَصل: أَقْرِرْنَ، حذفت الراءُ الواحدة تخفيفاً، كما قالوا في ظَلَلْتُ: ظَلْتُ، ونقلوا حركتها إِلى القاف، واستغني عن الأَلف.

وقال أَبو عليٍّ: بل أعلَّ بأَن أُبدلت الراءُ ياءً فنُقلت حركتُها إِلى القاف ثم حذفت الياءُ لسكونها وسكون الراءِ بعدها[٣].

وأَمَّا [من فتح القاف][٤] فعلى لغة العرب: قَرِرْتُ ـ بكسر الراءِ ـ أَقَرُّ ـ بفتح القاف ـ في المكان، وهي لغة ذكرها أَبو عبيد في «الغريب المُصَنَّف»، وذكرها الزَّجَّاج وغيره، وأَنكرها قوم منهم المازني وغيره، قالوا: وإِنما يقال قَرِرْتُ ـ بكسر الراءِ ـ من قرَّتِ العينُ، وأَمَّا من القَرَار فإِنما هو قَرَرْتُ، بفتح الراءِ[٥].

---

(١) انظر القولين في: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٥٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٠).

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٩)، والسبعة (ص: ٥٢١).

(٣) الحجة لأبي علي (٥/ ٤٧٥).

(٤) في المطبوع: «الثانية»، وهو اختصار بالمعنى.

(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٢٥)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٥٧٧)، وفي المطبوع وأحمد٣: «قرة العين».

وقرأ عاصم: ﴿في بِيُوتِكُنَّ﴾ بكسر الباء[١].

وقرأ ابن أَبي عبلة: (وَاقْرِرْنَ) بِأَلِف وصل ورَاءَيْن الأُولى مكسورة[٢].

فأَمر الله تعالى في هذه الآية نساءَ النبي ﷺ بملازمة بيوتهن، ونهاهُنَّ عن التَّبَرُّج، وأَعْلَم أنه فِعْل الجاهلية الأُولى.

وذكر الثعلبي وغيره: أَن عائشة رضي الله عنها كانت إِذا قرأَت هذه الآية تبكي حتى تَبُلَّ خمارها[٣]، وذكر أَنَّ سَوْدَةَ قيل لها: لِمَ لا تَحُجِّين ولا تعتمرين كما تفعل أَخواتك؟ فقالت: قد حَجَجْتُ واعتمرتُ وأَمرني الله أَن أَقَرَّ في بيتي، قال الراوي: فوالله ما خرجت من باب حُجرتها حتَّى أُخرجت جنازتُهَا[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وبكاءُ عائشة رضي الله عنها إِنما كان بسبب سفرها أَيام الجمل، وحينئذ قال لها عمَّار: إِن الله قد أَمرك أَن تقَرِّي في بيتك[٥].

و«التَّبَرُّج»: إِظهار الزينة والتصنع بها، ومنه: البُرُوج؛ لظهورها وانكشافها للعيون.

واختلف الناسُ في ﴿ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾:

---

(١) هذه قراءة الجمهور وهم السبعة إلا حفصاً عن عاصم وورشاً وأبا عمرو، فبالضم، وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٨٠).

(٢) وهي شاذة، انظرها في: الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٥).

(٣) أخرجه الثعلبي (٨/ ٣٤) من طريق: عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: حدّثني أبي، عن عبد الرحمن ابن مهدي، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى قال: حدّثني من سمع عائشة تقرأ ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ فتبكي حتّى تبلّ خمارها. وأبهم أبو الضحى من حدثه. وعزاه في الدر المنثور (١٢/ ٣٠) إلى ابن أبي شيبة وابن سعد وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر عن مسروق رضي الله عنه قال: كانت عائشة رضي الله عنها إذا قرأت... وهذ صحيح إن صح إلى مسروق ولم يكن أرسله.

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ٣٤) من طريق: داود بن سليمان، عن عبدالله بن حميد، عن يزيد ابن هارون، عن هشام، عن محمد قال: نُبئت أنَّه قيل لسودة.. وأبهم ابن سيرين من حدثه، وكذلك عزاه في الدر المنثور (١٢/ ٣٠) لعبد بن حميد وابن المنذر عن بن سيرين.

(٥) لم أقف عليه مسنداً.

فقال الحكم بن عُيَيْنَة[١]: ما بين آدم ونوح عليهما السلام، وهي ثمان مئة سنة، وحكيت لهم سير ذميمة.

وقال ابن الكلبي وغيره: ما بين نوح وإِبراهيم عليهما السلام.

وقال ابن عباس: ما بين نوح وإِدريس عليهما السلام، وذكَر قصصاً[٢].

وقالت فرقة: ما بين موسى وعيسى عليهما السلام.

وقال عامر الشعبي: ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

وقال أَبو العالية: هو زمان سليمان وداود عليهما السلام، كان فيه للمرأَة قميص من الدُّرِّ غير مخيط الجانبين[٣].

قال القاضي أَبو محمد: والذي يظهر عندي: أَنه أَشار إِلى الجاهلية التي لحِقْنها، فأُمرن بالنقلة عن سيرتهن فيها، وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة، لأَنهم كانوا لا غيرة عندهم، فكان[٤] أَمر النساءِ دون حجبة، وجعلها (أُولى) بالإِضافة إِلى حالة الإِسلام، وليس المعنى أَن ثَمَّ جاهلية أُخرى، وقد مرَّ اسم الجاهلية على تلك المدة التي قبيل الإِسلام فقالوا: جاهلي في الشعراءِ، وقال ابن عباس في البخاري: سمعت أَبي في الجاهلية يقول[٥]، إِلى غير هذا.

و﴿ٱلرِّجۡسَ﴾ اسم يقع على الإِثم، وعلى العذاب، وعلى النجاسات والنقائص، فأذهب الله جميع ذلك عن أَهل البيت.

---

(١) هكذا في جميع النسخ، وقد تابع المؤلف على ذلك أبو حيان وابن عرفة وغيرهما، وهو كذلك في تفسير السمرقندي، ولعل الصواب: «بن عتيبة»، كما في بعض طبعات القرطبي.

(٢) حسن، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٦٠-٢٦١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤٨)، وعنه البيهقي في الشعب (٥٤٥١) من طريق موسى بن إسماعيل التبوذكي، عن داود بن الفرات، عن علباء بن أحمر، عن عكرمة، به.

(٣) انظر هذه الأقوال كلها في تفسير الثعلبي (٨/ ٣٥)، وانظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٦٠)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٠٠).

(٤) في الأصل: «وكل».

(٥) البخاري (٣٨٣٩).

ونصب ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ على المدح، أَو على النداءِ المضاف، أو بإِضمار: أَعْني.

واختلف الناسُ في أَهل البيت من هم؟:

فقال عِكْرِمَة، ومقاتل، وابن عباس: هم زوجاته خاصة، لا [يدخل][(١)] رجل معهن، وذهبوا إِلى أَن ﴿ٱلْبَيْتِ﴾ أُريد به مساكن النبي ﷺ[(٢)].

وقالت فرقة هي الجمهور: أَهْلُ البيت: عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم، وفي هذا أَحاديث نبوية [عن النبي ﷺ][(٣)]، قال أَبو سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: «نزلت هذه الآية في خمسة: فيَّ، وفي عليٍّ، وفاطمة، والحسن، والحسين»[(٤)].

ومن حُجة الجمهور قوله تعالى: ﴿عَنكُمُ﴾، ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ بالميم، ولو كان للنساءِ خاصة لكان: (عَنْكُنَّ)، و(يُطَهِّركُنَّ). والذي يظهر لي: أَن زوجاته لا يخرجن عن ذلك البتَّة، فأَهل البيت زوجاته وبنتُه وبنوها وزوجُها، وهذه الآية تقتضي أن الزوجات من أَهل البيت؛ لأَن الآية فيهن، والمخاطَبَة لهن، أَمَا إِن أُمَّ سلَمة قالت: نزلت هذه الآية في بيتي، فدعا رسول الله ﷺ عليّاً وفاطمة وحسَناً وحُسَيْناً، فدخل معهم تحت كساءٍ خَيْبَرِيٍّ، وقال: «هؤلاءِ أَهل بيتي»، وقرأَ الآية، وقال: «اللهم أَذهب عنهم الرِّجس وطهرهم تطهيراً»، قالت أُمُّ سَلَمة: فقلت: وأَنا يا رسول الله؟ فقال: «أَنْتِ من أزواج النبي ﷺ، وأَنت إلى خير»[(٥)].

---

(١) من المطبوع وأحمد٣.

(٢) انظر قول عكرمة في: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٦٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٢)، وقول مقاتل في تفسير مقاتل (٣/ ٤٨٩)، والقولين في تفسير الثعلبي (٨/ ٣٦)، وأما قول ابن عباس فلم أقف عليه.

(٣) ليس في المطبوع وأحمد٣، وسقطت لفظة «نبوية» من فيض الله والسليمانية.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٦٣) من طريق: مندل، عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري به مرفوعاً، وعطية هو العوفي، ضعيف مدلِّس ليس بعمدة.

(٥) هذا الحديث له طرق، منها ما أخرجه الطبري في الموضع السابق من طريق: هلال، يعني ابن مقلاص، عن زبيد، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة به، ومن طريق: عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، عن أم سلمة، ومن طريق: حسن بن عطية، قال: ثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد، عن أم سلمة، =

وقال الثعلبي: هم بنو هاشم[١]، فهذا على أن ﴿ٱلۡبَيۡتَ﴾ يراد به بيت[٢] النسب، فيكون العباسُ وأعمامُه وبنو أَعمامه منهم، ورُوي نحوه عن زيد بن أَرقم رضي الله عنه[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾.

اتصال هذه الألفاظ [التي هي ﴿وَٱذۡكُرۡنَ﴾][٤] يعطي أن ﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ نساؤُه.

= وأخرجه الترمذي من طريق: سفيان عن زبيد بمثل الطريق الأول (٣٨٧١) وقال: هذا حديث حسن، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب.اهـ، وقد أورد هذا الحديث من طريق شهر عن أم سلمة: البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٦٩-٧٠) وقال: شهر يتكلمون فيه، وأخرجه الطبري أيضاً من طريق: سعيد بن زربي، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن أم سلمة، ومن طريق: خالد بن مخلد، قال: ثنا موسى بن يعقوب، قال: ثني هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، عن عبد الله بن وهب بن زمعة، قال: أخبرني أم سلمة، ومن طريق: محمد بن سليمان الأصبهاني، عن يحيى بن عبيد المكي، عن عطاء، عن عمر بن أبي سلمة، قال: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ وهو في بيت أم سلمة، قال الترمذي (٣٢٠٥): هذا حديث غريب من حديث عطاء عن عمر بن أبي سلمة، وأخرجه الحاكم (٢/ ٤٥١) من طريق: عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ثنا شريك بن أبي نمر عن عطاء بن يسار عن أم سلمة به، ومن طريق: العباس بن الوليد بن مزيد أخبرني أبي قال: سمعت الأوزاعي يقول: حدثني أبو عمار قال: حدثني واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: جئت أريد علياً. ولا يكاد يخلو طريق من هذه الطرق من مقال، لكن أخرج مسلم (٢٤٢٤) من حديث عائشة قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾.

(١) تفسير الثعلبي (٨/ ٤٤) حيث ذكر هذا القول بعد ذكر الأقوال الأخرى دون ترجيح، واستدل له بحديث زيد بن أرقم.

(٢) ليست في المطبوع.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٠٨).

(٤) سقط من المطبوع وأحمد٣.

وعلى قول الجمهور هي ابتداءُ مخاطبة، أَمر الله تعالى أَزواج النبي ﷺ ـ على جهة الموعظة وتعديد النعمة ـ بذكر ما يُتلى في بيوتهن.

ولفظ «الذكر» هنا يحتمل مقصدين كلاهما موعظة وتقدير نعمة:

أَحدهما أَن يريد: (اذكُرْنَ)، أَي: تذكَّرْنه واقْدُرنه قدره، وفكِّرْن في أَنَّ مَنْ هذه حاله ينبغي أَن تحسن أَفعاله.

والآخر أَن يريد: (اذكُرْنَ) بمعنى: احفَظْن واقرأْن وأَلزمنه الأَلسنة، وكأَنه يقول: واحفظن أوامر الله ونواهيه، وذلك الذي يُتلى في بيوتكن من آيات الله، وذلك مؤدٍّ بكن[1] / إلى الاستقامة. [٤/ ٢١١]

و(الحِكْمَة): هي سُنَّة الله تعالى على لسان نبيّه ﷺ دون أَن تكون في قرآن مَتْلُوٍّ.

ويحتمل أن تكون وصفاً للآيات.

وفي قوله: ﴿لَطِيفًا﴾ تأْنيسٌ وتعديد نعمة؛ أي: لطيف بِكُنَّ في هذه النعمة.

وفي قوله: ﴿خَبِيرًا﴾ تحذيرٌ مَّا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الآية؛ رُوي عن أُمِّ سلَمة: أن سببها أَنها قالت للنبي ﷺ: يا رسول الله، يذكر الله تعالى الرجال في كتابه في كل شيءٍ، ولا يذكرنا؟! فنزلت الآية في ذلك[2].

---

(١) في المطبوع: «مؤديكن»، وفي نجيبويه: «مؤديهن».

(٢) له طرق لا تخلو من مقال، منها ما أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٤٣١) من طريق: شريك عن محمد ابن عمرو عن أبي سلمة عن أم سلمة، وشريك هو القاضي سيء الحفظ، وأخرجه أحمد (٢٦٥٧٥) من حديث عبد الواحد بن زياد ثنا عثمان بن حكيم عن عبد الرحمن بن شيبة وعبد الله بن رافع مفرقين عن أم سلمة، وكذلك رواه النسائي أيضاً، ورواه أبو معاوية محمد بن خازم عن محمد بن عمرو واختلف عنه، فرواه يحيى الحماني ـ كما عند الطبراني (٢٣/ ٤٥٤) ـ عن أبي معاوية، عن محمد بن عمرو، بمثل إسناد شريك المتقدم. ويحيى الحماني ضعيف أيضاً، ورواه أبو كريب محمد بن العلاء =

وروى قتادة: أَن نساءً من الأَنصار دخلن على أَزواج النبي ﷺ، فقُلْن لهُنَّ: ذَكَرَكُنَّ الله تعالى في القرآن ولم يذكر سائر النساءِ بشيءٍ، فنزلت الآية في ذلك[١].

وروي عن ابن عباس: أَن نساءَ النبي قلن له: ما له تعالى يذكر المؤمنين ولم يذكر المؤمنات؟! فنزلت الآية في ذلك[٢].

وبدأَ تعالى بذكر الإِسلام الذي يعُمُّ الإِيمان وعمل الجوارح[٣].

ثم ذكر الإِيمان تخْصيصاً له وتنبيهاً على أَنه عُظْم الإِسلام ودعامته.

و«الْقَانِتُ»: العابد المطيع.

و«الصَّادقُ» معناه: فيما عوهد عليه أَن يفي به ويكمله[٤].

و«الصابر»: عن الشهوات وعلى الطاعات في المَكْرَه والمَنْشَط.

و«الخاشعُ»: الخائفُ لله، المستكينُ لربوبيته، الوقورُ.

و«الْمُتَصَدِّق» بالفرْض والنَّفْل، وقيل: بل هي في الفرض خاصةً، والأَول أَمدح.

و«الصائم» كذلك في الفَرْض والنَّفْل، و«حِفْظ الفَرْج» هو من الزنا وشبهه، وتدخل مع ذلك [الصيانة من جميع][٥] ما يؤدي إلى الزنا أو هو في طريقه.

= كما عند الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٠) عن أبي معاوية، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن أم سلمة، به، وأخرجه الطبري (٢٢/ ١٠)، والحاكم (٢/ ٤١٦) من طريق مجاهد، عن أم سلمة، به. ولم يذكروا لمجاهد سماعاً من أم سلمة، وفي الباب عن ابن عباس عند الطبري (٢٢/ ١٠)، وفي إسناده قابوس بن أبي ظبيان، وفيه لين، وآخر من حديث أم عمارة الأنصارية عند الترمذي (٣٢١١)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٦٩) عن قتادة من قوله مرسلًا.

(٢) هوخبر قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس الذي سبقت الإشارة إليه في التخريج السابق.

(٣) كتبت في المطبوع: «الجوارج».

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «ويكلمه».

(٥) في المطبوع بدله: «كل».

وفي قوله: ﴿وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ حذف ضمير يدل عليه المتقدم، تقديره: والحافظاتُها.

وفي ﴿وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ أيضاً مِثْلُه.

و«المغفرةُ»: هي سترُ ذنوبهم والصَّفْحُ عنها.

و«الأَجْرُ الْعَظِيمُ»: الجَنَّةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ﴾ لفظُه النفي ومعناه الحظر والمنع من فعل هذا، وهذه العبارة: «ما كان» و«ما ينبغي» ونحوها تجيءُ [لحظر الشيءِ والحكم بأنه لا يكون](1).

وربما كان امتناع ذلك الشيءِ عقلاً، كقوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ [النمل:٦٠].

وربما كان العِلْم بامتناعه شرعاً، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٥١].

وربما كان حظْرُه بحكم شرعي لهذه الآية.

وربما كان في المندوبات، كما تقول: ما كان لك يا فلان أَن تترك النوافل، ونحو هذا.

وسبب هذه الآية فيما قال قتادة، وابن عباس، ومجاهد: أَن رسول الله ﷺ خَطَب زينب بنت جحش، فظنَّت أَن الخطبة لنفسه، فلمَّا بيَّن أَنه إنما يريدها لزيد بن حارثة

---

(١) في فيض الله: «لنفي الشيء كقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾».

كرهت وأَبت، فنزلت الآية، فأَذعنت زينب حينئذ وتزوَّجته[١].

وقال ابن زيد: إِنما أُنزلت بسبب أَن أُم كلثوم بنت عقبة بن أَبي مُعَيْط وهبت نفسها للنبي ﷺ فزوَّجها من زيد بن حارثة، فكرهت ذلك هي وأَخوها، وقالا: إِنما أَردنا رسول الله ﷺ فزوَّجَها غيْرَه، فنزلت الآية بسبب ذلك، فأَجابا إلى تزويج زيد[٢].

و﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾: مصدر بمعنى التَّخَيُّر، وهذه الآية في ضمن قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، وهذه الآية تُقوِّي في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨] أن تكون ﴿مَا﴾ نافية[٣] لا مفعولة.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر، وأَبو جعفر، وشَيْبَة، والأَعرج، وعيسى: ﴿أن تكون﴾ بالتَّاءِ على لفظ ﴿الْخِيَرَة﴾.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي، والحسن، والأعمش، وأَبو عبد الرحمن: ﴿يَكُونَ﴾ بالياء[٤] على معنى ﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾، وأَنّ تأْنيثها غير حقيقي.

وقوله تعالى في الآية الأُخرى: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ دون علامة تأْنيث يُقَوِّي هذه القراءَة التي بالياء.

ثم توعَّد تعالى وأَخْبرَ أَن من يَعْص الله ورسوله فقد ضلَّ، وهذا العصيانُ يعُمُّ الكفر فما دونه، وكُلُّ عاص آخِذٌ من الضلال بقدر معصيته.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٧١) من طريق عطية العوفي وطريق ابن لهيعة عن ابن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس، وكلاهما ضعيف، وانظر قول قتادة في تفسير عبد الرزاق (٣/ ٤٠)، والهداية لمكي (٩/ ٥٨٣٨)، وانظر معناه عن مجاهد في تفسير الطبري (٢٠/ ٢٧١).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٧٢) من قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذا مرسلًا.

(٣) في المطبوع: «أن تكون ما نافيه»، بالهاء.

(٤) من السليمانية، وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٥٢٢)، والتيسير (ص: ١٧٩)، والنشر (٢/ ٣٤٨)، إلا أن فيهما لهشام بالياء، وانظر موافقة الحسن والأعمش في: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٥٥)، وسقط «الحسن» من الأصل والسليمانية.

ثم عاتب تعالى نَبِيَّه ﷺ بقوله: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ ﴾ الآية؛ واختلف الناس في تأْويل هذه الآية: فذهب قتادة، وابن زيد، وجماعةٌ من المفسرين منهم الطبريُّ وغيره: إلى أَن النبي ﷺ وقع منه اسْتِحْسَانٌ لزينب وهي في عصمة زيد، وكان حريصاً على أَن يطلقها زيدٌ فيتزوَّجها هو، ثم إِنَّ زيداً لما أَخبره بأَنه يريد فراقها، ويشكو منها غِلْظَةَ قولٍ وعِصْيَانَ أَمْرٍ وأَذًى باللِّسان وتَعظُّماً بالشرف قال له: «اتق الله»؛ أَي: فيما تقول عنها، و«أمسك عليك زوجك»، وهو يخفي الحرصَ على طلاق زيد إِيَّاها، وهذا هو الذي كان يخفي في نفسه، ولكنه لزم ما يجب من الأَمر بالمعروف، وقالوا: خَشِيَ رسول الله ﷺ قَالَةَ الناس في ذلك، فعاتبه الله على جميع هذا[١].

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (مَا اللهُ مُظْهِرُهُ)[٢].

وقال الحسن: ما نزل على رسول الله ﷺ شيء[٣] أَشَدّ عليه من هذه الآية[٤].

وقال هو وعائشة: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية؛ لِشِدَّتها عليه[٥].

وروى ابن زيد في نحو هذا القول: أن النبي ﷺ طلب زيداً في داره فلم يجده، / [٤/ ٢١٢]
ورأى زينب حاسرةً فأَعجبته فقال: «سبحان الله مُقَلِّب القُلُوب»[٦].

---

(١) ليست في المطبوع، وانظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٧٢)، وفيه أن ابن زيد تأولها في أم كلثوم بنت عقبة، وانظر قول قتادة في تفسير عبد الرزاق (٣/ ٤٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٦).

(٢) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٥).

(٣) من السليمانية.

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٧٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٦).

(٥) مرسل، أخرج خبر عائشة: الطبري (٢٠/ ٢٧٤) من طريق: داود، عن عامر، عنها. وعامر هو الشعبي، وحكى ابن أبي حاتم فى المراسيل، عن ابن معين قوله: الشعبي عن عائشة مرسل.

(٦) ضعيف معضل، أخرجه الطبري في نفس الموضع، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أعضله، وهو مع ذلك ضعيف.

قال القاضي أبو محمد: ورُوي في هذه القصة أَشياء يطول ذكرها، وهذا الذي ذكرنا مُسْتَوْف لمعانيها.

وذهب قوم من المتأَوِّلين إلى أَن الآية لا كبير عتب[١] فيها، ورَوَوْا عن علي بن الحسين: أَن النبي ﷺ قد كان أُوحي إليه أَن زيداً يطلق زينب، وأَنه يتزوجها بتزويج الله إِياها، فلما تشكَّى زيد للنبي ﷺ خُلُقَ زينب وأَنها لا تطيعه، وأَعلمه بأَنه يريد طلاقها، قال له رسول الله ﷺ على جهة الأَدب والوصية: «اتَّقِ الله»؛ أَي: في أَقوالك، «وأَمسك عليك زوجك»، وهو يعلم أَنه سيفارقها[٢]، وهذا هو الذي أَخفى في نفسه، ولم يُرد أَن يأْمره بالطلاق لما علم أَنه سيتزوجها، وخشي رسول الله ﷺ أَن يلحقه قول من الناس في أَن يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد أَمره بطلاقها.

فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من أن خَشِي الناس في شيءٍ قد أَباحه الله له بأَن قال: «أَمْسِكْ» مع علمه بأَنه يطلق، وأَعلمه أَن الله أَحق بالخشية؛ أَي: في كل حال.

وقوله تعالى: ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾؛ أَي: بالإِسلام وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ يعني: بالعتق، وهو زيد بن حارثة، وزينب هي بنت جحش هي بنت أُميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ.

ثم أَعلم تعالى أَنه زوَّجها منه لما قضى زيدٌ وطره منها لتكون سُنَّة للمسلمين في أَزواج أَدعيائهم، وليُبَيِّن أَنها ليست كحرمة البنوة.

ورُوي: أَن النبي ﷺ قال لزيد: «ما أَجد في نفسي أوثق منك، فاخطب زينب عَلَيَّ»، قال: فذهبتُ وولَّيْتها ظهري توقيراً للنبي ﷺ، وخطبتُها، ففرحت وقالت: ما أَنا بصانعة شيئاً حتَّى أُؤَامر ربِّي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، فتزوَّجها النبي ﷺ ودخل بها[٣].

---

(١) في السليمانية وفيض الله: «عيب».

(٢) ضعيف معضل، أخرجه الطبري كذلك من طريق: علي بن زيد بن جدعان عن علي بن الحسين، وابن جدعان ضعيف، وهو مع ذلك معضل.

(٣) يحكيه أهل السير، ولم أقف عليه مسنداً.

و«الْوَطَرُ»: الحاجة والبُغْية، والإِشارة إلى الجماع.

وروى جعفر بن محمد عن آبائه عن النبي ﷺ: «وَطَراً زَوَّجْتُكَهَا»(١).

قال القاضي أبو محمد: وذهب بعض الناس من هذه الآية ومن قول شعيب: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ﴾ [القصص: ٢٧] إلى أَن ترتيب هذا المعنى في المهور(٢) ينبغي أَن يكون: (أَنْكَحَهُ إِيَّاهَا)، فَتُقَدِّم ضمير الزوج كما في الآيتين. وهذا عندي غير لازم، لأَن الزوج في الآية مُخَاطَب فَحَسُن تقديمه، وفي المهور الزوجان غائبان، فقدِّم من شئت، ولم يبق ترجيح إلَّا بدرجة الرجال وأَنهم القوامون(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ فيه حذفُ مضاف تقديره: وكان حكم أَمر الله، [أَو: مُضَمَّن أَمر الله](٤)، وإِلَّا فالأَمر قديمٌ لا يوصف بأَنه مفعول.

ويحتمل على بُعْد أَن يكون (الأَمْرُ) واحدَ الأُمور التي شأْنها أَن تُفْعل.

ورُوي: أَن عائشة وزينب تفاخرتا، فقالت عائشة رضي الله عنها: أَنا التي سِيقَتْ صفتي لرسول الله ﷺ من الجنة في سَرَقَة حرير(٥)، وقالت زينب رضي الله عنها: أنا التي زَوَّجني الله من فوق سبع سماوات(٦).

---

(١) زاد في السليمانية قبله: «قرأ»، وكأنها ملحقة، والقراءة شاذة، عزاها في الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤٣)، ومختصر الشواذ (ص: ١٢٠) لأهل البيت، قالا: وقيل لجعفر بن محمد: أليس تقرأ عليَّ غير ذلك، فقال: لا والذي لا إله إلا هو، ما قرأتها على أبي إلا كذلك، ولا قرأها الحسين بن عليّ على أبيه إلا كذلك، ولا قرأها علي بن أبي طالب على النبي ﷺ إلا كذلك.

(٢) المقصود بالمهور: صيغ عقود التوثيق.

(٣) في المطبوع: «القائمون».

(٤) سقط من نجيبويه.

(٥) لم أقف عليه مسنداً بهذا السياق، لكن في صحيح البخاري (٥٠٧٨) من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «أريتك في المنام مرتين إذا رجل يحملك في سرقة حرير فيقول هذه امرأتك فأكشفها فإذا هي أنت فأقول إن يكن هذا من عند الله يمضه».اهـ.

(٦) في صحيح البخاري (٧٤٢٠): من حديث أنس قال: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه، =

وقال الشعبي: كانت زينب تقول لرسول الله ﷺ: إِني لأَدِلُّ عليك بثلاثٍ مَا مِنْ نسائك امرأَةٌ تَدِلُّ بهن، إِنَّ جدِّي وجدَّك واحد، وإِنَّ الله أنكحك إياي من السماءِ، وإِن السفير في ذلك جبريل[(١)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾.

هذه مخاطبة من الله تعالى لجميع الأُمَّة، أَعلمهم أَنه لا حرج على رسول الله ﷺ في نيل ما فرض الله له وأَباحه، من تزوُّجه لزينب بعد زيد، ثم أَعلم أَن هذا ونحوه هو السَّنَن الأَقدم في الأَنبياءِ، من أَن ينالوا ما أَحلَّه الله لهم.

وحكى الثعلبي عن مقاتل وابن الكلبي: أَن الإِشارة إِلى داود عليه السلام، حيث جمع الله بينه وبين من فُتن بها[(٢)].

و﴿سُنَّةَ﴾ نصب على المصدر، أَو على إِضمار فعل تقديره: الزم، أَو نحوه، أَو على الإِغراءِ، كأَنه قال: فَعَلَيْهِ سُنَّة الله.

و﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾: هم الأَنبياءُ، بدليل وصفهم بعْدُ بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾.

= قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات.

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٧٦) مرسلًا.

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٤٩) بتصرف، وفي نجيبويه بدله: «الشعبي».

و﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ في هذه الآية، أَي: مأمورات الله والكائنات عن أَمره، فهي مقدورة.

وقوله: ﴿قَدَرًا﴾ فيه حذف مضاف، أَي: ذا قَدَر، [وعَنْ قَدَر](١).

وقرأَ ابن مسعود: (الَّذين بلَّغوا رِسَالاتِ اللَّهِ)(٢).

وقوله: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ تعريض بالعتاب الأَول في خشية النبي ﷺ النَّاسَ، ثم ردَّ الأَمر كله إِلى الله، وأَنَّه المحاسب على جميع الأعمال والمعتقدات، وكفى به لَا إِله إِلَّا هو.

ويحتمل أَن يكون ﴿حَسِيبًا﴾ بمعنى: مُحْسِب؛ أَي: كافياً.

قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [إلى قوله تعالى: ﴿كَرِيمًا﴾](٣)؛ أَذْهب الله بهذه الآية ما وقع في نفوس منافقين وغيرهم من بعد(٤) تزوج رسول الله ﷺ زينبَ زوجة دَعِيِّه زيد؛ لأَنهم كانوا استعظموا أن يتزوج زوجة ابنه، فنفى القرآن تلك [الصورة في](٥) البنُوَّة، وأَعلم أن محمداً لم يكن في حقيقة أَمره أَبا أَحد من رجال المعاصرين له.

ولم يُقْصد بهذه الآية: أن النبي ﷺ لم يكن له ولد / فيحتاج إلى الاحتجاج في [٤/ ٢١٣] أَمر بنيه بأَنهم كانوا ماتوا، ولا في أَمر الحسن والحسين بأَنهما كانا طفلين، ومن احتج بذلك فإِنَّه تأَوَّل نَفْيَ البُنُوَّة عنه بهذه الآية على غير ما قُصد بها.

وقرأَ ابن أَبي عبلة وبعض الناس: (ولكن رسولُ الله) بالرفع(٦) على معنى: هو رسولُ الله.

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢١).

(٣) ليس في المطبوع.

(٤) في نور العثمانية والأصل: «نقد».

(٥) من المطبوع.

(٦) وهي شاذة، عزاها له ولزيد بن علي في البحر المحيط (٨/ ٤٨٥)، وعزاها الهذلي في الكامل (ص: ٦٢٠) =

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وعاصم، والأَعرج، وعيسى: ﴿رَسُولَ﴾ بالنصب، على العطف على ﴿أَبَآ﴾، وهؤلاءِ قرؤُوا ﴿وَلَـٰكِن﴾ بالتخفيف.

وقرأَت فرقة: (وَلَكِنَّ) بشد النون، ونصب (رَسُول) على أَنه اسم (لَكِنَّ)، والخبر محذوف(١).

وقرأَ عاصم وحده، والْحَسَن، والشعبي، والأَعرج بخلاف: ﴿وَخَاتَمَ﴾ بفتح التاءِ، بمعنى: أنهم به خُتِمُوا، فهو كالخَاتَم والطَّابع لهم.

وقرأَ الباقون والجمهور بكسر التاء(٢)، بمعنى: أَنه خَتَمَهم، أَي: جاءَ آخرهم.

وروت عائشة رضي الله عنها: أنه ﷺ قال: [«أنا خاتَم الأنبياء» بفتح التاء(٣).

وروي عنه ﷺ أنه قال:](٤) «أَنا خاتم أَلْف نبي»(٥).

وهذه الأَلفاظ عند جماعة علماءِ الأُمة خَلَفاً وسَلَفاً مُتَلَقَّاةٌ على العموم التام، مُقْتَضية نصّاً أَنه لا نَبيَّ بعده.

= مع رفع (وخاتم) للزعفراني، وابن أبي عروة عن قتادة، وعمرو بن عبيد، وسعيد بن أبي الحسن عن الحسن، والنصب للجمهور العشرة وغيرهم.

(١) وهي شاذة، رواها عن أبي عمرو عبد الوهاب كما في المحتسب (٢/ ١٨١)، وعبد الوارث كما في الكامل للهذلي (ص: ٦٢٠)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٨٦)، وفي المطبوع: «فينتصب رسول على أنه ... إلخ»، والتخفيف قراءة الجمهور العشرة وغيرهم.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٩)، السبعة (ص: ٥٢٢).

(٣) أخرجه البزار وفي إسناده: موسى بن عبيدة، هكذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦٧٠) وموسى هو الربذي وهو ضعيف جداً. لكن ليس فيه أنه بفتح التاء. وعزاه في كنز العمال (٣٤٩٩٩) إلى الديلمي وابن النجار.

(٤) سقط من أحمد٣ والمطبوع والحمزوية.

(٥) ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة كما في إتحاف الخيرة (٧/ ٦٢) من طريق: مجالد عن الشعبي عن جابر به مرفوعاً، ومجالد ضعيف وقد تغير وكان يلقن.

وما ذكره القاضي ابن الطَّيِّب في كتابه المسمَّى بـ«الهداية» من تجويز الاحتمال في أَلفاظ هذه الآية ضعيفٌ[١].

وما ذكره الغزالي في هذه الآية وهذا المعنى في كتابه الذي سمَّاه بـ«الاقتصاد» إِلْحادٌ عندي، وتَطرُّقٌ خبيث إلى تشويش عقيدة المسلمين في ختم محمد ﷺ النُّبُوَّة، فالحذَر الحذَر منه، والله الهادي برحمته[٢].

وقرأَ ابن مسعود: (مِنْ رِجَالِكُمْ ولَكِنْ نَبِيّاً ختم النَّبِيِّين)[٣].

قال الرُّمَّاني: خُتم به ﷺ الاستصلاح، فمن لم يصلح به فميئوسٌ من صلاحه[٤].

قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ عمومٌ، والمقصد به هنا: علمه تعالى بما رآه الأصلح[٥] لمحمد ﷺ، وما قدَّره في الأَمر كله.

ثم أَمر تعالى عباده بأَن يذكروه ذكراً كثيراً، وجعل تعالى ذلك دون حدٍّ ولا تقدير لسهولته على العبيد، ولِعِظَم الأَجر فيه.

قال ابن عباس: لم يعذر أَحدٌ في ترك ذكر الله إِلَّا من غلب على عقله، وقال:

---

(١) مثله في تفسير القرطبي (١٤/ ١٩٥)، والبحر المحيط (٨/ ٤٨٥). ولفظ «ضعيف» سقط من الأصل.

(٢) ولفظه في الكتاب المذكور (ص: ١٣٧) أن قائلًا لو قال: يجوز أن يبعث رسول بعد نبينا ﷺ، فيبعد التوقف في تكفيره ومستند استحالة ذلك عند البحث تستمد من الإجماع لا محالة، فإن العقل لا يحيله، وما نقل فيه من قوله: لا نبي بعدي ومن قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ فلا يعجز هذا القائل عن تأويله......، ولكن الرد على هذا القائل أن الأمة فهمت بالإجماع من هذا اللفظ ومن قرائن أحواله أنه أفهم عدم نبي بعده أبداً وعدم رسول الله أبداً وأنه ليس فيه تأويل ولا تخصيص فمنكر هذا لا يكون إلا منكر الإجماع.

(٣) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٤٤)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٢٧٩)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢١٧).

(٤) تفسير القرطبي (١٤/ ١٩٧).

(٥) في المطبوع: «الأصح».

الكثيرُ: أَلَّا تنساهُ أَبداً[(١)]، وروى أَبو سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، «أَكثروا ذكر الله حتى يقولوا: مجنون»[(٢)].

وقوله: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ أَراد: في كل الأوقات، فحدَّدَ الزمن بطرفي نهاره وليله.

وقال قتادة، والطبري وغيرهما: الإِشارة إلى [صلاة الغَدَاة وصلاة العصر][(٣)].

قال القاضي أبو محمد: وهذه الآية مدنية فلا يتعلق بها من زعم أن الصلاة إِنما فُرضت أَوَّلاً صلاتين في طَرَفي النهار، والرواية بذلك ضعيفة.

و«الأَصيلُ»: من العصر إلى الليل.

ثم عدَّد تعالى على عباده نعمته في الصلاة عليهم، وصلاةُ الله تعالى على العبد هي رحمته له، وبركته لديه، ونشره [عليه الثناء][(٤)] الجميل، وصلاةُ الملائكة هي دعاؤهم للمؤمنين، وروت فرقة: أَن النبي ﷺ قيل له: يا رسول الله، كيف صلاة الله على عباده؟ قال: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رحمتي سبقت غضبي»[(٥)].

قال القاضي أبو محمد: واختُلف في تأْويل هذا القول، فقيل: إِنه كله من كلام الله، وهي صلاتُه على عباده.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٨٠) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) ضعيف، أخرجه أحمد (١٨/ ١٩٥) وابن حبان (٨١٧) والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٨) وغيرهما من طريق: دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري.

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٧٩)، وفي المطبوع وأحمد٣ بدلاً منه: «صلاتي الغداة والعصر».

(٤) في المطبوع بدله: «إليهم»، وفي أحمد٣: «إلينا».

(٥) الذي وقفت عليه ما أخرجه الطبراني في الأوسط (١١٤)، وفي الصغير (٤٣) من طريق أبي مسلم قائد الأعمش عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال لجبريل: «هل يصلي ربك؟ قال: نعم. قلت: وما صلاته؟ قال: سبوح قدوس، سبقت رحمتي غضبي»، وأبو مسلم متفق على ضعفه وقد روي مرسلاً عن عطاء ولا يثبت، وانظر: السلسلة الضعيفة (٣/ ٥٧٠).

وقيل: «سُبُّوحٌ قُدُّوس» هو من كلام محمد ﷺ، تقدِمة[١] بين يَدَي نُطقه باللفظ الذي هو صلاة الله، وهو: «رحمتي سبقت غضبي»، وقدم ﷺ هذا من حيثُ فهم من السائل أَن تَوَهَّم في صلاة الله على عباده وجْهاً لا يليق بالله عز وجل، فقدَّم التنزيه لله والتعظيم بين يدَيْ إِخباره.

وقوله تعالى: ﴿لِيُخْرِجَكُم﴾ أَي: صَلَاتُه وصلاة ملائكته لكي يهديكم وينقذكم من الكفر إلى الإِيمان، ثم أَخبر تعالى برحمته بالمؤمنين تأْنيساً لهم.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ﴾، قيل: يوم القيامة المؤمن تحييه الملائكة بالسلام، ومعناه: السلامة من كل مكروه.

وقال قتادة: يوم دخولهم الجنة يُحَيِّي بعضهم بعضاً بالسلام[٢]، أَي: سلمنا وسلمتَ من كل همٍّ وتخوف، وقيل: تحييهم الملائكة يومئذ.

و«الأَجر الكريم»: جنة الخلد في جواره تبارك وتعالى.

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾.

هذه الآيات فيها تأْنيس للنبي ﷺ وللمؤمنين، وتكريم لجميعهم.

وقوله: ﴿شَٰهِدًا﴾ معناه: على أُمتك بالتبليغ إِليهم، وعلى سائر الأُمم في تبليغ أَنبيائهم، ونحو ذلك.

وقوله: ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ معناه: مُبَشِّراً للمؤمنين برحمة الله وبالجنة.

---

(١) في المطبوع: «يقدمه».
(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٨٠).

﴿وَنَذِيرًا﴾ معناه: للعصاة والمكذبين من النار وعذاب الخلد.

قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ عَلِيّاً ومُعَاذاً رضي الله عنهما، فبعثهما إِلى اليمن، وقال: «اذهبا فَبَشِّرا ولا تُنَفِّرا، ويَسِّرا ولا تُعَسِّرا، فإِني قد أُنزل عَليَّ ... وقرأَ الآية»[١].

و«الدُّعاءُ إِلى الله»: هو تبليغ التوحيد والأخذ به، ومكافحة الكفرة.

و﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ معناه هنا: بأَمره إِيَّاكَ وتقديره ذلك في وقته وأوانه.

و(سراجاً منيراً) استعارة للنور الذي يتضمنه شرعه، فكأَن المهتدين به والمؤمنين يخرجون بنوره[٢] من ظُلْمة الكفر.

وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ﴾، الواو عاطفة جملة على جملة، والمعنى منقطع من الذي قبله، أَمره تعالى بأَن يبشِّر المؤمنين / بالفضل الكبير من الله. [٤/ ٢١٤]

قال القاضي أَبو محمد: قال لنا أَبي رضي الله عنه: هذه من أَرجى آية عندي في كتاب الله تعالى: لأَن الله سبحانه قد أَمر نبيَّه أَن يبشر المؤمنين بأَن لهم عنده فضلاً كبيراً، وقد بيَّن الله تعالى الفضل الكبير ما هو في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الشورى: ٢٢]، فالآية التي في هذه السورة آية خبر، والتي في ﴿حمٓ ① عٓسٓقٓ﴾ تفسير لها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ نهيٌ له عن السماع منهم في أَشياءَ كانوا يطلبونها مما لا يجب، وفي أَشياءَ كانوا يدخلونها مدخل النصائح وهي غشٌّ، إِلى نحو هذا المعنى.

وقوله: ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ يحتمل معنيَيْن:

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في الأصل: «به».

أَحدهما: أَن يأْمره بترك أَن يؤذيهم هو ويعاقبهم، فكأَن المعنى: فاصفح عن زلَلهم ولا تؤذهم، فالمصدر ـ على هذا ـ مضاف إلى المفعول، ونُسخ من الآية على هذا التأْويل ما يخص الكافرين، وناسخه آية السيف.

والمعنى الثاني: أن يكون قوله: ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ بمعنى: أعرض عن أَقوالهم وما يؤذونك، فالمصدر ـ على هذا التأْويل ـ مضاف إلى الفاعل، وهذا تأْويل مجاهد[١].

ثم أَمره تعالى بالتوكل عليه، وآنسه بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾، ففي قوة الكلام وعْدٌ بنصر.

وتقدم القول في (كفى بالله).

و«الوكيل»: الحافظ القائم على الأَمر.

ثم خاطب تعالى المؤمنين بحكم الزوجة تطلَّق قبل البناءِ، واستدل بعض الناس بقوله: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾، وبمهلة ﴿ثُمَّ﴾ على أَن الطلاق لا يكون إِلَّا بعد نكاح، وأَن من طلَّق المرأَة قبل نكاحها ـ وإِن عيَّنَهَا ـ فإِن ذلك لا يلزمه، وقال هذا نيِّف على ثلاثين من صاحب وتابع وإِمام، سمَّى البخاري منهم اثنين وعشرين[٢].

وقالت طائفة عظيمة من أَهل العلم: إِن طلاق المعيَّنة الشخصِ أَو القبيل أَو البلد لازم قبل النكاح، منهم مالك وجميع أَصحابه وجمع عظيم من علماءِ الأُمة[٣].

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٨٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٤١)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٥٩).

(٢) ومنهم علي وعائشة وابن عباس وسعيد بن المسيب وطاوس وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن وإسحاق وأبو ثور كما في الأوسط (٩/ ٢٣٠-٢٣١)، والشافعي كما في المهذب (٢/ ٩٩)، وأحمد كما في مسائل أحمد برواية ابن هانئ (١١٣٥).

(٣) المدونة (٢/ ٧٢)، وهو قول الشعبي والنخعي والأوزاعي وابن أبي ليلى كما في الأوسط (٩/ ٢٣١). و«عظيمة» من السليمانية وفيض الله.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾، وقرأَ حمزة، والكسائي، وطلحة، وابن وثاب: ﴿تُماسُّوهُنَّ﴾[١].

والمعنى فيهما الجماعُ، وهذه العِدَّة إِنما هي لاسْتِبراء الرحم وحِفْظ النسب في الحمل، فمن لم تمسّ؛ فلا يلزم ذلك فيها.

وقرأَ جمهور الناس ﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾ بتشديد الدال على وزن: تفتعلونها، من العدد[٢].

وروى ابن أَبي بزة عن ابن كثير: (تَعْتَدُونَهَا) بالتخفيف، من العدوان، كأَنه قال: فما لكم من عدة تلزمونها[٣] عدواناً وظلماً لهن، والقراءَة الأُولى أَشهر عن ابن كثير، وتخفيف الدال وَهْمٌ من ابن أَبي بزة[٤].

ثم أَمر تعالى بتمتيع المطلقة قبل البناءِ، واختلف الناسُ في المُتْعة:

فقالت فرقة: هي واجبة[٥]، وقالت فرقة: هي مندوب إِليها، منهم مالك وأصحابه[٦].

وقالت فرقة: المتعة لِلَّتي لم يُفرض لها، ونصف المهر لِلَّتي فُرض لها[٧].

وقال سعيد بن المسيب: بل المتعة كانت لجميعهن بهذه الآية، ثم نسخت آيةُ البقرة بالنصف لمن فُرض لها ما تضمَّنته هذه الآية من المتعة[٨].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: **٥٢٢**).

(٢) في المطبوع: «العد»، مع الإشارة للنسخة الأخرى.

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «تعتدونها».

(٤) وهي شاذة، ليست من طرق التيسير، بل من رواية مضر عنه كما في السبعة (ص: **٥٢٢**)، وجامع البيان (**٤/ ١٤٩٦**)، وفي الأصل والحمزوية ونجيبويه وفيض الله والسليمانية بدل «ابن كثير»: «عن أبي بكر» في الموضعين، وفي المطبوع والحمزوية: «برزة»، في الموضعين أيضاً.

(٥) ممن قال بهذا الحسن وأبي قلابة وأبي العالية وسعيد بن المسيب، كما في الاستذكار (**٦/ ١٢٠**).

(٦) انظر قول مالك وصحابه في: المدونة (**٢/ ٢٣٩**)، والنوادر (**٥/ ٢٨٩**).

(٧) ممن قال بهذا أبو عبيد والثوري وغيرهم، انظر الأوسط (**٩/ ٤٣٥**).

(٨) انظر قول سعيد بن المسيب في تفسير الطبري (**٢٠/ ٢٨٣**).

وهذه الآية خصصت آيتين: إِحداهما ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فخصَّصَتْ هذه الآية من لم يُدْخل بها، وكذلك خصصت من ذوات الثلاثة الأَشْهُر، وهُنَّ من قَعَدْنَ عن المحيض، ومن لم يحضن من صغير المطلقات قبل البناءِ.

و«السَّرَاحُ الجميلُ»: هو الطلاق تتبعه عِشْرَةٌ حسنة، [وكلمةٌ طيِّبة، دون مشادة ولا أَذى][(١)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ﴾.

قرأَ الجمهور: ﴿ٱلَّٰتِيٓ﴾ بتاءٍ من فوق، وقرأَ الأَعمش: (اللَّايِي) بياءين[(٢)] من تحت.

وذهب ابن زيد، والضحاك في تفسير قوله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ إِلى أَن المعنى: أَن الله تعالى أَحلَّ له أَن يتزوَّج كل امرأَة يُؤتيها مهرها، وأَباح له تعالى كلَّ النساءِ بهذا الوجه، وأَباح له ملك اليمين، وأَباح له بنات العم والعمة والخال والخالة ممن هاجر معه، وخصص هؤلاءِ بالذكر تشريفاً وتنبيهاً منهن[(٣)]؛ إِذْ قد تناولَهُنَّ على تأْويل ابن زيد قولُه: ﴿أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾، وأَباحَ له الوَاهبات خاصَّةً له، فهذه على تأْويل ابن زيد: إِباحةٌ مُطلقة في جميع النساءِ

---

(١) سقط من الأصل، و«مشادة» ليست في المطبوع، وفي أحمد٣: «مشارة».

(٢) في الحمزوية ونجيبويه والمطبوع: «بياءٍ» مع التنبيه على النسخة الأخرى، وهي شاذة، لم أجدها لغير المؤلف.

(٣) ليس في المطبوع.

حاشَا ذوات المحارم، لا سيَّما على ما ذكره الضَّحَّاك أن في مصحف ابن مسعود «وَبَنَاتِ خالاتِكَ واللَّاتي هاجَرْنَ مَعَكَ»(١).

ثم قال بعد هذا: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾؛ أي: من هذه الأَصناف كلها، ثم تجري الضمائر بعد ذلك على العموم إِلى قوله: ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾ فيجيءُ هذا الضمير مقطوعاً من الأول عائداً على أزواجه التسع فقط، على الخلاف في ذلك.

وتأَول غير ابن زيد في قوله: ﴿أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾: أن الإشارة إِلى عائشة وحفصة ومَنْ في عصمته مِمَّن تزوَّجن بمهر، وأن مِلْك اليمين بَعْدُ حلالٌ له، وأن الله تعالى أَباح له ﷺ مع المذكورات بناتِ عمه وعماته وخاله وخالاته ممَّن هاجر معه، والواهباتِ خاصة له ﷺ(٢)، فيجيءُ الأَمر على هذا [التأْويل أَضيق على النبي ﷺ.

[٤/ ٢١٥] ويؤيد هذا](٣) التأْويل: ما قاله ابن عباس: / كان رسول الله ﷺ يتزوَّج في أَي الناس شاءَ، وكان ذلك يشق على نسائه، فلما نزلت هذه الآية وحرّم عليه الناس إِلَّا من سُمِّي، سُرَّ نساؤُه بذلك(٤).

قال القاضي أَبو محمد: لأَن ملك اليمين إِنما تعلقه(٥) في النادر من الأَمر، وبنات العم والعمات والخال والخالات يسير(٦)، ومن يمكن أَن يتزوج منهن محصور عند نسائه، لا سيَّما وقد قيِّد ذلك بشرط الهجرة، وكذا الواهبة من النساءِ قليل، فلذلك سُرَّ

---

(١) وهي شاذة، انظر في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٤٥)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٢٨٥)، مع قول الضحاك وابن زيد.

(٢) راجع تفسير الثعلبي (٨/ ٥٤)، وتفسير الماوردي (٤/ ٣٩٦).

(٣) سقط من السليمانية.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٨٨) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس.

(٥) في الأصل: «يفعله»، وفي الحمزوية: «معلقه».

(٦) قال في حاشية المطبوع: سقطت كلمة «يسير» من جميع الأصول.

أَزواجه بانحصار الأَمر، ثم يجيءُ قوله: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ إشارة إلى من تقدم ذكره، ثم يجيءُ قوله: ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ إشارة إلى أَزواجه اللواتي تقدم النَّص عليهن بالتحليل، فيأْتي الكلام متسقاً[١] مطَّرداً أَكثر من اطِّراده على التأْويل الأَول.

و«الأُجور»: المهور.

وقوله: ﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾؛ أَي: ردَّه عليك في الغنائم، يُريد: أو على أُمَّتك لأَنه فيءٌ عليه، ومِلْك اليمين أَصله الفيءُ من الغنائم، أَو ما تناسل ممن سُبي، والشراءُ من الحربيين كالسباءِ، [ومباح السباء هو][٢] من الحربيِّين.

ولا يجوز سبيُ من له عهدٌ، [ولا تَملُّكُه][٣]، ويُسَمَّى سبي الخِبْثَة[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ﴾ يريد قرابته، رُوي عن أُم هَانِئ بنت أَبي طالب أنها قالت: خطبني رسول الله ﷺ، فاعتذرت إِليه فعذرني، ثم نزلت هذه الآية فحرَّمني عليه لأَني لم أُهاجر معه، وإِنما كنتُ من الطُّلَقاءِ[٥].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿إِن وَهَبَتْ﴾ بكسر الأَلف، وهذا يقتضي استئناف الأَمر، أَي: إِنْ وقع فهو حلال له، على أنه قد رُوي عن ابن عباس أَنه قال: لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأَة إِلَّا بعقد نكاح أَو مِلْك يمين، وأَمَّا بالْهِبَة فلم يكن عنده منهن أَحد[٦].

---

(١) في المطبوع: «منسَّقاً».

(٢) في المطبوع وفيض الله: «ويباح السباءُ».

(٣) سقط من الأصل، وهذا بإجماع العلماء، انظر: الإقناع (٣/ ١٠٥٨).

(٤) انظر: تسمية السبي المحرم بسبي الخبثة في: (لسان العرب)، مادة: (خبث).

(٥) ضعيف جداً، أخرجه الترمذي (٣٢١٤) وغيره من طريق: إسرائيل عن السدي عن أبي صالح عن أم هانئ بنت أبي طالب.

(٦) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٨٨) من طريق: عنبسة بن الأزهر، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها. واللفظ الذي أورده المصنف هو لفظ الطبري نفسه تعبيراً عن هذا المذهب، ورواية سماك عن عكرمة مضطربة.

وقرأ الحسن البصري، وأُبيٌّ بن كعب، والثَّقفي، والشَّعبي: (أَنْ وَهَبَتْ) بفتح الأَلف[١]، فهي إشارةٌ إلى ما وقع من الواهبات[٢] قبل نزول الآية.

قال القاضي أبو محمد: وكسر الأَلف يجري مع تأْويل ابن زيد الذي قدَّمناه، وفتحها يجري مع التأْويل الآخر، ومن قرأَ بالفتح قال: الإِشارة إِلى من وهب نفسه للنبي ﷺ [من النساءِ][٣] على الجملة.

قال ابن عباس ـ فيما حكى الطبري ـ: هي ميمونة بنت الحارث[٤].

وقال علي بن الحسين: هي أُمُّ شُريك[٥].

وقال عُروة والشَّعبيُّ: هي زينب بنت خزيمة أُمُّ المساكين[٦].

وقال أَيضاً عُروة بن الزبير: هي خولة بنت حكيم بن الأوقص السلمي، [ممن وهبت نفسها للنبي ﷺ][٧].

وفي مصحف ابن مسعود: (وامرأَةً مُؤْمِنَةً وَهَبَت)، دون (إِنْ)[٨].

وقوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾؛ أَي: هِبَةُ النِّساءِ أَنفسهن خاصَّةٌ ومزِيَّة[٩]، لا يجوز

---

(١) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ١٨٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٨٦).

(٢) في السليمانية وفيض الله: «الهبات».

(٣) من المطبوع والسليمانية، وهي ملحقة في هامش فيض الله.

(٤) منقطع، أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٨٨) من طريق: سعيد، عن قتادة، عن ابن عباس، وقتادة لم يدرك ابن عباس.

(٥) معاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٦١).

(٦) تفسير الماوردي (٤/ ٤١٥)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٢٠٩).

(٧) سقط من المطبوع، وانظر: تفسير ابن ابي حاتم (١٠/ ٣١٤٣).

(٨) وهي شاذة، انظرها: في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٤٥)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٢٨٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٦٢).

(٩) زاد في المطبوع هنا: «لا تجوز»، قال في الحاشية: زيادة عن القرطبي الذي نقل كلام ابن عطية، وقد =

أَن تهب المرأَة نفسها لرجل، وأَجمع الناس على أَن ذلك لا يجوز، [وأن هذا اللفظ من الهبة لا يتم عليه نكاح][(١)]؛ إِلَّا ما رُوي عن أَبي حنيفة، ومحمد بن الحسن، وأَبي يوسف أنهم قالوا: إِذا وَهَبَتْ وأَشهدَ هو على نفسه بِمَهْرٍ؛ فذلك جائز[(٢)].

قال القاضي أَبو محمد: [فليس في قولهم إِلَّا تجويز العبارة بلفظة[(٣)] الْهِبَة، وإِلَّا فالأَفعال التي اشترطوها هي أَفعال النكاح بعينه][(٤)].

ويظهر من لفظ أُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه: أَن معنى قوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ يراد به جميع الإِباحة، لأَن المؤمنين قُصِروا على مَثْنى وثُلاث ورُباع.

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ الآية، يريد: فَرَضْنا الوليَّ والشاهدَ والمهرَ والاقتصار على أَربع، قاله قتادة ومجاهد[(٥)].

وقال أُبيُّ بن كعب: هو مثنى وثُلاث ورُباع[(٦)].

وقوله: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ﴾[(٧)] أَي: بيَّنا هذا البيان، وشرحنا هذا الشرح؛ لئلا يكون عليك حرج ويُظن بك أَنَّك قد أَثِمت عند ربِّك في شيءٍ.

ثم آنس الجميع من المؤمنين بغفرانه ورحمته.

= سقطت هذه الزيادة من الأصول.

(١) سقط من المطبوع، وانظر الإجماع على ذلك في: الاستذكار (٥/ ٤٠٨).

(٢) انظر: قول أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن في: أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٢٣٧)، وسقط «أبو يوسف» من الأصل.

(٣) في الأصل وفيض الله: «ولفظة».

(٤) سقط من نجيبويه.

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٩٠)، وتفسير ابن ابي حاتم (١٠/ ٣١٤٤)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤١٥).

(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٨٧) من طريق: داود بن أبي هند، عن محمد بن أبي موسى، عن زياد رجل من الأنصار، عن أبي بن كعب. ومحمد بن أبي موسى هذا لا يعرف.

(٧) كتبت في المطبوع: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾، وهو خلاف لفظ الآية المقصودة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (٥١) لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا (٥٢)﴾.

﴿تُرْجِي﴾ معناه: تؤخر.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: ﴿تُرْجِئ﴾ بالهمز.

وقرأ عاصم في رواية حفص وحمزة، والكسائي: ﴿تُرْجِي﴾ بغير همز[١]، وهما لغتان بمعنى.

﴿وَتُؤْوِي﴾ معناه: تَضُم وتُقَرِّب.

وقال المبرد: هو مُعَدَّى رَجَا يَرْجُو، تقول: رَجَا الرجل وأَرْجَيْتُه: جعلتُه ذا رجاءٍ[٢].

ومعنى هذه الآية: أَن الله تعالى فسح لنبيِّه فيما يفعله في جهة النساءِ، والضمير في ﴿مِنْهُنَّ﴾ عائد على من تقدم ذكره من الأَصناف حسب[٣] الخلاف المذكور في ذلك.

وهذا «الإِرجاءُ» و«الإِيواءُ» يحتمل معاني: منها [أن معناه][٤] في القَسْم؛ أَي: تُقَرب من شِئْت في القِسْمة لها من نفسك، وتُؤَخر من شئت، وتُكثر لمن شئت، [وتقل لمن شئت][٥] لا حرج عليك في ذلك، فإِذا علمن هن أَن هذا هو حُكم الله وقضاؤُه زالت

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٥٢٣)، وعاصم الأول من رواية شعبة.

(٢) الهداية لمكي (٤/ ٢٤٨٤).

(٣) في المطبوع: «حيث».

(٤) ليست في المطبوع والحمزوية وأحمد٣.

(٥) سقط من المطبوع والحمزوية، وأحمد٣.

الأَنفة والتغاير عنهن، ورضين[١] وقرَّت أَعينهن؛ هذا تأْويل مجاهد، وقتادة، والضحاك[٢].

قال القاضي أبو محمد: لأَن سبب الآية إِنما كان تغايُراً وقع بين زوجات النبي ﷺ عليه، فشقي بذلك، ففسح الله تعالى له، وأَنَّبهن بهذه الآيات.

وقال أبو رزين[٣]، وابن عباس: في طلاق من شاءَ ممَّن حصل في عصمته، وإِمساك من شاءَ[٤].

قال أبو زيد[٥]: وكان ﷺ قد همَّ بطلاق بعض نسائه، فقلن له: اقسم لنا ما شئت، فكان ممن أَرْجأَ سودةُ وجويريةُ[٦] وصفية وأُم حبيبة وميمونة، وآوى إليه عائشة وأُمَّ سَلَمة وحفصة وزينب، رضي الله عنهن أَجمعين[٧].

وقال الحسن بن أَبي الحسن: المعنى: في تزوج من شاءَ من النساءِ وترك من شاءَ[٨].

/ وقالت فرقة: المعنى: في ضمِّ من شاءَ من الواهبات وتأْخير من شاءَ. [٤/ ٢١٦]

قال القاضي أبو محمد: وعلى كلٍّ معنى: فالآية معناها التوسعة على رسول الله ﷺ والإِباحة له؛ قالت عائشة رضي الله عنها: لما قرأَ عليَّ رسول الله ﷺ هذه الآية قلت: ما أَرى ربك إِلا يسارع في هواك[٩].

---

(١) سقط من المطبوع.
(٢) انظر تفسير الطبري (٢٠/ ٢٩١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٤٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٦٥).
(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٩١)، وفي نور العثمانية: «أبو زيد»، وفي أحمد٣ والحمزوية: «ابن زيد»، وكذا المطبوع مع الإشارة للمثبت.
(٤) هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٢٩٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس بنحوه.
(٥) في المطبوع وأحمد٣: «ابن زيد»، وفي الحمزوية ونجيبويه: «ابن رزين»، وفي فيض الله والسليمانية ونور العثمانية: «أبو رزين».
(٦) كتبت في المطبوع: «جويرة»، سهواً.
(٧) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٤٥)، وفيه: أبو زيد.
(٨) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٩٢)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤١٥).
(٩) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٧٨٨) (٥١١٣)، ومسلم (١٤٦٤).

قال القاضي أبو محمد: وذهب هِبَةُ الله في «الناسخ والمنسوخ» له إلى أن قوله: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ﴾ الآية ناسخٌ لقوله ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ الآية، وقال: ليس في كتاب الله ناسخ تقدم المنسوخَ سوى هذا[١].

قال القاضي أبو محمد: وكلامه يضعف من جهات.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ يحتمل معاني:

أَحدها: أن تكون ﴿مَن﴾ للتبعيض، أَي: مَنْ أَردتَه وطلبته نفسك مِمَّن كنت عَزَلْتَه وأَخَّرته فلا جُناح في ردِّه إِلى نفسك وإِيوائِه إِليك بعد عزلته.

ووجه ثان: وهو أَن يكون مُقَوِّياً ومُؤَكِّداً لقوله: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾، فيقول بعْدُ: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ فذلك سواءٌ لا جناح عليك في جميعه[٢]، وذلك كما تقول: [مَنْ لقيك ممن لم يلقك جميعهم لك شاكر، وأنت تريد][٣]: من لقيك ومن لم يلقك، وهذا المعنى يصحُّ أَن يكون في معنى القَسْم، ويصح أَن يكون في الطلاق والإِمساك، وفي الواهبات، وبكل واحدٍ قالت فرقة.

وقرأ جمهور الناس: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ برفع (الأَعيُن).

وقرأَ ابن محيصن: (أن تُقِرَّ أَعْيُنَهُنَّ) بضم التاءِ من (تُقِرَّ) وكسر القاف ونصب (الأعين)[٤].

وقوله: ﴿بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ﴾؛ أَي: من نفسك ومالك.

---

(١) انظر كتابه الناسخ والمنسوخ (ص: ١٤٤)، وانظر: أيضاً تفسير الطبري (٢٠/ ٢٩٦)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤١٦).

(٢) كتبت في الأصل والسليمانية: «جمعه».

(٣) سقط من الحمزوية، في المطبوع: «شاكرين».

(٤) وهي شاذة، انظرها في الكامل: للهذلي (ص: ٦٢١)، و«كسر القاف» من أحمد٣ والمطبوع.

وقرأ جمهور الناس: ﴿كُلُّهُنَّ﴾ رفعاً على التأْكيد للضمير في (يَرْضَينَ)، ولم يُجوِّز الطبري غيرها[١].

وقرأ جويرية بن عابد: (كُلَّهُنَّ) بالنصب[٢] على تأكيد ضمير ﴿ءَاتَيْتَهُنَّ﴾.

قال القاضي أبو محمد: والمعنى: أَنَّهُنَّ يُسلِّمن لله ولحكمه، وكنّ قبل لا يتسامحن بينهن للغيرة، ولا يسلِّمن للنبي ﷺ أَنفةً. نحا إِلى هذا المعنى ابن زيد، وقتادة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ خبرٌ عام، والإِشارة إلى ما في قلب رسول الله ﷺ من محبة شخص دون شخص، وكذلك يدخل في المعنى أَيضاً المؤمنون.

وقوله: ﴿حَلِيمًا﴾ صفة تقتضي منه تبارك وتعالى صفحاً وتأْنيساً في هذا المعنى؛ إِذ هي خواطر وفِكَرٌ لا يملكها الإِنسان في الأَغلب.

واتفقت الروايات على أَنه ﷺ عدل بينهن في القسمة حتى مات[٤]، ولم يمتثل ما أُبيح له معهن ضبطاً لنفسه، وأَخذاً بالفضل، غير أَن سوْدة وهبت يومها[٥] لعائشة تَوصُّلاً[٦] لمسرَّة رسول الله ﷺ[٧].

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾، قيل كما قدَّمنا: إِنما حظرت عليه النساءُ إِلَّا التسع اللَّواتي كنَّ عنده، فكأَنَّ الآية ليست متصلة بما قبلها.

---

(١) انظر كلامه على الآية في تفسير الطبري (٢٠/ ٢٩٥).

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «جويرة»، والصواب أنه جؤية بن عائذ، كما في المحتسب (٢/ ١٨٢)، وسيأتي في (سورة الجن).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٩٦)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤١٦).

(٤) أخرجه البخاري بمعناه (٢٥٩٣) (٢٦٨٨) بلفظ: كان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها.

(٥) في الأصل والحمزوية: «يومها».

(٦) في الأصل والسليمانية وفيض الله: «تقمناً»، وفي الحمزوية ونور العثمانية: «تغنماً»، وفي نجيبويه مكانها بياض.

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٥٩٣) (٢٦٨٨) (٥٢١٢)، ومسلم (١٤٦٣).

قال ابن عباس، وقتادة: لما هجرهن رسول الله ﷺ شهراً وآلى منهن، ثم خرج وخيَّرهن فاخترن الله ورسوله، جازاهن الله بأَن حظر عليه النساءَ غيرهن، وقنَّعه بهن، وحظر عليه تبديلهن، ونسخ بذلك ما أَباحه له من قبل من التوسعة في جميع النساءِ[١].

وقال أُبيُّ بن كعب، وعكرمة: قوله: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾ أَي: من بعد الأَصناف التي سميت[٢]، ومن قال: بأَن الإِباحة كانت له مطلقة؛ قال هنا: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾ معناه: لا يحل لك اليهوديات ولا النَّصرانيات.

قال القاضي أبو محمد: وهذا تأْويلٌ فيه بُعْدٌ، وإِن كان رُوي عن مجاهد[٣].

وكذلك قدّر[٤]: ولا أَن تُبَدِّل اليهوديات والنصرانيات بالمسلمات، وهو قول أَبي رَزين، وسعيد بن جبير[٥].

وقال أُبي بنُ كعب: ﴿مِنۢ بَعۡدُ﴾ يعني: لا يحلُّ لك العماتُ ولا الخالاتُ ونحو ذلك[٦]، وأُمر مع ذلك أَلَّا يَتبَدَّل بأَزواجه التِّسع، منع من أَن يُطلِّق منهن ويتزوَّج غيرهن، قاله الضَّحَّاك[٧].

وقيل: بمن تَزَوَّج وحصل في عصمته، أَي: لا يُبَدِّلها بأن يأْخذ زوجة إِنسان

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٩٧) من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: نهى رسول الله ﷺ أن يتزوج بعد نسائه الأول شيئاً، وانظر: تفسير الماوردي (٤/ ٣٩٤-٣٩٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٩٨) من طريق: داود، عن محمد بن أبي موسى، عن زياد الأنصاري، قال: قلت لأبي بن كعب.. وقد سبق التعليق على هذا الإسناد قريباً، وانظر قول الضحاك فيه وفي تفسير الثعلبي (٨/ ٥٥).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٩٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٤٧)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤١٧).

(٤) في الأصل: «روي».

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٠٠)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٥٦).

(٦) لم أجده عن أُبي بهذا اللفظ.

(٧) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٠١)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٥٦).

ويعطيه هو زوجته، وقال ابن زيد: وهذا شيءٌ كانت العرب تفعله[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قولٌ ضعيف أَنكره الطبري وغيره في معنى الآية[٢]، وما فعلت العرب هذا قط.

وما رُوي من حديث عُيَيْنَة بن حصن: أَنه دخل على النبي ﷺ وعنده عائشة رضي الله عنها فقال: مَنْ هذه الحميراءُ؟ فقال له النبي ﷺ: «هذه عائشة»، فقال عُيَيْنَة: يا رسول الله، إِنْ شِئْتَ نزلْتُ لك عن سيدة نساءِ[٣] العرب جمالًا ونسباً[٤]؛ فليس بتبديل، ولا أراد ذلك، وإِنما احتقر عائشة لأَنها كانت صبيَّة، فقال هذا القول.

وقرأَ أبو عمرو بخلاف: ﴿لا تَحِلُّ﴾ بالتاءِ على معنى: جماعة النساءِ.

وقرأَ الباقون بالياءِ من تحت[٥]، على معنى: جميع النساءِ.

وهما حسنان؛ لأَن تأْنيث لفظ النساءِ ليس بحقيقي.

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٠١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) «نساء»: ليست في الأصل.

(٤) ضعيف جداً، أخرجه البزار من طريق: عبد السلام بن حرب عن إسحاق بن عبد الله القرشي، عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، قال: كان البدل في الجاهلية أن يقول الرجل لرجل: بادلني امرأتك وأبادلك بامرأتي. أن تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾، قال فدخل عيينة بن حصن الفزاري على النبي ﷺ وعنده عائشة فدخل بغير إذن فقال له رسول الله: فأين الاستئذان؟! قال: يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت، ثم قال: من هذه الحميراء التي جنبك؟ فقال رسول الله: «هذه عائشة أم المؤمنين» قال: فلا أنزل لك عن أحسن الخلق قال: «ياعيينة إن الله تبارك وتعالى قد حرم ذلك» قال فلما أن خرج قالت عائشة من هذا؟ قال: أحمق مطاع وإنه على ما ترين لسيد قومه. وهذا الحديث لا نعلمه يروى إلا عن أبي هريرة بهذا الإسناد، ورواه إسحاق بن عبد الله وإسحاق لين الحديث جداً، وإنما ذكرنا هذا الحديث لأنا لم نحفظه عن رسول الله إلا من هذا الوجه فذكرناه لهذه العلة وبينا العلة فيه، إسحاق بن عبد الله هو ابن أبي فروة، متروك.

(٥) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: **١٧٩**)، والوجه الثاني لأبي عمرو ـ الموافق للجمهور ـ هو رواية القطعي عن محبوب بالياء كما في السبعة (ص: **٥٢٣**).

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾، قال ابن عباس: نزل ذلك بسبب أَسماءَ بنت عُميس، أَعجبت[١] رسول الله ﷺ حين مات عنها جعفر بن أَبي طالب[٢].

وفي هذه اللَّفظة: ﴿أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾ دليل على جواز أَن ينظر الرجل إِلى من يريد زواجها، وقد أَراد المغيرة بن شعبة زواج امرأَةٍ، فقال له النبي ﷺ: «انظر إِليها فإِنه أَجدر أَن يُؤْدَم بينكما»[٣].

وقال ﷺ لآخر: «انظر إِليها فإِن في أَعين الأَنصار شيئاً»[٤]، قال الحميدي: يعني: صغراً[٥].

وقال سهل بن أَبي حَثْمة: رأَيت محمد بن مَسْلَمة[٦] يطارد بثينة بنت الضحاك[٧]

---

(١) في المطبوع: «أعجب..... حُسنُها».
(٢) زاد في المطبوع: «فأَراد أَن يتزوجها»، قال في الحاشية: زيادة وردت في كتب التفسير. ولم أقف عليه مسنداً، وإنما هو شيء يتناقله المفسرون.
(٣) أخرجه الترمذي (١٠٨٧) وحسنه، والنسائي في الكبرى (٣/ ٢٧٢) وابن ماجه (١٨٦٥) (١٨٦٦) وغيرهم، وله طريقان، ومداره الصحيح على عاصم الأحول عن بكر بن عبد الله المزني عن المغيرة ابن شعبة كما صرح به الدارقطني في العلل (٧/ ١٣٧) وقيل له: سمع من المغيرة، قال: نعم، لكن قال ابن أبي خيثمة، عن يحيى بن معين: لم يسمع بكر من المغيرة. تهذيب التهذيب (١/ ٤٨٤)، وقد روى الحديث عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس قال: أراد المغيرة رضي الله عنه أن يتزوج امرأة... فقال الدارقطني: هذا وهم، وإنما رواه ثابت، عن بكر مرسلاً، وقد روى عبد الرزاق هذا الحديث في مصنفه (٦/ ١٥٦) عن الثوري عن عاصم الأحول عن بكر بن عبد الله المزني وأنا معمر عن ثابت البناني عن بكر بن عبد الله المزني أن المغيرة بن شعبة قال، قلت: فجمعهما ولعله بسبب ذلك وهم كما قال الدارقطني.
(٤) أخرجه مسلم (١٤٢٤).
(٥) في المطبوع: «صفراءَ».
(٦) هو محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد الأوسيّ الأنصاريّ الأوسيّ الحارثي، شهد المشاهد: بدراً وما بعدها إلا غزوة تبوك، فإنه تخلف بإذن النبي ﷺ له أن يقيم بالمدينة، وكان ممن ذهب إلى قتل كعب بن الأشرف، وكان من فضلاء الصحابة، توفي سنة (٤٣هـ). الإصابة (٦/ ٢٨).
(٧) في المطبوع: «بُبَيْتَة»، وفي الإصابة (٨/ ٦١): ثبيتة بنت الضحاك بن خليفة، قال أبو عمر: ولدت على =

على إِجَّار من أَجاجير[١] المدينة، فقلت له: أَتفعل هذا؟ فقال: نعم: قال النبي ﷺ: «إذا أَلقى الله في قلب أحدكم خِطبة امرأَة فلا بأْس أَن ينظر إليها»[٢].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾؛ ﴿مَا﴾ في موضع رفع بدل من ﴿ٱلنِّسَآءُ﴾.

[ويجوز أَن تكون في موضع نصب على الاستثناءِ، وفي النصب ضعف][٣].

ويجوز أَن تكون ﴿مَا﴾ مصدرية، والتقدير: إِلَّا ملك يمينك، وبمعنى: مملوك، وهو في موضع نصب؛ لأَنه استثناءٌ من غير الجنس الأَول.

و«الرَّقيبُ» فعيل بمعنى فاعل، أَي: راقب / . [٤/ ٢١٧]

= عهد رسول الله ﷺ، وذكرها بالنون بدل الموحدة، وتفرد بذلك، وذكرها أبو نعيم في الباء الموحدة، وقبل الهاء نون، والمشهور أنها بالمثلثة، قاله أبو موسى.

(١) قال ابن سيده: الإِجَّار والإِجَّارة: سطح ليس عليه سُترة.

(٢) هذا الحديث إسناده مختلف فيه، وهو على كل حال ضعيف، هذا الحديث أخرجه ابن ماجه (١٨٦٤) وغيره، وقد اختلف في إسناده، حكى هذا الخلاف البخاري في ترجمة محمد بن سليمان ابن أبي حثمة من التاريخ الكبير (١/ ٩٧) وكأن محمداً هذا يعرف بهذا الخبر، وحكى الخلاف أيضاً الدارقطني في العلل (١٤/ ١٣)، وهو حديث محمد بن سليمان بن أبي حثمة، حدث به إبراهيم ابن صرمة، عن يحيى بن سعيد، عنه، عن عمه سهل بن أبي حثمة، عن محمد بن مسلمة، أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٩٢) وقال: هذا حديث غريب وإبراهيم بن صرمة ليس من شرط هذا الكتاب، ورواه الحجاج بن أرطاة عنه، واختلف عليه فيه، فرواه عبد الواحد بن زياد، ويحيى بن سعيد الأموي، ويزيد بن هارون، عن الحجاج بن أرطاة، عن محمد بن سليمان بن أبي حثمة، عن عمه سهل، عن محمد بن مسلمة، وخالفهم أبو معاوية الضرير، فقلب إسناده ولم يضبطه، فقال: عن الحجاج، عن سهل بن محمد بن أبي حثمة، عن عمه سليمان بن أبي حثمة، عن محمد بن مسلمة، ورواه حماد بن سلمة، عن الحجاج، عن محمد بن سهل بن حنيف، عن أبيه، عن محمد بن مسلمة، ووهم أيضاً، والصحيح قول عبد الواحد بن زياد ومن تابعه، عن الحجاج. قاله الدارقطني، والحجاج ضعيف لا يعتمد عليه، ومحمد بن سليمان ـ وعليه مدار الحديث ـ لم يوثق توثيقاً يعتد به.

(٣) سقط من الأصل، وهو في السليمانية ملحق في الهامش.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣﴾.

هذه الآية تتضمن قصتين: إِحداهما الأَدب في أَمر الطعام والجلوس، والثانية أَمر الحجاب.

فأَمَّا الأُولى: فالجمهور من المفسرين على أَن رسول الله ﷺ لمَّا تزوج زينب بنت جحش أَولَم عليها، فدعا الناس، فلما طعموا قعد نفر في طائفة من البيت، فثقل على رسول الله ﷺ مكانهم، فخرج ليخرجوا بخروجه ومرَّ على حجر نسائه، ثم عاد فوجدهم في مكانهم وزينب في البيت معهم، فلما دخل ورآهم انصرف، فخرجوا عند ذلك.

قال أنس: فأُعلم أَو أَعْلَمْتُه بانصرافهم فجاءَ، فلمَّا وصل الحجرة أَرخى الستر بيني وبينه ودخل، ونزلت الآية بسبب ذلك[١].

وقال قتادة، ومقاتل ـ في كتاب الثعلبي ـ: إن هذا السبب جرى في بيت أُمِّ سَلمة، والأَول أَشهر[٢].

وقال ابن عباس: نزلت في ناس من المؤمنين كانوا يتحينون طعام النبي ﷺ، فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أَن يدرك، ثم يأْكلون ولا يخرجون[٣].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٧٩٣)، ومسلم (١٤٢٨).

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٥٨)، وفي نجيبويه: «الشعبي».

(٣) لم أقف عليه مسنداً.

وقال إسماعيل بن أَبي حكيم(١): هذا أَدب أَدَّب الله به الثقلاءَ(٢).

وقال ابن عائشة(٣) ـ في كتاب الثعلبي ـ : بحسبك من الثقلاءِ أَن الشرع لم يحتملهم(٤).

وأَما آية الحجاب: فقال أَنس بن مالك وجماعة: سببها [أَمْر القعود في بيت زينب، القصة المذكورة آنفاً، وقالت فرقة: بل في بيت أُمِّ سَلَمَة.

وقال مجاهد:](٥) سبب آية الحجاب: [أن رسول الله ﷺ أكل معه قوم وعائشة معهم فمست يدها يد رجل منهم](٦)، فنزلت آية الحجاب بسبب ذلك(٧).

وقالت عائشة وجماعة: سبب الحجاب كلام عمر رضي الله عنه، وأَنه كلَّم رسول الله ﷺ مراراً في أَن يحجب نساءَه، فكان رسول الله ﷺ لا يفعل، وكان عمر يُتابع، فخرجت سودةُ ليلاً لحاجتها ـ وكانت امرأَة تفرع النِّساءَ طولاً ـ فناداها عمر رضي الله عنه: قد عرفناك يا سودة ـ حرصاً على الحجاب ـ وقالت له زينب بنت جحش: عجباً لك

---

(١) هو إسماعيل بن أبي حكيم المدني أخو إسحاق مولى قريش، روى عن القاسم بن محمد وسعيد ابن مرجانة وجماعة، وعنه مالك وزهير بن محمد وإسماعيل بن جعفر وآخرون، وثقه ابن معين وغيره، وكان كاتب عمر بن عبد العزيز، توفي سنة (١٣٠هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٣٦).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٢٤).

(٣) في المطبوع: «ابن أبي عائشة»، والمثبت هو الموافق للمصدر، وهو عبيد الله بن محمد بن حفص القرشي التيمي البصري من ولد عائشة بنت طلحة، روى عن حماد بن سلمة وابن عيينة وغيرهما، وعنه الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما، كان ثقة جواداً عالماً بالعربية وأيام الناس، رُمي بالقدر ولم يصح عنه، توفي سنة (٢٢٨هـ). انظر: تهذيب الكمال (١٩/ ١٤٧)، وتقريب التهذيب (ص: ٣٧٤).

(٤) تفسير الثعلبي (٨/ ٥٩).

(٥) سقط من الأصل.

(٦) سقط من أحمد٣ والحمزوية والمطبوع.

(٧) ضعيف مرسل، أخرجه الطبري (٢٠/ ٣١٤) من طريق: هشيم، عن ليث، عن مجاهد. وهشيم مدلس وليث ضعيف.

يا بن الخطاب، تغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا؟ فما زال عمر رضي الله عنه يتابع حتى نزلت آية الحجاب[١].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وافقت ربِّي في ثلاث: منها الحجاب، ومقام إبراهيم، و﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ [التحريم: ٥]، الحديث[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وكانت سيرةُ القوم إِذا كان لهم طعام وليمة أَو نحوه أَن يُبَكِّر من شاءَ إِلى دار الدعوة، ينتظرون طبخ الطعام ونضجه في حديث وأُنْس، وكذلك إِذا فرغوا منه جلسوا كذلك، فنهى الله تعالى المؤمنين عن أَمثال ذلك في بيت النبي ﷺ، ودخل في النهي سائر المؤمنين، والتزم الناس أدب الله لهم في ذلك، فمنعهم من الدخول إِلَّا بإِذن عند الأَكل، لا قَبْلَهُ لانتظار نضج الطعام.

و﴿نَٰظِرِينَ﴾ معناه: منتظرين.

و﴿إِنَىٰهُ﴾ مصدرُ أَنَى الشيءُ يأْنِي، إِذا فرغ وحانَ إِنًى، ومنه قول الشاعر:

[الوافر]
تَمَخَّضَتِ الْمَنُونُ لَهُ بِيَوْمٍ أَنَى ولِكُلِّ حامِلَةٍ تَمَامُ[٣]

وقرأَ الجمهور بفتح النون من ﴿إِنَىٰهُ﴾، وأَمالها حمزة والكسائي[٤].

ثم أَكَّدَ المنع وحصر وقت الدخول بأَن يكون عند الإِذن، ثم أَمر بعد الطعام بأَن يفترق جمعهم وينتشر.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ﴾ عطف على قوله: ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ﴾، و﴿غَيْرَ﴾

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٤٦)، ومسلم (٢١٧٠) بنحوه.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٠٢) ومسلم (٢٣٩٩).

(٣) في الأصل: «لكل خاتمة»، البيت للنابغة كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ٧٨)، وعزاه في سيرة ابن هشام (١/ ٦٩) لخالد بن حق الشيباني، وفي الاختيارين (ص: ١٦٤) للحارث بن مسهرٍ الغساني، وفي الصحاح (٣/ ١١٠٥) لعمرو بن حسان أحد بني همام بن مرة.

(٤) السبعة (ص: ٥٢٣)، وقللها ورش بخلفه على قواعدهم.

منصوبة على الحال من الكاف والميم في ﴿لَكُمْ﴾، أَيْ: غَيْرَ ناظرين ومستأْنسين.

وقرأ ابن أَبي عبلة: (غَيْرِ) بكسر الراءِ[١]، وجوازه على تقدير: غير ناظرين إِناهُ أَنْتُمْ.

وقرأ الأَعمش: (آنَاءَهُ) على جمع (إِنَى) بمدَّةٍ بعد النون[٢].

وقرأَت فرقة: ﴿فَيَسْتَحْيِۦ﴾ بإِظهار الياءِ المكسورة قبل الساكنة.

وقرأَت فرقة: (فَيَسْتَحِي) بسكون الياءِ دون ياءٍ مكسورة قبلها[٣].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ﴾ معناه: لا يقع منه تَرْكُ قول الحق، ولما كان ذلك يقع من البَشَر لِعِلَّةِ الاستحياءِ نفى عن الله تعالى العلة الموجبة لذلك في البشر.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا﴾ الآية هي آية الحجاب، و«المتاع» عامٌّ في جميع ما يمكن أَن يطلب على عُرْف السكنى والمجاورة من المواعين وسائر المرافق للدين والدنيا.

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ يريد الخواطر التي تعرض [للرجال في أمر النساء][٤] وللنساءِ في أَمر الرجال.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ الآية، رُوي أَنها نزلت بسبب أَن بعض الصحابة قال: لو مات رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فتأَذَّى به، هكذا كنَّى عنه ابن عباس بـ«بعض الصحابة»[٥].

---

(١) وهي شاذة، انظرها في: الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٦)، والكامل للهذلي (ص: ٦٢١).

(٢) وهي شاذة، انظرها في: الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٦)، والبحر المحيط (٨/ ٤٩٩)، وفي المطبوع وأحمد٣: «إناه».

(٣) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٨٦) للأزرق عن أبي عمرو وعن ابن محيصن، والأولى هي المتواترة.

(٤) سقط من المطبوع وأحمد.

(٥) قال في الإصابة (٣/ ٤٣٣): قد ذكر ابن مردويه في تفسيره عن ابن عباس القصة المذكورة، ولم يسمّ القائل.

وحكى مكي عن مَعْمر أَنه قال: هو طلحة بن عبيد الله[١].

قال القاضي أَبو محمد: لله درُّ ابن عباس، وهذا عندي لا يصحُّ على طلحة[٢]، الله عاصمه منه.

ورُوي: أَن رجلاً من المنافقين قال حين تزوج رسول الله ﷺ أُمَّ سَلَمَة بعد أَبي سَلَمَة، وحفصة بعد خُنَيْس بن حُذَافة[٣]: ما بال محمد يتزوج نساءَنا، والله لو قد مات لأَجَلنا السهام على نسائه، فنزلت الآية في هذا[٤]، حرَّم الله نكاح أَزواجه بعده، وجعل لهن حكم الأُمهات.

ولما توفي رسول الله ﷺ وارتدت العرب ثم رجعت تزوج عكرمة بن أَبي جهل قيلة بنت الأَشعث بن قيس[٥]، وكان رسول الله / ﷺ قد تزوجها ولم يَبْن بها، فصعب [٤/ ٢١٨] ذلك على أَبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقَلِقَ له، فقال له عمر رضي الله عنه: مهلاً [يا خليفة رسول الله][٦]، إِنها ليست من نسائه، إِنه لم يخيرها ولا أَرخى عليها حجاباً، وقد

---

(١) الهداية لمكي (٩/ ٥٨٦٤).

(٢) ابن عبيد الله الذي هو ابن عثمان بن عمرو بن كعب أحد العشرة المبشرين بالجنة، والصواب أنه ابن عمه: طلحة بن عبيد الله بن مسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب التيميّ، قال في الإصابة (٣/ ٤٣٣): ذكره أبو موسى في الذّيل عن ابن شاهين بغير إسناد، وقال: إن جماعة من المفسّرين غلطوا فظنوا أنه طلحة أحد العشرة، قال: وكان يقال له طلحة الخير، كما يقال لطلحة أحد العشرة.

(٣) في نجيبويه: «أبي حنيش»، وهو خنيس بن حذافة بن قيس القرشي السهمي، أخو عبد الله، كان من السابقين، وهاجر إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وشهد بدراً، وأصابته جراحة يوم أحد فمات منها، الإصابة (٢/ ٢٩٠).

(٤) كسابقه لا يعرف له إسناد.

(٥) في فيض الله والسليمانية: «قتيلة»، قال في القسم الرابع من الإصابة (٨/ ٢٩٢): هي قيلة بنت قيس ابن معديكرب الكندية، أخت الأشعث، تزوّجها رسول الله ﷺ سنة عشر، ومات ولم تك قدمت عليه ولا رآها ولا دخل بها، فتزوجها عكرمة بحضرموت، ولم تلد له.

(٦) سقط من أحمد٣ والمطبوع.

أَبانتها منه ردَّتُها مع قومها، فسكن أَبو بكر رضي الله عنه[١].

وذهب عمر إِلى أَلَّا يشهد جنازة زينب بنت جحش إِلَّا ذو محرم منها مراعاة للحجاب، فدلَّته أَسماءُ بنت عميس على سترها في النعش بالقبة، وأَعلمته أَنها رأَت ذلك في بلاد الحبشة، فصَنَعه عمر[٢]، ورُوي: أَن ذلك صُنع في جنازة فاطمة بنت النبي ﷺ[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ الآية؛ توبيخ ووعيدٌ لمن تقدم التعريض به في الآية قبلها، ممن أُشير إِليه بقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾، ومن أُشير إِليه في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾، فقيل لهم في هذه الآية: إِن الله يعلم ما تخفونه من هذه المعتقدات والخواطر المكروهة، ويُجازيكم عليها.

ثم ذكر تبارك وتعالى الإِباحة فيمن سمَّى من القرابة؛ إِذ لا تقتضي أَحوال البشر إِلَّا مداخلة من ذَكَر، وكثرة تَرْداده، وسلامة نفسه من أَمر الغزل؛ لما تتحاشاه النفوس من ذوات المحارم، فمن ذلك الآباءُ والأَولاد والإِخوة وأَبناؤُهم وأَبناءُ الأَخوات.

قوله تعالى: ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ دخل فيه الأَخوات والأُمهات وسائر القرابات ومن يتصل من المتصرفات لهن، هذا قول جماعة من أَهل العلم، ويؤيد قولَهم هذه الإِضافة المخَصَّصة في قوله: ﴿نِسَآئِهِنَّ﴾.

---

(١) مرسل، أخرجه الطبري (٢٠/ ٣١٧) من طريق: داود بن أبي هند عن الشعبي مرسلًا.
(٢) لم أقف عليه.
(٣) لم أقف عليه.

وقال ابن زيد وغيره: إِنما أَراد جميع النساءِ المؤمنات، وتخصيص الإِضافة إِنما هو في الإِيمان[١].

قوله: ﴿وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ﴾، قالت طائفة: من الإِماءِ دون العبيد، وقالت طائفة: من العبيد والإِماءِ، ثم اختلفت هذه الطائفة ـ فقالت فرقة: ما مَلَكَتْه من العبيد دون من ملك سواهن، وقالت فرقة: بل من جميع العبيد، كان في مِلكهن أَو مِلك غيرهن، والمُكَاتَب إِذا كان عنده ما يؤَدي فقد أَمر رسول الله ﷺ بضرب الحجاب دونه، وفعلت ذلك أُمُّ سَلَمَة مع مُكَاتَبها نبهان، ذكره الزهراوي[٢].

وقالت فرقة: دخل الأعمامُ في الآباءِ، وقال الشعبي، وعكرمة: لم يذكرهم لإِمكان أَن يصفوا لأَبنائهم، وكذلك الخال، وكرها أَن تضع المرأَة خمارها عند عمها أَو خالها[٣].

واختلف المتأَولون في المعنى الذي رفع فيه الجُنَاح بهذه الآية:

فقال قتادة: هو الحجاب. أَيْ: أُتيح لهذه الأَصناف الدخول على النساءِ دون الحجاب ورؤيتهن.

وقال مجاهد؛ ذلك في وضع الجلباب وإِبداءِ الزينة[٤].

ولما ذكر الله تعالى الرخصة في هذه الأَصناف، وانجزمت الإِباحة، عَطَف بأمرهن[٥]

---

(١) انظر تفسير القرطبي (٢٠/ ٣١٩).

(٢) ضعيف، أخرجه أبو داود (٣٩٣٠) والترمذي (١٢٦١) والنسائي في الكبرى (٩٢٢٨) وابن ماجه (٢٥٢٠) وغيرهم من طريق: الزهري عن نبهان مكاتب أم سلمة قال: سمعت أم سلمة تقول: قال لنا رسول الله ﷺ: «إن كان لإحداكن مكاتب فكان عنده ما يؤدي فلتحتجب منه»، وقد تفرد به نبهان، وفيه جهالة، وقد تفرد بحديثين، هذا أحدهما، قاله أحمد كما في شرح منتهى الإرادات (٠٢/ ٦٢٦) وغيره.

(٣) انظر قول الشعبي وعكرمة في: تفسير الطبري (٢/ ٣١٩).

(٤) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٠/ ٣١٨)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٢٠)، وانظر: تفسير الثعلبي (٨/ ٦٠).

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «فأَمرهن»، وفي الأصل ونور العثمانية: «يأمرهن».

بالتقوى عطف جملة [على جملة](١)، وهذا في غاية البلاغة والإِيجاز، كأنه قال: اقْتَصِرْن على هذا واتَّقِين الله فيه أَن تتعدَّينه إِلى غيره.

ثم توعَّد تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾.

هذه الآية شرَّف الله بها رسوله ﷺ، وذكر منزلته منه، وظهر بها سوءُ فعل من استصحب في جهته [فكرة سُوءٍ](٢) في أَمر زوجاته، ونحو ذلك.

وقوله: ﴿يُصَلُّونَ﴾، قالت فرقة: الضمير فيه للَّهِ وللملائكة، وهذا قول من الله تعالى شرَّف به ملائكته، فلا يصحبه الاعتراض الذي جاءَ في قول الخطيب عند النبي ﷺ: «من أَطاع الله ورسوله رَشَد، ومن يعصهما فقد ضل»، فقال له رسول الله ﷺ: «بئس الخطيب أَنت»(٣)، قالوا: لأَنه ليس لأَحد من البشر أن يجمع ذكر الله تعالى مع غيره في ضمير واحد، وللَّهِ أَن يفعل من ذلك ما يشاءُ.

وقالت فرقة: في الكلام حذف تقديره: إِن الله يصلي على النبي وملائكته يصلُّون، ودلَّ الظاهر من القول على ما تُرِكَ، وليس في الآية اجتماع في ضمير، وذلك جائز للبشر فعلُه، ولم يقل رسول الله ﷺ: «بئس الخطيب أَنت» لهذا المعنى، وإِنما قاله لأَن الخطيب وقف على «ومن يعصهما»، وسكت سكتة.

---

(١) من السليمانية ونور العثمانية وفيض الله.

(٢) في الحمزوية: «مكراً أو سوءاً».

(٣) أخرجه مسلم (٨٧٠).

ومما يؤيد هذا: أَن في كلام النبي ﷺ في «مصنَّف أَبي داود»: «ومن يعصهما»[١]، فجمع ذكر الله وذكر رسوله في ضمير.

ومما يؤيد القول الأَول: أَن في «كتاب مسلم»: «بئس الخطيب أَنتَ، قل: ومن يعص الله ورسوله»[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا يحتمل أَن يكون لمَّا خطَّأَه في وقفه وقال له: «بئس الخطيب أَنت» [أَصْلَح له بعد ذلك جميع كلامه؛ لأَن فصل ضمير اسم الله تعالى من ضمير غيره أَولى لا محالة، فقال له: «بئس الخطيب أَنت»][٣] لموضع خطئه في الوقف، وحمله على الأَولى في فصل الضميرين وإِن كان جمعهما جائزاً.

وقرأ الجمهور: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ نصباً عطفاً على المكنون.

وقرأَ ابن عباس: (وَمَلائِكَتُهُ) بالرفع[٤] عطفاً على الموضع قبل دخول (إِنَّ). وفي هذا نظر.

وصلاة الله تعالى رحمةٌ منه وبركة، وصلاة الملائكة دعاءٌ وتعظيم، والصلاة على رسول الله ﷺ في كل حين من الواجبات وجوب/ السُّنَن المؤكَّدة التي لا يسع[٥] [٤/ ٢١٩] تركها، ولا يغفلها إِلَّا من لا خير فيه[٦].

---

(١) ضعيف، سنن أبي داود (١٠٩٩) من طريق: عمران عن قتادة عن عبد ربه عن أبي عياض عن ابن مسعود مرفوعاً، قال علي بن المديني: عبد ربه الذي روى عنه قتادة مجهول: لم يرو عنه غير قتادة.اهـ، ثم رواه أبو داود من طريق: ابن وهب عن يونس أنه سأل ابن شهاب عن تشهد رسول الله ﷺ يوم الجمعة فذكر نحوه قال: ومن يعصهما فقد غوى وهذا مرسل.

(٢) في الموضع المشار إليه آنفاً.

(٣) سقط من الأصل.

(٤) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٣٨٧).

(٥) في المطبوع: «يصح».

(٦) الصلاة على النبي ﷺ؛ فرض في العمر مرة واحدة بلا خلاف بين العلماء، انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٦٢٣).

وقال ﷺ: «أَكثروا من الصلاة عليَّ يوم الجمعة فإِنه يوم مشهود»[١].

وصِفتُها على ما ورد عنه ﷺ في كتاب الطبري من طريق ابن عباس[٢] رضي الله عنه: أنه لما نزلت هذه الآية، قال له قوم من الصحابة؛ هذا السلام عليك يا رسول الله عرفناه، فكيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلَّيت على إِبراهيم وآل إِبراهيم، [وارحم محمداً وآل محمد كما رحمت وباركت على إِبراهيم وآل إِبراهيم][٣] في العالمين، إِنك حميد مجيد»[٤]، وفي بعض الروايات زيادة ونقص، وهذا معناه.

وقرأ الحسن: (يا أيها الذين آمنوا فصلوا عليه)[٥].

وهذه الفاءُ تُقَوِّي معنى الشرط، أَي: صلَّى اللهُ فصلُّوا أَنتم، كما تقول: أَعطيتُك فَخُذ.

وفي حرف عبد الله: (صلُّوا عليه كما صلَّى الله عليه وسلِّموا تسليماً)[٦].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ﴾ الآية، قال الجمهور معناهُ: بالكفر ونِسْبة الصاحب والولد والشريك إِليه، ووصفه بما لا يليق به.

وفي الحديث: «قال الله: شتمني عبدي فقال: إِن لي ولداً، وكذَّبني فقال: إِنه لن يُبعث»[٧].

---

(١) منقطع، أخرجه ابن ماجه (١٦٣٧) من حديث عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي عن أبي الدرداء مرفوعاً. قال البخاري: زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي، مرسل. التاريخ الكبير (٣/ ٣٨٧).

(٢) في المطبوع: «ومن طريق ابن عباس».

(٣) سقط من الحمزوية، وسقط ذكر البركة من أحمد٣ والمطبوع.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٧٩٨) (٦٣٥٧) ومسلم (٤٠٥)، وانظر تفسير الطبري (٢٠/ ٣٢٠)، وما بعدها.

(٥) وهي شاذة، انظرها في: المحتسب (٢/ ١٨٣).

(٦) وهي شاذة مخالفة للرسم، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٨٧) لطلحة.

(٧) أخرجه البخاري (٣١٩٣) (٤٤٨٢) (٤٩٧٤) (٤٩٧٥) بلفظ: «قال الله تعالى: يشتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني، ويكذبني وما ينبغي له؛ أما شتمه، فقوله: إن لي ولداً، وأما تكذيبه؛ فقوله: ليس يعيدني كما بدأني».

وقال عكرمة: معناه بالتصوير والتعرُّض لفعل ما لا يفعله إِلَّا الله[١] بنحت الصُّور وخلقها[٢].

وقد قال رسول الله ﷺ: «لعن الله المصورين»[٣].

وقالت فرقة: ذلك على حذف مضاف، تقديره: يؤذون أَولياءَ الله.

و«إِذاية الرسول ﷺ»: هي بما يؤذيه به من الأَقوال في غير معنى واحد، ومن الأَفعال أَيضاً.

وقال ابن عباس: نزلت في الذين طعنوا عليه حين اتَّخَذ صفيَّة بنت حُيَي[٤].

قال القاضي أَبو محمد: والطَّعنُ في تأْمير أُسامة إِذايةٌ له ﷺ أَيضاً.

وقوله: ﴿لُعِنُواْ﴾ معناه: أُبعدوا من كل خير.

و«إِذاية المؤمنين والمؤمنات»: هي أَيضاً بالأَفعال والأَقوال القبيحة والبُهتان والكذب الفاحش المختلق.

ورُوي: أَن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يوماً لأُبيٍّ بن كعب: إِنِّي قرأْتُ هذه الآية البارحة ففزعت منها ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الآية، والله إِنِّي لأَضربهم وأَنهرهم، فقال له أُبيٌّ: لست منهم يا أَمير المؤمنين، إنما أنت مُعَلِّم ومُقَوِّم[٥].

وذكر أَبو حاتم: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأَ: (إِنَّ الذينَ يُؤذونَ

---

(١) لفظ الجلالة «الله» ليس في المطبوع.

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٢٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٢)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٢٢)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٦٣)، بتصرف.

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٤٧) بلفظ: ولعن المصورين. يعني النبي ﷺ.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٢٢) من طريق عطية العوفي وهو ضعيف.

(٥) لم أقف عليه مسنداً.

الْمؤمنين والْمُؤمنات)، ثم قال لأُبيّ رضي الله عنه: كيف تقرأُ هذه الآية؟ فقرأَها كما قرأَها عمر رضي الله عنه[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾.

لما كانت عادة العربيات التبذل في معنى الحجبة، وكنَّ يكشفن وجوههن كما تفعل الإِماءُ، وكان ذلك داعياً إِلى نظر الرجال إِليهن وتشعب الفكرة فيهن، أمر الله رسوله ﷺ بأمرهن بإِدناءِ الجلابيب ليقع تسترهن، فيكُفَّ عن معارضتهن من كان غَزِلاً أَو شابّاً.

ورُوي: أنه كان في المدينة قوم يجلسون على الصُّعُدات لرؤية النساءِ ومعارضتهن ومراودتهن، ونزلت الآية بسبب ذلك[٢].

و«الْجِلْباب»: ثوب أَكبر من الخمار، ورُوي عن ابن عباس، وابن مسعود أَنه الرداءُ[٣].

واختلف الناس في صورة إِدنائه:

فقال ابن عباس أيضاً[٤]، وعَبيدة السَّلْماني: ذلك أَن تلويه المرأَة حتى لا يظهر منها إِلَّا عين واحدة تبصر بها[٥].

وقال ابن عباس أَيضاً[٦]، وقتادة: ذلك أَن تلويه فوق الجبين وتشده ثم تعطفه على الأَنف وإِن ظهرت عيناها، لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه[٧].

---

(١) لم أقف عليها، وهي شاذة.

(٢) أخرج نحو ذلك الطبري (٢٠/ ٣٢٥) من طريق ضعيف.

(٣) صحيح، أخرجه الطبري (١٩/ ٢١٧) من طرق عدة عن ابن مسعود، ولم أره عن ابن عباس مسنداً.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٢٤) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٢٥)، وتفسير ابن ابي حاتم (١٠/ ٣١٥٥)، معاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٧٨).

(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٢٥) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس بلفظ: أن تقنع وتشد على جبينها.

(٧) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٣٢٥).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ﴾؛ أَي: على الجملة بالفرق حتَّى لا يختلطن بالإِماءِ، فإِذا عُرِفْن لم يقابلن بأذى[١] من المعارضة مراقبةً لرتبة الحرية، وليس المعنى أن تُعرف المرأَة حتَّى تُعلم من هي، وكان عمر رضي الله عنه إِذا رأَى أَمَةً قد تقنَّعت قنعها بالدِّرَّة محافظة على زيِّ الحرائر[٢].

وباقي الآية ترْجية ولُطْف وحضٌّ على التوبة وتطميع في رحمة الله، وفيها تأْنيس للنساءِ في ترك الجلابيب قَبْل هذا الأَمر المشروع.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٠ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ٦١ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢﴾.

اللَّام في ﴿لَّئِن﴾ هي المؤذنة بمجيءِ الْقَسَم، واللَّام في ﴿لَنُغۡرِيَنَّكَ﴾ هي لام القَسَم، وتوعَّد الله تعالى هذه الأَصناف في هذه الآية، وقَرَن توعُّده بقرينة متابعتهم في تركهم الانتهاءَ، فقالت فرقة: إن هذه الأَصناف لم تنته، ولم ينفذ الله عليهم هذا الوعيد، فهذه الآية دليل على بُطلان القول بإِنفاذ الوعيد في الآخرة[٣].

وقالت فرقة: إِن هذه الأَصناف انتهت، وتستَّر جميعُهم بأَمرهم وكفوا، وما بقي من أَمرهم أَنفذ الله وعيداً بإِزائه، وهو مثل نهي النبي ﷺ عن الصَّلاة عليهم، إِلى غير ذلك مما أَحلَّه رسول الله ﷺ بالمنافقين: من الإِذلال في إِخراجهم من المسجد، وبما نزل فيهم من سورة براءَة، وغير ذلك، فهم لم يمتثلوا الانتهاءَ جملة، ولا نفذ عليهم الوعيد كاملاً.

و﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ صنف يظهر الإِيمان ولا يبطنه.

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «بأدنى».

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ممن قال بهذا القول المهدوي في التحصيل (٥/ ٣٠٧)، وانظر: تفسير القرطبي (١٤/ ٢٤٨).

و(الذين في قلوبهم مرض) هو الغَزل وحب الزِّنا، قاله عكرمة[١]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

و(المرجفون في المدينة) هم قومٌ من المنافقين كانوا يتحدثون بغزو العرب المدينة، وبأَن رسول الله ﷺ سيُغلَب، إلى نحو هذا مما يرجفون به نفوسَ المؤمنين، فيحتمل أن تكون هذه الأَصناف متفرقة بعضها من بعض، ويحتمل أَن تكون داخلة في جملة المنافقين لكنه نص على هاتين الطائفتين وقد ضمَّهم عموم لفظة النفاق تنبيهاً عليهم، وتشريداً بهم، وغضّاً منهم.

و(نُغرِيَنَّكَ) معناه: نحضك عليهم بعد تعيينهم لك، قال ابن عباس: لنُسَلِّطَنَّك عليهم[٢].

وقال قتادة: لنحرسنَّك بهم[٣].

وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾؛ أي: بعد الإِغراءِ؛ لأَنك تنفيهم بالإِخافة والقتل.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يحتمل أَن يريد: إِلَّا جِوَاراً قليلاً ووقتاً قليلاً.

ويحتمل أَن يريد: إِلَّا عدداً قليلاً كأَنه قال: إِلَّا أَقِلَّاءَ.

قوله: ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ يجوز أن ينتصب على الذَّم، قاله الطبري[٤].

ويجوز أَن يكون بدلاً من (أَقِلَّاءَ) الذي قدرناه قبل في أَحد التأْويلات.

ويجوز أَن يكون حالاً من الضمير في ﴿يُجَاوِرُونَكَ﴾، [كأَنه قال: ينتفون من

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٢٧)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٢٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٧٩).
(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٢٨) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٢٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٧٩).
(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٢٨).

المدينة ملعونين، فلما تقدر (لا يُجاورنَك)][(١)] تقدير (يَنْتَفُونَ) حَسُن هذا.

و«اللَّعنة»: الإبعاد.

و﴿ ثُقِفُوٓاْ ﴾ معناه: حُصِرُوا وقُدر عليهم.

و﴿ أُخِذُواْ ﴾: معناه: أُسِرُوا، والأَخِيذُ: الأَسير، ومنه قول العرب: أَكْذَبُ من الأَخيذِ الصبْحانِ[(٢)].

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَقُتِّلُواْ ﴾ بشد التاءِ، ويؤَيِّدها المصدر بعدها.

وقرأَت فرقة بتخفيف التاءِ، والمصدر على هذه القراءَة على غير المصدر[(٣)].

قال الأَعمش: كلُّ ما في الْقرآن غير هذا الموضع فهو ﴿قُتِلُوٓاْ ﴾ بالتخفيف[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ نصب على المصدر، ويجوز فيه الإِغراءُ على بعد.

و﴿ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ ﴾ هم منافقو الأُمم.

وقوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾؛ أَي: من غالبٍ يستقر تبديله، فيخرج عن هذا تبديل العُصاة والكفرة، ويخرج عنه ما يبدله الله من سُنَّة بِسُنَّة في النسخ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٦٥ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ٦٦ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ٦٨﴾.

---

(١) سقط من نور العثمانية، في الحمزوية وأحمد٣ والمطبوع: «تقرر»، و«من المدينة» من المطبوع.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (٤/ ١٥٨)، ومقاييس اللغة (٣/ ٢٥٦).

(٣) في المطبوع: «القياس»، وفي الأصل محلها بياض. وهي شاذة، ذكرها في البحر المحيط (٨/ ٥٠٦)، وأشار لجوازها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٨٧).

(٤) لم أقف على قول الأعمش.

سُئل رسول الله ﷺ عن وقت الساعة متى هو؟ فلم يُجب في ذلك بشيءٍ[١]، ونزلت الآية آمرةً أَن يَرُدَّ العلم فيها إِلى الله؛ إِذ هي من مفاتيح الغيب التي استأْثر الله بعلمها.

ثم توعَّد[٢] العالم بِقُربها في قوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ الآية؛ أَي: ينبغي أَن تحذر.

و﴿قَرِيبًا﴾: لفظة واحدٍ جمعاً وإِفراداً ومذكراً ومؤنثاً، ولو كان صفة للسَّاعَة لكان: قريبة.

ثم توعَّد الكافرين بعذاب لا وليَّ لهم منه ولا ناصر.

وقوله: ﴿يَوْمَ﴾ يجوز أَن يكون متعلقاً بما قبله، والعامل فيه ﴿يَجِدُونَ﴾، وهذا تقدير الطبري[٣]، ويجوز أَن يكون العامل فيه (يَقُولُونَ) ويكون ظرفاً للقول.

وقرأَ الجمهور: ﴿تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ﴾ على المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله، بضم التاءِ وشد اللَّام المفتوحة.

وقرأَ أَبو حيوة: (تَقَلَّبُ وجُوهُهُم) بفتح التَّاءِ، بمعنى: تَتَقَلَّب.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (تَتَقَلَّبُ) بتاءَيْن.

وقرأَ خارجة، وأَبو حيوة: (نُقَلِّبُ) بالنون.

وقرأَ عيسى بن عمر الكوفي (تُقْلِبُ) بالتاءِ المضمومة وكسر اللَّام؛ أَيْ: تُقْلِب السعيرُ، وبنصب (الوجوه) [في هاتين القراءتين][٤]، فيومئذ يتمنون الإِيمان وطاعة الله ورسوله حين لا ينفعهم التمنِّي.

---

(١) ثبت ذلك في أحاديث كثيرة، منها حديث جبريل المشهور، وهو متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٠) وغير موضع، ومسلم (٨، ٩)، ومنها حديث أنس عند البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٣٩) أيضاً.

(٢) في السليمانية: «وعد».

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٣٠).

(٤) سقط من المطبوع وأحمد٣، وهذه أربع قراءات شاذة، انظر الأولى والأخيرة: في المحتسب (٢/ ١٨٤)، والثالثة لأبي حيوة في الكامل للهذلي (ص: ٦٢١)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٨٧)، وكذا الثانية لابن أبي عبلة إلا أنهما ضبطاها بتاء واحدة مشددة.

ثم لاذوا بالتَّشَكِّي من كبرائهم في أَنهم أَضلُّوهم.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿سَادَتَنَا﴾، وهو جمع سيِّد.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن، وابن عامر وحده من السبعة، وأبو عبد الرحمن، وقتادة وأَبو رجاءٍ، والعامة في المسجد الجامع بالبصرة: ﴿ساداتِنا﴾، على جمع الجمع[1].

و﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ مفعول ثان؛ لأَنَّ (أَضَلَّ) مُعَدَّى بالهمزة، و(ضَلَّ) يتعدَّى إلى مفعول واحد، [فيما هو مقيم كالطريق والمسجد][2]، وهي سبيل الإِيمان والهُدى.

ثم دعَوْا بأَن يضاعف الله للكُبَراءِ المُضِلِّين العذاب، أَي: عن أَنفُسِهم وعمَّن أَضَلُّوا.

وقرأَ عاصم، وابن عامر، وحُذَيْفة بن اليمان، والأَعرج بخلاف عنه: ﴿لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾ بالباءِ، من الكِبَر.

وقرأَ الباقون والجمهور: ﴿لعناً كثيراً﴾ بالثاءِ ذات الثلاث[3]، والكَثْرة أَشبه بمعنى اللَّعنة من الكِبَر، أَي: الْعَنْهم مرات كثيرة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾.

(الذين آذَوْا موسى): هم قوم من بني إِسرائيل.

واختلف الناس في الإِذاية التي كانت وبرَّأه الله منها:

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٩)، وانظر عزوها للحسن في الطبري (٢٠/ ٣٣١)، وللباقين في البحر المحيط (٨/ ٥٠٧).

(٢) سقط من أحمد٣ والمطبوع والحمزوية.

(٣) وهما سبعيتان، والأولى لعاصم في التيسير (ص: ١٧٩)، وانظر الخلاف عن هشام في النشر (٢/ ٣٤٩)، الكامل للهذلي (ص: ٦٢١)، وعن ابن ذكوان في السبعة (ص: ٥٢٣)، وعنهما في جامع البيان (٤/ ١٤٩٨)، وليس ذلك من طرق التيسير.

فقالت فرقة: هي قصة قارون وإدخاله المرأَة البغي في أن تدَّعي على موسى، ثم تبرئتها موسى وإِشهارها لمداخلة قارون، وقد تقدمت القصة في ذكر قارون.

وقال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: هي أَن موسى وهارون عليهما السلام خرجا من فحص التِّيهِ إِلى جبل، فمات هارون فيه، فجاءَ موسى وحده، فقال قوم: هو قتله، فبعث الله ملائكته حملوا هارون حتى طافوا به في أَسباط بني إسرائيل، ورأَوا آية عظيمة دلَّتهم على صدق موسى عليه السلام، ولم يكن فيه أَثر[١]، وروي أَنه حيِيَ فأَخبرهم بأَمره وببراءَة موسى.

وقال ابن عباس، وأَبو هريرة، وجماعة: هي ما تضمنه حديث النبي ﷺ، قال: «كان بنو إِسرائيل يغتسلون عراة، وكان موسى عليه السلام يتستَّر كثيراً ويُخفي بدنه، فقال قوم: هو آدَر أَوْ أَبرص أَو به آفة، فاغتسل موسى يوماً وحده وجعل ثيابه على حجر، ففَرَّ الحجر بثيابه واتَّبعه موسى يقول: ثوبي حَجَرُ، ثوبي حَجَرُ، فمرَّ في اتِّباعه في ملاٍ من بني إِسرائيل فرأَوه سليماً مما ظُنَّ به» الحديث بطوله خرَّجه البخاري[٢]، فبرَّأَه الله مما قالوا.

و«الْوَجِيهُ»: المكرم الوجه.

وقرأَ الجمهور: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾، وقرأَ عبد الله بن مسعود: (وكان عبداً للَّهِ)[٣].

ثم وصَّى الله المؤمنين بالقول السداد، وذلك يعُمُّ جميع الخيرات، وقال عكرمة: أَراد: لا إِله إِلَّا الله[٤]، والسَّداد يعُمُّ جميع هذا، وإِن كان ظاهر الآية يُعطي أنه إِنما أشار إِلى ما يكون خلافاً للأَذى الذي قيل في جهة الرسول ﷺ وجهة المؤمنين.

---

(١) زاد في المطبوع: «القتل»، قال في الحاشية: زيادة من كتب التفسير، وقد تقدم هذا الأثر في (سورة الأعراف) آية (١٥٤).

(٢) صحيح البخاري (٣٤٠٤)، وهو في مسلم أيضاً (٣٣٩).

(٣) وهي شاذة، عزاها له في المحتسب (٢/ ١٨٥)، وظاهر مختصر الشواذ (ص: ١٢١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٦٣): أنها: عبدُ الله.

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٣٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٨)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٦٧).

ثم وعد تعالى بأَنه يجازي على القول السَّداد بإِصلاح الأعمال وغفران الذنوب.

وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾.

اختلف الناسُ في الأَمانة:

فقال ابن مسعود رضي الله عنه: هي في أَمانات المال كالودائع ونحوها[١].

ورُوي عنه: أنه في كل الفرائض[٢]، وأَشدُّها أمانةُ المال.

وذهبت فرقة هي الجمهور: إِلى أنها كل شيءٍ يؤْتمن الإِنسان عليه، من أَمر ونهي وشأْنِ دِينٍ وَدُنيا، فالشرع كله أمانة.

قال أُبي بن كعب رضي الله عنه: من الأَمانة أَن ائتمنت المرأة على فرجها[٣].

وقال أَبو الدرداءِ رضي الله عنه: غسل الجنابة أَمانة[٤].

---

(١) إسناده جيد، أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٤٠) من طريق: شريك عن الأعمش عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن ابن مسعود.

(٢) إنما روي هذا عن ابن عباس من طرق، أما عن ابن مسعود فلم أقف عليه مسنداً.

(٣) إسناده لا بأس به، أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٣٩) من طريق: الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن أبيّ.

(٤) إسناده فرد لين، أخرجه أبو داود (٤٢٩) من طريق: عمران القطان حدثنا قتادة وأبان كلاهما عن خليد العصري عن أبي الدرداء مرفوعاً بلفظ: «خمس من جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل الجنة من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وأعطى الزكاة من ماله طيب النفس بها قال وكان يقول وايم الله لا يفعل ذلك إلا مؤمن وصام رمضان وحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً وأدى الامانة»، قالوا يا أبا الدرداء وما أداء الامانة؟ قال: الغسل من الجنابة فإن الله =

ومعنى الآية: إنَّا عرضنا على هذه المخلوقات العظام أن تحمل الأَوامر والنواهي، وتقتضي الثواب إِن أَحسنت والعقاب إِن أَساءَتْ، فأَبت هذه المخلوقات وأَشفقت.

ويحتمل أَن يكون هذا العَرْض بإِدراكٍ يخلقه الله لها.

ويحتمل أَن يكون هذا العرض على من فيها من الملائكة.

ورُوي أَنها قالت: ربِّ ذَرْني مسخَّرة لما شئت أَنت، طائعة فيه، ولا تَكِلْني إِلى نظري وعملي، ولا أُريد ثواباً.

و«حَمَلَ الإِنسان الأمانة»؛ أَي: الْتزم القيام بحقِّها، وهو في ذلك ظلوم لنفسه، جهول بقدر ما دخل فيه، وهذا تأْويل ابن عباس[١]، وابن جُبير[٢].

وقال الحسن: ﴿وَحَمَلَهَا﴾: معناه خان فيها[٣]، والآية في الكافر والمنافق.

قال القاضي أَبو محمد: والعصاة على قدرهم.

وقال ابن عباس[٤] وأَصحابه، والضحاك، وغيره: ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾: آدم، تحمَّل الأَمَانة، فما تمَّ له يوم حتى عصى المعصية التي أَخرجته من الجنة[٥].

ورُوي: أَن الله تعالى قال له: يا آدم، إِنِّي عرضت الأَمانة على السماوات والأَرض والجبال فأَبَيْنَ أَن يحملنها، وأَشْفَقْن منها، أَفتحملها أَنت بما فيها؟ قال: وما فيها؟ قال:

= لم يأتمن ابن آدم على شيء من دينه غيرها (١٠هـ)، وهو حديث فرد لا يعرف إلا من طريق عمران القطان أبي العوام، كما قاله المزي في تهذيب الكمال (٨/ ٣١٢) وعمران ليس بحجة.

(١) صحيح لغيره: هذا الأثر أخرجه ابن جرير الطبري (٢٠/ ٣٣٧) من طريق سعيد بن جبير، وعلي بن أبي طلحة، وعطية العوفي جميعهم، عن ابن عباس قال: عرضت على آدم، فقال: خذها بما فيها فإن أطعت غفرت لك وإن عصيت عذبتك، قال: قد قبلت، فما كان إلا قدر ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة.

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٣٦).

(٣) معاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٨٧)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ٢٨٣).

(٤) صحيح، أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٣٧) من طريق: شعبة عن أبي بشر عن سعيد عن ابن عباس.

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٣٨)، ولفظة «وأصحابه» سقطت من السليمانية.

إِن أَحسَنْتَ أُجِرْتَ، وإِن أَسأْتَ عوقبت، قال: نعم قد حملتها، قال ابن عباس: فما مرَّ[١] له ما بين الأُولى والعصر حتى عصى ربَّه[٢].

وقال ابن مسعود، وابن عباس: ﴿ٱلْإِنسَـٰنُ﴾: ابن آدم، قابيل الذي قتل أَخاه، وكان قد تحمَّل لأَبيه أَمانة[٣] أَن يحفظ الأَهل بعده، وكان آدم عليه السلام سافر عنهم إِلى مكة، في حديث طويل ذكره الطبري وغيره[٤].

وقال بعضهم: ﴿ٱلْإِنسَـٰنُ﴾: النوعُ كلُّه، وهذا حسن مع عموم الأَمانة.

وقال الزَّجاج: معنى الآية: إِنا عرضنا الأَمانة في نواهينا وأَوامرنا على هذه المخلوقات، فقمن بأَمرها، وأَطعن فيما كلفناها، وتأَبَّيْنَ من حمل المذمة في معصيتنا، وحَمَل الإِنسان المذمة فيما كلفناه من أَوامرنا وشرعنا[٥]. والإِنسانُ على تأْويله: الكافرُ والعاصي، وتستقيم هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

فعلى التأْويل الأَول الذي حكيناه: يكون قوله: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ إِجابةً لأَمر أُمرت به، وتكون هذه الآية إِبايةً وإِشفاقاً من أَمر عُرض عليها وخُيِّرت فيه.

رُوي: أَن الله عرض الأَمانة على هذه المخلوقات فأَبت، فلما عرضها الله تعالى على آدم عليه السلام قال: أنا أَحملها بين أُذني وعاتقي، فقال الله: إِنِّي سأُعينك، وقد جعلت لبصرك حجاباً فأَغلقه عما لا يحلُّ لك، ولِفَرْجك لباساً فلا تكشفه إِلَّا على ما أَحْلَلْتُ لك[٦].

---

(١) في الأصل: «فما بقي».
(٢) بالإسناد الصحيح السابق.
(٣) ليست في الأصل.
(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٤١) من طريق: أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ به. والإسناد فيه كلام مشهور، ولعله مأخوذ عن أهل الكتاب.
(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٨٣) بتصرف.
(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٣٩).

قال القاضي أَبو محمد: ورُوي في هذا المعنى أَشياءُ تركتها اختصاراً لعدم صحتها.

وقال قوم: إِن الآية من المجاز؛ أَيْ: إِنا إِذا قايَسْنَا ثِقَل الأَمانة بقوة السماوات والأَرض والجبال رأَينا أَنها لا تُطيقها، وأَنها لو تكلمت لأَبَتْها وأَشفقت، فعُبِّر عن هذا المعنى بالآية، وهكذا كما تقول: عرضتُ الحِمْل على البعير فأَباه، وأَنت تريد بذلك: قايَسْتُ قوَّته بِثِقَل الحِمْل فرأَيْتُ أَنها تقصر عنه.

قوله تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ﴾ هي لام العاقبة؛ لأَن الإِنسان لم يحمل ليقع العذاب، لكن حمل فصار الأَمر وآلَ إِلى أَن يُعَذِّب من نافق أَو أَشرك، وأَن يتوب على من آمن.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَيَتُوبَ﴾ نصباً، عطفاً على قوله: ﴿لِّيُعَذِّبَ﴾.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (ويتوبُ) بالرفع على القطع والاستئناف[1].

وباقي الآية بيِّن.

نجزت السورة، والحمد لله.

(١) شاذة، عزاها له في الهداية لمكي (٩/ ٥٨٨٠)، وفي الأصل: «على العطف» بدل «القطع».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة سبأ

هي مكِّيَّة، واختُلف في قوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾ الآية[1] فقالت فرقة: هي مكِّيَّة، والمراد المؤمنون بالنبي ﷺ، وقالت فرقة: هي مدنية، والمراد من أَسلم بالمدينة من أَهل الكتاب؛ كعبد الله بن سلام وأَشباهه[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢)﴾.

الأَلف والَّلام في ﴿الْحَمْدُ﴾ لاستغراق الجنس، أَي: الحمد على تنوُّعه هو لله تعالى من جميع جهات الفكرة، ثم جاءَ بالصفات التي تستوجب[3] المحامد، وهي: مُلْكُه جميع ما في السماوات وما في الأَرض، وعِلْمُه المحيط بكل شيءٍ، وحكمتُه وخبرته بالأَشياءِ، إِذْ وجودها إِنما هو به جلَّت قدرته، ورحمتُه بأَنواع خلقه، وغفرانُه لمن سبق في علمه أن يغفر له [من مؤمن][4].

---

(١) هي الآية رقم (٦) من هذه السورة.

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٥٨).

(٣) في المطبوع: «تسوجب».

(٤) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «في الآخرة».

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْآخِرَةِ﴾ يحتمل أن تكون الأَلف واللَّام للجنس أَيضاً، وتكون الآية خبراً أن الحمد في الآخرة هو له وحده لإِنعامه وأَفضاله وتغمُّده وظهور قدرته وغير ذلك من صفاته.

ويحتمل أَن تكون الأَلف واللَّام فيه للعهد والإِشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، أَو إِلى قوله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤].

و﴿يَلِجُ﴾ معناه: يدخل، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] رَأَيْتُ الْقَوَافِي يَتَّلِجْنَ مَوَالِجاً تضايَقُ عَنْهَا أَن تَوَلَّجَهَا الإِبَرْ[1]

و﴿يَعْرُجُ﴾ معناه: يصعد.

وهذه الرُّتب حصرت كلَّ ما يصح عمله من شخص أَو قول أَو معنى.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن: (وما يُنَزِّل من السماء) بضم الياءِ وفتح النُّون وشدّ الزاي[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

رُوي: أن قائل هذه المقالة هو أَبو سفيان بن حرب، قال: واللَّات والعزَّى ما ثَمَّ

---

(١) البيت لطرفة بن العبد، كما في البيان والتبيين (١/ ١٤٥)، ومجاز القرآن (١/ ٢٥٤)، والخصائص (١/ ١٥).

(٢) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٣٨٨) ولكن ضبطها ننزل بالنون، وكذلك عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٢١) لعلي.

ساعة تأْتي، ولا قيامة ولا حشر. فأَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ أن يُقْسم بربِّه مقابلة لِقَسَم أَبي سفيان، قيل: ردّاً وتكذيباً وإِيجاباً لما نفاه(١).

وأجاز نافع الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾(٢).

وقرأَ الجمهور: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ بالتَّاءِ من فوق.

وحكى أَبو حاتم قراءَة: (لَيَأْتِيَنَّكُمْ) بالياءِ(٣) على المعنى في البعث.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، والكسائي بخلاف عنه: ﴿عَٰلِمِ﴾ بالخفض على البدل من ﴿رَبِّي﴾.

وقرأَ نافع، وابن عامر: ﴿عالِمُ﴾ بالرفع على القطع، أَي: هو عالمُ.

ويصح أَن يكون (عَالِمُ) رفع بالابتداءِ، وخبره ﴿لَا يَعْزُبُ﴾ وما بعده، ويكون الإِخبارُ بأَن الْعَالِمَ لا يعزب عنه شيءٌ إِشارةً إِلى أَنه قدَّر وقتها وعَلِمَهُ، والوجه الأَول أَقرب.

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿علَّامِ﴾ على المبالغة مخفوضاً(٤) على البدل.

و﴿يَعْزُبُ﴾ معناه: يغيب ويبعد، وبه فسَّر مجاهد وقتادة(٥).

وقرأَ جمهور القراء: ﴿يَعْزُبُ﴾ بضم الزّاي.

[وخفضها الكسائي، وابن وثاب](٦)، وهما لغتان.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) الهداية لمكي (٩/ ٥٨٨٥).

(٣) وهي شاذة، عزاها في المحتسب (٢/ ١٨٦) لهارون عن طُلَيْق المعلِّم، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٨) لليماني.

(٤) ثلاث قراءات سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٨٠)، وعاصم مع ابن كثير، وليس للكسائي في الأولى خُلف بل اختلف فيها على شعبة كما في جامع البيان (٤/ ١٥٠٠)، فيكون الصواب وعاصم، بدل الكسائي.

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٥٠).

(٦) في فيض الله والسليمانية: «وقرأ الكسائي وابن وثاب بكسرها»، وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٥٢٦).

و﴿مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ﴾ معناه: مقدار تثاقلها، وهذا في الأجرام بيِّن، وفي المعاني بالمقايسة.

وقرأ الجمهور: ﴿وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ﴾ بالرفع عطفاً على قوله: ﴿مِثۡقَالُ﴾.

وقرأ نافع، والأَعمش، وقتادة: (أَصْغَرَ)، وَ(أَكْبَرَ) بالنصب عطفاً على ﴿ذَرَّةٖ﴾، ورُويت عن أَبي عمرو[1].

وفي قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ ضمير تقديره: إِلَّا هو في كتاب مبين.

و«الكِتاب الْمُبِينُ»: هو اللوح المحفوظ.

واللَّام في قوله: ﴿لِّيَجۡزِيَ﴾ يصح أَن تكون متعلِّقة بقوله: ﴿لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾.

ويصح أَن تكون متعلِّقة بقوله: ﴿لَا يَعۡزُبُ﴾.

ويصحُّ أَن تكون متعلِّقة بما في قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ من معنى الفعل؛ لأَن المعنى: إِلَّا أَثْبَتَّه في كتاب مبين.

و«الْمَغْفِرَة»: تغمُّد الذنوب.

و«الرِّزْقُ الكريم»: الجنَّة.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ معطوف على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأُولى، أَي: وليجزي الذين سَعَوْا.

و﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ معناه: محاولين تعجيز قدرة الله فيهم.

وقرأَ الجحدري، وابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ دون أَلف[2]، أَي: معجزين قدرة الله تبارك وتعالى بزعمهم.

وقال ابن الزُّبير: معناه: مُثَبِّطين عن الإيمان من أَراده، مدخلين عليه العجز في نشاطه[3]، وهذا هو سعيهم في الآيات، أَي: في شأْن الآيات.

---

(١) وهي شاذة، لم أجد فيها شيئاً لنافع، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٢٢) للأعمش وقتادة، وزاد الكرماني في الشواذ (ص: ٣٨٩) الحسين عن أبي عمرو، وزاد لزيد بن علي الجر على الصرف.

(٢) والباقون بالمد والتخفيف وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٨).

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في التفسير (١٤٨٢٤).

ثم بيَّن تعالى جزاءَ هؤلاءِ الساعين، كما بيَّن قبل جزاءَ المؤمنين.

وقرأ عاصم في رواية حفص: ﴿أَلِيمٌ﴾ بالرفع على النَّعت، والباقون بالكسر[١] على نعت الرِّجْزِ.

و«الرِّجْزُ»: هو العذاب السَّيء جداً.

وقرأ ابن محيصن: (رُجْزٍ) بضم الرَّاءِ[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾.

قال الطبريُّ والثعلبي وغيرهما: (يَرَى) معطوف على ما قبله من الأَفعال[٣].

والظاهر أَنه مُسْتأْنف، وأَن الواو إِنما عطفت جملة على جملة، وكأَن المعنى الإِخبارُ بأَن أَهل العلم يروْن الوحي المنزل على محمد ﷺ حقّاً وأَنه يهدي إلى صراطٍ مستقيم.

وقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ﴾ مفعول بـ(يَرَى)، و﴿ٱلْحَقَّ﴾ مفعول ثانٍ، و﴿هُوَ﴾ عماد.

و﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ قيل: هم مَن أَسلم من أَهل الكتاب.

وقال قتادة: هم أُمة محمد ﷺ المؤمنون به كائناً من كان[٤].

و(يهْدي): معناه: يُرْشد.

و«الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ»: الطريق المعتدل، وأَراد طريق الشَّرع والدين.

---

(١) وهما سبعيتان، ومع حفص ابن كثير، انظر: التيسير (ص: ١٨٠)، والسبعة (ص: ٥٢٦).

(٢) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٨).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٥٢)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٧٠)، بتصرف.

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٥٢)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٧٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦١).

ثم حكى عن الكفَّار مقالتهم التي قالوها على جهة التَّعجُّب والهُزْءِ، أَي: قالها بعضهم لبعض، كما يقول الرجل لمن يريد أَن يُعجِّبه: هل أَدُلك على أُضحوكة نادرة[١]؟ فلما كان البعث عندهم من البعيد المحال جعلوا من يخبر بوقوعه في حيِّز من يُتعجَّب منه.

والعامل في ﴿إِذَا﴾ فعل مضمر قبلها فيما قال بعض النَّاس، تقديره: يُنبِّئُكم بأَنَّكم تُبعثون إِذا مُزِّقتم، ويصح أَن يكون العامل ما في قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ من معنى الفعل؛ لأَن تقدير الكلام: يُنَبِّئُكُم إِنكم لفي خلقٍ جديد إِذا مُزِّقتم.

وقال الزَّجَّاج: العامل في ﴿إِذَا﴾ هو ﴿مُزِّقْتُمْ﴾[٢].

وهو خطأٌ وإِفساد للمعنى المقصود، ولا يجوز أَن يكون العامل ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ بوجه.

و﴿مُزِّقْتُمْ﴾ معناه: بِالْبِلَى وتَقَطُّع الأَوصال في القبور وغيرها.

وكُسر الأَلف من ﴿إِنَّكُمْ﴾ لأَن ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ في معنى: يقول لكم، ولمكان اللَّام التي في الخبر.

و﴿جَدِيدٍ﴾: بمعنى: مُجَدَّد.

وقولهم: ﴿أَفْتَرَىٰ﴾ هو من قول بعضهم لبعض، وهي أَلف الاستفهام دخلت على أَلف الوصل، فحذف أَلف الوصل، وبقيت مفتوحة غير ممدودة، فكأَن بعضهم استفهم بعضاً عن محمد ﷺ: أَحالُ الفِرْية على الله هي حالُه أَمْ حالُ الجنون؟ لأَن هذا القول إِنما يصدر عن أَحد هذين، فأَضرب القرآن عن قولهم وكذَّبه، فكأَنه قال: ليس الأَمر كما قالوا، ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾، والإِشارة بذلك إِليهم.

﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾، يريد: عذاب الآخرة؛ لأَنهم يصيرون إِليه.

---

(١) في فيض الله والسليمانية: «ونادرة».

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٤١).

ويحتمل أَن يريد: في العذاب في الدنيا بمكابدة الشَّرع ومكايدته، ومحاولة إِطفاءِ نور الله وهو يتِمُّ، وهذا كله عذاب، وفي الضلال البعيد، أَي: قَوِيت الحَيْرةُ وتمكَّنَ التَّلَفُ لأَنه قد أَبعد صاحبه عن الطريق الذي ضلَّ منه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾.

الضمير في ﴿يَرَوْاْ﴾ لهؤلاءِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخرة، وقفهم الله على قدرته، وخوَّفهم من إِحاطتها بهم، المعنى: أَليس يرون أمامهم ووراءَهم سمائي وأَرضي، لا سبيل لهم عن فقد ذلك عن أَبصارهم، ولا عدم إِحاطته بهم.

وقرأَ الجمهور: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ﴾، ﴿نُسْقِطْ﴾ بالنون في الثلاثة.

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿إن يشأ يخسف﴾، ﴿يسقط﴾ بالياءِ فيهن، وهي قراءَة ابن وثَّاب، وابن مصرِّف، والأَعمش، وعيسى، واختارها أَبو عبيد[(١)].

و«خَسْفُ الأَرض»: هو إِهْوَاؤُها بهم وتهوُّرها وغرقهم فيها.

و«الكِسَفُ» قيل: هو مفردٌ اسم القطعة، وقيل: هو جمع كَسْفَة، على مثال: تَمْرَةٍ وتَمْرٍ، ومشهور جمعها كِسَفٌ كسِدْرَة وسِدَر.

وأَدغم الكسائي الفاءَ في الباءِ في قوله تعالى: ﴿يَخْسِف بِهِم﴾[(٢)].

قال أَبو علي: وذلك لا يجوز؛ لأَن الباءَ أَضعف في الصوت من الفاءِ فلا تدغم فيها، وإِن كانت الباء تدغم في الفاءِ في قولك: اضرب فّلاناً، وهذا كما تدغم الباءَ في

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٥٢٧)، والتيسير (ص: ١٨٠).

(٢) والباقون بالإظهار وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٥٢٧).

الميم في قولك: اضرب مُّحمداً، ولا تدغم الميم في الباءِ في قولك: أَصَمَمٌ بك؛ لأَن الباءَ انْحطت عن الميم بفعل الغُنَّة التي في الميم[١].

والإِشارة بقوله: ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ إِلى إِحاطة السماءِ بالمرءِ، ومماسَّة الأَرض له على كل حال.

و«الْمُنِيب»: الرَّاجع التائب[٢].

ثم ذكر تعالى نعمته على داود وسليمان احتجاجاً على ما منح محمداً ﷺ، أَي: لا تستبعدوا هذا فقد تفضَّلنا على عبيدنا قديماً بكذا، فلما فرغ التمثيل بمحمد[٣] ﷺ رجع التمثيل لهم بسَبَإٍ وما كان من هلاكهم بالكفر والعُتُوِّ، والمعنى: قلنا: يا جبال.

و﴿أَوِّبِي﴾ معناه: رجِّعي معه؛ لأَنه مضاعف آب يؤُوب:

فقال ابن عباس[٤] وقتادة وابن زيد وغيرهم: معناه سبِّحي معه[٥]، أَي: يُسبِّح هو وترجِّع هي معه التَّسبيح، أَي: تردُّ بالذكر، ثم ضوعف الفعل للمبالغة.

وقيل: معناه: سيري معه؛ لأَن التأْويب سيْر النهار، كأَن الإِنسان يسير باللَّيل ثم يرجِّع السير بالنهار، أَي: يُردِّده، فكأَنه يُؤَوِّبه، فقيل له: التأويب، ومنه قول الشاعر:

يَوْمَانِ يَوْمُ مُقَامَاتٍ وأَنْدِيَةٍ ... وَيَوْمُ سيْرٍ إِلى الأَعداءِ تأْويبُ[٦] [البسيط]

---

(١) الحجة للفارسي (٦/ ٨).

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) في نور العثمانية: «لمحمد»، وأشار لها في حاشية المطبوع.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري (٢٠/ ٣٥٧) من طريق عن سعيد بن جبير، ومن طريق عطية العوفي عن ابن عباس.

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٥٨).

(٦) البيت لسلامة بن جندل، كما في تفسير الطبري (١٩/ ٢٩٨)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٤٣٦)، ومجاز القرآن (٢/ ١٠).

ومنه قول ابن مقبل:

لَحِقْنَا بِحَيٍّ أَوَّبُوا السَّيْرَ بَعْدَمَا دَفَعْنَا شُعَاعَ الشَّمْسِ والطَّرْفُ يَجْنَحُ[١] [الطويل]

وقال مُؤرِّج: ﴿أَوِّبِي﴾: سبِّحي بلغة الحبشة[٢]. وهذا ضعيف غير معروف.

وقال وهب بن مُنَبِّه: المعنى: نوحي معه والطير تسعدك[٣] على ذلك، قال: فكان داود عليه السلام إذا نادى بالنِّياحة والحنين أَجابته الجبال وعكفت الطير عليه من فوقه، قال: فمن حينئذ سُمع صدى الجبال[٤].

وقرأ الحسن، وقتادة، وابن أَبي إِسحاق: (أُوبِي) بضم الهمزة وسكون الواو[٥].

أَي: ارجعي معه، أَي في السير أَو في التسبيح.

وأَمَر الجبال كما تؤمر الواحدة المؤنثة؛ لأَن جميع مالا يعقل كذلك يُؤْمر، وكذلك يكنى عنه ويوصف، ومنه المثل: يا خيلَ الله اركبي، ومنه ﴿مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ﴾ [طه: ١٨]، وهذا كثير.

وقرأ الأَعرج، وعاصم بخلاف وجماعةٌ من أَهل المدينة: (والطَّيْرُ) بالرفع عطفاً على لفظ قوله: ﴿يَـٰجِبَالُ﴾[٦].

وقرأ نافع، وابن كثير، والحسن، وابن أَبي إسحاق، وأَبو جعفر: ﴿وَٱلطَّيۡرَ﴾ بالنصب:

---

(١) انظر عزوه له في تفسير الثعلبي (٨/ ٧١).

(٢) نقله عنه في البحر المحيط (٨/ ٥٢٤)، وهو قول أبي ميسرة كما في تفسير الطبري (١/ ١٣).

(٣) من الإسعاد، قال في العين (١/ ٣٢٣): ولا يستعمل إلا في البكاء والنّوح. وفي المطبوع: «تساعدك»، ولعله تحريف.

(٤) تفسير الثعلبي (٨/ ٧١).

(٥) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ١٢٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٨٩).

(٦) وهي شاذة، انظر عزوها للأعرج في مختصر الشواذ (ص: ١٢٢)، والرواية عن عاصم في الكامل للهذلي (ص: ٦٢٢)، والنشر (٢/ ٣٤٩)، وبالنصب قرأ السبعة والعشرة من طرق التيسير والنشر إلا ما انفرد به ابن مهران عن روح عن يعقوب.

فقيل: ذلك عطف على ﴿فَضْلًا﴾، وهو مذهب الكسائي.

وقال سيبويه: هو على موضع قوله: ﴿يَٰجِبَالُ﴾؛ لأَن موضع المنادى المفرد نصب.

وقال أَبو عمرو: نَصْبُهَا بإِضمار فعل تقديره: وسخَّرنا الطيرَ[١].

وقوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ معناه: جعلناه لَيِّناً، وروى قتادة: أَن الحديد كان له كالشمع لا يحتاج في عمله إِلى نار[٢]، وقيل: أَعطاهُ قُوَّةً يَثْني بها الحديد.

ورُوي: أَنه لقي مَلَكاً ـ وداود عليه السلام يظنه إِنساناً ـ وداودُ متنكِّر خرج ليسأَل الناسَ عن نفسه في خفاءٍ، فقال داود لذلك الشخص الذي تمثَّل فيه الملَك: ما قولك في هذا الملِك داود؟ فقال له الملَك: نِعْمَ العبد لولا خلَّة فيه، فقال داود: وما هي؟ قال: يرتزق من بيت المال، ولو أَكل من عمل يده لَتَمَّت فضائله، فرجع فدعا الله في أَن يعلِّمه صنعة ويُسَهِّلها عليه، فعلَّمه صنعة اللبوس، وأَلان له الحديد، فكان ـ فيما رُوي ـ يصنع فيما بين يومه وليلته دِرْعاً تُساوي أَلف درهم، حتى ادَّخر منها كثيراً وتوسَّعت معيشته، وكان ينفق بيت المال في مصالح المسلمين[٣].

وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ﴾، قيل: إِنَّ (أَنْ) مفسِّرةٌ لا موضع لها من الإِعراب.

وقيل: هي في موضع نصب بإِسقاط حرف الجرِّ.

و«السَّابغات»: الدروع الكاسيات ذوات الفضول[٤]، قال قتادة: داود أَول من صنعها[٥].

---

(١) انظر الأقوال الثلاثة في مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٥٨٤)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٣٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٥٩)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٣٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٩٦)، بتصرف.

(٣) لم أقف على هذا النقل.

(٤) في المطبوع: «القفول».

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٥٩)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٣٦).

ودرع الحديد مؤنثة، ودرع المرأة مذكَّر.

قوله تعالى: ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾، اختلف المتأولون، في أَيِّ شيءٍ هو التقدير من أَشياءِ السَّرْد؟ إِذ السَّرْد هو إِتْباع الشيءِ بالشيءِ من جنسه، قال الشماخ:

.... كَمَا تَابَعَتْ سَرْدَ الْعِنَانِ الْخَوَارِزُ[١] [الطويل]

ومنه: سَرَدَ الحديثَ، وقيل للدرع: مسرودة؛ لأَنها تُوبعت فيها الحلق بالحلق، ومنه قول الشاعر:

وَعَلَيْهِمَا مَسْرودَتَانِ قَضَاهُمَا داوُدُ أَوْ صَنعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ[٢] [الكامل]

وقول دُرَيْد:

.... في الْفَارِسِيِّ الْمُسَرَّدِ[٣] [الطويل]

قال ابن زيد: التقدير الذي أُمِر به هو في قدْر الحلقة، أَي: لا تعملها صغيرة فتضعف حتى لا تقوى الدرع على الدفاع، ولا كبيرة فَيُنَالُ لابسها من خلالها[٤].

وقال ابن عباس: التقدير الذي أُمر به هو في المسمار[٥]، يريد: [ثقبه حين يشد نتيرها، وذكر البخاري في مصنفه ذلك فقال: المعنى: لا ترق][٦] المسامير فتسلس،

(١) انظر عزوه له في تفسير الثعلبي (٨/ ٧٢)، وغريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٤٥٣)، وأساس البلاغة (١/ ٤٤٩)، وصدره عنده: شككن بأحساء الذناب على هوًى.

(٢) البيت لأبي ذؤيب، كما في المفضليات (ص: ٤٢٨)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢٦)، وقد تقدم في أول (سورة يونس).

(٣) تمامه: فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج... سراتهم بالفارسي المسرد، وقد تقدم في تفسير الآية (٤٨) من (سورة البقرة).

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٦٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٩٧).

(٥) إنما المروي عن ابن عباس: يعني بالسرد: ثقب الدروع، أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٦٠) من طريق: عطية العوفي عنه.

(٦) في المطبوع بدله: «قدِّر المسامير والحلق حتى لا تدق»، وفي فيض الله: «حين يسد بسيرها»، وسقط من أحمد٣ من «المسمار» إلى «المسامير».

ويروى: فَيُسَلْسِل، ولا تغلظه فينقصم، بالقاف؛ وبالفاءِ أَيضاً رواية[١].

وروى قتادة: أَن الدروع كانت قبله صفائح فكانت ثقالاً، فلذلك أُمر هو بالتقدير فيما يجمع بين الخفَّة والحصانة، أَي: [قدِّر ما يأْخذ من هذين المعينين][٢] بقسطه، أَي: لا يقصد الحصانة فيثقل، ولا الخفة وحدها فيزيل المنعة.

قوله: ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾، لمَّا كان الأمر لداود وآله حُكِي وإِن كان لم يَجْرِ لهم ذكر لدلالة المعنى عليهم.

ثم توعَّدهم بقوله: ﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾؛ أَي: لا يخفى عليَّ حَسَنُه من قبيحه، وبحسب ذلك يكون جزائي لكم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾.

قال الحسن: عقر سليمان عليه السلام الخيلَ أَسفاً على ما فوَّتته من وقت صلاة العصر، فأَبدله الله خيراً منها وأَسرع الريح بأَمره[٣].

وقرأَ الجمهور: ﴿ٱلرِّيحَ﴾ بالنصب على معنى: ولسليمان سخَّرنا الريح.

وقرأَ عاصمٌ في رواية أَبي بكر والأَعرجُ: ﴿الرِّيحُ﴾ بالرفع[٤] على تقدير: تسخَّرت الريحُ، أَو على الابتداءِ، والخبر في المجرور، وذلك على حذف مضاف تقديره: ولسليمان تسخير الريح.

وقرأَ الحسن: ﴿ولسليمان الرياح﴾، وكذلك جَمَع في كل القرآن[٥].

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٦٠).

(٢) في فيض الله: «أي قدرها في أحد من هذين المعنين»، وانظر: تفسير الطبري (٢٩/ ٣٥٩).

(٣) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «يأمُره»، انظر قول الحسن في تفسير الثعلبي (٨/ ٧٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٢).

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ١٨٠)، والسبعة (ص: ٥٢٧).

(٥) وهي عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٢٢٣)، واقتصر عليه في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٥٨).

قوله تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞ﴾:

قال قتادة: إِنها كانت تقطع به في الغُدُوِّ إِلى قرب الزَّوال مسيرة شهر[١].

ورُوي عن الحسن البصري أنه قال: كان يخرج من الشام من مُسْتَقَرِّه بتدمر التي بنتها له الجن بالصفاح والعمد فيقيل في إِصْطَخْر، ويروح منها فَيبيت في كابل من أَرض خراسان، ونحو هذا[٢].

وكانت الأَعاصير تُقِل بساطه وتحمله بعد ذلك الرُّخاءُ، وكان هذا البساط يحمل ـ فيما رُوي ـ أَربعة آلاف فارس وما يشبهها من الرجال والعُدد ويتسع لهم، ورُوي أَكثر من هذا بكثير، ولكن عدم صحته مع بُعْد شبهه أَوجب اختصاره.

وقد قال ﷺ: «خير الجيوش أَربعة آلاف»[٣]، وما كان سليمان ليعدو الخير.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (غدْوَتُهَا شَهْرٌ وَروْحَتُهَا شَهْرٌ)[٤].

وكان سليمان عليه السلام إِذا أَراد قوماً لم يُشْعَر به حتى يُظلَّهم في جوِّ السماءِ.

قوله تعالى: ﴿وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِ﴾، رُوي عن ابن عباس[٥]، وقتادة: أَنه كان يسيل له باليمن عين جارية من نحاس يُصنع له منها جميع ما أَحب[٦].

و﴿ٱلۡقِطۡرِ﴾: النُّحاس.

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٦٠)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٣٧).

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٠/ ٣٦٢،٣٦٣)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٣٧).

(٣) مرسل أشبه، أخرجه ابن خزيمة (٢٥٣٨) وابن حبان (٤٧١٧) والحاكم (١/ ٦١١) وقال: إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه والخلاف فيه على الزهري من أربعة أوجه قد شرحتها في كتاب التلخيص، وسئل أبو حاتم عن الاختلاف في هذا الإسناد فقال: مرسل أشبه، لا يحتمل هذا الكلام يكون كلام النبي ﷺ. اهـ. العلل (١٠٢٤).

(٤) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٩).

(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٦٤) من طريق علي بن أبي طلحة ومن طريق عطية العوفي عن ابن عباس.

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٦٣)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٣٧).

وقالت فرقة: ﴿ٱلۡقِطۡرِ﴾: الفِلِزُّ كله؛ النحاس والحديد وما جرى مجراه، كانت تسيل منه عيون.

وقالت فرقة: بل معنى ﴿وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِ﴾: أذَبْنا له النحاس، على نحو ما كان الحديد يلين لداود، قالوا: وكانت الأَعمال تتأَتَّى منه لسليمان وهو بارد دون نار.

و﴿عَيۡنَ﴾ ـ على هذا التأْويل ـ بمعنى المذاب، وقالوا: لم يَلِن النحاس ولا ذاب لأَحد قبله.

وقوله: ﴿مَن يَعۡمَلُ﴾ يحتمل أَن تكون ﴿مَن﴾ في موضع نصب على الإِتباع لما تقدم بإِضمار فعل تقديره: وسخَّرنا مِن الجن مَنْ يعمل.

ويحتمل أَن تكون في موضع رفع على الابتداءِ، والخبر في المجرور، و﴿يَزِغۡ﴾ معناه: يَمِل؛ أَي: ينحرف عاصياً.

وقال: ﴿عَنۡ أَمۡرِنَا﴾ ولم يقل: عن إِرادتنا؛ لأَنه لا يقع في العالم شيءٌ يخالف الإِرادة، وقد يقع ما يخالف الأَمر.

قال الضحاك: وفي مصحف عبد الله: (وَمَنْ يَزِغْ عَنْ أَمْرِنَا) بغير (مِنْهُمْ)[١].

وقوله: ﴿مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾، قيل: عذاب الآخرة، وقيل: بل كان قد وكل بهم مَلَك بيده سوط من نار السَّعير، فمن عصى ضربه فأَحرقه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾.

«المحاريب»: الأَبنية العالية الشريفة، قال قتادة: القصور والمساجد.

وقال ابن زيد: المساكن[٢].

---

(١) وهي شاذة، لم أجدها لغير المؤلف.

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٠/ ٣٦٥)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٣٨).

والمحراب أَشرف موضع في البيت، والمحراب موضع العبادة أشرف ما يكون منه، وغلب عُرف الاستعمال في موضع وقوف الإِمام لشرفه، ومن هذه اللَّفظة قول عديٍّ بن زيد:

كَدُمَى الْعَاجِ فِي المحَارِيبِ أَوكالْـ بَيْضِ فِي الرَّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرُ[١] [الخفيف]

و«التماثيل»، قيل: كانت من زجاج ونحاس، تماثيل أَشياءَ ليست بحيوان، وقال الضحاك: كانت تماثيل حيوان[٢]، وكان هذا من الجائز في ذلك الشرع.

قال القاضي أَبو محمد: ونُسخ بشرع محمد ﷺ.

وقال قوم: حرم التصوير لأَن الصُّور كانت تُعبد[٣].

وحكى في «الهداية»: أَن فرقة تجوِّز التصوير وتحتج بهذه الآية[٤].

وذلك خطأٌ، وما أَحفظ من أَئِمَّة العلم مَنْ يجوِّزه.

و«الْجَوَابِي»: جمع جابية، وهي البِرْكة التي يجيءُ إليها الماءُ الذي يجتمع، قال الراجز:

فَصَبَّحَتْ جَابِيَةً صُهَارِجَا كَأَنَّهُ جِلْدُ السَّمَاءِ خَارِجَا[٥] [الرجز]

وقال مجاهد: هي جمع جَوْبَة، وهي الحفرة العظيمة في الأَرض[٦]. وفي هذا نظر.

ومنه قول الأَعشى:

---

(١) انظر عزوه له في البيان والتبيين (١/ ٦٠)، وعيون الأخبار (١/ ٤٢٤)، والكامل للمبرد (٣/ ٤١)، والاختيارين (ص: ٧٠٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٦٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٩٩) بتصرف.

(٣) انظره مع جوازه في شرعهم ونسخه بشرعنا في أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٨).

(٤) انظر قول مكي في الهداية (٩/ ٥٨٩٧).

(٥) البيت لهميان كما في تهذيب اللغة (٧/ ٢٦)، وسمط اللآلي (١/ ٥٧٢)، وفي فيض الله: «صهراجا.... مهراجا».

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٣)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٣٩)، والهداية لمكي (٩/ ٥٨٩٧).

[الطويل] نَفَى الذَّمَّ عَنْ آلِ الْمُحَلَّقِ جَفْنَةٌ كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ[(١)]

وأَنشده الطبريُّ: تَروحُ عَلَى آلِ الْمُحَلَّقِ[(٢)].

ويروى: (السَّيْح) بالسِّين المهملة والحاءِ المهملة، وهو الماءُ الجاري على وجه الأَرض.

ويروى بالشين والخاءِ منقوطتين، فيقال: أَراد كسرى، ويقال: أَراد شيخاً من فلاحي سواد العراق غيْرَ مُعيَّن، وذلك أَنه لضعفه يدَّخر الماءَ في جابية فهي تَفْهق أَبداً، فشبهت الجفنة بها لعظمها[(٣)].

وقال مجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن زيد: الجوابي: الحياض[(٤)].

وقرأَ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ بغير ياءٍ في الوصل والوقف.

وقرأَ أَبو عمرو، وعيسى بغير ياءٍ في الوقف، وبياءٍ في الوصل، وقرأَ ابن كثير بياءٍ فيهما[(٥)].

وَوَجه حذف الياءِ والتخفيف والإِجاز، وهذا كحذفهم الياءَ في: القاضِ، والغَازِ، والهادِ، وأَيضاً فلمَّا كانت الأَلف واللَّام تعاقب التنوين، وكانت الياءُ تحذف مع التنوين وجب أَن تحذف مع ما عاقبته، كما يُعْمِلون الشيءَ أَبداً عمل نقيضه.

---

(١) انظر عزوه له في الكامل للمبرد (١/ ٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٠٠)، والعمدة لابن رشيق (١/ ٤٩).

(٢) وهي رواية الأكثر، انظر غريب الحديث لأبي عبيد (١/ ١٠٦)، والزاهر (٢/ ١٠٤)، وأمالي القالي (٢/ ٢٩٦)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٣٦٦).

(٣) انظر الروايتين في الكامل للمبرد (١/ ٩)، وأمالي القالي (٢/ ٢٩٦).

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٦٧)، والهداية لمكي (٩/ ٥٨٩٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٩٩). ولم أقف على قول ابن زيد.

(٥) وكلها سبعية، إلا أن ورشاً وافق أبا عمرو، انظر: التيسير (ص: ١٨٢).

و﴿رَّاسِيَـٰتٍ﴾ معناه: ثابتات لكبرها، ليست مما يُنقل ولا يُحمل، ولا يستطيع عمله إِلَّا الجن، وبالثبوت فسَّرها الناس.

ثم أُمروا مع هذه النِّعم بأَن يعملوا بالطَّاعات.

وقوله: ﴿شُكْرًا﴾ يحتمل أَن يكون نصبه على الحال، أَي: اعملوا بالطَّاعة في حال شكر منكم لله على هذه النِّعم.

ويحتمل أَن يكون نصبه على جهة المفعول، أَي: اعملوا عملاً هو الشُّكر، كأَن الصلاة والصيام والعبادات كلها هي نفسها الشكر إِذْ سدَّت مسدَّه.

وفي الحديث: أن النبي ﷺ صعد المنبر فتلا هذه الآية، ثم قال: «ثلاثٌ من أُوتيهنَّ فقد أُوتي في العمل شكراً: العدلُ في الغضب والرِّضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السِّرِّ والعلانية»[(١)].

وروي: أَن داود عليه السلام قال: يا رب كيف أُطيق شكرك على نِعَمِكَ وإِلْهَامي وقُدرتي على شكركَ نِعمةٌ لك؟ فقال: الآن يا داود عرفتني حق معرفتي[(٢)].

وقال ثابت: روي: أَنَّ مُصَلَّى آل داود لم يَخْل قَط من قائم يصلي ليلاً ونهاراً، كانوا يتناوبونه دائماً[(٣)].

---

(١) ضعيف، ورد هذا الحديث بلفظ: «ثلاث منجيات: خشية الله تعالى في السر والعلانية والعدل في الرضا والغضب والقصد في الفقر والغنى وثلاث مهلكات: هوى متبع وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه»، روي عن أنس بن مالك وعبد الله بن عباس وأبي هريرة وعبد الله بن أبي أوفى وعبد الله ابن عمر، وطرق الجميع بين شديد الضعف وضعيف ومن لا يمكن الاستشهاد به مع تواطؤ الضعفاء عليه، راجع السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني (١٨٠٢)، وقد حسنه تبعاً للمنذري.

(٢) رواه أحمد في الزهد (ص: ٨٨) من طريق: جابر بن زيد عن المغيرة بن عيينة قال: قال داود عليه السلام. ومثله في عدة الصابرين لابن القيم (ص: ١٠٣) ووقع في شعب الإيمان (٤/ ١٠٠) بإسناده إلى أحمد: المغيرة بن عقبة، ووقع في تاريخ دمشق (١٧/ ٩٦): المغيرة بن عتيبة. ولم أتبين من هو؟ وعلى كل حال فهو كلام مرسل لا يعلم مخرجه، وهو أشبه أن يكون مأخوذاً عن أهل الكتاب.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ١٨).

وكان سليمان عليه السلام ـ فيما رُوي ـ يأْكل الشعير، ويطعم أَهله الخُشْكَار، ويطعم المساكين الدَّرْمك[(١)].

ورُوي: أنه ما شبع قط، فقيل له في ذلك فقال: أَخاف إِن شبعت أَن أَنسى الجياع.

وقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ يحتمل أَن تكون مخاطبة لآل داود.

ويحتمل أَن تكون مخاطبة لمحمد ﷺ، وعلى كل حال ففيها تنبيه وتحريض.

وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقول: اللهم اجعلني من القليل، فقال له: ما هذا الدُّعاءُ؟ فقال: أَردت قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾، فقال عمر: كل الناس أَعلم من عمر[(٢)].

قال القاضي أَبو محمد: وقد قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]، والقِلَّة أَيضاً بمعنى الخمول منحة من الله تعالى، فلهذا الدعاءِ محاسن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾.

الضمير عائد على سليمان عليه السلام.

و﴿قَضَيْنَا﴾ بمعنى: أنفذنا وأَخرجناه إلى حيِّز الوجود، وإِلَّا فالقضاءُ الأَخير به متقدم في الأَزل.

وروي عن ابن عباس، وابن مسعود في قَصَصها: أَن سليمان عليه السلام كان يتعبَّد في بيت المقدس، وكان ينبت في محرابه كل سنة شجرة، فكان يسأَلها عن منافعها

---

(١) الدَرْمَك: دقيق الحُوَّارى، وهو الدقيق الأبيض، والخُشْكَارُ: الخبز الأسمر غير النقي.

(٢) في إسناديه انقطاع، أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٣٢٢) من طريق: يزيد بن هارون، عن العوام، عن إبراهيم التيمي، قال: قال رجل عند عمر، ورواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب الزهد لأبيه فقال ثنا محمد بن عبادة ثنا سفيان عن مسعر قال سمع عمر إلى آخره. هكذا في تخريج الكشاف للزمخشري (٣/ ١٤١) لكن لم يدرك إبراهيم التيمي ومسعر عمراً.

ومضارها وسائر شأْنها فتخبره، ويأْمر بها فتقلع وتصرف في منافعها، أو تُغرس لتتناسل، فلما كان عند موته خرجت شجرة فقال لها: ما أنت؟ قالت: أَنا الخروب، خرجت لخراب مُلْكك هذا، فقال: ما كان الله ليخربه وأَنا حيٌّ، ولكنه لا شكَّ حضور أَجلي، فاستعد عليه السلام وغرسها، وصنع منها عصاً لنفسه، وجدَّ في عبادته، وجاءَه بعد ذلك مَلَك الموت، فأَخبره أَنه قد أُمر بقبض روحه، وأنه لم يبق له إِلَّا مدة يسيرة، فروي أنه أَمر الجن حينئذ فصنعت له قُبَّة من زجاج تشفُّ، وحصل فيها يتعبد، ولم يجعل لها باباً، وتوكأَ على عصاه على وضع يتماسك معه وإِن مات، ثم توفي عليه السلام على تلك الحالة[1].

ورُوي: أَنه استعد في تلك القبة بزاد سَنَة، وكان الجن يتوهمون أنه يتغذى باللَّيل، وكانوا لا يقربون من القُبَّة، ولا يدخلون من كُوًى كانت في أَعاليها، ومن رام ذلك منهم احترق قبل الوصول إِليها، هذا في مدة حياة سليمان في القُبَّة، فبقيت تلك الهيبة على الجن.

وروي: أَن القبة كان لها باب، وأَن سليمان أَمر بعض أَهله بكتمان موته عن الجن والإِنس، وأَن يترك على حاله تلك سنةً، وكان غرضه في هذه السنة أَن يعمل الجن عملاً كان قد بُدئ في زمن داود عليه السلام، وقدَّر أَنه بقي منه عمل سنة، فأَحب الفراغ منه.

فلما مضى لموته سنة خرَّ عن عصاه، وقد أَكلتها الأَرضة، وهي الدودة التي تأْكل العود، فرأَت الجن انخراره فتوهمت موته، فجاءَ جَسور منهم فاقترب فلم يحترق، ثم عاد فقرب أكثر، ثم قرب حتى دخل من بعض الكُوى فوجد سليمان ميتاً فأَخبر بموته، فنظر ذلك الأَجل فقدر أَنه منذ سنة[2].

---

(١) ضعيف، وهو من الإسرائيليات، أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٧٢) من طريق: إبراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به مرفوعاً، وعطاء اختلط، وسماع إبراهيم منه بعد الاختلاط، ومن طريق: أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ به ولم يرفعوه، وهذا الإسناد قد أكثر الطبري من إيراده وقال عنه في (١/ ٣٥٤): فإن كان ذلك صحيحاً ـ ولست أعلمه صحيحاً، إذ كنت بإسناده مرتاباً.اهـ.

(٢) انظر تفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٠)، ولفظة «منذ» من السليمانية وفيض الله.

وقال بعض الناس: جُعلت الأَرضة فأَكلت يوماً وليلة، ثم قيس ذلك بأَكلها في العَصَا فعُلم أَنها أَكلت منذ سنة، فهكذا كانت دلالة دابة الأَرض على موته.

وللمفسرين في هذا القصص إكثارٌ عُمْدتُهُ ما ذكرناه.

وقال كثير من المفسرين: ﴿دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾: سوسة العود، وهي الأَرضة.

وقرأَ ابن عباس، والعباس بن الفضل: (الأَرَضِ) بفتح الرَّاءِ[١]، جمع أَرضة.

فهذا يقوي ذلك التأْويل.

وقالت فرقة: دابة الأرض: حيوان من الأَرض، شأْنه أَن يأْكل العود، وذلك موجود، وليست السُّوسة من دوابِّ الأَرض.

وقالت فرقة منها أَبو حاتم اللغوي: الأَرْضُ هنا مصدر أَرِضَت الأَثوابُ والخشبُ: إذا أَكلتها الأَرَضة[٢]، كأَنه قال: دابة الأَكل الذي هو بتلك الصورة، على جهة التَّسَوُّس.

وفي مصحف عبد الله: (الأرض أَكَلَتْ مِنسَأَتَهُ)[٣].

و«المِنْسأَة»: هي العصا، ومنه قول الشاعر:

[البسيط] إِذَا دَبَبْتَ عَلَى المِنْسَاةِ مِنْ كِبَرٍ فَقَدْ تَبَاعَدَ مِنْكَ اللَّهْوُ والْغَزَلُ[٤]

وكذا قرأَت جماعة من القُرَّاءِ بغير همز، منها أَبو عمرو، ونافع، قال أَبو عمرو: ولا أَعرف له اشتقاقاً، فأَنا لا أَهمزها؛ لأَنها إِن كانت مما لا يُهمز فقد احتطْتُ؛ لأَنه لا

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها للعباس الكرماني في الشواذ (ص: ٣٨٩).

(٢) البحر المحيط (٨/ ٥٣٠)، وانظر تهذيب اللغة لابن فارس (١٢/ ٤٥).

(٣) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٨٨)، ولفظة «الأرض» ليست في أحمد٣ والمطبوع.

(٤) البيت بلا نسبة في مجاز القرآن (٢/ ١٤٥)، والبيان والتبيين (٣/ ٢٢). وفي فيض الله والسليمانية: «عنك» بدل «منك».

يجوز لي همز ما لا يهمز[(١)]، وقال غيره: أَصلها الهمز، وهي من المنسأَة بهمزة مفتوحة، من: نَسأْتُ الإِبلَ والغنمَ والنَّاقَةَ: إِذا سُقْتَهَا، ومنه قول طرفة:

أَمـونٌ كعيـدانِ الأَرانِ نَسَـأْتُهَا عَلَى لاحِبٍ كأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُد[(٢)] [الطويل]

ويُروى: وعَنْسٍ كأَلْواح[(٣)].

وخففت همزتها جملة، وكان القياسُ أَن تخفف بيْنَ بيْنَ.

وقرأَ باقي السبعة على الأَصل بالهمز[(٤)].

وقرأَ حمزة: (مَنْسَاتَهُ) بفتح الميم وبغير همز[(٥)].

وقرأَت فرقة: ﴿مِنسأْتهُ﴾ [بهمزة ساكنة][(٦)].

وهذا لا وجه له إِلَّا التخفيف في تسكين المتحرك لغير علة، كما قال امرؤُ القيس:

فالْيَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِثْماً مِـنَ اللَّهِ وَلَا وَاغِــلِ[(٧)] [السريع]

وقرأَت فرقة: (مِنْ سَأَتِهِ) بفصل (مِنْ) وكسر التَّاءِ في (سَأَتِهِ)[(٨)].

وهذه تنحو إِلى: سِيَة القوس؛ لأَنه يقال: سِيَة وسأَة، فكأَنه قال: (من سأَتِه) ثم سكن الهمزة، ومعناه: من طرف عصاه، أنزل العصا منزلة القوس.

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٥٧).

(٢) جمهرة أشعار العرب (ص: ٣٠٨)، والعين (٦/ ٢٠٥)، وشرح المعلقات التسع (ص: ٤٤)، والشعر والشعراء (١/ ١٣٢)، وجمهرة اللغة (٢/ ١٠٦٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٠٣)، وتفسير الثعلبي (١/ ٢٥٦)، والمحكم (٨/ ٣٥٤)، وكلهم بلفظ: «كألواح» بدل «كعيدان».

(٣) وهي رواية العين (٧/ ١٦١)، ومجاز القرآن (١/ ٥٠).

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٨٠).

(٥) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٨٩) للأعمش، ولم أجد فيها شيئاً لحمزة.

(٦) من السليمانية وفيض الله، وهي أيضاً سبعية لابن ذكوان كما في التيسير (ص: ١٨٠).

(٧) تقدم في تفسير الآية (٥٥) من (سورة البقرة).

(٨) وهي شاذة، عزاها في المحتسب (٢/ ١٨٦) لعمرو بن ثابت عن سعيد بن جبير.

وقال بعض الناس: إِن سليمان عليه السلام لم يمت إِلَّا في سفر مضطجعاً، ولكنه كان في بيت مبني عليه، وأَكلت الأَرَضَة عتبة الباب حتَّى خَرَّ البيت فعلم موتُه، وهذا ضعيف.

وقرأَ الجمهور: ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ بإِسناد الفعل إِليها، أَي: بانَ أَمْرُهَا، كَأَنه قال: افتضحت الجنُّ، أَي للإنس، هذا تأْويل.

ويحتمل أَن يكون قوله: ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ بمعنى: علمت الجنُّ وتحقَّقت.

ويريد بالجن: جمهورهم والفَعَلَة منهم والخدَمة، ويريد بالضمير في ﴿كَانُوا۟﴾ رؤَساءَهم وكبارهم؛ لأَنهم هم الذين يدَّعون علم الغيب لأَتباعهم من الجنِّ والإِنس ويُوهمونهم ذلك، قاله قتادة[1].

فَتَـبَيَّن الأَتباعُ أن الرؤوس لو كانوا عالمين ما لبثوا، و(أَنْ) ـ على التأْويل الأَول ـ بدل من (الْجِن)، وعلى التأْويل الثاني مفعولة محضة.

وقرأ يعقوب: ﴿تُبُـيِّـنَتْ الجنّ﴾ على بناء الفعل للمفعول[2]، أَي: تَبيَّنَها النَّاسُ.

و(أنْ) على هذه القراءَة بدلٌ، ويجوز أَن تكون في موضع نصب بإِسقاط حرف الجرِّ، أَي: بأَنْ، على هذه القراءَة، وعلى التأْويل الأول من القراءَة الأُولى.

قال القاضي أَبو محمد: مذهب سيبويه أَنّ (أَنْ) في هذه الآية لا موضع لها من الإِعراب، وإِنما هي مُؤذنة بجواب ما تَنَزَّلَ منزلة القَسَم من الفعل الذي معناه التَّحقُّق واليقين[3]؛ لأَن هذه الأَفعال التي هي: تبيَّنت وتحقَّقت وعَلمت وتيقَّنت ونحوها، تحلُّ محلَّ القَسَم في قولك: علمتُ أَن لو قام زيد ما قام عمرٌو، وكأَنَّك قُلْتَ: والله لو قام

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٧٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٠٣)، بتصرف.

(٢) في المطبوع: «على الفعل للمجهول»، وهي عشرية، من رواية رويس كما في النشر (٢/ ٣٥٠).

(٣) في السليمانية: «التيقن».

زيد ما قام عمرٌو، فقوله: ﴿مَا لَبِثُواْ﴾ ـ على هذا القول ـ جواب ما تنزَّل منزلة القَسَم لا جواب (لَوْ)، وعلى الأَقوال الأُول جواب (لَوْ).

وفي «كتاب النحاس» إشارةٌ إلى أنه يقرأُ بنصب (الْجِنَّ)[1]، أَي: تَبَيَّنَت الإِنْسُ الجِنَّ.

و﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾: هو العمل في تلك السُّخرة، والمعنى: أَن الجن لو كانت تعلم الغيب لما خفي عليها أَمر سليمان عليه السلام، وقد ظهر أَنه خفي عليها بدوامها في الخدمة الصعبة وهو ميت، فالمُهِينُ: المُذِلُّ، من الهوان.

قال الطبريُّ: وفي بعض القراءَات: (فَلَمَّا خرَّ تَبيَّنَتِ الإِنْسُ أنَّ الْجِنَّ لَوْ كَانُوا)، وحكاها أَبو الفتح عن ابن عباس، والضحاك، وعلي بن الحسين، وذكر أَبو حاتم أَنها كذلك في مصحف ابن مسعود[2].

وأَكْثَرَ المفسرون في قصص هذه الآية بما لا صحة له، ولا تقتضيه أَلفاظ القرآن، وفي معانيه بُعْد، فاختصرته لذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾.

هذا مثل لقريش بقوم أنعم الله عليهم وأَرسل إِليهم الرُّسل فكفروا وعصوا[3] فانتقم منهم، أَي: فأَنتم أَيها القوم مثلهم. وسبأٌ هنا: أَراد به القبيل.

---

(١) ولفظه في معاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٠٥): ومن قرأ (تبينت الجن) أراد: تبينت الإنس الجن، وردَّها الطبري (٢٠/ ٣٧٤).

(٢) وهي شاذة، انظرها في تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩١٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٠٥)، والمحتسب (٢/ ١٨٨)، والهداية لمكي (٩/ ٥٩٠٤)، ولم أجدها في تفسير الطبري ولا تاريخه، والله أعلم.

(٣) في المطبوع والحمزوية ونور العثمانية وفيض الله: «وأعرضوا».

واخْتلف لِمَ سُمِّي القبيل بذلك؟

فقالت فرقة: هو اسم لامرأَة كانت أُمَّ القبيل.

وقال الحسن بن أَبي الحسن ـ في كتاب الرُّمَّاني ـ: هو اسم موضع، فَسُمِّي القبيل به[١].

وقال الجمهور: هو اسم رجل هو أبو القبيل كله[٢]؛ قيل: هو ابن يشجب بن يعرب.

ورُوي في هذا القول حديث: أَن النبي ﷺ سأَله فَرْوة بن مُسَيْك عن سبأٍ، ما هو؟ فقال: «هو اسم رجل مِنْهُ تناسلت قبائل اليمن»[٣].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في المطبوع وفي الحمزاوية: «هو اسم رجل كان أَباً للقبيل»، إلا أن في الحمزية: «كلها» بدل «كله».

(٣) ضعيف، أخرجه أبو داود (٣٩٨٨) والترمذي (٣٢٢٢) والطبري (٢٠/ ٣٧٥) كلهم من طريق حماد بن أسامة، عن الحسن بن الحكم، عن أبي سبرة النخعي، عن فروة بن مسيك به، قال الترمذي: حديث حسن غريب. اهـ، وهذا إسناد ضعيف، أبو سبرة النخعي، هو: عبد الله بن عابس، فيه جهالة، انظر تهذيب الكمال (٣٣/ ٣٤٠)، ورواه الإمام أحمد في العلل ـ رواية عبد الله ـ (٢/ ١٥٦) والطبري (٢٠/ ٣٧٥) والطبراني في الكبير (١٨/ ٣٢٣) كلهم من طريق أبي جناب يحيى بن أبي حية الكلبي، عن يحيى بن هانئ بن عروة المرادي، عن فروة بن مسيك به، وهذا إسناد ضعيف، من أجل أبي جناب الكلبي، فهو ضعيف الحديث، مكثر من التدليس، وقد عنعنه، انظر تهذيب الكمال (٣١/ ٢٨٤)، ورواه البخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٥٨) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣/ ٣٢٢) من طريق فرج بن سعيد، عن عمه ثابت بن سعيد، عن أبيه سعيد أن فروة بن مسيك حدثه...فذكره، وهذا إسناد ضعيف، سعيد هو ابن أبيض بن حمال، ذكره الذهبي في الميزان (٢/ ١٢٦) وقال: فيه جهالة، وابنه ثابت بن سعيد قال فيه الذهبي في الميزان (١/ ٣٦٤): لا يعرف، ورواه الطبراني في الكبير (١٨/ ٣٢٤) من طريق عباد بن كثير الرملي، قال: ثنا ثور بن يزيد، عن البراء بن عبد الرحمن، عن فروة به، وهذا أيضاً إسناد ضعيف، عباد بن كثير الرملي ضعيف الحديث، وفيه البراء بن عبد الرحمن، لم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً، والحديث يروى من وجه آخر، رواه الطحاوي في مشكل الآثار (٤/ ١٦٤) من طريق عبد الله بن لهيعة، عن عبد الله بن هبيرة السبائي، عن عبد الرحمن بن وعلة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وعبد الله ابن لهيعة ضعيف الحديث.

وقرأَ نافع، وعاصم، وأَبو جعفر وشيبة، والأَعـرج: ﴿لِسَبَإٍ﴾ بهمزة منونة مكسورة، على معنى الحَيِّ، وقرأَ أَبو عمرو، والحسن: ﴿لِسَبأَ﴾ بهمزة مفتوحة غير مصروف(١)، على معنى القبيلة.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿في مَسَاكِنِهم﴾؛ لأَن كلَّ أَحد له مسكن.

وقرأَ الكسائي وحده: ﴿فِي مَسْكِنِهِم﴾ بكسر الكاف، أَي: في موضع سكناهم، وهي قراءَة الأَعمش، وعلقمة، قال أَبو علي: والفتح حَسَنٌ أَيضاً، لكن هذا كما قالوا: مَسْجِد، وإِن كان سيبويه يرى هذا اسم البيت، وليس موضع السجود، قال: هي لغة الناس اليوم، والفتح هي لغة الحجاز، وهي اليوم قليلة(٢).

وقرأَ حمزة، وحفص: ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾ بفتح الكاف، على المصدر، وهو اسم جنس يراد به الجمع، وهي قراءَة إِبراهيم النخَعي(٣)، وهذا الإِفراد هو كما قال الشاعر:

.... كُلُوا فـي بَعْـض بَطْنِكُـمُ تعفُّـوا(٤) [الوافر]

وكما قال الآخر:

.... قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ(٥) [البسيط]

---

(١) وهما سبعيتان، ومع أبي عمرو: البزي، وبقيت ثالثة لقنبل بسكون الهمز والباقون مع نافع، انظر: التيسير (ص: ١٦٧).

(٢) الحجة للفارسي (٦/ ١٣).

(٣) ثلاث قراءات سبعية، انظرها في التيسير في القراءات السبع (ص: ١٨٠)، وانظر موافقة الأعمش في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٥٩)، والنخعي في تفسير الثعلبي (٨/ ٨٢)، وعلقمة في البحر المحيط (٨/ ٥٣٣).

(٤) عجزه: فإن زمانكم زمن خميص، ولا يعلم قائله، وهو بلا نسبة في الكتاب لسيبويه (١/ ٢١٠)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٢٤٩)، وتفسير الطبري (١/ ٣٦١)، والأصول في النحو (١/ ٣١٤)، وخزانة الأدب للبغدادي (٧/ ٥٥٩) وفي المطبوع: «تخفوا».

(٥) البيت لجرير، كما تقدم في تفسير الآية (٤٥) من (سورة النحل).

و﴿ءَايَةٌ﴾: معناه: عبرة وعلامة على فضل[(١)] الله وقدرته.

و﴿جَنَّتَانِ﴾ ابتداءٌ، وخَبَرُه في قوله: ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾، أو خبر ابتداءٍ تقديره: هي جنَّتان، وهي جملةٌ بمعنى: هذه حالهم، والبدل من ﴿ءَايَةٌ﴾ ضعيف، وقد قاله مكيٌّ وغيره[(٢)].

وقرأ ابن أَبي عبلة: (آية جنتين) بالنصب[(٣)].

وروي: أَنه كان في ناحية اليمن وادٍ عظيم بين جبلين، وكانت جنبتا[(٤)] الوادي [منبت فواكه وزروع وكان قد بني في رأس الوادي][(٥)] عند أَول الجبلين جسر عظيم من حجارة من الجبل إلى الجبل فارتدع الماءُ فيه وصار بحيرة عظيمة[(٦)]، وأُخذ الماءُ من جَنبَتَيْها فمشى مرتفعاً يسقي جنات جنبتي الوادي، قيل: بَنَتْه بلقيس، وقيل: بناه حِمْير أَبو القبائل اليمنية كلها، كانوا بهذا الحال في أَرغد نِعم، وكانت لهم بعد ذلك قُرًى ظاهرة مُتَّصلة من اليمن إِلى الشَّام، وكانوا أَرباب تلك البلاد في ذلك الزمان.

وقوله تعالى: ﴿كُلُواْ﴾: فيه حذف، كأَنه قال: قيل لهم: كُلُوا.

و﴿طَيِّبَةٌ﴾ معناه: كريمة التربة، حَسَنَة الهواءِ، رغدة من النَّعيم، سليمة من الهوامِّ والمضار، هذه عبارات المفسرين.

وكان ذلك الوادي ـ فيما رُوي عن عبد الرحمن بن عوف ـ لا يدخله برغوث ولا قملة ولا بعوضة ولا عقرب ولا شيءٌ من الحيوان الضَّار، وإِذا جاءَ به أَحد من سفر

---

(١) في فيض الله: «فعل».
(٢) مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٥٨٥).
(٣) وهي شاذة، انظرها في البحر المحيط (٨/ ٥٣٤).
(٤) في المطبوع وأحمد٣: «حُقَّتا»، وفي فيض الله: «جنتا».
(٥) سقط من المطبوع.
(٦) في الأصل: «عظيماً».

سقط عند أَول الوادي(١)، ورُوي: أَن الماشي [كان إِذا مَشَى](٢) بمِكْتَل فوق رأْسه بين أَشجاره كان يمتلئ مِكْتَله دون أَن يمدَّ يداً.

ورُوي: أَن هذه المقالة من الأَمر بالأَكل والشرب والتوقيف على طيب(٣) البلد والغفران من الرَّبِّ مع الإِيمان هو من قول الأَنبياءِ لهم.

وقرأَ رُوَيْسٌ عن يعقوب: (بلْدَةً طَيِّبَةً وَرَبّاً غَفُوراً) بالنصب في الكلِّ(٤).

وبعث إِليهم ـ فيما رُوي ـ ثلاثة عشر نبيّاً فكفروا بهم وأَعرضوا، فبعث الله على ذلك السَّدِّ جرذاً(٥) أَعمى توالد فيه وخَرَّقَه شيئاً بعد شيءٍ، وأَرسل سيلًا في ذلك الوادي فحمل ذلك السَّدَّ(٦).

فيُروى: أَنه كان من العِظَم وكثرة الماءِ بحيث ملأَ ما بين الجبلين وحمل الجنَّات وكثيراً من الناس ممن لم يمكنه الفِرار، ورُوي أَنه لما خرق السَّد كان ذلك سبب يُبْس الجنَّات فهلكت بهذا الوجه، ورُوي: أَنه صرف الماءَ من موضعه الذي كان فيه أَولاً فتعطَّل سقْيُ الجنَّات.

واختلف الناس في لفظة ﴿ٱلْعَرِمِ﴾:

فقال المغيرة بن حكيم(٧)، وأَبو ميسرة: ﴿ٱلْعَرِمِ﴾ في لغة اليمن جمع عِرْمَة، وهو

---

(١) كذا نسب المؤلف الأثر لعبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنه، والصواب أنه من قول عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم، كما جاء عند الطبري في تفسيره (٢٠/ ٣٧٦) وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور (١١/ ١٣٥).

(٢) من المطبوع وأحمد٣.

(٣) في الأصل: «طلب».

(٤) وليست من طرق النشر، بل شاذة، عزاها في الكامل (ص: ٦٢٢) لحميد بن الوزير عن يعقوب، وأبي بشر القطان عنه، وانظر مختصر الشواذ (ص: ١٠٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٩٠).

(٥) في المطبوع والسليمانية وأحمد٣: «جراداً»، ونقطة الذال غير واضحة في النسخ الأخرى.

(٦) انظر: تفسير الثعلبي (٨/ ٨٣).

(٧) هو المغيرة بن حكيم الصنعاني من أبناء فارس، روى عن أبيه، وابن عمر، وصفية بنت شيبة، وأم =

[٤/ ١٢٨] كل ما بُني أَو سُنِم ليُمْسك الماءَ، ويقال لذلك بلغة الحجاز: المُنسأة[١]./

قال القاضي أبو محمد: كأَنها الجسور والسِّداد ونحوها، ومن هذا المعنى قول الأعشى:

[المتقارب]
وفـي ذَاكَ لِـلْمُـؤْتَـسِـي أُسْـوَةٌ   ومَــأْرَبُ عـفـا عَـلَيْـهَـا الْعَـرِمْ
رِخَـــامٌ بَـنَــاهُ لَـهُــمْ حِـمْـيَـرٌ   إِذا جَـاءَ مَـــوَّارُهُ لَـمْ يَـــرِمْ[٢]

ومنه قول الآخر:

[المنسرح]
مِنْ سَبَأَ الْحَاضِرينَ مَأْرِبَ إِذْ   يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهَا الْعَرِمَا[٣]

وقال ابن عباس، وقتادة، والضَّحاك: ﴿ٱلْعَرِمِ﴾: اسم وادي ذلك الماء بعينه الذي كان السَّدُّ بني له[٤].

وقال ابن عباس أَيضاً: إن سيل ذلك الوادي كان يصل إِلى مكة ويُنتفع به[٥].

وقال ابن عباس أيضاً: ﴿ٱلْعَرِمِ﴾: الشديد[٦].

قال القاضي أَبو محمد: وكأَنه صفة لِلسَّيْل، من العَرَامة، والإِضافة إِلى الصفة مبالغة، وهي كثيرة في كلام العرب، وقالت فرقة: ﴿ٱلْعَرِمِ﴾: اسم الجُرُذِ.

= كلثوم بنت وطاوس، وغيرهم، وعنه، ابن جريج، وجرير بن حازم، وعبد العزيز بن أبي رواد، وعقيل ابن خالد، وآخرون، وثقه ابن معين وغيره. تاريخ الإسلام (٧/ ٤٧٤).

(١) في الحمزوية ونجيبويه والمطبوع: «المسنأة»، وانظر تفسير الطبري (٢٠/ ٣٧٩).

(٢) عزاه له في مجاز القرآن (٢/ ١٤٦)، وسيرة ابن هشام (١/ ١٤)، والحيوان (٥/ ٢٩٠)، بلفظ: «قفى»، وفي المطبوع: «عضّ».

(٣) البيت للنابغة الجعدي، كما تقدم في تفسير الآية (٢٠) من (سورة النمل).

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٨٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وانظر فيه قول قتادة والضحاك أيضاً.

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٨٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٦) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٨٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيف.

وقيل: ﴿ٱلْعَرِمِ﴾: صفة[١] للمطر الشديد الذي كان عند ذلك السَّيْل.

وقوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ قولٌ فيه تجوُّزٌ واستعارة؛ وذلك أَن البدل من الخَمْطِ والأَثْل لم يكن جَنَّات، لكن هذا كما تقول لمن جُرِّد ثوباً جيداً وضُرب ظهره: هذا الضَّرْبُ ثوبٌ صالحٌ لك، ونحو هذا.

وقوله: ﴿ذَوَاتَىْ﴾ تثْنية ذات.

و«الْخَمْطُ»: شجر الأَرَاكِ، قاله ابن عباس وغيره[٢].

وقيل: الْخَمْطُ: كل شجر له شوك، وثمرته كريهة الطعم بمرارة، أَو حمضة[٣]، أو نحوه، ومنه تَخَمَّط اللَّبنُ: إِذا تغيَّر طعمه.

و«الأَثْلُ»: ضربٌ من الطَّرْفاءِ، هذا هو الصحيح، وكذا قال أَبو حنيفة[٤] في كتاب النبات[٥].

قال الطبري: وقيل: هو شجر شبيه بالطرفاءِ، وقيل: إِنَّه السَّمُر[٦].

و«السِّدْرُ» معروف، وله نبق شبيه العنَّاب، لكنه دونه في الطعم بكثير.

ولِلْخَمْطِ ثمرٌ غثٌّ هو البَرِيرُ، ولِلأَثْلِ ثمر قليل الغَنَاءِ غير حسن الطعم.

وقرأَ ابن كثير، ونافع: ﴿أُكْلٍ﴾ بضم الهمزة وسكون الكاف.

---

(١) في الأصل: «اسم».

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٨٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٣) في المطبوع: «حمصه».

(٤) هو أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري، كان نحوياً لغوياً مع الهندسة والحساب، راوية ثقة ورعاً زاهداً، أخذ عن البصريين والكوفيين، صنف كتاب لحن العامة، الشعر والشعراء، النبات، لم يؤلف في معناه مثله، توفي سنة (٢٨٢هـ). بغية الوعاة (١/ ٣٠٦).

(٥) البحر المحيط (٨/ ٥١٧)، وانظر المحكم والمحيط الأعظم (١٠/ ١٧٩).

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٨٣).

وقرأَ الباقون بضم الهمزة وضم الكاف، ورُوي أَيضاً عن أَبي عمرو سكون الكاف[١].

وهما بمعنى الْجَني والثَّمرة، ومنه قوله تعالى: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ﴾ [إبراهيم: ٢٥]؛ أَي: جَناهَا.

وقرأَ جمهور القراء بتنوين ﴿أُكُلٍ﴾، وصِفَتُه بـ﴿خَمْطٍ﴾ وما بعده.

قال أَبو علي: البدل في هذا لا يحسن؛ لأَن (الْخَمْط) ليس بالأُكل، و(الأُكُل) ليس بالخمط نفسه، والصفة أَيضاً كذلك؛ لأَن الخَمْط اسمٌ لا صفة، وأَحسن ما فيه عطف البيان، كأَنه بيَّن أن (الأُكُل) هذه الشجرة ومنها[٢].

ويُحَسِّن قراءَة الجمهور أَن هذا الاسم قد جاءَ مجيءَ الصفة في قول الهُذَليِّ:

[الطويل] عُقَـارٌ كَمَـاءِ النِّـيءِ ليْسَـتْ بِخَمْطَةٍ وَلَا خلَّةٍ يَكْوِي الشُّرُوب شهابهَا[٣]

وقرأَ أَبو عمرو بإِضافة ﴿أُكُلِ﴾ إِلى ﴿خَمْطٍ﴾ وبضم الكاف[٤]، أَي: ﴿أُكُلِ خمطٍ﴾.

ورجَّح أَبو علي قراءَة الإضافة[٥].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إِلى ما أَجراه عليهم.

وقوله: ﴿وهل يُجازَى﴾ أَي: يُنَاقش ويقارض[٦] بمثل فعله، قدراً بقدر؛ لأَن جزاءَ

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٨٣)، والوجه الثاني لأبي عمرو من رواية عباس كما في السبعة (ص: ٥٢٨).

(٢) الحجة للفارسي (٦/ ٤٧١).

(٣) انظر عزوه له في أدب الكاتب (ص: ١٦٧)، والصحاح للجوهري (٤/ ١٦٨٧)، والمخصص (٣/ ١٥٣). وفي الأصل: «شبابها».

(٤) وهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٨٠)، والسبعة (ص: ٥٢٨).

(٥) الحجة للفارسي (٦/ ١٤).

(٦) في الحمزوية: «ويقاصُّ»، وفي نجيبويه والمطبوع والسليمانية: «يُعارض».

المؤمنين إنما هو بتفضُّلٍ وتضعيف، وأَمَّا الذي لا يُزادُ ولا ينقص فهو الكفور، قاله الحسن ابن أَبي الحسن.

وقال طاوس: هي المناقشة، وكذلك إِن كان المؤمن ذا ذُنوب فقد يُغفر له ولا يجازى، والكافر يُجازى ولا بُدّ[١]، وقد قال عليه السلام: «من نُوقِش الحساب عُذِّب»[٢].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿يُجازَى﴾ بالياءِ وفتح الزَّاي.

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿نُجَٰزِيٓ﴾ بالنون وكسر الزَّاي ﴿ٱلۡكَفُورَ﴾ بالنصب[٣].

وقرأَ مسلم بن جُنْدب: (وهل يجزى)، وحكى عنه أَبو عمرو الدَّاني أَنه قرأَ: (يُجْزِي) بضم الياءِ وكسر الزَّاي[٤].

قال الزجاج: يقال: جَزَيْتُ في الخير، وجازيت في الشَّر[٥].

قال القاضي أَبو محمد: فَتَتَرَجَّح قراءَة[٦] الجمهور، [والله أعلم][٧].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ١٨ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩﴾.

هذه الآية وما بعدها وصف لحالهم قبل مجيءِ السَّيل، وهي أَن الله تبارك وتعالى ـ مع ما كان منحهم[٨] من الجَنَّتَيْن والنِّعمة الخاصة بهم ـ كان قد أَصلح لهم البلاد المتَّصلة

(١) انظر القولين في تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٧)، والأول منهما في تفسير الطبري (٢٠/ ٣٨٥).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦١٧١) ومسلم (٢٨٧٦) من حديث عائشة، رضي الله عنها، مرفوعاً، به.

(٣) وافقهما حفص، فالقراءتان سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٠)، السبعة (ص: ٥٢٨).

(٤) وكلتاهما شاذة، عزاهما الكرماني في الشواذ (ص: ٣٩٠)، لأبي البرهسم، وعزا لمسلم الأولى فقط، وكذا عزاها له في مختصر الشواذ (ص: ١٢٢)، والمحتسب (٢/ ١٨٨)، ولم أقف على النقل عن الداني.

(٥) المحتسب (٢/ ١٨٨).

(٦) في الأصل: «فتترجح هذه قراءة»، وفي نجيبويه: «فترجح قراءة» إلخ.

(٧) من فيض الله.

(٨) في المطبوع: «مع ما كان منهم منحهم ... إلخ».

بهم وعمَّرها، وجعلهم أَربابها، وقدَّر السَّير فيها بأَن قرَّب القُرَى بعضها من بعض، حتى كان المسافر من مأْرب إِلى الشام لَيَبِيتُ في قرية ويَقِيلُ في قرية، فلا يحتاج إِلى حَمْل زاد.

و﴿ٱلْقُرَى﴾: المدن، ويقال للجمع الصغير قرية أَيضاً، وكلها من: قَرَيْتُ، أَي جَمعْتُ.

والقُرى التي بورك فيها هي بلاد[1] الشام بإِجماع من المفسرين.

و«القرى الظَّاهرة»: هي التي بين الشَّام ومأْرب، وهي الصغار التي هي البوادي.

[قال ابن عباس: هي قرى عربية بين المدينة والشَّام، وقاله الضحاك][2].

واختلف في معنى ﴿ظَٰهِرَةً﴾:

فقالت فرقة: معناه: مُستعلية مرتفعة في الآكام والظِّراب، وهي أَشرف القرى.

وقالت فرقة: معناه يظهر بعضها من بعض، فهي أَبداً في قبضة عين المسافر، ولا يخلو من رؤْية شيءٍ منها بهذا الوجه.

قال القاضي أَبو محمد: والذي يظهر لي أَن معني ﴿ظَٰهِرَةً﴾: خارجة عن المدن، فهي عبارة عن القرى الصغار التي هي في ظواهر المدن، وإنما فصل بهذه الصِّفة بين القرى الصغار وبين القرى المطلقة التي هي المُدن؛ لأَن ظواهر المدن ما خرج عنها في الفيافي والفحوص، ومنه قولهم: نزلنا بظاهر فلانة، أَي: خارجاً عنها.

وقوله: ﴿ظَٰهِرَةً﴾ نظير تسمية النَّاس إِيَّاها البادية والضاحية، ومن هذا قول الشاعر:

[الطويل]

فَلَـوْ شَـهِدَتْني مِـنْ قُرَيْـشٍ عِصَابَـةٌ قُرَيْشُ الْبِطَاحِ لَا قُرَيْشُ الظَّواهِرِ[3]

---

(١) في المطبوع: «قرى».

(٢) سقط من الأصل، والأثر أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٨٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وانظر فيه قول الضحاك.

(٣) البيت لذكوان مولى عمر بن الخطاب للضحاك بن قيس الفهري حين ضربه كما في الطبقات الكبرى (١/ ٧١)، وأنساب الأشراف (١١/ ٥٣)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (١٧/ ٣٢٢)، وفي تهذيب =

يعني: الخارجين عن بطحاء مكة، وفي حديث الاستسقاءِ: وجاءَ أَهل الضواحي يشتكون: الغرق الغرق[١].

قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ هو ما ذكرناه من أَن السائر[٢] فيها كان يَقيل في قرية ويبيت في أُخرى على أَيِّ طريقٍ سَلك، لا يعوزه ذلك.

وقوله تعالى: ﴿سِيرُواْ﴾ معناه: قلنا لهم.

و﴿ءَامِنِينَ﴾ معناه: من الخوف / من الناس المفسدين، وآمنين من الجوع والعطش وآفات المسافر. [٤/ ٢٢٩]

ثم حكى عنهم مقالةً قالوها على جهة البَطَر والأَشَر، وهي طلب البُعْد بين الأَسفار، أو الإِخبار بأَنها بعيدة على القراءَات الأُخرى.

وذلك أَن نافعاً، وعاصماً، وحمزةَ، والكسائيَّ قرأوا: ﴿بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ بكسر العين على معنى الطلب.

[وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والحسن ومجاهد: ﴿بعِّد بين أسفارنا﴾ بشد العين وكسرها على معنى الطلب][٣] أَيضاً، فهاتان القراءتان معناهما: الأَشر بأَنهم ملُّوا النِّعمة بالقُرب، وطلبوا استبدال الذي هو أَدنى بالذي هو خير.

= اللغة (٤/ ٢٣٠): قال ابن الأعرابي: قريش البطاح هم الذين ينزلون الشعب بين أخشبي مكة، وقريش الظواهر: الذين ينزلون خارج الشعب، وأكرمهما قريش البطاح.

(١) ضعيف، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٣١٣) من طريق: أحمد بن رشيد بن خثيم الهلالي، حدثنا أبو معمر سعيد بن خثيم عمي، عن مسلم الملائي، عن أنس بن مالك به وهو حديث طويل، وأخرجه ابن عدي في ترجمة سعيد بن خثيم من الكامل (٣/ ٤٠٨) وقال: روى سعيد هذا الحديث الذي ذكرته وغير ما ذكرت أحاديث ليست بمحفوظة من رواية أحمد بن رشد عنه... ولسعيد غير ما ذكرت من الحديث قليل ومقدار ما يرويه غير محفوظ.

(٢) في نجيبويه وأحمد٣ والمطبوع: «المسافر».

(٣) سقط من المطبوع، وهما سبعيتان، وابن ذكوان بالمد، وهشام بالتشديد انظر التيسير (ص: ١٨١).

وفي «كتاب الرُّماني» أنهم قالوا: لو كان جنيُ ثمارنا أَبعد لكان أَشهى[١] وأَكثر قيمة.

وقرأَ ابن السَّميفع، وسفيان بن حسين، وسعيد بن أَبي الحسن أَخو الحسن، وابن الحنفية: (رَبَّنَا) بالنصب (بَعُدَ بين أسفارنا) بفتح الباءِ وضم العين، وبنصب (بَيْنَ) أَيضاً.

وقرأَ سعيد بن أَبي الحسن ـ من هذه الفرقة ـ: (بَيْنُ) بالرفع وإِضافته إِلى الأَسفار.

وقرأَ ابن عباس، وأَبو رجاءٍ، والحسن البصري، وابن الحنفية أيضاً: ﴿رَبُّنَا﴾ بالرفع ﴿بَاعَدَ﴾ بفتح العين والدال.

وقرأَ ابن عباس، وابن الحنفية أَيضاً، وعمرو بن فايدة، ويحيى بن يَعْمَر: (رَبُّنَا) بالرفع (بَعَّدَ) بفتح العين وشدها وفتح الدال[٢].

فهذه القراءَة معناها: الأشر[٣] بأَنهم استبعدوا القريب، ورأَوْا أَن ذلك غير مقنع لهم، حتى كأَنهم أَرادوها متَّصلة الدور، وفي هذا تعسُّف وتسحب[٤] على أَقدار الله تعالى وإِرادته، وقلَّة شكر على نعمته، بل هي مقابلة النعمة بالتَّشَكِّي والاستضرار[٥].

وفي هذا المعنى ونحوه مما اقترن بكفرهم ظلموا أَنفسهم فغرَّقهم[٦] الله تعالى، وخَرَّب بلادهم، وجعلهم أَحاديث، ومنه المثل السائر: تفرَّقوا أَيادي سبأَ، وأَيدي سبأَ[٧]، يقال المثل بالوجهين، وهذا هو تمزُّقهم كل مُمَزَّق.

---

(١) في المطبوع: «أشهر»، وقول الرماني لم أقف عليه.

(٢) أربع قراءات، الثالثة عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٥٠)، والبواقي شاذة انظر الأولى والرابعة في المحتسب (٢/ ١٨٨)، والثانية لسعيد في البحر المحيط (٨/ ٥٣٨).

(٣) في الحمزوية: «الأشهر»، وفي المطبوع: «الإخبار».

(٤) في المطبوع: و«تسخطٍ»، وفي أحمد٣: و«نسخت»، وفي السليمانية: و«تسحّت».

(٥) ليست في المطبوع، وفي السليمانية وأحمد٣: و«الاستقرار».

(٦) في الحمزوية ونجيبويه والمطبوع: «ففرقهم»، وفي أحمد٣: «فمزقهم».

(٧) تهذيب اللغة (١٣/ ٧٢).

وروي: أن رسول الله ﷺ قال: «إِن سبأَ أَبو عشرة[١] قبائل، فلما جاءَ السَّيْلُ على مأْرب وهو اسم بلدهم تيامَن منهم ستة قبائل، أي تبددت في بلاد اليمن، وتشَاءَمَتْ منها أَربعة، فالمُتيَامِنة كِنْدة والأَزْد وأَشْعَر ومَذْحِج وأَنمار التي منها بَجِيلَة وخَثْعَم، وطائفة قيل لها: حِمْيَر، بقي عليها اسم الأَب الأَول، والتي تشاءَمت لَخْم وجُذَام وغَسَّان وخُزَاعة، نزلت تهامة، ومن هذه المتشائمة أَولاد قَيْلة، وهم الأَوس والخزرج، ومنها عاملة وغير ذلك»[٢].

ثم أَخبر تعالى محمداً ﷺ وأُمَّته ـ على جهة التنبيه ـ أَن هذه القصص فيها آياتٌ وعِبَرٌ لكل مؤمن على الكمال، ومن اتصف بالصبر والشُّكر فهو المؤمن الذي لا تنقصه خلَّة جميلة بوجه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ۝٢١ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢﴾.

قرأَ نافع، وأَبو عمرو[٣]، وابن عامر: ﴿ولقد صدَق﴾ بتخفيف الدال ﴿إِبْلِيسُ﴾ رفعاً ﴿ظَنَّهُ﴾ نصباً على المصدر، وقيل: على الظرفية، أَي: في ظَنِّه، وقيل: على المفعول، على معنى أَنه لما ظن عمل عملاً يصدق به ذلك الظن، فكأَنه إِنما أَراد أن يصدق ظنه، وهذا نحو من قولك: أَخطأْتُ ظَنِّي وأَصبْتُ ظَنِّي.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿صَدَّقَ﴾ بتشديد الدَّال، و(الظَّنُّ) على هذا

---

(١) في المطبوع: «عشر».

(٢) سبق تخريجه وهو حديث فروة بن مسيك وابن عباس، وإسناده لا ينهض.

(٣) في المطبوع: «عمرة».

مفعول بـ﴿صَدَّقَ﴾، وهي قراءة ابن عباس، وقتادة، وطلحة، وعاصم[١]، والأعمش[٢].

وقرأ الزُّهري، وأبو الهجهاج[٣]، وبلال بن أَبي بُرْدَة: (صَدَقَ) بتخفيف الدال (إِبْلِيسَ) نصباً (ظَنُّهُ) رفعاً.

وقرأت فرقة: (صَدَقَ) بتخفيف الدال (إِبْلِيسُ) بالرفع (ظَنُّهُ) بالرفع[٤] على البدل، وهو بدل الاشتمال.

ومعنى الآية: أَن ما قال إِبليس من أَنه سيفتن بني آدم ويُغويهم، وما قال من أَن الله لا يجد أَكثرهم شاكرين، وغير ذلك كان ظنّاً منه يصدق فيه[٥].

وأَخبر الله تعالى عنهم أَنَّهم اتَّبعوه، وهو اتِّباعٌ في كُفْر؛ لأَنه في قصة قوم كفَّار.

وقوله تعالى: ﴿مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ يدل على ذلك، و﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لبيان الجنس لا للتبعيض؛ لأن التبعيض يقتضي أن فريقاً من المؤمنين اتبعوا إِبليس.

و«السُّلْطَانُ»: الحُجَّة، وقد يكون الاستعلاءَ والاستقدار؛ إِذ اللَّفظ من التَّسَلُّط، وقال الحسن بن أَبي الحسن: والله ما كان له سيف ولا سوطٌ، ولكنه استمالهم فمالوا بتزيينه[٦].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾؛ أي: لنعلمه موجوداً؛ لأَن العلم به متقدم أَزلاً[٧].

---

(١) في حاشية المطبوع هكذا بالتكرار في جميع النسخ الأصلية.

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٨١)، وموافقة ابن عباس في تفسير الثعلبي (٨/ ٨٥)، والباقين في البحر المحيط (٨/ ٥٣٩).

(٣) في الحمزوية: «المحاح». وفي نور العثمانية وفيض الله: «الجماح»، ولم أقف له على ترجمة.

(٤) وهما شاذتان، انظر الأولى في المحتسب (٢/ ١٩٠)، وعزا الثانية في مختصر الشواذ (ص: ١٢٢) لعبد الوارث عن أبي عمرو.

(٥) في الحمزوية ونجيبويه والمطبوع: «وصدق فيهم».

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٩٣)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٨٦) بتصرف.

(٧) في المطبوع: «أولًا».

وقرأت فرقة: (إلا ليُعلم) [بالياءِ على ما لم يسم فاعله][١].

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية: آية تعجيز وإِقَامةِ حجَّة، ويُروى أن ذلك نزل عند الجوع الذي أصاب قريشاً.

[والجمهور على ﴿قُلُ ادعوا﴾ بضم اللَّام.

وروى عباسٌ عن أَبي عمرو: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ﴾ بكسر اللام[٢].

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ يريد الملائكة والأَصنام؛ وذلك أَن قريشاً][٣] والعرب كان منهم من يعبد الملائكة والأصنام[٤]، ومنهم من يقول: نعبدها لتشفع لنا، ونحو هذا، فنزلت هذه الآية معجزة للكلِّ منهم.

ثم جاءَ بصفة هؤلاءِ الذين يدعونهم آلهةً، من أَنهم لا يملكون مِلْك الاختراع مثقال ذَرَّة في السماءِ ولا في الأَرض، وأَنهم لا شِرْكَ لهم فيها، وهذان فيهما نوعا المِلْك: إِمَّا استبدادٌ، وإِمَّا مُشاركة، فنفى عنهم جميع ذلك، ونفى أَن يكون منهم لله تعالى معينٌ في شيءٍ من قدرته.

و«الظَّهيرُ»: / المُعين. [٤/ ٢٣٠]

ثم تقرَّر في الآية بَعْدُ أَن الذين يظنون أنهم يشفعون لهم لا تصح منهم شفاعة لهم؛ إِذ هؤلاءِ كفرة، ولا يأْذن الله في الشفاعة في كافر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾.

---

(١) في المطبوع بدلًا منه: «مضمومة على المجهول»، وهي شاذة نسبها في مختصر الشواذ (ص: ١٢٢) للزهري.

(٢) وهما سبعيتان، والثانية لعاصم وحمزة أيضاً، انظر التيسير (ص: ٧٨)، وانظر نسبتها لعباس في: السبعة (ص: ٥٢٩).

(٣) سقط من الأصل.

(٤) من فيض الله.

المعنى: إن كلَّ من دعوتم إلهاً من دون الله لا يملكون مثقال ذرَة، ولا تنفع شفاعتهم إلَّا بإذن الله[١] فيمن آمن، فكأَنه قال: ولا هم شفعاءُ على الحدِّ الذي ظننتم أَنتم.

واختلف المتأَولون في قوله: ﴿إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾:

فقالت فرقة: معناه: لمن أَذن[٢] له [أن يشفع فيه][٣]، وقالت فرقة: معناه: لمن أَذن له أن يشفع هو.

قال القاضي أَبو محمد: واللَّفظ يعمُّهما؛ لأَنه[٤] إذا انفرد للشافع فلا شك أن المشفوع فيه مُعَيَّن له، وإِذا انفرد للمشفوع فيه فالشافع لا محالة عالمٌ مُعين لذلك. وانظر أن اللام الأُولى تشير إلى المشفوع فيه من قوله: ﴿لِمَنۡ﴾، تقول: شفعتُ لفلان.

وقرأَ أَبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿أُذِنَ﴾ بضم الأَلف، وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: ﴿أَذِنَ﴾ بفتحها[٥].

والضمير في ﴿قُلُوبِهِمۡ﴾ عائد على الملائكة الذين دعوهم آلهة، ففي الكلام حذف يدل عليه الظاهر، كأَنه قال: ولا هم شفعاء كما تحسبون أَنتم، بل هم عَبَدَة ومُستسلمون أَبداً حتى إِذا فُزِّع عن قلوبهم.

قال القاضي أبو محمد: وتظاهرت الأَحاديث عن رسول الله ﷺ أَن هذه الآية، أَعني قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ إنما هي في الملائكة إِذا سمعت الوحيَ إِلى جبريل بالأَمر يأْمُر الله به سمعت كجَرِّ سلسلة الحديد على الصفوان، فتفزع عند ذلك تعظيماً وهيبة[٦].

---

(١) من الحمزوية وأحمد٣ والمطبوع.
(٢) في المطبوع والسليمانية وأحمد٣: «أراد».
(٣) سقط من المطبوع.
(٤) في نور العثمانية وفيض الله: «لأن الإذن»، وفي فيض الله: «قال القاضي» مكررة.
(٥) وهما سبعيتان، وعاصم بالفتح كما في التيسير (ص: ١٨١)، وفي السبعة (ص: ٥٣٠) أن الكسائي روى عن شعبة الضم.
(٦) أخرجه البخاري (٤٧٠١) من حديث أبي هريرة، مرفوعاً، به.

وقيل: خوف أَن تقوم الساعة، فإذا فَرَغ ذلك ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾، أَي: أُطير الفزع عنها وكُشف، فيقول بعضهم لبعض ولجبريل: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡ﴾؟ فيقول المسؤولون: «قال الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ». وبهذا المعنى من ذكر الملائكة في صدر الآيات تَـتَّسق هذه الآية على الأُولى، ومن لم يشعر أَن الملائكة مُشَارٌ إليهم من أَوَّل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾ لم تتصل له هذه الآية بما قبلها، فلذلك اضطرب المفسرون في تفسيرها، حتى قال بعضهم في الكفار ـ بعد حلول الموت ـ فُزِّع عن قلوبهم بفقد الحياة فرأَوْا الحقيقة، وزال فزعهم من شُبه ما يقال لهم في حياتهم، فيقال لهم حينئذ: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡ﴾؟ فيقولون: قال الحق، يُقِرُّون حين لا ينفعهم الإِقرار.

وقالت فرقة: الآية في جميع العالم، وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾ يريد: في القيامة.

قال القاضي أَبو محمد: والتأْويل الأول في الملائكة هو الصحيح، وهو الذي تظاهرت به الأَحاديث، وهذان بعيدان.

وقرأَ جمهور القراء: ﴿فُزِّعَ﴾ بضم الفاءِ وكسر الزَّاي، ومعناه: أُطير الفزع عنهم، وهذه الأَفعال جاءَت مخالفة لسائر الأَفعال، لأَن (فَعَّل) أَصلها الإِدخال في الشيءِ، [كعلمت ونحوها][1]، وقولك: فزَّعتُ زيداً معناه: أَزلتُ الفَزَع عنه، وكذلك: جزَّعته: أَزلت الجزعَ عنه، ومنه في الحديث: فدخل ابن عباس على عمر فجزَّعَهُ[2]. ومنه: مَرَّضتُ فلاناً: أَزلتُ عنه المرض.

قال القاضي أَبو محمد: وانظر أن مطاوع[3] هذه الأفعال يلحق بـ: تَحَنَّث وتحرَّج وتَفَكَّه وتأَثَّم وتخوَّف[4].

(١) سقط من المطبوع.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٩٢) من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه به.

(٣) في المطبوع: «مضارع».

(٤) في المطبوع: و«تَخَوَّتَ»، قال في الحاشية: تَخَوَّت الشيء: اختطفه.

وقرأ ابن عامر: ﴿فَزَّعَ﴾ بفتح الفاءِ والزَّاي وشد الزاي، وهي قراءَة ابن مسعود، وابن عباس، وطلحة، وأَبي المتوكل الناجي(١)، واليماني(٢).

وقرأَ الحسن البصري بخلاف: (فُزِعَ) بضم الفاءِ وكسر الزاي وتخفيفها(٣)، كأنه بمعنى: أَقلع.

ومَن قال إنها في العالم أجمعه قال: معنى هذه القراءَة: فُزِع الشيطان عن قلوبهم، أَي: بادر.

وقرأَ أَيوب عن الحسن أَيضاً: (فُرِّغَ) بضم الفاءِ وبراءٍ مهملة مشدَّدة وبغين منقوطة، من التفريغ، قال أَبو حاتم: ورواها عن الحسن نحو من عشرة أَنفس، وهي قراءَة أَبي مجلز(٤).

وقرأَ مطر الورَّاق، عن الحسن: (فَزِعَ) على بناءِ الفعل للفاعل، وهي قراءَة مجاهد.

وقرأَ الحسن أَيضاً: (فَرَغَ) بالراءِ [غير منقوطة](٥) مخففة، من الفراغ.

قال أَبو حاتم: ما أَظن الثِّقات رَوَوْها عن الحسن على وجوه إِلَّا لصعوبة المعنى عليه، فاختلفت أَلفاظه فيه.

---

(١) هو أبو المتوكل الناجي البصري اسمه علي بن دؤاد، حدث عن عائشة، وأبي هريرة، وابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله، وعنه: قتادة، وحميد، وخالد الحذاء، وكان ثقة نبيلاً من جلة التابعين، توفي سنة (١٠٢هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٢٩٨).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٥٣٠)، والتيسير (ص: ١٨١)، والبحر المحيط (٨/ ٥٤٥). وفي نور العثمانية: «وقرأ ابن كثير عامر».

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها للحسن في: إتحاف فضلاء البشر (١/ ٤٦٠)، والمحتسب (٢/ ١٩٠).

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها للحسن في: تفسير الطبري (٢٢/ ٩٣)، وانظر نسبتها لأبي مجلز في البحر المحيط (٨/ ٥٤٥).

(٥) في المطبوع: «المهملة»، وهما شاذتان، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣٩١)، والثانية له مع قول أبي حاتم في: المحتسب (٢/ ١٩٢).

وقرأَ عيسى بن عمر: (حتى إذا افْرنْقعَ)، وهي قراءَة ابن مسعود[١].

ومعنى هذا كله: وقع فراغُها من الفزع والخوف، ومن قرأَ شيئاً من هذا على بناءِ الفعل للمفعول فقولُه عزَّ وجلَّ: ﴿عَن قُلُوبِهِمْ﴾ في موضع رفع، [ومن قرأ على بناء الفعل للفاعل فقوله: ﴿عَن قُلُوبِهِمْ﴾ في موضع نصب][٢].

وافْرَنْقع معناه: تفرَّق.

وقوله تعالى: ﴿مَاذَا﴾ يجوز أن تكون (ما) في موضع نصب بـ﴿قَالَ﴾.

ويصح أَن تكون في موضع رفع بمعنى: أَيُّ شيءٍ قال؟

والنصب في قولهم: ﴿ٱلْحَقَّ﴾ على نحوه في قوله تعالى: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا﴾ [النحل: ٣٠][٣]، لأنهم حقَّقُوا أَن ثمَّ ما أُنْزِلَ، وحَقَّقُوا هنا أَنَّ ثَمَّ ما قِيلَ.

[وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾][٤] تحميدٌ وتمجيد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾.

أَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ على جهة الاحتجاج، وإِقامة الدليل على الرازق لهم من السماوات والأَرض [أَن يسأَلهم][٥]: من هو؟

---

(١) انظر نسبتها لابن مسعود في: مختصر الشواذ (ص: ١٢٣)، وانظر عزوها لعيسى في المحتسب (٢/ ١٩١).

(٢) سقط من أحمد٣ والمطبوع.

(٣) وأشار في حاشية المطبوع إلى أن في بعض الأصول خلطاً بينها وبين الآية (٢٤) من السورة نفسها.

(٤) في المطبوع: «وباقي الآية».

(٥) من المطبوع، قال في الحاشية: زيادة يحتاج إليها المعنى.

[٤/ ٢٣١] ثم أَمره أن يقتضب الاحتجاج / بأن يأْتي بجواب السؤال؛ إِذْ هم في بَهْتَة ووجْمَة من السؤال، وإِذ لا جواب لهم ولا لمفطُورٍ إِلَّا بأن يقول: هو الله. وهذه السبيل في كل سؤال جوابه في غاية الوضوح؛ لأن المحتجَّ يريد أَن يقتضب ويتجاوز إلى حجة أُخرى يوردها. ونظائر هذا في القرآن كثير.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ﴾ تلَطُّف في الدعوى والمحاورة والمعنى، كما تقول لمن خالفك في مسأَلة: أَحدنا مُخْطِئٌ، أَي: تَثَبَّتْ وتَنَبَّه، والمفهوم من كلامك أَن مخالفك هو المخطئُ، فكذلك هذا معناه: وإِنَّا لَعَلَى هُدًى أَو في ضلالٍ مبين، وإِنَّكم لعلى هُدًى أَو في ضلال مبين، فلْتَتَبَيَّنْهُ، والمقصد أن الضلال في حيِّز المخاطبين، وحذف أحد الخبرين لدلالة الباقي عليه.

وقال أَبو عبيدة: ﴿أَوۡ﴾ في الآية بمعنى واو النَّسق، والتقدير: وإِنا وإِيَّاكم لعلى هدًى أَو في ضلال مبين، وهما خبران غير مبتدأَين[(١)].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا القول غير متَّجه واللَّفظ لا يساعده، وإِن كان المعنى ـ على كل قول ـ يقتضي أن الهدى في حيِّز المؤمنين والضلال في حيِّز الكفرة.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا﴾ الآية، مهادنة ومتاركة، وهي منسوخة بآية السيف.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا﴾ الآية، إِخبارٌ بالبعث من القبور.

وقوله: ﴿يَفۡتَحُ﴾ معناه: يحكم، والفتَّاح: القاضي، وهي مشهورة في لغة اليمن، وهذا كله منسوخ بآية السيف.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرُونِيَ﴾ يحتمل أَن تكون رؤْية قلب، فيكون قوله: ﴿شُرَكَآءَ﴾ مفعولاً ثالثاً[(٢)]، وهذا هو الصحيح، أي: أَرُوني بالحُجَّة والدليل كيف وجه الشركة؟

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٤٨).

(٢) في الأصل: «ثانياً».

وقالت فرقة: هي رؤية بصر، و﴿ شُرَكَآءَ ﴾ حال من الضمير المفعول بـ﴿ أَلْحَقْتُم ﴾ والعائد على ﴿ٱلَّذِينَ ﴾.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيف، لأَن استدعاءَ رؤية العين في هذا لا غناء له.

وقوله: ﴿ كَلَّا ﴾ ردٌّ لما تقرَّر من مذهبهم في الإِشراك بالله تعالى.

وَوَصَفَ نفسه عزَّ وجلَّ باللائق من العزَّة والحكمة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٍ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةً وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

هذا إعلامٌ من الله تبارك وتعالى بأنه بعث محمداً ﷺ إلى جميع العالم.

و«الكَافَّةُ»: الجمع الأَكمل من الناس، و﴿ كَآفَّةً ﴾ نصب على الحال، وقدَّمها للاهتمام.

وهذه إِحدى الخصال التي خُصَّ بها محمد ﷺ من بين الأَنبياءِ، والتي حصرها في قوله ﷺ: «أُعطيتُ خمساً لم يُعْطَهُنَّ أَحدٌ قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وأُحِلت لي الغنائم ولم تحلّ لأَحد قبلي، وأُوتيت جوامع الكلم، وجُعلت لي الأَرض مسجداً وطهوراً، وبُعث كلُّ نبيٍّ إِلى خاص من الناس وبُعِثْت إِلى الأَسود والأحمر»[١]، وفي هذه الخصال زيادة في «كتاب مسلم»[٢].

وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ يريد بها العموم في الكفرة، والمؤمنون هم الأَقل.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨) من حديث جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما مرفوعاً، بنحوه.

(٢) صحيح مسلم (٥٢٣) من حديث جابر رضي الله عنهما.

ثم حكى عنهم مقالتهم في الهُزْءِ بأَمر البعث، واستعجالهم ـ على معنى التكذيب ـ بقولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾؟ فأَمر الله تعالى نبيَّه أَن يخبرهم عن ميعاد يوم[1] هو يوم القيامة، لا يتأَخر عنه أحد ولا يتقدمه.

قال أَبو عبيدة: الوعد والوعيد والميعاد بمعنى واحد[2]. وخولف في هذا، والذي عليه الناس أَن الوعد في الخير، والوعيد في المكروه، والميعاد يقع لهذا ولهذا.

قال القاضي أَبو محمد: وأَضاف الميعاد إلى اليوم تَجَوُّزاً من حيث كان فيه، وتحتمل الآية أَن يكون استعجال الكفرة لعذاب الدنيا، ويكون الجواب عن ذلك أَيضاً، ولم يجر للقيامة ذكر على هذا التأْويل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

حُكيت في هذه الآية مقالة قالها بعض قريش، وهي أَنهم لا يؤمنون بالقرآن ولا بما أنزل[3] بين يديه من التوراة والإنجيل والزَّبور، وكأَنهم كذَّبوا بجميع كتب الله، وإنما فعلوا هذا لما وقع الاحتجاج عليهم بما في التوراة من أَمر محمد ﷺ.

وقالت فرقة: (والَّذي بَيْنَ يَدَيْهِ): هي الساعة والقيامة.

قال القاضي أبو محمد: وهذا خطأٌ لم يفهم قائله أَمر (بَيْنَ الْيَد) في اللغة، وأنه المتقدم في الزمن، وقد بَيَّنا معناه فيما تقدم.

ثم أَخبر الله تعالى نبيَّه عن حالة الظالمين في صيغة التَّعجب من حالهم، وجواب

---

(١) في الحمزوية: «عن ميعاد يوم القيامة».

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١٤٩). ولفظ «واحد» ليس في المطبوع.

(٣) من نور العثمانية وفيض الله.

﴿لَوۡ﴾ محذوف، وقوله: ﴿يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ﴾ يريد[١]: أي يتحاورون ويتجادلون، ثم فسَّر ذلك الجدل بأَن الأَتباع والضعفاءَ من الكفرة يقولون للكبار[٢] والرؤوس ـ على جهة التَّذْنيب والتوبيخ وردِّ اللائمة عليهم: لولا أَنتم لآمَنَّا نحن واهتدينا، أَي: أَنتم أَغويتمونا وأَمرتمونا بالكفر، فقال لهم الرُّؤَساءُ ـ على جهة التقرير والتكذيب ـ : ﴿أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ﴾، أَي: دخلتم في الكفر ببصائركم، وأَجرمتم بنظر منكم، ودعوتنا لم تكن ضربة لازم عليكم؛ لأَنا دعوناكم بغير حجة ولا برهان.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله يتضمن اللفظ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا / كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٣﴾. [٤/ ٢٣٢]

هذه مراجعة من الأَتباع للرؤَساءِ حين قالوا لهم: إِنما كفرتم ببصائركم ومن أَنفسكم، فقال المستضعفون: بل كفرنا بمَكْرِكم بنا باللَّيل والنهار، وأَضاف المكر إِلى اللَّيل والنهار من حيث هو فيهما، ولتدلَّ هذه الإِضافة على الدُّؤوب والدوام[٣]، [وهذه الإِضافة][٤]، كما قالوا: ليلٌ نائم ونهار صائم، وأَنشد سيبويه:

.... فَنَامَ لَيْلِي وتَجَلَّى هَمِّي[٥] [الرجز]

وهذه قراءَة الجمهور.

---

(١) في الأصل وأحمد٣ والسليمانية: «يرد».

(٢) في الأصل: «للكفار».

(٣) في الحمزوية والمطبوع: «الزمان»، وفي نجيبويه: «الدومان».

(٤) سقط من المطبوع.

(٥) البيت لرؤبة، كما في الطبري (١/ ٣١٧)، ومجاز القرآن (١/ ٢٧٩)، وانظر استشهاد سيبويه في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٣٩).

وقرأ قتادة بن دعامة: (بَلْ مكرٌ اللَّيلَ والنَّهارَ) بتنوين (مكرٌ) ونصب (اللَّيلَ والنَّهارَ) [على الظرف.

وقرأ سعيد بن جبير: (بل مكَرُّ) بفتح الكاف وشد الراء مِنْ: كر يكر، وبالإضافة إلى الليل والنهار][1]، وذُكرت عن يحيى بن يَعْمَر[2]، وكأَن معناها الإحالةُ على طول الأمل والاغترار بالأَيام، مع أَمْر هؤلاءِ الرُّؤساءِ بالكفر بالله.

و«النِّدُّ»: المثيل والشَّبيه، والضمير في قوله: ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ عام في جميع من تقدم من المستضعفين والمستكبرين، و﴿وَأَسَرُّواْ﴾ معناه: اعتقدوها في نفوسهم، ومعتقدات النفس كلها سِرٌّ، لا يعقل غير ذلك، وإِنما يظهر ما يصدر عنها من كلام أَو قرينة.

وقال بعض الناس: ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ معناه: أَظهروا، وهي من الأَضداد.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كلام من لم يعتبر المعنى، أما نفس الندامة فلا تكون إِلَّا مُسْتَسَرَّة[3] ضرورة، وأَما الظاهر عنها فغيرها، ولم يثبت قطُّ في لغة أن (أَسرَّ) من الأَضداد.

وقوله تعالى: ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾؛ أَي: وافوه وتيقَّنوا حصولهم فيه، وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

---

(١) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٢) وهما شاذتان، انظر الأولى في المحتسب (٢/ ١٩٢)، والثانية فيه وفي مختصر الشواذ (ص: ١٢٣)، والبحر المحيط (٨/ ٥٥٢).

(٣) في نور العثمانية وفيض الله: «مستترة».

هذه تسلية للنبي ﷺ عن فعل قريش وقولها، أَي: هذه يا محمد سيرة الأُمم، فلا يهمنك أَمر قومك، و(القرية): المدينة، و«المُتْرف»: المنعم البطال الغنيُّ القليلُ تعب النفس والجسم، فعادتهم المبادرة بالتكذيب.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ يحتمل أَن يعود الضمير على (المُتْرَفين)، ويكون ذلك من قولهم مع تكذيبهم، ثم لمَّا كانت قريش مثلهم أَمره الله تعالى بأَن يقول: ﴿إِنَّ رَبِّي﴾ الآية، يحتمل أَن يكون[١] الضمير في (قالوا) لقريش، ويكون كلامُ (المُترفين) قد تمَّ[٢]، ثم تطَّرد الآية بعد.

وقولهم: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ معناه: الاحتجاج بأَن الله لم يعطنا هذا وقدَّره لنا إِلَّا لرضاه عنَّا وعن طريقتنا، ونحن ممن لا يُعَذَّب البتَّة؛ إِذ الله الذي تزْعُم أَنت عِلْمَه بجميع الأَشياءِ وإِحاطته قد قدَّر علينا النِّعم، فهو إِذاً راضٍ عنَّا.

وقال بعض المفسرين: معنى قولهم: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أَي: بالفقر.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ليس كالأَول في القوة، فأَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ أَن يقول: إِن الأَمر ليس كما ظنُّوا، بل بَسْط الرزق وقدره مُعلَّق بالمشيئة في كافر ومؤمن، وليس شيءٌ من ذلك دليلاً على رضا الله تعالى والقرب منه؛ لأَنه قد يُعطي ذلك أَملاً واستدراجاً، ولكن كثيراً من الناس لا يعلم ذلك كأنتم أَيُّها الكفرة.

وقرأَت فرقة: ﴿وَيَقْدِرُ﴾، [وقرأت فرقة: (ويُقَدِّر) بضم الياء وفتح القاف وشد الدَّال][٣]، وهي راجعة إِلى معنى التَّضْييق الذي هو ضد البَسْط.

ثم أَخبرهم أَن أَموالهم وأَولادهم ليست بمقرَّبة من الله ﴿زُلْفَىٰٓ﴾، وهي مصدر

---

(١) في الأصل: «يعود».

(٢) في الحمزوية والمطبوع وأحمد٣: «تقدم».

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «وفرقة بالتشديد»، وهي شاذة، انظر نسبها في إتحاف فضلاء البشر (ص: ١٦١) للأعمش.

بمعنى القُرب، وكأَنه قال: تقربكم عندنا تقريباً.

وقرأ الضحاك: (زُلَفاً) بفتح الَّلام وتنوين الفاء[1].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ﴾ استثناءٌ منقطع[2]، و﴿مَنۡ﴾ في موضع نصب بالاستثناءِ.

وقال الزجاج: هي بدل من الضمير في ﴿تُقَرِّبُكُمۡ﴾[3].

وقال الفراء: ﴿مَنۡ﴾ في موضع رفع، وتقدير الكلام: ما هو مقرِّب إِلَّا من آمن[4].

وقرأَ الجمهور: ﴿جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ﴾ بالإِضافة.

وقرأَ قتادة: (جَزَاءٌ) منوناً (الضِّعْفُ) رفعاً.

وحكى عنه الدَّاني: [(جزاءً) بالنصب (الضعفَ) بنصب الفاء][5].

و«الضِّعْفُ» هنا: اسم جنس، أَي: التَّضعيف؛ إِذ بعضهم يجازى إلى عشرة، وبعضهم أَكثر صاعداً إِلى سبع مئة بحسب الأَعمال ومشيئة الله فيها.

وقرأَ الجمهور: ﴿فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ﴾ بالجمع.

وقرأَ حمزة وحده: ﴿في الغرفة﴾ على اسم الجنس يراد به الجمع، ورويت عن

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في البحر المحيط (٨/ ٥٥٤).

(٢) ليست في أحمد٣ والمطبوع.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٥٥).

(٤) معاني القرآن للفراء (٤/ ٥٧).

(٥) في المطبوع وأحمد٣ بدلاً منه: (جزاءً) نصباً منوناً (الضِّعْفَ) نصباً، وهذه القراءة بنصب الكلمتين شاذة، لم أجدها لغير المصنف، والذي في البحر المحيط (٨/ ٥٥٥)، عن الداني عن قتادة بالنصب مع الرفع، وهي عشرية لرويس كما في النشر (٢/ ٣٥١)، وتحتملها القراءة الأولى التي ذكر المصنف لأنه لم يصرح بضبط (جزاء)، والظاهر أنه يقصد رفع الكلمتين، وهي شاذة، عزاها لقتادة في البحر المحيط، وهي له في مختصر الشواذ (ص: ١٢٣)، بلا ضبط، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٩٢) للضحاك، وزاد وجهاً آخر بالرفع مع النصب.

الأَعمش، وهما في القراءَة حسنتان[١].

قال أَبو علي: وقد يجيءُ هذا الجمع بالألف والتاءِ (الغُرُفاتِ) ونحوه للتكثير[٢].

ومنه قول حسَّان:

لنَا الْجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى وأَسْيافُنَا يَقْطُرْنَ مِن نَجْدةٍ دَما[٣] [الطويل]

فلم يُرد إلا كثرة جفان.

قال القاضي أبو محمد: وتأَمَّل نقد الأَعشى في هذا البيت[٤].

وقرأَ الأَعمش، والحسن، وعاصم بخلاف: (في الغُرْفاتِ) بسكون الراءِ[٥].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾.

لما ذكر تعالى المؤمنين العاملين للصالحات وثوابهم عقَّب بذكر ضدهم وذكر جزائهم ليظهر تَبايُن المنازل.

وقرأَت فرقة: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾، وفرقة: ﴿مُعَجِّزِينَ﴾، وقد تقدم تفسيرها، [في صدر السورة][٦].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨١)، وموافقة الأعمش في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٦٠).

(٢) الحجة لأبي علي (٦/ ٢٢).

(٣) انظر عزوه له في الكتاب لسيبويه (٣/ ٥٧٨)، والحيوان (٧/ ٨٦)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ٢١٩)، والكامل للمبرد (٢/ ١٤٣).

(٤) الأغاني (٩/ ٣٨٣)، وفيه أنه قال للبيد: إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك.

(٥) وهي شاذة، عزاها للحسن والأعمش في إتحاف فضلاءالبشر (ص: ٤٦١)، ولرواية عصمة عن أبي بكر عن عاصم في جامع البيان (٤/ ١٥٠٥)، وفي المطبوع: «الأعشى» بدل «الأعمش».

(٦) سقط من المطبوع، والقراءتان سبعيتان، كما تقدم قريباً، وضبطت الثانية في المطبوع: «معْجزين»، ولا وجه لها.

و﴿مُحۡضَرُونَ﴾ من الإِحضار والإِعداد.

ثم كرَّر[١] بسط الرِّزق وقَدْرَهُ تأَكيداً وتَبْييناً، وقصد به هنا رزق المؤمنين، وليس سوقُه على المعنى الأول الذي جُلب / للكافرين، بل هذا هنا على جهة الوعظ والتَّزهيد [٤/ ٢٣٣] في الدنيا، والحض على النفقة في الطَّاعات، ثم وعد بالخُلْف في ذلك وهو بشرط الاقتصاد والنِّيَّة في الطَّاعة ودفع المضرَّات وعدٌ منجز، إما في الدنيا، وإِما في الآخرة.

ورَوى أَبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله قال لي: أَنْفِق أُنْفِق عليك»[٢].

وفي البخاري: «إِنَّ المَلك يُنَادي كل يوم، اللهم أَعط مُنفقاً خَلَفاً، ويقول مَلك آخر: اللهم أَعْط مُمْسِكاً تَلَفاً»[٣].

وقال مجاهد: المعنى: إن كان خلف فهو موليه وميسره، وقد لا يكون الخلف[٤].

وأَما قوله: ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ فمن حيث يقال في الإِنسان: إِنه يرزق عياله، والأَمير جُنده، لكن ذلك من مالٍ يملك عليهم، والله تعالى من خزائن لا تفنى، ومن إِخراج من عدم إِلى وجود.

وقرأَ الأَعمش: (وَيُقَدِّر) بضم الياءِ وشدِّ الدال[٥].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ۝٤١ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي

---

(١) في نور العثمانية: «ذكر فيها» وفي وفيض الله: «القول ببسط».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٤٠٧) ومسلم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٣٧٤) ومسلم (١٠١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) الهداية لمكي (٩/ ٥٩٣٣)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٩٢)، بتصرف.

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها له في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٦١).

كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾.

هذه آية وعيد للكفار، والمعنى: واذكر يومَ.

وقرأ الجمهور: ﴿نَحْشُرُهُمْ جميعاً ثم نقول﴾ بالنون فيهما، ورواها أَبو بكر عن عاصم، وقرأ حفص عن عاصم بالياءِ فيهما، وذكرها أَبو حاتم عن أَبي عمرو(١).

والقول للملائكة هو توقيف تقوم منه الحجة على الكفار عَبَدَتِهِم، وهذا نحو قوله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وإِذْ قال الله تعالى للملائكة هذه المقالة قالت الملائكة: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾، أَي: تنزيهاً لك عما فعل هؤلاءِ الكفرة.

ثم بَرَّأوا أَنفسهم بقولهم: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ يريدون البراءَة من أَن يكون لهم عِلْم أَو رضاً أَو مشاركة في أَن يعبدهم البشر.

ثم قرروا أَن البشر إِنما عبدوا الجنَّ برضا الجنِّ وبإِغوائها للبشر، فلم تنفِ الملائكة عبادة البشر إِيَّاها، وإِنما قررت أَنها لم تكن لها في ذلك مشاركة، ثم ذنَّبت الجن.

وعبادة البشر للجن هي فيما نعرفه نحن: طاعتهم إِياهم، وسماعهم من وسوستهم وإِغوائهم، فهذا نوع من العبادة، وقد يجوز أَن كان في الأُمم الكافرة من عبد الجنَّ، وفي القرآن آياتٌ يظهر منها أن الجن عُبِدت في (سورة الأَنعام) وغيرها.

ثم قال سبحانه: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾، وفي الكلام حذف، تقديره: فيقال لهم، أَي: لمن عَبَدَ ولِمنْ عُبِدَ: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ ذكر في هذه الآية أَقوالهم وأنواع كلامهم

(١) وهما سبعيتان، الثانية لحفص، كما في السبعة (ص: ٥٣٠)، ولم أجد فيها لأبي عمرو شيئاً. و«قرأ الجمهور» سقطت من الأصل.

عندما يُقرأُ عليهم القرآن، ويسمعون حِكَمه وبراهينه البيِّنَة، فقائِلٌ طعن على النبي ﷺ بأَنه يقدح في الأَوثان ودين الآباءِ، وقائلٌ طعن عليه بأَن هذا القرآن مفترى، أَي: مصنوع من قِبَلِ محمد ويدَّعي أنه من عند الله، وقائل طعن عليه بأَن ما عنده من الرقة واستجلاب النفوس واستمالة الأَسماع إِنما هو سحْرٌ يجلب به ويستدعي، تعالى الله عن أَقوالهم، وتقدَّست الشريعة عن طعنهم.

قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾.

معنى هذه الآية: أنهم يقولون بآرائهم في كتاب الله تعالى، فيقول بعضهم: سحرٌ، وبعضهم: افتراءٌ، وذلك منهم تَسَوُّرٌ[(١)] لا يستندون فيه إلى أَثارة علم، ولا إِلى خبر من يُقبل خبره، فإِنا ما آتيناهم كتباً يدرسونها، ولا أَرسلنا إِليهم نذيراً فيمكنهم أَن يدَّعوا أَن أَقوالهم تستند إِلى أَمره.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿يَدْرُسُونَهَا﴾ بسكون الدال.

وقرأَ أَبو حيوة: (يَدَّرِسُونَهَا) بفتح الدال وشدها وكسر الراءِ[(٢)].

والمعنى: ما أَرسلنا من نذير يشافِهُهُم بشيءٍ، ولا يباشر أَهل عصرهم ولا من قَرُب من آبائهم، وإِلَّا فقد كانت النِّذارة في العالم وفي العرب مع شعيب وصالح وهود، ودعوة الله وتوحيده قائم[(٣)]، ولم تخل الأرض من داع إِليه، فإِنما معنى هذه الآية: مِنْ نَذِيرٍ يختص بهؤلاءِ الذين بعثناك إِليهم، وقد كان عند العرب كثير من نذارة إِسماعيل،

---

(١) في المطبوع: «تجرُّؤٌ».

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في المحتسب (٢/ ١٩٤)، ومختصر الشواذ (ص: ١٢٣).

(٣) في أحمد٣: «قديم»، وفي المطبوع: «أَمر قديم».

والله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]، ولكن لم يتجرَّد للنذارة ولا قاتل عليها إِلَّا محمدٌ ﷺ.

ثم مثَّل لهم بالأُمم المكذبة قبلهم.

وقوله: ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ يحتمل ثلاثة معان:

أَحدها: أَن يعود الضمير في ﴿بَلَغُواْ﴾ على قريش، وفي ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ على الأُمم الذين من قبلهم، والمعنى: من القوة والنعم والظهور في الدنيا، قاله ابن عباس(١)، وقتادة، وابن زيد(٢).

[والثاني: أن يعود الضمير في ﴿بَلَغُواْ﴾ على الأمم المتقدمة وفي ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ على قريش، والمعنى: من الآيات والبيان والنور الذي جئتهم به.

والثالث: أن يعود الضميران على / الأمم المتقدمة، والمعنى: من شكر النعمة وجزاء المنة](٣). [٤/ ٢٣٤]

و«المِعْشَارُ»: العُشْر، ولم يأْت هذا البناءُ إِلَّا في العشرة والأَربعة، فقالوا: مِرْبَاع ومِعْشار.

وقال قوم: المِعْشَارُ: عُشْرُ العُشْر.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ليس بشيءٍ.

و«النَّكِيرُ» مصدر كالإِنكار في المعنى، وكالعديد(٤) في الوزن، وسقطت الياءُ منه تخفيفاً؛ لأَنها آخر آية.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤١٦) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٤١٦، ٤١٧).

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «والثاني بالعكس، والمعنى: من الآيات والبيان والنور الذي جئتهم به، والثالث أَن يعود الضمير على الأُمم المتقدمة».

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «كالعرين»، وفي نور العثمانية وفيض الله: «النذير».

و(كَيْفَ) تعظيم للأَمر، وليست استفهاماً مجرداً، وفي هذا تهديد لقريش، أَي: إِنهم مُعَرَّضون لنكير مثله.

ثم أَمر نبيه ﷺ أَن يدعوهم لعبادة الله، والنظر في حقيقة نُبُوَّته هو، ويعظهم بأَمر يقرب للأَفهام، فقوله: ﴿ بِوَٰحِدَةٍ ﴾ معناه: بقضية واحدة إِيجازاً لكم وتقريباً عليكم.

وقوله: ﴿ أَن ﴾ مفسرة، ويجوز أن تكون بدلاً من (وَاحِدَةٍ).

وقوله: ﴿ تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾ يحتمل أَن يريد بالطاعة والإِخلاص والعبادة، فتكون الواحدة التي وعظ بها هذه، ثم عطف عليها أن تَتَفَكَّرُوا في أَمره هو، هل به جِنَّة أَو هو بريءٌ من ذلك؟ والوقف عند أَبي حاتم ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾[(١)].

قال القاضي أبو محمد: فيجيءُ ﴿ مَا بِصَاحِبِكُم ﴾ نفياً مُستأْنفاً، وهو عند سيبويه جواب ما تنزل منزلة القَسَم؛ لأَن (تَفَكَّرَ) من الأَفعال التي تعطي التحقيق كـ: تَبَيَّن، وتكون الفكرة ـ على هذا ـ في آيات الله والإِيمان به، ويحتمل أَن يريد بقيامهم أَن يكون لوجه الله في معنى التفكير في أمر محمد ﷺ، فتكون الواحدة التي وعظ بها: أن يقوموا، والمعنى: أن تقوموا للفكرة في أَمر حاجتهم[(٢)].

وكأَن المعنى: أَن يفكر الواحد بينه وبين نفسه، ويتناظر الاثنان[(٣)] على جهة طلب التحقيق، هل بمحمد جِنَّة أم لا؟ وعلى هذا لا يوقف على الفكرة.

وقدم المثنى؛ لأَن طلب الحقائق من متعاضدين في النظر أَجرى[(٤)] من فكرة واحدٍ، فإِذا انقدح الحقُّ بين الاثنين فكَّر كل واحد منهما بعد ذلك فيزيد بصيرة، وقد قال الشاعر:

[الطويل] إِذَا اجْتَمَعُوا جَاءُوا بِكُلِّ غَرِيبَةٍ فَيَزْدَادُ بَعْضُ الْقَوْمِ من بَعْضِهِمْ عِلْماً[(٥)]

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٤/ ٣١١).

(٢) في نور العثمانية وفيض الله: «صاحبهم».

(٣) في المطبوع وأحمد٣: و«تتناظم الآيتان»، وفي الحمزوية: و«يتناظر الآيتان».

(٤) في الحمزوية وأحمد٣ والمطبوع: «أجدى».

(٥) البحر المحيط (٨/ ٥٦١)، بلا نسبة.

وقرأ يعقوب: ﴿ثم تَّفكروا﴾ بتاءٍ واحدة[١].

وقال مجاهد: ﴿بِوَاحِدَةٍ﴾ معناه: بلا إله إلَّا الله، وقيل غير هذا مما لا تعطيه الآية[٢].

وقوله: ﴿بَيْنَ يَدَىْ﴾ يترتب على أن محمداً ﷺ جاءَ في الزمان من قبل العذاب الشديد الذي تُوُعِّدُوا به.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾.

أمره الله تعالى في هذه الآية بالتَّبـرِّي من طلب الدنيا وطلب الأجر على الرسالة، وتسليم كل دنيا إِلى أَربابها، والتوكل على الله في الأَجر وجزاءِ الجدِّ[٣]، والإقرار بأَنه شهيد على كل شيءٍ من أَفعال البشر وأَقوالهم وغير ذلك.

قوله: ﴿يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾، يريد: بالوحي وآيات القرآن، واستعار له القذف من حيث كان الكفار يرمون بآياته وحكمه.

وقرأَ جمهور القراء: ﴿عَلَّامُ﴾ بالرفع، أَي: هو علَّام.

وقرأ عيسى بن عمر، وابن أَبي إِسحاق: (علّامَ) بالنصب[٤]، إِما على البدل من اسم ﴿إِنَّ﴾، أَو على المدح.

وقرأَ الأَعمش: (بالحق وهو عَلَّامُ الغُيوب)[٥].

---

(١) وهي عشرية من رواية رويس بالإدغام الكبير كما في النشر (١/ ٣٠٠)، وهي في المطبوع بتخفيف التاء، ولم أجدها.

(٢) الهداية لمكي (٩/ ٥٩٣٦).

(٣) في الحمزوية والمطبوع: «الحد».

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها لهما في مختصر الشواذ (ص: ١٢٣).

(٥) وهي شاذة، نسبها في كتاب المصاحف (ص: ١٨٢) لعبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

وقرأ عاصم: ﴿الغِيُوب﴾ بكسر الغين[١].

قوله: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ يريد: الشرعَ وأَمْرَ الله ونهْيه، وقال قوم: يعني السيف.

وقوله: ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ قالت فرقة: الباطلُ غيْرُ الحق؛ من الكذب والكفر ونحوه، استعار له الإِبداءَ والإِعادة ونفاهما عنه، كأَنه قال: وما يصنع الباطل شيئاً.

وقالت فرقة: الباطلُ: الشيطان، والمعنى: وما يفعل الباطل شيئاً مفيداً، أَي: ليس يخلق ولا يرزق.

وقالت فرقة: ﴿مَا﴾ استفهام، كأَنه قال: وأَيُّ شيءٍ يصنع الباطل؟

وقرأ جمهور النَّاس: ﴿ضَلَلْتُ﴾ بفتح اللام، ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ﴾ بكسر الضاد.

وقرأ الحسن، وابن وثاب: (ضَلِلْتُ) بكسر اللام، (أَضَلُّ) بفتح الضاد[٢]، وهي لغة بني تميم[٣].

وقوله: ﴿فَبِمَا﴾ يحتمل أن يكون بمعنى الذي، ويحتمل أَن تكون «ما» مصدرية.

و﴿قَرِيبٌ﴾ معناه: بإِحاطته وإِجابته وقدرته.

واختلف المتأولون في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ الآية:

فقال ابن عباس[٤]، والضحاك: هذا في عذاب الدنيا[٥].

---

(١) ليس كذلك فهذه رواية شعبة خاصة، وبها قرأ حمزة كذلك، والباقون بالضم، فهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٠١).

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «بفتح اللام»، ولعله خطأ.

(٣) مثله في البحر المحيط (٨/ ٥٦٤)، وهي شاذة فيهما، عزاها في (ضللت) لابن وثاب وطلحة في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٣)، ونقل لغة تميم عن أبي عمرو، وعزاها في (أضل) الكرماني في الشواذ (ص: ٣٩٢) لأبي حيوة.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٢١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٥) معاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٢٥).

ورُوي أن ابن أَبزى قال: ذلك في جيش يغزو الكعبة فيخسف بهم في بيداءَ من الأَرض، ولا ينجو إِلَّا رجلٌ من جُهينة، فيخبر الناس بما نال الجيش، وقالوا: وبسببه قيل:

.... وعِنْـدَ جُهَيْنَـةَ الْخَبـرُ الْيَقِيـنُ[1] [الوافر]

وهذا قول سعيد[2]، وروي في هذا المعنى حديث مطوَّل عن حذيفة، وذكر الطبريُّ أَنه ضعيف السَّنَد مكذوب فيه على داود[3] بن الجَرَّاح[4].

وقال قتادة: ذلك في الكفار [عند الموت[5].

وقال ابن زيد: ذلك في الكفار][6] في بدر ونحوها[7].

وقال الحسن بن أَبي الحسن: ذلك في الكفار عند خروجهم من القبور للقيامة[8].

قال القاضي أبو محمد: وهذا أَرجح الأَقوال عندي.

وأما معنى الآية فهو التعجيب من حالهم إذا فزعوا من أخذ الله إياهم ولم يتمكن لهم أن يفوت منهم أحد.

---

(١) صدره: تسائل عن حصين كلّ ركب، وهو للأخنس الجهني كما في الأمثال لابن سلام (ص: ٢٠٢)، وعيون الأخبار (١/ ٢٧٧).

(٢) الهداية لمكي (٩/ ٥٩٤٠)، وفي المطبوع: «بعيد»، وفي أحمد٣ وحاشية المطبوع: «وروي أن أبْزى».

(٣) في المطبوع: «ابن روَّاد»، وفي أحمد٣ وحاشية المطبوع: «عَلَى روَّاد بن الجَرَّاح».

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٢٢-٤٢٣) وقال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٤٨) لما أورد هذا الحديث: وقد أجاد ابن جرير في هذا الحديث هاهنا، فإنه موضوع بهذا السند، وقد أكثر ابن جرير من سياقه في أماكن من هذا التفسير، وفيه منكرات كثيرة جدًّا، ولا سيما في أول (سورة بني إسرائيل) في ذكر المسجد الأقصى، والله أعلم.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٨).

(٦) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٧) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٢١)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٥٨).

(٨) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٢٥).

وقوله: ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ معناه: أنهم للقدرة قريبٌ حيث كانوا، قيل[1] من تحت الأَقدام، وهذا يتوجه على بعض الأَقوال، والذي يعُمُّ جميعها أَن يقال: إِنَّ الأَخذ يجيئُهم من قرب في طمأْنينتهم ويعاقبها[2]، بينا الكافر يُؤَمِّل ويظُنُّ ويترجَّى إِذ غشيه الأَخَذ، ومن غشيه أَخذٌ من قريب، فلا حيلة له ولا روِيَّة.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَأُخِذُواْ﴾.

وقرأَ طلحة بن مصرِّف: (فلا فَوْتَ وَأَخْذٌ)، كأَنه قال: وحالهم[3] أخذ من مكان قريب.

[٤/ ٢٣٥] / قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾.

الضمير في قوله: ﴿بِهِۦ﴾ عائد على الله تعالى، وقيل: على محمد ﷺ وشرعه والقرآن.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وعامة القراءِ: ﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾ بضم الواو دون همز.

وقرأَ أَبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وعاصم أَيضاً: ﴿التناؤش﴾ بالهمز[4].

والأُولى معناها: التَّناول، من قولهم: ناشَ ينوشُ: إذا تناول[5]، وتناوَشَ القومُ في الحرب: إِذا تناول بعضهم بعضاً بالسلاح، ومنه قول الرَّاجز:

---

(١) في الأصل: «قبل».

(٢) سقط من المطبوع، وفي أحمد٣: «وبعقابها».

(٣) سقطت من السليمانة، وفي الأصل: «وجاء لهم»، وهي شاذة، وانظر عزوها لطلحة في مختصر الشواذ (ص: ١٢٣).

(٤) فهما سبعيتان، وعاصم الأول حفص، والثاني شعبة، انظر: التيسير (ص: ١٨١)، والسبعة (ص: ٥٣٠).

(٥) في المطبوع: «تنازل».

فَهْيَ تَنُوشُ الْحَوْضَ نَوْشاً مِن عَلَا نَوْشاً بِهِ تَقْطَعُ أَجْوَازَ الْفَلا[١] [الرجز]

فكأَنه قال: وأَنَّى لهم تناولُ مرادهم وقد بُعدوا عن مكان إِمكان ذلك.

وأَما ﴿التناؤش﴾ بالهمز فيحتمل أن يكون مما تقدم وهُمزت الواو لمَّا كانت مضمومة بضمة لازمة، كما قالوا: أُقِّتَتْ، وغير ذلك.

ويحتمل أَن يكون من الطلب، تقول: تَنَاءَشْتُ الشيءَ[٢]: إِذا طلبته من بعيد.

وقال ابن عباس: تَنَاوُش الشيءِ: رُجوعُه[٣]، حكاه عنه ابن الأَنباري، وأَنشد:

تَمَنَّى أَنْ تَؤُوبَ إِلَيْكَ مَيٌّ وَلَيْسَ إِلى تَنَاوُشِهَا سَبِيلُ[٤] [الوافر]

وكأَنه قال في الآية: وأَنَّى لهم طلب مرادهم وقد بَعُد؟

قال مجاهد: المعنى: من الآخرة إِلى الدنيا[٥].

وقرأَ الجمهور: ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ بفتح الياءِ وكسر الذَّال، على إِسناد الفعل إِليهم، أَي: يرجمون بظنونهم، ويرمون بها الرسول وكتابَ الله، وذلك غَيْبٌ عنهم، في قولهم: سحْرٌ وافتراءٌ وغير ذلك، قاله مجاهد[٦].

وقال قتادة: قذفهم بالغيب هو قولهم: لا بعث ولا جنة ولا نار[٧].

---

(١) البيت لغيلان بن حريث، كما في شرح المعلقات التسع (ص: ٢٤٤)، ومجاز القرآن (٢/ ١٥٠)، وعزاه في معجم ديوان الأدب (٤/ ٢٢)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٤٣٥) لأبي النجم، وجعله في خزانة الأدب (٩/ ٤٣٩) من أبيات سيبويه التي لا يعلم قائلها.

(٢) في نور العثمانية وفيض الله: «اتناءشت الشرَّ»، وأشار لها في حاشية المطبوع.

(٣) لم أقف عليه هكذا، ولكن جاء عند الطبري (٢٠/ ٤٢٧) وابن أبي الدنيا في الأهوال (١٠٧) والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٤) كلهم من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن أربدة التميمي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: التناوش من مكان بعيد: يسألون الرد وليس بحين رد.

(٤) الزاهر للأنباري (١/ ٢١٥)، بلا عزو، ولم أجد فيه النقل عن ابن عباس.

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٢٨)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٥٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٢٩).

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٢٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٩).

(٧) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٢٩)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٥٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٩٦).

وقرأ مجاهد: (ويُقْذَفُونَ) بضم الياءِ وفتح الذَّال[١]، على معنى: ويَرْجُمهم الوحي بما يكرهون من السماءِ.

وقوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ الآية؛ قال الحسن: معناه: من الإِيمان والتوبة والرجوع إِلى الأمانة[٢] والعمل الصالح، وذلك أَنهم اشتهوه في وقت لا تنفع فيه التوبة، وقاله أَيضاً قتادة[٣].

وقال مجاهد: معناه: حِيلَ بينهم وبين نعيم الدنيا ولذّاتها[٤].

وقيل: معناه: حِيلَ بينهم وبين الجنة ونعيمها، وهذا يتمكن جدّاً على القول بأَن الأَخْذَ والفزع المذكورين هو في يوم القيامة.

قوله: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾، الأشياع: الفِرَق المشابهة لهم، [فأشياع هؤلاء هم الكفرة][٥] من كل أُمَّة، وهو جمع شِيعَة، وشِيَع[٦].

وقوله: ﴿مِّن قَبْلُ﴾ يصلح على بعض الأَقوال المتقدمة تعلُّقه بـ﴿فُعِلَ﴾، ويصلح ـ على قول من قال: إِن الفزع هو في يوم القيامة ـ تعلقه بـ(أَشْيَاعِهِمْ)، أَي: بمن اتصف بصفتهم من قبل في الزمان الأَول؛ لأَن ما يُفعل بجميعهم إِنما هو في وقت واحد، لا يقال فيه: من قبل.

و«الشَّكُّ المُرِيبُ»: أَقوى ما يكون من الشَّكِّ وأَشَدُّه إِظلاماً، والله أعلم.

كمل بعون الله وتوفيقه تفسير (سورة سبأ)

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في المحتسب (٢/ ١٩٦).

(٢) في نور العثمانية وفيض الله: «الإنابة».

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٣٠)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٦٠) بتصرف.

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٣١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٩).

(٥) من نور العثمانية وفيض الله.

(٦) من نور العثمانية وفيض الله.

سورة فاطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة فاطر

هذه السورة مكِّيَّة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾.

الألف واللام في ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ لاستغراق الجنس على أَتَمِّ عموم؛ لأَن الحمد بالإِطلاق على الأَفعال الشريفة[١] وبالكمال هو لله، والشكر مستغرق فيه؛ لأَنه فضل من فضوله.

و﴿فَاطِرِ﴾ معناه: خالق، لكن يزيد في المعنى الانفراد بالابتداءِ لخلقها[٢]، ومنه

---

(١) في نور العثمانية وفيض الله زيادة: «بإطلاق».

(٢) في المطبوع: «لخلقتها».

قول الأَعرابي المتخاصم في البئر [عند ابن عباس][(١)]: أَنا فطرْتُهَا. أَراد: ابتدأْت حفرها، قال ابن عباس: ما كنت أَفهم معنى (فَاطِر) حتى سمعت قول الأَعرابي[(٢)].

وقرأَ الزهري: (الحمد لله فطر)[(٣)].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿جَاعِلِ﴾ بالخفض.

وقرأَت فرقة: (جَاعِلُ) بالرفع[(٤)]، على قطع الصفة.

وقرأَ خليد بن نشيط: (جَعَلَ) على صيغة الماضي (المَلَائِكَةَ) نصباً[(٥)]. فأَما على هذه القراءَة الأَخيرة فنصب قوله: (رُسُلاً) على المفعول الثاني.

وأما على القراءَتين المتقدمتين فقيل: أَراد بـ(جَاعِلِ) الاستقبالَ؛ لأَن القضاءَ في الأزل[(٦)]، وحذف التنوين منه تخفيفاً، وعمِل عَمل المستقبل في (رُسُلًا).

وقالت فرقة: (جاعِل) بمعنى المضيِّ، و(رُسُلاً) نصب بإِضمار فعل.

و﴿ رُسُلًا ﴾ معناه: بالوحي وغير ذلك من أَوامره، فجبريل وميكائيل وعزرائيل وإِسرافيل رُسُلٌ، والملائكة المتعاقبون رُسُل، والمُسدِّدون لحكام العدل رُسُل، وغير ذلك.

---

(١) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٢) في إسناده لين، أخرجه الطبري (١١/ ٢٨٣) من طريق سفيان، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) وهي شاذة، عزاها في المحتسب (٢/ ١٩٨)، والكرماني في الشواذ (ص: ٣٩٣) للضحاك، وفي البحر المحيط (٩/ ٩) له وللزهري.

(٤) وهي شاذة عزاها للحسن في المحتسب (٢/ ١٩٧).

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في: المحتسب (٢/ ١٩٧) وغيره، ولم أجد له ترجمة، وفي المطبوع: «خالد»، فإن كان فهو خالد بن نشيط أبو العريان روى عن أنس والحسن البصري روى عنه أبو إسحاق الفزاري ومروان بن معاوية، انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣/ ٣٥٥)، والثقات لابن حبان (٤/ ٢٠١)،، لكني لم أقف على نسبتها له في شيء من المصادر.

(٦) في الحمزوية: «بالأول».

وقرأ الحسن: (رُسْلاً) بسكون السِّين(١).

و﴿أُوْلِيٓ﴾ جمعٌ واحِدُه ذو، وتقول(٢): التَّقِيُّ ذو نُهية، والقوم أُولوا نُهَى.

وروي عن الحسن أنه قال في تفسير قول مريم عليها السلام: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ [مريم: ١٨]: علمت مريم أن التَّقيَّ ذو نُهية(٣).

وقوله تعالى: ﴿مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ ألفاظ معدولة من اثنين وثلاثة وأربعة، فعُدلت في حالة التنكير فتعرفت بالعدْل، فهي لا تنصرف للعدْل والتعريف، وقيل: للعَدْل والصفة، / وفائدة العدل: الدلالة على التكرار: لأن (مَثْنَى) بمنزلة قولك: اثنين اثنين. [٤/ ٢٣٦]

وقال قتادة: إن أنواع الملائكة هي هكذا، منها ما له جناحان، ومنها ما له ثلاثة، ومنها ما له أربعة، ويشذّ منها ما له أكثر من ذلك(٤).

ورُوي: أن لجبريل عليه السلام ست مئة جناح منها اثنان يبلغان من المشرق إلى المغرب.

وقالت فرقة: المعنى: إن في كل جانب من المَلك جناحين(٥)، [ولبعضهم ثلاثة في كل جانب](٦)، ولبعضهم أربعة، وإلَّا فلو كانت ثلاثة لكل واحد لما اعتدلت في معتاد ما رأينا نحن من الأجنحة، وقيل: بل هي ثلاثة لكل واحد كالحوت، والله أعلم بذلك.

وقوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُ﴾ تقدير(٧) لما يقع في النفوس من التعجب

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص: ١٢٤).

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «ومنه»، و«التقي» ليست في فيض الله.

(٣) تقدم للمؤلف في (سورة مريم) أنه من كلام أبي وائل، وعزاه في تفسير الطبري (١٨/ ١٦٤) لابن زيد، ولم أجده للحسن.

(٤) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٧٧٤)، تفسير الطبري (٢٠/ ٤٣٤).

(٥) في الأصل والحمزوية: «جناحان».

(٦) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٧) في المطبوع وأحمد٣: «تقرير».

والاستغراب عند الخبر بالملائكة أُولي الأَجنحة، أَي: ليس هذا ببدع[(١)] في قدرة الله تعالى؛ فإِنه يزيد في خلقه ما يشاءُ.

ورُوي عن الحسن، وابن شهاب أَنهما قالا: المزيد هو حسن الصوت[(٢)].

قال الهيثم الفارسي: رأَيت النبي ﷺ في النوم، فقال لي: أنت الهيثم الذي تزين القرآن بصوتك، جزاك الله خيراً[(٣)].

وقيل: الزيادة: الخطُّ الحسن، [وقال ﷺ: «الخط الحسن][(٤)] يزيد الحقَّ[(٥)] وضوحاً»[(٦)].

وقال قتادة: الزيادة: ملاحة العينين[(٧)].

قال القاضي أبو محمد: وقيل غير هذا، وإِنما ذكَر هذه الأَشياءَ مَنْ ذكرها على جهة المثال، لا أَن المقصود هي فقط، وإِنما مثلوا بأَشياءَ هي زيادات خارجة عن الغالب المعتاد الموجود كثيراً. وباقي الآية بيِّن.

قوله تعالى: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ﴾ ﴿مَّا﴾ شرطٌ، و﴿يَفۡتَحِ﴾ جزم بالشرط.

وقوله: ﴿مِن رَّحۡمَةٍ﴾ عام في كل خير يعطيه الله للعباد جماعتهم وأَفذاذهم[(٨)].

---

(١) في نور العثمانية وفيض الله: «بمدح».

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٧٠)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٦٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٣٦).

(٣) تفسير الثعلبي (٨/ ٩٨)، وفيه: «الهيثم القارئ»، وكذا في مصاعد النظر للبقاعي (١/ ٣١٩) عن ابن أبي الدنيا، والهيثم لم أعرفه.

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من المطبوع ونور العثمانية وفيض الله.

(٥) في فيض الله: «الخلق».

(٦) منكر جداً، أخرجه الخطيب في الجامع (٥٣٢) من طريق الحكم بن نافع، عن عاصم بن مهاجر، عن الحسن، عن أنس، أو عن عاصم بن المهاجر، عن أبيه، مرفوعاً، به، وفي سنده عاصم بن المهاجر، ذكره الذهبي في الميزان (٢/ ٣٥٨) وقال بعد أن أورد حديثه هذا: هذا خبر منكر.

(٧) تفسير الثعلبي (٨/ ٩٨).

(٨) في المطبوع ونور العثمانية: «أفرادهم».

وقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ فيه حذف مضاف، أَي: من بعد إِمساكه، ومن هذه الآية سَمَّتِ الصوفيةُ ما يُعطاه الصُّوفيُّ من الأَموال والمطاعم وغير ذلك: الفتوحات.

ومنها كان أَبو هريرة يقول: مُطرنا بنَوءِ الفتح، ويقرأُ الآية[١].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ الآية، خطابٌ لقريش، وهو متَّجه لكل كافر، ولا سيَّما لعُبَّادِ غير الله، وذكَّرهم تعالى بنعمة الله عليهم في خلقهم وإيجادهم، ثم استفهمهم على جهة التقرير والتوقيف بقوله: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾؟ أَي: فليس الإِله إِلَّا الخالق، لا ما تعبدون أَنتم من الأَصنام.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿غَيْرِ﴾ بالخفض نعت على اللفظ، وخبر الابتداءِ ﴿يَرۡزُقُكُم﴾ وهي قراءة أَبي جعفر، وشقيق، وابن وثاب.

وقرأَ الباقون ﴿غَيۡرُ﴾ بالرفع، وهي قراءَة شيبة ابن نصاح، وعيسى، والحسن بن أَبي الحسن[٢]، وذلك يحتمل ثلاثة أَوجه:

أحدها: النعتُ على الموضع والخبر مضمر، تقديره: في الوجود، أو في العالم.

وأَن يكون ﴿غَيۡرُ﴾ خبر الابتداءِ الذي هو في المجرور.

والرفع على الاستثناءِ، كأَنه قال: هل خالقٌ إِلَّا اللهُ؟ فجرت ﴿غَيۡرُ﴾ مجرى الفاعل الذي بعد إِلَّا.

وقوله: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يريد: بالمطر، ومن (الأرض) يريد: بالنبات.

وقوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾؛ أَي: فلأيِّ وجهٍ تصرفون عن الحق[٣].

---

(١) من بلاغات مالك، وهو معضل، أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٤٥٣) أنه بلغه أن أبا هريرة كان يقول:....فذكره.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٢)، وموافقة أبي جعفر في النشر (٢/ ٣٥١)، والحسن للجمهور في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٦٢)، والباقين في البحر المحيط (٩/ ١٣).

(٣) في فيض الله: «فلأي شيء»، وفي المطبوع: «فلا وجه تصرفون (فيه)».

ثم سلَّى نبيَّه ﷺ بما سلف من حال الرُّسل مع الأُمم.

و﴿ٱلْأُمُورُ﴾ تعم[١] جميع الموجودات المخلوقات، إلى الله مصير جميع ذلك على اختلاف أَحوالها، وفي هذا وعيد للكفار وَوْعد للنبي ﷺ.

ثم وعظَ عزَّ وجلَّ جميع العالَم وحذَّرهم غرور الدنيا بنعيمها وزُخرُفِها، الشاغلة عن المعاد الذي له يقول الإِنسان: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤]، ولا ينفعه (لَيْت) يومئذ، وحذَّر غرور الشيطان.

وقوله: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ عبارة عن جميع خبره عزَّ وجلَّ في خير وتنعيم، أَو عذاب وعقاب.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ بفتح الغين، وهو الشيطان، قاله ابن عباس[٢].

وقرأَ سماك العبدي، وأَبو حيوة: (الْغُرُورُ) بضم الغين[٣].

وذلك يحتمل أَن يكون جمع غارٍّ؛ كجالِسٍ وجُلُوس.

ويحتمل أَن يكون جمع غرٍّ، وهو مصدر غَرَّه يغُرُّه غَرّاً.

ويحتمل أَن يكون مصدراً وإِن كان شاذّاً في الأَفعال المتعدية أَن يجيءَ مصدرها على (فُعُول)، لكنه قد جاءَ: لَزِمَه لُزُوماً، ونَهَكَهُ المرضُ نُهُوكاً، فهذا مثله، وكذلك هو مصدر في قوله تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢٢]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ

(١) في الحمزوية: «تجمع».

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٩٣) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها لهما في: تفسير الثعلبي (٨/ ٩٩)، وانظر إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٤٥)، وسماك هو ابن حرب.

كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ الآية؛ يُقَوِّي قراءة من قرأ: ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ بفتح الغين.

وقوله: ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾؛ أَي: بِالمُبَايَنَةِ والمقاطعة والمخالفة له باتِّباع الشَّرع.

و«الحزْبُ»: الحاشية والصاغية.

واللام في ﴿لِيَكُونُوا۟﴾ لام الصيرورة: لأَنه لم يدعهم إِلى السعير، وإِنما اتَّفق أن صار أَمرهم عن دعائه إِلى ذلك.

و﴿ٱلسَّعِيرِ﴾: طبقة من طبقات جهنم، وهي سبع طبقات.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في موضع رفع بالابتداءِ، وهذا هو الحسن لعطف ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ عليه بعد ذلك، فهما جملتان تعادلتا.

وجوَّز بعض الناس في ﴿ٱلَّذِينَ﴾ أَن يكون بدلاً من الضمير في (يَكُونُوا).

[وجوَّز غيره أَن يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع نصب بدلاً من ﴿حِزْبَهُۥ﴾][(١)].

وجوَّز بعضهم أن يكون في موضع خفض بدلاً من ﴿أَصْحَٰبِ﴾، وهذا محتمل، غير أَن الابتداءَ أَرجح.

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ الآية توقيف، وجوابه محذوف، تقديره عند الكسائي: تذهب نفسك حسرات / عليهم[(٢)]. [٤/ ٢٣٧]

ويمكن أَن يتقدر: كمن اهتدى، ونحو هذا من التقدير، وأحسنُها ما دلَّ اللفظ بعْدُ عليه.

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٦٢).

وقرأ طلحة: (أَمَنْ زين) بغير فاءٍ[١].

وهذه الآية تسلية للنبي ﷺ عن كفر قومه، ووجب التسليم لله تعالى في إِضلال من شاءَ وهداية من شاءَ، وأَمر نبيَّه ﷺ بالإِعراض عن أمرهم، وأَلَّا يبخع نفسه أَسفاً عليهم.

وقرأ جمهور الناس[٢]: ﴿تَذْهَبْ﴾ بفتح التاءِ والهاءِ ﴿نَفْسُكَ﴾ بالرفع.

وقرأ أَبو جعفر، وقتادة، وعيسى، والأَشهب: ﴿تُذْهِبْ﴾ بضم التاءِ وكسر الهاءِ ﴿نَفْسَكَ﴾ نصباً، ورويت عن نافع[٣].

و«الحسرة»: همُّ النفس على فوات أَمر، واستشهد ابن زيد لذلك بقوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، ثم توعَّد الكفرة بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠﴾.

هذه آية احتجاج على الكفرة في إِنكارهم البعث من القبور، فدلَّهم على المثال الذي يعاينونه وهو سواءٌ مع إِحياءِ الموتَى.

و«البَلَدُ المَيِّتُ»: هو الذي لا نبت فيه، قد اغبرَّ من القحط، فإِذا أَصابه الماءُ من السحاب اخضَرَّ وأَنْبت، فتلك حياته.

---

(١) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٣٩٤)، ولم يتعرض لضبط الميم، وهي في المطبوع مشددة.

(٢) في أحمد٣: «الحسن»، وكذا المطبوع وضبطت فيه (تذهبَ) بفتح الباء، ولم نقف على قراءة بذلك.

(٣) وهي عشرية لأبي جعفر في النشر (٢/ ٣٥١)، وانظر: موافقة الباقين في البحر المحيط (٩/ ١٥).

و﴿ٱلنُّشُورُ﴾ مصدر: نشر الميت: إِذا حيِيَ، ومنه قول الأَعشى:

.... يا عَجَباً لِلْمَيِّت النَّاشِرِ[١] [السريع]

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ﴾ يحتمل ثلاثة معانٍ:

أحدها: أن يريد من كان يريد العزَّة بمغالبةٍ فَلِلّهِ العزَّة، أَي: ليست لغيره، ولا تَتِمُّ إِلَّا لَهُ، وهذا المُغالب مغلوب، ونحا إِليه مجاهد، وقال: من كان يريد العزَّة بعبادة الأَوثان[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا تمسُّك بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١].

والمعنى الثاني: مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ وطريقها القويم، ويُحب نَيْلها على وجهها، فَـللَّهِ العزَّة، أَي: بِهِ وعن أَمره، لا تُنال عزَّته إِلَّا بطاعته، ونحا إِليه قتادة[٣].

والمعنى الثالث ـ وقاله الفراءُ ـ: مَنْ كانَ يُرِيدُ علم الْعِزَّة فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ، أَي: هو المتصف بها[٤]، و﴿جَمِيعًا﴾ حال.

وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ أَي: التوحيد والتمجيد وذكر الله ونحوه.

وقرأَ الضحاك: (إِليه يُصْعَدُ) بضم الياءِ[٥].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ٱلْكَلِمُ﴾ وهو جمع كَلِمَة.

وقرأ أَبو عبد الرحمن: (الْكَلامُ)[٦].

---

(١) صدر البيت: حتى يقول الناس مما رأوا، وقد تقدم في تفسير الآية (٢٥٩) من (سورة البقرة).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٤٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٣٩) بتصرف.

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٤٤)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٦٤)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٦٤).

(٤) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٦٧)، بتصرف.

(٥) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٣٩٤).

(٦) وهي شاذة، انظرها في تفسير القرطبي (١٤/ ٣٣٠)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٩٤) لابن مسعود، وابن خالويه (ص: ١٢٤) لعلي.

و﴿الطَّيِّبُ﴾: الذي يُسْتحسن سماعه الاستحسان الشرعي.

وقال كعب الأَحبار: إن لـ: سبحان الله، والحمد لله، ولا إِله إِلَّا الله، والله أَكبر؛ لدويّاً حول العرش كدويِّ النحل، تذكِّر بصاحبها[(١)].

قوله: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ اختلف الناس في الضمير في ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾ على من يعود؟: فقالت فرقة: يعود على (العَمَل)، ثم اختلفت هذه الفرقة؛ فقال قوم: الفاعل بـ(يَرْفَعُ) هو ﴿ٱلْكَلِمُ﴾، أَي: والعمل يرفعه الكَلِمُ، وهو قول: لا إله إِلَّا الله؛ لأَنه لا يُرفع عملٌ إِلَّا بتوحيد، وقال بعضهم: الفعل مسند إِلى الله تعالى، أَي: والعمل الصالح يرفعه هو.

قال القاضي أبو محمد: وهذا أَرجح الأَقوال.

وقال ابن عباس، وشهر بن حوشب، ومجاهد، وقتادة: الضمير في ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾ عائد على ﴿ٱلْكَلِمُ﴾، أَي: إِنَّ العملَ الصالح هو يرفع الكَلِمَ[(٢)]، واختلفت عبارات أَهل هذه المقالة:

فقال بعضها: رُوي عن ابن عباس: أَن العبد إِذا ذكر الله تعالى، وقال كلاماً طيباً، وأَدَّى فرائضه، ارتفع قولُه مع عمله، وإِذا قال ولم يُؤَدِّ فرائضه رُدَّ قولُه على عمله[(٣)]، وقيل: عملُه أَوْلى به، وهذا قولٌ يردُّه معتقد أَهل الحق والسُّنَّة[(٤)]، ولا يصحُّ[(٥)] عن ابن عباس.

والحقُّ: أَن العاصي التَّارك للفرائض إِذا ذكر الله تعالى، وقال كلاماً طيِّباً فإِنه مكتوبٌ له، مُتَقَبَّلٌ منه، وله حسناته، وعليه سيئاته، والله يتقبل مِنْ كل مَن اتَّقى الشِّرك.

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٤٥).
(٢) المصدر السابق.
(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٤٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
(٤) انظر شرح النووي على مسلم (١٧/ ٥٩-٦٠).
(٥) في نور العثمانية وأحمد٣ وفيض الله: «والأَصَحُّ عن ابن عباس»، وأشار لها في حاشية المطبوع.

وأَيضاً: فإن الكَلِم الطيِّب عملٌ صالح، وإنما يستقيم قول من يقول: إن العمل هو الرَّافعُ للكَلِم؛ بأَن يُتَأَوَّل أَنَّه يزيد في رفعه وحُسْن موقعه إِذا تعاضد معه؛ كما أَن صاحب الأَعمال من صلاة وصيام وغير ذلك ـ إِذا تخلَّل أَعمالَه كَلِمٌ طيِّبٌ، وذكرُ الله ـ كانت الأَعمال أَشرف.

فيكون قوله: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ موعظةً وتذكرةً وحضّاً[(١)] على الأعمال.

وذكر الثعلبي: أَن النبي ﷺ قال: «لا يقبل الله قولاً إِلَّا بعمل، ولا عملاً إِلَّا بِنِـيَّةٍ»[(٢)].

ومعناه: قولاً يتضمن أن قائله عمِل عملاً، أَو يعمل في الآنف، وأَما الأَقوال التي هي أَعمالٌ في نفوسها ـ كالتوحيد والتسبيح ـ فمقبولةٌ على ما قدمناه.

وقرأَت فرقة: (والعَمَلَ الصالِحَ) بالنصب فيهما[(٣)].

وعلى هذه القراءة فـ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾ مُسْنَدٌ إِمَّا إلى الله تعالى، وإِمَّا إلى ﴿ٱلْكَلِمُ﴾، والضمير في ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾ عائد على العمل لا غير.

---

(١) في نور العثمانية وفيض الله: «ودعاء»، بدل: «وحضا».

(٢) منكر، أخرجه الخطيب في الجامع (٦٩٠) من طريق أبي عتبة أحمد بن الفرج، نا بقية، نا إسماعيل بن عبد الله، عن أبان، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف، أحمد بن الفرج، ضعيف الحديث، انظر ميزان الاعتدال (١/ ١٢٨)، وأبان هو: ابن أبي عياش، متروك الحديث، انظر تهذيب الكمال (٢/ ١٩)، ورواه ابن حبان في المجروحين (١/ ١٤٩-١٥٠) من حديث ابن مسعود من طريق أحمد بن الحسن بن أبان المصري، عن ابن إبرهيم بن بشار، عن ابن عيينة، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن ابن مسعود، مرفوعاً به، وأحمد بن الحسن هذا، قال فيه ابن حبان: كذاب، دجال من الدجاجلة، يضع الحديث عن الثقات وضعاً. وروي من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه رواه ابن حبان في المجروحين (١/ ٢٧٦) بإسناد فيه زكريا بن يحيى الوقار، قال فيه ابن عدي: يضع الحديث، وأخبرني بعض أصحابنا عن صالح جزرة أنه قال: ثنا أبو يحيى الوقار، وكان من الكذابين الكبار. انظر الكامل (٣/ ٢١٥).

(٣) وهي شاذة، عزاها لعيسى وابن أبي عبلة، في مختصر الشواذ (ص: ١٢٤)، وانظر: البحر المحيط (٧/ ٢٩٠).

وقوله تعالى: ﴿يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ إِمَّا أَنه عدَّى ﴿يَمۡكُرُونَ﴾ لمَّا أَحلَّه محل: يكسبون.

وإِمَّا أنه حذف المفعول وأَقام صفته مقامه، وتقديره: يمكرون المكرات السيئات.

و﴿يَمۡكُرُونَ﴾ معناه: يتخابثون ويخدعون وهم يُظهرون أَنهم لا يفعلون.

و﴿يَبُورُ﴾ معناه: يفسد ويبقى لا نفع فيه، وقال بعض المفسرين: يدخل في الآية أَهلُ الرِّياء.

قال القاضي أَبو محمد: ونزول الآية أَولاً في المشركين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ / وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١١﴾. [٤/ ٢٣٨]

هذه الآية آية تذكير بصفات الله تعالى على نحو ما تقدم، وهذه المحاورة إنما هي في أَمر الأَصنام وفي بعث[١] الأجساد من القبور، وقال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ﴾ والله تعالى خلقكم من تراب من حيث خلق آدم أَبانا منه، وقوله: ﴿ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾؛ أَي: بالتناسل من مَنِي الرجال.

و﴿أَزۡوَٰجٗا﴾ قيل: معناه: أَنواعاً، وقيل: أَراد تزويج الرجال النساءَ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ﴾ الآية؛ اختلف الناس في عود الضمير في قوله: ﴿مِنۡ عُمُرِهِۦٓ﴾:

فقال ابن عباس، وغيره ما مقتضاه أَنه عائد على ﴿مُّعَمَّرٖ﴾ الذي هو اسم جنس، والمراد: غيرُ الذي يُعَمَّر[٢]، أَي: أَن القول يتضمن شخصين، يُعمَّر أَحدهما مئة سنة أَو

---

(١) في المطبوع: «بعض».

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٤٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

نحوها، ويُنْقَص من الآخر بأَن يكون عاماً واحداً أَو نحوه، وهذا قول الضحاك، وابن زيد[١]، لكنه أَعاد الضمير إيجازاً واختصاراً، والبيان التام أَن يقول: ولا يُنْقَصُ من عمر مُعَمَّر؛ لأَن لفظ (مُعَمَّر) هي بمنزلة: ذي عُمْر.

قال القاضي أبو محمد: كأَنه قال: ولا يُعَمَّر من ذي عُمْر، ولَا يُنقص من عُمْر ذي عمر.

وقال ابن عباس أَيضاً، وأَبو مالك، وابن جبير: المراد شخص واحد، وعليه يعود الضمير[٢]، أَي: ما يُعَمَّر إِنسانٌ ولا يُنْقص من عُمره، بأَن يُحصى ما مضى منه، إِذا مرَّ حولٌ كتب ذلك، ثم حولٌ، ثم حول، فهذا هو النقص، قال ابن جبير: ما مضى من عمره فهو النقص، وما يُسْتَقْبَل فهو الذي يُعَمَّر[٣].

ورُوي عن كعب الأَحبار أَنه قال: المعنى: وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ، أَي: لا يخرم[٤] بسبب قدرة الله تعالى، ولو شاءَ لأَخر ذلك السبب[٥].

قال القاضي أبو محمد: ورُوي أَنه قال حين طُعِن عُمَرُ رضي الله عنه: لو دعا الله لزاد في أَجله، فأَنكر عليه المسلمون ذلك، وقالوا: إِنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ [الأعراف: ٣٤][٦]، فاحتجَّ بهذه الآية.

وهو قولٌ ضعيف مردودٌ، يقتضي القول بالأَجَلَيْن، وبنحوه تمسَّكت المعتزلة[٧].

---

(١) الهداية لمكي (٩/ ٥٩٦١).

(٢) تفسير الماوردي (٤/ ٤٦٥)، بتصرف، ولم أجده لابن عباس.

(٣) معاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٤٥)، والهداية (٩/ ٥٩٦١).

(٤) في الحمزوية والمطبوع وأحمد٣: «يخترم».

(٥) الهداية لمكي (٩/ ٥٩٦١)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٤٥)، بتصرف.

(٦) وتكرر في الآية (٦١) من (سورة النحل)، وانظر: معاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٤٥).

(٧) انظر نسبة القول بالأجلين للمعتزلة في: الملل والنحل لابن حزم (٣/ ٤٩).

وقرأَ الحسن، والأَعرج، وابن سيرين: (يَنْقُصُ) على بناء الفعل للفاعل، أَي: يَنْقُصُ اللهُ[١].

وقرأَ: (منْ عُمْرِهِ) بسكون الميم: الحسنُ، وداودُ[٢].

و«الكتاب» المذكور في الآية: اللَّوحُ المحفوظ.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى تحصيل هذه الأَعمار وإحصاء[٣] دقائقها وساعاتها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾.

هذه آية أُخرى يستدل بها كل عاقل، ويقطع أَنها مما لا مدخل لصنم فيه.

و﴿ٱلْبَحْرَانِ﴾ يريد بهما جميع الماءِ الملح وجميع الماءِ العذب حيث كان، فهو يعني به جملة هذا وجملة هذا.

و«الْفُراتُ»: الشديد العذوبة، و«الأُجاج»: الشديد الملوحة التي تميل إِلى المرارة من ملوحته.

قال الرماني: هو من: أَجَّجْتُ النَّار، كأَنه يحرق من حرارته[٤].

وقرأَ عيسى الثقفي: (سَيِّغٌ شَرابُهُ) بغير أَلف وبشدِّ الياءِ.

وقرأَ طلحة: (مَلِحٌ) بفتح الميم وكسر اللام[٥].

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها للحسن في: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٦٣)، وموافقة الباقين في: تفسير الثعلبي (٨/ ١٠٢).

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها للحسن في: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٦٣) ولم أقف على نسبتها لداود.

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «واختصار».

(٤) الصحاح للجوهري (٢/ ٣٢٠).

(٥) وهما شاذتان، انظر: المحتسب (٢/ ١٩٧-١٩٨).

و«اللَّحم الطري»: الحوت، وهو موجود في البحرين، وكذلك «الفُلْك» تجري في البحرين، وبقيت «الحِلْيَةُ» وهي اللُّؤْلؤ والمرجان، فقال الزَّجاج وغيره: هذه عبارة تقتضي أَن الحِلْية تخرج منهما، [وهي إِنما تخرج من الملح، وذلك تجوُّزٌ، كما قال في آية أُخرى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا]⁽¹⁾ ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢][2]، وكما قال: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، والرسل إِنما هي من الإِنس.

وقال بعض الناس: بل الحِلْية تخرج من البحرين؛ وذلك أَن صَدف اللؤلؤ إِنما يلقحه ـ فيما يزعمون ـ ماءُ النسيان[3]، فمنه ما يخرج ويوجد الجوهر فيه، ومنه ما ينشق في البحر عند موته ويقطعه فيخرج جوهره بالعطش وغير ذلك من الحيل، فهذا هو من الماءِ الفُرات، فنُسب إِليه الإِخراج لما كان من الحلية بسبب[4].

[وأيضاً: فإِن المرجان يزعم طلَّابه في البحر أنه إنما يوجد وينبت في موضع بإزائها انصباب ماء أنهار في البحر][5]، وأَيضاً: فإِن البحر الفرات كله ينصب في البحر فيجيءُ الإخراج منهما جميعاً، وقد خُطِّئَ أَبو ذُؤَيب في قوله في صفة الجوهر:

فَجَـاءَ بهـا مـا شِـئْتَ مِـنْ لَطَمِيَّـةٍ　　　عَلَـى وَجْهِهَا ماءُ الْفُـرَاتِ يَمُوجُ[6]　　　[الطويل]

وليس ذلك بخطإٍ على ما ذكرنا من تأْويل هذه الفرقة.

و﴿ٱلْفُلْكَ﴾ في هذا الموضع جمع؛ بدليل صفته بجمع.

و﴿مَوَاخِرَ﴾ جمع ماخِرَةٍ، وهي التي تمخر الماءَ، أي: تشُقُّه، وقيل: الماخرة: التي تشق

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من الحمزوية والمطبوع ونور العثمانية وفيض الله.
(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٦٦).
(٣) في الحمزوية: «البستان»، وفي المطبوع وأحمد ٣: «السماء».
(٤) في نور العثمانية وفيض الله: «سبقت» بدل «بسبب».
(٥) سقط من المطبوع.
(٦) تقدم الكلام عليه في تفسير الآية (١٥) من (سورة النحل).

الريح، وحينئذ يحدث الصوتُ، والمَخْر: الصوت الذي يحدث من جري السفينة بالريح.

وعبَّر المفسرون عن هذه بعبارات لا تختص باللفظة، فقال بعضهم: المواخر هي التي تجيءُ وتذهب بريح واحدة.

وقال مجاهد: الريح تمخر السفن، ولا تمخر الريح من السفن إِلَّا الفلك العظام، هكذا وقع لفظه في البخاري[(١)]، والصواب أَن تكون الفُلْك هي الماخرة لا الممخورة.

وقوله تعالى: ﴿لِتَبْتَغُوا﴾ يريد بالتجارة والحج والغزو وكل سفر له وجه شرعي.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا ٱسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾.

﴿يُولِجُ﴾ معناه: يُدْخِلُ، وهذه عبارة عن أَنَّ ما نقص من الليل زاد في النهار، فكأَنه دخل فيه، وكذلك / ما نقص من النهار يدخل في الليل. [٤/ ٢٣٩]

والأَلف واللام في ﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ هي للعهد، وقيل: هي زائدة لا معنى لها ولا تعريف، وهذا أَصوب.

و«الأَجل المُسَمَّى»: هو قيام الساعة، وقيل: آماد الليل وآماد النهار، فـ(أَجَلٌ) ـ على هذا ـ اسم جنس.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿تَدْعُونَ﴾ بالتاءِ، وقرأَ يعقوب والحسن بالياءِ من تحت[(٢)].

و«الْقِطْمِيرُ»: القشرة الرقيقة[(٣)] التي على نوى التمرة، هذا قول الناس الحُجَّة.

---

(١) صحيح البخاري، باب التجارة في البحر (٥/ ٢٢٨)، وتفسير الطبري (١٧/ ١٨١)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٨٢).

(٢) وهي رواية انفرد بها المبهج من طريق المعدل عن روح، انظره مع عزوها للحسن في النشر (٢/ ٣٥٢)، وليست في الدرة.

(٣) في الحمزوية، وأحمد٣ والمطبوع: «الرفيعة».

وقال جُوَيْبر[١] عن رجاله: القِطْمِير: القمع الذي في رأْس التمرة، وقاله الضحاك. والأَول أَشهر وأَصوب[٢].

ثم بيَّن تعالى أَمر الأَصنام بثلاثة أَشياءَ، كلُّها تعطي بطلانها:

أَوَّلها: أَنها لا تسمع إِن دُعيَت.

والثاني: أَنها لا تُجيب إِنْ لو سمعتْ، وإِنما جاءَ بهذا لأَن لقائل متعسف أَن يقول: عساها تسمع.

والثالث: أَنها تتبرَّأُ يوم القيامة من الكفار.

و﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾؛ أَي: بأَن جعلوهم شركاءَ لله، فأَضاف الشِّرْك إِليهم من حيث هم قرَّروه، فهو مصدر مضاف إِلى الفاعل.

وقوله: ﴿يَكْفُرُونَ﴾ يحتمل أَن يكون بكلام وعبارة يقدر الله الأَصنام عليها، ويخلق لها إِدراكاً يقتضيها، ويحتمل أَن يكون بما يظهر هنالك من جمودها وبطولها عند حركة كل ناطق، ومدافعة كل محتج، فيجيءُ هذا على طريق التجوز، كقول ذي الرمة:

[الطويل]

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعٍ لِمَيَّةَ نَاقَتِي ... تُخَاطِبُنِي آثَارُهُ وَأُخَاطِبُه
وأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبُثُّهُ ... تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُه[٣]

وهذا كثيرٌ.

وقوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ قال المفسرون: قتادة وغيره: الْخَبِير هنا: أَراد به

---

(١) هو جويبر بن سعيد أبو القاسم الأزدي البلخي، نزيل بغداد، روى عن أنس والضحاك وجماعة، وعنه سفيان الثوري ومعمر وابن المبارك وجماعة، قال أبو حاتم: ليس بالقوي، وقال النسائي: متروك الحديث، وقال ابن معين: ليس بشيء. تاريخ الإسلام (٩/ ٩٤).

(٢) انظر قول جويبر في تفسير الطبري (٢٠/ ٤٥٢)، وقول الضحاك في الدر المنثور (٧/ ١٥). وفي المطبوع وأحمد٣: «وقال الضحاك».

(٣) تقدم في تفسير الآية (١١٢) من (سورة آل عمران)، وفي المطبوع وأحمد٣: «ناطق» بدل «ناقتي».

تعالى نفسه، فهو الخبير الصادق الخَبَر، نبَّأَ بهذا فلا شكَّ في وقوعه(١).

ويحتمل أَن يكون قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ من تمام ذكر الأَصنام، كأنه قال: ولا يُخبرك مثلُ من يُخْبِر عن نفسه، [أي: لا أصدق في تبريها من شرككم منها، فيريد بالخبير على هذا المثل له، كأنه قال: ولا ينبئك مثل خبير عن نفسه](٢)، وهي قد أَخبرت عن أَنفسها بالكفر بهؤلاءِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾.

هذه آية موعظة وتذكير، والإنسان فقير إلى الله تعالى في دقائق الأُمور وجلائلها، لا يستغني عنه طرفة عين، وهو مُسْتغن عن كل أَحد، والله تعالى غني عن الناس، وعن كل شيءٍ من مخلوقاته، غني على الإطلاق.

و﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: المحمود بالإِطلاق.

وقوله تعالى: ﴿بِعَزِيزٍ﴾؛ أَي: بممتنع.

و﴿تَزِرُ﴾ معناه: تحمل، والوِزْر: الثقل، وهذه الآية في الذنوب والآثام والجرائم، قاله قتادة، وابن عباس، ومجاهد(٣).

وسببها: أَن الوليد بن المغيرة قال لقوم من المؤمنين: اكفروا بمحمد وعَلَيَّ

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٥٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٧٧). وفي نور العثمانية وفيض الله: «قال قتادة».

(٢) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٥٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر فيه قول قتادة ومجاهد، وفي تفسير الماوردي (٤/ ٤٦٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٤٩).

وِزْرُكم، فحكم الله بأَنها لا يحملها أَحد عن أحد، ومن تطرَّق من الحكَّام إِلى أَخذ قريب بقريب في جريمة ـ كفعل زياد ونحوه ـ فإِن ذلك لأَن المأْخوذ ربَّما أَعان المجرم بمؤازرة ومواصلة، أَو اطلاع على حالةٍ وتقرير لها، فهو قد أخذ من الجُرم بنصيب.

وهذا هو المعنى في قوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]، لأَنهم أَغْوَوْهم.

وهو معنى قوله ﷺ: «من سنَّ سُنَّة حسنة فله أَجرها وأَجر مَن عَمِل بها بعده، ومَن سنَّ سُنَّة سيِّئة فعليه وزرها وَوِزْر مَن عَمِلَ بها بعده»[١].

وأنثت ﴿وَازِرَةٌ﴾ لأنه ذهب بها مذهب النفس، وعلى ذلك أجريت ﴿مُثْقَلَةٌ﴾، و«الحمل»: ما كان على الظهر في الأجرام، ويستعار للمعاني كالذنوب ونحوها، فيجعل كل محمول متصلا بالظهر، كما يجعل كل اكتساب منسوباً إلى اليد.

واسم ﴿كَانَ﴾ مضمر، تقديره: ولو كان الداعي.

ثم أَخبر تعالى نبيَّه ﷺ أَنه إِنما ينذر أَهل الخشية، وهم الذين يُمنحون العلم، أَي: إِنما ينتفع بالإنذار هم، وإِلَّا فَلِنِذارة جميع العالم بَعَثَهُ.

وقوله: ﴿بِالْغَيْبِ﴾؛ أَي: وهو بحال غيبة عنه، إِنما هي رسالة، ثم خصَّص من الأَعمال إِقامة الصلاة تنبيهاً عليها وتشريفاً لها.

ثم حضَّ سبحانه وتعالى عَلَى التَّزَكِّي؛ بأَنْ رجَّى عليه غاية الترجية.

وقرأَ طلحة: (وَمَنِ ازَّكَّى فَإِنَّمَا يَزَّكَّى لِنَفْسِهِ)[٢].

ثم توعَّد تعالى بعد ذلك بقوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾.

قال القاضي أَبو محمد: وكل عبارة مُقَصِّرَةٌ عن تَبْيينِ فصاحة هذه الآية، وكذلك

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير البجلي رضي الله عنه مرفوعاً، به.

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٩٦)، ونسبها في مختصر الشواذ (ص: ١٢٤) لابن مسعود.

كتابُ الله كلِّه، ولكن يظهر الأَمر لنا نحن في مواضع أكثر منه في مواضع بحسب تقصيرنا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾.

مضمون هذه الآية طعن على الكفرة، وتمثيل لهم بالعُمْي والظلمات، وتمثيل المؤمنين ـ بإِزائهم ـ بالبصراءِ والأَنوار.

وقوله: ﴿وَلَا ٱلنُّورُ﴾ ودخول (لا) فيها وفيما بعدها إِنما هو على نيَّة التكرار، كأَنه قال: ولا الظلمات والنور، ولا النور ولا الظلمات، فاستغنى بذكر الأَوائل عن الثواني، / ودلَّ مذكور الكلام على متروكه. [٤/ ٢٤٠]

و﴿ٱلْحَرُورُ﴾: شدة حرِّ الشمس، قال رؤْبة بن العَجَّاج: الْحَرور بالليل، والسَّموم بالنهار.

وليس كما قال، وإِنما الأَمر كما حكى الفراءُ وغيره: إِن السموم يختص بالنهار، والحرور يقال في حرِّ الليل وفي حرّ النهار(١).

وتأَول قوم (الظِّلّ) في هذه الآية: الجنة، والحرور: جهنم.

وشبه المؤمنين بالأَحياءِ، والكفرة بالأَموات، من حيث لا يفهمون الذكر ولا يُقبلون عليه، ثم ردَّ الأَمر إِلى مشيئة الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾.

وقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ تمثيل بما [يحسُّه البشر ويشاهدونه، فهم يرون أن الميت الذي في القبر لا يسمع، وأَمَّا الأَرواح فلا تَرِدُ؛ إِذ](٢) تتضمن الأحاديث

---

(١) انظر قولي رؤبة والفراء في تفسير الطبري (٢٠/ ٤٥٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٥١)، وانظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٦٩).

(٢) سقط من أحمد٣، وفي نور العثمانية وفيض الله: «فلا تقول» بدل «فلا ترد».

أَن أَرواح المؤمنين في شجر عند العرش في قناديل وغير ذلك، وأن أَرواح الكفرة في سجِّين ونحوه[١].

وفي بعض الأَخبار: أَن الأَرواح عند القبور، فربما سمعت، وكذلك أهل قليب بدر إنما سمعت أَرواحهم[٢]، وكذلك سماع الميِّت خفق النِّعال[٣]، إِنما هو بِرَدِّ روحه عليه عند لقاءِ الْمَلَكَيْن، فهذه الآية لا تعارض حديث القليب؛ لأَن الله تعالى ردَّ على أُولئك أَرواحهم في القليب ليُوَبِّخهم، وهذا على قول عُمَر وابنه عبد الله ـ وهو الصحيح: إِن رسول الله ﷺ قال: «ما أنتم بأَسمع منهم»[٤].

وأَما عائشة فمذهبها: أن رسول الله ﷺ لم يُسْمعهم، وإِنما قصد توبيخ الأَحياءِ من الكفرة، وجَعَلَتْ هذه الآية أَصلاً، واحتجت بها، فمثَّل الله تعالى في هذه الآية الكفرة بالأَشخاص التي في القبور.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (بِمُسْمِعِ مَنْ) على الإِضافة[٥].

---

(١) منقطع، أخرجه أبو داود (٢٥٢٠) وأبو يعلى (٤/ ٢١٩) وعبد الله بن أحمد في زيادات المسند (٤/ ٢١٩) وغيرهم من طريق عبد الله بن إدريس الأودي، عن محمد بن إسحاق، عن إسماعيل ابن أمية، عن أبي الزبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً به، وقد خالف الأودي كلٌّ من: إبراهيم بن سعد الزهري، كما عند أحمد (٤/ ٢١٨) ومحمد بن فضيل بن غزوان، كما في مصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ٢٤٩) وسلمة بن الفضل، كما عند الطبري (٧/ ٣٨٥) وإسماعيل بن عياش، كما عند ابن أبي عاصم في الجهاد (١٩٥) كلهم عن ابن إسحاق قال: حدثني إسماعيل بن أمية، عن أبي الزبير المكي، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً به، بدون ذكر سعيد بن جبير في السند، وهذا أولى بالصواب لاجتماعهم، وأبو الزبير مدلس، وقد عنعنه.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٧٦٠) ومسلم (٩٣٢) من حديث ابن عمر، رضي الله عنهما، مرفوعاً، به.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٧٠) من حديث أنس بن مالك، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٧٥٧) ومسلم (٢٨٧٣) من حديث أنس بن مالك، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٥) وهي شاذة، عزاها له تفسير القرطبي (١٤/ ٣٤٠)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٢٩٦) للضحاك، وابن خالويه (ص: ١٢٤) لعلي رضي الله عنه.

ثم سلَّاه بقوله: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أَي: ليس عليك غير ذلك، والهداية والإِضلال إِلى الله تعالى.

و﴿بَشِيرًا﴾ معناه: بالنعيم الدَّائم لمن آمن، و(نذيراً) معناه: من العذاب الأَليم لمن كفر.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ معناه: إِن دعوة الله تعالى قد عمَّت جميع الخَلق، وإِن كان فيهم من لم تباشره النِّذارة فهو ممّن بَلَغته؛ لأن آدم عليه السلام بُعث إلى بنيه، ثم لم تنقطع النذارة إِلى وقت محمد ﷺ، والآيات التي تتضمن أَن قريشاً لم يأْتهم نذيرٌ معناه: نذيرٌ مباشر، وما ذكره المتكلمون من فرض أَصحاب الفترات ونحوهم فإِنما ذلك بالفرض، لا أَنه توجد أُمَّة لم تعلم أَن في الأَرض دعوة إِلى عبادة الله تعالى.

ثم سلَّى نبيَّه ﷺ بما سلف من الأُمم لأَنبيائهم.

و(الْبَيِّنَات) و(الزُّبُر)، و(الْكِتَاب الْمُنِير) شيءٌ واحد، لكنه أَكَّدَ أوصافه بعضها ببعض، وذكره بجهاته، و«الزُّبُر» من: زبرْتُ الْكِتَابَ: إِذا كتبته.

ثم توعَّد قريشاً بذكره أَخذ الأُمم الكافرة.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾.

«الرُّؤْية» في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ رُؤْية القلب، وكل توقيف في القرآن على رُؤْية فهي رؤية القلب؛ لأَن الحُجَّة بها تقوم، ولكن رُؤْية القلب لا تتركَّب البتَّة إِلَّا على حاسَّة، فأَحياناً تكون بحاسة البصر، وقد تكون غيره[1]، وهذا يُعرف بحسب الشيءِ المُتكلَّم فيه.

و﴿أَنَّ﴾ سادَّة مسدَّ المفعولين اللَّذيْن للرُّؤْية، وهذا مذهب سيبويه، لأَن (أَنَّ) مع

(١) في المطبوع وأحمد٣: «عَبْرة».

ما دخلت عليه جملة، ولا يلزم ذلك في قولك: رأَيت أَو ظننت ذلك؛ لأَن قولك ذلك ليس بجملة كما هي (أَنَّ)، ومذهب الزجَّاج أَن المفعول الثاني محذوف، تقديره: أَلم تَرَ أَن اللهَ أَنزلَ منَ السماء[1] ماءً حقّاً[2].

ورجع من خطاب يذكر الغائب إِلى المتكلم بنون العظمة لأَنه أَهْيَب في العبارة.

قوله تعالى: ﴿أَلْوَٰنُهَا﴾ يحتمل أَن يريد الصُّفْرة والحُمْرة والبياض والسواد وغير ذلك، ويؤيد هذا اطِّراد ذكر هذه الأَلوان فيما بعد.

ويحتمل أَن يريد بالألوان الأَنواع، والمعتبر فيه ـ على هذا التأْويل ـ أَكثر عدداً.

و﴿جُدَدُۢ﴾ جمع جُدَّة، وهي الطريقة تكون من الأرض والجبل كالقطعة العظيمة المتصلة طولاً.

ومنه قول امرئ القيس:

كَـأَن سَـرَاتَـهُ وَجُـدَّةَ متنه كَنَائِـنُ يَجْرِي فوقهـن دَليصُ[3] [الطويل]

وحكى أَبو عبيدة في بعض كتبه أنه يقال: جُدَدٌ في جمع جديد[4]، ولا مدخل لمعنى الجديد في هذه الآية.

وقرأَ الزهري: (جَدَدٌ) بفتح الجيم[5].

وقوله: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ لَفْظَان لمعنى واحد، قال النبي ﷺ: «إِنَّ الله يُبْغض

---

(١) في المطبوع: «الماء».

(٢) الكتاب لسيبويه (٣/ ٤٠)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤٣٦).

(٣) عزاه له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٦٩)، والمعاني الكبير (١/ ٣)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٢٤٧). وفي المطبوع: «ظهره»، وفيه: «بينهن»، وكذا السليمانية، وفيها: «شدة».

(٤) نقله عنه تفسير القرطبي (١٤/ ٣٤٢)، والبحر المحيط (٩/ ٢٩)، عن صاحب اللوامح. وفي المطبوع: «في معنى جديد».

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها له في المحتسب (٢/ ١٩٨).

الشيخ الغِرْبيب»[١]، أَي الذي يخضب بالسواد.

وقدم الوصف الأَبلغ وكان حقه أن يتأَخر، وكذلك هو في المعنى، لكن[٢] كلام العرب الفصيح يأْتي كثيراً على هذا النحو.

وقوله: ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ قَبْلَهُ محذوف إِليه يعود الضمير، تقديره: والأَنعام خَلْق مختلف أَلوانه، و﴿الدوابُّ﴾ يعُم الناس والأنعام[٣]، ولكن ذُكِرَا تَنْبِيهاً منهما.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يحتمل أن[٤] يكون من الكلام الأول فيجيءُ الوقف عليه حسناً، وإِلى هذا ذهب كثير من المفسرين، ويحتمل أن يكون من الكلام الثاني، يخرج مخرج السبب، كأَنه قال: كما جاءَت القدرة في هذا كله، ﴿كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾؛ أي: المحصلون[٥] لهذه العِبرَة، الناظرون فيها.

قال القاضي أبو محمد: وقال بعض المفسرين: الْخَشْيَة: رأْس العلم[٦]، وهذه عبارة وعظية لا تثبت عند النقد، بل الصحيح المطرد أَن يقال: العِلْمُ رأْس الخشية وسبَبُها.

والذي ورد عن النبي ﷺ أَنه قال: «خشية الله رأْسُ كلِّ حكمة»[٧]، وقال: «رأْسُ

---

(١) ضعيف، أخرجه ابن عدي في كامله (٣/ ١٥٧) من طريق رشدين بن سعد، عن أبي صحر حميد ابن زياد، عن يزيد بن قسيط، عن أبي هريرة، رضي الله عنه مرفوعاً، به، وهذا إسناد ضعيف، من أجل رشدين بن سعد، متفق على تضعيفه، انظر: تهذيب الكمال (٩/ ١٩١)، ولما ترجم ابن عدي لرشدين ابن سعد، أورد حديثه هذا في مناكيره.

(٢) في نور العثمانية وفيض الله والسليمانية: «لأن».

(٣) في المطبوع: «والدواب نعم الناس».

(٤) في المطبوع: «أضن»، وهو سبق قلم.

(٥) في نور العثمانية والسليمانية وأحمد٣ وفيض الله: «المخلصون».

(٦) نقله عنه تفسير ابن عرفة (٣/ ٣٣٤)، واعترض على اعتراضه، وفي فيض الله: «نصف العلم».

(٧) ضعيف جدًّا، أخرجه ابن أبي الدنيا في الورع (١١) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٨٦) من طريق القاسم ابن هاشم السمسار، قال: حدثتنا سعيدة بنت حكامة، قالت حدثتني حكامة بنت عثمان بن دينار، عن أبيها، عن أخيه مالك بن دينار، عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً، به، وهذا إسناد =

الحكمة مخافة الله»[١]، فهذا هو الكلام المنير[٢].

وقال ابن عباس [في تفسير هذه الآية][٣]: كفى بالزهد علماً[٤].

وقال مسروق: كفى بالمرءِ علماً أَن يخشى الله[٥]، وقال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى: ١٠].

وقال النبي ﷺ: «أَعْلمكُمْ بالله أَشدكم له خشية»[٦].

وقال الربيع بن أَنس: من لم يخش الله فليس بعالم.

ويقال: إِن فاتحة الزَّبور: رأْس الحكمة خشية الله[٧].

وقال ابن مسعود: كفى بخشية الله علماً، وبالاغترار به جهلاً[٨].

= ضعيف جدًّا، في إسناده عثمان بن دينار، أورده العقيلي في الضعفاء (٣/ ٢٠٠) وقال: تروي عنه حكامة ابنته أحاديث بواطيل، ليس لها أصل، ثم قال في آخر ترجمته: أحاديث حكامة تشبه حديث القصاص، ليس لها أصول.

(١) ضعيف، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٧٠-٤٧١) من طريق بقية بن الوليد، عن عثمان ابن زفر، عن أبي عمار الأسدي، عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً، به، قال البيهقي: ضعيف. وفي سنده: أبو عمار الأسدي، قال فيه أبو حاتم: مجهول. انظر الجرح والتعديل (٩/ ٤١٣)، والراوي عنه: عثمان بن زفر، وهو الجهني، فيه جهالة. انظر تهذيب الكمال (١٩/ ٣٧٣).

(٢) في نور العثمانية وفيض الله: «المميز».

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) نقله تفسير الثعالبي (٤/ ٣٨٨)، ولم أقف عليه مسنداً.

(٥) تفسير الثعلبي (٨/ ١٠٦).

(٦) لم أقف له على إسناد، وأورده الثعلبي (٨/ ١٠٦)، وذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١٠٥٩)، وقال: غريب.

(٧) انظره بمعناه، مع قول الربيع في تفسير الماوردي (٤/ ٤٧١)، وانظر تفسير السمعاني (٤/ ٣٥٧).

(٨) منقطع، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٢٩١) من طريق القاسم بن عبد الرحمن، عن ابن مسعود رضي الله عنه به. وهذا إسناد ضعيف، القاسم، عن ابن مسعود، مرسل. انظر: جامع التحصيل (٦٢٤).

وقال مجاهد والشعبي: إنما العالم من يخشى الله[١].

و﴿ إِنَّمَا ﴾ في هذه الآية لتخصيص العلماءِ لا للحصر، وهي لفظة تصلح للحصر، وتأْتي أَيضاً دونه، وإنما يُعلم ذلك بحسب المعنى الذي جاءَت فيه، فإذا قلتَ: إِنَّما الشُّجاعُ عنترة، وقلت: إنما الله إِلهٌ واحدٌ، بان لك الفرقُ بينهما، فتأَمله.

وهذه الآية بجملتها دليل على الوحدانية والقدرة، والقصد بها إِقامة الحجة على كفار قريش.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ﴾.

قال مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير: هذه آية القُرَّاءِ[٢].

وهذا على أن ﴿يَتْلُونَ﴾ بمعنى: يقرؤون، وإن جعلناها بمعنى: يتَّبعون، صحَّ معنى الآية[٣]، وكانت في القُرَّاءِ وغيرهم ممن اتصف بأَوصاف الآية.

و﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾: هو القرآن، و«إِقامةُ الصَّلاةِ»: إِقامتها بجميع شروطها، و«النَّفَقةُ»: هي في الصدقات ووجوه البِرِّ، فالسِّرُّ من ذلك هو التطوع، والعلانية هو المفروض.

و﴿ يَرْجُونَ ﴾ جملة في موضع رفع خبر ﴿ إِنَّ ﴾.

و﴿تَبُورَ﴾ معناها: تكسد ويتعذَّر رِبْحها، ويقال: نعوذ بالله من بوار الأَيِّم[٤].

---

(١) تفسير الثعلبي (٨/ ١٠٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٦٣)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٠٦).

(٣) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «صحَّ معنى القراءة».

(٤) مجاز القرآن (٢/ ١٥٥).

واللام في ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ ﴾ متعلِّقة بفعل مضمر يقتضيه لفظ الآية، تقديره: وعدهم بأَلَّا تبور إن فعلوا ذلك كلَّه وأَطاعوه، ونحو هذا من التقدير.

وقوله: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ قالت فرقة: هو تضعيف الحسنات من العشر إِلى السبع مئة، وتوفية الأُجور ـ على هذا ـ هي المجازاة مقابلة.

وقالت فرقة: إِن التضعيف داخل في توفية الأُجور، وأَما الزيادة من فضله فهي؛ إِما النَّظرُ إِلى وجهه الكريم، وإِمَّا الشفاعة في غيرهم، كما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

و﴿غَفُورٌ﴾ معناه: متجاوز عن الذنوب ساتر لها.

و﴿شَكُورٌ﴾ معناه: مُجَازٍ عن اليسير من الطاعة، مُقَرِّب لعبده به.

ثم ثبَّت تعالى أَمر نبيِّه بقوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية.

و﴿مُصَدِّقًا﴾ حال مؤكِّدة، والذي بين يدي القرآن هو التوراة والإِنجيل.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ وعيد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾.

﴿أَوْرَثْنَا﴾ معناه: أَعطيناه فرقة بعد موت فرقة.

و«الميراث» ـ حقيقةً ومجازاً ـ إِنما يقال فيما صار لإِنسانٍ بعد موت آخر.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هنا يريد به معاني الكتاب وعلمه وأَحكامه وعقائده، فكأَن الله تعالى لما أَعطى أُمَّة محمد ﷺ [القرآن، وهو قد تضمَّن معاني الكتب المُنَزَّلة قبله، فكأَنه ورَّث أُمة محمد ﷺ][1] الكتاب الذي كان في الأُمم قبلها.

---

(١) سقط من الأصل.

و﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا﴾ يريد بهم أُمة محمد ﷺ، قاله ابن عباس وغيره[١]، وكأَن اللفظ يحتمل أَن يريد به جميع المؤمنين من كل أُمة، إِلَّا أن عبارة توريث الكتاب لم تكن إِلَّا لأُمة محمد ﷺ، والأُوَل لم يُوَرَّثوه.

و﴿ٱصۡطَفَيۡنَا﴾: اخترنا وفضلنا.

و«العِبادُ» عامٌّ في جميع العالم مُؤمنهم وكافرهم.

واختلف الناسُ في عود الضمير من قوله تعالى: ﴿فَمِنۡهُمۡ﴾:

فقال ابن عباس، وابن مسعود ما مُقتضاه: أَن الضمير عائد على ﴿ٱلَّذِينَ﴾، والأَصنافُ الثلاثة هي كلها في أُمة محمد ﷺ: فـ«الظَّالم لنفسه»: العاصي المُسْرف، و«المقتصد»: مُتَّقي الكبائر، وهو الجمهور من الأُمَّة، و«السَّابِقُ»: المُتَّقي على الإِطلاق.

وقالت هذه الفرقة: الأَصناف الثلاثة في الجنة، وقاله أَبو سعيد الخدري[٢].

والضمير في ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ عائد على الأَصناف الثلاثة، قالت عائشة: دخلوا الجنة كلهم[٣].

وقال كعب الأَحبار: استوت مناكبهم وربِّ الكعبة وتفاضلوا بأَعمالهم، وفي رواية: تحاكَّت مناكبهم.

وقال أَبو إسحاق السبيعي: أَما الذي سمعت منذ ستِّين سنة، فكلُّهم ناج[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٦٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٢) أثر ابن عباس هو الذي تقدم، وأثر ابن مسعود، أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٦٥) بإسناد فيه يزيد بن الحارث، وهو الثعلبي، ففيه جهالة. وقول أبي سعيد لم أقف عليه.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٢) من طريق: المعتمر بن سليمان حدثني أبو شعيب الصلت ابن عبد الرحمن حدثني عقبة بن صهبان الحراني قال: قلت لعائشة، قال الذهبي في تلخيص المستدرك: الصلت قال النسائي: ليس بثقة، وقال أحمد: ليس بالقوي.

(٤) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٠/ ٤٦٦). وفي المطبوع وأحمد٣: «مساكنهم» بدل «مناكبهم» الأولى.

وقال ابن مسعود: هذه الأُمة يوم القيامة أَثلاث: ثُلُث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة، وثلث يجيئون بذنوب عظام، فيقول الله: من هؤلاءِ؟، وهو أَعلم بهم، فتقول الملائكة: هم مذنبون إِلَّا أَنهم لم يشركوا، فيقول عزَّ وجلَّ: أَدخلوهم في سعة رحمتي(١).

وقالت عائشة ـ في كتاب الثعلبي ـ: «السَّابقُ»: من أَسلم قبل الهجرة، و«المقتصد»: من أَسلم بعدها، و«الظالم»: نحن(٢).

وقال الحسن: «السَّابق»: من رجحت حسناته، و«المقتصد»: من استوت بسيئاته، / و«الظالم»: من خفَّت موازينه. [٤/ ٢٤٢]

وقال سهل بن عبد الله: «السابق»: العالِمُ، و«المقتصد»: المتعلِّم، و«الظالم»: الجاهل.

وقال ذو النُّون المصري(٣): «الظَّالم»: الذَّاكرُ الله بلسانه فقط، و«المقتصد»: الذَّاكرُ بقلبه، و«السابق»: الذي لا ينساه.

وقال الأَنطاكي(٤): «الظالم»: صاحبُ الأَقوال، و«المقتصد»: صاحب الأَفعال، و«السابق»: صاحب الأَحوال(٥).

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٦٥) عن ابن حميد قال: ثنا الحكم بن بشير قال: ثنا عمرو بن قيس عن عبد الله بن عيسى، عن يزيد بن الحارث، عن شقيق أبي وائل، عن ابن مسعود رضي الله عنه به، وهذا إسناد ضعيف، من أجل ابن حميد فليس بحجة.

(٢) انظر تفسير الثعلبي (٨/ ١٠٩).

(٣) ذو النون المصري الزاهد، اسمه ثوبان بن إبراهيم، كان عالماً واعظاً فصيحاً حكيماً، مولى لقريش، أصله من النوبة، روى عن مالك، والليث، وقال الدارقطني: روى عن مالك أحاديث فيها نظر، توفي سنة (٢٤٥هـ). تاريخ الإسلام (١٨/ ٢٦٥).

(٤) هو أحمد بن عاصم الأنطاكي، أبو عبد الله الزاهد الواعظ، كتب العلم وحدث عن أبي معاوية، ومخلد بن الحسين، وآخرين، سكن دمشق مدة، وكان صاحب مواعظ وزهد، من أقران بشر الحافي، وسري السقطي. تاريخ الإسلام (١٦/ ٤٣).

(٥) انظر الأقوال الأربعة في تفسير الثعلبي (٨/ ١١١).

وروى أُسامة بن زيد: أَن النبي ﷺ قرأَ هذه الآية وقال: «كلُّهم في الجنة»(١).

وقرأَ عمر بن الخطاب هذه الآية ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفورٌ له»(٢).

وقال ﷺ: «أَنا سابق العرب، وسلمان سابق الفرس، وصُهيب سابق الروم، وبلال سابق الحبشة»(٣).

قال القاضي أبو محمد: أَراد ﷺ أَن هؤلاءِ رؤُوس السابقين.

وقال عثمان بن عفان: سابقنا أَهل جهادنا، ومقتصدنا أَهل حضرنا، وظالمنا أَهل بدونا، لا يشهدون جماعة ولا جمعة(٤).

---

(١) لم أقف عليه مرفوعاً، وإنما يُحكى هذا التفسير من قول كعب الأحبار، كما في الزهد لابن المبارك (١٥٧١).

(٢) ضعيف، أخرجه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٤٣) من طريق الفضل بن عميرة القيسي، عن ميمون بن سياه، عن أبي عثمان النهدي، قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول...فذكره، وهذا إسناد ضعيف، من أجل الفضل بن عميرة، قال العقيلي لما ترجم له في ضعفائه: لا يتابع على حديثه. ثم استنكر عليه حديثه هذا.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٣٤) والحاكم في مستدركه (٣/ ٣٨٤-٣٨٥) من طريق أبي حذيفة، عن عمارة بن زاذان، عن ثابت، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، مرفوعاً، به، وهذا إسناد ضعيف، عمارة بن زاذان هذا ضعيف الحديث، ولا سيما في روايته عن ثابت، عن أنس، فإن غالبها منكرة، كما قال الإمام أحمد، وله طريق أخرى عن أم هانئ، رضي الله عنها، رواها الطبراني في الكبير، بإسناد فيه فائد العطار، وهو متروك الحديث، وله طريق أخرى من حديث أبي أمامة، رضي الله عنه، رواه ابن أبي حاتم في علله (٢/ ٣٥٣) والطبراني في الكبير (٨/ ١٣١) من طريق عطية بن بقية، عن أبيه، قال: حدثني محمد بن زياد الألهاني، عن أبي أمامة، مرفوعاً، به، قال أبو حاتم، وأبو زرعة: هذا حديث باطل لا أصل له بهذا الإسناد.

(٤) ضعيف، أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢٣٠٨) ومن طريقه البيهقي في البعث والنشور (٦٦) قال: ثنا فرج بن فضالة، حدثني أزهر بن عبد الله الحرازي، قال: حدثني من سمع عثمان بن عفان، رضي الله عنه،... فذكره. وفرج بن فضالة ضعيف الحديث. انظر تهذيب الكمال (٢٣/ ١٥٦)، وشيخ أزهر: لا يعرف.

وقال عكرمة، والحسن، وقتادة ما مقتضاه: أَن الضمير في (مِنهُمْ) عائد على (العباد)، و«الظَّالم لنفسه»: الكافر والمنافق، و«المقتصد»: المؤمن العاصي، و«السابق»: التَّقي على الإِطلاق، قالوا: وهذه الآية نظير قوله تعالى [في سورة الواقعة][1]: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٧ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝٩ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ٧- ١٢][2].

والضمير في قوله تعالى: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ على هذا القول خاصٌّ على الفرقتين: المقتصد والسابق، والفرقة الظالمة في النار.

قالوا: وبعيد أَن يكون ممن اصْطُفي ظالمٌ كما يقتضي التأْويل الأَول.

ورُوي هذا القول عن ابن عباس[3].

وقال بعض العلماءِ: قُدِّم الظَّالم لأَنه لا يتكل إِلَّا على رحمة الله، والمقتصد هو المعتدل في أُموره، لا يُسرف في جهة من الجهات، بل يلزم الوسط، وقال عليه ﷺ: «خير الأمور أوساطها»[4].

وقالت فرقة ـ لا معنى لقولها ـ: إِن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ هم الأَنبياءُ، والظالم منهم لنفسه من وقع في صغيرة.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قولٌ مردودٌ من غير ما وجه.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾.

---

(١) من نور العثمانية وفيض الله.

(٢) انظر قولهم في تفسير الطبري (٢٠/ ٤٦٧-٤٦٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٦٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) لا يصح مرفوعاً، الحديث ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة (٤٥٥) وقال: ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد بسند مجهول، عن علي مرفوعاً به، وهو عند ابن جرير في التفسير من قول مطرف بن عبد الله. قلت: وأثر مطرف أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٤٧٩) وغيره بإسناد صحيح.

وقرأ أَبو عمران الجوني: (سبَّاقٌ بالخيرات)[١].

وقوله تعالى: ﴿ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ معناه: بأَمره ومشيئته فيمن أَحبَّ من عباده، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ إِشارة إِلى الاصطفاءِ وما يكون من الرحمة.

وقال الطبري: السُّبوق بالخيرات: هو الفضل الكبير[٢].

قال في كتاب الثعلبي: جمعهم في دخول الجنة لأَنه ميراثٌ، وَالْبَارُّ والعاقُّ سواءٌ في الميراث مع صحة النسب، فكذلك هؤلاءِ مع صحة الإِيمان[٣].

وقرأ جمهور الناس: ﴿ جَنَّٰتُ ﴾ بالرفع على البدل من ﴿ٱلۡفَضۡلُ ﴾.

وقرأ الجحدري: (جَنَّاتِ) بالنصب بفعل مضمر يُفَسِّرهُ ﴿يَدۡخُلُونَهَا ﴾.

وقرأ زِرُّ بن حُبيْش: (جنة عدن) على الإِفراد[٤].

وقرأ أَبو عمرو وحده: ﴿يُدْخَلُونها﴾ على بناءِ الفعل للمجهول، ورويت عن ابن كثير.

وقرأ الباقون: ﴿يَدۡخُلُونَهَا ﴾ بفتح الياءِ وضم الخاءِ[٥].

و«الأَساوِرُ» جمع أَسْوِرة، وأَسْوِرة جمع سُوار، بضم السين وكسرها.

وفي حرف أُبيٍّ: (أَسَاوِير)[٦]، وهو جمع أَسْوار، وقد يقال ذلك في الحليِّ، ومشهور أَسْوار أنه الجيِّد الرَّمْي من جند الفرس.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص: ١٢٤)، وفي الأصل أبو عمرو، وتقدم ذكر الجوني في (سورة الأعراف).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٧١).

(٣) تفسير الثعلبي (٨/ ١١١).

(٤) وهما شاذتان، انظرهما في الشواذ للكرماني (ص: ٣٩٦)، والأولى في مختصر الشواذ (ص: ١٢٤).

(٥) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٨٢)، وليست فيه موافقة ابن كثير لأبي عمرو لكنها في السبعة (ص: ٥٣٤).

(٦) وهي شاذة، انظر عزوها له في: إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٥٣)، والهداية لمكي (٩/ ٥٩٨١).

و﴿ يُحَلَّوْنَ ﴾ معناه: رجالا ونساءً.

وقرأ عاصم في رواية أَبي بكر، ونافعٌ: ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالنصب عطفاً على موضع أَساوِر.

وكان عاصم في رواية أَبي بكر يقرأُ: [﴿ولُولُؤاً﴾ بسكون الواو الأُولى دون همزٍ ويهمز الثانية، ورُوي عنه ضد هذا، [همز الأولى، ولا يهمز الثانية][(١)].

وقرأَ الباقون: ﴿وَلُؤْلُؤٍ﴾ بالهمز والخفض عطفاً على ﴿أَسَاوِرَ﴾][(٢)].

و«الْحَزَن» في هذه الآية عام في جميع الأَحزان، وخصَّص المفسرون في هذا الموضع:

فقال أَبو الدرداءِ: حزن أَهوال يوم القيامة وما يُصيب هنالك من ظلم نفسه من الغم والحزن[(٣)].

وقال ابن عباس: حزن جهنم[(٤)].

وقال عطية: حزن الموت[(٥)].

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) سقط من الأصل، والقراءتان بالخفض والنصب سبعيتان: النصب لنافع وعاصم بتمامه، وكذا القراءة بإبدال الهمزة الأولى لشعبة والسوسي، أو بتحقيقهما، سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٥٦)، وما أورده المصنف جزء من نص السبعة (ص: ٥٣٥)، وبقي منه عزو إبدال الهمزة الثانية بدلاً من الأولى للمعلى عن شعبة، والخفض عن عاصم للمفضل، وانظر جامع البيان (٣/ ١٣٧٨).

(٣) روي مرفوعاً ولا يصح، أخرجه البخاري في الكنى (١٣٧) والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٦) من طريق الأعمش، عن رجل، عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف، من أجل جهالة شيخ الأعمش، وقد اختلف على الأعمش فيه اختلافاً كبيراً، على ما ذكره المصدران السابقان لهما، ولا يصح منه شيء من طرقه، كما صرح به البخاري. ولفظة «يوم» من المطبوع ونور العثمانية وفيض الله.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٧٢) من طريق عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا إسناد ضعيف، عمرو بن مالك، هو النكري، فيه ضعف. انظر: تهذيب الكمال (٢٢/ ٢١١) وهامشه.

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٧٢)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٧٥).

[وقال شمر[١]: حزن معيشة الدنيا: الخبز ونحوه][٢].

وقال قتادة: حزن الدنيا في الخوف أَلَّا تُتقبَّل أَعمالهم[٣].

وقيل غير هذا ممَّا هو جزءٌ من الحزن.

قال القاضي أبو محمد: ولا معنى لتخصيص شيءٍ من هذه الأَحزان؛ لأَن الحزن أَجمع قد ذهب عنهم.

وقولهم: ﴿لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ وصفوه بأَنه تعالى يغفر الذنوب، ويجازي على القليل من الأَعمال الصالحة بالكثير من الثواب، وهذا هو شكره لا ربَّ سواه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿ٱلْمُقَامَةِ﴾: الإِقامة، من: أَقام، والمَقَامة بفتح الميم: القيام، وهي من: قام.

و﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾: الجنَّة.

و«النَّصَبُ»: تعب البدن.

و«اللُّغُوب»: تعب النفس اللازم عن تعب البدن، وقال قتادة: اللُّغوب: الوجع[٤].

---

(١) في الحمزوية: «سمن»، وهو شمر بن عطية الكاهلي الكوفي، روى عن أبي وائل، وزر بن حبيش، وشهر بن حوشب، وعنه الأعمش، وفطر بن خليفة، وقيس بن الربيع، وجماعة، وكان عثمانياً، وثقه النسائي. تاريخ الإسلام (٧/ ٣٨٠).

(٢) سقط من المطبوع وأحمد٣، وانظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٤٧٣)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١١٢)، وفيهما: «شمر».

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٧٣)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٧٥)، بتصرف.

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٧٥)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٧٥).

وقراءَة الجمهور: ﴿لُغُوبٌ﴾ بضم اللَّام.

وقرأ علي بن أَبي طالب، والسُّلَمي: (لَغُوبٌ) بفتح اللام[1]، أَي: شيءٌ يُعْيِينا.

ويحتمل أَن تكون مصدراً، كالوَلُوغ والوَضوءِ.

ثم أَخبر تعالى عن حال الذين كفروا معادلاً بذلك الإِخبار قبلُ عن الذين اصطفى، وهذا يؤيد تأويل من قال: إِن الثلاثة الأَصناف هي كلُّها في الجنة؛ لأَن ذكر الكافرين إِنما جاءَ هاهنا.

وقوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ﴾ معناه: لا يُجْهَزُ؛ لأَنهم لو ماتوا لبطلت حواسهم فاستراحوا.

وقرأَ الحسن البصريُّ، والثقفيُّ: (فَيَمُوتُونَ)[2].

ووجْهُها العطف على ﴿يُقْضَىٰ﴾، وهي قراءَةٌ ضعيفة.

وقوله: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ / لا يعارضه قوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]؛ لأَن المعنى: لا يُخَفَّف عنهم نوعُ عذابهم، والنوع في نفسه يدخله أَن يخبو وأن يسعر، ونحو ذلك. [٤/ ٢٤٣]

وقرأَ جمهور القراء: [﴿نَجْزِي كُلَّ﴾ بنصب ﴿كُلَّ﴾ وبالنون في ﴿نَجْزِي﴾][3].

وقرأَ أَبو عمرٍو ونافع بخلاف: ﴿يُجْزَى﴾ بياءٍ مضمومة على الفعل المجهول، ﴿كُلُّ﴾ رفعاً[4].

و﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ يفتعلون، من الصُّراخ، أَصله: يَصْتَرِخُونَ، فأُبدلت التاءُ طاءً لقرب

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في المحتسب ٢(/ ١٩٩).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في المحتسب (٢/ ٢٠٠).

(٣) في المطبوع: «نَجْزِي» بنون، «كُلَّ» بالنصب.

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٢)، ورواها أبو حاتم عن نافع كما في الكامل للهذلي (ص: ٦٢٤). وفي نور العثمانية وفيض الله: «الفعل للمفعول».

مخرج الطاءِ من الصاد، وفي الكلام محذوف تقديره: [يقولون: ﴿رَبَّنَآ﴾، وطلبوا الرجوع إلى الدنيا في مقالتهم هذه، فالتقدير][١]: فيقال لهم: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم﴾؟ على جهة التوقيف والتوبيخ.

و﴿مَّا﴾ في قوله: ﴿مَّا يَتَذَكَّرُ﴾ ظرفية، واختلف الناس في المدة التي هي حدٌّ للتذكير:

فقال الحسن بن أَبي الحسن: البلوغ[٢]، يريد أَنه أَول حالِ التذكير.

وقال قتادة: ثمانِ عشرة سنة[٣].

وقالت فرقة: عشرون سنة[٤].

وحكى الزجاج سبع عشرة سنة[٥].

وقال ابن عباس: أَربعون سنة[٦]. وهذا قول حسن ورويت فيه آثارٌ.

ورُوي: أَن العبد إِذا بلغ أَربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان على وجهه، وقال: بأبي وجه لا يُفلح[٧].

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) تفسير الماوردي (٤/ ٤٧٦).

(٣) تفسير الثعلبي (٨/ ١١٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٥)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٦٨).

(٤) نُسب القول به لعمر بن عبد العزيز، كما في البحر المحيط (٩/ ٣٧).

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٧٢).

(٦) الأصح عن ابن عباس: ستون سنة، أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٧٧) من طريق بشر بن المفضل، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن مجاهد، قال: سمعت ابن عباس، رضي الله عنه،...فذكره بلفظ: أربعون سنة. وبشر بن المفضل خولف في متنه، خالفه كل من الثوري، وعبد الله بن إدريس، فروياه جميعاً، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن مجاهد، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: ستون سنة، رواهما الطبري (٢٠/ ٤٧٧)، وقد صحح رواية الثوري وعبد الله بن إدريس: الحافظ ابن كثير في تفسيره (٦/ ٥٥٣).

(٧) لم أقف عليه، ولفظة: «بأبي» ليست في المطبوع.

وقال مسروق بن الأَجدع: من بلغ أَربعين سنة فليأْخذ حذره من الله[١]، ومنه قول الشاعر:

إِذَا الْمَرْءُ وَفَّى الأَرْبَعِينَ وَلم يَكُن لَهُ دُونَ مَا يَأْتي حَيَاءٌ وَلَا سِتْرُ [الطويل]
فَدَعْهُ وَلَا تَنْفِسْ عَلَيْهِ الَّذي ارْتَأَى وَإِن جَرَّ أَسْبَابَ الحيَاةِ لهُ العمر[٢]

وقال قومٌ: الحدُّ خمسون، ومنه قول الشاعر:

أَخُو الْخَمْسِينَ مُجْتَمِعٌ أَشُدِّي ونَجَّذني في مُدَاوَرَةِ الشُّؤونِ[٣] [الوافر]

وقال آخر:

وإِنَّ امْرَأً قد سار خَمْسِينَ حِجَّةً إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وِرْدِهِ لَقَرِيبُ[٤] [الطويل]

وقال ابن عباس أيضا وغيره: الحدُّ في ذلك ستُّون سنة، وهي سن الإِعذار[٥].

وهذا أَيضاً قولٌ حسنٌ مُتَّجه.

وروي: أَن رسول الله ﷺ قال: «إِذا كان يوم القيامة نودي: أَين ابن السِّتِّين؟ وهو العمر الذي قال الله فيه: ﴿مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾»[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٧٧).

(٢) من أبيات لابن الأعرابي، كما في أمالي القالي (١/ ٧٨). وفي أحمد٣ والحمزوية والمطبوع: «الدَّهر».

(٣) البيت لسحيم بن وثيل، كما في الغريب لابن سلام (١/ ٣٥٤)، والكنز اللغوي (ص: ١٦١)، والكامل للمبرد (٢/ ٨١)، ونجذني: حنكني. وفي المطبوع: «ونجدٌ في».

(٤) البيت لأبي محمد التيمي، كما في البيان والتبيين (٣/ ١٣٣)، وعيون الأخبار (٢/ ٣٤٧). وفي أحمد٣ والمطبوع: «عاش».

(٥) صحيح، أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٧٧) من طريق كل من سفيان الثوري، وعبد الله بن إدريس، كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا إسناد صحيح، وقد سبق قريباً، وفي الأصل: «من الإعذار».

(٦) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٧٧) والبيهقي في الشعب (٧/ ٢٦٤) من طريق إبراهيم بن الفضل المخزومي، عن ابن أبي حسين، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً، وهذا إسناد ضعيف، وإبراهيم متفق على تضعيفه. انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٥٢).

وقال عليه السلام: «من عمَّره الله ستين سنة فقد أعذر إليه في العمر»[١].

وقرأ جمهور الناس: ﴿مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾.

وقرأ الأعمش: (ما يذكر فيه من أذكر)[٢].

و﴿ٱلنَّذِيرُ﴾ في قول الجمهور: الأنبياءُ، كل نبيٍّ نذير أُمته ومعاصريه، ومحمد ﷺ نذير العالَم في غابر الزمن.

وقال الطبريُّ: وقيل: النذيرُ الشَّيْبُ[٣].

وهو قول حسن إِلَّا أَن الحُجَّة إِنما تقوم بالنِّذراة الشرعية.

وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾.

هذا ابتداءُ تذكير بالله تعالى، ودلالة[٤] على وحدانيته وصفاته التي لا تُبْتَغى الأُلوهية إِلَّا معها.

و«الغَيْبُ»: ما غاب عن البشر.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، بلفظ: «أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة».

(٢) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٢٤).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٧٨).

(٤) في المطبوع: «ودلائل».

و«ذاتُ الصُّدورِ»: ما فيها من المعتقدات والمعاني، ومنه [قول أَبي بكر: ذو بطن بنت خارجة][(١)]، ومنه قول العرب: الذئب مغبوط بذي بطنه[(٢)]؛ أَي بالنفخ الذي فيه، فمن رآه ظنَّه شابعاً[(٣)] قريب عهد بأَكل.

و﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ جمع خليفة؛ كسفينة وسفائن، ومدينة ومدائن.

وقوله تعالى: ﴿فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥ﴾ فيه حذف مضاف، تقديره: فعليه وبال كفره وضرره.

و«الْمَقْتُ»: احتقارك الإِنسان من أَجل معصيته، [أو ذنبه][(٤)] الذي يأْتيه، فإِذا احتقرت تعسُّفاً منك فلا يُسمى مقتاً.

و«الْخَسَار» مصدر: خسِر [الرجل يخسر، أَي: خسروا آخرتهم ومعادهم بأَن صاروا إِلى النار والعذاب.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ﴾ الآية، احتجاج على الكفار في بطلان أمر أَصنامهم، وقفَهم النبي ﷺ ـ بأَمر ربه ـ على [أصنامهم وطلب منهم أن يعرضوا عليه الشيء الذي خلقته آلهتهم لتقوم][(٥)] حجتهم التي يزعمون أنها حقٌّ، ثم وَقَفَهم ـ مع اتضاح عجزهم عن خلق شيءٍ ـ على السماوات، هل لهم فيها شِرْك؟ وظاهرٌ أَيضاً بُعْدُ هذا.

ثم وَقَفَهم هلْ عندهم كتاب من الله تعالى ليُبَيِّن لهم فيه ما قالوه؟ أَي: ليس ذلك كله عندهم، ثم أَضرب بعد هذا الجحد المقدَّر فقال: إِنما يَعِدون أَنفسهم غروراً.

و﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ تتنزَّل عند سيبويه منزلة: أَخبروني[(٦)]، ولذلك لا تحتاج إلى مفعولين.

---

(١) سقط من الأصل، وهو صحيح، أخرجه مالك في الموطأ (٢٧٨٣) من طريق ابن شهاب عن عروة عن عائشة، عن أبي بكر رضي الله عنه.

(٢) المخصص لابن سيده (٤/ ١٤٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥/ ٣٦).

(٣) في المطبوع: «سابغاً».

(٤) في المطبوع: «أو بغضه لدينه»، وفي أحمد٣: «بغضه لذنبه».

(٥) سقط من أحمد٣ والمطبوع.

(٦) معاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٦٣).

وأَضاف الشركاءَ إِليهم من حيث جعلوهم شركاءَ لله، أَي: ليس للأَصنام شركة بوجه إِلَّا بقولكم، فالواجب إِضافتها إِليكم، و﴿تَدۡعُونَ﴾ معناه: تعبدون.

والرُّؤْية في قوله: ﴿أَرُونِي﴾ رؤْية بصر.

و«الشِّرْكُ»: الشَّركة، مصدر أَيضاً.

وقرأَ نافع، وابن عامر، والكسائي، وأَبو بكر عن عاصم: ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ بالجمع.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وحمزة، والأَعمش، وابن وثاب، ونافع بخلاف عنه: ﴿بَيِّنَتٍ﴾ بالإِفراد، والمراد به الجمع[(١)].

ويحتمل أن يراد به الإِفراد، كما تقول: أنا من هذا الأَمر على واضحة، أَو على جلِيَّة.

و«الغُرُورُ» الذي كانوا يتعاطونه قولهم: إِنَّ الأَصنام تُقَرِّب من الله زُلفى، ونحوه ممَّا يغبطهم[(٢)].

ولمَّا ذكر الله تعالى ما يُبيِّن فساد أَمر الأَصنام، ووقف على الحُجَّة على بُطلانها، عقَّب ذلك بذكر عظمته وقدرته، ليتبَيَّن الشيءُ بضده، وتتأَكد حقارة الأَصنام بذكر عظمة الله تعالى، فأَخبر عن إِمساكه السماوات والأَرض بالقدرة.

[٤/ ٢٤٤] وقوله: / ﴿أَن تَزُولَا﴾ معناه: كراهةَ أن تزولا، [أي: لئلا تزولا][(٣)]، ومعنى الزوال هنا التنَقُّلُ من مكانها، والسقوط من عُلُوِّهَا.

وقال بعض المفسرين: معناه: أن تزولا عن الدوران، ويظهر من قول عبد الله بن مسعود أَن السماءَ لا تدور وإِنما تجري فيها الكواكب، وذلك أَن الطبري أَسند أَن

(١) وهما سبعيتان، وبقي عليه حفص في الثانية، انظر التيسير (ص: ١٨٢)، وانظر موافقة الأعمش في الإتحاف للدمياطي (ص: ٤٦٤)، وابن وثاب في البحر المحيط (٩/ ٣٩)، وما نسبه لنافع من قراءة الإفراد في (بينة) لم أقف عليه.

(٢) في الحمزوية: «يعبطهم»، وفي المطبوع: «يغيظهم».

(٣) سقط من الأصل.

جُندباً البَجَليَّ(١) رحل إِلى كعب الأَحبار ثم رجع، فقال له عبد الله بن مسعود: حدِّثنا ما حدَّثك، فقال: حدثني أن السماءَ في قطب كقطب الرَّحى، والقطب عمود على منكب ملَك، فقال له عبد الله بن مسعود: لوددت أنك افتديت رحلتك بمثل راحلتك ورَحْلك، ثم قال: ما تربكت(٢) اليهودية في قلب عبد فكادت أن تفارقه، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ وكفى بها زوالاً أن تدور، ولو دارت لكانت قد زالت(٣).

وقوله: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ قيل: أراد يوم القيامة عند طيِّ السماء ونسف الجبال، فكأَنه قال: ولئن جاءَ وقت زوالهما، وقيل: بل ذلك على جهة التوهُّم والفرض، ولئن فرضنا زوالهما، وكأَنَّه قال: ولو زالتا، قال بعضهم: ﴿لَئِنْ﴾ في هذا الموضع بمعنى: لو.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قريب من الذي قبله.

وكذا قرأَ ابن أَبي عبلة: (وَلَوْ زَالَتَا)(٤).

وقوله: ﴿مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ فيه حذف مضاف تقديره: من بعد تركه الإِمساكَ، وقالت فرقة: اتِّصافه تعالى بالحلم والغفران في هذه الآية إِنما هو إِشارة إِلى أَن السماءَ كادت تزول والأَرض كذلك لإِشراك الكفرة، فيمسكهما الله تعالى حِلْماً منه عن المشركين، وتربُّصاً ليغفر لمن آمن منهم، كما قال في آية أخرى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ﴾ [مريم: ٩٠] الآية.

---

(١) هو جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي ثم العلقي، أبو عبد الله، صحابي جليل له رواية كثيرة، وقد ينسب إلى جده فيقال: جندب بن سفيان، سكن الكوفة ثم البصرة، قدمها مع مصعب بن الزبير، وروى عنه أهل المصرين، الإصابة (١/ ٦١٣).

(٢) في الحمزوية: «سكنت»، وفي المطبوع ونور العثمانية وفيض الله: «تَنْتَكِت». وفي القاموس واللسان: ربكه: خالطه.

(٣) منقطع، أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٨٢) من طريق إبراهيم النخعي، عن جندب بن عبد الله، وابن مسعود رضي الله عنهما، به. وهذا إسناد ضعيف لإرساله، فإبراهيم لم يسمع أحداً من صحابة رسول الله ﷺ، قاله ابن المديني. انظر جامع التحصيل (١٣).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٩٧).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾.

الضمير في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟﴾ لكفار قريش، [وذلك أنه روي: أن كفار قريش][1] كانت قبل الإِسلام تأْخذ على اليهود والنصارى في تكذيب بعضهم بعضاً، وتقول: لو جاءَنا نحن رسول لكنا أَهدى من هؤلاءِ وهؤلاءِ[2].

و﴿جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ منصوب على المصدر، أَي: بغاية اجتهادهم.

و﴿إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ يريد:[3] اليهود والنصارى.

و«النُّفُور»: البُعْد عن الشيءِ والفزع منه والاستبشاع له.

و﴿ٱسْتِكْبَارًا﴾: قيل فيه: بدل من النُّفُور، وقيل: مفعول من أَجله، أَي: نَفَروا من أَجل الاستكبار.

وأَضاف ﴿ٱلْمَكْرُ﴾ إِلى ﴿ٱلسَّيِّئُ﴾ وهو صفة، كما قالوا: دار الآخرة، ومسجد الجامع، وجانب الغربي.

وقرأ الجمهور بكسر الهمزة من ﴿ٱلسَّيِّئُ﴾، [وقرأ حمزة وحده: ﴿السَّيِّءْ﴾ بسكون الهمزة][4]، وهو في الثانية يرفع الهمزة كالجماعة[5]، ولحَّنَ هذه القراءَة الزَّجاجُ[6]،

---

(١) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٠٨) من طريق أبي هلال، أنه بلغه أن قريشاً كانت تقول... فذكره معضلاً، به.

(٣) في الحمزوية والمطبوع: «يريدون».

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «وأَسكنها حمزة وحده».

(٥) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٢).

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٧٥).

وَوَجَّهَها أَبو عليٍّ الفارسي بوجوه، منها: أَن يكون قد أَسكن لتوالي الحركات[١]، كما قال:

.... قُلْتُ صاحِبْ قَوِّمِ[٢] .... [الرجز]

على أَن المُبَـرِّد روى هذا: قلتُ صاحِ قَوِّمِ[٣]، وكما قال امرؤُ القيس:

فالْيَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِثْماً مِـنَ اللَّهِ وَلا واغِـلِ[٤] [السريع]

على أَن المَبرِّد قد رواه: فاليوم فاشْرَبْ، وكما قال جرير:

سِيرُوا بَني الْعَمِّ فالأَهْوَازُ مَنْزِلُكُمْ وَنَهْرُ تِيرَى فَلَنْ تَعْرِفْكُمُ الْعَرَبُ[٥] [البسيط]

وقرأ ابن مسعود: (وَمَكْراً سَيِّئاً)[٦]، قال أَبو الفتح: يعضده تنكير ما قبله من قوله: ﴿ٱسۡتِكۡبَارًا﴾.

و﴿يَحِيقُ﴾ معناه: يُحيط ويَحِلُّ وينزل، ولا يُستعمل إِلا في المكروه.

وقوله: ﴿إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾ معناه: أَنه لا بُدَّ أَن يحيق بهم إِما في الدنيا وإِلَّا ففي الآخرة، فعاقبته الفاسدة لهم، وإِن حاق في الدنيا بغيرهم أَحياناً فعاقبة ذلك على أَهله.

وقال كعب الأَحبار[٧] لابن عباس: إِن في التوراة: من حفر حفرة لأَخيه وقع فيها، فقال ابن عباس: أَنا أُوجدك هذا في كتاب الله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾[٨].

و﴿يَنظُرُونَ﴾: معناه: ينتظرون.

و«السُّنَّةُ»: الطريقة والعادة.

---

(١) الحجة للفارسي (٦/ ٣٢).

(٢) تقدم في تفسير الآية (٥٤) من (سورة البقرة).

(٣) إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٧٨)، مع الرواية في البيت الثاني أيضاً.

(٤) تقدم في تفسير الآية (٥٤) من (سورة البقرة).

(٥) تقدم في تفسير الآية (٥٤) من (سورة البقرة).

(٦) وهي شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (٢/ ٢٠١) مع التوجيه.

(٧) من المطبوع.

(٨) لم أقف عليه مسنداً.

وقوله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا﴾؛ أَي: لتعذيبه الكفرة المكذبين، وفي هذا وعيدٌ بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ٤٥﴾.

لمَّا توعدهم تعالى في الآية قبلها بسُنَّة الأَوَّلين، وأَن الله تعالى لا يُبَدِّلها ولا يُحَوِّلها في الكفرة، وقفهم في هذه الآية على رؤْيتهم لِمَا رَأَوْا من ذلك في طريق الشام وغيره، كديار ثمود ونحوها.

و«يُعْجِزه» معناه: يفوته ويُفْلِته.

و﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِن شَيۡءٖ﴾ زائدة مؤكدة.

و﴿عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ صفتان لائقتان بهذا الموضع[1]؛ لأَن مع العلم والقدرة لا يتعذر شيءٌ.

ثم بيَّن تعالى الوجه في إِمهاله من أَمهل من عباده، إِن ذلك إِنما هو لأن الآخرة من وراءِ الجميع، وفيها يستوفي[2] جزاءَ كلِّ أَحد، ولو كان عزَّ وجلَّ يجازي على الذنوب في الدنيا لأَهلك الجميع.

وقوله تعالى: ﴿مِن دَآبَّةٖ﴾ مبالغة، والمراد بنو آدم لأَنهم المجَازَوْن، وقيل: المراد معهم[3] الجن والإِنس[4]، وقيل: كل ما دبَّ من الحيوان وأَكثره إِنما هو لمنفعة بني آدم وبسببهم.

(١) في المطبوع: «الوضع»، وفي نور العثمانية وفيض الله: «النوع».
(٢) في الأصل: «يستوي».
(٣) من المطبوع ونور العثمانية وفيض الله.
(٤) سقط من المطبوع.

والضمير في ﴿ظَهْرِها﴾ عائدٌ على الأَرض المتقدم ذكرها، ولو لم يتقدم لها ذكر لأَمكن في هذا الموضع لبيان الأَمر، ولكانت كقوله تعالى: ﴿تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، ونحوها.

و«الأَجَلُ المُسَمَّى»: يوم[1] القيامة.

[وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ توعدٌ، وفيه للمتقين وعدٌ][2].

كمل تفسير (سورة فاطر)، والحمد لله ربِّ العالمين

(١) من المطبوع، وضبب عليها في أحمد٣.

(٢) في المطبوع: «وباقي الآية توعُّدٌ»، وفيه: «وعدٌ للمؤمنين».

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة يس

/ هذه السُّورة مكِّيَّةٌ بإجماع، إِلَّا أَنَّ فرقة قالت: إِن قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾ نزلت في بني سَلِمَة من الأَنصار حين أَرادوا أَن يتركوا ديارهم وينتقلوا إِلى جوار مسجد رسول الله ﷺ، فقال لهم: «دِيَارَكُم تُكتَبْ آثَارُكم»، وكره رسول الله ﷺ أَن يُعْرُوا المدينة[1]، وعلى هذا فالآية مدنية، وليس الأَمر كذلك، وإِنما نزلت الآية بمكة، ولكنه احتج بها عليهم في المدينة، ووافقها قول النبي ﷺ في المعنى، فمِنْ هنا قال من قال: إنها نزلت في بني سلمة. [٤/ ٢٤٥]

وروى أَنس بن مالك رضي الله عنه: أَن رسول الله ﷺ قال: «إِن لكل شيءٍ قلباً، وإِن قلب القرآن يس»[2].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٧٨٨) من حديث أنس بن مالك، ومسلم (٦٦٥) من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعاً، به.

(٢) ضعيف، أخرجه الترمذي (٣١٠٦) من طريق الحسن بن صالح، عن هارون أبي حميد، عن مقاتل ابن حيان، عن قتادة، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه مرفوعاً، به، قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث حميد بن عبد الرحمن، وبالبصرة لا يعرفون من حديث قتادة إلا من هذا الوجه. وهارون أبو محمد شيخ مجهول، انتهى. ولا يصح في فضل (سورة يس) حديث.

وروت عائشة رضي الله عنها: أنه ﷺ قال: «إِنَّ في القرآن سُورة يُشفَّع قارئها[١]، ويُغْفر لمستمعها، وهي يس»[٢].

وقال يحيى بن أَبي كثير: بلغنا أَنَّه من قرأَ سورة ﴿يسٓ﴾ ليلاً لم يزل في فرح حتَّى يصبح، [وكذا في النهار][٣]. ويُصَدِّق ذلك التجربة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾.

أَمالَ حمزة والكسائي الياء في ﴿يسٓ﴾ غير مفرطين، والجمهور يفتحونها، ونافع وسط في ذلك[٤].

وقوله تعالى: ﴿يسٓ﴾ يَدْخُلُه من الأَقوال ما تقدم في الحروف المقطَّعة في أَوائل السُّور.

ويختصُّ هذا بأَقوال منها:

أَن سعيد بن جبير قال: إِنه اسم من أَسماءِ محمد ﷺ، ودليله ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٥].

وقال السيد الحميري[٦]:

[البسيط] يا نَفْسُ لا تَمْحَضي بالنُّصْح مجتهداً عَلَى المَوَدَّةِ إِلَّا آلَ يَاسِينَا[٧]

---

(١) في المطبوع: «تشفع لقارئها».

(٢) الحديث ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ١٧١) من رواية الثعلبي (٨/ ١١٩)، وفي إسناده من لم أقف له على ترجمة.

(٣) من المطبوع وأحمد٣، وانظر تفسير الثعلبي (٨/ ١١٩).

(٤) الإمالة والفتح سبعيتان، وشعبة مع حمزة، انظر التيسير (ص: ١٨٢)، والسبعة (ص: ٥٣٨)، وزاد وجهاً بالتوسط عن نافع.

(٥) تفسير الثعلبي (٨/ ١٢٠).

(٦) هو أبو هاشم إسماعيل بن محمد بن يزيد بن مفرغ الحميري، كان شاعراً محسناً، بديع القول، إلا أنه رافضي جلد، زائغ عن الحق، له مدائح جمة في أهل البيت، ويقال: إن جعفر الصادق عرفه خطأه فرجع وتاب، توفي سنة (١٧٨هـ). تاريخ الإسلام (١١/ ١٥٨).

(٧) انظر عزوه له في تفسير الثعلبي (٨/ ١٢٠)، وفيه: «جامدة»، وفي الأصل: «جاهدة».

وقال ابن عباس: معناه: يا إِنسانُ، بلسان الحبشية[١].

وقال ابن عباس أَيضاً ـ في كتاب الثعلبي ـ: هو بِلُغَة طَيِّء[٢]، وذلك أنهم يقولون: يا إِيسان، بمعنى: إِنسان، ويجمعونه على: أَياسين، فهذا منه.

وقالت فرقة: الياءُ حرف نداءٍ، والسِّين أُقيمت مقام إِنسان انتزع منه حرف فأُقيم مقامه.

ومن قال: إنه اسم من أَسماءِ السورة أَو من أسماء القرآن[٣]، فذلك مُشترك في جميع السُّوَر.

وقرأَ جمهور القراء: ﴿يسٓ﴾ و﴿نٓ﴾ بسكون النون وإِظهارها، وإِن كانت النون الساكنة تخفى مع حروف الفم فإِنَّما هذا على الانفصال، وأَن حقَّ هذه الحروف المقطعة في الأَوائل أن تظهر.

وقرأَ عاصم، وابن عامر بخلاف عنهما ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ بإِدغام النُّون في الواو على عُرف الاتصال[٤].

وقرأَ ابن أَبي إسحاق بخلافٍ بنصب النون، وهي قراءَة عيسى بن عمر، ورواها عن الغنوي[٥].

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٨٨) عن محمد بن حميد الرازي، عن أبي تميلة، عن الحسين ابن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهذا إسناد ضعيف، ابن حميد الرازي ضعيف الحديث، انظر تهذيب الكمال (٢٥/ ٩٧)، وسقط ذكر «نون» من المطبوع.

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ١٢٠)، وتسمية «ابن عباس» هنا سقطت من المطبوع وأحمد٣.

(٣) في الأصل: «السورة»، وهو تصحيف، و«من أسماء» الثانية سقطت من المطبوع وأحمد٣.

(٤) وهما سبعيتان، ورش بخلف وشعبة وابن عامر والكسائي يدغمون، والباقون بالإظهار، انظر: التيسير (ص: ١٨٢).

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في المحتسب (٢/ ٢٠٢)، ولم يذكر الغنوي، ولعله أبو سوار الذي تقدم في (سورة الفاتحة).

وقال قتادة: ﴿يسٓ﴾ قَسَمٌ[١].

وقال أَبو حاتم: قياسُ هذا القول نصب النون، كما تقول: الله لأَفعلن كذا[٢].

وقرأَ الكلبي بضمها وقال: هي بلغة طيِّىءٍ: يا إِنسان[٣].

وقرأَ أَبو السّمال، وابن أَبي إسحاق[٤] بخلاف بكسرها[٥]، وهذه الوجوه الثلاثة هي للالتقاءِ، قال أَبو الفتح: ويحتمل الرفعُ أَن يكون اجتزاءً بالسين من: يا إِنسان.

وقال الزجاج: النصب كأَنه قال: اتْلُ يس، وهو مذهب سيبويه على أَنه اسمٌ للسُّورة[٦].

و﴿يسٓ﴾ مشبهة الجملة من الكلام فلذلك عُدَّت آيةً، بخلاف ﴿طسٓ﴾ [النمل: ١]، فلم تنصرف ﴿يسٓ﴾ للعجمة والتعريف.

و﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: المُحْكَم، فيكون فعيل بمعنى: مفعول[٧]، أَي: أُحْكِمَ في مواعظه وأَوامره ونواهيه، ويحتمل أَن يكون ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ بناءَ فاعِلٍ، أَي ذو الحكمة.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يجوز أَن تكون جملة في موضع رفع على أَنها خبر بعد خبر، ويجوز أَن يكون في موضع نصب على أنها في موضع الحال من ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

و«الصِّرَاطُ»: الطريق، والمعنى: على طريق هدًى ومَهْيَع رشاد.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو: ﴿تَنْزِيلُ﴾ بالرفع على خبر الابتداءِ، وهي قراءَة أَبي جعفر، وشيبة، والحسن، والأَعرج، والأَعمش.

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٩٠).

(٢) مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٧٤٨).

(٣) تفسير السمعاني (٣/ ٣١٨).

(٤) في المطبوع: «عن ابن أبي إسحاق»، مع التنبيه على المثبت في الحاشية.

(٥) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٢٠٢).

(٦) معاني القرآن للزجاج وإعرابه (٤/ ٢٧٧).

(٧) في الأصل: «مفعل».

وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿تَنزِيلَ﴾ بالنصب على المصدر، واختلف عن عاصم، وهي قراءة طلحة، والأشهب، وعيسى بن عمر، والأعمش، بخلاف عنهما[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾.

اختلف المفسرون في قوله: ﴿مَّآ أُنذِرَ﴾[٢]:

فقال عكرمة: ﴿مَّآ﴾ بمعنى الذي، والتقدير: الشيءَ الذي أُنْذِرَه الآباءُ من النار والعذاب[٣].

ويحتمل أَن تكون ﴿مَّآ﴾ مصدرية [على هذا القول من أن الآباء أنذروا.

قال القاضي أبو محمد: فالآباء][٤] ـ على هذا كله ـ هم الأَقدمون على مرِّ الدهر.

وقوله: ﴿فَهُمْ﴾ ـ مع هذا التأْويل ـ بمعنى: فإِنَّهُمْ، دخلت الفاءُ لقطع الجملة من الجملة.

وقال قتادة: ﴿مَّآ﴾ نافية[٥]، أَي: إِن آباءَهم لم يُنْذروا، فالآباءُ ـ على هذا ـ هم القريبون منهم، وهذه الآية كقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤]، وهذه النِّذارة المنفيَّة هي نذارة المباشرة والأَمر والنهي، وإِلَّا فدعوة الله تعالى من الأَرض لم تنقطع قط.

وقوله: ﴿فَهُمْ﴾ ـ على هذا ـ الفاءُ منه واصلة بين الجملتين، ورابطة للثانية بالأُولى.

---

(١) وهما سبعيتان، وقرأ شعبة بالأولى، وحفص بالثانية، انظر التيسير (ص: ١٨٢)، والنشر (٢/ ٣٥٣).
(٢) في المطبوع: قوله تعالى: ﴿مَّآ أُنذِرَ﴾ اختلف المفسرون في «مَا».
(٣) انظر تفسير الطبري (٢٠/ ٤٩١)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٥٩٩).
(٤) في المطبوع: «أَي: ما أُنْذِرَ آباؤُهم، والآباءُ».
(٥) معاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٧٤) بتصرف.

و﴿حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ معناه: وجب العذابُ وسبق القضاءُ به، وهذا فيمن لم يؤمن مِنْ قريش، كمن قُتل ببدرٍ وغيرهم.

[٤/ ٢٤٦] وقوله تعالى: / ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ الآية؛ قال مكّيّ: هي حقيقية في أحوال الآخرة إذا دخلوا النار[١].

قال القاضي أبو محمد: وقوله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ الآية، يُضْعف هذا القول؛ لأَن بصر الكافر يوم[٢] القيامة إِنما هو حديد، يرى قُبْح حاله.

وقال الضحاك: معناه: منعناهم من النفقة في سبيل الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩][٣].

وقال ابن عباس[٤]، وابن إسحاق: الآية استعارة لحال الكفرة الذين أَرادوا محمداً ﷺ بِسُوءٍ، فجعل الله تعالى هذه [مثالاً لهم في كفِّه إياهم عن محمد ﷺ، ومنعه منه إذايته][٥] حين بيَّتوهُ[٦].

وقال عكرمة: نزلت حين أَراد أَبو جهل ضربه بالحجر العظيم، فمنعه الله تعالى منه[٧]، وفي غير ذلك من المواطن.

وقالت فرقة: الآية مستعارة المعنى من مَنْع الله إِياهم وحَوْلِهِ بينه وبينهم.

قال القاضي أبو محمد: وهذا أَرجح الأَقوال؛ لأَنه تعالى لمَّا ذكر أَنهم لا يُؤْمنون

---

(١) الهداية لمكي (٩/ ٦٠٠٤).
(٢) في المطبوع وأحمد٣: «بعد» بدل: «يوم».
(٣) انظر قوله في الهداية لمكي (٩/ ٦٠٠٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٧٥).
(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٠/ ٤٩٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.
(٥) في المطبوع وأحمد٣: «مثلًا لهم في كفِّ أَذاهم عنه».
(٦) الهداية لمكي (٩/ ٦٠٠٨)، بتصرف.
(٧) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٩٥) من طريق عكرمة، به معضلًا.

لِمَا سبق لهم في الأَزل، عقَّب ذلك بأن جعل لهم من المنع وإِحاطة الشقاوة ما حالُهم معه حال المغللين(١).

و«الغُلُّ»: ما أَحاط بالعُنُق على معنى التَّضْييق والتثبيت والتعذيب والأَسْر، ومع العُنق اليدان أَو اليد الواحدة، هذا معنى التَّغليل.

وقوله تعالى: ﴿فَهِىَ﴾ يحتمل أَن يعود على الأَغْلال، أَي: هي عريضة تبلغ بحرفها.

و﴿ٱلْأَذْقَانِ﴾ والذَّقْن: مجتَمَع اللَّحْيَيْن، فيضطر المغلول إِلى رفع وجهه نحو السماءِ، وذلك هو الإِقْمَاحُ، وهو نحو الإِقناع في الهيئة، ونحوُه ما يفعله الإِنسان والحيوان عند شرب الماءِ البارد وعند الملوحات والحموضة القوية ونحوه.

ويحتمل ـ وهو قول الطبري ـ أَن تعود ﴿هِىَ﴾ على الأَيدي ـ ولم يتقدم لها ذكر ـ لوضوح مكانها من المعنى(٢)، وذلك أَن الغُلَّ إنما يكون في العُنق مع اليدين.

ورُوي في مصحف ابن مسعود وأُبيٍّ: (إِنا جعلنا في أَيمانِهِمْ)(٣).

وفي بعضها: (في أَيديهم)(٤)، وقد ذكرنا معنى الإِقماح.

وقال قتادة: المُقْمَح: الرافعُ رأْسه.

وقال قتادة أَيضاً: ﴿مُّقْمَحُونَ﴾: مضللون(٥) عن كلِّ خير(٦).

---

(١) في الحمزوية: «المغلغلين»، وفي أحمد٣ والمطبوع: «المغلوبين».

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٩٣)، بتصرف.

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها لابن مسعود رضي الله عنه في: تفسير الطبري (٢٢/ ١٥٠)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٧٣).

(٤) وهي شاذة، أشار له في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٧٩)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٥٩) بلا عزو.

(٥) لم أقف على هذا القول لقتادة. وفي الحمزوية والمطبوع: «مغللون».

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٩٤)، والهداية (٩/ ٦٠٠٥).

وأَرَى الناسَ عليُّ بن أَبي طالب رضي الله عنه الإِقماح، فجعل يديه تحت لَحْيَيْه وأَلصقهما ورفع رأْسه[١].

وقرأَ الجمهور: ﴿سُدًّا﴾ بضم السين في الموضعين[٢].

وقرأَ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وابن مسعود، وطلحة، وابن وثَّاب، وعكرمة، والنَّخَعي، وابن كثير: ﴿سَدًّا﴾ بفتح السين[٣].

وقال أَبو عليٍّ: قال قوم: هما بمعنى واحد، أَي: حائِلاً يسُدُّ طريقهم[٤].

وقال عكرمة: ما كان مما يفعله البشر؛ فهو بالضم، وما كان خِلْقة؛ فهو بالفتح[٥].

قال القاضي أبو محمد: و«السَّدُّ»: ما سَدَّ وحالَ، ومنه قول الأَعرابي في صفة سحاب: طَلَع سُدٌّ مع انتشار الطفل[٦]، أَي: سحابٌ سدَّ الأُفق، ومنه قولهم: جرادٌ سُدٌّ، ومعنى الآية: أَن طريق الهُدى سُدَّ دونهم.

وقرأ جمهور الناس: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ بالغين منقوطة، أَي: جعلنا على أَعينهم غشاوة.

وقرأَ ابن عباس، وعكرمة، وابن يَعْمر، وعمر بن عبد العزيز، والنَّخَعي، وابن سيرين: (فأعشيناهم) بالعَيْن مهملة غير منقوطة، ورويت عن النبي ﷺ[٧]، وهي من العَشَاءِ؛ أَي: أَضعفنا أَبصارهم، والمعنى: فهم لا يُبْصرون رشداً ولا هدًى.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في المطبوع: «فيهما».

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٨٢)، والسبعة (ص: ٥٣٩).

(٤) انظر: الحجة للفارسي (٦/ ٣٧).

(٥) تفسير الماوردي (٥/ ٨).

(٦) أمالي القالي (١/ ١٧٣).

(٧) وهي شاذة انظر: المحتسب (٢/ ٢٠٣)، وأوردها الطبري (٢٠/ ٤٩٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلا إسناد، فلا تصح.

وقرأ يزيد البربري: (فأَغْشَيْتُهُم) بتاءٍ[١] دون ألف، وبالغين منقوطة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ۝١١ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ۝١٢﴾.

هذه مخاطبة لمحمد ﷺ، مُضَمَّنها تسلية عنهم، أَي: إنهم قد حتم عليهم بالكفر، فسواءٌ إِنذارك وتركه، والأَلف في قوله تعالى: ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ أَلِف التسوية؛ لأَنها ليست باستفهامٍ، بل المستَفْهِم[٢] والمستَفهَم مستويان في عِلْم ذلك.

وقرأ الجمهور: ﴿ءانذرتهم﴾ بالمدِّ.

وقرأ ابن محيصن، والزهري: (أَنْذَرْتَهُمْ) بهمزة واحدة على الخبر[٣].

و(سواء) رفع بالابتداءِ، وقوله: ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ جملة من فعلين متعادلين يُقَدَّرَان تقدير فعل واحد هو خبر الابتداءِ، كأَنه قال: وسواءٌ عليهم جميعُ فِعْلكَ، ففسّر هذا الجميع بـ: أَنْذرتهم أَمْ لم تُنْذرهم، ومثله قولهم: سواءٌ عندي قمتَ أَم قعدتَ، هكذا ذكر أَبو علي في تحقيق الخبر، [في مثل هذا، إذ من الأصول أن الابتداء هو الخبر][٤]، والخبر هو الابتداءُ[٥].

وقوله ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ ليس على جهة الحصر بـ: ﴿إِنَّمَا﴾، بل على جهة تخصيص من ينفعه الإِنذار.

---

(١) في المطبوع: «بياء»، وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٩٨)، والبربري تقدم ذكره. وفي المطبوع وأحمد٣: «اليزيدي»، وفي السليمانية: «ابن يزيد البربري».

(٢) في المطبوع: «المتفهم»، ولعله خطأ.

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في المحتسب (٢/ ٢٠٤)، والمقصود بالمد في قراءة الجمهور الاستفهام، وهم على أصولهم في الهمزتين.

(٤) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٥) انظر الحجة للفارسي (١/ ٢٦٤).

و«اتِّباعُ الذِّكْر»: هو العملُ بما في كتاب الله تعالى والاقتداءُ به، قال قتادة: الذكرُ القرآن[١].

وقوله تعالى ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ أَي: بالخلوات عند مغيب الإِنسان عن عيون البشر.

ثم قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ فوحَّد الضمير مراعاة لِلَفْظ ﴿مَنِ﴾.

و«الأَجر الكريم»: كل[٢] ما يأْخذه الأَجير مقترناً بحمدٍ على الإِحسان وتكرمة، وكذلك هي للمؤمنين الجنة.

ثم أَخبر تعالى بإِحيائه الموتى ردّاً على الكفرة، ثمَّ توعَّدهم بذكره كتب الآثار وإِحصاءَ كلِّ شيءٍ، وكلُّ ما يصنعه الإِنسان فيدخل فيما قدم ويدخل في آثاره، ولكنه تعالى ذكر الأمر من الجهتين، وليُنَبِّه على الآثار التي تبقى وتُذكر بعد الإِنسان من خيرٍ أَو شرٍّ، وإِلَّا فذلك كله داخل فيما يقدم ابن آدم.

وقال قتادة: ﴿مَا قَدَّمُوا۟﴾ معناه: من عمل، وقاله ابن زيد، ومجاهد[٣].

وقد يبقى للمرءِ أن يُسْتَنَّ / به بعد موته[٤] فيؤجر أَو يأْثم. [٤/ ٢٤٧]

ونظير هذه الآية: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥]، وقوله: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣][٥].

وقرأَت فرقة: ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ بالنصب، وقرأَ مسروق: (وَآثَارُهُمْ) بالرفع[٦].

وقال ابن عباس، وجابر بن عبد الله، وأَبو سعيد الخدري: إِن هذه الآية نزلت في

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٩٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٩).

(٢) في الأصل: «هو».

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٩٧).

(٤) في نجيبويه: «عمل يستن»، وفي الأصل: «ما يستن»، وفيهما وفي فيض الله والسليمانية: «بعده».

(٥) قد سقطت هذه الآية من المطبوع وأحمد٣.

(٦) وهي شاذة، وقرأ كذلك: (وَيُكتب)، بالياء المضمومة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٣٩٨)، والبحر المحيط (٩/ ٥٢).

بني سَلمة حين أَرادوا النّقلة إِلى جانب المسجد[١]، وقد بيَّنا ذلك في أَول السُّورة.

وقال ثابت البُنَاني: مشيتُ مع أَنس بن مالك إِلى الصلاة فأَسرعتُ فحبسني، فلما انقضت الصلاة [قال لي: مشيت مع زيد بن ثابت إِلى الصلاة فأَسرعت في مشي فحبسني، فلما انقضت الصلاة][٢]، قال: مشيت مع النبي ﷺ إلى الصلاة فأسرعت في مشي فحبسني، فلما انقضت الصلاة قال لي: «يا زيد، أَما علمتَ أن الآثار تُكْتب»؟[٣].

قال القاضي أبو محمد: فهذا احتجاج بالآية.

وقال مجاهد، وقتادة، والحسن: الآثار في هذه الآية: الخُطَا[٤].

وحكى الثعلبي عن أَنس أنه قال: الآثار: هي الخُطَا إِلى الجمعة[٥].

---

(١) صح مرفوعاً بدون ذكر الآية، أولًا: أثر ابن عباس، أخرجه ابن ماجه (٧٨٥) والطبري (٢٠/ ٤٩٨) من طريق إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، ورواية سماك عن عكرمة مضطربة.
ثانياً: حديث جابر أخرجه مسلم (٦٦٥) من حديث جابر بن عبد الله، رضي الله عنه مرفوعاً، به، ولكن لم يأت فيه ذكر نزول الآية الكريمة.
ثالثاً: حديث أبي سعيد أخرجه الترمذي (٣٥٠٦) من طريق أبي سفيان طريف السعدي، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، مرفوعاً، وهذا إسناد ضعيف، طريف السعدي متفق على تضعيفه، انظر تهذيب الكمال (١٣/ ٣٧٧).
ثم إنه خولف فيه، فقد خالفه كل من: سعيد الجريري، كما عند مسلم (٦٦٥) وداود بن أبي هند، كما عند الدارقطني في علله (١٣/ ٣٩٧) فروياه عن أبي نضرة، عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً به، قال الدراقطني: والأول ـ يعني: حديث جابر ـ أصح.

(٢) سقط من الحمزوية والمطبوع، وأحمد٣، وعليه في السليمانية تضبيب. و«في مشي» في الموضعين من الأصل.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٩٨) عن محمد بن حميد الرازي، وهو ضعيف الحديث، انظر تهذيب الكمال (٢٥/ ٩٧).

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٩٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٨١).

(٥) تفسير الثعلبي (٨/ ١٢٣).

[وقيل: الآثار: ما يبقى من ذكر العمل فيقتدى به فيكون للعامل أجر من عمل بسنته من بعده، وكذلك الوزر في سنن الشر][(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ نصب بفعل مضمر يدل عليه ﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾، كأَنه قال: وأحصينا كل شيءٍ أَحصيناه.

و«الإِمامُ»: الكتاب المقتدى به الذي هو حجَّة.

قال مجاهد، وقتادة، وابن زيد: أَراد اللَّوح المحفوظ[(٢)].

وقالت فرقة: أَراد صحف الأَعمال.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾.

«ضرب المثل»: مأْخوذ من الضرب؛ أَي المُشْبِه في النوع، كما تقول: هذا ضرب هذا، واختُلف، هل يتعدى فعل ضرب المثل إِلى مفعولين أَو إِلى واحد؟ فمن قال: إِنه يتعدى إِلى مفعوليْن؛ جعل هذه الآية (مَثَلاً) و(أَصْحَابَ) مفعوليْن لقوله: (اضْرِبْ)، ومن قال: إِنه يتعدى إِلى مفعول واحد؛ جعله (مَثَلاً)، وجعل (أَصْحَابَ) بدلاً منه. ويجوز أَن يكون المفعولُ (أَصْحَابَ)، ويكون قوله: (مَثَلاً) نصب على الحال، أَي: في حال تمثيل منك.

و﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾ على ما رُوي عن ابن عباس، والزهري وعكرمة: أَنطاكية[(٣)].

---

(١) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٩٩)، بتصرف.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (٦/ ٥٦٨) من رواية ابن إسحاق، عن ابن عباس، به معضلًا، وانظر قول الباقين في تفسير الطبري (٢٠/ ٥٠٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٨٢)، وتفسير الماوردي (٢/ ٢٧٢). و«عكرمة» ليس في المطبوع.

واختلف المفسرون في المرسلين:

فقال قتادة وغيره: كانوا من الحواريين الذين بعثهم عيسى عليه السلام حين رُفع وصُلب الذي أُلقي عليه شبهه، فافترق الحواريُّون في الآفاق، فقصَّ الله هنا قصة الذين نهضوا إلى أنطاكية(١).

وقالت فرقة: بل هؤُلاءِ أَنبياءُ مِنْ قِبَل الله تعالى.

قال القاضي أبو محمد: وهذا يرجِّحه قول الكفرة: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ فإنها محاورة إنما تقال لمن ادَّعى(٢) الرسالة من الله، والآخر محتمل.

وذكر النقاش في قصص هذه الآية شيئاً يطول، وصحَّته غير مُتيَقَّنة؛ فاختصرته.

واللازم من الآية: أن الله تعالى بعث إليها رسولين فَدَعَيا أَهل القرية إلى عبادة الله تعالى وحده وإلى الهدى والإيمان فكذبوهما، فشدَّد الله تعالى أمرهما بثالث، وقامت الحجة على أهل القرية، وآمن منهم الرجل الذي جاءَ يسعى، وقتلوه في آخر أَمره وكفروا، فأَصابتهم صيحة من السماءِ فخمدوا.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ بتشديد الزاي الأُولى، على معنى: قوَّينا وشدَّدنا، وبهذا فسَّر مجاهد وغيره(٣).

وقرأَ عاصم في رواية المفضل عن أَبي بكر: ﴿فعزَزنا﴾ بالتَّخفيف للزَّاي(٤)، على معنى: غلبناهم أمرهم.

وفي حرف ابن مسعود: (بالثالث) بأَلف ولام(٥).

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٠٠) بتصرف.

(٢) في المطبوع: «أدَّى».

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٠١)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٠)، وفي أحمد٣ والحمزوية والمطبوع: «جميع القراء».

(٤) وهما سبعيتان، الثانية لشعبة، انظر: التيسير (ص: ١٨٢)، وله وللمفضل في السبعة (ص: ٥٣٩)، الكامل للهذلي (ص: ٦٢٤).

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٧٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٨٤)، ومختصر الشواذ (ص: ١٢٥).

وهذه الأُمَّة أَنكرت النُّبوَّات بقولها: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ﴾ وراجعتهم الرُّسل بأَن رَدُّوا العلم إِلى الله، وقنعوا بعلمه، وأَعلموهم أنهم إِنما عليهم البلاغ فقط، وما عليهم من هُداهم وضلالهم، وفي هذا وعيدٌ لهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١﴾.

قال بعض المتأَوِّلين: إِن أَهل القرية أَسرعَ فيهم الجذام عند تكذيبهم المرسلين، فلذلك قالوا: ﴿إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡ﴾، وقال مقاتل: احتبس عنهم المطر فلذلك قالوه[1].

ومعناه: تشاءَمنا بكم، مأْخوذ من الحكم بالطَّير، وهو معنى متداولٌ في الأُمم، وقلَّما يستعمل (تَطَيَّرتُ) إِلَّا في الشُّؤم، وأَما حكم الطير عند مستعمليه؛ ففي التَّيمُّن وفي الشُّؤْم، والأظهر: أن تطيُّرَ هؤلاءِ إِنما كان بسبب ما دخل قريتهم من اختلاف الكلمة وافتتان الناس، وهذا على نحو تطيُّر قريش بمحمد ﷺ، وعلى نحو ما خوطب به موسى.

وقال قتادة: قالوا: إِن أَصابنا شرٌّ فإِنما هو من أَجلكم.

و﴿لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾ معناه: بالحجارة، قاله قتادة[2].

وقولهم عليهم السلام: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ معناه: حظكم وما صار إِليه[3] من خيرٍ وشرٍّ معكم، أَي: من أَفعالكم ومن تكسباتكم، ليس هو من أَجْلنا ولا بِسَبَبِنَا، بل ببغيكم وكفركم، وبهذا / فسَّر النَّاسُ. [٤/ ٢٤٨]

(١) تفسير الثعلبي (٨/ ١٢٥).
(٢) انظر القولين عن قتادة في تفسير الطبري (٢٠/ ٥٠٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٢).
(٣) في الحمزوية والسليمانية وأحمد٣ والمطبوع: «لكم»، وفي نجيبويه: «بكم».

وسُمِّي الحظ والنصيب طائراً استعارة، أَي هو مما يحصل عن النظر[(١)] في الطائر.

وكَثُرَ استعمـال هذا المعنى حتى قالت المرأَة الأَنصارية: طار لنا حين اقتُسِم المهاجرون عثمانُ بن مظعون[(٢)]، ويقول الفقهاءُ: طار لفلان في المحاصَّة كذا وكذا.

وقرأ ابن هُرمز، والحسن، وعمرو بن عبيد: (طَيْرُكُمْ معكم)[(٣)].

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وابن عامر: ﴿أَإِن﴾ بهمزتين الثانية مكسورة، على معنى: أَئِن ذُكِّرتم تتطيَّرون؟

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وابن كثير بتسهيل هذه الهمزة الثانية وردِّها ياءً ﴿أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾[(٤)].

وقرأَ الماجشون: (أَنْ) بفتح الأَلف[(٥)].

وقرأ الحسن بن أَبي الحسن: (إِنْ ذُكِّرْتُمْ) بكسر الأَلف[(٦)].

وقرأَ أَبو عمرو في بعض ما رُوي عنه، وزِرُّ بن حبيش [﴿آأن ذكرتم﴾ بمدة قبل الهمزة المفتوحة.

وقرأ زر بن حبيش][(٧)] أَيْضاً: (أَأَنْ) بهمزتين مفتوحتين[(٨)]، وشاهده قول الشاعر:

---

(١) في نور العثمانية: «التطير».

(٢) أخرجه البخاري (٦٦١٥) من حديث أم العلاء الأنصارية.

(٣) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٢٥)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٢٥).

(٤) وهما سبعيتان، وأدخل قالون وأبو عمر وهشام حسب أصولهم التي تقدمت الإشارة لها.

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (٢/ ٢٠٤).

(٦) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣٩٨).

(٧) سقط من الأصل والمطبوع وأحمد٣ والسليمانية.

(٨) عزاها لزر الكرماني في الشواذ (ص: ٣٩٨)، دون تعرض لتحقيق الهمز من عدمه، ثم إن الأولى إن كانت بتشديد الكاف فشاذة، وإلا فعشرية لأبي جعفر كما في النشر (١/ ٣٧١)، لأنه يقرأ بالإدخال، وأما أبو عمرو فلم أجد له فيها شيئاً.

[الطويل] أَأَنْ كنتَ ذَا بُرْدَيْن أَحْوَى مُرَجَّلاً فَلَسْتَ بِرَاعٍ لابنِ عَمِّكَ مَحْرَمَا[١]

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع، والأَعمش: (أَيْنَ) بسكون الياءِ (ذُكِرْتُمْ) بتخفيف الكاف، فهي (أَيْنَ) المنقولة في الظرف، وهذه قراءَة خالد، وطلحة، وقتادة، والحسن في تخفيف الكاف فقط[٢].

ثمَّ وصفهم تعالى بالإِسراف والتَّعدِّي.

وأَخبر تعالى ذكره عن حال رجل جاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ، سمع المرسلين وفهم عن الله، فجاءَ يسعى على قدميه وسمع قولهم، فلما فهمه رُوي أَنه تعقَّب أَمرهم وسَبَرَه بأن قال لهم: أَتطلبون على دعوتكم هذه أَجراً؟ قالوا: لا، فدعا عند ذلك قومه إِلى اتباعهم [والإِيمان بهم][٣] إِذ هو الحق، ثم احتجَّ عليهم بقوله: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾، أَي: وهم على هدًى من الله.

قال القاضي أبو محمد: وهذه الآية حاكمة بنقص من يأْخذ أُجرة[٤] على شيءٍ من أَفعال الشرع التي هي لازمة له كالصلاة ونحوها[٥]، فإِنها كالتبليغ لمن بعث، بخلاف ما لا يلزمه كالإمارة والقضاءِ[٦]، وقد ارتزق أَبو بكر الصديق رضي الله عنه[٧].

---

(١) البيت لعمرو بن العاص، كما في سيرة ابن اسحاق (ص: ١٦٩)، وهو في الأغاني (٩/ ٧٢)، وعيون الأخبار (١/ ١٥)، ونسب قريش (ص: ٣٢٢)، بلفظ: «وإن كنت»، وفي أنساب الأشراف (١/ ٢٣٣): «إذا كنت».

(٢) الأولى شاذة، انظر عزوها للأعمش في مختصر الشواذ (ص: ١٢٥)، وأما الثانية، فهي عشرية لأبي جعفر، انظر: النشر (٢/ ٣٥٣).

(٣) سقط من الأصل.

(٤) سقط من الأصل.

(٥) انظر هذا المعنى في بدائع الصنائع (٤/ ١٩١)، وحاشية ابن عابدين (٥/ ٣٤)، ومغني المحتاج (٢/ ٣٤٤).

(٦) لأنه رزق من بيت المال أو الوقف وهو جائز الأخذ، انظر: المغني (٣/ ٢٣١).

(٧) أخرج ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٨٤) قال: أخبرنا مسلم بن إبراهيم قال أخبرنا هشام الدستوائي قال أخبرنا عطاء بن السائب قال: لما استخلف أبو بكر أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبته أثواب =

ورُوي عن أَبي مجلز، وكعب الأَحبار، وابن عباس: أَن اسم هذا الرجل حبيب، وكان نجاراً[(١)].

وكان ـ فيما قال وهب بن مُنَبِّه ـ قد تجذَّم، وقيل: كان في غار يعبد ربَّه[(٢)].

وقال ابن أَبي ليلى: سُبَّاق الأُمم ثلاثة لم يكفروا بالله قطُّ طرفة عين: علي بن أبي طالب، وصاحب يس، ومؤمن آل فرعون[(٣)].

وذكر الناسُ في أَسماءِ الرسل: صادق ومصدوق وشلوم، وغير هذا، والصِّحَّة معدومة، فاختصرتُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾.

قرأَ الجمهور: ﴿وَمَا لِيَ﴾ بفتح الياءِ، وقرأَ الأَعمش، وحمزة بسكون الياءِ[(٤)]، وقد تقدم مثل هذا.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ﴾ تقرير لهم ـ على جهة التوبيخ ـ في هذا الأَمر الذي يشهد العقل بصحته، إِنَّ من فَطَر واخترع وأَخرج من العدم إِلى الوجود فهو الذي يستحق أَن

= يتجر بها فلقيه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فقالا له: أين تريد يا خليفة رسول الله؟ قال: السوق، قالا: تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين؟ قال: فمن: أين أطعم عيالي؟ قالا له: انطلق حتى نفرض لك شيئاً، فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاة. وعطاء لم يدرك أبا بكر، وقد اختلط عطاء، وسماع الدستوائي منه في الاختلاط.

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٠٤) من طريق ابن إسحاق، فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا إسناد ضعيف لإعضاله.

(٢) انظره مع قول كعب وأبي مجلز في تفسير الطبري (٢٠/ ٥٠٤)، بتصرف.

(٣) انظره مع الأسماء التي بعده في تفسير الثعلبي (٨/ ١٢٦).

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٨٥).

يُعبد، ثم أَخبرهم بأَنهم يُحشرون إِليه يوم القيامة. ثم وقفهم أَيضاً ـ على جهة التوبيخ ـ على اتخاذ الآلهة من دون الله، وهي لا ترُدُّ عن الإنسان المقادير التي يريدها الله به، لا بقوَّة منها ولا بشفاعة.

وقرأَ طلحة السَّمان، وعيسى الهمْداني: ﴿إن يُرِدْنيَ﴾ بياءٍ مفتوحة، ورُويت عن نافع، وعاصم، وأَبي عمرو[١].

ثم صَدَع رضي الله تعالى عنه بإِيمانه وأَعلن فقال: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾، واختلف المفسرون: فقال ابن عباس[٢]، وكعب، وَوَهْب: خاطب بها قومه[٣].

قال القاضي أبو محمد: على جهة المبالغة والتَّنْبيه.

وقيل: خاطب بها الرُّسل على جهة الاستشهاد بهم، والاستحفاظ للأَمر عندهم.

وقرأَ الجمهور: ﴿فَٱسۡمَعُونِ﴾ بكسر النون على نيَّة الياءِ بعدها.

وروى أَبو بكر عن عاصم: (فاسمعونَ) بفتح النون، قال أَبو حاتم: هذا خطأٌ لا يجوز؛ لأَنه أَمْرٌ، فإِما حذفُ النون، أَو كسرُها على نيَّة الياءِ[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وهنا محذوف تواترت به الأَحاديث والروايات، وهو أَنهم قتلوه[٥]، واخْتُلف، كيف؟

---

(١) وهي عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٥٦)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: **٣٩٩**) لطلحة وعيسى، ولم أجدها للباقين.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٠٤) من طريق ابن إسحاق، فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا إسناد ضعيف لإعضاله.

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٠٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٨٧).

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها لعاصم في الشواذ للكرماني (ص: **٣٩٩**)، وقول أبي حاتم في البحر المحيط (٩/ ٥٧).

(٥) ضعيف، الحديث رواه أبو يعلى في مسنده (٣/ ١٧٣) من طريق علي بن زيد بن جدعان، به معضلاً، ورواه الحاكم (٣/ ٦١٥-٦١٦) من طريق ابن لهيعة، به معضلاً كذلك.

قال قتادة وغيره: رجموه بالحجارة[١].

وقال ابن مسعود: مَشوْا عليه بأَقدامهم حتى خرج قُصْبُه من دُبُره[٢].

فقيل له عند موته: ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ﴾، وذلك ـ والله أعلم ـ بأَن عُرض عليه مقعده منها، وتحقَّق أَنه من سكانها برؤْيته ما أَقَرَّ عينه، فلما تحصَّل له ذلك تمنَّى أَن يعلم قومه بذلك.

وقيل: أَراد بذلك الإِشفاق والنُّصح لهم، أَي: لو علموا بذلك لآمنوا بالله.

وقيل: أَراد أَن [يعلموا ذلك][٣] فيندموا على فعلهم به ويحزنهم ذلك، وهذا موجود في جِبِلَّة البشر، إِذا نال خيراً في أَرض غربة ودَّ أَن يعلم ذلك جيرانه وأَترابه الذين نشأَ فيهم؛ ولا سيَّما في الكرامات، ونحو من ذلك قول الشاعر:

والعِزُّ مَطْلُوبٌ ومُلْتَمَسٌ وأَحَبُّهُ ما نيل في الْوَطَنِ[٤] [الكامل]

قال القاضي أبو محمد: والتأْويل الأَول أَشبه بهذا العبد الصالح، وفي ذلك قال النبي ﷺ: «نصح قومه حيّاً وميتاً»[٥]، وقال قتادة بن دِعامة: نصحهم على حالة الغضب والرضا، وكذلك لا تجد المؤمن إِلَّا ناصحاً للناس[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٠٧)، تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٨٧).

(٢) لا يصح، أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٠٨) عن ابن حميد، قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق عن بعض أصحابه: أن ا بن مسعود كان يقول.

(٣) سقط من المطبوع وأحمد٣، وفيهما: «يندموا» بلا فاء.

(٤) البحر المحيط (٩/ ٥٨)، بلا نسبة، وكان الصاحب ينشده كثيراً، كما في «أحسن ما سمعت» للثعالبي (ص: ٥٥)، وانظر: يتيمة الدهر (٣/ ٢٣٦)، ومعجم الأدباء (٤/ ١٧٩٩). وفي المطبوع وأحمد٣: «ما كان».

(٥) ضعيف جداً، أخرجه ابن مردويه في تفسيره، كما في تخريج الكشاف (٣/ ١٦٣) من حديث المغيرة بن شعبة، رضي الله عنه مرفوعاً، به، وفي إسناده: عمر بن إسماعيل بن مجالد، وهو متروك الحديث، انظر: تهذيب الكمال (٢١/ ٢٧٤).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٥٠٩).

و(ما) في قوله تعالى: ﴿بِمَا﴾ يجوز أن تكون مصدرية، أي: بغفران ربِّي لي، ويجوز أن تكون بمعنى الذي، وفي ﴿غَفَرَ﴾ ضمير عائد.

قال الزهراوي: ويجوز أن تكون استفهاماً، ثم ضعَّفه(١).

[٤/ ٢٤٩] قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا / عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

هذه مخاطبة لمحمد ﷺ، فيها توعُّد لقريش، إذ هو المروَّع لهم من المثال أنْ ينزل بهم من عذاب الله ما نزل بقوم حبيب النجار، فنفى عزَّ وجلَّ؛ أي: أنه أنزل على قوم هذا الرجل جنداً من السماءِ، قال مجاهد: أراد أنه لم يرسل رسولاً ولا استعْتبَهُم(٢).

وقال ابن مسعود: أراد أنه لم يحتج في تعذيبهم إلى جُند من جُنْد الله كالحجارة والغرق والريح وغير ذلك، بل كانت صيحة واحدة؛ لأنهم كانوا أيسر وأهون من ذلك(٣).

قال قتادة: والله ما عاتب اللهُ تعالى قومه بعد قتله حتى أهلكهم(٤).

واختلف المتأولون في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾:

فقالت فرقة: (ما) نافية، وهذا يجري مع التأْويل الثاني في قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ﴾.

---

(١) لم أقف عليه، وفي أحمد٣ والمطبوع: «الزهري»، وهذا قول الفراء في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٧٤)، وانظر: البحر المحيط (٩/ ٥٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٥١٠)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٥)، بتصرف.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٥١٠) من طريق ابن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن ابن مسعود. وهذا إسناد ضعيف لإبهام راويه.

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٥١٠) بتصرف.

وقالت فرقة: ﴿مَا﴾ عطفٌ على ﴿جُندٍ﴾، أَيْ: مِن جُنْد ومِنَ الذي كنَّا منزلين على الأُمم مثلهم قبل ذلك.

وقرأَ الجمهور: ﴿إِلَّاصَيْحَةً﴾ بالنصب على خبر (كان)، أَي: ما كان عذابهم إِلَّا صيحةً واحدةً.

وقرأَ أَبو جعفر، ومعاذ بن الحارث[١]: ﴿إِلَّا صَيْحَةٌ واحِدَةٌ﴾ بالرفع[٢]، وضعفها أَبو حاتم[٣]، والوجه فيها أنها ليست (كان) التي تطلب الاسم والخبر، وإِنما التقدير: ما وقعت أَو حدثت إِلَّا صيحةٌ واحدةٌ.

وقرأَ ابن مسعود، وعبد الرحمن بن الأَسود: (إِلَّا زَقْيَةً وَاحِدَةً)[٤].

وهي الصيحة من الديك ونحوه من الطير.

و﴿خَـٰمِدُونَ﴾: ساكتون موتى لاطئون بالأَرض، شُبِّهوا بالرماد الذي خمدت ناره وطُفئت.

وقوله: ﴿يَـٰحَسْرَةً﴾ نداءٌ لَها على معنى: هذا وقتُ حضوركِ وظُهوركِ، هذا تقدير نداءِ مثلِ هذا عند سيبويه، وهو معنى قويم في نفسه، وهو منادى منكور على هذه القراءَة.

وقال الطبريُّ: المعنى: يا حسْرَةَ العبادِ على أَنفسهم، وذكر أَنها في بعض القراءَات كذلك[٥].

---

(١) هو معاذ بن الحارث بن الأرقم الأنصاريّ الخزرجي، أبو حليمة، القاري، قال أبو عمر: شهد الخندق. وقيل: لم يدرك من حياة النبي ﷺ إلا ست سنين، وقد روى عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وروى عنه نافع مولى ابن عمر، الإصابة (٦/ ١٠٩).

(٢) وهي عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٥٣)، وانظر موافقة معاذ بن الحارث في المحتسب (٢/ ٢٠٦).

(٣) انظر قول أبي حاتم في تفسير القرطبي (١٥/ ٢١).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في المحتسب (٢/ ٢٠٥)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٦٤).

(٥) انظر ذلك في تفسير الطبري (٢٣/ ٢)، وهي شاذة كما سيأتي.

وقال ابن عباس: المعنى: يا ويلاً للعباد[١].

وقرأَ ابن عباس، والضحاك، وعلي بن الحسين، ومجاهد، وأُبيٌّ بن كعب: (يا حسرة العباد) بالإِضافة[٢].

وقولُ ابن عباس حَسَنٌ مع قراءَته.

وتأْويل الطبري في ذلك القراءَة الأُولى ليس بالبَيِّن، وإِنما يتجه أَن يكون المعنى تلهُّفاً على العباد كأن الحال يقتضيه، وطباعُ كل بشر تُوجب عند سماعه حالهم وعذابهم على الكفر وتَضْييعَهم أَمر الله تعالى أَن يُشفق ويتحسر على العباد.

وقال أَبو العالية: المراد بالعباد الرسل الثلاثة، فكأَن هذا التحسُّر هو من الكفار، حين رأَوْا عذاب الله تلَهَّفُوا على ما فاتهم[٣]، وقوله تعالى: ﴿مَا يَأۡتِيهِم﴾ الآية، يدافع هذا التأْويل.

و«الحسرة»: التَّلَهُّفَات التي تترك صاحبها حسيراً.

وقرأَ الأَعرج، ومسلم بن جندب، وأَبو الزناد: (يَا حَسْرَهْ) بالوقف على الهاءِ[٤]، وذلك على الحرص على بيان معنى التحسر[٥] وتقريره للنفس، والنطقُ بالهاءِ في مثل هذا أَبلغ في التشفيق وهزِّ النفس، كقولهم: أَوَّهْ، ونحوه.

وقوله: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ﴾ الآية، تمثيل لفعل قريش.

ثم عَنَاهم بقوله: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ﴾، و﴿كَمۡ﴾ هنا خبرية، و﴿أَنَّهُمۡ﴾ بدلٌ منها، والرُّؤْية رُؤْية البصر.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥١٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها لهم في المحتسب (٢/ ٢٠٧)، وانظر مختصر الشواذ (ص: ١٢٥)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٩٩).

(٣) تفسير الماوردي (٥/ ١٥)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٢٧).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لهم في المحتسب (٢/ ٢٠٧).

(٥) في المطبوع: «الحسرة».

وفي قراءَة ابن مسعود: (أَولم يَرَوْا مَن أَهلَكنا)[١].

وقرأ جمهور القراء: ﴿أَنَّهُمْ﴾ بفتح الألف.

[وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (إنهم) بكسرها][٢].

وقرأ جمهور الناس: ﴿لَمَا﴾ بتخفيف الميم، وذلك على زيادة (ما) للتأْكيد، والمعنى: لَجَميعٌ.

[وقرأ الحسن وابن جبير وعاصم: ﴿لَّمَّا﴾ بشد الميم][٣]، وقالوا: هي منزلة بمنزلة: إِلَّا.

وقيل: المراد: (لَمِمَّا) حذفت الميم الواحدة[٤]، وفيه ضعف.

وفي حرف أُبَيٍّ: (وَإِنَّ منهم إِلَّا جميعٌ)[٥].

قال قتادة: محشورون يوم القيامة[٦].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في تفسير الطبري (٢٠/ ٥١٣)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٧٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٦٥).

(٢) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٩٠). وفي المطبوع وأحمد٣: «وكَسَرَها الحسن البصريُّ».

(٣) وهما سبعيتان، ومع عاصم حمزة وابن عامر، انظر: التيسير (ص: ١٢٦)، وفي المطبوع: «وشدَّدها الحسن، وابن جُبَيْر، وعاصم».

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «حذفت إحداهما».

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في معاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٩١).

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٥١٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٤).

(آيةٌ) معناه: علامة على الحشْر وبعث الأَجساد، والضمير في ﴿لَهُمُ﴾ يراد به كفار قريش.

وقرأَ نافع، وشيبة، وأَبو جعفر: ﴿الْمَيِّتَةُ﴾ بكسر الياءِ وشدها.

وقرأَ أَبو عمرو، وعاصم بسكون الياءِ خفيفة[١]، وإِحياؤُها بالمطر.

وقرأ الجمهور: ﴿ثَمَرِهِۦ﴾ بفتح الثاءِ والميم.

وقرأَ طلحة، وابن وثاب، وحمزة، والكسائي بضمهما[٢].

وقرأَ الأعمش: (من ثُمْره) بضم الثاءِ وسكون الميم[٣].

والضمير في ﴿ثَمَرِهِۦ﴾ قالت فرقة: هو عائد على الماءِ الذي يتضمنه قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾؛ لأَن التقدير: (ما).

وقالت فرقة: هو عائد على جميع ما تقدم مُجْمَلاً، كأَنه قال: من ثَمَر ما ذكرنا.

وقال أَبو عبيدة: هو من باب أَن يذكر الإِنسان شيئيْن أَو ثلاثة ثم يعيد الضمير على واحد ويكني عنه[٤]، كما قال الأَزرق بن طرفة بن العمرّد الفراصيُّ[٥] الباهليُّ:

[الطويل]
رَمَانـي بأَمْرٍ كنْـتُ منْـهُ وَوَالِدِي ... بَريئاً ومِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمَاني[٦]

---

(١) من المطبوع وأحمد٣، وهما سبعيتان، الأولى لنافع والتخفيف للباقين، انظر: التيسير (ص: ١٠٦)، النشر (٢/ ٢٢٤).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٠٥).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٧٠)، وانظر: تفسير الثعلبي (٨/ ١٢٧). وكتبت في المطبوع: «الأعمس».

(٤) مجاز القرآن (٢/ ١٦١)، بتصرف يسير.

(٥) سقط «بن العمرد الفراصي» من السليمانية، وفي أحمد٣: «القرصي»، وفي مجاز القرآن (٢/ ١٦١) أنه من بني فراص من باهلة.

(٦) كذا في مجاز القرآن (٢/ ١٦١)، والمجموع اللفيف (ص: ٤٧٢)، والمعروف أنه لابن الأحمر، كما تقدم في أول تفسير (سورة يونس).

قال القاضي أبو محمد: وهذا الوجه في الآية ضعيف.

و(مَا) في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾، قال الطبريُّ: هي اسم معطوف على (الثمر)، أَي: ويقع الأَكلُ من الثَّمر وممَّا عملته الأَيدي بالغرس والزراعة ونحوه[1].

وقالت فرقة: هي مصدرية، وقيل: هي نافية، والتقدير: إِنهم يأْكلون من ثمره وهو شيءٌ لم تعمله أيديهم، بل هي نعمة من الله تعالى عليهم.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿عَمِلَتْهُ﴾ بهاءِ الضمير.

وقرأَ حمزة والكسائي، وعاصم في رواية أَبي بكر، وطلحة وعيسى: ﴿عَمِلَتْ﴾ بغير ضمير[2].

ثم نزَّه تعالى نفسه تنزيهاً مطلقاً في كل ما يُلحد به ملحد، أَو يشرك به مشرك.

و﴿الْأَزْوَاجَ﴾: الأَنواع من جميع الأشياء.

وقوله: ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ نظيره قوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

/ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ [٤/ ٢٥٠]
تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ
كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ
يَسْبَحُونَ (٤٠)﴾.

هذه الآيات جعلها الله تعالى أَدلة على القدرة ووجوب الأُلوهية له.

و﴿نَسْلَخُ﴾ معناه: نكشِطُ ونَقْشر، فهي استعارة.

و﴿مُظْلِمُونَ﴾: داخلون في الظلام.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٥١٥)، بتصرف يسير، وسقط «قال الطبري» من الأصل.

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٥٤٠)، التيسير (ص: ١٨٤). وفي الحمزوية ونجيبويه والمطبوع: «جمهور القراء».

واستدل قوم من هذه الآية على أَن اللَّيل أَصل والنهار فرع طارئ عليه. وفي ذلك نظر.

و«مُسْتَقَرُّ الشَّمْسِ» ـ على ما روي في الحديث عن النبي ﷺ من طريق أَبي ذرٍّ ـ بيْن يدي العرش، تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها[١].

وفي حديث آخر: أَنها تسجد في عين حمئة ولها ثَمَّ وجبة عظيمة[٢].

وقالت فرقة: مُسْتَقَرُّهَا: هو في يوم القيامة حين تُكوَّر، فهي تجري لذلك المستَقَرِّ.

وقالت فرقة: مُسْتَقَرُّهَا: كناية عن غيوبها؛ لأَنها تجري كل وقت إِلى حدٍّ محدود تَغْرُب فيه.

وقيل: مُسْتَقَرُّهَا: آخر مطالعها في المنقلبَيْن لأَنها[٣] نهايتا مطالعها، فإِذا استقر وصولها كرَّت راجعة، وإِلَّا فهي لا تستقر عن حركتها طرفة عين، ونحا إِلى هذا ابن قُتَيْبَة[٤].

وقالت فرقة: مُستقرها وقوفها عند الزوال في كل يوم، ودليل استقرارها وقوف ظلال الأَشياءِ حينئذ.

وقرأَ ابن عباس، وابن مسعود، وعكرمة، وعطاءُ بن أَبي رباح، وأَبو جعفر محمد ابن علي، وجعفر بن محمد: (الشمس تجري لا مستقر لها)[٥].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٠٢٧) ومسلم (١٥٩) من حديث أبي ذر، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٢) لا بأس بإسناده، لكن حديث الصحيحين أولى، وأخرجه بهذا اللفظ أبو داود في سننه (٣٩٩٨) من طريق يزيد بن هارون، ثنا سفيان بن حسين، عن الحكم بن عتيبة، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً، به. وفي الأصل: «تغرب».

(٣) في فيض الله: «لأنهما».

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص: ٣١٦)، بتصرف.

(٥) وهي قراءة شاذة لمخالفتها للرسم، انظر: المحتسب (٢/ ٢١١)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٢٨). وسقط ذكر «ابن مسعود» من الأصل.

وقرأَ نافع، وابن كثير، وأَبو عمرٍو، والحسن، والأَعرج: ﴿والْقَمَرُ﴾ بالرفع عطفاً على قوله: ﴿ وَءَايَـةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ ﴾، عطف جملة على جملة.

ويصح وجه آخر، وهو أَن يكون قوله ﴿ وَءَايَـةٌ ﴾ ابتداءً وخبره محذوف، كأنه قال: في الوجود والمشاهدة، ثم فسَّر ذلك بجملتين من ابتداءٍ وخبر وابتداءٍ وخبر، [الأولى منهما: ﴿ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾، والثانية: ﴿وَٱلۡقَمَرُ قَدَّرۡنَـٰهُ مَنَازِلَ﴾][(١)].

وقرأَ الباقون: ﴿ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَـٰهُ ﴾ بنصب (القمر) على إِضمار فعل يُفَسِّره ﴿قَدَّرۡنَـٰهُ﴾، وهي قراءَة أَبي جعفر، وابن محيصن، والحسن بخلاف عنه[(٢)].

و﴿مَنَازِلَ﴾ نصب على الظرف، وهذه المنازل هي المعروفة عند العرب، وهي ثمانية وعشرون منزلاً، يقطع القمر منها في كل ليلة أَقَلَّ من واحدة فيما يزعمون، وعودتُه هي استهلاله رقيقاً، وحينئذ يُشبه العرجون، وهو الغُصن من النخلة الذي فيه شماريخ التمر، فإِنه ينحني ويصفَرُّ إِذا قدم، ويجيءُ أَشبه شيءٍ بالهلال، قاله الحسن بن أَبي الحسن[(٣)]، والوجود يشهد به.

وقرأ سليمان التيميُّ: (كَالْعِرْجَوْنِ) بكسر العيْن[(٤)].

و﴿ٱلۡقَدِيمِ﴾ معناه: العتيق الذي قد مرَّ عليه زمن طويل.

و﴿يَنۢبَغِى﴾ هنا مستعملة فيما لا يمكن خلافه؛ لأَنها لا قدرة لها على غير ذلك.

وقرأَ الجمهور: ﴿سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ بالإِضافة.

وقرأ عمارة: (سابقُ النهارَ) بدون تنوين في القاف وبنصب (النَّهَارَ)، ذكره

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «الليلُ واحدة، والقمر ثانية».

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٨٤)، النشر (٢/ ٣٥٣)، وانظر قراءة ابن محيصن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٦٧).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٥١٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٥).

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص: ١٢٦).

الزهراوي؛ وقال: حذف التنوين تخفيفاً[١].

و«الْفَلَكُ» فيما روي عن ابن عباس: متحرك مستدير كفلكة المغزل، فيه جميع الكواكب[٢].

و﴿يَسۡبَحُونَ﴾ معناه: يجرون ويعومون.

قال مكي: لما أسند إليها فعل من يعقل جُمعت بالواو والنون[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿وَءَايَةٞ﴾ معناه: وعلامةٌ ودليلٌ، ورفعها بالابتداءِ، وخبره في قوله: ﴿لَّهُمۡ﴾، و﴿أَنَّا﴾ بدلٌ من (آيةٌ)، وفيه نظر، ويجوز أن تكون (أَنْ) مفسِّرة لا موضع لها من الإِعراب.

و«الحَمْلُ»: منعُ الشيءِ أن يذهب سفلاً.

وذكر الذريَّة لضعفهم عن السفر، فالنعمة فيهم أَمكن.

وقرأَ نافع، وابن عامر، والأَعمش: ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ بالجمع.

وقرأَ الباقون بالإِفراد، وهي قراءَة طلحة، وعيسى[٤].

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (٢/ ٨٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٦٧). وعمارة هو بن عقيل بن بلال بن جرير، تقدم ذكره في (سورة البقرة). وفي السليمانية والحمزوية وأحمد٣ ونجيبويه والمطبوع: «عبادة».

(٢) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٢٠) عن محمد بن المثنى، قال: ثنا أبو النعمان الحكم ابن عبد الله العجلي، قال: ثنا شعبة، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به. وشعبة لم يدرك البطين، وعن ابن المثنى، قال: ثنا عبد الصمد، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، مثله، وهذا إسناد صحيح.

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن (٢/ ٤٧٩)، بتصرف.

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٨٤)، والسبعة (ص: ٥٤٠).

والضمير المتصل بالذرِّيَّات هو ضمير الجنس، كأَنه قال: ذريات جنسهم أو نوعهم، هذا أَصحُّ ما يتَّجه في هذا، وخلط بعض الناس في هذا حتى قالوا: الذُّرِّيَّة تقع على الآباءِ، وهذا لا يُعرف لغةً(١).

وأَما معنى الآية؛ فيحتمل تأْويلين:

أَحدهما: قاله ابن عباس وجماعة، وهو أَن يريد [بالذرِّيَّات المحمولين: أَصحابَ نوح عليه السلام في السفينة، ويريد بقوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾](٢): السُّفُنَ الموجودة في جنس بني آدم إِلى يوم القيامة، وإِيَّاها أَراد بقوله: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾(٣).

والتأْويل الثاني: قاله مجاهد، والسدي، وروي عن ابن عباس أَيضاً(٤)، هو أَن يريد بقوله: ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ الآية، السُّفُنَ الموجودة في بني آدم إِلى يوم القيامة، ويريد بقوله: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ الآية، الإِبلَ وسائر ما يُركب، فتكون المماثلة في أَنه مركوب مُبلِّغ إِلى الأَقطار فقط، ويعود قوله: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ على السُّفن الموجودة في الناس(٥).

وأَما من خلط القولين فجعل الذرِّية والفلك في قوم نوح وسفينته، وجعل ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ في الإِبل، فإِن هذا نظر فاسد يقطع به قوله: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾، فتأَمله.

و﴿ٱلْفُلْكِ﴾ جمعٌ، وعلى وزنه هو الإِفرادُ، ولكن ليست حركاتُ الجمع حركاتِ الإِفراد.

و﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾: / معناه: المُوقَر. [٤/ ٢٥١]

---

(١) انظر: تفسير الماوردي (٥/ ١٩).

(٢) سقط من الأصل.

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٢٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) إسناده لين، أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٢٣) من طريق محمد بن فضيل بن غزوان، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، وهذا إسناد ضعيف، عطاء، هو ابن السائب، وكان قد اختلط، ولم يذكر أحدٌ رواية ابن غزوان عنه فيمن سمع منه قبل اختلاطه.

(٥) تفسير الماوردي (٥/ ١٩)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٢٩)، والهداية لمكي (٩/ ٦٠٤١) بتصرف.

و﴿ مِّن ﴾ في قوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ يتَّجه على أَحد التأْويلين أَن تكون للتبعيض، وعلى التأْويل الآخر أَن تكون لبيان الجنس، فانظره، ويقال: الإِبل مراكب البر.

و«الصَّريخُ» هنا بناءُ الفاعل، بمعنى: المُصْرِخ، وذلك أَنك تقول: صارخ بمعنى مستغيث، ومُصْرِخ بمعنى مُغيث، ويَجيءُ صريخ مرةً بمعنى هذا ومرة بمعنى هذا؛ لأَن فعيلاً من أَبنية اسم الفاعل، فمرة: يجيءُ من أَصْرَخَ، ومرة: من صرخ: إذا استغاث(١).

وقوله: ﴿ إِلَّا رَحْمَةً ﴾ قال الكسائي: نصب ﴿رَحْمَةً﴾ على الاستثناءِ، كأَنه قال: إِلا أن يرحمهم رحمة(٢).

وقال الزجاج: نصب على المفعول من أَجله، كأَنه قال: إِلَّا لأَجل رحمتنا إِيَّاهم(٣).

وقوله: (متاعاً) عطف على قوله ﴿رَحْمَةً﴾.

وقوله: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ يريد: إلى آجالهم المضروبة لهم.

قال القاضي أبو محمد: والكلام تامٌّ في قوله: ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ ﴾، وقوله: ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ استئناف إِخبار عن السائرين في البحر، ناجين كانوا أَم مغرقين، فهم بهذه الحال لا نجاة لهم إِلَّا برحمة الله. وليس قوله: ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ مربوطاً بالمُغْرقين، وقد يصح ربطه به، والأَول أَحسن فتأَمله.

ثم ابتدأَ الإِخبار عن عُتوِّ قريش بقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ﴾ الآية.

و«مَا بَيْنَ أَيْديهم»: قال مقاتل، وقتادة: هو عذاب الأُمم التي سبقتهم في الزمن، و«ما خلفهم»: هو عذاب الآخرة التي يأْتي من بعدهم في الزمن، وهذا هو النظر.

وقال الحسن: خُوِّفوا بما مضى من ذنوبهم وبما يأْتي منها(٤).

---

(١) في المطبوع: «فمرة: يجيءُ من صَرَخَ إِذا استغاث، ومرة: يجيءُ من أَصْرَخَ إِذا أَغاث».

(٢) سقط من الحمزوية والمطبوع.

(٣) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٢٨٩)، بتصرف يسير، وقد سقط قوله هذا من الأصل.

(٤) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٨/ ١٢٩).

قال القاضي أبو محمد: وهذا نحو الأَول في المعنى؛ لأَن التخويف بالذنب إِنما هو من عقابه والمجازاة عليه. وقال مجاهد: (ما بين أيديهم): هو الآخرة، و(ما خلفهم): هو عذاب الأُمم.

قال القاضي أَبو محمد: فجعل التَّرتيب كأَنهم يسيرون من شيءٍ إلى شيءٍ، ولم يعتبر وجود الأَشياءِ في الزمن، وهذا النظر يكسره[1] عليه قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ٤٦]، وإِنما المُطَّرد أن يقاس ما بين اليد والخلف بما يسوقه الزمن، فتأَمله. وجواب ﴿إِذَآ﴾ في هذه الآية محذوف، تقديره: أَعرضوا، يفسره قوله عزَّ وجلَّ بعد ذلك: ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

و«الآيات»: العلاماتُ والدلائل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

الضمير في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ﴾ لِقُرَيش، وسبب هذه الآية: أَن الكفار لما أَسلم حواشيهم من الموالي وغيرهم من المستضعفين، قطعوا عنهم نفقاتهم وجميع صِلاتهم، وكان الأَمر بمكة أَولاً فيه بعض الاتصال في وقت نزول آيات المُوَادعة، فندب أُولئك المؤمنون قرابتهم من الكفار أَن يصلوهم، وأَن ينفقوا عليهم مما رزقهم الله، فقالوا عند ذلك: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ قال الرماني: ونسوا ما يجب من التعاطف وتأَلف المحقين[2].

---

(١) في المطبوع: «يكره».

(٢) سبب النزول وكلام الرماني لم أقف عليهما. وفي المطبوع وأحمد٣: «الجنس». وفي نور العثمانية وفيض الله: «التحقيق».

وقالت فرقة: سببها: أَن قريشاً شحَّت ـ بسبب أَزْمة ـ على المساكين جميعاً من مؤمن وغيره، وندبهم النبي ﷺ إِلى النفقة على المساكين، فقالوا هذا القول(١).

وقولهم يحتمل معنيين من التأْويل:

أَحدهما: يخرج على اختبارات لجهال العرب، فقد رُوي: أَن أَعرابياً كان يرعى إِبله، فيجعل السِّمان في الخصب، والمهازيل في المكان الجدب، فقيل له في ذلك فقال: أُكرم ما أَكرم الله وأُهين ما أَهان الله(٢)، فيخرج قول قريش على هذا المعنى، كأَنهم رأَوا الإِمساك عمَّن أَمسك الله عنه رزقه؛ ومن أَمثالهم: كن مع الله على المدبر(٣).

والتأْويل الثاني: أَن يكون كلامهم بمعنى الاستهزاءِ بقول محمد ﷺ: إِن ثمَّ إِلهاً هو الرَّزَّاق، فكأَنهم قالوا: لِمَ لا يرزقهم إِلهُكَ الذي تزعم؟ أَي: نحن لا نطعم من لو يشاءُ هذا الإله الذي زعمت لأَطعمه.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كما يدَّعي الإِنسان أَنه غنيٌّ ثم يحتاج إِلى معونتك في مال فتقول له على جهة الاحتجاج والهُزْء به: أَتطلب معونتي وأَنت غنيٌّ؟ أَي: على قولك.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ يحتمل أَن يكون من قول الكفرة للمؤمنين، أَي: في أَمركم لنا في نفقة أَموالنا، وفي غير ذلك من دينكم، ويحتمل أَن يكون من قول الله عزَّ وجلَّ للكفرة، استأْنف زجرهم بهذا.

ثم حكى عنهم ـ على جهة التقرير عليهم ـ قولَهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ أي: متى يوم القيامة الذي تزعم؟ وقيل: أَرادوا: متى هذا العذاب الذي تتهدَّدُنا به؟ وسمَّوا ذلك

---

(١) لم أقف على تفسير مأثور لهذه الآية الكريمة.

(٢) نقله تفسير الثعالبي (٥/ ١٥).

(٣) قال الخوارزمي في الأمثال المولدة (ص: ٢٠٢): يستعمل للرجل إذا كان يتبع كل ريح، ونقله في محاضرات الأدباء (١/ ٥٨٦) من قول بعض اللصوص لبعض أصحابه. وفي الأصل ونجيبويه: «كالمدبر».

وعداً من حيث تفيد قرائن الكلام أَنه في شرٍّ، والوعد متى وَرَدَ مطلقاً فهو في خير، وإِذا قُيِّد بقرينة الشَّرِّ استعمل فيه، والوعيد دائماً هو في الشَّرِّ.

و﴿يَنظُرُونَ﴾ معناه: ينتظرون، و﴿مَا﴾ نافية، وهذه الصيحة هي صيحة القيامة والنفخة الأُولى في الصُّور، رُوي ذلك عن عبد الله بن عمر[1]، وأَبي هريرة عن النبي ﷺ، وفي حديث أَبي هريرة: أن بعدها نفخة الصَّعق، ثم نفخة الحشر، وهي التي تدوم فما لها من فَواق[2].

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، والأَعرج، وشبل، وابن قسطنطين المكي[3]: ﴿يَخَصِّمُونَ﴾ بفتح الياءِ والخاءِ وتشديد الصاد المكسورة، وأَصلها يَخْتَصِمُونَ، نقلت حركة التاءِ إِلى الخاءِ وأُدغمت التاءُ الساكنة في الصَّاد / . [٤/ ٢٥٢]

---

(١) أخرج ابن عدي في ترجمة بهلول بن عبيد من الكامل (٢/ ٦٥) من طريق: الحسن بن قزعة ثنا بهلول سمعت سلمة بن كهيل عن بن عمر قال رسول الله ﷺ: «ليس على أهل لا اله الا الله وحشة في الموت ولا في النشور وكأني بهم عند الصيحة وهم ينفضون شعورهم من التراب يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن»، قال ابن عدي: ولبهلول هذا غير ما ذكرت من الحديث قليل وأحاديثه عمن روى عنه فيه نظر، وهذه الصيحة هي الصيحة الثانية وهي صيحة البعث من القبور، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور (١/ ٨٣) من طريق ابن عدي ثم قال: هذا مرسل عن سلمة بن كهيل، عن ابن عمر، وبهلول بن عبيد تفرد به وليس بالقوي، ثم أخرجه من طريق: عبد الباقي بن قانع، ثنا حمزة بن داود بن سليمان المؤدب، بالأيلة، ثنا الحسن بن عرعرة، حدثنا بهلول بن عبيد، عن سلمة بن كهيل، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم، وكأني بهم ينفضون التراب عن رءوسهم ويقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن» وقال: كذا في الأمالي: الحسن بن عرعرة. ولعل الصواب الحسن بن قزعة. اهـ. وليس فيه ذكر الصيحة.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٢٣٣) ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٣) هو إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين، شيخ الإقراء بمكة، أبو إسحاق، مولى بني مخزوم، ويقال له: إسماعيل القسط، قرأ على ابن كثير، وصاحبيه شبل، ومعروف، أقرأ مدة، قرأ عليه: أبو الإخريط وغيره، توفي سنة (١٧٠هـ)، أو (١٩٠هـ). تاريخ الإسلام (١١/ ٤٠).

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو أَيضاً: ﴿يَخْصِّمُونَ﴾ بفتح الياءِ وسكون الخاءِ وشدِّ الصَّاد المكسورة، وفي هذه القراءَة جمع بين ساكنين ولكنه جمع ليس بمحْض، ووجَّهها أَبو علي[١]، وأَصلها: يَخْتَصِمُونَ، حذفت حركة التاءِ دون نقل ثم أُدغمت في الصاد.

وقرأَ عاصم، والكسائي، وابن عامر، ونافع أَيضاً، والحسن، وأَبو عمرٍو بخلاف عنه: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ بفتح الياءِ وكسر الخاءِ وشدِّ الصاد المكسورة، أَصلها: يَخْتَصِمُونَ، أُعِلَّت كالتي قبلها ثم كسرت للالتقاءِ[٢].

وقرأَت فرقة: ﴿يِخِصِّمُونَ﴾ بكسر الياءِ والخاءِ وشدِّ الصاد المكسورة، عللت[٣] كالتي قبلها ثم أُتبعت كسرة الخاءِ كسرة الياءِ.

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب (يَخْتَصِمُونَ)[٤].

ومعنى هذه القراءَات كلها: أنهم يتحاورون ويتراجعون الأَقوال بينهم ويتدافعون في شؤونهم.

وقرأَ حمزة: ﴿يَخْصِمُونَ﴾، وهذه تحتمل معنيين:

أَحدهما: ما في القراءَات قبلها، أَي: يخصم بعضهم بعضاً.

والثاني: أنهم يخصمون أَهل الحق في زعمهم وظنهم[٥]، كأنه قال: تأْخذهم الصيحة وهم يظنون بأَنفسهم أَنهم خَصَموا أَو غَلَبوا؛ لأَنك تقول: خاصمت فلاناً فخَصَمْتُهُ: إِذا غلبتَه.

---

(١) انظر الحجة للفارسي (٦/ ٤٢).

(٢) هذه ثلاث قراءات سبعية، الأولى لابن كثير وورش وهشام، والثانية لأبي عمرو وقالون، ولهما وجه آخر بالاختلاس، والثالثة لعاصم والكسائي وابن ذكوان، وكذلك قراءة حمزة سبعية وستأتي، انظر التيسير (ص: ١٨٤)، وانظر الأوجه الأخرى في السبعة (ص: ٥٤١).

(٣) سقط من المطبوع، وهذه القراءة نقلها في السبعة (ص: ٥٤١) عن أحمد بن جبير عن شعبة عن عاصم، وليست من طرق التيسير.

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٧٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٥٠٢).

(٥) سقط من المطبوع وأحمد٣.

وقوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ عبارة عن إِعجال الحال، و«التَّوْصِيَةُ» مصدر من: وصَّى.

وقوله: ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ يحتمل ثلاث[1] تأويلات:

أحدها: ولا يرجع أَحدٌ إِلى منزله وأَهله لإِعجال الأَمر، بل تقبض نفسه حيثما أَخذته الصيحة.

والثاني معناه: ولا إِلى أَهلهم يرجعون قولاً، وهذا أَبلغ من الاستعجال، وخصَّ بالذكر الأَهل لأَن القول معهم في ذلك الوقت أَهم على الإِنسان من الأَجْنَبِيِّين وأَوْكد في نفوس البشر.

والثالث تقديره: وَلا إِلى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ أَبداً، فخرج هذا عن معنى وصف الاستعجال إِلى معنى ذكر انقطاعهم وانبتارهم من دنياهم.

وقرأَ الجمهور: ﴿يَرْجِعُونَ﴾ بفتح الياءِ وكسر الجيم.

وقرأَ ابن محيصن بضم الياءِ وفتح الجيم[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

هذه نفخة البعث، و﴿ٱلصُّورِ﴾: القَرْنُ في قول جماعة المفسرين، وبذلك تواردت الأَحاديث.

وذهب أَبو عبيدة إِلى أنه جمع صُورة، خرج مخرج بُسْر وبُسْرَة، وكذلك قال: سُوْرة البناءِ جَمْعُها سُورٌ، والمعنى عنده وعند من قال بقوله: نُفِخ في صور بني آدم فعادوا أَحياءَ[3].

---

(١) سقط من المطبوع وأحمد ٣.

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها لابن محيصن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٦٨).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ١٦٢)، بتصرف. ولفظة «قال» من الأصل ونجيبويه والسليمانية.

و﴿ ٱلْأَجْدَاثِ ﴾: [جمع جدث وهي][(١)] القبورُ.

وقرأ الأعرج: (في الصُّوَرِ) بفتح الواو، جمع صُورَةٍ[(٢)].

و﴿ يَنسِلُونَ ﴾ معناه: يمشون بسرعة، و«النسلان»[(٣)]: مشية الذئب، ومنه قول الشاعر:

[الرمل] عَسَلَانَ الذِّئْبِ أَمْسَى قَارِباً بَرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَنَسَلْ[(٤)]

وقال ابن عباس: ﴿ يَنسِلُونَ ﴾: يخرجون[(٥)].

وقرأ جمهور الناس بكسر السين.

وقرأ ابن أبي إسحاق وأبو عمرو أيضاً: (يَنْسُلون) بضمها[(٦)].

ونداؤُهم الوَيْل هو بمعنى: هذا وقْتُكَ وأَوَان حضورِكَ، وهو منادى مضاف.

ويحتمل أَن يكون نصب الويل على المصدر والمنادى محذوف، كأنهم قالوا: يا قومنا وَيْلَنا.

وقرأ ابن أَبي ليلى: (يا ويلتنا) بتاءِ التأْنيث[(٧)].

وقرأ الجمهور: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا ﴾ [بفتح الميم][(٨)] على معنى الاستفهام.

---

(١) من نور العثمانية.

(٢) وهي شاذة، تابعه عليها هنا في البحر المحيط (٩/ ٧٣)، وتقدمت في (سورة الأنعام) للحسن، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٠٠) لقتادة.

(٣) سقط من الحمزوية والمطبوع وأحمد٣: «وفيهن: يمشون مشية الثعلب بسرعة».

(٤) للنابغة الجعدي، كما تقدم في تفسير الآية (٩٦) من (سورة الأنبياء).

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٠/ ٥٣١) وابن أبي حاتم (١٨٠٩٧) في تفسيرهما، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) في المطبوع وأحمد٣: «وضمَّها ابنُ أَبي إسحاق، وأَبو عمرو»، وهي شاذة، انظر عزوها لابن أبي إسحاق في مختصر الشواذ (ص: ١٢٦).

(٧) وهي شاذة، انظر عزوها له في: مختصر الشواذ (ص: ١٢٦).

(٨) من نور العثمانية وفيض الله والسليمانية.

وروي عن عليٍّ وابن عباس رضي الله عنهما أَنهما قرأا: (مِن بعْثِنا) بكسر الميم مِنْ (مِنْ) [على معنى أنها لابتداء الغاية][1] وبسكون العين وكسر الثاءِ في (بَعْثِنَا)[2] على المصدر.

وفي قراءَة ابن مسعود: (مَنْ أَهَبَّنَا مِنْ مَرْقَدِنَا)، [أي: من نبَّهنا][3].

وفي قراءَة أُبَيٍّ: (مَنْ هَبَّنَا)، قال أَبو الفتح: لم أَر لها في اللغة أَصلاً، ولا مرَّ بنا: مَهْبُوب، ونسبها أَبو حاتم إِلى ابن مسعود رضي الله عنه[4].

وقولهم: ﴿مِن مَّرْقَدِنَا﴾ يحتمل أنهم يريدون موضع الرقاد حقيقة، ويُروى عن أُبَيِّ بن كعب[5]، وقتادة، ومجاهد: أن جميع البشر ينامون نومةً قبل الحشر[6].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا غير صحيح الإِسناد، وإِنما الوجه في قولهم: ﴿مِن مَّرْقَدِنَا﴾ أنها استعارة وتشبيه، كما تقول في قتيل: هذا مرقده إِلى يوم القيامة، وفي «كتاب الثعلبي»: أنهم قالوا: ﴿مِن مَّرْقَدِنَا﴾ لأَن عذاب القبر كان كالرقاد في جنب ما صاروا إِليه من عذاب جهنم[7].

وقال الزجاج: يجوز أَن يكون ﴿ هَٰذَا ﴾ إِشارة إِلى المرقد، ثم استأْنف بقوله: ﴿مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، يُضمر الخبر: حَقٌّ، أو نحوه[8].

---

(١) من نور العثمانية وفيض الله والسليمانية.

(٢) زاد في المطبوع هنا: «نصباً»، ولا وجه لها لأن الكلمة مجرورة، والقراءة شاذة، انظر عزوها لعلي في المحتسب (٢/ ٢١٢).

(٣) سقط من المطبوع، وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للنحاس (٥/ ٥٠٤)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٥٣٢).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لأبيّ، وتوجيه ابن جني، وقول أبي حاتم: في المحتسب (٢/ ٢١٣).

(٥) منقطع، أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٣٢) من طريق: خيثمة، عن الحسن، عن أبي بن كعب. والحسن لم يدرك أبياً.

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٣٢)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢٣).

(٧) تفسير الثعلبي (٨/ ١٣٠)، بتصرف.

(٨) معاني القرآن وإعرابه له (٤/ ٢٩١)، بتصرف.

وقال الجمهور: ابتداءُ الكلام: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، واختُلف في هذه المقالة، من قالها؟

فقال ابن زيد: هي من قول الكفار لمَّا رأَوْا البعث والنشور الذي كانوا يُكذِّبون به في الدنيا، [قالوا: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾](١).

وقالت فرقة: ذلك من قول الله تعالى لهم على جهة التوبيخ والتوقيف.

وقال الفراءُ: هو من قول الملائكة(٢).

وقال قتادة ومجاهد: هو من قول المؤمنين للكفار على جهة التقريع(٣).

ثم أَخبر تعالى أَن أمر القيامة والبعث من القبور ما هو إِلَّا صيحة واحدة فإِذا الجميع حاضر محشور.

وقرأَت فرقة: ﴿إِلَّا صَيْحَةً﴾ بالنصب.

وقرأَت فرقة: ﴿إلا صيحةٌ﴾ بالرفع(٤)، وقد تقدم إعراب نظيرها.

وقوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ نصب على الظرف، ويريد يوم القيامة(٥) والحشر المذكور، وهذه مخاطبة يحتمل أَن تكون لجميع العالم.

قوله عزَّ وجلّ: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ / وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾. [٤/ ٢٥٣]

(١) سقط من المطبوع وأحمد٣، وانظر تفسير الطبري (٢٠/ ٥٣٣).
(٢) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٠).
(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٣٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢٤)، بتصرف يسير.
(٤) القراءة بالرفع للسبعة وبالنصب عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٥٣) هنا وفي الموضع الأول، أما الثاني فمتفق على نصبه.
(٥) سقط من المطبوع وأحمد٣.

هذا إخبارٌ من الله عزَّ وجلَّ عن حال أَهل الجنة بعقب ذكره أَهوال يوم القيامة وحالة الكفار.

وقرأَ نافع، وابن كثير، وأَبو عمرو، وابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، والحسن، وطلحة، وخالد بن إِلياس: ﴿في شُغْل﴾ بضم الشِّين وسكون الغين.

وقرأَ الباقون: ﴿فِي شُغُلٍ﴾ بالضم فيهما، وهي قراءَة أَهل المدينة والكوفة[١].

وقرأَ مجاهد، وأَبو عمرٍو أَيضاً بالفتح فيهما، وقرأَ ابن هُبَيْرَة[٢] على المنبر بفتح الشِّين وسكون الغَيْن[٣]، وهي كلها بمعنى واحد.

واختلف الناسُ في تعْيين هذا الشغل:

فقال ابن مسعود، وابن عباس[٤]، وابن المسيب: في افتضاض الأَبكار[٥].

وحكى النقاش عن ابن عباس: سماع الأَوتار[٦]، وقال مجاهد: معناه: نعيم قد شغلهم[٧].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٨٤)، والسبعة (ص: ٥٤١).

(٢) لعله عمر بن هبيرة أبو المثنى الفزاري ولاه يزيد بن عبد الملك العراقين، فلما استخلف هشام عزله. تاريخ الإسلام (٧/ ٢٠٦).

(٣) وهما شاذتان، انظر عزو الأولى لمجاهد في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠١)، وعزا الثانية لأبي هريرة، ولعله تصحيف.

(٤) لا يصح عنهما، أما أثر ابن مسعود فأخرجه الطبري (٢٠/ ٥٣٤) بإسناد فيه: محمد بن حميد الرازي، وليس هو بالعمدة، وأما أثر ابن عباس فأخرجه الطبري (٢٠/ ٥٣٤) من طريق سليمان التيمي، عن أبي عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه، وأبو عمرو هذا، هو محمد بن عبد الرحمن، بياع الملاء، فيه جهالة. انظر تهذيب الكمال (٢٥/ ٦٠٨).

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٣٥).

(٦) لا يصح، أخرجه الخطيب البغدادي في الموضح (٢/ ٣٤١) من طريق أبي عمرو القاص، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به. وأبو عمرو القاص هو محمد بن عبد الرحمن بياع الملاء الذي سبق، وقد أعله أبو حاتم الرازي، كما في علل ابنه (٢/ ٧٠) بأن صواب الرواية: «افتضاض الأبكار»، وقد تصحفت إلى: «ضرب الأوتار».

(٧) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٣٥)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢٤).

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو القول الصحيح، وتعيين شيءٍ دون شيءٍ لا قياس له.

ولمَّا كان النعيم كلُّه نوعاً واحداً من حيث هو نعيم؛ وَحَّدَهُ فقال: ﴿فِى شُغُلٍ﴾، ولو اختلف لقال: في أَشغال.

وحكى الثعلبي عن طاوس أَنه قال: لو علم أَهل الجنة عمَّن شغلوا ما هنأَهم ما شُغلوا به.

قال الثعلبي: وسُئل بعض الحكماء عن قوله ﷺ: «أَكثر أَهل الجنة البُلْهُ»(١)، فقال: لأَنهم شغلوا بالنعيم عن المُنْعم(٢).

وقرأَ جمهور الناس: ﴿فَـٰكِهُونَ﴾.

ومعناه: أَصحابُ فاكهة، كما تقول(٣): لابِنٌ، وتامِرٌ، وشاحِمٌ، ولاحِمٌ.

وقرأَ أَبو رجاء، ومجاهد، ونافع أَيضاً، وأَبو جعفر: ﴿فَكِهُونَ﴾(٤).

ومعناه: فرحون طِربون، مأْخوذ من: الفكاهة، أَي: لاهَمَّ لهم.

---

(١) ضعيف جداً، أخرجه البزار (١٣/ ٣٢) وابن عدي في كامله (٣/ ٣١٣) والدارقطني في الغرائب والأفراد (١١٢٦ ـ أطراف) كلهم من طريق سلامة بن روح الأيلي، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال ابن عدي: وهذ الحديث بهذا الإسناد منكر، لم يروه عن عقيل، غير سلامة هذا، وقال الدارقطني: تفرد به سلامة بن روح، عن عمه عقيل، وسلامة بن روح هذا ضعيف الحديث، وقد استنكر عليه الأئمة حديثه هذا. انظر تهذيب الكمال (١٢/ ٣٠٤)، وأخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ١٢٥) من طريق مصعب بن ماهان، عن الثوري، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً، به، قال البيهقي: وهذا الحديث بهذا الإسناد منكر. اهـ، ومصعب ابن ماهان ضعيف الحديث. انظر تهذيب الكمال (٢٨/ ٣٩).

(٢) انظر النقلين في تفسير الثعلبي (٨/ ١٣٢)، في المطبوع وأحمد٣: «العلماء» بدل «الحكماء»، وسقطت «قال الثعلبي» من الأصل.

(٣) في الحمزوية ونجيبويه والمطبوع: «يقال».

(٤) وهي عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٥٤)، وله ولمجاهد في الكامل للهذلي (ص: ٦٢٥)، ولم أجدها لنافع.

وقرأ طلحة، والأعمش، وفرقة: (فَاكِهِينَ)، جَعَلَتِ الخبرَ في الظرف الذي هو قوله: ﴿فِى شُغُلٍ﴾ ونصبت (فَاكِهِينَ) على الحال[1].

قوله تعالى: ﴿هُمْ﴾ ابتداءٌ، ﴿وَأَزْوَٰجُهُمْ﴾ معطوف عليه، ﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾ خبره.

ويحتمل أن يكون ﴿هُمْ﴾ بدلاً من قوله: ﴿فَٰكِهُونَ﴾، ويكون قوله: ﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾ في موضع الحال، كأَنه قال: مُسْتَظِلِّينَ.

وقرأَ الجمهور: ﴿ظِلَٰلٍ﴾، وهو جمع: ظِلٍّ؛ إِذ الجنة لا شمس فيها، وإِنما هواؤُها سَجْسَجٌ[2] كوقت الإِسفار قبل طلوع الشمس.

ويحتمل أن يكون جمع: ظُلَّة، قال أَبو عليٍّ: كَبُرْمة وبِرَام، وغير ذلك[3].

وقال منذر بن سعيد: ﴿ظِلَٰلٍ﴾: جمع ظِلَّة بكسر الظَّاءِ[4].

قال القاضي أَبو محمد: وهي لغة في ظُلَّة.

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿في ظُلَل﴾، وهي جمع ظُلَّة، وهي قراءَة عبد الله، وأَبي عبد الرحمن وطلحة[5]، وهذه عبارة عن الملابس والمراتب من الحجال والستور ونحوها من الأَشياءِ التي تُظِلُّ وهي زينة.

و﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾: السُّرُرُ المفروشة، قال بعض الناس: من شروطها أن تكون عليها حَجَلَةٌ[6]

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠١).

(٢) يوم سَجْسَجٌ، كجَعْفَر: لا حَر مُؤْذ، ولا قَرٌّ، وكل هواءٍ معتدلٍ طَيِّبٍ: سَجْسَجٌ، وظِلٌّ سجسَجٌ ورِيح سَجْسَجٌ: لَيِّنَةُ الهواءِ مُعتدِلةٌ.

(٣) انظر الحجة للفارسي (٦/ ٤٤).

(٤) البحر المحيط (٩/ ٧٦).

(٥) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٤)، والسبعة (ص: ٥٤٢).

(٦) الحَجَلَةُ: ساتر كالقبة يزيَّن بالثياب والستور للعروس.

وإِلَّا فليست بأَريكة، وبذلك قيَّدها ابن عباس[١]، ومجاهد، والحسن، وعكرمة[٢].

وقال بعضهم: الأَريكة: السَّرير كان عليه حَجَلَة أَو لم تكن.

وقوله: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ بمنزلة: ما يتمنَّون، قال أَبو عبيدة: العرب تقول: ادَّعِ عليَّ ما شئت، بمعنى: تمنَّ عليَّ[٣]، وتقول: فلانٌ فيما ادَّعى، أَي: فيما دعا به؛ لأَنه افْتَعَل، من دعا يدعو، وأَصل هذا الفعل: يَدْتَعِيُون، نُقلت حركة الياءِ إِلى العيْن قبلها، وحذفت الياءُ لاجتماعها مع الواو الساكنة، فبقي: يَدْتَعُون، قلبت التاءُ دالاً وأُدغمت في الأُخرى، وخُصَّت الدالُ بالبقاءِ دون التاءِ لأَنها حرف جلد والتاءُ حرف همس.

قال الرماني: المعنى: إِن من ادَّعى شيئاً فهو له: لأَنه قد هذّبت طباعهم فهم لا يدعون إِلَّا ما يحسنُ منهم[٤].

قوله: ﴿سَلَامٌ﴾، قيل: هي صفة لـ﴿مَّا﴾، أَي: مُسَلَّم لهم وخالصٌ.

وقيل: هو ابتداءٌ، وقيل: خبر ابتداءٍ.

وقرأَ ابن مسعود وعيسى الثقفيُّ وأُبيُّ بن كعب والغنوي: (سَلَاماً) بالنصب على المصدر[٥].

وقرأَ محمد بن كعب القرظي: (سِلْمٌ) وهو بمعنى سلام[٦].

و﴿قَوْلًا﴾ نصب على المصدر.

---

(١) إسناده قوي، أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٣٨) من طريق حصين، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٣٩).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٣٦٤).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها لأبي وابن مسعود في مختصر الشواذ (ص: ١٢٦)، ولعيسى في المحتسب (٢/ ٢١٤).

(٦) وهي شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (٢/ ٢١٣).

وقوله: ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ﴾ الآية، فيه حذف تقديره: ويقول للكفرة، وهذه معادلة لقوله تعالى لأَصحاب الجنة: ﴿سَلَٰمٌ﴾.

و﴿وَٱمۡتَٰزُواْ﴾ معناها: انفصلوا وانحجزوا[1]؛ لأَن العالم في الموقف إِنما هم مختلطون، ثم خاطبهم تعالى بما يميزون به توبيخاً لهم وتوقيفاً على عهده إِليهم ومخالفتهم عهده.

وقرأ الجمهور: ﴿أَعۡهَدۡ﴾ بفتح الهاءِ.

وقرأ الهُزَيلُ[2]، وابن وثَّاب: (أَلمِ اِعْهَد) بكسر الميم والهمزة وفتح الهاءِ، وهي على لغة من يكسر أَول المضارع سوى الياءِ.

وروي عن ابن وثَّاب: (اعْهِدْ) بكسر الهاءِ[3]، ويقال: عَهِد وعَهَد.

و«عبادة الشيطان»: طاعتُه والانقياد لأَعوانه.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي: ﴿وأَنُ اعْبُدُونِي﴾ بضم النون من (أن)، وأَتْبَعُوا بِهَا ضمة الباءِ والدال وواو الجماعة أَيضاً.

وقرأ عاصم، وأَبو عمرٍو، وحمزة: ﴿وَأَنِ ٱعۡبُدُونِي﴾ بكسر النون على أَصل الكسر للالتقاءِ[4].

وقوله: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ إِشارةٌ إِلى الشرائع، فمعنى هذا: أَن الله عهد إِلى بني آدم وقت إِخراج نسمهم من ظهره: أَن لا تعبدوا الشيطان وأَن تعبدوا الله، وقيل

---

(١) في الأصل: «وانحازوا».

(٢) كذا في نجيبويه، وهو الصواب أنه الهزيل بن شرحبيل الأودي من مذحج، روى عن علي وعبد الله وكان ثقة، الطبقات الكبرى (٦/ ١٧٦). في المطبوع وأحمد٣: «الهذلي»، وفي فيض الله: «الزهيل»، وفي سائر النسخ: «الهذيل».

(٣) وهما شاذتان، انظر عزوها لابن وثاب في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠٢)، وزاد في الأولى طلحة، وانظر عزوها للهزيل في البحر المحيط (٩/ ٧٧) عن صاحب اللوامح.

(٤) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٤٢).

لهم: هذه الشرائع موجودة، وبعث آدم إلى ذرِّيَّته، ولم تخْل الأَرض من شريعة إلى ختم الرسالة بمحمد ﷺ.

و«الصِّراطُ»: الطريق، ويقال: إنها دخيلة في كلام العرب وعرَّبَتْها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥)﴾.

هذه أَيضاً من المخاطبة للكفار على جهة التقريع.

[٤/ ٢٥٤] و«الجِبِلُّ»: / الأُمة العظيمة، قال النقاش عن الضحاك: أَقلُّها عشرة آلاف، ولا حدَّ لأَكثرها[(١)].

وقرأَ نافع، وعاصم بكسر الجيم والباءِ وشدِّ اللام، وهي قراءَة أَبي جعفر، وشيبة، وأَهل المدينة، وأَبي رجاءٍ، والحسن بخلاف عنه.

وقرأَ الأَشهب العقيلي: (جِبْلاً) بكسر الجيم وسكون الباءِ والتخفيف[(٢)].

وقرأَ الزهري، والحسن، والأَعرج: (جُبُلّاً) بضم الجيم والباءِ والتَّشديد، وهي قراءَة ابن أَبي إسحاق، وعيسى، وابن وثَّاب[(٣)].

وقرأَ أَبو عمرٍو، وابن عامر، والهذيل بن شرحبيل: ﴿جُبْلاً﴾ بضم الجيم وسكون الباءِ[(٤)]، والتخفيف.

[وقرأَ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: ﴿جُبُلاً﴾ بضم الجيم والباءِ والتخفيف][(٥)].

---

(١) انظر قول الضحاك في البحر المحيط (٩/ ٧٨).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (٢/ ٢١٥)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٠٢).

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها لهم في: المحتسب (٢/ ٢١٥).

(٤) في حاشية المطبوع: في الأصول: «بضم الجيم والباء والتخفيف».

(٥) سقط من أحمد٣، وأشار لذلك في حاشية المطبوع، والقراءتان سبعيتان، وكذا الأولى، انظر التيسير (ص: ١٨٤).

وذكر أَبو حاتم عن بعض الخراسانِيِّين بكسر الجيم وبياءٍ بنقطتين ساكنة[١].

وقرأَ الجمهور: ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾ بالتَّاءِ.

وقرأَ طلحة [وعيسى: (أفلم يكونوا يعقلون)][٢] بالياءِ.

ثم وقفهم على جهنم التي كانوا يُوعدون فَيُكَذِّبُونَ، و(جَهَنَّم) أَوَّل طبقة من النار.

و﴿ٱصْلَوْهَا﴾ معناه: باشِروها.

ثم أَخبر الله تعالى محمداً ﷺ إخباراً تشاركه فيه أُمَّتُه بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾؛ أَي: في ذلك اليوم يكون ذلك، وروي في هذا المعنى: أَن الله تعالى يجعل الكفرة يتخاصمون، فإِذا لم يأْتوا بشيءٍ تقوم لهم به حجة رجعوا إِلى الإِنكار فناكروا الملائكة في الأَعمال، فعند ذلك يختم الله على أفواههم فلا ينطقون بحرف، ويأْمر الله جوارحهم بالشهادة فتشهد.

وروى عقبة بن عامر أنه ﷺ قال: «إِن أَول ما يتكلم من الكافر فخذه اليسرى»، وقال أَبو سعيد الخدري: اليمنى، ثم سائر جوارحه[٣].

وروي: أَن بعض الكفرة يقول يومئذ لجوارحه: تَبّاً لكِ وسُحْقاً، فعنك كنت

---

(١) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٠٢) لابن مسعود، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٩٣) لعلي.

(٢) سقط من المطبوع، وهي شاذة، انظر عزوها لهما في البحر المحيط (٩/ ٧٨).

(٣) ضعيف، الحديث ذكره ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٨٧) قال: رواه الهيثم بن خارجة، وهشام بن عمار، ومحمد بن إسماعيل بن عياش، فقالوا: عن إسماعيل بن عياش، عن ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً، به، وخالف هؤلاء الثلاثة، كل من: الحكم بن نافع، رواه الإمام أحمد (١٧٣٧٤) وإبراهيم بن الضحاك الزبيدي، ذكره ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٨٧) كلاهما عن إسماعيل بن عياش، عن ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عمن حدثه، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً، به، بذكر الرجل المبهم ما بين شريح بن عبيد، وعقبة بن عامر، وهو ما خلا ذكره في الرواية الأولى، قال أبو رزعة: هذا أصح. وقول أبي سعيد لم أجده مسنداً.

أُماحل، ونحو هذا من المعنى[١]، وقد اختلفت فيه أَلفاظ الرّواة.

وروى عبد الرحمن بن محمد بن طلحة[٢] عن أَبيه عن جده أَنه قرأَ: (وَلِتُكَلِّمَنا أَيْديهم ولِتَشْهَدَ أَرْجلهم) بزيادة لامِ (كي) والنصب[٣]، وهي مخالفة لخط المصحف.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

الضمير في ﴿أَعْيُنِهِمْ﴾ مُرادٌ به كفار قريش، ومعنى الآية يُبيِّن أَنهم في قبضة القدرة وبمَدْرج[٤] العذاب إِن شاءَهُ الله تعالى لهم.

وقال الحسن بن أَبي الحسن وقتادة: أَراد الأَعين حقيقة[٥]، والمعنى: لأَعميناهم فلا يَرَوْن كيف يمشون، ويؤيد هذا مجانسة المسخ للعمى[٦] الحقيقي.

وقال ابن عباس: أَراد أَعين البصائر[٧]، والمعنى: ولو شئنا لختمنا عليهم بالكفر فلم يهتد منهم أَحد أبداً[٨].

---

(١) صحيح، أخرجه مسلم (٢٩٦٩) من حديث أنس مرفوعاً بلفظ: «بعداً لكنَّ وسحقاً فعنكن كنت أناضل». وفي المطبوع: «أماحك».

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن طلحة بن مصرف روى عن أبيه وعنه يحيى بن آدم، ليس بقوي، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٥/ ٢٨١)، وأبوه محمد بن طلحة بن مصرف اليامي الكوفي أحد العلماء الثقات، روى عن: أبيه، والحكم، وسلمة بن كهيل، وزبيد اليامي، وعدة، وعنه: ابن مهدي، قال أبو زرعة: صدوق، وضعفه ابن معين، توفي سنة (١٧٦هـ). تاريخ الإسلام (١٠/ ٤٢٩).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في: المحتسب (٢/ ٢١٥).

(٤) في المطبوع: «بروج».

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٤٥).

(٦) في المطبوع: «محاسبة»، وفي الحمزوية: «النسخ»، وسقطت منهما «للعمى».

(٧) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٤٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٨) «أبداً» سقطت من المطبوع وأحمد٣.

و«الطَّمْسُ»: إِذْهَابُ الشيء من الآثار والهيئات حتى كأَنه لم يكن، أَي: جعلنا جلود وجوههم متصلة حتى كأَن لم يكن فيها أَعين قط.

قوله: ﴿فَٱسْتَبَقُواْ﴾ معناه: على الفرض، والتقدير: كأنه قال: ولو شئنا لأَعميناهم فاحسبْ أَو قدِّرْ أَنهم يستبقون الصِّراط، أَي: الطريق، فأَنَّى لهم بالإِبصار وقد أَعميناهم؟ و(أَنَّى) لفظة استفهام فيه مبالغة، وقدَّره سيبويه: كيف؟ ومن أَين؟[(١)]

و(مَسَخْنَاهُمْ) ظاهره: تبديل خِلْقَتِهم لتصير كالقردة والخنازير ونحوه مما تقدم في بني إِسرائيل وغيرهم.

وقال الحسن، وقتادة، وجماعة من المفسرين: معناه: لجعلناهم مقعدين مبطولين لا يستطيعون تصرفاً[(٢)].

وقال ابن سلام: هذا التوعُّد كلُّه يوم القيامة[(٣)].

وقرأ جمهور القراء: ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ بالإِفراد، بمعنى المكان، كما يقال: دارٌ ودارةٌ.

وقرأ عاصم في رواية أَبي بكر: ﴿مَكَانَاتِهِمْ﴾ بالجمع، وهي قراءَة الحسن، وابن أَبي إِسحاق[(٤)].

وقرأ جمهور القراء: ﴿مُضِيًّا﴾ بضم الميم، [وقرأ أبو حيوة (مَضِيّاً) بفتحها][(٥)].

ثم بيَّن تعالى دليلاً في تنكيسه المعمَّرين، وأَن ذلك مما لا يفعله إِلَّا الله.

---

(١) الكتاب (٣/ ٥٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٤٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢٩).

(٣) تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٧٧)، وانظر تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٨١٧).

(٤) سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٤٢)، وموافقة الحسن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٧٤)، وابن أبي إسحاق في القرطبي (١٥/ ٥٠).

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «وفَتَحَهَا أَبو حيْوَة»، وهي شاذة، تابعه عليها في تفسير القرطبي (١٥/ ٥٠)، وأشار لها في البحر المحيط (٩/ ٧٩) بلانسبة، ونسب لأبي حيوة كسر الميم ولأحمد بن جبير الأنطاكي عن الكسائي، وهو في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠٢) للأنطاكي، وفي الكامل (ص: ٦٢٦) للثغري في قول الرازي، ولم يذكرا الفتح.

وقرأ الجمهور: ﴿نَنْكُسْهُ﴾ بفتح النون الأُولى وسكون الثانية وضم الكاف خفيفة.

وقرأ حمزة وعاصم بخلاف عنه: ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ بضم الأُولى وفتح الثانية وكسر الكاف مُشَدَّدَة على المبالغة(١)، وأَنكرها أَبو عمرٍو على الأَعمش(٢).

ومعنى الآية: نُحَوِّل خَلْقه من القوة إلى الضعف، ومن الفهم إِلى الْبَلَه، ونحو ذلك.

وقرأَ نافع، [وابن عامر في رواية ابن ذكوان]، وأَبو عمرٍو في رواية عباس: ﴿تَعْقِلُونَ﴾ بالتاءِ، على معنى: قل لهم.

وقرأَ الباقون بالياءِ على ذكر الغائب(٣).

ثم أَخبر تعالى عن حال نَبِيِّه ﷺ، وردَّ قول من قال من الكفرة: إِنه شاعر، وإِن القرآن شعر بقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾، ولذلك كان رسول الله ﷺ لا يقول الشِّعر ولا يرويه ولا يَزِنُه، وكان إِذا حاول إِنشاء بيت قديم متمثِّلاً كسر وزنه، وإِنما كان يُحْرِزُ المعاني فقط، من ذلك أَنه أَنشد يوماً بيت طرفة(٤):

[الطويل] سَتُبْدي لكَ الأَيَّامُ ما كُنْتَ جاهِلاً ... ويَأْتيكَ مَنْ لم تُزَوِّدْ بالأَخْبَارِ(٥)

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٥)، والخلاف عن عاصم في السبعة (ص: ٥٤٣).

(٢) في فيض الله: «وأنكرها أبو عمرو على رواية عياش الأعشى»، وقد عزاها في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٦٩) للأعمش.

(٣) وهما سبعيتان، الأولى لنافع وابن ذكوان كما في التيسير (ص: ١٨٥)، ولنافع وعباس بن الفضل عن أبي عمرو في السبعة (ص: ٥٤٣)، ورواية ابن ذكوان عن ابن عامر زيادة من السليمانية، وليست فيها رواية عباس، وفي الأصل: «عياش».

(٤) ضعيف، أخرجه الإمام أحمد (٤٠/ ٢٤) والنسائي في الكبرى (٢٤٠٢٣) من طريق هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن الشعبي، عن عائشة، رضي الله عنها، به، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، الشعبي لم يسمع من عائشة، انظر جامع التحصيل (٣٢٢)، ورواه الإمام أحمد (٤١/ ٥١٦) والترمذي (٣٠٦٢) من طريق شريك، عن المقدام بن شريح، عن أبيه، عن عائشة، به، وهذا إسناد ضعيف، شريك هو ابن عبد الله النخعي، ضعيف الحديث. انظر تهذيب الكمال (١٢/ ٤٦٢).

(٥) وإنما أصله: ويأتيك بالأخبار من لم تزوِّدِ. انظر عزوه إلى طرفة في جمهرة أشعار العرب (ص: ٣٤١)، وشرح المعلقات التسع (ص: ٨١)، والشعر والشعراء (١/ ١٨٩).

وأَنْشَدَ يوماً ـ وقد قيل له: من أَشعر الناس؟ ـ فقال: الذي يقول[١]:

أَلَـمْ تَرَيَانِـي كُلَّمَـا جِئْـتُ طَارِقـاً وَجَـدْتُ بها وإِنْ لَمْ تَطَيَّـبْ طِيباً[٢] [الطويل]

وأَنشد يوماً[٣]:

أَتَـجْعَـلُ نَـهْبـي ونَـهْــبَ الْـعَبِيـ ـــدِ بَـيْـنَ الأَقْـرَع وعُـيَـيْنَـةَ[٤] [المتقارب]

وقد كان ﷺ ربما أَنشد البيت المستقيم في النادر، رُوي أَنه أَنشد بيت ابن رواحة:

يَبِيتُ يُجَافِـي جَنْبَـهُ عَـنْ فِرَاشِـهِ إِذا اسْتَثْقَلَت بالمشْرِكين المَضَاجعُ[٥] [الطويل]

/ وقال الحسن بن أَبي الحسن: أَنشد النبي ﷺ: [٤/ ٢٥٥]

.... كَفَى بالإِسْلام والشَّيْبِ للمرءِ نَاهِياً

فقال أَبو بكر وعمر رضي الله عنهما: نشهد أنك رسول الله، إنما قال الشاعر:

.... كَفَى الشَّيْبُ والإِسْلَامُ للمَرْءِ ناهِيًا[٦] [الطويل]

حكاه الثعلبي[٧].

---

(١) لم أقف له على سند.

(٢) وأصل الشطر الثاني: وَجَدْتُ بها طِيباً وإن لَمْ تَطَيَّبِ، وهو لامرئ القيس، كما في الأغاني (١٥/ ٢٧٥)، والكامل للمبرد (٣/ ٨٦).

(٣) ضعيف، أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/ ١٨١) من طريق موسى بن عقبة، به، معضلًا.

(٤) وأصله: بَيْنَ عُيَيْنَةَ والأَقْرَع، وهو للعباس ابن مرداس، كما في أنساب الخيل (ص: ٤٧)، والفاضل (ص: ٩)، والاشتقاق (ص: ٣١٠).

(٥) تقدم هذا البيت في تفسير الآية (١٦) من (سورة السجدة)، والذي وقفت عليه، أنه من رواية أبي هريرة، عن عبد الله بن رواحة، رضي الله عنه كما أخرجه البخاري في صحيحه (١١٠٤).

(٦) البيت لسحيم عبد بني الحسحاس، كما تقدم في تفسير الآية (٢٤) من (سورة النساء)، وانظر تفسير الثعلبي (٨/ ١٣٥).

(٧) ضعيف مرسل، أخرجه ابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير (٦/ ٥٨٨) من طريق علي بن زيد، عن الحسن، به مرسلاً.

قال القاضي أبو محمد: وإصابته الوزن أَحياناً لا توجب أَنه يعلم الشعر، [وكذلك قد يأتي أَحياناً في][(١)] نثر كلامه ما يدخل في وزن، كقوله يوم حُنين:

[مجزوء الرجز] أَنَــــا الــنَّـبــيُّ لا كَـــذِبْ أَنَــا ابْــنُ عَـبْـدِ الْـمُـطَّـلِـبْ[(٢)]

وكذلك يأْتي في آيات القرآن الكريم، وفي كل كلام، وليس ذلك بشعر ولا في معناه.

قال القاضي أبو محمد: وهذه الآية تقتضي ـ عندي ـ غضاضة على الشِّعر ولا بدّ، ويؤيد هذا قولُ عائشة رضي الله عنها: إن الشعر أَبغض الحديث إِلى رسول الله ﷺ، وكان يتمثل بشعر أَخي قيس طرفة فيعكسه، فقال له أَبو بكر رضي الله عنه: ليس هكذا، فقال: «ما أَنا بشاعر ولا ينبغي لي»[(٣)].

وقد ذهب قوم إِلى أَن الشعر لا غضَّ عليه، وإِنما منعه من التَّحَلِّي بهذه الحلية الرفيعة ليجيءَ القرآن من قِبَلِهِ أَغرب، فإِنه لو كان له إِدراك الشِّعر لقيل في القرآن: إن هذا من تلك القوة.

قال القاضي أَبو محمد: وليس الأمر عندي كذلك، وقد كان ﷺ من الفصاحة والبيان في النثر في المرتبة العليا، ولكن كلام الله تعالى يبين بإِعجازه، ويبْرُز برصْفه،

(١) في المطبوع وأحمد٣: «ورُوي أنه ﷺ أَتى».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧٠٩) ومسلم (١٧٧٦) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه مرفوعاً، به.

(٣) ضعيف، أخرجه الإمام أحمد (٤٠/ ٢٤) والنسائي في الكبرى (٢٤٠٢٣) من طريق هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن الشعبي، عن عائشة، رضي الله عنها، به، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، الشعبي لم يسمع من عائشة رضي الله عنها. انظر جامع التحصيل (٣٢٢)، ورواه الإمام أحمد (٤١/ ٥١٦) والترمذي (٣٠٦٢) من طريق شريك، عن المقدام بن شريح، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، به، وشريك هو ابن عبد الله النخعي، ضعيف الحديث. انظر تهذيب الكمال (١٢/ ٤٦٢).

ويُخرجه إِحاطة علم الله عن كل كلام، وإِنما منعه الله تعالى من الشِّعر ترفيعاً له عمَّا في قول الشعراءِ من التَّخيل وتزويق الكلام، وأَما القرآن فهو ذكر الحقائق والبراهين، فما هو بقول شاعر، وهكذا كان أُسلوب كلامه ﷺ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى، والشِّعر نازل الرتبة عن هذا كله.

والضمير في ﴿عَلَّمْنَاهُ﴾ عائد على محمد ﷺ قولاً واحداً.

والضمير في ﴿لَهُۥ﴾ يحتمل أَن يعود على محمد ﷺ، أو يعود على القرآن الكريم، وإِن كان لم يذكر لدلالة المجاورة عليه، ويُبَيِّن ذلك قولُه تعالى: ﴿إِنْ هُوَ﴾.

وقرأَ نافع، وابن عامر: ﴿لِتُنْذِرَ﴾ بالتَّاءِ على مخاطبة محمد ﷺ.

وقرأَ الباقون: ﴿لِّيُنذِرَ﴾ بالياءِ؛ أَي: لِيُنْذِرَ القرآن، أو لِيُنْذِرَ محمدٌ ﷺ[١].

واللام متعلقة بـ﴿مُّبِينٌ﴾.

وقرأَ محمد اليماني: (لِيُنْذَرَ) بضم الياء وفتح الذال [على الفعل المجهول][٢].

قال أَبو حاتم: ولو قرئ: (لِيَنْذَر) بفتح الياءِ والذَّال ـ أَي: ليتحفظ ويأْخذ بحظِّه ـ لكان جائزاً، وحكاها أَبو عمرٍو الدَّانيُّ قراءة[٣] عن محمد اليماني[٤].

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾؛ أَي: حيَّ القلب والبصيرة، ولم يكن ميتاً لكفره، وهذه استعارة، قال الضحاك: ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ معناه: عاقلاً، ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ معناه: يحتم العذاب ويجب الخلود، وهذا كقوله تعالى: ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [الزمر:٧١].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٥)، والسبعة (ص: ٥٤٤).

(٢) من المطبوع، وأحمد٣ وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠٣)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٢٦) للجحدري.

(٣) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها له في: مختصر الشواذ (ص: ١٢٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٠٣). ولم أقف على كلام أبي حاتم ولا الداني.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾
وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾
وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ
مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

هذه مخاطبة في أَمر قريش وإِعراضها عن الشَّرع وعبادتها الأَصنام، فَنَبَّهَهُم الله تعالى [على الألوهية، بما لا يحصى من الأدلة كثرة وبياناً، فنبه][1] بهذه الآية على إِنعامه عليهم بِبَهيمة الأَنعام.

وقوله تعالى: ﴿أَيْدِينَآ﴾ عبارة عن القدرة، عبَّر عنها بـ(يَد) وبـ(يَدَيْن) وبـ(أَيْد)، وذلك من حيث كان البشر إِنما يقيمون[2] القدرة والبطش باليد، فعبَّر لهم بالجهة التي اقتربت من أَفهامهم، والله ُتعالى مُنَزَّهٌ عن الجارحة والتَّشبيه كُلِّه[3].

وقوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ تنبيه على أن النِّعمة في أَن هذه الأَنعام ليست بعاتية ولا مُبْتَزَّة، بل تُقتنى وتقرب منافعها.

وقوله: ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا﴾ معناه: سخَّرناها ذليلةً.

و«الرَّكُوبُ»: المركوب، وهذا فَعُولٌ بمعنى: مَفْعُول، وليس إِلَّا في أَلفاظ محصورة، كالرَّكُوب، والحَلُوب، والقَروع[4].

وقرأَ الجمهور: ﴿رَكُوبُهُمْ﴾ بفتح الراءِ، وقرأَ بضمها: الحسن، والأَعمش[5].

وقرأَ أُبيُّ بن كعب، وعائشة: (رَكُوبَتُهُمْ)[6].

---

(١) سقط من المطبوع وأحمد٣.
(٢) في المطبوع وفيض الله: «يفهمون»، مع الإشارة للنسخة الأخرى.
(٣) الذي عليه أهل السنة والجماعة أن اليد صفةٌ لله عَزَّ وجَلَّ، نثبتها كما يليق بجلاله من غير تمثيل ولا تعطيل. انظر التوحيد لابن خزيمة (١/ ١١٨).
(٤) في الحمزوية: «الفزوع»، وفي نجيبويه: «القارع»، وفي المطبوع: «القدوع».
(٥) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٦٩).
(٦) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في المحتسب (٢/ ٢١٥)، ومختصر الشواذ (ص: ١٢٦).

و«الْمَنَافِعُ» إشارة إلى الأَصواف والأَوبار وغير ذلك، و«الْمَشَارِبُ»: الأَلبانُ.

ثم عنَّفهم في اتخاذ آلهة طَلَباً للاستنصار بها والتعاضد، ثم أَخبر أَنهم لا يستطيعون نصراً.

ويحتمل أَن يكون الضمير فيه للكفار، في نَصْرِهُمْ للأَصنام.

ويحتمل الأمر[1] عكس ذلك؛ لأن الوجهين صحيحان في المعنى.

كذلك قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ يحتمل أَن يكون الضمير الأَول للكفار والثاني للأَصنام، على معنى: وهؤلاءِ الكفار مُجَنَّدون مُتَحَزِّبون لهذه الأَصنام في الدنيا، لكنهم لا يَسْتطيعون التناصر مع ذلك.

ويحتمل [أن يكون الضمير الأول للأصنام والثاني للكفار][2]؛ أَي: يحضرون لهم في الآخرة عند الحساب، على معنى التوبيخ والنقمة، وسمَّاهم جُنْداً في هذا التأْويل إِذ هم عُدَّة للنقمة منهم وتوبيخهم، وجرت ضمائر الأَصنام في هذه الآية مجرى من يعقل إِذْ أُنزلتْ في عبادتها منزلة ذي عقل، فعوملت في العبارة بذلك.

ثم آنس نَبيَّه ﷺ بقوله: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾.

وتوعَّد الكفار بقوله: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ /. [٤/ ٢٥٦]

هذه الآيات قال فيها ابن جُبَيْر: إنها نزلت بسبب أَن العاص بن وائل السهمي جاءَ

(١) من نور العثمانية وفيض الله والسليمانية.

(٢) في المطبوع وأحمد٣ بدلًا منه: «العكس».

إلى النبي ﷺ بِعَظْم رميم، فَفَتَّه وقال: يا محمد، من يُحْيي هذا؟[١]

وقال مجاهد وقتادة: إن الذي جاءَ بالعظم النَّخر أُمَيَّة بن خلف، وقاله الحسن، وذكره الرماني[٢].

وقال ابن عباس: الجائي هو عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سلول[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وهو وَهْم مِمَّن نسبه إلى ابن عباس؛ لأَن السُّورة والآية مكيَّة بإجماع، ولأَن عبد الله بن أُبيٍّ لم يجاهر قطُّ هذه المجاهرة.

واسم (أُبَيٍّ) هو الذي خلط على الرواة؛ لأَن الصحيح هو ما رواه ابن وهب عن مالك، وقاله ابن إسحاق وغيره: من أَنَّ أُبيَّ بن خلف أَخا أُميَّة بن خلف هو الذي جاءَ بالعظم الرميم بمكَّة ففتَّه في وجه النبي ﷺ وحياله[٤]، وقال: من يُحيي هذا يا محمد؟ ولأُبيٍّ هذا مَعَ النبي ﷺ مقامات ومقالات إلى أَن قتله بيده يوم أُحد بالحربة بجرح في عنقه[٥]، ورُوي: أن رسول الله ﷺ قال لأبيٍّ حين فتَّ العظم: «الله يُحْييك ويُحييه ويُدخلك جهنم»[٦].

ثم نزلت الآيات مُبَيِّنَة ومقيمة[٧] للحجة في أَن الإِنسان نطفة ثم يكون بعد ذلك خصيماً مبيناً، فهل هذا إِلَّا إِحياءٌ بعد موت وعدم حياة؟

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٥٤) من طريق سعيد بن جبير، به مرسلًا.

(٢) انظر قول مجاهد وقتادة في الطبري (٢٠/ ٥٥٤)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٣٧)، وانظر فيه قول الحسن. ولم أقف على نقل الرماني.

(٣) منكر، أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٥٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، والأثر أورده ابن كثير في تفسيره (٦/ ٥٩٤) من رواية ابن جرير، وقال: وهذا منكر، لأن السورة مكية، وعبد الله بن أبي بن سلول كان بالمدينة. و«الجائي» ليست في المطبوع.

(٤) سقط من المطبوع، وفي الحمزوية: «وحثا له»، وفي أحمد٣: «حباله».

(٥) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٣٥٥) من طريق مقسم مولى ابن عباس، به معضلًا.

(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٥٤) من طريق قتادة، به معضلًا.

(٧) سقط من المطبوع وأحمد٣.

وقوله: ﴿وَنَسِيَ﴾ يحتمل أَن يكون نسيان الذهول، ويحتمل أَن يكون نسيان الترك.

و«الرَّميمُ»: البالي المُفَتَّت، وهو الرفات.

ثم دَلَّهم تعالى على الاعتبار بالنشأة الأُولى.

ثم عقَّب ذلك تعالى بدليل ثالث في إِيجاد النار في العود الأَخضر المرتوي ماءً، وهذا هو زناد العرب، والنار موجودة في كل عود غير أَنها في المتخلخل المفتوح المسامِّ أَوْجد، وكذلك هو المرْخُ والعفَار.

وأَعاد الضمير على الشجر مُذَكَّراً من حيث راعى اللفظ، فجاءَ كالتَّمر والحصى وغيره.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

هذا تقرير وتوقيف على أَمرٍ تدل صحتُه على جواز بعث الأَجساد من القبور وإِعادة الموتى.

وجَمَعَ الضمير جَمْع من يعقل في قوله سبحانه: ﴿مِثْلَهُم﴾ من حيث كانتا متضمنتين مَنْ يعقل من الملائكة والثقلين، هذا تأْويل جماعة من المفسرين.

وقال الرماني وغيره: الضمير عائد على الناس[١].

[قال القاضي أَبو محمد: فهم مثال للبعث، وتكون الآية نظير قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾][٢] [غافر: ٥٧].

---

(١) انظر قوله في البحر المحيط (٩/ ٨٥).

(٢) ما بين معكوفتين سقط من الأصل.

وقرأ سَلَّام أَبُو الْمُنْذِرِ، وابن أَبي إِسحاق، ويعقوب، والأَعرج: ﴿يَقْدِرُ﴾ [على يفعل مستقبل][(١)].

وقرأ الجمهور: ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾ على اسم الفاعل.

وقرأ جمهور الناس: ﴿ٱلْخَلَّـٰقُ﴾، وقرأ الحسن: (الْخَالِقُ)[(٢)]، ورفع ﴿فَيَكُونُ﴾ على معنى: فهو يكون، وهي قراءَة الجمهور.

وقرأ ابن عامر، والكسائي: ﴿فَيَكُونَ﴾ بالنصب[(٣)].

قال أَبو عليٍّ: لا ينصب الكسائي إِذا لم يتقدم (أَن)، وينصب ابن عامر وإِن لم تتقدم (أَن)، والنصب هنا قراءَة ابن محيصن[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿كُن﴾ أَمْرٌ للشيءِ الْمُخْتَرَع عند تعلُّق القدرة به لا قبل ذلك ولا بعده، وإِنما يؤمر تأْكيداً للقدرة وإِشارة بها، وهذا أَمر[(٥)] دون حروف ولا أَصوات، بل من الكلام القائم بالذات [لا رب سواه][(٦)].

ثمَّ نزَّه الله تعالى نفسه تنزيهاً عامّاً مطلقاً.

وقرأ جمهور الناس: ﴿مَلَكُوتُ﴾.

---

(١) في المطبوع: «على الاستقبال»، وفي نور العثمانية وفيض الله: «على فعل مستقبل»، وهي عشرية ليعقوب من رواية رويس عنه، وأما روح فهو موافق للجمهور، كما في النشر (٢/ ٣٥٥).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٧٠).

(٣) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٤٤)، وسقط «الكسائي» من الأصل، وفي المطبوع وأحمد٣: «ابن عباس» بدل «ابن عامر».

(٤) انظر الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ٤٧)، وانظر العزو لابن محيصن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ١٩٠).

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «وهي أوامر».

(٦) سقط من المطبوع وأحمد٣.

وقرأَ طلحة والتَّيمي والأَعمش: (مَلَكَةُ)[١]، ومعناه: ضبْطُ كلِّ شيءٍ والقدرة عليه.

وباقي الآية بيِّن[٢].

كمل تفسير (سورة يس)، والحمد لله رب العالمين

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لهم في المحتسب (٢/ ٢١٦). وفي الأصل: «ملكوت»، وسقط «طلحة» من المطبوع وأحمد٣.

(٢) سقط من المطبوع وأحمد٣.

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الصافات

هي مكِّيَّة، وعددها في المدني والشامي والكوفي مئة آية واثنان وثمانون آية.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴿٧﴾﴾.

أَقسم الله تعالى في هذه الآيات بأَشياءَ من مخلوقاته، واختلف الناس في معناها:

فقال ابن مسعود(١)، ومسروق، وقتادة: هي الملائكة التي تصفّ في السماءِ في عبادة الله تعالى وذِكْرِه صفوفاً(٢).

وقالت فرقة: أَراد كل من يصف من بني آدم في قتال في سبيل الله، أَو في صلاة وطاعة، والتقدير: والجماعات الصَّافات.

قال القاضي أبو محمد: واللفظ يحتمل أَن يعم هذه المذكورات كلها.

---

(١) صحيح، أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٥٧) من طريق شعبة، عن سليمان الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٥٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٦).

[ومما أقسم به عزَّ وجل: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ﴾، واختلف الناس في معناها أيضاً: فقال][(١)] مجاهد، والسدي: الملائكة التي تزجر السحاب وغيره من مخلوقات الله.

وقال قتادة: (الزاجرات): هي آيات القرآن المتضمنة النواهي الشرعية[(٢)].

وقوله: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾ معناه: القارئات.

وقال مجاهد، والسدي: أَراد الملائكة التي تتلو ذكره.

وقال قتادة: أَراد بني آدم الذين يتلون كُتبه المنزَّلة، وتسبيحه وتكبيره، ونحو ذلك[(٣)].

وقرأَ أَبو عمرٍو، وحمزة بإدغام التاء في الذال، وهي قراءَة ابن مسعود، ومسروق، والأَعمش، وقرأَ الباقون وجمهور الناس بالإِظهار، وكذلك في كُلِّها[(٤)].

قال أَبو حاتم: والبيان اختيارنا[(٥)].

وأَمَّا (الْحَامِلاتِ وِقْراً) و(الجاريات يُسْراً)، فلا يجوز فيهما الإِدغام لِبُعْد التاءِ من الحرفين.

ثم بيَّن تعالى المُقْسَمَ عليه أنه توحيده، وأَنَّه واحد، أَي: مُتَّحد من جميع الجهات التي ينظر فيها المفكر، ثم وصف تعالى نفسه بِرُبُوبيَّته جميع المخلوقات.

وذكر المَشَارِقَ لأَنها مطالع الأَنوار، والعيون بها أَكْلَف، وفي ذِكْرها غُنْية من ذِكْر

---

(١) سقط من المطبوع وأحمد٣، وفيهما فقط: «والزاجرات زجراً، قال مجاهد ... إلخ».
(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٨)، والثاني في تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٤)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٣٩).
(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٩)، وانظر تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٤)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٣٩).
(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٥)، والسبعة (ص: ٥٤٦).
(٥) لم أقف عليه، وفي الحمزوية والمطبوع: «الإظهار» بدل «البيان».

المغَارب؛ إِذ مُعَادَلتُهَا لها / مفهومة عند كل ذي لُبٍّ، وأَراد تعالى مشارق الشمس[١] [٤/ ٢٥٧]
وهي مئة وثمانون في السَّنة فيما يزعمون، من أَطول أَيام السَّنة إِلى أَقصرها.

ثم أَخبر تعالى عن قدرته من تَزيين السماءِ بالكواكب، وانتظم في ذلك التَّزيين أَن جعلها حفظاً وحِرْزاً من الشياطين المردة، وهم مسترقو السمع.

وقرأَ جمهور القراء بإِضافة (الزِّينَةِ) إِلى (الكواكب).

وقرأَ حمزة، وحفصٌ عن عاصم بتنوين (زِينَةٍ) وخَفْض ﴿ٱلْكَوَاكِبِ﴾ على البدل من الزينة، وهي قراءَة ابن مسعود، ومسروق بخلاف عنه، وأَبي زُرْعَة بن عمرو بن جرير، وابن وثاب، وطلحة.

وقرأَ أَبو بكر عن عاصم: ﴿بِزِينَةٍ﴾ بالتنوين ﴿الْكَوَاكِبَ﴾ بالنصب، وهي قراءَة ابن وثاب، وأَبي عمرٍو، والأَعمش، ومسروق[٢].

وهذا في الإِعراب نحو قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد: ١٤-١٦].

وحكى الزهراوي قراءَةً: بتنوين (زِينَةٍ) ورفع (الْكَوَاكِبُ)[٣].

و«الْمَارِدُ»: المتجرِّد للشرِّ[٤]، ومنه: شجرة مرداءُ، أَي: لا ورق عليها، ومنه: الأَمْرَدُ.

وخصَّ تعالى السماءَ الدنيا بالذكر لأَنها التي تُباشرها أَبصارنا، وأَيضاً فالحفظ من الشياطين إِنما هو فيها وحدها.

﴿وَحِفْظًا﴾ نصب على المصدر، وقيل: مفعول من أَجله، والواو زائدة.

---

(١) زاد في نور العثمانية: «ومغاربها».

(٢) والثلاث سبعية، انظر، انظر التيسير (ص: ١٨٥) والسبعة (ص: ٥٤٦)، وانظر إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٧٨).

(٣) انظر: البحر المحيط (٧/ ٣٣٨)، وقد نسبها فيه لزيد بن علي، أما ما نسبه للزهراوي فلم أقف عليه.

(٤) سقط من الأصل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾.

﴿ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: أَهل السماءِ الدنيا فما فوقها، وسمّى الكلَّ منهم (أَعْلَى) بالإِضافة إِلى مَلإِ الأَرض الذي هو أَسفل، والضمير في ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾ للشياطين.

وقرأَ جمهور القراءِ والناس: ﴿يَسْمَعُونَ﴾ بسكون السِّين وتخفيف الميم.

وقرأَ حمزة، وعاصم في رواية حفص، وابن عباس بخلاف عنه، وابن وثاب، وعبد الله بن مسلم، وطلحة، والأَعمش: ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ﴾[(١)] بشدِّ السِّين والميم، بمعنى: لا يتسمعون.

فينتَفي على القراءَة الأُولى سماعُهم وإِن كانوا يَتَسَمَّعون، وهو المعنى الصحيح، ويعضده قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢]، ويَنْتَفي على القراءَة الأَخيرة أَن يقع منهم استماعٌ أَو سماعٌ، وظاهر الأَحاديث أَنهم يستمعون حتى الآن لكن لا يسمعون، وإِنْ سمع منهم أَحد شيئاً لم يفلت الشهاب[(٢)]، قبل أَن يلقي ذلك السمع إِلى الذي تحته[(٣)]؛ لأَن من وقت محمد ﷺ مُلِئَت السماءُ حرساً شديداً وشُهُباً، وكان الرجم في الجاهلية أخف.

ورُوي في هذا المعنى أَحاديث صحاحٌ مُضَمَّنُهَا: أَن الشياطين كانت تصعد إِلى السماءِ فتقعد للسمع واحداً فوق آخر، يتقدم الأَجْسَرُ نحو السماءِ، ثم الذي يَلِيه، ثم الذي يَلِيه، فيقضي الله تعالى الأَمر من الأمور في الأَرض فيتحدث به أَهل السماءِ، فيسمعه منهم ذلك الشيطان الأَدْنى، فيلقيه إِلى الذي تحته، فربما أَحرقه شهاب وقد أَلْقى الكلام، وربما لم يحرقه جملة، فتنزل تلك الكلمة إِلى الكُهَّان فيكذبون معها مئة

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٤٧)، والتيسير (ص: ١٨٦).
(٢) «الشهاب» ليست في أحمد٣، ولا في المطبوع، لكن أشار لها في الهامش.
(٣) في المطبوع: «يجيؤه».

كذبة، فتصدق تلك الكلمة، فيصدق الجاهلون الجميع، فلما جاءَ الله بالإِسلام حُرِسَت السماءُ بشدة فلم يُفْلت شيطان سمع بتَّةً[١]، ويروى: أَنها لا تسمع شيئاً الآن، والكواكب الراجمةُ هي التي يراها الناس تَنْقَضُّ منقضية[٢].

قال النقاش، ومكي: وليست بالكواكب الجارية في السماءِ، لأَن تلك لا تُرى حركتها، وهذه الراجمة تُرى حركتها لقربها منَّا[٣].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا نظر.

و(يُقْذَفُونَ) معناه: يُرْجمون.

و«الدُّحُورُ»: الإِصغار والإِهانة؛ لأن الزَّجْرَ: الدفعُ بعنف، قال مجاهد: مَطْرُودين[٤].

وقرأَ الجمهور بضم الدال، وقرأَ أَبو عبد الرحمن السُّلَمي: (دَحُوراً) بفتح الدال[٥].

و«الْوَاصِبُ»: الدائم، قاله مجاهد، وقتادة، وعكرمة.

وقال السدي، وأَبو صالح: الواصِبُ: الْمُوجع[٦]، ومنه: الوصب، والمعنى: هذه الحال الغالبة على جميع الشياطين، إِلَّا من شذَّ فخطف خبراً أَو نبأً فأَتْبعه شهابٌ فأَحرقه.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿خَطِفَ﴾ بفتح الخاءِ وكسر الطاءِ خفيفة.

وقرأ الحسن، وقتادة: (خِطِّفَ) بكسر الخاءِ والطَّاءِ وتشديد الطاءِ[٧].

---

(١) منها ما أخرجه البخاري في صحيحه (٧٣٩) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً.

(٢) «منقضية» ليست في المطبوع، وفي الأصل: «التي تلي يراها».

(٣) الهداية لمكي (٩/ ٦٠٨٦)، ولم أقف على قول النقاش.

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ١٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٥).

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (٢/ ٢١٨)، ومختصر الشواذ (ص: ١٢٧).

(٦) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ١٧)، والهداية لمكي (٩/ ٦٠٨٤).

(٧) وهي شاذة، انظر عزوها للحسن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٧١)، ولهما ولعيسى في: مختصر الشواذ (ص: ١٢٨).

قال أَبو حاتم: يقال: إنها لغة بكر بن وائل، وتميم بن مرة[١].

ورُوي عن ابن عباس بكسر الخاءِ والطَّاءِ مخففة[٢].

و«الثَّاقِبُ»: النافذ بضوئه وشعاعه المنير، قاله قتادة، والسدي، وابن زيد[٣]، وحَسَبٌ ثاقب: إذا كان سَنيّاً منيراً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

«الاستفتاءُ»: نوعٌ من أَنواع السؤال، وكأَنه سؤال من يُهْتَبَل بقوله ويجعل حُجَّة، وكذلك هي أَقوالهم في هذا الفصل[٤]، لا يمكنهم أَن يقولوا إلا أَن خَلْق مَنْ سواهم مِنَ الأُمم والملائكة والإِنس والجن والسماوات والأَرض والمشارق وغير ذلك، هو أَشدُّ من هؤلاءِ المخاطَبين، وبأَنَّ الضمير في ﴿خَلَقْنَآ﴾ يُراد به ما تقدم ذكره.

وقال مجاهد وقتادة وغيرهما: في مصحف عبد الله بن مسعود: (أَمْ مَنْ عَدَدْنَا) يريد من الصَّافَّات وغيرها، والسماوات والأَرض وما بينهما[٥]، وكذلك قرأَ الأَعمش.

وقرأَ أَيضاً: (أَمَنْ) مُخَفَّفة الميم دون (أَم)[٦].

---

(١) نقله عنه في البحر المحيط (٩/ ٩٣).

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في البحر المحيط (٩/ ٩٣).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ١٨-١٩).

(٤) في المطبوع: «الفاصل».

(٥) وهي شاذة، تخالف الرسم، انظر نسبتها للثلاثة في تفسير الطبري (٢١/ ١٩، ٢٠)، وسقطت «وغيرهما» من أحمد٣، وفي غير السليمانية والأصل: «وفي مصحف بالواو».

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها له في البحر المحيط (٩/ ٩٣).

ثم أَخبر تعالى إِخباراً جزماً عن خلْقه لآدم الذي هو أَبو البشر، وأَضاف الخلق من الطين إِلى جميع الناس من حيث الأَب مخلوق منه / . [٤/ ٢٥٨]

وقال الطبري: خُلق ابن آدم من تراب وماء ونارٍ وهواءٍ، هذا كله إِذا اختلط صار طيناً لازباً[١]، وهو اللاَّزم، أَي: يلازم ما جاوره ويلصق به، وهو الصَّلصال كالفخار.

وعبَّر ابن عباس[٢]، وعكرمة عن اللازب بالحرِّ[٣]؛ أَي: الكريم الجيِّد، وحقيقة المعنى ما ذكرناه، يقال: ضربَة لازِبٍ ولازمٍ، بمعنى واحد.

وقرأَ جمهور القراء: ﴿عَجِبْتَ﴾ بفتح التاءِ، أَي: يا محمدُ من إِعراضهم عن الحقِّ وعَماهُم عن الهدى، وأَن يكونوا كافرين مع ما جئتهم به من عند الله.

وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿بل عجبتُ﴾ بضمِّ التاءِ، ورُويت عن علي، وابن مسعود، وابن عباس، وابن وثاب، والنَّخَعي، وطلحة، وشقيق، والأَعمش[٤].

وذلك على أَن يكون تعالى هو المتعجِّب، ومعنى ذلك مِنَ الله: أَنه صفة فعل، كقول النبي ﷺ: «يعجب الله تعالى إلى قوم يساقون إِلى الجنة في السلاسل»[٥]، وقوله عليه السلام: «يعجب الله من الشابِّ ليست له صَبْوة»[٦]، فإنما هي عبارة عما يظهره

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٢٠).

(٢) صحيح، أخرجه الطبري (٢١/ ٢١) من طريق الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٣) في الأصل: «بالجر»، وانظر تفسير الماوردي (٥/ ٤٠)، وتفسير الطبري (٢١/ ٢٢)، ولفظ عكرمة فيه: «اللزج».

(٤) سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٦)، والسبعة (ص: ٥٤٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٤٠). وفي الحمزوية والمطبوع: «سفيان» بدل «شقيق».

(٥) أخرجه البخاري (٣٨٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه به.

(٦) ضعيف، أخرجه الإمام أحمد (٢٨/ ٦٠٠) وابن عدي في كامله (٤/ ١٤٧) من طريق ابن لهيعة، عن أبي عشانة، عن عقبة بن عامر، رضي الله عنه مرفوعاً، به. وهذا إسناد ضعيف بسبب عبد الله بن لهيعة.

تعالى في جانب [المتعجب منه من التعظيم والتحقير حتى يصير الناس متعجبين منه][(١)].

فمعنى هذه الآية: بل عجبتُ من ضلالهم وسُوءِ نحلتهم[(٢)]، وجعلتها للناظرين فيها وفيما اقترن معها من شرعي وهداي متعجباً.

ورُوي عن شُريح إِنكار هذه القراءَة، وقال: إِن الله لا يعجب، قال الأَعمش: فذكرتُ ذلك لإِبراهيم فقال: إِن شُرَيْحاً كان مُعْجَباً بعلمه، وإِنَّ عبد الله أَعلمُ منه[(٣)].

وقال مكيٌّ، وعليٌّ بن سليمان ـ في كتاب الزهراوي ـ: هو إِخبار من النبي ﷺ عن نفسه، كأَن المعنى: قل: بل عجبتُ[(٤)].

وقوله: ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾؛ أَي: وهم يسخرون من نُبُوَّتك والحقِّ الذي عندك.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ يريد: بالآية، وهي العلامة والدلالة، ورُوي أَنها نزلت في رُكانة، وهو رجلٌ مكيٌّ مشرك، لقي النبي ﷺ في جبل خال وهو يرعى غنماً له، وكان أَقوى أَهل زمانه، فقال له: يا رُكانة، إِنْ أَنا صرعتك أَتُؤْمن بي؟ قال: نعم، فصرعه ثلاثاً، ثم عرض عليه آياتٍ من دعاءِ شجرة وإِقبالها، ونحو ذلك مما اختلفت فيه العلماء[(٥)] وأَلفاظ الحديث، فلما فرغ من ذلك كلِّه لم يُؤْمن، وجاءَ إِلى مكة فقال: يا بني هاشم، ساحِروا بصاحبكم هذا أَهْل الأَرض، فنزلت هذه الآية فيه وفي نظرائه[(٦)].

---

(١) ليس في المطبوع، وفيه فقط: «منه». والذي عليه عليه السنة والجماعة: أن صفة العجب صفةٌ من صفاتِ الله عَزَّ وجلَّ الفعليَّة الخبريَّة الثابتة له بالكتاب والسنة. انظر تفسير الطبري (١٩/ ٥١٣)، والسنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٤٩)، والحجة لقوام السنة الأصبهاني (٢/ ٤٥٧).

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «تخيُّلهم».

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٤)، وانظر تفسير الثعلبي (٨/ ١٤١)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ١٥).

(٤) الهداية لمكي (٩/ ٦٠٨٧)، بتصرف، ولم أقف على نقل الزهراوي والأخفش.

(٥) زيادة من الأصل، وليست في الحمزوية ونجيبويه والمطبوع ونور العثمانية وفيض الله.

(٦) ضعيف، أخرج بعضه الترمذي في سننه (١٨٨٧) من طريق أبي الحسن العسقلاني، عن أبي جعفر بن محمد بن ركانة، عن أبيه، أن ركانة صارع النبي ﷺ..، قال الترمذي: هذا حديث غريب، وإسناده ليس بالقائم، ولا نعرف أبا الحسن العسقلاني، وابن ركانة.اهـ.

وقوله: ﴿يَسۡتَسۡخِرُونَ﴾ معناه: يطلبون أَن يكونوا ممن يسخر، ويجوز أَن تكون بمعنى: يَسْخَر، كقوله: ﴿وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ﴾ [التغابن: ٦]، فيكون فَعِل واسْتَفْعَل بمعنى، وبـ(يسخرون) فسَّره مجاهد وقتادة[١].

وفي بعض القراءات القديمة: (يَسْتَسْحِرونَ) بالحاءِ غير منقوطة[٢].

وهذه عبارة عمَّا قال رُكانة؛ لأَنه اسْتَسْحر النبي ﷺ.

وقرأَ: ﴿مُتنا﴾ بضم الميم أَبو جعفر، وابن أَبي إسحاق، وعاصم، وأَبو عمرٍو، والعامَّة.

وقرأ بكسر الميم الحسن، والأعرج، وشيبة، ونافع[٣].

وقرأَ أَبو جعفر ونافع وشيبة أيضاً: ﴿أَوْ آبَاؤُنا﴾ بسكون الواو، وهي التي للقسمة أَو التخيير.

وقرأَ الجمهور: ﴿أَوَءَابَآؤُنَا﴾ بفتح الواو، وهي واو العطف دخلت عليها أَلف الاستفهام[٤].

ثم أَمره الله تعالى أَن يجيب تقريرهم بـ﴿نَعَمۡ﴾ وأن يزيدهم في الجواب أَنهم ـ مع البعث ـ في صَغار وذلَّة واستكانة[٥].

وقرأ ابن وثاب: ﴿نعِم﴾ بكسر العين[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٢٤)، وتفسير ابن ابي حاتم (١٠/ ٣٢٠٧).
(٢) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٩/ ٩٥).
(٣) وهما سبعيتان، الكسر لنافع وحفص وحمزة والكسائي، والضم للباقين، انظر التيسير (ص: ٩١)، والنشر (٢/ ٢٤٢).
(٤) وهما سبعيتان، الأولى لقالون وابن عامر كما في التيسير (ص: ١٨٦)، وأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٥٧)، والثانية للباقين.
(٥) سقطت من المطبوع وأحمد٣.
(٦) ليست في المطبوع، وتابعه في البحر المحيط (٩/ ٩٦)، مع أنها سبعية للكسائي كما في السبعة (ص: ٢٨١)، والتيسير (ص: ١١٠).

و«الدَّاخِرُ»: الصاغر الذليل، وقد تقدم غير مرة ذكر القراءَات في [قوله: ﴿أَءِذَا﴾ على الخبر والاستفهام وما يلحقها من مد وتركه وإظهار همز وتسهيله][(١)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

هذا استئناف إِخبار جرَّه ما قبله، فأَخبر تعالى أَن بعثهم من قبورهم إِنما هو زجرةٌ واحدة، هي نفخة البعث في الصُّور.

وقوله: ﴿يَنظُرُونَ﴾ يحتمل أَن يريد: بالأَبصار، أَي: ينظرون ما هُمْ فيه، وصدق ما كانوا يُكذِّبون به.

ويحتمل أَن يكون بمعنى: ينتظرون؛ أي: ما يُفعَل بهم ويُؤْمرون به، ثم أَخبر عنهم أَنهم في تلك الحال يقولون: ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾، يُنادون الويل، بمعنى: هذا وقتُ حضورك وأَوانُ حُلُولك.

ورأَى أَبو حاتم الوقف هاهنا، وجعل قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ من قول الله تعالى أَو الملائكة لهم[(٢)]، ورأَى غيره: أَن قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ هو من قول الكفرة الذين قالوا: ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾، و﴿ٱلدِّينِ﴾: الجزاء والمقارضة كما يقولون: كما تَدين تُدان، وأجمعوا أن قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ إلى آخر الآية؛ ليس من قول الكفرة، وإِنما المعنى: يُقَال لهم: هذا يوم الفصل.

وقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ معناه: وأَنواعهم وضرباءَهم، قاله عمر بن الخطاب

---

(١) سقط من المطبوع وأحمد٣، وفيهما بدله: «الاستفهامين»، وانظر ما تقدم في (سورة الرعد).

(٢) نقله في البحر المحيط (٩/ ٩٦)، وفي الأصل: «وروى أبو حاتم».

رضي الله عنه[١]، وابن عباس، وقتادة[٢]، ومنه قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧]؛ أَي: نُوِّعت، رُوي: أَنه يُضم عند هذا الأَمر كلُّ شكل إِلى شكله، وكل صاحب من الكفرة إِلى شكله وصاحبه، ومعهم ما كانوا يعبدون من دون الله، مِنْ آدميٍّ رَضِيَ بذلك، ومن صنم، ووثن، توبيخاً لهم وإِظهاراً لسوءِ حالهم.

قال الحسن: المعنى: وأَزواجهم المشركات من النساءِ[٣]، ورُوي ذلك عن ابن عباس[٤]، ورجَّحه الرماني[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ﴾ / معناه: قوِّموهم واحملوهم[٦] على طريق الجحيم. [٤/ ٢٥٩]

و﴿الْجَحِيمِ﴾ طبقة من طبقات جهنم يقال إِنها الرابعة، ثم يأْمر الله تعالى بوقفهم.

و(وَقَفَ) يتعدى بنفسه، تقول: وقفْتُ زيداً، ووقَّفْتُ زيداً، وأَمْرُه بذلك على جهة التوبيخ لهم والسؤال.

واختلف الناس في الشيءِ الذي يُسأَلون عنه:

فرُوي عن ابن مسعود أَنه قال: يُسْأَلون: هل يحبون شرب الماءِ البارد؟[٧] وهذا على طريق الهزءِ بهم.

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ٢٧) من طريق سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير، عن عمر، رضي الله عنهما، به، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، فسماك جل روايته عن التابعين، فمن دونهم.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، وانظر فيه قول قتادة أيضاً.

(٣) تفسير الثعلبي (٨/ ١٤١).

(٤) لم أقف له على إسناد.

(٥) انظر البحر المحيط (٧/ ٣٤١).

(٦) في الأصل: «واجعلوهم».

(٧) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ١٢٣) من طريق سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، عن ابن مسعود رضي الله عنه، وهذا إسناد ضعيف، أبو الزعراء هو عبد الله بن هانئ الكندي، خال سلمة بن كهيل، ذكره البخاري في الكبير (٥/ ٢٢١) وقال: لا يتابع على حديثه.

وقال ابن عباس: يسأَلون عن لا إِله إِلَّا الله[١].

وقال الجمهور من المفسرين: عن أَعمالهم، ويوقفون على قُبْحها.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول مُتَّجه عام في الكفر[٢] وغيره.

ورُوي عن أَنس بن مالك عن النبي ﷺ أَنه قال: «أَيما رجل دعا رجلاً إلى شيءٍ كان لازماً له، وقرأَ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾»[٣].

ورَوى ابن مسعود عن النبي ﷺ أَنه قال: «لا تزول قدما عَبْد من بين يدي الله حتى يسأَله عن خمس: عن شبابه فِيمَ أَبلاه، وعن عمره فيم أَفناه، وعن ماله كيف اكتسبه وفيم أَنفقه، وعمَّا عمل فيما علم»[٤].

---

(١) لم أجده مسنداً.

(٢) في الحمزوية: «الكفرة»، وفي الأصل: «الهزء».

(٣) ضعيف، أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٨٦) والترمذي (٣٥٠٨) من طريق معتمر بن سليمان، عن ليث بن أبي سليم، عن بشر، عن أنس، رضي الله عنه مرفوعاً، به، قال الترمذي: هذا حديث غريب. وفي إسناده: ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف الحديث، ثم إنه اضطرب في إسناده ومتنه، كما أورده البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٨٦).

(٤) له طرق عدَّة، بعضها واهٍ، وأحسنها حديث أبي برزة، وصحَّ موقوفاً عن معاذ بنحوه، حديث ابن مسعود أخرجه الترمذي (٢٥٨٣) وابن عدي في كامله (٢/ ٣٥٣) من طريق الحسين بن قيس الرحبي، عن عطاء، عن ابن عمر، عن ابن مسعود، رضي الله عنهم، به مرفوعاً، قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه من حديث ابن مسعود، عن النبي ﷺ، إلا من حديث حسين بن قيس، وحسين بن قيس يُضعف في الحديث، وله طريق أخرى من حديث أبي برزة الأسلمي، رضي الله عنه، رواه الترمذي (٢٥٨٤) من طريق شاذان، عن أبي بكر بن عياش، عن الأعمش، عن سعيد بن عبد الله بن جريج، عن أبي برزة الأسلمي، رضي الله عنه، مرفوعاً، به، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ٣٤٨) من طريق: أبي بكر بن عياش عن معروف بن خربوذ عن أبي الطفيل عامر عن أبي برزة مرفوعاً، وأبو بكر بن عياش فيه لين مشهور، وسعيد قال فيه أبو حاتم: مجهول، وأخرج البزار (٧/ ٨٨) من طريق: سفيان عن ليث عن عدي بن عدي عن الصنابحي عن معاذ أحسبه رفعه، قال البزار: وأخبرناه يوسف بن موسى قال أخبرنا جرير ابن عبد الحميد قال: أخبرنا ليث عن عدي بن عدي عن الصنابحي عن معاذ بنحوه ولم يرفعه، =

ويحتمل عندي أَن يكون المعنى على نحو ما فسَّره بقوله: [﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾؛ أَي: إنكم مسؤولون عن امتناعهم عن التَّناصر، وهذا على جهة التوبيخ في هذا الفصل خاصّة؛ أعني:][(١)] الامتناع من التناصر.

وقرأَ بتاءٍ واحدة خفيفة شيبة، ونافع.

وقرأَ خلف بتاءَين، وكذلك في حرف عبد الله[(٢)].

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع بإِدغام التَّاءِ في التاءِ من قراءَة عبد الله بن مسعود[(٣)].

وقال الثعلبي: قوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ جواب أَبي جهل حين قال في بدر: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [القمر: ٤٤][(٤)].

ثم أَخبر تعالى بجوابهم في ذلك اليوم في حالة الاستسلام والإلقاءِ باليد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

هذه الجماعة التي يقبل بعضها على بعض هي إِنْس وجنٌّ، قاله قتادة[(٥)].

= ومن هذا الطريق: أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٣٤٦) في المصنف موقوفاً على معاذ.

(١) في أحمد٣ بدله: «ما لكم لا تناصرون أي تسألون عن»، وكذا المطبوع إلا أنها كتبت فيه: «ما لكن».

(٢) وهي شاذة، بلا نسبة في البحر المحيط (٩/ ٩٧)، وتفسير الزمخشري (٤/ ٣٩)، وعزاها في تفسير الألوسي (١٢/ ٧٩) للبزي، ولم أجدها لابن مسعود ولا خلف، على أن في الثعالبي (٥/ ٢٦): «خلق»، وفي الحمزوية والمطبوع وأحمد٣: «خالد»، وليست فيهما «خفيفة».

(٣) فهي سبعية للبزي وكذلك الأولى للباقين، انظر التيسير (ص: ٨٣)، وموافقة أبي جعفر في النشر (٢/ ٢٣٤).

(٤) انظر تفسير الثعلبي (٨/ ١٤٣).

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٣٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٥). وفي المطبوع: «قال قتادة».

وتَساؤُلُهم: هو على معنى التقريع واللوم والتسخط، والقائلون: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴾؛ إما أَن يكون الإِنْسُ يقولونها للشياطين، وهذا قول مجاهد، وابن زيد[١].

وإمَّا أن يكون ضَعَفَة الإِنْس يقولونها للكُبراءِ والقادة.

واضطرب المتأَولون في معنى قولهم: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴾، وعبَّر ابن زيد وغيره عنه بطريق الجنة والخير، ونحو هذا من العبارات التي هي تُفَسِّر بالمعنى ولا تختص بنفس اللفظة، وبعضهم نحا في تفسير اللفظة إلى ما يخصها، والذي يتحصل من ذلك معان:

منها: أَن يريد باليمين: القُوَّةَ والشِّدَّةَ، فكأَنهم قالوا: إِنكم كنتم تُغْوُونَنَا بقوة منكم، وتحملوننا على طريق الضلالة بمتابعة منكم في شدَّة، فعبَّر عن هذه المعاني باليمين، كقول العرب: بِيَدَيْنِ مَا أَوْرَدَ[٢]، وكما قالوا: اليد ـ في غير موضع ـ عن القوَّة، وقد ذهب بعض الناس ببيت الشَّماخ هذا المذهب، وهو قوله:

[الوافر] إِذَا مَــا رَايَـةٌ رُفِعَــتْ لِمَجْـدٍ تَلَـقَّـاهَــا عَرابَــةُ بالْيَمِـيـنِ[٣]

فقالوا: معناه: بقُوَّة وعزيمة، وإِلَّا فكلُّ أحد يتلقَّاها بيمينه لو كانت الجارحة، وأَيضاً فلما استعار الراية للمجد، فكذا لم يرد باليمين الجارحة.

ومن المعاني التي تحتملها الآية أَن يريدوا: إِنكم كنتم تأْتوننا من الجهة التي يُحَسِّنُهَا تمويهكم وإِغواؤُكم[٤]، ويظهر فيها أَنَّها جهة الرشد والصواب، فتصير عندنا كاليمين الذي نتيمَّن بالسَّانح الذي يجيئُنا من قِبَلِهَا.

قال القاضي أبو محمد: فكأَنهم شبَّهوا أَقوال هؤلاءِ المُغْوِين بالسوانح التي هي

---

(١) انظر قول مجاهد وابن زيد في تفسير الطبري (٢١/ ٣٢،٣١)، مع قول ابن زيد الآتي.

(٢) المثل كاملًا هو: «بيدين ما أوردها زائدةُ»، مجمع الأمثال للميداني، (١/ ٩٠)، والأمثال لابن سلام (ص: ١٩).

(٣) انظر عزوه له في الشعر والشعراء (١/ ٣٠٧)، والكامل للمبرد (١/ ١٠٨).

(٤) في الحمزوية ونجيبويه: «إغراؤكم»، وفي الأصل: «إغراركم».

عندهم محمودة، كأَن التمويه في هذه الغوايات قد أظهر فيها ما يوشك أَن يُحمد به.

ومن المعاني التي تحتملها الآية أَن يريدوا: إِنكم كنتم تأْتوننا؛ أَي: تقطعون بنا عن أَخبار الخير واليمين، فعبَّر عنها باليمين؛ إِذ اليمين هي الجهة التي يُتَيَمَّن بها وبكل ما كان منها وفيها.

ومن المعاني التي تحتملها الآية أَن يريدوا: إِنكم كنتم تجيؤوننا من جهة الشهوات وعدم النظر؛ والجهة الثقيلة من الإِنسان هي اليُمْنى لأَن كبده فيها، وجهة شماله فيها قلبه، وهي أَخف، وهذا معنى قول الشاعر:

تَرَكْنَا لَهُمْ شـقَّ الشِّـمَالِ[1] .... [الطويل]

أَيْ: نزلنا لهم عن موضع الهروب؛ لأَن المنهزم إِنما يرجع على شقِّه الأَيسر، إِذْ هو أَخَفُّ شِقَّيْه، وإِذْ قلب الإِنسان في شماله وثَمَّ نظره، فكأْن هؤلاءِ كانوا يأْتون من جهة الشهوات والثِّقل.

قال القاضي أبو محمد: وأَكثر ما يتمكن هذا التأْويل مع إِغواءِ الشياطين، وهو قَلِقٌ مع إِغواءِ بني آدم.

وقيل: المعنى: تحلفون لنا وتأْتوننا إِتْيان مَنْ إِذا حَلَف لنا صدَّقناه.

قال القاضي أبو محمد: فاليمين على هذا: القَسَمُ.

وقد ذهب بعض الناس في ذكر إبليس جهات بني آدم في قوله: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾ [الأعراف: ١٧]، إِلى ما ذكرناه من جهة الشهوات، فقال: ما بين يديه هي مغالطته فيما يراه، وما خلْفه هي مسارقته في الخفاءِ، وعن يمينه هو جانب شهواته، وعن شماله هو موضع نظره بقلبه وتحرزه[2] فقد يغلبه الشيطان فيه، / [٤/ ٢٦٠]

(١) تمامه: فأصبحوا * جميعاً يزجون المطي المخزما، وهو لحسان بن نشبة العدوي كما في الحماسة بشرح التبريزي (١/ ١٢٣).

(٢) في الحمزوية والمطبوع والسليمانية: «وتحذيره»، وفي الأصل: «بقبله»، ولعله سبق قلم.

وهذا فيمن جعله في جهات ابن آدم الحاضرة لديه، ومنهم من جعلها في جهات أُموره وشؤونه، فيتَّسع التأْويل على هذا.

ثم أَخبر تعالى عن قول الجِنِّ المجيبين لهؤلاءِ: ﴿بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: ليس الأمر كما ذكرتم، بل كان لكم اكتسابُ الكفر به والبصيرة فيه، وإنما نحن حملناكم على ما حملنا عليه أَنفسنا، وما كان لنا عليكم حجَّة ولا قوة إِلَّا طغيانُكم وإِرادتكم الكفر، فقد حقَّ القولُ على جميعنا، وتعيَّن العذابُ لنا، وإِنَّا جميعاً لذائقون.

و«الذَّوْق» هنا مستعار، وبنحو هذا فسَّر قتادة وغيره أنه قول الجنِّ إلى ﴿غَٰوِينَ﴾[(١)].

ثم أَخبر الله تعالى أَنهم اشتركوا جميعاً في العذاب وحصل كلهم فيه، وأَن هذا فعله بأَهل الجُرْمِ واحْتِقَاب[(٢)] الإثم والكفر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

هؤلاءِ أَهل الجُرْم الذين جهلوا الله سبحانه، وعظَّموا أَصناماً وأَوثاناً، فإذا قيل: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ـ وهي كلمة الحق والعروة الوثقى ـ أَصابهم كِبْرٌ، وعَظُم عليهم أَن يتركوا أَصنامهم وأَصنام آبائهم، ونحو هذا فعل أبي طالب حين قال له رسول الله ﷺ: «أَيْ عمِّ، قل لا إِله إِلَّا الله كلمة أحاج[(٣)] لك بها عند الله»، فقال أَبو جهل: أَترغب عن مِلَّة عبد المطلب؟ فقال آخرَ ما قال: أَنا على ملَّة عبد المطلب[(٤)].

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢١/ ٣٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٥).

(٢) الجُرْم: الذنب، واحْتَقَب الإثم: ارْتَكَبَه.

(٣) في الأصل: «أشهد».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٩٤) ومسلم (٣٩) من حديث المسيب بن حزن، رضي الله عنه مرفوعاً، به.

وبعرضه ﷺ قول: «لا إله إلَّا الله» جرت السُّنة في تلقين الموتى المحتضرين ليخالفوا الكفرة ويخضعوا لها[١].

وأما الطائفة التي قالت: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجۡنُونِۭ﴾ فهي من قريش، وإشارتهم بالشاعر المجنون هي لمحمد ﷺ، فردَّ الله تعالى عليهم، أَي: ليس الأمر كما قالوا من أَنه شاعر، بل جاءَ بالحق من عند الله، وصدَّق الرسلَ المتقدمة له؛ كموسى وعيسى وإبراهيم وغيرهم عليهم الصلاة والسلام.

ثم أَخبر تعالى مخاطباً لهم ـ ويجوز أَن يكون التأْويل: قل لهم يا محمد: ﴿إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ﴾.

قرأَ قوم بنصب (الْعَذَابَ)[٢]، وَوَجْهُها أَنه أَراد: لذائقون، فحذفت النون تخفيفاً، وهي قراءَة قد لحنت.

وقرأَ أَبو السمال: (لَذَائِقٌ) بالتنوين، (الْعَذَابَ) بالنصب[٣].

و﴿ٱلۡأَلِيمِ﴾: الْمُؤلم.

ثم أَعلمهم أَن ذلك جزاءٌ لهم بأَعمالهم واكتسابهم، ثم استثنى عبادَ الله استثناءً منقطعاً، وهم المؤمنون الذين أَخلصهم الله تعالى لنفسه.

وقرأَ الجمهور: ﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾، بفتح اللام.

وقرأَ الحسن، وقتادة، وأَبو رجاءٍ، وأَبو عمرٍو بكسر اللام، ورُويت هذه التي في (الصافَّات) عن الحسن بفتح اللام[٤].

---

(١) انظر نقل إجماع العلماء على تلقين المحتضر في شرح النووي على مسلم (٦/ ٢١٩).

(٢) وهي شاذة، عزاها الهذلي في الكامل (ص: ٦٢٧) لأبي السمال، وأبان بن تغلب عن عاصم.

(٣) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠٥).

(٤) فهما سبعيتان، الثانية ـ التي بكسر اللام ـ لابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وانظر نسبتها للحسن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٧٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾
عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ
عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى العباد المخلصين.

وقوله تعالى: ﴿مَّعْلُومٌ﴾ معناه: عندهم، فقد قرَّت عيونهم بعلم ما يستدرُّ عليهم من الرزق، وبأَن شهواتهم تأْتيهم لحينها، وإلَّا فلو كان ذلك معلوماً عند الله فقط لما تخصَّص أَهلُ الجنَّة بشيءٍ.

وقوله: ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ تَتْميمٌ بليغٌ للنِّعم؛ لأَنه رُبَّ مرزوق غير مُكْرم، وذلك أَعظم التنكيد[١].

و«السُّرُرُ»: جمع سرير.

وقرأَ أَبو السَّمال: (على سُرَر) بفتح الراءِ الأُولى[٢].

وفي هذا التقابل[٣] حديث مروي عن النبي ﷺ أنه قال: «في أحيان[٤] ترفع عنهم ستور فينظر بعضهم إلى بعض»[٥]، ولا محالة أَن أعظم[٦] أَحيانهم فيها متحيزون[٧] في قصورهم.

(١) في المطبوع: «التنكيل».
(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الكامل للهذلي (ص: ٦٤١).
(٣) في الحمزوية: «القول»، وفي المطبوع: «التأويل»، وفي أحمد٣: «الحائل».
(٤) في المطبوع: «أنهم في الجنان».
(٥) ضعيف، أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٣٨٦) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٩٣٢) وذكره في علله (٢/ ٣٦١) من طريق يحيى بن معن المدني، عن إبراهيم القرشي، عن سعيد بن شرحبيل، عن زيد بن أبي أوفى، مرفوعاً به، قال البخاري: وهذا إسناد مجهول، لا يتابع عليه، ولا يعرف سماع بعضهم من بعض، وقال أبو حاتم: هذا حديث منكر، وفي إسناده مجهولون، وقال أيضاً، كما في الجرح والتعديل (٤/ ٣٣): سعيد بن شرحبيل مجهول، وإبراهيم مجهول.
(٦) في الأصل: «بعض».
(٧) في الحمزوية والسليمانية: «متحيرون»، وفي الأصل: «متخيرون».

و﴿يُطَافُ﴾ معناه: يطوف الوِلْدان، حسب ما فسَّرته آية أُخرى.

وَ«الْكَأْسُ» قال الزجاج، والطبري، وغيرهما: هو الإِناءُ الذي فيه خمر أوما يجري مجراه من الأَنبذة ونحوها[١]، ولا تُسَمَّى كأْساً إلا وفيها[٢] هذا المشروب المذكور.

وقال الضحاك: كلُّ كأْس في القرآن هو خمر[٣].

وذهب بعض الناس إِلى أَن الكأْسَ بِنْيةٌ[٤] مخصوصةٌ في الأَواني، وهو كلُّ ما اتَّسع فمه ولم يكن له مقبض، ولا يُراعى في ذلك كونه بخمر أَم لا.

وقوله تعالى: ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ يريد: من جارٍ مطَّرد، فالميم في ﴿مَّعِينٍ﴾ أَصلية؛ لأَنه من الماءِ المعين، ويحتمل أَن يكون من العين فتكون الميم زائدة، أَي: ممَّا يُعيَّن بالعين غير مستور ولا في خزن[٥]، وخمر الدنيا إِنما هي معصورة مختزنة، وخمر الآخرة جارية أَنهاراً.

وقوله: ﴿بَيْضَآءَ﴾ يحتمل أَن يعود على الكأْس، ويحتمل أن يعود على الخمر، وهو الأَظهر.

قال الحسن بن أَبي الحسن: خمر الجنة أَشد بياضاً من اللَّبن[٦].

وفي قراءَة عبد الله بن مسعود: (صَفْرَاءَ)[٧]، فهذا موصوف به الخمر وحدها.

و﴿لَذَّةٍ﴾ أَي: ذات لذَّة، فوصفها بالمصدر اتساعاً، وقد استعمل هذا حتى قيل: لذَّة بمعنى: لذيذة، ومنه قول الشاعر:

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٣٠٣)، وتفسير الطبري (٢١/ ٣٦).
(٢) في المطبوع وأحمد٣: «حتى يكون فيها».
(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٣٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١١).
(٤) في نجيبويه والأصل: «آنية».
(٥) في نجيبويه والمطبوع: «حرز»، وفي أحمد٣: «ولا مخزون».
(٦) معاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٤).
(٧) وهي شاذة، انظر نسبتها له في تفسير الطبري (٢٣/ ٥٣)، ومختصر الشواذ (ص: ١٢٨).

[الكامل] بِحَدِيثِكِ اللَّذِّ الذِي لوْ كُلِّمَتْ أُسْدُ الْفَلَاةِ بِهِ أَتَيْنَ سِراعاً[١]

وقوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ لم تعمل (لا)؛ لأَن الظرف حال بينها وبين ما شأْن التبرئة[٢] أَن تعمل فيه.

و«الْغَوْلُ»: اسم عامٌّ في الأَذى، يقال: غاله كذا وكذا: إِذا ضرَّه في خفاءٍ، ومنه الغِيلة في القتل، وقال ﷺ في الرضاع: «لقد هَمَمْتُ أَن أَنهى عن الغِيلَةِ»[٣]، ومن اللفظة قول الشاعر:

[الطويل] مَضَى أَوَّلُونا ناعِمِينَ بِعَيْشِهِمْ جميعاً وَغَالَتْني بِمَكَّةَ غُولُ[٤]

أَي: عاقتني عوائق، فهذا معنى من معاني الغَوْل.

[٤/ ٢٦١] ومنه قول العرب في / مَثَل من الأَمثال: ما له غيل ما أغاله. يُضرب للرجل الحديد الذي لا يقوم لأَمر إِلَّا أَغنى فيه، أَو للرَّجل يدعى له بأَن يؤذي ما أَذاهُ[٥].

وقال ابن عباس[٦]، ومجاهد، وابن زيد ـ في الآية ـ: الغَوْلُ: وجعٌ في البطن[٧].

وقال ابن عباس أَيضاً[٨]، وقتادة: هو صداع في الرَّأْسِ[٩].

---

(١) لم أقف عليه في المصادر المتقدمة، وهو في البحر المحيط (٩/ ٨٨)، بلا نسبة.
(٢) في المطبوع: «شأنها».
(٣) أخرجه مسلم (١٤٤٢) من حديث جدامة بنت وهب الأسدية، رضي الله عنها، مرفوعاً، به.
(٤) البيت لرجل من جرهم، كما في شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (٢/ ٦١)، وسمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (١/ ٢٢٧).
(٥) في نجيبويه والمطبوع: «يؤدي ما أدَّاه»، وهذا المثل لم أقف عليه، وجاء في المطبوع: «ما له عمل»، وسقطت «ما غاله» من أحمد٣.
(٦) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
(٧) تفسير الطبري (٢١/ ٣٨).
(٨) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
(٩) تفسير الطبري (٢١/ ٣٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١١)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٤).

قال القاضي أَبو محمد: الاسم أَعم من هذا كله، فنفى عن خمر الجنة جميعَ أَنواع الأَذى، إِذ هي موجودة في خمر الدنيا، وقد نحا إِلى هذا العموم سعيد بن جبير[١]، ومنه قول الشاعر:

وَمَـا زَالَـتِ الْخَـمْـرُ تَـغْـتَـالُـنَـا ... وتـذهـب بـالأَوَّلِ الأَوَّلِ[٢] [المتقارب]

أَي: تؤذينا بذهاب العقل.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرٍو، وابن عامر: ﴿يُنزَفُونَ﴾ بفتح الزاي، وكذلك في سورة الواقعة، من قوله: نُزِفَ الرجلُ: إِذا سَكِرَ، ونَزَفَتْهُ الخمرُ، والنَّزِيفُ: السكرانُ، ومنه قول الشاعر:

فَـلَـثَـمْـتُ فَاهَـا آخِـذاً بِقُرونِهَـا ... شُرْبَ النَّزيفِ لِبَرْدِ ماءِ الْحَشْرَجِ[٣] [الكامل]

وبإِذهاب العقل فسَّر ابن عباس[٤]، ومجاهد، وقتادة ﴿يُنزَفُونَ﴾[٥].

وقرأَ حمزة، والكسائي بكسر الزاي، وكذلك في الواقعة، من: أَنْزَف ينزِف بمعنيين:

أَحدهما: سَكِرَ، ومنه قول الأُبَيْرِد الرِّياحيِّ[٦]:

لَعَمْرِي لَئِنْ أَنْزَفْتُمُ أَوْ صَحَوْتُمُ ... لَبِئْسَ النَّدَامَى أنتم آلَ أَبْجَرَا[٧] [الطويل]

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٣٨).

(٢) استشهد به بلا نسبة في البحر المحيط (٩/ ٨٨).

(٣) البيت لجميل، وقيل لعمرو بن ربيعة، كما تقدم في تفسير الآية (٨٣) من (سورة الكهف)، وفي المطبوع: «ببرد».

(٤) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٣١١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٤٠)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٥١)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٤).

(٦) هو الأبيرد بن المعذر بن قيس بن عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع بن مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم شاعر فصيح بدوي من شعراء الإسلام وأول دولة بني أمية وليس بمكثر ولا ممن وفد إلى الخلفاء فمدحهم، انظر أخباره في الأغاني (١٣/ ١٤٠).

(٧) عزاه له في مجاز القرآن (٢/ ١٦٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٦)، وتفسير الطبري (٢١/ ٤٠). وفي المطبوع: «كنتم» بدل «أنتم».

والثاني: نزف[١] شَرَابُهُ، يقال: أَنْزَفَ الرجل: إِذا تمَّ شرابُه، فهذا كله منفيٌّ عن أهل الجنة.

وقرأ عاصم هنا بفتح الزاي، وفي (الواقعة) بكسر الزاي[٢].

وقرأ ابن أبي إسحاق بفتح الياءِ وكسر الزاي[٣].

و﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾؛ قال ابن عباس[٤]، ومجاهد، وابن زيد، وقتادة: معناه: على أَزواجهن، لا ينظرن إِلى غيرهم، ولا يمتد طرف إِحداهنَّ إِلى أَجنبي[٥]، فهذا هو قَصر الطَّرْف.

و﴿عِينٞ﴾: جمعُ عيناءَ، وهي الكبيرة العين في جَمَال.

وأَما قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ﴾ فقد اختلف الناس [في الشيء المشبه به][٦]؛ ما هو؟

فقال السدي، وابن جُبَير: شبَّه أَلوانهن بلون قشر البيضة الداخلي، وهو الغِرْقِئ[٧]، وهو المكنونُ، أَي: المصون في كِنٍّ، ورجَّحه الطبري، قال: وأَما خارجُ قِشْر البيضة فليس بمكنون.

وقال الجمهور: شبَّه ألوانهن بلون قشر بيض النعام، وهو بياض قد خالطته صفرة حسنة، قالوا: والبيْضُ نفسه في الأَغلب هو المكنون بالريش، ومتى شذَّت به حالٌ فلم

---

(١) في الحمزوية والمطبوع وأحمد٣: «بعد».

(٢) في الآية (١٩)، وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٤٧)، و«ينزف» ليست في الحمزوية ونجيبويه والمطبوع.

(٣) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٠٨).

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ٤١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٤١).

(٦) سقط من المطبوع.

(٧) الغِرْقِئُ: القشرة الرقيقة الملتزقة ببياض البيض، انظر قولهما وقول الطبري في: تفسير الطبري (٢١/ ٤٣)، والهداية لمكي (٩/ ٦١٠٣).

يكن مكنوناً خرج عن أَن يُشَبَّه به، وهذا قول الحسن، وابن زيد[١]، ومنه قول امرئ القيس:

كَبِكْرِ المُقَانَاةِ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيرُ الماءِ غَيْرُ الْمُحَلَّلِ[٢] [الطويل]

وهذا المعنى كثير في أَشعار العرب.

وقال ابن عباس ـ فيما حكى الطبري ـ: البيضُ المكنون: أراد به الجوهر المصون[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول لا يصح عندي عن ابن عباس؛ لأَنه يردُّه اللفظ من الآية.

وقالت فرقة: إِنما شبَّهَهُنَّ تعالى بالبيض المكنون تشبيهاً عامّاً، جملة المرأَة بجملة البيضة، وأَراد بذلك: تناسب أَجزاء المرأَة، وكل جزءٍ منها نِسْبته في الجودة إِلى نوعه نِسْبة الآخر من أَجزائها إِلى نوعه، فنسبة شعرها إِلى عينها مستويةٌ، إِذ هما غايةٌ في نوعهما، والبيضة أَشدُّ الأَشياءِ تناسُبَ أَجزاءٍ؛ لأَنك من حيث جئتها فالنظر واحد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣﴾.

هذا التساؤُل الذي بين أَهل الجنة هو تساؤُل راحةٍ وتنعُّم، يتذاكرون أُمورهم في الجنة وأمر الدنيا وحال الطاعة والإِيمان فيها، فأَخبر تعالى عن قول قائل منهم في قصته، فهو مثال لكل من له قرين سوءٍ، ويعطي هذا المثال التَّحفظ من قرناءِ السوءِ، واستشعار معصيتهم، وعبَّر عن قول هذا الرجل بالمضي من حيث كان أَمراً متيقَّناً حاصلاً لا محالة.

وقال ابن عباس وغيره: كان هذان من البشر؛ مؤمنٍ وكافر[٤].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١٢)، والهداية لمكي (٩/ ٦١٠٤) بتصرف.

(٢) عزاه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ١٢٧)، وشرح المعلقات التسع (ص: ١٥٢). وفي فيض الله والسليمانية ونجيبويه: «مقاناة».

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ٤٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقالت فرقة: هما اللذان ذكر اللهُ في قوله: ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴾ [الفرقان: ٢٨].

وقال مجاهد: كان إنسيّاً وجنّيّاً من الشياطين الكفرة[١].

قال القاضي أبو محمد: والأَول أَصوب.

وقرأ جمهور الناس: ﴿لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ﴾ بتخفيف الصاد، من التصديق.

وقرأَت فرقة بالتشديد للصاد[٢]، من التَّصَدُّق.

وقال فُراتُ بن ثعلبة البهراني[٣] في قصص هذين: إِنما كانا شريكين بثمانية آلاف دينار، فكان أحدهما يعبد الله ويقصر[٤] من التجارة والنظر، وكان الآخر كافراً مُقْبلاً على مالِه، فحلَّ الشركة مع المؤمن وبقي وحده لتقصير المؤمن، ثم إِنه جعل كلما اشترى شيئاً ـ من دارٍ وجاريةٍ وبستان ونحوه ـ عَرَضَه على ذلك المؤمن وفَخَر عليه به، فيمضي المؤمن عند ذلك ويتصدق بنحو ذلك الثمن ليشتري به من الله في الجنة، فكان من أَمرهما في الآخرة ما تضمنته هذه الآية[٥].

قال الطبريُّ: وهذا الحديث يؤيد قراءَة من قرأ: (من المصّدّقين) بتشديد الصاد.

و(مَدِينُونَ) معناه: مجازَوْن محاسبون، قاله ابن عباس[٦]، وقتادة، والسدي[٧].

و«الدِّين»: الجزاءُ، وقد تقدم.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٤٥).

(٢) وهي شاذة، لابن كيسة عن حمزة كما في جامع البيان (٤/ ١٥٢٦)، والكامل للهذلي (ص: ٦٢٧)، والأولى هي المتواترة.

(٣) شامي أدرك النبيّ ﷺ، ولا تصح له رؤية، وحديثه مرسل، روى عنه ضمرة والمهاجر ابنا حبيب، وسليم بن عامر. الإصابة (٥/ ٢٩٣).

(٤) في الأصل: «ويقصد».

(٥) انظره مع قول الطبري في تفسيره (٢١/ ٤٦).

(٦) ضعيف: أخرجه الطبري (٢١/ ٤٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) تفسير الطبري (٢١/ ٤٦).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ٥٤ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ٥٥ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ٥٦ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ٥٧ أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ٥٨ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٥٩ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٠ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ٦١﴾.

في الكلام حذف تقديره: فقال لهذا الرجل حاضروه من الملائكة: قرينك هذا في جهنم يُعَذَّب، فقال عند ذلك: ﴿هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾، ويحتمل أن يخاطب بـ﴿أَنتُم﴾ الملائكة.

ويحتمل أن يخاطب رفقاءَه في الجنة، / ويحتمل أن يخاطب خَدَمَته، وكلَّ هذا حكى المهدوي[1]. [٤/ ٢٦٢]

وقرأ جمهور القراء: ﴿مُّطَّلِعُونَ﴾ بفتح الطاءِ مشددةً.

وقرأ أبو عمرٍو في رواية حسين بسكونها مع فتح النون[2].

وقرأ أبو البرهسم بسكونها وكسر النون على أنها ضمير المتكلم[3].

ورَدَّ هذه القراءَة أبو حاتم وغيره ولَحَّنُوها؛ وذلك أنها جمعت بين نون الإضافة ونون المتكلم، والوجه أن يقال: مُطْلِعِيَّ، ووجَّه القراءَة أبو الفتح بن جنِّي وقال: أنزل الفاعل منزلة الفعل المضارع[4]، وأَنشد الطبريُّ على هذا:

وَمَـا أَدْرِي وَظَـنِّـي كُـلُّ ظَنٍّ أَمُسْلِمُنِي إِلَى قَوْمِي شَرَاحِي[5] [الوافر]

قال الفراءُ: يريد: شراحيل[6].

---

(١) التحصيل للمهدوي (٥/ ٤٣٢).

(٢) وهي شاذة، ليست من طريق التيسير، انظرها في السبعة (ص: ٥٨٤).

(٣) وهي شاذة، انظرها في البحر المحيط (٩/ ١٠٣)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٠٥) لابن أبي عبلة.

(٤) انظر التوجيه مع قول أبي حاتم في المحتسب (٢/ ٢١٨).

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٤٩)، بلا نسبة، وهو ليزيد بن محرم الحارثي في شرح شواهد المغني (٢/ ٧٧٠)، والمقاصد النحوية (١/ ٣٨٥).

(٦) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٦).

وقرأَ الجمهور: ﴿فَٱطَّلَعَ﴾ بصلة[١] الأَلف مشدَّدة الطاءِ المفتوحة.

وقرأَ أَبو عمرو في رواية الحسين: بضم الأَلف وسكون الطاءِ خفيفة وكسر اللام، وهي قراءَة أَبي البرهسم[٢].

قال الزجاج: هي قراءَة من قرأَ: (مُطْلِعُونِ) بكسر النون[٣].

ورُوي: أَن لأَهل الجنة كوى وطاقات يشرفون منها على أَهل النار إِذا شاؤوا[٤] على جهة النقمة[٥] والعبرة؛ لأَن لهم في عذاب أَهل النار وتوبيخهم سروراً وراحةً، حكاه الرماني عن أبي عليٍّ[٦].

و﴿سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾: وسَطُه، قاله ابن عباس، والحسن، والناس[٧].

وسُمِّي بسواءِ الجحيم؛ لاستواءِ المسافة منه إِلى الجوانب.

و«الجحيمُ»: متراكمُ جمْر النار.

ورُوي عن مطرف بن عبد الله، وخُلَيْد العَصَري[٨]: أَنه رآه قد تغيَّر خبره وسبره[٩]، أَي: تبدَّلت حالُه، ولولا ما عرَّفه الله إِيَّاهُ لم يميِّزه، فقال له المؤمن عند ذلك: ﴿تَٱللَّهِ إِن

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «موصولة».

(٢) وهي شاذة، ليست من طرق التيسير ولا من طرق النشر، انظرها في السبعة (ص: ٥٤٨).

(٣) في الأصل: «اللام»، انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٠٤)، وربط بينهما أيضاً في المحتسب (٢/ ٢١٨).

(٤) سقط من الحمزوية، وفي الأصل: «شاقوا».

(٥) سقط من الحمزوية، وفي المطبوع وأحمد٣ والسليمانية: «النعمة».

(٦) لم أقف عليه.

(٧) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٦) من طريق عطية العوفي، ومن طريق علي بن أبي طلحة، كلاهما عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٨) خليد بن عبد الله العصري أبو سليمان البصري، روى عن أبي ذر وأبي الدرداء، وعنه قتادة وأبو الأشهب. تاريخ الإسلام (٧/ ٧٣).

(٩) في الحمزوية ونجيبويه: «خبره وسيره»، وفي المطبوع: «حبره وسبره»، وانظر تفسير الطبري (٢١/ ٤٨).

كِدتَّ لَتُرۡدِينِ﴾، أَي: تهلكني بإِغوائك، والرَّدى: الهلاكُ، ومنه قول الأَعشى:

أَفي الطَّوْفِ خِفْتِ عَلَيَّ الرَّدَى   وَكَـمْ مِنْ رَدٍ أَهْلَهُ لَمْ يَـرِمْ[١]   [المتقارب]

وفي مصحف ابن مسعود: (إِن كدتَّ لَتُغْوينِ) بالواو، من الغَيِّ، وذكرها أَبو عمرو الداني بالراءِ، من الإِغراءِ، والتَّاءُ في هذا كله مضمومة[٢].

ورفع ﴿نِعۡمَةُ رَبِّي﴾ بالابتداءِ، وهو إِعراب ما كان بعد (لولا) عند سيبويه، والخبر محذوف تقديره: تداركته ونحوه.

و﴿ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾ معناه: في العذاب.

وقولُ المؤمن: ﴿أَفَمَا نَحۡنُ﴾ إِلى قوله: ﴿بِمُعَذَّبِينَ﴾ يحتمل أَن يكون مخاطبة لرفقائه [في الجنة][٣]، لَمَّا رأَى ما نزل بقرينه ونظر إِلى حاله في الجنة وحال رفقائه قدَّر النعمة قدرها، فقال لهم على جهة التوقيف على النعمة: أفما نحن بميتين ولا معذبين، ويجيءُ على هذا التأْويل قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ إِلى قوله: ﴿ٱلۡعَٰمِلُونَ﴾ متَّصلاً بكلامه، خطاباً لرفقائه.

ويحتمل قوله: ﴿أَفَمَا نَحۡنُ﴾ إِلى قوله: ﴿بِمُعَذَّبِينَ﴾ أَن يكون مخاطبة لقرينه على جهة التوبيخ، كأَنه يقول: أَين الذي كنت تقول: من أَنَّا نموت وليس بعد الموت عقاب ولا عذاب؟

ويكون قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ﴾ إِلى قوله: ﴿ٱلۡعَٰمِلُونَ﴾ يحتمل أَن يكون من خطاب المؤمن لقرينه، وإِليه ذهب قتادة[٤].

---

(١) عزاه له تفسير الطبري (٢١/ ٥٠)، وعيار الشعر (ص: ٦٧)، والموشح للمرزباني (ص: ٥٨)، وديوان المعاني للعسكري (٢/ ١٩٢).

(٢) وكلتاهما شاذة، انظر الأولى في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٥)، وانظر معاني القرآن للنحاس (٦/ ٣١)، والثانية لم أقف عليها.

(٣) من نور العثمانية وفيض الله والسليمانية ونجيبويه.

(٤) انظر الهداية لمكي (٩/ ٦١١١).

ويحتمل أَن يكون من خطاب الله تعالى لمحمد ﷺ وأُمَّته، ويَقْوى هذا لأَن قول المؤمن: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ والآخرة ليست بدار عمل؛ يقْلَقُ إِلَّا على تجوُّز، كأَنه يقول: لمثل هذا كان ينبغي أَن يعمل العاملون.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

الأَلف من قوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ﴾ للتقرير، والمراد تقرير قريش والكفار.

وجاءَ ﴿أَمْ﴾ بلفظ التخيير بين شيئين لا اشتراك بينهما من حيث كان الكلام تقريراً، والاحتجاج يقتضي أَن يوقف المتكلم خصمه على قسمين أَحدهما فاسد ويحمله بالتقرير على اختيار أَحدهما، ولو كان الكلام خبراً لم يَجُزْ ولا أَفاد أَن يقال: الجنَّةُ خير من شجر الزقوم.

وأَمَّا قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤] فهذا على اعتقادهم في أَن لهم مُسْتَقَرّاً جيداً[١]، وقد تقدم إِيعابُ هذا المعنى.

قال القاضي أبو محمد: وفي بعض البلاد الجدبة المجاورة للصحاري شجرةٌ مُرَّة مسمومة لها لبنٌ إِن مسَّ جسمَ أَحد تورَّم ومات منه في أَغلب الأَمر، تُسَمَّى شجرة الزَّقُّوم، والتَّزَقُّم في كلام العرب: البَلْع على شدَّة وجهد.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ قال قتادة، والسدي، ومجاهد: يريد أَبا جهل ونُظراءَه، وذلك أَنه لما نزلت ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ الآية، قال الكفار: وكيف يخبر محمد عن النار أَنها تُنبت الأَشجار وهي تأْكلها وتُذهبها؟ ففتنوا بذلك

(١) في المطبوع والسليمانية وأحمد٣: «خيْـراً».

أَنفسهم وجَهَلةً من أَتباعهم، وقال أَبو جهل: إِنما الزَّقُّوم التَّمر بالزبد، ونحن نتزقمه[١].

وقوله: ﴿فِىٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ يعني: ملاصق نهاياتها[٢] الذي لها كالجدرات[٣].

وفي قراءَة ابن مسعود: (إنها شجرة ثابتة في أصل الجحيم)[٤].

قوله: ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ اختلف الناسُ في معناه:

فقالت فرقة: شُبِّه بثمر شجرة معروفة يقال لها: رُؤوس الشياطين، وهي بناحية اليمن، يقال لها: الأستن[٥]، وهي التي ذكر النابغة في قوله:

..... مـن أَسْـتن سُـودٍ أَسـافِلُهُ[٦] .... [البسيط]

ويقال: إِنه الشجر الذي يقال له: الصَّوْم، وهو الذي يعني ساعدة بن جُؤَيَّة في قوله:

مُـوَكَّلٌ بِشُـدُوفِ الصَّـوْمِ يَرْقُبُهَـا مِنَ المَعَازِبِ مَخْطوفُ الْحَشَازَرِمُ[٧] [البسيط]

وقالت فرقة: شبه برؤوس / صنف من الحيَّات يقال له: الشياطين، وهي ذات [٤/ ٢٦٣] أعراف، ومنه قول الشاعر:

عجيـز تَحْلِـفُ حِيـنَ أَحْلِـفُ كَمِثْلِ شَيْطَانِ الْحَمَاطِ أَعْرَفُ[٨] [الرجز]

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٥٣) من طريق السدي، به معضلًا.

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «أساسها».

(٣) في الحمزوية والمطبوع: «الجدران»، وفي السليمانية: «كالجدر».

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص: ١٢٩).

(٥) في الحمزوية ونور العثمانية وفيض الله: «الاستن»، وفي المطبوع: «أستن»، وكذا في البيت.

(٦) وهو بتمامه: تَحِيدُ مِنْ أَسْتَنٍ سُودٍ أَسَافِلُهُ * مَشْيَ الإِماءِ الْغَوَادي تَحْمِلُ الحُزُمَا، عزاه له في الكامل للمبرد (٣/ ٧٠)، والعقد الفريد (٦/ ٢٠٥)، والشعر والشعراء (١/ ١٦٧)، والصناعتين: (ص: ٨٤)، والصحاح للجوهري (٥/ ٢١٣٣)، ومقاييس اللغة (٣/ ١٣٢).

(٧) انظر نسبته له في المعاني الكبير (٢/ ٧٢٥)، وأمالي القالي (١/ ٢٥)، والمحكم (٨/ ٢٩)، وتهذيب اللغة (١١/ ٢٢٣).

(٨) بلا نسبة في المعاني الكبير (٢/ ٦٦٨)، والفاخر (ص: ٢٩٢)، والصحاح للجوهري (٢/ ٥٠٥). وفي المطبوع: «عنجرد»، وهي المرأة الخبيثة سيِّئة الخُلُق، وهي رواية معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٧).

وقالت فرقة: شبَّه بما استقر في النفوس من كراهة رؤوس الشياطين وقُبحها وإِن كانت لم تُرَ، وهذا كما تقول للأَشعث المنتفش الشعر الكريه المنظر: هذا وجه[١] شيطان، ونحو هذا قول امرئ القيس الكندي:

[الطويل] أَيَقْتُلُنـي وَالْمَشْـرَفِيُّ مُضَاجِعِـي وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ[٢]

فإِنما شبّه بما استقر في النفوس من هيئتها.

و«الشَّوْبُ»: المزج والخلْط، قاله ابن عباس[٣]، وقتادة[٤].

وقرأَ شيبان النحوي[٥]: (لشُوباً) بضم الشين[٦].

قال الزجَّاج: فَتْحُ الشين المصْدَرُ، وضمُّها الاسمُ[٧].

و«الحميم»: السخن جدّاً من الماءِ ونحوه، وقد يريد به هاهنا شرابهم الذي هو طينة الخبال صديدهم[٨] وما ينماع منهم، هذا قول جماعة من المفسرين.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ﴾ يحتمل أَن يكون لهم انتقال أَجسادٍ في وقت الأَكل والشرب ويرجعون إِلى معظم الجحيم وكثرته، ذكره الرمانيُّ[٩]، وشبَّهه بقوله

(١) سقط من الأصل.

(٢) انظر عزوه له في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٠٦)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٦١)، والكامل للمبرد (٣/ ٧٢).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٥٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) تفسير عبد الرزاق (٣/ ٩٥)، وتفسير الطبري (٢١/ ٥٥).

(٥) هو شيبان بن عبد الرحمن، مولى بني تميم، أبو معاوية البصري، أحد الأئمة المتعينين، نزل الكوفة فأدب بها أولاد الأمير داود بن علي العباسي، روى عن: الحسن، وقتادة، وثقه ابن معين، كان صاحب حروف وقراءات، توفي سنة (١٦٤هـ). تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٦٦).

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها له في المحتسب (٢/ ٢١٩).

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٠٧).

(٨) سقط من المطبوع.

(٩) لم أقف عليه. ولفظة «وكثرته» من نور العثمانية وفيض الله.

تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤].

ويحتمل أَن يكون الرجوع إِنما هو من حال ذلك الأَكل المعذب إِلى حال الاحتراق دون أَكْل، وبكلِّ احتمالٍ قيل.

وفي مصحف ابن مسعود: (وأَنَّ مُنْقَلَبَهم لإِلَى الْجَحِيم).

وفي كتاب أَبي حاتم عنه: (مَقِيلَهُمْ)، من القائلة[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾ إِلى آخر الآية؛ تمثيل لقريش.

و﴿يُهْرَعُونَ﴾، قال قتادة، والسدي، وابن زيد: معناه: يسرعون كأَنهم يساقون بِعَجَلةٍ، وهذا تكسُّبهم للكفر وحرصهم عليه، و«الإِهْراعُ»: سيْرٌ شديد، قال مجاهد، كهيئة الهرولة[2].

قال القاضي أبو محمد: وفيه شبه رِعْدة، وكأنه أَيضاً شبه[3] سير الفازع.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

مثَّل تعالى لقريش في هذه الآية بالأُمم التي ضلَّت قديماً، وجاءَها الإِنذارُ، وأَهلكها الله تعالى بعذابه[4].

وقوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ يقتضي الإِخبار بأَنه عذَّبهم، ولذلك حسُن الاستثناءُ في قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) وهما شاذتان، الأولى في الطبري (٢١/ ٥٦)، والثانية في تفسير الثعلبي (٨/ ١٤٦)، وورد مثلها في (سورة الفرقان).

(٢) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢١/ ٥٧).

(٣) من الأصل وفيض الله، وسقطت «سير» من فيض الله، وفي المطبوع: «الفارغ»، وفي أحمد٣: «تسيير الفارغ».

(٤) في المطبوع: «بعدله».

ونداءُ نوح عليه السلام قد تضمن أَشياءَ: منها الدعاءُ على قومه، ومنها سؤال النجاة، ومنها طلب النُّصرة، وفي جميع ذلك وقعت الإِجابة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ يقتضي الخبر بأَن الإِجابة كانت على أَكمل ما أَراد نوح عليه السلام.

وَ﴿ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال السُّدي: هو الغرق(١).

قال القاضي أبو محمد: ومن الكرب تكذيب الكفرة، وركوب الماءِ وهَوْله.

قال الرُّماني: ﴿ٱلْكَرْبِ﴾: الخبر الثقيل على القلب.

وقوله تعالى: ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ قال ابن عباس، وقتادة: أَهل الأَرض كلهم من ذرية نوح(٢).

وقال الطبري: العربُ من أَولاد سام، والسودانُ من أَولاد حام، والتُّرك والصَّقْلب وغيرهم من أولاد يافث.

ورُوي عن سَمُرة بن جندب: أَن النبي ﷺ قرأَ: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ الآية، وقال: «سام وحام ويافث»(٣).

وقالت فرقة: إِن الله تعالى أَبقى ذرية نوح، ومَدَّ نسْله، وبارك في ضِئْضِئِه(٤)، وليس

---

(١) تفسير يحيى بن سلام (١/ ٣٢٦)، تفسير الطبري (٢١/ ٥٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٥٩) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر فيه أيضاً قول قتادة، وقول الطبري الآتي.

(٣) ضعيف، أخرجه الترمذي في علله (٦٥٨) من طريق سعيد بن بشير، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة، عن النبي ﷺ، مرفوعاً، به، قال الترمذي: قلت لمحمد: روى هذا غير سعيد بن بشير، عن قتادة؟ فلم يعرفه إلا من حديثه، انتهى. قلت: وسعيد بن بشير، هو الأزدي، ضعيف الحديث. انظر تهذيب الكمال (١٠/ ٣٤٨).

(٤) الضِّئْضِئ: الأصل والمعدن.

الأمر بأَن أَهل الدنيا[١] انحصروا إِلى نسله، بل في الأُمم من لا يرجع إِليه، والأَول أَشهر عن علماءِ الأُمة، وقالوا: نوح هو آدم الأَصغر.

وقوله: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ معناه: ثناءً حسناً جميلاً باقياً آخر الدهر، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي[٢].

وقوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾ على هذا التأْويل رفع بالابتداءِ مستأْنف، سلَّم الله به عليه ليقتدي بذلك البشر.

قال الطبريُّ: هذه أَمَنة منه لنوح في العالمين أَن يذكره أَحد بسوءٍ[٣].

قال القاضي أَبو محمد: هذا جزاءُ ما صبر طويلاً على أَقوال الكفرة الفجرة.

وقال الفراءُ وغيره من الكوفيين: قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: جملةٌ في موضع نصب بـ(تَرَكْنَا)، وهذا هو المتروك عليه[٤]، فكأَنه قال: وتركنا على نوح تسليماً، يُسلَّم به عليه إِلى يوم القيامة.

وفي قراءَة عبد الله: (سَلَاماً على نوح) على النصب بـ(تَـرَكْنَا)[٥].

صلَّى الله على نوح وعلى آله وسلَّم تسليماً، وشرَّف وكرَّم، وعلى جميع أَنبيائه.

و﴿فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ معناه: في الباقين غابر الدهر، والقراءَة بكسر الخاءِ، وما كان من إِهلاكٍ فهو بفتحها.

---

(١) في الأصل: «أهل الأرض».

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٦٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر فيه الأقوال الأخرى.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٦٠)، وفي المطبوع: قاله الطبري.

(٤) انظر كلامه على هذه الآية في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٨).

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها له في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٨٨)، والهداية لمكي (٩/ ٦١٢٠).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إِشارة إِلى إنعامه على نوح بالإِجابة كما اقترح، وأثنى تعالى على نوح بالإِحسان لصبره على أذى قومه ومطاولته لهم، وغير ذلك من عبادته وأفعاله / ﷺ. [٤/ ٢٦٤]

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ يقتضي أَنه أغرق قوم نوح وأُمَّته ومكذِّبيه، وليس في ذلك نصٌّ على أَن الغرق عمَّ جميع أَهل الأَرض، ولكن قد قال به جماعة من العلماءِ، وأُسندت به أَحاديث [بأَن الغرق عمَّ جميع الناس][1] إِلاَّ من كان معه في السفينة، وعلى هذا يترتب القول بأَن الناس اليوم من ذريته، وقالوا: لم يكن الناس يومئذ بهذه الكثرة؛ لأَن عهد آدم عليه السلام كان قريباً، وكانت دعوة نوح عليه السلام ونبوته قد بلغت جميعهم لطول المدة واللُّبث فيهم، وكان الجميع كفرة عَبَدَةَ أَوثان لَمْ يثنهم[2] الحقُّ إِلى نفسه، فلذلك أَغرق جميعهم.

وقوله تعالى: ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي: الضمير عائد على نوح[3]، والمعنى: في الدِّين والتوحيد.

وقال الطبري وغيره عن الفراءِ: الضمير عائد على محمد ﷺ، والإِشارة إِليه[4].

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «أنه لم يبق معه».

(٢) في نجيبويه: «يضفهم»، وفي المطبوع: «ينسبهم».

(٣) ضعيف، أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٠) من طريق أبي حذيفة، عن شبل بن عباد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهذا إسناد ضعيف، أبو حذيفة، هو: موسى بن مسعود النهدي، سيء الحفظ. انظر تهذيب الكمال (٢٩/ ١٤٥).

(٤) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٦١، ٦٢).

قال القاضي أبو محمد: وذلك كلُّه محتمل؛ لأَن (الشِّيعة) معناها: الصنف الشائع الذي يُشبه بعضه بعضاً، والشِّيَعُ: الفِرَق، وإِن كان الأَعرف أَن المتأَخر في الزَّمن هو شيعة للمتقدم، ولكن قد يجيءُ في الكلام عكس ذلك، قال الشاعر:

وَمَـالِـيَ إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شِيعَةٌ ... وَمَالِيَ إِلَّا مَشْعَبَ الْحَقِّ مَشْعَبُ[١] [الطويل]

فجعلهم شِيعَةً لنفسه.

وقوله تعالى: ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ قال المفسرون: يريد: من الشَّكِّ والشرك وجميع النقائص التي تلحق قلوب بني آدم كالغِلِّ والحسد والكِبْر ونحوه، قال عروة بن الزبير: لم يَلْعن شيئاً قَطُّ[٢].

وقوله: ﴿أَئِفْكًا﴾؛ استفهامٌ بمعنى التقرير، أَي: أَكَذِباً ومُحالاً آلهةً دون الله تريدون؟ ونصب ﴿ءَالِهَةً﴾ على البدل من ﴿أَئِفْكًا﴾، وسهلت الهمزة الأَصلية من الإِفك.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا ظَنُّكُم﴾ توبيخٌ وتحذيرٌ وتوعُّدٌ.

ثم أَخبر تعالى عن نظرة إِبراهيم عليه السلام في النجوم، رُوي: أَن قومه كان لهم عيد يخرجون إِليه، فدعوا إِبراهيم عليه السلام إِلى الخروج معهم، فنظر حينئذ واعتذر بالسقم، وأَراد البقاءَ خلافهم إِلى الأَصنام، وقال ابن زيد، عن أَبيه: أَرسل إِليه ملكُهم أَن غداً عيدٌ فاحضر معنا، فنظر إِلى نجم طالع فقال: إِن هذا يطلع مع سقمي[٣]، فقالت فرقة: معنى ﴿نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾؛ أَي: فيما نَجَم إِليه من أَمر قومه وحاله معهم، وقال الجمهور: نظر في نجوم السماءِ، ورُوي: أَن علم النجوم كان عندهم منظوراً فيه

---

(١) البيت للكُمَيْت، انظر عزوه له بهذا اللفظ في العين (١/ ٢٦٣)، والصحاح للجوهري (١/ ١٥٦) والمقتضب (٤/ ٣٩٨) وغيرهم.

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ١٤٨)، والهداية لمكي (٩/ ٦١٢٢).

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ٦٣-٦٤) من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه به، وهذا إسناد ضعيف، عبد الرحمن بن زيد ضعيف الحديث. انظر تهذيب الكمال (١٧/ ١١٤).

مُسْتَعملاً، فأَوهمهم هو من تلك الجهة، وذلك أَنهم كانوا أَهل رعاية وفلاحة، وهاتان المعيشتان يُحتاج فيهما إِلى نظر في النجوم.

واختلف أيضاً في قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾:

فقالت فرقة: هي كذبة في ذات الله تعالى، أَخبرهم عن نفسه أنه مريض، وأَن الكوكب أَعطاه ذلك، قال ابن عباس وغيره: أَشار لهم إِلى مرض وسقم يُعدي كالطاعون، ولذلك تَوَلَّوْا مُدْبرين، أَي: فارِّين منه[(١)].

وقال بعضهم: بل تَوَلَّوْا مُدْبرين لكفرهم به واحتقارهم لأَمره.

قال القاضي أبو محمد: وعلى هذا التأْويل في أنها كذبة يجيءُ الحديث: «لم يكذب إِبراهيم إِلا ثلاث كذبات: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقوله في سارَةَ: هي أُخْتي»[(٢)].

وقالت فرقة: ليست بكذبة، ولا يجوز الكذب عليه، ولكنها من المعاريض، أَخبرهم بأَنه سقيم في المآل[(٣)]، أَو على عرف ابن آدم؛ لأَن ابن آدم لا بُدَّ أن يسقم ضرورة.

وقيل على هذا: أَراد: إِني سقيم النفس من أُموركم وكفركم، فظهر لهم من كلامه أَنه أَراد سقماً بالجسم حاضراً، وهكذا هي المعاريض.

قال القاضي أبو محمد: وهذا التأْويل لا يردُّه الحديث: وذكر الكذبات؛ لأَنه قد يقال لهذا كذِبٌ على الاتساع بحسب اعتقاد المخبر، والكذبُ الذي هو قصد قول

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ٦٥) قال: حُدثت عن يحيى بن زكريا، عن بعض أصحابه، عن حكيم بن جُبَير، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، وإبهام راويه.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٧٩) ومسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، به.

(٣) في المطبوع: «سقيم المال».

الباطل والإِخبارُ بِضِدِّ ما في النَّفْس بغير منفعة شرعية هو الذي لا يجوز على الأَنبياءِ صلوات الله عليهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

(رَاغَ) معناه: مالَ، ومنه قول عدِيٍّ بن زيد:

حَيْـثُ لا يَنْفَـعُ الرِّيَـاغُ وَلَا يَنْـ فَـعُ إِلَّا الْمُصَـادِقُ النِّحْرِيـرُ[1] [الخفيف]

وقوله: ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ هو على جهة الاستهزاءِ بِعَبَدَة تلك الأصنام، [وروي: أن عادة أولئك كانت أنهم يتركون في بيوت الأصنام طعاماً][2]، ويعتقدون أنها تصيب منه شميماً، ونحو هذا من المعتقدات الباطلة، ثم كان خدمة البيت يأْكلونه، فلما دخل إِبراهيم وقف على الأَكل والنطق والمخاطبة للأَصنام بقصد الاستهزاءِ بعابديها، ثم مال عند ذلك إِلى ضرب تلك الأَصنام بفأْسٍ حتى جعلها جُذَاذاً.

واختلف في معنى قوله: ﴿بِٱلۡيَمِينِ﴾:

فقال ابن عباس: يُمنَى يديه[3]، وقيل: أَراد: بِقُوَّته؛ لأَنه كان يجمع يديه معاً بالفأْس.

وقيل: أَراد بيمين القسم في قوله: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧]، و﴿ضَرۡبَۢا﴾ نصب على المصدر بفعل مضمر من لفظه.

---

(١) انظر عزوه له في تفسير الطبري (٢١/ ٦٥)، وفيه: «الرواغ»، بالواو، والاختيارين للأخفش (ص: ٧١٧) بلفظ: يوم لا ينفع الرواغ، ولا ينـ * ـصع إلا المشيع، النحرير، وكذا ابن بري في التعريب والمعرب (ص: ١٤٩) زاد: ويروى للأسود بن يعفر.

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «ورُوي أَن عبادتهم كانت ترك الطعام في بيوت الأَصنام».

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٦٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

وفي مصحف عبد الله: (صَفقاً بِالْيَمِينِ)[١].

والضمير في قوله: ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ﴾ لكفار قومه.

وقرأ الجمهور: ﴿يَزِفُّونَ﴾ بفتح الياءِ، من: زَفَّ: إذا أَسْرَع، وزفَّت الإِبل: إذا أَسرعت، ومنه قول الفرزدق:

[الطويل] فَجَاءَ قَرِيعُ الشَّوْل قَبْلَ إِفَالِهَا ... يَزِفُّ وجاءَتْ خَلْفَهُ وَهِيَ زُفَّفُ[٢]

ومنه قول الهذليِّ:

[البسيط] وزَفَّتِ الشَّولُ مِنْ بَرْدِ الْعَشِيِّ كَمَا ... زَفَّ النَّعام إِلى حفَّانِهِ الرُّوحُ[٣]

[٤/ ٢٦٥] / وقرأَ حمزة وحده: ﴿يُزِفُّونَ﴾ بضم الياءِ[٤]، من: أَزَفَّ: إذا دخل في الزَّفيف، وليست بهمزة تعدية، هذا قول.

وقال أَبو عليٍّ: معناها: يحملون غيرهم على الزَّفيف، وحكاه عن الأَصمعي[٥].

وهي قراءَة مجاهد، وابن وثَّاب، والأَعمش[٦].

وقرأَ مجاهد، وعبد الله بن زيد: (يَزِفُونَ) بفتح الياءِ وتخفيف الفاءِ[٧] من: وَزَفَ يَزِفُ، وهي لغة منكرةٌ، قال الكسائي والفراءُ: لا نعرفها بمعنى: زَفَّ[٨].

---

(١) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٢٩)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٨)، وتفسير الطبري (٢١/ ٦٧). وفي الأصل: «صفعاً».

(٢) انظر نسبته له في العين (١/ ١٥٦)، والحيوان (١/ ٢٥٩)، والمعاني الكبير (١/ ٤١٩)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٧٠١).

(٣) هو أبو ذؤيب انظر عزوه له في الصحاح للجوهري (١/ ٣٧٠)، والمحتسب (٢/ ٢٢١)، والمخصص (٢/ ١٩١). وفي الحمزوية: «خفانه»، وفي نجيبويه: «جفانة»، وضبطت في المطبوع: «حفْانه».

(٤) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٤٨)، والتيسير (ص: ١٨٦).

(٥) انظر: الحجة لأبي علي (٦/ ٥٧).

(٦) انظر إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٧٣)، وهي سبعية كما تقدم.

(٧) انظر نسبتها لعبد الله في المحتسب (٢/ ٢٢٠)، ولهما في البحر المحيط (٩/ ١١١)، وزاد آخرين.

(٨) انظر ما نسبه لهما في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٩).

وقال مجاهد: الوزيفُ: النسلانُ[(١)].

وذهبت فرقة إِلى أَن ﴿يَزِفُّونَ﴾ معناه: يَتَمَهَّلُونَ في مشيهم كزفاف العروس، والمعنى: أَنهم كانوا على طمأْنينةٍ من أَن ينالَ أَحدٌ آلهتهم بسوءٍ لِعِزَّتهم، فكانوا لذلك مُتَمِّهلين.

قال القاضي أبو محمد: وزَفَّ بمعنى أَسْرَعَ هو المعروف.

ثم إِنَّ إِبراهيم عليه السلام قال لهم في جملة محاورة طويلة قد تضمنتها الآية: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾؛ أَي: أَتجعلون إِلهاً مُعَظَّماً شيئاً صنعتموه من عود أوحجر، وعملتموه بأَيديكم؟ وأَخبرهم بخبر لا يمكنهم إِنكاره وهو قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾.

[واختلف المتأَولون في قوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾؛ فذهب جماعة من المفسرين إِلى أَن (ما) مصدرية، والمعنى: وأن الله خلقكم][(٢)] وأَعمالكُم، وهذه الآية عندهم قاعدة في خلق أَفعال العباد، وذلك موافق لمذهب أَهل السُّنَّة في ذلك[(٣)].

وقالت فرقة: (ما) بمعنى الذي، وقالت فرقة: (ما) استفهام.

وقالت فرقة: هي نفيٌ، بمعنى: وأَنتم لا تعملون شيئاً في وقت خلقكم ولا قبله، ولا تقدرون على شيءٍ.

قال القاضي أبو محمد: والمعتزلة مضطرة إِلى الزوال عن أَنْ تجعلَ «ما» مصدرية[(٤)].

و«البُنْيَانُ»؛ قيل: كان في موضع إِيقاد النار.

وقيل: بل كان للمنجنيق الذي رمي عنه، وقد تقدم قصص نار إِبراهيم عليه السلام، وجعلهم الله الأَسْفِلِين بأن غُلِبوا وذلُّوا ونالتهم العقوبات.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٦٩). وفي الأصل: «الزفيف»، وفي المطبوع: «السيلان».
(٢) سقط من الأصل.
(٣) انظر مذهب أهل السنة في: الملل والنحل لابن حزم (٣/ ٣٢).
(٤) انظر ذلك في الكشاف للزمخشري (٤/ ٥١-٥٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

قالت فرقة: إنَّ قول إبراهيم ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ﴾ كان بعد خروجه من النار، وأنه أشار بذهابه إِلى هجرته من أَرض بابل حيث كانت مملكة نمروذ، فخرج إِلى الشام، ويُرْوى: إلى بلاد مصر، وقالت فرقة: إن قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ﴾ ليس مرادُه به الهجرة كما في آية أُخرى، وإِنما مراده لقاء الله بعد الاحتراق؛ لكنَّه[1] ظن أَن النار سيموت فيها، فقال هذه المقالة قبل أَن يُطرح في النار، فكأَنه قال: إِني سائر بهذا العمل إِلى ربِّي، وهو سيهديني إِلى الجنة. نحا إِلى هذا المعنى قتادة[2].

وللعارفين بهذا الذهاب تـمسك[3] واحتجاج في الصفاءِ، وهو مَحْمَلٌ حسن في ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ﴾ وحده[4]، والأَول أَظهر في نمط الآية بما بعده؛ لأَن الهداية معه تَتَرَتَّب، والدعاءُ في الولد كذلك، ولا يصح مع ذهاب الفناءِ.

قوله: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، ﴿مِنَ﴾ للتَّبعيض، أَي: ولداً يكون في عداد الصالحين.

وقوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ﴾، قال كثير من العلماءِ، منهم العباس بن عبد المطلب ـ وقد رفعه[5] ـ

(١) في نور العثمانية وفيض الله والسليمانية: «لأنه».
(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٧١).
(٣) في المطبوع: «تمثيل».
(٤) انظر في هذا المعنى: قوت القلوب لأبي طالب مكي (ص: ١٤٨)، والمقصود بالعارفين المتصوفة.
(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ٨٠) من طريق علي بن زيد بن جدعان، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه مرفوعاً، به، وهذا إسناد ضعيف، علي بن زيد بن جدعان، متفق على تضعيفه، انظر تهذيب الكمال (٢٠/ ٤٣٤)، وقد خالفه المبارك بن فضالة، وهو على ضعفه أحسن حالاً منه، فرواه عن الحسن، عن الأحنف بن قيس، عن العباس، موقوفاً عليه من قوله. أخرجه ابن جرير في تاريخه (١/ ١٨٥).

وعليٌّ[١]، وابن عباس[٢]، وابن مسعود[٣]، وكعب، وعبيد بن عمير: هي البشارة المعروفة بإسحاق، وهو الذبيح[٤]، وكان أَمرُ[٥] ذبحه بالشام.

وقال عطاءٌ، ومقاتل: كان ببيت المقدس[٦].

وقال بعضهم: بل بالحجاز، جاءَ مع ابنه على البراق.

وقال ابن عباس والبشارة التي بعد هذه في هذه الآية هي بشارة نُبُوَّته[٧]، كما قال تعالى في موسى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣]، وهو قد كان وهبه له قبل ذلك، وإنما أَراد النُبُوَّة، فكذلك هذه، وقالت هذه الفرقة في قول الأعرابي: «يابْنَ الذَّبِيحَيْنِ»[٨]، أَراد إسحاق، والعمُّ أَبٌ، وقيل: إنه أُمر بذبحه بعدما وُلد له يعقوب، فلم يتعارض الأمر بالذبح مع البشارة بولده وَوَلَدِ وَلَدِه.

وقالت فرقة: هذه البشارة هي بإسماعيل عليه السلام، وهو الذبيح، وأَمْرُ ذبحه

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٧٩-٨٠) من طرق صحاح، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٨٠) من طريق شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود رضي الله عنه وهذا إسناد صحيح.

(٤) انظر قول كعب وعبيد في: تفسير الطبري (٢١/ ٨٠).

(٥) في المطبوع: «أضمر».

(٦) انظر تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦١٥)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٥٦).

(٧) أخرجه الطبري (٢١/ ٩٢) من طرق صحاح، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٨) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (٢١/ ٨٥) والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥٤) من طريق عمر بن عبد الرحيم الخطابي، ثنا عبد الله بن محمد العتبي، ثنا عبد الله بن سعيد الصنابحي، عن معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه مرفوعاً به، قال الإمام الذهبي في مختصره على المستدرك: إسناده واهٍ، وقال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٣٥): هذا حديث غريب جدًّا، قلت: وفي إسناده ممن لم أجد لهم ترجمة.

كان بالحجاز بمنى، وثَمَّ رمى إِبراهيم عليه السلام الشيطانَ بالجمرات، وقَبل الكبش [حين أفلت][(١)] وسنَّ السُّنَن.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول ابن عباس[(٢)] أَيضاً، وابن عمر[(٣)]، وروي عن الشَّعبي، والحسن، ومجاهد[(٤)]، ومعاوية بن أَبي سفيان ورفعه معاوية إِلى النبي ﷺ[(٥)]، ومحمد بن كعب.

وبه كان أَبي رضي الله عنه يقول، ويستدل بقول الأَعرابي للنبي ﷺ: «يا بن الذبيحَيْن»، وبقوله ﷺ: «أَنا ابن الذبيحين»[(٦)]؛ يعني: إِسماعيل وعبد الله أَباه.

ويَسْتَدِلُّ بأَن البشارة اقترنت بأن من ورائه يعقوب، فلو قيل له في صباه: اذبحه، لَنَاقَضَ ذلك البشارةَ بيعقوب عليهم السلام.

ويَسْتَدِل بظاهر هذه الآية أَنه بُشِّر بإِسماعيل وانقضى أَمْرُ ذبحه ثم بُشِّر بإسحاق بعد ذلك.

وسمعتُه ـ رضي الله عنه ـ يقول: كان إِبراهيم ﷺ يجيءُ من الشام إِلى مكَّة على البراق زائراً ويعود من يومه. وقد ذكر ذلك الثعلبي عن سعيد بن جبير، ولم يذكر أَن ذلك على البراق، وذكر القصة عن ابن إسحاق[(٧)]، وفيها ذكر البراق كما سمعت أَبي يحكي.

---

(١) سقط من المطبوع، وفي الأصل: «وقبض الكبش».

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٨٢) من طريق بيان بن بشر، عن الشعبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وهذا إسناد صحيح، على شرط الشيخين.

(٣) ضعيف جدًّا، أخرجه الطبري (٢١/ ٨٢)، عن إسرائيل، عن ثوير، عن مجاهد، عن ابن عمر رضي الله عنهما به، وهذا إسناد ضعيف جدًّا، ثوير هو ابن أبي فاختة، متروك الحديث. انظر تهذيب الكمال (٤/ ٤٢٩).

(٤) انظر أقوالهم مع قول ابن كعب الآتي في تفسير الطبري (٢١/ ٨٤).

(٥) هو الحديث الذي تقدم قريباً، وفيه قول الأعرابي: «يا ابن الذبيحين».

(٦) لا أصل له، قال صاحب كشف الخفاء (٦٠٦): قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: لم نجده بهذا اللفظ.

(٧) تفسير الثعلبي (٨/ ١٤٩).

وذكر الطبري: أَن ابن عباس قال: الذبيح إِسماعيل، وتزعم اليهود أَنه إِسحاق، وكذبت اليهود[١].

وذكر أَيضاً: أَن عمر بن عبد العزيز سأَل عن ذلك رجلاً يهوديّاً كان أَسلم وحسُن إِسلامه فقال: الذبيح إِسماعيل عليه السلام، وإِن اليهود تعلم ذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب أَن تكون هذه الآيات والفضل واللَّهِ في أَبيكم[٢].

و﴿ٱلسَّعْىَ﴾ في هذه الآية العمل والعبادة والمعونة، هذا قول ابن عباس[٣]، ومجاهد، وابن زيد.

وقال قتادة: السَّعْيُ على القدم، يريد: سعياً متمكناً[٤]، وهذا في المعنى نحو الأَول.

وقرأَ الضحاك: (معه السعي وأسرَّ في نفسه حزناً)، قال: وهكذا في حرف ابن مسعود، وهي / قراءَة الأَعمش[٥]. [٤/ ٢٦٦]

وقوله: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ يحتمل أَن يكون رأَى ذلك بعينيه، ورؤْيا الأَنبياءِ وحيٌ، وعيَّن له وقت الامتثال، ويحتمل أَنْ أُمر في نومه بذبحه فعبَّر هو عن ذلك؛ أَي: إِني رأَيت في المنام ما يوجب أَن أَذبحك.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿مَاذَا تَرَىٰ﴾ بفتح التَّاءِ والرَّاءِ.

وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿ماذا تُرِي﴾ بضم التاءِ وكسر الرَّاءِ، على معنى: ما يظهر

---

(١) ضعيف جدًّا، أخرجه الطبري (٢١/ ٨٣) من طريق عمر بن قيس، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به. وهذا إسناد ضعيف جداً، عمر بن قيس هو سندل، متروك الحديث، وقد رُمي بالكذب. انظر تهذيب الكمال (٢١/ ٤٨٧).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٨٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٧٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٤) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢١/ ٧٣).

(٥) وهي شاذة مخالفة للرسم، انظر عزوها للضحاك والأعمش في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠٧).

منك من جَلَد أَو جزع، وهي قراءَة ابن مسعود، والأَسود بن يزيد، وابن وثاب، وطلحة، والأَعمش، ومجاهد[١].

وقرأَ الأَعمش، والضحاك بضم التاءِ[٢] وفتح الراءِ، على بناء الفعل للمفعول[٣].

فأَما الأُولى فهي من رؤْية الرأْي[٤]، وهي رؤْية تتعدى إِلى مفعول واحدٍ، وهو ـ في هذه الآية ـ إِما (ماذا) بجملتها[٥] على أَن تجعلهما بمنزلة اسم واحد، وإِمَّا (ذا) على أَن تجعلها بمعنى الذي، وتكون (مَا) استفهاماً، وتكون الهاءُ محذوفة من الصلة.

وأَما القراءَة الثانية فيكون تقدير مفعولها كما مرَّ في هذه، غير أَن الفعل فيها منقول من: رأَى زيد الشيءَ، وأَرَيْتُهُ إِيَّاه، إِلَّا أَنه من باب أَعطيت، فيجوز أَن يقتصر على أَحد المفعولين.

وأَما القراءَة الثالثة فقد ضعفها أَبو علي[٦]، وتَتَّجه على تحامل.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (افْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ)[٧].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾.

قرأَ جمهور الناس: ﴿أَسۡلَمَا﴾ أَي: أَنفسهما، واستسلما لله.

---

(١) وهي سبعية، انظر التيسير (ص: ١٨٦)، والسبعة (ص: ٥٤٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٧٤).
(٢) في المطبوع: «الياء».
(٣) في المطبوع وأحمد٣: «المجهول»، وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٢٢١).
(٤) في نور العثمانية: «الرائي».
(٥) في المطبوع: «تحملهما».
(٦) انظر: الحجة للفارسي (٦/ ٥٨-٥٩).
(٧) وهي شاذة، انظر نسبتها له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٠)، وتفسير الطبري (٢١/ ٧٦).

وقرأ علي، وعبد الله، وابن عباس، ومجاهد، والثوري: (سَلَّمَا)[١]، والمعنى: فوَّضا إِليه في قضائه وقَدَره، وانحملا على أَمره، فأَسلم إِبراهيم ابنه، وأَسلم الابن نفسه.

واختلف النحاة في جواب (لَمَّا):

فقال الكوفيون: الجواب (نَادَيْنَاهُ) والواو زائدة.

وقالت فرقة: الجواب: ﴿تَلَّهُ﴾ والواو زائدة، كزيادتها في قوله: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [النبأ: ١٩][٢].

وقال البصريون: الجواب محذوف، تقديره: فَلَمَّا أَسْلَمَا سَلَّمَا وتَلَّهُ، هذا قول سيبويه والخليل[٣]، وهو عندهم كقول امرئ القيس:

فَلَمَّـا أَجَزْنَا سَـاحَةَ الْحَـيِّ وانْتَحَى ... بِنَا بَطْنُ حقف ذِي ركام عَقَنْقَل[٤] [الطويل]

والتقدير: فلمَّا أَجزنا ساحة الحيِّ أَجَزْنا وانْتَحَى.

وقال بعض البصرِّيين: الجواب محذوف، وتقديره: فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِين أَجْزَلَ أَجْرهما، أَو نحو هذا مما يقتضيه المعنى.

وقوله تعالى: ﴿وَتَلَّهُۥ﴾ معناه: وضعه بقوة، ومنه الحديث في القدح[٥]: فَتَلَّهُ رسول الله ﷺ في يده[٦]، أَي: وضعه بقوَّة، والتَّلُّ من الأَرض مأْخوذ من هذا، كأَنه

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لهم في المحتسب (٢/ ٢٢١).

(٢) قال في حاشية المطبوع: والآية أُثبتت هكذا في الأصول، والصواب أن يكون الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، فإنها هي التي قيل فيها: إن الجواب هو ﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾.

(٣) انظر الجمل في النحو (ص: ٣٠٦).

(٤) من المعلَّقة، وعزاه له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٥٠)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١٥٨)، وغريب الحديث لابن سلام (٢/ ١٨٨)، والجمل (ص: ٣٠٥)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٢٦). وفي نجيبويه: «خف»، وفي المطبوع: «خبت، ذي حقاف».

(٥) «في القدح» ليست في المطبوع.

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٣١٩) ومسلم (٢٠٣٠) من حديث سهل بن سعد الساعدي، رضي الله عنه مرفوعاً به.

تُلَّ في ذلك الموضع، و﴿لِلْجَبِينِ﴾ معناه: لتلك الجهة وعليها، كما يقولون في المثل: لليديْن وللفم[١]، وكما تقول: سقط لِشِقِّه الأَيسر، وقال ساعدة بن جُؤَيَّة:

[الطويل] فَظَلَّ تَلِيلاً لِلْجَبين[٢]......... ....

و«الجبينان»: ما اكتنف الجبهة[٣] من هُنا وهنا.

ورُوي في قصص هذه الآية: أَن الذبيح قال لأبيه: اشدُدْ رباطي بالحبل لئَلَّا أَضطرب، واصرف بصرك عني لئلا ترحمني، ورُدَّ وجهي نحو الأَرض.

قال قتادة: كبَّه لِفِيه وأَخذ الشفرة[٤].

والتَّـلُّ للجبين ليس يقتضي أَن الوجه نحو الأَرض، بل هي هيئة من ذُبح للقبلة على جنبه.

وقوله: ﴿أَن يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴾ ﴿أَن ﴾ مفسِّرة لا موضع لها من الإِعراب.

وقوله تعالى: ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ﴾ يحتمل أَن يريد: بقلبك، على معنى: كانت عندك رُؤْيا صادقة حقّاً من الله، فعملت بحسبها حين آمنت بها واعتقدتَ صدقها، ويحتمل أَن يريد: صدَّقت بعملك ما حصل عن الرؤْيا في نفسك، كأَنه قال: قد وفَّيتها حقها من العمل.

و«الرُّؤْيا»: اسم لما يُرى من قِبَل الله تعالى في المنام، و«الحُلْم»: اسم لما يُرى

---

(١) ورد هذا في أبيات منها قول عنترة كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ٣٧٢): فتركت سيدهم لأول طعنة * يكبو صريعاً لليدين وللفم، وقول جابر بن حنى التغلبي، كما في المفضليات (ص: ٢١٢): تناوله بالرمح ثم اتنى له * فخر صريعا لليدين وللفم، وقول أبي المثلم الهذلي كما في غريب الحديث لابن سلام (٣/ ٣٩٦): أصخر بن عبد الله من يغو سادرا * يقل غير شك لليدين وللفم، وغيرهم.

(٢) عزاه له بلا تتمة في مجاز القرآن (٢/ ١٧١)، والبحر المحيط (٩/ ١١٤)، بلفظ: وتل تليلا لليدين وللفم، واستشهد به السمعاني في التفسير (٤/ ٤٠٨) بلفظ: شَككت لَهُ بِالرُّمْحِ جَنْبي قَمِيصه * فَخر تليلا للْيَدَيْنِ وللفم، بلا نسبة. وفي المطبوع وأحمد٣: «للجبينين».

(٣) في الحمزوية: «الجهة»، وفي المطبوع وأحمد٣ بدل «والجبينان»: «وهما».

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٧٦).

مِن قِبَل الشيطان، ومنه الحديث الصحيح: «الرُّؤْيا من الله، والحُلْم من الشيطان»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ إشارة إِلى ما عمل إِبراهيم، كأَنه يقول: إِنا بهذا النوع من الإِخلاص والطاعة نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ.

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ﴾ يحتمل أَن يشير إِلى ما في القصة من امتحان واختبار [وسبر معتقد؛ فيكون البلاء على هذا المعنى الاختبار][(٢)] بالشِّدَّة، ويحتمل أَن يشير إِلى ما في القصة من سرور بالفدية وإِنقاذ من تلك الشدة في إِنقاذ الذبح، فيكون البلاءُ بمعنى النعمة.

قال القاضي أبو محمد: وإِلى كل احتمال قد أَشارت فرقة من المفسرين، ورُوي في الحديث: أَن الله تعالى أَوحى إِلى إسحاق أَني قد أَعطيتك بصبرك لأَمري دعوةً أُعطيك فيها ما سأَلت، فَسَلْني، فقال: يا ربِّ؛ أَيُّـمَا عبد لقيك من الأَولين والآخرين لا يشرك بك شيئاً فأَدْخله الجنة[(٣)].

والضمير في (فَدَيْنَاهُ) عائد على الذبيح.

و«الذِّبْحُ» اسمٌ لما يذبح، ووصفه بالعظم لأَنه مُتَقَبَّلٌ يقيناً، قاله مجاهد[(٤)].

وقال عمرو بن عبيد: الذِّبْحُ: الكبْشُ، والعظيمُ: لِجَرْي السُّنَّة به، وكونه ديناً باقياً آخر الدهر[(٥)].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٤١٥) ومسلم (٢٢٦١) من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه مرفوعاً، به.

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) ضعيف، وهو أثر عن كعب الأحبار، وليس بحديث مرفوع، أخرجه الطبري (٢١/ ٨٢) بإسناد فيه محمد بن حميد الرازي، وهو ضعيف الحديث، انظر تهذيب الكمال (٢٥/ ٩٧).

(٤) تفسير مجاهد (ص: ٥٧٠)، وتفسير سفيان الثوري (ص: ٢٥٣)، وتفسير عبد الرزاق (٣/ ٩٩)، وتفسير الطبري (٢١/ ٩٠).

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٩٠).

وقال الحسن بن الفضل: عظيم لأَنه كان من عند الله.

وقال أَبو بكر الورَّاق: لأنه لم يكن عن نَسْل بل عن التكوين[١].

وروي عن ابن عباس، وعن سعيد بن جُبَيْر: أن كونه عظيماً هو أَنه من كِباش الجنة رَعَى فيها أَربعين خريفاً[٢].

وقال ابن عباس: هو الكبش الذي قَرَّب ولد آدم[٣].

وقال ابن عباس[٤]، والحسن: كان وَعْلًا أُهبط عليه من ثَبير[٥].

وقال الجمهور: إِنه كبش أَبيض أَقرن أَعين، وجده ورآه مربوطاً بِسَمُرة.

قال القاضي أبو محمد: وروي أَنه انفلت فاتَّبعه ورماه بحَصَيات في مواضع الجمرات، فبذلك مضت السُّنَّة.

[٤/ ٢٦٧] وقال ابن عباس: رجم الشيطان عند جمرة العقبة[٦] وغيرها، وقد تقدم هذا. /

قال القاضي أبو محمد: وأهل السُّنَّة على أَن هذه القصة نُسخ فيها العزم على الفعل، والمعتزلة تقول: إِنه لا يصح نسخٌ إِلا بعد وقوع الفعل.

---

(١) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٨/ ١٥٧).

(٢) ضعيف جدًّا، أخرجه الطبري (٢١/ ٨٩) من طريق الحسن بن دينار، عن قتادة بن دعامة، عن جعفر ابن إياس، عن ابن عباس رضي الله عنهما. والحسن بن دينار، رُمي بالكذب. انظر ميزان الاعتدال (١/ ٤٨٧).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٨٧) من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهذا إسناد لا بأس به.

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ٨٩) من طريق سفيان، عن رجل، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنه. وهذا إسناد ضعيف لإبهام راويه.

(٥) انظر قوله وقول ابن جبير في تفسير الطبري (٢١/ ٩٠)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٥٧).

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٤٣٦) من طريق حماد بن سلمة، عن أبي عاصم الغنوي، عن أبي الطفيل، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وأبو عاصم الغنوي، لم يسم، وتفرد عنه حماد بن سلمة، ولم يعرفه أبو حاتم، لكن روى إسحاق بن منصور عن ابن معين قوله: ثقة. انظر تهذيب الكمال (٣٤/ ٨).

وافترقت في هذه الآية على فرقتين: فقالت فرقة: وقع الذَّبح والتَأَم بعد ذلك[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا كذبٌ صراحٌ.

وقالت فرقة منهم: بل كان إبراهيم لم ير في منامه إلَّا إمْرار الشَّفْرة فقط، فظن أنه ذبح مجهز، فنفَّذ لذلك، فلما وقع الذي رآه وقع النسخ.

قال القاضي أَبو محمد: ولا اختلاف أَن إبراهيم أَمَرَّ الشَّفرة على حلق ابنه فلم تقطع.

ورُوي: أَن صفحة نحاس اعترضت فحزَّ فيها[٢]، والله أَعلم كيف كان، فقد كثَّر الناس في قصص هذه الآية بما صحته معدومة فاختصرته.

وقد تقدم تفسير مثل قوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الْآخِرِينَ ۝١٠٨ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾ معناه: بمثل هذا الفعل، وباقي الآية بيِّن.

قال القاضي أبو محمد: ومِمَّا يستغرب في هذه الآية: أَن عُبَيْد بن عُمَيْر قال: ذُبح في المقام[٣].

وذكر الطبري عن جماعة لم يُسَمِّها أَنها قالت: كان الأَمر وإراغة[٤] الذبح والقصة كلها بالشام[٥].

وقال الجمهور: ذُبح بمنى، وقال الشعبي: رأَيْت قَرْنَيْ كبش إبراهيم معلَّقة في الكعبة[٦].

---

(١) انظر قول أهل السنة وأقوال المعتزلة في وقوع النسخ قبل التمكن من الفعل؛ في روضة الناظر (١/ ٧٥-٧٦).

(٢) في الحمزوية: «اعترضته فحزَّ فيها»، وفي المطبوع: «اعترضته بحرفها».

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٣١).

(٤) في الحمزوية ونجيبويه والمطبوع: «وإراعة»، وفي أحمد٣: «وأراعه»، وفي بعض أصول المطبوع: «وإذاعة».

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٨٧).

(٦) سقط من فيض الله، وفي المطبوع وأحمد٣: «معلقين».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾.

من قال: إن الذبيح هو إسماعيل؛ جعل هذه البشارة بولادة إسحاق، وهي البشارة المترددة في غير ما سورة، ومن جعل الذبيح إسحاق؛ جعل هذه البشارة لنفس النبوة فقط.

[وقوله تعالى: ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ توعد لمن كفر من اليهود بمحمد ﷺ][(١)].

و«المِنَّة على موسى وهارون»: هي في النبوة وسائر ما جرى معهما من مكانتهما عند الله.

و﴿ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾: هو تعبُّد القبط لهم، ثم جيش فرعون حين قالت بنو إسرائيل: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، ثم البحر بعد ذلك.

والضمير في ﴿ وَنَصَرْنَٰهُمْ ﴾ عائد على الجماعة المتقدم ذكرها، وهم موسى وهارون وقومهما. وقال قوم: أراد موسى وهارون ولكن أخرج ضميرهما مخرج الجمع تفخيماً، وهذا ما تفعله العرب، تكني عمن تُعظِّم بكناية الجماعة. و﴿ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾: التوراة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾.

﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ يريد به في هذه الآية طريقَ الشرع والنبوَّة المؤدِّي إلى الله تعالى.

وقد تقدم القول في مثل قوله: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا ﴾.

(١) سقط من المطبوع.

و﴿إِلْيَاسَ﴾ نبيٌّ من أَنبياءِ الله تعالى، قال قتادة[١]، وابن مسعود: هو إِدريس عليه السلام[٢].

وقالت فرقة: هو من ولد هارون عليه السلام.

قال الطبري: هو إِلياسُ بن نسي[٣]، بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران[٤].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾ بهمزة مكسورة، وهو اسم.

وقرأَ ابن عامر، وابن محيصن، وعكرمة، والحسن، والأَعرج: ﴿وإِنَّ الْيَاسَ﴾ بغير همزٍ وَبِصِلَة الأَلف[٥]، وهذا يتجه على أَحد وجهين:

إِما أَن يكون حذف الهمزة، كما حذفها ابن كثير في قوله: (إنها لَحْدَى الكُبَرْ)، أَراد: لإِحْدَى، فنَزَّل المنفصل منزلة المتصل[٦]، كما قد ينزل في كثير من الأمور.

والآخر: أن يجعلها الأَلف التي تصحب اللام للتعريف، كالْيَسَع.

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (وَإِنَّ إِيلِيسَ) بأَلف مكسورة الهمزة وياءٍ ساكنة قبل اللام المكسورة وياء ساكنة بعدها، وسين مفتوحة، وكذلك في قوله: (سَلَامٌ عَلَى إِيلِيسَ)[٧].

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٩٥).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥٠٩) من طريق: أبي أحمد قال، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبيدة ابن ربيعة، عن عبد الله بن مسعود به، وعلقه البخاري فى (أحاديث الأنبياء) فقال: ويذكر عن ابن مسعود: إلياس هو إدريس. وأبو إسحاق يدلس ولم يصرح بالسماع، وعبيدة لم يوثق توثيقاً معتبراً.

(٣) في المطبوع: «ياسين».

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٩٥)، و«بن هارون» من المطبوع وأحمد٣، وسقطت «بن عمران» منه.

(٥) وهما سبعيتان، الثانية أحد وجهين لابن ذكوان في التيسير (ص: ١٨٧)، ومع هشام في السبعة (ص: ٥٤٨)، وانظر الإتحاف (ص: ٤٧٤).

(٦) وهي شاذة، عزاها له في السبعة (ص: ٦٥٩)، كما سيأتي في محلها من (سورة المدثر)، الآية (٣٥).

(٧) وهما شاذتان، انظرهما في المحتسب (٢/ ٢٢٤).

وقرأ نافع، وابن عامر: ﴿سلامٌ على آل ياسين﴾.

وقرأ الباقون: ﴿عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ بألف مكسورة ولام ساكنة[١].

وجعلها الحسن، وأبو رجاءٍ موصولة[٢].

فوجه الأُولى: أَنها ـ فيما يزعمون ـ مفصولة في المصحف، فدلَّ ذلك على أَنها بمعنى: أَهْل، و(ياسين) اسم أَيضاً لإِلْيَاسَ، وقيل: هو اسم لمحمد ﷺ.

وَوَجْه الثانية: أَنه جمع إِلْيَاسِيّ، كما قالوا: أَعْجَمِيٌّ وأَعْجَمِيُّون.

قال أَبو علي: والتقدير: إِلْيَاسِيِّينَ، فحذف كما حذف من أَعجميِّينَ، ونحوه، ومن الأَشعريِّين والنُّمَيْرِيِّين والمُهَلَّبِيِّين، ونحوه[٣].

وحكى أَبو عمرو: أَن منادياً نادى يوم الكلاب: هلك اليزيدون[٤]، ويُرْوَى قول الشاعر:

[الرجز] قَدْنِيَ مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبِينَ قَدِي[٥] ....

بكسر الباءِ الثانية، نسبة إِلى أَبي خُبَيْب.

ويقال: سمَّى كل واحد من آلِ إِلياسِينَ إِلْياسَ، كما قالوا: شابت مفارقُه، فسُمِّي كل جزءٍ من المَفْرِق مَفْرقاً، ومنه قولهم: «جَمَلٌ ذو عَثَانينَ»[٦]، وعلى هذا أَنشد ابن جِنِّي:

---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٤٩)، والتيسير (ص: ١٨٧).

(٢) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٢٢٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣١٢).

(٣) انظر الحجة للفارسي (٦/ ٦١).

(٤) المحتسب (٢/ ٢٢٣)، وهم: يزيد بن عبد المدان، ويزيد بن هوبر، ويزيد بن مَخْرمة الحارثيون.

(٥) تقدم في تفسير الآية (٥١) من (سورة الحجر).

(٦) العَثَانين: جمع عُثْنُون، وهو شعيرات طوالٌ عند مَذْبح البعير. وتوجد كذلك في التَّيْس وتحت منقار الديك.

[الرجز] مَـرَّتْ بِنَـا أَوَّلَ مِـنْ أُمُـوس تَمِيـسُ فِينَـا مِشْـيَةَ الْعَـرُوسِ(١)

فسمَّى كلَّ جزءٍ من أَمْسِ أَمْساً، ثم جَمَع، وقال أَبو عُبَيْد: لم يُسَلَّم على آلِ أَحد من الأَنبياءِ المذكورين قَبْلُ، فلذلك تُرَجَّح قراءَةُ من قرأَ: ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾ إِذْ هو اسمٌ واحدٌ له.

وقرأ ابن مسعود، والأَعمش: (وإِنَّ إِدْرِيسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِين) و(سَلامٌ عَلَى إِدْرَاسِينَ).

[وروى هذه القراءة قطرب وغيره: (وإن إدراس)، و(سلام على إدراسين)(٢).

وإدراس](٣) لغة في: إِدْريس؛ كإِبراهيم وإِبراهام.

وقوله: ﴿أَتَدْعُونَ﴾ معناه: أَتعبدون؟

و«الْبَعْلُ»: الرَّبُّ بلغة اليمن، قاله / عكرمة، وقتادة(٤). [٤/ ٢٦٨]

وسمع ابن عباس رجلاً يَنْشُد ضالة، فقال له رجلٌ آخر: أَنا بَعْلُها، فقال ابن عباس: الله أَكبر، ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾(٥).

وقال الضحاك، وابن زيد، والحسن: البَعْلُ: اسم صنم كان لهم، ويقال له: بَعْلُ بَكْ، وإِليه نَسَب الناسُ، وذكر ابن إسحاق عن فرقة أَن ﴿بَعْلًا﴾ اسم امرأَة كانت أَتَتْهُمْ بضلالة(٦).

وقوله: ﴿أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ من حيث قيل للإِنسان على التَّجوز: إِنه يخلق، وجب

---

(١) بلا نسبة في الأزمنة لقطرب (ص: ٣٣)، والمحتسب (٢/ ٢٢٤)، والأزمنة والأمكنة للمرزوقي (ص: ١٨٢)، وتميس: تتبختر وتختال.
(٢) وكلها شاذة، انظرها مع ماحكاه عن قطرب في المحتسب (٢/ ٢٢٣-٢٢٤).
(٣) سقط من المطبوع وأحمد٣ والحمزوية.
(٤) تفسير ابن فورك (٢/ ٢٤٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٦٨).
(٥) أخرجه الطبري (٢١/ ٩٦) من طريق أبي عاصم، عن عيسى بن ميمون الجرشي، عن عبيد الله (في المطبوع: عبد الله، وهو خطأ) بن أبي يزيد، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وإسناده لا بأس به.
(٦) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٩٧). وفي نور العثمانية: «نسب إلياس».

أَن يكون تعالى أَحْسَنَ الْخالِقِينَ؛ إِذْ خلْقُه اختراع وإِيجاد [من عدم][(١)]، وخَلْق الإِنسان مجاز، كما قال الشاعر:

[الكامل] وَلأَنْـتَ تَفْـرِي مَـا خَلَقْـتَ وَبَعْـ ـضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي[(٢)]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم: ﴿ٱللَّهَ﴾ بالنصب، ﴿رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ﴾ كل ذلك بالنصب على البدل من قوله: ﴿أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾.

وقرأ الباقون وعاصم أَيضاً برفعهم على القطع والاستئناف[(٣)].

والضمير في ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ عائد على قوم إِلْيَاس.

و(مُحْضَرُون) معناه: مجموعون لعذاب الله، وقد تقدم تفسيرُ مثل ما بقي من الآية.

وتقدم القول أَيضاً في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾.

ولوطٌ عليه السلام، قيل: هو [ابن أخي إبراهيم عليه السلام، وقيل:][(٤)] ابن أُخته، وقد تقدم تفسير قصته بكمالها.

وامرأَتُه هي العجوزُ المهْلَكَةُ، وكانت كافرة، فإِما كانت مستترةً منه عليه السلام وإِمَّا كانت مُعْلنةً، وكان نكاح الوثنيات والإِقامة عليهن جائزاً.

---

(١) سقط من الأصل.
(٢) البيت لزهير بن أبي سُلْمى كما تقدم في تفسير الآية (٢٧) من (سورة البقرة).
(٣) وهما سبعيتان، وعاصم في الثانية من رواية شعبة، انظر السبعة (ص: ٥٤٩)، والتيسير (ص: ١٨٧).
(٤) سقط من المطبوع وأحمد٣.

و«الْغَابِرُونَ»: الباقون، وغَبَرَ بمعنى: بَقِيَ، ومعناه هاهنا: بقيت في الهلاك.

ثم خاطب الله تعالى قريشاً، أو هو على معنى: قُل لهم يا محمد: وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ في الصباح وبالليل، فواجب أَن يقع اعتباركم ونظركم، ثم وبَّخهم بقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾.

هذا يونس بن متَّى عليه السلام، وهو من بني إِسرائيل، رُوي أَنه نُبِئَ[1] ابن ثمانٍ وعشرين سنة، فتفسَّخ تحت أَعباءِ النبوَّة كما يتفسخ الربع تحت الحمل، وقد تقدم شرح قصته، ولكن نذكر منها ما يُتَفَهَّم به هذه الأَلفاظ[2]:

فرُوي أَن الله تعالى بعثه إلى قومه، فدعاهم مرَّة فخالفوه فوعدهم بالعذاب، وأَعلمه الله تعالى بيوم العذاب فحدَّده يونس لهم، ثم إِن قومه لما رأَوا مخايل العذاب قبل أن يباشرهم، تابوا وآمنوا فتاب الله عليهم وصرف العذاب عنهم، وكان في هذا تجربة ليونس، فلحقت بيونس غضبة، ويُروى أنه كان في سيرتهم أَن يقتلوا الكذاب إِذا لم تقم له بيِّنة، فخافهم يونس وغضب مع ذلك، فأَبَقَ إِلى الفُلْك، أَي أَراد الهروب ودخل في البحر، وعَبَّر عن هروبه بالإِباق من حيث هو عبد لله فرَّ عن غير إِذن مولاه، فهذه حقيقة الإِباق.

و﴿ٱلْفُلْكِ﴾ في هذا الموضع واحد.

و﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾: المُوقَر، وهنا قصص محذوف إِيجازاً واختصاراً.

---

(١) في المطبوع: «تنبأ».

(٢) في نجيبويه: «ما تفهم به ألفاظ الآية».

ورُوي عن ابن مسعود: أنه لما حصل في السفينة وأَبْعَدَت [في البحر][١] ركَدَت[٢] ولم تجر، والسُّفن تجري يميناً وشمالًا، فقال أَهل السفينة: إِن فينا لصاحب ذنب وبه يحبسنا الله، فقالوا: لنقترع، فأَخذوا لكل واحد سهماً، ثم قالوا: اللهم ليَطْفُ سهم المذنب وليغْرق سهم الغير، فطفا سهم يونس، ففعلوا نحو هذا ثلاثاً، وفي كل مرة تقع القرعة عليه، فأَزمعوا معه على أَن يطرحوه البحر، فَجاءَ إِلى ركن من أَركان السفينة ليقع منه، فإِذا بدابَّة من دوابِّ البحر ترقبه وترصد له، فرجع[٣] إِلى الركن الآخر فوجدها كذلك، حتى استدار بالمركب وهي لا تفارقه، فعلم أَن ذلك من عند الله، فترامى إِليها فالتقمته، وروي أَنها إِنما التقمته بعد أن وقع في الماءِ، ورُوي: أَن الله تعالى أَوحى إِلى الحوت أَني لم أَجعل يونس لك رزقاً، وإِنما جعلت بطنك له حِرْزاً وسجناً[٤]، فهذا معنى ﴿فَسَاهَمَ﴾؛ أَي: قارَعَ، وكذلك فسَّر ابن عباس، والسُّدي[٥].

و«المُدْحَض»: الزَّاهق المغلوب في مُحاجَّة أَو مُساهمة أو مُسابقة، ومنه: الحُجَّة الداحضة.

و«المُلِيمُ»: الذي أَتَى ما يُلام عليه، يقال: أَلام الرجلُ: إِذا دخل في اللوم، وبذلك فسَّر مجاهد، وابن زيد[٦]، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] فكم مِنْ مُليمٍ لم يُصَبْ بمَلامَةٍ ومُتَّبَعٍ بالذَّنْبِ ليس له ذَنْبُ[٧]

---

(١) من نور العثمانية وفيض الله والسليمانية.

(٢) في المطبوع: «وكدت»، وشرحها في الهامش.

(٣) في الحمزوية وأحمد٣ والمطبوع: «فدفع».

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٥/ ٣٦٦) بلا عزو، ولا إسناد، ولم أجده عند غيره، ولعله من الإسرائيليات.

(٥) أخرجه الطبري (٢١/ ١٠٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٦) تفسير الطبري (٢١/ ١٠٧).

(٧) البيت لجميل بثينة، كما في سمط اللآلي للبكري (١/ ٩٤٧)، وقد سقط مع عزو الذي بعده من المطبوع.

ومنه قول لَبيد بن ربيعة:

سَـفَهاً عَذَلْـتِ ولُمتِ غَيْـرَ مُلِيم وهَدَاكِ قَبْلَ الْيَوْم غَيْرُ حَكِيم[١] [الكامل]

ثم استنقذه الله تعالى من بطن الحوت بعد مدة اختلف الناس فيها:

[فقالت فرقة: بعد ساعة من النهار][٢].

وقالت فرقة: سبع ساعات.

وقال مقاتل بن حيَّان: بعد ثلاثة أَيام[٣].

وقال عطاءُ بن أَبي رباح: بعد سبعة أَيام[٤].

وقالت فرقة: بعد أَربعة عشر يوماً.

وقال أَبو مالك، والسدي: بعد أَربعين يوماً، وهو قول ابن جريج أنه بلغه[٥].

وجعل تعالى علَّة استنقاذه مع القدر السابق تسبيحه، واختلف الناس في ذلك:

فقال ابن جبير: هو قوله في بطن / الحوت: سبحان الله[٦]. [٤/ ٢٦٩]

وقالت فرقة: بل التسبيح هو الصَّلاةُ التطوع، واختلفت هذه الفرقة:

فقال قتادة، وابن عباس[٧]، وأَبو العالية: صلاته في وقت الرخاءِ نفعته في وقت الشدَّة، وقال هذا جماعة من العلماءِ[٨].

---

(١) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ١٧٤)، وتفسير الطبري (٢١/ ١٠٧).
(٢) سقط هذا القول من أحمد٣ والحمزوية والمطبوع.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان من قوله (٣/ ٩١).
(٤) تفسير الثعلبي (٨/ ١٧٠)، وتفسير السمعاني (٤/ ٤١٦).
(٥) تفسير سفيان الثوري (ص: ٢٥٤)، وتفسير الطبري (٢١/ ١١١)،
(٦) تفسير الطبري (٢١/ ١٠٩).
(٧) أخرجه الطبري (٢١/ ١٠٩) من طريق سفيان عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس رضي الله عنهما. وعاصم هو ابن أبي النجود، فيه ضعف.
(٨) انظر قول قتادة في تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٨٤٤)، ومع قول أبي العالية في تفسير الطبري (٢١/ ١٠٩).

وقال الضحاك بن قيس على منبره: اذكروا الله في الرَّخاءِ يذكركم في الشِّدَّة، إن يونس كان عبداً لله ذاكراً فلما أصابته الشدة نفعه ذلك، قال الله عز وجل: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، وإن فرعون كان طاغياً باغياً، فلمَّا أدركه الغرق قال: آمَنْتُ فلم ينفعه ذلك، فاذكروا الله في الرخاءِ يذكركم في الشِّدَّة[١].

وقال قتادة في الحكمة: إن العمل يرفع صاحبه إذا عثر، فإذا صُرع وَجَدَ مُتَّكَأً[٢].

وقال الحسن بن أَبي الحسن: كان تسبيحه صلاةً في بطن الحوت[٣].

ورُوي: أنه كان يرفع لحم الحوت بيديه ويقول: يا ربِّ لأَبْنِيَنَّ لك مسجداً حيث لمْ يَبْنِهِ أَحد قَبْلي، ويُصَلِّي.

وروى أَنسٌ عن النبي ﷺ أَنه قال: «إِن يونس حين نادى في الظلمات ارتفع نداؤُه إِلى العرش، فقالت الملائكة: يا رب هذا صوت ضعيف من موضع غربة، فقال: هذا عبدي يونس، فأَجاب الله دعوته»[٤]. قال القاضي أبو محمد: وذكر الحديث.

وقال ابن جُبير: الإِشارة بقوله: ﴿مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ إلى قوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

قال القاضي أبو محمد: وكتب الناس في القصص بما اختصرناه لعدم الصحة، ورُوي: أَن الحوت مشى به البحار كلها حتَّى قذفه في نِصِيبين من ناحية الموصل،

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١١٠).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١٠٨)، والدر المنثور (٧/ ١٢٥).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ١١٠)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٣٠٣).

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ١٠٩) من طريق أبي صخر، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً، به، ويزيد هو: ابن أبان، ضعيف الحديث. انظر تهذيب الكمال (٣٢/ ٦٤). ولفظة «يا رب» من نور العثمانية وفيض الله والسليمانية.

فنبذه الله في عراءٍ من الأَرض، وهو الأَرض الفيحاءُ التي لا شجر فيها ولا مَعْلَم، ومنه قول الشاعر:

وَرَفَعْتُ رِجْلاً لا أَخَافُ عِثَارَهَا وَنَبَـذْتُ بِالْبَلَـدِ الْعَـرَاءِ ثِيَابِـي[1] [الكامل]

وقال السدي، وابن عباس في تفسير قوله: ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾: إِنه كان كالطفل المنفوس، بَضْعَةُ لَحْم، وقال بعضهم: كان كاللحم النِّيءِ، إِلا أنه لم ينقص من خلقته شيءٌ، فأَنعشه الله تعالى في ظلِّ اليقطينة بِلَبَن أُرْوِيَة[2] كانت تغاديه وتُرَاوحه، وقيل: بل كان يتغذى من اليقطينة، ويجد منها أَلوان الطعام وأَنواع شهواته[3].

واختلف الناسُ في اليقطين:

فقالت فرقة: هي شجرة لا نعرفها، سمَّاها الله باليقطين، وهي لفظة مأْخوذة من: قَطَنَ: إِذا أَقام بالمكان.

---

(١) البيت لقيس بن جعدة الخُزَاعي، كما في تفسير الطبري (٢٣/ ٥٦٣)، مجاز القرآن (٢/ ٢٦٦)، وعزاه في سيرة ابن هشام (٢/ ٣٩١) لتميم بن أسد الخزاعي في غدر بكر بخزاعة قبل فتح مكة، قال ويروى لحبيب بن عبد الله الهذلي، وكذا في محاضرات الأدباء (٢/ ٢٠٥)، والمحبر (ص: ٤٩٦)، وجعل سبب القصيدة أن امرأته لامته لتركه أخاها منبها حتى قتل وذكر منها أبياتا، ثم قال بعد ذلك بقليل: (ص: ٥٠٠) وفر عمير بن جعدة الخزاعي، من بني لحيان يوم خُشاش دون ودَّان. فلامته امرأته. فقال: صدفتْ اميمة لات حين صدوف * عني وآذن صحبتي بخفوف، إلى أن يقول: ورفعت ساقا لا أخاف عثارها * إن النجاء لخائف خذوف، ومثل هذا في معجم البلدان (٥/ ٢٩٩)، والشطر الثاني فيه: ونجوت من كثب نجاء خذوف، ونسبه المبرد في الكامل (١/ ٢١٩) للهذلي وهو الأعلم حبيب ابن عبد الله أخو صخر الغي كما تقدم عن ابن هشام وصرح به في المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء (ص: ١١٩)، ومثله في حماسة الخالديين (ص: ٥١)، وذكر أنه كان أحد الفرارين، وذكر له أبياتاً أخرى من نفس قصيدة الخزاعي، والله أعلم.

(٢) الأرْوِيَةُ: أُنثى الوعول، ومعنى تغاديه وتراوحه: أنها كانت تأتي له في الصباح وفي المساءِ ليطعم من لبنها.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ١١٢) بإسناد فيه محمد بن حميد الرازي، وهو ضعيف الحديث. انظر تهذيب الكمال (٢٥/ ٩٧) وكذلك فيه ابن إسحاق، وهو مدلس، وقد عنعنه.

وقال سعيد بن جُبَيْر، وابن عباس[١]، والحسن، ومقاتل: اليقطين: كلُّ ما لا يقوم على ساق من عودٍ؛ كالبقول والقرع والحنظل والبطيخ ونحوه مما يموت من عامه، ورُوي نحوه عن مجاهد[٢].

وقال ابن عباس[٣]، وأَبو هريرة[٤]، وعمرو بن ميمون: اليقطين: القرع خاصة.

قال القاضي أبو محمد: وعلى هذين القولين؛ فإِما أَن يكون قوله تعالى: ﴿شَجَرَةً﴾ تجوُّزاً، وإِما أَن يكون أَنبتها عليه ذات ساقٍ خرْقاً للعادة؛ لأَن الشجر في كلام العرب إِنما يقال لما كان على ساق من عود، وحكى بعض الناس أنها كانت قرعة وهي تجمع خصالاً: بَرْدَ الظلِّ، والملمس، وعِظَم الورق، وأَن الذباب لا يقربها، حكى النقاش: أَن ماءَ ورق القرع إِذا رُشَّ به مكان لم يَقْرَبْه ذبابٌ[٥]، ومشهور اللغة أن اليقطِين: القرعُ.

وقد قال أُمية بن أَبي الصلت في قصة يونس:

[الطويل] فَأَنْبَتَ يَقْطِيناً عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ ... مِنَ اللَّهِ، لَوْلا اللهُ أُلْفِيَ ضَاحِيَا[٦]

فنبت يونس عليه السلام وصحَّ وحسُن جسمه؛ لأَن ورق القرع أنفع شيءٍ لمن تَسَلَّخَ جلده[٧] كيونس ﷺ.

---

(١) إسناده قوي، أخرجه الطبري (٢١/ ١١٢) من طريق سفيان، عن حبيب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٦٢١)، وأقوال الباقين مع قول عمرو بن ميمون الآتي في تفسير الطبري (٢١/ ١١٢).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ١١٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ١١٣) من طريق ابن وهب، عن أبي صخر، عن ابن قسيط، عن أبي هريرة رضي الله عنه به، وهذا إسناد صحيح، أبو صخر، هو: حميد بن زياد، وابن قسيط، هو يزيد بن عبد الله بن قسيط، وكلهم ثقات، وروايتهم متصلة.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر عزوه له في تفسير الطبري (٢١/ ١١٣)، والفرج بعد الشدة للتنوخي (١/ ٩٢)، وزاد المسير (٣/ ٥٥٣).

(٧) في الحمزوية والمطبوع: «جسده».

ورُوي: أَنه كان يوماً نائماً فأَيبَس الله تلك اليقطينة[١].

وقيل: بعث عليها الأَرضة فقطعت عروقها، فانتبه يونس لِحَرِّ الشمس، فعزَّ عليه شأْنها وجزع له، فأَوحى الله تعالى إِليه: يا يونس، أجزعت ليُبْس اليقطينة ولم تجزع لإِهلاك مئة أَلف أَو يزيدون تابوا فتبت عليهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾.

قال الجمهور: إن هذه الرسالة إِلى مئة أَلف هي الرسالة الأولى التي أَبَق بعدها، ذكرها الله تعالى في آخر القصص تنبيهاً على رسالته، ويدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾، وتمتيع هذه الأُمة هو الذي أَغضب يونس عليه السلام حتى أَبَق.

وقال قتادة، وابن عباس أَيضاً: هذه الرسالة أُخرى بعد أَن نُبِذَ بالعراءِ، وهي إِلى أَهل نِينَوَى من ناحية الموصل[٢].

وقرأَ جعفر بن محمد: (ويزيدون) بالواو[٣]، وقرأَ الجمهور: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾.

فقال ابن عباس: ﴿أَوْ﴾ بمعنى: بَلْ، وكانوا مئة أَلف وثلاثين أَلفاً[٤].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ١٥٩) من قول ابن وهب.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ١١٧) من طريق شهر بن حوشب، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وشهر فيه كلام مشهور، وأخرجه عن قتادة أيضاً.

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: المحتسب (٢/ ٢٢٥).

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ١١٥) من طريق سفيان، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، عن الحكم ابن عبد الله بن الأزور، عن ابن عباس رضي الله عنه به. والحكم بن عبد الله، أظنه هو الأعرج، المترجم في تهذيب الكمال (٧/ ١٠٣) وهو ثقة، ولكني لم أجد من نسبه لابن الأزور.

وقال أُبي بن كعب، عن النبي ﷺ: «كانوا مئة وعشرين أَلفاً»(١).

وقال ابن جبَيْر: كانوا مئة وسبعين أَلفاً(٢).

ورُوي عن ابن عباس أَنه قرأَ: (بَلْ يَزِيدُونَ)(٣).

وقالت فرقة: ﴿أَوْ﴾ هنا بمعنى الواو، وقالت فرقة: هي للإِبهام على المخاطب، كما تقول: ما عليك أَنتَ، أَنا أُعطي فلاناً ديناراً أَو أَلف دينارٍ، ونحو هذا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

قال القاضي أبو محمد: وهذا المعنى قليل التمكُّن في قوله سبحانه: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾.

وقال المُبَرِّد وكثير من البصريين: المعنى على نَظَر البشر وحزرهم، أَي: من رآهم قال: هم مئة أَلف أَو يزيدون(٤).

[٤/ ٢٧٠] ورُوي في قوله تعالى: ﴿فَآمَنُوا / فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾ أَنهم خرجوا بالأَطفال وأَولاد البهائم، وفرَّقوا بينها وبين الأُمَّهات، وناحوا وضجُّوا وأَخلصوا، فرفع الله عنهم(٥).

و«التَّمتيع» هنا: هو بالحياة، و«الحينُ»: آجالُهُم السابقة في الأَزل، قاله قتادة، والسدي(٦).

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (حَتَّى حِينٍ)(٧).

وفي قوله تعالى: ﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ مثالٌ لقريش: أَي: إِن آمنوا

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٠٩) من طريق الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمد، عن رجل، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب رضي الله عنه، مرفوعاً، به، وهذا إسناد ضعيف؛ لإبهام اسم راويه عن أبي العالية.

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١١٥).

(٣) وهي شاذة، تابعه عليها في تفسير الثعالبي (٥/ ٤٩)، والمعروف أنه تفسير كما تقدم.

(٤) الهداية لمكي (٩/ ٦١٧٠).

(٥) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «فدفع الله عنهم» بالدال بدلا من الرَّاءِ.

(٦) انظر قولهما في تفسير الطبري (٢١/ ١١٧).

(٧) وهي شاذة تخالف المصحف، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠٨)، وفي فيض الله: «عتى حين».

أَمِنُوا كما جرى لهؤلاءِ، ومن هنا حَسُن انتقال القول والمحاورة إِليهم بقوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ ﴾، فإِنَّما يعود على ضميرهم على ما في المعنى من ذكرهم.

و«الاسْتِفْتَاءُ»: السؤال، وهو هنا بمعنى التوبيخ والتقريع على قولهم البهتان على الله، وجعلهم البنات لله تعالى عن ذلك، وأَمره بتوقيفهم على جهة التوبيخ أَيضاً هل شاهدوا أَن الملائكة إِناثٌ، فيصح لهم القولُ به.

ثم أَخبر تعالى عن فرقة منهم بلغ بها الإِفك والكذب إِلى أن قالت: ولَد اللهُ الملائكة لأَنه نكح في سروات الجن، وهذه فرقة من بني مدلج فيما روي[(١)].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ أَصۡطَفَى ﴾ بأَلف قطع هي للاستفهام، وهذا على جهة التقرير والتوبيخ على نسبتهم إِليه تعالى اختيار الآدمي عندهم.

وقرأَ نافع في رواية إِسماعيل عنه: ﴿اصْطَفَى﴾ بأَلف وصل على الخبر، كأَنه سبحانه يحكي شنيع قولهم، ورواها إِسماعيل عن أَبي جعفر، وشيبة[(٢)].

ثم قَرَّرَ ووبَّخ وعرَّض للتذكير والنظر، واستفهم عن البُرهان والحُجَّة على جهة التقرير وضمِّهم إِلى الاستظهار بكتاب أَو أَمْر يُظهر صدقهم.

وقرأَ الجمهور: ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾ مشددة الذال والكاف.

وقرأَ طلحة بن مصرف: (تَذكُرُونَ) بسكون الذال وضم الكاف خفيفة[(٣)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾

---

(١) منقطع، أخرجه الطبري (٢١/ ١٢١) من طريق مجاهد، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه به، ومجاهد لم يدرك أحداً من كبار الصحابة. انظر جامع التحصيل (٧٣٦).

(٢) وهي عشرية لأبي جعفر ونافع من طريق الأصبهاني عن ورش كما في النشر(٢/ ٣٦٠)، وانظر موافقة شيبة في: تفسير القرطبي (١٥/ ١٣٤).

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠٨)، وبقيت قراءة ثالثة وهي سبعية لحفص والأخوين بفتح الذال مخففة والكاف مشددة.

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾.

الضمير في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟﴾ لفرقة من كفار قريش والعرب، قال ابن عباس رضي الله عنه ـ في كتاب الطبري ـ: إن بعضهم قال: إن الله وإبليس أخوان[1].

وقال مجاهد: قال قوم لأبي بكر الصِّدِّيق: إنَّ الله نكح في سروات الجن، وقال بعضهم: إن الملائكة بناته[2]، فـ﴿ٱلْجِنَّةِ﴾ على هذا القول الأخير تقع على الملائكة، سميت بذلك لأنها مستجنَّة، أي: مُستترة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾، من جعل ﴿ٱلْجِنَّةِ﴾ الشياطين جعل العلامة في ﴿عَلِمَتِ﴾ لها، والضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ عائد عليهم، أي: جعلوا الشياطين بنسب[3] من الله، والشياطين تعلم ضدّ ذلك من أنها ستَحْضُر أَمْرَ الله وثوابه وعقابه.

ومن جعل ﴿ٱلْجِنَّةُ﴾ الملائكة جعل الضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ للقائلين هذه المقالة، أي: علمت الملائكة أن هؤلاءِ الكفرة سيحضرون عذاب الله وعقابه، وقد يتداخل هذان القولان.

ثم نزَّه تعالى نفسه عمَّا يصفه الناسُ ولا يليق به، ومن هذا استثنى العبادَ المخلصين؛ لأنهم يصفونه بصفاته العُلَى، وقالت فرقة: استثناهم من قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾.

قال القاضي أبو محمد: وهذا يصح على قول من رأى ﴿ٱلْجِنَّةُ﴾ الملائكة.

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ١٢١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) مرسل، أخرج الطبري (٢١/ ١٢١) عن محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى. وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ قال: قال كفار قريش: الملائكة بنات الله، فسأل أبو بكر: من أمهاتهن؟ فقالوا: بنات سروات الجن، يحسبون أنهم خلقوا مما خلق منه إبليس.

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «ليست».

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ بمعنى: قل لهم يا محمد: إنكم وأَصنامكم ما أنتم بمضلين أَحداً بسببها وعليها، إلا من سبق عليه القضاءُ وضمَّه القدر بأَن يصْلى الجحيم في الآخرة، وليس عليكم[١] إضْلاَل من هدى الله.

وقالت فرقة: ﴿عَلَيْهِ﴾ بمعنى: به[٢].

و«الْفَاتِنُ»: المضلُّ في هذا الموضع، وكذلك فسَّر ابن عباس، والحسن بن أَبي الحسن[٣].

وقال ابن الزبير على المنبر: إن الله هو الهادي والفاتن[٤].

و﴿مَنْ﴾ في موضع نصب بـ(فَاتِنِينَ).

وقرأَ الجمهور: ﴿صَالِ الْجَحِيمِ﴾ بكسر اللام من: ﴿صَالِ﴾، وحذفت الياءُ للإضافة.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (صالُ الجحيم) بضم اللام[٥].

وللنحاة في معناه اضطراب أَقوال[٦]، وأَقواها أَنه: (صَالُونَ) حذفت النون للإضافة، ثم حذفت الواو للالتقاءِ، وخرج لفظ الجمع بعد لفظ الإفراد، فهو كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ﴾ [يونس: ٤٢]، إذْ لَمَّا كانت (مَنْ) وهي من الأَسماءِ التي فيها إبهامٌ ويكنى بها عن أَفرادٍ وعن جمع.

---

(١) سقطت من أحمد٣، وفي المطبوع ونور العثمانية: «إليكم».

(٢) في المطبوع: «فيه».

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ١٢٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وانظر فيه قول الحسن أيضاً.

(٤) أخرجه مالك (٣٣٤١) عن زياد بن سعد، عن عمرو بن دينار، قال سمعت عبد الله بن الزبير، فذكره. وهذا إسناد صحيح.

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها له في المحتسب (٢/ ٢٢٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٧٥).

(٦) من المطبوع.

ثم حكى تعالى قول الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّآ﴾، وهذا يؤيد أن ﴿ٱلْجِنَّةُ﴾ أَراد بها الملائكة، كأَنه قال: ولقد علمَتْ كذا، أوإِنَّ قولها[١] لكذا، وتقدير الكلام: وما منَّا مَلَك.

وروت عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ السماءَ ما فيها موضع قدم إِلَّا [وفيه ملك ساجد أو واقف يصلي»[٢].

وقال ابن مسعود: موضع شبر] إلا وعليه جبهة ملك أو قدماه[٣].

---

(١) في المطبوع: «قولنا».

(٢) الأصح فيه الوقف والإرسال، أخرجه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٥٣) والطبري (٢١/ ١٢٧) من طريق أبي معاذ الفضل بن خالد النحوي، قال: حدثنا عبيد بن سليمان الباهلي، قال: سمعت الضحاك بن مزاحم يحدث عن مسروق بن الأجدع، عن عائشة، رضي الله عنها، مرفوعاً، به، والفضل بن خالد، لم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً، إلا ذكر ابن حبان إياه في الثقات (٩/ ٥)، ثم رواه المروزي (٢٥٤) والطبري أيضاً من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن مسلم ابن صبيح عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: فذكره موقوفاً عليه، وإسناده أصح، وأخرج الترمذي (٢٣١٢) من طريق: إسرائيل عن إبراهيم بن المهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبي ذر مرفوعاً: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله»، وقال الترمذي: حسن غريب، وإبراهيم لين الحديث. وقد رواه وكيع في «الزهد» عنه به موقوفاً، وقوله: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»، هذا مخرج في الصحيحين، وروي الخبر من حديث حكيم بن حزام، رضي الله عنه، مرفوعاً، به. رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، كما في تفسير ابن كثير (٥/ ٣٣٦)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢١٧) من طريق: عبد الوهاب بن عطاء، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن صفوان بن محرز، عن حكيم بن حزام، رضي الله عنه، مرفوعاً، به، قال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث صفوان بن محرز، تفرد به عن قتادة: سعيد بن أبي عروبة، وقال ابن كثير: غريب.اهـ. وسعيد بن أبي عروبة، كان قد اختلط، ولم يذكر أحدٌ عبد الوهاب بن عطاء فيمن روى عنه قبل اختلاطه. ثم قال ابن كثير: ثم رواه ابن أبي حاتم من طريق يزيد بن زُرَيْع، عن سعيد، عن قتادة مرسلا، وهذه الطريق هي الأصوب، والله أعلم.

(٣) إسناده جيد، أخرجه الطبري (٢١/ ١٢٧) من طريق: الأعمش عن أبي الضحى. وما بين معكوفتين سقط من المطبوع وأحمد٣.

وقرأ ابن مسعود: (وَإِنْ كُلُّنَا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ)[١].

و﴿ٱلصَّآفُّونَ﴾ معناه: الواقفون صفوفاً.

و﴿ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ يحتمل أَن يريد به الصلاة، ويحتمل أَن يريد قولَ: سبحان الله.

ورُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أَنه كان إِذا أُقيمت الصلاة صرف وجهه إِلى الناس فقال لهم: عدِّلوا صفوفكم وأَقيموها، فإِن الله إِنما يريد بكم هدي الملائكة، فإِنها تقول: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾، ثم يرى تقويم الصفوف، وعند ذلك ينصرف ويكبِّر[٢].

قال الزهراوي: قيل: إِن المسلمين إِنما اصطفوا في الصلاة مذ نزلت هذه الآية، ولا يصطف أَحد من أَهل المِلَل غير المسلمين[٣].

ثم ذكر عزَّ وجلَّ: مقالة بعض الكفار، قال قتادة، والسدي، والضحاك: فإِنهم قبل نُبُوَّة محمد ﷺ قالوا: لو كان لنا كتاب أَو جاءَنا رسول لكنَّا من أَتقى عباد الله وأَشدهم إِخلاصاً، فلما جاءَهم محمد ﷺ كفروا فاستوجبوا أَليم العقاب[٤]./ [٤/ ٢٧١]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص: ١٢٩)، وفي معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٥) عنه: (وإِنْ كُلَّنا لَمَّا له مقام معلوم).

(٢) مرسل، أَخرجه الطبري (٢١/ ١٢٨) من طريق أَبي نضرة، عن عمر رضي الله عنه به. وهذا ضعيف لانقطاعه، أَبو نضرة، هو: المنذر بن مالك بن قطعة، يرسل عن عددٍ من الصحابة، ولم ينص أَحدٌ على روايته عن عمر. انظر تهذيب الكمال (٢٨/ ٥٠٨) وجامع التحصيل (٨٠٠).

(٣) لم أَقف عليه.

(٤) انظر تفسير الطبري (٢١/ ١٢٩).

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وعيدٌ محضٌ؛ لأَنهم تمنَّوْا أَمراً فلما جاءَهم الله به كفروا واستهواهم الحسد، ثم آنس نبيَّه ﷺ وأَولياءَه بأَن القضاءَ قد سبق، والكلمة قد حقت في الأَزل، بأَنَّ رُسُل الله إِلى أَرضه هم الْمَنْصُورُونَ على من ناوأَهم، المُظَفَّرُون بإِرادتهم، المستوجبون الفلاح في الدارين.

وقرأَ الضحاك: (كَلِمَاتُنَا) بأَلف على الجمع[١].

و«جُنْدُ الله»: هم الغزاة لتكون كلمة الله هي العليا.

وقال علي بن أَبي طالب: جُنْدُ الله في السماءِ الملائكة، وفي الأَرض الغُزَاةُ[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ وعْدٌ للنبي ﷺ، وأَمرٌ بالموادعة، وهذا ممَّا نسخته آية السيف، واختلف الناس بالمراد بالحين هنا:

فقال السديُّ: الحين المقصود: يوم بدر، ورجحه الطبري.

وقال قتادة: الحينُ: مَوْتُهم.

وقال ابن زيد: الحينُ المقصودُ: يومُ القيامة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ وعْدٌ للنبي ﷺ ووعيدٌ لهم، أَي: سوف يَرَوْنَ عُقْبى طريقتهم.

ثم قرَّرَ الله تعالى نَبيَّه ﷺ ـ على جهة التوبيخ لهم ـ على استعجالهم عذابَ الله.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ [على بناء الفعل للفاعل][٤]، أَي نزل العذاب.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠٨).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر الأقوال الثلاثة وترجيح الطبري في تفسير الطبري (٢١/ ١٣٢).

(٤) سقط من المطبوع وأحمد٣.

وقرأ ابن مسعود: (نُزِلَ) على بنائه للمفعول[١].

و«السَّاحَةُ»: الفِنَاءُ، والعربُ تستعمل هذه اللفظة فيما يرد على الإِنسان من خير أَو شر.

وسُوءُ الصباح أَيضاً يستعمل في ورود الغارات والرزايا ونحو ذلك، ومنه قول الصارخ: يا صَبَاحَاهُ، كأَنه يقول: قد ساءني الصباحُ فأَغيثوني[٢].

وقرأ ابن مسعود: (فبئس صباح)[٣].

ثم أَعادَ الله تعالى أَمْر نبيِّه ﷺ بالتَّوَلِّي تحقيقاً لتأْنيسه والتَّهَمُّم به، وأَعاد سبحانه توعُّدهم أَيضاً لذلك، ثم نَزَّه نفسه تنزيهاً مطلقاً عن جميع ما يمكن أَن يصفه به أَهل الضلالات.

و﴿ٱلْعِزَّةِ﴾ في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ هي العزَّة المخلوقة الكائنة للأَنبياءِ والمؤْمنين، وكذلك قال الفقهاءُ: مِنْ أَجل أَنها مربوبة، وقال محمد بن سُحْنُون وغيره: من حلف بعزَّة الله؛ فإِن كان أَراد صفته الذاتية فهي يمين، وإِن كان أَراد عزَّته التي خلق بين عباده، وهي التي في قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾؛ فليست بيمين[٤].

وروي عن النبي ﷺ أَنه قال: «إِذا سلَّمتم عليَّ سلِّموا على المرسلين فإِنما أَنا أَحدهم»[٥].

وباقي السورة بيِّن.

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «للمجهول»، وهي شاذة، انظر نسبتها له في المحتسب (٢/ ٢٢٨).

(٢) في المطبوع: «فأعينوني»، وفي أحمد٣: «فأعينوه»، وفيهما: «سألني»، وفي الأصل: «ساء لي».

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٦).

(٤) انظر قول ابن سحنون في النوادر (٤/ ١٥)، وهو قول أشهب كما في الذخيرة (٤/ ١٤).

(٥) مرسل، أخرجه الطبري (٢١/ ١٣٤) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن النبي ﷺ، مرسلاً.

وذكر أَبو حاتم عن صالح بن مينا قال: قرأْتُ على عاصم بن أَبي النجود، فلما ختمتُ هذه السورة سكَتُّ، فقال: إِيهٍ، اقرأْ، فقلت: قد ختمتُ، فقال: كذلك فعلتُ على أَبي عبد الرحمن فقال لي كما قلتُ لك، وقال لي: كذلك قال لي عليٌّ بن أَبي طالب، وقال: (وقُلْ آذنتكم بإِذانة المرسلين، لتُسْأَلُنَّ عن النَّبإِ العظيم)(١).

وفي مصحف عبد الله: (عن هذا النَّبإِ العظيم)(٢).

كمل تفسير (سورة الصافَّات) والحمد لله رب العالمين(٣)

(١) وهذا مخالف للمصاحف، انظر مختصرالشَّواذ (ص: ١٢٩)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٧٤)، وفيه صالح بن مسافر، وصالح هذا لم أعرفه.

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له: معاني القرآن للنحاس (٤/ ٩٣).

(٣) زاد في الأصل: «نجز السفر الرابع من المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز بحمد الله تعالى وحسن عونه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً، يتلوه في أول الخامس إن شاء الله تعالى (سورة ص)».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة ص

هذه السورة كلُّها مكِّيَّة بإجماع من المفسرين.

/ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ صٓ وَالْقُرْءَانِ ذِى الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى [٥/ ١]
عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ
وَقَالَ الْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾.

قرأ الحَسَنُ، وأُبَيُّ بن كعب، وابن أَبي إسحاق: (صَادِ) بكسر الدال[1]، على أَنه أَمْرٌ مِنْ: صادَى يُصادِي: إِذا ضَاهَى ومَاثَلَ، أَي صار كالصَّدَى الذي يحكي الصياح، والمعنى: ماثِل القرآنَ بعملك[2]، وقارِنه بطاعتك، وهكذا فسَّره الحسن[3]، أَي: انظر أَيْن عملُك منه؟

وقال الجمهور: إِنه الحرف المعجم المعروف، ويدخله ما يدخل سائر أَوائل السُّور من الأَقوال، ويختص هذا الموضع بأَن قال بعض الناس: معناه: صدق محمد ﷺ.

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها للحسن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٧٦)، وللكل في المحتسب (٢/ ٢٢٩)، مع تفسير الحسن.
(٢) في نور العثمانية وفيض الله: «بعقلك».
(٣) تفسير الطبري (٢١/ ١٣٧)، والمحتسب (٢/ ٢٢٩).

وقال الضحاك: معناه: صدق الله[١].

وقال محمد بن كعب القرظي: هو مفتاح أَسماءِ الله: صَمَد، صَادِق الوعد، صانع المصنوعات[٢].

وقرأَها الجمهور بسكون الدال.

وقرأَ ابن أَبي إسحاق بخلاف عنه بكسر الدال وتنوينها (صَادٍ)، على القسم[٣]، كما تقول: اللَّهِ لأَفْعَلَنَّ، وحكى الطبريُّ وغيره عن ابن أَبي إسحاق دون تنوين، وأَلحقه بقول العرب: حاثِ باثِ، وخازِ بازِ[٤].

وقرأَت فرقة منها عيسى بن عمر: (صادَ) بفتح الدال[٥]، وكذلك يفعل في نطقه بكل الحروف، يقول: قافَ، ونونَ، ويجعلها كأَيْنَ وليْتَ.

قال الثعلبيُّ: وقيل معناه: صادَ محمدٌ القلوبَ بأَن استمالها للإِيمان[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ قسَمٌ، وقال السدي، وابن عباس، وسعيد بن جُبَيْر: معناه: ذي الشرف الباقي المخلَّد[٧].

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٣٨).

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ١٧٦).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٠٢).

(٤) وهي القراءة التي تقدمت عنه وعن الحسن، انظر تفسير الطبري (٢١/ ١٣٨).

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها له في المحتسب (٢/ ٢٢٩)، ومختصر الشواذ (ص: ١٢٩).

(٦) تفسير الثعلبي (٨/ ١٧٦).

(٧) إسناده عنه ضعيف، والصحيح أنه من قول سعيد بن جبير، أخرجه الطبري (٢١/ ١٤٠) من طريق معاوية بن هشام، عن الثوري، عن يحيى بن عمارة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه، وهذا إسناد ضعيف، معاوية بن هشام صدوق له أوهام، انظر تهذيب الكمال (٢٨/ ٢١٨)، ولما ترجم له ابن عدي في كامله (٦/ ٤٠٨) قال: وقد أغرب عن الثوري بأشياء. ومن غرائبه هذه الرواية، حيث إن الثوري لا يروي عن يحيى بن عمارة، والصواب أن بينهما الأعمش، وهو قد تفرد عنه، كما صرح به الذهبي في الميزان (٤/ ٣٩٩).

وقال قتادة، والضحاك: ذي التذكرة للناس والهداية لهم[١].

وقالت فرقة: معناه: ذي الذكر للأُمم والقَصَص والغُيُوب.

وأَما جواب القسم فاختلف فيه:

فقالت فرقة: الجواب في قوله: ﴿صٓ﴾ إِذ هو بمعنى: صدق محمد، أو صدق الله.

وقال الكوفيون والزَّجَّاج: الجوابُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٦٤][٢].

وقال بعض البصريين ومنهم الأَخفش: الجواب في قوله: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ [ص: ١٤][٣].

قال القاضي أَبو محمد: هذان القولان بعيدان.

وقال قتادة، والطبري: الجواب مُقَدَّر قبل ﴿بَلِ﴾، وهذا هو الصحيح، تقديره: والقرآن ما الأَمْرُ كما يزعمون، ونحو هذا من التقدير، فتدبره[٤].

وحكى الزَّجاج عن قوم: أَن الجواب قوله تعالى: ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾ [ص: ٣][٥] وهذا متكلَّف جدّاً.

و«العِزَّةُ» هنا: المُعَازَّةُ والمغالبة.

و«الشِّقَاقُ» نحوه، أَي: هُمْ في شِقٍّ والحقُّ في شِقٍّ.

و﴿كَمۡ﴾ للتكثير، وهي خبرٌ فيه مثالٌ ووعيد، وهي في موضع نصب بـ﴿أَهۡلَكۡنَا﴾.

و«القَرْنُ»: الأُمَّة من الناس يجمعها زمن واحد، وقد تقدم تحريره[٦] مراراً.

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ١٤٠)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٧٦).

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣١٩)، وانظر الرد عليه في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٧).

(٣) انظر معاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٩٢).

(٤) في المطبوع: «فتأمله»، وانظر قول قتادة والطبري في تفسير الطبري (٢١/ ١٤٠).

(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣١٩).

(٦) في المطبوع: «تحديده».

[٥/ ٢] وقوله: ﴿فَنَادَواْ﴾/ معناه: مستغيثين، والمعنى أنهم فعلوا ذلك بعد المعاينة فلم ينفع ذلك، ولم يكن في وقت نَفْع.

و﴿لَاتَ﴾ بمعنى: لَيْس، واسمُها مقدر عند سيبويه، وتقديره: ولاتَ الحينُ حين مناصٍ(١).

وهي (لَا) لحقتها تاءٌ، كما لحقت: رُبَّتَ وثُمَّتَ، وقال الزَّجاج: وهي كتاءِ جلَسَتْ وقامَتْ، تاءُ الحروف كتاءِ الأَفعال دخلت على ما لا يُعرب في الوجهين(٢).

ولا تستعمل (لا) مع التَّاءِ إِلَّا في الحِينِ والزَّمانِ والوقت ونحوه، ومن ذلك قول الشَّاعر:

[الكامل] .... وَلاتَ ساعَةَ مَنْدَمِ(٣)

وقال الآخر:

[الوافر] تَذَكَّرَ حُبَّ لَيْلَى لاتَ حِينَا ... وَأَضْحَى الشَّيْبُ قَدْ قَطَعَ الْقَرِينَا(٤)

وأَنشد بعضهم:

[الخفيف] طَلَبُوا صُلْحَنَا ولاتَ أَوانٍ ... فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاءِ(٥)

---

(١) انظر كلامه عليها في الكتاب لسيبويه (١/ ٥٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٢٠).

(٣) هذا جزءٌ من بيت، ذكره الفراء في معاني القرآن (٢/ ٣٩٧) بلا نسبة، قال: ولا أحفظ صَدره، وجاء تمامه:

وَلَتَعْرِفَنَّ خَلائِقاً مَشْمُولَةً ... وَلَتَنْدَمَنَّ وَلاتَ سَاعَةَ مَنْدَمِ

في المفردات للراغب (ص: ٤٦٤)، بلا نسبة، وجاء في صدر بيت آخر هو: ندم البغاة ولات ساعة مندم... والبغي مرتع مبتغيه وخيم. عزاه في خزانة الأدب (٤/ ١٧٥) لرجل من طيئ، ونقل عن شواهد العيني أنه لمحمد بن عيسى بن طلحة ابن عُبَيْد الله التَّيْمي، وقيل: بل مهلهل بن مالك الكناني.

(٤) ونسبه الشيباني في الجيم (١/ ٢٠٥) لعمرو غير منسوب، وهو بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٧).

(٥) البيت لأبي زُيَيْد الطائي كما في تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٨٣)، وحروف المعاني للزجاجي =

وأَنْشدَه الزَّجاج بكسر التاءِ[١]، وهذا كثير.

وقراءة الجمهور فتح التاءِ من (لاتَ) والنون من ﴿حِينَ﴾.

ورُوي عن عيسى كسر التاءِ من (لات) ونصب النون من (حِين).

ورُوي عنه أَيضاً: (حينِ) بكسر النون منها[٢].

واختلفوا في الوقف على (لاتَ)؛ فذكر الزَّجَّاج أن الوقف بالتاءِ، ووقف الكسائي بالهاءِ[٣].

ووقف قوم ـ واختاره أَبو عُبَيْد ـ على (لا) وجعلوا التاءَ موصولة بحين، فقالوا: (لَا تَحِينَ)، وذكر أَبو عبيد أَنها كذلك في مصحف عثمان بن عفَّان رضي الله عنه[٤].

ويحتج لهذا بقول أَبي وَجْزة:

العاطِفُـونَ تَحيـنَ مـا مِـنْ عَاطِـفٍ والمُطْعِمُونَ زمانَ مـا منْ مُطْعِمِ[٥] [الكامل]

يمدح آل الزُّبَيْر.

وقرأَ بعض الناس: (لاتَ حينُ) برفع النون[٦] على إِضمار الخبر.

= (ص: ٦٩)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٠٤)، والإنصاف في مسائل الخلاف (١/ ٩٠)، وتفسير الزمخشري (٤/ ٧١).

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٢٠).

(٢) شاذتان، انظر الأولى في مختصر الشواذ (ص: ١٣٠)، ومع الثانية في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠٩)، و«منها» و«من حين» من المطبوع.

(٣) وهي سبعية، والباقون بالتاء، انظر التيسير (ص: ٦٠)، وانظر قول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه له (٤/ ٣٢٠)

(٤) انظر كلامه في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٠٣).

(٥) انظر عزوه له في الجمل في النحو (ص: ٢٩٧)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٠٤)، والصحاح للجوهري (١/ ٢٦٥).

(٦) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٣٠) لعيسى بن عمر، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٤٠٩) له ولأبي السمال.

و«الْمنَاصُ»: الْمَفَرُّ، ناصَ ينوصُ: إِذا فاتَ وفرَّ.

قال ابن عباس: المعنى: ليس بِحِينِ نَزْوٍ ولا فِرَارٍ، ضبط القوم(١).

والضمير في ﴿وَعَجِبُوٓاْ﴾ لكفَّار قريش، واستغربوا أَن نُبِّئ بشرٌ منهم فأَنذرهم وحذَّرهم، وأَن وحّد الإِلَه، وقالوا: كيف يكون إِلهٌ واحدٌ يرزق الجميع وينظر في كلِّ أَمرهم؟

و﴿عُجَابٌ﴾ بناءُ مبالغة، كما قالوا: سريع وَسُرَاع، وهذا كثير.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن السلمي، وعيسى بن عمر: (عُجَّابٌ) بشدِّ الجيم(٢).

ونحوه قول الراجز:

[الرجز] جاؤوا بِصَيْدٍ عَجَبٍ مِنَ الْعَجَبْ أُزَيْرِقِ الْعَيْنَيْنِ طُوَّالِ الذَّنَبْ(٣)

وقد قالوا: رجلٌ كُرَّامٌ؛ أَي: كريم.

[٥/ ٣] قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ / وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾.

رُوي في قَصص هذه الآية: أَن أَشراف قريش وجماعتهم اجتمعوا عند مرض أَبي طالب عمِّ النبي ﷺ، فقالوا: إِن من القبيح علينا أَن يموت أَبو طالب ونؤذي محمداً بعده فتقول العرب: تركوه مدة عمِّه فلما مات آذوه، ولكن لنذهب إِلى أَبي طالب فلينصفنا منه، وليربط بيننا وبينه ربطاً، فنهضوا إِليه فقالوا: يا أَبا طالب، إِن محمداً يسبُّ آلهتنا(٤) ويُسفِّه

---

(١) حسن، أخرجه الطبري (٢١/ ١٤٣) من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن أربدة التميمي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا إسناد حسن.

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها للسلمي في المحتسب (٢/ ٢٢٩)، ولهما في تفسير الثعلبي (٨/ ١٧٩).

(٣) بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٩)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٧٩)، والجليس الصالح الكافي (ص: ٦٩٣).

(٤) سقط من الأصل.

آراءَنا وآراءَ آبائنا، ونحن لا نُقارُّه على ذلك، ولكن افصل بيننا وبينه في حياتك، بأَن يقيم في منزله يعبد ربَّه الذي يزعم، ويدع آلهتنا وسبَّها، ولا يعرض لأَحد منَّا بشيءٍ من هذا.

فبعث أَبو طالب إلى محمد ﷺ، فقال: يا محمد، إِن قومك قد دعوْكَ إِلى النَّصفة، وهي أَن تدعهم وتعبد ربَّك وحدك، فقال: أَوَ غير ذلك يا عم؟ قال: وما هو؟ قال: يُعطونني كلمة تدين لهم بها العربُ، وتؤدي إِليهم الجزية به العجم، قالوا: وما هي فإِننا نبادر إِليها؟ قال: لا إِله إِلَّا الله، فنفروا عند ذلك وقالوا: ما يرضيك منا غير هذا؟ قال: والله لو أَعطيتموني الأَرض ذهباً ومالاً، وفي رواية: لو جعلتم الشمس في يميني، والقمر في شمالي ما أَرضاني منكم غيرها، فقاموا عند ذلك، وبعضهم يقول: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾، ويرددون هذا المعنى، وعقبة بن أَبي مُعيط يقول: ﴿ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ الآية(١).

وجلبت هذا الخبر تامَّ المعنى، وفي بعض رواياته بزيادة ونقصان، والمعنى متقارب.

ولما ذهبوا قال رسول الله ﷺ: «يا عم، قل: لا إِله إِلَّا الله، كلمة أَشهد لك بها عند الله»، قال: والله لولا أَن تكون سُبَّة في بنيَّ بعدي لأَقْرَرْتُ بها عينك، ومات وهو يقول: على مِلَّة عبد المطلب، فنزلت في ذلك: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦](٢).

فقوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ﴾ عبارةٌ عن خروجهم عن أَبي طالب، وانطلاقهم من ذلك الجمع، هذا قول جماعة من المفسرين.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥١٢) والنسائي في الكبرى (١١٤٣٦) والطبري (٢١/ ١٥٠) من طرق عدة، عن الأعمش، عن يحيى بن عمارة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً، به، وهذا إسناد ضعيف، من أجل يحيى بن عمارة، ففيه جهالة. انظر تهذيب الكمال (٣١/ ٤٧٥)، ثم إنه اضطرب فيه، فرواه الطبري (٢١/ ١٥١) قال: حدثنا ابن بشار، ثنا عبد الرحمن، ثنا سفيان، عن الأعمش، عن يحيى بن عمارة، عن سعيد بن جبير، به مرسلاً.

(٢) وهذا من بقية الحديث السابق.

وقالت فرقة: هي عبارة عن إِذاعتهم لهذه الأَقاويل، فكأنه كما يقول الناس: انطلق الناس بالدعاءِ للأَمير، ونحوه، أَي: استفاضَ كلامهم بذلك.

و﴿ٱلْمَلَأُ﴾: الأَشرافُ والرُّؤوس الذين يسدُّون مسدَّ الجميع في الآراءِ، ونحوه.

وقوله: ﴿أَنِ ٱمْشُواْ﴾، ﴿أَنِ﴾ مفسِّرة لا موضع لها من الإعراب، ويجوز أَن تكون في موضع نصب بإِسقاط حرف الجر، أَي: بأَن، فهي بتقدير المصدر، كأَنه قال: وانطلق الملأُ منهم بقولهم: امشوا، ومعنى الآية أَنه قال بعضهم لبعض: امشوا واصبروا على كل أَمر آلهتكم.

وذهب بعض الناس إِلى أَن قولهم: ﴿ٱمْشُواْ﴾ هو دعاءٌ لكسب الماشية، وفي هذا ضعف؛ لأَنه كان يلزم أَن تكون الأَلف مقطوعة؛ لأَنه يقال: أَمْشَى الرجُلُ: إِذا صار صاحب ماشية، وأيضاً فهذا المعنى غير متمكن في الآية، وإِنما المعنى: سيروا على طريقتكم ودوموا على سيركم، أَو يكون المعنى أَمْرٌ[1] من نقل الأَقدام قالوه عند انطلاقهم.

وهي في مصحف ابن مسعود: (وانْطَلَق الملأُ منهم يمشون أَن اصبروا)[2].

وقولهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ يريدون ظهور محمد ﷺ وعُلُوَّه بالنبوَّة، أَي: يراد منا[3] الانقياد له.

وقولهم: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ يريدون بمثل هذه المقالة من أَن الإِله واحد.

واختلف المتأَولون في قولهم: ﴿فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾:

فقال مجاهد: أَرادوا ملَّتهم ونِحْلتهم التي العرب عليها، ويقال لكلِّ ما تتَّبِعه أُمَّةٌ ما: مِلَّة.

---

(١) في المطبوع ونور العثمانية وأحمد٣ وفيض الله: «أمراً».

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٩)، ومختصر الشواذ (ص: ١٣١)، وتفسير الطبري (٢١/ ١٥١).

(٣) في الأصل: «هنا».

وقال ابن عباس، والسدي: أَرادوا ملَّة النصارى[١].

قال القاضي أبو محمد: وذلك مُتَّجه لأَنها ملَّة شهير فيها التثليث وأَنَّ الإِله ليس بواحد.

وقالت فرقة: معنى قولهم: ﴿مَا سَمِعۡنَا﴾؛ أي: ما سمعنا أَنه يكون مثل هذا، ولا أَنه يقال في الملة الآخرة التي كنا نسمع أنها تكون في آخر الزمان.

قال القاضي أبو محمد: وذلك أَنه قبل مبعث النبي ﷺ كان الناس يستشعرون خروج نبيٍّ وحدوث ملَّة ودين، ويدل على صحة هذا ما رُوي من أقوال الأَحبار أولي الصوامع، وما رُوي عن شقٍّ وسطيح، وما كانت بنو إِسرائيل تعتقد من أَنه يكون منهم.

وقولهم: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾ إِشارة إِلى جميع ما يُخبر به محمد ﷺ عن الله تعالى، ثم قالوا على جهة التقرير من بعضهم لبعض، ومُضَمَّن ذلك الإِنكار: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَا﴾، بمعنى: نحن الأَشراف الأَعلام، فَلِمَ خُصَّ هذا؟ وكيف يصحُّ هذا؟ فردَّ الله تعالى قولهم بما تقتضيه ﴿بَلۡ﴾؛ لأَن المعنى لَيْسَ تخصيص الله وإِنعامه جارياً على شهواتهم، ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِي﴾؛ أَي: في ريب أَن هذا التذكير بالله حق.

ثم توعدهم بقوله: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾؛ أَي: لو ذاقوه لتحققوا أَن هذه الرسالة حق؛ أَي: هم لجهالتهم لا يُبيِّنُ لهم النظرُ، وإِنما يُبيِّن لهم مباشرةُ العذاب.

وقرأَ ابن مسعود: (أَمْ أُنْزِل) بميم بين الهمزتين[٢].

ثم وَقَفَهم احتجاجاً عليهم، أَعندهم رحمة ربك وخزائنها التي فيها الهدى والنُّبوَّة وكل فضل، فيكون لهم تحكُّم في الرسالة وغيرها من نِعَم الله؟ و﴿أَمۡ﴾ هنا

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ١٥٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر فيه قول مجاهد والسدي، وكذلك رواه الطبري (٢١/ ١٥٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٩)، ومختصر الشواذ (ص: ١٣٠).

لم تُعادلها أَلف، فهي المقطوعة التي معناها الإضراب عن الكلام الأَول واستفهام، وقدَّرها سيبويه بـ: بَلْ والألف، كقول العرب: / إِنها لإِبلٌ أَمْ شاءٌ[١]. [٥/ ٤]

و«الخزائن للرحمة» مستعارة، كأَنها موضع جمعها وحفظها، ومن حيث كانت ذخائر البشر تحتاج إلى ذلك خوطبوا في الرحمة بما ينحو إِلى ذلك.

قال الطبري: يعني بالخزائن: المفاتيح[٢]، والأول أبين، والله تعالى أعلم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾.

﴿أَمْ﴾ في هذه الآية معادلة للأَلف المقدرة في ﴿أَمْ﴾ الأُولى، وكأَنه تعالى يقول في هذه الآية: أَمْ لهم هذا المُلْك فتكون الرسالة والنبوة على اختيارهم ونظرهم، فليرتقوا في الأسباب إِن كان الأَمر كذلك، أَي: إِلى السماءِ، قاله ابن عباس[٣].

و﴿ٱلْأَسْبَٰبِ﴾: كل ما يُتَوَصَّل به إِلى الأَشياءِ، وهي هنا بمعنى الحبال والسلالم، وقال قتادة: أَراد أَبوابَ السماءِ[٤].

وقوله تعالى: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ﴾ اختلف المتأَولون في الإشارة بـ﴿هُنَالِكَ﴾ إِلى ما هي؟

فقالت فرقة: أَشار إِلى الارتقاءِ في الأَسباب؛ أَي: هؤلاءِ القوم إِن راموا ذلك جُنْدٌ مهزوم.

---

(١) الكتاب لسيبويه (٣/ ١٧٢).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١٥٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ١٥٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في المطبوع: «يشدهم».

قال القاضي أبو محمد: وهذا قويٌّ.

وقالت فرقة: الإِشارة بـ﴿هُنَالِكَ﴾ إِلى حماية الأَصنام وعضدها، أَي: هؤلاءِ القوم جند مهزوم في هذه السبيل.

وقال مجاهد: الإِشارة بـ﴿هُنَالِكَ﴾ إِلى يوم بدر[١]، وكان غيْباً أَعلم الله به على لسان رسوله ﷺ أَنَّ جنداً مشركين يُهْزَمون، فخرج في بدر.

وقالت فرقة: الإِشارة إِلى من حضر عام الخندق بالمدينة.

وقوله: ﴿مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾؛ أَي: من جملة الأحزاب والأُمم الذين تعصبوا في الباطل وكذَّبوا الرُّسل فأَخذهم الله تعالى.

و﴿مَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿جُندٌ مَّا﴾ زائدة مؤكدة، وفيها تخصيص.

واختلف المتأَولون في قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾:

فقال ابن عباس، وقتادة: سُمِّي بذلك لأَنه كانت له أَوتاد وخشب يُلعب له بها وعليها[٢].

وقال السدي: كان يقتل الناس بالأَوتاد ويسمِّرهم[٣] في الأرض بها.

وقال الضحاك: أَراد المباني العظام الثابتة[٤].

وهذا أَظهر الأَقوال، كما يقال للجبال أَوتاد؛ لثبوتها، ويحتمل أَن يقال له: ﴿ذو الأَوتاد﴾ عبارة عن كثرة أَخبِيَتِه وعِظَم عساكره، ونحوٌ من هذا قولهم: أَهل العمود.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٥٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٨٠)، دون ذكر بدر.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ١٥٨) من طريق أبي جعفر الرازي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهذا إسناد ضعيف، أبو جعفر الرازي، ضعيف الحديث. انظر تهذيب الكمال (٣٣/ ١٩٢).

(٣) في أحمد٣ والمطبوع: «يشدهم».

(٤) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٢١/ ١٥٩).

وقرأَت فرقة: ﴿لَيْكَةَ﴾، وقرأت فرقة: ﴿لَئَيْكَةِ ﴾[١].

وقد تقدم [القول في شرح ذلك في سورة الشعراء][٢].

ثم أخبر تعالى أَن هؤلاءِ المذكورين هم الأَحزاب، وضرب بهم المثل لقريش في أَنهم كذَّبوا، ثم أَخبر أَن عقابه حقَّ على جميعهم، أي: فكذلك يحق عليكم أَيها المكذبون بمحمد ﷺ.

وفي قراءَة ابن مسعود: (إنْ كلُّ لما)، وحكى أبو عمرو الداني أن فيها: (إِنْ كُلُّهُمْ إِلَّا كذَّبَ)[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿يَنظُرُ﴾ بمعنى: ينتظر، وهذا إِخبار من الله تعالى لرسول الله ﷺ، صدَّقه الوجود، فالصيحة ـ على هذا التأْويل ـ عبارة عن جميع ما نابهم من قتل أَو أَسر وغلبة، وهذا كما تقول: صاح فيهم الدَّهر.

وقال قتادة: توعدهم الله بصيحة القيام والنفخ في الصُّور[٤].

قال الثعلبي: رُوي هذا التفسير مرفوعاً إِلى النبي ﷺ[٥].

---

(١) وهما سبعيتان، فتح اللام والتاء لنافع وابن كثير وابن عامر والصرف للباقين، انظر التيسير (ص: ١٦٦).

(٢) سقط من المطبوع، وانظر تفسير الآية (١٧٦) من (سورة الشعراء).

(٣) وهما شاذتان، انظر الأولى في تفسير الطبري (٢١/ ١٦٠)، والثانية في معاني القرآن للفراء (٢/ ٤٠٠).

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ١٦١).

(٥) تفسير الثعلبي (٨/ ١٨١)، وهو حديث ضعيف جدًّا، أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال (٣٦) من طريق أبي عاصم النبيل، عن إسماعيل بن رافع، عن محمد بن أبي زياد، عن محمد بن كعب القرظي، =

وقالت طائفة: توعدهم تعالى بصيحة يهلكون بها في الدنيا، وعلى هذين التأْويلين فمعنى الكلام أنهم بمدرج عقوبة، وتحت[١] أَمرٍ خطير ما ينتظرون فيه إِلا الهلكة، وليس معناه التوعُّد بشيءٍ معين ينتظره محمد ﷺ فيهم كالتأْويل الأَول.

وقرأَ الجمهور: ﴿فَوَاقٍ﴾ بفتح الفاءِ.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وابن وثاب، والأَعمش، وأَبو عبد الرحمن: ﴿فُوَاقٍ﴾ بضم الفاءِ[٢].

قال ابن عباس، وغيره: هما بمعنى واحد[٣]؛ أَي: ما لها من انقطاعٍ وعودة، بل هي متصلة حتى مهلكهم، ومنه: فُوَاقُ الْحَلْبَة: المهلة التي بين الشَّخْبتين، وجعلوه مثل قَصَاص الشعر وقُصَاصه، وغير ذلك.

ومنه الحديث عن النبي ﷺ: «من رابط فُوَاق ناقة حرَّم الله جسده على النار»[٤].

= عن أبي هريرة، رضي الله عنه مرفوعاً، به في حديث طويل جدًّا، وهذا إسناد ضعيف جداً، من أجل إسماعيل بن رافع، وهو متروك الحديث، انظر تهذيب الكمال (٣/ ٨٥)، وهو قد اضطرب فيه، فرواه البيهقي في البعث (٦٦٩) من طريق آخر عن أبي عاصم النبيل، عن إسماعيل بن رافع، عن محمد بن أبي زياد، عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة، رضي الله عنه مرفوعاً، به، فزاد في السند رجلاً مبهماً، ما بين القرظي وأبي هريرة رضي الله عنه، والحديث تكلم عليه أهل العلم ووسموه بالضعف والنكارة، انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٨).

(١) في المطبوع: «وقت».

(٢) انظر نسبتها للجمهور وحمزة والكسائي في: التيسير (ص: ١٢٢)، وانظر موافقة الأعمش في: إتحاف فضلاء البشر (١/ ٤٧٦)، وانظر موافقة الباقين في:البحر المحيط (٧/ ٣٧٣) وزاد طلحة.

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ١٦١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) ضعيف جدًّا، أخرجه العقيلي في ضعفائه (١/ ٢٢) من طريق أنس بن عبد الحميد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، رضي الله عنها، مرفوعاً، به، قال العقيلي بعد أن رواه في مناكير أنس ابن عبد الحميد: هذا حديث منكر، فإن كان ابن عبد الحميد ضُبط عنه، فليس ممن يحتج به. وله طريق أخرى، رواه أيضاً العقيلي (٢/ ١٤٣) من طريق سليمان بن مرقاع الجندعي، عن مجاهد، عن عائشة، رضي الله عنها، مرفوعاً، به، قال العقيلي: منكر، ولا يتابع عليه، ولا يعرف إلا به.

وقال ابن زيد، وأَبو عبيدة، ومُؤرِّج، والفراءُ: المعنى مختلف، الضَّمُّ كما تقدم من معنى فواق، والفتح بمعنى الإِفاقة[١]؛ أَي: ما يكون لهم بعد هذه الصيحة من إِفاقة ولا استراحة، ففَواق مثل: جواب مِنْ أَجاب.

ثم ذكر عزَّ وجلَّ عنهم أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾، و«القِطُّ»: الحَظّ والنصيب، و«القِطُّ» أَيضاً: الصَّكُّ والكتاب من السلطان بِصِلةٍ ونحوه، ومنه قول الأَعشى:

[الطويل] وَلَا الْمَلِكُ النُّعْمَانُ يَوْمَ لَقِيتَهُ بِغِبْطَتِهِ يُعْطِي الْقُطُوطَ ويَأْفِقُ[٢]

وهو من: قَطَطْتُ، أَي: قطعتُ، واختلف الناس في (القطِّ) هنا، ما أَرادوا به؟

فقال سعيد بن جبير: أَرادوا به: عجِّل لنا نصيبنا من الخير والنعيم في دنيانا.

وقال أَبو العالية، والكلبي: أَرادوا: عجِّل لنا صُحفنا بأَيْمَاننا، وذلك لمَّا سمعوا في القرآن أَن الصحف تُعْطَى يوم القيامة بالأَيمان والشمائل قالوا ذلك[٣].

وقال ابن عباس، وغيره: أَرادوا ضِدَّ هذا من العذاب ونحوه، فهذا نظير قولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢][٤].

[٥/ ٥] وقال السدي: المعنى: أَرنا منازلنا في الجنة حتَّى نبايعك[٥]./

قال القاضي أَبو محمد: وعلى كل تأْويل، فكلامهم خرج على جهة الاستخفاف

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٤٠٠)، ومجاز القرآن (٢/ ١٧٩)، وتفسير الطبري (٢١/ ١٦٢).

(٢) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ١٧٩)، والعين (٥/ ٢٢٧)، وأمثال العرب للضبي (ص: ١٦٤)، وتفسير الطبري (٢١/ ١٦٣)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٢٣)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٠٧)، وجمهرة اللغة (١/ ١٥٠).

(٣) انظر قولهما في تفسير الثعلبي (٨/ ١٨٢)، وقول ابن جبير في تفسير الطبري (٢١/ ١٦٥).

(٤) الأثر ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ١٦٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما.

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ١٦٥).

والهزءِ، ويدل على ذلك ما عُلم من كفرهم واستمر، ولفظ الآية يعطي إِقراراً بيوم الحساب.

قوله تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾؛ أَي: من هذه الأَقاويل التي يريدون بها الاستخفاف، ولا تلتفت إِليها.

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ في الدين والشرع[١] والصَّدْع به، فَتَأَسَّ به وتأَيد كما تأَيد.

و﴿ٱلْأَيْدِ﴾: القوة، وهي في داود متضمنة قوة البدن وقوته على الطاعة.

و«الأَوَّابُ»: الرَّجَّاع إِلى طاعة الله تعالى، وقاله مجاهد وابن زيد، وفسَّره السدي بالمُسَبِّح[٢].

وذكر الثعلبي: أَن أَبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الزُّرْقة يُمْنٌ»، وكان داود أزرق[٣].

وأَخبر تبارك وتعالى عمَّا وهب لداود من الكرامة في أَن سخَّر الجبال معه تسبِّح، وظاهر الآية عموم الجبال، وقالت فرقة: بل هي الجبال التي كان فيها وعندها، وتسبيح الجبال هنا حقيقة.

﴿وَٱلْإِشْرَاقِ﴾: وقت ضياءِ الشمس وارتفاعها، ومنه قولهم: أَشْرِقْ ثبيرُ [كيْما نُغِير][٤]؛ أَي: ادخل في الشروق، وفي هذين الوقتين كانت صلاة بني إِسرائيل.

---

(١) ليست في المطبوع وأحمد٣.

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ١٦٨).

(٣) موضوع، رواه ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٦٢) من طريقين، أحدهما فيه سليمان بن أرقم، وهو متروك الحديث، وفيه كذلك: إسماعيل المؤدب، قال الدارقطني: لا يحتج به. والثاني: فيه محمد بن موسى الكديمي، وكان يضع الحديث.

(٤) انظر سيرة ابن اسحاق (ص: ٩٨)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٦٦). و«كيما نغير» سقط من الأصل والسليمانية وفيض الله.

وقال ابن عباس: صلاة الضحى عندنا هي صَلاة الإِشراق، وهي في هذه الآية[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ بالنصب عطف على ﴿ٱلْجِبَالَ﴾؛ أَي: وسَخَّرْنَا الطَّيْرَ.

و﴿مَحْشُورَةً﴾ نصب على الحال، ومعناه: مجموعة.

وقرأَ ابن أَبي عَبْلَةَ: (والطَّيرُ مَحْشُورةٌ) بالرفع فيهما[٢].

والضمير في ﴿لَّهُۥ﴾ قالت فرقة: هو عائد على الله تعالى، فَـ﴿كُلٌّ﴾ على هذا يراد به: داود، والجبال، والطيرُ.

وقالت فرقة: هو عائد على داود عليه السلام، فـ﴿كُلٌّ﴾: للجبال والطير.

وقوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ عبارة عامة لجميع ما وهبه الله تعالى من قوة وجند[٣] ونعمة، وقد خصص بعض المفسرين في ذلك أَشياءَ دون أَشياء:

فقال السدي: بالجنود[٤]، وقال آخرون: بِهَيْبَةٍ[٥] جعلها الله تعالى له.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَشَدَدْنَا﴾ بتخفيف الدال الأُولى.

ورُوي عن الحسن: (وشدَّدنا) بشَدّها على المبالغة[٦].

و﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾: الفهم في الدين وجَودة النظر، هذا قول فرقة، وقالت فرقة: أَراد

---

(١) ضعيف، أخرجه ابن راهويه في مسنده (٢١١٦) عن ابن عيينة، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله ابن الحارث، عن أم هانئ، وابن عباس، رضي الله عنهم، مرفوعاً، وهذا إسناد ضعيف، يزيد بن أبي زياد، متفق على تضعيفه. انظر: تهذيب الكمال (٣٢/ ١٣٥)، وقد رُوي الحديث من طرقٍ أخرى لم يصح منها شيء.

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص: ١٣٠).

(٣) في الأصل: «وخير».

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ١٧٠).

(٥) في نور العثمانية وفيض الله: «بهيئة».

(٦) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠٩).

بالحكمة النُّبُوَّةَ، وقال أَبو العالية: ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾: العلمُ الذي لا تردُّه العقول[١].

قال القاضي أَبو محمد: هي عقائد البرهان.

واختلف الناس في ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾:

فقال ابن عباس، ومجاهد، والسدي: هو فصل القضاءِ بين الناس بالحق وإِصابتُه وفَهْمُه[٢].

وقال علي بن أَبي طالب، وشُرَيْح، والشعبي: هو إِيجابُ اليمين على المدَّعَى عليه، والبيِّنَة على المدَّعِي، وقال زياد، والشعبي أَيضاً: هو قول: أَمَّا بعد، فإنه أَول من قالها[٣].

قال القاضي أَبو محمد: والذي يعطيه لفظ الآية: أَن الله تعالى آتاه أَنه كان إِذا خاطب في نازلةٍ فصَّل المعنى وأَوْضحه وبينه، لا يأْخذه في ذلك حَصَرٌ ولا ضعف، وهذه صفةٌ قليلٌ من يدركها، فكان كلامه عليه السلام فَصْلاً، وقد قال الله تبارك وتعالى في صفة القرآن: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [الطارق: ١٣]، ويزيد محمد ﷺ على هذه الدرجة بالإِيجاز في العبارة، وجمْع المعاني الكثيرة في اللفظ اليسير، وهذا هو الذي تَخَصَّص ﷺ به في قوله: «وأُعْطِيتُ جوامع الْكَلِم»[٤]، فإِنها في الخِلالِ التي لم يُؤْتَها أَحدٌ قبله، وذكْر جوامع الكلم معدودٌ ومُسَلَّم له ﷺ[٥].

---

(١) تفسير الثعلبي (٨/ ١٨٤).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ١٧٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر أقوال الباقين فيه.

(٣) انظر قول علي رضي الله عنه في تفسير الثعلبي (٨/ ١٨٤) مع أكثر الأقوال، وانظر أكثرها أيضاً في تفسير الطبري (٢١/ ١٧٢).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٦١١) ومسلم (٥٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، به، واللفظ لمسلم.

(٥) في نور العثمانية: «معدودة في كتاب مسلم» بدل: «معدود ومسلم له ﷺ».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾.

هذه مخاطبة للنبي ﷺ، واستُفْتِحَت بالاستفهام تعجباً من القصة وتفخيماً لها؛ لأَن المعنى: هل أَتاك هذا الأَمر العجيب الذي هو عبرة؟ فكأَن هذا الاستفهام إِنما هو تهْيِئَةٌ لنفس المخاطب وإِعدادها للتَّلَقِّي.

و﴿ٱلْخَصْمِ﴾ جارٍ مجرى: زَوْر وَعَدْل، يوصفُ به الواحد والاثنان والجميع(١)، ومنه قول لبيد:

[الطويل] وخَصْمٍ يَعُدُّونَ الذُّحُولَ كأَنَّهُمْ قُرُومٌ غَيَارَى كلَّ أَزْهَرَ مُصْعَبِ(٢)

وتحتمل هذه الآية أن يكون التَّسَوُّر للمحراب من اثنين فقط؛ لأَن نفس الخصومة إِنما كانت بين الاثنين، فتجيءُ الضمائر في ﴿تَسَوَّرُوا۟﴾ و﴿دَخَلُوا۟﴾ و﴿قَالُوا۟﴾ على جهة التَّجَوُّز في العبارة عن الاثنين بلفظ الجمع، وتحتمل أَنه جاءَ مع كل واحد فرقة كالعاضدة أَو المُؤْنسة، فيقع على جميعهم (خَصْمٌ)، وتجيءُ الضمائر حقيقية.

و﴿تَسَوَّرُوا۟﴾ معناه: عَلَوْا سُورَهُ، وهو جمع: سُورَةٍ، وهي القطعة من البناءِ، وهذا كما تقول: تَسَنَّمْتُ الحائط أو البعيرَ: إِذا علوتَ سنامه.

و﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾: الموضع الأَرفع من القصر أَو المسجد، وهو موضع التَّعبُّد،

(١) في المطبوع والسليمانية: «والجمع».
(٢) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ١٨٠)، وتفسير الطبري (٢١/ ١٧٤)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٨٧)، والقُروم: جمع قرم، وهو الفحل من الإبل، والذُّحول: جمع ذَحْلٍ، وهو الثأْرُ، وكتبت مهملة الدال في بعض النسخ، وفي الحمزوية وفيض الله ونجيبويه: «الدخول».

والعامل في ﴿إِذْ﴾ الأُولى ﴿نَبَؤُا﴾، وقيل: ﴿أَتَىٰكَ﴾، والعامل في الثانية ﴿تَسَوَّرُواْ﴾، وقيل: هي بدلٌ من ﴿إِذْ﴾ الأُولى.

وقوله تعالى: ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ يحتمل أَن يكون فزعه من الداخلين أَنفسهم لئلا يؤذوه، وإِنما فزع من حيث دخلوا من غير الباب ودون استئذان.

وقيل: إِن ذلك كان ليلاً، ذكره الثعلبي(١).

ويحتمل أَن يكون فزعُه من أَن يكون أهل مُلْكه قد استهانوه حتَّى ترك بعضهم الاستئذان، فيكون فزعه على(٢) فساد السيرة لا من الداخلين.

ويظهر من قولهم/ : ﴿لَا تَخَفْ﴾ أَنهم فهموا فزعه(٣). [٥/ ٦]

وهنا قَصَصٌ طوَّل الناس فيه، واختلفت الروايات فيه، ولا بد أَن نذكر منه ما لا يقوم تفسير الآية إِلَّا به، ولا خلاف بين أَهل التأْويل أَن هؤلاءِ الخصم إِنما كانوا ملائكة بعثهم الله تعالى ضرب مثل لداود عليه السلام، فاختصموا إِليه في نازلة قد وقع هو في نحوها، فأَفتى بِفُتْيا هي واقعة عليه في نازلته، ولما شعر وفهم المراد خرَّ وأَناب واستغفر، أَما نازلته التي وقع فيها؛ فروي: أنه عليه السلام جلس في ملإٍ من بني إِسرائيل فأُعجب بعمله، وظهر منه ما يقتضي أَنه لا يخاف على نفسه الفتنة، ويقال: بل وقعت له في مثل هذا محاورة مع الملكَين الحافظيْن عليه، فقال: جَرِّباني يوماً، وإِن غبتما عني فإِني لا أُواقع مكروهاً.

وقال السدي: كان داود قد قسَّم دهره: يوماً يقضي فيه بين الناس، ويوماً للعبادة، ويوماً لشأْن نفسه، ففتن(٤) يومَ خُلُوِّه للعبادة لمَّا تمنى أن يُعطى مثل فضل

---

(١) تفسير الثعلبي (٨/ ١٨٨).

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «من».

(٣) في الأصل بدله: «ويحتمل قوله: ﴿لَا تَخَفْ﴾ أنهم فهموا منه عليه السلام خوفه».

(٤) في المطبوع: «فعين».

إِبراهيم وإِسحاق ويعقوب، والتزم أَن يُمتحن كما امْتُحنوا[١]، وقيل السبب غير هذا مما هو لا يصح تطويله.

وقال ابن عباس: إِن داود أَخذ يوماً في عبادته، وانفرد[٢] في محرابه يصلي ويسبِّح، إِذ دخل عليه طائر من كُوَّة فوقع بين يديه، فروي: أنه كان طائراً حسن الهيئة، حمامة، فمدَّ داود يده إِليها[٣] ليأْخذها، فما زالت تُطْمعه ويتبعها حتى صَعِدت الكُوَّة التي دخلت منها، فصعد ليأْخذها، فتنحَّى الطائر له، فتطلَّع داود فإِذا هو بامرأَة تغتسل عريانة، فرأَى منظراً جميلاً فَتَنَه، ثم إِنها شعرت به فأَسبَلَتْ شعرها على بدنها فتجلَّلَتْ به، فزاده ذلك ولوعاً بها، ثم إِنه انصرف وسأَل عنها فأُخبر أَنها امرأَة رجل من جنده يقال له: أُورِيَا، وأَنه في بعث كذا وكذا، فيروى أنه كتب إِلى أَمير تلك الحرب أَن قدِّم فلاناً يقاتل عند التابوت، وهو موضع [بُرَكاء الحرب][٤] قلَّما يخلص منه أَحد، فقدم ذلك الرجل حتى استشهد هنالك[٥].

ويروى: أَن داود كتب أَن يُؤَمَّر ذلك الرجل على جملة من الرجال، وترمى به الغارات والوجوه الصعبة من الحرب حتى قُتل في الثالثة من نهضاته، وكان لداود ـ فيما روي ـ تسع وتسعون امرأَة، فلما جاءَه الكتاب بقتل من قُتل في حربه، جعل كلما سُمِّي رجل يسترجع ويتفجع، فلما جاءَ اسم الرجل قال: كتب الموت على كل نفس، ثم إِنه خطب المرأَة وتزوجها، فكانت أُم سليمان عليه السلام فيما روي عن قتادة[٦]، فبعث الله تعالى إِليه الخصم ليُفتي أَن هذا ظلم.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٨٢).

(٢) في الأصل: «وانصرف».

(٣) من الحمزوية والمطبوع وأحمد٣.

(٤) سقط من المطبوع.

(٥) أخرجه الطبري (٢١/ ١٨١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) تفسير الطبري (٢١/ ١٨٤).

وقالت فرقة: إِن هذا كله همَّ به داود ولم يفعله، وإنما وقعت[(١)] المعاتبة على الهَمِّ.

وقال آخرون: إِنما الخطأُ في أَنه لم يجزع عليه كما جزع على غيره من الجند، إِذ كان عنده أَمر المرأَة.

قال القاضي أَبو محمد: الرُّواةُ على الأَول أَكثر، وفي كتب بني إِسرائيل في هذه القصة صور لا تليق، وقد حدَّث بها قُصَّاص في صدر هذه الأمة[(٢)]، فقال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: من حدَّث بما قال هؤلاءِ القُصَّاص [في أمر داود عليه السلام][(٣)] جلدتُه حدّين لما ارتكب في حُرمة من رفع الله محلَّه[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿خَصۡمَانِ﴾ تقديره: نحن خصمان، وهذا كقول الشاعر:

[الطويل]

وَقُـولا إِذَا جَاوَزْتُمَـا أَرْضَ عَامِـرٍ ... وَجَاوَزْتُمَـا الْحَيَّيْـنِ نَهْـداً وَخَثْعَمَـا

نَزِيعـانِ مِـنْ جَـرْمِ بْـنِ زَبَّـانَ إِنَّهُـمْ ... أَبَوْا أَنْ يُميرُوا في الهَزَاهِزِ محْجَمَا[(٥)]

ومثله قول العرب في المثل: مُحْسِنَةٌ فَهِيلِي[(٦)]، والتقدير: أَنت محسنةٌ.

ومنه قوله ﷺ: «آيِبُونَ تائبون»[(٧)].

---

(١) من نور العثمانية وفيض الله والسليمانية ونجيبويه.

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «الآية».

(٣) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٤) ذكره ابن حزم في المحلى (١١/ ٨٤١) بلا إسناد، ولم أقف عليه عند غيره.

(٥) البيتان للطرماح كما في الإبل للأصمعي (ص: ٩٢)، والكنز اللغوي (ص: ٩٦)، ولحميد بن ثور في الشعر والشعراء (١/ ٣٧٨)، والحيوان (١/ ٢٣٨)، والأشباه والنظائر للخالدي (ص: ٢٤)، وغريب الحديث للخطابي (١/ ١٧٥). وفي الأصل والحمزوية ونجيبويه والمطبوع: «زيَّان»، وفي أحمد٣ والسليمانية: «ريان»، وفي الاشتقاق لابن دريد (١/ ٥٣٦): جَرْم بن ربّان، ورَبَّان: فَعلان من رب.

(٦) انظر المثل في: معاني القرآن للفراء (٢/ ٤٠٢)، والاشتقاق (ص: ٢٥٨).

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٧٠٣) ومسلم (١٣٤٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً، به.

و﴿ بَغَىٰ ﴾ معناه: اعتدى واستطال، ومنه قول الشاعر:

[الوافر] وَلَكِنَّ الْفَتَى حَمَلَ بنَ بَدْرٍ بَغَى والْبَغْيُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ[١]

وقوله تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ إغلاظ على الحاكم، واستدعاءٌ لعدله، وليس هذا بارتياب منه، ومنه قول الرجل للنبي ﷺ: «فاحكم بيننا بكتاب الله»[٢].

وقرأ الجمهور: ﴿تُشْطِطْ﴾ بضم التاءِ وكسر الطاءِ الأُولى، ومعناه: ولا تبعد[٣] في حكمك.

وقرأ أَبو رجاءٍ، وقتادة بفتح التاءِ وضمِّ الطاءِ الأُولى، وهي قراءَة الحسن، والجحدري.

والمعنى: ولا تَبْعُدْ، يقال: شَطَّ: إذا بَعُدَ، وأَشَطَّ: إذا أَبعد غيره.

وقرأ زِرُّ بن حُبيش: (تُشَاطِطْ) بضم التاءِ وبأَلفٍ [بعد الشين][٤].

و﴿سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ معناه: وسط الطريق ولاحِبُه.

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾، إعرابُ ﴿أَخِى﴾ عطف بيان:

وذلك أن ما جرى من هذه الأَشياءِ صفة؛ كالخَلْق والخُلُق وسائر الأوصاف فإِنه نعتٌ محضٌ، والعامل فيه هو العامل في الموصوف.

وما كان منها مما ليس لِيوصَفَ بِهِ البَتَّةَ فهو بدلٌ، والعامل فيه مُكَرَّر، وتقول:

---

(١) لقيس بن زهير كما في سيرة ابن هشام (١/ ٢٨٧)، والأمثال للضبي (ص: ٩٧)، والفاخر (ص: ٢٢٧)، والعقد الفريد (٦/ ٢٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٥٤٩) ومسلم (١٦٩٧-١٦٩٨) من حديث أبي هريرة، وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنه مرفوعاً، به.

(٣) في نور العثمانية والسليمانية وفيض الله: «لا تتعد».

(٤) من المطبوع، وهما شاذتان، انظر الأولى في المحتسب (٢/ ٢٣٠)، والثانية في مختصر الشواذ (ص: ١٣٠).

جاءَنِي أَخوك زيد، فالتقدير: جاءَني أَخوك، جاءَني زيد، فاقتصر على حذف العامل في البدل والمبدل منه، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١].

وما كان منها مِمَّا لا يوصف به واحتيج إِلى أَن يُبَيَّن به ويجري مجرى الصفة فهو عطف بيانٍ، وهو بيِّن في قول الشاعر:

.... يا نَصْرُ نَصْرٌ نَصْرَا[١] [الرجز]

فإِن الرواية في الثاني بالتنوين تدل على أن النداءَ ليس بمكرر عليه، فليس ببدل، ووضح فيه عطف البيان.

وهذه الأُخوة مستعارة؛ إِذْ هما مَلَكان، ولكن من حيث تصوَّرَا آدميَّيْن تكلَّما بالأخوة التي بينهما/ في الدين والإِيمان، والله أَعلم. [٥/ ٧]

و«النَّعْجَةُ» في هذه الآية عبر بها عن المرأَة، والنعجة في كلام العرب تقع على أُنثى بقر الوحش، وعلى أُنثى الضأْن، وتُعبِّر العربُ بها عن المرأَة، وكذلك بالشَّاة، قال الأَعشى:

فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَينِهِ عَنْ شَاتِهِ فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالَهَا[٢] [الكامل]

أَراد: عن امرأَته.

وفي قراءَة ابن مسعود: (وتِسْعُونَ نَعجة أُنثى)[٣].

وقرأَ حفص عن عاصم: ﴿وَلِيَ﴾ بفتح الياءِ، وقرأ الباقون بسكونها، وهما حسنان[٤].

---

(١) تمامه: إِنِّي وأَسْطَارٍ سُطِرْنَ سَطْرًا ... لَقَائِلٌ يا نصْرُ نَصْرٌ نَصْرَا. وهو لرؤبة كما تقدم في تفسير الآية (٢٤) من (سورة الأعراف).

(٢) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ١٨١)، والعين (٣/ ٣١)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٢٦)، والكامل (١/ ٢٢٥).

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٤٠٣)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ١٧٥)، وتفسير الطبري (٢١/ ١٧٧).

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٨)، والسبعة (ص: ٥٥٣).

وقرأ الحسن والأعرج: (نِعْجَةً) بكسر النون[١]، والجمهور على فتحها.

وقرأ الحسن: (تَسْعٌ وتَسْعُون) بفتح التاءِ فيهما، وهي لغة[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾؛ أي: رُدَّها في كفالتي.

وقال ابن كيسان: المعنى: اجعلها كفلي؛ أي: نصيبي[٣].

قوله: ﴿وَعَزَّنِي﴾؛ أي: غَلَبَني، ومنه قول العرب: مَنْ عَزَّ بَزَّ؛ أي: من غَلَب سَلَب.

وقرأ أبو حيوة: (وَعَزَنِي) بتخفيف الزاي[٤].

قال أبو الفتح: أراد: عَزَّنِي، فحذف إِحداهما تخفيفاً، كما قال أبو زُبَيْدٍ[٥]:

[الوافر] .... أَحَسْنَ بِهِ فَهُنَّ إِلَيْهِ شُوسُ[٦]

قال أبو حاتم: ورويت بتخفيف الزاي عن عاصم[٧].

وقرأ ابن مسعود، وأبو الضحى، وعبيد بن عمير: (وَعَازَّني)؛ أي: غَالَبَني[٨].

ومعنى قوله: ﴿فِي ٱلْخِطَابِ﴾؛ أي: كان أوجه منِّي وأقوى، فإذا خاطبته كان كلامه أقوى من كلامي، وقوته أعظم من قوتي، فيروى: أن داود عليه السلام لمَّا سمع هذه

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لهما في المحتسب (٢/ ٢٣٠).

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٠٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٧٧).

(٣) نقله عنه في البحر المحيط (٩/ ١٤٨).

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها له مع توجيهها في المحتسب (٢/ ٢٣١).

(٥) هو حرملة بن منذر الطائي، تقدم ذكره، وفي المطبوع وبعض النسخ: «أبو زبيد»، وفي بعضها: «أبو زيد».

(٦) صدره: خَلا أَنَّ العِتَاقَ مِنَ المَطَايَا، وتقدم عزوه له في تفسير الآية (٩٣) من (سورة طه).

(٧) كما في البحر المحيط (٩/ ١٤٩)، وعزا له ابن خالويه في الحجة (ص: ٣٠٥) المد، وانظر الكامل للهذلي (ص: ٦٢٤).

(٨) وهي شاذة، انظر عزوها للأول في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٠٩)، والثالث في تفسير الثعلبي (٨/ ١٨٩)، ولم أجدها للثاني.

الحُجَّة قال للآخر: ما تقول؟ فأَقرَّ وأَلَدَّ، فقال له داود: لئن لم ترجع إِلى الحق لأَكسرن الذي فيه عيناك، وقال للثاني: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾، فتبسَّما عند ذلك، وذهبا ولم يرهما لحينه، فشعر حينئذ للأَمر، ورُوي أَنهما ذهبا نحو السماءِ بِمَرْأًى منه، وقيل: بل بيَّنا عليه فعله في تلك المرأَة وزوجها، وقالا له: إِنما نحن مثال لك.

وقال بعض الناس: إِن داود قال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ قبل أَن يسمع حجة الآخر، وهذه كانت خطيئته، ولم تنزل به هذه النازلة المروية قط.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيف من جهات؛ لأَنه خالف متظاهر الروايات[١].

وأَيضاً فقوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ إنما معناه: أَن ظهر صدقك ببيِّنَة أَو باعتراف، وهذا من بلاغة الحاكم التي تَرُدُّ المعوج إِلى الحق، وتفهمه ما عند القاضي من الفطنة.

وقال الثعلبي: كان في النازلة اعتراف من المُدَّعى عليه حذف اختصاراً، ومن أَجله قال داود عليه السلام: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾[٢].

وقوله عليه السلام: ﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾، أَضاف المصدر[٣] إِلى المفعول.

و﴿ٱلْخُلَطَآءِ﴾: الأَشراك والمتعاقبون في الأملاك والأُمور، وهذا القول من داود وعْظٌ وبَسْط لقاعدة حق؛ ليحذر من الوقوع في خلاف الحق.

و﴿مَّا﴾ في قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ زائدة مؤكدة.

وقوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾ معناه: شعر للأمر[٤] وعَلِم.

وقالت فرقة: ﴿وَظَنَّ﴾ هنا بمعنى: أَيْقَنَ.

قال القاضي أَبو محمد: والظن أَبداً في كلام العرب إِنما حقيقته توقف بين معتقدين

(١) في نور العثمانية وفيض الله: «الآيات».

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ١٨٩).

(٣) في الأصل: «الضمير».

(٤) «للأمر» سقطت من أحمد٣ والمطبوع.

يغلب أَحدهما على الآخر، وتُوقِعُه العربُ على العلم الذي ليس على الحواس، ولا له اليقين التام البَتَّة، ولكن يخلط الناس في هذا ويقولون: ظَنَّ بمعنى: أَيقن، ولسنا نجد في كلام العرب [على العلم الذي ليس على الحواس](١) شاهداً يتضمن أَن يقال: رأَى زيدٌ كذا وكذا فظنَّه، وانظر إِلى قوله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣].

وإِلى قول دُريد بن الصِّمَّة:

[الطويل]
فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ سَرَاتُهُمُ في الفَارِسِيِّ المُسَرَّدِ(٢)

وإِلى هذه الآية: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾، فإِنَّكَ تجد بينها وبين اليقين درجة، ولو فرضنا أَهل النار قد دخلوها وباشروا(٣) لم يقل: ﴿فَظَنُّوٓا۟﴾، ولا استقام ذلك، ولو أَخبر جبريل داود بهذه الفتنة لم يعبر عنها بـ(ظَنَّ)، فإِنما تُعَبِّر العربُ بها عن العلم الذي يقارب اليقين وليس به، ولم يخرج بعد إِلى الإحساس.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿فَتَنَّهُ﴾ بفتح التاءِ وشدِّ النون، أي: ابتليناهُ وامْتَحَنَّاهُ.

وقرأَ عمر بن الخطاب، وأَبو رجاءٍ، والحسن بخلاف عنه: (فَتَّنَّاهُ) بشدِّ التاءِ والنون(٤)، على معنى المبالغة.

وقرأَ أَبو عمرٍو في رواية علي بن نصر: (فَتَنَاهُ) بتخفيف التاءِ والنون، على أَن الفعل لِلْخَصْمين؛ أَي: امْتَحَنَاهُ عن أَمرنا، وهي قراءَة قتادة(٥).

وقرأَ الضحاك: (افتتناه)(٦).

---

(١) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٢) تقدم في تفسير الآية (٤٢) من (سورة البقرة).

(٣) في المطبوع: «وباشروها».

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها لعمر رضي الله عنه في المحتسب (٢/ ٢٣١)، وللكل في الدر المصون (٩/ ٣٧٢).

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها لهما في المحتسب (٢/ ٢٣٢)، ورواية علي في السبعة (ص: ٥٥٣)، وجامع البيان (٤/ ١٥٣١).

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الدر المصون (٩/ ٣٧٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٤١٠) بلفظ: (أفتناه)، من الرباعي.

قوله: ﴿وَخَرَّ﴾؛ أَي: أَلْقى بنفسه نحو الأَرض متطامناً متواضعاً، و«الركوعُ» و«السجود»: الانخفاض والتَّرَامِي نحو الأَرض، وخصَّصَتْهُما الشرائع على هيئات معلومة.

وقال قوم: يقال: خَرَّ: لمن ركع، وإِن كان لم ينته إِلى الأَرض.

وقال الحسين بن الفضل[١]: المعنى: خرَّ من ركوعه؛ أَي: سَجَدَ بعد أَن كان راكعاً[٢].

وقال أَبو سعيد الخدري: رأَيتني [في النوم وأنا][٣] أَكتب سورة (ص)، فلما بلغت هذه الآية سجد القلم، ورأَيتني في منام آخر وشجرة تقرأُ سورة (ص)، فلما بلغت هذا[٤] سجدت، وقالت: اللَّهُم اكتب لي بها أَجراً، وحُطَّ[٥] عني بها وِزْراً، وارزقني بها شكراً، وتقبلها مني كما تقبلت من عبدك داود، قال النبي ﷺ: «وَسَجَدْتَ أَنت[٦] يا أَبا سعيد»؟ فقلت: لا، فقال: «أَنت كنت أَحق بالسجدة من الشجرة»، ثم تلا رسول الله ﷺ الآيات حتى بلغ ﴿وَأَنَابَ﴾ فسجد، وقال كما قالت الشجرة[٧].

﴿وَأَنَابَ﴾ معناه: رجع وتاب.

---

(١) هو الحسين بن الفضل بن عمير البجلي الكوفي، أبو علي المفسر الأديب إمام عصره في معاني القرآن، وكان فصيح اللسان، أقدمه عبد الله بن طاهر معه نيسابور، وبقي يعلم الناس العلم، إلى أن توفي سنة (٢٨٢هـ). تاريخ الإسلام (٢١/ ١٦١). وفي السليمانية: «الحسن».

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ١٩٧).

(٣) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «هنا».

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «واحطط».

(٦) «أنت» مكررة في المطبوع.

(٧) ضعيف، أخرجه الترمذي (٣٧٢٢) وابن ماجه (١٠٥٣) والعقيلي في الضعفاء (١/ ٢٤٢-٢٤٣) كلهم من طريق محمد بن يزيد بن خنيس، قال: حدثنا الحسن بن محمد بن عبيد الله بن أبي يزيد المكي، قال: قال لي ابن جريج: يا حسن حدثني جدك عبيد الله بن أبي يزيد، أنه سمع ابن عباس...فذكره، قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقال العقيلي بعد أن رواه في مناكير الحسن ابن محمد بن عبيد الله بن أبي يزيد: لا يتابع على حديثه، ولا يعرف إلا به، لهذا الحديث طرق فيها لين. اهـ. والحسن بن محمد بن عبيد الله هذا، فيه جهالة. انظر: تهذيب الكمال (٦/ ٣١٣، وهامشه).

ويُروى عن مجاهد: أَن داود عليه السلام بقي في ركعته تلك لاصقاً بالأَرض يبكي ويدعو أَربعين صباحاً حتى نبت العشب من دمعه، وروي غير هذا مما لا تثبت صحته.

[٥/ ٨] ويُروى: أَنه لما غفر الله له أَمْر المرأَة قال: يا رب، كيف لي بدم زوجها / إِذا جاءَ يطلبني يوم القيامة؟ فأَوحى الله إِليه: إِني سأَستوهبه لك يا داود، وأَجعله أَن يَهَبَه راضياً بذلك، فحينئذ سُرَّ داود عليه السلام واستقرت نفسه.

وروي عن عطاءٍ الخرساني، ومجاهد: أَن داود عليه السلام نقش خطيئته في كفه[١]، فكان يراها دائماً ويعرضها على الناس في كل حين من خُطبه وكلامه وإِشاراته وتصرفه تواضعاً لله عزَّ وجلَّ وإِقراراً[٢].

وكان يسيح في الأَرض ويصيح: إِلهي، إِذا ذكرتُ خطيئتي ضاقت علي الأَرض برحبها، وإِذا ذكرت رحمتك ارتدَّ إِلي روحي، سبحانك إِلهي، أَتيت أَطباءَ الدين يُداووا علَّتي فكلُّهم عليك دلَّني. وكان يُدخل في صدر خطبته[٣] الاستغفار للخطَّائين، وما رفع رأْسه إِلى السماءِ بعد خطيئته حياءً حتَّى قُبض، صلَّى الله تعالى على نبيِّنا وعليه، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وسلَّم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾.

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١٨٤)، والدر المنثور للسيوطي (٧/ ١٦٤).

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «خطيئته».

قوله: ﴿فَغَفَرْنَا﴾ معناه: سترنا.

و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الذنب المتقدم.

و«الزُّلْفَى»: القُربى والمكانة الرفيعة.

و«المَآبُ»: المرجع في الآخرة، من: آب يؤوب: إذا رجع، وبعد هذا حذفٌ يدلُّ عليه ظاهر الكلام، تقديره: وقلنا له: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

واستدل بعض أَهل الظاهر من هذه الآية على احتياج الأَرض إلى خليفة من الله تعالى.

قال القاضي أَبو محمد: وليس هذا بلازم من الآية، بل لزومه من الشرع والإجماع[1]، ولا يقال: (خليفة الله) إلَّا لرسوله، وأَما الخلفاءُ فكل واحد منهم خليفة الذي قبله، وما يجيءُ في الشِّعر من تسمية أَحدهم خليفة الله؛ فذلك تجوُّز وغلُوٌّ، كقول ابن قيس الرقيات:

خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي بَرِيَّتِهِ جَفَّتْ بِذَاكَ الأَقْلَامُ وَالْكُتُبُ[2] [المنسرح]

أَلا ترى أَن الصحابة رضي الله عنهم حرَّروا هذا المعنى، فقالوا لأَبي بكر الصديق: خليفة رسول الله ﷺ، فبهذا كان يُدعى مدتَه، فلما ولي عمر بن الخطاب قالوا: يا خليفةَ خليفةِ رسول الله، فطال الأمر، ورأَوْا أَنه في المستقبل سيطول أَكثر فدعوه: أَمير المؤمنين، وقصر هذا الاسم على الخلفاء[3].

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ اعتراضٌ بين الكلامين من أَمر داود وسليمان، وهو خطابٌ لمحمد ﷺ، وعِظَةٌ لأُمَّته، ووعيدٌ للكفرة به.

---

(١) انظر نقل الإجماع على وجوب نصب الإمام في: الإقناع (١/ ١٠٥).

(٢) عزاه له المبرد في الكامل (٢/ ٢٠٠)، بلفظ: في رعيته، وقد تقدم الاستشهاد ببعض أبيات القصيدة التي هذا منها.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٣٠/ ٢٩٧) من طريق مبارك بن فضالة، عن معاوية بن قرة، به معضلًا.

وقرأَ أَبو حيوة: (يُضِلُّونَ) بضم الياءِ[١].

و﴿نَسُواْ﴾ معناه في هذه الآية: تركوا.

وأَخبر تعالى أَن الذين كفروا يظنون أَن خلق السماء والأَرض وما بينهما إِنما هو باطلٌ لا معنى له، وأَن الأَمر ليس يؤُول إِلى ثواب ولا إِلى عقاب، وأَخبر تعالى عن كذب ظنِّهم، وتوعَّدهم بالنار، ثم وَقَفَ تعالى على الفرق عِنْده بين المؤمنين العاملين بالصالحات، وبين المفسدين الكفرة، وبين المتَّقين والفُجَّار.

وفي هذا التوقيف حضٌّ على الإِيمان وترغيب فيه، ووعيد للكفرة.

ثم أَحال في طلب الإِيمان والتقوى على كتابه العزيز بقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ﴾، والمعنى: هذا كتاب لمن أَراد التمسُّك بالإِيمان والقُربة إِلينا، وفي هذه الآية اقتضابٌ وإيجازٌ بديع، حسب إِعجاز كل القرآن العزيز.

ووصفَه بالبركة؛ لأَن أَجمعها فيه؛ لأَنه يُورث الجنة، ويُنقذ من النار، ويحفظ المرءَ في حال الحياة الدُّنيا، ويكون سبب رفعة شأْنه في الحياة [الدنيا وفي][٢] الآخرة.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾ بالياءِ وشدِّ الدال والباءِ، والضمير للعالَم.

وقرأَ حفصٌ عن عاصم: (لِتَدَّبَّرُوا) بالتاءِ على المخاطبة[٣].

وقرأَ أَبو بكر عنه: ﴿لتدَبَّروا﴾ بتخفيف الدال[٤]، أَصله: تتدبروا.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص: ١٣٠)، والكامل للهذلي (ص: ٦٢٨).

(٢) من نور العثمانية.

(٣) إن كانت بتشديد الدال فلم أقف على من ذكرها عن حفص ولا عن غيره.

(٤) وهي عشرية، لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٦١)، وهي ليست لشعبة من طرق النشر، وإنما عزاها ابن مجاهد في السبعة (ص: ٥٥٣) لشعبة من رواية الكسائي عنه، والداني في جامع البيان (٤/ ١٥٣٢) من رواية عدد من القراء منهم الكسائي والأعشى ويحيى الجعفي عن شعبة

وظاهر هذه الآية يقتضي أَنَّ التَّدَبُّر من أَسباب إِنزال القرآن، فالتَّرتيل إِذاً أَفضل من الهذِّ[١]؛ إِذ التَّدَبُّر لا يكون إِلاَّ مع الترتيل.

وباقي الآية بيِّنٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾.

الهِبَةُ والعَطِيَّة بمعنى واحد، فوهب الله تعالى سليمان لداود عليهما السلام ولداً، وأَثنى عليه بأَوصاف من المدح تضمَّنها قوله تعالى: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾.

و﴿أَوَّابٌ﴾ معناه: رجَّاع، ولفظة ﴿أَوَّابٌ﴾ هي العامل في ﴿إِذْ﴾؛ لأَن أَمر الخيل مُقْتضٍ أَوبةً عظيمةً.

واختلف المتأولون في قصص هذه الخيل المعروضة:

فقال الجمهور: إِن سليمان عليه السلام عرضت عليه آلاف من الخيل تركها أَبوه له ـ وقيل: أَلف واحد ـ فأُجريت بين يديه عشاءً، فتشاغل بحسنها / وجريها ومحبتها[٢] [٥/ ٩]
حتى فاته وقت صلاة العشاء، وقال قتادة: صلاة العصر[٣]، وروي نحوه[٤] عن علي بن أَبي طالب[٥] فأَسف لذلك، وقال: رُدُّوا عليَّ الخيلَ.

---

(١) في المطبوع: «أفضل لهذا».

(٢) في نور العثمانية: «ومجيئها».

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ١٩٤).

(٤) «نحوه» ليست في المطبوع، وسقطت «روي» من الأصل، وهي في أحمد٣ ملحقة في الهامش.

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ١٩٤) من طريق أبي معاوية البجلي، عن أبي الصهباء، عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، به. وهذا إسناد ضعيف، أبو معاوية البجلي، فيه جهالة. انظر: تهذيب الكمال (٣٤/ ٣٠٣).

قال الحسن: فطفق يضرب أَعناقها وعراقيبها بالسيف عقراً لها لمَّا كانت سبب فوت الصلاة، فأَبدله الله تعالى أَسْرعَ منها الريحَ[(١)].

وقال قوم منهم الثعلبي: كانت بالناس مجاعة، ولحوم الخيل لهم حلال، فإِنما عقرها لتؤكل على وجه القربة لها، ونحو الهدْي عندنا[(٢)]، ونظير هذا ما فعله أَبو طلحة الأنصاري بحائطه؛ إِذ تَصدق به لمَّا دخل عليه الدُّبْسي، وهو في الصلاة فشغله[(٣)].

و«الصَّافِنُ»: الفرس الذي يرفع إِحدى يديه ويقف على طرف سُنْبُكِهِ[(٤)]، وقد يفعل ذلك برجله، وهي علامة الفَرَاهية، وأَنشد الزَّجَّاج:

[الكامل] أَلِـفَ الصُّفُونَ فَلَا يَـزَالُ كَأَنَّهُ مِمَّا يَقُومُ عَلَى الثَّلَاثِ كَسِيراً[(٥)]

وقال أَبو عبيدة: الصَّافِن: الذي يجمع يديه ويُسوِّيهما، وأَما الذي يقوم على طرف السُّنْبك فهو المخيم[(٦)].

وفي مصحف ابن مسعود: (الصوافن الجياد)[(٧)].

و﴿ٱلْجِيَادُ﴾: جمع جَوْدٍ، كثَوْبٍ وثياب، وسُمِّي به لأَنه يجود بجريه.

وقال بعض الناس: ﴿ٱلْخَيْرِ﴾ هنا أَراد به: الخيلَ، والعرب تسمِّي الخيلَ الخيرَ، وكذلك قال رسول الله ﷺ لزَيْد الخيل: «أَنتَ زيدُ الخير»[(٨)].

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٩٥).

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٠١)، بتصرف.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٢٢٢) عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن أبي حزم، عن أبي طلحة، به معضلاً. الدُّبْسِيُّ: نوع من الحمام.

(٤) السُّنْبُك: طرف الحافر. وفي الأصل: «منكبه».

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٣٠)، بلا نسبة، وكذا في تفسير الماوردي (٤/ ٢٧)، وتفسير السمعاني (٤/ ٤٣٩).

(٦) مجاز القرآن (٢/ ١٨٢).

(٧) وهي شاذة، لم أجدها هنا لغير المصنف، ولعلها التبست بما تقدم في (سورة الحج).

(٨) ضعيف بهذا اللفظ، أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ٢٤٨)، وابن عدي في كامله (٢/ ٢٢)، وابن =

و﴿حُبَّ﴾ مفعول به نصب لذلك عند فرقة، كأَن ﴿أَحۡبَبۡتُ﴾، بمعنى: آثرتُ.

وقالت فرقة: المفعول بـ﴿أَحۡبَبۡتُ﴾ محذوف، و﴿حُبَّ﴾ نصب على المصدر، أَي: أَحببتُ هذه الخيل حُبَّ الخير، وتكون ﴿ٱلۡخَيۡرِ﴾ ـ على هذا التأْويل ـ غير الخيل.

وفي مصحف ابن مسعود: (حُبَّ الخَيْلِ) باللام[1].

قالت فرقة: ﴿أَحۡبَبۡتُ﴾ معناه: سقطتُ إِلى الأَرض لذنبي، مأْخوذٌ من: أَحبَّ البعيرُ: إِذا أَعيْا وسَقَطَ هُزالاً، و﴿حُبَّ﴾ على هذا مفعول من أَجله.

والضمير في ﴿تَوَارَتۡ﴾ للشمس وإِن كان لم يجر لها ذكرٌ صريح، لأن المعنى يقتضيها، وأيضاً فذكر العشي يقتضي لها ذكراً ويتضمنها؛ لأَن العشيَّ إنما هو مُقَدَّر متوهم بها.

وقال بعض المفسرين في هذه الآية: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ يريد الخيل، أَي: دخلت اصطبلاتها.

وقال ابن عباس[2]، والزهري[3]: إِن مَسْحه بالسُّوق والأعناق لم يكن بالسيف، بل بيده تكريماً لها ومحبَّة، ورجحه الطبريُّ[4].

= أبي عاصم في «السنة» (٤١٥)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٩٨) كلهم من طريق عون بن عمارة، عن بشير مولى بني هاشم، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، رضي الله عنه مرفوعاً، به، وهذا إسناد ضعيف، عون بن عمارة، متفق على تضعيفه. انظر: تهذيب الكمال (٢٢/ ٤٦١)، ولما ترجم ابن عدي في كامله لبشير مولى بني هاشم، استنكر عليه حديثه هذا، وقال: وهذا حديث منكر بهذا الإسناد، وبشير هذا وإن لم ينسب، فإنما أخرجته فيمن اسمه بشير؛ لأن الحديث الذي رواه منكر عن الأعمش. تنبيه: تحرف اسم عون بن عمارة في نسخة «الكامل» المطبوعة، إلى: «عمرو ابن عمارة»، لكن جاءت التسمية بزيد الخير في صحيح مسلم (١٠٦٤) وغيره.

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في غرائب الكرماني (٢/ ٩٩٩)، والشواذ له (ص: ٤١١).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ١٩٦) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) انظر قوله في تفسير الثعلبي (٨/ ٢٠١). وفي المطبوع: «الزهراوي».

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ١٩٦).

وقال بعضهم: بل غسلاً بالماءِ، وقد يقال للغسل مسحٌ؛ لأَن المسح[١] بالأيدي يقترن به.

وهذه الأَقوال عندي إِنما تترتب على نحو من التفسير في هذه الآية، ورُوي عن بعض الناس، وذلك أَنه رأَى أَن هذه القصة لم يكن فيها فوت صلاة، ولا تَضمَّن أَمر الخيل أَوْبةً ولا رجوعاً، فالعامل في ﴿ إِذۡ عُرِضَ﴾ فعل مضمر تقديره: اذكر إِذْ عُرض، وقالوا: عُرض على سليمان الخيل وهو في الصلاة، فأَشار إِليهم، أي: إِني في الصلاة، فأَزالوها عنه حتى أَدخلوها الاصطبلات، فقال هو لمَّا فرغ من صلاته: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾؛ أَي: الذي عند الله في الآخرة، بسبب ذكر رَبِّي، فكأنه يقول: فشغلني ذلك عن رؤية الخيل، حتى أُدخلت اصطبلاتها، ردُّوها عليَّ، فطفق يمسح أَعناقها وسُوقها محبَّةً لها.

وذكر الثعلبي: أن هذا المسح إِنما كان وسْماً بالسُّوق والأَعناق بِوَسْم حبْس في سبيل الله تعالى[٢].

وجمهور الناس على أَنها كانت خيلاً موروثة. قال بعضهم: قتلها حتى لم يبق منها أكثر من مئة فرس، فمن نسل تلك المئة كل ما يوجد اليوم من الخيل، وهذا بعيد.

وقال فرقة: كانت خيلاً أَخرجتها الشياطين له من البحر، وكانت ذوات أَجنحة.

ورُوي عن علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: أَنها كانت عشرين فرساً[٣].

و(طَفِقَ) معناه: دام يفعل، كما تقول: جعل يفعل.

وقرأَ الجمهور: ﴿بِٱلسُّوقِ ﴾ بواو ساكنة، وهو جمع ساقٍ.

وقرأَ ابن كثير وحده: ﴿بالسؤق﴾ بالهمز[٤].

---

(١) في الأصل: «الغسل».

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٠١).

(٣) لم أقف عليه من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه وإنما يُؤثر هذا القول عن إبراهيم التيمي، انظر تفسير الطبري (٢١/ ١٩٣).

(٤) وهما سبعيتان، الثانية لقنبل، كما في السبعة (ص: ٥٥٣)، وتقدمت الإشارة لها في (سورة النمل).

قال أَبو عليٍّ: وهي ضعيفة، ولكن وجهها في القياس: أَن الضمة لمَّا كانت تلي الواو[١]، قُدِّر أَنها عليها فهمزت كما يفعلون بالواو المضمومة، وهذا نظير إِمالتهم أَلف (مقلات)، من حيث وَلِيَت القاف الكسرة قدَّروا أن القاف هي المكسورة[٢].

ووَجْهُ همز (السُّوق) [من السماع][٣] هي أَن أَبا حيَّةَ النُّمَيْري كان يهمز كل واو ساكنة قبلها ضمة، وكان يُنْشِد:

لحَبّ الْمُؤْقِدَانِ إِلَي مُؤْسَى[٤] .... [الوافر]

وقرأَ ابن محيصن: (بالسُّؤُوق) بهمزة بعدها واو[٥].

وقوله: ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ على كل تأْويل فإِن ﴿عَن﴾ هنا للمجاوزة من شيءٍ إِلى شيءٍ، فتدبَّرْهُ فإِنه مطَّرد.

ثم أَخبر الله تعالى عن فِتْنَته لسليمان، وامتحانه إِياه بزوال مُلْكه.

وروي في ذلك: أَن سليمان عليه السلام قالت له حَظِيَّةٌ من حظاياه: إِن أَخي له خصومة، فأَرغبُ أَن تقضي له بكذا وكذا، لشيءٍ غير الحق، فقال سليمان عليه السلام: أَفعل، فعاقبه الله تعالى بأَن سلَّط على خاتمه جنيّاً، وذلك أن سليمان عليه السلام كان لا يدخل الخلاءَ بخاتم ملكه توقيراً لاسم الله تعالى، فكان يضعه عند امرأَة من نسائه، ففعل ذلك يوماً، فأَلقى الله تعالى شَبَهَهُ على جني اسمه صخر ـ فيما رُوي عن ابن عباس[٦]، وقيل غير هذا مما اختصرناه لعدم الصحة ـ فجاءَ إِلى المرأَة فدفَعَتْ

---

(١) في حاشية المطبوع: هكذا في الأصول، ويظهر أن النساخ أخطؤوا، لأن الواو هي التي تلي الضمة هنا.
(٢) انظر: الحجة للفارسي (٦/ ٦٩).
(٣) سقط من المطبوع.
(٤) هذا صدر بيت لجرير، كما تقدم في تفسير الآية (٤٥) من (سورة النمل). وفي المطبوع: «أحب المؤقدين إليك مؤسى».
(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها له في النشر (٢/ ٣٣٨)، ورواها أبو عمرو عن ابن كثير كما في السبعة (ص: ٥٥٣).
(٦) أخرجه الطبري (٢١/ ١٩٦) من طريق علي بن أبي طلحة، ومن طريق العوفي، عن ابن عباس.

إِليه الخاتم، فاستولى على ملك سليمان وبقي فيه أَربعين يوماً، وطرح خاتم سليمان في البحر، وجعل يعبث في بني إِسرائيل وشَبَهُ سليمان عليه السلام عليه، حتَّى أَنكروا أَفعاله، ومكَّنه الله تعالى من جميع الملك.

قال مجاهد: إِلَّا من نساءِ سليمان فإِنه لم يكشفهن(١).

وكان سليمان عليه السلام خلال ذلك قد خرج فارّاً على وجهه مُنْكَراً، لا ينتسب لقوم إِلَّا ضربوه، وأدركه جوعٌ وفاقة، / فمرَّ يوماً بامرأَةٍ تغسل حوتاً ميتاً، فسأَلها منه [٥/ ١٠] لجوعه، وقيل: بل اشتراه فأَعطته حوتين، وجعل يفتح أَجوافهما، وإِذا خاتمه في جوف أَحدهما، فعاد إِليه ملكه، وسُخِّرت له الجنُّ والريح من ذلك اليوم بدعوته، وفرَّ صخر الجنيُّ، فأَمَرَ به سليمان فسِيقَ إِليه، فأَطبق عليه في حجارة، وسجنه في البحر إِلى يوم القيامة، فهذه هي الفتنة التي فتن سليمان عليه السلام وامْتُحِن بها.

واختلف الناس في الجسد الذي أُلقي على كرسيه:

فقال الجمهور: هو الجني المذكور، سمَّاه ﴿جَسَدًا﴾ لأَنه كان قد تمثَّل في جسد سليمان عليه السلام ولُبِّس به.

قال القاضي أبو محمد: وهذا أَصحُّ الأَقوال وأَبْيَنُها معنىً.

وقالت فرقة: بل أُلقي على كرسيه جسد ابن له ميِّت.

وقالت فرقة: بل شِقُّ الولد الذي وُلد له حين أَقسم ليطوفَنَّ على نسائه ولم يستثن في قَسَمه، وقال قوم: مرض سليمان عليه السلام مرضاً كالإِغماء حتَّى صار على كرسيِّه جسداً(٢) كأنه بلا روح.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كلُّه غير متصل بمعنى هذه الآية.

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٥٧٤)، وتفسير الطبري (٢١/ ١٩٧).

(٢) ليست في الأصل ونور العثمانية.

وقوله: ﴿أَنَابَ﴾ معناه: ارعوى وانثنى وأَجاب إِلى طاعة ربه، ومعنى هذا: من تلك الحَوْبة التي وقعت الفتنة بسببها.

ثم إِن سليمان عليه السلام استغفر ربَّه، واستوهبه مُلْكاً.

واختلف المتأَولون في معنى قوله: ﴿لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِىٓ﴾:

فقال الجمهور: أَراد أَن يفرده به بين البشر لتكون خاصة له وكرامة.

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو الظاهر من قول النبي ﷺ في خبر العفريت الذي عرض له في صلاته، فأَخذه وأَراد أَن يُوثقه بساريةٍ من سواري المسجد، قال: «ثم ذكرت قول أَخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِى وَهَبۡ لِى مُلۡكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِىٓ﴾ فأَرسلْتُه»[(١)].

وقال قتادة، وعطاءُ بن أَبي رباح: إِنما أَراد سليمان: لا ينبغي لأَحد من بعدي مدة حياتي[(٢)]؛ أَي: لا أُسْلَبه ويصير إِلى أَحدٍ كما صار الآن إِلى الجني.

ورُوي في مثالب الحَجَّاج بن يوسف: أَنه لما قرأَ هذه الآية قال: لقد كان حسوداً[(٣)].

وهذا من فسق الحَجَّاج، وسليمان عليه السلام مقطوع أَنه إِنما قصد بذلك قصداً برّاً جائزاً؛ لأَن للإِنسان أَن يرغب من فضل الله فيما لا يناله أَحد، لا سيَّما بحسب المكانة والنبوَّة.

وانظر أيضاً إِلى قوله عليه السلام: «لَا يَنْبَغِي»، فإِنما هي لفظة محتملة وليست بقطع في أَنه لا يعطي الله تعالى نحو ذلك الملك لأَحد، ومحمد ﷺ لو ربط الجني لم يكن ذلك نقصاً لما أُوتيه سليمان عليه السلام، لكن لما كان فيه بعض الشبه تَركه؛ جرْياً منه ﷺ على اختياره أَبداً أَيْسر الأَمرين وأَقربهما إِلى التواضع.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٤٩) ومسلم (٥٤١) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.
(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١٩٩)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٢٥١).
(٣) مجاز القرآن (٢/ ١٨٣)، وتفسير الطبري (٢١/ ٢٠٨).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾.

قرأ الحسن، وأبو رجاءٍ: ﴿الرِّيَاحَ﴾، والجمهور على الإفراد[١].

وسخَّر الله تعالى الريح لسليمان عليه السلام، وكان له كرسيٌّ عظيم، يقال: إنه يحمل أَربعة آلاف فارس، ويقال: أَكثر، وفيه الشياطين، وتُظِلُّه الطير، وتأْتي عليه الريح الإِعصار فتُقِلُّه من الأَرض حتى يحصل في الهواءِ، ثم تتولَّاه الرخاءُ ـ وهي اللَّيِّنَة القوية[٢]، المتشابهة لا تأْتي فيها دُفَعٌ مفرطة ـ فتحمله، غُدُوُّهَا شهر، وَرَواحُها شهر.

و﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: أَي: أَراد، قاله وهبٌ وغيره[٣]، وأَنشد الثعلبي:

[المتقارب] أَصَـابَ الْكَـلَامَ فَـلَـمْ يَسْتَطِعْ فَأَخْطَا الْجَوَابَ لَدَى الْمفْصَلِ[٤]

قال القاضي أبو محمد: ويُشبه أَنَّ ﴿أَصَابَ﴾ مُعَدَّى: صابَ يَصوبُ، أَي: حيث وجَّه جنوده وجعلهم يصوبونَ صوبَ السحاب والمطر.

وقال الزَّجاج: معناه: قَصَد[٥]، كذلك قولك للمتكلم: أَصَبْتَ؛ معناه: قصدتَ الحقَّ.

وقوله تعالى: ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ بدلٌ من ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾، والمعنى: كلَّ من بنى مصانعه للحروب.

و﴿مُقَرَّنِينَ﴾ معناه: مُوثَقين، قد قُرِن بعضهم ببعض.

---

(١) وهي قراءة السبعة، والأولى عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٢٢٣).

(٢) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «القريبة».

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٢٠٤).

(٤) تفسير الثعلبي (٨/ ٢١١) بلا نسبة.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٣٣).

و﴿ٱلْأَصْفَادِ﴾: القيودُ والأَغلالُ.

واختلف الناس في المشار إِليه بقوله: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾:

[فقال قتادة: إشارةٌ إلى ما فعله بالجن، فامْنُنْ عَلَى مَن شِئْتَ منهم، وأَطْلقه من وثاقه وسرِّحْه من خدمته، أَوْ أَمْسِكْ أَمْرَهُ كما تريد][١].

وقال ابن عباس: أَشار إِلى ما وهبه من النساءِ وأَقدره عليهن من جماعهن[٢].

وقال الحسن بن أبي الحسن: أشار إِلى ما أعطاه من المُلْك، وأَمره بأَن يَمُنَّ على من يشاءُ ويُمْسك عمَّن يشاءُ، فكأَنه وقَفَه على قدر النعمة ثم أَباح له التصرف فيه بمشيئته[٣].

وهو تعالى قد علم بأَن مشيئته إِنما تتصرف بحكم طاعة الله، وهذا أَصحُّ الأَقوال وأَجمعها لتفسير الآية، وباقي الآية بَيِّنٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾.

أَيوب هو نبي من بني إِسرائيل، من ذرية يعقوب عليهما السلام، وهو المُبْتَلَى في جسده وماله وأَهله، وسَلِمَ معتقده ودينه.

ورُوي في ذلك: أَن الله تعالى سلَّط الشيطان عليه ليفتنه عن دينه، فأَصابه في ماله، وقال له: إِن أَطعتني رجع مالك، فلم يطعه، فأَصابه في أَهله وولده فهلكوا عن آخرهم، وقال له: لو أَطعتني رجعوا، فلم يطعه، فأَصابه في جسده، فثبت أَيوب على أَمر الله

(١) سقط من الأصل، وانظر تفسير الطبري (٢١/ ٢٠٥).

(٢) ضعيف جدًّا، أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢١/ ٢٠٥) قال: حُدثت عن أبي يوسف، عن سعد بن طريف، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهذا إسناد ضعيف جدًّا، وهو منقطع، سعد ابن طريف متهم بوضع الحديث. انظر ميزان الاعتدال (٢/ ١٢٢).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٢٠٥).

تعالى سبع سنين وسبعة أَشهر وسبعة أيام، قاله قتادة[١].

وروى أَنسٌ عن النبي عليه السلام: أَن أَيوب عليه السلام بقي في محنته ثماني عشرة سنة / يتساقط لحمه حتَّى ملَّه العالم، ولم يصبر عليه إِلَّا امرأَته[٢]. [٥/ ١١]

ورُوي: أَن السبب الذي امتحنه الله تعالى من أَجله أَنه دخل على بعض الملوك فرأَى منكراً فلم يغَيِّره.

ورُوي: أَن السبب كان أَنه ذبح شاةً وطبخها وأُكلت عنده وجاره جائع لم يعطه منها شيئاً.

ورُوي: أَن أَيوب لمَّا تناهى بلاؤُه وصبره مَرَّ به رجلان مِمَّن كان بينه وبينهما معرفة فقَرَّعَاهُ وقالا لَه: لقد أَذنبت ذنباً ما أَذنب أَحد مثله، وفهم منهما شَمَاتاً به، فعند ذلك دَعَا ونادى ربَّه[٣].

وقوله عليه السلام: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ يحتمل أَن يشير إِلى مسِّه حين سلَّطه الله عليه حسبما ذكرنا، ويحتمل أَن يريد مَسَّه إِياه حين حمله أَول الأَمر على أَن يواقع الذنب[٤] الذي من أَجله كانت المحنة؛ إِما ترْك التغيير عند الملك، وإِما ترك مواساة الجار، وقيل: أَشار إِلى مَسِّه إِياه في تعرضه لأَهله، وطلبه منه أَن يشرك بالله، فكان أَيوب قد يتشكى هذا الفصل[٥]، وكان أَشدَّ عليه من مرضه.

---

(١) تفسير الطبري ـ ط هجر (٢٠/ ١٠٨)، وقد سقط هذا الموضع من طبعة شاكر، ومحله (٢١/ ٢١٠). و«سبعة أيام» من نور العثمانية.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ٢١١)، وابن حبان في صحيحه (٧/ ١٥٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٧٤-٣٧٥) كلهم من طريق نافع بن يزيد، عن عقيل بن خالد، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً، به، قال أبو نعيم: غريب من حديث الزهري، لم يروه عنه إلا عقيل، ورواته متفق على عدالتهم، تفرد به نافع. وقال الحافظ ابن كثير لما أورد هذا الحديث في البداية والنهاية (١/ ٢٢٣): وهذا غريب رفعه جدًّا، والأشبه أن يكون موقوفاً.

(٣) ضعيف، وهو تمام الحديث قبل الماضي، وقد تقدم تخريجه.

(٤) سقط من الحمزوية، وفي المطبوع وأحمد٣: «الأمر».

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «الفعل».

وقرأ الجمهور: ﴿أَنِّي﴾ بفتح الهمزة، وقرأ عيسى بن عمر: (إني) بكسرها[١].

وقوله: ﴿أَنِّي﴾ في موضع نصب بإِسقاط حرف الجرِّ.

وقرأ جمهور الناس: ﴿بِنُصْبٍ﴾ بضم النون وسكون الصاد.

وقرأ هبيرة عن حفص عن عاصم: ﴿بنَصَبٍ﴾ بفتحهما، وهي قراءَة الجحدري، ويعقوب، ورويت عن الحسن، وأَبي جعفر.

وقرأ أَبو عمارة عن حفص عن عاصم: ﴿بنُصُب﴾ بضم النون والصاد، وهي قراءة أبي جعفر بن القعقاع، وعيسى، والحسن بخلاف عنه[٢].

وروى أيضاً هبيرة عن حفص عن عاصم بفتح النون وسكون الصاد[٣].

وذلك كله بمعنى واحد، معناه: المشَقَّة، وكثيراً ما يستعمل (النَّصَبُ) في مشقة الإِعياءِ.

وفَرَّق بعضُ الناس بين هذه الأَلفاظ، والصواب أنها لغاتٌ بمعنًى من قولهم: أَنْصَبَني الأَمْرُ ونَصَبَني: إذا شَقَّ علي، فمن ذلك قول الشاعر:

تبغَّاكَ نَصْبٌ مِنْ أُمَيْمَةَ مُنْصِبٌ[٤] .... [الطويل]

ومنه قول النابغة:

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ ناصِبِ[٥] .... [الطويل]

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في تفسير القرطبي (١٥/ ٢٠٧).

(٢) وهاتان عشريتان، الأولى ليعقوب والثانية لأبي جعفر، كما في النشر (٢/ ٣٦١)، وانظر موافقة الحسن في الإتحاف (ص: ٤٧٧).

(٣) انظر ما نسبه لأبي عمارة، وهبيرة عن حفص عن عاصم في: السبعة (ص: ٥٥٤)، وهي ليست من التيسير ولا من النشر، والثابت عن حفص في التيسير والتفسير هو بضم النون وسكون الصاد فقط.

(٤) تمامه: كَذِي الشَّجْوِ لَمَّا يَسْلُهُ وسَيَذْهَبُ، وهو لبشر بن أبي خازم، كما في تفسير الطبري (٢١/ ٢١٠) ومجاز القرآن (٢/ ١٨٤)، والعين (٧/ ١٣٥). وفي المطبوع وأكثر المصادر: «تعناك».

(٥) عجزه: وَلَيْلٍ أُقاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ، وهو للنابغة كما تقدم في تفسير الآية (١٢٠) من (سورة التوبة).

قال القاضي أَبو محمد: وقد قيل في هذا البيت: إِن (ناصباً) بمعنى: مُنْصب، وإِنه على النَّسب؛ أَي: ذا نصب.

وهنا في الآية محذوف كثير، تقديره: فاستجاب له وقال: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ﴾.

و«الرَّكْضُ»: الضرب بالرجل، والمعنى: اركض الأَرض.

ورُوي عن قتادة: أن هذا الأَمر كان في الجابية من أَرض الشام[(١)].

ورُوي: أَن أَيوب عليه السلام أُمر بركض الأَرض، فركض فيها، فنبعت له عينُ ماءٍ صافية باردةٍ، فشرب منها، فذهب كل مرض في داخل جسده، ثم اغتسل فذهب ما كان في ظاهر بدنه.

ورُوي: أَنه ركض مرَّتين، ونبع له عينان: شرب من إِحداهما واغتسل في الأُخرى.

وقرأَ نافع، وشيبة، وعاصم، والأَعمش: ﴿وعذاب اركض﴾ بضم نون التنوين.

وقرأَ عامَّة قراءِ البصرة بكسرها[(٢)].

و﴿مُغۡتَسَلُۢ﴾ معناه: موضع غسل، وماءٌ غُسْلٌ، كما تقول: هذا الأَمر مُعْتَبر، وهذا الماءُ مُغْتَسل مثله.

ورُوي: أَن الله تعالى وهب له أَهله وماله في الدنيا، ورَدَّ من مات منهم وما هلك من ماشيته وحاله[(٣)]، ثم بارك في جميع ذلك، وَوُلِدَ له الأولاد حتى تضاعفت الحال.

وروي: أن هذا كله وعد في الآخرة، أَي: يفعل الله له ذلك في الآخرة. والأَول أَكثر في قول المفسرين.

و﴿رَحۡمَةً﴾ نصب على المصدر.

---

(١) الهداية لمكي (١٠/ ٦٢٥٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٠٢).

(٢) القراءتان سبعيتان؛ الكسر لعَاصِم وأبي عَمْرو وحَمْزَة، والضم للباقين، انظر التيسير (ص: ٧٨).

(٣) سقط من المطبوع، وفي أحمد٣: «وماله».

وقوله تعالى: ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ معناه: موعظة وتذكرة يعتبر بها أُولو العقول، ويتأَسَّوْنَ بصبره في الشدائد، ولا ييْأَسُون من رحمة الله تعالى على كل حال.

ورُوي: أَن أَيوب كانت زوجته مُدَّة مرضه تختلف إِليه فيلقاها الشيطان في صورة طبيب، ومرَّة في هيئة ناصح، وعلى غير ذلك، فيقول لها: لو سجد هذا المريض للصنم الفلاني لبرئ، ولو ذبح عناقاً للصنم الفلاني لبرئ، ويعرض عليها وجوهاً من الكفر، فكانت هي ربما عرضت ذلك على أَيوب، فيقول لها: أَلقيتِ عدوَّ الله في طريقك؟ فلما أَغضبته بهذا ونحوه حلف عليها لئن برئ من مرضه ليضربَنَّها مئة سوط، فلما برئ أَمره الله تعالى أَن يأْخذ ضغثاً فيه مئة قضيب.

و«الضِّغْثُ»: القبضة الكبيرة من القضبان ونحوها من الشجر الرطب، قاله الضحاك وأَهل اللغة[1]، فيضرب به ضربة واحدة فتبرّ يمينه، ومنه قولهم: ضِغْثٌ عَلى إِبَّالَة[2]، والإِبَّالة: الحُزْمة من الحطب، [والضغث: القبضة عليها من الحطب، ومنه][3] قول الشاعر:

[الطويل]

وَأَسْفَلَ مِنِّي نَهْدَةٌ قَدْ رَبَطْتُهَا   وَأَلْقَيْتُ ضِغْثاً مِنْ خَلاً مُتَطَبِّب[4]

[ويروى: متطيب][5].

وهذا حكم قد ورد في شرعنا عن النبي ﷺ مثلُه في حدِّ رجل زَمِنٍ بالزِّنا، فأَمر رسول الله ﷺ بعذق فيه مئة شمراخ أَو نحوها، فضُرب به ضربة، ذكر الحديث أَبو

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٢١٤)، الهداية لمكي (١٠/ ٦٢٦٣).
(٢) معنى المثل: بلِيَّةٌ على أخرى، وانظر الأمثال لابن سلام (ص: ٢٦٤)، وأمالي القالي (١/ ١٧٥).
(٣) سقط من الحمزوية وأحمد٣ والمطبوع.
(٤) البيت لعَوْف بن الخَرِع، كما في مجاز القرآن (٢/ ١٨٥)، والطبري (٢١/ ٢١٢)، ونسبه في الجيم (١/ ٢١١) للتميمي غير مسمى.
(٥) ليست في المطبوع، وفي أحمد٣: «كمتطيب».

داود(١)، وقال به بعض فقهاءِ الأمة(٢)، وليس يرى ذلك مالك بن أنس وجميع أَصحابه، وكذا جمهور العلماءِ على ترك القول به، وأَن الحدود والبرَّ في الأَيْمان لا يقع إِلا بتمام عدد الضربات(٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ / إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾. [٥/ ١٢]

قرأَ ابن كثير: ﴿واذكر عَبْدَنا﴾ على الإِفراد، وهي قراءَة ابن عباس رضي الله عنه وأَهل مكة.

وقرأَ الباقون: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ﴾ على الجمع(٤).

فأَما على هذه القراءَة فدخل الثلاثة في الذكر وفي العبودية.

وأَما على قراءَة من قرأَ: ﴿عَبْدَنَا﴾ فقال مكيٌّ وغيره: دخلوا في الذكر، ولم يدخلوا في العبودية إِلَّا من غير هذه الآية، وفي هذا نظر(٥).

---

(١) الصواب فيه الإرسال، أخرجه أبو داود (٤٤٦٧) من طريق يونس الأيلي، عن الزهري، قال: أخبرني أبو أمامة بن سهل بن حنيف، أنه أخبره بعض أصحاب رسول الله ﷺ، فذكره مرفوعاً، والحديث اختلف على الزهري في وصله وإرساله، فرواه النسائي في الكبرى (٧٣٠٧، ٧٣٠٨) من طريقي أبي إسحاق، وإسحاق بن راشد، كلاهما عن أبي أمامة، به مرسلاً، وتابع الروايةَ المرسلة عن الزهري: جمعٌ من الرواة، ولذلك صوب إرساله الدارقطني في سننه (٣١٥٦).
(٢) وهو قول عطاء كما في أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٢٥٨).
(٣) مختصر خليل (ص: ٨٣).
(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٨)، والسبعة (ص: ٥٥٤).
(٥) الهداية لمكي (١٠/ ٦٢٦٥).

وتأَوَّل قوم من المتأَولين من هذه الآية: أَن الذبيح إسحاق، من حيث ذكر الله بعقب ذكر أَيوب أَنبياءَ امتحنهم بمحن كما امتحن أَيوب، ولم يذكر إِسماعيل لأَنه مِمَّن لم يُمْتَحن.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف كلُّه.

وقرأَ الجمهور: ﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي﴾.

وقرأَ الحسن، والثقفي، والأَعمش، وابن مسعود: (أولي الأيد) بحذف الياءِ[١].

فأمَّا أُولُو فهو جمع: ذُو، وأَما القراءَة الأُولى فـ﴿ٱلْأَيْدِي﴾ فيها عبارة عن القوة في طاعة الله، قاله ابن عباس، ومجاهد[٢].

[وقالت فرقة: بل هي عبارة عن إحسانهم في الدين وتقديمهم عند الله تعالى أعمال صدق، فهي كالأيادي][٣].

وقالت فرقة: بل معناه: أُولي الأَيدي والنِّعَم التي أَسداها الله تعالى إِليهم من النبوة والمكانة.

وقال قوم: المعنى: أَيدي الجوارح، والمراد الأَيدي المتصرفة في الخير، والأَبصار الثاقبة فيه، لا كالتي هي منهملة[٤] في جلِّ الناس.

وأَما من قرأَ: (الأَيْدِ) بغير ياءٍ؛ فيحتمل أَن تكون كالتي بالياءِ وحذفت تخفيفاً، ومن حيث كانت الأَلف واللام تعاقب التنوين وجب أَن تحذف معها كما تحذف مع التنوين[٥].

وقالت فرقة: معنى الأَيْد: القوة، والمراد: في طاعة الله تعالى.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهم في المحتسب (٢/ ٢٣٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٢١٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وانظر فيه قول مجاهد أيضاً.

(٣) سقط من الحمزوية وأحمد٣ والمطبوع.

(٤) في المطبوع: «مهملة».

(٥) انظر: المحتسب (٢/ ٢٣٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ١٢٢).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ عبارة عن البصائر، أَي: يُبْصِرُونَ الحقائق، وينظرون بنور الله تعالى، وبنحو هذا فسَّر الجميع.

وقرأَ نافع وحده: ﴿إنا أخلصناهم بِخَالصةِ ذكرى الدار﴾ على إضافة (خالصة) إلى (ذكرى)، وهي قراءَة أَبي جعفر، والأَعرج، وشيبة.

وقرأَ الباقون والناس: ﴿بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ على تنوين ﴿بِخَالِصَةٖ﴾[1].

وقرأَ الأَعمش: (بخالصتهم ذكرى)، وهي قراءَة طلحة[2].

ويحتمل أَن تكون (خَالِصَة) اسم فاعل، كأَنه عبَّر بها عن مَزِيَّة أَو رُتْبة؛ فأَما من أَضافها إلى ﴿ذِكۡرَى﴾؛ فـ﴿ذِكۡرَى﴾ مخفوض بالإِضافة، وأَما من نَوَّنَ؛ فـ﴿ذِكۡرَى﴾ بدلٌ من (خَالِصَةٍ).

ويحتمل قوله: (خالِصَة) أَن تكون مصدراً كالعاقبة[3]، وكخَائِنَة الأَعْين، وغير ذلك، فـ﴿ذِكۡرَى﴾ على هذا إِما أَن يكون في موضع نصب بالمصدر على تقدير: إِنَّا أَخلصناهم بأَن أَخْلَصْنَا لهم ذِكْرَى الدار، وتكون (خَالِصَةٍ) مصدراً، من: أَخْلَصَ، على حذف الزوائد، وإِما أَن يكون ﴿ذِكۡرَى﴾ في موضع رفع بالمصدر، على تقدير: إِنَّا أَخلصناهم بأَن خَلَصَتْ لهم ذكرى الدار، وتكون (خَالِصَة) من: خَلص.

و﴿ٱلدَّارِ﴾ في كل وجه في موضع نصب بـ﴿ذِكۡرَى﴾، و﴿ذِكۡرَى﴾ مصدر.

وتحتمل الآية أَن يريد بالدارِ الدَّارَ الآخرة، على معنى: أَخلصناهم بأَن خَلَص لهم التذكير بالدار الآخرة، ودعَا الناسَ إِليها وحضَّهم عليها، وهذا قول قتادة.

---

(١) وهما سبعيتان، ووافق نافعاً هشام كما في التيسير (ص: ١٨٨)، ولم يذكره في السبعة (ص: ٥٥٤). ولفظة «الناس» ليست في المطبوع.

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها للأعمش في مختصر الشواذ (ص: ١٣١)، ولهما في الشواذ للكرماني (ص: ٤١١).

(٣) في المطبوع: «كالعافية».

أَو على معنى: خَلَص لهم ذكْرُهم للدار الآخرة، وخوفُهم لها، والعملُ بحسب ذلك، وهذا قول مجاهد.

وقال ابن زيد: المعنى: إِنَّا وهبناهم أَفضل ما في الدار الآخرة، وأَخلصناهم به، وأَعطيناهم إِيَّاه[1].

ويحتمل أَن يريد بالدار دار الدنيا، على معنى ذكر الثناءِ والتعظيم من الناس، والحمد الباقي الذي هو الخُلد المجازى به، فتجيءُ الآية في معنى قوله تعالى: ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ [مريم: ٥٠]، [الشعراء: ٨٤]، وفي معنى قوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾[2].

و﴿الْمُصْطَفَيْنَ﴾ أَصله: المصطفَيِيْن، تحركت الياءُ، وما قبلها مفتوح فانقلبت أَلفاً، ثم اجتمع سكون الأَلف وسكون الياءِ التي هي علامة الجمع فحذفت الأَلف.

و﴿الْأَخْيَارِ﴾ جمع خيْرٍ، وخيْرٌ مخفف من خَيِّر، كَمَيْتٍ ومَيِّت.

وقرأَ حمزة والكسائي ﴿وَاللَّيْسَعَ﴾، كأَنه[3] أَدخل لام التعريف على (لَيْسَع) فأَجراه مجرى ضَيْغَم ونحوه، وهي قراءَة علي بن أَبي طالب والكوفيين.

وقرأَ الباقون: ﴿وَالْيَسَعَ﴾[4].

قال أَبو علي: الأَلف واللام فيه زائدتان غير معرفتين[5]، كما هي في قول الشاعر:

ولَقَدْ جَنَيْتُكَ أَكْمُؤاً وَعَسَاقِلاً ... ولقَدْ نَهَيْتُك عَنْ بَنَاتِ الأَوْبَرِ[6] [الكامل]

---

(١) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٢١/ ٢١٧، ٢١٨).

(٢) تكررت في الآيات: «٧٨، ١٠٨، ١٢٩» من (سورة الصَّافات).

(٣) في حاشية المطبوع: هكذا في جميع الأصول، ولعله يريد: كأن القارئ.

(٤) وهما سبعيتان، كما تقدم في حرف الأنعام (الآية: ٨٦).

(٥) الحجة لأبي علي (٦/ ٧٥).

(٦) بلا نسبة في العين (٢/ ٢٩٠)، وجمهرة اللغة (١/ ٣٣١)، وإعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٠٩)، والمحتسب (٢/ ٢٢٤).

وبناتُ أَوْبَر: ضربٌ من الكمأَة.

واختلف في نبوة ذِي الكِفْلِ، وقد تقدم تفسير أَمره.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞ﴾ يحتمل معنيَيْن:

أَحدهما: أَن يُشير إِلى مدح من ذكر وإِبقاءِ الشرف له فيتأيد بهذا التأْويل قولُ من قال آنفاً: إن ﴿ٱلدَّارِ﴾ يرادُ بها الدار الدنيا.

والثاني: أَن يشير بـ ﴿هَٰذَا﴾ إِلى القرآن، أَيْ: هو ذكر للعالم.

و«المآب»: المرجع حيث يؤوبون.

و﴿جَنَّٰتِ﴾ بدل من (حُسْنَ)، و﴿مُّفَتَّحَةٗ﴾ نعت للجنَّات، و﴿ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ مفعول لم يُسمَّ فاعلُه، والتقدير عند الكوفيين: مُفَتَّحة لهم أَبوابُها، ولا يجوز ذلك عند أَهل البصرة، والتقدير عندهم: الأَبواب منها، وإِنما دعا إِلى هذا الضمير أَن الصفة لا بدَّ أَن يكون فيها عائد على الموصوف[1].

و﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾، قال قتادة: معناه: على أَزواجهن[2].

و﴿أَتۡرَابٌ﴾ معناه: أَمثالٌ، وأَصله في بني آدم أَن تكون الأَسنان واحدة؛ أَي: مَسَّت أَجسداهم التراب في وقت واحد.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿يُوعَدُونَ﴾ بالياءِ من تحت، واختلفا في (سورة ق)[3]، فقرأَ أَبو عمرو بالتاءِ من فوق، وقرأَ الباقون في السورتين بالتاءِ من فوق[4].

و«النَّفَّادُ»: الفناءُ والانقضاءُ.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣١٤).

(٢) تفسير عبد الرزاق (٣/ ٩٢)، وتفسير الطبري (٢١/ ٤٢).

(٣) (الآية: ٣٢).

(٤) وهما سبعيتان في السورتين، انظر السبعة (ص: ٥٥٥)، وانظر التيسير (ص: ١٨٨).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾
هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا
بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ / لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَا [٥/ ١٣]
مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾.

التقدير: الأَمر هذا، ويحتمل أَن يكون التقدير: هذا واقع، أَو نحوه.

و«الطَّاغي»: المُفْرِط في الشَّرِّ، مأْخوذ من: طغى يطغى، والطغيان هنا في الكفر.

و«المآبُ»: المرجع.

و﴿جَهَنَّمَ﴾ بدل من قوله: ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٖ﴾.

و﴿يَصۡلَوۡنَهَا﴾ معناه: يباشرون حرَّها وحرقها[1].

و﴿ٱلۡمِهَادُ﴾: ما يفرشه الإِنسان ويتصرف فيه.

وقوله: ﴿هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ﴾ يحتمل أَن يكون ﴿هَٰذَا﴾ ابتداءً، والخبر ﴿حَمِيمٞ﴾.

ويحتمل أَن يكون التقدير: الأَمر هذا فليذوقوه.

ويحتمل أَن يكون ﴿هَٰذَا﴾ في موضع نصب بفعل يدلُّ عليه ﴿فَلۡيَذُوقُوهُ﴾، و﴿حَمِيمٞ﴾ على هذا خبر ابتداءٍ مضمر.

قال ابن زيد: الحميم: دموعهم تجتمع في حياض فيسقونها.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَغَسَاقٞ﴾ بتخفيف السين، وهو اسم بمعنى السائل.

وروي عن قتادة: أَنه ما يسيل من صديد أَهل النار.

ويُروى عن السدي: أَنه ما يسيل من عيونهم.

---

(١) سقط من الأصل.

ويُروى عن كعب الأَحبار: أَنه ما يسيل من حُمَة عقارب النار، وهي ـ يُقَالُ ـ مجتمعة في عين هنالك[(١)].

وقال الضحاك: هو أَشدُّ الأَشياءِ برداً.

وقال عبد الله بن بُريدة: هو أَنتن الأَشياءِ، ورواه أَبو سعيد عن النبي ﷺ[(٢)].

وقرأَ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ بتشديد السين، بمعنى: سيَّال، وهي قراءَة قتادة، وابن أَبي إسحاق، وابن وثاب، وطلحة[(٣)].

والمعنى فيه على نحو ما قدمناه من الاختلاف، غير أَنها قراءة تضعف[(٤)]: لأن (غَسَّاقاً) إِمَّا أَن يكون صفة فيجيءُ في الآية حذف الموصوف وإِقامة الصفة مقامه، وذلك غير مستحسن هنا، وإِما أَن يكون اسماً، فالأَسماءُ على هذا الوزن قليلة في كلام العرب؛ كالفيَّاد[(٥)] ونحوه.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَءَاخَرُ﴾ بالإِفراد، وهو رفع بالابتداءِ، واختلف في تقدير خبره:

فقالت طائفة: تقديره: ولهم عذاب آخَر.

وقالت طائفة: خبره [في الجملة[(٦)]؛ لأن قوله: ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ ابتداء و﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ خبره، والجملة خبر (آخر).

---

(١) في الأصل: «مجتمعة عندهم»، وانظر هذه الأقوال كلها وقول الضحاك وابن بريدة في الطبري (٢١/ ٢٢٦، ٢٢٨).

(٢) ضعيف، أخرجه الإمام أحمد (١٧/ ٣٣١) وأبو داود (٢٧٦٦) من طريق دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه مرفوعاً، وهذا إسناد ضعيف، دراج أبو السمح، ضعيف الحديث، ولا سيما في شيخه أبي الهيثم. انظر تهذيب الكمال (٨/ ٤٧٧).

(٣) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٥٥)، والتيسير (ص: ١٨٨).

(٤) في المطبوع: «ضعف».

(٥) في الحمزوية: «العباد»، وفي المطبوع وأحمد٣: «القيَّاد».

(٦) في الأصل والمطبوع: «أزواج».

وقالت طائفة: خبره][1] ﴿أَزْوَٰجٌ﴾، و﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ في موضع الصفة.

ومعنى ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾: من مثله وضَرْبه، وجاز على هذا القول أَن يُخْبر بالجميع الذي هو ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ عن الواحد من حيث ذلك الواحد درجاتٌ ورُتبٌ من العذاب، وقويٌّ وأَقل منه، وأَيضاً فمن جهة أُخرى على أَن يُسَمَّى كل جزءٍ من ذلك الآخر باسم الكلِّ، كما قالوا: [عرفات لعرفة][2]، شابت مفارقُه، فجعلوا كل جزءٍ من المَفْرِق مَفْرِقاً، وكما قالوا: جمل ذو عَثَانين، ونحو هذا، أَلا ترى أَن جماعةً من المفسرين قالوا: إِن هذا الآخَر هو الزمهرير، فكأَنهم جعلوا كل جزءٍ منه زمهريراً.

وقرأَ أَبو عمرٍو وحده: ﴿وَأُخَرُ﴾ على الجمع، وهي قراءَة الحسن، ومجاهد، والجحدري، وابن جبير، وعيسى[3].

وهو رفع على الابتداءِ، وخبره ﴿أَزْوَٰجٌ﴾، و﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ في موضع الصفة جمعاً[4].

ورجح أَبو عبيد[5] هذه القراءَة، وكذلك أَبو حاتم لكون الصفة جمعاً، ولم ينصرف (أُخَرُ) لأَنه معدول عن الأَلف واللام صفة، وذلك أَن حق (أَفْعل) وجمعه أَلا يستعمل إِلَّا بالأَلف واللام، فلما استعملت (أُخَرُ) دون الأَلف واللام كان ذلك عدْلاً لها، وجاز في (أُخَر) أَن يوصف بها النكرة كقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، بخلاف جميع ما عدل عن الألف واللام؛ كَسَحَرَ ونحوه في أَنه لا يجوز أَن توصف به النكرة لأَن هذا العدل في (أُخَر) اعتُدَّ به في منع الصرف، ولم يعتد به في الامتناع من صفة النكرة، كما يعتدون بالشيءِ في حُكْم دون حُكْم، نحو اللام في قولهم:

---

(١) سقط من المطبوع، وفي الأصل: «أزواج» بدل «في الجملة».

(٢) سقط من الحمزوية وأحمد٣ والمطبوع.

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٨)، والسبعة (ص: ٥٥٥).

(٤) من المطبوع، وانظر: تفسير الثعلبي (٨/ ٢١٣).

(٥) وهو اختيار أَبي حاتم. انظر اختيارهما في تفسير الثعلبي (٨/ ٢١٣)، وفي فيض الله: «عبيدة»، ولعله خطأ.

لا أَبا لَكَ، واللام المتصلة بالكاف اعتُدَّ بها فاصلة للإِضافة، ولذلك جاز دخول (لا)، ولم يُعْتدَّ بها في أَن أُعرب (أَبا) بالحرف، وشأْنه ـ إِذا انفصل ولم يكن مضافاً ـ أَن يعرب بالحركات، فجاءَت اللام ملغاة الحكم من حيث أُعرب بالحرف[1] كأَنه مضاف، وهي مُتَعَدٌّ بها فاصلة في أَن جوَّزت دخول (لا).

وقرأَ مجاهد: (مِن شِكْلِهِ) بكسر الشين[2].

و﴿أَزْوَٰجٌ﴾ معناه: أَنواع، والمعنى: لهم حميمٌ وغَسَّاقٌ وأغذية أُخرى من ضَرْب ما ذُكر ونحوه، وأَنواعٌ كثيرة.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ﴾ هو مما يقال لأَهل النار إِذا سيق عامَّة الكفار وأَتباعهم؛ لأَن رؤساءَهُم يدخلون النار أَوَّلاً، والأَظهر أن قائل ذلك لهم: ملائكةُ العذاب، وهو الذي حكاه الثعلبي وغيره، ويحتمل أَن يكون ذلك من قول بعضهم لبعض، فيقول البعض الآخر: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾؛ أَي: لا سَعَة مكان ولا خير يلقونه.

و«الفَوْجُ»: الفريق من الناس.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾ حكاية لقول الأَتباع حين سمعوا قول الرؤَساءِ.

و﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ معناه: بإِغوائكم أَسلفتم لنا ما أَوجب هذا، فكأَنكم فعلتم بنا هذا.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا﴾ حكاية لقول الأَتباع أَيضاً، دعوا على رؤَسائهم بأَن يكون عذابهم مضاعفاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾.

---

(١) في الحمزوية والمطبوع: «بالحركات».

(٢) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤١٢).

الضمير في ﴿قَالُواْ﴾ لأشراف الكفار ورُؤَسائِهِم، أَخبر الله تعالى عنهم أَنهم يتذكرون ـ إِذا دخلوا النار ـ لقوم من مستضعفي المؤمنين، فيقولون هذه المقالة، وهذا مطَّرِدٌ في كل أُمة جاءَها رسول، ورُوي: أَن القائلين من كفار عصر النبي ﷺ هم: أَبو جهل بن هشام، وأُميَّة بن خلف، وأهل القليب، ومن جرى مجراهم، وأَن الرجال الذين يُشيرون إلى ذكرهم هُمْ: عمار بن ياسر، وسَلْمان، وصُهيْب، ومن جرى مجراهم[1]، قاله مجاهد وغيره[2].

والمعنى: كنا في الدنيا نعُدُّهم أَشراراً لا خَلَاقَ لهم.

وأَمال / الرَّاءَ من ﴿ٱلْأَشْرَارِ﴾ أَبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وفتحها ابن [٥/ ١٤] كثير، وعاصم، وأَشَمَّ نافعٌ، وحمزة[3].

وقرأَ أَبو عمرٍو، وحمزة، والكسائي: ﴿اتَّخَذْناهُم سخْرِيّاً﴾ بأَلف [وصل، على أَن يكون ذلك في موضع الصفة لـ(رِجَال).

وقرأَ الباقون والحسن والأعرج وأبو جعفر وقتادة: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سخريّاً﴾ بأَلف قَطْع][4] للاستفهام، ومعناها تقريرُ أَنفسهم على هذا، على جهة التوبيخ لها والأَسف، أَي: أَتَّخذناهم ولم يكونوا كذلك، واستبعد معنى هذه القراءَة أَبو علي.

وقرأَ نافع، وحمزة، والكسائي: ﴿سُخْرِيّاً﴾ بضم السين، وهي قراءَة الأَعرج، وشيبة، وأَبي جعفر، وابن مسعود وأَصحابه، ومجاهد، والضحاك، ومعناها من السُّخْرةِ والاستخدام.

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «ومثلهم».

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٢٣٢).

(٣) وكلها سبعية، إلا أن ابن عامر وقالون فتحا، والمراد بالإشمام التقليل، انظر التيسير (ص: ٥١).

(٤) سقط من الأصل، وفي الحمزوية: «بصلة الألف» بدل «وصل الألف»، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٨)، والنشر (٢/ ٣٦٢).

وقرأ الباقون بكسر السِّين، وهي قراءَة الحسن، وأَبي رجاءٍ، وعيسى، وابن محيصن[١].

ومعناها المشهور من السُّخر الذي هو بمعنى الهُزْءِ، ومنه قول الشاعر:

[البسيط] إِنِّي أَتَانِي لِسَانٌ لَا أُسَرُّ بِهَا   مِنْ عَلْوَ لَا كَذِبٌ فيها وَلَا سَخَرُ[٢]

وقالت فرقة: يكون بكسر السِّين من التَّسْخير.

و﴿أَمْ﴾ في قولهم: ﴿أَمْ زَاغَتْ﴾ معادلةٌ لـ﴿مَا﴾ في قولهم: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ﴾، وذلك أَنها قد تعادل (ما)، وتعادل (من)[٣]، وأَنكر بعض النحويين هذا وقال: إِنها لا تعادل إِلا الأَلف فقط، والتقدير في هذه الآية: أَمَفْقودون هم أَم زاغت؟

قال القاضي أبو محمد: ومعنى هذا الكلام: أَلَيْسُوا معنا، أَم هُمْ معنا ولكن أَبصارنا تميل عنهم فلا نراهم؟

و«الزَّيْغُ»: المَيْل.

ثم أَخبر الله تعالى نبيَّه ﷺ بقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾.

و﴿تَخَاصُمُ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿لَحَقٌّ﴾.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (تَخَاصُمَ) بفتح الميم.

وقرأَ ابن محيصن: (تَخَاصُمٌ) بالتنوين (أَهْلُ النار) برفع اللام[٤].

ثم أَمَرَ تعالى نبيَّه عليه السلام بأَن يتجرَّد للكفار من جميع الأَغراض إِلَّا أَنه منذرٌ لهم، وهذا توعُّدٌ بليغ محرِّك للنفوس. وباقي الآية بيِّنٌ.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر النشر (٢/ ٣٦٢)، والسبعة (ص: ٥٥٦).

(٢) هذا البيت لأعْشَى باهلة، عامر بن الحرث بن رباح كما تقدم في تفسير الآية (٥٠) من (سورة مريم). وفي المطبوع: «أتتني».

(٣) في المطبوع: «تعادل ما يعادل من».

(٤) وهما شاذتان، انظر الثانية في الدر المصون (٩/ ٣٩٤)، والأولى في الشواذ للكرماني (ص: ٤١٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

الإِشارة بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ﴾ إِلى التوحيد والمعاد، فهي إِلى القرآن وجميع ما تَضَمَّن، وعِظَمه[1] أن التصديق به نجاةٌ والتكذيب به هلكة.

وحكى الطبري: أَن شُرَيْحاً اختصم إِليه أَعرابي، فشهد عليه، فأَراد شُريح أَن ينفذ الحكم، فقال الأَعرابي: أَتحكم عليَّ[2] بالنَّبَأ؟ فقال شريح: نعم، إِن الله يقول: في القرآن: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا﴾، وقرأَ الآية، وحكم عليه[3].

قال القاضي أَبو محمد: هذا الجواب من شريح إِنما هو بحسب لفظ الأَعرابي، ولم يُحَرِّرْ معه الكلام، وإنما قصد إِلى ما يقطعه به؛ لأَن الأَعرابي لم يُفَرِّق بين الشهادة والنَّبإِ.

و«النَّـبَأُ» في كلام العرب بمعنى الخبر.

ووبَّخهم بقوله: ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾.

ثم قال: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾، وهذا احتجاجٌ لصحة أَمر محمد ﷺ، كأَنه يقول: هذا أمر خطر، وأَنتم تعرضون عنه مع صحته، ودليل صحته أَنِّي أُخبركم فيه بغيوب لم تأْت إِلا من عند الله، فإِنِّي لم يكن لي عِلم بالملأ الأَعلى [وقت خصومتهم لولا أَن الله تعالى أَخبرني بذلك والملأ الأعلى][4]، وأَراد بهم الملائكة، والضمير في ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ عند جمهور المفسرين هو للملائكة.

---

(١) في المطبوع والسليمانية وأحمد٣: «وعْدُهُ».

(٢) سقط من نور العثمانية وفيض الله والسليمانية.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٢٣٦).

(٤) سقط من الأصل.

واختلف الناسُ في الشيءِ الذي هو اختصامهم فيه:

فقالت فرقة: اختصامهم في أَمر آدم وذريته في جعلهم في الأرض، ويدلُّ على ذلك ما يأتي من الآيات، فقول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] هو الاختصام.

وقالت فرقة: بل اختصامهم في الكفارات وغفر الذنوب ونحوه؛ فإِن العبد إِذا فعل حسنةً اختلف الملائكة في قدر ثوابه في ذلك حتى يقضي الله بما شاءَ.

وورد في هذا حديث فسَّره ابن فُورك؛ لأَنه يتضمن أَن النبي ﷺ قال له ربُّه عزَّ وجلَّ في نومه: فيم يختصمون؟ فقلت: لا أَدري، فقال: في الكفَّارات، وهي: إِسْبَاغُ الوضوءِ في السَّبرات، ونقل الخُطَى إِلى الجماعات، الحديث بطوله، قال: «فوضع الله يده بين كتفيَّ حتَّى وجدتُ بردَها بين ثديي»[1].

(١) ضعيف على كثرة طرقه؛ لما وقع فيه من اضطراب شديد، وقد رواه غيرُ واحد من الصحابة من طرق متعددة، وفي بعضها زيادات وبعضها نقص، وعامة الطرق لا تسلم من ضعف، روي هذا الحديث من رواية جماعة من الصحابة، هم: معاذ وابن عباس وأنس وثوبان وأبي أمامة وطارق بن شهاب وابن عمر وأبي هريرة، أما حديث معاذ بن جبل فقد اختلف في إسناده اختلافاً كثيراً جداً، وقد ساق الدارقطني ذلك مفصلاً في العلل (٦/ ٥٧)، ثم قال: ليس فيها صحيح، وكلها مضطربة ا. هـ. انظر مسند أحمد (٥/ ٢٤٣)، والمراسيل لابن أبي حاتم (ص١٢٤) والترمذي (٣٢٣٥) والعلل الكبير له (٦٦١)، والدارمي (٢١٤٩)، والطبري (٩/ ٣٥٤) وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٥٣٣) و(٢/ ٥٤٢)، والدارقطني في رؤية الله (٢٥٥-٢٥٦-٢٥٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٤٤)، وابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٣٢٢-٣٢٣)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٤/ ١٨٦٢) وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٢١) والطبراني في الكبير (٢١٦)، وفي الدعاء له (١٤١٤)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٣٤٥) والبزار في مسنده (٢٦٦٨) والعراقي في تحفة التحصيل (٤٥٢)، وأما حديث عبد الله بن عباس فاضطرب في إسناده أيضاً، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٦٩) ومن طريقه أحمد (١/ ٣٦٨)، وعبد بن حميد (٦٨٢)، والترمذي (٣٢٣٣)، والدارقطني في رؤية الله (٢٧١-٢٧٢-٢٧٣)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٢١) من طريق معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن ابن عباس مرفوعاً به، بنحوه، قال أبو عيسى: وقد ذكروا بين أبي قلابة وبين ابن عباس في هذا الحديث رجلاً. =

قال القاضي أَبو محمد: فتفسير هذا الحديث: أَن اليَدَ هي نعمة العِلْم، وقوله: «بَرْدَهَا»، أَي: السُّرور بها والثَّلْج، كما تقول العرب في الأمر السَّارِّ: يا بَرْدَه على الكبد،

= وقد رواه قتادة عن أبي قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس، وهذه الرواية أخرجها الترمذي (٣٢٣٤)، وأبو يعلى في مسنده (٢٦٠٨)، والبزار (٤٧٢٧)، والدارقطني في رؤية الله (٢٦٨-٢٦٩-٢٧٠) من طريق قتادة، عن أبي قلابة، عن خالد بن اللجلاج، عن ابن عباس به.
قال الدارقطني: وروى هذا الحديث أبو قلابة عن خالد بن اللجلاج فقال عن ابن عباس ولم يقل عن ابن عائش.
وأخرجه الدارقطني في رؤية الله (٢٧٤) من طريق حماد بن سلمة، عن حميد، عن بكر، عن أبي قلابة مرسلاً.
وأخرجه الطبري (٢٢/ ٢٣) من طريق سليمان بن عمر بن يسار، عن أبيه، عن سعيد بن زربي، عن عمر بن سليمان، عن عطاء، عن ابن عباس مرفوعاً، به مع بعض الزيادات، وسعيد بن زربي الخزاعي منكر الحديث، وأما حديث أنس فمضطرب أيضاً. انظر كلام الدارقطني في العلل (٦/ ٥٥-٥٦).
وأما حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ، فأخرجه أحمد بن منيع في مسنده كما في إتحاف الخيرة المهرة (٩٨٠)، والبزار (٤١٧٢)، والدارقطني في رؤية الله (٢٨٤-٢٨٥-٢٨٦ـ٢٨٧)، والروياني في مسنده (٦٣٨)، والطبراني في الدعاء (١٤١٧) من طريق أبي سلام الأسود، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، مرفوعاً بنحوه، والطرق إلى أبي الأسود لا تسلم من ضعف.
وأما حديث أبي أمامة، فأخرجه الدارقطني في رؤية الله (٢٧٧-٢٧٨-٢٧٩-٢٨٠)، والطبراني في الكبير (٨١١٧)، والروياني في مسنده (١٢٢٦)، وابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٣٢٤) من طريق جرير، عن ليث بن أبي سليم، عن عبد الرحمن بن سابط، عن أبي أمامة الباهلي، مرفوعاً بنحوه، وليث ضعيف، وابن سابط لم يسمع من أبي أمامة كما قاله ابن معين، انظر جامع التحصيل (٤٢٨).
وأما حديث طارق بن شهاب فأخرجه الطبراني في الكبير (٨٢٠٧)، وفي الأوسط (٥٤٩٦)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣/ ١٥٥٨) من طريق سعيد بن المرزبان، عن قيس بن مسلم، عن طارق ابن شهاب، مرفوعاً بنحوه، وسعيد بن المرزبان ـ أبو سعد ـ العبسي ضعيف.
وأما حديث ابن عمر فأخرجه البزار في مسنده (٥٣٨٥) من طريق سعيد بن سنان، عن أبي الزاهرية، عن كثير بن مرة، عن ابن عمر رضي الله عنه به، وسعيد بن سنان الشامي ضعيف.
وأما حديث أبي هريرة فأخرجه الدارقطني في رؤية الله (٢٨٨) من طريق عبيد الله بن أبي حميد، عن أبي المليح، عن أبي هريرة به، وعبيد الله بن أبي حميد البصري متروك، وأبو المليح بن أسامة الهذلي لم يسمع من أبي هريرة. وللحافظ ابن رجب الحنبلي رسالة في شرح هذا الحديث سماها «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى».

ونحو هذا[١]، ومنه قول النبي ﷺ: «الصلاة باللَّيل هي الغنيمة الباردة»[٢]، أَي: السهلة التي يُسَرُّ بها الإِنسانُ.

وقالت فرقة: المراد ﴿بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ﴾ الملائكة، وقوله: ﴿إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾ مقطوعٌ منه، ومعناه: إِذ تختصم العرب الكافرة في الملإِ الأَعلى، فيقول بعضها: هي بناتُ الله، ويقول بعضها: هي آلهة تُعْبَد، وغير ذلك من أَقوالهم.

وقالت فرقة: أَراد بالملأ الأعلى: قريشاً، وهذا قول ضعيف لا يَتَقوَّى مِنْ جهة.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿أَلَآ إِنَّمَا﴾ بفتح الأَلف كأَنه يقول إِلَّا الإِنذار.

وقرأَ أَبو جعفر: ﴿إِلا إِنَّما أنا﴾ على الحكاية[٣]، كأَنه قيل له: أَنْتَ نذيرٌ مُبينٌ، فحكى هو المعنى، وهذا كما يقول إنسان أَنا عالِمٌ؟ فيقال له: قلت إنك عالم، فيحكي المعنى.

---

(١) تبع المصنف رحمه الله في هذا التأويل ابن فورك في مشكل الحديث (ص: ٧٩)، وذكر تأويلًا آخر لليد بالقدرة، وقد تقدم التنبيه على مذهب أهل السنة في مثل هذا.

(٢) بهذا اللفظ لم أقف عليه، وإنما جاء بلفظ الغنيمة الباردة الصوم في الشتاء ولا يصح مرفوعاً، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٩٨٣٤)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٣٥)، والترمذي (٧٩٧)، وابن خزيمة في صحيحه (٢١٤٥)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٢٩٦) وغيرهم من طريق سفيان، عن أبي إسحاق السبيعي، عن نمير بن عريب، عن عامر بن مسعود القرشي الجمحي، مرفوعاً، وهذا إسناد ضعيف؛ أبو إسحاق كثير التدليس وقد عنعن، ونمير بن عريب فيه جهالة، وعامر بن مسعود الجمحي مختلف في صحبته فقد نفاها ابن معين ومصعب الزبيري، وأبو زرعة، وأثبتها أحمد، انظر جامع التحصيل (٣٢٥)، وأخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ٢١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٩٤٢) من طريق عبد الوهاب بن الضحاك، عن الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمد، عن ابن المنكدر، عن جابر به مرفوعاً، وعبد الوهاب بن الضحاك الحمصي كذاب، وأخرجه البيهقي في الكبرى (٤/ ٢٩٧) من طريق قتادة، عن أنس قال: قال أبو هريرة به من قوله، وروي مرفوعاً عن أنس ولا يصح.

(٣) وهي عشرية، انظر النشر (٢/ ٤٠٢).

و﴿إِذۡ﴾ في قوله: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ﴾ بدلٌ من قوله ﴿إِذۡ﴾ الأُولى، على تأْويل من رأَى الخصومة في شأْن من يستخلف في الأَرض، وعلى الأَقوال الأخر يكون العامل في ﴿إِذۡ﴾ الثانية فعل مضمر تقديره: اذْكُرْ إِذْ قال.

و«الْبَشرُ الْمَخْلُوقُ من الطين»: هو آدم عليه السلام.

و﴿سَوَّيۡتُهُۥ﴾ يريد به شخصه.

و(نَفَخْتُ) هي عبارة عن إِجراءِ الروح فيه، وهي عبارة على نحو ما يفهم البشر من إِجراءِ الأَشياءِ بالنفخ.

وقوله تعالى: ﴿مِن رُّوحِي﴾ هي إِضافة مِلْكٍ إلى مالك؛ لأَن الأَرواح كلها هي مِلك لله تعالى، وأَضاف إِلى نفسه تشريفاً. / [٥/ ١٥]

وقوله: ﴿سَٰجِدِينَ﴾ اختلف الناس فيه:

فقالت فرقة: هو السجود المتعارف.

وقالت فرقة: معناه: خاضعين، على أَصل السجود في اللغة.

ثم أَخبر تعالى أَن الملائكة بأَجمعهم بأمره سجدوا إِلَّا إِبليس فإِنه استكبر عن السجود.

وقوله تعلى: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ يحتمل أَن يريد به: وكان من أَول أَمره من الكافرين في علم الله تعالى، قاله ابن عباس[١].

ويحتمل أَن يريد: ووُجِد عند هذه الفعلة[٢] من الكافرين، وعلى القولَيْن؛ فقد حكم الله على إِبليس بالكفر، وأَخبر أَنه كان قد عقد قلبه في وقت الامتناع.

---

(١) منقطع، أخرجه الطبري (٢٠/ ١٤٥) من طريق أبي بكر بن عياش، قال: قال ابن عباس: كان في علم الله من الكافرين. وأبو بكر بن عياش يروي عن التابعين، ولم يدرك أحداً من الصحابة.

(٢) في المطبوع وأحمد٣ والسليمانية: «الغفلة».

قوله عزَّ وجل: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾﴾.

القائل لإِبليس هو الله عزَّ وجلَّ، وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ تقريرٌ وتوبيخٌ.

وقرأ عاصم الجحدري: (لَمَّا خلقت) بفتح اللام من (لَمَّا) وشد الميم[١].

وقرأ جمهور الناس: ﴿بِيَدَيَّ﴾ بالتثنية، وقرأت فرقة: (بِيَدِي) بفتح الياءِ[٢].

وقد جاءَ في كتاب الله ﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾ [يس: ٧١]، بالجمع، وهذه كلها عبارة عن القدرة والقوة، وعبَّر عن هذا المعنى بذكر الْيَد تقريباً على السَّامعين؛ إِذ المعتاد عند البشر أَن القوَّة والبطش والاقتدار إِنما هو باليد، وقد كانت جهالة العرب بالله تعالى تقتضي أَن تنكر نفوسها أَن يكون خلقٌ بغير مماسَّة ونحو هذا من المعاني المعقولة.

وذهب القاضي ابن الطيِّب إِلى أَن الْيَد والوجه والعين صفاتُ ذاتٍ زائدةٌ على القدرة والعلم وغير ذلك من متقرر صفاته تعالى، وذلك قولٌ مرغوب عنه[٣]، ويُسَمِّيها الصفات الخبرية.

ورُوي في بعض الآثار: أَن الله تعالى خلق أَربعة أَشياءٍ بيده، وهي: العرش، والقلم، وجنة عدن، وآدم، وسائرَ المخلوقات بقوله: كُنْ[٤].

---

(١) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٩/ ١٧٤).

(٢) في المطبوع: «بالتخفيف»، ولعله يقصد القراءة بكسر الدال على الإفراد، وهي شاذة، للجحدري كما في مختصر الشواذ (ص: ١٣١)، والشواذ للكرماني (ص: ٤١٢)، وضبطها بسكون الياء، وعزا كسر يائها لابن محيصن، ولم يذكر الفتح.

(٣) هذا القول المرغوب عنه عند المصنف هو مذهب السلف، كما تقدم التنبيه عليه مراراً.

(٤) اختلف فيه على عبيد بن مهران المكتب، فقيل عنه عن ابن عمر وقيل عنه عن إبراهيم النخعي، قولهما، أخرجه الدارمي في نقضه لبشر المريسي (ص: ٢٦١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٠)، =

قال القاضي أبو محمد: وهذا ـ إِنْ صحَّ ـ فإِنما ذكر على جهة التشريف للأَربعة والتنبيه منها، وإِلا فإِذا حقَّقنا النظر فكل مخلوق هو بالقدرة التي بها يقع الإِيجادُ بعد العدم.

وقرأَت فرقة: (اسْتَكْبَرْتَ) بصِلة الأَلف[1]، على الخبر عن إِبليس، وتكون ﴿أَمْ﴾ بنيَّة[2] الانقطاع لا مُعَادِلةً لها.

وقرأَت فرقة: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ بقطع الأَلف، على الاستفهام، فـ﴿أَمْ﴾ على هذا مُعَادِلةٌ للأَلف.

وذهب كثير من النحويين إِلى أَن (أم) لا تكون مُعَادِلَةً للأَلف مع اختلاف الفعلين، وإِنما تكون مُعَادِلَةً إِذا دخلتا على فعل واحد، كقولك: أَزيدٌ قام أَمْ عمرو؟ [وقولك أقام زيد أم عمروٍ][3] وقالوا: وإِذا اختلف الفعلان كهذه الآية فليست (أم) معادلة، ومعنى الآية: أَحَدثَ لك الاستكبارُ الآن أَم كنت قديماً مِمَّن لا يليق أَن تكلف مثل هذا لِعُلُوِّ مكانك؟ وهذا على جهة التوبيخ.

وقول إِبليس: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ قياسٌ أَخطأَ فيه، وذلك أَنه لما توهَّم أَن النار أَفضل من الطين؛ قاسَ أَن ما يخلق من الأَفضل فهو أَفضل من الذي يخلق من المفضول، ولم

= والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٩٣)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٢٩)، والذهبي في العلو (١٨٥) من طريق الثوري عن عبيد بن مهران الكوفي المكتب، عن مجاهد، عن ابن عمر رضي الله عنه، بنحوه، وفي بعض الروايات بزيادة واحتجب من الخلق بأربعة: بنار، وظلمة، ونور، وظلمة، وأخرجه هناد في الزهد (٤٥) عن محمد بن فضيل، عن عبيد المكتب، عن إبراهيم من قوله، وأخرج عبد الله بن أحمد في السنة (١١١٨) من طريق علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس رضي الله عنه: قال خلق الله عز وجل أربعة أشياء بيده وسائر ذلك قال: له كن فكان خلق القلم بيده وآدم بيده والتوراة كتبها بيده وجنات عدن بيده. وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف.

(١) شاذة، نقلها في السبعة (ص: ٥٥٦) عن شبل عن ابن كثير، وفي الإتحاف (ص: ٤٧٩) عن ابن محيصن، والأخرى هي المتواترة.

(٢) في الأصل: «بيِّنة».

(٣) سقط من المطبوع وأحمد٣.

يدر أَن الفضائل تخصيصاتٌ من الله تعالى يَسِمُ بها من شاء، وفي قوله ردٌّ على حكمة الله تعالى وتجويز، وذلك بيِّنٌ في قوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء: ٦٢]، ثم قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾، وعند هذه المقالة اقترن كُفْر إِبليس به، إِمَّا عناداً عَلَى قول من يجيزه، وإِمَّا بأَن سُلب المعرفة، وظاهر أَمْره أَنه كُفْرُ عناد؛ لأَن الله تعالى قد حكم عليه بأَنه كافر، ونحن نجده خلال القصة يقول: يا رَبِّ، وبِعِزَّتِكَ، وإِلى يوم يبعثون، فهذا كلُّه يقتضي المعرفة، وإِن كان للتأْويل فيه مزاحم، فتأَمَّله.

ثم أَمر الله تعالى إِبليس بالخروج على جهة الادخار له[(١)].

وقالت فرقة: أَمره بالخروج من الجنة، وقالت فرقة: من السماءِ.

وحكى الثعلبي عن الحسن، وأَبي العالية أَن قوله تعالى: ﴿مِنْهَا﴾ يريد به: من الخلقة التي أَنت فيها، ومن صفات الكرامة التي كانت له، قال الحسين بن الفضل: ورجعت له أَضدادها[(٢)].

وعلى القول الأَول: فإِنما أُمر أَمراً يقتضي بُعده عن السماءِ، ولا خلاف أَنه أُهبط إِلى الأَرض.

و«الرَّجِيمُ»: المرجوم بالقول السَّيِئ.

و«اللَّعْنَةُ»: الإِبعاد.

و﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: يومُ القيامة، والدِّينُ: الجزاءُ.

وإِنما حدَّ الله تعالى له اللعنة بيوم الدين، ولعنتُه إِيَّاه إِنما هي مُخَلَّدة، ليحصر له أمد[(٣)] التوبة؛ لأَن امتناع توبته بعد يوم القيامة بيِّنٌ[(٤)]؛ إِذْ ليست الآخرة دار عمل.

---

(١) من الدخُور، وهو الذِّلَّةُ والصَّغارُ والهوانُ.

(٢) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٨/ ٢١٧). في المطبوع: «عن أَبي الحسن»، وفيه وفي الحمزوية: «الحسن بن الفضل».

(٣) في المطبوع: «أَمر»، وفي الحمزوية: «مدة»، وفي السليمانية: «ليحصل».

(٤) سقطت لفظة «توبته» من أحمد٣، ولفظة «بين» من الأصل.

ثم إِن إِبليس سأل النَّظِرَة وتأْخير الأَجل إِلى يوم بعث الأَجساد من القبور، فأَعطاه الله تعالى الإِبقاءَ إِلى يوم الوقت المعلوم.

واختلف الناسُ في تأْويل ذلك:

فقال الجمهور: أَسعفه الله في طِلْبته وأَخَّره إِلى يوم القيامة، وهو الآن حيٌّ مُغْوٍ مُضِلٌّ. وهذا هو الأَصح من القولين.

وقالت فرقة: لم يُسْعَف بِطِلْبته، وإِنما أُسعف إِلى الوقت الذي سبق من الله تعالى أَن يموت إِبليس فيه.

وقال بعض هذه الفرقة: ماتَ إِبليس يوم بدرٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾ ﴾.

القائل هو إِبليس، أَقسم بِعِزَّة الله تعالى، قال قتادة: علم عدوُّ الله أَنه ليست له عزَّة فأَقسم بِعِزَّة الله سبحانه أَنه يُغوي ذريَّة آدم أَجمع، إِلَّا من أخلص الله للإِيمان به.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا استثناءُ الأَقل عن الأَكثر، على باب الاستثناءِ؛ / [٥/ ١٦] لأَن المؤمنين أَقلُّ من الكفرة بكثير، بدليل حديث بعث النار، وغيره.

وجوَّز قومٌ أَن يُستثنى الكثيرُ من الجملة ويترك الأَقلُّ على الحكم الأَول، واحَتَجُّوا بقوله: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الحِجر: ٤٢].

وقال من ناقضهم: العبادُ هنا يعُمُّ البشرَ والملائكة، فبقي الاستثناءُ على بابه في أَن الأَقلَّ هو المستثنى[(١)].

وفتح اللَّام من المخلصين وكسرها تقدم ذكره[(٢)].

---

(١) انظر الخلاف في استثناء الكثير في الإحكام لابن حزم (٤/ ١٩)، وروضة الناظر وجنة المناظر (٢/ ٩١).
(٢) في حرف (سورة يوسف).

والقائل: ﴿فَٱلۡحَقُّ﴾ هو الله تعالى، قال مجاهد: المعنى: فالْحَقُّ أَنا[١].

وقرأ جمهور القراء: ﴿فالحقَّ والحقّ﴾ بنصب الاثنين.

فأَما الثاني فمنْصوب بـ﴿أَقُولُ﴾، وأَما الأَول فيحتمل أن ينتصب على الإِغراءَ، ويحتمل أن ينتصب على القسَم على إِسقاط حرف القَسَم، كَأنه قال: فَو الْحقَّ، ثم حذف الحرف، كما تقول: اللهِ لأَفعلن، تريد: واللَّهِ، ويُقَوِّي ذلك قوله: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ﴾.

وقد قال سيبويه: قلتُ للخليل: ما معنى (لأَفعلن) إِذا جاءَت مبتدأة؟ فقال: هي بتقدير قَسَم مَنْوي[٢]، وقالت فرقة: الحق الأَول منصوب بفعل مضمر.

وقرأ ابن عباس، ومجاهد: (فالحقُّ والحقُّ) برفع الاثنين[٣]، فأَما الأَول فرفع بالابتداء، وخبرُه في قوله: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ﴾؛ لأَن المعنى: أَنْ أَمْلأَ، وأَمَّا الثاني فيرتفع على الابتداءِ أَيضاً.

وقرأ عاصم، وحمزة: ﴿فَٱلۡحَقُّ﴾ بالرفع في الأَول، [﴿وَٱلۡحَقَّ﴾ بالنصب][٤] وهي قراءَة مجاهد، والأَعمش، وأَبان بن تغلب، وإِعرابُ هذه بيِّنٌ.

وقرأ الحسنُ: (فالحقِّ والحقِّ) بخفض القاف فيهما على القسم، وذكرها أَبو عمرو الداني[٥].

ثم أَمر تعالى نبيَّه ﷺ أن يخبرهم بأَنه ليس بسائل أَجرٍ ولا مال، وأنه ليس ممَّن يتكلَّف ما لم يُجعل إِليه، ولا يتحلَّى بغير ما هو فيه.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٢٤٢)، وتفسير الماوردي (٥/ ١١١)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢١٧).
(٢) تكلم عليها في أكثر من موضع، انظر مثلًا: الكتاب لسيبويه (٣/ ١٠٤).
(٣) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ١١٣).
(٤) سقط من المطبوع، وهي والأولى سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٨).
(٥) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١١٣) لعيسى بن عمر، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٤١٦) لمجاهد.

قال الحسين بن الفضل: هذه الآية ناسخة لقوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣][(١)].

وقال الزبير بن العوام: نادى منادي النبي ﷺ: «اللهم اغفر للذين لا يدَّعون ولا يتكلَّفون، أَلا إِنِّي بريءٌ من التكلُّف، وصالحو أُمَّتي»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ﴾ يريد به: القرآن.

و﴿ذِكْرٌ﴾ بمعنى: تَذْكِرَةٌ.

ثم توعدهم بقوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾، وهذا على حذف تقديره: وَلَتَعْلَمُنَّ صدْقَ نَبَئِهِ بعد حين في توعدكم.

واختلف الناس في معنى قوله: ﴿بَعْدَ حِينٍۭ﴾ إِلى أَي وقت أَشارَ؟ لأَن (الحينَ) في اللغة يقع على القليل والكثير من الوقت:

فقال ابن زيد: أَشار إِلى يوم القيامة.

وقال قتادةُ والحسن: أَشار إِلى الآجال التي لهم؛ لأَن كل واحد منهم يعرف الحقائق بعد موته.

---

(١) تفسير الثعلبي (٨/ ٢١٨). وفي الحمزوية ونجيبويه: «الحسن بن الفضل».

(٢) موضوع، أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥/ ٢٧٦-٢٧٧) من طريق محمد بن الوليد بن أبان الهاشمي، عن يعقوب بن ناصح، عن عيسى بن يونس، عن وائل بن داود، عن عبد الله البهي، عن الزبير بن العوام قال: خطبنا رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك قال... به مطولاً، ومحمد بن الوليد بن أبان القلانسي البغدادي، مولى بني هاشم كذاب قال ابن عدي: كان يضع الحديث، وقال أبو عروبة: كذاب، وانظر ترجمته الميزان (٤/ ٥٩)، وقد أخرجه ابن الأعرابي في معجمه (١٦٦٠)، والدارقطني في أطراف الغرائب (١/ ٣١٥)، والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق (٢/ ١٦٨)، وفي تاريخ بغداد (٥/ ٤٦٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٨/ ٣٥٥-١٨/ ٣٩١-٢٥/ ٩٠- ٣٥/ ٢٧٨-٥٣/ ٣٢٠)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٣٠) من طريق سيف بن عمر، عن وائل بن داود، عن الزبير بن العوام، به بدون اللفظ الأخير، وسيف بن عمر متفق على ضعفه، وهو تالف.

وقال السدي: أَشار إِلى يوم بدر؛ لأَنه يوم عرف الكفار فيه صدق وعيد القرآن لهم[١].

كمل تفسير (سورة ص)، والحمد لله ربِّ العالمين

(١) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٢١/ ٢٤٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ١٤٢) والهداية لمكي (١٠/ ٦٢٩١).

سُورَةُ الزُّمَر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الزُّمَر

هذه السورة مكِّيَّة بإِجماع، غير ثلاث آياتٍ نزلت في شأْن وحشيٍّ قاتِل حمزة ابن عبد المطلب، وهي: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [٥٣] الآيات.

وقالت فرقة: بل إِلى آخر السورة هو مدنيٌّ، وقيل: [فيها مدنيٌّ][1] سبع آياتٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ﴾.

﴿تَنزِيلُ﴾ رفع بالابتداءِ، والخبر قوله: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾.

وقالت فرقة: ﴿تَنزِيلُ﴾ خبر ابتداءٍ تقديره: هذا تنزيل، والإِشارة إِلى القرآن الكريم.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (تَنْزِيلَ) بنصب اللام[2].

---

(١) في أحمد٣ بدلًا منه: «بل».

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤١٣).

و﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ في قوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قال المفسرون: هو القرآن الكريم، ويظهر لي أَنه اسمٌ عامٌّ لجميع ما ينزِلُ من عند الله من الكتب، فكأَنه تعالى أَخبر إِخباراً مجرداً أن الكتب الهادية الشارعة إِنما تنزيلها من الله، وجعل هذا الإِخبار تقدمةً وتوطئة لقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾.

و﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ في قدرته، و﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾ في إِبداعه.

و﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الثاني هو القرآن لا يحتمل غير ذلك.

وقوله: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ يحتمل معنيين:

أَحدهما: أَن يكون معناه: متضمناً الحقَّ؛ أَي: بالحق فيه وفي أَحكامه وفي أَخباره.

والثاني: أَن يكون بالحق بمعنى: بالاستحقاق والوجوب وشمول المنفعة للعالم في هدايتهم ودعوتهم إِلى الله.

وقوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ﴾ يحتمل أَن تكون الفاءُ عاطفةً جُملةً من القول على جُملة وواصلة، ويحتمل أَن يكون كالجواب؛ لأَن قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ جملة، كأَنه ابتداءٌ وخبره، كما لو قال: الكتاب منزل، وفي الجمل التي هي ابتداءٌ وخبرٌ إِبهامٌ مَّا يشبه به الجزاءَ، فجاءَت الفاءُ كالجواب، كما تقول: زيدٌ قائمٌ فأَكرمه، ونحو هذا قول الشاعر:

وَقَائِلَـةٍ خَـوْلَانُ فَانْكِـحْ فَتَاتَهُـم[١] .... [الطويل]

التقدير: هذه خولان.

و﴿مُخۡلِصٗا﴾ حالٌ، و﴿ٱلدِّينُ﴾ نصب به، ومعنى الآية: الأَمر بتحقيق النِّـيَّـة لله في كلِّ عمل.

---

(١) هذا صدر بيت، وعجزه: وَأُكْرُومَةُ الحَيَّـيْنِ خِلْوٌ كَمَا هِيَا، وهو بلا نسبة في الكتاب لسيبويه (١/ ١٣٩)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٨٣)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٠٧)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٩٦)، قال: وخولان قبيلتان أددية وقضاعية، فالأددية: خولان بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد. والقضاعية: خولان بن عمرو بن قضاعة.

و﴿ٱلدِّينُ﴾ هنا يعم المعتقدات وأَعمال الجوارح.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ بمعنى: من حقه ومن واجباته، لا يقبل غير هذا، وهذا كقوله: للَّهِ الْحمدُ، أَي: واجباً ومستحقّاً.

قال قتادة: ﴿ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾: لَا إِلَه إِلَّا الله[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟﴾ رفع بالابتداءِ، وخبره في المحذوف المقدر، وتقديره: يقولون: ما نعبدهم / . [٥/ ١٧]

وفي مصحف ابن مسعود: (قالوا ما نعبدهم)، وهي قراءَة ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير[(٢)].

و﴿أَوْلِيَآءَ﴾ يريد: معبودين، وهذه مقالة شائعة في العرب، يقول كثير منهم في الجاهلية: الملائكة بنات الله، ونحن نعبدهم لِيُقَرِّبونا، وطائفة منهم قالت ذلك في أَصنامهم وأَوثانهم، وقال مجاهد: قد قال ذلك قوم من اليهود في عُزَيْر، وقوم من النصارى في عيسى ابن مريم[(٣)].

وفي مصحف أُبَيِّ بن كعب: (ما نَعْبُدُكُم) بالكاف، (إلا لِتُقَرِّبونا) بالتاءِ[(٤)].

و﴿زُلْفَىٰٓ﴾ بمعنى: قُرْبَى وتَوْصلة، كأَنه قال: لِتُقَرِّبونا إِلى الله تقريباً، وكأَن هذه الطوائف كلها كانت ترى نفوسها أَقل من أَن تتصل هي بالله، فكانت ترى أَن تتصل بمخلوقاته.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٢٥١)، وتفسير السمعاني (٤/ ٤٥٧)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٢٩٦)، وتفسير الماوردي (٥/ ١١٤).

(٢) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للنحاس (٦/ ١٥٠)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٤١٤)، وتفسير الطبري (٢١/ ٢٥١).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٢٥١)، وتفسير ابن أبي زمنين (٤/ ١٠٢).

(٤) وهي شاذة، انظر تفسير الطبري (٢١/ ٢٥١)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٤٤).

و﴿زُلْفَىٰٓ﴾ ـ عند سيبويه ـ مصدرٌ في موضع الحال، كأَنه ينزل منزلة: مُتَزَلِّفِين، والعامل فيه «يُقَرِّبُونَا»[١]، هذا مذهب سيبويه وفيه خلاف[٢].

وباقي الآية وعيدٌ في الدنيا والآخرة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾.

هذه الآية إما أن يكون معناها: إن الله لا يهدي الكاذب الكفار في حالة كذبه وكفره، وإما أن يكون لفظها العموم ومعناها الخصوص فيمن حتم[٣] الله عليه بالكفر، وقضى في الأزل أنه لا يؤمن أبداً، وإلا فقد وجد الكاذب الكفار[٤] قد هدي كثيراً.

وقرأ أنس بن مالك، والجحدري: (كَذَّابٌ كَفَّارٌ) بالمبالغة فيهما، ورُويت عن الحسن، والأعرج، ويحيى بن يَعْمَر[٥].

وهذه المبالغة إِشارة إِلى المتوغل[٦] في الكُفْر، القاسي فيه، الذي يُظَنُّ به أنه محتوم[٧] عليه.

قوله تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ﴾ معناه: اتخاذَ التشريف والتَّبَنِّي، وعلى

---

(١) في المطبوع: «تقربنا».

(٢) انظر إعرابها بالمصدر في مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٦٣٠)، ولم أجد لسيبويه فيها كلاماً.

(٣) في الأصل ونور العثمانية: «ختم».

(٤) سقط من أحمد٣، وفي السليمانية: «والكافر».

(٥) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤١٣)، والبحر المحيط (٩/ ١٨٣).

(٦) في المطبوع: «التوغل».

(٧) في الأصل: «مختوم».

هذا يستقيم قوله تعالى: ﴿لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ﴾، وأَمَّا الاتخاذ المعهود في الشاهد[(١)] فَمُستحيل أَن يُتَوَهَّم في جهة الله تعالى، ولا يستقيم عليه معنى قوله: ﴿لَّٱصۡطَفَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٢] لفظ يعُمُّ اتخاذ النسل واتخاذ الأصفياء[(٢)]، فأَمَّا الأَول فمعقول، وأَما الثاني فمعروف بخبر الشَّرع، ومما يدل على أَن معنى قوله أن يتخذ الاصطفاءُ والتَّبَنِّي قوله تعالى: ﴿مِمَّا يَخۡلُقُ﴾؛ أَي: من موجوداته ومُحْدَثاته.

ثم نزَّه تعالى نَفْسه تنزيهاً مطلقاً عن جميع ما لا يكون مِدْحَةً، واتِّصافه تعالى بالقَهَّار اتصاف[(٣)] على الإِطلاق؛ لأَن أَحداً من البشر إِنِ اتَّصف بالقَهْر فمقيَّدٌ في أَشياءَ قليلة، وهو في حين[(٤)] قهره لغيره مقهور لله تعالى على أَشياءَ كثيرة.

وقوله: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ معناه: بالواجب الواقع موقعه الجامع للمصالح.

وقوله: ﴿يُكَوِّرُ﴾ معناه: يُعيد من هذا على هذا، ومنه: كور العمامة التي يلتوي بعضها على بعض، فكأن الذي يطولُ من النهار أَو من الليل يصير منه على الآخر جزءٌ فيستره، وكأَن الآخر الذي يقصر يَلِجُ في الذي يطول فيستتر فيه، فيجيءُ ﴿يُكَوِّرُ﴾ ـ على هذا ـ معادلاً لقوله تعالى: ﴿يُولِجُ﴾[(٥)]، ضِدّاً له.

وقال أَبو عبيدة: هما بمعنى واحد[(٦)]، وهذا من قوله تقريب لا تحرير.

و«تسْخيرُ الشمس»: دَوَامُها على الجري واتِّساقُ أَمرها على ما شاءَ الله تعالى، و«الأَجَلُ المُسَمَّى»: يحتمل أَن يكون يوم القيامة حين تنفسد البِنْيَة ويزول جَرْيُ هذه

(١) في المطبوع والحمزوية: «بالتَّوالد».
(٢) في المطبوع والحمزوية ونجيبويه والسليمانية وأحمد٣: «الاصطفاءِ».
(٣) سقط من المطبوع.
(٤) في المطبوع: «حيز».
(٥) تكررت هذه الكلمة في عدة سور، منها: (الحج: ٦١)، (لقمان: ٩)، (فاطر: ١٣)، (الحديد: ٦).
(٦) مجاز القرآن (٢/ ١٨٨).

الكواكب، ويحتمل أَن يريد أَوقاتَ مغيبها كل يوم وليلة، ويحتمل أَن يريد أَوقاتَ رجوعها إِلى قوانينها كُلَّ شهر في القمر وكل[١] سنة في الشمس.

قوله عزَّ وجل: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦﴾.

«النفس الواحدة» المرادة في هذه الآية: هي نفس آدم عليه السلام، قاله قتادة، وغيره[٢].

ويحتمل أَن تكون اسم الجنس.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ﴾ ظاهر اللفظ يقتضي أَن جعل الزوجة من النفس هو بعد أَن خَلَقَ الخَلْق منها، وليس الأَمر كذلك، واختلف الناسُ في تأْويل هذا الظاهر:

فقالت فرقة: قوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هو أَخْذ الذرِّيَّة من ظهر آدم، وذلك شيءٌ كان قبل خلْق حوَّاءَ منه.

وقالت فرقة: ﴿ثُمَّ﴾ إِنَّما هي لترتيب الإِخبار لا لترتيب المعاني، فكأَنه قال: ثم كان من أَمره قبل ذلك أَن جعل منها زوجها، وفي نحو هذا المعنى يُنْشَد هذا البيت:

[الخفيف] قُـلْ لِمنْ سـاد ثُـمَّ سـاد أَبُـوهُ ... ثُمَّ قدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِك جَدُّه[٣]

وقالت فرقة: قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ عبارة عن سبْق ذلك في علم الله تعالى، فلما كان ذلك أَمراً حتماً واقعاً ولا بُدَّ، حَسُنَ أَن يُخْبر عن تلك الحال التي كانت وثيقة، ثم عطف عليها حالة جعل الزوجة منها، فجاءَت معانٍ مترتبةً وإِن كان خروج خلْق العالَم من آدم إِلى الوجود إِنما يجيءُ بعد ذلك. وزَوْجُ آدَمَ: هي حوَّاءُ

(١) «كل» من الحمزوية.
(٢) تفسير الطبري (٧/ ٥١٤).
(٣) البيت لأبي نواس كما في خزانة الأدب (١١/ ٤٠)، وبلا نسبة في الأزمنة والأمكنة (ص: ٣٦)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٠٥).

عليهما السلام، وخُلِقت من ضِلَعِهِ القصيرى فيما رُوي[١]، ويؤيد هذا الحديثُ الذي فيه: «إِنَّ المرأَة خلقت من ضِلَع أعوج[٢]، فإِن ذهبت تقيمه كسرته»[٣].

وقالت فرقة: خُلقت حواءُ من بقية[٤] طين آدم عليه السلام.

والأَول أَصح، وقد تقدم شرح ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾، قيل: معناه: إِن المخلوق الأَول من هذه الأنعام خُلق في السماءِ وأُهبط إِلى الأَرض.

وقالت فرقة: بل لما نزل الأَمر بخلْقه وإِيجاده من عند الله ـ وكانت العادة في نِعَم الله ورحمته وأَمطاره وغير ذلك أَن يُقال فيها: إِنها من السماءِ ـ عبَّر عن هذه بـ﴿أَنزَلَ﴾.

[٥/ ١٨] وقالت فرقة:/ لما كانت الأَمطارُ تنزل، وكانت الأَعشاب والنبات عن المطر وكانت هذه الأَنعام عن النبات في سمتها ومعاشها[٥] قال في هذه: ﴿أَنزَلَ﴾، فهو على التدريج، كما قال الراجز:

أَسْنِمَةُ الآبالِ في رَبَابِهْ[٦] .... [الرجز]

وكما قال الشاعر:

.... تَعَالَى النَّدَى فِي مَتْنِهِ وَتَحَدَّرَا[٧] [الطويل]

---

(١) مرسل ضعيف، أخرجه الطبري (١/ ٤٤٦) من طريق ابن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، مرسلاً ذكره عن النبي ﷺ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف، وهو مع ذلك مرسل.

(٢) من المطبوع.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥١٨٦)، ومسلم (١٤٦٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في المطبوع وفيض الله: «نفس».

(٥) في المطبوع: «ومعانيها»، وفي السليمانية وأحمد٣: «سمنها» بدل «سمتها».

(٦) تقدم في تفسير الآية (٢٤) من (سورة الأعراف)، والآبالُ: جمع الإبل، والرَّباب بالفتح: سحابٌ أبيض، وسقط هذا الرجز من الحمزوية.

(٧) صدره: كثور العداب الْفَرد يضْربهُ الندى وهو لابن أَحْمَرَ كما في أدب الكاتب (ص: ٩٦)، وفقه اللغة العربية للصاحبي (ص: ٥٨)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٤٢)، والصحاح للجوهري (١/ ١٧٧)– =

وجعلها ثمانية أزواج؛ لأن كل واحد فيه زوجٌ للذكر من نوعه[١]، وهي: الضأن والمعز والبقر والإبل.

وقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾؛ قال ابن زيد: معناه: يخلقكم في البطون خلقاً من بعد خلق آخر في ظهر آدم وظهور الآباء.

وقال مجاهد، وعكرمة، والسدي: يخلقكم في البطون رُتباً خلقاً من بعد خلق على المضغة والعلقة وغير ذلك[٢].

وقرأ عيسى بن عمر، وطلحة بن مصرف: ﴿يَخْلُقكُّم﴾ بإدغام القاف في الكاف في جميع القرآن[٣].

وقرأ الجمهور: ﴿أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ بضم الهمزة، وقرأ يحيى بن وثاب بكسرها، وهما لغتان[٤].

وقوله: ﴿فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ قالت فرقة: الأولى: هي ظهر الأب، ثم رحم الأم، ثم المشيمة في البطن.

وقال مجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد: هي المشيمة والرحم، والبطن[٥].

وهذه الآية كلها هي معتبر وتنبيه [لهم على الخالق الصانع الذي لا يستحق العبادة غيره، وهذا كله في رد أمر الأصنام والإفساد لها. ثم قال تعالى لهم:][٦] ﴿ذَٰلِكُمُ

= المحكم والمحيط الأعظم (٢/ ٢٤)، وفي فيض الله وأكثر المصادر: «تعلَّى».

(١) في الأصل: «فرعه».

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٢٥٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ١١٥)، والأول في الهداية لمكي (١٠/ ٦٣٠٠).

(٣) وهي سبعية للسوسي عن أبي عمرو، على قاعدته كما في التيسير (ص: ٢٢).

(٤) القراءتان سبعيتان، والثانية لحمزة والكسائي، وزاد حمزة كسر الميم، انظر التيسير (ص: ٩٤).

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٢٥٨ و٢٥٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ١١٥).

(٦) سقط من الحمزوية، وهو في أحمد٣ ملحق في الهامش وعليه تصحيح.

﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾، وقد قامت على ذلك البراهين واتسقت الأدلة، ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾، أي: من أي جهة تضلون؟ وبأي سبب؟

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾.

قال ابن عباس: هذه الآية مخاطبة للكفار الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم، و(عباده) هم المؤمنون[1].

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أن تكون مخاطبة لجميع الناس، لأن الله غنيٌّ عن جميع الناس وهم فقراءُ إليه، وبَيَّن بُعْد البشر عن رضا الله إن كفروا، بقوله: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟﴾.

واختلف المتأولون من أهل السنة في تأويل قوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾:

فقالت فرقة: الرِّضا بمعنى الإرادة، والكلام ظاهره العموم ومعناه الخصوص فيمن قضى الله له بالإيمان وَحَتَمه له، فعباده ـ على هذا ـ ملائكته ومؤمنو البشر والجن، وهذا يتركب على قول ابن عباس.

وقالت فرقة: الكلام عموم صحيح، والكفر يقع ممن يقع بإِرادة الله؛ إِلَّا أَنه بعد وقوعه لا يرضاه ديناً لهم، فهذا يتركَّب على الاحتمال الذي تقدم آنفاً، ومعنى لا يرضاه: لا يشكره لهم ولا يثيبهم به خيراً، فالرضا ـ على هذا ـ هو صفة فعل بمعنى القبول ونحوه، وتأَمل الإرادة فإِنها حقيقة إِنما هي فيما لم يقع بعد، والرضا فإِنما هو حقيقة فيما قد وقع، واعتبر هذا في آيات القرآن تجده، وإِن كانت العرب قد تستعمل في أَشعارها على جهة التجوز هذا بَدَلَ هذا.

(١) هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٢٦٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ عمومٌ، والشكر الحقيقي في ضمنه الإِيمانُ.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، والكسائي: ﴿يَرْضَهُو﴾ بضمة على الهاءِ مُشْبَعَة.

وقرأَ ابن عامر، وعاصم بضمة [على الهاء غير مشبعة](١)، واختلف عن نافع وأَبي عمرو.

وقرأَ عاصم في رواية أَبي بكر: ﴿يَرْضَهْ﴾ بسكون الهاءِ(٢).

قال أَبو حاتم: وهو غلطٌ لا يجوز(٣).

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، أَي: لا يحمل أَحدٌ ذنب أَحد، وأَنَّث (الوَازِرَة) و(الأُخرَى) لأَنه أَراد الأَنفس.

و«الوِزْرُ»: الثقل، وهذا خبر مُضَمَّنه الحضُّ على أَن ينظر كلُّ أَحَدٍ في خاصة أَمره، وما ينوبه في ذاته.

ثم أَخبرهم بأَن مرجعهم في الآخرة إِلى ربِّهم، أَيْ: إِلى ثوابه أَو عقابه، فيوقف كل أَحد على أَعماله؛ لأَنه المطلع على نِيَّات الصدور وسرائر(٤) الأَفئدة.

و«ذَاتُ الصَّدْرِ»: ما فيه من خبيئة، ومنه قولهم: الذئب مغبوط بذي بطنه(٥).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ (٨)﴾.

---

(١) في أحمد٣ المطبوع بدلًا منه: «مختلَسَة»، مع الإشارة للنسخة الأخرى.

(٢) هذه ثلاث قراءات سبعية، الصلة لابن كثير والكسائي وابن ذكوان، والضم من غير صلة لنافع وعاصم وحمزة وهشام، والسكون لأبي عمرو بخلف عن الدوري، والوجه الثاني له الصلة، انظر التيسير (ص: ١٨٩)، والسبعة (ص: ٥٦٠)، والبدور الزاهرة (ص: ٢٧٤).

(٣) نقله عنه في البحر المحيط (٩/ ١٨٧)، قال: وليس بغلط، بل ذلك لغة لبني كلاب وبني عقيل.

(٤) في الأصل: «وسائر»، وفي فيض الله: «وضمائر».

(٥) تقدم شرح هذا المثل مكرراً.

﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ في هذه الآية يرادُ به الكافر بدلالة ما وصفه به آخراً من اتخاذ الأَنْداد لله تعالى، وقوله تعالى ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾.

وهذه آيةٌ بيَّن تعالى بها على الكفار أنهم على كل حال يَلْجَؤون في حال الضرورات إِليه، وإِن كان ذلك عن غير يقين[1] منهم ولا إِيمان، فلذلك ليس بِمُعْتَدٍّ به.

و﴿مُنِيبًا﴾ معناه: مقارباً مراجعاً بصيرته.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً﴾ يحتمل أَن يريد: في كشف الضُّر المذكور.

ويحتمل أن يريد نعمة أَيَّ نعمة كانت، واللفظ يعم الوجهين.

و﴿خَوَّلَهُۥ﴾ معناه: مَلَّكَهُ وحكَّمه فيها ابتداءً منه لا مجازاةً، ولا يقال في الجزاءِ: خَوَّلَ، ومنه الْخَوَل، ومنه قول زُهَير:

هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَخْوَلُوا المالَ يُخوِلُوا[2] .... [الطويل]

وهذه الرواية الواحدة، ويُرْوَى: يُسْتَخْبلُوا[3].

وقوله تعالى: ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾؛ قالت فرقة: ﴿مَا﴾ مصدرية، والمعنى: نسِيَ دعاءَه إليه في حال الضرر ورجع إِلى كفره، وقالت فرقة: ﴿مَا﴾ بمعنى الذي، والمراد بها اللهُ تعالى، وهذا كنحو قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣، ٥]، وقد تقع «ما» مكان «من» فيما لا يُحصى كثرةً من كلامهم.

ويحتمل أَن تكون ﴿مَا﴾ نافية، ويكون / قوله: ﴿نَسِيَ﴾ كلاماً تامّاً، ثم نفى أَن يكون دعاءُ هذا الكافر خالصاً لله ومقصوداً به من قَبْل النعمة، أَي في حال الضُّر. [٥/ ١٩]

---

(١) في أحمد٣: «تعين».

(٢) عجزه: وَإِنْ يُسْأَلُوا يُعْطُوا وَإِنْ يَيْسِرُوا يُغْلُوا، وقد تقدم في تفسير الآية (٩٤) من (سورة الأنعام)، مع الإشارة للرواية الأخرى.

(٣) نقلها في مجاز القرآن (٢/ ١٨٩) عن يونس، ووردت أيضاً في العين (٤/ ٢٧٣)، وجمهرة اللغة (١/ ٢٩٣)، وغيرهما.

ويحتمل أَن تكون ﴿مَا﴾ نافية، ويكون قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ يريد به: من قَبْل الضَّرر، فكأَنه يقول: ولم يكن هذا الكافر يدعو في سائر زمنه قبل الضرر، بل أَلجأَه ضرره إِلى الدعاءِ.

و«الأَنْدَادُ»: الأَمثال[١] التي تضادُّ وتزاحم وتعارض بعضها بعضاً.

قال قتادة: المُرادُ: من الرجال يطيعونهم في معصية الله تعالى[٢].

وقال غيره: المرادُ: الأَوثانُ[٣].

وقرأَ الجمهور: ﴿لِّيُضِلَّ﴾ بضمِّ الياءِ، وقرأَها [بفتح الياءِ][٤] أَبو عمرو، وعيسى، وابن كثير، وشبل[٥].

ثم أَمر تعالى نَبِيَّه أَن يقول لهم ـ على جهة التهديد ـ قولاً يخاطب به واحداً واحداً[٦] منهم: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾؛ أَي: تَلَذَّذ به، واصنع ما شئت، والقليل هو عُمْرُ هذا المخاطب.

ثم أَخبره أَنه مِنْ أَصْحابِ النَّارِ، أَي: من سكانها والمخلَّدِين فيها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾.

---

(١) في الأصل: «الأضداد»، والمثبت من النسخ الأخرى.

(٢) عزاه له في البحر المحيط في التفسير (٩/ ١٨٨)، وفي الأصل: «مجاهد»، ولم أجده له، وإنما عزاه الطبري (٣/ ٢٨٠-٢١/ ٢٦٤)، والنحاس في معاني القرآن (٦/ ١٥٦) والقرطبي في تفسيره (١٥/ ٢٣٨) لقتادة، والله أعلم.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٢٦٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ١٥٦)، وتفسير ابن أبي زمنين (٤/ ١٠٥).

(٤) في أحمد٣: «فتحها»، وفي الأصل: «الباقون».

(٥) فهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٢٦٧)، والتيسير (ص: ١٣٤).

(٦) «واحداً» الثانية سقط من الأصل.

قرأ ابن كثير، ونافع، وحمزة: ﴿أَمَنْ﴾ بتخفيف الميم، وهي قراءة أهل مكَّة، والأَعمش، وعيسى، وشيبة بن نصاح، ورُويت عن الحسن، وضعَّفها الأَخفش، وأَبو حاتم[١].

وقرأ عاصم، وأَبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، والحسن، والأَعرج، وقتادة، وأَبو جعفر: ﴿أَمَّنْ﴾ بتشديد الميم[٢].

فأَمَّا القراءة الأُولى فلها وجهان:

أَحدهما ـ وهو الأَظهر ـ: أَنَّ الأَلِفَ أَلِفُ تقرير واستفهام، كأَنه يقول: أهذا القانت خيرٌ أَم هذا المذكور الذي يتمتَّع بكفره قليلاً وهو من أَصحاب النَّار؟ وفي الكلام حذف يدل عليه سياق الآيات مع قوله آخراً: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ونظيره قول الشاعر:

فَأُقْسِمُ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ سواكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا[٣] [الطويل]

ويوقف ـ على هذا التأويل ـ على قوله: ﴿رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾.

والوجه الثاني: أن يكون الألف[٤] نداءً، والخطاب لأهل هذه الأوصاف، كأنه يقول لصاحب هذه الصفات: قل هل يستوي؟ فهذا السؤال بـ﴿هَلْ﴾ هو للقانت، ولا يوقف ـ على هذا التأويل ـ على قوله: ﴿رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾.

وهذا معنى صحيح إِلَّا أَنه أَجنبي من معنى الآيات قبله وبعده، وضعَّفه أَبو علي الفارسي[٥].

---

(١) قال في البحر المحيط (٩/ ١٨٩): ولا التفات لتضعيف الأخفش وأبي حاتم لها. وفي أحمد٣ والسليمانية بدل «الأخفش»: «الأعمش».

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٩)، والنشر (٢/ ٣٦٢)، والسبعة (ص: ٥٦١).

(٣) البيت لامرئ القيس كما تقدم في تفسير الآية (١٨) من (سورة هود).

(٤) في الحمزوية: «الإنذار».

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ٩٢).

وقال مكيٌّ: إِنه لا يجوز عند سيبويه؛ لأَن حرف النداءِ لا يسقط مع المُبْهَم[١].

وليس كما قال مكي، أما مذهب سيبويه في أَن حرف النداءِ لا يسقط مع المُبْهم فَنَعَمْ؛ لأَنه يقع الإِلباسُ الكثير بذلك، وأَما أَن هذا الموضع سقط فيه حرف النداءِ فَلا والألف ثابتةٌ فيه ظاهرة.

وأَمَّا القراءَة بتشديد الميم فإِنها (أَمْ) دخلت على (مَنْ)، والكلام ـ على هذه القراءَة ـ لا يحتمل إِلَّا المعادلة بين صنفين، فيحتمل أَن يكون ما يُعادل (أَمْ) متقدماً في التقدير، كأَنه يقول: أَهذا الكافر خيرٌ أَمْ مَنْ، ويحتمل أَن تكون (أَمْ) قد ابتدأَ بها بعد إِضراب مقدر، ويَكُون المعادلُ في آخر الكلام، والأَوَّلُ أَبْيَن.

و«الْقَانِتُ»: المطيع، وبهذا فسَّر ابن عباس رضي الله عنه[٢]، والقُنوت في كلام العرب يقع على القراءَة، وعلى طول القيام[٣] في الصلاة، وبهذا فسَّرها ابن عمر رضي الله عنه[٤].

ورُوي عن ابن عباس أَنه قال: من أَحبَّ أَن يهوِّن الله عليه الوقوف يوم القيامة فليره[٥] الله في سواد الليل ساجداً وقائماً[٦].

ويقع القنوت على الدعاءِ، وعلى الصمت عبادة.

---

(١) الهداية لمكي (٢/ ١٤٦٣).

(٢) أخرجه ابن المنذر في «الأوسط» (٣/ ٢٣٠)، والطبري (٤/ ٣٧٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٧٧-٢٠/ ١٧٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بنحوه.

(٣) في المطبوع: الكلام.

(٤) صحيح، أخرجه الطبري (٢١/ ٢٦٧) من طريق عبيد الله بن عمر العمري، عن نافع، عن ابن عمر، أنه كان إذا سُئل عن القنوت، قال: لا أعلم القنوت إلا قراءة القرآن وطول القيام، وقرأ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا ﴾.

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «فلْيُنَزِّه».

(٦) لم أهتد إليه.

ورَوَى أَبو سعيد عن النبي ﷺ: أَن القنوت الطاعة(١).

وقال جابر بن عبد الله: سُئل رسول الله ﷺ: أَيُّ الصلاة أَفضل؟ قال: «طول القنوت»(٢).

و«الآناءُ»: السَّاعاتُ، واحدها إِنًى كمِعًى، ومنه قولهم: لن يعدو شيءٌ إِناهُ، ومنه قوله تعالى: ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، على بعض التأْويلات في ذلك، ويُقال في واحدها أَيضاً: أَنًا، على وزن: قَفًا، ويقال فيه أيضا: إِنْيٌ؛ بكسر الهمزة وسكون النون، ومنه قول الهُذَلِيِّ:

حُلْوٌ وَمُرٌّ كَعِطْفِ القِدْحِ مِرَّتُهُ ... في كُلِّ إِنيٍ قضاه اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ(٣) [البسيط]

وقرأَ الضحاك: (سَاجِدٌ وقَائِمٌ) بالرفع فيهما(٤).

وقوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ معناه: يحذر حالها وهولها.

وقرأَ سعيد بن جُبَيْر: (يَحْذَرُ عَذَابَ الآخِرَةِ)(٥).

و﴿أُوْلُواْ﴾ معناه: أَصحاب الألباب، واحدهم: ذُو.

وقرأَ جمهور القراء: ﴿قل يا عباديَ﴾ بفتح الياءِ.

---

(١) ضعيف، أخرجه أحمد في مسنده (١٨/ ٢٣٩)، وأبو يعلى (١٣٧٩)، والطبري (٤/ ٣٧٩)، وابن أبي حاتم (١١٢٨-٣٤٩٢)، وابن حبان في صحيحه (٣٠٩)، والطبراني في الأوسط (٥١٨١) من طريق دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد به، بلفظ: «كُلُّ حَرْفٍ فِي الْقُرآنِ يُذْكَرُ فِيهِ القُنُوتُ فَهُوَ الطَّاعَةُ»، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف دراج ـ وهو ابن سمعان أبو السمح ـ في روايته عن أبي الهيثم ـ وهو سليمان بن عمرو العتواري.

(٢) أخرجه مسلم (٧٥٦).

(٣) البيت للمُتَنَخِّل الهذلي، يرثي ابنه أُثَيْلَة الذي مات في شبابه، وقد تقدم في تفسير الآية (١١٣) من (سورة آل عمران)، وفي نجيبويه وفيض الله ونور العثمانية: «حداه»، وفي الحمزوية: «حداة»، وفي أحمد٣: «حذاه».

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤١٣).

(٥) انظر عزوها له في معاني القرآن للنحاس (٦/ ١٥٩)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٢٤).

وقرأ أَبو عمرو، وعاصم، والأَعمش: ﴿يا عبادي﴾ بياء ساكنة.

وقرأ أَبو عمرو، وعاصم أَيضاً، والأعمش، وابن كثير: ﴿يَٰعِبَادِ﴾ بغير ياءٍ في الوصل(١).

ويُروى: أَن هذه الآية نزلت في جعفر بن أَبي طالب رضي الله عنه وأصحابه حين عزموا على الهجرة إِلى أَرض الحبشة(٢).

وَوَعَدَ تعالى بقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾.

ويحتمل أَن يكون قوله: ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ متعلقاً بـ﴿أَحْسَنُواْ﴾، وكأَنه يريد: إِنَّ الذين يحسنون في الدنيا لهم حسنة في الآخرة، وهي الجنة والنعيم، قاله مقاتل(٣).

ويحتمل أَن يريد: إِنَّ الذين يحسنون لهم حَسنَةٌ في الدنيا، وهي العافية والظهور(٤) وولاية الله تعالى، قاله السدي(٥)، وكان قياس قوله أَن يكون ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ متأَخراً، ويجوز تقديمه، والقول الأَول أَرجح، وهو أَن الحسنة هي في الآخرة.

و(أَرضُ الله) يريد بها: البلاد المجاورة التي تقتضيها القصة التي الكلام فيها.

[٥/ ٢٠] وهذا حضٌّ على الهجرة، ولذلك وصف / الله الأَرضَ بالسَّعَة.

---

(١) وقع خلط في بيان هذه القراءة؛ فهي محذوفة باتفاق، من طرق التيسير والدرة، ونقل في جامع البيان (٤/ ١٥٤١) فتحها عن الشموني والتيمي عن الأعشى وضرار عن يحيى عن شعبة، وابن بكّار عن أيوب عن ابن عامر، وسكونها عن قتيبة عن الكسائي، ونقله في الكامل (ص: ٤٣٩) عن البرجمي، وفي إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٨١) أن أبا العلاء انفرد به عن رويس. وفي الحمزوية: «أبو بكر» بدل «أبي عمرو» الأول.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٥/ ٢٤٠) ولم أقف عليه مسنداً.

(٣) بلا نسبة في تفسير الطبري (٢١/ ٢٦٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ١١٨)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣١٠) وانظر: تفسير الثعالبي (٤/ ٥١).

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «والطهور».

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٢٦٩)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣١٠).

وقال قوم: أَراد بالأَرض هنا الجنة، وفي هذا القول تحكم لا دليل عليه.

ثم وَعَدَ تعالى على الصبر على المكاره، والخروج عن الوطن، ونُصرة الدين، وجميع الطَّاعات، بأَن الأَجر يُوَفَّى بغير حساب، وهذا يحتمل معنيَيْن:

أَحدهما: أَن الصَّابر يُوَفَّى أَجره ثم لا يُحاسب عن نعيم ولا يُتَابع بذنوب، فيقع ﴿ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ في هذه الآية على الجماعة التي ذكرها النبي ﷺ أَنها تدخل الجنة دون حساب، وفي قوله: «يدخل الجنَّة من أُمَّتي سبعون أَلْفاً بغير حساب؛ هم الذين لا يتطيَّرون ولا يَكْتَوُونَ ولا يَسْتَرْقون، وعلى ربِّهم يتوكَّلون، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر»[1]، الحديث على اختلاف ترتيباته.

والمعنى الثاني: أَن أُجور الصابرين تُوَفَّى بغير حصْر ولا عَدٍّ، بلْ جزافاً، وهذه استعارة للكثرة التي لا تُحصى، ومنه قول الشاعر:

مـا تَمْنَعـي يَقْظَـى فَقَـدْ تُعْطِينـهُ ... في النَّوم غير مسرد محْسُوبِ[2] [الكامل]

وإلى هذا التأْويل ذهب جمهور المفسِّرين، حتى قال قتادة: ليس ثَمَّ والله مكيال ولا ميزان[3].

وفي بعض الحديث: أَنه لما نزلت ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]، قال النبي ﷺ: «اللهم زِدْ أُمَّتي»، فنزلت بعد ذلك: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٧٠٥) من حديث ابن عباس، ومسلم (٢١٨) من حديث عمران بن حصين.

(٢) البيت لقيس ابن الخَطْيم كما في الاشتقاق (ص: ٣٤)، وقواعد الشعر (ص: ٣٣)، وأمالي القالي (٢/ ٢٧٣)، وديوان المعاني (١/ ٢٧٦). وفي السليمانية: «تقضى... في اليوم»، وفي المطبوع ونور العثمانية وفيض الله والحمزوية وأحمد٣: «مُصَرَّدِ» وأشار لها في هامش الأصل.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٢٧٠)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣١١)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٢٥)، وتفسير الثعالبي (٤/ ٥٢).

﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، فقال: «اللهم زِدْ أُمَّتي»، حتى نزلت: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾، فقال: «رَضِيتُ يا رَب»[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾.

أَمر الله تعالى نبيَّه في هذه الآية بأَن يصدع للكفار فيما أُمر به من عبادة ربِّه.

وقوله: ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ﴾، معناه: وأُمرت بهذا الذي ذكرتُ لكي أَكون أَول من أَسلم من أَهل عصري وزمني، فهذه نعمة من الله تعالى عليه، وتنبيهٌ منه له.

وقوله: ﴿أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ﴾ فعل معلَّق بشرط وهو العصيان، وقد عُلم أنه ﷺ معصوم منه، ولكنه خطابٌ لأُمَّته، يَعُمُّهم حكمه ويخيفهم وعيده.

وقوله تعلى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ﴾ تأْكيد للمعنى الأَول، وإِعلامٌ بامتثاله كله للأَمر، وهذا كلُّه نزل قبل القتال؛ لأَنها موادعات.

وقوله: ﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ صيغة أَمْر على جهة التهديد، كنحو قوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: ٤٠]، وقوله: ﴿تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ﴾ [الزمر: ٨]، وهذا كثير.

و﴿ٱلَّذِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ في موضع رفع خبرٌ لـ﴿إِنَّ﴾.

---

(١) ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧٢٤)، وابن حبان في صحيحه (٤٦٤٨)، والطبراني في الأوسط (٥٦٤٥)، والإسماعيلي في معجمه (٢٨١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٢٨٠) من طريق عيسى بن المسيب، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ قال رسول الله ﷺ: «رب زد أمتي» فنزلت: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾ قال رسول الله ﷺ: «رب زد أمتي» فنزلت: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾. بدون قوله «رَضِيتُ يا رَب»، وعيسى بن المسيب البجلي الكوفي ضعيف، وانظر «الميزان» (٣/ ٣٢٣).

وقوله: ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾ قيل: معناهُ أَنهم خسروا الأَهل الذي كان يكون[١] لهم لو كانوا من أَهل الجنة، فهذا كما لو قال: خَسِرُوا أَنفسهم ونعيمهم؛ أَي: الذي كان يكون لهم. وقيل: أَراد الأَنفس والأَهلين الذين كانوا في الدنيا؛ لأَنهم صاروا في عذاب النار، ليس لهم نفوسٌ مستقرة، ولا بدل من أهل الدنيا، ومَنْ له في الجنة قد صار له إِما أَهله في الدنيا وإِما غيرهم، على اختلاف فيما يُؤثر في ذلك، فهو على كل حالٍ لا خُسران معه البَتَّة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾.

هذه صفة حال أَهل جهنم.

و«الظُّلَّةُ»: ما غَشِيَ وعمَّ؛ كالسحابة وسقف البيت ونحوه، فأَمَّا ما فوقهم؛ فكونُه ظُلَّة بَيِّنٌ، وأَمَّا ما تحتهم؛ فقالت فرقة: سُمِّي ظُلَّة لأَنه يتلهب، ويصعد ممَّا تحتهم شيءٌ كثير ولهب حتى يكون ظُلَّة، فإن لم يكن فوقهم شيءٌ لكفى فرع الذي تحتهم في أَن يكون ظُلَّة.

وقالت فرقة: جعل ما تحتهم ظُلَّة لأَنهم فوق آخرين، وهكذا هي حالهم إلا[٢] الطبقة الأَخيرة التي في القعر.

وقوله: ﴿عِبَادَهُۥ﴾ يريد جميع العالم، خوَّفهم الله النَّار وحذَّرهم منها، فمن هدي وآمن نجا، ومن كفر حصل فيما خوَّف منه.

واختلفت القراءَة في قوله: ﴿يَٰعِبَادِ﴾، وقد تقدم نظيره[٣].

---

(١) سقط من أحمد٣.

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «إِلى».

(٣) فيها هنا الإثبات وقفاً ووصلًا مفتوحة للسوسي بخلفه، والحذف في الحالين للباقين، انظر التيسير (ص: ١٨٩)، والنشر (٢/ ١٨٩)، وانظر الخلاف خارج طرقهما عن شعبة في جامع البيان (٤/ ١٥٤٥)، وعن ابن كثير في السبعة (ص: ٥٦١).

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ الآية؛ قال ابن زيد: إن سبب نزولها زيد ابن عمرو بن نفيل، وسلمان الفارسي، وأبو ذرٍ الغِفَارِي، والإشارةُ إليهم[١]. وقال ابن إسحاق: الإشارة بها إلى عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، والزُّبَيْر، وذلك أنه لما أسلم أبو بكر سمعوا ذلك فجاؤوه فقالوا: أسلمت؟ قال: نعم، وذكَّرهم بالله فآمنوا بأجمعهم، فنزلت فيهم هذه الآية[٢]، وهي على كل حالٍ عامة في الناس إلى يوم القيامة، يتناولهم حكمها.

و﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾: كلُّ ما يُعبد من دون الله.

و﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾ أيضاً: الشيطان، وبه فسَّرها مجاهد، والسدي، وابن زيد[٣].

وأَوْقَعه هنا على جماعة الشياطين، ولذلك أنَّثَ الضمير بعد[٤].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾ كلام عام في جميع الأقوال، وإنما القصد الثناءُ على هؤلاءِ ببصائر هي لهم وقوام في نظرهم، حتَّى أنهم إذا سمعوا قولاً مَيَّزوه واتبعوا أحسنه، واختلف المفسرون في العبارة عن هذا:

[٥/ ٢١] فقالت فرقة: أحسن القول: كتاب الله؛ أيْ: إذا سمعوا الأقاويل وسمعوا / القرآن اتَّبعوا القرآن، وقالت فرقة: الْقول: هو القرآن، وأَحْسَنَهُ: ما فيه من عفو وصفح واحتمال على صبر ونحو ذلك، وقال قتادة: أحسن القول: طاعة الله تعالى.

وهذه أمثلة، وما قلناه أوَّلاً يعمها[٥].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٢٧٤)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٢٧).

(٢) الهداية لمكي (٩/ ٥٧٢٥ و١٠/ ٦٣١٦)، وأسباب النزول للواحدي (ص ٢٤٧).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٢٧٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٢٠).

(٤) في المطبوع بدلًا من «بعد»: «في يَعْبُدُوهَا».

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٢٧٤)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٢٧).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾.

أَسقط العلامة التي في الفعل المسند إِلى الكلمة لوجهين:

أَحدهما: الحائل الذي بين الفعل والفاعل، ولو كان متَّصلاً به لم يحسن ذلك.

والثاني: أَن «الكلمة» غير مؤنث حقيقي، وهذا أَخف وأجوز[1] من قولهم: حضر القاضي اليوم امرأَةٌ؛ لأَن التأْنيث هنا حقيقي.

وقالت فرقة: في هذا الكلام محذوف اختصره لدلالة الظاهر عليه، تقديره: أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذابِ تتأَسَّف أنت عليه؟ أَو نحو هذا من التقدير، ثم استأْنف توقيف[2] النبي ﷺ على أنه يريد أَن ينقذ من في النار، أَي: ليس هذا إِليك.

وقالت فرقة: الأَلف في قوله: ﴿أَفَأَنتَ﴾ إنما هي مؤكدة زادها لطول الكلام، وإِنما معنى الآية: أَفمن حقَّ عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذه؟ ولكنه زاد الأَلف الثانية توكيداً للأَمر، وأَظهر الضمير العائد تشهيراً لهؤلاءِ القوم، وإِظهاراً لِخِسَّة منازلهم وهذا كقول الشاعر:

لَا أَرى الْمَوْتَ يسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ[3] .... [الخفيف]

وإنما أَظهر الضمير تنبيهاً على عِظَم قدر الموت، وهذا كثير.

ثم استفتح إِخْبَاراً آخر بـ﴿لَٰكِنِ﴾، وهذه مُعادَلَةٌ وتحضيض على التقوى لمن فكَّر وازدجر.

وقوله تعالى: ﴿مِن تَحْتِهَا﴾؛ أَي: من تحت الغُرف، وعادلت: ﴿غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا

(١) في المطبوع وأحمد٣: و«أَجود».

(٢) في المطبوع والحمزوية وأحمد٣: «قوله لـ».

(٣) صدر بيت لعدي بن زيد العبادي، وقد تقدم في تفسير الآية (١٠٨) من (سورة آل عمران).

غُرَفٌ﴾ ما تقدم [من الظلل فوقهم وتحتهم][١].

و«الغُرَفُ»: ما كان من المساكن مرتفعاً عن الأَرض، وفي الحديث: «إِن أَهل الجنة ليتَرَاءَوْنَ الغُرفَ من فوقهم كما تراءَوْن الكوكب الدُّرِّيَّ في الأُفق»[٢].

وقوله: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ نصب على المصدر، ونصبه إِمَّا بفعل مضمر من لفظه، وإِمَّا بما تضمَّن الكلام قبْلُ من معنى الوعد على الاختلاف الذي للنحاة في ذلك.

ثم وقف نبيَّه ﷺ على معتبر من مخلوقاته، والخطاب للنبي ﷺ وكلُّ بشر داخلٌ معه في معناه، وقال الطبريُّ وغيره: أَشار إِلى ماءِ المطر، وقالوا: العيونُ منه، ودليل ذلك: أنها تنماع[٣] عند وجوده وتيْبَس عند فقده[٤].

وقال الحسنُ بن مُسْلم [بنُ يَنَّاقٍ][٥]: الِإشارة إلى العيون، وليست العيون من المطر، ولكنْ ماؤُها نازل من السماءِ[٦].

[وقال الشعبي: وكل ماءٍ عذب في الأَرض فمن السماءِ][٧] نزل.

قال القاضي أبو محمد: والقولان متقاربان.

و(سَلَكَهُۥ) معناه: أَجراهُ وأدخله، ومنه قول الشاعر:

حتَّى سَلَكْنَ الشَّوى مِنْهُنَّ في مسكٍ ... مِـنْ نَسْـلِ جَوَّابَةِ الآفَـاقِ مِهْداج[٨] [البسيط]

---

(١) في المطبوع بدلًا منه: من قوله سبحانه: ﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ﴾.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) يَنْماع: يَسيل.

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٢٧٦).

(٥) سقط من السليمانية، وفي نور العثمانية وأحمد٣: «بن بيان»، وفي الحمزوية: «من ساق»، وهو الحسن بن مسلم بن يناق المكي، ثقة، توفي في حياة والده، حدث عن وطاوس، ومجاهد، وعنه: سليمان التيمي، وثقه ابن معين، مات بعد المئة. تاريخ الإسلام (٧/ ٦٣).

(٦) انظر تفسير الطبري (٢١/ ٢٧٦) وفيه أنه: ابن بيان.

(٧) سقط من أحمد٣، وانظر قول الشعبي في تفسير الطبري (٢١/ ٢٧٦).

(٨) البيت لأبي وَجْزَة السَّعْدي، كما تقدم في تفسير الآية (١٢) من (سورة الحجر).

ومنه قول امرئ القيس:

نَطْعُـنُـهُـمْ سُلْكَى ومَخْلُـوجَـةً [كـرَّكَ لأمَـيْـنِ عَـلَـى نَـابِلِ][١] [السريع]

وواحد الينابيع: ينبوع، وهو العيْن يُبْنى لها بناءٌ، مبالغة من النبع.

و«الزَّرْعُ» هنا واقع على كل ما يُزرع.

وقالت فرقة: ﴿أَلْوَانُهُۥ﴾: أَعراضه من الحمرة والصُّفرة وغير ذلك.

[وقالت فرقة: ﴿أَلْوَانُهُۥ﴾: أنواعه من القمح والأرز والذرة وغير ذلك][٢].

و﴿يَهِيجُ﴾: يَيْبس، هاج الزرع والنبات: إذا يبس، ومنه قول عليٍّ رضي الله عنه في الحديث الذي في «غريب ابن قتيبة»: ذِمَّتي رهينة، وأَنا به زعيم أَن لَّا يَهِيج على التَّقْوى زرعُ قوم، ولا يَيْبَس على التَّقوى سنخ أَصلٍ[٣]، الحديث.

و«الحُطَامُ»: اليابس المتفتت، ومعنى قوله تعالى: ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ أَي: للبعث من القبور وإِحياءِ الموتى على ما يوجبه[٤] هذا المثال المذكور.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾.

---

(١) عزاه له في تأويل مشكل القرآن (ص: ٦٤)، والاشتقاق (ص: ٣٨٢)، والجيم (٣/ ٢١٩). والشطر الثاني من المطبوع وأحمد٣.

(٢) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٣) أخرجه ابن قتيبة في غريب الحديث (٢/ ١٢٠) من طريق ابن لهيعة، عن عبد الله بن هبيرة، عن علي ابن أبي طالب به مطولاً، وعبد الله بن لهيعة ضعيف، وابن هبيرة لم يدرك علياً رضي الله عنه، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٢/ ٥٠٤-٥٠٥) من طريق خالد بن طليق، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب به، بنحوه، وخالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حصين الخزاعي قال فيه الدارقطني: ليس بالقوي. اهـ. وأبوه مستور. وفي المطبوع بدل «سنخ» نقاط، قال في الحاشية: كلمة غير واضحة في الأصول.

(٤) في المطبوع والحمزوية: «يوحيه».

رُوي أَن هذه الآية: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ الآية، نزلت في عليٍّ وحمزة وأَبي لهب وابنه، وهما اللَّذان كانا من القاسية قلوبهم(١).

وفي الكلام محذوف يدلُّ عليه الظاهر، تقديره: أفمن شرح الله صدره كالقاسي القلب والمُعْرِض عن أَمر الله.

و«شرح الصدر» استعارة لتحصيله للنظر الجيد والإِيمان بالله.

و«النُّورُ»: هداية الله تعالى، وهي أَشبه شيءٍ بالضوءِ.

قال ابن مسعود: قُلْنا: يا رسول الله، كيف انشراح الصدر؟ قال: «إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح»، قالوا: وما علامة ذلك؟ قال: «الإِنابة إِلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والتأَهب للموت [قبل الموت]»(٢).

---

(١) أسباب النزول للواحدي (ص: ٢٤٨)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣٢٥).

(٢) سقط من المطبوع وأحمد٣، وفي السليمانية: «قبل نزوله»، وفي نور العثمانية: «قبل الفوت». والحديث ضعيف، أخرجه الطبري (٩/ ٥٤٢-٥٤٣) من طريق سعيد بن عبد الملك بن واقد الحراني، عن محمد بن سلمة، عن أبي عبد الرحيم، عن زيد بن أبي أنيسة، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، بنحوه، وسعيد بن عبد الملك بن واقد الحراني ضعيف؛ قال أبو حاتم: يتكلمون فيه يقال أنه أخذ كتباً لمحمد بن سلمة فحدث بها ورأيت فيما حدث كذب. انظر ترجمته في الجرح والتعديل (٤/ ٤٥)، ولسان الميزان (٣/ ٣٧)، وقد اختلف على عمرو بن مرة، فرواه عنه أبو عبد الرحيم، عن زيد بن أبي أنيسة، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، كما تقدم، وخالفه يزيد بن سنان، فرواه عن زيد بن أبي أنيسة، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن مسعود به، وقد أخرج هذه الرواية البيهقي في القضاء والقدر (٣٣٤)، وفي الزهد الكبير له (٩٨٣)، وقد رواه وكيع، عن المسعودي، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود ذكره الدارقطني في العلل (٥/ ١٨٩) وقال: وكلها وهم، والصواب عن عمرو بن مرة، عن أبي جعفر عبد الله ابن المسور مرسلاً، عن النبي ﷺ كذلك قاله الثوري، وعبد الله بن المسور بن جعفر بن أبي طالب متروك. اهـ، أما رواية الثوري أخرجها الطبري (٩/ ٥٤٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٥)، وقد تابع الثوري الأعمش كما عند ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٤٥٥)، والحسن بن الفرات عند ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٨٧٢)، وسليمان التيمي عند الطبري (٩/ ٥٤١)، وأخرجها عبد الرزاق =

و«القَسْوَة»: شدة القلب، وهي مأْخوذة من قسوة الحجر، شبَّه قلب الكافر به في ضلالته[١]، وقلة انفعاله للوعظ.

وقال مالك بن دينار: ما ضُرب عبْدٌ بعقوبةٍ أَعظم من قسوة قلب[٢].

ويدلُّ قوله: ﴿لِّلْقَٰسِيَةِ﴾ على المحذوف المُقَدَّر.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ يريد به القرآن / . [٥/ ٢٢]

وروي عن ابن عباس: أَنَّ سبب هذه الآية: أَن قوماً من أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، حدِّثْنَا بأَحاديث حسانٍ، وأَخبرنا بأَخبار الدهر، فنزلت الآية في ذلك[٣].

وقوله: ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ معناه: مستوياً لا تناقض فيه ولا تدافع، بل يشبه بعضه بعضاً في رصف[٤] اللفظ، ووثاقة البراهين، وشرف المعاني؛ إِذ هي اليقين في العقائد في الله تعالى وصفاته وأَفعاله وشرعه.

وقوله: ﴿مَّثَانِيَ﴾ معناه: موضع تثْنِيَةٍ للقصص والأَقضية والمواعظ، تُثَنَّى فيه ولا تُمَلُّ مع ذلك، ولا يعرضها ما يعرض الحديث المعاد، قال ابن عباس: ثني فيه الأَمر مراراً[٥].

ولا ينصرف (مَثَانِيَ) لأَنه جمع لا نظير له في الواحد.

= في تفسيره (١/ ٢١٧)، والطبري (٩/ ٥٤١) من طريق الثوري، عن عمرو بن قيس، عن عمرو بن مرة به، ويؤيده رواية خالد بن أبي كريمة عن عبد الله بن مسور به، أخرجه سعيد بن منصور (٩١٨)، والطبري (٩/ ٥٤٣) في تفسيريهما من طريق سفيان بن عيينة، عن خالد بن أبي كريمة، به، ومن طريق سعيد بن منصور أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٦)، وله طرق أخرى لا يصح منها شيء.

(١) في الأصل والحمزوية: «ضلالته».

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٠).

(٣) بهذا اللفظ لم أقف عليه، وانظر تفسير الطبري (١٣/ ٧).

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «رصانة».

(٥) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٨٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقوله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ عبارة عن قَفِّ[١] شَعْر الإِنسان عندما يداخله خوف، ولينُ قلب عند سماع موعظة أَو زجر قرآن ونحوه، وهذه علامة وقوع المعنى المخشع في قلب السامع.

وفي الحديث: أَن أُبَيَّ بن كعب قرأَ عند النبي ﷺ فرَقَّت القلوب، فقال النبي ﷺ: «اغتنموا الدعاءَ عند الرقَّة فإِنها رحمة»[٢].

وقال العباس بن عبد المطلب: قال النبي ﷺ: «من اقشعر جلده من خشية الله تحاتَّت عنه ذنوبه كما تتحات عن الشجرة[٣] اليابسة ورقها»[٤].

وقالت أَسماءُ بنت أَبي بكر: كان أصحاب الرسول ﷺ تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم عند سماع القرآن، قيل لها: إِن أَقواماً اليوم إِذا سمع أَحدهم القرآن خرَّ مغشيّاً عليه، فقالت: أَعوذ بالله من الشيطان الرجيم[٥].

---

(١) في المطبوع: «وقف».

(٢) منقطع، أخرجه ابن شاهين في الترغيب والترهيب (١/ ٢٨٤)، والقضاعي في مسنده (٦٩٢) من طريق شبابة بن سوار الفزاري، عن محمد بن مطرف، عن زيد بن أسلم، عن أبي بن كعب به، وهذا إسناد منقطع لعدم سماع زيد بن أسلم من أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٣) من نجيبويه والسليمانية وفيض الله ونورالعثمانية.

(٤) ضعيف، أخرجه أبو يعلى في مسنده كما في إتحاف الخيرة المهرة (٧٠٩٤) وقال البوصيري: وسنده ضعيف.اهـ، لأنه من طريق يحيى بن عبد الحميد الحماني فإنه متهم بسرقة الحديث، ولجهالة أم كلثوم بنت العباس، وأخرجه البزار في مسنده (١٣٢٢)، وابن قانع في معجم الصحابة (٢/ ٢٧٦)، والطبراني كما في الإصابة (٨/ ٢٩٥)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/ ٣٥٥١)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٥٦) من طريق عبد العزيز بن محمد الداروَاردي، عن يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أم كلثوم بنت العباس، عن أبيها به، وأخرجه ابن منده كما في الإصابة (٨/ ٢٩٥) من طريق الدراوردي، عن محمد بن إبراهيم، عن أم كلثوم بنت العباس، مرفوعاً بدون ذكر أبيها، قال الحافظ: والصواب بذكر أبيها، وانظر السلسلة الضعيفة (٢٣٤٢).

(٥) لا يثبت اتصاله، أخرجه المروزي في زوائده على الزهد لابن المبارك (١٠١٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٩/ ١٩-٢٠) من طريق هشيم، عن حصين، عن عبد الله بن عروة بن الزبير، عن جدته =

وقال ابن عمر ـ وقد رأى ساقطاً عند سماع القرآن ـ ، فقال: إنَّا لنخشى الله وما نَسْقُط، هؤلاء يدخل الشيطان في جوف أحدهم[١].

وقال ابن سيرين: بيننا وبين هؤلاءِ القوم الذين يصرعون عند قراءَة القرآن أَن يُجعل أَحدهم على حائط باسطاً رجليه، ثم يُقرأُ عليه القرآن كلُّه، فإِن رمى بنفسه فهو صادق[٢].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ يحتمل أَن يشير إِلى القرآن، أَي: ذلك الذي هذه صفته هُدَى الله، ويحتمل أَن يشير إِلى الخشية واقشعرار الجلد، أَي: ذلك أَمارة هُدَى اللَّهِ.

ومن جعل: ﴿تَقْشَعِرُّ﴾ في موضع الصفة لم يقف على ﴿مَّثَانِيَ﴾.

ومن جعله مُسْتَأْنَفاً وإِخباراً منقطعاً وقف على ﴿مَّثَانِيَ﴾. وباقي الآية بيِّنٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

هذا تقرير بمعنى التعجُّب، والمعنى: أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يوم القيامة كالمنعمين في الجنة؟ واختلف المتأَولون في قوله: ﴿يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ﴾:

فقال مجاهد: يخر[٣] على وجهه في النار[٤].

= أسماء به. وهشيم كثير التدليس، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٢/ ٦٤٩) لسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن أبي حاتم.

(١) منقطع، أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٢١٤)، وأحمد في الزهد (ص: ١٩٣) من طريق سعيد بن عبد الرحمن الجمحي، قال: سمعت أبا حازم يقول: مر ابن عمر برجل ساقط من أهل العراق فقال: ما شأنه؟ قالوا: إنه إذاقرئ عليه القرآن يصيبه هذا قال: إنا لنخشى الله وما نسقط. وأبو حازم هو سلمة بن دينار ثقة عابد، ولكنه لم يسمع من ابن عمر، ينظر جامع التحصيل (٢٥٥).

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٣١).

(٣) في المطبوع: «يجثو»، وفي أحمد٣ ونور العثمانية: «يجر».

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٢٨١)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣٢٩)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٢).

وقالت فرقة: ذلك لِمَا رُوي أَن الكافر يُلقى في النَّار مكتوفاً مربوطة يداه إِلى رجليه مع عنقه، ويُكَبُّ على وجهه، فليس له شيءٌ يتَّقي به إِلَّا الوجه.

وقالت فرقة: المعنى صفة كثرة ما ينالهم من كثرة[١] العذاب، وذلك أَن يتَّقيه بجميع جوارحه، [ولا يزال العذاب يتزيد حتى يتقيه بوجهه الذي هو أشرف جوارحه][٢] وفيه حواسُّه، فإِذا بلغ به العذابُ إِلى هذه الغاية ظهر أَنه لا متجاوز بعدها.

قال القاضي أبو محمد: وهذا المعنى عندي أبين بلاغة، وفي هذا المضمار يجري قول الشاعر:

[الكامل] يَلْقَـى السُّـيُوفَ بِوَجْهِـهِ وبِنَحْرِهِ وَيُقِيـمُ هَامَتَـهُ مَقَـامَ الْمِغْفَـرِ[٣]

لأَنه إِنما أَراد عظيم جرأَته عليها، فهو يلقاها بكُلِّ مِجَنٍّ، وبكُلِّ شيءٍ منه حتَّى بوجهه وبنحره.

وقوله تعالى: ﴿ذُوقُواْ﴾ عبارة عن: باشروا، وهنا محذوف تقديره: جَزَاءَ ما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ.

ثم مثَّل لقريش بالأُمم السالفة، ثم أَخبر بما نال تلك الأُمم من كونها في الدنيا أَحاديث مُلَعَّنة، ولا خزي[٤] أَعظم من هذا، مع ما نال نفوسهم من الأَلم والذُّلِّ والكرب.

ثم أَخبر أَن ما أُعِدَّ لهم من عذاب الآخرة أَكبر من هذا كله الذي كان في الدنيا.

---

(١) من المطبوع وأحمد٣.

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) عزاه الأفطسي في المجموع اللفيف (ص: ٤٧٢) لخالد بن جعفر بن كلاب، وفي الحماسة البصرية (١/ ٢٠) أنه لعبد الْملك بن مُعَاوِيَة الحارثي، قال: وَقد رَوَاهَا الْبَعْض لحجين بن حجر الغساني، وورد في نهاية الأرب في فنون الأدب (٣/ ٢٠٣) من قصيدة لعبد الله بن المعتز، وفي سمط اللآلي (١/ ١٨٢) أنه ينسب إلى ابن المولى محمد بن عبد الله بن مسلم مولى بني عمرو بن عوف من شعراء الدولتين، ونسبه في ديوان المعاني (١/ ٤٧) لبعض الإسلاميين، وفي زهر الآداب (٤/ ٩١٤) لأعرابي، والله أعلم.

(٤) في المطبوع: «وأخرى».

قوله: ﴿قُرۡءَانًا﴾، قالت فرقة: هو نصب على الحال، وقالت فرقة: نصب على المصدر.

و﴿عَرَبِيًّا﴾ حالٌ، وقالت فرقة: نصب على التوطئة للحال، والحال قوله: ﴿عَرَبِيًّا﴾.

ونفى عنه العوج؛ لأَنه لا اختلاف فيه ولا تناقض ولا مغمز بوجه، واختلفت عبارة المفسرين:

فقال عثمان بن عفان: المعنى: غير متضاد.

وقال ابن عباس: غير مختلف(١).

وقال مجاهد: غير ذي لَبْس(٢).

وقال السدي: غير مخلوق(٣).

وقال بكر بن عبد الله المزني: غير ذي لحن(٤).

و«الْعِوَج» بكسر العين في الأَمر والمعنى، وبفتحها في الأَشخاص.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٩ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ٣١ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ٣٢﴾.

لما ذكر عز وجل أَنه ضرب للناس في هذا القرآن من كلِّ مثل مُجْمَلاً، جاءَ بعد ذلك بِمَثَل في أَهم الأُمور وأعظمها خطراً وهو التوحيد، فمثَّل تعالى الكافر العابد

(١) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٣) بغير سند.

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٢٨٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٢٤)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣٣٢)، وفي الأصل: «قرأ مجاهد».

(٣) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٣)، وتفسير البغوي (٤/ ٨٧)، وعزاه أكثر المفسرين لابن عباس.

(٤) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٣).

للأَوثان والشياطين بِعَبْدٍ لرجالٍ عدَّة، في أَخلاقهم شَكَاسَةٌ ونقْصٌ وعَدَم مسامحة، فهم لذلك يُعَذِّبون ذلك العبد بأَنهم يتضايقون في أَوقاتهم، ويُضايقون هذا العبد في كثرة العمل، / فهو أَبداً دائب ناصب، فكذلك عابد الأَوثان، الذي يعتقد أَن ضرَّه ونفعه عندها هو معذب الفكر بها، وبحراسة حاله منها، ومتى أَرضى صنماً منها بالذبح له في زعمه تفكَّر فيما يصنع مع الآخر، فهو أَبداً في تعب وضلال، وكذلك هو المُصانع للناس، المُمْتَحن بخدمة الملوك. [٥/ ٢٣]

ومثَّل تعالى المؤمنَ بالله وحده بِعَبْد لرجلٍ واحدٍ يكلفه شغله، فهو يعمله على تؤدة، وقد ساسَ مولاه، فالمولى يغفر زلَّته، ويشكره على إِجادة عمله.

وقوله: ﴿ضَرَبَ﴾ مأْخوذٌ من الضريب الذي هو الشَّبيه، ومنه قولهم: هذا ضَرْب هذا، أَي: شبهه.

و﴿مَثَلًا﴾ مفعول بـ﴿ضَرَبَ﴾، و﴿رَّجُلًا﴾ [نصب على البدل][1]، قال الكسائي: وإِن شئتَ على إِسقاط الخافض، أَي: مثلاً لرجل، أَو في رجل[2]، وفي هذا نظر.

و﴿مُتَشَٰكِسُونَ﴾ معناه: لا سَمْحَ في أَخلاقهم، بل فيها لجاجٌ ومتابعةٌ ومحادقة، ومنه قول الشاعر:

[الرجز] خُلِقْتُ شَكْساً لِلأَعَادِي مِشْكَساً   أكوي السريين وأحسم النسا
من شاء من حر الجحيم استقبسا[3]   ....

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرٍو: ﴿سَالِماً﴾ على معنى اسم الفاعل، بمعنى: سلم من الشركة فيه، قال أَبو عمرٍو: معناه: خالصاً، وهذه بالأَلف قراءَة ابن مسعود، وابن عباس،

(١) في المطبوع وأحمد٣: «بدل».
(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٣)، وتفسير البغوي (٤/ ٨٧).
(٣) الأبيات في الحجة لأبي علي (٦/ ٩٤) بلا نسبة، وتقدم الأخير منها في أول (سورة النمل). وسقط هو وما قبله من المطبوع.

ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والجحدري، والزهري، والحسن بخلاف عنه.

وقرأَ الباقون: ﴿سَلَمًا﴾ بفتح السين واللام، وهي قراءَة الأَعرج، وأَبي جعفر، وشيبة، وأَبي رجاءٍ، وطلحة، والحسن بخلاف[١].

وقرأَ سعيد بن جُبَيْر: (سِلْماً) بكسر السِّين وسكون اللام[٢].

وهما مصدران وصف بهما الرجل، بمعنى: خالصة وأَمْراً قد سَلِمَ له.

ثمَّ وقف الكفار بقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾، ونصب ﴿مَثَلًا﴾ على التمييز، وهذا توقيف لا يُجيب عنه أَحدٌ إِلَّا بأَنهما لا يستويان، فلذلك عاملتهم العبارة الوجيزة على أَنهم قد جاوبوا، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ أي: على ظهور الحُجَّة عليكم من أَقوالكم، ثمَّ قال تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فأَضرب عن مُقَدَّرٍ محذوف يقتضيه المعنى، تقديره: الحمد لله على ظهور الحُجَّة، وأَن الأَمر ليس كما يقولون، بل أَكثرهم لا يعلمون.

و(أَكْثَرُ) في هذه الآية على بابها، لأَنا وجدنا الأَقل منهم عَلِم أَمر التوحيد وتكلَّم به، ورفض أَمر الأَصنام؛ كَوَرَقَة، وزَيْدٍ، وقُسٍّ.

ثم ابتدأَ القول معهم في غرض آخر من الوعيد بيوم القيامة والخصوم فيه، ومن التحذير من حال الكَذَبَة على الله، المكَذِّبينَ بالصدق، فقدم تعالى لذلك توطئة مُضَمَّنُهَا وعْظُ النفوس وتَهْيِئَتُهَا لقبول الكلام وخوف[٣] التوعد، وهذا كما تريد أَن تنهى إِنساناً عن معاصيه، أو تأْمره بخير، فتفتتح كلامك بأَن تقول: كلُّنا يفنى، ولا بُدَّ للجميع من الموت، أَو كلُّ من عليها فانٍ، ونحو هذا مِمَّا توقن[٤] به نفس الذي تحاور[٥]، ثم بعد هذا تورد قولك.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٩)، والسبعة (ص: ٥٦٢)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٣).

(٢) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٣).

(٣) في الأصل: «حذف».

(٤) في المطبوع والحمزوية وأحمد٣ وفيض الله والسليمانية: «تُرَقِّق».

(٥) في المطبوع: «تحادثه»، وفي أحمد٣: «تجاوب»، وفي نور العثمانية: «تجاوز»، وفي فيض الله: «تجاور».

فأَخبر تعالى أَن الجميع مَيِّتٌ، وهذه قراءَة الجمهور.

وقرأَها: (مَائِتٌ) و(مَائِتُونَ) بأَلفٍ: ابنُ الزبير، وابن محيصن، وابن أَبي إِسحاق، واليماني، وعيسى بن عمر، وابن أَبي عقرب، وابن أَبي عبلة[١].

والضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ لجميع العالم، دخل رجل على صِلَة بن أَشْيَم[٢] فنَعَى إِلَيْهِ أخاه، وبين يَدَيْ صِلَةَ طعام، فقال صِلَةُ للرجل: ادْنُ فكُلْ، فَإِنَّ أخي قد نُعي إِليَّ منذ زمان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٣].

والضمير في ﴿إِنَّكُمْ﴾ قيل: هو عامٌّ أَيضاً، فيختصم يوم القيامة المؤمنون والكافرون فيما كان من ظلم الكافرين لهم في كل موطن ظلموا فيه، ومن هذا قول عليٍّ بن أبي طالب: أَنا أَول من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدي الرحمن، فيختصم عليٌّ، وحمزة، وعبيدة بن الحارث مع عُتْبَة، وشَيْبَة، والوليد، ويختصم أيضاً المؤمنون بعضهم مع بعض في ظُلامَاتِهِم، قاله أَبو العالية[٤] وغيره.

وقال الزبير بن العوام للنبي ﷺ: أَيُكْتَب علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال: «نعم، حتى يُؤَدَّى إِلى كل ذي حقٍّ حقَّه»[٥].

---

(١) وهما شاذتان، انظر تفسير الثعلبي (٨/ ٢٢٤)، والشواذ للكرماني (ص: ٤١٤).

(٢) هو صلة بن أشيم أبو الصهباء العدوي البصري، العابد من سادة التابعين، يروى له عن ابن عباس حديث واحد، روى عنه الحسن البصري، وزوجته معاذة العدوية، وثابت البناني، وحميد بن هلال، وغيرهم حكاياتٍ. تاريخ الإسلام (٥/ ١٢٧).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ١٣٧)، شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/ ٢٨١).

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٢٨٨)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٥).

(٥) إسناده لين واختلف فيه، أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٦٤-١٦٧)، والحميدي (٦٢)، والترمذي (٣٢٣٦)، وأبو يعلى (٦٦٨)، والبزار (٩٦٤-٩٦٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٠-٤٣٦-٤/ ٥٧١)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٩٣) من طريق محمد بن عمرو الليثي، عن يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب، عن عبد الله بن الزبير، عن أبيه به، بنحوه، رواه كذلك عن محمد بن عمرو: ابن عيينة ومحمد بن عبيد الطنافسي وعبد الله بن نمير ومحمد بن عبد الله الأنصاري، عن محمد بن عمرو. =

وقال عبد الله بن عمر: لما نزلت هذه الآية قلنا: كيف نختصم ونحن إِخوان؟ فلما قُتِلَ عثمان، وضرب بعضنا وجوه بعض بالسيوف قلنا: هذا الخصام الذي وعدنا ربنا(١).

ويختصم أَيضاً ـ على ما رُوي ـ الروح أيضاً مع الجسد في أَن يُذَنِّب كل واحد منهما صاحبه، ويجعل المعصية في حيِّزه، فيحكم الله تعالى بشركتهما في ذلك(٢).

قال القاضي أَبو محمد: ومعنى الآية عندي: أَن الله تعالى توعدهم بأَنهم سيتخاصمون يوم القيامة في معنى ردِّهم في وجه الشريعة، وتكذيبهم لرسول الله ﷺ إليهم.

ثم وقفهم الله تعالى توقيفاً معناه نَفْي الْمُوقَف عليه بقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن﴾؛ أَي: لا أَحد أَظلم ممن كَذَب على الله، والإِشارة بهذا الكذب لقولهم: إِنَّ لله صاحبة وولداً، وقولهم: إن كذا حرامٌ وإن كذا حلالٌ، افتراءً على الله تعالى.

وكذَّبوا أَيضاً بالصِدْق، وهو تكذيبهم أَقوال محمد ﷺ عن الله تعالى، ما كان من ذلك معجزاً أَو غير معجز، ثم توعَّدهم تعالى توعُّداً فيه احتقارهم بقوله على وجه التوقيف: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾.

والمَثْوَى: موضع الإِقامة.

= وقال عبدة بن سليمان وعبد الوهاب بن عطاء: عن محمد بن عمرو، عن يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب، عن عبد الله بن الزبير عن النبي ﷺ ـ ليس فيه عن أبيه. هكذا ذكره المزي في تحفة الأشراف، ومحمد بن عمرو هو ابن علقمة فيه لين، ولا يحتج به لا سيما إذا انفرد.

(١) صحيح لغيره بغير ذكر مقتل عثمان، أخرجه الطبري (٢١/ ٢٨٧ـ ٢٨٩)، وابن أبي حاتم (١٨٣٩٠)، والنسائي في الكبرى (١١٣٨٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ١٢٣-١٢٤)، وأبو عمرو الداني في السنن الوارده في الفتن (١٨) من طريق يعقوب القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر به، بنحوه، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤/ ٥٧١-٥٧٢)، وأبو نعيم في الإمامة والرد على الرافضة (١٧٠) من طريق: هلال بن العلاء الرقي عن زيد ابن أبي أنيسة عن القاسم بن عوف الشيباني قال: سمعت ابن عمر، وجميع الروايات ليس فيها ذكر مقتل عثمان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن منده في الروح كما في الدر المنثور (١٢/ ٦٦٠).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾.

[٥/ ٢٤] / قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ معادلٌ لقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ﴾، فـ(مَنْ) هناك للجميع والعموم، و(الَّذِي) هنا للجنس أَيضاً، كأنه قال: والفريق الذي جاءَ بعضه بالصدق، وصدَّق به بَعْضُهُ، ويستقيم المعنى واللفظ على هذا الترتيب.

وفي قراءَة ابن مسعود: (والَّذين جاءُوا بالصِّدقِ وصَدَّقوا به)(١).

و«الصدق» هنا: القرآنُ وأَنباؤه، والشَّرع بجملته.

وقالت فرقة: (الَّذِي) يراد به: الَّذينَ، وحذفت النون لطول الكلام، وهذا غير جيِّد، وتركيب ﴿جَآءَ﴾ عليه يردُّ ذلك، وليس كقَوْل الفرزدق:

[الكامل] .... إِنَّ عَمَّيَّ اللَّذَا قَتَلَا الْمُلُوكَ.........(٢)

ونظير الآية قول الشاعر:

[الطويل] وإِنَّ الَّذي حانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ القومُ كُلُّ الْقَوم يا أُمَّ خَالِدِ(٣)

---

(١) وهي شاذة، انظر الهداية لمكي (١٠/ ٦٣٤١)، الشواذ للكرماني (ص: ٤١٤).

(٢) تمامه: أَبَنِي كُلَيْبٍ إِنَّ عَمَّيَّ اللَّذَا قَتَلا الْمُلُوكَ وفَكَّكَا الأَغْلالا، عزاها له في توضيح المقاصد (١/ ٤٢٠)، والصحيح أنه للأخطل، كما في طبقات فحول الشعراء (٢/ ٤٩٦)، والاشتقاق (ص: ٣٣٨)، والمقتضب (٤/ ١٤٦)، والشعر والشعراء (١/ ٢٢٩)، والموشح للمرزباني (ص: ١٧٤)، والمحتسب (٢/ ٨٠)، وإيضاح الشواهد (١/ ١٦٨)، وتهذيب اللغة (٧/ ٢١٥)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٤٨١)، والمفصل للزمخشري (ص: ١٨٤)، وفي خزانة الأدب (٦/ ١٣) أنه منسوب فيه للفرزدق، ونقله العيني، قال: وهو سهو من الناسخ.

(٣) تقدم في تفسير الآية (١٨) من (سورة البقرة).

وقال ابن عباس: الذي جاءَ بالصدق: هو محمد ﷺ، وهو الذي صدَّق به[١].

وقالت فرقة من المفسرين: الذي جاءَ بالصدق: هو جبريل، والَّذي صدَّق به: هو محمد ﷺ.

وقال علي بن أَبي طالب[٢]، وأَبو العالية، والكلبي، وجماعة: الذي جاءَ بالصِّدق: هو محمد ﷺ، والذي صدَّق به: هو أَبو بكر[٣].

وقال أَبو الأَسود وجماعة منهم مجاهد: الَّذي صدَّق هو عليٌّ بن أبي طالب[٤].

وقال قتادة، وابن زيد: الذي جاءَ بالصدق: هو محمد ﷺ، والذي صدَّق به: هم المؤمنون.

وقال مجاهد: هم أَهل القرآن[٥].

وقالت فرقة بالعموم الذي ذكرناه أَولاً، وهو أَصوب الأَقوال.

وقرأَ أَبو صالح، ومحمد بن جُحادَة[٦]، وعكرمة بن سليمان: (وَصَدَق به) بتخفيف

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٨٩)، والطبراني في الدعاء (١٦٠٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٦) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ ﴾ يقول: من جاء بلا إله إلا الله، ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ يعني: رسوله.

(٢) لا يصح عنه، هذا الخبر أخرجه الطبري (٢١/ ٢٩٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/ ٤٤٠-٤٣٨) من طريق عمر بن خالد بن إبراهيم، عن عبد الملك بن عمير، عن أسيد بن صفوان، عن علي رضي الله عنه به، وعمر بن إبراهيم بن خالد الكردي الهاشمي، مولاهم، قال الدارقطني: كذاب، وقال الخطيب: غير ثقة. انظر ترجمته الميزان (٣/ ١٧٩).

(٣) معاني القرآن للنحاس (٦/ ١٧٥)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٦)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣٣٩).

(٤) معاني القرآن للنحاس (٦/ ١٧٥).

(٥) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٢٩٠)، تفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٦)، الهداية لمكي (١٠/ ٦٣٣٩).

(٦) محمد بن جحادة الكوفي أحد الأئمة، روى عن أنس وأبي حازم الأشجعي وأبي صالح السمان وخلق، وعنه ابنه إسماعيل وشعبة وابن عيينة وآخرون، وثقه أحمد وأبو حاتم، وكان من فضلاء أهل الكوفة، توفي سنة (١٣١هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٥٢٥).

الدال[١]، بمعنى: استحق به اسم الصدق، فَعَلَى هذه القراءَة يكون إِسناد الأَفعال كلها إِلى محمد ﷺ، وكأَن أُمَّته في ضمن القول، وهو الذي يُحَسِّن: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾.

قال ابن عباس: اتَّقَوْا الشِّركَ[٢].

واللام في قوله: ﴿لِيُكَفِّرَ﴾ يحتمل أَن تتعلق بقوله: ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، أَي: الذين أَحْسَنُوا لكي يكفِّر، قاله ابن زيد[٣].

ويحتمل أَن تتعلق بفعل مضمر مقطوع مما قبله، كأَنك قلت: بشَّرهم الله تعالى بذلك ليكَفِّر؛ لأَن التكفير لا يكون إِلَّا بعد التَّيْسير للخير، واستدلوا على أن ﴿عَمِلُواْ﴾ هو كُفْر أَهل الجاهلية ومعاصي أَهل الإِسلام.

وقوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ تقوية لنفس النبي ﷺ، لأن كفار قريش كانوا خوَّفوه من الأَصنام، وقالوا: أَنت تَسُبُّها ونخاف أَن تُصيبك بجنون أَو عِلَّة، فنزلت الآية في ذلك[٤].

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿عِبَادَهُۥ﴾ يريد الأَنبياءَ المختصين به وأَنت أَحدهم، فيدخل في ذلك المطيعون من المؤمنين والمتوكلون على الله تعالى، وهذه قراءَة أَبي جعفر، ومجاهد، وابن وثاب، وطلحة، والأَعمش.

وقرأَ الباقون: ﴿عَبْدَهُۥ﴾، وهو اسم جنس، وهي قراءَة الحسن، وشيبة، وأَهل المدينة[٥]، ويُقوِّي أَن الإِشارة إِلى محمد ﷺ قوله: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ ﴾.

---

(١) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٢٣٧)، الشواذ للكرماني (ص: ٤١٤).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٩٢)، والطبراني في الدعاء (١٦٠٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٦) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٣) تفسير الطبري ٢١/ ٢٩٣).

(٤) أورد الطبري (٢١/ ٢٩٤) عن قتادة ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾: الآلهة، قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى شعب بسُقام ليكسر العزّى، فقال سادنها، وهو قيمها: يا خالد أنا أحذّركها، إن لها شدّة لا يقوم إليها شيء، فمشى إليها خالد بالفأس فهشّم أنفها.

(٥) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٩)، والسبعة (ص: ٥٦٢).

وقوله: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ يريد: بالذين يعبدون من دونه، وروي: أَن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إِلى كسر العُزَّى، فقال سادِنُهَا: يا خالد، إِني أَخاف عليك منها، فلها قوة لا يقوم لها شيءٌ، فأَخذ خالد الفأْس فهشم به وجهها وانصرف(١).

ثم قرَّر تعالى أن الهداية والإِضلال من عنده بالخَلْق والاختراع، وأَن ما أَراد من ذلك لا رادَّ له، ثم توعدهم بعزَّته وانتقامه، فكان ذلك وانتقم منهم يوم بدر وما بعده.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

هذا ابتداءُ احتجاج عليهم بحُجَّة أُخرى، وجملتها أَن وُقِفوا على الخالق المخترع، فإِذا قالوا إِنه الله؛ لم يبق لهم في الأَصنام غرض إِلا أَن يقولوا: إِنها تنفع وتضر، فلما تقعد من قولهم إِن الله هو الخالق قيل لهم: أَفرأَيتم هؤلاءِ إِذا أَراد الله أَمراً، أَبِهِمْ قدرة على نقضه؟ وحذف الجواب عن هذا لأَنه من البَيِّن أَنه لا يجيب أَحد؛ إِلَّا بأنه لا قدرة للأَصنام على شيءٍ من ذلك.

وقرأَ: ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ﴾ بياءٍ مفتوحة؛ جمهورُ القراءِ والناس.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ١٧٣)، والطبري (٢١/ ٢٩٤) في تفسيريهما، من طريق معمر، عن قتادة، مرسلاً، وأخرج النسائي في الكبرى (١١٤٨٣)، وأبو يعلى كما في إتحاف المهرة (٤٦١١) من طريق محمد بن فضيل، عن الوليد بن جميع، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الليثي قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى فأتاها خالد وكانت على ثلاث سمرات فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: ارجع فإنك لم تصنع شيئاً فرجع خالد فلما أبصرت به السدنة وهم حجبتها أمعنوا في الجبل وهم يقولون: يا عزى، فأتاها خالد فإذا هي امرأة عريانة ناشرة شعرها تحتفن التراب على رأسها فعممها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «تلك العزى».

وقرأَ الأَعمش: (إن أرادن الله) بحذف الياءِ في الوصل، ورَوى خارجة بغير ياءٍ أَصلاً[١].

وقرأَ جمهور القراءِ، والأَعرج، وأَبو جعفر، والأَعمش، وعيسى، وابن وثاب: ﴿كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ بالإِضافة، وقرأَ أَبو عمرو، وأَبو بكر عن عاصم: ﴿كاشفاتٌ ضُرَّهُ﴾ بالتنوين والنصب في الراء، وهي قراءَة شيبة، والحسن، وعيسى بخلاف عنه، وعمرو ابن عُبَيْد، وهذا هو الوجه فيما لم يقع بعد، وكذلك الخلاف في ﴿مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦ﴾[٢].

ثم أَمره تعالى أَن يصدع بالاتكال على الله تعالى، وأَنه حسْبُه من كل شيءٍ ومن كل ناصر.

ثم أَمره بتوعُّدهم في قوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞ﴾؛ أَي: على ما رأَيتموه متمكناً لكم، وعلى حالاتكم التي استقر رأْيكم عليها.

وقرأَ الجمهور: ﴿مَكَانَتِكُمۡ﴾ بالإِفراد، وقرأَها بالجمع: الحسنُ وعاصم[٣].

وقوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾ لفظ أَمر بمعنى الوعيد، والعذابُ المُخْزِي: هو عذاب الدنيا يوم بدر وغيره، والعذاب المقيم: هو عذاب الآخرة، أعاذنا الله تعالى منه برحمته.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾./ [٥/ ٢٥]

(١) وهاتان شاذتان، انظر الأولى في إتحاف فضلاء البشر (٢/ ٢١٣) ولم أقف على الثانية.

(٢) وهما سبعيتان، الثانية لأبي عمرو كما في التيسير (ص: ١٩٠)، والنشر (٢/ ٤٠٣)، ورواها الكسائي عن شعبة كما في جامع البيان (٤/ ١٥٤٣)، والسبعة (ص: ٥٦٢)، وانظر معاني القرآن للفراء (٢/ ٤٢٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٠).

(٣) من رواية شعبة، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٠٧).

هذا إِعلامٌ بعُلُوِّ مكانة محمد ﷺ واصطفاءِ ربِّه له، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ يحتمل معنيين:

أَحدهما: أَن يريد: مضمناً الحق في أَخباره وأَحكامه.

والآخر: أَن يُريد أَنه أَنزله بالواجب من إِنزاله، وبالاستحقاق لذلك، لما فيه من مصلحة العالم وهداية الناس، وكأَن هذا الذي فعل الله تعالى من إِنزال كتاب إِلى عبيده هو إِقامة حُجَّة عليهم، وبقي تكسُّبُهم بعدُ إِليهم، فَمَنِ اهْتَدى فَلِنَفْسِهِ عمِل وسَعَى، وَمَنْ ضَلَّ فعليها جَنَى، والهُدى والضلال إِنما لله تعالى فيهما خلْقٌ واختراعٌ، وللعبد تكسُّبٌ عليه يقع الثواب أَو العقاب.

وأَخبر نبيَّه أَنه ليس عليهم بوكيل ولا مسيطر.

و«الوكيل»: القائم على الأَمر حتى يكمله.

ثم نبَّه تعالى على آية من آياته الكبر تدلُّ الناظر على الوحدانية، وأَن ذلك لا شِرْكَ فيه لصنم، وهي حالة التوفِّي، وذلك أَن الله تعالى ما توفَّاه على الكمال فهو الذي يموت، وما توفاه توفِّياً غير مكمل فهو الذي يكون في النوم، قال ابن زيد: النوم وفاةٌ، والموت وفاةٌ[١].

وكثَّرت فرقة في هذه الآية وهذا المعنى، ففرَّقت بين النَّفس والروح، وفرَّق قوم أَيضاً بين نفس التمييز ونفس التَّخيُّل، إِلى غير ذلك من الأقوال التي هي غلبة ظن، وحقيقة الأَمر في هذا: هي مِمَّا استأْثر الله به وغَيَّبَه عن عباده في قوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]، ويكفيك أن في هذه الآية: ﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾.

وفي الحديث الصحيح: «إِن الله قَبَضَ أَرواحنا حين شاءَ، وردَّها علينا حين شاءَ»، في حديث بلال في الوادي[٢].

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٢٩٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٩٥)، ومسلم (٦٨١) من حديث أبي قتادة، واللفظ للبخاري.

فقد نطقت الشريعة بقبض الرُّوح والنفس في النوم، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾، فظاهر أَن التفصيل والخوض في هذا كله عناءٌ، وإِن كان قد تعرَّض للقول في هذا ونحوه أئمة، ذكر الثعلبي وغيره، عن ابن عباس أنه قال: في ابن آدم نفسٌ بها العقل والتمييز، وفيه روح بها النفس والتَّحرُّك، فإِذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه[(١)].

و«الأَجل المُسَمَّى» في هذه الآية: هو عُمْر كل إِنسان.

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿قَضَىٰ عَلَيۡهَا﴾ بفتح القاف والضاد على بناء الفعل للفاعل.

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿قُضيَ عليها﴾ بضم القاف وكسر الضاد على بنائه للمفعول، وهي قراءَة ابن وثاب، وطلحة، والأَعمش، وعيسى[(٢)].

ثم أَحال أَهل الفكرة على النظر في هذا ونحوه، فإِنه من البَيِّن أَن هذه القدرة لا يملكها ويصرفها إِلَّا الواحد الصمد لا رب غيره.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿أَمِ﴾ هنا مقطوعة مما قبلها، وهي مقدرة بالأَلف وبَلْ، وهذا تقرير وتوبيخ، فأَمر الله تعالى نبيَّه أَن يوقفهم على الأمر، وعلى أَنهم يرضون بهذا مع كون الأَصنام بصورة كذا وكذا من عدم المِلْك والعقل.

والواو في قوله تعالى: ﴿أَوَلَوۡ﴾ واو عطف دخلت عليها أَلف الاستفهام، وَمَتَى دخلت أَلف الاستفهام على واو العطف أَو فائه أَحدثت معنى التقرير.

ثم أَمره بأَن يخبر بأَن جميع الشفاعة إِنما هي لله تعالى.

---

(١) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٨).

(٢) ويلزمه رفع «الموت»، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٠٧)، والسبعة (ص: ٥٦٢).

و﴿جَمِيعًا﴾ نصب على الحال، والمعنى: أَن الله تعالى يشفع ثم لا يشفع أَحد قبل شفاعته هو إِلَّا بإِذنه، فمن حيثُ شفاعةُ غيره موقوفةٌ على إِذنه فالشفاعة كلُّها له ومِنْ عنده.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ﴾ الآية، قال مجاهد وغيره: نزلت في قراءَة النبي ﷺ سورة النجم عند الكعبة بمحضر من الكفار، وعند ذلك أَلقى الشيطان في أُمنيَّتِهِ، فقال: «أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى إِنَّهُنَّ الغِرَانِيقُ العُلَى، وإِن شفاعتهن لتُرْتَجَى»، فاستبشر الكفار بذلك وسُرُّوا، فلما أَذهب الله ما أَلقى الشيطان أَنِفوا واستكبروا واشمأَزَّت نفوسهم[١]، ومعناه: تَقَبَّضَت كِبْراً وأَنفةً وكراهية ونفوراً، ومنه قول عمرو بن كلثوم:

إِذَا عَـضَّ الثِّقَـافُ بِهَا اشْـمَأَزَّتْ وَوَلَّـتْهُـمْ عَشَـوْزَنَـةً زَبُـونَـا[٢] [الوافر]

و﴿ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ يريد: الذين يُعْبَدُون من دونه، وجاءَت العبارة في هذه الآيات عن الأَصنام كما يجيء عَمَّن يعقل[٣]، من حيث صارت في حيِّز من يعقل، ونُسب إِليها الضُّرُّ والنفع والأُلوهية، ونفي ذلك عنها، فعوملت معاملة من يعقل.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٣٠١) الهداية لمكي (١٠/ ٦٣٥٠)، وقال ابن كثير (٥/ ٤٤١): قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة، ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا. ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح، والله أعلم. وقال الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٥٤٦): ولم يصح شيء من هذا، ولا ثبت بوجه من الوجوه، ومع عدم صحته بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله سبحانه، قال الله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ وقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ وقوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾. فنفى المقاربة للركون فضلاً عن الركون. قال البزار: هذا حديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل. اهـ، وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم أن رواة هذه القصة مطعون فيهم. وقال ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة.

(٢) البيت من معلقته، وانظر عزوه له في مسائل نافع بن الأزرق (ص: ٢١٩)، والمعاني الكبير (٢/ ١٠٩٩)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢٨٨)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٩)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٤١٣)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٩٨).

(٣) في المطبوع: «يفعل».

و﴿وَحۡدَهُ﴾ منصوب عند سيبويه على المصدر، وعند الفراءِ على الحال.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٤٦ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ٤٧ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٤٨﴾.

أَمر الله تعالى نبيَّه بالدعاءِ إِليه، وردِّ الحكم إِلى عدله، ومعنى هذا الأَمر تضمن الإجابة.

و«اللهم» عند سيبويه منادى، وكذلك عند الكوفيين، إِلَّا أنه خالفهم في هذه الميم المشدَّدة، فقال سيبويه: هي عِوَضٌ من حرف النداءِ المحذوف إيجازاً، وهي دلالة على أَن ثَمَّ ما حذف، وقال الكوفيون: بل هو فعل اتصل بالمكتوبة، وهو (أَمَّ)، ثم حذفت الهمزة تخفيفاً، فكأَن معنى اللَّهُم: يا اللهُ أُمَّ برحمتك وفضلك[1].

و﴿فَاطِرَ﴾ منادى مضاف، أَي: يا فاطر السماوات، و﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾: ما غاب عن البشر، / ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما شاهدوه. ثم أَخبر تعالى عن سوءِ حال الكفرة يوم القيامة، [٥/ ٢٦]
وأَن ما ينزل بهم لو قدروا على الافتداءِ منه بِضِعْفِ الدنيا بأَسرها لفعلوا.

قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾ الآية؛ أَي: كانت ظنونهم في الدنيا متفرقة متنوعة حسب ضلالتهم وتخيلاتهم فيما يعتقدونه، فإِذا عاينوا العذاب يوم القيامة وقصرت بهم حالاتهم ظهر لكل واحد خلاف[2] ما كان يظن.

وقال سفيان الثوري: ويلٌ لأَهل الرياء من هذه الآية[3].

---

(١) تقدم للمصنف ذكر الخلاف فيها في تفسير الآية (٢٦) من (سورة آل عمران).

(٢) سقطت من الأصل سهواً.

(٣) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٤٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٣٥). وفي المطبوع: «لأهل الرِّبَا».

وقال عكرمة بن عمَّار[1]: جزع محمد بن المنكدر عند الموت، فقيل له: ما هذا؟ فقال: أخاف هذه الآية: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾[2].

وقوله: ﴿وَحَاقَ﴾ معناه: نزل وثبت ولزم، وقوله: ﴿مَّا كَانُوا۟﴾ هو على حذف مضاف، تقديره: وحاق بهم جزاءُ ما كانوا به يَستهزئون.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

هذه حُجَّة تلزم عُبَّاد الأَوثان التناقض في أَعمالهم، وذلك أنهم يعبدون الأَوثان ويعتقدون تعظيمها، فإِذا أَزفت آزفة ونالت شِدَّةٌ نبذوها ونسوها ودَعَوا الخالق المخترع ربَّ السماوات والأَرض، و﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ في هذه الآية للجنس.

و﴿خَوَّلْنَٰهُ﴾ معناه: ملَّكْناه، قال الزجاج وغيره: التَّخْويل: العطاءُ عن غير مجازاة[3].

و«النِّعْمَةُ» هنا عامٌّ في جميع ما يسديه الله إِلى العبد، فمن ذلك إِزالة الضُّرِّ المذكور، ومن ذلك الصِّحَّةُ والأَمْن والمالُ، وتقوى الإِشارة إِليه في الآية بقوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾، وبقوله تعالى آخراً: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ وبِذِكْر الكسب.

وذَكَّرَ الضمير في قوله: ﴿أُوتِيتُهُۥ﴾، وذلك يحتمل وجوهاً:

منها: أَن يريد بالنعمة المال كما قدمناه.

---

(١) عكرمة بن عمار العجلي اليمامي، أبو عمار، أحد الأعلام حافظ روى عن أبي زميل والهرماس بن زياد ـ وله رؤية ـ والقاسم، وعنه ابن المبارك ووكيع وآخرون، قال ابن معين: ثقة ثبت، وقال أبو حاتم: صدوق توفي سنة (١٥٩هـ)، تاريخ الإسلام (٩/ ٥٢٦).

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٤٠)، وتفسير السمعاني (٤/ ٤٧٣)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٣٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٥٧).

ومنها: أن يُعيد الضمير على المذكور، إِذ اسم النِّعْمَة يعُمُّ ما هو مُذَكَّر، ويعُمُّ ما هو مُؤَنَّث.

ومنها: أَن تكون (مَا) في قوله: ﴿إِنَّمَآ﴾ بمعنى (الذي)، وعلى الوجهين الأَولين (مَا) كافَّةٌ، وقوله: ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ في موضع نصب على الحال، مع أَن تكون (مَا) كافَّة، وأَما إِذا كانت بمعنى (الذي)، فإِن ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ في موضع خبر (إِنَّ)، ودالٌّ على الخبر المحذوف، كأَنه قال: هو على عِلْم.

وقوله: ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ يحتمل أَن يريد: على علم مِنِّي بوَجه المكاسب والتجارات وغير ذلك، قاله قتادة[1]، ففي هذا التأْويل إِعجاب بالنفس وتَعَاطٍ مُفرط، ونحو هذا.

ويحتمل أَن يريد عَلَى عِلْم من الله فيَّ، وشيءٌ سبق لي، واستحقاق حُزْتُه عند الله، لا يَضُرُّني معه شيءٌ، وفي هذا التأْويل اغتِرارٌ بالله تعالى وعَجْزٌ وتَمَنٍّ على الله.

ثم قال تعالى: ﴿بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٌ﴾؛ أَي: ليس الأَمر كما قال، بل هذه الفعلة[2] به فتنةٌ له وابتلاءٌ.

ثم أَخبر تعالى عمَّن سلَف من الكفرة أَنهم قد قالوا نحو هذه المقالة؛ كقارون وغيره، وأَنهم ما أَغنى عنهم كسبهم واحتجابهم للأَموال، فكذلك لا يُغني هؤلاءِ.

ثم ذكر تعالى - على جهة التوعُّد لهؤلاءِ في نفس المثال - أَن أُولئك أَصابهم جزاءُ سيئات ما كسبوا، وأن الذين ظلموا بالكفر من هؤلاءِ المعاصرين لك سيصيبهم[3] ما أَصاب المتقدمين، وهذا خبر من الله تعالى أَبْرَزَهُ الوجود يوم بدرٍ وغيره.

و(مُعْجِزِينَ) معناه: مُفلِتِين وناجين بأَنفسهم.

ثم قرَّر عَلَى الحقيقة في أَمر الكسْب وسَعَة النعم فقال: أَوَ لَمْ يَعْلَمُوا أَن الله هو الذي

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٦٢٦و ٢١/ ٣٠٣).

(٢) في المطبوع والحمزوية ونور العثمانية وأحمد٣: «الغفلة».

(٣) في الأصل زيادة: «سيئات ما كسبوا وأن الذين ظلموا بالكفر»، ولعله تكرار.

يبسط الرزق لقوم ويُضَيِّقه على قوم بمشيئته وسابق علمه، وليس ذلك لِكَيْس أَحد ولا لعجزه.

وقوله: ﴿وَيَقۡدِرُ﴾ معناه: يُضَيِّق، كما قال تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٥٥﴾.

هذه الآية عامة في جميع الناس إِلى يوم القيامة، في كل كافر ومؤمن، أَي أَن توبة الكافر تمحو ذنوبه[1]، وتوبة العاصي تمحو ذنبه، واخْتُلِف هل يكون في المشيئة أَو هو مغفور له ولا بُدَّ؟

فقالت فرقة من أَهل السُّنَّة: هو مغفور له ولا بُدَّ، وهذا مقتضى ظواهر القرآن.

وقالت فرقة: التائب في المشيئة، لكن يَغلب الرجاءُ في ناحيته، والعاصي في المشيئة، لكن يغلب الخوف في ناحيته.

واختلف المفسرون في سبب نزول الآية:

فقال عطاءُ بن يسار: نزلت في وحشي قاتِل حمزة[2].

وقال قتادة، والسُّدي، وابن أَبي إِسحاق: نزلت في قوم بمكة آمنوا ولم يهاجروا، وفتنتهم قريش فافتتنوا، ثم ندموا وظنُّوا أَنهم لا توبة لهم، فنزلت الآية فيهم، [منهم الوليد ابن الوليد، وهشام بن العاصي، وهذا قول عمر بن الخطاب، وأَنه كتبها بيده إِلى هشام بن العاصي، الحديث[3].

(١) في المطبوع والسليمانية وأحمد٣: «كفره»، وفي فيض الله ونور العثمانية: «ذنبه».

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٣٠٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٤١).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٠٨)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٤٩) من طريق ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنه.

وقالت فرقة: نزلن في قوم كفار من أَهل الجاهلية، قالوا: وما ينفعنا الإِسلام ونحن قد زنينا، وقتلنا النفس، وأَتينا كل كبيرة، فنزلت الآية فيهم][١].

وقال عليٌّ بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عمر: هذه أَرجى آية في القرآن[٢].

ورَوَى ثوبان عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أُحِبُّ أَن لي الدنيا بما فيها بهذه الآية: يا عبادِي»[٣].

---

(١) سقط من الأصل، وانظر تفسير الطبري (٢١/ ٣٠٨ و٣٠٩)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٤١).

(٢) أثر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٢٨) وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (٦٩) من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن علية، عن يونس بن عبيد، عن ابن سيرين قال: قال علي رضي الله عنه: أي آية في القرآن أوسع؟ فجعلوا يذكرون آياً من القرآن ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أو نحوها، فقال علي: ما في القرآن آية أوسع من ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، وهذا منقطع، ابن سيرين لم يسمع من علي رضي الله عنه، وأما أثر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقد أخرجه الطبري (٢١/ ٣٠٨)، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (٧٠)، والطبراني في الكبير (٨٦٥٨) من طريق منصور بن المعتمر، عن الشعبي، عن تجالس شتير بن شكل ومسروق فقال شتير: إما أن تحدث ما سمعت من ابن مسعود فأصدّقك، وإما أن أحدّث فتصدّقني فقال مسروق: لا بل حدث فأصدّقك، فقال: سمعت ابن مسعود يقول: إن أكبر آية فرجاً في القرآن ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ فقال مسروق: صدقت، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٦٥٩-٨٦٦٠) من طريق آخر عن الشعبي به، والطبراني أيضاً (٨٦٦١) من طريق أبي الضحى قال: اجتمع مسروق، وشتير فذكره بلفظ مطول، وأما أثر عبد الله بن عمر رضي الله عنه لم أقف عليه باللفظ الذي ذكره المؤلف وإنما جاء عند الطبري (٢٠/ ٢٢٧-٢٢٧) من طريق محمد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر قال: إنما أنزلت هذه الآيات في عياش ابن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، ونفر من المسلمين، كانوا أسلموا ثم فتنوا وعذّبوا، فأفتنوا، كنا نقول: لا يقبل الله من هؤلاء صرفاً ولا عدلاً أبداً، قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب عُذّبوه، فنزلت هؤلاء الآيات، وكان عمر بن الخطاب كاتباً، قال: فكتبها بيده ثم بعث بها إلى عَيَّاش بن أبي ربيعة، والوليد ابن الوليد، إلى أولئك النفر، فأسلموا وهاجروا.

(٣) ضعيف، أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٧٥)، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (٤٩)، والطبراني في الأوسط (١٧٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧١٣٧) من طريق ابن لهيعة، عن أبي قبيل، عن أبي =

و﴿أَسۡرَفُواْ﴾ معناه: أَفرطوا وتعدُّوا الطور.

و«القنوط»: أعظم اليأْس.

وقرأ نافع وجمهور الناس: ﴿تَقۡنَطُواْ﴾ بفتح النون، قال أَبو حاتم: يلزمهم أَن يقرؤوا: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾ [الشورى: ٢٨] بالكسر، ولم يقرأ به / أَحد. [٥/ ٢٧]

وقرأَ الأشهب العقيلي بضم النون[١].

وقرأَ أَبو عمرو، وابن وثاب، والأَعمش بكسرها[٢]، وهي لغات.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ عموم بمعنى الخصوص؛ لأَن الشِّرك ليس بداخل في الآية إِجماعاً، وهي أَيضاً في المعاصي مقيدة بالمشيئة، و﴿جَمِيعًا﴾ نصب على الحال.

ورُوي: أَن رسول الله ﷺ قرأَ: «إن الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي»[٣].

= عبد الرحمن المزني، عن أبي عبد الرحمن الجبلاني، عن ثوبان يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾» إلى آخرها، فقال رجل: يا رسول الله، ومن أشرك؟ فسكت النبي ﷺ ثم قال: «إلا ومن أشرك، إلا ومن أشرك، إلا ومن أشرك» ثلاثاً، وابن لهيعة ضعيف، وأبو عبد الرحمن الجبلاني مجهول الحال انظر ترجمته في التاريخ الكبير (٩/ ٥١)، والجرح والتعديل (٩/ ٤٠٣).

(١) وهي شاذة، انظر عزوه له في الشواذ للكرماني (ص: ٤١٥)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٤٢). وفي السليمانية: «أبو الأشهب».

(٢) وهي سبعية لأبي عمرو والكسائي، والفتح للباقين، انظر التيسير (ص: ١٣٦).

(٣) حديث فرد في ثبوته نظر، أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (٢٣٠٢)، وعبد بن حميد (١٥٧٧)، وأحمد (٦/ ٤٥٤-٤٥٩-٤٦٠)، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (٧٢)، والترمذي (٣٢٣٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٠)، والثعلبي في تفسيره (٨/ ٢٤٣)، وحفص بن عمر في جزء فيه قراءات النبي ﷺ (٩٨)، والطبراني في الكبير (٤١١) من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن شهر بن حوشب، عن مولاته أسماء بنت يزيد بنت السكن الأنصارية، مرفوعاً، وشهر بن حوشب صدوق، وله أحاديث أنكرت عليه، ولكن روايته عن مولاته أسماء بنت يزيد حسنة كما قال الإمام أحمد، وقد اختلف هل سمع من أم المؤمنين أم سلمة، وهل هي التي في السند أم لا؟ وقد فصل القول في روايته عن أم سلمة الأستاذ محمود شاكر في تعليقه على الطبري (١٥/ ٣٤٩)، وقد عدوا هذا الحديث من منكراته، ولكن قال الذهبي: وما ذاك بالمنكر جداً. انظر سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٧٨).

وقرأ ابن مسعود (إِنَّ الله يَغْفر الذُّنوب جميعاً لِمَنْ يَشَاءُ)[١].

﴿وَأَنِيبُوٓاْ﴾ معناه: ارجعوا وميلوا بنفوسكم، و«الإِنابةُ»: الرجوعُ بالنفس إِلى الشيءِ.

وقوله: ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ توعُّدٌ بعذاب الدنيا والآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ﴾ معناه: أَن القرآن العزيز تضمَّن عقائد نيِّرة، وأَوامر ونواهي مُنْجية، وعِدَات على الطَّاعات والبِرِّ، وحدوداً على المعاصي ووعيداً على بعضها، فالأَحسن أَن يسلك الإنسان طريق التَّفهُّم والتحصيل والطاعة والانتهاءِ والعفو في الأُمور ونحو ذلك، فهو أَحسن من أَن يسلك طريق الغفلة والمعصية فيُحدَّ[٢] أَو يقع تحت الوعيد.

فهذا هو المعنى وهو المقصود بـ﴿أَحۡسَنَ﴾، وليس المعنى: أَن بعض القرآن أَحسن من بعض من حيث هو قرآن، وإِنما هو أحْسَن كله بالإِضافة إِلى أَفعال الإنسان وما يلقى من عواقبها.

قال السدي: الأَحْسَنُ: هو ما أَمر الله تعالى به في كتابه[٣].

و﴿بَغۡتَةً﴾ معناه: فجأَة وعلى غير موعد.

و﴿تَشۡعُرُونَ﴾ مشتق من الشعار.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٥٧ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٩ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠﴾.

---

(١) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (٨/ ٢٤٣).

(٢) في المطبوع: «فيجزى».

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٣١٢)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٣٢)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٤٦).

﴿أَن﴾ في هذه الآية مفعولٌ من أَجله، أَي: أَنيبُوا وأَسْلِمُوا من أَجْل أَن تقول نفس.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾، والأصل: يا حَسْرَتِي، ومن العرب من يَرُدُّ ياءَ الإِضافة أَلفاً، فيقول: يا غلاما، ويا جارا.

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع: ﴿يا حَسْرَتَايَ﴾ بفتح الياءِ، ورويت عنه بسكون الياء[1].

قال أَبو الفتح؛ جمع بين العوض والمُعَوَّض منه[2].

وروى ابن جمَّازٍ عن أَبي جعفر: (ياحسرتِي) بكسر التاءِ وسكون الياء[3].

قال سيبويه: ومعنى نداءُ الحسرة والويل: أَي: هذا وقْتُك وزمانُك فاحضري[4].

و﴿فَرَّطتُ﴾ معناه: قصَّرتُ في اللازم، وقوله: ﴿فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ معناه: في مقاصدي إِلى الله، وفي جهة طاعته، أَي: في تَضْييع شريعته والإِيمان به، و«الجَنْبُ»: يُعَبَّر به عن هذا ونحوه، ومنه قول الشاعر:

أَفـي جَنْـبِ بَكْـرٍ قطَّعَتْني مَلَامَـةً لَعَمْـرِي لَقَد طَالَـتْ مَلَامَتُهـا بِيَا[5] [الطويل]

ومنه قول الآخر:

النَّـاسُ جَنْـبٌ والأَمِيـرُ جَنْـبُ[6] .... [الرجز]

---

(١) وهي عشرية، انظر النشر (٢/ ٣٦٣).

(٢) المحتسب (٢/ ٢٣٧).

(٣) وهي شاذة، ليست من طرق النشر، انظر عزوها له في المحتسب (٢/ ٢٣٧).

(٤) انظر معاني القرآن النحاس (٦/ ١٨٦)، وفي أحمد٣: «فضيعت» بدل «فاحضري».

(٥) البيت لمعن بن أوس كما في مقاييس اللغة (١/ ٣٩١)، ولكعب بن زهير في تاج العروس (٣٧/ ٢٩٠)، لسان العرب (١٤/ ١٢٠)، خزانة الأدب (٩/ ٥٠٠)، ولهما في غريب الحديث لابن سلام (١/ ٩٨)، ونسبه الصاحبي (ص: ٩٤) لأوس غير منسوب.

(٦) بلا نسبة في معاني القرآن للأخفش (١/ ٢٥٦)، والعين (٦/ ١٤٧)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢١٤).

وقال مجاهد: ﴿فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في أَمر الله[١].

وقول الكافر: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ ندامة على استهزائه بأَمر الله تعالى، و«السُّخْرُ»: الاستهزاءُ.

وقوله: ﴿أَوۡ تَقُولَ﴾ في الموضعين عطفٌ على قوله: ﴿أَن تَقُولَ﴾ الأَول.

و﴿كَرَّةً﴾ مصدر، من: كَرَّ يكُرُّ.

وقوله: ﴿فَأَكُونَ﴾ نصب بـ(أَنْ) مُضمرة مقدَّرة، وهو عطفٌ على قوله: ﴿كَرَّةً﴾، والمرادُ: لَوْ أَنَّ لي كَرَّةً فكَوْناً، فلذلك احتيج إِلى (أَنْ)؛ لتكون هي مع الفعل بتأْويل المصدر ونحوه قول الشاعر ـ أَنشده الفراءُ ـ:

[الطويل]

فَمَا لَكَ مِنْهَا غَيْر ذِكْرَى وَخَشْيَةٍ وَتَسْأَلَ عَنْ رُكْبَانِهَا أَيْنَ يَمَّمُوا[٢]

وقد قرر[٣] بعض الناس الكلام بأَنه: لو أَنَّ لي أَنْ أَكرَّ فأكون، ذكره الطبريُّ[٤].

وهذا (الكوْنُ) في الآية داخلٌ في التمني.

وقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ جوابٌ لِنَفْي مقدَّر في قوله هذه النفس، كأَنها قالت: فَعُمْري في الدنيا لم يتسع للنظر، أَوْ قالت: فإِنِّي لم يَتَبَيَّن لي الأَمر في الدنيا، ونحو هذا، وحقُّ (بَلَى) أَنْ تجيءَ بعد نَفْي عَلَيْه تقريرٌ[٥].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿جَآءَتۡكَ﴾ بفَتْح الكاف وبفتْح التاءِ من قوله: ﴿فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ﴾، على مخاطبة الكافر ذي النفس.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٣١٤)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣٦٤)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٤٦)، وتفسير السمعاني (٤/ ٤٧٧).

(٢) بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (٢/ ٤٢٣)، وتفسير الطبري (٢١/ ٣١٦)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٤٨).

(٣) في المطبوع ونجيبويه ونور العثمانية وأحمد٣: «قدَّر»، وفي الحمزوية: «قال».

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٣١٦)، وقاله الفراء في معاني القرآن (٤/ ١٢١).

(٥) في أحمد٣: «تقدير»، وفي المطبوع: «أن يجيء».

وقرأَ ابن يَعْمَر والجحدريُّ بكسر الكاف والتاءِ في الثلاثة على خطاب النفس المذكورة[(١)].

قال أَبو حاتم: روتها أُمُّ سلمة عن النبي ﷺ[(٢)].

وقرأَ الأَعمش: (بلى قد جاءَتْهُ) بالهاء[(٣)].

ثم خاطب تعالى نبيَّه ﷺ بخبرٍ يراه يوم القيامة من حالة الكفار، وفي ضمن هذا الخبر وعيدٌ لمعاصريه.

وقوله: ﴿تَرَى﴾ هو من رؤْية العين، وكَذِبُهم على الله تعالى هو في أَن جعلوا له البنات والصاحب، وشرعوا ما لم يأْذن به الله، إِلى غير ذلك.

وقوله: ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ جملة في موضع الحال، وظاهر الآية: أَن لون وجوههم يتغير، وتسْوَدُّ حقيقة، ويحتمل أَن يكون في العبارة تجوُّز، وعبَّر بالسَّواد عن ارتداد[(٤)] وجوههم وغالب همهم وظاهر كآبتهم.

و﴿مَثْوًى﴾: موضع الثواءِ والإِقامة.

و«المتكَبِّر»: رافعُ نفسه إِلى فوق حقه، قال النبي ﷺ: «الكبر سفه الحق، وغمط الناس»[(٥)]؛ أَي: احتقارهم.

---

(١) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤١٥).

(٢) هذا الحديث أخرجه أبو داود (٣٩٩٠)، وحفص بن عمر في جزء قراءات النبي (٩٩)، والطبراني في الكبير (٩٤٣) من طريق إسحاق بن سليمان الرازي، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أم سلمة رضي الله عنها به، قال أبو داود: هذا مرسل الربيع لم يدرك أم سلمة، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٩) من طريق إسحاق بن سليمان الرازي، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية به، بنحوه، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح. وانظر مختصر الشواذ (ص: ١٣٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ١٨٧).

(٣) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤١٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ١٨٧).

(٤) في المطبوع وفيض الله وأحمد٣: «اربداد»، وفي الأصل: «أن يراد به»، ولعله تحريف.

(٥) صحيح بنحوه، أخرجه بهذا اللفظ البخاري في الأدب المفرد (٥٥٦)، وأبو داود (٤٠٩٢)، وابن =

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾.

ذكر الله تعالى حالة المتقين ونجاتهم ليعادل بذلك ما تقدم من ذكر الكفرة، وفي ذلك ترغيب في / حالة المتقين؛ لأَن الأَشياءَ تبين بأَضدادها. [٥/ ٢٨]

وقرأَ جمهور القراء: ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ على اسم الجنس، وهو مصدرٌ من الفوز.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وأَبو بكر عن عاصم: ﴿بِمَفَازَاتِهِمْ﴾ على الجمع، من حيث النجاةُ لأَنواع ولأَسباب مختلفة، وهي قراءَة الحسن، والأَعرج، وأَبي عبد الرحمن، والأَعمش[١].

وفي الكلام حذف مضاف تقديره: ويُنَجِّي الله الذين اتقوا بأَسباب أَو بدواعي مفازتهم. وقال السُّدي: ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾: بفضائلهم، وقال ابن زيد: بأَعمالهم[٢].

وقوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ كلام مستأْنفٌ دالٌّ على الوحدانية، وهو عمومٌ معناه الخصوص.

و«الوكيل»: القائم على الأَمر الزعيم بإِكماله وتتميمه.

و«الْمَقَالِيدُ»: المفاتيح، وقاله ابن عباس[٣]، واحدها: مِقْلاد، مثل مِفْتاح.

= حبان في صحيحه (٥٤٦٧) من طريق عبد الوهاب الثقفي، عن هشام، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة مرفوعاً، وهو في مسلم (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «الكبر بطر الحق وغمط الناس».

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٩٠)، والسبعة (ص: ٥٦٣).

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٣٢٠)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣٧٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٢١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

وفي «كتاب الزهراوي»: واحد المقاليد: إِقليد[١]، وهذه استعارة، كما تقول: بيدك يا فُلان مفتاح هذا الأَمر؛ إِذا كان قديراً على السعي فيه.

وقال السدي: المقاليدُ: الخزائن[٢]، وهذه عبارة غير جيدة، ويُشبه أَن يقول قائل: المقاليدُ إِشارةٌ إلى الخزائن أَو دالَّة عليها فيسوغ هذا القول، كما أن الخزائن أَيضاً في جهة الله إنما تجيءُ استعارة، بمعنى: اتساع قدرته، وأَنه يبتدع[٣] ويخترع.

ويُشبه أَن يقال فيما أَوجد من المخلوقات كالريح والماء[٤] وغير ذلك: إِنها في خزائنه سبحانه، وهذا كله تجوُّز على جهة التقريب والتفهيم للسَّامعين، وقد ورد القرآن بذكر الخزائن، ووقعت في الحديث الصحيح في قوله ﷺ: «ما فُتح الليلة من الخزائن»[٥]، والحقيقة في هذا غير بعيدة، لكنه ليس باختزان حاجة ولا قِلَّة قدرة كما هو اختزان البشر.

وقال عثمان رضي الله عنه: سأَلت رسول الله ﷺ عن مقاليد السماوات والأَرض فقال: «لا إِله إِلَّا الله، والله أَكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إِلَّا بالله، هو الأَول والآخر، والظاهر والباطن، يُحيي ويميت، وهو على كل شيءٍ قدير»[٦].

---

(١) مثله في معاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٩٨)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣٧١)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٤٩)، ولم أقف على الزهراوي.

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٣٢١) وتفسير الماوردي (٥/ ١٩٥). وفي الحمزوية: «الحواس».

(٣) سقطت من السليمانية وفيض الله، وفيهما: «وأنه المخترع».

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «كالماء والنار».

(٥) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري (٥٨٤٤) عن أم سلمة مرفوعاً بلفظ: «مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنْ الْفِتْنَةِ، مَاذَا أُنْزِلَ مِنْ الْخَزَائِنِ».

(٦) موضوع، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٤٠٥)، والطبراني في الدعاء (١٧٠٠)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٧٣)، والعقيلي في الضعفاء (١/ ١١٧-١١٨)، وأبو يعلى في مسنده كما في مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٥)، من طريق أغلب بن تميم الكندي ويقال المسعودي، عن مجلد بن هزيل العبدي، عن عبد الرحمن المدني، عن عبد الله بن عمر، عن عثمان بن عفان، أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وأغلب بن تميم بن النعمان قال ابن معين: ليس بشيء، وقال البخاري منكر الحديث، وقال ابن حبان: يروي عن الثقات ما ليس من حديثهم فخرج عن حد الاحتجاج =

وقوله: ﴿أَفَغَيْرَ﴾ منصوب بـ﴿ أَعْبُدُ ﴾، كأَنه قال: أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَعْبُدُ فيما تأْمروني؟ ويجوز أَن يكون نصبه بـ﴿تَأْمُرُوٓنِّيَ﴾ على إِسقاط (أَنْ)، تقديره: أَفغير الله تأْمروني أَن أَعْبُدَ.

وقرأَت فرقة: ﴿تَأْمُرُونَنِي﴾ بنونين، وهذا هو الأَصل.

وقرأَ ابن كثير: ﴿تأمرونِّيَ﴾ بنون مشددة مكسورة وياء مفتوحة.

وقرأَ ابن عامر: ﴿تأمرونِي﴾ بياء ساكنة ونون مكسورة خفيفة، وهذا على حذف النون الواحدة، وهي الموطئة لياءِ المتكلم، ولا يجوز حذف النون الأُولى، وهو لحن لأَنها علامة رفع الفعل.

وفتح نافع الياءَ على هذا الحذف فقرأَ: ﴿تَأْمُرُونِيَ﴾.

وقرأَ الباقون بشدِّ النون وسكون الياءِ[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ الآية، قالت فرقة: في الآية تقديم وتأْخير، كأنه قال: ولقد أُوحِيَ إِلَيْكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عملُك وإِلى الَّذينَ مِنْ قَبْلِكَ.

وقالت فرقة: الآية على وجهها، والمعنى: ولقد أُوحي إِلى كل نبيٍّ لئن أَشركت ليحبطن عملك.

و(حبط) معناه: بَطَل وسقط، وبهذه الآية بطلت أَعمال المُرْتَدِّ مِنْ صلاته وحجِّه وغير ذلك[2].

= به لكثرة خطئه ا. هـ .انظر ترجمته في الجرح والتعديل (٢/ ٣٤٩)، الميزان (١/ ٢٧٣ـ ٢٧٤)، أورده الذهبي في ترجمة مخلد أبو الهزيل العنبري البصري، وقال: هذا موضوع فيما أرى. اهـ. انظر الميزان (٤/ ٨٤)، وقد روي بلفظ آخر عن عثمان رضي الله عنه، انظر الموضوعات لابن الجوزي (١/ ١٤٤-١٤٥)، واللآلئ المصنوعة (١/ ٨٠).

(١) هذه خمس قراءات وهي سبعية إلا الثالثة، انظر التيسير (ص: ١٩٠)، وفيه أن الأولى لابن عامر، وأما الثالثة فظاهر السبعة (ص: ٥٦٣) عنه، ونقلها في النشر (٢/ ٣٦٣)، وجامع البيان (٤/ ١٥٤٤) وجهاً لابن ذكوان.

(٢) انظر الاستدلال بالآية على ذلك في المدونة (٢/ ٢٢٧)، والحاوي الكبير (٢/ ٢٠٩)، والمغني لابن قدامة (١/ ٢٨٩).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾.

المكتوبة[١] نصبٌ بقوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ معناه: وما عظَّموا الله حق عظمته، ولا وصفوه بصفاته، ولا نفوا عنه ما لا يليق به.

واختلف الناس في المعنيِّ بالضمير في قوله: ﴿قَدَرُوا۟﴾:

فقال ابن عباس: نزل ذلك في كفار قريش الذين كانت هذه الآيات كلها محاورة لهم وردّاً عليهم[٢].

وقالت فرقة: الآية نزلت في قوم من اليهود، تكلموا في صفات الله تعالى وجلاله فأَلْحدوا وجَسَّموا وأَتَوْا بكل تخليط، فنزلت الآية فيهم.

وفي الحديث: أَنه جاءَ حبر بالمدينة[٣] إِلى رسول الله ﷺ، فجلس إِليه، فقال له النبي ﷺ: حدِّثنا، قال: إِن الله عزَّ وجلَّ إِذا كان يوم القيامة جعل السماوات على إِصْبَع، والأرضين على إصبع، والجبال على إِصبع، والماءَ والشجر على إِصبع، وجميع الخلائق على إِصبع، ثم يهزهن فيقول: أَنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بَدَت نواجذه تصديقاً له، ثم قرأَ هذه الآية[٤].

---

(١) المكتوبة هي لفظ الجلالة «الله».

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٣٩٧)، و(٢٠/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم (٧٥٨٦) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في أحمد٣ والسليمانية: «جبريل بالمدينة»، في الأصل: «جبريل»، دون ذكر المدينة.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧٤٥١)، ومسلم (٢٧٨٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر، وفي رواية للبخاري (٧٤١٥) جاء رجل من أهل الكتاب.

قال القاضي أَبو محمد: فرسول الله ﷺ تمثل بالآية وقد كانت نزلت.

وقوله في الحديث: «تصديقاً له»؛ أَي: في أَنه لم يَقُل إِلَّا ما رأَى في كتب اليهود، ولكن النبي ﷺ أنكر المعنى؛ لأَن التجسيم فيه ظاهر، [واليهود معروفون باعتقاده، لا يُحسنون حَمْله على تأْويله من أَن الإِصبع عبارة عن القدرة، أَو من أَنها إِصبع خَلْق يخلق لذلك، ويعضدها تنكير الإِصبع][(١)].

وَرَوى سعيد بن المسيب: أَن سبب نزول الآية: أَن طائفة من اليهود جاءَت إِلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، هذا اللهُ خلق الأَشياءَ، فمن خَلَق اللهَ؟ فغضب رسول الله ﷺ وساورهم[(٢)]، فنزلت الآية[(٣)].

[٥/ ٢٩] وقرأَ جمهور الناس: ﴿قَدْرِهِۦ﴾ بسكون الدال، وقرأَ الأَعمش بفتح الدال./

وقرأَ أَبو حيوة، وعيسى بن عمر، والحسن، وأَبو نوفل: (وَمَا قَدَّروا) بشد الدال (حق قَدَره) بفتح الدال[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ معناه: في قبضته.

وقال ابن عمر ما معناه: إِن الأَرض في قبضة اليد الواحدة، والسماوات مطويات باليمين الأُخرى؛ لأنه كلتا يديه يمين[(٥)]، ورواه عن النبي ﷺ[(٦)].

---

(١) سقط من الحمزوية ونور العثمانية ونجيبويه، وفي حاشية المطبوع أنه لا يوجد إلا في التونسية، وأنه زيادة توضح رأي ابن عطية.

(٢) في أحمد٣ ونور العثمانية: «شاورهم».

(٣) مرسل، أخرجه الطبري (٢١/ ٣٢٨-٢٤/ ٦٨٨) عن محمد بن حميد، عن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد، عن سعيد بن المسيب مرسلاً. ومحمد بن حميد الرازي ضعيف.

(٤) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤١٦).

(٥) لم أقف عليه، وقد أخرجه مسلم (١٨٢٧) عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا».

(٦) أخرجه البخاري (٧٤١٢) عن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما مرفوعاً، وفيه: «وَتَكُونُ السَّمَاوَاتُ بِيَمِينِهِ».

وقال ابن عباس: الأَرض جميعاً قبضته والسماوات، وكل ذلك بيمينه(١).

وقرأَ عيسى بن عمر: (مَطْوِيَّاتٍ) بكسر التاءِ المنونة(٢)، والناسُ على رفعها.

وعلى كل وجه: فاليمينُ هنا والقبضةُ وكل ما وردَ؛ عبارة عن القدرة والقوة، وما اختلج في الصدور من غير ذلك باطل، وما ذهب إِليه القاضي من أَنها صفات زائدة على صفات الذات قول ضعيف(٣)، وبحسب ما يختلج في النفوس التي لم يحصنها العلم قال عز وجل: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾، أَي: هو مُنَزَّه عن جميع الشُّبه التي لا تليق به.

ثم ذكر سبحانه وتعالى النَّفخ في الصُّور ليُصعق الأَحياءُ من أَهل الدنيا والسماءِ، وفي بعض الأَحاديث من طريق أَبي هريرة عن النبي ﷺ: أَنَّ قَبْل هذه الصعقة صعقةُ الْفَزَعِ، ولم تَتَضَمَّنْهَا هذه الآية(٤).

---

(١) ضعيف، وفيه نكارة، أخرجه الطبري (٢١/ ٣٢٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ يقول: قد قبض الأرضين والسماوات جميعاً بيمينه.

(٢) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (٨/ ٢٥١)، الشواذ للكرماني (ص: ٤١٦).

(٣) انظر قول القاضي الباقلاني في تفسير ابن جزي (٢/ ٢٢٥)، قال: وأما السلف الصالح فسلموا علم ذلك إلى الله، ورأوا أن هذا من المتشابه الذي لا يعلم علم حقيقته إلا الله، وهذا هو مذهب أهل الحق، انظر الاعتقاد لابن أبي يعلى (ص: ٢٥)، والمواقف (٣/ ١٤٦)، وشرح الطحاوية (ص: ١٩١)، وأضواء البيان (٧/ ٢٧١)، وما مشى عليه المصنف هو مذهب أهل التأويل، وهو مردود.

(٤) ضعيف، هذا الحديث الذي يشير إليه المؤلف أخرجه الطبري (٣/ ٦١١-٦١٣-٨/ ١٣٢-١٣٤)، وابن أبي حاتم (١٦٦٢١- ١٦٦٢٧- ١٦٦٢٩)، وأبو يعلى في مسنده كما في فتح الباري (١١/ ٣٦٨)، والطبراني في الأحاديث الطوال (٣٦)، والبيهقي في البعث والنشور (٦٠٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٣٨٨، ٣٨٩) وغيرهم من طرق عن إسماعيل بن رافع المدني، عن يزيد بن أبي زياد، عن رجل من الأنصار، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: أن الله عز وجل لما فرغ من خلق السماوات والأرض خلق الصور، فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصاً بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر» فقلت: يا رسول الله وما الصور؟ قال: «قرن» قال: قلت: وكيف هو؟ قال: «قرن عظيم والذي نفسي بيده إن عظم دائرة فيه كعرض السماوات والأرض ينفخ =

و﴿فَصَعِقَ﴾ في هذه الآية معناه: خَرَّ ميتاً، و﴿ٱلصُّورِ﴾: القَرْن، ولا يتصور هنا غير هذا، ومن يقول: الصُّور جمع صورة، فَإِنما يتوجه قوله في نفخة البعث.

وقرأَ قتادة: (في الصُّوَرِ) بفتح الواو، وهي جمع صورة(١).

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، قال السدي؛ استثنى جبريل وميكائيل وإِسرافيل ومَلَك الموت، ثم أَماتهم بعد هذه الحال(٢)، وروي ذلك عن أَنس، عن النبي ﷺ(٣).

وقيل: استثنى الأَنبياءَ، وقال ابن جبير: استثنى الشهداءَ(٤).

وقوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ هي نفخة البعث، ورُوي: أَن بين النفختين أَربعين، لا يدري أَبو هريرة: سنةً أَو يوماً أَو شهراً أَو ساعة(٥). وباقي الآية بيِّنٌ.

= فيه ثلاث نفخات: الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين»، وذكر الحديث بطوله. وإسماعيل بن رافع بن عويمر، ويقال ابن أبي عويمر الأنصاري ضعيف واه، وقد اضطرب فيه إسماعيل بن رافع كما في الفتح (١١/ ٣٦٨) قال الحافظ: ومداره على إسماعيل ابن رافع واضطرب في سنده مع ضعفه فرواه عن محمد بن كعب القرظي تارة بلا واسطة، وتارة بواسطة رجل مبهم، ومحمد عن أبي هريرة تارة بلا واسطة، وتارة بواسطةرجل من الأنصار مبهم أيضاً. اهـ. وقال البخاري: وروى إسماعيل بن رافع عن محمد بن يزيد ابن أبي زياد عن رجل عن محمد بن كعب حديث الصور مرسل لا يصح. ا هـ .انظر الكامل (١/ ٤٥٢-٤٥٣).

(١) انظر البحر المحيط (٢١/ ٧٣).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٣٣٠)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٣٥)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣٧٩).

(٣) منكر، أخرجه الطبري (٢١/ ٣٣٠-٣٣١) من طريق الفضل بن عيسى الرقاشي، عن عمه يزيد بن أبان الرقاشي، عن أنس رضي الله عنه به مرفوعاً مطولاً، والفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي منكر الحديث ساقط، وعمه يزيد ضعيف، وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٢/ ٧٠٠) لأبي نصر السجزي في الإبانة، وابن مردويه.

(٤) تفسير عبد الرزاق (٣/ ١٣٥)، تفسير الطبري (٢١/ ٣٣١).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٨١٤-٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

(أَشْرَقت) معناه: أَضاءَتْ وعظُم نورُها، يقال: شرقت الشمس: إِذا طلعت، وأَشرقت: إِذا أَضاءَت.

وقرأَ ابن عباس، وعبيد بن عمير: (وَأُشْرِقَت) بضم الأَلَف وكسر الراءِ[١]، [على بناء الفعل للمفعول][٢]، وهذا إِنما يترتب من فعل يتعدى، فهذا على أن يقال: أَشرقَ البيتُ، وأَشرَقَهُ السِّراجُ، فيكون الفعل متجاوزاً وغير متجاوز بلفظ واحد، كَرَجَعَ وَرَجَعْتُه، وَوَقَف وَوَقَفْتُه، ومن المتعدي من ذلك يقال: أُشْرِقَت الأَرْضُ.

والأَرْضُ في هذه الآية: الأَرْضُ المُبْدلة من الأَرض المعروفة.

وقوله: ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ إِضافةُ خَلْق إِلى خالقٍ، أَي: بنور الله تعالى.

و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾: كتابُ حساب الخلائق، ووحَّده على اسم الجنس؛ لأَن كل أحد له كتابٌ على حِدَة. وقالت فرقة: وُضع اللَّوحُ المحفوظ. وهذا شاذٌّ، وليس فيه معنى التوعُّد، وهو مقصد الآية.

وقوله: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ﴾؛ أَي: ليشهدوا[٣] على أُممهم.

---

(١) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٢٣٩)، الشواذ للكرماني (ص: ٤١٦)، ولم أجدها لأبي البرهسم.

(٢) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٣) في أحمد٣ والمطبوع: «استشهدوا».

وقوله: ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾، [قيل: هو][(١)] جمع شاهد، والمرادُ: أُمَّة محمد ﷺ الذين جعلهم الله شهداءَ على الناس.

وقال السُّدي: الشهداءُ: جمع شهيد في سبيل الله[(٢)]، وهذا أَيضاً يزول عنه معنى التوعُّد.

ويحتمل أَن يريد بقوله: ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ الأَنبياءَ أَنفسهم، [فيكون من][(٣)] عطف الصفة على الصفة بالواو، كما تقول: جاءَني زيد الكريمُ والعاقل.

وقال زيد بن أَسلم: الشهداءُ: الحَفَظَةُ[(٤)].

والضمير في قوله: ﴿بَيْنَهُم﴾ عائد على العالم بأَجمعه، إِذ الآية تدلُّ عليهم.

وقوله: ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ معناه: لا يوضع شيءٌ من أُمورهم غير موضعه.

وقوله: ﴿وَوُفِّيَتْ﴾ معناه: جوزيته مُكَمَّلاً[(٥)]، وفي هذا وعيدٌ صرَّح عنه قوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَسِيقَ﴾، ﴿وَجِاْىٓءَ﴾ بكسر أَوَّله.

وقرأَها ونظائرها بإِشمام الضَّمِّ: الحسنُ، وابن وثاب، وعاصم، والأعمش[(٦)].

و﴿زُمَرًا﴾ معناه: جماعات متفرقة، واحدتها زمرة.

وقوله: ﴿فُتِحَتْ﴾ جواب ﴿إِذَا﴾، والكلام هنا يقتضي أن فتحها إنما يكون بعد

---

(١) سقط من أحمد٣.

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٣٣٥)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٥٧)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣٨٧)

(٣) من المطبوع.

(٤) الهداية لمكي (١٠/ ٦٣٨٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٥٧).

(٥) في أحمد ونور العثمانية وفيض الله٣: «جوزيته كملا»، وفي الأصل: «وضعت كلا».

(٦) الإشمام في (سيق) للكسائي وابن عامر كما في التيسير (ص: ١٨١)، وفي (جيء) للكسائي وهشام، انظر التيسير (ص: ٧٢)، وهما سبعيتان، وانظر السبعة (ص: ١٤٣)، ولم أجد لعاصم فيهما شيئاً.

مجيئهم، وفي وقوفهم قبل فتحها مذَّلة لهم، وهكذا هي حال السجون ومواضع الثقاف والعذاب، بخلاف قوله في أهل الجنة: ﴿وَفُتِحَتۡ﴾، فالواو مؤذنةٌ بأنهم يجدونها مفتوحة كمنازل الأفراح.

وقرأ الجمهور: ﴿فُتِّحتْ﴾ بشد التاء في الموضعين.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي بتخفيفها، وهي قراءة طلحة، والأعمش[1].

ثم ذكر تعالى توقيف الخزنة لهم على مجيء الرُّسل.

وقرأ الجمهور: ﴿يَأۡتِكُمۡ﴾ بالياء من تحت، وقرأ الأعرج: (تَأْتِكُم) بتاء من فوق[2].

وقوله: ﴿مِّنكُمۡ﴾ أعظم في الحُجَّة، أي: رسلٌ من جنسكم لا يصعب عليكم مرامهم ولا فهم أقوالهم.

وقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ جوابٌ على التقرير على نفي أمر، ولا يجوز هنا الجواب بـ(نعم)؛ لأنهم كانوا يقولون: نعم لم يأتنا، وهكذا كان يترتب المعنى: ثم لم يجدوا حُجَّة، إلا أنَّ كلمة العذاب حقت عليهم، أي: الكلمة المقتضية من الله تعالى تخليدهم في النار، وهي عبارة عن قضائه السابق لهم بذلك، وهي التي في قوله تعالى لإبليس: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥].

و«المثوى»: موضع الإقامة.

قوله عزَّ وجلّ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ / أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٥﴾. [٥/ ٣٠]

---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٦٤). وسقطت من أحمد٣.

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤١٦).

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ﴾ لفظ يعم كل من يدخل الجنة من المؤمنين الذين اتقوا الشِّرك، لأن الذين لم يتقوا المعاصي قد يُساق منهم زمر، وهم الذين سبق لهم أن يغفر الله لهم من أهل المشيئة، وأيضاً فالذين يدخلون النار ثم يخرجون منها قد يساقون زمراً إلى الجنة بعد ذلك فيصيرون من أهل هذه الآية.

والواو في قوله: ﴿وَفُتِحَتۡ﴾ مؤذنة بأنها قد فتحت قبل وصولهم إليها.

وقالت فرقة: هي زائدة، وجواب ﴿إِذَا﴾ ﴿فُتِحَتۡ﴾.

وقال الزَّجَّاج عن المبرد: جواب ﴿إِذَا﴾ محذوف، تقديره بعد قوله: «خالدين فيها»: سعدوا[١].

وقال الخليل: الجواب محذوف تقديره: حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها، وهذا كما قدَّر الخليل قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣][٢].

وكما قدَّر أيضاً قول امرئ القيس:

[الطويل] فلمَّا أجزنا ساحة الحيِّ وانتحى[٣] ....

أي: أجزنا وانتحى.

وقال قوم ـ أشار إليهم ابن الأنباري وضعَّف قولهم ـ: هذه واو الثمانية، [وقد تقدم القول في واو الثمانية][٤] مستوعباً في سورة الكهف وسقطت هذه الواو في مصحف ابن مسعود، فهي كالأولى[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٦٤).

(٢) انظر الكتاب لسيبويه (٣/ ١٠٣).

(٣) هذا صدر بيت من معلقته، وعجزه: بنا بَطْنُ خَبْت ذي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ، وقد تقدم في تفسير الآية (١١) من (سورة يوسف).

(٤) سقط من الأصل، وسقط من المطبوع معه: «مستوعباً في سورة الكهف».

(٥) الإنصاف لابن الأنباري (٢/ ٣٧٦).

و﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ تحيَّة، ويحتمل أن يريد أنهم قالوا لهم: سلامٌ عليكم وأَمنة لكم، و﴿طِبۡتُمۡ﴾ معناه: أعمالاً ومعتقداً ومستقراً وجزاءً.

وقوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ﴾ يريد أرض الجنة، قاله قتادة، وابن زيد، والسُّدِّيُّ[1]، والوراثة هنا مستعارة، لأن حقيقة الميراث أن يكون يصير شيء إلى إنسان بعد موت إنسان، وهؤلاء إنما ورثوا مواضع أهل النار أن لو كانوا مؤمنين.

و﴿نَتَبَوَّأُ﴾ معناه: نتخذ أمكنة ومساكن، ثم وصف حالة الملائكة من العرش وحفوفهم به.

وقال قوم: واحد ﴿حَآفِّينَ﴾: حافٌّ، وقالت فرقة: لا واحد لحافّين لأن الواحد لا يكون حافّاً، إذ الحفوف الإحداق بالشيء، وهذه اللفظة مأخوذة من الحفاف الذي هو الجانب، ومنه قول الشاعر:

لَهُ لَحَظَاتٌ عَنْ حِفَافَيْ سَرِيرِهِ إذا كَرَّهَا فِيها عِقَابٌ وَنَائِلُ[2] [الطويل]

أي: عن جانبيه.

وقالت فرقة: ﴿مِنۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنۡ حَوۡلِ﴾ زائدة. والصواب أنها لابتداء الغاية.

وقوله: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾، قالت فرقة: معناه: أن تسبيحهم يتأتى بحمد الله وفضله، وقالت فرقة: تسبيحهم هو ترديد حمد الله وتكراره، وقال الثعلبي: متلذذين لا متعَبِّدين ولا مُكَلَّفين[3].

وقوله: ﴿وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ختم للأمر، وقولٌ جزمٌ عند فصل القضاءِ؛

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٣٤٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ١٩٨).

(٢) البيت لإبراهيم بن هرمة، كما في الحيوان (٣/ ٦٩)، وعيون الأخبار (١/ ٤١٠)، والعقد الفريد (١/ ٣٦).

(٣) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٦٠).

أَي: أن هذا الحاكم العدل[١] ينبغي أَن يحمد عند نفوذ حكمه وإكمال قضائه، ومن هذه الآية جعلت (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ) خاتمة المجالس والمجتمعات في العلم.

وقال قتادة: فتح الله أول الخلق بالحمد فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١][٢]، وختم القيامة بالحمد في هذه الآية.

قال القاضي أبو محمد: وجعل ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فاتحة كتابه، فبه يبدأ كلُّ أمر، وبه يختم، وحمد الله تعالى وتقديسه ينبغي أن يكون من المؤمن، كما قال الشاعر:

[الطويل]
وَآخِرُ شَيءٍ أَنْتَ في كُلِّ ضِجْعَة وَأَوَّلُ شَيْءٍ أَنْتَ عِنْدَ هُبُوبِي[٣]

[هذا، وقد أخرج عبد بن حميد عن وهب رضي الله عنه أنه قال: من أراد أن يعرف قضاء الله في خلقه فليقرأ آخر سورة الزمر][٤].

كمل تفسير (سورة الزمر) والحمد لله رب العالمين[٥]

(١) في الأصل: «القول».
(٢) انظر تفسير الطبري (٢١/ ٣٤٤) وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٦٠).
(٣) البيت لعليّ بن الجهم كما في محاضرات الأدباء (٢/ ٦١)، وحكاه في بلاغات النساء (ص: ١٠٢) عن امرأة، وفيهما هجعة.
(٤) من المطبوع، وانظر قول وهب في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٤٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٣/ ٨٨٢).
(٥) في فيض الله: «نجز تفسير (سورة الزمر)، والحمد لله كما هو أهله ومستحقه، وصلواته وسلامه على سيدنا محمد نبيه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله على كل حال». وفي السليمانية: «الحمد لله وحده»، وفي الحمزوية: «والحمد لله حق حمده».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة غافر

هذه السُّورة مكِّيَّةٌ بإِجماع، وقد رُوي في بعض آياتها أَنَّها مدنَّية، وهذا ضعيف، والأَوَّل أَصحّ.

وهذه الحواميم الَّتي روى أَنس رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ: أَنَّها ديباج القرآن[١]، ووقفه الزَّجّاج على ابن مسعود[٢].

---

(١) موضوع، أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ٢٦١) من طريق عبد القدوس بن حبيب، عن الحسن، عن أنس بن مالك به، وعبد القدوس بن حبيب الكلاعي الوحاظي ـ أبو سعيد ـ الشامي، قال ابن حبان: كان يضع الحديث على الثقات، لا يحل كتابة حديثه ولا الرواية عنه، وكان ابن المبارك يقول: لأن أقطع الطريق أحب إليَّ من أن أروي عن عبد القدوس الشامي. اهـ. وانظر ترجمته في المجروحين (٢/ ١٣١)، والميزان (٢/ ٦٤٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٣/ ٧) لأبي الشيخ في الثواب، وأبي نعيم، والديلمي.

(٢) منقطع، أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٢٥٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٩١٣)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٣٨) من طريق سفيان بن عيينة، وابن الضريس في فضائل القرآن (٣٠٢) من طريق مسلم بن خالد الزنجي كلاهما ـ ابن عيينة، والزنجي ـ عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن مسعود قال: الحواميم ديباج القرآن. وهو منقطع؛ لعدم سماع مجاهد من ابن مسعود كما قاله أبو زرعة. وانظر جامع التحصيل (٧٣٦)، وقد تحرف «عبد الله بن مسعود» عند ابن الضريس إلى «أبو مسعود الأنصاري»، وقد أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٦٠٣١) عن ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد من قوله.

ومعنى هذه العبارة أنَّها خلت من الأَحكام، وقُصرت على المواعظ والزّجر وطرق الآخرة محضاً، وأَيضاً فهي قصارٌ لا يلحق قارئها فيها سآمة.

ورُوي: أن عبد الله ابن مسعود رَوى: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «من أَراد أَن يرتع في رياض مونقة من الجنَّة فليقرأ الحواميم»[١]، وهذا نحو الكلام الأَول في المعنى.

وقال ﷺ: «مثل الحواميم في القرآن مثل الحِبَرَات في الثياب»[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٤ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۢ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾.

قد تقدم القول في الحروف المقطعة في أَوائل السُّور، وتلك الأَقوال كلها تترتب في قوله: ﴿حمٓ﴾، ويختص هذا الموضع بقول آخر قاله الضحاك، والكسائي: إِن ﴿حمٓ﴾ هجاءُ (حُمَّ) بضم الحاءِ وشدِّ الميم المفتوحة، كأَنه يقول: حُمَّ الأَمْرُ وَوَقع تنزيل الكتاب من الله[٣].

---

(١) منكر، أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (٢٩٦) من طريق إسماعيل بن عياش، عن إسماعيل ابن رافع، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة مرسلاً، وإسحاق بن عبد الله بن أبي فروة متروك، أما رواية ابن مسعود رضي الله عنه فقد أخرجها أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٢٥٥) من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن أبي عبيد، عن أبيه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دمثات أتأنق فيهن. وأبو إسحاق السبيعي قد عنعن وهو مدلس، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه على الراجح.

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٨/ ٢٦٢) بلا سند.

(٣) انظر: تفسير الثعلبي (٨/ ٢٦٣)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣٩٧ و٦٣٩٨).

وقال ابن عباس: الر[١]، وحم[٢]، ون[٣]: هي حروف (الرحمن) مُقَطَّعة في سُوَر[٤].

وقال القرظي[٥]: أَقسم الله بحلْمه ومُلْكِه[٦].

وسأَل / أَعرابيٌّ النبي ﷺ عن ﴿حمٓ﴾ ما هو؟ فقال: «بدءُ أَسماءٍ وفواتح سوَر»[٧]. [٥/ ٣١]

وقرأَ ابن كثير بفتح الحاءِ، ورُوي عن أَبي عمرو كسرها على الإِمالة، ورُوي عن نافع الفتح، ورُوي عنه الوسط بينهما، وكذلك اختُلف عن عاصم، ورُوي عن عيسى كسر الحاءِ على الإِمالة، وقرأَ جمهور الناس ﴿حمٓ﴾ بفتح الحاءِ وسكون الميم[٨].

وقرأَ عيسى بن عُمَر أَيضاً: (حمَ) بفتح الحاءِ وفتح الميم الأَخيرة في النطق[٩].

ولذلك وجهان:

---

(١) يونس: ١، هود: ١، إبراهيم: ١، يوسف: ١، الحجر: ١.

(٢) فاتحة سور غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

(٣) القلم: ١.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (١٢/ ١٠٣- ١٠٤-٢٠/ ٢٧٤)، وابن أبي حاتم (١٠١٨٦) في تفسيريهما من طريق علي بن الحسين، عن أبيه، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وعلي بن الحسين بن واقد المروزي ضعيف.

(٥) هو محمد بن عبد الله القُرَظِيُّ. وفي الحمزوية ـ والتونسية كما في حاشية المطبوع ـ : «القرطبي»، وهو خطأٌ من الناسخ.

(٦) انظر: تفسير الثعلبي (٨/ ٢٦٣)، وفي تفسير السمعاني (٥/ ٦٢).

(٧) لم أهتد إليه، وانظر تفسير القرطبي (١٥/ ٢٨٩). وفي الأصل: «بدء السماء».

(٨) حاصل ما فيها: ثلاث قراءات سبعية، الإمالة لحمزة والكسائي وشعبة وابن ذكوان، والتقليل لأبي عمرو وورش، والفتح للباقين، انظر التيسير (ص: ١٩١)، وانظر الخلاف عن أبي عمرو ونافع في السبعة (ص: ٥٦٧).

(٩) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤١٧)، وعزا له الكسر الثعلبي (٨/ ٢٦٤). وفي الحمزوية: «سكون الميم».

أَحدهما: التحريك للالتقاءِ مع الياءِ الساكنة، والآخر: أَن تكون حركة إِعراب، وذلك نصب بفعل مقدر تقديره: اقرأْ حم، وهذا على أَن تجرى مجرى الأَسماءِ، والحُجَّة فيه قولُ شُرَيْح بن أَوْفى العَبْسِيِّ[(١)]:

[الطويل] يُذَكِّرني حامِيمَ والرُّمْحُ شاجِرٌ فَهَلَّا تَلَا حاميمَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ[(٢)]

وقال الكميت:

[الطويل] وَجَدْنَـا لكُـمْ فـي آلِ حامِيـمَ آيَةً تَأَوَّلَهَـا مِنَّـا تَقِـيٌّ وَمُعْـرِبُ[(٣)]

وقرأَ أَبو السمال: (حم) بفتح الحاء وكسر الميم الأَخيرة، وذلك لالتقاءِ الساكنين[(٤)].

و﴿حمٓ﴾ آية.

و﴿تَنزِيلُ﴾ رفع بالابتداءِ، والخبر في قوله: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾، وعلى القول بأَن ﴿حمٓ﴾ إِشارة إِلى حروف المعجم يكون قوله: ﴿تَنزِيلُ﴾[(٥)] خبر ابتداءٍ.

و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن.

وقوله: ﴿غَافِرِ﴾ بدلٌ من المكتوبة[(٦)].

وإِن أَردت بـ﴿غَافِرِ﴾ المُضِيَّ؛ أَي: غُفْرانه في الدنيا وقضاءَه بالغُفْران وستره على المذنبين؛

---

(١) هو قاتل محمد بن طلحة بن عبيد الله السجاد، كما في الإصابة (٦/ ١٦)، وفيه أقوال أخرى، وكان شريح أحد رؤوس الخوارج، وكان مع زيد بن حصن في حروراء على المجنبتين، وكان رأسهم يومئذ عبد الله بن وهب السبئي، تاريخ الإسلام (٣/ ٦٠٥).

(٢) عزاه له في مجاز القرآن (٢/ ١٩٣)، وتفسير الطبري (٢١/ ٣٤٨)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٤١)، وقد اختلف فيه.

(٣) عزاه في مجاز القرآن (٢/ ١٩٣)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٢٥٧)، وتفسير الطبري (٢١/ ٣٤٨). وفي المطبوع: «معزب».

(٤) وهي شاذة، عزاها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤١٧)، وفي مختصر الشواذ (ص: ١٣٣) عنه فتح الحاء.

(٥) في الأصل: «حم».

(٦) أي: لفظ الجلالة «الله».

فيجوز أَن تكون ﴿غَافِرِ﴾ صفةً؛ لأَن إِضافته إِلى المعرفة تكون محضة، وهذا مترجح جدّاً.

وإِذا أَردت بـ﴿غَافِرِ﴾ الاستقبال ـ أَي غُفْرَانَهُ يوم القيامة ـ فالإِضافة غير محضة.

و﴿غَافِرِ﴾ نكرة، فلا يجوز أَن تكون نعتاً؛ لأَن المعرفة لا تُنْعت بالنكرة، وفي هذا نظر.

وقال الزَّجَّاج: ﴿غَافِرِ﴾ و﴿وَقَابِلِ﴾ صفتان، و﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ بَدَلٌ[1].

و﴿ٱلذَّنْبِ﴾ اسم الجنس، وأَما ﴿ٱلتَّوْبِ﴾ فيحتمل أَن يكون مصدراً؛ كالعوم والنوم، فيكون اسم جنس، ويحتمل أَن يكون جمع تَوْبة، كتَمْرةٍ وتَمْر، وساعة وساع.

وقبول التوبة من الكافر مقطوعٌ به؛ لإِخبار الله تعالى، وقبول التوبة من العاصي في وجوبها قولان لأَهل السُّنَّة.

وحكى الطبري عن أَبي بكر بن عياشٍ: أَن رجلاً جاءَ إِلى عُمر بن الخطاب فقال: إِني قتلت، فهل لي من توبة؟ فقال: نعم، اعمل ولا تيأَس، ثم قرأ هذه الآية إِلى قوله تعالى: الآيات إلى ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾[2].

[و﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ صفةٌ، وقيل: بَدَلٌ][3].

ثم عقَّب هذا الوعيد بوعد ثان في قوله: ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾، أَي: ذي التَّطَوُّل والمَنِّ بكلِّ نعمة، فلا خير إِلا منه، فترتَّب في الآية وعيدٌ بين وعْدَيْن[4]، وهكذا رحمة الله تغلب غضبه.

قال القاضي أَبو محمد: سمعت هذه النزعة من أَبي رضي الله عنه، وهي نحو من

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٦٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٥٠). وفي الحمزوية: «عن ابن عباس»، بدل «ابن عياش».

(٣) في حاشية المطبوع: هكذا في جميع الأصول، وأعتقد أنه مكرر، أو أنه في غير موضعه.

(٤) في الأصل: «وعيدين».

قول عمر رضي الله عنه: لن يغلب عسْرٌ يُسْرَيْن[(١)]، يريد قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦].

و﴿ٱلطَّوْلِ﴾: الإِنعام، ومنه: ما حَليتُ بطائل.

وحكى الثعلبي عن أَهل الإِشارة: أَنه تعالى غافر الذنب فضلاً، وقابل التَّوْب وعداً، وشديد العقاب عدلاً[(٢)].

وقال ابن عباس: ﴿ٱلطَّوْلِ﴾: السَّعَة والغِنَى[(٣)].

ثم صدع تعالى بالتوحيد في قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وبالبعث والحشر في قوله: ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يريد: جدالاً باطلاً، لأَن الجدال فيها يقع من المؤمنين لكن في إِثباتها وشرحها.

وقوله: ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ﴾ أَنزله منزلة: فَلَا يَحْزُنْكَ، وَلا يَهُمَّنَّك؛ لتدل الآية على أَنهم ينبغي أَلَّا يَغْتَرُّوا بإِملاءِ الله تعالى لهم، فالخطاب له والإِشارة إِلى من يقع منه الاغترار، ويحتمل أَن يكون ﴿يَغْرُرْكَ﴾ بمعنى: تظُن أَن وراءَ تقلُّبهم وإِمهالهم خيراً لهم، فتقول: عَسَى أَلا يُعَذَّبوا.

---

(١) لا بأس به، أخرجه ابن المبارك في الجهاد (٢١٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٩٨٣٤-٣٤٥٣٢)، وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة (٣١)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٠١-٣٠٢) وغيرهم من طرق عن زيد بن أسلم، عن أبيه: أن أبا عبيدة حُصر بالشام، ونال منه العدو، فكتب إليه عمر بن الخطاب، بنحوه مطولاً، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٠١٠) من طريق ابن أبي الدنيا به، وفي الباب عن ابن مسعود وغيره، وقد أخرجه مالك في الموطأ (٩٦١)، عن زيد بن أسلم قال: كتب أبو عبيدة إلى عمر..فذكره، ومن طريقه الطبري (٦/ ٣٣٤).

(٢) انظر: تفسير الثعلبي (٨/ ٢٦٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٥١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٩) من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وحُلَّ الفعلُ من الإِدغام لسكون الحرف الثاني، وحيث هما متحركان لا يجوز الحلُّ، لا تقول: زيد يَغْرُرُكَ.

و﴿تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ عبارة عن تمتعهم بالمساكن والمزارع والأَسفار وغير ذلك.

ثم مثَّل لهم بمن تقدمهم من الأُمم، أَي: كما حَلَّ بأُولئك كذلك ينزل بهؤلاءِ.

﴿وَٱلْأَحْزَابُ﴾ يريد بهم عاداً وثموداً وأَهل مَدْيَن وغيرهم.

وفي مصحف عبد الله ابن مسعود: (بِرَسُولِهَا)[1]، ردّاً على (الأُمَّة)، وضمير الجماعة هو على معنى الآية لا على لفظها.

وقوله تعالى: ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ معناه: ليهلكوه، كما قال تعالى: ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾[2]، والعرب تقول للقتيل: أَخيذٌ، وللأَسير: كذلك، ومنه قولهم: أَكذبُ من الأَخيذِ الصبحان[3].

وقال قتادة: ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ معناه: ليقتلوه[4].

و﴿لِيُدْحِضُوا۟﴾ معناه: لِيُزْلِقُوا وليُذهبوا، والمدْحَضَةُ: المزلَّة والمَزْلَقَة[5].

وقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ تعجيب وتعظيم، وليس باستفهام عن كيفية وقوع الأَمر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾

(١) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٣/ ٥)، وتفسير الطبري (٢١/ ٣٥٣).
(٢) الرعد: ٣٢، وتكررت في الحج: ٢٤.
(٣) الجيم (١/ ٥٩)، الأمثال لابن سلام (ص: ٣٦٤). والأخيذ: الأسير، والصَّبْحان: من الصَّبُوح. وفي أكثر النسخ الخطية: «الصَّيحَان».
(٤) انظر تفسير الطبري (٢١/ ٣٥٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٤٣)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٤٠١).
(٥) انظر الهداية لمكي (١٠/ ٦٤٠١).

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾.

في مصحف عبد الله بن مسعود: (وكذلك سبقت كلمةُ)[1].

والمعنى: وكما أَخذْتُ أُولئك المذكورين فأَهلكتهم، فكذلك حقت كلماتي على جميع الكفار، من تقدم منهم ومن تأَخر، أَنهم أَهل النار وسكانها.

وقرأَ نافع، وابن عامر: ﴿كَلِمَاتُ﴾ على الجمع، وهي قراءَة الأَعرج، وأَبي جعفر، وابن نصاح/. [٥/ ٣٢]

وقرأَ الباقون ﴿كَلِمَتُ﴾ على الإِفراد، وهي للجنس، وهي قراءَة أَبي رجاءٍ، وقتادة[2].

وهذه كلها عبارة عن حتم القضاءِ عليهم.

وقوله: ﴿أَنَّهُمْ﴾ بدلٌ من ﴿كَلِمَتُ﴾.

ثم أخبر تعالى بخبر يتضمن تشريف المؤمنين ويعظم الرجاء لهم، وهو أن الملائكة الحاملين للعرش والذين حول العرش، وهؤلاء أفضل الملائكة يستغفرون للمؤمنين ويسألون الله لهم الرحمة والجنة، وهذا معنى قوله تعالى في غير هذه الآية: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ [الفرقان: ١٦]؛ أي: سألته الملائكة، وفسر في هذه الآية المجمل الذي في قوله تعالى في غير هذه الآية: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥]، لأَنه معلوم أَن الملائكة لا تستغفر لكافر.

وقد يجوز أَن يقال: معنى ذلك أَنهم يستغفرون للكفار بمعنى طلب هدايتهم والمغفرة لهم بعد ذلك، وعلى هذا النحو هو استغفار إِبراهيم لأَبيه، واستغفار رسول الله ﷺ للمنافقين.

---

(١) وهي شاذة، قال في البحر المحيط (٩/ ٢٣٧)، وهو تفسير معنى، لا قراءة.
(٢) وهما سبيعتان، انظر السبعة (ص: ٥٦٧)، والنشر (٢/ ٢٩٦).

وبلغني: أَن رجلاً قال لبعض الصالحين: ادْعُ لي واستغفر لي، فقال له: تُبْ واتَّبع سبيل الله يستغفر لك من هو خير منِّي، وتَلَا هذه الآية[١].

وقال مطرف بن الشِّخير: وجدنا أَنصح العباد للعباد الملائكة، وأَغش العباد للعباد الشياطين، وتلا هذه الآية[٢].

وروى جابر بن عبد الله: أَن النبي ﷺ قال: «أَذِنَ لي ربِّي أَن أُحدِّث عن مَلَك من حَمَلة العرش بين شحمة أُذنه وعاتقه مسيرة سبع مئة سنة»[٣].

وقرأَت فرقة: (العُرْشَ) بضم العين[٤]، والجمهور على فتحها.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ نصب (الرحمة) على التمييز وفيه حذف تقديره: يقولون، ومعناه: وَسِعَتْ رَحمَتُكَ وعِلْمُكَ كلَّ شيءٍ، وهذا نحو قولهم: تَفَقَّأْت شحماً، وتصبَّبت عرقاً، وطبت نفساً.

«سبيلُ اللّهِ المُتَّبَعة»: هي الشرائع.

وقرأ جمهور الناس: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ على جمع الجنات.

وقرأ الأعمش في رواية المفضل: (جنة عدن) على الإفراد، وكذلك هو في مصحف ابن مسعود[٥].

و«الْعَدْنُ»: الإقامة.

---

(١) نقله في تفسير الثعالبي (٤/ ٦٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٥٨)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٩٣).

(٣) في المطبوع وأحمد٣ والسليمانية: «خمس مئة»، وإسناده فرد جيد، أخرجه أبو داود (٤٧٢٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٩٦٧)، والطبراني في الأوسط (٤٤٢١-١٧٠٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٤٦٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٣/ ٦٠) من طريق أحمد بن حفص بن عبد الله النيسابوري، عن أبيه، وكلاهما صدوق، عن إبراهيم بن طهمان، عن موسى بن عقبة، عن محمد ابن المنكدر، عن جابر بن عبد الله به، وجاء في رواية الطبراني (١٧٠٩) «مسيرة أربع مئة عام»، وفي رواية أبي الشيخ خمس مئة عام أو قال خمسين عاماً.

(٤) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤١٧) لسعيد بن عياض.

(٥) وهي شاذة، عزاها للأعمش والحسن الكرماني في الشواذ (ص: ٤١٧).

وقوله: ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ روي عن سعيد بن جبير في تفسير ذلك: أن الرجل يدخل الجنة قبل قرابته فيقول: أَين أَبي؟ أَين أُمي؟ أين زوجتي؟ فيلحقون به لصلاحهم ولتنبيهه عليهم وطلبه إياهم[١]، وهذه دعوة الملائكة.

وقرأ عيسى بن عمر: (وذريتهم) بالإفراد[٢].

وقوله: ﴿وَقِهِمُ﴾ أصله: اوْقِهِم، حذفت الواو إِتباعاً لحذفها في المستقبل، واستغني عن أَلف الوصل لتحرُّك القاف، ومعناه: اجعل لهم وقاية تقيهم السيئات.

واللفظ يحتمل أَن يكون الدعاءُ في أَن يدفع الله عنهم نفس السيئات حتى لا ينالهم عذابٌ من أَجلها[٣].

ويحتمل أَن يكون الدعاءُ في رفع العذاب اللاحق من السيئات، فيكون في اللفظ على هذا حذف مضاف، كأَنه قال: وَقِهِمْ جزاءَ السيئات.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾.

ثم[٤] أَخبر الله تعالى بحال الكفار، وجعل ذلك عقب حال المؤمنين ليبين الفرق، وروي: أَن هذه الحال تكون للكفار عند دخولهم النار؛ فإِنهم إِذا أُدخلوا فيها مقتوا أَنفسهم، أَي: مَقَتَ بعضهم بعضاً.

ويحتمل أَن يمقت كل واحد نفسه، فإِن العبارة تحتمل المعنيَيْن.

---

(١) انظر: تفسير السمعاني (٥/ ٨).

(٢) وهي قراءة شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٤١٧).

(٣) سقط هذا الاحتمال من الأصل، وفيه: رفع العذاب بالراء.

(٤) ليست في المطبوع.

و«المَقْتُ»: هو احتقارٌ وبُغْض عن ذنب وريبة، هذا حدُّه، وإِذا مقت الكفار أَنفسهم نادتهم ملائكة العذاب على جهة التوبيخ فيقولون لهم: مَقْتُ الله إِيَّاكم في الدنيا ـ إِذ كنتم تُدعَوْن إِلى الإِيمان فتكفرون ـ أكبر من مقْتكم أَنفسكم اليوم، هذا هو معنى الآية، وبه فسَّر مجاهد، وقتادة، وابن زيد[١].

وأَضاف المصدر إِلى الفاعل في قوله: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ والمفعول محذوف؛ لأَن القول يقتضيه، واللام في قوله تعالى: ﴿لَمَقْتُ﴾ يحتمل أَن تكون لام الابتداءِ، ويحتمل أن تكون لام القسم، وهو أَصوب، و﴿أَكْبَرُ﴾ خبر الابتداءِ.

والعامل في ﴿إِذْ﴾ فعل مضمر تقديره: مَقَتكُمْ إِذْ، وقدَّره قوم: اذكروا، وذلك ضعيف يحلُّ ربط الكلام، اللهم إِلا أَن يُقَدَّر أَن مَقْتَ الله لهم هو في الآخرة، وأَنه أَكبر من مقتهم أَنفسهم، فيصح أَن يُقَدَّر المضمر: اذكروا، ولا يجوز أَن يعمل فيه قوله: ﴿لَمَقْتُ﴾ لأَن خبر الابتداءِ قد حال بين (الْمَقْتِ) وبين ﴿إِذْ﴾، وهي في صِلَتِهِ، ولا يجوز ذلك.

واختلف المفسرون في معنى قولهم: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾:

فقال ابن عباس[٢]، وقتادة، والضحاك، وأبو مالك: أَرادوا موتة كونهم ماءً في الأَصلاب، ثم أحياهم في الدنيا، ثم أماتهم الموت المعروف، ثم أحياهم يوم القيامة، قالوا وهي كالتي في سورة البقرة: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨][٣].

وقال ابن زيد: أَرادوا أَنه أَحياهم نسماً عند أَخْذ العهد عليهم وقت أَخذهم من صلب آدم، ثم أَماتهم بعد ذلك، ثم أَحياهم في الدنيا، ثم أَماتهم ثم أَحياهم.

(١) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ٣٨٥)، وتفسير الطبري (٢١/ ٣٥٨ و٣٥٩)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٤٠٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٦٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٦٠). وفي المطبوع: «وابن مالك» بدل «وأبو مالك».

وهذا قول ضعيف لأَن الإِحياءَ فيه ثلاث مرار.

وقال السُّدي: أَرادوا أَنه أَحياهم في الدنيا ثم أَماتهم، ثم أَحياهم في القبر وقت سؤال منكر ونكير ثم أَماتهم فيه، ثم أَحياهم في الحشر(١).

وهذا أَيضاً يدخله الاعتراض الذي في القول قبله، والأَول أَثبت الأَقوال.

وقال محمد بن كعب القرظيُّ: أَرادوا أَن الكافر في الدنيا هو حيُّ الجسد ميِّتُ القلب، فكأَن حالهم في الدنيا جمعت إِحْياءً وإِماتةً، ثم أَماتهم حقيقة، ثم أَحياهم في البعث(٢). / [٥/ ٣٣]

والخلاف في هذه الآية مقول كلُّه في آية سورة البقرة، وهذه الآية يظهر منها أَن معناها منقطع من معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾، وليس الأَمر كذلك، بل الآيتان مُتَّصلتا المعنى، وذلك أَن كفرهم في الدنيا كان أَيضاً بإِنكارهم البعث، واعتقادهم أَنه لا حشر ولا عذاب، ومقتهم لأَنفسهم إِنما عظَّمه لأَن هذا المعتقد كذَّبهم، فلما تقرر مقتهم لأَنفسهم ورأَوْا خزياً طويلاً عريضاً، رجعوا إِلى المعنى الذي كان كفرهم به وهو البعث، وخرج إِلى الوجود مقترناً بعذابهم، فأَقَرُّوا به على أَتَمِّ وجوهه، أَي: كنا قد كفرنا بإِنكارنا البعث، ونحن اليوم نُقر أَنَّك أَحييتنا اثنتين وأَمَتَّنا اثنتين، كأَنهم قصدوا تعظيم قدرته تعالى، واسترضاءَه بذلك، ثم قالوا عقِب ذلك الإِقرار طمعاً منهم: فها نحن معترفون بذنوبنا، فهل إِلى خروج من سبيل؟

وهذا كما تكلِّف إِنساناً أَن يُقِرَّ لك بحق وهو ينكرك، فإِذا رأَى الغلبة وضرع(٣)، أَقرَّ بذلك الأَمرَ مُتَمَّماً أَوفى مما كنت تطلبه به أَوَّلاً.

وفيما بعد قولهم: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ محذوف من الكلام يدل عليه الظاهر، تقديره: لا إِسعاف لطلبتكم، أَو نحو هذا من الرَّدِّ والزجر.

---

(١) انظره مع قول ابن زيد الذي قبله في تفسير الطبري (٢١/ ٣٦١).

(٢) انظر قوله في هذه الآية في تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢/ ١١٨)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٩٧).

(٣) في المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية والسليمانية: «وصُرع».

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم﴾ يحتمل أَن يكون إِشارةً إِلى العذاب الذي هم فيه، ويحتمل أَن يكون إِشارة إِلى مقت الله إِياهم، ويحتمل أَن يكون إِشارة إِلى مقتهم أَنفسهم، ويحتمل أن تكون إشارة إِلى المنع والزجر والإِهانة التي قلنا إِنها مقدرة محذوفة الذكر لدلالة ظاهر القول عليها، ويحتمل أَن تكون المخاطبة بـ﴿ذَٰلِكُم﴾ لمعاصري محمد ﷺ في الدنيا، ويحتمل أَن تكون في الآخرة للكفار عامة.

وقوله: ﴿إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ﴾ معناه: بحالة توحيد ونفي لما سواه من الآلهة والأَنداد.

وقوله: ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ﴾؛ أَي: إِذا ذكرت اللات والعُزَّى وغيرهما صدقتم واستقرت نفوسكم.

والحُكْمُ اليوم بعذابكم وتخليدكم في النار لله، لا لتلك التي كنتم تشركونها معه في الأُلوهية.

و﴿ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾ صفتا مدح لا في المكان ومضادة السفل والصغر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾.

هذا ابتداءُ مخاطبة في معنى توحيد الله تعالى وتبْيين علامات ذلك.

و«آياتُ الله»: تَعُمُّ آياتِ قدرته وآياتِ قرآنِهِ والمعجزاتِ الظاهرة على أَيدي رسله.

و«تنزيلُ الرزق»: هو في تنزيل المطر وفي تنزيل القضاءِ والحكم بنَيْل ما يناله المرءُ في تجارة وغير ذلك.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَيُنْزِلُ﴾ بالتخفيف.

وقرأ الحسن، والأعرج، وعيسى وجماعة: ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ بفتح النون وشد الزاي[١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ معناه: وما يتذكَّر تذكُّراً يُعْتد به وينفع صاحبه؛ لأَنَّا نجد من لا يُنيب يتذكر، لكن لما كان ذلك غير نافع عُدَّ كأَنه لم يكن.

وقوله: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ﴾ مخاطبة للمؤمنين أَصحاب محمد ﷺ، و(ادعوا) معناه: اعبدوا.

وقوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ يحتمل أَن يريد بالدرجات: صفاته العُلَى، وعبَّر بما يقرب لأَفهام السامعين.

ويحتمل أَن يريد: رفيع الدرجات الَّتي يعطيها للمؤمنين، ويتفضل بها على عباده المخلصين في جنته.

و﴿ٱلْعَرْشِ﴾ هو الجسم المخلوق الأَعظم، الذي السماوات السبع والأَرضون فيه كالدنانير في الفَلاة من الأَرض.

قوله تعالى: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾، قال الضحاك: الرُّوحُ هنا هو الوحي: القرآن وغيره مما لم يُتْلَ، وقال قتادة والسدي: الرُّوح: النُّبُوَّة ومكانتها[٢]، كما قال تعالى: ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، ويسمى هذا روحاً لأَنه يُحيي به الأُمم والأَزمان كما يُحيي الجسد بروحه.

ويحتمل أَن يكون إِلقاءُ الروح عامّاً لكل ما ينعم الله به على عباده المهتدين في تفهيمه الإِيمان والمعقولات الشرعية[٣].

---

(١) التخفيف هنا لابن كثير وأبي عمرو خاصة على قاعدتهما، والباقون بالتشديد، انظر التيسير (ص: ٧٥).

(٢) انظر قول الضحاك والسدي في الطبري (٢١/ ٣٦٤)، وأما قتادة ففيه عنه أنه الوحي، وكذا في معاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٠٨).

(٣) في أحمد٣: «المعقولات السريعة»، وفي فيض الله ونور العثمانية: «الشريفة»، وفي الأصل: «المعتقدات الشريفة».

والمنذر[١] ـ على هذا التأْويل ـ هو الله تعالى.

قال الزجاج: الرُّوحُ: كلُّ ما به حياة الناس، وكلُّ مهتد حيٌّ، وكلُّ ضالٍّ كالميت[٢].

وقوله: ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ إن جعلته جنْساً للأُمور فـ﴿مِنْ﴾ للتَّبعيض، أَو لابتداءِ الغاية، [وإِن جعلنا الأَمر من معنى الكلام فـ﴿مِنْ﴾ إِمَّا لابتداءِ الغاية][٣]، وإِمَّا بمعنى الباءِ، ولا تكون للتَّبعيض بَتَّة.

وقرأَ أُبَيُّ بن كعب وجماعة: ﴿لِيُنذِرَ﴾ بالياءِ وكسر الذال.

وفي الفعل ضمير يحتمل أَن يعود على الله تعالى، ويحتمل أن يعود على الرُّوح، ويحتمل أن يعود على ﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿مَن يَشَآءُ﴾.

وقرأَ محمد بن السميفع اليماني: (لِيُنْذَرَ) بالياءِ وفتح الذال وضم الميم من (يَوْمُ)، وجعل اليوم منذراً على الاتساع.

وقرأَ جمهور الناس: (لِتُنْذِرَ) بالتاءِ على مخاطبة محمد ﷺ، و(يَوْمَ) بالنصب[٤].

وقرأَ أَبو عمرو، ونافع، وجماعة: ﴿ٱلتَّلَاقِ﴾ بدون ياءٍ، وقرأَ أَبو عمرو أَيضاً،

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «والمقدر».

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٦٩).

(٣) سقط من الحمزوية.

(٤) أورد المصنف هنا ثلاث قراءات، عزا الثالثة بالتاء للجمهور، وتبعه الثعالبي (٥/ ١٠٨)، والباحث فيصل في رسالته على قراءات ابن عطية (ص: ٥٧٣)، وذلك وهم بيِّن، بل هي شاذة نقلها الداجوني عن الأصبهاني عن ورش، كما في جامع البيان (٤/ ١٥٥٠)، وليست من طرق النشر ولا الهذلي ولا ابن مجاهد، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٣٣) للحسن واليماني، وأما الثانية بفتح الذال ورفع يوم فعزاها لليماني، وهي شاذة، وعزاها له صاحب اللوامح كما في البحر المحيط (٩/ ٢٤٤)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤١٧) للحسن ويعقوب، وأما الأولى بالياء مبنياً للفاعل فعزاها لأبي دون تعرض لضبط (يوم) فإن كانت بالرفع، فهو كذلك، وهي شاذة، كما في البحر المحيط (٩/ ٢٤٤)، وإن كانت بالنصب فهي القراءة المتواترة، والله أعلم.

وعيسى، ويعقوب: ﴿التَّلَاقي﴾ بالياءِ، والخلاف فيها كالخلاف الذي مَرَّ في ﴿ٱلتَّنَادِ﴾[١].

ومعناه: تلاقي جميع العالم بعضهم ببعض، وذلك أَمْرٌ لم يتفق قطُّ قبل ذلك اليوم.

وقال السدي: معناه: تلاقي أَهل السماءِ وأهل الأَرض[٢]، وقيل: معناه: تلاقي الناس مع بارئهم، وهذا المعنى الأَخير هو أَشدها تخويفاً، وقيل: يلتقي المرءُ وعمله.

[٥/ ٣٤] وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ معناه: في / براز من الأَرض يَنْفُذُهُم البصر، ويُسمعهم الداعي، ونُصب ﴿يَوۡمَ﴾ على البدل من الأَول، فهو نصب المفعول، ويحتمل أَن ينصب على الظرف ويكون العامل فيه قوله: ﴿لَا يَخۡفَىٰ﴾، وهي حركة إِعراب لا حركة بناءٍ؛ لأَن الظرف لا يُبْنى إِلَّا إِذا أُضيف إِلى غير متمكن كيومئذ، وكقول الشَّاعر:

[الطويل]
عَلَى حينَ عَاتبْتُ المشِيبَ عَلَى الصِّبَا ... وقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ والشَّـيْبُ وَازِعُ[٣]

وكقوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ﴾ [المائدة: ١١٩].

وأَمَّا في هذه الآية فالجملة أمر[٤] متمكن، كما تقول: جئتُ يَوْمَ زَيْدٌ أَميرٌ، فلا يجوز البناءُ، فتأَمَّل.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ﴾؛ أَي: من بواطنهم وسرائرهم وذوات[٥] صدورهم.

---

(١) صوابه الذي سيأتي، أي في الآية (٣٢) من هذه السورة، فقرأهما نافع بخلف عن قالون بالياء في الوصل، وابن كثير في الحالين، والباقون بالحذف فيهما، انظر التيسير (ص: ١٩٢)، وانظر النشر (٢/ ٣٦٦)، والخلاف عن أبي عمرو في السبعة (ص: ٥٦٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٦٥)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٤٨).

(٣) البيت للنابغة الذبياني كما في تفسير الطبري (١١/ ٢٤٢)، وقد تقدم في تفسير الآية (١١٨) من (سورة المائدة).

(٤) في المطبوع: «اسمٌ».

(٥) في الأصل: «دعوات».

وفي مصحف أُبَيٍّ بن كعب: (لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ) بضمير بدل المكتوبة[١].

وقوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾؛ رُوي: أَن الله تعالى يُقَرِّر هذا التقرير ويسكت العالم هيبةً وجزعاً، فيجيب هو نفسه بقوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

[قال الحسن بن أبي الحسن: هو تعالى السائل وهو المجيب[٢].

وقال ابن مسعود: إِنه تعالى يقرر فيجيب العالم بذلك[٣].

وقيل: يُنادي بالتقرير مَلَك فيجيب الناسُ.

قال القاضي أَبو محمد: وإِذا تأَمل المؤمن أَنه لا حول لمخلوق ولا قوة إِلَّا بالله، فالزمان كلُّه وأَيام الدَّهر أَجمع إِنما الملك فيها للواحد القهار][٤]، لكن ظهور ذلك للكفرة والجهلة يتَّضح يوم القيامة، وإِذا تُؤُمِّل تسخير أَهل السماوات وعبادتهم ونفوذ القضاءِ في الأَرض فأَيُّ مُلْك لغير الله عز وجل؟.

ثم يُعلم الله تعالى أَهل الموقف بأَنه يوم المجازاة بالأَعمال صالحها وسيِّئها، وهذه الآية نصٌّ في أَن الثواب والعقاب معلق باكتساب العبيد، وأَنه يومٌ لا يوضع فيه أَمرٌ في غير موضعه، وذلك قوله: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾.

ثم أَخبرهم عن نفسه بسرعة الحساب، وتلك عبارة عن إِحاطته بالأَشياءِ علماً، فهو يحاسب الخلائق في ساعة واحدة كما يرزقهم؛ لأَنه لا يحتاج إِلى عدٍّ وفكرة، لا رب غيره.

---

(١) وهي لفظ الجلالة «الله»، والقراءة شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٣٣)، وتفسير الزمخشري (٤/ ١٥٦) لابن مسعود.

(٢) انظر: تفسير الثعلبي (٨/ ٢٧٠).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) ساقط من الحمزوية، وهو في أحمد٣ ملحق في الهامش، وزاد في الأصل بعد الحسن: «أبي».

ورُوي: أَن يوم القيامة لا ينتصف حتى يقيل[١] المؤمنون في الجنة والكافرون في النار[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾.

أَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بالإِنذار للعالم والتحذير من يوم القيامة وأَهواله، وهو الذي أَراد بيوم الآزفة، قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد[٣].

ومعنى ﴿ٱلْـَٔازِفَةِ﴾: القريبة، من أَزِفَ الشيءُ: إِذا قَرُب، والآزفة في الآية صفة لمحذوف قد عُلم واستقر في النفوس هَولُه، فعبَّر عنه بالقرب تخويفاً، والتقدير: يوم الساعة الآزفة، أَو الطامة الآزفة، ونحو هذا، فكما لو قال: وأَنذرهم الساعة، لَعُلِم هولها بما استقر في النفوس من أَمرها، فكذلك عُلم هنا إذ[٤] جاءَ بصفتها التي تقتضي حُلُولَها واقترابها.

وقوله: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ معناه: عند الحناجر، أي قد صعدت من شدة الهول والجزع، وهذا أَمر يحتمل أَن يكون حقيقة يوم القيامة من انتقال قلوب البشر إِلى حناجرهم وتبقى حياتهم، بخلاف الدنيا التي لا تبقى فيها لأَحد مع تنقل قلبه حياة، ويحتمل أَن يكون تجوُّزاً عبَّر به عمَّا يجده الإِنسان من الجزع وصعود نفسه وتضايق حنجرته بصعود القلب، وهذا كما تقول العرب: كادت نفسي أَن تخرج، وهذا المعنى يجده المفرِّط الجزِع كالذي يقرب للقتل ونحوه.

---

(١) في المطبوع: «يقبل».
(٢) «في النار» ليست في السليمانية.
(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٦٧ و٣٦٨).
(٤) كذا في أحمد ٣، وفي المطبوع وسائر النسخ: «إذا».

وقوله: ﴿كَٰظِمِينَ﴾ حالٌ مما أُبدل منه قوله: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾، أَو مما تنضاف إِليه الْقُلُوبُ؛ لأن المراد: إِذ قلوب الناس لدى حناجرهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣]، أَراد: تشخص فيه أَبصارهم.

و«الْكَاظِمُ»: الذي يردُّ غيظه وجزعه في صدره.

فمعنى الآية: أَنهم يطمعون بردِّ ما يجدونه في الحناجر والحال تغالبهم.

ثم أخبرهم تعالى أَن الظَّالمين ظلم الكفر هم في تلك الحال ليس لهم حميم؛ أَي: قريب يهتم لهم ويتعصب، ولا لهم شفيع يُطاع فيهم، وإِن همَّ بعضهم بالشفاعة لبعض فهي شفاعة لا تُقبل.

وقد روي: أَن بعض الكفرة يقولون لإِبليس يوم القيامة: اشفع لنا، فيقوم ليشفع فتبدو منه أَنْتَن ريح يؤذي بها أَهل المحشر، ثم ينحصر ويكِعُّ ويخزى.

و﴿يُطَاعُ﴾ في موضع الصفة لـ﴿شَفِيعٍ﴾؛ لأَن التقدير: ولا شفيع يطاع، وموضع ﴿يُطَاعُ﴾ يحتمل أَن يكون خفضاً حملاً على اللفظ، ويحتمل أَن يكون رفعاً عطفاً على الموضع قبل دخول ﴿مِنْ﴾.

قال القاضي أَبو محمد: وهذه الآية كلها عندي اعتراضٌ في الكلام بليغ.

وقوله: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ متصل بقوله: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾؛ لأَن سرعة حسابه تعالى للخلق إِنما هي بعلمه الذي لا يحتاج معه إِلى روية[1] وفكرة، ولا لشيءٍ مما يحتاجه الحاسبون.

وقالت فرقة: ﴿يَعْلَمُ﴾ متصل بقوله: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾، وهذا قول حسَنٌ، يُقَوِّيه تناسب المعنيين، ويُضَعِّفه بُعْد الآية من الآية وكثرة الحائل.

---

(١) في المطبوع: «رؤْية».

[٥/ ٣٥] و(الخائنة) مصدر كالخيانة، ويحتمل في الآية أن تكون ﴿خَآئِنَةَ﴾ / اسم فاعل، كما تقول: ناظرة الأَعين، أَي: يعلم الأَعين إِذا خانت في نظرها.

وهذه الآية عبارة عن علم الله تعالى بجميع الخفيات، فمن ذلك كسْر الجفون، والغمز بالعين، والنظرة التي تُفهِم معنى، أَوْ يريد بها صاحبها معنى، ومن هذا قول النبي ﷺ حين جاءَه عبد الله بن أَبي سرح لِيُسْلم بعد رِدَّته بشفاعة عثمان، فتلكَّأَ عليه رسول الله ﷺ ثم بايعه، ثم قال ﷺ لأَصحابه: «هلَّا قام إِليه رجل حين تلكَّأْت عليه فضرب عنقه؟» فقالوا: يا رسول الله، أَلا أَوْمأْت إِلينا، فقال ﷺ: «ما ينبغي لنبي أَن تكون له خائنة الأَعين»[(١)].

وفي بعض الكتب المنزَّلة من قول الله عزَّ وجلَّ: «أَنا مرصاد الهمم، أَنا العالم بمجال الفِكر وكسر الجفون»[(٢)].

وقال مجاهد: ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾: مسارقة النظر إِلى ما لا يجوز[(٣)].

ثم قَوَّى الله تعالى هذا الإِخبار بأَنه يعلم ما تخفي الصدور، مما لم يظهر على

---

(١) له طرق يتقوى بها، أخرجه أبو داود (٢٦٨٥- ٤٣٦١)، والنسائي في الكبرى (٣٥١٦)، والبزار في مسنده (١١٥١)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٥) من طريق أحمد بن المفضل، عن أسباط بن نصر، قال زعم السدي، عن مصعب بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم فتح مكة أمَّن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين به مطولاً، وهذا إسناد لين لا يثبت اتصاله، وأورده الحافظ في التلخيص الحبير (٣/ ٢٧٧) وقال: إسناده صالح.
وقال في فتح الباري (١١/ ٩): أخرجه الحاكم من هذا الوجه، وأخرجه ابن سعد في الطبقات من مرسل سعيد بن المسيب أخصر منه وزاد فيه: وكان رجل من الأنصار نذر إن رأى ابن أبي سرح أن يقتله، فذكر بقية الحديث نحو حديث ابن عباس، وأخرجه الدارقطني من طريق سعيد بن يربوع وله طرق أخرى يشد بعضها بعضاً، وله شاهد آخر أخرجه أحمد (٣/ ١١٨-١٥١-٢٠٤)، وأبو داود (٣١٩٦) وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه بلفظ: «إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُومِضَ».
(٢) نقله في البحر المحيط (٩/ ٢٤٨).
(٣) انظر تفسير الطبري (٢١/ ٣٧٠)، وتفسير ابن أبي زمنين (٤/ ١٣٠)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٧١)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٥٠).

عين ولا غيرها، ومثَّل المفسرون في هذه الآية بنظر رجل إِلى امرأة هي حرمة لغيره فقالوا: ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾: هي النظرة الثانية، ﴿وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾، أَي: عند النظرة الأُولى التي لا يمكن المرءُ دفعها، وهذا المثال جزءٌ من خائِنَة الْأَعْيُنِ.

ثم قدح في جهة الأَصنام، فأَعْلَم أَنه لا ربَّ غيره، يقضي بالحق؛ أَي: يُجازي الحسنة بعشر والسيئة بمثل، وينصف المظلوم من الظالم، إِلى غير ذلك من أَقضية الحق والعدل، والأَصنام لا تقضي بشيء ولا تنفذ أَمراً.

و﴿يَدْعُونَ﴾ معناه: يعبدون.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياءِ على ذكر الغائب.

وقرأَ نافع بخلاف عنه وأَبو جعفر، وشيبة: ﴿تَدْعُونَ﴾ بالتاءِ[1]، على معنى: قل لهم يا محمد: والذين تدعون أَنتم.

ثم ذكر تعالى لنفسه صفتين بَيِّنٌ عُرُوُّ الأَصنام عنهما، وهي[2] في جهة الله تعالى عبارة عن الإِدراك على إِطلاقه.

ثم أَحال كفار قريش ـ وهم أَصحاب الضمير في ﴿يَسِيرُواْ﴾ ـ على الاعتبار بالأُمم القديمة التي كذّبت أَنبياءَها فأَهلكها الله تعالى.

وقوله: ﴿فَيَنظُرُواْ﴾ يحتمل أَن يجعل في موضع نصب جواب الاستفهام، ويحتمل أَن يكون مجزوماً عطفاً على ﴿يَسِيرُواْ﴾، و﴿كَيْفَ﴾ في قوله: ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم، وفي ﴿كَيْفَ﴾ ضمير، وهذا مع أَن تكون (كَانَ) الناقصة، وأَمَّا إِن جعلت تامة بمعنى حَدَثَ وَوَقع فـ(كَيْفَ) ظرف ملغى لا[3] ضمير فيه.

---

(١) وهما سبعيتان، التاء لنافع وهشام، كما في التيسير (ص: ١٩١)، ولم أجد فيها وجهاً لنافع بالياء ولا لأبي جعفر بالتاء.

(٢) في حاشية المطبوع: هكذا في الأصول، وقد وَافَقَ بها قوله جواباً عنها: «عبارة عن الإدراك».

(٣) سقط من أحمد٣.

وقرأَ ابن عامر وحده: ﴿أشدَّ مِنْكُم﴾ بالكاف، وكذلك هي في مصاحف أَهل الشام، وذلك على الخروج من غيبة إِلى الخطاب.

وقرأَ الباقون: ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾، وكذلك هي في سائر المصاحف[١]، وذلك أَوفق لتناسب ذكر الغيب.

و«الآثار في الأرض»:[٢] هي المباني والمآثر والصِّيت الدنياوي.

و(ذنوبهم) كانت تكذيب الأَنبياء.

و«الواقي»: الساتر المانع، مأْخوذ من الوقاية.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِشارةٌ إِلى أَخذه إِيَّاهم بذنوبهم وإِن لم يكن لهم منه واقٍ.

ثم ذكر تعالى أَن السبب في إِهلاكهم هو ما قريشٌ عليه من أَن جاءَهم رسول من الله ببيِّناتٍ من المعجزات والبراهين فكفروا به، وذكر أَن الله تعالى أَخذهم، ووصف نفسه تعالى بالقوة وشدة العقاب، وهذا كله بيان في وعيد قريش.

ثم ابتدأَ تعالى قصة موسى عليه السلام مع فرعون ومَلَئِهِ، وهي قصة فيها للنبي ﷺ تسلية وأُسوة، وفيها لقريش والكفار به وعيدٌ ومثال يخافون منه أَن يحلَّ بهم ما حلَّ بأُولئك

(١) وهما سبعيتان، انظر المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٥٣)، والسبعة (ص: ٥٦٩)، والتيسير (ص: ١٩١).

(٢) في الأصل: «ذلك».

من النقمة، وفيها للمؤمنين وعدٌ ورجاءٌ بالنَّصْر والظَّفر وحمد عاقبة الصبر. وآيات موسى عليه السلام كثيرة، وعُظْمها، والذي عرضه على جهة التحدي: العصا واليد، فوقعت المعارضة في العصا وحدها، ثم انفصلت(١) القضية عن إِيمان السَّحرة وغلبة الكافرين.

و«السُّلطانُ»: البُرْهانُ.

وقرأ عيسى بن عمر: (سُلُطَانٍ) بضم اللام(٢)، والناسُ على سكونها.

وخصَّ تعالى هامان وقارون بالذكر تنبيهاً على مكانهما من الكفر، ولكونهما أَشهر رجال فرعون، وقيل: إِن قارون هذا ليس بقارون بني إِسرائيل، وقيل: هو ذلك ولكنه كان منقطعاً إِلى فرعون خادماً له مستعيناً معه.

وقوله: ﴿سَـٰحِرٌ﴾؛ أَي: في أَمر العصا، ﴿كَذَّابٌ ﴾ في قوله: إِني رسول من الله.

ثم أَخبر تعالى عنهم أَنهم لما جاءَهم موسى بالنُّبوَّة والحق من عند الله قال هؤلاءِ الثلاثة وأَجْمع رأْيهُم على أَن يُقتل أَبناءُ بني إِسرائيل أَتباع موسى وشُبَّانُهُم وأَهْلُ القوة منهم، وأَن يستحيي النساء للخدمة والاسترقاق.

وهذا رجوع منهم إِلى نحو القتل الأَول الذي كان قبل ميلاد موسى، ولكن هذا الأَخير لم يتمَّ لهم عزمهم فيه، ولا أَعانهم الله تعالى على شيءٍ منه.

قال قتادة: هذا قتل غير الأَول الذي كان حذر المولود(٣).

وسموا من ذكرنا من بني إِسرائيل أَبناءً، كما تقول لأنجاد(٤) القبيلة أَو المدينة وأَهل الظهور فيها: هؤلاءِ أَبناءُ فلانة.

---

(١) في السليمانية: «انقضت»، وفي نور العثمانية: «القصة».

(٢) وهي شاذة، وهو البصري، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤١٧).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٣٧٣).

(٤) في المطبوع والسليمانية: «لأَفخاذ».

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ عبارةٌ وجيزة تعطي قوتها أَن هؤلاءِ الثلاثة لم يقدرهم الله تعالى على قتل أَحد من بني إِسرائيل، ولا نجحت لهم فيه سعاية، بل أَضلَّ الله سعيهم وكيدهم.

[٥/ ٣٦] قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾.

الظاهر من أَمر فرعون أَنه لما بهرت آياتُ موسى عليه السلام انهدَّ ركنه، واضطربت معتقدات أَصحابه، ولم يفقد منهم من يجاذبه الخلاف في أَمره، وذلك بيِّنٌ من غير ما موضع من قصتهما، وفي هذه الآية على ذلك دليلان:

أَحدهما: قوله: ﴿ذَرُونِىٓ﴾، فليست هذه من أَلفاظ الجبابرة المتمكنين من إِنفاذ أَوامرهم.

والدليل الثاني: مقالة المؤمن وما صدع به، وأَن مكاشفته لفرعون أكثر من مساترته، وحكمه بنبوة موسى عليه السلام أَظهر من توريته في أَمره.

وأَما فرعون فإِنما لجأَ إِلى المخرقة والاضطراب والتعاطي، ومن ذلك قوله: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾، أَي: إِني لا أُبالي عن ربِّ موسى، ثم رجع إِلى قومه يريهم النصيحة والحماية لهم فقال: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾.

و«الدينُ»: السلطان، ومنه قول زهير:

[البسيط] لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوٍّ في بَني أَسَدٍ ... في دِينِ عَمْرٍو وحَالَتْ بَيْنَنَا فَدَكُ[1]

---

(١) أراد عمرو بن هند ملك العراق، وقد تقدم البيت في تفسير (سورة الفاتحة).

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿وَأَنْ﴾.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿أَوَ أَن﴾، ورجَّحها أَبو عبيد بزيادة الحرف[١].

فعلى الأُولى خاف أَمرين، وعلى الثانية خاف أَحد أمرين.

وقرأَ نافع وأَبو عمرو، وحفص عن عاصم، والحسن وقتادة والجحدري وأَبو رجاءٍ ومجاهد وسعيد بن المسيب ومالك بن أَنس: ﴿يُظْهِرَ﴾ بضم الياءِ وكسر الهاءِ ﴿ٱلْفَسَادَ﴾ نصْباً.

وقرأَ ابن كثير، وابن عامر: ﴿يَظْهَرَ﴾ بفتح الياءِ والهاءِ ﴿الْفَسَادُ﴾ بالرفع على إِسناد الفعل إِليه، وهي قراءَة حمزة، والكسائي، وأَبي بكر عن عاصم، والأَعرج، وعيسى، والأَعمش، وابن وثاب[٢].

وروي عن الأَعمش أَنه قرأَ: (وَيَظْهَرُ في الأرض الفساد) برفع الراءِ[٣].

وفي مصحف ابن مسعود: (وَيَظْهَرَ) بفتح الراء[٤].

ولمَّا سمع موسى عليه السلام مقالة فرعون ـ لأَنه كان معه في مجلس واحد ـ دعا ربَّه وقال: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾ الآية.

وقرأَ ابن كثير، وعاصم، وابن عامر: ﴿عُذْتُ﴾ ببيان الذَّال.

وقرأَ أَبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿عُذتُّ﴾ بالإِدغام، واختلف عن نافع[٥].

---

(١) وهما سبيعتان، انظر التيسير (ص: ١٩١)، وقول أبي عبيد في الثعلبي (٨/ ٢٧٢). وفي السليمانية والمطبوع وفيض الله: «أبو عبيدة».

(٢) وهما سبيعتان، انظر التيسير (ص: ١٩١)، وانظر البحر المحيط (٩/ ٢٥١).

(٣) وهي شاذة، وفي الحمزوية: «ابن وثاب» بدل «الأعمش»، ولم أجدها بحذف الواو لواحد منهما.

(٤) في المطبوع: «الياءِ»، وهي شاذة، وقد عزاها له في المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨٣)، والشواذ للكرماني (ص: ٤١٨).

(٥) سبيعتان، انظر التيسير (ص: ٤٤)، ونافع بالإظهار والخلاف عنه سقط من نجيبويه، وهو في السبعة (ص: ١١٤)، وفي الحمزوية والسليمانية وفيض الله: بدله: «عاصم»، وسقطت قراءة الجمهور وأبي من نور العثمانية.

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (عُتُّ) على الإِدغام في الخط[١].

ثم حكى الله تعالى مقالة رجل مؤمن مِن آل فرعون، وشرَّفه بالذكر، وخلَّد ثناءَه في الأُمم، سمعت أَبي رضي الله عنه يقول: سمعتُ أَبا الفضل الجوهري على المنبر يقول؛ وقد سئل أَن يتكلم في شيءٍ من فضائل الصحابة فأَطرق قليلاً ثم رفع رأْسه وقال:

[الطويل] عَنِ المرْءِ لا تَسْأَل وسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَـكُلُّ قَرِينٍ بالمقَارِنِ يَقْتَدِي[٢]

ماذا تريدون من قومٍ قرنهم الله تعالى بنبيِّه ﷺ، وخصَّهم بمشاهدته وتلقي الوحي منه؟ وقد أَثنى الله على رجل مؤمن من آل فرعون كتم إِيمانه وأسره، فجعله الله تعالى في كتابه وأثبت ذكره في المصاحف لكلام قاله في مجلس من مجالس الكفر، وأَين هو من عمر بن الخطاب رضي الله عنه إِذ جرَّد سيفه بمكة وقال: والله لا عُبِدَ الله سرّاً بعد اليوم؟[٣]

وقرأَت فرقة: (رَجْلٌ) بسكون الجيم؛ كعَضُد وعَضْد، وسَبُع وسَبْع[٤].

وقراءة الجمهور بضم الجيم.

واختلف الناس في هذا الرجل؛ فقال السدي وغيره: كان من آل فرعون، وكان يكتم إِيمانه[٥]، فـ﴿يَكۡتُمُ﴾ ـ على هذا ـ في موضع الصفة دون تقديم ولا تأْخير.

وقال مقاتل: كان ابن عمِّ فرعون[٦]، وقالت فرقة: لم يكن من أَهل فرعون بل من بني إِسرائيل، وإِنما المعنى: وقال رجل يكتم إِيمانه من آل فرعون[٧]، ففي الكلام تقديم وتأْخير.

---

(١) عزاها الفراء في معاني القرآن (١/ ١٧٢) لابن مسعود.
(٢) البيت لعدي بن زيد كما تقدم في تفسير الآية (١٤١) من (سورة النساء).
(٣) نقله تفسير الثعالبي (٤/ ٧٣).
(٤) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤١٨) لعيسى بن عمر.
(٥) انظر تفسير الطبري (٢١/ ٣٧٥)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٥٢)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٤٢١).
(٦) انظر تفسير الثعلبي (٨/ ٢٧٣)، وفي تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧١١) أنه قبطي كفرعون.
(٧) انظر تفسير الطبري (٢١/ ٣٧٦).

والأَول أَصح، ولم يكن لأَحد من بني إِسرائيل أَن يتكلم بمثل هذا عند فرعون.

ويحتمل أَن يكون من غير القبط ويقال فيه: من آل فرعون إِذْ كان في الظاهر على دين فرعون ومن أَتباعه، وهذا كما قال أَراكةُ الثقفيُّ يرثي أَخاه ويتعزَّى برسول الله ﷺ:

فَلَا تَبْكِ مَيْتاً بَعْدَ مَيْتٍ أَجَنَّه ... عَلِيٌّ وَعَبَّاسٌ وآلُ أَبِي بَكْرِ[1] [الطويل]

يعني: المسلمين إِذ كانوا في طاعة أَبي بكر الصديق.

وقوله: ﴿أَن يَقُولَ﴾ مفعول من أَجله، أَي لأَجل أَن يقول، وجلَّح[2] معهم هذا المؤمن في هذه المقالات، ثم غالطهم بعْدُ في أَن جعله في احتمال الصدق والكذب، وأَراهم أَنها نصيحة.

وحذفت النون من ﴿يَكُ﴾ تخفيفاً على ما قال سيبويه[3].

وتشبيهاً بالنون في: يفعلون ويفعلان، على مذهب المبرد[4].

وتشبيهاً بحرفي العلَّة ـ الياءِ والواو ـ على مذهب أَبي علي الفارسي[5]، وقال: كأَن الجازم دخل على (يكن) وهي مجزومة بعد فأَشبهت النون الياءَ من (يقضي) والواو من (يدعو)؛ لأَن خفتها[6] على اللسان سواءٌ.

واختلف المتأَولون في قوله: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾:

فقال أَبو عبيدة وغيره: ﴿بَعْضُ﴾ بمعنى: كُلّ[7]، وأَنشدوا قول القطامي عُمَيْر ابنُ شُيَيْم:

---

(١) تقدم في تفسير الآية (٤٨) من (سورة البقرة).

(٢) جلَّحَ في الأمر: أقدم ومضى.

(٣) الكتاب لسيبويه (٢/ ٢٨٣)، وانظره أيضاً: (٤/ ١٨٤).

(٤) المقتضب (٣/ ١٦٧).

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ٤٥٥).

(٦) في المطبوع: «حقها».

(٧) مجاز القرآن (١/ ٩٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٢١٦).

[البسيط] قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ [(١)]

وقال الزجاج: هو إِلزامُ الحُجَّة بأَيسر ما في الأَمر، وليس فيه نفي إِصابة الكلِّ [(٢)].

وقالت فرقة: أَراد: يصبكم بعض العذاب الذي يَذْكُر، وذلك كاف في هلاككم.

ويظهر لي [(٣)] أَن المعنى: يصبكم القسم الواحد مما يَعِد به، وذلك هو بعض ما يَعِد؛ لأَنه عليه السلام كان وعدهم إِن آمنوا بالنعيم، وإِن كفروا بالعذاب، / فإِن كان صادقاً فالعذابُ بعض ما وعد به، وقالت فرقة: أَراد ببعض ما يعدكم: عذاب الدنيا لأَنه بعض عذاب الآخرة، أَي: وتصيرون بعد ذلك إِلى الباقي، وفي البعض كفاية في الإِهلاك. [٥/ ٣٧]

ثم وعظهم هذا المؤمن بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾، قال السدي: معناه مُسْرِفٌ بالقتل، وقال قتادة: مسرف بالكفر [(٤)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾﴾.

قول هذا المؤمن: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ استنـزالٌ لهم ووعظ من جهة شهواتهم، وتحذير من زوال ترفهم، ونصيحة لهم في أَمر دنياهم.

وقوله: ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يريد أَرض مصر وما والاها من مملكتهم.

---

(١) كما في معجم الشعراء (ص: ٢٤٤)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٧٣)، والأمثال لابن سلام (ص: ٢٣٣)، والشعر والشعراء (٢/ ٧١٦)، والعقد الفريد (٢/ ٢٠٢)، وجمهرة الأمثال (١/ ٤٨٢)، وجاء في إيجاز البيان (٢/ ٧٢٦) أنه للنّابغة، ولعله سبق قلم.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٧٢). وفي الأصل: «إضافة الكل».

(٣) سقط من الأصل.

(٤) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٣٧٧).

ثم قررهم على من هو الناصر لهم من بأْس الله، وهذه الأَقوال تقتضي زوال هيبة فرعون، ولذلك استكان هو ورجع يقول: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ كما يقول من لا تحكُّم له.

وقوله: ﴿أُرِيكُمْ﴾ من رأَى، قد عُدِّي بالهمزة، فللفِعْلِ مفعولان: أَحدهما الضمير في ﴿أُرِيكُمْ﴾، والآخر ما في قوله: ﴿إِلَّا مَآ﴾، وكان الكلام: أُريكم ما أَرَى، ثم أَدخل في صدر الكلام (ما) النافية وقَلَب معناها بـ(إِلَّا) الموجبة تخصيصاً وتأْكيداً للأَمر، وهذا كما تقول: قام زيد، فإِذا قلت: ما قام إِلَّا زيد، فقد أَفَدْتَ تخصيصه وتأْكيد أَمره، و(أَرى) متعدية إِلى مفعول واحد، وهو الضمير الذي فيه، العائدُ على (ما)، تقديره: إِلَّا ما أراه، وحَذْفُ هذا المفعول من الصلة[١] حسَنٌ لطول الصلة.

وقرأَ الجمهور: ﴿ٱلرَّشَادِ﴾ مصدر: رشد.

وفي قراءَة معاذ بن جبل: (سبيل الرَّشَّادِ) بشد الشين[٢]، قال أَبو الفتح: وهو اسم فاعل في بِنْيَته مبالغة، وهو من الفعل الثلاثي (رَشَدَ)، فهو كَعَبَّاد من عَبَدَ[٣].

وقال النحاس: هو لحن، وتوهمه من الفعل الرباعيِّ[٤]. وقوله مردود.

قال أَبو حاتم: كان معاذ بن جبل يفسرها: سبيل الله[٥].

ويبعدُ عندي هذا على معاذٍ رضي الله عنه، وهل كان فرعون يدَّعي إلا أَنه إِله؟ ويقلق بناءُ اللفظة على هذا التأْويل.

واختلف الناس من المراد بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ﴾:

---

(١) في الأصل: «الصفة».

(٢) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٢٤١)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٢١٨).

(٣) المحتسب (٢/ ٢٤١).

(٤) معاني القرآن للنحاس (٦/ ٢١٨).

(٥) انظر قوله في البحر المحيط (٩/ ٢٥٤)، قال أبو حيان: والصواب أن الخلاف في قول المؤمن: ﴿ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ (الآية: ٣٨)، قال في اللوامح: معاذ بن جبل: سبيل الرشاد، الحرف الثاني بالتشديد، وفي مختصر الشواذ (ص: ١٣٣): يعني به الله تعالى.

فقال جمهور المفسرين: هو المؤمن المذكور أَوَّلاً، قصَّ الله تعالى أَقاويله إِلى آخر الآيات.

وقالت فرقة: بل كلام ذلك المؤمن قديم[١]، وإِنما أَراد الله تعالى بالذي آمن موسى عليه السلام، واحتجت هذه الفرقة بقوَّة كلامه، وأَنه جَلَّح معهم بالإِيمان، وذكر عذاب الآخرة، وغير ذلك، ولم يكن كلام الأَول إِلَّا بملاينة لهم.

وقوله: ﴿مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ أَي: مثل يوم من أَيامهم؛ لأَن عذابهم لم يكن في يوم واحد ولا عصر واحد.

و﴿ٱلْأَحْزَابِ﴾: المتحزِّبون على أَنبياءِ الله تعالى.

و﴿مِّثْلَ﴾ الثاني بدل من الأَول.

و«الدَّأْبُ»: العادة.

وقوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ أَي: من نفسه، أَي: يظلمهم هو عز وجل، فالإِرادة هنا على بابها لأَن الظلم منه لهم لا يقع البَتَّةَ، وليس معنى الآية: أَن الله لا يريد ظُلْمَ بعض العباد لبعض، والبرهان وقوعه، ومحال أَن يقع ما لا يريده الله تعالى.

وقوله: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ معناه: ينادي قوم قوماً ويناديهم الآخَرون.

واختلف المتأَولون في التَّنادي المشار إِليه:

فقال قتادة: هو نداءُ أَهل الجنة أَهلَ النار: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤] الآية، ونداءُ أَهل النَّار لهم: ﴿أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [الأعراف: ٥٠][٢] الآية.

وقالت فرقة: بل هو النداءُ الذي يتضمنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١].

---

(١) في الحمزوية والسليمانية وفيض الله ونور العثمانية: «قد تم».

(٢) انظر قوله في تفسير الطبري (٢١/ ٣٨٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٢١)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٥٥).

وقال ابن عباس وغيره: هو التنادي الذي يكون بالناس عند النفخ في الصُّور نفخة الفزع في الدنيا، وأَنهم يفرون على وجوههم للفزع الذي ينالهم، وينادي بعضهم بعضاً[١].

وروي هذا التأْويل عن أَبي هريرة عن النبي ﷺ[٢].

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أَن يكون المراد التذكير بكل نداءٍ في القيامة فيه مشقة على الكفار والعصاة ولها أَجوبة بنداءٍ، وهي كثيرة، منها ما ذكرناه، ومنها: يا أَهل النار خلودٌ لا موت، يا أَهل الجنة خلودٌ لا موت[٣]، ومنها نداءُ أَهل الغدرات، والنداءُ ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ١٠]، والنداءُ ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [الزمر: ١٦]، إِلى غير ذلك.

وقرأَت فرقة: (التَّنَادْ) بسكون الدال في الوصل[٤].

وهذا على إِجرائهم الوصل مجرى الوقف في غير ما موضع.

وقرأَ نافع، وابن كثير: ﴿التَّنَادِي﴾ بالياءِ في الوصل والوقف، وهذا على الأَصل.

وقرأَ الباقون: ﴿ٱلتَّنَادِ﴾ بغير ياءٍ فيهما، وروي ذلك عن نافع، وابن كثير[٥].

وحذفت الياءُ مع الألف واللام حملاً على حذفها مع معاقبها وهو التنوين.

وقال سيبويه: حذفت الياءُ تخفيفاً[٦].

وقرأَ ابن عباس، والضحاك، وأَبو صالح، والكلبي: (التَّنَادِّ) بشدِّ الدَّال[٧].

---

(١) لم أهتد إليه.

(٢) ضعيف، تقدم تخريجه عند آية (٦٨) من (سورة الزمر).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) وهي شاذة، من رواية علي بن نصر عن أبي عمرو، كما في تفسير القرطبي (١٥/ ٣١٢).

(٥) فيها ثلاث قراءات سبعية، تقدمت في حرف (التلاق)، قريباً.

(٦) الكتاب لسيبويه (٤/ ١٨٥).

(٧) وهي شاذة، انظر عزوها لهم في المحتسب (٢/ ٢٤٣).

وهذا معنى آخر ليس من النداءِ، بل هو من ند[1] البعير: إِذا هرب، وبهذا المعنى فسَّر ابن عباس[2] والسُّدي هذه الآية[3].

وروت هذه الفرقة في هذا المعنى حديثاً: أَن الله تعالى إِذا طوى السماوات نزلت ملائكة كل سماءٍ فكانت صفّاً بعد صف مستديرة بالأَرض التي عليها الناس للحساب، فإِذا رأَى العالم هول القيامة وأَخرجت جهنم عنقها إِلى أصحابها، فرَّ الكفار ونَدُّوا مدبرين إِلى كل وجهة، فتردهم الملائكة إِلى المحشر خائبين لا عاصم لهم[4].

قالت هذه الفرقة: ومصداق هذا الحديث في كتاب الله تعالى قوله: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ [الحاقة: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ / وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، [٥/ ٣٨]
وقوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ معناه على بعض الأَقاويل في التَّنادي: تفرون هروباً من الفزع، وعلى بعضها: تفرُّون مُدْبرين إِلى النَّار.

و«العَاصِمُ»: المنجي.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾.

---

(١) سقط من المطبوع.
(٢) لم أهتد إليه.
(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٨١).
(٤) المصدر السابق (٢١/ ٣٨١).

قد قدمنا ذكر[١] الخلاف في هذه الأَقوال كلها، هل هي من قول مؤمن آل فرعون أَو من قول موسى عليه السلام؟.

وقالت فرقة من المتأَولين منهم الطبري: يوسف المذكور هو يوسف بن يعقوب عليه السلام[٢].

وقالت فرقة: بل هو حفيده يوسف بن إِبراهيم بن يوسف بن يعقوب[٣].

والبَيِّنَات التي جاءَ بها يوسف لم تُعَيَّن لنا حتى نقف على معجزاته.

وروي عن وهب بن مُنَبِّه: أَن فرعون موسى لحق[٤] يوسف، وأَن هذا التقريع له كان[٥].

وروى أَشهب عن مالك: أَنه بَلَغَه أَن فرعون عمّر أَربع مئة سنة وأَربعين سنة[٦].

وقالت فرقة: بل هو فرعون آخر.

وقوله: ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ حكاية حال لرتبة[٧] قولهم؛ لأَنهم إِنما أَرادوا: لن يجيءَ بعد هذا من يدَّعي مثل ما ادَّعى، ولم يُقرَّ أُولئك قطُّ برسالة الأَول ولا الآخر ولا بأَن الله يبعث الرُّسل، فحكى رتبة[٨] قولهم، وجاءَت عبارتهم مشنعة عليهم، ولذلك قال لهم بأَثر هذا: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾،

---

(١) «ذكر» من السليمانية ونور العثمانية وفيض الله وأحمد٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٨٣).
(٣) انظر: الهداية لمكي (١٠/ ٦٤٣١).
(٤) في الأصل: «لقي».
(٥) انظر: الهداية لمكي (١٠/ ٦٤٣٠).
(٦) المصدر السابق (١٠/ ٦٤٣١).
(٧) في المطبوع والسليمانية: «لريبة»، وسقطت «حال» من الأصل ونور العثمانية والحمزوية وأحمد٣.
(٨) في المطبوع والحمزوية: «ريبة».

أَي: كما صيَّركم من الكفر والضلالة بهذا الحدِّ، فنحو ذلك هو إِضلاله لصنفكم أَهل السرف في الأُمور وتعدي الطور والارتياب بالحقائق.

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب، وابن مسعود: (قُلْتُمْ أَلن يبعث الله)(١).

ثم أَنحى لهم على قومٍ صفتُهم موجودة في قوم فرعون، فكأَنه أَرادهم فزال عن مخاطبتهم حُسْنَ أَدب واستجلاباً(٢)، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، أَي بالإِبطال لها والرَّدِّ بغير برهان ولا حجَّة أَتتهم من عند الله كبر مقت جدالهم عند الله، فاختصر ذكر الجدال لدلالة تقدم ذكره عليه.

وردَّ الفاعل بـ﴿كَبُرَ﴾ نصباً على التمييز، كقولك: تَفَقَّأْتُ شَحْماً، وتَصَبَّبْتُ عَرَقاً.

و﴿يَطْبَعُ﴾ معناه: يختم بالضلال ويحجب عن الهدى.

وقرأَ أَبو عمرو وحده، والأَعرج بخلاف عنه: ﴿عَلَى كُلِّ قَلْبٍ﴾ بالتنوين [﴿مُتَكَبِّرٍ﴾ على الصفة](٣).

وقرأَ الباقون: [﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ﴾ بغير تنوين](٤)، وبإِضافته إِلى ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾.

قال أَبو علي: المعنى: يطبع الله على القلوب إِذا كانت قلباً قلباً من كل متكبر(٥).

ويؤكد(٦) ذلك أَن في مصحف عبد الله بن مسعود: (عَلَى قَلْبِ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ جبار)(٧).

قال القاضي أَبو محمد: ويتجه أَن يكون المراد عموم قلب المتكبر الجبار بالطبع،

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في تفسير السمعاني (٥/ ١٩).

(٢) في المطبوع: «واستخلاباً».

(٣) في الحمزوية: «وتنكير الصفة».

(٤) سقط من المطبوع وأحمد٣، وهما سبيعتان، الأولى لأبي عمرو وابن ذكوان، انظر التيسير (ص: ١٩١).

(٥) انظر: الحجة للفارسي (٦/ ١١٠).

(٦) في المطبوع والحمزوية: «ويؤيد»، والمثبت هو الموافق لعبارة أبي علي الفارسي في الحجة (٦/ ١١٠).

(٧) وهي شاذة، وانظرها في تفسير الطبري (٢١/ ٣٨٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٢٣)، والحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ١١٠).

أَي: لا ذرَّة فيه من إيمان ولا مقاربة، فهي عبارة عن شدَّة إظلامه[(١)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾.

ذكر الله عزَّ وجلَّ مقالة فرعون حين أَعيته الحيل في مقاومة موسى عليه السلام بحجة، وظهر لجميع المشاهدين أَن ما يدعو إِليه موسى من عبادة إله السماءِ حق، فنادى فرعون هامان ـ وهو وزيره والناظر في أُموره ـ فأَمره أَن يبني له بناءً عالياً نحو السماءِ.

و«الصَّرْحُ»: كل بناءٍ عظيم شنيع القدر، مأْخوذ من الظهور والصراحة، ومنه قولهم: صريح النَّسب، وصرَّح بقوله.

فيروى: أَن هامان طبخ الآجُرَّ لهذا الصرح، ولم يُطبخ قبله، وبناه ارتفاع مئة[(٢)] ذراع، فبعث الله تعالى جبريل فمسحه بجناحه فكسره ثلاث كسر، تفرقت اثنتان ووقعت ثالثة في البحر، وروي: أَن هامان لم يكن من القبط، وقيل: كان منهم.

و﴿ٱلْأَسْبَٰبَ﴾: الطُّرق، قاله السدي، وقال قتادة: أراد الأَبواب.

وقيل: عنى: لعله يجد مع قربه من السماءِ سبباً[(٣)] يتعلق به.

وقرأَ الجمهور: ﴿فَأَطَّلِعُ﴾ رفعاً عطفاً على ﴿أَبْلُغُ﴾.

---

(١) في المطبوع: «إطلاقة»، وفي نجيبويه وأحمد٣: «إطلاقه».

(٢) في المطبوع ونور العثمانية ونجيبويه وأحمد٣: «أربع مئة»، وهي في السليمانية ملحقة، وسقط «لهذا الصرح» من المطبوع وأحمد٣.

(٣) سقط من الأصل، وانظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٢١/ ٣٨٦)، وانظر تفسير الماوردي (٥/ ١٥٦).

وقرأ حفص عن عاصم، والأعرج: ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ نصباً بالفاءِ في جواب التمني(١).

ولما قال فرعون بمحضر من مَلَئِهِ: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ اقتضى كلامه الإِقرار بإِله موسى، فاستدرك ذلك استدراكاً قلقاً بقوله: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ﴾؛ أَي: أَنه كما تَخرَّق فرعون في بناءِ الصَّرح والأَخذ في هذه الفنون المقصرة، كذلك جرى جميع أَمره، وزُيِّن له، أَي: زيَّن له الشيطان سوءَ عمله في كل أَفعاله.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَصَدَّ﴾ بفتح الصاد، بإِسناد الفعل إِلى فرعون.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وعاصم، وجماعة: ﴿وَصُدَّ﴾ بضم الصاد وفتح الدَّال المشدَّدة: عطفاً على ﴿زُيِّنَ﴾ وحملاً عليه(٢).

وقرأَ يحيى بن وثاب: (وَصِدَّ) بكسر الصَّاد على معنى صُدَّ، أَصله صُدِدَ، فنقلت الحركة ثم أُدغمت الدال في الدال.

وقرأَ ابن أَبي إِسحاق، وعبد الرحمن بن أَبي بكرة: (وَصَدٌّ) بفتح الصاد [ورفع
[٥/ ٣٩] الدال المشددة وتنوينها](٣) عطفاً على قوله: / ﴿سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾(٤).

و﴿ٱلسَّبِيلِ﴾: سبيل الشرع والإِيمان.

و«التَّبَابُ»: الخُسْران، ومنه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [المسد: ١]، وبه فسَّر مجاهد وقتادة(٥).

---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٧٠)، والتيسير (ص: ١٩١).
(٢) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٧١).
(٣) في المطبوع وأحمد٣ بدلًا منه: «ودال مهملة مُشَدَّدة مرفوعة منونة»، وفي السليمانية: «أبي بكر» بدل: «أبي بكرة».
(٤) وهما شاذتان، انظرهما في الشواذ للكرماني (ص: ٤١٨)، وانظر إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٥).
(٥) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٨٨ و٣٨٩).

وتَبٌّ[١] فرعون ظاهرٌ لأنه خسر ماله في الصَّرح وغيره، وخسر مُلْكه، وخسر نفسه، وخُلِّد في جهنم.

ثم وعظ الذي آمن فدعا إلى اتِّباع أَمر الله، وقوله: ﴿ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ﴾ يقوِّي أَن المتكلِّم موسى، وإن كان الآخر يحتمل أَن يقول ذلك، أَي: اتبعوني في اتباع موسى، ثم زهَّد في الدنيا وأَخبر أَنها شيءٌ يُتَمَتَّع به قليلاً، ورغَّب في الآخرة، إِذ هي دار الاستقرار.

وقرأَ نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وأَبو رجاءٍ، وشيبة، والأَعمش: ﴿يَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياءِ وضم الخاءِ.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وأَبو بكر عن عاصم، والأَعرج، والحسن، وأَبو جعفر، وعيسى: ﴿يُدْخَلُونَ﴾ بضم الياءِ وفتح الخاءِ[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾.

قد تقدم ذكر الخلاف، هل هذه المقالة لموسى أَو لمؤمن آل فرعون.

والدعاءُ إلى طاعة الله تعالى وعبادته وتوحيده هو الدعاءُ إلى سبب النجاة، فجعله دعاءً إلى النجاة اختصاراً واقتضاباً، وكذلك دعاؤُهم إياه إلى الكفر واتِّباع دينهم هو دعاءٌ إلى سبب دخول النار، فجعله دعاءً إلى النار اختصاراً، ثم بيَّن عليهم ما بين الدعوتين من

(١) في أحمد٣: «تباب».

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٩٧)، والسبعة (ص: ٥٧١).

البَوْن في أَن الواحدة كُفْر وشِرْك، والأُخرى دعوة إِلى الإِسناد إِلى عزَّة الله تعالى وغفرانه.

وقوله: ﴿مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ ليس معناه: أَنِّي جاهل به، بل معناه: العلم بأَن الأَوثان وفرعون وغيره ليس لهم مدخل في الأُلوهية، وليس لأَحد من البشر علمٌ بوجه من وجوه النظر بأَن لهم في الأُلوهية مدخلاً، بل العلم اليقين بغير ذلك من حدوثهم متحصل.

و﴿ لَا جَرَمَ﴾: مذهب سيبويه والخليل أَنها (لا) النافية دخلت على (جَرَمَ)[1].

ومعنى جرم: ثَبَتَ وَوَجَبَ، ومن ذلك جَرَمَ بمعنى: كَسَبَ، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] وَلَقَدْ طَعَنْتَ أَبَا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً ... جَرَمَتْ فَزَارَةُ بَعْدَهَا أَنْ يَغْضَبُوا[2]

أَي أَوجَبتْ لهم ذلك وثَبَّتَتْهُ لهم، فكأَن الكلام نفي للكلام المردود عليه بـ(لا)، وإِثبات لمستأْنف بـ(جَرَمَ)، و(أَنَّ) ـ على هذا النظر ـ في موضع رفع بـ(جَرَمَ)، وكذلك (أَنَّ) الثانية والثالثة.

ومذهب جماعة من أَهل اللسان أَن (لا جَرَمَ) هي بمعنى: لَا بُدَّ، ولَا مَحَالَة، فـ(أَنَّ) ـ على هذا النظر ـ في موضع نصب بإِسقاط حرف الجرِّ، أَي: لا محالة بأَنَّ ما، و(مَا) بمعنى: (الذي) واقعة على الأَصنام وما عبدوه من دون الله.

وقوله: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ أَي ليس له قَدْر وحقٌّ يجب أَن يُدعى أَحدٌ إِليه، فكأَنه قال: تدعونني إِلى ما لا غناءَ له وبَيْن أَيدينا خطب جليل من الرَّدِّ إِلى الله.

و«أَهلُ الإِسراف والشِّرك»: هم أَصحاب النار بالخلود فيها والملازمة، أَي: وكيف أَطيعكم مع هذه الأُمور الحقائق وفي طاعتكم رفض العمل بحسبها والخوف منها؟

قال ابن مسعود[3] ومجاهد: المسرفون سَفَّاكُو الدماءِ بغير حِلِّها.

---

(١) كما تقدم في حرف (هود).

(٢) تقدم في تفسير أول (سورة المائدة).

(٣) لم أقف عليه.

وقال قتادة: هم المشركون[١].

ثم توعَّدهم بأَنهم سيذكرون قوله هذا عند حلول العذاب بهم، وسوَّف بالسين؛ إِذ الأَمر محتمل أَن يخرج الوعيد في الدنيا أَو في الآخرة، وهو تأْويل ابن زيد[٢].

وروى اليزيديُّ وغيره عن أَبي عمرو فتح الياءِ من ﴿أَمْرِيَ﴾[٣].

والضمير في (وَقَاهُ) يحتمل أَن يعود على موسى.

ويحتمل أن يعود على مؤمن آل فرعون، وقال قائلوا ذلك: إِن ذلك المؤمن نجا مع موسى عليه السلام [في البحر][٤]، وفرَّ في جملة من فرَّ معه، وكان من المتَّبِعين.

وقرأَ عاصم: ﴿ فَوَقَىٰهُ ﴾ بالإِمالة[٥].

﴿ وَحَاقَ ﴾ معناه: نزل، وهي مستعملة في المكروه.

و﴿سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾: الغَرَقُ وما بعده من النار وعذابها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ٤٧ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ٤٨ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ٥٠ ﴾.

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٣٩٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٥٨).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٣٩٤).

(٣) وهي سبعية، لأبي عمرو ونافع على قاعدتهما، وأسكنها الباقون، انظر التيسير (ص: ١٩٢)، في نجيبويه: «الترمذي».

(٤) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٥) الإمالة لحمزة والكسائي، والتقليل لورش بخلفه، والفتح للباقين، على قواعدهم.

قوله: ﴿ٱلنَّارُ﴾ رفع على البدل من قوله: ﴿سُوٓءُ﴾.

وقالت فرقة: ﴿ٱلنَّارُ﴾ رفع بالابتداءِ، وخبره ﴿يُعۡرَضُونَ﴾.

وقالت فرقة: هذا الغُدُوُّ والْعَشِيُّ هو في الدنيا، أَي: في كلِّ غُدُوٍّ وَعَشِيٍّ من أَيام الدنيا يعرض آلُ فرعون على النار.

وروي في ذلك عن الهُذَيل بن شرحبيل، والسُّدي: أَن أَرواحهم في أَجواف طير سود تروح بهم وتغدو إِلى النار.

وقاله الأَوزاعي حين قال له رجل: إِني رأَيت طيوراً بيضاً تغدو من البحر ثم ترجع بالعشي سوداً مثلها، قال الأَوزاعي: تلك هي التي في حواصلها أَرواح آل فرعون، يحترق ريشها ويسودُّ بالعرض على النار.

وقال محمد بن كعب القرظي وغيره: أَراد أَنهم يُعرضون / في الآخرة على النار على تقدير ما بين الغُدُوِّ والعَشيِّ؛ إِذْ لا غُدُوَّ ولا عَشيَّ في الآخرة[١]، وإِنما ذلك على التقدير بأَيام الدنيا. [٥/ ٤٠]

وقوله: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يحتمل أَن يكون ﴿يَوۡمَ﴾ عطفاً على (عَشِيّاً) والعامل فيه ﴿يُعۡرَضُونَ﴾.

ويحتمل أَن يكون كلاماً مقطوعاً، والعامل في ﴿يَوۡمَ﴾: ﴿أَدۡخِلُوٓاْ﴾، والتقدير على كل قول: يقال أَدْخلُوا.

وقرأَ نافع، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، والأَعرج، وأَبو جعفر، وشيبة، والأَعمش، وابن وثاب، وطلحة: ﴿أَدۡخِلُوٓاْ﴾ بقطع الأَلف.

وقرأَ علي بن أَبي طالب، وابن كثير، وأَبو عمرو، وابن عامر، وأَبو بكر عن عاصم،

(١) انظر هذه الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٢١/ ٣٩٥، ٣٩٦)، وفي المطبوع: «كعب بن محمد القرظي».

والحسن، وقتادة: ﴿ادْخُلُوا﴾ بصلة الأَلف على الأَمر لآل فرعون[(١)].

و﴿ءَالَ﴾[(٢)] على هذه القراءَة منادى مضاف، و﴿أَشَدَّ﴾ نصب على الظرفية.

والضمير في قوله: ﴿يَتَحَآجُّونَ﴾ لجميع كفار الأُمم، وهذا ابتداءُ قصص لا يختص بآل فرعون، والعامل في ﴿إِذ﴾ فعل مضمر تقديره: واذكر.

وقال الطبريُّ: و﴿إِذ﴾ هذه عطف على قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨][(٣)].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا بعيد.

و«المُحَاجَّةُ»: التَّحَاوُرُ بالحجة والخصومة.

و﴿ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ﴾ يريد: في القَدْر والمنزلة في الدنيا.

و«الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا»: هم أَشراف الكفار وكبراؤُهم، ولم يصِفهم بالكِبْر إِلَّا من حيث استكبروا، لا أَنهم في أَنفسهم كبراءُ، ولو كانوا كذلك في أَنفسهم لكانت صفتهم الكبر أَو نحوه مما يوجب الصفة لهم.

و(تَبَعٌ) قيل: هو جمعٌ واحده تابعٌ؛ كغائب وغَيَب، وقيل: هو مفرد يوصف به الجمع؛ كعَدْل وزَوْر وغيره.

وقولهم: ﴿مُّغْنُونَ عَنَّا﴾ أَي: تحملون عنا كَلَّه، ومَشَقَّتَه، فأَخبرهم المستكبرون أَن الأَمر قد انجزم بحصول الكُلِّ منهم فيها، وأَن حكم الله تعالى قد استمرَّ بذلك.

وقوله: ﴿كُلٌّ فِيهَآ﴾ ابتداءٌ وخبر، والجملة خبر ﴿إِنَّ﴾.

وقرأَ ابن السميفع: (إنا كلّاً) بالنصب[(٤)] على التأْكيد.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٢)، والسبعة (ص: ٥٧٢).

(٢) سقط من الأصل.

(٣) انظر تفسير الطبري (٢١/ ٣٩٨).

(٤) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (٨/ ٢٧٩).

ثم قال جميع من في النَّار لخزنتها وزبانيتها: ادْعُوا رَبَّكُمْ عسَى أَن يخفف عنَّا مقدار يوم من أَيام الدنيا من العذاب، فراجعتهم الخزنة على معنى التوبيخ لهم والتقرير ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ الآيـة، فأَقرَّ الكفار عند ذلك وقالوا: ﴿بَلَىٰ﴾، أَي: قد كان ذلك، فقال لهم الخزنة عند ذلك: فادعوا أَنتم إِذاً.

وعلى هذا، فهذا معنى الهُزْءِ بهم، أَي: فادعوا أَيُّها الكافرون الذين لا معنى لدعائكم.

وقالت فرقة: ﴿وَمَا دُعَـٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾ هو من قول الخزنة.

وقالت فرقة: هو من قول الله تعالى إِخباراً منه لمحمد ﷺ.

وجاءَت هذه الأَفعال على صيغة المضي: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾[1]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ﴾؛ لأَنها وصف حال مُتيقنة الوقوع، فَحَسُنَ ذلك فيها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَـٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾.

أَخبر الله تعالى أَنه ينصر رسله والمؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

قال بعض المفسرين: وهو خاصٌّ فيمن أَظهره الله تعالى على أُمته كنوح وموسى ومحمد، وليس بعام لأَنا نجد من الأَنبياءِ من قتله قومه كيحيى ولم ينصر عليهم.

وقال السدي: الخبر عام على وجهه، وذلك أَن نُصرة الرسل والأَنبياءِ عليهم الصلاة والسلام واقعة ولا بُدَّ[2]، إِمَّا في حياة الرسول المنصور كنوح وموسى، وإِمَّا

(١) في الأصل: «قال الناس الذين استكبروا».

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٠١).

فيما يأْتي من الزمان بعد موتهم، أَلا ترى ما صنع الله تبارك وتعالى ببني إِسرائيل بعد قتلهم يحيى من تسليط بُختنصر عليهم حتى انتصر ليحيى عليه السلام؟ ونصر المؤمنين داخل في نصر الرُّسل، وأَيضاً فقد جعل الله تعالى للمؤمنين الفضلاءِ وِدّاً، ووهبهم نصراً إِذا ظُلِموا، وحضت الشريعة على نصرهم.

ومنه قول النبي ﷺ: «من ردَّ عن أَخيه المسلم في عرضه كان حقّاً على الله أَن يردَّ عنه نار جهنم»(١).

وقوله ﷺ: «من حمى مؤمناً من منافق يغتابه بعث الله مَلَكاً يحميه يوم القيامة»(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَـٰدُ﴾، يريد يومَ القيامة.

وقرأَ الأَعرج، وأَبو عمرو بخلاف: (تَقُومُ) بالتاءِ.

وقرأَ نافع، وأَبو جعفر، وشيبة: ﴿يَقُومُ﴾ بالياءِ(٣).

و﴿ٱلۡأَشۡهَـٰدُ﴾ [يحتمل أَن يكون من الشهادة، ويحتمل أَن يكون من المشاهدة بمعنى الحضور(٤).

---

(١) حسن لغيره: أخرجه عبد بن حميد في مسنده (٢٠٦) من طريق ابن أبي ليلى، عن الحكم، عن ابن أبي الدرداء، عن أبيه قال: نال رجل من رجل عند النبي ﷺ فرد عليه رجل، فقال النبي ﷺ: «من رد عن عرض أخيه، كان له حجاباً من النار»، وأخرجه أحمد (٦/ ٤٤٩) من طريق إسماعيل، عن ليث، عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «من رد عن عرض أخيه المسلم، كان حقاً على الله ـ عز وجل ـ أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة»، وأخرجه أحمد (٦/ ٤٥٠) من طريق علي بن إسحاق، أنا عبد الله ـ يعني: ابن المبارك ـ قال: أنا أبو بكر النهشلي، عن مرزوق أبي بكر التيمي، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «من رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة».

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٣) هذه هي المتواترة، والأولى شاذة، عزاها للأعرج: الكرماني في الشواذ (ص: ٤١٩)، وللمنقري عن أبي عمرو في الكامل (ص: ٦٣١).

(٤) في المطبوع: «المصدر».

وقال الزجاج: أَشْهَادٌ][1] جمع شاهد؛ كصاحب وأَصحاب.

وقالت فرقة: [أَشْهَادٌ جمع شَهْد، وشَهْد جمع شاهد؛ كصاحب وصَحْب، وتاجر وتَجْر.

وقال الطبري:][2] أَشهاد جمع شهيد؛ كشريف وأَشراف.

و﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ﴾ بدل من الأَول.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وقتادة، وعيسى، وأَهل مكة: ﴿لا تَنْفَعُ﴾ بالتاءِ من فوق.

وقرأَ الباقون: ﴿لَا يَنفَعُ﴾ بالياءِ، وهي قراءَة أَبي جعفر، وطلحة، وعاصم، وأَبي رجاءٍ[3]. وهذا لَأن تأْنيث المعذرة غير حقيقي، ولَأن الحائل قد وقع.

و«المَعْذِرَةُ»: مصدر يقع كالعُذر.

و﴿ٱللَّعۡنَةُ﴾: الإِبعاد، و﴿سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ فيه حذف مضاف تقديره: سوءُ عاقبة الدار.

ثم أَخبر الله تعالى بقصة موسى وما آتاه من النُّبُوَّة تأْنيساً لمحمد ﷺ، وضَرْبَ أُسْوة، وتَذْكيراً بما كانت العرب تعرفه من أَمر موسى، فيُبَيِّن ذلك أَن محمداً ليس ببدع من الرُّسل.

و﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾: النُّبُوَّة والحكمة، والتوراة تعُمُّ جميع ذلك.

وقوله: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا﴾ [عبر عن ذلك بالوراثة إذ كانت طائفة بني إسرائيل][4] قرناً

---

(١) سقط من الأصل، وسقط الاحتمال الأول من السليمانية، وانظر قول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه له (٤/ ٣٧٦).

(٢) سقط من الأصل وهو في نجيبويه ونور العثمانية ملحق في الحاشية، وانظر تفسير الطبري (٢١/ ٤٠٢).

(٣) وهما سبعيتان، وابن عامر بالتاء، انظر التيسير (ص: ١٩٢)، والسبعة (ص: ٥٧٢).

(٤) في المطبوع وأحمد٣ بدلًا منه: «عبارة عن أن طوائف بني إسرائيل».

بعد قَرْن تصير فيهم التوراة إِماماً، فكان بعضهم يرثها عن بعض، / وتجيءُ الوراثة[1] [٥/ ٤١]
في حق الصدر الأَول منهم على تجوُّز. و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة.

ثم أَمر نبيَّه ﷺ بالصبر وانتظار إِنجاز الوعد، أَي: فستكون عاقبة أَمرك كعاقبة أَمره.

وقال الكلبي: نسخت آيةُ القتال الصبرَ حيث وقع[2].

وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ يحتمل أَن يكون ذلك قبل إِعلام الله إِيَّاه أَنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأَخر؛ لأَن آية هذه السورة مكية، وآية سورة الفتح مدنية متأَخرة.

ويحتمل أَن يكون الخطاب في هذه الآية له والمراد أُمَّته، أَي: أَنه إِذا أُمر هو بهذا فغيره أَحرى بامتثاله.

و(الإِبكار) والبكور بمعنى واحد، وقال الطبري: الإِبكار: من طلوع الفجر الثاني إِلى طلوع الشمس، وحكى عن قوم: أَنه من طلوع الشمس إِلى ارتفاع الضحى[3].

وقال الحسن: ﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾ يريد صلاة العصر، و(الإبكار) يريد به صلاة الصبح[4].

ثم أَخبر تعالى عن أُولئك الكفار الذين يجادلون في آيات الله بغير حجة ولا برهان، وهم يريدون بذلك طمسها والرَّد في وجهها، أَنهم ليسوا على شيءٍ بل في صدورهم وضمائرهم كِبْر وأَنَفَة عليك حسداً منهم على الفضل الذي آتاك الله تعالى.

---

(١) في الأصل: «التوراة».
(٢) تفسير البغوي (٤/ ١١٥).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٠٣)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٤٤٨).
(٤) انظر تفسير الماوردي (٥/ ١٦١)، وقد نسب إليه الماوردي تفسيرها أن المراد صلاة مكة ركعتان غدوة وركعتان عشية.

ثم نفى أَن يكونوا يبلُغون آمالهم بحسب ذلك الكِبْر فقال: ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾، وهنا حذف مضاف تقديره: ببالغي إِرادتهم فيه، وفي هذا النفي الذي يتضمن أَنهم لا يبلغون أَملاً تأْنيسٌ لمحمد عليه السلام، ثم أَمره تعالى بالاستعاذة بالله في كل أَمره من كُلِّ مُسْتعاذٍ منه لأَن الله يسمع أَقواله وأَقوال مخالفيه، وهو بصير بمقاصدهم ونيَّاتهم ومُجَازٍ كلاًّ بما يستوجبه، والمقصد بأَن يُستعاذ منه عند قوم الكِبْر المذكور، كأَنه قال: هؤلاءِ لهم كِبْر لا يبلغون منه أَملاً، فاستعذ بالله من حالهم في ذلك.

وذكر الثعلبي: أَن هذه الاستعاذة هي من الدَّجال وفتنته، والأَظهر ما قدَّمناه من العموم في كل مُسْتَعاذٍ منه[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ الآيَةَ؛ توبيخٌ لهؤلاءِ الكفار المتكبرين، كأَنه قال: مخلوقات الله أَكبر وأَجل قدراً من خلق البشر، فما لأَحد منهم أَن يتكبر على خالقه.

ويحتمل أَن يكون الكلام في معنى البعث والإِعادة، فَأَعْلم أَن الذي خلق السماوات والأَرض قويٌّ قادر على خلق الناس تارةً أُخرى.

و«الْخَلْق» على هذا التأْويل: مصدرٌ مضاف إِلى المفعول.

وقال النقاش: المعنى: مما يخلق الناس؛ إِذ هم في الحقيقة لا يخلقون شيئاً[2].

(١) تفسير السمعاني (٥/ ٢٧)، ولم أقف على القول عند الثعلبي.
(٢) لم أقف عليه.

فالخلق في قوله: ﴿مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ مضاف إلى الفاعل على هذا التأْويل.

وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ يقتضي أَن الأَقل منهم يعلم ذلك، ولذلك مَثَّل الأَكثرَ الجاهلَ بالأَعمى، والأَقلَّ العالمَ بالبصير، وجعل الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ يعادلهم قوله: ﴿وَلَا ٱلْمُسِيٓءُ﴾، وهو اسم جنس يعُمُّ المسيئين. وأَخبر تعالى أَن هؤلاءِ لا يستوون، فكذلك الأَكثر الجهلاءُ من الناس لا يستوون مع الأَقل الذين يعلمون.

وقرأَ أَكثر القراءِ، والأَعرج، وأَبو جعفر، وشيبة، والحسن: ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ بالياءِ على الكناية عن الغائب.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي، وقتادة، وطلحة، وعيسى، وأَبو عبد الرحمن: ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ بالتاءِ من فوق على المخاطبة(١)، والمعنى: قل لهم يا محمد.

ثم جزم الإِخبار بأَن السَّاعة آتية، وهي القيامة المتضمنة للبعث من القبور، والحساب بين يدي الله تعالى، وافتراق الجمع إِلى الجنة وإِلى النار.

وقوله تعالى: ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾؛ أَي: في ذاتها ونفسها، وإِن وُجد من العالم من يرتاب فيها فليست فيها في نفسها ريبة.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ آية تفضل ونعمة ووعد لأُمَّة محمد ﷺ بالإِجابة عند الدُّعاءِ، وهذا الوعد مقيَّد بشرط المشيئة [وهي موافقة المقدور](٢) لمن شاءَ الله تعالى، لا أَن الاستجابة عليه حتم لكل داعٍ لا سيما لمن تعدى في دعائه، فقد عاب رسول الله ﷺ دعاءَ الذي قال: «اللهم أَعطني القصر الأَبيض الذي عن يمين الجنة»(٣).

وقالت فرقة: معنى ﴿ٱدْعُونِيٓ﴾: اعبدوني(٤)، و﴿أَسْتَجِبْ﴾ معناه: بالثواب

(١) وهما سبيعتان، انظر السبعة (ص: ٥٧٢)، والتيسير (ص: ١٩٢)، وتحبير التيسير (ص: ٥٣٩).
(٢) من المطبوع.
(٣) تقدم تخريجه عند آية (٥٥) من (سورة الأعراف).
(٤) «اعبدوني» سقطت من الأصل وأثبتناها من النسخ الأخرى.

والنصر، ويدل على هذا التأْويل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾، ويُحتج له بحديث النعمان بن بشير: أَن النبي ﷺ قال: «الدعاءُ هو العبادة»، وقرأَ هذه الآية[1].

وقال ابن عباس: المعنى: وحِّدوني أَغفر لكم[2].

وقيل للثوري: ادع الله تعالى فقال: إِن ترك الذنوب هو الدعاءُ[3].

وقرأَ ابن كثير، وأَبو جعفر: ﴿سَيُدۡخَلُونَ﴾ بضم الياءِ وفتح الخاءِ.

وقرأَ نافع، وحمزة، والكسائي، وابن عامر، والحسن، وشيبة: ﴿سَيَدۡخُلُونَ﴾ بفتح الياءِ وضم الخاءِ، واختلف عن أَبي عمرو، وعن عاصم[4].

و«الدَّاخر»: هو الصاغر الذليل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾./ [٥/ ٤٢]

---

(١) جيد، أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٧-٢٧١ـ ٢٧٦-٢٧٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٤)، وأبو داود (١٤٧٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، والترمذي (٢٩٦٩-٣٢٤٧ـ ٣٣٧٢)، والنسائي في الكبرى (١١٤٠٠) وغيرهم من طريق ذر بن عبد الله الهمداني، عن يُسَيْعٍ بن معدان الحضرمي، عن النعمان ابن بشير به.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٠٦) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٤٠٨)، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٧٣) وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٠).

(٤) وهما سبعيتان، الأولى لابن كثير وشعبة، انظر التيسير (ص: ١٩٢)، وهي رواية عباس عن أبي عمرو في السبعة (ص: ٥٧٢).

هذا تنبيهٌ على آيات الله تعالى، وعِبَـرٌ متى تأَملها العاقل أَدَّته إِلى توحيد الله والإقرار بربوبيَّته.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ مجازه: يُبصر فيه، كما تقول: نهارٌ صائم وليل قائم.

وقوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ معناه: خالق كلِّ شيءٍ مخلوق، وما يستحيل أَن يكون مخلوقاً كالقرآن والصفات فليس يدخل في هذا العموم، وهذا كما قال تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٥] معناه: كل شيءٍ بعثت لتدميره.

وقرأَت فرقة: ﴿تُؤْفَكُونَ﴾ بالتاءِ، وقرأت فرقة: (يُؤْفكُونَ) بالياءِ[١].

والمعنى في القراءَة الأُولى: قُلْ لهم.

و﴿تُؤْفَكُونَ﴾ معناه: تُصرفون عن طريق النظر والهُدى، وهذا تقرير بمعنى التوبيخ والتقريع.

ثم قال لنبيِّه: ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ﴾ أَي: على هذه الهيئة وبهذه الصفة صرف الله تعالى الكفار الجاحدين بآيات الله من الأُمم المتقدمة عن طريق الهُدى.

ثم بيَّن تعالى نعمته في أَن جعل الأَرض قراراً ومهاداً للعباد، والسماءَ بناءً وسقفاً.

وقرأَ الناس: ﴿صُوَرَكُمْ﴾ بضم الصاد.

وقرأَ أَبو رزين بكسر الصاد.

وقرأَت فرقة: (صُورَكُمْ) بسكون الواو[٢]، على نحو: بُسْرَةٍ وبُسْر.

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يريد: من المسْتَلَذَّات طعماً ولباساً ومكاسب

---

(١) الأولى هي المتواترة، والثانية شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤١٩) لطلحة وابن مقسم.

(٢) وهما شاذتان، انظر الأولى في تفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٠)، والشواذ للكرماني (ص: ٤١٩)، وعزا الثانية للأعمش وطلحة والحسن.

وغير ذلك، ومتى جاءَ ذكر الطَّيِّبات بقرينة (رَزَقَكُمْ) ونحوه فهذا هو المُسْتَلَذُّ، ومتى جاءَ بقرينة تحليل أَو تحريم ـ كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وكما قال: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] فالطَّيِّباتُ في مثل هذا: الحلالُ.

وعلى هذا النظر تخرج مذهب مالك رحمه الله تعالى في الطَّيِّبات والخَبائث(١).

وقولُ الشَّافعي رحمه الله تعالى: إِن الطَّيِّبات هي المُسْتَلَذَّات، والخبائث هي المـُسْتَقْذَرات ضعيفٌ ينكسر بِمُسْتَلَذَّات مُحَرَّمة ومُسْتَقْذَرات مُحَلَّلة لا ردَّله في صدرها(٢).

وأَما حيث وقعت الطَّيِّبات مع الرِّزق فإِنما هي تعديد نعمة فيما يستحسنه البشر ولا سيما هذه الآية التي هي مخاطبة لكفار، فإِنما عُدِّدت عليهم النعمة التي يعتقدونها نعمة. وباقي الآية بَيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

لما سردت الآيات صفات الله تعالى التي تُبيِّن فساد حال الأَصنام كان من أَبْيَنِهَا أَن الأَصنام مواتٌ جمادٌ، وأَنه عزَّ وجلَّ الحيُّ القيُّوم، وصُدور الأمور من لدنه وإِيجادُ الأَشياءِ وتدبيرُ الأَمر [كلِّه وعلمُه بالكلِّ](٣)، دليلٌ قاطع على أَنه حيٌّ لا إِله إِلاَّ هو.

وقوله: ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كلامٌ متصل مقتضاه:

---

(١) البيان والتحصيل (٩/ ٣٥١).

(٢) الأم للشافعي (٢/ ٢٦٤)، تفسير الإمام الشافعي (٢/ ٧٠٠).

(٣) من المطبوع وفيض الله والسليمانية.

ادعوه مخلصين بالحمد، وبهذه الأَلفاظ قال ابن عباس: من قال: لَا إِله إِلَّا الله، فليقل على أَثرها: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ[١]، وقال نحو هذا سعيد بن جبير، ثم قرأَ هذه الآية[٢].

ثم أَمر الله تعالى نبيَّه عليه السلام أَن يصدع بأَنه نُهي عن عبادة الأَصنام التي عبدها الكفار من دون الله، ووقع النهي لما جاءَه الوحي والهدى من ربِّه تعالى، وأُمر بالإِسلام الذي هو الإِيمان والأَعمال.

وقوله: ﴿لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾؛ أَي: أَن أَستسلم لربِّ العالمين وأَخضع له بالطاعة.

ثم بيَّن تعالى أَمر الوحدانية والأُلوهية بالعبرة في ابن آدم وتدرُّج خلقه، فأَوله خلق آدم عليه السلام من تراب من طين لازب[٣]، فجعل البشر من التراب لما[٤] كان منسلاً من المخلوق من التراب.

وقوله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ إِشارة إِلى التناسل من آدم فمن بعده.

و«النُّطْفَة»[٥]: الماءُ الذي خلق المرءُ منه.

و«العَلَقَةُ»: الدم الذي يصير من النطفة.

و«الطِّفْل» هنا: اسم جنس.

و«بُلُوغُ الأَشُدِّ» اختُلف فيه؛ فقيل: ثلاثون، وقيل: ستة وثلاثون، وقيل: أَربعون، وقيل: ستة وأَربعون، وقيل: عشرون، وقيل: ثمانية عشر، وقيل: خمسة عشر.

---

(١) لا بأس به، أخرجه الطبري (٢١/ ٤١٠)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٣٨) من طريق علي بن الحسن بن شقيق المروزي، عن الحسين بن واقد المروزي، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنه به، بنحوه، ومن طريق الحاكم أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (١٩٤).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٤١١).

(٣) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «من تراب ثم من طين لازب».

(٤) في الأصل: «كما».

(٥) زاد في المطبوع: «هي» قال، في الحاشية: لتوضيح المعنى واستقامة العبارة.

وهذه الأَقوال الأَخيرة ضعيفة في الأَشُدِّ.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ عبارة تتردَّد في الأَدراج المذكورة كلها، فمن الناس من يموت قبل أَن يخرج طفلاً، وآخرون قبل الأَشُدِّ، وآخرون قبل[1] الشيخوخة.

وقوله تعالى: ﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ أَي: هذه الأَصناف كلها مخلوقة مُيَسَّرة ليبلغ كل واحد منها أَجلاً مُسمَّى لا يتعداه ولا يتخطَّاه، وليكون معتبراً.

وَلَعَلَّكُمْ أَيُّها البشر تَعْقِلُونَ الحقائق إِذا نظرتم في هذا[2]، وتدبرتم حكمة الله تعالى فيه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ عبارة عن إِنفاذ الإِيجاد وإِخراج المخلوق من العدم، وإِيجادُ الموجودات هو بالقدرة، واقترانُ الأَمر بذلك هو عظمة في المُلْك وتخضيعٌ للمخلوقات وإِظهارٌ للقدرة، بإيجاده[3] والأَمر للمُوجَد إِنما يكون في حين تلبُّس القدرة / بإِيجاده، لا قبل ذلك؛ لأَنه حينئذ لا يخاطب في معنى الوجود والكَوْن، [٥/ ٤٣]
ولا بعد ذلك لأَنَّ ما هو كائن لا يقال له: كُنْ.

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾ ظاهر الآية أنه

(١) في المطبوع والحمزوية وأحمد٣: «بعد».
(٢) «في هذا»: سقطت من السليمانية.
(٣) من الأصل.

في الكفار المجادلين في رسالة محمد ﷺ والكتاب الذي جاءَ به، بدليل قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ ﴾ الآية، وهذا قول ابن زيد والجمهور من المفسرين.

وقال محمد بن سيرين وغيره: قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾ الآيَة؛ إِشارةٌ إِلى أَهل الأَهواءِ من هذه الأُمة[١].

وروت هذه الفرقة في نحو هذا حديثاً، وقالوا: هي في أَهل القَدَر ومن جرى مجراهم[٢].

ويلزم قائلي هذه المقالة أَن يجعلوا قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ ﴾ الآية كلاماً مقطوعاً مستأْنفاً في الكفار، ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ابتداءٌ، وخبره ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

ويحتمل أَن يكون خبر الابتداءِ محذوفاً، والفاءُ متعلقة به.

وقوله تعالى: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ ﴾ يعني يوم القيامة، والعامل في الظرف ﴿يَعْلَمُونَ﴾.

وعبَّر عن ظرف الاستقبال بظرف[٣] لا يقال إِلاَّ في الماضي، لأَنه لما تيقن وقوع الأَمر حسُنَ تأْكيده بالإِخراج في صيغة الماضي، وهذا كثير في القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١١٦].

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٤١٣)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٨١)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٤٦٠).

(٢) روي مقطوعاً، يشير المؤلف لما رواه أحمد (٢٨/ ٥٥٥-٦٣٢- ٦٣٦)، والطبري (٢١/ ٤١٣- ٤١٤) والطبراني في الكبير (٨١٥- ٨١٦- ٨١٧)، وأبو يعلى في مسنده (١٧٤٦)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٧٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٩٦٤) وغيرهم من طريق أبي قبيل حيي بن هانئ المعافري، عن عقبة بن عامر الجهني قال: أن رسول الله ﷺ قال:«سَيَهْلِكُ مِنْ أُمَّتِي أَهْلُ الكِتَابِ، وأَهْلُ اللِّينِ» فقال عقبة: يا رسول الله، وما أهل الكتاب؟ قال:«قَوْمٌ يَتَعَلَّمُونَ كِتابَ الله يُجادلُونَ الَّذينَ آمَنُوا»، فقال عقبة: يا رسول الله، وما أهل اللين؟ قال:«قَوْمٌ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ، ويُضَيِّعُونَ الصَّلَوَاتِ». قال أبو قبيل: لا أحسب المكذّبين بالقدر إلا الذين يجادلون الذين آمنوا، وأما أهل اللين، فلا أحسبهم إلا أهل العمود ليس عليهم إمام جماعة، ولا يعرفون شهر رمضان.

(٣) سقط من أحمد٣.

قال الحسن بن أَبي الحسن: لم تُجعل السلاسل في أَعناق الكفار لأَنَّهم أَعجزوا الربَّ ولكن لترسِّبهم إِذا أَطفاهم اللهب[١].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَٱلسَّلَـٰسِلُ﴾ رفعاً عطفاً على ﴿ٱلْأَغْلَـٰلُ﴾.

وقرأَ ابن عباس، وابن مسعود: (والسَّلَاسِلَ) بالنصب (يَسْحَبُونَ) بفتح الياءِ[٢] وإِسناد الفعل إِليهم وإِيقاع الفعل على السلاسل[٣].

وقرأَت فرقة: (وَالسَّلاسِلِ) بالخفض على تقدير: إِذْ أَعناقهم في الأَغلالِ والسَّلَاسِلِ[٤]، فعطف على المراد من الكلام لا على ترتيب اللفظ؛ إِذْ ترتيبه فيه قلب، وهو على حدِّ قول العرب: أَدْخَلْتَ القَلَنْسُوةَ في رأْسي.

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (وفي السلاسل يسحبون)[٥].

و﴿يُسْحَبُونَ﴾ معناه: يُجَرُّونَ، والسَّحْب: الجَرُّ.

و﴿ٱلْحَمِيمِ﴾: الذائب الشديد الحرِّ من النار، ومنه يقال للماءِ السخن: حميم.

و﴿يُسْجَرُونَ﴾؛ قال مجاهد: معناه: توقد النار بهم[٦].

والعرب تقول: سَجَرْتُ التَّنُّورَ: إِذا مَلأْتُها ناراً.

وقال السدّي: ﴿يُسْجَرُونَ﴾: يُحرقون[٧].

---

(١) تفسير السمعاني (٦/ ١١٤).

(٢) في الأصل: «الحاء».

(٣) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٤١٩)، ومختصر الشواذ (ص: ١٣٣)، والمحتسب (٢/ ٢٤٤).

(٤) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤١٩) لأبي.

(٥) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٩/ ٢٧١)، وفي معاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٣٣) عنه: بالسلاسل.

(٦) تفسير الطبري (٢١/ ٤١٦).

(٧) المصدر السابق.

ثم أَخبر تعالى أَنهم يوقفون يوم القيامة على جهة التوبيخ والتقريع، فيقال لهم: أَين الأَصنام التي كنتم تعبدون من دون الله [في الدنيا](١)؟ فيقولون: ضلُّوا عنا، أَي: [تلفوا لنا](٢) وغابوا واضمحلوا، ثمّ تضطرب أَقوالهم ويفزعون إِلى الكذب، فيقولون: بل لم نكن نعبد(٣) شيئاً، وهذا من أَشد الاختلاط وأَبْيَن الفساد في الذهن والنظر، فقال الله تعالى لنبيِّه: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، أَي كهذه(٤) الصفة المذكورة وبهذا الترتيب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

المعنى: يقال للكفار المعذَّبين: ذلكم العذابُ، الذي أَنتم فيه بما كنتم تكفرون(٥) وتفرحون في الدنيا بالمعاصي والكفر.

و﴿تَمْرَحُونَ﴾: قال مجاهد: معناه: الأَشَرُ والبَطَرُ(٦)، وقال ابن عبّاس: الفخر والخيلاءُ(٧).

وقوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوٓا۟﴾، معناه: يقال لهم قبل هذه المحاورة في أَوّل الأَمر: ادخلوا، لأَن هذه المخاطبة إِنّما هي بعد دخولهم وفي الوقت الذي فيه الأَغلال في

(١) سقط من الأصل، وقوله «من دون الله» زيادة منه.
(٢) سقطت «لنا» من الحمزوية، وفي المطبوع بدلًا منه: «تلفوا النّار»، وفي فيض الله: «تلقوا لنا»، وفي نور العثمانية: «يلقوا لنا».
(٣) في الأصل: «بل لم نكن ندعو من قبل».
(٤) في السليمانية ونجيبويه ونور العثمانية والمطبوع: «بهذه».
(٥) من المطبوع وأحمد٣
(٦) تفسير الطبري (٢١/ ٤١٨) ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٣٥).
(٧) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٦٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

أَعناقهم، وأَبواب جهنّم هي السبعة المؤدية إِلى طبقاتها وأَدراكها السبعة.

و«المثْوى»: موضع الإِقامة.

ثمّ آنس الله تعالى نبيَّه ووعده بقوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٞۚ﴾ في نصرك وإِظهار أَمرك، فإِنَّ ذلك إِمَّا أَن ترى بعضه في حياتك فتقرّ عينك به، وإِمَّا أن تموت قبل ذلك، فإِلى أَمرنا وتعذيبنا يصيرون ويرجعون.

وقرأ الجمهور: ﴿يُرۡجَعُونَ﴾ بضم الياءِ.

وقرأ أَبو عبد الرحمن، [ويعقوب: ﴿يَرْجِعُونَ﴾ بفتح الياءِ[١].

وقرأ طلحة بن مصرف][٢]، ويعقوب في رواية الوليد بن حسان[٣]: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاءِ منقوطة من فوق[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ﴾ الآية ردٌّ على العرب، الذين قالوا: إِنّ الله لا يبعث بشراً رسولاً، واستبعدوا ذلك.

وقوله تعالى: ﴿مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا﴾، قال النقّاش: هم أَربعة وعشرون[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَ﴾ رُوي من طريق أَنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إِنّ الله تعالى بعث ثمانية آلاف رسول»[٦].

---

(١) سقط من الأصل، وهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٦٦). في السليمانية: «أبو يعقوب».

(٢) سقط من أحمد٣.

(٣) هو الوليد بن حسان التوزي البصري، روى القراءة عرضاً عن يعقوب الحضرمي، وعنه محمد بن الجهم، غاية النهاية (٢/ ٣٥٩).

(٤) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٩/ ٢٧٥)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٢٠) للطلحتين بضم التاء.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ٤١٩)، وأبو يعلى (٤٠٩٢)، والطبراني في الأوسط (٧٧٤)، وابن عدي في الكامل (٦/ ١٣٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٦- ٥٩٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٥٣) من طريق يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك به، بنحوه. على خلاف قد وقع في هذه الرواياتعن يزيد،=

وروي عن سلمان(١)، عن النبي ﷺ قال: «بعث الله أَربعة آلاف نبيّ»(٢).

وروي عن ابن عبّاس وعليّ بن أَبي طالب رضي الله عنه، أَنّه قال: بعث الله رسولاً من الحبشة أَسود، وهو الذي لم يُقَصّ على محمد ﷺ(٣).

قال القاضي أَبو محمد: وهذا إنما ساقه على أَنّ هذا الحبشي مثال لمن(٤) لم يقصّ، لا أَنّه هو المقصود وحده، فإِنّ هذا بعيد.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ردٌّ على قريش في إِنكارهم أَمر محمد ﷺ، وقولهم: إِنّه كاذب على الله تعالى، والإِذنُ يتضمن علماً وتمكيناً، فإِذا اقترن به أَمر، قَوِيَ كما هو في إِرسال النبيّ.

= ويزيد بن أبان الرقاشي ضعيف، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٩٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٦٢) من طريق خالد الزنجي، عن زياد بن سعد، عن ابن المنكدر، وعن صفوان ابن سليم، عن أنس به، بنحوه، وأخرجه ابن عدي في الكامل (١/ ١٦٧) من طريق ابن لهيعة، أحمد بن حازم، عن محمد بن المنكدر وصفوان بن سليم، عن أنس به، وانظر العلل للدارقطني (١٢/ ٢٢٦-٢٢٧)، والسلسلة الضعيفة (٦٠٩٠).

(١) سقط من أحمد٣، وفي السليمانية: «وروى سلمان».

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٤١٩) من طريق عتبة بن عتيبة البصري، عن أبي سهل، عن وهب بن عبد الله الأزدي، عن سلمى، مرفوعاً، هكذا في نسخة الطبري «سلمى» غير منسوبة وذكره ابن حجر في الإصابة (٧/ ٧١٠) وعزاه لابن منده، وعتبة لم أقف له على ترجمة.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٦٨)، وابن أبي حاتم (٦٢٨٤)، والطبراني في الأوسط (٩٣١٩) من طريق إسرائيل بن يونس، عن جابر الجعفي، عن عبد الله بن نجي الحضرمي، عن علي رضي الله عنه به، وجابر بن يزيد الجعفي ضعيف، وأخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ١٧٢) من طريق جابر عن أبي طفيل، عن علي قال: كان أصحاب الأخدود نبيهم حبشي، قال علي: بُعث نبي من الحبشة إلى قومه، ثم قرأ عليّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾، فدعاهم النبي فتابعه أُناس فقاتلهم فقتل أصحابه وأُخذ فأوثق فأفلت منهم، فخدّ أخدوداً فملأها ناراً فمن تبع النبي رُمي فيها ومن تابعهم تركوه فجاؤوا بامرأة معها صبي رضيع فجزعت فقال: يا أماه مرّي ولا تنافقي. ولم أقف على أثر ابن عباس.

(٤) في المطبوع: «لما».

ثمّ قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: إذا أراد الله إرسال رسول وبعثة نبيّ، قضى ذلك وأنفذه بالحقّ، وخسر كلُّ مبطل، وحصل على فساد آخرته.

وتحتمل الآية معنى آخر وهو أن يريد بـ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: القيامة، فتكون الآية توعُّداً لهم بالآخرة[1] / . [٥/ ٤٤]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

هذه آياتُ عِبَر وتعديد نِعَم.

و﴿ٱلْأَنْعَٰمَ﴾: الأزواج الثمانية، و﴿مِنْهَا﴾ الأُولى للتبعيض؛ لأنّ المركوب[2] ليس كلّ الأنعام، بل الإبل خاصة، و﴿مِنْهَا﴾ الثانية لبيان الجنس؛ لأنّ الجميع منها يؤكل.

وقال الطبريّ في هذه الآية: إنّ الأنعام تعمُّ الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير وغير ذلك مما يُنتفع به من البهائم[3]، فـ﴿مِنْهَا﴾ في الموضعين للتبعيض ـ على هذا ـ لكنّه قول ضعيف، وإنّما الأنعام: الأزواج الثمانية الّتي ذكر الله فقط، ثمّ ذكر الله تعالى المنافع ذكراً مُجْمَلاً لأنّها أكثر من أن تحصى.

وقوله تعالى: ﴿وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ﴾ يريد قطع الْمَهَامِهِ الطويلة والمشاق البعيدة.

---

(١) سقط من المطبوع.
(٢) في المطبوع: «المذكور».
(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٤٢٠).

و﴿ٱلۡفُلۡكِ﴾: السفن، وهو هنا جمع، و﴿تُحۡمَلُونَ﴾ يريد: برّاً وبحراً، وكرر[١] الحَمْل عليها ـ وقد تقدم ذكر ركوبها ـ لأَنّ المعنى مختلف وفي الأَمرين تغاير؛ وذلك لأَنّ الركوب هو المتعارف فيما قَرُب، ويستعمل دأْباً[٢] في القرى والمواطن، فهو نظير الأكل منها وسائر المنافع بها[٣]، ثمّ خصص بعد ذلك السفر الأَطول وحوائج الصدور مع البُعد والنوى، وهذا هو الحمل الذي قرنه بشبيهه من أَمر السفن.

ثمّ ذكر تعالى آياته عامة جامعةً لكلِّ عِبْرَة وموضِع نظر، وهذا غير منحصر لاتِّساعه، ولأَنّ في كلِّ شيءٍ له آيَةً تدلُّ على وحدانيته.

ثمّ قرَّرهم ـ على جهة التوبيخ ـ بقوله: ﴿فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾.

ثمّ احتجَّ تعالى على قريش بما يظهر في الأُمم السالفة من نقمات الله في الكفرة، الذين كانوا أَكثر عَدَداً، وأَشَدَّ قُوَّةَ أَبدانٍ وممالك، وأَعظم آثاراً في المباني والأَفعال من قريش والعرب، فلم يُغْن عنهم كَسْبهم ولا حالهم شيئاً، حين جاءَهم عذاب الله وأَخْذُه.

و(مَا) في قوله: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم﴾ نافية، قال الطبريّ: وقيل: هي تقرير وتوقيف[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

الضمير في ﴿جَآءَتۡهُمۡ﴾ عائد على الأُمم المذكورين، الذين جُعلوا مَثَلاً وعِبرة.

واختلف المفسرون في الضمير في ﴿فَرِحُواْ﴾، على من يعود؟ فقال مجاهد

(١) في المطبوع: «وذكر».
(٢) سقط من الأصل.
(٣) في السليمانية هنا تقديم وتأخير.
(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٤٢٢).

وغيره: هو عائد على الأُمم المذكورين[(١)]، أَي: بما عندهم من العلم في ظنّهم ومُعْتقدهم من أَنّهم لا يُبعثون، ولا يُحاسبون.

وقال ابن زيد: واغترّوا بعلمهم في الدنيا والمعايش، وظنُّوا أنّه لا آخرة ففرحوا، وهذا كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الروم: ٧][(٢)].

وقالت فرقة: الضمير في ﴿فَرِحُوا۟﴾ عائد على الرُّسل، وفي هذا التأْويل[(٣)] حذف تقديره: [فلما جاءتهم رسلهم بالبينات][(٤)] كذّبوهم، ففرح الرسل بما عندهم من العلم بالله تعالى والثقة به وبأَنّه سينصرهم.

و﴿وَحَاقَ﴾ معناه: نزل وثبت، وهي مستعملة في الشَّر.

و﴿مَّا﴾ في قوله: ﴿مَّا كَانُوا۟﴾ هو العذاب، الذي كانوا يُكَذِّبون به ويستهزئون بأَمره.

والضمير في ﴿بِهِم﴾ عائد على الكفار بلا خلاف.

ثمّ حكى حالة بعضهم مِمَّن آمن بعد تلبُّس العذاب بهم، فلم ينفعهم ذلك، وفي ذكر هذا حضٌّ للعرب على المبادرة، وتخويف من التأَنّي، لئلا يدركهم عذاب لا تنفعهم توبة بعد تَلَبُّسه بهم، وأَمَّا قصة قوم يونس، فقد رأَوْا العذاب ولم يكن تلبَّس بهم، وقد مرَّ تفسيرها مُسْتقصى في سورة يونس عليه السلام.

و﴿سُنَّتَ﴾ نصب على المصدر.

و﴿خَلَتْ﴾ معناه: مضت واستمرت وصارت عادة.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٤٢٢) ومعاني القرآن النحاس (٦/ ٢٣٦) وتفسير الماوردي (٥/ ١٦٦) وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٣).

(٢) انظر تفسير الماوردي (٥/ ١٦٦).

(٣) في الأصل: «الرسل»، ولعله خطأ.

(٤) سقط من المطبوع.

وقوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ إِشارةٌ إِلى أَوقات العذاب، أَي: ظهر خُسْرَانُهُم وحضر جزاءُ كفرهم.

[كمل تفسير (سورة غافر)، والحمد لله رب العالمين][1]

(١) من المطبوع والسليمانية، وفيها: «والحمد لله حق حمده، وصلاته على محمد وآله وسلم». وفي فيض الله: «نجز.. بحول الله تعالى، وصلواتُه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأوزاجه وسلم كثيراً».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَفسير سُورة حم السجدة (فصّلت)

هذه السُّورة مكيَّة بإِجماع من المفسِّرين.

ويُروى: أَن عتبة بن ربيعة ذهب إِلى رسول الله ﷺ ليُبيِّن عليه أَمر مخالفته لقومه، وليحتجَّ عليه فيما بينه وبينه، وليُبْعد[١] ما جاءَ به، فلمَّا تكلَّم عتبةُ قرأَ رسول الله ﷺ: ﴿حمٓ﴾، ومرَّ في صدر هذه السُّورة، حتّى انتهى إِلى قوله: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]، فأُرْعِدَ الشَّيْخُ وقَفَّ شعره، وأَمسك على فم رسول الله ﷺ بيده وناشده بالرَّحم أَن يُمسك، وقال حين فارَقَهُ: والله لقد سمعتُ شيئاً ما هو بالشِّعر ولا بالسِّحر ولا بالكهانة، ولقد ظننت أَن صاعقة العذاب على رأْسي[٢].

---

(١) في السليمانية: «لينقد».

(٢) لا بأس به، أخرجه عبد بن حميد في مسنده (١١٢٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٧١٥)، وأبو يعلى (١٨١٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٢-٢٠٤) من طريق الأجلح بن عبد الله الكندي وهو صدوق، عن الذيال بن حرملة الأسدي، عن جابر بن عبد الله، مرفوعاً، والذيال بن حرملة الأسدي وثقه ابن حبان وحده، ويشهد له ما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٥) من طريق ابن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما قرأ النبي ﷺ على عتبة بن ربيعة حم تنزيل من الرحمن الرحيم أتى أصحابه فقال لهم: يا قوم أطيعوني في =

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿حمٓ ١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢
كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا
[٥/ ٤٥] يَسۡمَعُونَ / ٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ
حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ
فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ
كَٰفِرُونَ ٧﴾.

تقدم القول في أَوائل السُّور مما يختص به الحواميم، وأَمال الأَعمش ﴿حمٓ ﴾ في كلِّها(١).

و﴿تَنزِيلٞ ﴾ خبر الابتداءِ، إِمَّا على أَن يقدر الابتداءُ في ﴿حمٓ ﴾ على ما تقتضيه بعض الأَقوال فيها، إِذا جعلت اسماً للسورة أَو للقرآن أَو إِشارة إِلى حروف المعجم، وإِمَّا على أَن يكون التقدير: هذا تنزيلٌ.

ويجوز أَن يكون ﴿تَنزِيلٞ ﴾ ابتداءً وخبره في قوله: ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ﴾، على معنى: ذُو تنزيل.

و﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ صفتا رجاءٍ ورحمة لله تعالى.

و﴿فُصِّلَتۡ﴾؛ قال السديّ: معناه: بُيِّنَت آياته(٢)، أَي: فُسِّرَت معانيه، ففصل بين حلاله وحرامه، وزجره وأَمره ونهيه، ووعده ووعيده.

وقيل: فُصِّلَت في التنزيل، أَي: نزل نجوماً ولم ينزل مرةً واحدة، وقيل: فصلت بالمواقف وأَنواع أَواخر الآي، ولم يكن يرجع إِلى قافية واحدة ونحوها كالشِّعر والسجع.

= هذا اليوم واعصوني فيما بعده، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاماً ما سمعت أذناي قط كلاماً مثله وما دريت ما أرد عليه.

(١) تقدم أول (سورة غافر) أن فيها ثلاث قراءات سبعية بالإمالة والتقليل والفتح.

(٢) «قال السدي» ليست في الأصل، انظر قوله في تفسير الطبري (٢١/ ٤٢٥).

و﴿قُرۡءَانًا﴾ نصب على الحال عند قوم، وهي مؤكِّدة لأَنّ هذه الحال ليست مما تنتقل.

وقالت فرقة: هو نصب على المصدر.

وقالت فرقة: ﴿قُرۡءَانًا﴾ توطئة للحال و﴿عَرَبِيًّا﴾ حال.

وقالت فرقة: ﴿قُرۡءَانًا﴾ نصب على المدح، وهو قول ضعيف.

وقوله تعالى: ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ قالت فرقة: معناه: يعلمون الأَشياءَ ويعقلون الدلائل وينظرون على طريق نظر، فكأَنّ القرآن فصِّلت آياته لهؤلاءِ إِذ هم أَهل الانتفاع بها، فَخُصُّوا بالذكر تشريفاً، ومن لم ينتفع بالتفصيل، فكأَنّه لم يُفَصَّل له.

وقالت فرقة: ﴿يَعۡلَمُونَ﴾ متعلق في المعنى بقوله: ﴿عَرَبِيًّا﴾، أَي: جعلناه بكلام [العرب لقوم يعلمون أَلفاظه، ويتحققون أَنّها لم يخرج شيءٌ منها عن كلام العرب](١)، وكأَنّ الآية رادَّة على من زعم أَن في كتاب الله ما ليس في كلام العرب، فالعلم ـ على هذا التأْويل ـ أَخصُّ من العلم على التأْويل الأَوّل، والأَول أَشرف معنىً، وبَيِّنٌ أَنه ليس في القرآن إِلَّا ما هو من كلام العرب، إِمَّا من أَصل لغتها، وإِمَّا ما عرَّبته من لغة غيرها، ثمّ ذُكر في القرآن وهو معرَّب مستعمل.

وقوله: ﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ نعتٌ للقرآن، أَي: يبشِّر من آمن بالجنّة ويُنذر من كفر بالنَّار.

والضمير في ﴿أَكۡثَرُهُمۡ﴾ عائد على القوم المذكورين.

وقوله: ﴿فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ نفيٌ لسمعهم النافع، الذي يعتد به سمعاً، ثمّ حكى عنهم مقالتهم الّتي باعدوا فيها كلّ المباعدة، وأَرادوا بها أَن يُؤْيِسُوهُ من قبولهم دينه، وهي: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾.

---

(١) سقط من أحمد٣ والسليمانية.

و﴿أَكِنَّةٍ﴾: جمع كنان، وهو بابُ فِعَالٍ وأَفْعلَة، والكِنَانُ: ما يجمع الشيءَ ويضمّه ويحول بينه وبين غيره، ومنه: الكِنُّ، ومنه: كنانة النبْل، وبها فسَّر مجاهد هذه الآية[١].

و(منْ) في قوله: ﴿مِّمَّا﴾ لابتداء الغاية، وكذلك هي في قوله: ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا﴾ مؤكدة ولابتداءِ الغاية[٢].

و«الوَقْر»: الثِّقَل في الأُذن الّذي يمنع السَّمع.

وقرأ ابن مصرف: (وِقْرٌ) بكسر الواو[٣].

و«الْحِجَابُ الذي أَشاروا إِليه»: هو مخالفته إِيَّاهم، ودعوته إِلى الله دون أَصنامهم، أَي: هذا أَمر يحجبنا عنك.

وهذه مقالة يحتمل أَن تكون معها قرينة الجِدّ في المحاورة وتتضمن المباعدة، ويحتمل أَن تكون معها قرينة الهَزْل والاستخفاف.

وكذلك قوله: ﴿فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ يحتمل أَن يكون القول تهديداً، ويحتمل أَن يكون متاركة محضة.

وقرأَ الجمهور: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ﴾ على معنى الأَمر لمحمد ﷺ.

وقرأَ يحيى بن وثاب، والأَعمش: (قَالَ إِنَّمَا) على معنى المُضيِّ والخبر عنه[٤].

وهذا هو الصدع بالتوحيد والرسالة.

وقوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ﴾، قال الحسن: علَّمه الله تعالى التواضع[٥].

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٤٢٩)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٦)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٤٧٩)، وتفسير السمعاني (٥/ ٣٦).

(٢) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «مؤكدة لابتداء الغاية».

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في مختصر الشواذ (ص: ١٣٣).

(٤) انظر البحر المحيط (٢١/ ١٨٥)، وانظر قراءة الأعمش من رواية المطوعي في إتحاف فضلاء البشر (١/ ٦٨٠)، أما قراءة الجمهور فمتواترة، والأخرى شاذة خارجة عن طرق التيسير والنشر.

(٥) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٦).

و(أَنَّ) في قوله: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ﴾ رفع على المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله.

وقوله: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ﴾ أي: على محجَّة الهدى وطريق الشرع والتوحيد، وهذا المعنى مُضَمَّن في قوله: ﴿إِلَيۡهِ﴾.

و«الوَيْلُ»: الحزن والثبور، وفسَّره الطبريّ وغيره في هذه الآية بقيح أَهل النّار وما يسيل منهم(١).

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قال الحسن، وقتادة، وغيره: هي زكاة المال(٢).

وروي: أَنّ الزكاة قنطرة الإِسلام، من قطعها نجا ومن جانبها هلك(٣).

واحتُجَّ لهذا التأْويل بقول أَبي بكر في الزكاة وقت الرِّدَّة(٤).

وقال ابن عبّاس، والجمهور: الزكاة في هذه الآية: لَا إِله إِلَّا الله التوحيد، كما قال موسى لفرعون: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨](٥).

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٤٣٠)

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٤٣٠)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٦)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٤٨١). وفي المطبوع: «غيرهما».

(٣) لا يصح مرفوعاً، ويروى معضلًا، أخرجه عبد الرزاق (٢/ ١٨٤) عن معمر، والطبري (٢١/ ٤٣٠) من طريق سعيد في تفسيرهما كلاهما ـ معمر، وسعيد ـ عن قتادة قال: كان يقال الزكاة قنطرة الإسلام فمن قطعها برئ ونجا، ومن لم يقطعها هلك، وأخرج الطبراني في الأوسط (٨٩٣٧)، والقضاعي في مسنده (٢٧٠) من طريق بقية بن الوليد، عن الضحاك بن حمرة، عن حطان بن عبد الله الرقاشي، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «الزكاة قنطرة الإسلام»، والضحاك هو الأملوكي الواسطي ضعيف. وفي السليمانية: «خالفها» بدل «جانبها».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٩٢٤)، ومسلم (٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) الأثر أخرجه الطبري (٢١/ ٤٣٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٥) من طريق عكرمة، عن ابن عباس بلفظ أطول من هذا.

ويُرَجِّح هذا التأْويل: أَنّ الآية من أَوّل المكّيِّ، وزكاة المال إنما نزلت بالمدينة، وإِنّما هذه زكاة القلب والبدن، أَي تطهيره[(١)] من الشِّرك والمعاصي، وقاله مجاهد والرَّبيع[(٢)].

وقال الضحّاك ومقاتل: معنى الزكاة هنا: النفقة في الطاعة[(٣)].

وأَعاد الضمير في قوله: ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ توكيداً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾.

ذكر عزَّ وجلَّ حالة الّذين آمنوا معادلاً بذلك حالة الكافرين المذكورين ليتبيَّن الفرق.

وقوله: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، قال ابن عبّاس: معناه: غير منقوص[(٤)].

وقالت فرقة: معناه غير مقطوع، يقال: مَنَنْتُ الحبلَ: إِذا قطَعْتُه.

وقال مجاهد: معناه غير محسوب[(٥)]؛ [لأن كل محسوب][(٦)] محصور، فهو مُعَدٌّ لأنَ يُمَنَّ به.

ويظهر في الآية: أَنّه وصفه بعدم المن والأَذى، من حيث هو من جهة الله تعالى فهو تشريف لا مَنَّ فيه، وأُعطيات / البشر هي الّتي يدخلها المنُّ. [٥/ ٤٦]

---

(١) في المطبوع: «تطهيرهما»، مع الإشارة للمثبت، وفي أحمد٣: «أي لم يطهره»، و«أي لم» في السليمانية ملحقة في الهامش.
(٢) الهداية لمكي (١٠/ ٦٤٨١).
(٣) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٦).
(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٣٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
(٥) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٢٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٦٩)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٦).
(٦) سقط من المطبوع، وفي أحمد٣: «لأن كل محصور محسوب».

وقال السديّ: نزلت هذه الآية في المرضى والزَّمْنى إِذا عجزوا عن إِكمال الطاعات كُتب لهم من الأَجر كأَصح ما كانوا يعملون[١].

ثمّ أَمر الله تعالى نبيَّه بأَن يوقفهم مُوَبِّخاً على كفرهم بخالق الأَرض والسماوات ومخترعهما، ووصف صورة خلقها ومدته، والحكمةُ في خلق هذه المخلوقات في مدّة مُمْتَدَّة مع قدرة الله على إِيجادها في حين واحد، هي إِظهارُ القدرة في ترتيب ذلك حسب شرف الإِيجاد أَوَّلاً أَوَّلاً، قال قوم: لِيُعَلِّم عباده التأَنِّي في الأُمور والمَهَل.

وقد تقدم القول غير مرّة في نظير قوله: ﴿أَئِنَّكُمْ﴾.

واختلف رواة الحديث في اليوم الّذي ابتدأَ الله تعالى فيه خلق الأَرض؛ فروي عن ابن عبّاس وغيره: أَنّ أَوّل يوم هو الأَحد، وأَن الله تعالى خلق فيه وفي الاثنين الأَرض، ثمّ خلق الجبال ونحوها يوم الثلاثاءِ، قال ابن عبّاس: فَمِنْ هنا قيل: هو يوم ثقيل، ثمّ خلق الثمار والشجر والأَنهار يوم الأَربعاءِ.

ومن هنا قيل: هو يوم راحة وتفكُّر في هذه التي خلقت فيه، ثمّ خلق السماوات وما فيها يوم الخميس ويوم الجمعة، وفي آخر ساعة من يوم الجمعة، خلق آدم[٢].

قال السديّ: وسُمِّي يوم الجمعة لاجتماع المخلوقات فيه وتكاملها[٣].

فهذه رواية فيها أَحاديث مشهورة.

ولمَّا لم يخلق الله تعالى في يوم السبت شيئاً امتنع بنو إِسرائيل عن الشغل فيه.

ووقع في «كتاب مسلم بن الحجاج»: أَن أَوّل يوم خلق الله فيه التربة[٤] يوم

---

(١) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٦).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ٤٣٣)، وأبو الشيخ في العظمة (٨٨٣) من طريق شريك بن عبد الله النخعي، عن غالب بن غيلان، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، بنحوه، وشريك بن عبد الله النخعي ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٤٣٢)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٧٣)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٤٩٤).

(٤) في المطبوع: «البريَّةَ».

السبت، ثمّ رتَّب المخلوقات على ستّة أَيّام، وجعل يوم الجمعة عارياً من المخلوقات، إِلَّا من آدم وحده[١].

والظاهر من القصص في طينة آدم: أَن الجمعة الّتي خُلق فيها آدم قد تقدمتها أَيّام وجُمع كثيرة، وأَن هذه الأَيّام الّتي خلق فيها المخلوقات هي أَوّل الأَيّام، لأَنّ بإِيجاد الأَرض والسماءِ والشمس وُجد اليوم.

وقد يحتمل أَن يجعل تعالى قوله ﴿يَوْمَيْنِ﴾ على التقدير، وإِن لم تكن الشمس خلقت بعد وكان تفصيل الوقت يعطي أَنّها الأَحد ويوم الاثنين كما ذُكر.

و«الأَنْدَاد»: الأَشباه والأَمثال، وهذه إِشارة إِلى كلِّ ما عُبد من الملائكة والأَصنام وغير ذلك، قال السديّ: أَكْفَاءٌ من الرجال تطيعونهم[٢].

و«الرَّوَاسيّ»: هي الجبال الثوابت، رَسَا الجبلُ: إِذا ثبت.

وقوله تعالى: ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ أَي: جعلها مُنْبتَةً للطيبات والأَطعمة، وجعلها طهوراً، إِلى غير ذلك من وجوه[٣] البركة.

وفي قراءَة ابن مسعود: (وقَسَّم فيها أَقواتها)، [وفي مصحف عثمان رضي الله عنه: ﴿وَقَدَّرَ﴾[٤].

واختلف النّاس في معنى قوله تعالى: ﴿أَقْوَٰتَهَا﴾][٥]:

---

(١) مسلم (٢٧٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي الأصل: «من المخلوقات على ستة أيام من آدم إلخ».

(٢) انظر تفسير الطبري (١/ ٣٦٨).

(٣) في المطبوع: «أنواع».

(٤) وهي قراءة عامة القراء وهي المتواترة، وقراءة ابن مسعود شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٢)، الطبري (٢١/ ٤٣٩).

(٥) سقط من أحمد٣.

فقال السديّ: هي أَقوات البشر وأَرزاقهم، وأَضافها إِلى الأَرض من حيث هي فيها وعنها.

وقال قتادة: هي أَقوات الأَرض من الجبال والأَنهار والأَشجار والصخور والمعادن والأَشياءِ، الّتي بها قوام الأَرض ومصالحها[١].

وروي عن ابن عبّاس رضي الله عنه في هذا المعنى حديثٌ مرفوعٌ، فشبّهها بالقوت الّذي به قوام الحيوان[٢].

وقال مجاهد: أَراد أَقواتها من المطر والمياه.

وقال عكرمة، والضحّاك، ومجاهد أَيضاً: أَراد بقوله: ﴿أَقْوَٰتَهَا﴾: خصائصَها الّتي قسمها في البلاد، فجعل في اليَمَن أَشياءَ ليست في غيره، وكذلك في العراق والشام والأَندلس وغيرها من الأَقطار، ليحتاج بعضها إِلى بعض، ويتقوّت من هذه في هذه في الملابس والمطعوم[٣]، وهذا نحو القول الأَوّل، إِلاَّ أَنّه بوجه أَعمَّ منه.

وقوله تعالى: ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ يريد: باليومين الأَولين، وهذا كما تقول: بنيتُ جدار داري في يوم، وأَكملتُ جميعها في يومين، أَي بالأَول.

وقرأَ الحسن البصريّ، وأَبو جعفر، وجمهور النّاس: ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب على الحال، أَي: سواءً هي وما انقضى فيها.

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع: ﴿سَوَاءٌ﴾ بالرفع، أَي هي سواءٌ.

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٤٣٥)، والثاني في الهداية لمكي (١٠/ ٦٤٨٨)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٧٠).

(٢) قال السيوطي في «الدر المنثور» (١٣/ ٩٠) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ قال: شق الأنهار، وغرس الأشجار، ووضع الجبال، وأجرى البحار، وجعل في هذه ما ليس في هذه، وفي هذه ما ليس في هذه.

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٤٣٦)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٧)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٤٨٩).

وقرأَ الحسن، وابن أَبي إِسحاق، وعيسى، وعمرو بن عبيد: ﴿سَوَاءٍ﴾ بالخفض على نعت (الأَيَّام)[(١)].

واختلف المتأَوّلون في معنى ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾؛ فقال قتادة، والسُّديُّ: معناه: سواءً لمن سأَل عن الأَمر واستفهم عن حقيقة وقوعه وأَراد العبرة فيه، فإِنّه يجده كما قال عزَّ وجلَّ[(٢)].

وقال ابن زيد وجماعة: معناه: مُسْتَوٍ مُهَيَّأٌ أَمر هذه المخلوقات ونفعها للمحتاجين إِليها من البشر[(٣)]، فعبَّر عنهم بالسَّائلين، بمعنى الطَّالبين؛ لأَنّهم من شأْنهم ولا بُدَّ طَلَبُ ما ينتفعون به، فهم في حكم من سأَل هذه الأَشياءَ؛ إِذ هم أهل حاجة[(٤)] إِليها.

ولفظة (سواء) تجري مجرى: عَدْل، وزَوْرٍ، في أَن ترد على المفرد والجمع والمذكر والمؤنث.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾.

﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ معناه: بقدرته واختراعه، أَي: إِلى خلق السماء وإِيجادها.

وقوله تعالى: ﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾ روي: أَنّها كانت جسماً رخواً كالدخان أَو البخار.

وروي: أَنّه ممّا أَمره الله أَن يصعد من الماءِ[(٥)]، وهنا لفظ متروك يدلّ عليه الظاهر،

---

(١) ثلاث قراءات، الأولى للسبعة، والثانية والثالثة عشريتان، لأبي جعفر ويعقوب، انظر: النشر (٢/ ٣٦٦). «وابن أبي إسحاق» سقط من نجيبويه، وفي السليمانية: «وابن أبي عيسى»، وسقط «عيسى» من الحمزوية.

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٤٣٨).

(٣) انظر قول ابن زيد في تفسير الطبري (٢١/ ٤٣٨)، وسقط اسمه من السليمانية.

(٤) في السليمانية ونجيبويه ونور العثمانية وفيض الله والمطبوع: «بحال حاجة».

(٥) انظر تفسير الطبري (١/ ٤٥٤-٤٦٢).

وتقديره: فأَوجدها وأَتقنها وأَكمل أَمرها، وحينئذ قيل لها وللأَرض: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا﴾.

وقرأَ الجمهور: ﴿ٱئۡتِيَا﴾، من: أَتى يأْتي، ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا﴾ على وزن فَعَلْنا، وذلك بمعنى: ائْتِيَا أَوامري وإِرادتي فيكما.

وقرأَ ابن عبّاس، وابن جبير، ومجاهد: (آتِيَا)، من آتى يُؤْتي، (قالتا آتينا) على وزن أَفْعَلنا[١]، وذلك بمعنى: أَعْطِيَا من أَنفسكما من الطاعة ما أَردتُه منكما، والْإِشارة بهذا كلِّه إِلى تسخيرهما وما قدَّره الله تعالى من أَعمالهما.

وقوله: ﴿أَوۡ كَرۡهًا﴾ فيه محذوف ومقتضب، والتقدير: ائْتِيَا طوعاً وإِلَّا أَتَيْتُما كَرْهاً، وقوله: ﴿قَالَتَآ﴾ أَراد الفرقتين المذكورتين، جعل السماوات / سماءً والأَرضين أَرضاً، ونحو هذا قول الشاعر: [٥/ ٤٧]

أَلَـمْ يَحْزُنْـكِ أَنَّ حبـال قَوْمـي وَقَوْمـكِ قَـدْ تَبَايَنَتَـا انقِطَاعَـا[٢] [الوافر]

جعلها فرقتين وعبَّر عنهما بـ(تَبَايَنَتَا)[٣].

وقوله: ﴿طَآئِعِينَ﴾، لما كانت ممن يقول ـ وهي حالة عقل ـ جرى الضمير في ﴿طَآئِعِينَ﴾ ذلك المجرى، وهذا كقوله: ﴿رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

واختلف النّاس في هذه المقالة من السماءِ والأَرض:

فقالت فرقة: نطقتا حقيقة، وجعل الله تعالى لهما حياة وإِدراكاً يقتضي نطقهما.

وقالت فرقة: هذا مجاز، وإِنّما المعنى أَنَّهما ظهر فيهما من اختيار الطاعة والخضوع والتذلّل ما هو بمنزلة قول: ﴿أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لابن عباس في تفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٧)، ولابن جبير في الشواذ للكرماني (ص: ٤٢٠).

(٢) البيت للقطاميّ كما تقدم في تفسير الآية (٣٣) من (سورة الأنبياء)، والحبال: الصِّلاتُ والعهود، وكتبت في الأصل: «جبال».

(٣) في الأصل: «عنها بائْتِيا»، والمثبت من المطبوع ونجيبويه.

والقول الأَوّل أَحسن؛ لأَنّه لا شيءَ يدفعه، ولأَنَّ العبرة به أَتم، والقدرة فيه أَظهر.

وقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ معناه: صنعهن[1] وأوجدهن، ومنه قول أَبي ذؤيب:

[الكامل] وَعَلَيْهِمَـا مَسْـرُودَتَانِ قَضَاهُمَـا دَاودُ أَوْ صَنَعُ السَّـوَابـغِ تُـبَّـعُ[2]

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ قال مجاهد، وقتادة: أَوحَى إِلى سكّانها وعَمَرتها من الملائكة، وإِليها هي في نفسها ما شاءَ تعالى من الأُمور الّتي بها قوامها وصلاحها[3]، قال السديّ، وقتادة: ومن الأُمور الّتي هي لغيرها مثل ما فيها من جبال البَرَد ونحوه[4]، وأَضاف الله تعالى الأَمر إِليها من حيث هو فيها.

ثمّ أَخبر تعالى أَن الكواكب زيَّن بها السماءَ الدنيا، وذلك ظاهر اللّفظ وهو بحسب ما يقتضيه حسُّ[5] البصر، وقوله تعالى: ﴿وَحِفْظًا﴾ منصوب بإِضمار فعل، أَي: وحفظناها حفظاً.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِشارة إِلى جميع ما ذكر، أَي: أَوجده بقدرته وعزَّته وأَحْكمه بعلمه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾.

المعنى: فإِن أَعرضت قريش والعرب الّذين دعوتهم إِلى الله عن هذه الآيات

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهُذليِّ، كما تقدم في تفسير الآية (١١) من (سورة يونس).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٤٤١)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٤٩٤).

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٤٤١)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٨).

(٥) في الأصل والحمزوية وأحمد٣: «حسن».

البيِّنات، فأَعلمهم بأنك تحذرهم أَن يصِيبهم مثلُ العذاب الّذي أَصاب الأُمم الّتي كذّبت كما تكذّب هي الآن.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾.

وقرأَ النَّخعي، وأَبو عبد الرحمن، وابن محيصن: (صَعْقةً مِثلَ صَعْقَةِ)[١].

فَأَمَّا هذه القراءَة الأَخيرة، فبينة المعنى؛ لأَنّ الصعقة: الهلاك الوَحِيُّ[٢] [لِلإنسان.

وأَمّا الأُولى، فالمعروف في الصاعقة أَنّها الوقعة الشديدة من صوت الرعد، وهي][٣] تكون معها في الَأحيان قطعة نار، فَشُبِّهَت هنا وقْعة العذاب بها؛ لَأنَّ عاداً لم تُعَذَّب إِلَّا بريح، وإِنَّما هذا تشبيه واستعارة، وبالوقعة[٤] فسَّر هنا الصاعقة قتادةُ وغيره[٥].

وخصَّ تعالى عاداً وثموداً بالذكر لوقوف قريش على بلادها في اليمن وفي الحجر بطريق الشّام.

وقوله: ﴿مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾، أَي: قد تقدموا في الزمن واتصلت نذارتهم إِلى أَعمار عادٍ وثمود، وبهذا الاتصال قامت الحجّة.

وقوله: ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾، أَي: جاءَهم رسولٌ بعد اكتمال أَعمارهم وبعد تقدّم وجودهم في الزمن، فلذلك قال: ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾، وجاءَ من مجموع العبارة إِقامة الحجّة عليهم في أَنّ الرسالة والنِّذارة عمّتهم خبراً ومباشرةً.

ولا يتوجه أَن يُجعل ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ عبارة عمَّا أَتى بعدهم في الزمن؛ لأَنّ ذلك لا يلحقهم منه تقصير.

---

(١) وهي شاذة، انظرها في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٥٢).

(٢) سقط من المطبوع، ومعناها: الموت السريع.

(٣) سقط من الأصل.

(٤) في الأصل والحمزوية: «وبالوقيعة».

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٤٤٢)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٤٩٦)، وفي الأصل: «قاله قتادة».

وأَمَّا الطَّبريُّ فقال: الضمير في قوله: ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ عائد على الرُّسل، والضمير في قوله: ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ على الأُمم، وتابَعَه الثعلبيّ[(١)].

وهذا غير قويّ؛ لأَنَّه يُفَرِّق الضمائر ويشعِّب المعنى.

و(أَنْ) في قوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ نصب على إِسقاط الخافض، التقدير: «بأَن».

و﴿تَعْبُدُوٓاْ﴾ مجزوم على النهي، ويتوجه أَن يكون منصوباً على أَن تكون (لا) نافية، وفيه بُعد، وكان من تلك الأُمم إِنكار بعثة البشر واستدعاءُ الملائكة، وهذه أَيضاً كانت من مقالات قريش.

وقوله: ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ ليس على جهة الإِقرار بأَنَّهم أُرسلوا بشيءٍ، وإِنَّما معناه: على زعمكم ودعواكم.

ثمَّ وصف حالة القوم، وأَن عاداً طلبوا التكبُّر ووضعوا أَنفسهم فيه بغير حقٍّ، بل بالكفر والمعاصي، وغرَّتهم قوَّتهم وعظم أَبدانهم والنعم عليهم، فقالوا ـ على جهة التقرير ـ: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾؟ [أَي: لا أَحدَ أَشدُّ منَّا قوَّة][(٢)]، فعرض الله تعالى [موضع النظر][(٣)] بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ الآية، وهذا بيِّنٌ في العقل، فإِنَّ الموجدَ للشيءِ المخترعَ له المُذْهِبَ له متى شاءَ هو أَقوى منه، وأَخبر تعالى عنهم بجحودهم بآياته المنصوبة للنظر والمنزلة من عنده؛ إِذْ لفظ الآيات يعم ذلك [كله في المعنى][(٤)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾.

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢١/ ٤٤٣)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٨).

(٢) من المطبوع وفيض الله ونور العثمانية.

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) من الأصل، وفي نجيبويه: «يغير ذلك»، وفي نور العثمانية: «يغير ذلك فوضح».

رُوي في الحديث: أَنَّ الله تعالى أَمر خزنة الريح، ففتحوا على عادٍ منها مقدار حلقة الخاتم، ولو فتحوا قدر منخر الثور، لهلكت الدنيا[١].

ورُوي: أَنَّ الريح كانت ترفع العِيرَ بأَوقارها فتطيرها، حتّى تطرحها في البحر[٢].

(١) لا يثبت مرفوعاً، أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٨١-٤٨٢)، والترمذي (٣٢٧٤)، والنسائي في الكبرى (٨٥٥٣) من طريق سلام بن سليمان النحوي، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي وائل، عن الحارث بن يزيد البكري ويقال الحارث بن حسان، قدمت المدينة فدخلت على رسول الله ﷺ فذكرت عنده وافد عاد، فقلت: أعوذ بالله أن أكون مثل وافد عاد، قال رسول الله ﷺ: «وما وافد عاد» قال: فقلت: على الخبير سقطت إن عاداً لما أقحطت بعثت قيلاً فنزل على بكر بن معاوية فسقاه الخمر وغنته الجرادتان ثم خرج يريد جبال مهرة فقال: اللهم إني لم آتك لمريض فأداويه ولا لأسير فأفاديه فاسق عبدك ما كنت مسقيه واسق معه بكر بن معاوية يشكر له الخمر التي سقاه فرفع له سحابات فقيل له: اختر إحداهن، فاختار السوداء منهن، فقيل له: خذها رماداً رمدداً لا تذر من عاد أحداً وذكر أنه لم يرسل عليهم من الريح إلا قدر هذه الحلقة يعني حلقة الخاتم ثم قرأ ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ الآية، وأخرجه الترمذي (٣٢٧٣) من طريق سلام بن سليمان، عن عاصم، عن أبي وائل، عن رجل من ربيعة به، والإسناد ضعيف، لحال عاصم في الحديث، وأخرج ابن أبي حاتم (١٨٦٦٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٩٣) وغيرهم من طريق عبد الله بن سليمان، عن دراج، عن عيسى بن هلال الصدفي، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «الريح مسخرة من الثانية يعني من الأرض الثانية فلما أراد الله أن يهلك عاداً أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلك عاداً، قال: أي رب، أرسل عليهم الريح قدر منخر الثور؟ قال له الجبار: لا، إذا تكفأ الأرض ومن عليها، ولكن أرسل بقدر خاتم فهي التي يقول الله في كتابه ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾»، قال ابن كثير في تفسيره (٦/ ٣٢٤): هذا حديث غريب، ورفعه منكر، والأظهر أنه من كلام عبد الله بن عمرو، رضي الله عنه. اهـ، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٤٠) من طريق زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار قال: قلت: لكعب رحمه الله تعالى من ساكن الأرض الثانية قال: الريح العقيم لما أراد الله عز وجل أن يهلك قوم عاد أوحى إلى خزنتها أن افتحوا منها باباً قالوا: يا ربنا مثل منخر الثور، قال: إذا تكفىء الأرض بمن عليها، فقال افتحوا منها مثل حلقة الخاتم.

(٢) انظر الطبري (٢١/ ١٥٧).

وقال جابر بن عبد الله، والتيميّ[١]: حبس عنهم المطر ثلاثة أَعوام، وإِذا أَراد الله بقوم شرّاً، حبس عنهم المطر، وأَرسل عليهم الرياح[٢].

واختلف النّاس في الصَّرصَر:

[٥/ ٤٨] فقال قتادة، والسديّ، والضحّاك: / هو مأْخوذ من الصِّرِّ وهو البَرْد[٣]، والمعنى: ريحاً باردة لها صوت.

وقال مجاهد: صَرْصَر: شديدة السّموم[٤] عليهم.

وقال الطبريُّ وجماعة من المفسِّرين: هو من صَرَّ يصرُّ[٥]: إِذا صوَّت صوتاً يشبه الصاد والراءَ[٦]، وكذلك يجيءُ صوت الريح في كثير من الأَوقات بحسب ما تلقى.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، والأَعرج، والحسن، والنَّخَعي، وعيسى: ﴿نَحْسَاتٍ﴾ بسكون الحاءِ، وهي جمع نحْسٍ، يقال: يومٌ نَحْسٌ، ويومُ[٧] نحْسٍ، فهو مصدر يوصف به أَحياناً [ويضاف إِليه (اليوم) أَحياناً][٨]، وعلى الصفة به جمع في هذه الآية.

---

(١) في حاشية المطبوع: في الأصول: «جابر بن عبد الله التيميّ»، والتيمي هو إبراهيم كما في تفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٠).

(٢) ضعيف، أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ٢٨٩ -٢٩٠) من طريق مقاتل بن حيان، عن إبراهيم التيمي، وعن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: إذا أراد الله بقوم خيراً، أرسل عليهم المطر وحبس عنهم كثرة الرياح، وإذا أراد الله بقوم شرّاً حبس عنهم المطر وأرسل عليهم كثرة الرياح. ومقاتل بن سليمان بن بشير الأزدى الخراساني متروك.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٤٤٤ و٤٤٥)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٧٤)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٤٩٩).

(٤) انظر قوله والقولين قبله في تفسير الطبري (٢١/ ٤٤٤)، وانظر الهداية لمكي (١٠/ ٦٤٩٨).

(٥) في المطبوع: «صَرْصَرَ»، قال وفي الأصول: «صر يصر»، والتصويب عن الطبريِّ والبحر المحيط.

(٦) تفسير الطبري (٢١/ ٤٤٥)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٧٤).

(٧) في المطبوع: «قوم».

(٨) سقط من الأصل.

واحتجّ أَبو عمرو لهذه القراءَة بقوله: ﴿يَوۡمِ نَحۡسٖ﴾ [القمر: ١٩][(١)].

وقال النَّخعيُّ: (نَحَسات) وليست بِنَحِسَات بكسر الحاءِ[(٢)].

وقرأ الباقون، وأَبو جعفر، وشيبة، وأَبو رجاءٍ، وقتادة، والجحدريُّ، والأَعمش: ﴿نَّحِسَاتٖ﴾ بكسر الحاءِ[(٣)]، وهي جمع لِنَحِس على وزن حَذِر، فهو صفة لليوم مأْخوذ من النَّحْس.

وقال الطبريُّ: نَحِسٌ ونَحْسٌ لغتان[(٤)]، وليس كذلك، بل اللُّغة الواحدة تجمعهما، أَحدهما مصدرٌ، والآخر من أَمثلة اسم الفاعل، وأَنشد الفراءُ:

أَبْلِغْ جُذَاماً وَلَخْماً أَنَّ إِخْوَتَهُمْ ... طيّاً وبَهْرَاءَ قومٌ نَصْرُهُمْ نَحِسُ[(٥)] [البسيط]

وقالت فرقة: إِن (نَحْسَاتٍ) بالسكون مخفَّفة من (نَحِسَات) بالكسر، والمعنى في هذه اللَّفظة: مشائيم، من النَّحْس المعروف، قاله مجاهد، وقتادة، والسدي.

وقال الضحاك: معناه: شديدة[(٦)]، أَي شديدة البرد حتى كان البرد عذاباً لهم.

قال أَبو علي: وأَنشد الأَصمعي في النَّحْس بمعنى البرد:

كأَنَّ سُلَافَةً عُرِضَتْ لِنَحْسٍ ... يُحِيلُ شَفيفُها الماءَ الزُّلَالا[(٧)] [الوافر]

---

(١) انظر قوله في تفسير الطبري (٢١/ ٤٤٧).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٣)، والسبعة (ص: ٥٧٦)، والنشر (٢/ ٣٦٦)، والحسن في الأولى زيادة من المطبوع.

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٤٤٧).

(٥) بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٤)، والحجة لابن خالويه (ص: ٣١٧)، والصحاح للجوهري (٣/ ٩٨١).

(٦) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٤٤٧)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٠٠).

(٧) الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ١١٧)، والبيت لابن أحمر، كما في المعاني الكبير (١/ ٤٥٨)، وتهذيب اللغة (٤/ ١٨٥).

وقال ابن عبّاس: ﴿نَّحِسَاتٍ﴾ معناه: متتابعات، وكانت آخر شوال من الأَربعاءِ إِلى الأَربعاءِ[١].

و«عَذَابُ الخِزْيِ في الدُّنْيا»: هو العذاب بسبب الكفر ومخالفة أَمر الله، ولا خِزْيَ أَعظم من هذا، إِلَّا ما في الآخرة من الخلود في النَّار.

وقرأَ جمهور النَّاس: ﴿ثَمُودُ﴾ بغير صرف، وهذا على إِرادة القبيلة.

وقرأَ يحيى بن وثاب، والأَعمش، وبكر بن حبيب: (ثمودٌ) بالتنوين والإِجراءِ، وهذا على إِرادة الحيِّ، وبالصرف كان الأَعمش، ويحيى بن وثاب يقرآن في جميع القرآن، إِلَّا في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ٥٩][٢]؛ لأَنَّه في المصحف بغير أَلف.

وقرأَ ابن أَبي إِسحاق، والأَعرج بخلاف، والأَعمش، وعاصم: (ثمُودَ) بالنصب[٣].

وهذا على إِضمار فعل يدل عليه قوله: ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾، وتقديره عند سيبويه: مهما يكن من شيءٍ فهدينا ثمود هديناهم، والرفع عنده أَوجه[٤].

ورُوي عن ابن أَبي إِسحاق، والأَعمش: (ثَمُوداً) منونةً منصوبةً، وروى المفضل عن عاصم الوجهيْن[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٤٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) قد تقدمت الإشارة لهذا هناك، وهي شاذة، وانظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٢١)، ويحيى بن وثاب ساقط من الأصل.

(٣) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٢١) للأعرج وقتادة.

(٤) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «والرفع عنده أوجب»، وانظر الكتاب لسيبويه (١/ ٨١).

(٥) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٢١)، وانظر الوجهين للمفضل في جامع البيان (٤/ ١٥٦١). وفي الأصل: «الفضل».

وقوله تعالى: ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ معناه: بَيَّنَّا لهم، قاله ابن عبّاس[١] وقتادة والسديّ وابن زيد[٢].

وليس الهُدى هنا بمعنى الإِرشاد، وهذا كما هي الآن شريعة الإِسلام مبينة لليهود والنصارى المختلطين لنا، ولكنهم يعرضون ويشتغلون بالضد[٣]، فذلك استحباب العمى على الهدى.

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟﴾ عبارة عن تكسبهم في العمى، وإِلَّا فهو بالاختراع لله تعالى، ويدلُّك على أَنَّها إِشارة إِلى تكسُّبهم قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ وصف بالمصدر، والمعنى: الذي معه هوان وإِذلال، ثمَّ قرن تعالى بذكرهم ذكر من آمن واتقى ونجاته[٤] ليُبَيِّنَ الفرق.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ﴾ نصب بإِضمار فعل تقديره: واذكر يومَ.

وقرأ نافع وحده، والأَعرج، وأَهل المدينة: ﴿نَحْشُرُ﴾ بالنون ﴿أَعْدَاءَ﴾ بالنصب، إِلَّا أَن الأَعرج كسر الشين.

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٤٨) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٤٤٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٤/ ٣٨٣)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٠٠ و٦٥٠١). وسقط «السدي» من الأصل.

(٣) في الأصل: «بالصدّ».

(٤) في المطبوع: «ونَجا به»، وفي الحمزوية: «ونجي».

وقرأَ الباقون: ﴿يُحۡشَرُ﴾ بالياءِ المرفوعة ﴿أَعۡدَآءُ﴾ رفعاً، وهي قراءَة الأَعمش، والحسن، وأَبي رجاءٍ، وأَبي جعفر، وقتادة، وعيسى، وطلحة، ونافع فيما روي عنه(١)، وحجتها ﴿يُوزَعُونَ﴾.

و﴿أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ﴾: هم الكفار المخالفون لأَمره.

و﴿يُوزَعُونَ﴾؛ قال قتادة والسدي وأَهل اللُّغة: يُكَفُّ أَوَّلُهُم حبساً على آخرهم(٢).

وفي حديث أَبي قحافة يَوْمَ الفتح: ذلك الوازع، وقال الحسن البصريُّ: لا بُدَّ للقاضي من وَزَعة(٣)، وقال أَبو بكر الصدِّيق: إِنِّي لا أُقيد مِن وزعة اللهِ تعالى(٤).

و﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية لهذا الحشر المذكور، وهذا وصف حال من أَحوالهم في بعض أَوقات القيامة، وذلك عند وصولهم إِلى جهنَّم، فإِنَّ الله تعالى يستقرهم(٥) على أَنفسهم، ويُسأَلون سؤال توبيخ عن كفرهم، فينكرون ذلك ويحسبون أَنْ لا شاهد عليهم، ويظنّون السؤال سؤال استفهام واستخبار، فينطق الله تعالى جوارحهم بالشهادة عليهم.

فروي عن النبيِّ ﷺ: «أنَّ أَوَّل ما ينطق من الإِنسان فخذه اليسرى، ثمَّ تنطق

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير في القراءات السبع (ص: ١٩٣)، والسبعة في القراءات (ص: ٥٧٦)، النشر (٢/ ٣٦٦)، والوجه الثاني لنافع من رواية أبي خليد، كما في الكامل للهذلي (ص: ٦٣٢)، وانظر قراءة الأعرج في الشواذ للكرماني (ص: ٤٢١)، وهي شاذة.

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٤٥١)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٠)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٠٢). وسقط «السدي» من المطبوع.

(٣) التمهيد لابن عبد البر (١/ ١١٨)، وحديث أبي قحافة سبق تخريجه في (سورة النمل) آية (١٧).

(٤) جيد، هذا جزء من الحديث الذي أخرجه الطبراني في الكبير (٩٦٣) من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم أخبرني المغيرة بن شعبة قال: كنت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه... وفيه أن أبا بكر قال: بلغني أن ناساً يزعمون أني مقيدهم من المغيرة بن شعبة ولأن أخرجهم من ديارهم أقرب من أن أقيدهم من وزعة الله الذين يزعون عباده. وفي المطبوع: «مَن وَزَعه».

(٥) في المطبوع: «سيقررهم عند ذلك».

الجوارح، فيقول الكافر: تبّاً لك أَيتها الأَعضاءُ فعنكِ كنت أُدافع»[(١)].

وفي حديث آخر: «يجيئون يوم القيامة وعلى أَفواههم الفدام فيتكلم الفخذ والكفُّ»[(٢)].

ثمَّ ذكر تعالى محاورتهم لجلودهم في قولهم: ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾، أَي: وعذابُنا عذابٌ لكم، واختلف النّاس، ما المرادُ بالجلود؟

فقال جمهور النّاس: هي الجلود المعروفة.

وقال عبيد الله بن أَبي جعفر[(٣)]: كنَّى بالجلود عن الفروج وإِيَّاها أَراد[(٤)].

وأَخبر تعالى أَنَّ الجلود تردُّ جوابهم / بأَنَّ الله الخالق المبدئ المعيدَ هو الّذي أَنطقهم. [٥/ ٤٩]

وقوله تعالى: ﴿أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ يريد: كلَّ شيءٍ ناطقٍ، مما هي فيه عادة أَو خرق عادة.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ يحتمل أَن يكون من كلام الجلود ومحاورتها، ويحتمل أَن يكون من كلام الله عزَّ وجلَّ لهم، أَو من كلام مَلَك بأَمره تعالى، وأَمَّا المعنى فيحتمل وجهين: أَحدهما أَن يريد: وما كنتم تتصاوَنُونَ وتحجزون

---

(١) حسن: هذا الحديث أخرجه أحمد (٤/ ٤٤٦)، والنسائي في الكبرى (١١٤٣١)، والطبري (٢١/ ٤٥٣)، والطبراني (١٠٣٨) من طريق يحيى بن بكير، عن شبل، عن أبي قزعة، عن عمرو بن دينار، عن حكيم بن معاوية، عن أبيه مرفوعاً بلفظ مطول.

(٢) حسن: هذا الحديث أخرجه الطبري (٢١/ ٤٥٣) من طريق حكيم بن معاوية، عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «وتجيئون يوم القيامة على أفواهكم الفدام، وإن أول ما يتكلم من الآدمي فخذه وكفه».

(٣) هو عبيد الله بن أبي جعفر الليثي المصري الفقيه أبو بكر، مولى عروة بن شييم الليثي، رأى عبد الملك بن الحارث الزبيدي وسمع الأعرج وأبا سلمة والشعبي، وروى عنه ابن إسحاق والليث وابن لهيعة وغيرهم، ثقة توفي سنة (١٣٢هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٤٧٧).

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٤٥١)، وهو في الهداية لمكي (١٠/ ٦٥٠٣)، وتفسير السمعاني (٥/ ٤٦) لأكثر المفسرين.

أَنفسكم عن المعاصي والكفر، خوف أَن يُشْهد، أَو لأَجل أَن يُشهد، ولكنَّكم ظننتم أَن الله لا يعلم، فانهمكتم[١] وجاهرتم، وهذا هو مَنْحى مجاهد[٢].

والسَّتْر قد يتصرف على هذا المعنى ونحوه، ومنه قول الشاعر:

[السريع] والسَّـتْرُ دونَ الفاحِشـاتِ ومَـا يَلْقَـاكَ دونَ الخَيْـرِ مِـنْ سـتْرِ[٣]

والمعنى الثاني أَن يريد: وما كنتم تمتنعون ولا يُمكنكم ولا يسعكم الاختفاءُ عن أَعضائكم والاستتارُ عنها بكفركم ومعاصيكم، ولا تظنّون أَنّها تصل بكم إِلى هذا الحدّ، وهذا هو منحى السديّ[٤]، كأَنَّ المعنى: وما كنتم تدفعون بالاختفاءِ والسَّتر أَن يشهد؛ لأَنَّ الجوارح لزيمة لكم، وفي إِلزامه إِيّاهم الظنَّ بأَنَّ الله لا يعلم هو إِلزامهم الكفر والجهل بالله، وهذا المعتقد يؤدي بصاحبه إِلى تكذيب أَمر الرسل، واحتقار قدرة الإِله لا ربَّ غيره.

وفي مصحف ابن مسعود: (ولكن زعمتم أَن الله)[٥].

وحكى الطبريُّ عن قتادة أَنَّه عبَّر عن (تَسْتَتِرُونَ) بـ(تظنون)[٦]، وذلك تفسير لم ينظر فيه إِلى اللَّفظ ولا ارتبط فيه معه.

وذكر الطبريُّ وغيره حديثاً عن عبد الله بن مسعود قال: إِنِّي لَمُسْتَتِرٌ بأَستار الكعبة، إِذ دخل ثلاثة نفر، قرشيان وثقفيٌّ، أَو ثقفيان وقرشيٌّ، قليلٌ فقْهُ قلوبهم، كثيرٌ شحمُ بطونهم، فتحدثوا بحديث، فقال أَحدهم: أَترى الله يسمع ما قلنا؟ قال الآخر: إِنَّه يسمع إِذا رفْعنا ولا يسمع إِذا أَخفينا، وقال الآخر: إِن كان يسمع شيئاً منه، فإِنَّه يسمعه

(١) في الأصل وفيض الله: «فانهملتم».
(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٤٥٤)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٩١)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٠٧).
(٣) البيت لزهير كما في إيضاح الشواهد (١/ ٣٨٠)، وعيون الأخبار (١/ ٩٩)، وأمالي القالي (١/ ٩١). وفي فيض الله: «من شر».
(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٤٥٤)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٩١)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٠٧).
(٥) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ١٦).
(٦) تفسير الطبري (٢١/ ٤٥٤). وفي الأصل والحمزوية: «تبطنون».

كلَّه، فجئت رسول الله ﷺ وأَخبرتُه بذلك، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ الآية، فقرأ حتّى بلغ ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾[(١)].

وذكر النقَّاش أَنَّ الثلاثة: صفوان بن أُميَّة، وفرقد بن ثُمامة، وأَبو فاطمة[(٢)].

وذكر الثعلبيُّ: أَنَّ الثَّقفيَّ عَبْدُ ياليل، والقُرَشييْن خَتَناه: ربيعة وصفوان ابنا أُميَّة ابن خلف[(٣)].

ويشبه أَن يكون هذا بعد فتح مكَّة، فالآية مدنية، ويشبه أَن رسول الله ﷺ قرأَ الآية متمثلاً بها عند إِخبار عبد الله إِيّاه، والله أَعلم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ رفع بالابتداءِ، والإِشارة به إِلى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ﴾، قال قتادة: الظَّنُّ ظنَّان، ظنٌّ مُنْجٍ وظنٌّ مُهلك[(٤)].

قال القاضي أَبو محمد: فالمُنْجي هو أَن يظنَّ الموحِّد العارف بربِّه أَنَّ الله يرحمه، والمُهلك ظنون الكفرة الجاهلين على اختلافها، وفي هذا المعنى ليحيى بن أَكثم رؤْيا حسنة مؤنسة[(٥)].

و﴿ظَنُّكُمُ﴾ خبر ابتداءٍ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٧٥) وغيره، ووقع في إسناده اختلاف وصوب أبو حاتم والدارقطني الإسناد الواقع في صحيح مسلم، انظر العلل لابن أبي حاتم (١٧٩١) وعلل الدارقطني (٨٨١).

(٢) لم أقف عليه، ولم أجد لفرقد ولا لأبي فاطمة ذكراً.

(٣) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٩١). وفي الحمزوية: «ابنا ربيعة».

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٤٥٧)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥١٠).

(٥) وذلك أنه رئي بعد موته في النوم فقيل له ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني الله بين يديه وقال: يا شيخ =

وقوله: ﴿أَرۡدَىٰكُمۡ﴾ يصحُّ أَن يكون خبراً بعد خبر، وجوَّزَ الكوفيون أَن يكون في موضع الحال، والبصريون لا يُجيزون وقوع الماضي حالاً إلا[1] إِذا اقترن بـ: (قد)، تقول: رأَيت زيداً قد قامَ، وقد يجوز تقديرها عندهم وإِن لم تظهر.

ومعنى ﴿أَرۡدَىٰكُمۡ﴾: أَهلككم، والرَّدى: الهلاكُ.

وقوله تعالى: ﴿ فَإِن يَصۡبِرُواْ ﴾ مخاطبة لمحمد ﷺ، والمعنى: فإِن يصبروا أَو لا يصبروا، واقتصر لدلالة الظاهر على ما تُرك.

و«المَثْوَى»: موضع الإِقامة.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ﴾ بفتح الياءِ وكسر التاءِ الأخيرة على إِسناد الفعل إِليهم، ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ﴾ بفتح التاءِ، على معنى: وإِن يطلبوا العُتْبَى، وهي الرِّضا، فما هم ممن يعطاها ويستوجبها.

وقرأَ الحسن، وعمرو بن عبيد، وموسى الأَسواريُّ: (وإِن يُسْتَعْتَبُوا) بضم الياءِ وفتح التاءِ الثانية: (فما هم من المعتِبين) بكسر التاءِ[2]، على معنى: وإِن طُلب عندهم خير أَو صلاح، فما هم ممن يوجد عنده؛ لأَنَّهم فارقوا الدنيا دار الأَعمال، كما قال ﷺ: «ليس بعد الموت مُسْتعْتَب»[3].

= السوء فعلت وفعلت،... وفيه: فقلت حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس عن نبيك ﷺ عن جبريل أنك قلت: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وكنت أظن بك أن لا تعذبني»، فقال الله عز وجل: صدق جبريل وصدق نبيِّي وصدق أنس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقتُ ... إلخ، انظر تمامها في إحياء علوم الدين (٤/ ١٤٥).

(١) «إلا» ليست في المطبوع والأصل ونجيبويه.

(٢) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٢٤٤).

(٣) فيه من لم يعرف، أخرجه القضاعي في مسنده (١١٨٩) من طريق كيسان أبي دهثم بن سليمان الهجيمي، عن أبي زيد قمامة الهزاني، عن محمد بن يزيد، عن أبي حميد الساعدي قال خطب رسول الله ﷺ فقال في خطبته: «ليس بعد الموت مستعتب». وقمامة الهزاني لم أقف له على ترجمة، ومحمد بن يزيد لم أعرفه.

ويحتمل أَن تكون هذه القراءَة بمعنى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

ثمَّ وصف عزَّ وجلَّ حالهم في الدنيا وما أَصابهم به حين أَعرضوا، فحتم عليهم فقال: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾؛ أَي: يسَّرنا لهم قُرناءَ سوءٍ من الشياطين وغُواة الإِنس، وقوله: ﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، أَي: علَّموهم وقَرَّروا في نفوسهم معتقدات سوءٍ في الأُمور الّتي تقدمتهم: من أَمر الرُّسل، والنُّبُوَّاتِ، ومدحِ عبادة الأَصنام، واتِّباع فعل الآباءِ إِلى غير ذلك مما يقال فيه: إِنَّه بين أَيديهم، وذلك كل ما تقدمهم في الزمان واتَّصل إِليهم أَثره أَو خبره، وكذلك أَعطوهم معتقدات سوءٍ فيما خلفهم، وهو كلُّ ما يأْتي بعدهم من أَمر القيامة والبعث ونحو ذلك مما يقال فيه: إِنه خلف الإِنسان، فزينوا لهم في هذين كلَّ ما يُرديهم ويفضي بهم إِلى عذاب جهنّم.

وقوله: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ أَي: سبق القضاءُ الحتم وأَمر الله بتعذيبهم في جملة أُممٍ مُعَذَّبين كفَّار من الجنِّ والإِنس، / وقالت فرقة: ﴿فِىٓ﴾ بمعنى: مَعْ، [أَي: مع أمم][1]، والمعنى يتأَدَّى بالحرفين، ولا نحتاج إِلى أَن نجعل حرفاً بمعنى حرفٍ، إِذ قد أَبى ذلك رؤساءُ البصريين. [٥/ ٥٠]

قوله عز وجل: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ حكايةٌ لما فعله بعض قريش؛ كأَبي جهل وغيره، وذلك أَنَّ رسول الله ﷺ كان يقرأُ القرآن في المسجد الحرام، ويُصغي إِليه النّاس من مؤمن وكافر، فخشي الكفار استمالة القلوب بذلك، فقالوا: متى قرأَ محمد فلنلغط[2] نحن بالمُكاءِ والصفير والصياح وإِنشاد الشِّعر والأَرجاز، حتّى يخفى صوته ولا يقع الاستماع منه[3]، وهذا الفعل منهم هو اللَّغْوُ.

وقال أَبو العالية: أَرادوا: قعوا فيه وعيبوه[4].

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) في المطبوع: «فَلْنُغَطِّ».

(٣) ذكره الطبري في تفسيره (٢١/ ٤٦٠) عن مجاهد.

(٤) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٥٦).

واللَّغْوُ في اللُّغة: سَقط القول الّذي لا معنى له، أَو هو من [الخساسة والبطول][(١)] في حكم ما لا معنى له.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَٱلْغَوْا۟﴾ بفتح الغين وجَزْم الواو.

وقرأَ بكر بن حبيب السَّهْمي: (وَالْغُوا) بضم الغيْن وسكون الواو، ورويت عن عيسى، وابن أَبي إِسحاق بخلاف عنهما، وهما لغتان[(٢)]، يقال: لَغَا يَلْغُو، ويقال: لَغِيَ يَلْغَى، ويقال أَيضاً: لَغَا يَلْغَى، أَصله يَفْعِل بكسر العين فردَّه حرف الحلْق إِلى الفتح.

فالقراءَة الأُولى من يَلْغَى، والقراءَة الثانية من يَلْغُو، قاله الأَخفش[(٣)].

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ أَي تطمسون أَمر محمد عليه السلام وتُميتون ذكره وتصرفون القلوب عنه، فهذه الغلبة[(٤)] الّتي تَمَنَّوْها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ﴾، الفاءُ دخلت على لام القَسَم، وهي آية وعيد لقريش.

و«العذاب الشديد»: هو عذاب الدنيا في بدْرٍ وغيرها.

و«الجزاءُ بأَسوأ أَعمالهم»: هو عذاب الآخرة.

---

(١) في المطبوع: «الحاسة»، وفي نجيبويه: «الحساسة»، وفيها: «التَّطَوُّل»، وفي نور العثمانية: «الحساسة والطول».

(٢) وهي شاذة، انظرها في تفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٢٦٢)، والمحتسب (٢/ ٢٤٥).

(٣) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٠٦).

(٤) في الأصل: «الغاية».

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الجزاءِ المتقدم، و﴿جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ﴾ خبر الابتداءِ، و﴿ٱلنَّارُ﴾ بدل من قوله تعالى: ﴿جَزَآءُ أَعۡدَآءِ﴾، ويجوز أَن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر ابتداءٍ تقديره: الأَمر ذلك، ويكون قوله: ﴿جَزَآءُ أَعۡدَآءِ﴾ ابتداءً، و﴿ٱلنَّارُ﴾ خبره.

وقوله: ﴿لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ﴾ أَي: موضع البقاءِ ومسكن العذاب الدائم، فالظرفية في قوله: ﴿فِيهَا﴾ متمكنة على هذا التأْويل، ويحتمل أَن يكون المعنى: هي لهم دار الخلد، ففي قوله: ﴿فِيهَا﴾ معنى التحذير[1]، كما قال الشاعر:

.... وفي اللَّهِ إِنْ لَمْ تُنْصِفُوا حَكَمٌ عَدْلُ[2] [الطويل]

وفي قراءَة عبد الله بن مسعود: (ذلك جَزاءُ أَعداءِ اللَّهِ النارُ دارُ الخُلْد)، وسقط: (لَهُمْ فِيها)[3].

وجحودهم بآيات الله مطردٌ في علاماته المنصوبة لخلْقه، وفي آيات كتابه المنزَّلة على نبيِّه.

ثمَّ ذكر عزَّ وجلَّ مقالة كفارٍ يوم القيامة، إذا دخلوا النّار، فإِنَّهم يرون عظيم ما حلَّ بهم وسُوءَ منقلبهم، فتجول أَفكارهم فيمن كان سبب غوايتهم وبادئ ضلالتهم، فيعظم غيظهم وحنقهم عليه، ويودون أَن يحصل في أَشدِّ عذاب، فحينئذ يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا﴾.

وظاهر اللّفظ يقتضي أَن (الّذي) في قولهم: ﴿ٱلَّذَيۡنِ﴾ إِنَّما هو للجنس، أَي: أَرنا كلَّ مغو ومضل[4] من الجنِّ والإِنس، وهذا قول جماعة من المفسرين.

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «التحديد»، وفي الحمزوية ونجيبويه: «التجريد»، وفي نور العثمانية: «التحرير».
(٢) صدره: أفاءت بنو مروان ظلماً دماءنا. وهو لأَبي الخطَّار كما تقدم في تفسير الآية (٢٦) من (سورة آل عمران).
(٣) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٦٤).
(٤) سقط من المطبوع، وسقط «مغو» من الأصل.

وقال عليُّ بن أَبي طالب(١)، وقتادة: طلبوا ولد آدم الّذي سنَّ القتل والمعصية من البشر، وإِبليس الأَبالسة من الجنِّ(٢).

قال القاضي أَبو محمد: وتأَمل، هل يصحُّ هذا عن عليٍّ بن أَبي طالب رضي الله عنه؟ لأَنَّ ولد آدم مؤمن عاصٍ، وهؤلاءِ إِنَّما طلبوا المُضلِّين بالكفر المؤدي إِلى الخلود، وإِنَّما القويُّ أَنَّهم طلبوا النوعين، وقد أَصلح بعضهم هذا القول بأَن قال: يطلب ولَدَ آدم كلُّ عاصٍ دخل النّار من أَهل الكبائر، ويطلب إِبليسَ كلُّ كافر، ولفظ الآية يزحم هذا التأْويل؛ لأَنَّه يقتضي أَنَّ الكفار إِنَّما طلبوا اللَّذَيْن أَضلَّا.

وقرأَ نافع، وحمزة، والكسائي: ﴿أَرِنَا﴾ بكسر الراءِ، وهي رؤْية عين، ولذلك هو فعل يتعدى إِلى مفعولين.

وقرأَ ابن كثير، وابن عامر، وأَبو بكر عن عاصم: ﴿أَرْنَا﴾ بسكون الراءِ، فقال هشام ابن عمَّار عن ابن عامر: هو خطأٌ، وقال أَبو عليٍّ: هي مخفَّفة من (أَرِنَا) كما قالوا: ضحْك وفخْذ، وقرأَ أَبو عمرو بإِشمام الرّاءِ الكسر، ورويت عن أَهل مكّةَ(٣).

---

(١) أخرجه الثوري في تفسيره (ص٢٦٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٨٣٣٢)، والطبري (٢١/ ٤٦٢) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ٤٩) من طريق حبة العرني، عن علي بن أبي طالب به، وحبة ابن جوين العرني صدوق له أغلاط، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٨٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٨٣٣٣)، والطبري (٢١/ ٤٦٢-٤٦٣)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣١٣-٤٤١) من طريق سلمة بن كهيل، عن مالك بن حصين بن عقبة الفزاري، عن علي به، ومالك بن حصين ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٣١٣)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٨/ ٢٠٨)، ولم يذكروا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في الثقات (٥/ ٣٨٩).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٤٦٣)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥١٨).

(٣) وهما سبعيتان، الإسكان لابن كثير وابن عامر وشعبة والسوسي، واختلس الدوري، انظر التيسير (ص: ١٩٣)، وانظر قول هشام في السبعة (ص: ٥٧٦)، وقول أبي علي في الحجة للقراء السبعة له (٦/ ١٢٣). و«عن ابن عامر» ليست في الأصل، وفي المطبوع: «عن عامر»، وفي الحمزوية: «عن ابن عمار»، وفي المطبوع: «أبو عمرو» بدل «ابن عامر» الأول.

وقوله: ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ يريدون: في أَسفل طبقة من النار، وهي أَشدُّ عذاباً، وهي دَرْك المنافقين.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ الآيةُ؛ آيةُ وَعْدٍ للمؤمنين، قال سفيان بن عبد الله الثقفيُّ[١]: قلتُ للنبيِّ ﷺ: أَخبرني بأَمر أعتصم به، فقال: «قل ربِّي الله ثمَّ استقم»، قلت: ما أَخوف ما تخاف عليَّ؟ فأَخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه وقال: «هذا»[٢].

واختلف النّاس في مقتضى قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ فذهب الحسن، وقتادة، وجماعة إِلى أَنَّ معناه: استقاموا بالطاعات واجتناب المعاصي[٣]، وتلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الآية وهو على المنبر، ثمَّ قال: استقاموا والله لله تعالى بطاعته، ولم يروغوا روغان الثعالب[٤].

قال القاضي أَبو محمد: ذهب رضي الله عنه إِلى حمل النّاس على الأَتمِّ الأَفضل،

---

(١) هو سفيان بن عبد الله بن أبي ربيعة الثقفيّ الطائفيّ، أسلم مع الوفد، ووقع في رواية مرسلة لابن أبي شيبة: أنّ النبي ﷺ استعمله على الطائف، روى عنه أولاده: عاصم، وعبد الله، وعلقمة، وعمرو، وأبو الحكم، وغيرهم. الإصابة (٣/ ١٠٤).

(٢) أصله في مسلم بنحوه إلى قوله: استقم، وما بعده صحيح، بهذا اللفظ رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (١٣٢٧)، وأحمد في مسنده (٣/ ٤١٣-١٣/ ٤١٣)، والدارمي (٢٧١١)، والترمذي (٢٤١٠)، وابن ماجه (٣٩٧٢)، والنسائي في الكبرى (١١٧٧٦-١١٧٧٧) من طريق ابن شهاب الزهري، عن عبد الرحمن بن ماعز، عن عبد الله بن سفيان الثقفي به، قال الترمذي: حسن صحيح.اهـ، والحديث أخرجه مسلم (٣٨) من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك وفي رواية غيرك قال قل آمنت بالله ثم استقم.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٤٦٥) وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٤) والهداية لمكي (١٠/ ٦٥١٩).

(٤) منقطع، أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٢٥)، وأحمد في الزهد (ص: ١٤٤)، والطبري (٢١/ ٤٦٥) من طريق يونس بن يزيد، عن الزهري قال: إن عمر بن الخطاب تلا هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ قال: استقاموا والله لله بطاعته ولم يروغوا روغان الثعالب. والزهري لم يدرك عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.

وإِلَّا فَيَلْزَم على هذا التأْويل من دليل الخطاب، أَلَّا تتنزّل الملائكة عند الموت على غير مستقيم على الطاعة.

[٥/ ٥١] وذهب / أَبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه وجماعة معه إِلى أَن المعنى: ثمّ استقاموا على قولهم: ﴿ربُّنا الله﴾، فلم يَخْتَلَّ توحيدهم ولا اضطرب إِيمانهم[١].

وروى أَنس بن مالك: أَنَّ رسول الله ﷺ قرأَ هذه الآية وقال: «قد قالها النّاس، ثمَّ كفر أَكثرهم، فمن مات عليها، فهو ممن استقام»[٢].

المعنى: فهو في أَوَّل درجات الاستقامة، أَمن الخلود، فهذا كقوله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إِله إِلَّا الله دخل الجنَّة»[٣]، وهذا هو المعتقد إِن شاءَ الله.

---

(١) صحيح، أخرجه الثوري في تفسيره (ص٢٦٦)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٨٧) وغيرهم من طريق الثوري، عن أبي إسحاق السبيعي، عن عامر بن سعد البجلي، عن سعيد بن نمران، عن أبي بكر قال: قد قرأت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ قال: هم الذين لم يشركوا بالله شيئاً، وأخرجه الطبري (٢١/ ٤٦٤)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٤٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠) من طريق عبد الله بن إدريس، عن سليمان ابن أبي سليمان وهو فيروز ـ أبو إسحاق ـ الشيباني، عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري، عن الأسود بن هلال المحاربي، عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال لأصحابه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ قال: قالوا: ربنا الله ثم عملوا بها، قال: لقد حملتموها على غير المحمل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ الذين لم يعدلوها بشرك ولا غيره، وفي لفظ قال: قال أبو بكر: ما تقولون في هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ قال: ربنا الله ثم استقاموا من ذنب، قال: فقال أبو بكر: لقد حملتم على غير المحمل، قالوا: ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا إلى إله غيره.

(٢) ضعيف، أخرجه الترمذي (٣٢٥٠)، والنسائي في الكبرى (١١٤٧٠)، والبزار في مسنده (٦٨٨٥)، وأبو يعلى في مسنده (٣٤٩٥)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٠)، والطبري (٢١/ ٤٦٣-٤٦٤)، وابن عدي في الكامل (٣/ ١٢٨٨) من طريق سلم بن قتيبة أبو قتيبة، عن سهيل بن أبي حزم القطعي، عن ثابت، عن أنس به، وسهيل بن أبي حزم القطعي ضعيف، قال أحمد بن حنبل: روى عن ثابت أحاديث منكرة، وانظر تهذيب الكمال (١٢/ ـ ٢١٧-٢١٨).

(٣) له طرق تقويه، جاءت عدة أحاديث في هذا الباب منها ما أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٣٣-٢٤٧)، وأبو داود (٣١١٦)، والبزار في مسنده (٢٦٢٦)، والطبراني في الكبير (٢٢١)، والحاكم في =

وذلك أَن العصاة من أُمَّة محمد ﷺ وغيرها فرقتان: فأَمَّا من قضى الله بالمغفرة له وترك تعذيبه، فلا محالة أَنَّه ممن تتنزَّل عليه الملائكة بالبشارة، وهو إِنَّما استقام على توحيده فقط، وأَما من قضى الله بتعذيبه مدَّةً[1]، ثمَّ بإِدخاله الجنّة، فلا محالة أَنَّه يلقى جميع ذلك عند موته ويعلمه، وليس يصحُّ أَن تكون حاله كحالة الكافر اليائس من رحمة الله، وإذ قد كان هذا، فقد حصلت له بشارة بأَلَّا يخاف الخلود ولا يحزن منه، وبأَنَّه يصير آخراً إِلى الخلود في الجنَّة، وهل العصاة المؤمنون، إِلَّا تحت الوعد بالجنَّة؟ فهم داخلون فيمن يقال لهم: ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾، ومع هذا كلّه،

= المستدرك (١/ ٣٥٠-٤٩٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٢٣٤) من طريق عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مرة، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»، وصالح روى عنه غير واحد وذكره ابن حبان في الثقات. ينظر البدر المنير (٥/ ١٨٨-١٨٩)، والتلخيص الحبير (٢/ ٢٤٣)، وقد بوب البخاري بلفظ هذا الحديث فقال في أول (كتاب الجنائز): باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله، وقيل إنه أشار إلى هذا الحديث، وقد وقعت قصة بهذا الحديث مع أبي زرعة الرازي وهو يحتضر، وذلك في حضور أبي حاتم ومحمد بن مسلم بن وارة وجماعة، أرادوا تلقينه الشهادة فهابوه وذكروا الإسناد عنده ولم يكملوا الحديث، فأتمه أبو زرعة وكان آخر كلامه رحمه الله، وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧١٩ ـ موارد) من طريق محمد بن إسماعيل الفارسي حدثنا الثوري عن منصور عن هلال بن يساف عن الأغر عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله» فزاد فيه: «من كان آخر كلامه لا إله الا الله دخل الجنة يوماً من الدهر أصابه قبل ذلك ما أصابه» وهذه الزيادة أخرجها البزار من وجه آخر وليس عنده التقيد بالآخرية. قاله الحافظ في اللسان (٥/ ٧٧)، ورجاله كلهم ثقات معروفون غير محمد ابن إسماعيل هذا، وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال: يغرب، وأخرج ابن أبي شيبة في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٦١٢٥)، وأحمد (٥/ ٣٩١) من طريق حماد بن سلمة، عن عثمان البتي، عَنْ نُعَيْمِ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ مُسْنِداً النَّبِيَّ ﷺ إِلَى صَدْرِي، قَالَ: فَقَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْماً ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، قال البوصيري: إسناده صحيح.

(١) سقط من الحمزوية، وفي الأصل: «مرة».

فلا يُختلف في أَنَّ الموحِّد المستقيم على الطاعة، أَتَمُّ حالاً وأَكمل بشارة، وهو مقصد أَمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وعلى نحو ذلك قال سفيان الثوريُّ: ﴿ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾: عملوا بنحو ما قالوا.

وقال الربيع: أَعرضوا عما سوى الله تعالى.

وقال الفضيل: زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية[١].

وبالجملة: فكلَّما كان المرءُ أَشدَّ استعداداً، كان أَسرع فوزاً بفضل الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ أَمنة عامَّة في كلّ همٍّ مستأْنف، وتسلية تامَّة عن كلِّ فائت ماض.

وقد قال مجاهد: المعنى: لا تخافوا ما تُقدمون عليه، ولا تحزنوا على ما خلفتم من دنياكم[٢].

وفي قراءَة ابن مسعود: (الملائكة لا تخافوا) بإِسقاط الأَلف[٣]، بمعنى: يقولون لا تخافوا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾﴾.

المتكلم بـ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ﴾ هم الملائكة القائلون: (لا تخافوا ولا تحزنوا)،

---

(١) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٤). في المطبوع: «الفضل».

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٤٦٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٤).

(٣) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٦٧).

أَي: يقولون للمؤمنين عند الموت وعند مشاهدة الحقِّ: نحن كنَّا أَولياءكم في الدنيا ونحن هم أولياؤكم في الآخرة.

قال السديُّ: المعنى: نحن حَفَظَتُكم في الدنيا وأَولياؤُكم في الآخرة(١).

والضمير في قوله: ﴿فِيهَا﴾ عائد على الآخرة.

و﴿تَدَّعُونَ﴾ معناه: تطلبون.

و﴿نُزُلًا﴾ نصب على المصدر، وقراءَة الجمهور بضمِّ الزّاي، وقرأَ أَبو حيوة بإِسكانها(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ الآية؛ ابتداءُ توصية محمد ﷺ، وهو لفظ يعمُّ كلَّ من دعا قديماً وحديثاً إِلى الله تعالى وإِلى طاعته من الأَنبياءِ والمؤمنين.

والمعنى: لا أَحد أَحسن ممّن هذه حاله، وإِلى العموم ذهب الحسن، ومقاتل، وجماعة.

وبَيِّنٌ أَنَّ حالة محمد ﷺ كانت كذلك مبرزة.

وإِلى تخصيصه في الآية ذهب السديُّ، وابن زيد، وابن سيرين.

وقال قيس بن أَبي حازم(٣)، وعائشة أُم المؤمنين(٤)، وعكرمة: نزلت هذه الآية

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٤٦٨)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٤)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٨٠).

(٢) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٤٢٢١)، وفي نجيبويه: «أبو حاتم»، وفي حاشية المطبوع في بعض النسخ: «أبو جعفر».

(٣) هو قيس بن أبي حازم عبد عوف بن الحارث الأحمسي البجلي من كبار علماء الكوفة، توفي النبي ﷺ وقيس في الطريق قد قدم ليبايعه، ولأبيه صحبة، روى عن الخلفاء وغيرهم، وعنه: الحكم بن عتيبة، وجماعة، وكان كوفياً عثمانياً، تاريخ الإسلام (٦/ ٤٥٧).

(٤) ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٣٦٢)، وأبو نعيم الفضل بن دكين في «الصلاة» (١٩١) من طريق عبيد الله بن الوليد الوصافي، عن محمد بن نافع الطائفي، عن عائشة به بنحوه، وعبيد الله بن الوليد ضعيف، وأخرجه ابن أبي شيبة (٢٣٦١) من طريق عبيد الله بن الوليد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير الجندعي، عن عائشة به.

في المؤذِّنين، قال قيس: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: هو الصلاة بين الأَذان والإِقامة[١]، وذكر النقّاش ذلك عن ابن عبّاس[٢].

ومعنى القول بأَنَّها في المؤذِّنين أَنَّهم داخلون فيها، وأَما نزولها فمكِّيَّة بلا خلاف، ولم يكن بمكَّة أَذان، وإِنَّما ترتَّب بالمدينة، وإِنَّ الأَذان لَمِن الدعاءِ إِلى الله تعالى، ولكنَّه جزءٌ منه، والدعاءُ إِلى الله بقوَّة، كجهاد الكفار وردع الطغاة وكفِّ الظَّلَمة وغيره أَعظم غناء[٣] من تولِّي الأَذان؛ إِذ لا مشقَّة فيه، والأَصوب أَن يعتقد أَنَّ الآية نزلت عامَّة.

قال زيد بن عليٍّ: المعنى: مِمَّن دعا إِلى الله بالسيف[٤].

وقرأَ الجمهور: ﴿إِنَّنِى﴾ بنونين، وقرأَ ابن أَبي عبلة: (إِنِّي من المسلمينَ) بنون واحدة[٥].

وقال الفضيل بن رُفَيْدَة[٦]: كنت مؤذناً في أَصحاب ابن مسعود، فقال لي عاصم ابن هُبيرة[٧]: إِذا أَكملت الأَذان فقل: إِنَّني من المسلمين، ثمَّ تلا هذه الآية[٨].

ثمَّ وعظ الله تعالى نبيَّه عليه السلام، ونبهه على أَحسن مخاطبة، فقرَّر أَنَّ الحسنة

---

(١) انظر هذه الأقوال كلها في تفسير الطبري (٢١/ ٤٦٩)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٦)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٢٢).

(٢) لم أقف عليه مسنداً.

(٣) في المطبوع والحمزوية: «عناءً».

(٤) البحر المحيط (٩/ ٣٠٥).

(٥) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٢٢) لابن شنبوذ عن قتيبة.

(٦) هو الفضيل بن أبي رفيدة يروي عن عاصم بن هبيرة روى عنه جرير بن عبد الحميد الضبي، الثقات لابن حبان (٩/ ٩)، وانظر التاريخ الكبير للبخاري (٧/ ١٢٢). وفي الحمزوية: «الفضل».

(٧) هو عاصم بن هبيرة، روى عنه فضيل بن أبي رفيدة، ومغيرة بن مقسم التاريخ الكبير للبخاري (٦/ ٤٨٦)، وفي تاريخ دمشق (٢٥/ ٢٩٤): عاصم بن هبيرة المعافري كان خليفة خالد بن عثمان ابن مالك بن بحدل على شرط الوليد بن يزيد وشهد يوم قتله.

(٨) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٧)، وفيه: الفضيل بن رفيدة.

والسيئة لا تستوي، أَي: فالحسنة أَفضل، وكرَّر ﴿لَا﴾ في قوله: ﴿وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ تأْكيداً ليدلَّ على أَن المراد: ولا تستوي الحسنة والسيِّئة ولا السيِّئة والحسنة، فحذف اختصاراً ودلت ﴿لَا﴾ على هذا الحذف.

وقوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ آيةٌ جمعت مكارم الأَخلاق وأَنواع الحلم، والمعنى: ادفع أُمورك وما يعرض لك مع النّاس ومخالطتك لهم بالفعلة أَو بالسّيرة[1] الّتي هي أَحسن السير والفعلات، فمن ذلك بذلُ السّلام، وحُسْن الأَدب، وكَظْم الغيظ، والسَّماحة في القضاءِ والاقتضاءِ، وغير ذلك.

قال ابن عبّاس: إِذا فعل المؤمن هذه الفضائل، عصمه الله من الشّيطان، وخضع له عدوُّه[2].

وفسَّر مجاهد وعطاءٌ هذه الآية بالسَّلام عند اللِّقاءِ[3].

ولا شك أَنَّ السَّلام هو مبدأُ الدفع بالّتي هي أَحسن، وهو جزءٌ منه.

ثمَّ قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾، فدخل كاف التشبيه؛ / لأَنَّ الّذي عنده عداوة [٥/ ٥٢] لا يعود وليّاً حميماً، وإِنَّما يَحْسُن ظاهره، فيشبه بذلك الوليَّ الحميم، والحَمِيمُ: هو القريب الّذي يَحْتَمُّ للإِنسان.

والضمير في قوله: ﴿يُلَقَّىٰهَآ﴾ عائد على هذه الخُلُق، الّتي يتضمَّنها قوله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، وقالت فرقة: المراد: وما يُلَقَّى لا إِلهَ إِلَّا الله، وهذا تفسير لا يقتضيه اللَّفظ.

---

(١) «أو بالسيرة» تكررت في الأصل.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٧١)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٤٥)، وابن حجر في تغليق التعليق (٤/ ٣٠٣) من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٤٧١)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٦٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٨٢)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٢٥).

وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ مدح بليغ للصبر، وذلك بَيِّنٌ للمتأَمل؛ لأَنَّ الصبر على الطاعات وعن الشهوات، جامعٌ لخصال الخير كُلِّها.

و«الحَظُّ العظيمُ»: يحتمل أَن يريد: من العقل والفضل، فتكون الآية مدحاً، وروي: أَنَّ رجلاً شتم أَبا بكر الصدِّيق بحضرة النبيِّ ﷺ، فسكت أَبو بكر ساعة، ثمَّ جاش به الغضب، فردَّ على الرجل، فقام النبيُّ ﷺ، فاتَّبعه أَبو بكر وقال: يا رسول الله، قمتَ حين انتصرتُ؟ فقال: «إِنَّه كان يردُّ عنك مَلَك، فلمَّا قَرُبْتَ تنتصر ذهب المَلَك وجاءَ الشيطان، فما كنتُ لأُجالسه»[1].

ويحتمل أَن يريد: ذو حظ عظيم من الجنَّة وثواب الآخرة، فتكون الآية وعداً، وبالجنَّة فسَّر قتادة (الحَظَّ) هنا[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿إِمَّا﴾ شرطٌ، وجواب الشّرط قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾.

و«النَّزْغُ»: فعل الشّيطان في قلب أَو يد، من إِلقاءِ غضب أَو حِقْد أَو بطش في اليد، فمن الغضب هذه الآية.

---

(١) الصواب فيه المرسل، أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٣٦)، وأبو داود (٤٨٩٩)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٣٦)، وفي الآداب (ص: ١٥٩) من طريق محمد بن عجلان، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وخولف ابنُ عجلان، فأخرجه أبو داود (٤٨٩٨) وغيره من طريق الليث بن سعد، عن سعيد المقبري، عن بشير بن المحرر، عن سعيد بن المسيب، مرسلاً.

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٤٧٢)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٢٦). وفي الحمزوية: «مجاهد» بدل «قتادة».

ومن الحقد قوله: ﴿نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ [يوسف: ١٠٠].

ومن البطش قول النبيِّ ﷺ: «لا يُشر أَحدكم على أَخيه بالسِّلاح، لا ينزغ الشّيطان في يده، فيلقيه في حفرة من حُفر النّارِ»[١].

وندب الله تعالى في هذه الآية المتقدمة إِلى مكارم الأَخلاق بالدفع بالّتي هي أَحسن، ثمَّ أَثنى على من لُقِّيها، وَوَعَدَهُ، وعَلمَ أَنَّ خِلْقَة البشر تغلب أَحياناً وتثور بهم سَوْرة[٢] الغضب ونزغ الشيطان، فدَلَّهم على مُذْهِب ذلك وهي الاستعاذة به عزَّ وجلَّ.

ثمَّ عدد الله آياته ليعتبر فيها من صَدَف عن التّوحيد، بذكر اللّيل والنّهار، وذِكْرهما يتضمّن ما فيهما من القصر والطول والتّداخل والاستواءِ في مواضع وسائر عبرهما، وكذلك ذكْر الشمس والقمر مُتَضَمِّن عجائبهما وحكمة الله فيهما ونَفْعه عباده بهما.

ثمَّ قال تعالى: لا تسجدوا لهذه المخلوقات وإِن كانت تنفعكم؛ لأَنَّ النفع منهما إِنَّما هو بتسخير الله إياهما، فهو الّذي ينبغي أَن يُسجد له.

والضمير في ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ قالت فرقة: هو عائد على الآيات[٣] المتقدم ذكرها.

وقالت فرقة: الضمير عائد على الشّمس والقمر، والاثنان جمع، وجمع ما لا يعقل يؤنث، فلذلك قال: ﴿خَلَقَهُنَّ﴾.

قال القاضي أَبو محمد: ومن حيث يقال: شموسٌ وأَقمارٌ لاختلافهما بالأَيّام ساغَ أَن يعود الضمير مجموعاً.

وقالت فرقة: هو عائد على الأَربعة المذكورة، وشأْن ضمير ما لا يعقل، إِذا كان العدد أَقل من العشرة أَن يجيءَ هكذا، فإِذا زاد أُفرد مؤنثاً، فتقول: الأَجذاع انكسرْنَ، والجذوع

(١) أخرجه بلفظ «ينزغ» بالغين المعجمة: البخاري (٧٠٧٢) في رواية أبي ذر كما في الفتح (١٣/ ٢٥)، وإرشاد الساري (١٠/ ١٧٧).
(٢) في المطبوع: «ثورةُ».
(٣) في الأصل: «الأيام».

انكسرت، ومنه: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾ [التوبة: ٣٦] الآية، ومنه قول حسَّان بن ثابت:

[الطويل] .... وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دما(١)

وقال السموأل:

[الطويل] ولَا عَيْبَ فينَا غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَنَا بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ فُلُولُ(٢)

وهذا كثير مَهْيع(٣) وإِن كان قد يوجد الأَمر متداخلًا بعضه على بعض.

ثمّ خاطب الله تعالى نبيَّه ﷺ بما يتضمَّن وعيدهم وحقارة أَمرهم، وأَن الله تعالى غير محتاج إِلى عبادتهم بقوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ الآية.

وقولُه تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ﴾ يعني بهم الملائكة وهم صافُّون يسبِّحون، و﴿عِندَ﴾ في هذه الآية ليست بظرف مكان، وإِنَّما هي بمعنى المنزلة والقُرْبة، كما تقول: زيد عند الملك جليل، وفي نفسه رفيع، ويُروى: أَن تسبيح الملائكة قد صار لهم كالنَّفَس لابن آدم(٤).

---

(١) صدره: لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى، وهو بيت مشهور لحسان، تقدم في تفسير الآية (٣٣) من (سورة سبأ).

(٢) هكذا ورد في حماسة الخالديين (ص: ١٤٥)، وصرح أنه أخذ الشطر الأول من بيت النابغة الذي عجزه: بهن فلول من قراع الكتائب، إلا أن الرواية المشهورة هي: وأسيافنا في كل شرق ومغرب، وهو من لاميته المشهورة، انظر البيان والتبيين (٣/ ١٢٨)، وعيار الشعر (ص: ١٠٩)، والعقد الفريد (١/ ٢٠٩)، وأمالي القالي (١/ ٢٧٠)، وشرح ديوان الحماسة (ص: ٩١). قال في حاشية المطبوع: وقد اضطرب النساخ في كتابة هذا البيت في الأصول: وذكر أن صدر بيت السموأل: وأَسْيَافُنَا في كُلِّ يَوْمِ كَرِيهة. ولم أقف عليه.

(٣) في المطبوع: «مَهْيَع كثير».

(٤) أخرج الطبري (١٦/ ٢٤٤) من طريق حميد الطويل، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث، عن أبيه: أن ابن عباس سأل كعباً عن تسبيح الملائكة فقال: فإنهم ألهموا التسبيح كما ألهمتم الطَّرْف والنَّفَس، وإسناده حسن، وأخرجه الطبري أيضاً (١٦/ ٢٤٤)، وأبو الشيخ في العظمة (٣٢٢) من طريق أبي معاوية، عن أبي إسحاق الشيباني فيروز، عن حسان بن مخارق، عن عبد الله بن الحارث بنحوه.

و﴿يَسۡـَٔمُونَ﴾ معناه: يملُّون.

ثمَّ ذكر تعالى آية منصوبة لِيُعْتَبر بها في أَمر البعث من القبور، ويستدلّ بما شوهد من هذه الآية على ما لم يشاهد بعد من تلك، وهي آية يراها عياناً كلُّ مَفْطُور على عقل.

وخشوع الأَرض: هو ما يظهر عليها من استكانة وشعث بالجدب وصيلم[١] السَّموم، فهي عابسة كما الخاشع[٢] عابس يكاد يبكي.

و«الماءُ المُنْزل»: هو المطر.

و«اهتزاز الأَرض»: هو تخلخل أَجزائها بالماءِ وتشقّقها للنبات.

و«رُبُوُّهَا»: هو انتفاخها بالماءِ وعلوُّ سطحها به.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَرَبَتۡ﴾.

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع: ﴿وَرَبَأَت﴾ بأَلف مهموزة، ورواها الرواسيُّ عن أَبي عمرو[٣].

وهو أَيضاً بمعنى: عَلَتْ وارتفعت، ومنه الربيئة وهو الّذي يرتفع حتى يرصد للقوم، ثمّ ذكَّر تعالى بالأَمر الّذي ينبغي أن يقاس على هذه الآية والعبرة، وذلك إِحياءُ الموتى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ عموم، [و(الشيءُ) في اللُّغة: الموجود][٤]، [ويخرج على ظاهر العموم المحالات وغير ذلك مما يمتنع بالأدلة العقلية أن يقال فيه: إنه مقدور][٥].

---

(١) في الأصل: «وصليم»، والصَّيْلَم: الأمر المستأصِل، والسَّمومُ: الريح الحارَّة والحَرُّ الشديد الّذي ينفذ في المسامِّ.

(٢) في الأصل: «الخشوع».

(٣) وهي عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٢٥)، وانظر الرواية عن أبي عمرو في المحتسب (٢/ ٧٣).

(٤) سقط من الحمزوية.

(٥) سقط من الأصل والمطبوع.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن
[٥/ ٥٣] يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ / بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ
وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾
مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾.

هذه آية وعيد.

و«الإِلحادُ»: الميل، وهو هاهنا عن الحقِّ، ومن الإِلحاد: لحد الميت؛ لأَنَّه في جانب، يقال: لَحَد الرجلُ وأَلْحَدَ بمعنى.

وقرأَ الجمهور: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضمّ الياءِ من أَلْحَدَ.

وقرأَ ابن وثاب، وطلحة، والأَعمش: ﴿يَلْحَدُونَ﴾ بفتح الياءِ والحاءِ من لَحَدَ(١).

واختلف المفسرون في الإِلحاد الّذي أُشير إِليه، ما هو؟

فقال قتادة وغيره: الإِلحادُ بالتكذيب.

وقال مجاهد وغيره: الإِلْحاد بالمُكَاءِ والصّفير واللَّغو الَّذي ذهبوا إِليه(٢).

وقال ابن عبّاس: إِلحادهم هو أَن يوضع الكلام غير موضعه(٣).

ولفظة الإِلحاد تعمُّ هذا كلَّه.

وقوله: ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ أَي: فنحن بالمرصاد لهم وسنعذِّبهم، ثمَّ قرر على هذين القسمين أَيَّهما خير؟ وهذا التقرير هم المراد به، أَي: فقل لهم يا محمد: ﴿أَفَمَن﴾.

---

(١) وهما سبعيتان، الثانية لحمزة، كما تقدم في (سورة الأعراف)، انظر التيسير (ص: ١١٤).

(٢) انظر القولين في الطبري (٢١/ ٤٧٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٧٣)، والماوردي (٥/ ١٨٤)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٣١).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٧٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال مقاتل: نزلت هذه الآية في أَبي جهل، وعثمان بن عفان، وقيل: في عمار بن ياسر[١].

وحَسُن التفضيلُ هنا بين الإلقاءِ في النّار والأَمن يوم القيامة ـ وإِنْ كانا لا يشتركان في صفة الخير ـ من حيث كان الكلام تقريراً لا مجرد خبر؛ لأَنّ المُقرِّر قد يُقَرِّرُ خصمه على قسمين أَحدهما بَيِّن الفساد، حتّى يرى جوابه، فعساه يقع في الفاسد المعنى، فَيَبينُ جهله.

وقد تقدم نظيرُ هذه الآية واستيعابُ القول في هذا المعنى.

ولا يتَّجه هنا أَن يقال: خاطبَ على معتقدهم كما يتَّجه ذلك في قوله: ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤]، فتأَمله.

وقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ وعيد في صيغة الأَمر بإِجماع من أَهل العلم، ودليل الوعيد ومُبَيِّنُه قوله: ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

ثمَّ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، يريد قريشاً.

و(الذِّكْرُ): القرآن بإِجماعٍ.

واختلف النّاس في الخبر عنهم، أَين هو؟

فقالت فرقة: هو في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾، ذكر النّقّاش أَنَّ بلال بن أَبي بُردة سأَل عن هذا في مجلسه وقال: لم أَجد لها نفاذاً، فقال أَبو عمرو بن العلاءِ: إِنَّه منك لقريب، ﴿أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ﴾[٢].

ويَرُدُّ هذا النظر كثرةُ الحائل، وأَنَّ هناك قوماً قد ذُكروا، يَحْسُنُ ردُّ قوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ﴾ عليهم[٣].

---

(١) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٨).

(٢) البحر المحيط (٩/ ٣٠٩).

(٣) وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ﴾، نقل هذا الاعتراض عن الحوفي، في البحر المحيط (٩/ ٣٠٩).

وقالت فرقة: الخبر مضمر تقديره: الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جاءَهُمْ هلكوا أَو ضلُّوا، وقال بعض نحويي الكوفة: الجواب في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾، حكى ذلك الطبريُّ(١).

وهو ضعيف لا يتَّجه.

وسأَل عيسى بن عمر عمرَو بن عبيد عن هذا، فقال عمرو: معناه في التَّفسير: إِنَّ الّذين كفروا بالذِّكر لمَّا جاءَهم، كفروا به وإِنَّه لكتابٌ عزيزٌ، فقال عيسى بن عمر: أَجَدْتَ يا أَبا عثمان(٢).

قال القاضي أَبو محمد: والّذي يَحْسُن في هذا هو إِضمار الخبر، ولكنَّه عند قوم في غير هذا الموضع الّذي قدَّره هؤلاءِ فيه، وإِنَّما هو بعد ﴿حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، وهو أَشدُّ إِظهاراً لِمَذَمَّة الكفار به؛ وذلك لأَنَّ قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ﴾ داخلٌ في صفة الذِّكر المكذَّب به، فلم يتم ذِكْر المخبر عنه، إِلَّا بعد استيفاءِ وصفه، وهذا كما تقول: أَتخالف زيداً وهو العالم الودود، الّذي من شأْنه ومن أَمره، فهذه كلّها أَوصاف.

ووصف تعالى الكتاب بالعزَّة، لأَنَّه بِصِحَّة معانيه ممتنعٌ الطعنُ فيه والإِزراءُ عليه، وهو محفوظ من الله تعالى.

قال ابن عبّاس: معناه: كريم على الله تعالى(٣).

قال مقاتل: منيع من الشّيطان، قال السُّديُّ: غير مخلوق(٤).

وقوله: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾، قال قتادة، والسّديُّ: يريد الشَّيطان(٥).

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٤٨٦).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٤٨٥ و٤٨٦)، ومعاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٠٨)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٩).

(٣) لم أقف عليه مسنداً، وانظر تفسير القرطبي (١٥/ ٣٦٧).

(٤) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٨).

(٥) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٨).

وظاهر اللَّفظ يعمُّ الشَّيطانَ وأَن يجيءَ أَمْرٌ يُبطل منه شيئاً، وقوله: ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾ معناه: ليس فيما تقدّمه من الكتب ما يُبطل شيئاً منه، وقوله: ﴿وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ أَي: ليس يأْتي بعده من نظر ناظرٍ وفكرة عاقل ما يُبطل شيئاً منه، والمراد باللفظ على الجملة: لا يأْتيه الباطل من جهة من الجهات.

وقوله: ﴿تَنزِيلٌ﴾ خبر ابتداءٍ، أَي: هو تنزيل.

وقوله: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَ ﴾ يحتمل معنيين:

أَحدهما: أَن يكون تسلية للنبيِّ ﷺ عن مقالات قومه، أَي: ما تلقى يا محمد من المكروه منهم ولا يقولون لك من الأَقوال المؤلمة، إِلَّا ما قد قيل ولقي به من تقدّمك من الرسل، فَلْتَتَأَسَّ بهم، وَلْتَمْضِ لأَمر الله ولا يهمُّك شأْنهم.

والمعنى الثّاني: أَن تكون الآية تلخيصاً[١] لمعاني الشَّرع، أَي: ما يقال لك من الوحي وتُخاطب به من جهة الله تعالى، إِلَّا ما قد قيل للرُّسل من قبلك.

ثمَّ فسَّر ذلك الّذي قيل لجميعهم وهو: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٍ﴾ للطّائعين، ﴿وَذُو عِقَابٍ﴾ للكافرين، وفي هذه الكلمات جماع الزَّجر والنَّهي والموعظة، وإِليها يرجع كلُّ نظر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ
قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ
عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ وَلَوۡلَا
كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿٤٥﴾ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا
فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾.

«الأَعجميُّ»: هو الّذي لا يُفصح عربيّاً كان أَو غير عربيٍّ، والعجميُّ: الّذي ليس من العرب فصيحاً كان أَو غير فصيح.

---

(١) في الأصل: «تخليصاً».

وهذه الآية نزلت بسبب تخليط كان من قريش في أَقوالهم، من أَجل الحروف الّتي وقعت في القرآن وهي ممَّا عُرِّب من كلام العجم كالسِّجِّين والإِستبرق ونحوه، فقال عزَّ وجلَّ: ولو جعلنا هذا القرآن أَعجميّاً لا يبين لقالوا واعترضوا: لولا بُيِّنَت / [٥/ ٥٤] آياته.

واختلف القراءُ في قوله: ﴿ءَاْعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾، فقراءَة الجمهور على الاستفهام وهمزة ممدودة قبل الأَلف.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، والأَعمش: ﴿ءَأَعْجَمِيٌّ﴾ بهمزتين[(١)]، وكأَنَّهم كانوا ينكرون ذلك فيقولون: لولا بُيِّن، أَأَعجميٌّ وعربيٌّ مختلط؟ هذا لا يَحْسُن.

وتأَوَّل ابن جبير أَنَّ معنى قولهم: أَتجِيئُنا عُجْمَةٌ ونحن ومحمد[(٢)] عرب؟ ما لنا وللعُجْمَة[(٣)].

وقرأَ الحسن البصريُّ، وأَبو الأَسود، والجحدريُّ، وسلام، والضحّاك، وابن عبّاس، وابن عامر بخلاف عنهما: ﴿أَعْجَميٌّ وعربي﴾ دون استفهام وبسكون العين[(٤)]، كأَنَّهم قالوا: أَعُجْمَةٌ وإِعرابٌ؟ إِنَّ هذا لشاذٌّ، أَو كأَنَّهم قالوا: لولا فُصل فصلين، فكان بعضه أَعجميّاً يفهمه العجم وبعضه عربيّاً يفهمه العرب؟ وهذا تأْويل لابن جبير أَيضاً.

وقرأَ عمرو بن ميمون: (أَعَجَميٌّ) بهمزة واحدة دون مد مقصورة وبفتح العين[(٥)].

---

(١) وفي هذه اللفظة قراءات سبعية هي: الخبر لهشام، وتحقيق الهمزتين لحمزة والكسائي وشعبة، وتسهيل الثانية للباقين، ولورش وجه بإبدالها مدّاً، وقالون وأبو عمرو على أصلهما في الإدخال، انظر التيسير (ص: ١٩٣)، والسبعة (ص: ٥٧٧).

(٢) سقط من الأصل.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٤٨٢)، مع تأويله الآتي أيضاً.

(٤) هذه القراءة سبعية لهشام، كما تقدم.

(٥) وهي شاذة، عزاها لابن ميمون الكرماني في الشواذ (ص: ٤٢٢). و«مقصورة» من المطبوع.

فأَخبر الله تعالى عنهم أَنَّه لو كان على أَيِّ وجه تُخُيِّل، لكان لهم قولٌ واعتراضٌ فاسد، هذا مقصد الكلام.

وأَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ أَن يقول لهم: إِن القرآن هُدًى وشفاءٌ للمؤمنين المبصرين للحقائق، وإِنَّه على الّذين لا يؤمنون ولا يُصرِّفون نظرهم وحواسهم[١] في المصنوعات عَمًى؛ لأَنَّهم في آذانهم وقر، وعلى قلوبهم أَقفال، وعلى أَعينهم غشاوة.

واختلف النّاس في قوله: ﴿وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ﴾:

فقالت فرقة: يريد بـ(هُوَ) القرآن.

وقالت فرقة: ﴿وَهُوَ﴾ يريد به الوَقْر، والوَقْر: الثِّقل في الأُذن المانعُ من السَّمع.

وهذه كلُّها استعارات، أَي: هم لمَّا لم يفهموا ولا حصَّلوا؛ كالأَعمى وصاحب الوَقر.

وقرأَ ابن عبّاس، ومعاوية، وعمرو بن العاص: (وهو عليهم عمٍ) بكسر الميم وتنوينه، وقال يعقوب: لا أَدري أَنَوَّنُوا أَم فتحوا الياءَ على الفعل الماضي، وبغير ياءٍ رواها عمرو بن دينار، وسليمان بن قَتَّة[٢] عن ابن عبّاس[٣].

وهذه القراءَة أَيضاً فيها استعارة، وكذلك قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ﴾ يحتمل معنيين، وكلاهما مقول للمفسرين: أَحدهما: أَنَّها استعارة لقلة فهمهم، شبَّههم بالرجل يُنَادَى على بُعْد يُسمع منه الصوت ولا تفهم تفاصيله ولا معانيه، هذا تأْويل مجاهد[٤].

والآخر: أَنَّ الكلام على الحقيقة، وأَن معناه: إِنَّهم يوم القيامة يُنادون بكفرهم

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) في الحمزوية: «قنة»، وفي نجيبويه: «قتادة».

(٣) وكلتاهما شاذة، انظر ذلك كله في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٦٤).

(٤) تفسير الثعالبي (٤/ ٩٧).

وقبيح أعمالهم من بُعْد، حتّى يسمع ذلك أَهل الموقف، فتعظم السُّمعة عليهم ويجل المصاب، وهذا تأْويل الضحّاك بن مزاحم(١).

ثمّ ضرب تعالى أَمر موسى مثلاً للنبيِّ ﷺ ولقريش، أَي: فِعْلُ أُولئك كأَفعال هؤلاءِ، حين جاءَهم مثل ما جاءَ هؤلاءِ.

و«الكلمة السابقة»: هي حتم الله بتأْخير عذابهم إِلى يوم القيامة.

والضمير في قولهم: ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ يحتمل أَن يعود على موسى، أَو على كتابه.

وقوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ الآيَةَ؛ نصيحةٌ بَيِّنَةٌ للعالم وتحذير وترجية وصدْعٌ بأَنَّ الله تعالى لا يَضَعُ شيئاً من عقوبات عباده في غير موضعها، بل هو العادلُ المتفضّل الّذي يجازي كلَّ عَبْد بتكسُّبه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾.

المعنى: أَنَّ علم وقت السّاعة ومجيئها يردُّه كلُّ مؤمن متكلِّم فيه إِلى الله عزَّ وجلَّ.

وذكر تعالى الثِّمار وخروجها من الأَكمام وحَمْل الإِناث مثالاً لجميع الأَشياءِ؛ إِذ كُلُّ شيءٍ خفيٍّ، فهو في حكم هذيْن.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وحمزة، والكسائي، والحسن، وطلحة، والأَعمش: ﴿مِن ثَمَرة﴾ بالإِفراد على أَنّه اسم جنس.

---

(١) تفسير الثعالبي (٤/ ٩٧). وفي المطبوع: «وقبيح أَفعالهم».

وقرأَ نافع، وابن عامر: ﴿مِن ثَمَرَٰتٍ﴾ بالجمع، واختلف عن عاصم، وهي قراءَة أَبي جعفر، وشيبة، والأَعرج، والحسن بخلاف[١].

وفي مصحف عبد الله: (في ثَمرة من أكمامها)[٢].

و«الأَكمام»: جمع كُمٍّ، وهو غلاف الثمر قبل ظهوره.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ تقديره: واذكر يوم يناديهم.

والضّمير في ﴿يُنَادِيهِمْ﴾ ظاهره والأَسبق فيه: أَنّه يريد به الكفّار عَبَدَة الأَوثان.

ويحتمل أَن يريد به كلَّ من عبد من دون الله من إِنسان وغيره، وفي هذا ضعف.

وأَمَّا[٣] الضّمير في قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ فلا احتمال لعودته، إِلَّا على الكفار.

و﴿ءَاذَنَّٰكَ﴾ قال ابن عبّاس وغيره: معناه: أَعْلَمْناكَ ما مِنَّا من شهيد ولا مَنْ يشهد أَنَّ لك شريكاً[٤].

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: أَي نَسُوا ما كانوا يقولون في الدنيا ويدعون من الآلهة والأَصنام.

ويحتمل أَن يريد: وضلَّ عنهم الأَصنام؛ أَي: تَلِفَت لهم، فَلَم يجدوا منها نصراً وتَلَاشى لهم أَمرها.

وقوله: ﴿وَظَنُّواْ﴾ يحتمل أَن يكون متصلاً بما قبله ويكون الوقف عليه، ويكون قوله: ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ استئناف[٥]، نَفَى أَن يكون لهم منجى أو موضع روغان.

---

(١) وهما سبعيتان، وحفص مع نافع، انظر التيسير (ص: ١٩٤)، والنشر (٢/ ٤٠٧).

(٢) وهي شاذة، لم أجد له فيها سلفاً ولا خلفاً.

(٣) في الأصل: «وإنما».

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٨٨) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (ءاذناك)، يقول: أعلمناك.

(٥) كذا في جميع النسخ، ولو نصبت خبراً لـ(يكون) لكان أوضح.

تقول: حاصَ الرّجل: إذا راغ يطلب النّجاة من شيءٍ، ومنه في الحديث: فحاصُوا حَيْصَة حُمُر الوحش إلى الأَبواب[١].

ويكون الظّنّ ـ على هذا التأْويل ـ على بابه، أَي: ظنُّوا أَن هذه المقالة ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ منجاةٌ لهم أَو أَمرٌ يُمَوِّهُون به، ويحتمل أن يكون الوقف في قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾، ويكون ﴿وَظَنُّواْ﴾ متّصلاً بقوله: ﴿لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾؛ أَي: ظنُّوا ذلك، ويكون الظّنّ ـ على هذا التأْويل ـ بمعنى اليقين، / وبه فسَّر السّديُّ[٢]. [٥/ ٥٥]

وهذه عبارة يطلقها أَهل اللِّسان على الظَّنِّ، ولست تجد ذلك، إِلَّا فيما علم علماً قويّاً وتقرَّر في النَّفس ولم يَتَلَبَّس به بُعْد، وإِلَّا فمتى تَلَبَّس بالشيءِ وحصَل تحت إِدراك الحواسِّ، فلستَ تجدهم يوقعون عليه لفظة الظّنّ.

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ آياتٌ نزلت في كفار قريش[٣]، قيل: في الوليد ابن المغيرة، وقيل: في عُتبة بن ربيعة[٤]، وجُلُّ الآية يعطي أَنها نزلت في كفارٍ وإِن كان أَوَّلها يتضمَّن خُلُقاً ربما شارك فيها بعض المؤمنين.

و﴿دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ إِضافته إِضافة المصدر إِلى المفعول والفاعل محذوف تقديره: من دعاءِ الخير هو.

وفي مصحف ابن مسعود: (من دعاءٍ بالخير)[٥].

و«الخير» في هذه الآية: المالُ والصحة، وبذلك تليق الآية بالكافر، وإِن قدّرناه:

---

(١) هذا جزء من حديث هرقل الذي أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)، وهذا اللفظ عند البخاري وحده.

(٢) الهداية لمكي (١٠/ ٦٥٤٥).

(٣) كلمة قريش لم نجدها إلا في الأصل فقط.

(٤) انظر القول الأول في الطبري (٢١/ ٤٨٩)، والماوردي (٥/ ١٨٧)، والثاني في السمعاني (٥/ ٥٩)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٤٤).

(٥) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٠)، وتفسير الطبري (٢١/ ٤٩٠).

خير الآخرة؛ فهو للمؤمن، وأَمّا اليأْس والقَنَط على الإطلاق، فمِنْ صفة الكافر وحده.

وقوله تعالى: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ أَي: بعملي وبما سعيتُ، ولا يرى أَنَّ النّعم إنَّما هي بتفضُّل من الله تعالى، ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ قولٌ بَيِّنٌ فيه الجحد والكفر، ثمَّ يقول هذا الكافر: ولئن كان ثَمَّ رجوع كما تقولون ليكونَنَّ لي حالٌ تُرضيني من غنًى ومال وبنين.

فتوعّدهم الله تعالى بأَنّه سَيُعَرِّفهم بأَعمالهم الخبيثة مع إذاقتهم العذاب عليها، فهذا عذابٌ وخِزي، وغلَظُ العذاب: شدَّتُه وصعوبتُه.

وقال الحسن بن محمد بن علي[١] بن أَبي طالب رضي الله عنه: للكافر أُمنيتان: أَمّا في دنياه فهذه: ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾، وأَمّا في آخرته فـ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبأ: ٤٠][٢].

قال القاضي أَبو محمد: والأَماني على الله وتركُ الجدِّ في الطاعة مذموم لكُلِّ أَحد، فقد قال ﷺ: «الكَيِّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أَتْبع نفسه هواها، وتَمَنَّى على الله»[٣].

---

(١) «بن علي» سقط من المطبوع، وهو ابن محمد ابن الحنفية، تقدم ذكره في (سورة الأنفال).

(٢) انظر قوله في الكشاف للزمخشري (٤/ ٢١٠)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٣٧٣).

(٣) في المطبوع زيادة: «الأماني»، والحديث ضعيف جداً، أخرجه الطيالسي في مسنده (١٢١٨)، وأحمد (٤/ ١٢٤)، والترمذي (٢٤٥٩)، وابن ماجه (٤٢٦٠)، والبزار في مسنده (٣٤٨٩)، والطبراني في الكبير (٧١٤٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٧، ٤/ ٢٥١)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٣٦٩)، وفي شعب الإيمان (١٠٥٤٦)، وغيرهم من طريق أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني، عن ضمرة بن حبيب، عن شداد بن أوس مرفوعاً، أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الشامي ضعيف، وقد تابع أبا بكر بن أبي مريم عبدُ الرحمن بن غنم الأشعري كما عند الطبراني في الكبير (٧١٤١) وفي الصغير (٨٦٣) والسند إلى عبد الرحمن بن غنم فيه عمرو بن بكر السكسكي وهو متروك، وله شاهد ببعض ألفاظه أخرجه البيهقي في الشعب (١٠٥٤٥) من طريق عون بن عمارة العبديِّ، عن هشام بن حسان، عن ثابت عن أنس بن مالكٍ قال: جاءت بي أم سُليم إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! خادمُك أنس، فادع له، وهو كيِّسٌ، وهو عارٍ يا رسول الله، فإن رأيت أن =

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾.

وقرأ ابن عامر: ﴿وَنَاءَ﴾، الهمزة لام الفعل، وهي قراءة أَبي جعفر[1]، والمعنى فيهما واحد.

قال أَبو عليٍّ: ناءَ قلْب نأَى[2]؛ رَجع فَعَلَ فَلَعَ، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] وكُـلُّ خليلٍ رَاءَنـي فَهْوَ قَائلٌ ... من اجْلِكِ هذا هامَةُ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ[3]

ومنه قول الآخر:

[الطويل] وَقَدْ شَاءَني أَهْلُ السِّباقِ وأَمْعَنُوا[4] ... .

﴿وَنَـَٔا﴾ معناه: بَعُد ولم يَمِلْ إِلى شكر ولا طاعة.

وقوله: ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾، أَي: طويل أَيضاً، فاستغنى بالصِّفة الواحدة عن لزيمتها، إِذ العَرْض يقتضي الطول ويتضمّنه، ولم يقل: (طويل)؛ لأَنَّ الطويل قد لا يكون عريضاً، فعريضٌ أَدلُّ على الكثرة.

= تكسوه فقال رسول الله ﷺ: «الكيِّس من عمل لما بعد الموت، والعاري العاري من الدين، اللَّهُمَّ لا عيش إلَّا الآخرة، اللَّهُمَّ اغفر للأنصار والمهاجرة»، قال البيهقي: عون بن عمارة ضعيفٌ.

(١) وهما سبعيتان، والثانية رواية ابن ذكوان، كما في التيسير (ص: ١٤١)، وانظر النشر (٢/ ٣٤٦).

(٢) في الأصل «نأى» بدل «ابن آدم»، ولا وجه له، وانظر الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ١١٧).

(٣) لكثيِّر عزَّة، كما تقدم في تفسير الآية (٧٣) من (سورة مريم). وفي الحمزوية ونجيبويه: «ساءني».

(٤) لم أقف عليه لغير المؤلف، وفي المخصص (٤/ ٣٣٠): يقال شآني: سبقني، وشاءني وشآني: شاقني.

ثمَّ أَمر الله تعالى نبيَّه أَن يقف قريشاً على هذا الاحتجاج وموضع تغريرهم[١] بأَنفسهم، فقال: قُلْ أَرَأَيتم إِن كان هذا الشّرع من عند الله وبأَمره وخالفتموه أَنتم، أَلَسْتُم على هَلَكَة من قبل الله تعالى؟ فمن أَضلّ ممن يبقى على مثل هذا الغرر مع الله؟ وهذا هو الشّقاق.

ثمَّ وعد الله تعالى نبيَّه ﷺ بأَنَّه سَيُري الكفّار آياته.

واختلف المتأَوِّلون في معنى قوله: ﴿فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾:

فقال المنهال[٢]، والسّديُّ، وجماعة: هو وعد بما يفتحه الله تعالى على رسوله من الأَقطار حول مكَّة وفي غير ذلك من الأَرض كخيبر ونحوها، و﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أَراد به فتح مكَّة[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا تأْويل حسن ينتظم الإِعلام بغيب ظهر وجوده بعد ذلك، ويجري معه لفظ الاستئناف الّذي في الفعل.

وقال الضّحّاك، وقتادة: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ ﴾: هو ما أَصاب الأُمم المكذِّبة في أَقطار الأَرض قديماً، ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يوم بدر[٤].

وقال ابن زيد، وعطاءٌ: (الآفاق): هي آفاق السّماءِ، وأَراد الآيات في الشّمس والقمر والرّياح وغير ذلك، و(في أَنفسهم) عبرة الإِنسان بجسمه وحواسِّه وغريب خلقته وتدريجه في البطن ونحو ذلك[٥].

---

(١) في المطبوع: «تقريرهم».

(٢) في المطبوع: «أَبو المنهال»، وهو المنهال بن عمرو الأسدي مولاهم الكوفي، روى عن: أنس بن مالك، وزر بن حبيش، وسعيد بن جبير، وعنه: حجاج بن أرطأة، وآخرون، وثقه ابن معين وغيره، وقال ابن حزم: ليس بالقوي، تاريخ الإسلام (٧/ ٤٨٣).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٤٩٣).

(٤) تفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٠). وسقط «قتادة» من الحمزوية.

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٤٩٣).

قال القاضي أَبو محمد: وهذه آياتٌ قد كانت مرئية[١]، فليس هذا المعنى يجري مع قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ﴾، والتأْويل الأَوّل أَرجحها، والله أَعلم.

والضمير في قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ عائد على الشَّرع والقرآن، فبإِظهار الله إِيَّاه وفتح البلاد عليه تبين لهم أَنَّه الحقُّ.

ثمَّ قال تعالى وعْداً لنبيِّه ﷺ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾، التّقدير: أَو لم يكف ربّك؟ والباءُ زائدة للتّأْكيد.

و﴿أَنَّهُ﴾ يحتمل أَن يكون في موضع رفع على البدل من الموضع، إِذ التقدير: أَو لم يكف ربّك.

ويحتمل أَن يكون في موضع خفض على البدل من اللَّفظ، وهذا كلُّه بدل الاشتمال، ويصحّ أَن يكون في موضع نصب على إِسقاط حرف الجرِّ، أَي: لأَنَّه [على كل شيء شهيد][٢].

وقرأَ الجمهور: ﴿أَنَّهُ﴾ بفتح الأَلف.

وقرأَ بعض النّاس: (إِنَّهُ) بكسرها على الاعتراض أَثناءَ القول[٣].

وقوله: ﴿أَلَآ﴾ استفتاحٌ يقتضي إِقبال السّامع على ما يقال له، فاستفتح الإِخبار عن أَنَّهم في شكٍّ وريب وضلال أَدَّاهم إِلى الشّكِّ في البعث.

قرأَ جمهور النّاس: ﴿فِى مِرْيَةٍ﴾ بكسر الميم.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن، والحسن: (في مُرْيَةٍ) بضم الميم[٤]، والمعنى واحد.

---

(١) في المطبوع والحمزوية: «مرتّبة».

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) وهي شاذة، جوزها في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٩٢)، ولم أقف على نسبتها لمعين.

(٤) وهي شاذة، انظرها للحسن في معاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٨٧)، والكامل للذلي (ص: ٥٧٠)، وقد تقدمت.

ثمَّ استفتح الإِخبار بإِحاطته لكلِّ شيءٍ على معنى الوعيد لهم، وإِحاطتُه تعالى هي بالقدرة والسُّلطان، لا إِله إِلَّا هو العزيز الحكيم.

نجز تفسير (سورة حم السّجدة)، والحمد لله ربِّ العالمين

سُورَةُ الشُّورَىٰ

/ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ [٥/ ٥٦]

تفسير سُورة الشّورى

هذه السُّورة مكِّيَّة بإِجماع من أَكثر المفسرين، وقال مقاتل: فيها مدنيّ[1]: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾ إلى ﴿ٱلصُّدُورِ﴾ [الشورى: ٢٣ - ٢٤][2]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ﴾، إلى قوله: ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٣٩ - ٤١].

وقال ابن عباس ـ في كتاب الثعلبي ـ: إِنَّ ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ هذه الحروف بأَعيانها نزلت في كلِّ كتب الله تعالى المُنْزَلة على كلِّ نبيٍّ أُنْزِلَ عليه كتاب، ولذلك قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾[3].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾.

---

(١) انظر قول مقاتل في النسخة المخطوطة المنبه عليها في هامشه تفسيره (٣/ ٧٦٣)، وانظر البحر المحيط (٩/ ٣٢٢).

(٢) في أحمد٣: «إلى قوله بذات الصدور»، وفي المطبوع قبله: «قوله تعالى»، قال في الحاشية: زيادة لتوضيح المعنى.

(٣) تفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٣)، ولم أقف عليه مسنداً. في السليمانية: «كتاب الله تعالى».

فُصِلَت ﴿حمٓ ﴾ من: ﴿ عٓسٓقٓ ﴾ ولم يفعل ذلك بـ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ لتجري هذه مجرى الحواميم أَخواتها.

وقرأ الجمهور: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ﴾.

وقرأ ابن مسعود، وابن عبّاس رضي الله عنهما (حم سق) [بسقوط (ع)[١].

والأَقوال في هذه كالأَقوال في أَوائل السُّور][٢].

وروى حذيفة في هذا حديثاً مُضَمَّنه: أَنَّه ستكون في هذه الأُمَّة مدينتان يشقّهما نهر بالمشرق، تَهْلِك إِحداهما ليلاً ثمَّ تصبح الأُخرى سالمة، فيجتمع فيها جبابرة المدينتين مُتعجِّبين من سلامتها، فَتَهْلِك من اللَّيلة القابلة، وأَنَّ ﴿حمٓ ﴾ معناه: حُمَّ هذا الأَمر، و(ع) معناه: عدلاً من الله، و(سين) سيكون ذلك، و(قاف) معناه: يقع ذلك بهم[٣].

ورُوي: أَنَّ عليَّ بن أَبي طالب رضي الله عنه كان يستفيد علم الفتن والحروب من هذه الأحرف الّتي في أَوائل السُّور[٤].

و(الكاف) من قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ نعتٌ لمصدر محذوف، والإِشارة بـ(ذَٰلِكَ) تختلف بحسب الأَقوال في الحروف.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لهما في تفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٢).

(٢) سقط من الحمزوية.

(٣) منقطع ضعيف، أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٨٨٦)، والطبري (٢١/ ٤٩٧) من طريق أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الحمصي، عن أرطاة بن المنذر قال: قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال له ـ وعنده حُذيفة بن اليمان ـ: أخبرني عن تفسير قول الله: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ﴾ به مطولاً، وفي رواية: نعيم بن حماد عن أبي المغيرة، عن أرطاة عمن حدثه، عن ابن عباس، ومن طريق نعيم بن حماد أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٤٠). وسقط ذكر حذيفة من الحمزوية.

(٤) انظر تفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٢) ولم أقف عليه مسنداً.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿يُوحِيٓ﴾ بالياءِ على إِسناد الفعل إِلى الله تعالى، وهي قراءَة الحسن، والأَعرج، وأَبي جعفر، والجحدريّ، وعيسى، وطلحة، والأَعمش.

وقرأَ أَبو حيوة، والأَعشى عن أَبي بكر عن عاصم: (نُوحِي) بنون العظمة، ويكون قوله: ﴿ٱللَّهُ﴾ ابتداءً، وخبره ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾، ويحتمل أَن يكون خبره: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

وقرأَ ابن كثير وحده: ﴿يُوحَى﴾ بالياءِ وفتح الحاءِ على بناءِ الفعل للمفعول، وهي قراءَة مجاهد[١]، والتقدير: يُوحَى إِليك القرآن، يوحيه اللهُ، وهذا كما قال الشاعر:

لِيُبْكَ يَزيدُ ضارعٌ لِخُصُومَةٍ[٢] .... [الطويل]

ومنه قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦][٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ يريد: من الأَنبياءِ الّذين نزلت عليهم الكتب.

وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أَي: المُلْك والخلق[٤] والاختراع.

و﴿ٱلْعَلِىُّ﴾ من عُلُوِّ القدر والسّلطان.

و﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ كذلك، وليس بِعُلُوِّ مسافة ولا عِظَم جِرْم، تعالى الله عن ذلك.

وقرأَ نافع، والكسائي: ﴿يَكَادُ﴾ بالياءِ.

[وقرأَ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، وأَبو عمرو، وعاصم: ﴿تَكَادُ﴾ بالتاءِ].

وقرأَ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، ونافع، وابن عبّاس، وأَبو جعفر، وشيبة، وقتادة: ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ من التَّفَطُّر، وهو مطاوع[٥]: فَطَّر.

---

(١) الأولى والثالثة سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٤)، والسبعة (ص: ٥٨٠)، والثالثة ليست من طرقهما وهي طريق الأعشى عن شعبة كما في جامع البيان (٤/ ١٥٦٧)، والشموني عنه كما في الهداية لمكي (١٠/ ٦٥٥٢). وفي نجيبويه: «الأعمش».

(٢) وتمامه: وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوائِحُ، وقد تقدم الخلاف فيه في تفسير الآية (٧٣) من (سورة الأنعام).

(٣) إنما يتم الشاهد على قراءة ابن عامر وشعبة، بفتح الباء على المبني للمجهول.

(٤) سقط من أحمد٣.

(٥) في أحمد٣: «مضارع».

وقرأَ أَبو عمرو، وعاصم، والحسن، والأَعـرج، وأَبو رجـاءٍ، والجحدريُّ: ﴿يَنْفَطِرْنَ﴾ من: الانفطار، وهو مطاوع: فَطَرَ[(١)].

والمعنى فيهما: يتصدَّعْنَ ويتشقَّقن من سرعة جريهن خضوعاً وخشية من سلطان الله تعالى، وتعظيماً له وطاعة، وما وقع للمفسرين هنا من ذكر الثّقل ونحوه مردود، وذلك لأَنَّ الله تعالى لا يوصف به.

وقوله: ﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾ أَي: من أَعلاهن.

وقال الأَخفش عليُّ بن سليمان: الضمير للكفّار[(٢)].

قال القاضي أَبو محمد: المعنى: من فوق الفِرَق والجماعات الملحدة الّتي من أَجل أَقوالها تكاد السّماوات يتفطّرن[(٣)]، فهذه الآية ـ على هذا ـ كالآية الّتي في ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ٩٠].

وقالت فرقة: معناه: من فوق الأَرضين إِذْ قد جرى ذكر الأَرض.

وذكر الزَّجّاج أَنَّه قرئ: (يَتَفَطَّرْنَ بِمَنْ فَوْقَهُنَّ)[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ قيل: معناه: يقولون سبحان الله، وقيل: معناه: يُصَلُّونَ لربِّهم.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾، قالت فرقة: هذا منسوخ بقوله تعالى في آية أُخرى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧].

وهذا قول ضعيف؛ لأَنَّ النَّسْخَ في الأخبار لا يتصور.

---

(١) وكلها سبعية، إلا أن حفصاً قرأ ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ بالتاء، انظر السبعة (ص: ٥٨٠)، والتيسير (ص: ١٩٤).

(٢) الهداية لمكي (١٠/ ٦٥٥٦)، واستبعده.

(٣) في أحمد٣: «تتفطر».

(٤) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للزجاج (٤/ ٣٩٤). وفي السليمانية ونور العثمانية: «ممن».

وقال السّديُّ ما معناه: إِنَّ ظاهر هذه الآية العموم، ومعناها الخصوص في المؤمنين[١].

فكأَنَّه قال: وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرض من المؤمنين، إِذ الكفّار عليهم لعنة الله والملائكة والنّاس أَجمعين، وقالت فرقة: بل هي على عمومها، لكنَّ استغفار الملائكة ليس بطلب غفران الله تعالى للكفرة على أَن يبقوا كفرة، وإِنَّما استغفارهم لهم بمعنى طلب الهداية الّتي تؤدي إِلى الغفران لهم، وكأَنَّ الملائكة تقول: اللهمَّ اهد أَهل الأرض واغفر لهم.

ويؤيد هذا التّأْويل تأْكيده صفة الغفران والرحمة لنفسه بالاستفتاح[٢]، وذلك قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، أَي: لمَّا كان الاستغفار لجميع من في الأَرض يبعد[٣] أَن يجابَ، رَجَّى عزَّ وجلَّ بأَن استفتح الكلام تهيئةً لنفس السّامع، فقال: أَلا إِنَّ الله هو الذي يُطلب هذا منه إِذْ هذه أَوصافه، وهو أَهل المغفرة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝٦ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ۝٧ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٨ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٩﴾.

هذه آية تسلية للنبيِّ ﷺ، ووعيد للكفّار، وإزالةٍ عن النبيِّ ﷺ جميع الكُلَف، سوى التّبليغ فقط، لِئَلَّا يهتمّ بعدم إِيمان / قريش وغيرهم، فقال تعالى لنبيه: إِنَّ الّذين [٥/ ٥٧]
اتخذوا الأَصنام والأَوثان أَولياءَ من دون الله، الله هو الحفيظ عليهم كفرهم، المُحْصي

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٥٠٢).
(٢) في السليمانية: «والاستفتاح».
(٣) في أحمد٣ والسليمانية: «مُعَدٌّ»، وأشار لها في حاشية المطبوع.

لأَعمالهم، المُجازي لهم عليها بعذاب الآخرة، وأَنت فلَسْتَ بوكيل عليهم ولا ملازم لأَمرهم حتّى يؤمنوا.

و«الوكيل»: القيم على الأَمر، وما في هذا اللَّفظ من موادعة فهو منسوخ بآية السيف.

ثمَّ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾، أَي: وكما قضينا أَمرك هذا وأَمضيناه في هذه الصورة، كذلك[١] أَوحينا إِليك قرآناً عربياً مبيِّناً لهم، لا يحتاجون معه إِلى آخر[٢] سواه [ولا محتج غيره][٣]؛ إِذْ فهمه مُتَأَتٍّ لهم[٤]، ولم نكلفك إِلَّا إِنذار من ذُكر.

و﴿أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾ هي مكَّة والمراد أَهل مكَّة، ولذلك عطف ﴿مَنۡ﴾ عليها وهي في الأَغلب لمن يعقل.

و﴿يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾ هو يوم القيامة، واقتصر في ﴿وَتُنذِرَ﴾ على المفعول الأَوَّل لأَنَّ المعنى: لتُنذر أهل أُمِّ القرى العذابَ وتُنذر النّاسَ يومَ الجمع، [أَي: تخوفهم إياه لما فيه من عذاب من كفر.

وسمِّي يوم الجمع][٥]؛ لاجتماع أَهل الأَرض فيه بأَهل السَّماءِ، أو لاجتماع بني آدم للعرض.

وقوله: ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ أَي: في نفسه وذاته، وارتياب الكفّار فيه لا [يعتد به][٦].

وقوله تعالى: ﴿فَرِيقٞ﴾ مرتفع[٧] على خبر الابتداءِ المضمر، كأَنَّه قال: هم فريق في الجنَّة وفريق في السّعير.

---

(١) سقط من أحمد٣ والسليمانية.

(٢) في السليمانية ونور العثمانية ونجيبويه: «أحد».

(٣) سقط من المطبوع، وفي السليمانية: «لغيره» بدل «غيره».

(٤) في السليمانية: «لك»، وسقط من أحمد٣ من بعد «قرآنا عربياً مبينا لهم» إلى هنا. وفيها: «لم يكلفك».

(٥) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٦) في المطبوع بدلًا منه: «يُقيِّد».

(٧) سقط من أحمد٣.

ثمَّ قوَّى تعالى تسلية نبِّيه ﷺ بأَن عرَّفه بأَنَّ الأَمر موقوف على مشيئة الله من إِيمانهم أَو كفرهم، وأَنَّه لو أَراد كونهم أُمَّةً واحدة [على دين واحد][(١)] لجمعهم عليه، ولكنه يُدخل من سبقت له السعادة عنده في رحمته، وييسره[(٢)] في الدنيا لعمل أَهل السّعادة، وإِنَّ الظالمين بالكفر المُيَسَّرينَ لعمل أَهل الشِّقوة ما لهم من وليٍّ ولا نصير.

وقوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ﴾ كلام منقطع مما قبله، وليست معادلة، ولكنَّ الكلام كأَنَّه أَضرب عن حُجَّة لهم أَو مقالة مقرَّرة، فقال: بل اتخذوا، هذا مشهور قول النحويِّين في مثل هذا، وذهب بعضهم إِلى أَن (أَم) هذه بمنزلة أَلف الاستفهام دون تقدير إِضراب، ثمَّ أَثبت الحكم بأَنَّه عزَّ وجلَّ هو الوليُّ الّذي تنفع ولايته، وأَنَّه هو الّذي يحيي الموتى ويحشرهم إِلى الآخرة ويبعثهم من قبورهم، وأَنَّ قدرته على كلِّ شيءٍ تعطي هذا وتقتضيه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

المعنى: قل لهم يا محمد: وما اختلفتم فيه أَيُّها النّاس من تكذيب وتصديق وإِيمان وكفر وغير ذلك، فالحكم فيه والمجازاة عليه ليست إِليَّ ولا بيدي، وإِنَّما ذلك إِلى الله الّذي صفاته ما ذكر من إِحياءِ الموتى والقدرة على كلِّ شيءٍ.

ثمَّ قال: ذلكم الله ربِّي، وعليه توكلي، وإِليه إِنابتي ورجوعي، وهو فاطر السّماوات والأَرض، أَي: مخترعهما وخالقهما، شقَّ بعضهما من بعض.

وقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ يريد زوج الإِنسان الأُنثى،

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) في المطبوع ونور العثمانية: «ويُبَشِّره»، وفي نجيبويه: «يرشده».

وبهذه النّعمة اتفق الذَّرْءُ، وليست الأَزواج ها هنا الأَنواع، وأَمّا الأَزواج المذكورة مع الأَنعام فالظاهر أَيضاً والمُتَّسِق أَنَّه يريد إِناث الذكران، ويحتمل أَن يريد الأَنواع، والأَوَّل أَظهر.

وقوله: ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ﴾ أَي: يخلقكم نسلاً بعد نسل، وقرناً بعد قرن، قاله مجاهد والنّاس(١).

فلفظة (ذَرَأَ) تزيد على لفظة (خَلَقَ) معنى آخر ليس في (خَلَقَ)، وهو توالي الطَّبقات على مرِّ الزَّمان.

وقوله: ﴿فِيهِ﴾ الضمير عائد على (الْجَعْلِ) الّذي تضمَّنه قوله: ﴿جَعَلَ لَكُم﴾، وهذا كما تقول: كلَّمتُ زيداً كلاماً أَكرمته فيه.

وقال القتبي: الضَّمير للتَّزويج(٢)، ولفظة (في) مشتركة على معان وإِن كان أَصلها الوعاءُ(٣)، وإِليه يردُّها النظر(٤) في كلِّ وجه.

وقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾، الكاف مؤكدة للتَّشبيه، فنفي التَّشبيه أَوْكد ما يكون، وذلك أَنَّك تقول: زيدٌ كعمرو، وزيد مثل عمرو، فإِذا أَردت المبالغة التامَّة قلت: زيدٌ كَمِثْلِ عمرو، ومن هذا قول أَوس بن حجر:

[المتقارب] وقَتْلَى كَمِثْلِ جُذوعِ النَّخيلِ ... تَغَشَّاهُمُ مُسْبِلٌ مُنْهَمِرْ(٥)

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٥٠٧ - ٥٠٨)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٦٤)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٥)، وتفسير السمعاني (٥/ ٦٦).

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٣٩١)، بلفظ: «أو في الزوج»، وفي السليمانية: «التزوج»، وفي المطبوع والحمزوية وأحمد٣: «العتبيُّ».

(٣) في الأصل: «الدعاء».

(٤) «وإليه»: سقطت من أحمد٣، وفي السليمانية: «يردها أهل النظر».

(٥) انظر عزوه له في تفسير الطبري (٢١/ ٥٠٩)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٦). وفي نجيبويه والحمزوية: «سيل»، وفي أحمد٣ ونور العثمانية والسليمانية: «سبل»، بالباء، وفي السليمانية: «أوس بن جحش».

ومنه قول الآخر:

سَعْدُ بنُ زَيْد إِذا أَبْصَرْتَ فَضْلَهُمُ ... ما إِنْ كَمِثْلِهِمُ في النَّاسِ مِنْ أَحَد[١] [البسيط]

فجرت الآية في هذا الموضع على عُرْف كلام العرب، وتفترق الآية مع هذه الشَّواهد [في أَنَّ الشواهد][٢] متى أَردت أَن تتبع[٣] بذهنك هذا اللَّفظ فتقدِّر للجذوع مِثْلاً موجوداً وتشبِّه القتلى بذلك المِثْل أَمكنك، ولا يمكنك هذا في جهة الله تعالى [إِلَّا أَن تجعل المثل ما يتحصل في الذِّهن من العلم بالله تعالى، إِذ المثْل والمثال واحد][٤].

وذهب الطبريُّ وغيره إِلى أَنَّ المعنى: ليس كهو شيءٌ، وقالوا: لفظة (مِثْل) في الآية توكيدٌ أو واقعةٌ موقع هو[٥].

قال القاضي أَبو محمد: [وممَّا يؤيد دخول الكاف تأكيداً: أَنها قد تدخل على الكاف نفسها، وأَنشد سيبويه:

.... وصالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤَثْفَيْنْ[٦] [الرجز]

و«المَقَالِيدُ»: المفاتيح، قاله ابن عبّاس[٧]، والحسن.

---

(١) بلا نسبة في تفسير الطبري (٢١/ ٥٠٩)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٦)، وتفسير السمعاني (٥/ ٦٦)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٩٥).

(٢) سقط من الأصل.

(٣) «أن تتبع»: سقطت من أحمد٣.

(٤) سقط من الحمزوية وأحمد٣.

(٥) زاد في أحمد٣ والسليمانية: «ليس هو كشيء»، وفيه: «ولا كهو شيء»، وذكر الطبري في الآية وجهين، انظره (٢١/ ٥٠٨-٥١٠).

(٦) البيت لخطام المجاشعي كما في الكتاب لسيبويه (١/ ٣٢)، وتهذيب اللغة (١٥/ ١٠٩)، والمحكم (١٠/ ٢٠١)، والنكت للقيرواني (ص: ١١٥)، وفصل المقال للبكري (ص: ٩٧)، وإيضاح الشواهد (٢/ ٨٨٣)، وشرح أدب الكاتب (ص: ٢٥٥) قال: واسمه عياض بن بشر بن عياض، ولم أجد من عزاه لهميان بن قحافة؛ لا الجوهري، ولا صاحب إيضاح الشواهد، لكن عزا له أشعاراً أخرى.

(٧) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٢١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

وقال مجاهد: أَصلها بالفارسيّة، وهي هاهنا استعارة لوقوع كلِّ أَمر تحت قدرته.

وقال السّديُّ: المقاليد: الخزائن، وفي العبارة ـ على هذا ـ حذف مضاف.

قال قتادة: من ملك مقاليد خزائن فالخزائن في ملكه(١).

وبَسْط الرزق وقدره بَيِّنٌ، وقد مضى تفسيره غير مرة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى / لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾﴾. [٥/ ٥٨]

المعنى: شرع الله لكم وبَيَّن من المعتقدات والتّوحيد ما وصَّى به نوحاً من قبل.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِيٓ﴾ عطف على ﴿مَا﴾، وكذلك ما ذكر بعد من إِقامة الدِّين مشروع اتَّفقت النبوَّات فيه، وذلك في المعتقدات أَو في جملة أَمرها من أَن كلَّ نُبُوَّة فإِنَّما مُضَمَّنُها معتقدات وأَحكام، فيجيءُ المعنى على هذا: شرع لكم شِرْعَة هي كشِرْعة نوح وإِبراهيم وموسى وعيسى عليهم السَّلام في أَنَّها ذات المعتقدات المشهورة الّتي هي في كلِّ نبوَّة، وذات أَحكام كما كانت تلك كلّها.

وعلى هذا يتخرج ما حكاه الطبريُّ عن قتادة، قال: ما وَصَّى بِهِ نُوحاً: يريد به الحلالَ والحرامَ(٢)، وعليه رُوي أَنَّ نوحاً هو أَوَّل من أَتى بتحريم البنات والأُمهات(٣).

وأَمَّا الأَحكام بانفرادها فهي في الشَّرائع مختلفة، وهي المراد في قوله تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ [المائدة: ٤٨].

---

(١) انظر الأقوال الأربعة في تفسير الطبري (٢١/ ٥١١).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٥١٣)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٦).

(٣) تفسير القرطبي (٤/ ٦٢-٧/ ٢٣٢)، و«هو» سقط في أحمد٣ والسليمانية. وفيها: «أول من أمر بتحريم...».

و﴿أَنْ﴾ في قوله: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ﴾ يجوز أَن تكون في موضع نصب بدلاً من ﴿مَا﴾، أَو في موضع خفض بدلاً من الضمير في ﴿بِهِۦ﴾، أَو في موضع رفع على خبر ابتداءٍ تقديره: ذلك أَنْ، وأَن[١] تكون مفسِّرة بمعنى (أَي) لا موضع لها من الإِعراب.

و«إِقامة الدّين»: هي توحيد الله تعالى ورفض ما سواه.

وقوله: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ﴾ فيه نهي عن المُهْلك من تفرُّق الأَنحاءِ والمذاهب، والخيْرُ كلُّه في الأُلفة واجتماع الكلمة.

ثمَّ أَخبر تعالى نبيَّه بصعوبة موقع هذه الدعوة إِلى إِقامة الدِّين[٢] على المشركين بالله، العابدين الأصنام.

قال قتادة: كبرت عليهم (لا إِله إِلَّا الله)، وأَبى الله إِلَّا نصرها وإِظهارها[٣].

ثمَّ سلَّاه عنهم بقوله: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ﴾؛ أَي: يختارُ ويصطفي، قاله مجاهد وغيره[٤].

و﴿مَن يُنِيبُ﴾ معناه: يرجع عن الكفر، ويحرص[٥] على الخير ويطلبه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾[٦] عبارة يجمع خِطابُها كفّارَ العرب واليهودَ والنّصارى وكلَّ مدعوٍّ إِلى الإِسلام، فلذلك حسُن أَن يقال: (مَا تَفَرَّقُوا)، يعني بذلك أَوائل اليهود والنّصارى.

و﴿ٱلْعِلْمُ﴾ الّذي جاءَهم هو ما كان حصل في نفوسهم من علم كُتُب الله تعالى، فبغى بعضهم على بعض، وأَدَّاهم ذلك إِلى الاختلاف في الرَّأْي، [وافتراق الكلمة][٧].

---

(١) في المطبوع: «ويجوز أن»، قال في الحاشية: زيادة لتوضيح المعنى.

(٢) في السليمانية: «الدعوة».

(٣) من المطبوع والحمزوية وأحمد٣ والسليمانية، وانظر تفسير الطبري (٢١/ ٥١٤).

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٥١٤).

(٥) في المطبوع ونور العثمانية: «ويُحَرِّض».

(٦) في الأصل: «ولا تتفرقوا»، والعبارتان في الآية، لكن (لا تتفرقوا) تقدم تفسيرها.

(٧) سقط من المطبوع.

و«الكلمة السَّابقة»؛ قال المفسرون: هي حتمه تعالى القضاءَ بأَن مجازاتهم إِنَّما تقع في الآخرة، فلولا ذلك لفَصَلَ بينهم في الدنيا وغلب المحقُّ على المبطل.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إِشارة إِلى معاصري محمد ﷺ من اليهود والنّصارى، وقيل: هي إِشارة إِلى العرب.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: هو القرآن.

والضمير في قوله: ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ يحتمل أَن يعود على ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، أَو على محمد ﷺ، أَو على (الأَجل المُسَمَّى)، أَي: في شكٍّ من البعث على قول من رأَى أَنَّ الإِشارة إِلى العرب.

وَوَصفُ الشَّكِّ بمُريب مبالغة فيه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾.

اللّام في قوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ قالت فرقة: هي بمنزلة (إِلى)، كما قال تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥]، أَي: إِليها، كأَنَّه قال: فإِلى ما وصَّى به الأَنبياءَ من التَّوحيد فادْعُ.

وقالت فرقة: بل هي بمعنى: من أَجل، كأَنَّه قال: فمن أَجل أَنَّ الأَمر كذا ولكونه كذا، فادْعُ أَنت إِلى ربِّك وبَلِّغ ما أُرْسِلْتَ به.

وخوطب ﷺ بأَمر الاستقامة وهو ﷺ قد كان مستقيماً بمعنى: دُمْ على استقامتك، وهكذا الشّأْن في كلِّ مأْمور بشيءٍ هو متلبس به إِنَّما معناه الدَّوام.

وهذه الآية ونحوها كانت نصب عيْنِ النبيِّ ﷺ، وكانت شديدة الموقع

من نفسه، أَعني قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ لأَنَّها جملة تحتها جميع الطَّاعات وتكاليف النبوَّة.

وفي هذا المعنى قال ﷺ: «شَيَّبَتْني هودٌ وأَخواتها»، فقيل له: لم ذلك؟ فقال: لأَنَّ فيها ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾[1]، وهذا الخطاب له ﷺ بحسب قوَّته في أَمر الله تعالى، وقال هو لأُمَّته بحسب ضعفهم: «اسْتَقِيمُوا [ولن تُحْصُوا][2]».

وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ يعني قريشاً فيما كانوا يَهْوَوْنَهُ من أَن يعظِّم محمد ﷺ آلهتهم وغير ذلك.

ثمَّ أَمره تعالى أَن يؤمن بالكتب المنزلة قبله من عند الله، وهو أَمر يعمُّ سائر أُمَّته.

وقوله تعالى: ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ﴾:

قالت فرقة: اللَّام في ﴿لِأَعۡدِلَ﴾ بمعنى (أَنْ)، لأَنَّ التقدير: أُمرتُ بأَن أَعدل بينكم.

وقالت فرقة: المعنى: وأُمرتُ بما أُمرتُ من التَّبليغ والشَّرع لكي أَعدلَ بينكم، فحذف من الكلام ما يدلّ الظاهر عليه.

وقوله: ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ إِلى آخر الآية؛ منسوخ ما فيه من موادعة بآية السَّيف.

وقوله: ﴿لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ﴾ أَي: لا جدال ولا مناظرة، وقد وضح الحقُّ وأَنتم تعاندون.

وفي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا﴾ وعيدٌ.

---

(١) فيه اضطراب شديد، وتقدم تخريجه عند الآية (١١٢) من (سورة هود).

(٢) سقط من الأصل، والحديث له طرق لا تسلم من الضعف، أخرجه مالك في الموطأ بلاغاً (٦٦) وأخرجه ابن ماجه (٢٧٧) من طريق: سالم بن أبي الجعد عن ثوبان مرفوعاً، وسالم لم يسمع من ثوبان، قاله غير واحد من النقاد، ثم أخرجه ابن ماجه (٢٧٨) من طريق: المعتمر بن سليمان عن ليث عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً، وليث هو ابن أبي سليم، ضعيف، وللحديث طرق أخرى لا تخلو من ضعف، يراجع تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٢/ ٢٣٢).

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾، قال ابن عبّاس(١)، ومجاهد: إِنَّها نزلت في طائفة من بني إِسرائيل همَّت بَرَدِّ النّاس عن الإِسلام وإِضلالهم ومجادلتهم بأَن قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبيُّنا قبل نبيِّكم، فديننا أَفضل، فنزلت الآية في ذلك(٢).

وقيل: بل نزلت في قريش، لأَنَّها كانت أَبداً تجادل(٣) هذا المعنى، وتطمع في ردِّ الجاهلية(٤).

و﴿يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾ معناه: في توحيد الله، أَي: [يحاجون فيه](٥) بالإِبطال والإِلحاد وما أَشبهه.

والضمير في ﴿لَهُۥ﴾ يحتمل أَن يعود على الله تعالى، أَي: بعد ما دخل النّاسُ في دينه.

ويحتمل أَن يعود على الدين والشَّرع.

ويحتمل أَن يعود على محمد ﷺ.

و﴿دَاحِضَةٌ﴾ معناه: زاهقة، و«الدَّحْضُ»: الزَّلق، وباقي الآية بيِّن(٦).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾/ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾. [٥/ ٥٩]

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٥١٨-٥١٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس.

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٧) بمعناه، ونقله تفسير الطبري (٢١/ ٥١٩) عن قتادة.

(٣) في الأصل ونور العثمانية: «تحاول».

(٤) هذا القول رواه الطبري عن مجاهد فقال: عن مجاهد ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾ قال: طمع رجال بأن تعود الجاهلية. تفسير الطبري (٢١/ ٥١٩).

(٥) سقط من أحمد٣.

(٦) في الحمزوية: «وباقي الآية وعيد».

لمَّا أنحى[(١)] القول على الَّذين يحاجُّون في توحيد الله ويرومون إطفاء[(٢)] نوره، صدع في هذه الآية بصفته تعالى من إِنزال الكتاب الهادي للنّاس.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هنا اسم جنس يعمّ جميع الكتب المنزلة.

وقوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ يحتمل أَن يكون المعنى: بأَن كان ذلك حقّاً واجباً للمصلحة والهدى.

ويحتمل أَن يكون المعنى: مُضَمَّناً الحقّ، أَي: بالحقِّ في أَحكامه وأَوامره ونواهيه[(٣)].

و(الميزان) هنا: العدل، قاله ابن عبّاس، ومجاهد، وقتادة، والنّاس[(٤)].

وحكى الثّعلبيُّ عن مجاهد أَنَّه قال: هو هنا الميزان الّذي بأَيدي النّاس[(٥)].

قال القاضي أَبو محمد: ولا شكَّ أَنَّه داخل في العدل[(٦)] وجزءٌ منه، وكلُّ شيءٍ من الأُمور فالعدل فيه إِنَّما هو بوزن وتقدير مستقيم، فيحتاج في الأَجرام إِلى آلة وهي العمود والكفتان الّتي بأَيدي البشر، ويحتاج في المعاني إِلى هيئات في النّفوس وفهوم توازن بين الأَشياءِ.

وقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ وعيد للمشركين، أَي: فانظر في أَيِّ غَرَرٍ هُمْ.

وجاءَ لفظ ﴿قَرِيبٌ﴾ مذكَّراً من حيث تأْنيث الساعة غير حقيقي؛ وإِذ هي بمعنى الوقت.

---

(١) في المطبوع: «أَنهى».

(٢) في المطبوع: «إِخفاءَ».

(٣) سقطت من الأصل.

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٥٢٠)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٧٧)، وقول ابن عباس في تفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٥) ولم أقف عليه مسنداً.

(٥) تفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٧) ولفظة: «قال هو هنا» سقطت من أحمد٣ والسليمانية.

(٦) في المطبوع: «القول».

ثم وصف تعالى حال الجهلة المكذبين بها، فهم لذلك يستعجلون بها، أَي يطلبون تعجيلها لِيَبِينَ العجزُ ممن تحقَّقَها، فالمصدِّق بها مشفقٌ خائف، والمكذِّب مستعجل مقيم لِحُجَّته على تكذيبه بذلك المستعجل به.

ثمَّ استفتح[١] الإخبار عن المُمَارين في السّاعة بأنهم في ضلال قد بعُدَ بهمْ، فرجوعهم عنه صعب متعذِّر، وفي هذا الاستفتاح مبالغة وتأْكيد وتهيئة لنفس السّامع.

ثمَّ رجَّى تبارك وتعالى عباده بقوله: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾، ولَطِيفٌ هنا بمعنى رفيقٌ مُتَحَفٍّ.

والعباد هنا: المؤمنون ومن سَبَق له الخلود في الجنَّة، وذلك أَنَّ الأَعمال بخواتمها، ولا لُطف إِلَّا ما آل إِلى الرحمة، وأَما الإِنعام على الكافرين في الدنيا فليس بلُطْف بهم، بل هو إِملاءٌ واستدراج.

قال الجنيد: لطف بأَوليائه حتى عرفوه، ولو لطف بالكفار لما جحدوه[٢].

وقيل: لطيفٌ معناه: في أن نشر عنهم المناقب وستر عليهم المثالب، وقيل: هو الذي لا يخاف إِلَّا عدله، ولا يُرْجى إِلَّا فضله.

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ معناه: إِرادةَ مستعد عاملٍ عارفٍ، لا إِرادة مُتَمَنٍّ لم يُدِن نفسه.

و«الحَرْثُ» في هذه الآية: عبارة عن السَّعي والتَّكَسُّب والإِعداد، ولمَّا كان حرث الأَرضِ أَصلاً من أُصول المكاسب استُعير لكلِّ تكَسُّب[٣]، ومنه قول ابن عمر: احرث لدنياك كأَنَّك تعيش أَبداً، واعمل لآخرتك كأَنَّك تموت غداً[٤].

---

(١) في السليمانية: «افتتح».

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٨)، وتفسير السلمي (٢/ ٢٢٦).

(٣) في أحمد٣: «مكسب»، وفي السليمانية: «مكتسب».

(٤) منقطع، أخرجه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٤٩)، وابن قتيبة في غريب الحديث (١/ ٢٨٦)=

وقوله تعالى: ﴿نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦ﴾ وعْدٌ منتجز[١].

وقوله في حرث الدُّنيا: ﴿نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ معناه: ما شئنا ولمن شئنا، فرُبَّ مُمْتَحَنٍ مُضَيَّق عليه حريص على حرث الدُّنيا مريد له لا يُحِسُّ[٢] بغيره، نعوذ بالله من ذلك، وهذا الذي لا يعقل غير الدُّنيا هو الّذي نُفي أَن يكون له نصيب في الآخرة.

وقرأ سلام: (نُؤْتِهُ) برفع الهاءِ، وهي لغة لأهل الحجاز، ومثله قراءتهم: (فَخَسَفْنا بِهُ وَبِدارِهُ الْأَرْضَ)، [برفع الهاءِ فيهما][٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿أَمۡ﴾ هذه منقطعة لا معادلة، وهي بتقدير (بل) وأَلف الاستفهام.

= **٢/ ٣٨٥)** من طريق عبيد الله بن العيزار، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه به، وعبيد الله ابن العيزار المازني بصري، روى عن سالم بن عبد الله والحسن البصري، وطلق بن حبيب ولكنه لم يسمع من عبد الله بن عمرو، وقد وثقه ابن معين كما في الجرح والتعديل **(٥/ ٣٣٠)**، وأخرجه الحارث بن أبي أسامة كما في زوائده للهيثمي **(١٠٩٣)** عن عبيد الله بن العيزار قال: لقيت شيخاً بالرمل من الأعراب كبيراً فقلت له: لقيت أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. فقلت: من؟ فقال: عبد الله بن عمرو بن العاص.. فذكره، وهذا يؤكد على أن عبيد الله بن العيزار لم يسمع من عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وبنحو هذا روي مرفوعاً ولا يصح، وقد تقدم.

(١) في السليمانية: «مرتجز».

(٢) في السليمانية: «لا يحسن».

(٣) سقط من أحمد٣، وكلتاهما شاذة، انظر المحتسب **(٢/ ٢٤٩)**، والقراءة الثانية هي في الآية: **(٨١)** من (سورة القصص).

والشُّركاءُ في هذه الآية: يحتمل أَن يكون المراد بهم الشَّياطين والمُغوِينَ من أَسلافهم، ويكون الضمير في ﴿لَهُمْ﴾ للكفّار المعاصرين لمحمد ﷺ، أَي: شرع الشُّركاءُ لهم ما لم يأْذن به الله، فالاشتراك هنا هو في الكفر والغواية، وليس بشركة الإِشراك بالله.

ويحتمل أَن يكون المراد بالشُّركاءِ: الأَصنام والأَوثان على معنى: أَم لهم أَصنام جعلوها شركاءَ لله في أُلوهيته؟ ويكون الضمير في ﴿شَرَعُواْ﴾ لهؤلاءِ المعاصرين من الكفّار ولآبائهم، والضمير في ﴿لَهُمْ﴾ للأَصنام الشُّركاءِ، أَي: شرع هؤلاءِ الكفّار لأَصنامهم وأَوثانهم ما لم يأْذن به الله.

و﴿شَرَعُواْ﴾ معناه: أَثبتوا ونهجوا ورسموا.

و﴿ٱلدِّينِ﴾ هنا: العوائد والأَحكام والسِّيرة، ويدخل في ذلك أَيضاً المعتقدات؛ لأَنَّهم في جميع ذلك وضعوا أَوضاعاً، فأَمَّا في المعتقدات فقولهم: إِنَّ الأَصنام آلهة، وقولهم: إِنَّهم يعبدون الأَصنام زُلْفَى، وغير ذلك، وأَمّا في الأَحكام فكالْبَحِيرَةِ والْوَصِيلَة [والْحَامِي، وغير ذلك من السَّوائب ونحوها][١].

و«الإِذْنُ» في هذه الآية: الأَمر.

و﴿كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾: هي ما سبق من قضاءِ الله تعالى بأنه يؤخر عذابهم[٢] إِلى الآخرة.

و«القضاءُ بينهم»: هو عذابهم في الدُّنيا ومجازاتهم.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ بكسر الهمزة على القطع والاستئناف. وقرأَ مسلم بن جندب: (وأن الظالمين) بفتح الهمزة[٣].

---

(١) في أحمد٣ بدلًا منه: «والسوائب وغيرها».
(٢) في أحمد٣ والسليمانية: «عقابهم».
(٣) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٢٤٩).

وهي في موضع رفع عطف على ﴿كَلِمَةُ﴾، المعنى[١]: وأَنَّ الظّالمين لهم في الآخرة عذاب.

وقوله: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ هي رؤْية بصر، و﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مفعول، و﴿مُشۡفِقِينَ﴾ حال، وليس لهم في هذا الإِشفاق مدح؛ لأَنَّهم إِنَّما أَشفقوا حين نزل بهم ووقع، وليسوا كالمؤمنين الّذين هم في الدّنيا مشفقون من السّاعة كما تقدَّم / . [٥/ ٦٠]

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡ﴾ جملة في موضع الحال.

و«الـرَّوْضَـاتُ»: المواضع الْمُونقة النَّضرة، وهي مرتفعة في الأَغلب[٢] من الاستعمال، وهي الممدوحة عند العرب وغيرهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

ومن ذلك تفضيلهم روضات الحَزْن لجودة هوائها.

قال الطبريُّ: ولا تقول العرب لموضع الأشجار: رياض[٣].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾ إشـارة[٤] إلى قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٧].

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿يُبَشِّرُ﴾ بضم الياءِ وفتح الباءِ وشدِّ الشّين المكسورة، وذلك على التَّعدية بالتضعيف.

وقرأَ مجاهد، وحُمَيْد: (يُبْشِرُ) بضمِّ الياءِ وسكون الباءِ وكسر الشِّين خفيفة، على التَّعدية بالهمزة.

---

(١) في السليمانية: «المضاف».
(٢) في أحمد٣: «الأعلى».
(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٥٢٣).
(٤) في السليمانية: «ينظر».

وقرأَ ابن مسعود، وابن يَعْمَر، وابن أَبي إِسحاق، والجحدريُّ، والأَعمش، وطلحة: ﴿يَبْشُرُ﴾ بفتح الياءِ وبسكون الباء وضمِّ الشّين خفيفة، ورويت عن ابن كثير[١].

وقال الجحدريُّ في تفسيرها: ترى النَّضرة في الوجوه[٢].

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، اختلف النّاسُ في معناه:

فقال ابن عبّاس وغيره: هي آية مكّيَّة نزلت في صدر الإِسلام، ومعناها اسْتِكْفاف[٣] شرِّ الكفّار، ودفع أذاهم، أَي: ما أَسأَلكم على القرآن والدين[٤] والدّعاءِ إِلى الله إِلَّا أَن تَوَدُّوني لقرابةٍ هي بيني وبينكم، فتكفّوا عنِّي أَذاكم[٥].

قال ابن عبّاس، وابن إِسحاق، وقتادة: ولم يَكُن في قريش بطن إِلَّا ولرسول الله ﷺ فيه نسبٌ أَو صهْر[٦]، فالآية ـ على هذا ـ هي استعطافٌ مَّا، ودَفْع أَذى، وطلبُ سلامة منهم، وذلك كلُّه منسوخ بآية السَّيف.

ويحتمل على هذا التَّأْويل[٧]: أَن يكون معنى الكلام استدعاءَ نصرهم، أي: لا

(١) هي سبعية، للأكثر وهم أبو عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي، والأولى للباقين، أما الثانية فشاذة، لحميد في تفسير الثعلبي (٣/ ٦١). و«بسكون الباء» زيادة من السليمانية وأحمد٣، و«خفيفة» في الموضعين من أحمد٣، وفي المطبوع: و«التضعيف».

(٢) هذا القول ذكره ابن زنجلة في حجة القراءات (ص: ٦٤١) عن اليزيدي حجة لتفريق أبي عمرو بين هذا الموضع والمواضع الأخرى.

(٣) زاد في السليمانية كلمة غير مقروءة رسمت هكذا: «انه» دون نقط.

(٤) من الأصل.

(٥) جيد، أخرجه الطبري (٢١/ ٥٢٥) والطبراني في «الكبير» (١٢٥٦٩)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٤٤) من طريق داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، بنحوه. ولفظة: «وغيره» سقطت من السليمانية.

(٦) أخرجه البخاري (٤٨١٨)، وانظر تفسير الطبري (٢١/ ٥٢٦)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣١٠)، وتفسير الثعالبي (٤/ ١٠٧).

(٧) في السليمانية: «الدليل».

أَسأَلكم غرامةً ولا شيئاً إِلَّا أَن تَوَدُّوني لقرابتي منكم، وأَن تكونوا أَولى بي من غيركم.

وقال مجاهد: إِلَّا أَن تَصلوا رحمي باتِّباعي[١].

وقال ابن عبّاس أيضاً ما يقتضي أَنَّها مدنيَّة، وسببها: أَنَّ قوماً من شباب الأَنصار فاخروا المهاجرين، ومالوا[٢] بالقول على قريش، فنزلت الآية في ذلك على معنى: إِلَّا أَن تودُّوني فتراعونني في قرابتي وتحفظونني فيهم[٣].

وقال بهذا المعنى في الآية عليُّ بن الحسين بن علي بن أَبي طالب رضي الله عنهم، واستشهد بالآية حين سيق إِلى الشّام أَسيراً[٤]، وهو تأْويل ابن جبير، وعمرو بن شعيب[٥].

وعلى هذا التَّأْويل قال ابن عبّاس قيل: يا رسول الله، مَنْ قرابتك الّذين أُمرنا بمودَّتهم؟ فقال: «عليٌّ وفاطمة وابناهما»،[٦] وقيل: هم ولد عبد المطَّلب.

قال القاضي أَبو محمد: وقريش كلُّها عندي قُرْبى وإِن كانت تتفاضل.

وقد روي عن النبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «من مات على حبِّ آل محمد مات شهيداً، ومن

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٥٢٦).

(٢) في السليمانية: «تعالوا».

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ٥٢٨)، والطبراني في الأوسط (٣٨٦٤) من طريق عبد السلام ابن حرب النهدي، عن يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس رضي الله عنه بنحوه بلفظ أطول من هذا، ويزيد بن أبي زياد الهاشمي ضعيف.

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٥٢٨)، تفسير الثعلبي (٨/ ٣١١). وفي المطبوع: «علي بن الحسن».

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٥٢٨)، تفسير الماوردي (٥/ ٢٠٢).

(٦) منكر، أخرجه الطبراني في الكبير (١٢٢٥٩)، والثعلبي في تفسيره (٨/ ٣١٠) من طريق حسين الأشقر، عن قيس، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه به، بنحوه، والحسين بن الحسن الأشقر الكوفي، قال البخاري: فيه نظر، وقال أبو زرعة: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: ليس بقوي، وقال الجوزجاني: غال شتام للخيرة، وقال ابن عدي: جماعة من الضعفاء يحيلون بالروايات على حسين الأشقر، على أن في حديثه بعض ما فيه، وذكر له مناكير، قال في أحدها: البلاء عندي من الأشقر، وقال أبو معمر الهذلي: كذاب. وانظر ترجمته الميزان (١/ ٥٣١).

مات على بُغضهم لم يشم رائحة الجنَّة»[١].

وقال ابن عبّاس أَيضاً ـ في كتاب الثّعلبيِّ ـ: سبب هذه الآية أَنَّ الأَنصار جمعت لرسول الله ﷺ مالاً[٢]، وساقته إِليه، فردَّه عليهم ونزلت الآية في ذلك[٣].

وقال ابن عبّاس أَيضاً: معنى الآية: مِنْ قُرْبَى الطّاعة والتَّزَلُّف إِلى الله تعالى، كأَنَّه قال: إِلَّا أَن تَوَدُّوني لأَنّي أَقربكم من الله، وأُريد هدايتكم وأَدعوكم إِليها[٤].

وقال الحسن بن أَبي الحسن: معناه: إِلَّا أَن تتودَّدوا إِلى الله تعالى بالتقرُّب إِليه[٥].

وقال عبد الله بن القاسم ـ في كتاب الطبريِّ ـ: معنى الآية: إِلَّا أَن تَتَوَدَّدُوا بعضكم إِلى بعض وتصلوا قرابتكم، فالآية ـ على هذا ـ أَمر بصلة الرَّحم[٦].

---

(١) موضوع، أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ٣١٤) عن أبي محمد عبد الله بن حامد الأصبهاني، عن أبي عبد الله بن محمّد بن علي بن الحسين البلخي، عن يعقوب بن يوسف بن إسحاق، عن محمد ابن أسلم الطوسي، عن يعلي بن عبيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير البجلي، قال: قال رسول الله ﷺ به مطولاً، ومحمد بن أسلم ومن فوقه أثبات، والآفة فيه ما بين الثعلبي ومحمد، وقد حكم الحافظ على هذا الحديث بالوضع كما في تخريج أحاديث الكشاف، وانظر السلسلة الضعيفة (٤٩٢٠).

(٢) سقطت من أحمد٣، وفيه: «رواه» بدل «في كتاب».

(٣) ضعيف، هذا الأثر أورده الثعلبي في تفسيره بدون إسناد، وقد ذكره صاحب كتاب غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٧٥) أنه من رواية إسحاق بن أبي يحيى الكعبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإسحاق الكعبي ضعيف.

(٤) ضعيف، أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٣٨)، والطبري (٢١/ ٥٢٩)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٠٠)، والطبراني في الكبير (١١١٤٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٣-٤٤٤) من طريق قزعة بن سويد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وقزعة ابن سويد بن حجير بن بيان الباهلي ضعيف.

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٥٢٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٠٨)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣١٠). وفي السليمانية: «تودوني».

(٦) ذكرها الطبري (٢١/ ٥٣٠) عنه بلفظ: قال: أمرت أن تصل قرابتك. وفي السليمانية: «قراباتكم».

وذكر النَّقّاش عن ابن عبّاس، ومقاتل، والسّديِّ، والكلبيّ: أَنَّ الآية منسوخة بقوله تعالى في سورة سبأ: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سبأ: ٤٧][(١)].

والصَّواب أَنَّها مُحْكَمة، وعلى كلِّ قول فالاستثناءُ منقطع، و(إِلَّا) بمعنى (لكن).

و﴿يَقْتَرِفْ﴾ معناه: يكتسب، ورجلٌ قرفة، إذا كان محتالاً كسوباً.

وقرأَت فرقة: (يَزِدْ) على إسناد الفعل إلى الله تعالى[(٢)].

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿نَزِدْ﴾ على نون العظمة.

و«زيادة الحُسْنِ»: هو التَّضعيف الّذي وعد الله تعالى به مؤمني عباده، قاله الحسن بن أَبي الحسن[(٣)].

و﴿غَفُورٌ﴾ معناه: ساترٌ عيوب عبيده.

و﴿شَكُورٌ﴾ معناه: مُجازٍ على الدَّقيقة من الخير، لا يضيع عنده لعامل عمل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿أَمْ﴾ هذه أَيضاً مقطوعة مُضَمَّنة[(٤)] إِضراباً عن كلام متقدِّم، وتقريراً على هذه المقالة منهم.

---

(١) انظر معاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٠٩)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٨٦)، وتفسير السمعاني (٥/ ٧٣)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص: ٢٢٠). ولم أقف عليه مسنداً.

(٢) وهي شاذة، عزاها الهذلي في الكامل (ص: ٦٣٢) للمنقري، ومحبوب عن أبي عمرو، وابن مقسم، والزعفراني.

(٣) لم أقف عليه من قول الحسن، وهوفي تفسير الطبري (٢١/ ٥٣١) من قول قتادة.

(٤) في الأصل: «منقطعة»، وفي السليمانية: «متضمنة».

وقوله تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ﴾ معناه في قول قتادة وفرقة من المفسِّرين: يُنْسِيكَ القرآن(١)، والمرادُ الرَّدُّ على مقالة الكفّار وبيان إِبطالها، وذلك كأَنَّه يقول: وكيف يصحُّ أَن تكون مفترياً وأَنت من الله بمرأى ومسمع، وهو قادر لو شاءَ على أَن يختم على قلبك، فلا تعقل ولا تنطق(٢) ولا يستمرُّ افتراؤُك!

فمقصد اللَّفظ هذا المعنى، وحذف ما يدلُّ عليه الظاهر اختصاراً واقتصاراً.

وقال مجاهد ـ في كتاب الثعلبيّ وغيره ـ: المعنى: فإِن يشأِ الله يختم على قلبك بالصَّبر لأَذى الكفّار، ويربط عليه بالجَلَد، فهذا تأْويلٌ لا يتضمَّن الرَّدَّ على مقالتهم(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَيَمْحُ﴾ فعل مستقبل(٤)، خبر من الله تعالى أَنَّه يمحو الباطل ولا بد، إِمّا في الدُّنيا وإِمّا في الآخرة، وهذا بحسب نازلة نازلة(٥).

وكتبت ﴿وَيَمْحُ﴾ في المصحف بحاءٍ مرسلة كما كتبوا ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الإسراء: ١١] إِلى غير ذلك مما ذهبوا فيه إِلى الحذف والاختصار.

وقوله: ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ معناه: بما سبق في قديم علمه وإِرادته من كون الأَشياءِ، فـ«الكلمات»: / المعاني القائمة القديمة [التي لا تبديل لها](٦). [٥/ ٦١]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ خبرٌ مُضَمَّنه وعيد.

ثمَّ ذكر النِّعمة في تفضله بقبول التَّوبة عن عباده، وقبولُ التَّوبة فيما يستأْنف العبد من زمنه وأَعماله مقطوع به بهذه الآية، وأَمَّا ما سلف من أَعماله فينقسم:

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٥٣٢)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٨٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣١٤)، وتفسير السمعاني (٥/ ٧٥).

(٢) في الأصل: «تنظر».

(٣) تفسير الثعلبي (٨/ ٣١٤).

(٤) في أحمد٣: «مستأنف»، وكذا في حاشية المطبوع عن بعض النسخ.

(٥) «نازلة» الثانية من المطبوع ونجيبويه والسليمانية.

(٦) سقط من المطبوع ونجيبويه.

فأَمَّا التوبة من الكفر: فماحيةٌ كلَّ ما تقدمها من مظالم العباد الفانية[١]، وغير ذلك.

وأَمّا التَّوبة من المعاصي: فلأَهل السُّنَّة فيها قولان: هلْ تذهب المعاصي السالفة للعبد بينه وبين خالقه؟ فقالت فرقة: هي مُذْهبة لها، وقالت فرقة: هي في مشيئة الله تعالى، وأَجمعوا على أَنَّها لا تُذْهِب مظالم العباد.

وحقيقة التَّوبة: الإِقلاعُ عن المعاصي والإِقبالُ والرُّجوع إِلى الطّاعات، ويلزمها النَّدم على ما فات والعزم على ملازمة الخيرات.

وقال سريٌّ السَّقطيُّ: التَّوبةُ: العزمُ على ترك الذنوب والإِقبالُ بالقلب إِلى علّام الغيوب.

وقال يحيى بن معاذ[٢]: التّائب من كسر شبابه على رأْسه، وكسر الدُّنيا على رأْس الشَّيطان، ولزم الفطام حتّى أَتاه الحِمام[٣].

وقوله تعالى: ﴿عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ بمعنى: من عباده، وكأَنَّه قال: التَّوبة الصادرة عن عباده.

وقرأَ جمهور القراءِ، والأَعرج، وأَبو جعفر، والجحدريُّ، وقتادة: ﴿يَفْعَلُونَ﴾ بالياءِ على الكناية عن غائب.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وابن مسعود، وعلقمة: ﴿تَفْعَلُونَ﴾ بالتّاءِ على المخاطبة، وكذلك قرأ نافع[٤]، وفي الآية توعُّد.

---

(١) في السليمانية: «الفائتة»، وسقط «وغير ذلك» من الأصل.

(٢) هو يحيى بن معاذ الرازي أبو زكريا الصوفي، العارف المشهور، صاحب المواعظ، كان حكيم أهل زمانه، سمع إسحاق بن سليمان، ومكي بن إبراهيم، وغيرهما، وعنه مشايخ الري وهمَذان وبلخ ومرو ونيسابور، مات سنة (٢٥٨هـ). تاريخ الإسلام (١٩/ ٣٧٣).

(٣) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٨/ ٣١٦).

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٥)، والسبعة (ص: ٥٨١)، وعزو الثانية لنافع زيادة من السليمانية، وهي رواية حمّاد بن بحر عن المسيّبي عنه كما في جامع البيان (٤/ ١٥٦٨)، قال: وهو غلط.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَجِيبُ﴾، قال الزَّجّاج، وغيره: معناه: يُجيب[(١)].

والعربُ تقول: أَجابَ واستجابَ بمعنى، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] وداعٍ دَعَا يَا مَن يُجيبُ إِلَى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذاكَ مُجيبُ[(٢)]

و﴿ٱلَّذِينَ﴾ ـ على هذا القول ـ مفعولٌ بـ(يَسْتَجيبُ).

وروي هذا المعنى عن معاذ بن جبل[(٣)]، ونحوه عن ابن عبّاس[(٤)].

وقالت فرقة: المعنى: ويستدعي الّذين آمنوا الإِجابة من ربِّهم بالأَعمال الصّالحة، ودلَّ قوله: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾ على أَن المعنى: فَيُجِيبهم، وحملت هذه الفرقة (استجاب) على المعهود من باب: استفعل، أَي طَلَبَ الشَّيءَ، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ ـ على هذا القول ـ فاعل بـ(يَسْتَجِيبُ).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٩٩).

(٢) تقدم في تفسير الآية (١٧) من (سورة البقرة).

(٣) منقطع، أخرجه مسدد في مسنده كما في إتحاف الخيرة المهرة (٥١٢١)، وابن أبي شيبة في المصنف مختصراً (٣١٠٢٢)، والطبري (٢١/ ٥٣٤)، وابن أبي حاتم كما عند ابن كثير (٧/ ٢٠٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٤) من طريق الأعمش، عن أبي وائل، عن سلمة بن سبرة، قال: خطبنا معاذ بالشام فقال: أنتم المؤمنون، وأنتم أهل الجنة. والله إني أرجو أن يدخل الله من تسبون من فارس والروم الجنة، وذلك بأن أحدهم إذا عمل لأحدكم العمل قال: أحسنت رحمك الله، أحسنت بارك الله فيك، ثم قرأ: ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾، قال الحافظ: سلمة بن سبرة له إدراك وسمع من عمر ومعاذ وسلمان روى عنه أبو وائل وروى مسدد والبغوي في الجعديات من طريق أبي وائل عن سلمة بن سبرة قال: خطبنا معاذ بن جبل فذكر قصة، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة. اهـ، ملخصاً من الإصابة (٣/ ٢٦١)، وقد ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٧٨) قال: سلمة بن سبرة، عن معاذ، روى عنه أبو وائل، منقطع. اهـ. وزاد في أحمد٣: «وغيره».

(٤) ضعيف، أخرج الثعلبي في تفسيره (٨/ ٣١٧) من طريق أبي بكر الهذلي، عن أبي صالح عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، قال: تشفّعهم في إخوانهم. ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾. قال: في إخوان إخوانهم. وأبو بكر الهذلي البصري إخباري متروك الحديث.

وقالت فرقة: المعنى: ويُجيب المؤمنون ربَّهم، فـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ فاعل بمعنَى: يجيبون دعوة شرعه ورسالته. و«الزِّيادة من فضله»: هي تضعيف الحسنات.

وروي عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «هي قبولُ الشَّفاعات في المذنبين والرِّضوانُ»(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، قال عمرو بن حُرَيْث(٢) وغيره: إِنَّها نزلت لَأنَّ قوماً من أَهل الصُّفة طلبوا من رسول الله ﷺ أَن يُغنيهم الله، ويبسط لهم الأَموال والأَرزاق(٣)، فأَعلمهم الله تعالى أَنَّه لو جاءَ الرِّزق على اختيار البشر واقتراحهم لكان سبب بغيهم وإِفسادهم، ولكنَّه تعالى أَعلم بالمصلحة في كلِّ أَحد، وله بعبيده خبرةٌ وبَصَرٌ بأَخلاقهم(٤) ومصالحهم، فهو ينزل لهم من الرِّزق القدر(٥) الَّذي به صلاحهم، فرُبَّ إِنسان لا يصلح ولا تكتف عاديته(٦) إِلاَّ بالفقر، وآخر بالغنى.

وروى أَنس بن مالك في هذا المعنى والتَّقسيم حديثاً عن النَّبيِّ ﷺ، ثمَّ قال أَنس: اللهمَّ إِنِّي من عبادك الَّذين لا يصلحهم إِلَّا الغنى فلا تفقرني(٧).

---

(١) لم أهتد إليه، وفي المطبوع: «المؤمنين» بدل «المذنبين».

(٢) هو عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان المخزومي القرشي، له ولأبيه صحبة، ولد في أيام بدر، وقيل قبل الهجرة بسنتين، وقد روى عن النبيّ ﷺ، وأبي بكر، وعمر وغيرهم، توفي سنة (٨٥هـ)، وكان قد ولى إمرتها نيابة لزياد، وابنه عبد الله، الإصابة (٤/ ٥١٠).

(٣) أسباب النزول للواحدي (ص: ٢٥٢)، تفسير الطبري (٢١/ ٥٣٥و٥٣٦)

(٤) في أحمد٣: «باختلافهم». والسليمانية فيها: «نظر» بدل «بصر». وفيها: «وصالحهم» بدل «مصالحهم».

(٥) سقط من الأصل.

(٦) في نجيبويه: «حاجته»، وفي السليمانية وأحمد٣ والمطبوع: «وتكتف» وهو فرق لا يؤثر على المعنى.

(٧) ضعيف، أخرجه ابن أبي الدنيا في الأولياء (ص: ٩)، والقضاعي في مسنده (١٤٥٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٣١)، والبغوي في تفسيره (٧/ ١٩٤)، وأبو نعيم في الحلية (٨/٣١٨-٣١٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧/ ٣٥-٤١- ٢٨٥)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٣٢) من طريق صدقة بن عبد الله الدمشقي، عن هشام الكناني، عن أنس عن النبي ﷺ، عن جبريل عن الله عز وجل قال: «يقول الله عز وجل.... وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه عنه أن لا يدخله عجب فيفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة»، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٦٠٩)، والثعلبي في تفسيره =

وقال خبَّاب بن الأَرتِّ: فينا نزلت ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ﴾ الآية[١]؛ لأَنـّا نظرنا إِلى أَحوال بني قُريظة وبني النَّضير وبني قَيْنُقَاع فتمنّيناها، [فنزلت الآية][٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِىُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِى ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِى ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَـٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾.

هذا تعديد نعم الله تعالى الدَّالَّة على وحدانيته، وأَنَّه الإله الَّذي يستحق أَن يعبد دون ما سواه من الأَنداد.

وقرأَ: ﴿يُنَزِّلُ﴾ مثقلة جمهور القراءِ.

وقرأها ﴿يُنْزِلُ﴾ مخفَّفة ابنُ وثّاب والأَعمش، ورويت عن أَبي عمرو، ورجَّحها أَبو حاتم[٣].

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿قَنَطُواْ﴾ بفتح النّون، وقرأَ يحيى بن وثّاب والأعمش بكسر النّون[٤]، وقد تقدَّم ذكرها، وهما لغتان، يقال: قنَط وقنِط.

= (٨/ ٣١٨) من طريق صدقة، عن عبد الكريم الجزري، عن أنس مختصراً، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٧/ ٩٥) من طريق صدقة، عن إبراهيم بن أبي كريمة، عن هشام، به. وصدقة بن عبد الله السمين، أبو معاوية، ويقال أبو محمد، الدمشقي ضعيف، وهشام الكناني، أو الكتاني لم أقف له على ترجمة.

(١) سقط من أحمد٣.

(٢) سقط من أحمد٣، وانظر تفسير البغوي (٧/ ١٩٤)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٧). وفي الحمزوية والسليمانية: «أموال بني».

(٣) التخفيف للأكثر ابن كثير وأبي عمرو وحمزة والكسائي، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٧٥)، والسبعة (ص: ١٦٦).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٤٢). وفي المطبوع ونجيبويه: «عن الأعمش».

وروي: أَنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قيل له: أَجدبت الأَرض وقنط النّاس، فقال: مُطِرُوا إذاً[١]، بمعنى: إِنَّ الفرج عند[٢] الشِّدَّة.

واختلف المتأَوِّلون في قوله تعالى: ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾:

فقالت فرقة: أَراد بالرَّحمة المطر، وعدَّد النِّعمة بعينها بلفظين الثّاني منهما يؤكِّد الأَوَّل.

وقالت فرقة: الرَّحمة في هذا الموضع: الشَّمس، فذلك تعديد نعمة غير الأُولى، وذلك أَنَّ المطر إِذا أَلَمَّ بعد القنط حسُن موقعه، فإِذا دام سُئِم، فتجيءُ الشَّمس بعده[٣] عظيمة الموقع.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ أَي: مَن هذه أَفعاله، فهو الَّذي ينفع إِذا والى، وتُحمد أَفعاله ونعمه، لا كالَّذي لا يضُرُّ ولا ينفع من أَوثانكم.

ثمَّ ذكر تعالى الآية الكبرى، الصّنعة الدَّالَّة على الصَّانع، وذلك خلقه السَّماوات والأَرض.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا﴾ يتخرج على وجوه:

منها: أَن يريد أَحدهما فيذكر الاثنين[٤]، كما قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وذلك إِنَّما يخرج من الملح وحده.

ومنها: أَن يكون تعالى قد خلق السَّماوات وبثَّ دوابَّ لا نعلمها نحن.

ومنها: أَن يريد الحيوانات الَّتي توجد في السَّحاب وقد تقع أَحياناً كالضَّفادع

---

(١) منقطع، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٩١)، والطبري (٢١/ ٥٣٧) من طريق معمر، عن قتادة، عن عمر رضي الله عنه، وابن جرير أيضاً من طريق سعيد، عن قتادة به، وهو منقطع.

(٢) في أحمد٣ والسليمانية: «بعد».

(٣) سقط من أحمد٣.

(٤) في أحمد٣: «إحداهما»، وفيها: «فذكر الآيتين».

ونحوها، فإِنَّ السَّحاب داخل في اسم السَّماءِ[١].

وحكى الطبريُّ عن مجاهد أَنَّه قال في تفسير ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾: هم النّاسُ والملائكة[٢]، وبعيد غير جارٍ على عُرف اللُّغة أَن تقع الدَّابَّة على الملائكة.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ﴾ يريد: يوم القيامة عند الحشر / من القبور. [٥/ ٦٢]

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ...﴾:

قرأَ جمهور القراءِ: ﴿فَبِمَا﴾ بفاءٍ، وكذلك هي في جُلِّ المصاحف.

وقرأَ نافع، وابن عامر، وأَبو جعفر، وشيبة: ﴿بِمَا﴾ دون فاءٍ[٣].

وحكى الزَّجّاج: أَنَّ أَبا جعفر وحده من المدنيّين أَثبت الفاءَ[٤].

قال أَبو عليٍّ الفارسيُّ: ﴿أَصَابَ﴾ من قوله: ﴿مَآ أَصَابَ﴾: يحتمل أَن تكون في موضع جزم وتكون ﴿مَآ﴾ شرطية، وعلى هذا لا يجوز حذف الفاءِ عند سيبويه، وجوَّز حذفها أَبو الحسن الأَخفش وبعض البغداديين على أَنَّها مُرادة في المعنى.

ويحتمل أَن يكون قوله: ﴿أَصَابَ﴾ صِلَةً لـ﴿مَآ﴾، وتكون ﴿مَآ﴾ بمعنى (الَّذي)، وعلى هذا يتجه[٥] حذف الفاءِ وثبوتها، لكن معنى الكلام مع ثبوتها بالتَّلازم، أَي: لولا كَسْبُكُم ما أَصابتكم مصيبة، والمصيبة إِنَّما هي بسبب كسْب الأَيدي.

ومعنى الكلام مع حذفها يجوز أَن يكون التَّلازم، ويجوز أَن يُعَرَّى منه، وأَمَّا في هذه الآية فالتَّلازم مطَّرد مع الثُّبوت والحذف[٦].

---

(١) في السليمانية: «الماء».

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٥٣٨).

(٣) وهما سبعيتان، انظر السبعة في القراءات (ص: ٥٨١)، والتيسير (ص: ١٩٥)، والنشر (٢/ ٣٦٧).

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٩٩) ولفظه: خلا أَبَا جَعفر فإنه يثبت الفاء، وهي رواية الهاشمي كما في الكامل للهذلي (ص: ٦٣٣). وفي المطبوع: «وغيره»، مع الإشارة للنسخة الأخرى «وحده».

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «يجوز».

(٦) الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ١٢٩). وسقط «في المعنى» من السليمانية.

وأَمّا معنى الآية فاختلف النّاس فيه:

فقالت فرقة: هي إِخبارٌ من الله تعالى، بأن[١] الرَّزايا والمصائب في الدُّنيا إِنَّما هي مجازاة من الله تعالى على ذنوب المرءِ، وتمحيص لخطاياه[٢]، وإِنَّ الله تعالى يعفو عن كثير فلا يعاقب عليه بمصيبة.

قال النَّبيُّ ﷺ: «لا يصيب ابن آدم خدش عود أَو عثرة قدم ولا اختلاج عرق، إِلّا بذنب، وما يعفو عنه أَكثر»[٣].

وقال عمران بن حصين وقد سئل عن مرضه: إِنَّ أَحبَّه إِليَّ أَحبُّه إِلى الله وهذا مما كسبت يداي، وعفو ربِّي كثير[٤].

---

(١) في المطبوع: «فإنَّ».

(٢) «تمحيص» ليست في الأصل، والسليمانية فيها: «خطاياه»، دون اللام.

(٣) روي من طرق مرسلة، أخرجه الطبري (٢١/ ٥٣٩) من طريق سعيد بن أبي عروبة، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٨١٥) من طريق شيبان النحوي كلاهما ـ سعيد، وشيبان ـ عن قتادة مرسلاً، وقد رواه أيضاً الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً، وهو يقوي مرسل قتادة أخرجه هناد في الزهد (٤٣١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٤٨١)، والثعلبي في تفسيره (٨/ ٣١٩) من طريق إسماعيل بن مسلم العبدي، عن الحسن مرسلاً.

(٤) صحيح، أخرجه ابن المبارك في الزهد (٤٦١)، من طريق جرير بن حازم، عن حميد بن هلال، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن عمران بن حصين، بنحوه، ومن طريق ابن المبارك أخرجه ابن أبي الدنيا في الرضا بقضاء الله (٦٠)، وأخرجه المروزي أيضاً في زوائده (٤٦٢) من طريق جعفر ابن حيان قال: اشتكى عمران بن حصين شكوة فقال: بعض من يأتيه قد كان يمنعنا من إتيانك ما نرى عندك قال: فلا تفعل فإن أحبه إلي أحبه إلى الله تعالى. وجعفر بن حيان أبو الأشهب العطاردي ذكره ابن المديني في جماعة ذكر أنهم لم يلقوا أحداً من الصحابة، يعني فتكون روايته عن الصحابة مرسلة. انظر جامع التحصيل (٩٥)، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٨٣٨) من طريق أبي الأشهب جعفر بن حيان، والطبراني في الكبير (١٨/ ١٠٧، رقم ٢٠٥)، والثعلبي في تفسيره (٨/ ٣٢٠) من طريق المبارك بن فضالة كلاهما ـ جعفر ـ والمبارك ـ عن الحسن البصري قال: دخلنا على عمران بن الحصين في مرضه الشديد الّذي أصابه، فقال رجل منّا: إنّي لا بد أن أسألك عما أرى من الوجع بك، فقال عمران: يا أخي لا تفعل فوالله أن أحبّه إليَّ أحبّه إلى الله تعالى. =

وقال مُرَّة الهمدانيُّ[(١)]: رأَيت على ظهر كفِّ شريح قُرْحة، فقلت ما هذا؟ قال: هذا بما كسبت يدي، ويعفو عن كثير.

وقيل لأَبي سليمان الدارانيّ: ما بالُ الفضلاءِ لا يلومون من أَساءَ إِليهم؟ فقال: لأَنَّهم يعلمون أَنَّ الله تعالى هو الّذي ابتلاهم بذنوبهم[(٢)].

وروي عن عليٍّ بن أَبي طالب عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «إِنَّ الله أَكرم من أَن يُثَنِّي على عبده العقوبة، إِذا أَصابته في الدُّنيا مصيبة[(٣)] بما اكتسبت يداه»[(٤)].

= قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾. هذا بما كسبت يداي وعفو ربّي تعالى فيما بقي، ورواية الحسن عن عمران منقطعة، فإنه لم يسمع منه كما قاله علي ابن المديني، والقطان، وابن معين، وصالح بن أحمد، وانظر جامع التحصيل (١٣٥). وقد تحرف في المطبوع من المعجم الكبير قوله «عن مبارك بن فضالة، عن الحسن قال: دخلنا على عمران» إلى «عن الحسن قال: دخلنا على الحسن»، وانظر مجمع الزوائد (٣/ ٣٠). وفي الحمزوية وأحمد٣: «قال عمرو».

(١) في المطبوع: «الهمذاني»، وهو مرة الطيب ـ ويلقب أيضاً مرة الخير لعبادته ـ بن شراحيل الهمداني الكوفي، مخضرم كبير القدر، روى عن: أبي بكر، وعمر، وعنه: أسلم الكوفي وجماعة، وثقه يحيى ابن معين، توفي قبل سنة (٩٠هـ)، تاريخ الإسلام (٦/ ١٩٥).

(٢) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٨/ ٣٢٠). وفي أحمد٣ والمطبوع: «كسبت يداي».

(٣) ليست في الأصل، وفي السليمانية: «بما كسبت».

(٤) حسن غريب، أخرجه أحمد (١/ ٩٩)، والترمذي (٢٦٢٦)، وابن ماجه (٢٦٠٤)، والبزار (٤٨٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥/ ٤٢٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧، ٢/ ٤٤٥، ٤/ ٣٨٨)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٣٢٨) من طريق حجاج بن محمد المصيصي، عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبي إسحاق، عن أبي جحيفة، عن علي رضي الله عنه به، بنحوه بألفاظ مختلفة، وأخرجه عبد بن حميد (٨٧)، والبزار (٤٨٣) من طريق أبي حمزة ثابت الثمالي، عن أبي إسحاق به، قال الترمذي: حسن غريب، كما في تحفة الأشراف (١٠٣١٣)، وقد تابعه عبد الملك بن أبي سليمان كما أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥/ ٤٢٤-٤٢٥) من طريق يوسف بن عدي، عن إسحاق بن يوسف الأزرق، عن عبد الملك، عن أبي إسحاق به، بنحوه، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٤٨٠) من طريق أبي سعيد بن أبي الوضاح، عن أبي الحسن، عن أبي جحيفة به، بنحوه، وأخرجه أحمد بن منيع في مسنده كما في إتحاف الخيرة المهرة (٥٨١٢)، وأحمد (١/ ٨٥)، والبخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٢٢١)، وأبو يعلى (٤٥٣-٦٠٨)، والدارقطني في المؤتلف =

وقال الحسن بن أَبي الحسن: معنى الآية في الحدود، أَي: ما أَصابكم [من حدٍّ][1] من حدود الله وتلك مصائب تنزل بشخص الإِنسان ونفسه فإِنَّما هي بكسب أَيديكم، ويعفو الله عن كثير، فيستره على العبد حتّى لا يُحَدَّ عليه[2].

ثمَّ أَخبر عن قُصور ابن آدم وضعفه، وأَنَّه في قبضة القدرة، لا يعجز طلب ربِّه، ولا يمكنه الفرار منه.

و﴿الْجَوَاري﴾: جمع جارية، وهي السَّفينة، وقرأَ: ﴿الْجَوَارِي﴾ بالياءِ نافعٌ، وعاصمٌ، وأَبو عمرو وأَبو جعفر، وشيبة، ومنهم من أَثبتها في الوصل ووقف على الرّاءِ.

وقرأَ أَيضاً عاصم بحذف الياءِ في وصل ووقف، وقال أَبو حاتم: نحن نُثْبتها في كلِّ حالٍ[3].

و(الأَعلامُ): الجبالُ، ومنه قول الخنساءِ:

وإِنَّ صَخْـراً لَتَأْتَـمُّ الْهُـدَاةُ بِـهِ كَـأَنَّـهُ عَلَمٌ في رَأْسِـهِ نَـارُ[4] [البسيط]

= (٢/ ٨٢٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٨٨)، والدولابي في الكنى (١٠٣١) من طريق مروان ابن معاوية، عن أزهر بن راشد الكاهلي، عن الخضر ابن القواس البجلي، عن أبي سخيلة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله عز وجل أخبرني نبي الله ﷺ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ فالله أكرم من أن يثني عليهم العقوبة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعود في عفوه. وأزهر بن راشد الكاهلي ضعيف، وشيخه الخضر بن القواس مجهول، وأبو سخيلة مجهول، وسقط من إسناد الحاكم الخضر بن القواس.

(١) سقط من السليمانية.

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٥٣٩). وفي السليمانية: «بكسب أيديهم».

(٣) قد أثبت هذا الحرف في الحالين ابن كثير، وفي الوصل نافع وأبو عمرو، والباقون بالحذف في الحالين، انظر التيسير (ص: ١٩٥)، والسبعة (ص: ٥٨١). وسقط ذكر أبي عمرو من السليمانية.

(٤) بيت مشهور للخنساء ترثي أخاها صخراً صرح بعزوه لها في الاشتقاق (ص: ٢٠٩)، والشعر والشعراء (١/ ٣٣٥)، والكامل للمبرد (١/ ١٨٢)، والعقد الفريد (١/ ٣٤٤)، والأغاني (٩/ ٣٨٣)، وفي صدر البيت اختلاف بين الروايات.

ومنه المثل: إِذا قطعن عَلَماً بدا عَلَم(١)، فَجَرْيُ السُّفن في الماءِ آيةٌ عظيمة، وتسخير الرّيح لذلك نعمة منه تعالى، وهو تعالى لو شاءَ أَن [يديم سكون الريح](٢) عنها لركدت، أَي أَقامت وقرَّت ولم يتمَّ منها غرض.

وقرأَ أَبو عمرو، وعاصم: ﴿ٱلرِّيحَ﴾ واحدة، وقرأَ: ﴿الرِّياحَ﴾ نافع، وابن كثير، والحسن(٣).

وقرأَ الجمهور: ﴿فَيَظْلَلْنَ﴾ بفتح اللام، وقرأَ قتادة: (فَيَظْلِلْنَ) بكسر اللام(٤).

وباقي الآية بَيِّنٌ، فيه الموعظة، وتشريف الصَّبَّار الشَّكور بالتَّخصيص، والصَّبر والشكر فيهما الخير كلّه، ولا يكونان إِلَّا في عالِمٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

أَوْبَقتُ الرجل: إِذا أَنشبته في أَمر يهلك فيه، فالإِيباق في السُّفن هو تغريقها، والضمير في ﴿كَسَبُوا۟﴾ هو لركَّابها(٥) من البَشَر، أَي: بذنوب البشر.

ثم ذكر تعالى ثانية: ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ مبالغةً وإِيضاحاً.

---

(١) وأصله بيت من الرجز لجرير كما في مجاز القرآن (٢/ ٢٤٤)، وسقطت لفظة «المثل» من السليمانية.

(٢) في أحمد٣: «الرياح»، في المطبوع بدلًا مما بين القوسين: «يُسْكن الرِّياح». وفي السليمانية: «ولو شاء سكون الرياح لركدت...».

(٣) وهما سبعيتان، الأولى للجمهور غير نافع، انظر السبعة (ص: ١٧٣)، والتيسير (ص: ٧٨)، فذكر ابن كثير خطأ، والله أعلم.

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص٤٢٣).

(٥) في أحمد٣: «له كأنها».

وقرأَ نافع، وابن عامر، والأَعرج، وأَبو جعفر، وشيبة: ﴿وَيَعْلَمُ﴾ بالرَّفع على القطع والاستئناف، وحسن ذلك إِذا جاءَ بعد الجزاءِ.

وقرأَ الباقون والجمهور: ﴿وَيَعْلَمَ﴾ بالنَّصب[١] على تقدير (أَن).

وهذه الواو [ونحوها هي الَّتي يسميها][٢] الكوفيون وَاوَ الصَّرْفِ؛ لأَنَّ حقيقة واو الصَّرف هي الَّتي تريد بها عطف فعل على اسمٍ فتقدِّر (أَنْ) لتكون مع الفعل بتأْويل المصدر فيحسن[٣] عطفه على الاسم، وذلك نحو قول الشاعر:

.... تَقَضِّي لُبَانَاتٍ وَيَسْأَمَ سَائِمُ[٤] [الطويل]

فكأَنَّه أَراد: وسَآمَةُ سائِم، [فقدَّر: وأَن يسأَم][٥]، ليكون ذلك بتأْويل المصدر الَّذي هو سآمة.

قال أَبو عليٍّ: حسن النَّصب إِذا كان قبله شرط وجزاءٌ، وكلُّ واحد منهما غير واجب[٦].

وقوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [هو معلومهم الَّذي أَراد أَن يعلمه المجادلون في آياته عزَّ وجلَّ، و«المحيص»: المنْجى وموضع الروغان][٧]، يقال: حاصَ: إِذا راغ.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٨١)، والتيسير (ص: ١٩٥)، والنشر (٢/ ٣٦٧).

(٢) في أحمد٣: «نحو التي نسختها».

(٣) في المطبوع: «فيجيءُ».

(٤) صدره: لَقَدْ كانَ في حَوْلٍ ثَوَاءٍ ثَوَيْتُهُ، وهو للأعشى كما في مجاز القرآن (١/ ٧٢)، والجمل في النحو (ص: ١٦٧)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٣٨)، والمقتضب (١/ ٢٧)، والأصول في النحو (٢/ ٤٧)، والكامل للمبرد (٢/ ١٩٦)، والأغاني (٢/ ٢٣٤).

(٥) في أحمد٣: «فقال ويسأم سائم».

(٦) الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ١٣١).

(٧) سقط من أحمد٣.

وفي حديث هرقل: فَحاصوا حَيْصَةَ حُمُر الوحش إِلى الأَبواب[١].

ثمَّ وعظ تعالى عباده وحقَّر عندهم أَمر الدُّنيا وشأْنها، ورَغَّبهم فيما عنده من نعيمهم والمنزلة الرَّفيعة لديه، وعظَّم قدر[٢] ذلك في قوله: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم﴾ الآية.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ﴾ عطف على قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿كَبَٰٓئِرَ﴾ على الجمع.

قال الحسن: هي كلُّ ما تُوُعِّدَ فيه بالنّار[٣].

وقال الضّحّاك: أَو كان فيه حدٌّ من الحدود[٤].

وقال ابن مسعود: الكبائر من أَوَّل سورة النّساءِ إِلى رأْس ثلاثين آية[٥].

وقال عليٌّ بن أَبي طالب، وابن عبّاس: هي كلُّ ما ختمه الله تعالى بنارٍ أَو غضب أَو لعنة أَو عذاب[٦].

---

(١) هذا جزء من حديث هرقل الذي أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) وليس عند مسلم هذا اللفظ.

(٢) في أحمد٣: «وزن».

(٣) معاني القرآن للنحاس (٦/ ٣١٩).

(٤) الهداية لمكي (١٠/ ٦٦٠٢).

(٥) صحيح، أخرجه الطبري (٦/ ٦٤١)، والبزار في مسنده (١٥٢٣) من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود به، وأخرجه الطبري (٦/ ٦٤٢-٦٤٣)، والطبراني في الكبير (٨٥٠٤) من طريق عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود به، ومن طريق الطبراني أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٤٨)، وأخرجه الطبري (٦/ ٦٤١-٦٤٢) من طريق مسروق، وإبراهيم كلاهما عن ابن مسعود به، بنحوه.

(٦) أثر ابن عباس أخرجه الطبري (٦/ ٦٥٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٩٠) من طريق عبد الله ابن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه بنحوه، ولم أقف على قول علي بن أبي طالب، ولعل المؤلف قصد علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، كما عند الثعلبي (٣/ ٢٩٥).

وقرأ حمزة، والكسائي، وعاصم: ﴿كَبِيرَ﴾ على الإفراد[١] الّذي هو اسم الجنس.

وقال ابن عبّاس: كبير الإِثم: هو الشِّرك والفواحش[٢].

وقال السّديُّ: الزِّنا، وقال مقاتل: موجبات الحدود[٣].

ويحتمل / أَن يكون ﴿كَبِيرَ﴾ اسم جنس بمعنى (كبائر)، فتدخل فيه الموبقات [٥/ ٦٣] السَّبع على ما قد تفسَّر من أَمرها في غير هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾ حضٌّ على كسر الغضب والتَّدرب في إِطفائه؛ إِذ هو جمرة من جهنَّم، وباب من أَبوابها.

وقال رجل للنَّبيِّ ﷺ: أَوصني، قال: «لا تغضب»، قال: زدني، قال: «لا تغضب»[٤] [قال: زدني، قال: «لا تغضب»][٥].

ومن جاهد هذا العارض من نفسه حتّى غلبه فقد كُفي همّاً عظيماً في دنياه وآخرته.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ﴾ مدحٌ لكلِّ من آمن بالله تعالى وقبل شرعه.

ومدح تعالى القوم الّذين أَمْرهم شورى بينهم [لأَنَّ في ذلك][٦] اجتماع الكلمة، والتَّحابُّ واتصال الأَيدي، والتَّعاضد على الخير.

وفي الحديث: ما تشاور قوم قطُّ، إِلَّا هدوا لأَحسن ما بحضرتهم[٧].

---

(١) سبعيتان، الثانية لحمزة والكسائي، انظر التيسير (ص: ١٩٥)، والسبعة (ص: ٥٨١). وسقط «عاصم» من السليمانية، وذلك أولى.

(٢) بهذا اللفظ لم أهتد إليه.

(٣) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٨/ ٣٢٢)، والأول في الهداية لمكي (١٠/ ٦٦٠٣)، و«الزنا»: ليس في أحمد٣.

(٤) أخرجه البخاري (٦١١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه.

(٥) سقط من المطبوع والسليمانية.

(٦) في السليمانية: «بأن».

(٧) «لأحسن» سقطت من أحمد٣، وفي السليمانية: «يحضرهم»، وهو صحيح من قول الحسن البصري، أخرجه ابن وهب في الجامع (٢٨١)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٥٨) من طريق السري بن يحيى، =

وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ معناه: في سبيل الله وبرسم الشرع وعلى حدوده في القوام الّذي مدحه الله تعالى في غير هذه الآية.

وقال ابن زيد: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾ الآية، نزلت في الأَنصار[1].

والظّاهر أَنَّ الله تعالى مدح كلَّ من اتَّصف بهذه الصِّفة كائناً من كان، وهل حصل[2] الأَنصار في هذه الصفة إِلاَّ بعد سبق المهاجرين إِليها؟ [رضي الله تعالى عن جميعهم بِمَنِّه][3].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾.

مدح الله تعالى في هذه الآية قوماً بالانتصار من البغي، ورجَّح ذلك قومٌ من العلماءِ، وقالوا: الانتصار بالواجب تَغْييرُ منكر، ومن لم ينتصر مع إِمكان الانتصار فقد ترك تغيير المنكر.

واختلف النّاس في المراد بالآية بعد اتِّفاقهم على أَن من بُغي عليه وظُلم، فجائز له أَن ينتصر بيد الحقِّ وحاكم المسلمين:

فقال مقاتل: الآية في المجروح ينتصف من الجارح بالقصاص[4].

وقالت فرقة: إِنَّها نزلت في بغي المشرك على المؤمن، فأَباح الله لهم الانتصار منهم دون تَعَدٍّ، وجعل العفو والإِصلاح مقروناً بأَجْر، ثمَّ نسخ جميع ذلك بآية السَّيف.

= وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦٨٠٠) من طريق إياس بن دغفل، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٤١٤) من طريق عمران القطان، جميعهم ـ السري، وإياس، وعمران ـ عن الحسن البصري به.

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٥٤٦)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٦٠٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢٠٦).

(٢) في السليمانية: «خص».

(٣) سقط من أحمد٣، وسقطت «إليها» من السليمانية: وفيها: «رضي الله عنهم».

(٤) تفسير الثعلبي (٨/ ٣٢٣). وسقط «مقاتل» من أحمد٣. وفي السليمانية: «قتادة».

وقالت فرقة[(١)] هي الجمهور: إِنَّ المؤمن إِذا بغى على مؤمن وظلمه، فلا يجوز للآخر أَن ينتصف منه بنفسه ويُجَازيه على ظُلْمه، مثال ذلك: أَن يخون إِنسان آخر، ثمَّ يتمكن الآخر[(٢)] من خيانة الأَوَّل، فمذهب مالك رحمه الله تعالى أَلاَّ يفعل، وهو مذهب جماعة عظيمة معه، ولم يروا هذه الآية من هذا المعنى، واحتجّوا بقول النَّبيِّ ﷺ: «أَدِّ الأَمانة إِلى من ائتمنك، ولا تخُن من خانك»[(٣)]، وهذا القول أَنْزَهُ وأَقرب إِلى الله تعالى.

---

(١) في غير السليمانية: «هذه الفرقة».

(٢) في الأصل: «الإنسان».

(٣) له طرق لا تنهض للاحتجاج، هذا الحديث روي من طرق لا تسلم من ضعف، أولها: طريق أنس ابن مالك رضي الله عنه: أخرجه الطبراني في الصغير (٤٧٥)، وابن عدي في الكامل (١/ ٣٦٢)، والدارقطني في سننه (٢٩٣٧)، وفي مسند الشامين (١٢٨٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٧١)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٣٢)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ١٠٢) من طريق أيوب بن سويد، عن عبد الله بن شوذب الخراساني، عن يزيد بن حميد الضبعي أبي التياح، عن أنس بن مالك مرفوعاً. وأَيُّوب بن سُوَيْد الرَّمْلِيّ السيبانِي ضعفه أَحْمد وغيرُه، وَقَالَ ابْن الْمُبَارك: ارْمِ بِهِ. وَذكره ابْن حبَان فِي ثقاته وَقَالَ: إِنَّه رَدِيء الْحِفْظ، قال ابن عدي: وهذا الحديث بهذا الإسناد لايرويه عن ابن شوذب غير أيوب بن سويد وهو منكر بهذا الإسناد. اهـ، وقال الطبراني: لم يروه عن أبي التياح يزيد بن حميد إلا عبد الله بن شوذب تفرد به أيوب ولا يروى عن أنس إلا بهذا الإسناد. قلت: لم ينفرد أيوب بن سويد به فقد تابعه ضمرة بن ربيعة الفلسطيني كما أخرجه الطبراني في الكبير (٧٦٠) عن يحيى بن عثمان بن صالح المصري وهو صدوق، عن أحمد بن زيد الرملي وهو ثقة، عن ضمرة بن ربيعة الفلسطيني وهو صدوق، عن ابن شوذب، به، وهذه متابعة قوية، ثانيها: طريق أبي هريرة رضي الله عنه: أخرجه الدارمي في السنن (٢٥٩٧)، وأبو داود (٣٥٣٧)، والترمذي (١٢٦٤) وقال حسن غريب، والبزار في مسنده (٩٠٠٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥/ ٩١-٩٢)، والدارقطني في سننه (٢٩٣٦)، والطبراني في الأوسط (٣٥٩٥)، والقضاعي في مسنده (٧٤٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٧١)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ١٠٢) من طريق طلق بن غنام النخعي، عن شريك النخعي، وقيس ابن الربيع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، مرفوعاً بنحوه، قال أبو حاتم في العلل (٣/ ٥٩٤): طلقُ بنُ غنّامٍ هُو ابنُ عمِّ حفصِ بنِ غِياثٍ، وهُو كاتِبُ حفصِ بنِ غِياثٍ، روى حدِيثاً مُنكراً عن شرِيكٍ، وقيسٍ، عن أبِي حُصينٍ، عن أَبِي صالِحٍ، عن أَبِي هُريرة، عنِ النّبِيِّ ﷺ: «أَدِّ الأمانة إِلى منِ ائتمنك، ولا تخُن من خانك»، ولم يروِ هذا الحدِيث غيرُهُ اهـ، قلت: وشريك بن عبد الله النخعي، صدوق يخطىء =

وقالت طائفة من أَهل العلم: هذه الآية عامَّة في المشركين والمؤمنين، ومن بُغي عليه وظُلم، فجائز له أَن ينتصف لنفسه، ويخون من خانه في المال حتّى ينتصر منه.

وقالوا: إِنَّ الحديث «ولا تَخُن من خانك» إِنَّما هو في رجل سأَل رسول الله ﷺ: هل يزني بِحُرْمَةِ من زنى بِحُرْمَتِه؟ فقال له النَّبيُّ ﷺ ذلك يريد به الزنا، وكذلك ورد الحديث في معنى الزنا[١]، ذكر ذلك الرواة، أَمَا إِنَّ عمومه ينسحب في كلِّ شيءٍ.

= كثيراً، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة، وقيس بن الربيع الأسدي صدوق تغير لما كبر، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به، قال البيهقي: وحَدِيثُ أَبِي حُصَيْنٍ تَفَرَّدَ بِهِ عَنْهُ شَرِيكٌ الْقَاضِي وقَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ. وقَيْسٌ ضَعِيفٌ وشَرِيكٌ لَمْ يَحْتَجَّ بِهِ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ بالْحَدِيثِ وإِنَّمَا ذَكَرَهُ مُسْلِمُ ابْنُ الْحَجَّاجِ فِي الشَّوَاهِدِ.أهـ، وذكره ابن القطان الفاسي في بيان الوهم والإيهام (٣/ ٥٣٤) فقال تعقيباً على قول الترمذي: حسن غريب ولم يبين المانع من تصحيحه، وهو كونه من رواية شريك، وقيس ابن الربيع، عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. وشريك وقيس مختلف فيهما، وهم ثلاثة ولوا القضاء، فساء حفظهم بالاشتغال عن الحديث: محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وشريك بن عبد الله، وقيس بن الربيع، وشريك مع ذلك مشهور بالتدليس، وهو لم يذكر السماع فيه. اهـ، ثالثها: طريق أبي بن كعب رضي الله عنه: أخرجه الدارقطني في سننه (٢٩٣٥) من طريق يوسف بن يعقوب، عن رجل من قريش، عن أبي بن كعب به، ويوسف بن يعقوب رجل من اليمن، يقال إنه ابن يعقوب ابن إبراهيم بن سعد بن يزدويه من الأبناء، يكنى أبا عبد الله، كان على قضاء صنعاء، قال أبو حاتم: شيخ مجهول، ومن طريق الدارقطني أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ١٠٣)، رابعها: طريق يوسف بن ماهك المكي، أخرجه أحمد (٣/ ٤١٤)، وأبو داود (٣٥٣٦)، والدولابي في الكنى (٣٥٩)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٧٠) من طريق يزيد بن زريع، عن حميد الطويل، عن يوسف ابن ماهك المكي، قال: كنت أكتب لفلان نفقة أيتام كان وليهم، فغالطوه بألف درهم، فأداها إليهم، ثم أدركت له مثلها من مالهم، فقلت: أقضي الألف الذي ذهبوا به منك؟ فقال: لا، حدثني أبي، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أد إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»، قال البيهقي: هُوَ فِي حكم الْمُنْقَطع، حَيْثُ لم يذكر يوسفُ بن مَاهك اسْمَ مَنْ حدَّثه، وَلَا اسْمَ مَنْ حدَّث عَنهُ من حَدثهُ، خامسها: طريق أبي أمامة الباهلي، أخرجه الطبراني في الكبير (٧٥٨٠)، وفي مسند الشامين (٣٤١٤) من طريق أبي حفص الدمشقي، عن مكحول، عن أبي أمامة مرفوعاً، وهُوَ ضَعِيف؛ لِأَن مَكْحُولاً لم يسمع من أبي أُمَامَة شَيْئاً وأَبُو حَفْص الدِّمَشْقِي مَجْهُول، سادسها: من طريق الحسن البصري مرسلاً، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٣٤٠٤) عن وكيع، عن الربيع، عن الحسن، مرسلاً.

(١) لم أقف على هذا السبب في طرق الحديث السابق.

وقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ﴾، قال الزَّجَّاج: سمَّى العقوبة باسم الذَّنب(١).

قال القاضي أَبو محمد: وهذا إِذا أَخذنا السَّيِّئة في حقِّ الله تعالى بمعنى المعصية، وذلك أَن المجازاة من الله تعالى ليست سيِّئة إِلَّا إِن سُمِّيت باسم موجبتها، وأَمَّا إِن أَخذنا السَّيِّئة بمعنى المصيبة(٢) في حقِّ البشر، أَي: يسوءُ هذا هذا ويسوؤُه الآخر، فلسنا نحتاج إِلى أَن نقول: سَمَّى العقوبة باسم الذَّنب، بل الفعل الأَوَّل والآخر سيِّئة.

وقال ابن أَبي نجيح، والسُّديُّ: معنى هذه الآية: أَنَّ الرَّجل إِذا شُتم بشتمة، فله أَن يردها بعينها دون أَن يتعدى(٣).

وقال الحسن بن أَبي الحسن: ما لم تكن حدّاً أَو عوراءَ جدّاً(٤).

واللَّام في قوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ﴾ لام التقاءِ القَسَم.

وقوله: ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ [يريد: من سبيل](٥) حَرَج ولا سبيل حُكْم، وهذا إبلاغ في إِباحة الانتصار والخلاف فيه، هل هو بين المؤمن والمشرك أَو بين المؤمنين على ما تقدَّم؟

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ﴿٤٥﴾﴾.

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٤٠١).

(٢) في فيض الله والسليمانية والأصل: «المعصية»، وأشار لها في حاشية المطبوع، قال: ولا معنى لها هنا.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٥٤٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٢٣)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٦٠٦). و«السدي» سقط من أحمد٣.

(٤) انظر نحوه في تفسير السمعاني (٥/ ٨٢).

(٥) سقط من أحمد٣، وفيه: «أي».

المعنى: إِنَّما سبيل الحكم والإِثم على الَّذين يظلمون النّاس، أَي الَّذين يضعون الأَشياءَ غير مواضعها، من القتل وأَخْذ المال والأَذى باليد وباللِّسان.

و«البَغْيُ بغير الحقِّ»: هو نوع من أَنواع الظلم خصَّه بالذِّكر تنبيهاً على شدَّته وسوءِ حال صاحبه، ثمَّ توعدهم تعالى بالعذاب الأَليم في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ إِلى قوله: ﴿أَلِيمٌ﴾ اعتراض بين الكلامين، ثمَّ عاد في قوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ إِلى الكلام الأَوَّل، كأَنَّه قال: وَلَمَن انتصر بعد ظُلْمه فأُولئك ما عليهم من سبيل، ولمن صَبَرَ وَغَفَر.

واللَّام في قوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ يصحُّ أَن تكون لام القَسَم، ويصح أَن تكون لام الابتداءِ.

[و(مَن) ابتداءٌ، وخبره في قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾][1].

و﴿عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾: مُحْكمها ومُتْقنها والحميد العاقبة منها.

ومن رأَى أَنَّ هذه الآية هي فيما بين[2] المؤمنين والمشركين وأَنَّ الصَّبر[3] للمشركين كان أَفضل قال: إِنَّ الآية نُسخت بآية السَّيف.

ومن رأَى أَنَّ الآية إِنَّما هي بين المؤمنين قال: هي محكمة، والصَّبرُ والغفران أَفضل إِجماعاً.

وقال رسول الله ﷺ: «إِذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: من كان له على الله أَجر فليقم، فيقوم عُنُق من النّاس كثير، فيقول: ما أَجركم؟ فيقولون: نحن الّذين / عفونا عمَّن ظلمنا في الدُّنيا»[4]. [٥/ ٦٤]

---

(١) في أحمد٣ بدلًا منه: «ومن عزم خبره وقوله».
(٢) «بين»: سقطت من الأصل، وفي أحمد٣: «فتن» بدل «فيما بين».
(٣) في الأصل والسليمانية: «الضمير».
(٤) غريب، أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ٣٢٣) عن ابن فنجويه العدل، حدثنا محمد بن الحسن بن =

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ تحقير لأَمر الكفرة، فلا يبالي بهم أَحد من المؤمنين، فقد أَصارهم كفرهم وإِضلال الله إِيَّاهم إِلى ما لا فلاح لهم معه.

ثمَّ وصف تعالى لنبيِّه محمد ﷺ حالهم في القيامة عند رؤْيتهم العذاب[1]، فاجتزأَ من صفتهم وصفة حالهم بأَنَّهم يقولون: ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾، وهذه المقالة تدُلُّ على سوءِ ما اطَّلعوا عليه.

و«الْمَرَدُّ»: موضع الرَّدِّ إِلى الدُّنيا، والمعنى الَّذي قصدوه أَن يكون ردٌّ فيكون منهم استدراكٌ للعمل والإِيمان.

والرُّؤْية في هذه الآية رؤْية عين.

والضَّمير في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا﴾ عائد على النّار، وعاد الضَّمير مع أَنَّها لم يتقدم لها ذكر من حيث دلَّ عليها قوله تعالى: ﴿رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ يحتمل أَن يتعلَّق بـ﴿خَٰشِعِينَ﴾.

ويحتمل أَن يتعلَّق بما بعده من قوله: ﴿يَنظُرُونَ﴾.

وقرأَ طلحة بن مصرف: (من الذِّلّ) بكسر الذّال[2].

و«الْخُشُوعُ»: الاستكانة، وقد يكون محموداً، وإِنَّما يخرجه إِلى حالة الذَّمِّ قوله

= بشر، أخبرنا أبو العباس محمد بن جعفر بن ملاس الدمشقي، حدثنا أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن بشر القريشي، حدثنا زهير بن عباد المدائني، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس مرفوعاً به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٣/ ١٧٢) لابن مردويه، ولا يحتمل التفرد عن ابن عيينة بمثل هذا، وفي الباب عن أنس بن مالك أخرجه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٤٧-٤٤٨)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٨٧) من طريق الفضل بن يسار، عن غالب، عن الحسن، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «ينادي مناد يوم القيامة: من كان له أجر على الله ـ عز وجل ـ فليقم فليدخل الجنة، قالوا: ومن الذي أجره على الله عز وجل؟ قال العافين عن الناس، ثم قرأ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾، قال العقيلي: لا يتابع على حديثه. وفي السليمانية: «فيقال»، وفيها: «نحن الذين كنا».

(١) سقط من أحمد٣.

(٢) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٩/ ٣٤٦).

تعالى: ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾، فيقوى على هذا تعلق ﴿مِّن﴾ بـ﴿خَٰشِعِينَ﴾.

وقوله: ﴿مِن طَرۡفٍ خَفِيٍّ﴾ يحتمل ثلاثة معان:

قال ابن عبّاس ومجاهد: ﴿خَفِيٍّ﴾: ذليل[(١)].

قال القاضي أَبو محمد: لمَّا كان نظرهم ضعيفاً ولَحْظُهم بمهانة وُصف بالخفاءِ، ومن هذا المعنى قول الشاعر:

[الوافر] فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ[(٢)] ....

وقال قوم ـ فيما حكى الطَّبَريُّ ـ: لمَّا كانوا يُحشرون عُمْياً، وكان نظرهم بعيون قلوبهم جعله [طَرْفاً خفيّاً][(٣)]، أَي: لا يبدو نظرهم. وفي هذا التأْويل تكلُّف.

وقال قتادة والسُّديُّ: المعنى: يسارقون النَّظر، لمَّا كانوا من الهمِّ وسوءِ الحال لا يستطيعون النَّظر بجميع العين، وإِنَّما ينظرون من بعضها قال: ﴿مِن طَرۡفٍ خَفِيٍّ﴾؛ أَي: قليل[(٤)].

فالطَّرف هنا ـ على هذا التأْويل ـ يحتمل أَن يكون مصدراً، أَي: يطرف طرفاً خفيّاً.

و«قول الّذين آمنوا»: هو في يوم القيامة عندما عاينوا حال الكفّار وسوءَ منقلبهم.

و«خُسران الأَهلين»؛ يحتمل أَن يراد به أَهلوهم الّذين كانوا في الدُّنيا.

ويحتمل أَن يراد به: أَهلوهم الّذين كانوا يكونون[(٥)] لهم في الجنَّة أن لو دخلوها.

---

(١) أخرجه الطبري(٢١/ ٥٥٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه. «ومجاهد» من المطبوع ونجيبويه وأحمد٣.

(٢) تمامه: فَلا كَعْباً بَلَغْتَ ولا كِلابا، وهو لجرير كما في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٩٢)، وطبقات فحول الشعراء (٢/ ٣٧٩)، والعين (٤/ ٣٤١)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٠٥)، والبيان والتبيين (٣/ ٢٦٨)، والعقد الفريد (٢/ ٣٠٠)، والأغاني (٨/ ٩).

(٣) سقط من أحمد٣، وانظر تفسير الطبري (٢١/ ٥٥٤).

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٥٥٣).

(٥) في الحمزوية وأحمد٣: «يكذبون»، وسقطت «كانوا» من المطبوع، وسقطت «يكونون» من نور العثمانية.

وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ﴾ يحتمل أَن يكون من قول المؤمنين يومئذ، حكاه الله عنهم.

ويحتمل أَن يكون استئنافاً من قول الله تعالى وإِخباره لمحمد ﷺ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ٤٦ ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ٤٧ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ٤٨﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ إِنحاءٌ على الأَصنام والأَوثان الَّتي أَظهر الكفَّار ولايتها، واعتقدت ذلك ديناً، المعنى: فما بالهم يُوالون هذه الَّتي لا تضُرُّ ولا تنفع، ولكن من يُضْلِل الله فما له من سبيل هدى ونجاة.

ثمَّ أَمر تعالى نبيَّه أَن يأْمرهم بالاستجابة لدعوة الله وشريعته، وحذرهم إِتيان يوم القيامة الَّذي لا يُرَدُّ أَحدٌ بعده إِلى عمل، والَّذي لا ملجأَ ولا منجى لأَحد فيه، إِلَّا إِلَى العِلْم بالله تعالى والعمل الصالح في الدُّنيا، فأَخبرهم أَنَّه لا ملجأَ لهم ولا نكير.

و«النَّـكير» مصدر بمعنى الإِنكار، وهو بمنزلة عذير[١] الحيِّ، ونحوه من المصادر.

وقد يحتمل أَن يكون من أَبنية اسم الفاعل من (نكِرَ)، وإِن كان المعنى يبعد به؛ لأَنَّ (نكِرَ) إِنَّما معناه: لم يُمَيِّز وظنَّ الأَمر غير ما عهده.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًا﴾ تأْنيس لمحمد ﷺ وإِزالة لهمِّه بهم، وأَعلمه أَنَّه ليس عليه إِلَّا البلاغ إِليهم وتوصيل الحجَّة[٢].

---

(١) في أحمد٣ والسليمانية: «غدير».

(٢) في أحمد٣: «عليه الإبلاغ لهم، والتوصل للحجة».

ثمَّ جاءَت عبارة في باقي الآية هي بمنزلة ما تقول: والقومُ قوم عُتُوٍّ وتناقض أَخلاق واضطرابٍ، إِذا أُذيقوا رحمةً فرحوا بها وبطروا، وإِن أصابت سيِّئة أَي مصيبة تَسُوؤُهم في أجسامهم أَو في نفوسهم ـ وذلك بذنوبهم وقبيح فعلهم ـ فإِنَّهم كُفُرٌ عند ذلك غير صُبُر.

وعبَّر بـ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الّذي هو اسم عامٌّ ليدخل في الآية والمذمة[1] جميعُ الكفرة من المجاورين يومئذ ومن غيرهم.

وجمع الضّمير في قوله: ﴿تُصِبْهُمْ﴾ وهو عائد على لفظ ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ من حيث هو اسم جنس يعمُّ كثيراً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾.

الآيةُ الأُولى آيةُ اعتبارٍ دال على القدرة والملك المحيط بالجميع[2]، وأَن مشيئَتَهُ تبارك وتعالى نافذة في جميع خلقه، وفي كلِّ أَمرهم، وهذا لا مدخل لصنم فيه، فإِنَّ الّذي يخلق ما يشاءُ ويخترع فإِنَّما هو الله تبارك وتعالى، وهو الَّذي يُقَسِّم الخلق، فيهب الإِناث لمن [يشاء أو يجعل بنيه][3] نساءً، ويهب الذُّكور لمن يشاء على هذا الحدِّ، أَو ينوِّعهم؛ مرَّةً يهب ذكراً، ويهب مرَّة أُخرى أُنثى، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾.

---

(١) في المطبوع: «في الآية المتقدمة».

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «بالخلق».

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «شاءَ أَن يجعل نَسْلَهُ»، وفي حاشيته: في بعض النسخ: «بنيه»، وفي نجيبويه ونور العثمانية والسليمانية: «يشاء أي يجعل بنيه»، وفي الحمزوية: «يشاء أن يجعل نفسه ميتاً»، وفي السليمانية: «أو ينوعهم مرة يهب ذكراً أو مرة يهب أنثى»، وفي فيض الله: «أن يجعل بنيه».

وقال محمد ابن الحنفية: يريد بقوله تعالى: ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ﴾ التَّوْأَم، أَي: يجعل في بطنٍ زوجاً من الذرية ذكراً وأُنثى[١].

و«العقيم»: الّذي لا يُولد له، وهذا كلُّه مُدَبَّر بالعلم والقدرة، وهذه الآية تقضي بفساد وجود الخنثى المشكل.

وبدأَ تعالى في هذه الآية بذكْر الإِناث تأْنيساً بهن وتشريفاً لهن، لِيُتَهَمَّم بصونهنَّ والإِحسان إِليهن.

وقال النَّبيُّ ﷺ: «من ابتلي [من هذه البنات][٢] بشيءٍ فأَحسن إِليهن كنَّ له حجاباً من النّار»[٣] / . [٥/ ٦٥]

وقال واثلة بن الأَسقع: مِنْ يُمْن المرأَة تبكيرها بالأُنثى قبل الذَّكر؛ لأَنَّ الله تعالى بدأَ بالإِناث، حكاه عنه الثعلبيُّ[٤].

---

(١) تفسير الماوردي (٥/ ٢١١)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٢٥)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٦١٦).

(٢) سقط من أحمد٣، وفيه وفي السليمانية: «وأحسن» بدل «فأحسن».

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٤١٨)، ومسلم (٢٦٢٩) من حديث عائشة رضي الله عنه بلفظ: «كن له ستراً من النار».

(٤) تفسير الثعلبي (٨/ ٣٢٤)، وهو منكر، أخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١٨٤)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٤/ ٤١٧) من طريق مسلم بن إبراهيم العبدي، عن حكيم بن حزام، عن العلاء بن كثير، عن مكحول، عن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله ﷺ: «من بركة المرأة تبكيرها بالأنثى أما سمعت الله تعالى يقول ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾»، وحكيم بن حزام هذا قال أبو حاتم: متروك الحديث، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: ضعيف، وقال الساجي: يحدث بأحاديث بواطيل. انظر لسان الميزان (٢/ ٣٤٣). وأما العلاء بن كثير فقال أحمد ويحيى: ليس بشيء، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات. انظر المجروحين (٢/ ١٨١-١٨٢)، والميزان (٣/ ١٠٤)، ومن طريق الخرائطي أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ٢٢٥)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢٧٦)، وأورده السيوطي في اللآلىء (٢/ ١٤٩) وذكر له شاهدا أخرجه أبو الشيخ من طريق يوسف بن عطية، عن أبي معمر عباد بن عبد الصمد سمعت عائشة سمعت رسول الله يقول: «من بركة المرأة على زوجها تيسير مهرها وأن تبكر بالبنات»، ويوسف =

وقال إِسحاق بن بشر[١]: نزلت هذه الآية في الأَنبياءِ ثمَّ عمت، فلوطٌ أَبو البنات لم يولد له ذكر، وإِبراهيم ضدَّه، ومحمد ﷺ وُلد له الصنفان، ويحيى بن زكريا عقيم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ﴾ الآيةَ، نزلت بسبب خَوْضٍ كان للكفَّار في معنى تكليم الله موسى ونحو ذلك، ذهبت قريش واليهود في ذلك إِلى تجسيم ونحوه، فنزلت الآية مُبَيِّنَةً صورة تكليم الله تعالى عباده كيف هو، فبيَّن تعالى أَنَّه لا يكون لأَحد من الأَنبياءِ ولا ينبغي له ولا يمكن فيه أَن يكلِّمه الله إِلَّا بأَن يوحي إِليه أَحد وجوه الوحي من الإِلهام، قال مجاهد: والنَّفْثُ في القلب[٢]، وقال النَّقَّاش: أَو وحْي في منام[٣].

وقال إِبراهيم النَّخَعيُّ: كان من الأَنبياءِ من يُخَطُّ له في الأَرض ونحو هذا[٤].

أَو بأَن يُسْمعه كلامه دون أَن يعرف هو للمتكلم جهة ولا حيزاً[٥] كموسى عليه السَّلام.

وهذا معنى ﴿مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾، أَي: من خفاءٍ عن المكلَّم[٦] لا يحدُّه ولا يتصوَّر بذهنه عليه، وليس كالحجاب في الشّاهد، أَو بأَن يرسل إِليه مَلَكاً يشافهه بوحي الله تعالى.

= ابن عطية الصفار متروك، وانظر الميزان (٤/ ٤٦٨-٤٦٩)، وأبو معمر عباد بن عبد الصمد منكر الحديث. انظر الميزان (٢/ ٣٦٩). وفي المطبوع: «وائل» بدل «واثلة»، وصححها في الحاشية.

(١) الكاهلي كما في تفسير الثعلبي (٨/ ٣٢٥)، وهو إسحاق بن بشر بن مقاتل أبو يعقوب الكاهلي الكوفي، روى عن مالك، وأبي معشر، وعنه: محمد بن علي الأزدي، وآخرون، كذبه ابن أبي شيبة، وابن عدي، توفي سنة (٢٢٨هـ)، تاريخ الإسلام (١٦/ ٨٤).

(٢) معاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٢٦)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢١٢)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٦١٧).

(٣) البحر المحيط (٩/ ٣٤٩)، وحكاه الماوردي (٥/ ٢١٢) عن زهير بن محمد، وفي أحمد٣: «والرؤيا»، بدل «في منام».

(٤) تفسير السمعاني (٥/ ١٤٩). وفي الأصل: «كل من» بدل «كان».

(٥) في المطبوع والحمزوية: «خبراً».

(٦) في السليمانية: «المتكلم».

وقرأ جمهور القراءِ والنّاسُ: ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ﴾ بالنصب ﴿فَيُوحِيَ﴾ بالنصب أيضاً[١].

وقرأ نافع، وابن عامر، وأهل المدينة: ﴿أو يُرْسلُ﴾ بالرّفع ﴿فيُوحِي﴾ بسكون الياءِ ورفع الفعل، [وقرأ الباقون بنصبها][٢].

فأَمَّا القراءَة الأُولى فقال سيبويه: سأَلت الخليل، عنها فقال: هي محمولة على (أَنْ) غير الّتي في قوله: ﴿أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ﴾؛ لأَنَّ المعنى كان يفسد لو عطف على هذه، وإِنَّما التَّقدير في قوله تعالى: ﴿وَحۡيًا﴾: إِلَّا أَن يُوحي وحياً[٣].

وقوله: ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾؛ ﴿مِن﴾ متعلقة بفعل يدلُّ ظاهر الكلام عليه، تقديره: أَوْ يُكَلِّمه من وراءِ حجاب، ثمَّ عطف ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ﴾ على هذا الفعل المقدر.

وأَمَّا القراءَة الثَّانية فعلى أَنَّ ﴿يُرۡسِلَ﴾ في موضع الحال وعلى القطع، كأَنَّه قال: أَو هو يرسلُ، وكذلك يكون قوله: ﴿إِلَّا وَحۡيًا﴾ مصدراً في موضع الحال، كما تقول: أَتيتُك ركْضاً وعَدْواً، وكذلك قوله: ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ في موضع الحال أَيضاً، كما هو قوله: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٦] في موضع الحال، فكذلك ﴿مِن﴾ وما عملت فيه في هذه الآية أَيضاً، ثمَّ عطف قوله: ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ﴾ على هذه الحال[٤] المتقدِّمة.

وفي هذه الآية: دليلٌ على أَنَّ الرسالة من أَنواع التَّكليم، وأَنَّ الحالفَ المُرْسِلَ حانثٌ إِذا حلف أَلَّا يكلِّم إِنساناً فأَرسل إِليه وهو لم ينو المشافهة وقتَ يمينه[٥].

---

(١) في أحمد٣: «وقرأ الجمهور». وسقطت «بالنصب» الأولى و«أيضاً».

(٢) زيادة من السليمانية، وهي تكرار بالمعنى، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٥)، والسبعة (ص: ٥٨٢).

(٣) الكتاب لسيبويه (٣/ ٤٩).

(٤) سقط من أحمد٣.

(٥) انظر البيان والتحصيل (٦/ ١٨٤).

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾، المعنى: وبهذه الطُّرق ومن هذا الجنس أَوحينا إِليك، [أي بالرسول][(١)].

و«الرُّوحُ» في هذه الآية: القرآن وهدى الشّريعة، سمَّاه روحاً من حيث يُحيي به البشر والعالم، كما يحيي الجسد بالروح، فهذا على جهة التَّشبيه.

وقوله تعالى: ﴿مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾ أَي: واحد من أُمورنا.

ويحتمل أَن يكون (الأَمر) بمعنى الكلام، و﴿مِّنۡ﴾ لابتداءِ الغاية.

وقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ توقيف على مقدار النِّعمة.

والضَّمير في ﴿جَعَلۡنَٰهُ﴾ [عائد على ﴿الْكتَاب﴾].

و﴿نَّهۡدِي﴾ معناه: نُرْشد.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ﴾ بفتح التاءِ وكسر الدّال.

[وقرأَ حوشب: (وإِنَّك لتُهدَى) بضمِّ التاءِ وفتح الدَّال على بناءِ الفعل للمفعول][(٢)].

وفي حرف أُبَيٍّ: (لَتَدْعُو)، وهي تعضد قراءَة الجمهور[(٣)].

وقرأَ ابن السَّميفع، وعاصم الجحدريُّ: (لَتُهدِي) بضم التاءِ وكسر الدال[(٤)].

وقوله: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ يعني: صراط شرع الله ورحمته وجنته[(٥)]، فبهذا الوجه ونحوه من التَّقدير أُضيف الصِّراطُ إِلى الله تعالى، واستفتح القول في الإِخبار بصيرورة

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «أَي كالرُّسُل»، وفي الأَصل: «أَو بالرسل».

(٢) سقط من أحمد٣، وهي شاذة، عزاها لحوشب في مختصر الشواذ (ص: ١٣٥)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٦١٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٢٨)، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٤٢٤)، والدر المصون (٩/ ٥٦٨)، واللباب (١٧/ ٢٢٤): ابن حوشب، فلعله شَهْرٌ المشهور.

(٣) في أحمد٣: «العامة»، وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٢٩)، وفي إعراب القرآن له (٤/ ٦٤): «وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ».

(٤) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٩/ ٣٥٢).

(٥) سقط من المطبوع ونجيبويه.

الأُمور إِلى الله تعالى مبالغةً وتحقيقاً وتثبيتاً[١]، والأُمور صائرة [على الدَّوام][٢] إِلى الله تعالى، ولكن جاءَت هذه العبارة [مستقبلة تقريباً][٣] لمن في ذهنه أَنَّ شيئاً من الأُمور يرجع[٤] إِلى البشر.

وقال سهيل[٥] بن أَبي الجعد: احترق مصحف، فلم يبق منه إِلَّا قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾[٦].

نجز تفسير (سورة الشّورى)، والحمد لله حقَّ حمده، والصلاة على محمد وآله[٧]

(١) في الحمزوية والسليمانية: «وتبييناً». وفي الأصل والمطبوع: «تخفيفاً».
(٢) سقط من السليمانية.
(٣) في المطبوع: «مستقلَّة تقريعاً»، وفي الحمزوية: «مستقيمة تقريباً». وفي أحمد٣: «مستقلة فقط». وفي السليمانية كلمة غير مقروءة.
(٤) «يرجع» من أحمد٣.
(٥) في المطبوع ونجيبويه والسليمانية: «سهل»، وسقط «ابن أبي الجعد» من أحمد٣، وهو أبو الأحدل سهيل ابن أبي الجعد، رأى عروة والمقبري، روى عنه سعيد بن أبي أيوب وحيوة، وسمع شرحبيل مولى الأنصار وعكرمة، التاريخ الكبير للبخاري (٤/ ١٠٥).
(٦) تفسير الثعلبي (٨/ ٣٢٦)، القرطبي (١٦/ ٦٠) وزاد: وغرق مصحف فامتحى كُلّ شيء فيه إلَّا قوله: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾.
(٧) من السليمانية، وفي المطبوع: «كمل تفسير سورة الشورى، والحمد لله رب العالمين». وفي فيض الله: «والحمد لله كما هو أهله ومستحقه وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم».

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَفسير سُورة الزُّخرُف

هذه السورة مكِّيَّة بإِجماع من أَهل العلم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾.

تقدَّم القول في الحروف الَّتي في أَوائل السُّور[1].

وقوله: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ خفض بواو القَسَم.

و﴿الْمُبِين﴾ يحتمل أَن يكون من (أَبانَ) الَّذي هو بمعنى: (بان)؛ أَي: ظهر، فلا يحتاج إِلى مفعول.

ويحتمل أَن يكون مُعَدّى من (بانَ)، فهذا لا بُدَّ من مفعول تقديره: المُبين الهدى أو الشَّرع ونحوه.

---

(١) ليس في أحمد٣.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾ معناه: سمَّيناه وصيَّرناه، وهو إِخبارٌ عليه وقع القَسَم.

والضَّمير في ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ عائد على (الكتاب).

و﴿عَرَبِيًّا﴾ معناه: بلسانكم لئلاّ يبقى لكم عذر.

وقوله: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ترجٍّ بحسب معتقد البشر، أَي: إِذا أَبصر المُبْصر من البشر هذا الفعل منَّا يُرجى منه أَن يعقل الكلام ويفهم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ عطف على قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾، وهذا الإِخبار الثّاني واقع أَيضاً تحت القَسَم.

و«أُمُّ الكِتاب»: اللَّوح المحفوظ، وهذا فيه تشريف للقرآن وترفيع.

واختلف المتأَوِّلون، كيف هو في أُمِّ الكتاب؟:

فقال قتادة، وعكرمة، والسُّديُّ، وعطيَّة بن سعد: القرآن بأَجمعه فيه منسوخٌ[1]، ومنه ما[2] كان جبريل عليه السلام ينزل، وهنالك هو عليٌّ حكيم. / [٥/ ٦٦]

وقال جمهور النّاس: إِنَّما في اللَّوح المحفوظ[3] ذِكْرُهُ ودرجتهُ ومكانتهُ من العُلُوِّ والحكمة.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿فِيٓ أُمِّ﴾ بضمِّ الهمزة.

وقرأَها بكسر الهمزة يوسف بن عُمَر والي العراق[4]، وعيسى بن عُمَر[5].

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٥٦٦)، وفي المطبوع وأكثر النسخ: «بن سعيد»، وهو خطأ.

(٢) «ما» من السليمانية وفيض الله ونور العثمانية.

(٣) ليس في أحمد٣.

(٤) هو يوسف بن عمر الثقفي الأمير، ولي اليمن لهشام، ثم نقله إلى إمرة العراقين فأقره الوليد بن يزيد وأضاف إليه إمرة خراسان، وكان مهيباً جباراً ظلوماً، قتله يزيد بن خالد القسري سنة (١٢٧هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٣١٥).

(٥) وهما سبعيتان، الكسر لحمزة، كما في التيسير (ص: ٩٤)، والسبعة (ص: ٢٢٨)، ولم أجدها لابني عمر المذكورين.

وقوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ﴾ بمعنى: أَفَنَتْرك، تقول العرب: أَضربتُ عن كذا وضربتُ إِذا أَعرضت عنه وتركته.

و﴿ٱلذِّكۡرَ﴾ هو الدُّعاءُ إِلى الله تعالى والتَّذكيرُ بعذابه والتَّخويفُ من عقابه.

قال أَبو صالح: ﴿ٱلذِّكۡرَ﴾ هنا أَراد به العذابَ نفسه.

وقال مجاهد، والضَّحّاك: ﴿ٱلذِّكۡرَ﴾: القرآن[١].

وقوله تعالى: ﴿صَفۡحًا﴾ انتصابه كانتصاب ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٨٨]، فيحتمل أَن يكون بمعنى العفو والغَفْر للذنب، فكأَنَّه يقول: أَفنتْرُكُ تذكيركم وتخويفكم عفواً عنكم وغفْراً لإِجرامكم إِذ كُنْتُمْ، أَو من أَجْل أَن كنتم قوماً مسرفين؟ أَي هذا لا يصلح، وهذا هو قول ابن عبّاس[٢]، ومجاهد[٣].

ويحتمل قوله: ﴿صَفۡحًا﴾ أَن يكون بمعنى: مَغْفُولاً عنه، أَي نتركه يَمُرُّ[٤] لا تؤخذون بقبوله[٥] ولا بتدبره، ولا تُنَبَّهون عليه، وهذا المعنى نظير قول الشاعر:

تَمُرُّ الصَّبَا صفحاً بِساكِنِ ذي الْغَضَى ... ويَصْدَعُ قَلْبي أَن يَهُبَّ هُبُوبُها[٦] [الطويل]

أَي: تَمُرُّ مغفولاً عنها، فكأَنَّ هذا المعنى: أَفَنَتْرُكُكُم سُدًى؟ وهذا هو مَنْحى قتادة وغيره، ومن اللَّفظة قول كُثَيِّر:

---

(١) انظر القولين في الهداية لمكي (١٠/ ٦٦٢٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٣٥). و«مجاهد» سقط من السليمانية.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٤٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بنحوه.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٥٦٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢١٦)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٢٨)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٦٢٤).

(٤) في السليمانية وأحمد٣: «مهمولًا»، وكذا في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «نتركه مهمولًا».

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «بقوله»، وفيه: «ولا تدبره».

(٦) تقدم التعليق عليه في تفسير الآية (١٠٣) من (سورة يوسف).

[الطويل] صَفُوحاً فَمَا تَلْقَاكَ إِلَّا بَخيلَةً فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَصلَ مَلَّتِ[١]

وقرأَ السَّميط بن عمرو السّدوسيُّ[٢]: (صُفْحاً) بضمِّ الصّاد[٣].

وقرأَ نافع، وحمزة، والكسائيُّ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ بكسر الأَلف، وهو جزاءٌ دلَّ ما تقدم على جوابه.

وقرأَ الباقون، والأَعرج، وقتادة: ﴿أَن كُنتُمْ﴾ بفتح الأَلف، بمعنى: من أَجل أن كنتم[٤].

وفي قراءَة ابن مسعود: (إِذْ كُنْتُمْ)[٥].

و«الإِسْرَافُ» في الآية: هو الكفر والضَّلال البعيد في عبادة غير الله عز وجل والتشريك[٦] به.

وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الآيات تسليةٌ لمحمد ﷺ، وذكر أُسْوَة له ووعيدٌ لهم وتهديدٌ بأَن يصيبهم ما أَصاب من هو أَشدّ بطشاً منهم.

و«الأَوَّلُونَ»: هم الأُمم الماضية، كقوم نوح وعادٍ وثمود وغيرهم.

والضَّمير في قوله: ﴿كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ظاهره العموم، والمراد به الخصوص فيمن استهزءُوا، وإِلَّا فقد كان في الأَوَّلين من لم يستهزئ.

---

(١) البيت لكثير عزة كما في تفسير الثعلبي (٨/ ٣٢٨)، والزاهر للأنباري (١/ ٢٧١)، وأمالي القالي (٢/ ١٠٧)، والأغاني (٩/ ٣٦).

(٢) هو سميط بن عمير أو ابن عمرو أو ابن سمير أبو عبد الله السدوسي البصري، يقال: إنه سار إلى عمر، وروى عن أبي موسى، وعمران بن حصين، وعنه: عاصم الأحول، توفي قبل المئة. تاريخ الإسلام (٦/ ٣٨٢).

(٣) وهي شاذة انظر ها في مختصر الشواذ (ص: ١٣٥)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٢٤). وفي أحمد٣: «صفوحاً»، مع الإشارة للمثبت.

(٤) ليست في أحمد٣، وهما سبعيتان، التيسير (ص: ١٩٥)، والسبعة (ص: ٥٨٤).

(٥) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٢٤)، لزيد بن علي، وكذا في البحر المحيط (٩/ ٣٦٠).

(٦) في السليمانية وأحمد٣: «الشرك».

والضَّمير في ﴿مِنْهُم﴾ عائد على قريش.

وقوله تعالى: ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أَيْ: سَلَفَ أمرهم وسُنَّتُهُمْ وصاروا عبرةً غابر الدَّهر.

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ الآيَةَ؛ ابتداءُ احتجاج على قريش يوجب عليهم التَّناقض في أَمرهم، وذلك أَنَّهم يُقِرُّونَ أَنَّ الخالق الموجد لهم وللسَّماوات والأَرض هو الله تعالى، وهم مع ذلك يعبدون أَصناماً ويدعونها آلهتهم، ومُقتضى جواب قريش أَن يقولوا: خلقهنَّ الله، فلمَّا ذكر تعالى المعنى، جاءَت العبارة عن الله بـ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ليكون ذلك توطئة لما عدّد بعد ذلك من أَوصافه الَّتي ابتدأَ الإِخبار بها وقطعها من الكلام [الَّذي حكى معناه عن قريش][(١)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

هذه[(٢)] أَوصاف فعل، وهي نِعَم من الله تعالى على البشر تقوم بها الحجَّة على كلِّ كافر مشرك بالله تعالى.

[وقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ﴾ ليس من قول المسؤولين[(٣)]، بل هو ابتداءُ إِخبار من الله تعالى][(٤)].

---

(١) سقط من أحمد٣، وكذا لفظ: «عن الله» من الفقرة فوقه.

(٢) في أحمد٣: «الآية».

(٣) في الحمزوية: «المشركين».

(٤) وردت هذه الفقرة في أحمد٣ قبل «السبل: الطرق»، وسقط منه: «الذي جعل لكم»، وفي السليمانية: «وهو»، مع الإشارة الأخرى.

وقرأ جمهور النّاس: ﴿مِهَاداً﴾.

وقرأ ابن مسعود وطلحة والأعمش: ﴿مَهْدًا﴾[١]، والمعنى واحد؛ أَي: يُتَمَهَّد ويُتَصَرَّف فيها.

و«السُّبُل»: الطُّرُق.

و﴿تَهْتَدُونَ﴾ معناه: في المقاصد من بلد إِلى بلد ومِن قُطْر إِلى قُطْر.

ويحتمل أَن يريد: تهتدون بالنَّظر والاعتبار.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ هو المطر بإِجماع.

واختلف المتأَوِّلون في معنى قوله: ﴿بِقَدَرٍ﴾:

فقالت فرقة: معناه: بقضاءٍ وحتْم في الأَزل.

وقال آخرون: المعنى: بقدر في الكفاية للصَّلاح، لا إِكثار فيُفْسد، ولا قِلَّة فيقصر، بل غيثاً مُغيثاً سيلاً[٢] نافعاً.

وقالت فرقة: معناه: بتقدير وتحديد[٣]، أَي: قدراً مَّا معلوماً.

ثمَّ اختلف قائلو هذه المقالة:

فقال بعضهم: يُنْزل كلَّ عام ماءً قدراً واحداً، لا يَفْضُل عامٌ عاماً، لكن يكثر مرَّة هاهنا ومرَّة هاهنا.

وقالت فرقة: بل يُنزل الله تعالى تقديراً ما في عام، ويُنزل في آخر تقديراً آخر بحسب ما سبق به قضاؤُه لا إِله غيره.

---

(١) بل هي قراءة الكوفيين جميعاً، فهما سبعيتان، كما تقدم في حرف (طه)، ولعله اشتبه على المصنف أنهم إنما ذكروها هناك.

(٢) في الأصل: «سبلًا».

(٣) في أحمد٣ وأحمد٣: «تحرير».

و(أَنشَرْنَا) معناه: أَحْيَيْنَا، يقال: نَشَرَ الميتُ وأَنشره الله[١].

و﴿بَلْدَةً﴾: اسم جنس، ووصفها بـ﴿مَّيْتًا﴾ دون ضمير من حيث هي واقعة موقع: قُطْر، ونحوه؛ إذ التأْنيث فيها غير حقيقي.

وقرأَ الجمهور: ﴿مَّيْتًا﴾ بسكون الياءِ.

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع: ﴿مَيِّتاً﴾ بياءٍ مكسورة مشدَّدة، وهي قراءَة عيسى بن عمر[٢].

والأول أَرجح لِشَبَه لفظها بـ: زوْرٍ وعَدْل، فَحَسُن وصف المؤنث بها.

وقرأَ أكثر السَّبعة، والأَعرج، وأَبو جعفر: ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ بضمِّ التّاءِ وفتح الرَّاءِ.

وقرأَ حمزة، والكسائيُّ، وابن عامر، وابن وثاب، وعبد الله بن جُبَيْر المصيح[٣]، وعيسى: ﴿وكذلك تَخرجون﴾ بفتح التاء وضم الراء[٤].

و﴿ٱلْأَزْوَٰجَ﴾: الأَنواع من كلِّ شيءٍ، و﴿مِّنَ﴾ في قوله: ﴿مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾ للتَّبعيض، وذلك أَنَّه لا يُركب من الأَنعام غير الإِبل، وتدخل الخيل والبغال والحمير فيما يُركب بالمعنى.

واللَّام في قوله: ﴿لِتَسْتَوُۥا﴾ لام الأَمر، ويحتمل [أَن تكون][٥] لام (كي).

و﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ واقعة على النوع المركوب.

والضَّمير في ﴿ظُهُورِهِۦ﴾ عائد على النَّوع الَّذي وقعت عليه ﴿مَا﴾.

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «غيره».

(٢) وهي عشرية، عزاها لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٢٢٤).

(٣) سقط من المطبوع والسليمانية، وفي البحر المحيط (٩/ ٣٦١): «المصبح»، ولم أعرفه.

(٤) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٨٤)، والنشر (٢/ ٢٦٧)، وخصها في التيسير (ص: ١٠٩)، عن ابن عامر برواية ابن ذكوان، وانظر البحر المحيط (٩/ ٣٦١). وسقط «أبو جعفر» من أحمد٣، و«ابن عامر» من الأصل.

(٥) ليس في أحمد٣.

وقد بَيَّنَت آيةٌ أُخرى ما يقال عند ركوب الفُلك وهو: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡر۪ىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [هود: ٤١]، وإِنَّما هذه خاصة هنا[١] فيما يركب من الحيوان، ويقال / [٥/ ٦٧] عند النُّزول منها: اللهمَّ، أَنزلنا منزلاً مباركاً وأَنت خير المنزلين.

والسُّنَّة للراكب [إذا ركب][٢] أَن يقول: الحمد لله على نعمة الإِسلام، أَو على النِّعمة بمحمد ﷺ، أَو على النّعمة في كلِّ حال، وقد روي هذا اللَّفظ عن عليّ بن أَبي طالب عن النَّبيِّ ﷺ، [ثمَّ يقول: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي﴾ الآية[٣].

وركب أَبو مِجْلز لاحق بن حميد وقال:][٤] ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ الآية، ولم يذكر نعمة[٥]، وسمعه الحسن بن عليٍّ رضي الله عنه، فقال: ما هكذا أُمرتم، ثم قال أَبو مجلز: فقلت له: فكيف أَقول؟ قال: قل: الحمد لله الّذي هدانا للإِسلام، أَو نحو هذا، ثمَّ تقول بعد ذلك: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي﴾ الآية[٦].

---

(١) «هنا» من أحمد٣.

(٢) ليس في أحمد٣.

(٣) لم أجده، وانظر التعليق الآتي، إنما أخرج ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٣٩١) والطبراني في الدعاء (٧٧٥) من طريق: سفيان الثوري، عن أبي هاشم، عن أبي مجلز، أن حسين بن علي رأى رجلاً ركب دابة فقال: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ﴾، قال أفبهذا أمرت، قال: كيف أقول؟ قال: الحمد لله الذي هداني للإسلام الحمد لله الذي من علي بمحمد ﷺ، الحمد لله الذي جعلني في خير أمة أخرجت للناس، ثم تقول: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾. أبو هاشم هو الرماني واسمه يحيى، وأبو مجلز هو لاحق بن حميد، وجميعاً ثقات، لكنَّ أبا مجلز لم يصرح بسماعه من الحسين، وهو ممن يرسل.

(٤) سقط من السليمانية وأحمد٣.

(٥) في أحمد٣: «غيره».

(٦) رواه أبو هاشم الواسطي يحيى بن دينار عن أبي مجلز لاحق بن حميد، واختلف على أبي هاشم، فرواه عنه الثوري عن أبي مجلز أن الحسن بن علي رأى رجلاً، ورواه عاصم الأحول عن أبي هاشم عن أبي مجلز قال: ركبت دابة فقلت... إلخ، ورواته ثقات، لكن رواية الثوري ظاهرها الإرسال، ورواية عاصم متصلة، والثوري أحفظ من عاصم، وقد وقع اختلاف فيمن جرت معه القصة، فقيل: الحسن بن علي، وقيل: الحسين بن علي، ينظر: المصنف لابن أبي شيبة (١٠/ ٣٩١)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٥٥٨)، والدعاء للطبراني (٧٧٥).

وكان طاوس إِذا ركب قال: اللهمَّ إن هذا من منِّك وفضلك، ثمَّ يقول: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ﴾ الآية[١].

وإن قدَّرنا أَنَّ ذكْر النِّعمة هو بالقلب والتَّذكُّر بدأَ الراكب بـ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى سَخَّرَ﴾، وهو يرى نعمة الله في ذلك وفي سواه.

و«الْمُقْرِنُ»: الغالبُ الضّابطُ المستولي على الأَمر[٢] المُطيق له.

وقد روي: أَن بعض الأَعراب ركب جملاً، فقيل له قل: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾، فقال: أَما والله إِنِّي لَمُقْرِنٌ تَيَّاهٌ، فضرب به الجمل، فوقصه فقتله[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ أَمْرٌ بالإِقرار بالبعث وترداد القول به، وذلك داعية إِلى استشعار[٤] النَّظر فيه.

ورُوي عن النَّبيِّ ﷺ: «أَنَّ الإِنسان إِذا ركب ولم يقل ما في هذه الآية جاءَ الشَّيطانُ، فقال له: تَغَنَّه، فإِن كان يحسن تَغَنَّى[٥]، وإِلَّا قال له: تَمَنَّه، فيتمنى الأَباطيل ويقطع زمنه بذلك»[٦].

---

(١) تفسير عبد الرزاق (٣/ ١٦٥)، تفسير الطبري (٢١/ ٥٧٦). و«إن» من السليمانية وأحمد٣، وفيه: «هذا منك».

(٢) سقط من الأصل.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٠١)، بمعناه، وفي نجيبويه: «ثبات» بدل: «تياه».

(٤) في أحمد٣: «استعقاب».

(٥) في السليمانية وفيض الله: «الغناء»، وفي نور العثمانية: «غناء غنى».

(٦) صحيح من قول ابن مسعود، أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي (١٤) من طريق منصور، عن مجاهد، عن أبي معمر عبد الله بن سخبرة، عن عبد الله بن مسعود قال: إذا ركب الرجل الدابة، ولم يسم، ردفه شيطان، فقال: تغنه، فإن كان لا يحسن، قال له: تمنه، ومن طريق ابن أبي الدنيا أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥١٠١) به، وقد أخرج الطبراني في الكبير (٨٩٥) من طريق عبد الله بن صالح، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عبد الله بن شراحيل قال: سمعت عقبة بن عامر يقول: قال النبي ﷺ: «ما من راكب يخلو في مسيره بالله وذكره إلا ردفه ملك ولا يخلو بشعر ونحو إلا ردفه شيطان». وعبد الله بن لهيعة متفق على ضعفه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًاۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

الضَّمير في ﴿وَجَعَلُواْ﴾ لكفَّار قريش والعرب، والضَّمير في ﴿لَهُۥ﴾ لله تعالى.

و«الجُزْءُ»: القِطع من الشَّيءِ، وهو بعض الكلِّ، فكأنَّهم جعلوا جزءاً من عباده نصيباً له وحظّاً، وذلك في قول مجاهد وكثير من المتأوِّلين: قولُ العرب: الملائكة بناتُ الله(١).

وقال بعض أَهل اللُّغة: الجزءُ: الإناثُ، يقال: أَجْزَأَتِ المرأَةُ: إِذا ولدت أُنثى.

ومنه قول الشاعر:

[البسيط] إِنْ أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ يَوْماً فَلَا عَجَبٌ ... قَدْ تُجْزِئُ الحُرَّةُ المِذْكَارُ أَحْيَانا(٢)

وقد قيل: إِنَّ هذا البيت موضوع(٣).

وقال قتادة: المراد بالجزءِ: الأَصنامُ وفرعون وغيره ممَّن عُبد من دون الله(٤)، أَي جُزْءاً نِدّاً، فَعَلَى هذا التأويل فتعنيف(٥) الكفرة في فصلين: في أَمر الأصنام، وفي أَمر الملائكة، [وعلى هذا التأويل الأول فالآية كلها في أمر الملائكة](٦).

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٥٧٧). وسقط «مجاهد» من فيض الله والأصل، وفي نجيبويه: «يرى كثير... إلخ».

(٢) بلا نسبة في غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٣٩٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ٦٨)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٦٣٩).

(٣) في نجيبويه بدله: «في هذا البيت إنه بيت»، وفي معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٠٧): «لا أدري البيْتَ، قديم أم مَصْنُوع».

(٤) لفظ قتادة في تفسير الطبري (٢١/ ٥٧٨): أي عدلًا، وانظر مثل ما للمصنف في تفسير القرطبي (١٦/ ٦٩).

(٥) في الأصل: «فتعقيب».

(٦) سقط من المطبوع وأحمد٣.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ﴾ أتى بلفظ الجنس العامِّ والمراد بعض الإِنسان، وهو هؤلاءِ الجاعلون ومن أَشبههم.

و﴿مُّبِينٌ﴾ في هذا الموضع غير مُتَعَدٍّ.

وقوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ﴾ إِضـرابٌ وتقرير، وهذه حجَّة بالغة عليهم؛ إِذ المحمود من الأَولاد والمحبوب قد خوَّله الله تعالى بني آدم، فكيف يتَّخذ هو[1] لنفسه النصيب الأَدنى؟

و(أَصْغاكُم) معناه: خصَّكم وجعل ذلك لكم صفوة.

ثمَّ قامت الحجَّة عليهم في هذا المعنى وبانت[2] بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ﴾ الآية.

و﴿مُسۡوَدّٗا﴾ خبر ﴿ظَلَّ﴾.

و«الْكَظِيمُ»: الممتلئُ غيظاً الذي قد ردَّ غيظه إِلى جوفه، فهو يتجرَّعه ويروم ردَّه، وهذا محسوسٌ عند الغيظ.

ثمَّ زاد توبيخهم وإِفساد رأْيهم بقوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ﴾، و(مَنْ) في موضع نصب بفعل يدلُّ عليه ﴿وَجَعَلُواْ﴾، كأَنَّه قال: أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ في الحلية [جعلتم أَو اتخذتم؟

ويجوز أَن يكون في موضع رفع كأَنه تعالى قال: أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ في الحلية][3] هو الَّذي خصصتم به الله؟ ونحو هذا.

والمراد بـ(مَنْ): النِّساءُ، قاله ابن عبَّاس[4]، ومجاهد، وقتادة، والسُّديُّ[5].

و﴿يُنَشَّؤُاْ﴾ معناه: ينبت ويكبر.

---

(١) في نجيبويه: «يتخذها»، وفي أحمد٣: «يتخير» بدل «يتخذ».

(٢) في المطبوع: «وكانت».

(٣) سقط من الأصل.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٦٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢١/ ٥٨٠).

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿يَنْشأ﴾ بفتح الياءِ وسكون النّون.

وقرأَ ابن عبّاس وقتادة: (يُنْشأُ) بضمِّ الياءِ [وسكون النون][١] على تعدية الفعل بالهمزة.

وقرأَ حمزة، والكسائيُّ، وعاصم [في رواية حفص][٢]: ﴿ يُنَشَّؤُاْ ﴾ بضمِّ الياءِ وفتح النّون وشدِّ الشّين على تَعدية الفعل بالتَّضعيف، وهي قراءَة ابن عبّاس أَيضاً والحسن، ومجاهد[٣].

وفي مصحف ابن مسعود: (أَوَ مَنْ لَا ينشأُ إِلَّا في الحِلْيَة)[٤].

و﴿ٱلْحِلْيَةِ﴾: الحليُّ من الذَّهب والفضة والأَحجار.

و﴿ ٱلْخِصَامِ ﴾: المحاجَّة [ومجاذبة المحاورة][٥]، وقلَّما تجد امرأَة إِلَّا تفسد الكلام وتخلط المعاني.

وفي مصحف ابن مسعود: (وهو في الكلام غيرُ مبين)[٦].

و﴿مُّبِينٌ ﴾ في هذه الآية مُتَعَدٍّ، والتَّقدير: [غير مُبين غَرَضاً][٧]، أَو مَنْزَعاً، ونحو هذا.

وقال ابن زيد: المراد بمن يُنَشأ في الحلية: الأَصنامُ والأَوثان[٨]؛ لأَنَّهم كانوا يتَّخذون كثيراً منها من الذَّهب والفضة، وكانوا يجعلون الحليَّ على كثير منها.

---

(١) سقط من نجيبويه والسليمانية، وهذه شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص ١٣٥) للجحدري. وسقط «قتادة» من المطبوع وأحمد٣.

(٢) سقط من السليمانية.

(٣) القراءة الأولى والثالثة سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٦)، والسبعة (ص: ٥٨٤)، وانظر الباقين في البحر المحيط (٩/ ٣٦٤).

(٤) وهي شاذة، انظر تفسير الطبري (٢١/ ٥٨١)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٢٩).

(٥) في نجيبويه بدله: «والمجادلة والمحاورة».

(٦) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (٨/ ٣٣١).

(٧) في أحمد٣ بدلًا منه: «عرضاً».

(٨) تفسير الطبري (٢١/ ٥٨٠).

ولما فرغ تَعْنِيفُهم[١] على ما أَتَوْه في جهة الله تعالى بقولهم: الملائكة بنات الله؛ بيَّن الله تعالى فساداً في مقالتهم، فعينها[٢] بجهة أُخرى من الفساد، وذلك شنيع[٣] قولهم في عباد الله[٤] مختصّين مُقَرَّبين: إنهم إناث.

وقرأ أكثر السَّبعة، وابن عبّاس وابن مسعود وابن جبير وعلقمة: ﴿عِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والحسن، وأَبو رجاءٍ، وأَبو جعفر، والأَعرج، وشيبة، وقتادة، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه: ﴿عِنْدَ الرَّحْمَنِ إناثاً﴾[٥].

وهذه القراءَة أَدلُّ على رفع المنزلة وقُرْبها[٦] في التَّكرمة، كما قيل: مَلَك مُقَرَّب.

وقد يتصرَّف المعنيان في كتاب الله تعالى في وصف الملائكة في غير هذه الآية، فقال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، وقال تعالى في أُخرى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦][٧].

وفي مصحف ابن مسعود: (وَجَعَلُوا الملائكةَ عِبَادَ الرَّحْمَنِ إِناثاً)[٨] / . [٥/ ٦٨]

وقرأ نافع وحده: ﴿أَأُشْهِدُوا﴾ بالهمزتين وبلا مدٍّ بينهما وبفتح الأُولى وضمِّ الثّانية وتسهيلها بين الهمزة والواو، ورواها المفضَّل عن عاصم بتحقيق[٩] الهمزتين.

---

(١) في أحمد٣: «تعسفهم»، وفي نور العثمانية: «تصنيفهم».

(٢) في نجيبويه: «بعينها».

(٣) في نجيبويه والسليمانية ونور العثمانية: «تشنيع».

(٤) في أحمد٣ والمطبوع: «لله».

(٥) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٦)، والسبعة (ص: ٥٨٥)، وموافقة الباقين في البحر المحيط (٩/ ٣٦٤).

(٦) في نجيبويه: «وقوتها».

(٧) كتبت في نور العثمانية: «فالذين»، وهي في الآية (٣٨) من (سورة فصلت).

(٨) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ١٣٥).

(٩) في المطبوع والأسدية٣: «بتخفيف»، وفي نجيبويه: «وبتحقيق». وفي أحمد٣: «بتحقيقهما»، وفي السليمانية: «الفضل».

وقرأ المسيِّبيُّ عن نافع بمدَّة بين الهمزتين.

وقرأ أبو عمرو، ونافع أيضاً، وعليُّ بن أبي طالب، وابن عبّاس، ومجاهد: ﴿أَؤُشْهِدُوا﴾ بتسهيل الثّانية بلا مَدٍّ، وقرأ جماعة من القراءِ بالتسهيل في الثّانية ومدَّة بينهما[1].

وقرأ آخرون: (أُشْهِدُوا) بهمزة واحدة بغير استفهام، وهي قراءَة الزُّهريِّ[2]، وهي صفة لإناث، أي: أشهدوا[3] خلقهم.

ومعنى الآية التَّوبيخ وإظهار فساد عقولهم[4] ودعاويهم[5] وأنَّها مجردة من الحجَّة.

وهذا نظير الآية الرَّادة على المُنَجِّمين وأهل الطَّبائع وهي في قوله تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١] الآية.

وقرأ جمهور النّاس: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ برفع (شهادة) وبناءِ الفعل للمفعول.

وقرأ الأعرج، وابن عبّاس، وأبو جعفر، وأبو حيوة: (سَنَكْتُبُ) بنون الجمع، و(شَهَادَتَهُمْ) بالنَّصب.

وقرأت فرقة: (سَيَكْتُبُ) بالياء على معنى: سيكتب اللهُ (شهادتَهم) [بالنصب.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (ستُكتَبُ شَهَاداتُهم)][6] على بناءِ الفعل للمفعول وجمع الشَّهادات[7].

---

(١) خمسة أوجه هي في الحقيقة ثلاث قراءات، اثنتان سبعيتان: الأولى بالتسهيل بلا مدٍّ لورش ووجه لقالون، والثالثة بالتسهيل والمد هي الوجه الثاني له كما في التيسير (ص: ١٩٦)، أما الثانية بالتحقيق بلا فصل للمفضل ففي السبعة (ص: ٥٨٥)، وجامع البيان (٣/ ١٤٨)، بلفظ: «يحققهما معا»، والوجه الرابع مكرر مع الأول، والخامس مع الثالث، وانظر الباقين في البحر المحيط (٩/ ٣٦٥).

(٢) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٢٥٤).

(٣) في السليمانية ونور العثمانية وأحمد٣: «مشهداً».

(٤) سقط من المطبوع.

(٥) في السليمانية: «ودواعيهم»، وفي الأصل: «وعائهم».

(٦) سقط من نجيبويه، ووردت هذه الفقرة في أحمد٣ كالآتي: «وقرأ الحسن (ستكتب) مجهولًا (شهاداتهم) جمعاً ورفعاً وفي قوله... إلخ».

(٧) ثلاث قراءات شاذة؛ لأن الرواية عن أبي جعفر هنا ليست من طرق النشر، انظر عزو الأولى للأعرج =

وفي قوله تعالى: ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾ وعيد مفصح، و﴿أَشَهِدُواْ﴾ في هذه الآية معناه: أَحَضَرُوا؟ وليس ذلك من شهادة تحمل المعاني الَّتي يطلب أَن تُؤَدَّى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

ذكر الله تعالى احتجاج الكفّار بمذهبهم[١] ليبيِّن فساد منزعهم، وذلك أَنهم جعلوا إِمهال الله لهم وإِنعامه عليهم ـ وهم يعبدون الأَصنام ـ دليلاً على أَنَّه يرضى عبادة الأَصنام ديناً، وذلك كالأَمر به، فنفى الله تعالى عن الكَفَرة أَن يكون لهم علمٌ بهذا، وليس عندهم كتاب منزل يقتضي ذلك، وإِنَّما هم يظنّون ويحدسون[٢] ويخمنون، وهذا هو الخَرْصُ والتَّخَرُّص[٣].

وقرأَ الجمهور: ﴿عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ بضمِّ الهمزة، وهي بمعنى المِلَّة والدِّيانة، والآية ـ على هذا ـ تعيب[٤] عليهم التقليد.

وقرأَ مجاهد، والجحدريُّ، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: (على إِمَّة) بكسر الهمزة[٥].

= والأخيرة للحسن في مختصر الشواذ (ص: ١٣٥)، وعزا الثانية بدون لفظ الجلالة للزهري، وكذلك ذكرها في البحر المحيط (٩/ ٣٦٥) بلا نسبة، مع العزو للباقين.

(١) في السليمانية: «لمذاهبهم». وفي أحمد٣: «لمذهبهم»، وسقطت منه «الكفار».

(٢) في الأصل والمطبوع: «ويخرصون»، وفي نور العثمانية: «يخرسون».

(٣) سقطت من نجيبويه.

(٤) في نجيبويه: «تعنف».

(٥) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ١٣٦).

وهي بمعنى النعمة، ومنه قول الأَعشى:

[الطويل] وَلا الْمَلِكُ النُّعْمَانُ يَـوْمَ لَقيتُـهُ بإِمَّتِـهِ يُعطي القُطُـوطَ ويَأْفقُ(١)

ومنه قول عديٍّ بن زيد:

[الخفيف] ثـمَّ بَعْـدَ الْفَـلَاحِ والْمُلْـكِ وَالإِ مَّـةِ وَارَتْهُـمُ هنـاك الْقُبُـور(٢)

فالآية(٣) على هذا المعنى استمرارٌ في احتجاجهم؛ لأنهم يقولون: وجدنا آباءَنا في نعمة من الله وهم يعبدون الأَصنام، فذلك دليل رضاه عنهم، وكذلك اهتدينا نحن بذلك على آثارهم.

وذكر الطَّبريُّ عن قوم أَنَّ (الإِمَّة): الطَّريقة، مصدر من قولك: أَمَمْتُ كذا إِمَّةً(٤).

ثمَّ ضرب الله تعالى المثل لنبيِّه محمد ﷺ، وجعل له الأُسوة فيمن مضى من النُّذُر والرُّسل، وذلك أَنَّ المُتْرفين من قومهم ـ وهم أَهل التنعم والمال ـ قد قابلوهم بمثل هذه المقالة(٥).

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿قُلْ أو لو﴾، والمعنى: قُلْنَا للنّذير: قُلْ أَوَ لَوْ.

وقرأَ ابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿قَالَ أَوَلَوْ﴾(٦)، ففي ﴿قَالَ﴾ ضمير يعود على النَّذير.

---

(١) انظره في مسائل نافع بن الأزرق (ص: ٦٥)، ومجاز القرآن (٢/ ١٧٩)، والعين (٥/ ٢٢٧)، وجمهرة اللغة (١/ ١٥٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٠٧)، وتفسير الطبري (٢١/ ١٦٣)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٢٣).

(٢) عزاه له الطبري (٢١/ ٥٨٥)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٨٣)، ومعجم الشعراء (ص: ٢٤٩)، والزاهر للأنباري (١/ ١٥١)، وعيون الأخبار (٣/ ١٣٢)، والاختيارين (ص: ٧١٥)، والعقد الفريد (٣/ ١٤١). وسقط من المطبوع وأحمد٣ فيه: «وراتهم».

(٣) في أحمد٣: «فالإمة».

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٥٨٤).

(٥) في المطبوع والحمزوية والسليمانية: «المقابلة»، وفي هامش الأسدية إشارة إلى هذه النسخة.

(٦) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٦)، والسبعة (ص: ٥٨٥).

وباقي الآية يدلُّ على أَن ﴿قُلْ﴾ في قراءَة من قرأَها ليست بأَمرٍ لمحمد ﷺ، وإِنَّما هي حكاية لما أمر به النذير.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ﴾ هي أَلف الاستفهام دخلت على واو عطفت جملة كلام على جملة متقدِّمة، و﴿لَوْ﴾ في هذا الموضع، كأَنَّها شرطية بمعنى (إِن)، كأَنَّ معنى الآية: أَوَ إِنْ جِئْتُكُمْ بِأَبْيَن وأَوضح مما كان آباؤُكم عليه يصحبكم[1] لجاجُكم وتقليدكم؟ فأَجاب الكفّار حينئذ لرسلهم[2]: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ الآيَة، وعيدٌ لقريش، وضربُ مَثَل بمن سلف من الأُمم المعذَّبة [المكذِّبة بأَنبيائها، كما كذَّبت هي بمحمد ﷺ.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُم﴾][3].

وقرأَ أَبو جعفر، وأَبو شيخ، وخالد: ﴿أَوَ لَوْ جِئْنَاكُمْ﴾[4].

وقرأَ الأَعمش: (قُلْ أَوَ لَوْ أوتيتم)[5].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

المعنى: واذكر [إِذْ قال إِبراهيم][6].

ولمَّا ضرب تعالى المثل لمحمد ﷺ بالنُّذُر وجَعَلهم أُسوةً له، خصَّ إِبراهيم

(١) في الأصل: «يصح».
(٢) سقط من أحمد٣، وفي السليمانية ونور العثمانية: «لنذرهم».
(٣) سقط من أحمد٣.
(٤) وهي عشرية، انظر النشر (٢/ ٣٦٩)، ومختصر الشواذ (ص: ١٣٦)، والكامل للهذلي (ص: ٦٣٣). وفي المطبوع: «أبو شيخ الهَنَائِي».
(٥) لم نجد له فيها سلفاً ولا خلفاً، ولو وجدت فهي شاذة مخالفة للرسم، بل أقرب للخطأ، والله أعلم.
(٦) ليس في أحمد٣.

بالذِّكر لِعِظَم منزلته، وذكَّر محمداً ﷺ بمنابذة إِبراهيم عليه السَّلام لقومه، أَي: فافعل أَنت فعله، وتجلَّد تجلُّده.

و﴿بَرَآءٌ﴾ صفةٌ تجري على الواحد والاثنين والجمع، كعَدْل وزَوْرٍ.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿بَرَآءٌ﴾ بفتح الباءِ، وقرأَت فرقة: (بُرَاءٌ) بضمِّ الباءِ[1].

وفي مصحف عبد الله وقراءَة الأَعمش: (إِنِّي) بنون واحدة (بَرِيءٌ)[2].

قال الفراءُ: ومن النّاس من يكتب شكل الهمزة المخَّففة[3] أَلِفاً في كلِّ موضع ولا يراعي حركة ما قبلها، قال: فربما كان خطُّ مصحف عبد الله بأَلف كما في مصحف الجماعة لكن كان يلفظ بها (بريء) بكسر الهمزة والرَّاءِ[4].

وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ قالت فرقة: الاستثناءُ متَّصل، وكانوا يعرفون الله ويعظِّمونه، إِلَّا أَنَّهم كانوا يشركون معه أَصنامهم، فكأَن إِبراهيم قال لهم: أَنا[5] لا أُوافقكم إِلَّا على / عبادة الله الفاطر. [٥/ ٦٩]

وقالت فرقة: الاستثناءُ منقطع، والمعنى: لكنَّ الذَّي فطرني معبودي[6]، وعلى هذا فلم يكونوا يعبدون الله لا قليلاً ولا كثيراً، وعلَّل إِبراهيم لقومه عبادته لله[7]، بأَنَّه الهادي المنجي من العذاب، وفي هذا استدعاءٌ لهم وترغيب لهم[8] في الله وتطميع برحمته.

---

(١) وهي شاذة، عزاها الهذلي في الكامل (ص: **٦٣٣**) للزَّعْفَرَانِي، وابن المناقري، والقورسي عن أبي جعفر.

(٢) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: **١٣٦**).

(٣) في الأسدية**٣** والسليمانية: «المحققة».

(٤) لم أقف عليه، «وهمزة» من السليمانية.

(٥) في السليمانية: «إني».

(٦) في نجيبويه: «معبود لي».

(٧) ليست في السليمانية.

(٨) سقط من نجيبويه والسليمانية وأحمد**٣**.

والضَّمير في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً﴾ قالت فرقة: ذلك عائد على كلمته بالتَّوحيد في قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ﴾.

وقال مجاهد، وقتادة، والسُّديُّ: ذلك مراد به: لَا إِله إلَّا الله[١].

وعاد الضَّمير عليها وإن كانت لم يجر لها ذِكر؛ لأَنَّ اللَّفظ يتضمَّنها.

وقال ابن زيد: المراد بذلك الإسلام ولفظته[٢]، وذلك قوله عليه السَّلام: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨].

و«الْعَقِبُ»: الذُّرِّيَّة وولد الولد ما امتدَّ فرعهم.

وقوله عز وجل: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ﴾ الآيةَ، كلامٌ متَّصل بما قبله لأَنَّه لمَّا قال: ﴿فِى عَقِبِهِۦ﴾ وكانت قريش من عَقِبه اقتضى الكلام أَن يقدر[٣] فيه: لكنَّ هؤلاءِ ليسوا ممَّن بقيت[٤] الكلمة فيهم بل متَّعتهم، والمعنى في الآية: بل أَمهلتُ هؤلاءِ ومتَّعتهم بالنِّعمة مع كفرهم، حتّى جاءَهم الحقُّ ورسول مبين[٥]، وذلك هو شرع الإسلام والرَّسول محمد ﷺ.

و﴿مَتَّعْتُ﴾ بضمِّ التّاءِ هي قراءَة الجمهور.

وقرأَ قتادة: (مَتَّعْتَ) بفتح التّاءِ الأَخيرة على معنى: قل يا ربِّ بل متَّعتَ، ورواها يعقوب عن نافع، وقرأَ الأَعمش: (بل مَتَّعْنا)[٦] وهي تعضد قراءَة الجمهور.

---

(١) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢١/ ٥٨٩).
(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٥٩٠).
(٣) في نجيبويه: «يقترن».
(٤) في نجيبويه: «تعينت».
(٥) ليست في أحمد٣.
(٦) وهما شاذتان، عزا الأولى لقتادة الهذلي في الكامل (ص: ٦٣٣)، وزاد الأعمش، وانظر الكل في البحر المحيط (٩/ ٣٦٨).

و﴿مُّبِينٌ﴾ في هذه الآية يحتمل التّعدي وترك التّعدي.

ثمَّ أَخبر تعالى عنهم على جهة التَّقريع بأَنَّهم قالوا للقرآن: هذا سحر، وأَنَّهم كفروا به، وإِنَّما[١] جعلوه بزعمهم سحراً من حيث كان عندهم[٢] يفرق بين المرءِ وولده وزوجه، فجعلوه لذلك كالسِّحر، ولم ينظروا إِلى الفرق في أَنَّ المفارق بالقرآن يفارق عن بصيرة في الدِّين، والمفارق بالسِّحر يفارق عن خلل في ذهنه[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

الضَّمير في ﴿وَقَالُواْ﴾ لقريش، وذلك أَنَّهم استبعدوا أَوَّلاً أَن يرسل الله تعالى بَشَراً، فلمَّا تقرَّر أَمْر موسى، وعيسى، وإِبراهيم عليهم السَّلام، ولم يكن لهم في ذلك مدفع رجعوا[٤] يناقضون فيما يخص محمداً ﷺ بعينه، فقالوا: لم كان محمداً ﷺ[٥] ولم يكن نزول الشَّرع على رجل من إِحدى القريتين عظيم؟

وقدَّر المبرِّد قولهم: على رجل من رجلين من القريتين[٦]، والقريتان: مكَّة والطائف.

---

(١) في السليمانية: «وأنهم».
(٢) سقط من السليمانية.
(٣) في المطبوع: «دينه».
(٤) في نجيبويه ونور العثمانية: «جعلوا»، وأشار لها في حاشية المطبوع.
(٥) في السليمانية وأحمد٣: «محمد»، بالرفع.
(٦) لم أقف عليه.

ورجل مكَّة الَّذي أَشاروا إِليه، قال ابن عبّاس وقتادة: هو الوليد بن المغيرة المخزوميُّ[١].

وقال مجاهد: هو عتبة بن ربيعة، وقال قتادة: بلغنا أَنَّه لم يبق فخذ من قريش إِلّا ادعاه[٢].

ورجل الطّائف، قال قتادة: هو عُروة بن مسعود، وقال ابن عبّاس وابن مسعود[٣]: حبيب بن عبد بن عمير[٤]، وقال مجاهد: كنانة بن عبد ياليل[٥].

قال القاضي أَبو محمد: وإِنَّما قصدوا إِلى من عَظُم ذكره بالسِّن والقِدَم؛ وإِلَّا فرسول الله ﷺ كان حينئذ أَعظم من هؤلاءِ، لكن لمَّا عظُم أُولئك قبل مُدَّة النَّبيِّ وفي صباه استمرَّ ذلك لهم.

ثمَّ وقف تعالى ـ على جهة التَّوبيخ لهم ـ بقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾، المعنى: أَعلى[٦] اختيارهم وإِرادتهم تنقسم الفضائل والمكانة عند الله؟ و«الرَّحمةُ»: اسم يعُمُّ جميع هذا.

ثمَّ أَخبر تعالى خبراً جازماً بأَنَّه قاسم المعايش والدَّرجات في الدُّنيا ليسخِّر بعض

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٨٠-٥٨١) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٥٩٣)، و«قتادة» الأول سقط من المطبوع.
(٣) من السليمانية.
(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٨٠-٥٨١) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وفيه: «حبيب ابن عمرو بن عمير الثَّقفيّ»، ذكره ابن حجر في الإصابة (٢/ ١٩)، وله ذكر في نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾، وهو والد أبي محجن الشاعر كما في الطبقات الكبرى (٦/ ٥٢). وفي الحمزوية: «عبد عمير»، وفي السليمانية: «عبد الله بن عمر». وفي أحمد٣: «عبيد بن عبيد».
(٥) انظر قولي قتادة ومجاهد في تفسير الطبري (٢١/ ٥٩٣)، وكنانة في الإصابة (٥/ ٤٩٦) أنه كان من أشراف ثقيف الذين قدموا على رسول الله ﷺ بعد حصار الطائف، فأسلموا، قال المدائني: إلا كنانة فإنه خرج إلى نجران، ثم توجه إلى الروم فمات بها كافراً.
(٦) في أحمد٣: «على».

النّاس بعضاً، المعنى: فإِذا كان اهتمامنا بهم أَن نقسم[١] هذا الحقير الفاني، فأَحرى أَن نقسم الأَهمَّ الخطير.

وفي قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ تزهيد في السعايات، وعون على التَّوكُّل على الله تعالى، ولله درُّ القائل:

[مجزوء الرجز] لـمَّـا أَتَـى «نـحـن قـسـمـ نـا بـيـنـهـم» زال الـمِـرا[٢]

وقرأ الجمهور: ﴿مَّعِيشَتَهُمْ﴾، وقرأ ابن مسعود، والأَعمش: (مَعَايِشَهُمْ)[٣].

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿سُخْرِيًّا﴾ بضمِّ السّين.

وقرأَ أَبو رجاءٍ، وابن محيصن: (سِخْرِيّاً) بكسر السّين[٤].

وهما لغتان في معنى التّسخير، ولا مدخل لمعنى الهُزْءِ في هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾، قال قتادة، والسَّديُّ: يعني الجنَّة[٥].

قال القاضي أَبو محمد: لا شكَّ أَنَّ الجنَّة هي الغاية، ورحمة الله في الدُّنيا بالهداية والإِيمان خير[٦] من كلِّ مال، وهذا اللَّفظ [تحقير للدُّنيا][٧].

---

(١) في نجيبويه: «ينقسم».

(٢) عزا هذا البيت في محاضرات الأدباء (١/ ٥٩٦) لعبدان، ولفظه فيه: لقوله: نحن قسمنا... بينهم زال المرا، وفي السليمانية: «ولما».

(٣) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٩/ ٣٧٠)، وفي المصاحف لابن أبي داود (ص: ٢٧٢) أنها مما غير الحجاج بن يوسف.

(٤) شاذة، لاتفاق العشرة هنا على الضم كما النشر (٢/ ٣٢٩)، وعزاها هنا لابن محيصن في مختصر الشواذ (ص: ١٣٦).

(٥) انظر قولهما في تفسير الطبري (٢١/ ٥٩٦).

(٦) في نجيبويه زيادة: «مما تجمعون».

(٧) في نجيبويه بدله: «فيه تحقير الدنيا»، وفي أحمد٣: «تحقير في الدنيا».

ثمَّ استمرَّ القول في تحقيرها بقوله: ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ﴾ الآية، [وذلك أَن معنى][(١)] الآية أَنَّ الله تعالى أَبقى على عباده وأَنعم بمراعاة بقاءِ الخير والإيمان وشاءَ حِفْظَهُ على طائفة منهم بقية الدَّهر، ولولا كراهيَّة أَن يكون النّاس[(٢)] كفّاراً كلَّهم وأَهل حبّ في الدُّنيا وتجرُّد لها لوسَّع الله تعالى على الكفّار غاية التَّوسعة ومكَّنهم من الدُّنيا؛ إِذ حقارتها عنده تقتضي ذلك؛ لأَنَّها لا قدر لها ولا وزن لفنائها[(٣)] وذهاب رسومها.

فقوله: ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ معناه: في الكفر، قاله ابن عبّاس[(٤)]، والحسن، وقتادة، والسّديُّ[(٥)].

ومن هذا المعنى قال[(٦)]: «لو كانت الدُّنيا تعدل[(٧)] عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماءٍ»[(٨)]، ثمَّ يتركَّب معنى الآية على معنى هذا الحديث.

---

(١) في أحمد٣ بدلًا منه: «المعنى».

(٢) في نجيبويه زيادة: «أمة واحدة».

(٣) في أحمد٣: «لقضائها»، وفي الهامش: «لفناء».

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٨٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وفي السليمانية: «قال ابن عباس».

(٥) انظر أقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٢١/ ٥٩٨).

(٦) في السليمانية: «قول».

(٧) في نجيبويه والسليمانية: «تزن»، وفيها: «منها كافراً».

(٨) له طرق مرفوعة لا تنهض، وروي مرسلًا، أخرجه الترمذي (٢٣٢٠)، والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٦)، وابن عدي في الكامل (٥/ ٣١٩)، والروياني في مسنده (١٠٤٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٤٦٦)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٥٣) من طريق عبد الحميد بن سليمان، عن أبي حازم سلمة بن دينار، عن سهل بن سعد، مرفوعاً. وعبد الحميد بن سليمان الخزاعي الضرير، أبو عمر المدني ضعيف، وقد تابعه زكريا بن منظور بن ثعلبة ـ أبو مالك ـ القرظي، عن أبي حازم به، قال: مر رسول الله ﷺ بذي الحليفة فرأى شاة شائلة برجلها فقال: «أترون هذه الشاة هينة على صاحبها» قالوا: نعم، قال: «والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله عز وجل من هذه على صاحبها، ولوكانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة»، أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي (١)، وابن ماجه (٤١١٠)، وابن أبي عاصم في الزهد (١٢٨-١٣١)، والطبراني في الكبير (٥٨٤٠)، والحاكم =

واللّام في قوله: ﴿لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ لام المِلْك، واللّام في قوله: ﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾ لام تخصيص، كما تقول: هذا الكِساءُ لزيد لدابَّته، [أَي: هو][(١)] لدابَّته حِلْسٌ ولزيد مِلْك.

[٥/ ٧٠] قال المهدويُّ: ودلَّت هذه الآية على أَن السَّقف لربِّ البيت الأسفل؛ / [لا لصاحب العلو][(٢)]، إِذ هو منسوب إِلى البيوت. وهذا تفقُّه واهن.

= في المستدرك (٤/ ٣٠٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٤٦٥)، من طرق عن زكريا بن منظور، عن أبي حازم، به. وزكريا بن منظور بن ثعلبة ضعيف، وله شواهد: الأول: من حديث أبي هريرة أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد (١٣٠)، والقضاعي في مسنده (١٤٤٠)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٣٠) من طريق محمد بن عمار، عن صالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة مرفوعاً به، وصالح مولى التوأمة لا يحتج به، وقد تابعه سعيد المقبري، عن أبي هريرة به أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد (١٢٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٢/ ١٠٧) من طريق نجيح بن عبد الرحمن السندي أبو معشر، عن سعيد، به، وأبو معشر ضعيف، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٤٧٠)، من طريق أبي معشر، عن سعيد المقبري، مرسلاً، الثاني: عن ابن عمر أخرجه القضاعي في مسنده (١٤٣٩)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٩٢) من طريق أبي الحسن علي بن عيسى بن المثنى، عن أبي جعفر محمد بن أحمد بن أبي عون، عن أبي مصعب أحمد بن أبي بكر، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعاً به، قال الخطيب: هذا غريب جداً من حديث مالك لا أعلم رواه غير أبي جعفر بن أبي عون، عن أبي مصعب، وعنه على بن عيسى الماليني وكان ثقة. اهـ، ثالثاً: عن عبد الله بن عباس أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٠٤-٨/ ٢٩٠) من طريق الحسن بن عمارة، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنه، مرفوعاً به. بنحوه، والحسن بن عمارة بن المضرب البجلى متروك، رابعاً: عن جماعة من الصحابة أخرجه ابن المبارك في الزهد (٥٠٩) من طريق إسماعيل بن عياش، عن عثمان بن رافع أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ حدثوا أن رسول الله ﷺ قال: «لو أن الدنيا كانت تعدل عند الله جناح بعوضة ما أعطى منها كافراً شيئاً»، وعثمان بن عبيدالله بن أبي رافع مولى سعيد بن العاص المديني ويقال مولى سعد بن أبي وقاص، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٦/ ١٥٦) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وإسماعيل بن عياش مخلط في غير روايته عن الشاميين، وشيخه هنا مدني، خامساً: الحسن البصري مرسلاً، أخرجه ابن المبارك في الزهد (٦٢٠).

(١) في السليمانية بدلًا منه: وهو، وفيها: «خليق» بدل «حلس».

(٢) سقط من المطبوع، وسقطت من الحمزوية: «لا لصاحب». وسقط من أحمد٣، وفيه: «إذ العلو»، وانظر التحصيل للمهدوي (٢/ ٧٢).

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿سُقُفًا﴾ بضمِّ السّين والقاف.

وقرأَ مجاهد: (سُقْفاً) بضمِّ السّين وسكون القاف، [وهذان جمعان.

وقرأَ ابن كثير وأَبو عمرو وأَبو جعفر: ﴿سَقْفاً﴾ بفتح السّين وسكون القاف][(١)] على الإِفراد.

و«المعارجُ»: الأَدراج الَّتي يطلع عليها، قاله ابن عبّاس، وقتادة، والنّاس[(٢)].

وقرأَ طلحة: (وَمَعَارِيجَ) بزيادة ياءٍ[(٣)].

و﴿يَظْهَرُونَ﴾ معناه: يَعْلون، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها: والشَّمسُ في حجرتها قبل أن تظهر[(٤)].

و«السُّرُرُ»: جمع سرير.

واختلف النّاس في الزُّخْرُف:

فقال ابن عبّاس، والحسن، وقتادة، والسّديُّ: الزُّخْرف: الذَّهبُ نفسه[(٥)].

وروي عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «إِيَّاكم والحمرة فإِنَّها من أَحبِّ الزّينة إِلى الشَّيطان»[(٦)].

---

(١) سقط من الأصل، و«أبو عمرو»: من السليمانية، والقراءة الأولى والثالثة سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٦)، والسبعة (ص: ٥٨٥)، والنشر (٢/ ٣٦٩)، والثانية شاذة، عزاها لمجاهد في المحتسب (٢/ ٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٩٠-٥٩١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٩/ ٣٧١)، وعزاها الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٣٣٣) لأبي رجاء.

(٤) رواه مسلم (٦١١) عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها قبل أن تظهر. وفي الأصل: «لم تظهر».

(٥) سقط من أحمد٣.

(٦) ضعيف، أخرجه الطبراني في الكبير (١٨/ ١٤٨ رقم ٣١٧، ٣١٨) من طريق يعقوب بن خالد بن نجيح البكري، وبكر بن محمد كلاهما عن سعيد بن بشير، عن قتادة، عن الحسن، عن عمران مرفوعاً بنحوه، وفي لفظ: أن النبي ﷺ نظر إلى رجل عليه ثياب حمر فقال: «هذه زينة الشيطان»، وقد اختلف على سعيد بن بشير فروي عنه عن قتادة على الوجه المتقدم، وأخرجه ابن أبي عاصم كما في الإصابة (٤/ ٣٦٧)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٤/ ١٨٤٨) من طريق محمد بن بلال، عن سعيد بن بشير، =

قال القاضي أَبو محمد: الحُسْن أَحمر والشَّهواتُ تتبعه.

وقال ابن زيد: الزُّخرفُ: أَثاثُ البيت وما يتخذ له من السُّتور والنمارق ونحوه[١].

وقالت فرقة: الزُّخرفُ: التَّزاويق والنَّقش ونحوه من التَّزيين، وشاهد هذا القول قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾ [يونس: ٢٤].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿وإِنْ كلُّ ذلك لَمَا﴾ بتخفيف الميم من (لَمَا)، فتكون (إِنْ) مخففة من الثَّقيلة، واللَّام في (لَمَا) داخلة لِتَفْصلَ بين النفي والإِيجاب.

وقرأَ عاصم، وحمزة، وهشام بخلاف عنه والحسن، وطلحة، والأَعمش، وعيسى: ﴿لَمَّا مَتَـٰعُ﴾ بتشديد الميم من ﴿لَمَّا﴾[٢]، فـ(إِنْ) نافية بمعنى (ما)، و(لَمَّا) بمعنى (إِلَّا).

وقد حكى سيبويه: نشدتّك الله لَمَّا فعلت، وحمله على (إِلَّا)[٣].

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (وما ذلك إلا متاع الحياة الدنيا)[٤].

وقرأَ أَبو رجاءٍ: (لِمَا) بكسر اللَّام وتخفيف الميم[٥]، فـ(ما) بمعنى (الَّذي) والعائد عليها محذوف، والتَّقدير: وإِنْ كلُّ ذلك للَّذي هو متاع الحياة الدُّنيا.

= عن قتادة، عن الحسن، عن عبد الرحمن بن يزيد بن راشد، مرفوعاً، وأخرجه الحسن بن سفيان في مسنده كما في الإصابة من طريق يحيى بن صالح الوحاظي، ومحمد بن عثمان، كلاهما عن سعيد ابن بشير، عن قتادة، عن الحسن، عن عبد الرحمن بن يزيد بن رافع، به، وسعيد بن بشير ضعيف، وقتادة مدلس ولم يصرح بالسماع، وكذلك الحسن البصري، وعبد الرحمن بن يزيد بن راشد، وقيل ابن رافع، قال الصغاني: في صحبته نظر.

(١) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢١/ ٦٠١).

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٦)، والسبعة (ص: ٥٨٦)، وموافقة الباقين في البحر المحيط (٩/ ٣٧٢).

(٣) انظر الكتاب لسيبويه (٣/ ١٠٥).

(٤) وهي شاذة عزاها له الفارسي في الحجة (٦/ ١٤٩)، ونقلها في الكشاف (٤/ ٢٤٩) كذلك بلفظ: «وما كل ذلك إلا».

(٥) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٢٥٥)، والبحر المحيط (٩/ ٣٧٢)، وزاد أبا حيوة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وعدٌ كريم وتحريضٌ على التَّقوى إِذ في الآخرة هو التَّبايُن في المنازل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿مَن﴾ في قوله: ﴿وَمَن يَعْشُ﴾ شرطيَّة.

وعَشَا يَعْشُو: معناه: قلَّ الإِبصار، كالَّذي يعتري في اللَّيل، وكذلك هو الأَعْشَى من الرِّجال، ويقال [أيضاً: عشى الرجل يعشى عشاء][1]: إِذا فسد بصره فلم يَرَ، أَو لم يَرَ إِلَّا قليلاً.

وقرأَ قتادة، ويحيى بن سلام البصريُّ: (ومن يعشَ) بفتح الشّين[2].

وهي من قولهم: عَشِيَ يَعْشَى، والأَكثر عَشَا يَعْشُو، ومنه قول الشاعر:

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نارِهِ تَجِدْ خَيرَ نار عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ[3] [الطويل]

وفي شعر آخر:

.... تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وجمراً تَأَجَّجَا[4] [الطويل]

---

(١) في المطبوع بدلًا من ذلك: «عَشَا الرَّجلُ يعشو عَشْواً»، وسقط من أحمد٣ من: «الرجال» إلى «الرجل».

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها ليحيى في البحر المحيط (٩/ ٣٧٢)، ولابن عباس في الشواذ للكرماني (ص: ٤٢٧).

(٣) البيت للحطيئة كما في مجاز القرآن (٢/ ٢٠٤)، والأغاني (٢/ ١٩٣)، والعقد الفريد (٦/ ١٤٢)، والحيوان (٥/ ٧٢).

(٤) البيت لعُبَيْد الله بن الحُرِّ، وصدره: مَتَى تَأْتِنَا تُلْمِمْ بِنَا في دِيَارِنَا، كما في سر صناعة الإعراب (٢/ ٣١٧)، وورد بلا نسبة في الجمل في النحو (ص: ١٦٦)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٨٦)، والمقتضب (٢/ ٦٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٥١)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٧٦). قال في حاشية المطبوع: وقول ابن عطية: «وفي شعر آخر» إشارة مهذبة إلى ما وقع من خطأ في رواية البيت في الطَّبريِّ، =

وقرأَ الأَعمش: (وَمَنْ يَعْشُ عنِ الرَّحْمَنِ)، وسقط (ذِكْر)(١).

فالمعنى في الآية: ومن يقل نظره في شرع الله ويغمض جفونه عن النَّظر في ذكر الرَّحمن، أَي فيما ذكَّر به عباده، فالمصدر مضاف إِلى الفاعل، ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾، أَي: نُيَسِّر(٢) له ونعد، وهذا هو العقاب على الكفر بالخَتْم والطَّبع(٣) وعدم الفلاح، وهذا كما يقال: إِنَّ الله تعالى يعاقب على المعصية بالتَّزَيُّد في المعاصي، ويُجازي على الحسنة بالتَّزَيُّد من الحسنات، وقد رُوي هذا المعنى مرفوعاً(٤).

وقرأَ الجمهور: ﴿نُقَيِّضْ﴾ بالنون.

وقرأَ عاصم والأَعمش وأَبو عمرو بخلاف عنه: ﴿يُقَيِّضْ﴾ بالياءِ ﴿شَيْطَاناً﴾(٥)، أَي: يُقَيِّض اللهُ.

وقرأَ ابن عبّاس: (يُقيَّض لَهُ شَيْطَانٌ) بفتح الياءِ الثّانية وشدِّها ورفع النّون من (شَيْطَانٌ)(٦).

= (٢١/ ٦٠٣) حيث جاء ببيت مركب من شطرين من بيتين مختلفين، الصدر فيه من بيت الحطيئة السابق ذكره هنا، والعجز فيه هو العجز المذكور هنا من شعر ابن الحرِّ»، وجاء البيت كذلك في معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥١٤).

(١) لم أجد له فيها سلفاً ولا خلفاً، وهي مخالفة للمصحف، بل أقرب للغلط.

(٢) في الأصل: «نسير».

(٣) من المطبوع.

(٤) لم أعرفه.

(٥) عشرية ليعقوب، ورويت عن شعبة، كما في النشر (٢/ ٣٦٩)، وانظر عزوها لمن ذكر في البحر المحيط في التفسير (٩/ ٣٧٣)، وزاد علياً، والسلمي، وأبا عمرو: بخلاف عنه، وحماداً وعصمة عن عاصم، وعزاها الهذلي في الكامل (ص: ٦٣٣) ليعقوب وحماد، وعصمة، ويحيى طريق ابن الْحَجَّاج، وابْن مِقْسَم، واقتصر في الأصل والحمزوية على الأعمش.

(٦) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٢٧). وفي السليمانية: «شيطاناً»، وفي أحمد٣: «بفتح الياء الثانية وضم الأولى شيطان رفعاً».

والضمير في قوله ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ عائد على الشَّياطين، وفي ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ عائد على الكفّار.

و﴿ٱلسَّبِيلِ﴾: هي سبيل الهدى والفوز.

[والضَّمير في ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾ للكفّار][١].

وقرأ نافع، وابن كثير، وعاصم في رواية أَبي بكر، وابن عامر، وأَبو جعفر، وشيبة، وقتادة، والزُّهريُّ، والجحدريُّ: ﴿حتَّى إذَا جَاءَانَا﴾ على التثنية، يريد العاشي والقرين، قاله سعيد الجريري[٢]، وقتادة[٣].

وقرأَ أَبو عمرو،، والحسن، وابن محيصن، والأَعرج، وعيسى، والأَعمش، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿جَآءَنَا﴾[٤]، يريد العاشي وحده، وفاعل ﴿قَالَ﴾ هو العاشي.

وقوله: ﴿بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ يحتمل ثلاثة معان:

أَحدها أَن يريد: بُعْد المشرق من المغرب، فسماهما مشرقين، كما يقال: القمران، والعُمَران، قال الفرزدق:

.... لَنَا قَمرَاهَا والنُّجُومُ الطَّوَالِعُ[٥] [الطويل]

---

(١) سقط من أحمد٣.

(٢) هو سعيد بن إياس أبو مسعود الجريري البصري أحد علماء الحديث روى عن أبي الطفيل وأبي عثمان النهدي، وعنه ابن المبارك وابن علية وخلق، كان محدث البصرة، وثقه غير واحد، وقال أبو حاتم: تغير قبل موته، توفي سنة (١٤٤هـ)، تاريخ الإسلام (٩/ ١٤٨).

(٣) انظر قولهما في تفسير الطبري (٢١/ ٦٠٦، ٦٠٧)، وفيه: الجريري، بالجيم.

(٤) وهما سبعيتان، وبقي عليه حفص من الثانية، انظر التيسير (ص: ١٩٦)، والسبعة (ص: ٥٨٦)، والبحر المحيط (٩/ ٣٧٤).

(٥) صدره: أخَذْنا بآفاقِ السماءِ عَلَيْكُمُ، وهو للفرزدق كما في طبقات فحول الشعراء (١/ ١٧٩)، والكامل للمبرد (١/ ١١٩)، والعقد الفريد (٢/ ٣١٣)، وتاريخ الطبري (٨/ ٣٦١)، وتهذيب اللغة (٣/ ١٣٦)، والحيوان (٣/ ١٢٢).

والثّاني أَن يريد: مشرق الشّمس في أَطول يوم ومشرقها في أَقصر يوم، فكأَنَّه أَخذ نهايتي المشارق.

والثالث أَن يريد: بُعْد المشرقين من المغربين، فاكتفى بذكر المشرقين[١].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ الآيةَ؛ حكايةٌ عن مقالة تقال لهم يوم القيامة، وهي مقالةٌ موحشة حَرَمَتْهُم روح التَّأَسِّي؛ لأَنَّه يوقفهم بها على أَنَّهم لا ينفعهم التَّأَسِّي، وذلك لِعِظَم المصيبة وطول العذاب واستمرار مدَّته؛ إِذ التَّأَسِّي راحةٌ لكلِّ مصاب[٢] في الدُّنيا في الأغلب، أَلا ترى إِلى قول الخنساءِ:

[الوافر]
وَلَـوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِيـنَ حَوْلِـي ... عَلَـى إِخْوَانِهِـمْ لَقَتَلْـتُ نَفْسِـي
وَمَـا يَبْكُـونَ مِثْـلَ أَخِـي وَلَكِـنْ ... أُعَـزِّي النَّفْـسَ عَنْـهُ بالتَّأَسِّـي[٣]

فهذا التَّأَسِّي قد كفاها مؤنة قتل النَّفس، فنفى الله تعالى عنهم الانتفاع بالتَّأَسِّي، وفي ذلك تعذيب لهم ويأْسٌ من كلِّ خير.

وفاعل قوله ﴿يَنفَعَكُمُ﴾ الاشتراك.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿أَنَّكُمْ﴾ بفتح الأَلف، وقرأَ ابن عامر وحده: ﴿إِنَّكُمْ﴾ بكسر الأَلف[٤].

وقد يجوز أَن يكون فاعل ﴿يَنفَعَكُمُ﴾ التَبَرُّؤُ الذي يدل عليه قوله: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾، وعلى هذا يكون ﴿أَنَّكُمْ﴾ في موضع نصب على المفعول من أَجله، وتخرج الآية عن معنى نفي الأُسوة.

---

(١) في أحمد٣: «أحدهما».

(٢) في الأصل: «كل شيء»، وفي السليمانية وأحمد٣: «كل مصاب».

(٣) كما في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤١٣)، وتقدم التعليق عليهما في تفسير الآية (١٣٩) من (سورة آل عمران).

(٤) ليست من طرق النشر والتيسير، بل رواها التغلبي عن ابن ذكوان كما في جامع البيان (٣/ ١٥٢)، والسبعة (ص: ٥٨٦).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾
فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾/ [٥/ ٧١]
فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ
﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

لمّا ذكر الله تعالى حال الكفرة في الآخرة وما يقال لهم وهم في العذاب اقتضى ذلك أَن تُشفق النَّفوس، وأَن ينظر كلُّ سامع لنفسه ويسعى في خلاصها، فلمّا كانت قريش مع هذا الَّذي سمعت لم تزل عن عُتُوِّها وإِعراضها عن أَمر الله تعالى رجعت المخاطبة إِلى محمد ﷺ على جهة التَّسلية له عنهم، وشَبَّهَهُم بالصمِّ والعمي إِذ كانت حواسهم لا تفيد شيئاً.

وقوله: ﴿وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ يريد بذلك قريشاً بأَنفسهم، ولذلك لم يقل: أَو من كان، بل جاءَ بالواو العاطفة كأَنَّه يقول: وهؤلاءِ، ويؤيد ذلك أَيضاً عود الضمير عليهم في قوله: ﴿فَإِنَّا مِنْهُم﴾، ولم يَجْرِ لهم ذكرٌ إِلَّا في قوله: [﴿وَمَن كَانَ﴾].

وقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ الآيَةَ؛ آيةٌ تتضمّن وعيداً واقعاً.

وذهب جمهور العلماءِ إِلى أَن المُتَوَعَّدين هم الكفّار، وأَنَّ الله تعالى أَرى نبيَّه الذي توعدهم في بدر والفتح وغير ذلك.

وذهب الحسن، وقتادة إِلى أَن المُتَوَعَّدين هم في هذه الأُمَّة، وأَنَّ الله تعالى أَكْرم نبيَّه [عن أَن ينتقم منهم][1] بحضرته وفي حياته فوقعت النّقمة منهم بعد أَن ذهب به، وذلك في الفتن الحادثة في صدر الإِسلام مع الخوارج وغيرهم.

وقال الحسن وقتادة: أَكْرَمَ الله نبيَّه عن أَن يرى في أُمَّته ما يكره كما رأَى الأَنبياءُ، فكانت النّقمة بعد ذهابه ﷺ[2].

(١) في أحمد٣ بدلًا منه: «الذي وعدهم».
(٢) انظر ما نقل عن الحسن وقتادة بالمعنى في تفسير الطبري (٢١/ ٦٠٨).

وقد رُوي حديث عن جابر بن عبد الله أنه[1] قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ: ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ فقال: «بعلي بن أَبي طالب»[2]، والقول الأوَّل في توعُّد الكفّار أَكثر.

ثمَّ أَمر الله تعالى نبيَّه بالتَّمسُّك بما جاءَه من عند الله من الوحي المَتْلُوِّ وغيره.

و«الصِّراط»: الطَّريق.

وقرأَ الجمهور: ﴿أُوحِيَ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول[3].

وقرأَ الضَّحّاك: (أَوْحَى) على بناءِ الفعل المبني للفاعل، [والفاعل مقدر][4] أَي: أَوْحَى اللهُ.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ يحتمل أَن يريد: وإِنَّه لشَرَف وحَمْد في الدُّنيا ـ والقوم على هذا ـ قريش ثم العرب، وهذا قول ابن عبّاس[5]، وقتادة، ومجاهد، والسّديُّ، وابن زيد[6].

قال ابن عبّاس: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل، فإِذا قالوا له: فلِمَن يكون الأَمر بعدك؟ سكت، حتّى نزلت هذه الآية، فكان إِذا سُئل عن[7] ذلك قال:

---

(١) «أنه»: ليست في السليمانية وأحمد٣.

(٢) إسناده تالف، أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور (١٣/ ٢١٠) من طريق محمد بن مروان السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح باذام، عن جابر بن عبد الله، وهذا إسناد مظلم محمد ابن مروان متهم بالكذب والكلبي مثله، وأبو صالح باذام مولى أم هانئ ضعيف.

(٣) في أحمد٣: «المجهول».

(٤) من السليمانية وأحمد٣، وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٩/ ٣٧٦)، وعزا في مختصر الشواذ (ص: ١٣٧) إسكان الياء لبعض أهل الشام. و«المبني» سقطت من نجيبويه والسليمانية والمطبوع، وفي أحمد٣: «المسمى»، وسقطت منه «للفاعل».

(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ٦٠٣)، والطبراني في الكبير (١٣٠٣٠) من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية ابن صالح عن علي بن أبي طلحة.

(٦) تفسير الطبري (٢١/ ٦١١).

(٧) في السليمانية وأحمد٣: «بعد».

لقريش، فكانت العرب لا تقبل ذلك حتّى قبلته الأَنصار(١).

وروي عن ابن عمر: أَنَّ النّبيَّ ﷺ قال: «لا يزال هذا الأَمر في قريش ما بقي منهم اثنان»(٢).

وروى أَبو موسى الأَشعريُّ عنه ﷺ أَنَّه قال: «لا يزال هذا الأَمر في قريش ما داموا إِذا حكموا عدلوا، وإِذا استُرحموا رحموا، وإِذا عاهدوا وفوا، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أَجمعين»(٣).

وروى معاوية أَنَّه ﷺ قال: «لا يزال هذا الأَمر في قريش ما أَقاموا الدّين»(٤).

ويحتمل أَن يريد: وإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ وموعظة، فالقوم على هذا أُمَّته بأَجمعها، وهذا قول الحسن بن أَبي الحسن(٥).

وقوله: ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ قال ابن عبّاس وغيره: معناه: [عن أوامر القرآن

---

(١) ضعيف، أخرجه العقيلي في الضعفاء (٢/ ١٧٥)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٤٣٥) من طريق عبيد الله بن سعد، عن عمي قال: حدثنا سيف بن عمر، عن وائل أبي بكر، عن الزهري، عن عبيد الله، وعن عطية بن الحارث، عن أبي أيوب، عن علي وعن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وسيف بن عمر الضبي متفق على ضعفه. وانظر الميزان (٢/ ٢٥٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٥٠١)، ومسلم (١٨٢٠).

(٣) له طرق يتقوى بها، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٨٨٧٤)، وأحمد (٤/ ٣٩٦)، وأبو داود (٥١٢٢)، والبزار (٣٠٦٩)، والروياني في مسنده (٥٤٥) من طريق عوف بن أبي جميلة، عن زياد ابن مخراق، عن أبي كنانة، عن أبي موسى به بنحوه، وأبو كنانة القرشي مجهول كما في التقريب (٨٣٢٧)، وللحديث شواهد، منها: حديث أبي برزة الأسلمي أخرجه أحمد (٤/ ٤٢١-٤٢٤)، وأبو يعلى (٣٦٤٥)، والبزار (٣٨٥٧) من طريق سكين بن عبد العزيز، عن سيار بن سلامة، عن أبي برزة مرفوعاً به بنحوه، وسكين بن عبد العزيز بن قيس العبدي العطار صدوق، وسيار بن سلامة الرياحي ثقة، وفي الباب عن علي، وأبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وابن عباس، رضي الله عنهم.

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٠٠) بلفظ مطول.

(٥) سقط نسبه من السليمانية في الموضعين، ونقل هذا القول في تفسير الماوردي (٥/ ٢٢٧) عن قتادة.

ونواهيه، وقال الحسن بن أَبي الحسن: معناه:][1] عن شكر النِّعمة فيه[2]، واللَّفظ يحتمل هذا كلَّه ويعمه.

واختلف المفسِّرون في المراد بالسُّؤال في قوله: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا﴾:

فقالت فرقة: أَراد [تعالى: أَن اسأَل][3] جبريل عليه السَّلام. ذكر ذلك النَّقّاش[4]. وفيه بُعْد.

وقال ابن زيد، وابن جبير، والزُّهريُّ: أَراد: واسأَل الرُّسلَ إِذا لقيتهم ليلة الإِسراءِ[5].

أَما إِن النبي ﷺ لم يسأَل الرُّسل عن هذا ليلة الإِسراءِ لأَنه كان أَثبت يقيناً[6] من ذلك ولم يكن في شك.

وقالت فرقة: أَراد: واسأَلني أَو واسْأَلنا عمن أَرسلنا، والأَوْلى على هذا التأْويل أَن يكون ﴿مَنۡ أَرۡسَلۡنَا﴾ استفهاماً أَمره أَن يسأَل به، كأَنَّ سؤاله: يا ربِّ، من أَرسلتَ قَبْلي من رُسُلك؟ أَجعلت في رسالته الأَمر بآلهة يُعبدون؟ ثمَّ ساق السُّؤال محكيَّ[7] المعنى فردَّ المخاطبة إِلى محمد ﷺ في قوله: ﴿مِن قَبۡلِكَ﴾.

وقال ابن عبّاس[8]، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والسُّديُّ، وعطاءٌ: أَراد: واسْأَل

---

(١) سقط من أحمد٣.

(٢) عزاه الماوردي (٥/ ٢٢٧) لمقاتل، وذكره الثعلبي (٨/ ٣٣٦)، وابن أبي زمنين (٤/ ١٨٧)، بلا نسبة، وقول ابن عباس لم أهتد إليه.

(٣) سقط من أحمد٣.

(٤) نقله عنه تفسير الماوردي (٥/ ٢٢٨).

(٥) نقله عن ابن زيد: تفسير الطبري (٢١/ ٦١٢)، وعن الكل تفسير الثعلبي (٨/ ٣٣٧).

(٦) في السليمانية: «نفساً».

(٧) في أحمد٣: «على».

(٨) الذي جاء عن ابن عباس في هذا المعنى: ما أخرجه عبد بن حميد في تفسيره كما في الدر المنثور =

تُبَّاع من أَرسلنا وحَمَلَة شرائعهم[1]؛ لأنَّ المفهوم أَنَّه لا سبيل إِلى سؤاله الرُّسل إِلَّا بالنَّظر في آثارهم وكتبهم وسؤال من حفظها.

وفي قراءَة ابن مسعود، وأُبيِّ بن كعب: (واسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا)[2].

فهذه القراءَة تؤيِّد هذا المعنى، وكذلك قوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] مفهومٌ أَنَّه لا يسأَل إِلَّا أَهلها.

ومما ينظر إِلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، فمفهومٌ أَنَّ الرَّدَّ إِنَّما هو إِلى كتاب الله وسُنَّة رسوله، وأَنَّ المحاورة في ذلك إِنما هي لِتُبَّاعِهِم وحفظة الشَّرع.

وقوله: ﴿يُعْبَدُونَ﴾ أَخرج ضميرهم على حدِّ من يعقل مراعاةً للَفْظ الآلهة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

هذه الآية ضرب مَثَل وأُسوة لمحمد ﷺ بموسى عليه السلام، ولكفّار قريش بقوم فرعون ومَلَئِه، والآياتُ الَّتي أُرسل بها موسى هي التِّسع المذكورة وغير ذلك مما جاءَت به الرِّوايات.

= (١٣/ ٢١٤) من طريق الكلبي، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾. قال: سل الذين أرسلنا إليهم قبلك من رسلنا. والكلبي متروك.

(١) نقله عنهم غير عطاء تفسير الطبري (٢١/ ٦١١)، وعن الكل تفسير الثعلبي (٨/ ٣٣٧). و«السدي» سقط من السليمانية.

(٢) «رسلنا» من الحمزوية والأسدية والمطبوع والسليمانية وأحمد٣، وزاد فيهما: «من»، والقراءة شاذة، عزاها له الطبري في تفسيره (٢١/ ٦١١)، بلفظ: «وَاسأَلْ الَّذِينَ أَرْسَلْنا إِلَيهِمْ قَبْلَكَ رُسُلنا»، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٦٧): «واسأل من أرسلنا إليهم قبلك رسلنا».

وخصَّ الله تعالى الملأَ بالذِّكر لأَنَّهم يَسُدُّون مسدَّ جميع النّاس، ثمَّ وصفهم تعالى بالضَّحك من آيات / موسى كما كانت قريش تضحك وتسخر من أَخبار[1] محمد ﷺ. [٥/ ٧٢]

ثمَّ وصف تعالى صورة عرض الآيات عليهم وأَنَّها كانت شيئاً بعد شيءٍ، وقوله: ﴿إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ عبارة عن شِدَّة موقعها في نفوسهم بِجِدَّة[2] أَمرها وحدوثه، وذلك أَنَّ أَوَّل آية [عرضها موسى عليه السَّلام هي العصا واليد، وكانت أكبر آية، ثمَّ كلَّ آية بعد ذلك][3] تقع فتعظم عندهم لحينها وتكبر لأنهم قد كانوا أُنْسُوا الّتي قبلها بها، فهذا كما قال الشاعر:

[الطويل] عَلَى أَنَّهَا تَعْفو الْكُلُومُ وَإِنَّمَا ... نُوَكَّلُ بالأَدْنَى وإِنْ جَلَّ مَا يمضِي[4]

وذهب الطَّبريُّ إِلى أَن الآيات هنا: هي الحُجَجُ والبيِّنات[5].

ثمَّ ذكر تعالى أَخذهم بالعذاب في القُمَّل والضفادع والدَّم[6] وغير ذلك، وهذا كما أَخذ قريشاً بالسِّنين والدُّخان.

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ تَرَجٍّ بحسب معتقد البشر وظنِّهم.

و﴿يَرْجِعُونَ﴾ معناه: يتوبون ويُقلعون.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾، جائز أَن يكون قائل ذلك من أَعلمهم بكفر السَّحرة فيكون قوله استهزاءً وهو يعلم قدر السِّحر وانحطاط منزلته، ويكون قوله: ﴿عِندَكَ﴾ بمعنى: في زعمك وعلى قولك.

---

(١) في السليمانية: «آيات».

(٢) في أحمد٣ والسليمانية: «لحدة»، وفي نور العثمانية: «بحدة».

(٣) سقط من أحمد٣، وفيه: «تعظم» بدل «فتعظم».

(٤) لأبي خراش الهذلي كما في المعاني الكبير (٣/ ١١٩٩)، والكامل (٢/ ١٣٥)، وأمالي القالي (١/ ٢٧١)، والأغاني (١٠/ ٢١٠).

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٦١٤).

(٦) سقط من أحمد٣، وفيه: «وغيرها».

ويحتمل أَن يكون القائل ليس من المتمرِّدين الحُذَّاق منهم، ويطلق لفظ السّاحر لأَحد وجهين: إِمَّا لأَن السِّحر كان عند عامَّتهم علم الوقت، فكأَنَّه قال: يا أَيُّها العالم.

وإِمَّا[١] لأَنَّ هذه الاسْمية قد كانت انطلقت عندهم على موسى لأَوَّل ظهوره فاستصحبها هذا القائل في مخاطبته قِلَّة تحرير وغباوة[٢]، ويكون القول ـ على هذا التَّأْويل ـ جدّاً من القائل، ويكون قوله: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ بمعنى: إِن نفعتنا دعوتك، وهذا التَّأْويل أَرجح، أَعني: أَنَّ كلام هذا القائل مقترنٌ بالجدِّ.

وقرأَ ابن عامر وحده: ﴿يَأَيُّهُ﴾ بهاءٍ مضمومة فقط[٣].

ثمَّ أَخبر تعالى عنهم أَنَّه لمّا كشف عنهم العذاب نكثوا، ولو كان الكلام هزلاً من أَوَّله لما وقع نكث.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

نداءُ فرعون يحتمل أَن يكون بلسانه في ناديه، ويحتمل أَن يكون بأَن أَمر من ينادي في النّاس، ومعنى هذه الحجّة[٤] الّتي نادى بها أَنَّه أَراد أَن يُبَيِّن فضله على موسى؛ إِذْ هو ملك مصر وصاحب الأَنهار والنِّعم، وموسى خاملٌ متقلل[٥] لا دُنيا له، قال: فلو

(١) في السليمانية: «وإنما»، وفيها: «التسمية» بدل «الاسمية».
(٢) في أحمد٣: «وعبارة».
(٣) والباقون بالفتح، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٦٢)، والسبعة (ص: ٥٨٦). وفي الحمزوية: «ابن عباس».
(٤) في السليمانية: «الحكاية».
(٥) في المطبوع والحمزوية وأحمد٣: «متعلّل».

أَنَّ إله موسى يكون حقّاً كما يزعم لما ترك الأَمر هكذا.

و﴿مِصۡرَ﴾ من بحر الإِسكندرية إِلى أَسوان بطول النيل، و﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ الّتي أَشار إِليها: هي الخلجان الكبار الخارجة من النيل، وعظمها نهر الإِسكندرية وتَنِّيس ودمياط ونهر طولون(١).

وقوله: ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٌ﴾، قال سيبويه: ﴿أَمۡ﴾ هذه المعادلة، والمعنى: [أفأنتم لا تبصرون أم تبصرون؟](٢) فوضع موضع قوله: أَمْ تبصرون الأمر الّذي هو حقيق أَن يُبصر عنده، وهو أَنَّه خير من موسى، و(لا)(٣) ـ على هذا النَّظر ـ نافية.

وقالت فرقة: المعنى: أَفلا تبصرون أَم لا تبصرون؟ ثمَّ اقتصر على ﴿أَمۡ﴾ لِدَلالَةِ ظاهر الكلام على المحذوف منه، وابتدأَ قوله: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٌ﴾ إِخباراً منه، فقوله: ﴿أَفَلَا﴾ ـ على هذا النّظر ـ بمنزلة (هَلَّا) و(لولا) على معنى التّحضيض.

وقالت فرقة: ﴿أَمۡ﴾ بمعنى (بلْ).

وقرأَ بعض النّاس: (أَما أنا)، حكاه الفراءُ(٤).

وكان مجاهد يقف على [﴿أَمۡ﴾، ثمَّ يبتدئ ﴿أَنَا۠ خَيۡرٌ﴾(٥).

قال قتادة: وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب] (أَمْ أَنَا خَيْرٌ أَم هذا)(٦).

و﴿مَهِينٌ﴾ معناه: ضعيف.

وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ إِشارة إِلى ما بقي في لسان موسى من أَثر الجمرة،

---

(١) في أحمد:٣، «ميزلون»، وأشار لها في هامش السليمانية والمطبوع.

(٢) في الأصل: «أم أنتم لا تبصرون»، وفي السليمانية: «أفأنتم لا تبصرون»، وانظر الكتاب لسيبويه (٣/ ١٧٣).

(٣) ليست في السليمانية.

(٤) في معاني القرآن للفراء (٣/ ٣٥)، بلا نسبة، وتفسير الطبري (٢١/ ٦١٨). في السليمانية: «بل»، وزاد: «خبر» قبل قوله: «حكاه الفراء».

(٥) الهداية لمكي (١٠/ ٦٦٧٦).

(٦) وهي شاذة، لم أجدها لغيره، وسيأتي تفسير الطبري (٢١/ ٦٢٨) بلفظ: «آآلهتنا خير أم هذا»، وما بين معكوفتين سقط من الحمزوية.

وذلك أَنَّها كانت أَحدثت في لسانه عقدة، فلمَّا دعا في أَن تُحَلَّ العقدة[١] لِيُفْقَه قولُه أُجيبت دعوته، لكنه بقي أَثر كان البيان يقع منه، لكن فرعون عيَّر به.

وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ يقتضي أَنَّه كان يُبين.

وقرأَ أَبو جعفر محمد بن عليٍّ: (يَبِينُ) بفتح الياءِ الأُولى[٢].

وقوله: ﴿ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ﴾ يريد: من السَّماءِ على معنى التكرمة له.

وقرأَ الجمهور: ﴿أُلْقِيَ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول[٣].

وقرأَ الضَّحّاك: (أَلْقَى) بفتح الهمزة [والقاف على بنائه للفاعل]، (أَسَاوِرَةً) نصباً[٤].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿أَسَاوِرَةٌ﴾، وقرأَ حفص عن عاصم: ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ وهي قراءَة الحسن والأَعرج، وقتادة، وأَبي رجاءٍ، ومجاهد[٥].

وقرأَ أُبيُّ بن كعب: (أَسَاوِرُ)، وفي مصحف ابن مسعود: (أَسَاوِيرُ)[٦].

ويقال: سِوَارٌ وإِسْوَارٌ لما يجعل في الذِّراع من الحليِّ، حكى أَبو زيد اللُّغتين، وأَبو عمرو بن العلاءِ[٧]، وهو كالْقُلْبِ، قاله ابن عبّاس والنّاس[٨].

(١) من نجيبويه.

(٢) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٩/ ٣٨٣).

(٣) في أحمد٣: «على الفعل المجهول».

(٤) وهي شاذة، البحر المحيط (٩/ ٣٨٣)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٢٨). وما بين المعكوفتين ليس في أحمد٣.

(٥) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٧)، والسبعة (ص: ٥٨٧)، والنشر (٢/ ٣٦٩)، وانظر الباقين في البحر المحيط (٩/ ٣٨٣).

(٦) وهما شاذتان، عزا في مختصر الشواذ (ص ١٣٦) الأولى للأعمش، وزاد في الثانية أبياً، ومثله في البحر المحيط (٩/ ٣٨٣).

(٧) انظر قول أبي عمرو في تفسير الطبري (٢١/ ٦٢٠)، ولم أجد قول أبي زيد.

(٨) أخرجه الطبري (٢٠/ ٦١٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: أَقْلِبة من ذهب.

وكانت عادة الرِّجال يومئذ حَبْس[١] ذلك والتزين[٢] به.

و(أَسَاوِرة) جمع (إِسْوَارٍ)، ويجوز أَن يكون جمع (أَسْوِرَة)؛ كَأَسْقِيَة وَأَسَاقي[٣]، وكذلك (أَسَاوِرُ) جمع (إِسْوَارٍ)، والهاءُ في (أَسَاوِرة) عِوَض عن الياءِ المحذوفة؛ لأَنَّ الجمع إِنَّما هو (أَساوير) كما في مصحف ابن مسعود، فحذفوا الياءَ وجعلوا الهاءَ عِوَضاً منها، كما فعلوا[٤] ذلك في: زنادقة، وبطارقة وغير ذلك، و(أَسْوِرَةٌ) جمع (سِوَارٍ).

وقوله: ﴿مُقۡتَرِنِينَ﴾ أَي: يحمونه ويشهدون له ويقيمون حجَّته.

ثمَّ أَخبر تعالى عن فرعون أَنَّه استخفَّ قومه بهذه المقالة، أَيْ طلب خِفَّتهم وإِجابتهم إِلى غرضه، فأَجابوه إِلى ذلك وأَطاعوه في الكفر لفسقهم ولِمَا كانوا بسبيله من الفساد.

و﴿ءَاسَفُونَا﴾ معناه: أَغضبونا، بلا خلاف، وإِغضاب الله تعالى هو أَن تعمل الأَعمال الخبيثة الَّتي تظهر من أَجلها أَفعاله الدّالَّة على إِرادة السُّوءِ بمن شاءَ، والغضب ـ على هذا ـ صفة فعل، وهو مما يتردَّد، فإِذا كان بمعنى ما يظهر من الأَفعال فهو صفة فعل، وإِذا رُدَّ إِلى الإِرادة فهو صفة ذات، وفي هذا نظر.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿سَلَفًا﴾ بفتح السّين واللام، جمع سالف؛ كحارسٍ وَحَرَسٍ، و«السَّلَف»: هو الفارطُ / من الأُمم المتقدِّمُ[٥]، أَي: جعلناهم متقدمين [٥/ ٧٣]
للأُمم الكافرة عظةً[٦] ومثلًا لهم يعتبرون بهم أَو يقعون فيما وقعوا فيه، ومن هذه

(١) في نجيبويه بدله: «لبس».
(٢) في الأصل ونجيبويه ونور العثمانية: «والتَّزَيي»، وأشار لها في حاشية المطبوع.
(٣) في أحمد٣: «أشقية وأشاقي».
(٤) في أحمد٣ والمطبوع والسليمانية: «قالوا».
(٥) في أحمد٣ والسليمانية: «المتقدمة».
(٦) سقط من أحمد٣، وفي السليمانية: «عبرة» بدل «مثلًا».

اللفظة قول النَّبيِّ ﷺ: «يذهبُ الصالحون أَسلافاً»[١]، وقوله في ولده إِبراهيم: «ندفنه عند سلفنا الصالح عثمان بن مظعون»[٢].

وقرأَ حُميد الأَعرج، وحمزة، والكسائيُّ: ﴿سُلُفاً﴾ بضمِّ السّين واللّام، وهي قراءَة عبد الله وأَصحابه، وسعيد بن عيّاض، وابن كثير[٣].

وهو جمع سَلِيف، وذكر الطَّبريُّ عن القاسم بن معن أَنَّه سمع العرب تقول: مضى سليفٌ من النّاس، بمعنى السَّلَف[٤].

---

(١) أخرجه مرفوعاً بهذا اللفظ: ابن حبان (٦٨٥٢) والطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٩٨) وغيره من طريق إسماعيل بن أبي خالد ومن طريق بيان عن قيس بن أبي حازم عن مرداس الأسلمي به مرفوعاً، والذي اختار البخاري إخراجه في هذا الخبر من حديث إسماعيل (٤١٥٦) وبيان (٦٤٣٤) أيضاً عن قيس عن مرداس مرفوعاً هو: «يقبض الصالحون الأول فالأول»، ووقع عند الطبراني في الكبير (٢٠/ ٣٠٢): شريك عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن المستورد به مرفوعاً، وأخرجه أيضاً الطبراني في الكبير (٢٠/ ٣١٠) من طريق: حجين بن المثنى ثنا ليث بن سعد عن موسى بن علي عن أبيه عن المستورد الفهري به مرفوعاً، وروي من حديث ابن مسعود مرفوعاً، لكن سئل الدارقطني كما في العلل (٥/ ٣٢٢) عن حديث أبي الأحوص، عن عبد الله، قال رسول الله ﷺ: «يذهب الصالحون أسلافاً ويبقى أهل الريب»، فقال: يرويه زيد بن أبي أنيسة، عن أبي إسحاق مرفوعاً، والصحيح موقوف.اهـ، أخرجه عن ابن مسعود من قوله: الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٠٥) وغيره.

(٢) ضعيف، أخرج الطبراني في الكبير (١/ ٢٨٦) والضياء في المختارة (٢/ ٢٠٤) من طريق: عبد الرحمن بن واقد العطار ثنا معمر بن يزيد عن الحسن عن الأسود بن سريع قال: لما مات عثمان ابن مظعون أشفق المسلمون عليه فلما مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ قال: «ألحق بسلفنا الصالح عثمان ابن مظعون»، قال ابن عدي: عبد الرحمن بن واقد حدث بالمناكير عن الثقات، ويسرق الحديث.اهـ، وفي الأوسط (٦/ ٤١) من طريق: يونس بن محمد عن صالح المري عن قتادة عن أنس بن مالك قال: لما ماتت رقية بنت النبي ﷺ قال: «الحقي بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون»، قال الطبراني: تفرد به يونس ابن محمد.اهـ، وصالح المري ضعيف جداً.

(٣) وهي سبعية لحمزة والكسائي، انظر التيسير (ص: ١٩٧)، والسبعة (ص: ٥٨٧)، وذكر ابن كثير هنا غلط.

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٦٢٣). وفي نجيبويه: «أنه سمع بعض العرب يقول».

وقرأ عليُّ بن أَبي طالب، وحُميد الأَعرج أَيضاً: (سُلَفاً) بضمِّ السّين وفتح اللاّم[١]. كأَنَّه جمع سُلْفَةٍ بمعنى: الأُمَّة والقطعة[٢].

و«الآخِرُونَ»: هم من يأْتي مِنَ البشر إِلى يوم القيامة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾.

رُوي عن ابن عبّاس وغيره في تفسير هذه الآية: أَنَّه لمَّا نزلت ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] الآية، ونزل مع ذلك ذكر عيسى وحاله وكيف خُلق من غير فحل، قالت قريش[٣]: ما يريد محمد من ذكر عيسى إِلَّا أَن نعبده نحن[٤] كما عبدت النَّصارى عيسى، فهذا كان صدودهم من ضربه مثلاً[٥].

وقرأ نافع، وابن عامر، والكسائيُّ، وأَبو جعفر، والأَعرج، والنَّخَعيُّ، وأَبو رجاءٍ، وابن وثّاب: ﴿يَصُدُّونَ﴾ بضمِّ الصّاد بمعنى يُعرضون.

وقرأ الباقون، وابن عبّاس، وابن جبير، والحسن، وعكرمة: ﴿يَصِدُّونَ﴾ بكسر

---

(١) انظر عزوها لحميد في مختصر الشواذ (ص: ١٣٦)، وزاد علياً، ونسبتها لمجاهد في البحر المحيط (٩/ ٣٨٤) وزاد الأعرج.

(٢) في المطبوع: «والقطَّة».

(٣) في الأصل: «قالت فرقة».

(٤) ليست في السليمانية والمطبوع.

(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ٦٢٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به بنحوه بلفظ مطول.

الصّاد[١]، بمعنى: يضجُّون، قاله ابن عبّاس وغيره[٢]، وأَنكر ابن عباس ضمَّ الصّاد[٣]، ورويت عن عليٍّ بن أَبي طالب، وقال الكسائيُّ: هما لغتان بمعنى واحد؛ مثل: يعرِشون ويعرُشون[٤].

وقوله تعالى: ﴿ءَأَالِهَتُنَا﴾ ابتداءُ معنى ثان، وذلك أَنَّه لمَّا نزلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] جاءَ عبد الله بن الزِّبعْرى ونُظراؤه، فقالوا: نحن نخصم محمداً، أَآلهتنا خير أَم عيسى؟ وعلموا أَنَّ الجواب أَن يقال لهم: عيسى، قالوا: وهذه آية الحصب لنا أَوْ لِكُلِّ الأُمم من الكفّار؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: «بل لكلِّ من تقدَّم أو تأَخَّر من الكفّار»، فقالوا: نحن نرضى أَن تكون آلهتنا مع عيسى إِذ هو خير منها، وإِذْ قد عُبد فهو من الحَصَب إِذن[٥]، فقال الله: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾[٦]،

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٧)، والسبعة (ص: ٥٨٧)، والنشر (٢/ ٣٦٩)، وانظر الباقين في البحر المحيط (٩/ ٣٨٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٦٢٤) من طريق علي بن أبي طلحة، وعطية العوفي، والصعب بن عثمان، جميعهم عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وأخرجه أحمد (١/ ٣١٧)، والفراء في معاني القرآن (٣/ ٣٦)، والطبري (٢٠/ ٦٢٥)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ١٧)، والطبراني في الكبير (١٢٧٤٠)، من طريق عاصم، عن أبي رزين، عن أبي يحيى مولى بن عقيل الأنصاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وعند الطبري بدون أبي يحيى، وسقط ذكر ابن عباس من السليمانية، وكذا من الأصل إلا أن فيه: «يضحكون».

(٣) معاني القرآن للفراء (٣/ ٣٧).

(٤) إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٧٦).

(٥) في أحمد٣: «أيضاً».

(٦) لا بأس به، أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ١٨)، وابن مردويه في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٥/ ٣٧٩) من طريق إبراهيم بن محمد بن عَرْعَرَةَ، عن يزيد بن أبي حكيم، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به وفي آخره، ثم نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾، وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ١٥-١٦)، والطبراني في الكبير (١٢٧٣٩)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٠٦) من طريق أبي بكر بن عياش، عن =

[أَي: ما مثَّلوا هذا التَّمثيل إلَّا جَدلاً][١] منهم ومغالطة، ونَسوا أَنَّ عيسى لم يُعبد برضى منه ولا عن إِرادة، ولا له في ذلك ذنب.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿أَآلِهَتُنَا﴾ بهمزة استفهام وهمزة بعدها بيْن بيْن وأَلف بعدها.

وقرأَ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بهمزتين مُحَقَّقَتين بعد الثانية أَلف.

وقرأَ ورشٌ عن نافع بغير استفهام: ﴿آلِهَتُنَا﴾ على مثال[٢] الخبر.

وقرأَ قالون عن نافع: ﴿آلِهَتُنَا﴾ على الاستفهام بهمزة واحدة بعدها مدَّة[٣].

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (خَيْرٌ أَمْ هَذَا)[٤].

فالإشارة إِلى محمد، وخُرِّجت هذه القراءَة على التَّأْويل الأَوَّل الَّذي فسَّرناه[٥]، وكذلك قالت فرقة ممن قرأَ: ﴿أَمْ هُوَ﴾ إِنَّ الإِرادة محمد ﷺ، وهو قول قتادة.

وقال ابن زيد، والسّديُّ: المراد بـ﴿هُوَ﴾ عيسى[٦]، وهذا هو المترجّح.

= عاصم بن بهدلة، عن أبي رزين، عن أبي يحيى، وهو مصدع الأعرج المعرقب الكوفي، عن ابن عباس به، وأخرجه الضياء في المختارة (٣٢٤) من طريق محمد بن الصلت، عن أبي كدينة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به.

(١) سقط من أحمد٣.

(٢) في السليمانية: «معنى».

(٣) الحاصل أن التحقيق للكوفيين، والتسهيل للباقين، انظر التيسير (ص: ١٩٧)، وانظر ما ذكر عن نافع في السبعة (ص: ٥٨٨).

(٤) وهي شاذة، انظر تفسير الطبري (٢١/ ٦٢٨)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٦٨٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٧٧).

(٥) في نجيبويه ونور العثمانية: «قدرناه».

(٦) نقله عنهم الطبري في تفسيره (٢١/ ٦٢٨).

والجِدَالُ عند العرب: المحاورة بمغالطة[١]، أَو تحقيق، أَو ما اتفق من القول[٢]، إِنَّما القصد به أَن يَغْلِب صاحبُه في الظّاهر لا أَن يتطلَّب[٣] الحقَّ في نفسه.

وروى أَبو أُمامة عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه إِلَّا أُوتوا الجدل»، ثمَّ قرأَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾[٤].

قال أَبو أُمامة: ورأَى ﷺ قوماً يتنازعون في القرآن فغضب حتّى كأَنَّما صُبَّ على وجهه الخَلُّ، ثم قال: «لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، فما ضلَّ قوم إِلَّا أُوتوا الجدل»[٥].

---

(١) في نجيبويه ونور العثمانية: «بغلظ».

(٢) زاد في أحمد٣: «إنما اتفق من القول». وفيه: «إنما القصد من القول أن يغلب صاحبه به في الظاهر لا أن يطلب....».

(٣) في السليمانية: «يتغلب».

(٤) إسناده فرد لين، وصححه الترمذي، أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٢-٢٥٦)، وابن أبي الدنيا في الصمت (١٣٦)، والترمذي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (٤٨)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠١)، والطبري (٢٠/ ٦٢٨)، والطبراني في الكبير (٨٠٦٨)، والعقيلي في الضعفاء (١/ ٢٨٦)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٤٧-٤٤٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٤٣٨) وغيرهم من طريق حجاج بن دينار، عن أبي غالب، عن أبي أمامة، به، بنحوه، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح إنما نعرفه من حديث حجاج بن دينار، وحجاج ثقة مقارب الحديث، وأبو غالب اسمه حزور. اهـ، وأبو غالب البصري قيل اسمه حزور، وقيل سعيد بن الحزور، وقيل نافع صاحب أبي أمامة وهو لا بأس به إلا أنه ليس بحجة لا سيما إذا انفرد.

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٦٢٨-٦٢٩) من طريق جعفر بن الزبير الشامي، وابن أبي حاتم (١٨٥١٥) من طريق ابن مخزوم كلاهما عن القاسم بن عبد الرحمن الشامي، عن أبي أمامة به، بنحوه، وفي لفظ ابن أبي حاتم قال: ما ضلت أمة بعد نبيها إلا كان أول ضلالها التكذيب بالقدر، وما ضلت أمة بعد نبيها إلا أعطوا الجدل، ثم قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾. والقاسم بن عبد الرحمن كما قال أبو حاتم: حديث الثقات عنه مستقيم، لا بأس به، وإنما ينكر عنه الضعفاء، قلت: وجعفر بن الزبير الشامي متروك، ولا أدري من ابن مخزوم هذا. و«لا» في أول الحديث ليست في السليمانية.

ثمَّ أَخبر الله تعالى عنهم أَنَّهم أَهل خصام ولَدَد.

وأَخبر عن عيسى أَنَّه عبد أَنعم الله عليه بالنُّبوَّة والمنزلة العالية[(١)]، وجعله مثلًا لبني إِسرائيل.

[وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ﴾ الآية][(٢)]، أَي: لا تستغربوا أَن يخلَق عيسى من غير فحل، فإِنَّ القدرة تقتضي ذلك وأَكثر منه.

وقوله: ﴿لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ معناه: لجعلنا بدلاً منكم، أَي: لو شاءَ الله لجعل بدلاً من بني آدم ملائكة يسكنون الأَرض ويخلفون بني آدم فيها.

وقال مجاهد وابن عبّاس[(٣)]: يخلف بعضهم بعضاً[(٤)].

والضَّمير في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ﴾ قال ابن عبّاس[(٥)]، والحسن، ومجاهد،

---

(١) في الحمزوية والسليمانية: «الغالبة».

(٢) في حاشية المطبوع: هكذا وردت الفقرَةُ كلّها في الأصول، ونعتقد أن هذا زيادة من النّساخ لأنَّ النَّهي عن الاستغراب في خلق عيسى عليه السَّلام من غير أب مرتبط بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا﴾، ولا علاقة لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ به، فهو حديث عن بني آدم، وأنَّ الله تعالى لو شاء لجعل في الأرض ملائكة بدلاً من بني آدم.

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٦٣٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) لفظه في تفسير الطبري (٢١/ ٦٣٠): «يعمرون الأرض بدلًا منكم»، ونقل عن قتادة: يخلف بعضهم بعضا، مكان بني آدم.

(٥) صحيح بمجموع طرقه، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٥٣٥) عن معاوية بن هشام القصار، عن عمارة بن رزيق، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وهذا إسناد حسن، وأخرجه أحمد (١/ ٣١٧)، والحارث كما في بغية الباحث (٧٢٠)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ١٧) والطبري (٢٠/ ٦٣١)، والطبراني في الكبير (١٢٧٤٠)، وابن حبان في صحيحه (٦٨١٧)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٢٥٥) من طريق: عاصم بن أبي النجود، عن أبي رزين مسعود بن مالك، عن أبي يحيى مصدع، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ مطول، وأخرجه الطبري (٢٠/ ٦٣٢) من طريق جابر بن يزيد، وعطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٤٤٩) من طريق سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

وقتادة، والسّديُّ، والضَّحّاك، وابن زيد: الإِشارة به إِلى عيسى.

وقالت فرقة: إِلى محمد ﷺ، وقال الحسن أَيضاً، وقتادة: إِلى القرآن[١].

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿لَعِلْمٌ﴾ بكسر العين وسكون اللّام.

[وقرأَ ابن عبّاس، وأَبو هريرة، وقتادة، وأَبو مالك الغفاريّ، ومجاهد، وأَبو نضرة، ومالك بن دينار والضحاك: (وإِنَّه لعَلَمٌ) بفتح العين واللَّام][٢].

وقرأَ عكرمة مولى ابن عبّاس: (لَلعِلمُ) بلامين [الأولى مفتوحة][٣].

وقرأَ أُبيٌّ بن كعب: (لَذِكْرٌ للسَّاعَة)[٤].

فمن قال: إِنّ الإِشارة إِلى عيسى؛ حَسُن مع تأْويله (عِلْمٌ) و(عَلَم)، أَي هو إِشعار بالسَّاعة وشَرْط من أَشراطها، يعني خروجه في آخر الزَّمان، وكذلك من قال الإِشارة إِلى محمد ﷺ إِذ هو آخر الأَنبياءِ، فقد تميزت السّاعةُ به نوعاً وقدراً من التمييز [وبقي التَّحديد][٥] التّام الّذي انفرد الله بعلمه.

ومن قال: الإِشارة إِلى القرآن؛ حَسُن قوله في قراءَة من قرأَ: ﴿لَعِلْمٌ﴾ [بكسر العين وسكون اللَّام][٦]، أَي: يُعلمكم بها وبأَهوالها وصفاتها، وفي قراءَة من قرأَ: (لَذِكْرٌ).

---

(١) انظر أقوالهم جميعاً في تفسير الطبري (٢١/ ٦٣٣).

(٢) سقط من الأصل، إلا أن «الضحاك» ليس في المطبوع وأحمد٣، وفي المطبوع: «أبو نضرة المنذر ابن كعب».

(٣) سقط من المطبوع وأحمد٣، وهما شاذتان، عزا الأولى لابن عباس وأبي هريرة والضحاك وقتادة في مختصر الشواذ (ص: ١٣٦)، وذكر الثانية لأبي نضرة خاصة، والكل في البحر المحيط (٩/ ٣٨٦) وزاد في الأولى: «آخرين»، وأشار إلى انفراد ابن عطية بأبي نضرة.

(٤) وهي شاذة، انظر تفسير الطبري (٢١/ ٦٣٣)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٣٧)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٦٩٠).

(٥) في نجيبويه: «ونفي التحذير».

(٦) ليس في أحمد٣.

وقوله: ﴿فَلَا تَمۡتَرُنَّ﴾، أَي: قل لهم يا محمد: لا تَشُكُّنَّ فيها.

وقوله: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ إِشارة إِلى الشَّرع، ثمَّ أَمره بتحذير العباد من الشَّيطان وإِغوائه، ونبَّههم على عداوته.

[٥/ ٧٤] / قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦٤﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

(البيِّـنَاتُ) الَّتي جاءَ بها عيسى عليه السَّلام: هي إِحياءُ الموتى وإِبْرَاءُ الأَكمه والأَبرص إِلى غير ذلك، [وقال قتادة: الإِنجيل.

و(الحِكْمَةُ): النُّبُوَّة]، قاله السُّديُّ وغيره[1].

وقوله: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِ﴾ قال أَبو عبيدة: ﴿بَعۡضَ﴾ بمعنى: كلّ[2].

وهذا ضعيف تردُّه اللُّغة، [ولا وجه له][3] ولا حجَّة له من قول لبيد:

[الكامل] .... أَو يَعْتَلِقْ بَعْضَ النُّفوسِ حِمَامُهَا[4]

لأَنَّه أَراد نفسه ونفس من معه، وذلك بعض النُّفوس، وإِنَّما المعنى الَّذي ذهب إِليه الجمهور: أَنَّ الاختلاف بين النّاس هو في أُمور كثيرة لا تُحصى عدداً، منها أُمور

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٦٣٤)، وما بين معكوفتين سقط من الحمزوية وبعضه من أحمد٣.

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٠٥).

(٣) من المطبوع والأسدية٣ وأحمد٣.

(٤) وصدره: تَرَّاكُ أَمكِنَةٍ إذا لَمْ أَرْضَهَا، وهو من معلقته، وقد تقدم في تفسير الآية (٥٠) من (سورة آل عمران).

أُخروية ودينيَّة[١]، ومنها ما لا مدخل له في الدّين، فكلُّ نبيٍّ إِنَّما يبعث ليبيِّن أمر الأديان والآخرة، فذلك بعض ما تختلف فيه.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ حكاية عن عيسى عليه السَّلام إِذ أَشار إِلى شرعه.

و﴿ٱلْأَحْزَابُ﴾ المذكورون، قال جمهور المفسرين: أَراد: اختلفت بنو إِسرائيل وتحزَّبوا، فمنهم من آمن به وهو قليل، وكفر الغير، وهذا إِذا كان معهم حاضراً.

وقال قتادة: الأَحزاب هم الأَربعة الَّذين كان لهم الرَّأي، والمناظرة صرفت إِليهم في أَمر عيسى عليه السَّلام[٢].

[وقال ابن حبيب وغيره: ﴿ٱلْأَحْزَابُ﴾: النَّصارى، افترقت مذاهبهم فيه بعد رفعه عليه السَّلام][٣]:

فقالت فرقة: هو الله، وهم اليعقوبيَّة، قال الله عزَّ وجلَّ عنهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقالت فرقة: هو ابن الله، وهم النسطوريَّة، فقال الله تعالى فيهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقالت فرقة: هو ثالث ثلاثة، وهم الملكانيَّة[٤]، قال الله تعالى فيهم: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣][٥].

---

(١) في السليمانية: «ودنيوية».

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٦٣٦).

(٣) سقط من الحمزوية، وفي الأسدية: «خبيب» بدل «ابن حبيب»، وسقط من أحمد٣ من «المناظرة» إلى «افترقت».

(٤) في الحمزوية: «الملكية».

(٥) انظر قول ابن حبيب في الهداية لمكي (١٠/ ٦٦٩٣).

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَيۡنِهِمۡ﴾ بمعنى: من تلقائهم ومن أَنفسهم ثار شرُّهم ولم يدخل عليهم الاختلاف من غيرهم.

والضَّمير في ﴿يَنظُرُونَ﴾ لقريش، والمعنى: ينتظرون.

و﴿بَغۡتَةً﴾ معناه: فجأَة دون مقدمة ولا إِنذار بها.

ثمَّ وصف تعالى بعض حال القيامة وأَنَّها ـ لهول مطلعها والخوف المطيف بالنّاس فيها ـ يتعادى[(١)] ويتباغض كلّ خليل كان في الدُّنيا على غير تقى؛ لأَنَّه يرى أَنَّ الضَّرر دخل عليه مِن قِبَل خليله، وأَمَّا المتَّقون فيرون أَنَّ النَّفع دخل[(٢)] من بعضهم على بعض، هذا معنى كلام عليٍّ رضي الله عنه بن أَبي طالب وابن عبّاس والناس[(٣)].

وقوله: ﴿يَٰعِبَادِ﴾، المعنى: يقال لهم، أَي: للمتَّقين.

وقرأَ عاصم في رواية أَبي بكر: ﴿يا عباديَ﴾ بفتح الياءِ، وهذا هو الأَصل.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وابن عامر: [﴿يا عبادي﴾ بسكون الياءِ.

وقرأَ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم:][(٤)] ﴿يَٰعِبَادِ﴾ بحذف الياءِ.

قال أَبو عليٍّ: وحذفها أَحسن لأَنَّها في موضع تنوين وهي قد عاقبته، فكما يحذف

---

(١) سقط من أحمد٣.

(٢) زاد في السليمانية: «عليهم».

(٣) أثر علي بن أبي طالب أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٩٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٤٤٣) من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن الحارث بن عبد الله الأعور، عن علي رضي الله عنه بلفظ مطول، والحارث بن عبد الله الأعور ضعيف، وأخرجه الطبري (٢٠/ ٦٤٠) من طريق معمر، عن أبي إسحاق، أن علياً فذكره، ومن طريق ابن جرير أخرجه البغوي في تفسيره (٧/ ٢٢١) وزاد في الإسناد بين معمر وأبي إسحاق «قتادة»، وأما أثر ابن عباس فأخرجه الطبري (٢٠/ ٦٤٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فكل خلة هي عداوة إلا خلة المتقين. و«ابن عباس» من المطبوع ونور العثمانية، و«الناس» من نجيبويه ونور العثمانية.

(٤) سقط من أحمد٣، والقراءات الثلاث سبعية، انظر التيسير (ص: ١٩٧)، والسبعة (ص: ٥٨٨).

التَّنوين في الاسم المنادى المفرد كذلك تحذف الياءُ هنا لكونها[1] على حرف كما أَنَّ التَّنوين كذلك، ولأَنَّها لا تنفصل من المضاف كما لا ينفصل التَّنوين من المُنَوَّن[2].

وذكر الطَّبريُّ عن المعتمر، عن أَبيه أَنَّه قال: سمعتُ أَنَّ النّاس حين يُبعثون ليس منهم أَحدٌ إِلَّا فزع، فينادي منادٍ: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، فيرجوها النّاس كلّهم، قال: فيُتبعها: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾، قال: فَيَيْأَس منها جميع الكفّار[3].

وقرأَ الحسن، والزهري، وابن أَبي إِسحاق، وعيسى بن عمر، ويعقوب: ﴿لا خوفَ﴾ بنصب الفاءِ من غير تنوين.

وقرأَ ابن محيصن: (لا خوفُ) برفع الفاءِ من غير تنوين[4].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٦٩ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝٧٠ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٧١ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧٢ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٧٣﴾.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعتٌ للعباد [في قوله: ﴿يَٰعِبَادِ﴾][5]، ثمَّ ذكر أَمره إِيّاهم بدخول الجنَّة هم وأَزواجهم، و﴿تُحْبَرُونَ﴾ معناه: تُنَعَّمون وتُسَرُّون، والحَبِرة والحبور: السُّرور، و«الأَكوابُ»: ضرب من الأَواني كالأَباريق إِلَّا أَنها لا آذان لها [ولا مقابض][6].

(١) في المطبوع: «لسكونها».
(٢) الحجة للفارسي (٦/ ١٥٧).
(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٦٣٩).
(٤) قراءة يعقوب عشرية انظرها في النشر (٢/ ٢١١)، والثانية شاذة، انظرها مع موافقة الباقين في البحر المحيط (٩/ ٣٨٧).
(٥) ليس في أحمد٣.
(٦) سقط من أحمد٣.

وقرأَ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم، وأَبو جعفر، وشيبة: ﴿مَا تَشْتَهِيهِ﴾ بإِثبات الهاءِ الأَخيرة، وكذلك في مصحف المدينة ومصاحف الشّام.

وقرأَ الباقون، وأَبو بكر عن عاصم، والجمهور: ﴿ما تشتهي﴾ بحذف الهاءِ، وكذلك وقع في أَكثر المصاحف[1].

وحذفها من الصِّلة لطول القول[2] حسنٌ، وذلك كثير في التَّنزيل، كقوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ﴾ [الفرقان: ٤١]، وقوله: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩]، وغير ذلك.

وفي مصحف ابن مسعود: (مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّهُ الأَعْيُن) بالهاءِ فيهما[3].

وقوله تعالى: ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ليس المعنى أَنَّ الأَعمال أَوجبت على الله إِدخالهم الجنَّة، وإِنَّما المعنى أَنَّ حظوظهم منها على قدر أَعمالهم، وأَمّا نفس دخول الجنَّة وأَن يكون المرءُ[4] من أَهلها؛ فبفضل الله وهداه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ / ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾. [٥/ ٧٥]

لمّا ذكر الله تعالى حال أَهل الجنّة وما يقال لهم، عَقَّب ذلك بذكر حال الكفرة من

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٧)، والسبعة (ص: ٥٨٨)، والنشر (٢/ ٣٧٠)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٤٥).
(٢) في السليمانية: «الكلام».
(٣) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٩/ ٣٨٨).
(٤) في الأسدية٣: «المؤمن»، وفي السليمانية: «الأمر».

الخلود في النّار [والإبلاس؛ ليُبَيِّن الفرق][١]، ولتتضح الأمور التّي منها النِّذارة.

و«المجرمون» في هذه الآية: الكفّار؛ بدليل الخلود في النار[٢] وما تضمّنته الألفاظ من مخاطبة مالك وغير ذلك.

و«المُبْلِسُ»: المُبْعَد اليائس من الخير، قاله قتادة وغيره[٣].

وقرأ ابن مسعود: (وهم فيها مُبْلِسُونَ)[٤]، أَي: في جهنَّم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾، أَي: ما وضعنا العذاب فيمن لا يستحقّه، ولكن هم ظلموا في أَن وضعوا العبادة فيمن لا يستوجبها، ووضعوا الكفر والتَّفريط[٥] في جنب الله تعالى.

وقرأ الجمهور: ﴿كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ على الفصل.

وقرأ ابن مسعود: (هم الظالمون)[٦] على الابتداء والخبر، وأن تكون الجملة خبر كان.

ثم ذكر تعالى عن أهل النار أنهم ينادون مالكاً خازن النار فيقولون ـ على معنى الرغبة التي هي في صيغة الأمر ـ: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾؛ أي: ليمتنا مرة[٧] حتى لا يتكرر عذابنا.

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) «في النار»: من نجيبويه.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٦٤٠) بالمعنى، وجاء في معاني القرآن للفراء (٣/ ٣٧): المبلس: القانط اليائس من النجاة.

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٦٤٣)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٣٧).

(٥) سقط من أحمد٣.

(٦) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٣/ ٣٧)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٣٦) لأبي زيد النحوي.

(٧) في المطبوع: «مدة».

وقرأ النبي ﷺ على المنبر: ﴿يَـٰمَـٰلِكُ﴾ بالكاف[١]، وهي قراءَة الجمهور.

وقرأ ابن مسعود، ويحيى، والأَعمش: (يا مَالِ) بالتَّرخيم، ورويت عن عليٍّ بن أبي طالب[٢]، ورواها أَبو الدرداءِ عن النّبيِّ ﷺ[٣].

و«القَضَاءُ» في هذه الآية بمعنى الموت، كقوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ﴾ [القصص: ١٥].

وروي في تفسير هذه الآية عن ابن عبّاس: أَنَّ مالكاً يقيم بعد سؤالهم أَلف سنة[٤]، وقال نوف[٥]: مئة سنة، وقيل: ثمانين سنة، وقال عبد الله بن عمرو: أَربعين سنة[٦]، ثمَّ حينئذ يقول لهم: ﴿إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٢٣٠)، ومسلم (٨٧١) من حديث يعلى بن أمية رضي الله عنه، وليس في الحمزوية: «على المنبر».

(٢) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٢٥٧). وفي أحمد٣ بياض مكان «مسعود».

(٣) ضعيف، أخرجه حفص بن عمر في «جزء فيه قراءات النبي ﷺ» (١٠٣) عن علي بن مسلم بن الهيثم الهاشمي، عن عاصم بن يوسف الحناط، عن قطبة بن عبد العزيز السعدي، عن الأعمش عن شمر ابن عطية عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء به، بنحوه، وشيخ حفص بن عمر لم أقف له على ترجمة، وشهر بن حوشب ليس بالقوي.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٠٢)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (٨٥)، وأسد بن موسى في الزهد (٤)، والدولابي في الكنى (٨٢٢) من طريق الثوري، عن عطاء بن السائب، عن أبي الحسن، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وأبو الحسن جاء التصريح به عند الدولابي أنه هلال بن يساف، وتصحف «أبو الحسن» في المطبوع من الزهد إلى «أبي الحسين»، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٩)، ومن طريقه البيهقي في البعث (٥٨٨) من طريق الثوري، عن عطاء، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، ورواية الثوري عن عطاء مستقيمة لكن كأن عطاء اضطرب في إسناده.

(٥) في نجيبويه: «فوق»، وفي أحمد٣: «قوم»، وانظر قول نوف هذا في تفسير الطبري (٢١/ ٦٤٥)، وقد سقط قوله من المطبوع.

(٦) رجاله ثقات، أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣١٩)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٢٥٩)، وهناد في الزهد (٢١٤)، والطبري (٢٠/ ٦٤٩-٦٥٠)، وابن أبي حاتم (١٤٠٤٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٩٦-٤/ ٥٩٧)، والبيهقي في البعث (٥٩١)، وفي الأسماء والصفات (٤٨٠) =

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم﴾ الآية، يحتمل أَن يكون من قول مالك لأَهل النّار، ويكون قوله: ﴿جِئْنَاكُم﴾ على حدِّ ما يُدْخل أَحَدٌ جملة[١] الرئيس [كناية عن][٢] نَفْسِه في فعل الرئيس، فيقول: غلبناكم[٣]، وفعلنا بكم، ونحو هذا، ثمَّ ينقطع كلام مالك في قوله: ﴿كَارِهُونَ﴾.

ويحتمل أَن يكون قوله: ﴿جِئْنَاكُم﴾ من قول الله تعالى لقريش بعقب حكاية أَمر الكفّار مع مالك، وفي هذا توعُّدٌ وتخويف فصيح، بمعنى: انظروا كيف تكون حالكم، ثمَّ تتَّصل الآية ـ على هذا ـ بما بعدها من أَمر قريش.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا﴾ يريد: هل أَحكموا أَمْراً من أُمور مكرهم[٤] وتدبيرهم على عهد محمد ﷺ كما فعلوا في اجتماعهم على قتله[٥] في دار النَّدوة إِلى غير ذلك.

و﴿أَمْ﴾ ـ في هذه الآية ـ المنقطعةُ.

وقوله: ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾، أَي: فإِنَّا مُحْكِمُو نصره وحمايته.

و«الإِبْرَامُ»: أَن تجمع خيطيْن ثمَّ تفتلهما فَتْلاً متقناً، والبريم: خيط فيه لونان.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ﴾ الآية، قال محمد بن كعب القرظيُّ: نزلت لأَنَّ كثيراً من العرب كانوا يعتقدون أَنَّ الله تعالى لا يسمع السر[٦].

= من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي أيوب المراغي الأزدي العتكي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه به، بنحوه.

(١) في المطبوع وأحمد٣ والسليمانية: «حمَّله»، وفي نور العثمانية: «جملتين»، دون ذكر الرئيس.

(٢) في المطبوع والأسدية بدلًا منه: «كتابه»، وسقطت «عن» من أحمد٣.

(٣) في نجيبويه: «علمناكم».

(٤) في الأصل: «كفرهم»، وفي السليمانية: «أمر» بدل «أمور». وفي أحمد٣: «من أمورهم مكراً وتدبيراً على محمد...».

(٥) في المطبوع: «مثله».

(٦) تفسير الطبري (٢١/ ٦٤٧). وفي أحمد٣ والمطبوع والسليمانية: «السرار».

ومنه حديث الثَّقفيِّ والقرشيَّيْن الَّذين سمعهم ابن مسعود يقولون عند الكعبة: أَترى الله يسمعنا؟ فقال أَحدهم: يسمع إِذا جهرنا ولا يسمع إِذا أَخفينا[١]، الحديث، فأَخبر الله تعالى في هذه الآية أَنَّه يسمع ـ أَي يدرك ـ السِّرَّ والنَّجوى، وأَنَّ رسله الحفظة من الملائكة يكتبون أَعمال البشر مع ذلك، وتُعَدُّ للجزاءِ يوم القيامة.

واختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ﴾؛ فقالت فرقة: العابدون هو من العبادة، ثمَّ اختلفوا في معنى الآية بعد ذلك:

فقال قتادة، والسّديُّ، والطَّبريُّ: المعنى: قل لهم: إِن كان للرَّحمن ولد كما تقولون فأَنا أَوَّل [من يعبده][٢] على ذلك، ولكن ليس له شيءٌ من ذلك تعالى وجلَّ.

قال الطَّبريُّ: هذا إِلطاف في الخطاب[٣]، ونحوه قوله: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤].

قال القاضي أَبو محمد: وقوله تعالى في مخاطبة الكفّار: ﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ﴾[٤].

وقال مجاهد: المعنى: إِن كان لله ولد في قولكم، فأَنا أَوَّل من عبد الله وحده وكذَّبكم[٥].

---

(١) متفق عليه، هذا جزء من حديث أخرجه البخاري (٤٨١٧)، ومسلم (٢٧٧٥) عن ابن مسعود قال: اجتمع عند البيت ثلاثة نفر قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول؟ وقال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال: الآخر إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا فأنزل الله عز وجل ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ﴾.

(٢) في السليمانية: «العابدين من بعده».

(٣) انظر أقوال السدي والطبري في تفسير الطبري (٢١/ ٦٥١)، ولفظ قتادة عنده: (٢١/ ٦٤٩): «أي إن ذلك لم يكن، ولا ينبغي».

(٤) تكرر ذلك في الآيات: (٢٧) من (سورة النحل)، و(٦٢، ٧٤) من (سورة القصص)، و(٤٧) من (سورة فصلت).

(٥) رواه عنه تفسير الطبري (٢١/ ٦٤٨).

وقال قتادة أَيضاً، وزهير بن محمد[١]، وابن زيد: ﴿إِن﴾ نافية بمعنى (ما)، فكأَنَّه قال: قل ما كان للرّحمن ولدٌ[٢]، وهنا هو الوقف على هذا التَّأْويل، ثمَّ يبتدئ قوله: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾، قاله أَبو حاتم[٣].

وقالت فرقة: (العابدون) في الآية: من عَبِد الرجلُ: إِذا أَنف وأَنكر الشَّيءَ، ومنه قول الشاعر:

مَتَى ما يَشَأْ ذو الوُدِّ يصْرِمْ خَلِيلَهُ وَيَعْبَـدْ عَلَيْـهِ لا مَحَالَـةَ ظَالِما[٤] [الطويل]

ومنه حديث عثمان وعليٍّ في المرجومة حين قال عليّ: وحمله وفصاله ثلاثون شهراً، قال: فما عَبِد عثمان أَن بعث إِليها لتُـرَدَّ[٥].

والمعنى: إن جعلتم للرَّحمن ولداً وكان ذلك في قولكم، فأَنا أَوَّل الآنفين المنكرين لذلك.

---

(١) هو زهير بن محمد، التميمي، أبو المنذر الخرقي، بالفتح، روى عن عبد الله بن محمد بن عقيل، وابن المنكدر، وزيد بن أسلم، وعنه: ابن مهدي، والطيالسي، محله الصدق، وفي حفظه سوء، وحديثه بالشام أنكر، توفي سنة (١٦٢هـ)، تاريخ الإسلام (١٠/ ١٩٥).

(٢) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٢١/ ٦٤٩).

(٣) لم أجده.

(٤) البيت للمرقش الأصْغَر كما في الحماسة البصرية (٢/ ٣٣) من قصيدة مشهورة مطلعها: ألا يا اسلمى لا صرم لي اليوم فاطما، انظرها في المفضليات (ص: ٢٤٤)، والأغاني (٦/ ١٤٧)، والشعر والشعراء (١/ ٢٠٩)، مع ذكر سببها وجملة من خبره.

(٥) في السليمانية: «أن ترد». والأثر صحيح، أخرجه الطبري (٢٠/ ٦٥٧) من طريق ابن أبي ذئب، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن بعجة بن عبد الله الجهني: أن امرأة منهم دخلت على زوجها، وهو رجل منهم أيضاً، فولدت له في ستة أشهر، فذكر ذلك لعثمان بن عفان رضي الله عنه فأمر بها أن تُرجم، فدخل عليه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ وقال: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ قال: فوالله ما عبِد عثمان أن بعث إليها تردّ. قال يونس، قال ابن وهب: عبد: استنكف، وتصحف «بعجة بن عبد الله» عند الطبري إلى «بعجة بن زيد»، وانظر تهذيب الكمال (٤/ ١٩٠). وسقط ذكر «عثمان» من الأصل.

وقرأ الجمهور: ﴿وَلَدٌ﴾ بفتح الواو واللاّم.

وقرأ ابن مسعود، وابن وثّاب، وطلحة، والأَعمش: ﴿وُلْدٌ﴾ بضمِّ الواو وسكون اللّام(١).

وقرأ أَبو عبد الرَّحمن: (فأنا أول العَبِدين)(٢)، وهي على هذا المعنى.

قال أَبو حاتم: العَبِد بكسر الباءِ: الشّديد الغضب(٣).

وقال أَبو عبيدة: معناه: أَوّل الجاحدين، والعرب تقول: عَبَدَني حَقِّي؛ أَي: جحدني(٤).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

[لمَّا قال تعالى: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ نزَّه الرَّبَّ تعالى عن هذه المقالة الَّتي قالوها.

و﴿سُبْحَٰنَ﴾](٥) تنزيه، وخصَّ السماوات والأرض والعرش لأنها أَعظم المخلوقات.

وقوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟﴾ مهادنةٌ مَّا وتَرْكٌ، وهي مما نسخ بآية السَّيف.

---

(١) القراءة سبعية لحمزة والكسائي على قاعدتهما في جميع القرآن حسب ما تقدم له رحمه الله في (سورة مريم)، وانظر السبعة (ص: ٤١٢)، والتيسير (ص: ١٥٠)، وقد تبع المصنف في ذكر من ذكر في البحر المحيط (٩/ ٣٩١)، وفيه أخطاء مطبعية.

(٢) هو اليماني، انظر: المحتسب (٢/ ٢٥٧).

(٣) نقله عنه في البحر المحيط (٩/ ٣٩١).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢٠٧).

(٥) سقط من أحمد٣.

وقرأ الجمهور: ﴿يُلَٰقُواْ﴾، وقرأ أبو جعفر، وابن محيصن: ﴿حَتَّى يَلْقَوْا﴾[١].

وقال الجمهور: اليوم الذي توعدهم به: هو يوم القيامة.

وقال عكرمة وغيره: هو يوم بدر[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى/ فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾ الآية؛ آية حكم[٣] بعظمته وإِخبارٌ [٥/ ٧٦] بأُلوهيته، أَي: هو النَّافذ أَمره في كلِّ شيءٍ.

وقرأ عمر بن الخطاب، وجابر بن زيد، وأَبو شيخ، والحكم بن أبي العاص[٤]، وبلال بن أَبي بردة، وابن مسعود، ويحيى بن يَعْمَر، وأُبيُّ بن كعب، وابن السَّميفع: (وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله)[٥].

و﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: المحكم.

﴿وَتَبَارَكَ﴾ تفاعل، من البركة، أي تزيَّدت بركاته.

و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ حصر[٦] لجميع الموجودات المحسوسات.

و﴿عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ معناه: علم تحديد قيامها والوقف[٧] على تعيينه وحصره،

---

(١) عشرية، انظر النشر (٢/ ٣٧٠)، وانظر موافقة ابن محيصن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٩٧).

(٢) نقله أبو حيان (٩/ ٣٩١)، ولم أجده لأحد من المتقدمين.

(٣) في أحمد٣: «حكمة».

(٤) هو الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس الأموي، عمّ عثمان، ووالد مروان، أسلم يوم الفتح، ثم نفاه النبيّ ﷺ إلى الطّائف، ثم أعيد إلى المدينة في خلافة عثمان، ومات بها، سنة (٣٢هـ)، وقيل إنّ النبيّ ﷺ دعا عليه، ولم يثبت ذلك، الإصابة (٢/ ٩١).

(٥) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٣٦) لعلي وابن مسعود وابن يعمر واليماني، وفي معاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٨٩) لعمر وأبي وابن مسعود، وفي البحر المحيط (٩/ ٣٩١) للجميع. وفي أحمد٣: «في السماء وفي الأرض الله..».

(٦) سقط من أحمد٣، وفيه وفي المطبوع والسليمانية: «المحسوسة» بدل «المحسوسات».

(٧) في أحمد٣ والمطبوع والسليمانية: «الوقوف».

وهذا هو الَّذي استأْثر الله بعلمه، وإِلَّا فنحن عندنا علم السّاعة أي أَنَّها واقعة، وأنها ذات أَهوال وصفات مَّا، والمصدر في قوله: ﴿عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ مضاف إِلى المفعول.

وقرأَ أَكثر القراءِ: ﴿وإليه يُرْجَعُونَ﴾ بالياءِ من تحت.

وقرأَ نافع، وعاصم، وأَبو عمرو: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالتاءِ من فوق مضمومة[1].

وقرأَ الأَسود، والأَعمش: (يُحْشَرُونَ) بالياءِ من تحت[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ﴾ الآية، مخاطبةٌ لمحمد ﷺ.

و﴿ٱلَّذِينَ﴾ هم المعبودون.

والضَّمير في ﴿يَدْعُونَ﴾ هو للكفّار الَّذين عبدوا غير الله عز وجل، فأَعلم تعالى أَنَّ كلَّ من[3] عُبِد من دون الله فإِنَّه لا يملك شفاعة عند الله يوم القيامة.

وقرأَ الجمهور: ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياءِ من تحت، وقرأَ ابن وثّاب: (تَدْعُونَ) بالتاءِ من فوق[4].

ثمَّ استثنى تعالى من هذا الإِخبار[5]، واختلف النَّاسُ في المستثنى:

---

(١) وهما سبعيتان، لعل أصحاب الثانية أكثر، فقد بقي عليه منهم ابن عامر، انظر التيسير (ص: ١٩٧)، والسبعة (ص: ٥٨٩).

(٢) هذه القراءة ليست في أحمد٣ والأصل ونور العثمانية، وفي السليمانية: «يرجعون»، وهي شاذة لم أجدها لغيره، ووردت في تفسير الألوسي (١٣/ ١٠٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٣٠)، بتاء المخاطبة بلا نسبة.

(٣) في أحمد٣: «ما»، وسقطت «كل» من السليمانية.

(٤) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٣٧) لعلي والسلمي.

(٥) في السليمانية: «هذه الأخبار».

فقال قتادة: استثنى ممن عُبد من دون الله عيسى وعُزَيراً والملائكة، والمعنى: فإِنَّهم يملكون شفاعةً بأَن يملكها[١] الله إياهم؛ إِذ هم ممن شهد بالحقِّ وهم يعلمونه في كلِّ أَحوالهم، فالاستثناءُ ـ على هذا التَّأْويل ـ متَّصل.

وقال مجاهد وغيره: استثنى من المشفوع فيهم[٢]، كأَنَّه قال: لا يشفع هؤلاءِ الملائكة وعُزَيْر وعيسى إِلَّا فيمن شهد بالحقِّ وهو يعلمه أي هو بالتَّوحيد، فالاستثناءُ ـ على هذا التَّأْويل ـ منفصل، كأَنَّه قال: لكن من يشهد بالحقِّ يشفع فيهم هؤلاءِ.

والتَّأْويل الأَوَّل أَصوب، والله أَعلم.

ثمَّ أَظهر تعالى عليهم الحجَّة من أَقوالهم وإِقرارهم بأَنَّ الله هو خالقهم وموجدهم بعد العدم، ثمَّ وقفهم ـ على جهة التَّقرير والتَّوبيخ ـ بقوله: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾، أَي: فلأَيِّ جهة يصرفون؟

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿وَقِيلَه يا رَبِّ﴾ بالنَّصب، وهو مصدرٌ كالقول، والضَّمير فيه لمحمد ﷺ، وحكى مكِّيٌّ قولاً أَنَّه لعيسى[٣]، وهو ضعيف.

واختلف النّاسُ في النّاصب له:

فقالت فرقة: هو معطوف على قوله: ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم﴾.

وقالت فرقة: العامل فيه ﴿يَكْتُبُونَ﴾، أَي: أَقوَالَهُمْ وَأَفْعَالَهُمْ وَقِيلَهُ[٤].

وقالت فرقة: الناصب له ما في قوله: ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ من قوَّة الفعل، أَي: ويعلم قِيلَهُ.

ونزل قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾ بمنزلة: شكوى محمد واستغاثته من كفرهم وعُتُوِّهم.

---

(١) في المطبوع: «يُمَكِّنَهُم»، وفي السليمانية: «يملكهم».
(٢) انظر قولي مجاهد وقتادة في تفسير الطبري (٢١/ ٦٥٤).
(٣) الهداية لمكي (١٠/ ٦٧١٥).
(٤) سقط هذان القولان من أحمد٣.

وقرأ عاصم، وحمزة، وابن وثّاب، والأَعمش: ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ بالخفض[١] عطفاً على ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾.

وقرأ الأَعرجُ، وأَبو قلابة، ومجاهد: (وقيلُهُ) بالرَّفع[٢] على الابتداءِ، وخبره في قوله: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾، أَي: قِيلُه هذا القول، أَو يكون التَّقدير: وقيلُهُ يا ربِّ مسموعٌ ومُتَقَبَّل، فـ﴿يَٰرَبِّ﴾ على هذا منصوب الموضع بـ(قِيلُهُ).

وقرأ أَبو قُلابة: (يَاربَّ) بفتح الباءِ المشدَّدة[٣]، وأَراد: [يا رَبَّا][٤]، على لغة من يقول: يا غُلَاما، ثمَّ حذف الأَلف تخفيفاً واتباعاً لِخَطِّ المصحف.

وقوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾ موادَعَةٌ منسوخة بآية السَّيف.

[وقوله: ﴿سَلَٰمٞۚ﴾ تقديره: وقُلْ أَمري سلامٌ، أَي: مُسَالَمَةٌ][٥].

وقالت فرقة: المعنى: وقل سلامٌ عليكم، على جهة الموادعة والمُلاينة، والنَّسخ قد أَتى على هذا السَّلام، فسواءٌ كان تحية أَو عبارة عن الموادعة.

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿يَعۡلَمُونَ﴾ بالياءِ.

وقرأ نافع، وابن عامر في رواية هشام عنه، والحسن، والأَعرج، وأَبو جعفر: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتاءِ من فوق[٦].

[كمل تفسير (سورة الزُّخرف)، والحمد لله ربِّ العالمين][٧]

---

(١) فهما سبعيتان انظر التيسير (ص: ١٩٧)، والسبعة (ص: ٥٨٩)، وانظر موافقة الباقين في البحر المحيط (٩/ ٣٩٣)، وزاد: السلمي.

(٢) وهي شاذة، نسبها لهم في المحتسب (٢/ ٢٥٨)، ومختصر الشواذ (ص ١٣٧).

(٣) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٣٠)، والبحر المحيط (٩/ ٣٩٣).

(٤) ليس في أحمد٣.

(٥) سقط من أحمد٣.

(٦) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٨٩)، والمروي عن ابن ذكوان من طرق التيسير (ص: ١٩٧)، والنشر (٢/ ٣٧٠) التاء.

(٧) ليس في أحمد٣.

سورة الدخان

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير السُورة التي يذكر فيها الدخان(١)

هذه السورة مكِّيَّة، لا أَحفظ خلافاً في شيءٍ منها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾.

تقدَّم القول في ﴿حمٓ﴾.

وقوله: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ قَسَم أَقسم الله تعالى به.

و﴿ٱلْمُبِينِ﴾ يحتمل أَن يكون من الفعل المتعدّي، أَي يبين الهدى والشَّرع ونحوه(٢).

ويحتمل أَن يكون من غير المتعدّي، أَي: هو مبين في نفسه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ يحتمل أَن يقع القَسَم عليه، ويحتمل أَن يكون

---

(١) في المطبوع والأصل: «تفسير سورة الدخان».

(٢) ليست في أحمد٣.

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ من وصف الكتاب فلا يحسن وقوع القَسَم عليه، وهذا اعتراضٌ يتضمَّن تفخيم الكتاب ويُحَسِّن القَسَم به، ويكون الَّذي وقع القَسَم عليه ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾.

واختلف النّاسُ في تعيين (اللَّيلة المباركة):

فقال قتادة، وابن زيد، والحسن: هي ليلة القدر(١)، وقالوا: إِنَّ كُتب الله كلَّها إِنَّما نزلت في رمضان، التَّوراة في أَوَّله، والإنجيل في وسطه، والزَّبور في نحو ذلك، / ونزل القرآن في آخره في ليلة القدر، ومعنى هذا النُّزول أَنَّ ابتداءَ نزوله [كان في ليلة القدر](٢)، وهذا قول الجمهور. [٥/ ٧٧]

وقالت فرقة: بل أَنزله الله تعالى جملة واحدة ليلة القدر إِلى البيت المعمور، ومن هنالك كان جبريل عليه السَّلام يتلقاه.

وقال عكرمة وغيره: اللَّيلة المباركة: هي ليلة النِّصف من شعبان(٣).

وقوله: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ﴾ معناه: يفصل من غيره ويتخلص(٤).

وروي عن عكرمة في تفسير هذه الآية: أَنَّ الله تعالى يفصل للملائكة الأمر(٥) في ليلة النِّصف من شعبان(٦).

وقال الحسن، وعمر مَوْلى غفرة، ومجاهد، وقتادة: في ليلة القدر يفصل كلَّ ما في العام المقبل من الأَقدار والآجال والأَرزاق وغير ذلك، ويكتب ذلك لهم إِلى مثلها

---

(١) انظر قول قتادة وابن زيد في تفسير الطبري (٢٢/ ٧)، والحسن في تفسير الثعلبي (٨/ ٣٤٩)، وسقط «ابن زيد» من الأصل.
(٢) سقط من أحمد٣، مع لفظة «أن» قبله.
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٤٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢٤٤).
(٤) في نجيبويه: «ويلخص».
(٥) من السليمانية.
(٦) تفسير الطبري (٢٢/ ١٠).

من العام المقبل، قال هلال بن يساف: كان يقال: انتظروا القضاءَ في شهر رمضان[١].

وروي في بعض الحديث عن النَّبيِّ ﷺ: أَنَّ الرَّجل يتزوج ويُعَرِّس[٢] وقد خرج اسمه في الموتى لأَنَّ الآجال تقطع في شعبان[٣].

وقرأَ الحسن، والأَعرج، والأَعمش: (يَفْرُقُ) بفتح الياءِ وضمِّ الرَّاءِ[٤].

و﴿حَكِيمٍ﴾ بمعنى: محكم.

وقوله ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ نصب على المصدر.

وقوله ﴿مِّنْ عِندِنَآ﴾ صفة لقوله: ﴿أَمْرًا﴾.

وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ يحتمل أَن يريد الرُّسل والأَنبياءَ، ويحتمل أَن يريد

---

(١) انظر قول هلال ومن قبله في تفسير الطبري (٢٢/ ٩). وفي الأصل: «وعمير» بدل «عمر»، في نجيبويه بدل «يساف»: «سنان».

(٢) في السليمانية: «يغرس».

(٣) منكر، أخرجه الطبري (٢١/ ١٠)، والثعلبي (٨/ ٣٤٩)، والبغوي (٧/ ٢٢٨) في تفاسيرهم، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٨٣٩) من طريق الليث بن سعد، عن عقيل بن خالد، عن الزهري، عن عثمان بن المغيرة بن الأخنس مرفوعاً، وعثمان بن المغيرة صدوق له أوهام وليس له رواية عن الصحابة فهو معضل، ثم إنه مخالف لنص القرآن، قال ابن كثير: ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان ـ كما روي عن عكرمة ـ فقد أبعد النُّجْعَة، فإن نص القرآن أنها في رمضان. والحديث.. وذكره فهو حديث مرسل، ومثله لا يعارض به النصوص. اهـ ملخصاً من التفسير (٧/ ٢٤٦)، وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٢٤١٠) من طريق عثمان بن الأخنس أسنده عن أبي هريرة، كما قال الحافظ في تسديد القوس، وقال الألباني: وقد روي عنه مسنداً، أخرجه الديلمي في مسنده (١/ ٤٧ ـ الغرائب الملتقطة) من طريقين آخرين قالا: حدثنا ليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عثمان ابن محمد بن المغيرة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:... فذكره، لكن قال ابن المديني في العلل (٨٩): روى عثمان هذا أحاديث مناكير عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة. اهـ. انظر الضعيفة (٦٦٠٧).

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها للحسن في مختصر الشواذ (ص ١٣٨)، وللباقين في البحر المحيط (٩/ ٣٩٧).

الرَّحمة الَّتي ذَكَرَ بَعْدُ، وعلى التَّأْويل الأَوَّل نصب قوله: ﴿رَحْمَةً﴾ على المصدر، ويحتمل أَن يكون نصبها على الحال.

وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ تقرير وتثبيت، أَي: إِن كنت موقناً فهذا[1] يكون يقينك، كما تقول لإِنسان يقيم نفسه: العلم غرضك إِن كنت رجلاً.

وقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أَي: مالككم ومالك آبائكم الأولين[2].

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿رَبُّ السماوات﴾ بالرَّفع على القطع والاستئناف، وهي قراءَة الأَعرج، وابن أَبي إِسحاق، وأَبي جعفر، وشيبة.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائيُّ بالكسر على البدل من (رَبِّ) المتقدِّم، وهي قراءَة ابن محيصن، والأَعمش[3].

وأَمَّا قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ﴾ فالجمهور على رفع الباءِ.

وقرأَ الحسن بالكسر، ورواها أَبو موسى عن الكسائيِّ[4].

وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾ إِضرابٌ [قبله نفيٌ مقدر][5]، كأَنَّه يقول: ليس هؤلاءِ ممَّن يؤمن ولا ممَّن تنفعه وصاة، بل هم في شكٍّ يلعبون في أَقوالهم وأَعمالهم.

واختلف النّاس في الدّخان الَّذي أَمر الله تعالى بارتقابه:

---

(١) في الأصل: «بهذا»، والمثبت من النسخ الأخرى.

(٢) ليست في السليمانية والمطبوع. وفي أحمد٣: «مالككم ومالكهم».

(٣) فهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٨)، والسبعة (ص: ٥٩٢)، والنشر (٢/ ٣٧١)، وموافقة الباقين في البحر المحيط (٩/ ٣٩٨).

(٤) وهي شاذة، ليست من طرق التيسير، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٣٨) لرواية الحجازي عن الكسائي، وفي الكامل (ص: ٦٣٥) لسورة، والشيزري والناقط والناقد عن الكسائي، وللحسن، وزاد النصب للقورسي والثغري عن الكسائي في قول الرازي.

(٥) في السليمانية وأحمد٣: «إضراب عما قبله وفيه نفي مقدر».

فقالت فرقة منها عليٌّ بن أَبي طالب[١] وزيد بن عليٍّ[٢]، وابن عمر[٣]، وابن عبّاس[٤]، والحسن بن أَبي الحسن[٥] وأَبو سعيد الخدريُّ[٦]: هو دخان يجيءُ قبل[٧] يوم القيامة، يصيب المؤمن منه مثل الزُّكام، وينضج رُؤوس المنافقين والكافرين حتّى تكون كأَنّها مصليَّة حنيذة.

وقالت فرقة منها عبد الله بن مسعود، وأَبو العالية، وإِبراهيم النَّخَعيُّ: هو الدُّخان الَّذي رأَته قريش حين دعا عليهم النبي ﷺ بسبع كسبع يوسف، فكان الرَّجل يرى من الجدب والجوع دخاناً بينه وبين السماء[٨]. وما يأْتي من الآيات يقوّي هذا التَّأْويل.

(١) ضعيف، أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٠٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في فتح الباري (٨/ ٥٧٢) من طريق إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الحارث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: آية الدخان لم تمض بعد وستكون، يأتي دخان يصيب المؤمنين الزكام وينقد الكافر. وفيه عنعنة أبي إسحاق وهو مدلس، والحارث الأعور ضعيف.

(٢) في السليمانية: «زيد بن ثابت». وفي أحمد٣: «زيد» فقط.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ١٨) من طريق الوليد بن جميع، عن عبد الملك بن المغيرة، عن عبد الرحمن البيلماني، عن ابن عمر به. وعبد الرحمن ابن البيلماني المدني، مولى عمر بن الخطاب ضعيف.

(٤) صحيح، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٠٦)، والطبري (٢١/ ١٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٥٩) من طريق ابن جريج، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٧/ ٢٤٩) من طريق عبد الله بن أبي يزيد كلاهما عن عبد الله بن أبي مليكة دخلت على ابن عباس رضي الله عنهما فقال: لم أنم هذه الليلة فقلت: لم؟ قال: طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يطرق الدخان.

(٥) انظر قول زيد في تفسير الطبري (٢٢/ ١٥)، وقول الحسن في الهداية لمكي (١٠/ ٦٧٢٦). وعليه تضبيب في السليمانية.

(٦) منقطع، أخرجه الطبري (٢١/ ١٩) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي سعيد الخدري موقوفاً عليه، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما عند ابن كثير (٧/ ٢٤٨) من طريق الوليد بن مسلم، عن خليد بن دعلج السدوسي، عن الحسن، عن أبي سعيد مرفوعاً، وهو منقطع فإن الحسن لم يسمع من أبي سعيد الخدري كما قاله ابن المديني. انظر جامع التحصيل (١٣٥).

(٧) ليست في السليمانية، مع إشارة في الهامش غير مقروءة، وفي المطبوع: «مقبل».

(٨) في المطبوع: «النّاس»، والحديث متفق عليه، أخرجه البخاري (١٠٠٧)، ومسلم (٢٧٩٨)، وانظر تفسير الطبري (٢٢/ ١٦).

وقال ابن مسعود: خمسٌ قد مضين: الدُّخان واللِّزام والبَطشة والقمر والرُّوم[١].

وذكر الطَّبريُّ حديثاً عن حذيفة: أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أوَّل آيات السّاعة الدُّخان، ونزول عيسى بن مريم، ونارٌ تخرج من قعر عدن»[٢].

وضعَّف الطَّبريُّ سند هذا الحديث، واختار قول ابن مسعود رضي الله عنه في الدُّخان، قال: ويحتمل ـ إِن صحَّ حديث حذيفة ـ أَن يكون قد مرَّ دخان، ويأْتي دخان آخر[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾﴾.

﴿يَغْشَى﴾ معناه: يغطِّي.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يحتمل أَن يكون إِخباراً من الله تعالى كأَنَّه يعجب منه، على نحو من قوله تعالى لمَّا وصف قصة الذَّبح: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٧٦٧)، ومسلم (٢٧٩٨).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ١٩- ٢٠) عن عصام بن روّاد بن الجراح، قال: حدثني أبي، قال: ثنا سفيان بن سعيد الثوري، قال: ثنا منصور بن المعتمر، عن رِبْعِيِّ بن حَرَاش، قال: سمعت حُذيفة ابن اليمان به، بنحوه، وقد ضعفه الطبري وقال: وإنما لم أشهد له بالصحة، لأن محمد بن خلف العسقلانيّ حدثني أنه سأل روّاداً عن هذا الحديث، هل سمعه من سفيان؟ فقال له: لا، فقلت له: فقرأته عليه، فقال: لا، فقلت له: فقرئ عليه وأنت حاضر فأقرّ به، فقال: لا، فقلت: فمن أين جئت به؟ قال: جاءني به قوم فعرضوه عليّ وقالوا لي: اسمعه منا فقرؤوه عليّ، ثم ذهبوا، فحدّثوا به عني، أو كما قال، فلما ذكرت من ذلك لم أشهد له بالصحة. اهـ، ومن طريق الطبري أخرجه البغوي في تفسيره (٧/ ٢٣٠)، ولفظة: «إن أول» ليست في السليمانية.

(٣) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ١٦). وسقطت «في الدخان» من أحمد٣.

ويحتمل أَن يكون ﴿هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ من قول النّاس، كأَنَّ تقدير الكلام: يقولون هذا عذاب أليم، ويؤيِّد هذا التَّأْويل سياقه حكاية عنهم أَنَّهم يقولون: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾، وَعَلِمَ الله تعالى أَنَّ قولهم في حال الشِّدَّة: ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ إِنَّما هو عن غير[١] حقيقة منهم فدلَّ على ذلك بقوله: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أَي: من أَين لهم أَن يتذكَّروا وهم قد تركوا الذِّكرى وراءَ ظهورهم بأَن جاءَهم رسولٌ مبين وهو محمد ﷺ فكفروا به؟ و﴿تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾: أَي أَعرضوا وقالوا: إِنَّه يُعَلَّم هذا الكلام الّذي يتلو، وإِنَّه مجنون.

وإِخباره تعالى بأَنَّه يكشف العذاب عنهم قليلاً إِخبارٌ عن إِقامة الحجَّة عليهم ومبالغة في الإِملاءِ لهم.

ثمَّ أخبرهم بأَنَّهم عائدون إِلى الكفر، وقال قتادة: هو توعُّدٌ بمعاد الآخرة[٢].

ثمَّ أخبرهم بأَنَّه ينتقم منهم بسبب هذا كلِّه في يوم البطشة.

وقدَّم اليوم وذِكْرَه على الذي عَمل فيه تهمُّماً به وتخويفاً منه، والعامل فيه ﴿مُنتَقِمُونَ﴾.

[وقد ضعف البصريون هذا من حيث هو خبر (إنَّ)، وأَبعدوا أَن يعمل خبرها فيما قبلها، وقالوا: العاملُ فعل مضمرٌ يدل عليه ﴿مُنتَقِمُونَ﴾][٣].

واختلف النّاس في يوم البطشة الكبرى:

فقال ابن عبّاس، والحسن، وعكرمة، وقتادة: هو يوم القيامة[٤].

---

(١) في نور العثمانية: «على خبر»، وفي أحمد٣: «عن خَبَر»، وأشار لها في حاشية المطبوع.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٢١)، بلفظ: «إلى عذاب الله».

(٣) سقط من الأصل، وانظر إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٨٥).

(٤) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٢٣)، وأثر ابن عباس صحيح، أخرجه الطبري (٢١/ ٢٧) من طريق خالد الحذاء، عن عكرمة، عنه.

وقال عبد الله بن مسعود، وابن عبّاس أَيضاً، وأُبيٌّ بن كعب، ومجاهد: هو يوم بدر[١].

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿نَبۡطِشُ﴾ بفتح النّون وكسر الطّاءِ.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن بضمِّ الطّاءِ[٢].

وقرأَ الحسن أَيضاً، وأَبو رجاءٍ، وطلحة بن مصرف بضمِّ النّون وكسر الطاءِ[٣]، ومعناها: نُسَلِّط عليهم من يبطش بهم.

ثمَّ ذكر تعالى قوم فرعون على جهة المثال لقريش[٤].

و﴿فَتَنَّا﴾ معناه: امتحنَّا واختبرنا.

و«الرَّسول الكريم»: قال قتادة: هو موسى عليه السَّلام[٥]، ومعنى الآية يعطي ذلك بِلَا خلاف، / وهنا متروك يدلُّ عليه الظّاهر: تقديره: قال[٦] لهم أَدُّوا، وهذا مأْخوذٌ [٥/ ٧٨] من الأَداءِ، كأَنَّه يقول: أَن ادفعوا إِليَّ وأَعطوني ومكِّنوني.

واختلف المتأَوِّلون في الشَّيءِ المؤدَّى في هذه الآية، ما هو؟

فقال مجاهد، وابن زيد، وقتادة: طلب منهم أَن يؤدوا إِليه بني إِسرائيل[٧]، وإِيَّاهم أَراد بقوله: ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) أثر ابن مسعود أخرجه البخاري (١٠٠٧)، ومسلم (٢٧٩٨)، وأما أثر ابن عباس فقد أخرجه الطبري (٢١/ ٢٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه، وأما أثر أبي بن كعب فأخرجه الطبري (٢١/ ٢٦) عن بشر بن معاذ العقدي، عن يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن مجاهد، عن أبي بن كعب به، ورجاله ثقات.

(٢) وهي عشرية لأبي جعفر على قاعدته كما في النشر (٢/ ٢٧٤)، وانظر نسبتها لهما في مختصر الشواذ (ص: ١٣٨).

(٣) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٢٦٠).

(٤) سقط من أحمد٣.

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٤).

(٦) في السليمانية والمطبوع ونور العثمانية: «قل».

(٧) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢٢/ ٢٥).

وقال ابن عبّاس: المعنى: اتبعوني إلى ما أدعوكم إليه من الحقِّ[١]، فقوله: ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ منادى مضاف، والمؤدَّى هو الطَّاعة والإِيمان والأَعمال[٢].

قال القاضي أَبو محمد: والظَّاهر من شرع موسى عليه السَّلام أَنَّه بُعث إِلى دعاءِ فرعون إِلى الإِيمان، وأَن يُرسل بني إِسرائيل، فلمّا أَبى أَن يؤمن بقيت[٣] المكافحة في أَن يرسل بني إِسرائيل، وفي إِرسالهم هو قوله: ﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾، أَي بني إِسرائيل.

ويقوّي ذلك قوله بَعْدُ: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ﴾، وهذا قريب نَصٍّ في أَنَّه إِنَّما يطلب بني إِسرائيل فقط، ويؤيد ذلك أَيضاً قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى﴾، [فكنَّى عنهم بـ ﴿عِبَادِى﴾][٤]، فيظهر أَنَّه إِيّاهم أَراد موسى بقوله: ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾.

وقوله: ﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ معناه: على وحي الله تعالى أُؤَدِّيه إِلى عباده.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

المعنى: كانت رسالتُهُ، وقولُه: أَنْ أَدُّوا وأَلَّا تَعْلُوا.

وعبَّر بالعُلُوِّ عن الطُّغيان والعُتُوِّ على الله تعالى وعلى شرعه وعلى رسوله.

وقرأ الجمهور: ﴿إِنِّىٓ ءَاتِيكُم﴾ بكسر الأَلف من ﴿إِنِّىٓ﴾ على الإِخبار المؤكد.

و«السُّلطان»: الحُجَّة، فكأَنَّه قال: لا تكفروا؛ فإِنَّ الدّليل المؤدي إِلى الإِيمان بَيِّن.

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٩) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. زاد في أحمد٣ بعد ابن عباس: «أيضاً».

(٢) في السليمانية: «في الأعمال»، وفي نور العثمانية: «بالأعمال»، وتكررت في أحمد٣: «الطاعة».

(٣) في نجيبويه والسليمانية: «ثبتت».

(٤) من المطبوع ونجيبويه والسليمانية.

وقرأت فرقة: (أَنِّي آتيكم) بفتح الأَلف[١]. و(أنَّ) في موضع نصب، بمعنى: لا تكفروا من أَجل أَنِّي آتيكم بسلطان مبين، فكأَنَّ مقصد هذا الكلام[٢] التَّوبيخ، كما تقول لإنسان: لا تغضب لأن الحقَّ قيل لك.

وقوله: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ﴾ الآية كلامٌ قاله موسى عليه السَّلام لخوف لحقه من فرعون ومَلئِه.

و﴿عُذْتُ﴾ معناه: استَجَرْتُ وتحرَّمت[٣].

وأَدغم الذّال في التّاءِ الأَعرج، وأَبو عمرو[٤].

واختلف النّاس في قوله: ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾؛ فقال قتادة وغيره: أَراد الرَّجم بالحجارة المؤدي إِلى القتل[٥].

وقال ابن عبّاس، وأبو صالح: أَراد الرّجم بالقول من [السباب والمخالفة][٦] ونحوه[٧].

والأَوَّل أَظهر؛ لأَنَّه أُعيذ منه ولم يُعَذ من الآخر، بل قيل فيه عليه السَّلام وله.

وقوله: ﴿تُؤْمِنُواْ لِى﴾ معناه: تؤمنوا بي، والمعنى: تصدقوا، وقوله: ﴿فَٱعْتَزِلُونِ﴾ مُتاركة صريحة، قال قتادة: أَراد: خَلُّوا سبيلي.

---

(١) وهي شاذة، ذكرها في البحر المحيط (٩/ ٤٠١)، بلا نسبة.
(٢) في السليمانية: «الآية»، وسقطت «هذا» من المطبوع.
(٣) في نجيبويه: «وتحرست».
(٤) ومعه حمزة والكسائي، فهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٤٤)، السبعة (ص: ٥٧٠)، وتقدمت في (سورة غافر) على الصواب.
(٥) انظر قوله في تفسير الطبري (٢٢/ ٢٧)، مع ما سيأتي عنه.
(٦) في نجيبويه: «سبب المخالفة»، وفي السليمانية: «بالسباب».
(٧) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٦)، وأثر ابن عباس أخرجه الطبري (٢١/ ٣١- ٣٢) من طريق عطية العوفي.

وقوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ﴾ قبله محذوف من الكلام تقديره: فما كفُّوا عنه، بل تطرَّقوا[١] إليه، وعَتَوْا عليه وعلى دعوته؛ فدعا ربَّه.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن، وابن أَبي إسحاق، وعيسى: (إنَّ هؤلاء) بكسر الأَلف من (إنَّ)[٢]، على معنى: قال إنَّ.

وقرأَ جمهور الناس، والحسن أَيضاً: ﴿أَنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ بفتح الأَلف، والقراءَتان حسنتان.

وحكم عليهم بالإجرام المُضَمَّن للكفر حين يئس منهم، وهنا أَيضاً محذوف من الكلام تقديره: فقال الله له: فَأَسْرِ بعبادي، وهذا هو الأَمر الَّذي أَنفذه الله إلى موسى بالخروج من ديار مصر ببني إسرائيل، وقد تقدَّم شرحه [وقَصَصُه في سورة الأَنبياءِ وغيرها][٣].

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿فَاسْر﴾ موصولة الأَلف.

وقرأَ: ﴿فَأَسْرِ﴾ بقطع الأَلف: الحسنُ، وعيسى، ورُويت عن أَبي عمرو[٤].

وأَعلمه تعالى بأَنَّهم مُتَّبَعُونَ، أَي: يتبعهم فرعون وجنوده.

واختلف المفسِّرون في معنى قوله تعالى: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾، متى قالها لموسى؟

فقالت فرقة: هو كلام متَّصل، إنَّكم مُتَّبَعون واترك البحر إذا انفرق لك رهْواً.

---

(١) في نجيبويه: «تترفوا».

(٢) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ١٣٨)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٣١)، و«ابن أبي إسحاق» سقط من المطبوع.

(٣) سقط من أحمد٣، وقوله «سورة الأنبياء» هكذا في بقية النسخ، ولعل الصواب: «سورة الشعراء» أو «طه».

(٤) القطع للجمهور، والوصل لنافع وابن كثير خاصة، كما تقدم في (سورة هود) على الصواب، انظر التيسير (ص: ١٢٥)، والسبعة (ص: ٣٣٨)، والنشر (٢/ ٢٩٠)، والوصل عن أبي عمرو رواية أبي بشر، ويونس عنه كما في الكامل (ص: ٣٨٨).

وقال قتادة وغيره: خوطب به بعد ما اجتاز[١] البحر وخشي أَن يدخل فرعون وقومه وراءَه، وأَن يخرجوا من تلك[٢] المسالك الَّتي خرج منها بنو إِسرائيل، فَهَمَّ موسى أن يضرب البحر عسى أَن يلتئم ويرجع إِلى حاله، فقيل له عند ذلك: ﴿ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًا ﴾.

واختلفت عبارة المفسرين في تفسير الرَّهْوِ:

فقال مجاهد وعكرمة: معناه: يَبَساً، من قوله تعالى: ﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا ﴾ [طه: ٧٧][٣].

وقال الضّحّاك بن مزاحم: معناه: دَمِثاً لَيِّناً[٤].

وقال عكرمة أَيضاً: جُدَداً، وقال ابن زيد: سهلاً.

وقال ابن عبّاس: معناه: ساكناً، أَي كما جُزْتَه[٥]، وهذا القول الأخير هو الّذي تؤيده اللُّغة؛ فإِنَّ العيش الرَّاهي هو الَّذي في خَفْضِ عيش[٦] ودَعَة وسكون، حكاه المبرِّد وغيره، والرَّهْوُ في اللُّغة هو هذا المعنى، ومنه قول عُمَيْر بن شُيَيْم القُطامي:

[البسيط] يَمْشِـينَ رَهْواً فَـلا الأَعْجَـازُ خَاذِلَةٌ ... وَلَا الصُّدُورُ عَلَى الأَعْجَازِ تَتَّـكِلُ[٧]

(١) في السليمانية: «بعدما أجاز»، وفي أحمد٣ والمطبوع: «بعد أن جاز».
(٢) من السليمانية.
(٣) انظر قولهما في تفسير الطبري (٢٢/ ٣٠).
(٤) في أحمد٣ بدلهما: «متتالياً»، وانظره مع القولين بعده في تفسير الطبري (٢٢/ ٣٠).
(٥) أخرج الطبري (٢١/ ٣٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سَمْتاً، وأخرجه في المصدر نفسه من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الرهو: أن يترك كما كان، فإنهم لن يخلُصوا من ورائه. وفي الأصل: «زيد» بدل «عباس».
(٦) من نجيبويه، وانظر قول المبرد في الهداية لمكي (١٠/ ٦٧٣٥).
(٧) انظر نسبته له في الأغاني (٢٤/ ٢٥)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢٥٠)، وزهر الآداب وثمر الألباب (٢/ ١٢)، والصناعتين الكتابة والشعر (١/ ١٤٦)، وجمهرة أشعار العرب (١/ ٢٤٢)، ونسبه الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٧٩) للأعشى، ولعله خطأ.

فإِنَّما معناه: يمشين اتئاداً وسكوناً وتماهُلاً، ومنه قول الآخر:

.... أَوْ أُمَّةٌ خَرَجَتْ رَهْواً إِلى عِيدِ[١] [البسيط]

أَي: خرجوا في سكون وتماهل، فقيل لموسى عليه السَّلام: اترك البحر ساكناً على حاله من الانفراق ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

والرَّهْوُ من أَسماءِ الكُرْكيِّ الطّائر، ولا مدخل له في تفسير هذه الآية، ويشبه عندي أَنَّه سُمِّي رهْواً لسكونه، وأَنَّه أَبداً على تماهل.

وقوله: ﴿كَمْ تَرَكُواْ﴾ الآيَةَ، قَبْلَهُ محذوف تقديره: فغرقوا وقطع الله دابرهم، ثمَّ أَخذ يعجب من كثرة ما تركوا من الأُمور الرَّفيعة الغبيطة[٢] في الدَّنيا.

و﴿كَمْ﴾ خبر للتَّكثير.

و«الجنَّاتُ والعيونُ»: رُوي أَنَّها كانت متَّصلة على ضفتيِ النيل جميعاً من رشيد إِلى أَسوان.

وأَمَّا «العيون»: فيحتمل أَنَّه أَراد الخلجان الخارجة من النيل فشبَّهها بالعيون، ويحتمل أَنه كانت ثَمَّ عيونٌ ونضبت، كما يعتري في كثير من بقاع الأَرض.

وقرأَ قتادة، ومحمد بن السَّميفع اليمانيُّ، ونافع في رواية خارجة عنه: (وَمُقَام) بضمِّ الميم[٣]، أَيْ مَوضع إِقامة، وكذلك قرأَ اليمانيُّ في كلِّ القرآن إِلاَّ في مريم / ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ [مريم: ٧٣]، فكأَنَّ المعنى: كم تركوا من موضع حسن كريم في قدره ونفعه. [٥/ ٧٩]

وقرأَ جمهور النّاس، ونافع: ﴿وَمَقَامٍ﴾ بفتح الميم، أَي موضع قيام.

فعلى هذه القراءَة قال ابن عبّاس، ومجاهد، وابن جبير: أَراد المنابر[٤].

---

(١) البيت لعطارد بن قران الحنظلي كما في الكنز اللغوي لابن السكيت (١/ ٥٥)، وصدره: طيرٌ رأَتْ بازياً نَضْخُ الدماء بِهِ.

(٢) في المطبوع ونجيبويه والسليمانية: «العظيمة».

(٣) هي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٣٢)، والبحر المحيط (٩/ ٤٠٢).

(٤) انظر قولهما في تفسير الطبري (٢٢/ ٣٠)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٥٢)، وقول ابن عباس أخرجه ابن أبي =

وعلى ضمِّ الميم في (مُقَام) قال قتادة: أَراد المواضع الحسان من المساكن وغيرها[(١)]، والقول بالمنابر يَهي[(٢)] جدّاً.

و«النَّعْمَةُ» بفتح النّون: غضارة[(٣)] العيش ولذاذة الحياة.

والنِّعمة بكسر النون: أَعَمُّ من هذا؛ لأَنَّ النَّعمة بالفتح هي من جملة النِّعم بالكسر، وقد تكون الأَمراضُ والآلام والمصائب نِعَماً، ولا يقال فيها نَعْمة بالفتح.

وقرأَ أَبو رجاءٍ: (وَنَعْمَةً) بالنَّصب[(٤)].

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿فَٰكِهِينَ﴾ بمعنى: ناعمين.

و«الفَاكهُ»: الطَّيِّب النّفس، أَو يكون بمعنى: أَصحاب فاكهة؛ كلابِنٍ وتامرٍ.

وقرأَ أَبو رجاءٍ، والحسن بخلاف عنه، وابن القعقاع: ﴿فكِهِينَ﴾[(٥)].

ومعناه قريب من الأَوَّل، لكنَّ[(٦)] [الفَكَه يُستعمل][(٧)] كثيراً في المستخفِّ المستهزئ، فكأَنَّه هاهنا يقول: كانوا[(٨)] في هذه النَّعمة مُسْتَخفِّين بشكرها والمعرفة بحقها[(٩)].

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا﴾ معناه: الأَمر كذلك، وسَمَّاهُ[(١٠)] وراثة من حيث

= حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (١٣/ ٢٧٢). وفي الحمزوية: «قتادة» بدل «مجاهد».

(١) في تفسير الطبري (٢٢/ ٣٢) عنه: أي حسن، وفي تفسير الثعلبي (٨/ ٣٥٢): حسن كريم.

(٢) في الحمزوية ونجيبويه: «نهي».

(٣) في السليمانية: «النعمة بفتح العين». وفيها وفي أحمد**٣**: «خضارة» بدل «غضارة».

(٤) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٩/ ٤٠٢).

(٥) وهي عشرية، انظر النشر (٢/ ٣٥٤)، وانظر قراءة الباقين في البحر المحيط (٩/ ٤٠٢).

(٦) في الأصل ونجيبويه ونور العثمانية: «لأن».

(٧) في نجيبويه: «الفاكهة تستعمل»، وفي نور العثمانية: «الفكهة تستعمل».

(٨) في أحمد**٣**: «كونوا».

(٩) في الأصل: «بقدرها».

(١٠) في السليمانية: «سماها»، وورد ما قبل هذا في أحمد**٣** كالآتي: «كذلك المعنى والأمر كذلك وأورثناها وراثة...».

كانت أَشياءَ أناس وصلت إِلى قوم آخرين من بعد موت الأَوَّلين، وهذه حقيقة الميراث في اللُّغة، وربطها الشَّرع بالنَّسب وغيره من أَسباب الميراث.

و«الآخرون»: من مَلَك مصر بعد القبط، وقال السدي وقتادة: القوم الآخرون هم بنو إِسرائيل(١)، وهذا ضعيف لأَنَّه لم يُرْوَ [في مشهور التَّواريخ](٢) أَنَّ بني إِسرائيل رجعوا إِلى مصر في شيءٍ من ذلك الزَّمان ولا ملكوها قطُّ، إِلَّا أَن يريد قتادة أَنَّهم ورثوا نوعها في بلاد الشّام.

وقد ذكر الثّعلبيُّ عن الحسن: أَنَّ بني إِسرائيل رجعوا إِلى مصر بعد هلاك فرعون(٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

نفت هذه الآية أَن تكون السَّماءُ والأَرض بكت على قوم فرعون، فاقتضى اللَّفظ أَنَّ للسَّماءِ والأَرض بكاءً(٤)، واختلف المتأَوِّلون في معنى ذلك:

فقال عليُّ بن أَبي طالب، وابن عبّاس(٥)، ومجاهد، وابن جبير: إِنَّ الرَّجل

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٣). و«السدي» من أحمد٣. وليست فيه: «القوم الآخرون».

(٢) من الحمزوية ونور العثمانية والأسدية٣، وفي المطبوع ونجيبويه: «في التواريخ»، وفي السليمانية: «لم ير».

(٣) انظر هذا المعنى في تفسير الثعلبي، (٥/ ١٤٨) ففيه: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أنزلنا ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بعد هلاك فرعون ﴿مُبَوَّأَ﴾ منزل ﴿صِدْقٍ﴾ يعني خير،... الضحاك: هي مصر والشام، وفي (٦/ ١٤٠): ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي من بعد هلاك فرعون وقومه ﴿لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ يعني مصر والشام. وليس في الموضعين ذكر الحسن.

(٤) الفقرة السابقة وردت في أحمد٣ كما يلي: «نفي اقتضى أن للسماء والأرض بكاء».

(٥) روي عنهما من طرق لا تخلو من ضعف، أما أثر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخرجه ابن المبارك في «الزهد» كما في زوائد المروزي (٣٣٦)، وأبو داود في الزهد (١٠٧)، وعلي بن الجعد في مسنده (٢٣٠٥) من طريق عاصم بن أبي النجود، عن المسيب بن رافع، عن علي بن أبي طالب قال: إن =

المؤمن إِذا مات بكى عليه من الأَرض موضع عبادته أَربعين صباحاً، وبكى عليه من السَّماءِ موضع صعود عمله [أربعين صباحاً][(١)]، قالوا: فلم يكن في قوم فرعون مَنْ هذه حاله، فهذا معنى الآية.

وقال السُّديُّ، وعطاءٌ: بكاءُ السَّماءِ حُمْرَةُ أَطرافها، وقالوا: إِنَّ السماءَ احمرَّت يوم قتل الحسين بن علي بن أَبي طالب[(٢)]، وكان ذلك بكاءً عليه، وهذا هو معنى الآية.

قال القاضي أَبو محمد: والمعنى الجيِّد في الآية أَنَّها استعارة باهية[(٣)] فصيحة تتضمَّن تحقير أَمرهم، وأَنَّهم لم يتغيَّر عن هلاكهم شيءٌ، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦]، على قراءَة من قرأَ: ﴿لِتَزُولَ﴾ بكسر اللَّام ونصب الفعل وجَعْل ﴿إِنْ﴾ نافيةً[(٤)]، ومثل هذا المعنى قول النَّبيِّ ﷺ: «لا يَنْتَطِحُ فيها عنزان»[(٥)]، فإِنَّه يتضمَّن التَّحقير، لكنَّ هذه الألفاظ هي بحسب ما قيلت فيه،

= المؤمن إذا مات بكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثم تلا: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾، ومن طريق علي بن أبي الجعد أخرجه الضياء في المختارة (٧٤١) به، وقد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما عند ابن كثير (٧/ ٢٥٤) من طريق المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله الأسدي، عن علي بنحوه. والإسنادان ضعيفان، أما أثر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقد روي عنه من أكثر من طريق بألفاظ مختلفة، الأول: طريق سعيد بن جبير أخرجه الطبري (٢١/ ٤٢)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٣٢٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٢٨٨) من طريق منصور، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير به، والمنهال فيه كلام، الثاني: مجاهد أخرجه ابن المبارك في الزهد كما في زوائد المروزي (٣٣٨)، ووكيع في الزهد (٨١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٩٣٠) من طريق أبي يحيى القتات، عن مجاهد به قَالَ: الأَرْضُ تَبْكِي عَلَى الْمُؤْمِنِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً، وأبو يحيى القتات الكوفي الكناسي، هو زاذان فيه ضعف، الثالث: عطية العوفي أخرجه الطبري (٢١/ ٤٣- ٤٤) من طريق عطية العوفي، به بنحوه.

(١) من نور العثمانية والسليمانية.

(٢) انظر الأقوال كلها في تفسير الطبري (٢٢/ ٣٣)، وانظر تفسير الثعلبي (٨/ ٣٥٣).

(٣) في المطبوع: «بارعة»، وفي الحمزوية والسليمانية: «ناهية».

(٤) وهي قراءة الجمهور كما تقدم في محله.

(٥) موضوع، هذا جزء من حديث أخرجه القضاعي في مسنده (٨٥٦-٨٥٧)، وابن عدي في الكامل =

وهو قتل المرأة الكافرة الَّتي كانت تؤذي النَّبيَّ ﷺ، وعُظْم قصة فرعون وقومه يجيءُ بحسبها جمال الوصف وبهاءُ العبارة في قوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾، ومن نحو هذا أن يعكس قول جرير:

لَمَّـا أَتَـى خَبَـرُ الزُّبَيْـرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ الْمَدِينَةِ والجِبَال الْخُشَّعُ[1] [الكامل]

فيقال في التَّحقير: مات فلانٌ فما خشعت الجبال، ونحو هذا.

وفي الحديث عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «ما ماتَ مؤمن في غربة غابت عنه فيها بَوَاكيه إِلَّا بَكَت عليه السَّماءُ والأَرض، ثمَّ قرأَ هذه الآية وقال: إِنَّهما لا يبكيان على كافر»[2].

ومن التَّفخيم ببكاءِ المخلوقات العظام قول يزيد بن مُفَرِّغ:

= (٦/ ١٤٥) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥١/ ٢٢٤-٢٢٥) من طريق محمد بن الحجاج اللخمي، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن ابن عباس قال: هجت امرأة من بني خطمة النبي ﷺ بهجاء لها، فبلغ ذلك النبي ﷺ فاشتد عليه ذلك وقال: «من لي بها» فقال رجل من قومها: أنا يا رسول الله، وكانت تمارة تبيع التمر قال: فأتاها فقال لها: عندك تمر؟ فقالت: نعم فأرته تمراً، فقال: أردت أجود من هذا، قال: فدخلت لتريه، قال: ودخل خلفها فنظر يميناً وشمالاً فلم ير إلا خواناً، قال: فعلا به رأسها حتى دمغها به، قال ثم أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله قد كفيتكها قال فقال النبي ﷺ: «أما إنه لا ينتطح فيها عنزان» فأرسلها مثلاً، ومحمد بن الحجاج اللخمي ـ أبو إبراهيم ـ الواسطي قال فيه ابن معين: كذاب خبيث، وقال البخاري: منكر الحديث، قال ابن عدي: ولم يروه عن مجالد غير محمد بن الحجاج وجميعاً مما يتهم محمد بن الحجاج بوضعها. اهـ، ومن طريق ابن عدي أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٧٥) به، وأخرجه القضاعي في مسنده (٨٥٨) من طريق الواقدي، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن فضيل، عن أبيه فذكره، والواقدي متهم بالكذب، قال ابن الأثير في غريب الحديث (٥/ ١٦٢): «لا يَنْتَطِح فيها عَنْزان» أي لا يَلْتَقي فيها اثنان ضعيفان لأن النِّطاح من شأن التُّيوس والكِباش لا العُنوزِ. وهو إشارة إلى قَضية مخصوصة لا يَجْري فيها خُلْف ونِزاعٌ. ا. هـ.

(١) تقدم في تفسير الآية (٧٤) من (سورة البقرة).

(٢) مرسل، أخرجه الطبري (٢١/ ٤٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٨٨٨) من طريق صفوان ابن عمرو، عن شريح بن عبيد الحضرمي، مرسلاً، وشريح بن عبيد بن شريح بن عبد بن عريب الحضرمي المقرائي ـ أبو الصلت ـ ثقة وكان يرسل كثيراً.

[مجزوء الكامل] فَـالـرِّيـحُ تَـبْـكِـي شَـجْـوَهَـا والْـبَـرْقُ يَـلْـمَـعُ فـي الْغَـمَـامَـهْ[١]

وقول الفرزدق:

[البسيط] فالشَّـمسُ طَالِعَـةٌ لَيْسَـتْ بِكَاسِـفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومَ اللَّيْلِ والْقَمَرَا[٢]

ومُنْظَرِينَ معناه: مُؤَخَّرين وممهلين[٣].

ثمَّ ذكر تعالى نعمته على بني إسرائيل في إِنجائهم من فرعون وقومه.

و«الْعَذَابُ الْمُهين»: هو ذبح الأَبناءِ والتَّسخير في المِهَنِ كالبنيان والحفر وغيره.

وفي قراءَة ابن مسعود: (مِن عَذَاب الْمُهين) بسقوط التَّعريف بالأَلف واللّام من ﴿ٱلْعَذَابِ﴾[٤].

وقوله: ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ بدل من قوله: ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾.

و﴿مِن﴾ بكسر الميم هي قراءَة الجمهور.

وروى قتادة أَنَّ ابن عبّاس كان يقرؤُها: (مَنْ) بفتح الميم (فِرْعَوْنُ) برفع النون[٥].

وقوله: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أَي على شيءٍ قد سبق عندنا فيهم وثبت في علمنا أَنَّه سينفذ.

وقوله: ﴿عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ يريد: على جميع النّاس، هذا على التأْويل المتقدِّم في العلم، والمعنى: لقد اخترناهم[٦] لهذا الإنجاءِ[٧] وهذه النِّعم على سابق علم لنا فيهم، وخصصناهم بذلك دون العالم.

---

(١) انظر عزوه له في تفسير الثعلبي (٣/ ١٣)، والأغاني (١٨/ ٢٦٩)، وطبقات فحول الشعراء (٢/ ٦٨٨).

(٢) هكذا نسبه للفرزدق في جميع النسخ، وقد تابعه الألوسي في روح المعاني (٢٥/ ١٢٤)، والصَّحيح أَنَّ البيت لجرير، يرثي عمر بن عبد العزيز، انظر الفروق اللغوية (١/ ٢١٥)، وتهذيب اللغة (٣/ ٣٣٢)، والصحاح للجوهري (٤/ ١٠٧).

(٣) كتبت في المطبوع: «مهملين».

(٤) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٤١)، ومختصر الشواذ (ص: ١٣٨).

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤٣١)، البحر المحيط (٩/ ٤٠٤).

(٦) في السليمانية: «أخبرناهم».

(٧) في نجيبويه: «الإيجاد».

ويحتمل قوله: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أن يكون معناه: على علم لهم وفضائل فيهم[١]، والمعنى: اخترناهم للنُّبوات والرِّسالات، فيكون قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في هذا التَّأْويل معناه: على عالَم زمانهم، وذلك بدليل فضل أُمَّة محمد ﷺ لهم وعليهم، وأَنَّ أُمَّة محمد ﷺ هي خير أُمَّة أُخرجت للنَّاس.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ لفظ جامع لمعجزات موسى، وللعبر الَّتي ظهرت في قوم فرعون من الجراد [والقُمَّل والضَّفادع][٢]، وغير ذلك، ولِمَا أَنعم به على بني إِسرائيل من تظليل الغمام والمَنِّ والسَّلوى [وغير ذلك][٣]، فإِنَّ لفظ الآيات يعُمُّ جميع هذا.

و«الْبَلَاءُ» في هذا الموضع: الامتحان والاختبار، وهذا كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

و﴿مُّبِينٌ﴾ هنا بمعنى: بَيِّن.

ثمَّ ذكر تعالى قريشاً وحكى عنهم ـ على جهة الإِنكار لقولهم حين أَنكروا فيه ما هو جائز في العقل – فقال: / ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾، أَي: [٥/ ٨٠] ما آخر أَمرنا ومُنْتَهى وجودنا إِلَّا عند موتتنا، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾؛ أَي: بمبعوثين [من القبور][٤]، يقال: أَنْشَرَ الله الميت فَنَشَر هُوَ.

وقول قريش: ﴿فَأْتُوا۟﴾ مخاطبة للنَّبيِّ ﷺ، إِلَّا أَنَّه من حيث كان النَّبيُّ ﷺ مسنداً[٥] في أقواله وأَفعاله إِلى الله تعالى وبواسطة ملك خاطبوه كما تخاطب الجماعة

---

(١) في أحمد٣: «وفصل لهم».

(٢) سقط من أحمد٣، وفيه: «وغيره».

(٣) ليس في أحمد٣.

(٤) سقط من نجيبويه وأحمد٣ والمطبوع.

(٥) في الأصل: «مسنداً»، وفي الحمزوية: «مرشداً».

وهم يريدونه وربَّه وملائكته، واستدعاء الكفّار في هذه الآية أَن يحيي لهم بعض آبائهم ـ وسَمُّوا قُصَيّاً ـ لكي يسأَلوهم عمَّا رأَوْا[١] في آخرتهم[٢].

ولم يستقص في هذه الآية الرَّدَّ عليهم لبيانه، [ولأنه مثبوت][٣] في غير ما آية من كتاب الله، فإِنَّ الله تعالى قد جزم البعث من القبور في أَجل مسمًّى لا يتعدَّاه أَحد، وقد بَيَّنت الأَمثلةُ من الأَرض الميتة وحال النَّبات أَمْرَ البعث من القبور.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١) إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٢) إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤)﴾.

قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾ الآية؛ تقرير فيه وعيدٌ، وتُبَّعٌ ملك حِمْيري، وكان يقال لكلِّ مِلِك فيهم: تُبَّع، إِلَّا أَنَّ المشار إِليه في هذه الآية رجل صالح من التَّبابعة، قال كعب الأَحبار: ذمَّ الله تعالى قومه ولم يَذُمَّه[٤]، ونهى العلماءُ عن سبِّه.

وروي عن النَّبيِّ ﷺ من طريق سهل بن سعد: أَنَّ تُبَّعاً هذا أَسلم وآمن بالله[٥].

---

(١) في نجيبويه: «أرادوا».

(٢) ضعيف، هذا جزء من قصة طويلة أخرجها الطبري (١٥/ ٨٧-٨٨-٨٩-٩٠) من طريق يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن شيخ من أهل مصر، عن عكرمة، عن ابن عباس فذكره. وهذا إسناد ضعيف؛ من أجل جهالة شيخ محمد بن إسحاق.

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «وإِثباته»، وفي الأصل والأسدية٣: «مبثوث».

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٠)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٥٤).

(٥) لا يصح مرفوعاً، أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٠)، وابن وهب في الجامع (٤)، والطبري (٢١/ ٤١٨)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٧/ ٢٥٨)، والروياني في مسنده (١٠٩٣)، والطبراني في الكبير (٦٠١٣)، وفي الأوسط (٣٢٩٠) وغيرهم من طريق عبد الله بن لهيعة، عن أبي زرعة عمرو بن جابر، سمعت سهل بن سعد الساعدي يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا تبعاً فإنه قد=

ورُوي: أَنَّ ذلك كان على يد أَهل كتاب كانوا بحضرته.

وقال ابن عبّاس: كان تُبَّع نبيّاً[١].

وروى أَبو هريرة عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «ما أَدري أَكان تُبَّع نبيّاً أَو غير نبيٍّ»[٢].

= أسلم»، وعمرو بن جابر الحضرمي أبو زرعة المصري متفق على ضعفه ومنهم من كذبه، ومن طريق أحمد أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/ ٥)، والثعلبي في تفسيره (٨/ ٣٥٤) به.
وله شاهد من حديث ابن عباس، وعائشة، أما حديث ابن عباس فقد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٧/ ٢٥٨)، والطبراني في الكبير (١١٧٩٠)، وفي الأوسط (١٤١٩)، والخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٢٠٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/ ٦)، من طريق أحمد بن محمد بن القاسم بن أبي بزة، عن مؤمل بن إسماعيل، عن الثوري، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعاً بنحوه، وأحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن أبي بزة المقرئ، قال أبو حاتم: روى حديثاً منكراً، وكان ضعيف الحديث، وقال العقيلي: منكر الحديث ويوصل الأحاديث، وانظر ترجمته في الجرح والتعديل (٢/ ٧١)، والضعفاء للعقيلي (١/ ١٢٧).
وأما عن عائشة رضي الله عنها فأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥١) من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة أنها قالت: كان تبع رجلاً صالحاً ألا ترى أن الله عز وجل ذم قومه ولم يذمه، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقد أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٠٨) عن معمر، والطبري (٢١/ ٥٠) من طريق محمد بن ثور كلاهما ـ عبد الرزاق، وابن ثور ـ عن معمر، عن قتادة، عن عائشة به.
وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/ ٦) من طريق عبد الرزاق، عن بكار بن عبد الله قال: سمعت وهب بن منبه يقول: نهى رسول الله ﷺ الناس عن سب أسعد وهو تبع، قلنا: يا أبا عبد الله وما كان أسعد قال: كان على دين إبراهيم، وكان إبراهيم يصلي كل يوم صلاة ولم تكن شريعة. وهو مرسل، وفي السليمانية: «سهل بن عبد الله».

(١) هذا القول لم أقف عليه مسنداً، وإنما جاء عن ابن عباس كما عند ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/ ٦) من طريق زكريا بن يحيى البدي، عن عكرمة، قال سمعت ابن عباس يقول: لا يشتبهن عليكم أمر تبع فإنه كان مسلماً. وزكريا بن يحيى البدي ضعيف، وأخرج ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (١٣/ ٢٧٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا تقولوا لتبع إلا خيراً؛ فإنه قد حج البيت وآمن بما جاء به عيسى ابن مريم.

(٢) الصواب فيه الإرسال، بهذا اللفظ أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٣٦)، والثعلبي (٨/ ٣٥٤)، والبغوي (٧/ ٢٣٥) من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن أبي ذئب، عن المقبري، =

وقال ابن جبير: هو الّذي كسا الكعبة[١].

وقد ذكره ابن إسحاق في السِّيرة[٢]، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ يريد: بالكفر[٣].

وقرأت فرقة: (أَنَّهُمْ) بفتح الأَلف[٤]، وقرأ الجمهور بكسرها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ﴾ الآيةَ؛ إِخبارٌ فيه تنبيه وتحذير.

وقوله: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ يريد: بالواجب [المقتضي للخيرات][٥] وفيض الهبات.

و﴿يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ هو يوم القيامة، وهذا هو الإِخبار بالبعث، وهو أَمر جوَّزه العقل وأَثبته الشَّرع بهذه الآية وغيرها.

و«المولى» في هذه الآية يعُمُّ جميع الموالي من القرابات وموالي العتق وموالي الصَّداقة.

وقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ إِن كان الضَّمير يراد به العالم، فيصحُّ أَن يكون ﴿مَن﴾ في قوله: ﴿إِلَّا مَن﴾ [في موضع نصب على الاستثناءِ المتَّصل، وإِن كان الضَّمير يراد به الكفَّار، فالاستثناءُ منقطع.

= عن أبي هريرة، مرفوعاً به، وأخرجه الحاكم (٢/ ٤٥١)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٣٢٩)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ١١٠) من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله، ﷺ: «ما أدري تبّع لعين أم لا؟ وما أدري ذو القرنين نبي أم لا؟ وما أدري الحدود كفارات لأهلها أم لا»، وقد رواه هشام الصنعاني، عن معمر، عن ابن أبي ذئب، عن الزهري مرسلاً، قال البخاري: وهو أصح ولا يثبت هذا عن النبي ﷺ؛ لأن النبي ﷺ قال: «الحدود كفارات»، وقال ابن عبد البر: زعم الدارقطني أنه انفرد عبد الرزاق بهذا الإسناد.

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل (٢/ ١٠٧٧).

(٢) سيرة ابن إسحاق (ص: ٥٢)، سيرة ابن هشام (١/ ٢٣). ولفظة «والله أعلم» ليست في أحمد٣.

(٣) في السليمانية: «يريد الكفرة».

(٤) وهي شاذة، لم أجد له فيها سلفاً ولا خلفاً، وقد أشار الكرماني في الشواذ (ص: ٤٣٢)، إلى جوزاها.

(٥) في المطبوع بدلًا منه: «المفضي إِلى الخيرات»، وفي السليمانية: «المقتضي للحق»، مع الإشارة «للخيرات» في الهامش.

ويصحُّ أَن يكون][1] في موضع رفع على الابتداءِ والخبر مقدَّر، تقديره: فإِنَّه[2] يغني بعضهم عن بعض في الشفاعة ونحوها، أَو يكون تقديره: فإِنَّ الله ينصره.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾، رُوي عن ابن زيد: أَن الأَثِيم المشار إِليه هو أَبو جهل[3]، ثمّ هي بالمعنى تتناول كلَّ أَثيم [وهو كل فاجر][4] يكتسب الإِثم.

ورُوي عن همام[5]: أَنَّ أَبا الدَّرداءِ أَقرأَ أَعرابيّاً، فكان يقول: طعام اليتيم، فردَّ عليه أَبو الدَّرداءِ مراراً فلم يُلَقَّن، فقال له: قل: طعام الفاجر[6]، فقرئت كذلك، وإِنَّما هي على التَّفسير[7].

و﴿شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾: هي الشَّجرة الملعونة في القرآن، وهي تنبت في أَصل الجحيم، [وهي التي طلعها كأنه رؤوس الشياطين][8].

وروي: أَنَّ أَبا جهل لمَّا نزلت هذه الآية فيه وأَشار النّاس بها إِليه، صنع[9] عجوة بزُبْد، ودعا إِليها ناساً، فقال لهم: تزقَّموا فإِنَّ الزقوم هو عجوة يُثْرَدُ[10] بالزبد وهو طعامي الذي حدَّث به محمد[11].

---

(١) سقط من نجيبويه.

(٢) في أحمد٣: «كأنه».

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٣). وفي أحمد٣: «أن الأثيم كل فاجر»، دون ذكر أبي جهل.

(٤) في المطبوع والسليمانية بدلًا منه: «وكلَّ تاجر»، وفي نجيبويه: «وكل فاجر»، و«المشار له» ليست في السليمانية.

(٥) في الأصل: «عن ابن زيد» بدل «همام»، وهمام هو ابن الحارث تقدم في (سورة النساء).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥٩٨٦)، والطبري (٢١/ ٥٤)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٥٢) من طريق الأعمش، عن إبراهيم النخعي، عن همام بن الحارث، عن أبي الدرداء به.

(٧) انظر إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٨٨)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٧٥٢).

(٨) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٩) في أحمد٣: «جمع».

(١٠) في نور العثمانية والسليمانية: «يثرب».

(١١) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٥٢) من قول السدي.

وإِنَّما قصد بذلك ضرباً من المغالطة والتَّلبيس على الجهلة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

قال ابن عبّاس، وابن عمر رضي الله عنهما: المُهْل: درديُّ الزيت وعكره[1].

وقال ابن مسعود[2]، وابن عبّاس أَيضاً: المهْلُ: ما ذاب من ذهب أَو فضة أَو

(١) قول ابن عباس له طرق يتقوى بها، فقد أخرجه الطبري (٢١/ ٥٥) من طريق محمد بن الصلت، عن أبي كدينة، عن قابوس، عن أبيه، قال: سألت ابن عباس عن قول الله تعالى ﴿كَالْمُهْلِ﴾. قال: كدُرْدِي الزيت، وقابوس بن أبي ظبيان فيه لين.
وأخرجه أيضاً الطبري (٢١/ ٥٥)، والبيهقي في البعث من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أسود كمهل الزيت. وإسناده حسن.
وأخرجه الطبري أيضاً في تفسيره، وهناد بن السري في الزهد (٢٨٣) من طريق عن مطرف، عن عطية العوفي، عن ابن عباس قال: ماء غليظ كدردي الزيت.
وأخرجه الطبري في تفسيره من طريق شعبة، عن خليد، عن الحسن، عن ابن عباس رضي الله عنه: أنه رأى فضة قد أُذيبت، فقال: هذا المهل.
وقول ابن عمر أخرجه الطبري (٢١/ ٥٧) من طريق ابن المبارك، عن أبي الصباح سعدان بن سالم، عن يزيد بن أبي سمية قال: سمعت ابن عمر يقول: هل تدرون ما المهل؟ المهل: مهل الزيت يعني آخره. وإسناده لا بأس به.

(٢) صحيح بطرقه، أخرجه الطبري (٢١/ ٥٦)، والطبراني في الكبير (٩٠٨٣) من طريق عمرو بن ميمون، عن أبيه، قال: دخل عبد الله بيت المال، فأخرج بقايا كانت فيه، فأوقد عليها النار حتى تلألأت، قال: أين السائل عن المهل، هذا المهل، وأخرجه الطبري (٢١/ ٥٧) من طريق الأعمش، عن عبد الله بن سفيان، عن ابن مسعود، به، وأخرجه الطبراني في الكبير (٩٠٨٢) من طريق يحيى الحماني، =

حديد أَو رصاص ونحوه، قال الحسن: كان ابن مسعود على بيت المال لعمر بالكوفة، فأَذاب يوماً فضَّةً مكسَّرة، فلمَّا انماعت قال: يدخل من بالباب، فدخلوا، فقال لهم: هذا أَشبه ما رأَينا في الدُّنيا بالمهْل[(١)].

والمعنى: أَنَّ هذه الشَّجرة إِذا طَعِمَها الكافر في جهنَّم صارت في جوفه تفعل كما يفعل المُهْل السّخن من الإِحراق والإِفساد.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وعاصم في رواية أَبي بكر: ﴿تَغْلِي﴾ بالتَّاءِ، [على معنى تغلي][(٢)] أَي: الشَّجرة، وهي قراءَة عمرو بن ميمون، وأَبي رزين، [والحسن، والأَعرج، وأَبي جعفر، وشيبة، وابن محيصن، وطلحة.

وقرأَ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم في رواية حفص: ﴿يَغْلِى﴾ باليَاءِ على معنى يغلي الطَّعام، وهي قراءَة مجاهد، وقتادة][(٣)] والحسن بخلاف عنه[(٤)].

و﴿ٱلْحَمِيمِ﴾: الماءُ السُّخن الَّذي يتطاير من غليانه.

وقوله: ﴿خُذُوهُ﴾ الآيَةَ؛ معناه: يقال يومئذ للملائكة عن هذا الأَثيم: خذوه فاعتلوه.

= عن وكيع، عن سلمة بن نبيط، عن الضحاك: أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أذاب فضة من بيت المال ثم أرسل إلى أهل المسجد فقال: من أراد أن ينظر إلى المهل فلينظر إلى هذا. ويحيى الحماني ضعيف، والضحاك بن مزاحم لم يسمع من ابن مسعود، وأثر ابن عباس تقدم وسنده صحيح. وسقط ذكر ابن مسعود من نجيبويه.

(١) منقطع، أخرجه الطبري (٢١/ ٥٦) من طريق أشعث، وعوف كلاهما عن الحسن البصري قال: بلغني أن ابن مسعود ... فذكره.

(٢) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٣) سقط من الحمزوية، وسقط ذكر أَبي جعفر وشيبة من الأصل، وذكر قتادة من المطبوع، وفي السليمانية وأحمد٣: «بعده بخلاف».

(٤) فهما سبعيتان، إلا أن ابن عامر إنما قرأ بالتاء، كما في السبعة (ص: ٥٩٢)، والتيسير (ص: ١٩٨)، والنشر (٢/ ٣٧١)، والياء رواية التغلبي عنه كما في جامع البيان (٤/ ١٥٨٢)، والكامل للهذلي (ص: ٦٣٥)، وانظر الباقين في البحر المحيط (٩/ ٤٠٨).

و«الْعَتْلُ»: السَّوْق بعنف وإِهانة ودفْع قويٍّ متَّصل، كما يُساق أَبداً مرتكب الجرائم.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: ﴿فَاعْتُلُوهُ﴾ بضمِّ التَّاءِ، والباقون بكسرها، وقد
/ رُوي الضمُّ عن أَبي عمرو، وكذلك روي الوجهان عن الحسن، وقتادة، والأَعرج[١]. [٥/ ٨١]

و«السَّوَاءُ»: الوسط، وقيل: المعْظَم، [وذلك متلازم، في العظم][٢] أَبداً من مثل هذا إِنَّما هو في الوسط، وفي الآية ما يقتضي أَنَّ الكافر يُصَبُّ على رأسه من حميم جهنَّم، وهو ما يغلي فيها من ذَوْب، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

وإِلى هذا نظر بعض ولاة المدينة، فإِنَّه كان يصبّ الخمر على رأْس الّذي شربها أَو توجد عنده عقوبةً له وأَدباً، ذكر ذلك ابن حبيب في «الواضحة»[٣].

وقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ مخاطبة على معنى التَّقريع.

ويروى عن قتادة: أَنَّ أَبا جهل قال لمَّا نزلت ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾: أَيَتَهَدَّدُني محمد وأَنا ما بين جَبَلَيْهَا أَعزُّ منّي ولا أَكرم؟ فنزلت هذه الآيات وفي آخرها ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[٤]، أَي: على قولك، وهذا كما قال جرير:

[البسيط] أَلَمْ يَكُنْ في وُسُومٍ قَدْ وَسَمْتُ بهَا ... مَنْ حَانَ موعظة يا زَهْرَةَ اليَمَنِ[٥]

---

(١) فهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٨)، والسبعة (ص: ٥٩٢)، وجعل الضم عن أبي عمرو من رواية عبيد.
(٢) سقط من الحمزوية وأحمد٣، وسقطت «في العظم» من المطبوع، وفي السليمانية: «للمعظم».
(٣) لم أقف عليه.
(٤) مرسل، أخرجه الطبري (٢١/ ٦١) من طريق معمر، وسعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة، فذكره بنحوه.
(٥) البيت لجرير كما في الخصائص (٢/ ٤٦١)، وسر صناعة الإعراب (١/ ٤٠٥). وفي السليمانية: «خان»، وفي أحمد٣: «حال».

يقولها للشاعر الذي يسمي نفسه به، وذلك في قوله:

[البسيط] أَبْلِغْ كُلَيْباً وَأَبْلِغْ عَنْكَ شَاعِرَهَا ... أَنِّي الأَعَزُّ وَأَنِّي زَهْرَةُ الْيَمَنِ[١]

فجاءَ بيت جرير على جهة الهُزْءِ.

وقرأَ الجمهور: ﴿إِنَّكَ﴾ بكسر الأَلف، وقرأَ الكسائيُّ وحده: ﴿أَنَّكَ﴾ بفتح الأَلف[٢].

والمعنى واحد في المقصد وإِن اختلف المأْخذ إِليه، وبفتح الأَلف قرأَها على المنبر الحسن بن علي بن أَبي طالب، أَسندها إِليه الكسائيُّ واتَّبعه فيها[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ عبارةٌ عن قول يقال للكفرة عند عذابهم، أَي: هذه الآخرة وجهنَّم الَّتي كنتم [تشكُّون فيها][٤].

ثمَّ ذكر تعالى حالة المتَّقين بعقب ذكر حالة الكفار ليبين الفرق[٥].

وقرأَ نافع، وابن عامر: ﴿في مُقامٍ أمين﴾ بضمِّ الميم، وهي قراءَة أَبي جعفر، وشيبة، وقتادة، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، والحسن، والأَعرج.

وقرأَ الباقون: ﴿فِى مَقَامٍ﴾ بفتح الميم، وهي قراءَة أَبي رجاءٍ، وعيسى، ويحيى، والأَعمش[٦].

و﴿أَمِين﴾ معناه: تؤمن فيه الغِيَر، فكأَنَّه فعيل بمعنى مفعول، أَي: مأْمون فيه.

---

(١) ورد هذا البيت في المصادر السابقة منسوباً لشاعر يهجو جريراً دون ذكر اسم له.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٨)، والسبعة (ص: ٥٩٣).

(٣) عزاها للحسن رضي الله عنه في معاني القرآن للنحاس (٦/ ٤١٤)، ولم أجده مسنداً. وفي الأصل: «الحسين»، وذكر المنبر سقط من الحمزوية.

(٤) في السليمانية: «تسأَلون عنها».

(٥) في السليمانية قبله زيادة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ الآية.

(٦) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٩٣)، والتيسير (ص: ١٩٨)، والنشر (٢/ ٣٧١)، والباقين في البحر المحيط (٩/ ٤٠٨).

وكسر عاصم العين من ﴿عِيُونٍ﴾[١]، قال أَبو حاتم: وذلك مردود عند العلماءِ[٢]، ومثله: شِيُوخٌ وبِيُوتٌ [بكسر الشِّين والباءِ][٣].

و«السُّنْدُسُ»: رقيق الحرير، و«الإِسْتَبْرَقُ»: خَشِنُه.

وقرأَ ابن محيصن: (وَاسْتَبْرَقَ) بألف الوصل وفتح القاف[٤].

وقوله: ﴿مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ وصف لمجالس أَهل الجنَّة؛ لأَنَّ بعضهم لا يستدبر بعضاً في المجالس.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم﴾ تقديره: والأَمر كذلك.

وقرأَ الجمهور: ﴿عِينٍ﴾، وهو جمع عَيْنَاءَ.

وقرأَ ابن مسعود: (بِعِيسٍ عِينٍ)[٥]، وهو جمع عَيْسَاءَ، أَي: بيضاءَ[٦]، وكذلك هي من النوق.

وقرأَ عكرمة: (بحورِ عين) على ترك التنوين في (حُور)، وإِضافتها إِلى (عِينٍ)، قال أَبو الفتح: الإِضافة هنا تفيد ما تفيد الصِّفة[٧].

---

(١) أي من رواية شعبة، وابن كثير وابن ذكوان وحمزة والكسائي، انظر التيسير (ص: ١٣٦)، وقد تقدم التعليق في (سورة الحجر).

(٢) لم أقف عليه، والقراءة التي نقل أبو حاتم ردَّها هي قراءة متواترة، وهي قراءة الأكثر، فما نقله مردودٌ، غيرُ مقبول.

(٣) ليس في أحمد٣، وقد تقدم الكلام على كل منهما في موضعه.

(٤) وهي شاذة، انظر الهداية لمكي (١٢/ ٧٩٣٨)، والكامل للهذلي (ص: ٦٥٥)، وذكرها في المحتسب (٢/ ٢٩)، دون ضبط القاف.

(٥) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٢٦١).

(٦) المثبت من السليمانية والمطبوع وأحمد ٣، وفي نور العثمانية: «وهي البيضاء».

(٧) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٢٦١).

وروى أَبو قِرْصَافَةَ[١] عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «إِخراج القمامة من المسجد من مهور الحور العين»[٢].

وقوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ معناه: يدعون الخدمة والمتصرِّفين.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾، قدَّر قوم ﴿إِلَّا﴾ بـ: سِوَى، وضعَّف ذلك الطَّبريُّ وقدَّرها بـ: بَعْد[٣]. وليس تضعيفه بصحيح، بل يصحُّ المعنى بـ: سِوَى، ويتَّسق.

وأَمَّا معنى الآية؛ فبَيِّنٌ أَنَّه[٤] نفى عنهم ذوق الموت، وأَنَّه لا ينالهم من ذلك غير ما تقدَّم في الدُّنيا.

والضَّمير في قوله: ﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾ عائد على القرآن.

---

(١) هو جَنْدرة ابن خَيْشَنَة، صحابيٌّ جليل، مشهور بكنيته، نزل الشّام واستوطن عسقلان، له أحاديث، تاريخ الإسلام (٥/ ٨٧).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبراني في الكبير (٢٥٢١)، والثعلبي في تفسيره (٨/ ٣٥٦) من طريق أيوب ابن علي بن هيصم الكناني، عن زياد بن سيار عن عزة بنت عياض بن أبي قرصافة، قالت: سمعت أبا قرصافة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ابنوا المساجد وأخرجوا القمامة منها فمن بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة» قال رجل: يارسول الله وهذه المساجد التي تبنى في الطريق؟ قال: «نعم وإخراج القمامة منها مهور حور العين»، وزياد بن سيار الكناني مجهول الحال، فقد روى عنه أيوب بن علي العسقلاني، والطيب بن زبان، وقد ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٣٥٧)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣/ ٥٣٤)، وابن حبان في الثقات (٤/ ٢٥٥) ولم يذكروا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وعزة بنت عياض بن أبي قرصافة مجهولة، ومن طريق الطبراني أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/ ٢٩٩٤)، وله شاهد من حديث أنس بن مالك أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٢٥٣-٢٥٤) من طريق عبد الواحد بن زيد، عن الحسن، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «كنس المساجد مهور الحور العين»، وعبد الواحد بن زيد البصري مجمع على ضعفه وتركه، وانظر ترجمته في الميزان (٢/ ٦٧٢- ٦٧٣).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٣).

(٤) ليست في السليمانية، وفيها وفي أحمد٣: «موت»، بالنكرة.

وقوله: ﴿بِلِسَانِكَ﴾ معناه: بلغة العرب، ولم يُرد الجارحة[١].

[وقوله تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴾ معناه:][٢] فارتقب نصرنا لك إِنهم مرتقبون ـ فيما يظنُّون ـ الدَّوائر عليك.

وفي هذه الآية وعْدٌ له ووعيدٌ لهم[٣].

وفيها مُتاركة، وهذا وما جرى مجراه منسوخ بآية السَّيف.

كمل تفسير (سورة الدخان)، والحمد لله رب العالمين[٤]

---

(١) في السليمانية وأحمد٣: «الخارجة».

(٢) ليس في أحمد٣.

(٣) سقط من نجيبويه.

(٤) في السليمانية: «نجز»، وليس فيها ذكر الحمد.

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سُورة الجاثية

هذه السُّورة مكِّيَّة بلا خلاف في ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾.

[تقدَّم القول في الحروف المقطَّعة في أَوائل السُّور][١].

و﴿تَنزِيلُ﴾: رفع بالابتداءِ، أَو على خبر ابتداءٍ مضمر.

و﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: معناه عامٌّ في شدَّة أَخْذه إِذا انتقم، ودفاعه إِذا حَمَى ونصر، وغير ذلك.

و﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: المُحْكِمُ للأَشياءِ؛ وذكر تبارك تعالى الآيات الَّتي في السَّماوات والأَرض مُجْمَلَةً غير مفصَّلة، فكأَنَّها إِحالة على غوامض تثيرها[٢] الفِكَر، ويخبر بكثير[٣] منها الشَّرْعُ، فلذلك جعلها للمؤمنين؛ إِذ في ضمن الإِيمان العقلُ والتَّصديق.

---

(١) في أحمد٣: «حم تقدم ذكرها».

(٢) في نجيبويه ونور العثمانية: «تمييز».

(٣) في السليمانية: «بكبير».

ثمَّ ذكر تعالى خلق البشر والحيوان، وكأَنَّه أَغمض ممَّا أَحال عليه أَوَّلاً وأَكثر تلخيصاً[١]، فجعله للموقنين الَّذين لهم نظر يؤديهم إِلى اليقين في معتقداتهم، ثمَّ ذكر تعالى اختلاف اللَّيل والنَّهار والعبرة بالمطر والرِّياح، فجعل ذلك لقوم يعقلون؛ إِذْ كلُّ عاقل يحصِّل هذه ويفهم قدرها.

قال القاضي أَبو محمد: وإِن كان[٢] هذا النَّظر ليس بلازم ولا بد، فإِنَّ اللَّفظ يعطيه.

و﴿يَبُثُّ﴾ معناه: ينشر في الأَرض.

و«الدَّابة»: كلُّ حيوان يدبُّ أَو يمكن فيه أَن يدبَّ، يدخل في ذلك الطَّير والحوت، وشاهد الطَّير في قول الشاعر:

[الوافر] .... صَوَاعِقُهَا لِطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ[٣]

وقول الآخر:

[الطويل] .... دَبِيبَ قَطَا الْبَطْحَاءِ في كلِّ مَنْهَلِ[٤]

وشاهد الحوت قول أَبي موسى: وقد أَلقى البحرُ دابَّةً مثل الظَّرِب[٥].

[٥/ ٨٢] / ودوابُّ البحر لفظ مشهور[٦] في اللُّغة.

وقرأَ حمزة، والكسائيُّ: ﴿آيَاتٍ﴾ بالنصب في الموضعين الأخيرين[٧]، وهي

(١) في نجيبويه: «مخلصاً». وفي السليمانية: «تخليصاً».
(٢) «كان»: ليست في السليمانية، وكذا لفظة: «ولا بد».
(٣) البيت لعلقمة بن عبدة كما تقدم في تفسير الآية (١٩) من (سورة البقرة)، وهو ليس نجيبويه، وفي السليمانية: «عواصفها».
(٤) البيت للأعشى كما تقدم في تفسير الآية (١٦٤) من (سورة البقرة) وتقدم التعليق عليه هناك.
(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٤٨٣)، ومسلم (١٩٣٥) من حديث جابر، وليس فيه ذكر لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه.
(٦) في المطبوع والسليمانية: «مشترك».
(٧) في السليمانية: «الآخرين»، وسقط ذكر الجحدري والأعمش من الأصل.

قراءَة الجحدريِّ، والأَعمش، وقرأَ الباقون والجمهور: ﴿ءَايَٰتٌ﴾ بالرَّفع فيهما[١].

فأَمَّا من قرأَ: ﴿آيَاتٍ﴾ بالنَّصب، فحمل ﴿آيَاتٍ﴾ في الموضعين على نصب ﴿إِنَّ﴾ في قوله: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، ولا يعرض في ذلك العطف على عاملين الَّذي لا يُجيزه سيبويه وكثير من النَّحويِّين لأَنَّا نقدر (في) معادَةً في قوله: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ﴾، وكذلك هي في مصحف ابن مسعود: (وفي اخْتِلافِ)[٢]، فكأَنَّه قال على قراءَة الجمهور: وفي اختلاف الليل، وذلك أَنَّ ذِكْرَها قد تقدَّم في قوله: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾، فلما تقدم ذكر الجارِّ، جاز حذفه من الثّاني ويُقَدَّر مثبتاً[٣]، كما قَدَّر سيبويه في قول الشاعر:

أَكُـلَّ امْـرِىءٍ تَحْسبينَ امْـرَءاً ... وَنَـارٍ تَـوَقَّـدُ بِاللَّيْل نَـارَا[٤] [المتقارب]

أَي: وكُلَّ نارٍ[٥]، وكما قال الآخر:

أَوْصَـيْـتُ مِـنْ بَـرَّةَ قَلْباً حُـرّاً ... بالكَلْبِ خَيْراً وَالْحَمَاةِ شَرّاً[٦] [الرجز]

أَي: وبالحماة.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا الاعتراض كلُّه إِنَّما هو في ﴿آياتٍ﴾ الثّاني؛ لأَنَّ الأَوَّل قبله حرف الجرِّ ظاهر.

وفي قراءَة أُبيٍّ بن كعب، وابن مسعود في الثَّلاثة المواضع: (لآيَاتٍ)[٧].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٨)، وانظر عزوها للباقين في البحر المحيط (٩/ ٤١٣).
(٢) وهي شاذة، انظرها في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٩٢).
(٣) في أحمد٣: «مبنياً»، ولفظ «تقدم» ليس في السليمانية.
(٤) تقدم في تفسير الآية (٦٢) من (سورة الأنفال).
(٥) الكتاب لسيبويه (١/ ٦٦).
(٦) البيت لأبي النجم كما في الشعر والشعراء (٢/ ٥٩٣)، والكامل للمبرد (٣/ ٧١)، وخزانة الأدب (٢/ ٣٥٦)، والعقد الفريد (١/ ٢٦٠)، والتذكرة الحمدونية (٣/ ٣٧٤)، وعزاه في البحر المحيط (٨/ ٣٤٢) للحطيئة، وتابعه في الدر المصون (٩/ ١١).
(٧) وهي شاذة، انظر عزوها لابن مسعود في المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨٤)، ولأبي في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٩٢).

قال أَبو عليٍّ: وهذا يدلُّ على أَنَّ الكلام محمول على ﴿إِنَّ﴾ في قراءَة من أَسقط اللَّامات في الاثنين الأخيرين[1].

وأَمَّا من رفع ﴿ءَايَٰتٌ﴾ في الموضعين، فوجهه العطف على موضع ﴿إِنَّ﴾ وما عملت فيه، لأَنَّ موضعها رفع بالابتداءِ، ووجه آخر وهو أَن يكون قوله: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ﴾ مُسْتَأْنَفاً، ويكون الكلام جملة معطوفة على جملة.

وقال بعض النّاس: يجوز أَن يكون جملة في موضع الحال، فلا تكون غريبة على هذا.

و(اختلاف اللَّيلِ والنَّهارِ) إِمَّا بالنُّور والظَّلام وإِمَّا بكونهما خلفة، و(الرِّزق المُنَزَّل من السماءِ): هو المطر، سمَّاه رزقاً بمآله؛ لأَنَّ جميع ما يُرتزق[2] فَعَن المطر هو، و(تصريف الرِّياح): هو بكونها[3] صَباً ودبوراً وجنوباً وشمالًا، وأَيضاً فبكونها[4] مرَّة رحمةً ومرَّة عذاباً، قاله قتادة[5]، وأَيضاً بلينها وشدَّتها وبردها وحرِّها.

وقرأَ طلحة وعيسى: ﴿وتصريف الريح﴾ بالإِفراد[6]، وكذلك في جميع القرآن إِلَّا ما كان فيه مبشِّرات، وخالف عيسى في الحِجْر فقرأَ: ﴿ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢][7].

وقوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ إِشارة إِلى ما ذكر، وقوله: ﴿نَتْلُوهَا﴾ فيه حذف مضاف،

---

(١) في المطبوع والحمزوية ونجيبويه: «الآيتين الأخيرتين»، واللفظ في الحجة للفارسي (٦/ ١٧١): «الموضعان الآخران».

(٢) في السليمانية: «يرزق».

(٣) في السليمانية: «كونها».

(٤) في نجيبويه وأحمد٣: «بكونها»، وفي السليمانية: «فكونها».

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٦١).

(٦) القراءة بالإفراد سبعية لحمزة والكسائي كما في التيسير (ص: ١٩٨)، وتقدم للمؤلف في (سورة البقرة) ما يقتضيه.

(٧) انظر العزو لعيسى وطلحة في البحر المحيط (٩/ ٤١٤)، لكنه أهمل ذكر الأخوين.

تقديره[١] أَي: نتلوا شأْنها وتفسيرها وشرح العبرة بها.

ويحتمل أَن يريد بـ ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ القرآنَ المنزَّل في هذه المعاني، فلا يكون في ﴿نَتۡلُوهَا﴾ حذف مضاف.

وقوله: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ معناه: بالصدق والإِعلام بحقائق الأُمور في أَنفسها.

وقوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ﴾ الآيَةَ؛ توبيخٌ وتقريع، وفيه قوَّة التَّهديد.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأَبو عمرو، وأَبو جعفر، وشيبة، والأَعرج، وقتادة: ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ بالياءِ من تحت، وقرأَ ابن عامر، وحمزة، والكسائيُّ، وعاصم أَيضاً، والأَعمش: ﴿تُؤْمنُونَ﴾ بالتَّاءِ على مخاطبة الكفَّار[٢].

وقرأَ طلحة بن مصرف: (تُوقِنُونَ) بالتَّاءِ من فوق[٣]، من اليقين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٩ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠ هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ١١﴾.

«الْوَيْلُ» في كلام العرب: المصائب والحزن والهمُّ[٤] والشِّدَّة من هذه المعاني، وهي لفظة تستعمل في الدُّعاءِ على الإِنسان.

---

(١) من السليمانية.

(٢) وهما سبيعتان، الأولى لعاصم هي رواية حفص والثانية لشعبة، انظر التيسير (ص: ١٩٨)، والسبعة (ص: ٥٩٤)، والنشر (٢/ ٣٧١)، والباقين في البحر المحيط (٩/ ٤١٥)، وسقط «أبو جعفر» من نجيبويه، وفي السليمانية: «وجعفر»، وفيها «ابن عباس» بدل «ابن عامر»، وفي أحمد٣: «وحازم» بدل «عاصم».

(٣) شاذة مخالفة للمصحف، تابعه عليها في البحر المحيط (٩/ ٤١٥)، وهي أقرب للسهو من قارئها أو ممن نقلها عنه.

(٤) سقط من الأصل.

ورُوي في بعض الآثار: أَنَّ في جهنَّم وادياً اسمه ويْلٌ، وذهب الطَّبريُّ إِلى أَنَّه المراد بالآية[١].

ومقتضى اللُّغة: أَنَّه الدُّعاءُ على أَهل الإِفك والإِثم بالمعاني المتقدمة.

و«الأَفَّاكُ»: الكذَّاب الَّذي يقع منه الإِفك مراراً.

و«الأَثيمُ» بناءُ مبالغة، اسم فاعل من: أَثِمَ يَأْثَمُ.

وروي: أَنَّ سبب هذه الآية أَبو جهل، وقيل: النَّضر بن الحارث[٢]، والصَّواب أَنَّ سببها ما كان المذكوران وغيرهما يفعل[٣]، وأَنها تعُمُّ كلَّ من دخل تحت الأَوصاف المذكورة إِلى يوم القيامة.

و﴿يُصِرُّ﴾ معناه: يثبتُ على عقيدته من الكفر.

وقوله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ﴾، حَسُنَ ذلك لَمَّا أَفصح عن العذاب، ولو كانت البشارة غير مُقَيَّدَة بشيءٍ لما حملت إِلَّا على المحابِّ.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿وَإِذَا عَلِمَ﴾ بفتح العين وكسر اللّام مخفَّفَة، والمعنى: وإِذا أُخبر بشيءٍ من آياتنا، فعلم نفس الخبر لا المعنى الَّذي تضمَّنه الخبر، ولو علم المعاني الَّتي تتضمَّنها أَخبار الشَّرع وعرف حقائقها، لكان مؤمناً.

وقرأَ قتادة، ومَطَرٌ الوَرَّاق: (عُلِّمَ) بضم العين وشد اللام[٤].

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ ردٌّ[٥] على لفظ (كل أفاك) لأَنَّه اسم جنس له الصفات المذكورة بَعْدُ.

---

(١) في السليمانية: «في الآية»، وانظر تفسير الطبري (٢٢/ ٦٣).

(٢) انظر تفسير القرطبي (١٦/ ١٥٨).

(٣) سقط من السليمانية. وفي أحمد٣ والمطبوع: «يفعلان».

(٤) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٣٩).

(٥) سقط من المطبوع.

وقوله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُ﴾ قال فيه بعض المفسِّرين: معناه: من أَمامهم، وهذا نحو الخلاف الَّذي في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩]، ولحظ قائل هذه المقالة الأَمر من حيث تأَوَّل أَنَّ الإِنسان كأَنَّه من عمره[١] يسير إِلى جنَّة أَو نارٍ، فهما أَمامه، وليس لفظ (الوراءِ) في اللُّغة كذلك، وإِنَّما هو ما يأْتي خلف الإِنسان.

وإِذا اعتبر الأَمرُ بالتَّقدُّم والتَّأَخُّر في الوجود على أَنَّ الزَّمان كالطَّريق للأَشياءِ استقام الأَمر، فما يأْتي بعد الشَّيءِ في الزَّمان فهو وراءَه، فكان الملك وأَخذه السَّفينة وراءَ ركوب أُولئك إِيَّاها، وجهنَّم وإِحراقها للكفَّار يأْتي بعد كفرهم وأَفعالهم، وهذا كما تقول: افعل كذا وأَنا من ورائك عضداً، أَو كما تقول ذلك على التَّهديد: أَنا من وراءِ التَّقصِّي عليك، ونحو هذا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ﴾ يعني بذلك الأَوثان.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا هُدًى﴾ إِشارة إِلى القرآن.

وقرأَ ابن كثير، وعاصم في رواية حفص: ﴿أَلِيمٌ﴾ رفعاً على النعت لـ ﴿عَذَابٌ﴾، وهي قراءَة ابن محيصن، وابن مصرف وأَهل مكَّة.

وقرأَ الباقون: ﴿أَلِيمٍ﴾ خفضاً على النعت لـ ﴿رِّجۡزٍ﴾، وهي قراءَة / الحسن، [٥/ ٨٣] وأَبي جعفر، وشيبة، وعيسى، والأَعمش[٢].

و«الرِّجْزُ»: أَشدُّ العذاب.

وقوله: ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ﴾ بمنزلة قولك: لهم حظٌّ، فمن هذه الجهة ومِنْ جهة تغاير اللَّفظتين حسُنَ قوله: ﴿عَذَابٌ مِّن رِّجۡزٍ﴾ إِذ الرِّجْزُ هو العذاب.

---

(١) في أحمد٣: «كأنه في غمرة».

(٢) سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٠)، والسبعة (ص: ٥٩٤)، والنشر (٢/ ٣٤٩)، والبحر المحيط (٩/ ٤١٦)، ولفظتا «رفعاً وخفضاً» من أحمد٣، وفي المطبوع والسليمانية: «بن مُطَرِّف».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

هذه آية عبرة في جريان السُّفن في البحر، وذلك أَنَّ الله تعالى سخَّر لكم البحر[١] هذا المخلوق العظيم لهذا المخلوق الحقير الضَّعيف.

وقوله: ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾، أقام[٢] القدرةَ والإذن[٣] مناب أَن يأْمر البحر والنَّاس بذلك.

و«الابتغاءُ من فضل الله»: هو بالتِّجارة في الأَغلب، وكذلك مقاصد البرِّ من حجٍّ أو جهادٍ هي أَيضاً ابتغاءُ فضل، والتَّصيُّد[٤] فيه أَيضاً هو ابتغاءُ فضل.

و«تَسْخير ما في السَّماوات»: هو تسخير الشَّمس والقمر والنُّجوم والسَّحاب والرِّياح والهواءِ[٥] والملائكة الموكَّلة بهذا كله.

ويروى: أَنَّ بعض الأَخيار نزل به ضيف، فقدم إِليه رغيفاً، فكأَنَّ الضَّيف احتقره، فقال له المضيف: لا تحتقره فإِنَّه لم يستدر حتّى تسخر فيه من المخلوقات والملائكة ثلاث مئة وستون بَيْن ما ذكرنا من مخلوقات السَّماءِ وبيْن[٦] الملائكة وبين صناع بني آدم الموصِّلين إِلى استدارة الرَّغيف.

و«تسْخير ما في الأَرض»: هو تسخير البهائم والمياه والأَودية والجبال وغير ذلك.

ومعنى قوله: ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ قال ابن عبّاس: كلُّ إِنعام فهو من الله تعالى[٧].

---

(١) «لكم البحر»: من السليمانية وأحمد٣.

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «أَناب».

(٣) ليست في أحمد٣، وسقطت منه: «يأمر».

(٤) في الأصل: «التصير»، وفي نجيبويه: «والتصرف».

(٥) سقط من نجيبويه والسليماية ونور العثمانية، وسقطت «السحاب» من أحمد٣.

(٦) في السليمانية وأحمد٣: «وهي».

(٧) أخرجه الطبري (٢١/ ٧٩) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كل شيء هو من الله.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿مِّنۡهُ﴾ وهو وقف جيِّد.

وقرأَ مَسْلَمة بن مُحارب: (مَنُّهُ) بفتح الميم وشدِّ النون المضمومة، بتقدير: هو مَنُّه.

وقرأَ ابن عبّاس: (مِنَّـةً) بكسر الميم وفتح النّون المشَدَّدَة ونصب التَّاءِ على المصدر.

وقال أَبو حاتم: سَنَدُ هذه القراءَة إِلى ابن عبّاس مُظْلم.

وحكاها أَبو الفتح عن ابن عبّاس، وعبد الله بن عمر، والجحدريّ، وعبد الله بن عُبَيْد بن عُمَيْر، وقرأَ مَسْلَمة بن مُحارب أَيضاً: (مِنَّـةٌ) بكسر الميم وبالرَّفع في التَّاءِ[١].

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ﴾ الآيَةَ؛ آية نزلت في صدر الإِسلام، أَمر الله المؤمنين فيها أَن يتجاوزوا عن الكفّار، وأَلَّا يعاقبوهم بذنب، بل يأْخذون أَنفسهم بالصَّبر لهم، قاله محمد بن كعب القرظيُّ، والسُّديُّ[٢].

قال أَكثر النّاس: هذه آية منسوخة بآية القتال، وقالت فرقة: الآية مُحكمة.

قال القاضي أَبو محمد: والآية تتضمَّن الغفران عموماً، فينبغي أَن يقال: إِنَّ الأُمور العظام كالقتل والكُفْر مجاهرةً ونحو ذلك قد نسخ غُفْرانُه بآية السَّيف والجزية وما أَحكمه الشَّرع لا محالة، وإِنَّ الأُمور المحقَّرة كالجفاءِ في القول ونحو ذلك يحتمل أَن تبقى محكمة وأَن يكون العفو عنها أَقرب إِلى التَّقوى.

وقال ابن عبّاس: لمَّا نزلت ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ [البقرة: ٢٤٥][٣] قال فنحاص اليهوديُّ: احتاج ربّ محمد، [تعالى الله عزَّ وجلَّ عن قوله][٤]، فأَخذ عمر سيفه

(١) وكلها شاذة، انظر عزو القراءتين الأوليين في مختصر الشواذ (ص: ١٣٩) وفيه عبيد بن عمير (دون ذكر عبد الله)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٥٩)، ومع كلام أبي الفتح في المحتسب له (٢/ ٢٦٢)، والكل وكلام أبي حاتم في البحر المحيط (٩/ ٤١٧). في الحمزوية والأسدية٣: «عبيد الله بن عبيد»، وفي أحمد٣ كلمة: «غير مقروءة» بدل «كسر الميم».

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٣٦٠).

(٣) تكرَّرت في الآية (١١) من سورة (الحديد).

(٤) من المطبوع.

ومرَّ ليقتله، فردَّه[١] رسول الله ﷺ وقال له: «إِنّ ربَّك يقول: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية»[٢].

قال القاضي أَبو محمد: فهذا احتجاجٌ بها مع قدم نزولها، وقد ذكر مكِّيٌّ وغيره أَنَّها نزلت بمكَّة في عمر رضي الله عنه لمَّا أَراد أَن يبطش بمشرك شتمه[٣].

وأَمَّا الجزم في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرُوا۟﴾ فهو جواب شرط مقدر، تقديره: قُل اغفروا، فإِن يجيبوا[٤] يغفروا.

[وأَخصر عندي من هذا][٥]: أَنَّ ﴿قُل﴾ هي بمثابة: اندب المؤمنين إِلى الغَفْر.

وقوله: ﴿أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ قالت فرقة: معناه: أَيَّام إِنعامه ونصره[٦] وتنعيمه في الجنَّة وغير ذلك، فـ ﴿يَرْجُونَ﴾ على هذا هو على بابه.

وقال مجاهد: أَيَّامُ الله تعالى: هي أَيَّام نِعَمه[٧] وعذابه، فـ ﴿يَرْجُونَ﴾ على هذا هي التي تتنزَّل منزلة: يخافون، وإِنَّما تنزَّلت منزلتها من حيث الرَّجاءُ والخوف متلازمان، بحيث[٨] لا نجد أَحدهما إِلاَّ والآخر معه مقترن، وقد تقدَّم شرح هذا غير مرة.

---

(١) في أحمد٣: «فلقيه».

(٢) إسناده مظلم، أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ٣٥٩-٣٦٠) وعنه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٥٣-٢٥٤) من طريق إسماعيل بن عيسى العطار، حدثنا محمد بن زياد اليشكري، عن ميمون ابن مهران، عن ابن عباس به مطولاً، ومحمد بن زياد اليشكري الطحان قال أحمد: كذاب أعور يضع الحديث. انظر ترجمته الميزان (٣/ ٥٥٢).

(٣) ضعيف، انظر الهداية لمكي (١٠/ ٦٧٧٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٥٩)، وأسباب النزول للواحدي (ص: ٢٥٣).

(٤) في أحمد٣: «تحبوا».

(٥) في نجيبويه: «وأخص هذا عندي»، وفي السليمانية: «وأحضر». وفي أحمد٣: «وأخص عندي من هذا»، وفي السليمانية: «العفو» بدل «الغفر».

(٦) في نجيبويه: «ونظره».

(٧) في الحمزوية والأسدية٣ ونور العثمانية: «نقمه».

(٨) «بحيث» من نجيبويه، وفي أحمد٣: «لا تجد».

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ بالياءِ على معنى: ليجزيَ اللهُ.

وقرأَ ابن عامر، وحمزة، والكسائيُّ، والأَعمش، وأَبو عبد الرَّحمن، وابن وثّاب: ﴿لِنَجْزِيَ﴾ بالنَّون.

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع بخلاف عنه: (لِيُجْزَى) على بناءِ الفعل للمفعول، ﴿قَوْمًا﴾، وهذا على أَن يكون التَّقدير: لِيُجْزَى الجزاءُ قوماً[1]. وباقي الآية وعيدٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥) وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٦) وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧)﴾.

لمَّا تقرَّر في الَّتي قبل هذه أَنَّ الله يجزي قوماً بكسبهم ويعاقبهم على ذنوبهم واجترامهم[2] أَكَّد ذلك بقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ هي لام الحظِّ؛ لأَنَّ الحظوظ والمحابَّ إِنَّما تستعمل فيها (اللَّام) الَّتي هي كَلَام المِلْك، تقول: الأُمور لزيد مُتَأَتِّـيَة، ويستعمل في ضدِّ ذلك (عَلَى)، فتقول: الأُمور على فلان مستصعبة[3]، وتقول: لزَيْد مالٌ وعليه دَيْن، وكذلك جاءَ العمل الصّالح في هذه الآية بـ(اللَّام) والإِساءَة بِـ(عَلَى).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ معناه: إِلى قضائه وحُكْمه.

و﴿الْكِتَابَ﴾ في قوله: ﴿آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ هو التَّوارةُ.

---

(١) الأولى والثانية سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٩٤)، والثالثة عشرية لأبي جعفر، كما في النشر (٢/ ٣٧٢)، والخلاف عنه ليس من طرقه، وانظر الباقين إلا ابن وثاب في البحر المحيط (٩/ ٤١٧). وفي السليمانية: «ابن عباس»، مع الإشارة لابن عامر في الهامش، وفي نجيبويه بدل «بن القعقاع»: «وابن السميفع»، وفي المطبوع وأحمد٣ والأسدية٣: «للمجهول» بدل «المفعول».

(٢) في أحمد٣: «واغترافهم».

(٣) في المطبوع: «مُسْتَعْصية».

و(الحكم) هو السُّنَّة والفِقْه، فيقال: إِنَّه لم يتَّسع فِقْه الأَحكام على لسان نبيٍّ ما اتَّسع على لسان موسى عليه السَّلام، و﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾: هي ما تكرَّر فيهم من الأَنبياءِ.

[٥/ ٨٤] وقوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يعني: / من المسْتَلَذَّات الحلال، وبهذين تتمّ النّعمة ويحسن تعديدها، وهذه إِشارة إِلى المنِّ والسَّلوى وطيِّبات الشَّام بَعْدُ؛ إِذ هي الأَرض المباركة، وقد تقدَّم القول في معنى الطَّيِّبات وتلخيص قول مالك والشَّافعيِّ في ذلك[١].

وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يريد: على عالَمي زمانهم.

و«البيِّنات من الأَمر»: هو الوحي الَّذي فُصِّلت لهم به الأُمور، ثمَّ أوضح تعالى خطأَهم وعَظَّمَهُ بقوله: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾، وذلك أَنَّهم لو اختلفوا اجتهاداً في طلب صواب، لكان لهم عذر في الاختلاف، وإِنَّما اختلفوا بغياً بينهم وهم قد تَبيَّـنُوا الحقائق، ثمَّ توعَّدهم تعالى بوقف أَمرهم على قضائه بينهم يوم القيامة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

المعنى: ثمَّ جعلناك على شريعة فلا محالة أَنَّه سَيُخْتَلَف عليك كما تقدَّم لبني إِسرائيل، فاتَّبع شريعتك، والشَّريعة في كلام العرب الموضعُ الَّذي يَرِدُ فيه النَّاسُ في الأَنهار والمياه، ومنه قول الشاعر:

[البسيط] وفـي الشَّـرائع مِـنْ جَيْـلَانَ مُقْتَنِـصٌ ... رَثُّ الثِّيَابِ خَفيُّ الشَّخْصِ مُنْسَرِبُ[٢]

---

(١) في أحمد٣: «الطيبات»، وليس فيه: «القول في معنى الطيبات»، وانظر أول تفسير (سورة المائدة).

(٢) البيت لذي الرُّمَّة، كما تقدم في تفسير الآية (٤٦) من (سورة المائدة) مع اختلاف في الألفاظ، وجَيْلان =

فشريعة الدِّين هي من ذلك، كأَنَّها من حيث[(١)] يرد النَّاس أَمر الله ورحمته والقرب منه، وقال قتادة: الشريعة: الفرائض والحدود والأَمر والنَّهي.

وقوله: ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ يحتمل أَن يكون واحد الأُمور، أَي: من دين الله ونُبُوَّاتِهِ الَّتي بثَّها في [عباده في][(٢)] سالف الزَّمان، ويحتمل أَن يكون مصدراً من أَمر يأْمر، أَي: على شريعة من الأَوامر والنَّواهي، فسمَّى الله جميع ذلك أَمراً، و﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: هم الكفَّار الَّذين كانوا يريدون صرف محمد ﷺ إِلى إِرادتهم.

و﴿يُغۡنُواْ﴾ من الغَنَاءِ، أَي لن يكون لهم عنك دفاع.

ثمَّ حقَّر تعالى شأْن الظَّالمين مشيراً بذلك إِلى كفَّار قريش، ووجْه التَّحقير أَنَّه قال: وهؤلاءِ يتولى بعضهم بعضاً، والمتَّقون يتولاهم الله، فخرجوا عن ولاية الله وتبرَّأْت منهم، ووكلهم الله بعضهم إِلى بعض.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ﴾ يريد القرآن، والبَصائِرُ جمع بصيرة، وهي المعتقد [الوثيق في الشَّيءِ][(٣)]، كأَنَّه مصدر من إِبصار القلب، فالقرآن فيه بيانات[(٤)] ينبغي أَن تكون بصائر.

و«البصيرة» في كلام العرب: الطَّريقة [من الدَّم][(٥)]، ومنه قول الشَّاعر [يصف جده في طلب الثأر وتواني غيره][(٦)]:

= بفتح الجيم وبياءٍ ساكنة كما ضبطه الحمويُّ في معجم البلدان هم قوم من أبناء فارس، وفي أكثر النسخ الخطية: من جَلَّان، وهي قبيلة.

(١) زاد في أحمد٣: «أنها».

(٢) من نجيبويه وأحمد٣. وأشار لها في هامش السليمانية.

(٣) في نجيبويه بدله: «والتوثيق بالشيء».

(٤) في المطبوع: «بيِّنات».

(٥) سقط من أحمد٣.

(٦) سقط من المطبوع، وفي نجيبويه: «يصرف حده في طلب الثأر وتواني غيره».

[الكامل] رَاحُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ وبَصِيرَتِي يَعْدُو بِهَا عَتَدٌ وَأَي[(١)]

وفسَّر النَّاس هذا البيت بطريقة الدَّم؛ إذْ كانت عادة طالب الدَّم عندهم أَن يجعل طريقة من دم خلف ظهره ليُعْلَم بذلك أَنَّه لم يُدرِك ثأْره وأَنه يطلبه، ويظهر فيه [أَنَّه يريد بصيرة القلب، أَي: قد اطَّرح هؤلاءِ بصائرهم وراءَ ظهورهم.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ﴾ الآيةَ؛ قولٌ يقتضي][(٢)] أَنَّه نزل بسبب افتخارٍ كان للكفَّار على المؤمنين، قالوا: لئن كانت آخرةٌ كما تزعمون لَنُفَضَّلَن عليكم فيها كما فُضِّلْنا في الدُّنيا.

و﴿أَمْ﴾ هذه ليست بمعادلة، وهي بمعنى (بَلْ) مع أَلف الاستفهام.

و﴿ٱجْتَرَحُواْ﴾ معناه: اكتسبوا، ومنه جوارحُ الإِنسان، ومنه الجوارح في الصَّيد، وتقول العرب: فلان جارحة أَهله؛ أَي: كاسبهم.

وقرأَ أَكثر القرَّاءِ: ﴿سواءٌ﴾ بالرَّفع ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ بالرَّفع، وهذا على أَن ﴿سَوَاءٌ﴾ رفع بالابتداءِ، و﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ خبره، و﴿كَٱلَّذِينَ﴾ في موضع المفعول الثاني لـ (نَجْعَلَ)، وهذا على أَحد معنييْن:

إِمَّا أَن يكون الضَّمير في ﴿مَّحْيَاهُمْ﴾ يختصُّ بالكفّار المجترحين، فتكون الجملة خبراً عن أَنَّ حالهم في الزمنيْن حال سوءٍ.

والمعنى الثّاني: أَن يكون الضَّمير في ﴿مَّحْيَاهُمْ﴾ يعُمُّ الفريقين، والمعنى: أَنَّ مَحْيَا هؤلاءِ ومماتهم سواءٌ، وهو كريم، ومَحْيَا هؤلاءِ الكفار ومماتهم سواءٌ، وهو غير

---

(١) البيت للأَسْعَر الجُعْفيِّ كما تقدم للمؤلف في تفسير الآية (١٠٣) من (سورة الأنعام). وفي أحمد٣: «يعدو بها عدوائي».

(٢) سقط من الحمزوية وأحمد٣، وفي حاشية المطبوع أن الفقرة من قوله: «ويظهر إلى ظهورهم» سقط من كثير من النُّسخ.

كريم، ويكون اللَّفظ قد لَفَّ هذا المعنى وذِهْنُ السَّامع يُفَرِّقه؛ إِذ قد تقدَّم إِبعاد أَن يجعل الله تعالى هؤلاءِ كهؤلاءِ.

قال مجاهد: المؤمن يموت مؤمناً ويُبعث مؤمناً، والكافر يموت كافراً ويُبعث كافراً[١].

قال القاضي أَبو محمد: مقتضى هذا الكلام أَنَّ لفظ الآية خبر، ويظهر لي أَنَّ قوله: ﴿سَوَآءً مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡ﴾ داخل في المحسبة المنْكرة السَّيِّئة، وهذا احتمال حسن، والأَوَّل أَيضاً جيِّد.

[وقرأَ طلحة، وعيسى بخلاف عنه: ﴿سَوَآءً﴾ بالنَّصب ﴿مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡ﴾ بالرَّفع. وهذا يحتمل وجهين][٢]:

أَحدهما: أَن يكون قوله: ﴿كَٱلَّذِينَ﴾ في موضع المفعول الثّاني لـ(نَجْعَلَ) كما هو في قراءَة الرَّفع[٣]، وينصب قوله: ﴿سَوَآءً﴾ على الحال من الضمير في ﴿نَّجۡعَلَهُمۡ﴾.

والوجه الثّاني: أَن يكون قوله: ﴿كَٱلَّذِينَ﴾ في نيَّة التَّأْخير، ويكون قوله تعالى: ﴿سَوَآءً﴾ مفعولاً ثانياً لـ (نَجْعَلَ)، وعلى كلا الوجهين ﴿مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡ﴾ مرتفع بـ﴿سَوَآءً﴾ على أَنَّه فاعل.

وقرأَ حمزة، والكسائيُّ، [وحفص عن عاصم، والأَعمش][٤]: ﴿سَوَآءً﴾ بالنَّصب، (محياهم ومماتَهم) بالنَّصب[٥]، وذلك على الظَّرف، أَو على أَن يكون (محياهم) بدلاً من الضَّمير في ﴿نَّجۡعَلَهُمۡ﴾، أَي: نجعل محياهم ومماتهم سواءً.

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٦٠٠)، تفسير الطبري (٢٢/ ٧٣).

(٢) في أحمد٣: «ويظهر في قراءة من قرأ (سواء) بالرفع احتمال وجهين».

(٣) في أحمد٣: «النصب»، وأشار لها في هامش السليمانية.

(٤) سقط من السليمانية.

(٥) الأولى والثانية سبعيتان، إلا أن العزو اختلط على المؤلف رحمه الله بين الأخيرتين، والصواب كما في التيسير (ص: ١٩٨)، والسبعة (ص: ٥٩٥)، والنشر (٢/ ٣٧٢)، ومعاني القراءات للأزهري =

وهذه الآية متناولةٌ بلفظها حال العصاة من حال أَهل التَّقوى، وهي موقف للعارفين يبكون عنده، وروي عن الرَّبيع بن خثيم[(١)] أَنَّه كان يردِّدها ليلة جمعاءَ، وكذلك عن الفضيل بن عياض، وكان يقول لنفسه: ليت شعري من أَي الفريقين أَنت؟، وقال الثَّعلبيُّ: كانت هذه الآية تسمَّى مبكاة العابدين[(٢)].

قال القاضي أَبو محمد: وأَمَّا لفظها فيعطي أَنَّه اجتراح الكفر /[(٣)] بدليل معادلته بالإِيمان، ويحتمل أَن تكون المعادلة بين الاجتراح وعمل الصّالحات ويكون الإِيمان في الفريقين، ولهذا بكى الخائفون رضي الله عنهم. [٥/ ٨٥]

وأَمَّا مفعولا ﴿حَسِبَ﴾ فقوله تعالى: ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾ يسدُّ مسدَّ المفعولين.

وقوله تعالى: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾؛ ﴿مَا﴾ مصدرِّية، والتَّقدير: ساءَ الحُكْمُ حُكْمُهُم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾.

= (٢/ ٣٧٦)، وحجة القراءات (ص: ٦٦١)، والعنوان (ص: ١٧٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٠٢) أن حمزة والكسائي وحفصاً، قرؤوا بالرفع في (مماتُهم)، وكذلك العشرة كلهم، وأما قراءتها بالنصب فشاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٣٤) للأعمش، وعزاها لمن ذكر في القراءة الثانية، في البحر المحيط (٩/ ٤٢١)، قال: وخلط ابن عطية هنا، وله بعض عذر، فإنه لم يكن معرباً، وتبعه على هذا الوهم صاحب التحرير، وهو معذور، لأنه ناسخ من كتاب إلى كتاب.

(١) كذا في أحمد ٣، وفي المطبوع والأصل وسائر النسخ: «الربيع بن خيثم».

(٢) انظر قول الربيع والفضيل في تفسير الثعلبي (٨/ ٣٦١) ولم أجد فيه أنها مبكاة... إلخ، لكن نقله عنه تفسير الثعالبي (٥/ ٢٠٧) أيضاً، وذكر التسمية دون نسبتها له: القرطبي في تفسيره (١٦/ ١٦٦)، وأبو حيان في البحر المحيط (٨/ ٤٨).

(٣) سقط من الأصل مقدار ورقة من هنا إلى رقم (٨٥) المكرر قريباً، ولعله خطأ في التصوير.

المعنى: [وخلق الله السَّماوات والأَرض][(١)]، فإِنَّ خلقها حقٌّ واجب متأَكد في نفسه لما فيه من فيض الخيرات، ولتدلّ عليه تعالى، ولتكون صنعة حاكمة بصانع، وقيل لبعض الحكماءِ: لم خلق الله السَّماوات والأَرض؟ فقال: ليظهر [جودة صنعه][(٢)].

واللَّام في قوله سبحانه: ﴿وَلِتُجْزَىٰ﴾ يظهر أَن تكون لام كَيْ، فكأَنَّ الجزاءَ من أَسباب خلق السَّماوات والأَرض.

ويحتمل أَن تكون لام الصيَّرورة، أَي: وصار الأَمر فيها من حيث اهتدى بها قوم وضلَّ عنها آخرون لأَن يجازى كلُّ أَحد بعمله وبما اكتسب من خير أَو شرٍّ.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾، سهَّل بعض القرَّاءِ الهمزة وحقَّقها قوم، وكذلك هي في مصحف ابن مسعود مخفَّفة[(٣)]، وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه ﴿أَفَرَيْتَ﴾ دون همز[(٤)].

وهذه الآية تسلية لمحمد ﷺ عن الكفَّار المعرضين عن الإِيمان، أَي: لا تحفِل بهم ولا تهتمَّ بأَمرهم، فليس فيهم حيلة لبشر لأَنَّ الله أَضلَّهم.

قال ابن جبير: قوله: ﴿إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ إِشارة إِلى الأَصنام؛ إِذ كانوا يعبدون ما يَهْوَوْن من الحجارة.

وقال قتادة: المعنى: لا يهوى شيئاً إِلَّا ركبه لا يخاف الله تعالى، فهذا كما يقال: الْهَوَى إِله معبود[(٥)].

---

(١) ليس في أحمد٣.

(٢) في الأسدية٣ ونور العثمانية بدلًا منه: «جوده»، وفي الحمزوية: «وجوده»، وفي نجيبويه: «قال ليظهر جوده»، وفي السليمانية: «صنعته».

(٣) في السليمانية: «محققة».

(٤) وهي سبعية للكسائي، والتسهيل لنافع، والتحقيق للباقين، ولورش إبدالها مداً، انظر السبعة (ص: ٢٥٧)، والتيسير (ص: ١٠٢).

(٥) انظر قوليهما بالمعنى في تفسير الطبري (٢٢/ ٧٦).

وقرأ الأَعرج، وابن جبير: (آلهةً هواه) على التَّأْنيث في (آلهَة)[١].

وهذه الآية وإِن كانت نزلت في هوى الكفر[٢] فهي متناولة جميع هوى النَّفس الأَمَّارة.

وقال ابن عبّاس: ما ذكر الله تعالى هوىً إِلَّا ذَمَّه[٣].

وقال الشَّعبيُّ: سُمِّي هوًى لِهُوِيِّه بصاحبه[٤].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «والعاجزُ من أَتبع نفسه هواها وتمنى على الله»[٥].

وقال سهل التُّسَترِيُّ: هواك داؤُك، فإِن خالفته فدواؤُك[٦].

وقال وهب: إِذا شككتَ في خَيْر أَمرَيْن، فانظر أَبعدهما من هواكَ فأْته[٧].

ومن حكمة الشِّعر في هذا قول القائل:

[الطويل] إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى ... إِلَى كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ[٨]

(١) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (١٣٩) الشواذ للكرماني (ص: ٤٣)، والبحر المحيط (٩/ ٤٢٢).

(٢) في السليمانية وأحمد٣: «الكفرة».

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ٣٦٢) من طريق عبيد الله بن محمد بن شنبه، حدثنا محمد بن عمران بن هارون، حدثنا أبو عبيد الله المخزومي سعيد بن عبد الرحمن بن حسان، حدثنا سفيان ابن عيينة، عن سليمان الأحول، عن طاووس، عن ابن عباس، به.و عبيد الله بن محمد بن شنبة، ومحمد بن عمران بن هارون لم أقف لهما على ترجمة.

(٤) تفسير الثعلبي (٨/ ٣٦٢). وفي نجيبويه: «لهوية صاحبه».

(٥) ضعيف، وقد تقدم انظر (سورة فصلت) آية (٥٠). وأتمه في السليمانية: «بالأماني».

(٦) رواه عنه الثعلبي (٨/ ٣٦٣) بلفظ: هواك يأمرك فإن خالفته فرط بك.

(٧) تفسير الثعلبي (٨/ ٣٦٣) وكأنه فيه من كلام سهل، ونقله عن وهب: القرطبي في تفسيره (١٦/ ١٦٨). في أحمد٣: «ابن وهب».

(٨) هذا البيت قاله هشام بن عبد الملك، ولم يقل غيره، انظر الأغاني (٧/ ٢١)، والبصائر والذخائر (١/ ٣٤٩).

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ قال ابن عبّاس: المعنى: على عِلْم من الله سابق[١].

وقالت فرقة: أَي: عَلَى عِلْمٍ من هذا الضَّلال[٢]، فإِنَّ الحقَّ هو الَّذي يترك ويعرض عنه، فتكون الآية على هذا التَّأْويل من آيات العناد، نحو قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]، وعلى كلا التَّأْويلين، فقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حال.

وقوله تعالى: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ استعارات كلُّها؛ إِذ هذا الضَّالُّ لا ينفعه ما يسمع ولا ما يفهم ولا ما يرى، فكأَنَّه بهذه الأَوصاف المذكورة.

وهذه الآية لا حُجَّة للجبريَّة فيها لأَنَّ التَّكسُّب فيها منصوص عليه في قوله تعالى [: ﴿ٱتَّخَذَ﴾، وفي قوله][٣]: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ على التَّأْويل الأخير فيه، ولو لم ينص على الاكتساب لكان مراداً في المعنى.

وقرأَ أَكثر القراءِ: ﴿غِشَٰوَةً﴾ بكسر الغين.

وقرأَ عبد الله بن مسعود: (غَشَاوَةً) بفتح الغين، وهي لغة ربيعة.

وحكي عن الحسن وعكرمة: (غُشَاوَةً) بضمِّ الغين، وهي لغة عُكل.

وقرأَ حمزة، والكسائيُّ: ﴿غَشْوَةً﴾ بفتح الغين وإِسكان الشِّين.

وقرأَ الأَعمش، وابن مصرف: (غِشْوَةً) بكسر الغين دون أَلف[٤].

---

(١) سقط من أحمد٣، والأثر أخرجه الطبري (٢١/ ٩٣- ٩٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٣٤)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١٠٠٣) من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية ابن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في السليمانية وأحمد٣: «الضال».

(٣) سقط من السليمانية.

(٤) القراءة الأولى سقطت من الحمزوية، وهي والرابعة سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٨)، والسبعة (ص: ٥٩٥)، وانظر الثانية والخامسة في مختصر الشواذ (ص: ١٣٩)، وزاد عشاوة بالمهملة لطاوس، والثانية للحسن في الهداية لمكي (١/ ١٤٩)، وزاد معه أبا حيوة، وذكر الكل في البحر المحيط (٩/ ٤٢٣)، وزاد فيهن آخرين. وسقط «إسكان الشين» في الرابعة من نجيبويه وأحمد٣.

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِ﴾ فيه حذف مضاف تقديره: من بعد إِضلال الله تعالى إِيَّاه.

وقرأ عاصم ـ وَأُرَاهُ الجحدريّ ـ: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذّال[١].

وقرأ جمهور النّاس: ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾ على الخطاب أيضاً بتشديد الذال.

وقرأ الأَعمش: (تَتَذَكَّرُونَ) بتاءَيْن[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا﴾ الآية؛ حكايةُ مقالة بعض قريش، وهذه صيغة[٣] دهرية من كفَّار العرب، ومعنى قولهم: ما في الوجود إِلاَّ هذه الحياة الَّتي نحن فيها وليست ثَمَّ آخِرَةٌ ولا بَعْثٌ.

واختلف المفسِّرون في معنى قولهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحۡيَا﴾:

فقالت فرقة: المعنى: نحن موتى قبل أَن نوجد ثمَّ نحيا في وقت وجودنا.

وقالت فرقة: المعنى: نحن نموت حين نحن نُطَفٌ ودَمٌ ثمَّ نحيا بالأَرواح فينا[٤]. وهذا قول قريب من الأَوَّل، ويسقط على القولَيْن ذكر الموت المعروف الَّذي هو خروج الرُّوح من الجسد، وهو الأَهم في الذِّكر.

وقالت فرقة: المعنى: نحيا ونموت، فوقع في اللَّفظ تقديم وتأْخير.

وقالت فرقة: الغرض من اللَّفظ العبارة عن حال النَّوع، فكأَنَّ النوع بجملته يقول: إِنَّما نحن تموت طائفة وتحيا طائفة دأباً.

---

(١) هذه رواية حفص عن عاصم بن أبي النجود وقراءة حمزة والكسائي في جميع القرآن، كما تقدم في (سورة الأنعام)، وبأتقن في (الأعراف)، وانظر التيسير (ص: ١٠٨) وتابعه في البحر المحيط (٩/ ٤٢٣) فقصرها على الجحدري. وفي أحمد٣: «وأظنه» بدل «أراه».

(٢) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٣٤)، والبحر المحيط (٩/ ٤٢٣)

(٣) في نجيبويه: «صنعة».

(٤) في السليمانية: «فيها». وفي أحمد٣ في الحالة الثانية: «نحن موتى قبل أَن نوجد ثمَّ نحيا بالأرواح فينا».

وقولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ أَي طول الزَّمان، وهو المهلِك لأَنَّ الأَوقات(١) تستوي فيه كمالاتها، فنفى الله تعالى عنهم علمهم بهذا، وأَعلم أَنَّها ظنون منهم وتخرُّص يفضي بهم إِلى الإِشراك بالله تعالى، والدَّهر والزَّمان تستعملهما العرب بمعنى واحد.

وفي قراءَة ابن مسعود: (وما يُهلكنا إِلَّا دهر يمرُّ)(٢).

وقال مجاهد: الدَّهر هنا: الزَّمانُ(٣).

وروى أَبو هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أَنه قال: «كان أَهل الجاهلية يقولون: إِنَّما يُهلكنا اللَّيل والنَّهار»(٤).

قال القاضي أَبو محمد: ويفارق هذا الاستعمالَ قولُ النَّبيِّ ﷺ: «لا تَسُبُّوا الدَّهر، فإِنَّ الله تعالى هو الدَّهر»(٥).

وفي حديث آخر: «قال الله تعالى: يسبُّ ابن آدم الدَّهر، وأَنا الدَّهر بيدي اللَّيل والنَّهار»(٦).

ومعنى هذا الحديث: فإِنَّ الله تعالى هو الذي يفعل ما تنسبونه إِلى الدَّهر وتسبُّونه بسببه، وإِذا تؤملت أَمثلة هذا في الكلام، ظهرت إِن شاءَ الله تعالى.

[٥/ ٨٥] / قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ

(١) في نجيبويه ونور العثمانية والسليمانية وأحمد٣: «الآفات». وسقطت منها «وهو».
(٢) وهي شاذة، انظرها في تفسير الطبري (٢٢/ ٧٨)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٤٨).
(٣) تفسير مجاهد (ص: ٦٠٠)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٧٨).
(٤) إنما هو من قول سفيان بن عيينة، أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٥٧١٥)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٥٣) من طريق إسحاق بن إبراهيم، عن ابن عيينة قوله.
(٥) أخرجه مسلم (٢٢٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. في أحمد٣: «فإن الدهر هو الله».
(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦١٨١)، ومسلم (٢٢٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

الضَّمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ عائد على كفَّار قريش.

و«الآيات» هنا: هي آيات القرآن وحروفه بقرينة قوله تعالى: ﴿تُتْلَىٰ﴾، وعابَتْ هذه الآية سوءَ مقاولتهم[1]، وأَنَّهم جعلوا بدل الحجَّة التَّمنّي المتشطِّط والطّلب لما قد حتم الله أَلّا يكون إِلّا إِلى أَجل مُسمّى.

وقرأَ الحسن، وعمرو بن عُبَيْد، وابن عامر فيما روى عنه عبد الحميد، وعاصم فيما روى هارون وحُسَيْن عن أَبي بكر عنه: ﴿حُجَّتُهُمْ﴾ بالرَّفع[2] على اسم ﴿كَانَ﴾ والخبر في ﴿أَن﴾.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿حُجَّتَهُمْ﴾ بالنَّصب على خبر مُقَدَّم، واسم كان في ﴿أَن﴾.

وكان بعض قريش قد قال: احْيِ لنا قُصَيّاً، فإِنَّه كان شيخ صِدْق، حتَّى نسأَله، إِلى غير ذلك من هذا النحو، فنزلت الآية في ذلك[3].

وقالوا لمحمد ﷺ: ﴿ٱئْتُوا۟﴾ من حيث المخاطبة له والمراد هو وإِلهُه والْمَلَك الوسيط الَّذي ذكر هو لهم، فجاءَ من ذلك جملة قيل لها: ﴿ٱئْتُوا۟﴾ و﴿إِن كُنتُمْ﴾.

ثمَّ أَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ أَن يخبرهم بالحال السالفة[4] في علم الله الَّتي لا تُبَدَّل،

---

(١) في الحمزوية والسليمانية: «مقالتهم»، وأشار إليها في حاشية الأسدية٣، وأحمد٣ فيه: «مقلاتهم».

(٢) انظر الرواية عن عاصم وابن عامر في جامع البيان (٣/ ١٦٣)، وقراءة الحسن في مختصر الشواذ (١٣٩) للحسن وزاد ابن أبي إسحاق وأبا حيوة، ولم ترد في شيء من طرق التيسير، ولا طرق النشر إلا ما انفرد به ابن العلاف عن النخاس عن التمار عن رويس، (٢/ ٣٧٢): وعزاها لقراءة الحسن وعبيد بن عمير ... إلخ، وعزاها لهما ولعمرو بن عبيد في البحر المحيط (٩/ ٤٢٣)، وزاد زيد بن علي.

(٣) ضعيف، هذا جزء من قصة طويلة أخرجها الطبري (١٥/ ٨٧-٨٨-٨٩-٩٠) من طريق يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن شيخ من أهل مصر، عن عكرمة، عن ابن عباس فذكره. وهذا إسناد ضعيف؛ من أجل جهالة شيخ محمد بن إسحاق.

(٤) في المطبوع والحمزوية والسليمانية وأحمد٣: «السّابقة».

وهي أَنَّه يحيي الخلق ويميتهم بعد ذلك ويحشرهم بعد إِماتتهم إِلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أَي: في نفسه وذاته.

و«الأَكثر» الَّذي لا يعلم هم الكفّار، و«الأَكثر» هنا على بابه.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾:

قالت فرقة: العامل في ﴿يَوْمَ﴾ قوله: ﴿يَخْسَرُ﴾، وجاءَ قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدلاً مؤكِّداً.

وقالت فرقة: العامل في ﴿يَوْمَ﴾ فعل يدلُّ عليه المُلْك، وذلك أَنَّ يوم القيامة حال ثالثة ليست بالسَّماءِ ولا بالأَرض لأَنَّ ذلك يتبدَّل، فكأَنَّه قال: ولله مُلْك السَّماوات والأَرض والملك يوم القيامة، وينفرد ﴿يَخْسَرُ﴾ بالعمل في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾.

و﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: الدّاخلون في الباطل.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ﴾ وصف حال القيامة وهولها.

و«الأُمَّةُ»: الجماعة العظيمة من النّاس الَّتي قد جمعها معنى أَو وصف شامل[1] لها.

وقال مجاهد: الأُمَّةُ: الواحد من النّاس.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قلِقٌ في اللُّغة، وإِن كان قد قيل في إِبراهيم عليه السلام: أُمَّة[2]، وقالها النَّبيُّ ﷺ في قُسّ بن ساعدة[3]، فذلك تجوُّز على جهة التَّشريف والتَّشبيه.

---

(١) في نجيبويه: «متأصل»، وفي نور العثمانية: «متأمل».

(٢) في الآية (١٢٠) من (سورة النَّحل).

(٣) لا يصح، أخرجه بهذا اللفظ الذي فيه موطن الشاهد: ابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة (٢/ ٦٧٣- ٦٧٤) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس به، والكلبي محمد بن السائب متهم بالكذب، وقد أخرجه البزار في مسنده (٥٣٤٧)، وابن عدي في الكامل (٦/ ١٤٤)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢١٣) من طريق محمد بن الحجاج اللخمي، عن مجالد، عن الشعبي، عن ابن عباس به، قال يحيى بن معين: محمد بن الحجاج كذاب خبيث، وأخرجه البيهقي في الزهد الكبير (٦٩٦) من طريق سفيان بن عيينة، عن أبي حمزة الثمالي، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس به، وأبو حمزة الثمالي هو ثابت بن أبي صفية دينار ضعيف، قال ابن الجوزي: وهذا الحديث =

و﴿جَاثِيَةً﴾ معناه: على الرّكب، قاله مجاهد والضَّحّاك[١]، وهي هيئة المذنب الخائف المعظِّم.

وفي الحديث: فجثا عمر على ركبتيه[٢].

وقال سلمان الفارسيُّ رضي الله عنه: في القيامة ساعة قدر عشر سنين، يخرُّ الجميع فيها جُثَاة على الرُّكب[٣].

وقرأ جمهور النّاس: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ﴾ بالرَّفع على الابتداءِ.

= من جميع جهاته باطل، قال أبو الفتح الأزدي الحافظ: هو حديث موضوع لا أصل له، وكذا قال الحافظ في الإصابة (٥/ ٥٥٢): وطرقه كلها ضعيفة، وانظر اللآلئ المصنوعة (١/ ١٦٦-١٧٤)، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (١/ ٥٠٠)، والموضوعات (١/ ٢١٣-٢١٤).

(١) عزاه لهما ولابن زيد: الطبري في تفسيره (٢٢/ ٨٢).

(٢) صحيح، وأصله في الصحيحين، هذا جزء من حديث أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٩٦) من طريق معمر، عن الزهري، عن أنس بن مالك قال: فجثا عمر على ركبتيه وقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، فقال النبي ﷺ: «أولى أما والذي نفسي بيده لقد صورت لي الجنة والنار آنفا في عرض هذا الحائط فلم أر كاليوم في الخير والشر»، وسبب هذه القصة كما جاء في البخاري (٩٣)، ومسلم (٢٣٥٩): أن رسول الله ﷺ خرج حين زاغت الشمس فصلى لهم صلاة الظهر فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة وذكر أن قبلها أموراً عظاماً، ثم قال: «من أحب أن يسألني عن شيء فليسألني عنه فوالله لا تسألونني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا»، قال أنس ابن مالك: فأكثر الناس البكاء حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ وأكثر رسول الله ﷺ أن يقول: «سلوني» فقام عبد الله بن حذافة فقال: من أبي يا رسول الله؟ قال: «أبوك حذافة». فلما أكثر رسول الله ﷺ من أن يقول: «سلوني» برك عمر فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، قال فسكت رسول الله ﷺ حين قال عمر ذلك..الحديث.

(٣) في إسناده من لم نعرفهم، أخرجه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٦٦) أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا موسى بن محمد الحلواني، حدثنا يعقوب بن إسحاق العلوي، حدثنا عبد الله بن يحيى الثقفي، حدثنا أبوعران، عن عاصم الأحول، عن ابن عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي، قال: في القيامة ساعة هي عشر سنين يكون الناس فيها جثاة على ركبهم حتّى إبراهيم عليه السلام لينادي لا أسألك اليوم إلا نفسي. وموسى بن محمد الحلواني، ويعقوب العلوي، وعبد الله بن يحيى الثقفي، وأبوعران لم أقف لهم على ترجمة.

وقرأ يعقوب الحضرمي: ﴿كلَّ أمة تدعى﴾ بالنصب[١] على البدل من ﴿كُلَّ﴾ الأولى، [إِذْ في ﴿كُلُّ﴾ الثّانية إيضاحُ موجب الجُثُوِّ.

وقرأَ الأَعمش: (وتَرى كلَّ أمة جاثية تدعى) بإِسقاط ﴿كُلُّ أُمَّةٍ﴾ الثاني][٢].

واختلف المتأَوِّلون في قوله: ﴿إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾:

فقالت فرقة: أَراد: إِلى كتابها المُنَزَّل عليها فتحاكم إِليه، هَلْ وافقته أَو خالفته؟

وقالت فرقة: أَراد: إِلى كتابها الَّذي كتبته الحفظة على كلِّ واحد من الأُمَّة، فباجتماع ذلك قيل له: كتابها، وهنا محذوف يدلُّ عليه الظّاهر، تقديره: فيقال لهم: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ يحتمل أَن تكون الإِشارة إِلى الكتب المنزَّلة، أَو اللَّوح المحفوظ، قال مجاهد، ومقاتل: يشهد بما سبق فيه من سعادة أَو شقاءٍ، أو تكون الكتب الحفظة.

وقال ابن قتيبة: هي إِلى القرآن[٣].

واختلف النّاس في قوله تعالى: ﴿نَسْتَنسِخُ﴾؛ فقالت فرقة: معناه: نكتب، وحقيقة النَّسخ وإِن كانت أَن يُنْقل خطٌّ من أَصل يُنْظر فيه؛ فإِنَّ أَعمال العباد هي في هذا التَّأْويل كالأَصل، فالمعنى: إِنَّا كُنَّا[٤] نقيِّد كلَّ ما عملتم.

وقال الحسن: هو كتب الحفظة على بني آدم[٥].

وروى ابن عبّاس وغيره حديثاً: أَنَّ الله تعالى يأْمر ملكاً[٦] بعرض أَعمال العباد

(١) وهي عشرية، انظر النشر (٢/ ٣٧٢)، والمحتسب (٢/ ٢٦٢)، ومختصر الشواذ (١٣٨)، وزاد الأعرج.
(٢) سقط من نجيبويه، وهي شاذة، مخالفة للمصاحف، لم أجد له فيها سلفاً ولا خلفاً.
(٣) لفظه في غريب القرآن (ص: ٣٤٨): يريد: أنهم يقرؤونه فيدلهم ويذكرهم، فكأنه ينطق عليهم. ولم أقف على القول الآخر.
(٤) سقط من نجيبويه.
(٥) انظر معناه في تفسير الثعلبي (٨/ ٣٦٧).
(٦) من نجيبويه.

كلَّ يوم خميس، فيُنقل من الصُّحف الَّتي ترفع الحفظة كلُّ ما هو مُعَدٌّ أَن يكون عليه ثواب أَو عقاب، ويُلْغى الباقي، قالت فرقة: فهذا هو النَّسخ من أَصل(١).

وقال ابن عبّاس أَيضاً: معنى هذه الآية: أَنَّ الله تعالى يجعل الحفظة تنسخ من اللَّوح المحفوظ كلَّ ما يفعل العباد ثمَّ يُمسكونه عندهم، فتأْتي أَفعال العباد على نحو ذلك فيُـقَيَّد أَيضاً، فذلك هو الاستنساخ، وكان ابن عبّاس يقول: أَلستم عرباً؟ وهل يكون الاستنساخ إِلَّا من أَصل؟(٢)

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

---

(١) في أحمد٣: «قالت هذه الفرقة هذا من الأصل».

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ١٠٤-١٠٥) عن ابن حُميد، عن يعقوب القمي، عن أخي عيسى ابن عبد الله، عن ثابت الثُّمالي، عن ابن عباس، قال: إن الله خلق النون وهي الدواة، وخلق القلم، فقال: اكتب، قال: ما أكتب، قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل معمول، برّ أو فجور، أو رزق مقسوم، حلال أو حرام، ثم ألزم كلّ شيء من ذلك شأنه دخوله في الدنيا، ومقامه فيها كم، وخروجه منه كيف، ثم جعل على العباد حفظة، وعلى الكتاب خزاناً، فالحفظة ينسخون كلّ يوم من الخزان عمل ذلك اليوم، فإذا فني الرزق وانقطع الأثر، وانقضى الأجل، أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم، فتقول لهم الخزنة: ما نجد لصاحبكم عندنا شيئاً، فترجع الحفظة، فيجدونهم قد ماتوا، قال: فقال ابن عباس: ألستم قوما عرباً تسمعون الحفظة يقولون ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل. ومحمد بن حميد الرازي ضعيف، وثابت الثمالي هو ثابت بن أبي صفية دينار ضعيف ولم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرج الطبري أيضاً من طريق زائدة بن قدامة، عن عطاء بن السائب، عن مقسم، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ قال: هو أمّ الكتاب فيه أعمال بني آدم ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال: نعم، الملائكة يستنسخون أعمال بني آدم، وأخرجه أيضاً (٢١/ ١٠٥) من طريق عطاء، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ قال: الكتاب: الذكر ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال: نستنسخ الأعمال.

ذكر الله تعالى حال الطّائفتين من المؤمنين والكافرين، وقرن[١] بينهم في الذّكر ليبيِّن الأَمر في نفس السَّامع، فإِنَّ الأَشياءَ تتبيَّن بذكر أَضدادها معها.

و﴿ٱلۡفَوۡزُ﴾ هو نيل البُغية.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ﴾[٢] فإِنَّ التقدير فيه: وأَمَّا الَّذين كفروا فيقال لهم: أفلم تكن، فحذف (يُقَال لهم) اختصاراً، وبقيت الفاءُ دالَّة على الجواب الَّذي تطلبه ﴿أَمَّا﴾، ثمَّ قدم عليها أَلف الاستفهام من حيث له صدر القول على كلِّ حالة، / ووقف الله تعالى الكفَّار على الاستكبار؛ لأَنَّه من شرِّ الخلال. [٥/ ٨٦]

وقرأَ حمزة وحده: ﴿وَالسَّاعَةَ﴾ بالنَّصب عطفاً على قوله: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾، وروِيت عن أَبي عمرو، وعيسى، والأَعمش[٣].

وقرأَ ابن مسعود: (حَقٌّ وإِن السَّاعَةَ لَا رَيْب فيها)، وكذلك قرأَ أَيضاً الأَعمش[٤].

وقرأَ الباقون: ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾ رفعاً، ولذلك وجهان:

أَحدهما: الابتداءُ والاستئناف، والآخر: العطف على موضع ﴿إِنَّ﴾ وما عملت فيه؛ لأَنَّ التقدير: وَعْدُ الله حَقٌّ، قاله أَبو عليٍّ في «الحُجَّة»[٥].

وقال بعض النّحاة: لا يعطف على موضع (إِنَّ) إِلَّا إِذا كان العامل الَّذي عطلته[٦] (إِنَّ) نافياً[٧]، وكذلك هي على موضع الباءِ في قوله:

---

(١) في المطبوع والسليمانية ونور العثمانية وأحمد٣: «فرق»، وسقط منها: «من المؤمنين والكافرين».

(٢) في المطبوع زيادة: «فيه محذوف»، قال في الحاشية: زيادة لتوضيح الكلام.

(٣) وهي والأخيرة سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٨)، والسبعة (ص: ٥٩٥)، والباقين في البحر المحيط (٩/ ٤٢٦).

(٤) وهي شاذة انظرها في معاني القرآن للفراء (٣/ ٤٧)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨٤). وسقط «ابن مسعود» من أحمد٣.

(٥) الحجة للفارسي (٦/ ١٨١).

(٦) في المطبوع وأحمد٣: «عطفته».

(٧) في حاشية الأسدية٣: في هذا كلام مخل فلينظر.

[الوافر] .... فَلَسْـنَا بِالْجِبَـالِ وَلَا الحَدِيـدَا[١]

فلمَّا كانت (ليْس) نافِيةً[٢] جاز العطف على الموضع قبل دخول الباءِ، ويظهر نحو هذا النَّظر من كتاب سيبويه[٣]، ولكن قد ذكرنا ما حكى أَبو عليٍّ وهو القدوة.

وقولهم: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ معناه: إِنْ نَظُنُّ بعد قبول خبركم إِلَّا ظَنّاً، وليس يعطينا [خبراً يقيناً][٤].

وقوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ﴾ الآية؛ حكايةُ حال يوم القيامة.

و(حَاقَ): معناه: نزل وأَحاط، وهي مستعملة في المكروه، وفي قوله: ﴿مَّا كَانُوا۟﴾ حذف مضاف تقديره: جزاءَ ما كانوا، أَي عقاب كونهم يستهزئون.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

---

(١) هذا عجز بيت قاله عُقَيْبَة بن هبيرة الأسديُّ من أبيات يشكو بها إلى معاويَّة بن أبي سفيان جور عماله، وصدره: مُعَاوِيَ إِنَّنَا بَشَرٌ فأسْجِحْ، انظر نسبته له في الكتاب لسيبويه (١/ ٦٧)، والجمل في النحو (١/ ١٠٠)، وسر صناعة الإعراب (١/ ١٣١)، وإنما يستقيم الشاهد هكذا على رواية النصب، وأيده ابن الأنباري في الإنصاف (١/ ٢٧١) بأن بعده: أديروها بني حرب عليكم... ولا ترموا بها الغرض البعيدا. قال: والروي المخفوض لا يكون مع الروي المنصوب في قصيدة واحدة، وقال الفراء في معاني القرآن (٢/ ٣٤٨): ويُنشد «الحديدا» خفضاً ونصباً، وأكثر ما سمعته بالخفض، وكتبت في الأصل: «الحديد»، قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (١/ ١٠٠): وقد غلط على الشاعر، لأنّ هذا الشعر كلّه مخفوض، وبعده: أكلتم أرضنا وجردتموها... فهل من قائم أو من حصيد. ومثله لابن عبد ربه في العقد الفريد (٦/ ٢٣٧) وفي خزانة الأدب (٢/ ٢٣٢) عن المبرد والعسكري، ثم قال: وقيل: إنه من شعر آخر لعبد الله بن الزبير الأسدي،... قال: وليس ينكر أن يكون بيتٌ من شعرين معاً.

(٢) في الأصل: «باقية».

(٣) الكتاب لسيبويه (١/ ٦٧).

(٤) في الأصل: «خبراً»، وفي المطبوع والسليمانية وأحمد٣: «يقيناً»، وفي نجيبويه: «خبراً».

﴿نَنسَىٰكُمْ﴾ معناه: نتْرُكُكُمْ كما تركتم لقاءَ يومكم هذا، فلم يقع منكم استعدادٌ له ولا تأهب، فسمِّيت العقوبة في هذه الآية باسم الذَّنب.

و«المأْوى»: الموضع الَّذي يسكنه الإِنسان ويكون فيه عامَّة أَوقاته أَو كلَّها أَجمع.

و﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لفظ جامع لآيات القرآن وللأَدلَّة الَّتي نصبها الله تعالى لينظر فيها أكثر العباد.

وقرأَ أَكثر القراءِ: ﴿لَا يُخْرَجُونَ﴾ بضمِّ الياءِ المنقوطة من تحت وفتح الرَّاءِ.

وقرأَ حمزة، والكسائيُّ، وابن وثّاب، والأَعمش، والحسن: ﴿يَخْرُجُونَ﴾ بإِسناد الفعل إِليهم بفتح الياءِ وضمِّ الرَّاءِ(١).

و﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾: تُطلب منهم مراجعة إِلى عمل صالح.

وقوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾ إِلى آخر السُّورة؛ تحميدٌ لله تعالى وتحقيق لأُلُوهيَّته، وفي ذلك كسرٌ لأَمر الأَصنام والأَنصاب.

وقراءَة النّاس: ﴿رَبِّ﴾ بالخفض في الثّلاثة على الصِّفة.

وقرأَ ابن محيصن بالرَّفع فيها، على معنى: هُوَ رَبُّ(٢).

و﴿ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ بناءُ مبالغة، وفي الحديث: «يقول الله تعالى: الكبرياءُ ردائي، والعظمة إِزاري، فمن نازعني منهما شيئاً قصمته»(٣).

كمل تفسير (سورة الجاثية)، والحمد لله ربّ العالمين

---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٩٥)، وانظر عزوها للحسن وابن وثاب في البحر المحيط (٩/ ٤٢٧).

(٢) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٩/ ٤٢٧).

(٣) أصله في صحيح مسلم بنحوه، أخرجه بهذا اللفظ الحاكم في مستدركه (١/ ٦١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٧٩) من طريق جعفر بن أبي عثمان الطيالسي، عن سهل بن بكار، عن حماد ابن سلمة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه، وفي المستدرك بدون=

= «العظمة»، وفي سند البيهقي عن حماد، عن قتادة، وعلي بن زيد، وهو في مسلم (**٢٦٢٠**) من حديث الأعمش حدثنا أبو إسحاق عن أبي مسلم الأغر أنه حدثه عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا قال رسول الله ﷺ: «العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته»، ولغير مسلم: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار»، وفي لفظ: «قذفته في النار».

سُورَةُ الأَحْقَاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَفسير سُورة الأحقاف

هذه السُّورة مكِّيَّة، لم يُختلف منها إلَّا في آيتيْن وهي قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الأحقاف: ١٠] الآية، وقوله: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] الآية، فقال بعض المفسِّرين: هاتان آيتـان مدنيتان وُضِعَتا في سورة مكِّيَّة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾.

تقدَّم القول في الحروف المقطعة التي في أَوائل السُّور[1].

و﴿تَنزِيلُ﴾ رفع بالابتداءِ، أَو خبر ابتداءٍ مضمر.

---

(١) ليس في أحمد٣.

و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن.

و«العِزَّة والإِحكام»: صفتان مقتضيتان أَنَّ من هما له غالبٌ كلّ من حادَّه.

وقوله: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآيةَ؛ موعظةٌ وزجْرٌ، أَي: فانتبهوا[١] أَيها النّاسُ وانظروا ما يراد بكم ولِمَ خُلِقتم.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ معناه: إِلّا بالواجب الحسن الَّذي قد حقَّ أَن يكون، وبأَجل مُسَمًّى: وقَّتْناهُ وجعلناه موعداً لفساد هذه البنية، وذلك هو يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿عَمَّآ أُنذِرُواْ﴾؛ (مَا) مصدرية، والمعنى: عن الإِنذار.

ويحتمل أَن تكون (مَا) بمعنى الَّذي، والتَّقدير: عن ذكر الَّذي أُنذروا به والتحفُّظ منه، أو نحو هذا.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾ يحتمل ﴿أَرَءَيْتُم﴾ وجهين:

أَحدهما: أَن تكون متعدِّية[٢]، و﴿مَا﴾ مفعولة بها.

ويحتمل: أَن تكون مُنَبِّهَة[٣] لا تتعدّى، وتكون ﴿مَا﴾ استفهاماً على معنى التَّوبيخ.

و﴿تَدْعُونَ﴾ معناه: تعبدون.

قال الفراءُ: وفي قراءَة عبد الله بن مسعود: (قل أرأيتكم مَنْ تَعْبُدُونَ)[٤].

وقوله: ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿مِنَ﴾ للتَّبعيض؛ لأَنَّ كلَّ ما على وجه الأَرض من حيوان ونحوه فهو من الأَرض، ثمَّ وقفهم تعالى على السَّماوات، هل لهم فيها شرك؟ ثمَّ استدعى منهم كتاباً منزَّلاً قبل القرآن يتضمَّن عبادة صنم.

---

(١) في المطبوع: «فاشهدوا»، وفي الأسدية٣: «فأسمعوا»، وفي نور العثمانية: «فانتهوا».

(٢) في أحمد٣: «متقدمة»، وفي السليمانية: «مصدرية».

(٣) في نجيبويه: «مبهمة».

(٤) معاني القرآن للفراء (٣/ ٤٩)، بلفظ: «أريتم»، دون «قال»، في السليمانية: «قل»، وفي نجيبويه والسليمانية: «تدعون»، وفي أحمد٣: «يدعون».

وقوله: ﴿أَوۡ أَثَـٰرَةٍ﴾ معناه: أَو بقية قديمة من علم أَحد من العلماءِ تقتضي عبادة الأَصنام.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿أَوۡ أَثَـٰرَةٍ﴾ على المصدر كالشَّجاعة والسَّماحة، وهي البقية من الشّيءِ كأَنَّها أَثَرُهُ، وقال الحسن بن أَبي الحسن: المعنى: من علم تستخرجونه فتثيرونه[١]، وقال مجاهد: المعنى: هل من أَحد يأْثر علماً في ذلك[٢]، [أَي ينقله][٣]، وقال القُرَظيُّ: هو الإِسناد[٤].

ومن ذلك قول الأَعشى:

إِنَّ الَّـــذِي فِيـــهِ تَمَـارَيْتُـمَـا بُـيِّـنَ لِـلـسَّـامِـعِ وَالآثِـــرِ[٥] [السريع]

/ أَي: ولِلمُسْنِدِ عن غيره، ومنه قول عمر رضي الله عنه: فَمَا حلفت بها ذاكراً ولا آثراً[٦]. [٥/ ٨٧]

وقال أَبو سلمة بن عبد الرَّحمن، وقتادة: المعنى: أَو خاصة من علم[٧]، فاشتقاقها من الأَثَرة، كأَنَّها قد آثر الله بها من هي عنده.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٩٣).

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٦٠٢)، تفسير الطبري (٢٢/ ٩٤).

(٣) من المطبوع والأسدية٣ وأحمد٣ والسليمانية.

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ٦).

(٥) انظر نسبته له في غريب الحديث للقاسم بن سلام (٢/ ٥٩)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٦)، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي (ص: ٢٧٣)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٨٧)، والصحاح للجوهري (٢/ ٥٧٥).

(٦) متفق عليه، هذا جزء من الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٦٤٧)، ومسلم (١٦٤٦) عن عبد الله ابن عمر، عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم». قال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ نهى عنها ذاكراً ولا آثراً. وفي الأصل: «فما خلفنا بها»، وفي نور العثمانية: «خلفت».

(٧) تفسير الطبري (٢٢/ ٩٣).

وقال عبد الله بن عباس: المراد بالأَثارة: الخَطُّ في التُّراب[١]، وذلك شيءٌ كانت العرب تفعله وتتكهَّن به وتزجر، وهذا من البقيَّة والأَثر، وروي: أن النَّبيَّ ﷺ سُئل عن ذلك، فقال: «كان نبيٌّ من الأَنبياءِ يَخُطُّ، فمن وافق خطّه فذاك»[٢].

وظاهر هذا الحديث يُقَوِّي أَمر الخَطِّ في التُّراب، وأَنَّه شيءٌ له وجه إِذا وُفِّق أَحدٌ إِليه، وهكذا تأَوَّله كثير من العلماءِ.

وقالت فرقة: بل معناه الإِنكار، أَي أَنَّه كان من فعل نبيٍّ قد ذهب وذهب الوحي إِليه والإِلهام في ذلك، ثمَّ قال: «فمن وافق خطّه» على جهة الإِبعاد، أَي: إِنَّ ذلك لا يمكن مِمَّن ليس بنبيٍّ مُيَسَّر لذلك، وهذا كما يسأَلك أَحد فيقول: أَيطير الإِنسان؟ فتقول: إِنّما يطير الطّائر، فمن كان له من النّاس جناحان طار، أَي أن ذلك لا يكون.

و«الأَثارة»: تستعمل في بقية الشَّرف، فيقال: إِنَّ لبني فلان أَثارة من شرف: إذا

---

(١) صحيح، ورُوي مرفوعاً ولا يصح، أخرجه الطبري (٢١/ ١١٣)، من طريق أبي عاصم النبيل، وابن المقرىء في معجمه (٢٣٠)، من طريق أبي تمام، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٥) من طريق محمد ابن كثير العبدي، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٣٥٥)، من طريق أبي حذيفة موسى بن مسعود، ورواه الفريابي، ومحمد بن عبد الوهاب القناد، وأبو نعيم كما عند العقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٩٣) جميعهم ـ أبو عاصم، وأبو تمام، ومحمد بن كثير، وأبو حذيفة، والفريابي، ومحمد بن عبد الوهاب، وأبو نعيم ـ عن سفيان بن عيينة، عن صفوان بن سليم، عن أبي سلمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
وقد اختلف على سفيان بن عيينة، فرواه عنه الجماعة كما تقدم موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما، وخالفهم يحيى بن سعيد القطان فرواه عن سفيان، به مرفوعاً، أخرجه أحمد (١/ ٢٢٦)، والخطابي في غريب الحديث (ص: ٦٤٨)، قال الحاكم: وقد أُسند عن الثوري من وجه غير معتمد، واعتمد قول الحاكم الحافظ كما في فتح الباري (١١/ ٥٣٢).
وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠٧٢٥)، وفي الأوسط (٢٦٩) عن أحمد بن رشدين، عن روح بن صلاح، عن سعيد بن أبي أيوب، عن صفوان ابن سليم به، مرفوعاً بلفظ: أنه سئل عن الخط فقال: «هو أثارة من علم». وأحمد بن رشدين المصري متكلم فيه بالضعف، وكذلك روح بن صلاح.
وفي المطبوع ونجيبويه: «مسعود».

(٢) هذا جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي.

كانت عندهم شواهد قِدَمِهِ[١]، وتستعمل في غير ذلك، ومنه قول الرّاعي:

وَذَاتِ أَثَـارَةٍ أَكَلَـتْ عَلَيْهَا نَبَاتاً في أَكِـمَّـتِـهِ فَـفَـارا[٢] [الوافر]

يريد: الأَثارة من الشَّحْم، أَي: البقيَّة.

وقرأَ أَبو عبد الرّحمن السُّلَميُّ ـ فيما حكى الطَّبريُّ ـ : (أو أَثَرة) بفتح الهمزة والثّاءِ والرّاءِ دون أَلف، وحكاها أَبو الفتح عن ابن عبّاس وقتادة وعكرمة وعمرو بن ميمون والأَعمش[٣]. وهي واحدة جمعها: أَثَر؛ كقَتَرَةٍ وقَـتَر.

وحكى الثَّعلبيُّ: أَنَّ عكرمة قرأَ: (أَو مِيرَاثٍ مِنْ عِلْم)[٤].

وقرأَ علي بن أَبي طالب، والسُّلَميُّ ـ فيما حكى أَبو الفتح ـ : (أَثْرَةٍ) بسكون الثّاءِ[٥].وهي الفَعْلَة الواحدة مما يُؤْثر، أَي: قد قنعت لكم حجة [واحدة بخبر][٦] واحد وأَثَر واحد يشهد بصحَّة قولكم.

وقرأَت فرقة بضمِّ الهمزة وسكون الثّاءِ[٧].

وهذه كلُّها بمعنى: هل عندكم شيءٌ خصَّكم الله به من علم وآثركم به.

---

(١) في نجيبويه: «قديمة».

(٢) البيت للراعي كما في مجاز القرآن (٢/ ٢١٢)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٩٤)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٦)، وشرح أدب الكاتب (ص: ٢٦١)، وفي خزانة الأدب (١٠/ ١٤٠) أنه من قصيدة مدح بها سعيد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد عدتها سبعة وخمسون بيتاً، ونسبه في المحكم (١٠/ ١٧٤)، للشَّمَّاخ. وفي أغلب المصادر والسليمانية: «فقارا»، بالفاء، وفي العلمية وأحمد٣: «قصارى»، بالصاد.

(٣) وهي شاذة، انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٩٥)، والمحتسب (٢/ ٢٦٤).

(٤) شاذة، إن كانت، ولم نجدها لغير المؤلف، ولعله وهم منه، رحمه الله، فلفظ الثعلبي (٩/ ٦) هو: وقول عكرمة: (أو ميراث من علم)، ونقله القرطبي (١٦/ ١٨٢) بلفظ: وحكى الثعلبي عن عكرمة... إلخ.

(٥) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٢٦٤). وفي أحمد٣: «أثر».

(٦) سقط من الحمزوية، وسقط من الأصل: «واحدة»، وفي أحمد٣ والمطبوع: «بحجة واحدة وتخير واحد».

(٧) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٣٥) للسلمي وابن عمير، وأشار لها الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٩٥) بلا نسبة.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ ﴾ الآيةَ؛ توبيخٌ لِعَبَدَةِ الأَصنام، أَي: لا أَحد أَضلُّ مِمَّن هذه صفته، وجاءَت الكناياتُ في هذه الآية عن الأَصنام كما تجيءُ[١] عمّن يعقل، وذلك أَنَّ الكفّار قد أَنزلوها منزلة الآلهة وبالمحلِّ الَّذي دونه البَشَر فخوطبوا على نحو معتقدهم فيها.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (مَا لا يَسْتَجِيبُ)[٢].

والضَّمير في قوله: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ هو للأَصنام في قول جماعة، ووصف الأَصنام بالغفلة من حيث عاملهم معاملة من يعقل.

ويحتمل أَن يكون الضّمير في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ﴾ وفي ﴿غَٰفِلُونَ﴾ للكفار، أَي: ضلالهم بأَنَّهم يدعون من لا يستجيب ثم يَغْفُلون[٣] فلا يتأَملون ما عليهم في دعاء مَنْ هذه صفته.

وقوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ وصفٌ لما يكون يوم القيامة بين الكفّار وأَصنامهم من التَّبري والمناكرة، وقد بيَّن ذلك في غير هذه الآية، [وذلك قوله تعالى حكاية عنهم][٤]: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ ﴾.

«الآياتُ» المذكورة: هي آيات القرآن، بدليل قوله تعالى: ﴿تُتْلَىٰ﴾ وبقول الكفّار: ﴿هَٰذَا سِحْرٌ﴾، وإِنَّما قالوا ذلك عن القرآن من حيث قالوا: هو يفرِّق [بين المرءِ وبين

---

(١) في أحمد٣: «كنى».

(٢) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٥٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٠٥).

(٣) سقط من الأصل والسليمانية، وفي الحمزوية والأسدية٣ بدلًا منه: «ثم يعقلون».

(٤) ليس في أحمد٣.

ولده، وبينه وبين زوجه[١]، إِلى نحو هذا ممَّا يوجد[٢] مثله للسِّحر بالوجه الأخس[٣].

وقوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾، ﴿أَمۡ﴾ مقطوعة مقدَّرة بـ: بل وألف الاستفهام.

و﴿ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾ معناه: اشتَقَّه، واختلقه، فأَمره الله تعالى أَن يقول: إِن افتريتُه فالله حسبي في ذلك، وهو كان[٤] يعاقبني ولا يهملني[٥]، ثمَّ رجع القول إِلى الاستسلام[٦] إِلى الله تعالى والاستنصار به عليهم، وانتظار ما يقتضيه علمه بما يفيضون فيه من الباطل ومُرَادَّة الحقِّ، وذلك يقتضي معاقبتهم، ففي اللَّفظة تهديد.

والضَّمير في قوله: ﴿فِيهِ﴾ يحتمل أَن يعود على القرآن، ويحتمل العودة على (مَا).

والضَّمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد على الله تعالى، و﴿بِهِۦ﴾ في موضع رفع.

وأَفَاضَ الرَّجلُ في الحديث والسب ونحوه: إِذا خاضَ فيه واستمرّ.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ترجية واستدعاءٌ إِلى التَّوبة لأَنَّه في خلال[٧] تهديده إِيّاهم بالله تعالى جاءَت هاتان الصِّفتان.

ثمَّ أَمره تعالى أَن يحتجَّ عليهم بأَنَّه لم يكن بِدْعاً من الرُّسل، أَي: قد جاءَ غيري قبلي، قاله ابن عبّاس[٨]، والحسن، وقتادة[٩].

---

(١) في أحمد٣: «بين المرء وولده وزوجه».

(٢) في نجيبويه: «يوجب».

(٣) في المطبوع: «الآخر»، وفي الحمزوية: «الأخص». وفي أحمد٣: «الأخير». وفي السليمانية: «الأحسن».

(٤) في نجيبويه: «كاف».

(٥) في السليمانية: «يمهلني».

(٦) في المطبوع: «الاستفهام».

(٧) في أحمد٣: «حال». وفيه: «الصفات» بدل «الصفتان».

(٨) أخرجه الطبري (٢١/ ١١٩)، وابن أبي حاتم كما في تغليق التعليق (٤/ ٣١١) من طريق عبد الله ابن صالح، عن معاوية بن صالح، علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: لست بأول الرسل، وأخرجه ابن جرير أيضاً (٢١/ ١١٩) من طريق عطية العوفي عنه.

(٩) نقله الطبري (٢٢/ ٩٨) عن قتادة ومجاهد. و«قتادة» سقط من نجيبويه، وفي المطبوع بدلًا منه: «الأَعرج».

و«البِدْعُ والبديع من الأَشياءِ»: ما لَمْ يُرَ مثله، ومنه قول عدي بن زيد:

[الطويل] فَمَـا أَنَـا بِـدْعٌ مِـنْ حَـوَادِثَ تَعْتَرِي رِجَالاً عَرَتْ مِنْ بَعْدِ بُؤْسي وَأَسْعُدِ[1]

وقرأ عكرمة، وابن أَبي عبلة، وأَبو حيوة: (بدَعاً) بفتح الدّال[2]، قال أَبو الفتح: التَّقدير: ذَا بَدَعٍ، بحذف المضاف، كما قال:

[المتقارب] وَكَيْـفَ تُوَاصِـلُ مَـنْ أَصْبَحَـتْ خُـلالَـتُـهُ كَـأَبِـي مَـرْحَـبِ[3]

واختلف النّاسُ في قوله: ﴿مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْۖ﴾ فقال ابن عبّاس، وأَنس بن مالك[4]، والحسن وقتادة وعكرمة: معناه: في الآخرة[5]، وكان هذا في صدر الإِسلام، ثمَّ بعد ذلك عرَّفه الله تعالى بأَنَّه قد غفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأَخَّر، وبأَنَّ المؤمنين لهم من الله فضل كبيرٌ، وهو الجنَّة، وبأَنَّ الكافرين في نار جهنَّم.

والحديث الَّذي وقع في جنازة عثمان بن مظعون يؤيد هذا وهو قوله: «فوالله ما أَدري وأَنا رسول الله ما يفعل بي»، وفي بعض الرِّوايات: «به»[6]، ولا حُجَّة لنا في الحديث على رواية «به».

---

(١) كما في تفسير الطبري (٢٢/ ٩٧)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢٧٢)، وعيار الشعر (ص: ١٠٥).

(٢) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٢٦٤)، والكامل للهذلي (ص: ٦٣٧)، وضبطها في المطبوع بَدعا، ذا بَدع.

(٣) البيت للنَّابغة الجعديِّ، كما في الكتاب لسيبويه (١/ ٢١٥)، والإبل للأصمعي (ص: ٧٣)، وأمالي القالي (١/ ١٩٢).

(٤) أثر ابن عباس أخرجه الطبري (٢١/ ١٢١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقول أنس بن مالك رضي الله عنه، ذكره الثعلبي (٩/ ٧)، ولم أجده مسنداً.

(٥) تفسير الثعلبي (٩/ ٧).

(٦) أخرجه البخاري (١٤٤٣-٣٩٢٩-٧٠١٨) بلفظ: «ما يفعل بي ولا بكم»، وهي عند أحمد (٢٧٤٥٨)، وفي البخاري (٢٦٨٧) بلفظ: «مايفعل به»، قال الحافظ في الفتح (٣/ ١١٥): في رواية الكشميهني: «به» وهو غلط، وإنما قال رسول الله ﷺ ذلك موافقة للآية.

والمعنى عندي في هذا القول: أَنَّه لم تتكشَّف له الخاتمة، فقال: «لا أَدري»، وأَمَّا مَنْ وافَى على الإِيمان، فقد أُعلم بنجاته / من أَوَّل الرِّسالة، وإِلَّا فكان للكفّار أَن يقولوا: وكيف تدعونا إِلى ما لا تدري له عاقبة. [٥/ ٨٨]

وقال الحسن أَيضاً وجماعة: معنى الآية: ما أَدري ما يُفعل بي ولا بكم في الدُّنيا من أَن أُنصر عليكم أَو مِن أَن تُمكَّنوا منِّي(١)، ونحو هذا من المعنى.

وقالت فرقة: معنى الآية: ما أَدري ما يُفعل بي ولا بكم من الأَوامر والنَّواهي وما تُلزمنا الشَّريعة من أَغراضها(٢).

وحكى الطَّبريُّ عن بعضهم أَنَّه قال: نزلت الآية في أَمر كان النَّبيُّ ﷺ ينتظره من الله في غير الثَّواب والعقاب(٣).

وروي عن ابن عبّاس: أَنَّه لمَّا تأَخَّر خروج النَّبيِّ ﷺ من مكَّة حين رأَى في النَّوم أَنَّه يهاجر إِلى أَرض ذات نخل وسبخة؛ قَلِقَ المسلمون لتأَخُّر ذلك، فنزلت هذه الآية(٤).

وقوله: ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ معناه: الاستسلام والتَّبرِّي من عِلْم المغيبات والوقوف مع النِّذارة من عذاب الله عز وجل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ١١﴾.

هذه الآية توقيف على الخطر العظيم الَّذي هم بسبيله في أَن يكذِّبوا بأَمْر نافع لهم مُنْج

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٠٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٨).

(٢) في أحمد٣ والسليمانية: «أعراضها».

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٠١)، بلا نسبة، إلا أنه رجح قول الحسن أنها في الدنيا.

(٤) ضعيف، هذا الأثر رواه الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه، كما ذكر ذلك القرطبي في تفسيره (١٦/ ١٨٦) وعزاه للواحدي، وانظر أسباب النزول (ص: ٢٥٤).

من العذاب دون حُجَّة ولا دليل لهم على التَّكذيب، فالمعنى: كيف حالكم مع الله؟ وماذا تنتظرون منه وأَنتم قد كفرتم بما جاءَ من عنده؟ وجواب هذا التَّوقيف محذوف، تقديره: أَليس قد ظلمتم؟ ودلَّ على هذا المقدَّر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

و﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ في هذه الآية؛ يحتمل أَن تكون مُنَبِّهَة، فهي لفظ موضوع للسُّؤال لا يقتضي مفعولاً، ويحتمل أَن تكون الجملة ﴿كَانَ﴾ وما عملت فيه تسُدُّ مسدَّ مفعوليها.

واختلف النّاس في المراد بالشَّاهد:

فقال الحسن، ومجاهد، وابن سيرين: هذه الآية مدنيَّة والشَّاهد عبد الله بن سلام[(١)].

وقوله: ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ الضَّمير فيه عائد على قول محمد ﷺ في القرآن: إِنَّه من عند الله.

وقال الشَّعبيُّ: الشَّاهد: رجل من بني إِسرائيل غير عبد الله بن سلام، كان بمكَّة، والآية مكِّيَّة[(٢)].

وقال سعد بن أَبي وقَّاص[(٣)]، ومجاهد[(٤)]، وفرقة: الآية مكِّيَّة، والشّاهد عبد الله ابن سلام، وهي من الآيات الَّتي تضمَّنت غيباً أَبرزه الوجود.

وقد روي عن عبد الله بن سلام أَنَّه قال: فيَّ نزلت[(٥)].

---

(١) نقله بالمعنى الطبري (٢٢/ ١٠٣) عنهم وعن الضحاك وقتادة.

(٢) سقط ذكر «الشعبي» من الأصل، وانظر قوله في تفسير الطبري (٢٢/ ١٠٣)، والثعلبي (٩/ ١٠). وفي أحمد٣ والسليمانية: «مدنية».

(٣) أخرجه البخاري (٣٨١٢).

(٤) تفسير مجاهد (ص: ٦٠٢)، دون ذكر كون الآية مكية.

(٥) ضعيف، أخرجه أحمد (٥/ ٤٥١)، وعبد بن حميد (٤٩٨)، والترمذي (٣٢٥٦،٣٨٠٣)، وابن ماجه (٣٧٣٤)، والطبري (٢١/ ١٢٧) من طريق يحيى بن يعلى أبي المحياة، عن عبد الملك بن عمير، قال: حدثني ابن أخي عبد الله بن سلام، فذكر قصة طويلة وفيها قول عبد الله بن سلام، قال الترمذي: هذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث عبد الملك بن عُمير. وقد روى شُعيب بن صَفوان هذا الحديث عن عبد الملك بن عُمير فقال: عن عُمر بن محمد بن عبد الله بن سَلَام، عن جَده عبد الله بن سلام، وأخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٧٧٤)، والطبري (٢١/ ١٢٧)، والطحاوي في شرح =

وقال مسروق بن الأَجدع والجمهور: الشّاهد هو موسى بن عمران عليه السَّلام، والآية مكِّيَّة، ورجَّحه الطَّبريُّ[١].

وقوله: ﴿عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾ يريد بالمثل التَّوراة، والضَّمير عائد على هذا التَّأْويل على القرآن، أي: جاءَ شاهد من بني إِسرائيل بمثله وشهد أَنَّه من عند الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ﴾ على هذا التَّأْويل يعني به: تصديق موسى بأَمر محمد ﷺ وتبشيره به، فذلك إِيمان به.

وأَمَّا من قال: الشَّاهد عبد الله بن سلام، فإِيمانه بيِّن، وكذلك الإِسرائيليُّ الَّذي كان بمكَّة في قول من قاله.

وحكى بعضهم: أَنَّ الفاعل[٢] بـ(آمَنَ) هو محمد ﷺ، وهذا من القائلين بأَنَّ الشَّاهد هو موسى بن عمران عليه السَّلام، [وإنما اضطر إلى هذا لأنه لم ير وجهَ إيمان موسى عليه السلام][٣]، ثمَّ قرن تعالى استكبارهم وكفرهم بإِيمان هذا المذكور، فبان ذنبهم وخطؤهم.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِ﴾:

قال قتادة: هي مقالة أَشراف قريش يريدون عَمَّاراً وصُهَيْباً وبِلالاً ونحوهم ممَّن أَسلم وآمن بالنَّبيِّ ﷺ[٤].

وقال الزَّجّاج، والكَلبيُّ، وغيرهما: هي مقالة كنانة وعامر وسائر قبائل العرب المجاورة، قالت ذلك حين أَسلمت غفَار ومُزينة وجُهَيْنَة.

= مشكل الآثار» (١/ ٣٠٧) عن شعيب بن صفوان، عن عبد الملك بن عمير، عن رجل حدثه عن محمد ابن يوسف بن عبد الله بن سلام، قال: قال عبد الله بن سلام، وهو منقطع.

(١) انظر ترجيح الطبري لهذا القول ونسبته لمسروق في تفسيره (٢٢/ ١٠٧).

(٢) في المطبوع: «العامل».

(٣) سقط من المطبوع والحمزوية.

(٤) انظر قول قتادة دون ذكر أسماء الصحابة في تفسير الطبري (٢٢/ ١٠٩).

وقال الثَّعلبيُّ: هي مقالة اليهود حين أَسلم عبد الله بن سلام وغيره منهم[١].

و«الإِفْكُ»: الكذب، ووصفوه بالقِدَم بمعنى: أَنَّه في أُمور متقادمة، وهذا كما تقول لرجل حدَّثك عن أَخبار كسرى وقيصر: هذا حديث قديم، ويحتمل أَن يريدوا أَنَّه إِفك قيل قديماً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾.

الضَّمير [في قوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ للقرآن، و﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾: هو التَّوراة.

وقرأَ الكلبيُّ: (كتابَ موسى) بنصب الباءِ][٢] على إِضمار: أَنزل اللهُ، أَو نحو ذلك.

و«الإِمامُ»: خيط البنَّاءِ، وكلُّ ما يهتدى به ويُقْتَدَى به فهو إِمامٌ.

ونصب ﴿إِمَامًا﴾ على الحال، و﴿رَحْمَةً﴾ عطفاً على ﴿إِمَامًا﴾.

والإِشارة بقوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ﴾ إِلى القرآن، و﴿مُّصَدِّقٌ﴾ معناه: للتَّوراة الَّتي تضمَّنت خبره وأَمر محمد ﷺ، فجاءَ هو مصدِّقاً لذلك الإِخبار.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (مُصَدِّقٌ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ لِسَاناً)[٣].

---

(١) انظر قول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه له (٤/ ٤٤٠)، وقول الثعلبي ونقله عن الكلبي في تفسير الثعلبي (٩/ ١٠).

(٢) ليس في أحمد٣، وهي شاذة، عزاها له في البحر المحيط (٩/ ٤٣٨)، ووردت في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٦٤) بلا نسبة.

(٣) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٥١)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٤٤٦).

واختلف النّاس في نصب قوله: ﴿لِّسَانًا﴾:

فقالت فرقة من النُّحاة: هو منصوب على الحال.

وقالت فرقة: ﴿لِّسَانًا﴾ توطئة مؤكَّدة، و﴿عَرَبِيًّا﴾ حال[١].

وقالت فرقة: ﴿لِّسَانًا﴾ مفعول بـ ﴿مُّصَدِّقٌ﴾، والمراد على هذا القول باللِّسان: محمد رسول الله ﷺ ولسانه[٢]، فكأَنَّ القرآن بإِعجازه وأَحواله البارعة يصدق الَّذي جاءَ به، وهذا قول صحيح المعنى جيِّدٌ، وغيره ممّا قدَّمنا مُتَّجه.

وقرأَ نافع، وابن عامر، وابن كثير فيما روي عنه وأَبو جعفر، والأَعرج، وشيبة، / [٥/ ٨٩]
وأَبو رجاءٍ، والنّاس: ﴿لِتُنْذِرَ﴾ بالتّاءِ؛ أي أَنت يا محمد، ورجَّحها أَبو حاتم.

وقرأَ الباقون، وابن كثير أيضا، والأَعمش: ﴿لِّيُنذِرَ﴾ بالياء، أَي القرآن[٣].

و﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: هم الكفّار الَّذين جعلوا العبادة في غير موضعها في جهة الأَصنام والأَوثان.

وقوله: ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ يجوز أَن تكون في موضع رفع عطفاً على قوله: ﴿مُّصَدِّقٌ﴾.

ويجوز أَن تكون في موضع نصب، واقعةً موقع فعل عطفاً على ﴿لِّيُنذِرَ﴾[٤]، أَي: ويُبَشِّر المحسنين.

ولـمَّا عبَّر تعالى عن الكفّار بالذين ظلموا، عبَّر عن المؤمنين بالْمُحْسِنِينَ؛ لتناسب لفظ الإِحسان في مقابلة الظُّلم، ثمَّ أَخبر تعالى عن حسن حال المسلمين المستقيمين، ورفع عنهم الخوف والحزن.

---

(١) سقط من نجيبويه.

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) وهما سبعيتان، وابن كثير في الأولى البزي بخلفه، انظر التيسير (ص: **١٩٩**)، والسبعة (ص: **٥٩٦**)، والنشر (**٢/ ٣٧٢**). وقوله: «والناس» سقط من أحمد**٣**، وسقط «ابن كثير» في الثانية من الأصل، وفي السليمانية: «الأعرج»، مع الإشارة للأعمش في الهامش.

(٤) في السليمانية: «على مصدق ولينذر».

وذهب كثير من النّاس إِلى أَنَّ معنى الآية: ثمَّ استقاموا بالطَّاعَات والأَعمال الصَّالحات.

وقال أَبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: المعنى: ثم استقاموا بالدَّوام على الإِيمان وترك الانحراف عنه[١].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا القول أَعمُّ[٢] رجاءً وأَوسع، وإِن كان في الجملة[٣] المؤمنة من يُعَذَّب وينفذ عليه الوعيد فهو ممن يخلد في الجنَّة وينتفي عنه الخوف والحزن الحالُّ بالكفرة.

و«الخوفُ»: هو الهمُّ بما يُستقبل، و«الحُزْن»: هو الهمُّ بما مضى، وقد يستعمل فيما يُستقبل استعارة لأَنَّه حزنٌ لخوف[٤] أَمرٍ مَّا.

وقرأَ ابن السَّميفع: (فَلَا خَوْفُ) بدون تنوين[٥].

وقوله: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾، (ما) واقعة على الجزءِ[٦] الَّذي هو اكتساب العبد، وقد جعل الله الأَعمال أَمارات على صيور[٧] العبد، لا أَنها توجب على الله شيئاً.

وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ﴾، يريد النّوع، أَي: هكذا مضت شرائعي وكتبي لأَنبيائي، فهي وصية من الله في عباده.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿حُسْناً﴾ بضمِّ الحاءِ وسكون السّين ونصبه على تقدير:

---

(١) تقدم في (سورة فصلت) آية (٣٠) ذكر الروايات عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في تفسير هذه الآية.

(٢) في نجيبويه: «أعظم».

(٣) في نجيبويه: «الأمة».

(٤) في السليمانية: «لأنه خوف لحزن».

(٥) وهي شاذة، تقدمت نسبتها لابن محيصن مراراً، وكذا هي في إتحاف فضلاء البشر (ص: ١٧٦)، والكامل للهذلي(ص: ٤٨٣).

(٦) في السليمانية: «الجزاء».

(٧) في المطبوع والأسدية٣ وأحمد٣ والسليمانية: «جزاءِ».

وصَّيناه ليفعل أَمراً ذا حُسْن، فكأَنَّ الفعل تسلط عليه مفعولاً ثانياً.

وقرأَ عليٌّ بن أَبي طالب، وأَبو عبد الرَّحمن، وعيسى: (حَسَناً) بفتح الحاءِ والسّين، وهذا كالأَوَّل، ويحتمل كونهما مصدرين كالبُخْل والبَخل، ويحتمل أَن يكون هذا الثّاني اسماً لا مصدراً، أَي أَلزمناه بهما فعلاً حَسناً.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائيُّ: ﴿إِحْسَٰنًا﴾[١]، ونصب هذا على المصدر الصَّريح، والمفعول الثّاني في المجرور، والباءُ مُتَعَلِّقَة بـ ﴿وَوَصَّيْنَا﴾، أَوْ بقوله تعالى: ﴿إِحْسَٰنًا﴾.

وبرُّ الوالدين واجب بهذه الآية وغيرها، وعقوقهما كبيرة [من الكبائر][٢].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «كلُّ شيءٍ بينه وبين الله حجابٌ إِلَّا شهادة أَن لا إِله لله إِلَّا الله ودعوة الوالدين»[٣].

قال القاضي أَبو محمد: ولن يَدْعُوَا إِلَّا إِذا ظلمهما الولد، فهذا الحديث في عموم قوله ﷺ: «اتَّقوا دعوة المظلوم فإِنَّها ليس بينها وبين الله حجاب»[٤].

ثمَّ عدَّد تعالى على الأَبناءِ منن[٥] الأُمَّهات، وذكر الأُمَّ في هذه الآية في أَربع

---

(١) الأولى والثالثة سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٩٦)، والتيسير (ص: ١٩٩)، والثانية شاذة، انظر عزوها لأصحابها إلا عيسى في المحتسب (٢/ ٢٦٥)، وعزاها لعلي في مختصر الشواذ (ص: ١٤٠)، وعزا لعيسى: (حسناً) بضمتين، والكل في البحر المحيط (٩/ ٤٣٩).

(٢) سقط من نجيبويه وأحمد٣ والسليمانية.

(٣) ضعيف، أخرجه أبو يعلى في معجمه (٢٥٢) من طريق عمرو اليحمدي، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك مرفوعاً بلفظ: «كل شيء بينه وبين الله عز وجل حجاب، إلا شهادة أن لا إله إلا الله، ودعاء الوالد لولده». وعمرو الحميدي لم أقف له على ترجمة، وأخرجه الحسين المروزي في البر والصلة (٤٩) من طريق حميد الطويل، عن الحسن بن مسلم، عن مجاهد، مرسلاً. وعزاه صاحب كنز العمال (٣٣١٨) لابن النجار في تاريخه، وانظر الجامع الصغير (ح ٦٣٢٤).

(٤) متفق عليه، هذا جزء من الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٤٤٨)، ومسلم (١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٥) في المطبوع ونجيبويه: «حقَّ».

مراتب[١]، والأب في مرتبة واحدة، وجمعهما الذِّكر في قوله: ﴿بِوَٰلِدَيۡهِ﴾، ثمَّ ذكر الحَمْل للأُمّ، ثمَّ الوضع لها، ثمَّ الرَّضاع الَّذي عبَّر عنه بالفِصال، فهذا يناسب ما قال رسول الله ﷺ حين جعل للأُمِّ ثلاثة أَرباع البرِّ، والرُّبع للأَب، وذلك إِذْ قال له رجل: يا رسول الله، من أَبَرُّ؟ قال: «أُمَّك»، قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «أُمَّك»، قال: ثمَّ مَن؟ قال: «أُمَّك»، قال: ثمَّ مَن؟ قال: «أَباك»[٢].

وقوله: ﴿كُرۡهٗا﴾ معناه: في ثاني[٣] استمرار الحمل حين تُتَوَقَّع حوادثه.

ويحتمل أَن يريد: في وقت الحمل؛ إِذْ لا تدبير[٤] لها في حمله ولا في تركه.

قال مجاهد، والحسن، وقتادة: المعنى: حملته مشقَّة، ووضعته مشقَّة[٥].

وقرأَ أَكثر القراءِ: ﴿كُرۡهٗا﴾ بضمِّ الكاف.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وأبو جعفر وشيبة والأَعرج: ﴿كَرْهاً﴾ بفتح الكاف.

وقرأَ بهما معاً مجاهد، وأَبو رجاءٍ، وعيسى[٦].

قال أَبو عليٍّ وغيره: هما بمعنى، الضمّ: الاسم، والفتح: المصدر[٧].

وقالت فرقة: الكُرْهُ بضمِّ الكاف: المشقَّة، والكَرْهُ بالفتح: هو الغلبة والقهر، وضعَّفوا

---

(١) في السليمانية: «أربعة مرات».

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٤٨) من حديث أبي هريرة، وفي الباب عن أبي الدرداء، وعبد الله بن عمر، وعائشة رضي الله عنهم.

(٣) في المطبوع ونجيبويه: «باقي».

(٤) في المطبوع: «نذير».

(٥) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢٢/ ١١٢).

(٦) فهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٩)، وزاد في الثانية هشاماً، السبعة (ص: ٥٩٦)، والنشر (٢/ ٢٤٨). و«أبو جعفر» ليس في المطبوع.

(٧) الحجة (٦/ ١٨٤).

على هذا قراءَة الفتح، قال بعضهم: لو كان كَرْهاً لرمت به عن نفسها؛ إِذ الكَرْهُ: القهْر والغلبة، والقول الَّذي قدَّمناه أَصوب.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿وَفِصَـٰلُهُۥ﴾، وذلك أَنَّها مفاعلة من الاثنين، كأَنَّه فاصل أُمَّهُ وفاصلته.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن، وأَبو رجاءٍ، وقتادة، والجحدريُّ: ﴿وَفَصْلُهُ﴾[١]، كأَنَّ الأُمَّ هي الَّتي فصلته.

وقوله: ﴿ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾ يقتضي أَنَّ مدَّة الحمل والرَّضاع هي هذه المُدَّة؛ لأَنَّ في القول حذف مضاف تقديره: ومُدَّة حمله وفصاله، وهذا لا يكون إِلَّا بأَن يكون أَحد الطَّرفين ناقصاً، وذلك إِمَّا بأَن تلد المرأَة لستة أَشهر وتُرضع عامين، وإِمَّا أَن تلد لتسعة أَشهر على العرف وترضع عامين غير ربع عام، فإِن زادت مدَّة الحمل نقصت مدَّة الرَّضاع وبالعكس، فيترتب من هذا أَنَّ أَقل مدَّة الحمل ستة أَشهر، وأَقل ما يَرضع الطفلُ عام وتسعة أَشهر، وإِكمال العامين هو لمن أَراد أَن يتم الرَّضاعة، وهذا في أَمر الحمل هو مذهب عليٍّ بن أَبي طالب رضي الله عنه وجماعة من الصَّحابة[٢]، ومذهب مالك رحمه الله[٣].

---

(١) وهي عشرية ليعقوب، كما في النشر (٢/ ٣٧٣)، وعزاها لهم في البحر المحيط (٩/ ٤٤٠). وانظر مختصر الشواذ (ص: ١٤١).

(٢) صحيح، له طرق عن علي، الأول: أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٣٤٤٤) عن عثمان بن مطر، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي حرب بن الأسود الدُؤلي، عن أبيه قال: رفع إلى عمر امرأة ولدت لستة اشهر. وعثمان بن مطر الشيباني ضعيف، وقتادة مدلس وقد عنعن، ورواه محمد ابن بشر عن سعيد بن أبي عروبة فزاد: داود بن أبي القصاف بين قتادة وأبي الأسود الديلي. وهذا أثبت، ورواه محمد بن إسحاق بن يسار عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن بعجة بن عبد الله الجهني قال: تزوج رجل منا امراة من جهينة فولدت له لتمام ستة أشهر... ذكره ابن أبي حاتم في التفسير (١٠/ ٣٢٩٣)، وذكره مالك في الموطأ (١٥٠٧) بلاغاً.

(٣) انظر قول مالك واستدلاله بالآية في المقدمات لابن رشد (١/ ٥٢٧).

واختلف النّاس في (الأَشُدِّ): فقال الشَّعبيُّ، وزيد بن أَسلم: البلوغ[١] إِذا كتبت عليه السَّيِّئات ولَهُ الحسنات[٢].

وقال ابن إِسحاق: ثمانية عشر عاماً[٣]، وقيل: عشرون عاماً.

وقال ابن عبّاس[٤]، وقتادة: ثلاثة وثلاثون عاماً[٥].

وقال الجمهور من النُّظَّار: ستة[٦] وثلاثون عاماً.

وقال هلال بن يَسافٍ وغيره: أَربعون عاماً[٧].

وأَقوى الأَقوال ستة وثلاثون، ومَن قال بالأَربعين قال في الآية: إِنَّه تعالى أَكَّد وفسَّر الأَشُدَّ بقوله سبحانه: ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾، وإِنَّما ذكر تعالى الأَربعين لأَنَّها حدٌّ للإِنسان في فلاحه[٨] ونجابته، وفي الحديث: «إِنَّ الشيطان يجرُّ يده على وجه مَنْ زاد على الأَربعين ولم يتُب ويقول: بأَبي وَجْهٌ لا يُفْلح»[٩].

---

(١) من نجيبويه وأحمد٣ والسليمانية.

(٢) انظر قولهما في تفسير الماوردي (٥/ ٢٧٦)، وانظر: تفسير الطبري (٢٢/ ١١٤). وسقط من السليمانية «وله الحسنات».

(٣) عزاه الماوردي في تفسيره (٥/ ٢٧٦) لابن جبير، وحكاه مكي في الهداية إلى بلوغ النهاية (١١/ ٦٨٤٢) بلا نسبة.

(٤) لا بأس به، أخرجه الطبري (٢١/ ١٣٩)، وابن أبي حاتم (٨٠٨٦-١١٤٤٣-١٦٧٤٤) وغيرهم من طريق عبد الله بن إدريس، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم أبي عثمان المكي، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٢٤١)، والطبراني في الأوسط (٦٨٢٩) من طريق صدقة بن يزيد الخرساني، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ قال: ثلاثة وثلاثين سنة، وهو الذي رفع عليه عيسى عليه السلام، والأول أصح.

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ١١٣).

(٦) في الأصل: «ثلاثة».

(٧) عزاه الماوردي في تفسيره (٥/ ٢٧٧) لعائشة والحسن.

(٨) في المطبوع والحمزوية والأسدية٣ وأحمد٣: «صلاحه».

(٩) لا أصل له، ذكره العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (١/ ٩٠٦) وقال: لم أجد له أصلًا، وانظر=

وقال أَيمن بن خُرَيْم الأَسديُّ:

إِذَا المرءُ وفَّى الأَرْبَعِينَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ دُونَ مَا يأْتِي حَياءٌ ولا سِتْرُ [الطويل]
فدَعْهُ ولَا تَنْفِسْ عَلَيْهِ الَّذِي ارْتَأَى وإنْ جَرَّ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ لَهُ العُمْرُ(١)

/ وفي مصحف ابن مسعود: (حَتَى إِذَا اسْتَوَى أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَة)(٢). [٥/ ٩٠]

وقوله: ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾ معناه: ادفعني عن الموانع وازجرني عن القواطع لأَجل أَن أَشكر نعمتك.

ويحتمل أَن يكون ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾ بمعنى: اجْعَلْ حظِّي ونصيبي، وهذا من التَّوزيع، والقوم الأَوازع، ومن قولك: توزَّعوا المال، فـ ﴿أَنْ﴾ على هذا مفعولٌ صريحٌ.

وقال ابن عباس: نعمتَك في التوحيد(٣).

و﴿صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾: الصلوات.

و«الإِصلاح في الذُّرِّيَّة»: كونُهم أَهل طاعة وخيريَّة، وهذه الآية معناها هكذا ينبغي للإِنسان أَن يفعل، وهذه وصيَّة الله للإنسان في كل الشرائع.

وقال الطَّبريُّ: وذُكر أَنَّ هذه الآية من أَوَّلها نزلت في شأْن أَبي بكر الصِّدِّيق(٤)، ثمَّ هي تتناول مَنْ بَعده، وكان رضي الله عنه قد أَسلم أبواه(٥)، [فلذلك قال: ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ وفي هذا القول اعتراض بأن هذه الآية نزلت بمكة لا خلاف في ذلك، وأبو قحافة

= طبقات الشافعية (٦/ ٣٣١)، والفوائد المجموعة (١/ ٢٥١). وفي نور العثمانية: «بأي وجه».

(١) تقدم التعليق على هذا في تفسير الآية (٣٧) من (سورة فاطر). وفي نجيبويه: «حجاب» بدل «حياء».

(٢) وهي شاذة، عزاها له الفراء في معاني القرآن (٣/ ٥٢) بلفظ: حتّى إِذَا استوى وبلغ أشده.

(٣) أخرج الطبري (١٠/ ١٠١)، وابن أبي حاتم (٨٢٦٣) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾، يقول: موحدين.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ١١٥).

(٥) في المطبوع وأحمد٣ والسليمانية: «أَبوه»، وفي الأسدية: «والداه».

أسلم][1] عام الفتح، فإِنَّما يتَّجه هذا التَّأْويل: على أَنَّ أَبا بكر كان يطمع في إِيمان أَبويه ويرى مخايل ذلك فيهما، فكانت هذه عنده نعمة عليهما، أَي لَيْسا ممَّن عَسَى في الكفر ولجَّ وحُتم عليه ثمَّ ظهر إِيمانهما بعد. والقول بأَنَّها عامَّة في نوع الإِنسان لم يقصد بها أَبو بكر ولا غيره أَصحُّ، وباقي الآية بيِّن [إِلى قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾][2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ دليل على أَنَّ الإِشارة بقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ إنما أراد الجنس.

وقرأَ جمهور القرَّاءِ: ﴿يُتَقَبَّلُ﴾ بالياءِ مضمومة على بناءِ الفعل للمفعول، وكذلك ﴿يُتَجَاوَزُ﴾.

وقرأَ حمزة، والكسائيُّ، وحفص عن عاصم فيهما بالنّون الَّتي للعظمة، ﴿نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ﴾ بالنَّصب، ﴿وَنَتَجَاوَزُ﴾[3]، وهي قراءَة طلحة وابن وثّاب، وابن جبير، والأَعمش بخلاف عنه.

وقرأَ الحسن: (يَتقبَّل) بياءٍ مفتوحة (ويَتَجاوز) كذلك[4]، أَي اللهُ تعالى.

وقوله: ﴿فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ يريد: الَّذين سبقت لهم رحمة الله، وقوله: ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ﴾ نصب على المصدر المؤكِّد لما قبله.

---

(١) سقط من المطبوع.
(٢) ليس في أحمد٣.
(٣) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٩٧)، والتيسير (ص: ١٩٩).
(٤) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٤٣٦).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ الآية، ﴿وَٱلَّذِى﴾ يعني به الجنس على حدِّ العموم الَّذي في الآية الَّتي قبلها في قوله: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾، هذا قول الحسن وجماعة[١].

ويُشبه أَنَّ لها سبباً من رجل قال ذلك لأَبويه، فلمَّا فرغ مِن ذكر ذلك الموقف عقَّب بذكر هذا العاق.

وقال ابن عبّاس ـ في كتاب الطَّبريِّ ـ: هذه الآية نزلت في ابن لأَبي بكر، [ولم يُسَمِّه[٢].

وقال مروان بن الحكم: نزلت في عبد الرَّحمن بن أَبي بكر] الصِّدِّيق رضي الله عنه[٣]، وقاله قتادة: وذلك أَنَّه كان أَكبر أَولاد أَبي بكر وشهد بدراً وأُحداً مع الكفّار[٤]، وقال لأَبيه في الحرب:

لَـمْ يَبْـقَ إِلَّا شِـكَّةٌ وَيَعْبُـوبْ ... وَصَارِمٌ يَقتُلُ ضُلَّالَ الشِّيبْ[٥] [الرجز]

ودعاه إلى المبارزة، فكان بمكَّة على نحو هذا الخُلُق، فقيل: إِنّ هذه الآية نزلت فيه.

ورُوي: أَنَّ مروان بن الحكم خطب وهو أَمير المدينة فدعا النّاس إِلى بيعة يزيد، فقال عبد الرحمن بن أَبي بكر: جعلتموها هِرَقْلِيَّة، كلَّما مات هِرَقْل وَلِيَ هِرَقْل، وكلما مات قيصر وَلِيَ قيصر، فقال مروان: خذوه، فدخل عبدُ الرحمن بيتَ عائشةَ أختهِ أُمِّ المؤمنين، فقال مروان: إِنَّ هذا هو الَّذي قال الله فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾،

---

(١) ولفظ الحسن في تفسير الطبري (٢٢/ ١١٨): هو الكافر الفاجر العاق لوالديه، المكذب بالبعث.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ١٤٤-١٤٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ١٣). وما بين معكوفتين سقط من نجيبويه..

(٤) نقل هذا القول عن قتادة القرطبي في تفسيره (١٦/ ١٩٧)، والمعروف عنه مثل قول الحسن. وفي المطبوع: «وقال قتادة».

(٥) السيرة لابن هشام (١/ ٦٣٨)، والشِّكَّةُ: السِّلاح، واليَعْبُوبُ: الفرسُ الطَّويل. وفي أحمد٣: «شكر»، وفي السليمانية: «العبوب».

فسمعته عائشة فأَنكرت ذلك عليه، وسبَّت مروان، وقالت: والله ما نزل في آل أَبي بكر [من القرآن](١) غير براءَتي، وإِنِّي لَأعرف فيمن نزلت هذه الآية(٢).

وذكر ابن عبد البَرِّ أَنَّ الَّذي خطب هو معاوية(٣)، وذلك وَهْمٌ.

والأَصوب أَن تكون الآية عامَّة في أَهل هذه الصِّفات ولم يقصد بها عبد الرحمن ولا غيره من المؤمنين، والدَّليل القاطع على ذلك قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٍ﴾.

وكان عبد الرَّحمن من أَفضل الصَّحابة، ومن الأَبطال، وممَّن له في الإِسلام غناءٌ، [ويكفيه مقامه مع مروان](٤) يوم اليمامة وغيره(٥).

وقرأَ أَبو عمرو(٦)، وحمزة، والكسائيُّ، وأَبو بكر عن عاصم، وطلحةُ بن مصرف: ﴿أُفِّ﴾ بكسر الفاءِ بغير تنوين، وذلك فيها علامة تعريف.

وقرأَ ابن كثير، وابن عامر، وابن محيصن، وشبل، وعمرو بن عبيد: ﴿أُفَّ﴾ بالفتح، وهي لغة، الكسر والفتح.

وقرأَ نافع، وحفص عن عاصم، وأَبو جعفر، وشيبة، والحسن، والأَعرج: ﴿أُفٍّ﴾

---

(١) ليس في السليمانية.

(٢) أصله في الصحيح بنحوه، أخرجه بهذا اللفظ النسائي في الكبرى (١١٤٢٧) عن علي بن الحسين الدرهمي، والحاكم في مستدركه (٤/ ٤٨٠) من طريق علي بن الحسن، عن أمية بن خالد، عن شعبة، عن محمد بن زياد القرشي قال: لما بايع معاوية لابنه يزيد قال مروان: سنة أبي بكر وعمر، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: سنة هرقل وقيصر، فذكره، وأخرجه البخاري (٤٨٢٧) عن يوسف بن ماهك بنحوه.

(٣) انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٨٢٥) وليس فيه ذكر الآية.

(٤) من المطبوع والأسدية٣ وأحمد٣ والسليمانية.

(٥) انظر الإصابة (٤/ ٣٢٧).

(٦) في نجيبويه بدله: «أبو عبد الرحمن».

بالكسر والتَّنوين[١]، وذلك علامة تنكير، وهي كصَهٍ وغاوٍ[٢]، وكما تستطعم[٣] رجلًا حديثاً غير معيَّن فتقول: إيهٍ؛ مُنَوَّنة، فإِن كان حديثاً مُشاراً إِليه قلت: إِيهِ؛ بغير تنوين.

و(أُفٍّ) أَصلها في الأَقذار، كانت العرب إِذا رأَت قذراً قالت: أُفٍّ، ثمَّ صيَّره الاستعمال يقال في كلِّ ما يكره من الأَفعال والأَقوال.

وقرأَ هشام عن ابن عامر، وعاصم، وأَبو عمرو فيما رُوي عنه: ﴿أَتَعِدَانِّي﴾.

وقرأَ أَبو عمرو، ونافع، وشيبة، والأَعرج، والحسن، وأَبو جعفر، [وقتادة وجمهور القراءِ: ﴿أَتَعِدَانِنِيٓ﴾ بنونين، والقراءَة الأُولى هي بإِدغام النّون في النّون[٤].

وقرأَ نافع أَيضاً وجماعة: (أَتَعِدَانِي) بنون واحدة وإِظهار الياءِ من غير تشديد[٥].

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وعاصم، وأَبو جعفر، والأَعرج، وشيبة][٦]، وقتادة، وأَبو رجاءٍ، وابن وثّاب، وجمهور النّاس: ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ [بضمِّ الهمزة وفتح الرّاءِ.

وقرأَ الحسن، وابن يَعْمَر، والأَعمش، وابن مصرف، والضّحّاك: (أَنْ أَخْرُج)[٧] بفتح الهمزة وضمِّ الرَّاءِ.

---

(١) وكلها سبعية، انظر السبعة (ص: ٥٩٧)، وقد تقدم ذلك في (سورة الإسراء).

(٢) سقط من المطبوع، وفي الحمزوية والأسدية٣: «غاق». وفي نجيبويه: «وعتاق»، وفي أحمد٣ والسليمانية: «وعان».

(٣) أي تطلبه منه، وفي المطبوع والحمزوية والأسدية٣ وأحمد٣: «تستعظم»، ولعلها تحريف.

(٤) وهما سبعيتان، والأولى لهشام خاصة كما في التيسير (ص: ١٩٩)، ونقلها الهذلي (ص: ٦٣٧) عن محبوب، عن أبي عمرو وآخرين، وانظر العزو للباقين في البحر المحيط (٩/ ٤٤٢)، وسقطت فيما روي عنه من الأصل، وسقط «أبو عمرو» الثاني من أحمد٣.

(٥) شاذة، انظر البحر المحيط (٩/ ٤٤٢)، و«من غير تشديد» من الأسدية٣ وأحمد٣، ولفظة «وجماعة» سقطت من المطبوع.

(٦) سقط من الحمزوية، وسقط ذكر «قتادة» من المطبوع الثاني، وسقط «الأعرج» من نجيبويه، وهذه القراءة هي المتواترة للجماعة كلهم.

(٧) سقط من نجيبويه، وهي شاذة؛ انظر عزوها للحسن في مختصر الشواذ (ص: ١٤٠)، والهداية لمكي =

والمعنى: أَن أَخرج من القبر للحشر والمعاد، وهذا القول منه استفهام بمعنى الهُزْءِ والاستبعاد / . [٥/ ٩١]

وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ معناه: هلكت ومضت ولم يخرج منهم أَحد.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمَا﴾ يعني الوالدين، ويقال: استغثتُ الله واستغثت بالله؛ بمعنى واحد.

و﴿وَيْلَكَ﴾ دعاءٌ يقال [هنا لمن يُحَقَّر ويُحَرَّك لأَمر مَّا يُستعجل إِليه.

وقرأَ الأَعرج: (أنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) بفتح الهمزة، والنَّاس على كسرها][١].

وقوله: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾، أَي: ما هذا القول الَّذي يتضمَّن البعث من القبور إِلَّا من شيءٍ قد سَطَّره الأَوَّلون في كتبهم، يعني الشَّرائع.

وظاهر أَلفاظ هذه الآية: أَنها نزلت في مُشَار إِليه؛ قال وقيل له، فنعى[٢] الله أقواله تحذيراً من الوقوع في مثلها.

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، ظاهر أَنَّها إِشارةٌ إِلى جنس يتضمَّنه قوله: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ﴾.

ويحتمل إِن كانت الآية في مُشار إِليه أَن يكون قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ بمعنى: صنف هذا المذكور وجنسُه هم الَّذين حقَّ عليهم القول، أَي قول الله [أنه يعذبهم][٣].

وقوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ يقتضي: أَنَّ الجنَّ يموتون كما يموت البشر قرناً بعد قرن، وقد جاءَ حديث يقتضي ذلك[٤]، وقال الحسن بن أَبي الحسن في

= (١١/ ٦٨٤٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ١١٠)، وله وللأعمش وأبي معمر في تفسير الثعلبي (٩/ ١٢)، وللخمسة في البحر المحيط (٩/ ٤٤٢).

(١) سقط من أحمد٣، وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٤٠) لعمرو بن فائد، وفي البحر المحيط (٩/ ٤٤٢) لهما.

(٢) في نجيبويه ونور العثمانية والسليمانية: «فنفى»، وفي الأصل: «أحواله».

(٣) سقط من المطبوع، وفي نجيبويه: «يعيدهم».

(٤) لم أجده.

بعض مجالسه: إن الجنَّ لا يموتون، فاعترضه قتادة بهذه الآية، فسكت[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ﴾ يعني المحسنين والمسيئين[٢]، قال ابن زيد: درجاتُ المحسنين تذهب علوّاً ودرجات المسيئين تذهب سفلاً[٣].

وقرأَ أَبو عبد الرَّحمن السُّلمي: (وَلِتُوَفِّيَهُمْ) بالتاءِ من فوق، أَي الدَّرجات[٤].

وقرأَ جمهور النَّاس: ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ بالياءِ، وقرأَ نافع بخلاف عنه وأَبو جعفر، وشيبة، والأَعرج، وطلحة، والأَعمش: ﴿وَلِنُوَفِّيَهُمْ﴾ بالنَّون[٥].

قال اللُّؤلؤيُّ[٦] في حرف أُبيٍّ بن كعب، وابن مسعود: (وَلَنُوَفِّيَنَّهُمْ) بنون أُولى ونون ثانية مشدَّدة وبفتح اللام[٧].

وكل امرئ يجني ثمرة عمله من خيرٍ أَو شرٍّ ولا يظلم في مجازاته، بل يوضع كل أَمْر موضعه من ثواب أَو عقاب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١١٩).

(٢) في أحمد٣: «المحسن والمسيء».

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١١٩).

(٤) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٩/ ٤٤٣).

(٥) سبعيتان، وهذه قراءة نافع وحمزة والكسائي وهشام كما في التيسير (ص: ١٩٩)، والنشر (٢/ ٣٧٣)، ومع ابن ذكوان في السبعة (ص: ٥٩٨)، وانظر العزو للباقين في البحر المحيط (٩/ ٤٤٣). وسقط طلحة والأعمش من أحمد٣.

(٦) هو أحمد بن موسى بن أبي مريم، أبو بكر، وقيل أبو عبد الله الخزاعي البصري اللؤلؤي المقرئ، روى القراءة عن: عيسى بن عمر، والجحدري، وأبي عمرو بن العلاء، والقسط، قال أبو زرعة الرازي: صدوق قدري، توفي قبل المئتين، تاريخ الإسلام (١٣/ ٨٣).

(٧) شاذة، لم أجدها لغير المؤلف. وفي المطبوع: «وقرأ اللؤلؤي».

إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

المعنى: واذكر يوم يُعْرَض، وهذا العرض هو بالمباشرة، كما تقول: عرضتُ العود على النَّار والجاني على السَّوط، والمعنى: يقال لهم: أَذهبتم طيِّباتكم.

وقرأ جمهور القراء: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ﴾ على الخَبر ولذلك حسنت الفاءُ بعد ذلك.

[وقرأ ابن كثير، والحسن، والأَعرج، وأَبو جعفر، ومجاهد، وقتادة، وابن وثاب: ﴿آذهبتُم﴾ بهمزة مطوَّلة على التَّوبيخ والتَّقرير الَّذي هو في لفظ الاستفهام.

وقرأ ابن عامر: ﴿أَأَذْهَبْتُمْ﴾ بهمزتين تقريراً أَيضاً[١]، والتَّوبيخ والتَّقرير إِخبارٌ[٢] بالمعنى ولذلك حَسُنَت الفاءُ][٣]، وإِلَّا فهي لا تَحْسُن في جواب على حدِّ هذه مع الاستفهام المحض.

و«الطَّيِّباتُ»: الملاذُّ، وهذه الآية وإِن كانت في الكفّار فهي رادعة لأُولي النّهى من المؤمنين عن الشَّهوات واستعمال[٤] الطَّيبات، ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه: أَتظنُّون أَنَّا لا نعرف طيب الطَّعام؟ ذلك لُباب البُرِّ بصغار المعزى، ولكني رأيت[٥] الله تعالى نعى على قوم أَنهم أَذهبوا طيِّباتهم في حياتهم الدُّنيا، ذكر هذا في كلامه مع الرَّبيع بن زياد[٦].

---

(١) القراءتان بالاستفهام والخبر سبعيتان، الأولى لابن كثير وابن عامر وهما على أصولهما فيه، انظر السبعة (ص: ٥٩٨)، والتيسير (ص: ١٩٩)، والنشر (١/ ٣٦٦)، وانظر الباقين في البحر المحيط (٩/ ٤٤٤). «وقتادة» ليس في السليمانية والأسدية٣.

(٢) في نجيبويه: «إقرار».

(٣) سقط من الأصل.

(٤) في المطبوع: «واستكمال».

(٥) في أحمد٣ والمطبوع: «ولكنا رأينا». وفي السليمانية: «ولكن».

(٦) لم أقف على قول عمر الذي ذكره المؤلف مسنداً، ولكن أخرج إسحاق بن راهويه في مسنده كما في المطالب العالية (٩/ ٦٥٠) عن روح بن عبادة، عن حماد بن سلمة، عن الجريري عن أبي نضرة =

وقال أَيضاً نحوها لخالد بن الوليد حين دخل الشَّام، فَقُدِّم إِليه طعامٌ طيِّب، فقال عمر: هذا لنا، فما لفقراءِ المسلمين الَّذين ماتوا ولم يشبعوا من خبز الشَّعير؟ فقال خالد: لهم الجنَّة، فبكى عمر وقال: لئن كان حظنا في الحطام وذهبوا بالجنَّة لقد باينونا بوناً بعيداً(١).

وقال جابر بن عبد الله: اشتريت لحماً بدرهم، فرآني عمر رضي الله عنه فقال: أَوَ كُلَّما اشتهى أَحدكم شيئاً اشتراه فأَكله؟ أَما تخشى أَن تكون من أَهل هذه الآية؟ وتلا: ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ الآية(٢).

و﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾: العذابُ الَّذي اقترن به هوان، وهو عذاب العصاة المواقعين ما قد نُهوا عنه، وهذا بيِّن في عذاب الدُّنيا، فعذاب المحدود في معصية كالحرابة ونحوها مقترن بِهُونٍ، وعذاب المقتول في حرب لا هُونَ معه، فالهُونُ والهوان بمعنى.

= عن الربيع بن زياد الحارثي: أنه وفد إلى عمر رضي الله عنه فأعجبته هيئته ونحوه فشكا عمر رضي الله عنه طعاماً غليظاً أكله، فقال الربيع: يا أمير المؤمنين إن أحق الناس بمطعم لين وملبس لين ومركب وطيء لأنت، فضرب رأسه بجريدة وقال: والله ما أردت بهذا إلا مقاربتي، وإن كنت لأحسب فيك خيراً، ألا أخبرك مثلي ومثل هؤلاء كمثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم وقالوا: أنفقها علينا، فهل له أن يستأثر عليهم بشيء؟ فقال الربيع: لا. قال: هذا مثلي ومثلهم. فقال عمر رضي الله عنه: إني لست أستعمل عمالي ليشتموا. وإسناده لا بأس به.

(١) منقطع، هذا الأثر أخرجه عبد الرزاق في التفسير (٢/ ٢١٧) عن معمر مختصراً، والطبري (٢١/ ١٤٧) من طريق سعيد بن أبي عروبة، كلاهما عن قتادة قال: ذكر لنا، فذكر القصة عن عمر رضي الله عنه.

(٢) له طرق عن عمر، أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٤٥٦) من طريق القاسم بن عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، عن عمر رضي الله عنهم به، والقاسم بن عبد الله العمري متروك، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥٦٧٢) من طريق مالك، عن يحيى بن سعيد الأنصاري: أن عمر بن الخطاب أدرك جابر ومعه لحم..فذكره، وهو منقطع، وأخرجه البيهقي أيضاً (٥٦٧٣) من طريق سعيد بن منصور، عن عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن جابر به، وأبو حازم هو سلمة ابن دينار ثقة ثبت ولكنه لم يسمع من أحد من الصحابة كما في جامع التحصيل (٢٥٥)، وأخرجه أحمد في الزهد (ص: ١٢٣-١٢٤) عن الأعمش، عن حفص بن غياث، عن الأعمش، عن بعض أصحابه، قال: مر جابر بن عبد الله معلقاً لحماً على عمر، فذكره.

ثمَّ أَمر تعالى نبيَّه بذكر هودٍ وقومه عادٍ على جهة المثال لقريش، وهذه الأُخوَّة هي أُخوَّة القرابة؛ لأَنَّ هوداً كان من أَشراف القبيلة الَّتي هي عاد.

واختلف النَّاس في هذه الأَحقاف، أَين كانت؟

فقال ابن عبّاس[١]، والضَّحّاك: هي جبل بالشَّام[٢].

وقيل: كانت بلاد نخيل، وقيل: هي رمال بين مَهْرة وعدن.

وقال ابن عبّاس أَيضاً: بين عُمَان ومَهْرة[٣].

وقال قتادة: هي بلاد الشَّحر المواصلة للبحر اليمانيِّ[٤].

قال ابن إِسحاق: هي بين حضرموت وعُمان[٥].

والصَّحيح من الأَقوال: أَنَّ بلاد عادٍ كانت باليمن، ولهم كانت إِرَم ذاتُ العماد.

و(الأَحْقَافُ) جمع حقف، وهو الجبل المستطيل المُعْوَج من الرَّمل، قال الخليل: هي الرِّمال العظام[٦]، وكثيراً ما تحدث هذه الْأَحقاف في بلاد الرَّمل في الصَّحارى؛ لأنَّ الرِّيح تصنع ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ اعتراضٌ مؤكد[٧] مقيم للحُجَّة أَثناءَ قصة هود[٨]؛ لَأنَّ قوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هو من نذارة هود.

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ١٥٠-١٥١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٢٣).
(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ١٥١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
(٤) انظر معناه في تفسير الطبري (٢٢/ ١٢٤). وفي نجيبويه ونور العثمانية: «الشجر».
(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ١٢٣). وفي الأسدية٣: «ابن عباس» مع الإشارة إلى النسخة الأخرى.
(٦) انظر قوله في تفسير الثعلبي ٩/ ١٦. وفي الأصل: «الأحقاف».
(٧) سقط من المطبوع.
(٨) في السليمانية: «هؤلاء».

و﴿خَلَتِ﴾ معناه: مضت إِلى الأَرض الخلاءِ ومرَّت أَزمانها.

وفي مصحف عبد الله: (وَقَدْ خَلَت النُّذُرُ مِنْ قَبْلِهِ وبَعْدِهِ).

وروي أن فيه: (وَقَدْ خَلَت النُّذُرُ مِنْ بَيْن يَدَيْهِ وَمِنْ بَعْدِهِ)(١).

و﴿ٱلنُّذُرُ﴾ جمع نذير، بناءُ اسم الفاعل.

وقولهم: ﴿لِتَأْفِكَنَا﴾ معناه: لِتَصْرِفَنا.

وقولهم ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ تصميم على التَّكذيب، وتعجيز منهم له في زعمهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ / فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ [٥/ ٩٢] عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

المعنى: قال لهم هود: إِنَّ هذا الوعيد ليس من قِبَلي، وإِنَّما الأَمر إلى الله، وعِلْم وقته عنده، وإِنَّما عليَّ أَن أُبلِّغ فقط.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ﴾ بفتح الباءِ وشدِّ اللام.

قال أَبو حاتم: وقرأَ أَبو عمرو في كلِّ القرآن بسكون الباءِ وتخفيف اللّام(٢).

و﴿أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ أَي: مثلَ هذا من أَمر الله تعالى، وتجهلون خلْق أَنفسكم.

والضَّمير في ﴿رَأَوْهُ﴾ يحتمل أَن يعود على (العذاب).

---

(١) وهما شاذتان، انظر الثانية في تفسير الطبري (٢٢/ ١٢٥)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٥٤)، وأما الأولى فلم أقف عليها.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١١١). و«سكون الباء» ليس في أحمد٣.

ويحتمل أَن يعود على الشَّيءِ المَرْئيِّ الطَّالع عليهم، وهو الَّذي فسَّره قوله: ﴿عَارِضًا﴾.

والعارض: ما يعرض في الجوِّ من السَّحاب العارض[١] الممطر، ومنه قول الأَعشى:

[البسيط] يَا مَنْ رَأَى عَارِضاً قَدْ بِتُّ أَرْمُقُهُ كَأَنَّمَا الْبَرْقُ في حَافَاتِهِ الشُّعَلُ[٢]

وقال أَبو عبيدة: العارض: الَّذي يُرى في أَقطار السَّماءِ عشيّاً، ثمَّ يصبح من الغد قد استوى[٣].

ورُوي في معنى قوله: ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾: أَنَّ هؤلاءِ القوم كانوا قد قحطوا مدَّةً، فطلع عليهم هذا العارض على هذه الهيئة والجهة الَّتي كانوا يمطرون بها أَبداً، جاءَهم من قِبَلِ وادٍ لهم يسمّونه المغيث. قال ابن عبّاس: ففرحوا به وقالوا: هذا عارض ممطرنا وقد كذب هودٌ فيما أَوعد به، فقال لهم هود عليه السَّلام: ليس الأَمر كما رأَيتم، بل هو ما استعجلتم به في قولكم: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾، ثمّ قال: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤].

وفي قراءَة ابن مسعود: (مُمْطِرُنَا قَالَ هُودٌ بَلْ هُوَ)[٥] بإظهار المقدَّر[٦]؛ لأَنَّ قراءَة الجمهور هي كقوله تعالى: ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]، أَي: يقولون: [سلام عليكم][٧].

---

(١) من أحمد٣.

(٢) عزاه له في تفسير الطبري (٢٢/ ١٢٧)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٦)، وسمط اللآلي للبكري (١/ ٤٩٥). وفي المطبوع: «بت أرقبه».

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢١٣).

(٤) بهذا اللفظ لم أقف عليه، ولكن انظر الدر المنثور (١٣/ ٣٣٨). وفي أحمد٣: «وعد به».

(٥) المحتسب (٢/ ٢٦٥).

(٦) أشار في هامش أحمد٣: «المقدم».

(٧) سقط من أحمد٣.

قال الزَّجّاج: وقرأ قوم: (ما استُعجِلتم) بضمِّ التّاءِ الأُولى وكسر الجيم[1].

و﴿رِيحٌ﴾ بدلٌ من المبتدأ في قوله: ﴿هُوَ مَا﴾.

و﴿مُّمۡطِرُنَا﴾ نعتٌ لـ ﴿عَارِضٌ﴾، وهو نكرة إِضافته غير محضة؛ لأَنَّ التَّقدير: ممطر لنا في المستقبل، [فهو في حكم الانفصال][2].

وقد مضى في غير هذه السُّورة قصص الرِّيح [الَّتي هبَّت عليهم][3]، وأَنَّها كانت تحمل الظعينة كجرادة.

و﴿تُدَمِّرُ﴾ معناه: تُهلك، والدَّمارُ: الهلاكُ، ومنه قول جرير:

وكَـانَ لَهُمْ كَبَكْرِ ثَمُودَ لَمَّا رَغَـا دهـراً فَدَمَّرَهُمْ دَمَـارَا[4] [الوافر]

وقوله: ﴿كُلَّ شَيۡءِۭ﴾ ظاهره العموم ومعناه الخصوص في كلِّ ما أُمرت بتدميره.

وروي: أَنَّ هذه الرّيح رمتهم أَجمعين في البحر.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿لا تَرَى إلا مَسَاكِنَهم﴾، أَي: لا تَرَى أَيُّها المخاطب شيئاً منهم.

وقرأَ عاصم وحمزة: ﴿لَا يُرَىٰٓ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول ﴿مَسَٰكِنُهُمۡ﴾ رفعاً، التَّقدير: لا يُرى شيءٌ منهم، وهذه قراءَة ابن مسعود، وعمرو بن ميمون والحسن بخلاف عنهما، ومجاهد، وعيسى، وطلحة[5].

---

(١) مثلها في البحر المحيط (٩/ ٤٤٦)، بلا نسبة، والذي في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٤٥): وقرأ بعضهم: (قل بل هو ما استعجلتم)، بزيادة (قل) قبله، وبلا ضبط، ولا نسبة، وفي مختصر الشواذ (ص: ١٤٠)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٥٥)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ١١٢): عن قراءة عَبْد الله: (قل بل ما استعجلتم بِهِ هِيَ)، وكلها شاذة.

(٢) سقط من نجيبويه.

(٣) ليس في أحمد٣، وكذا قوله: «في غير هذه السورة».

(٤) وتقدم منسوباً للفرزدق في تفسير الآية (١٧) من (سورة الإسراء). وفي الأصل وأحمد٣ والمطبوع: «ظُهْراً»، وفي السليمانية: «ظهوراً».

(٥) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٩٨)، والتيسير (ص: ٢٠٠). وفي السليمانية: بخلاف عنه، وفي أحمد٣: «وقرأ مجاهد».

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن، والجحدريُّ، وقتادة، وعمرو بن ميمون، والأَعمش، وابن أَبي إِسحاق، وأَبو رجاءٍ، ومالك بن دينار ـ يعني بلا خلاف عنهما خاصة ممن ذكر ـ: (لا تُرى) بالتّاءِ المنقوطة من فوق ومضمومة (مساكنُهم) رفعاً، ورويت عن ابن عامر[١].

وهذا نحو قول ذي الرُّمَّة:

[البسيط] كَأَنَّهَا جَمَلٌ وَهْـمٌ وَمَا بَقِيَتْ ... إِلَّا النَّحِيزَةُ وَالأَلْوَاحُ وَالْعَصَبُ[٢]

ونحو قوله:

[الطويل] .... فَمَا بَقِيَتْ إِلَّا الضُّلُوعُ الْجَرَاشِعُ[٣]

وفي هذه القراءَة استكراهٌ.

وقرأ الأَعمش، وعيسى الهمداني: (إلا مَسْكَنُهُمْ) على الإِفراد[٤] الَّذي هو اسم الجنس، والجمهور على الجمع في اللَّفظة، ووجه الإِفراد تصغير الشَّأْن وتقريبه، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [غافر: ٦٧].

ثمَّ خاطب تعالى قريشاً ـ على جهة الموعظة ـ بقوله: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ﴾ فـ(مَا) بمعنى (الَّذي)، و﴿إِن﴾ نافية وقعت مكان (ما) ليختلف اللَّفظ

---

(١) في أحمد٣: «ابن عباس»، وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٢٦٥)، ووجه ابن عامر من طريق عبد الحميد بن بكار كما في جامع البيان (٤/ ١٥٩٠). وسقط من الأصل ما بين عمرو بن ميمون الأول والثاني، وأشار في حاشية المطبوع إلى اختلاف نسخه هنا.

(٢) من بائيته المشهورة، انظر العين (٤/ ١٠٠)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٩٤)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٧٥٢)، وأمالي القالي (١/ ٥٢)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٤٨/ ١٧٢). وفي أحمد٣: «كأنه»، وفي السليمانية: «كأنهم».

(٣) لذي الرُّمَّة أيضاً، وصدره: بَرَى النَّحْزُ والأَجْرَالُ ما في غُرُوضها، انظر عزوه له في تفسير الزمخشري (٤/ ١٢)، وسيرة ابن هشام (١/ ٣٠٣)، والجَرَاشِعُ: جمع جرشع وهو العظيم الغليظ، وقيل: الطَّويل. وفي السليمانية: «والجواشع».

(٤) وهي شاذة، عزاها للأعمش في المحتسب (٢/ ٢٦٥)، ولهما في البحر المحيط (٩/ ٤٤٧).

ولا يتَّصل (مَا) بـ(ما)؛ لأَنَّ الكلام كأَنَّه قال: في الَّذي ما مَكَّنَّاكم فيه، ومعنى الآية: ولقد أَعطيناهم من القوَّة والغنى والبسط في الأَموال والأَجسام ما لم نعطكم، ونالهم بسبب كفرهم هذا العذابُ، فأَنتم أَحرى بذلك إِذا كفرتم.

وقالت فرقة: ﴿إِن﴾ شرطية والجواب محذوف تقديره: في الَّذي إِنْ مَكَّنَّاكم فيه طغيتم. وهذا تنطُّع في التَّأْويل.

ثمَّ عدَّد تعالى عليهم نِعَم الحواس والإِدراك، وأَخبر أَنَّها لم تُغْن حين لم تستعمل على ما يجب.

و(مَا) نافية في قوله: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ﴾، ويُقَوِّي ذلك دخول ﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿مِّن شَيۡءٍ﴾.

وقالت فرقة: (مَا) في قوله: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ﴾ استفهامٌ بمعنى التَّقرير، و﴿مِن شَيۡءٍ﴾ ـ على هذا ـ تأْكيد، وهذا على غير مذهب سيبويه في دخول (مِنْ) في الواجب[1].

و﴿فَحَاقَ﴾ معناه: نزل ولزم، وهو مستعمل في المكاره، والمعنى: جزاءَ ما كانوا به يستهزئون.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٧﴾
فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ
يَفۡتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ
فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم﴾ مخاطبة لقريش على جهة التَّمثيل لهم بمأْرب وسدوم وحجر ثمود، وقوله تعالى: ﴿وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ يعني: لهذه القرى المُهْلَكَة.

وقوله: ﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ﴾ الآية، يعني: هلَّا نصرتهم أَصنامُهم الَّتي اتَّخذوها.

---

(١) في المطبوع: «الجواب»، وتقدم هذا المذهب مراراً.

و﴿قُرۡبَانًا﴾ إِمَّا أَن يكون المفعول الثّاني بـ ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾، و﴿ءَالِهَةَۢ﴾ بدلٌ منه.

وإِمَّا أَن يكون حالاً و﴿ءَالِهَةَۢ﴾ المفعول الثّاني، والمفعول الأَوَّل هو الضَّمير العائد على ﴿ٱلَّذِينَ﴾، التَّقدير: اتَّخذوهم.

وقوله تعالى: ﴿بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡ﴾ معناه: انتلفوا[1] لهم حتى لم يجدوهم في وقت حاجة.

وقوله: ﴿وَذَٰلِكَ﴾ الإِشارة به تختلف بحسب اختلاف القراءَات في قوله: ﴿إِفۡكُهُمۡ﴾:

فقرأَ جمهور القراء بكسر الهمزة وسكون الفاءِ وضمِّ الكاف، فالإِشارة بـ (ذَلِكَ) على هذه القراءَة إِلى قولهم في الأَصنام: إِنَّها آلهة، وذلك هو اتِّخاذهم إِيَّاهَا آلِهَةً.

وكذلك هي الإِشارة في قراءَة من قرأَ: (أَفْكُهُمْ) بفتح الهمزة، وهي لغة في الإِفك، وهما بمعنى الكذب.

[٥/ ٩٣] وكذلك هي الإِشارة في قراءَة من قرأَ: / (أَفَكَهُمْ) بفتح الهمزة والفاءِ والكاف على الفعل الماضي، بمعنى: صَرَفهم، وهي قراءَة ابن عبّاس، وأَبي عِياض، وعِكرمة، وحنظلة بن النُّعمان.

وقرأَ أَبو عياض أَيضاً وعكرمة ـ فيما حكى الثَّعلبيُّ ـ: (أَفَّكَهُمْ) بشدِّ الفاءِ وفتح الهمزة والكاف، وذلك على تعدية الفعل بالتَّضعيف.

وقرأَ عبد الله بن الزبير: (آفَكَهُمْ) بالمدِّ وفتح الفاءِ والكاف على التَّعدية بالهمزة.

قال الزَّجّاج: معناها جعلهم يأْفكون، كما يقال: أَكْفَرَهم[2].

وقرأَ ابن عبّاس فيما روى قطرب: (آفِكُهُمْ) بفتح الهمزة والمد وكسر الفاء وضم الكاف على وزن فاعل بمعنى: صارِفُهم.

---

(١) في أحمد٣ والمطبوع والسليمانية: «أتلفوا».

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٤٦).

وحكى الفراءُ أَنَّه يقرأُ: (أَفَكُهُمْ) بفتح الهمزة والفاءِ وضمِّ الكاف[١]، وهي لغة في الإِفْك.

والإِشارة بـ (ذَلِكَ) على هذه القراءَات الَّتي ليست مصدراً يحتمل أَن تكون [إِلى الأَصنام، وقوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ يحتمل أَن تكون][٢] (مَا) مصدرية فلا تحتاج إِلى عائد، ويحتمل أَن تكون بمعنى (الذي)، فهناك عائد محذوف تقديره: يفترونه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ ابتداءُ وصْف قصة الجنِّ وَوِفَادتهم على النَّبيِّ ﷺ.

و﴿صَرَفْنَآ﴾ معناه: رددناهم عن حالٍ ما، ويحتمل أَنَّها الاستماع في السَّماءِ.

ويحتمل أَن تكون كفرهم[٣] قبل الوفادة، وهذا بحسب الاختلاف هنا، هل هم الوفد أَو المُتَجَسِّسُونَ؟

وروي: أَنَّ الجنَّ كانت قبل مبعث النَّبيِّ ﷺ تسترق السَّمع من السَّماءِ، فلمَّا بُعث النَّبيُّ ﷺ حُرست بالشُّهب الرَّاجمة، فضاقت الجنُّ ذرعاً بذلك، فاجتمعت[٤] وأَتى رأْي مَلَئِهِم على الافتراق في أَقطار الأَرض وطلب السَّبب الموجب لهذا الرَّجم والمنع من استراق السَّمع، ففعلوا ذلك.

واختلف الرُّواة بعْدُ:

فقالت فرقة: جاءَت طائفة من الجنِّ إِلى النَّبيِّ ﷺ وهو لا يشعر، فسمعوا القرآن، وَوَلَّوْا إِلى قومهم منذرين، ولم يعرف النَّبيُّ بشيءٍ من ذلك حتّى عرَّفه الله بذلك كلِّه، وكان سماعهم لقراءَته وهو بنخلة عند سوق عكاظ وهو يقرأُ في صلاة الفجر[٥].

---

(١) هذه ست قراءات شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٢٦٧)، وانظر الثالثة في تفسير الثعلبي (٩/ ١٩).

(٢) سقط من أحمد٣.

(٣) في المطبوع: «بُعْدهم»، مع الإشارة إلى النُّسخ الأخرى: «كفرهم»، وفي نجيبويه: «نفرهم».

(٤) سقط من المطبوع.

(٥) أخرجه مسلم (٤٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقالت فرقة: بل أَشعره الله بوفادة الجنِّ عليه واستعد لذلك، ووفد عليه أَهل نصيبين منهم[(١)].

قال القاضي أَبو محمد: والتحرير في هذا: أَن النبي ﷺ جاءَه جنٌّ دون أَن يعرف بهم، وهم المتفرقون من أَجل الرَّجم، وهذا قوله تعالى: ﴿قُلۡ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ [الجن: ١][(٢)] الآية.

ثمَّ بعد ذلك وفد عليه وفد وهو المذكور صرفُه في هذه الآية، قال قتادة: صُرفوا إِليه من نِينَوى، وأُشْعر به قبل وروده، وقال الحسن: لم يشعر به[(٣)].

واختلف في عددهم اختلافاً متباعداً فاختصرته لعدم الصِّحَّة في ذلك، أَمَّا إن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: كانوا سبعة نفر من أَهل نصيبين[(٤)].

وقال زِرٌّ: كانوا تسعة فيهم زَوْبعة[(٥)].

ورويت في ذلك أَحاديث عن عبد الله بن مسعود: أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِنّي خارج إِلى وفد الجنِّ، فمن يتبعني؟» فسكت أَصحابه، فقالها ثانية فسكتوا، فقال عبد الله: أَنا أَتْبعك، قال: فخرجت معه حتّى جاءَ شِعْب الحَجُونِ فأَدار لي دائرة وقال: «لا تخرج منها»، ثمَّ ذهب عنِّي، فسمعت لغطاً ودويّاً كدوي النُّسور الكاسرة، ثمَّ في آخر اللَّيل جاءَ رسول الله ﷺ بعد أَن قرأَ عليهم القرآن وعلَّمهم، وأَعطاهم زاداً في كلِّ عظم ورَوْثة، فقال: «يا عبد الله، ما رأَيت»؟ قال: فأَخبرته، فقال: «لقد كنت أَخشى أَن تخرج

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٨٦٠)، ومسلم (٤٥٠). وفي السليمانية: «واستشعر» بدل «استعد».

(٢) في السليمانية: «قول قتادة!».

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٣٦).

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ١٦٥) عن أبي كريب، والطبراني في الكبير (١١٦٦٠)، وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٢) من طريق أبي كريب، عن عبد الحميد الحماني، عن النضر بن عبد الرحمن الخزاز أبي عمر، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. والنضر بن عبد الرحمن الخزاز ضعيف، وفي المطبوع من المعجم للطبراني، وفي الدر المنثور (١٣/ ٣٤٢) بلفظ: «تسعة» بدل «سبعة».

(٥) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٢).

فيتخطفك بعضهم»، قلت: يا رسول الله، سمعتُ لهم لغطاً، فقال: «إِنَّهم تَدَارَؤُوا في قتيل لهم فحكمتُ بالحقِّ بينهم»[١].

قال القاضي أَبو محمد: واضطربت الرِّوايات عن عبد الله بن مسعود، وروي عنه ما ذكرنا، وذكر عنه: أَنَّه رأَى رجالاً من الجنِّ وبهم شبه رجال الزُّطِّ[٢] السُّود الطوال حين رآهم بالكوفة[٣].

وروي عنه أَنَّه قال: ما شاهد أَحدٌ منَّا ليلة الجنِّ مع رسول الله ﷺ[٤]، فاختصرت هذه الرِّوايات وتطويلها لعدم صحَّتها.

وقوله: ﴿نَفَرًا﴾ يقتضي أَن المصروفين رجال لا أُنثى فيهم، فالنَّفر والرَّهط والقوم: الَّذين لا أُنثى فيهم.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾ فيه تأَدُّب مع العالِم[٥] وتعليمٌ كيف يُتَعَلَّم.

وقرأَ جمهور النَّاس: ﴿قُضِيَ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول.

---

(١) مرسل، هذا الأثر بهذا اللفظ أخرجه الطبري (٢١/ ١٦٦) من طريق سعيد بن بشير، عن قتادة، مرسلاً، وانظر الروايات الواردة في هذا الباب وتخريجها في تفسير ابن كثير (٧/ ٢٨٩-٢٩٧). و«بينهم»: من المطبوع، وفي الأصل: «فمن شاء يتبعني».

(٢) الزُّط: جيل أسود من السِّند تُنسب إليهم الثِّياب الزُّطِّيَّة. وفي نجيبويه: «الزنط».

(٣) ضعيف، قال ابن كثير في التفسير (٧/ ٢٩٥): قال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي رافع، عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ خط حوله، فكان أحدهم مثل سواد النحل، وقال لي: «لا تبرح مكانك»، فأقرأهم كتاب الله، فلما رأى الزُّط قال: كأنهم هؤلاء.. وإسناده ضعيف وذكره قتادة بلاغاً بلا إسناد، أخرجه الطبري في التفسير (٢٢/ ١٣٦).

(٤) أخرجه مسلم (٤٥٠) عن علقمة قال: سألت ابن مسعود: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا.

(٥) في أحمد٣ والسليمانية: «العلم».

وقرأ حبيب بن عبد الله بن الزبير[(١)]، وأبو مجلز: (قَضَى) على بناءِ الفعل للفاعل، أَي قَضَى محمد القراءَةَ[(٢)].

وقال ابن عمر، وجابر بن عبد الله: قرأ عليهم سورة الرَّحمن، فكان إذا قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قالوا: لا بشيءَ من آلائك ربَّنا نكذِّب، ربنا لك الحمد، ولمَّا وَلَّت هذه الجملة تفرقت على البلاد منذرة للجنِّ،[(٣)] قال قتادة: ما أَسرع ما عقل القوم[(٤)].

---

(١) لعله خبيب بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، روى عن: أبيه، وعائشة، وعنه: ابنه الزبير، والزهري، وقيل: إنه أدرك كعب الأحبار، وكان من النساك، يذكرون أنه كان يعلم علماً كثيراً لا يعرفون وجهه، توفي سنة (٩٣هـ)، تاريخ الإسلام (٦/ ٣٤٥).

(٢) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٣٧)، والبحر المحيط (٩/ ٤٥٠)، ولعل الصواب «خبيب» كما في القرطبي (١٦/ ٢١٦).

(٣) الإسنادان فيهما لين، خبر ابن عمر أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر (٦٨) عن محمد بن عباد بن موسى، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٣٠١) من طريق محمد بن عباد، والطبري (٢٢/ ١٩٠) عن محمد بن عباد، وعمرو بن مالك البصري، والبزار في مسنده (٥٨٤٣) عن عمرو بن مالك كلاهما ـ محمد بن عباد، وعمرو بن مالك ـ عن يحيى بن سليم الطائفي، عن إسماعيل بن أمية، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنه به، وفيه: قالت الجن: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب »، ومحمد ابن عباد بن موسى العكلي الملقب بسندول صدوق يخطىء، وعمرو بن مالك بن عمر الراسبي ضعيف، ويحيى بن سليم الطائفي صدوق سيء الحفظ، وإسماعيل بن أمية القرشي ثقة ثبت، وعند ابن أبي الدنيا عن محمد بن عباد به، وزاد عمرو بن سعيد بن العاص بين إسماعيل ونافع.
وأما خبر جابر بن عبد الله فأخرجه الترمذي (٣٢٩١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٤١٧)، وابن عدي في الكامل (٥/ ٢١٥) من طريق الوليد بن مسلم الدمشقي، عن زهير بن محمد، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله به، وزهير بن محمد التميمي العنبري رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة فضعف بسببها، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد، قال أحمد: كأن زهير بن محمد الذي وقع بالشام ليس هو الذي يروى عنه بالعراق كأنه رجل آخر قلبوا اسمه يعني لما يروون عنه من المناكير، وسمعت البخاري يقول: أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير وأهل العراق يروون عنه أحاديث مقاربة.اهـ.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ١٤١)، والهداية لمكي (١١/ ٦٨٦٨). وفي المطبوع: «قاله قتادة».

قال القاضي أبو محمد: فهنالك وقعت قصة سوادٍ وشِصَار وخُنافر وأشباههم[١]، صلَّى الله على محمد عبده ورسوله وسلَّم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾.

المعنى: قال هؤلاءِ المنذرون لمَّا بلغوا قومهم: ﴿يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا﴾، وهو القرآن العظيم، وخصّصوا موسى عليه السلام لأَحد أَمرين:

إِمَّا لأَنَّ هذه الطَّائفة [من الجنِّ][٢] كانت تتديَّن بدين اليهود.

وإِمَّا لأَنَّهم كانوا يعرفون أَنَّ / موسى قد ذكر محمداً ﷺ وبشَّر به، فأَشاروا إِلى موسى من حيث كان هذا الأَمر مذكوراً في توراته. [٥/ ٩٤]

وقال ابن عبّاس ـ في كتاب الثَّعلبيِّ ـ: لم يكونوا علموا أَمر عيسى عليه السَّلام، فلذلك قالوا: ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾[٣]، وقولهم: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يؤيد[٤] هذا.

و(ما بين يديه): هو التوراة والإِنجيل.

و﴿ٱلْحَقِّ﴾ و«الطريق المستقيم»: هما بمعنىً يتقارب، لكن من حيث اختلف اللَّفظ ـ وربَّما كان الحقُّ أَعمَّ ـ وكان أَحدهما قد يقع في مواضع لا يقع فيها الآخر، حَسُن التَّكرارُ.

(١) انظر قصتهم في الإصابة (٢/ ٣٦٢) في ترجمة خنافر بن التوأم الحميري.
(٢) سقط من الأصل.
(٣) مثله في مفاتيح الغيب (٢٨/ ٢٨)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١١٧) ولم أقف عليه مسنداً، ولم أجده في النسخة المطبوعة من «تفسير الثعلبي».
(٤) في السليمانية: «يرد».

و﴿دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾: هو محمد عليه السلام، والضَّمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد على الله تعالى.

وقوله: ﴿يَغۡفِرۡ﴾ معناه: يغفر الله لكم.

وقوله: ﴿وَيُجِرۡكُم﴾ معناه: يمنعكم ويجعل دونكم جوار[1] حفظه حتّى لا ينالكم عذاب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ﴾ الآية، يحتمل أَن يكون من كلام المنذرين، ويحتمل أَن يكون من كلام الله تعالى لمحمد ﷺ، والمراد بها إِسماع الكفّار، وتعلق اللَّفظ إِلى هذا المعنى من قول الجنِّ: ﴿أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾، فلمَّا حكى ذلك قيل: ومن لا يفعل هذا،[2] فهو بحال كذا.

و«المُعْجز»: الذاهبُ في الأَرض الذي يبدي [عجز طالبه][3] ولا يُقدر عليه.

ورُوي عن ابن عامر: (وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ) بزيادة (ميم)[4].

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾، الضَّمير لقريش، وهذه آية مثل واحتجاج؛ لأَنَّهم قالوا: إِنَّ الأَجساد لا يمكن أَن تُبعث ولا تُعَاد، وهم مع ذلك معترفون بأَنَّ الله تعالى خلق السَّماوات والأَرض فأُقيمت عليهم الحُجَّة من أَقوالهم.

و«الرُّؤْية» في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ رؤْية القلب.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿وَلَمۡ يَعۡيَ﴾ بسكون العين وفتح الياءِ الأَخيرة.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (يَعِيْ) بكسر العين وسكون الياءِ[5]، وذلك على حذف.

---

(١) ليست في المطبوع، وفيه: «حفظة»، وفي أحمد٣: «حيواناً حفظة»، وفي نور العثمانية: «ويجعل ذنوبكم».

(٢) في أحمد٣ والمطبوع: «ومن لا يجب داعي الله». وفي السليمانية: «فمن» بدل «ومن».

(٣) في نجيبويه: «عجزه إليه».

(٤) شاذة، من رواية عبد الحميد بن بكار عنه كما في جامع البيان (٤/ ١٥٩٠). وفي المطبوع ونجيبويه: «ابن عبّاس»، وفي السليمانية: «عباس».

(٥) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٤٠)، والمحتسب (٢/ ٢٦٩). وتكررت في السليمانية: «وسكون الياء على حذف».

والباءُ في قوله تعالى: ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾ زائدة مؤكدة، ومن حيث تقدّم نفيٌ في صدر الكلام حَسُن التَّأْكيد بالباءِ، وإِن لم يكن المنفي[1] ما دخلت هي عليه، كما هي في قولك: ما زيد بقائم، كأَن بدل ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾: أَوَ ليس الذي خَلَق.

وقرأَ ابن عبّاس، وجمهور الناس: ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾.

وقرأَ الجحدريُّ، والأَعرج بخلاف وعيسى، وعمرو بن عبيد: ﴿يَقْدِرُ﴾ بالياءِ، على فعل مستقبل[2]، ورجَّحها أَبو حاتم وغلَّط قراءَة الجمهور لِقلق الباءِ عنده[3].

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (بِخَلْقِهِنَّ قَادِرٌ) [بغير باءٍ][4].

و﴿بَلَىٰٓ﴾ جواب بعد النَّفي المتقدِّم، فهي إِيجاب لِمَا نُفي، والمعنى: بل[5] رأَوْا ذلك، أَيْ: لو نفعهم ووقع في قلوبهم، ثم استأْنف لفظ الإِخبار المؤكّد بقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٤ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾.

المعنى: واذكر يوم، وهذا وعيد للكفّار من قريش وسواهم.

---

(١) في المطبوع: «النَّفْيُ».

(٢) هي عشرية ليعقوب بكماله، كما في النشر (٢/ ٣٥٥)، وانظر الباقين في البحر المحيط (٩/ ٤٥١).

(٣) قال الأزهري في معاني القراءات (٢/ ٣١٣): وأجاز سيبويه، والمبرد، والزجاج، وأحمد ين يَحْيَى ما أنكره السجستاني، وهُم أعلم بهذا الباب منه، وقال في البحر المحيط (٩/ ٤٣٩): وكان أبو حاتم يطعن في بعض القرآن بما لا علم له به، جسارة منه، عفا الله عنه.

(٤) سقط من الأصل والسليمانية، وهي شاذة، عزاها له تفسير الزمخشري (٤/ ٣١٣)، وانظر تفسير الثعلبي (٩/ ٢٤).

(٥) في أحمد٣: «بلى».

و«العَرْضُ» في هذه الآية: عرض مباشرة، كما تقول: عرضت الجاني على السّوط.

والمعنى: يقال لهم: أَليس هذا العذاب حقّاً وقد كنتم تكذبون به؟ فيجيبون: بلى وربِّنا، فذلك تصديق حيث لا ينفع.

ورُوي عن الحسن أَنَّه قال: إِنَّهم ليعذَّبون في النَّار وهم راضون بذلك لأَنفسهم، يعترفون أَنَّه العدل، فيقول لهم المحاور من الملائكة عند ذلك: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أَي: بسبب كفركم[١].

وقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ﴾، الفاءُ عاطفة هذه الجملة من الوصاة على هذه الجملة من الأَخبار عن حال الكفرة في الآخرة، والمعنى بينهما مرتبط، أَي: هذه حالهم مع الله فلا تستعجل أَنت فيما حُمِّلْته، واصبر له، ولا تخف في الله أَحداً.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾: (من) للتبعيض، والمراد: من حُفظت[٢] له مع قومه شدَّة ومجاهدة؛ كنوح وإِبراهيم وموسى وعيسى[٣] وغيرهم صلى الله عليهم أجمعين، هذا قول عطاءٍ الخُراسانيِّ والكلبي وغيره.

وقال ابن زيد ما معناه أَن ﴿مِنَ﴾ لبيان الجنس، قال: والرُّسل كلُّهم أُولوا عزم، ولكن قوله: ﴿كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾ يتضمَّن رسلاً وغيرهم، فبيَّن بعد ذلك جنس الرُّسل خاصة تعظيماً لهم، ولتكون القدوة المضروبة لمحمد عليه السلام أَشرف، وذكر الثَّعلبيُّ هذا القول عن عليِّ بن مهديِّ الطَّبريِّ.

وحكى عن أَبي القاسم الحكيم أَنَّه قال: الرُّسل عليهم السَّلام كلُّهم أُولوا عزم إِلَّا يونس عليه السَّلام[٤].

---

(١) لم أقف عليه، وتقدم مثل هذه اللفظة في (آل عمران) و(التوبة).

(٢) في أحمد٣: «حصلت».

(٣) ليس في المطبوع ولا نجيبويه.

(٤) انظر القولين في الثعلبي (٩/ ٢٥)، و«الكلبي» من أحمد٣، ولم أقف على ترجمة لعلي بن مهدي، ولا لأبي القاسم الحكيم.

وقال الحسين بن الفضل: هم الثّمانية عشر المذكورون في سورة الأَنعام[١]؛ لأَنَّه قال بعقب ذكرهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال مقاتل: هم ستَّة: نوح صبر على أَذى قومه طويلاً، وإِبراهيم صبر [على النّار][٢]، وإِسحاق صبر نفسه للذَّبح، ويعقوب صبر على الفقد[٣] لولده وعمى بصره، وقال ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨]، ويوسف صبر على السِّجن وفي البئر، وأَيّوب صبر على البلاءِ[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وانظر أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قد قال في موسى: «يرحم الله موسى، أُوذي بأَكثر من هذا فصبر»[٥]، ولا محالة أَنَّ لكلِّ نبيٍّ ورسول عزماً وصبراً.

وقوله: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ معناه: لا تستعجل لهم عذاباً فإِنَّهم إِليه صائرون، ولا تستطل تعميرهم في هذه النِّعمة فإِنَّهم يوم يرون العذاب كأَنَّهم لم يلبثوا في الدُّنيا إِلَّا ساعةً، لاحتقارهم ذلك؛ لأَنَّ المنقضي من الزَّمان إِنَّما يصير عَدَماً، فكثيره الَّذي ساءَت عاقبته كالقليل.

وقرأَ أُبَيُّ بن كعب: (سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ)[٦].

وقرأَ جمهور القراء والنّاس: ﴿بَلَٰغٌ﴾، وذلك يحتمل معاني:

أَحدها: أَن يكون خبر ابتداءٍ، المعنى: هذا بلاغ، وتكون الإِشارة بـ ﴿هَٰذَا﴾ إِمَّا إِلى القرآن والشَّرع، أَي: هذا إِنذارٌ وتبليغ، وإِمَّا إِلى المدَّة الَّتي تكون كساعة [من نهار][٧]،

---

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٥). وفي المطبوع والسليمانية: «الحسن بن الفضل».
(٢) في الأصل: «للناس».
(٣) في الأسدية٣: «الذبح»، ولعله خطأ. وفي أحمد٣: «لفقد الولد».
(٤) تفسير السمعاني (٥/ ١٦٤)، «وفي البئر» ليست في المطبوع، ولا نجيبويه.
(٥) متفق عليه، هذا جزء من الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٤٠٥)، ومسلم (١٠٦٢).
(٦) شاذة، انظر البحر المحيط (٩/ ٤٥٢).
(٧) ليس في أحمد٣ والسليمانية.

كأَنَّه قال: لم يلبثوا إِلَّا ساعة كانت بلاغهم، وهذا كما تقول: متاع قليل، ونحوه من المعنى.

والثّاني: أَن يكون ابتداءً والخبر محذوف.

والثّالث: ما قاله أَبو مجلز، فإِنَّه كان يقف على قوله: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل﴾، ويقول: ﴿بَلَٰغٌ﴾ ابتداءٌ، وخبره متقدِّم في قوله: ﴿لَّهُمْ﴾[1]، وقدح النّاس في هذا القول بكثرة الحائل[2].

[٥/ ٩٥] وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن، / وعيسى: (بَلَاغاً)، وهي قراءَة تحتمل المعنيْين اللذين في قراءَة الرَّفع، وليس يدخلها قول أَبي مجلز، [ونصبها بفعل مضمر.

وقرأَ أَبو مجلز][3]، وأَبو سراج الهذلي: (بَلِّغْ) على الأَمر.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (بَلاغٍ) بالخفض نعتاً للنَّهار[4].

وقرأَ جمهور النَّاس: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول.

وقرأَ بعضهم ـ فيما حكى هارون ـ: (فهل يَهلِكُ) على بناءِ الفعل للفاعل [وكسر اللَّام][5]، وحكاها أَبو عمرو عن الحسن وابن محيصن.

[وقرأَ أيضاً ابن محيصن][6]: (يَهْلَك) بفتح الياءِ واللَّام، قال أَبو الفتح: وهي مرغوب عنها[7].

---

(١) تحفة الأقران فيما قرئ بالتثليث من حروف القرآن (ص: ١٢٨).

(٢) نقل هذا القدح عن أبي حاتم مكي في الهداية (١١/ ٦٨٧٤)، لأن فيه تفكيك الكلام بعضه من بعض.

(٣) سقط من أحمد٣ والسليمانية.

(٤) وثلاثتها شاذة، انظر الأولى والثانية في المحتسب (٢/ ٢٦٨)، ومختصر الشواذ (ص: ١٤٠)، والكل في البحر المحيط (٩/ ٤٥٢).

(٥) سقط من نجيبويه.

(٦) من نجيبويه والسليمانية والمطبوع، وفي أحمد٣: «أيضاً».

(٧) وهما شاذتان، انظرهما مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٢٦٨)، والأولى في مختصر الشواذ (ص: ١٤١) لأبي مجلز، ولم أجد نقل الداني.

وروى زيد بن ثابت عن النَّبيِّ ﷺ: (فهل يُهْلِكُ) بضمِّ الياءِ وكسر اللَّام (إلا القومَ الفاسقين) بالنَّصب[١].

وفي هذه الألفاظ وعيد محضٌ وإِنذارٌ بيِّنٌ، وذلك أَنَّ الله تعالى جعل الحسنة بعشر أَمثالها، والسَّيئة بمثلها[٢]، وأَمر بالطَّاعة ووعد عليها بالجنَّة، ونهى عن الكفر وأَوعد عليه بالنَّار، «فَلن يَهْلِك على الله إِلَّا هالك» كما قال ﷺ[٣].

قال الثَّعلبيُّ: يقال: إِن قوله: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أَرجى آية في كتاب الله تعالى للمؤمنين[٤].

كمل تفسير (سورة الأَحقاف)، والحمد لله ربِّ العالمين

(١) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٣٨) للحسن. وفي هامش السليمانية زيادة: «قراءةً» قبل: «فهل يهلك».

(٢) من الأسدية٣ وأحمد٣ والسليمانية.

(٣) هذا جزء من حديث أخرجه مسلم (١٣١)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) لم أجده في النسخة المطبوعة، ومثله في تفسير الثعالبي (٥/ ٢٢٧)، وبلا نسبة في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١١٦).

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تفسير ابن عطية

المحرر الوجيز

مختصر

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي

تحقيق
مجموعة من الباحثين

بإشراف
إدارة الشؤون الإسلامية

الجزء التاسع
من أول تفسير سورة محمد ﷺ حتى نهاية سورة المزمل

إصدارات
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

تفسير ابن عطية

المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي

□ **تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**
تأليف : الإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي
تحقيق : مجموعة من الباحثين - بإشراف إدارة الشؤون الإسلامية
الطبعة المحققة الأولى : ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

قياس القطع : ١٧ × ٢٤

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر
ص.ب ٤٢٢ الدوحة
البريد الإلكتروني : turathuna@islam.gov.qa

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سُورة القتال[1]

هذه السُّورة مدنيَّة بإِجماع، غير أَنَّ بعض النّاس قال في قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ ﴾ [محمد: ١٣] الآية: إِنَّها نزلت بمكَّة في وقت دخول النَّبيِّ فيها عام الفتح، أَو سنة الحديبيَة، وما كان مثل هذا فهو معدود في المدنيِّ؛ لأَنَّ المراعَى في ذلك إِنما هو ما كان قبل الهجرة أَو بعدها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الآيَةَ؛ إِشارةٌ إِلى أَهل مكَّةَ الَّذين أَخرجوا رسول ﷺ.

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآيَةَ؛ إِشارةٌ إِلى الأَنصار أَهل المدينة الَّذين آووه، وفي

(١) في المطبوع: «سورة محمّد ﷺ».

الطَّائفتين نزلت الآيتان[١]، قاله ابن عبّاس[٢]، ومجاهد[٣].

ثمَّ هي بعد تعم كلّ من دخل تحت أَلفاظها.

وقوله: ﴿وَصَدُّواْ﴾ يحتمل أَن يريد الفعل المجاوز؛ فيكون المعنى: وصدُّوا [غيرهم. ويحتمل أَن يكون الفعل غير متعدٍّ؛ فيكون المعنى: وصدُّوا][٤] أَنفسهم.

و﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: شرعه وطريقه الَّذي دعا إِليه.

وقوله: ﴿أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾؛ أَي: أَتْلفها، لم يجعل لها غاية خير ولا نفعاً.

وروي: أَنَّ هذه الآية نزلت بعد بدر، وأَنَّ الإِشارة بقوله: ﴿أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ هي إِلى الإِنفاق الَّذي أَنفقوه في سفرتهم إِلى بدر.

وقيل: المراد بالأَعمال: أَعمالهم البَرَّة في الجاهلية من صلة رحم ونحوه. واللَّفظ يعمُّ جميع ذلك.

وقرأَ النّاس: ﴿نُزِّلَ﴾ بضمِّ النّون وشدّ الزَّاي[٥]، وقرأَ الأَعمش: (أَنْزَلَ) مُعدَّى بالهمزة[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ﴾، قال قتادة: معناه: وأَصلح حالهم[٧].

---

(١) في المطبوع: «الآية»، وفي السليمانية: «الآيات».

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ١٨٠-١٨١)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٥٧) من طريق عبيد الله ابن موسى، عن إسرائيل، عن أبي يحيى القَتَّات، عن مجاهد، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه بنحوه، وأبو يحيى القتات الكوفي، هو زاذان: ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٥٢).

(٤) ليس في نجيبويه.

(٥) في أحمد٣: على الفعل المجهول.

(٦) وهي شاذة، عزاها له أبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٤٥٩)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٤٨) لابن أبي عبلة، وزاد: «نزَّل» لابن مقسم، وزيد بن علي، و«نزَلَ» لأبي البرهسم، وكلها شاذة.

(٧) تفسير الطبري (٢٢/ ١٥٢).

وقال ابن عبّاس: أَمرهم[١]، وقال مجاهد: شأْنهم[٢].

وتحرير التّفسير في اللَّفظة: أَنَّها بمعنى الفكر والموضع الَّذي فيه نظر الإِنسان وهو القلب، فإِذا صلح ذلك فقد صلحت حاله، فكأَنَّ اللَّفظة مشيرة إِلى صلاح عقيدتهم، وغيرُ ذلك من الحال تابع[٣]، فقولك: خطر في بالي كذا، وقولك: أَصلح الله بالك، المراد بهما واحد، ذكره المبرِّد[٤].

و«الْبَالُ» مصدرٌ؛ كالحال والشَّأن، ولا يستعمل منها فعل، وكذلك عُرفه أَلَّا يُثَنَّى ولا يُجمع، وقد جاءَ مجموعاً لكنَّه شاذٌّ؛ فإِنَّهم قالوا: بالات[٥].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية، الإِشارةُ إِلى هذه الأَفعال الَّتي ذكر الله أَنَّه فعلها بالكفَّار وبالمؤمنين.

و﴿ٱلْبَٰطِلَ﴾: الشَّيطان وكلَّ ما يأْمر به، قاله مجاهد[٦].

و﴿ٱلْحَقَّ﴾ هنا: هو الشَّرع ومحمد عليه السلام.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [إِشارة إِلى الاتِّباع المذكور من الفريقين؛ أَي: كما اتَّبعوا على هذين السبيلَيْن، كذلك][٧] يُبيِّن أَمر كلِّ فرقة، ويجعل لها ضرباً من القول وصنفاً.

و«ضربُ الـمَثَل»: مأْخوذ من الضَّريب والضَّرب؛ الَّذي هو بمعنى النوع.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ١٨٠-١٨١)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٥٧) بالإسناد السابق، وهو ضعيف. ووقع في الأصل: «وقرأ».

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٦٠٤)، وتفسير الطبري (٢٢/ ١٥٢).

(٣) في أحمد٣: «سائغ».

(٤) نقله القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢٢٤).

(٥) في أحمد٣: «بالان».

(٦) تفسير الطبري (٢٢/ ١٥٣).

(٧) ليس في الأصل.

قَٰتَلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٤﴾ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ﴿٥﴾ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴿٦﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ
﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٩﴾﴾.

قال ابن عبّاس[١]، وقتادة، وابن جريج، والسُّديُّ، والضَّحّاك: إنَّ هذه الآية منسوخة بآية السَّيف الَّتي في (براءَة): ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥]، وإنَّ الأَسر والمنَّ والفداءَ مرتفع، فمتى وقع أَسْرٌ فإنَّما معه القتل ولا بد[٢]، وروي نحوه عن أَبي بكر الصِّديق[٣].

وقال ابن عمر[٤]، وعمر بن عبد العزيز، وعطاءٌ ما معناه: إنَّ هذه الآية محكمة مُبيِّنة لتلك، والمنُّ والفِداءُ ثابت[٥].

وقد منَّ رسول الله ﷺ على ثُمامةَ بن أُثال[٦]، وفادى أَسرى بدر[٧]، وقاله

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ١٨٥) من طريق عطية العَوفي، عن ابن عباس في قوله ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾.. إلى آخر الآية، قال: الفداء منسوخ، نسختها: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾... إلى ﴿كُلَّ مَرۡصَدٖ﴾ قال: فلم يبق لأحد من المشركين عهد ولا حرمة بعد براءة، وانسلاخ الأشهر الحرم.

(٢) انظر قولهم في: تفسير الطبري (٢٢/ ١٥٣)، وقول الضحاك فيه (٢٢/ ١٥٤)، وقد سقط من الأصل، وزاد في السليمانية: «الحسن».

(٣) منقطع، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٣٩١) عن معمر، وفي تفسيره (٢/ ٢٢٠)، وأبو عبيد في «الأموال» (٣٥٢)، من طريق معمر، عن عبد الكريم بن مالك الجزري قال: كُتب إلى أبي بكر رضي الله عنه في أسير أُسر، فذكر أنهم التمسوه بفداء كذا وكذا، فقال أبو بكر: اقتلوه، لَقتلُ رجل من المشركين، أحبّ إليّ من كذا وكذا. وعبد الكريم بن مالك الجزري ثقة متقن من الذين عاصروا صغار التابعين، ولم يدرك أحداً من الصحابة.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٩٤٦)، والطبري في تفسيره (٢٢/ ١٨٥-١٨٦) من طريق شعبة، عن خليد بن جعفر الحنفي، عن الحسن قال: أتي الحجاج بأسارى، فدفع إلى ابن عمر رجلاً يقتله، فقال ابن عمر: ليس بهذا أُمرنا، قال الله عزّ وجلّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾.

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ١٥٦).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٣٧٢)، ومسلم (١٧٦٤).

(٧) قصة أسرى بدر: أخرجها مسلم (١٧٦٣) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الحسن، وقال: لا يقتل الأَسير إِلَّا في الحرب، يُهَيَّب بذلك على العدوِّ(١).

وكان عمر بن عبد العزيز يفادي رجلاً برجل، ومنع الحسن أَن يُفادوا بالمال، وقد أَمر عمر بن عبد العزيز بقتل أَسير من التُّرك / ذُكر له أَنَّه قتل مسلمين(٢). [٥/ ٩٨]

وقالت فرقة: هذه الآية خصّصت من الأُخرى أَهل الكتاب فقط، فيهم المنُّ والفداءُ، وعُبَّادُ الأَوثان ليس فيهم إِلَّا القتل.

وعلى قول أَكثر العلماءِ: الآيتان مُحكمتان.

وقوله هنا: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ بمثابة قوله هناك: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾.

وصرَّح هنا بذكر المنِّ والفداءِ، ولم يصرِّح به هنالك، [وهو مرادٌ متقرِّرٌ](٣)، وهذا هو القول القويُّ.

وقوله: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ مصدر بمعنى الفعل، أَي: فاضربوا رقابهم، وعيَّن من أَنواع القتل أَشهره وأَعرفه فذكره، والمراد: اقتلوهم بأَي وجه أَمكن، وقد زادت آية أُخرى: ﴿وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]، وهي مِنْ أَنْكَى ضربات الحرب، لأَنَّها تعطل من المضروب جميع جسده؛ إِذ البَنَانُ أَعظم آلة المقاتل وأَصلها.

و﴿أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ معناه: بالقتل.

و«الإِثْخَانُ» في القوم: أَن يكثر فيهم القتلى والجرحى، والمعنى: فشدُّوا الوثاق بمن لم يقتل ولم يترتب فيه إِلَّا الأَسر(٤).

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٥٦).

(٢) تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٠٢)، وتفسير الطبري (٢٢/ ١٥٦)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٩)، والأوسط لابن المنذر (١١/ ٢٢٦).

(٣) في المطبوع: «وهو أَمرٌ مقرَّر»، مع الإشارة للنسخة الأخرى. وفي نجيبويه والسليمانية: «مراد مقرر».

(٤) في السليمانية: «ولم يترقب فيه الأسر».

و﴿مَنًّا﴾ و﴿فِدَآءً﴾ مصدران منصوبان بفعلين مضمرين.

وقرأ جمهور الناس: ﴿فِدَآءً﴾، ممدوداً، وقرأ شِبْل عن ابن كثير: (فِدًى)، مقصوراً[١].

وإِمام المسلمين مخيَّرٌ في أَسراه في خمسة أَوجه: القتل، أَو الاسترقاق، أَو ضرب الجزية، أَو الفداءُ، أَو المن.

ويترجَّح النّظر في أَسير أَسير، بحسب حاله من إِذاية المسلمين أَو ضدّ ذلك.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ معناه: حتى تذهب وتزول أَثقالها.

و«الأَوزار» جمع وزر[٢]: الأَثقالُ فيها والآلات لها، ومنه قول الشاعر عمرو بن مَعدي كَرِب الزُّبَيديِّ:

[المتقارب]

وَأَعَـــدَدْتَ لِلْـحَـرْبِ أَوْزَارَهَـــا رِمَـاحـاً طِوَالاً وَخَيْـلاً ذُكُورا[٣]

وقال الثَّعلبيُّ: قيل: الأَوزار في هذه الآية: الآثام، جمع وِزْر؛ لأَنَّ الحرب لا بد أَن يكون فيها آثام في أَحد الجانبين[٤].

واختلف المتأَوِّلون في الغاية الَّتي عندها تضع الحرب أَوزارها:

فقال قتادة: حتى يسلم الجميع، [فتضع الحرب أَوزارها][٥].

وقال حُذَّاق أَهل النَّظر: حتى تغلبوهم وتقتلوهم.

وقال مجاهد: حتى ينزل عيسى ابن مريم[٦].

---

(١) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ١٤١)، والبحر المحيط (٩/ ٤٦١).

(٢) «جمع وِزْر» زيادة من المطبوع ونجيبويه.

(٣) لم أجد من نسبه له، وإنما هو للأعشى، يمدح هَوْذَةَ بن عليٍّ الحنفي، انظر: العين للخليل (٧/ ٣٨١)، والسلاح للهروي (ص: ٣٠)، والمعاني الكبير (٢/ ٩٢٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٣٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٣١٧)، وتهذيب اللغة (١٣/ ١٦٧)، ومقاييس اللغة (٦/ ١٠٨).

(٤) انظر معناه في: تفسير الثعلبي (٩/ ٣٠).

(٥) ليس في أحمد٣.

(٦) تفسير مجاهد (ص: ٦٠٤)، وتفسير الطبري (٢٢/ ١٥٧).

قال القاضي أَبو محمد: وظاهر [الآية أَنَّها][١] استعارة يراد بها التزام الأَمر أَبداً، وذلك أَنَّ الحرب بين المؤمنين والكافرين لا تضع أَوزارها، فجاءَ هذا اللَّفظ كما تقول: أَنا أَفعل كذا وكذا إِلى يوم القيامة؛ فإِنَّما تريد أَنك تفعله دائماً.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ تقديره: الأَمر ذلك، ثمَّ قال: ﴿وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ﴾؛ أَي بعذاب من عنده يهلكهم به في حين واحد، ولكنَّه تعالى أَراد[٢] اختبار المؤمنين، وأَن يبلو بعض النّاس ببعض.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿قَاتَلُوا﴾.

وقرأَ عاصم الجحدريُّ بخلاف عنه: (قَتَلُوا) بفتح القاف والتّاءِ[٣].

وقرأَ أَبو عمرو، وحفص عن عاصم، والأَعرج، وقتادة، والأَعمش: ﴿قُتِلُوا۟﴾ بضمِّ القاف وكسر التَّاءِ[٤].

وقرأَ زيد بن ثابت، والحسن، والجحدريُّ، وعيسى، وأَبو رجاءٍ [(قُتِّلوا) بضم القاف وكسر التاء وشدها][٥]، والقراءَة الأُولى أَعمُّها وأَوضحها معنى.

وقال قتادة: نزلت هذه الآية فيمن قُتل يوم أُحد [من المؤمنين][٦].

وقوله تعالى: ﴿سَيَهۡدِيهِمۡ﴾؛ أَي: إِلى طريق الجنَّة، وقد تقدَّم القول في إِصلاح البال.

---

(١) في نجيبويه وأحمد٣ والسليمانية: «اللفظ».

(٢) زاد في السليمانية: «بذلك».

(٣) في المطبوع والسليمانية: «عاصم والجحدري»، على أنهما شخصان. وكأنها في أحمد٣، وهي شاذة، انظر: شواذ القراءات للكرماني (ص:٣٤٨).

(٤) في نجيبويه زيادة: «وشدها»، وهي خطأ. والقراءة الأولى والثالثة سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦٠٠)، والتيسير (ص: ٢٠٠).

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «هكذا وشدَّدوا التَّاءَ»، وفي نجيبويه بدله: «كذلك»، وسقط من الأصل قوله: «عيسى»، وهذه القراءة شاذة، انظر: مختصر الشـواذ (ص: ١٤١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٠٦)، والبحر المحيط (٩/ ٤٦٣).

(٦) ليس في المطبوع. وفي السليمانية: «المسلمين»، وانظر: تفسير الطبري (٢٢/ ١٥٩).

وقد روى عبّاس، عن المفضل، عن أَبي عمرو: (يُدْخِلْهُمْ) بسكون اللاّم، وفي (سورة التَّغابن): (يوم يجمعْكم) [التغابن: ٩]، وفي (سورة الإنسان): (إنما نطعمْكم) [الإنسان: ٩] بسكون الطّاءِ والميم[١].

وقوله تعالى: ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾، قال أَبو سعيد الخدريُّ[٢]، وقتادة، ومجاهد: معناه: بيَّنها لهم[٣]؛ أَي: جعلهم يعرفون منازلهم منها.

وفي نحو هذا المعنى قول النَّبيِّ ﷺ: «لَأَحدكم بمنزله في الجنَّة أَعرف منه بمنزله في الدُّنيا»[٤].

وقالت فرقة: معناه: سمَّاها لهم ووسمها[٥]، كلّ منزل باسم صاحبه، فهذا نحو من التَّعريف.

وقالت فرقة: معناه: شرَّفها لهم ورفعها وعلَّاها، وهذا من الأَعراف الَّتي هي الجبال وما أَشبهها، ومنه: أَعراف الخيل.

وقال مُؤَرِّجٌ وغيره: معناه: طيَّبها[٦]، مأْخوذ من العَرْف، ومنه: طعامٌ معرَّف؛ أَي: مُطَيَّب، وعرَّفت القِدْر؛ أَي: طيَّبْتها بالملح والتابل.

---

(١) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (٩/ ٤٦٣)، وفيه: «عياض عن أبي عمرو»، ولم أجد لغيرهما إلا (نطعمكم) وستأتي في محلها. وفي الأسدية٣: «عباد» مع الإشارة للنسخة الأخرى، وفي المطبوع ونجيبويه وأحمد٣: «بن الفضل»، وفي السليمانية: «روي عن عباس بن المفضل».

(٢) أخرج البخاري (٦٥٣٥) عن أبي المتوكل الناجي، عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفسي بيده! لأحدهم أهدى لمنزله في الجنة من منزله الذي كان في الدنيا».

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٦٠) بالمعنى، وانظر: تفسير مجاهد (ص: ٦٠٥).

(٤) هو حديث أبي سعيد الخدري السابق، ولكن بهذا اللفظ هو عند الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٧١).

(٥) في أحمد٣ والسليمانية: «ورسمها».

(٦) نقله عنه الثعلبي في تفسيره (٩/ ٣١). وفي الأصل: «مروج»، وفي السليمانية كأنها: «مؤرخ».

وقوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ فيه حذف مضاف؛ أي: دينَ الله ورسوله، والمعنى: تنصروه بجدِّكم واتباعكم[١] وإيمانكم، ينصركم بخلق القوة لكم والجرأة وغير ذلك من المعاون[٢].

وقرأ جمهور النّاس: ﴿وَيُثَبِّتْ﴾ بفتح الثّاءِ المثلَّثة وشدِّ الباءِ.

وقرأ المفضل عن عاصم: (وَيُثْبِتْ) بسكون الثّاءِ وتخفيف الباءِ[٣].

وهذا هو التَّثبيت في مواطن الحرب على الإسلام، وقيل: على الصِّراط في يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ﴾ معناه: عثاراً لهم وهلاكاً فيه، وهي لفظة تقال [للعاثر إن أريد به الشر][٤]، ومنه قول الشاعر:

يَا سَيِّدِي إِنْ عَثَرْتُ خُذْ بِيَدِي ... ولا تَقُلْ لَا ولَا تَقُلْ تَعْسَا[٥] [المنسرح]

وقال الأَعشى في هذا المعنى:

بِذَاتِ لَوْثٍ عَفَرْنَاةٍ إِذَا عَثَرَتْ ... فَالتَّعْسُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ: لَعَا[٦] [البسيط]

---

(١) «واتباعكم» ليست في المطبوع ولا نجيبويه.

(٢) في المطبوع: «المعارف».

(٣) انظرها في جامع البيان (٤/ ١٥٩١)، والبحر المحيط (٨/ ٧٦)، وليست من طرق «التيسير».

(٤) في المطبوع ونجيبويه بدلا منه: «للكافر».

(٥) في حاشية المطبوع وأحمد٣: جاء لفظ الشطر الثاني هكذا: «وَلا تَقُلْ لي أُفّاً وَلا تَعسا»، وأشار له في هامش الأسدية٣، وكذا في السليمانية دون «لي». والبيت لابن المعتز كما في «أحسن ما سمعت» (ص: ٩١) لأبي منصور الثعالبي، قال: وهو نهايةٌ في الحسن والظرف، ورواية الشطر الثاني فيه: «ولا تدعني ولا تقل تعسا»، وبعده: «واعف فإن عدت فاعف ثانيةً... فقد يداوي الطبيب من نكسا».

(٦) انظر عزوه له في: العين (٢/ ١٢٣)، والأمثال لابن سلام (ص: ٧٨)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٥٢)، والموشح للمرزباني (ص: ٥٧)، والزاهر (٢/ ٢٤٨)، وتفسير الطبري (١١/ ١٧٩)، والمحتسب (٢/ ١٤١). وسقط من الأصل: «لوث»، ووقع في السليمانية: «عقرناه».

ومنه قولُ أُمِّ مِسْطَح لمَّا عَثَرتْ في مِرْطِها: تَعِسَ مِسْطَح(١).

وقال ابن السِّكِّيت: التَّعس: أَنْ يَخِرَّ(٢) على وجهه.

و(تَعْساً) مصدر نَصَبَهُ فعل مضمر.

وقوله تعالى: ﴿كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يريد: القرآن.

وقوله: ﴿فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ يقتضي أَنَّ أَعمالهم في كفرهم الَّتي هي بِرٌّ(٣) مقيَّدة محفوظة.

ولا خلاف أَنَّ الكافر له حفظة يكتبون سيئاته، واختلف النّاس في حسناتهم:

فقالت فرقة: هي مُلغاة، يثابون عليها بنعيم الدُّنيا فقط.

وقالت فرقة: هي مُحْصاة من أَجل ثواب الدُّنيا، ومن أَجل أَنه(٤) قد يُسلم فينضاف ذلك إِلى حسناته في الإِسلام.

وهذا أَحد التَّأْويلين في قول النَّبيِّ ﷺ لحكيم بن حِزَام: «أَسلمت على ما سلف لك من خير»(٥)، [فقوم قالوا: تأْويله: أَسلمتَ على أَن يُعَدَّ لك ما سلف من خير](٦)، وهذا هو التَّأْويل الَّذي أَشرنا إِليه.

[٥/ ٩٩] وقالت فرقة: معناه: أَسلمتَ على / إِسقاط ما سلف لك من خير، إِذْ قد ثُوِّبْت(٧) عليه بِنِعَم دنياك.

---

(١) متفق عليه، وهو جزء من حديث الإفك الذي أخرجه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) في المطبوع والأسدية٣ ونجيبويه: «يُجَرَّ».

(٣) في أحمد٣ والسليمانية: «به».

(٤) في المطبوع زيادة: «الكافر»، قال في الحاشية: زيادة يحتاج إليها التَّعبير. وسقطت «قد» من السليمانية.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٤٣٦)، ومسلم (١٢٣)، سقط ذكر حكيم من نجيبويه، وفي المطبوع وأحمد٣: «أَسلفت» في الموضعين، وفي السليمانية: «أسلفت لك».

(٦) سقط من أحمد٣.

(٧) في المطبوع ونجيبويه: «جوزيت».

وذكر الطَّبريُّ: أَنَّ أَعمالهم الَّتي أَخبر في هذه الآية بحبطها[١] هي عبادتهم الأَصنام وكفرهم[٢].

ومعنى (أَحْبَطَ): جعلها من العمل[٣] الَّذي لا يزكو ولا يُعْتَدُّ به، فهي لذلك كالَّذي أُحبِط.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ توقيف لقريش وتوبيخ لهم.

و﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: يريد ثمود وقوم لوط وقوم شعيب وأَهل السَّدِّ وغيرهم.

و«الدَّمَارُ»: الإفساد[٤] وهدم البناءِ وإِذهاب العمران، وقوله: ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ من ذلك.

والضَّمير في قوله تعالى: ﴿أَمْثَالُهَا﴾ يصح أَن يعود على العاقبة المذكورة، ويصحُّ أَن يعود على الفِعلة الَّتي يتضمنها قوله: ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ﴾ ابتداءٌ، وخبره في (أَنَّ) [وما عملت فيه.

و«المولى»: الناصر الموالي.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (ذلك بأن الله ولي الذين آمنوا)[٥].

(١) في المطبوع: «أنَّه يحبطها». وفي نجيبويه: «بحفظها».
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٦٢)، بالمعنى.
(٣) في المطبوع: «الفعل»، وفي حاشيته: في بعض النُّسخ «من القول».
(٤) في المطبوع ونجيبويه: «الفساد».
(٥) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ٥٩).

وقال قتادة: إن][1] هذه الآية نزلت يوم أُحد، ومنها انتزع رسول الله ﷺ ردَّه على أَبي سفيان بن حرب حين قال: «قولوا: اللهُ مَولانا ولا مَوْلى لكم»[2].

وقوله تعالى: ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾؛ أَي: أَكلاً مجرداً من فكرة ونظر، فالتشبيه بالمعنى إِنَّما وقع فيما عدا الأَكل من قلَّة الفكر وعدم النَّظر، فقوله: ﴿كَمَا﴾ في موضع الحال، وهذا كما تقول: الجاهل يعيش كما تعيش البهيمة، [فأَمَّا مقتضى اللَّفظ فالجاهل والعالم والبهيمة من حيث لهم عيش فهم سواءٌ، ولكن معنى كلامك: يعيش عديم النَّظر والفهم كما تعيش البهيمة][3].

و«الـمَثْوَى»: موضع الإِقامة، وقد تقدم القول غير مرَّة في قوله: ﴿وَكَأَيِّن﴾.

وضرب الله تعالى لمكَّة مثلاً بالقرى المهلكة على عظمها؛ كقرية قوم عاد وغيرهم.

و﴿أَخْرَجَتْكَ﴾ معناه: وقت الهجرة، ونسب الإِخراج إِلى القرية حملاً على اللَّفظ.

وقال: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ حملاً على المعنى، ويقال: إِنَّ هذه الآية نزلت إِثر خروج رسول الله ﷺ من مكَّة في طريق المدينة، وقيل: نزلت بالمدينة، وقيل: نزلت بمكَّة عام دخلها رسولُ الله ﷺ بعد الحديبيَة، وقيل: نزلت عام الفتح وهو مُقبل إِليها. وهذا كله حُكْمه حُكم المدنيّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾.

---

(١) سقط من المطبوع، وسقط من أحمد٣ من قوله: «وإذهاب العمران...» إلى هنا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما.

(٣) سقط من الأصل.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ﴾ الآية، توقيفٌ وتقرير على كل[١] شيءٍ متَّفق عليه، وهي معادلة بين هذين الفريقين، وقال قتادة: الإِشارة بهذه الآية إِلى محمد عليه السلام في أَنَّه هو الَّذي على بيِّنَة من ربِّه، وإِلى كفَّار قريش في أَنَّهم الَّذين زُيِّن لهم سوءُ أَعمالهم.[٢]

قال القاضي أبو محمد: وبقي اللَّفظ عامّاً لأَهل هاتين الصِّفتين غابر الدَّهر.

وقوله: ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ معناه: على قضيَّة[٣] واضحة وعقيدة نَيِّـرَة بيِّـنَة.

ويحتمل أَن يكون المعنى: على أَمرٍ بيِّن ودين بيِّن، وأَلحق الهاءَ للمبالغة كعلَّامة ونسَّابة.

والَّذي يُسند إِليه قوله: ﴿زُيِّنَ﴾ هو الشَّيطان.

و«اتِّباعُ الأَهواءِ»: طاعتها، كأَنَّها تذهب إِلى ناحية والمرءُ يذهب معها.

واختلف النّاس في معنى قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ﴾ الآية؛ فقال النَّضر بن شُمَيل وغيره: ﴿مَّثَلُ﴾ معناه: صفة[٤]، كأَنَّه قال: صفة الجنَّة ما تسمعون فيها كذا وكذا.

وقال سيبويه: المعنى: فيما يُتْلَى عليكم مثل الجنَّة، ثمَّ فسَّر ذلك الَّذي يُتْلَى بقوله: فيها كذا وكذا[٥].

قال القاضي أبو محمد: والَّذي ساق إِلى أَن يجعل ﴿مَّثَلُ﴾ بمثابة صِفَة؛ هو أَنَّ المُمَثَّل به ليس في الآية، ويظهر أَنَّ القصد في التَّمثيل هو إِلى الشَّيءِ[٦] الَّذي يتخيله المرءُ عند سماعه: فيها كذا وكذا، فإِنَّه يتصور عند ذلك بِقاعاً على هذه الصُّورة، وتلك هي مثل الجنَّة ومثالها.

---

(١) «كل»: من أحمد٣.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (١١/ ٦٨٩٦)، وعزاه الماوردي في تفسيره (٥/ ٢٩٦) لأبي العالية، وذكره السمعاني في تفسيره (٥/ ١٧٣) بلا نسبة.

(٣) في الأصل ونجيبويه ونور العثمانية والسليمانية: «قصة»، وفي الأسدية زيادة: «ظاهرة».

(٤) الهداية لمكي (١١/ ٦٨٩٨)، وقال بنحوه الفراء في معاني القرآن (٣/ ٦٠).

(٥) الكتاب لسيبويه (١/ ١٤٣).

(٦) زاد في السليمانية: «ﷺ»، كأنه قرأ «الشيء» «النبي». وهناك تضبيب.

وفي الكلام حذف يقتضيه الظَّاهر، كأَنَّه يقول: مثل الجنَّة بَيِّنٌ[١] ظاهر في نفس من وَعى هذه الأَوصاف.

وقرأَ عليُّ بن أَبي طالب: (مثال الجنَّة).

وقرأَ عليُّ بن أَبي طالب أيضاً، وابن عبَّاس: (أمثال الجنَّة)[٢].

وعلى هذه التَّأْويلات كلِّها ففي قوله: ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ﴾ حذف تقديره: أَساكن هذه؟ أَو تقديره: أَهؤلاءِ؟ إِشارة إِلى المتَّقين.

ويحتمل عندي أيضاً: أَن يكون الحذف في صدر الآية، كأَنَّه قال: أمثل أهل الجنَّة كمن هو خالد في النَّار؟

[ويكون قوله مستفهماً عنه بغير أَلف استفهام، فالمعنى][٣]: أَمَثَلُ أَهل الجنَّة ـ وهي بهذه الأَوصاف ـ كمن هو خالد في النَّار؟، فتكون الكاف في قوله: ﴿كَمَنْ﴾ مؤكِّدةٌ في التشبيه[٤]، ويجيءُ قوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ في موضع الحال على هذا التَّأْويل.

و﴿مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ معناه: غير متغيِّر، قاله ابن عبّاس، وقتادة، وسواءٌ أَنْتَن أَو لم ينتن[٥].

يقال: أَسَن الماءُ بفتح السّين، وأَسِنَ بكسرها.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿ءَاسِنٍ﴾ على وزن فَاعِلٍ.

---

(١) «بيِّن» ليست في نجيبويه والسليمانية.

(٢) وهما شاذتان، انظر الأولى في تأويل مشكل القرآن (ص: ٥٧)، والثانية في المحتسب (٢/ ٢٧٠). وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٤١) لابن مسعود والسلمي.

(٣) سقط من أحمد٣ والأصل، وفي السليمانية: «أمثال».

(٤) في أحمد٣: «النسبة».

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٢٠٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تغليق التعليق لابن حجر (٤/ ٣١٢) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه، به. وانظر قول قتادة: في تفسير الطبري (٢٢/ ١٦٧).

وقرأ ابن كثير: ﴿أَسْنٍ﴾ على وزن فَعْلٍ[(١)]، وهي قراءَة أَهل مكَّة[(٢)].

والآسِنُ أيضاً: هو / الَّذي يُغشى عليه من ريح مُنتنة من ماءٍ، ومنه قول الشاعر: [٥/ ١٠٠]

التَّارِكُ الْقِرْنَ مُصْفَرّاً أَنَامِلُهُ يَمِيلُ في الرُّمْحِ مَيْلَ المائِحِ الأَسِنِ[(٣)] [البسيط]

وقال الأَخفش: (أسن) لغة، والمعنى: الإِخبار به عن الحال، ومن قال: (آسِنٌ) على وزن فاعل: فهو يريد به أنه يكون كذلك في المستقبل، فنفى ذلك في الآية.

وقرأَت فرقة: (غير ياسِنْ)، بالياءِ، قال أَبو عليٍّ: وذلك على تخفيف الهمز[(٤)].

قال أَبو حاتم عن عوف: كذلك كانت في المصحف (ياسن)، فغيَّرها الحجاج[(٥)].

وقوله في اللَّبن: ﴿لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ نفيٌ لجميع وجوه الفساد في اللَّبن.

وقوله: ﴿لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ جمعت طيب المطعم وزوال الآفات من الصُّداع وغيره، و﴿لَّذَّةٍ﴾ نعت على النّسب، أَي: ذات لذَّة، وتصفيةُ العسل مُذْهبة لِـمُوْمِهِ[(٦)] وضرره.

وقوله: ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾؛ أَي: من هذه الأَنواع، لكنَّها بعيدة الشَّبه، إِذْ تلك لا عيب فيها ولا تَعَب بِوَجْه.

وقوله: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ معناه: وتنعيم أَعطته المغفرة وسبَّبَته؛ وإِلا[(٧)] فالمغفرة إِنما هي قبل الجنة.

---

(١) قال النحاس في إعراب القرآن (٤/ ١٨٣): وتحذف الكسرة لثقلها، فيقال: أَسْن: إذا أنتن.

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٠٠)، والتيسير (ص: ٢٠٠).

(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى، كما في غريب الحديث لابن سلام (٣/ ٣٦٤)، وجمهرة اللغة (٢/ ١٠٩١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣/ ٥٨)، والصحاح للجوهري (٥/ ٢٠٧٠). والقِرْنُ: الّذي يماثل الإنسان في شجاعته. ووقع في أحمد٣: «المالح».

(٤) الحجة للفارسي (٦/ ١٩١).

(٥) وهي شاذة، انظر: المصاحف لابن أبي داود (ص: ٢٧٢).

(٦) المُوْم: بضم الميم وسكون الواو: يطلق على اختلال العقل. شرح مسلم للنووي (١١/ ١٥٦).

(٧) «وإلا» ليست في الأصل.

وقوله: ﴿وَسُقُواْ﴾ الضَّمير عائد على ﴿مَنْ﴾؛ لأَنَّ المراد به جمع.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾؛ يعني بذلك: المنافقين من أَهل المدينة، وذلك أَنَّهم كانوا يحضرون عند النَّبيِّ ﷺ ويسمعون كلامه وتلاوته، فإِذا خرجوا قال بعضهم لمن شاءَ من المؤمنين الَّذين علموا وانتفعوا: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾؟ فكان منهم من يقول هذا استخفافاً؛ أَي: ما معنى ما قال؟ وما نفعه؟ وما قدره؟ ومنهم من كان يقول ذلك جهالة ونسياناً[1]؛ لأَنَّه كان في وقت الكلام مقبلًا على فكرته في أَمر دنياه وفي كفره، فكان القول يَمُرُّ صفحاً، فإِذا خرج قال: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾؟ وهذا أَيضاً فيه ضرب من الاستخفاف؛ لأَنَّه كان يصرِّح أَنَّه كان يقصد الإِعراض وقت الكلام، ولو لم يكن ذلك بقصد لم يبعد أَن يجري على بعض المؤمنين.

وروي: أَن عبد الله بن مسعود وابن عبّاس مِمَّن سُئِل هذا السُّؤال، حكاه الطَّبريُّ عن ابن عبّاس[2].

و﴿ءَانِفًا﴾ معناه: مبتدئاً، كأَنَّه قال: ما القول الَّذي ائْتَنَفَه الآن قبل انفصالنا عنه؟

وقرأَ الجمهور: ﴿ءَانِفًا﴾ على وزن فاعل، وقرأَ ابن كثير وحده: ﴿أَنِفاً﴾ على وزن فَعِلٍ[3].

---

(١) في أحمد٣: «سباباً».

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ٢٠٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٧) من طريق يحيى بن آدم، عن شريك بن أبي نمر، عن عثمان أبي اليقظان، عن يحيى الجزار، أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ قال ابن عباس: أنا منهم، وقد سُئِلت فيمن سُئِل. وعند الحاكم بدون يحيى الجزار، وعثمان أبو اليقظان هو عثمان بن عمير البجلي الكوفي ضعيف وقد اختلط وكان يدلس، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣/ ١٤٤) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومحمد بن السائب الكلبي متهم بالكذب. وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٩٠٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣/ ١٤٤) من طريق صالح بن حيان، عَنْ عبد الله بْنِ بُرَيْدَةَ ﴿قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ هُوَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُود، وصالح بن حيان ضعيف.

(٣) وهما سبعيتان، والثانية رواية البزي خاصة كما في السبعة (ص: ٦٠٠)، والنشر (٢/ ٣٧٤)، وذكره=

وهما اسما فاعل من (ائْتَنَف)، وجَرَيَا على غير فعلهما، ولم يُستعمل فعلهما، وهذا كما جرى (فقير) على (افْتَقَر) ولم يستعمل (فَقِر)، وهذا كثير، والمفسِّرون يقولون: ﴿ءَانِفًا﴾ معناه: السّاعة الماضية القريبة مِنَّا، وهذا تفسير بالمعنى.

ثمَّ أَخبر تعالى أَنَّه طبع على قلوب هؤلاءِ المنافقين الفاعلين لهذا، وهذا الطَّبع يحتمل أَن يكون حقيقة، ويحتمل أَن يكون استعارة، وقد تقدَّم القول فيه[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾.

[لمَّا ذكر الله تعالى المنافقين بما هم أَهله من قوله: ﴿ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾][2]، عقَّب ذلك بذكر المؤمنين، ليبين الفرق، وشرَّفهم بإِسناد فعل الاهتداءِ إِليهم، وهي إِشارة إِلى تكسُّبهم.

وقوله تعالى: ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ يحتمل أَن يكون الفاعل في ﴿زَادَهُمْ﴾ الله تعالى، والزّيادة في هذا المعنى تكون إِمَّا بزيادة التَّفهيم والأَدلَّة، وإِمَّا بورود الشَّرائع والأَوامر والنَّواهي والأَخبار، فيزيد الاهتداءُ لِتَزَيُّدِ عِلْم ذلك كله والإِيمان به، وذلك بفضل الله تعالى.

ويحتمل أَن يكون الفاعل في ﴿زَادَهُمْ﴾ قولَ المنافقين واضطرابَهم؛ لأَنَّ ذلك مما يتعجَّب المؤمن منه، ويحمد الله على إِيمانه، ويتَزَيَّد بصيرة في دينه، فكأَنَّه قال: المهتدون والمؤمنون زادهم فعل هؤلاءِ المنافقين هُدًى؛ أَي: كانت الزِّيادة بسببه، فأَسند الفعل إِليه.

وقالت فرقة: إِنَّ هذه الآية نزلت في قوم من النَّصارى آمنوا بمحمد، فالفاعل في ﴿زَادَهُمْ﴾ محمد ﷺ؛ أَي: كان سبب الزّيادة، فأَسْند الفعل إِليه.

= عنه في التيسير (ص: ٢٠٠)، ولكنه ليس من طرقه، والله أعلم، وأما قنبل فبالمد قولاً واحداً كالباقين.

(١) «القول فيه» ليس في أحمد٣.

(٢) ليس في أحمد٣.

وقوله ـ على هذا القول ـ: ﴿ٱهۡتَدَوۡاْ﴾ يريد: في إِيمانهم بعيسى عليه السَّلام، ثمَّ زادهم محمد ﷺ هدًى حين آمنوا به، والفاعل في (آتاهم) يتصرَّف القول فيه بحسب التَّأْويلات المذكورة، وأَقواها: أَنَّ الفاعل اللهُ تعالى.

و﴿وَءَاتَىٰهُمۡ﴾ معناه: أَعطاهم؛ أَي: جعلهم مُتَّقين له، والتَّقدير: تقواهم إِيَّاه.

وقرأَ الأَعمش: (وَأَنْطَاهُمْ)، وهي بمعنى أَعطاهم، ورواها محمد بن طلحة عن أَبيه، وكذلك هي في مصحف عبد الله[1].

وقوله تعالى: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ﴾ يريد المنافقين، والمعنى: فهل ينظرون؛ أَي: هكذا هو الأَمر في نفسه وإِن كانوا هم في أَنفسهم ينتظرون غير ذلك، فإِنَّ ما في أَنفسهم غير مراعى؛ لأَنَّه باطل.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿أَن تَأۡتِيَهُم﴾، فـ ﴿أَن﴾ بدل من ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾.

وقوله تعالى ـ على هذه القراءَة ـ: ﴿فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَا﴾ إِخبارٌ مستأْنف، والفاءُ عاطفة جملةٌ من الكلام[2] على جملة.

وقرأَ أَهل مكَّة ـ فيما روى الرُّؤاسي ـ: (إِن تأتهم) بكسر الأَلف وجزم الفعل على الشَّرط[3]، والفاءُ في قوله ﴿فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَا﴾ جواب الشَّـرط، وليست بعاطفة على نحو ما في القراءَة الأُولى، فثَمَّ نحو من معنى الشّرط.

و﴿بَغۡتَةً﴾ معناه: فجأَة، وروي عن أَبي عمرو: (بَغَتَّةً) بفتح الغين وشدِّ التاءِ[4].

وقوله: ﴿فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَا﴾ ـ على القراءَتين ـ معناه: فينبغي أَن يقع الاستعداد

---

(١) وهي شاذة، عزاها لهما الثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٣). ولفظة: «كذلك» من السليمانية.

(٢) «من الكلام» ليس في أحمد٣.

(٣) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٢٧٠)، ومختصر الشواذ (ص: ١٤١).

(٤) وهي شاذة، من رواية هارون بن حاتم عن حسين عنه كما في المحتسب (٢/ ٢٧٠)، ومختصر الشواذ (ص: ١٤١).

والخوف منها لمن حزم ونظر لنفسه، والَّذي جاءَ من أَشراط الساعة: محمد ﷺ؛ لأَنَّه آخر الأَنبياءِ، فقد بان من أَمر السَّاعة قدرٌ ما.

[٥/ ١٠١] وفي الحديث / عنه ﷺ: أَنَّه قال: «أَنا من أَشراط السَّاعة»[١].

وقال ﷺ: «بعثتُ أَنا والسَّاعة كهاتين»، وأَشار بإِصبعيه[٢]، و«كفَرَسَيْ رهان»[٣].

ويقال: شَرْطٌ وشَرَطٌ[٤]؛ بسكون الراءِ وتخفيفها[٥].

وأَشْرَطَ الرجلُ نَفْسَه: أَلزمها أُموراً، وقال أوس بن حَجَر:

[الطويل] فَأَشْرَطَ فيها نَفْسَهُ وَهُوَ مُعْصِمٌ   وَأَلْقَى بِأَسْبَابٍ لَهُ وَتَوَكَّلا[٦]

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٣٠١)، ومسلم (٢٩٥٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٦٠) من طريق: محمد بن حماد، نا أنس بن عياض الليثي، عن أبي حازم ولا أعلمه إلا عن سهل بن سعد: أن رسول الله ﷺ قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وقرب بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام، ثم قال: «مثلي ومثل الساعة كفرسي رهان»، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في أمثال الحديث (٣١٢) من طريق: يعقوب بن حميد، ثنا أنس بن عياض، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد: أن النبي ﷺ قال: «مثلي ومثل الساعة كفرسي رهان»، ومحمد بن حماد وهو الأبيوردي أوثق وأضبط من يعقوب بن حميد وهو ابن كاسب، وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/ ١٤٨) من طريق: الوليد بن مسلم، نا أبو عمرو الأوزاعي، حدثني إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بإصبعه السبابة والوسطى كفرسي رهان»، وإسماعيل ثقة معروف، ذكر أبو حاتم روايته عن أنس، لكن ذكره ابن حبان في ثقاته في طبقة أتباع التابعين ولم يذكر له رواية عن أحد من الصحابة، وقال العلائي: لم يسمع من أحد من الصحابة إلا من السائب بن يزيد، وذكر المزي روايته عن أنس بن مالك ساكتاً عليها وكذا أبو حاتم كما سبق. تحفة التحصيل (ص: ٢٩)، ولم أقف على ما يدل على سماعه، فالله أعلم.

(٤) «وشرط» ليست في نور العثمانية، وفي المطبوع: «أو أَشراط».

(٥) في أحمد٣: «بفتح الراء»، وفي الأسدية٣: «فتحها».

(٦) انظر: العين (٦/ ٢٣٥)، والحيوان (٥/ ١٢)، وغريب الحديث للقاسم بن سلام (١/ ٤١)، وجمهرة اللغة (٢/ ٧٢٦)، والزاهر (١/ ٣٤٦)، وتفسير الطبري (٢٢/ ١٧٢)، وتهذيب اللغة (٢/ ٣٤)، وأساس البلاغة (١/ ٥٠٣)، وسمط اللآلي (١/ ٤٩٢).

وقوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ﴾ الآية؛ يحتملُ أَن يكون المعنى: فأَنَّى لهم الخلاص أَو النَّجاة إِذا جاءَتهم الذِّكرى بما كانوا يُخْبَرون به في الدُّنيا فيكذِّبون به ويكون جاءَهم العذاب مع ذلك؟

ويحتمل أَن يكون المعنى: فأَنَّى لهم ذكراهم وعملهم بحسبها إِذا جاءَتهم السَّاعة؟ وهذا تأْويل قتادة(١)، نظيره: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ الآيةَ، إِضرابٌ عن أَمر هؤلاءِ المنافقين وذكر الأَهم من الأَمر، والمعنى: دُمْ على علمك(٢)، وهذا هو القانون في كلِّ مَنْ أُمِرَ بشيءٍ هو مُتَلَبِّس به، وهذا خطاب للنَّبيِّ ﷺ، وكلُّ واحد من الأُمَّة داخلٌ معه فيه.

واحتجَّ بهذه الآية من قال من أَهل السُّنَّة: إِنَّ العلمَ والنَّظَرَ قبل القول والإِقرار في مسأَلة أَوَّلُ الواجبات(٣)، وبوَّب البخاريُّ رحمه الله: (العلم قبل القول والعمل، لقوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ الآيَةَ)(٤).

وواجبٌ على كلِّ مؤمن أَن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، فإنها صدقة.

وروى أَبو هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ: أَنَّه قال: «من لم يكن عنده ما يتصدَّق به فليستغفرْ للمؤمنين والمؤمنات؛ فإِنَّها صدقة»(٥).

وقال الطَّبريُّ وغيره: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: تصرُّفكم في يقظتكم، ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾: في منامكم(٦).

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٧٣)، بالمعنى.
(٢) في المطبوع وأحمد٣: «ذلك»، وفي السليمانية: «أمرك».
(٣) انظر المسألة في: الضروري في أصول الفقه (ص: ١٣٨)، والبحر المحيط في أصول الفقه (١/ ٧٠).
(٤) ذكره البخاري في «كتاب العلم» الباب رقم (١٠).
(٥) ضعيف، أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٦٩٣)، والثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٤) من طريق عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن بكر بن خنيس، عن محمد بن يحيى المدني، عن يحيى بن وردان، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. ومحمد بن يحيى أبو غزية المدني، قال الدارقطني: متروك، وقال الأزدي: ضعيف. وانظر الميزان (٤/ ٦٢)، وبكر بن خنيس الكوفي صدوق له أغلاط. والحديث سقط من الأصل.
(٦) ولفظه في التفسير (٢٢/ ١٧٤): «إذا ثويتم في مضاجعكم للنوم»، وفي السليمانية: «منصرفكم».

وقال ابن عبّاس: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: تصرّفكم في حياتكم الدُّنيا، ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾: إقامتكم في قبوركم وفي آخرتكم[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾.

هذا ابتداءُ وصف حال المؤمنين في جِدِّهم في دين الله وحِرصهم على ظهوره، وحال المنافقين من الكسل والفشل والحرص على فساد دين الله وأَهله، وذلك أَنَّ المؤمنين كان حرصهم يبعثهم[٢] على تمنّي الظّهور وتمنّي قتال العدوِّ وفضيحة المنافقين ونحو ذلك مما هو ظهور للإسلام، فكانوا يأْنسون بالوحي ويستوحشون إِذا أَبطأَ، والله تعالى قد جعل كل ذلك بآمادٍ مضروبة وأَوقات لا تُتَعَدَّى، فمدح الله تعالى المؤمنين بحرصهم.

وقولُهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ معناه: تتضمَّن إِظهارنا وأَمْرَنا بمجاهدة العدوِّ ونحوه.

ثمَّ أَخبر تعالى عن حال المنافقين عند نزول أمر[٣] القتال.

وقولُه: ﴿مُّحْكَمَةٌ﴾ معناه: لا يقع فيها نسخ، وبهذا الوجه خَصَّصَ (السُّورةَ) بالإِحكام، وأَمَّا الإِحكام الَّذي هو بمعنى الإِتقان؛ فالقرآن فيه كلُّه سواءٌ.

وقال قتادة: كلُّ سورة يذكر فيها القتال فهي مُحْكمة[٤]، وهو أَشدّ القرآن على المنافقين.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٣/ ٤٣٤) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. وفي المطبوع: «إِفاقتكم».

(٢) «يبعثهم» ليست في السليمانية.

(٣) «أمر» ليست في نجيبويه.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ١٧٥). وقوله: «يذكر» من أحمد٣.

قال القاضي أبو محمد: وهذا أَمر استقرأَه قتادة من القرآن، وليس من تفسير هذه الآية في شيءٍ.

وفي مصحف ابن مسعود: (سُورَةٌ مُحْدَثَة)(١).

و«المرض الَّذي في القلوب»: استعارةٌ لفساد المعتقد، وحقيقة الصِّحَّة والمرض في الأَجسام وتُستعار للمعاني.

ونَظَرُ الخائف المُوَلَّه قريبٌ من نظر المغشيِّ عليه، وخشيتهم هذا الوصف(٢) والتَّشبيه.

وقوله تعالى: ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ الآية؛ (أولى) وزنه: أَفعل، وهو مِن: وَلِيَكَ الشَّيءُ يَلِيكَ.

وقالت فرقة: وزنه أَفْلَع، وفيه قلْبٌ؛ لأَنَّه مشتقّ من الويل، والمشهور من استعمال «أَوْلَى» أَنك تقول: هذا أَولى بك من هذا؛ أَي: أَحَقُّ، وقد تستعمل العرب: «أَوْلَى لك»(٣) فقط، على جهة الحذف والاختصار لما معها من القول، فتقول على جهة الزَّجْر والتَّوعُّد: أَوْلَى لك يا فلان، وهذه الآية من هذا الباب، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ﴾ [القيامة: ٣٤]، ومنه قول أَبي بكر الصِّديق رضي الله عنه للحسن: أَوْلَى لَكَ(٤).

وقالت فرقة من المفسرين: (أَوْلى) رفع بالابتداءِ و﴿طَاعَةٌ﴾ خبره.

قال القاضي أَبو محمد: فهذا هو المشهور من استعمال (أَولى)(٥).

وقالت فرقة من المفسِّرين: ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ ابتداءٌ وخبر، معناه: الزَّجْرُ والتَّوعُّد.

ثمَّ اختلفت هذه الفرقة في معنى قوله: ﴿طَاعَةٌ وَقَوۡلٌ مَّعۡرُوفٌ﴾:

---

(١) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ٦٢).

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «هذه للوصف»، وفي نجيبويه والسليمانية: «وخسسهم» بدل «خشيتهم».

(٣) «لك» من السليمانية.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) في السليمانية زيادة: «لهم».

فقال بعضها: التَّقدير: طاعة وقول معروف أَمْثَل، وهذا هو تأْويل مجاهد، ومذهبُ الخليل وسيبويه[١]، وحَسُن الابتداءُ بالنَّكرة؛ لأَنَّها مُخَصَّصَة، ففيها بعض التَّعريف.

وقال بعضها: التَّقدير: الأَمر[٢] طاعة وقول معروف؛ أَي: الأَمر المُرْضي لله تعالى.

وقال بعضها: التَّقدير: قولهم لك يا محمد ـ على جهة الهُزْءِ والخديعة ـ: طاعةٌ وقولٌ معروف، فإِذا عزم الأَمر كرهوه، ونحو هذا من التَّقدير، قاله قتادة[٣].

وقال أَيضاً ما معناه: إِنَّ تمام الكلام الَّذي معناه الزَّجر والتَّوعُّد بـ(أولى)، وقولهُ: ﴿لَّهُمۡ﴾ ابتداءُ كلام[٤]، فـ﴿طَاعَةٌ﴾ ـ على هذا القول ـ ابتداءٌ، وخبره: ﴿لَّهُمۡ﴾، والمعنى: إِنَّ ذلك منهم على جهة الخديعة، فإِذا عزم الأَمر ناقضوا وتعاصُّوا.

وقوله: ﴿عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ استعارة، كما قال:

قَدْ جَدَّتِ الْحَرْبُ بِكُمْ فَجِدُّوا[٥] .... [الرجز]

ومن هذا الباب: نَامَ لَيْلُكَ، ونحوه.

وقوله: ﴿صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾ يحتمل أَن يكون [من الصِّدق الَّذي هو][٦] ضدُّ الكذب.

ويحتمل أَن يكون من قولك: عُودٌ صدْقٌ. والمعنى متقارب.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٣)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٢٣)، ونقله عن مجاهد: أبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٤٧١).

(٢) «الأمر» ليست في السليمانية.

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٧٥).

(٤) نقله الفراء في معاني القرآن (٣/ ٦٢) عن الكلبي، وردَّه، ورواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٧٦) عن ابن عباس بإسناد قال: إنه غير مرتضى.

(٥) من أبيات أنشدها الحجاج لما قدم أميراً على العراق، كما في تاريخ دمشق لابن عساكر (١٢/ ١٣٠)، والكامل للمبرد (١/ ٢٩٨).

(٦) ليس في أحمد٣.

وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ مخاطبة لهؤلاءِ الَّذين في قلوبهم مرض؛ أَي: قل لهم يا محمد.

وقرأَ نافع وأَهل المدينة: ﴿عَسِيتُمْ﴾ بكسر السّين.

وقرأَ أَبو عمرو، والحَسَن، وعاصم، وأَبو جعفر، وشيبة: ﴿عَسَيْتُمْ﴾ بفتح السّين[١].

والفتح أَفصح؛ لأَنَّه من «عَسَى» التي تصحبها «أَنْ»، والمعنى: فهل عسى أَن تفعلوا

[٥/ ١٠٢] إِن توليتم غير أَن تفسدوا في الأَرض وتقطعوا أَرحامكم؟ وكأَنَّ الاستفهام / الدّاخل على «عَسَى» غيَّر معناها بعض التَّغيير، كما يغيِّر الاستفهام قولك: أَوَ لَوْ كان كذا وكذا؟.

وقوله: ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ معناه: إِن أَعرضتم عن الحقِّ، وقال قتادة: كيف رأَيتم القوم حين تولَّوا عن كتاب الله؟ أَلم يسفِكوا الدَّم[٢] الحرام وقطعوا الأَرحام وعَصَوا الرَّحمن؟

وقرأَ جمهور القراء: ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾، والمعنى: إِن أَعرضتم عن الإِسلام.

وقال كعب الأَحبار ومحمد بن كعب القرظيُّ: المعنى: إِنْ تولَّيتم أُمور النّاس؛ من الولاية[٣].

وعلى هذا قيل: إِنَّها نزلت في بني هاشم وبني أُميَّة، ذكره الثَّعلبيُّ[٤].

وروى عبد الله بن مُغَفَّل، عن النَّبيِّ ﷺ: «إِن وُلِّيتم» بواو مضمومة ولام مشدَّدة مكسورة[٥].

---

(١) فهما سبعيتان، الأولى لنافع، والثانية للباقين، انظر: السبعة (ص: ١٨٦)، والتيسير (ص: ٨١).

(٢) في أحمد٣: «الدماء»، وفيه: «يقطعوا»، و«يعصوا»، وكذا في المطبوع، وانظر قول قتادة في: تفسير الطبري (٢٢/ ١٧٨)، بالمعنى.

(٣) انظر قول القرظي في الهداية لمكي (١١/ ٦٩٠٩)، وقول كعب في تفسير القرطبي (١٦/ ٢٤٥)، ونقل مثله الثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٥) عن آخرين.

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٢١٦) بلا نسبة، وفي النسخة المطبوعة من تفسير الثعلبي (٩/ ٣٥): عن عبد الله ابن مغفل، مرفوعاً: هم هذا الحي من قريش، أخذ الله عليهم إن ولوا الناس ألّا يفسدوا في الأرض ولا يقطّعوا أرحامهم.

(٥) ضعيف، أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٥-٢٥٦)، والثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٥) من طريق =

وقرأ عليٌّ بن أَبي طالب: ﴿إن تُوُلِّيْتُم﴾ بضم التَّاءِ والواو وكسر اللَّام المشدَّدة][1]، على معنى: إِن وَلَّيْتُكُمْ ولاية[2] الجَوْر فملتم إِلى دنياهم دون إِمام العدل، أَو على معنى: إِن تُوُلِّيتُمْ بالتَّعذيب والتَّنكيل وأَفعال العرب في جاهليتها وسيرتها من الغارات والسِّباءِ، فإِنَّما كانت ثمرتها الإِفساد في الأَرض وقطيعة الرَّحم، وقيل معناها: إِنْ تَولَّاكم النَّاسُ ووكَلَكُم الله إِليهم.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ﴾ بضمِّ التَّاءِ وشدّ الطَّاءِ المكسورة.

وقرأَ أَبو عمرو: ﴿وَتَقْطَعُوا﴾ بفتح التَّاءِ والطَّاءِ المخفَّفة، وهي قراءَة سلام ويعقوب[3].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ إِشارة إلى مرضى القلوب المذكورين.

و﴿لَعَنَهُمُ﴾ معناه: أَبعدهم.

وقوله: ﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ استعارة لعدم سمعهم[4]، فكأَنهم عُمْيٌ وصُمٌّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾.

= سعيد بن الحكم الوراق، عن نفيع أبي داود، عن عبد الله بن مغفل مرفوعاً، به، ولكن عند الحاكم جاءت على الرواية المشهورة (توليتم)، ونفيع بن الحارث أبو داود الأعمى الدارمي متروك. ولفظة: «مشددة» من المطبوع وأحمد٣ والسليمانية.

(١) سقط من أحمد٣، وهذه القراءة عشرية لرويس عن يعقوب، كما في النشر (٢/ ٣٧٤). وعزاها لعلي في المحتسب (٢/ ٢٧٢).

(٢) في المطبوع والحمزوية وأحمد٣ والسليمانية: «وُلاة». وفيها: «جور»، دون التعريف.

(٣) فهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٧٤)، وعزاها له ولسلام في مختصر الشواذ (ص: ١٤١).

(٤) في المطبوع والحمزوية ونجيبويه وأحمد٣ والسليمانية: «فهمهم».

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ توقيف وتوبيخ، وتدبرُ القرآن زعيمٌ بالتَّبْيين والهدى.

و﴿أَمْ﴾ منقطعة، وهي المُقَدَّرة بـ«بَلْ» وألف الاستفهام.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ استعارة للرَّيْن الَّذي منعهم الإِيمان.

وروي: أَنَّ وَفْد اليمن وَفَد على النَّبيِّ ﷺ وفيهم شاب، فقرأَ رسول الله ﷺ هذه الآية، فقال الفتى: عليها أَقفالها حتّى يفتحها الله ويفرجها، قال عمر: فعظُم في عيني، فما زالت في نفس عمر رضي الله عنه حتّى وليَ الخلافة، فاستعان بذلك الفتى[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم﴾ الآية، قال قتادة: إِنَّها نزلت في قوم من اليهود كانوا قد عرفوا من التَّوراة أَمْر محمد ﷺ، وتبيَّن لهم الهدى بهذا الوجه، فلمَّا باشروا أَمره حسدوه، فارتدُّوا عن ذلك القدر من الهدى[٢].

وقال ابن عبّاس وغيرُه: نزلت في منافقين كانوا أَسلموا ثمّ نافقت قلوبهم[٣]، والآيةُ تعمُّ كلَّ من دخل في ضمن لفظها غابر الدَّهر.

و﴿سَوَّلَ﴾ معناه: رجَّاهم سُؤْلَهم وأَمانيَّهُم، وقال أَبو الفتح عن أَبي عليٍّ: إِنَّه

(١) ليس بالقوي، أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده كما في المطالب العالية (٣٧١٧)، وإتحاف الخيرة (٥٨٢١)، والطبري في تفسيره (٢١/ ٢١٧) من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، فذكره مرسلاً، وعند إسحاق: فلما استخلف عمر رضي الله عنه سأل عن الشاب، فقالوا: استشهد، فقال عمر رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: كذا وكذا، فقال الشاب: كذا وكذا، فقال النبي ﷺ: صدقت. فعرفت أن الله عز وجل سيهديه. واستعمل عمر رضي الله عنه عبد الله بن الأرقم رضي الله عنه على بيت المال. ومن طريق الطبري أخرجه البغوي في تفسيره (٧/ ٢٨٧)، وله شاهد أخرجه الدارقطني في الأفراد كما في الأطراف لابن طاهر (٣/ ٩٨)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٩٧٢)، والبيهقي في القضاء والقدر (٣٣١) من طريق علي بن محمد المصري، عن مقدم بن داود، عن ذؤيب بن عمامة، عن عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن سهل بن سعد، مرفوعاً به، بنحوه.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٨٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٢١٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.

بمعنى: دَلَّاهم، مأْخوذ من: السَّوَلِ وهو: الاسترخاءُ والتَّدَلِّي[١].

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾، وأَمال ابن كثير، وشِبل، وابن مصرِّف: (أَملَى)[٢].

وفاعل ﴿وَأَمْلَىٰ﴾ هنا قال الحسن: هو الشَّيطان[٣]، جعل وعده الكاذب بالبقاءِ كالإبقاء[٤]، وذلك أَنَّ الإملاءَ هو الإبقاءُ مُلَاوَةً من الدَّهر، يقال: [مُلَاوَةً ومَلَاوَةً ومِلَاوَةً][٥] بضمِّ الميم وفتحها وكسرها، وهي القطعة من الزَّمن، ومنه: المَلَوَان، وهما اللَّيل والنَّهار، فإِذا أَمْلَى الشَّيطانُ إِملاءً[٦] لا صحَّة له إِلَّا بطمعهم الكاذب.

ويحتمل أَن يكون الفاعل في (أملى): الله عزَّ وجلَّ، كأَنَّه قال: الشَّيطان سوَّل لهم، وأَمْلَى الله لهم، وحقيقة الإِملاءِ إِنَّما هو بيد الله عز وجل، وهذا هو الأرجح.

وقرأَ الأَعرج، ومجاهد، والجحدريُّ، والأَعمش: ﴿وأُمْلِي لهم﴾ بضمِّ الهمزة وكسر اللَّام وإِرسال ياءِ المتكلِّم، ورواها الخُفَافُ عن أَبي عمرو[٧].

وقرأَ أَبو عمرو: ﴿وَأُمْـلِيَ﴾ [بفتح الياءِ][٨] على بناءِ الفعل للمفعول، وهي قراءَة شيبة، وابن سيرين، والجحدريّ، وعيسى البصريّ، وعيسى الهمدانيّ[٩].

---

(١) المحتسب (٢/ ٢٧٢).

(٢) لم يُمِلْ ابنُ كثير هذه اللفظة ولا شيئاً من القرآن، وإنما أمال هذا الحرف: حمزة والكسائي وقلله ورش بخلفه.

(٣) الهداية لمكي (١١/ ٦٩١٣).

(٤) في الأصل: «كالإملاءِ»، وفي السليمانية: «والإبقاء».

(٥) ليس في أحمد٣.

(٦) في المطبوع: «إملاء مًّا فلا صحة» إلخ.

(٧) هذه القراءة عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٧٤)، وعزاها له وللمذكورين أولًا في المحتسب (٢/ ٢٧٢)، ولم أجدها لأبي عمرو.

(٨) ليس في نجيبويه، وفي أحمد٣: «وقرأ أبو عمرو ذلك إلا أنه فتح ياء المتكلم».

(٩) هذه سبعية لأبي عمرو كما في السبعة (ص: ٦٠٠)، والتيسير (ص: ٢٠١)، وعزاها لشيبة في معاني القرآن للنحاس (٦/ ٤٨٤).

وهذا يحتمل فاعله من الخلاف ما في القراءَة الأُولى.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ الآية، قيل: إِنَّها نزلت في بني إِسرائيل الَّذين تقدَّم ذكرهم في تفسير قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا﴾[١].

ورُوي: أَنَّ قوماً من بني قريظة والنَّضير كانوا يَعِدُونَ المنافقين في أَمر رسول الله ﷺ والخلاف عليه بِنَصْرٍ ومُؤَازرة، وذلك قولهم: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾[٢].

وقرأَ جمهور القراء: ﴿أَسْرَارَهُمْ﴾ بفتح الهمزة وذلك على جمع «سِرٍّ»؛ لأَنَّ أَسْرارهم كانت كثيرة.

وقرأَ حمزة والكسائيُّ، وحفص عن عاصم: ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ بكسر الهمزة، وهي قراءَة ابن وَثَّاب، وطلحة، والأَعمش، وعيسى[٣]، وهو مصدرٌ اسْم الجنس.

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ﴾ الآية، يحتمل أَن يُتَوَعَّدوا به، وأَنَّها[٤] على معنيَيْن:

أَحدهما: هذا هلعهم وجزعهم لِفَرْض القتال وقراع[٥] الأَعداءِ، فكيف فزعهم وجزعهم إِذا توفَّتهم الملائكة؟

والثَّاني أَن يريد: هذه معاصيهم وعِنادهم وكفرهم، فكيف تكون حالهم مع الله إِذا توفَّتهم الملائكة؟

---

(١) صح من قول قتادة، ذكره الطبري في تفسيره (٢١/ ٢١٧) من طريق معمر، وسعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة قال: هم أعداء الله أهل الكتاب، يعرفون بعث محمد نبيّ الله ﷺ وأصحابه عندهم، ثم يكفرون به، وفي لفظ: «إنهم يجدونه مكتوباً عندهم».

(٢) أخرجه ابن المنذر كما في الدر المنثور (١٣/ ٤٤٨-٤٤٩) من قول ابن جريج.

(٣) سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٠١)، والتيسير (ص: ٢٠١)، وللباقين: البحر المحيط (٩/ ٤٧٤) إلا عيسى، ولم يقع في الأصل.

(٤) «وأنها» ليست في نجيبويه وأحمد٣.

(٥) في أحمد ٣: «فراغ».

وقال الطَّبريُّ: المعنى: والله يعلم أسرارهم، فكيف علمه بها إذا توفَّتهم الملائكة؟[١].

و﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ هنا: مَلَك الموت والمتصرِّفون معه.

والضَّمير في ﴿يَضْرِبُونَ﴾ للملائكة، وفي نحو هذا أَحاديث تقتضي صفة الحال.

ومن قال إنَّ الضَّمير في ﴿يَضْرِبُونَ﴾ للكفّار الذين يُتَوَفَّوْن؛ فذلك ضعيف.

و﴿مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾: هو الكفر.

و«الرِّضوان» هنا: الشَّرع والحقُّ المؤدي إلى الرِّضوان.

وقد تقدَّم القول في تفسير قوله: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

وقرأ الأعمش: (فكيف إذا توفاهم الملائكة)[٢]./ [٥/ ١٠٣]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾.

هذه آية توبيخ للمنافقين وفضح لهم.

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ﴾ توقيف، وهي (أَم) المنقطعة.

وقد تقدَّم تفسير مرض القلب.

وقوله: ﴿أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾؛ أَي: يبديها من مكامِنها[٣] في نفوسهم.

و«الضَّغن»: الحقد.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٨٣).

(٢) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ١٤١).

(٣) في جميع النسخ: «مكانها»، والمثبت من السليمانية.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ مقاربة في شهرتهم، ولكنَّه تعالى لم يُعَيِّنهم قط بالأَسماءِ والتَّعريف التَّامِّ؛ إِبقاءً عليهم وعلى قرابتهم، وإِن كانوا قد عُرفوا بلحن القول، وكانوا في الاشتهار على مراتب؛ كعبد الله بن أُبي، والجَدِّ[١] بن قيس، وغيرهم ممن هو دونهم في الشُّهرة.

و«السِّيما»: العَلامة الَّتي كان الله تعالى يجعل لهم لو أَراد التَّعريف التَّامَّ بهم.

وقال ابن عبّاس، والضَّحّاك: إِنَّ الله تعالى قد عرَّفه بهم في (سورة براءَة) في قوله: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾، وفي قوله: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾ [التوبة: ٨٣-٨٤][٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا في الحقيقة ليس بتعريف تامٍّ؛ بل هو لفظ يشير إِليهم على الإِجمال، لا أَنَّهُ[٣] سمَّى أَحداً، وأَعظم ما رُوي في اشتهارهم: أَنَّ رسول الله ﷺ أَمر يوماً فأُخرجت منهم جماعة من المسجد، كأَنَّه وسمهم بهذا، لكنَّهم أَقاموا على التَّبرِّي من ذلك وتمسَّكوا بلا إِله إِلَّا الله، فحقنت دماؤُهم.

ورُوي عن حذيفة ما يقتضي أَنَّ النَّبيَّ ﷺ عرَّفه بهم أَو ببعضهم، وله في ذلك كلام مع عمر رضي الله عنه[٤].

ثمَّ أَخبره تعالى أَنَّه سيعرفهم في لَحْن القول، ومعناه: في مذهب القول ومنحاه ومقصده.

وهذا هو كما يقول لك إِنسان قولاً[٥] مُعتقِداً له، وتفهم أَنت من مقاطع كلامه

---

(١) في نجيبويه: «والحاكم».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٢٢٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقول الضحاك فيه: (٢٢/ ١٨٤).

(٣) في السليمانية: «لأنه» بدل «لا أنه».

(٤) انظر: مسند الربيع بن حبيب (٩٢٩).

(٥) «قولًا» من أحمد٣ والمطبوع والسليمانية، وفي الأسدية٣: «للإنسان».

وهيئته وقرائن أَمره أَنَّه على خلاف ما يقول، وهذا معنى قوله: ﴿فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾.

ومن هذا المعنى: قول النَّبيِّ ﷺ: «فلعلَّ بعضكم أَن يكون أَلْحَنَ بحُجَّتِه من بعض»، الحديث[١]؛ أَي: أَذْهَبَ بها في جهات الكلام، وقد يكون هذا اللَّحن مُتَّفَقاً عليه، أَن يقول الإِنسانُ قولاً يفهم السامعون منه معنى، ويفهم الَّذي اتَّفق مع المتكلِّم منه معنى آخر، ومنه الحديث الَّذي قال سعد بن معاذ وابن رواحة لرسول الله ﷺ: «عَضَلَ والقَارَةَ»[٢].

وفي هذا المعنى قول الشاعر:

[الخفيف]

.... وخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كانَ لَحْنا[٣]

أَي: ما فهمه عنك صاحبك وخفي على غيره[٤].

فأَخبر الله محمداً رسولَه ﷺ:

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٦٨٠)، ومسلم (١٧١٣)، من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٢) معضل، أشار إلى حديثها: البخاري في صحيحه (٤/ ١٤٩٩). وساق القصة: البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٨): قال ابن إسحاق: حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة قال: لما بلغ رسول الله ﷺ خبر كعب، ونقض بني قريظة، بعث سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج، وسعد بن معاذ، وهو سيد الأوس، وكان معهما فيما يذكرون وهو تبع لهما خَوَّات بن جبير وعبد الله بن رواحة، فقال: «ائتوا هؤلاء القوم، فانظروا، فإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فأعلنوه، وإن كانوا على ما بلغنا عنهم، فالحنوا لي عنهم لحناً أعرفه، ولا تفتُّوا في أعضاد المسلمين»، فلما انتهوا إليهم وجدوهم على أخبث ما بلغهم، وقعوا برسول الله ﷺ وقالوا: لا عقد بيننا وبينه ولا عهد، فبادأهم سعد بن عبادة، وكان رجلاً فيه حد بالمشاتمة، فقال سعد بن معاذ: دعهم عنك، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة، ثم أقبلوا فلما أتوا رسول الله ﷺ قالوا: عضل والقارة، يريدون ما فعل عضل والقارة بخبيب وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين». وعاصم كان ثقة عالماً بالمغازي، لكنه معضل.

(٣) أوله: مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَاناً، وهو لمالك بن أسماء بن خارجة الفزاريُّ، كما في معجم الشعراء (ص: ٣٦٤)، والبيان والتبيين (١/ ١٣٧)، وعيون الأخبار (١/ ٤٦)، والعقد الفريد (٢/ ٣٠٩)، والأغاني (١٧/ ٢٣٨)، والروض الأنف (٦/ ٢٠٦).

(٤) في المطبوع: «غيرك»، وهو خطأ.

أَن أَقوالهم المُحرَّفة الَّتي هي على خلاف عقدهم سَتَتَبَيَّن له فيعرفهم بها.

واحتج بهذه الآية من جعل الحدَّ في التَّعريض بالقذف(١).

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَـٰلَكُمۡ﴾ مخاطبة للجميع من مؤمن وكافر.

وقرأَ جمهور القراء: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾ بالنّون، وكذلك ﴿نَعۡلَمَ﴾، وكذلك ﴿وَنَبۡلُوَاْ﴾.

وقرأَ عاصم في رواية أَبي بكر: [﴿وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ﴾ بالياءِ، على معنى]: وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ اللهُ، وكذلك ﴿يَعْلَمَ﴾، وكذلك ﴿يَبْلُوَ﴾(٢).

وروى رويس عن يعقوب: ﴿وَنَبْلُو﴾ بالرَّفع(٣) على القطع والإِعلام بأَنَّ ابتلاءَه دائم.

وكان الفضيل بن عياض إِذا قرأَ هذه الآية بكى وقال: اللهمَّ، لَا تَبْتَلِنا؛ فإِنَّك إِن بَلوتَنا فضحتنا وهَتكت أَستارنا(٤).

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَـٰهِدِينَ﴾؛ أي: حتّى يعلمهم مجاهدين قد خرج جهادهم إِلى الوجود، وبَانَ تَكَسُّبُهُم الَّذي به يتعلَّق ثوابهم. وعِلْمُ الله بالمجاهدين قديم أَزليّ، وإِنَّما المعنى ما ذكرناه.

وقوله تعالى: ﴿وَصَدُّواْ﴾ يحتمل أَن يكون المعنى: وصدُّوا غيرهم، ويحتمل أَن يكون غير مُتَعَدٍّ بمعنى: وصدُّوا هم في أَنفسهم.

وقوله: ﴿وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ﴾ معناه: خالفوه فكانوا في شقٍّ وهو في شقٍّ.

---

(١) انظر: المدونة (٤/ ٤٩٤).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٠١)، والتيسير (ص: ٢٠١)، وما بين معكوفتين سقط من الأصل.

(٣) وهي عشرية، انظر: النشر (٢/ ٣٧٥).

(٤) وقع في المطبوع: «الفضل»، وفي الأصل: «ابتليتنا» بدل «بلوتنا».

وقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ﴾، قالت فرقة: نزلت في قوم من بني إِسرائيل فعلوا هذه الأَفاعيل بعد تَبيُّنهم لأَمر محمد ﷺ من التَّوراة.

وقالت فرقة: نزلت في قوم من المنافقين حَدَثَ النِّفاق في نفوسهم بعدما كان الإِيمان دَاخَلَهَا، وقال ابن عبّاس: نزلت في المطعمين في سفرة بدر[١].

و«تَبَيُّنُ الْهُدَى»: هو وجودُه عند الدّاعي إِليه، وقالت فرقة: بل هي عامَّة في كلِّ كافر، وأَلْزمهم أنه قد تَبيَّن لهم الهدى من حيث كان الهدى بيِّناً في نفسه، وهذا كما تقول [لإِنسان يخالفك][٢] في احتجاج على معنى التَّوبيخ له: أَنت تخالف في شيءٍ واضح لا خَفَاءَ به عليك، بمعنى: أَنَّه هكذا هو في نفسه.

وقوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ﴾ تحقير لهم.

وقوله: ﴿وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ أَمَّا على قول من يرى أَنَّ أَعمالهم الصَّالحة مِن صِلة رحم ونحوه تُكْتَبُ، فيجيءُ هذا الإِحباط فيها متمكِّناً.

وأَمَّا على قول من لا يرى ذلك فمعنى (سيُحبِط): أَنَّها عبارة عن إِعدامه أَعمالهم وإِفسادها وأَنَّها لا توجد شيئاً مُنْتَفَعاً به، فذلك إِحباط على تشبيه واستعارة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٥﴾﴾.

رُوي: أَنَّ هذه الآية نزلت في بني أَسد من العرب؛ وذلك أَنَّهم أَسلموا وقالوا لرسول الله ﷺ: نحن قد آثرناك على كلِّ شيءٍ وجئناك بنفوسنا وأَهلنا، كأَنَّهم مَنُّوا بذلك، فنزل فيهم: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْ﴾ [الحجرات: ١٧] الآية، [ونزلت فيهم هذه الآية][٣].

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٦/ ٢٢٣).

(٢) سقط من المطبوع. وفي السليمانية: «خالفك».

(٣) سقط من نجيبويه، والأثر أخرجه النسائي في الكبرى (١١٤٥٥)، والبزار في مسنده كما في تفسير =

قال القاضي أبو محمد: فإن كان هذا فالإِبْطَال الَّذي نُهوا عنه ليس بمعنى الإِفساد التَّام؛ لَأَنَّ / الإِفساد التَّام لا يكون إِلَّا بالكفر، وإِلَّا فالحسناتُ لا تُبطلها المعاصي[1]. [٥/ ١٠٤]

وإِن كانت الآية عامَّة عَلَى ظاهرها نَهْي النَّاس عن إِبْطال أَعمالهم بالكفر[2].

و«الإِبطالُ»: هو الإِفسادُ التَّام.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ﴾، رُوي: أَنها نزلت بسبب أَنَّ عَدِيَّ بن حاتم قال: يا رسول الله! إِن حاتماً كانت له أَفعال بِرٍّ، فما حاله؟ فقال رسول الله ﷺ: «هو في النَّار»، فبكى عَدِيٌّ رضي الله عنه وَوَلَّى، فدعاه رسول الله ﷺ فقال له: «أَبي وأَبوك وأَبو إِبراهيم خليل الرّحمن في النّار»، ونزلت هذه الآية في ذلك[3].

وظاهر الآية العموم في كلِّ ما تناولته الصِّفة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُواْ﴾ معناه: فلا تضعفوا؛ [من: وَهَنَ الرَّجلُ: إِذا ضعف][4].

وقرأ جمهور النّاس: ﴿وَتَدۡعُوٓاْ﴾.

وقرأ أَبو عبد الرَّحمن السُّلميُّ: (وتدَّعوا) بشد الدَّال[5].

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿إِلَى ٱلسَّلۡمِ﴾ بفتح السّين.

وقرأ حمزة، وأَبو بكر عن عاصم: ﴿السِّلْمِ﴾ بكسر السّين، وهي قراءة الحسن،

= ابن كثير (٧/ ٣٩٠-٣٩١)، والضياء في المختارة (٣٧٤) من طريق يحيي بن سعيد الأموي، عن محمد بن قيس، عن محمد بن عبيد الله أبي عون، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: جاءت بنو أسد إلى رسول الله ﷺ. وهو منقطع، حديث أبي عون هذا عن سعيد مرسل، قاله أبو زرعة، وله طرق أخرى بألفاظ مختلفة، وانظر: الدر المنثور (١٣/ ٦٠٦-٦٠٧).

(١) في أحمد٣: «لا يبطلها إلا المعاصي».

(٢) سقطت من المطبوع ومن نجيبويه.

(٣) «في ذلك» ليست في أحمد٣، والأثر لم أقف عليه بهذا اللفظ، وانظر تفسير مقاتل (٣/ ٢٤١).

(٤) سقط من نجيبويه.

(٥) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٢٧٣).

وأَبي رجاءٍ، والأَعمش، وعيسى، وطلحة[١]، وهو بمعنى المسالمة.

وقال الحسن بن أَبي الحسن وفرقة ممَّن كسر السّين: إِنَّه بمعنى الإِسلام[٢]؛ أَي: فلا تَهنوا وتكونوا داعين إِلى الإِسلام فقط غير[٣] مقاتلين بسببه.

وقال قتادة: معنى الآية: لا تكونوا أَوَّل الطائفتين ضَرَعَتْ للأُخرى[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا حسنٌ مُلْتَئِمٌ مع قوله: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١].

وقوله: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ يحتمل معنَيَيْن:

أَحدهما: أَن يكون في موضع الحال، المعنى: لا تَهِنُوا وأَنتم في هذه الحال.

والمعنى الثَّاني: أَن يكون إِخباراً [مقطوعاً، أَخبرهم فيه بمغيَّب أَبرزه الوجود بعد ذلك.

و﴿ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ معناه: الغالبون[٥] والظّاهرون؛ من العُلُوِّ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ معناه:][٦] بنصره ومعونته.

و(يَتِرَ) معناه: يُنقص ويُذْهب، ومنه قوله ﷺ: «من ترك صلاة العصر فكأَنَّما وُتِرَ أَهلَه ومالَه»[٧]؛ أَي: ذُهب بجميع ذلك عنه على جهة التَّغلب والقهر، والمعنى: لن

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٠١)، والتيسير (ص: ٢٠١)، وانظر الباقين في: البحر المحيط (٩/ ٤٧٦).
(٢) تقدم له ذلك في سورة النساء، والأنفال.
(٣) في الأصل: «دون».
(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ١٨٨) بمعناه.
(٥) في أحمد٣: «العاليون».
(٦) سقط من الأصل.
(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٥٢)، ومسلم (٦٢٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

يَتِرَكم ثواب أَعمالكم وجزاء أعمالكم، واللَّفظة مأْخوذة من الوَتْر الَّذي هو: الذَّحْل[١].

وذهب قوم إِلى أَنَّه مأخوذ من الوِتر الَّذي هو: الفَرْدُ، والمعنى: لن يُفردكم من ثواب أَعمالكم.

والأَوَّل أَصحُّ، وفسَّرها ابن عبّاس وأَصحابه: يَظْلِمَكُمْ[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ تحقير لأَمر الدُّنيا؛ أَي: فلا تهنوا في الجهاد بسببها، وَوَصْفُها باللَّعب واللهو هو على أَنَّها وما فيها مما يختصُّ بها لعبٌ ولهوٌ[٣]، وإِلَّا ففي الدُّنيا ما ليس بلعب ولا لهو؛ وهو الطاعة وأَمر الآخرة وما جرى مجراه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ معناه: هذا هو المطلوب منكم لا غيره، لا تُسأَلون أَموالكم إلا[٤] أَن تنفقوها في سبيل الله.

وقال سفيان بن عُيَيْنَة: المعنى: لا يسأَلكم كثيراً من أَموالكم إِحفاءً[٥]، إِنَّما يسأَلكم غَيْضاً من فيض، ربع العشر، فطيِّبوا أَنفسكم[٦].

---

(١) في نجيبويه: «الرحل».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٢٢٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وفي نجيبويه: «يتركم بـ: يظلمكم»، والوتر ـ بالكسر ـ: الفرد، وبالفتح: الذَّحْل، هي لغة أهل العالية، وأما لغة أهل نجد؛ فبالضم، ولغة أهل تميم بالكسر فيهما، وأما أهل الحجاز فإنهم يفتحونها للذحل، ويكسرونها للعدد. المصباح المنير للفيومي (٢/ ٦٤٧).

(٣) «ولهو» من المطبوع.

(٤) «إلا» من نجيبويه ونور العثمانية.

(٥) في أحمد ٣: «جفاء».

(٦) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٩)، قال: وهو اختيار أبي بكر بن عبدش، قال: حكى لنا ابن حبيب عنه، يدلّ عليه سياق الآية.

ثمَّ قال تعالى مُنَبِّهاً على خُلُق ابن آدم: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟﴾.

و«الإِحفاءُ»: هو أَشدَّ السُّؤال، وهو المُخْجِل الذي يستخرج ما عند المسؤول كرهاً، ومنه حَفَاءُ الرِّجْل والتَّحَفِّي من البحث عن الشَّيءِ.

وقوله: ﴿تَبْخَلُوا۟﴾ جزم على جواب الشَّرط.

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿وَيُخْرِجْ﴾ جزماً عطفاً[1] على ﴿تَبْخَلُوا۟﴾.

وقرأ عبد الوارث عن أَبي عمرو: (وَيُخْرِجُ) بالرفع على القطع، بمعنى: وهو يُخْرِجُ، وحكاها أَبو حاتم عن عيسى[2].

وقرأت فرقة: (وَيُخْرِجَ) بالنَّصب[3] على معنى: يكن بُخْلٌ وإِخراجٌ، [فلمَّا جاءَت العبارة بفعل دلَّ على أن (أَنْ) الَّتي مع الفعل بتأويل المصدر الَّذي هو الإِخراج][4].

والفاعل في قوله: ﴿وَيُخْرِجْ﴾ على كلِّ الاختلافات المذكورة يحتمل أَن يكون الله.

ويحتمل أَن يكون البخل الذي يتضمَّنه اللَّفظ.

ويحتمل أَن يكون السُّؤال الَّذي يتضمَّنه اللَّفظ أَيضاً.

وقرأ ابن عبّاس، ومجاهد، وابن سيرين، وابن محيصن، وأَيُّوب: (وتَـخْرُج) بفتح التاء[5] (أَضْغَانُكُمْ) رفعاً على أَنَّها فاعله.

---

(١) «عطفاً» من المطبوع والأسدية٣ وأحمد٣.

(٢) وهي شاذة، نقلها عن عبد الوارث في المحتسب (٢/ ٢٧٣)، وعن عيسى في البحر المحيط (٩/ ٤٧٧)، ونقل عن اللوامح ضبط رواية عبد الوارث، عن أبي عمرو: (وتَخرُجُ)، بالتاء وفتحها وضم الراء والجيم (أضغانُكم) بالرفع.

(٣) وهي شاذة، نقل في البحر المحيط (٩/ ٤٧٨) عن عيسى: أنه فتح الجيم بإضمار أن، لكن ظاهره أن (تخرج) بالتاء لا الياء.

(٤) ما بين معكوفتين ليس في الأسدية٣.

(٥) كذا في أحمد٣، وفي س: يخرج بالياء، والمثبت هو الموافق لما في مختصر الشواذ (ص: ١٤١)، =

ورُوي عنهم (وَتُخْرَجْ) بضمِّ التَّاءِ وفتح الرّاءِ على ما لم يُسَمَّ فاعله.

وقرأ يعقوب: (ونُخْرِج) بضمِّ النّون وكسر الرّاءِ (أَضْغَانَكُمْ) نصباً.

و«الأَضغان» كما قلنا: معتقدات السّوءِ، وهو الَّذي كان يُخاف أَن يعتري المسلمين هو الَّذي تقرب به محمد بن مَسْلمة إِلى كعب بن الأَشرف حين قال له: إِنَّ هذا الرَّجل قد أَكثر علينا وطلب منّا الأَموال[1].

ثمَّ وقف تعالى عباده المؤمنين على جهة التَّوبيخ لبعضهم: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، وكرَّر هاءَ التَّنبيه تأكيداً[2].

وقوله: ﴿عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ يحتمل معنيَيْن: أَحدهما: فإِنَّما يبخل عن شُحِّ نفسه، والآخر: أَن يكون بمنزلة «عَلَى»؛ لأَنَّك تقول: بخلتُ عليك بكذا، وبخلتُ عنك؛ بمعنى: أَمْسَكْتُ عنك.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ﴾ معنى مطَّردٌ في قليل الأَشياءِ وكثيرها.

وقوله تعالى: ﴿يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ قيل: الخطاب لقريش، والقومُ الْغَيْرُ: هم أَهل المدينة.

وقال عبد الرحمن بن جبير وشريح بن عبيد: الخِطَاب لمن حضر المدينة، والقوم الغَيْر: [هم أَهل اليمن[3].

= عن ابن عباس وأيوب وابن سيرين، والشواذ للكرماني (ص: ٤٤١)، عن ابن عباس، وابن محيصن وعزا الثانية والثالثة أيضاً لابن عباس، وكلها شاذة.

(١) متفق عليه، بلفظ: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عنَّانا. كما في حديث قتل كعب بن الأشرف الذي أخرجه البخاري (٤٠٣٧)، ومسلم (١٨٠١) من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما.

(٢) في المطبوع: «تذكيراً».

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٩٤).

وقالت فرقة: الخطابُ لجميع المسلمين والمشركين والعرب حينئذ، والقوم الغير](١): فارس.

وروى أَبو هريرة: أَنَّ رسول الله ﷺ سئل عن هذا، وكان سلمان إِلى جنبه، فوضع يده على فخذه وقال: «قوم هذا، لو كان الدِّين بالثُّرَيَّا لناله رجال من أَهل فارس»(٢).

وقوله: ﴿أَمْثَٰلَكُم﴾ معناه: في الخلاف والتَّولي والبخل بالأَموال ونحو هذا، وحكى الثَّعلبيُّ قولاً: أَن القَوْم الغَيْر: هُمُ الملائكة(٣).

نجز تفسير (سورة القتال)، والحمد لله ربّ العالمين.

(١) سقط من الأصل.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٤٦) من طريق ثور بن يزيد الديلي، عن سالم أبي الغيث المدني، عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء». ومن طريق جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة مرفوعاً وبلفظ: «لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس أو قال من أبناء فارس».

(٣) ليس في المطبوع من تفسير الثعلبي، وذكر هذا القول بلا نسبة: الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

تَفسير سُورَة الفَتح / [٥/ ١٠٥]

هذه السُّورة نزلت على رسول الله ﷺ مُنْصَرَفَه من الحديبيَّة، وفي ذلك أَحاديث كثيرة عن أَنس[(١)] وابن مسعود[(٢)] وغيرهما تقتضي صحَّته، وهي بهذا في حكم المدنيِّ.

وقال الزهريُّ[(٣)] عن مجاهد عن ابن عبّاس: إِنَّها نزلت بالمدينة[(٤)].

والأَوَّل أَصحُّ، ويشبه: أَنَّ منها بعضاً نزل بالمدينة.

وأَمَّا صدر السُّورة ومعظمها فكما قلنا، ويقضي بذلك قول النَّبيِّ ﷺ لعمر بن الخطاب، وهما في تلك السَّفرة: «لقد أُنزلت عليَّ الليلة سورة هي أَحبُّ إِليَّ من الدُّنيا وما فيها»[(٥)].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤١٧٢)، ومسلم (١٧٨٦).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٦، ٤٦٤)، وأبو داود (٤٤٧)، والنسائي في الكبرى (٨٨٠٢)، وأبو يعلى (٥٢٨٥)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) في الأصل: «الزهراويُّ».

(٤) عزاه في الدر المنثور (١٣/ ٤٥٤) لابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٥) أخرجه البخاري (٤١٧٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ووقع في أحمد٣ والمطبوع: «بما فيها»، وسقط قوله: «الليلة» من المطبوع.

قال القاضي أبو محمد: ذكر مكِّيٌّ هنا أَنَّ المعنى: بشرط أَن تبقى الدُّنيا ولا تفنى. وفي هذا نظر.

وكان رسول الله ﷺ خرج في تلك الوجهة ليعتمر بمكَّة فصدَّه المشركون، والقصَّة مشهورة، سنة ستٍّ من الهجرة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾.

قال قوم فيما حكى الزَّهراويُّ: ﴿فَتْحًا مُّبِينًا﴾: يريد به فتح مكَّة، وحكاه الثَّعلبيُّ أَيضاً، ونسبه النَّقّاش إِلى الكلبيِّ(١)، وأَخبره تعالى به على معنى: قضينا به، والفَتَّاحُ: القاضي؛ بلغة اليمن.

وقيل: المراد: إِنَّا فتحنا لك بأَن هديناك إِلى الإِسلام ليغفر.

وقال جمهور النّاس، وهو الصَّحيح الَّذي تعضده قصَّة الحديبيَة: إِنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ إِنَّما معناه: إِنَّ ما يسَّر الله لك في تلك الخَرْجة فتحٌ مبين تستقبله، ونزلت السُّورة مؤنسة للمؤمنين لأَنَّهم كانوا استوحشوا من ردِّ قريش لهم، ومن تلك المهادنة الَّتي هادَنَهم النَّبيُّ ﷺ، فنزلت السُّورة مؤنسة لهم في صدِّهم عن البيت، ومُذهبةً ما كان في قلوبهم، ومنه حديث عمر الشَّهير، وما قاله للنَّبيِّ ﷺ ولأَبي بكر(٢).

---

(١) نقله الثعلبي في تفسيره (٩/ ٤١)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٢٢٢)، عن أنس، ونقله أبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٤٨٢) عن الكلبي، واستظهره، واستغربه الكرماني (٢/ ١١١١) عن مجاهد، وغلطه مكي في الهداية (١١/ ٦٩٢٩). ووقع في الحمزوية: «النظام» بدل «النقاش».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٨٢)، ومسلم (١٧٨٥). ووقع في السليمانية: «ما قال النبي ﷺ لأبي بكر».

واستقبل رسولُ الله ﷺ في تلك السَّفرة أنَّه هادن عَدُوَّه ريثما يتقوّى هو، وظهرت على يديه آية الماءِ في بئر الحديبيَة، حيث وضع فيه سهمه وثاب الماءُ حتّى كفى الجيش[١].

واتفقت بيعة الرِّضوان، وهي الفتح الأَعظم، قاله جابر بن عبد الله، والبراءُ بن عازب[٢].

وبلغ هديهُ محِلَّه، قاله الشَّعبيُّ[٣].

واستقبل فتح خيبر، وامتلأَت أَيدي المؤمنين خيراً، ولم يفتحها إِلا أَهل الحديبيَة، لم يَشْرَكْهم فيها أَحد.

قال القاضي أبو محمد: وفيه نظر؛ لأَنَّ أَصحاب السَّفينة مع جعفر بن أَبي طالب شاركوهم في القَسْم، فينبغي أَن يقال: لم يشاركهم أَحد من المتخلِّفين عن الحديبيَة.

واتفقت في ذلك الوقت ملحمة عظيمة بين الروم وفارس ظهرت فيها الرّوم، فكانت من جملة الفتح على رسول الله ﷺ، وسُرَّ بها هو والمؤمنون لظهور أَهل الكتاب على المجوس وانْخِضاد[٤] الشَّوكة العظمى من الكفر.

ثمَّ عظَّم الله أَمرَ نبيِّه وشَرَّفه بأَن أَنبأَه أَنَّه قد غفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأَخَّر.

فقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ﴾ هي لام «كي»، لكنَّها تخالفها في المعنى، والمراد هنا. أَنَّ الله فتح لك لكي يجعل لك ذلك أَمارة وعلامة لغفرانه لك، فكأَنَّها لام صيرورة، ولهذا قال

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٧) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما، وأخرجه مسلم (١٨٠٧) من حديث جابر رضي الله عنهما.

(٢) حديث جابر أخرجه مسلم (١٨٥٦) بلفظ: كنا يوم الحديبية ألفاً وأربع مئة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة وقال: بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت.
وأما حديث البراء فأخرجه البخاري (٤١٥٠). وفي أحمد ٣: «قال جابر».

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ٤٢).

(٤) أي: كسر.

ﷺ: «لقد [أُنزلت عليَّ اللَّيلة][١] سورة هي أَحبُّ إِليَّ من الدُّنيا».

وقال الطَّبريُّ وابن كيسان: المعنى: إِنَّا فتحنا لك فسبِّح بحمد ربِّك واستغفره ليغفر لك الله، وبنيا[٢] هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ السُّورة [إلى آخرها][٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف من وجهين:

أَحدهما: أَنَّ سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ إِنّما نزلت في آخر مدَّة النَّبيِّ ﷺ ناعيةً له نفسه، حسب ما قال ابن عبّاس، عندما سأَل عمر عن ذلك[٤].

والآخر: أَن تخصيص النَّبيِّ ﷺ بالتَّشريف كان يذهب، لأَنَّ كلَّ واحد من المؤمنين مخاطب بهذا الَّذي قال الطَّبريُّ؛ أَي: سبِّح واستغفر لكي يغفر الله لك، ولا يتضمن[٥] هذا أَنَّ الغفران قد وقع.

وما قدَّمناه أَوَّلاً يقتضي وقوع الغفران للنَّبيِّ ﷺ، ويدلُّ على ذلك قول الصَّحابة له حين قام حتّى تورّمت قدماه: [أَتفعل هذا][٦] يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأَخَّر؟ فقال: «أَفَلا أَكون عبداً شكوراً»؟[٧]، فهذا نصٌّ في أَنَّ الغفران حكمٌ قد وقع.

وقال مُنْذر بن سعيد: المعنى: مجاهدتك بالله المقترنة بالفتح هي ليغفر.

---

(١) في نجيبويه: «أنزل الله علي». والحديث تقدم تخريجه.

(٢) في السليمانية: «بينا».

(٣) سقط من أحمد٣ والمطبوع. وانظر قول الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٩٧)، وقول ابن كيسان في معاني القرآن للنحاس (٦/ ٤٩٥)، والهداية لمكي (١١/ ٦٩٢٨).

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٢٧) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٥) في المطبوع والحمزوية والأسدية٣: «يقتضي».

(٦) ليس في أحمد٣.

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

وحكى الثَّعلبيُّ عن الحسين بن الفضل أَنَّ المعنى: إِنَّا فتحنا لك فاستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ليغفر لك... الآية، وهذا نحو قول الطَّبريِّ[(١)].

وقوله: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾؛ قال سفيان الثَّوريُّ: ﴿مَا تَقَدَّمَ﴾: يريد به قبلَ النُّبوَّة، و﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾: كلُّ شيءٍ لم تعمله[(٢)].

وهذا ضعيف، وإِنَّما المعنى: التَّشريف بهذا الحكم ولو لم تكن له ذنوب البَتَّة.

وأَجمع العلماءُ على عصمة الأَنبياءِ عليهم السَّلام من الكبائر ومن الصغائر الَّتي فيها رذائل.

[وجوَّز بعضهم الصَّغائر الَّتي ليست برذائل][(٣)]، واختلفوا هل وقع ذلك من محمد ﷺ أَو لم يقع؟

وحكى الثَّعلبيُّ عن عطاءٍ الخراسانيّ: أَنَّه قال: ﴿مَا تَقَدَّمَ﴾ / هو ذنب آدم وحوَّاءَ؛ أَي: ببركتك[(٤)]، و﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ هي ذنوب أُمَّتك، بدعائك. [٥/ ١٠٦]

قال الثَّعلبيُّ: الإِماميَّة لا تجوِّز الصَّغائر على النَّبيِّ ولا على الإِمام، والآية تردُّ عليهم[(٥)].

وقال بعضهم: ﴿مَا تَقَدَّمَ﴾ هو قوله يوم بدر: «اللهمَّ، إِن تَهْلِكْ هذه العصابة لم

---

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ٤٢)، وفيه: «بن الفضيل»، وتقدم قول الطبري قريباً.

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ٤٢).

(٣) في حاشية المطبوع: سقطت هذه العبارة من بعض النُّسخ، وهي في أحمد٣ ملحقة في الهامش.

(٤) في الحمزوية: «بتزكيتك».

(٥) انظر قول عطاء في تفسير الثعلبي (٩/ ٤٢)، وليس في المطبوع ذكر للإمامية، وانظر قولهم هذا في تفسير النيسابوري (١/ ٢٥٦).

تُعبد»[١]، و﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ هو قوله يوم حنين: «لن نُغْلَبَ اليوم من قِلَّة»[٢]، [وهذا كلُّه مُعْتَرض][٣].

قال القاضي أبو محمد: و«إتمامُ النِّعمة عليه»: هو إظهارُه وتغليبُه على عدوِّه، والرِّضوانُ في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ معناه: إلى صِراطٍ، فحذف الجَار، فتعدى الفعل، وقد يتعدى هذا بغير حرف جرٍّ.

و«النَّصر العزيز»: هو الَّذي معه غلبة العدوِّ والظُّهورُ عليه، والنَّصر غير العزيز: هو الَّذي مُضَمَّنُه الحماية ودفع العدوِّ فقط.

و«إِنْزَالُ السَّكِينَةِ في قلوب المؤمنين» ـ وهي فعيلة من السُّكون ـ: هو تسكينُها لتلك الهدنة مع قريش حتَّى اطمأَنت وعلموا أَنَّ وعد الله على لسان رسوله حقّ، فازدادوا بذلك إيماناً إلى إيمانهم الأَوَّل، وكثر تصديقهم.

قال ابن عبّاس: لمَّا آمنوا بالتَّوحِيد زادهم العبادات شيئاً شيئاً، فكانوا يزيدون إيماناً حتَّى قال لهم: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فمنحهم أَكمل إيمان لأهل السماوات والأَرض: لا إِلهَ إِلَّا الله[٤]. وفسَّر ابن عباس السَّكينة بالرَّحمة.

---

(١) هذا جزء من حديث أخرجه مسلم في باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر (١٧٦٣) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) ضعيف، هذا جزء من الحديث الذي أخرجه البزار في مسنده (٦٥١٨) عن علي بن شعيب السمسار، وعبد الله بن أيوب المخرمي، عن علي بن عاصم الواسطي، عن سليمان بن طرخان التيمي، عن أنس بن مالك، قال: قال غلام منا من الأنصار يوم حنين: لن نهزم اليوم من قلة، فما هو إلّا أن لقينا عدونا فانهزم القوم..وذكره بلفظ مطول، وعلي بن عاصم ضعيف، وأخرجه يونس بن بكير في «زيادات المغازي» كما في فتح الباري (٨/ ٢٧)، والبيهقي في دلائل النبوة (٨/ ١٢٣) من طريق أبي جعفر عيسى الرازي، عن الربيع بن أنس البكري، مرسلاً.

(٣) سقط من الأصل.

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٤٥-٢٤٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١٣٠٢٨)، والبيهقي في =

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إشارة إلى تسكين النُّفوس أيضاً، وأن تكون مسلمة، لأنَّه ينصر متى شاءَ وعلى أي صورة شاءَ، مما لا يُدبِّره البشر.

ومن جنده: السَّكينة التي أنزلها في قلوب أصحاب محمد ﷺ فثبت بصائرهم.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: كان ويكون، فهي دالَّة على الوجود بهذه الصِّفة، لا مُعيِّنة وقتاً ماضياً.

والعلم والإحكام صفتان مقتضيتان عزَّة النّصر لمن أراد الموصوف بهما نَصْرَه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧﴾.

قوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ معناه: فازدادوا وتَلَقَّوْا ذلك، فتمكن بعد ذلك.

قوله: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: بتكسُّبهم القبول لما أنزل الله عليهم.

ويروى في معنى هذه الآية: أنَّه لمَّا نزلت ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩] تكلَّم فيها أهل الكتاب، وقالوا: كيف نتَّبع من لا يدري[1] ما يُفعل به وبالنَّاس معه، فبيَّن الله تعالى في هذه السُّورة ما يفعل به بقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، فلمَّا سمعها المؤمنون قالوا: هنيئاً مريئاً، هذا لك يا رسول الله، فما لنا؟ فنزلت هذه الآية ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ إلى قوله تعالى [في حق الكافرين][2]:

= الدلائل (٤/ ١٦٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه بلفظ مطول، وفيه تفسير السكينة بالرحمة.

(١) في أحمد٣ والمطبوع: «من لا يعرف»، وسقطت «كيف» من السليمانية.

(٢) من الحمزوية.

﴿وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[(١)]، فعرَّفه الله تعالى ما يفعل به وبالمؤمنين والكافرين.

وذكر النَّقّاش: أَنَّ رجلاً من عَكٍّ قال: هذا لك يا رسول الله، فما لنا؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: «[هي لي ولأُمَّتي][(٢)] كهاتين»، وجمع بين إِصبعيه[(٣)].

وقوله: ﴿وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ فيه ترتيب الجمل في السَّرْد، [لا ترتيب][(٤)] وقوع معانيها؛ لأَنَّ تكفير السَّيِّئات قبل إِدخالهم الجنَّة.

وقوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ قيل معناه: من قولهم: ﴿لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ﴾ الآية[(٥)]، فكأَنهم ظنُّوا بالله ظنَّ سَوْءٍ في جهة الرَّسول والمؤمنين.

وقيل: ظنُّوا بالله ظنَّ سَوْءٍ؛ إِذْ هُمْ يعتقدونه بغير صفاته، فهي ظنون سَوْءٍ من حيث هي كاذبة مؤدِّية إِلى عذابهم في نار جهنَّم.

وقوله تعالى: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ كأَنَّه يُقَوِّي التَّأْويل الآخر؛ أَي: أَصابهم ما أَرادوا بكم.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ كالأَوَّل، ورجَّحها الفراءُ وقال: قلَّما تضمُّ العرب السِّين[(٦)]، قال أَبو عليٍّ: هما متقاربان والفتح أَشدّ مطابقة في اللَّفظ[(٧)].

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ بفتح السين، و﴿دائرة السُّوء﴾ بضمِّ السّين[(٨)]، وهو اسمٌ؛ أَي: دائرة السُّوءِ الذي أَرادوه بكم في ظنِّهم السُّوءَ.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤١٧٢)، ومسلم (١٧٨٦).

(٢) سقط من أحمد٣.

(٣) لم أقف عليه مسنداً.

(٤) في أحمد٣: «لأنه ثبت».

(٥) من الآية (١٢) من هذه السورة.

(٦) معاني القرآن للفراء (٣/ ٦٥).

(٧) الحجة للفارسي (٦/ ٢٠١).

(٨) وهما سبيعتان، انظر: السبعة (ص: ٦٠٣)، والتيسير (ص: ١١٩).

وقرأَ الحسن بضمّ السّين في الموضعين، وروي ذلك عن أَبي عمرو ومجاهد[١].

وسمَّى المصيبة الَّتي دعا بها عليهم دائرة؛ من حيث يقال في الزَّمان: إِنَّه يستدير، أَلا ترى أَنَّ السَّنة والشَّهر كأَنَّها مستديرات تذهب على ترتيب وتجيءُ من حيث هي تقديرات للحركة العظمى، ومنه قول النَّبيِّ ﷺ: «إِنَّ الزَّمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السَّماوات والأرض»[٢]، فيقال للأَقدار والحوادث الَّتي هي في طيِّ الزَّمان: دائرة؛ لأَنَّها تدور بدوران الزَّمان، كأَنَّك تقول: إِنَّ أَمر كذا يكون في يوم كذا من سنة كذا، فمن حيث يدور ذلك اليوم حتّى يبرز إِلى الوجود تدور هي أَيضاً فيه، [وقد قالوا: أربعاء لا تدور][٣]. ومن هذا قول الشَّاعر:

وَدَائِـرَاتِ الدَّهْرِ قد تـدور[٤] .... [الرجز]

ومنه قول الآخر:

.... وَيَعْلَمُ أَنَّ النَّائِبَاتِ تَـدُورُ[٥] [الطويل]

وهذا كثير، ويحسن أَن تسمى المصيبة دائرة؛ من حيث كمالُها أَن تحيط بصاحبها كما يحيط شكل الدَّائرة على السَّواءِ من النقطة، وقد أَشار النَّقَّاش إِلى هذا المعنى.

و(غضبُ الله تعالى): متى ما[٦] قصد به الإِرادة؛ فهو صفة ذات، ومتى ما قصد به ما يظهر من الأَفعال على المغضوب عليه؛ فهو صفة فعل.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لمجاهد في الشواذ للكرماني (ص: ٤٤٢)، وللحسن في البحر المحيط لأبي حيان (٩/ ٤٨٦)، ولم أجدها لأبي عمرو.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٥٥٠)، ومسلم (١٦٧٩)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٣) ليس في المطبوع.

(٤) في المطبوع: «أَن تَدُورَا»، وقبله يقول الراجز: تَردُّ عَنْكَ الْقَدَرَ الْمَقْدُورا. وهكذا تقدم للمؤلف في تفسير الآية (٥٢) من سورة المائدة.

(٥) تقدم في تفسير الآية (٥٢) من سورة المائدة. وفي نجيبويه والسليمانية وأحمد٣: «الدائرات».

(٦) «ما» من السليمانية وأحمد٣ والمطبوع في الموضعين.

و﴿وَلَعَنَهُمْ﴾: معناه أَبعدهم [من رحمته][(١)].

وقال تعالى في هذه الآية: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ فذكر صفة العزَّة من حيث تقدَّم الانتقام من الكفّار، وفي الَّتي قَبْلُ قَرَنَ بالحكمة العلمَ من حيث وعده بمغيَّبات، وقرن باللَّفظتين ذكْر جنود الله تعالى الَّتي منها السَّكينة ومنها نقمته من المنافقين والمشركين، فلكلٍّ لفظ وجهٌ من المعنى.

وقال ابن المبارك ـ في كتاب النَّقّاش ـ: جنود الله في السَّماءِ الملائكة، وفي الأَرض الغُزاة في سبيل الله تعالى[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا بعض من كلٍّ. / [٥/ ١٠٧]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾.

من جعل الشَّاهد محصِّل الشَّهادة من يوم يحصلها؛ فقوله: ﴿شَٰهِدًا﴾ حالٌ واقعة.

ومن جعل الشّاهد مُؤَدِّي الشّهادة؛ فهي حال مستقبلة، وهي الَّتي يسميِّها النُّحاة: المُقَدَّرَة.

والمعنى: شاهداً على النّاس بأَعمالهم وأَقوالهم حين بلَّغْتَ إِليهم الشَّرع.

﴿وَمُبَشِّرًا﴾ معناه: أَهل الطَّاعة برحمة الله، ﴿وَنَذِيرًا﴾ معناه: أَهل الكفر ينذرهم من عذاب الله.

(١) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٢) القول بلا نسبة في البحر المحيط (٩/ ٤٨٦).

وقرأَ جمهور النّاس في كلِّ الأَمصار: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ بالتّاءِ[١] على مخاطبة النّاس، على معنى: قُلْ لهم، وكذلك الأَفعال الثّلاثة بعد.

[وقرأَ أَبو عمرو بن العلاءِ، وابن كثير، وأَبو جعفر: ﴿لِيُؤْمِنُوا﴾ بالياءِ على استمرار خطاب محمد ﷺ، وكذلك الأَفعال الثَّلاثة بعد][٢].

وقرأَ الجحدريُّ: (وَتَعْزُرُوهُ) بفتح التّاءِ وسكون العين [وضمِّ الزَّاي.

وقرأَ محمد بن السُّمَيفع اليمانيُّ، وابن عبّاس: (وَتُعَزِّزوهُ) بزاءَيْن، من العزَّة.

وقرأَ جعفر بن محمد: (وَتُعْزِرُوهُ) بفتح التّاءِ وسكون العين][٣] وكسر الزّاي.

ومعنى ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾: تعظِّموه وتكبِّروه، قاله ابن عبّاس[٤].

وقال قتادة: معناه: تنصروه بالقتال.

وقال بعض المتأَوِّلين: الضّمائر في قوله تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ هي كلُّها[٥] لله تعالى.

وقال الجمهور: (تعزروه وتوقروه) هما للنَّبيِّ ﷺ، و(تُسَبِّحُوهُ) هي لله، وهي صلاة البَرْدَيْن.

---

(١) «بالتاء» من المطبوع والحمزوية والسليمانية.

(٢) سقط من الأصل، والقراءتان سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٠٣)، والتيسير (ص: ٢٠١)، ولم يوافقهما أبو جعفر، بل قرأ بالتاء، كما في النشر (٢/ ٣٧٥)، وقد تبع المصنفَ في العزو لأبي جعفر: أبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٤٨٦).

(٣) سقط من الحمزوية والأسدية وأحمد٣، والقراءات الثلاث شاذة، انظر الأولى والثانية في المحتسب (٢/ ٢٧٥)، دون ذكر ابن عباس، والكل في البحر المحيط (٩/ ٤٨٦)، وانظر: مختصر الشواذ (ص: ١٤٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٤١).

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٥١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر قول قتادة فيه (٢٢/ ٢٠٨)، دون ذكر القتال.

(٥) «كلها» ليست في السليمانية.

وقرأ عمر بن الخطاب: (وَتُسَبِّحُوا الله).

وفي بعض ما حكى أَبو حاتم: (وَتُسَبِّحُونَ الله) بالنّون.

وقرأ ابن عبّاس: (ولتسبحوا الله)(١).

و«البُكْرَةُ»: الغُدُوُّ، و«الأَصيلُ»: العَشِيُّ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ يريد: في بيعة الرِّضوان، وهي بيعة الشَّجرة حين أَخذ رسول الله ﷺ الأُهبة لقتال قريش لمَّا بلغه قتل عثمان بن عفان رسولِه إِليهم، وذلك قبل أَن ينصرف من الحُدَيْبِيَة، وكان في أَلف وأَربع مئة رجل(٢)، قال النَّـقّاش: وقيل: كان في أَلف وثمان مئة، وقيل: وسبع مئة، وقيل: وست مئة، وقيل: ومئتين.

قال القاضي أبو محمد: وبايعهم رسول الله ﷺ على الصَّبر المتناهي في قتال العدوِّ إِلى أَقصى الجهد، حتّى قال سلمة بن الأَكوع وغيره: بايعنا رسولَ الله ﷺ على الموت(٣).

وقال عبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله: بايعنا رسول الله ﷺ على أَلَّا نَفِرَّ(٤).

والمُبَايعة في هذه الآية: مفاعلة من البيع؛ لأَنَّ الله تعالى اشترى منهم أَنفسهم وأَموالهم بأَنَّ لهم الجنَّة، وبقي اسم البيعة بعْدُ على مُعَاقدة الخلفاءِ والملوك، وعلى هذا سمَّت الخوارج أَنْفُسَهم الشُّراة؛ أَي: اشتروا بزعمهم الجنَّة بأَنفسهم.

ومعنى ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾: أَنَّ صفْقَتَهُم إِنَّما يُمْضيها ويمنح ثمنها(٥) الله تعالى.

---

(١) ثلاث قراءات شاذة لم أجد من ذكرها، وفي تفسير الطبري (٢٢/ ٢٠٩): عن قتادة في بعض الحروف: (ويسبحوا الله)، ومثله في تفسير الألوسي (١٣/ ٢٥١) عن ابن جبير وابن مسعود. ووقع في المطبوع وأحمد٣ في الأخيرة: (وَلِيُسَبِّحُوا للهِ).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٩) عن جابر.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٩٦٠)، ومسلم (١٨٦٠) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

(٤) حديث ابن عمر أخرجه البخاري (٢٩٥٨)، وحديث جابر أخرجه مسلم (١٨٥٦).

(٥) في السليمانية وأحمد٣: «الثمن فيها»، وفي المطبوع: «يمضيها الله تعالى، ويمنح الثمن».

وقرأَ تمَّام بن العبّاس بن عبد المطلب[١]: (إنما يبايعون لله)[٢]، قال أَبو الفتح: ذلك على حذف المفعول لدلالة الأَوَّل عليه وقُرْبه منه.

وقوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾، قال جمهور المتأَوِّلين: اليَدُ بمعنى: النِّعمة؛ أَي: نعمة الله في نفس هذه المبايعة ـ لما يُستقبل من محاسنها ـ فوق أَيديهم الَّتي مَدُّوها لبيعتك.

وقال آخرون: يَدُ اللَّهِ هنا بمعنى: قوَّة الله فوق قواهم؛ أَي: في نصرك ونصرهم.

فالآية على هذا: تعديد نعمة عليهم مستقبلة مُخْبَرٌ بها، وعلى التَّأْويل الأَوَّل: تعديد نعمة حاصلة يشرف بها الأَمر.

قال النَّقّاش: يَدُ الله في الثّواب فوق أَيديهم[٣].

وقوله: ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾؛ أَي: فمن نقض هذا العهد، فإِنَّما يجني على نفسه، وإِيَّاها يُهْلِك، فنُكْثُه عليه لا له.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ﴾ بالنَّصب على التَّعظيم.

وقرأَ ابن أَبي إِسحاق: (فمن أوفى بما عاهد عليه اللهُ) بالرَّفع[٤]؛ على أَن الله هو المعاهد.

وقرأَ حفص عن عاصم: ﴿عَلَيۡهُ﴾ مضمومة الهاءِ، وروي ذلك عن ابن أبي إِسحاق[٥].

---

(١) هو تمَّام بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، أُمُّه أُمُّ ولد، كان أصغر إخوته، كل ولد العباس لهم رؤية، ولا يحفظ لتمام عن النّبي ﷺ رواية من وجه ثابت، وكان أشد قريش بطشاً، وولي المدينة في زمن علي. انظر: الإصابة (١/ ٤٩٣).

(٢) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٢٧٥). وفي أحمد٣ والمطبوع: «يبايعون الله».

(٣) بلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٥٠١)، والهداية لمكي (١١/ ٦٩٤٤)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٦٧).

(٤) وهي شاذة، انظرها في الدر المصون (٩/ ٧١٢)، واقتصر في البحر المحيط (٩/ ٤٨٧) على مفهومها بأن النصب قراءة الجمهور.

(٥) وهي سبعية، انظر: السبعة (ص: ١٣١)، والتيسير (ص: ١٤٤)، وعزوها لابن أبي إسحاق في =

و«الأَجرُ العظيم»: الجنَّة، لا يفنى نعيمها، ولا ينقضي أَمدها.

وقرأَ عاصم، وأَبو عمرو، وحمزة، والكسائيُّ، والعامَّة: ﴿فَسَيُؤۡتِيهِ﴾ بالياءِ.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: ﴿فَسَنُؤْتِيه﴾ بالنّون[١].

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (فَسَيُؤْتِيهِ اللهُ)[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرَۢا ﴿١١﴾ بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا ﴿١٢﴾﴾.

﴿ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ قال مجاهد وغيره: هم جُهَيْنَة ومُزَيْنَة ومن كان حول المدينة من القبائل[٣]، [فإِنَّهم في خروج رسول الله ﷺ إِلى عُمْرَته عام الحديبيَة رأَوا أَنَّه يستقبل عدوّاً عظيماً من قريش وثقيف وكنانة والقبائل][٤] المجاورة لمكة وهم الأَحابيش، ولم يكن تمكن إِيمان أُولئك الأعراب المجاورين للمدينة، فقعدوا عن النَّبيِّ ﷺ وتخلَّفوا، وقالوا: لن يرجع محمد ﷺ ولا أَصحابه من هذه السَّفرة، ففضحهم الله [في هذه الآية][٥]، وأَعلم محمداً بقولهم واعتذارهم قبل أَن يصل إِليهم، فكان كذلك، قالوا: شغلتنا الأَموال والأَهلون فاستغفر لنا، وهذا منهم خُبْثٌ وإِبطال، فلذلك قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا

= إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٣١). وفي المطبوع: «ابن اسحاق»، وفي السليمانية: «أبي إسحاق».

(١) سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٠١)، والسبعة (ص: ٦٠٣).

(٢) كذا في الأصل، وهو الموافق لما في المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨٥)، وفي النسخ الأخرى: (فسوف يؤتيه)، وهي كذلك في الحجة للفارسي (٦/ ٢٠١)، وكلتاهما شاذة.

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٢١٢).

(٤) سقط من الحمزوية والأسدية٣ وأحمد٣.

(٥) ليس في أحمد٣.

﴿لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾، قال الرُّمَّانيُّ: لا يُقال أَعرابيٌّ إِلَّا لأَهل البوادي خاصة[١].

ثم قال لنبيِّه ﷺ: قل لهم: ﴿فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾؛ أَي: من يحمي منه أَموالكم وأَهليكم إِن أَراد بكم فيها سوءاً؟

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ بفتح الضاد.

وقرأَ حمزة والكسائيُّ: ﴿ضُرّاً﴾ بالضَّمِّ، ورجَّحها أَبو عليٍّ[٢]، وهما لغتان.

وفي مصحف / ابن مسعود: (إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً)[٣]. [٥/ ١٠٨]

ثمَّ ردَّ عليهم بقوله: ﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

ثمَّ فسَّر لهم العلَّة التي تخلَّفوا من أَجلها بقوله: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ﴾ الآية.

وفي قراءَة عبد الله: (إلى أهلهم) بغير ياءٍ[٤].

و﴿بُورًا﴾ معناه: فاسدين هَلْكَى بسبب فسادهم، والبوار: الهلاكُ، وبارت السلعة؛ مأْخوذ من هذا، و«بُورٌ» يوصف به الجمع والإِفرادُ، ومنه قول ابن الزِّبَعْرى:

يَا رَسُولَ المَلِيكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنا بُورُ[٥] [الخفيف]

والبُورُ في لغة أَزْد عمَّان: الفاسد، ومنه قول أَبي الدَّرداءِ: فأَصبح ما جمعوا بُوراً[٦]؛

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٣٤).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٠٤)، والتيسير (ص: ٢٠١). وانظر ترجيح أبي علي في: الحجة (٦/ ٢٠٢).

(٣) شاذة، لم أجدها، والذي في المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨٥) أنه قرأ: (إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم رحمة).

(٤) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ٦٥).

(٥) تقدم منسوباً لأبي سفيان بن الحارث في تفسير الآية (٢٨) من سورة إبراهيم، وانظر التعليق عليه هناك.

(٦) قال ابن أبي حاتم في التفسير (٦/ ١٥٣): «حدثنا أبي، حدثنا الحكم بن موسى، حدثنا الوليد، حدثنا ابن عَجْلان، حدثني عَوْن بن عبد الله بن عتبة، أن أبا الدرداء رضي الله عنه، لما رأى ما أحدث =

أَي: فاسداً ذاهباً، ومنه قول حسّان بن ثابت:

[البسيط] لا يَنْفَعُ الطُّولُ مِنْ نُوْكِ القُلُوبِ وَقَدْ يَهْدِي الإِلهُ سَبِيلَ المعْشَرِ الْبُورِ(١)

وقال الطَّبريُّ في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾؛ يعني به قولهم: ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾؛ لأَنَّهم قالوا ذلك مصانعة من غير توبة ولا ندم.

قال: وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ﴾ الآية معناه: وما ينفعكم استغفاري، وهل أَملك لكم شيئاً والله قد أَراد ضرَّكم بسبب معصيتكم؟ كما لا أَملك إِن أَراد بكم النَّفع في أَموالكم وأَهليكم(٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾.

لمَّا قال لهم: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ توعدَّهم بعد ذلك بقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآية؛ أَي: وأَنتم هكذا، فأَنتم ممن أُعدَّت لهم السَّعير وهي النَّار المؤجَّجة، و«المسْعر»: ما تُحرك به النَّار، ومنه قوله ﷺ: «وَيْلُ أُمِّه مِسْعَرُ حَرْب»(٣).

= المسلمون في الغُوطة من البنيان ونصب الشجر، قام في مسجدهم فنادى: يا أهل دمشق، فاجتمعوا إليه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ألا تستحيون! ألا تستحيون! تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تدركون، إنه كانت قبلكم قرون، يجمعون فيرعون، ويبنون فيوثقون، ويأملون فيطيلون، فأصبح أملهم غروراً، وأصبح جمعهم بوراً، وأصبحت مساكنهم قبوراً، ألا إن عاداً ملكت ما بين عدن وعمان خيلاً وركاباً، فمن يشتري مني ميراث عاد بدرهمين، والإسناد لين، ولم يصرح عون بالسماع».

(١) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٢١٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣١٤)، والنُّوْكُ بضم النون المشددة وفتحها: الحُمْقُ.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٢١١).

(٣) هذا جزء من حديث صلح الحديبية الذي أخرجه البخاري (٢٧٣٢) عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم.

ثمَّ رجَّى بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية؛ لأَنَّ القوم لم يكونوا مجاهرين بالكفر، فلذلك جاء[١] وعيدهم وتوبيخهم ممزوجاً فيه بعض الإمهال والتَّرجية؛ لأَنَّ الله تعالى قد كان علم منهم أَنَّهم سيؤمنون[٢].

ثمَّ إِنَّ الله تعالى أَمر نبيَّه ﷺ على ما روي بغزو خيبر ووعده بفتحها، وأَعلمه أَنَّ المخلَّفين إِذا رأَوا مسير رسول الله ﷺ إِلى يهود ـ وهم عدوٌّ مستضعف[٣] ـ طلبوا الكون معه رغبة في عَرَض الدُّنيا والغنيمة، وكان كذلك.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ معناه: يريدون أَن يُغيِّروا وعده لأَهل الحديبيَة بغنيمة خيبر.

وقال [عبد الله بن][٤] زيد بن أَسلم: ﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾: قوله تعالى: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣][٥]. وهذا قول ضعيف؛ لَأَنَّ هذه الآية نزلت في رجوع رسول الله ﷺ من تبوك، وهذا في آخر عمره، وآية هذه السُّورة نزلت سنة الحديبيَة، وأَيضاً فقد غزت جُهَيْنَة ومُزَيْنة بعد هذه المدَّة مع رسول الله ﷺ، وقد فضَّلهم رسول الله ﷺ بعد ذلك على تميم وغطفان وغيرهم من العرب، الحديث المشهور[٦]، فأمره[٧] الله

(١) في المطبوع وأحمد٣: «جاز».

(٢) في أحمد٣: «سيتوبون».

(٣) وردت الفقرة الأخيرة في أحمد٣ كما يلي: «رأوا مسيره إليها وعدوها مستضعف...».

(٤) سقط من الحمزوية، وهو عبد الله بن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب، أحد الإخوة، سمع أباه، روى عنه: ابن المبارك، وابن مهدي، والقعنبي، وقتيبة، وثقه أحمد، وضعفه ابن معين وغيره، وهو أصلح حالاً من أخويه، تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٩٤).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٢١٦)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٤٦)، وفيهما: ابن زيد، والغالب أنه عبد الرحمن، والله أعلم.

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٥١٥) (٣٥١٦) ومسلم (٢٥٢١) وهو قوله: أرأيتم إن كان جهينة ومزينة وأسلم وغفار خيراً من بني تميم وبني أسد ومن بني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة.

(٧) في المطبوع: «فأخبره».

تعالى أَن يقول لهم في هذه الغزوة إِلى خيبر: ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا﴾، وخصَّ الله بها أَهل الحديبيَة.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ يريد: وعده قبلُ باختصاصهم بها.

وقول الأَعراب: ﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ معناه: بل يَعِزُّ عليكم أَن نصيب مغنماً ومالاً، فردَّ الله على هذه المقالة بقوله: ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أَي: لا يفقهون[1] من الأُمور مواضع الرُّشد، وذلك هو الَّذي خلَّفهم عن رسول الله ﷺ حتّى كان ذلك سبباً إِلى منعهم من غزو خيبر.

وقرأَ أَبو حيوة: (تَحْسِدُونَنَا) بكسر السِّين[2].

وقرأَ الجمهور من القراءِ: ﴿كَلَٰمَ﴾، قال أَبو علي: هذا أَخص بما كان مفيداً[3] حديثاً.

وقرأَ الكسائيُّ، وحمزة، وابن مسعود، وطلحة، وابن وثاب: ﴿كَلِم﴾[4]. والمعنى فيهما متقارب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾.

أَمر الله نبيَّه ﷺ بالتَّقدمة [إِلى هؤلاءِ المُخَلَّفين][5] بأَنَّهم سيؤمرون بقتال عدوٍّ بَئيس، وهذا يدلُّ على أَنَّهم كانوا يظهرون الإِسلام، وإِلَّا فلم يكونوا أَهلاً [لهذا الأمر][6].

واختلف النّاس، من القوم المشار إِليهم في قوله: ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾؟

---

(١) في أحمد٣: «يعرفون».

(٢) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ١٤٢)، وزاد: ابن عون.

(٣) «الحجة» للفارسي (٦/ ٢٠٢). وفي غير نجيبويه: «مقيداً»، وزاد في السليمانية: «كلاماً».

(٤) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٠٤)، والتيسير (ص: ٢٠١)، وانظر موافقة ابن وثاب في: إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٣٢)، وزاد: الأعمش. وسقط من نجيبويه قوله: «وطلحة».

(٥) سقط من أحمد٣، وفيه: «سيدعون إلى قتال عدو... إلخ».

(٦) في أحمد٣ والمطبوع: «لذلك الآخر».

فقال عكرمة، وابن جبير، وقتادة: هم هوازن ومَنْ حارب رسول الله ﷺ في حُنَيْن[١].

قال القاضي أبو محمد: ويندرج في هذا القول عندي: من حُورب وغلب في فتح مكَّة.

وقال كعب: هم الرّوم الَّذين خرج إِليهم رسول الله ﷺ عام تبوك، والَّذين بعث إِليهم في غزوة مؤتة[٢].

وقال الزُّهريُّ والكلبيُّ: هم أَهل الرِّدَّة وبنو حنيفة باليمامة[٣].

وقال منذر بن سعيد: يتركَّب على هذا القول أَنَّ الآية مؤذنة بخلافة أَبي بكر الصِّديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما[٤]. يريد: لما كشف الغيبُ أَنَّهما دَعَوا إِلى قتال أَهل الرِّدَّة.

وحكى الثَّعلبيُّ عن رافع بن خَديج أَنَّه قال: والله لقد كنَّا نقرأُ هذه الآية فيما مضى ولا نعلم من هم، حتّى دعا أَبو بكر إِلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أَنَّهم أريدوا[٥].

قال ابن عبَّاس[٦]، وابن أَبي ليلى: هم الفُرس، وقال الحسن: هم فارس والرّوم[٧].

---

(١) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٢٢/ ٢٢٠).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (١١/ ٦٩٥٢).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٢٠).

(٤) غير متوفر، ولم نجد من نقله عنه غير المؤلف.

(٥) في المطبوع: «أنهم هم»، قال في الحاشية: في الأصول: «فعلمنا أَنَّهم ارتدوا»، وكذا في السليمانية وأحمد٣. وفي بعضها: «فعلمنا أَنَّهم أزيد». وانظر: تفسير الثعلبي (٩/ ٤٦)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٧٢).

(٦) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٦٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٦٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٧) انظر قولهما في: تفسير الطبري (٢٢/ ٢١٩).

وقال أَبو هريرة: هم قوم لم يأْتوا بعد[١].

والقولان الأَوَّلان حسنان؛ لأَنَّهما الذي كشف الغيب، وباقيها ضعيف.

وقال منذر بن سعيد: رفع الله في هذه الآية الجزية، وليس إِلَّا القتال أَو الإِسلام، وهذا لا يوجد إِلَّا في أَهل الردَّة[٢].

[٥/ ١٠٩] قال القاضي أَبو محمد: وكذا من حُورب / في فتح مكَّة.

وقرأَ الجمهور من القراء: ﴿أَوۡ يُسۡلِمُونَ﴾ على القطع؛ أَي: أَو هم يُسلمون دون حرب.

وقرأَ أُبيُّ بن كعب ـ فيما حكى الكسائيُّ ـ: (أو يسلموا) بنصب الفعل[٣] على تقدير: أَو يكون أَن يُسْلموا، ومثله من الشعر قول امرئ القيس:

[الطويل] فَقُلْتُ لَهُ لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا نُحَاوِلُ مُلْكاً أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا[٤]

يروى: «نموتَ» بالنَّصب، و«نموتُ» بالرَّفع، فالنَّصب على تقدير: أَو يكون أَن نموتَ، والرَّفع على القطع: أَو نحن نموتُ.

وقوله: ﴿فَإِن تُطِيعُواْ﴾ معناه: فيما تُدعون إِليه.

والعذاب الَّذي توعدهم به: يحتمل أَن يريد به عذاب الدُّنيا، وأَمَّا عذاب الآخرة فَبَيِّنٌ[٥] فيه.

---

(١) منقطع، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٢٦)، والطبري (٢١/ ٢٦٨) من طريق معمر، عن الزهري، عن أبي هريرة رضي الله عنه والزهري لم يسمع من أبي هريرة، وانظر جامع التحصيل (٧١٢).

(٢) في نجيبويه: «الذمة».

(٣) وهي شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٣٣)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٤٦)، والكشاف (٤/ ٣٣٨).

(٤) تقدم في تفسير الآية (١٣) من سورة إبراهيم.

(٥) في السليمانية: «مترقب»، وفي أحمد٣: «فمترقب»، وسقطت منه: «يريد به».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾.

لما بالغ عزَّ وجلَّ في عتب[1] هؤلاءِ المتخلِّفين من القبائل المجاورة للمدينة كجهينة ومزينة وغفار وأَسلم وأَشجع، عقَّب ذلك بأَنْ عذر أَهل الأَعذار من العَرَج والعَمَى والمرض جملة، ورفع الحرج عنهم والضّيق والمأْثم، وهذا حكم هؤلاءِ المعاذير في كلِّ جهاد إِلى يوم القيامة، إِلَّا أَنْ يَحْزُبَ حازِبٌ في حضرة مَّا، فالفرض[2] متوجِّه بحسب الوُسع ومع ارتفاع الحرج، فجائز لهم الغزو وأَجرهم فيه مضاعف؛ لأَنَّ الأَعرج أَحرى النّاس بالصّبر وأَلّا يفرَّ.

وقد غزا ابن أُمِّ مكتوم وكان يمسك الرّاية في بعض حروب القادسية، وقد خرَّج النّسائيُّ هذا المعنى، وذكر ابن أُمِّ مكتوم رحمه الله[3].

وقرأَ الجمهور من القراءِ: ﴿يُدْخِلْهُ﴾ بالياءِ.

وقرأَ ابن عامر، ونافع، وأَبو جعفر، والأَعـرج، والحسن، وشيبة، وقتادة: ﴿نُدْخِلْهُ﴾ بالنُّون.

وكذلك: ﴿يُعَذِّبْهُ﴾، و﴿نُعَذِّبْهُ﴾[4].

---

(١) في الحمزوية ونور العثمانية: «عيب»، وفي نجيبويه: «عتاب».

(٢) في المطبوع والحمزوية: «فالغرض».

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/ ٢١٢)، وأحمد في المسند (٣/ ١٣٢-٣/ ١٩٢)، وأبو داود (٥٩٥) مختصراً، وأبو يعلى (٣١١٠-٣١٢٣-٣١٣٨)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤/ ١٥٦) من طرق عن قتادة، عن أنس: أن رسول الله ﷺ استخلف ابن أم مكتوم على المدينة مرتين، ولقد رأيته يوم القادسية ومعه راية سوداء. ولم نقف عليه عند النسائي، وانظر: تحفة الأشراف للمزي (١٣٢١).

(٤) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٠٤)، والتيسير (ص: ٢٠١)، والنشر (٢/ ٢٤٨). وانظر للباقين: البحر المحيط (٩/ ٤٩١).

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ تشريف وإِعلامٌ برضاه عنهم حين البيعة، وبهذا سُمِّيت بيعة الرِّضوان، والرِّضا بمعنى الإِرادة، فهو صفة ذات، ومن جعل ﴿إِذْ﴾ مُسَبِّبَة؛ بمعنى: لأَنهم بايعوا [تحت الشَّجرة][1]، جاز أَن يجعل ﴿رَضِيَ﴾ بمعنى: أَظهر النعم عليهم، بسبب بيعتهم، فالرِّضا ـ على هذا ـ صفة فعل. وقد تقدَّم القول في المبايعة ومعناها.

وكان سبب هذه المبايعة: أَنَّ رسول الله ﷺ أَراد أَن يبعث [إلى مكة][2] رجلًا يبيِّن لقريش أَنَّ النَّبيَّ ﷺ لا يريد حرباً وإِنَّما جاءَ معتمراً، فبعث إِليهم خِرَاشَ[3] بنَ أُميَّة الخزاعيَّ، وحمله على جمل له يقال له: الثَّعلب، فلمَّا كلَّمهم عقروا الجمل وأَرادوا قتل خِرَاش، فمنعته الأَحابيش، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأَراد بعث عمر بن الخطاب، فقال عمر: يا رسول الله! أنا[4] قد علمتَ فظاظتي على قريش، وهم يبغضوني، وليس هناك من بني عديٍّ بن كعب من يحميني، ولكن ابعث عثمان بن عفان، فبعثه رسول الله ﷺ.

فذهب[5]، فلقيه أَبان بن سعيد بن العاص، فنزل عن دابته وحمله عليها، وأَجاره حتى جاءَ قريشاً فأَخبرهم، فقالوا له: إِن شئت يا عثمان أَن تطوف بالبيت فطُف، وأَمَّا دخولكم علينا فلا سبيل إِليه، فقال عثمان: ما كنت لأَطوف به حتّى يطوف به رسول الله ﷺ.

ثمَّ إِنَّ بني سعيد بن العاص حَبَسُوا عثمان على جهة المَبَرَّة، فأَبطأَ على رسول الله ﷺ، وكانت الحديبيَة من مكَّة على نحو عشرة أَميال، فصرخ صارخ من عسكر رسول الله

---

(١) سقط من أحمد٣.

(٢) في المطبوع: «لقريش».

(٣) في السليمانية وأحمد٣: «خداش»، وهو خراش بن أمية بن ربيعة الخزاعي ثم الكليبي، يكنى أبا نضلة، وهو حليف بني مخزوم، شهد المريسيع والحديبية، وحلق رأس النبيّ ﷺ يومئذٍ أو في العمرة التي تليها، وكان حجاماً. انظر: الإصابة (٢/ ٢٣١).

(٤) في المطبوع ونور العثمانية ونجيبويه: «إِنَّك».

(٥) «فذهب» ليس في أحمد٣.

ﷺ: [قُتل عثمان][(١)]، فحمي رسول الله ﷺ والمؤمنون وقالوا: لا نبرح إن كان هذا حتّى نلقى القوم، فدعا رسول الله ﷺ إلى البيعة، ونادى مناديه: أيُّها النّاس! البيعةَ البيعةَ، نزل روح القُدس، فما تخلَّف عن البيعة أَحد ممن شهد الحديبيَة إِلَّا الجَدُّ بن قيس المنافق.

وحينئذٍ جعل رسول الله ﷺ يده على يده، وقال: هذه يد عثمان[(٢)]، وهي خير من يد عثمان، ثمَّ جاءَ عثمان رضي الله عنه بعد ذلك سالماً[(٣)].

والشَّجرة سَمُرة كانت هنالك ذهبت بعد سنين، فمرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالموضع في خلافته، فاختلف أَصحابه في موضعها، فقال عمر رضي الله عنه: سيروا، هـذا التَّـكلُّف[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، قال قوم: معناه: من كراهة البيعة على الموت ونحوه. وهذا ضعيف؛ فيه مذمَّة للصَّحابة.

وقال الطَّبريُّ، ومنذر بن سعيد: معناه: من الإِيمان وصحَّته والحبِّ في الدّين والحرص عليه[(٥)].

وهذا قول حسن، لكنَّه من كانت هذه حاله فلا يحتاج إِلى نزول ما يسكنه، [أَمَا

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) في السليمانية: «لعثمان».

(٣) صحيح، أخرجه أبو داود (٢٧٦٨)، والطبري في تفسيره (٢١/ ٢٧٣-٢٧٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٩٠٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ١٤، ١٦) وغيرهم من طرق عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم، به.

(٤) مرسل، أخرجه الطبري (٢١/ ٢٧٥) بإسناد صحيح عن بكير بن عبد الله بن الأشج قال: بلغه أن الناس بايعوا رسول الله ﷺ على الموت، فقال: رسول الله ﷺ: «عَلَى ما اسْتَطَعْتُمْ»، والشجرة التي بُويع تحتها بفج نحو مكة، وزعموا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة، فقال: أين كانت؟ فجعل بعضهم يقول هنا، وبعضهم يقول هاهنا، فلما كثر اختلافهم قال: سيروا، هذا التكلف، فذهبت الشجرة، وكانت سمرة؛ إما ذهب بها سيل، وإما شيء سوى ذلك.
ووقع في السليمانية: «ما هذا التكلف؟».

(٥) لفظ الطبري (٢٢/ ٢٢٧): من صدق النية، والوفاء بما يبايعونك عليه، والصبر معك.

إِنه يحتمل أَن يُجازى بالسَّكينة][(١)]، والفتح القريب، والمغانم.

وقال آخرون: معناه: من الهمِّ بالانصراف عن المشركين والأَنَفة في ذلك على نحو ما خاطب فيه عمر وغيره[(٢)].

وهذا تأْويل حسن يترتب معه نزول السَّكينة والتعريض[(٣)] بالفتح القريب.

و﴿ٱلسَّكِينَةَ﴾ هنا: تقرير قلوبهم وتذليلها لقبول أَمر الله تعالى، والصَّبر له.

وقرأَ النّاس: ﴿وَأَثَٰبَهُمۡ﴾، قال هارون: وقد قرئت: (وآتَاهُمْ) بالتّاءِ بنقطتين[(٤)].

و«الْفَتْحُ الْقَرِيبُ»: خيبر، وذلك أَنَّ رسول الله ﷺ انصرف بالمؤمنين [إلى المدينة][(٥)] وقد وعده الله بخيبر، وخرج إِليها لم يلبث.

قال أَبو جعفر النّحّاس: وقد قيل: «الفتح القريب»: فتح مكَّة، و«المغانم الكثيرة»: فتح خيبر[(٦)].

وقرأَ يعقوب في رواية رويس: (تَأْخُذُونَهَا) على مخاطبتهم، بالتاءِ من فوق[(٧)].

---

(١) سقط من أحمد٣.

(٢) يقصد ما جاء في البخاري (٣١٨٢)، ومسلم (١٧٨٥) في حديث صلح الحديبية أن عمر بن الخطاب فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: «بلى»، قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «بلى»... الحديث.

(٣) في المطبوع ونجيبويه: «والتَّعويض».

(٤) وهي شاذة، نقلها في مختصر الشواذ (ص: ١٤٢) عن الحسن ونوح القارئ، وكذا في البحر المحيط (٩/ ٤٩٣) بأوضح منه. وفي الأصل ونور العثمانية: «وأتابهم»، وفي المطبوع: «وأتاهم»، والتصويب من مصادر كتب القراءات.

(٥) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٦) لفظه في إعراب القرآن (٤/ ١٣٣): فَعَجَّلَ لَكُمْ هذِهِ فأهل التفسير على أنها خيبر، وفي معاني القرآن (٦/ ٥٠٦): (فعجل لكم هذه) قال مجاهد يعني خيبر، وليس فيهما ذكر لفتح مكة، وانظر تفسير الماوردي (٥/ ٣١٦).

(٧) وهي شاذة، عزاها له أبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٤٩٣)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٤٢) للزهري.

وقرأ الجمهور: ﴿يَأْخُذُونَهَا﴾ على الغيبة.

واختلف النّاس في عدَّة المبايعين؛ فقيل: ألف وخمس مئة، قاله قتادة[١].

وقيل: وأربع مئة، / قاله جابر بن عبد الله[٢]. [٥/ ١١٠]

وقيل: وخمس مئة وخمسة وعشرون، قاله ابن عبّاس[٣].

وقيل: وثلاث مئة، قاله ابن أبي أوفى[٤]، وقيل غير هذا مما ذكرناه من قبل.

وأوّل من بايع ذلك اليوم رجل من بني أسد يقال له: أبو سنان بن وهب[٥]، قاله الشَّعبيُّ[٦].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٢٠) وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢١) وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣) وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٤)﴾.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ﴾ الآية، مخاطبةٌ للمؤمنين، ووعْدٌ بجميع المغانم الَّتي أَخذها المسلمون، ويأْخذونها إِلى يوم القيامة، قاله مجاهد وغيره.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٦).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٧٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه مسلم (١٨٥٧). وفي نجيبويه: «ابن أوفى».

(٥) هو أبو سنان بن وهب، اسمه عبد الله، ويقال وهب بن عبيد الله الأسدي، شهد بدراً، وقال الشعبي: كان أول من بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة، وزعم الواقدي أنَّ الذي وقع له ذلك سنان بن أبي سنان، وأن أبا سنان مات في حصار قريظة. الإصابة (٧/ ١٦٢).

(٦) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٤١٤)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ١٣٧). والقول في تفسير الثعلبي (٩/ ٤٧) بلا نسبة.

وقوله: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ يريد خَيْبَر، وقال زيد بن أَسلم وابنه: «المغانم الكثيرة»: خيبر(١)، و﴿هَٰذِهِۦ﴾ إِشارة إِلى البيعة والتَّخلُّص من أَمر قريش، [وقاله ابن عباس](٢).

وقوله: ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ يريد: من وَلِيَ عورة(٣) المدينة بعد خروج النَّبيِّ ﷺ والمؤمنين منها، وذلك أَنه كان من أَحياءِ العرب ومن اليهود من يعادي، وكانت قد أَمكنتهم فرصة، فكفَّهم الله تعالى عن ذراري المسلمين وأَموالهم، وهذه للمؤمنين العلامة على أَنَّ الله ينصرهم ويلطف بهم. قاله قتادة(٤).

وحكى الثَّعلبيُّ عنه أَنَّه قال: كفَّ الله تعالى غطفان [ومن معها](٥) عن النَّبيِّ ﷺ حين جاؤوا لنصر أَهل خيبر، وذكره النَّقاش.

وقال الثَّعلبيُّ أَيضاً عن بعضهم: إِنَّه أَراد كفَّ قريش(٦).

قوله: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾، قال عبد الله بن عبَّاس: الإِشارة إِلى بلاد فارس والرّوم(٧).

وقال الضَّحاك وابن زيد: الإِشارة إِلى خيبر، وقال قتادة والحسن: الإِشارة إِلى مكَّة(٨).

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٣٠).

(٢) سقط من المطبوع وأحمد٣، والأثر أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٣٠) من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في السليمانية: «عدوة».

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٣١).

(٥) سقط من المطبوع ونجيبويه، وفي أحمد٣: «ومن فيها».

(٦) انظر القول الأول في تفسير الثعلبي (٩/ ٤٨)، أما الثاني بأنهم قريش فلم أجده في النسخة المطبوعة منه، لكن نقله عنه في زاد المسير (٤/ ١٣٣)، وانظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٢٣١).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٢٨٤) من طريق شعبة، عن سماك بن الوليد الحنفي، وهو صدوق، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

(٨) انظر أقوال ابن زيد والضحاك وقتادة في: تفسير الطبري (٢٢/ ٢٣٤)، وأما الحسن فقد نقل عنه مكي في الهداية (١١/ ٦٩٦٠): أنهم فارس والروم؛ كقول ابن عباس.

وهذا هو القول الَّذي يتَّسق معه المعنى ويتأَيَّد.

وقوله: ﴿قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ معناه: بالقدرة والقهر لأَهلها؛ أَي: قد سبق في علمه ذلك وظهر فيها أَنهم لم يقدروا عليها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ﴾، إِشارة إِلى قريش ومن والاها في تلك السَّنة، قاله قتادة(١)، وفي هذا تقوية لنفوس المؤمنين.

وقال بعض المفسِّرين: أَراد الرُّوم وفارس، قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، وإِنَّما الإِشارة إِلى العدوِّ الأَحضر(٢).

وقوله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ إِشارة إِلى وقعة بدر، وقيل: إِشارة إِلى عادة الله من نصر الأَنبياءِ قديماً، ونصب ﴿سُنَّةَ﴾ على المصدر، ويجوز الرَّفع، ولم يُقرأ به.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ الآية، رُوي في سببها: أَنَّ قريشاً جمعت جماعة من فتيانها، وجعلوهم مع عكرمة بن أَبي جهل، وخرجوا يطلبون غِرَّة في عسكر رسول الله ﷺ، واختلف النّاسُ في عدد هؤلاءِ اختلافاً متفاوتاً، فلذلك اختصرته.

فلمّا أَحسَّ بهم المسلمون بعث رسول الله ﷺ في أَثرهم خالد بن الوليد وسمَّاه حينئذ: سيف الله، في جملة من النّاس، ففرّوا أَمامهم حتّى أَدخلوهم بيوت مكَّة وأَسروا منهم جملة، فسيقوا إِلى رسول الله ﷺ، فمنَّ عليهم وأَطلقهم، فهذا هو أن كفّ الله أَيديهم عن المسلمين بالرُّعب(٣).

وكفُّ أَيدي المسلمين عنهم بالنَّهي في بيوت مكَّة وغيرها، وذلك هو: بَطْن مكَّة.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٣٥).

(٢) في نجيبويه: «الأخص».

(٣) منقطع، أخرجه الطبري (٢١/ ٢٩١) عن محمد بن حميد الرازي، عن يعقوب القمي، عن جعفر ابن عبد الله القمي، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي قال: لما خرج النبيّ ﷺ بالهدي، وانتهى إلى ذي الحليفة، قال له عمر: يا نبيّ الله، تدخل على قوم لك حرب بغير سلاح ولا كراع،... فذكره، وأخرج مسلم (١٨٠٨) نحوه دون ذكر خالد بن الوليد.

[وقال قتادة: أَسر النَّبيُّ ﷺ هذه الجملة بالحديبيَة عند عسكره ومَنَّ عليهم[١]، وذلك هو بَطْن مكةَّ][٢].

قال النَّقاش: الحرم كلُّه مكَّة، والظَّفَر عليهم: هو أَسْر من أُسر منهم[٣].

[وما في هذه][٤] الآية تحريض على العمل الصّالح؛ لَأنَّ من استشعر أَنَّ الله يُبصر عمله أَصلحه.

وقرأَ الجمهور من القراءِ: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتَّاءِ على الخطاب.

وقرأَ أَبو عمرو وحده: ﴿بما يَعْمَلُون﴾ بالياءِ؛ على ذكر الكفّار وتهددهم[٥].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾.

[يريد الله بقوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: أَهل مكَّة الَّذين تقدَّم ذكرهم][٦].

وقوله: ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: هو منعهم النَّبيَّ ﷺ وأَصحابَه من العُمْرَة عام الحُدَيْبِيَة، وذلك أَنَّ رسول الله ﷺ خرج من المدينة في ذي القعدة، سنة

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٣٨)، والهداية لمكي (١١/ ٦٩٦٢).
(٢) سقط من الحمزوية والسليمانية وأحمد٣.
(٣) لم أقف عليه.
(٤) في نجيبويه والسليمانية ونور العثمانية وأحمد٣ بدلًا منه: «وباقي».
(٥) وهما سبيعتان، انظر: السبعة (ص: ٦٠٤)، والتيسير (ص: ٢٠١). وفي الحمزوية: «توعدهم». وفي المطبوع: «تهديدهم».
(٦) في أحمد٣: يريد أهل مكة.

ستٍّ من الهجرة يريد العُمْرة وتعظيم البيت، وخرج معه بمئة بدنة، قاله النقاش، وقيل: بسبعين، قاله المِسْور بن مخرمة، ومروان بن الحكم[١].

فلمَّا دنا من مكة قال أَهل مكَّة: هذا محمد الَّذي قد حاربنا وقتل فينا يريد أَن يدخل مكَّة مراغمةً لنا، والله! لا تركناه حتَّى نَمُوت دون ذلك، فاجتمعوا لِـحَرْبه، واستنجدوا بقبائل من العرب وهم الأَحابيش، وبعثوا فغوَّروا لرسول الله ﷺ المياه الَّتي تقرب من مكَّة.

[فجاءَ رسول الله ﷺ حتّى نزل على بئر الحُدَيْبِيَة، وحينئذٍ وضع سهمه في الماءِ، فجرى غمراً حتّى كفى الجيش، ثمَّ إِنَّ رسول الله ﷺ بعث إِلى مكَّة][٢] عثمان، وبعث أَهل مكَّة إِليه رجالًا، / منهم عُرْوة بن مسعود، وبُدَيل بن وَرْقاءَ، وتوقف رسول الله ﷺ [٥/ ١١١] هناك أَيَّاماً حتّى سَفَر سهيل بن عمرو، وبه انعقد الصُّلح على أَن ينصرف رسول الله ﷺ عنهم عامه[٣] ويعتمر من العام القابل[٤].

فهذا كان صَدَّهم إِيَّاه، وهو مستوعب في كتب السِّيَر؛ فلذلك اختصرناه.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾ بسكون الدّال.

وقرأَ الأَعرج، والحسن بن أَبي الحسن: (وَالهَدِيَّ) بكسر الدّال وشدِّ الياءِ[٥]، وهما لغتان.

وهو معطوف على الضَّمير في قوله: ﴿وَصَدُّوكُمْ﴾؛ أَي: وصدُّوا الهدي.

و﴿مَعْكُوفًا﴾ حال، ومعناه: محبوساً، تقول: عكفتُ الرَّجل عن حاجته: إِذا حَبَسْتَه.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٣٩)، وفي أحمد٣: «تسعين»، والقولان في تفسير مقاتل (٤/ ٧٥)، والأول للواقدي في مغازيه (٣/ ١٠٨٨).

(٢) سقط من الحمزوية.

(٣) «عامه» من السليمانية.

(٤) انظر روايات صلح الحديبية في البخاري (٢٧٣٢)، ومسلم (١٧٨٣-١٧٨٤-١٧٨٥).

(٥) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٤٣) لعصمة عن عاصم، وفي البحر المحيط (٩/ ٤٩٥) للمذكورين، وزاد آخرين.

وقد قال أَبو عليٍّ: إِنَّ «عكف» لا يعرف متعدِّياً، وحكى ابن سيدَه وغيره تَعَدِّيه[١].

وهذا العَكْف الَّذي وقع للهدي كان من قِبَل المشركين بصدِّهم، ومن قِبَل المسلمين لرويَّتهم ونظرهم[٢] في أَمرهم، فحبسوا هديهم.

و﴿أَن﴾ في قوله: ﴿أَن يَبْلُغَ﴾ يحتمل أَن يعمل فيها [الصَّدُّ، كأَنَّه قال: وصدُّوا الهدي كراهة أَنْ، أَو: عَنْ أَنْ.

ويحتمل أَن يعمل فيها][٣] العكف، فتكون ﴿أَن﴾ مفعولًا من أَجله؛ أَي: الهَدْي المحبوس لأَجل أَن يبلغ محِلَّه، [وهذا هو حبس المسلمين، وإِلَّا فحبس المشركين ليس لأَجل أَن يبلغ الهَدْي محِلَّه][٤].

و﴿مَحِلَّهُۥ﴾: مكَّة والبيت.

وذكر الله تعالى العلَّة في أَن صَرَفَ المسلمين ولم يمكِّنهم من دخول مكَّة في تلك الوجهة، وهي أَنَّه كان بمكَّة مؤمنون من رجال ونساء، خَفِيَ إِيمانُهم، فلو استباح المسلمون بَيضتها أَهلكوا أُولئك المؤمنين، قال قتادة: فدفع الله عن المشركين ببركة أُولئك المؤمنين[٥]، وقد يدفع الله تعالى بالمؤمنين عن الكفّار.

وقوله تعالى: ﴿لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ﴾ صفة للمذكورين، وقوله: ﴿أَن تَطَـُٔوهُمۡ﴾ يحتمل أن تكون ﴿أَن﴾[٦] بدلًا من ﴿رِجَالٌ﴾، كأَنَّه قال: ولولا قومٌ مؤمنون أَن تطؤوهم، أَي: لَوْلَا وَطْؤُكُمْ قوماً مؤمنين، فهي على هذا في موضع رفع.

---

(١) انظر: المخصص لابن سيده (٤/ ٥٩)، والحجة للفارسي (٥/ ٢٧١).

(٢) في المطبوع: «وتصرفهم».

(٣) سقط من أحمد٣.

(٤) سقط من الأصل، وهو في السليمانية ملحق في هامش.

(٥) انظر قول قتادة في: تفسير الطبري (٢٢/ ٢٤٩)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٦٢)، وليس فيه ذكر البركة، فلعله منقول بالمعنى.

(٦) «أن»: زيادة من نجيبنيه.

ويحتمل أَن تكون في موضع نصب بدلاً من الضمير في قوله: ﴿لَمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ﴾، كأَنه قال: لم تعلموا وطْأَهم أَنَّه وطْءُ مؤمنين.

و«الوطءُ» هنا: الإِهلاك بالسَّيف وغيره، على وجه التّشبيه، ومنه قول الشاعر:

وَوَطِئْتَنَا وَطْأً علَى حَنَقٍ وَطْءَ الْمُقَيَّدِ نابِتَ الْهَرْمِ[1] [أحذ الكامل]

ومنه قول النَّبيِّ ﷺ: «اللهمَّ اشدُدْ وطأَتك على مُضَر»[2].

ومنه قول النَّبيِّ ﷺ: «إِنَّ آخر وَطْأَة الرَّبِّ يوم وَجٍّ بالطَّائف»[3]؛ لأَنَّها كانت آخر وقعة للنَّبيِّ ﷺ فيها. ذكر هذا المعنى النَّقَّاش.

---

(١) في أحمد ونور العثمانية ٣: «الهزم»، والبيت للحارث بن وعْلَة الشَّيبانيِّ كما في الاختيارين للأخفش (ص: ٣٨٦)، وأمالي القالي (١/ ٢٦٢)، والمستقصى (١/ ١٣٦)، وشرح الحماسة للتبريزي (١/ ٦٤)، وورد منسوباً لزُهَيْر في العين (٤/ ٥٠)، وتهذيب اللغة (٦/ ١٥٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥) واللفظ له، وقد سقط هذا الحديث من أحمد٣.

(٣) ضعيف، هذا الحديث روي من حديث يعلى بن مرة الثقفي، ومن حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنهما، أما حديث يعلى بن مرة فقد أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٧٢)، وفي فضائل الصحابة (١٣٦٢)، وابن ماجه (٣٦٦٦)، والقضاعي في مسنده (٢٥)، والطبراني في الكبير (٧٠٤-٢٥٨٧)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٠٢)، وفي الأسماء والصفات (٩٦٥) من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن أبي راشد، عن يعلى بن مرة الثقفي قال: جاء حسن وحسين يستبقان إلى رسول الله ﷺ فضمهما إليه وقال: إن الولد مبخلة مجبنة، وفي رواية أحمد، والطبراني، والبيهقي زيادة: «إن آخر وطأة وطأها رب العالمين بوج»، وهذا إسناد ضعيف لجهالة سعيد بن أبي راشد، فلم يرو عنه غير عبد الله بن عثمان بن خثيم، وانفرد ابن حبان بتوثيقه، ومن طريق أحمد أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٦٤) وزاد: «محزنة»، وتحرف فيه اسم الصحابي إلى يعلى بن أمية الثقفي، وأما حديث خولة بن حكيم الأنصارية فأخرجه الحميدي في مسنده (٣٣٤)، وأحمد (٦/ ٤٠٩)، والترمذي (١٩١٠)، والطبراني في الكبير (٦٠٩-٦١٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٩٦٤) من طريق سفيان ابن عيينة، عن إبراهيم بن ميسرة، عن محمد بن أبي سويد، عن عمر بن عبد العزيز قال: زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم أن رسول الله ﷺ قال: «الولد محزنة مجبنة مجهلة مبخلة، وإن آخر وطأة وطأها الله عزوجل بوج». =

والمعَرَّة: السّوءُ والمكروه اللّاصق[١]، مأْخوذ من العُرِّ والعُرَّة، وهو الجَرَبُ الصَّعب اللازم.

واختلف النّاس في تعيين هذه المعرَّة: فقال ابن زيد: هي المأْثمُ.

وقال ابن إِسحاق: هي الدِّية[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذان ضعيفان؛ لأَنَّه لا إِثم ولا ديَة في قتل مؤمن مستور الإِيمان من أَهل الحرب.

وقال الطَّبريُّ، وحكاه الثَّعلبيُّ: هي الكفّارة[٣].

وقال مُنْذر: المَعَرَّة: أَن يعيبهم الكفار ويقولوا: قتلوا أَهل دينهم[٤].

وقال بعض المفسِّرين: هي الملام والقول في ذلك وتألم النّفس منه في باقي الزَّمن[٥].

قال القاضي أبو محمد: وهذه أَقوالٌ حِسان.

وجواب (لولا) محذوف تقديره: لمكنَّاكم من دخول مكَّة وأَيَّدناكم عليهم.

= وهذا إسناد ضعيف؛ لانقطاعه، عمر بن عبد العزيز لا يعرف له سماع من خولة بن حكيم كما قاله الترمذي، ولجهالة محمد بن أبي سويد الثقفي، والوَطْء في الأصل: الدَّوْس بالقَدَم فسُمِّيَ به الغَزْوُ والقتل لأنَّ مَن يَطَأ على الشَّيء بِرِجْلِه فقد اسْتَقْصَى في هَلاكه وإهانته. والمعْنَى: أنَّ آخِرَ أَخْذَةٍ وَوَقْعةٍ أوْقَعَها الله بالكُفَّار كانت بوَجّ، وكانَت غَزْوَة الطَّائف آخِرَ غَزَواتِ رسول الله ﷺ، فإنَّه لم يَغْزُ بَعْدَها إلَّا غَزْوَةَ تَبُوك ولم يكن فيها قِتال. وَوَجْه تَعَلُّق هذا القول بما قَبْلَه من ذكْر الأوْلادِ: أنَّه إشَارة إلى تَقْلِيل ما بَقِيَ من عُمُره فكَنى عنه بذلك. انتهى. انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٤٣٥).

(١) في نجيبويه: «اللاحق».

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٢/ ٢٥٠).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٥٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٦٢).

(٤) البحر المحيط (٩/ ٤٩٦)، وانظر: معاني القرآن للنحاس (٦/ ٥١٠).

(٥) في أحمد**٣**: «الوهن»، وفي المطبوع: «الزمان».

وقرأ الأَعمش: (فَتَنَالَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ)[١].

واللَّام في قوله: ﴿لِّيُدۡخِلَ﴾ يحتمل أَن تتعلَّق بمحذوف من القول تقديره: لولا هؤلاءِ لدخلتم مكَّة، لكن شرَّفنا هؤلاءِ المؤمنين بأَن رحمناهم ودفعنا بسببهم عن مكَّة لِيُدْخِلَ اللهُ، أَي: ليبيِّن للنَّاظر أَنَّ الله يُدخل في رحمته من يشاءُ، أَو أَي: لِيَقَع دخولهم في رحمة الله ودفعه عنهم.

ويحتمل أَن تتعلّق بالإِيمان المتقدِّم الذِّكر، فكأَنَّه تعالى قال: ولولا قوم مؤمنون آمنوا لِيُدْخل الله من يشاء[٢] في رحمته.

وهذا مذكور لكنَّه ضعيف؛ لأَنَّ قوله: ﴿مَن يَشَآءُ﴾ يضعف هذا التَّأْويل.

ثمَّ قال تعالى: ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾ أَي: لو ذهبوا عن مكَّة، تقول: زِلْتُ[٣] زيداً عن موضعه إِزالةً؛ أَي: أَذهبته، وليس هذا الفعل من: زال يزول، وقد قيل هو منه.

وقرأَ أَبو حيوة وقتادة: (تَزَايَلُوا) بِأَلف بعد الزَّاي[٤]، أَي: لو تزايلوا ذهب هؤلاءِ عن هؤلاءِ [وهؤلاءِ عن هؤلاءِ][٥].

وقوله: ﴿مِنۡهُمۡ﴾ لبيان الجنس إِذا كان [ضمير ﴿تَزَيَّلُواْ﴾ خاصّاً بالمؤمنين أَو بالكافرين، وهي أَيضاً لبيان الجنس إِذا كان][٦] الضَّمير في ﴿تَزَيَّلُواْ﴾ للجميع من المؤمنين والكافرين.

---

(١) هذا خلاف ما في عامة مصاحف المسلمين، لم نجد له فيه سلفاً ولا خلفاً، ولعله خطأ ممن سمعه أو نقله، والله أعلم.

(٢) «من يشاء» ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٣) في المطبوع والأسدية٣ وأحمد٣: «زَيَّلْتُ».

(٤) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٤٤٣)، والبحر المحيط (٩/ ٤٩٦).

(٥) ليس في أحمد٣.

(٦) من المطبوع ونور العثمانية والأسدية٣ وأحمد٣.

وقال النَّحّاس: وقد قيل: إنَّ قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ﴾ الآية ـ يريد مَنْ في أَصلاب الكافرين ممن سيؤمن في غابر الدَّهر، وحكاه الثَّعلبيُّ(١) والنَّقّاش عن عليٍّ ابن أَبي طالب رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ مرفوعاً(٢).

والعامل في قوله: ﴿إِذۡ جَعَلَ﴾ قوله: ﴿لَعَذَّبۡنَا﴾، ويحتمل أَن يكون المعنى: واذكر إِذ جعلنا.

و(الحَمِيَّة) الَّتي جعلوها: هي حميَّة أَهل مكَّة في الصَّدِّ.

قال الزُّهريُّ: وحميَّة سُهَيْل ومن شاهد عقد الصُّلح في أَن منعوا أَن يُكْتب «بسم الله الرَّحمن الرَّحيم»، ولجُّوا حتّى كُتب «باسمك اللهمَّ»(٣)، وكذلك منعوا أَن يثبت(٤): «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله»، ولجُّوا حتّى قال ﷺ لعليٍّ: «اُمْحُ، واكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله»، الحديث(٥).

وجعلها تعالى حميَّة الجاهليَّة؛ لأَنَّها كانت بغير حُجَّة وفي غير موضعها؛ لأَنَّ رسول الله ﷺ لو جاءَهم محارباً لعُذروا في حميَّتهم، وإِنما جاءَ معظِّماً للبيت لا يريد حرباً، فكانت حميَّتهم جاهلية صِرْفاً.

---

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ٦٢)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٣٤).

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/ ٦٢) من طريق أبي علي بن حبش المقري، عن أحمد بن عبد الله الدارمي، عن أحمد بن يعقوب الدينوري، عن محمّد بن عبدالله بن محمّد الأنصاري، عن محمّد ابن الحسن الجعفري، قال: سمعت جعفر بن محمّد يحدِّث، عن أبيه، عن جدّه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنّه سأل رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ قال: هم المشركون من أجداد النبيّ ﷺ ممّن كان بعده في عصره، كان في أصلابهم المؤمنون، فلو تزيّل المؤمنون عن أصلاب الكفّار يعذب الله عذاباً أليماً. ومحمد بن عبد الله الأنصاري ومن دونه لم أقف لهم على ترجمة.

(٣) إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٣٥).

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «يُكتب».

(٥) أخرجه البخاري (٢٦٩٩)، (٣١٨٤).

و(السَّكينَةُ): هي الطُّمأنينة إلى أَمر رسول الله ﷺ، والثِّقة بوعد الله، والطَّاعة وزوال الأَنَفة الَّتي لحقت عمرَ وغيرَه.

و﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال الجمهور: هي لا إِلهَ إِلا الله، وروي ذلك عن النَّبيِّ ﷺ[1].

وقال عطاءُ بن أَبي رباح: هي «لَا إِلهَ إِلَّا الله وحده لَا شريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قدير»[2].

وقال أَبو هريرة وعطاءٌ الخراسانيُّ: هي «لَا إِله إِلَّا الله، محمد رسول الله»[3].

---

(١) له إسناد قوي، هذا الحديث جاء من حديث أبي هريرة، وأبي بن كعب، أما حديث أبي هريرة؛ فأخرجه الطبري (٢١/ ٣٠٨-٣٠٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٧/ ٣٤٥)، وابن حبان في صحيحه (٢١٨)، والطبراني في الأوسط (١٢٧٢)، وابن منده في الإيمان (١٩٩ -٢٠٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٩٥- ١٩٦) من طرق قوية عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتى يَقُولُوا لا إِلَهَ إلا اللهُ، فَمَنْ قال لا إِلَه إلا اللهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مالَهُ وَنَفْسَهُ إلا بِحَقِّهِ وَحِسابُهُ على الله». وأنزل الله في كتابه، فذكر قوماً استكبروا فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وقال الله: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله، استكبر عنها المشركون يوم الحُدَيبية، يوم كاتبهم رسول الله ﷺ على قضية المدّة. وأما حديث أبي بن كعب فقد أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٥/ ١٣٨)، والترمذي (٣٢٦٥)، والطبري (٢١/ ٣١٠)، والدارقطني في الغرائب ـ أطراف الغرائب (٥٨٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٠) من طريق سفيان بن حبيب، عن شعبة، عن ثوير، عن أبيه، عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه سمع رسول الله ﷺ يقول: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال: لا إلَه إلا اللهُ. وثوير هو ابن أبي فاختة سعيد بن علاقة ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٥٦).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٥٥). ولم أقف عليه من قول أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال عليٌّ بن أَبي طالب رضي الله عنه: هي لا إله إِلَّا الله، والله أكبر[١]، وحكاه الثَّعلبيُّ عن ابن عمر[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذه كلُّها أَقوال متقاربة حسانٌ؛ لأَنَّ هذه الكلمة تقي النَّارَ، فهي كلمة التّقوى.

[٥/ ١١٢] وقال الزُّهريُّ عن المِسْور، / ومروان: ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ المشار إِليها هي: «بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، وهي الَّتي أَباها كفّار قريش، فأَلزمها الله المؤمنين وجعلهم أَحقَّ بها[٣].

قال القاضي أبو محمد: و«لا إِله إِلَّا الله» أَحقّ باسم كلمة التّقوى من «بسم الله الرحمن الرحيم».

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (وكانوا أَهلها وأَحقّ بها)[٤]، والمعنى: كانوا أَهلها على الإِطلاق في علم الله وسابق قضائه لهم.

وقيل: أَحقُّ بها من اليهود والنّصارى في الدُّنيا، وقيل: أَهلها في الآخرة بالثّواب.

---

(١) ضعيف، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٢٩)، والطبري (٢١/ ٣١٠-٣١١) والطبراني في الدعاء (١٦٠٧-١٦٠٨-١٦٠٩-١٦١٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٩٧) من طريق سلمة ابن كهيل، عن عباية بن ربعي، عن علي، بنحوه، وأكثر الروايات بدون «والله أكبر». وعباية بن ربعي الأسدي قال العقيلي في الضعفاء (٣/ ٤١٥): روى عنه موسى بن طريف كلاهما غاليان ملحدان، انتهى.

(٢) إسناده فيه لين، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٢٩) وفي المصنف (٩٧٩٨)، والطبري (٢١/ ٣١٣)، والطبراني في الدعاء (١٦١٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٩٨) من طريق سفيان بن عيينة، عن يزيد بن أبي خالد مؤذن مكة، عن علي الأزدي قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنه يقول: هي هي، قيل: وما هي هي؟ «قال: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ قال: لا إله إلا الله والله أكبر، ويزيد بن أبي خالد مؤذن مكة مستور، ذكره البخاري في التاريخ (٨/ ٣٢٨) ولم يذكر فيه شيئاً.

(٣) عزاه للزهري: الماوردي في التفسير (٥/ ٣٢١). وتقدمت الإشارة إلى رواية المسور ومروان في تفسير الطبري.

(٤) وهي شاذة، انظرها في: تفسير الطبري (٢٢/ ٢٥٦)، والهداية لمكي (١١/ ٦٩٦٨). وفي معاني القرآن للفراء (٣/ ٦٨): ورأيتها فِي مصحف الحارث بْن سويد التيمي من أصحاب عَبْد الله: (وكانوا أهلها وأحق بها)، وهو تقديم وتأخير، وكان مصحفه دفن أيام الحجاج.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ إشارة إلى علمه بالمؤمنين الَّذين دفع عن كفّار قريش بسببهم، وإلى علمه بوجه المصلحة في صلح الحُدَيْبِيَة.

فيروى: أَنَّه لمَّا انعقد، أَمِنَ النّاسُ في تلك المدَّة الحربَ والفتنة، وامتزجوا، وعلَت[١] دعوة الإسلام، وانْقاد إليه كل من كان له فهم من العرب، وزاد عدد الإسلام[٢] [في تلك المدَّة][٣] أَضعاف ما كان قبل ذلك.

قال القاضي أبو محمد: ويقتضي ذلك: أَنَّ رسول الله ﷺ كان في عام الحُدَيْبِيَة في أَربع عشرة مئة، ثمَّ سار إلى مكَّة بعد ذلك بعامين في عشرة آلاف فارس، ﷺ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾.

رُوي في تفسير هذه الآية: أَنّ رسول الله ﷺ رأَى في منامه عند خروجه إلى العُمْرة أَنَّه يطوف بالبيت هو وأَصحابه؛ بعضهم محلِّقون وبعضهم مقصِّرون.

وقال مجاهد: أُري ذلك بالحديبيَة، فأَخبر النّاس بهذه الرُّؤْيا[٤]، ووثق الجميع بأَنَّ ذلك يكون في وِجْهتهم تلك، وقد كان سبق في علم الله تعالى أَنَّ ذلك يكون، لكن ليس في تلك الوِجهة، وروي أَنَّ رؤْياه إنَّما كانت أَن مَلَكاً جاءَه فقال له: ﴿لَتَدْخُلُنَّ

(١) في أحمد٣: «وغلب».

(٢) في المطبوع: «المسلمين».

(٣) سقط من الأصل.

(٤) في السليمانية: «الرؤية»، وانظر قول مجاهد في: الهداية لمكي (١١/ ٦٩٧٣).

﴿ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾، وأنَّه بهذا أعلَمَ النّاسَ.

فلمَّا قضى الله في الحديبيَّة بأمر الصلح، وأَخذ رسول الله ﷺ في الصَّدْر، قال المنافقون: وأَيْن الرُّؤْيا؟ ووقع في نفوس المسلمين شيءٌ من ذلك، فأَنزل الله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾[1].

و«صَدَقَ» هذه تتعدَّى إِلى مفعولين، تقول: صدقتُ زيداً الحديثَ، واللَّام في ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾ لام القَسَم الَّذي تقتضيه ﴿صَدَقَ﴾؛ لأَنَّها من قبيل: تَبَيَّنَ وَتَحقَّقَ، ونحو هذا مما يعطي القَسَم.

واختلف النّاسُ في معنى الاستثناءِ في هذه الآية:

فقال بعض المتأَوِّلين: هو استثناءٌ من المَلَك المُخْبر للنَّبيِّ ﷺ في قوله[2]، فذكر الله تعالى مقالته كما وقعت.

وقال آخرون: هو أَخْذٌ من الله تعالى عبادَه بأَدبه في استعمال الاستثناءِ في كلِّ فعل يوجب وقوعه، كان ذلك ممَّا يكون ولا بُدَّ، أَو كان ممّا قد يكون وقد لا يكون.

وقال بعض العلماءِ: إِنَّما استثنى من حيث كلُّ واحد من النَّاس متى ردَّ هذا الوعد إِلى نفسه أَمكن أَن يتمَّ [الوعد فيه، وأَلَّا يتمَّ][3]، إِذ قد يموت الْإِنسان أَو يمرض أَو يغيب، وكل واحد في ذاته محتاج إِلى الاستثناءِ، فلذلك استثنى عزَّ وجلَّ في الجملة، إِذْ فيهم ولا بُدَّ من يموت [أو يمرض][4].

وقال آخرون: استثنى لأَجل قوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾ لَا لأَجل إِعلامه بالدُّخول، فكأَنَّ الاستثناءَ مُؤَخَّر عن موضعه.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣١٧).

(٢) في نجيبويه والسليمانية وأحمد٣: «نومه».

(٣) سقط من أحمد٣.

(٤) سقط من المطبوع ونجيبويه.

قال القاضي أَبو محمد: ولا فرق بين الاستثناءِ من أَجل الأَمن، أَو من أَجل الدُّخول؛ لأَنَّ الله تعالى قد أَخبر بهما، ووقعت الثّقة بالأَمرين، فالاستثناءُ من أَيها كان فهو استثناءٌ من واجب.

وقال قوم: ﴿إِن﴾ بمعنى (إِذْ)، فكأَنَّه قال: إِذْ شَاءَ اللهُ.

قال القاضي أبو محمد: وهذا حسنٌ في معناه لكن كون (إِنْ) بمعنى (إِذْ) غير موجود في لسان العرب، وللنّاس بعدُ في هذا الاستثناءِ أَقوالٌ مخلطة غير هذه اختصرت ذكرَها لأنها لا طائل فيها.

وقرأَ ابن مسعود: (إِنْ شَاءَ اللهُ لا تَخَافُونَ) بدل ﴿ءَامِنِينَ﴾[١].

ولما نزلت هذه الآية علم المسلمون أَنَّ تلك الرُّؤْيا ستخرج فيما يَسْتَأْنِفونه من الزَّمن، واطمأَنَّت قلوبهم بذلك وسكنت، فخرجت في العام المقبل، خرج رسول الله ﷺ إِلى مكَّة في ذي القعدة سنة سبع، ودخلها ثلاثة أَيَّام هو وأَصحابه، وصدقت رؤْياه ﷺ.

وقوله: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ﴾ يريد: ما قدَّره من ظهور الإِسلام في تلك المدَّة ودخول النَّاس فيه، وما كان أَيضاً بمكَّة من المؤمنين الَّذين دفع الله تعالى بهم.

وقوله تعالى: ﴿مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾؛ أَي: من قبل ذلك وفيما يدنو إِليكم.

واختلف النّاسُ في الفتح القريب:

فقال كثير من الصَّحابة: هو بيعة الرِّضوان[٢].

ورُوي عن مجاهد وابن إِسحاق: أَنَّه الصُّلح [مع الكفّار][٣] بالحُدَيْبِيَّة.

وقد رُوي: أَن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للنَّبيِّ ﷺ: أَوَ فَتْحٌ هو يا رسول الله؟ قال: «نعم»[٤].

---

(١) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤١٥٠) عَن الْبَرَاءِ رضي الله عنه، وانظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣١٨-٣١٩).

(٣) سقط من الأصل. وفي أحمد٣: «كفار الحديبية»، وانظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٢٥٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٢٢).

(٤) صحيح، وقد تقدم في حديث صلح الحديبية.

وقال عبد الله بن زيد: الفتح القريب: [خيبر؛ حسب ما تقدم من ذكر انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فتحها، وقال قوم: الفتح القريب][١] فتح مكَّة[٢].

وهذا ضعيف؛ لأَنَّ فتح مكَّة لم يكن من دُون دخول النَّبيِّ ﷺ وأَصحابه مكَّة، بل كان بعد ذلك بعام، لأَنَّ الفتح كان سنة ثمان من الهجرة.

ويحسن أَن يكون الفتح هنا اسم جنس يعُمُّ كلَّ ما وقع مما[٣] للنَّبيِّ ﷺ فيه ظهور وفتح عليه.

[٥/ ١١٣] وقد حكى مكِّيٌّ في ترتيب / أَعوام هذه الأَخبار عن قُطْرب قولاً خطأً جعل فيه الفتح سنة عشر، وجعل حجَّ أَبي بكر قبل الفتح[٤].

وذلك كلُّه تخليط وخوض فيما لم يتقنه معرفة.

وقوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ الآيَةَ، تعظيمٌ لأَمر الرَّسول ﷺ، وإِعلامٌ بأَنَّه يظهره على جميع الأَديان.

ورأَى بعض النَّاس[٥] لفظة (يُظْهِرُهُ) تقتضي محو غيره به، فلذلك قالوا: إِنَّ هذا الخبر يظهر للوجود عند نزول عيسى ابن مريم عليه السَّلام، فإِنَّه لا يبقى في وقته غير دين الإِسلام، وهذا قول الطَّبريِّ والثَّعلبيِّ[٦].

---

(١) سقط من المطبوع ونجيبويه، وسقط من أحمد٣ من عند: «حسب.... إلى: وقال قوم».

(٢) في تفسير الماوردي (٥/ ٣٢٢) عن ابن زيد أنه فتح مكة، ووقع في أحمد٣: «ابن زيد» فقط.

(٣) سقط من المطبوع والحمزوية.

(٤) في السليمانية: «هذه الأعوام»، ونص مكي في الهداية (١١/ ٦٩٥٤): واعتمر رسول الله ﷺ سنة سبع، وفتح مكة سنة ثمان، وحج أبو بكر، ونادى علي ببراءة سنة تسع، وحج النبي ﷺ سنة عشر. وليس فيه ذكر لقطرب، فلعل ما ذكر المصنف في نسخة أخرى منه.

(٥) في المطبوع: زيادة: «أَنّ». قال في الحاشية: زيادة لسلامة التّعبير.

(٦) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٦٠)، وليس في تفسير الثعلبي المطبوع (٩/ ٦٥) ذكر عيسى عليه السلام.

ورأَى قوم أَنَّ الإِظهار هو الإِعلاءُ[(١)]، وإِن بقي من الدِّين الآخر أَجزاءٌ، وهذا موجود الآن في دين الإِسلام، فإِنه قد عَمَرَ[(٢)] أَكثر الأَرض، وظهر على كل دين.

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ معناه: شاهداً، وذلك يحتمل معنيين:

أَحدهما: شاهداً عندكم بهذا الخبر ومُعْلِماً به.

والثاني: شاهداً على هؤلاءِ الكفار المنكرين أَمر محمد ﷺ، الرَّادِّين في صدره، ومعاقباً لهم بحكم الشّهادة. فالآية على هذا وعيد للكفّار الَّذين شاحُّوا في أَن يكتب «محمد رسول الله»، فردَّ الله تعالى عليهم بهذه الآية كلِّها.

وقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ قال جمهور الناس: هو ابتداء وخبر استوفي فيه تعظيم منزلة النبي ﷺ.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ ابتداءٌ، وخَبرُهُ ﴿أَشِدَّآءُ﴾، و﴿رُحَمَآءُ﴾ خبر ثانٍ.

وقال قوم من المتأَوِّلين: ﴿مُّحَمَّدٌ﴾ ابتداءٌ، و﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ صفةٌ له، و﴿وَٱلَّذِينَ﴾ عطف عليه، و﴿أَشِدَّآءُ﴾ خبر عن الجميع، و﴿رُحَمَآءُ﴾ خبر بعد خبر.

ففي القول الأَوَّل: اختصَّ النَّبيُّ ﷺ بوصفه وهؤلاءِ بوصفهم.

وفي القول الثّاني: اشترك الجميع في الشِّدَّة والرَّحمة.

قال القاضي أبو محمد: والأَوّل عندي أَرجح؛ لأَنَّه خبر مضادٌّ لقول الكفَّار: لا نكتب «محمد رسول الله».

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ إِشارة إِلى جميع الصَّحابة عند الجمهور، وحكى الثَّعلبيُّ عن ابن عبّاس: أَنَّ الإِشارة إِلى من شهد الحُدَيْبِيَة بـ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾[(٣)].

---

(١) في أحمد٣: «الإعلام».

(٢) في المطبوع والحمزوية بدلًا منه: «كان عمَّ»، وفي السليمانية وأحمد٣: «قد عم».

(٣) انظر: تفسير الثعلبي (٩/ ٦٥).

و﴿أَشِدَّآءُ﴾ جمع شديد، أَصله: أَشِدْدَاءُ، أُدغم لاجتماع المِثْلَيْن.

وقرأَ الجمهور: ﴿أَشِدَّآءُ﴾ و﴿رُحَمَآءُ﴾ بالرَّفع.

وروى قُرَّة عن الحسن: (أَشِدَّاءَ) و(رُحَمَاءَ) بنصبهما[١]، قال أَبو حاتم: ذلك على الحال، والخبر ﴿تَرَىٰهُمْ﴾، قال أَبو الفتح: وإِن شئت نصبت (أَشِدَّاءَ) على المدح.

وقوله: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾؛ أَي: ترى هاتين الحالتين كثيراً فيهم.

و﴿يَبْتَغُونَ﴾ معناه: يطلبون.

وقرأَ عمرو بن عبيد: ﴿وَرُضْوَاناً﴾ بضمِّ الرّاءِ[٢].

وقوله: ﴿سِيمَاهُمْ﴾ معناه: علامتهم، واختلف الناسُ في تعيين هذه السِّيما:

فقال مالك بن أَنس: كانت [جباههم متربة][٣] من كثرة السُّجود في التُّراب، كان يبقى على المسح أَثره، وقاله عكرمة[٤].

وقال أَبو العالية: يسجدون على التراب لا على الأَثواب[٥].

وقال ابن عبّاس، وخالد الحنفيُّ، وعطيَّة: هو وعْدٌ بحالهم يوم القيامة من أَن الله تعالى يجعل لهم نوراً من أَثر السُّجود[٦].

قال القاضي أَبو محمد: كما يجعل غُرَّةً من أَثر الوضوءِ، الحديث[٧].

---

(١) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في: المحتسب (٢/ ٢٧٦).

(٢) تبعه في البحر المحيط (٩/ ٥٠١)، فهي سبعية من رواية شعبة كماتقدم، انظر: التيسير (ص: ٨٦)، والسبعة (ص: ٢٠٢).

(٣) في أحمد٣: «وجوههم متتربة».

(٤) انظر قول مالك في: الهداية لمكي (١١/ ٦٩٧٦)، وقول عكرمة في تفسير الطبري (٢٢/ ٢٦٤). وفي المطبوع: «وقال عكرمة».

(٥) تفسير الثعلبي (٩/ ٦٥).

(٦) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٢١-٣٢٢) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه بنحوه، وانظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٢٦٢).

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت =

ويؤيِّد هذا التَّأْويل اتِّصال القول بقوله تعالى: ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا﴾، كأَنَّه تعالى قال: علامتهم في تحصيل الرِّضوان يوم القيامة سيماهم في وجوههم من أَثر السُّجود.

ويحتمل أَن تكون السِّيما بدلاً من قوله: ﴿فَضۡلٗا﴾.

وقال ابن عبّاس: السَّمْتُ الحسن: هو السِّيما، وهو الخشوع يبدو على الوجه[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذه حالة مكثري الصَّلاة؛ لأَنَّها تنهاهم عن الفحشاءِ والمنكر، وتُقل الضَّحك، وتردُّ النَّفس بحالة تخشع معها الأَعضاءُ.

وقال الحسن بن أَبي الحسن، وشِمْرُ بن عطية[٢]: السِّيما: بياض وصُفْرة وتهيُّج يعتري الوجوه من السَّهر.

وقال منصور: سأَلت مجاهداً: أهذه السِّيما: هي الأَثر يكون بين عيني الرَّجل؟ فقال: لا، وقد تكون مثل ركبة البعير وهو أَقسى قلباً من الحجارة[٣].

وقال عطاءُ بن أَبي رباح، والرَّبيع بن أَنس: السِّيما: حُسْنٌ يعتري وجوه المصلِّين[٤].

قال القاضي أبو محمد: وذلك لأَنَّ الله تعالى يجعل لها في عين الرَّائي[٥] حُسْناً

= رسول الله ﷺ يقول: «إن أمتي يأتون يوم القيامة غراً محجلين من أثر الوضوء».

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٢٣)، والبيهقي (٢/ ٢٨٦) من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه بنحوه، وأخرجه الطبري (٢١/ ٣٢٣) من طريق الحسن بن عمارة، عن الحكم بن عتيبة، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أما إنه ليس بالذي ترون، ولكنه سيما الإسلام وسحنته، وسمته وخشوعه، والحسن بن عمارة بن المضرب البجلي متروك.

(٢) هو شمر بن عطية الكاهلي الكوفي، روى عن أبي وائل، وزر بن حبيش، وشهر بن حوشب، وعنه الأعمش، وفطر بن خليفة، وقيس بن الربيع، وجماعة. وكان عثمانياً، وثقه النسائي: تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٣٨٠).

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٢/ ٢٦٤)، بالمعنى، والثاني في تفسير الثعلبي (٩/ ٦٥).

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ٦٥).

(٥) في السليمانية: «أعين الناس».

تابعاً للإِجلال الَّذي في نفسه، ومتى أَجلَّ الإِنسان أَمْراً حَسُن عنده منظره.

ومن هذا: الحديثُ الَّذي في «الشِّهاب»: «من كَثُرت صلاته باللَّيل حَسُن وجْهُه بالنَّهار»(١).

قال القاضي أبو محمد: وهذا حديث غَلِط فيه ثابت بن موسى الزَّاهد(٢)، سمع شَريك بن عبد الله يقول: حدَّثنا الأَعمش، عن أَبي سفيان، عن جابر، ثمَّ نزع شَريك لمَّا رأَى ثابتاً الزَّاهد، فقال ـ يَعنيه ـ: من كثُرت صلاته باللَّيل حَسُن وجهه بالنَّهار. فظنَّ ثابت أَنَّ هذا الكلام حديث متركب على السَّند المذكور، فحدَّث به عن شَريك.

وقرأَ الأَعرج: (من إِثْر) بسكون الثَّاءِ وكسر الهمزة، قال أَبو حاتم: هما بمعنى.

وقرأَ قتادة: (من آثار) جمعاً(٣).

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ﴾ [الآية؛ المَثَل هنا: الوصف أَو الصِّفة.

وقال بعض المتأَوِّلين: التَّقدير: الأَمر ذلك، وتمَّ الكلام، ثم قال: ﴿مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ﴾](٤).

---

(١) لا أصل له، أخرجه القضاعي (٤٠٨-٤١٧) من طرق متعددة، قال السخاوي في المقاصد الحسنة (١/ ٦٦٦): لا أصل له وإن روي من طرق عند ابن ماجه بعضها وأورد الكثير منها القضاعي وغيره، ولكن قد قرأت بخط شيخنا في بعض أجوبته: إنه ضعيف، بل قواه بعضهم، والمعتمد الأول، وقد أطنب ابن عدي في رده ومثلوا به في الموضوع غير المقصود، قال ابن طاهر: ظن القضاعي أن الحديث صحيح لكثرة طرقه وهو معذور لأنه لم يكن حافظاً، واتفق أئمة الحديث ابن عدي والدارقطني والعقيلي وابن حبان والحاكم على أنه من قول شريك قاله لثابت لما دخل عليه، وقال ابن عدي: سرقه جماعة من ثابت كعبد الله بن شبرمة الشريكي وعبد الحميد بن بحر وغيرهما.

(٢) هو ثابت بن موسى أبو يزيد الكوفي العابد، روى عن سفيان الثوري، وشريك، وعنه: هناد، وآخرون، وهو ضعيف، وهو صاحب حديث: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار»، توفي سنة **٢٢٩**هـ، وتاريخ الإسلام (١٦/ ١٢٠)، وشريك هو القاضي، تقدم.

(٣) وهما شاذتان، نقلهما في مختصر الشواذ (ص: **١٤٣**)، وفي السليمانية: «الأعمش»، بدل «الأعرج».

(٤) سقط من الحمزوية وأحمد**٣**.

وقال مجاهد وجماعة من المتأولين: المعنى: ذلك الوصف هو مثلهم في التوراة، ومثلهم في الإنجيل، وتم القول[١].

و﴿كَزَرۡعٍ﴾ ابتداءُ تمثيل يختص بالقرآن، وقال الطبري، وحكاه عن الضحاك: المعنى: ذلك الوصف هو مثلهم في التوراة، وتم القول، ثم ابتدأ ﴿وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ﴾[٢].

وقال آخرون: المثلان جميعاً هي في التوراة وهي في الإِنجيل.

وقوله تعالى: ﴿كَزَرۡعٍ﴾ هو على كل الأَقوال وفي أَي كتاب منَزَّل: فَرْضُ مَثَل للنبي ﷺ وأَصحابه، في أَن النبي ﷺ بُعث وحده فكان كالزرع حبة واحدة، ثم كثر المسلمون فهم كالشَّطْءِ وهو فراخ السُّنبلة [التي تنبت][٣] حول الْأَصل، يقال: أَشطأَت الشجرة: إِذا أَخرجت غصونها، وأَشطأَ الزَّرْع: إِذا أَخرج شطأَه / . [٥/ ١١٤]

وقرأَ ابن كثير، وابن ذكوان عن ابن عامر: ﴿شَطَأَهُۥ﴾ بفتح الطَّاءِ والهمز دون مدٍّ.

وقرأَ الباقون بسكون الطَّاءِ[٤].

وقرأَ عيسى بن عمر: (شَطَاهُ) بفتح الطَّاءِ دون همز.

وقرأَ أَبو جعفر: (شَطَهُ)، رَمى بالهمزة وفتح الطَّاءَ، ورُويت عن نافع، وشيبة.

ورُوي عن عيسى: (شَطَاءَهُ) بالمدِّ والهمز.

وقرأَ الجحدريُّ: (شَطْوَهُ) بالواو[٥]، وقال أَبو الفتح: هي لغة، أَو بدل من الهمزة،

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٦٧)، وسقط قوله: «جماعة من المتأولين» من المطبوع والحمزوية وأحمد٣.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٦٦).

(٣) سقط من أحمد٣.

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٠٢).

(٥) أربع قراءات شاذة، ذكرها إلا الثالثة في المحتسب (٢/ ٢٧٧)، وعيسى الثاني هو الهمداني، وذكر في مختصر الشواذ (ص: ١٤٣) الأولى لعيسى الحجازي، وزاد في الثالثة أبا حيوة وابن أبي عبلة، وتبع المصنفَ في الثالثة أبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٥٠٢)، قال: ورويت عن الجحدري، وليس لنافع ولا أبي جعفر هنا شيء، إلا ما نقله الأزهري في معاني القراءات (٣/ ٢١) عن أبي حاتم عن نافع.

ولا يكون الشَّطْؤُ إِلَّا في البُرِّ والشَّعير، وهذه كلُّها لغات[١].

وحكى النَّقّاش عن ابن عباس أَنَّه قال: (الزَّرع): النَّبيُّ ﷺ، ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ عليٌّ بن أَبي طالب رضي الله عنه، ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ بأَبي بكر، ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ بعمر بن الخطاب[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ وزنه: أَفْعَلَه، قاله أبو الحسن، ورجَّحه أَبو عليٍّ[٣].

وقرأَ ابن ذكوان عن ابن عامر وحده: ﴿فأَزَره﴾ على وزن: فَعَلَهُ، دون مَدٍّ[٤].

ولذلك كلِّه معنيان: أَحدهما: ساواهُ طولاً، ومنه قول امرئ القيس:

[الطويل] بِمَحْنِيَّـة قَـدْ آزَرَ الضَّـالَ نَبْتُهَـا مَجَرَّ جُيـوشٍ غانِمينَ وخُيَّبِ[٥]

أَي: هو موضع لم يزرع[٦]، فكَمُل نَبْتُه حتّى ساوَى شجر الضَّال، فالفاعل على هذا المعنى الشَّطْءُ.

والمعنى [الثّاني: أَن يكون][٧] «آزَرَهُ» و«أَزَرَهُ» بمعنى: أَعانه وقوَّاه، مأْخوذ ذلك من الأَزْر وشدِّه، فيحتمل أَن يكون الفاعل الشَّطْءُ، ويحتمل أَن يكون الفاعل الزَّرعُ؛ لأَنَّ كلَّ واحد منهما يُقَوِّي صاحبه.

---

(١) المحتسب (٢/ ٢٧٧).

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخه (١١/ ١٧١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ١٧٧-١٧٨) عن الحسن بن الحارث بن طليب الهاشمي، عن أبيه، عن داود بن أبي هند، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس بنحوه. والحسن بن الحارث الهاشمي، وأبوه لم أقف له على ترجمة، وأخرجه ابن مردويه، والقاضي الزهري في فضائل الخلفاء الأربعة كما في الدر المنثور (١٣/ ٥٢٤).

(٣) الحجة للفارسي (٦/ ٢٠٥). وفي المطبوع: «قاله الحسن».

(٤) «دون مد» ليس في أحمد٣، وهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ٢٠٢).

(٥) تقدم في تفسير الآية (٣١) من سورة طه، والمَحْنِيَّة: حَيْثُ ينحني الوادي، والضَّال: نوع من الشَّجر.

(٦) في المطبوع ونجيبويه: (يُرْعَ).

(٧) سقط من السليمانية، وفي أحمد٣: «والشطء يحتمل أن يكون».

وقال ابن مجاهد، وغيره: (آزَرَهُ) وزنه: فاعَلَه[١].

والأَوَّل أَصوب، أَنَّ وزنه أَفْعَلَهُ، ويدلُّك على ذلك قول الشاعر:

لَا مَـالَ إِلَّا الـعِـطَـافُ تُـؤْزِرُهُ أُمُّ ثَـلَاثِـيـنَ وابْـنَـةُ الْجَـبَـلِ[٢] [المنسرح]

وقرأَ ابن كثير: ﴿على سؤقه﴾ بالهمز[٣]، وهي لغة ضعيفة، يهمزون الواو التي قبلها ضمَّة.

ومنه قول الشاعر:

لَحَبَّ الْمُؤْقِدَانِ إِلَيَّ مُؤْسَى[٤] .... [الوافر]

و﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ جملة في موضع الحال، فإِذا أَعجب الزُّرَّاعَ، فهو أَحرى أَنْ يُعْجب غيرهم؛ لأَنه لا عيب فيه؛ إِذْ قَد أَعجب العارفين بالعيوب، ولو كان معيباً لم يُعجبهم، وهنا تمَّ المثلُ.

وقوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ كلام قبله محذوف تقديره: جعلهم الله بهذه الصِّفة ليغيظ بهم الكفّار، والكُفَّارُ هنا: المشركون.

قال الحسن: من غيظ الكفّار قول عمر بمكَّة: لَا عُبِدَ اللهُ سرّاً بعد اليوم[٥].

---

(١) انظر: السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٠٥). وفي الحمزوية والمطبوع: «مجاهد»، وأشار في حاشيته إلى النسخة الأخرى.

(٢) بلا نسبة في أمالي القالي (٢/ ٢٦٥)، وأُمُّ الثَّلاثين هي الكنانة، وابنة الجبل فهي قوسٌ من نبعة في جَبَل، وفي السليمانية: «الخيل».

(٣) وهي سبعية من رواية قنبل كما في التيسير (ص: ١٦٨)، وعممها في السبعة (ص: ٦٠٥) لابن كثير.

(٤) هذا صدر بيت لجرير تمامه: وجَعْدَةُ لَوْ أَضَاءَهُمَا الْوَقُودُ، وقد تقدم في تفسير الآية (٤٤) من سورة النمل.

(٥) زاد المسير (٤/ ١٤٠)، وهو في تفسير الثعلبي (٩/ ٦٦)، وتفسير البغوي (٧/ ٣٢٥)، بلا نسبة.

وقوله تعالى: ﴿مِنْهُم﴾ هي لبيان الجنس وليست للتبعيض، لأَنه وعْدٌ مُرَجٍّ للجميع.

كمل تفسير (سورة الفتح)، والحمد لله ربّ العالمين.

سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سُورة الحُجُرات

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)﴾.

كانت عادة العرب ـ وهي إلى الآن ـ الاشتراك في الآراءِ، وأن يتكلم كلٌّ بما شاءَ ويفعل ما أَحبَّ، فمشى بعض النّاس ممن لم تتمرَّنْ نفسه مع النَّبيِّ ﷺ على بعض ذلك، قال قتادة: فربَّما قال قوم: لو نزل كذا وكذا في معنى كذا، [ولو فعل الله][1] كذا، وينبغي أن يكون كذا. وأَيضاً فإِنَّ قوماً ذبحوا ضحاياهم قبل النَّبيِّ ﷺ، حكاه الحسن بن أَبي الحسن[2]، وقوماً فعلوا في بعض حروبه وغزواته أشياءَ بآرائهم، فنزلت هذه الآية ناهية عن جميع ذلك.

وحكى الثَّعلبيُّ عن مسروق أَنَّه قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها في يوم

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) انظر هذه القوال في تفسير الطبري (٢٢/ ٢٧٦)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٧٠)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٢٥).

الشَّكِّ، فقالت للجارية: اِسْقه عسلاً، فقلت: إِنِّي صائم، فقالت: نهى رسول الله ﷺ عن صيام هذا اليوم، وفيه نزلت: ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[(١)].

وقال ابن زيد: معنى ﴿لَا تُقَدِّمُواْ﴾: لَا تَمشوا بين يدي رسول الله ﷺ، وكذلك بين يدي العلماءِ، فإِنَّهم ورثة الأَنبياءِ[(٢)].

وتقول العرب: تَقَدَّمْتُ في كذا وكذا وقَدَّمْتُ فيه: إِذا قلت فيه.

وقرأَ الجمهور من القراءِ: ﴿تُقَدِّمُواْ﴾ بضمِّ التَّاءِ وكسر الدّال.

وقرأَ ابن عبّاس، والضَّحّاك، ويعقوب، بفتح التّاءِ والدّال على معنى: ﴿لا تَقَدَّموا﴾[(٣)]، وعلى هذا يجيءُ تأْويل ابن زيد في المشي[(٤)].

والمعنى على ضمِّ التَّاءِ: بين يَدَيْ قول الله ورسوله.

ورُوي أَنَّ سبب هذه الآية: هو أَنَّ وفد بني تميم لمَّا قدِم، قال أَبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! لو أَمَّرْتَ الأَقرع بن حابس، وقال عمر بن الخطاب: لا[(٥)] يا رسول الله، بل أَمِّر القعقاع بن مَعْبد[(٦)]، فقال أَبو بكر: ما أَردتَ إِلَّا خلافي ـ ويروى: إِلى خلافي ـ، فقال

(١) ضعيف، أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ٣١٤-٣١٥)، والطبراني في «الأوسط» (٢٧١٣) من طريق يحيى بن عبد الله بن الحارث، عن حبال بن رفيدة، عن مسروق بن الأجدع قال: كنا عند عائشة أم المؤمنين يوم عرفة والناس يسألون يرون أنه يوم النحر فقالت لجارية لها: أخرجي لمسروق سويقاً وحلِّيه، فلولا أني صائمة لذقته فقال: لها أصمت هذا اليوم وهو يشك فيه؟ فقالت: نزلت هذه الآية في مثل هذا اليوم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ كان قوم يتقدمون رسول الله ﷺ في الصوم وفيما أشبهه فنهوا عن ذلك، ويحيى بن عبد الله بن الحارث الجابر ضعيف، وحبال بن رفيدة أبو ماجد قال فيه الذهبي: لا يعرف.

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ٧١).

(٣) وهي عشرية ليعقوب في: النشر (٢/ ٣٧٥)، وانظر موافقة الضحاك في: تفسير الثعلبي (٩/ ٦٩).

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ٧١).

(٥) «لا» ليست في المطبوع.

(٦) هو القعقاع بن معبد بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم التميمي الدّارميّ، ثبت ذكره في صحيح البخاري في قدوم وفد بني تميم، وهذا مما يقتضي الجزم بصحة صحبته. الإصابة (٥/ ٣٤٤).

عمر رضي الله عنه: ما أَردتُ خلافك، وارتفعت أَصواتُهما، فنزلت الآية في ذلك[١]، [وقال وهب: وذهب][٢] بعض قائلي هذه المقالة إِلى أَن قوله: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟﴾ معناه: لا تُقدِّموا ولاة، فهو من تقدّم الأُمراءِ، وعموم اللَّفظ أَحسن؛ أَي: اجعلوه مبدأً في الأَقوال والأَفعال.

و﴿سَمِيعٌ﴾ معناه: لأَقوالكم، و﴿عَلِيمٌ﴾ معناه: بأَفعالكم ومقتضى أَقوالكم.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟﴾ الآية، هي أَيضاً في ذلك الفنِّ المتقدّم، ورُوي: أَنَّ سببها كلام أَبي بكر وعمر رضي الله عنهما المتقدم في أَمْر الأَقرع والقعقاع. والصَّحيح: أَنَّها نزلت بسبب عادة الأَعراب في الجفاءِ وعُلُوِّ الصَّوت والعُنْجُهيَّة.

وكان ثابت بن قيس بن شَمَّاس رضي الله عنه مِمَّن في صوته جَهَارة، فلمَّا نزلت هذه الآيةُ اهْتَمَّ وخاف على نفسه وجلس في بيته لم يخرج وهو كئيب حزين، حتّى عرف رسول الله ﷺ / خبره، فبعث فيه فآنسه وقال له: «امْش في الأَرض بَسْطاً فإِنَّك من أَهل [٥/ ١١٥] الجنَّة»[٣]، وقال له مرَّة: «أَما ترضى أَن تعيش حميداً، وتموت شهيداً»[٤]، فعاش كذلك

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٦٧) من حديث عبد الله بن الزبير، وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهم.

(٢) من الأسدية٣.

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٧٩) عن محمد بن حميد الرازي، عن يعقوب، عن حفص، عن شمر بن عطية: جاء ثابت بن قيس بن الشماس إلى رسول الله ﷺ وهو محزون، فقال: يا ثابت ما الذي أرى بك؟ فقال: آية قرأتها الليلة، فأخشى أن يكون قد حَبِط عملي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ وكان في أُذنه صمم، فقال: يا نبيّ الله أخشى أن أكون قد رفعت صوتي، وجهرت لك بالقول، وأن أكون قد حبط عملي، وأنا لا أشعر: فقال النبيّ ﷺ: «امْشِ على الأَرْضِ نَشِيطا فإِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ». وشمر بن عطية الأسدي لم يدرك ثابت بن قيس. والحديث أصله في البخاري (٤٨٤٦)، ومسلم (١١٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس فقال رجل: يا رسول الله! أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالساً في بيته منكساً رأسه فقال: ما شأنك؟ فقال: شر كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتى الرجل فأخبره أنه قال كذا وكذا، فقال موسى بن أنس: فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: «اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة».

(٤) حسن، أخرجه الطبراني في الكبير (١٣١٠-١٣١١-١٣١٢) وفي الأوسط (٤٢) من طريق =

ثمَّ قُتل رضي الله عنه باليمامة يوم مسيلمة[١].

وفي قراءَة ابن مسعود: (لَا تَرْفَعُوا بِأَصْوَاتِكُمْ) بزيادة باءٍ[٢].

= الزهري، عن محمد بن ثابت الأنصاري، قال: حدثني أبي ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري قال قلت: يا رسول الله! والله لقد خشيت أن أكون قد هلكت قال: لم قلت: نهى الله المرء أن يحمد بما لم يفعل وأجدني أحب الحمد، ونهى الله عن الخيلاء وأجدني أحب الجمال، ونهى الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا امرؤ جهير الصوت. فقال رسول الله: «ألا ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة حميداً؟» قال: بلى يا رسول الله، فعاش حميداً، وقتل شهيداً يوم مسيلمة، وأخرجه مالك في الموطأ (٩٤٥) عن ابن شهاب رواية محمد بن الحسن، وابن حبان في صحيحه (٧١٦٧)، والطبراني في الكبير (١٣١٢-١٣١٤-١٣١٥)، وفي الأوسط (٢٢٤٣)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٣٤)، وابن عبد البر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٦٠) من طرق عن ابن شهاب، عن إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس الأنصاري، عن جده به، بنحوه، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٤٢٥) من طريق معمر، عن الزهري، عن ثابت بن قيس بن شماس به، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٣١٦) من طريق زيد بن الحباب، عن أبي ثابت بن ثابت بن قيس بن شماس، عن أبيه، به، وابن المنذر في تفسيره كما في فتح الباري (٦/ ٦٢١)، وابن أبي عاصم كما في الآحاد والمثاني (٣٣٩٩)، والطبراني في الكبير (١٣٢٠)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٣٥) من طريق عطاء الخراساني قال: قدمت المدينة فأتيت ابنة ثابت بن قيس بن شماس فذكرت قصة أبيها، قالت: لما أنزل الله على رسوله ﷺ ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية، وآية ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ جلس أبي في بيته يبكي، ففقده رسول الله ﷺ فسأله عن أمره، فقال: إني امرؤ جهير الصوت وأخاف أن يكون قد حبط عملي، فقال: «بل تعيش حميداً وتموت شهيداً ويدخلك الله الجنة بسلام»، فلما كان يوم اليمامة مع خالد بن الوليد استشهد، فرآه رجل من المسلمين في منامه فقال: إني لما قتلت انتزع درعي رجل من المسلمين وخبأه في أقصى العسكر وهو عنده، وقد أكب على الدرع برُمة، وجعل على البرمة رحلاً، فائت الأمير فأخبره، وإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه، وإذا أتيت المدينة فائت فقل لخليفة رسول الله ﷺ: إن علي من الدين كذا وكذا وغلامي فلان من رقيقي عتيق، وإياك أن تقول: هذا حلم فتضيعه، قال: فأتاه فأخبره الخبر فوجد الأمر على ما أخبره، وأتى أبا بكر فأخبره فأنفذ وصيته، فلا نعلم أحداً بعد ما مات أنفذ وصيته غير ثابت بن قيس بن شماس. زينب بنت ثابت بن قيس بن شماس الأنصارية ذكرها ابن حبيب فيمن بايعن رسول الله ﷺ.انتهى. انظر: الإصابة (٧/ ٦٦٧).

(١) القصة مختصرة أخرجها البخاري (٢٨٤٥).

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في معاني القرآن للفراء (٣/ ٦٩).

وقوله تعالى: ﴿كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ﴾ أَي: كحال جهركم في جفائه وكونه مخاطبة بالأَسماءِ والأَلقاب، وكانوا يدعون النَّبيّ ﷺ: يا محمد! يا محمد! قاله ابن عبّاس وغيره[١].

فأَمرهم الله تعالى بتوقيره وأَن يدعوه بالنُّبوَّة والرِّسالة والكلام اللَّيِّن، فتلك حالة الموقِّر.

وكره العلماءُ رفع الصَّوت عند قبر النَّبيِّ ﷺ، وبحضرة العالم، وفي المساجد[٢]، وفي هذه كلها آثارٌ[٣].

وقوله تعالى: ﴿أَن تَحۡبَطَ﴾ مفعول من أَجله؛ أَي: مخافة أن تحْبَط، والحبط: انفساد العمل[٤] بعد تقرُّره، يقال: حبِط بكسر الباءِ، وأَحبطه الله.

وهذا الحبْط إِن كانت الآية مُعَرِّضة بمن يجهر[٥] استخفافاً واحتقاراً وجُرْأَةً؛ فذلك كُفْر، والحَبْطُ معه على حقيقته، وإِن كان التَّعريض للمؤمن الفاضل الَّذي يفعل ذلك غفلة وجرياً على طبعه؛ فإِنَّما يحبط عمله البرَّ في توقير النَّبيِّ ﷺ وغَضِّ الصَّوت عنده إِنْ لَوْ فعل ذلك، كأَنَّه قال: مخافة أَن تحبط الأَعمال الَّتي هي مُعَدَّةٌ أَن تعملوها فتؤْجروا عليها، ويحتمل أَن يكون المعنى: أَن تأْثَمُوا، ويكون ذلك سبباً إِلى الوحشة في نفوسكم، فلا تزال معتقداتكم تتدرَّج القهقرى حتّى يؤول ذلك إِلى الكفر فتحْبَط الأَعمال حقيقة، وظاهر الآية أَنَّها مخاطبة لفُضلاءِ المؤمنين الَّذين لا يفعلون ذلك

---

(١) لم أجده عن ابن عباس، إنما حكاه الثعالبي هكذا في تفسيره (٤/ ١٨٦).

(٢) انظر: البيان والتحصيل (١/ ٤٩٥)، ونهاية المطلب (٤/ ٢٤٠)، والمجموع شرح المهذب (٢/ ١٧٥)، وكشاف القناع (٢/ ٣٦٧).

(٣) ومن هذه الآثار: ما أخرجه البخاري (٤٧٠) عن السائب بن يزيد قال: كنت قائمًا في المسجد فحصبني رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال: اذهب فائتني بهذين، فجئته بهما قال: من أنتما، أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف. قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ.

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «الفساد في العمل».

(٥) في الأصل: «يفعل ذلك».

احتقاراً، وذلك أَنَّه لا يقال لمنافق يعمل ذلك جرأَة: وأَنت لا تشعر؛ لأَنَّه ليس له عمل يعتقده هو عملاً.

وفي قراءَة عبد الله بن مسعود: (فَتَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ)[١].

ثمَّ مدح الصِّنف المخالف لمن تقدَّم ذكره وهم الَّذين يَغُضُّون أَصواتهم عند النَّبيِّ ﷺ.

وغضُّ الصَّوت: خَفْضُه وكَسْرُه، وكذلك البصر، ومنه قول جرير:

[الوافر] فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ[٢] ....

ورُوي: أَنَّ أَبا بكر وعمر كانا بعد ذلك لا يكلمان رسول الله ﷺ إِلَّا كأَخي السِّرَار، وأَنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يحتاج مع عمر رضي الله عنه بعد ذلك إِلَى استعادة اللَّفظ؛ لأَنَّه كان لا يسمعه من إِخفائه إِيَّاه[٣].

---

(١) انظر نسبتها له في تفسير الطبري (٢٢/ ٢٨١).

(٢) هذا صدر بيت لجرير يهجو الرّاعي، وعجزه: فلا كَعْباً بَلَغْتَ وَلَا كِلاباً، وقد تقدم في تفسير الآية (٤٥) من (سورة الشورى).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٤٥) عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر. فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي. قال: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ الآية، قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر. ورواه (٦٨٧٢) وفيه: قال ابن الزبير: فكان عمر بعد ـ لم يذكر ذلك عن أبيه ـ يعني: أبا بكر، إذا حدث النبي ﷺ بحديث حدثه كأخي السرار، ولم يُسمعه حتى يستفهمه. وأخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٧٢٩)، والبزار (٥٦)، والحارث في مسنده (بغية الحارث ـ ٩٥٧)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٧٤) من طريق حصين بن عمر، عن مخارق بن عبد الله، عن طارق بن شهاب، عن أبي بكر الصديق قال: لما نزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ قال أبو بكر: عزمت على نفسي أن لا أكلم رسول الله ﷺ إلا كأخي السرار. وحصين بن عمر الأحمسي متروك، وأخرجه الحاكم =

و﴿ٱمۡتَحَنَ﴾ معناه: اختبر وطهَّر كما يُمتحن الذَّهب بالنّار، فيسَّرها وهيَّأَها للتّقوى، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: امْتحن للتقوى: أَذهب عنها الشَّهوات(١).

قال القاضي أَبو محمد: من غَلَب شهوته وغضبه؛ فذلك الَّذي امتحن الله قلبه للتَّقوى، وبذلك تكون الاستقامة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ نزل في وفد بني تميم، حيث كان الأَقرع بن حابس، والزِّبرقان بن بدر، وعمرو بن الأَهْتَم، وغيرهم، وذلك أَنَّهم وفدوا على رسول الله ﷺ فدخلوا المسجد ودنَوْا من حِجْر أَزواج النَّبيِّ ﷺ وهي تسعة، فعجِلوا ونادَوْا(٢) ولم ينتظروا، ونادوا بجملتهم: يا محمد! اخرج إِلينا، يا محمد! اخرج

= في المستدرك (٢/ ٤٦٣) من طريق العباس بن محمد الدوري، عن سعيد بن عامر، عن محمد بن عمرو ابن سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة قال: قال: لما نزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ ﷺ قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: والذي أنزل عليك الكتاب يا رسول الله! لا أكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله عز وجل، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٥٧٦) من طريق محمد بن عمرو، عن محمد بن محمد بن إبراهيم التيمي بنحوه.

(١) بهذا اللفظ لم أقف عليه، ولكن أخرجه أحمد في الزهد كما في تفسير ابن كثير (٧/ ٣٦٨) عن عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: كُتب إلى عمر يا أمير المؤمنين، رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها، أفضل، أم رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها؟ فكتب عمر، رضي الله عنه: إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ الآية.

(٢) «ونادوا» من المطبوع وأحمد٣.

إِلينا، فكان في فعلهم ذلك جفاءٌ وبداوة وقلَّة توقير، فتربَّص رسول الله ﷺ مدَّة، ثمَّ خرج إِليهم، فقال له الأَقرع بن حابس: يا محمد! إِنَّ مدحي زَيْن، وذَمِّي شَيْن، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «ويلك ذلك الله تعالى»[(١)]، واجتمع النّاس في المسجد، فقام خطيبهم فخطب وفخر، فأَمر رسولُ الله ﷺ ثابت بن قيس بن شماس، فخطب وذكر الله تعالى والإِسلام فأَرْبى على خطيبهم، ثمَّ قام شاعرهم فأَنشد مفتخراً، فقام حسَّان بن ثابت ففخر بالله تعالى وبالرسول ﷺ وبالبسالة، فكان أَشعر من شاعرهم، فقال بعضهم لبعض: والله إِنَّ هذا الرَّجل لَمُؤَتَّى له، لخطيبه أَخطب من خطيبنا، ولشاعره أَشعر من شاعرنا، ثمَّ نزلت فيهم هذه الآية[(٢)].

هذا تلخيص ما تظاهرت به الرِّوايات في هذه الآية.

وقد رواه موسى بن عقبة[(٣)]، عن أَبي سلمة، عن الأَقرع بن حابس[(٤)].

وفي مصحف ابن مسعود: (أَكْثَرُهُم بَنُو تَـمِيم لَا يَعْقِلُونَ)[(٥)].

و«الحُجُرَات» جمع حُجْرة، وقرأَ الجمهور من القرَّاءِ: ﴿ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ بضمِّ الحاءِ والجيم.

وقرأَ أَبو جعفر القارئ وحده: ﴿الحُجَرَاتِ﴾ بضم الحاء وفتح الجيم[(٦)].

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٢٥/ ٣٦٩)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١١٧٨)، والطبري (٢٢/ ٢٨٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٧٨) وغيرهم من طريق عفان بن مسلم، عن وهيب، عن موسى بن عقبة، عن أبي سلمة عن الأقرع بن حابس: أنه أتى النبيّ ﷺ، فناداه، فقال: يا محمد! إن مدحي زين، وإن شتمي شين؛ فخرج إليه النبي ﷺ فقال: «وَيْلَكَ ذَلِكَ اللهُ»، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾... الآية. وقد ذكر قصة قدوم وفد بني تميم ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٠/ ٢٧٢-٢٧٣) من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، فذكره.

(٢) انظر تاريخ دمشق (١٠/ ٢٧٢-٢٧٣)، وانظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٢٨٤-٢٨٥).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٨٤).

(٤) تقدم تخريجه، انظر الحديث قبل الماضي.

(٥) وهي شاذة، انظرها في مجاز القرآن (٢/ ٢١٩).

(٦) وهي عشرية، انظر نسبتها له في النشر (٢/ ٣٧٥). وضم الحاء ليس في المطبوع.

وقوله تعالى: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾؛ يعني: في الثَّواب عند الله تعالى، وفي انبساط نفس النَّبيِّ ﷺ لهم وقضائه لحوائجهم وَوُدِّه لهم، وذلك كلّه خير، ولا محالة أَنَّ بعضه انزوى بسبب جفائهم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ترجيةٌ لهم وإِعلامٌ بقبوله توبة التّائب، وغفرانه ورحمته لمن أَناب ورجع.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾ الآية؛ سببها: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أَبي مُعَيْط إِلى بني المصطلق مُصَدِّقاً[1]، فرُوي: أَنَّه كان معادياً لهم، فأَراد إِذايتهم، فرجع من بعض طريقه وكذب عليهم، قاله الضَّحّاك[2]، وقال للنَّبيِّ ﷺ: إِنَّهم منعوني الصدقة وطردوني وارتدوا، فغضب النبي ﷺ، وهمَّ بغزوهم ونظر في ذلك، وبعث خالد بن الوليد إِليهم، فورده وفدهم منكرين لذلك[3].

وروي عن أُمِّ سَلَمة وابن عبّاس: أَنَّ الوليد بن عقبة / ، لمَّا قرب منهم خرجوا [٥/ ١١٦]

(١) المُصَدَّقُ: العاملُ الَّذي يجبي الصَّدقات.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٨٧)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٥٤) وغيرهما من طريق محمد ابن سعد العوفي، عن أبي سعد بن محمد بن الحسن بن عطية، حدثني عمي الحسين بن الحسن بن عطية، حدثني أبي، عن جدي عطية بن سعد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات، وإنه لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا ليتلقوا رسول رسول الله ﷺ وإنه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه رجع إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة، فغضب رسول الله ﷺ من ذلك غضباً شديداً، فبينما هو يحدث نفسه أن يغزوهم إذ أتاه الوفد فقالوا: يا رسول الله! إنا حدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق وإنا خشينا أن يكون إنما رده كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، وإن رسول الله ﷺ استغشهم وهم بهم، فأنزل الله عز وجل عذرهم فى الكتاب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾.

إِليه متلقّين له، فرآهم على بُعْد ففزع منهم وظنَّ بهم الشَّرَّ وانصرف، فقال ما ذكرناه[١].

وروي: أَنَّه لمَّا قرب منهم بلغه عنهم أَنَّهم قالوا: لا نعطيه الصَّدقة ولا نطيعه[٢]، فعمل على صحَّة هذا الخبر وانصرف، فقال ما ذكرناه، فنزلت الآية بهذا السَّبب[٣].

والوليد ـ على ما ذَكَرَ مجاهد وقتادة ـ هو المشار إِليه بالفاسق، وحكى الزَّهراوي: قالت أُمُّ سَلَمة: هو الوليد بن عُقَبَة[٤].

قال القاضي أبو محمد: ثمَّ هي باقية فيمن اتَّصف بهذه الصِّفة غابرَ الدَّهر.

والفِسْقُ: الخروج عن نهج الحق، وهو مراتب متباينة كلُّها مظنَّة للكذب وموضع تَثَبُّت وتَبَيُّن، وتأَنَّس القائلون بقبول خبر الواحد بما يقتضيه دليل خطاب هذه الآية؛ لأَنَّه يقتضي أَنَّ غير الفاسق إِذا جاءَ بنبأٍ أَن يعمل بحسبه، وهذا ليس باستدلال قوي، وليس هذا موضع الكلام على مسأَلة خبر الواحد.

وقرأَ الجمهور من القراءِ: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ من التَّبَيُّن.

وقرأَ حمزة، والكسائيُّ، والحسن، وابن وثّاب، وطلحة، والأَعمش، وعيسى: ﴿فَتَثَبَّتُوا﴾ من التَّثَبُّت[٥].

و﴿أَن﴾ في قوله تعالى: ﴿أَن تُصِيبُواْ﴾ مفعول من أَجله، كأَنَّه تعالى قال: مخافة أَن تصيبوا.

---

(١) أخرج هذه الرواية الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٨٢) عن محمد بن حميد الرازي، عن سلمة، عن محمد ابن إسحاق، عن يزيد بن رومان، فذكره مرسلاً.

(٢) في المطبوع: «ولا نعطيه».

(٣) لم أقف على هذا السبب.

(٤) أثر أم سلمة تقدم. وانظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٢٨٧)، و«قتادة» ليس في الأصل.

(٥) «من التثبت» ليس في الأصل، وكذا ذكر حمزة والكسائي، والقراءتان سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٢٣٦)، والتيسير (ص: ٩٧).

وقال قتادة: قال رسول الله ﷺ عندما نزلت هذه الآية: «التَّـثَـبُّت من الله، والعجلة من الشَّيطان»[١].

قال منذر بن سعيد: هذه الآية تردُّ على من قال إن المسلمين كلُّهم عدول حتّى تثبت الجُرْحَة؛ لأَنَّ الله تعالى أَمر بالتَّبَيُّن قبل القبول[٢].

قال القاضي أَبو محمد: فالمجهول الحال يخشى أَن يكون فاسقاً، والاحتياط لازم.

قال النَّقاش: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ أَبلغ من (تَثَبَّتُوا)؛ لأَنَّه قد يَتَثَبَّت من لا يَتَبَيَّن[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ توبيخ للكذبة ووعيدٌ بالفضيحة؛ أَي: فليفكِّر الكاذب في أَنَّ الله عز وجل يفضحه على لسان رسوله ﷺ، ثمَّ قال: ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾؛ أَي: لشقِيتم وهلكتم، و«العَنَتُ»: المشقَّة؛ أَي: لو يُطيعكم أَيُّها المؤمنون في كثير مما ترونه باجتهادكم وتقدُّمكم بين يديه، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ﴾ الآية، كأَنَّه تعالى قال: ولكن أَنعم بكذا وكذا، وفي ذلك كفاية وأَمْرٌ لا تقومون بشكره، فلا تتقدَّموا في الأُمور، واقنعوا بإِنعام الله تعالى عليكم، وحبَّب الله

(١) ضعيف، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٨٨) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة فذكره مرسلاً بلفظ مطول وفيه «التبين من الله، والعجلة من الشيطان»، لكن روي هذا الحديث من طريق يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس مرفوعاً بلفظ: «التأني من الله والعجلة من الشيطان». أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٠٤)، وعزاه البوصيري في إتحاف الخيرة (٦/ ٣١) لأبي بكر بن أبي شيبة، ورواه جماعة آخرون، وهو إسناد لا تقوم به الحجة لحال سعد بن سنان، وقد تفرد بالرواية عنه يزيد بن أبي حبيب، وروي عنه بهذا الإسناد عدة أحاديث لا يرويها غيره، قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: تركت حديثه، حديثه مضطرب وسمعته يقول يشبه حديثه حديث الحسن ولا يشبه أحاديث أنس. اهـ، وأخرج الترمذي (٢٠١٢) من طريق عبد المهمين بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي، عن أبيه، عن جده مرفوعاً بنحوه، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل الحديث في عبد المهيمن بن عباس بن سهل، وضعفوه من قبل حفظه. اهـ.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) نقله في البحر المحيط (٤/ ٣١)، دون ذكر النقاش.

تعالى الإِيمان وزَيَّنه بأَن خلق في قلوب المؤمنين حُبَّه وحَسَّنه، وكذلك تكْريهُ الكفر والفسوق والعصيان، وحكى الرُّمَّاني عن الحسن أَنَّه قال: حبَّب الإِيمان بما وصف من الثَّواب عليه، وكرَّه الثَّلاثة المقابلة للإِيمان بما وصف من العقاب عليها(١).

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ رجوعٌ من الخطاب إِلى ذكر الغيب، كأَنَّه تعالى قال: ومن فعل هذا وقَبِلَه وشكَر عليه؛ فأُولَئِك هم الرَّاشدون.

وقوله تعالى: ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗ﴾ مصدر مؤكّد بنفسه لأَنَّ ما قَبْلَه هُوَ بمعناه؛ إِذ التَّحبيب والتَّزيين هو نفس الفضل، وقد يجيءُ المصدر مؤكّداً لما قَبْلَه إِذا لم يكن هو نفس ما قَبْله، كقولك: جاءَ زيد حقّاً، ونحوه.

وكان قتادة رحمه الله يقول: قد قال تعالى لأَصحاب محمد ﷺ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾، وأَنتم والله أَسخف رأْياً، وأَطْيش أَحلاماً، فلْيَتَّهم رجلٌ نفسه، ولْيَنْتَصِحْ كتابَ الله تعالى(٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾.

﴿طَآئِفَتَانِ﴾ مرفوع بإِضمار فعل، والطَّائفة: الجماعة، وقد تقع على الواحد، واحْتُجَّ لذلك بقوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ﴾ [التوبة: ١٢٢]، ورأَى بعض النّاس [أَنَّه يُجزي أَن يشهد](٣) حدَّ الزّناة رجل واحد، فهذه الآية الحُكمُ فيها في الأَفراد وفي الجماعات واحد.

---

(١) نقله الثعالبي في تفسيره (٥/ ٢٧٠).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٩١)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٢٩).
(٣) سقط من الأصل، وفي أحمد٣: «يجوز» بدل «يجزي».

واختلف النّاس في سبب هذه الآية:

فقال أَنس بن مالك والجمهور: سببها ما وقع بين المسلمين وبين المتحزِّبين منهم مع عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سَلُول حين مرَّ به رسول الله ﷺ وهو متَّجه لزيارة سعد ابن عبادة رضي الله عنه في مرضه، فقال عبد الله بن أُبَيٍّ لما غَشِيَه حمار رسول الله ﷺ: لا تُغَبِّرُوا علينا، ولقد آذانا نَتَنُ حمارك، فردَّ عليه عبد الله بن رواحة رضي الله عنه... الحديث بطوله، فتلاحى الناس حتّى وقع بينهم ضربٌ بالجَريد، ويروى: بالحديد[1].

وقال أَبو مالك، والحسن: سببها أَنَّ فرقتين من الأَنصار وقع بينهما قتال، فأَصلحه رسول الله ﷺ بعد جهد، ونزلت الآية في ذلك[2].

وقال السُّدِّيُّ: كانت بالمدينة امرأَة من الأَنصار يقال لها: أُمُّ بَدْرٍ[3]، وكان لها زوج من غيرهم، فوقع بينهما شيءٌ أَوجب أَن يأْنف لها قومها وله قومه، فوقع قتال نزلت الآية بسببه[4].

و﴿بَغَتْ﴾ معناه: طلبت العُلُوَّ بغير الحقِّ، ومدافعةُ الفئة الباغية متوجِّه في كلِّ حال، وأَمَّا التَّهيُّؤ لقتالها فمع الوُلاة.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٦٩١)، ومسلم (١٧٩٩) عن أنس رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أُبي، فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حماراً، فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي ﷺ فقال: إليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، فشتمه، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنها أنزلت ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾. ولم أقف على لفظة «بالحديد».

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٩٤).

(٣) وقع في الإصابة (٨/ ٣٩٧): «أم زيد» بدل «أم بدر»، قال الحافظ: غير منسوبة، وقع في رواية أسباط بن نصر عن السدي، قال: كانت امرأة من الأنصار يقال لها أم زيد اختصمت مع زوجها، فأقبل أهلها مع زوجها، فنزلت الآية.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٩٤)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٧٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٣٠).

وقيل لعليٍّ بن أَبي طالب رضي الله عنه: أَمُشْركون هم أَهل صفّين والجمل؟ قال: لا، من الشِّرك فرُّوا، قيل: أَفَمُنَافقون؟ قال: لا، لأَنَّ المنافقين لا يذكرون الله إِلَّا قليلاً، قيل: فما حالهم؟ قال: إِخواننا بغوا علينا(١).

وقال النَّبيُّ ﷺ: «حكم الله تعالى في الفئة الباغية: أَلَّا يُجهز على جريح، ولا يُطلب هارب، ولا يُقتل أَسير»(٢).

و﴿تَفِىٓءَ﴾ معناه: ترجع، و«الإِقساط»: الحكم بالعدل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، يريد تعالى: أُخوة الدّين.

وقرأَ الجمهور من القراءِ: ﴿بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، وذلك رعاية لحال أَقل عدد يقع فيه القتال والتَّشاجر، والجماعة متى / فصِّل الإِصلاح، فإِنَّما هو بين رجلين رجلين. [٥/ ١١٧]

وقرأَ ابن عامر، والحسن بخلاف عنه: ﴿بين إِخْوَتِكُم﴾(٣).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٨٩١٨) من طريق شريك، عن أبي العنبس، عن أبي البختري: قال: سئل علي، عن أهل الجمل، إلخ، وأبو البختري هو سعيد بن فيروز الطائي ثقة ثبت ولكنه لم يدرك علي ولم يره، وانظر: جامع التحصيل (٢٤٢). ومن طريق ابن أبي شيبة أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٧٣)، وهذه المقولة مشهورة عن علي بن أبي طالب قالها في الخوارج وليس في أهل الجمل، وقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٩٠٩٧) بإسناد صحيح عن أبي إسحاق الشيباني، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: كنت عند علي، فسئل عن أهل النهر... إلخ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٧٤) من طريق يعلى بن عبيد، عن مسعر، عن عامر بن شقيق، عن شقيق بن سلمة قال: قال رجل: من يتعرف البغلة يوم قتل المشركون، يعني: أهل النهروان؟ فقال علي ابن أبي طالب: من الشرك فروا. قال: فالمنافقون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً... إلخ.

(٢) ضعيف جداً، أخرجه البزار في مسنده (٥٩٥٤)، والحارث (بغية ٧٠٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٥٦)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ١٨٢) من طرق عن كوثر بن حكيم، عن نافع، عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: يا ابن أم عَبد هل تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الأمة؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: لا يجهز على جريحها، ولا يقتل أسيرها، ولا يطلب هاربها، ولا يقسم فيئها، وكوثر بن حكيم متفق على ضعفه. وانظر: الميزان (٣/ ٤١٦).

(٣) وهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٧٦)، وعزاها لرواية يحيى عن ابن عامر في السبعة (ص: ٦٠٦).

وقرأ ابن مسعود، وزيد بن ثابت، وابن سيرين، والحسن، وعاصم الجحدريُّ، وثابت البنانيُّ، وحمّاد بن سلمة: (بين إِخْوَانِكُمْ)[١].

وهي حسنة؛ لأَنَّ الأَكثر من جمع الأَخ في الدِّين ونحوه من غير النَّسب: إِخْوان، والأَكثر في جمعه من النَّسب: إِخْوَةٌ وآخَاءٌ، قال الشاعر:

وَجَدْتُـمْ أَخاكُـمْ بَيْنَنَـا إِذْ نُسِـبْتُمُ ... وأَيُّ بنـي الآخَاءِ تَنْبُو مَنَاسِـبُهْ[٢] [الطويل]

وقد تتداخل هذه الجموع، وكلُّها في كتاب الله تعالى، فمنه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، ومنه ﴿أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ﴾ [النّور: ٦١]، فهذا جاءَ على الأَقل في الاستعمال.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

هذه الآية والَّتي بعدها نزلت في خُلُق أَهل الجاهلية، وذلك لأَنَّهم كانوا يجرون مع شهوات نفوسهم، لم يُقَوِّمْهُمْ أَمْرٌ من الله تعالى ولا نَهْي، فكان الرَّجل يسخر ويلمز ويهمز وينبز بالأَلقاب ويظنُّ الظنُّون فيتكلَّم بها ويغتاب ويفتخر بنسبه، إِلى غير ذلك من أَخلاق النُّفوس البَطَّالة، فنزلت هذه الآية تأْديباً لأُمَّة محمد ﷺ.

وذكر بعض النّاس لهذه الآيات أَسباباً، فمِمَّا قيل: إِنَّ هذه الآية ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ﴾

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها للحسن في: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٥١٢)، ولابن سيرين في: تفسير الثعلبي (٩/ ٧٩)، وللباقين في البحر المحيط (٩/ ٥١٦). وسقط قوله: «ثابت» من الأصل.

(٢) تقدم في تفسير الآية (٤٧) من (سورة الحجر)، مع ذكر الخلاف في الرواية فيه، وفي الأصل ونجيبويه: «دوننا إذ نسيتم».

نزلت بسبب عكرمة بن أَبي جهل، وذلك أَنَّه كان يمشي بالمدينة مسلماً[١]، فقال له قوم: هذا ابن فرعون هذه الأُمة، فعزَّ عليه ذلك وشكاه إِلى رسول الله ﷺ[٢].

قال القاضي أبو محمد: والقويُّ عندي: أَنَّ هذه الآيات نزلت تقويماً كسائر أمر الشرع[٣]، ولو تتبِّعت الأَسباب لكانت أَكثر من أَن تُحصى.

و﴿يَسْخَرْ﴾ معناه: يستهزئ، والهُزْءُ إِنَّما يترتب متى ضعف امرؤٌ؛ إِمَّا لصغر وإِمَّا لعلَّة حادثة أَو لِرَزِيَّة أَو لنقيصة يأتيها، فنهي المؤمنون عن الاستهزاءِ في هذه الأُمور وغيرها نهياً عامّاً، فقد يكون ذلك المُسْتَهْزَأُ به خيراً من السّاخر.

و«القوم» في كلام العرب واقع على الذُّكران، وهو من أَسماءِ الجمع كالرَّهط، وقول من قال: إِنَّه من القيام، أَو جمع قائم: ضعيف، ومن هذا قول الشّاعر وهو زهير:

[الوافر] وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْري ... أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ[٤]

وهذه الآية أيضاً تقتضي اختصاص القوم بالذُّكران، وقد يكون مع الذُّكران نساءٌ فيقال لهم: «قَوْمٌ» على تغليب حال الذُّكور، ثم نهى الله تعالى النِّساءَ عمَّا نهى عنه الرِّجال من ذلك.

وقرأَ أُبيُّ بن كعب، وابن مسعود: (عَسَوْا أَنْ يكونوا) و(عَسَيْنَ أَنْ يَكُنَّ)[٥].

و﴿تَلْمِزُوٓاْ﴾ معناه: يطعن بعضكم على بعض بذكر النقائص ونحوه، وقد يكون اللَّمْزُ بالقول وبالإِشارة ونحو هذا مما يفهمه الآخر، والهَمْزُ لا يكون إِلَّا باللِّسان، وهو

---

(١) في المطبوع: «مسلحا»، وهو خطأ.

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٦/ ٣٢٥)، ولم أقف عليه مسنداً.

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «لسائر الخلق».

(٤) تقدم في الآية (١٣٧) من (سورة الأعراف).

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها لابن مسعود رضي الله عنه في: مختصر الشواذ (ص: ١٤٤)، ولهما في البحر المحيط (٩/ ٥١٧).

مشبَّه بالهمز بالعود ونحوه مما يقتضي المُمَاسَّة، قال الشّاعر:

وَمَـنْ هَمَـزْنَـا عِـزَّهُ تَـبَرْكَعَـا[١] .... [الرجز]

وقيل لأَعرابيٍّ: أَتهمز الفأْرة؟ فقال: الهِرُّ يهمزها[٢].

وحكى الثَّعلبيُّ أَنَّ اللَّمْزَ ما كان في المَشْهد، وأَن الهَمْزَ ما كان في المغيب[٣].

وحكى الزَّهراويُّ عن عليٍّ بن سليمان عكس ذلك، فقال: الهمزُ أَن تعيب بالحضرة، واللَّمز في الغيبة[٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٥٨].

وقرأَ الجمهور: ﴿تَلْمِزُوٓاْ﴾ بكسر الميم.

وقرأَ الأَعرج والحسن بضمِّها، قال أَبو عمرو بن العلاءِ: هي عربية، وقال أَبو حاتم: قراءَتنا بالضَّمِّ وأَحياناً بالكسر[٥].

وقوله تعالى: ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ معناه: بعضكم بعضاً، كما في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النِّساء: ٢٩]، كأَنَّ المؤمنين كنفس واحدة إِذ هم إِخوة فهم كما قال رسول الله ﷺ: «كالجسد الواحد إِذا اشتكى منه عُضْوٌ تداعى سائره بالسَّهر والحُمَّى»[٦]، وهم كما قال أَيضاً: «كالبُنْيان يشُدُّ بعضُه بعضاً»[٧].

---

(١) البيت لرؤبة بن العجاج في الكنز اللغوي في اللسن العربي (ص: ٨٠)، وأمالي القالي (١/ ١٠٤)، وللعجاج في الإبل للأصمعي (ص: ٦٧)، والمحكم والمحيط الأعظم (١/ ١٣٧)، وبلا نسبة في الاشتقاق (ص: ٣١٢)، ومعنى تَبَرْكَعَ: صُرِعَ فوقع على اسْتِهِ.

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٨٦)، وقد تقدم هذا في تفسير (سورة التوبة).

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ٨١).

(٤) المصدر السابق (٤/ ١٨٩).

(٥) وهي عشرية ليعقوب، كما في النشر (٢/ ٢٨٠)، وانظر نسبتها للحسن في: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٥١٢).

(٦) أخرجه مسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

و«التَّنَابز»: التَّلَقُّب، والنَّبَزُ واللَّقَبُ واحد، أو اللَّقب: هو ما يُعْرف به الإِنسان من الأَسماءِ الَّتي يكره سماعها، ورُوي: أَنَّ بني سلمة كانوا قد كثرت فيهم الأَلقاب، فدعا رسول الله ﷺ رجلاً منهم فقال له: «يا فلان»، فقيل له: إِنَّه يغضب من هذا الاسم، ثمَّ دعا آخر كذلك، فنزلت الآية في هذا[١].

وليس من هذا قول المحدِّثين: سليمان الأَعمش، وواصل الأَحدب، ونحوه مما تدعو الضَّرورة إِليه وليس فيه قصد استخفاف ولا أَذى[٢].

وقد قال عبد الله بن مسعود لِعَلْقَمَة: أَوَ تقولُ أَنت ذلك يا أَعور؟![٣].

وأَسند النَّقّاشُ إِلى عطاءٍ، قال رسول الله ﷺ: «كَنُّوا أَولادكم»، قال عطاءٌ: مخافة الأَلقاب[٤].

وقال ابن زيد: معنى ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ﴾؛ أَي: لا يقل أَحدٌ لآخر: يا يهودي بعد إِسلامه، ولا: يا فاسق بعد توبته[٥]، ونحو هذا.

وحكى النَّقّاش: أَنَّ كعب بن مالك، وابن أَبي حَدْرَدٍ تَلاحَيَا، فقال له كعب: يا

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٣٠)، وأبو داود (٤٩٦٢)، والترمذي (٣٢٦٨)، والنسائي في الكبرى (١١٤٥٢)، وابن ماجه (٣٧٤١)، وأبو يعلى (٦٨٣٥)، والطبري (٢٢/ ٢٩٩-٣٠٠) وغيرهم من طرق عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن أبي جبيرة بن الضحاك قال: فينا نزلت في بني سلمة ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ﴾. قال: قدم علينا رسول الله ﷺ وليس منا رجل إلا له اسمان، فجعل النبي ﷺ يقول: «يا فلان»، فيقولون: يا رسول الله! إنه يغضب منه.

(٢) شرح النووي على شرح مسلم (١٦/ ١٤٣).

(٣) أصل هذه القصة وقعت لإبراهيم بن سويد النخعي الأعور كما في مسلم (٥٧٢) عن إبراهيم بن سويد قال: صلى بنا علقمة الظهر خمساً، فلما سلم قال القوم: يا أبا شبل قد صليت خمساً؟ قال: كلا ما فعلت قالوا: بلى قال: وكنت في ناحية القوم وأنا غلام فقلت: بلى قد صليت خمساً قال: لي وأنت أيضا يا أعور تقول ذاك. وعلقمة تابعي لا صحابي.

(٤) انظر: البحر المحيط (٩/ ٥١٨).

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٠١)، والهداية لمكي (١١/ ٧٠٠٥).

أَعرابيٌّ، يريد أَن يُبعده من الهجرة، فقال له الآخر: يا يهودي؛ لمخالطة الأَنصار اليهود في يثرب، فنزلت الآية[١].

وقوله تعالى: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ﴾ يحتمل معنييْن: أَحدهما: فبئس اسم تكتسبونه بعصيانكم ونبزكم بالأَلْقاب فتكونون فُسَّاقاً بالمعصية بعد إِيمانكم.

والثاني: بئس ما يقول الرَّجل لأَخيه: يا فاسق بعد إِيمانه.

وقال الرُّمَّانيُّ: هذه الآية تدُلُّ على أَنَّه لا يجتمع الفسوق والإِيمان[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذه نزعة اعتزاليَّة، ثمَّ شدَّد الله تعالى عليهم النَّهي بأَن حكم بظلم من لم يتب ويُقلع عن هذه الأَشياءِ الَّتي نهى عنها.

ثمَّ أَمر تعالى المؤمنين باجتناب كثير من الظَّنِّ، وأَلَّا يعملوا ولا يتكلَّموا / بحسبه؛ لما في ذلك وفي التَّجسُّس من التَّقاطع والتدابر، وحكم على بعضه بأَنَّه إِثم؛ إِذ بعضه ليس بإِثم ولا يلزم اجتنابه، وهو ظنُّ الخير بالنّاس، وحُسْنُه بالله تعالى، والمظنون من شهادات الشّهود، والمظنون به من أَهل الشَّرِّ، فإِن سقوط عدالته وغير ذلك هو من حكم الظَّنِّ به، وظنُّ الخير بالمؤمن محمود، والظَّنُّ المنهيُّ عنه هو أَن يظنَّ سوءاً برجل ظاهره الصَّلاح، بل الواجب أَن يزيل الظَّنَّ وحكمه ويتأَوَّل الخير. [٥/ ١١٨]

وقال بعض النّاس: ﴿إِثْمٌ﴾ معناه: كذب، ومنه قول النَّبيِّ ﷺ: «إِيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإِن الظنَّ أَكذب الحديث»[٣].

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧/ ٣٤٣-٣٤٤) من طريق ابن لهيعة، عن بكير بن عبد الله، عن سفيان بن فروة الأسلمي: أن عبد الله بن أبي حدرد حدثه أنه ساب رجلاً من الأنصار... إلخ، وعبد الله بن لهيعة متفق على ضعفه، وهذه القصة رواها البخاري (٤٥٧)، ومسلم (١٥٥٨) بلفظ: أن كعب بن مالك تقاضى ابن أبي حدرد ديناً كان له عليه في المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته، فخرج إليهما حتى كشف سجف حجرته... إلخ. وليس فيهما ذكر الأعرابي واليهودي ولا الآية.

(٢) البحر المحيط (٩/ ٥١٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، =

وقال بعض النّاس: معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾؛ أَي: إِذا تكلَّم الظَّانُّ أَثِمَ، وما لم يتكلَّم فهو في فُسْحة؛ لأَنَّه لا يقدر على دفع الخواطر التي يُبيحها قول النَّبيِّ ﷺ: «الحزمُ سوءُ الظَّنِّ»(١).

وذكر النَّقَّاش عن أَنس رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «احترسوا من النّاس بسوءِ الظَّنِّ»(٢).

= وفيه: «ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا، وكونوا إخواناً، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك».

(١) ضعيف جداً، أخرجه القضاعي في مسنده (٢٤) من طريق علي بن الحسين بن بندار بن خير، عن الحسين بن محمد مودود، عن أبي تقي، عن بقية بن الوليد، عن الوليد بن كامل، عن نصر بن علقمة، عن عبد الرحمن بن عائذ مرفوعاً به، وعلي بن الحسين بن بندار قال الذهبي: اتهمه محمد بن طاهر كما في الميزان (٣/ ١٢١)، وقال الحافظ: وضعفه ابن النجار، وقال عبد العزيز النخشبي: لا تحل الرواية عنه إلا على وجه التعجب. اهـ من اللسان (٤/ ٢١٧)، وسأل ابن أبي حاتم أباه عنه كما في المراسيل (٤٤٥) فقال: هو مرسل لم يدرك ابن عائذ النبي ﷺ، وأخرجه ابن أبي الدنيا في مداراة الناس (١١٤) من طريق إبراهيم بن طهمان، عمن أخبره، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الحزم سوء الظن بالناس»، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٦٥) من طريق جرير، عن الحكم بن عبد الرحمن قال: كانت العرب تقول: العقل التجارب، والحزم سوء الظن، قال السخاوي في المقاصد الحسنة (١/ ٦٥): ولأبي الشيخ، ومن طريقه الديلمي في مسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من قوله: الحزم سوء الظن، وأخرجه القضاعي في مسند الشهاب عن عبد الرحمن بن عائذ رفعه مرسلاً، ولكنها ضعيفة وبعضها يتقوى ببعض، وقد أفردته في جزء وأوردت الجمع بينها وبين قوله تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾. اهـ.

(٢) ضعيف، أخرجه ابن أبي الدنيا في مداراة الناس (١١٣)، والطبراني في الأوسط (٥٩٨-٩٤٥٨) من طريق بقية بن الوليد، عن معاوية بن يحيى الصدفي، عن سليمان بن مسلم، عن أنس بن مالك مرفوعاً به، قال الحافظ: وهو من رواية بقية بالعنعنة، عن معاوية بن يحيى وهو ضعيف؛ فله علتان. اهـ. من الفتح (١٠/ ٥٣١)، وأخرجه تمام الرازي في فوائده (٦٩٢) من طريق إبراهيم بن طهمان، عن أبان بن أبي عياش، عن أنس به، بنحوه، وأبان بن أبي عياش فيروز متروك. وقد جاء من قول عمر رضي الله عنه كما أخرجه الخطابي في العزلة (١٣٩) من طريق الضحاك بن يسار النكري، عن عثمان النهدي، عن عمر، فذكره، وأخرجه البيهقي في الكبرى (١٠/ ١٢٩) من قول مطرف بن عبد الله بن الشخير.

قال القاضي أَبو محمد: وما زال أُولو العلم يحترسون من سوءِ الظَّنِّ ويسدُّون ذرائعه.

قال سلمان الفارسيُّ: إِنِّي لأَعُدُّ عُراق قِدْرِي مخافةَ الظَّنِّ[(١)].

وكان أَبو العالية يختم على بقيَّة طعامه مخافة سوءِ الظَّنِّ بخادمه[(٢)].

وقال ابن مسعود: الأَمانة خير من الخاتم، والخاتم من سوءِ الظَّنِّ[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾؛ أَي: لا تبحثوا عن مُخَبَّآت أُمور النّاس، وادفعوا بالَّتي هي أَحسن، واجتزوا بالظَّواهر الحسنة.

وقرأَ الحسن، وأَبو رجاءٍ، وابن سيرين، والهُذَليُّون: (ولا تحسَّسوا) بالحاءِ غير منقوطة[(٤)].

وقال بعض النّاس: التَّجسُّس بالجيم: في الشَّرِّ، والتَّحسُّس بالحاءِ: في الخير، وهكذا ورد القرآن، ولكن قد يتداخلان في الاستعمال.

---

(١) صحيح، أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٦٨-١٦٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٧٠٩) من طريق شعبة، عن أبي إسحاق السبيعي، قال: سمعت حارثة بن مضرب يقول: سمعت سلمان الفارسي يقول: إني لأعد العراق خشية الظن. والعُراق بضمِّ العين: العظم أكل لحمه.

(٢) نقل عنه السمعاني في تفسيره (٥/ ٢٢٤) أنه ختم على سبع سكرات لئلا يظن ظن السوء.

(٣) لم أقف عليه من قول ابن مسعود رضي الله عنه، وإنما جاء من قول أبي ذر كما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٨٢٨) من طريق سفيان، عن أبي المحجل، عن معفس بن عمران بن حطان، عن أبيه، قال: قال أبو ذر: الصاحب الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من صاحب السوء، ومملي الخير خير من الساكت، والساكت خير من مملي الشر، والأمانة خير من الخاتم، والخاتم خير من ظن السوء. ومعفس بن عمران بن حطان ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٨/ ٦٤)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٨/ ٤٣٣)، وابن حبان في الثقات (٧/ ٥٢٥) ولم يذكروا فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها للحسن وابن سيرين في مختصر الشواذ (ص: ١٤٤)، ولأبي رجاء في تفسير الثعلبي (٩/ ٨٢).

وقال أَبو عمرو بن العلاءِ: التَّجسُّس: ما كان من وراءَ وراءَ، والتَّحسُّس: الدُّخول والاستعلام[(١)].

وصحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «ولا تحسَّسوا ولا تجسَّسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إِخواناً»[(٢)].

وذكر الثَّعلبيُّ حديث حراسة عمر بن الخطاب مع ابن عوف، ووجودهما الشَّرْب في بيت ربيعة[(٣)] بن أُميَّة بن خلف[(٤)]، وذكر أَيضاً حديثه في نحو ذلك مع أَبي مَحْجَن الثَّقفيِّ[(٥)].

---

(١) انظر: غريب الحديث للخطابي (١/ ٨٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً».

(٣) في المطبوع: «في ربيعة»، دون لفظة «بيت»، وربيعة ذكر في القسم الرابع من الإصابة (٢/ ٤٣٢): أنه أسلم يوم الفتح، وكان شهد حجة الوداع، فذكره في الصّحابة البغويّ وأصحابه، لكن روى ابن شيبة في مسنده: أنه هرب إلى قيصر فتنصّر ومات عنده.

(٤) صحيح، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٨٩٤٣) ومن طريقه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٧٧)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٣٣٣)، والثعلبي في تفسيره (٩/ ٨٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٨/ ٥١) عن معمر، عن الزهري، وابن حبان في الثقات (٤/ ٢٦٧)، والطبراني في مسند الشاميين (٣/ ٦٠) من طريق الزهري، عن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف، عن المسور بن مخرمة، عن عبد الرحمن بن عوف: أنه حرس ليلة مع عمر بن الخطاب بالمدينة، فبينما هم يمشون شب لهم سراج في بيت فانطلقوا يؤمونه، حتى إذا دنوا منه إذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط فقال عمر ـ وأخذ بيد عبد الرحمن ـ: أتدري بيت من هذا؟ قال: لا، قال: هذا بيت ربيعة ابن أمية ابن خلف وهم الآن شرب كما ترى. فقال عبد الرحمن: أرى أن قد أتينا ما نهانا الله فقال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ فقد تجسسنا، فانصرف عنهم عمر وتركهم، وجاء في المطبوع من المصنف «مصعب بن زرارة» بدلاً من «زرارة بن مصعب».

(٥) منقطع، أخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/ ٨٣) من طريق معمر قال: أخبرني أيّوب، عن أبي قلابة أنّ عمر بن الخطّاب، حُدِّث أنّ أبا محجن الثقفي شرب الخمر في بيته هو وأصحابه، فانطلق عمر حتّى دخل عليه، فإذا ليس عنده إلاّ رجل، فقال أبو محجن: يا أمير المؤمنين إنّ هذا لا يحلّ لك، فقد نهاك الله عن التجسّس، فقال عمر: ما يقول هذا؟ فقال زيد بن ثابت، وعبدالله بن الأرقم: صدق هذا =

وقال زيد بن وهب: قيل لابن مسعود: هل لك في الوليد بن عُقبة تقطر لحيته خمراً؟ فقال: إِنَّا قد نُهينا عن التَّجسُّس، فإِن يظهر لنا أَمْرٌ أَخذنا به[١].

﴿وَلَا يَغْتَب﴾ معناه: ولا يذكر أَحدكم من أَخيه شيئاً هو فيه ويكره سماعه، وروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت عن امرأَة: ما رأَيتُ أَجمل منها إِلَّا أَنَّها قصيرة، فقال لها النَّبيُّ ﷺ: «اغْتَبْتِها، نظرت إِلى أَسوأ ما فيها فذكرته»[٢].

وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «إِذا ذكرتَ ما في أَخيك فقد اغتبته، وإِذا ذكرت ما ليس فيه فقد بَهَتَّه»[٣].

وفي حديث آخر: «الغِيبَةُ أَن تَذكرَ المؤمن بما يكره»، قيل: وإِن كان حقّاً؟ قال: «إِذا قلتَ باطلاً فذلك هو البُهتان»[٤].

= التجسّس، قال: فخرج عمر وتركه. وعبد الله بن زيد الجرمي أبو قلابة لم يسمع من عمر رضي الله عنه كما في جامع التحصيل (٣٦٢).

(١) صحيح، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٨٩٤٥)، وابن أبي شيبة (٢٧١٠٠)، وأبو داود (٤٨٩٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٦١٦)، والبزار في مسنده (١٧٦٩)، والطبراني في الكبير (٩٧٤١) وغيرهم من طرق عن الأعمش، عن زيد بن وهب الجهني، عن عبد الله بن مسعود بنحوه، وفي بعض الرويات بدون ذكر الوليد بن عقبة.

(٢) صحيح، أخرجه أحمد (٦/ ١٦٣، ٤٢/ ٤٦٧)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٢٠٦)، وكذا في ذم الغيبة (٦٩) من طريق سفيان، عن علي بن الأقمر، عن أبي حذيفة سلمة بن صهيب، عن عائشة، أنها ذكرت امرأة ـ وقال مرة: حكت امرأة ـ وقالت: إنها قصيرة، فقال: «اغتبتها ما أحب أني حكيت أحداً، وأن لي كذا وكذا»، وأخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (٢٠٧)، وفي ذم الغيبة (٧٠)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (١٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٣٩٤) من طريق أبي معاوية، عن أبي إسحاق الشيباني، عن حسان بن مخارق، عن عائشة بنحوه.

(٣) صحيح، أخرجه مسلم (٢٥٨٩) عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ، قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته».

(٤) ضعيف، أخرجه مالك في الموطأ (٣٦١٨) عن الوليد بن عبد الله بن صياد، عن المطلب بن عبد الله ابن حويطب المخزومي: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: ما الغيبة؟ فذكره، قال ابن عبد البر في =

وقال معاوية بن قُرَّة، وأَبو إِسحاق السَّبيعيُّ: إِذا مرَّ بك رجل أَقطع فقلت: ذلك الأَقطع، كانت غِيبة[١].

وحكى الزَّهراويُّ عن جابر: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «الغِيبَةُ أَشدُّ من الزِّنا؛ لأَنَّ الزَّاني يتوب فيتوب الله عليه، والَّذي يغتاب يتوب فلا يُتاب عليه حتّى يَسْتَحِلَّ»[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وقد يموت من اغتبتَ أَو يأْبى، ورُوي: أنَّ رجلاً قال لابن سيرين: إِنِّي قد اغتبتك فحلِّلني، فقال: إِنِّي لا أُحلِّل ما حرَّم الله[٣].

والغِيبةُ مشتقَّة من: غاب يغيب، وهي القول في الغائب، واستعملت في المكروه، ولم يُبَح في هذا المعنى إِلَّا ما تدعو الضَّرورة إِليه؛ كتجريح الشُّهود، وفي التَّعريف لمن استنصح في الخطاب ونحوه؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «أَمَّا معاوية فصعلوك لا مال له»[٤]، وما

= التمهيد (٢٣/ ١٩): المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب المخزومي عامة أحاديثه مراسيل، ويرسل عن الصحابة يحدث عنهم ولم يسمع منهم، وهو تابعي مدني ثقة، يقولون: أدرك جابراً، واختلف في سماعه من عائشة، وحدث عن ابن عمر وأبي هريرة وأبي قتادة وأم سلمة وأبي موسى وأبي رافع، ولم يسمع من واحد منهم.اهـ.

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٥٥٤٣)، والطبري في تفسيره (٢٦/ ١٣٦)، وغيرهما.

(٢) منكر، أخرجه هناد في الزهد (٢/ ٥٦٥) عن أسباط بن محمد، وابن أبي الدنيا في الصمت (١٤٦)، وفي ذم الغيبة والنميمة (٢٥)، وابن حبان في المجروحين (٢/ ١٦٨)، والطبراني في الأوسط (٦٥٩٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٣١٥)، والواحدي في الوسيط (٤/ ١٥٦) من طرق عن أسباط بن محمد، عن أبي رجاء عبد الله بن واقد الخراساني، عن عباد بن كثير، عن الجريري، عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري قالا: قال رسول الله ﷺ: «الغيبة أشد من الزنا». قيل: وكيف؟ قال: «الرجل يزني ثم يتوب، فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه» وفي رواية هناد بن السري: عن جابر، وحده. وفيه عباد بن كثير الثقفي البصري متروك، قال أحمد: روى أحاديث كذب، وانظر: العلل لابن أبي حاتم (٥/ ١٢١-١٢٢).

(٣) رواه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (٢/ ٦٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢٦٣)، وغيرهما.

(٤) صحيح، أخرجه مسلم (١٤٨٠) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن فاطمة بنت قيس: أن أبا عمرو ابن حفص طلقها البتة، وهو غائب، فأرسل إليها وكيله بشعير، فسخطته، فقال: والله ما لك علينا من شيء، فجاءت رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له، فقال: «ليس لك عليه نفقة»، فأمرها أن تعتد في بيت =

يقال في الفَسَقة أَيضاً، وفي وُلاة الجور، ويُقصد به التَّحذير منهم، ومنه قول النَّبيِّ ﷺ: «أَعن الفاجر تَرعوون؟ اذكروا الفاجر بما فيه، متى[١] يعرفه النّاسُ إِذا لم تذكروه»[٢].

ومنه قوله ﷺ: «بئس ابن العشيرة»[٣].

ثمَّ مثَّل تعالى الغِيبة بأَكل لحم ابن آدم الميت، والعرب تشبِّه الغِيبة بأَكل اللَّحم، فمنه قول سُوَيْد بن أَبي كاهل:

فَــإِذَا لاقَـيْـتُــهُ عَـظَّـمَـنِـي ... وإِذَا يَـخْـلُـو لـهُ لَـحْـمِي رَتَــع[٤] [الرمل]

ومنه قول الآخر:

إِذا أَكلُوا لَـحْمي وَفَرْتُ لُـحُومَهُمْ ... وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْداً[٥] [الطويل]

= أم شريك، ثم قال: «تلك امرأة يغشاها أصحابي، اعتدي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك، فإذا حللت فآذنيني»، قالت: فلما حلَلْت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان، وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله ﷺ: «أما أبو جهم، فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد» فكرهته، ثم قال: «انكحي أسامة»، فنكحته، فجعل الله فيه خيراً، واغتبطت به.

(١) في المطبوع: «حتى».

(٢) حسن، أخرجه الطبراني في الكبير (١٠١٠) من طريق الجارود بن يزيد، وفي الصغير (٥٩٨) من طريق معمر كلاهما ـ الجارود، ومعمر ـ عن بهز بن حكيم، عن أبي، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «أترعوون عن ذكر الفاجر؟ اذكروه بما فيه يعرفه الناس»، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٧٥): رواه الطبراني في الثلاثة، وإسناد الأوسط والصغير حسن، رجاله موثقون، واختلف في بعضهم اختلافاً لا يضر.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٠٣٢)، ومسلم (٧٣) عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلًا استأذن على النبي ﷺ، فلما رآه قال: «بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة»، فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله! حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة! متى عهدتني فحاشاً، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره».

(٤) انظر عزوه له في: المفضليات (ص: ١٩٠)، والشعر والشعراء (١/ ٤١١)، وعيون الأخبار (٢/ ١٤)، والأغاني (١٣/ ١١٣).

(٥) هو للمُقَنَّع الكِنْدي، كما في الشعر والشعراء (٢/ ٧٢٨)، والعقد الفريد (٢/ ٢٠٩)، وأمالي القالي (١/ ٢٨٠)، والأغاني (١٧/ ١١٢).

فوقفهم الله تعالى ـ على جهة التَّوبيخ ـ بقوله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾، فالجواب عن هذا: لا، وهم في حكم من يقولها، فخوطبوا على أنَّهم قالوا: لا، فقيل لهم: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾، وبعد هذا مُقَدَّرٌ تقديره: فكذلك فاكرهوا الغِيبَةَ الَّتي هي نظير ذلك، وعلى هذا المقدَّر يعطف قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، قاله أبو عليٍّ الفارسيُّ[(١)].

وقال الرُّمَّانيُّ: كراهية هذا اللَّحم يدعو إِليها الطَّبع، وكراهيَّة الغِيبَة يدعو إِليها العقل، وهو أَحقُّ أَن يجاب لأَنَّه بصيرٌ عالِمٌ، والطَّبْعُ أَعمى جاهل[(٢)].

وقرأَ الجمهور: ﴿مَيْتًا﴾ بسكون الياءِ خفيفة.

وقرأَ نافع، وابن القعقاع، وشيبة، ومجاهد: ﴿ميِّتاً﴾ بكسرها مشدَّدة[(٣)].

وقرأَ أَبو حيوة: (فَكُرِّهْتُمُوهُ) بضمِّ الكاف وشدِّ الرّاءِ، ورواها أَبو سعيد الخدريُّ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ[(٤)].

ثمَّ أَعلمهم الله تعالى بأَنَّه توَّابٌ رحيم؛ إِبْقاءً منه تعالى وإِمْهالاً وتمكيناً من التَّوبة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾.

---

(١) الحجة للفارسي (٦/ ٢١٢).

(٢) البحر المحيط (٩/ ٥٢٠).

(٣) وهما سبيعتان، انظر: السبعة (ص: ٦٠٦)، والنشر (٢/ ٢٢٤).

(٤) وهي شاذة، عزاها لأبي حيوة في البحر المحيط (٩/ ٥٢١). والحديث منكر، أخرجه حفص بن عمر في «جزء فيه قراءات» (١٠٦) من طريق أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد به. وعمارة بن جوين ـ أبو هارون ـ العبدي البصري متروك.

قوله تعالى: ﴿مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ يحتمل أَن يريد آدم وحوَّاءَ، فكأَنَّه / تعالى قال: إِنَّا [٥/ ١١٩] خلقناكم جميعاً من آدم وحوَّاءَ، ويحتمل أَن يريد بالذَّكر والأُنثى اسْم الجنس، وكأَنَّه تعالى قال: إِنَّا خلقنا كلَّ واحد منكم من ماءِ ذكرٍ وماءِ أُنثى، وقَصْد هذه الآية التَّسوية بين النّاس، ثمَّ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾؛ أَي: لِئَلَّا تفاخروا ويريد بعضكم أَن يكون أَكرم من بعض، فإِنَّ الطَّريق إِلى الكرم غير هذا، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

وروى أَبو بكرة: قيل: يا رسول الله! من خير النّاس؟ قال: «من طال عُمُره، وحسُن عمله»(١).

وفي حديث آخر: مَنْ خَيْرُ النَّاس؟ قال: «آمرُهُم بمعروف، وأَنهاهم عن منكر، وأَوصلهم للرَّحم، وأَتقاهم»(٢).

---

(١) حسن لغيره، أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٩٠٥)، وأحمد (٥/ ٤٠-٤٣-٤٧-٤٨-٤٩-٥٠)، والدارمي (٢٧٤٢-٢٧٤٣)، والترمذي (٢٣٣٠)، والبزار (٣٦٢٣) وغيرهم من طرق عن علي بن زيد بن جدعان، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه قال: قيل: يا رسول الله! أي الناس خير؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله»، قيل: يا رسول الله! فأي الناس شر؟ قال: «من طال عمره وساء عمله». وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف، ولكن أخرجه أحمد (٥/ ٤٤-٤٧-٤٩)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٣/ ٢٠٥)، والطبراني في الأوسط (٥٤٤٩)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٥١٩) من طرق عن الحسن البصري، عن أبي بكرة رضي الله عنه به، بنحوه، وقد رجح العلائي سماع الحسن من أبي بكرة رضي الله عنه. وانظر: جامع التحصيل (ص: ١٦٣).

(٢) ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٥٨٠) عن شريك، وأحمد (٦/ ٦٨-٤٣٢)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣١٦٦)، والطبراني في الكبير (٦٥٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٥٧٨) من طرق عن شريك، عن سماك، عن عبد الله بن عميرة، عن زوج درة، عن درة بنت أبي جهل قالت: قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فقال: يا رسول الله! أي الناس خير؟ فقال ﷺ: «خير الناس أقرؤهم وأتقاهم، وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر، وأوصلهم للرحم». وهذا الإسناد له ثلاث علل أولها شريك بن عبد الله النخعي تغير حفظه منذ ولي القضاء، ثانياً: عبد الله بن عميرة الكوفي مجهول، ثالثاً: زوج درة لم أقف له على ترجمة، وقد اختلف في إسناد هذا الحديث على أكثر من وجه. وانظر: العلل للدارقطني (١٥/ ٤٢١).

وحكى الزَّهراويُّ: أَنَّ سبب نزول هذه الآية غضب الحارث بن هشام، وعَتَّاب ابن أَسيد حين أَذَّن بلال يوم فتح مكة على الكعبة[١].

وحكى الثَّعلبيُّ عن ابن عبّاس: أَنَّ سببها قول ثابت بن قيس لِرَجلٍ لم يَفْسَحْ له عند النَّبيِّ ﷺ: يابْنَ فلانة! فوبَّخه النبي ﷺ، وقال له: «إِنَّك لا تَفْضُل أَحداً إِلَّا في الدِّين والتَّقوى»، فنزلت هذه الآية، ونزل الأَمر بالتَّفسُّح في ذلك أَيضاً[٢].

والشُّعوب جمع شَعْب، وهو أَعظم ما يوجد من جماعات النّاس مرتبطاً بنسب واحد، وتتلوه القبيلة، ثمَّ العِمَارة، ثمَّ البطن، ثم الفخذ، ثمَّ الأُسرة والفَصِيلة، وهما قرابة الرّجل الأَدنَوْن.

فمُضر وربيعة وحِمْير: شعوب، وقيس وتميم ومَذْحِج ومراد: قبائل، مُشَبَّهة بقبائل الرأْس لأَنَّها قطع تقابلت، وقريش وسُلَيم: عِمارات، وبنو قُصَيٍّ وبنو مخزوم: بطون، وبنو هاشم وبنو أُميَّة ونحوهما: أَفخاذٌ، وبنو عبد المطلب: أُسرة وفصيلة.

وقال ابن جبير: الشُّعوب: الأَفخاذ[٣].

وروي عن ابن عبّاس: الشُّعوب: البطون[٤]، وهذا غير ما تَمَالَأَ عليه اللُّغويون.

وقال الثَّعلبيُّ: وقيل: الشُّعوب في العجم، والقبائل في العرب، والأَسباط في بني إِسرائيل[٥]، وأَمَّا الشعب الذي في هَمْدان الذي يُنسب إِليه الشَّعبيُّ: فهو بطنٌ يقال له: الشَّعْب.

(١) انظر تفسير الثعلبي (٩/ ٨٦).

(٢) انظر تفسير الثعلبي (٩/ ٨٦)، وأسباب النزول للواحدي (١/ ٣٩٤).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٣١١).

(٤) حسن، أخرجه الطبري (٢١/ ٣٨٥/ ٣٨٦)، وابن أبي خيثمة في التاريخ الكبير (٧٩/ ٢٩٤٣) من طريق أبي بكر بن أبي عياش، عن أبي حصين عثمان بن عاصم بن حصين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: الشعوب: البطون، والقبائل: الأفخاذ الكبار.

(٥) تفسير الثعلبي (٩/ ٨٧).

قال القاضي أبو محمد: وقيل للأُمم التي ليست بعرب: شعوبية؛ نسبة إِلى الشُّعوب، وذلك أَنَّ تفصيل أَنسابها خفيٌّ فلم يُعرف أَحدٌ منهم إِلَّا بأَن يقال: فارسيٌّ، تركيٌّ، روميٌّ، وزناتي[١]، فكأَنَّهم عرفوا بشعوبهم وهي أَعمُّ ما يُعبَّر به عن جماعتهم، ويقال لهم: الشَّعُوبيَّة بفتح الشين، وهذا من تغيير[٢] النَّسب، وقد قيل فيهم غير ما ذكرتُ، وهذا أَولى عندي.

وقرأَ الأَعمش: (لِتَتَعَارَفُوا).

وقرأَ عبد الله بن عبّاس: (لِتَعْرِفوا أَنَّ) على وزن «تَفْعِلُوا» بكسر العين وبفتح الأَلف من (أَنَّ) وإِعْمال (تَعْرِفُوا) فيها[٣].

ويحتمل ـ على هذه القراءة ـ أَن تكون اللَّام في قوله تعالى: (لِتَعْرِفُوا) لام «كَيْ»، ويضطرب معنى الآية مع ذلك.

ويحتمل أَن تكون لام الأَمر، وهو أَجود في المعنى، ويحتمل أَن يكون المفعول محذوفاً تقديره: الحَقَّ، وإِذا كانت لام «كي» فكأَنَّه تعالى قال: يا أَيُّها النّاس أَنتم سواءٌ من حيث أَنتم مخلوقون، وإِنَّما جُعلتم قبائل لأَنْ تتعارفوا ولأَنْ تعرفوا الحقائق، وأَمَّا الشَّرفُ والكرم فهو بتقوى الله تعالى وسلامة القلوب.

وقرأَ ابن مسعود: (لِتَعَارَفُوا بَيْنَكُمْ، وخيركم عند الله أَتقاكم)[٤].

ورُوي: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَن سرَّه أَن يكون أَكرم النّاس فَلْيَتَّق الله»[٥].

---

(١) «وزناتي» ليست في الأصل وأحمد٣.

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «تعيين».

(٣) وهما شاذتان، أما الأولى فنسبها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٤٥) لابن مسعود، وقراءة الأعمش فيه: (ليتعرفوا) بالياء، وفي تفسير الثعلبي (٩/ ٨٨): (ليتعارفوا)، بالياء، وأما الثانية ففي المحتسب (٢/ ٢٧٩).

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: معاني القرآن للفراء (٣/ ٧٢).

(٥) منكر، أخرجه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٥) من طريق عبد الرحيم بن زيد العَمِّي، عن أبيه، =

ثمَّ نبَّه تعالى على الحذر بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾؛ أَي: بالمُتَّقِي الَّذي يستحقُّ رتبة الكرم في الإيمان.

قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾، قال مجاهد: نزلت في بني أَسد بن خزيمة، وهي قبيلة كانت تجاور المدينة، وكانوا قد أَظهروا الإِسلام، وكانت نفوسهم مع ذلك دَخِلَةً[١]، إِنَّما يُحبُّونَ المغانم وعَرَض الدُّنيا، قال ابن عبّاس: وذهبوا مرَّة إِلى أَن يتسمَّوْا بالمهاجرين، فنزلت هذه الآية مُسَمِّيَةً لهم بالأَعراب[٢]، مُعَرِّفةً لهم بذلك أَقدارهم، ومُخْرِجةً ما في صدورهم من صورة معتقدهم، وهم أَعرابٌ مخصوصون كما ذكرنا.

قال أَبو حاتم عن ابن الزُّبير: سمع النَّبيُّ ﷺ رجلاً يقرأُ: (قَالتِ الاعْرابُ) بغير همز، فردَّ عليه بِهَمْز وقَطْع[٣].

وقد أَخبر الله تعالى أَن في الأَعراب على الجملة من يؤمن بالله واليوم الآخر، فأَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ أَن يقول لهؤلاءِ المُدَّعين في الإيمان: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُواْ﴾؛ أَي: لم تصدِّقوا بقلوبكم، ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾؛ أي: استسلمنا[٤].

والإِسلام يقال بمعنيَيْن:

= عن محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله عز وجل، ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله عز وجل، ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يدي الله أوثق منه بما في يديه». وعبد الرحيم بن زيد الحواري العَمِّي متروك، وأخرجه ابن عدي في الكامل (٧/ ١٠٦) من طريق موسى بن خلف، عن أبي المقدام، عن محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً مختصراً، وأبو المقدام هشام بن زياد ابن أبي زيد القرشي متروك، وأخرجه ابن عدي أيضاً (٧/ ١٠٦) من طريق موسى بن خلف، عمن حدثه، عن محمد بن كعب القرظي، به.

(١) في أحمد٣: «مغلة»، وفي الأصل ونور العثمانية: «دغلة».

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣١٥) من طريق عطية العوفي.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) «أي: استسلمنا» ليس في الأصل والمطبوع.

أَحدهما: الَّذي يعُمُّ الإِيمان والأَعمال، وهو الَّذي في قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، والَّذي في قوله ﷺ: «بُنِيَ الإِسلامُ عَلَى خَمْسٍ»[١]، والَّذي في تعليم النَّبيِّ ﷺ لجبريل عليه السّلام حين قال: ما الإِسلام؟ قال: «أَن تعبد الله وحده لا تُشرك به شيئاً، وتقيم الصّلاة، وتُؤتي الزّكاة، وتصوم رمضان»[٢]، والَّذي في قوله ﷺ لسعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه: «أَوْ مُسلِماً، إِنِّي لأُعطي الرَّجلَ وغيرُه أَحبُّ إِليَّ منه» الحديث[٣]، فهذا الإِسلام ليس هو في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾.

والمعنى الثّاني لِلَفظ الإِسلام: هو الاسْتِسلامُ والإِظهار الَّذي يُسْتَعصم به ويُحقَن الدَّمُ، وهذا هو الإِسلام في قوله: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾، والإِيمان الَّذي هو التَّصديق أَخصُّ من الأَوَّل وأعم بوجه.

ثمَّ صرَّح تعالى لهم بأَن الإِيمان لم يدخل قلوبهم، ثمَّ فتح تعالى لهم باب التَّوبة بقوله: ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾، الآية، وطاعةُ الله تعالى ورسوله في ضمنها الإِيمان والأَعمال.

وقرأَ الجمهور من القراءِ: ﴿لَا يَلِتۡكُم﴾، مِنْ: لَاتَ يَليتُ: إِذا نقص، يقال: لَاتَهُ حقَّه: إِذا نقصه منه.

وقرأَ أَبو عمرو، والأَعرج، والحسن، وعمرو: ﴿لا يَأْلِتْكُم﴾ مِنْ: أَلَتَ يَأْلِتُ[٤]،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد رواه مسلم (٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧)، ومسلم (١٥٠) عن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أعطى رهطاً وسعد جالس، فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبهم إلي، فقلت: يا رسول الله! ما لك عن فلان فو الله إني لأراه مؤمناً، فقال: «أو مسلماً» فسكت قليلاً، ثم غلبني ما أعلم منه، فعدت لمقالتي، فقلت: ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمناً، فقال: «أو مسلماً» ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي، وعاد رسول الله ﷺ، ثم قال: «يا سعد! إني لأعطي الرجل، وغيره أحب إلي منه، خشية أن يكبه الله في النار».

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٢)، والسبعة (ص: ٦٠٦).

وهو بمعنى: لات، وكذلك يقال: أَلِتَ بكسر اللام، يَأْلَتُ، ويقال أيضاً في معنى لات: آلَتَ يُولِتُ، ولم يُقرأْ بهذه اللُّغة.

[٥/ ١٢٠] وباقي الآية بيِّنٌ في التَّرجية. /

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا﴾ في هذه الآية حاصرةٌ تعطي ذلك المعنى.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾؛ أَي: لم يشكُّوا في إيمانهم، ولم يُداخِلْهم ريب، وهم الصّادقون إِذْ جاءَ فعلهم مُصدِّقاً لقولهم.

ثمَّ أَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بتوبيخهم بقوله: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾؛ أَي: بقولكم: ﴿ءَامَنَّا﴾، وهو يعلم منكم خلاف ذلك؛ لأَنَّه العليم بكلِّ شيءٍ.

وقوله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾ نزل في بني أَسد أَيضاً، وذلك أَنَّهم قالوا في بعض الأَوقات للنَّبيِّ ﷺ: إِنَّا آمَنَّا بك واتَّبعناك ولم نحاربك كما فعلت مُحارب وخصفة(١) وهوازن وغَطَفان وغيرهم، فنزلت هذه الآية، حكاه الطبريُّ وغيره(٢).

وقرأَ ابن مسعود: (يَمُنُّون عَلَيكَ إِسْلَامَهُمْ)(٣).

وقوله تعالى: ﴿أَنْ﴾ يحتمل أَن يكون مفعولاً صريحاً، ويحتمل أَن يكون مفعولاً من أَجله.

---

(١) في المطبوع ونور العثمانية وأحمد٣: «حصفة».

(٢) ذكره الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٢٠) عن سعيد بن جبير.

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: معاني القرآن للفراء (٣/ ٧٣)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٣٢١).

وقوله: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾؛ أَيْ: بزعمكم إِذْ تقولون آمنَّا، فقد لزمكم أَنَّ الله تعالى مانٌّ عليكم، ويدلُّك على هذا المعنى قوله: ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾، فتعلَّق عليهم الحُكمان: هم ممنونٌ عليهم على الصِّدق، وأَهلٌ أَن يقولوا أَسلمنا من حيث هم كذبة. وقرأَ ابن مسعود: (إِذْ هَداكُمْ)[1].

وقوله تعالى: ﴿يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ﴾ يحتمل أَن يكون بمعنى: يُنْعِم، كما تقول: مَنَّ اللهُ عليك.

ويحتمل أَن يكون بمعنى: يَذْكُرُ إِحسانه، فيجيءُ معادلاً لـ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ﴾.

وقال الناسُ قديماً: إِذا كُفرت النِّعمة حَسُنَت المِنَّةُ، وإِنَّما المنَّةُ المُبطلةُ للصَّدَقَة المكروهة ما وقع دون كُفر نعمة.

وقرأَ أَبو جعفر، ونافع، وشيبة، وقتادة، وابن وثّاب: ﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ بالتّاءِ على الخطاب.

وقرأَ ابن كثير، وعاصم في رواية أبان عن أَبي بكر: ﴿بما يَعْمَلُون﴾ بالياءِ من تحت على ذكر الغيب[2].

كمل تفسير (سورة الحجرات)، والحمد لله ربّ العالمين

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: تفسير الثعلبي (٩/ ٩١).

(٢) وهما سبعيتان، الثانية لابن كثير خاصة كما في التيسير (ص: ٢٠٢)، والنشر (٢/ ٣٧٦)، وهي لأبان عن عاصم في السبعة (ص: ٦٠٦). وفي المطبوع بدلاً منه: «في رواية أبي بكر»، وليست في النسخ الأخرى.

سُورَةُ ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سُورة ق

هي مكِّيَّة بإِجماع من المتأَوِّلين، وروى أُبيُّ بن كعب رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ: أَنَّه قال: «من قرأَ سورة ق هوَّن الله عليه الموت وسكراته»[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ۝٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ۝٨﴾.

---

(١) ضعيف، أخرجه الواحدي في الوسيط (٤/ ١٦٢) من طريق هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب، مرفوعاً بنحوه، وهارون بن كثير مجهول وانظر «الميزان» (٤/ ٢٨٦)، وأخرجه الثعلبي (٩/ ٩٢) من طريق أبي الحسين محمد بن محمد بن شادة الكرابيسي، عن أحمد بن محمد بن الحسن، عن محمد بن يحيى، عن سلم بن قتيبة، عن شعبة، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن أبي بن كعب به، والكرابيسي، وشيخه لم أقف لهما على ترجمة، وانظر: تخريج الكشاف (٣/ ٣٦١).

قال ابن عبّاس: ﴿قٓ﴾ اسمٌ من أَسماءِ القرآن(١)، وقال أَيضاً: اسمٌ من أَسماءِ الله تعالى(٢).

وقال قتادة والشَّعبيُّ: هو اسم السُّورة(٣).

وقال ابن زيد، وعكرمة، ومجاهد، والضَّحّاك: هو اسم الجبل المحيط بالدُّنيا(٤)، وهو فيما يزعمون من زُمُرُّدَة خضراءَ، منها خُضرة السَّماءِ وخُضرة البحر.

و﴿ٱلۡمَجِيدِ﴾: الكريم في أَوصافه الَّذي جمع كلَّ معلوة(٥).

و﴿قٓ﴾ على هذه الأَقوال مُقْسَمٌ به وبالقرآن المجيد، وجواب القَسَم مُنْتَظر، واختلف النّاسُ فيه:

فقال ابن كيسان: جوابه ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ﴾ [ق: ١٨](٦).

وقيل: الجواب ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ [ق: ٣٧].

وقال الزَّهراويُّ، عن سعيد الأَخفش: الجواب ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡ﴾، وضعَّفه النَّحّاس(٧).

وقال الكوفيون من النُّحاة: الجواب ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ﴾، والمعنى: لقد عجبوا.

---

(١) لم أقف عليه من قول ابن عباس رضي الله عنهما، ولكن هو قول قتادة كما في الدر المنثور (١٣/ ٦١٣).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٢٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٣) الهداية لمكي (١١/ ٧٠٢٤)، وقول الشعبي فى تفسير الثعلبي (١/ ١٧٣)، وفيه: «فاتحة السورة» بدلاً من «اسم السورة».

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ٩٢). وفي الأصل ونور العثمانية: «يزيد»، وفي الأسدية ٣ والحمزوية: «ابن يزيد»، وفي أحمد٣: «يزيد بن عكرمة».

(٥) في المطبوع: «كل عليٍّ».

(٦) هذا القول نقله في البحر المحيط (٩/ ٥٢٨) عن ابن كيسان، والأخفش.

(٧) انظر عزو القول للأخفش ورده: في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٤٦).

قال منذر بن سعيد: وقد قيل: إِنَّ جواب القَسَم في قوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٩].

وفي هذه الأَقوال تكلُّف وتحكُّم على اللِّسان.

وقال الزَّجّاج، والمبرِّد، والأَخفش: الجوابُ مُقَدَّر، تقديره: ق والقرآن المجيد لَتُبْعَثُنَّ[١].

وهذا قولٌ حسَنٌ، وأَحسن منه أَن يكون الجواب هو الَّذي يقع عنه الإِضراب بـ﴿بَلْ﴾، كأَنَّه تعالى قال: والقرآن المجيد ما ردُّوا أَمْرك بِحُجَّة، أَو ما كذَّبوك بِبُرْهَان، أَو نحو هذا ممَّا لا بدَّ لك من تقديره بعد الَّذي قدَّر الزَّجاج؛ لأَنك إِذا قلت: الجواب: لَتُبْعَثُنَّ، فلا بُدَّ بعد ذلك أَن تقدِّر خبراً عنه يقع الإِضرابُ، وهذا الَّذي جعلناه جواباً، وجاءَ المقدر أَخصر.

وقال جماعةٌ من المفسِّرين في قوله تعالى ﴿قٓ﴾: إِنَّه حرف دالٌّ على كلمة، نحو قول الشّاعر:

قُلْتُ لَهَا قِفِي فقالتْ قاف[٢] .... [الرجز]

واختلفوا بعد، فقال القُرَظِيُّ[٣]: هو دالٌّ على أَسماءِ الله تعالى هي: قادرٌ وقاهرٌ وقريبٌ وقاض وقابضٌ.

وقيل: المعنى: قُضي الأَمر من رسالتك ونحوه ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾، فجواب القسَم في الكلام الَّذي يدلُّ عليه ﴿قٓ﴾.

وقال قوم: المعنى: قف عند أَمرنا، وقيل: المعنى: قُهِرَ هؤلاءِ الكفرة، وهذا أَيضاً وقع عليه القَسَم.

---

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٤٦)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٤١)، مع ما سيأتي عنه.
(٢) هذا صدر بيت للوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط، كما تقدم في تفسير فاتحة (سورة البقرة).
(٣) في الأصل ونجيبويه: «القرطبي»، وانظر قوله في: تفسير الثعلبي (٩/ ٩٢).

ويحتمل أَن يكون المعنى: قيامُهم من القبور حقٌّ ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾، فيكون أَوَّل السُّورة من المعنى الَّذي اطَّرد بعْدُ، وعلى هذه الأَقوال، فثمَّ كلام مضمر وقع عنه الإِضرابُ، وهو خبرٌ عنهم، كأَنَّه تعالى قال: ما كذَّبوك ببرهان، أَو نحو هذا مما يليق مظهراً.

وقرأَ الجمهور من القراءِ: (قافْ) بسكون الفاءِ، قال أَبو حاتم: ولا يجوز غيرها إِلَّا جواز سوءٍ[١].

قال القاضي أَبو محمد: وهذه القراءَة تحْسُن مع أَن تكون (ق) حرفاً دالّاً على كلمة.

وقرأَ الثَّقفيُّ وعيسى: (قافَ) بفتح الفاءِ، وهذه تحسُن مع القول بأَنَّها اسمٌ للقرآن أَو لله تعالى.

وكذلك قرأَ الحسن، وابن أَبي إِسحاق: (قافِ) بكسر الفاءِ[٢]، وهي في رتبة الَّتي قبلها في أَن الحركة للالتقاءِ، وفي أَنَّها اسم للقرآن.

و﴿ٱلْمَجِيدِ﴾: الكريم الأَوصاف الكثير الخير.

[٥/ ١٢١] واختلف النَّاسُ في الضَّمير في ﴿عَجِبُوٓاْ﴾، لمن هو؟ / :

فقال جمهور المتأَوِّلين: هو لجميع النَّاس؛ مؤمنهم وكافرهم؛ لأَنَّ كلّ مفطور عَجِب من بعثة بشر رسولاً لله، لكنَّ المؤمنين نظروا واهتدوا، والكافرين بقوا على عمايتهم وصمُّوا وحاجُّوا بذلك العجب، ولذلك قال تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾.

وقال آخرون: بل الضَّمير في ﴿عَجِبُوٓاْ﴾ للكافرين،، كرَّر الكلام تأْكيداً ومبالغةً، والإِشارة بـ﴿هَـٰذَا﴾ يحتمل أَن تكون إِلى نفس مجيءِ البشر، ويحتمل أَن تكون إِلى القول الذي يتضمَّنه الإِنذار وهو الخبر بالبعث، ويؤيِّد هذا القول ما يأْتي بعده.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) وهما شاذتان، انظر: المحتسب (٢/ ٢٨٠)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٤٦)، واقتصرا في الأولى على الثقفي. وسقط قوله: «عيسى» من أحمد٣.

وقرأ الجمهور: ﴿أَءِذَا﴾، وقرأ الأعرج، وشيبة، وأبو جعفر: (إِذَا) على الخبر دون استفهام[١].

والعامل في (إذا) فعل مضمر، كأَنَّه تعالى قال: أَنبعثُ إِذا؟ وإِلى هذا الفعل وقعت الإِشارة بقولهم: ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾.

قال ابن جنِّيٍّ: ويحتمل أَن يكون المعنى: إِذا مِتنا بَعُدَ رجْعُنا، فيدلُّ ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ على هذا الفعل الَّذي هو «بَعُدَ» ويحلُّ محلَّ الجواب لقولهم: (إذا)[٢].

والرَّجْعُ: مصدر رجعتُه.

وقولهم: ﴿بَعِيدٞ﴾ معناه: بعيد في الأَوهام[٣] والفكر كَوْنُه، فأَخبر الله تعالى ـ ردّاً على قولهم ـ بأَنَّه تعالى يعلم ما تأْكل الأَرض من ابن آدم وما تُبقي منه، وأَنَّ ذلك في كتاب، وكذلك يعود في الحشر معلوماً ذلك كلُّه.

و(الحفيظ): الجامع الَّذي لم يفته شيءٌ.

وقال الرُّمَّانيُّ: ﴿حَفِيظُۢ﴾: منيع من أَن يذهب بِبِلًى ودُروس[٤].

وروي في الخبر الثَّابت: «أَنَّ الأَرض تأْكل ابن آدم إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ»[٥]، وهو عظم كالخردلة فمنه يُركَّبُ ابن آدم.

وحِفْظُ ما تنقص الأَرض: إِنَّما هو ليعود بعينه يوم القيامة، وهذا هو الحقُّ.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لهم في: المحتسب (٢/ ٢٨٠).

(٢) انظر: المحتسب (٢/ ٢٨٠).

(٣) في المطبوع ونجيبويه: «الأفهام».

(٤) لم أقف عليه.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون» قال: أربعون يوماً؟ قال: «أبيت»، قال: أربعون شهراً؟ قال: «أبيت»، قال: أربعون سنة؟ قال: «أبيت»، قال: «ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة».

وذهب بعض الأُصوليِّين إِلى أَن الأَجساد المبعوثة يجوز أَن تكون غير هذه. وهذا عندي خلاف لظاهر كتاب الله تعالى، ولو كانت غيرها، فكيف كانت تشهد الجلود والأَيدي والأَرجل على الكفرة إِلى غير ذلك ممّا يقتضي أَنَّ أَجساد الدُّنيا هي الَّتي تعود؟[١].

وقال ابن عبّاس[٢]، ومجاهد، والجمهور: المعنى: ما تنقص من لحومهم وأَبشارهم وعظامهم[٣].

وقال السُّدِّيُّ: معنى قوله تعالى: ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا﴾؛ أَي: ما يحصل في بطن الأَرض من موتاهم[٤].

وهذا قولٌ حسنٌ مُضَمَّنُهُ الوعيد.

وقال ابن عبّاس أَيضاً ـ فيما حكى الثَّعلبيُّ ـ: معناه: قد علمنا ما تنقص الأرض بالإِيمان من الكفرة الَّذين يدخلون في الإِيمان[٥]. وهذا قول أَجنبي من المعنى الذي قبلُ وبعدُ.

وقيل: قوله تعالى: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ﴾ مُضمر عنه وقع الإِضراب، تقديره: ما أَجادوا النَّظر، أَو نحو هذا، والَّذي يقع عنه الإِضرابُ بـ«بَلْ» الأَغلب فيه أَنَّه منفيٌّ تقضي «بلْ» بفساده، وقد يكون أَمراً مُوجباً تقضي «بَلْ» بترك القول فيه لا بفساده.

وقرأَ الجمهور: ﴿لَمَّا﴾ بفتح اللَّام وشدِّ الميم.

وقرأَ الجحدريُّ: (لِمَا) بكسر اللَّام وتخفيف الميم[٦].

---

(١) تقدم هذا المبحث في تفسير الآية (٥٦) من (سورة النساء).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٢٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٢٩).

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ٩٤).

(٥) لم أقف عليه عند الثعلبي.

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها للجحدري في: المحتسب (٢/ ٢٨١) مع التوجيه.

قال أَبو الفتح: هي كقولهم: أَعطيته لِمَا سَأَل، وكما في التأْريخ: لِخَمْسٍ خَلَوْنَ، ونحو هذا، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ومنه قول الشاعر:

.... إِذَا هَبَّتْ لِقَارِيهَا الرِّيَاحُ[١] [الوافر]

و«الْمَرِيجُ» معناه: المختلط، قاله ابن زيد[٢]؛ أَي: بعضهم يقول: ساحر، وبعضهم يقول: كاهن، وبعضهم يقول: شاعر[٣]، إِلى غير ذلك من تخليطهم، وكذلك عادت فكرة كلِّ واحد منهم مختلطة في نفسها.

وقال ابن عبّاس: المريج: المنكر[٤].

وقال مجاهد: المُلْتبس[٥]، والمريج: المضطرب أَيضاً، وهو قريب من الأَوَّل، ومنه في الحديث: «مَرِجَتْ عهودُ الناس»[٦]، ومن الأَول: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٩]، وقال الشّاعر:

---

(١) صدره: كَرِهْتُ العَقْرَ عَقْرَ بَني شُلَيْلٍ، وهو لمالك بن الحارث الهذلي كما في: المعاني الكبير (٢/ ٨٥١)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٨٧)، وتفسير الطبري (٤/ ٥١١)، وتفسير الثعلبي (٢/ ١٧١)، والصحاح للجوهري (١/ ٦٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٣١)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٩٤).

(٣) في حاشية المطبوع: في الأصول: «وبعضهم كاهن، وبعضهم شاعر»، والزِّيادة للتوَّضيح.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٣٠) من طريق سلم بن قتيبة، عن وهب بن حبيب الأسدي، عن أبي جمرة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه سئل عن قوله: ﴿أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ قال: المريج: الشيء المنكر. ووهب بن حبيب الأسدي يروي عن الأعمش وروى عنه سلم بن قتيبة كما في الثقات (٧/ ٥٥٨).

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٣١).

(٦) صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ٢٢١)، وأبو داود (٤٣٤٢)، وابن ماجه (٣٩٥٧) من طريق أبي حازم سلمة بن دينار، عن عمارة بن عمرو، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ قال: «كيف بكم وبزمان، أو يوشك أن يأتي زمان، يغربل الناس فيه غربلة، تبقى حثالة من الناس، قد مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا، فكانوا هكذا»، وشبك بين أصابعه، فقالوا: وكيف بنا يا رسول الله؟ قال: «تأخذون ما تعرفون، وتذرون ما تنكرون، وتقبلون على أمر خاصتكم، وتذرون أمر عامتكم»، وقد روي من طرق أخرى عن عبد الله بن عمرو، وفي الباب عن أبي هريرة، رضي الله عنهم.

[الرمل] مَــرِجَ الـدِّيـنُ فَـأَعْـدَدْتُ لَهُ مُشْرِفَ الْحَارِكِ مَحْبُوكَ الْكَتَدْ[١]

ثمَّ دلَّ تعالى على العبرة بقوله: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية.

و(زيَّنَّاها): معناه: بالنُّجوم.

و«الفروج»: الفطور والشقوق خلالها وأَثناءَها، قاله مجاهد وغيره[٢].

وحكى النَّقّاش: أَن هذه الآية تعطي أَن السَّماءَ مستديرة[٣]، وليس الأَمر كما حكى إِذا تُدُبِّر اللَّفظ وما يقتضي.

و«الرَّواسي»: الجبال.

و«الزَّوْجُ»: النَّوْعُ.

و«الْبَهِيجُ» قال ابن عباس[٤]، وقتادة، وابن زيد: هو الحسن المنظر[٥].

وقوله عز وجلَّ: ﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ﴾ منصوب على المصدر بفعل مضمر.

و«الْمُنِيب»: الرّاجع إِلى الحقِّ عن فكرة ونظر، وقال قتادة: هو المقبل بقلبه إِلى الله[٦].

وخصَّ تعالى هذه الصَّنيفة بالذِّكر؛ تشريفاً من حيث هي المنتفعة بالتَّبصرة والذِّكرى، وإِلَّا فهذه المخلوقات هي تبصرة وذكرى لكلِّ بشر.

وقال بعض النَّحويين: ﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ﴾ مفعولان من أَجلهما، وهذا محتمل، والأَوَّل أَرجح.

---

(١) البيت لأبي دُؤادٍ الإياديِّ، كما في: إصلاح المنطق (ص: ٦٥)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٤١)، والصحاح للجوهري (٤/ ١٥٧٨)، والمخصص (٣/ ٤٧٦). والحاركُ: الكاهل، والكَتَد: مجتمع الكتفين وهو الكاهل.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٣٢).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٣٢-٣٣٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٣٣).

(٦) تفسير الماوردي (٤/ ٤٣٥)، والهداية لمكي (٩/ ٥٨٨٩)، بتصرف يسير.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿مَاءً مُبَارَكًا﴾، قيل: يعني جميع المطر، كلّه يتَّصف بالبركة، وإِن ضَرَّ بعضه أَحياناً ففيه مع ذلك الضُّرِّ الخاص البركةُ العامَّة.

وقال أَبو هريرة: كان النَّبيُّ ﷺ إِذا جاءَ المطر فسالت الميازيب قال: «لا مَحْل عليكم العام»[١].

وقال بعض المفسِّرين: ﴿مَاءً مُبَارَكًا﴾ يريد به: ماءً مخصوصاً خالصاً للبركة ينزله الله تعالى كلَّ سنة، وليس كلّ المطر يتّصف بذلك.

و(حب الحصيد): هو البُرُّ والشَّعير ونحوه مما هو نبات محبب يُحصد، و﴿الْحَصِيدِ﴾ صفة لمحذوف، وقال مجاهد: (حبُّ الحصيد): الحنطة[٢].

و﴿بَاسِقَاتٍ﴾ معناه: طويلات ذاهبات في السَّماءِ، ومنه قول ابن نوفل[٣] في ابن هُبيرة[٤]:

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٤٤) من طريق عتيق بن يعقوب، عن إبراهيم بن قدامة، عن أبي عبد الله الأغر، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان إذا جاءهم المطر، فسالت الميازيب قال: «لا محل عليكم العام»، أي: الجدب. قال الطبراني: لم يرو هذه الأحاديث عن الأغر إلا إبراهيم بن قدامة، تفرد بها عتيق، وإبراهيم بن قدامة الجمحي مدني لا يعرف، وأخرج له البزار حديثاً وقال بعده: إبراهيم ليس بحجة.اهـ. انظر: الميزان (١/ ٥٣).

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٦١٣)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٣٣٤).

(٣) في المطبوع: «أبي نوفل»، وأشار للنسخة الأخرى، ولعله يحيى بن نوفل اليماني، وهو من حمير، ويكنى أبا معمر. ويقال: إنّه كان أوّلاً ينتمي إلى ثقيف، فلمّا ولّى الحجّاج خالد بن عبد الله القسريّ العراق ادّعى أنّه من حمير. انظر خبره: في الشعر والشعراء (٢/ ٧٢٩).

(٤) هو عمر بن هبيرة، أبو المثنى الفزاري أمير العراقين، جمعت إمرة العراق له في أول سنة ١٠٣هـ =

[مجزوء الكامل] يَـابْـنَ الَّـذِيـنَ بِـمـجـدِهِـمْ بَـسَـقَتْ عَـلَـى قَـيْـسٍ فَـزَارَهْ(١)

وروى قُطْبَة بن مالك، عن النَّبيِّ ﷺ: أَنَّه قرأ: «بَاصِقَاتٍ» بالصَّاد(٢).

قال أَبو الفتح: الأَصل السّين، وإِنما الصَّاد بدلٌ منها لاستعلاءِ القاف(٣).

و«الطَّلْعُ»: أَوَّل ظهور التَّمر في الكُفُرَّى(٤)، وهو أَبيض منضَّد كحبِّ الرُّمَّان، فما [٥/ ١٢٢] دام ملتصقاً بعضه ببعض فهو نضيد، وإِذا خرج من الكفرى / وتفرَّق فليس بنضيد.

و﴿رِّزۡقٗا﴾ نصب على المصدر، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد على المطر.

ووصف البَلْدَة بـ«مَيْت» على تقدير القُطْر والبلد.

= وليهما ليزيد بن عبد الملك، فلما استخلف هشام عزله، وقد تولى العراقين أيضاً ولده يزيد، انظر: تاريخ الإسلام (٧/ ٢٠٦).

(١) انظر عزوه له في: مجاز القرآن (٢/ ٢٢٣)، وغريب الحديث لإبراهيم الحربي (٣/ ١١٢٣)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٣٣٤)، وسماه أبا نوفل، وَبَسَق على قومه: علاهم في الفضل، وفي المطبوع: «الذين لجدهم»، وفي أغلب المصادر المشار لها: «بفضلهم».

(٢) وهي شاذة، وهذا الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٨٠٠)، وفي الصغير (٦٩٠) عن عبيد بن محمد بن صبيح الزيات، عن هشام بن يونس اللؤلؤي، عن سفيان بن عيينة، عن زياد بن علاقة، عن قطبة بن مالك قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ: «والنخل باصقات». وعبيد بن محمد بن صبيح الزيات لم أقف له على ترجمة، وقد أخرجه حفص بن عمر في «جزء قراءات النبي ﷺ» (١٠٧) عن سنيد ابن داود، عن وكيع، عن مسعر، عن سفيان به، وسنيد بن داود المصيصي ضُعف مع إمامته ومعرفته، وقد أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١٥٩١) عن عبد الجبار بن العلاء، ثنا سفيان، عن زياد بن علاقة، فسمع قطبة يقول: وثنا علي بن خشرم، أخبرنا ابن عيينة، عن ابن علاقة، وثنا أحمد بن عبدة، نا سفيان بن عيينة، عن زياد بن علاقة، عن عمه قطبة بن مالك: «سمع النبي ﷺ يقرأ في الصبح بسورة ق، فسمعته يقرأ: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾» وقال مرة: ﴿بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾، وقال عبد الجبار: قال: «صليت خلف النبي ﷺ فسمعته يقول: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾. قال الألباني: قوله «فسمعته يقرأ ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ وقال مرة: ﴿بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ قال: كذا الأصل ﴿بَاسِقَٰتٖ﴾ في الموضعين، ولعل الصواب في أحدها «باصقات» على لغة بني العنبر.

(٣) المحتسب (٢/ ٢٨١-٢٨٢).

(٤) وعاءُ طلع النَّخل.

وقرأ الناس: ﴿مَّيۡتًا ﴾ مخفَّفاً، وقرأ أَبو جعفر، وخالد: ﴿مَيِّتاً﴾ بالتَّثقيل[١].

ثمَّ بيَّن تعالى موضع الشَّبه فقال: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴾، وهذه الآيات كلُّها إِنَّما هي أَمثلة وأَدلَّة على البعث، و﴿ٱلۡخُرُوجُ ﴾ يريد به: الخروج من القبور.

و(أصحاب الرس): قومٌ كان لهم بئر عظيمة وهي الرَّسُّ، وكلُّ ما لم يُطْوَ من بئر أَو معدن أَو نحوه فهو رسٌّ، وأَنشد أَبو عبيدة للنابغة الجعديِّ:

سَبَقْتَ إِلى فرطٍ نَاهِلٍ تَنَابِلَةً يَحْفِرونَ الرِّسَاسَا[٢] [المتقارب]

وجاءَهم نبيٌّ يسمَّى حنظلة بن سفيان فيما رُوي، فجعلوه في الرَّسِّ، ورَدموا عليه، وأَهلكهم الله.

وقال كعب الأَحبار ـ في كتاب الزَّهراويِّ ـ: أَصحاب الرَّسِّ: هم أَصحاب الأُخدود[٣].

وهذا ضعيف؛ لأَنَّ أَصحاب الأُخدود لم يكذِّبوا نبيّاً، إِنَّما هو ملك أَحرق قوماً.

وقال الضَّحّاك: الرَّسُّ: بئْر قتل فيها صاحب يس[٤].

قال منذر: رُوي عن ابن عبّاس: أَنَّهم قومُ عاد[٥].

و﴿ٱلۡأَيۡكَةِ﴾: شجر ملتف، وهم قوم شعيب، والأَلف واللَّام من «الأَيْكة» غير معرِّفتين لأَنَّ «أَيكة» اسم علم كطلحة، يقال: أَيْكة ولَيْكة، فهي كالأَلف واللَّام في الشَّمس والقمر وفي الصِّفات الغالبة، وفي هذا نظر.

---

(١) وهي عشرية، انظر نسبتها لأبي جعفر في: النشر (٢/ ٢٢٤)، وانظر موافقة خالد له في: البحر المحيط (٩/ ٥٣٢).

(٢) كما تقدم في تفسير الآية (٣٧) من (سورة الفرقان). في الأصل ونجيبويه: «باهل» بدل «ناهل».

(٣) انظر: تفسير الثعلبي (٧/ ١٣٤).

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٣٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٣٤)، والهداية لمكي (١١/ ٧٠٣٠).

(٥) لم أقف عليه.

وقرأ: ﴿ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ بالهمز أَبو جعفر، ونافع، وشيبة، وطلحة(١).

و(قومُ تُبَّع): هم حِمْير، وتُبَّع اسم الملِك فيهم، يذهب تُبَّع ويجيءُ تُبَّع، مثل كسرى في الفرس وقيصر في الرُّوم، وكان أَسعد أَبو كرب أَحد التَّبابعة رجلاً صالحاً صَحِبَ حَبْرين فتعلَّم منهما دين موسى عليه السَّلام، ثمَّ إِنَّ قومه أَنكروا عليه ذلك، فندبهم إِلى محاجَّة الحَبْرين فوقعت بينهم مجادلة عظيمة، واتفقوا على أَن يدخل جميعهم النّار الَّتي في القربان فمن أَكلته النّار فهو المبطل، فدخلوا فاحترق قوم تُبَّع وخرج الحَبْران تعرَقُ جباههما، فهلك القوم المخالفون وآمن سائر قوم تُبَّع بدين الحَبْرين.

وفي الحديث اختلاف كثير أَثْبَتُّ أَصحَّ ذلك على ما في «سير ابن هشام»(٢).

وذكر الطَّبريُّ عن سهل بن سعد: أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَا تلعنوا تُبَّعاً، فإِنَّه كان قد أَسلم»(٣)، وذكر الثَّعلبيُّ عن ابن عبّاس: أَنَّ تُبَّعاً كان نبيّاً(٤).

---

(١) لا مفهوم له إلا نقل ورش، فهذا الحرف متفق عليه كالذي في (الحجر)، وضبطت في المطبوع: «الأيكةَ»، بالفتح.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٢٦-٢٧).

(٣) حسن لغيره، أخرجه أحمد (٣٧/ ٥١٩)، والروياني في مسنده (١١١٣)، والطبري (٢٢/ ٣٣٩)، والطبراني في الكبير (٦٠١٣)، وفي الأوسط (٣٢٩٠)، وابن شاهين في ناسخ الحديث ومنسوخه (٦٥٩) من طرق عن ابن لهيعة، عن أبي زرعة عمرو بن جابر، عن سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا تبعاً، فإنه قد أسلم»، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف عبد الله بن لهيعة، وعمرو بن جابر الحضرمي، قلت: وله شاهد من حديث عبد الله بن عباس أخرجه الطبراني في الكبير (١١٧٩٠)، وفي الأوسط (١٤١٩) من طريق أحمد بن محمد بن أبي بزة المكي، عن مؤمل ابن إسماعيل، عن سفيان الثوري، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعاً بنحوه، وهذا إسناد ضعيف، فيه أحمد بن محمد بن أبي بزة وهو لين الحديث، وقال العقيلي: منكر الحديث كما في لسان الميزان (١/ ٢٨٣-٢٨٤)، وفيه أيضاً مؤمل بن إسماعيل وهو سيئ الحفظ، ورواية سماك ابن حرب عن عكرمة، مضطربة، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٠٩) عن بكار بن عبد الله اليمامي، عن وهب بن منبه مرسلاً قال: نهى رسول الله ﷺ عن سب تبع.

(٤) لم أقف عليه، وقد تقدم ذكر تبع في (سورة الدخان).

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾، قال سيبويه: التَّقدير: كُلُّهم، وحذف لدلالة ﴿كُلٌّ﴾ عليه إيجازاً[١]، و«الوعيد الَّذي حقَّ»: هو ما سبق به القضاءُ من تعذيب الكفرة وإِهلاك الأُمم المكذِّبة، وفي هذا تخويف من كذَّب محمداً ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا﴾ توقيف للكفَّار وتوبيخ وإِقامة للحجَّة الواضحة عليهم، وذلك أَن جوابهم على هذا التَّوقيف هو: لم يقع عِيٌّ، ثمَّ هم مع ذلك في لبْس من الإِعادة، وهذا تناقض، يقال: عَيِيَ يَعْيَا: إِذا عجز عن الأَمر ويلح به[٢]، ويدغم هذا الفعل الماضي من هذا الفعل، ولا يدغم المستقبل منه، فيقال: عيَّ، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] عَيُّوا بِأَمْرِهِمُ كَمَا عَيَّتْ بِبَيْضَتِهَا الْحَمَامَهْ[٣]

و(الخلق الأَول): إِنشاءُ الإِنسان من نطفة على التَّدريج المعلوم، وقال الحسن: الخَلْقُ الأَوَّل آدم عليه السَّلام، وحكاه الرُّمَّانيُّ[٤].

و«اللَّبْسُ»: الشَّكُّ والرّيبُ واختلاط النّظر، و«الخَلْق الجَدِيدُ»: البعث من القبور.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾.

هذه آيات فيها إِقامة حُجج على الكّفار في إِنكارهم البعث والجزاءَ.

و«الْخَلْقُ»: إِنشاءُ الشّيءِ على تقدير وترتيب حكميٍّ.

و﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: اسم الجنس، وقال بعض المفسِّرين: الإِنسان هنا آدم عليه السّلام.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٤٨).

(٢) في الحمزوية: «ويلج به».

(٣) البيت لعبيد بن الأبرص الأسديّ، وقد تقدم في تفسير الآية (٣٢) من (سورة الأنفال).

(٤) انظر قول الحسن في: تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ١٨٩).

و﴿تُوَسْوِسُ﴾ معناه: تتحدَّث في فكرتها، وسُمِّي صوت الحُلِيِّ وسواساً لخفائه، والوسوسة إِنَّما تستعمل في غير الخير.

وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ عبارة عن قدرة الله تعالى على العبد، وكون العبد في قبضة القدرة والعلم، قد أُحيط به، فالقُربُ هو بالقدرة والسُّلطان؛ إِذ لا ينحجب عن علْم الله تبارك وتعالى باطن ولا ظاهر، وكلّ قريب من الأَجرام فبينه وبين قلب الإِنسان حُجُب.

و﴿الْوَرِيدِ﴾: عرقٌ كبير في العُنق، يقال: إِنَّهما وريدان عن يمين وشمال.

قال الفرّاءُ: هو ما بين الحلقوم والعلباوين[1].

وقال الحسن: الوريد: الوتين[2].

قال الأَثرم: هو نهر الجسد، هو في القلب الوتين، وفي الظهر الأَبهر، وفي الذراع والفخذ: الأَكحل والنَّسَا، وفي الخِنْصر: الأُسليم[3].

و«الحبلُ»: اسم مشترك، فخصَّصه بالإِضافة إِلى الوريد، وليس هذا بإِضافة الشَّيءِ إِلى نفسه، بل هي كإِضافة الجنس إِلى نوعه، كما تقول: لا يجوز حي الطّير بلحمه.

وأَمَّا قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ فقال المفسِّرون: العامل في ﴿إِذْ﴾ هو ﴿أَقْرَبُ﴾، ويحتمل عندي أَن يكون العامل فيه فعلاً مضمراً تقديره: اذكر إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ، ويحسن هذا المعنى لأَنَّه أَخبر خبراً مجرَّداً بالخلق، والعلم بخطرات الأَنفس، والقرب بالقدرة والمِلْك، فلمَّا تمَّ الإِخبار؛ أَخبر بذكر الأَحوال الَّتي تُصَدِّق هذا الخبر وتُبَيِّن وروده عند السَّامع:

(١) معاني القرآن للفراء (٣/ ٧٦).
(٢) تفسير الماوردي (٥/ ٣٤٦).
(٣) نقله في الدر المصون (١٠/ ٢٤)، وفيه «السلم»، وفي المطبوع ونجيبويه: «الأسيلم»، وفي نور العثمانية: «الأسلم».

فمنها: ﴿يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾، ومنها مجيءُ سكرة الموت.

ومنها النَّفخ في الصُّور، ومنها مجيءُ كلِّ نفس.

و﴿ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾: المَلَكان المُوَكَّلان بكلِّ إِنسان؛ مَلك اليمين الذي يكتب الحسنات، ومَلَك الشِّمال الَّذي يكتب السَّيِّئات، قال الحسن: الحفظة أَربعة: اثنان بالنَّهار، واثنان باللَّيل[١].

قال القاضي أَبو محمد: ويؤيِّد ذلك الحديث: «يتعاقبون فيكم ملائكة باللَّيل/ [٥/ ١٢٣] وملائكة بالنَّهار»، الحديث بكماله[٢].

ويُروى: أَنَّ مَلك اليمين أَمير على مَلك الشِّمال، وأَنَّ العبد إِذا أَذنب يقول مَلك اليمين للآخر: تثبَّت لعلَّه يتوب، ورواه إِبراهيم التَّيميُّ وسفيان الثَّوريُّ[٣].

و﴿قَعِيدٌ﴾ معناه: قاعد، وقال قوم هو بمنزلة: أَكيل، فهو بمعنى مُقَاعد.

وقال الكوفيون: أَراد قُعوداً، فجعل الواحد موضع الجنس. والأَوَّل أَصوب؛ لأَنَّ المُقَاعد إِنَّما يكون عند قعود الإِنسان، والقاعد يكون قاعداً على كلِّ هيئات الإِنسان.

وقال مجاهد: قَعيدٌ رَصَدٌ[٤].

ومذهب سيبويه أَن التَّقدير: عن اليمين قعيد وعن الشِّمال قعيد، فاكتفى بذكر الآخر عن ذكر الأَوَّل، ومثله عنده:

.... وَعَـزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّـى غَرِيمُهَا[٥] [الطويل]

---

(١) تفسير الماوردي (٥/ ٣٤٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ذكر ابن جرير في تفسيره (٢٢/ ٣٤٤) بعض الآثار التي تدل على هذا المعنى.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٤٢)، وفي نور العثمانية: «رصيد».

(٥) هذا عجز بيت قاله كثير وصدره: قَضَى كُلُّ ذي دَيْنٍ فَوَفَّى غَرِيمَهُ، انظر عزوه له في: الشعر والشعراء (١/ ٥٠١)، والعقد الفريد (٧/ ١٥٤)، والأغاني (٩/ ٣٣)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ١٠١)، والصحاح للجوهري (٥/ ١٩٩٦).

ومثله قول الفرزدق:

[الكامل] إِنِّي ضَمِنْتُ لِمَنْ أَتاني ما جَنَى وَأَبي فكانَ وكُنْتُ غَيْرَ غَدُورِ[(١)]

وهذه الأَمثلة كثيرة، ومذهب المبرِّد أَنَّ التَّقدير: عن اليمين قعيد وعن الشِّمال، فأَخَّر ﴿قَعِيدٌ﴾ عن مكانه، ومذهب الفراءِ أَن لفظ «قعيد» يدل على الاثنين والجميع، فلا يحتاج إِلى تقدير غير الظاهر[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾، قال الحسن بن أَبي الحسن، وقتادة: يكتب الملكان الكلام، فيثبت الله من ذلك الحسنات والسَّيِّئات ويمحو غير ذلك[(٣)]، وهذا هو ظاهر الآية.

وقال أَبو الجَوزاءِ، ومجاهد: يكتبان عليه كلَّ شيءٍ حتَّى أَنينَه في مرضه.

وقال عكرمة: المعنى: ما يلفظ من قولٍ خيرٍ أَو شرٍّ، وأَمَّا ما خرج عن هذا فإِنَّه لا يُكتب[(٤)]. والأَوَّل أَصوب.

ورُوي: أَنَّ رجلاً قال لجمله: حَلْ، فقال مَلك اليمين: لا أَكتبها، وقال مَلك الشِّمال: لا أَكتبها، فأَوحى الله تعالى إِلى مَلك الشِّمال أَن اكتب ما ترك ملك اليمين. ورُوي نحوه عن هشام الحمصيِّ[(٥)].

---

(١) انظر عزوه له في: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٤٣)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٧٧)، وتهذيب اللغة (١/ ١٣٧). وفي الأصل: «غرور».

(٢) انظر أقوال هؤلاء النحاة في: إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٤٩).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٤٥)، بتصرف، والهداية لمكي (١١/ ٧٠٣٩)، وانظر فيه قول أبي الجوزاء.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٤٥).

(٥) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٠١٣ ـ زوائد المروزي)، وابن أبي شيبة (٣٥٤٨٠)، وابن وهب في الجامع (٤٦٣)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٧٦) من طرق عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية المحاربي قال: بينما رجل راكباً على حمار إذ عثر به فقال: تعست، فقال صاحب اليمين: ما هي بحسنة فأكتبها، وقال صاحب الشمال: ما هي بسيئة فأكتبها، فنودي صاحب الشمال أن ما ترك صاحب اليمين فاكتبه. وانظر رواية هشام الحمصي في: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٤٥).

وهذه اللَّفظة إِذا اعتبرت فهي بحسب مشيه ببعيره، فإِن كان في طاعة فـ«حَلْ» حسنة، وإِن كان في معصية فهي سيِّئة، والمتوسط بين هذين عَسِرُ الوجود، ولا بد أَن يقترن بكلِّ أَحوال المرءِ قرائن تخلِّصها للخير أَو لخلافه.

وحكى الثَّعلبيُّ عن عليٍّ بن أَبي طالب رضي الله عنه قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ مقعد الملَكين على الثنِيَّـتَيْن؛ قلمهما اللِّسان، ومِدادهما الرِّيق»[(١)].

وقال الضَّحّاك، والحسن: مقعدهما تحت الشّعر، وكان الحسن يحبُّ أَن ينظِّف عَنْفَقته لذلك[(٢)].

قال الحسن: حتّى إِذا مات المرءُ طويت صحيفته، وقيل له يوم القيامة: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، عَدَل والله من جعله حسيب نفسه[(٣)].

و«الرَّقيب»: المراقب، و«العتيد»: الحاضر.

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ﴾ عطف ـ عندي ـ على قوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى﴾، فالتّقدير: وإِذ تجيءُ سكرة الموت، وجُعل الماضي في موضع المستقبل تحقيقاً وتثبيتاً للأَمر، وهو أَحثُّ على الاستعداد واستشعار القرب، وهذه طريقة العرب في ذلك، وتبيين هذا في قوله: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾، ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ فإِنّها ضرورة بمعنى الاستقبال.

وقرأَ أَبو عمرو: ﴿وَجاءَت سَّكْرَةُ﴾ بإِدغام التّاءِ في السّين[(٤)].

و﴿سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾: ما يعتري الإِنسان عند نزعه، والنّاسُ فيها مختلفة أَحوالهم،

---

(١) ضعيف، أخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/ ٩٩) من طريق أرطاة بن الأشعث العدوي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب مرفوعاً بنحوه، وأرطاة بن الأشعث العدوي قال فيه ابن حبان: شيخ يروي عن سليمان الأعمش المناكير التي لا يتابع عليها لا يجوز الاحتجاج بخبره بحال.اهـ. انظر: المجروحين (١/ ١٨٠).

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ٩٩).

(٣) البحر المحيط (٩/ ٥٣٤).

(٤) وافقه حمزة والكسائي، والباقون بالإظهار، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٤٢).

لكن لكلِّ أَحد سَكْرة، وكان رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ للْموت لسكرات»[١].

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ معناه: بلقاءِ الله تبارك وتعالى وفقد الحياة الدنيا.

وفي مصحف ابن مسعود: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحقِّ بِالموْت)، وقرأَها ابن جبير، وطلحة[٢].

ويروى: أَنَّ أَبا بكر الصِّدِّيق قالها كذلك لابنته عائشة رضي الله عنهما، وذلك أَنَّها قعدت عند رأْسه تبكي وهو ينازع فقالت:

[الطويل] لَعَمْـرُكَ مـا يُغْنـي الثَّـرَاءُ عـن الْفَتَـى ... إِذا حَشْرجَت يَوْماً وضاقَ بها الصَّدْرُ[٣]

ففتح أَبو بكر رضي الله عنه عينيه وقال: لا تقولي هكذا وقولي: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بالموْتِ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيد)[٤].

وقد روي هذا الحديث على مشهور القراءة: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ﴾[٥].

فقال أَبو الفتح: إِن شئت علقت الباءَ بـ(جاءت) كما تقول: جئت بزيد؛ أَي: سقته، وإِن شئت كانت بتقدير: ومعها الموت[٦].

---

(١) صحيح، أخرجه البخاري (٤٤٤٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها لابن مسعود في: معاني القرآن للفراء (٣/ ٧٨)، وللباقين في المحتسب (٢/ ٢٨٢).

(٣) البيت لحاتم الطّائي، وقد تقدم في تفسير (سورة يوسف) الآية (١٢). والحشرجة: صوت النّفس، وهو الغرغرة في الصَّدر.

(٤) حسن، أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (٣٦) من طريق إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي، عن عبد الله البهي، عن عائشة قال: لما احتضر أبو بكر، جاءت عائشة فتمثلت بهذا البيت: لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى... إذا حشرجت يوماً وضاق به الصدر، فكشف عن وجهه فقال: ليس كذاك، ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾، انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما؛ فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت.

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٤٦-٣٤٧).

(٦) انظر: المحتسب (٢/ ٢٨٢).

واختلف المتأَوِّلون في معنى (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ):

فقال الطَّبريُّ ـ وحكاه الثَّعلبيُّ ـ الحَقُّ: الله تعالى[١].

وفي إِضافة السَّكرة إِلى اسم الله تعالى بُعْدٌ، وإِن كان ذلك سائغاً من حيث هي خلْق له، ولكنَّ فصاحة القرآن ورصفه لا يأْتي فيه هذا.

وقال بعض المتأَوِّلين: المعنى: وجاءَت سكرة فراق الحياة بالموت، وفراق الحياة حقٌّ يعرفه الإِنسان ويحيد منه بأَمَلِهِ، ومعنى هذا الحيد أَنَّه يقول: أَعيش كذا وكذا، فمتى فكَّر في قرب الموت حادَ بذهنه وأَمله إِلى مسافة بعيدة من الزَّمان، وأَيضاً فحذر المرءِ وتحرُّزاته ونحو هذا حَيد كلُّه.

وقد تقدَّم القول في النَّفخ في الصُّور مراراً.

و﴿يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾: هو يوم القيامة، وأَضافه إِلى الوعيد تخويفاً.

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا﴾: قرأَ طلحة بن مصرف: «مَحَّها»[٢] بالحاءِ مثقلة.

و«السَّائق»: الحاثُّ على السَّير. واختلف النّاس في السائق والشّهيد:

فقال عثمان بن عفان[٣]، ومجاهد، وغيرهما: مَلَكَان مُوَكَّلان بكلِّ إِنسان، أَحدهما يسوقه، والآخر من حفظته يشهد عليه[٤].

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٤٦)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٠٠).

(٢) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٩/ ٥٣٥)، وكتبت في المطبوع: «محَّا»، على الإدغام.

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٦٥ ـ زوائد نعيم)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٣٧)، وابن أبي شيبة (٣٥٤٢١)، وأبو داود في الزهد (١٠١)، والطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٤٧-٣٤٨)، والدولابي في الكنى (١٤١٠) من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد، عن يحيى بن رافع قال: سمعت عثمان يقول: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ قال: سائق يسوقها إلى أمر الله، وشهيد يشهد عليها بما عملت. ويحيى بن رافع أبو عيسى قال فيه ابن سعد: روى عن عثمان وكان معروفاً قليل الحديث.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٤٨)، بتصرف، الهداية لمكي (١١/ ٧٠٤٤) بتصرف.

وقال أَبو هريرة: السَّائق مَلَك، والشَّهيد العمل(١).

وقال منذر بن سعيد: السّائق مَلك، والشّهيد النَّبيُّ ﷺ.

قال: وقيل: الشَّهيد الكتابُ الَّذي يلقاه منشوراً.

وقال بعض النُّظار: ﴿سَآئِقٌ﴾ اسم جنس، و(شَهِيد) كذلك، فالسّاقة للنّاس ملائكةٌ يوكَّلون بذلك، والشُّهداءُ الحفظةُ في الدُّنيا وكلُّ ما يشهد.

وقال ابن عبّاس، والضَّحّاك: السّائق مَلَك، والشَّهيد جوارح الإِنسان(٢).

وهذا يبعد على ابن عبّاس؛ لَأنَّ الجوارح إِنَّما تشهد بالمعاصي / . [٥/ ١٢٤]

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ يعمُّ الصّالحين، فإِنَّما معناه: شهيد بخيره وشرِّه، ويقوى في (شَهِيد) اسم الجنس، فتشهد بالخير الملائكة والبقاع، ومنه قوله ﷺ: «لا يسمع مَدَى صوت المؤذن إِنسٌ ولا جانٌّ ولا شيءٌ إِلَّا شهد له يوم القيامة»(٣).

وكذلك تشهد بالشَّرِّ الملائكة والبقاع والجوارح(٤).

وقال أبو مسلم: السَّائق شيطان، حكاه عنه الثَّعلبيُّ، والقول في كتاب منذر بن سعيد(٥)، وهو قول ضعيف.

---

(١) أخرجه الدولابي في الكنى والأسماء (٧٥٥) من طريق مطرف بن طريف، عن أبي جعفر مولى أشجع، عن أبي هريرة، فذكره، وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٣/ ٦٣٤) لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم في الكنى، وابن مردويه، والبيهقي.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٤٢٩-٤٣٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس قال: السائق الملائكة، والشهيد شاهد عليه من نفسه. وانظر قول الضحاك في: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٤٨)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٠١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) جاء في الأصل والمطبوع، وأحمد٣ زيادة: «وقال أَبو هريرة: السّائق مَلك، والشّهيد العمل»، وكأنه فيه مضبب، ولعله مكرر مع ما سبق بنفس اللفظ.

(٥) نقله في البحر المحيط (٩/ ٥٣٥) عن أبي مسلم، ولم أقف عليه في تفسير الثعلبي، وفي الأصل والمطبوع وأحمد٣: «ابن مسلم»، وفي نور العثمانية ونجيبويه: «ابن أسلم».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾.

قرأ الجحدريُّ: (لقد كنتِ) بكسر التّاءِ على مخاطبة النّفس، وكذلك كسر الكافات بعد[١].

وقال صالح بن كيسان، والضَّحّاك، وابن عبّاس: معنى قوله: ﴿لَّقَدْ كُنتَ﴾ الآيةَ: أَن يقال للكَافر العاقل من ذوي النفس الَّتي معها السَّائق والشَّهيد إِذا حصل بين يدي الرَّحمن، وعاين الحقائق الَّتي كان لا يُصدِّق بها في الدُّنيا ويتغافل عنها وعن النَّظر فيها: لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا، فلمَّا كُشف الغطاءُ عنك الآن احتَدَّ بصرك[٢]؛ أَي: بصيرتك، وهذا كما تقول: فلان حديد الذهن والفؤاد، ونحوه.

وقال مجاهد: هو بصر العين؛ أَي: احتدّ التفاتُه إِلى ميزانه وغير ذلك من أَهوال القيامة[٣]، وقال زيد بن أَسلم: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ﴾ الآية، مخاطبة للنَّبيِّ محمد ﷺ[٤]، والمعنى: أَنَّه خوطب بها في الدُّنيا؛ أَي: لقد كنت يا محمد في غفلة عن معرفة هذا القصص والغيب حتّى أَرسلناك وأَنعمنا عليك وعلَّمناك؛ فبصرك اليوم حديد.

وهذا التَّأْويل يضعف من وجوه:

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: مختصر الشواذ (ص: ١٤٥)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٠١).
(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٥١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: هو الكافر، وانظر: الهداية لمكي (١١/ ٧٠٤٥).
(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ١٠١).
(٤) الهداية لمكي (١١/ ٧٠٤٥)، بتصرف.

أَحدها: أَن الغَفْلَةَ إِنَّما تنسب أَبداً إِلى مُقَصِّر، ومحمد ﷺ لا تقصير له قبل بعثه ولا بعده.

وثانيها: أَنَّ قوله تعالى ـ بعد هذا ـ ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ يقتضي أَنَّ الضَّمير إِنَّما يعود على أَقرب مذكور، وهذا الَّذي يقال له: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾، وإِن جعلناه عائداً على ذي النَّفس في الآية المتقدِّمة، جاءَ هذا الاعتراضُ لمحمد ﷺ بين الكلامين غير متمكن، فتأَمله.

وثالثها: أَنَّ معنى توقيف الكافر وتوبيخه على حاله في الدُّنيا يسقط، وهو أحرى في الآية وأَولى بالوصف.

والوجه عندي: ما قاله الحسن، وسالم بن عبد الله: أَنَّها مخاطبة للإِنسان ذي النَّفس المذكورة من مؤمن وكافر(١).

و﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ قال ابن عبّاس: هي الحياة بعد الموت(٢)، وينظر إلى معنى كشف الغطاء قول النبي ﷺ: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»(٣).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾، قال جماعة من المفسِّرين: قرينه من زبانية جهنَّم؛ أَي قال: هذا العذابُ الَّذي لهذا الإِنسان الكافر حاضرٌ عتيدٌ، ففي هذا تحريض على الكافر واستعجال به.

وقال قتادة، وابن زيد: بل قرينه المَلك المُوَكَّل بسَوْقه، فكأَنَّه قال: هذا الكافر الَّذي جُعل إِليَّ سوقُه، فهو لديَّ حاضِرٌ(٤)، وقال الزَّهراويُّ: وقيل: قَرِينُهُ: شيطانه(٥).

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ١٨٩) ولم أقف على قول سالم، لكن نسبه للحسين بن عبد الله في تفسير الطبري (٢٢/ ٣٥٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٥٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

(٣) لا أصل له مرفوعاً، هذا الأثر من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وانظر: الأسرار المرفوعة (١/ ٣٦٨)، والفوائد المجموعة (١/ ٢٥٦).

(٤) الهداية لمكي (١١/ ٧٠٤٧).

(٥) البحر المحيط (٩/ ٥٣٦).

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، وإِنَّما أَوقع فيه أَنَّ القرين في قوله: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾: هو شيطانُه في الدُّنيا ومُغْويه بلا خلاف، ولفظة «القرين» اسم جنس، فسائقه قرين، وصاحبه من الزَّبانية قرين، وكاتب سيِّئاته في الدُّنيا قرين، وتحتمله هذه الآية؛ أَي: هذا الَّذي أَحصيتهُ عليه عتيد لديَّ، وهو موجبٌ عذابه. ومُمَاشي الإِنسان في طريقه قرين.

ومنه قول الشّاعر:

عن الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَن قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي[1] [الطويل]

والقرين الَّذي في هذه الآية غير القرين الَّذي في قوله: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ إذ المقارنة تكون على أَنواع، وقال بعض العلماءِ: قرينه في هذه الآية: عَمَلُه قلباً وجوارحاً.

وقوله عز وجل: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ معناه: يقال: أَلْقيا في جهنَّم، واختلف النّاس لمن يقال ذلك؟ فقالت جماعة من المفسِّرين: هو قول المَلكين من ملائكة العذاب.

وقال عبد الرَّحمن بن زيد ـ في كتاب الزَّهراويِّ ـ: هو قول للسّائق والشّهيد[2].

وحكى الزَّهراويُّ: أَنَّ المأْمور بإِلْقاءِ الكافر في النّار اثنان[3].

وعلى هذين القولين لا نظر في قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا﴾.

وقال مجاهد وجماعة من المتأَوِّلين: هو قول للقرين؛ إِمَّا السّائق وإِمَّا الَّذي هو من الزبانية حسب ما تقدَّم[4].

واختلف أَهل هذه المقالة في معنى قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا﴾ وهي مخاطبة لواحد ـ فقال المبرِّد: معناه: أَلْقِ أَلْقِ، فإِنَّما أَراد تثنية الأَمر مبالغة وتأْكيداً، فردَّ التَّثنية إِلى

---

(١) تقدم في تفسير الآية (١٤٠) من (سورة النساء).

(٢) تفسير الثعالبي (٤/ ١٩٩).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) البحر المحيط (٩/ ٥٣٧).

الضَّمير اختصاراً[١]، كما قال:

[السريع] .... لَفْتَكَ لَأْمَيْنِ عَلَى نَابِلِ[٢]

وقال بعض المتأوِّلين: المراد: أَلْقِيَنْ، فعوَّض من النّون أَلِفاً كما تعوَّض من التَّنوين.

وقال جماعةٌ من أَهل العلم بكلام العرب: هذا جرى على عادة العرب، وذلك أَنَّها كان الغالب عندها أَن يترافق في الأَسفار ونحوها ثلاثة، فكلُّ واحد منهم يخاطب اثنين، فكثر ذلك في كلامها وأَشعارها حتّى صار عُرفاً في المخاطبة، فاستعمل في الواحد، ومن هذا قولهم في الأَشعار: خليليَّ، وصاحِبيَّ، وقِفَا نَبْكِ، ونحوه[٣].

وقد جرى المحدِّثون على هذا الرَّسم، فيقول الواحد: حدَّثَنا، وإِنْ كان قد سمع وحده.

ونظير هذه الآية في هذا القول قولُ الحجَّاج: يا حَرَسَيَّ اضْرِبَا عنقه[٤].

وهو دليل على عادة العرب، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] فَإِنْ تَزْجُرَانِي يابْنَ عَفَّان أَنْزَجِرْ وَإِنْ تَدَعَانِي أَحْمِ عِرْضاً مُمَنَّعا[٥]

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (أَلقياً) بتنوين الياء[٦].

و﴿كَفَّارٍ﴾ بناءُ مبالغة، و﴿عَنِيدٍ﴾ معناه: عاند عن الحقِّ؛ أَي: مُنحرفٌ عنه.

---

(١) الهداية لمكي (١١/ ٧٠٤٩).

(٢) صدره: نَطْعَنُهُمْ سُلْكَى وَمَخْلُوجَةً، هو لامرئ القيس كما تقدم في تفسير الآية (١٩) من (سورة الزمر).

(٣) أمّا «خليليَّ» فمثاله قول امرئ القيس: خَلِيلَيَّ مُرَّا بي على أُمِّ جُنْدَبِ نُقَضِّ لُبانات الْفُؤَادِ الْمُعَذَّبِ، وأمّا «صاحبيَّ» فمثاله قول أبي تمام: يا صَاحِبَيَّ تَقَصَّيَا نَظَرَيْكُمَا تَرَيَا وُجُوهَ الأَرْضِ كَيْفَ تصوَّرُ، وأَمَّا «قِفَا نبك»، فهو في مطلع معلقة امرئ القيس المشهورة.

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٤٦).

(٥) البيت لسويد بن كُرَاع العُكْلِيِّ، كما في طبقات فحول الشعراء (١/ ١٧٦)، وسمط اللآلي للبكري (١/ ٩٤٣).

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: المحتسب (٢/ ٢٨٣)، وعنده: «أَلْقِيَنْ في جهنم» بالنون الخفيفة، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ لفظ عامٌّ للمال والكلام الحسن والمعاون على الأَشياءِ.

وقال قتادة، ومجاهد، وعكرمة: معناه: الزَّكاة المفروضة(١)، وهذا التَّخصيص ضعيف.

و﴿مُعْتَدٍ﴾ معناه: بلسانه ويده. / [٥/ ١٢٥]

و﴿مُرِيب﴾ معناه: مُتَلَبِّس بما يُرْتاب به، أَرابَ الرَّجلُ: إِذا أَتى بريبة ودخل فيها.

قال الثَّعلبيُّ: قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة(٢).

وقال الحسن: ﴿مُّرِيبٍ﴾: شاكٌّ في الله تعالى ودينه(٣).

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ الآية، يحتمل أَن يكون ﴿ٱلَّذِى﴾ بدلاً من ﴿كَفَّارٍ﴾. ويحتمل أَن يكون صفة له من حيث تَخَصَّص ﴿كَفَّارٍ﴾ بالأَوصاف المذكورة، فجاز وصفه بهذه المعرفة. ويحتمل أَن يكون ﴿ٱلَّذِى﴾ ابتداءً وخبره قوله تعالى: ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾، ودخلت الفاءُ في قوله: ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ للإِبهام الَّذي في ﴿ٱلَّذِى﴾، فحصل الشَّبه بالشَّرط، وفي هذا نظر.

قال القاضي أبو محمد: ويَقْوَى عندي أَن يكون ﴿ٱلَّذِى﴾ ابتداءً، ويتضمَّن القول حينئذ بني آدم والشَّياطين الْمُغْوِين لهم في الدُّنيا، ولذلك تحرَّك القرين الشيطان الْمُغْوِي في الدُّنيا فرامَ أَن يُبرئ نفسه ويخلِّصها بقوله: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾.

[وقوله: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ ليست بحجَّة](٤)؛ لأَنَّه كذب في نفي الإِطغاءِ عن نفسه جملة.

والحقيقة أَنَّه أَطغاه بالوسوسة والتَّزيين، وأَطغاه الله تعالى بالخلق والاختراع حسب سابق قضائه الَّذي هو عدل منه لا ربَّ غيره.

(١) تفسير الماوردي (٥/ ٣٥١).
(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ١٠٢).
(٣) لم أقف عليه.
(٤) سقط من الأصل.

ويوصف الضَّلال بالبعيد[1] مبالغة؛ أَي: لِتَعَذُّر رجوعه إِلى الهدى.

وقوله تعالى: ﴿تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ معناه: قال الله تعالى: لا تختصموا لديَّ بهذا النوع من المقاولة الَّتي لا تفيد شيئاً، إِذْ قد استوجب جميعكم النّار.

وقد أَخبر تعالى بأَنَّه تقع الخصومات لديه في الظُّلامات ونحوها ممّا فيه اقتصاص واقتضاءٌ، فأَيَّده تعالى بقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١].

وجمع الضَّمير في قوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا﴾ يريد تعالى بذلك مخاطبة جميع القُرناءِ؛ إِذْ هو أَمرٌ شائع لا يقف على اثنين فقط، وهذا كما يقول الحاكم لِخَصمين: لا تغلظوا علي، يريد الخصمين ومن هو في حكمهما.

وتَقْدِمَتُه تعالى إِلى الناس بالوعيد: هو ما جاءَت به الرُّسل والكُتب من تعذيب الكفرة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾.

المعنى: قد قدَّمتُ بالوعيد أَنِّي أُعذِّب الكفَّار في ناري فلا يُبدَّل القول لديَّ ولا يُنْقض ما أَبرمه كلامي، ثمَّ أَزال موضع الاعتراض بقوله: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾؛ أَي: هذا عدلٌ فيهم؛ لأَنِّي أَعذرت وأَمهلت وأَنعمت بالإِدراكات وهديت السَّبيل والنَّجدين وبعثت الرُّسل.

وقال الفرّاءُ: معنى قوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾؛ أَي: ما يكذَّب لديَّ لعلمي بجميع الأُمور[2]، فتكون الإِشارة ـ على هذا ـ إِلى كذب الَّذي قال: ﴿مَا أَطْغَيْتُهُ﴾.

---

(١) في المطبوع: «بالضلال البعيد».

(٢) معاني القرآن للفراء (٣/ ٧٩).

وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَقُولُ﴾، يجوز أَن يعمل في الظَّرف قوله: ﴿بِظَلَّٰمٖ﴾، يجوز أَن يعمل فيه فعل مضمر.

وقرأَ الجمهور من القرّاءِ وحفص عن عاصم: ﴿نَقُولُ﴾ بالنّون، وهي قراءَة الحسن، وأَبي رجاءٍ، وأَبي جعفر، والأَعمش، ورجَّحها أَبو عليٍّ بما تقدَّم من قوله: ﴿قَدَّمۡتُ﴾، وقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠﴾.

وقرأَ نافع، وعاصم في رواية أَبي بكر: ﴿يَقُولُ﴾، على معنى: يقول الله، وهي قراءَة الأَعرج، وشيبة، وأَهل المدينة[(١)].

وقرأَ الحسن، وابن مسعود، والأَعمش أَيضاً: (يُقَالُ) على بناءِ الفعل للمفعول[(٢)].

وقوله: ﴿هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ﴾ تقرير وتوقيف، واختلف النّاس، هل وقع هذا التَّقرير فامتلأَت، أَو هي لم تمتلئْ؟ فقال بكلٍّ وجه جماعة من المتأَوِّلين، وبحسب ذلك تأَوَّلوا قولها: ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾، فمن قال إِنَّها امتلأَت جعل قولها: ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ على معنى التَّقرير ونفي المزيد؛ أَي: وهل عندي موضع يُزاد فيه شيءٌ؟ ونحو هذا التَّأْويل قول النَّبيِّ ﷺ: «وهل ترك لنا عقيل منزلاً»[(٣)]، وهو تأْويل الحسن، وعمرو، وواصل.

ومن قال: إِنَّها كانت غير مَلأَى جعل قولها: ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ على معنى السُّؤال والرَّغبة في الزِّيادة، قال الرُّمَّانيُّ: وقيل: المعنى: وتقول خَزَنَتُهَا. والقول إِنَّها القائلة أَظهر[(٤)].

واختلف النّاسُ في قول جهنَّم؛ هل هو حقيقة أَو مجاز؟ أَي: حالها حالُ من لو نطق لقال كذا وكذا، فيجري هذا مجرى:

---

(١) وهما سبيعتان، انظر: التيسير (ص: ٢٠٢)، وانظر ترجيح الفارسي في الحجة (٦/ ٢١٣).
(٢) وهي شاذة، انظر ها في المحتسب (٢/ ٢٨٣).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٠٥٨)، ومسلم (١٣٥١) عن أسامة بن زيد قال قلت: يا رسول الله! أين تنزل غداً؟ في حجته، قال: «وهل ترك لنا عقيل منزلاً»، ثم قال: «نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة المحصب حيث قاسمت قريش على الكفر وذلك أن بني كنانة حالفت قريشاً على بني هاشم أن لا يبايعوهم ولا يؤووهم».
(٤) لم أقف عليه.

[الرجز] شَكَا إِلَيَّ جَمَلِي طُولَ السُّرَى[(١)] ....

ومجرى قول ذي الرُّمة:

[الطويل] .... تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهْ[(٢)]

والَّذي يترجَّح في قول جهنَّم: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ أَنَّها حقيقة، وأَنَّها قالت ذلك وهي غير ملأَى، وهو قول أَنس بن مالك، ويبين ذلك الحديث الصَّحيح المتواتر، قول النَّبيِّ ﷺ: «يقول الله لجهنَّم: هل امتلأَتِ؟ فتقول: هل من مزيد؟ حتّى يضع الجبّار فيها قدمه فتقول: قَطْ، قَطْ، وينزوي بعضها إلى بعض»[(٣)].

وقد اضطرب النّاس في معنى هذا الحديث، وذهب جماعة من المتكلِّمين إِلى أَن «الجبَّار» اسم جنس، وأَنه يريد المتجبِّرين من بني آدم، ورووا: أَن الله تعالى يُعِدُّ من الجبابرة طائفة يَملأُ بهم جهنَّم آخراً[(٤)].

وروي عن النبي ﷺ: أَن جلدة الكافر يصير غِلَظُهَا أَربعين ذراعاً[(٥)]، ويَعْظُم بدنُه على هذه النسبة، وهذا كله من ملءِ جهنم.

---

(١) تقدم في تفسير الآية (١٨) من (سورة يوسف). والسُّرَى: السَّير ليلًا.

(٢) صدر البيت: وأَسْقيه حَتَّى كادَ مِمَّا أَبُثُّهُ، وقد تقدم في تفسير الآية (١٦١) من (سورة آل عمران).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٨٤٨)، ومسلم (٢٨٤٨) من حديث أنس بن مالك وفيه: «حتى يضع رب العزة فيها قدمه»، وأخرجه البزار في مسنده (٧١٦٧) بنحو لفظ المؤلف.

(٤) لعله يشير إلى ما أخرجه مسلم (٢٨٤٦) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تحاجت النار والجنة، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم؟ فقال الله للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكم ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ فيضع قدمه عليها فتقول قط قط فهنالك تمتلئ، ويزوى بعضها إلى بعض». لكن ليس في هذا الحديث أن يكون آخراً كما ذكر المصنف.

(٥) حسن لغيره، أخرجه أحمد (١٧/ ٣٣٣)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (٢٢)، وأبو يعلى في مسنده (١٣٨٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٤٠) من طرق عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد =

وذهب الجمهور إِلى أَن الجبَّار اسم الله تعالى، وهذا هو الصحيح، فإِن في الحديث الصحيح: «فيضع ربُّ العالمين فيها قَدَمَهُ»[١].

وتأْويل هذا أَن «القَدَم» ما قدَّم لها من خَلْقه وجعلهم في علمه من ساكنيها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [يونس: ٢]، فالقَدَم: ما قُدِّم من شيءٍ، ومنه قول الشاعر:

صَـلِّ لِـرَبِّـكَ وَاتَّـخِـذْ قَدَماً يُنْجِيـكَ يَـوْمَ الْعِثـارِ والزَّلَـلِ[٢] [أحذ الكامل]

ومنه قول العجَّاج:

وَيُنْشِئ الْـمُلْكَ لِـمَلْكٍ ذي قَدَمْ[٣] [الرجز]

أَي: ذي شرف متقدِّم، وهذا التأْويل مروي عن ابن المبارك، وعن النَّضْر بن شُمَيْل، وهو قول الأُصوليين[٤].

= الخدري، عن رسول الله ﷺ قال: «مقعد الكافر من النار ثلاثة أيام، وكل ضرس له مثل أحد، وفخذه مثل ورقان، وجلده ـ سوى لحمه وعظامه ـ أربعون ذراعاً». ورواية دراج، عن أبي الهيثم مضطربة، وأخرجه أحمد (١٤/ ١٣٤) عن عبدالرحمن بن عبد الله بن دينار، وابن أبي عاصم في السنة (٦١١) من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة به بنحوه، ولفظ أحمد: «وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار». وعبد الرحمن بن عبد الله بن دينار القرشي العدوي قال فيه الحافظ: صدوق يخطئ، وأخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١١٩٢)، والبزار في مسنده (٩٢٣٣) من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، به بنحوه ولا يسلم من ضعف. وفي الباب عن ثوبان وعبد الله بن عمرو وابن عمر، ولا تسلم أسانيدها من مقال، ولكن يشد بعضها بعضاً.

(١) تقدم تخريجه في (سورة يونس) آية (٣).

(٢) البيت لوَضَّاح اليمن جَذيمة بن مالك بن فهم التَّنوخي، كما في الأغاني (٦/ ٢٤٣)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢٧/ ٩٢).

(٣) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ١٤٨)، وتفسير الثعلبي (٥/ ١١٨)، وتهذيب اللغة (١١/ ٢٨٩)، وفي الأصل: «ينسئ».

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ١٠٤)، وقد بسط هذا التأويل ابن فورك في مشكل الحديث (ص: ٣٨٦). =

[٥/ ١٢٦] وفي «كتاب مسلم بن الحجَّاج»: «فيضع / الجبَّارُ فيها رجْله»[١]، ومعناه: الجمع الَّذي أُعِدَّ لها، يقال للجمع الكثير من النّاس: رِجْلٌ؛ تشبيهاً بِرِجْل الجَرَاد، قال الشّاعر:

[الطويل] فَمرَّ بِهَا رِجْلٌ مِنَ النَّاسِ وَانْزَوَى إِلَيْها منَ الْحَيِّ الْيَمَانِين أَرْجُلُ[٢]

وملاك النَّظر في هذا الحديث: أَنَّ الجارحة والتَّشبيه وما جرى مجراه منتف كلّ ذلك، فلم يبق إِلَّا إِخراج الأَلفاظ على هذه الوجوه السّائغة[٣] في كلام العرب.

﴿وَأُزْلِفَتِ﴾ معناه: قُرِّبتْ.

وقوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ تأْكيد وبيان أَنَّ هذا التَّقريب هو في المسافة، لأَنَّ «قُرِّبت» كان يحتمل أَن يكون المعنى: بالوعد والإِخبار، فَرُفع الاحتمالُ بقوله: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ الآيةَ، يحتمل أَن يكون معناه: يقال لهم في الآخرة عند إِزْلاف الجنَّة: هذا هو الَّذي كنتم توعدون به في الدُّنيا، ويحتمل أَن يكون المعنى: أَنَّه خطاب لأُمَّة محمد ﷺ؛ أَي: هذا هو الَّذي توعدون به أَيُّها النّاس لكلِّ أَوَّاب حفيظ.

و«الأَوَّابُ»: الرَّجَّاع إِلى الطَّاعة وإِلى مراشد نفسه.

وقال ابن عباس، وعطاءٌ: «الأَوَّابُ»: المُسَبِّح، من قوله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠][٤].

= قال الترمذي رحمه الله في السنن (٤/ ٦٩٢): والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن المبارك، وابن عيينة، ووكيع وغيرهم: أنهم رووا هذه الأشياء، ثم قالوا: تروى هذه الأحاديث ونؤمن بها، ولا يقال: كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن يرووا هذه الأشياء كما جاءت ويؤمن بها ولا تفسر ولا تتوهم ولا يقال: كيف، وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه.

(١) أخرجه مسلم (٢٨٤٦) بلفظ: «حتى يضع الله ـ تبارك وتعالى ـ رجله، تقول: قط قط قط».

(٢) بلا نسبة في تفسير الثعلبي (٩/ ١٠٤).

(٣) في الأصل: «السابقة».

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٥٧) عن سليمان بن عبد الجبار، عن محمد بن الصلت، عن أبي كدينة يحيى بن المهلب، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه بنحوه.

وقال الشَّعبيُّ، ومجاهد: هو الَّذي يذكر ذنوبه فيستغفر[١].

وقال المحاسبيُّ: هو الرَّاجع بقلبه إِلى ربه[٢].

وقال عُبَيْد بن عمير: كنَّا نحدث أَنَّ الَّذي إِذا قام من مجلسه استغفر الله تعالى ممَّا جرى في ذلك المجلس[٣]، وكذلك كان النَّبيُّ ﷺ يفعل[٤].

والحفيظ معناه: لأَوامر الله تعالى فيمتثلها، ولنواهيه فيتركها.

وقال ابن عبّاس: حفيظ لذنوبه حتّى يرجع عنها[٥].

وقوله تعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ﴾ يحتمل أَن يكون من نَعْتِ «الأَوَّاب»، أَو بدلاً من ﴿كُلِّ﴾.

ويحتمل أَن يكون رفعاً بالابتداءِ، والخبر: يقال لهم: ﴿ٱدْخُلُوٓا۟﴾.

ويحتمل أَن تكون شرطية، فيكون الجواب: يقال لهم: ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ معناه: غير مشاهد له، إِنما يصدِّق رسوله ويسمع كلامه، وجاءَ معناه: يوم القيامة.

---

(١) الطبري (٢٠/ ٣٦٤)، والهداية لمكي (١١/ ٧٠٥٦).
(٢) تفسير الثعالبي (٤/ ٢٠١).
(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ٥٦٠-٥٦١) وغيره.
(٤) يشير إلى ما أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٥)، والدارمي (٢٦٥٨)، وأبو داود (٤٨٥٩)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤٢٦) من طرق عن الحجاج بن دينار، عن أبي هاشم، عن رفيع أبي العالية، عن أبي برزة الأسلمي قال: لما كان بآخرة، كان رسول الله ﷺ إذا جلس في المجلس، فأراد أن يقوم، قال: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»، فقالوا: يا رسول الله، إنك تقول الآن كلاماً ما كنت تقوله فيما خلا، قال: «هذا كفارة ما يكون في المجالس».
(٥) حسن، أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٦٥) من طريق مهران الرازي، عن أبي إسحاق السبيعي، عن التيمي قال: سألت ابن عباس فذكره بنحوه، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦٧٩٥) من طريق مهران الرازي، عن أبي سنان، عن أبي إسحاق، عن يحيى بن وثاب، عن ابن عباس رضي الله عنه، وهذا إسناد حسن.

و«المُنِيبُ»: الرَّاجع إِلى الخير والمائل إِليه، وقوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوهَا﴾ تقديره: يقال لهم، [أو: فيقال لهم][(١)]، على ما تقدَّم.

و(سلام) معناه: بأَمْن وسلامة من جميع الآفات.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ﴾ معادل لقوله تعالى قبْلُ في الكفار: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾ خبرٌ بأَنَّهم يُعطون آمالهم أَجمع، ثمَّ أَبهم تعالى الزِّيادة الَّتي عنده للمؤمنين المنعَّمين، وكذلك هي مُبْهمة في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ [السجدة: ١٧].

وقد فسّر ذلك الحديثُ الصّحيح في قوله ﷺ: «يقول الله تعالى: أَعددت لعبادي الصَّالحين ما لا عيْنٌ رأَت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خَطر على قلب بشر، بَلْهَ ما اطّلعتم عليه»[(٢)].

وقد ذكر الطبريُّ وغيره في تعيين هذا المزيد أَحاديث مطوَّلة وأَشياءَ ضعيفة[(٣)]؛ لأَنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم﴾ وهم يُعَيِّنُونها تكلُّفاً وتعسفاً.

ورُوي عن جابر بن عبد الله وأنس بن مالك: أَنَّ المزيد: النَّظرُ إِلى وجه الله تعالى بلا كيف[(٤)].

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) راجع تفسير الطبري (٢٢/ ٣٦٧-٣٦٨).

(٤) أثر جابر بن عبد الله رضي الله عنه لم أقف عليه، وأما أثر أنس بن مالك رضي الله عنه: فقد أخرج الدارقطني في «رؤية الله» (٥٧) من طريق نوح بن أبي مريم، عن ثابت البناني، عن أنس، قال: سئل رسول الله ﷺ، عن هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ قال: «الذين أحسنوا العمل في الدنيا، والحسنى: هي الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم»، ونوح بن أبي مريم الملقب بنوح الجامع كذبوه في الحديث. وأخرجه الدارقطني أيضاً (٥٨) من طريق الخليل بن عمر، عن عمر الأبح، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه به، وعمر بْن سعيد الْأَبَح، منكر الحديث، وقدحدث عَن ابْن أبي عرُوبَة بمناكير.اهـ. انظر: الميزان (٣/ ١٩١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿كَمْ﴾ للتّكثير، وهي خبرية، والمعنى: كثيراً أهلكنا قبلهم.

و«القَرْن»: الأُمَّة من النّاس الَّذين يمرُّ عليهم قدرٌ من الزَّمان، واختلف النّاس في ذلك القدر:

فقال الجمهور: مئة سنة، وقيل غير هذا، وقد تقدَّم القول فيه غير مرَّة.

«شِدَّةُ الْبَطْشِ»: هي بكثرة القوَّة والأَموال والمُلك والصِّحةِ والأَذهان إِلى غير ذلك.

وقرأَ الجمهور من النّاس: ﴿فَنَقَّبُوا۟﴾ بشدِّ القاف المفتوحة على إِسناد الفعل إِلى القرون الماضية، والمعنى: وَلَجُوا البلاد من أَنْقابها.

وفي الحديث: «إِنَّ على أَنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطَّاعون ولا الدَّجَّال»[1].

والمراد: تَطوَّفوا ومَشَوْا طماعية في النَّجاة من الهلكة، ومنه قول الشّاعر:

وقَدْ نَقَّبْتُ في الآفاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بالإِيابِ[2] [الوافر]

وقول الحارث بن حِلِّزَةَ اليَشْكُرِيِّ:

نَقَّبُوا في الْبِلادِ مِنْ حَذَرِ الْمَوْ تِ وجَالُوا في الأَرْضِ كُلَّ مَجَالِ[3] [الخفيف]

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٨٨٠)، ومسلم (١٣٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) البيت لامرئ القيس، كما تقدم في تفسير الآية (١٤) من (سورة آل عمران).

(٣) البيت للحارث بن حلزة كما في تفسير الزمخشري (٤/ ٣٩٠)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٢)، وجاء في مسائل نافع بن الأزرق (ص: ١٨٣) منسوباً لعدي بن زيد. والمجال: موضع الجولان.

وقرأ ابن عبّاس، وابن يَعْمَر، ونصر بن يسار، وأَبو العالية: (فَنَقِّبُوا) بشدِّ القاف المكسورة[١]، على الأَمر لهؤلاءِ الحاضرين.

و﴿هَلۡ مِن مَّحِيصٍ﴾ توقيف وتقرير؛ أَي: لا محيص، و«المحيص»: موضع الحيص وهو الرّوغان والحياد، قال قتادة: حاصَ الكفرة فوجدوا أَمر الله منيعاً مُدْرِكاً[٢].

وفي صدر البخاريِّ: «فحاصوا حَيْصَة حُمُر الوحش إِلى الأَبواب»[٣].

وقال ابن عبد شمس في وصف ناقته:

[الوافر] إِذَا حَاصَ الدَّلِيلُ رأَيْتَ مِنْهَا جُنُوحاً لِلطَّرِيق عَلَى اتِّسَاق[٤]

وقرأَ أَبو عمرو ـ في رواية عُبَيْد عنه ـ: ﴿فَنَقَبُوا﴾ بفتح القاف وتخفيفها، وهي بمعنى التَّشديد[٥]، واللَّفظة أَيضاً قد تقال بمعنى البحث والطَّلب، تقول: نقَّب عن كذا: إِذا استقصى عنه، ومنه: «نقيب القوم»؛ لأَنَّه الَّذي يبحث عن أُمورهم ويباحث عنها، وهذا عندي تشبيه بالدُّخول من الأَنقاب.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾؛ يعني: إِهلاك من مضى، و«الذِّكْرَى»: التَّذكرة، و«القَلْبُ» عبارة عن العقل إِذْ هو محلّه، والمعنى: لمن كان له قلبٌ واع ينتفع به، وقال الشِّبليُّ: معناه: قلب حاضر مع الله تعالى لا يغفل عنه طرفة عين[٦].

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ معناه: صرف سمعه إِلى هذه الأَنباءِ الواعظة، وأثبته في سماعها، فذلك إِلقاءٌ له عليها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩]؛ أَي: أَثبتُّها عليك.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لهم في المحتسب (٢/ ٢٨٤).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٧٢)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٥٥). وفي المطبوع: «متبعاً» بدل «منيعاً».
(٣) هذا جزء من حديث هرقل الذي أخرجه البخاري (٧) من حديث أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه.
(٤) لم أقف عليه لغير المؤلف.
(٥) انظر نسبتها له في السبعة (ص: ٦٠٧)، وهي ليست من طريق التيسير عنه.
(٦) تفسير الثعلبي (٩/ ١٠٦).

وقال بعض النّاس: قوله تعالى: ﴿أَلْقَى / ٱلسَّمْعَ﴾، وقوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [الكهف: ١١]، وقوله: ﴿سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٤٩][١]، هي كلها ممّا قلّ استعماله الآن وبعدت معانيه. [٥/ ١٢٧]

وقول هذا القائل ضعيف، بل هي بَيِّنَة المعاني، وقد تقدمت في مواضعها.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ قال بعض المتأوِّلين: معناه: وهو مُشاهد مُقبل على الأَمر غير مُعرض ولا متفكر في غير ما يسمع.

وقال قتادة: هي إِشارة إِلى أَهل الكتاب[٢]، فكأَنَّه تعالى قال: إِنَّ هذه العبر لَتَذْكِرَة لِمَن له فهم فيتدبَّر الأَمر، أَو لمن سمعها من أَهل الكتاب فشهد بصحَّتها لعلمه بها من كتاب التَّوراة وسائر كتب بني إِسرائيل.

فـ﴿شَهِيدٌ﴾ على التَّأْويل الأَوَّل: من المشاهدة، وعلى التَّأْويل الثّاني: من الشَّهادة.

وقرأَ السُّدِّيُّ: (أُلقِيَ السَّمعُ)[٣]، قال ابن جني: أَيْ أُلْقِيَ السَّمْعُ منه.

حكى أَبو عمرو الدّاني: أَنَّ قراءَة السُّدِّيِّ ذُكرت لعاصم فمَقَت السُّدِّيَّ وقال: أَليس الله يقول: ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ [الشعراء: ٢٢٣][٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الآيةَ: خبرٌ مُضَمَّنُهُ الرَّدُّ على اليهود الَّذين قالوا: إِنَّ الله خلق الأَشياءَ كلَّها في ستَّة أَيَّام ثمَّ استراح يوم السَّبت، فنزلت: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾، واللُّغوبُ: الإِعياءُ والنَّصب والسَّأَم، يقال: لَغَبَ الرَّجل يَلْغُبُ: إِذا أَعيا.

(١) سقط ذكر هذه الآية من المطبوع.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٧٤)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٥٦).

(٣) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٢٨٤).

(٤) انظر قول عاصم في السدي في البحر المحيط (٩/ ٥٤١).

وقرأَ السُّلَميُّ، وطلحة: (لَغُوبٍ) بفتح اللام[1].

وتظاهرت الأَحاديث: بأَن بدءَ خلق الأَشياءِ كان يوم الأَحد، وفي «كتاب مسلم»، وفي «الدَّلائل» لثابتٍ: حديثٌ مُضمَّنه: أَنَّ ذلك كان يوم السَّبت. وعلى كلِّ قول: فأَجمعوا على أَنَّ آدم خُلق يوم الجمعة[2]، فمن قال: إِنَّ البدأَة يوم السَّبت؛ جَعَلَ خلق آدم عليه السَّلام كخلق بنيه لا يُعدُّ من الجملة الأُولى، وجَعَلَ اليوم الَّذي كملت المخلوقات عنده يوم الجمعة.

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾، قال بعض المفسِّرين: المراد أَهل الكتاب لقولهم: ثمّ استراح يوم السَّبت.

قال القاضي أبو محمد: وهذه المقالة من أَهل الكتاب كانت بمكَّة قبل الهجرة، وقال النُّظَّار من المفسِّرين: قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ يراد به أَهل الكتاب وغيرهم من الكفرة، وعمَّ بذلك جميع الأَقوال الزّائغة من قريش وغيرهم، وعلى هذا التَّأْويل يجيءُ قول من قال: إِنَّ الآية منسوخة بآية السَّيف.

و(سبِّح) معناه: صَلِّ، بإِجماع من المتأَوِّلين.

وقوله تعالى: ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ الباءُ للاقتران؛ أَي: سَبِّح سُبْحَةً يكون معها حَمْدٌ، ومثله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] على بعض الأَقوال فيها.

و﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾: هي الصُّبح، و(قَبْلَ الغُرُوبِ): هي العصر، قاله قتادة، وابن زيد، والنّاس.

وقال ابن عبّاس: (قبل الغروب): الظهر والعصر، و(من الليل): هي صلاة العشاءَيْن[3].

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لهما في المحتسب (٢/ ٢٨٤).

(٢) تقدم الكلام على هذه المسألة في (سورة الأعراف) آية (٥٤).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٧/ ٣٦٤).

وقال ابن زيد: هي العشاءُ فقط، وقال مجاهد: هي صلاة اللَّيل[١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾، قال عمر بن الخطاب، وعلي بن أَبي طالب، وأَبو هريرة، والحسن، والشَّعبيُّ، وإِبراهيم، ومجاهد، والأَوزاعيُّ: هي الرَّكعتان بعد المغرب[٢]، وأَسنده الطَّبريُّ، عن ابن عبّاس، عن النَّبيِّ ﷺ[٣]، كأَنَّه رُوعي أَدبار صلاة النَّهار كما رُوعي أَدبار النُّجوم في صلاة اللَّيل فقيل: هي الرَّكعتان مع الفجر.

وروي عن ابن عبّاس: أَن ﴿وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾: الوتر، حكاه الثَّعلبيُّ[٤].

وقال ابن زيد، وابن عبّاس أَيضاً، ومجاهد: هي النَّوافل إِثر الصَّلوات، وهذا جارٍ مع لفظ الآية[٥].

وقال بعض العارفين: هي صلاة اللَّيل.

---

(١) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٧٦)، وانظر: الماوردي (٥/ ٣٥٧)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٠٦)، والهداية لمكي (١١/ ٧٠٦٣).

(٢) أثر عمر رضي الله عنه أخرجه محمد بن نصر المروزي في مختصر قيام الليل (ص: ٧٨)، وابن المنذر كما في فتح الباري (٨/ ٥٩٨)، وأثر علي رضي الله عنه أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٧٨) من طرق عنه، وهو صحيح، وأثر أبي هريرة رضي الله عنه فقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨٧٥٥)، والطبري (٢١/ ٤٧٠) من طريق حماد بن أبي سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أوس بن خالد، عن أبي هريرة قال: (إدبار النجوم) ركعتان قبل الفجر، و(أدبار السجود): ركعتان بعد المغرب. وعلي ابن زيد بن جدعان ضعيف، وأوس بن أبي أوس خالد أبو خالد الحجازي مجهول، وأقوال الباقين في تفسير الطبري (٢٢/ ٣٧٧-٣٨٠).

(٣) ضعيف، أخرجه الترمذي (٣٢٧٥)، والطبري (٢٢/ ٣٧٩)، والطبراني في الأوسط (٧٤٥٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٢٠) من طريق محمد بن فضيل، عن رشدين بن كريب، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إدبار النجوم) الركعتان قبل الفجر، و(أدبار السجود): الركعتان بعد المغرب، وفي بعض الرويات مختصراً، ورشدين بن كريب بن أبي مسلم القرشي ضعيف.

(٤) لم أجده في تفسير الثعلبي، ولا في غيره.

(٥) صحيح، أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٨٠) من طريق ابن علية، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنه، وانظر: الماوردي (٥/ ٣٥٧).

وقال الثَّعلبيُّ: وقال بعض العلماءِ في قوله تعالى: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾: ركعتا الفجر، ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾: الرَّكعتان قبل المغرب، وقال بعض التّابعين: رأَيت أَصحاب محمد ﷺ يَهُبُّون إِليها كما يَهُبُّون إِلى المكتوبة، وقال قتادة: ما أدركت أَحداً يصلي الرَّكعتين قبل المغرب إِلَّا أَنساً وأَبا برزة(١).

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وحمزة، وابن عبّاس، وأَبو جعفر، وشيبة، وعيسى، وشبل، وطلحة، والأَعمش: ﴿وَإِدْبَارَ﴾ بكسر الأَلف، وهو مصدر أُضيف إِليه وقت ثمَّ حذف الوقت، كما قالوا: جئتك مَقْدِمَ الحجِّ وخُفوقَ النَّجم، ونحوه.

وقرأَ الباقون، والحسن، والأَعرج: ﴿وَأَدْبَٰرَ﴾ بفتح الهمزة، وهو جمع دُبُر؛ كطُنُبٍ وأَطناب(٢)، أَي: وفي أَدبار السُّجود، أَي في أَعقابه، قال أَوس بن حجر:

[الطويل] عَلَى دُبُرِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَأَرْضُنَا ... وَمَا حَولَهَا جَدْبٌ سنون تَلمّعُ(٣)

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ هو بمنزلة: وانْتظِر، وذلك أَنَّ محمداً ﷺ لم يؤمر بأَن يستمع في يوم النّداءِ؛ لأَنَّ كلَّ من فيه يستمع، وإِنَّما الآية في معنى الوعيد للكفّار، وقيل لمحمد ﷺ: تحسَّس وتسَمَّع هذا اليوم وارتقبه فإِنَّ فيه صحَّة ما قلته، وهذا كما تقول لمن تَعِدُهُ بورود فَتْحٍ: استمع كذا وكذا؛ أَي: كُنْ منتظراً له مستمعاً، فعلى هذا فنصبُ ﴿يَوْمَ﴾ إِنَّما هو على المفعول الصَّريح.

---

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ١٠٦) بتصرف يسير.

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٠٢)، والنشر (٢/ ٣٧٦).

(٣) بلا نسبة في: الأزمنة والأمكنة (ص: ١٩٧)، وأساس البلاغة (٢/ ١٨١)، وفي المطبوع: «سنينٌ تلْمَع».

وقرأ ابن كثير ﴿الْمُنَادِي﴾ بالياءِ وصلاً ووقفاً على الأَصل الَّذي هو ثبوتها؛ إِذ الكلام غير تامٍّ، وإِنَّما الحذف أَبداً في الفواصل وفي الكلام التَّام تشبيهاً بالفواصل.

وقرأ أَبو عمرو، ونافعٌ في الوقف بغير ياءٍ؛ لأَنَّ الوقف موضع تغيير، أَلا ترى أَنَّها تُبدل من التَّاءِ فيه الهاءُ في نحو: طلحة، وحمزة، وتبدل من التَّنوين الأَلف، ويضعف فيه الحرف كقولك: هذا فوجٌ، ويحذف فيه الحرف في القوافي.

وقرأ الباقون وطلحة والأَعمش وعيسى بحذف الياءِ وصلاً ووقفاً، اتباعاً لخط المصحف[١].

وأَيضاً: فإِنَّ الياءَ تحذف مع التَّنوين، فوجب أَن تحذف مع معاقب التَّنوين وهما الأَلف واللَّام.

وقوله تعالى: ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾، قيل: وصفه بالقرب من حيث يسمع جميع الخلق، / وروي عن النَّبيِّ ﷺ: أَن مَلكاً ينادي من السَّماءِ: «أَيَّتها الأَجسام الهامدة، [٥/ ١٢٨] والعظام البالية، والرِّمم الذاهبة، هلُمَّ إِلى الحشر والوقوف بين يدي الله»[٢].

وقال كعب الأَحبار، وقتادة، وغيرهما: المكان: صخرة بيت المقدس[٣].

واختلفوا في معنى صفتها بالقرب:

فقال قوم: وصفها بذلك لقربها من النَّبيِّ ﷺ؛ أَي: من مكَّة.

وقال كعب الأَحبار: وصفها بالقرب من السَّماءِ، وروي: أَنَّها أَقرب الأَرض إِلى السَّماءِ بثمانية عشر ميلاً[٤]، وهذا الخبر إِن كان بوحي، وإِلَّا فلا سبيل إِلى الوقوف على صحَّته.

---

(١) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ٢٠٢).

(٢) لم نقف عليه، وأورده أبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٥٤٣)، والثعالبي في تفسيره (٥/ ٢٩٥)، ووقع عند الأول: «هلمي»، وعند الثاني: «هلموا».

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٨٢)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٥٨)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ١٩٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٨٢)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٥٨).

و﴿ٱلصَّيۡحَةَ﴾: هي صيحةُ المنادي، و﴿ٱلۡخُرُوجِ﴾: هو من القبور، و«يوْمُهُ»: هو يوم القيامة، و﴿يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ﴾ في الدُّنيا: هو يوم العيد، وقال حسَّان بن ثابت:

[أحذ الكامل]

وَلأَنْـتِ أَحسَـنُ إِذْ بَـرَزْتِ لَنَـا ... يَـوْمَ الْخُـرُوجِ بِسَـاحَةِ الْقَصْـرِ

مِـنْ دُرَّةٍ أَغْـلَـى بِـهَـا مَلِـكٌ ... مِـمَّـا تَـرَبَّـبَ حَـائِـرُ الْبَـحْـرِ[١]

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ﴾، العامل في ﴿يَوۡمُ﴾: ﴿ٱلۡمَصِيرُ﴾.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: ﴿تشَّقق﴾ بتشديد الشِّين.

وقرأ الباقون: ﴿تشقق﴾ بتخفيف الشين[٢].

و﴿سِرَاعًا﴾ حال[٣]، قال بعض النَّحويِّين: هي من الضَّمير في قوله تعالى: ﴿عَنۡهُمۡ﴾، والعامل في الحال ﴿تَشَقَّقُ﴾، وقال بعضهم: التَّقدير: يوم تشقَّق الأَرض عنهم يخرجون سراعاً، فالحال من الضَّمير في «يخرجون»، والعامل «يخرجون».

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٌ﴾ كلام معادلٌ لقول الكفرة: ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ [ق: ٣].

وقوله تعالى: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ وعيدٌ محض للكفرة.

واختلف النّاس في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖ﴾:

فقال قتادة: نهى الله تعالى عن التَّجبُّر، وتقدَّم فيه، فمعناه: وما أَنت عليهم بمُتَعَظِّم؛ من الجبروت.

وقال الطَّبريُّ وغيره: معناه: وما أَنت عليهم بِمُسَلَّط تَجْبُرهم على الإِيمان[٤]،

---

(١) انظر عزوه له في: لسان العرب (١/ ٤٠٢)، وتاج العروس (٢/ ٤٦٤). وفي الأصل ونجيبويه: «أعلى الملوك بها»، وفي الأصل: «يربب جابر»، وفي نجيبويه: «يرتاب جائز»، وفي أحمد٣: «مما تربت».

(٢) وهي سبعية، انظر: السبعة (ص: ٦٠٧).

(٣) «حال» ليست في الأصل.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٨٤) بتصرف.

ويقال: جَبَرْتُه على كذا؛ أَي: قَسرْتُه، فـ«جَبَّارٌ» بناء مبالغة من جَبَرَ، وأَنشد المُفَضَّل:

عَصَيْنَــا عَـزْمَةَ الجَبَّـارِ حَـتَّى صَبَحْنَـا الجَوْفَ إِلْفـاً مُعْلمينا[١] [الوافر]

قال: أَراد بالجبَّار: النُّعمان بن المنذر لولايته.

ويحتمل أَن نصب «عَزْمَةَ» على المصدر وأَراد: عصينا مقدّمين عزمة جبار، فمدح نفسه وقومه بالعتو والاستعلاءِ، أَخلاقِ الجاهلية والحياة الدُّنيا.

ورُوي عن ابن عبّاس: أَنَّ المؤمنين قالوا: يا رسول الله! لو خوَّفْتَنَا، فنزلت: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[٢].

قال القاضي أَبو محمد: ولو لم يكن هذا سبباً، فإِنَّه لَمَّا أَعْلَمَهُ أَنَّه ليس بمُسَلَّط على جبرهم، أَمره بالاقتصار على تذكير الخائفين من الناس[٣].

(١) نقله عنه الفراء في: معاني القرآن (٣/ ٨١)، وعنه الطبري (٢٢/ ٣٨٤)، والثعلبي (٩/ ١٠٨). وفي المطبوع: «صحبنا الخوف».

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٨٥) من طريق عمرو بن قيس الملائي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره. وعمرو بن قيس الملائي ثقة متقن ولكنه لم يدرك ابن عباس.

(٣) في المطبوع: «أمرهم»، بالجمع، وفيه: «المؤمنين»، قال في الحاشية بعد ذكر النسخة الأخرى: «والأولى ما أثبتناه لأنَّ الذكرى تنفع المؤمنين، ومن لا يخاف الوعيد من النّاس لا يتذكر، فلا تنفع فيه الذِّكرى».

سورة الذاريات

تفسير سورة الذاريات

هذه السُّورة مكِّيَّة بإِجماع من المفسرين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ۝٦ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ۝٨ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ۝١١ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ۝١٤ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ۝١٦﴾.

أَقسم الله تعالى بهذه المخلوقات تنبيهاً عليها، وتشريفاً لها، ودلالة على الاعتبار فيها، حتى يصير الناظر فيها إِلى توحيد الله تعالى.

و(الذاريات): الرِّياح، بإِجماع من المتأَولين، يقال: ذرت الرِّيح وأَذرت بمعنى، وفي الرِّياح مُعتبَرٌ من شدَّتها حيناً ولينها حيناً، وكونها مرَّة رحمة ومرَّة عذاباً، إِلى غير ذلك.

و﴿ذَرۡوٗا﴾ نصب على المصدر.

و(الحاملات وِقْراً) قال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: هي السحاب المُوقَرة بالماءِ[١].

---

(١) صحيح بمجموع طرقه، أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٢٤١)، والطبري (٢٢/ ٣٩١)، والحاكم في =

وقال ابن عباس، وغيره: هي السُّفن المُوقَرة بالناس وأمتاعهم[(١)].

وقال جماعة من العلماءِ: هي أَيضاً مع هذا: جميعُ الحيوان الحامل، وفي جميع ذلك مُعْتبر.

و﴿وِقْرًا﴾ مفعول صريح.

و(الجاريات يسراً): قال علي بن أَبي طالب وغيره: هي السُّفن في البحر[(٢)].

وقال آخرون: هي السَّحاب بالريح.

وقال آخرون: هي الجواري من الكواكب، واللفظ يقتضي جميع هذا.

و﴿يُسْرًا﴾ نعت لمصدر محذوف، وصفات المصادر المحذوفة تعود أَحوالاً.

و﴿يُسْرًا﴾ معناه: بسهولة وقلة تكلُّف.

و(الْمُقَسِّمَات أَمْراً): الملائكة، و«الأَمْر» هنا اسم الجنس، فكأنه قال: والجماعات التي تقسِّم أَمور الملكوت من الأَرزاق والآجال والخلق في الأَرحام وأَمر الرياح وغير ذلك؛ لأَن كل هذا إِنما هو بملائكة تخدمه، فالآية تتضمن جميع الملائكة لأَنهم كلهم في أُمور مختلفة، وأَنَّث (الْمُقَسِّمَات) من حيث أَراد الجماعات.

وقال أَبو الطفيل عامر بن واثلة: كان عليٌّ رضي الله عنه على المنبر، فقال: لا تسأَلوني عن آية من كتاب الله تعالى أَو سُنَّة ماضية إِلَّا قلتُ، فقام إِليه ابن الكَوَّاءِ فسأَله عن هذه فقال: (الذَّاريات): الرِّياح، و(الحاملات): السَّحاب، و(الجاريات): السُّفن،

= مستدركه (٢/ ٤٦٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٩٩١) من طرق عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بألفاظ مطولة ومختصرة.

(١) أخرج الفريابي، وابن مردويه كما في الدر المنثور (١٣/ ٦٦٥) عن سعيد بن جبير قال: سألت ابن عباس رضي الله عنه عن ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا﴾ قال: الرياح، ﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا﴾ قال السحاب ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا﴾ قال السفن ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ قال: الملائكة.

(٢) صحيح، انظر أثر علي بن أبي طالب المتقدم.

و(المقسِّمات): الملائكة، ثم قال له: سلْ سؤال تعلُّم، ولا تسأَل سؤال تعنيت[١].

وهذا القَسَم واقع على قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾.

و﴿تُوعَدُونَ﴾ يحتمل أَن يكون من الإيعاد، ويحتمل أَن يكون من الوعد. وأَيهما كان فالوصف له بالصدق صحيح.

و(صَادقٌ) هنا موضوع بدل «صدْق» وضع الاسم موضع المصدر.

و﴿الدِّينَ﴾: الجزاءُ، وقال مجاهد: الحسابُ[٢].

والظاهر في الآية أنها للكفَّار، وأَنها/ وعيدٌ محضٌ بيوم القيامة. [٥/ ١٢٩]

ثم أَقسم الله تعالى بمخلوق آخر فقال: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾، فظاهر لفظة (السماءِ) أنها لجميع السماوات.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: هي السماءُ السابعة[٣].

و﴿الْحُبُكِ﴾ بضم الحاءِ والباءِ: الطرائق التي هي على نظام في الأَجرام، فحُبُك الرِّمال والماءِ: الطرائق التي تصنع فيها الريح الهابَّةُ عليها، ومنه قول زهير:

مُكَلَّلٌ بعَميمِ النَّبْت تَنْسِجُهُ ريحٌ خَريقٌ لِضَاحي مَائِه حُبُكُ[٤] [البسيط]

وحُبُك الدِّرع: الطرائق المتصلة في موضع اتصال الحلق بعضها ببعض، وفي بعض أَجنحة الطير حُبُك على نحو هذا، ويقال لتكسير الشَّعر: حُبُك.

---

(١) صحيح، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٩٢) من طرق صحيحة عن أبي الطفيل به.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٩٤).

(٣) حسن، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٩٧) من طريق عمران القطان، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، عن عمرو البكالي، عن عبد الله بن عمرو فذكره.

(٤) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٢٢٥)، وجمهرة اللغة (١/ ٢٨٣)، والكامل للمبرد (٣/ ٤٧)، والمحكم (٣/ ٤٨).

وفي الحديث: «إِن من ورائكم الكذَّاب المُضِلَّ، وإِنَّ رأْسه من ورائه حُبُكاً حُبُكاً»[(١)]؛ يعني: جُعُودة شعره، فهو تكسُّره، ويظهر في المنسوجات من الأَكسية وغيرها طرائق في موضع تداخل الخيوط هُنَّ حُبُك، ويقال: نسج الثوب فأَجاد حَبْكه، فهذه من الحُبُك في اللغة.

وقال منذر بن سعيد: إِن السماءَ في تأَلُّف جرمها هي هكذا لها حُبُك، وذلك لجودة خلقتها وإِتقان صنعتها، ولذلك عبَّر ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ بأَن قال: حُبُكها: حُسْن خِلْقتها[(٢)].

وقال ابن جبير: ﴿ٱلْحُبُكِ﴾: الزينة، وقال الحسن: حُبُكها كواكبها[(٣)].

وقال ابن زيد: ﴿ٱلْحُبُكِ﴾: الشدَّة، حُبكت: شُدَّت، وقرأَ: ﴿سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢][(٤)].

وقال ابن جنِّي: ﴿ٱلْحُبُكِ﴾: طرائق الغَيْم، ونحو هذا[(٥)]، وواحد الحُبُك حَباك، ويقال للضَّفيرة التي تُشَدُّ بها حظار القصب ونحوه وهي مستطيلة تصنع في ترجيب الغراسات المصطفة: حِبَاكٌ، وقد يكون واحد الحُبُك حَبيكة، وقال الرَّاجز:

[الرجز] كَأَنَّمَا جَلَّلَهَا الحَوَّاكُ ... طِنْفِسَةً في وَشْيِهَا حِبَاكُ[(٦)]

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٥/ ٣٧٢-٤١٠) وأحمد بن منيع في مسنده كما في إتحاف المهرة (٧٦٢٨)، والطبري (٢١/ ٤٨٨) وغيرهم من طريق أيوب، عن أبي قلابة قال: عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إن من ورائكم الكذاب المضل، وإن رأسه من ورائه حبكاً حبكاً، وإنه يقول: أنا ربكم، فمن قال: كذبت، لست بربنا، ولكن ربنا الله عليه توكلنا فنعوذ بالله من شرك، فلا سبيل له عليه». قال ابن علية: الحبك: الجعودة. ولفظة «رأسه» ليست في الأصل.

(٢) حسن، أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٩٥) من طريق سفيان، عن عطاء بن السائب، عن ابن جبير، عن ابن عباس، وله طرق أخرى عن ابن عباس.

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٢/ ٣٩٥،٣٩٦)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١١٠)، وانظر: تفسير الماوردي (٥/ ٣٦٢).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٩٧)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١١٠).

(٥) المحتسب (٢/ ٢٨٦).

(٦) بلا نسبة في تفسير الطبري (٢٢/ ٣٩٥)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١١٠)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٦٢).

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ٱلْحُبُكِ﴾ بضم الحاءِ والباءِ.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن، وأَبو مالك الغفاري بضم الحاءِ وسكون الباءِ تخفيفاً، وهي لغة بني تميم، كرُسْل في رُسُل، وهي قراءَة أَبي حيوة، وأَبي السَّمال.

وقرأَ الحسن أَيضاً وأَبو مالك الغفاري: (الْحِبِكِ) بكسر الحاءِ والباءِ على أَنها لغة كإِطِل وإِبِل.

وقرأَ الحسن أَيضاً: (الْحِبْكُ) بكسر الحاءِ وسكون الباءِ، كما قالوا على جهة التخفيف: إِبْلٌ، وإِطْلٌ؛ بسكون الباءِ والطاءِ.

وقرأَ ابن عباس: (الْحَبَك) بفتح الحاءِ والباءِ.

وقرأَ الحسن أَيضاً فيما رُوي عنه: (الْحِبُك) بكسر الحاءِ وضم الباءِ، وهي قراءَة شاذة غير متوجهة، وكأَنه أَراد كسرهما ثم تَوَهَّمَ (الْحُبُك) قراءَة الضم بعد أَن كسر الحاءَ فضم الباءَ، وهذا على تداخل اللغات، وليس في كلام العرب هذا البناءُ.

وقرأَ عكرمة: (الْحُبَك) بضم الحاءِ وفتح الباءِ[1] جمع حُبْكة، وهذه كلها لغات، والمعنى ما ذكرناه، والفرسُ المحبوك: الشديد الخِلْقة الذي له حُبَك في مَوَاضع من منابت شعره، وذلك دليل على حسن بِنْيته.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ يحتمل أَن يكون خطاباً لجميع الناس، مؤمنٍ وكافرٍ؛ أَي: اختلفتم بأَن قال منكم فريق: آمنا بمحمد وكتابه، وقال فريق آخر: كفرنا، وهذا قول قتادة[2].

ويحتمل أَن يكون خطاباً للكفرة فقط؛ أَي: أَنتم في جنس من الأَقوال مختلف

(١) ست قراءات شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٢٨٦)، والبحر المحيط (٩/ ٥٤٩)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٤٨). وفي الأصل: «وهي لغة».

(٢) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٩٨)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٦٣)، بتصرف.

في نفسه؛ قوم منكم يقولون: ساحر، وقوم: كاهن، وقوم: شاعر، وقوم: مجنون، إِلى غير ذلك، وهذا قول ابن زيد.

والضمير في ﴿عَنْهُ﴾ قال الحسن، وقتادة: هو عائد على محمد ﷺ، أَو كتابه، أَو شرعه(١).

و﴿يُؤْفَكُ﴾ معناه: يُصرف، فالمعنى: يُصرف عن كتاب الله تعالى من صُرف ممن غلبت شقاوته.

وكان قتادة يقول: المأْفوك منَّا اليوم عن كتاب الله تعالى كثير(٢).

ويحتمل أَن يعود الضمير على القول(٣) الذي يصرف بسببه من أَراد الإِسلام بأَن يقال له: هو سحر، هو كهانة، وهذا قول حكاه الزهراوي(٤).

ويحتمل أَن يعود الضمير في ﴿عَنْهُ﴾ على القول(٥)، أَي: يصرف عنه بتوفيق الله تعالى إِلى الإِسلام من غلبت سعادته، وهذا على أَن يكون قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ للكفار فقط.

قال القاضي أبو محمد: وهذا وجه حسن لا يُخل به، إِلَّا أن عرف الاستعمال في «أفك» إنما هو في الصرف من خير إِلى شر، وتأَمل ذلك تجدها أَبداً في المصروفين المذمومين.

وحكى أَبو عمرو عن قتادة أنه قرأَ: (مَنْ أَفَكَ) بفتح الهمزة والفاءِ(٦).

وقوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ دعاءٌ عليهم، كما تقول: قاتلك الله، وقتلك الله، وعَقْرَى حَلْقَى.

---

(١) انظره مع قول ابن زيد في: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٩٨)، والهداية لمكي (١١/ ٧٠٧٤).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٩٨).
(٣) في الأسدية٤: إشارة إلى نسخة فيها: «اليوم»، وفيها: «أي» بدل «الذي».
(٤) البحر المحيط (٩/ ٥٥٠).
(٥) في الأسدية ٤: إشارة إلى نسخة فيها: «الكفر».
(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: مختصر الشواذ (ص:١٤٦)، والكامل (ص: ٤٠٢).

وقال بعض المفسرين: معناه: لُعن الخراصون، وهذا تفسير لا تعطيه اللفظة.

والخَرَّاصُ: المُخَمِّن القائل بظنه وتقديره، فَتَحْتَه: الكاهن والمرتاب، ونحوه ممَّن لا يقين له.

والإِشارة إِلى مُكَذِّبي محمد ﷺ على كل جهة من طرقهم.

و«الغَمْرَةُ»: ما يُغشِّي الإِنسان ويغطيه كغَمرة الماءِ، والمعنى: في غمرة من الجهالة.

و﴿سَاهُونَ﴾ معناه: عن أَنهم في غمرة وعن غير ذلك من وجوه النظر.

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ معناه: يقولون: متى يوم الدين؟ على معنى التكذيب، وجائز أَن يقترن بذلك من بعضهم هزؤٌ، وأَلَّا يقترن.

وقرأَ السُّلَمي، والأَعمش: (إِيَانَ) بكسر الهمزة وفتح الياءِ مخففة[١].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾، قال الزجاج: نصب ﴿يَوْمَ﴾ على الظرف من مُقَدَّر تقديره: هو كائن يومَ هم على النار، أَو نحو هذا.

وقال الخليل وسيبويه: نصبه على البناءِ لمَّا أُضيف إِلى غير متمكن.

قال بعض النحاة: وهو في موضع رفع على البدل من ﴿يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾[٢].

و﴿يُفْتَنُونَ﴾ معناه: يحرقون ويعذبون في النار، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والجميع[٣].

ومنه قيل لِلْحَرَّةِ: فَتينٌ، كأن الشمس أَحرقت حجارتها، ومنه قول كعب بن مالك:

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لأبي عبد الرحمن السُّلمي في: المحتسب (٢/ ٢٨٧)، ولهما في: مختصر الشواذ (ص: ١٤٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٥٢)، وأقوال الباقين في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٥٩).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٠٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾، يقول: يعذبون. وانظر قول الباقين في تفسير الطبري (٢٢/ ٤٠٢)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٦٤).

[المتقارب] مَعَاطِـنُ تَهْـوِي إِلَيْهَـا الْحُقُـو قُ يَحْسَـبُهَا مَـنْ رَآهَـا الْفَتِينَـا[١]

وفَتَنْتُ الذَّهبَ: أَحرقتُه، ولما كان لا يُحْرَقُ إِلَّا لمعنى الاختبار قيل لكل اختبار: فِتْنَةٌ، واستعملوا افْتُتِنَ بمعنى اخْتُبِرَ.

[٥/ ١٣٠] و﴿عَلَى﴾ هنا موصلة إِلى معنى «في»، وفي قوله / تعالى: ﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ﴾ معناه: يقال لهم: ذوقوا حرقكم وعذابكم، قاله قتادة وغيره[٢].

و«الذوق» هنا استعارة، و﴿هَٰذَا﴾ إِشارة إِلى حرقهم، واستعجالهُم هو قولهم: ﴿أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ وغير ذلك من الآيات التي تقتضي استعجالهم على جهة التكذيب منهم.

ولما ذكر تعالى حالة الكفرة وما يلقَون من عذاب الله عزَّ وجلَّ؛ عقب ذلك بذكر المتقين وما يلقون من النعيم؛ ليبين الفرق ويتبع الناسُ طريق الهدى.

و«الجنات» و«العيون» معروف[٣].

و(المتَّقي) في الآية مطلق في اتِّقاءِ الكفر والمعاصي.

وقوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ﴾ نصب على الحال.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (آخِذُونَ) بواو[٤].

وقال ابن عباس: المعنى: آخذين في دنياهم ما آتاهم ربهم من أَوامره ونواهيه وفرائضه وشرعه، فالحال على هذا محكية، وهي متقدمة في الزمان على كونهم في جنات وعيون[٥].

---

(١) البيت لكعب بن مالك في رثاء شهداء أحد، كما في سيرة ابن هشام (٢/ ١٥٨)، والجيم لأبي عمرو الشيباني (٣/ ٦٥).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٠٥).

(٣) في حاشية المطبوع: هكذا في الأصول، وكأنه يريد: «أمْرهما معروف».

(٤) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٤٤٨).

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٠٦) عن محمد بن حميد الرازي، عن مهران الرازي، عن سفيان، عن أبي عمر، عن مسلم البطين، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾، قال: الفرائض. ومحمد بن حميد الرازي ضعيف.

وقال جماعة من المفسرين: معنى قوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾؛ أي: محصلين لنعم الله تعالى التي أعطاهم من جنَّته ورضوانه، وهذه حال متصلة في المعنى بكونهم في الجنات، وهذا التأويل أرجح عندي لاستقامة الكلام به.

وقوله تعالى: ﴿قَبۡلَ ذَٰلِكَ﴾ يريد: في الدنيا، ﴿مُحۡسِنِينَ﴾ بالطاعة والعمل الصالح.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦﴾.

معنى قوله عز وجل: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾: أن نومهم كان قليلاً لاشتغالهم بالصلاة والعبادة، فالمراد: من كل ليلة.

و«الهجوع»: النوم، وقال الأحنف بن قيس: لستُ من أهل هذه الآية[1]، وهذا إِنصاف منه.

وقيل لبعض التابعين: مدح الله تعالى قوماً كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، ونحن قليل من الليل ما نقوم، فقال: رحم الله تعالى امرأً رقد إِذا نعس، وأَطاع ربه إِذا استيقظ[2].

وفسَّر أَنَسُ بن مالك هذه الآية: بأَنهم كانوا يتنفَّلون بين المغرب والعشاءِ[3].

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٠٩).

(٢) في تفسير الطبري (٢٢/ ٤١٢): أن رجلًا من بني تميم لزيد بن أسلم، فأجابه بذلك.

(٣) صحيح، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٣)، والطبري (٢٢/ ٤٠٧) من طريق قتادة، عن أنس بن مالك فذكره، وأخرجه أبو داود (١٣٢٣)، والطبري (٢٢/ ٤٠٧)، والحاكم (٢/ ٤٦٧)، والبيهقي في الشعب (٣١١٠) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة به، بلفظ: يتيقظون يصلون ما بين هاتين، ما بين المغرب والعشاء.

وقال الرَّبيع بن خُثَيْم: المعنى: كانوا يصيبون من الليل حظّاً[١].

وقال مُطَرِّف بن عبد الله: قلَّ ليلة أَتت عليهم هجعوها كلها، وقاله ابن أَبي نُجَيْح ومجاهد[٢]، فالمراد عند هؤلاءِ بقوله: ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾؛ أَي: من اللَّيالي.

وظاهر الآية عندي: أَنهم كانوا يقومون الأَكثر من ليلهم؛ أَي: من كلِّ ليلة.

وقد قال الحسن في تفسير هذه الآية: كابدوا قيام الليل، لا ينامون منه إِلَّا قليلاً.

وأَمَّا إِعرابُ الآية؛ فقال الضحاك ـ في كتاب الطبري ما يقتضي أَن المعنى ـ: كانوا قليلاً في عددهم، وتم خبر (كان)[٣]، ثم ابتدأ ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾، فـ﴿مَا﴾ نافية، و﴿قَلِيلًا﴾ وقف حسن.

وقال بعض النحاة: ﴿مَا﴾ زائدة، و﴿قَلِيلًا﴾ مفعول مقدم لـ﴿يَهۡجَعُونَ﴾.

وقال جمهور النحويين: ﴿مَا﴾ مصدرية، و﴿قَلِيلًا﴾ خبر (كان)، والمعنى: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم، و«الهجوع» مرتفع بـ﴿قَلِيلًا﴾ على أنه فاعل، وعلى هذا الإِعراب يجيءُ قول الحسن وغيره ـ وهو الظاهر عندي ـ أَن المراد: كان هجوعهم من الليل قليلاً.

وفسَّر ابن عمر والضحاك ﴿يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ بـ: يُصَلُّونَ[٤].

وقال الحسن: معناه: يدعون في طلب المغفرة[٥]، والأَسحار مظنَّة الاستغفار.

ويُروى: أَن أَبوابَ الجنَّة تفتح سحر كل يوم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٠٨).

(٢) انظر أقوالهم وقول الربيع في تفسير الطبري (٢٢/ ٤٠٨). في المطبوع: «وقال ابن أبي نجيح».

(٣) انظره مع قول الحسن في تفسير الطبري (٢٢/ ٤٠٨).

(٤) صحيح، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٦٤٣)، والطبري (٢٢/ ٤١٢) من طريق سفيان، عن جبلة بن سحيم، عن ابن عمر، فذكره.

(٥) انظره مع قول الضحاك في تفسير الطبري (٢٢/ ٤١٢،٤١٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٦٦)، والهداية لمكي (١١/ ٧٠٨٣).

وفي قصة يعقوب عليه السلام في قوله: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٩٨]: أنه أَخَّر الاستغفار لهم إلى السَّحر.

قال ابن زيد ـ في كتاب الطبري ـ: «السَّحَرُ»: السدسُ الأَخير من اللَّيل[١].

قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ﴾، الصحيح أَنها محكمة، وأَن هذا الحق هو على وجه الندب لا على وجه الفرض، و﴿مَّعْلُومٌ﴾[٢]، يراد به: متعارف، وكذلك قيام الليل الذي مدح به ليس من الفرائض، وأَكثر ما تقع الفضيلة بفعل المندوبات.

وقال منذر بن سعيد: هي الزكاة المفروضة، وهذا ضعيف[٣]، لأَن السُّورة مكيَّة، وفرض الزكاة بالمدينة.

وقال قوم من المتأَولين: كان هذا ثم نسخ بالزكاة، وهذا غير قوي، وما شَرَع الله تعالى وجلَّ بمكة قبل الهجرة شيئاً من أَخذ الأَموال.

واختلف الناس في (المحروم) اختلافاً هو عندي تخليط من المتأَخرين؛ إِذ المعنى واحد، وإِنما عبَّر علماءُ السلف في ذلك العبارات على جهة المثالات، فجعلها المتأَخرون أَقوالاً، وحصرها مكي في ثمانية[٤].

و(المحروم): هو الذي تبعد عنه ممكنات الرزق بعد قربها منه فيناله حرمان وفاقة، وهو مع ذلك لا يسأَل، فهذا هو الذي له حق في أَموال الأَغنياءِ كما للسائل حق.

قال الشعبي: أَعياني أَن أَعلم ما (المحروم)[٥].

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٤١٣)، وفي المطبوع: «أبو زيد».

(٢) لم ترد كلمة ﴿مَّعْلُومٌ﴾ في هذه السورة، ولكنها وردت في الآية (٢٥) من (سورة المعارج).

(٣) البحر المحيط (٩/ ٥٥٢).

(٤) الهداية لمكي (١١/ ٧٠٨٥).

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٤١٨)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١١٢).

وقال ابن عباس: (المحروم): المحارف الذي ليس له في الإِسلام سهم مال، فهو ذو الحرفة المحدود[١].

وقال أَبو قِلابة: جاءَ سيل باليمامة فذهب بمال رجل، فقال رجل من أَصحاب النبي ﷺ: هذا المحروم[٢].

وقال زيد بن أسلم: من أجيحت ثمرته من المحرومين[٣].

[وقال غيره: هو الذي ماتت ماشيته، وقال عمر بن عبد العزيز: هو الكلب[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وقد يكون الكلب محروماً في بعض الأَوقات والحالات، أَلا ترى إلى الذي كان يأْكل الثرى من العطش، الحديث[٥]؛ إلى غير هذا من الأَقوال التي إِنما ذكرت مثالاً، كأَنه يقول: الذي أُجيحت ثمرته من المحرومين][٦].

والمعنى الجامع لهذه الأَقوال: أَنه الذي لا مال له لحرمان أَصابه، وإِلَّا فالذي أجيحت ثمرته وله مالٌ غيرها كثير ليس في هذه الآية بإِجماع.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤١٤) من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن قيس بن كركم، عن ابن عباس رضي الله عنه سألته عن (السائل والمحروم). قال: السائل: الذي يسأل الناس بكفه، والمحروم: الذي ليس له في الإسلام سهم، وهو المحارف. وقيس بن كركم الأحدب المخزومي الكوفي، قال الأزدي: ليس بذاك ولا أحفظ له حديثاً مسنداً. اهـ. من اللسان (٤/ ٤٧٩)، وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس بنحوه.

(٢) حسن، أخرجه الطبري (٢١/ ٥١٣) من طريق شعبة، عن عاصم، عن أبي قلابة، فذكره.

(٣) انظر الطبري (٢٢/ ٤١٨)، والثعلبي (٩/ ١١٢). وفي نجيبويه والأسدية **٣** والأسدية **٤** والمطبوع: «هو الذي أُجيحت ثمرته».

(٤) تفسير الماوردي (٥/ ٣٦٧)، وتفسير السمعاني (٥/ ٢٥٤)، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٢/ ١١٤٠).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) سقط من الأصل.

وبعد هذا مقدَّر من الكلام تقديره: فكونوا مثلهم أَيها الناس وعلى طريقهم، فإِن النظر المؤدي إِلى ذلك متجه، ففي الأَرض آيات لمن اعتبر وأَيقن.

قال القاضي أبو محمد: وهذه إِشارة إِلى لطائف الحكمة وعجائب الخلقة التي في الأَرضين والجبال والمعادن والعيون وغير ذلك.

وقرأَ قتادة: (آيَةٌ) على الإِفراد[١].

وقوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ إِحالة على النظر في شخص الإِنسان، فإِنه أَكثر المخلوقات التي لدينا عبرة لما جعل الله تعالى فيه ـ مع كونه من تراب ـ من لطائف / [٥/ ١٣١] الحواس، ومن أَمر النفس وحياتها ونطقها، واتصال هذا الجزءِ منها بالعقل، ومن هيئة الأَعضاءِ واستعدادها لتنفع أَو تحمل أَو تعين.

قال ابن زيد: إِنما القلب مضغة في جوف ابن آدم جعل الله فيه العقل، أَفَيدري أَحدٌ ما ذاك العقل؟ وما صفته؟ وكيف هو؟[٢].

وقال الرُّمَّاني: النفس خاصة الشيءِ التي لو بطل كل ما سواها مما ليست مضمنة به لم تبطل[٣]. وهذا تعمُّق لا أَحمده.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ توقيف وتوبيخ.

قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾، قال الضحاك، ومجاهد، وابن جبير: أَراد المطر والثلج[٤].

وقال واصل الأَحدب، ومجاهد: أَراد القضاءَ والقدر[٥]؛ أَي: الرزق عند الله تعالى يأْتي به كيف شاءَ، لا ربَّ غيره.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: البحر المحيط (٩/ ٥٥٢).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٢٠،٤١٩).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤١). و«مجاهد» ليس في الأصل.

(٥) البحر المحيط (٩/ ٥٥٣).

وقرأَ ابن محيصن: (وفي السماء رازقكم)[١].

و﴿تُوعَدُونَ﴾ يحتمل أَن يكون من الوعد، ويحتمل أَن يكون من الوعيد، والكلُّ في السماءِ.

قال الضحاك: المراد: من الجنة والنار[٢]، وقال مجاهد: من الخير والشر[٣].

وقال ابن سيرين: المراد الساعة[٤].

ثم أَقسم تعالى بنفسه على صحة هذا القول والخبر، وشبَّهه في اليقين به بالنطق من الإِنسان، وهو عنده في غاية الوضوح ولا يمكن أَن يقع فيه من اللَّبْس ما يقع في الرُّؤْية والسمع، بل النُّطق أَشد تخلُّصاً من هذه.

واختلف القراءُ في قوله تعالى: ﴿مِّثْلَ مَآ﴾:

فقرأَ حمزة، والكسائي، وعاصم في رواية أَبي بكر: ﴿مِثْلُ﴾ بالرَّفع، ورويت عن الحسن، وابن أَبي إِسحاق، والأَعمش بخلاف عنهم.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وابن كثير، وابن عامر، وأَبو جعفر، وأَهل المدينة، وجلُّ الناس: ﴿مِّثْلَ﴾ بالنصب[٥].

فَوجْه الأُولى الرفع على النعت لـ(حَقٌّ)، وجاز نعت النكرة بهذا الذي قد أُضيف إِلى المعرفة من حيث كان لفظ ﴿مِّثْلَ﴾ شائعاً عامّاً لوجوه كثيرة، فهو لا تُعرِّفه الإِضافة إِلى معرفة؛ لأَنك إِذا قلت: رأَيْتُ مثلَ زيد، فلم تُعرِّف شيئاً؛ لأَن وجوه المماثلة كثيرة،

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: مختصر الشواذ (ص: ١٤٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٥١٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٢١)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١١٤)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٦٨).

(٣) انظر القولين في: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٢١)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١١٤)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٦٨).

(٤) تفسير الماوردي (٩/ ١١٤).

(٥) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٠٣)، والسبعة (ص: ٦٠٩)، والنشر (٢/ ٣٧٧).

فلما بقي الشياع، جرى عليه حكم النكرة، فَنُعتت به النكرة، و﴿مَآ﴾ زائدة تعطي تأْكيداً. وإِضافة ﴿مِّثْلَ﴾ هي إِلى قوله تعالى: ﴿أَنَّكُمْ﴾.

ووجه قراءَة النصب أَحد ثلاثة أَوجه:

إِمَّا أَن يكون ﴿مِّثْلَ﴾ قد بُني لَمَّا أُضيف إِلى غير متمكن وهو في موضع رفع على الصفة لـ(حَقٌّ)، ولحقه البناءُ؛ لأَن المضاف إِليه قد يُكْسِبُ المضافَ بعض صفاته كالتأْنيث في قوله:

.... شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاة.....[1] [الطويل]

ونحوه وكالتعريف في: غلام زيد، إِلى غير ذلك، ويجرى ﴿مِّثْلَ﴾ حينئذ مجرى ﴿عَذَابِ يَوْمَئذٍ﴾ [المعارج: ١١] على قراءَة من فتح الميم، ومنه قول الشاعر:

عَلَى حينَ عَاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبَا[2] .... [الطويل]

ومنه قول الآخر:

لَمْ يَمْنَعِ الشُّرْبَ مِنْهَا غَيْرَ أَنْ هَتَفَتْ[3] .... [البسيط]

فـ«غَيْرَ» فاعلة ولكنه فتحها.

والوجه الثاني ـ وهو قول المازني ـ أَن ﴿مِّثْلَ﴾ بُني لكونه مع ﴿مَآ﴾ شيئاً واحداً، ويجيءُ ـ على هذا ـ في مضمار: وَيْحَمَا، وأَيْنَمَا، وابْنَمَا، ومنه قول حُمَيْد بن ثور:

أَلَا هَيَّمَا مِمَّا لَقِيتُ وَهَيَّمَا ... وَوَيْحٌ لِمَنْ لَمْ يَدْرِ ما هُنَّ وَيْحَمَا[4] [الطويل]

---

(١) من بيت للأعشى تمامه:

وَتَشْرَقُ بالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَذَعْتُهُ ... كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ

وقد تقدم في أول تفسير (سورة الشعراء).

(٢) للنابغة الذبياني، وتمامه: وقُلْتُ: أَلَـمَّـا أَصْحُ والشَّيْبُ وَازِعُ، وقد تقدم في خاتمة تفسير (سورة المائدة).

(٣) عزاه في الكتاب لسيبويه (٢/ ٣٢٩) للكناني، وعزاه في المفصل (ص: ١٦٣)، وخزانة الأدب (٣/ ٤٠٨)، لأبي قيس بن رفاعة.

(٤) انظر عزوه له في العين (٣/ ٣١٩)، والصحاح للجوهري (١/ ٤١٧)، والمحكم والمحيط الأعظم (٤/ ٣٨).

فلولا البناءُ وجب أَن يكون منوناً، وكذلك قول الشاعر:

[الطويل] .... فَأَكْرِم بِهَا أمّاً وَأَكْرِمْ بِنَا ابْنَمَا[١]

والوجه الثالث أن ينتصب ﴿مِّثْلَ﴾ على الحال من قوله تعالى: ﴿لَحَقٌّ﴾ [وهي حال من نكرة، وفيه خلاف، ولكن جوَّز ذلك الجرميُّ[٢]، وأَما غيره فيراه حالًا من النكر المرفوع في قوله: ﴿لَحَقٌّ﴾][٣]؛ لأَن التقدير: لَحَقٌّ هو. وفي هذا نظر.

والنطق[٤] في هذه الآية: الكلام بالحروف والأَصوات في ترتيب المعاني.

ورُوي: أن بعض العرب الفصحاء سمع هذه الآية فقال: من أحوج الكريمَ إِلى أنْ يحلف؟ والحكاية وقعت في «كتاب الثعلبي» و«سبل الخيرات» متمَّمةً عن الأَصمعي[٥].

وروي: أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله قوماً أَقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدقوه»[٦]، وروى أَبو سعيد الخدري: أَن النبي ﷺ قال: «لو فَرَّ أَحدكم من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت»[٧]، وأَحاديث الرزق والأَشعار فيه كثيرة.

قوله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ تقرير لتجتمع نفس المخاطب، وهذا كما تبدأُ المرءَ إِذا

---

(١) صدره: وَلَدْنَا بَني العَنْقَاءِ وابْنَيْ مُحَرِّق، وهو لحسَّان، كما في الحيوان (٧/ ٨٦)، وإيضاح الشواهد (٢/ ٧٨٢)، والأغاني (٩/ ٣٨١)، والموشح للمرزباني (ص: ٦٩)، والمصون في الأدب (ص: ٣)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٢٨٧). وفي المطبوع: «فأكرم بنا خالا».

(٢) انظر قولي المازني والجرمي في مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٦٨٧).

(٣) سقط من أحمد٣، في المطبوع ونجيبويه والأسدية٣: «من الذكر» بدل «النكر».

(٤) في أحمد٣: «والنظر».

(٥) انظر: تفسير الثعلبي (٩/ ١١٥)، وسبل الخيرات لأبي الحسين يحيى بن نجاح بن الفلاس الأموي، القرطبي.

(٦) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٢٢) من طريق ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن، فذكره مرسلًا.

(٧) ضعيف، أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٤٤٤) من طريق الحسين بن علي بن زيد الصدائي، عن أبيه، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري به. وعلي بن يزيد الصدائي فيه لين، وعطية العوفي ضعيف.

أردتَ أَن تحدثه بعجيب فَتُقَرِّره: هل سمع ذلك أَم لا؟ فكأَنك تقتضي منه أَن يقول: لا، ويستطعمك الحديث.

و﴿ضَيْفِ﴾ اسم جنس يقع للجمع وللواحد، وروي: أَن أَضياف إِبراهيم عليه السلام هؤلاءِ هم جبريل وميكائيل وإِسرافيل وأَتباع لهم من الملائكة[١]، وجعلهم تعالى مكرمين؛ إِمَّا لأَنهم عنده كذلك، وهذا قول الحسن، وإِمَّا من حيث أَكرمهم إِبراهيم وخدمهم هو وسارة وذبح لهم العجل، وقيل: من حيث رفع مجالسهم[٢].

و﴿سَلَٰمًا﴾ منصوب على المصدر، كأَنهم قالوا: نسَلِّم سلاماً، أَو: سلمت سلاماً، ويتجه فيه أَن يعمل فيه ﴿قَالُواْ﴾، على أَن يجعل ﴿سَلَٰمًا﴾ بمنزلة: قولاً، ويكون المعنى حينئذ: أَنهم قالوا تحية، وقولاً معناه سلاماً، وهذا قول مجاهد[٣].

وقوله ﴿سَلَٰمٌ﴾ مرتفع على خبر ابتداءٍ، أَي أَمري سلام، أو واجب لكم سلام، أو على الابتداءِ والخبر محذوف كأَنه قال: سلام عليكم، وإِبراهيم عليه السلام قد حيَّا بأَحسن؛ لأَن قولهم دعاءٌ، وقوله واجب قد تحصَّل لهم.

وقرأ ابن وثاب، والنَّخَعي، وحمزة، والكسائي، وطلحة، وابن جبير: ﴿قَالَ سِلْمٌ﴾ بكسر السين وسكون اللام، والمعنى: نحن سلم، أَو أَنتم سلم[٤].

وقوله تعالى: ﴿قَوۡمٌ مُّنكَرُونَ﴾ معناه: لا نميزهم ولا عهد لنا بهم، وهذا أَيضاً على تقدير: أَنتم قَوْمٌ مُنْكَرُونَ، وقال أَبو العالية: أَنكر سلامهم في تلك الأَرض وذلك الزمن[٥].

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي (٩/ ١١٦).
(٢) انظر قول الحسن والأقوال الأخرى في: البحر المحيط (٩/ ٥٥٥).
(٣) راجع تفسير الطبري (٢٢/ ٤٢٤).
(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٢٥).
(٥) تفسير الثعلبي (٩/ ١١٧).

و(راغ) معناه: مضى إثر حديثه مخفياً زواله وانصرف[1] مستعجلًا، كأَنه لم يُرد أن يفارقهم فمضى إِلى ناحية من داره مستعجلاً ورجع لحينه، وهذا تشبيه بالروغان المعروف؛ لأَن الرائغ يوهم أنه لم يزل.

و«العِجْلُ»: هو الذي حَنَذَه لهم، والقصة قد مضت مستوعبة في غير هذه السورة.

وروي عن قتادة: أن أكثر مال إبراهيم كان البقر وكان مضيافاً[2]، وحسبك أَنه عليه السلام أَوقف للضيافة أَوقافاً تُمضيها الأمم على اختلاف أديانها وأَجناسها / . [٥/ ١٣٢]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٢٧ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ٢٨ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ٢٩ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٠ ۞ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣١ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ٣٢ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ٣٤ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٦﴾.

المعنى: فَقَرَّبَه إِليهم فأَمسكوا عنه فقال: أَلا تأْكلون؟ فيروى في الحديث: أنهم قالوا له: إِنَّا لا نأْكل إِلَّا ما أَدَّيْنا ثَمَنه، فقال لهم إِبراهيم: وأَنا لا أُبيحه لكم إِلَّا بثمن، قالوا: وما هو؟ قال: أَن تسمُّوا الله تعالى عند الابتداءِ، وتحمدوه عند الفراغ من الأَكل، فقال بعضهم لبعض: بحق اتخذه الله تعالى خليلاً[3]، فلما استمروا على ترك الأَكل أَوْجَس منهم خيفة.

و«الوَجْسُ»: تَحسُّسُ النفس وخواطرها في الحذر، وذلك أَن أَكْل الضيف أَمَنَة ودليل على انبساط نفسه، والطعام حُرْمة وذِمامٌ، والامتناع منه وحشة، فخشي إِبراهيم عليه السلام أَن امتناعهم من أَكل طعامه إِنما هو لشرٍّ يريدونه، فقالوا له: لا تخف،

---

(١) «وانصرف» ليس في الأصل.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٢٥)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٧٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١١٧).

(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٣٩٠).

وعرَّفوه أنهم ملائكة، وبشَّروه وبشَّروا سارة معه بغلام عليم؛ أَي: عالمٍ في حال تكليفه وتحصيله؛ أَي: سيكون عليماً.

و﴿عَلِيمٍ﴾ بناءُ مبالغة.

وجمهور الناس على أَن الغلام هنا هو إِسحاق ابن سارة الذي ذكرت البشارة به في غير موضع، وقال مجاهد: هذا الغلام هو إِسماعيل[١]. والأول أَرجح، وهذا وَهْمٌ.

ويروى: أنه عرف كونهم ملائكة استدلالاً من بشارتهم إِياه بغيب.

وقوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾ يحتمل أَن يكون: قَرُبَتْ إِليهم من ناحية من نواحي المنزل، ويحتمل أَن يكون هذا الإِقبال كما تقول: أقبل فلان يشتمني، أَو يفعل كذا: إِذا جدَّ في ذلك وتلبَّس به.

و«الصَّرَّةُ»: الصَّيْحة، كذا فسَّره ابن عباس[٢]، ومجاهد، وسفيان، والضحاك[٣]، والمصطر[٤] الذي يصيح.

وقال قتادة: معناها: في رقة.

وقال الطبري: قال بعضهم: قالت: أَوَّه، بصياح وتعجُّب[٥]

وقال النحاس: وقيل: ﴿فِى صَرَّةٍ﴾: في جماعة نسوة يتبادرن نظراً إِلى الملائكة[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٢٦)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٧١)، وتقدم في (الصافات): أن الصواب: أنه إسماعيل.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٢٦)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٤٤٢) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره، وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس بنحوه.

(٣) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢٢/ ٤٢٦، ٤٢٧).

(٤) في المطبوع: «والمضطر»، ولعله خطأ.

(٥) انظر مع قول قتادة في: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٢٧)، وانظر: تفسير الماوردي (٥/ ٣٧١)، والهداية لمكي (١١/ ٧٠٩٤).

(٦) إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٦٣).

وقوله تعالى: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ معناه: ضربت وجهها، قال ابن عباس: لطمت، وهذا مما يفعله الذي يَرِدُ عليه أَمر يستهوله[(١)].

وقال سفيان، والسدي، ومجاهد: ضربت بكفَّيها وجهها. وهذا مستعمل في الناس حتى الآن[(٢)].

وقولها: ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ إما أن يكون تقديره: أنا عَجُوزٌ عَقِيمٌ فكيف أَلِدُ؟ وإِمَّا أَن يكون التقدير: عجوزٌ عقيمٌ يكون منها ولادة؟ وقدّره الطبري: أَتَلد عجوز عقيم[(٣)].

ويروى: أنها كانت لم تلد قط.

والعقيم من النساءِ: التي لا تلد، ومن الرياح: التي لا تلقح شجراً، فهي لا بركة فيها.

وقولهم: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾؛ أي: كقولنا الذي أَخبرناك به قال ربك أَن يكون.

و﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: ذو الحكمة، و﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ معناه: بالمصالح وغير ذلك من المعلومات.

ثم قال إِبراهيم عليه السلام للملائكة: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾، والخَطْبُ: الأَمر المُهم، وقلَّ ما يُعبَّر به إلا عن الشدائد والمكارهِ حتى قالوا: خطوب الزَّمان، ونحو هذا، وكأنه يقول: ما هذه الطَّامة التي جئتم لها؟ فأَخبروه حينئذ أَنهم أُرسلوا إِلى سَدُوم قرية لوط بإِهلاك أَهلها الكفرة العاصين المجرمين.

و«المجرم»: فاعل الجرائم وهي صعاب المعاصي من كفر ونحوه، واحدتها جريمة.

وقولهم ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ﴾؛ أَي: لنهلكهم بهذه الحجارة، ومتى اتصلت «أَرسل» بـ«عَلَى» فهي بمعنى المبالغة في المباشرة والعذاب، ومتى اتصلت بـ«إِلى» فهي أخف، وانظر ذلك تجدْه مطرداً.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٢٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٢٧)، والهداية لمكي (١١/ ٧٠٩٤). وفي نور العثمانية: «بكفها جبهتها»، وفي الأسدية٤: «بكفيها وجبهتها».

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٢٨).

وقوله تعالى: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ بيان تخرج به عن معتاد حجارة البَرَد التي هي من ماءٍ.

ويُروى: أَنه طين طُبخ في نار جهنم حتى صار حجارة كالآجُرِّ.

و﴿مُّسَوَّمَةً﴾ نعت لـ﴿حِجَارَةً﴾، وقيل: معناه: متروكة. وسومها من الإِهلاك والانصباب.

وقيل: معناه؛ معلَّمة بعلامتها من السيماءِ[1]، والسَّومى وهي: العلامة، أَي أَنها ليست من حجارة الدنيا، وقال الزهراوي والرُّمَّاني: قيل: معناه على كل حجر اسم المضروب به.

قال الرُّمَّاني: وقيل: كان عليها أَمثال الخواتيم.

وقال ابن عباس: تسويمها أن كان في الحجارة السود نقط بيض، وفي البيض سودٌ[2].

ويحتمل أَن يكون المعنى أَنها بجملة معلومة عند ربك لهذا المعنى معلمة له، لا أَن كل واحد منها له علامة خاصة به.

و«المُسْرِف»: الذي يتعدى الطور، فإِذا جاءَ مطلقاً فهو لأَبعد الغايات: الكفر فما دونه.

ثم أَخبر الله تعالى أَنه أَخرج بأمره من كان في قرية قوم لوط من المؤمنين منجياً لهم، وأَعاد الضمير على القرية ولم يصرح لها قبل ذلك بذكرٍ؛ لشهرة أمرها، ولأن القوم المجرمين معلوم أَنهم في قرية ولا بد، قال المفسرون: ولا فرق بين تقدم ذكر المؤمنين وتأَخره، وإِنما هما وصفان، ذكرهم أَولاً بأَحدهما ثم آخراً بالثاني، قال الرُّمَّاني: الآية دالة على أَن الإِيمان هو الإِسلام[3].

---

(١) في المطبوع: «من السماء»، ولعله خطأ.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٢٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره في قول له مطول.

(٣) البحر المحيط (٩/ ٥٥٧).

قال القاضي أَبو محمد: ويظهر أَن في المعنى زيادة تحسِّن التقديم للإِيمان، وذلك أَنه ذكره مع الإِخراج من القرية كأَنه تعالى يقول: لقد أمرنا بإِخراج كل مؤمن، ولا يشترط فيه أن يكون عاملاً بالطاعات بل التصديق بالله تعالى فقط، ثم لما ذكر حال الموجودين ذكرهم بالصفة التي كانوا عليها وهي الكاملة التصديق والأَعمال.

والبيت من المسلمين هو بيت لوط عليه السلام وكان هو وابنتاه، وقيل: وبنته.

وفي «كتاب الثعلبي»: وقيل: لوطٌ وأَهلُ بيته ثلاثة عشر[(١)]، وهلكت امرأَته فيمن هلك.

وهذه القصة بجملتها ذكرت على جهة المثال لقريش؛ أَي: أَنهم إِذا كفروا أَصابهم مثل ما أَصاب هؤلاءِ المذكورين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ
[٥/ ١٣٣] فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ / مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ
مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾
وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

المعنى: وتركنا في القرية المذكورة ـ وهي سَدُوم ـ أَثراً من العذاب باقياً مؤرخاً لا يَفنى ذكره، فهو آيةٌ ـ أَي علامة ـ على قدرة الله تعالى وانتقامه من الكفرة.

ويحتمل أَن يكون المعنى: وتركنا في أَمرها، كما قال: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧].

وقال ابن جريج: ترك فيها حجراً منضوداً كثيراً جدّاً[(٢)].

والَّذين يخافون العذاب هم العارفون بالله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ﴾ يحتمل أَن يكون عطفاً على قوله تعالى: ﴿فِيهَآ﴾؛

---

(١) لم أجده في المطبوع من تفسير الثعلبي.

(٢) انظر تفسير الزمخشري (٤/ ٤٠٣)، وفي الثعلبي (٥/ ١٨٤)، والهداية لمكي (٥/ ٣٤٤٩) عنه: كانت لا تشاكل حجارة الأرض.

أَي: وتركنا في موسى وقصته أَثراً أَيضاً هو آية، ويحتمل أَن يكون عطفاً على قوله تعالى قبل: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ... وَفِي مُوسَىٰٓ﴾.

و﴿فِرْعَوْنَ﴾: هو صاحب مصر.

و«السُّلْطَان» في هذه الآية: الحجة، و(تَوَلَّى) معناه: أَعرض وأَدبر عن أَمر الله تعالى.

و(رُكْنُهُ): سلطَانُه وجندُه وشدَّة أَمره، وهو الأَمر الذي يركن فرعون إِليه ويستند في شدائده، وقال ابن زيد: ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾: بجُمُوعه، وقال قتادة: بقومه[١].

وقَوْلُ فرعون في موسى عليه السلام: ﴿سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ هو تقسيم؛ ظنَّ أن موسى لا بُدَّ أَن يكون أحد هذين، وقال أَبو عبيدة: ﴿أَوْ﴾ هنا بمعنى الواو، واستشهد ببيت جرير:

أَثَعْلَبَةَ الْفَوَارِسَ أَوْ رِيَاحَا عَدَلْتَ بِهِمْ طُهَيَّةَ والْخِشَابَا[٢] [الوافر]

والخِشَاب: بيوتٌ في بني تميم، وقولُ أَبي عبيدة ضعيف لا داعية إِليه في هذا الموضع.

و(نَبَذْنَاهُمْ) معناه: طرحناهم، و(اليَمُّ): البحر.

وفي مصحف ابن مسعود: (فنبذناه)[٣].

و«المُليمُ»: الذي أَتَى من المعاصي ونحوها ما يُلامُ عليه، وقال أُمَيَّةُ بنُ أَبي الصَّلْت:

.... وَمَنْ يَخْذُلْ أَخَاهُ فَقَدْ أَلَاما[٤] [الوافر]

وقوله: ﴿وَفِي عَادٍ﴾ عطف على قوله: ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾، وعَادٌ هي قبيلة هودٍ النبيِّ عليه السلام.

و﴿ٱلْعَقِيمَ﴾ معناه: التي لا بركة فيها، لا تلقح شجراً، ولا تسوق مطراً.

---

(١) انظر القولين في: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٣١)، والهداية لمكي (١١/ ٧٠٩٨).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١٧٥)، وعزاه له أيضاً في: إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٦٤)، وجمهرة اللغة (١/ ٢٩٠)، والكتاب لسيبويه (١/ ١٠١).

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٣٢).

(٤) صدره: تَعُدُّ مَعَاذِراً لا عُذْرَ فِيهَا، ولم أجد عزوه له، وفي شرح أدب الكاتب (ص: ٢٢٩) أنه من قول أُمِّ عُمَيْر بن سَلْمَى الحنفي.

وقال سعيد بن المسيب: كانت ريح الجنوب(١).

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كانت نكباءَ(٢).

وهذا عندي لا يصح عن عليٍّ رضي الله عنه؛ لأنه مردود بقوله ﷺ: «نُصرتُ بالصَّبا، وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبُور»(٣).

و﴿تَذَرُ﴾ معناه: تَدَع، وقوله تعالى: ﴿مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾؛ يعني: مِمَّا أذن الله تعالى لها في إِهلاكه.

و(الرميم): الفاني المتقطع يبساً أو قِدَماً من الأشجار والورق والحبال والعظام، ومنه قوله تعالى: ﴿مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]؛ أَي: في قوام الرماد.

ورُوي حديث: «إِنَّ تلك الريح كانت تهبُّ على الناس فيهم العاديُّ وغيره، فتنزع العاديَّ من بين الناس وتذهب به»(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾ يحتمل أَن يراد: قيل لهم في أول بعث صالح عليه السلام: آمنوا وأَطيعوا فتُمتَّعوا متاعاً حسناً إِلى آجالكم، وهو «الحينُ» على هذا، وهو قول الحسن حكاه عنه الرُّمَّاني(٥)، ويجيءُ قوله تعالى: ﴿فَعَتَوْا﴾ مُرَتَّباً لفظاً في الآية ومعنىً في الوجود، متأَخراً عن القول لهم: ﴿تَمَتَّعُوا﴾.

ويحتمل أَن يريد: إِذْ قيل لهم بعد عَقْر الناقة: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥]، وهي «الحينُ» على هذا التأْويل، وهو قول الفراءِ(٦)، ويجيءُ قوله تعالى: ﴿فَعَتَوْا﴾ غير مُرَتَّب المعنى في وجوده؛ لأَن عتوهم كان قبل أَن يقال لهم: ﴿تَمَتَّعُوا﴾، وكأَن المعنى:

---

(١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢/ ٣٦)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٤٣٣).

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٣/ ٦٨٤) للفريابي، وابن المنذر، عن علي بن أبي طالب، فذكره.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) معاني القرآن للفراء (٣/ ٨٨).

فكان من أَمرهم قبل هذه المقالة أَن عَتَوْا، وهو السبب في أَن قيل لهم ذلك وعُذِّبوا.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿ٱلصَّٰعِقَةُ﴾، وقرأَ الكسائي ـ وهي قراءَة عُمَر وعثمان ـ: ﴿الصَّعْقَةُ﴾(١).

وهي ـ على القراءَتين ـ الصيحةُ العظيمة، ومنه يقال للوقعة الشديدة من الرعد: صاعقة، وهي التي تكون معها النار التي يُروى في الحديث أَنها من المِخْراق الذي بيد مَلَك يسوق السحاب(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾ يحتمل أَن يريد: فجأَةً وهم يُبصرون بعيونهم حالهم، وهذا قول الطبري(٣).

ويحتمل أَن يريد: وهم ينتظرون ذلك في تلك الأَيام الثلاثة التي أُعلموا به فيها ورأَوا علاماته في تَلَوُّنهم، وهذا قول مجاهد حسب ما تقدَّم تفسيره(٤)، وانتظارهم للعذاب هو أَشد من العذاب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٠٣)، وموافقة عمر في تفسير الطبري (٢٢/ ٤٣٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٣١١٧) والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٣٦) وغيرهم من طريق أبي نعيم عن عبد الله ابن الوليد وكان يكون في بني عجل، عن بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به مرفوعاً، وقال الترمذي: حسن غريب، وبكير بن شهاب في حيز الجهالة، وقد تفرد بهذا السياق، وقد روي هذا الكلام أو نحوه عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب من قولهما بأسانيد ضعيفة مضطربة، وعن عكرمة ومجاهد كذلك. يُنظر: العلل ومعرفة الرجال لأحمد ـ رواية ابنه عبد الله (٣/ ٣٧٣).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٣٥-٤٣٦).

(٤) المصدر السابق (٢٢/ ٤٣٦).

قال بعض المفسرين: ﴿مِن قِيَامٍ﴾ معناه: ما استطاعوا أَن يقوموا من مصارعهم.

وقال قتادة وغيره: معناه: من قيامٍ بالأَمر ودفعه[١]، كما تقول: فلانٌ له بكذا وكذا قيام؛ أَي: استضلاع وانتهاض.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وعاصم: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ بالنصب، وهو عطف إِمَّا على الضمير في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾؛ إِذ هو بمنزلة: أَهلكناهم، وإِما على الضمير في قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَهُمْ﴾.

وقرأ أَبو عمرو فيما روى عنه عبد الوارث: (وقومُ نوح) بالرفع، وذلك على الابتداءِ وإِضمار الخبر.

وقرأ أَبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿وقومِ نوحٍ﴾ بالخفض عطفاً على ما تقدم من قوله: ﴿وَفِى ثَمُودَ﴾، وقد روي النصب عن أَبي عمرو[٢].

وقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ﴾ نصب بإِضمار فعل تقديره: وبنينا السماءَ بنيناها.

و«الأَيْد»: القُوَّة، قاله ابن عباس[٣]، ومجاهد، وقتادة[٤].

ووقعت في المصحف بياءَيْن[٥]، وذلك على تخفيف الهمز. وفي هذا نظر.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٣٦)، بتصرف.

(٢) الأولى والثالثة سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٣)، والثانية لعبد الوارث، ومحبوب، والأصمعي عن أبي عمرو كما في الكامل (ص: ٦٤٠)، وانظر رواية النصب لأبي عمرو في البحر المحيط (٩/ ٥٥٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٣٨)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٤٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٥٢) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٣٨)، والهداية لمكي (١١/ ٧١٠٤).

(٥) انظر المحكم في نقط المصاحف للداني (ص: ١٧٧).

وقوله تعالى: ﴿لَمُوسِعُونَ﴾ يحتمل أَن يريد: إِنا نوسع الأَشياءَ قوة وقدرة، كما قال تعالى: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦]؛ أَي: الذي يوسع أَهلَه إِنفاقاً.

ويحتمل أَن يريد: لموسعون في بناءِ السماءِ؛ أَي: جعلناها واسعة، وهذا تأْويل ابن زيد[١].

وقال الحسن: أَوْسع الرزقَ بمطر السماءِ[٢].

و«(الماهدُ»: المهيِّئ الموَطِّئ للموضع الذي / يتمهد ويفترش. [٥/ ١٣٤]

وقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾؛ أي: مُصْطَحبَين مُتَلَازمَيْن.

وقال مجاهد: معناه أَن هذه إِشارة إِلى المتضادات والمتقابلات من الأَشياءِ كالليل والنهار، والشِّقوة والسعادة، والهدى والضلال، والسماءِ والأَرض، والسواد والبياض، والصحة والمرض، والكفر والإِيمان، ونحو هذا[٣]، ورجَّحه الطبري بأَنه أدل على القدرة التي تُوجد الضِّدين، بخلاف ما يفعل بطبعه فعْلاً واحداً كالتسخين والتبريد[٤].

وقال ابن زيد وغيره: هي إِشارة إِلى الأُنثى والذكر من كل حيوان، والترجِّي الذي في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ هو بحسب خلق البشر وعرفها[٥].

وقرأ الجمهور: ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾ بتشديد الذال والإِدغام.

وقرأ أُبي بن كعب: (تَتَذَكَّرُونَ) بتاءَين وخفَّة الذال[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٣٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٧٣).

(٢) تفسير الماوردي (٥/ ٣٧٣).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٣٩)، والهداية لمكي (١١/ ٧١٠٥).

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٤٠).

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٤٠)، والهداية لمكي (١١/ ٧١٠٥).

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها له في البحر المحيط (٩/ ٥٦٠)، وكان الأولى التنبيه على قراءة حمزة والكسائي وحفص بتخفيف الذال.

وقوله: ﴿فَفِرُّوٓاْ﴾ أَمْرٌ بالدخول في الإِيمان وطاعة الله تعالى، وجعل الأَمر بذلك بلفظ الفِرار؛ لينبِّه على أَن وراءَ الناس عقاباً وعذاباً وأَمراً حقُّه أَن يُفَرَّ منه، فجمعت لفظة (فِرُّوا) بين التحذير والاستدعاءِ، وينظر إِلى هذا المعنى قول النبي ﷺ: «لا ملجأَ ولا منجى منك إِلَّا إِلَيْك...»، الحديث[1].

قال الحسين بن الفضل: من فرَّ إِلى غير الله تعالى لم يمتنع من الله عزَّ وجلَّ[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ﴾ الآية: نهيٌ عن عبادة الأَصنام والشياطين وكل مدعوٍّ من دون الله تعالى، وفائدة تكرار قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ الإِبلاغ وهزُّ النفس وتحكيم التحذير، وإِعادةُ الأَلفاظ بعينها في هذه المعاني بليغة بقرينة شدة الصوت.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ تقديره: سيرة الأُمم كذلك، أو الأَمر في القديم كذلك، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ معناه: إِلَّا قال بَعْضٌ هذا، وبعضٌ هذا، وبعضٌ الجميع، أَلا ترى أَن قوم نوح لم يقولوا قط: هو ساحر، وإِنما قالوا: به جِنَّة، فلما اختلفت الفِرَق جعل الخبر عن ذلك بإِدخال ﴿أَوۡ﴾ بين الصيغتين؟ وليس المعنى أَن كل أُمَّة قالت عن نبيِّها: إِنه ساحر أَو مجنون، فليست هذه كالمتقدمة في فرعون، بل هذه كأَنه تعالى قال: إِلَّا قالوا: هو ساحر، أَو: هو مجنون.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٥٣ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ٥٤ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠) من حديث البراء بن عازب قال: قال النبي ﷺ: «إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك، فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به». قال: فرددتها على النبي ﷺ، فلما بلغت: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، قلت: ورسولك، قال: «لا، ونبيك الذي أرسلت».

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ١١٩).

مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ﴾ توقيف وتعجيب من توارد نفوس الكفرة في تكذيب الأَنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم عَلَى تفرُّق أَزمانهم؛ أَي: إِنهم لم يتواصوا، لكنهم فعلوا [فعلاً كأَنه][1] فعل من يتَوَاصوا، والعلَّة في ذلك أَن جميعهم طاغ، و«الطاغي»: المستعلي في الأَرض، المفسد العاتي على الله.

وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾؛ أَي: عن الحرص المفرط عليهم وذهاب النفس حسرات.

ويحتمل أَن يراد: فتولَّ عن التعب المفرط في دعائهم وضمهم إِلى الإِسلام، فلست بمصيطر عليهم ولست بملوم إِذْ بلَّغت، فنحِّ نفسك عن الحزن عليهم وذكِّر فقط، فإِن الذكرى نافعة للمؤمنين ولمن قُضي له أَن يكون منهم [في ثاني حال][2]، وعلى هذا التأْويل فلا نَسْخَ في الآية إِلَّا في معنى الموادعة التي فيها، فإِن آية السيف نسخت جميع الموادعات.

وروى قتادة ـ وذكره الطبري ـ عن علي رضي الله عنه: أَنه لما نزلت ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ حزن المسلمون وظنوا أنه أَمْر بالتولِّي عن الجميع وأَن الوحي قد انقطع، حتى نزلت: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فَسُرُّوا بذلك[3].

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) سقط من الأسدية ٤.

(٣) منقطع، هذا الأثر أخرجه إسحاق كما في إتحاف الخيرة المهرة (٥٨٣٣)، والطبري (٢٢/ ٤٤٣)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ١٩٨)، وفي الشعب (١٦١٥) وغيرهم من طرق عن أيوب، عن مجاهد قال: خرج علي معتجراً ببرد، مشتملاً بخميصة، فقال: لما نزلت ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ أحزننا ذلك وقلنا: أمر رسول الله ﷺ أن يتولى عنا حتى نزل ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. مجاهد بن جبر لم يسمع من علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما في جامع التحصيل (٧٣٦)، وانظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٤٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، اختلف الناسُ في معناه مع إِجماع أَهل السُّنَّة على أَن الله تعالى لم يُرد أَن تقع العبادة من الجميع؛ لأَنه تعالى لو أَراد ذلك لم يصح وقوع الأَمر بخلاف إِرادته:

فقال علي بن أَبي طالب، وابن عباس: المعنى: ما خلقت الجن والإِنس إِلَّا لآمرهم بعبادتي وليقرُّوا لي بالعبودية، فعبر عن ذلك بقوله: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾؛ إِذ العبادة هي مضمن الأَمر(١).

وقال زيد بن أَسلم، وسفيان: المعنى خاص، والمراد: وما خلقت الطائعين من الجن والإِنس إِلَّا لعبادتي(٢).

ويؤيد هذا التأْويل: أَن ابن عباس روى عن النبي ﷺ: أَنه قرأَ: «وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدوني»(٣).

وقال ابن عباس أَيضاً: معنى ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾؛ ليتذلَّلُوا لي ولقدرتي وإِن لم يكن ذلك على قوانين الشرع(٤).

قال القاضي أبو محمد: وعلى هذا التأْويل فجميع الجن والإِنس عابد متذلِّل، والكفار كذلك، أَلا تراهم عند القحوط والأَمراض وغير ذلك؟

وتحتمل الآية أَن يكون المعنى: وما خلقت الجن والإِنس إِلَّا مُعَدِّين ليعبدوني،

---

(١) أثر علي بن أبي طالب ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ١٢٠) بلفظ: إلاّ لآمرهم أن يعبدون، وأدعوهم إلى عبادتي، وأما أثر ابن عباس رضي الله عنه أخرجه الطبري (٢١/ ٥٥٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٤٤).

(٣) وهي شاذة، والأثر ضعيف، أخرجه الواحدي في الوسيط (٤/ ١٨١) من طريق سليمان القافلاني، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس فذكره من قوله، وسليمان بن أبي سليمان القافلاني متروك الحديث. وانظر الميزان (٢/ ٢١٠).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٤٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: إلا ليقروا بالعبودة طوعاً وكرهاً.

وكأَن الآية تعديد نعمة؛ أَي: خلقت لهم حواسَّ وعقولاً وأَجساماً منقادة لحق العبادة وهذا كما تقول: البقر مخلوق للحرث، والخيل للحرب، وقد يكون منها ما [لا يحرث، وما][1] لا يُحارب به أَصلًا، فالمعنى: أَن الإعداد في خلق هؤلاءِ إِنما هو للعبادة، لكن بعضهم تكسَّب صرف نفسه عن ذلك.

ويؤيد هذا المنزع: قول النبي ﷺ: «اعملوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلق له»[2]، وقوله: «كُلُّ مولود يولد على الفطرة»، الحديث[3].

وقوله تعالى: ﴿مِّن رِّزْقٍ﴾؛ أَي: أَن يرزقوا أَنفسهم ولا غيرهم.

وقوله تعالى: ﴿أَن يُطْعِمُونِ﴾ إِمَّا أَن يكون المعنى: أن يطعموا خلقي، فأُضيف إِلى الضمير على جهة التَّجوُّز، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه[4].

وإِما أَن يكون الإِطعام هنا بمعنى النفع على العموم، كما تقول: أَعطيت فلاناً كذا وكذا طُعمةً، وأنت قد أعطيته عرضاً أو بلداً يجبيه، ونحو هذا، فكأَنه تعالى قال: ولا أُريد أَن ينفعونِ، فذكر جزءاً من المنافع وجعله دالاًّ على الجميع.

وقرأَ الجميع: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾.

وروى أَبو إِسحاق السَّبيعي، عن عبد الله بن يزيد ـ قال أَبو عمرو الداني ـ: عن ابن مسعود قال: أَقرأَني رسول الله ﷺ: «إني أنا الرزاق»[5] / . [٥/ ١٣٥]

---

(١) من المطبوع.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) وهي شاذة، انظرها في «جزء فيه قراءات النبي ﷺ» (ص: ١٥٣)، وفيه عبد الرحمن بن يزيد، وفي الأسدية ٣: «عبد الله بن زيد»، والحديث رجاله ثقات، أخرجه أحمد (١/ ٣٩٤-٣٩٧-٤١٨)، وأبو داود (٣٩٩٣)، والترمذي (٢٩٤٠)، والنسائي في الكبرى (٧٦٦٠-١١٤٦٣) من طرق عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن زيد بن قيس النخعي، عن ابن مسعود.

[وقرأ الجمهور ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾، وقرأ ابن محيصن: (هو الرازق)][١].

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿ٱلْمَتِينُ﴾ بالرفع، إِمَّا على أَنه خبر بعد خبر، أَوْ صفة لـ﴿ٱلرَّزَّاقُ﴾.

وقرأَ يحيى بن وثَّاب، والأَعمش: (المَتِينِ) بالخفض[٢] على النعت لـ﴿ٱلْقُوَّةِ﴾.

وجاز ذلك من حيث إن تأْنيث ﴿ٱلْقُوَّةِ﴾ غير حقيقي، فكأَنه قال: ذو الأَيْد والحبْل، ونحوُه قوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ﴾[البقرة: ٢٧٥].

وجوز أبو الفتح أن يكون خفض (المتين) على الجوار، والْمَتِينُ: الشديد.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، يريد تعالى أَهل مكة، وهذه آيةُ وعيدٍ صُراح.

وقرأَ الأَعمش: (فَإِنَّ لِلَّذِينَ كَفَرُوا)[٣].

والذَّنُوبُ: الحظُّ والنصيب، وأَصله من الدَّلْو، وذلك أَن الذَّنوب هو مِلْءُ الدلو من الماءِ، وقيل: الذَّنوب: الدَّلْوُ العظيمة، ومنه قول الشاعر:

[الرجز] إِنَّــا إِذَا نَـازَلـنَـا غَـرِيـبُ   لَـهُ ذَنُــوبٌ وَلَـنَـا ذَنُــوبُ

فَـإِنْ أَبَـيْـتُـمْ فَـلَـنَــا القَـلِيـبُ[٤]

وهو السَّجْل، ومنه قول عَلْقَمَة بن عبدة:

[الطويل] وَفي كُلِّ حيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ   فَحُقَّ لِشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ[٥]

---

(١) سقط من المطبوع، وفي الأصل والحمزوية: ﴿هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾، وقراءة (هو الرازق) شاذة، انظر عزوها له في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٥١٧).

(٢) وهي شاذة، انظرها لهما مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٢٨٨)، وانظر مختصر الشواذ (ص: ١٤٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٥١٧).

(٣) وهي شاذة، لم نجد له فيها سلفاً ولا خلفاً.

(٤) بلا نسبة في شرح ديوان الحماسة (ص: ٦٤٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٤٠٧).

(٥) وهو من معلقته، عزاه له في الكتاب لسيبويه (٤/ ٤٧١)، والأصول في النحو (٣/ ٢٧٢)، =

فيروى أَن الملك لما سمع هذا البيت قال: نعم وأَذْنِبَةٌ[١]، ومنه قول حسَّانٍ:

لَا تَبْعَـدَنَّ رَبِيعَـةَ بْـنَ مُكَـدَّمٍ وَسَقَى الْغَوَادِي قَبْرَهُ بِذَنُوبِ[٢] [الكامل]

و﴿أَصۡحَٰبِهِمۡ﴾ يريد به من تقدَّم من الأمم المعذبة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ﴾ تحقيق للأمر، بمعنى: هو نازل بهم لا محالة في وقته المحتوم فلا يستعجلوه.

وقرأ ابن وثاب: (فلا تستعجلون) بالتاء من فوق، [وبه قرأت فرقة[٣].

والباقون بالياء][٤].

ثم أوجب تعالى لهم الويل من يومهم الذي يأتي فيه عذابهم.

و«الويل»: الشقاء والهم، وروي: أن في جهنم وادياً يسمى ويلاً، والطبري يذهب أبداً إلى أن التوعد إنما هو به[٥]، وذلك في هذا الموضع قلق، لأن هذا الويل إنما هو من يومهم الذي هو في الدنيا، و﴿مِن﴾ لابتداء الغاية.

= والمفضليات (ص: ٣٩٦)، والاختيارين (ص: ٦٥٦)، وإيضاح الشواهد (١/ ١١٠)، والصحاح للجوهري (٣/ ٩٣٩). وفي المطبوع: «كل يوم»، وفي نجيبويه: «حين».

(١) في المطبوع: وأذنُبٌ، انظر: الشعر والشعراء (١/ ٢١٥)، والكامل للمبرد (١/ ١٥٧)، مع عزو البيت.

(٢) انظر عزوه له في غريب الحديث للخطابي (١/ ٣٦٩)، والكامل للمبرد (٤/ ٧٤)، وفيه فأنشد، والأغاني (١٦/ ٦٣)، قال: وقيل: لضرار بن الخطاب الفهري، وفيه أيضاً نسبته: لمكرز بن حفص، وكذا في جمهرة الأمثال (١/ ٤٠٩)، والحماسة البصرية (١/ ٢٣١)، وفي شرح ديوان الحماسة للتبريزي (١/ ٣٧٥) أنه لحَفْص بن الأخيف الْكِنَانِي، والأكثر أنه لعمرو بن شقيق بن سلامان، كما في معجم الشعراء (ص: ٢٢١)، ونسب قريش (ص: ٤٤١)، وأنساب الأشراف للبلاذري (١١/ ١٣٩)، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (١/ ١٧٦)، وربيعةُ بن مكدم من أجواد العرب المشهورين.

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص:٤٤٩).

(٤) زيادة من أحمد٣ ونور العثمانية والمطبوع والأسدية٣. وفي الأسدية٤: «يحيى» بدل «ابن وثاب»، وهو هو.

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٤٩).

وقال جمهور المفسرين: هذا التوعد هو بيوم القيامة.

وقال آخرون ـ ذكره الثعلبي ـ: هو يوم بدر[١].

وفي ﴿يُوعَدُونَ﴾ ضمير عائد؛ التقدير: يوعدون به، أو: يوعدونه.

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ١٢٢).

سُورَةُ الطُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الطور

هي مكية بإجماع من المفسرين والرواة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤
وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨ يَوۡمَ
تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ۝١٠ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ
يَلۡعَبُونَ ۝١٢ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤﴾.

هذه مخلوقات أقسم الله تعالى بها تنبيهاً منه[1] وتشريفاً، وليكون ذلك سبب النظر فيها والاعتبار بها، وذلك يؤول إلى التوحيد والمعرفة بحقوق الله تعالى.

والطُّور، قال بعض أهل اللغة: كل جبل طور، فكأنه تبارك وتعالى أقسم بالجبال، إذ هو اسم جنس.

وقال آخرون: الطور: كل جبل أجرد لا ينبت شجراً.

وقال مجاهد ـ في كتاب الطبري ـ: الطور: الجبل بالسُّريانية[2]. وهذا ضعيف،

---

(١) «منه» ليست في نور العثمانية، وفي نجيبويه والأصل: «منها»، وفي أحمد٣: «لها».

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٥٠)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٧٦).

لأن ما حكاه في العربية يقضي على هذا، ولا خلاف أن في الشام جبلاً يُسمَّى بالطُّور، وهو طور سيناءَ.

وقال نَوف البِكَالي: إنه الذي أقسم الله تعالى به لفضله على الجبال(١)، إذ قد روي: أن الله تعالى أوحى إلى الجبال أني مُهبط على أحدكم أمري ـ يريد رسالة موسى عليه السلام ـ، فتطاولت كلها إلا الطور فإنه استكان لأمر الله تعالى وقال: حسبي الله، فأهبط الله تعالى الأمر عليه(٢)، ويقال: إنه بمدين، وقال مقاتل بن حيان: هما طوران(٣).

و«الكتاب المَسْطور» معناه بإجماعٍ: المكتوب أَسطاراً.

واختلف الناس في هذا الكتاب المقسَم به:

فقال بعض المفسرين: هو الكتاب المنتسخ من اللوح المحفوظ للملائكة لتعرف منه جميع ما تفعله وتصرفه في العالم.

وقال آخرون: بل أقسم الله تعالى بالقرآن، فإنه قد كان علم أنه يتخذ في رَقٍّ منشور.

وقال آخرون: أقسم الله تعالى بالكتب القديمة المنزلة؛ الإنجيل والتوراة والزبور.

وقال الفراء ـ فيما حكى الرُّمَّاني ـ: أقسم بالصحف التي تعطى وتؤخذ يوم القيامة بالأيمان والشمائل(٤).

وقال قوم: أقسم بالكتاب الذي فيه أعمال الخلق، وهو الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلَّا أَحصاها.

---

(١) البحر المحيط (٨/ ١٤٣).

(٢) هذه الرواية أخرجها أبو نعيم في الحلية (٦/ ٤٩) من طريق أبي عمران الجوني، عن نوف البكالي قال: أوحى الله إلى الجبال إني نازل على جبل منكم فشمخت الجبال كلها إلا جبل الطور فإنه تواضع وقال: أرضى بما قسم الله لي، قال: فكان الأمر عليه.

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ١٢٣).

(٤) لم أقف عليه.

وكتب بعض الناس: «مَصْطُورٍ» بالصاد[(١)]، والقصد بذلك تشابه النطق بالحروف.

والجمهور على السين.

و«الرَّقُّ»: الورق المعدة للكُتْب، وهي مُرَقَّقَة[(٢)]، فلذلك سُمِّيت رِقّاً، وقد غلب الاستعمال على هذا الذي هو من جلود الحيوان.

و«المنشور» خلاف المطويِّ، وقد يحتمل أن يكون نَشْرُهُ بمعنى: بَشْره وترقيقه وصنعته.

وقرأ أبو السَّمال: (فِي رِقٍّ) بكسر الراء[(٣)].

واختلف الناس في (البيتِ المعمورِ):

فقال الحسن بن أبي الحسن البصري: هي الكعبة[(٤)].

وقال علي بن أبي طالب، وابن عباس، وعكرمة: هو بيت في السماء يقال له: الضُّرَاح، وهو بحيال الكعبة، ويقال: الضَّرِيح، ذكر ذلك الطبري[(٥)].

وهو الذي ذُكر في حديث الإسراء، قال جبريل للنبي ﷺ: «هذا البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَك لا يعودون إليه، آخِرَ ما عليهم»[(٦)]. وبهذا عمارته.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في الأصل: «وهو موفقة».

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في البحر المحيط (٩/ ٥٦٦).

(٤) تفسير الماوردي (٥/ ٣٧٨)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٢٤)، وقول عكرمة في تفسير الطبري (٢٢/ ٤٥٦).

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٥٦)، وأثر علي رضي الله عنه صحيح أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده كما في المطالب العالية (٣٧٣٠)، والطبري في (٢٢/ ٤٥٥)، والضياء في المختارة (٤٣٨) من طريق سماك ابن حرب، عن خالد بن عرعرة، عن علي رضي الله عنه، فذكره بلفظ مطول، وله طرق أخرى عن علي رضي الله عنه، أما أثر عبد الله بن عباس فقد أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٦٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾. قال: هو بيتٌ حِذاء العرش تعمره الملائكة، يصلي فيه كل ليلة سبعون ألفاً من الملائكة، ثم لا يعودون إليه.

(٦) متفق عليه، هذا الحديث جزء من حديث الإسراء، أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

ويروى: أنه في السماء السابعة، وقيل: السادسة(١).

وقيل: إنه مقابل الكعبة، لو خرَّ لسقط عليها.

وقال مجاهد، وقتادة، وابن زيد: في كل سماءٍ بيت معمور، وفي كل أرض كذلك(٢)، وهي كلها على خط مع الكعبة، وقاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه(٣).

و(السَّقفُ المرفوع): السماء، والسَّقْفُ طول في انحناءٍ، ومنه: أسقف النصارى، ومنه السَّقْف؛ لأن الجدار وسَقْفه فيهما طول في انحناءٍ.

[٥/ ١٣٦] واختلف الناس في / ﴿ٱلْمَسْجُورِ﴾:

فقال مجاهد وشِمْر بن عطية: معناه: الموقد ناراً(٤)، وروي: إن البحر هو جهنم.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليهودي: أين جهنم؟ فقال: هي البحر، فقال علي: ما أظنه إلا صادقاً، وقرأ: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾(٥).

ومنه: ما روي عن النبي ﷺ: «إن البحر طَبَقُ جهنم»(٦).

---

(١) جاء هذا في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وأخرج الطبري (٢١/ ٥٦٣) من طريق شعبة، عن سماك، عن خالد بن عرعرة قال: سمعت علياً، وخرج إلى الرحبة، فقال له ابن الكَوَّاء أو غيره: ما البيت المعمور؟ قال: بيت السماء السادسة، يقال له: الضُّرَاح. يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون فيه أبداً.

(٢) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٤٥٦-٤٥٧).

(٣) لم أقف على هذا القول.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٥٨-٤٥٩)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٢٤).

(٥) صحيح، أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٥٨)، والبيهقي في البعث (٤٥٠) من طريق داود بن أبي هند عن سعيد بن المسيب عنه.

(٦) ضعيف، هذا الحديث أخرجه أحمد (٢٩/ ٤٧٨) عن أبي عاصم، والطبري (١٢/ ١٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٩٦)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٣٣٤) وغيرهم من طريق أبي عاصم، عن عبد الله بن أمية، عن محمد بن حيي، عن صفوان بن يعلى، عن أبيه: أن النبي ﷺ قال: «البحر هو جهنم» قالوا ليعلى، فقال: ألا ترون أن الله عز وجل يقول: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾. قال: لا، والذي نفس يعلى بيده، لا أدخلها أبداً حتى أعرض على الله عز وجل، ولا يصيبني منها قطرة =

قال الثعلبي: وروي أن النبي ﷺ قال: «لا يركبنَّ البحرَ إلا حاجٌّ أو معتمر أو مجاهد، فإن تحت البحر ناراً» وفي حديث آخر: «فإن البحر نار في نار»[١].

وقال قتادة: المسجور: المملوءُ ماءً[٢]، وهذا معروف من اللغة، ورجَّحه الطبري لوجود ماءِ البحر كذلك[٣]، ولهذا يعود القول الأول، لأن قولهم: سَجَرْت التَّنُّور معناه: ملأتها بما يحترق ويتقد، والبحر المسجور: المملوء ماءً، وهكذا هو معرض للعبرة، ومنه قول النَّمر بن تَوْلَب:

إِذَا شَـاءَ طَـالَـعَ مَـسْـجُـورَةً تَـرَى حَوْلَهَـا النَّبْـعَ والسِّمسـما [المتقارب]
سَـقَـتْـهَـا رَوَاعِـدُ مِـنْ صَيِّـفٍ وَإِنْ مِـنْ خَرِيـفٍ فَلَـنْ يَعْدَمَا[٤]

يصف ثوراً وعيناً مملوءَة ماءً.

= حتى ألقى الله عز وجل. ومحمد بن حيي مجهول، وسقط من سند الحاكم محمد بن حيي، وسقط من إسناد البيهقي في السنن «عبد الله ابن أمية».

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ١٢٥)، والحديث ضعيف، أخرجه سعيد بن منصور في السنن (٢٣٩٣)، ومن طريقه أبو داود (٢٤٨٩)، والطبراني في الكبير (١٤٤٩٩)، والجصاص في أحكام القرآن (١/ ١٣١)، والبيهقي في البعث والنشور (٤٥٣) عن إسماعيل بن زكريا، عن مطرف، عن بشر أبي عبد الله، عن بشير بن مسلم، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يركب البحر إلا حاج، أو معتمر، أو غاز في سبيل الله، فإن تحت البحر ناراً، وتحت النار بحراً». وبشر، أبو عبد الله الكندي، وبشير بن مسلم أبي عبد الله الكندي مجهولان، وقال البخاري: لم يصح حديثه يعني حديث بشير بن مسلم هذا، وقال ابن عبد البر: حديث ضعيف مظلم الإسناد لا يصححه أهل العلم بالحديث لأن رواته مجهولون لا يعرفون.اهـ انظر التمهيد (١/ ٢٤٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٥٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٧٩)، والثعلبي (٩/ ١٢٥). و«ماء» ليست في الأصل والأسدية٣، ونور العثمانية.

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٥٩).

(٤) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٢٣٠)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٤٢٣)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٤٦٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٢٥)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢٦)، والصحاح للجوهري (٥/ ١٩٤٩)، وشرح أدب الكاتب (ص: ٢٩)، قال: المسجورة: عين مملوءة، والنبع: شجر تعمل منه القسي، والسأسم: قيل شجر الآبنوس، والتطلع: التشوف. ووقع في المطبوع: «السماسما»، وهو خطأ.

وقال ابن عباس: المسجور: هو الذي ذهب ماؤُه[(١)]، فالمسجور: الفارغ.

ويُروى: أَن البحار يذهب ماؤُها يوم القيامة، [وهذا معروف في اللُّغة، فهو من الأَضداد][(٢)].

وقيل: يوقد البحر ناراً يوم القيامة، فذلك السَّجْرُ.

وقال ابن عباس أَيضاً: الْمَسْجُور: المحبوسُ[(٣)]، ومنه: ساجور الكلب، وهو: القلادة من عود أَو حديد التي تمسكه، وكذلك لو لا أَن البحر يُمْسَك لفاض على الأَرض.

وقال علي بن أَبي طالب، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: البحر المُقْسم به: هو في السماءِ تحت العرش[(٤)].

والجمهور على أَنه بحر الدنيا، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦].

وقال منذر بن سعيد: المعنى: هو القسم بجهنم، وسمَّاها بحراً لِسَعَتها وتموجها، كما قال ﷺ في الفرس: «وإِنْ وجدناه لَبحراً»[(٥)].

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٥٦٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (سجره) حين يذهب ماؤه ويفجر.

(٢) سقط من الأصل، وانظره مع القول الذي بعده في تفسير الطبري (٢١/ ٥٦٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٥٩)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٤٥) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن ابن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره.

(٤) أثر علي أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٦٠) عن محمد بن حميد الرازي، عن مهران، عن سفيان، عن إسماعيل ابن أبي خالد، عن أبي صالح، عن علي: قال: بحر في السماء تحت العرش، ومحمد بن حميد متفق على ضعفه، وأما أثر عبد الله بن عمرو فأخرجه أيضاً (٢٢/ ٤٦١) عن محمد بن حميد الرازي، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو والبحر المسجور قال بحر تحت العرش.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٦٢٧)، ومسلم (٢٣٠٧) من حديث أنس: كان فزع بالمدينة، فاستعار النبي ﷺ فرساً من أبي طلحة يقال له المندوب، فركب، فلما رجع قال: «ما رأينا من شيء، وإن وجدناه لبحراً».

والقَسَم واقع على قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾، ويريد عذاب الآخرة للكفار، قاله قتادة، والعامل في ﴿يَوْمَ﴾: (وَاقِـعٌ)، ويجوز أَن يكون العامل فيه ﴿دَافِعٍ﴾[١]، والأول أَبين.

قال مكيٌّ: لا يعمل فيه ﴿دَافِعٍ﴾[٢].

و﴿تَمُورُ﴾ معناه: تذهب وتجيءُ بالرياح متقطِّعة متفتِّتة، والغبارُ الموَّارُ: الذي يجتمع ويذهب ويجيءُ بالرياح ثم هو كلُّه إِلى ذهاب، ومنه قول الأَعرابي: وَغَادَرَت التُّرَابَ مَوْراً[٣]، يصف سنة قحطٍ، وأَنشد معمر بن المثنى بيت الأعشى:

.... مَوْرُ السَّحابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ[٤] [البسيط]

أَراد: مُضِيَّها.

وقال الضحاك: ﴿تَمُورُ﴾: تموج، وقال مجاهد: تدور[٥]، وقال ابن عباس: تشقق[٦].

وهذه كلها تفاسير بالمعنى؛ لَأن السماءَ العلو يعتريها هذا كله.

و«سَيْرُ الجبال»: هو في أَول الأَمر ثم تَتَفَتَّت أَثناءَ السير حتى تصير آخِراً كالعِهْن المنفوش.

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٣٩٤).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أمالي القالي (١/ ١١٤).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢٣١)، وصدره: كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا، وانظر عزوه له أيضاً في: إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٧١)، وغريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٢٧٤)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٤٦١)، والصحاح للجوهري (٢/ ٨٢٠).

(٥) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٢/ ٤٦٢)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٧٩).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٦٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره.

والفاءُ في قوله: ﴿ فَوَيۡلٞ ﴾ عاطفة جملة على جملة، وهي تتضمن ربط المعنى وتأْكيدَه وإِثباتَ الويل للمكذِّبين.

و«الوَيْلُ»: السوءُ والمشقة والهمُّ الأَطول، ويروى: أَن في جهنم وادياً يُسمَّى وَيْلاً.

و«الخَوْضُ»: التخبُّط في الأَباطيل، يُشَبَّه بخوض الماءِ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ [الأنعام: ٦٨].

و﴿ يَوۡمَ ﴾ الثاني بدل من ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾.

و﴿يُدَعُّونَ ﴾؛ قال ابن عباس وغيره: معناه: يدفعون في أَعناقهم بشدَّة وإِهانة وتَعْتَعَة[١]، ومنه قوله تعالى: ﴿يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ﴾ [الماعون: ٢].

وفي الكلام محذوف مختصر، تقديره: يقال لهم: هذه النَّارُ، وإِخبارهم بهذا على جهة التوبيخ والتقريع.

وقرأَ أَبو رجاءٍ العُطَاردي: (يوم يُدْعَون) من الدعاءِ، بسكون الدال وفتح العين[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ١٥ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٦ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ١٨ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٩ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٢٠﴾.

لمَّا قيل لهم: ﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ﴾ وُقِفُوا بعد ذلك على الجهتين اللتين يمكن منهما

---

(١) صحيح بمجموع طرقه، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٦٤) من طريق قابوس، عن أبيه أبي ظبيان، وابن جرير أيضاً (٢١/ ٥٧٥)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٤٥) من طريق علي ابن أبي طلحة، وابن جرير أيضاً من طريق عطية العوفي ثلاثتهم ـ أبو ظبيان، وعلي بن أبي طلحة، وعطية العوفي ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما، بألفاظ مطوله ومختصرة.

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في تفسير الثعلبي (٩/ ١٢٧).

دخول الشك في أَنها النار، وهي: إِمَّا أَن يكون ثَمَّ سِحْرٌ يُلَبِّس ذات المرئي، وإِمَّا أَن يكون في بصر الناظر اختلال، وأَمرُهم بِصَلْيها على جهة التقريع.

ثم قيل لهم على جهة قطع رجائهم: ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾؛ أَي: عذابكم حَتْم؛ فسواءٌ جزعكم وصبركم، لا بد من جزاءِ أَعمالكم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ﴾ الآيات، يحتمل: أَن يكون من خطاب أَهل النار، فيكون إِخبارهم بذلك زيادة في غمِّهم وسوءِ حالهم.

ويحتمل ـ وهو الأَظهر ـ: أَن يكون إِخباراً لمحمد ﷺ ومعاصريه، لما فرغ من ذكر عذاب الكفَّار عقَّب ذلك بنعيم المتَّقين؛ ليبين الفرق، ويقع التحريض على الإِيمان.

و«الـمُتَّقُونَ» هنا: هم مُتَّقُو الشِّرك؛ لأَنهم لا بُدَّ من مصيرهم إِلى الجنَّات، وكلما زادت الدرجة في التَّقوى قَوِيَ الحصول في حكم الآية، حتى إِن المتَّقين على الإِطلاق هم في حكم الآية قطعاً على الله تعالى بحكم خبره الصَّادق.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿فَٰكِهِينَ﴾، ومعناه: فرحين مسرورين.

وقال أَبو عبيدة: هو من باب: لابِنٍ، وتامِرٍ؛ أَي: لهم فاكهة. والمعنى الأَول أَبرع[١].

وقرأَ خالد فيما حكى أَبو حاتم: ﴿فَكِهِينَ﴾، والفَكِهُ والفَاكِهُ: المسرور المتنعِّم[٢].

وقوله تعالى: ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾؛ أَي: من إِنعامه ورضاه عنهم.

وقوله: [﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾، هذا متمكن في مُتَّقي المعاصي الذي لا يدخل النار، ويكون في مُتَّقي الشِّرك الذي ينفُذ عليه الوعيد؛ بمعنى][٣]: ووقاهم ربهم عذاب الخلود في الجحيم.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٢٣٢). وفي حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «أبدع» بدل «أبرع».
(٢) وهي عشرية لأبي جعفر، كما في النشر (٢/ ٣٥٤).
(٣) سقط من الأصل.

ويحتمل أَن يكون الْجَحِيم من طبقات جهنَّم ليست بمأْوى العصاة من المؤمنين، بل هي مختصة بالكفرة، فهم وإِن عُذِّبوا في نار، فليسوا في عذاب الجحيم.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَوَقَىٰهُمْ﴾ بتخفيف القاف، وقرأَ أَبو حيوة بتشديدها على المبالغة[١].

وذلك كله مُشْتَقٌّ من الوقاية وهي: الحائل بين الشيءِ وبين ما يضره.

والمعنى: يقال لهم: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾، و﴿هَنِيٓـَٔۢا﴾ نصب على المصدر.

[٥/ ١٣٧] وقوله / تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ معناه: أَنَّ رُتَبَ الجنة ونعيمها هي بحسب الأَعمال، وأَمَّا نَفْس دخولها فهو برحمة الله تعالى وتغمُّده، والأَكل والشرب والتَّهنِّي ليس من الدخول في شيءٍ، وأَعمال العباد الصَّالحة لا توجب على الله تعالى التنعيم إِيجاباً، لكنه سبحانه قد جعلها أَمَارَةً على مَنْ سَبق في علمه[٢] تنعيمه، وعلَّق الثواب والعقاب بالتكسُّب الذي في الأَعمال.

وقوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ نصب على الحال، على حدِّ قوله تعالى: ﴿فَـٰكِهِينَ﴾، والعامل في هاتين الحالتين الفعل مقدر في قوله تعالى: ﴿فِى جَنَّـٰتٍ﴾، ويجوز غير هذا، وفي ذلك نظر.

وقرأَ أَبو السَّمال: (على سُرَرٍ) بفتح الرَّاءِ الأُولى[٣].

﴿وَزَوَّجْنَـٰهُم﴾ معناه: جعلنا لكل فرد منهم زوجاً.

و(الحُور) جمع حَوْراءَ، وهي البيضاءُ القوية بياضَ بَيَاضِ العَيْن وسوادَ سوادِها.

و(العِينُ) جمع عَيناءَ، وهي الكبيرة[٤] العينين مع جمالهما.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الكامل للهذلي (ص: ٦٣٥).

(٢) «في علمه» ليست في الأصل.

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥٠).

(٤) في المطبوع: «هو الكسيرة».

وفي قراءَة ابن مسعود وإِبراهيم النَّخَعي: (وزوجناهم بعيسٍ عينٍ)، قال أَبو الفتح: العَيْسَاءُ: البيضاءُ[١].

وقرأَ عكرمة: (وَزَوَّجْناهُمْ حُوراً عِيناً)[٢].

وحكى أَبو عمرو عن عكرمة أَنه قرأَ: (بعيسِ عينٍ) على إِضافة (عِيسٍ) إِلى (عِينٍ)[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴿٢٣﴾ ۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٢٤﴾ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾.

قرأَ ابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وطلحة، والحسن، وقتادة، وأَهل مكة: ﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾.

وقرأَ نافع، وأَبو جعفر، وابن مسعود بخلاف عنه، وشيبة، والجَحْدري، وعيسى: ﴿واتَّبَعَتْهم ذُرِّيَّتُهُم بإيمان أَلحقنا بهم ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾، وروى خارجة عنه مثل قراءَة حمزة.

وقرأَ ابن عامر، وابن عباس، وعكرمة، وابن جُبَيْر، والضحاك: ﴿واتَّبعتْهم ذُرِّيَّاتُهُمْ بإيمان أَلحقنا بهم ذرِّياتِهِمْ﴾.

---

(١) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٢٨٩).

(٢) وهي شاذة، لم أجد له فيها سلفاً وخلفاً، وإنما ورد النصب في (سورة الواقعة) عن ابن مسعود وأُبي كما سيأتي.

(٣) وهي شاذة، ولعل فيها وهماً أيضاً، فقد عزاها له هنا في مختصر الشواذ (ص: ١٤٦)، والبحر المحيط (٩/ ٥٧٠)، بلفظ (بحور عين)، ومثله له في المحتسب (٢/ ٢٦٠)، في (الدخان)، وذكر هنالك الإضافة في (بعيس) عن ابن مسعود، ولم أجد من نقلها عن الداني.

وقرأ أبو عمرو، والأعرج، وأبو رجاء، والشعبي، وابن جبير، والضحاك: ﴿وأَتْبَعْنَاهم ذُرِّياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذُرِيَّاتهم﴾[١]، فكون «الذُّرِّيَّة» جمعاً في نفسه حسُن الإِفراد في هذه القراءَات، ولكون المعنى يقتضي انتشاراً وكثرةً حسُن جمع الذُّرِّيَّة في قراءَة من قرأَ: ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾.

واختلف الناسُ في معنى الآية: فقال ابن عباس، وابن جُبَيْر، والجمهور: أخبر الله تعالى أَن المؤمنين الذين تتَّبعهم ذرِّيَّتهُمْ في الإِيمان فيكونون مؤمنين كآبائهم ـ وإِن لم يكونوا في التقوى والأَعمال كالآباءِ ـ فإِنه يُلْحِق الأَبناءَ بمراتب أُولئك الآباءِ كرامةً للآباءِ[٢].

وقد ورد في هذا المعنى حديث عن النبي ﷺ، فجعلوا الحديث تفسير الآية، وكذلك وردت أَحاديث تقتضي أَن الله تعالى يرحم الآباءَ رعياً للأَبناءِ الصالحين[٣].

وذهب بعض الناس إِلى إِخراج هذا المعنى من هذه الآية، وذلك لا يترتب إِلَّا بأَن يجعل اسْمَ «الذُّرِّيَّة» بمثابة نوعهم على نحو ما في قوله تعالى: ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١]. وفي هذا نظر.

وقال ابن عباس أَيضاً والضحاك: معنى هذه الآية: أَن الله تعالى يُلحق الأَبناءَ الصغار بأَحكام الآباءِ المؤمنين[٤]؛ يعني: في الموارثة والدفن في قبور الإِسلام، وفي أَحكام الآخرة في الجنة.

---

(١) هذه أربع قراءات سبعية، انظر التيسير (ص: ٢٠٣)، والنشر (٢/ ٣٧٧)، ومع رواية خارجة في السبعة (ص: ٦١٢).

(٢) صحيح، أخرجه هناد في الزهد (١٧٩)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ١٠٥)، والطبري (٢٢/ ٤٦٧) والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٦٨) من طريق شعبة، عن عمرو بن مرة، عن ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بنحوه. وقول ابن جبير في الطبري (٢٢/ ٤٦٧).

(٣) انظر الدر المنثور (١٣/ ٧٠٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٦٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره، وقول الضحاك في تفسير الثعلبي (٩/ ١٢٧).

وحكى أَبو حاتم عن الحسن أنه قال: الآية في الكبَار من الذُّرِّيَّة، وليس فيها من الصغار شيءٌ، وقال منذر بن سعيد: هي في الصغار لا في الكبار[١].

وحكى الطبري قولاً معناه: أَن الضمير في قوله تعالى: ﴿بِهِمْ﴾ عائد على «الذُّرِّيَّة»، والضمير الذي بعده في ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ عائد على ﴿ٱلَّذِينَ﴾؛ أَي: اتَّبعتهم الكبار وأَلْحقنا نحن بالكبار الصغار[٢]. وهذا قولٌ مستكره.

وقوله تعالى: ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ هو في موضع الحال، فمن رأَى أَن الآية في الأَبناءِ الصغار، فالحال من الضمير في قوله تعالى: (اتَّبَعَتْهُم)، فهو من المفعولين.

ومَنْ رأَى أَن الآية في الأَبناءِ الكبار فيحتمل أَن يكون الحال من المفعولين.

ويحتمل أَن يكون من المتَّبِعين الفاعلين.

وأرجح الأَقوال في هذه الآية القول الأَول؛ لأَن الآيات كلها في صفة إِحسان الله تعالى إِلى أَهل الجنة، فذكر من جملة إِحسانه أَنه يرعى المُحْسِن في المسيءِ، ولفظة ﴿أَلْحَقْنَا﴾ تقتضي أَن للمُلْحَق بعض التقصير في الأَعمال.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿أَلَتْنَٰهُم﴾ بفتح اللام من: أَلَتَ.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو يحيى[٣]، وشبل: ﴿أَلِتْنَاهُمْ﴾ من: أَلِتَ، بكسر اللام[٤].

وقرأَ الأَعرج: (وَمَا آلَتْنَاهُمْ) على وزن: أَفْعَلْنَاهُمْ.

وقرأَ أبي بن كعب، وابن مسعود: (لِتْنَاهُمْ) من: لات، وهي قراءَة ابن مصرف، ورواها القوَّاسُ عن ابن كثير[٥].

---

(١) انظر القولين في البحر المحيط (٩/ ٥٧١).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٦٩).

(٣) قال في غاية النهاية (٢/ ٤٠٩): أبو يحيى البَطيح بفتح الموحدة وياء آخر الحروف وحاء مهملة وهو مجهول، روى القراءة عن محمد بن برغوث القروي، وفي القراء من يكنى أبا يحيى غيره لكنهم بأسمائهم أشهر.

(٤) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦١٢).

(٥) وهاتان شاذتان، انظرهما في المحتسب (٢/ ١٨٩)، والثانية في معاني القرآن للفراء (٣/ ٩٢).

وتحتمل قراءَة من قرأَ: ﴿أَلَتْنَاهُم﴾ بفتح اللام أَن تكون من: أَلات، فإِنه يقال: أَلاتَ يُليتُ إِلَاتَةً، ولَاتَ يَليتُ لَيتاً، وآلَتَ يُؤلِتُ إِيلَاتاً، وأَلِتَ يأْلَتُ، وأَلَتَ يَأْلِتُ إِلْتاً، وَوَلَتَ يَلِتُ وَلْتاً، كلها بمعنى: نقص[١].

ومعنى هذه الآية: أَن الله تعالى يُلحق المقصِّر بالمحسن، ولا يُنقص المحسنَ من أَجره شيئاً، وهذا تأْويل ابن عباس، وابن جُبَير، والجمهور.

ويحتمل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ أَن يريد: من عملهم الحسن والقبيح، ويكون الضمير في ﴿عَمَلِهِم﴾ عائداً على الأَبناءِ، وهذا تأْويل ابن زيد[٢]، ويُحَسِّن هذا الاحتمال قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾، والرَّهين: المُرْتَهَنُ.

وفي هذه الأَلفاظ وعيد.

وحكى أَبو حاتم عن الأَعمش أَنه قرأَ: (وَمَا لَتْنَاهُمْ) بغير أَلف وبفتح الَّلام[٣].

قال أَبو حاتم: لاتجوز هذه القراءَة على وجه من الوجوه.

و«أَمْدَدْتُ الشَّيْءَ»: إِذا سربتَ إِليه شيئاً آخر يكثِّره أَو يكثر لديه.

وقوله تعالى: ﴿مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ إِشارة إِلى ما روي من أَن المُنَعَّم إِذا اشتهى لحماً نزل ذلك الحيوان بين يديه على الهيئة التي اشتهاه فيها، وليس يكون في الجنة لحم يَخْنَز، ولا يتكلف فيه الذبح والسلخ والطبخ، وبالجملة لا كلفة في الجنة/ . [٥/ ١٣٨]

و﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ معناه: يتعاطون، ومنه قول الأَخطل:

[البسيط] نَازَعْتُـهُ طَيِّـبَ الـرَّاحِ الشَّـمولِ وَقَـدْ صَاحَ الدَّجاجُ وَحانَتْ وَقْعَةُ السَّاري[٤]

---

(١) في المطبوع: «بمعنى بعض».

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٢/ ٤٦٩).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في الكامل للهذلي (ص: ٤٠٢).

(٤) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٢٣٢)، والكامل للمبرد (١/ ٩٠)، والأغاني (١٥/ ١٠١)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٤٧٤).

و«الكَأْسُ»: الإِناءُ وفيه الشراب، ولا يقال في فارغ: كأْسٌ، قاله الزجاج[١].

وقرأ الجمهور من السبعة وغيرهم: ﴿لَّا لَغْوٌ﴾ بالرفع ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ كذلك.

وقرأ ابن كثير، وأَبو عمرو، والحسن: (لَا لَغْوَ فِيها ولَا تأثيمَ) بالنصب على التبرية[٢].

وعلى الوجهين؛ فقوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ هو موضع الْخَبَر، وأَغْنَى خبر الأَول عن ذكر خبر الثاني.

و«اللَّغْوُ»: السَّقْط من القول، و«التَّأْثيم» يلحق خمر الدنيا في نفس شُرْبها وفي الأَفعال التي تكون من شُرَّابها، وذلك كله مرتفع في الآخرة.

و«اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ»: أَجمل اللُّؤْلُؤ؛ لأَن الصَّوْن والكِنَّ يُحَسِّنه.

وقال ابن جبير: أَراد أنه الذي في الصَّدف لم تَنَلْهُ الأَيدي[٣].

وقيل للنبي ﷺ: إِذا كان الغلمان كاللؤلؤ المكنون، فكيف المخدومون؟ فقال ﷺ: «هم كالقمر ليلة البدر»[٤].

ثم وصف تعالى عنهم أَنهم في جملة تَنَعُّمهم ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾؛ أَي: عن أَحوالهم وما نال كل واحد منهم، وأَنهم يتذكرون حال الدنيا وخشيتهم فيها عذاب الآخرة.

وحكى الطبري عن ابن عباس قال: تساؤُلهم إِذا بُعثوا في النفخة الثانية[٥].

و«الإِشفاقُ» أَشد الخشية ورقَّة القلب.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٥٨).

(٢) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦١٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٥١٨).

(٣) تفسير الماوردي (٥/ ٤٨).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٨)، والطبري (٢٢/ ٤٧٦) من طريق معمر، عن قتادة، مرسلاً بنحوه.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٥٩٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره.

وقد قرأَ أَبو حيوة: (وَوَقَّانَا) بتشديد القاف، وقرأَ الجمهور بتخفيفها، وأَمال عيسى الثقفي ﴿وَقَانَا﴾ بتخفيف القاف[١].

و﴿ٱلسَّمُومِ﴾: الحارُّ، قال الرُّمَّاني: هو الذي يبلغ مَسامَّ الإِنسان[٢]، وهو النار في هذه الآية، وقد يقال في حرِّ الشمس وفي الريح: سَمُوم، وقال الحسن: السَّمُوم اسم من أَسماءِ جهنم.

و﴿نَدۡعُوهُ﴾ يحتمل أَن يريد: نعبده[٣]، ويحسن هذا على قراءَة من قرأَ: ﴿أَنَّهُۥ﴾ بفتح الأَلف، وهي قراءَة نافع بخلاف، والكسائي، وأَبي جعفر، والحسن، وأَبي نوفل؛ أَي: من أَجل أَنه.

وقرأَ باقي السبعة، والأَعرج، وجماعة: ﴿إِنَّهُۥ﴾ على القطع والاستئناف[٤].

ويحسن مع هذه القراءَة أن يكون ﴿نَدۡعُوهُ﴾ بمعنى: نعبده، أَو بمعنى الدعاءِ نفسه، ومن رأَى ﴿نَدۡعُوهُ﴾ بمعنى الدعاءِ نفسه فيحتمل أَن يجعل قوله تعالى: ﴿أَنَّهُۥ﴾ بالفتح هو نفس الدعاءِ الذي كان في الدنيا.

و﴿ٱلۡبَرُّ﴾: هو الذي يَبرُّ ويُحْسن، ومنه قول ذي الرُّمَّة:

جَاءَتْ منَ الْبِيضِ زُعْراً لَا لبَاسَ لَهَا إِلَّا الـدِّهَـاسُ وأُمٌّ بَـرَّةٌ وأَبُ[٥] [البسيط]

---

(١) قراءة أبي حيوة شاذة، كما تقدم عن الكامل للهذلي (ص: ٦٣٥)، وأما الإمالة فسبعية لحمزة والكسائي، وقلل ورش بخلفه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ١٣٠).

(٤) سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٣)، والنشر (٢/ ٣٧٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٥١٦)، وخلاف نافع في السبعة (ص: ٦١٣).

(٥) انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٧٤٤)، وأمالي القالي (١/ ٣٤)، والمحكم (٤/ ٢١٣)، وتاريخ دمشق (٤٨/ ١٧٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَـٰمُهُم بِهَـٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

هذا أَمر لرسول الله ﷺ بالدعاءِ إِلى الله تعالى ومتابعة نشر الرسالة، ثم قال تعالى مؤنساً له عليه الصلاة والسلام: فما أنت بإِنعام الله تعالى عليك ولطفه بك كاهن ولا مجنون، وكانت العرب قد عهدت ملابسة الجنِّ الإِنْسَ بهذين الوجهين، فنسبت محمداً ﷺ إِلى ذلك، فنفى الله تعالى عنه ذلك.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ الآية؛ رُوي: أَن قريشاً اجتمعت في دار النَّدوة، فكثرت آراؤُهم في محمد ﷺ، حتى قال قائل منهم: تربَّصوا به ريب المنون فإِنه شاعر سيهلك كما هلك زهير والنَّابغة والأَعشى وغيرهم، فافترقوا على هذه المقالة، فنزلت الآية في ذلك[1].

و«التَّرَبُّص»: الانتظار، ومنه قول الشاعر:

تَرَبَّصْ بهَا رَيْبَ الْمَنُونِ لَعَلَّهَا تُطَلَّقُ يَوْماً أَوْ يَمُوتُ حَلِيلُهَا[2] [الطويل]

وأَنشد الطَّبريّ:

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٧٩) من طريق ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره بنحوه.
وهو في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٠-٤٨١) قال ابن إسحاق: فحدثني من لا أتهم من أصحابنا، عن عبد الله بن أبي نجيح، به.

(٢) البيت لفراص بن عتبة الأزدي كما في معجم الشعراء (ص: ٣١٩)، ومحاضرات الأدباء (٢/ ٢٣٠)، وجاء في مصارع العشاق (٢/ ١٥٨)، والجليس الصالح الكافي (ص: ١٢٢) لحمدان البرتي، ولعله إنشاد.

[الطويل] .... لَعَلَّهَا سَيَهْلِكُ عَنْهَا زَوْجُهَا أَوْ سَتجْنَحُ[(١)]

وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ﴾ وعيدٌ في صيغة أَمر.

و﴿ٱلْمَنُونِ﴾ من أَسماءِ الموت، وبه فسَّر ابن عباس، ومن أَسماءِ الدَّهر، وبه فسَّر مجاهد[(٢)].

وقال الأَصمعي: ﴿ٱلْمَنُونِ﴾ واحد لا جمع له، وقال الأَخفش: هو جمع لا واحد له[(٣)].

قال القاضي أَبو محمد: و«الرَّيْب» هنا: الحوادث والمصائب؛ لأَنها تريب من نزلت به، ومنه قول النبي ﷺ في أَمر ابنته فاطمة حين ذُكر أَن علياً يتزوج بنت أَبي جهل: «إِنما فاطمة بَضعة مني يُريبُني ما أَرابَها»[(٤)]، يقال: أَرابَ وَرَابَ، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] .... فَقَدْ رَابَنِي منْهَا الْغَدَاةَ سُفُورُهَا[(٥)]

وقول الآخر:

[المتقارب] وَقَدْ رابَني قَوْلُهَا يَا هَنَاهُ[(٦)] ....

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٧٩)، وفيه: أو تسرح، وهي رواية أخرى في البيت.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٧٨)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٨٤)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٠١).

(٣) انظر قول الأصمعي في شرح المعلقات التسع (ص: ٢٣)، ومع قول الأخفش في الهداية (١١/ ٧١٣٠)، والمخصص (٢/ ٧٢).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٧٢٩)، ومسلم (٢٤٤٩) من حديث المسور بن مخرمة قال: إن علياً خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة، فأتت رسول الله ﷺ، فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل، فقام رسول الله ﷺ، فسمعته حين تشهد، يقول: «أما بعد، أنكحت أبا العاص بن الربيع، فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله، عند رجل واحد»، فترك علي الخطبة.

(٥) وصدره: وَكُنْتُ إذا ما جِئْتُ لَيْلَى تَبَرْقَعَتْ، وهو لتوبة الحميِّر، انظر العين (٧/ ٢٤٦)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٢٣٣)، وإسفار الفصيح (١/ ٤٣٣)، والشعر والشعراء (١/ ٤٣٦)، وأمالي القالي (١/ ٨٨)، والأغاني (١١/ ٢١١)، وأشعار النساء للمرزباني (ص: ٤٤).

(٦) تمامه: وَيَحكَ أَلحقْتَ شرّاً بِشرّ، وهو لامرئ القيس كما في الوساطة (ص: ٤٦٣)، واللباب للعكبري (٢/ ٣٤٤).

وأَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بتوعُّدهم بقوله تعالى: ﴿قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿بِهَٰذَآ﴾ يحتمل أَن يشير إِلى هذه المقالة: هو شاعر.

ويحتمل أَن يشير إِلى ما هم عليه من الكفر وعبادة الأَصنام.

و«الأَحلام»: العقول.

و﴿أَمۡ﴾ المتكررة في هذه الآية قدَّرها بعض النُّحاة بأَلف الاستفهام، وقدَّرها مجاهد بـ«بَلْ»(١).

والنظر المحرَّر في ذلك: أَن منها ما يتقدَّر بـ«بل» والهمزة، على حدِّ قول سيبويه في قولهم: إِنَّهَا لإِبِلٌ أَمْ شَاءٌ(٢)، ومنها ما هي معادلة، وذلك قوله تعالى: ﴿أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾.

وقرأَ مجاهد: (بل هم قوم طاغون)(٣)، وهو معنى قراءَة الناس، إِلاَّ أَن العبارة بـ﴿أَمۡ﴾ خرجت مخرج التوقيف والتوبيخ.

وحكى الثعلبي عن الخليل أَنه قال: ما في سورة الطُّور من ﴿أَمۡ﴾ كلُّه استفهام، وليس بعطف(٤).

و﴿تَقَوَّلَهُۥ﴾ معناه: قال عن الغير: إِنه قاله، فهي عبارة عن كذب مخصوص.

ثم عجَّزهم تعالى بقوله: ﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ﴾، والمماثلة المطلوبة منهم هي في النظم والرصف والإِيجاز، واختلف الناس، هل كانت العرب قادرة على الإِتيان بمثل القرآن قبل مجيءِ محمد ﷺ؟ فقال شُذَّاذٌ يُسَمَّوْن أَهل الصرفة: كانت قادرة وصُرفت.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٨٠).

(٢) الكتاب لسيبويه (٣/ ١٧٢).

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: المحتسب (٢/ ٢٩٠).

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ١٣٢).

وقال الجمهور: لم تكن قطُّ قادرة، ولا في قدرة البشر أَن يأْتي بمثله؛ لأَن البشر لا يفارقه النسيان والسهو والجهل، والله تعالى محيط علمُه بكل شيءٍ، فإذا ترتبت اللَّفظة في القرآن عَلِم بالإِحاطة التي تصلح أَن تَلِيهَا ويَحْسُن معها المعنى، وذلك متعذر في البشر[١].

والهاءُ في ﴿مِّثْلِهِۦٓ﴾ عائد على القرآن.

[٥/ ١٣٩] وقرأَ الجحدري: / ﴿بحديثِ مِثْلِهِ﴾ بإِضافة «الحديث» إِلى «مِثْلِهِ»[٢]، فإِنها ـ على هذا ـ عائدة على محمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ﴾، قال الطبري: معناه: أَمْ خُلِقُوا خَلْق الجماد من غير حَيٍّ فهم لا يُؤْمرون ولا يُنْهون كما هي الجمادات عليه؟[٣]

وقال آخرون: معناه: أم خُلقوا من غير علَّة ولا لغايةِ عقاب ولا ثواب، فهم لذلك لا يسمعون ولا يتشرَّعون؟ وهذا كما تقول: فعلتُ كذا وكذا من غير علَّة؛ أَي: لغير علَّة.

ثم وقفهم تعالى على جهة التوبيخ على أَنفسهم، أَهم الذين خَلَقوا الأَشياءَ فهم لذلك يتكبَّرون؟ ثم خصَّص تعالى من الأَشياءِ السماوات والأَرض لعظمها وشرفها في المخلوقات، ثم حكم تعالى عليهم بأَنهم لا يوقنون ولا ينظرون نظراً يؤدِّيهم إِلى اليقين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ ﴿٤٤﴾﴾.

---

(١) تقدم الكلام على هذا المبحث في موضعه في (سورة الإسراء).

(٢) انظر المحتسب (٢/ ٢٩١)، وانظر تفسير القرطبي (١٧/ ٧٣).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٧٨) بتصرف.

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ بمنزلة قوله تعالى: أم عندهم الاستغناءُ عن الله تعالى في جميع الأُمور؟ لأَن المال والصحة والقوة وغير ذلك من الأَشياءِ كلها مِنْ خزائن الله تعالى.

قال الزهراوي: وقيل: يريد بالخزائن: العلم، وهذا قول حسنٌ إِذا تُؤُمِّل وبُسط.

قال الرُّمَّاني: خزائنه تعالى: مقدوراته[(١)].

و(المُصَيْطِرُ): المُسَلَّط القاهر، وبذلك فسَّر ابن عباس[(٢)]. وأَصله بالسِّين، ولكن كتبه بعض الناسِ وقرأَه بالصَّاد مراعاة للطَّاءِ ليتناسب النُّطق[(٣)].

وحكى أَبو عبيدة: تسيطرتَ عليَّ: إِذا اتخذتني خَوَلاً[(٤)].

و«السُّلَّم»: السبب الذي يصعد به، كان ما كان؛ من خشب أَو بناءٍ أَو حبال أَو غيره، ومنه قول ابن مُقْبل:

لَا تُحْرِزُ الْمَرْءَ أَحْجَاءُ الْبِلَادِ وَلَا ... تُبْنَى لَهُ في السماوات السَّلَالِيمُ[(٥)] [البسيط]

وحكى الرُّمَّاني قال: لا يقال «سُلَّم» لِمَا بُني من الأَدراج، وإِنما السُّلَّم المُشَبَّك[(٦)]. وبيت الشِّعر يردُّ عليه، والمعنى: أَلَهُم سُلَّم إِلى السماءِ يستمعون فيه؟ أَي: عليه ومنه،

---

(١) انظر القولين في البحر المحيط (٩/ ٥٧٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٨٢)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٤٥) من طريق عبد الله بن صالح أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾، يقول: المسلطون.

(٣) سبعيتان، فقنبل وهشام وحفص بخلفه بالسين وحمزة بخلف عن خلاد بين الصاد والزاي والباقون بالصاد، التيسير (ص: ٢٠٤).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢٩٦).

(٥) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ١٩٠)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٤٨٣)، وإيضاح الشواهد (١/ ٤٧١)، وتهذيب اللغة (٥/ ٨٦).

(٦) لم أقف عليه.

وهذه حروف يسدُّ بعضها مسدَّ بعض، والمعنى: يستمعون الخَبر بصحة ما يَدَّعون، فلْيَأْتوا بالحجة المبيِّنة في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ ﴾ الآية؛ معناه: أَم هم أهل الفضيلة علينا، فيلزم لذلك انتخاؤُهم وتكبُّرهم.

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ﴾ يا محمد على الإِيمان بالله تعالى وشرعه أُجرةً يُثقلهم غُرْمُها، فهم لذلك يكرهون الدخول فيما يوجب غرامتهم.

ثم قال تعالى: ﴿ أَمْ عِندَهُمُ﴾ علم الغيب، فهم يُبيِّنُون ذلك للناس سُنناً وشرعاً يكتبونه، وذلك عبادة الأَوثان، وتسييب السوائب، وغير ذلك من سيرهم؟

وقيل: المعنى: فهم يعلمون متى يموت محمد الذي يتربَّصون به؟

و﴿يَكْتُبُونَ ﴾ بمعنى يحكمون. وقال ابن عباس: يعني تعالى: أَم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون به؟[1].

ثم قال تعالى: ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بك وبالشَّرع؟ ثم جزم الخبر بأَنهم ﴿هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴾؛ أَي: هم المغلوبون، فسمَّى تعالى غلبتهم كيداً إِذْ كانت عقوبة الكيد.

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ يعصمهم ويمنعهم ويدفع في صدر إِهلاكهم.

ثم نزَّه تعالى نفسه عما يُشركون به من الأَصنام والأَوثان، وهذه الأَشياءُ التي وقفهم تعالى عليها حصرت جميع المعاني التي توجب الانتخاءَ والتكبُّر والبُعد من الائتمار، فوقَفهم تعالى عليها، أَي ليست لهم، ولا يبقى شيءٌ يوجب ذلك إِلَّا أَنهم قوم طاغون، وهذه صفة فيها تكسُّبهم وإِيثارهم، فيتعلق بذلك عقابهم.

ثم وصفهم تعالى بأَنهم على الغاية من العُتُوِّ والتمسُّك بالأَقوال الباطلة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا ﴾ الآية، وذلك أَن قريشاً كان في جملة ما اقترحت:

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ١٣٢).

أن تُنزل من السماءِ عليها كِسَفاً، وهي القطَعُ، واحدها كِسْفَة، وتُجمع أَيضاً على: كِسْف؛ كتَمْرَة وتَمْر[١].

وقال الرُّمَّاني: هي التي تكون بقدر ما يكسف ضوءَ الشمس[٢].

فأَخبر الله تعالى عنهم في هذه الآية: أَنهم لو رأَوْا كِسْفاً ساقطاً حسب اقتراحهم، لبلغ بهم العُتُوُّ والجهل والبعد عن الحق أَن يُغالطوا أَنفسهم وغيرهم ويقولوا: ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾؛ أَي: كثيف قد تراكم بعضه فوق بعض، ولهذه الآية نظائر في آيات أُخر[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ وما جرى مجراه من الموادعة منسوخ بآية السيف.

وقرأَ أَبو جعفر، وأَبو عمرو بخلاف عنه: ﴿يَلْقَوْا﴾، والجمهور على ﴿يُلَٰقُواْ﴾[٤].

واختلف الناس في اليوم الذي تُوُعِّدُوا؛ فقال بعض المتأَولين: هو موتهم واحداً واحداً، وهذا على تجوُّزٍ.

و«الصَّعْقُ»: التعذيب في الجملة، وإِن كان الاستعمال قد كثر فيه فيما يصيب الإِنسان من الصيحة المفرطة ونحوه.

---

(١) على ما قاله المؤلف رحمه الله: يكون واحدها: كَسْفَة، وجمعها كَسْف؛ كتَمْرة وتَمْر، كما ذكر رحمه الله. إلا أن المشهور فيها: كِسْفَة وكِسْف، على حَدِّ: سِدْرة وسِدْر. وهكذا نقله المؤلف عند تفسير الآية (٩) من (سورة سبأ). وانظر: تاج العروس للزبيدي (مادة: كسف).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) كما في (سورة الإسراء)، (٩٢)، و(سورة الشعراء)، (١٨٧).

(٤) وهي عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٧٠)، أما ما نسبه للخلاف عن أبي عمرو فيها فلم أقف عليه.

ويحتمل أَن يكون اليوم الذي تُوعِّدُوا به: يوم بَدْر؛ لأَنهم عُذِّبوا فيه.

وقال الجمهور: التوعُّد بيوم القيامة؛ لأَن فيه صعقة تعمُّ جميع الخلائق، ولكن لا محالة أَن بين صعقة المؤمن وصعقة الكافر فرقاً.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿يَصْعَقُونَ﴾ من: صَعِقَ الرَّجلُ بكسر العين.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن: (يَصْعِقُونَ) بفتح الياءِ وكسر العين.

وقرأ عاصم، وابن عامر، وأَهل مكة في قول شبل: ﴿يُصْعَقُونَ﴾ بضم الياءِ وفتح العين[1]. وذلك من: أَصعق الرجل غيره.

وحكى الأَخفش: صُعِقَ الرجلُ، بضم الصاد وكسر العين[2].

قال أَبو علي: فجائز أَن يكون منه، فهو مثل: يُضرَبون[3].

[٥/ ١٤٠] قال أَبو حاتم: وفتح أَهل مكة الياءَ / في قول إِسماعيل[4].

و﴿يُغْنِى﴾ معناه: يكون منه غَناءٌ ودفاعٌ.

ثم أخبر تعالى بأنهم لهم دون هذا اليوم ـ أي قبله ـ عذاب، واختلف الناس في تعيينه: فقال ابن عباس وغيره: هو بدر والفتح ونحوه[5].

---

(١) الأولى والثالثة سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦١٣)، والتيسير (ص: ٢٠٤)، دون ذكر أهل مكة، وأما الثانية فشاذة، وهي ظاهر ما في معاني القرآن للفراء (٣/ ٩٤) عنه، واستغربها في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٧٧)، وضبطها في البحر المحيط (٩/ ٥٧٦) بضم الياء.

(٢) وقاله الفراء في معاني القرآن (٣/ ٩٤).

(٣) الحجة للفارسي (٦/ ٢٢٨).

(٤) البحر المحيط (٩/ ٥٧٦)، دون ذكر أبي حاتم، وهي قراءة ابن كثير مع فتح العين كما في التيسير (ص: ٢٠٤).

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ١٣٢) عن ابن عباس قال: هو القتل ببدر.

وقال مجاهد: هو الجوع الذي أَصاب قريشاً[١].

وقال البراءُ بن عازب، وابن عباس أَيضاً: هو عذاب القبر[٢].

ونَزَعَ ابنُ عباس وجودَ عذاب القبر بهذه الآية[٣].

وقال ابن زيد: هو مصائب الدنيا في الأَجسام وفي الأَحبة وفي الأَموال، هي للمؤمنين رحمة وللكافرين عذاب[٤].

وفي قراءَة ابن مسعود رضي الله عنه: (دُونَ ذَلكَ قَريباً ولكن لا يَعْلَمُونَ)[٥].

ثم أَمر الله تعالى نبيه ﷺ بالصبر لحكم الله تعالى والمضيِّ على نذارته وَوَعْده بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، ومعناه: بإِدراكنا وأَعْيُن حفظنا لك وحيطتنا، كما تقول: فلان يرعاه الملك بعين. وهذه الآية ينبغي أَن يُقَدِّرها كلُّ مؤمن في نفسه فإِنها تفسح مضايق الدنيا.

وقرأَ أَبو السَّمال: (بِأَعْيُنَّا) بنون واحدة مشدَّدة[٦].

واختلف الناس في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾:

فقال أَبو الأَحوص عوف بن مالك: هو التَّسبيح المعروف[٧]؛ أَي: يقول في كل قيام: سبحان الله وبحمده.

---

(١) تفسير الماوردي (٥/ ٣٨٦)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٣٢-١٣٣)، والهداية لمكي (١١/ ٧١٣٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٨٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره.

(٣) منقطع، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٨٧) من طريق سعيد، عن قتادة: أن ابن عباس كان يقول: إنكم لتجدون عذاب القبر في كتاب الله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾. وقتادة لم يسمع من ابن عباس.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٨٧-٤٨٨)، والهداية لمكي (١١/ ٧١٣٤).

(٥) وهي شاذة، انظرها في تفسير الزمخشري (٤/ ٤١٥).

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥١).

(٧) تفسير الثعلبي (٩/ ١٣٣).

وقال عطاءٌ: المعنى: حين تقوم من كل مجلس[١].

وقال ابن زيد: «التسبيح» هنا: هو صلاة النوافل[٢].

وقال الضحاك، وابن زيد: هذه إِشارة إِلى الصلوات المفروضة، فقوله: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾: الظُّهر والعصر؛ أَي: حين تقوم من نوم القائلة، وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾: المغرب والعشاءُ، وقوله: ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾: الصُّبح[٣].

ومَنْ قال هي النوافل جعل (إِدْبَارَ النُّجوم) ركعتي الفجر، وعلى هذا القول جماعة كثيرة منهم: عمر بن الخطاب، وعلي بن أَبي طالب، وأَبو هريرة، والحسن، رضي الله عنهم، وقد روي مرفوعاً[٤].

ومن جعله التسبيح المعروف جعل قوله: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ مثالاً؛ أَي: حين تقوم وحين تقعد وفي كل تصرُّفك، وحكى منذر عن الضحاك أَن المعنى: حين تقوم في الصلاة بعد تكبيرة الإِحرام فقل: سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك، وتعالى جدُّك، الحديث[٥].

وقرأَ سالم بن أَبي الجعد، ويعقوب: (وأَدبار النجوم) بفتح الهمزة[٦] بمعنى: وأَعقاب.

---

(١) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٩/ ١٣٣)، والأول في تفسير الطبري (٢٢/ ٤٨٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٨٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٨٩) بنحوه.

(٣) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٤٨٩-٤٩١)، والهداية لمكي (١١/ ٧١٣٧).

(٤) انظر قول الحسن في تفسير الطبري (٢٢/ ٤٩١)، وقد تقدم تخريجه عند الآية (٤٠) من (سورة ق).

(٥) أخرجه مسلم (٣٩٩) من طريق الأوزاعي، عن عبدة، عن عمر بن الخطاب، كان يجهر بهؤلاء الكلمات يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، وانظر قول منذر في تفسير الثعالبي (٤/ ٢٢٢).

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥١)، والصحيح عن يعقوب الكسر كالباقين انظر النشر (٢/ ٣٧٦).

ومنه قول الشاعر:

فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الغَدَاةَ كَنَاظِرٍ مَعَ الصُّبْحِ في أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغَرِّبِ[1] [الطويل]

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَإِدْبَرَ﴾ بكسر الهمزة.

(١) هذا البيت لقيس بن الْمُلَوَّح، كما في الأغاني (٢/ ٢١)، والحماسة البصرية (٢/ ٨٩)، والصحاح للجوهري (١/ ١٩١)، وسمط اللآلي (١/ ٤٩٨)، وكان نسبه في (١/ ١٨١) لمحمد بن نمير الثقفي، وينسب إلى أبي حَيَّة النُّمَيْري كما في الكامل للمبرد (١/ ٢٣٣).

سورة النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة النجم

هي مكِّيَّة بإِجماع من المتأولين، وهي أَول سورة أَعلن بها رسول الله ﷺ، وجهر بقراءَتها في الحرم والمشركون يستمعون، وفيها سجد وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والإِنس غير أَبي لهب، فإِنه رفع حَفنة من تراب إِلى جبهته وقال: يكفيني هذا[1].

وسبب هذه السُّورة: أَن المشركين قالوا: إِنَّ محمداً يتقوَّل القرآن ويختلق أَقواله، فنزلت السُّورة في ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾.

أَقسم الله تعالى بهذا المخلوق تشريفاً له وتنبيهاً منه ليكون معتبراً فيه، حتى تؤول العبرة فيه إِلى معرفة الله تعالى.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٠٦٧)، ومسلم (٥٧٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قرأ النبي ﷺ النجم بمكة فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ أخذ كفاً من حصى ـ أو تراب ـ فرفعه إلى جبهته، وقال: يكفيني هذا، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً.

وقال الزهري: المعنى: وربّ النَّجم[١]. وفي هذا قلق مع لفظ الآية.

واختلف المتأَولون في تعيين النَّجم المُقسم به:

فقال ابن عباس، ومجاهد، والفراءُ، وبيَّنه منذر بن سعيد: هو الجملة من القرآن إِذا تنزَّلت[٢]، وذلك أَنه رُوي أَن القرآن نزل على النبي ﷺ نجوماً؛ أَي: أَقداراً مقدرة في أَوقات ما[٣]، ويجيءُ ﴿هَوَىٰ﴾ ـ على هذا التأْويل ـ بمعنى: نزل، وفي هذا الهُوِيِّ بُعْدٌ وتحاملٌ على اللُّغة، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]، والخلاف في هذا كالخلاف في تلك.

وقال الحسن، ومعمر بن المثنى، وغيرهما: النجم هنا: اسم جنس، أَراد: والنجوم إِذا هوت[٤]، واختلف قائلو هذه المقالة في معنى ﴿هَوَىٰ﴾:

فقال جمهور المفسرين: هَوى للغروب، وهذا هو السابق إِلى الفهم من كلام العرب.

وقال الحسن بن أَبي الحسن، وأَبو حمزة الثُّمالي[٥]: هَوَى عند الانكدار في القيامة، فهي بمعنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾ [الانفطار: ٢].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) معاني القرآن للفراء (٣/ ٩٤)، وقول مجاهد في تفسير الثعلبي (٩/ ١٣٥)، وقول منذر بن سعيد في البحر المحيط (١٠/ ٩).

(٣) صحيح، أخرجه الطبري (٣/ ٤٤٥)، والنسائي في الكبرى (١١٦٢٥) وغيرهم من طريق سعيد ابن جبير، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ قال: نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر، وكان الله عز وجل ينزل على رسول الله ﷺ بعضه في أثر بعض، قالوا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾.

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢٣٥).

(٥) هو ثابت بن أبي صفية أبو حمزة الثُّمالي الأزدي الكوفي، روى عن أنس وعكرمة وأبي جعفر الباقر، وعنه شريك وأبو نعيم وجماعة. قال أبو حاتم: لين الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة، كثير الوهم، مع غلو في تشيعه، توفي سنة (١٤٨هـ). تاريخ الإسلام (٩/ ٨٤).

وقال ابن عباس ـ في كتاب الثعلبي ـ: هوى في الانقضاض في أَثر العِفْرِيَة، وهي رجوم الشياطين[١]، وهذا القول تُساعده اللغة.

والتأْويلات في ﴿هَوَىٰ﴾ محتملة كلُّها قويةٌ.

ومن الشاهد في «النَّجم» الذي هو اسم الجنس قول الرَّاعي:

فَبَاتَتْ تَعُدُّ النَّجْمَ في مُسْتَحيرَةٍ   سَريعٍ بِأَيْدِي الآكِلِينَ جُمُودُهَا[٢]   [الطويل]

يصف إِهالةً صافية، والمُسْتحيرة: القِدْرُ التي يُطبخ فيها، قاله الزجاج[٣].

وقال الرُّمَّاني: هي شحمة صافية حين ذابت[٤].

وقال مجاهد، وسفيان: (النَّجم) في قَسَم الآية: الثُّرَيَّا، وسقوطها مع الفجر هو هويُّها[٥]، والعرب لا تقول النجم مطلقاً إلا للثُّريا، ومنه قول العرب: طَلَعَ النَّجْمُ عشاءً، فابْتَغَى الرَّاعي كسَاءً، طَلَعَ النَّجْمُ غُدَيَّهْ، فابْتَغَى الرَّاعي شُكَيَّهْ[٦].

و﴿هَوَىٰ﴾ ـ على هذا القول ـ يحتمل الغروب ويحتمل الانكدار، و«هَوَى» في اللُّغة معناه: خرق الهواءَ ومقصده السُّفْل، أَو مَصيره وإِن لم يقصده، ومنه قول الشاعر:

هَـوَى ابْني مِـنْ شَفَا جَبَلٍ   فَـزَلَّـتْ رِجْـلُـهُ وَيَـــدُهْ[٧]   [مجزوء الوافر]

---

(١) قال الثعلبي (٩/ ١٣٥): وروى عكرمة عن ابن عباس: أنّه الرجم من النجوم، يعني ما يرمى به الشياطين عند استراقهم السمع.

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٣٥)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٤٩٦)، والمعاني الكبير (١/ ٣٧٥)، والحماسة مع شرح التبريزي (٢/ ٢٢٢).

(٣) معاني القرآن للزجاج (٥/ ٦٩).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٩٥).

(٦) ذكره في المخصص (٢/ ٣٦٩) في باب أسجاع العرب في طلوع النجوم.

(٧) تقدم في تفسير الآية (٧١) من (سورة الأنعام). والشَّفا: حرف الشيءِ وحدُّه.

وقول الشاعر:

[الطويل] وَإِنَّ كَلامَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ لكالنَّبْلِ تَهْوِي لَيْسَ فيهانِصَالُهَا[١]

وقول زهير:

[الوافر] .... هُوِيَّ الدَّلْوِ أَسْلَمَهَا الرِّشَاءُ[٢]

[٥/ ١٤١] / ومنه قولهم للجراد: الهاوي، ومنه: هُوِيُّ العقاب.

والقَسَم واقع على قوله: ﴿مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَاغَوَىٰ﴾.

و«الضَّلالُ» أَبداً يكون بغير قصد من الإِنسان إِليه.

و«الغَيُّ» كأنه[٣] شيءٌ يتكسبه الإنسان ويريده، فنفى الله تعالى عن نبيه هذين الحالين، وغَوَى الرجل يَغْوي: إِذا سلك سبيل الفساد والعِوَج، ونفى الله تعالى عن نبيِّه ﷺ أَن يكون ضلَّ في هذه السبيل التي أَسلكه الله تعالى إِيَّاها، وأَثبت له تعالى في الضُّحى أَنه قد كان قبل النُّبُوَّة ضالاً بالإِضافة إِلى حاله من الرُّشد بعدها.

قوله تعالى: ﴿وَمَايَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ يريد تعالى: محمداً ﷺ أنه ليس بمتكلم عن هواه؛ أَي: بهواه وشهوته، وقال بعض العلماءِ: المعنى: وما ينطق القرآن المنزل عن هوًى وشهوة، ونسب تعالى النطق إِليه من حيث تفهم عنه الأمور، كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ﴾ [الجاثية: ٢٩]، وأَسند الفعل إِلى القرآن ولم يتقدم له ذكر؛ لدلالة المعنى عليه.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ يُراد به القرآن بإِجماع، و«الوحيُ»: إِلقاءُ المعنى في خفاءٍ، وهذه العبارة تعم المَلَك والإِلهام والإِشارة وكل ما يُحفظ من معاني الوحي.

---

(١) البيت لهبيرة بن أبي وهب المخزومي كما في سيرة ابن هشام (٢/ ٤٢٠)، والاشتقاق (ص: ١٥٢)، ونسب قريش (ص: ٤٠)، وأنساب الأشراف للبلاذري (٢/ ٤١)، والبيان والتبيين (٣/ ١٣٩). وتمثل به طريف بن العاصي كما في أمالي القالي (١/ ٧٢).

(٢) صدره: فَشَجَّ بِهَا الأَمَاعِزَ فَهْي تَهْوِي، وقد تقدم في تفسير الآية (٨١) من (سورة طه).

(٣) «كأنه» ليست في المطبوع.

والضمير في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ﴾ يحتمل أَن يكون للقرآن، والأَظهر أَنه لمحمد ﷺ.

وأَمَّا المُعَلِّم: فقال قتادة، والربيع[(١)]، وابن عباس: هو جبريل عليه السلام؛ أَي: علَّم محمداً ﷺ القرآن[(٢)]، وقال الحسن: المُعَلِّم الشَّديد القُوى: هو الله تعالى[(٣)].

و﴿ٱلْقُوَىٰ﴾ جمع قُوَّة، وهذا في جبريل عليه السلام متمكن، ويؤيده قوله تعالى: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير ٢٠].

و﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ معناه: ذو قُوَّة، قاله قتادة، وابن زيد، والربيع[(٤)].

ومنه قول النبي ﷺ: «لا تَحِلُّ الصَّدقة لِغَنِيٍّ ولا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ»[(٥)].

وأَصْل المِرَّة: من مرائر الحبل، وهي فَتْله وإِحكام عمله، ومنه قول امرئ القيس:

[الطويل]

.... بِكُلِّ مُمَرِّ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ[(٦)]

وقال قوم ممن قال إِنَّ «ذا المرَّة» جبريل: معنى ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: ذو هيئة حسنة.

وقال آخرون: بل معناه: ذو جسم طويل حسن، وهذا كله ضعيف.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٩٨).

(٢) معاني القرآن للفراء (٣/ ٩٤)، وقول مجاهد في تفسير الثعلبي (٩/ ١٣٥)، وقول منذر بن سعيد في البحر المحيط (١٠/ ٩).

(٣) البحر المحيط (١٠/ ١٠).

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٩٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٩٢).

(٥) صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٧-٣٨٩-٣٨٩)، وابن ماجه (١٨٣٩)، والنسائي في الكبرى (٢٣٨٩)، وأبو يعلى في مسنده (٦٤٠١)، وابن حبان في صحيحه (٣٢٩٠) من طريق سالم بن أبي الجعد، وابن خزيمة في صحيحه (٢٣٨٧)، وأبو يعلى (٦١٩٩) من طريق أبي حازم كلاهما ـ سالم بن أبي الجعد، وأبي حازم ـ عن أبي هريرة مرفوعاً، وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص أخرجه أحمد (٢/ ١٦٤-١٩٢)، والدارمي (١٦٣٩)، وأبو داود (١٦٣٤) والترمذي (٦٥٢) من طرق عن سعد بن إبراهيم، عن ريحان بن يزيد العامري، عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً.

(٦) صدره: فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ، انظر جمهرة أشعار العرب (ص: ١٣٣)، وشرح المعلقات للشيباني (ص: ١٥٧)، والكامل للمبرد (٣/ ٦٨)، وأمالي القالي (١/ ٥٨)، والأغاني (٢/ ١٨٨)، والأزمنة والأمكنة (ص: ٤١٨). والرواية الأكثر: مغار.

و(استوى) مُسْند إلى الله تعالى في قول الحسن الذي قال: إنه المُتَّصف بـ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾، وكذلك يجيءُ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ صفةً لله تعالى على معنى: وعظمتُه وقدرتُه وسُلطانُه نتلقى نحن أنه بالأُفق الأعلى، ويجيءُ المعنى نحو قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

ومن قال: إن المتَّصف بـ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ هو جبريل عليه السلام قال: إن (استوى) مستند إلى جبريل عليه السلام، واختلفوا بعد ذلك:

فقال الربيع، والزجاج: المعنى: فاستوى جبريل عليه السلام في الجوِّ وهو إذ ذاك بالأُفق الأَعلى، إذ رآه رسول الله ﷺ بحراءَ قد سدَّ الأُفق، له ست مئة جناح، وحينئذٍ دنا من محمد ﷺ حتى كان قاب قوسين[(١)]، وكذلك هو المرئي ـ في هذا القول ـ في «النَّزْلَة الأُخرى» في صفته العظيمة له ست مئة جناح عند السِّدرة.

وقال الطبري والفراءُ: المعنى: فاستوى جبريل[(٢)].

وقوله: ﴿وَهُوَ﴾ يعني محمداً ﷺ، وقد تقدَّم ذكره في الضمير في ﴿عَلَّمَهُۥ﴾، وفي هذا التأْويل العطفُ على المُضْمر المرفوع دون أَن يؤكد، وذلك عند النحاة مستقبَح.

وأَنشد الفراءُ حُجَّةً على قوله:

[الطويل] أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ النَّبْعَ يَصْلُـبُ عُـودُهُ ... ولا يَسْتَوِي وَالْخِرْوَعُ الْمُتَقَصِّفُ[(٣)]

وقد ينعكس هذا الترتيب فيكون (استوى) لمحمد ﷺ، و(هو) لجبريل عليه السلام.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠١)، وانظر معاني القرآن للزجاج (٥/ ٧٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠١)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٩٥).

(٣) معاني القرآن للفراء (٣/ ٩٥)، قال: أنشدنيه بعضُهم، والرواية فيه «يخلق» بدل «يصلب»، والبيت بلا نسبة في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٣٧)، وأساس البلاغة (٢/ ٨٣)، وفي الأصل: «الخزرع المتنصف»، وفي نجيبويه: «الجروع المتقصف».

وأَمَّا ﴿ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ فهو عندي لِقِمَّةِ الرأْس وما جرى معه.

وقال الحسن وقتادة: هو أُفُق مَشْرق الشمس[١]، وهذا التخصيص لا دليل عليه.

واختلف الناس، إِلى من استند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾.

فقال الجمهور: استند إِلى جبريل عليه السلام؛ أَي: دنا إِلى محمد ﷺ عند حراءٍ، فقال ابن عباس، وأَنس في حديث الإِسراءِ ما يقتضي أَنه مُسْتند إِلى الله تعالى[٢].

ثم اختلف المتأَولون؛ فقال مجاهد: كان الدُّنُوُّ إِلى جبريل[٣].

وقال بعضهم: كان إِلى محمد ﷺ[٤]، و﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ على هذا القول معه حذف مضاف؛ أَي: دنا سُلطانه ووحيُه وقَدَرُه. والانتقال وهذه الأَوصاف منتفيةٌ في حق الله تعالى.

والصحيح عندي: أَن جميع ما في هذه الآيات هو مع جبريل، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾، فإِن ذلك يقضي بنزلة متقدمة، وما روي قطُّ أَن محمداً ﷺ رأَى ربَّه عزَّ وجلَّ قبل ليلة الإِسراءِ، أَما إِنَّ رؤْية القلب لا تُمنع بحال.

و﴿دَنَا﴾ أَعم من (تَدَلَّى)، فبيَّن تعالى بقوله: ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ هيئة الدُّنُوِّ كيف كانت.

و﴿قَابَ﴾ معناه: قَدْرَ، وقال قتادة وغيره: معناه: من طرف العود إِلى طرفه الآخر[٥].

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠١).

(٢) أثر ابن عباس رضي الله عنه أخرجه الطبري (١٤/ ١٢٥) من طريق محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن ابن عباس قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ قال: دنا ربه فتدلى، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٣٢٨) عبد الرحمن بن شريك، عن أبيه، عن عطاء بن السائب، عن عكرمة، وعطاء، عن ابن عباس، ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ قال: هو محمد ﷺ دنا فتدلى إلى ربه عز وجل. وأما حديث أنس بن مالك فأخرجه البخاري (٧٥١٧).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠٥)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٣٨).

(٤) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠٥).

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٩٣) بتصرف.

وقال الحسن ومجاهد: من الوَتر إِلى العود في وسط القوس عند المقبض[١].

وقرأ محمد بن السَّمَيْفَع اليماني: (فكان قيسَ قَوْسَيْنِ)[٢]، والمعنى قريب من قاب، ومن هذه اللفظة قول النبي ﷺ: «لَقَابُ قَوْسِ أَحدكم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها»[٣]، وفي حديث آخر: «لَقَابُ قوس أَحدكم في الجنة»[٤].

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ معناه: على مقتضى نظر البشر؛ أَي: لو رآه أَحدكم لقال في ذلك: قوسان أَو أَدنى، وقال أَبو رزين: ليست بهذه القوس، ولكن قدر الذراعين أَو أَدنى[٥].

وحكى الزهراوي عن ابن عباس: أَن القوس في هذه الآية: ذراع تُقاس به الأَطوال، وذكره الثعلبي، وأَنه من لغة الحجاز[٦].

قوله تعالى: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾، قال ابن عباس: المعنى: فأَوحى الله تعالى إِلى عبده محمد ﷺ ما أَوحى[٧]، وقال بعض العلماءِ: المعنى: فأَوحى الله تعالى

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠٣).

(٢) وهي شاذة، لم أجد له فيها سلفاً ولا خلفاً، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٤٥١) عن زيد بن علي: (قاد قوسين)، وعن ابن عمير: (قدر).

(٣) لم أهتد إليه بهذا اللفظ.

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب»، وقال: «لغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب». وأخرجه البخاري (٢٦٤٣) وفيه: «خير من الدنيا وما فيها» بدل «خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب».

(٥) الطبري (٢٢/ ٥٠٣).

(٦) حسن، أخرجه الطبراني في الكبير (١٢٦٠٣) عن يوسف بن يزيد بن كامل القراطيسي، عن، يعقوب بن أبي عباد المكي، عن إبراهيم بن طهمان، عن عاصم، عن زر، عن ابن عباس: في قوله ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ قال: القاب: القيد، والقوسين: الذراعين. ومن طريق الطبراني أخرجه الضياء في المختارة (٣٩) به. وانظر نقل الثعلبي (٩/ ١٣٩) عن أبي إسحاق.

(٧) رجاله ثقات، أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٢٨٥)، والنسائي في الكبرى (١١٥٣٨)، والطبري =

إِلى عبده جبريل عليه السلام ما أَوحى، وفي قوله تعالى: ﴿مَآ أَوۡحَىٰ﴾ إِبهام على جهة التفخيم والتعظيم، والذي عُرف من ذلك فرض الصلاة.

وقال الحسن: المعنى: فأَوحى جبريل إِلى عبد الله محمد ﷺ ما أَوحى، كالأَول في الإِبهام[١].

وقال ابن زيد: المعنى: فأَوحى جبريل إِلى عبد الله محمد ما أوحى الله / تعالى إِلى جبريل[٢]. [٥/ ١٤٢]

قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾، قرأَ جمهور القُرَّاءِ بتخفيف الذَّال على معنى: لم يكذب قلب محمد ﷺ الشيءَ الذي رأَى، بل صدَّقه وتحقَّقه نظراً، و«كَذَبَ» يَتَعَدَّى.

وقال أَهل التأْويل، ومنهم ابن عباس، وأَبُو صالح: رأَى محمد ﷺ الله تعالى بفؤاده[٣].

وقال النبي ﷺ: «جعل الله تعالى نور بصري في فؤادي فنظرتُ إِليه بفؤادي»[٤].

وقال آخرون من المتأَولين: المعنى[٥]: ما رآه بعينه لم يكذب ذلك قلبه، بل صدَّقه وتحققه.

ويحتمل أَن يكون التقدير: فيما رأَى.

= (٢٢/ ٢٠)، من طريق معاذ بن هشام، عن أبيه، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ قال: عبده محمد.

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠٦)، تفسير الثعلبي (٩/ ١٣٩) بتصرف.

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠٦)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٣٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٦) عن ابن عباس قال: رآه بقلبه، وفي لفظ: رآه بفؤاده مرتين، وقول الضحاك في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠٨).

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ١٢٥) من سعيد بن زربي، عن عمر بن سليمان، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنه بلفظ مطول. وسعيد بن زربي أبو عبيدة البصري متفق على ضعفه. انظر الميزان (٢/ ١٣٦).

(٥) «المعنى» ليست في المطبوع والأسدية والحمزوية.

وقال ابن عباس فيما رُوي عنه، وعِكْرِمة، وكعب الأَحبار: إِن محمداً ﷺ رأَى ربَّه عزَّ وجلَّ بعيني رأْسه، وبسط الزهراوي هذا الكلام عنهم(١).

وأَبت عائشة رضي الله عنها، وقالت: أَنا سأَلت رسول الله ﷺ عن هذه الآيات فقال لي: «هو جبريل فيها كلها»(٢).

وقال الحسن: المعنى: ما رأَى من مقدورات الله تعالى وملكوته(٣).

وسأَل أَبو ذرٍّ النبيَّ ﷺ: هل رأَيت ربَّك؟ فقال: «هو نورٌ أَنَّى أَرَاه»(٤).

وهذا هو قول الجمهور، وحديث عائشة عن النبي ﷺ قاطع لكل تأْويل في اللفظ؛ لأَن قول غيرها إِنما هو منتزعٌ من أَلفاظ القرآن.

وقرأَ ابن عامر فيما روى عنه هشام: ﴿ما كذَّب﴾ بتشديد الذَّال، وهي قراءَة أَبي رجاءٍ، وأَبي جعفر، وقتادة، والجحدري، وخالد(٥)، ومعناه بيِّن على بعض ما قلناه.

وقال كعب الأَحبار: إِن الله تعالى قسم الكلام والرؤْية بين موسى ومحمد عليهما السلام: فكلَّم موسى مرَّتين، ورآه محمد مرَّتين(٦).

وقالت عائشة رضي الله عنها: لقد قَفَّ شعري لسماع هذا، وتلت: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣](٧).

---

(١) انظر: «رؤية الله» للدارقطني (ص: ٣٤٤) فقد أخرج جميع الروايات عن ابن عباس في هذا الباب.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧) عن مسروق، قال: كنت متكئاً عند عائشة...، الحديث.

(٣) البحر المحيط (١٠/ ١٢).

(٤) أخرجه مسلم (١٧٨) عن عبد الله بن شقيق، عن أبي ذر، قال: سألت رسول الله ﷺ، هل رأيت ربك؟ قال: «نور أنى أراه».

(٥) والباقون بالتخفيف، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٤)، والنشر (٢/ ٢٧٩). وفي المطبوع: «ابن عباس» بدل «ابن عامر».

(٦) تفسير الطبري (٢٢/ ٥١٢)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٩٥).

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٦٥٥)، ومسلم (١٧٧). وفي المطبوع: «وقلت» بدل «وتلت».

وذهبت هي وابن مسعود، وقتادة، وجمهور العلماءِ: إِلى أَن المرئي هو جبريل عليه السلام في المرتين: في الأَرض وعند سِدرة المنتهى ليلةَ الإِسراءِ[١]، وقد ذكرتها في (سورة سبحان)، وهي مشهورة في كتب الصحاح.

وقرأَ ابن كثير، وعاصم، وابن عامر هذه السُّورة كلها بفتح أَواخر الآيات فيها.

وأَمال عاصم ـ في رواية أَبي بكر ـ ﴿رَأَىٰ﴾.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، بين الفتح والكسر.

وأَمال حمزة والكسائي جميع ما في السُّورة.

وأَمال أَبو عمرو ـ فيما روى عنه أَبو عبيد ـ ﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾ و(تَدَلَّى)[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ خطاب لقريش، وهو من الْمِرَاءِ، والمعنى: أَتجادلونه في شيءٍ رآه وأَبصره؟ وهذه قراءَة الجمهور وأَهل المدينة.

وقرأَ علي بن أَبي طالب، وابن عباس، وابن مسعود، وحمزة والكسائي: ﴿أَفَتَمْرُونَهُ﴾ بفتح التاءِ دون أَلف بعد الميم[٣]، والمعنى: أَفتجحدونه، وذلك أَن

---

(١) أثر عبد الله بن مسعود أخرجه أحمد (١/ ٣٩٤-٤١٨)، والترمذي (٣٢٨٣)، والنسائي في الكبرى (١١٤٦٧-١١٤٧٧) من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل، في حلة من رفرف، قد ملأ ما بين السماء والأرض.

(٢) غير دقيق، فمذهب أبي عمرو تقليل جميع رؤوس الآي إلا الرائي فبالإضجاع.

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٤)، وانظر الباقين في تفسير الثعلبي (٩/ ١٤١) وزاد عائشة ومسروقاً.

قريشاً لـما أَخبرها رسول الله ﷺ بأَمره في الإِسراءِ مستقصى كذَّبوا واستخفُّوا حتى وصف لهم بيت المقدس وأَمْرَ عِيرهم وغير ذلك مما هو في حديث الإِسراءِ مستقصى.

ورواها سعيد عن النَّخَعي: (أَفَتُمْرُونَهُ) بضم التاءِ، قال أَبو حاتم: وذلك غلط من سعيد[١].

وقوله تعالى: ﴿يَرَىٰ﴾ مستقبلاً، والرُّؤْية ـ قد مضت ـ: عبارة تعُمُّ جميع ما مضى وتشير إِلى ما يمكن أَن يقع بَعْدُ. وفي هذا نظر.

واختلف الناس في الضمير في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ حسب ما قدَّمناه:

فقال ابن عباس، وكعب الأَحبار: هو عائد على الله تعالى.

وقال ابن مسعود، وعائشة، ومجاهد، والربيع: هو عائد على جبريل[٢].

و﴿نَزْلَةً﴾ معناه: مَرَّة، ونصبه على المصدر في موضع الحال.

و﴿سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾: هي شجرة نَبْق.

قال كعب: هي في السماءِ السابعة[٣]، وروى ذلك مالك بن صَعْصَعة، عن النبي ﷺ[٤].

وقال ابن مسعود: في السماء السادسة[٥].

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له مع قول أبي حاتم في تفسير الثعلبي (٩/ ١٤٢).

(٢) تقدم مقتضى هذه الأقوال كلها، وانظر تفسير الطبري (٢٢/ ٥١٢).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٥١٤)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٤٢-١٤٣).

(٤) أخرجه مسلم (١٦٤) بلفظ مطول، وهو عند الطبري (٢٢/ ٣٦) عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة قال: قال نبي الله ﷺ: «لما انتهيت إلى السماء السابعة أتيت على إبراهيم، فقلت: يا جبريل، من هذا؟ قال: هذا أبوك إبراهيم، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح. قال: ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فحدث نبي الله أن نبقها مثل قلال هجر وأن ورقها مثل آذان الفيلة».

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٤) من طريق سهل بن عامر، عن مالك بن مِغْول، عن الزبير بن عدي، عن طلحة اليامي، عن مرة، عن عبد الله بلفظ مطول. وسهل بن عامر البجلي ضعيف. وانظر الميزان (٢/ ٢٣٩).

وقيل لها ﴿سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾؛ لأَنها إِليها ينتهي علم كل عالم، ولا يعلم ما وراءَها صُعُداً إِلَّا الله تعالى، وقيل: سُمِّيت بذلك: لأَنها إِليها ينتهي من مات على سُنَّة النبي ﷺ.

قال القاضي أبو محمد: هم المؤمنون حقّاً من كل جيل.

وقيل: سُمِّيت بذلك: لأَن ما نزل من أَمر الله تعالى فعندها يُتَلَقَّى، ولا يتجاوزها ملائكة العلو، وما صَعِدَ من الأَرض فعندها يُتَلَقَّى ولا يتجاوزها ملائكة السُّفل.

ورُوي عن رسول الله ﷺ: أَن الأُمة من الأُمم تستظل بظلِّ الفَنَن منها[١]، وقال رسول الله ﷺ: «رُفعت لي سدْرَة المنتهى فِإذا نَبقُهَا مثل قِلال هَجَر، وإِذا ورقها مثل آذان الفيَلَة»[٢].

قوله تعالى: ﴿فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا﴾ [السجدة: ١٩]، قال الجمهور: أَراد تعالى أَن يعظم مكان السِّدْرة ويشرفه بأَن جنة المأْوى عندها، قال الحسن: وهي الجنة التي وعد بها العالم المؤمن[٣].

وقال قتادة، وابن عباس ـ بخلاف ـ: هي جنة تأْوي إِليها أَرواح الشهداءِ والمؤمنين وليست بالجنة التي وعد بها المؤمنون جنة النعيم[٤]. وهذا يحتاج إِلى سند، وما أَراه يصح عن ابن عباس.

---

(١) حسن، أخرجه الترمذي (٢٥٤١)، والطبري (٢٢/ ٥١٧)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣١٤١)، والطبراني في الكبير (٢٣٤) من طريق يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن يحيى ابن عباد، عن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله ﷺ، وذكر سدرة المنتهى، قال: «يسير الراكب في ظل الفنن منها مئة سنة، أو يستظل بظلها مئة راكب ـ شك يحيى ـ فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال».

(٢) هذا جزء من حديث الإسراء الذي أخرجه البخاري (٣٢٠٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) انظره مع قول قتادة الآتي في تفسير القرطبي (١٧/ ٩٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥١٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هي عن يمين العرش، وهي منزل الشهداء.

وقرأ علي بن أَبي طالب، وأَنس بن مالك ـ بخلاف ـ وابن الزبير، وأَبو الدرداءِ، وزرُّ ابن حُبَيْش، وقتادة، ومحمد بن كعب: (جَنَّهُ المَأْوَى) بالهاءِ في (جَنَّهُ)[(١)]، وهو ضمير محمد ﷺ، والمعنى: سَتَرَه وضمَّه إِيواءُ الله تعالى وجميلُ صنعه به، يقال: جَنَّه الليلُ، وأَجَنَّه.

وردَّت عائشة وصحابة معها ـ رضي الله عنهم ـ هذه القراءَة وقالوا: أَجَنَّ الله من قرأَها[(٢)].

والجمهور قرأَ: ﴿جَنَّةُ﴾ كالآية الأُخرى: ﴿فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًا﴾ [السجدة: ١٩].

وحكى الثعلبي أَن معنى (جنه المأوى): ضَمَّه المبيتُ والليل[(٣)].

وقوله: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾، العامل في ﴿إِذْ﴾: ﴿رَءَاهُ﴾، والمعنى: رآه في هذه الحال.

و﴿مَا يَغْشَىٰ﴾ معناه: من قدرة الله تعالى وأَنواع الصِّفات التي يخترعها لها، وذلك مُبْهَم على جهة التفخيم والتعظيم، وقال مجاهد: ذلك تَبَدُّل أَغصانها دُرّاً وياقوتاً ونحوه[(٤)].

وقال ابن مسعود[(٥)]، ومسروق، ومجاهد، وإِبراهيم: ذلك جراد من ذهب كان يغشاها[(٦)].

وروى ابن عباس: أَن النبي ﷺ قال: «رأَيتها ثم حال دونها فراش من الذهب»[(٧)].

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لهم في: المحتسب (٢/ ٢٩٢).
(٢) انظر البحر المحيط (١٠/ ١٣).
(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ١٤٤).
(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٠).
(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٢/ ٥١٩) من طريق سهل بن عامر، عن مالك بن مِغْول، عن الزبير ابن عدي، عن طلحة اليامي، عن مرة، عن عبد الله: قال: غشيها فراش من ذهب. وسهل بن عامر البجلي ضعيف. وانظر الميزان (٢/ ٢٣٩).
(٦) تفسير الطبري (٢٢/ ٥١٩). «وإبراهيم» ليست في الأصل.
(٧) ضعيف جدّاً، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٥١٩)، وأبو يعلى في مسنده (٢٦٥٦) من طريق =

وقال الربيع[١]، وأَبو هريرة: كان يغشاها الملائكة كما تغشى الطير/ الشجر[٢]. [٥/ ١٤٣]

وقيل غير هذا مما هو تكلُّف في الآية؛ لأَن الله تعالى أَبهم ذلك وهم يريدون شرحه.

وقد قال رسول الله ﷺ: «فغشيها أَلوان لا أَدري ما هي»[٣].

وقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾، قال ابن عباس: معناه: ما جال هكذا ولا هكذا[٤]، وقوله: ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ معناه: ولا تجاوز الحدَّ المرئي، بل وقع عليه وقوعاً صحيحاً، وهذا تحقيق للأَمر ونفْيٌ لوجوه الريب عنه.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾؛ قالت جماعة من أَهل التأويل: لقد رأَى الكبرى من آيات ربِّه، والمعنى: من آيات ربِّه التي يمكن أَن يراها البشر، فـ﴿رَأَىٰ﴾.

وقال آخرون: المعنى: لقد رأَى بعضاً من آيات ربِّه الكبرى، فـ﴿ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ على هذا وصف للآيات، والجمع مما لا يعقل في المؤنث يوصف أَبداً على حدِّ وصف الواحدة.

= أبي خالد الأحمر، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس مرفوعاً بنحوه. وجويبر بن سعيد الأزدي ضعيف جدّاً، والضحاك بن مزاحم لم يلق ابن عباس، ولم يسمع منه. وانظر: جامع التحصيل (٣٠٤). و«من» من المطبوع والأسدية ٤.

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٤٣).

(٢) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٢٠) من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية الرياحي، عن أبي هريرة أو غيره ـ شك أبو جعفر الرازي ـ قال: «لما أسري بالنبي ﷺ انتهى إلى السدرة، قال: فغشيها نور الخلاق، وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجر قال: «فكلمه عند ذلك، فقال له: سل»». وأبو جعفر الرازي سيئ الحفظ لا يقبل تفرده.

(٣) متفق عليه، هذا جزء من حديث الإسراء الذي أخرجه البخاري (٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) صحيح، أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٢١) من طريق سفيان، عن منصور، عن مسلم البطين، عن ابن عباس في قوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾. قال: ما زاغ يميناً ولا شمالاً، ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾: وما جاوز ما أمر به. ومسلم بن البطين وإن كان لم يدرك ابن عباس، فروايته عنه بواسطة سعيد بن جبير، وقد أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٩) من طريق سفيان، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس بنحوه.

وقال ابن مسعود، وابن عباس رضي الله عنهما: رأى رفرفاً أخضر من الجنة قد سدَّ الأُفق(١).

وقال ابن زيد: رأى جبريل عليه السلام في الصورة التي هو بها في السماوات(٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ مخاطبة لقريش، وهي من رؤْية العين؛ لأَنه أَحال على أَجرام مرئية، ولو كانت «رأى» التي هي استفتاءٌ لم تَتَعَدَّ.

ولما فرغ من ذكر عظمة الله تعالى وقدرته قال ـ على جهة التوقيف ـ: أَرأَيتم هذه الأَوثان وحقارتها وبُعدها عن هذه القدرة والصفات العلية؟

و﴿ٱللَّٰتَ﴾: اسم صنم كانت العرب تُعظِّمه، قال أَبو عبيدة وغيره: كان في الكعبة(٣).

وقال قتادة: كان بالطائف، وقال ابن زيد: كان بِنَخْلَة عند سوق عكاظ(٤).

وقول قتادة أَرجح، ويؤيده قول الشاعر:

وَفَـرَّتْ ثَـقيـفٌ إِلَـى لَاتِـهَـا ... بمُـنْقَلَـبِ الْخَائِـفِ الْخَاسِـرِ(٥) [المتقارب]

---

(١) أثر عبد الله بن مسعود أخرجه البخاري (٣٢٣٣) من طريق الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود رضي الله عنه، وأما قول ابن عباس فقد ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٨/ ١٥٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٢).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٣٦).

(٤) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٣)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٤٥).

(٥) لضرار بن الخطاب الفهري كما في الأغاني (٢٢/ ٧٤)، وسيرة ابن هشام (١/ ٤٧)، قال: أنشدنيه له أبو عبيدة النحوي.

والتَّاءُ في «الَّـلاتِ» لام فعل، كالباءِ من باب، وقال قوم: هي تاءُ التأْنيث، والتصريف يمنع ذلك.

وقرأَ ابن عباس، ومجاهد، وأَبو صالح: ﴿اللَّاتَّ﴾ بشدِّ التاءِ[١].

وقالوا: كان هذا الصنم حجراً، وكان عنده رجل من بَهز يَلُتُّ سَوِيق الحاج على ذلك الحجر ويخدم الأَصنام، فلما مات عبدوا الحجر الذي كان عنده إِجلالاً لذلك الرجل وسمَّوه باسمه.

ورُويت هذه القراءَة عن ابن كثير، وابن عامر[٢].

و(العُزَّى) صخرة بيضاءُ كانت العرب أَيضاً تعبدها وتُعَظمها، قاله سعيد بن جبير.

وقال مجاهد: كانت شُجيرات تُعبد، ثمَّ بِبِلاها انتقل أَمرها إِلى صخرة[٣].

و(عُزَّى) مؤنثة «عزيز»؛ ككُبْرى وعُظْمَى، وكانت هذه الأَوثان [تُعَظِّم الوثنَ منها قبيلةٌ وتَعبدها][٤]، ويجيءُ كل من عزَّ من[٥] العرب فيعظمها بتعظيم حاضرها.

وقال أَبو عبيدة مَعْمر: كانت العُزَّى ومناة في الكعبة.

وقال ابن زيد: كانت العُزَّى في الطائف، وقال قتادة: كانت بنَخْلة[٦].

وأَمَّا مناة فكانت بالمشلَّل من قَديد، وذلك بين مكة والمدينة، وكانت أَعظم

---

(١) وهي عشرية لرويس كما في النشر (٢/ ٣٧٩)، وانظر نسبتها للمذكورين فيه، وفي الثعلبي (٩/ ١٤٥)، ومختصر الشواذ (ص: ١٤٧).

(٢) وهي رواية الوليد بن مسلم عن يحيى عن ابن عامر، واللهبي عن البزّي عن ابن كثير، كما في جامع البيان (٤/ ١٦١٢).

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٤)، والهداية لمكي (١١/ ٧١٥٩) بتصرف.

(٤) في المطبوع: «تعظمُ وتُعبد، الوثنُ منها له قبيلة تعبده».

(٥) «من» زيادة من نور العثمانية، وفي أحمد٣: «على».

(٦) مجاز القرآن (٢/ ٢٣٦)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٣)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٤٥).

هذه الأَوثان قدراً، وأَكثرها عابداً، وكانت الأَوس والخزرج تُهِلُّ لَهَا[١]، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾، فأَكَّدها بهاتين الصفتين، كما تقول: رأَيت فلاناً وفلاناً، ثم تذكر ثالثاً أَجلَّ منهما فتقول: وفلاناً الآخر الذي من أَمره وشأْنه، ولفظة «آخَر» و«أُخرى» يوصف بهما الثالث من المعدودات، وذلك نصٌّ في الآية، ومنه قول ربيعة بن مكرم:

[الكامل] وَلَقَدْ شَفَعْتُهُمَا بآخَرَ ثَالِثٍ[٢] ....

وهو التأْويل الصحيح في قول الشاعر:

[مجزوء الكامل] جَعَلت لَـهَـا عُـودَيْـنِ مِـنْ نَـشَـمٍ وَآخَـرَ مِـنْ ثُـمَـامَـهْ[٣]

وقرأَ ابن كثير وحده: ﴿وَمَنَاءَةَ﴾ بالهمز والمدِّ، وهي لغة فيها، والأَول أَشهر وهي قراءَة الناس[٤]، ومنها قول جرير:

[الوافر] أَزَيْـدَ مَنَـاةَ تُوعِـدُ يابْـنَ تَيْـمٍ تَأَمَّـلْ أَيْـنَ تَـاهَ بِـكَ الْوَعِيـدُ[٥]

ووقف تعالى الكفارَ على هذه الأَوثان وعلى قولهم فيها؛ لأَنهم كانوا يقولون: هي بناتُ الله، فكأَنه قال: أَرأَيتم هذه الأَوثان وقولكم هي بنات الله؟ ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾؟ أَي: النَّوْعُ المستحسنُ المحبوبُ هو لكم وموجودٌ فيكم، والمذمومُ المستثقلُ عندكم هو له بزعمكم؟ ثم قال تعالى ـ على جهة الإِنكار ـ: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾؛ أَي: عوجاءُ، قاله مجاهد[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٣)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٤٥).
(٢) تقدم في تفسير الآية (٨١) من (سورة النمل)، وأنه لربيعة بن مكدم.
(٣) تقدم في تفسير الآية (٨١) من (سورة النمل). والنَّشَم: شجر جبليٌّ تُتَّخذ منه القِسِيُّ، والثُّمام: نبت ضعيف له خوصٌ أو ما يُشبهه.
(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٤).
(٥) البحر المحيط (١٠/ ١٦)، والدر المصون (١٠/ ٩٣)، وهو في ديوانه من قصيدة مطلعها:
ألا زارت وأهل منى هجود.
(٦) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٦)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٩٩)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٤٦).

وقيل: ﴿ضِيزَىٰٓ﴾ معناه: جائرة، قاله ابن عباس[١] وقتادة.

وقال سفيان: معناه: منقوصة، وقال ابن زيد: معناه: مُخَالِفَة[٢].

والعرب تقول: ضِزْتُه حقَّه، أَضيزُه؛ بمعنى: منعتُه منه وظلمتُه فيه، و«ضِيزَى» من هذا التصريف، وأَصْلها فُعْلَى بضم الفاءِ «ضُوزَى» لأَنه القياسُ؛ إِذْ لا يوجد في الصفات فِعْلى بكسر الفاءِ، كذا قال سيبويه وغيره[٣]، فإِذا كان هذا فهي «ضُوزَى» كسروا أَولها كما كُسِر أَوَّل: عِينٍ وبيضٍ؛ طلبَ التخفيف؛ إِذ الكسرة والياءُ أَخف من الضمة والواو، كما قالوا: بِيُوتٌ وعِصيٌّ، وهي في الأصل فُعول بضم الفاءِ، وتقول العرب: ضُزْتُه أَضُوزُه، فكان يلزم على هذا التصريف أَن يكون «ضُوزَى» فُعْلَى، وفي جميع هذا نظر.

وقرأَ ابن كثير: ﴿ضِئْزَى﴾ بالهمز على أَنه مصدر كـ: ذِكْرى، وقرأَ الجمهور بغير همز[٤].

ثم قال تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ﴾؛ يعني تعالى: أَن هذه الأَوصاف ـ من أَنها إِناثٌ، وأَنها تُعبد من دون الله آلهة ونحو هذا ـ ما هي إِلَّا أَسماءٌ، أَي تسمياتٌ اخترعتموها أَنتم وآباؤُكم، لا حقيقة لها، ولا أَنزل الله تعالى بها بُرهاناً ولا حُجَّة.

وقرأَ عيسى بن عمر: (سُلُطَانٍ) بضم اللام[٥].

وقرأَ هو وابن مسعود، وابن عباس، وابن وثاب، وطلحة، والأَعمش: (إن تَتَّبِعُونَ) بالتَّاءِ على المخاطبة[٦].

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٢٧) من طريق ابن لهيعة، عن ابن أبي عمرة، عن عكرمة، عن ابن عباس فذكره، وابن لهيعة ضعيف.

(٢) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٩٩)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٤٦).

(٣) انظر الكتاب لسيبويه (٤/ ٣٦٤).

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٤).

(٥) وهي شاذة، تقدم مثلها مراراً.

(٦) وهي شاذة، انظر عزوها لهم في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥٢)، وقراءة الجمهور هي المتواترة.

وقرأ أبو عمرو، وعاصم، ونافع، والأعمش أيضاً، والجمهور: ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ بالياءِ على الحكاية عن الغائب / . [٥/ ١٤٤]

و﴿ٱلظَّنَّ﴾: مَيْلُ النفس إِلى أَحد معتقديْن متخالفيْن دون أَن يكون ميلها بحجَّة ولا بُرهان.

و«هَوَى الأَنْفس»: هو إِرادتها الملذة لها، وإِنما تجد هوى النفس أبداً في ترك الأَفضل لأَنها مجبولة بطبعها على حب الملاذ، وإِنما يردعها ويسوقها إِلى حسن العاقبة العقلُ والشرع.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ اعتراضٌ بين الكلام فيه توبيخ لهم؛ لأَن سرد القول إِنما هو: (إِن يتبعون إِلَّا الظن وما تهوى الأَنفس، أَم للإِنسان ما تمنى)، [وقف على جهة التوبيخ والإنكار لحالهم ورأيهم][١]، ثم اعترض بعد قوله: ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ بقوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾؛ أَي: يفعلون هذه القبائح والهدى حاضر والحالُ هذه، فقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ جملة في موضع الحال.

و﴿ٱلْهُدَىٰٓ﴾ المشار إِليه هو محمد ﷺ وشرعُه.

وقرأ ابن مسعود، وابن عباس: (ولقد جاءكم من ربكم) بالكاف فيهما.

وقال الضحاك عنهما: إِنهما قرأا: «ولقد جاءك من ربك»[٢].

و(الإِنْسانُ) في قوله: ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ﴾ اسم الجنس، كأَنه تعالى يقول: ليست الأَشياءُ بالتمني والشهوات، إِنما الأَمر كله لله تعالى، والأَعمال جارية على قانون أَمره ونهيه، فليس لكم أَيُّها الكفرة مرادكم في قولكم: هذه آلهتنا وهي تنفعنا وتُقَرِّبنا زُلفى، ونحو هذا.

وقال ابن زيد، والطبري: (الإِنسان) هنا هو محمد ﷺ[٣]؛ بمعنى: أَنه لم ينل

---

(١) سقط من المطبوع والحمزوية.
(٢) وهما شاذتان، لم أجد للمصنف فيهما سلفاً ولا خلفاً.
(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٩).

كرامتَنا بتأْميل، بل بفضل من الله تعالى، أَو بمعنى: بل إِنه تمنى كرامتنا فنالها؛ إِذ الكلُّ لله تعالى يهب ما شاء، وهذا لا(١) تقتضيه الآية وإِن كان اللفظ يعمه.

و﴿ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ﴾: الدَّاران؛ أَي: له كل أَمرهما ملكاً، ومقدوراً، وتحت سلطانه.

وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾ الآية؛ ردٌّ على قريش في قولهم: الأَوثان شفعاؤُنا، كأَنه تعالى يقول: هذه حال الملائكة الكرام فكيف بأَوثانكم؟ و﴿كَمۡ﴾ للتكثير، وهي في موضع رفع بالابتداءِ، والخبر ﴿لَا تُغۡنِي﴾، والغِنَى: جَلْبُ النَّفع ودفع الضرِّ بحسب الأَمر الذي يكون فيه الغِنَى، وجمع الضمير في ﴿شَفَٰعَتُهُمۡ﴾ على معنى ﴿كَمۡ﴾.

ومعنى الآية: أَنْ يأْذن الله تعالى في أَن يُشفع لشخص ما يرضى عنه، كما أذن في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾ [غافر: ٧] الآية.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾: هم كفَّار العرب.

وقوله: ﴿لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ معناه: ليصفون الملائكة بأَوصاف الأُنوثة، وأَخبر الله تعالى عنهم أَنهم لا علم لهم بذلك، وإِنما هي ظنون منهم لا حُجَّة لهم عليها.

وقرأَ ابن مسعود: (مِنْ عِلْم إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ)(٢).

---

(١) في المطبوع: «ما» بدل «لا».

(٢) وهي شاذة، لم أجد للمصنف فيهما سلفاً ولا خلفاً، وعزاها الخطيب في معجم القراءات (٩/ ١٩٣) لبعض المصادر وليست فيها.

وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ يعني: في المعتقدات والمواضع التي يريد الإِنسان أَن يُحَرِّر ما يفعل ويعتقد، فإِنها مواضع حقائق لا تنفع الظُّنون فيها، وأَما في الأحكام وظواهرها فَيُجْتَزَى فيها بالظنونات.

ثم سلَّى تعالى نبيَّه ﷺ وأَمره بالإِعراض عن هؤلاءِ الكفرة، وما في الآية من موادعتهم منسوخ بآية السيف.

وقوله: ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ معناه: أَنه لا يُصدق بغيرها، وسعيُه كله وعملُه إِنما هو لدنياه.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ معناه: هنا انتهى تحصيلهم من المعلومات، وذلك أَن المعلومات منها ما هي معقولات نافعة في الآخرة، ومنها ما هي في أُمور فانية وأَشخاص بادية؛ كالفلاحة، وكثير من الصنائع، وطلب الرياسة على الناس بالمخرقة، وكلها معلومات ولها علم، ومبلغ علم الكفرة إِنما هو في هذه الدُّنياويَّات.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ الآية؛ متصلٌ في معنى التَّسلية بقوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ الآية، وعيدٌ للكفَّار ووعْدٌ للمؤمنين.

وأَسند الضَّلاَلَة والهدى إِليهم بكَسْبِهِم وإِن كان الجميع خلْقاً له واختراعاً.

واللَّام في قوله: ﴿لِيَجْزِىَ﴾ متعلقة بقوله تعالى: ﴿ضَلَّ﴾، وبقوله تعالى: ﴿ٱهْتَدَىٰ﴾، فكأَنه تعالى قال: ليصير أَمرهم جميعاً إِلى أَن يجزيَ.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ اعتراضٌ بين الكلام.

وقال بعض النحويين: اللام متعلقة بما في المعنى من التقدير، لأَن تقديره: ولله ما في السماوات وما في الأَرض، يضل من يشاءُ ويهدي من يشاءُ لِيَجْزِيَ.

والنظر الأَول أَقل تكلُّفاً من هذا الإِضمار.

وقال قوم: اللام متعلقة بقوله تعالى في أَول السورة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾، وهذا بعيد.

و(الْـحُسْنَى): هي الجنة، ولا حُسْنى دونها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعتٌ لـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ المتقدم قبله.

و﴿يَجۡتَنِبُونَ﴾ معناه: يَدَعُونَ جانباً.

وقرأ جمهور القراءِ والناس: ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾، وقرأ ابن وثاب، وطلحة، والأَعمش، وعيسى، وحمزة، والكسائي: ﴿كبير الإثم﴾ على الإِفراد الذي يراد به الجمع(١).

وهذا كقوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١]، وكقوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩] ونحو هذا.

واختلف الناس في الكبائر، ما هي؟ فذهب الجمهور: إِلى أَنها السَّبع الموبقات التي وردت في الأَحاديث، وقد مضى القول في ذكرها واختلاف الأَحاديث فيها في (سورة النساءِ)/. [٥/ ١٤٥]

وتحرير القول في الكبائر: أَنها كل معصية يوجد فيها حدٌّ في الدنيا وتَوَعُّدٌ بنار في الآخرة، أَو لعنة، أَو نحو هذا خاصّاً بها، فهي كثيرة العدد، ولهذا قال ابن عباس حين قيل له: أَسَبْعٌ هي؟ فقال: هي إِلى السبعين أَقربُ منها إِلى السبع(٢).

---

(١) انظر نسبتها لجمهور السبعة وحمزة والكسائي في: التيسير (ص: ١٢٦)، وانظر نسبتها للأعمش في: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٩٣)، وانظر موافقة ابن وثاب في: تفسير القرطبي (١٧/ ١٠٦)، ولم أقف على نسبتها للباقين.

(٢) صحيح، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٥٥)، وفي المصنف (١٩٧٠٢)، والطبري (٨/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم (٥٢١٦) وغيرهم من طرق صحيحة عن طاوس عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وقد رواه ابن أبي حاتم (٥٢١٧) بإسناد حسن عن سعيد بن جبير قال: إن رجلاً سأل ابن عباس: كم الكبائر؟ سبعاً هي؟ قال: هي إلى سبع مئة أقرب منها إلى سبع، وإنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار.

وقال زيد بن أَسلم: كبير الإِثم هنا يرادُ به الكفر[١].

و(الفواحش) الفواحش هي المعاصي المذكورة.

وقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ هو استثناءٌ يصح أَن يكون متصلاً، وإِن قدرتَه منقطعاً؛ ساغ ذلك.

واختلف في معنى ﴿ٱللَّمَمَ﴾:

فقال ابن عباس[٢]، وابن زيد: معناه: ما أَلَـمُّوا به من الشرك والمعاصي في الجاهلية قبل الإِسلام[٣].

قال الثعلبي، عن ابن عباس، وزيد بن ثابت[٤]، وزيد بن أَسلم، وأَبيه: إِن سبب الآية أَن الكفار قالوا للمسلمين: قد كنتم بالأَمس تعملون أَعمالنا، فنَزلت الآية[٥]. فهي مثل قوله تعالى: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣].

وقال ابن عباس وغيره: معناه ما أَلَمُّوا به من المعاصي؛ الفلتة والسقطة دون دوام، ثم يتوبون منه[٦].

وذكر الطبري عن الحسن بن أَبي الحسن أَنه قال: هي اللَّمَّة من الزِّنا والسرقة

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٣١-٥٣٢)، بتصرف.

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٣٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما مختصراً.

(٣) انظر تفسير الماوردي (٥/ ٤٠٠)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٥٣٢) بتصرف يسير.

(٤) أثر ابن عباس أورده الثعلبي بلا سند (٩/ ١٤٨)، وأما أثر زيد فأخرجه الطبري (٢٢/ ٥٣٢) من طريق عبد الله بن عون، عن محمد بن سيرين، عن زيد بنحوه.

(٥) تفسير الثعلبي (٩/ ١٤٨).

(٦) صحيح، أخرجه الترمذي (٣٢٨٤)، والطبري (٢٢/ ٥٣٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٨٥)، وفي الشعب (٧٠٥٦) من طريق زكريا ابن إسحاق، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قال: هو أن يأتي الرجل الفاحشة ثم يتوب منها. قال: وقال رسول الله ﷺ «اللهم إن تغفر تغفر جماً، وأي عبد لك لا ألما».

وشرب الخمر ثم لا يعود[١]، وهذا كالذي قبله.

فكأَن هذا التأْويل يقتضي الرِّفق بالنَّاس في إِدخالهم في الوعد بالحسنى؛ إِذ الغالب في المؤمنين مواقعة المعاصي، وعلى هذا أَنشدوا؛ وقد تمثل به النبي ﷺ:

إِنْ تَـغْـفِـرِ اللَّـهُـمَّ تَـغْفـرْ جَـمّـاً وَأَيُّ عَـبْـدٍ لَـكَ لَا أَلَـمَّـا[٢] [الرجز]

وقال أَبو هريرة، وابن عباس، والشعبي، وغيرهم: اللَّمَم: صغار الذنوب التي بين الحدَّيْن الدنيا والآخرة، وهي ما لا حدَّ فيه ولا وعيد مختصّاً بها مذكوراً لها[٣]، وإِنما يقال صغار بالإِضافة إِلى غيرها، وإِلَّا فهي بالإِضافة إِلى الناهي عنها كبائر كلها، ويعضد هذا قولُ النبي ﷺ: «إِن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والفرج يكذِّب ذلك أَو يصدِّقه، فإِن تقدم فرجه فهو زانٍ، وإِلَّا فهو اللَّمَم»[٤].

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٥٣٥).

(٢) البيت لأُمَيَّة بن أبي الصَّلت، كما في طبقات فحول الشعراء (١/ ٢٦٧)، والأغاني (٤/ ١٣٥)، وتاريخ دمشق (٩/ ٢٨٣)، ومسائل نافع بن الأزرق (ص: ٢٥٢)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٢٥٠)، ونسب لأبي خراش في غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٣٠٣)، والحماسة البصرية (٢/ ٤٣١)، وقال في خزانة الأدب (٢/ ٢٩٥): هو لأمية، وأخذه أبو خراش، وقد تمثل به النبي ﷺ كما ذكر المؤلف هنا.

(٣) أثر أبي هريرة أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٣٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٠٥٨-٧٠٥٩) من طريق يزيد بن زريع، عن يونس، عن الحسن، عن أبي هريرة أراه رفعه: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قال: «اللَّمة من الزنا، ثم يتوب ولا يعود، واللَّمة من السرقة، ثم يتوب ولا يعود؛ واللَّمة من شرب الخمر، ثم يتوب ولا يعود، قال: فتلك الإلـمام». والحسن لم يسمع من أبي هريرة. أما أثر ابن عباس فقد أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس قوله ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قال: كلّ شيء بين الحدّين، حدّ الدنيا وحدّ الآخرة تكفِّره الصلوات، وهو اللمم، وهو دون كل موجب؛ فأما حدّ الدنيا فكلّ حدّ فرض الله عقوبته في الدنيا؛ وأما حدّ الآخرة فكلّ شيء ختمه الله بالنار، وأخَّر عقوبته إلى الآخرة. وانظر قول الشعبي في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٣٤).

(٤) صحيح، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٥٥) عن معمر، والطبري (٢٢/ ٥٣٤) من طريق =

ورُوي: أَن هذه الآية نزلت في نبْهَان التَّـمَّار[١]، فالناس لا يتخلصون من مواقعة هذه الصغائر، ولهم مع ذلك الحسنى إِذا اجتنبوا التي هي في أَنفسها كبائر.

وتظاهر العلماءُ في هذا القول وكثُر المائل إِليه.

وذكر الطبري عن عبد الله بن عمرو بن العاص أَنه قال: اللَّمَم ما دون الشِّرك[٢].

وهذا عندي لا يصح عن عبد الله بن عمرو.

وذكر المهدوي عن ابن عباس، والشعبي: اللَّمم ما دون الزِّنا[٣].

وقال نفطويه: اللَّمم ما ليس بمعتاد.

وقال الرُّمَّاني: اللَّمم: الهَمُّ بالذنب وحديث النفس به دون أَن يواقع[٤].

وحكى الثعلبي عن سعيد بن المسيب: أَنه ما خطر على القلب، وذلك هو لمَّة الشَّيطان[٥].

قال الزهراوي: وقيل اللَّمم نظرة الفجأَة، وقاله الحسين بن الفضل.

ثم أَنَّس تعالى بعد هذا بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾.

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ الآية؛ رُوي عن عائشة: أَنها نزلت بسبب قوم من اليهود كانوا يُعظِّمون أَنفسهم، ويقولون للطفل إِذا مات عندهم: هذا صدِّيق عند الله تعالى، ونحو

= معمر، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن ابن مسعود موقوفاً عليه، ومن طريق عبد الرزاق أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٠)، والبيهقي في الشعب (٧٠٦٠).

(١) انظر تفسير الثعلبي (٩/ ١٤٩)، وتقدم خبره في آخر (سورة هود).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٣٦) من طريق المثنى بن الصباح، عن عمرو بن شعيب: أن عبد الله ابن عمرو بن العاص، قال: اللمم ما دون الشرك. وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف المثنى بن الصباح، ولعدم إدراك عمرو بن شعيب عبد الله بن عمرو.

(٣) انظر التحصيل: (٦/ ٢٥٦).

(٤) انظر القولين في البحر المحيط (١٠/ ٢١)، والأول في تفسير القرطبي (١٧/ ١٠٨).

(٥) تفسير الثعلبي (٩/ ١٤٩)، وانظر فيه قول الحسين بن الفضل الآتي.

هذا من الأَقاويل المُتوهِّمة، فنزلت الآية فيهم[١]، ثم هي بالمعنى: عامة جميع البشر.

وحكى الثعلبي عن الكلبي ومقاتل: أنها نزلت في قوم من المؤمنين فخروا بأعمالهم[٢].

وقوله: ﴿أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ قال مكي بن أَبي طالب في «المشكل»: معناه: هو عالم بكم[٣].

وقال جمهور أَهل المعاني: بل هو التفضيل بالإِطلاق؛ أَي: هو أعلم من الموجودين جملة، والعامل في ﴿إِذْ﴾ هو ﴿أَعْلَمُ﴾، وقال بعض النحاة: العامل فيه فعل مضمر تقديره: اذكروا إِذ، والمعنى الأَول أَبْين؛ لأَنَّ تقديره: فإِذا كان علمه قد أَحاط بكم وأَنتم في هذه الأَحوال [ووقع بكم التخفي][٤]، فأَحرى أن يقع بكم وأَنتم تغفلون وتجترحون.

و«الإِنشاءُ من الأَرض»: يراد به خلق آدم عليه السلام، ويحتمل أَن يراد به: إِنشاءُ الغذاءِ، و﴿أَجِنَّةٌ﴾ جمع جنين.

وقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ ظاهره النهي عن أَن يُزَكِّي أَحدٌ نفسه، ويحتمل أَن يكون نهياً عن أَن يُزَكِّي بعض الناس بعضاً، وإِذا كان هذا فإِنما ينهى عن تزكية السُّمعة والمدح للدنيا، أَو القطع بالتزكية، ومن ذلك الحديث في عثمان بن مظعون عند موته.

وأَمَّا تزكية الإِمام والقدوة أَحداً ليؤتم به أَو ليَتَهَمَّمَ الناسُ بالخير فجائز، وقد زكَّى

---

(١) ذكره الثعلبي (٩/ ١٥٠) عن عائشة، وقد روي مرفوعاً ولا يصح، فقد أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٦٨)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٣٩٨) من طريق ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال: كانت اليهود تقول إذا هلك لهم صبي صغير: هو صديق، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «كذبت اليهود ما من نسمة يخلقها الله في بطن أمه إلا أنه شقي أو سعيد»، فأنزل الله تعالى عند ذلك هذه الآية: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾، وانظر الضعيفة (٦١١٦).

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ١٥٠).

(٣) مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٦٩٣).

(٤) سقط من الأصل.

رسول الله ﷺ بعض أَصحابه؛ أَبا بكر وغيره[١]، وكذلك تزكية الشهود في الحقوق جائز للضرورة إِليها.

وأَصل التزكية إِنما هو التقوى، والله تعالى هو أَعلم بتقوى الناس منكم.

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ الآية؛ قال مجاهد، وابن زيد، وغيرهما: نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي[٢]، وذلك أَنه كان قد سمع قراءَة النبي ﷺ، وجلس إِليه، وَوَعَظَهُ رسول الله ﷺ، فَقَرُبَ من الإِسلام، وطَمِعَ النبيُّ ﷺ فيه، ثم إِنه عاتبه رجل من المشركين وقال له: أَتترك مِلَّة آبائك؟ ارجع إِلى دينك واثْبت عليه وأَنا أَتحمل لك بكل شيءٍ تخافه في الآخرة، لكن على أَن تعطيني كذا وكذا من المال، فوافقه الوليد بن المغيرة على ذلك، ورجع عمَّا همَّ به من الإِسلام، وضلَّ ضلالاً بعيداً، وأَعطى بعض ذلك المال لذلك الرجل ثم أَمسك عنه وشَحَّ، فنزلت الآية فيه[٣].

وذكر الثعلبي عن قوم: أَنها نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه في قصة جرت له مع عبد الله بن سعد بن أَبي سَرْح. وذلك كله عندي باطل، وعثمان عن مثله مُنَزَّهٌ.

وقال السُّدي: نزلت في العاص بن وائل، فقوله تعالى: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ على هذا القول: هو في المال.

وقال مقاتل بن حيان ـ في كتاب الثعلبي ـ: المعنى: وأَعطى من نفسه قليلاً في قربه من

---

(١) منها ما أخرجه البخاري (٤٦٦)، ومسلم (٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري، قال: خطب النبي ﷺ فقال: «إن الله خيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله»، فبكى أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ؟ إن يكن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله، فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا، قال: «يا أبا بكر لا تبك، إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد، إلا باب أبي بكر».

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ١٥١)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٠٢).

(٣) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٧٢)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٥١)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٠٢).

الإِيمان، ثُمَّ أَكْدَى؛ أَي: انقطع ما أَعطى[(١)]، وهذا بينٌّ من اللَّفظ، والآخر يحتاج إِلى رواية.

و﴿تَوَلَّىٰ﴾ معناه: أَدبر وأَعرض، والمراد: عن أَمر الله تعالى.

و(أكدى) معناه: انقطع عطاؤُه، وهو مُشَبَّه بالحافر في الأرض، فإِنه إِذا انتهى إِلى كُدْية ـ وهي ما صلب من الأَرض ـ وقف وانقطع حفره، وكذلك: أَجْبَل الحافر: إِذا انتهى إِلى جبل، ثم قيل لمن انقطع عمله: أَكْدَى وأَجْبَل.

وقوله / تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ معناه: أَعَلِم من الغيب أَنَّ من تحمَّل [٥/ ١٤٦] ذنوب آخر فإِن المُتَحَمَّل عنه ينتفع بذلك، فهو لهذا الذي عَلِمَه يرى الحقَّ وهو له فيه بصيرة، أَم هو جاهل لم يُنَبَّأْ بما في صحف موسى ـ وهي التوراة ـ وفي صحف إِبراهيم ـ وهي كتب نزلت عليه من السماءِ ـ من أَنه لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى؟ أَي: لا تحمل حاملة حِمْل أُخرى، وإِنما يؤخذ كل أَحد بذنوب نفسه، فلما كان جاهلاً بهذا وقع في إِعطاءِ ماله للذي قال له: إني أَتَحَمَّل عنك دَرَك الآخرة.

واختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿وَفَّىٰٓ﴾، وفي ما هو المُوَفَّى؟ فقال ابن عباس: كانوا قبل إِبراهيم عليه السلام يأْخذون الوليَّ بالوليِّ في القتل ونحوه، فوفَّى إِبراهيم عليه السلام وَبَلَّغ هذا الحكم من أَنه لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى[(٢)].

وقال ابن عباس أيضاً، والربيع: وفَّى طاعة الله تعالى في ذبح ابنه[(٣)].

وقال الحسن، وابن جبير وقتادة: وَفَّى تبليغ رسالته والمجاهدة في ذات ربه تعالى.

---

(١) انظر هذه الأقوال كلها في تفسير الثعلبي (٩/ ١٥١) بتصرف في بعضها، وانظر تفسير الماوردي (٥/ ٤٠٢).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٤٣) عن محمد بن حميد الرازي، عن مهران، عن سفيان، عن عطاء، عن عكرمة، عن ابن عباس فذكره بنحوه. ومحمد بن حميد الرازي ضعيف.

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٤٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس فذكره بنحوه، وقول الربيع في تفسير الثعلبي (٩/ ١٥٢).

وقال عكرمة: وفَّى هذه العشر الآيات: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ فما بعدها[١].

وقال ابن عباس[٢]، وقتادة، وعكرمة: وفَّى ما افْتُرِض عليه من الطَّاعات على وجهها، وتكمَّلت له شعب الإِيمان والإِسلام، فأَعطاه الله تعالى براءَته من النَّار[٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنه: وفَّى شرائع الإِسلام ثلاثين سهماً[٤].

وقال أَبو أمامة ـ ورفعه إِلى النبي ﷺ ـ: «وفَّى أَربع صلوات في كل يوم»[٥].

والأَقوى من هذه الأقوال كلها: القول العامُّ لجميع الطَّاعات المستوفية لدين الإِسلام، فروي أَنها لم تُفرض على أَحد مُكَمَّلة فوفَّاها، إِلَّا على إِبراهيم ومحمد عليهما السلام، ومن الحجَّة لذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وقرأَ ابن جُبَيْر، وأَبو مالك، وابن السَّميفع: (وَفَى) مخفَّفة الفاءِ[٦]، والخلاف فيما وَفَى به كالخلاف فيما وَفَّاه على القراءَة الأُولى التي فَسَّرنا، ورويت هذه القراءَة عن النبي ﷺ، وقرأَها أَبو أُمامة[٧].

---

(١) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٤٣)، وبعضها في تفسير الثعلبي ٩/ ١٥٢) بتصرف.

(٢) حسن: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٤٥) من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة، به بنحوه.

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٤٣).

(٤) صحيح، أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٤٥)، وابن أبي حاتم (١١٦٦) وغيرهم من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ قال: لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم، ابتلاه الله بكلمات، فأتمهن، قال: فكتب الله له البراءة فقال: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾. قال: عشر منها في (الأحزاب)، وعشر منها في (براءة)، وعشر منها في (المؤمنون) و(سأل سائل)، وقال: إن هذا الإسلام ثلاثون سهماً.

(٥) ضعيف جدًّا، أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٤٥) من طريق إسرائيل، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ قال: أتدرون ما وفى؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «وفى عمل يومه أربع ركعات في النهار». وجعفر بن الزبير الحنفي ساقط الحديث.

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها لهم في المحتسب (٢/ ٢٩٣).

(٧) لم أجدها مسندة.

و«الوِزْرُ»: الثقل، وأَنَّث الْوَازِرَةَ؛ إِمَّا لأَنه أَراد النَّفس، وإِمَّا لأَنه أَراد المبالغة؛ كَعَلَّامة ونسَّابة، وما جرى مجراهما.

و«أَنْ» في قوله: ﴿أَلَّا تَزِرُ﴾ مخفَّفة من الثقيلة، وتقديرها: أَنه لا تزر، وحسَّن الحائل بينها وبين الفعل أن بقي الفعل مرتفعاً، فهي كقوله تعالى: ﴿أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ [المزمل: ٢٠] ونحوه، و«أَنْ» في موضع رفع أَو خفض كلاهما مترتب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ ﴾، وقوله بعد ذلك: ﴿وَأَنَّهُۥ...وَأَنَّهُۥ﴾ معطوف كل ذلك على (أَن) المقدرة [أولاً][1] في قوله: ﴿أَلَّا تَزِرُ﴾، وهي كلها بفتح الألف في قراءَة الجمهور.

وقرأَ أَبو السمال قعنب: (وَإِنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى) بكسر الهمزة فيها وفيما بعدها[2].

ورُوي عن ابن عباس: أَن قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ منسوخ بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الطور: ٢١][3].

---

(١) سقط من المطبوع والحمزوية.

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له ولآخرين في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥٢).

(٣) الأثر أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٤٦-٥٤٧)، والنحاس في ناسخه (ص: ٦٨٩) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: قوله تعالى ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ فأنزل الله جل وعز بعد ذلك: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ فأدخل الله عز وجل الأبناء الجنة بصلاح الآباء.

وهذا لا يصح عندي عن ابن عباس؛ لأَنه خبر لا يُنْسخ، ولأَن شروط النسخ ليست هنا، اللهم إِلَّا أَن يُتَجَوَّز في لفظة النسخ ليفهم سائلاً.

وقال عكرمة: هذا الحكم كان في قوم إِبراهيم وموسى عليهما السلام، وأَمَّا هذه الأُمَّة فلها سَعْيُ غيرها[١]، والدليل: حديث سعد بن عبادة، قال: يا رسول الله! هل لأُمِّي إِن تطوعت عنها أَجر؟ قال: «نعم»[٢].

وقال الربيع بن أَنس: هذا الإِنسان الذي[٣] في هذه الآية هو الكافر، وأَمَّا المؤمن فله ما سعى وما سعى له غيره[٤].

وسأَل عبد الله بن طاهر بن الحسين[٥] والي خراسان الحسيْنَ بْنَ الفضل عن هذه الآية مع قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]، فقال له: ليس له بالعدل إِلَّا ما سَعَى، وله بفضل الله ما شاءَ اللهُ، فقبَّل عبدُ الله رأَس الحسين[٦]، وقال الجمهور: الآية محكمة.

والتحرير عندي في هذه الآية: أَنَّ مَلاك المعنى هو في اللام من قوله: ﴿لِلۡإِنسَٰنِ﴾،

---

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ١٥٣)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن سعد بن عبادة رضي الله عنه توفيت أمه وهو غائب عنها، فقال: يا رسول الله إن أمي توفيت وأنا غائب عنها، أينفعها شيء إن تصدقت به عنها؟ قال: «نعم»، قال: فإني أشهدك أن حائطي المخراف صدقة عليها. ولفظة «أجر» ليست في الأصل ونجيبويه والحمزوية.

(٣) «الذي» ليست في المطبوع.

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ١٥٣).

(٥) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب، الأمير العادل أبو العباس الخزاعي المصعبي، أمير إقليم خراسان وما يليه، تأدب في صغره، وقرأ العلم والفقه، كان حسن الشعر، تنقل في الأعمال الجليلة شرقا وغربا، توفي سنة (٢٣٠هـ). تاريخ الإسلام (١٦/ ٢٣٠).

(٦) البحر المحيط (١٠/ ٢٤).

فإِذا حققت الشيءَ الذي حقُّ الإِنسان أَن يقول فيه: لي كذا، لم تجده إِلَّا سعيه، وما تَمَّ بَعْدُ من رحمةٍ، بشفاعة، أَو رعايةِ أَبٍ صالح أَو ابن صالح، أَو تضعيف حسنات، أَو تغمُّد بفضل أو رحمة دون هذا كله، فليس هو للإِنسان ولا يَسَعُهُ أَن يقول: لي كذا وكذا، إِلَّا على تجوُّز وإِلْحاق بما هو له حقيقة.

واحتج بهذه الآية من يرى أَنه لا يعمل أَحدٌ عن أَحد بعد موته ببدن ولا مال، وفرَّق بعض العلماءِ بين البدن والمال، وهي عندي كلها فضائل للعامل وحسناتٌ تُذكر للمعمول عنه، وقد أَمر رسول الله ﷺ سعداً رضي الله عنه بالصدقة عن أُمه.

و«السَّعْيُ»: التكسب.

وقوله تعالى: ﴿يُرَىٰ﴾ فاعلُه حاضرو القيامة؛ أَي: يراه الله تعالى ومَنْ شاهد الأَمر، وفي عرض الأَعمال على الجميع تشريف للْمُحْسنين وتوبيخ لِلْمُسيئين، ومنه قول النبي ﷺ: «من سمَّع بأَخيه فيما يكره، سمَّع الله به سامع خلقه يوم القيامة»[1].

وفي قوله: ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ وعيدٌ للكافرين ووعْدٌ للمؤمنين.

و﴿ٱلْمُنتَهَىٰ﴾: يحتمل أَن يريد به الحشر والمصير بعد الموت، فهو مُنتهى بالإِضافة إِلى الدنيا وإِن كان بعده مُنْتهى آخر هو الجنة أَو النار، ويحتمل أَن يريد بالمنتهى: الجنة أَو النار، فهو منتهى على الإِطلاق، ولكن في الكلام حذفُ مضاف؛ أَي: إِلى عذاب ربك أو رحمته.

وقال أُبَيُّ بن كعب: قال النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾: «لا

---

(١) أخرج الخرائطي في مساوئ الأخلاق (٢٢٢) من طريق يونس بن عبيد، عن الحسن البصري أن رسول الله ﷺ قال: «من أكل بأخيه المسلم أكلة، أطعمه الله مثلها من النار، ومن لبس بأخيه المسلم ثوباً، كساه الله مثله من النار، ومن سمع بأخيه المسلم وراءى به، سمع الله به، وراءى به يوم القيامة».

فِكْرة في الرَّبِّ»(١)، وروى أَنس: أَن النبي ﷺ قال: «إِذا ذُكر الرَّبُّ فانتهوا»(٢).

وقال أَبو هريرة رضي الله عنه: خرج رسول الله ﷺ يوماً على أَصحابه فقال: «فيم أَنْـتُمْ»؟ قالوا: نتفكَّر في الخالق سبحانه وتعالى، فقال ﷺ: «تَفَكَّرُوا في الخَلْق ولا تَتَفَكَّروا في الخالق، فإِنه لا تحيط به الفكرة...» الحديث(٣).

وذكر تعالى الضحك والبكاء؛ لأنهما صفتان تجمعان أصنافاً كثيرة من الناس؛ [٥/ ١٤٧] إِذ الواحدة / دليل السرور والأخرى دليل الحزن في الدنيا والآخرة، فنَّبه تعالى على هاتين الخاصَّتين اللتين هما للإنسان وحده.

وقال مجاهد: المعنى: أَضحك أَهل الجنة وأبكى أهل النار.

وحكى الثعلبي في هذا أقوالاً استعاريَّة كَمَنْ قال: أضحك الأرض بالنبات وأبكى السماءَ بالمطر، ونحوه.

و﴿أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ بَيِّنٌ، وحكى الثعلبي قولاً: أَنه أَحيا بالإِيمان وأَمات بالكفر(٤).

و﴿ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ في هذه الآية: يريد به المُصْطَحِبَيْن من الناس؛ من الرجل والمرأَة، وما ضارع من الحيوان، والخُنْثَى مُتَمَيِّزٌ ولا بُدَّ لإِحدى الجهتين.

---

(١) ضعيف، أخرجه الدارقطني في الغرائب كما في أطراف الغرائب (١/ ٣٩٧)، والثعلبي في تفسيره (٩/ ١٥٤)، ومن طريقه البغوي في تفسيره (٧/ ٤١٧) من طريق العباس بن زفر، عن أبي جعفر الرازي، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب به، بنحوه. أبو جعفر الرازي صدوق سيئ الحفظ.

(٢) لم أقف عليه من حديث أنس، وأخرجه الثعلبي (٩/ ١٥٥) من طريق ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سنان بن سعد: أن النبي ﷺ قال: «إذا ذكر الله عز وجل فانتهوا»، وابن لهيعة ضعيف، وسنان بن سعد المصري من صغار التابعين، قال فيه الذهبي: ليس بحجة.

(٣) ضعيف، أخرجه الثعلبي (٩/ ١٥٥) من طريق قتادة، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ مطول. وفيه عنعنة قتادة وهو مدلس، وشهر بن حوشب صدوق كثير الإرسال والأوهام.

(٤) انظر قولي الثعلبي وقول مجاهد في تفسير الثعلبي (٩/ ١٥٦).

و«النُّطْفَةُ» في اللغة: القطعة من الماءِ كانت يسيرة أَو كثيرة، ويراد بها هاهنا؛ ماء[١] الذُّكْران.

وقوله: ﴿تُمۡنَىٰ﴾ يحتمل أن يكون من قولك: أَمْنَى الرجل: إذا خرج منه المنيُّ.

ويحتمل أن يكون من قولك: منى الله الشيء: إذا خلقه، فكأنه قال: إذا تُخْلَق وتُقَدَّر.

و﴿ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾: هي إعادة الأجسام إلى الحشر بعد البِلى في التراب[٢].

وقرأ الناس: ﴿ٱلنَّشۡأَةَ﴾ بسكون الشين والهمز والقصر.

وقرأ أبو عمرو، والأعرج: ﴿النَّشَاءَةَ﴾ ممدودة[٣].

و(أَقْنَى) معناه: أَكْسَبَ، تقول: قنيتُ المال؛ أي: كسبته، ثمَّ يعَدَّى بعد ذلك بالهمزة، وقد يعَدَّى بالتضعيف، ومنه قول الشاعر:

كَمْ مِنْ غَنِيٍّ أَصابَ الدَّهْرُ ثَرْوَتَهُ   وَمِنْ فَقِير يقنَّى بَعْدَ إِقْـلالِ[٤]   [البسيط]

وعبَّر المفسرون عن (أَقْنَى) بعبارات مختلفة:

فقال بعضهم: أَقْنَى معناه: اكْتَسَب ما يقتنى.

وقال مجاهد: معناه: أَرْضى وأَغْنَى[٥].

وقال حضرمي: معناه: أَغنى نفسه، وأَقْنَى: أَفقر عباده إِليه[٦].

وقال الأَخفش: أَغْنى: أَفقر[٧].

(١) «ماء» ليست في المطبوع ونجيبويه والحمزوية وأحمد٣.

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «التركيب».

(٣) وهما سبعيتان، والثانية لأبي عمرو وابن كثير، كما تقدم في العنكبوت، وانظر التيسير (ص: ١٧٣).

(٤) استشهد به في المخصص (٤/ ٩)، والبحر المحيط (١٠/ ٧)، بلا نسبة.

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٤٩)، والهداية لمكي (١١/ ٧١٧٤).

(٦) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٥٦).

(٧) تفسير الثعلبي (٩/ ١٥٦).

وهذه عبارات لا تقتضيها اللفظة، والوجه فيها بحسب اللغة: أَكْسَبَ ما يُقْتَنَى.

وقال ابن عباس: أَقْنَى: أقنع[١].

قال القاضي أَبو محمد: والقناعة خير قُنية، والغِنَى عَرَضٌ زائل، فَـللَّهِ دَرُّ ابن عباس.

و﴿ٱلشِّعۡرَىٰ﴾: نجم في السماءِ، وقال مجاهد وابن زيد: هو مرْزَم الجوزاءِ، وهما شعرَيان: إِحداهما الغميصاءُ والأُخرى العَبُور[٢]، لأنها عبرت المَجَرَّة، وكانت خزاعة ممن يعبد هذه الشِّعرى، ومنهم أَبو كبشة، ذكره الزهراوي والثعلبي[٣]، واسمه عبد الشِّعرى[٤]، فلذلك خُصَّت بالذكر؛ أَي: وهو ربُّ هذا المعبود الذي هو لكم.

و(عاد): هم قوم هود، واختلف في معنى وصفها بالأُولى:

فقال ابن زيد والجمهور: ذلك لأَنها في وَجْه الدَّهر وقديمه[٥]، فهي أُولى بالإِضافة إِلى الأُمم المتأَخرة.

وقال الطبري: سميت أُولى لأَن ثَمَّ[٦] عاداً أخيرة، وهي قبيلة كانت بمكة مع العماليق وهم بَنُو لُقَيْم بن هزَّال[٧]. والقول الأول أَبْيَن؛ لأن هذا الأخير لم يصح.

وقال المبرد: عاد الأَخيرة هي ثمود، والدليل قول زهير:

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٥٠)، وابن أبي حاتم كما في تغليق التعليق (٤/ ٣٢٤)، والإتقان (٢/ ٤٥) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ﴾ يقول: أعطاه وأرضاه.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥١).

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ١٥٧).

(٤) في الأصل: «عبد العزى».

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٣)، بتصرف.

(٦) «ثم» ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٧) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٢).

.... كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ(١) [الطويل]

ذكره الزهراوي(٢)، وقيل: الأَخيرة: الجَبَّارُون.

وقرأَ ابن كثير، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿عَادًا﴾ منونةً، وبهمز.

وقرأَ نافع فيما يُروى عنه: (عَادَ الاولَى) بإِزالة التنوين والهمز، وهذا كقراءَة من قرأَ: (أَحَدَ اللهُ)(٣)، وكقول الشاعر:

.... وَلَا ذاكِـــرِ اللَّـهَ إِلَّا قَـليــلاً(٤) [المتقارب]

وقرأَ قوم: ﴿عَادٍ الأُولَى﴾، والنطق بها: «عادَنِ الأُولَى»، اجتمع سكون نون التنوين وسكون لام التعريف فكُسرت النون لالتقاءِ الساكنين، ولا فرق بينها وبين قراءَة الجمهور إِلَّا ترك الهمز.

وقرأَ نافع أَيضاً، وأَبو عمرو بالوصل والإِدغام: ﴿عَاداً لُّولَى﴾ بإِدغام النون في اللام ونقل حركة الهمزة إِلى اللام.

وعاب أَبو عثمان المازني والمبرِّد هذه القراءَة وقالا: إِن هذا النقل لا يخرج اللام عن حدِّ السكون، وحقُّ أَلف الوصل أَن تبقى كما تقول العرب إِذا نقلت الهمزة من قولهم: «الأَحْمَر»، فإِنهم يقولون: «الَحْمَرُ جاءَ»، فكذلك يقال هنا: (عاداً الُولَى)(٥).

---

(١) من المعلقة، وصدره: فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ، انظر نسبته له في تفسير الطبري (٣/ ٣٥١)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٩٠)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ٨٩)، وجمهرة اللغة (٣/ ١٣٢٨)، والمعاني الكبير (٢/ ٨٧٩)، والموشح (ص: ٤٧).

(٢) انظر قول المبرد في شرح المعلقات التسع (ص: ٢٠٢).

(٣) إشارة إلى الآيتين الأولى والثانية من (سورة الإخلاص)، وهي قراءة شاذة تقدمت الإشارة إليها.

(٤) هذا عَجُز بيت لأبي الأسود الدؤلي وصدره: فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ، وقد تقدم في تفسير الآية (١٦٨) من (سورة البقرة).

(٥) انظر حجة القراءات لابن زنجلة (ص: ٦٨٧).

قال أَبو علي: والقراءَة سائغة، وأيضاً فمن العرب من يقول: «لَحمَرُ جاءَ» فيحذف الأَلف مع النقل ويَعْتَدُّ بحركة اللام ولا يراها في حكم السكون[١].

وقرأَ نافع فيما رُوي عنه: ﴿عاداً اللُّؤْلَى﴾ بهمز (اللُّؤْلى)، يهمز الواو[٢]، ووجه ذلك: أَنَّه لم يكن بين الواو والضمة حائل يحيل[٣] الضمة عليها، فهمزها كما تهمز الواوُ المضمومة.

وكذلك فعل من قرأَ: (على سؤقِهِ)[٤]، وكما قال الشاعر:

[الوافر] لَحَبَّ المُؤْقِدَانِ إِلَيَّ مُؤْسَى[٥] ....

وهي لغة.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَثَمُوداً﴾ بالنصب عطفاً على ﴿عَادًا﴾.

وقرأَ عاصم، والحسن، وعصمة: ﴿وَثَمُودَاْ﴾ بغير صرف.

وهي في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه بغير أَلف بعد الدال[٦].

وقوله: ﴿فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾ ظاهره: فما أَبقى عليهم.

وتأَول ذلك بعضهم: فما أَبقى منهم عيناً تَطْرِف، وقد قال ذلك الحجاج حين سمع قول من يقول: إِن ثقيفاً من ثمود، فأَنكر ذلك وقال: إِن الله تعالى قال: ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾[٧]، وهؤلاءِ يقولون: بقي منهم باقية.

---

(١) انظر: الحجة للفارسي (٦/ ٢٣٩).

(٢) هذه خمس قراءات، الأولى والأخيرتان سبعية، والأخيرة لقالون، انظر التيسير (ص: ٢٠٤)، وعزا الثانية في جامع البيان (٤/ ١٦١٢) للحلواني عن قالون وابن جبير عن إسماعيل وابن ذكوان عن المسيّبي، وابن أبي أويس وابن أبي الزناد وكردم عن نافع، والثالثة لم أجدها.

(٣) في الأصل: «يخيل»، وفي المطبوع والأسدية ٣ والحمزوية: «يحمل»، وفي المطبوع: «الهمزة» بدل «الضمة».

(٤) إشارة إلى الآية (٢٩) من (سورة الفتح)، وهي شاذة كما تقدم هناك.

(٥) هذا صدر بيت لجرير وتمامه: وَجَعْدَةُ إِذْ أَضَاءَهُمَا الْوَقُودُ، وقد تقدم في تفسير الآية (٤٤) من (سورة النمل).

(٦) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦١٦)، وما نسبه لابن مسعود في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٣).

(٧) الكامل للمبرد (٢/ ٥٠).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾.

نصب ﴿قَوْمَ نُوحٍ﴾ عطفاً على ﴿ثَمُودَ﴾.

وقوله: ﴿مِّن قَبْلُ﴾ لأَنهم كانوا أَول أُمَّة كذبت من أَهل الأَرض، ونوح أَول الرُّسل، وجعلهم أَظلَم وأَطْغى؛ لأَنهم سبقوا إِلى التكذيب دون اقتداءٍ بأَحد قبلهم، وأَيضاً: فَإِنهم كانوا في غاية من العُتُوِّ، وكان عُمْر نوح عليه السلام قد طال في دعائهم، وكان الرجل يأْتي إِليه مع ابنه فيقول: أحذِّرك من هذا الرجل فإِنه كذَّاب، ولقد حذَّرني منه أَبي وأَخبرني أَن جَدِّي حذَّره منه، فمشت على هذا أَخلاقهم أَلْفاً إِلَّا خمسين عاماً.

و﴿الْمُؤْتَفِكَة﴾: قرية قوم لوط عليه السلام بإِجماع من المفسِّرين.

ومعنى الْمُؤْتَفِكَة: المنقلبة؛ لأَنها أَفِكَت فأْتفكت، ومنه: الإِفْكُ؛ لأَنه قلْب الحق كذباً.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (وَالْمُؤْتَفِكَاتِ) على الجمع(١).

و﴿أَهْوَىٰ﴾ معناه: طرحها من هواءٍ عال إِلى أَسفل، وهذا ما رُوي من أَن جبريل عليه السلام اقتلعها بجناحه حتى بلغ بها قرب السماءِ ثم حولها ـ قلبها ـ / فهبط [٥/ ١٤٨] الجميع، وأُتْبعوا حجارة، وهي التي غشَّاها الله تعالى(٢).

وقوله: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ مخاطبة للإِنسان الكافر، كأَنه قيل له: هذا هو الله(٣) الذي له هذه الأَفاعيل، وهو خالقك المنعم عليك بكل النِّعم، ففي أَيها تشكُّ؟ و﴿تَتَمَارَىٰ﴾ معناه: تَتَشَكَّك.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٢٣).

(٢) انظر الطبري (٢٢/ ٩١)، ولفظة «قلبها» مثبتة من الأصل فقط.

(٣) لفظ الجلالة «الله» ليس في المطبوع ونجيبويه.

وقرأ يعقوب: ﴿ربِّك تَّمارَى﴾ بتاءٍ واحدة مشدَّدة[١].

وقال أَبو مالك الغِفَاري: إِن قوله تعالى: ﴿أَلَّا نَزِرُ﴾ إِلى قوله تعالى: ﴿نَتَمَارَىٰ﴾ هو في صحف إِبراهيم وموسى[٢].

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ يحتمل أَن يشير إِلى محمد ﷺ، وهو قول قتادة، وأَبي جعفر، ومحمد بن كعب القرظي[٣].

ويحتمل أَن يشير إِلى القرآن، وهو تأْويل قوم.

وقال أَبو مالك: الإِشارة بهذا النَّذير إِلى ما سلف من الأخبار عن الأُمم[٤].

و﴿نَذِيرٌ﴾ يحتمل أَن يكون بناءَ اسم فاعل، ويحتمل أَن يكون مصدراً، و(نُذُر) جمع نذير، وقال: ﴿ٱلْأُولَىٰٓ﴾ بمعنى: أَنه في الرتبة والأَوصاف والمنزلة من تلك المتقدمة، والأَشبه أَن تكون الإِشارة إِلى محمد ﷺ.

وقوله: ﴿أَزِفَتِ﴾ معناه: قربت القريبة، و﴿ٱلْأَزِفَةُ﴾: عبارة عن القيامة بإِجماع من المفسرين.

و«أَزِفَ» معناه: قَرُبَ جدّاً، وقال كعب بن زهير:

[البسيط] بَانَ الشَّبَابُ وأَمْسَى الشَّيْبُ قَدْ أَزِفَا ... وَلَا أَرَى لِشَبَابٍ ذاهبٍ خَلَفَا[٥]

وقوله تعالى: ﴿كَاشِفَةٌ﴾ يحتمل أَن يكون صفةً لمؤنثة، والتقدير: حالٌ كاشفة، أَو منَّةٌ كاشفة، أَو سعاية، قال الرُّمَّاني: أَو جماعة[٦].

---

(١) وهي عشرية، انظر عزوها له في النشر (١/ ٣٠٠).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٤٦).
(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٦)، وقول محمد بن كعب القرظي في: البحر المحيط (٨/ ١٦٧).
(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٧)، وتفسير الثعلبي (/ ١٥٧).
(٥) كما في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٧)، والبحر المحيط (١٠/ ٨).
(٦) البحر المحيط (١٠/ ٢٩).

ويحتمل أَن يكون مصدراً كـ: العاقبة، وخائِنَة الْأَعْيُنِ.

ويحتمل أَن يكون بمعنى: كاشف، والهاءُ للمبالغة، كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٨].

وأَما معنى ﴿كَاشِفَةٌ﴾، فقال الطبري، والزجاج: هو من كشف السِّرِّ؛ أَي: ليس من دون الله من يكشف وقتها ويعلمه(١).

وقال الزهراوي عن منذر بن سعيد: هو من كشف الضُّرِّ ودَفعه؛ أَي: ليس من يكشف خطبها وهولها(٢).

وقرأَ طلحة: (لَيْسَ لَهَا ممَّا تَدْعُونَ منْ دُون الله كَاشِفَةٌ وَهيَ عَلَى الظَّالِمِينَ سَاءتِ الْغَاشِيَةُ)(٣).

و﴿هَٰذَا الْحَدِيثِ﴾: هو القرآن.

وقوله: ﴿أَفَمِنْ﴾؟ توقيف وتوبيخٌ.

وفي حرف أُبَيٍّ، وابن مسعود: (تَعْجَبُونَ تَضْحَكُونَ) بغير واو العطف(٤).

[وقرأ الحسن: (تُعْجِبُونَ تُضْحِكُونَ) بضم التاءِ فيهما وكسر الجيم والحاء وحذف واو العطف](٥).

وفي قوله عز وجلَّ: ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ حضٌّ على البكاءِ عند سماع القرآن، وروى

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٥/ ٧٨)، بتصرف.

(٢) لم أقف عليه لأي منهما.

(٣) وهي شاذة، مخالفة لمصاحف المسلمين، انظر نسبتها له في المحتسب (٢/ ٢٩٤).

(٤) وهي شاذة، عزاها لهما في البحر المحيط (١٠/ ٢٩)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٥٣).

(٥) سقط من الأصل والأسدية ٣ والحمزوية، وسقطت «والحاء» من نجيبويه. والقراءة شاذة، انظرها في البحر المحيط (١٠/ ٢٩).

سعد ابن أَبي وقَّاص رضي الله عنه: أَن رسول الله ﷺ قال: «إِن هذا القرآن أُنزل يُخَوِّف، فإِذا قرأْتموه فابكوا، فإِن لم تبكوا فتباكوا»[(١)]، ذكره الثعلبي.

و«السَّامِدُ»: اللاعبُ اللاهي، وبهذا فسَّر ابن عباس وغيره من المفسِّرين[(٢)]، وقال الشاعر:

[مجزوء الرمل] قِـيـلَ قُـمْ فَـانْـظُـرْ إِلَـيْـهِـمْ ثُـمَّ دَعْ عَـنْـكَ الـسُّـمـودَا[(٣)]

وسَمَدَ بلغة حِمْير: غَنَّى. وهذا كله معنى قريب بعضه من بعض.

وأَسند الطبري عن أَبي خالد الوالبي[(٤)]، قال: خرج علينا عليٌّ رضي الله عنه ونحن قيام ننتظره للصلاة فقال: مالي أَراكم سامدين؟[(٥)].

قال القاضي أَبو محمد: يشبه أَنه رآهم في أَحاديث ونحوها مما يُظن أَنه غفلة مَّا.

---

(١) ضعيف جدّاً، أخرجه ابن أبي الدنيا في الهم والحزن (٨٧)، وابن ماجه (١٣٣٧)، والآجري في أخلاق أهل القرآن (٨٥)، والثعلبي في تفسيره (٩/ ١٥٨) وغيرهم من طريق الوليد بن مسلم، عن إسماعيل بن رافع، عن ابن أبي مليكة، عن عبد الله بن السائب قال: قدم علينا سعد بن أبي وقاص بعدما كفّ بصره، فأتيته مسلّماً عليه، فانتسبني فانتسبت، فقال: مرحباً بابن أخي، بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا». وإسماعيل بن رافع أبو رافع الأنصاري المدني ضعيف، وله روايات أخرى بألفاظ مختلفة لا تسلم من ضعف، وانظر تفسير الثعلبي (٨/ ١٥٨).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٥٩)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٤٥) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿سَٰمِدُونَ﴾، يقول: لاهون، وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس بنحوه.

(٣) ورد في مسائل نافع بن الأزرق (ص: ٥٦) منسوباً لهزيلة بنت بكر تبكي قوم عاد. وانظر جمهرة اللغة (٢/ ٦٤٨).

(٤) أبو خالد الوالبي اسمه هرمز، ويقال هرم، روى عن أبي هريرة، وابن عباس وعنه: منصور، والأعمش. وتاريخ الإسلام (٦/ ٥١٥).

(٥) حسن، أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٦٠، ٥٦١) من طريق عن أبي خالد الوالبي، عن علي به. وأبو خالد هو هرمز الكوفي صدوق.

وقال إِبراهيم: كانوا يكرهون أَن ينتظروا خروج الإِمام قياماً[(١)].

وفي الحديث: «إِذا أُقيمت الصلاة فلا تقوموا حتَّى تروني»[(٢)].

ثم أَمر تعالى بالسجود وعبادة الله تعالى تحذيراً وتخويفاً، وهاهنا سجدة في قول كثير من أَهل العلم؛ منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه[(٣)]، وردت بها أَحاديث صحاح[(٤)].

وليس يراها مالك رحمه الله[(٥)].

وقال زيد بن ثابت رضي الله عنه: إِنه قرأ بها عند النبي ﷺ فلم يسجد[(٦)].

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٦١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٣٧)، ومسلم (٦٠٤) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

(٣) أثر عمر رضي الله عنه عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٤/ ٦٢) لسعيد بن منصور.

(٤) أخرج البخاري (١٠٧١) من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس.

(٥) النوادر والزيادات (١/ ٥١٨)، وعقد الجواهر الثمينة (١/ ١٢٧).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٠٧٢)، ومسلم (٥٧٧).

سورة القمر

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة اقتربت الساعة

وهي مكيَّة بإِجماع إِلَّا آية واحدة اختلف فيها، فقال جمهور الناس: هي مكيَّة، وقال قوم: هي مما نزل يوم بدر، وقيل: بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ [القمر: ٤٥]، وسيأْتي القول في ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾.

﴿ٱقْتَرَبَتِ﴾ معناه: قربت إِلَّا أنه أَبلغ، كما أَن «اقْتدر» أَبلغ من «قَدَر».

و﴿ٱلسَّاعَةُ﴾: القيامة، وأَمرها مجهول التحديد، لم يعلم إِلَّا أَنها قَرُبت دون تحديد.

وقال النبي ﷺ: «بُعثت أَنا والسَّاعة كهاتين» وأَشار بالسَّبَّابة والوسطى[1].

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر رضي الله عنهما.

وقال أَنس: خطب رسول الله ﷺ وقد كادت الشمس تغيب، فقال: «ما بقي من الدنيا فيما مضى إِلَّا كمثل ما بقي من هذا اليوم فيما مضى»[١].

وقال ﷺ: «إِنِّي لأَرجو الله أَن يُؤَخِّر أُمتي نصف يوم»[٢]، وهذا منه ﷺ على جهة الرجاءِ والظن، لم يجزم به خبراً، فأَناف الله تعالى على أَمله وأَخَّر أُمته أَكثر من رجائه، وكل ما يُروى في عمر الدنيا من التحديد فضعيف واهن.

وقوله: ﴿انْشَقَّ الْـقَمَرُ﴾ إِخبارٌ عما وقع في ذلك.

وذكر الثعلبي في ذلك أَنه قيل: إِن المعنى: ينشق القمر يوم القيامة[٣].

وهذا ضعيف، والأُمَّة على خلافه، وذلك أَن قريشاً سأَلت رسول الله ﷺ آية، فقيل: مجملة؛ وهذا قول الجمهور، وقيل: بل عيَّنوا شق القمر، ذكره الثعلبي عن ابن عباس[٤]،

---

(١) حسن، أخرجه البزار في مسنده (٧٢٤٢) من طريق خلف بن موسى بن خلف، عن أبيه، عن قتادة، عن أنس: أن رسول الله ﷺ خطب أصحابه ذات يوم وقد كادت الشمس أن تغرب فلم يبق منها إلا شيء يسير فقال: «والذي نفسي بيده ما بقي من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه»، وما نرى من الشمس إلا يسيراً.

(٢) حسن لغيره، أخرجه أحمد (٣/ ٦٧-٦٨)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٤٧١)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١١٧) من طريق أبي بكر بن أبي مريم، عن راشد بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص، عن النبي ﷺ: أنه كان يقول: «لا تعجز أمتي عند ربي أن يؤخرها نصف يوم»، وسألت راشداً: هل بلغك ماذا النصف يوم؟ قال: «خمس مئة سنة». وأبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الشامي ضعيف، وراشد بن سعد الحمصي، روايته عند سعد مرسلة كما في جامع التحصيل (١٨١)، وأخرجه أبو داود (٤٣٥٠) من طريق شريح بن عبيد، عن سعد بن أبي وقاص به، وفيه: قيل لسعد: وكم نصف ذلك اليوم؟ قال: «خمس مئة سنة». وشريح بن عبيد بن شريح ثقة ولم يدرك سعداً رضي الله عنه، وله شاهد من حديث أبي ثعلبة الخشني أخرجه أبو داود (٤٣٤٩)، والطبراني في الكبير (٥٧٦) من طريق عبد الله بن وهب، عن معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبي ثعلبة الخشني عن النبي ﷺ، قال: «لن يعجز ربي أن يؤخر أمتي نصف يوم». وإسناده حسن.

(٣) تفسير الثعلبي (٦/ ٥) في تفسير أول (سورة النحل).

(٤) انظر تفسير الثعلبي (٩/ ١٦١).

فأَراهم الله تعالى انشقاق القمر، فرآه رسول الله ﷺ وجماعة من المسلمين والكفار، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا»[١]، وممن قال من الصحابة رأَيتهُ: عبد الله بن مسعود، وجبير ابن مطعم، وأَخبر به عبد الله بن عمر، وأَنس، وابن عباس، وحذيفة بن اليمان[٢].

وقال المشركون عند ذلك: سحرنا محمد، وقال بعضهم: سَحَر القمر، وقالت قريش: استخبِروا المسافرين القادمين عليكم، فما ورد أَحد إِلَّا أَخبر بانشقاقه.

وقال / ابن مسعود: رأَيته انشق فذهبت فرقة وراءَ جبل حراءَ[٣]. [٥/ ١٤٩]

وقال ابن زيد: كان يُرى نصفه على قُعَيْقِعَان، والآخر على أَبي قُبيس[٤].

وقرأ حذيفة: (اقْتربَت السَّاعَةُ وقَد انْشَقَّ الْقَمَرُ).

وذكر الثعلبي عنه: أَن قراءَته: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ انْشَقَّ الْقَمَرُ) دون واو[٥].

قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ ﴾، جاءَ اللفظ مستقبلاً لينتظم ما مضى وما يأْتي، فهو إِخبارٌ بأَن حالهم هكذا.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أثر عبد الله بن مسعود أخرجه البخاري (٤٣٦٠)، ومسلم (٢٨٠٠)، وأما أثر جبير بن مطعم فأخرجه أحمد (٤/ ٨١)، والترمذي (٣٢٨٩)، والطبري (٢٢/ ٥٦٨)، والبزار في مسنده (٣٤٣٥)، وابن حبان في صحيحه (٦٤٩٧) من طرق عن حصين بن عبد الرحمن السلمي، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ بمكة، وأما أثر ابن عمر فقد أخرجه مسلم (٢٨٠١)، وأما أثر أنس فأخرجه مسلم (٢٨٠٢)، وأثر ابن عباس قد أخرجه البخاري (٤٨٦٦)، ومسلم (٢٨٠٣)، وأما أثر حذيفة فقد أخرجه عبد الرزاق (٥٢٨٥)، وابن أبي شيبة (٥٢٠٥-٣٤٧٩٨)، وأبو داود في الزهد (٢٧٤)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٧٠٦) من طرق عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن حذيفة، فذكره بلفظ مطول.

(٣) صحيح، أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٦٦) من طريق الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عنه، وهو في مسلم (٢٨٠٠) دون ذكر حراء.

(٤) معاني القرآن للزجاج (٥/ ٨٥).

(٥) وهما شاذتان، انظر الأولى في مختصر الشواذ (ص: ١٤٧)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٦٠)، وأما الثانية فلم أقف عليها.

واختلف الناسُ في معنى ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾:

فقال الزجاج: قيل: معناه دائمٌ مُتَمَادٍ(١).

وقال قتادة، ومجاهد، والكسائي، والفراءُ: معناه: ذاهبٌ مارٌّ عن قريب يزول(٢).

وقال الضحاك، وأَبو العالية: معناه: مشدودٌ(٣)، من مراير الحبل، كأَنه سحْرٌ قد أمَرَّ، أَي: أُحْكمَ، ومنه قول الشاعر:

[البسيط]

حَتَّى اسْتَمَرَّت عَلَى شَزْرٍ مَرِيرَتُهُ ... صَدْقَ العَزِيمةِ لَا رَتّاً وَلَا ضَرَعا(٤)

ثم أَخبر تعالى بأَنهم كذَّبوا واتبعوا شهواتهم وما يَهْوَوْن من الأُمور، لَا بِدَلِيلٍ ولا بِتَثَبُّت.

ثم قال تعالى ـ عَلَى جهة الخبر الجزم ـ: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾، كأَنه تعالى يقول: وكلُّ شيءٍ إِلى غاية، فالحق يستقر ثابتاً ظاهراً، والباطل يستقر زاهقاً ذاهباً.

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع: ﴿وكلُّ أمرٍ مُسْتَقِرٍّ﴾ بالجرِّ في ﴿مُسْتقر﴾(٥)؛ يعني: بذلك أشراطها.

والجمهور على كسر القاف من ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾ وقرأَ نافع بخلاف، وابن نصاح بفتحها، قال أَبو حاتم: لا وجه لفتحها(٦).

و﴿ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ جمع نبأٍ، ويدخل في هذا جميع ما جاءَ به القرآن من المواعظ والقصص ومثلات الأُمم الكافرة.

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٥/ ٨٥).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٧٠)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٠٤).

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ١٦٢).

(٤) البيت لِلَقيط بن يَعْمَر الإيادي، كما في الشعر والشعراء (١/ ١٩٦)، والكامل للمبرد (٢/ ١١٣)، والأوائل للعسكري (ص: ٩٥)، والحماسة البصرية (١/ ٨٩)، والأغاني (٢٢/ ٣٥٩). وفي المطبوع: «شذر»، وفي الأصل ونجيبويه: «رثا»، وفي نور العثمانية: «قد استمرت».

(٥) وهي عشرية، انظر نسبتها له في النشر (٢/ ٢٨٠).

(٦) وهي شاذة، انظرها مع نقل أبي حاتم في تفسير الثعلبي (١/ ١٦٢).

و﴿مُزۡدَجَرٌ﴾ معناه: موضع زجر وانتهاءٍ، وأَصله: مُزْتَجَرٌ؛ قلبت التاءُ دالاً؛ ليناسب مخرجها مخرج الزاي، وكذلك تبدل تاءُ «افتعل» من كل فعل أَوله زايٌ كـ: ازْدَلَف، وازْداد، ونحوه.

وقوله تعالى: ﴿حِكۡمَةُۢ﴾ مرتفع إِمَّا على البدل من ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا فِيهِ﴾، وإِمَّا على خبر ابتداءٍ مضمر تقديره: هذه حكمة.

و﴿بَٰلِغَةٞ﴾ معناه: يبلغ المقصد بها من وعظ النفوس والبيان لمن له عقل.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ﴾ يحتمل أَن تكون (ما) نافية، أَي: ليس تُغْني مع عُتُوِّ هذه الناس، ويحتمل أَن تكون استفهاماً بمعنى التقرير؛ أَي: فَمَا غَنَاءُ النُّذر مع هؤلاءِ الكفرة؟

ثم سلَّى تعالى نبيَّه ﷺ بقوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾؛ أَي: لا تذهب نفسك عليهم حسرات.

وتمَّ القول في قوله: ﴿عَنۡهُمۡ﴾، ثم ابتدأَ وعيدهم.

والعامل في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ﴾ قوله: ﴿يَخۡرُجُونَ﴾.

و﴿خُشَّعًا﴾ حالٌ من الضمير في ﴿يَخۡرُجُونَ﴾، وتصرف الفعل يقتضي تقدم الحال.

قال المهدوي: ويجوز أَن يكون حالاً من الضمير في ﴿عَنۡهُمۡ﴾(١).

وقال الرُّمَّاني: المعنى: فَتَولَّ عنهم واذكر يومَ(٢).

وقال الحسن: المعنى: فتولَّ عنهم إلى يوم(٣).

وانحذفت الواو من ﴿يَدۡعُ﴾ لأَن كَتَبَةَ المصحف اتَّبعوا اللَّفظ لا ما يقتضيه الهجاءُ(٤).

---

(١) انظر التحصيل (٦/ ٢٧٩).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) البحر المحيط (١٠/ ٣٥).

(٤) انظر المحكم في نقط المصاحف للداني (ص: ١٥٨).

وأَمَّا حذف الياءِ من ﴿ٱلدَّاعِ﴾ ونحوه، فقال سيبويه: حذفوها تخفيفاً.

وقال أَبو عليٍّ: حذفت مع الأَلف واللَّام؛ إِذ هي تحذف مع معاقبها وهو التنوين[١].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿نُّكُرٍ﴾ بضم الكاف.

وقرأَ ابن كثير، وشبل، والحسن: ﴿نُكْرٍ﴾ بسكون الكاف[٢].

وقرأَ مجاهد، والجحدري، وأَبو قُلابة: (نُكِرَ) بكسر الكاف وفتح الراءِ على أنه فعل مبني للمفعول[٣]، والمعنى في ذلك كله: أَنه منكور غير معروف ولا مرْئي مثلُه.

قال الخليل: «النُّكُر» نعتٌ للأَمر الشديد والرجل الداهية[٤]، وقال مالكُ بن عوف النَّضْري:

[الرجز] أَقْـدِمْ مـحـاجُ إِنَّـهُ يَـوْمٌ نُـكُـر مِثْلِـي عَلَـى مِثْلِكَ يَحْمِـي وَيَكُر[٥]

و﴿نُّكُرٍ﴾: فُعُل، وهو صفة، وذلك قليل في الصِّفات، ومنه: مِشْيَةٌ سُجُحٌ، قال الشاعر:

[البسيط] دَعُوا التَّخَاجُؤَ وامْشُوا مشْيَةً سُجُحاً إِنَّ الرِّجـالَ ذوُو عَصْـبٍ وتَذْكير[٦]

ومثله: رجلٌ شُلُلٌ، ونَاقَةٌ أُجُدٌ[٧].

---

(١) انظر الحجة للفارسي (٦/ ٢٤١).

(٢) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦١٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٢٤).

(٣) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥٣).

(٤) البحر المحيط (١٠/ ٣٥).

(٥) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٤٤٧)، ومعجم الشعراء (ص: ٣٦١)، وأنساب الخيل (ص: ٤٦).

(٦) البيت لحسَّان بن ثابت كما في الدلائل في غريب الحديث (٣/ ١١٠٤)، ومقاييس اللغة (٤/ ٣٣٦)، والمحكم والمحيط الأعظم (١/ ٤٥٠)، وأساس البلاغة (١/ ٤٣٨)، والخصائص (٢/ ١١٨). والتَّخَاجُؤُ: التباطُؤ في المشي.

(٧) ناقةٌ أُجُدٌ: متصلة الفَقار، تراها كأنها عظم واحد، والمراد: أنها قوية موثَّقَةُ الخَلْق.

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿خُشَّعًا﴾، وهي قراءَة الأعرج، وأَبي جعفر، وشيبة، والحسن، وقتادة.

وقرأَ أَبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿خَاشعاً﴾ وهي قراءَة ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، والجحدري[١]، وهي إِفراد بمعنى الجمع، ونظيره قول الشاعر:

[الرمل] وَشَبَابٌ حَسَنٌ أَوْجُهُهُمْ ... مِنْ إِيادِ بْنِ نِزَار بْنِ مَعَدْ[٢]

ورَجَّح أَبو حاتم هذه القراءَة، وذكر أن رجلاً من المتطوعة قال قبل أَن يستشهد: رأَيت النبي ﷺ في النوم فسأَلته عن ﴿خُشَّعًا﴾ و﴿خَاشِعاً﴾، فقال: ﴿خَاشِعاً﴾ بالأَلف.

وفي مصحف أُبَيٍّ بن كعب، وعبد الله: (خاشعة)[٣].

وخصَّ تعالى الأَبصار بالخشوع؛ لأَنه فيها أَظهر منه في سائر الجوارح، وكذلك سائر ما في نفس الإِنسان من حياءٍ أَو صَلَف أَو خوف ونحوه إِنما يظهر في البصر.

و﴿ٱلْأَجْدَاثِ﴾ جمع جَدَث وهو القبر، وشبَّههم تعالى بالجراد المنتشر، وقد شبَّههم في أُخرى بالفراش المبثوث[٤]، وفيهم من كل هذا شبه، وذهب بعض المفسرين إِلى أَنهم أَولاً كالفراش حين يموجون بعضٌ في بعض، ثم في رتبة أُخرى كالجراد إِذا توجَّهوا نحو المحشر والدَّاعي.

وفي الحديث: أَن مريم بنت عمران عليها السلام دعت للجراد فقالت: اللهم أَعشها بغير رضاع، وتابع بينها بغير شياع[٥].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٥)، والنشر (٢/ ٢٧٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٢٤).

(٢) عزاه في سيرة ابن هشام (١/ ٧٤) للحارس بن دوس الإيادي، قال: ويروى لأبي دُواد الإيادي.

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها لهما في مختصر الشواذ (ص: ١٤٨)، والرؤيا التي ذكر أبو حاتم لم أقف عليها.

(٤) في الآية (٤) من (سورة القارعة).

(٥) منكر، أخرجه الطبراني في الكبير (٧٦٣١)، وفي مسند الشاميين (١٢٤٣)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٤٣٣) من طريق بقية بن الوليد، عن نمير بن يزيد القيني، عن أبيه، عن أبي أمامة عن رسول الله =

و«الْمُهْطِعُ»: المُسْرِع في مَشْيه نحو الشيءِ مع هزٍّ ورَهَق ومَدِّ بصر نحو المقصد؛ إِمَّا لخَوْف أَو طمع ونحوه.

و﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ لما يَرَوْنَ من مخايل هَوله وعلامات مشقته.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾.

سَوْقُ هذه القصة وعيدٌ لقريش وضَرْبُ مَثَل لهم.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ إِخبارٌ من الله تعالى أَنهم زَجروا نوحاً عليه السلام بالسَّبِّ والنَّجْه والتخويف، قاله ابن زيد، وقرأَ: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦](١).

[٥/ ١٥٠] وذهب مجاهد إِلى أَن ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ / من كلام قوم نوح، كأَنهم قالوا: مجنون وازدُجِرَ، والمعنى: استطير جُنُوناً واستعر جنوناً. وهذا قول فيه تعسُّفٌ وتحكُّم.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وعاصم، والأَعرج، والحسن: ﴿أَنِّى﴾ بفتح الأَلف، أَي: بأَنِّي، كأَن دعاءَه كان هذا المعنى.

وقرأَ عاصم أَيضاً، وابن أَبي إِسحاق، وعيسى: (إِنِّي) بكسر الأَلف، كأَن دعاءه كان هذا اللفظ(٢).

قال سيبويه: المعنى: قال إِنِّي(٣).

= ـ ﷺ ـ: أن مريم سألت ربها لحماً بلا دم فيه فأطعمها الجراد، فقالت: اللهم أحيه بغير رضاع وتابع بينه بغير شباع. ونمير بن يزيد القيني، الشامي مجهول، وأبوه لا يعرف، كما في الميزان (٣/ ٣٨٥).

(١) انظره مع قول مجاهد في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٧٧)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٦٣) بتصرف.

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها لهم في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥٤).

(٣) الكتاب لسيبويه (٣/ ١٤٣).

وذهب جمهور المفسِّرين إلى أَن المعنى: قد غلبني الكفَّار بتكذيبهم وتخويفهم فانتصر لي منهم بأَنْ تُهلكهم.

ويحتمل أَن يريد: فانتصر لنفسك إذ كذبوا رسولك، ويؤيده قول ابن عباس رضي الله عنه: إن المراد بقوله: ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ الله تعالى، فوقعت الإجابة على نحو ما دعا نوح[(١)].

وذهبت المتصوفة إلى أَن المعنى: إنِّي قد غلبتني نفسي في إفراطي في الدعاءِ على قومي، فانتصر منِّي يا ربّ بمعاقبة إن شئتَ[(٢)].

والقولُ الأول هو الحق إن شاءَ الله تعالى، يدل على ذلك اتصال[(٣)] قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ﴾ الآية، وذلك هو الانتصار من الكفار.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿فَفَتَحْنَآ﴾ بتخفيف التَّاءِ.

وقرأَ ابن عامر، وأَبو جعفر، والأَعرج: ﴿فَفَتَّحْنَا﴾ بشدِّها على المبالغة، ورجَّحها أَبو حاتم بقوله تعالى: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص: ٥٠][(٤)].

قال النقاش: يعني بالأَبواب: المجرَّة، وهي شَرَج السماءِ كشَرَج العَيْبَة[(٥)].

وقال قوم من أَهل التأْويل: الأَبواب حقيقة، فتحت في السماءِ أَبوابٌ جَرَى منها الماءُ، وقال جمهور المفسِّرين: هو تشبيه ومجاز؛ لأَن المطر كثُر كأَنه من أَبواب.

و«الـمُنْهَمر»: الشديدُ الوقوعِ، الغزيرُ، قال امرؤ القيس:

رَاحَ تَمْرِيـهِ الصَّبَـا ثُـمَّ انْتَحَـى   فيـه شُـئْبُوبُ جَنُـوبٍ مُنْهَمِـرْ[(٦)] [الرمل]

(١) لم أقف عليه.
(٢) أشار له في البحر المحيط (١٠/ ٣٨).
(٣) في نجيبويه مكانها: «أيضاً».
(٤) القراءتان سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٠٢)، والنشر (٢/ ٢٥٨)، وقول أبي حاتم لم أقف عليه.
(٥) البحر المحيط (١٠/ ٣٨).
(٦) كما في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٧٧)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٦٤)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤١٢). وتَمْرِيهِ: تَسْتَدِرُّهُ.

وقرأَ الجمهور: ﴿ وَفَجَّرْنَا ﴾ بشدِّ الجيم.

وقرأَ ابن مسعود وأَصحابه، وأَبو حَيْوة، والمفضل عن عاصم بتخفيفها[١].

وقرأَ الجمهور: ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ على اسم الجنس الذي يعُمُّ ماءَ السماءِ وماءَ العيون.

وقرأَ علي بن أَبي طالب، والحسن، وعاصم الجَحْدري: (فالْتَقَى الماءَان).

ويروى عن الحسن: (فالتقى الماوان)[٢].

وقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ قال فيه الجمهور: المعنى: على رُتبة وحالة قد قدرت في الأزل[٣] وقضيت.

وقال جمهور من المتأَولين: المعنى: على مقادير قد قدرت في الأزل[٤] ورتبت وقت التقائه، ورَوَوْا أَن ماءَ الأَرض علا سبعة عشر ذراعاً، وكان ماءُ السماءِ ينزل عليه بقية أَربعين ذراعاً أَو نحو هذا لأَنه مما اختلفت فيه الروايات، ولا خبر يقطع العذر في شيءٍ من هذا التحديد[٥].

وقرأَ أَبو حَيْوة: (قُدِّر) بشدِّ الدَّال[٦].

و﴿ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾: هي السَّفينة، قيل: كانت أَلواحها وخشبها من ساج.

و«الدُّسُر»: المسامير، واحدها دسارٌ، وهذا هو قول الجمهور، وهو عندي من الدفع المُتَتَابع؛ لأَن المسمار يدفع أَبداً حتى يستوي.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهم في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥٤).

(٢) وهما شاذتان، انظر ما نسبه للجحدري والرواية الثانية عن الحسن في: تفسير الثعلبي (٩/ ١٦٤)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٥٤)، وفي المطبوع: «عاصم والجحدري».

(٣) في المطبوع: «الأول».

(٤) ليس في أحمد٣ إلى: «نحو هذا».

(٥) انظر البحر المحيط (١٠/ ٣٩).

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥٤).

وقال الحسن، وابن عباس أَيضاً: الدُّسر: مقادم السَّفينة؛ لأَنها تَدْسُر الماءَ؛ أَيْ: تدفعه[١]، والدَّسْر: الدَّفْع.

وقال مجاهد وغيره: الدُّسُر: نُطُق السَّفينة، وقال أَيضاً: الدُّسُر: هو أرض السَّفينة، وقال أَيضاً: أَضلاع السَّفينة[٢]. وقد تقدم القول في شرح قصة السَّفينة مستوعباً.

وجمهور الناس على أَنها كانت كهيئة السُّفن اليوم، كجُؤجؤ الطائر.

وورد في بعض الكتب: أَنها كانت مربَّعة طويلة في السماءِ، واسعة السُّفل، ضيقة العُلْو، وكان أَعلاها مفتوحاً للهواءِ والتنفس، قالوا: لأَن الغرض منها إِنما كان السلامة حتى يزول الماءُ، ولم يكن طلبَ الجري وقَصْدَ المواضع المعيَّنة، ومع هذه الهيئة فلها مجرى ومرسى، والله أَعلم كيف كانت، والجميع محتمل.

وقوله تعالى: ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾، قال الجمهور: معناه: بحفظنا وحفايتنا[٣] وتحت نظر منَّا لأَهلها، فسمَّى هذه الأَشياءَ أَعْيُناً تشبيهاً، إِذ الحافظ المُتَحَفِّي من البشر إِنما يكون ذلك الأَمْر نُصْب عينيه، وقيل: المراد: مَنْ حَفِظها من الملائكة، سمَّاهم عيوناً.

وقال الرُّمَّاني: وقيل: إِن قوله تعالى: ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾ يريد به العيون المتفجرة من الأَرض[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف.

وقرأَ أَبو السَّمال: (بِأَعْيُنَّا) مُدْغمةً[٥].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٥٨٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿وَدُسُرٍ﴾ قال: الدسر كلْكل السفينة.

(٢) لفظه في تفسير مجاهد (ص: ٦٣٤): أضلاع السفينة، وفي تفسير الطبري (٢٢/ ٥٨٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٦٤): عوارضها.

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «كفايتنا»، وسقط أول الكلمة من نور العثمانية.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص:١٤٨)، وهي من رواية العباس عن أبي عمرو.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿كُفِرَ﴾ بضم الكاف وكسر الفاءِ، واختلفوا في المعنى:

فقال ابن عباس، ومجاهد: يُراد بها الله تعالى، كأَنه قال: غَضَباً وانتصاراً لله[١]؛ أَي: انتصر لنفسه فأَنجى المؤمنين وأَغرق الكافرين.

وقال مكي: وقيل: (مَنْ) يُرادُ بها نوحٌ عليه السلام والمؤمنون؛ لأَنهم كُفِرُوا من حيث كُفِر بهم، فجازاهم الله تعالى بالنجاة[٢].

وقرأ يزيد بن رومان وقتادة وعيسى: (كَفَر) بفتح الكاف والفاء[٣].

والضمير في ﴿تَّرَكْنَٰهَآ﴾ قال مكي بن أَبي طالب: هو عائد على هذه الفعلة والقصة[٤].

وقال قتادة، والنقاش، وغيرهما: هو عائد على هذه السَّفينة، قالوا: وإِن الله تعالى أَرساها على الجودي حين تطاولت الجبال وتواضع هو، وهو جُبَيْل بالجزيرة بموضع يقال له: بَاقِرْدَى، وأَبقى خشبها هنالك حتى رأَت بعضه أَوائلُ هذه الأُمَّة[٥]، قال قتادة: وكم من سفينة كانت بعدها قد صارت رماداً[٦].

و﴿مُّدَّكِرٍ﴾ أَصله: مُذْتَكِر، أَبدلوا من التاءِ دالاً لتناسب الذَّال في النطق، ثم أَدغموا الذَّال في الدَّال، وهذه قراءَة الناس، قال أَبو حاتم: رويت عن النبي ﷺ بإِسناد صحيح[٧].

وقرأَ قتادة: (مُذَّكِرٍ) بإِدغام الثاني في الأول[٨]، قال أَبو حاتم: وذلك رديءٌ،

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢١)، وقول ابن عباس لم أقف عليه.
(٢) الهداية لمكي (١١/ ٧١٨٩).
(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها لهم في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥٤).
(٤) الهداية لمكي (١١/ ٧١٩٠).
(٥) تفسير الطبري (٠٢٢/ ٥٨٢)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٦٥).
(٦) في الأصل: «رمود»، وانظر تفسير الطبري (٢٢/ ٥٨٢)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٦٥) بتصرف.
(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٣٤١)، ومسلم (٨٢٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(٨) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: مختصر الشواذ (ص: ١٤٨).

ويلزمه أَن يقرأَ: (وَاذَّكَرَ بعد أمة)، و(وما تذَّخرون في بيوتكم)[١].

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ توقيف لقريش، و«النُّذُرُ» هنا جمع: نَذير؛ المصدر، بمعنى: كيف كان عاقبة إِنذاري لمن لم يَحْفل به كأَنتم أَيها القوم؟

و﴿يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ معناه: سهَّلناه وقرَّبناه، و(الذِّكْر): الحفظ عن ظهر قلب.

قال ابن جبير: لم يُستظهر من كتب الله تعالى سوى القرآن[٢].

قال القاضي أَبو محمد: يُسِّر بما فيه من حُسْن النظم وشرف المعنى، فله لَوْطَةٌ بالقلوب، وامتزاج بالعقول السليمة.

وقوله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ استدعاءٌ وحضٌّ على ذكره / وحفظه؛ لتكون زواجره [٥/ ١٥١] وعلومه وهداياته حاضرة في النفس.

قال مطر ـ في قوله تعالى ـ: (هل من مُدَّكر) معناه: هل من طالب عِلْم فيُعَانُ عليه؟[٣].

قال القاضي أَبو محمد: الآية تعديد نعمه في أَن الله تعالى يسَّر الهدى ولا بخل من قبله، فـللَّهِ درُّ من قبل واهتدى، وتقدم تعليل: ﴿مُّدَّكِرٍ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾.

---

(١) إشارة إلى الآيتين من (سورة يوسف)، (٤٥)، و(آل عمران)، (٤٩).

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ١٦٥) بتصرف.

(٣) مطر هو الوراق، انظر تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٠)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٥٨٤). وفي المطبوع: «مطرف».

عادٌ: قبيلة، وقد تقدَّم قصصها.

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾، موضع ﴿كَيْفَ﴾ نصب؛ إِمَّا على خبر ﴿كَانَ﴾ وإِمَّا على الحال، و﴿كَانَ﴾ بمعنى: وُجِدَ وَوَقع في هذا الوجه.

و(نُذُر) نُذُر جمع: نَذِيرٍ، وهو المصدر.

وقرأَ ورش وحده: ﴿نُذُرِي﴾ بالياءِ، وقرأَ الباقون: ﴿نُذُرِ﴾ بغير ياءٍ على خط المصحف[١].

و«الصَّرْصَرُ» قال ابن عباس، وقتادة، والضحاك: معناه: الباردة، وهو من الصرِّ[٢].

وقال جماعة من المفسِّرين: معناه: المُصَوِّتة نحو هذين الحرفين، مأْخوذ من: صرَّت الرِّيح: إِذا هبت دُفَعاً كأَنها تنطق هذين الحرفين: الصَّاد والرَّاءَ، وضوعف الفعل كما قالوا: كَبْكَب وكَفْكَف من: كَبَّ وكفَّ، وهذا كثير.

ولم يختلف القراءُ في سكون الحاءِ من ﴿نَحْسٍ﴾ وإِضافة اليوم إِليه إِلَّا ما رُوي عن الحسن أَنه قرأَ: (فِي يَوْمٍ) بالتنوين (نَحِسٍ) بكسر الحاءِ[٣].

و﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ معناه: متتابع، قال قتادة: استمر بهم ذلك النحس حتى بلغهم جهنم[٤].

قال الضحاك ـ في كتاب الثعلبي ـ: المعنى: كان مُرّاً عليهم[٥]، وذكره النقاش عن الحسن.

ورُوي: أَن ذلك اليوم الذي كان لهم فيه نحس مستمر كان يوم أَربعاءٍ، وورد في

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٨٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، وقول الباقين في الطبري (٢٢/ ٥٨٥)، والماوردي (٩/ ٤١٤).

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٢٤).

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٨٧)، بتصرف يسير.

(٥) لم أقف عليه في المطبوع من تفسير الثعلبي، وانظره في تفسير القرطبي (١٧/ ١٣٥)، ومع قول الحسن في البحر المحيط (١٠/ ٤١).

بعض الأَحاديث في تفسير هذه الآية: يوم نحس مستمر يوم الأَربعاءِ[١]، فتَأول بعض الناس في ذلك أَنه يصحبُ في الزمان كله.

وهذا عندي ضعيف، وإِن كان أَبو بشر الدولابي[٢] ذكر حديثاً رواه أَبو جعفر المنصور عن أَبيه محمد عن أَبيه علي عن أَبيه عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «آخر أَربعاء من الشهر يوم نحس مستمر»[٣].

ويوجد نحو هذا في كلام الفرس والأَعاجم، وقد وجد ذكر الأَربعاء التي لا تدور في بعض شعر الخراسانيين المولَّدين[٤].

وذكر الثعلبي عن زِرِّ بن حُبَيْش في تفسير هذا اليوم لعادٍ أَنه كان في أَربعاء لا تدور[٥].

---

(١) موضوع، أخرجه أبو عوانة في مستخرجه (٦٠٢٢)، والطبراني في الأوسط (٧٩٧-٦٤٢٢)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٨٦)، والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق (١/ ٣٧٩) وغيرهم من طريق إبراهيم بن أبي حية، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل عليه السلام فأمرني أن أقضي باليمين مع الشاهد، وقال: إن يوم الأربعاء يوم نحس مستمر»، وإبراهيم بن أبي حية اليسع بن الأشعث المكي متروك الحديث، وانظر «الموضوعات» (٢/ ٧٤).

(٢) هو أبو بشر الأنصاري الدولابي الحافظ الوراق، من أهل الري، سمع: أحمد بن أبي سريج الرازي، وخلقاً كثيراً ببلده، وبالكوفة، والبصرة، وبغداد، ودمشق، والحرمين، وصنَّف، قال ابن يونس: كان من أهل الصنعة، وكان يضعف، تاريخ الإسلام (٢٣/ ٢٧٦)

(٣) موضوع، أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٦/ ٥٨٤) من طريق محمد بن صالح الهاشمي، قال: حدثنا مسلمة بن الصلت، قال: حدثنا أبو الوزير صاحب ديوان المهدي، قال: حدثنا المهدي أمير المؤمنين، عن أبيه، عن أبيه، عن ابن عباس، عن النبي، ﷺ أنه قال: «آخر أربعاء من الشهر يوم نحس مستمر»، ومسلمة بن الصلت متروك الحديث، وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٧٣-٧٤) من عدة طرق أخرى، وقال: لا يصح منها شيء».

(٤) من ذلك كما في ثمار القلوب (ص: ٦٥٠) قول بعضهم: لقاؤك للمبكر يَوْم سوء... ووجهك أربعاء لَا تَدور.

(٥) تفسير الثعلبي (٩/ ١٦٥)، لكن لم ترد فيه نسبة القول لزر بن حبيش، وفي المطبوع: تفسير هذه الآية.

وذكره النقاش عن جعفر بن محمد، وقال: كان القمر منحوساً بزحل[١].

وهذه نَزغة سوءٍ عياذاً بالله تعالى أن تصح عن جعفر بن محمد.

وقوله تعالى: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ معناه: تنقلهم من مواضعهم نَزْعاً فتطرحهم.

وروي عن مجاهد: أَنها كانت تلقي الرجل على رأسه فيتفتَّت رأْسُهُ وعنقه وما يلي ذلك من بدنه[٢]، فلذلك حَسُن التشبيه بأَعجاز النخل، وذلك أَن المُنْقَعر هو الذي ينقلع من قعره، فذلك التشعث[٣] والتشعُّب الذي لأَعجاز النخل كان يشبهها ما تقطَّع وتشعَّث[٤] من شخص الإِنسان.

وقال قوم: إِنما شبَّههم بأَعْجاز النخل؛ لأَنهم كانوا يحفرون حُفَراً ليمتنعوا فيها من الريح، فكأَنه شبَّه تلك الحُفَر بعد النَّزع بحفر أَعجاز النَّخل، والنَّخل تُذكَّر وتُؤَنث فلذلك قال تعالى هنا: ﴿مُّنقَعِرٍ﴾، وفي غير هذه السُّورة ﴿خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].

والكاف في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ﴾ في موضع الحال، قاله الزجاج[٥].

وما رُوي من خبر الخُلْجان وغيره وقوتهم؛ ضعيف كله[٦].

وفائدة تكرار قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ التخويف وهزُّ الأَنْفُس.

قال الرُّمَّاني: لما كان الإِنذارُ أَنواعاً؛ كرَّر التذكير والتَّنبيه[٧].

وفائدة تكرار قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ التأكيد والتحريض

---

(١) لم أقف عليه، في المطبوع والأسدية٣: «في رجل» بدل «بزحل».

(٢) في المطبوع: «بين يديه»، والقول في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٨٩)، بتصرف.

(٣) سقط من الأصل.

(٤) سقط من المطبوع.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٨٩).

(٦) انظر الطبري (٢٢/ ١٣٦)، «وقوتهم» ليست في المطبوع.

(٧) لم أقف عليه.

وتنبيه الأَنْفُس، وهذا موجود في تكرار الكلام، مثل قول النبي ﷺ: «أَلَا هل بلَّغت؟ أَلَا هل بلَّغت؟ أَلَا هل بلَّغت؟»[(١)]، ومثل قوله ﷺ: «أَلَا وقولُ الزُّور، أَلا وقولُ الزُّور، أَلَا وقولُ الزُّور»[(٢)]، وكان رسول الله ﷺ إِذا سلَّم على قوم سلَّم عليهم ثلاثاً[(٣)]، فهذا كلُّه نحوٌ واحد وإِن تنوع.

و﴿ثَمُودُ﴾ قبيلة صالح عليه السلام، وهم أَهل الحِجْر.

وقرأَ الجمهور: ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا﴾، ونصبه بإِضمار فعل يدلُّ عليه ﴿نَّتَّبِعُهُۥ﴾، و﴿وَاحِدًا﴾ نعت لـ﴿أَبَشَرًا﴾.

وقرأَ أَبو السَّمَّال: (أَبَشَرٌ مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ)[(٤)]، ورفعه إِمَّا على إِضمار فعل مَبْني للمفعول، والتقدير: أَيُـنَـبَّـأُ بَشَرٌ؟ وإِمَّا على الابتداءِ، والخبرُ في قوله تعالى: ﴿نَّتَّبِعُهُۥ﴾، و﴿وَاحِدًا﴾ على هذه القراءَة حالٌ، إِمَّا من الضمير في ﴿نَّتَّبِعُهُۥ﴾ وإِمَّا من المقدَّر مع ﴿مِّنَّا﴾، كأَنهم يقولون: أَبَشَرٌ كائن منَّا واحد؟ وفي هذا نظر.

وحكى أَبو عمرو الداني: أَن قراءَة أَبي السَّمَّال: (أَبَشَرٌ مِنَّا وَاحِدٌ) بالرفع فيهما[(٥)].

وهذه المقالة من ثمود حسدٌ منهم [لصالح عليه السلام][(٦)]، واسْتبعادٌ منهم

---

(١) جاء ذلك في أكثر من حديث منها: ما أخرجه البخاري (٧١٧٤)، ومسلم (١٨٣٢) عن أبي حميد الساعدي، قال: استعمل النبي ﷺ رجلاً من بني أسد يقال له ابن الأتبية على صدقة، وفي آخره: «ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه «ألا هل بلغت»، ثلاثاً.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٤) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٩٥) عن أنس عن النبي ﷺ: أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً، حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم... إلخ.

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥٥).

(٥) وهي شاذة أيضاً، انظر نسبتها له في تفسير القرطبي (١٧/ ١٣٧) وأشار لها في تفسير الزمخشري (٤/ ٤٣٧).

(٦) سقط من الأصل ونجيبويه.

أَن يكون نوع من البشر يفضل بعضه بعضاً هذا الفضل، فقالوا: أَنكون جميعاً ونتبع واحداً، ولم يعلموا أَن الفضل بيد الله تعالى يُؤْتيه من يشاءُ، ويُفيض نور الهدى على من رَضيه.

وقولهم: ﴿فِى ضَلَـٰلٍ﴾ معناه: في أَمْرٍ مُتلِف مُهْلك بالإِتلاف.

و﴿سُعُرٍ﴾ معناه: في احتراق أَنْفُسٍ واسْتعارُهَا؛ حنقاً وهمّاً باتباعه.

وقيل في «السُّعُر»: العناءُ، وقاله قتادة[١].

وقيل: الجنون[٢]، ومنه قولهم: ناقة مسعورة: إِذا كانت تَفرط في سيرها.

ثم زادوا بالتوقيف بقولهم: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾؟ و(أُلْقيَ) بمعنى: أُنْزِلَ، وكأَنه يتضمن عجلة في الفعل، والعرب تستعمل هذا الفعل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ [طه: ٣٩]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

و﴿ٱلذِّكْرُ﴾ هنا: الرِّسالةُ وما يمكن أَن يكون جاءَهم به من الحكمة والموعظة.

ثم قالوا: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾؛ أَي: ليس الأَمر كما يزعم.

و«الأَشِر»: البَطِرُ المَرِحُ، فكأَنهم رَمَوْه بأَنَّه أَشِرَ، فأَراد العُلُوَّ عليهم وأَن يقتادهم ويتملَّك طاعتهم، فقال الله تعالى لصالح عليه السلام: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾، وهذه بالياءِ من تحت قراءَةُ علي بن أَبي طالب وجمهورِ الناس.

[٥/ ١٥٢] وقرأَ ابن عامر، وحمزة،/ وعاصم، وابن وثاب، وطلحة، والأَعمش: ﴿سَتَعْلَمُونَ﴾ بالتاءِ[٣] على معنى: قُل لهم يا صالح.

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٠٤)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤١٥)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٧٠).

(٢) تفسير الماوردي (٥/ ٤١٥).

(٣) وهما سبعيتان، الثانية لابن عامر وحمزة كما في التيسير (ص: ٢٠٦)، وعزاها لعاصم من طريق هبيرة في السبعة (ص: ٦١٨).

وقوله تعالى: ﴿غَدًا﴾ تقريب يراد به الزَّمان المسْتَقْبل لا يوماً بعينه، ونحوه المثل: مع اليوم غدٌ.

وقرأ جمهور الناس: ﴿ٱلۡأَشِرُ﴾ بكسر الشين؛ كـ: حذر بكسر الذال.

وقرأ مجاهد فيما ذكر عنه: (الأَشُرُ) بضم الشين؛ كـ: حَذُر بضم الذال، وهما بناءَان من اسم الفاعل.

وقرأ أَبو حَيوة: (الأَشَرُ) بفتح الشين، كأَنه وصف بالمصدر.

وقرأ أَبو قِلابة: (الأَشَرُّ) بفتح الشين وشدِّ الراءِ[١]، وهو الأَفعل، ولا يستعمل إِلاَّ بالأَلف واللام، وهو كان الأَصل[٢]، لكنه رفض تخفيفاً وكَثْرَةَ استعمال.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ٢٧ وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ٢٨ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ٢٩ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٣٠ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ٣١ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٣٢ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ٣٣ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ٣٤ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ٣٥﴾.

هذه النَّاقة التي اقترحوها أَن تخرج من صخرة صَمَّاءَ من الجبل، وقد تقدَّم قصصها، فأَخبر الله تعالى صالحاً عليه السلام ـ على وجه التأْنيس ـ أَنه يُخرج لهم النَّاقة ابتداءً واختباراً، ثم أَمره تعالى بارتقاب الفرج وبالصبر.

و(اصطبر) أصله: اصتبر؛ افتعل، أبدلت التاء طاء لتناسب الصاد.

ثم أَمره بأَن يخبر ثمود أَن الماء قسمة بينهم، والماء هو ماء البئر التي كانت لهم.

---

(١) ثلاث قراءات شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ١٤٨)، والأولى والأخيرة في المحتسب (٢/ ٢٩٨).

(٢) في المطبوع: «الأصيل».

واختلف المتأَولون في معنى هذه القسمة ـ فقال جمهور منهم: قسمة بينهم، يتواسونه[١] في اليوم الذي لا تَرِدُه الناقة، وذلك ـ فيما روي ـ أَن الناقة كانت ترد البئر غِبّاً، وتحتاج جميع مائه يومها، فنهاهم الله تعالى عن أَن يستأْثر أَهل اليوم الذي لا ترد الناقة فيه بيومهم، وأَمرهم بالتساوي مع الذين ترد الناقة في يومهم.

وقال آخرون: معناه: الماءُ بين جميعهم وبين الناقة قسمة.

و﴿مُّحۡتَضَرٞ﴾ معناه: محضور مشهود مُتَوَاسى فيه.

وقال مجاهد: المعنى: ﴿كُلُّ شِرۡبٖ﴾؛ أَي: من الماءِ يوماً ومن لبن الناقة يَوْماً ﴿مُّحۡتَضَرٞ﴾ لَهُمْ[٢]، فكأَنه أَنبأَهم بنعمة الله تعالى عليهم في ذلك.

و﴿صَاحِبَهُمۡ﴾ هو قُدار[٣] بن سالف، وبسببه سُمِّي الجزار القُدارَ؛ للشبه في الفعل، قال الشاعر:

[الكامل] إِنَّا لَنَضْربُ بالسُّيُوف رُءُوسَهُمْ ضَرْبَ الْقُدَار نَقيعَةَ القُدَّام[٤]

وقد تقدَّم شرح أَمر قدار بن سالف.

و(تَعَاطَى) هو مطاوع: عاطى، فكأَن هذه الفعلة تدافعها الناسُ وأَعطاها بعضهم بعضاً، فتعاطاها هو وتناول العقر بيده، قاله ابن عباس[٥]، ويقال للرجل الذي يُدخل نفسه في تحمُّل الأُمور الثقال: متعاطٍ على الوجه الذي ذكرناه، والأَصل: عَطَا يعطو: إِذا

---

(١) في المطبوع: «يتساوون فيه».

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٩٢)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٦٨). بتصرف.

(٣) في بعض النسخ: «قذار».

(٤) البيت للْمُهَلْهِل، كما في العين (١/ ١٧٢)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٤٤)، والمعاني الكبير (١/ ٣٧٧)، وتهذيب اللغة (٩/ ٥٦).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٥٩٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره بلفظ مطول.

تناول، ثم يقال: عاطى غيره، ثم يقال: تعاطى، وهذا كما يقال: جَرَى وجارَى وتجارى، وهذا كثير.

ويُروى: أَنه كان مع شَرْب ـ وهم التسعة رهط ـ فاحتاجوا ماءً فلم يجدوه بسبب وِرْد الناقة، فحمله أَصحابه على عقرها.

ويُروى: أَن ملأَ القبيل اجتمع على عقرها، ورويت أَسباب غير هذين، وقد تقدَّم ذلك.

و«الصَّيْحَةُ» يروى: أَن جبريل عليه السلام صاحها في طرف من منازلهم فتفتَّتوا وهمدوا فكانوا كهشيم المحتظر.

و«الهشيم»: ما تهشَّم وتفتَّت من الأَشياءِ.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ بكسر الظاءِ، ومعناه: الذي يصنع حظيرة من الرعاءِ ونحوهم، قاله أبو إسحاق السبيعي، والضحاك، وابن زيد[(١)].

وهي مأْخوذة من الحَظْر وهو: المَنْع، والعرب وأَهل البوادي يصنعونها للمواشي والسكنى أَيضاً من الأَغصان والشجر المورق والقصب ونحوه، ولهذا كله هشيم يتفتَّت، إِمَّا في أَول الصنعة وإِمَّا عند بلى الحظيرة وتساقط أَجزائها، وحكى الطبري عن ابن عباس[(٢)]، وقتادة أَن ﴿ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ معناه: المحترق، قال قتادة: كهشيم مُحْرَق[(٣)].

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن، وأَبو رجاءٍ: (الْمُحْتَظَرِ) بفتح الظَّاءِ[(٤)]، ومعناه الموضع الذي احتَظر، فهو مُفْتَعَل من الحظْر، أَو الشيءُ الذي احتُظر به.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٩٤-٥٩٥)، والهداية لمكي (١١/ ٧١٩٩) بتصرف.

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٩٣) من طريق أبي كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره، ومن طريق عطية العوفي بنحوه.

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٩٤).

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها للحسن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٢٥).

وقد روي عن سعيد بن جبير أنه فسَّر ﴿كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ بأَن قال: هو التراب الذي يسقط من الحائط البالي[١]. وهذا متوجه؛ لأَن الحائط حظيرة، والسَّاقط هشيم.

وقال أَيضاً هو وغيره: الْمُحْتَظِر معناه: المحرق بالنار[٢]؛ أَي: كأَنه ما في الموضع المحتظر بالنار، وما ذكرناه عن ابن عباس وقتادة هو على قراءَة كسر الظاءِ[٣]، وفي هذا التأْويل بعض البُعد.

وقال قوم: (المحتظَر) بالفتح: الهشيم نفسه، وهو مفتعَل، وهو كمسجد الجامع، وشبهه.

وقد تقدم قصص قوم لوط عليه السلام.

و«الحاصبُ»: السحابُ الرامي بالبَرَد وغيره، فشبه تلك الحجارة التي رُمي بها قومُ لوط به في الكثرة والتوالي، وهو مأْخوذ من الحصباءِ، كأَن السحاب تحصب مقصده.

ومنه قول الفرزدق:

[البسيط] مُسْتَقْبِلِينَ شَمالَ الشَّامِ تَحْصِبُهُمْ بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْشُورِ[٤]

وقال ابن المُسَيَّب: سمعت عمر بن الخطاب يقول لأَهل المدينة: حصِّبوا المسجد[٥].

و﴿ءَالَ لُوطٍ﴾: ابنتاه فيما رُوي.

و(سَحَرٍ) مصروف؛ لأَنه نكرة لم يُرَد به يوم بعينه.

وقوله: ﴿نِّعْمَةً﴾ نصب على المصدر؛ أَي: فعلنا ذلك إِنعاماً على القوم الذين نجيناهم، وهذا هو جزاؤُنا لمن شكر نعمنا وآمن وأَطاع.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٩٤)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٦٨)، والهداية لمكي (١١/ ٧١٩٩).
(٢) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٥٩٤).
(٣) لم أجد شيئاً في هذا المعنى، وتقدم العزو لقول قتادة قريباً.
(٤) تقدم في تفسير الآية (٦٨) من (سورة الإسراء).
(٥) انظر تفسير الثعلبي (٩/ ١٦٩).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾.

المعنى: ولقد أَنذر لوط قومه أَخْذنا إِيَّاهم وبَطْشتنا/ بهم؛ أَي: عذابنا لهم. [٥/ ١٥٣]

و(تَـمَارَوا) معناه: تشككوا وأَهدى بعضهم الشك إِلى بعض بتعاطيهم الشُّبَه والضلال.

و(النُّذُر) جمع نذير، وهو المصدر، ويحتمل أَن يراد بالنُّذر هنا وفي قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾ جمع نذير الذي هو اسم الفاعل.

و«الضَّيْف» يقع للواحد وللجميع، وقد تقدَّم ذكر أَضيافه وقصصهم مستوعباً.

وقوله: ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ قال قتادة: هي حقيقة، جرَّ جبريل شيئاً من جناحه على أَعينهم فاستوت مع وجوههم[١]، قال أَبو عبيدة: مَطْموسة بجلد كالوجه[٢].

وقال ابن عباس، والضحاك: هي استعارة، وإِنما حجب إِدراكهم فدخلوا المنزل فلم يروا شيئاً، فجعل ذلك كالطمس[٣].

وقوله تعالى: ﴿بُكْرَةً﴾ قيل: كان ذلك عند طلوع الفجر.

وأَدغم ابن محيصن الدال في الصاد من قوله: ﴿وَلَقَد صَّبَّحَهُمْ﴾.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٩٧).

(٢) انظر كلامه على هذه اللفظة في مجاز القرآن: (٢/ ١٦٥)، و(٢/ ٢٤١).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٩٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ قال: عمى الله عليهم الملائكة حين دخلوا على لوط.

والجمهور على غير الإِدغام[١].

و﴿بُكۡرَةً﴾ نكرةٌ هاهنا فلذلك صُرفت.

وقوله: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي﴾ يحتمل أَن يكون من قول الله تعالى لهم، ويحتمل أَن يكون من قول الملائكة، و(نذري) جمع المصدر؛ أَي: وعاقبة نُذُري التي كذَّبتم بها.

وقال تعالى: ﴿مُّسۡتَقِرٌّ﴾ في صفة العذاب؛ لأَنه لم يكشفه عنهم كاشف، بل اتصل ذلك بموتهم، وهم مدة موتهم تحت الأَرض معذبون بانتظار جهنم، ثم يتصل ذلك بعذاب النار، فهو أَمر متصل مستقر.

وكرر: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ تأْكيداً وتوبيخاً.

وروى ورش عن نافع: ﴿وَنُذُرِي﴾ بياءٍ[٢].

و﴿ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾: قومُه وأَتباعه، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] فَلَا تَبْكِ ميْتاً بَعْدَ مَيْتٍ أَجَنَّهُ عَلِيٌّ وَعَبَّاسُ وَآلُ أَبِي بَكْرِ[٣]

يريد المسلمين في مواراة النبي ﷺ، ويحتمل أَن يريد بـ﴿ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ قرابته على عُرف الآل، وخصهم بالذكْر لأَنهم عمدة القوم وكبراؤُهم.

وقوله: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يحتمل أَن يريد آل فرعون المذكورين أَخذناهم كذلك، يريدهم بالضمير؛ لأَن ذلك الإِغراق الذي كان في البحر كان بالعزَّة والقدرة، ويكون قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يريد بها التِّسع، ثم أَكَّد بـ: ﴿كُلِّهَا﴾.

ويحتمل أَن يكون قوله: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ﴾ كلاماً تامّاً ثم يكون قوله:

---

(١) بل نصف السبعة أدغموا وهم أبو عمرو وحمزة والكسائي وهشام، انظر التيسير (ص: ٤٢)، والنشر (٢/ ٣-٤).

(٢) كما تقدم قريباً.

(٣) قد تقدم في تفسير الآية (٤٩) من (سورة البقرة).

﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾ يعود الضمير في ﴿كَذَّبُواْ﴾ على جميع من ذكر من الأُمم، [ويجيءُ جميع الآيات مستقيماً، ويجيءُ قوله تعالى: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُمۡ﴾ كذلك يعود على جميع الأُمم المذكورة][(١)].

وقوله تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمۡ﴾ الآية، خطابٌ لقريش، وَقَفَهم على جهة التوبيخ، أَثَمَّ خصلة من مال أَو قوَّة أَبدان وبسطة أَو عقول أَو غير ذلك مما يقتضي أَنكم خير من هؤلاءِ المعذبين لمَّا كذَّبوا فتُرْجَى لكم بذلك الفضل النجاء من العذاب حين كذبتم رسولكم؟ أَم لكم في كتب الله المنزَّلة براءَة من العذاب؟ قاله الضحاك، وابن زيد، وعكرمة[(٢)].

ثم قال تعالى لمحمد ﷺ: أَمْ يقولونَ نَحْنُ جَميعٌ واثقون بجماعتنا بأَنَّا منتصرون بقوتنا على جهة الإِعجاب والتعاطي؟ سَيُهزمون فلا ينفع جمعهم.

وقرأَ أَبو حيْوة: (أم تَقُولُونَ) بالتَّاءِ من فوق[(٣)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾﴾.

هذه عِدَةٌ من الله تعالى لرسوله ﷺ أَن جَمْع قريش سيهزم نُصرة له، والجمهور على أَن الآية مكيَّة، وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: كنت أَقول في نفسي: أَي جمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر رأَيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع وهو يقول: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾[(٤)].

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٠٢).

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الكامل للهذلي (ص: ٦٤٢).

(٤) ظاهره الانقطاع، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٦١) عن معمر، والطبري في تفسيره =

قال القاضي أَبو محمد: فإِنما كان رسول الله ﷺ في بدر مستشهداً بالآية.

وقال قوم: إِن الآية نزلت يوم بدر، [وذلك ضعيف، والصواب أن الوعد أُنجز يوم بدر](١).

قال أَبو حاتم: قرأَ بعض القراءِ: (سَيَهْزِمُ) بفتح الياءِ وكسر الزَّاي (الْجَمْعَ) نصباً.

قال أَبو عمرو الداني: قرأَ أَبو حيْوة: (سَنَهْزِمُ) بالنون وكسر الزَّاي (الْجَمْعَ) نصباً (وَتُوَلُّونَ) بالتاءِ من فوق(٢).

ثم تُركت هذه الأَقوالُ وأُضرب عنها تهمُّماً بأَمر السَّاعة التي عذابها أَشدُّ عليهم من كل هزيمة وقِتَال، فقال تعالى: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ ﴾.

و﴿أَدۡهَىٰ ﴾ أَفْعَل من الداهية وهي الرَّزِيَّةُ العظمى تنزل بالمرءِ.

و(أَمَرّ) من المرارة، واللفظة هاهنا مستعارة لأَنها ليست فيما يُذاق.

ثم أَخبر تعالى عن المجرمين أَنهم في الدنيا في حيرة وانتلاف وفَقْد هُدى، وفي الآخرة في احتراقٍ وتَسَعُّر من حيث هم صائرون إِليه.

وقال ابن عباس: المعنى: في خُسران وجنون، والسُّعُر: الجنون(٣).

وأَكثر المفسِّرين على أَن المجرمين هنا يراد بهم الكفَّار.

= (٢٢/ ٦٠٣) من طريق معمر، عن أيوب، عن عكرمة: أن عمر قال لما نزلت ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ ﴾ سيهزم الجمع» جعلت أقول: أي جمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثب في الدرع ويقول: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ سيهزم الجمع ويولون الدبر، قال الحافظ في فتح الباري (٨/ ٦١٩): فكأن ابن عباس حمل ذلك عن عمر وكأن عكرمة حمله عن بن عباس عن عمر، وأخرجه إسحاق ابن راهويه كما في المطالب العالية (٣٧٣٥) عن عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، أن عمر فذكره. ولفظة: «يثب». ليست في المطبوع.

(١) ليس في الأصل.

(٢) وهما شاذتان، انظرهما في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥٦)، وعزا الأولى لابن أبي عبلة.

(٣) لم أقف عليه.

وقال قوم: المراد بالمجرمين: القدرية الذين يقولون إن أَفعال العباد ليست بِقَدَر من الله تعالى.

قال القاضي أَبو محمد: وهم المُتَوَعَّدون بالسَّحب في جهنم، والسَّحْبُ هو الجَرُّ.

وفي قراءَة ابن مسعود: (إِلَى النَّارِ)[١].

[وقوله تعالى ﴿ذُوقُواْ مَسَّ﴾ استعارات، والمعنى: يقال لهم على جهة التوبيخ][٢].

واختلف الناس في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾:

فقرأَ الجمهور من الناس: ﴿إِنَّا كُلَّ﴾ بالنصب، والمعنى: إِنَّا خلقنا كلَّ شيءٍ خلقناهُ بِقَدَر، وليست ﴿خَلَقْنَٰهُ﴾ في موضع الصفة لـ﴿شَيْءٍ﴾، بل هو فعل دالٌّ على الفعل المضمر، وهذا المعنى يقتضي أَن كل شيءٍ مخلوق إِلَّا ما قام دليل العقل على أَنه ليس بمخلوق كالقرآن والصفة.

وقرأَ أَبو السَّمَّال ـ ورجَّحه أَبو الفتح ـ: (إِنَّا كُلُّ) بالرفع[٣] على الابتداءِ، والخبرُ ﴿خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾، قال أَبو حاتم: هذا هو الوجه في العربية، وقراءَتنا بالنصب مع الجماعة.

وقرأَها قوم من أَهل السُّنَّة بالرفع، والمعنى عندهم على نحو ما هو عند الأَولين من أَن كلَّ شيءٍ فهو مخلوق بقَدَرٍ سابق، و﴿خَلَقْنَٰهُ﴾ ـ على هذا ـ ليست صفةً لـ﴿شَيْءٍ﴾، وهذا هو مذهب أَهل السُّنَّة، ولهم احتجاجٌ قويٌّ بالآية على هذين القولين.

وقالت القَدَرِيَّةُ ـ وهم الذين يقولون: لا قَدَر، والمرءُ فاعلٌ وحده أَفْعَالَهُ ـ: القراءَةُ: (إنا كلُّ شيء خلقناه) برفع (كُلُّ)، و(خَلَقْنَاهُ) في موضع الصفة لـ(كُلُّ)؛ أَي: إِنَّ أَمْرَنَا وشأْننا كلُّ شيءٍ خلقناه فهو بقَدَر؛ أَي: بمقدارٍ، وعلى حدٍّ ما في هيئته / وزمنه [٥/ ١٥٤]
وغير ذلك، فيزيلون بهذا التأْويل موضع الحُجَّة عليهم بالآية.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في تفسير الطبري (٢٢/ ٦٠٤)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١١٠).

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) وهي شاذة، انظرها مع الترجيح والتوجيه في المحتسب (٢/ ٢٩٩).

وقال ابن عباس: إِنِّي أَجد في كتاب الله تعالى قوماً يُسحبون في النَّار على وجوههم لأَنهم كانوا يُكذِّبون بالقَدَر، ويقولون: المرءُ يخلق أَفعاله، وإِنِّي لا أَراهم، فلا أَدري أَشَيْءٌ مضى قبلنا أَم شيءٌ بقي[١].

وقال أَبو هريرة رضي الله عنه: خاصمت قريش رسول الله ﷺ في القَدَر، فنزلت هذه الآية، قال أبو عبد الرحمن السُّلَمي: فقال رجلٌ: يا رسول الله، ففيم العمل؟ أَفي شيءٍ نستأْنفه أَمْ في شيءٍ قد فُرغ منه؟ فقال رسول الله ﷺ: «اعملوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلق لَهُ، سَنُيَسِّرُه لليُسْرَى، وسَنُيَسِّرُهُ للعُسْرَى»[٢].

وقال أَنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: «القدرية الذين يقولون الخيرُ والشرُّ بأَيدينا، ليس لهم في شفاعتي نصيب، ولا أَنا منهم ولا هم منِّي»[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ أَي: إِلَّا قَولةٌ واحدةٌ، وهي: كُنْ.

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٧١٥) عن الحسن بن عرفة، والبيهقي في الكبرى (١٩/ ٣٤٥) من طريق الحسن بن عرفة عن مروان بن شجاع الجزري عن عبد الملك بن جريج، عن عطاء بن أبي رباح قال: أتيت ابن عباس وهو ينزع من زمزم وقد ابتلت أسافل ثيابه فقلت له: قد تكلم في القدر، فقال: أو فعلوها؟ قلت: نعم، قال: فو الله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ أولئك شرار هذه الأمة، فلا تعودوا مرضاهم، ولا تصلوا على موتاهم، إن رأيت أحداً منهم فقأت عينيه بإصبعي هاتين.

(٢) حديث أبي هريرة أخرجه مسلم (٢٦٥٦) والطبري (٢٢/ ٦٠٥) وغيرهما، وقول أبي عبد الرحمن السلمي أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٠٥) وهو مرسل.

(٣) موضوع، أخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ٣٨٧)، ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٥٥) من طريق سعيد بن ميسرة، عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً بنحوه، وسعيد بن ميسرة البكري البصري قال البخاري: عنده مناكير، وقال أيضاً: منكر الحديث.
وقال ابن حبان: يروي الموضوعات، وقال الحاكم: روى عن أنس موضوعات، وكذبه يحيى القطان. انظر الميزان (٢/ ١٦٠).

وقوله تعالى: ﴿كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ تفهيم للناس بأَعجل ما يحسُّون، وفي أَشياءَ من أَمر الله تعالى أَوحى من لمح البصر.

و«الأَشياعُ»: الفِرَقُ المتشابهة في مذهب أَو دين ونحوه، الأَول شيعة للآخر، والآخر شيعة للأَول.

ثم أَخبر تعالى أَن كل أَفعال الأُمم المُهْلَكَة مكتوب محفوظ عليهم إِلى يوم الحساب، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك، وابن زيد[١].

و(مُسْتَطَرٌ) مُفْتَعل من السَّطْر، تقول: سطرتُ وأَسْطرتُ؛ بمعنى.

وروي عن عاصم شدُّ الراءِ من (مُسْتَطَرٌّ)[٢]، قال أَبو عمرو: وهذا لا يكون إِلاَّ عند الوقف، لغة معروفة.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَنَهَرٍ﴾ بفتح الهاءِ والنون على أَنه اسم الجنس يريد به الأَنهار، أَو على أَنه بمعنى سعة في الرِّزق والمنازل، ومنه قول قيس بن الحطيم:

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا   يَرَى قَائِمٌ منْ دونهَا مَا وَرَاءَهَا[٣]   [الطويل]

فقوله: (أَنْهَرْتُ) معناه: جعلت فتقها كنهر.

وقرأَ زهير الفُرْقبيُّ، والأَعمش: (وَنُهُر) بضم النون والهاءِ على أَنه جمع نهارٍ[٤]، إِذْ لا لَيْل في الجنة، وهذا سائغ في اللَّفظ قَلِقٌ في المعنى، ويحتمل أَن يكون جمع نَهَر.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٠٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسۡتَطَرٌ﴾ يقول: مكتوب، فإذا أراد الله أن ينزل كتاباً نسخته السفرة. وانظر قول الباقين في تفسير الطبري (٢٢/ ٦٠٨).

(٢) وهي شاذة، عزاها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥٧).

(٣) وقد تقدم في تفسير الآية (٣) من (سورة الفاتحة).

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها للأعمش في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٢٥)، ولزهير في المحتسب (٢/ ٢٩٩).

وقرأَ مجاهد، وحميد، وأَبو السَّمَّال، والفياض بن غزوان: (نَهْرٍ) ساكنة الهاءِ على الإِفراد[١].

وقوله تعالى: ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ يحتمل أَن يريد الصدق الذي هو ضد الكذب؛ أَي: في المقعد الذي صدقوا في الخبر به، ويحتمل أَن يكون من قولك: عُودُ صِدْقٍ؛ أَي: جيِّدٌ، ورجُلُ صِدْقٍ؛ أَي: خيِّرٌ وذو خلال حسان.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿فِي مَقْعَدِ﴾ على اسم الجنس.

وقرأ عثمان البتِّي: (في مَقَاعد) على الجمع[٢].

و«المليكُ المقتدرُ»: هو الله تعالى.

(١) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (١٠/ ٤٩)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٥٧) لابن عمر.
(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص: ١٤٩)، وانظر تفسير القرطبي (١٧/ ١٥٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الرحمن

وهي مكِّيَّة فيما قال الجمهور من الصحابة والتابعين.

وقال نافع بن أَبي نُعَيم، وعطاءٌ، وقتادة، وكُرَيْب، وعطاءٌ الخراساني، عن ابن عباس: هي مدنية نزلت عند إباية سهيل بن عمرو وغيرِهِ أَن يكتب في الصلح: «بسم الله الرحمن الرحيم»(١).

والأَول أَصح، وإِنما نزلت حين قالت قريش بمكة: ﴿وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا﴾ [الفرقان: ٦٠](٢).

وفي «السيرة»: أن ابن مسعود جهر بقراءَتها في المسجد حتى قامت إِليه أَندية قريش فضربوه، وذلك قبل الهجرة(٣).

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي (ص: ٢٧٣)، وعزا القول أنها مدنية في البيان في عد آي القرآن (ص: ٢٣٧) لقتادة، وفي تفسير الماوردي (٥/ ٤٢٢) لابن مسعود، ومقاتل، وفي جمال القراء (ص: ٤٥) لعطاء بن أبي مسلم، ونقله ابن الفرس عن الجمهور كما في الإتقان (١/ ٥٠)، واقتصر عليه بعض المفسرين، كما في تفسير الزمخشري (٤/ ٤٤٢)، تفسير ابن جزي (٢/ ٣٢٧).

(٣) ذكره ابن هشام في السيرة (١/ ٢٧٥) قال ابن إسحاق: حدثني يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه، فذكره بلفظ مطول.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ۝١١ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ۝١٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ بناءُ مبالغة من الرحمة، وهو اسم اختص الله تعالى بالاتصاف به.

وحكى ابن فُورك عن قوم: أنهم يجعلون ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ آية تامة، كأَن التقدير: الرحمنُ ربُّنا، قاله الرُّمَّاني وأَن التقدير: اللهُ الرحمنُ.

وقال الجمهور: إِنما الآية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾، فهو جزءُ آية.

وقوله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ تعديد نِعْمة؛ أي: هوَ مَنَّ به، وعلَّمه الناس، وخصَّ حُفَّاظه وفهمته بالفضل، قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»[1].

ومن الدليل على أن القرآن غير مخلوق: أَن الله تعالى ذكر القرآن في كتابه في أَربعة وخمسين موضعاً، ما منها موضع صرَّح فيه بلفظة الخلق ولا أَشار إِليه، وذكر الإِنسان على الثُّلث من ذلك في ثمانية عشر موضعاً كلها نصت على خلقه، وقد اقترن ذكرهما في هذه السورة على هذا النحو.

و﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ هنا اسم الجنس، حكاه الزهراوي وغيره[2].

و﴿ٱلۡبَيَانَ﴾: النطق والفهم والإِبانة عن ذلك بقول، قاله ابن زيد والجمهور، وذلك هو الذي فُضل به الإِنسان من بين سائر الحيوان.

وقال قتادة: هو بيان الحلال والحرام والشرائع، وهذا جزءٌ من البيان العام[3].

---

(١) صحيح، أخرجه البخاري (٥٠٢٧) من حديث عثمان رضي الله عنه.

(٢) تفسير الثعالبي (٤/ ٢٤٠).

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٢/ ٨)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٧٧) بتصرف.

وقال قتادة: ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾: آدم، وقال ابن كيسان: ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾: محمد ﷺ[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا التخصيص لا دليل عليه، وكل المعلومات داخلة في البيان الذي عُلِّمه الإِنسان، فكأَنه قال: من ذلك البيان، وفيه معتبر كون الشمس والقمر بحسبان، فحذف هذا كله، ورفع ﴿ٱلشَّمۡسُ﴾ بالابتداءِ، وهذا ابتداءُ تعديد نِعَم.

واختلف الناس في قوله تعالى: ﴿بِحُسۡبَانٖ﴾:

فقال مكي، والزهراوي، عن قتادة: هو مصدر كالحساب في المعنى، وكالغُفْران والطُّغْيان في الوزن[٢].

وقال أَبو عبيدة معمر بن المثنى، والضحاك: هو جمع حِسَابٍ، كشِهَابٍ وشُهْبان[٣].

والمعنى: إِن هذين لهما في طلوعهما وغروبهما وقطعهما / البروج وغير ذلك حساباتٌ شتى، وهذا مذهب ابن عباس[٤]، وأَبي مالك، وقتادة[٥]. [٥/ ١٥٥]

وقال ابن زيد: لولا الليل والنهار لم يدر أَحد كيف يحسب شيئاً يريد من مقادير الزمان.

وقال مجاهد: الحُسْبان: الفَلَك المستدير، شبَّهه بحسبان الرَّحى، وهو العود المستدير الذي باستدارته تدور المطحنة[٦].

---

(١) انظر قول قتادة في تفسير الطبري (٢٢/ ٧)، وقول ابن كيسان في تفسير الثعلبي (٩/ ١٧٧).

(٢) الهداية لمكي (١١/ ٧٢١٢-٧٢١٣).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ١١٩)، وقول الضحاك في الهداية لمكي (١١/ ٧٢١٣).

(٤) صحيح، أخرجه الطبري (٢٢/ ٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٤) من طريق إسرائيل عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾، قال: بحساب ومنازل يرسلان، وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس.

(٥) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٩)، بتصرف.

(٦) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٢/ ٩)، والثاني في تفسير الثعلبي (٩/ ١٧٧). و«يريد» ليست في المطبوع.

وقوله: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾، قال ابن عباس، والسدي، وسفيان: (النَّجْم): النباتُ الذي لا ساق له[١]، وسُمِّي نجماً لأَنه نَجَم؛ أَي: ظهر وطلع، وهو مناسب للشجر [نسبة بينة][٢].

وقال مجاهد، وقتادة، والحسن: (النَّجم): اسم الجنس من نجوم السماءِ، والنِّسبة التي لها من السماءِ هي التي للشجر من الأَرض لأَنهما في ظاهرهما[٣].

وسُمي الشجر من اشتجار غصونه، وهو تداخلها.

واختلف الناس في هذا السجود:

فقال مجاهد والحسن: ذلك في النجم بالغروب ونحوه، وفي الشجر بالظل واستدارته[٤]، وكذلك في النجم على القول الآخر.

وقال مجاهد أَيضاً ما معناه: إِن السجود في هذا كله تجوُّز، وهو عبارة عن الخضوع والتذلل ونحوه، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] .... تَرَى الأُكْـمَ فيه سُـجَّداً لِلْحَوَافِرِ[٥]

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الإتقان» (٢/ ٤٦)، من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَٱلنَّجْمُ﴾. قال: النجم ما ينبسط على الأرض، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٧٤) من طريق المنهال بن خليفة، عن حجاج، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (النجم) ما أنجمت الأرض والشجر ما كان على ساق. قال الذهبي في التلخيص: منهال بن خليفة ضعفه ابن معين. وقول الباقين في تفسير الثعلبي (٩/ ١٧٨).

(٢) في المطبوع والأسدية٣: «يشبه به».

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٢)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٧٨).

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ١٧٨)، وانظر الهداية لمكي (١١/ ٧٢١٤).

(٥) عجز بيت لزيد الخيل بن مهلهل صدره بِجَمْعٍ تَضِلُّ الْبُلْقُ في حَجَراتِهِ، وقد تقدم في تفسير الآية (٣٣) من (سورة البقرة).

وقال تعالى: ﴿يَسْجُدَانِ﴾ وهما جمعان لأَنه راعى اللفظة؛ لأَنه اسم مفرد اسم للنوع، وهذا كقول الشاعر:

أَلَـمْ يَحْزُنْـكِ أَنَّ حِبـالَ قَوْمِـي   وَقَوْمِـكِ قَـدْ تَبَايَنَـتَـا انْقِطَاعَا[١]   [الوافر]

وقرأَ الجمهور: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ بالنصب عطفاً على الجملة الصَّغيرة وهي ﴿يَسْجُدَانِ﴾؛ لأَن هذه جملة من فعل وفاعل، وهذه كذلك.

وقرأَ أَبو السَّمَّال: (والسَّماءُ) بالرفع[٢] عطفاً على الجملة الكبيرة وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾؛ لأَن هذه جملة من مبتدأ وخبر، والأُخرى كذلك.

وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه: (وخَفَضَ الميزان)[٣].

ومعنى (وضع): أَقَرَّ وأَثْبَت.

و﴿ٱلْمِيزَانَ﴾: العَدْلُ فيما قال الطبري، ومجاهد، وأَكثر الناس[٤].

وقال ابن عباس، والحسن، وقتادة: إِنَّهُ الميزان المعروف[٥]، وهو جزءٌ من الميزان الذي يعبَّر به عن العدل.

قال القاضي أبو محمد: ويظهر عندي أَن قوله تعالى: (وضع الميزان) يريد به العدل، وأَن قوله: ﴿أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾، وقوله: ﴿وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾، وقوله:

---

(١) البيت للقطامي كما تقدم في تفسير الآية (١١) من (سورة فصلت).

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: مختصر الشواذ (ص: ١٤٩)، والمحتسب (٢/ ٣٠١).

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في تفسير الطبري (٢٢/ ١٣)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١١٣).

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ١٣)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٧٨)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٢٤).

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٧٨) من طريق مغيرة بن مسلم، عن أبي المغيرة، قال: سمعت ابن عباس يقول في سوق المدينة: يا معشر الموالي، إنكم قد ابتليتم بأمرين أهلكت فيه أمتان من الأمم؛ الكيل والميزان. وأبو المغيرة هذا مجهول، وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق مغيرة بن مسلم قال رأى ابن عباس رجلاً يزن قد أرجح، فقال: أقم اللسان، أليس قد قال الله عز وجل ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾، وقول الباقين في تفسير الثعلبي (٩/ ١٧٨) بتصرف.

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ ﴾ يريد به الميزان المعروف، وكل ما قيل محتمل سائغ.

وقوله: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْاْ ﴾ نهي عن التعمد الذي هو طغيان بالميزان، وأَمَّا ما لا يقدر البشر عليه من التحرير بالميزان فذلك موضوع عن الناس.

و﴿ أَلَّا ﴾ هو بتقدير: «لِئَلَّا»، أَو مفعولٌ من أَجله، و﴿تَطْغَوْاْ﴾ نصب.

ويحتمل أَن تكون ﴿أَن﴾ مفسرة فيكون ﴿تَطْغَوْاْ﴾ جزماً بالنهي.

وفي مصحف ابن مسعود: (لَا تَطْغَوْا في الميزان) بغير (أَنْ)[(١)].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَلَا تُخْسِرُواْ﴾ من أَخْسَرَ؛ أَي: نَقَصَ وأَفْسَدَ.

وقرأَ بلال بن أَبي بُردة: (ولا تَخسِرُوا) بفتح التاءِ وكسر السين؛ من خَسَر.

ويقال: خَسَرَ بمعنى: نقص وأَفسد؛ كـ: جَبَرَ وأَجْبَر.

وقرأَ بلالٌ أَيضاً ـ فيما حكى عنه ابن جني ـ: (تَخْسَرُوا) بفتح التاءِ والسين من خَسِر بكسر السين[(٢)].

واختلف الناس في (الأَنام):

فقال ابن عباس في بعض ما روي عنه: هم بنو آدم فقط[(٣)].

وقال الحسن بن أَبي الحسن: هم الثقلان الجن والإِنس[(٤)].

وقال ابن عباس أَيضاً[(٥)]، وقتادة، وابن زيد، والشعبي: هم الحيوان كله[(٦)].

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في معاني القرآن للفراء (٣/ ١١٣).

(٢) وهما شاذتان، انظر الأولى في تفسير الثعلبي (٩/ ١٧٨)، والثانية في المحتسب (٢/ ٣٠٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٥)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٤٦) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله ﴿لِلْأَنَامِ﴾، يقول: للخلق.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ١٦)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٢٥).

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾، والأرض وضعها للأنام». قال: كل شيء فيه الروح.

(٦) تفسير الثعلبي (٩/ ١٧٨) بتصرف، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٢٥).

و﴿ٱلۡأَكۡمَامِ﴾ في النخل موجودة في موضعين: فجملة فروع النخلة في أكمام من ليفها، وطلع النخلة في كِمٍّ من جهة، وقال قتادة: أَكمام النخل: رقابها[١].

قال القاضي أَبو محمد: والكِمُّ من النبات: كل ما التفَّ على شيءٍ وستره، ومنه: كمائم الزهر، وبه شبه كُمُّ الثوب.

﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ﴾، الحَبُّ ذو العصف: هو البر والشعير وما جرى مجراه من الحب الذي له سنبل وأَوراق متشعبة على ساقه، وهي العصيفة إِذا يبست.

ومنه قول عَلْقمة بنِ عَبَدَة:

تَسْقِي مَذَانِبَ قَدْ مَالَتْ عَصِيفَتُهَا ... حَدُورُهَا مِنْ أَتِيِّ الماءِ مَطْمُومُ[٢] [البسيط]

قال ابن عباس: العصف: التِّبن[٣].

وتقول العرب: خرجنا نتعصَّف؛ أَي: يستعجلون عصيفة الزرع.

وقرأَ ابن عامرٍ، وأَبو البرهسم: (وَالْحبَّ)، بالنصب عطفاً على (الأَرْضَ)، (ذَا العَصْفِ وَالرَّيْحَانَ)، إِلَّا أَن أَبا البَرهْسَم خَفَضَ النون.

واختلفوا في (الريحان):

فقال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك: معناه: الرِّزْقُ[٤].

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٧)، وتفسير الثعلبي ٩/ ١٧٩).

(٢) كما في مجاز القرآن (٢/ ٢٤٢)، وسيرة ابن هشام (١/ ٥٥)، وأساس البلاغة (١/ ٦١٤)، والاختيارين (ص: ٦٣٣)، قال: واحد «المذانب»: مذنبٌ، «مطموم»: ممتلئ، و«الأتي»: السيل يأتيك من غير بلدك، و«عصيفتها»: من العصف، وهو ورق النبات كله.

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في الإتقان (٢/ ٤٦)، والبيهقي في الدلائل (١/ ١٢٣) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره، وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس قوله: ﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ﴾، قال: العصف ورق الزرع الأخضر الذي قطع رؤوسه، فهو يسمى العصف إذا يبس.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٢/ ١٩-٢٠) عن زيد بن أخزم، والمحاملي كما في تغليق التعليق =

ومنه قول الشاعر وهو النَّمِرُ بنُ تَوْلَب:

[المتقارب] سَلامُ الإلهِ وَرَيْحَانُهُ وجَنَّتُهُ وَسَماءٌ دِرَرْ[١]

وقال الحسن: هو ريحانكم هذا[٢].

وقال ابن جبير: هو كلُّ ما قام على ساقٍ[٣].

وقال ابن زيد، وقتادة: (الريحانُ): هو كل مشموم طيب الريح من النبات[٤].

وفي هذا النوع نعمة عظيمة، فمنه الأَزهار والمندل والعقاقير وغير ذلك.

وقال الفراءُ: (العصف): فيما يؤكل، و(الريحانُ): كلُّ ما لا يؤكل[٥].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾ بالرفع، وهذه القراءَة في المعنى كالأُولى، وفي الإعراب حسنة الاتساق عطفاً على ﴿فَٰكِهَةٌ﴾.

وقرأَ حمزة، والكسائي وابن محيصن: ﴿وَٱلْحَبُّ﴾ بالرفع ﴿ذو العصف والريحانِ﴾ بخفض (الرَّيْحَانِ) عطفاً على (الْعَصْفِ)[٦]، كأَن (الْحَبَّ) هُمَا لَهُ، على أَن (العَصْفَ) منه الورق وكل ما يُعصف باليد وبالريح فهو رزق البهائم، و(الريحان) منه الحبُّ فهو رزقُ الناس. والريحان ـ على هذه القراءَة ـ لا يدخل فيه المشموم إِلَّا بتكلُّف.

= (٤/ ٢٣٩) من طريق زيد بن أخزم، عن عامر بن مدك، عن عتبة بن يقظان، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كل ريحان في القرآن فهو الرزق. وفيه عتبة بن يقظان الراسبي البصري ضعيف، وأقوال الباقين في تفسير الطبري (٢٢/ ٢٠).

(١) كما في مجاز القرآن (٢/ ٢٤٣)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٢١)، والسماءُ الدِّرَرُ: هي التي تصب المطر كثيراً فيأتي بالخير الكثير.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٠)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٢٦)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٧٩).

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ١٧٩)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢١٦).

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٠)، بتصرف.

(٥) معاني القرآن للفراء (٣/ ١١٣).

(٦) وهاتان سبعيتان، وكذلك قراءة ابن عامر بالنصب، انظر التيسير (ص: ٢٠٦)، أما تلفيق أبي البرهسم فشاذ.

و«ريحان» هو من ذوات الواو، قال أَبو علي: إِمَّا أَن يكون «ريحان» اسماً وُضع موضع المصدر، وإِمَّا أَن يكون مصدراً على وزن: فَعْلان كاللَّيَّان وما جرى مجراه، أَصله: رَوْحان، أُبدلت الواو ياءً، كما أَبدلوا الياءَ واواً في: أَشاوي، وإِمَّا أَن يكون مصدراً شاذّاً في المعتل كما شذَّ كَيْنُونَة وبَيْنُونة، فأَصله: رَيْوَحان، قُلبت الواوُ ياءً وأُدغمت الياءُ في الياءِ فجاءَ (رَيِّحان) فخفف، كما قالوا: مَيِّتٌ ومَيْتٌ، وهَيِّن وهَيْن[١].

و«الآلَاءُ»: النِّعم، واحدها إِلًى؛ مثل: مِعًى، وَأَلًى؛ مثل: قفًى[٢]، حكى هذين أَبو عبيدة، وأَلْيٌ؛ مثل: أَمْرٍ، وإِلْيٌ؛ مثل: حِصْنٍ، حكى هذين الزهراوي.

والضمير في قوله تعالى: ﴿رَبِّكُمَا﴾ للجن والإِنس، وساغ ذلك ولم يُصَرَّح لهما بذكر على أَحد وجهين: إِمَّا أَنهما قد / ذكرا في قوله تعالى: ﴿لِلْأَنَامِ﴾ على ما تقدم [٥/ ١٥٦] من أَن المراد به الثقلان، وإِمَّا على أَن أَمرهما مفسَّر في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ و(خَلَقَ الـجَانَّ) فساغ تقديمهما في الضمير اتساعاً.

وقال الطبري: يحتمل أَن يقال: هذا من باب ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ [ق: ٢٤]، و: يا غلام اضربا عنقه[٣]، وقال منذر بن سعيد: خوطب من يعقل لَأن المخاطبة بالقرآن كله هي لِلإنس والجن[٤]، ويُروى: أَن هذه الآية لما قرأَها النبي ﷺ سكت أَصحابه رضي الله عنهم، فقال: «إن جواب الجن خيرٌ من سكوتكم، إني لما قرأتها على الجن قالوا: لا، بأيها نكذب يا ربنا»[٥].

---

(١) الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ٢٤٦).
(٢) في المطبوع: «نِقًى».
(٣) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٢٣).
(٤) لم أقف عليه.
(٥) غريب من حديث نافع، أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر (٦٨)، والطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٣)، والبزار في مسنده (٥٨٥٣)، عن يحيى بن سليم الطائفي، عن إسماعيل بن أمية، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله قرأ (سورة الرحمن) أو قرئت عنده، فقال: «ما لي أسمع الجن خيراً منكم جواباً لردها منكم؟ ما أتيت على قول ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلا قالت الجن: ولا بشيء من نعمة ربنا نكذب». وفي إسناد ابن أبي الدنيا زيادة عمرو بن سعد بن العاصي بين إسماعيل، ونافع.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾.

قال كثير من المفسرين: ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: آدم عليه السلام.

وقال آخرون: أَراد اسم الجنس، وساغ ذلك من حيث أَبوهم مخلوق من الصلصال.

واختلف الناس في اشتقاق الصلصال، فقال مكي فيما حكي، والنقاشُ: هو من: صَلَّ اللَّحْمُ وغيره: إِذا نَتِن[١]، فهي إِشارة إِلى الحمأَة.

وقال الطبري وجمهور المفسرين: هو من صَلَّ: إِذا صَوَّت[٢]، وذلك في الطين لكرمه وجودته، فهي إِشارة إِلى ما كان في تربة آدم عليه السلام من الطين الحُرِّ، وذلك أَن الله تعالى خلقه من طين طيِّب وخبيث ومختلف اللون، فمرَّة ذكر في خلقه هذا، ومرَّة هذا، وكل ما في القرآن في ذلك صفات ترددت على التراب الذي خُلق منه.

و(الفَخَّار): الطين الطيب إِذا مسَّه الماءُ فَخَر؛ أَي: رَبَا وعَظُم.

و﴿ٱلْجَآنَّ﴾: اسم جِنْس كالجِنَّة، و«المارج»: اللهبُ المضطرب من النار، قال ابن عباس: وهو أَحسنُ النار المختلطُ من الأَلوان شتَّى[٣].

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو: «كيف بك إِذا كنت في حُثالة من الناس قد مَرَجت عهودُهم وأَماناتُهم»[٤].

---

(١) الهداية لمكي (١١/ ٧٢١٩).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٩٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٦) من طريق محمد بن كثير، عن مسلم، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ﴾ قال: من أوسطها وأحسنها، وأخرجه أيضاً من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما: يقول: خلقه من لهب النار، من أحسن.

(٤) صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ٢١٢)، وأبو داود (٤٣٤٣) من طريق يونس بن أبي إسحاق، عن هلال بن خباب، عن أبي العلاء، عن عكرمة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ،=

وكرر قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ تأْكيداً وتنبيهاً للنفوس وتحريكاً لها.

وهذه طريقةٌ من الفصاحة معروفة، وهي من كتاب الله تعالى في مواضع، وفي حديث النبي ﷺ، وفي كلام العرب.

وذهب قوم منهم ابن قُتَيْبَة وغيره: إِلى أَن هذا التكرار إِنما هو لمَّا اختلفت النعم المذكورة كرَّر التوقيف مع كل واحدة منها، وهذا أَحسن.

قال الحسين بن الفضل: التكرار لطرد الغَفْلة ولا تأْكيد(١).

وخصَّ تعالى ذكر الْمَشْرِقَيْنِ والْمَغْرِبَيْنِ بالتشريف في إِضافة الربِّ إِليهما لِعظَمِهما في المخلوقات، وأَنهما طرفا آية عظيمة وعبرة وهي الشمسُ وجريها.

وحكى النقاش: أَن المشرقين: هما مشرق الشمس والقمر، والمغربين كذلك، على ما في ذلك من العِبَر، وكلٌّ مُتَّجه.

ومتى وقع ذكر المشرق والمغرب فهي إِشارة إِلى الناحيتين بجملتهما، ومتى وقع ذكر المشارق والمغارب فهي إِشارة إِلى تفصيل(٢) مشرق كل يوم ومغربه.

ومتى ذكر المشرقان والمغربان فهي إِشارة إِلى نهايتي المشارق والمغارب؛ لأَن ذكر نهايتي الشيءِ ذكْرٌ لجميعه.

= إذ ذكر الفتنة، فقال: «إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم، وخفت أماناتهم، وكانوا هكذا»، وشبك بين أصابعه. قال: فقمت إليه. فقلت: كيف أفعل عند ذلك، جعلني الله فداك؟ قال: «الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ بما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة». والحديث أصله في البخاري (٤٨٠) بلفظ: «يا عبد الله بن عمرو كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس»، قال الحافظ في الفتح (١/ ٥٦٦): وقد ساقه الحميدي في الجمع بين الصحيحين نقلاً عن أبي مسعود وزاد هو: «قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فصاروا هكذا» وشبك بين أصابعه.

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ١٨٠)، وفي نجيبويه وأحمد٣ ونور العثمانية والأسدية٣: «وللتأكيد».

(٢) «تفصيل» ليست في المطبوع.

وقال مجاهد: هو مشرق الصيف ومغربه، ومشرق الشتاءِ ومغربه[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ معناه: أَرسلهما إِرسالاً غير منحاز بعضهما من بعض، ومنه: مَرَجت الدابةُ، ومنه: الأمر المريج؛ أَي: المختلط الذي لم يتحصل منه شيءٌ، ومنه: ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾.

واختلف الناسُ في البحرين:

فقال الحسن، وقتادة: بحر فارس وبحر الروم[٢].

وقال الحسن أَيضاً: بحر القُلْزم واليمن وبحر الشام[٣].

وقال ابن عباس[٤]، وابن جبير: هو: بحرٌ في السماء وبحر في الأَرض.

وقال ابن عباس أَيضاً: هو مطر السماءِ ـ سمَّاهُ بحراً ـ وبحر الأَرض[٥].

والظاهر عندي: أَن قوله تعالى: ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ يريد بهما: نوعي الماءِ العذب والأُجاج، أَي خلطهما في الأرض وأَرسلهما متداخلين في وضعهما في الأَرض قريب

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٠)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٢٩)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٨١).

(٣) انظر تفسير الطبري (٢٣/ ٣٠).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس قال: بحر في السماء، وبحر في الأرض.

(٥) لم أهتد إليه.

بعضهما من بعض ولا بغي[١]، والعبرة في هذا التأْويل منيرة، وأَنشد منذر بن سعيد:

وَمْزُوجَـةُ الأَمْـوَاهِ لَا الْعَـذْبُ غَالِبٌ عَلَى المِلْحِ طِيبـاً لَا وَلَا المِلْحُ يَعْـذُبُ[٢] [الطويل]

وأَمَّا قوله تعالى: ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ فعلى التأْويلين الأَوَّلين معناهما: مُعَدَّان للالتقاءِ وحقُّهما أَن يلتقيا لولا البرزخ، وعلى القول الثالث: أَنهما يلتقيان كل سنة مرة. فمن ذهب إِلى أَنه بحر يجتمع في السماءِ؛ فهو قول ضعيف، وإِنما يتوجه اللقاءُ فيه وفي القول الرابع: بنزول المطر، وفي القول الخامس: بالأَنهار في البحر، وبالعيون قرب البحر.

و«الْبَرْزَخُ»: الحاجز في كل شيءٍ، فهو في بعض هذه الأقوال: أَجرام الأَرض، قاله قتادة[٣]، وفي بعضها: القدرة.

و«البرزخُ» أَيضاً: المُدَّة التي بين الدنيا والآخرة للموتى، فهي حاجز.

وقال بعض الناس: إِن ماءَ الأَنهار لا يختلط بالماءِ المِلْح، بل هو بذاته باق فيه، وهذا يحتاج إِلى دليل أَو حديث صحيح، وإِلَّا فالعيان لا يقتضيه.

وذكر الثعلبي في ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ أَلْغازاً وأَقوالاً باطنة لا يجب أَن يُلتفت إِلى شيءٍ منها[٤].

واختلف الناس في قوله: ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾:

فقال ابن عباس[٥]، ومجاهد، وقتادة: معناه: لا يبغي واحد منهما على الآخر[٦].

---

(١) «ولا بغي» ليست في المطبوع.

(٢) نقله عنه في البحر المحيط (١٠/ ٦٠) بلا نسبة.

(٣) انظر تفسير الطبري (٢٣/ ٣١).

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ١٨١).

(٥) الذي وقفت عليه ما أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٠) وابن أبي حاتم كما في تغليق التعليق (٤/ ٣٣٣)، والإتقان (٢/ ٤٦) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ يقول: حاجز.

(٦) تفسير الطبري (٢٣/ ٣١).

وقال قتادة أَيضاً، والحسن: لا يبغيان على الناس والعُمران[١]، وهذان القولان على أَن اللفظة من البَغْي، وقال بعض المتأَولين: هي من قولك: بَغَى: إِذا طلب، فمعناه: لا يبغيان حالاً من الأَحوال غير حالهما التي خُلقا وسُخِّرا لها.

وقال ابن عباس، وقتادة، والضحاك: ﴿ٱللُّؤْلُؤُ﴾: كبارُ الجوهر، و(المرجانُ): صغاره[٢].

وقال ابن عباس أَيضاً، ومُرَّة الهَمْدَاني عكس هذا[٣].

والوصف بالصغر هو الصواب في اللؤلؤ.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه وغيره: (المرجان): حجر أَحمر[٤]، وهذا هو الصواب في المرجان.

[٥/ ١٥٧] و«اللُّؤْلُؤُ» بناءٌ غريب، / لا يُحفظ منه في كلام العرب أَكثر من خمسة: اللُّؤْلُؤ، والجُؤْجُؤ، والدُّؤْدُؤ، واليُؤْيُؤ ـ وهو طائر ـ والبُؤْبُؤ، وهو الأَصل.

واختلف الناس في قوله تعالى: ﴿مِنْهُمَا﴾:

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ١٨١)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٢١).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، وقول الضحاك وقتادة في تفسير الطبري (٢٣/ ٣٣).

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٤) من طريق جابر الجعفي، عن عبد الله بن نجي، عن علي، وعن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: المرجان عظام اللؤلؤ. وجابر الجعفي ضعيف، وقول مرة في تفسير الطبري (٢٣/ ٣٤).

(٤) هذا الأثر أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٤) عن محمد بن حميد، عن مهران، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن عمرو بن ميمون، عن ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾. قال: المرجان حجر، وأخرجه هناد في الزهد (١٠) عن أبي الأحوص، عن عطاء بن السائب، عن عمرو بن ميمون، قال: قال عبد الله: إن المرأة من أهل الجنة ليكون عليها سبعون حلة فيرى ساقها ومخ ساقها من وراء الحلل. قال: بأن الله تبارك وتعالى قال ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨] والياقوت حجر فلو أدخلت خيطا لرأيته من فوق الحلل»، وفي رواية «١١» مرفوعاً، وأخرجه الترمذي (٢٥٣٣) به مرفوعاً، وفي (٢٥٣٤) موقوفاً وقال: وهذا أصح، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٦٧) من طريق مسروق، عن ابن مسعود قال: (المرجان): الخرز الأحمر.

فقال أَبو الحسن الأَخفش في كتاب «الحجة»: وزعم قومٌ أنه قد يخرج اللؤلؤ والمرجان من المِلْح ومن العذب[١]، وردَّ الناسُ على هذا القول؛ لأَن الحِسَّ يخالفه، ولا يخرج ذلك إِلَّا من المِلْح، وقد ردَّ الناسُ على الشاعر في قوله:

فَجَـاءَ بِهَـا مـا شِـئْتَ مِـنْ لَطَمِيَّةٍ عَلى وَجْهِهَا مَاءُ الْفُرَاتِ يَمُوجُ[٢] [الطويل]

وقال الجمهور من المتأَولين: إِنما يخرج ذلك من الأُجاج في المواضع التي تقع فيها الأَنهار والمياه العذبة، فلذلك قال تعالى: ﴿مِنْهُمَا﴾، وهذا مشهور عند الغواصين.

وقال ابن عباس، وعكرمة: إِنما تتكون هذه الأَشياءُ في البحر بنزول المطر؛ لأَن الصدف وغيرها تفتَّح أَجوافها للمطر، فلذلك قال تعالى: ﴿مِنْهُمَا﴾[٣].

وقال أَبو عبيدة ما معناه: إِن خروج هذه الأَشياءِ إِنما هي من المِلْح[٤]، لكنه تعالى قال: ﴿مِنْهُمَا﴾ تَجَوُّزاً، كما قال الشاعر:

.... مُـتَـقَـلِّـداً سَيْفاً وَرُمْـحَـا[٥] [مجزوء الكامل]

وكما قال الآخر:

.... عَلَفْتُهَا تِبْناً وَمَـاءً بَـارِدَا[٦] [الرجز]

---

(١) البحر المحيط (١٠/ ٦٠).

(٢) البيت لأبي ذُؤَيْب الهُذَلي، كما تقدم في تفسير الآية (١٢) من (سورة فاطر).

(٣) حسن، أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٥-٣٦)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٧/ ٤٦٨) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، عن عبد الله بن عبد الله الرازي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره. وقول عكرمة في تفسير الطبري (٢٣/ ٣٦).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢٤٤).

(٥) عجز بيت لعبد الله بن الزِّبَعْرى وصدره: وَلَقِيتُ زَوْجَكِ في الوَغَى، وقد تقدم في تفسير الآية (٧) من (سورة البقرة).

(٦) ينسب لذي الرُّمَّة، وقد تقدم ما فيه في تفسير الآية (٧) من (سورة البقرة).

فمن حيث هما نوعٌ واحدٌ، فخروج هذه الأَشياء إِنما هي منهما وإِن كانت تختص عند التفصيل المبالغ بأَحدهما.

وهذا كما قال تعالى: ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ﴾ [نوح: ١٥-١٦]، وإِنما هو في إِحداهن، وهي الدنيا إِلى الأَرض.

وقال الرُّمَّاني: العذب فيهما كاللقاح للملح، فهو كما يقال: الولد يخرج من الذكر والأنثى(١).

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وأَهل المدينة: ﴿يُخْرَجُ﴾ بضم الياء وفتح الراءِ ﴿اللُّؤْلُؤُ﴾ رفعاً.

وقرأَ ابن كثير، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿يَخْرُجُ﴾ بفتح الياءِ وضم الراءِ على بناءِ الفعل للفاعل، وهي قراءَة الحسن، وأَبي جعفر(٢).

وقرأَ أَبو عمرو في رواية حُسين الجعفي عنه: ﴿يُخْرِجُ﴾ بضم الياءِ وكسر الراءِ على إِسناده إِلى الله تعالى؛ أَي: بتمكينه وقدرته، ﴿اللُّؤْلُؤَ﴾ نصباً، ورواها عنه أَيضاً بالنون مضمومة وكسر الراءِ(٣).

و﴿الْجَوَارِ﴾: جمع جارية، وهي السُّفُن.

وقرأَ الحسن، والنَّخَعي: (الْجَوَارِي) بإِثبات الياءِ، وقرأَ أَبو جعفر، وشيبة بحذفها(٤).

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: ﴿الْمُنْشَآتُ﴾ بفتح الشين؛ أَي: أَنشأَها الله تعالى، أَو الناسُ.

---

(١) البحر المحيط (١٠/ ٦٠).

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٦)، والنشر (٢/ ٣٨٠-٣٨١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٢٦).

(٣) انظر نسبة الروايتين له في السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٧٩ - ٦١٩).

(٤) الحذف قراءة الجماعة، وأما الإثبات ففي الوقف ليعقوب على قاعدته، كما في النشر (٢/ ١٣٨)، وفي الوصل غير متأت أصلاً.

وقرأ حمزة، وأَبو بكر بخلاف عنه: ﴿الْـمُنْشِآتُ﴾ بكسر الشين[١]، أَي تُنشئ هي السَّيْرَ إِقْبَالاً وإِدباراً.

و(الأَعْلَامُ): الجِبالُ وما جرى مجراها من الظِّرَاب والآكام.

وقال مجاهد: ما له شراع فهو من المنشآت، وما لم يرفع له شراع فليس من المنشآت[٢].

قال القاضي أَبو محمد: قوله تعالى: ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ هو الذي يقتضي هذا الفرق، وأَما لفظة (المنشآت) فتعم الكبير والصغير.

والضمير في قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ للأَرْض، وكنَّى تعالى عنها ولم يتقدم لها ذِكْرٌ؛ لوضوح المعنى، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] إِلى غير ذلك من الشواهد.

والإِشارة بالفناءِ إِلى جميع الموجودات على الأَرض من حيوان وغيره، فغلب عبارة من يعقل فلذلك قال: ﴿مَنْ﴾.

و«الوَجْهُ» عبارة عن الذات؛ لأَن الجارحة منفية في حق الله تعالى، وهذا كما تقول: هذا وجه القول والأَمر؛ أَي: حقيقته وذاتُه.

وقرأ جمهور الناس: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾ على صفة لفظة الوجه.

وقرأ عبد الله بن مسعود، وأُبَيٌّ: (ذِي الْجَلَالِ) على صفة الرَّبِّ تعالى[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٦).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٧)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٢٣).
(٣) وهي شاذة، انظر تفسير الطبري (٢٣/ ٣٨).

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ﴾ يحتمل أَن يكون في موضع الحال من «الوجه»، والعامل فيه (يبقى)؛ أَي: هو دائم في هذه الحال.

ويحتمل أَن يكون فعلاً مُسْتَأْنفاً إِخباراً مجرداً، والمعنى: إِن كل مخلوق من الأَشياءِ فهو في قوامه وتماسكه ورزقه ـ إِن كان مما يُرزق ـ بحالِ حاجةٍ إِلى الله تعالى، فمن كان يسأَل بنطق؛ فالأَمر فيه بيِّنٌ، ومن كان من غير ذلك؛ فحاله تقتضي السؤال، فأَسند فعل السؤال إِليه.

وقوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾؛ أَيْ: يظهر شأْنٌ من قدرته التي سبقت في الأَزل في ميقاته من الزمن، من إِحياءٍ وإِماتة ورِفْعة وخَفْض وغير ذلك من الأُمور التي لا يعلم نهايتها إِلَّا هو تعالى وجلَّ. و«الشَّأْنُ» اسم جنس للأُمور.

قال الحسين بن الفضل: معنى الآية سوْقُ المقادير إِلى المواقيت[١].

وقد ورد في بعض الأحاديث: «أَن الله تعالى له في كل يوم في اللوح المحفوظ ثلاث مئة وستون نظرة، يُعِزُّ فيها ويُذلُّ، ويُحيي ويُميت، ويُغني ويُعدم، إِلى غير ذلك من الأَشياءِ، لا إِله إِلَّا هو»[٢].

وفي الحديث: أَن النبي ﷺ قرأَ هذه الآية فقيل: ما هذا الشأْنُ يا رسول الله؟ قال: «يغفرُ ذنباً، ويفرجُ كرباً، ويَرْفعُ ويَضَعُ»[٣].

---

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ١٨٤).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٦٧) من طريق ثابت البناني، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فذكره بنحوه، وقد جاء من طرق أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولا تسلم من ضعف.

(٣) حسن، أخرجه البزار في مسنده (٤١٣٧)، وابن حبان في صحيحه (٦٩٨)، والطبراني في الأوسط (٣١٤٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٤٧٩) من طريق وزير بن صبيح، عن يونس بن ميسرة، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ قال: «من شأنه أن يغفر ذنباً، أو يكشف كرباً، أو يجيب داعياً، ويرفع قوماً ويضع آخرين»، وقال رسول الله ﷺ: «فرغ الله إلى كل عبد من أجله ورزقه ومضجعه وأثره». قال البزار: وهذا الحديث قد روي عن أبي الدرداء من غير =

وذكر النَّقَّاش: أَن سبب هذه الآية قول اليهود: إِن الله استراح يوم السبت فلا ينفذ فيه شيئاً(١).

وقوله: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ عبارة عن إِتيان الوقت الذي قدَّر فيه وقضى أَن ينظر في أَمور عباده، وذلك يوم القيامة، وليس المعنى: أَنَّ ثمَّ شغلاً يتفرغ منه، وإِنما هي إِشارة وعيد، وقد قال ﷺ لِأَزَبِّ العَقَبَة: «لأَفْرُغَنَّ لك يا خبيث»(٢).

و«التَّفَرُّغ» من كل آدمي حقيقة، وفي قوله تعالى: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ﴾ جَرْيٌ على استعمال العرب.

ويحتمل أَن يكون التوعُّد بعذاب في الدُّنيا، والأَول أَبين.

وقرأَ نافع، وابن كثير، وعاصم، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿سَنَفۡرُغُ﴾ بضم الراءِ وبالنون(٣).

وقرأَ الأَعرج، وقتادة ذلك بفتح الراءِ والنون، ورويت عن عاصم(٤)/ . [٥/ ١٥٨]

ويقال: فَرَغَ بفتح الراءِ، وفَرِغَ بكسرها، ويصح منهما جميعاً أَن يقال: يَفْرُغُ بفتح الراءِ.

= وجه وهذا من أحسن إسناد يروى عنه.اهـ، وفي الباب عن ابن عمر، ومنيب بن عبد الله الأزدي، ولا تسلم من ضعف.

(١) تفسير الثعالبي (٤/ ٢٤٤).

(٢) حسن، أخرجه أحمد (٣/ ٤٦٠)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٤٤) وغيرهما من طريق ابن إسحاق، قال: حدثني معبد بن كعب بن مالك بن القين، أخو بني سلمة، عن أخيه عبد الله، عن أبيه، كعب بن مالك، قال: خرجنا في الحجة التي بايعنا فيها رسول الله ﷺ بالعقبة... القصة. وفيه «هذا أزب العقبة، هذا ابن أزيب، اسمع، أي عدو الله، أما والله لأفرغن لك».

(٣) هذه سبعية وكذلك قراءة حمزة والكسائي التي ستأتي، وفي حاشية المطبوع: في الأصول: «بضم النون والراءِ»، وهو خطأ.

(٤) وهي شاذة، عزاها في جامع البيان (٤/ ١٦٢١) لهارون وخلّاد عن حسين عن أبي بكر عن عاصم، لم يروه غيره، وانظر العزو للباقين في مختصر الشواذ (ص:١٥٠)، والمحتسب (٢/ ٣٠٣).

وقرأ عيسى [بكسر النون وفتح الراءِ][(١)]، قال أَبو حاتم: هي لغة سُفْلَى مضر.

وقرأ أَبو عمرو، وحمزة، والكسائي بالياءِ المفتوحة.

وقرأ حمزة، والكسائي بضم الراءِ[(٢)]، وقرأ أَبو عمرو بفتحها وضم الراءِ[(٣)].

وقرأ الأَعمش بخلاف وأَبو حيوة: (سَيُفْرَغُ) بضم الياءِ وفتح الراءِ وبناءِ الفعل للمفعول[(٤)].

وقرأ عيسى بن عمر أَيضاً: (سَنَفْرِغُ) بفتح النون وكسر الراءِ[(٥)].

وفي مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (سَنَفْرُغُ إِلَيْكُمْ أيها)[(٦)].

و﴿ٱلثَّقَلَانِ﴾: الجنُّ والإِنس، يقال لكل ما يعظم أَمره: ثقل، ومنه: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]، وقال النبي ﷺ: «إِني تاركٌ فيكم الثقلين: كتابَ الله وعِتْرتي»[(٧)].

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في المحتسب (٢/ ٢٠٣)، وفي الأصل والحمزوية: «بفتح النون وكسر الراء».

(٢) وهذه والأولى سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٦)، وفي المطبوع: «بضم الياء»، وهي خطأ.

(٣) كذا في المطبوع ونجيبويه والأسدية٣ والحمزوية، وهو خطأ، إذ لا فرق بينها، وبين قراءة الأخوين، مع أن قراءة أبي عمرو بالنون، كما تقدم، وسقط ذكر الراء من الأصل، فيكون إشارة لرواية حسين عنه بالياء وفتح الراء كما في جامع البيان (٤/ ١٦٢١) قال: لم يروه غيره.

(٤) وهي شاذة، نسبها للأعمش في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٢٧)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٥٩) للجعفي عن أبي عمرو.

(٥) وهي شاذة، انظرها في البحر المحيط (١٠/ ٦٤).

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها له في تفسير الثعلبي (٩/ ١٨٥).

(٧) صحيح، أخرجه أحمد (١/ ١١٨)، والنسائي في الكبرى (٨٠٩٢-٨٤١٠) واللفظ له من طريق الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، لما رجع رسول الله ﷺ عن حجة الوداع، ونزل غدير خُمٍّ، أمر بدَوحات فقُمِّمْنَ، ثم قال: «كأني قد دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا، حتى يردا علي الحوض، ثم قال: إن الله مولاي، وأنا ولي كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي، فقال: من كنت وليه، فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه». وله طرق أخرى عن زيد بن ثابت رضي الله عنه بألفاظ مختلفة، وفي الباب عن أبي سعيد الخدري، وجابر.

ويقال لبيض النعام: ثَقَلٌ، قال لبيد:

فَتَذَكَّرا ثَـقَـلاً........................ .... [الكامل]

البيت[١]

وقال جعفر بن محمد الصادق: سُمِّي الجن والإِنس ثقلَيْن؛ لأَنهما ثقلا بالذنوب[٢].

وهذا بارع ينظر إِلى خلقهما من طين ونار.

وقرأَ ابن عامر: ﴿أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ بضم الهاءِ[٣].

واختلف الناس في معنى قوله: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ﴾ الآية:

فقال الطبري: قال قوم: في الكلام محذوف تقديره: يقال لكم: يا معشر الجن والإِنس، قالوا: وهذه حكاية عن حال يوم القيامة (يوم التنادِّ)، على قراءَة من شدّد الدَّال[٤].

قال الضحاك: وذلك أَنه يفرُّ النَّاس في أَقطار الأَرض، والجنُّ كذلك، لما يرون من هول يوم القيامة، فيجدون سبعة صفوف من الملائكة قد أَحاطت بالأَرض فيرجعون من حيث جاؤوا، فحينئذ يقال لهم: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾[٥].

وقال بعض المفسرين: بل هي مخاطبة في الدنيا، والمعنى: إِن استطعتم الفرار من الموت بأَن تنفذوا من أَقطار السماوات والأَرض.

---

(١) بيت لبيد هو:

حتىٰ إذا ألقت يداً في كافر ... وأجن عورات الثغور ظلامها

وقال في المحتسب (٢/ ٢٣٣) وأصله لثعلبة بن صعير المازني:

فتـذكرا ثـقـلاً رثيـداً بعدمـا ... ألقـت ذكـاء يمينهـا في كـافر

وقد تقدما في الآية (٧) من (سورة البقرة)، فبسبب الشبه بينهما وقع الخطأ.

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ١٨٦).

(٣) وهي سبعية، كما تقدم في نظيرتيها في (النور) و(الزخرف)، وانظر السبعة (ص: ٦٢٠).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٢)، وفيه إشارة إلى الآية (٣٢) من (سورة غافر)، وقد تقدم تخريج هذه القراءة الشاذة هناك.

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٢)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٢٦-٧٢٢٧)، بتصرف.

وقال ابن عباس: إِن استطعتم بأذهانكم وفكركم أَن تَنْفُذُوا، فتعلموا علْم أَقطار السماوات والأَرض(١).

و«الأَقطارُ»: الجهات.

وقوله: ﴿فَٱنفُذُواْ﴾ صيغته الأَمر ومعناه التعجيز.

و«السُّلطان» هنا: القوة على غرض الإنسان، ولا يستعمل إِلَّا في الأَعظم من الأَمر والحجج أَبداً من القوي في الأُمور، فلذلك يعبِّر كثير من المفسرين عن السلطان بأَنه الحُجَّة.

وقال قتادة: السلطان هنا الملك، وليس لهم ملك(٢).

و«الشُّوَاظ»: لهبُ النار، قاله ابن عباس وغيره(٣).

وقال أَبو عمرو بن العلاءِ: لا يكون الشواظ إِلَّا من النار وشيءٍ معها(٤).

قال القاضي أَبو محمد: وكذلك النار كلها لا تُحَسُّ إِلَّا وشيءٌ معها.

وقال مجاهد: «الشُّواظُ»: هو اللهب الأخضر المنقطع(٥)

ويؤيد هذا القولَ قولُ حسَّان بن ثابت يهجو أُميَّة بن أَبي الصَّلْت:

[الوافر] هَجَوْتُكَ فاخْتَضَعْتَ حَليفَ ذُلٍّ بِقَافِيَةٍ تَأَجَّجُ كالشُّوَاظ(٦)

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢١٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٤)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٣٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٥)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٤٦) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس فذكره، وأخرجه أيضاً من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) انظر تفسير الثعلبي (٩/ ١٨٦).

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٦).

(٦) كما في مسائل نافع بن الأزرق (ص: ٤٩)، وسيرة ابن هشام (١/ ٣٥٦)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٨٦)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٣٥)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١٣٣) إلا أنه جعلها في أبي سفيان بن الحارث، ولعله خطأ منه.

وقال الضحاك: هو الدخان الذي يخرج من اللهب، وليس بدخان الحطب[١].

وقرأ الجمهور: ﴿شُوَاظٌ﴾ بضم الشين.

وقرأ ابن كثير وحده، وشبل، وعيسى: ﴿شِوَاظٌ﴾ بكسر الشين، وهما لغتان[٢].

وقال ابن عباس، وابن جُبَيْر: «النُّحاسُ»: الدُّخان[٣]، ومنه قول الأعشى:

يُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيـ ـطِ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فيهِ نُحَاسَا[٤] [المتقارب]

والسليط: دُهن الشَّيْرَج.

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿وَنُحَاسٌ﴾ بالرفع عطفاً على ﴿شُوَاظٌ﴾، فمن قال: إِن النحاس هو المعروف ـ وهو قول مجاهد، وابن عباس أَيضاً ـ قال: ويرسَلُ عليهما نحاسٌ؛ أَي: يُذاب ويُرْسَل عليهما[٥]، ومن قال: هو الدخان، قال: يُعذبون بدخان يُرسل عليهما.

وقرأ ابن كثير، وأَبو عمرو، والنَّخَعي، وابن أَبي إِسحاق: ﴿وَنُحَاسٍ﴾ بالخفض[٦] عطفاً على ﴿نَّارٍ﴾، وهذا مستقيم على ما حكيناه عن أَبي عمرو بن العلاءِ.

ومن رأَى أَن «الشواظ» يختص بالنار؛ قدَّر هنا: وشيءٍ من نحاس.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٧).

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٦).

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٧) من طريق موسى بن عمير، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره. وموسى بن عمير القرشي متروك، وأبو صالح هو باذام مولى أم هانيء بنت أبي طالب، وقول ابن جبير في تفسير الطبري (٢٣/ ٤٧)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٨٧).

(٤) البيت للنابغة الجعدي، كما في مجاز القرآن (٢/ ٢٤٤)، والشعر والشعراء (١/ ٢٨٥)، والكامل للمبرد (١/ ٢٩١)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٤٨)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٨٧)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢٨)، والبحر المحيط (١٠/ ٥٢)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٧٢)، وقد تابع المؤلف في نسبته للأعشى الحلبي في الدر المصون (١٠/ ١٧٢) عازياً للخليل.

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وقول مجاهد في تفسير الطبري (٢٣/ ٤٨).

(٦) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٦).

وحكى أَبو حاتم عن مجاهد أَنه قرأَ: (وَنِحَاسٍ) بكسر النون والجرِّ.

وعن عبد الرحمن بن أَبي بكر: أَنه قرأَ: (وَنَحُسُّ) بفتح النون وضم الحاءِ والسين المشددة [على أَنه فعل][1]، كأَنه يقول: وَنَقْتُلُ بالعذاب.

وعن ابن جندب أَنه قرأَ: (وَنَحْسٌ) كما تقول: يومٌ نحْسٌ.

وحكى أَبو عمرو مثل قراءَة مجاهد عن طلحة بن مصرف، وذلك لغة في نُحاس، وقيل: هو جمع نَحس[2].

ومعنى الآية مستمر في تعجيز الجن والإِنس؛ أَي: أَنتما بحال من يُرسل عليه هذا فلا تنتصران.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾.

جواب (إذا) محذوف مقصود به الإِبهام، كأَنه تعالى يقول: فإِذا انشقت السماءُ فما أَعظم الهول، وانشقاقُ السماءِ: انْفطارُها عند القيامة.

وقال قتادة: السماءُ اليوم خضراءُ، وهي يوم القيامة حمراءُ[3].

فمعنى قوله: ﴿وَرْدَةً﴾؛ أَي: كحمرة الورد، وهو النوار المعروف، وهذا قول الزجاج والرمَّاني[4].

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) وكلها شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص:١٥٠)، والمحتسب (٢/ ٣٠٢)، والشواذ للكرماني (ص:٤٥٩).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٨٧).

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج (٥/ ١٠١).

وقال ابن عباس، وأَبو صالح، والضحاك: هي من لون الفرس الورد[١]، فأُنِّث لكون السماءِ مؤنثة.

واختلف الناس في قوله: ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾:

فقال مجاهد، والضحاك: هو جمع دهن، قالوا: وذلك أن السماءَ يعتريها يوم القيامة أَلوانٌ[٢] وذَوبٌ وتميُّعٌ من شدة الهول[٣]، وقال بعضهم: شبَّه لَمعانها بلمعان الدُّهن، وقال جماعة من المتأَولين: الدهان: الجِلْد الأَحمر، وبه شبهها، وأَنشد منذر بن سعيد:

يَبِعْنَ الدِّهَان الحُمْرَ كُلَّ عَشِيَّة   بِمَوْسِمِ بَدْرٍ أَوْ بِسُوق عُكَاظِ[٤]   [الطويل]

وقوله تعالى: ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ﴾ نفي للسؤال، وفي القرآن الكريم آيات تقتضي أَن في القيامة سؤالاً، وآياتٌ تقتضي نفيه؛ كهذه وغيرها.

فقال بعض / الناس: ذلك في مواطن دون مواطن، وهو قول قتادة وعكرمة[٥]. [٥/ ١٥٩]

وقال ابن عباس، وهو الأَظهر في ذلك: إِن السؤال متى أُثبت فهو بمعنى التقرير والتوبيخ، ومتى نُفي فهو بمعنى الاستخبار المحض والاستعلام[٦]؛ لأَن الله تعالى عليم بكل شيءٍ.

---

(١) حسن، أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٩) من طريق قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس، وانظر فيه قول الباقين (٢٣/ ٥٠).

(٢) «أَلوانٌ»: ليست في الأصل ونجيبويه والحمزوية.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٠).

(٤) نقله عنه أيضاً الحلبي في الدر المصون (١٠/ ١٧٤)، بلا نسبة.

(٥) تفسير الثعلبي (٩/ ١٨٨).

(٦) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ يقول تعالى ذكره: لا يسألهم عن أعمالهم، ولا يسأل بعضهم عن بعض وهو مثل قوله: ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ومثل قوله لمحمد ﷺ ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾.

وقال الحسن، ومجاهد: لا تسأَل الملائكة عنهم لأَنهم يعرفونهم بسيماهم، والسِّيما التي يُعرف بها المجرمون هي سواد الوجوه وزرق العيون في الكفرة، قاله الحسن(١).

ويحتمل أَن يكون غير هذا من التشويهات.

واختلف المتأَولون في قوله تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾:

فقال ابن عباس: يؤخذ كل كافر بناصيته وقدمه فيُطوى ويُجمع كالحطب، ويُلقى كذلك في النار(٢).

وقال النقاش: رُوي أَن هذا الطيَّ على ناحية الصلب قَعَساً، وقاله الضحاك(٣).

وقال آخرون: بل على ناحية الوجه، قالوا: فهذا معنى ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾.

وقال قومٌ ـ في كتاب الثعلبي ـ: إِنما يُسحب الكفرة سحباً، فبعضهم يُجر بقدميه، وبعضهم بناصيته، فأخبر في هذه الآية أَن الأخذ يكون بالنواصي ويكون بالأقدام(٤).

وقوله: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ قبلها محذوف تقديره: يُقال لهم على جهة التوبيخ والتقرير.

وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه: (هَذِهِ جَهَنَّمُ التي كُنْتُمَا بِهَا تُكَذِّبان، تَصلَيَانها لا تَموتَانِ فيها وَلَا تَحْيَيَان)(٥).

وقرأَ جمهور الناس: ﴿يَطُوفُونَ﴾ بفتح الياءِ وضم الطاءِ وسكون الواو.

وقرأَ طلحة بن مصرف: (يُطَوَّفُونَ) بضم الياءِ وفتح الطاءِ وشد الواو.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن: (يُطَافُونَ)، وهي قراءَة علي بن أَبي طالب(٦)، والمعنى في هذا

---

(١) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٩/ ١٨٨)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٣٠-٧٢٣١)، بتصرف.

(٢) انظر البحر المحيط (١٠/ ٦٦).

(٣) تفسير القرطبي (١٧/ ١٧٥). والقَعَس: نقيض الحَدَب.

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ١٨٨)، بتصرف.

(٥) وهي شاذة، مخالفة للمصحف، انظر نسبتها له في تفسير الطبري (٢٣/ ٥٣)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١١٧).

(٦) وهما شاذتان، انظر نسبتهما لطلحة وعلي في مختصر الشواذ (ص: ١٥٠)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٦٠).

كله: أَنهم يتردَّدون بين نار جهنم وجمرها وبين حميم، وهو ما غلي في جهنم من مائع عذابها.

و«الحميم»: الماءُ السخن.

وقال قتادة: إِن العذاب الذي هو الحميم يُغلى منذ خلق الله تعالى جهنم(١).

وأَنى الشيءُ: حَضَر، وأَنَى اللحم أَو ما يُطبخ أو يُغلى: نضج وتناهى حرُّه والمرادُ منه.

ويحتمل أَن يكون من هذا ومن هذا، وكونه من الثاني أَبين، ومنه قوله تعالى: ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ومن المعنى الآخر قول الشاعر:

[الوافر] .... أَنَى وَلِكُلِّ حَامِلَةٍ تَمَامُ(٢)

ويشبه أَن يكون الأَمر في المعنيين قريباً بعضه من بعض، والأَولُ أَعمُّ من الثاني.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٧ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ۝٤٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٩ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝٥٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥١ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٣ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۝٥٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٥ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧﴾.

(مَن) في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ﴾ يحتمل أَن تقع على جميع المتصفين بالخوف الزاجر عن معاصي الله تعالى، ويحتمل أَن تقع لواحد منهم، وبحسب هذا قال بعض الناس في هذه الآية: إِن كل خائف له جنتان، وقال بعضهم: إِن جميع الخائفين لهم جنتان.

و«الْمَقَامُ»: هو وقوف العبد بين يدي ربه تعالى، يفسره ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، وأَضَافَ المقام إِلى الله تعالى من حيث هو بين يديه.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٤)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٨٨) بتصرف.

(٢) هذا عجز بيت، صدره: تَمَخَّضَتِ الْمَنُونُ لَهُ بِيَوْمٍ، وقد تقدم في تفسير الآية (٥٣) من (سورة الأحزاب) بلفظ: ولكل خاتمة.

قال الثعلبي: وقيل: ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: قيامُه على العبد[١]، بيانه ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]، وحكى الزهراوي هذا المعنى عن مجاهد[٢].

وفي هذه الإِضافة تنبيه على صعوبة الموقف، وتحريض على الخوف الذي هو أَسرع المطايا إِلى الله عزَّ وجلَّ.

وقال قوم: أَراد جنة واحدة وثَنَّى على نحو قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ [ق: ٢٤]، وقول الحجاج: يا غلام اضربا عنقه[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف؛ لأَن معنى التثنية متَّجه بلا وجه للفرار إِلى هذه الشَّاذَّة، ويؤيد التثنية قوله: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾، وهي تثنية «ذات» على الأصل؛ لأَن أَصل «ذات»: «ذوات».

و«الأَفْنَان»: يحتمل أَن يكون جمع فَنَنٍ؛ وهو الغُصْن، وهذا قول مجاهد[٤]، فكأَنه تعالى مدحها بظلالها وتكاثف أَغصانها.

ويحتمل أَن يكون جمع فَنٍّ، وهو قول ابن عباس[٥]، فكأَنه تعالى مدحها بكثرة أَنواع فواكهها ونعيمها.

و﴿زَوْجَانِ﴾ معناه: نوعان.

و﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ حالٌ، إِمَّا من محذوف تقديره: يتنعمون متكئين، وإِما من قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾، والاتكاء: جلسة المتنعِّم المتمتِّع.

---

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ١٨٩). ولفظة: «وقيل» سقطت من المطبوع.
(٢) لم أقف عليه.
(٣) تقدم في تفسير آية (سورة ق).
(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٠)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٨٩) بتصرف يسير.
(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، قوله: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ يقول: فيما بين أطراف شجرها، يعني: يمس بعضها بعضاً كالمعروشات، ويقال: ذواتا فضول عن كل شيء.

وقرأ جمهور الناس: ﴿فُرُشٍ﴾ بضم الراء، وقرأ أبو حيوة: (فُرْشٍ) بسكون الراء[١].

وروي في الحديث: أنه قيل لرسول الله ﷺ: هذه البطائن من إستبرق، فكيف الظواهر، قال ﷺ: «هي من نور يتلألأ»[٢].

و«الإستبرق»: ما خشن وحسن من الديباج.

و«السُّنْدُسُ»: ما رَقَّ منه، وقد تقدم القول في لفظة (الإستبرق).

وقرأ ابن محيصن: (مِن اسْتَبْرَقَ) على أنه فعل والألف وصل[٣].

والضمير في قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ﴾ للفُرُش، وقيل: للجنات؛ إذ الجنتَّان جنات في المعنى.

و«الجَنَى»: ما يُجْتَنَى من الثمار، ووصفه بالدنُوِّ؛ لأنه فيما رُوي في الحديث يتناوله المرء على أي حالة كان من قيام أو جلوس أو اضطجاع؛ لأَنه يدنو إلى مشتهيه.

و﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾: هنَّ الحور العين قصرن ألحاظهن على أزواجهن.

وقرأ أبو عمر عن الكسائي وحده، وطلحةُ، وعيسى، وأصحابُ علي، وابنُ مسعود: ﴿يَطْمُثْهُنَّ﴾ بضم الميم، وقرأ جمهور القراءِ: ﴿يَطۡمِثۡهُنَّ﴾ بكسر الميم[٤].

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في تفسير القرطبي (١٧/ ١٧٩)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٦٠).

(٢) لم أهتد إليه بهذا اللفظ، وقد أخرج الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٤٣) من طريق سفيان عن أبي إسحاق، عن هبيرة بن يريم، عن ابن مسعود، في قوله: ﴿فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖ﴾ قال: قد أخبرتم بالبطائن، فكيف لو أخبرتم بالظواهر.

(٣) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٠٣).

(٤) وهما سبعيتان، والضم في الأول لأبي عمر الدوري عن الكسائي، وفي الثاني لأبي الحارث عنه، انظر التيسير (ص: ٢٠٧)، وللباقين في معاني القرآن للفراء (٣/ ١١٩)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٩٧). وفي المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية: «أبو عمرو»، وهو خطأ.

والمعنى: لم يَفْتَضَّهُنَّ؛ لأن الطمْثَ دم الفرج، فيقال لدم الحيض: طمثٌ، ويقال لدم الافتضاض: طَمْثٌ، فإذا نفي الافتضاض، فقد نُفي القرب منهن على جهة الوطء.

قال الفراءُ: لا يقال «طَمَثَ» إلَّا إذا افتضَّ(١).

وقال غيره: «طَمَثَ» معناه: جامع بِكْراً أو غيرها.

واختلف الناس في معنى قوله: ﴿وَلَا جَآنٌّ﴾:

فقال مجاهد: الجن قد تجامع نساءَ البشر مع أَزواجهن إذا لم يذكر الزوجُ الله تعالى، فنفى في هذه الآية جميع المجامعات(٢).

وقال ضمرة بن حبيب(٣): الجِنُّ في الجنَّة لهم قاصرات الطرف من الجن نوعهم، فنفى في هذه الآية الافتضاض عن البشريَّات والجنِّـيَّات(٤).

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل اللفظ أن يكون مبالغة وتأكيداً كأنه تعالى قال: لم يطمثهن شيءٌ، أراد العموم التام لكنه صرَّح من ذلك بالذي يُعقل منه: أنه يَطْمِث.

[٥/ ١٦٠] / وقال أبو عبيدة والطبري: إن من العرب من يقول: ما طَمَثَ هذا البعيرَ حبلٌ قط؛ أي: ما مسَّه(٥)، فإن كان هذا المعنى: ما أدماه حبلٌ فهو يقرب من الأَول، وإلاَّ فهو معنى آخر غير ما قدمناه.

وقرأَ الحسن، وعمرو بن عبيد: (وَلَا جَأْنٌ) بالهمز(٦).

---

(١) معاني القرآن للفراء (٣/ ١١٩).

(٢) انظر تفسير الطبري (٢٣/ ٦٥)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٩١)، بتصرف.

(٣) في المطبوع: «حمزة»، وهو ضمرة بن حبيب الزبيدي الحمصي، روى عن شداد بن أوس، وعوف ابن مالك الأشجعي، وأبي أمامة، وجماعة، وعنه ابنه عتبة، وأبو بكر بن أبي مريم، ومعاوية بن صالح، وآخرون، قال أبو حاتم: لا بأس به. تاريخ الإسلام (٧/ ٣٨٥).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٥)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٩١)، بتصرف.

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٣)، ومجاز القرآن (٢/ ١٢٠).

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها لهما في المحتسب (٢/ ٣٠٤).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾﴾.

﴿ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ هي من الأَشياء التي قد برع حُسْنُها، واستشعرت النفوسُ جلالها، فوقع التشبيه بها لَا في جميع الأوصاف، لكن فيما يُشبه ويحسن بهذه المشبهات.

فالياقوت في امِّلَاسِهِ وشفوفه، ومنه قول النبي ﷺ في صفة المرأة من نساء أهل الجنة: «يُرَى مخُّ ساقها من وراء العظم»[١].

والمرجان في امِّلاسِهِ وجمال منظره، وبهذا النحو من النظر سمَّت العربُ النساءَ بهذه الأشياء؛ كدُرَّة بنت أبي لهب، ومَرْجانة أم سعيد، وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ آيةُ وعْدٍ وبسط لنفوس جميع المؤمنين لأنها عامة، قال ابن المنكدر، وابن زيد، وجماعة من أهل العلم: هي للبَرِّ والفاجر[٢].

والمعنى: إن جزاء من أحسن بالطاعة أن يُحسن إليه بالتنعيم.

وحكى النقاش: أن النبي ﷺ فسَّر هذه الآية فقال: «هل جزاءُ التوحيد إلَّا الجنة»[٣].

---

(١) صحيح، أخرجه البخاري (٣٢٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ، قال: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان، كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن، يسبحون الله بكرة وعشياً، لا يسقمون، ولا يمتخطون، ولا يبصقون، آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم الألوة».

(٢) انظر تفسير الطبري (٢٣/ ٦٨).

(٣) لم أقف عليه.

قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾، اختلف الناس في معنى ﴿مِن دُونِهِمَا﴾:

فقال ابن زيد وغيره: معناه إن هاتين دون تَيْنك في المنزلة والقدر، والأُولَيان جَنَّتا السابقين، والأخريان جَنَّتَا أصْحَاب اليمين[١].

قال الرُّمَّاني: قال ابن عباس: الجنات الأَربع للخائف مقام ربِّه.

وقال الحسن: الأُولَيان للسابقين والأُخريان للتابعين.

وقال ابن عباس: المعنى: هما دونهما في القرب إلى المُنعَّمين، وهاتان المُؤَخَّرتا الذِّكر أفضل من الأُولَيَيْن[٢]، يدل على ذلك: أنه وصف عينَي هاتين بالنَّضْخ، والأُخريين بالجري فقط، وجعل هاتين مُدْهَامَّتَيْن من شدة النِّعمة، والأُولَيَيْن ذواتا أفنان، وكل جنة ذات أفنان وإن لم تكن مُدْهَامَّة.

وأكثر الناس على التأويل الأول، وهذه استدلالات ليست بقواطع.

ورُوي عن أبي موسى الأشعري أنه قال: «جنتان للمقربين من ذهب، وجنتان لأهل اليمين من فضة هما دون الأُولَيَيْن»[٣].

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٨)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٩٣).

(٢) انظر قولي الحسن وابن عباس في البحر المحيط (١٠/ ٧٠).

(٣) صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٨١٤) عن عبد الصمد بن عبد الوارث، ومن طريقه الحاكم (٢/ ٥١٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٥٧)، والبيهقي في البعث والنشور (٢١٩) من طريق آدم بن أبي إياس، وأبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (١٤١٤)، والبيهقي في البعث والنشور (٢١٨) من طريق سليمان بن حرب جميعهم ـ عبد الصمد، وآدم، وسليمان ـ عن حماد بن سلمة، عن أبي عمران الجوني، وثابت البناني، عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري، عن أبيه قال: في هذه الآية: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ قال: جنتان من ذهب للسابقين، وجنتان من فضة للتابعين، وفي رواية ابن أبي شيبة، والحاكم في أحد روايتيه بدون ثابت البناني، وقد اختلف على حماد فرواه عنه الجماعة موقوفاً، وخالفهم مؤمل بن إسماعيل فرواه عنه به مرفوعاً، أخرجه الدينوري في المجالسة (١٤١٥-٢٧٨٧)، وأبو نعيم في صفة الجنة (٤٣٦) من طريق مؤمل، عن حماد به، وأخرجه أحمد في الورع (٣٧٥) عن عفان، عن بكر بن أبي موسى، عن أبيه، فذكره موقوفاً عليه.

و﴿ مُدۡهَآمَّتَانِ﴾ معناه: قد علا لونَها دُهْمةٌ وسوادٌ من النضرة والخضرة، كذا فسَّره ابن الزبير على المنبر[١]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ❁ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾ [الأعلى: ٤-٥].

و«النَّضَّاخة»: الفوَّارة التي يهيج ماؤُها، قال ابن جبير: المعنى: نضاختان بأنواع الفواكه[٢].

وهذا ضعيف.

وكرر تعالى «النَّخْل» و«الرُّمَّان»؛ لأنهما ليسا من الفاكهة.

وقال يونس بن حبيب وغيره، كررهما ـ وهما من أفضل الفاكهة ـ تشريفاً لهما وإشادة بهما، كما قال تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨][٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾﴾.

﴿خَيۡرَٰتٌ﴾ جمع خَيْرَةٍ، وهي أَفضل النساءِ، ومنه قول الشاعر:

ولَقَـدْ طَعَنْـتُ مَجامِـعَ الرَّبَلَاتِ رَبَلَاتِ هِنْـدٍ خَيْـرَةِ الملكاتِ[٤] [الكامل]

---

(١) ضعيف، أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٢٣٨)، والطبري في تفسيره (٢٢/ ٧٠) من طريق مروان بن معاوية، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن جارية بن سليمان، أن ابن الزبير قال: ﴿ مُدۡهَآمَّتَانِ﴾، قال: خضراوان من الري. وجارية بن سليمان المسلي الحارثي مجهول الحال؛ فلم يرو عنه غير إسماعيل بن أبي خالد وقد ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٢٣٨)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ٥٢٠)، وابن حبان في الثقات (٤/ ١١٥) ولم يذكروا فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٧٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٤١)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٩٣).

(٣) انظر قوله في البحر المحيط (١٠/ ٧٠).

(٤) البيت تقدم في تفسير الآية (٨٨) من (سورة التوبة). وسقط شطره الأول من الأصل والأسدية٣ والحمزوية.

وقالت أمُّ سلمة رضي الله عنها: قلت: يا رسول الله! أخبرني عن قوله تعالى: ﴿خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾، قال: «خيرات الأخلاق، حسان الوجوه»[(١)].

وقرأ بكر بن حبيب السهمي: (خَيِّراتٌ) بشد الياء المكسورة، وقرأ أبو عمرو بفتح الياءِ[(٢)].

وقوله: ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾ معناه: محجوباتٌ مصوناتٌ، وكانت العرب تمدح النساء بملازمة البيوت، ومنه قول الشاعر:

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٧٥)، والطبراني في الكبير (٧٨٠)، وفي الأوسط (٣١٤١) من طريق عمرو بن هشام البيروتي، عن سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة رضي الله عنها: قلت: يا رسول الله أخبرني عن قول الله ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قال: حور بيض عين ضخام العيون شقر الجرداء بمنزلة جناح النسور، قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾. قال: صفاؤهن صفاء الدر في الأصداف التي لم تمسه الأيدي. قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾. قال: خيرات الأخلاق حسان الوجوه. قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾. قال: رقتهن كرقة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر وهو العرقى. قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾. قال: هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمضاء شمطاء خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عرباً متعشقات محببات أتراباً على ميلاد واحد. قلت: يا رسول الله أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة. قلت: يا رسول الله وبما ذاك؟ قال: بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير بيض الألوان خضر الثياب صفراء الحلي مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب يقلن ألا نحن الخالدات فلا نموت أبداً، ونحن الناعمات فلا نبؤس أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، طوبى لمن كنا له وكان لنا. قلت: يا رسول الله المرأة منا تتزوج زوجين والثلاثة والأربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها؟ قال: يا أم سلمة إنها تخير فتختار أحسنهم خلقاً فتقول: أي رب إن هذا كان أحسنهم معي خلقاً في دار الدنيا فزوجنيه، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة. وسليمان بن أبي كريمة ضعيف، وانظر الميزان (٢/ ٢٢١).

(٢) وهما شاذتان، انظر الأولى في تفسير الثعلبي (٩/ ١٩٤)، وتابعه على الثانية في البحر المحيط (١٠/ ٧٠).

. . . . وَتَـعْـتَـلُّ عَـنْ إِتْـيَانِهِـنَّ فَتُعْـذَرُ[١] [الطويل]

يصف: أن جيرانها يَزُرْنَها ولا تزورهن، ويروى أن بيت الأعشى قد ذُمَّ، وهو قوله:

كَأَنَّ مِشْـيَتَهَا مِـنْ بَيـتِ جَارَتِهَـا مَـرُّ السَّـحَابَةِ لا رَيْـثٌ وَلَا عَجَلُ[٢] [البسيط]

فقيل في ذمِّه: هذه جوَّالةٌ خرَّاجةٌ ولَّاجةٌ[٣]، ومن مَدْح القصر قولُ كُثَيِّـر:

وأَنـتِ الَّتـي حَبَّبْـتِ كُلَّ قَصِيـرةٍ إِلَـيَّ وَلَـمْ تَشْـعُرْ بِـذاكَ القَصَائـرُ [الطويل]

أُرِيـدُ قَصِيـرَاتِ الحِجـَالِ وَلَـمْ أُرِدْ قِصَارَ الخُطَى، شـرُّ النِّساءِ البَحَاتِرُ[٤]

وقال الحسن: ﴿مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾: لَسْن بطوَّافات في الطُّرق[٥].

و﴿ٱلْخِيَامِ﴾: البيوت من الخشب والثُّمام وسائر الحشيش، وهي بيوت المرتحلين من العرب.

وخيام الجنة: بيوت اللؤلؤ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هي دُرٌّ مجوَّف[٦]، ورواه ابن مسعود عن النبي ﷺ[٧]، وإذا كان المسكن عند العرب من شعر

---

(١) صدره: وَتَكْسَلُ عَنْ جَارَاتِهَا فَيَزُرْنَهَا، وهو لأبي قيس بن الأسلت الأنصاري، انظر عيون الأخبار (٣/ ٣١)، والأغاني (١٧/ ١٣٣)، والعقد الفريد (٤/ ٣١٠)، وحماسة الخالديين (ص: ٢٣). وفي المطبوع: «وَتَغفُلُ».

(٢) انظر عزوه له في العين (٨/ ٢٣٥)، والكامل للمبرد (٣/ ٤٢)، وعيار الشعر (ص: ٢٩).

(٣) انظر الأغاني (١٧/ ١٣٣)، والموشح للمرزباني (ص: ٥٥).

(٤) انظر عزوهما له في إصلاح المنطق (ص: ١٣٩)، والصحاح للجوهري (٢/ ٥٩٩)، والمحكم (٦/ ١٩٥)، والمعاني الكبير (١/ ٥٠٥).

(٥) تفسير الماوردي (٥/ ٢١٤).

(٦) منقطع، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢ / ٨٠) من طريق شمر بن عطية، عن أبي الأحوص قال: قال عمر، فذكره. وأبو الأحوص هو عوف بن مالك بن نضلة الأشجعي ثقة، ولكنه لم يسمع من عمر رضي الله عنه.

(٧) ضعيف جداً، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٨٢) عن الحسين بن الفرج الخياط، عن أبي معاذ الفضل بن خالد، عن عبيد بن سليمان، عن الضحاك يقول: كان ابن مسعود يحدث عن النبي ﷺ =

فهو بيتٌ، ولا يقال له خيمة، ومن هذا قول جرير:

[الوافر] مَتَى كانَ الْخِيَامُ بِذي طُلُوحٍ سُقيتِ الْغَيْثَ أَيَّتُهَا الخِيَامُ[١]

ومنه قول امرئ القيس:

[المتقارب] أَمَرْخٌ خِيَامُهُمُ أمْ عُشُرْ[٢] ....

فاستفهم: هل هم مُنْجِدون أَمْ غائرون؟ لأن العُشُر مما لا ينبت إلَّا في تِهامة، والمَرْخُ مما لا ينبت إلَّا في نَجد.

و«الرَّفْرَفُ»: ما تدلَّى من الأَسرة من غالي الثياب والبُسُط، وكذلك قال ابن عباس وغيره: إنها فضول المحابيس والبسط[٣]، وقال ابن جبير: «الرَّفرفُ»: رياضُ الجنة[٤].

قال القاضي أبو محمد: والأول أصوبُ وأَبْيَن، وَوَجْهُ قولِ ابن جبير أَنه من: رفَّ النَّبت: إذا نعُم وحسُن، وما تدلَّى حول الخباء من الخرقة الهفافة[٥] يسمى رفرفاً، وكذلك يسميه الناسُ اليوم.

= أنه قال: هي الدر المجوف. يعني الخيام. والحسين بن الفرج الخياط قال فيه ابن معين: كذاب يسرق الحديث، ومشاه غيره، وقال أبو زرعة: ذهب حديثه.انظر الميزان (١/ ٥٤٥)، ثم هو أيضاً منقطع؛ فإن الضحاك لم يسمع من ابن مسعود، والله أعلم.

(١) عزاه له في مجاز القرآن (٢/ ٢٤٦)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٥٠)، والأغاني (٢/ ٢٠٦)، وسر صناعة الإعراب (٢/ ١٦١)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٣٧٨)، والعقد الفريد (٧/ ٨٦)، والحماسة البصرية (٢/ ٢٠٢).

(٢) وتمامه: أَمِ الْقَلْبُ في إثْرِهِمْ مُنْحَدِرْ، عزاه له في جمهرة اللغة (٢/ ١٠٤٠)، وقواعد الشعر (ص: ٤٩)، والأَزمنة والأمكنة (ص: ٣٥٦)، والعمدة في محاسن الشعر (١/ ١٧٤). وقد جاء هذا الشطر في الحماسة البصرية (١/ ٥٧) عجز بيت لأَعْرَابِي جاهلي من ربيعَة صدره: فَوَلوا شلالا وَلَا يعلمُونَ.

(٣) هذا الأثر أخرج الطبري (٢٢/ ٨٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الرفرف»: فضول المحابس والبسط.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٨٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٤٣)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٩٧).

(٥) في المطبوع: «الشفافة».

وقال الحسن بن أبي الحسن: الرَّفرف: المرافق، والعبقري: بُسطٌ حسان فيها صور وغير ذلك تصنع بعبقر، وهو موضع يعمل فيه الوشي والديباج ونحوه(١).

قال ابن عباس: العبقري: الزَّرابي(٢).

وقال ابن زيد: هي الطَّنافس.

وقال مجاهد: هي الديباج الغليظ(٣).

وقرأ زهير الفُرْقُبي: (رَفَارِفَ) بالجمع وترك الصرف(٤).

وقرأ أبو طعمة المدني(٥)، / وعاصم في بعض ما روي عنه: (رَفَارِفٍ) بالصرف، [٥/ ١٦١]
وكذلك قرأ عثمان بن عفَّان رضي الله عنه: (رَفَارِفٍ وعَبَاقِرِيٍّ) بالجمع والصرف(٦)، ورويت عن النبي ﷺ(٧).

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٨٤)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٩٧).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٨٥)، والبيهقي في البعث والنشور (٣٣٨-٣٤٧) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به، وأخرجه أيضاً من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: العبقري: الزرابي الحسان.

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٣/ ٨٥)، والثاني في تفسير الماوردي (٥/ ٤٤٣)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٩٧).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها له في تفسير الطبري (٢٣/ ٨٦)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٢٠). وزهير تقدم ذكره، وفي حاشية المطبوع: اختلف الأصول في كتابته، ففي بعضها: زهير الفرفلي، وفي بعضها: زهير العرقبي، وفي بعضها: زهير فقط.

(٥) هو هلال مولى عمر بن عبد العزيز أبو طعمة، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، كان ثقة، من قرّاء المدينة، روى عن مولاه، وعن ابن عمر، وعنه: عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو قليل الحديث. غاية النهاية (٢/ ٣٥٦)، تاريخ الإسلام (٧/ ٤٩٣).

(٦) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٠٤)، والبحر المحيط (١٠/ ٧١).

(٧) منقطع، أخرجه حفص بن عمر في «جزء فيه قراءات النبي ﷺ» (١١٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥١) من طريق حسين بن محمد المروزي، عن عبد الله بن حفص الأرطباني، عن عاصم الجحدري، عن أبي بكرة مرفوعاً. قال الذهبي في التلخيص: منقطع؛ عاصم لم يدرك أبا بكرة.

وغلَّط الزجاج والرُّماني هذه القراءَة[١].

وقرأَ أَيضاً عثمان بن عفان في بعض ما رُوي عنه: (عَبَاقِرِيَّ) بفتح القاف والياءِ[٢].

وهذا على أَن اسم الموضع «عَبَاقَر» بفتح القاف، والصحيح في اسم الموضع «عَبْقَر»، قال امرؤ القيس:

[الطويل] كأَنَّ صَليلَ المَرْوِ حينَ تَشدُّهُ صلِيلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَدْنَ بِعَبْقَرَا[٣]

قال الخليل والأصمعي: العرب إذا استحسنت شيئاً واستجادته قالت: عَبْقَرِي[٤].

قال القاضي أبو محمد: ومنه قول النبي ﷺ: «فلم أَرَ عبقرياً من الناس يَفْري فَرِيَّهُ»[٥].

وقال عبد الله بن عمر: العَبْقَرِيُّ: سيِّد القوم وعينهم[٦]، وقال زهير:

[الطويل] بِخَيْلٍ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ جَديرونَ يَوْماً أَنْ ينَالُوا ويسْتَعْلُوا[٧]

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٠٤).

(٢) وهي شاذة، نقلها في المحتسب (٢/ ٣٠٥) عن أبي حاتم، عنه.

(٣) انظر عزوه له في الكامل للمبرد (٣/ ٧٩)، والبديع في البديع لابن المعتز (ص: ١٦٧)، وزهر الآداب وثمر الألباب (٣/ ٦٦٤)، والدلائل في غريب الحديث (٢/ ٩٢٤)، والمحكم (٩/ ٩٣). وفي المطبوع: «تَشذه».

(٤) انظر تهذيب اللغة (٣/ ١٨٧).

(٥) متفق عليه، هذا جزء من الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٦٣٤)، ومسلم (٢٣٩٣) عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت الناس مجتمعين في صعيد فقام أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين وفي بعض نزعه ضعف والله يغفر له، ثم أخذها عمر فاستحالت بيده غرباً فلم أر عبقرياً في الناس يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن».

(٦) لم أقف على هذا القول مسنداً، وانظر تفسير الماوردي (٥/ ٤٤٤).

(٧) كما في مجاز القرآن (٢/ ٢٤٦)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٠٥)، والعين (٢/ ٢٩٨)، وغريب الحديث للقاسم بن سلام (١/ ٨٨)، ورسالة الملائكة (ص: ٢٥٢)، وأساس البلاغة (١/ ١٢٥).

ويقال: عَبْقَر: مسكنٌ للجن، وقال ذو الرُّمَّة:

حَتَّى كأَنَّ رِياضَ القُفِّ أَلْبَسَهَا مِنْ وَشْيِ عَبْقَرَ تَجْلِيلٌ وَتَنْجِيدُ[1] [البسيط]

وقرأ الأعرج: (خُضُرٌ) بضم الضاد[2].

وقرأ جمهور الناس: ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾ على إتباع «الرَّبِّ».

وقرأ ابن عامر وأهل الشَّام: ﴿ذو الجلال﴾[3] على إتباع «الاسم»، وكذلك في الأَول[4].

وفي حرف أُبيّ، وابن مسعود: (ذِي الجَلَالِ) في الموضعين[5].

وهذا الموضع ممَّا أُريد فيه بالاسم مُسَمَّاه، والدعاءُ بهاتين الكلمتين حسَنٌ مرجُوُّ الإِجابة، وقال رسول الله ﷺ: «أَلِظُّوا بِيَاذَا الجلالِ والإِكرام»[6].

كمل تفسير سورة الرحمن

والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على مولانا محمد سيد ولد عدنان.

(١) كما في أمالي القالي (١/ ٢٦)، وإيضاح شواهد الإيضاح (٢/ ٨١٣)، وغريب الحديث للقاسم ابن سلام (١/ ٨٩)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٤٧)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٣٥١)، والصحاح للجوهري (٢/ ٥٤٢).

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في المحتسب (٢/ ٣٠٤)، ومختصر الشواذ (ص: ١٥١).

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٧).

(٤) في الآية: ٢٧.

(٥) وهي شاذة، في الأول كما تقدم عن تفسير الطبري (٢٣/ ٣٨).

(٦) صحيح، أخرجه أحمد (٤/ ١٧٧)، والنسائي في الكبرى (٧٦٦٩-١١٤٩٩) من طريق عبد الله بن المبارك، عن يحيى بن حسان الفلسطيني، عن ربيعة بن عامر بن الهاد، مرفوعاً به، وفي الباب عن أنس بن مالك، وابن عمر رضي الله عنهم.

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الواقعة

وهي مكيَّة بإِجماع ممن يُعتد بقوله من المفسرين.

وقيل: إِن فيها آيات مدنية، أَو ممَّا نزل في السفر، وهذا كله غير ثابت.

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «من داوم على قراءَة سورة الواقعة لم يفتقر أبداً».

ودعا عثمانُ ابنَ مسعود إِلى عطائه فأَبى أَن يأْخذ، فقيل له: خذ للعيال، فقال: إِنهم يقرؤون سورة الواقعة، وسمعت النبي ﷺ يقول: «من قرأَها لم يفتقر أَبداً»(١).

---

(١) ضعيف، أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٢٥٧)، والحارث في مسنده (بغية الباحث ـ ٧٢١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٧٩)، والخلال كما في المنتخب (٤٩)، والثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ١٩٩)، والبغوي في تفسيره (٨/ ٢٨) من طريق أبي شجاع، عن أبي طيبة، عن ابن مسعود به. قال أحمد: هذا حديث منكر، قال الذهبي: أبو شجاع نكرةٌ لا يعرف عن أبي طيبة، ومن أبو طيبة؟ عن ابن مسعود بهذا الحديث مرفوعاً، وقال الزيلعي تبعاً لجمع: هو معلول من وجوه أحدها الانقطاع كما بينه الدارقطني وغيره، الثاني نكارة متنه كما ذكره أحمد، الثالث ضعف رواته كما قاله ابن الجوزي، الرابع اضطرابه، وقد أجمع على ضعفه أحمد وأبو حاتم وابنه والدارقطني والبيهقي وغيرهم، وقد اختلف على رواته وفي تعيينهم على أكثر من وجه بينها الحافظ في اللسان (٧/ ٦٠-٦١)، وانظر: العلل المتناهية (١/ ١٠٥)، وفيض القدير (٦/ ٢٦١)، والضعيفة (٢٨٩).

قال القاضي أَبو محمد: فيها ذكر القيامة وحظوظ الناس[١] في الآخرة، وفَهْم ذلك غنًى لا فقر معه، ومن فهمه شغل[٢] بالاستعداد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾.

﴿ٱلْوَاقِعَةُ﴾: اسمٌ من أَسماءِ القيامة؛ كالصَّاخَّة والآزفة والطَّامة، قاله ابن عباس[٣].

وهذه كلها أَسماءٌ تقتضي تعظيمها وتشنيع أَمرها.

وقال الضحاك: ﴿ٱلْوَاقِعَةُ﴾: الصيحة، وهي النفخة في الصُّور[٤].

وقال بعض المفسرين: ﴿ٱلْوَاقِعَةُ﴾: صخرة بيت المقدس تقع عند القيامة. فهذه كلها معان لأَجل القيامة.

و﴿كَاذِبَةٌ﴾ يحتمل أَن يكون مصدراً؛ كالعاقبة والعافية وخائنة الأَعين، فالمعنى: ليس لها تكذيب ولَا ردٌّ ولَا مَثْنَوِيَّة، وهذا قول قتادة والحسن[٥]، ويحتمل أَن يكون صفة لمقدَّر، كأَنه تعالى قال: ليس لوقعتها حال كاذبة، ويحتمل الكلام ـ على هذا ـ معنييْن: أَحدهما كاذبةٌ؛ أَي: مكذوبة فيما أَخبر به عنها، وسمَّاها كاذبة لهذا، كما تقول: هذه قصة كاذبة؛ أَي: مكذوب فيها، والثاني حالٌ كاذبة؛ أَي: لا يمضي وقوعها، كما تقول: فلان إِذا حمل لم يكذب.

---

(١) في الأصل: «النفس».

(٢) في الأسدية٣، وأحمد٣ والأسدية٤: «اشتغل».

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٨٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٨٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٤٥).

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٨٧)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٥٣).

وقوله تعالى: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ رفع على خبر ابتداءٍ؛ أَي: هي خافضة رافعة.

وقرأَ الحسن، وعيسى الثقفي، وأَبو حَيْوة: (خَافِضَةً رَافِعَةً) بالنصب[١] على الحال بعد الحال التي هي ﴿لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾، ولك أَن تُتابع الأَحوال، كما لك أن تُتابع أَخبار المبتدأ.

والقراءَة الأُولى أَشهر وأَبرع معنى، وذلك أَن موقع الحال من الكلام موقع ما لو لم يُذكر لاستُغني عنه، وموقع الجمل التي يجزم الخبر بها موقع ما يُتَهَمَّم به.

واختلف الناس في معنى هذا الخفض والرفع في هذه الآية:

فقال قتادة، وعثمان بن عبد الله بن سُراقة[٢]: القيامة تخفض أَقواماً إِلى النار، وترفع أَقواماً إِلى الجنة[٣]، وقال ابن عباس[٤]، وعكرمة، والضحاك: الصيحة تخفض قوتها[٥] لتُسمع الأَدنى، وترفعها[٦] لتُسمع الأَقصى[٧]، وقال جمهور من المتأَولين: القيامة تنفطر بها السماءُ والأَرض والجبال، وانهدامُ هذه البِنْية ترفع طائفة من الأَجرام وتخفض أُخرى، فكأَنها عبارة عن شدة الهول والاضطراب.

والعامل في قوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ﴾ ﴿وَقَعَتِ﴾؛ لأَن ﴿إذا﴾ هذه بدلٌ من ﴿إِذَا﴾ الأُولى، وقد قالوا: إِنَّ ﴿وَقَعَتِ﴾ هو العامل في الأُولى، وذلك لأَن معنى الشرط فيهما

---

(١) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٠٦).

(٢) هو عثمان بن عبد الله بن عبد الله بن سراقة بن المعتمر القرشي العدوي المدني، وأمه زينب بنت عمر بن الخطاب، روى عن أبي هريرة، وجابر، وابن عمر. وولي إمرة مكة، وعنه الزهري، وثقه أبو زرعة والنسائي، توفي سنة ١١٨هـ. تاريخ الإسلام (٧/ ٤١٨).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٩١)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٥٤) بتصرف يسير.

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ٩١) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أسمعت القريب والبعيد.

(٥) في الأسدية٣، وأحمد٣ والمطبوع: «صوتها».

(٦) في الأسدية٣، والمطبوع: «ترفعه». وفي نجيبويه: «ترفع».

(٧) تفسير الطبري (٢٣/ ٩١)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٥٤)، بتصرف يسير.

قوي، فهي كـ«مَنْ» وَ«مَا» في الشرط يعمل فيها ما بعدها من الأَفعال، وقد قيل: إِنَّ ﴿إِذَا﴾ مضافة إلى ﴿وَقَعَتِ﴾، فلا يصح أَن تعمل فيها، وإِنما العامل فيها فعل مقدَّر.

ومعنى ﴿رُجَّتِ﴾: زُلزلت وحُرِّكت بعنف، قاله ابن عباس[1]، ومنه: ارتَجَّ السهم في الغرض[2]: إِذا اضطرب بعد وقوعه، والرَّجة في الناس: الأَمر المحرِّك.

واختلف اللغويون في معنى (بُسَّت):

فقال ابن عباس[3]، ومجاهد، وعكرمة: معناه: فُتِّتَتْ كما تُبَسُّ البَسيسةُ، وهي السويق[4]، ويقال: بَسَسْتُ الدقيق: إِذا ثريته بالماءِ وبقي متفتتاً، وأَنشد الطبري في هذا:

[الرجز] لَا تَخْبِـزَا خَبْـزاً وَبُسَّـا بَسَّـا[5] ....

وقال: هذا قول لصٍّ[6] أَعجله الخوف عن العجين فقال هذا لصاحبه[7].

وقال بعض اللغويين: بُسَّت معناه: سُيِّرت، قالوا: والخَبْزُ: السَّيْر الشديد، وضرب الأَرض بالأَيدي، والبسُّ: السَّيْر الرفيق، وأَنشدوا البيت:

[الرجز] لَا تَـخْبِـزَا خَـبْزاً وَبُـسَّـا بَـسَّـا وجنِّبَـاهَـا نَـهْـشَـلاً وعَـبْسَـا

ولا تُـطِـيـلا بِـمُـنَـاخ حَـبْسَـا[8]

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٩١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: زلْزَلها.

(٢) في الأصل: «العرض».

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٩٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فُتتت فتاً.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٢).

(٥) البيت للص من غطفان كما في تفسير الطبري (٢٣/ ٩١)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٤٨)، وجمهرة اللغة (١/ ٦٩)، ومعجم ديوان الأدب (٢/ ١٦٠)، والحيوان (٤/ ٥٠٤)، وأنشده في العين (٤/ ٢١١): ونسا نسا، قال: والنَّسُّ: السَّوْق اللطيف، ومن رَوَى بَسّاً فقد غلط.

(٦) في الأسدية: «لمن».

(٧) في الأسدية٣: «لصاحبته»، وفي المطبوع وأحمد٣: «لصاحبيه».

(٨) عجز البيت سقط من الأسدية٣، والأسدية٤، والمطبوع ونجيبويه والحمزوية.

[٥/ ١٧٠] / ذكر هذا أَبو عثمان اللغوي في كتاب «الأَفعال»(١).

و«الْهَبَاءُ»: ما يتطاير في الهواءِ من الأَجزاءِ الدقيقة ولا يكاد يُرَى إِلَّا في الشَّمس إِذا دخلت من كُوَّة، قاله ابن عباس(٢) ومجاهد(٣)، وقال قتادة: الهباءُ: ما تطاير(٤) من يبس النبات(٥).

وقال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: الهباءُ: ما يتطاير من حوافر الخيل والدواب(٦).

وقال ابن عباس أَيضاً: الهباءُ: ما يتطاير من شَرَر النار، فإِذا طُفِئ لم يوجد شيءٌ(٧).

و«الْمُنْبَثُّ» بالثاءِ المثلثة: الشائع في جميع الهواءِ.

وقرأَ النَّخَعيُّ: (مُنْبَتًّا) بالتاءِ بنقطتين؛ أَي: متقطعاً، ذكر ذلك الثعلبي(٨).

قال القاضي أبو محمد: والقول الأَول في الهباءِ أَحسن الأَقوال.

والخطاب في قوله: ﴿وَكُنتُمْ﴾ لجميع العالم؛ لأَن الموصوفين من أَصحاب المشأَمة ليسوا في أُمة محمد ﷺ.

---

(١) كتاب الأفعال (٤/ ٧١)، وليس فيه: وجنباها نهشلا وعبسا، ولكنه في بعض المصادر السابقة.

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٨٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: شعاع الشمس.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٧٤)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٢٩).

(٤) في المطبوع: «ينطاير».

(٥) في الأسدية٣: «لبس الشباب»، وفي أحمد٣: «من لُبْس الثياب»، وأشار لها في حاشية المطبوع. وانظر تفسير الطبري (٢٣/ ٩٤).

(٦) ضعيف، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٦٩)، والطبري (٢٣/ ٩٣) من طريق سفيان، عن أبي إسحاق السبيعي، عن الحارث الأعور، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: رَهْجُ الدواب. والحارث بن عبد الله الأعور ضعيف.

(٧) أخرجه الطبري (٢٣/ ٩٤) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الهباء: الذي يطير من النار إذا اضطرمت، يطير منه الشرر، فإذا وقع لم يكن شيئاً.

(٨) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (٩/ ٢٠١).

و«الأَزْوَاجُ»: الأَنواعُ والضروب، قال قتادة: هذه منازل الناس يوم القيامة[١].

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ ابتداءٌ، و﴿مَآ﴾ ابتداءٌ ثانٍ، و﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ خبر ﴿مَآ﴾، والجملة خبر الابتداءِ الأَول، وفي الكلام معنى التعظيم، كما تقول: زيدٌ ما زيدٌ.

ونظير هذا في القرآن كثير.

و﴿ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ أَظهر ما في اشتقاقها أَنها من ناحية اليمين، وقيل: من اليُمْن.

وكذلك ﴿ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾؛ إِمَّا أَن تكون من اليد الشُّؤْمى، وإِمَّا أَن تكون من الشُّؤْم، وقد فُسِّرت هذه الآية بهذين المعنيين؛ إِذ أَصحاب المَيْمَنة الميامينُ على أَنفسهم، قاله الحسن والربيع[٢].

ويشبه أَن اليُمْن والشُّؤْمَ إِنما اشْتُقَّا من اليمين والشمال، وذلك على طريقتهم في السانح والبارِح، وكذلك اليَمَن والشَّامُ اشْتُقَّا من اليُمْنى والشؤْمَى.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ ابتداءٌ، و﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ الثاني قال بعض النحويين: هو نعت للأَول، ومذهب سيبويه أَنه خبر الابتداءِ، وهذا كما تقول: الناسُ الناسُ، وأَنت أَنت، وهذا على معنى التفخيم للأَمْر وتعظيمه، والمعنى هو أَن تقول: السَّابقُون إِلى الإِيمان السَّابِقُونَ إِلى الجنة والرحمة، أُولئك...، ويتَّجه هذا المعنى على الابتداءِ والخبر.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ ابتداءٌ وخبر، وهو في موضع الخبر على قول من قال: ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ الثاني صفة.

و﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ معناه: من الله تعالى في جنة عدن، قال جماعة من أَهل العلم: وهذه الآية متضمنة أَن العالم يوم القيامة على ثلاثة أَصناف: مؤمنون هم على يمين العرش

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٤).

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٠١)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٤٨).

وهنالك هي الجنة، وكافرون وهم على شؤمى[١] العرش، وهنالك النار، والقول في يمين العرش وشماله نحو من الذي مرَّ في (سورة الكهف) في اليمين والشمال.

وقد قيل في أَصحاب الميمنة واليمين: إِنهم مَنْ أَخذ كتابه بيمينه، وفي أَصحاب المشأَمة والشمال: إِنهم مَنْ أَخذه بشماله، فعلى هذا ليست نسبة اليمين والشمال إِلى العرش.

وقال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: أَصحاب اليمين: أَطفالُ المؤمنين[٢].

وقيل: المراد ميمنةُ آدم عليه السلام ومشأَمتُه المذكورتان في حديث الإِسراءِ في الأَسْوِدَة[٣].

و﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ معناه: قد سبقت لهم السعادة وكانت أَعمالهم في الدنيا سبقاً إِلى أَعمال البرِّ وإِلى ترك المعاصي، فهذا عموم في جميع الناس، وخصَّص المفسرون في هذا أَشياءَ:

فقال عثمان بن أَبي سودة[٤]: هم السابقون إِلى المساجد.

وقال ابن سيرين: هم الذين صلَّوا للقبلتين[٥].

وقال كعب: هم أَهل القرآن[٦].

---

(١) في الأسدية٤، وأحمد٣ والمطبوع: «شمال».

(٢) ضعيف، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٧٠-٣٢٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٦٥٢)، والطبري (٢٣/ ١٠٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٧)، والبيهقي في القضاء والقدر (٥٧٢) وغيرهم من طريق الأعمش، عن عثمان أبي اليقظان، عن زاذان أبي عمر البزاز، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه به. وعثمان أبو اليقظان هو ابن عمير ويقال: ابن قيس ضعيف واختلط وكان يدلس ويغلو في التشيع. وانظر التقريب (٤٥٠٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) هو عثمان بن أبي سودة المقدسي أخو زياد، يروي عن أبي هريرة، وأم الدرداء، وعنه زيد بن واقد، وشبيب بن شيبة، وعبد الرحمن بن يزيد، والأوزاعي، وكان كثير الجهاد، له فضل وعبادة، وأبوه من موالي عبد الله بن عمرو. تاريخ الإسلام (٧/ ٤١٧).

(٥) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٣/ ٩٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٤٨)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٠٢).

(٦) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٠٢).

وقيل: هم غير هذا مما هو جزءٌ من الأَعمال الصالحة.

ورُوي: أَن النبي ﷺ سئل عن السابقين فقال: «هم الذين إِذا أُعطوا الحق قبلوه، وإِذا سُئلوه بذلوه، وحكموا للناس بحكمهم لأَنفسهم»[١].

وقرأَ طلحة بن مصرف: (في جَنَّةِ النَّعيمِ) على الإِفراد[٢].

و﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ عبارة عن أَعلى منازل البشر في الآخرة، [على سُرُر مَوْضُونَةٍ متكئين][٣].

وقيل لعامر بن عبد قيس في يوم حلبة: من سبق؟ فقال: المقربون[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾﴾.

«الثُّلَّةُ»: الجماعة والفرقة، وهي تقع للقليل والكثير، واللفظ في هذا الوضع يعطي أَن الجملة من الأَولين أَكثر من الجملة من الآخرين، وهي التي عبَّر عنها بالقليل.

واختلف المتأَولون في معنى ذلك:

---

(١) ضعيف، أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٦٧-٦٩) وأحمد بن منيع في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٤٨٧٤) والبيهقي في شعب الإيمان (١١١٣٩) وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦-٢/ ١٨٦-١٨٧) من طريق عبد الله بن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن القاسم بن محمد، عن عائشة به مرفوعاً. وعبد الله بن لهيعة ضعيف، وقال الحافظ: وتابعه يحيى بن أيوب، عن عبيد الله بن زحر، عن علي ابن يزيد الألهاني، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن عائشة، رواه أبو العباس بن القاص في أدب القضاء. اهـ. انظر تلخيص الحبير (٤/ ٤٤٢)، والألهاني ضعيف أيضاً.

(٢) وهي شاذة، نسبها له الكرماني في الشواذ (ص: ٤٦٢).

(٣) من المطبوع.

(٤) البيان والتبيين (٣/ ١١٠)، وعيون الأخبار (٢/ ٣٩٩).

فقال قوم ـ حكى قولهم مكي ـ: المراد بذلك الأَنبياءُ عليهم السلام؛ لأَنهم كانوا في صدر الدنيا أَكثر عدداً[١].

وقال الحسن بن أبي الحسن وغيره: المراد: السابقون من الأُمم والسابقون من هذه الأُمة[٢].

وذلك إِمَّا أَن يقرن أَصحاب الأنبَياءِ بجموعهم إِلى أَصحاب محمد ﷺ، فأولئك أَكثر[٣] عدداً لا محالة، وإِمَّا أَن يقرن[٤] أَصحاب الأَنبياءِ عليهم السلام ممن سبق في أَثناءِ الأُمم السَّالِفَة إِلى السابقين من جميع هذه الأُمة؛ فأولئك أكثر.

وروي: أن الصحابة[٥] رضي الله تعالى عنهم حزنوا لقلة سابقي هذه الأمة على هذا التأويل، فنزلت ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ فرضُوا.

ورُوي عن عائشة رضي الله عنها: أَنها تأَوَّلت أَن الفريقين في أُمة كل نبي هي في الصَّدر ثُلَّة، وفي آخر الأُمة قليل[٦].

وقال النبي ﷺ فيما رُوي عنه: «الفرقتان في أُمتي، فسابقُ أَولِ الأُمة ثُلَّة، وسابقُ سائِرِها إِلى يوم القيامة قليل»[٧].

---

(١) الهداية لمكي (١١/ ٧٢٦٠).
(٢) تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢١٩).
(٣) في الأسدية٣: «أكبر».
(٤) في الأصل ونجيبويه ونور العثمانية والحمزوية: «يقترن» في الموضعين.
(٥) في الحمزوية: «الضحاك».
(٦) لم أقف عليه.
(٧) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الطبري (٢٣/ ١٢٨)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٦٧) من طريق سفيان، عن أبان بن أبي عياش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «هما جميعاً في أمتي» هكذا مختصراً، وأبان بن أبي عياش مجمع على ضعفه، وله شاهد من حديث أبي بكرة أخرجه الطيالسي (٩٢٧) وغيره من طريق علي بن زيد بن جدعان، عن عقبة بن صهبان، عن أبي بكرة مرفوعاً بنحوه. وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف.

وقرأ الجمهور: ﴿سُرُرٍ﴾ بضم الراءِ، وقرأ أَبو السَّمال: (سُرَرٍ) بفتح الراءِ[١].

و«الْمَوْضُونَة»: المنسوجة بتركيب بعض أَجزائها على بعض كحلق الدرع، فإِن الدرع موضونة، ومنه قول الأَعشى:

[المتقارب] وَمِـنْ نَـسْـجِ داودَ مَـوْضُـونَــةٌ تَسيرُ مَـعَ الحَيِّ عِيـراً فَعِيـراً[٢]

[٥/ ١٧١] وكذلك سقيفة الخوص ونحوه موضونة، ومنه / وضينُ الناقة: وهو حزامها؛ لأَنه موضون، فهو كقتيل وجريح، ومنه قوله:

[الرجز] إِلَـيْـكَ تَـعْـدُو قَـلِقـاً وضِينُـهـا مُـعْترضـاً فـي بَـطْنِـهـا جَنينُـهَـا

مُخَالِفـاً ديـنَ النَّصـارى دِينُها[٣] ....

قال ابن عباس: هذه السُّرر الموضونة هي مَرْمُولَةٌ بالذهب[٤].

وقال عكرمة: هي مشبكة بالدُّرِّ والياقوت[٥].

و﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ و﴿مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ حالان، وفيهما ضمير مرفوع.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (مُتَّكئينَ عليها ناعمين)[٦].

و«الْوِلْدَانُ»: صغارُ الخدم، عبارة عن أَنهم صغار الأسنان، ووصفهم تعالى بالخُلْد

---

(١) وهي شاذة، نسبها له الكرماني في الشواذ (ص: ٤٦٢).

(٢) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٢٤٨)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٩٨)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١١٠)، والمحكم (٨/ ٢٤٩).

(٣) عزاه ابن هشام في السيرة (١/ ٥٧٤) وابن قتيبة في غريب الحديث (٢/ ٣٠٢) لأحد رؤساء نجران، وسماه في الطبقات الكبرى (١/ ١٦٥): أبا الحارث بن علقمة بن ربيعة، وفي الاستيعاب (٣/ ٨٩٠)، والعقد الفريد (٦/ ١٨٢) أن عمر تمثل به فِي بعض حجَّاته.

(٤) صحيح، أخرجه هناد في الزهد (٧٧)، والطبري (٢٣/ ٩٩)، والبيهقي في البعث (٣٣٧-٣٤٦) من طريق حصين بن عبد الرحمن السلمي، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٩).

(٦) وهي شاذة، انظر تفسير الطبري (٢٣/ ١٠٠).

وإِن كان جميع ما في الجنة كذلك؛ إِشارة إِلى أَنهم في حال الولدان مخلدون لا تكبر لهم سِنٌّ.

وقال مجاهد: لا يموتون[١].

وقال الفراءُ: ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ معناه: مُقَرَّطُون بالخَلَدَات، وهي ضرب من الأَقراط[٢].

والأَول أَصوب؛ لأَن العرب تقول للذي كبر ولم يشب: إِنه مخلَّد.

و«الأَكواب»: ما كان من أَواني الشرب لا أُذن له ولا خرطوم.

قال ابن عباس: هي جِرارٌ من فضة[٣].

وقال أَبو صالح: مستديرة أَفواهها، وقال قتادة والضحاك: ليست لها عُرى.

و«الإِبريقُ»: ما له خرطوم، وقال مجاهد: وأُذن[٤]، وهو من أَواني الخمر عند العرب.

ومنه قول عديٍّ بن زيد:

وَتَدَاعَـوْا إِلَـى الصَّبُـوحِ فقامتْ قَـيْـنَـةٌ فـي يَـمِـينِـهـا إِبْـريـقُ[٥] [الخفيف]

و«الكَأْسُ»: الآنية المُعَدَّة للشرب بها، بشريطة أَن يكون فيها خمر ونبيذ، أَو بسبيل ذلك، ومتى كان فارغاً فهو مُنْتَسب إِلى جنسه زجاجاً كان أَو غيره، ولا يقال لآنية فيها ماءٌ أَو لبن: كأْسٌ.

وقوله تعالى: ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ قال ابن عباس: معناه: من خمر سائلة [جارية معينة[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٠١)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٠٤).
(٢) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٢٣).
(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
(٤) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٢٣/ ١٠١).
(٥) انظر عزوه له في الأغاني (٦/ ٨٥)، ورسالة الغفران (ص: ١٠)، والحماسة البصرية (٢/ ١٩٥)، وتاريخ دمشق (١٥/ ١٥٢).
(٦) الأثر أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٩٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الخمر.

ولفظة ﴿مَعِينٍ﴾ يحتمل أن يكون من معنى الماء إذا غزر][1]، فوزنها مفعول، أَصلها معيون، وهذا تأْويل قتادة[2].

وقوله تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ ذهب أَكثر المفسرين إِلى أَن المعنى: لا يلحق رؤُوسهم الصداع الذي يلحق من خمر الدنيا، وقال قوم: معناه: لا يتفرقون عنها، بمعنى: لا تُقطع عنهم لذَّتهم بسبب من الأَسباب كما يفرق أَهل خمر الدنيا بأَنواع من التفريق، وهذا كما قال: فتصدَّع[3] السحاب عن المدينة[4]، الحديث.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ قال مجاهد، وقتادة، وابن جبير، والضحاك: معناه: لا تذهب عقولهم سُكْراً، والنَّزيف: السكران[5]، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] .... شُرْبَ النَّزِيفِ بِبَرْدِ مَاءِ الْحَشْرَجِ[6]

وقرأَ ابن أَبي إِسحاق: (ولا يَنْزِفُونَ) بكسر الزاي وفتح الياءِ[7]، من: نَزَفَ البِئْرَ: إِذا استقى ماءَهَا، فهي بمعنى: تمَّ خمرهم ونَفدت، هكذا قال أَبو الفتح.

وحكاه أَبو حاتم عن ابن أَبي إِسحاق، والجحدري، والأَعمش، وطلحة، وابن مسعود، وأَبي عبد الرحمن، وعيسى بضم الياءِ وكسر الزاي[8]، قال: ومعناها: لا يفنى شرابهم، والعرب تقول: أَنزف الرجلُ عَبْرَته، وتقول أَيضاً: أَنْزَفَ: إِذا سكر، ومنه قول الأُبَيْرد:

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) انظر تفسير الطبري (٢١/ ٣٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١١)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٤).

(٣) في المطبوع: «يتصدَّع».

(٤) هذا جزء من حديث الاستسقاء الذي أخرجه البخاري (٦٠٩٣).

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ١٠٤).

(٦) تقدم في تفسير الآية (٨٣) من (سورة الكهف).

(٧) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب لابن جني (٢/ ٣٠٧).

(٨) هذه سبعية للكوفيين، والباقون بفتح الزاي، انظر التيسير (ص: ٢٠٧)، والسبعة (ص: ٥٤٧).

لَعَمْرِي لَئِنْ أَنْزَفْتُمُ أَوْ صَحَوْتُمُ لَبِئْسَ النَّدَامَى كُنْتُم آلَ أَبْجَرَا[١] [الطويل]

وعطف الفاكهة على الكأس والأباريق.

وقوله: ﴿مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾، رُوي أَن العبد يرى الطائر يطير فيشتهيه، فينزل له كما اشتهاه، وربما أكل منه ألواناً بحسب تصرف شهوته، إلى كثير مما رُوي في هذا المعنى.

وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضل عن عاصم: ﴿وَحُورٍ عِينٍ﴾ بالخفض، وهي قراءَة الحسن، وأَبي عبد الرحمن، والأعمش، وابن القعقاع، وعمرو بن عبيد.

وقرأَ أُبيٌّ بن كعب، وابن مسعود: (وحوراً عيناً) بالنصب[٢].

وقرأَ الباقون من السبعة: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ بالرفع[٣].

كل هذه القراءَات محمولة الإعراب على المعنى لا على اللفظ، فالخَفْض[٤] كأَن المعنى: قيل: تنعمون بهذا كله وبحورٍ عينٍ، وكأَن المعنى في قراءَة النصب: وتُعطون هذا كله وحُوراً عيناً، وكأَن المعنى في الرفع: لهم هذا كله وحُورٌ عِينٌ.

ويجوز أَن يعطف ﴿وَحُورٌ﴾ على الضمير المستقر في ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾.

قال أَبو علي: ولم يؤكد لكون طول الكلام بدلاً من التوكيد[٥].

ويجوز أن يعطف على «الولدان» وإن كان طواف الحور يقلق.

ويجوز أَن يعطف على الضمير المقدَّر في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾. وفي هذا كله نظر.

وقد تقدم معنى (حور عين).

---

(١) قد تقدم في الآية (٤٧) من (سورة الصافات)، وتقدم أنه الأبيرد الرياحي، وفي نجيبويه هنا: «الأسودي».
(٢) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٠٨)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٢٤).
(٣) وهي والأولى سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٧)، ورواية المفضل في السبعة (ص: ٦٢٢).
(٤) «فالخفض» ليست في الأصل.
(٥) الحجة للفارسي (٦/ ٢٥٥).

وقرأ إِبراهيم النَّخَعيُّ: (وَحِيرٌ عِينٌ)[١].

وخصَّ المكنون من اللؤلؤ لأَنه أَصفى لوناً وأَبعد عن الغَير، وسأَلت أُمُّ سَلَمة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن هذا التشبيه فقال: «صفاؤُهن كصفاءِ الدُّرِّ في الأَصداف الذي لا تمسه الأَيدي»[٢].

و﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾؛ أَيْ أَن هذه الرُّتب والنعم هي بحسب أَعمالهم؛ لأَنه رُوي أَن المنازل والقسم في الجنة هي مقتسمة على قدر الأعمال، ونفس دخول الجنة هو برحمة الله تبارك وتعالى وفضله لا بعمل عامل، فأَمَّا هذا الفضل الأخير[٣] وأَن دخولها ليس بعمل عامل ففيه حديث صحيح، قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة أَحد بعمله»، قالوا: ولا أَنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أَنا إِلَّا أَن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة»[٤].

و«اللَّغْوُ»: سقط القول من فحش وغيره.

و«التَّأْثِيمُ» مصدر بمعنى: لا يُؤَثِّم أحدٌ هناك غيرَه ولا نَفْسَه بقول فكأَن يسمع ويتأَلَّم بسماعه، و﴿قِيلٗا﴾ مستثنى، والاستثناءُ متصل، وقال قوم: هو منقطع.

و﴿سَلَٰمٗا﴾ نعت لِلْقِيلِ، كأَنه تعالى قال: إِلَّا قيلاً[٥] سالماً من هذه العيوب وغيرها.

---

(١) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (٩/ ٢٠٧)، وأشار لها الخليل في العين (٣/ ٢٨٨).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠٨)، والطبراني في الكبير (٨٧٠)، وفي الأوسط (٣١٤١)، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ١٣٨)، وابن عدي في الكامل (٣/ ١١١٢) من طريق عمرو بن هاشم البيروتي، عن سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة به. وسليمان بن أبي كريمة شامي ضعفه أبو حاتم، وقال ابن عدي: عامة أحاديثه مناكير. انظر الميزان (٢/ ٢٢١).

(٣) «الأخير» ليست في المطبوع.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٦٧٣) ومسلم (٢٨١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وفي الحمزوية: «برحمته»، وفي أحمد٣: «بفضله ورحمته».

(٥) في المطبوع: «إلا قليلًا»، ولعله خطأ.

وقال أَبو إسحاق الزجاج أَيضاً: ﴿سَلَٰمًا﴾ مصدر وناصبه ﴿قِيلًا﴾، كأَنه تعالى ذكر أَنهم يقول بعضهم لبعض: سلاماً سلاماً[1].

وقال بعض النحاة: ﴿سَلَٰمًا﴾ منتصب بفعل مضمر تقديره: اسلموا سلاماً.

قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ
مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ/ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴿٣٣﴾ [٥/ ١٧٢]
وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾
ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

«السِّدْرُ» شجرٌ معروف، وهو الذي يقال له: شجر أُم غيلان، وهو من العَضَاه، له شوك، وفي الجنة شجر على خلقته له ثمر كقِلال هَجَر، طيب الطعم والريح، ووصفه تعالى بأَنه ﴿مَّخۡضُودٖ﴾، أَي: مقطوع الشوك لا أَذى فيه، وقال أُمَيَّة بن أَبي الصلت:

إِنَّ الْحَدائِقَ في الجِنَانِ ظَلِيلَةٌ   فيها الْكَوَاعِبُ سِدْرُها مَخْضُود[2]   [الكامل]

وعبَّر بعض المفسِّرين عن ﴿مَّخۡضُودٖ﴾ بأَنه الْمُوقَر حملاً، وقال بعضهم: هو قطع الشوك، وهو الصواب، أَما إِن وقره هو كرمه، ورُوي عن الضحاك أَن بعض الصحابة أَعجبهم سدْرُ وَجٍّ، فقالوا: ليت لنا في الآخرة مثل هذا، فنزلت الآية[3].

قال القاضي أبو محمد: ولأَهل تحرير النظر هنا إِشارة في أَن هذا الخضد بإِزاء أَعمالهم التي سلموا فيها؛ إِذ أَهل اليمين تَوَّابون لهم سلام، وليسوا بسابقين.

و«الطَّلْحُ» كذلك من العَضَاه، شجرٌ عظيمٌ كثير الشوك وشبهه في الجنة على صفات كثيرة[4] مباينة لحال الدنيا.

---

(١) معاني القرآن للزجاج وإعرابه (٥/ ١١٢).
(٢) انظر عزوه له في مسائل نافع بن الأزرق (ص: ١٣٢)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٠٧).
(٣) لم نقف عليه، ووَجٌّ: قيل: وادٍ بالطائف، وقيل: موضع بالبادية، وقيل: هو الطائف.
(٤) من الأسدية٣، والمطبوع.

و﴿مَّنضُودٍ﴾ معناه: مركَّب ثمره بعضه على بعض من أَرضه إِلى أَعلاه.

وقرأَ علي بن أَبي طالب، وجعفر بن محمد، وغيرُهما: (وَطَلْعٍ مَنْضُود)[١]، فقيل لعلي بن أَبي طالب رضي الله عنه: إِنما هو ﴿وَطَلْحٍ﴾ فقال: وما لِلطَّلْح والجَنَّة؟ فقيل له: أَنصلحها في المصحف؟ فقال: إِن المصحف اليوم لا يُهاج ولا يُغير[٢].

وقال علي بن أَبي طالب، وابن عباس: «الطَّلْحُ»: الموز، وقاله مجاهد وعطاءٌ[٣].

وقال الحسن: ليس بالموز ولكنه شجر ظلُّه بارد رطب[٤].

و«الظِلُّ الْمَمْدُودُ» معناه: الذي لا تنسخه شمسٌ، ويُفَسِّر ذلك قول النبيِّ ﷺ: «إِن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر في ظِلِّها مئة سنة لا يقطعها، واقرؤُوا إِن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾»، إِلى غير هذا من الأَحاديث في هذا المعنى[٥].

وقال مجاهد: هذا الظل هو من طَلْحها وسدرها[٦].

---

(١) وهي شاذة، انظر تفسير الطبري (٢٣/ ١١١)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٠٧).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ١١١) من طريق مجالد بن سعيد، عن الحسن بن سعد القرشي، عن قيس بن عباد القيسي، قال: قرأ رجل عند عليّ: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ فقال عليّ: ما شأن الطلح، إنما هو: (وطَلْعٍ مَنْضُودٍ). وفي الحمزوية ونجيبويه بدل «لا يهاج»: بياض.

(٣) أثر علي لا يصح، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٧٠)، وهناد في الزهد (١٢٢)، والطبري في تفسيره (٢٣/ ١١٢) من طريق الثوري، عن الكلبي، عن الحسن بن سعد، عن علي رضي الله عنه به. ومحمد بن السائب الكلبي متهم بالكذب، وأثر ابن عباس أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٧٠)، وهناد في الزهد (١١١)، والطبري (٢٣/ ١١٢) من طريق سفيان الثوري، عن سليمان التيمي، عن أبي سعيد الرقاشي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وأبو سعيد هو بيان بن جندب الرقاشي البصري قال ابن حبان يخطئ، وأخرجه البيهقي في البعث (٢٦٧) من طريق النضر بن عربي، عن عكرمة، عن ابن عباس به، وأقوال الباقين في تفسير الطبري (٢٣/ ١١٣).

(٤) في الأسدية٣، والمطبوع وأحمد٣ والحمزوية: «طيب»، وانظر تفسير القرطبي (١٧/ ٢٠٨).

(٥) أخرجه البخاري (٣٢٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وانظر الدر المنثور (١٤/ ١٩٥).

(٦) تفسير الطبري (٢٣/ ١١٤)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٢٠) بتصرف.

[وقوله تعالى: ﴿وَمَآءٍ مَّسۡكُوبٍ﴾؛ أي: جار في غير أخاديد، قاله سفيان وغيره[١].

وقيل المعنى: ينساب لا تعب فيه بِسَانية ولا رشاء][٢].

وقوله تعالى: ﴿لَّا مَقۡطُوعَةٍ﴾ أي: بزوال الإِبَّان كحال فاكهة الدُّنيا، ﴿وَلَا مَمۡنُوعَةٍ﴾ بِبُعد التَّناول، ولا بشوك يؤذي في شجراتها، ولا بوجه من الوجوه التي تمتنع بها فاكهة الدنيا.

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَفُرُشٍ﴾ بضم الراءِ، وقرأ أَبو حيوة: (وَفُرْشٍ) بسكونها[٣].

و«الفُرُش»: الأَسِرَّة، وروي من طريق أَبي سعيد الخدري أَن في ارتفاع السرير منها مسيرة[٤] خمس مئة سنة[٥].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ـ والله أَعلم ـ لا يثبت، وإِنْ قُدِّر فمتأَولٌ خارج عن ظاهره.

وقال أَبو عبيدة وغيره: أَراد بالفُرُش: النساءَ[٦].

و﴿مَّرۡفُوعَةٍ﴾ معناه في الأَقدار والمنازل، ومن هذا المعنى قول الشاعر:

ظَلَلْتَ مُفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ تَشْتُمُني ... عِنْدَ الرَّسُولِ فَلَمْ تَصْدُقْ وَلَمْ تُصِبِ[٧] [البسيط]

---

(١) من نور العثمانية وأحمد٣، وانظر تفسير الطبري (٢٣/ ١١٧).

(٢) ليس في المطبوع، في الأَسدية٣: «منسكب»، وفي الأسدية٤: «ساكب»، وفي نجيبويه والحمزوية: «ينساب».

(٣) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٤٦٢).

(٤) ليست في الأصل.

(٥) ضعيف، أخرجه أحمد (١٨/ ٢٤٧)، والترمذي (٢٥٤٠-٣٢٩٤) وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (١٥٧)، وأبو يعلى (١٣٩٥)، والطبري (٢٣/ ١١٨) وغيرهم من طريق دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، مرفوعاً بلفظ: «إن ارتفاعها لكما بين السماء والأرض، وإن مابين السماء والأرض لمسيرة خمس مئة عام»، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف دراج ـ وهو ابن سمعان أبو السمح ـ في روايته عن أبي الهيثم ـ وهو سليمان بن عمرو العتواري.

(٦) مجاز القرآن (٢/ ٢٥٠-٢٥١)، بتصرف.

(٧) هو عمرو بن الأهتم كما في الأغاني (٤/ ١٥٧)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٥٦٧)، والاستيعاب (٣/ ١١٦٤).

ومنه قول الآخر في تَعْديده على صِهْره: وَأَفْرَشْتُكَ كريمتي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾ قال قتادة: الضمير عائد على الحور العِين المذكورات قبل. وهذا فيه بُعْد؛ لأَن تلك قصة قد انقضت جملة(١).

وقال أَبو عبيدة مَعْمر: قد ذكرهُنَّ في قوله تعالى: (فُرُش)، فلذلك رَدَّ الضمير وإِنْ لم يتقدم ذكر لدلالة المعنى على المقصد، وهذا كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ [ص:٣٢](٢) ونحوه.

و﴿أَنشَأۡنَٰهُنَّ﴾ معناه: خلقناهن شيئاً بعد شيءٍ.

وقال رسول الله ﷺ في تفسير هذه الآية: «عجائز كُنَّ في الدنيا عُمْشاً رُمْصاً»(٣).

وقال ﷺ لعجوز: «إِن الجنة لا يدخلها العجز»، فحزنت فقال: «إِنَّك إِذا دخلت الجنة أُنشئت خلقاً آخر»(٤).

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١١٩).

(٢) انظر مجاز القرآن (٢/ ٢٥١).

(٣) ضعيف، أخرجه الترمذي (٣٢٩٦)، وهناد في الزهد (٢١)، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢٨٧)، والطبري (٢٣/ ١١٩)، والبيهقي في البعث (٣٣٣)، والبغوي في تفسيره (٨/ ١٤) وغيرهم من طريق موسى بن عبيدة الربذي، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً بألفاظ متقاربة، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى ابن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث. اهـ، وفي الأسدية٤: «رمشاً».

(٤) ضعيف، أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٣٣٢) من طريق ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن عائشة قالت: دخل النبي ﷺ على عائشة، وعندها عجوز فقال: من هذه؟ قالت: إحدى خالاتي، قال: «أما إنه لا يدخل الجنة العجز»، فدخل العجوز من ذلك ما شاء الله. فقال النبي ﷺ: «إنا أنشأناهن إنشاء خلقاً آخر يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً، وأول من يكسى إبراهيم خليل الرحمن». ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾، وليث بن أبي سليم ضعيف، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٥٥٤٥) من طريق مسعدة بن اليسع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد ابن المسيب، عن عائشة به، بنحوه، ومسعدة بن اليسع الباهلي هالك قال أحمد: ليس بشيء خرقنا حديثه وتركنا حديثه منذ دهر، وكذبه أبو داود. انظر الميزان (٤/ ٩٨)، وأخرجه عبد بن حميد كما =

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾، قيل: معناه دائمات البكارة، متى عاود الواطئ وجدها بكراً.

و«الْعُرُبُ» جمع عَروب، وهي المُتَحَبِّبَةُ إِلى زوجها بِإِظهار محبته، قاله ابن عباس، والحسن[1].

وعبَّر عنهن ابن عباس أيضاً بالعواشق[2]، ومنه قول لبيد:

وفي الحُدُوجِ عَروبٌ غَيْرُ فَاحِشَةٍ رَيَّا الرَّوادِفِ يَعْشَى دُونها الْبَصَرُ[3] [البسيط]

وقال ابن زيد: العَرُوبُ: الحَسَنَةُ الكلام[4]، وقد تجيءُ الْعَروب صفة ذَمٍّ على غير هذا المعنى، وهي الفاسدة الأَخلاق كأَنها عرَّبت، ومنه قول الشاعر:

وَمَا بَدَلٌ مِنْ أُمِّ عُثْمَانَ سَلْفَعٌ مِنَ السُّودِ وَرْهاءُ العِنانِ عَرِيبُ[5] [الطويل]

وقرأَ ابن كثير، وابن عامر، والكسائي: ﴿عُرُبًا﴾ بضم الراءِ.

وقرأَ حمزة، والحسن والأعمش: ﴿عُرْباً﴾ بسكونها، وهي لغة بني تميم، واختُلف عن نافع، وأَبي عمرو، وعاصم[6].

= عند ابن كثير (٧/ ٥٣٢) وعنه الترمذي في الشمائل (٢٤١)، والبيهقي في البعث (٣٣٥) من طريق المبارك بن فضالة، عن الحسن مرسلاً.

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٢١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وقول الحسن في تفسير الطبري (٢٣/ ١٢٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٢١)، والبيهقي في البعث (٣٧٧) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عنه.

(٣) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٢٥١)، وتفسير الطبري (٢٣/ ١٢٠)، والجيم (٢/ ٣٣٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٥٥).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ١٢٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٥٥).

(٥) بلا نسبة في مقاييس اللغة (٤/ ٢٠)، وقال ابن سيده في المحكم (٢/ ١٢٨): أنشده ثعلب.

(٦) سبعيتان، الإسكان لشعبة وحمزة، انظر التيسير (ص: ٢٠٧)، وانظر الباقين في السبعة (ص: ٣٦٢)، والأعمش ليس في المطبوع.

وقوله: ﴿أَتْرَابًا﴾ معناه: في الشكل والقَدِّ، حتى يقول الرائي: هم أَتْرابٌ، والتِّرْبُ: هو الذي مسَّ التُّرابَ مع تِرْبِهِ في وقت واحدٍ، وقال قتادة: ﴿أَتْرَابًا﴾ بمعنى: سنّاً واحدة[(١)].

ويروى: أَن أَهل الجنة هم على قدر ابن أَربعة عشر عاماً في الشباب والنُّضرة.

وقيل: على أَمثال أَبناءِ ثلاث وثلاثين سنة، مُرْداً بيضاً مكحَّلين.

واختلف الناس في قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾:

فقال الحسن بن أَبي الحسن وغيرُه: الأَوَّلون: سالِفُ الأُمم، منهم جماعةٌ عظيمة هم أَصحاب اليمين، والآخِرُون: هذه الأُمَّة، منهم جماعة عظيمة أَهل يمين[(٢)].

قال القاضي أَبو محمد: بل جميعُهم إِلَّا من كان من السَّابقين.

وقال قوم من المتأَولين: هاتان الفرقتان في أُمة محمد ﷺ، وروى ابن عباس عن النبي ﷺ أَنه قال: «الثُّلَّتَانِ مِنْ أُمَّتي»[(٣)]، فعلى هذا: التابعون بإِحسان ومن جرى مجراهم ثُلَّةٌ أُولى، وسائر الأُمة ثُلَّةٌ أُخرى في آخر الزمان.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن
يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ / ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ [٥/ ١٧٣]
وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ
ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾.

إِعراب قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ قد تقدَّم في نظيره، وفي الكلام هنا معنى الإِنحاءِ عليهم وتعظيم مصابهم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٢٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٨)، بتصرف.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ١٢٨) وابن عدي في الكامل (١/ ٣٨٦) من طريق الثوري، عن أبان بن أبي عياش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، به، بنحوه. وأبان بن أبي عياش متروك.

و«السَّمُومُ»: أَشدُّ ما يكون من[١] الحَرِّ اليابس الذي لا بلل معه.

و«الحَمِيمُ»: الأَسود، وهو بناءُ مبالغة.

واختلف الناس في هذا الشيءِ الأَسود الذي يُظِلُّ أَهل النار، ما هو؟

فقال ابن عباس[٢] ومجاهد، وأَبو مالك، وابن زيد: هو الدخان[٣]، وهذا قول الجمهور.

وقال ابن عباس أَيضاً: هو سرادق النار المحيط بأَهلها[٤]، فإِنه يرتفع من كل ناحية حتى يُظلَّهم.

وحكى النقاش: أَن اليَحْمُوم اسمٌ من أَسماءِ جهنم، وقاله ابن كيسان[٥].

وقال ابن أَبي بُريدة، وابن زيد أَيضاً ـ في كتاب الثعلبي ـ: هو جبلٌ في النار أَسودُ يَفْزَع أَهلُ النار إِلى ذُراه فيجدونه أَشد شيءٍ وأَمرَّه[٦].

قوله: ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾، قال الطبري وغيره: معناه: ليس له صفة مدح في الظلال، وهذا كما تقول: ثوب كريم ونسب كريم، تعني بذلك: أَن له صفات مدح[٧].

---

(١) في المطبوع: «عند».

(٢) قوي بطرقه، أخرجه الطبري (٢٣/ ١٢٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٦) من طريق سليمان ابن أبي سليمان فيروز أبي إسحاق الشيباني، عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وفي لفظ: «هو ظل الدخان»، وأخرجه الطبري (٢٣/ ١٢٩) من طريق عكرمة، وابن جرير أيضاً من طريق علي بن أبي طلحة، كلاهما، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١٣٠)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٥٦).

(٤) منقطع، أخرجه الطبري (١٨/ ١١) من طريق حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس في قوله ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾. قال: حائط من نار، وابن جريج لم يدرك ابن عباس.

(٥) قول ابن كيسان ورد في تفسير الثعلبي (٩/ ٢١٣)، وفي نجيبويه: «أن النجوم».

(٦) تفسير الثعلبي (٩/ ٢١٣). وابن أبي بريدة سقط من نجيبويه، وفيها: «ابن أبي زيد».

(٧) تفسير الطبري (٢٣/ ١٣٠)، بتصرف.

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل أَن يصفه بعدم الكرم على معنى أَلَّا كرامة لهم، وذلك أَن المرءَ في الدنيا قد يصبر على سوءِ الموضع لقرينة إِكرام يناله فيه من أَحد، فجمع هذا الظلُّ في النار أَنه سَيِّئ الصفة وهم فيه مُهانون.

و«الْمُتْرَفُ»: المنعَّم في سرف وتخوُّض.

و﴿يُصِرُّونَ﴾ معناه: يعتقدون اعتقاداً لا يَنْوُون عنه إِقلاعاً.

قال ابن زيد: لا يتوبون ولا يستغفرون[1].

و﴿ٱلْحِنثِ﴾: الإِثم، ومنه قول النبي ﷺ: «من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحِنْثَ» الحديث[2]، أَراد ﷺ: لم يبلغوا الحُلْم فتتعلَّق بهم الآثام.

وقال الخطابي: الحنْثُ في كلام العرب: العِدْلُ الثقيل، يشبّه الإِثم به[3].

واختلف المفسرون في المراد بهذا الإِثم:

فقال قتادة، والضحاك، وابن زيد: هو الشرك[4]، وهذا هو الظاهر.

وقال قوم ـ فيما ذكر مكي ـ: هو الحنث في قَسَمهم الذي يتضمنه قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٠٩][5] الآية في التكذيب بالبعث، وهذا أَيضاً يتضمن الكفر، فالقول به على عمومه أَولى.

وقال الشعبي: ﴿ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾: اليمين الغَمُوسُ[6].

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٣١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٠٢)، ومسلم (٢٦٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) غريب الحديث للخطابي (١/ ٥٣٩)، بلفظ: «والأحناث عندنا: الأعدال الثقال».

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ١٣٢)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٥٧)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٨٠).

(٥) انظر الهداية لمكي (١١/ ٧٢٨٠).

(٦) تفسير الماوردي (٥/ ٤٥٧).

وقد تقدم ذكر اختلاف القراءِ في قوله تعالى: ﴿أَإِذَا﴾ و﴿أَإِنَّا﴾، ويختص من ذلك بهذا الموضع: أن ابن عامر يخالف فيه أَصله فيقرأُ: ﴿أَإِذَا﴾ ﴿أَإِنَّا﴾ بتحقيق الهمزتين فيهما [على الاستفهام][(١)].

ورواه أَبو بكر عن عاصم في قوله تعالى: ﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[(٢)].

والعامل في قوله تعالى: ﴿أَإِذَا﴾ فعل مضمر يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾، تقديره: [أَنُبْعَثُ أَو أَنُحْشَرُ؟][(٣)]، ولا يعمل فيه ما بعده لأَنه مضاف إِليه.

وقرأَ عيسى الثقفي: ﴿مُتْنَا﴾ بضم الميم، وقرأَ جمهور الناس: ﴿مِتْنَا﴾ بكسرها[(٤)].

وهذا على لغة من يقول: مِتُّ أَموت على وزن فَعِل بكسر العين يفعُل بضمها، ولم يُحك منها عن العرب إِلَّا هذه اللفظة وأُخرى هي: فَضِل يفضُل.

وقرأَ بعض القراءِ: ﴿أَوْ آبَاؤُنَا﴾ بسكون الواو من ﴿أَوْ﴾، ومعنى الآية: استبعاد أَن يبعثوا هم وآباؤُهم على حدٍّ واحد من الاستبعاد.

وقرأَ الجمهور: ﴿أَوَءَابَآؤُنَا﴾ بتحريك الواو على أَنها واو العطف دخل عليها أَلف الاستفهام[(٥)]، ومعناها شدة الاستبعاد في الآباءِ، كأَنهم استبعدوا أَن يُبعثوا ثم أَتَوْا بذكر مَنِ البعثُ فيهم أَبعد، وهذا بيِّن لأَهل العلم بلسان العرب.

ثم أَمر الله تعالى نبيه ﷺ أَن يعلمهم بأَن العالم محشور مبعوث ليوم معلوم مؤقت.

و﴿مِيقَاتِ﴾ مِفْعال من الوقت، كميعاد من الوعد.

---

(١) سقط من نجيبويه، وكذا فعل في (النمل) و(النازعات)، انظر التيسير (ص: ١٣٣)، وهشام على أصله في الهمز.

(٢) والباقون بالخبر، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٧).

(٣) في الحمزوية وأحمد٣ بدلًا منه: «البعث الحشر».

(٤) أبعد بالأولى فهي لابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، انظر التيسير (ص: ٩١). وفي الحمزوية: «حمزة» بدل «جمهور الناس».

(٥) وهما سبعيتان، والأولى لقالون وابن عامر، انظر التيسير (ص: ١٨٦).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَـٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَـٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَـٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ مخاطبة لكفار قريش ومن كان في حالهم.

و﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِن شَجَرٍ﴾ يحتمل أَن يكون للتبعيض، ويحتمل أَن تكون لابتداءِ الغاية، و﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿مِّن زَقُّومٍ﴾ لبيان الجنس.

والضمير في ﴿مِنْهَا﴾ عائد على الشجر، و﴿مِن﴾ للتبعيض أَو: لابتداءِ الغاية.

والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ عائد على المأْكول أَو على الأَكل.

وفي قراءَة ابن مسعود رضي الله عنه: (لآكِلُونَ مِنْ شَجَرَةٍ) على الإِفراد[(١)].

و﴿ٱلْهِيمِ﴾ قال ابن عباس[(٢)]، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك: هو جمع أَهْيَم، وهو الجمل الذي أَصابه الهُيَام[(٣)] بضم الهاءِ، وهو داءٌ معطش يشرب معه[(٤)] الجمل حتى يموت أَو يسقم سقماً شديداً، والأُنثى هيماءُ، وقال بعضهم: هو جمع هيماءَ؛ كعيْنَاءَ وعِينٍ وبَيْضاءَ وبِيضٍ، وقال قوم آخرون: هو جمع هايم وهايمة، وهو أَيضاً من هذا المعنى؛ لأَن الجمل إِذا أَصابه ذلك الداء هام على وجهه وذهب.

---

(١) وهي شاذة، انظر تفسير الطبري (٢٣/ ١٣٣)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٢٧).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٣٥) من طريق علي بن أبي طلحة، وعطية العوفي مفرقين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: شرب الإبل العطاش.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١٣٥) بتصرف.

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «منه».

وقال سفيان الثوري وابن عباس،: الهِيمُ هنا: الرمال التي لا تُرْوَى من الماءِ[١].

وذلك أَن الهَيَام بفتح الهاءِ: هو الرمل الدِّق الغَمْر المتراكم.

وقال ثعلب: الهُيام بضم الهاءِ: الرَّمل الذي لا يتماسك[٢].

وقرأَ ابن كثير، وابن عامر، وأَبو عمرو، والكسائي: ﴿شَرْبَ الـهِيمِ﴾ بفتح الشين، وهي قراءَة الأَعرج، وابن المسيَّب، وشعيب بن الحبحاب، ومالك بن دينار، وابن جريج، ولا خلاف أَنه مصدر.

وقرأَ مجاهد: (شِرْبَ الْهِيمِ) بكسر الشين، ولا خلاف أَنه اسم.

وقرأَ أَهل المدينة وباقي السبعة: ﴿شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ بضم الشين[٣]، واختلف فيه:

فقال قوم: هو مصدر، وقال آخرون: هو اسم لما يُشرب.

و«النُّزُلُ»: أَول ما يأْكل الضيف، وقرأَ أَبو عمرو في رواية عباس[٤]: ﴿نُزْلُهُمْ﴾ بسكون الزاي.

وقرأَ الباقون، واليزيديُّ عن أَبي عمرو بضم الزاي[٥]، وهما بمعنى؛ كالشُّغْل والشُّغُل.

و﴿ٱلدِّينِ﴾: الجزاءُ.

ثم أَخبر تعالى أَنه الخالق، وحضَّ على التصديق على وجه / التقريع، ثم ساق [٥/ ١٧٤]
تعالى الحجة الموحية للتصديق، كأَن معترضاً من الكفار قال: ولِمَ أُصَدِّق؟ فقيل له:

---

(١) أخرجه سفيان بن عيينة في جامعه كما في الدر المنثور (١٤/ ٢١٣) قال: هيام الأرض. يعني: الرمال، وانظر الطبري (٢٣/ ١٣٦).

(٢) الدر المصون (١٠/ ٢١٢).

(٣) الأولى والثالثة سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٧)، والثانية شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٤٦٣).

(٤) في الأسدية٤: «عيَّاش»، وفي المطبوع: «ابن عياش»، وفي نجيبويه: «ابن عباس».

(٥) هذه هي قراءة الجماعة، وانظر الأولى في السبعة (ص: ٦٢٣).

أَفرأَيت كذا وكذا؟ الآيات، وليس يوجد مفطورٌ يخفى عليه أَن المنيَّ الذي يخرج منه ليس له[١] فيه عمل ولا إِرادة ولا قدرة.

و﴿أَمْ﴾ في قوله: ﴿أَمْ نَحْنُ﴾ ليست المعادِلة عند سيبويه؛ لأَن الفعل قد تكرَّر، وإِنما المعادِلة عنده: أَقام زيدٌ أَم عمرو؟ وهذه التي في هذه الآية معادِلة عند قوم من النحاة، وأَما إِذا تغاير الفعلان فليست بمعادِلة إِجماعاً.

وقرأَ الجمهور: ﴿تُمْنُونَ﴾ بضم التاءِ.

وقرأ ابن عباس، وأَبو السَّمال: (تَمْنُونَ) بفتح التاءِ[٢].

ويقال: أَمْنى الرجل ومَنَى؛ بمعنى واحد.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿قَدَّرْنَا﴾ بشد الدال، وقرأَ ابن كثير وحده: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا﴾ بتخفيفها[٣].

والمعنى فيهما يحتمل أَن يكون بمعنى: قضينا وأَثبتنا، ويحتمل أَن يكون بمعنى: سوَّينا وعدَّلنا التَّقدُّم[٤] والتَّأَخُّر؛ أَي: جعلنا الموت رُتَباً، ليس يموت العالَمُ دفعة واحدة، بل بترتيب لا يعدوه أَحد.

وقال الطبري: معنى الآية: قدرنا بينكم الموت على أَن نبدلَ أَمثالكم، أَي تموت طائفة ونبدلها بطائفة، وهكذا قرناً بعد قرن[٥].

وقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾؛ أَي: على تبديلكم إِن أَردناه، وأَن ننشئكم بأَوصاف لا يصلها علمكم[٦] ولا تحيط بها فكركم، قال الحسن: من كونهم قردة وخنازير[٧].

---

(١) «له» ليست في المطبوع.

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها لأبي السمال في الشواذ للكرماني (ص: ٤٦٣)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢١٤).

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٧).

(٤) ليست في الحمزوية وأحمد٣، وفيه: «في التأخر».

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ١٣٧) بتصرف.

(٦) في الأصل ونجيبويه: «عملكم».

(٧) تفسير الثعلبي (٩/ ٢١٥).

قال القاضي أَبو محمد: تأَول الحسن هذا لأَن الآية تنحو إِلى الوعيد، وجاءَت لفظة السبق هنا على نحو قوله ﷺ: «فإِن استطعتم أَلا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا، لا تفوتنكم»[١].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ٱلنَّشۡأَةَ﴾ بسكون الشين.

وقرأَ قتادة وأَبو الأَشهب، وأَبو عمرو بخلاف: ﴿النَّشَاءَةَ﴾ بفتحها وبالمدِّ[٢].

وقال أَكثر المفسرين: أَشار إِلى خلق آدم عليه السلام ووقف عليه لأَنك[٣] لا تجد أَحداً ينكر أَنه من ولد آدم عليه السلام، وأَنه من طين، وقال بعضهم: أَراد تعالى بالنشأَة الأُولى: نشأَة إِنسان إِنسان في طفولته، فيعلم المرءُ نشأَته كيف كانت بما يرى من نشأَة غيره.

ثم حضَّض تعالى على التذكُّر والنظر المؤدي إِلى الإِيمان.

وقرأَ الجمهور: ﴿تذَّكرون﴾ مشددة الذال.

وقرأَ طلحة: (فَلَوْلَا تَذْكُرُونَ) بسكون الذال وضم الكاف[٤].

وهذه الآية نَصٌّ في استعمال القياس والحضِّ عليه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ۝٦٦ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ۝٦٧ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ۝٦٩ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ۝٧٠ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ۝٧٢ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ۝٧٣ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ۝٧٤﴾.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، إلا قوله «لا تفوتنكم».

(٢) بل هما سبعيتان، والثانية لابن كثير وأبي عمرو كما تقدم في العنكبوت، وانظر السبعة (ص: ٤٩٨).

(٣) في الأصل: «لأنه».

(٤) وهي شاذة، وتابعه هكذا في البحر المحيط (١٠/ ٨٩)، وبقيت عليهما قراءة حفص والأخوين.

وقف تعالى الكفار على أَمر الزرع الذي هو قوام العيش، وبيَّن لكل مفطور أن الحراث الذي يثير الأَرض ويفرق الحَبَّ ليس يفعل في نبات الزرع شيئاً، وقد يُسمَّى الإِنسان زارعاً، ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ [الفتح: ٢٩]، لكن معنى هذه الآية: أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ زرعاً يتم أَم نحن؟ وروى أَبو هريرة عن النبي ﷺ أَنه قال: «لا تقولنَّ زرعت، ولكن قل: حَرَثْتُ»، ثم تلا أَبو هريرة رضي الله عنه هذه الآية[١].

و«الْحُطَامُ»: الْيَابِس المتفتِّت من النبات الصائر إِلى ذَهاب، وبه شبه حطام الدنيا.

وقيل: المعنى: نبتاً[٢] لا قَمْحَ فيه.

و﴿تَفَكَّهُونَ﴾ قال ابن عباس[٣]، ومجاهد، وقتادة: معناه: تعجبون.

وقال عكرمة: تلاومون[٤]، وقال الحسن: معناه: تندمون، وقال ابن زيد: تتفجَّعون[٥].

وهذا كله تفسير لا يخصُّ اللفظة، والذي يخصُّ اللفظة هو: تطرحون الفكاهة عن أَنفُسكم، وهي المَسَرَّة والجزلُ، ورجلٌ فَكِهٌ: إِذا كان منبسط النفس غير مكترث بالشيء[٦].

و«تَفَكَّهَ» من أَخوات: تَحَرَّجَ، وتَحَوَّبَ.

---

(١) إسناده غير قوي، أخرجه الطبري (٢٣/ ١٣٩)، وابن حبان في صحيحه (٥٧٢٣)، والطبراني في الأوسط (٨٠٢٤)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ١٣٨)، وفي الشعب (٥٢١٧)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٦٧) وغيرهم من طريق مسلم بن أبي مسلم الجرمي، عن مخلد بن الحسين المصيصي، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، به، وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن هشام إلا مخلد تفرد به مسلم الجرمي. اهـ، قال ابن حجر في الفتح (٥/ ٤): غير قوي، رجاله ثقات إلا أن مسلم بن أبي مسلم الجرمي قال فيه ابن حبان: ربما أخطأ، وروى عبد بن حميد من طريق أبي عبد الرحمن السلمي بمثله من قوله غير مرفوع».

(٢) في الأسدية٤، والمطبوع وأحمد٣: «تبنا».

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٣٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) في الأصل: «تلامون».

(٥) انظر الأقوال كلها في تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢١٦).

(٦) في المطبوع: «بشيء».

وقرأ الجمهور: ﴿فَظَلْتُمْ﴾ بفتح الظاءِ.

وروَى سفيان الثوريُّ في قراءَة عبد الله كسْرَ الظَّاءِ، قال أَبو حاتم: طُرحت عليها حركة اللام المحذوفة، وذلك رديءٌ في القياس، وهي قراءَة أَبي حَيْوة[١].

وروى أَحمد بن موسى: (فَظَلَلْتُمْ) بلامَيْن الأُولى مفتوحة عن الجحدري.

ورويت عن ابن مسعود رضي الله عنه بكسر اللام الأُولى[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ قبله حذف تقديره: «يقولون».

وقرأ الأَعمش، وعاصم الجحْدري: ﴿أَئِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ بهمزتين على الاستفهام[٣].

والمعنى يحتمل أَن يكون: إِنا لمعذبون، من الغرام وهو أَشد العذاب.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]، ومنه قول الأَعشى:

إِنْ يُعَذِّبْ يَكُنْ غَرَاماً وَإِنْ يُعْـ ـطِ جَزِيلاً فَإِنَّهُ لَا يُبالِي[٤] [الخفيف]

ويحتمل أَن يكون المعنى: إِنا لمحمَّلون الغَرام، أَي غرمنا في النفقة وذهاب زرعنا، تقول: «غَرِمَ الرجلُ وأَغْرَمْتُه فهو مُغْرم»، وتقدم تفسير «المحروم» وأَنه المحدود والمُحَارَف[٥].

و﴿الْمُزْنِ﴾: السحابُ بلا خلاف، ومنه قول الشاعر:

ونَحْنُ كَمَاءِ المُزْنِ ما في نِصَابِنَا كَهامٌ وَلَا فينا يُعَدُّ بَخيلُ[٦] [الطويل]

---

(١) وهي شاذة، انظر إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٢٧)، وفي الأصل بدل المحذوفة: «المجزومة».

(٢) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٦٣).

(٣) بل هما سبعيتان، والثانية لشعبة، انظر التيسير (ص: ٢٠٧).

(٤) تقدم في تفسير الآية (٦٥) من (سورة الفرقان).

(٥) في الأصل: «المحارب»، وفي أحمد٣: «المحازف»، وفي نور العثمانية: «المجدود والمجازف».

(٦) البيت للسَّمَوْأَل، كما في أمالي القالي (١/ ٢٧٠)، والبيان والتبيين (٣/ ١٢٨)، والعقد الفريد (١/ ٢٠٩)، وفي الأصل: «كمام».

و«الأُجَاجُ»: أَشدُّ المياه ملوحة، وهو ماءُ البحر الأَخضر.

و﴿تُورُونَ﴾ معناه: تقتدحون من الأزْنُد، تقول: أَوريت النار من الزنادِ، وورى الزِّنادُ نفسه، والزناد قد يكون من حجرين ومن حجر وحديدة ومن شجر لا سيَّما في بلاد العرب، [فإِن أَزْنُدَهم من شجر](١) ولا سيَّما في الشجر الرخو كالمرخ والعفار والكلخ وما أَشبهه، ولعادة العرب في أَن زنادهم من شجر قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ﴾.

وقال بعض أَهل النظر: أَراد بالشجرة نفس النار، كأَنه تعالى يقول: نوعها أَو جنسها، فاستعار الشجرة لذلك.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول فيه تكلُّف.

وقرأَ الجمهور: ﴿آنْـتُمْ﴾ بالمدِّ.

وروي عن أَبي عمرو، وعيسى: (أَنْـتُمْ) بغير مدٍّ، وضعَّفها أَبو حاتم(٢).

و﴿تَذۡكِرَةٗ﴾ معناه: تُذكِّر نار جهنم، قاله مجاهد وقتادة(٣)، و«الـمَتَاعُ»: ما يُنْتَفَع به.

[٥/ ١٧٥] و(الْمُقْوِينَ) في هذه الآية: الكائنون في الأَرض القواءِ، وهي الفيافي. /

وعبَّر الناسُ في تفسير (الْمُقْوِينَ) بأَشياءَ ضعيفة، كقول ابن زيد: للجائعين(٤) ونحوه، ولا يقوم منها إلَّا ما ذكرناه، ومن قال معناه: المسافرون فهو نحو ما قلناه، وهي عبارة ابن عباس، تقول: أَصبح الرجل: دخل في الصباح(٥)، وأَصْحَرَ: دخل في

(١) من المطبوع وأحمد٣، وسقط منه إلى «من شجر» التي بعدها.

(٢) لعله يقصد بالمد الاستفهام، وبعدمه الخبر، وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٦٣).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٤)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٨٧).

(٤) في المطبوع وأحمد٣ ونجيبويه: «الخائفين»، وفي الحمزوية: «الخاضعين»، وانظر تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٥)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢١٧).

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٥٦) من طريق علي بن أبي طلحة، ومن طريق عطية العوفي، كلاهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ﴾ قال: للمسافرين.

الصحراءِ، وأَقوى: دخل في الأرض القَوَاءِ، ومنه: أَقْوَت الدارُ، أَقوى الطَّلَلُ؛ أَي: صار قواءً، ومنه قول النابغة:

. . . . أَقْـوَتْ وطالَ عَلَيْهَا سـالِفُ الأَبَدِ(١) [البسيط]

وقول الآخر:

. . . . أَقْـوَى وأَقْفَـرَ بَعْـدَ أُمِّ الْهَيْثَـمِ(٢) [الكامل]

والفقير والغني إِذا أَقْوَيَا سواءٌ في الحاجة إِلى النار، ولا شيءَ يغني غناها في البرد.

ومن قال: إِن أَقوى من الأَضداد من حيث يقال: أَقوى الرجل: إِذا قويت دابته؛ فقد أَخطأَ، وذلك فعل آخر؛ كأَترب: إِذا أَثْرَى(٣).

ثم أَمر تعالى نبيَّه ﷺ بتنزيه ربِّه عزَّ وجلَّ وتنزيه أَسمائه العُلَى عما يقوله الكفرة الذين حُجُّوا في هذه الآيات.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

اختلف الناس في (لا) من قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾:

فقال بعض النحويين: هي زائدة، والمعنى: فأُقسم، وزيادتها في بعض المواضع

---

(١) صدره: يا دارَ مَيَّةَ بالعَلْيَاءِ فَالسَّنَدِ، عزاه له في الكتاب لسيبويه (٢/ ٣٢٠)، والقوافي للتنوخي (ص: ٧٦)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٧٨).

(٢) من معلقة عنترة، وصدره: حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ. انظر جمهرة أشعار العرب (ص: ٣٥٠)، والأغاني (٨/ ٢٢٣).

(٣) في الأصل: «أترب».

معروف، كقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩]، وغير ذلك.

وقال سعيد بن جبير وبعض النحويين: هي نافية[١]، كأَنه تعالى يقول: فلا صحة لما يقوله الكفار، ثم ابتدأَ تعالى فقال: ﴿أُقْسِمُ﴾.

وقال بعض المتأَولين: هي مؤكدة تعطي في القَسَم مبالغة، وهي كاستفتاح كلام مشبه[٢] في القَسَم لا في شائع الكلام [القسم وغيره][٣]، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] فَلَا وَأَبي أعدائها لَا أَخُونُهَا[٤] ....

المعنى: فَوَ أَبي، ولهذا نظائر.

وقرأَ الحسن والثَّقفي: (فَلأُقْسِمُ) بغير أَلف[٥]، قال أَبو الفتح: التـقدير: فَـلأَنا أُقْسِم.

وقرأَ الجمهور من القراءِ: ﴿بِمَوَاقِعِ﴾ على الجمع.

وقرأَ عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن مسعود، وأَهْلُ الكوفة، وحمزة، والكسائي ﴿بِمَوْقِعِ﴾ على الإِفراد، وهو مرادٌ به الجمع[٦].

ونظير هذا كثير، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]، جَمَع من حيث لكل حمار صوت مختص، وأَفرد من حيث الأَصوات كلها صوتٌ.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٧).

(٢) في الأسدية٣ والأسدية٤ والحمزوية: «مشبهه»، والمطبوع وأحمد٣: «يشبهه»، وفي نجيبويه ونور العثمانية: «مشبهة».

(٣) سقط من المطبوع، وفي نور العثمانية: «سائغ الكرم»، وليس فيه القسم.

(٤) صدره: فإن تك ليلى حمّلتني لبانة، نسبه في الحيوان (٥/ ١٠٤) للبعيث، وحماسة الخالديين (ص: ٧٤) لابن الدُّمَيْنة، وهو في أمالي القالي (١/ ٧٠)، بلا نسبة. وفي المطبوع: بدل «أعدائها» نقط، وفي الأسدية٤: «أعاديها»، في الأسدية٣ وأحمد٣: «ما أخونها».

(٥) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٣٠٨).

(٦) وهما سبعيتان، الثانية لحمزة والكسائي كما في التيسير (ص: ٢٠٧).

واختلف الناس في النُّجوم هنا:

فقال ابن عباس، وعكرمة ومجاهد وغيرهم: هي نجوم القرآن التي نزلت على محمد ﷺ[(١)].

وذلك أَنه رُوي أَن القرآن نزل من عند الله عزَّ وجلَّ في ليلة القدر إِلى السماءِ الدنيا، وقيل: إِلى البيت المعمور جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك على محمد ﷺ نجوماً مقطعة في مدَّة من عشرين سنة.

قال القاضي أبو محمد: ويؤيد هذا القول عودُ الضمير على القرآن في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾، وذلك أَنَّ ذكْرَهُ لم يتقدم إِلَّا على هذا التأْويل، ومن لا يتأَول بهذا التأْويل يقول: إِن الضمير يعود على القرآن وإِن لم يتقدم له ذكْر لشُهرة الأَمر ووضوح المعنى، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، و﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]، وغير ذلك.

وقال جمهور كثير من المفسرين: النجوم هنا الكواكبُ المعروفة، واختُلف في مواقعها:

فقال مجاهد وأَبو عبيدة: هي مواقعها عند غروبها وطلوعها[(٢)].

وقال قتادة: مواقعها هي مواضعها من السماءِ[(٣)].

---

(١) صحيح، روي من طرق عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما أصحها ما أخرجه النسائي في الكبرى (١١٥٠١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٨)، وابن منده في الإيمان (٧٠٥) من طريق حصين بن عبد الرحمن، عن سعيد بن جبير به بلفظ: نزل القرآن جميعاً في ليلة القدر إلى سماء الدنيا ثم فصل بعد ذلك وذلك قول الله ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾، ومن طريق النسائي أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (١٧/ ٥١)، وانظر للباقين تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٨)، والهداية (١١/ ٧٢٩٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٨)، ومجاز القرآن (٢/ ٧٢٩٠).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٨)، بتصرف.

وقيل: مواقعها عند الانقضاض إِثر العفاريت.

وقال الحسن: مواقعها عند الانكدار يوم القيامة[١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ﴾ تأْكيدٌ للأَمر وتنبيه من المقسم به، وليس هذا باعتراض بين الكلامين، بل هذا معنى قصد التَّهمم به، وإِنما الاعتراض قوله تعالى: ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقد قال قوم: إِن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ﴾ اعتراض، وإِنَّ ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾ اعتراضٌ في اعتراض، والتحرير هو الذي ذكرناه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ﴾ هو الذي وقع القَسَم عليه، ووصفه بالكرم على معنى إِثبات صفات المدح له ودفع صفات الحطيطة عنه.

واختلف المتأَولون في قوله تعالى: ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ ـ بعد اتفاقهم على أَن «الْمَكْنُونَ» المصونُ ـ:

فقال ابن عباس[٢]، ومجاهد: أَراد الكتاب الذي في السماءِ.

وقال عكرمة: أَراد التوراة والإِنجيل[٣]، كأنه تعالى قال: إِنه لكتابٌ كريمٌ ذُكر كرمه وشرفه في كتاب مكنون.

قال القاضي أبو محمد: فمعنى الآية ـ على هذا ـ الاستشهاد بالكتب المنزلة، وهذا كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٦].

وقال بعض المتأَولين: أَراد مصاحف المسلمين، وكانت يوم نزلت الآية لم

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٨)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٩٠)، وفي المطبوع: «انكدار النجوم».

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ١٤٩)، والبيهقي في معرفة السنن (١٠٨) من طريق حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الكتاب الذي في السماء. وحكيم ابن جبير مولى آل الحكم بن أبي العاص الثقفي ضعيف.

(٣) انظر قول مجاهد في تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٩)، وعكرمة في تفسير الماوردي (٥/ ٤٦٣)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٩١).

تكن، فهي ـ على هذا ـ إِخبار بغيب، وكذلك هو كتاب مصون إِلى يوم القيامة، ويؤيد هذا لفظة «المَسِّ»، فإِنها تشير إِلى المصاحف، وهي مستعارة في مسِّ الملائكة.

واختلف الناس في معنى قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ وفي حكمه:

فقال بعض[1] من قال: إِن الكتاب المكنون هو الذي في السماءِ، قال: ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ هنا: الملائكة، قال قتادة: فأَما عندكم فيمسُّه المشرك النجس والمنافق[2].

قال الطبري: ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾: الملائكة والأَنبياءُ عليهم السلام ومَن لا ذنب له[3]، وليس في الآية على هذا القول حكم مسِّ المصحف لسائر بني آدم.

ومن قال بأَنها مصاحف المسلمين قال: إِن قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ إِخبار مضمنه النهي، وضَمَّةُ السين على هذا إِعرابٌ، وقال بعض هذه الفرقة: بل الكلام نهيٌ، وضمَّة السِّين ضمَّة بناءٍ.

قال جميعهم: فلا يمسُّ المصحف من جميع[4] بني آدم إِلاَّ الطاهر من الكفر والجنابة والحدث الأَصغر، قال مالك: لا يحمله غير طاهر بعلاقته ولا على وسادة[5].

وفي كتاب رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم: «ولا يمسُّ المصحف إِلَّا طاهر»[6]./ [٥/ ١٧٦]

(١) «بعض» من المطبوع.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٥٢)، الهداية لمكي (١١/ ٧٢٩٢)، تفسير الثعلبي (٩/ ٢١٩). و«النجس» ليست في الحمزوية وأحمد٣، وفي المطبوع زيادة «قال» قبل «المطهرون»، وسقط من نور العثمانية منها إلى «المطهرون» الثانية.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١٥٠)، بتصرف.

(٤) «جميع» ليست في المطبوع والحمزوية ونور العثمانية وأحمد٣.

(٥) انظر قول مالك ومذهب جمهور العلماء في الاستذكار (٢/ ٤٧٢).

(٦) مرسل صحيح، وروي موصولًا ولا يصح، أخرجه مالك في الموطأ (٢٩٦) رواية محمد بن الحسن قال: أخبرنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: إن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم: «لا يمس القرآن إلا طاهر»، قال ابن عبد البر: والدليل على صحته =

وقد رخَّص أَبو حنيفة وقوم بأَن يمسَّه الجنب والحائض على حائلٍ؛ غلافٍ ونحوِه[١].

ورخَّص بعض العلماءِ في مسِّه في الحدث الأَصغر وفي قراءَته عن ظهر قلب، منهم ابن عباس وعامر الشعبي، لا سيما للمعلم والصبيان[٢]، وقد رخَّص بعضهم للجنب في قراءَته[٣].

وهذا الترخيص كله مبني على القول الذي ذكرناه من أَن «المطهرين» هم الملائكة، أو على مراعاة لفظة المسِّ، فقد قال سلمان[٤] رضي الله عنه: لا أَمسُّ المصحف، ولكن أَقرأُ القرآن[٥].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ بفتح الطاءِ والهاءِ المشددة.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو بخلاف عنهما: (الْمُطْهَرُونَ) بسكون الطاءِ وفتح الهاءِ خفيفة، وهي قراءَة عيسى الثقفي.

وقرأَ سلمان الفارسي: (الْمُطَهِّرُونَ) بفتح الطاءِ خفيفة وكسر الهاءِ وشدها، على معنى: الذين يُطَهِّرُون أَنفسهم، ورويت عنه بشد الطاءِ والهاءِ.

= تلقي جمهور العلماء له بالقبول.اهـ. انظر التمهيد (١٧/ ٣٩٧)، ومن طريق مالك أخرجه أبو داود في المراسيل (٩٠)، قال ابن دقيق العيد في الإلمام (ح٨٤): وَبَعض الروَاة يَقُول: عَن عبد الله عَن أَبِيه، وَبَعْضهمْ عَن أَبِيه، عَن جده. وَمن النَّاس من يثبت هَذَا الحَدِيث بشهرة الْكتاب وتلقيه بِالْقبُولِ، وانظر البدر المنير (٢/ ٥٠١)، والدراية في تخريج أحاديث الهداية (١/ ٨٦)، ونصب الراية (١/ ١٩٦). وفي الأسدية٣ والأسدية٤ وأحمد٣ والمطبوع ونور العثمانية: «لا يمس القرآن».

(١) انظر قول أبي حنيفة في: الجامع الصغير (١/ ٨٢).

(٢) انظر قول ابن عباس والشعبي في: تفسير القرطبي (١٧/ ٢٢٦).

(٣) قال بهذا داود، انظر قوله في: الاستذكار (٢/ ٤٧٤).

(٤) في الأصل والأسدية ٣: «سليمان».

(٥) انظر قول سلمان في: السنن الصغرى للبيهقي (١/ ٣٢١).

وقرأ الحسن، وعبد الله بن عون، وسلمان الفارسي بخلاف عنه: (الْمُطَّهِّرُون) بشدِّ الطاء[١] بمعنى: الْمُتَطَهِّرين.

قال القاضي أبو محمد: والقول بأن ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ نهيٌ؛ قولٌ فيه ضعف، وذلك [أنه إذا كان خبراً فهو في موضع الصفة، وقوله تعالى بعد ذلك: ﴿تَنزِيلٌ﴾ صفة أيضاً، فإذ جعلناه نهياً جاءَ معنى أجنبياً مُعْتَرضاً بين الصفات، وذلك][٢] لا يحسن في رصف الكلام، فتدبَّره.

وفي حرف ابن مسعود: (مَا يَمَسُّهُ)[٣]، وهذا يُقَوِّي ما رجَّحته من الخبر الذي معناه: حَقُّهُ وَقَدْرُهُ أَلَّا يَمسَّه إِلَّا طاهر.

وقوله تعالى: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ مخاطبة للكفار.

و﴿ٱلْحَدِيثِ﴾ المشار إليه هو القرآن المتضمن البعث، وأن الله تعالى هو خالق الكل، وأن ابن آدم مصرف بقدره وقضائه، وغير ذلك.

و﴿مُّدْهِنُونَ﴾ معناه: يُلَاينُ بعضكم بعضاً ويتبعه في الكفر، مأْخوذ من الدُّهن؛ لِلينه وامِّلَاسِهِ، وقال أبو قيس بن الأَسلت:

الْـحَـزْمُ والْـقُـوَّةُ خَيْرٌ منْ الْـ   إِدْهَـانِ والْـفَـهَّـةِ والْـهَـاعِ[٤]   [السريع]

وقال ابن عباس: هي المهاودة فيما لا يحلُّ[٥]، والمداراة: هي المهاودة فيما يحلُّ.

---

(١) «بشد الطاء» ليست في المطبوع، وهذه ثلاث قراءات شاذة، انظر عزو الأولى لعيسى والثالثة لسلمان في الشواذ للكرماني (ص: ٤٦٣)، وذكر جواز الثانية عن الزجاج، وانظر الكل في البحر المحيط (١٠/ ٩٣).

(٢) سقط من الأصل.

(٣) انظر تفسير الطبري (٢٣/ ١٥٢).

(٤) انظر عزوه له في العين (٢/ ١٧٠)، وعمدة الكتاب للنحاس (ص: ٣٢٦)، وتهذيب اللغة (٣/ ١٧).

(٥) لم نقف عليه مسنداً.

وقال ابن عباس: ﴿مُّدۡهِنُونَ﴾: مكذبون[١].

قوله تعالى: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾، أَجمع المفسِّرون على أَن الآية توبيخ للقائلين في المطر الذي نزله الله تعالى رزقاً للعباد: هذا بِنَوْءِ كذا وكذا، وهذا بعثانين[٢] الأَسد، وهذا بِنَوْءِ الجوزاءِ، وغير ذلك، والمعنى: وتجعلون شكر رزقكم، كما تقول لرجل: جعلت يا فلان إِحساني إِليك أَن سببتني[٣]، فالمعنى: جعلت شكر إِحساني.

وحكى الهيثم بن عدي[٤] أَن من لغة أَزد شَنوءَة: ما رزْق فلان؟ بمعنى: ما شكْره؟[٥]

وكان علي بن أَبي طالب رضي الله عنه يقرؤُها: (وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ)، وكذلك قرأَ ابن عباس، ورويت عن النبي ﷺ[٦]، إِلا أَن ابن عباس ضم التاءِ

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٥٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «بنوء».

(٣) في الأصل: «شتمتني».

(٤) الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد، أبو عبد الرحمن الطائي الأخباري المؤرخ الكوفي، روى عن هشام بن عروة، وغيره وعنه الواقدي، وله تاريخ صغير، قال أبو زرعة: ليس بشيء، وقال النسائي: متروك، توفي سنة ٢٠٧هـ، تاريخ الإسلام (١٤/ ٤٢٣).

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ١٥٣)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٢٢).

(٦) لا يصح قراءة مرفوعة، وثبت تفسيراً، أخرجه عبد بن حميد في تفسيره كما في فتح الباري (٢/ ٥٢٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٢١٥) من طريق إسرائيل بن يونس، والثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٢٢) من طريق هارون بن سعد كلاهما ـ إسرائيل، وهارون ـ عن عبد الأعلى ابن عامر الثعلبي، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب مرفوعاً، بلفظ: في قوله عز وجل! ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾! قال: شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا ونجم كذا وكذا. وهذا لفظ الطحاوي وهو يدل على تفسير الآية لا على القراءة كما قال الحافظ في الفتح (٢/ ٥٢٣): وقد روى نحو أثر بن عباس المعلق مرفوعاً من حديث علي لكن سياقه يدل على التفسير لا على القراءة أخرجه عبد بن حميد من طريق أبي عبد الرحمن السلمي عن علي مرفوعاً ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ﴾. قال: تجعلون شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا. اهـ، وقد اختلف على =

وفتح الكاف، وعلي رضي الله عنه فتح التاءَ وسكن الكاف وخفف الذال[١]، ومن هذا المعنى قول الشاعر:

وكانَ شُكْرُ الْقَوْمِ عِنْدَ المننِ كيَّ الصَّحيحاتِ وفَقْءَ الأَعْيُنِ[٢] [الرجز]

وقد أَخبر الله تعالى أَنه أَنزل من السماءِ ماءً مباركاً فأَنبت به جنات وحبَّ الحصيد، والنخل باسقات لها طلع نضيد، رزقاً للعباد[٣]، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾، أَي بهذا الخبر.

وقرأَ عاصم في رواية المفضل عنه: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ بفتح التاءِ وسكون الكاف وتخفيف الذال كقراءَة علي بن أَبي طالب[٤].

وكَذِبهم في مقالاتهم بيِّنٌ لأَنهم يقولون: هذا بنوءِ كذا، وذلك كذب منهم وتخرُّص.

وذكر الطبري أَن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: مُطرنا ببعض عثانين الأَسد، فقال له: «كذبتَ بلْ هو رزق الله»[٥].

= عبد الأعلى الثعلبي فرواه عنه إسرائيل، وهارون مرفوعاً، وخالفهم الثوري، فرواه عن عبد الأعلى، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي موقوفاً أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٧١)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٢١٥)، وأخرجه الطبراني في الدعاء (٩٦٢) من طريق عبد الأعلى، عن أبي عبد الرحمن السلمي من قوله، قال الدارقطني في العلل (٤/ ١٦٣) بعد ما ذكر الخلاف: وَيُشبِهُ أَن يَكُون الاختِلَافُ مِن جِهَةِ عَبدِ الأَعلَى، قلت: وعبد الأعلى بن عامر الثعلبي ضعيف، قال ابن أبي حاتم: سئل أبو زرعة عن عبد الأعلى الثعلبي؟ فقال: ضعيف الحديث ربما رفع الحديث وربما وقفه، وقال ابن عدي: يحدث عن سعيد بن جبير، وابن الحنفية، وأبي عبد الرحمن السلمي بأشياء لا يتابع عليها. انظر الجرح والتعديل (٦/ ٢٦)، والكامل (٥/ ٣١٦).

(١) وكلتاهما شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٠٩).

(٢) بلا نسبة في البيان والتبيين (٣/ ٦٦)، وعيار الشعر (ص: ٥٤)، وجمهرة الأمثال (١/ ٣١٤)، والروض الأنف (١/ ٢١١).

(٣) إشارة إلى الآيات (٩، ١٠) من (سورة ق). في المطبوع: «فأنشأ» بدل «فأنبت».

(٤) وليست من طرق التيسير، انظر عزوها للمفضل في السبعة (ص: ٦٢٤)، وجامع البيان (٤/ ١٦٢٨).

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ١٥٥) من طريق سفيان الثوري، عن إسماعيل بن أمية، قال: أحسبه =

قال القاضي أبو محمد: والمنهي عنه المكروه هو أَن يعتقد أَن للطَّالع من النجوم تأْثيراً في المطر، وأَما مراعاة بعض الطوالع على مقتضى العادة، فقد قال عمر للعباس وهما في الاستسقاءِ: يا عباس، يا عم النبي ﷺ: كم بقي من نَوْءِ الثُّريا؟ فقال العباس رضي الله عنه: العلماءُ يقولون إِنها تعترض في الأُفق بعد سقوطها سبعاً، قال ابن المسيَّب: فما مضت سبعٌ حتى مُطِروا[١].

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ توقيف على موضع عجز يقتضي النظرُ فيه أَن الله تبارك وتعالى مالك كل شيءٍ.

والضمير في ﴿بَلَغَتِ﴾ لنفس الإِنسان، والمعنى يقتضيها وإِن لم يتقدم لها ذكر.

و﴿ٱلْحُلْقُومَ﴾ مجرى الطعام، وهذه الحالُ هي نزاع المرءِ للموت.

وقوله تعالى: (أَنْتُم) إِشارة إِلى جميع البشر، وهذا من الاقتضاب، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

وقرأَ عيسى بن عمر: (حِينِئِذٍ) بكسر النون[٢].

= أو غيره: أن رسول الله، فذكره. وهذا إسناد منقطع فإن إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد ابن العاص ثقة ثبت من الذين عاصروا صغار التابعين.

(١) أخرجه الحميدي (٩٧٩)، والطبري (٢٣/ ١٥٥)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٣٥٩) من طريق محمد ابن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ لَيُصَبِّحُ القَوْمَ بالنِّعْمَةِ، أَوْ يُمَسِّيهِم بِهَا، فَيُصْبِحُ بِهَا قَوْمٌ كَافِرِينَ يَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنَوءِ كَذَا وَكَذَا»، قال محمد: فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب، فقال: ونحن قد سمعنا من أبي هريرة، وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ وفي رواية: حدثني من لا أتهم، عن عمر ـ وهو يستسقي، فلما استسقى التفت إلى العباس فقال: يا عباس يا عمَّ رسول الله ﷺ، كم بقي من نوء الثريا؟ فقال: العلماء بها يزعمون أنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعاً، قال: فما مضت سابعة حتى مُطروا، وهذا إسناد حسن من أجل محمد بن إسحاق فإنه صدوق وقد صرح بالتحديث في رواية البيهقي ولكن الإشكال في إبهام شيخ ابن المسيب. وانظر في تأويله: معرفة السنن (٥/ ١٧٣)، والتمهيد (١٦/ ٢٨٦).

(٢) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٤٦٤).

و﴿نَنظُرُونَ﴾ معناه: إلى المنازع في الموت.

وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ يحتمل أن يريد ملائكته ورسله.

ويحتمل أن يريد: بقدرتنا وغلبتنا.

فعلى الاحتمال الأول: يجيءُ قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ من النظر بالعين، وعلى التأْويل الثاني: يجيءُ من النظر بالقلب، وقال عامر بن عبد قيس: ما نظرتُ إلى شيءٍ إلَّا رأَيْتُ الله تعالى أَقرب إليه مني[١].

ثم عاد التوقيف والتقرير ثانية بلفظ التَّخْصِيص[٢].

و«المَدِينُ»: المملوك، هذا أَصح ما يقال في معنى اللفظة هنا.

ومن عبَّر عنها بالمُجَازَى أَو المُحَاسَب؛ فذلك هنا قَلِقٌ، والمملوك يقلَّب كيف شاءَ المالك.

ومن هذا المِلك قول الأَخطل:

رَبَتْ فَرَبَى في حِجْرِهَا ابنُ مَدِينَة تَـرَاهُ عَلَـى مِسْـحَاتِهِ يَتَـرَكَّلُ[٣] [الطويل]

أَراد: ابن أَمَةٍ مملوكة، وهو عبد يخدم الكَرْمَ، وقد قيل في معنى هذا البيت: أَراد أَكَّاراً حَضَرِيّاً؛ لأَن الأَعراب في البادية لا يعرفون الفلاحة وعمل الكرم، فَنَسَبه إلى المدينة لما كان من أَهلها، فمعنى الآية: فلولا ترجعون النفس البالغة إلى الحُلْقُوم إن كنتم غير مملوكين ولا مقهورين، ودينُ الْمَلِك حُكْمُه وسُلْطَانُه، وقد نحا إلى هذا المعنى الفراءُ، وذكره مُستوعباً النقاش[٤].

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٢٣) وفيه: «أقرب إلي منه»، وهي أولى وأثبت للمعنى المراد من: «أقرب إليه مني»، فليلاحظ.

(٢) في نجيبويه: «التحقيق».

(٣) تقدم في أول تفسير (سورة الفاتحة)، والمِسْحاةُ: الفأسُ، ومعنى يتركَّلُ: يضغط عليها برجله أو يتورَّك عليها بها لتنزل في الأَرض.

(٤) لم نقف عليه، وانظر معاني القرآن للفراء (٣/ ١٣٠).

وقوله تعالى: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ سدَّت مَسَدَّ الأَجوبة والبيانات التي تقتضيها التخصيصات.

و﴿إِذَا﴾ من قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا﴾ و﴿إِن﴾ المتكررة، وحمل بعض القول بعضاً إِيجازاً واقتضاباً / . [٥/ ١٧٧]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

ذكر الله تعالى في هذه الآية حال الأَزواج الثلاثة المذكورة في أَول السورة، وحال كل امرئ منهم، فأَما المرءُ من السابقين المقربين فسيلقى عند موته رَوْحاً وريحاناً.

و«الرَّوْحُ»: الرحمةُ والسَّعة والفرج والفرح، ومنه: روح الله.

و«الرَّيْحان»: الطِّيب، وهو دليل النعيم، وقال مجاهد: الريحان: الرِّزْقُ[١].

وقال أَبو العالية، وقتادة، والحسن: الرَّيحان هذا: الشجر المعروف في الدنيا، يَلْقَى المُقَرَّب ريحاناً من الجنة[٢].

وقرأَ ابن عباس، والحسن، وجماعة كثيرة: ﴿فَرُوحٌ﴾ بضم الرَّاءِ[٣].

وقال الحسن: معناه: روحه تخرج في ريحانة، وقال الضحاك: الريحانُ: الاستراحة[٤].

قال القاضي أَبو محمد: الريحان ما تنبسط إِليه النفوس.

وقال الخليل: هو طرف كل بَقْلة طيبة فيها أَوائل النَّوْر.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٦٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٢٤).
(٢) الهداية لمكي (١١/ ٧٢٩٧-٧٢٩٩)، وقول قتادة في: تفسير القرطبي (١٧/ ٢٣٣).
(٣) وهي عشرية لرويس كما في النشر (٢/ ٣٨٣)، وانظر المحتسب (٢/ ٣٠٩).
(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ١٦١)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٩٨).

وقد قال ﷺ في الحسن والحسين: «هما ريحانتاي من الدنيا»(١)، وقال النَّمر بن تَوْلَب:

سَلَامُ الإِلَهِ ورَيْحَانُهُ وَرَحْمَتُهُ وَسَمَاءٌ دِرَرْ(٢) [المتقارب]

وقالت عائشة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿فَرُوحٌ﴾ بضم الراءِ(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ عبارة تقتضي جملة مَدْح، وصفة تَخَلُّصٍ وحصولاً في عال من المراتب، والمعنى: ليس في أَمرهم إِلَّا السَّلام والنجاة من العذاب، وهذا كما تقول في مدح رجل: أَمَّا فلان فناهيك به، أَو فحسْبك أَمْرُه، فهذا يقتضي جملة غير مُفَصَّلة من مدحه.

وقد اضطربت عبارات المتأَولين في قوله تعالى: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾:

فقال قوم: المعنى: فيقال له: مُسَلَّم لك أَنك من أَصحاب اليمين(٤).

وقال الطبري: المعنى: فسلام لك أَنت من أَصحاب اليمين.

وقيل: المعنى: فسلامٌ لك يا محمد، أَي: لا ترى فيهم إِلَّا السَّلامة من العذاب، فهذه الكاف في ﴿لَّكَ﴾ إِمَّا أَن تكون للنبي ﷺ وهو الأَظهر، ثم لكلِّ معتبر فيها من أُمَّته.

وإِمَّا أَن تكون لمن يخاطب من أَصحاب اليمين، وغيرُ هذا مما قيل فيه تكلُّفٌ.

و«المُكَذِّبُونَ الضَّالُّونَ»: هم الكفار أَصحاب الشمال والمشأَمة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٥٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) تقدم قريباً في تفسير الآية (١٢) من (سورة الرحمن).

(٣) صحيح، أخرجه الطيالسي في مسنده (١٦٦١)، وإسحاق بن راهويه (١٣٠٨)، وأحمد (٦/ ٦٤)، وأبو داود (٣٩٩١)، والترمذي (٢٩٣٨)، والنسائي في الكبرى (١١٥٠٢)، وأبو يعلى في مسنده (٤٥١٥-٤٦٤٤)، والطبراني في الصغير (٦١٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٣٧-٢٥١) من طريق بديل بن ميسرة العقيلي، عن عبد الله بن شقيق، عن عائشة به.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ١٦٣).

و«النُّزُلُ»: أَوَّلُ شيءٍ يقدم للضيف.

و«التَّصْلِيَةُ»: أَن تباشر بهم النار.

و«الجحيم»: معظم النار وحيثُ تراكمها.

ولمَّا كَمُلَ تقسيم أَحوالهم وانقضى الخبر بذلك أَكَّد تعالى الإِخبار بأَن قال لنبيِّه محمد ﷺ مخاطبة تدخل معه أُمَّته فيها: إِن هذا الذي أَخبرنا[١] به لَهُوَ حقُّ اليقين.

وإِضافة الحَقِّ إِلى اليقين عبارة فيها مبالغة لأنهما بمعنى واحد:

فذهب بعض الناس إِلى أَنه من باب: دار الآخرة، ومسْجد الجامع.

وذهبت فرقة من الحُذَّاق إِلى أَنه كما تقول في أَمر تؤكده: هذا يقين اليقين، أَو صواب الصواب، بمعنى أَنه نهاية الصواب[٢]، وهذا أَحسن ما قيل فيه، وذلك لأَن: دار الآخرة، وما أَشبهها يحتمل أَن تقدِّر شيئاً أَضفت الدار إِليه ووصفته بالآخرة، ثم حذفته وأَقمت الصفة مقامه، كأَنك قلت: دار الرجعة[٣]، أَو النشأَة، أَو الخلقة[٤] الآخرة، وهنا لا يتَّجه هذا، وإِنما هي عبارة مبالغة وتأْكيد معناها أَن هذا الخبر هو نفس اليقين وحقيقته.

وقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ عبارة تقتضي الأَمر بالإِعراض عن أَقوال الكفرة وسائر أُمور الدنيا المختصة بها، والإِقبال على أُمور الآخرة، وعبادة الله تعالى والدعاءِ إِليه.

وروى عقبة بن عامر: أَنه لما نزل ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال النبي ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم»، فلما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] قال: «اجعلوها في سجودكم»[٥].

---

(١) في الأسدية٣، والمطبوع: «أخبرتك».

(٢) ممن قال بهذا الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٠٧).

(٣) في المطبوع: «دار الرجعة الآخرة، أو دار النشأة الآخرة».

(٤) في المطبوع والحمزوية: «الحلقة».

(٥) إسناده لين، أخرجه أحمد (٤/ ١٥٥)، والدارمي (١٣٠٥)، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه =

ويحتمل أَن يكون المعنى: سبِّح الله تعالى بذكر أَسمائه العُلَى، و(الاسم) هنا بمعنى الجنس، أَي: بأَسماءِ ربِّك، و﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ صفة للرَّبِّ تعالى.

وقد يحتمل أَن يكون (الاسم) هنا واحداً مقصوداً، ويكون ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ صفة له، فكأَنه أَمره أَن يسبحه باسمه الأَعظم وإِن كان لم يَنُصَّ عليه، ويؤيد هذا ويشير إِليه اتصال[1] (سورة الحديد) وأَولها فيه التَّسبيحُ وجملةٌ من أَسماءِ الله تعالى، وقد قال ابن عباس: اسم الله الأعظم موجود في ستِّ آيات من أَول سورة الحديد[2]، فتأَمل هذا، فإِنه من دقيق النظر، ولله تعالى في كتابه العزيز غوامض لا تكاد الأَذهان تدركها.

كمل تفسير (سورة الواقعة)، والحمد لله ربِّ العالمين

= (٨٨٧)، وابن خزيمة في صحيحه (٦٠٠-٦٠١-٦٧٠) من طريق موسى بن أيوب الغافقي، عن عمه إياس بن عامر، عن عقبة بن عامر به.

(١) في الأصل: «إيصال».

(٢) لم أهتد إليه.

سورة الحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الحديد

وهي مدنية، فيما قال النقاشُ وغيره: بإجماع من المفسرين[(١)]، وقال غيره: هي مكية.

قال القاضي أبو محمد: ولا خلاف أَن فيها قرآناً مدنيّاً لكن يشبه صدرُها أَن يكون مكيّاً، والله تعالى أَعلم، وقد ذكرنا قول ابن عباس أَن اسم الله عزَّ وجلَّ الأَعظم هو في ستِّ آيات من أَول سورة الحديد، ورُوي أَن الدعاءَ مستجاب بعد قراءَتها[(٢)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾.

[٥/ ١٧٨] قال أَكثر المفسرين: التَّسبيح هنا هو / التَّنزيه المعروف في قولهم: سبحان الله، وهذا عندهم إِخبارٌ بصيغة الماضي مُضمَّنه الدوامُ وأَن التَّسبيح ممَّا ذُكر دائم مستمر، واختلفوا،

---

(١) البحر المحيط (١٠/ ٩٩).

(٢) لم أقف على شيء في الباب.

هل هذا التسبيح حقيقة أَو مجاز، على معنى أَن أَثر الصنعة فيها يُنبِّه الرائي على التسبيح؟

قال الزجاج وغيره: والقول بالحقيقة أَحسن[١]، وقد تقدم القول فيه غير مرة، وهذا كله في الجمادات، وأَمَّا ما يمكن التسبيح منه فقول واحد أَن تسبيحهم حقيقة، وقال قوم من المفسرين: التسبيح في هذه السورة الصلاةُ، وهذا قول متكلف، فأَمَّا فيمن يمكن منه ذلك فسائغ، وعلى أَن سجود ظلال الكفار هي صلاتهم، وأَمَّا في الجمادات فيقلق، وذلك أَن خضوعها وخشوع هيئاتها[٢] قد يُسمى في اللغة سجوداً تجوزاً واستعارة، كما قال الشاعر:

[الطويل] .... تَرَى الأُكْمَ فِيه سُجَّداً لِلْحَوَافِرِ[٣]

ويبعد أَن تُسمَّى تلك صلاة إِلَّا على تجوز[٤].

وقوله تعالى: ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ عامٌّ في جميع المخلوقات.

وقال بعض النحاة: التقدير: ما في السماوات وما في الأَرض، فـ﴿مَا﴾ نكرةٌ موصوفةٌ، [فلما تكرر موصوفُها][٥] حذفها وأَقام الصفة مقامها، وهو العزيز بقدرته، وسلطانه، الحكيم بلطفه وتدبيره وحكمته، وملِك السماوات والأرض هو سلطانها الحقيقي الدائم؛ لأَن ملك البشر مجازٌ فانٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ أَي: على كل شيءٍ مقدور.

وقوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾؛ الأَول: الذي ليس لوجوده بداية مُفْتَتَحَة، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾: الذي ليس له نهاية منقضية.

---

(١) راجع معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٢١).

(٢) في المطبوع: «هيئتها».

(٣) صدره: بِجَمْعٍ تَضِلُّ الْبُلْقُ في حَجراتِهِ. وقد تقدم في تفسير الآية (٣٤) من (سورة البقرة).

(٤) في الحمزوية وأحمد٣ ونور العثمانية: «تحامل».

(٥) سقط من الأصل.

وقال أَبو بكر الوراق: هو الأَول بالأَزلية والآخر بالأَبدية، [وهو الأَول بالوجود؛ إِذ كُلُّ موجود فبعده وبه، والآخر إِذا ترقّى[١] العقل في الموجودات حتى يكون إِليه منتهاها[٢]، قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]][٣].

و(الظَاهِرُ) معناه: بالأَدلة ونظر العقول في صنعته، و(البَاطِنُ) بلطفه وغوامض حكمته وباهر صفاته التي لا تصل إِلى معرفتها ـ على ما هي عليه ـ الأَوهام.

ويحتمل أَن يريد تعالى بقوله: (الظاهر) و(الباطن) الذي بهر ومَلَكَ فيما ظهر للعقول وفيما خفي عنها، فليس في الظاهر غيره حسب قيام الأَدلة، وليس في باطن الأَمر وفيما خفي عن النظرة[٤] ممَّا عَسَى أَن يُتوهم غيرُه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ عام في الأَشياءِ عموماً تامّاً.

وقد تقدم القول في خلق السماوات والأَرض، وأَكثر الناس على أَن بدأَة الخلق في يوم الأَحد، ووقع في «مسلم»: أَن البداية في يوم السبت[٥].

وقال بعض المفسرين: الأَيام الستة من أَيام القيامة، وقال الجمهور: بل من أَيام الدنيا.

قال القاضي أبو محمد: وهو الأَصوب.

و«الاستواءُ على العرش»: هو بالغلبة والقهر المستمرَّيْن بالقدرة، وليس ما في قهر العباد من المحاولة والتعب، وقد تقدم القول في مسأَلة الاستواءِ مستوعباً في (طه) وغيرها.

---

(١) في المطبوع: «نظر».
(٢) انظر ما نسبه لأبي بكر الوراق في تفسير الثعلبي (٩/ ٢٢٨).
(٣) سقط من نجيبويه ونور العثمانية والحمزوية، وسقط معه «والظاهر معناه بالأدلة» من أحمد٣.
(٤) في المطبوع والحمزوية: «على النظرة»، وفي نجيبويه: «عنها»، دون ذكر النظرة.
(٥) انظر (٢٧٨٩)، وقد تقدم الكلام في هذه المسألة مكرراً.

و﴿مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾: هو المطر والأَموات وغير ذلك، و(ما يَخْرُجُ مِنْها): هو النبات والمعادن وغير ذلك، و(ما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ): الملائكة والرحمة والعذاب وغير ذلك، و(ما يَعرُجُ فيها): هو الأَعمال صالحها وسَيِّئُهَا والملائكة وغير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ معناه: بقدرته وعلمه وإِحاطته، [وهذه آية][(١)] أَجمعت الأُمة على هذا التأْويل فيها، وأَنها مخرجة عن معنى لفظها المعهود، ودخل في الإجماع من يقول بأَن [هذا أَمر][(٢)] المُشْتبَه كله، ينبغي أَن يمر ويؤمن به ولا يُفسَّر، وقد أجمعوا على تأْويل هذه لبيان وجوب إِخراجها عن ظاهرها[(٣)].

قال سفيان الثوري: المعنى: علْمُه معكم. وتأَوُّلهم[(٤)] هذه حجة عليهم في غيرها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۙ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ خبر يعم جميع الموجودات.

و﴿الْأُمُورُ﴾ هنا ليست جمع المصدر، بل هي جميع الموجودات؛ لأَن الأَمر والشيءَ والموجود أَسماءٌ شائعة في جميع الموجودات أَعراضها وجواهرها.

وقرأَ الجمهور: ﴿تُرْجَعُ﴾ بضم التاءِ.

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «وهدايته».

(٢) من المطبوع فقط، «والمشتبه» ليست في نجيبويه، وفي نور العثمانية: «المشيئة».

(٣) انظر الإجماع على ذلك في التمهيد (٧/ ١٣٩-١٤٢)، وأقاويل الثقات لابن مرعي (١/ ١٨٥).

(٤) في المطبوع ونجيبويه والحمزوية: «وتأويلهم»، وانظر قول الحسن في الهداية لمكي (١١/ ٧٣٠٧).

وقرأ الأَعرج، والحسن، وابن أَبي إسحاق: ﴿تَرْجِعُ﴾ بفتح التاءِ وكسر الجيم[(١)].

وقوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ الآية، تنبيه على العبرة فيما يتجاذبه الليل والنهار من الطُّول والقِصَر، وذلك متشعب مختلف حسب اختلاف الأقطار والأزمان الأربعة، وذلك بحر من بحار الفكرة لمن تأَمله.

و﴿يُولِجُ﴾ معناه: يُدخل.

و(ذاتُ الصُّدُور): ما فيها من الأَسرار والمعتقدات وذلك أَغمض ما يكون، وهذا كما قالوا: الذِّئب مغبوطٌ بِذِي بطنه، وكما قال أَبو بكر الصديق رضي الله عنه: إِنما هو ذو بطن بنت خارجة[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآية؛ أَمْرٌ للمؤمنين بالثبوت على الإِيمان والنفقة في سبيل الله.

ويروى أَن هذه الآية نزلت في غزوة العُسْرة، وهي غزوة تبوك، قاله الضحاك، وقال: الإِشارة بقوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ﴾ إِلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وحكمها باقٍ يندب إِلى هذه الأَفعال بقية الدهر[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِ﴾ تزهيدٌ وتنبيهٌ على أَن الأَموال إِنما تصير إِلى الإِنسان من غيره ويتركها لغيره، وليس له من ذلك إِلَّا ما تضمنه قول رسول الله ﷺ: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إِلَّا ما أَكلت فأَفنيت، أَو لَبستَ فأَبليت، أَو تصدقت فأَمضيت»[(٤)].

---

(١) هي سبعية كما مر، لابن عامر وحمزة والكسائي، وافقهم يعقوب وخلف، انظر التيسير (ص: ٨٠)، والنشر (٢/ ٢٣٨). و«الحسن» ليس في المطبوع، و«كسر الجيم» من الأسدية٣ وأحمد٣.

(٢) صحيح، أخرجه مالك في الموطأ (١٤٣٨)، كما تقدم مكرراً.

(٣) انظر البحر المحيط (١٠/ ١٠١).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٥٨) من حديث عبد الله بن الشخير، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ويروى: أَن رجلاً مرَّ بأعرابي له إِبلٌ فقال له: يا أَعرابي، لمن هذه الإِبل؟ فقال: هي لله تعالى عندي. فهذا موفق[١] مصيب إِن كان ممن / صحب قولَه عملُه[٢]. [٥/ ١٧٩]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ الآية، توطئةٌ لدعائهم وإيجابٌ لأَنهم أهل هذه الرُّتب الرفيعة، فإِذا تقرر ذلك فلا مانع من الإِيمان، وهذا كما تريد أَن تندب رجلاً إِلى عطاءٍ فتقول له: أَنت يا فلان من قوم أَجوادٍ فينبغي أَن تُكْرم، وهذا مُطَّرد في جميع الأُمور، إِذا أَردتَ من أَحد فعلاً خَلَّقْته بخُلُق أَهل ذلك الفعل وجعلتَ له رتبتهم، فإِذا تقرر في هؤلاءِ أَن رسول الله ﷺ يدعو[٣]، وأَنهم مِمَّن أَخذ الله ميثاقهم، فكيف يمتنعون من الإِيمان؟

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿وَقَدْ أَخَذَ﴾ [على بناءِ الفعل للفاعل.

وقرأَ أَبو عمرو: ﴿وَقَدْ أُخِذَ﴾] على بناءِ الفعل للمفعول[٤].

والآخذُ على كلِّ قول: هو الله تعالى، وهذا الأَخذ كان حين الإِخراج من ظهر آدم عليه السلام على ما مضى في غير هذه السُّورة، والمخاطبة ببناءِ الفعل للمفعول[٥] أَشد غِلَظاً على المخاطب، ونحوه قول الله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢].

وكما تقول لِامْرِئٍ: افعل ما[٦] قيل لك، فهو أَبلغ من قولك: افعل ما قلتُ لك.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ قال الطبري: المعنى: إِن كنتم مؤمنين في حالٍ من الأَحوال فالآن[٧].

---

(١) في المطبوع: «موافق».

(٢) تفسير الثعالبي (٤/ ٢٦٢).

(٣) في الأسدية٣، والمطبوع: «يدعوهم».

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٨)، وما بين المعكوفتين سقط من نور العثمانية والحمزوية.

(٥) في الأسدية٣: «المجهول».

(٦) في الأصل: «كما».

(٧) تفسير الطبري (٢٣/ ١٧٢)، بتصرف.

قال القاضي أبو محمد: وهذا معنى ليس في لفظ الآية وفيه إِضمار كثير، وإِنما المعنى عندي أَن قوله: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يقتضي أَن يُقدَّر بأَثره: فأَنتم في رُتَب شريفة وأَقدار رفيعة إِن كنتم مؤمنين؛ أَي: إِذا دمتم على ما بدأْتُم به.

وقرأَ بعض السبعة: ﴿يُنَزِّلُ﴾ مثقَّلة.

وقرأَ بعضهم: ﴿يُنْزِلُ﴾ مخففة، وقرأَها الحسن وعيسى بالوجهين[١].

وقرأَ الأَعمش: (أَنْزَلَ)[٢].

والعبد في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ﴾ محمد رسوله ﷺ.

و«الآيات» آيات القرآن، و﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكفر، و﴿ٱلنُّورِ﴾: الإِيمان.

وباقي[٣] الآية وعْدٌ وتأْنيس مؤكد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

المعنى: وَما لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ الله وأَنتم تموتون وتتركون أَموالكم؟ فناب مناب هذا القول قوله: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وفيه زيادة تذكير بالله عزَّ وجلَّ وعبرة، وعنه يلزم القول الذي قدرناه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم﴾ الآية، رُوي أَنها نزلت بسبب أَن جماعة من الصحابة أَنفقت نفقات كثيرة حتى قال ناسٌ: هؤلاءِ أَعظم أَجراً من كلِّ من أَنفق قديماً،

---

(١) وهما سبعيتان، التخفيف لابن كثير وأبي عمرو على قاعدتهما، انظر التيسير (ص: ٧٥).

(٢) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ لابن مسعود (ص: ٤٦٤).

(٣) في المطبوع: «ما في».

فنزلت الآية مبينةً أن النفقة قبل الفتح أَعظم أَجراً[١]، وهذا التأْويل على أَن الآية نزلت بعد الفتح، وقد قيل: إِنها نزلت قبل الفتح تحريضاً على الإنفاق، والأَول أَشهر.

وحكى الثعلبي: أَنها نزلت في أَبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفي نفقاته[٢].

وفي معناه قول النبي ﷺ لخالد بن الوليد رضي الله عنه: «اتركوا لي أَصحابي، فلو أَنفق أَحدكم مثل أُحُد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»[٣].

واختلف الناس في الفتح المشار إِليه في هذه الآية:

فقال أَبو سعيد الخدري، والشعبي: هو فتح الحديبية[٤]، وقد تقدم في سورة الفتح تقرير[٥] كونه فتحاً، ورفعَه أَبو سعيد رضي الله عنه إِلى النبي ﷺ: أَنَّ أَفضل ما بين الهجرتين فتح الحديبية[٦].

---

(١) انظر البحر المحيط (١٠/ ١٠٣).

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٣٢).

(٣) متفق عليه بنحوه، أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه، واللفظ لمسلم قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه».

(٤) كأنه يعني ما أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٩٤)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ١٢) من طريق عبد الله بن وهب، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية، حتى إذا كنا بعسفان قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم» فقلنا: من هم يا رسول الله، أقريش؟ قال: «لا ولكن أهل اليمن، هم أرق أفئدةً وألين قلوباً». فقلنا: أهم خير منا يا رسول الله؟ قال: «لو كان لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه، ما أدرك مُدّ أحدكم ولا نَصيفه، ألا إن هذا فضل ما بيننا وبين الناس، ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟﴾»، وقول الشعبي في تفسير الطبري (٢٣/ ١٧٥)، والثعلبي (٩/ ٢٣٢)، والماوردي (٥/ ٤٧١).

(٥) في المطبوع ونجيبويه: «تقدير».

(٦) بهذا اللفظ لم أقف عليه، وإنما جاء عن الشعبي كما عند الطبري (٢٢/ ٣٩٤): فصل ما بين الهجرتين فتح الحديبية.

وقال قتادة، ومجاهد، وزيد بن أَسلم: هو فتح مكة الذي أَزال الهجرة[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو المشهور الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهادٌ ونيَّة»[٢].

وقال له رجل بعد فتح مكة: أُبايعك على الهجرة، فقال رسول الله ﷺ: «إِن الهجرة قد ذهبت بما فيها، وإِن الهجرة لشأْنها شديد، ولكن أُبايعك على الجهاد»[٣].

وحكم الآية[٤] باق إِلى غابر الدهر، فمن أَنفق في وقت حاجة السبيل أَعظم أَجراً ممن أَنفق مع استغناءِ السبيل.

وأَكثر المفسرين على أَن قوله تعالى: ﴿يَسْتَوِي﴾ مسند إِلى ﴿مَنْ﴾ وترك ذكر المعادل الذي لم يسْتَوِ معه؛ لأَن قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ﴾ قد فَسَّره وبَيَّنه.

ويحتمل أَن يكون فاعل ﴿يَسْتَوِي﴾ محذوفاً تقديره: لا يستوي منكم الإِنفاقُ، ويؤيد ذلك أَن ذكره قد تقدم في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟﴾، ويكون قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنفَقَ﴾ ابتداءٌ وخبره الجملة الآتية بَعْدُ.

وقرأَ جمهور السبعة: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، بالنصب[٥] وهي الوجه؛ لِأَن «وَعَدَ» ليس يعوقه عائق عن أَن ينصب المفعول[٦] المقدم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٧٥)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٧١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧٨٣)، ومسلم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) الذي وقفت عليه ما أخرجه البخاري (١٤٥٢) ومسلم (١٨٦٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أعرابياً سأل رسول الله ﷺ عن الهجرة؟ فقال: «ويحك إن شأن الهجرة لشديد فهل لك من إبل؟» قال: نعم. قال: «فهل تؤتي صدقتها؟ قال: نعم. قال: «فاعمل من وراء البحار فإن الله لن يَـتِرَكَ من عملك شيئاً».

(٤) في المطبوع: «الجهاد».

(٥) من الأسدية٣، وكذلك بالرفع، وفيها: «وهو».

(٦) في المطبوع والحمزوية: «الفعل».

وقرأ ابن عامر: ﴿وكُلٌّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى﴾ بالرفع(١).

فأَمَّا سيبويه رحمه الله تعالى فقدر الفعل خبراً لابتداءٍ، وفيه ضمير عائدٌ، وحذْفُهُ عنده قبيح لا يجري إِلَّا في الشعر ونحوه(٢)، ومنه قول الشاعر:

[الرجز] قَـدْ أَصْبَحـتْ أُمُّ الْخِيَـارِ تَدَّعِـي ... علَـيَّ ذَنْبـاً كُلُّـهُ لَـمْ أَصْنَـعِ(٣)

قال: ولكن حملوا الخبر على الصفات كقول جرير:

[الوافر] .... وَمَا شَـيْءٌ حَمَيْـتَ بِمُسْـتَبَاحِ(٤)

وعلى الصِّلات كقوله تعالى: ﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١](٥).

وذهب غير سيبويه إِلى أن ﴿وَعَدَ﴾ في موضع الصفة، كأَنه قال: أُولئك وكُلٌّ وعد الله الحسنى، وصاحبُ هذا المذهب حصل(٦) في هذا التَّعسُّف في المعنى فِراراً من حذف الضمير من خبر الابتداء.

و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنَّة، قاله مجاهد، وقتادة(٧)، والوعدُ يتضمن ما قبل الجنة من نصر وغنيمة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ قولٌ فيه وعْدٌ ووعيد.

وقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ الآية؛ قال بعض النحويين:

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٨).
(٢) انظر إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٣٥).
(٣) هذا الرجز قاله أبو النجم العجلي، كما تقدم في تفسير الآية (٥٠) من (سورة المائدة).
(٤) صدره: أَبَحْتَ حِمَى تِهَامَةَ بَعْدَ نَجْدٍ، عزاه له في الكتاب لسيبويه (١/ ٨٧)، والجمل (ص: ٦٦)، ومحاضرات الأدباء (١/ ٣٣٢).
(٥) في المطبوع بدل هذه الآية قوله تعالى: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤]، ولا شاهد فيها والله أعلم.
(٦) في المطبوع: «جعل».
(٧) تفسير الطبري (٢٣/ ١٧٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٧١).

﴿مَّن﴾ ابتداءٌ، و﴿ذَا﴾ خبره، و﴿ٱلَّذِى﴾ صفة.

وقال آخرون منهم: ﴿مَّن﴾ ابتداءٌ، و﴿ذَا﴾ زائدةٌ مع ﴿ٱلَّذِى﴾، و﴿ٱلَّذِى﴾ خبر الابتداءِ.

وقال الحسن: نزلت هذه الآية في التطوع في جميع أَمر الدين[١].

والْقَرْضُ والسَّلَفُ ونحوه: أن يعطي الإِنسان شيئاً وينتظر جزاءَه.

والتضعيف من الله تعالى هو في الحسنات، يضاعف الله لمن يشاءُ من عشرة إِلى سبع مئة، وقد ورد أَن التضعيف يربي[٢] على سبع مئة، وقد مرَّ ذكر ذلك في (سورة البقرة) بوجوهه من التأْويل.

وقرأَ أَبو عمرو، ونافع، وحمزة، والكسائي: ﴿فيُضَاعِفُهُ﴾ بالرفع على العطف، أَو على القطع / والاستئناف. [٥/ ١٨٠]

وقرأ عاصم، وابن عامر: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ بالنصب بالفاءِ في جواب الاستفهام[٣].

وفي ذلك قلقٌ، قال أَبو عليٍّ: لأَن السؤال لم يقع عن القرض، وإِنما وقع السؤال عن فاعل القرض، وإِنما تنصب الفاءُ فعلاً مردوداً على فعل مستفهم عنه، لكن هذه الفرقة حملت ذلك على المعنى، كأَن قوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ﴾ بمنزلة أَن لو قال: أَيقرضُ اللهَ أَحدٌ فيضاعفَه[٤].

وقرأَ ابن كثير: ﴿فَيُضَعِّفُهُ﴾ مشددة العين مضمومة الفاءِ.

وقرأَ كذلك ابن عامر، إِلَّا أَنه فتح الفاءَ.

---

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (١/ ٢٤٤) في آية البقرة.

(٢) في المطبوع: «يزيد».

(٣) وهما سبعيتان، إلا أن ابن كثير وابن عامر شددا العين وحذفا الألف، كما سيأتي، انظر السبعة (ص: ٦٢٥).

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ٢٦٨).

و«الأَجْرُ الكَرِيم»: الذي يقترنُ به رضًى وإِقبال، وهذا معنى الدعاءِ: يا كريم العفو، أَي: أَنَّ مع عفوه رضًى وتنعيماً[١]، وعفو البشر ليس كذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾.

العامل في ﴿يَوْمَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

والرُّؤْية في هذه الآية رؤْية عين.

و«النُّورُ»، قال الضحاك بن مزاحم: هي استعارة، عبارة عن الهدى والرضوان[٢] الذي هم فيه [وهدايتُهم الناس إلى الحق وصدقُهم في الأفعال والأَقوال[٣].

وقيل: تَتَبُّعهم الرشاد واعتقادُهم به واقتصاصُهم آثاره وعلاماته وأَنواره][٤].

وقال الجمهور: بل هو نور حقيقة، ورُوي في هذا عن ابن عباس وغيره آثار مضمنها: أَن كل مؤمن مُظهر للإِيمان يُعطى يوم القيامة نوراً، فَيُطْفَى نور كل منافق ويبقى نور كل[٥] المؤمنين، حتى إن منهم مَنْ نوره يضيءُ كما بين مكة وصنعاءَ، رفعه قتادة إِلى النبي ﷺ[٦].

---

(١) في المطبوع: «مغنماً».

(٢) في المطبوع ونور العثمانية: «الحق».

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١٧٩)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٣٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٧٣).

(٤) ليس في الأصل ونجيبويه وأحمد٣، وتوجد بعد قوله: «وأنواره» عبارة مكررة في المطبوع ونور العثمانية، وهي: «وقيل: هي استعارة، عبارة عن الهدى والرضوان الذي هم فيه».

(٥) «كل» من نجيبويه.

(٦) مرسل، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٧٥) من طريق معمر، والطبري (٢٣/ ١٧٨) =

ومنهم من نوره كالنخلة السَّحُوق، ومنهم من نوره يضيءُ ما يقرب من قدميه، قاله ابن مسعود(١) رضي الله عنه، ومنهم من يهم نوره(٢) بالانطفاءِ مرَّةً ويَبينُ مرَّةً، على قدر المنازل في الطاعة والمعصية، وخص تعالى «بين الأيدي» بالذِّكر(٣)؛ لأنه موضع حاجة الإنسان إلى النور.

واختلف الناس في قوله تعالى: ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾:

فقال بعض المتأولين: المعنى: وعن أيمانهم، فكأنه تعالى خصَّ جهة اليمين تشريفاً، وناب ذلك مناب أن يقول: وفي جميع جهاتهم.

وقال آخرون منهم: المعنى: وبأيمانهم كتُبُهم بالرحمة.

وقال جمهور المفسرين: المعنى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، يريد تعالى الضوءَ المنبسط من أَصل(٤) النور، ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ أَصْلُه، والشيءُ الذي هو مُتَّقد فيه.

قال القاضي أبو محمد: فمُضَمَّن هذا القول أَنهم يحملون الأَنوار، وكونُهم غير حاملين(٥) أَكرم، أَلا ترى أَن فضيلة عَبَّاد بن بشر، وأُسَيْد بن حُضَيْر إِنما كانت بنور لا يحملانه؟(٦)، هذا في الدنيا فكيف في الآخرة؟ ومن هذه الآية انتزع حمل المُعْتَق للشمعة.

= من طريق سعيد بن بشير، ومعمر كلاهما عن قتادة مرسلاً، وانظر الدر المنثور (١٤/ ٢٦٦-٢٦٧).

(١) إسناده فيه لين بنحوه، أثر ابن مسعود أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (**٣٥٧٠٠**) عن عبد الله ابن إدريس، والطبري (**٢٣/ ١٧٩**) من طريق ابن إدريس، عن أبيه، عن المنهال بن عمرو، عن قيس ابن السكن، عن عبد الله بن مسعود قال: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم منهم من نوره مثل الجبل وأدناهم نورا من نوره على إبهامه يطفىء مرة ويقد أخرى، ومن طريق ابن أبي شيبة أخرجه الحاكم في المستدرك (**٢/ ٤٧٩**).

(٢) ليست في الأصل ونور العثمانية.

(٣) «بالذكر» ليست في المطبوع وأحمد**٣**.

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «أهل».

(٥) زاد في المطبوع: «لها»، قال في الحاشية لتوضيح المعنى.

(٦) أخرجه البخاري (**٣٨٠٥**).

وقرأ الناسُ: ﴿وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ جمع يمين.

وقرأ سهل بن سعد، وأبو حيوة: (وَبِإِيمَانِهِمْ) بكسر الألف[١]، وهو معطوف على قوله تعالى: ﴿بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾، كأنه تعالى قال: كائناً[٢] بين أيديهم وكائناً بسبب إيمانهم.

وقوله تعالى: ﴿بُشۡرَىٰكُمُ﴾ معناه: يقال لهم: بُشْراكم جنات؛ أي: دخولُ جنات، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

وقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ إلى آخر الآية مخاطبة لمحمد ﷺ.

وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: (ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) بدون (هو)[٣].

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ﴾، قال بعض النحاة: ﴿يَوۡمَ﴾ بدلٌ من الأول، وقال آخرون منهم: العاملُ فيه مضمر تقديره: اذكر.

قال القاضي أبو محمد: ويظهر لي أن العامل فيه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾، ويجيءُ معنى الفوز أفخم، كأنه تعالى يقول: إن المؤمنين يفوزون بالرحمة يوم يعتري المنافقين كذا وكذا؛ [لأن ظهور المرءِ يوم خمول عدوه ومضادّه أبدع وأفخم][٤].

وقولُ المنافقين هذه المقالة المحكية هو عند انطفاءِ أنوارهم كما ذكرنا قبل.

وقولهم: ﴿ٱنظُرُونَا﴾ معناه: انتظرونا، ومنه قول الحطيئة:

[البسيط] وَقَدْ نَظَرْتُكُمُ إِينَاءَ عَاشِيَةٍ ... لِلْخِمْسِ طَالَ بِهَا حَبْسِي وتِبْسَاسِي[٥]

---

(١) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (٩/ ٢٣٧)، وسماه الكرماني في الشواذ (ص: ٤٦٤) سهل بن شعيب النهمي.

(٢) في المطبوع: «كافياً».

(٣) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ١٣٣)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ٣٥٧).

(٤) سقط من نجيبويه.

(٥) تقدم في تفسير الآية (٤٤) من (سورة النساء)، وفي الأصل: «إنباء غاشية»، والأسدية٤: «أبناء عايشة»، وسيأتي في (سورة القيامة).

وقرأَ حمزة وحده، وابن وثاب، وطلحة، والأَعمش: ﴿أَنْظِرونَا﴾ بقطع الأَلف وكسر الظاءِ، على وزن أَكْرِم[١]، ومنه قول عمرو بن كُلثوم:

أَبَـا هِـنْـدٍ فَـلَا تَـعْـجَـلْ عَـلَـيْـنَـا وأَنْـظِـرْنَـا نُـخَـبِّـرْكَ الْـيَـقِـيـنَـا[٢] [الوافر]

ومعناه: أَخِّرونا، ومنه: النَّظِرةُ إِلى مَيْسَرَة، وقول النبي ﷺ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً» الحديث[٣].

ومعنى قولهم «أَخِّرونا»: أَخِّروا مشيكم لنا حتى نلحق فنقتبس من نوركم.

واقْتَـبَسَ الرَّجُلُ واسْتَقْبَسَ: أَخذ من نور غيره قبساً.

وقوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ﴾ يحتمل أَن يكون من قول المؤمنين.

ويحتمل أَن يكون من قول الملائكة.

وقوله تعالى: ﴿وَرَآءَكُمْ﴾ حكى المهدوي وغيره من المفسِّرين: أَنه لا موضع له من الإِعراب، وأَنه كما لو قال: ارجعوا ارجعوا، وأَنه على نحو قول أَبي الأَسود الدؤلي للسائل[٤]: وراءَكَ أَوسع لك[٥].

قال القاضي أبو محمد: ولستُ أَعرف مانعاً يمنع أَن يكون العامل فيه ﴿ٱرْجِعُواْ﴾.

والقول لهم: ﴿فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا﴾ هو على معنى التوبيخ لهم؛ أَي: أَنكم لا تجدونه.

---

(١) وهي سبعية انظر التيسير (ص: ٢٠٨)، وانظر معاني القرآن للفراء (٣/ ١٣٣)، وتفسير الثعلبي (١/ ٢٢٣٤).

(٢) من معلقته، انظر عزوه له في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٢٤)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢٨٠)، وتفسير الطبري (٢٣/ ١٨١)، وشرح المعلقات التسع (ص: ٣١٦)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٢٦٥)، وأبو هند: عَمْرُو بن المنذر.

(٣) أخرجه مسلم (٣٠٠٦) من حديث عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت وفيه: «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله».

(٤) «للسائل» من نجيبويه ونور العثمانية.

(٥) أنساب الأشراف للبلاذري (١١/ ١١٥)، وانظر البيان والتبيين (٢/ ١٠١)، والفاخر (ص: ٣٠١)، وانظر التحصيل للمهدوي (٦/ ٦٤٣).

ثم أَعلم عزَّ وجلَّ أَنه يضرب بينهم في هذه الحال بسور حاجز، فيبقى[١] المنافقون في ظلمة، ويأْخذهم العذاب من الله تعالى.

وحكي عن ابن زيد: أَن هذا السور هو الأَعراف المذكور في سورة الأَعراف، وقد حكاه المهدوي[٢].

وقيل: هو حاجز آخر غير ذلك، وقال عبد الله بن عمرو، وكعب الأحبار، وعُبادة ابن الصامت، وابن عباس: هو الجدار الشرقي في مسجد بيت المقدس[٣].

وقال زياد بن أَبي سوادة: قام عُبادة بن الصامت على السور الشرقي من بيت المقدس فبكى وقال: مِنْ هاهنا أَخبرنا النبي ﷺ أَنه رأَى جهنم[٤].

---

(١) في المطبوع: «فيسعى».

(٢) قول ابن زيد في: تفسير الطبري (٢٣/ ١٨٣)، وانظر التحصيل للمهدوي (٦/ ٣٣٧).

(٣) لا تصح هذه الآثار، والصحيح بخلافها، أثر عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه الطبري (٢٣/ ١٨٣) والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠١) من طريق سعيد بن عبد العزيز، عن عطية بن قيس، عن أبي العوام مؤذن بيت المقدس قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: إن السُّوْرَ الذي ذَكَرَهُ الله في القرآنِ: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾؛ هو السور الشرقي: «يعني: مسجدَ بيتِ المقدس»؛ باطنُه المسجد، وظاهره وادي جهنم. وأبو العوام سادن بيت المقدس ترجم له البخاري في «التاريخ الكبير» (٩/ ٦٠) وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٩/ ٤١٥)، ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وابن حبان في «الثقات» (٥/ ٥٦٤)، وأما أثر عبادة بن الصامت فسيأتي تخريجه، وأما أثر عبد الله ابن عباس فقد أخرجه الطبري (٢٣/ ١٨٣) من طريق أبي سنان، قال: كنت مع علي بن عبد الله ابن عباس، فحدث عن أبيه أنه قال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾، فقال: هذا موضع السور عند وادي جهنم، وأبو سنان عيسى بن سنان القسملي الشامي الفلسطيني ضعيف.

(٤) ضعيف، أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٩) من طريق ضمرة بن ربيعة، عن محمد بن ميمون، عن بلال بن عبد الله مؤذن بيت المقدس عن عبادة، بنحوه، ومحمد بن ميمون هذا مجهول كما قال أبو حاتم، وقال الألباني في الضعيفة (ح ٥٦٦٣): منكر، وآخره باطل؛ لأنه ما اجتمع عبادة برسول الله هناك، ثم من هو ابن ميمون وشيخه؟ وبالجملة؛ فهذه الأحاديث مع ضعف أسانيدها منكرة من حيث متونها؛ لمخالفتها لما قبل الآية المذكورة وما بعدها، فهذا السياق صريح بأن =

قال القاضي أَبو محمد: وفيه باب يسمى باب الرحمة، سمَّاه في تفسير هذه الآية عُبادة وكعبٌ(١)، وفي الشرق من الجدار المذكور وادٍ يقال له: وادي جهنم، سمَّاه في تفسير هذه الآية عبد الله بن عمرو(٢)، وابنُ عباس. وهذا القول في السور بعيد، والله تعالى أَعلم.

[٥/ ١٨١] / وقال قتادة، وابن زيد: الرحمةُ الجنةُ، والعذابُ جهنمُ(٣).

والسُّور في اللغة الحجى(٤) الذي للمدن وهو مذكر(٥).

والسُّور أَيضاً جمع سُورة، وهي القطعة من البناءِ فيضاف بعضها إِلى بعض حتى يتم الجدار، فهذا اسم جمع يسوغ تذكيره وتأْنيثه، وهذا الجمع هو الذي أَراد جرير في قوله:

[الكامل]
لَمَّـا أَتَـى خَبَـرُ الزُّبَيْـرِ تَوَاضَعَتْ ... سُورُ المَدينةِ وَالجِبَالُ الخُشَّعُ(٦)

وذلك أَن المدينة لم يكن لها قط حجًى، وأَيضاً فإِن وصفَهُ أَنَّ جميع ما في المدينة من بناءٍ تواضَعَ أَبْلغُ، ومَنْ رَأَى أَنه قصد قصْدَ(٧) السُّور الذي هو الحِجَى قال: إِن ذلك إِذا تواضع، فغيره من المباني أَحرى بالتواضع.

= ضرب السور إنما هو يوم القيامة. وأن السور حائط بين الجنة والنار؛ كما رواه ابن جرير عن قتادة وغيره، وهو الصحيح؛ كما قال ابن كثير. اهـ.

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ١٨٣) من طريق محمد بن رديح بن عطية، عن سعيد بن عبد العزيز، عن أبي العوام، عن عبادة بن الصامت قال: ﴿بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾. قال: هذا باب الرحمة. ومحمد بن رديح لم أقف له على ترجمة، وأبو العوام سادن بيت المقدس ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٩/ ٦٠) وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٩/ ٤١٥) ولم يذْكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وابن حبان في الثقات (٥/ ٥٦٤).

(٢) تقدم التعليق على قولهما، وفي بعض النسخ: «عبد الله بن عمر» في الموضعين.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١٨٤).

(٤) في أحمد٣ والمطبوع: «الحجاب»، وأشار في الحاشية إلى النسخة الأخرى.

(٥) في الأصل: «مذكور».

(٦) تقدم في تفسير الآية (٩٠) من (سورة مريم).

(٧) «قصْد» الثانية ليست في المطبوع وأحمد٣، وفيه «الحجر» بدل «الحجاب»، وفي نجيبويه: «قصر».

قال القاضي أبو محمد: فإذا كان السُّور في البيت يحتمل الوجهين فليس هو في قوة مَرِّ الرياح، وصدر القناة، وغير ذلك مما هو مذكَّر محْضٌ استفاد التأْنيث مما أُضيف إِليه.

قوله تعالى: ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾، أَي: جهة المؤمنين، ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ أَي: جهة المنافقين، والظاهر هنا البادي، ومنه قول الكتاب: من ظاهر مدينة كذا.

وقوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمۡ﴾ معناه: ينادي المنافقون المؤمنين: أَلم نكن معكم في الدنيا؟ فيرد المؤمنون عليهم: بل كنتم معنا ولكنكم عرضتم أَنفسكم للفتنة وهو حُبُّ العاجل والقتال عليه، قال مجاهد: فَتَنْتُمْ أَنفسكم بالنفاق.

و(تَرَبَّصْتُمْ) معناه هنا: بإِيمانكم، فأَبطأْتم به حتى مُتُّم.

وقال قتادة: معناه: تَرَبَّصْتُمْ بنَا وبمحمد ﷺ الدوائر، وشككتم في أَمر الله تعالى[(١)].

و«الارتيابُ»: التَّشكُّك، و«الأَماني التي غرَّتهم»: هي قولهم: سيهلك محمد هذا العام، ستهزمه قريش، ستأْخذه الأَحزابُ، إِلى غير ذلك من أمانيهم، وطولُ الأمل غرَّارٌ لكل أَحد، و«أَمْر الله الذي جاءَ»: هو الفتحُ وظهور الإِسلام، وقيل: هو موت المنافقين وموافاتهم على هذه الحالة الموجبة للعذاب.

و﴿ٱلۡغَرُورُ﴾: الشيطان بإِجماع من المتأَولين.

وقرأَ سماكُ بن حرب بضم الغين، وأَبو حيوة[(٢)].

وينبغي لكل مؤمن أَن يعتبر هذه الآية في نفسه وتسويفه في توبته.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾.

---

(١) انظره مع قول مجاهد في تفسير الطبري (٢٣/ ١٨٤)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٧٦) بتصرف.

(٢) وهي شاذة، تقدم الإشارة لها، وانظر المحتسب (٢/ ٣١٠).

قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ﴾ استمرارٌ في مخاطبة المنافقين، قاله قتادة وغيره[١].

وروي في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ حديثٌ؛ وهو: أَن الله تعالى يُقَرِّر الكافر فيقول له: «أَرأيتك لو كان لك أَضعاف الدنيا أَكنتَ تفتدي بجميع ذلك من عذاب النار؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول الله تعالى: قد سأَلتك ما هو أَيْسر من ذلك وأَنت في صلب أَبيك آدم، لا تشرك بي، فأَبيت إِلَّا الشِّرك»[٢].

وقرأَ جمهور القراءِ والناس: ﴿يُؤْخَذُ﴾ بالياءِ من تحت.

وقرأَ أَبو جعفر القارئ: ﴿تُؤْخَذُ﴾ بالتاءِ من فوق، وهي قراءَة ابن عامر في رواية هشام عنه، وهي قراءَة الحسن، وابن أَبي إِسحاق، والأَعرج[٣].

وقوله تعالى: ﴿هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾، قال المفسرون: معناه: هي أَولى بكم، وهذا تفسير بالمعنى، وإِنما هي استعارة لأَنها من حيث تضُمُّهُمْ وتباشرهم هي تُوَالِيهِم وتكون لهم مكان المولى، وهذا نحو قول الشاعر:

.... تَحِيَّـةُ بَيْنِهِـمْ ضَـرْبٌ وَجِيـعُ[٤] [الوافر]

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ الآية ابتداءُ معنى مستأْنف، وروي أَنه كثُر المزاح والضحك في بعض تلك المدة في قوم من شبان المسلمين، فنزلت هذه الآية[٥].

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ١٨٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٣٣٤) ومسلم (٢٨٠٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) سبعيتان، الثانية لابن عامر بكماله، كما في التيسير (ص: ٢٠٨)، والنشر (٢/ ٤٢٤)، والأولى لابن ذكوان في السبعة (ص: ٦٢٦).

(٤) البيت لعمرو بن معد يكرب، وصدره: وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ، وقد تقدم في تفسير الآية (٢٠٦) من (سورة البقرة).

(٥) معضل، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٦٨٦٥) عن محمد بن عبد الله الأسدي، عن عبد العزيز بن أبي رواد: أن أصحاب النبي ﷺ ظهر فيهم المزاح والضحك، فأنزل الله تعالى الآية. وعبد العزيز بن أبي رواد المكي من كبار أتباع التابعين، وفي الباب عن عائشة رضي الله عنها عند ابن مردويه كما في الدر المنثور (١٤/ ٢٧٦).

وقال ابن مسعود: ملَّ الصحابة ملَّةً، فنزلت الآية[١].

ومعنى ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ﴾: أَلَمْ يَحِنْ، ويقال: آن الشيءُ يأني: إذا حان، ومنه قول الشاعر:

[الوافر] تَمَخَّضَتِ الْمَنُونُ لَهُ بِيَوْمٍ أَنَى وَلِكُلِّ حَامِلَةٍ تَمَامُ[٢]

وقرأ الحسن بن أَبي الحسن: (أَلَمَّا يَأْنِ)، ورُوي عنه أنه قرأ: (أَلَمْ يَينِ)[٣].

وهذه الآية على معنى الحضِّ والتقريع، قال ابن عباس: عوتب المؤمنون بهذه الآية بعد ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن[٤].

وسمع الفضل بن موسى[٥] قارئاً يقرأُ هذه الآية والفضلُ يحاول معصية، فكانت الآيةُ سبب توبته.

وحكى الثعلبي عن ابن المبارك أَنه في صباه وقد حرَّك العود ليضربه، [فإذا به قد نطق بهذه الآية، فتاب ابن المبارك وكسر][٦] العود، وجاءَه التوفيق[٧].

---

(١) ضعيف منقطع، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٣٢٥) من طريق سفيان، عن المسعودي، عن القاسم قال: مل أصحاب رسول الله ﷺ ملة فقالوا: حدثنا يا رسول الله، فأنزل الله: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ ثم ملوا ملة. فقالوا: يا رسول الله: حدثنا فنزلت: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ ثم ملوا ملة، فقالوا: حدثنا يا رسول الله فأنزل الله: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

(٢) قد تقدم في تفسير الآية (٥٣) من (سورة الأحزاب)، وتمخَّض: تحرَّك وتهيَّأ، والمنون: المنية وأَنَى: حان.

(٣) وهما شاذتان، انظر الأولى في المحتسب (٢/ ٣١١)، والثانية في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٣٥٩).

(٤) منقطع، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٨/ ١٩) من طريق قتادة، عن ابن عباس أنه قال: إن الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن، فقال: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ الآية، وهو منقطع؛ لعدم سماع قتادة من ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) هو الفضل بن موسى أبو عبد الله السيناني المروزي، أحد الأئمة الأعلام، رحل وسمع من هشام ابن عروة، وآخرين، وعنه: إسحاق بن راهويه، وطائفة، قال وكيع: أعرفه ثقة، صاحب سنة، توفي سنة ١٩٢هـ. تاريخ الإسلام (١٣/ ٣٣٨).

(٦) في الأسدية٣: «وسمعت ناطقاً بهذه الآية فكسرت»، ولفظة «قد» من الأسدية٣.

(٧) انظره مع قول الفضل بن موسى في تفسير الثعلبي (٩/ ٢٤٢) بتصرف.

و«الخُشوعُ»: الإِخباتُ والتَّطامن، وهي هيئة تظهر في الجوارح متى كانت في القلب، فلذلك خصَّ تعالى القلب بالذكر، وروى شداد بن أَوس[(١)] عن النبي ﷺ أَنه قال: «أَول ما يرفع من الناس الخشوعُ»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ أَي: لأَجل ذكر الله ووحيه الذي بين أَظهرهم، ويحتمل أَن يكون المعنى: لأَجل تذكير الله تعالى إِيَّاهم وأَمره فيهم.

وقرأ عاصم في رواية حفص ونافع: ﴿وَمَا نَزَلَ﴾ مُخَفَّفَ الزاي، وقرأ الباقون، وأَبو بكر عن عاصم: ﴿وَمَا نَزَّلَ﴾ بتشديد الزاي[(٣)]، على معنى: نَزَّلَ الله من الحق.

---

(١) هو شدّاد بن أوس بن ثابت الخزرجيّ، عمه حسّان شهد أبوه بدراً، واستشهد بأحد، ويقال شهد شدّاد بدراً، روى عنه ابناه يعلى ومحمد، ومحمود بن الربيع، وكان من الذين أوتوا العلم والحلم، توفي سنة ٥٨هـ. الإصابة (٣/ ٢٥٨).

(٢) له طرق لا تسلم من مقال أو علة، منها ما أخرجه الطبراني في الكبير (٧١٨٣) من طريق عمران القطان، وفي مسند الشاميين (٢٦٣٧) من طريق سعيد بن بشير، كلاهما عن قتادة، عن الحسن، عن شداد بن أوس به، ولا يتبين سماع قتادة ولا الحسن، وأخرجه ابن عدي في الكامل (٢/ ٤٣٤)، والثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٤٠) من طريق يزيد بن هارون، عن حسام المصك، عن الحسن به. وحسام ضعيف يكاد أن يترك، وأخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٢٦)، والنسائي في الكبرى (٥٨٧٨)، وابن حبان في صحيحه (٤٥٧٢-٦٧٢٠)، والطبراني في الكبير (٧٥)، وفي الأوائل (٨١)، والحاكم في مستدركه (١/ ٩٩)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٣٨-٢٤٧) من طريق إبراهيم ابن أبي عبلة، عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي، عن جبير بن نفير، عن عوف بن مالك الأشجعي بنحوه مرفوعاً، وأخرجه الترمذي (٢٦٥٣)، والحاكم في مستدركه (١/ ٩٩) من طريق: عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن جبير بن نفير، عن أبي الدرداء به بنحوه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وروى بعضهم هذا الحديث عن عبد الرحمن بن جبير ابن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك عن النبي ﷺ. اهـ، والطبراني في الشاميين (٢/ ٤٠٠) من طريق: عاصم ابن علي ثنا فرج بن فضالة عن لقمان بن عامر عن أبي الدرداء مرفوعاً، وهذا ضعيف مرسل، وأخرج الدارقطني في الفوائد الأفراد (٤٩) من طريق: ابن المبارك، عن سفيان، عن يحيى ابن عبيد الله، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «أول ما يرفع عن هذه الأمة الخشوع»، وقال عقبه: هذا حديث غريب من حديث الثوري عن يحيى بن عبيدالله، ما كتبته إلا عنه. اهـ.

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٨)، و«نافع» ليس في المطبوع.

وقرأَ أَبو عمرو في رواية عبَّاس ـ وهي قراءَة الجحدري، وابن القعقاع ـ: (وَمَا نُزِّلَ) بكسر الزَّاي وشدِّها[١].

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، والأَعرج، وأَبو جعفر: ﴿وَلَا يَكُونُواْ﴾ بالياءِ على ذكر الغائب.

وقرأَ حمزة فيما روى عنه سليم: ﴿ولا تكونوا﴾ بالتاء[٢] على مخاطبة الحضور.

والإِشارة في قوله تعالى: ﴿أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إِلى بني إِسرائيل المعاصرين لموسى عليه السلام، ولذلك قال: ﴿وَلَا يَكُونُواْ﴾، وإِنما شَبَّهَ أَهل عصر نَبيٍّ بأَهل عصر نَبيٍّ آخر[٣].

و﴿ٱلْأَمَدُ﴾ قيل: معناه انتظار الفتح، وقيل: انتظار القيامة، وقيل: أَمد الحياة.

و(قَسَتْ) معناه: صلبت وقَلَّ خيرها وانفعالها للطَّاعات وسكنت إِلى معاصي الله تعالى، ففعلوا من العصيان والمخالفة ما هو مأْثور عنهم.

وقوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ الآية مخاطبةٌ لهؤلاءِ المؤمنين الذين ندبوا إِلى الخشوع، وهذا ضَرْب مَثَل واستدعاءٌ إِلى الخير برفق وتقريب بليغ؛ أَي: لا يبعد عنكم أَيها التاركون للخشوع / رجوعكم إِليه وتلبُّسكم به، فإِن الله يُحيي الأَرض بعد موتها، وكذلك يفعل بالقلوب، ويردُّها إِلى الخشوع بَعْد بُعْدها عنه، وترجع هي إِليه إِذا وقعت الإِنابة والتكسُّب من العبد بعد نفورها منه كما يحيي الأَرض بعد أَن كانت ميِّتَةً غبراءَ. وباقي الآية بيِّن جدّاً. [٥/ ١٨٢]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾.

---

(١) وهي شاذة، انظرها في السبعة (ص: ٦٢٦)، وفي المطبوع: «عيَّاش».

(٢) الأولى للجماعة والثانية عشرية لرويس انظر النشر (٢/ ٣٨٤)، والبحر والمحيط (١٠/ ١٠٨). وفي المطبوع: «سليمان».

(٣) «آخر» من المطبوع.

قرأ جمهور القراءِ: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ بتشديد الصَّاد المفتوحة، على معنى المتصدِّقين.

وكذا هي في مصحف أُبيّ بن كعب: (إِنَّ الْمُتَصَدِّقِينَ) بالتَّاءِ[١]، وهو يؤيد هذه القراءَة.

وأيضاً فيجيءُ قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ملائماً في الكلام للصدقة.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو بكر عن عاصم: ﴿إِنَّ المُصَدِّقِين﴾ بتخفيف الصاد[٢]، على معنى: الذين صَدَّقوا رسول الله ﷺ فيما بَلَّغ عن الله تعالى، وآمنوا به، ويؤيد هذه القراءَة أَنها أَكثر تناوُلاً للأُمَّة؛ لأَن كثيراً ممَّن لا يتصدَّق يعمه اللفظ[٣] في التصديق، ثم إِن تقييدها بقوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضُوا۟﴾ يردُّ مقصد القراءَتين بعضه من بعض.

وقوله تعالى: ﴿أَقْرَضُوا﴾ معطوف على المعنى؛ لأَن معنى قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾: إِن الذين تَصَدَّقُوا، ولا يصحُّ هنا عطفٌ لفظيٌّ، قاله أَبو علي في «الحُجَّة»[٤].

وقد تقدَّم معنى القَرْض، ومعنى المُضاعفة التي وعَدَ اللهُ تعالى بها هذه الأُمَّة، وتقدَّم معنى وصف الأَجْر بالكرم، كل ذلك في هذه السُّورة.

قال القاضي أبو محمد: ويؤيد عندي قراءَة من قرأ: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ بشدِّ الصاد: أَن الله تعالى حضَّ في هذه الآية[٥] على الإِنفاق في سبيل الله، ثم ذكر في هذه أَهل الصَّدقة ووعدهم، ثم ذكر أَهل الإِيمان والتصديق في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ﴾.

وعلى قراءَة من قرأَ: ﴿إِنَّ المُصَدِّقِين﴾ بتخفيف الصَّاد فَذِكْرُ المؤمنين مكرر في اللفظ، وكون الأَصناف مفردة بأَحكامها من الوعد أَبْيَن، والإِيمان بمحمد ﷺ يقتضي

---

(١) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ١٣٥).
(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٨).
(٣) في الأسدية٣، والمطبوع: «تعمه اللفظة».
(٤) الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ٢٧٥).
(٥) في الأسدية٣، والأسدية٤، والمطبوع: «السورة».

الإِيمان بجميع الرُّسل عليهم السلام، فلذلك قال تعالى: ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾.

و﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ بناءُ مبالغة من الصدق، أَو من التصديق على ما ذكر الزجاج[(١)].

و«فِعِّيل» لا يكون ـ فيما أَحفظه ـ إِلَّا من فعل ثلاثي، وقد أشار بعض الناس إلى أَنه يجيءُ من غير الثلاثي، وقال: مِسِّيكٌ مِنْ أَمْسَكَ. وأَقول إِنه يقال: مَسَكَ الرجلُ، وقد حُكي: مَسَكَ الشيءَ، وفيه نظر.

قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ اختلف الناسُ في تأْويل ذلك:

فقال ابن مسعود[(٢)]، ومجاهد، وجماعة: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ معطوف على قوله تعالى: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ والكلام متصل[(٣)]، ثم اختلفت هذه الفرقة في معنى هذا الاتصال، فقال بعضها: وصف الله تعالى المؤمنين بأَنهم صِدِّيقون وشهداءُ، فكلُّ مؤمن شهيدٌ، قاله مجاهد.

وروى البراءُ بن عازب: أَن النبي ﷺ قال: «مُؤْمِنُو أُمَّتي شهداء»، وتلا رسول الله ﷺ هذه الآية[(٤)]، وإِنما خصَّ رسول الله ﷺ ذكر الشهداءِ السبعة[(٥)] تشريفاً، ولِأَنهم في أَعلى

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج (٥/ ١٢٦).

(٢) لعله يعني ما أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٩٢) من طريق شعبة، عن أبي قيس عبد الرحمن بن ثروان، عن هزيل بن شرحبيل الأودي قال: قال: ذكروا الشهداء، فقال عبد الله: الرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، والرجل يقاتل للدنيا، والرجل يقاتل للسمعة، والرجل يقاتل للمغنم، قال شعبة شيئاً هذا معناه: والرجل يقاتل يريد وجه الله، والرجل يموت على فراشه وهو شهيد، وقرأ عبد الله هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾. وليس بواضح.

(٣) راجع: تفسير الطبري (٢٣/ ١٩٢)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٤٤).

(٤) باطل، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٩٢) من طريق إسماعيل بن يحيى الشيباني، عن محمد ابن عجلان، عن زيد بن أسلم، عن البراء بن عازب به. وإسماعيل بن يحيى الشيباني متهم بالكذب.

(٥) صحيح، أخرجه مالك في الموطأ (٦٢٩)، وأحمد (٥/ ٤٤٦) عن روح، وأبو داود (٣١١١) عن القعنبي، والنسائي في الكبرى (١٩٨٥) عن عتبة بن عبد الله بن عتبة، وفي (٧٤٥٥-٧٤٨٧) عن عتبة بن عبد الله والحارث بن مسكين جميعاً عن مالك، عن عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك، أن عتيك بن الحارث، وهو جد عبد الله بن عبد الله أبو أمه أخبره: أنَّ النبي ﷺ... قال: «الشَّهادة سبع سوى القتل في سبيل الله عزَّ وجلَّ: المطعون شهيد، والمبطون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب =

رتب الشهادة، أَلا ترى أَن المقتول في سبيل الله مخصوص أَيضاً من السبعة بتشريف ينفرد به.

وقال بعضها: وصف الله تعالى المؤمنين بأَنهم صِدِّيقون وشُهداءُ، لكن من معنى الشاهد لا من معنى الشهيد، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨]، فكأَنه تبارك وتعالى قال في هذه الآية: هم أَهل الصِّدق والشَّهادة على الأُمم عند ربِّهم.

وقال ابن عباس، ومسروق، والضحاك: الكلام تام في قوله تعالى: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ ابتداءٌ مستأْنف[1].

ثم اختلفت هذه الفرقة في معنى الاستئناف:

فقال بعضها: معنى الآية: والشهداءُ بأنهم صِدِّيقون حاضرون عند ربِّهم، وعنى بالشُّهَدَاءِ الأَنبياءَ عليهم السلام، فكأَن الأنبياءَ عليهم السلام يشهدون للمؤمنين بأَنهم صِدِّيقون.

وهذا يفسِّره قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

وقال بعضها: قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ ابتداءٌ يريد به الشهداءَ في سبيل الله، واستأْنف الخبر عنهم بأَنهم عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ، فكأَنه تعالى جعلهم صنفاً مذكوراً وحده، وفي الحديث: «إنَّ أَهل الجنة العُلْيا ليراهم مَنْ دونهم كما ترون الكوكب الدُّرِّيَّ، وإِن أَبا بكر وعمر منهم، وأَنعما»[2].

= الهدم شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، وصاحب الحرق شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة»، وفي الباب عن عبادة بن الصامت، وأبي هريرة.

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٩١) من طريق العوفي، عن ابن عباس قال: هذه مفصولة. ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾.

(٢) لا يصح، وهو في الصحيحين بنحوه دون ذكر أبي بكر وعمر، أخرجه باللفظ الذي أورده المصنف =

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ خبر عن الشهداءِ فقط على الأَخير من الأَقوال، وهو خبر عن المؤمنين المذكورين في أَول الآية على الأَقوال الثلاثة الأُول.

وقوله تعالى: ﴿وَنُورُهُمْ﴾ قال جمهور المفسرين هو حقيقة حسب ما رُوي مما تقدم ذكره في هذه السورة، وقال مجاهد وغيره: هو مجاز عبارة عن الهدى والكرامة والبشرى التي حصلوا فيها[1].

ولما فرغ ذكر المؤمنين وأهل الكرامة، عقب ذكر الكفرة المكذبين ليبين الفرق، فذكرهم تعالى بأنهم أَصْحابُ الْجَحِيمِ وسكانه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾.

= الحميدي في مسنده (٧٥٥)، وأحمد (٣/ ٢٧-٥٠-٦١-٧٢-٩٣-٩٨)، وفي فضائل الصحابة (١٣١، ١٦٨-١٦٩-٢١٢-٥٥٩-٥٦٨-٥٦٩)، وعبد بن حميد (٨٨٧)، وأبو داود (٣٩٨٧)، وابن ماجه (٩٦)، والترمذي (٣٦٥٨)، وأبو يعلى (١١٣٠-١٢٧٨)، والطبراني في الأوسط (٣٤٢٧-٣٤٠٠-٧٣٤٠-٩٤٨٨)، وفي الصغير (٣٥٣) وغيرهم من طرق عن عطية بن سعيد العوفي، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً به، بنحوه وفي بعض الروايات زيادة، وعطية العوفي ضعيف، وأخرجه أحمد (٣/ ٢٦-٦١)، وفي فضائل الصحابة (١٦٥-١٦٨)، وعلي بن الجعد في مسنده (٢٠٢٨) من طريق مجالد بن سعيد الهمداني، عن أبي الوداك، عن أبي سعيد به بنحوه، ومجالد بن سعيد الهمداني ضعيف، وله شاهد أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٣١٤)، والطبراني في الكبير (٢٠٦٥)، وابن عدي في الكامل (٤/ ٨٤) من طريق صباح بن سهل الواسطي، عن حصين بن عبد الرحمن، عن جابر بن سمرة به، وصباح بن سهل الواسطي قال البخاري منكر الحديث، وأخرج البخاري (٣٢٥٦) ومسلم (٢٨٣١) من طريق عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم» قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»، وفي المطبوع: «منهما».

(١) لم أقف عليه، وفي المطبوع: «مجازي».

هذه آية وعظ وتبيين لأَمر الدنيا وضَعَة منزلتها، و﴿أَنَّمَا﴾ سادَّة مسدَّ المفعولين للعلم بأَنها لا تدخل على اثنين، وهي ـ وإِن كفَّت عن العمل ـ فالجملة بعدها نافية.

و﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ في هذه الآية عبارة عن الأَشغال والتصرفات والفكر التي هي مختصة بالحياة الدنيا، وأَما ما كان من ذلك في طاعة الله تعالى وفي سبيله، وما كان من الضرورات التي تقيم الأَود وتُعين على الطاعات، فلا مدخل له في هذه الآية، وتَأمل حال الملوك بعد فقرهم يبن لك أَن جميع ترفهم لعبٌ ولهو.

و«الزِّينةُ»: التَّحسين الذي هو خارج من ذات الشيءِ.

و«التفاخر»: هو بالأَنساب والأَموال وغير ذلك.

و«التَّكاثُر»: هو الرغبة في الدنيا وعددها لتكون العِزَّة للكاثر على المذهب الجاهلي.

ثم ضرب تعالى مثلًا للدنيا، فالكاف في قوله: ﴿كَمَثَلِ﴾ / في موضع رفع صفة [٥/ ١٨٣] لما تقدم، وصورة هذا المثل أَن الإِنسان ينشأُ في حجر مملكة فما دون ذلك، فيشبُّ ويقوى ويكسب المال والولد ويغشاه الناس، ثم يأْخذ بعد ذلك في انحطاط فيشيخ ويضعف ويسقم وتصيبه النوائب في ماله وذريته ويموت ويضمحل أَمْرُه، وتصير أَمواله لغيره وتتغير رسومه، فأَمْره مثل مطر أَصاب أَرضاً فنبت عن ذلك الغيث نبات مُعجب أَنيق، ثم هاج، أَي يَبِسَ واصفر، ثم تحطم، ثم تفرق بالرياح واضْمَحَلَّ.

واختلف المتأَولون في لفظة ﴿ٱلْكُفَّارَ﴾ هنا:

فقال بعض أَهل التأْويل: هو من الكفر بالله تعالى، وذلك أَنهم أَشد تعظيماً للدنيا، وأَشد إِعجاباً بمحاسنها، وقال آخرون منهم: هو من كَفَر الْحَبَّ؛ أَيْ: سَتَرَه في الأَرض، فهم الزُّراع، وخصَّهم بالذكر لأَنهم أَهل البصر بالنبات والفلاحة، فلا يعجبهم إِلَّا المعجب حقيقة الذي لا عيب له[1].

وهَاجَ الزَّرْعُ: معناه: يَبس واصْفَرَّ.

---

(١) في المطبوع: «فيه».

و(حُطام) بناءُ مبالغة، يقال: حطيم وحُطَام بمعنى: محطوم أَو متحطم[١]، كعجيب وعُجاب بمعنى: معجب أَو مُتَعَجَّب منه.

ثم قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾، كأَنه تعالى قال: والحقيقة ما هنا؛ ثم ذكر العذاب أَوَّلاً تَهَمُّماً به من حيث الحذر في الإِنسان ينبغي أَن يكون أَولاً، فإِذا تحذَّر[٢] من المخاوف مدَّ حينئذ أَمله، فذكَر اللهُ تعالى ما يَحْذَرُ قبل ما يطمع فيه وهو المغفرة والرِّضوان.

وروي عن عاصم ضمُّ الراءِ من ﴿وَرُضْوَانٌ﴾[٣].

و﴿مَتَـٰعُ ٱلْغُـرُورِ﴾: معناه: متاع الشيء الذي لا يُعظِّمُ الاستمتاعَ به إِلَّا مُغْتَرٌّ.

وقال عكرمة وغيره: ﴿مَتَـٰعُ ٱلْغُـرُورِ﴾: القوارير[٤]، لِأَن الفساد والآفات تسرع إِليها، فالدنيا كذلك أَو هي أَشد[٥].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَـٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾.

لما ذكر تعالى المغفرة التي في الآخرة ندب في هذه الآية إِلى المسارعة إِليها والمسابقة، وهذه الآية حجة عند جميع العلماءِ في الندب إِلى الطَّاعات.

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «محتطم»، وفي أحمد٣: «منحطم».

(٢) في الأسدية٣ والمطبوع ونجيبويه: «تحذَّر».

(٣) وهي سبعية من رواية شعبة كما تقدم، وانظر التيسير (ص: ٨٦).

(٤) في الأسدية٣ وأحمد٣: «العواري»، وفي الأصل: «الغوارير».

(٥) في البحر المحيط (٣/ ٤٦١) عنه: «الفأس، والقصعة، والقدر».

وقد استدل بها بعضهم على أَن أَوَّل أَوقات الصلوات أَفضل[١] لأَنها تقتضي المسارعة والمسابقة، وقد ذكر بعضهم في تفسير هذه الآية أَشياءَ هي على جهة المثال:

فقال قوم من العلماءِ، منهم ابن مسعود: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ معناه: كونوا في أَول صف في القتال.

وقال آخرون منهم أَنس بن مالك: اشهدوا تكبيرة الإِحرام مع الإِمام.

وقال آخرون منهم علي بن أَبي طالب معناه: كن أَول داخل في المسجد وآخر خارج منه[٢]، وهذا كله على جهة المثال.

وذكر تعالى العَرْض من الجنة، إِذ المعهود أَنه أَقل من الطول.

وقال قوم من أَهل المعاني: عبَّر عن المساحة بالعَرْض، ولم يقصد أَن طولها أَكثر ولا أَقل.

وقد ورد في الحديث: أَن سقف الجنة العرش، وورد في الحديث: أَن السماوات السبع في الكرسي كالدرهم في الفلاة، وأَن الكرسي في العرش كالدرهم في الفلاة[٣].

وقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتۡ﴾ ظاهره أَنها مخلوقة الآن مُعدَّة، ونصَّ عليه الحسن في «كتاب النقاش»[٤].

---

(١) وبهذا قال جمهور العلماء؛ منهم مالك وغيره، انظر مذهب مالك والجمهور في: الاستذكار (١/ ٣٦).

(٢) انظر الأقوال الثلاثة في البحر المحيط (١٠/ ١١١).

(٣) ضعيف، أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره (٤٢٥) عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد قال: ما السماوات والأرض في الكرسي، إلا بمنزلة حلقة ملقاة في أرض فلاة، وسنده ضعيف؛ فالأعمش مدلس ولم يصرح بالسماع، وهو قليل السماع من مجاهد وعامة ما يرويه عن مجاهد مدلس كما قاله أبو حاتم في العلل (٢١١٩)، ومن طريق سعيد أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠١)، وقد جمع ابن كثير في تفسيره عند آية (٢٥٥) الروايات المرفوعة والموقوفة التي في نفس المعنى، وهي لا تسلم من ضعف.

(٤) وتقدم الكلام وذكر من خالف فيه في أول (سورة البقرة).

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾، قال ابن زيد وغيره: المعنى: ما حدث من حادث خيرٍ أَو شرٍّ[١]، فهذا على معنى لفظ «أَصاب» لا على عُرف المصيبة، فإِن عُرفها في الشرِّ.

وقال ابن عباس ما معناه: إِنه أَراد عُرْف المصيبة، وخصها بالذِّكر لأَنها أَهم على البشر[٢]، وهي بعض من الحوادث، فدلَّ على أَن جميع الحوادث خيرها وشرَّها كذلك.

وقوله تعالى: ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: بالقحوط والزلازل وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ يريد: بالموت والأَمراض وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ معناه: إِلَّا والمصيبة في كتاب.

و﴿نَّبْرَأَهَآ﴾ معناه: نخلقها، يقال: برأَ اللهُ الخَلق، أَي خلقهم، والضمير عائد على المصيبة، وقيل: على الأَرض، وقيل: على الأَنفس، قاله ابن عباس، وقتادة، وجماعة[٣].

وذكر المهدوي جواز عود الضمير على جميع ما ذكر، وهي كلها معان صحاح؛ لأَن الكتاب السابق أَزلي قبل هذه كلها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يريد تحصيل الأَشياءِ كلها في كتاب.

وقوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟﴾ معناه: فعل الله تعالى ذلك كله وأَعلمكم به ليكون سبب تسليمكم وقلَّة اكتراثكم بأَمر الدُّنيا، فلا تحزنوا على ما فاتكم ولا تفرحوا الفرح المبطر بما آتاكم فيها، قال ابن عباس: ليس أَحد إلا يفرح ويحزن، ولكن من أَصابته مصيبة فجعلها صبراً، ومن أَصاب خيراً فجعله شكراً[٤].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر الدر المنثور (١٤/ ٢٨٣-٢٨٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٩٦-١٩٧) وابن أبي حاتم في تفسيره كما في الإتقان (٢/ ٤٧) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وقول قتادة في تفسير الطبري (٢٣/ ١٩٦)، وانظر التحصيل للمهدوي (٦/ ٣٤٠).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٩٣٤)، والطبري (٢٢/ ٤٢١)، والحاكم في المستدرك =

وقرأ أبو عمرو وحده: ﴿أَتَاكُمْ﴾ على وزن فعل ماض، وهذا ملائم لقوله تعالى: ﴿فَاتَكُمْ﴾، وقرأ الباقون من السبعة: ﴿ءَاتَىٰكُمْ﴾ على وزن: أَعْطَاكُمْ؛ بمعنى: آتاكم اللهُ تعالى: وهي قراءة الحسن، والأعرج وأهل مكة(١).

وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: (أُوتِيتُمْ)(٢) وهي تؤيد قراءة الجمهور.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ يدل على أن الفرح المنهي عنه إنما هو ما أدَّى إلى الاختيال والفخر.

[وأما الفرح](٣) بنعم الله تعالى المقترن بالشُّكر والتواضع، فأمر لا يستطيع أحد دفعه عن نفسه، ولا حرج فيه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

اختلف النحاة في إعراب ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

فقال / بعضهم: هو في موضع رفع على الابتداءِ والخبر عنهم محذوف معناه الوعيد والذم، وحذفه على جهة الإبهام كنحو حذف الجواب في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الرعد: ٣١] الآية. [٥/ ١٨٤]

= (٢/ ٤٧٩) والبيهقي في الشعب (٩٧٧١) من طريق سفيان، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وفي المطبوع: «أحمد لا يفرح».

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير في القراءات السبع (ص: ٢٠٨).

(٢) وهي شاذة، عزاها له ولأبي ابن زنجلة في حجة القراءات (ص: ٧٠٢).

(٣) سقط من الأصل.

وقال بعضهم: لاهو رفع على خبر الابتداءِ، تقديره: هم الذين يبخلون.

وقال بعضهم: هو في موضع نصب بإِضمار: أَعني، أَو نحوه.

وقال بعضهم: هو في موضع نصب صفة لـ﴿كُلَّ﴾؛ لأَن ﴿كُلَّ﴾ وإِن كان نكرة فهو تخصيص لنوع مَّا، يسوغ[1] لذلك وصفُه بالمعرفة، وهذا هو مذهب الأَخفش[2].

و﴿يَبْخَلُونَ﴾ معناه: بأَموالهم وأَفعالهم الحسنة من إِيمانهم وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ﴾ يحتمل أَن يصفهم بحقيقة الأَمر بأَلسنتهم.

ويحتمل أَن يريد أَنهم يُقتدى بهم في البخل، فهم لذلك كأَنهم يأْمرون.

وقرأَ الحسن: ﴿بِالْبَخَلِ﴾ بفتح الباءِ والخاءِ[3].

وقرأَ جمهور القراءِ وأَهل العراق: ﴿هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ بإِثبات ﴿هُوَ﴾، وكذلك في إِمامهم.

وقرأَ نافع، وابن عامر: ﴿فإن الله الغني الحميد﴾ بترك ﴿هُوَ﴾ وهي قراءَة أَهل المدينة، وكذلك في إِمامهم، وهذا لم يثبت قراءَةً إِلَّا وقد قرئ على النبي ﷺ بالوجهين[4].

قال أَبو علي: فهو في القراءَة التي ثبت فيها يَحْسُنُ أَنْ يكون فصلاً ولا يَحْسُنُ أَن يكون ابتداءً؛ لأَن حذف الابتداءِ غير سائغ[5].

و﴿الْكِتَابَ﴾ اسم جنس لجميع الكتب المنزلة.

و(الـمِيْزَانَ): العدلُ في تأْويل أَكثر المتأَولين، وقال ابن زيد وغيره من المتأَولين:

---

(١) في الأصل: «يسرع».

(٢) لم أقف عليه.

(٣) بل هي سبعية لحمزة والكسائي كما في التيسير (ص: ٩٦).

(٤) ليست في المطبوع، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٩٦)، وانظر معاني القرآن للفراء (٣/ ١٣٣)، والمصاحف (ص: ١٤٥).

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ٢٧٦).

أَراد الموازين المتصرفة بين الناس(١)، وهذا جزء(٢) من القول الأَول.

وقوله تعالى: ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ يقوي القول الأَول.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾، عبَّر عن خلقه وإيجاده(٣) بالإِنزال، كما قال تعالى في الثمانية الأَزواج من الأَنعام(٤)، وأَيضاً فإِن الأَمر بكون الأَشياءِ لمَّا كان يُلقى(٥) من السماءِ جعل الكل نزولاً منها.

وقال جمهور كثير من المفسرين: ﴿ٱلْحَدِيدَ﴾ هنا أَراد به جنسه من المعادن وغيرها.

قال ابن عباس: نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه السِّنْدَان والكَلْبَتَان والميقَعَةُ(٦).

وقال حذَّاقٌ من المفسرين: أَراد به السلاحَ، ويترتب معنى الآية: فإِن الله تعالى أَخبر أَنه أَرسل رسلاً، وأَنزل كُتُباً وعدلاً مشروعاً، وسلاحاً يحارب به مَنْ عاند ولم يَهْتَد بِهَدْيِ الله، فلم يبق عُذْرٌ.

وفي الآية ـ على هذا التأْويل ـ حضٌّ على القتال وترغيب فيه، وقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ﴾ يقوي هذا التأْويل.

ومعنى قوله: (لِيَعْلَمَ)؛ أَي: لِيَعْلَمَهُ موجوداً، فالتَّغَيُّر ليس في عِلْم الله تعالى، بل في هذا الحَدَث الذي خرج من العدم إِلى الوجود.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٠٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٤٦).

(٢) في نجيبويه ونور العثمانية والمطبوع: «خير»، مع الإشارة إلى النسخة الأخرى.

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «واتخاذه»، في الأسدية٣: «بالأزواج» بدل «بالإنزال».

(٤) إشارة إلى الآية (٦) من (سورة الزُّمَر).

(٥) سقطت «كان» من نور العثمانية وأحمد ٣، وفي الأصل «لما تُلقِي من السماء».

(٦) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٠١) عن محمد بن حميد، عن يحيى بن واضح، عن الحسين، عن علباء بن أحمر، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه به بزيادة «والمطرقة»، ومحمد بن حميد الرازي ضعيف، والمِيقعة: المطرقة.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ معناه: بما سمع من الأَوصاف الغائبة عنه فآمن بها لقيام الأدلة[١] عليها.

ثم وصف تبارك وتعالى نفسه بالقوة والعزة ليبيِّن أَنه لا حاجة به إِلى النُّصرة لكنها نافعة من عصم[٢] بها نفسه من الناس.

ثم ذكر تعالى رسالة نوح وإِبراهيم عليهما الصلاة والسلام تشريفاً لهما بالذِّكر، ولأَنهما من أَول الرسل عليهم السلام، ثم ذكر تعالى نعمه على ذريتهما.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: الكتب الأَربعة، فإِنها جميعاً في ذرِّيَّة إِبراهيم عليه السلام، وذكر تعالى أَنهم مع ذلك منهم من فَسَقَ وعَنَدَ، فكذلك ـ بل أَحْرَى ـ جميع الناس ولذلك يشرع السلاح للقتال.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿قَفَّيْنَا﴾ معناه: جئنا بهم بعد الأَولين، وهو مأْخوذ من القفا؛ أَي: جاءَ بالثاني في قفا الأَول، فيجيءُ الأول بين يدي الثاني، ومنه القوافي التي تأْتي في أَواخر أَبيات الشِّعر.

ثم ذكر تعالى عيسى عليه السلام تشريفاً وتخصيصاً.

وقرأَ الحسن: (الأَنْجِيلَ) بفتح الهمزة[٣]، قال أَبو الفتح: هذا مثال لا نظير له.

و﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً﴾ مفعولات ﴿جَعَلْنَا﴾، والجَعْلُ في هذه الآية بمعنى: الخَلْق.

---

(١) في المطبوع: «دلالة».

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «عظَّم».

(٣) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٣١٢)، و«مثال» سقطت من الأصل.

وقوله تعالى: ﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ صفة لـ(رَهْبَانِيَّةً)، وخَصَّها بأَنها ابتُدعت لأَن الرَّأْفة والرَّحمة في القلب لا كسْب للإِنسان فيهما، وأَمَّا الرهبانية فهي أَفعال بَدَن مع شيءٍ في القلب، ففيها موضع للتَّكسُّب.

قال قتادة: الرَّأْفة والرَّحمة من الله تعالى، والرهبانية هم ابتدعوها، والمراد بالرَّأْفة والرَّحمة: حبٌّ بعضهم في بعض وتوادُّهم[١]، والمراد بالرهبانية: رفض النِّساءِ واتخاذ الصَّوامع.

والمعتزلة تعرب (رَهْبَانِيَّةً) أَنها نصب بإِضمار فعل يفسِّره ﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾، وليست بمعطوفة على الرَّأْفة والرَّحمة، ويذهبون في ذلك إِلى أَنَّ الإِنسان يخلق أَفعاله، فيعربون الآية على هذا، وكذلك أَعربها أَبو علي[٢].

ورُوي في ابتداعهم الرَّهبانيَّة أَنهم افترقوا ثلاث فرق:

ففرقة قاتلت الملوك على الدين فَغُلبت وقُتلت.

وفرقة قعدت في المدن يدعون إِلى الدِّين ويُبَيِّنُونه، [ولم تُقاتل][٣]، فأَخذتها الملوكُ فنشرتها بالمناشير، وقُتلوا.

وفرقة خرجت إِلى الفيافي وبنت الصَّوامع والدِّيارات، وطلبت أَن تسلم على[٤] أَن تعتزل، فتركت وذاكَ[٥]، وتَسَمَّوْا بالرُّهبان، واسمهم مأْخوذ من الرهب وهو الخوف، وهذا هو ابتداعهم، ولم يفرض[٦] الله تعالى ذلك عليهم لكنهم فعلوا ذلك ابتغاءَ رضوان الله، هذا

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٠٣).

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٢٩٠)، وفي أحمد٣: «فَيَكْذِبُونَ»، وأشار لها في حاشية المطبوع، ولنسخة أخرى فيها «فيعذَّبون».

(٣) سقط من الأصل.

(٤) في المطبوع: «قبل».

(٥) «وذاك» ليست في الأصل، والأسدية٣، وفي الأسدية٤: «ولذلك تسموا».

(٦) في المطبوع: «يعرض».

تأْويل أَبي أُمَامَةَ وجماعة[١]، وقال مجاهد: المعنى: كتبناها عليهم ابتغاءَ رضوان الله[٢].

فـ«كَتَبَ» ـ على هذا ـ بمعنى: قَضَى، ويحتمل اللفظ أَن يكون المعنى: ما كتبناها عليهم إِلَّا في عموم المندوبات؛ لأَن ابتغاءَ مرضاة الله تعالى بالقُرب والنوافل مكتوب على كل أُمَّة، فالاستثناءُ ـ على هذا الاحتمال ـ متَّصلٌ.

واختلف النَّاسُ في الضمير الذي في قوله: ﴿فَمَا رَعَوْهَا﴾، مَن المراد به؟

فقيل: إِنَّ الذين ابتدعوا الرَّهبانيَّة لأَنفسهم لم يدوموا على ذلك ولا وَفَّوْهُ حقَّه، بل غيَّروا وبدَّلوا، قاله ابن زيد وغيره[٣]، والكلام سائغ وإِن كان فيهم مَن رَعَى، أَي: لم يرعوها بأَجمعهم، وفي هذا التأْويل لزوم الإِتمام لكل من بدأَ بتطوُّع وَنَفل، وأَنه يلزمه أَن يرعاه حقَّ رعاية، وقال ابن عباس وغيره: الضمير للملوك الذين حاربوهم وأَجلوهم[٤]، وقال الضحاك / وغيره: الضمير للأَخلاف الذين جاؤوا بعد المبتدعين لها[٥]. وباقي الآية بَيِّنٌ. [٥/ ١٨٦]

وقرأَ ابن مسعود رضي الله عنه: (ما كَتَبْنَاهَا عَلَيهِمْ لكِنِ ابْتَدَعُوهَا)[٦].

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ اختلف النَّاس مَن المخاطب بهذا؟

فقالت فرقة من المتأَولين: خوطب بها أَهل الكتاب، فالمعنى: يا أَيُّهَا الذين آمنوا بعيسى اتقوا الله وآمنوا بمحمد.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٠٦).
(٢) الهداية لمكي (١١/ ٧٣٣٥).
(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٠٣).
(٤) لا بأس به، أخرجه النسائي (٥٤٠٠)، وفي الكبرى (٥٩٠٨)، والطبري (٢٣/ ٢٠٣-٢٠٤) عن الحسين بن الحريث أبي عمار المروزي، عن الفضل بن موسى، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ مطول.
(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٠٦)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٣٥)، بتصرف.
(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها له في تفسير الثعالبي (٥/ ٣٩٤)، وتفسير ابن جزي (٢/ ٣٤٩).

ويؤيد هذا المعنى: الحديثُ الصحيح عن النبي ﷺ: «ثلاثة يؤتيهم الله أَجرهم مرتين، رجل من أَهل الكتاب آمن بنبيِّه وآمن بي»[١] الحديث.

وقال آخرون: المخاطبة للمؤمنين من أُمَّة محمد ﷺ، قيل لهم: يا أَيُّها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله؛ أَي: اثبتوا على ذلك ودوموا عليه، وهذا هو معنى الأَمر أَبداً لمن هو متلبِّس بما يؤمر به.

وقوله: ﴿كِفۡلَيۡنِ﴾؛ أَي: نصيبين بالإِضافة إلى ما كان الأُمم قبلُ يعطونه، قال أَبو موسى الأَشعري رضي الله عنه: ﴿كِفۡلَيۡنِ﴾: ضعفين بلسان الحبشة[٢]، ورُوي أَن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لبعض الأَحبار: كم كان التضعيف للحسنات فيكم؟ فقال: ثلاث مئة وخمسون، فقال عمر رضي الله عنه: الحمد لله الذي ضاعف لنا إِلى سبع مئة[٣]، ويؤيد هذا المعنى: الحديثُ الصحيح الذي يقتضي أَن اليهود عملت إِلى نصف النهار على قيراط، والنصارى من الظهر إِلى العصر على قيراط، وهذه الأُمة من العصر إِلى الليل على قيراطين، فلمَّا احتجت اليهود والنصارى عن ذلك وقالوا: نحن أَكثر عملاً وأَقلُّ أَجراً، قال تعالى: هل نقصتكم من أَجركم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فإِنَّه فضلي أُوتيه من أَشاءُ[٤].

و«الكِفْلُ»: الحظُّ والنَّصيب.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) رجاله ثقات، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٥٩١)، والطبري (٢٣/ ٢١٠)، وابن أبي حاتم كما في تغليق التعليق (٥/ ٩٢)، وابن الجوزي في تنوير الغبش في فضل السودان والحبش (٣٠)، والحافظ في تغليق التعليق (٥/ ٩٢) من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن عوف بن مالك بن نضلة أبي الأحوص، عن أبي موسى به.

(٣) منقطع، أخرجه الطبري (٢٣/ ٢١٠) عن العباس بن الوليد بن مزيد العذري، عن أبيه قال: سألت سعيد بن عبد العزيز بن أبي يحيى التنوخي عن الكفل؛ كم هو؟ قال: ثلاث مئة وخمسون حسنة، والكفلان: سبع مئة حسنة. قال سعيد: سأل عمر بن الخطاب حبراً فذكره، وسعيد بن عبد العزيز لم يدرك عمر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٢٢٦٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

و«النُّور» هنا إِمَّا أَن يكون وعداً بالنُّور الذي يسعى بين الأَيدي يوم القيامة، وإِمَّا أَن يكون استعارة للهدى الذي يُمْشَى به في طاعة الله تعالى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾.

رُوي أَنه لمَّا نزل هذا الوعد للمؤمنين، حسد أَهلُ الكتاب على ذلك، وكانت اليهود تعظِّم دينها وأَنفسها، وتزعم أَنها أَحباءُ الله وأَهل رضوانه، فنزلت هذه الآية مُعلمة أَن الله تعالى فعل ذلك وأَعلم به، ليعلم أَهل الكتاب أَنهم ليسوا كما يزعمون[1].

و(لَا) في قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا﴾ زائدة، كما هي في قوله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥] على بعض التأْويلات.

وقرأَ ابن عباس، والجحدري: (لِيَعْلَمَ أهل الكتاب).

وروى إِبراهيم التيمي عن ابن عباس: (كَيْ يَعْلَمَ).

وروي عن ابن عباس: (لكَيْلَا يعْلم).

وروي عن حِطَّان الرقاشي أَنه قرأَ: (لأَن يعلم).

وقرأَ ابن مسعود، وابن جبير، وعكرمة: (لِكَيْ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ).

وقرأَ الحسن فيما روى ابن مجاهد: (لَيْلَا يَعْلَم) بفتح الَّلام الأُولى وسكون الياءِ.

فأَمَّا فتح اللام فلغة في لام الجر مشهورة، وأَصْلُ هذه القراءَة: (لأَنْ لَا)، استغني عن الهمزة بلام الجرِّ فحذفت فجاءَ (لَنْ لَا)، فأُدغمت النون في اللام للتشابه فجاءَ (لَلَّا)، فاجتمعت أَمثلة فقلبت اللام الواحدة ياءً.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٧٦) عن معمر، وابن جرير في تفسيره (٢٣/ ٢١٤) من طريق معمر، وسعيد بن بشير كلاهما عن قتادة به بلفظ مطول.

وقرأ الحسن فيما روى مطرف: (لِيْلَا) بكسر اللام الأُولى وسكون الياءِ، وتعليلها كالتي تقدمت[١].

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا يَقۡدِرُونَ﴾ معناه أَنهم لا يملكون فضل الله تبارك وتعالى، ولا[٢] يدخل تحت قدرهم[٣].

وقرأ ابن مسعود: (أَلَّا يَقْدِرُوا) بغير نون[٤].

وباقي الآية بَيِّنٌ.

كمل تفسير (سورة الحديد)، والحمد لله ربِّ العالمين

(١) هذه سبع قراءات شاذة كلها، انظر الأولى والثالثة في مختصر الشواذ (ص: ١٥٣)، والرابعة والخامسة في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٤٥)، والسادسة والسابعة في المحتسب (٢/ ٣١٢)، والثانية مع الكل في البحر المحيط (١٠/ ١١٧).

(٢) «ولا» ليست في الأصل.

(٣) في المطبوع: «قدرتهم».

(٤) وهي شاذة، انظر إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٤٦).

سُورَةُ المُجَادَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة المجادلة

وهي مدنية بإجماعٍ، إلا أن النقاش حكى أن قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ الآية مكيٌّ، وروى أُبيُّ بن كعبٍ: أن النبيَّ ﷺ قال: «من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله تعالى»[(١)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ① ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ②﴾.

﴿سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ عبارة عن إدراكه[(٢)] المسموعات على ما هي عليه بأكمل وجوه ذلك دون جارحة ولا محاذاة[(٣)] ولا تكييف ولا تحديد، تعالى الله عن ذلك.

وقرأ الجمهور: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ بالبيان، وقرأ ابن مُحَيْصن: ﴿قد سَّمِعَ﴾ بالإدغام[(٤)].

---

(١) ضعيف، أخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٥٢) من طريق سلام بن سليم المدائني، عن هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب به. وسلام بن سليم المدائني متروك، وهارون بن كثير مجهول.

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «إدراك».

(٣) «محاذاة» سقط من المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية.

(٤) وهما سبعيتان، الإدغام لأبي عمرو وحمزة والكسائي وهشام، انظر التيسير (ص: ٤٢).

وفي قراءَة ابن مسعود: (قَدْ يَسْمع اللهُ قول التي).

وفيها: (واللهُ قد يَسْمع تحاورَكُمَا)[١].

واختلف الناس في اسم التي تجادل:

فقال قتادة: هي خوَيْلة بنت ثعلبة[٢].

وقيل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أَنه قال: هي خولة بنتُ حكيم[٣].

وقال بعض الرواة، وأَبو العالية: هي خُوَيْلة بنت دليج[٤].

وقال المهدوي: وقيل: خولة بنت دليج[٥].

وقالت عائشة رضي الله عنها: هي جميلة[٦].

وقال ابن إِسحاق: هي خولة بنت الصامت[٧].

وقال ابن عباس رضي الله عنه فيها: خَوْلَة بنتُ خُوَيْلد[٨].

---

(١) وهما شاذتان، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ١٣٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٢٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٥٣).

(٣) لم أقف عليه، وهو في البحر المحيط (١٠/ ١٢٠) بلا نسبة.

(٤) انظر قوله في تفسير الطبري (٢٣/ ٢١٩)، بلفظ: «الدليج»، معرفاً.

(٥) التحصيل للمهدوي (٦/ ٣٥٨)، وورد هذا القول في أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٨٥) بلا نسبة.

(٦) الصواب فيه الإرسال، أخرجه أبو داود (٢٢٢٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨٢)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٨٢) من طريق محمد بن الفضل، والطبري (٢٣/ ٢٢٦) من طريق أسد بن موسى، كلاهما ـ محمد، وأسد ـ عن حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، به، وخالفهما موسى بن إسماعيل التبوذكي فرواه عن حماد، عن هشام، عن أبيه مرسلاً، أخرجه أبو داود (٢/ ٢٣٥)، ورجح هذه الرواية الحافظ في الفتح (١٣/ ٣٧٤) وهو خلاف المشهور من قول عائشة رضي الله عنها. وفي الأصل: «خميلة».

(٧) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٢٤).

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٢٢٢) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ مطول.

وقال محمد بن كعب القُرَظي، ومنذر بن سعيد: هي خولة بنت ثعلبة[١].

قال ابن سلام: (تُـجَادِلُ) معناه: تفاتل في القول[٢]، وأَصْلُ «الجَدْل»: الفَتْل.

وأَكثر الرواة على أَن الزوج في هذه الآية أَوْسُ بن الصامت الأَنصاري، أَخو عُبادة ابن الصامت[٣].

وحكى النقاش ـ وهو في المصنفات ـ حديثاً عن سَلَمة بن صخر البياضي[٤] أَنه ظاهر من امرأَته إِنْ واقعها مدة شهر رمضان، فواقعها ليلة، فسأَل قومه أَن يسأَلوا له رسول الله ﷺ، فأَبَوْا وهابوا ذلك، وعظَّموا عليه جريرته، فذهب هو إِلى رسول الله ﷺ بنفسه فسأَله واسترشد، فنزلت الآية وقال له رسول الله ﷺ: «أَتعتق رقبة؟» فقال: والله ما أَملك غير رقبتي، فقال: «أَتصوم شهرين متتابعين؟» فقال: يا رسول الله! وهل أُتيتُ إِلَّا / في الصوم؟ فقال: «أَتطعم ستين مسكيناً؟» فقال: لا أَجد، فأَعطاه رسول الله ﷺ صدقات قومه فكفَّر بها، فرجع سَلَمة إِلى قومه فقال: إِني وجدت عندكم الشدَّة والغلظة، ووجدت عند رسول الله ﷺ الرخصة والرفق، وقد أَعطاني صدقاتكم[٥]. [٥/ ١٨٦]

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٢٣).

(٢) لم أقف عليه، وفي المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية: «تقاتل».

(٣) أوس بن الصامت بن قيس بن أصرم، شهد بدراً والمشاهد، وهو أول من ظاهر في الإسلام، توفي سنة ٣٤هـ. الإصابة (١/ ٣٠٢).

(٤) هو سلمة بن صخر بن سلمان الجشمي الخزرجي، يقال له البياضي، لأنه كان حالفهم، ويقال: اسمه سلمان. الإصابة (٣/ ١٢٦).

(٥) حسنه الترمذي، وليس فيه قول سلمة الأخير، أخرجه أحمد (٤/ ٣٧) و(٥/ ٤٣٦)، والدارمي (٢٢٧٣)، وأبو داود (٢٢١٥)، والترمذي (٣٢٩٩)، وابن ماجه (٢٠٦٢)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٣٧٨)، والطبراني في الكبير (٦٣٣٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٠٤) من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سليمان بن يسار، عن سلمة بن صخر البياضي... به، قال البخاري: سليمان بن يسار لم يسمع عندي من سلمة بن صخر. قال: ويقال سلمة بن صخر وسليمان ابن صخر. =

وأَما ما رواه الجمهور في شأْن أَوس بن الصامت فاختصاره: أَن أَوْساً ظاهر من امرأَته خولة بنت خُوَيْلد، وكان الظهار في الجاهلية يوجب عندهم فُرْقةً مُؤَبَّدةً، قاله أَبو قلابة وغيره[١]، فلما فعل أوس ذلك جاءَت زوجتُه رسولَ الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إِن أَوساً أَكل شبابي، ونثرتُ له بطني، فلما كبرتُ ومات أَهلي ظاهرَ مني، فقال رسول الله ﷺ: «ما أَراكِ إِلَّا حرمت عليه»، فقالت: يا رسول الله لا تفعل؛ إِني وحيدة ليس لي أَهل سواه، فراجعها رسول الله ﷺ بمثل مقالته، فراجَعَتْهُ، فهذا هو مجادلتُها، وكانت في خلال جدالها تقول: اللهم إِليك أَشكو حالي وانفرادي وفقري إِليه، وروي أَنها كانت تقول: اللهم إِن لي منه صِبية[٢] صغاراً، إِن ضممتهم إِليه ضاعوا، وإِن ضممتهم إِليَّ جاعوا، فهذا هو اشتكاؤُها إِلى الله، فنزل الوحي ـ عند جدالها ـ على رسول الله ﷺ بهذه الآية.

وكانت عائشة رضي الله عنها حاضرة لهذه القصة كلها، فكانت تقول: سبحان مَنْ وَسِعَ سمعُه الأَصوات، لقد كنت حاضرة [لهذه القصة كلها][٣]، وكان بعض كلام خَوْلة يخفى علي، وسمع الله تعالى جدالَها.

فبعث رسولُ الله ﷺ في أثر[٤] أَوْس وقال له: «أَتعتق رقبة؟» فقال: والله ما أَملكها، فقال: «أَتصوم شهرين متتابعين؟» فقال: والله ما أَقدر أَن أَصبر إِلَّا على أَكلات ثلاث في اليوم، ومتى لم أَفعل ذلك غشي بصري، فقال له: «أَتطعم؟» فقال: لا أَجد إِلَّا

= قلت: ومحمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن، وأخرجه الترمذي (١٢٠٠)، والطبراني في الكبير (٦٣٢٩)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٩٠) من طريق علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان: أن سلمة بن صخر الأنصاري أحد بني بياضة جعل امرأته عليه كظهر أمه... به، قال الترمذي: هذا حديث حسن، يقال سلمان بن صخر ويقال سلمة ابن صخر البياضي، والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم في كفارة الظهار. اهـ.

(١) انظر قوله في تفسير الطبري (٢٣/ ٢٢٨).

(٢) «صبية» سقط من المطبوع.

(٣) سقط من الأصل.

(٤) من الأسدية٣ وأحمد٣.

أن يُعينني رسول الله بمعونة وصلاة ـ يريد الدعاءَ، فأَعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعاً، ودَعَا لَهُ، وقيل: بثلاثين صاعاً، فكفَّر بالإِطعام وأَمْسَك أَهله[١].

وفي مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (تُحاورُكَ في زوجها)[٢].

والمحاورةُ: مراجعةُ القول ومعاطاتُه.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو: ﴿يَظَّهَّرُونَ﴾ بالتشديد.

وقرأَ أُبيٌّ بن كعب بخلاف عنه: (يَتَظَهَّرُون).

وقرأ ابن عامر، وحمزة والكسائي: ﴿يَظَّاهَرُونَ﴾.

وقرأَ أُبيٌّ بن كعب أَيضاً: (يَتَظَاهَرُونَ).

وقرأ عاصم، وأَبو جعفر، والحسن، وقتادة: ﴿يُظَٰهِرُونَ﴾ بضم الياءِ[٣] من قولك: فَاعَلَ، وهذه مستعملة جدّاً، وقولهم: «الظِّهَارُ» دليلٌ عليها.

والمراد بهذا كله قول الرجل لامرأَته: أَنت عليَّ كَظَهْرِ أُمِّي، يريد: في التحريم،

---

(١) صحيح، هذا الحديث أورده المؤلف من عدة روايات منها ما أخرجه أحمد (٦/ ٤٦)، وعبد ابن حميد (١٥١٤)، وابن ماجه (١٨٨-٢٠٦٣)، والنسائي في الكبرى (٣٤٦٠)، والطبري (٢٣/ ٢٢٥-٢٢٦)، وابن أبي حاتم (١٨٨٣٩)، وأبو يعلى في مسنده (٤٧٨٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨٢)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٨٢) من طريق تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وأخرجه الطبري (٢٣/ ٢٢٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه بلفظ مطول.

(٢) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ١٣٨)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٢٢٧).

(٣) هذه خمس قراءات، الأولى والثالثة والخامسة سبعية، انظر التيسير في القراءات السبع (ص: ٢٠٩)، وقراءتا أبي شاذتان، الأولى في مختصر الشواذ (ص: ١٥٤)، والثانية في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٣٩). و«بالتشديد» سقطت من الأصل.

كأَنها إِشارة إِلى الركوب إِذْ عُرْفُه في ظهور الحيوان، وكان أَهل الجاهلية يفعلون[١] ذلك، فردَّ الله تعالى بهذه الآية على فعلهم، وأَخبر بالحقيقة من أَن الأُمَّ هي الوالدة، وأَما الزوجة فلا يكون حكمها حكم الأُمِّ.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿أُمَّهَٰتِهِمۡ﴾ بنصب الأُمَّهات.

وقرأَ عاصم في رواية المفضل عنه: (أُمَّهَاتُهُمْ) بالرفع[٢].

وهذا على اللغتين في «مَا»، لغة أَهل الحجاز ولغة تميم.

وقرأَ ابن مسعود رضي الله عنه: (مَا هُنَّ بأُمَّهَاتِهِمْ) بزيادة باءِ الجرِّ[٣].

وجعل الله تعالى القول بالظهار مُنكراً وزوراً، فهو مُحَرَّم لكنه إِذا وقع لزم، هكذا قال فيه أَهل العلم، لكن تحريمه تحريم المكروهات جدّاً، وقد رَجَّى الله بعده بأَنه عَفُوٌّ غفورٌ مع الكفَّارة[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤﴾.

اختلف الناس في معنى قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾ ـ فقال قوم: المعنى: والذين يظاهرون من نسائهم في الجاهلية، كأَنه تعالى قال: والذين كان الظهار عادتهم ثم يعودون إِلى ذلك في الإِسلام، وقاله القتبي[٥].

---

(١) في المطبوع: «يقولون».
(٢) وليست من طرق التيسير، انظر السبعة (ص: ٦٢٨).
(٣) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ١٣٩).
(٤) انظر معنى ما ذكره المؤلف من النهي عن الظهار ولزومه في: أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٩١).
(٥) لم أقف عليه.

وقال أَهل الظاهر: المعنى: والذين يظاهرون ثم يظاهرون ثانية، فلا يلزم عندهم كفارة إِلَّا بأَن يعيد الرجل التظاهر[١].

قال مُنذر بن سعيد: حينئذ هو عائد إِلى القول الذي هو منكر وزور[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول ضعيف وإِن كان القشيريُّ قد حكاه عن بُكَير[٣] بن عبد الله بن الأَشج[٤].

وقال بعض الناس: في هذه الآية تقديم وتأْخير، وتقديرها: فتحرير رقبة لما قالوا.

وهذا أَيضاً قولٌ يُفْسد نَظْم الآية، وحُكي عن الأَخفش لكنه غير قوي[٥].

وقال قتادة، وطاوس، ومالك، والزهري، وجماعة كبيرة من أَهل العلم معنى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ أَي للوطءِ، المعنى: ثم يعودون لما قالوا إِنَّهم لا يعودون إِليه، فإِذا ظاهر الرجل ثم وَطِئ فحينئذ تلزمه الكفارة في ذمته وإِن طَلَّق أَو ماتت امرأَته[٦].

وقال الشافعي، وأَبو حنيفة، ومالك أَيضاً، وفريق من أَهل العلم: ﴿يَعُودُونَ﴾ معناه: بالعزم على إِمساك الزوجة وَوَطْئِهَا والتزام التكفير لذلك، فمتى وقع من المظاهِر هذا العزم فقد لزمت الكفارة ذمته، طلَّق أَو ماتت امرأَته[٧].

---

(١) انظر قول أهل الظاهر في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٤٥١).
(٢) لم أقف عليه.
(٣) في الحمزوية ونجيبويه: «بكر»، وهو بكير بن عبد الله بن الأشج المدني الفقيه مولى الأسود بن مخرمة، كان من أوعية العلم، مجمع على ثقته وجلالته، روى عن أبي أمامة بن سهل وسعيد بن المسيب وعنه ابنه مخرمة والليث، توفي سنة (١٢٧هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٤٨).
(٤) انظر قو ل بكير في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٤٥١).
(٥) إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٤٨).
(٦) انظر قول مالك في: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٤٥٠)، وانظر قول الباقين في: الأوسط (٩/ ٣٩٠).
(٧) انظر قول مالك في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٤٥٠)، وقول أبي حنيفة في المبسوط (٦/ ٢٧٣)، والشافعي في: أحكام القرآن للشافعي (١/ ٢٢٣-٢٢٥).

قال القاضي أبو محمد: وهذان القولان في مذهب مالك، وهما حَسَنان، لزمت الكفارة فيهما بشرطين: ظِهَارٌ وَعَوْدٌ.

واختلف في «العَوْد»، ما هو؟ فقال الشافعي: العَوْد الموجب للكفارة أَن يمسك عن طلاقها بَعْد الظِّهار، ويمضي[١] بعد الظِّهار ما يمكنه أَن يُطلِّق فيه فلا يُطلِّق[٢].

والرَّقَبَة في الظِّهار لا تكون عند مالك إِلَّا مؤمنة[٣]، ردَّ هذا المُطْلَق[٤] إِلى المُقَيَّد الذي في كفارة القتل الخطأ.

واختلف الناس في قوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ ـ فقال الحسن، والثوري، وجماعة: من قَبْل الوطءِ، وجَعَلَت المسيس هاهنا: الوطءَ، فأَباحت للمظاهِر التقبيل والمضاجعة والاستمتاع بأَعلى المرأَة كالحائض[٥].

وقال الجمهور من أَهل العلم: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ عامٌ في نوعَي المسيس: الوطءِ / والمباشرة، فلا يجوز لِمُظَاهر أَن يطأَ ولا يقبِّل ولا يلمس بيده ولا يفعل شيئاً من هذا النوع إِلَّا بعد الكفارة، وهذا قول مالك رحمه الله[٦]. [٥/ ١٨٧]

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إِشارة إِلى التَّحرير، أَي فَعَل ذلك عِظَةً لكم لتنتهوا عن الظِّهَار.

والـمُتَتَابِعُ في الشهرين صيامُهما، ولا يفرق بين أَيامهما، وجائز أَن يصومهما الرجل بالعدد فيصوم ستين يوماً تباعاً، وجائز أَن يصومهما بالأَهلة، يبدأُ مع الهلال ويفطر مع الهلال، وإِن جاءَ أَحد شهريه ناقصاً فذلك يجزئ عنه.

---

(١) في المطبوع: «وبمضي».
(٢) الأم (٥/ ٤٠٠).
(٣) المدونة (٢/ ٣٢٨).
(٤) «المطلق» ليست في الأصل.
(٥) في المطبوع: «الحيض»، وانظر قولهم في الأوسط (٩/ ٣٩٨).
(٦) انظر الاستذكار (٦/ ٥٤).

وجائز أَن يبدأَ صومه في وسط شهرين بِبعض الشهر الأَول فيصوم إِلى الهلال، ثم يصوم شهراً بالهلال، ثم يُتم الشهر الأَول بالعدد، ولا أَحفظ خلافاً من أَهل العلم أَن الصائم في الظِّهار إِن أَفسد التتابع باختياره أَنه يبدأُ صومهما(١).

واختلف الناس إِذا أَفسده لعذر غالب كالمرض والنسيان ونحوه: فقال أَصحاب الرأْي، والشافعي في أَحد قوليه، والنَّخعي، وابن جبير، والحكم بن عُتيبة، والثوري: يبتدئُ.

وقال مالك، والشافعي، وغيره: يَبْني(٢).

وأَجمعوا على الحائض أَنها تبني في صومها المُتتابع(٣).

وإِطعامُ المساكين في الظِّهار هو بالمُدِّ الهاشمي عند مالك، وهو مُدٌّ وثلث بِمُدِّ النبي ﷺ، وقيل: مُدَّان غير ثُلث(٤).

وروى عنه ابن وهب: أَنه يطعم [كل مسكين](٥) مُدَّين بِمُدِّ النبي ﷺ.

وفي العلماءِ من يرى إِطعام الظِّهار مُدّاً بِمُدِّ النبي ﷺ(٦).

ولا يُجزئ في إِطعام الظِّهار إِلَّا إِكمال عدد المساكين، ولا يُجزئ أَن يُطعم ثلاثين مَرَّتين ولا ما أَشبهه(٧).

---

(١) انظر الإجماع على صيام الشهرين بالأهلة والعدد وعلى المسألة التي بعدها في الإقناع (٣/ ١٣٤٧).

(٢) انظر قول أصحاب الرأي في: المبسوط (٧/ ١٣)، وقول الشافعي الأول في الأم (٥/ ٤٠٧)، والثاني في: الحاوي للماوردي (١٠/ ٤٩٩)، ومالك في المدونة (٢/ ٣٢٢)، وأحمد وإسحاق في: رواية الكوسج (٧٩٧)، والباقين في: الأوسط (٩/ ٤١٦). في أكثر النسخ «الحكم بن عيينة»، والتصويب من نجيبويه، وسقط ما بين الشافعي إلى الشافعي من أحمد ٣، والحمزوية.

(٣) انظر الإقناع (٣/ ١٣٤٧).

(٤) انظر مد هاشم المعتمد عند مالك واختلاف أتباع مذهبه في تقديره؛ في النوادر (٥/ ٣٠٧).

(٥) من الحمزوية ونجيبويه وأحمد٣ ونور العثمانية، وانظر رواية ابن وهب عن مالك في تفسير القرطبي (١٧/ ٢٨٦).

(٦) قال بذلك الشافعي في مذهبه الجديد، كما في معرفة السنن والآثار للبيهقي (٥/ ٥٣٩-٥٤٠).

(٧) وهو قول مالك في تفسير القرطبي (١٧/ ٢٨٦)، والشافعي في الأم (٥/ ٤٠٨)، وأبي ثور وابن المنذر في الأوسط (٩/ ٤٢٩).

والطعام هو غالب قوت البلد[١].

وقال مالك رحمه الله، وعطاءٌ، وغيره: إِطعام المساكين أَيضاً هو قبل التَّماسِّ حَمْلاً على العتق والصوم[٢]، وقال أَبو حنيفة، وجمهور من أَهل العلم: لم يَنُصَّ اللهُ تعالى على الشرط هنا، فنحن لا نلتزمه[٣]، وللمُظَاهر إِذا كان من أَهل الإطعام أَن يطأَ قَبْل الكفارة ويستمتع.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ﴾ إشارة إِلى الرخصة والتسهيل في النقل من التحرير إِلى الصوم والإِطعام، ثم شدَّد تعالى بقوله: (تِلْكَ حُدُودُ الله)؛ أَي: فالتزموها وقفوا عندها، ثم توعَّد الكافرين بهذا الحديث والحكم الشرعي.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٦ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾.

هذه الآية نزلت في المنافقين وقوم من اليهود كانوا في المدينة يَتَمَرَّسُون برسُول الله ﷺ والمؤمنين[٤]، ويتربصون بهم الدوائر، ويديرون عليه، ويتمنون فيه المكروه، ويتناجون بذلك، فنزلت هذه الآياتُ إِلى آخر أَمر النجوى فيهم.

و«المُحَادَّةُ»: أَن يعطي الإِنسان صاحبه حدَّ قوله أَو سلاحه وسائر أفعاله، وقال قوم: هي أَن يكون الإِنسان في حدٍّ وصاحبه في حدٍّ مخالف.

---

(١) انظر في هذا المعنى: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ١٢٧-١٢٨).

(٢) انظر قول مالك في المدونة (٢/ ٣٢٢)، وقول عطاء وغيره في الأوسط (٩/ ٤٠٠).

(٣) في المطبوع: «نلزمه»، وفي الحمزوية هنا زيادة: «جائز»، وانظر قول أبي حنيفة في: المبسوط (٦/ ٢٦٤)، وانظر مذهب من وافقوه في: الأوسط (٩/ ١٠٤).

(٤) «والمؤمنين» ليست في المطبوع.

وكُبت الرجلُ: إِذا بقي حزيناً يبصر ما يكره ولا يقدر على دفعه.

وقال قوم منهم أَبو عبيدة: أَصْلُه: كُبِدُوا؛ أَيْ: أَصابهم داءٌ في أَكبادهم، فأُبدلت الدال تاءً[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا غير قوي.

و﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ: هم منافقو[٢] الأُمم الماضية الذين حادُّوا الرسل عليهم السلام قديماً.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ يريد: في هذا القرآن، فليس هؤلاءِ المنافقون بأَعذر من المتقدمين.

وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾، العامل في ﴿يَوۡمَ﴾ قوله: ﴿مُّهِينٌ﴾.

ويحتمل أَن يكون فعلاً مضمراً تقديره: اذكر.

وقوله تعالى: ﴿وَنَسُوهُ﴾ نسيانٌ على بابه؛ لأَن الكافر لا يحفظ تفاصيل أَعماله، ولما أَخبر تعالى أنه على كل شيءٍ شهيد وَفَّقَ محمداً ﷺ توفيقاً تشاركه فيه أُمته.

وقوله تعالى: ﴿مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾، يحتمل من ﴿نَّجۡوَىٰ﴾ أَن يكون مصدراً مضافاً إِلى ﴿ثَلَٰثَةٍ﴾، كأَنه تعالى قال: مِن سِرَار ثلاثة.

ويحتمل ﴿نَّجۡوَىٰ﴾ أَن يكون المراد به جمعاً من الناس فسُمِّي بالمصدر، كما قال تعالى في آية أُخرى: ﴿وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٤٧]؛ أَي: أُولُو نجوى، فيكون قوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَةٍ﴾ على هذا بدلاً من ﴿نَّجۡوَىٰ﴾ أَو صفة. وفي هذا نظر.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾؛ أَي: بِعِلْمِهِ وإِحاطته ومقدرته.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿مَا يَكُونُ﴾.

---

(١) انظر قوله في الهداية لمكي (١١/ ٧٣٥٨).

(٢) في الأصل: «سابقوا»، والمثبت من النسخ الأخرى.

وقرأ أَبو جعفر القارئ، وأَبو حَيْوَة: ﴿مَا تَكُونُ﴾ بالتاءَ منقوطة من فوق[١].

وفي مصحف ابن مسعود: (وَلَا أَربعَة إِلَّا اللهُ خامسهم)، وكذلك: (إِلَّا اللهُ رابِعُهُم) و(إِلَّا اللهُ سَادِسُهُم)[٢].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾ عطفاً على اللفظ المخفوض.

وقرأَ الحسن، والأَعمش، وابن أَبي إِسحاق: ﴿وَلَا أَكْثَرُ﴾ بالرَّفع[٣] عطفاً على الموضع؛ لأَن التقدير: ما يكون نجوى، ومَنْ جعل «النجوى» مصدراً محضاً قدَّر قبل ﴿أَدْنَىٰ﴾ فعلاً تقديره: ولا يكون أَدنى.

وقرأَ الخليل بن أَحمد: (ولا أكبر) بالباءِ بواحدة من تحت[٤].

وباقي الآية بَيِّنٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾.

هذه الآية نزلت في قوم من اليهود نهاهم رسول الله ﷺ عن التناجي بحضرة المؤمنين وإِظهار ما يُستراب به من ذلك فلم ينتهوا فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد وقتادة[٥].

وقال ابن عباس: نزلت في اليهود والمنافقين[٦].

---

(١) وهي عشرية، انظر النشر (٢/ ٣٨٥)، والمحتسب (٢/ ٣١٤).

(٢) وهي شاذة، نقلها في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٥٠) عن أبي حاتم، عنه.

(٣) وهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٤٢٥)، وانظر عزوها للحسن في مختصر الشواذ (ص: ١٥٤).

(٤) وهي شاذة، انظرها في البحر المحيط (١٠/ ١٢٦)، وعزاها في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٣٥) للحسن.

(٥) الهداية لمكي (١١/ ٧٣٦٢)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٢٣٨)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٩٠).

(٦) أخرج الطبري (٢٣/ ٢٣٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ إلى ﴿فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ قال: كان المنافقون يقولون لرسول الله ﷺ إذا حيوه: سام عليكم، فقال الله: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وقرأَ جمهور القراءِ والناسُ: ﴿وَيَتَنَٰجَوۡنَ﴾ على وزن: يَتَفَاعلون.

وقرأَ حمزة، والأَعمش، وطلحة، وابن وثاب: ﴿وَيَنْتَجُونَ﴾ على وزن: يفتعلون(١).

وهما بمعنى واحد أَبداً؛ كـ: يَقْتَتِلُونَ ويتقاتلون / . [٥/ ١٨٨]

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (وعِصْيَان الرَّسول)(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ﴾ الآية، يريد بذلك ما كانت اليهود تفعله من قولهم في التحية: السَّامُ عليك يا محمد، وذلك أَنه رُوي أَن اليهود كانت تأْتي فتقول: السَّامُ عليك يا محمد ـ والسَّامُ: الموت، وإِيَّاه كانوا يريدون ـ فكان رسول الله ﷺ يقول: وعليكم، فسمعتهم عائشة رضي الله عنها يوماً فقالت: بل عليكم السَّام والذَّام واللعنة، فقال رسول الله ﷺ: «مهلاً يا عائشة، إِن الله يكره الفُحْش والتَّفَحُّش»، قالت: أَما سمعتَ ما قالوا؟ قال: «أَما سمعتِ ما قُلتُ لهم؟ إِني قلتُ: وعليكم»(٣).

ثمَّ كشف الله تعالى خُبث طويَّتهم والحُجَّة التي إِليها يستريحون، وذلك أَنهم كانوا يقولون: نحن الآن نلقى محمداً بهذه الأُمور التي تَسوؤُه ولا يُصيبنا سوءٌ، ولا يُعاقبنا الله تعالى بذلك، ولو كان نبيّاً لهلكنا بهذه الأَقوال، وجهلوا أَن أَمرهم مؤخر إِلى عذاب جهنم، فأَخبر الله تعالى بذلك، وأَنها كافِيَتُهم، وقال ابن عباس رضي الله عنه: هذه الآية كلها في المنافقين، ويُشبه أَن يكون في المنافقين من تخلَّق بخُلُق اليهود.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١٠﴾.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦٢٨)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٥١).

(٢) وهي شاذة، انظر إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٥١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٩٣٥)، ومسلم (٢١٦٥) من حديث عائشة، واللفظ لمسلم. و«الذام» من الأسدية٣ وأحمد٣.

وصَّى الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بألَّا يكون منهم تَناجٍ في مكروه، وذلك عام في جميع الناس إلى يوم القيامة، وخصَّ تبارك وتعالى الإِثم بالذكر لعمومه، والعُدْوان لعظمته في نفسه؛ إذ هي ظُلَاماتُ العباد.

وكذلك معصية الرسول ذكرها طعناً على المنافقين إذْ كان تناجيهم في ذلك.

وقرأ جمهور الناس: ﴿فَلَا تَتَنَاجَوْا﴾ على وزن: تَتَفَاعلوا.

وقرأ ابن محيصن: (فَلَا تَنَاجَوْا) بحذف التاءِ الواحدة.

وقرأ بعض القراءِ: (فَلَا تَّنَاجُوا) بتشديد التاءِ، لأَنها أُدغمت في التاءِ[١].

وقرأ الأَعمش وأَهل الكوفة: ﴿فَلَا تَنْتَجُوا﴾ على وزن: تَفْتَعِلُوا[٢].

والناس على ضم العين من (العُدْوان)، وقرأَها أَبو حيوة بكسر العين حيث وقع[٣].

وقرأ الضحاكُ وغيره: (وَمَعْصِيَاتِ الرُّسُلِ) على الجمع فيهما[٤].

ثم أَمر تعالى بالتَّناجي في البرِّ والتَّقوى، وذكَّر بالحشر الذي معه الحساب ودخول إِحدى الدارين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ﴾، ليست ﴿إِنَّمَا﴾ للحصر ولكنها لتأْكيد الخبر.

واختلف الناس في النجوى التي هي من الشيطان التي أَخبر عنها في هذه الآية:

فقال جماعة من المفسِّرين: أَرادَ: إِنما النَّجوى في الإِثم والعُدوان ومعصية الرَّسول من الشيطان.

---

(١) وهما شاذتان، انظرهما في إتحاف فضلاء البشر (١/ ٥٣٦)، والأولى في الشواذ للكرماني (ص: ٤٦٧).

(٢) وهي عشرية لرويس كما في النشر (٢/ ٤٢٥)، وانظر الأعمش في البحر المحيط (١٠/ ١٢٧).

(٣) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٦٧).

(٤) في أحمد٣: «وَمَعْصِيَاتِ الرَّسُولِ، على الجمع فيها»، وأشار لها في حاشية المطبوع وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٦٧).

وقال قتادة وغيره: الإِشارة إِلى نجوى المنافقين واليهود.

وقال عبد الله بن زيد بن أَسلم: الإِشارة إِلى نجوى قوم من المسلمين كانوا يقصدون مناجاة رسول الله ﷺ وليس لهم حاجة ولا ضرورة إِلى ذلك، وإِنما كانوا يريدون التَّنجح بذلك، وكان المسلمون يظنون أَن تلك النجوى في إِخبارٍ بعَدُوٍّ قاصِدٍ ونحوه[(١)].

قال القاضي أبو محمد: وهذان القولان يُعَضِّدهما ما يأْتي من أَلفاظ الآية، ولا يُعضِّد القول الأَول.

وقال عطية العَوْفي في هذه الآية: نزلت في المنامات[(٢)] التي يراها المؤمن فتسوؤُه، وفيما يراه النائم، فكأَنه نجوى يناجى بها.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول أَجنبي من المعنى الذي قبله والذي بعده.

وقرأَ نافع وأَهل المدينة: ﴿لِيُحْزِنَ﴾ بضم الياءِ وكسر الزاي، والفعل منسوب إِلى الشيطان، وقرأَ أَبو عمرو، والحسن، وعاصم، وغيرهم: ﴿لِيَحْزُنَ﴾ بفتح الياءِ وضم الزاي[(٣)].

تقول: حَزَنْتُ قلْبَ الرَّجلِ: إِذا جعلتَ فيه حُزناً، فهو كقولك: كَحَلْتُ العين، وهو ضرب من التعدِّي؛ كأَن المفعول ظرف.

وقد ذكر سيبويه رحمه الله تعالى هذا النوع[(٤)] من تَعَدِّي الأَفعال.

وقرأَ بعض الناس: (لِيَحْزَنَ) بفتح الياءِ والزاي[(٥)]، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ على هذه القراءَة رفعٌ بإِسناد الفعل إِليهم، يقال: حَزِنَ الرجل بكسر الزَّاي.

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٣/ ٢٤١)، والهداية لمكي (١١/ ٧٣٦٣).

(٢) في المطبوع: «المناجاة»، وفي نور العثمانية: «المقامات»، وانظر قوله في تفسير الطبري (٢٣/ ٢٤٢)، بتصرف.

(٣) وهما سبعيتان، الأولى لنافع خاصة، والثانية للباقين، كما تقدم مرارا، انظر التيسير (ص: ٩١).

(٤) في المطبوع: «المعنى».

(٥) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (١٠/ ١٢٧)، بلا نسبة.

ثم أَخبر تعالى أَن الشيطان والتناجي الذي هو منه ليس بضارٍّ أَحداً إِلَّا أَن يكون ضرٌّ بإِذن الله؛ أَي: بأَمره وقدره.

ثم أَمر تعالى بتوكل المؤمنين عليه تبارك وتعالى، وهذا كلُّه يُقوِّي أن التناجي الذي من الشيطان إِنما هو الذي وقع للمؤمنين منه خوف، وللخوف اللاحق للقلوب في هذا قال رسول الله ﷺ: «لا يتناجى اثنان دون الثالث»[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢﴾.

قرأَ جمهور الناس: ﴿تَفَسَّحُواْ﴾، وقرأ الحسن، وداود بن أَبي هند: (تَفَاسَحُوا)[2].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿في المجلس﴾، وقرأَ عاصم وحده وقتادة، وعيسى: ﴿فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ﴾[3].

واختلف الناس في سبب الآية والمقصود بها:

فقال ابن عباس[4]، والحسن، ومجاهد: نزلت في مقاعد الحرب والقتال[5].

---

(١) في المطبوع: «واحد»، وفي الأسدية٤: «ثالث»، والحديث متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٩٣٥) ومسلم (٢١٨٤) واللفظ له من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه».

(٢) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣١٤).

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٩).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٤٤-٢٤٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ذلك في مجالس القتال.

(٥) تفسير الماوردي (٥/ ٤٩٢)، والهداية لمكي (١١/ ٧٣٦٥)، بتصرف. ولم أقف على هذا القول منسوباً لمجاهد.

وقال زيد بن أَسلم، وقتادة: نزلت بسبب تضايق الناس في مجلس[(١)] النبي ﷺ، وذلك أَنهم كانوا يتنافسون في القرب منه وسماع كلامه والنظر إِليه، فيأْتي الرجل الذي له الحق والسنُّ والقدم في الإِسلام فلا يجد مكاناً، فنزلت الآية بسبب ذلك[(٢)].

وقال مقاتل: أَقام رسول الله ﷺ قوماً ليجلس أَشياخ من أَهل بدر ونحو ذلك، فنزلت الآية[(٣)].

وروى أَبو هريرة رضي الله عنه: أَن النبي ﷺ قال: «لا يقم أَحدٌ من مجلسه ثم يجلس فيه الرجل، ولكن تفسَّحوا يفسح الله لكم»[(٤)].

وقال بعض الناس: إِنما الآية مخصوصة في مجلس النبي ﷺ وليست في سائر المجالس، ويدل على ذلك قراءَة من قرأَ: ﴿في المجلس﴾.

ومن / قرأَ: ﴿فِي ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ فذلك مرادٌ أَيضاً؛ لأَن لكل أَحد مجلساً في بيت [٥/ ١٨٩] النبي ﷺ وموضعه، فجمع لذلك.

وقال الجمهور من أَهل العلم: السبب مجلس النبي ﷺ والحُكم مُطَّردٌ في سائر المجالس التي هي للطَّاعات، ومنه قول النبي ﷺ: «أَحبكم إِلى الله أَلْيَنُكُمْ مناكب في الصلاة ورُكَباً في المجالس»[(٥)]، وهذا قول مالك رحمه الله تعالى، وقال: ما أَرى الحكم

(١) في الأصل: «المسجد»، والمثبت من النسخ الأخرى.
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٤٤)، والهداية لمكي (١١/ ٧٣٦٥).
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٢٦٢).
(٤) متفق على معناه من حديث ابن عمر، أخرج حديث أبي هريرة: ابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٠٩٢، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٣٨-٤٨٣ ٥٢٣) من طريق فليح بن سليمان، عن أيوب بن عبد الرحمن، عن يعقوب بن أبي يعقوب، عن أبي هريرة مرفوعاً.
والحديث في الصحيحين من حديث ابن عمر، أخرجه البخاري (٦٢٦٩) بلفظ: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه»، ومسلم (٢١٧٧) وعنده زيادة في أحد الطرق: «ولكن تفسحوا وتوسعوا».
(٥) ضعيف، أخرجه ابن عدي في الكامل (٤/ ١٨٤) من طريق عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحبكم إلى الله ألينكم =

إِلَّا يطردُ في مجالس العلم ونحوها غابرَ الدهر[١].

ويؤيد هذا القول قراءَة من قرأَ: ﴿فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾، ومن قرأَ: ﴿في المَجْلِسِ﴾ فذلك ـ على هذا التأْويل ـ اسم جنس، فالسُّنَّة المندوب إِليها هي التَّفَسُّح، والقيامُ منهيٌّ عنه، في حديث النبي ﷺ حيث[٢] نهى أَن يقوم الرجلُ فيجلسُ الآخرُ في مكانه.

فأَمَّا القيام إِجلالاً؛ فجائز بالحديث، وهو قوله ﷺ حين أَقبل سعد بن معاذٍ رضي الله عنه: «قوموا إِلى سيدكم»[٣]، وواجب على المعظَّم أَلَّا يُحِب ذلك ويأْخذ الناس به[٤]، لقوله ﷺ: «من أَحبَّ أن يتمثل له الرجال قياماً فَلْيَتَبَوَّأْ مقعده من النار»[٥].

= ركباً في الناس وألينكم مناكب في الصفوف»، وعبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير قال فيه: متروك الحديث، ضعيف الحديث، وانظر الجرح والتعديل (٥/ ١٥٨). وأخرج أبو داود (٦٧٢) والبزار (٥١٩٥)، وابن خزيمة (١٥٦٦)، وابن حبان (١٧٥٦) والبيهقي في الكبرى (٣/ ١٠١) من طريق أبي عاصم، عن جعفر بن يحيى بن ثوبان، عن عمه عمارة بن ثوبان، عن عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم ألينكم مناكب في الصلاة»، وإسناده ضعيف؛ لجهالة جعفر بن يحيى ابن ثوبان الحجازي، هو وعمه.

(١) انظر قول مالك في: أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٢٠١)، وقول الجمهور في: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٦٢-٦٣).

(٢) في المطبوع: «حديث»، وفي أحمد٣: «حين»، والحديث سبق قريباً.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٠٤٣) ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) انظر في ذلك: أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٧٨)، وشرح النووي على مسلم (١٢/ ٩٣).

(٥) حسنه الترمذي، أخرجه أحمد (٤/ ٩١-٩٣-١٠٠)، وعبد بن حميد (٤١٣) والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٧)، وأبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٥)، والطبراني في الكبير (٨٢٠)، وفي الأوسط (٨٣٧) من طريق حبيب بن الشهيد، عن أبي مجلز لاحق بن حميد قال: خرج معاوية، فقام عبد الله بن الزُّبير، وابن صفوان، حين رأوه، فقال: اجلسا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سرَّه أن يتمثَّل له الرِّجال قياماً، فليتبوَّأ مقعده من النَّار»، قال الترمذي: حديث حسن، وحدثنا هناد حدثنا أبو أسامة عن حبيب بن الشهيد عن أبي مجلز عن معاوية عن النبي ﷺ مثله.اهـ. قال ابن القيم في حاشيته على أبي داود (١٤/ ٨٥): وهذا الإسناد على شرط الصحيح.

وقوله تعالى: ﴿يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ معناه: في رحمته وجنَّته.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ معناه: إِذا قيل لكم ارتفعوا وقوموا فافعلوا ذلك، ومنه نُشوز العظام؛ أَي: نباتها، والنشز من الأَرض: المرتفع، واختلف الناس في هذا النشوز الذي أُمروا بامتثاله إذا دعوا إليه[١]، ما هو؟

فقال الحسن، والضحاك، وقتادة: معناه: إِذا دُعوا إِلى قتال أَو طاعة أَو صلاة ونحوه[٢].

وقال آخرون: إِذا دعوا إِلى القيام عن النبي ﷺ؛ لأَنه ﷺ أَحياناً كان يُحب الانفراد في أَمر الإِسلام، فربما جلس قوم وأَراد كل أَحد أَن يكون آخر الناس عهداً بالنبي ﷺ، فنزلت الآية آمرةً بالقيام عنه متى فهم ذلك بقول أَو فعل[٣].

وقال آخرون: معناه: انشزوا في المجلس بمعنى: التَّفَسُّح؛ لأَن الذي يريد التوسعة يرتفع إِلى فوق في الهواءِ، فإِذا فعل ذلك جملة اتسع الموضع، فيجيءُ ﴿ٱنشُزُواْ﴾ في غرض واحد مع قوله تعالى: ﴿تَفَسَّحُواْ﴾.

وقرأَ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿ٱنشُزُواْ﴾ برفع الشين، وهي قراءَة أَبي جعفر، وشيبة، والأَعرج.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿انْشِزُوا﴾ بكسر الشين فيهما، وهي قراءَة الحسن، والأَعمش، وطلحة[٤].

يقال: نَشَزَ يَنْشُزُ ويَنْشِز؛ كَحَشَرَ يَحْشُرُ ويَحْشِر، وعَكَفَ يَعْكُف ويَعْكِف.

وقوله: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ﴾ جواب الأَمر.

---

(١) «إذا دعوا إليه» ليس في المطبوع.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٤٥-٢٤٦)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٩٢).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٤٦) عن ابن زيد من قوله.

(٤) وهما سبعيتان، وبقي شعبة، وله الوجهان، انظر التيسير (ص: ٢٠٩).

واختلف الناس في ترتيب قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾:

فقال جماعة من المتأولين: المعنى: يرفع الله المؤمنين العلماءَ منكم درجات، فلذلك أَمر بالتَّفَسُّح من أَجلهم، ويجيءُ ـ على هذا ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ منزلة قولك: جاءَني العاقلُ والكريمُ والشجاعُ، وأَنت تريد بذلك رجلاً واحداً.

وقال آخرون: المعنى: يرفع اللهُ المؤمنين والعلماءَ، الصِّنْفين[١] جميعاً درجات، لكنا نعلم تفاضلهم في الدرجات من مواضع أُخر، ولذلك جاءَ الأَمر بالتَّفَسُّح عامّاً للعلماءِ وغيرهم.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وغيره: المعنى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾، وتمَّ القولُ، ثم ابتدأَ بتخصيص العلماءِ بالدرجات[٢]، ونصبهم بإِضمار فعل، فالمؤمنون رفع على هذا التأْويل، وللعلماءِ درجات.

وعلى هذا التأْويل قال مطرِّف بن عبد الله بن الشخِّير: فضل العلم أَحب إِلي من فضل العبادة، وخير دينكم الورع[٣].

ثم توعَّد تعالى وحذَّر بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ الآية، رُوي عن ابن عباس، وقتادة في سببها: أَنَّ قوماً من شباب المؤمنين وأغفالهم[٤] كثرت مناجاتهم للنبي ﷺ في غير حاجة إِلَّا لتظهر منزلتهم، وكان رسول الله ﷺ سمحاً لا يردُّ أَحداً، فنزلت هذه الآية مشدِّدة عليهم في أَمر المناجاة[٥].

---

(١) في الأصل: «المصنفين».

(٢) انظر الدر المنثور (١٤/ ٣٢٤).

(٣) انظر قول مطرف في: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ١٤٢).

(٤) «وأغفالهم» سقط من المطبوع والحمزوية، وفي الأسدية٣ وأحمد٣: «وأعقابهم».

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٤٩) وغيره من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

وقال مقاتل: نزلت في الأَغنياءِ لأَنهم غلبوا الفقراءَ على مناجاة رسول الله ﷺ وعلى مجلسه[١].

وقال جماعة من الرواة: لم يُعمل بهذه الآية بل نُسخت قبل العمل، لكن استقر حكمها بالعزم عليه، كأَمر إِبراهيم عليه السلام في ذبح ابنه عليه السلام، وصحَّ عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أَنه قال: ما عمل بها أَحدٌ غيري، وأَنا كنتُ سبب الرُّخصة والتخفيف عن المسلمين، وذلك لأَني أَردت مناجاة النبي ﷺ في أَمر ضروري، فصرفت ديناراً بعشرة دراهم، ثم ناجيته عَشْر مرَّاتٍ، أُقدِّم في كل مرَّة درهماً. وروي عنه: أَنه تصدَّق في كل مرَّة بدينار، قال عليٌّ رضي الله عنه: ثم فهم رسول الله ﷺ أَن هذه العبادة قد شقَّت على الناس، فقال لي: «يا عليُّ! كم ترى أَن يكون حدُّ هذه الصدقة؛ أَتراه ديناراً؟» قلت: لا، قال: «فنصف دينار؟» قلت: لا، قال: «فكم؟» قلت: حبَّةٌ من شعير، قال: «إِنَّكَ لزهيد».

فأَنزل الله تعالى الرخصة[٢].

---

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٦١).

(٢) الشطر الأول منه صحيح، دون الثاني، أخرج الأول: ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٧٨٨)، وإسحاق ابن راهويه في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٥٨٥٤) من طريق ليث بن أبي سليم، عن مجاهد قال: قال علي، رضي الله عنه: إن في كتاب الله، عَزَّ وَجلَّ، لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي آية النجوى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ إلى آخر الآية. قال: كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم فناجيت النبي ﷺ فكنت، كلما ناجيته قدمت بين يدي نجواي درهماً، ثم نسخت، فلم يعمل بها أحد فنزلت: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖ﴾ إلى آخر الآية، وهذا ضعيف ومنقطع، لعدم سماع مجاهد من علي بن أبي طالب، لكن أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨٢-٤٨٣) من طريق منصور، عن مجاهد، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى، عن علي بن أبي طالب به، وهذا إسناد صحيح، أما الشطر الثاني منه فقد أخرجه عبد بن حميد في مسنده (٩٠)، والترمذي (٣٣٠٠)، والنسائي في الكبرى (٨٤٨٤)، وأبو يعلى (٤٠٠)، والبزار (٦٦٨)، وابن حبان (٦٩٤١-٦٩٤٢) من طريق سفيان الثوري، عن عثمان بن المغيرة الثقفي، عن سالم بن أبي الجعد، عن علي بن علقمة، عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ﴾ قال لي رسول الله ﷺ: «ما ترى =

قال القاضي أبو محمد: يريد للواجدين[١]، وأمَّا من لا يجد فالرخصة له ثابتة أولا بقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقال مقاتل: بقي هذا الحكم عشرة أيامٍ[٢].

وقال قتادة: بقي ساعة من نهار[٣].

وقرأ الجمهور من الناس: ﴿صَدَقَةً﴾ بالإفراد، وقرأ بعض القراءِ: (صَدَقَاتٍ) بالجمع[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ

= ديناراً»؟ قلت: لا يطيقونه. قال: «فكم»؟ قلت: شعيرة. قال: «إنك لزهيد» فنزلت ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ قال: «فبي خفف الله عن هذه الأمة». وعلي بن علقمة الأنماري الكوفي لم يرو عنه إلا سالم بن أبي الجعد، قال البخاري: في حديثه نظر، وقال ابن حبان: منكر الحديث ينفرد عن علي بما لا يشبه حديثه، فلا أدري سمع منه سماعاً أو أخذ ما يروى عنه عن غيره، والذي عندي ترك الاحتجاج به إلا فيما وافق الثقات من أصحاب علي في الروايات.اهـ. انظر التاريخ الكبير (٦/ ٢٨٩)، والمجروحين (٢/ ١٠٩)، وفي الباب عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أخرجه الطبراني في الكبير (٣٣١) من طريق سلمة ابن الفضل، عن محمدبن إسحاق، عن أبي إسحاق الهمداني، عن مصعب بن سعد عن سعد رضي الله عنه قال: نزلت في ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل نزل تحريم الخمر نادمت رجلاً فعارضته وعارضني فعربدت عليه فشججته فأنزل الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ إلى قوله ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ ونزلت في ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾ إلى آخر الآية ونزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ فقدمت شعيرة فقال رسول الله ﷺ: «إنك لزهيد» فنزلت الأخرى ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ الآية كلها، قال الهيثميُّ في المجمع (٧/ ٢٦٠): فيه سلمة بن الفضل الأبرش وثقه ابن معين وغيرُهُ، وضعَّفه البخاريُّ وغيرُهُ اهـ. قلت: وابن إسحاق مدلس وقد عنعن.

(١) في المطبوع: «للواجد»، وسقطت منه: «يريد»، وسقطت «أو لا» من المطبوع والحمزوية ونجيبويه.

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٦٢).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٤٩)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٦٩).

(٤) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (١٠/ ١٢٩).

تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾﴾.

«الإِشفاقُ»: الفزع من العجز عن الشيءِ المُتَصَدَّق به أَو من ذهاب المال في الصدقة، وله وجوه كثيرة يقال فيها الإِشفاق، لكنه في هذا الموضع كما ذكرت.

و(تَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ): معناه: رجع بكم.

وقوله تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية، / معناه: دوموا على هذه الأَعمال التي هي قواعد شرعكم، ومَنْ قال: إِن هذه الصدقة منسوخةٌ بآية الزكاة؛ فقوله ضعيف لا يحصِّل كيفية النسخ، وما ذُكر في نحو هذا عن ابن عباس لا يصح عنه[1]، والله تعالى أَعلم. [٥/ ١٩٠]

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟﴾؛ نزلت في قوم من المنافقين تولوا قوماً من اليهود وهم المغضوب عليهم.

وقال الطبري: ﴿مَّا هُم﴾ يريد به المنافقين، و﴿مِّنكُمْ﴾ يريد به المؤمنين، و﴿مِنْهُمْ﴾ يريد به اليهود[2].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا التأْويل يجري مع قوله تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٣]، ومع قوله ﷺ: «مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين»[3]؛ لأَنه مع المؤمنين بقوله، ومع الكافرين بقلبه.

لكن هذه الآية تحتمل تأْويلاً آخر: وهو أَن يكون قوله تعالى: ﴿مَّا هُم﴾ يريد به اليهود.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٢٤٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٥٢-٢٥٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٨٤) وغيره من حديث ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تَعِيرُ إلى هذه مرة وإلى هذه مرة».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾ يريد به المنافقين، فيجيءُ فعل المنافقين ـ على هذا التأْويل ـ أَخسَّ؛ لأَنهم تولَّوْا قوماً مغضوباً عليهم ليسوا من أَنفسهم فيلزمهم ذِمامُهم، ولا من القوم المُحِقِّين فتكون الموالاة صواباً.

وقوله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ﴾ يعني المنافقين؛ لأَنهم كانوا إِذا وُقفوا على ما يأْتون به من بُغض النبي ﷺ وشتمه وموالاة عدُوِّه حلفوا أَنهم لا يفعلون ذلك واستسهلوا الحنث.

ورُوي من هذا نوازل كثيرة اختصرتها إِيجازاً، وإِذا تُتُبِّعت في المصنفات وُجدت؛ كقول ابن أُبَيٍّ: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [المنافقون: ٨]، وحَلْفه على أَنه لم يفعل، وغير ذلك.

و«الْعَذَابُ الشَّدِيدُ»: هو عذاب الآخرة.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿أَيْمَٰنَهُمْ﴾ جمع يَمين.

وقرأَ الحسن: (إِيمَانَهُمْ)[1]؛ أَي: ما يظهرونه من الإِيمان.

و«الْـجُنَّةُ»: ما يُتَسَتَّر به ويُتَّقَى المحذور، ومنه: المِجَنُّ، وهو التُّرْسُ.

وقوله: ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أَن يكون الفعل غير مُتَعَدٍّ، كما تقول: صَدَّ زيْدٌ، أَي: صدُّوا هم أَنفُسهم عن سبيل الله وعن الإِيمان برسوله، ويحتمل أَن يكون الفعل متعدياً؛ أَي: صدُّوا غيرهم من الناس عن الإِيمان ممَّن اقتدى بهم وجرى في مضمارهم، ويحتمل أَن يكون المعنى: فصدُّوا المسلمين عن قتلهم، وتلك سبيل الله فيهم لكن ما أَظهروه من الإِيمان صدُّوا به المسلمين عن ذلك، و«الْمُهين»: المُذِلُّ، من الهوان.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾.

---

(١) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣١٤).

رُوي أَن المنافقين فخروا بكثرة أَموالهم وأَولادهم وأَظهروا السرور بذلك، فنزلت الآية معلمةً أَن ذلك لا غَناءَ له عنهم ولا مدفع بسببه(١).

والعامل في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ﴾: ﴿أَصْحَٰبُ﴾ على تقدير فعل.

وأَخبر الله تعالى عنهم في هذه الآية أَنه(٢) ستكون لهم أَيْمان يوم القيامة وبين يدي الله تعالى يُخَيَّل إِليهم بجهلهم أَنها تنفعهم وتُقبل منهم، وهذا هو حسابُهم أَنهم على شيءٍ؛ أَي: على فِعْل أَيِّ شيءٍ نافع لهم، وقال ابن عباس ـ في كتاب الثعلبي ـ: قال ﷺ: ينادي منادٍ يوم القيامة: أَين خُصماءُ الله؟ فتأْتي القدرية مسودَّةً وجوههم، مزرقة أَعينهم، فيقولون: والله ما عبدنا شمساً ولا قمراً، ولا صنماً(٣)، ولا اتخذنا من دونك إلـهاً(٤)»، قال ابن عباس: صَدَقوا والله ولكن أَتاهم الإِشراك من حيث لا يعلمون، ثمَّ تَلَا ابن عباس هذه الآية(٥).

وقوله: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ معناه: تملَّكهم من كل جهة وغَلَب على نفوسهم، وهذا الفعل ممَّا استُعمل على الأَصل، فإِن قياس التعليل يقتضي أَن يقال: اسْتَحَاذَ.

وحكى الفراءُ في «كتاب اللغات»: أَن عمر رضي الله عنه قرأَ: (اسْتَحَاذَ)(٦).

و﴿يُحَآدُّونَ﴾ معناه: يعطون الحدَّ من الأَفعال والأَقوال.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في المطبوع: «أنهم».

(٣) «ولا صنماً» ليست في المطبوع وأحمد**٣** ونور العثمانية.

(٤) في الأصل: «أولياء».

(٥) ضعيف، أخرجه الثعلبي في تفسيره (**٩/ ٢٦٣**) قال أخبرنا الحسن بن محمّد قال: حدّثنا أحمد ابن يعقوب الأنباري قال: حدّثنا أبو حنيفة محمّد بن حنيفة بن ماهان الواسطي قال: حدّثنا إبراهيم ابن سليم الهجمي قال: إبراهيم بن سليمان الدباس، عن ابن أخي رواد، عن الحكم بن عتيبة، عن مقسم، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، بنحوه، ومحمد بن حنيفة بن ماهان قال فيه الدارقطني. ليس بقوي، وإبراهيم بن سليمان الدباسي لم يوثق توثيقاً معتبراً. و«ابن عباس» ليست في المطبوع.

(٦) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٦٨).

وقال بعض أَهل العلم بالمعاني: معناه: يكونون في حدٍّ غير الحدِّ الذي شرع الله تبارك وتعالى، ثم قضى الله تعالى على مُحادِّه بالذل، وأَخبر بأَنه كتب فيما أَمضى من قضائه وقدره في الأَزَل أنه يغلب هو ورسله كلَّ من حادَّ الله والرُّسل.

وقرأ نافع، وابن عامر: ﴿وَرُسُلِيَ﴾ بفتح الياءِ، وقرأَ الباقون بسكونها[1].

وقال الحسن وغيره: ما أَمر الله تعالى قطُّ رسولاً بالقتال إِلَّا وأَغلبه وظفَّره بقوته وعزَّته، لا ربَّ سواه، وقال غيره: ومن لم يؤمر بقتال فهو غالبٌ بالحُجَّة[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

نفت هذه الآية أَن يوجد من يؤمن بالله تعالى حق الإِيمان ويلتزم شُعبه على الكمال يُوادُّ كافراً أَو منافقاً، ومعنى (يُوَادُّ): يكون بينهما من اللطف بحيث يودُّ كل واحد منهما صاحبه، وعلى هذا التأْويل قال بعض الصحابة رضي الله عنهم: اللهم لا تجعل لمشرك قِبَلي يداً فتكون سبباً للمودَّة، فإِنَّك تقول؛ وتلا هذه الآية[3].

وتحتمل الآية أَن يُراد بها: لا يوجد من يؤمن بالله والبعث يُوَادُّ من حادَّ الله من حيث هو محادٌّ؛ لأَنه حينئذ يودُّ المحادَّة، وذلك يوجب أَلَّا يكون مؤمناً.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٩).

(٢) لم أقف عليه، ولفظة «وغيره» ليست في المطبوع ونجيبويه ونور العثمانية.

(٣) ضعيف بنحوه، ولكن جاء عن ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (١٤/ ٣٢٩) من رواية كثير بن عطية، عن رجل لم يسم: أن النبي ﷺ قال: «اللهم لا تجعل لفاجر عندي يداً فيحبه قلبي»، وأخرجه أبو منصور الديلمي في الفردوس من حديث معاذ كما في الدر المنثور (١٤/ ٣٣١)، قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٦٠١) وأخرجه أبو موسى المديني في كتاب تضييع العمر والأيام من طريق أهل البيت مرسلاً، وأسانيده كلها ضعيفة.اهـ.

ويُروى أَن هذه الآية نزلت في شأْن حاطب بن أَبي بَلْتعة ومخاطبته أَهل مكة(١).

وظاهر هذه الآيات أَنها متصلة المعنى، وأَن هذه في معنى الذَّم للمنافقين الموالين لليهود، وإِذا قُلنا إِنها في أَمر حاطب جاءَ ذلك أَجنبيّاً في أَمر المنافقين وإِن كان شبيهاً به.

و«الإِخوان» هنا: إِخوة النَّسب؛ بدليل اقترانه بالآباءِ والأبناء(٢).

وعُرْفُ الإِخوان أَنه في الأَودَّاءِ، كما أَن عُرْفَ الإِخوة أَنه في النسب، وقد / [٥/ ١٩١] يكون مستعملاً في إِخاءِ الوُدِّ.

و﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ﴾ معناه: أَثبته وخلَقه بالإِيجاد، وذهب أَبو علي الفارسي وغيره من المعتزلة إِلى أَن المعنى: جعل في قلوبهم علامات تعرف الملائكة بها أَنهم مؤمنون، وذلك لأَنهم يرون أن العبد يخلق إِيمانه(٣)، وقد صرَّح النقَّاشُ بهذا المذهب.

وما أُراه قاله إِلَّا غير مُحَصِّل لما قال، وأَمَّا أَبو علي الفارسي فَعَن بصرٍ به(٤).

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿كَتَبَ﴾ على بناءِ الفعل للفاعل، و﴿ٱلْإِيمَٰنَ﴾ بالنصب.

وقرأَ أَبو حَيْوة، وعاصم في رواية المفضل عنه: (كُتِبَ) على بناءِ الفعل للمفعول، و(الإِيمَانُ) بالرفع(٥).

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إِشارة إِلى المؤمنين الذين تقتضيهم معنى الآية؛ لأَن المعنى: لكنك تجدهم لا يُوادُّون من حادَّ الله.

---

(١) ذكر هذا القول الثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٦٤).

(٢) «الأبناء» ليست في المطبوع.

(٣) انظر قول أبي علي في كتابه الحجة (٦/ ٢٨٢)، ونسبة القول للمعتزلة في مفاتيح الغيب للرازي (٢٩/ ٢٤١).

(٤) في الأصل ونجيبويه والحمزوية ونور العثمانية: «بصيرته».

(٥) وهي شاذة، نسبها للمفضل في السبعة (ص: ٦٣٠).

وقوله تعالى: ﴿بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾: بِهُدًى وَلُطف ونور وتوفيق إلهي ينقدح من القرآن ومن كلام النبي ﷺ.

وقيل: المعنى: بالقرآن، لأَنه روحٌ.

وقيل: المعنى: بجبريل عليه الصلاة والسلام.

و«الْحِزْبُ»: الفريق الذي يجمعه مذهب واحد.

و«الْمُفْلِحُ»: الفائز بِبُغْيَتِه.

وباقي الآية بَيِّنٌ.

كمل تفسير (سورة المجادلة)، والحمد لله ربِّ العالمين

سُورَةُ الحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الحشر

هذه السُّورة مدنيَّة باتفاق من أَهل العلم، وهي سورة بني النَّضير؛ وذلك أَن رسول الله ﷺ كان قد عاهد بني النَّضير على سِلْمٍ وهم يرون أَنه لا تُردُّ له رايةٌ، فلما جرت هزيمة أُحُد ارتابوا وداخلوا قريشاً وغدروا، فلما رجع النبي ﷺ من أُحد تبيَّن له معتقد بني النَّضير وغدرهم بعهده وموالاتهم للكفَّار، فجمع إِليهم وحاصرهم وعاهدهم على أَن يُجليهم عن أَرضهم، فارتحلوا إِلى بلاد مختلفة: خيبر والشام وغير ذلك من البلاد، ثم كان أَمر بني قُرَيْظَة مرجعه ﷺ من الأَحزاب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢)﴾.

قد تقدَّم القول في تسبيح الجمادات التي يتناولها عموم ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، وأَن أَهل العلم اختلفوا في ذلك، فقال قوم: ذلك على الحقيقة، وقال آخرون: ذلك مجاز؛ أَي: أَن آثار الصنعة فيها والإِيجاد لها كالتسبيح وداعية إِلى التسبيح مِمَّن له أَن يسبح.

وقال مكي: ﴿سَبَّحَ﴾ معناه: صلَّى وسجد[١]، فهذا كله بمعنى الخضوع والطوع.

و﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ صفتان مناسبتان لما يأْتي بعد من قصة العدو الذين أَخرجهم من ديارهم.

و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: هم بنو النَّضير، وكانت قبيلة عظيمة من بني إِسرائيل موازية في الْقَدْر والمنزلة لبني قريظة، وكان يقال للقبيلتين: الكاهنان؛ لأَنهما من ولد الكاهن بن هارون، وكانت أَرضُهم وحصونهم قريبةً من المدينة، ولهم نخل وأَموال عظيمة، فلما رجع رسول الله ﷺ من أُحُد خرج إِلى بني النضير فحاصرهم وأَجلاهم على أَن يحملوا من أَموالهم ما أَقلَّته إبلهم حاشا الحلقة ـ وهي جميع السلاح ـ، فخرجوا إِلى بلاد مختلفة؛ فذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ اختلف الناس في معنى ذلك بعد اتفاقهم على أَن «الْحَشْر»: هو الجمع والتوجيه إِلى ناحية ما:

فقال الحسن بن أَبي الحسن، وغيره: أَراد تعالى حَشْر القيامة؛ أَي: هذا أَوله، والقيام من القبور آخره[٢].

وروى الحسن: أَن النبي ﷺ قال لهم: «امضوا، هذا أَول الحشر وأَنا على الأَثر»[٣].

وقال عكرمة، والزهري[٤]، وغيرهما: المعنى: لِأَوَّل موضع الحشر وهو الشام، وذلك أَن أَكثر بني النضير جاءَت إِلى الشام.

---

(١) الهداية لمكي (١١/ ٧٣٧٧).

(٢) تفسير الماوردي (٥/ ٤٩٩) بتصرف.

(٣) مرسل، أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٥٨)، والطبري (٢٣/ ٢٦٣)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٥٩) من طريق عوف بن أبي جميلة، عن الحسن مرسلاً. وضبطت في بعض المصادر «إنا» بكسر الهمزة على صيغة الجمع.

(٤) في المطبوع: «والزهراوي».

وقد رُوي أَن حشر القيامة هو إِلى الشام(١)، وأن النبي ﷺ قال لبني النضير: «اخرجوا»، قالوا: إِلى أَين يا محمد؟ قال: «إِلى أَرض المحشر»(٢).

وقال قوم ـ في كتاب المهدوي ـ: المرادُ الحشر في الدنيا الذي هو الجلاءُ والإِخراج(٣).

فهذا الذي فعل رسول الله ﷺ ببني النَّضير أَوَّلُه، والذي فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأَهل خيبر آخره، وأَخبرت الآية بمغيب، وقد أَخبر النبي ﷺ أيضاً بجلاءِ أَهل خيبر(٤).

ويحتمل أن يكون آخر الحشر في قول النبي ﷺ في مرضه: «لَا يَبْقَيَنَّ دينان في جزيرة العرب»(٥)، فإِن ذلك يتضمن إِجلاءَ بقاياهم.

قال الخليل ـ فيما حكى الزجاج: سميت جزيرة لأَنه أَحاط بها بحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات(٦). وفي هذه الإِحاطة نظر.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٦٢)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٥٨)، والهداية لمكي (١١/ ٧٣٧٨).

(٢) ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٨٥٠) من طريق ابن عيينة عن أبي سعد عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: من شك في أن أول المحشر هاهنا يعني الشام، ليتل هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ قال لهم رسول الله ﷺ: «اخرجوا» قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر». وأبو سعد، هو سعيد بن المرزبان العبسي ضعيف مدلس.

(٣) التحصيل للمهدوي (٦/ ٣٧٢).

(٤) الذي وقفت عليه ما أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٦٢) من طريق سعيد بن بشير، عن قتادة ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ قيل: الشام، وهم بنو النضير حي من اليهود، فأجلاهم نبي الله ﷺ من المدينة إلى خيبر، مرجعه من أحد.

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (١٥٨٣) ـ رواية الليثي ـ عن إسماعيل بن أبي حكيم أنه سمع عمر بن عبد العزيز يقول: كان من آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال: «قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لا يبقين دينان بأرض العرب». وهذا مرسل، وفي الباب عن أبي هريرة، وعائشة رضي الله عنهما. وانظر البدر المنير (٩/ ١٩٢)، والتلخيص الحبير (٤/ ٣١٦).

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٤٤).

وقوله تعالى: ﴿مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْ﴾ معناه: لِمَنَعَتِهم وكثرة عددهم، فلم تكن آمالكم وظنونكم تنتهي إِلى أَنهم يخرجون ويَدَعون أَموالهم لكم، وبحسب ذلك من المنعة والعُدَّة والتَّحصُّن ظنُّوا أَنهم لن يُقْدَرَ عليهم.

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يريد: من جُند الله وحزب الله.

وقوله تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ عبارة عن إِظهار الله تعالى المسلمين عليهم وإِلقائهم في حيِّز الهزم والذل.

وقرأَ الجمهور: ﴿ٱلرُّعۡبَ﴾ بسكون العين.

وقرأَ أَبو جعفر، وشيبة: ﴿الرُّعُبَ﴾ بضم العين[١].

واختلف المتأَولون في معنى قوله تعالى: ﴿يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾:

فقال الضحاك، والزجاج، وغيرهما: كلما هدم المسلمون من تحصينهم في القتال هدموا هم من البيوت وجبروا[٢] الحِصْن دأباً، فهذا معنى تخريبهم[٣].

وقال الزهري[٤] وغيره: كانوا لما أُبيح لهم ما تستقل به الإِبل لا يدعون خشبةً حسنةً ولا نِجافاً[٥] ولا ساريةً إِلاَّ قلعوها وخربوا البيوت عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ من حيث فِعْلُهم بكفرهم داعية إِلى تخريب المؤمنين بيوتَهم، فكأَنهم قد خربوها هم بأيدي المؤمنين.

---

(١) وهي سبعية، لابن عامر والكسائي كما في التيسير في (ص: ٩١)، وأبي جعفر ويعقوب كما في النشر (٢/ ٢١٦).

(٢) في الأصل: «وخربوا».

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٦٥)، وتفسير الماوردي (٥/ ٥٠٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٦٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٥/ ١٤٤).

(٤) في الأصل ونجيبويه: «الزهراوي»، ولم أقف عليه.

(٥) النِّجاف: أسكُفَّةُ الباب، أو هو الذي يستقبل الباب من أَعلى الأسْكُفَّة، ويقال له: الدَّوَّارة، والأسْكُفة هي العَتَبَة.

وقال جماعة من المفسرين: إنهم لما أزمعوا الجلاءَ شحوا / على ترك البيوت [٥/ ١٩٢] سليمة للمؤمنين فهدموا وخربوا بمعنى الإفساد على من يأتي.

وقال قتادة: خرب المؤمنون من خارج ليدخلوا وخربوا هم من داخل[١].

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿يُخْرِبُونَ﴾ بسكون الخاءِ وتخفيف الراءِ.

وقرأ أبو عمرو وحده، والحسن بخلاف عنه، وقتادة، وعيسى: ﴿يُخَرِّبُونَ﴾ بفتح الخاءِ وشد الرَّاءِ[٢].

فقال فريق من العلماءِ اللغويين: القراءَتان بمعنى واحد.

وقال أبو عمرو بن العلاءِ: خرَّب: معناه: هدم وأفسد، وأَخْرَبَ: معناه: ترك الموضع خراباً وذهب عنه[٣].

ثم نبَّه تعالى المؤمنين وغيرهم ممَّن له أن ينظر على نُصرة رسوله ﷺ وصنعه له فيمن حادَّه وناوأه بقوله: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾، أي العيون[٤] والأفهام.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾.

أَخبر تعالى في هذه الآية أنه كتب على بني إسرائيل جلاءً، وكانت بنو النَّضير ممَّن حلَّ بالحجاز بعد[٥] موت موسى عليه السلام بيسير؛ لِأنهم كانوا من الجيش الذي

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٩٥)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٦٩)، بتصرف.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٩).

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ٢٨٣).

(٤) في المطبوع: «العقول».

(٥) في المطبوع: «عند».

رجع، وقد عصوا في أَن لم يقتلوا الغلام ابن مَلِك العماليق لجماله وعقله، وقد كان موسى عليه السلام قال لهم: لا تستحيوا أَحداً، فلما رجع ذلك الجيش إِلى بني إِسرائيل بالشام وجدوا موسى عليه السلام ميتاً، وقال لهم بنو إِسرائيل: أَنتم عصاة، والله لا دخلتم علينا بلادنا، فقال أَهل ذلك الجيش عند ذلك: ليس لنا أَحب من البلاد التي غلبنا أَهلها، فانصرفوا إِلى الحجاز فكانوا فيه، فلم يجر عليهم الجلاءُ الذي أَجراه بختنصر على أَهل الشام، وقد كان الله تعالى كتب في الأزل[١] على بني إِسرائيل جلاءً، فنالهم هذا الجلاءُ على يدي محمد ﷺ، ولولا ذلك لعذبهم الله تعالى في الدنيا بالسيف والقتل كأَهل بدر وغيرهم، ويقال: جَلَا الرجلُ، وأَجلاه غيرُه، وقد يقال: أَجلى الرجل نفسه؛ بمعنى: جلا.

و«الْمُشَاقَّةُ»: كون الإِنسان في شق ومخالفه في شق.

وقوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ سببها: أَن بعض أَصحاب النبي ﷺ وضعوا أَيديهم في نخل بني النضير يقطعون ويحرقون، فقال بنو النضير: ما هذا الإِفساد يا محمد وأَنت تنهى عن الفساد؟ فكف عن ذلك بعض الصحابة، وذلك في صدر الحرب معهم، فنزلت الآية[٢] مُعْلِمةً أَن جميع ما جرى من قطع أَو إِمساك فبإِذن الله تعالى، وردَّت الآية على قول بني النضير إِنَّ محمداً ينهى عن الفساد وها هو ذا يُفسد، فأَعلم الله تعالى أَن ذلك بإِذنه وليجزي الفاسقين من بني النضير.

واختلف الناسُ في اللِّينَةِ:

فقال الحسن، ومجاهد، وأَبو زيد، وعمرو بن ميمون: اللِّينة: النخلة، اسمان بمعنى واحد[٣].

---

(١) «في الأزل» ليست في المطبوع.

(٢) مرسل، هذا الحديث أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٧١) من طريق محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رمان مرسلاً.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٦٩-٢٧٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٧١).

وجَمْعها لِينٌ وليانٌ، وقال الشاعر:

وَسَالِفَةٌ كَسَحُوقِ اللِّيَانِ أَضْرَمَ فيها الْغَوِيُّ السُّعُرْ[١] [المتقارب]

وقال آخر:

طِرَاقُ الْخَوَافي وَاقعٌ فَوْقَ لينَة نَدَى لَيْلِه في ريشه يَتَرَقْرَقُ[٢] [الطويل]

وقال ابن عباس وجماعة من اللغويِّين: اللِّينة من النَّخل ما لم تكن عجوة[٣].

وقال سفيان بن سعيد الثوري: اللِّينة: الكريمة من النَّخل[٤].

وقال أَبو عبيدة فيما رُوي عنه، وسفيان: اللِّينة: ما تمرها لونٌ، وهو نوعٌ من التمر يقال له: اللَّون، قال سفيان: هو شديد الصُّفرة يشِفُّ عن نواه من التمر فيُرى من خارج[٥].

وأَصلها: لِوْنَة، فأُبدلت الواو[٦] لموافقة الكسرة.

وقال أَيضاً أَبو عبيدة: اللِّين: أَلوان النَّخل المختلطة التي ليس فيها عجوة ولا بَرْني[٧].

وقرأَ ابن مسعود والأَعمش[٨]: (أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قُوَّماً عَلَى أُصُولِها)[٩].

---

(١) البيت لامرئ القيس، كما تقدم في تفسير الآية (١١٥) من (سورة آل عمران).

(٢) البيت لِذِي الرُّمَّة، كما تقدم في تفسير الآية (١٢٣) من (سورة الشعراء).

(٣) جيد، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٨٣٠)، والطبري (٢٢/ ٢٦٩) من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿ مَاقَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ ﴾. قال: النخلة دون العجوة.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٧٠)، وتفسير الماوردي (٥/ ٥٠٢)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٧١).

(٥) البحر المحيط (١٠/ ١٣٩). و«من التمر» ليست في الأسدية (٣، و٤) والمطبوع.

(٦) الواو ليست في المطبوع.

(٧) في المطبوع: «نوى»، وانظر الهداية لمكي (١١/ ٧٣٨٦).

(٨) سقطت من نجيبويه.

(٩) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٤٦٨)، وهي في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٤٤)، بلفظ: (ولا تركتم قُوَّماً).

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ﴾ الآية؛ إِعلامٌ أَنَّ ما أُخذ من بني النَّضير ومن فَدَك فهو خاصٌّ للنبي ﷺ، وليس على حكم الغنيمة التي يُوجَف عليها ويُقاتل فيها، بل على حكم خُمس الغنائم، وذلك أَن بني النضير لم يوجف عليها ولا قوتلت كبير قتال، فأَخذ منها رسول الله ﷺ لنفسه قوتَ عياله، وقسَّم سائرها في المهاجرين ولم يُعط الأَنصار منها شيئاً، غير أَن أَبا دُجانة سِمَاك بن خَرَشَة وسَهْل بنَ حُنَيْف شكيا فاقة عظيمة فأَعطاهما[1]، هذا قول جماعة من العلماءِ[2].

وفي ذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كانت أَموال بني النَّضير ممَّا أَفاءَ الله تعالى على رسوله ﷺ ممَّا لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكان رسول الله ﷺ ينفق منها على أَهله نفقة سنة، وما بقي منها جعله في السلاح والكُراع عُدَّة في سبيل الله تعالى[3].

قال بعض العلماءِ: وكذلك كل ما فُتح على الأَئمة ممَّا لم يوجف عليه فهو لهم خاصة[4].

والوجيف دون التقريب، يقال: وجف الفرس وأَوجفه الراكب، والإِيجاف: سرعة السير والاجتهاد فيه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۞٧ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۞٨﴾.

---

(١) مرسل، أخرجه أبو داود (٢٩٧١)، والطبري (٢٢/ ٥١٤)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٢٩٦) من طريق محمد بن ثور الصنعاني، عن معمر، عن الزهري مرسلاً، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٨٣) عن معمر به.

(٢) انظر بداية المجتهد (٢/ ٣٧٦-٣٧٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٩٠٤)، ومسلم (١٧٥٧).

(٤) انظر حكاية القول في معالم السنن للخطابي (٢/ ٩٦).

أَهل القرى المذكورون في هذه الآية: هم أَهل الصفراءِ والينبوع ووادي القرى وما هنالك من قرى العرب التي تُسمى قرى عربية، وحكمها مخالف لبني النَّضير، ولم يحبس رسول الله ﷺ من هذه لنفسه شيئاً، بل أَمضاها لغيره؛ وذلك أَنها في ذلك الوقت فتحت.

واختلف الناس في صفة فتحها:

فقيل: غزاها[١] رسول الله ﷺ، وبعث بعثاً إِلى كل مكان فأَطاع وأَعطاه / أَهله [٥/ ١٩٣] فكان ممَّا لم يوجف عليه، وكان حكمه حكم الغنائم، وليس في الآية نسخ على هذا التأْويل، وأَعطى رسول الله ﷺ جميع ذلك للمهاجرين ولم يعط الأَنصار منها[٢] شيئاً.

وقال قتادة، ويزيد بن رُومان: كانت هذه القرى قد أُوجف عليها ولكن كان هذا حكم ما لم يوجف عليه، ثم نسخ الله تعالى هذا الحكم بآية الأَنفال[٣] فجعل فيها الخُمس لهذه الأَصناف وبقيت الأَربعة الأَخماس للمقاتلة، وآية هذه السُّورة لم يكن فيها للمقاتلة شيءٌ[٤]. وهذا القول يضعف؛ لأن آية الأَنفال نزلت إِثر بَدْر قبل بني النضير وقبل أَمر هذه القرى بسنة ونيِّف.

و﴿ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ في هذه الآية قرابةُ النبي ﷺ، مُنعوا الصدقة فعُوضوا من الفيءِ.

وقوله تعالى: ﴿كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ﴾ مخاطبة للأَنصار لأَنه لم يكن للمهاجرين في ذلك الوقت غنى.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿يَكُونَ﴾ بالياءِ.

وقرأَ ابن مسعود، وأَبو جعفر، وهشام عن ابن عامر بالتاءِ، وهي «كان» التامة[٥].

---

(١) في الأصل: «عزلها»، وفي نجيبويه: «عن لها».

(٢) «منها» ليست في المطبوع.

(٣) في الحمزوية: «القتال».

(٤) تفسير القرطبي (١٨/ ١٢).

(٥) وهي سبعية لهشام بخلفه كما في التيسير (ص: ٢٠٩)، ولأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٨٦).

وقرأ جمهور الناس: ﴿دُولَةَۢ﴾ بضم الدال ونصب الهاءِ.

وقرأ أَبو عبد الرحمن السُّلَمي: (دَوْلَةً) بفتح الدال ونصب الهاءِ[١].

وقرأ أَبو جعفر بن القعقاع، وهشام عن ابن عامر: ﴿دُولَةٌ﴾ بضم الدال والهاءِ[٢].

وقال عيسى بن عمر: هما بمعنى واحد[٣].

وقال الكسائي وحُذَّاق النظرة: الفتح في المُلْك بضم الميم، لأَنها الفعلة في الدَّهر، والضم في المِلْك بكسر الميم[٤].

والمعنى أَنها كالعواري، فيتداول الأَغنياءُ ذلك المال بتصرفاتهم ويبقى المساكين بلا شيءٍ، ولا حظَّ في شيءٍ من هذه الأَموال ليتيم غني ولا لابن سبيل حاضر المال[٥].

وقد مضى القول في الغنائم في سورة الأَنفال.

ورُوي: أَن قوماً من الأنصار تكلموا في هذه القرى المُفْتَتَحَة وقالوا: لنا منها سهمنا، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ الآية[٦] مؤدباً في ذلك وزاجراً، ثم اطَّرد بعْدُ معنى الآية في أَوامر النبي ﷺ ونواهيه، حتى قال قوم: إِن الخمر محرمة في كتاب الله تعالى بهذه الآية، وانتزع منها ابن مسعود لعنةَ الواشمة والمستوشمة... الحديث[٧]، ورأَى مُحرماً في ثيابه المخيطة فقال له: اطرح هذا عنك، فقال له الرجل: أَتقرأُ عليَّ بذلك آية من كتاب الله تعالى؟ فقال ابن مسعود رضي الله عنه: نعم، وتلا هذه الآية[٨].

---

(١) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٦٩).
(٢) وهي سبعية لهشام بخلفه كما في التيسير (ص: ٢٠٩)، ولأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٨٦).
(٣) إصلاح المنطق (ص: ٩٠).
(٤) أدب الكتاب لابن قتيبة (ص: ٣١٩).
(٥) انظر الإجماع على ذلك في: الإقناع (٣/ ١٠٥٧).
(٦) لم أقف عليه.
(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٨٨٦-٤٨٨٧)، ومسلم (٢١٢٥)، وأما الأثر الثاني فأورده القرطبي في تفسيره (١٨/ ١٧).
(٨) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٧٧) من طريق سفيان الثوري، عن الأشتر، عن إبراهيم، عن =

وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ بيان لقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، فكرَّر لام الجر لما(١) كانت الأُولى مجرورة باللام؛ ليبين أَن البدل إِنما هو منها، ثم وصفهم تعالى بالصفة التي تقتضي فقرهم وتوجب الإِشفاق عليهم، وهي إِخراجهم من ديارهم وأَموالهم.

وجميع المهاجرين إِمَّا أخرجهم الكفار وإِمَّا أَحوال الكفار وظهورهم وفرض الهجرة في ذلك الوقت، ووصفهم بالفقر وإِن كان لهم بعض أَمْوال وهي حال الفقراءِ في اللغة، وقد مضى بيان هذا في سورة الكهف.

وقوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ﴾ في موضع الحال. و«الفضلُ والرضوان»: يراد بهما الآخرة والجنة. و«نَصْرُ الله»: هو نَصْر شرعه ونبيِّه ﷺ.

و﴿ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في هذه الآية يجمع صدق اللسان وصدق الأَفعال لأَن أَفعالهم في أَمر هجرتهم إِنما كانت وفق أَقوالهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو﴾: هم الأنصار، والضمير في ﴿قَبْلِهِمْ﴾ للمهاجرين، و﴿ٱلدَّارَ﴾ هي المدينة.

= عبد الرحمن بن يزيد قال: لقي عبد الله بن مسعود رجلاً محرماً وعليه ثيابه، فقال: انزع عنك. فقال الرجل: أتقرأ علي بهذا آية من كتاب الله؟ قال: نعم ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢٣٣٨) من طريق أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن زيد موقوفاً عليه.

(١) في المطبوع: «كما».

والمعنى: تَبَوَّءُوا الدَّار مع الإِيمان معاً، وبهذا الاقتران يصح معنى قوله: ﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾، فتأَمَّله، والإِيمان لَا يُتبَوَّأُ لأَنه ليس مكاناً، ولكن هذا من بليغ الكلام، ويتخرج على وجوه كلُّها جميل حَسَن.

وأَثنى الله تعالى في هذه الآية على الأَنصار بأَنهم يحبون المهاجرين رضي الله عن جميعهم، وبأَنهم يُؤثِرُون على أَنْفُسهم، وبأَنهم قد وُقُوا شُحَّ أَنفُسهم؛ لأَن مقتضى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ﴾ الآية: أَن هؤلاءِ الممدوحين قد وُقُوا الشُّحَّ.

و«الْحَاجَةُ»: الحَسَد في هذا الموضع، قاله الحسن(١)، وتعمُّ بعْدُ جميع الوجوه التي هي بخلاف ما فعله النبي ﷺ في إِعطاءِ المهاجرين أَموال بني النَّضير والقرى.

و﴿أُوتُواْ﴾ معناه: أُعطوا، والضمير المرفوع بأَن لم يُسَمَّ فاعله هو للمهاجرين.

وقوله تعالى: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ﴾ الآية؛ صفة للأنصار، وقد روي من غير ما طريق أَنها نزلت بسبب رجل من الأَنصار؛ قال أَبو المتوكِّل: هو ثابت بن قيس(٢).

وقال أَبو هريرة رضي الله عنه ـ في كتاب مكي ـ: كنية هذا الرجل أَبو طلحة.

وخَلَّط المهدوي في ذكر هذا الرجل. نَدَبَ رسولُ الله ﷺ إِلى ضيافة مهاجري، فانتدب الأَنصاري ولم يكن له مال فذهب بالضيف وقال لامرأَته: هذا ضيف رسول الله ﷺ، قالت: والله ما عندي إِلَّا قُوت الصِّبية، فقال لها: نَوِّمي صبيانك، وأَطفئي السراجَ، وقدِّمي ما عندك للضيف ونوهمه أَنَّا نأْكل، فَفَعَلَا ذلك، فَلَمَّا غَدَا على رسول الله ﷺ قال: «عجب الله من فعلكما البارحةَ»، ونزلت الآية في ذلك(٣).

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٨٤)، وتفسير الماوردي (٥/ ٥٠٥).

(٢) انظر تفسير ابن أبي زمنين (٤/ ٣٦٩)، وأبو المتوكل الناجي البصري اسمه علي بن دؤاد، حدث عن عائشة، وأبي هريرة، وابن عباس، وعنه: قتادة، وحميد، وخالد الحذاء، وكان ثقة نبيلاً من جلة التابعين، توفي سنة ١٠٢هـ. تاريخ الإسلام (٧/ ٢٩٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وانظر قول مكي في الهداية (١١/ ٣٧٩٤)، وتخليط المهدوي في التحصيل (٦/ ٣٧٠). وفي المطبوع: «عندنا»، بالجمع، وفيه: «فعلك» بالإفراد.

والإيثارُ على النفس أَكْرم خُلُق، وقال حذيفة العدوي[١]: طلبت يوم اليرموك ابن عمٍّ لي في الجرحى ومعي شيءٌ من ماءٍ، فوجدته، فقلت: أَسقيك؟ فأَشار أَن نعم، فإِذا رجل يصيح: آهٍ، فأَشار ابن عمِّي أَن انطلق إِليه، فجئته[٢] فإِذا هو هشام بن العاص، فقلت: أَتشرب؟ فإِذا آخر يقول: آهٍ، فأَشار هشام أَن انطلق إِليه، فجئته فإِذا به قد فاضت نفسه، فرجعت إِلى هشام فإِذا هو قد مات، فرجعتُ إِلى ابن عمي فإِذا هو قد مات، فعجبت من إِيثارهم رحمهم الله تعالى[٣].

وقال أَبو يزيد البسطامي[٤]: قَدِم علينا شاب من بَلْخ حاجّاً[٥] فقال لي: ما حدُّ الزُّهد عندكم؟ فقلت: [إِذا فقدنا صَبَرْنا، وإِذا وجدنا أكلنا، قال: هذه حالة الكلاب عندنا ببلخ، قلت: فما الزهد عندكم][٦]؟ قال: إِذا فقدنا صبرنا، وإِذا وجدنا آثَرْنا.

وروي / أَن سبب هذه الآية: أن النبي ﷺ لمَّا قسَّم هذه القرى في المهاجرين [٥/ ١٩٤] قال للأَنصار: «إِن شئتم قسمتم للمهاجرين من أَموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه

(١) الصواب أنه أبو الجهم بن حذيفة بن غانم القرشي العدوي من مسلمة الفتح، وكان من معمري قريش ومن مشيختهم، وممن يؤخذ عنهم النسب؛ حضر بناء الكعبة مرتين، وكان ممن تولى دفن عثمان، ومات في آخر خلافة معاوية، الإصابة (٧/ ٦٠).

(٢) «فجئته» ليست في المطبوع.

(٣) هذه القصة أخرجها ابن المبارك في الجهاد (١١٦)، وفي زوائد الزهد للمروزي (٥٢٥)، ومن طريق البيهقي في الشعب (٣٤٨٣) عن عمر بن سعيد أبي حسين، عن ابن سابط، أو غيره، عن أبي جهم ابن حذيفة العدوي، به.

(٤) هو: طيفور بن عيسى بن شروسان أبو يزيد البسطامي، الزاهد العارف من كبار مشايخ القوم وهو بكنيته أعرف، وقد نقلوا عنه أشياء من متشابه القول، الشأن في صحتها عنه، ولا تصح عن مسلم، فضلا عن مثله، توفي سنة ٢٦١هـ. تاريخ الإسلام (٢٠/ ١١٠).

(٥) «حاجاً» ليس في المطبوع.

(٦) سقط من الحمزوية، وفي أحمد٣ والأسدية٣، والمطبوع: «شكرنا» بدل «أكلنا»، و«كذا» بدل «صبرنا»، وانظر القرطبي (١٨/ ٢٨).

الغنيمة، وإِن شئتم أَمسكتم أَموالكم وتركتم لهم هذه»، فقالوا: بل نقسم لهم من أَموالنا ونترك لهم هذه الغنيمة، فنزلت هذه الآية[١].

و«الْخَصَاصَةُ»: الفاقة والحاجة، وهو مأْخوذ من خصاص البيت، وهو ما يبقى بين عيدانه من الفروج والفتوح، فكأَن حال الفقير هي كذلك يتخلَّلُها النقص والاحتياج.

و«شُحُّ النَّفس»: هو كثرة طمعها وضبطها على المال والرغبة فيه وامتداد الأَمل، هذا جماع شح النفس، وهو داعية كل خلق سوءٍ، وقد قال رسول الله ﷺ: «من أَدى الزكاة المفروضة، وقَرَى الضيف، وأَعطى في النائبة، فقد برئ من الشُّح»[٢].

واختلف الناس بعد هذا الذي قلناه؛ فذهب الجمهور والعارفون بالكلام إِلى هذا، وعلى هذا التأْويل كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يطوف وهو يقول: اللهم قِني شُحَّ نفسي، لا يزيد على ذلك، فقيل له في ذلك فقال: إِذا وُقِّيتُه لم أَفعل سوءاً[٣].

---

(١) لم أقف عليه مسنداً، وانظر تفسير الثعلبي (٩/ ٢٨٠)، وقال الحافظ في الفتح (٧/ ٣٣٣): وروى الحاكم في الإكليل من حديث أم العلاء قالت قال: النبي ﷺ للأنصار لما فتح النضير: «إن أحببتم قسمت بينكم ما أفاء الله علي وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا عنكم»، فاختاروا الثاني.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٨٦) عن محمد بن إسحاق، والبيهقي في الشعب (١٠٨٤٢) من طريق محمد بن إسحاق، عن سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، عن إسماعيل بن عياش، عن مُجمِّع بن جارية الأنصاري، عن عمه يزيد بن جارية الأنصاري، عن أنس بن مالك، مرفوعاً به. وإسماعيل بن عياش الحمصي صدوق في روايته عن أهل بلده، مخلط في غيرهم، وهو يروي هذا الحديث عن مجمع ابن يحيى بن جارية الأنصاري الكوفي، وله طرق أخرى مرسلة، وروي من حديث ابن عمر وهو ضعيف.

(٣) جيد، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٢٨٦) من طريق الثوري، عن طارق بن عبد الرحمن الأحمسي، عن سعيد بن جبير، عن أبي الهياج الأسدي، قال: كنت أطوف بالبيت، فرأيت رجلاً يقول: اللهمّ قني شحّ نفسي، لا يزيد على ذلك، فقلت له، فقال: إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق، ولم أزن، ولم أفعل شيئاً، وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف. وهذا إسناد جيد.

قال القاضي أَبو محمد: شُحُّ النفس فقر لا يُذْهِبُهُ غِنى المال بل يزيده وينصب به.

وقال ابن زيد، وابن جبير، وجماعة: من لم يأْخذ شيئاً نهاه الله تعالى عنه ولم يمنع الزكاة المفروضة؛ فقد برئ من شُحِّ النفس[١].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: شُح النفس هو أَكل مال الغير بالباطل، وأَما منع الإِنسان ماله فهو بُخل، وهو قبيح ولكنه ليس بالشُّح[٢].

وقرأ عبد الله بن عمر: (شِحَّ) بكسر الشين[٣].

و﴿يُوقَ﴾ وزنه: يُفْعَل، مِنْ وقَى يقي، مثال: وَزَن يَزِنُ.

وقرأَ أَبو حيوة: (يُوَقَّ) بفتح الواو وشد القاف[٤].

و﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون ببغيتهم.

واختلف الناس في تأْويل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾:

فقال الفراءُ: أَراد الفرقة الثالثة من الصحابة، وهي التي آمنت أَو كبرت في آخر مُدَّة النبي ﷺ، وقال جمهور العلماءِ: أَراد من يجيءُ من التابعين وغيرهم إِلى يوم القيامة،

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٨٧)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٨٠)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٣٧).

(٢) صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٧١٤٣)، والطبري (٢٣/ ٢٨٦)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٧٢) وغيرهم من طريق جامع بن شداد، عن الأسود بن هلال قال: جاء رجل إلى عبد الله فقال: يا أبا عبد الرحمن، إني أخاف أن أكون قد هلكت، فقال له عبد الله: وما ذاك؟ قال: سمعت الله يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ وأنا رجل شحيح، لا أكاد أن أخرج من يدي شيئاً! فقال عبد الله: ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن، إنما الشح الذي ذكر الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلماً، ولكن ذلك البخل، وبئس الشيء البخل.

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في مختصر الشواذ (ص:١٥٥)، وأوردها في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٦١) بلا نسبة.

(٤) وهي شاذة، نسبها له ولابن أبي عبلة في الدر المصون (١/ ٥٢٣٧)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٥٥)، لمحمد بن النضر.

فوصف الله تبارك وتعالى القول الذي ينبغي أَن يلتزمه كل من لم يكن من الصدر الأَول[١].

وإِعـراب (الْذِينَ) رفع عطفاً على ﴿ هُمُ ﴾ أَو على ﴿وَٱلَّذِينَ ﴾، أو رفع بالابتداءِ. وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ ﴾ حالٌ فيها الفائدة، والمراد: والذين جاءُوا قائلين كذا، أَو يكون ﴿يَقُولُونَ ﴾ صفة.

ولهذه الآية قال مالك وغيره: إِنه من كان له في أَحد من الصحابة قول سوءٍ أَو بغض فلا حظَّ له في الغنيمة أَدباً له[٢].

وجاءَ عراقيون إِلى علي بن الحسين رضي الله عنه فسبُّوا أَبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فقال لهم: أَمِنَ المهاجرين الأَولين أَنتم؟ قالوا: لا، قال: أَفَمِن الذين تبوَّءُوا الدار والإِيمان أَنتم؟ قالوا: لا، قال: فقد تبرأْتم من هذين الفريقين، وأَنا أَشهد أَنكم لستم من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ الآية؛ فقوموا، فَعَل الله تعالى بكم وفَعَل[٣].

وقال الحسن: أَدركت ثلاث مئة من الصحابة منهم سبعون بدريّاً كلهم يحدثني أَن النبي ﷺ قال: «من فارق الجماعة قِيْدَ شبر فقد خلع رِبْقَة الإِسلام من عنقه»[٤]، فالجماعة أَلَّا تسبُّوا الصحابة، ولا تُماروا في دين الله تعالى، ولا تُكفِّروا أَحداً من أَهل التوحيد بذنب.

و«الْغِلّ»: الحِقْد والاعتقاد الرديءُ.

---

(١) انظر كلام الفراء على هذه الآية في معاني القرآن (٣/ ١٤٥) له.

(٢) انظر أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٢٢١).

(٣) انظر القصة في: حلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ١٣٧). وفي المطبوع: «بعض العارفين» بدل «عراقيون».

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٨٢) من طريق كثير بن مروان الشامي، عن عبد الله بن يزيد الدمشقي، عن الحسن به. وكثير بن مروان أبو محمد المقدسي ضعفوه، وانظر ترجمته في الميزان (٣/ ٤٠٩)، وفي الباب عن أبي هريرة، وأبي ذر، وجابر بن عبد الله وغيرهم.

وقرأ الأعمش: (في قُلُوبِنَا غِمْراً)[١]، والغِمْر: الحِقْد.

وقد تقدم الاختلاف في قراءَة: ﴿رَءُوفٌ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾.

هذه الآية نزلت في عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول، ورفاعة بن التابوت، وقوم من منافقي الأَنصار كانوا بعثوا إِلى بني النَّضير وقالوا لهم: اثبتوا في معاقلكم فإِنَّا معكم كيفما تقلبت حالكم، وإِنما أَرادوا بذلك أَن تقوى نفوسهم عسى أَن يثبتوا حتى لا يقدر محمد عليه الصلاة والسلام عليهم فيتم لهم مرادهم، وكانوا كَذَبَة فيما قالوا من ذلك، ولذلك لم يخرجوا حين أُخرج بنو النَّضير بل قعدوا في ديارهم[٢].

وقوله عزَّ وجلَّ: (لَئِنْ نَصَروهم) معناه: ولَئِن حاولوا ذلك[٣] فإِنهم ينهزمون ثم لا ينصر الله تعالى أَحداً منهم.

وجاءَت الأَفعال غير مجزومة في قوله تعالى: ﴿لَا يَخْرُجُونَ﴾ و﴿لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾؛ لأَنها راجعة على حكم القسم[٤] لا على حكم الشرط، وفي هذا نظر.

ثم خاطب تعالى أُمة محمد ﷺ مُخبراً أَن اليهود والمنافقين أَشد خوفاً [من

---

(١) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣١٧).

(٢) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٥٣٥) ذكره عن مجاهد.

(٣) في المطبوع ونجيبويه: «نصرهم».

(٤) في الأسدية٣، وأحمد٣ والمطبوع والحمزوية: «أنفسهم».

المؤمنين منهم من الله تعالى؛ لأنهم يتوقعون عاجل الشَّر](١) من المؤمنين ولا يؤمنون بآجل العذاب من الله تعالى، وذلك لقلَّة فهمهم للأُمور وتوفيقهم للحق.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾.

الضمير في قوله تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ لبني النضير وجميع اليهود، هذا قول جماعة من المفسِّرين، ويحتمل أَن يريد بذلك اليهود والمنافقين؛ لأَن دخول المنافقين في قوله تعالى: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ متمكن بَيِّن، ومعنى الآية: لا يقاتلونكم في جيش مفحصٍ(٢).

و«الْقُرَى»: المدن، قال الفراءُ: هذا جمع شاذٌّ، قال الزجاج: ما في القرآن فليس بشاذ، وهو مثل: ضَيْعَةٍ وضُيَع(٣).

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وكثير من المكِّيين: ﴿جِدَارٍ﴾ على معنى الجنس.

وقرأَ كثير من المكِّيين، وهارون عن ابن كثير: (جَدْرٍ) بفتح الجيم وسكون الدال، ومعناه: أَصل بنيان كالسُّور ونحوه.

وقرأَ الباقون من القراءِ: ﴿جُدُرٍ﴾ بضم الجيم والدال، وهو جمع جِدَارٍ.

[وقرأَ أَبو رجاءٍ، وأَبو حَيْوة: (جُدْرٍ) بضم الجيم وسكون الدال، وهو تخفيف في جمع جِدارٍ](٤) /. [٥/ ١٩٥]

---

(١) سقط من نجيبويه، وفي المطبوع وأحمد٣: «لا يتوقعون».

(٢) في الأسدية (٣، و٤)، والمطبوع: «بفحص».

(٣) انظر القولين في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٤).

(٤) هذه أربع قراءات الأولى والثالثة سبعيتان، كما في التيسير (ص: ٢٠٩)، السبعة (ص: ٦٣٢)، =

ويحتمل أَن يكون من جدر النخيل؛ أَي: من وراءِ نخلهم إِذ هي ممَّا يُتَّقى به عند المضايقة[١].

وقوله تعالى: ﴿بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ﴾؛ أَي: في غائلتهم وإِحَنِهم.

وفي قراءَة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُم أشتُّ)[٢].

قال أبو محمد: وهذه حال الجماعات المتخاذلة، وهي المغلوبة أَبداً في كل ما تحاول، واللفظة مأْخوذة من الشتات وهو التفرُّق ونحوه.

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ معناه: مثلهم كمثل الذين من قبلهم.

قال ابن عباس رضي الله عنه: هم بنو قَيْنُقَاع؛ لأَن النبي ﷺ أَجلاهم عن المدينة قبل بني النَّضير، وكانوا مِثْلاً لَهُم[٣].

وقال قتادة ومجاهد: ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: أَهلُ بدر الكفَّار؛ فإِنهم قبلهم ومِثْلٌ لهم في أَن غُلبوا وقُهروا[٤].

وقال بعض المتأَولين: الضمير في قوله تعالى: ﴿قَبۡلِهِمۡ﴾ للمنافقين، وهم منافقو الأُمم المتقدِّمة؛ وذلك أَنهم غُلبوا ونالتهم الذِّلَّة على وجه الدهر، فهم مثل لهؤلاءِ.

ولكن قوله تعالى: ﴿قَرِيبٗاۖ﴾ إِمَّا أَن يكون في زمن موسى عليه السلام، وإِلَّا

= والثانية في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٤)، والثالثة في المحتسب (٢/ ٣١٥) وهما شاذتان، والأخيرة سقطت من الحمزوية.

(١) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «عند المصافقة»، والمصافقة هي الضرب.

(٢) وهي شاذة، انظر إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٤)، معاني القرآن للفراء (٣/ ١٤٦). وفي الأصل: «أشتات»، وفي الأسدية٣: «شتٌّ».

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٩٣) عن محمد بن حميد، عن سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٨٤)، وتفسير الماوردي (٥/ ٥٠٩)، وفي تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٧) عن قتادة: أنهم بنو النضير.

فالتَّأْويل المذكور يضعف، إِلَّا أَن يجعل ﴿قَرِيبًا﴾ ظرفاً للذَّوْقِ، فيكون التقدير: ذاقوا وبَالَ أَمرهم قريباً من عصيانهم وبحدثانه، ولا يكون المعنى أَنَّ المثلَ قريب في الزَّمن مِنَ المُمَثَّل له، وعلى كل تأْويل فـ﴿قَرِيبًا﴾ ظرفٌ أَو نعت لظرف.

و«الْوَبَالُ»: الشِّدَّة والمكروه وعاقبة السوءِ، و«الْعَذَابُ الأَلِيمُ»: هو في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ معناه: مثل هاتين الفرقتين من المنافقين وبني النَّضير كمثل الشيطان والإِنسان، فالمنافقون مثلهم الشَّيطان، وبنو النَّضير مثلهم الإِنسان.

وذهب مجاهد وجمهور من المتأَوِّلين إِلى أَن الشَّيطان والإِنسان في هذه الآية اسْمَا جِنْس؛ لأَن العرف أَن يَعمل هذا الشَّياطينُ بناس، كما يغوي الشَّيطان الإِنسان ثمَّ يفرُّ عنه بعد أَن يُورِّطه، كذلك أَغوى المنافقون بني النضير وحرَّضوهم على الثُّبوت ووعدوهم النصر، فلما غدر بنو النَّضير وكشفوا عن وجوههم، تركهم المنافقون في أسوأ حال[1].

وذهب قوم من رواة القصص: أَن هذا في شيطان مخصوص مع عابد من العُبَّاد مخصوص، وذكر الزجاج أَن اسمه برصيصا، قالوا: إِنَّه استُودع امرأَةً، وقيل: سيقَتْ إِليه ليشفيها بدعائه من الجنون، فسوَّل له الشَّيطان الوقوع عليها، فحملت، فخشي الفضيحة، فسوَّل له قَتْلَها ودَفْنها، ففعل، ثم شهره، فلمَّا استُخْرِجت المرأَة وحُمِل العابد شرَّ حمل، وهو قد قال: إِنها ماتت فقُمتُ عليها ودفنتها، فلما وُجدت مقتولة علموا كذبه، فتعرَّض له الشَّيطان وقال له: اكفر واسجد لي وأَنا أُنجِّيك، ففعل، وتركه عند ذلك وقال: إِنِّي بريءٌ منك[2].

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٣/ ٢٩٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ٥٠٩).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٥/ ١٤٨)، وهذه القصة أخرجها الثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٨٤) من طريق مقاتل بن سليمان البلخي، عن عطاء بن أبي رباح، وعبد الرحمن بن يزيد، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما وذكر قصة برصيصاً. ومقاتل بن سليمان البلخي متروك.

قال أبو محمد: وهذا كله حديث ضعيف، والتأْويل الأَول هو وجه الكلام.

وقول الشيطان: إِنِّي أَخاف الله؛ رياء وسُمعة[١] من قوله، وليست على ذلك عقيدته، ولا يعرف اللهَ تعالى حق معرفته، ولا يحجزه خوفُه عن سوءٍ يوقع فيه ابن آدم من أَول إِلى آخر.

قوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ﴾ الآية، يحتمل الضمير أَن يعود على المخصوصيْن المذكوريْن.

ويحتمل أَن يعود على اسمي الجنسين، أَي: هذا هو عاقبة كل شيطان وإِنسان يكون أَمرهما هكذا.

وقرأَ الحسن، وعمرو بن عبيد: (عَاقِبَتُهُمَا) بالرفع[٢].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿عَـٰقِبَتَهُمَآ﴾ بالنصب.

وموضع (أَنَّ) يخالف إِعراب «العاقبة» في القراءَتين.

وقرأ ابن مسعود، والأَعمش: (خَالِدَانِ) بالرفع على أَنه خبر (أَنَّ)، والظَّرف ملغى[٣].

ويلحق هذه القراءة[٤] من الاعتراض إِلغاءُ الظرف مرتين، قاله الفراءُ، وذلك جائز عند سيبويه على التأْكيد[٥].

---

(١) من المطبوع، وليست فيه: «من قوله».

(٢) وهي شاذة، نسبها لهما للحسن النحاس في إعراب القرآن (٤/ ٢٦٥)، والكرماني في الشواذ (ص: ٤٦٩) له ولابن محيصن.

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها للأعمش في مشكل إعراب القرآن (٢/ ٧٢٦)، ولابن مسعود في تفسير الطبري (٢٣/ ٢٩٨)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٤٦) بلفظ: أنهما خالدان في النار.

(٤) في الأصل: «الآية».

(٥) إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٥).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾.

هذه آية وعظ وتذكير وتقريب للآخرة، وتحذير ممَّن لا تخفى عليه خافية.

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَلۡتَنظُرۡ﴾ بسكون اللام وجزم الراءِ على [أَصل لام][١] الأَمر.

وقرأ يحيى بن الحارث، وأَبو حيوة، وفرقة كذلك بلام الأَمر، إِلَّا أنها كسرت على أَصل لام الأَمر.

وقرأ الحسن بن أَبي الحسن فيما رُوي عنه: (وَلِتَنْظُرَ) بنصب الراءِ على لام «كيْ»[٢]، كأَنه تعالى قال: وأَمرنا بالتقوى لتنظر، أَو كأَنه تعالى قال: اتقوا الله وليكن تقواكم لتنظر.

وقوله تعالى: ﴿لِغَدٖ﴾: يريد يوم القيامة، قال قتادة: قرب الله تعالى القيامة حتى جعلها غداً، وذلك لأَنها آتية لا محالة، وكلُّ آتٍ قريب[٣]، ويحتمل أَن يريد تعالى بقوله: ﴿لِغَدٖ﴾: لِيَوْم الموت لأنه لكل إِنسان كغده، ومعنى الآية: ما قدمت من الأَعمال، فإِذا نظرها الإِنسان تزيَّد من الصَّالحات وكفَّ عن السَّيِّئات، وقال مجاهد، وابن زيد: الأَمس الدُّنيا، وغدٌ الآخرة[٤].

وقرأ الجمهور: ﴿وَلَا تَكُونُواْ﴾ بالتاءِ من فوق على مخاطبة جميع الذين آمنوا.

---

(١) من الأسدية٣، والمطبوع ونجيبويه.

(٢) وهما شاذتان، انظر البحر المحيط (١٠/ ١٤٨) وزاد رواية الثانية عن حفص، وعزا الأولى للحسن: الكرماني في الشواذ (ص: ٤٧٠).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٩٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ٥١٠)، والهداية لمكي (١١/ ٧٤٠٦).

(٤) الهداية لمكي (١١/ ٧٤٠٦)، ولم أقف على قول مجاهد.

وقرأ أَبو حيوة: (ولا يكونوا) بالياءِ من تحت[1]، كناية عن (نَفْس) التي هي اسم الجنس.

والذين ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾: هم الكفَّار، والمعنى: تركوا الله تعالى وغفلوا عنه حتى كانوا كالنَّاسين، وعبَّر تعالى عمَّا خصَّهم به من الضَّلَالة بـ(أَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ)، سمَّى عقوبتهم باسم ذنبهم بوجْهٍ مَّا، وهذا أَيضاً هو الجزاءُ بالذنب على الذنب، فكسبوا هم نسيان جهة الله تعالى، فعاقبهم الله تعالى بأَن جعلهم ينسون أَنفسهم.

قال سفيان: المعنى: حظَّ أَنفسهم، ويعطي لفظ هذه الآية أَن من عرف نفسه ولم ينسها عرف ربه تعالى[2].

وقد قال علي بن أَبي طالب رضي الله تعالى عنه: اعرف نفسك تعرف ربك.

ورُويَ عنه أَنه قال أَيضاً: من لم يعرف نفسه لم يعرف ربَّه[3].

وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: (وَلَا أَصْحَابُ الْجَنَّةِ) بزيادة (لا)[4].

وقوله تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ الآية؛ موعظةٌ للإِنسان، وذمٌّ لأَخلاقه في غفلته وإعراضه عن داعي[5] الله تعالى، وذلك أَن القرآن نزل عليهم وفهموه وأَعرضوا عنه، وهو لو نزل على جبل وفهم الجبل منه ما فهم الإِنسان لخشع واستكان / وتصدَّع [٥/ ١٩٦] من خشية الله تبارك وتعالى، وإِذا كان الجبل على عِظَمِهِ وقوته يفعل هذا فما عسى أَن يحتاج ابن آدم ليفعل؟! لكنه يُعرض ويصُدُّ على حقارته وضعفه. وضرب الله تبارك وتعالى هذا المثل ليتفكر فيه العاقل ويخشع ويلين قلبه.

---

(١) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (١٠/ ١٤٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٣/ ٣٠٠)، وتفسير الماوردي (٥/ ٥١١)، وفيه: «حق» بدل «حظ».

(٣) هذا الأثر والذي قبله لم أقف عليهما.

(٤) وهي شاذة، انظر إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٦).

(٥) في المطبوع: «داعية».

وقرأ طلحة بن مصرف: (مُصَّدِّعاً) على إدغام التاءِ في الصاد[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾.

لمَّا قال تعالى: ﴿مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ جاءَ بالأوصاف التي توجب لمخلوقاته هذه الخشية.

و﴿ٱلْغَيْبِ﴾: ما غاب عن المخلوقين، ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما شهدوه[٢].

وقال حرب المكي: ﴿ٱلْغَيْبِ﴾: الآخرة، ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: الدُّنيا[٣].

وقرأ جمهور الناس: ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ بضم القاف، وهو فعول[٤] من تَقَدَّسَ: إذا تَطَهَّر، وحظيرة القدس: الجنة لأنها طاهرة، ومنه: رُوحُ القُدس، والأرض المقدَّسة، وبيت المقدس.

ورُوي عن أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه أنه قرأَ: (الْقَدُّوسُ) بفتح القاف، وهي لغة[٥].

و﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ معناه: الذي سُلِم من جوره، وهذا اسم على حذف مضاف؛ أي: ذو السلام، لأَن الإِيمان به وتوحيده وأَفعاله هي لمن آمن سلامٌ كلها.

و﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾: اسم فاعل من آمَنَ بمعنى: أَمَّنَ، وقال أَحمد بن يحيى ثعلب: معناه: المُصَدِّقُ المؤمنين في أَنهم آمنوا، قال النحاسُ: أَو في شهادتهم على الناس في القيامة[٦].

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤٧٠).

(٢) في الحمزوية وأحمد٣ ونور العثمانية ونجيبويه: «شاهدوه».

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في المطبوع: «فعل».

(٥) وهي شاذة، نسبها في المحتسب (٢/ ٣١٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٧)، لأبي دينار الأعرابي.

(٦) انظر القولين في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٧).

وقال ناسٌ من المتأَولين: معناه: المُصَدِّقُ نفسه في أقواله الأَزلية، لا إِله غيره.

و﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾ معناه: الأَمين والحفيظ، قاله ابن عباس[١].

وقال مُؤَرِّج: ﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾: الشاهد بلغة قريش[٢]

وهذا بناءٌ لم يجئ منه في الصفات إِلَّا: مُهَيْمِن ومُسَيْطِر ومُبَيْقِر ومُبَيْطِر، وجاءَ منه في الأَسماءِ: مُحَيْمِر، وهو اسم وادٍ، ومُدَيْبِر.

[و﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾: الذي لا يغلب، والقاهر الذي لا يقهر، يقال عزيز: إذا غلب برفع العين في المستقبل. قال الله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣]؛ أي: غلبني، وفي المثل: من عز بزّ[٣]؛ أي: من غلب سلب][٤].

و﴿ٱلۡجَبَّارُ﴾: هو الذي لا يدانيه شيءٌ ولا يلحق رتبته، ومنه: نخلةٌ جبارةٌ: إِذا لم تلحق، وأَنشد الزهراويُّ:

أَطَافَـتْ بِـهِ جِيـلانُ عِنْـدَ قِطَافِـهِ ... وَرَدَّتْ إِلَيْهِ المـاءَ حَتَّى تَجَبَّرَا[٥] [الطويل]

و﴿ٱلۡمُتَكَبِّرُ﴾ الْمُتَكَبِّرُ معناه: الذي له التكبُّر حقّاً.

ثم نزَّه تعالى نفسَه عن إِشراك الكفار به الأَصنامَ التي ليس لها شيءٌ من هذه الصِّفات.

---

(١) الذي وجدت ما في الطبري (٢٣/ ٣٠٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: المهيمن الأمين. وفي رواية الشهيد.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أمثال العرب للضبي (ص: ١٢٤)، مجاز القرآن (٢/ ١٥٨).

(٤) سقط من المطبوع والحمزوية ونور العثمانية وأحمد٣ ونجيبويه.

(٥) البيت لامرئ القيس، كما في مقاييس اللغة (١/ ٤٩٩)، بلفظ: أطافت به جيلان عند جداده... وردد فيه: الماء حتى تحيرا، وهو في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٨)، بلا نسبة، ولم أقف على نقل الزهراوي.

و﴿ٱلۡبَارِئُ﴾ بمعنى: الخالق، بَرَأَ اللهُ تعالى الخَلْقَ؛ أَي: أَوجدهم.

و﴿ٱلۡمُصَوِّرُ﴾: هو الذي يوجد الصُّور.

وقرأ عليٌّ بن أَبي طالب رضي الله عنه: (الْمُصَوَّرَ)، على إعمال (الْبَارِئ) فيه، وهي حسنة، يُراد بها الحُسْن في الصور.

وقال قوم عن علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: إِنه قرأ: (الْمُصَوَّرِ) بفتح الواو وكَسْر الراءِ[1]، على قولهم: الحَسنُ الوَجه.

وقوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾؛ أَي: ذات الحسن في معانيها القائمة بذاته لا إِله إِلَّا هو، وهذه الأَسماءُ هي التي حصرها رسول الله ﷺ بقوله ﷺ: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وتسعين اسماً، مئة إِلَّا واحداً، من أَحصاها دخل الجنة»[2]، وقد ذكرها الترمذي وغيره مُسْنَدَةً[3]، واختلف الرواة في بعضها، ولم يصحَّ فيها شيءٌ إِلاَّ إِحصاؤُها دون تَعْيين، وباقي الآية بَيِّنٌ.

كمل تفسير (سورة الحشر)، والحمد لله ربِّ العالمين

(١) شاذتان، انظر البحر المحيط (١٠/ ١٤٩)، والأولى للحسن في الشواذ للكرماني (ص: ٤٧٠)، وللباقر في مختصر الشواذ (ص: ١٥٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) سنن الترمذي (٥/ ٥٣١)، وتقدم الكلام على هذا الحديث عند آية (١٨١) من (سورة الأعراف).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الممتحنة

وهي مدنيَّة بإِجماع من المفسِّرين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾.

الْعَدُوّ: اسم يقع للجمع والمفرد، والمراد به هاهنا كفار قريش.

وهذه الآية نزلت بسبب حاطب بن أَبي بَلْتَعَة، وذلك أَن رسول الله ﷺ أَراد الخروج إِلى مكة عام الفتح، فورَّى عن ذلك بِخَيْبَر، فشاع في الناس أَنه خارج إِلى خيبر، وأَخبر هو جماعة من أَصحابه بقصده إِلى مكة، منهم حاطب بن أَبي بَلْتَعَة، فكتب حاطب إِلى قوم من كفَّار مكة يخبرهم بقصد رسول الله ﷺ إِيَّاهم، فجاءَ الخبر إِلى رسول الله ﷺ بذلك، فبعث علياً والزُّبيرَ وثالثاً، قيل هو المقداد، وقيل أَبو مَرْثَد.

وقال: انطلقوا حتى تأْتوا روضة خاخ[١]، فإِن بها ظعينة معها كتاب من حاطب

(١) مكان بين مكة والمدينة، على بعد اثني عشر ميلًا من المدينة. وفي المطبوع: «خاح».

إِلى المشركين، فانطلقوا حتى وجدوا المرأَة، واسمها سارة، مولاة لقوم من قريش، وقيل: بل كانت امرأةً من مزينة ولم تكن سارة، فقالوا لها: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتاب، ففتَّشوا جميع رحلها فما وجدوا شيئاً، فقال بعضهم: ما معها كتاب، فقال عليٌّ رضي الله عنه: ما كذب رسول الله ﷺ ولا كُذب، والله لتخرجِنَّ الكتاب أَو لَنُجَرِّدَنَّكِ، فقالت: أعرضوا عني، فحلَّته من فروة رأْسها، وقيل: أَخرجته من حُجزتها، فجاءُوا به رسول الله ﷺ، [فقال لحاطب: من كتب هذا؟ فقال: أنا يا رسول الله، ولكن لا تعجل عليَّ، فو الله / ما فعلت ذلك ارتداداً عن ديني، ولا رغبة عنه، ولكني كنت [٥/ ١٩٧]
امرءاً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسها، فأحببت أن تكون لي عندهم يد يرعونني بها في قرابتي، فقال عمر بن الخطاب: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «صدق حاطب إنه من أهل بدر، وما يدريك يا عمر لعلَّ الله قد اطلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، ولا تقولوا لحاطب إلا خيراً»، فنزلت الآية] بهذا السبب[(١)].

وروي أَن حاطباً كتب: إِن رسول الله ﷺ يريد غزوكم في مثل الليل والسيل، وأُقسم بالله لو غزاكم وحده لنُصر عليكم، فكيف وهو في جَمع كثير؟![(٢)].

و﴿تُلْقُونَ﴾ في موضع الصِّفة لـ﴿أَوْلِيَآءَ﴾.

و«أَلْقَيْتُ» يتعدى بحرف الجر وبغير حرف الجر، فدخول الباءِ وزوالها سواءٌ، وهذا نظير قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ [آل عمران: ١٥١].

---

(١) متفق عليه ببعضه، أخرجه البخاري (٤٢٧٤)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عدا قوله «ولا تقولوا لحاطب إلا خيراً» فقد أخرجها الطبري في تفسيره (٢٢/ ٥٦٠)، وابن أبي حاتم كما عند ابن كثير (٨/ ٨٤)، وأبو يعلى في مسنده (٣٩٧) من طريق آخر عن علي رضي الله عنه، وما بين المعكوفتين سقط من الأسدية٤، والمطبوع.

(٢) لم أقف عليه، وفي المطبوع: «جمٍّ كثير».

وروى المعلى[١] عن عاصم أنه قرأَ: (وقد كفروا لما) بلام[٢].

وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ﴾ في موضع الحال من الضمير في ﴿كَفَرُواْ﴾، والمعنى: يُخرجون الرَّسول ويُخرجونكم، وهي حال مؤكدة فلذلك ساق الفعل مستقبلاً.

و«الإِخراج» قد مرَّ، وتضييق الكفَّار على النبي ﷺ والمؤمنين إِخراج؛ إِذ كان مؤدياً إِلى الخروج[٣].

وقوله تعالى: ﴿أَن تُؤْمِنُواْ﴾ مفعول من أَجله؛ أَي: أَخرجوكم من أَجل أَن آمنتم بربكم.

وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ﴾ شرط جوابه متقدمٌ في معنى ما قبله، وجاز ذلك لما لم يظهر عمل الشرط، والتقدير: إِنْ كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاءَ مرضاتي فلا تتَّخذوا عدُوِّي وعدوكم أَولياءَ.

و﴿جِهَـٰدًا﴾ نصب على المصدر، وكذلك (ابتغاء)، ويجوز أَن يكون ذلك مفعولاً من أَجله.

و«الْمَرْضَاةُ» مصدرٌ كالرِّضا.

و﴿تُسِرُّونَ﴾ بدلٌ من ﴿تُلْقُونَ﴾، ويجوز أَن يكون في موضع خبر ابتداءٍ كأنه تعالى قال: أنتم تُسرُّون، ويصح أن يكون فعلاً مرسلاً ابتدأَ به القول، والإِلْقاءُ بالمودَّة معنىً مَّا، والإِسرارُ بها معنى زائد على الإِلقاءِ، فيترجح بهذا أَن ﴿تُسِرُّونَ﴾ فعلٌ ابتُدئ به القول؛ أَي: تفعلون ذلك وأَنا أَعلم.

وقوله تعالى: ﴿أَعْلَمُ﴾ يحتمل أَن يكون: أَفعل، ويحتمل أَن يكون فعلاً؛ لأَنك تقول: علمتُ بكذا، فتُدخل الباءَ.

---

(١) في الحمزوية وأحمد٣: «الثعلبي»، وفي الأصل: «ابن المعلى». وهو المعلى بن منصور تقدم، وأحمد بن المعلى يروي عن رواة ابن عامر.

(٢) وهي شاذة، انظرها في البحر المحيط (١٠/ ١٥٣)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص:٤٧٠) للجحدري.

(٣) في المطبوع ونجيبويه: «الإخراج».

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ﴾ الآية؛ جملةٌ في موضع الحال.

وقرأَ أَهل المدينة: ﴿وَأَنَا﴾ بإِشباع الأَلف في الإِدراج.

وقرأَ غيرهم: ﴿وَأَنَا۠﴾ بطرح الأَلف في الإِدراج[١].

والضمير في ﴿يَفۡعَلۡهُ﴾ عائد على الاتخاذ المذكور.

و﴿سَوَآءَ﴾ يجوز أَن يكون مفعولاً بـ﴿ضَلَّ﴾، وذلك على تَعَدِّي ﴿ضَلَّ﴾.

ويجوز أَن يكون ظرفاً على غير التعدِّي لأنه يجيءُ بالوجهين، والأَول أَحسن في المعنى.

و«السَّوَاءُ»: الوسط، وذلك لأَنه تتساوى نسبته إِلى أَطراف الشيءِ.

و﴿ٱلسَّبِيلِ﴾ هنا شرعُ الله تعالى وطريق دينه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ٢ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤﴾.

أَخبر الله تعالى أَن مداراة هؤلاءِ الكفَّار غير نافعة في الدُّنيا وأَنها ضارَّة في الآخرة، ليبيِّن فساد رأْي مصانعهم[٢]، فقال تعالى: ﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ﴾؛ أَي: إِن يتمكَّنوا منكم وتَحْصُلُوا في ثِقَافِهِم ظهرت العداوة وانبسطت أَيديهم بضرركم وقَتْلكم، وأَلسنتُهم بسَبِّكم، وهذا هو السُّوءُ، وأَشد من هذا كله أَنهم إِنما يُقْنِعُهم منكم أَن تكفروا، وهذا هو وُدُّهم.

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٨٢).

(٢) في المطبوع: «مصانعتهم».

ثم أَخبر تعالى أَن هذه الأَرحام التي رغبتم في وصلها ليست بنافعة يوم القيامة، فالعامل في ﴿يَوۡمَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَنفَعَكُمۡ﴾.

وقال بعض النحاة ـ في كتاب الزهراوي ـ: العامل فيه ﴿يَفۡصِلُ﴾، وهو ممَّا بعده لا ممَّا قبله[1].

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، والعامة: ﴿يُفۡصَلُ﴾ بضم الياءِ وسكون الفاءِ وتخفيف الصَّاد مفتوحة.

وقرأَ ابن عامر، والأَعرج، وعيسى: ﴿يُفَصَّلُ﴾ بضم الياءِ وفتح الفاءِ وشد الصاد منصوبة.

واختُلف على هاتين القراءَتين في إِعراب قوله تعالى: ﴿بَيۡنَكُمۡ﴾ فقيل: نُصب على الظرف، وقيل: رُفع على ما لم يُسَمَّ فاعله، إِلَّا أَن لفظه بقي منصوباً لأَنه كذلك كثر استعماله.

وقرأَ عاصم، والحسن والأَعمش: ﴿يَفۡصِلُ﴾ بفتح الياءِ وسكون الفاءِ وكسر الصاد خفيفة.

وقرأَ حمزة والكسائي، وابن وثاب: ﴿يُفَصِّلُ﴾ بضم الياءِ وفتح الفاءِ وشدِّ الصاد المكسورة[2].

وإِسناد الفعل في هاتين القراءَتين إِلى الله تعالى.

وقرأَ النَّخَعي، وطلحة بن مصرِّف: (نُفَصِّلُ) بنون العظمة مرفوعة وفتح الفاءِ وشدِّ الصَّاد [المكسورة.

وقرأَ بعض الناس: (نَفصلْ) بنون العظمة مفتوحة وسكون الفاء.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) هذه أربع قراءات سبعية، انظرها في التيسير (ص: ٢١٠)، والسبعة (ص: **٦٣٣**)، وسقط الحسن من المطبوع.

وقرأ أبو حيوة، بضم الياء وسكون الفاء وكسر الصاد خفيفة من: أفصل][١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وعيد وتحذير.

وقرأ جمهور السبعة: ﴿إِسْوَةٌ﴾ بكسر الهمزة، وقرأ عاصم وحده: ﴿أُسۡوَةٌ﴾ بضمها[٢].

وهما لغتان، والمعنى: قُدوة وإِمام ومثال[٣].

و﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ ﷺ هو خليل الرحمن، واختلف الناس في (الَّذِينَ مَعَه):

فقال قوم من المتأولين: أَراد من آمن به من الناس.

وقال الطبري وغيره: أَراد الأَنبياءَ الذين كانوا في عصره عليه السلام وقريباً من عصره[٤].

وهذا القول أَرجح؛ لأَنه لم يُرْوَ أَن إِبراهيم عليه السلام كان له أَتباع مؤمنون في مكافحته نمروذ، وفي «البخاري»: أَنه عليه السلام قال لسارة حين رحل بها إِلى الشام مهاجراً من بلد النمروذ: ما على الأَرض من يعبد الله غيري وغيرك[٥].

وهذه الأُسوة مفيدة[٦] في التَّبري عن الإِشراك وهو مُطَّرد في كل ملَّة، وفي نبينا ﷺ أُسوة حسنة على الإِطلاق لأَنها في العقائد وفي أَحكام الشرع كلها.

وقرأ جمهور الناس: ﴿بُرَءَٰٓؤُاْ﴾ على وزن فُعَلاءَ، والهمزة الأُولى لام الفعل.

وقرأ عيسى الثقفي: (بِرَاءٌ) على وزن فِعال بكسر الباءِ[٧]؛ ككريم وَكِرَامٍ.

---

(١) سقط من المطبوع، وهذه القراءات شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص:٤٧٠)، وعزا الثانية لزيد ابن علي وللسابقين بخلفهما.

(٢) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦٣٣)، والتيسير (ص: ١٧٨).

(٣) «ومثال» ليست في المطبوع.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٣١٧).

(٥) أخرجه البخاري (٣٣٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) في نجيبويه وأحمد٣: «مقيدة».

(٧) في الأسدية٣، والمطبوع: «الفاء»، وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣١٨).

وقرأ يزيد بن القعقاع: (بُرَاءٌ) / على وزن فُعال بضم الفاءِ؛ كَتُوَامٍ، وقد رُويت عن [٥/ ١٩٨] عيسى قراءَة، قال أَبو حاتم: زعموا أَنه عيسى الهمداني[١].

ويَجوُز: (بَرَاءٌ) على المصدر بفتح الباءِ، يُوصفُ به الجمع والإِفراد.

وقوله تعالى: ﴿كَفَرۡنَا بِكُمۡ﴾ معناه: كذَّبْناكم في أَقوالكم ولم نؤمن بشيءٍ منها، ونظير هذا قوله ﷺ حكاية عن قول[٢] الله عزَّ وجلَّ: «فهو مؤمن بي كافر بالكوكب»[٣].

ولم يُلحق العلامة في (بدا)[٤]؛ لأَن تأْنيث العداوة والبغضاءِ غير حقيقي.

ثم استثنى تعالى استغفار إِبراهيم عليه الصلاة والسلام لأَبيه، فذكر أَنه كان عن موعدة، وقد فسَّرنا ذلك في موضعه، وهذا استثناءٌ ليس من الأَول، والمعنى عند مجاهد، وقتادة، وعطاءٍ الخراساني، وغيرهم أَن الأُسوة لكم في هذا الوجه لا في هذا الآخر لأَنه كان في علَّة ليست في نازلتكم[٥].

ويحتمل أَن يكون الاستثناءُ من التَّبري والقطيعة التي ذكرت، أَي لم تبق صلة إِلَّا كذا.

---

(١) وهي شاذة، نسبها لعيسى الكوفة: الكرماني في الشواذ (ص: ٤٧١)، ولأبي جعفر: النحاس في إعراب القرآن (٤/ ٢٧٢)، قال: وما أحسب هذا عنه إلا غلطاً، وانظر قول أبي حاتم في البحر المحيط (١٠/ ١٥٥).

(٢) «قول» ليست في المطبوع.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٠٣٨)، ومسلم (٧١) عن زيد بن خالد الجهني، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر السماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب».

(٤) في حاشية المطبوع: في أكثر النسخ: ولم تُلحق العلامة في ﴿بُرَءَٰٓؤُاْ﴾، وهو خطأ من النُّسَّاخ.

(٥) انظر تفسير الطبري (٢٣/ ٣١٨).

وقوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا﴾ الآية؛ حكايةٌ عن قول إِبراهيم عليه الصلاة والسلام والذين معه أَنه هكذا كان.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٥ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝٦ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٧﴾.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا﴾ الآية، حكايةٌ عن إِبراهيم عليه السلام ومن معه، والمعنى: لا تغلِّبهم علينا فنكون لهم فتنةً وسببَ ضلالة؛ لأَنهم يتمسَّكون بكفرهم ويقولون: إِنما غلبناهم لأَنا على الحق وهم على الباطل، نحا هذا المعنى قتادة، وأَبو مجلز[١].

وقال ابن عباس: لا تُسَلِّطهم علينا فيفتنونا عن أَدياننا[٢]، فكأَنه قال: لا تجعلنا مفتونين، فعبَّر عن ذلك بالمصدر.

وهذا أَرجح الأَقوال لأَنهم إِنما دعَوْا لأَنفُسهم، وعلى منحى قتادة: إِنما دعوا للكفَّار، أَما إِن مقصدهم إِنما هو أَن يندفع عنهم ظهور الكفَّار الذي بسببه فُتن الكفَّار، فجاءَ في المعنى تحليق بليغ، ونحوه قول النبي ﷺ: «بئس الميت سعد ليهود»؛ لأَنهم يقولون: لو كان محمد نبيّاً لم يمت صاحبه[٣].

(١) راجع تفسير الطبري (٢٣/ ٣٢٠)، وتفسير الماوردي (٢/ ٤٤٦)، وتفسير الثعلبي (٥/ ١٤٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٣٢٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في الإتقان (٢/ ٤٧) من طريق عبد الله ابن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا تسلطهم علينا فيفتنونا.

(٣) مرسل، أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٦١١)، وعبد الرزاق في المصنف (١٩٥١٥)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٣٨)، والطبراني في الكبير (٥٥٨٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢١٤)، وابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٦١) من طرق عن الزهري، عن أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف وهو ابن بنت أسعد بن زرارة قال: إن رسول الله ﷺ عاد أبا أمامة أسعد بن زرارة بن عدس وكان رأس =

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ الآية؛ خطاب لأُمة محمد ﷺ.

وقوله سبحانه: ﴿لِمَن﴾ بدل من قوله: ﴿لَكُمْ﴾، وكرر حرف الجر ليتحقَّق البدل، وذلك عُرف هذه المبدلات، ومنه قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ [الحشر: ٨].

وهو في القرآن كثير، وأكثر ما يلزم من الحروف في[١] اللام.

ثم أَعلم تعالى باستغنائه عن العبادة، وأنه الحميد في ذاته وأَفعاله، لا يُنقص ذلك كفر كافر ولا نفاق منافق.

ورُوي أَن هذه الآيات لما نزلت وأَزمع المؤمنون امتثال أَمرها وصَرْم حبال الكفرة وإِظهار عداوتهم، لحقهم تأَسف على قراباتهم وهم من[٢] أَن لم يؤمنوا ولم يهتدوا حتى يكون بينهم الوُدُّ والتواصل، فنزلت ﴿عَسَى اللَّهُ﴾ الآيةُ مُؤنسةً في ذلك، ومُرَجِّيَةً أَن يقع، فوقع ذلك بإِسلامهم في الفتح، وصار الجميع إِخواناً.

ومن ذكر أَن هذه المودَّة تزوُّج النبي ﷺ أُم حبيبة بنت أَبي سفيان وأَنها كانت بعد الفتح[٣]؛ فقد أَخطأَ؛ لأَن النبي ﷺ تزوجها وقت هجرة الحبشة، وهذه الآيات نزلت سنة ست من الهجرة[٤].

= النقباء ليلة العقبة فأخذته الشوكة فجاءه رسول الله ﷺ يعوده فقال: بئس الميت هذا اليهود يقولون: لولا دفع عنه لا أملك لك ولا لنفسي شيئاً لا يلومن في أبي أمامة وأمر به رسول الله ﷺ فكوي من الشوكة طوق عنقه بالكي طوقاً قال فلم يلبث أبو أمامة إلا يسيراً حتى توفي، وأبو أمامة أسعد بن سهل بن حنيف له رؤية ولم يسمع من النبى ﷺ، وله شاهد أخرجه الطبراني في الكبير (٧٣٩) من طريق شعبة، عن محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة، عن يحيى بن أسعد بن زرارة فذكره به. ويحيى هذا مختلف في صحبته.

(١) «في» ليست في المطبوع.

(٢) «وهم من» ليست في المطبوع.

(٣) انظر هذا القول في تفسير الثعلبي (٩/ ٢٩٣-٢٩٤)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٥٠).

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «ثمان».

ولا يصح ذلك عن ابن عباس إِلَّا أَن يسوقَه مثالاً وإِن كان متقدماً لهذه الآية[١]؛ لأَنه استمر بعد الفتح كسائر ما نشأَ من المودَّات.

و﴿عَسَىٰ﴾ من الله واجبة الوقوع إِن شاءَ الله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ...﴾.

اختلف الناس في هؤلاءِ الذين لم ينْه عنهم أَن يتبرَّؤوا منهم:

فقال مجاهد: هم المؤمنون من أَهل مكة الذين آمنوا ولم يهاجروا وكانوا لذلك في رتبة سوءٍ لتركهم فرض الهجرة[٢].

وقال آخرون: أَراد المؤمنين التاركين للهجرة كانوا من أَهل مكة أو من غيرها[٣].

وقال الحسن، وأَبو صالح: أَراد خُزاعة وبني[٤] الحارث [بن كعب][٥] وقبائل من العرب كفاراً إِلَّا أَنهم كانوا مظاهرين للنبي ﷺ، مُحبِّين فيه وفي ظهوره، ومنهم كنانة وبنو الحارث بن عبد مناة ومُزَيْنَة[٦].

---

(١) ضعيف، أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٩٩)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٢١٢٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٤٥٩) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قوله ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾. قال: حين تزوج النبي ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان. والكلبي متروك.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٢٢)، والهداية لمكي (١١/ ٧٤٢٢).

(٣) في المطبوع: «وغيرهم».

(٤) في الأسدية٣: «النضير».

(٥) من الأسدية٣ ونجيبويه والحمزوية.

(٦) الهداية لمكي (١١/ ٧٤٢٢) بتصرف.

وقال قوم: أَراد من كفار قريش من لم يقاتل ولا أَخرج ولا أَظهر سوءاً، وعلى هذين القولين فالآية منسوخة بالقتال.

وقال عبد الله بن الزبير: أَراد النساءَ والصبيان من الكفرة، وقال: إِن الآية نزلت بسبب أُمِّ أَسماءَ حين استأْذنت النبي ﷺ في بِرِّها وصلتها فأَذن لها[١]، وكانت المرأَة خالتها فيما رُوي فسمَّتها في حديثها أُمّاً.

وقال أَبو جعفر بن النحاس، والثعلبي: أَراد المستضعفين من المؤمنين الذين لم يستطيعوا الهجرة[٢]، وهذا قول ضعيف.

وقال مُرَّة الهمداني، وعطية العوفي: نزلت في قوم من بني هاشم منهم العباسُ[٣].

وقال قتادة: نسختها ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥][٤].

وقوله تعالى: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ بدل، وهذا هو بدل الاشتمال.

و«الإِقْسَاطُ»: العدلُ.

و(ظَاهَرُوا) معناه: عاونوا.

والَّذِينَ قَاتَلُوا في الدِّين وأَخرجوهم: مَرَدَةُ قريش.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ الآية؛ نزلت إِثْر صلح الحديبية، وذلك أَن الصُّلْح تَضَمَّن أَنْ يردَّ المؤمنون إِلى الكفَّار كلَّ من جاءَ مسلماً من رجل أَو امرأَة، فنقض الله تعالى من ذلك أَمر النساءِ بهذه الآية، وحكم بأَن المهاجرة

---

(١) ضعيف، أخرجه الطيالسي (١٧٤٤)، وأحمد (٢٦/ ٣٧)، والطبري (٢٣/ ٣٢٢)، وأبو يعلى كما في المطالب (٣٧٥٥) وغيرهم من طريق عبد الله بن المبارك، عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه به. وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف مصعب بن ثابت، وكونها خالتها لم أقف عليه، وتقدم الكلام على مثل هذا أول الكتاب.

(٢) نقله عنهما في البحر المحيط في التفسير (١٠/ ١٥٦)، ولم أجده صريحاً في كتابيهما.

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٩٤).

(٤) انظر تفسير الطبري (٢٣/ ٣٢٣).

المؤمنة[١] لا تُرَدُّ إِلى دار الكُفْر بل تبقى تستبرئ وتتزوج، ويُعطى زوجها الكافر الصداق الذي أَنفق، وأَمر أَيضاً المؤمنين بطلب صداق من فرَّت امرأَته من المؤمنين، وحكم تعالى بهذا في النازلة، وسمَّاهُنَّ تعالى مؤمنات قبل أَن يُتيَقَّن ذلك إذ هو ظاهر أَمرهن.

و﴿مُهَـٰجِرَٰتٍ﴾ نصب على الحال.

و(امْتَحِنُوهُنَّ) معناه: جربوهن واستخبروا حقيقة ما عندهن.

[٥/ ١٩٩] واختلف / الناس في هذا الامتحان، كيف كان؟

فقال ابن عباس[٢]، وقتادة، ومجاهد، وعكرمة: كان بأَن تُسْتَحْلف المرأَة أَنها ما هاجرت لبغضٍ في زوجها، ولا بجريرة جَرَّتها، ولا بسبب من أَعراض الدنيا سوى حبِّ الله تعالى ورسوله ﷺ والدَّار الآخرة[٣].

وقال ابن عباس أَيضاً: الامتحان أن تُطالب بأَن تشهد أَن لا إِله إِلَّا الله وأَن محمداً رسول الله، فإِذا فعلت ذلك لم تُرد[٤].

وقال فريق منهم عائشة أُم المؤمنين رضي الله تعالى عنها: الامتحان هو أَن تعرض عليها الشروط التي في الآية بعد هذا من ترك السرقة والزنى والبهتان والعصيان، فإِذا أَقَرَّت المرأَة بذلك فهو امتحانها[٥].

وقيل: إِن هذه الآية نزلت في أُميمة بنت بشر امرأَة حسَّان بن الدحداحة[٦].

---

(١) «المؤمنة» ليست في الأصل.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٣٢٥)، والبزار كما في كشف الأستار ٢٢٧٢)، والحارث بن أبي أسامة كما في البغية (٧٢٢)، من طريق قيس بن الربيع، عن الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حصين، عن أبي نصر الأسدي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وأبو نصر الأسدي مجهول.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٢٦)، والهداية لمكي (١١/ ٧٤٢٤-٧٤٢٥).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٣٢٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧١٣) ومسلم (١٨٦٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) أخرجه الطبري (٢٣/ ٣٣٢). وفي نجيبويه: «بن ثابت».

وفي كتاب الثعلبي: أَنها نزلت في سُبيعة بنت الحارث[١].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ﴾ إِشارةٌ إِلى الاسترابة ببعضهن، وحضٌّ على امتحانهن، وذكر تعالى العلة في أَلَّا يُرَدَّ النساءُ إِلى الكفَّار وهي امتناع الوطءِ وحُرْمته.

وقرأَ طلحة: (لَا هُنَّ يَحْلِلْنَ لَهُمْ)[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿...وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠ وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ١١﴾.

أَمر الله تعالى بأَن يُؤْتى الكفَّار مهور نسائهم اللاتي هاجرن مؤمنات، ورفع الجناح في أَن يتزوجن بصدقات هي[٣] أُجورهن، وأَمر المسلمين بفراق الكافرات وأَلَّا يمسكوا بِعصَمِهِنَّ، فقيل: الآيات في عابدات الأَوثان ومن لا يجوز نكاحها ابتداءً، وقيل: هي عامة نُسخ منها نساءُ أَهل الكتاب.

و«العِصَمُ» جمع عصمة، وهي أَسباب الصحبة والبقاءِ في الزوجية، وكذلك العصمةُ في كل شيءٍ هي[٤] السبب الذي يُعتصم به ويعتمد عليه.

وقرأَ جمهورُ السبعة والناسُ: ﴿تُمۡسِكُواْ﴾ بضم التاءِ وكسر السين وتخفيفها، من: أَمسك.

---

(١) ذكره تفسير الثعلبي (٩/ ٢٩٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) وهي شاذة، لم أجد له فيها سلفاً ولا خلفاً، إلا أن في البحر المحيط (١٠/ ١٥٨): (لا هن يحلان)، فلعله خطأ طباعة.

(٣) في الأسدية٣، والمطبوع وأحمد٣: «بعد إيتاء».

(٤) «هي» من المطبوع.

وقرأ أبو عمرو وحده [بتشديدها وهي قراءة][1]، وابن جبير، ومجاهد، والأعرج، والحسن بخلاف: ﴿وَلَا تُمَسِّكُوا﴾، من: مسَّك، بالشد في السين[2].

وقرأ الحسن، وابن أَبي ليلى، وابن عامر في رواية عبد الحميد: (وَلَا تَمَسَّكُوا) بفتح التاءِ والميم وفتح السين وشدها[3].

وقرأ الحسن: (وَلَا تَمْسِكُوا) بفتح التاءِ وسكون الميم وكسر السين مخففة[4].

ورأَيت لأَبي علي الفارسي أنه قال: سمعتُ الفقيه أَبا الحسن الكرخي يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾: إِنه في الرجال والنساءِ، فقلت له: النحويون لا يرون هذا إِلَّا في النساء؛ لأَن «كَوَافر» جمع «كافرة»، فقال: وأَيْش يمنع من هذا؟ أَليس الناسُ يقولون: طائفة كافرة وفرقة[5] كافرة؟ فَبُهِتُّ وقلت: هذا تأْييد[6].

وأَمر الله تعالى أَن يُسأَل أَيضاً الكافرون أَن يدفعوا الصدقات التي أَعطاها المؤمنون لمن فرَّ من أَزواجهم إِلى الكفار، وقرر الحكْم بذلك على الجميع:

فروي عن ابن شهاب: أَن قريشاً قالت: نحن لا نرضى هذا الحكم ولا نلتزمه ولا ندفع لأَحدٍ صداقاً، فنزلت بسبب ذلك هذه الآية الأُخرى ﴿وَإِن فَاتَكُمْ﴾ الآية، فأَمر الله تعالى المؤمنين أَن يدفعوا إِلى من فرَّت زوجته ففاتت بنفسها إِلى الكفار صداقه الذي أَنفق[7].

---

(١) من الأسدية٣.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢١٠).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها لهم في الشواذ للكرماني (ص: ٤٧١)، ولعبد الحميد في جامع البيان (٤/ ١٦٣٧)، وفي الأصل: «عبد المجيد».

(٤) وهي شاذة، انظرها في الدر المصون (١٠/ ٣٠٧).

(٥) في المطبوع: «قرية».

(٦) لم أجده.

(٧) أخرجه الطبري (٢٣/ ٣٣٥).

قال ابن عباس ـ في كتاب الثعلبي ـ: خمس نسوة من نساءِ المهاجرين رجعن عن الإِسلام ولَحِقْنَ بالمشركين:

أُمُّ الحكم بنت أَبي سفيان[١]، وكانت تحت عياض بن شداد[٢].

وفاطمة بنت أَبي أُميَّة[٣] أُخت أُمِّ سَلَمة، وكانت تحت عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وعَبْدة بنت عبد العزيز، كانت تحت هشام بن العاص[٤].

وأُم كلثوم بنت جرول، كانت تحت عمر بن الخطاب[٥].

فأَعطاهم النبي ﷺ مهور نسائهم من الغنيمة[٦].

واختلف الناس، من أَي مال يُدفع إِليه الصداق؟

فقال محمد بن شهاب الزهري: يُدفع إِليه من الصدقات التي كانت تدفع إِلى

---

(١) هي أم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب الأموية شقيقة معاوية، أسلمت يوم الفتح، وكانت ممن نزل فيه: ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾، ففارقها عياض بن غنم، وتزوّجها عبد الله بن عثمان الثقفي، فهي أم ابنه عبد الرحمن الذي ينسب لها، الإصابة (٨/ ٣٧٨).

(٢) كذا في أكثر كتب التفسير، وفي الاستيعاب (٣/ ١٢٣٤) وكتب السيرة: أنه عياض بن غنم بن زهير ابن أبي شداد القرشي الفهري، أسلم قبل الحديبية، وشهدها، افتتح عامة بلاد الجزيرة والرقة، وصالحه وجوه أهلها. وهو أول من اجتاز الدرب إلى الروم، وكان شريفاً في قومه وهو ابن عم أبي عبيدة بن الجراح، ويقال كان ابن امرأته، فلما توفي استخلفه فأقره عمر حتى توفي سنة ٢٠هـ.

(٣) كذا في تفسير البغوي (٥/ ٧٥)، والذي في سيرة ابن هشام (٢/ ٣٢٧) أنها قريبة بنت أبي أمية ابن المغيرة، قال: وتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان، وهما على شركهما بمكة، قلت: فلعل فاطمة اسمها، والظاهر أنها قريبة الكبرى التي هي أم بني زمعة بن الأسود كما في الإصابة (٤/ ٨٣)، وأما قريبة الصغرى فهي أم بعض آل عبد الرحمن بن أبي بكر كما في الطبقات الكبرى (٨/ ٢٠٦).

(٤) في نور العثمانية والأصل: «بنت عبد العزى»، وفي تفسير البغوي (٥/ ٧٥) «عزة بنت عبد العزيز»، وفي تفسير الثعلبي (٩/ ٢٩٦): «عبدة بنت عبد العزى وزوجها عمر بن عبد ود».

(٥) قال ابن هشام في السيرة (٢/ ٣٢٧): وهي أم ابنه عبيد الله، فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم، وهما على شركهما.

(٦) انظر تفسير الثعلبي (٩/ ٢٩٦).

الكفار بسبب من هاجر من أَزواجهم، أَراد الله تعالى دفعها إِليهم حين لم يرضوا حكمه حسب ما ذكرناه.

وهذا قول صحيح يقتضيه قوله تعالى: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾، وسنبين ذلك عند تفسير اللفظة إن شاء الله تعالى[١].

وقال مجاهد، وقتادة: يُدفع إِليه من غنائم المغازي[٢].

وقال هؤلاءِ: [التعقيب بالغزو والمغنم][٣]، وتأَوَّلوا اللَّفظة بهذا المعنى.

وقال الزهري[٤] أَيضاً: يُدفع إِليه من أَيِّ وجوه الفيءِ أَمكن[٥].

و«المعاقبة» في هذه الآية ليست بمعنى مجازاة السوءِ بسوءٍ، ولكنها بمعنى: فَصِرْتُم منهم إِلى الحال التي صاروا إِليها منكم، وذلك بأَن يفوت إِليكم شيءٌ من أَزواجهم، وهكذا هو التعقيب على الجمل[٦] والدواب، أَن يركب هذا عُقْبَة وهذا عُقْبَة.

وقرأَ ابن مسعود: (وَإِنْ فَاتَكُم أَحَدٌ من أَزواجكم)[٧].

ويقال: عاقب الرجل صاحبه في كذا؛ أَي: جاءَ فعْل كل واحد منهما بعقب فعْل الآخر، ويقال: أَعقب الرجل، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] وَحَارَدَتِ النُّكْدُ الْجِلادُ ولَمْ يَكُنْ لِعُقْبَةِ قِدْرِ الْمُسْتَعِيرِينَ مُعْقِبُ[٨]

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٣٣٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٥٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٣٨)، وتفسير الماوردي (٥/ ٥٢٣)، والهداية لمكي (١١/ ٧٤٣٠).

(٣) في المطبوع: «المعاقبة هي الغزو والمغنم».

(٤) في الأسدية٤، والمطبوع: «الزهراوي».

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٣٣٩).

(٦) في المطبوع: «الحمل».

(٧) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٥١).

(٨) البيت للكميت، كما في معجم ديوان الأدب (١/ ١٥٢)، وأمالي القالي (١/ ٨)، وتهذيب اللغة (١/ ١٨٢)، والمحكم (٦/ ٧٥٨).

ويقال: عقَّب بشدِّ القاف؛ أَي: أَصاب عُقْبَى، والتَّعقيب: غزْوٌ إِثْر غزْو، ويقال: عَقَب بتخفيفها، ويقال: عَقِب بكسرها، كلُّ ذلك بمعنى يقرُب بعضه من بعض، ويجمع ذلك قُربى.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾.

وقـرأَ الأَعرج، ومجاهد، والزهري، وعكرمة، وحميد: (عَقَّبْـتُمْ) بالتشديد في القاف[1].

وقرأَ الأَعرج أَيضاً وأَبو حيوة، والزهري أَيضاً: (عَقَبْتُمْ) بفتح القاف خفيفة.

وقرأَ النَّخَعي، والزهري أَيضاً: (عَقِبْتُمْ) بكسر القاف، وكلها بمعنى: غَنِمْتُمْ.

ورُوي عن مجاهد: (أَعْقَبْتُمْ) بأَلف مقطوعة قبل العين[2].

وهذه الآية كلُّها قد ارتفع حكمها.

ثم ندب تعالى إِلى التقوى وأَوجبها، وذكر العِلَّة التي بها تجب التقوى وهي الإِيمان بالله تعالى والتصديق بوحدانيته وصفاته وعقابه وإِنعامه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ / أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾. [٥/ ٢٠٠]

هذه بيعة النساءِ في ثاني يوم الفتح على جبل الصفا، وهي كانت في المعنى بيعة الرجال قبل فرض القتال، وسمَّاهم تعالى: ﴿ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ﴾ بحسب الظاهر من أَمرهن،

---

(١) وهي شاذة، انظرها في البحر المحيط (١٠/ ١٥٩)، وعزاها الفراء في معاني القرآن (٣/ ١٥٢) لحميد الأعرج.

(٢) وكلها شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٣١٩)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٧١). وفي المطبوع بدل «الزهري» الثاني: «الزهراوي».

ورفضُ الإِشراك: هو محض الإِيمان، وقتل الأَولاد: هو من خوف الفقر والفاقة، وكانت العرب تفعل ذلك.

وقرأَ الحسن، وأَبو عبد الرحمن: (يُقَتِّلْنَ) بضم الياءِ وفتح القاف وكسر التاءِ مشدَّدة[١].

و«الإِتْيانُ بالبهتان»: قال أَكثر المفسِّرين: معناه أَن تَنْسُب إِلى زوجها ولداً ليس هو له.

واللَّفظ أَعم من هذا التخصيص، فإِن الفِرْية بالقول على أَحد من الناس بعظيمة لَمِنْ هذا، وإِن الكذب فيما اؤْتُمِنَّ عليه من الحيض والحمل لفِرية بهتان، وبعض أَقوى من بعض، وذلك أَن بعض الناس قال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾ يراد به اللسان والفم في الكلام، والقُبلة ونحوه، و«بين الأَرْجُل»: يراد به الفروج، وولد الإِلحاق ونحوه.

و«المعروف» الذي نُهي عن العصيان فيه، قال أَنس[٢]، وابن عباس[٣]، وزيد ابن أَسلم: هو النَّوح وشق الجيوب ووشم الوجوه ووصل الشعر وغير ذلك من أَوامر الشريعة فرضها وندبها[٤].

---

(١) وهي شاذة، عزاها للسلمي في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٥٢)، ولهما في الشواذ للكرماني (ص: ٤٧١).

(٢) منكر مرفوعاً، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٦٦٩٠-٩٨٢٩) عن معمر، ومن طريقه أحمد (٣/ ١٩٧)، وعبد بن حميد (١٢٥٣)، وأبو داود (٣٢٢٢)، والترمذي (١٦٠١)، والنسائي في الكبرى (١٩٩١)، وابن ماجه (١٨٨٥)، والبزار (٦٩١٧-٦٩١٨)، وابن حبان في صحيحه (٣١٤٦) عن ثابت، عن أنس قال: أخذ النبي ﷺ على النساء، حين بايعهن، أن لا ينحن، فقلن: يا رسول الله، إن نساء أسعدننا في الجاهلية، أفنسعدهن في الإسلام؟ فقال النبي ﷺ: «لا إسعاد في الإسلام، ولا شغار، ولا عقر في الإسلام، ولا جلب في الإسلام، ولا جنب، ومن انتهب فليس منا»، قال الدارقطني في أطراف الغرائب (٧٣٩): تفرد به معمر عن ثابت عنه ولا نعلم رواه عنه غير عبد الرازق.اهـ، وقال أبو حاتم كما في العلل (١٠٩٦): هذا حديث منكر جداً. اهـ.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٣٤١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله بلفظ: «لا ينحن».

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٤١) بتصرف يسير.

ويُروى: أَن جماعةً من النساءِ فيهن هند بنت عتبة بايَعْن رسول الله ﷺ، فقرأَ عليهن الآية، فلما قَرَّرهن على أَلَّا يُشْرِكن قالت هند: وكيف نطمع أن تقبل منَّا ما لم تقبله من الرجال، بمعنى أن هذا بَيِّنٌ لزومه.

فلما وقف على السَّرقة قالت: والله إِني لأُصيب الهنة من مال أَبي سفيان لا أَدري ما يحلُّ لي من ذلك، فقال أَبو سفيان ـ وكان حاضراًـ: ذلك حلالٌ فيما مضى وبقي، وقال لها رسول الله ﷺ: «كُلي وولدك بالمعروف» وقد تكرر هذا المعنى في الحديث الآخر، قولها: «إِن أَبا سفيان رجل مسِّيك»(١).

فلما وقف على الزِّنا قالت: يا رسول الله! وهل تزني الحُرَّة؟ قال لها رسول الله ﷺ: «لا، ما تزني الحُرَّة»(٢).

وذلك أَن الزِّنا في قريش إِنما كان في الإِماءِ في أَغلب الأَمر، وفيما يعرِف مثل هند، وإِلَّا فالبغايا قد كُنَّ أَحراراً.

فلما وقف على قتل الأَولاد قالت: نحن ربَّيناهم صغاراً، وقتلتهم أَنت ببدرٍ كباراً، فضحك رسول الله ﷺ، فلما وقف على العصيان في المعروف قالت: ما جلسنا هذا المجلس وفي أَنفسنا أَن نعصيك(٣).

---

(١) أصل الحديث متفق عليه أخرجه البخاري (٢٤٦٠)، ومسلم (١٧١٤) عن عائشة قالت: جاءت هند بنت عتبة بن ربيعة فقالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل مسِّيكٌ فهل عليَّ حرج أن أُطعم من الذي له عيالنا؟ فقال: «لَا حَرَجَ عَلَيْكِ أَنْ تُطْعِمِيهِمْ بِالْمَعْرُوفِ».

(٢) هذا مرسل، قولها «وهل تزني الحرة» أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٩ / ٢٣٧) من طريق عمر ابن أبي زائدة قال سمعت الشعبي يذكر أن النساء جئن يبايعن فقال النبي ﷺ: «تبايعن على أن لا تشركن بالله شيئاً» فقالت هند: إنا لقائلوها، قال: «فلا تسرقن» فقالت هند: كنت أصيب من مال أبي سفيان، قال أبو سفيان فما أصبت من مالي فهو حلال لك، قال: «ولا تزنين» فقالت هند: وهل تزني الحرة؟ قال: «ولا تقتلن أولادكن» قالت: أنت قتلتهم، وأخرجه أيضاً ابن سعد (٨/ ٩) من طريق أبي المليح، عن ميمون بن مهران أن نسوة أتين النبي ﷺ فيهن هند فذكر نحوه، قال في الإصابة (٨/ ١٥٥): وأخرجه ابن سعد بسند صحيح مرسل عن الشعبي وعن ميمون بن مهران.

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٩٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ أطول من هذا.

ويروى: أَن جماعة نساءٍ بايعن النبي ﷺ فقلن: يا رسول الله! نبايعك على كذا وكذا؛ الآية.

فلما فرغن، قال رسول الله ﷺ: «فيما اسْتَطَعْتُنَّ وأَطَقْتُنَّ»، فقُلْن: اللهُ ورسوله أَرحم بنا منَّا بأَنفُسنا[١].

وقوله تعالى: ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ معناه: امْض معهن صفقة الإِيمان بأَن يُعْطِينَ ذلك من أَنْفُسهن ويُعْطَيْن عليه الجنة.

واختلفت هيئات مبايعة رسول الله ﷺ النساءَ ـ بعد الإِجماع على أنه لم تمسَّ يده الشريفة[٢] يد امرأَة أَجنبية قط[٣] ـ فيروى عن عائشة رضي الله عنها وغيرها أَنها قالت: إِنه بايع النساءَ قولاً، وقال: «إِنما قولي لمئة امرأَة كقولي لامرأَةٍ واحدة»[٤].

وقالت أَسماءُ بنت يزيد بن السَّكن[٥]: كنتُ في النسوة المبايعات، فقلت: يا رسول الله، ابسُطْ يدك نبايعك، فقال لي رسول ﷺ: «إِنِّي لا أُصافح النساءَ لكن آخُذُ عليهن ما أَخذ الله عليهن»[٦].

---

(١) صحيح، أخرجه مالك في الموطأ (٦٠٨)، والحميدي (٣٤١)، وأحمد (٦/ ٣٥٧)، والترمذي (١٥٩٧)، والنسائي في الكبرى (٧٧٥٦-٧٧٦٥-٨٦٧٢-٨٦٦٠-٩١٩٦)، وابن ماجه (٢٨٧٤) وغيرهم من طرق عن محمد بن المنكدر، عَنْ أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ؛ أَنَّهَا قالت: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي نِسْوَةٍ.

(٢) «الشريفة» من المطبوع.

(٣) «قط» ليست في المطبوع، لم أقف على من نقل هذا الإجماع غير المؤلف.

(٤) أثر عائشة تقدم، وقد أخرجه البخاري (٢٧١٣)، ومسلم (١٨٦٦) من حديث عائشة رضي الله عنها بنفس المعنى.

(٥) أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع الأنصارية الأوسية الأشهلية تكنى أم سلمة، وكان يقال لها خطيبة النساء، الإصابة (٨/ ٢١).

(٦) حسن، أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٦)، وإسحاق في مسنده (٢٣٠٩)، والحميدي في مسنده، وأبو يعلى كما في المطالب (١٥٨٦)، والطبراني في الكبير (٤٥٩) وغيرهم من طرق شهر بن حوشب أنه لقي أسماء بنت يزيد قال: فحدثتني: أنها بايعت رسول الله ﷺ يوم بايع النساء فمدت يدها لتبايعه فقبض يده وقال: إني لا أصافح النساء ولكن إنما آخذ عليهن بالقول.

وذكر النقاش حديثاً: أَن النبي ﷺ مدَّ يده المكرمة من خارج بيت، ومدَّ نساءٌ من الأَنصار أَيديهن من داخله فَبَايَعْن[(١)]، وما قَدَّمتُه أَثبت.

وروي عن الشعبي: أَنه ﷺ لفَّ ثوباً كثيفاً قطريّاً[(٢)] على يده، وجاءَ نسوة فَلَمَسْنَ يده كذلك[(٣)].

ورُوي عن الكلبي: أَنَّه قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلمس النساءُ يده وهو خارج من بيتٍ وهُنَّ فيه بحيث[(٤)] لا يراهُنَّ[(٥)].

وذكر النقاش وغيره: أَن النبي ﷺ بايعه النساءُ بمكَّةَ على الصَّفَا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يصافحهن[(٦)].

ورُوي من حديث عمرو بن شعيب، عن أَبيه، عن جدِّه، رفعه النقاش عن ابن عباس[(٧)].

وعن عروة بن مسعود الثَّقفي: أَنه ﷺ غَمَس يده في إِناءٍ فيه ماءٌ، ثم دفعه إِلى النساءِ يغمسن أَيديهن فيه[(٨)].

---

(١) منكر؛ لمخالفته للأحاديث الصحيحة التي تدل على عدم مصافحته عليه الصلاة والسلام للنساء.

(٢) «قطرياً» ليس في المطبوع ونجيبويه، وأحمد٣، وفي الأسدية٣ ونور العثمانية: «قطوباً».

(٣) لم أقف عليه.

(٤) من نجيبويه وأحمد٣ والحمزوية.

(٥) ضعيف، ذكره الثعلبي (٩/ ٢٩٨) عن الكلبي قال: كان رسول ﷺ يشرط على النساء وعمر يصافحهن، والكلبي متروك.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) ضعيف، أخرجه الطبراني في الكبير (٣٧٣)، وابن قانع في معجم الصحابة (٢/ ٢٦١) من طريق جبارة بن مغلس، عن عبد الله بن حكيم، عن حجاج، عن داود بن أبي عاصم عن عروة بن مسعود الثقفي قال: كان رسول الله ﷺ عنده الماء فإذا بلغ النساء غمس أيديهن فيه. وجبارة بن المغلس الحماني ضعيف.

ثم أَمره تعالى بالاستغفار لهنَّ ورجَّاهُنَّ في غُفرانه ورحمته بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾، قال ابن زيد، والحسن، ومنذر بن سعيد: هم اليهود لأَن غضب الله عزَّ وجلَّ قد صار عُرفاً لهم(١).

وقال ابن عباس: هم في هذه الآية كفار قريش؛ لأَن كل كافر فعليه غضب من الله تعالى، لا يردُّ ذلك ثبوت غضب الله على اليهود(٢).

قال القاضي أَبو محمد: ولا سيَّما في المَرَدَة ككفَّار قريش، إِذ أَعمالهم معصية ليست بمجرد ضلال بل فيها شرارات(٣) مقصودة، وفي الكلام في التشبيه الذي في قوله تعالى: ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ﴾ يتبيَّن الاحتياج إِلى هذا الخلاف، وذلك أَن اليأْس من الآخرة إِمَّا أَن يكون بالتكذيب بها، وهذا هو يأْس كفار مكة، [وإِمَّا أَن يكون باليأْس عن الحظ فيها(٤) والنعمة مع التصديق بها، وهذا هو يأْس اليهود.

فمن قال: إِن القوم المشار إِليهم هم كفَّار مكَّة، قال](٥): معنى قوله تعالى: ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ﴾: كما يئس الكافر من صاحب قبر؛ لأَنه إِذا مات له حميم قال: هذا آخر العهد به، لن يُبعث أَبداً، فمعنى الآية: أَن اعتقاد أَهل مكَّة في الآخرة كاعتقاد الكافر في البعث ولقاءِ موتاه، وهذا هو تأْويل ابن عباس، والحسن، وقتادة في معنى قوله تعالى: ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ﴾(٦).

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٥٢)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٤٥).

(٢) أخرجه ابن حميد وابن المنذر كما في الدر المنثور (١٤/ ٤٣٨) عن ابن عباس: هم الكفار أصحاب القبور الذين يئسوا من الآخرة.

(٣) في المطبوع: «مناورات»، وفي حاشيته: اختلفت الأصول في هذه الكلمة، ففي بعضها جاءت: شرارات، وفي بعضها كانت سرارات.

(٤) في الأسدية٣: «الخلود فيها».

(٥) سقط من الأصل.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٣٤٦-٣٤٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله=

ومن قال: إِن القومَ المشار إِليهم هم اليهود، قال: معنى قوله تعالى: ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾: كما يئس الكافر من الرَّحمة إِذا ماتَ وكان صاحب قبر.

وذلك أَنه يُروى: أَن الكافر إِذا كان في قبره عُرِض عليه مقعده في[1] الجنة أن لو كان مؤمناً، ثم يُعرض عليه مقعده من النار الذي يصير إِليه، فهو يائس من رحمة الله تعالى مع علمه بها ويقينه، وهذا تأْويل مجاهد، وابن جبير، وابن زيد في قوله تعالى: ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾[2].

فمعنى الآية: أَن يأَس اليهود من رحمة الله تعالى في الآخرة مع علمهم بها كيأْس ذلك الكافر في قبره، وذلك لأَنهم قَدْ رِينَ على قُلوبهم، وحملهم الحسد على ترك الإِيمان، وغلب على ظنونهم أَنهم مُعَذَّبون، وهذه كانت صفة كثير من مُعاصري النبي ﷺ.

و﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنَ أَصْحَٰبِ﴾ على القول الأَول لابتداءِ الغاية، وفي القول الثاني هي لبيان الجنس أَو للتبعيض، يتوجَّهان فيها، وبيان الجنس أَظهر.

كمل تفسير (سورة الممتحنة)، والحمد لله ربِّ العالمين

= عنهما قال: من مات من الذين كفروا، فقد يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم، أو يبعثهم الله، وانظر قول الباقين في الهداية لمكي (١١/ ٧٤٣٣).

(١) في المطبوع ونجيبويه: «من».

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٣٤٧)، والهداية لمكي (١١/ ٧٤٣٤).

سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الصف / [٥/ ٢٠١]

وهي مدنية في قول الجمهور، وقال مكي عن ابن عباس، والمهدوي عن عطاءٍ ومجاهد: إِنها مكِّـيَّة، والأَول أَصح؛ لأَن معاني السُّورة تعضده، ويشبه أَن يكون فيها المكي والمدني[(١)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ۝٤ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٥﴾.

قد تقدَّم القول غير مرَّة في تسبيح الجمادات.

و﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في سلطانه وقدرته، و﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في أَفعاله وتدبيره.

---

(١) انظر: التحصيل للمهدوي (٦/ ٤٠٢)، وقول ابن عباس في الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٧٤٥)، والذي في الهداية لمكي (١١/ ٧٤٣٥) أنها مدنية عند قتادة وابن عباس. ولفظة «والمدني» ليست في المطبوع ونجيبويه.

واختلف الناس في السبب الذي نزلت فيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾، فقال ابن عباس، وأَبو صالح: نزلت بسبب أَن جماعة قالوا: لَوَددنا أَن نعرف أَحب الأَعمال إِلى ربنا حتى نعتني به، ففرض الله تعالى الجهاد، وأَعلمهم بفضله لديه، وأَنه يحب المقاتلين في سبيله كالبنيان المرصوص، وكان إِذْ فُرض قد تكرَّهه قوم منهم، وفرَّ من فرَّ يوم أُحد، فعاتبهم الله تعالى بهذه الآية[1].

[وقال قتادة والضحاك: نزلت هذه الآية][2] بسبب أَن جماعة من شباب المسلمين كانوا يتحدثون عن أَنفسهم في الغزو بما لم يفعلوا، ويقولون: فعلنا وصنعنا، وذلك كذب، فنزلت الآية في ذلك[3].

وقال ابن زيد: نزلت في المنافقين لأَن جملة منهم كانوا يقولون للمؤمنين: نحن منكم ومعكم، ثم يظهر من أَفعالهم خلاف ذلك، فنزلت الآية عتاباً لهم[4].

وحكم هذه الآية باق غابر الدهر، وكل من يقول ما لا يفعل فهو ممقوت مَذِق الكلام.

والقول الأَخير في المنافقين إِنما يتوجه بأَن يكونوا غير مُجَلِّحين بالنفاق، فلذلك خوطبوا بالمؤمنين، أَي: في زعمكم وما تُظهرون.

والقول الأَول يترجَّح بما يأْتي بعد من أَمر الجهاد والقتال.

و«الْمَقْتُ»: البغض من أَجل ذنب أَو ريبة أَو دناءَة يصنعها الممقوت، وهذا حدُّ المقت، فتأَمَّله، و﴿مَقۡتًا﴾ نصب على التمييز، والتقدير: كَبُر فِعْلكم مقتاً، والمراد: كبر مَقْتُ فِعْلكم، فحذف المضاف إِليه ونصب المضاف على التمييز، وهذا كما تقول: تَفَقَّأَ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٦٠٦) من طريق علي بن أبي طلحة، وعطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) سقط من الأصل.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٥٤)، بتصرف.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٥٥)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٣٠٢) بتصرف.

شحمُ بطنِك[١]، ثم تقول: تَفَقَّأَ بطنُك شحماً.

و﴿أَن تَقُولُواْ﴾ يحتمل أن يكون بدلاً من المقدر، [ويحتمل أن يكون خبر ابتداءٍ مضمَر.

ويحتمل ـ على غير هذا التقدير ـ][٢]: أن يكون فاعلًا بـ﴿كَبُرَ﴾.

وقول المرءِ ما لا يفعل يوجب مقت الله تعالى، ولذلك فرَّ كثير من العلماءِ من الوعظ والتذكير وآثروا السكوت.

ثم أَكَّد تعالى الإِخبار بمحبته للمقاتلين صفّاً، ومحبة الله تعالى هي ما يظهر عليهم من نصره وكرامته، وهي هنا صفة فعل وليست بمعنى الإِرادة؛ لأَن الإِرادة لا يصح أَن يقع ما يخالفها، ونحن نجد المقاتلين على غير هذه الصفة كثيراً.

وقال بعض الناس: قتال الرَّجَّالة أَفضل من قتال الفرسان؛ لأَن التَّراصَّ فيه يتمكن.

وهذا ضعيف خَفِيَ على قائله مقصد الآية، وليس المراد نفس التصافِّ، وإِنما المقصد: الجدُّ في كل أَوطان القتال وأحواله، وقصد بالذِّكْر أَشدّ الأحوال وهي الحالة التي تحوج إِلى القتال صفّاً متراصّاً، ونابَت هذه الحال المذكورة مناب جميع الأَحوال، وقضت الآية بأَن الذين يبلغ جِدُّهم إِلى هذه الحال حريُّون أَلَّا يُقَصِّروا عن حال.

و«الْمَرْصُوصُ»: المصفوف المُتَضَام.

وقال أَبو بَحْرِيَّة[٣]: إِذا رأيتموني أَلتفت في الصف فجبوا[٤] فؤادي. ومنه قول الشاعر:

---

(١) في المطبوع: «تفقأ شحماً بطنك»، وهو خلاف الصواب.

(٢) سقط من الأصل.

(٣) هو أبو بحرية التراغمي الحمصي، عبد الله بن قيس، شهد خطبة الجابية، حدث عن معاذ، وأبي هريرة، أدرك الجاهلية، ووثقه ابن معين، وكان فقيهاً ناسكاً يحمل عنه الحديث، عثماني الهوى وكان معاوية يعظمه، مات في زمن الوليد، تاريخ الإسلام (٥/ ٥٤٤).

(٤) في الأسدية٣، وأحمد٣ والمطبوع: «فجزّوا»، وفي نجيبويه: «فخذوا»، وفي الحمزوية ونور العثمانية: «فجوا».

[مجزوء الكامل]

بِالشَّامِ بَيْنَ صَفَائِحٍ صُمٍّ تَرَصَّصُ بالْجبوبِ[١]

وقال منذر بن سعيد، والفراءُ، وغيرهما: المرصوصُ: المعقود بالرصاص، وهذا يحتمل أَن يكون أَصل اللفظة[٢].

ثم ذكر تعالى مقالة موسى عليه السلام، وذلك ضرب مثل للمؤمنين الذين يقولون ما لا يفعلون، ذكَّرهم الله تعالى بقوم آذوا نبيَّهم على علم منهم بنبوَّته، وَزَاغُوا فأَزَاغَ اللهُ تعالى قلوبهم، أي: فاحذروا أَيها المؤمنون أَن يُصَيِّركم العصيان وقول الباطل إِلى مثل حالهم.

وقال أَبو أُمامة: هم الخوارج[٣]، وقال سعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه: هم الحرورية[٤].

قال القاضي أَبو محمد: المعنى أَنهم أَشباههم في أَنهم لما زاغوا أَزاغ الله تعالى قلوبهم.

وقوله تعالى: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ تقرير، والمعنى: تؤذونني بِتَعَنُّتكم وعصيانكم واقتراحاتكم، وهذه كانت أَفعال بني إِسرائيل.

---

(١) عزاه في مصارع العشاق (٢/ ١٣٩) لابن أبي العنبس الثقفي، في ابنه، وعزاه في الأغاني (٦/ ٣٢٤)، لمكين العذري يرثي أباه، وعزاه أيضاً (٨/ ٣٦١) لسلامة ترثي الوليد بن يزيد، وعندهم: «ترصف»، بالفاء، وفي المطبوع والحمزوية: «الجنوب»، وفي نجيبويه: «الحتوف».

(٢) في الأصل: «البراء»، وانظر معاني القرآن للفراء (٣/ ١٥٣)، وقول منذر بن سعيد في البحر المحيط (١٠/ ١٦٣).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٦١٢)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١٥٣٥)، والخلال في السنة (١٣٨) من طريق هشيم، عن العوام بن حوشب، عن أبي غالب البصري ـ وهو صدوق، عن أبي أمامة به. وإسناده لين.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٩٠٨١)، والطبري (١٨/ ١٢٦)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١٥٢٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧١) من طرق، عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال: قلت لأبي: ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا * ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ الحرورية هم؟قال: لا ولكنهم أصحاب الصوامع، والحرورية قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم.

وانظر أنه تعالى أَسند الزَّيْغ إِليهم لكونه فعل حطيطة، كما قال تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ﴾ [الحشر: ١٩] وهذا بخلاف قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ [التوبة: ١١٨] فقد أَسند التوبة إِلى نفسه لكونها فعل رِفْعة، ومنه قوله تعالى حكاية عن إِبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

و(زَاغَ) معناه: مالَ، وصار عُرفها في الميل عن الحق.

و﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ معناه: طبع عليها وختم وكثُر مَيْلُها عن الحق، وهذه هي العقوبة على الذنب بالذنب، وأَمال ابن أَبي إسحاق: ﴿زَاغُوٓاْ﴾[١].

قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾.

المعنى: واذكر يا محمد إِذ قال عيسى، وهذا مثال آخر ضربه الله تعالى لكفار قريش، وحكى عن موسى عليه السلام أنه قال: ﴿يَٰقَوْمِ﴾، وعن عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ من حيث لم يكن له فيهم أَب.

و﴿مُّصَدِّقًا﴾ حال مؤكدة، و(مُبَشِّراً) عطف عليه.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى﴾، وقوله: ﴿ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ جملتان كل واحدة منهما في موضع خفض على الصفة لـ﴿رَسُولٍ﴾ /. [٥/ ٢٠٢]

و﴿أَحْمَدُ﴾ فعل سمِّي به، ويحتمل أَن يكون أَفْعل؛ كأَسود، وهو في هذه الآية للكلمة[٢] لا الشخص، وليست على حدِّ قولك: جاءَنا أَحمد؛ لأنك هاهنا أَوقعت الاسم

(١) وهي سبعية لحمزة كما في التيسير (ص: ٤٩). وفي الحمزوية: «ابن إسحاق».

(٢) في نجيبويه والحمزوية: «الكلمة».

على مسمَّاه، وفي هذه الآية إِنما أَراد: اسمه هذه الكلمة، وذكر أَبو علي هذا الغرض[١]، ومنه ينفك إِعراب قوله تعالى: ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠].

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، ونافع، وعاصم في رواية أَبي بكر: ﴿من بعديَ﴾ بفتح الياءِ.

وقرأَ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وعاصم في رواية حفص: ﴿مِنۢ بَعۡدِى﴾ بسكون الياءِ[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الآية؛ يحتمل أَن يريد عيسى عليه السلام، وتكون الآية وما بعدها تمثيلاً بأُولئك لهؤلاءِ المعاصرين لمحمد ﷺ.

ويحتمل أَن يكون التمثيل قد فرغ عند قوله: ﴿ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ﴾، ثم خرج إِلى ذكر أَحمد، لمَّا تطرَّق ذكره فقال تعالى مخاطبة للمؤمنين: فلمَّا جاءَ أَحمد هؤلاءِ الكفار قالوا: هذا سحر مبين.

و(البيِّـنَات): هي الآيات والعلامات.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿هَٰذَا سِحۡرٌ﴾ إِشارة إِلى ما جاءَ به.

وقرأَ ابن مسعود، وطلحة، والأَعمش، وابن وثاب: ﴿هذا ساحر﴾ إِشارة إِليه بنفسه[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ تعجيب وتقرير؛ أي: لا أَحد أَظلم منه، و«افتراءُ الكذب»: هو قولهم: ﴿هَٰذَا سِحۡرٌ﴾ وما جرى مجرى هذا من الأَقوال [التي هي اختلاق و][٤] بغير دليل.

---

(١) في المطبوع والحمزوية: «العرض».
(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٠)، والقراءة الثانية ليست في الأصل.
(٣) وهما سبعيتان، الثانية لحمزة والكسائي، كما في التيسير (ص: ١٠١).
(٤) سقط من المطبوع ونجيبويه.

وقرأ الجمهور: ﴿يُدۡعَىٰٓ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول.

وقرأ طلحة بن مصرف: (يَدَّعِي)[١] بمعنى: ينتمي وينتسب، ومن ذلك قول الشاعر:

فَرَمَيْتُ فَوْقَ مُلاءَةٍ مَحْبُوكَةٍ وَأَبَنْتُ لِلأَشْهَادِ حَزَّةَ أَدَّعِي[٢] [الكامل]

والمعنى - على هذه القراءَة - إنما هو إِشارة إِلى الأَنبياءِ عليهم السلام، لمَّا حكى عن الكفار أَنهم قالوا: ﴿هَٰذَا سِحۡرٞ﴾ بيَّن بعد ذلك أَن العقل لا يقبله، أَي: وهل أَظلم من هذا الذي يزعم أَنه نبيٌّ ويدَّعي إِلى الإِسلام وهو مع ذلك مُفْتَر على ربِّه؟ وهذا دليل واضح لأَن مسالك أَهل الافتراءِ والْمَخْرَقَة إِنما هي دون هذا وفي أُمور خسيسة.

وضبط النقاشُ هذه القراءَة (يُدَّعَى) بضم الياءِ وفتح الدال المشددة على ما لم يسمَّ فاعله.

والضمير في ﴿يُرِيدُونَ﴾ للكفار، واللام في قوله تعالى: ﴿لِيُطۡفِـُٔواْ﴾ لام مؤكدة دخلت على المفعول؛ لأَن التقدير: يريدون أَن يطفئوا، و«أَنْ» مع الفعل في تأْويل المصدر، فكأَنه تعالى قال: يريدون إِطفاءَ، وأَكثر ما تلزم هذه اللامُ المفعولَ إِذا تقدَّم، تقول: لِزيدٍ ضربت ولِـرُؤْيتك قصدت.

و﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾: هو شرعه سبحانه وبراهينه، وقوله تبارك وتعالى: ﴿بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ إِشارة إِلى الأَقوال، أَي بقولهم: سِحْر وشِعْر وتكَهُّن وغير ذلك.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وابن عامر، وأَبو بكر عن عاصم، وابن محيصن، والحسن وطلحة، والأَعرج: ﴿واللهُ مُتِمٌّ﴾ بالتنوين ﴿نُورَهُ﴾ بالنصب.

وقرأَ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، والأَعمش: ﴿مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾[٣] بالإِضافة، وهي في معنى الانفصال. وفي هذا نظر.

---

(١) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٢٠).

(٢) عزاه في المعاني الكبير (٢/ ١٠٤١)، وأمالي القالي (١/ ٦٠)، للهذلي، وهو ساعدة بن العَجْلان كما في سمط اللآلي (١/ ٢٢٣).

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٠).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢﴾.

هذا تأْكيد لأَمر الرِّسالة وشدٌّ لأَزْرها، كما يقول الإِنسان لأَمر يثبته ويُقَوِّيه: أَنا فعلتُه؛ أَي: فمن يقدر على معارضته فليعارض.

و«الرَّسولُ» المشار إِليه: هو محمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ لفظ يصلح للعموم، وأَن يكون المعنى: أَلَّا يبقى موضع فيه دين غير الإِسلام، وهذا لا يكون إِلَّا عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام، قاله أَبو هريرة[١]، ومجاهد.

ويحتمل أَن يكون المعنى: أَن يظهره حتى لا يوجد دين إِلَّا والإِسلام أَظهر منه، وهذا قد كان وَوُجد.

ثم نَدب تعالى المؤمنين وحضَّهم على الجهاد بهذه التجارة التي بيَّنها، وهي أَن يعطي المرءُ نفسه وماله ويأْخذ ثمناً جنة الخُلْد.

وقرأَ جمهور الناس والقراءِ: ﴿تُنجِيكُم﴾ بتخفيف النون وكسر الجيم دون شدٍّ.

وقرأَ ابن عامر وحده، والحسن، والأَعرج، وابن أَبي إِسحاق: ﴿تُنَجِّيكُمْ﴾ بفتح النون وشدِّ الجيم[٢].

وقوله تعالى: ﴿تُؤۡمِنُونَ﴾ لفظه لفظ الخبر ومعناه الأَمر؛ أَي: آمنوا.

---

(١) جيد، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢٣/ ٣٦١) من طريق سفيان، عن أبي المقدام ثابت بن هرمز، عن نبيح بن عبد الله العنزي، عن أبي هريرة ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ قال: خروج عيسى بن مريم. وقد تصحف «سفيان» في المطبوع إلى «شقيق»، و«نبيح» إلى «شيخ».

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٠).

وفي مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (أَلِيمٌ، آمِنوا باللَّهِ ورسوله وجاهِدُوا)[١].

وقوله تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ فعل مرفوع تقديره: ذلك أَنه تؤمنون.

وقال الأَخفش: هو عطف بيان على ﴿تِجَرَةٍ﴾.

وقال المبرد: هو بمعنى: آمنوا على الأَمر، ولذلك جاءَ ﴿يَغْفِرْ﴾ مجزوماً[٢].

[وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ﴾ إشارة إلى الجهاد والإيمان، و﴿خَيْرٌ﴾ هنا يحتمل أن يكون للتفضيل فالمعنى: من كل عمل، ويحتمل أن يكون إخباراً أن هذا خير بذاته ونفسه][٣].

والجزمُ في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ﴾ على الجواب للأَمر المقدر في ﴿تُؤْمِنُونَ﴾، أَو على ما يتضمنه قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ من الحضِّ والأَمر، وإِلى نحو هذا ذهب الفراءُ[٤].

ورُوي عن أَبي عمرو بن العلاءِ أَنه قرأَ: ﴿يَغْفِلَّكُم﴾ بِإدغام الراءِ في اللام[٥].

ولا يجوِّز ذلك سيبويه[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَسَكِنَ﴾ عطف على ﴿جَنَّتٍ﴾، و«طيبُ المساكن»: سَعَتُها وجمالُها، وقيل: طيبُها المعرفةُ بدوام أَمرها.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا هو الصحيح، وأَيُّ طيب مع الفناءِ والموت؟

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾.

---

(١) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ١٥٤).

(٢) انظر القولين في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٧٨).

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٥٤).

(٥) هكذا كتبت في جميع النسخ إلا الحمزوية ففيها: «يغفر لكم» على الأصل، وهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ٤٤)، والسبعة (ص: ١٢١)، وللدوري وجه بالإظهار.

(٦) الكتاب لسيبويه (٤/ ٤٤٨).

قوله تعالى: ﴿وَأُخۡرَىٰ﴾، قال الأَخفش: هي في موضع خفض عطفاً على ﴿تِجَٰرَةٖ﴾[(١)].

وهذا قولٌ قلقٌ قد ردَّ عليه ناسٌ واحْتَجَّ له آخرون، والصحيح ضعفه؛ لأَن هذه «الأُخرى» ليست ممَّا دلَّ عليه، إِنما هي ممَّا أُعطي ثمناً وجزاءً على الإِيمان والجهاد بالنفس والمال.

وقال الفراءُ: ﴿وَأُخۡرَىٰ﴾ في موضع رفع[(٢)].

وقال قوم: إن (أُخرَى) في موضع نصب بإِضمار فعل، كأَنه تعالى قال: يغفرْ لكم ذنوبكم / ويُدخلْكم جنات ويمنحْكُم أُخرى وهي النصر والفتح القريب. [٥/ ٢٠٣]

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (نصراً من الله وفتحاً) بالنصب فيهما[(٣)].

ووصفها تعالى بأَن النفوس تحبها من حيث هي عاجلة في الدنيا، وقد وكلت النفس بحب العاجل، ففي هذا تحريض، ثم قوَّاه تعالى بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

وهذه الأَلفاظ في غاية الإِيجاز وبراعة المعنى.

ثم ندب الله تعالى المؤمنين إِلى النصرة، ووضع لهم هذا الاسم وإِن كان العُرْف قد خصَّ به الأَوس والخزرج، وسمَّاهم الله تعالى به.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، والأَعرج، وعيسى: ﴿أَنْصَاراً﴾ منوَّناً ﴿لِلَّهِ﴾.

وقرأَ الباقون، والحسن، والجحدري بالإِضافة[(٤)].

وفي حرف عبد الله: (أنتم أنصار الله)[(٥)].

---

(١) انظره مع الرد عليه في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٧٨).

(٢) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٥٤).

(٣) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٤٧٢).

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٠).

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٥٥)، في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «وفي حرف أُبَيٍّ».

ثم ضرب تعالى المثل بقوم بادروا حين دُعوا، وهم الحواريُّون.

و﴿ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾: خُلْصان الأَنبياءِ عليهم السلام، سُمُّوا بذلك [لأَنه ردَّد اختيارهم وتصفيتهم، وكذلك ردَّد تنخيل الحواري، واللفظتان من «الحَوَر».

وقيل: سُمُّوا بذلك][1] لبياض ثيابهم، وكانوا غسَّالين نصروا عيسى عليه السلام، واستُعمل اسمهم حتى قيل للناصر العاضد: حواري، وقال النبي ﷺ: «وحواري الزبير»[2].

وافتراق طوائف بني إِسرائيل هو في أَمر عيسى عليه السلام؛ قال قتادة: والطائفة الكافرة ثلاث فرق:

اليعقوبية وكلُّهم قالوا: هو الله.

والإِسرائيلية وهم قالوا: هو ابن الله.

والنسطورية وهم قالوا: هو إِله، وأُمُّه إِله، والله تعالى ثالثهما. تعالى الله سبحانه عن أَقوالهم عُلُوّاً كبيراً[3].

قوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾، قيل: ذلك قبل محمد ﷺ، وبعد فترة من رفع عيسى عليه السلام، ردَّ الله تعالى الكرَّة عليهم لمن آمن به فغلبوا الكافرين الذين قتلوا صاحبه الذي أُلقي عليه الشبه.

وقيل: ذلك لمحمد ﷺ، أَصبح المؤمن بعيسى عليه السلام ظاهراً لإِيمانه بمحمد ﷺ، وذلك لأنه لا يؤمن أَحد حق الإِيمان بعيسى عليه السلام إِلَّا وفي ضمن

(١) سقط من نجيبويه، وفي المطبوع: «ردد تخيل..»، وفي أحمد٣: «تنخيل الحوريين» بالجمع، والجملة في الأصل غير واضحة بسبب سوء التصوير.
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٨٤٦) ومسلم (٢٤١٥).
(٣) انظر قول قتادة في: تفسير عبد الرزاق (٢/ ٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٣٠)، وانظر: الملل والنحل لابن حزم (١/ ٤٨).

ذلك الإِيمان بمحمد ﷺ؛ لأَنه بشَّر به وحرَّض عليه، وقيل: كان المؤمنون قديماً به ظاهرين بالحُجَّة وإِن ظلُّوا مفترقين في البلاد، مغلوبين في ظاهر الحياة الدنيا.

وقرأَ مجاهد، وحُميد، والأَعرج، وابن محيصن: (فَآيَدْنَا) مخفَّفة الياءِ ممدودة الأَلف[1].

كمل تفسير (سورة الصَّف)، والحمد لله ربِّ العالمين

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لهم في الكامل للهذلي (ص: ٣٨٠).

تفسير سورة الجمعة

وهي مدنيَّة، وذكر النقاش قولاً أنها مكِّيَّة(١)، وذلك خطأٌ ممَّن قاله؛ لأن أَمر اليهود لم يكن إِلَّا بالمدينة، وكذلك أَمْر الجمعة لم يكن قط بمكَّة، أَعني إِقامتها وصلاتها، وأَمَّا أَمْر الانفضاض فلا مرية في كونه بالمدينة.

وذكر النقاش عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: كُنَّا جلوساً عند رسول الله ﷺ حين نزلت سورة الجمعة(٢). وهذا أَيضاً ضعيف؛ لأن أَبا هريرة رضي الله عنه إِنما أَسلم أَيَّام خيبر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦) عن أبي هريرة قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأ ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ قال رجلٌ: مَن هؤلاء يا رسول الله؟ فلم يراجعه النبي ﷺ حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثاً قال: وفينا سلمان الفارسي قال: فوضع النبي ﷺ يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء»، قال الحافظ في الفتح (٨/ ٦٤٢): قوله فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ كأنه يريد أنزلت عليه هذه الآية من سورة الجمعة وإلا فقد نزل منها قبل إسلام أبي هريرة الأمر بالسعي. اهـ.

تقدَّم القول في مثل أَلفاظ الآية الأُولى بأَجمعها، واختلفت القراءَة في إِعراب الصفات في آخرها، فقرأَ جمهور الناس: ﴿ٱلْمَلِكِ﴾ بالخفض نعتاً ﴿لِلَّهِ﴾، وكذلك ما بعده.

وقرأَ أَبو وائل شقيق، ومسلمة، وأَبو الدينار: (الْمَلِكُ) بالرفع على القطع، وكذلك ما بعده.

وفتح أَبو الدينار القاف من (الْقَدُّوس)[١].

و«الأُمِّـيُّونَ»: يراد بهم العرب، والأُمِّي في اللغة: الذي لا يكتب ولا يقرأُ كتاباً[٢]، منسوب إِلى [«الأم»؛ أي: هو على الخلقة الأولى في بطن أمه.

وقيل: هو منسوب إلى الأمة، أي: على سليقة البشر دون تعلم، وقيل: هو منسوب][٣] إلى «أُمِّ القرى» وهي مكَّة.

وهذا ضعيف؛ لأَن الوصف بالأُمِّيين على هذا يقف على قريش، وإِنما المراد جميع العرب، وفيهم قال النبي ﷺ: «إِنَّا أُمَّـةٌ أُمِّـيَّةٌ لا نحسب ولا نكتب، الشهر هكذا وهكذا»[٤].

وهذه الآية تعديد نعم الله تعالى عليهم فيما أَولاهم.

و«الآياتُ المتْلُوَّةُ»: القرآن.

و(يُزَكِّيهِمْ) معناه: يطهِّرهم من الشِّرك، وينمِّي الخير فيهم.

و﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾: الوحي المتْلُوُّ.

و(الحِكْمَة): السُّنَّـةُ التي هي على لسانه ﷺ.

ثم أَظهر تعالى تأْكيد النعمة بذكر حالهم التي كانت في الضد من الهداية، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

---

(١) وهما شاذتان، انظرهما في تفسير الثعلبي (٩/ ٣٠٥)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٧٢).

(٢) «كتاباً» ليست في المطبوع.

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٩١٣)، ومسلم (١٠٨٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

و(آخَرِين) في موضع خفض عطفاً على ﴿ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾، أَو في موضع نصب عطفاً على الضمائر المتقدِّمة.

واختلف الناس في المَعْنِيِّين بقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ﴾:

فقال أَبو هريرة رضي الله عنه وغيره: أَراد فارس، وقد سُئل رسول الله ﷺ: من الآخرون؟ فأَخذ بيد سلمان الفارسي رضي الله عنه وقال: «لو كان الدين في الثريَّا لناله رجال من هؤلاءِ»، خرجه مسلم[١].

وقال سعيد بن جبير، ومجاهد: أَراد الرُّوم والعجم[٢].

فقوله تعالى: ﴿مِنۡهُمۡ﴾ على هذين القولين إِنما يريد به: في البشرية والإِيمان، كأَنه تعالى قال: وآخرين من الناس.

وقال مجاهد أَيضاً، وعِكْرِمة، ومقَاتل: أَراد التابعين من أَبناءِ العرب[٣].

فقوله تعالى: ﴿مِنۡهُمۡ﴾ يريد به: النَّسب والإِيمان.

وقال ابن زيد ومجاهد والضحاك وابن حبان: أراد بقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ جميع طوائف الناس[٤].

ويكون ﴿مِنۡهُمۡ﴾ في البشرية والإيمان على ما قلناه، وذلك أَنَّا نجد بعثه ﷺ إِلى جميع الخلائق.

وقال ابن عمر لأَهل اليمن: أَنتم هم[٥].

---

(١) مسلم (٢٥٤٦).

(٢) الهداية لمكي (١١/ ٧٤٥٨).

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٠٦)، وقول مجاهد في: تفسير الثعالبي (٤/ ٢٩٨).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٧٥)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٣٠٦)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٤٥٩).

(٥) في إسناده جهالة، أخرجه الطبري (٢٣/ ٣٧٤) من طريق هشام بن يوسف الصنعاني، عن عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن القاص، عن أبيه، عن جده، عن ابن عمر أنه قال له: أما إن سورة =

وقوله تعالى: ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا﴾ نفْيٌ لما قَرُب من الحال، والمعنى أَنهم مزمعون أَن يلحقوا بهم، فهي «لم» زيدت عليها «ما» تأْكيداً، قال سيبويه: «لَـمَّا» نَفْي قولك: قد فعل، / و«لَمْ» نفْي قولك: فعل دون «قَدْ»[(١)]. [٥/ ٢٠٤]

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ الآية؛ تَبْيِينٌ لموقع النعمة وتخْصيصه إِيَّاهم بها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾: هم بنو إِسرائيل والأَحبار المعاصرون لرسول الله ﷺ.

و﴿حُمِّلُوا۟﴾ معناه: كُلِّفُوا القيام بأَوامرها ونواهيها، فهذا كما حمل الإِنسان الأَمانة، وليس ذلك من الحمل على الظهر وإِن كان مُشْتَقّاً منه.

وذكر تعالى أَنهم لم يَحْملوها، أَي: لم يُطيقوا[(٢)] أَمرها ويَقِفوا عند حدِّها حين كذبوا بمحمد ﷺ، والتوراةُ تنطق بِنُبُوَّته، فكأَن كل حبر[(٣)] [لم ينتفع بما حمل][(٤)]،

= الجمعة أنزلت فينا وفيكم في قتلكم الكذّاب، ثم قرأ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ حتى بلغ ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ قال: فأنتم هم. وعبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن بن يزيد القاص مجهول الحال فلم يرو عنه غير هشام بن يوسف، وقد ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٥/ ٣٢٩)، وابن حبان في الثقات (٨/ ٣٧١)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٥/ ٢٦٣) ولم يذكروا فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(١) الكتاب لسيبويه (٣/ ١١٧).

(٢) في الأصل ونور العثمانية: «يطيعوا».

(٣) في الأسدية٣، ونور العثمانية والمطبوع: «خير».

(٤) في المطبوع: «لم ينتفع به من حمله».

كمثل حمارٍ عليه أَسفارٌ فهي عنده والزِّبل وغير ذلك بمنزلة واحدة.

وقرأَ يحيى بن يَعْمَر: (حَمَلُوا) بفتح الحاءِ والميم مخففة[١].

وقرأَ المأْمون العباسي: (يُحَمَّل) بضم الياءِ وفتح الحاءِ وشدِّ الميم المفتوحة[٢].

وفي مصحف ابن مسعود: (كَمَثَلِ حِمَارٍ) بغير تعريف[٣].

و«السِّفْرُ»: الكتابُ المجتمع الأَوراق مُنَضَّدة.

ثم بيَّن تعالى حال مثلهم وفساده بقوله تعالى: ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾، [والتقدير: بئس المثل مثل القوم][٤].

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ﴾ الآية؛ رُوي أَنها نزلت بسبب أَن يهود المدينة لمَّا ظهر رسول الله ﷺ خاطبوا يهود خيبر في أَمره، فذكروا لهم نُبُوَّته، وقالوا: إِن رأَيتم اتِّباعه أَطعناكم، وإِن رأَيتم خلافه خالفناه معكم، فجاءَهم جواب أَهل خيبر يقولون: نحن أَبناءُ إِبراهيم خليل الرحمن، وأَبناءُ عُزَيْر ابن الله، ومنَّا الأَنبياءُ، ومتى كانت النُّبوَّة في العرب؟ نحن أَحق بالنبوة من محمد، ولا سبيل إِلى اتباعه، فنزلت الآية[٥]، بمعنى: إِنكم إِذا كنتم من الله بهذه المنزلة فقُربه وفِراقُ هذه الحياة الخسيسة أَحب إِليكم، فتمنوا الموت إِن كنتم صادقين[٦] تعتقدون في أَنفسكم هذه المنزلة.

ثم أَخبر تعالى عنهم أَنهم لا يَتَمَنَّوْنه ولا يلقونه إِلَّا كرهاً لعلمهم بسوءِ حالهم عند الله تعالى وبعدهم منه، هذا هو اللازم من أَلفاظ الآية، وروى كثير من المفسِّرين:

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له ولزيد بن علي في البحر المحيط (١٠/ ١٧٢)، وللثاني في الشواذ للكرماني (ص: ٤٧٢).

(٢) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (١٠/ ١٧٢).

(٣) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ١٥٥).

(٤) سقط من الأصل.

(٥) انظر: البحر المحيط (٨/ ٢٦٤).

(٦) «صادقين» من المطبوع.

أَن الله تعالى جعل هذه الآية معجزة لمحمد ﷺ، وآية باهرة، وأَعلمه أَنه إِن تمنى أَحد منهم الموت في أَيام معدودة ماتَ وفارق الدُّنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: تمنوا الموت في جهة التعجيز وإِظهار الآية، فما تمنَّاه أَحدٌ خوفاً من الموت وثقةً بصدق محمد ﷺ.

ثمَّ توعَّدهم تعالى بالموت الذي لا محيد لهم عنه، ثمَّ بما بعده من الرَّدِّ إِلى الله تعالى.

وقرأَ ابن مسعود رضي الله عنه: (تَفِرُّونَ منْهُ مُلَاقِيكُمْ) بإِسقاط (فَإِنَّهُ)[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ أَي: إِنباءَ مُعَاقِبٍ مُجازٍ عليه بالتعذيب.

وقرأَ ابن أَبي إِسحاق: (فَتَمَنَّوِا المَوتَ) بكسر الواو، وكذلك يحيى بن يَعْمَر[(٢)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١﴾.

النداءُ بالجمعة: هو في ناحية من المسجد، وكان على الجدار في مسجد رسول الله ﷺ.

وقال السائب بن يزيد[(٣)]: كان للنبي ﷺ مؤذن واحد على باب المسجد[(٤)].

---

(١) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ١٥٦).

(٢) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٢١).

(٣) هو السائب بن يزيد بن سعيد بن ثُمامة الكندي، ويعرف بابن أُخت النَّمِر، صحابي صغير، له أحاديث قليلة، وولاه عمر سوق المدينة، مات سنة ٩١هـ، وقيل: قبل ذلك، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة، الإصابة (٣/ ٢٣).

(٤) أخرج البخاري (٩١٣)، وأبو داود (١٠٨٩) عن السائب بن يزيد: أَن الأذان كان أوله حين يجلس الإمام على المنبر يوم الجمعة فى عهد النبي ـ ﷺ ـ وأبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ فلما كان خلافة عثمان وكثر الناس أمر عثمان يوم الجمعة بالأذان الثالث فأذن به على الزوراء فثبت الأمر على ذلك. وقد روي بألفاظ مختلفة.

وفي «مصنف أَبي داود»: وكان بين يديه وهو على المنبر أَذان، وهو الذي استعمل بنو أُمَيَّة، وبقي بقرطبة إِلى الآن، ثم زاد عثمان رضي الله عنه النداءَ على الزوراءِ ليسمع الناس[١].

فقوم عبَّروا عن زيادة عثمان بالثاني، كأَنهم لم يتعدُّوا الذي كان بين يدي النبي ﷺ، وقومٌ عبَّروا عنه بالثالث.

وقرأَ ابن الزبير، والأَعمش: (الْجُمْعَةِ) بإِسكان الميم[٢]، وهي لغة.

والمأْمور بالسَّعي: هو المؤمن الصحيح البالغ الحرُّ الذَّكَر[٣].

ولا جمعة على مسافر في طاعة، فإِن حضرها أَحسن وأَجْزَته[٤].

واختلف الناس في الحدِّ الذي يلزم منه السَّعي؛ فقال مالك: ثلاثة أَميال[٥].

قال القاضي أبو محمد: من منزل الساعي إِلى المنادي.

وقال فريق: من منزل الساعي إِلى أَول المدينة التي فيها النداءُ[٦].

وقال أَصحاب الرأْي: يلزم أَهل المدينة كلها السَّعي؛ مَنْ سمع النداءَ ومن لم يسمع، وإِن كانت أَقطارها فوق الثلاثة أَميال.

وقال أَبو حنيفة: ولا يلزم مَنْ منزله خارج المدينة كزرارة من الكوفة، وإِنما بينهما مجرى نهر[٧].

---

(١) أبو داود (١٠٨٩)، وهو حديث السائب بن يزيد المتقدم، في المطبوع: مصحف أبي داود، وفيه: على الزوراء يسمع.

(٢) وهي شاذة، نسبها لهما القرطبي (١٨/ ٩٧) ونسبها النحاس في إعراب القرآن (٤/ ٢٨٢) للأعمش، قال: وهي لغة بني عقيل.

(٣) وهذا بإجماع العلماء، انظر الإقناع (٢/ ٤٤٢-٤٤٣).

(٤) انظر: المدونة (١/ ٢٣٨)، والأوسط (٤/ ٢١-٢٢)، والإقناع (٢/ ٤٤٣).

(٥) انظر قول مالك في: النوادر (١/ ٤٥١).

(٦) انظر: البيان والتحصيل (١/ ٤٣٧).

(٧) انظر قول أبي حنيفة في: المبسوط للشيباني (١/ ٣٦٦).

ولا تجوز لهم إِقامتُها؛ لأَن منْ شروطها الجامع والسُّلطان القاهر والسُّوق القائمة(١).

وقال بعض أَهل العلم: يلزم السعي من خمسة أَميال(٢).

وقال الزهري: من ستَّة أَميال، وقال أَيضاً: من أَربعة أَميال، وقاله ابن المنكدر(٣).

وقال ابن عمر(٤)، وابن المسيّب، وابن حنبل: إِنما يلزم السعي من سمع النداءَ(٥).

وفي هذا نظر.

والسَّعي في الآية ليس الإِسراع في المشي كالسَّعي بين الصَّفا والمروة، وإِنما هو بمعنى قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩]، فالقيامُ والوضوءُ ولبسُ الثوب والمشيُ سعيٌ كلُّه إِلى ذكر الله تعالى، قال الحسن، وقتادة، ومالك، وغيرهم: إِنما تُؤْتَى الصلاة بالسَّكينة(٦).

فالسَّعيُ: هو بالنِّـيَّة والإِرادة والعمل(٧).

و«الذِّكْرُ»: هو وعظ الخطبة، قاله ابن المسيَّب(٨).

ويؤيد ذلك قول النبي ﷺ: «إِنَّ الملائكة على أَبواب المسجد يوم الجمعة، يكتبون الأَول فالأَول، فإِذا خرج الإِمامُ طُويت الصُّحف وجلست الملائكة يستمعون الذِّكر»(٩).

---

(١) انظر شروط وجوب الجمعة عند الحنفية في المبسوط للسرخسي (٢/ ٢١).

(٢) لم أقف على من قال به، وانظر: البحر المحيط (١٠/ ١٧٥).

(٣) انظر قولي الزهري وقول ابن المنكدر وقول ربيعة في: الأوسط (٤/ ٤٠-٤١).

(٤) لعله ابن عمرو، فقد جاء عند أبي داود (١٠٥٨) عن عبد الله بن عمرٍو عَنِ النبي ـ ﷺ ـ قَالَ «الْجُمُعَةُ عَلَى كُلِّ مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ»، وقد اختلف في رفعه ووقفه، وانظر إرواء الغليل (٣/ ٥٨).

(٥) انظر قول أحمد في: مسائل أحمد وإسحاق ـ رواية الكوسج (٥١٦)، وانظر قول ابن عمر وابن المسيب في: الأوسط (٩/ ٤٠).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٣٨٠-٣٨١)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٣١١)، والهداية لمكي (١١/ ٧٤٦٦).

(٧) في الأسدية٣: «لا بالعمل»، وانظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢/ ٥٠٠).

(٨) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٨٤).

(٩) أخرجه مسلم (٨٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والخطبة عند جمهور العلماءِ شرط في انعقاد الجمعة، وقال الحسن: هي مستحبَّة[(١)].

وقرأ عمر بن الخطاب، / وعليٌّ، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وجماعة من التابعين رضوان الله عليهم أَجمعين: (فامضوا إلى ذكر الله)[(٢)]. [٥/ ٢٠٥]

وقال ابن مسعود: لو قرأْتُ: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ﴾ لأَسرعتُ حتى يقع ردائي[(٣)].

واختَلف الناسُ في البيع في الوقت المنهي عنه إِذا وقع: ما الحكم فيه؟ بعد إِجماعهم على وجوب امتناعه بدءاً[(٤)]:

فقال الشافعي: يُمضى، وقالَ مَرَّةً: يُفسخ ما لم يفت، فإِن فات مضى[(٥)].

وقال مالك: يُفسخ ما لم يفت، فإِن فات أَصلح بالقيمة، واختُلف في وقت التقويم؛ فقيل: وقت القبض، وقيل: وقت الحكم[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ إِشارة إِلى السعي وترك البيع، وقوله: ﴿فَٱنتَشِرُواْ﴾ أَجمع الناس على أَن مقتضى هذا الأَمر الإِباحة، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ أَنه للإِباحة في طلب المعاش[(٧)]، وأَن ذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْ﴾ [المائدة: ٢]، إِلَّا ما رُوي عن أَنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أَنه قال: «ذلك

---

(١) انظر قول الجمهور وقول الحسن في: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢/ ٥٠٧)، وتفسير القرطبي (١٨/ ١١٤).

(٢) وهي شاذة، مخالفة للمصحف، انظر: المحتسب (٢/ ٣٢١).

(٣) مرسل صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥٦٠٤)، والطبري (٢٣/ ٣٨١) من طريق الأعمش، وابن جرير أيضاً من طريق شعبة، كلاهما ـ الأعمش، وشعبة ـ عن إبراهيم النخعي قال: قال عبد الله... إلخ.

(٤) انظر حكاية الإجماع على حرمة البيع وقت النداء في: أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٢٤٩).

(٥) انظر: الأم (١/ ١٩٥).

(٦) انظر: المدونة (١/ ٢٣٤)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٤٦٨).

(٧) انظر الإجماع على حمل الآيتين على الإباحة في: أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٢٠٨).

الفضلُ المُبْتَغَى هو عيادة مريض، أَو صِلَة صديق، أَو اتباع جنازة»[١].

قال القاضي أَبو محمد: وفي هذا ينبغي أَن يكون المرءُ بقيةَ يوم الجمعة، ويكون تخيُّره[٢] صبيحة يوم السبت، قاله جعفر بن محمد الصادق.

وقال مكحول: الفضل المُبْتَغَى: العلم، فينبغي أَن يطلب إِثر الجمعة[٣].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا﴾ الآية، نزلت بسبب أَن رسول الله ﷺ كان قائماً على المنبر يخطب يوم الجمعة، فأَقبلت عيرٌ من الشام تحمل مِيرَةً، وصاحبُ أَمْرها دِحْيةُ بن خليفة الكلبي[٤]، قال مجاهد: وكان من عُرفهم أَن تدخل العير المدينة بالطبل والمعازف والصياح سروراً بها [من ورائها][٥]، فدخلت العير بمثل ذلك، فانفض أَهل المسجد إِلى رؤْية ذلك وسماعه، وتركوا رسول الله ﷺ قائماً على المنبر، ولم يبق معه غير اثني عشر رجلاً، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أَنا أَحدهم[٦].

قال القاضي أَبو محمد: ولم تَمُرَّ بي تسميتهم في ديوان فيما أَذكره، إِلَّا أَني سمعت أَبي رحمه الله تعالى يقول: هم العشرة المشهود لهم بالجنة، واختُلف في الحادي عشر، فقيل: عمار بن ياسر رضي الله عنه، وقيل: عبد الله بن مسعود.

---

(١) موضوع، أخرجه الطبري في التفسير (٢٣/ ٣٨٥) من طريق أبي عامر الصائغ، عن أبي خلف، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ في قوله ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾: «ليس لطلب دنيا، ولكن عيادة مريض، وحضور جنازة، وزيارة أخ في الله». وأبو عمر الصائغ، عن أبي خلف، عن أنس بن مالك قال الأزدي: كان يضع الحديث، الميزان (٤/ ٥٤٣).

(٢) في الأصل: «نحوه»، وفي نجيبويه: «تجره».

(٣) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٩/ ٣١٧)، والأول في تفسير الماوردي (٦/ ١٠).

(٤) صحيح بشواهده، أخرجه أبو داود في مراسيله (٦٠) من طريق بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان فذكر القصة مرسلة، ويشهد له حديث جابر بن عبد الله الذي سيأتي.

(٥) من المطبوع فقط، وانظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٣٨٧)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٣١٨).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٨٧٧)، ومسلم (٨٦٣).

وقال عبد الله بن عباس ـ في كتاب الثعلبي ـ: بقي معه ثمانية نفر[١].

وروي أَن رسول الله ﷺ قال: «لولا هؤلاءِ لقد كانت الحجارة سُوِّمت على المُنْفَضِّين من السماءِ»[٢]، وفي حديث آخر: «والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم أَحدٌ لسال عليكم الوادي ناراً»[٣].

وقال قتادة: بلغنا أَنهم فعلوا ذلك ثلاث مرات[٤]؛ لأَن قدوم العير كان يوافق يوم الجمعة، بسبب أَن المراحل كانت تُعطي ذلك.

وقال تعالى: ﴿إِلَيْهَا﴾ ولم يقل: «إِليهما» تهمماً[٥] للأَهم؛ إِذ كانت هي سبب اللهو ولم يكن اللهو سببها.

وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه: (ومِن التجارة لِلَّذين اتَّقوا والله خير الرازقين)[٦].

وتأَمَّلْ أَن قُدِّمت التجارة مع الرؤْية لأَنها أَهمُّ، وأُخِّرت مع التفضيل؛ لتقع النفس أَولاً على الأَبْيَن.

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ٣١٧) من رواية الكلبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما. والكلبي متهم بالكذب.

(٢) مرسل ضعيف، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦٤٩٥) عن مقاتل بن حيان مرسلًا بلفظ مطول.

(٣) مرسل، أخرجه عبد بن حميد في تفسيره كما في الدر المنثور (١٤/ ٤٨٦) عن الحسن، وقتادة، والطبري في تفسيره (٢٣/ ٣٨٧) كذلك من طريق معمر، وسعيد بن بشير عن قتادة مرسلاً بلفظ أطول من هذا.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٨٧)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٣١٨)، بتصرف يسير.

(٥) في الأسدية٣، والمطبوع: «تقديماً».

(٦) وهي شاذة، مخالفة للمصحف، لم أجدها لغيره، وعزاه الكرماني في الشواذ (ص: ٤٧٣) لطلحة، وفي تفسير الثعلبي (٩/ ٣١٨)، وتفسير القرطبي (١٨/ ١٢٠): وقرأ أبو رجاء العطاردي: (قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة للذين آمنوا).

وفي هذه الآية قيام الخطيب[١].

وأَول من استراح في الخطبة عثمان رضي الله عنه[٢].

وأَول من خطب جالساً معاوية رضي الله عنه[٣].

و«الرَّزَّاق» صفة فعل، وقد يتصف بها بعض البشر تجوُّزاً إِذا كان سبب رزق الحيوان، والله تعالى خير الرازقين.

كمل تفسير (سورة الجمعة)، والحمد لله ربِّ العالمين

(١) وهو سنة عند الحنفية كما في فتح القدير (١/ ٤١٤)، والحنابلة، كما في كشف القناع (٢/ ٣٩، ٤٣)، والمغني (٢/ ٣٠٢)، وقال الشافعية: هو شرط لصحة الخطبة، كما في المهذب (١/ ٢٨٥)، وكذا عند أكثر المالكية كما في الشرح الكبير (١/ ٣٧٩).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥٢٦٦) عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: من أول من جعل في الخطبة جلوساً؟ قال: عثمان في آخر زمانه حين كبر وأخذته رعدة فكان يجلس هنيهة ثم يقوم. قلت: وكان يخطب إذا جلس؟ قال: لا أدري. وقال البخاري: باب القعدة بين الخطبتين يوم الجمعة، ثم ذكر حديث ابن عمر (٩٢٨) قال: كان النبي ﷺ يخطب خطبتين يقعد بينهما. وفي صحيح مسلم (٨٦٢) من حديث جابر بن سمرة: أن رسول الله ﷺ كان يخطب قائماً ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائماً.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٦٨٨٥) وغيره عن جرير، عن مغيرة، عن الشعبي قال: أول من خطب جالساً معاوية حين كبر وكثر شحمه وعظم بطنه.

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة المنافقون

وهي مدنيَّة بإِجماع، وذلك أَنها نزلت في غزوة بني المصطلق بسبب أَن عبد الله ابن أُبَيٍّ ابن سلول كان منه في تلك الغزوة أَقوال، وكان له أَتباع يقولون قوله، فنزلت السُّورة كلها بسبب ذلك، ذكر الله تعالى فيها ما تقدم من المنافقين من حَلِفهم وشهادتهم في الظاهر بالإِيمان، وأَنهم كَذَبة، وذكر تعالى فيها ما تأَخر منهم ووقع في تلك الغزوة، وسيأْتي بيان ذلك فصلاً فصلاً عند تفسير الآيات إِن شاءَ الله تعالى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣ ۞وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤﴾.

فضح الله تعالى بهذه الآية سريرة المنافقين، وذلك أَنهم كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: نشهد إِنَّك لرسول الله، وهم في إِخبارهم هذا كاذبون؛ لأَن حقيقة الكذب أَن يخبر الإِنسان بضد ما في قلبه.

وكسرت الأَلف من ﴿إِنَّ﴾ في الثلاثة؛ لدخول اللام المؤكدة في الخبر وذلك لا يكون مع المفتوحة.

وقوله تعالى: ﴿نَشْهَدُ﴾ وما جرى مجراها من أَفعال اليقين والعلم تجابُ بما يجاب به القَسَم، وهي بمنزلة القَسَم.

وقرأَ الناس: ﴿أَيْمَٰنَهُمْ﴾ جمع يمين.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن بخلاف عنه: (إِيمَانَهُمْ) بكسر الأَلف[1]، أي: هذا الذي يُظهرون، وهذا على حذف مضاف تقديره: إِظْهار إيمانهم.

و«الْجُنَّـةُ»: ما يُتَسَتَّر به في الأَجرام والمعاني.

وقوله تعالى: ﴿فَصَدُّواْ﴾ يحتمل أَن يكون غير مُتَعَدٍّ، تقول: صدَّ زيدٌ، ويحتمل أَن يكون متعدِّياً كما قال:

[الوافر] صَدَدْتِ الْكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو[2] ....

فالمعنى: صدُّوا غيرهم ممن كان يريد الإِيمان، أَو من المؤمنين في أَن يقاتلوهم وينكروا عليهم، وتلك سبيل الله تعالى فيهم، وقد تقدَّم تفسير نظير / هذه الآية. [٥/ ٢٠٦]

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِشارةٌ إِلى فعل الله تعالى بهم في فضيحتهم وتوبيخهم، ويحتمل أَن تكون الإِشارة إِلى سوءِ ما عملوا، فالمعنى: ساءَ عملهم بأَن كفروا بعد إِيمانهم.

وقوله تعالى: ﴿ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ إِمَّا أَن يراد به: منهم من كان آمن ثم نافق بعد صِحَّةٍ من إِيمانه، وقد كان هذا موجوداً، وإِمَّا أَن يريدهم كلهم، فالمعنى: ذلك بأنهم أظهروا الإيمان ثم كفروا في باطن أمرهم، فسمَّى ذلك الإِظهار إِيماناً.

---

(١) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٤٣).

(٢) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم، وتمامه: وَكَانَ الْكَأْسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا، وقد تقدم في تفسير الآية: (٣٣) من (سورة الأنفال).

وقرأَ بعض القراءِ: (فَطَبَعَ) على بناءِ الفعل للفاعل[١].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿فَطُبِعَ﴾ بضم الطاءِ على بنائه للمفعول بغير إِدغام، وأَدغم أَبو عمرو[٢].

وقرأَ الأَعمش: (فطبع الله)[٣].

وعبَّر الله تعالى بالطبع عما[٤] خلق في قلوبهم من الريب والشَّك وخَتَم عليهم به من الكفر والمصير إِلى النار.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ توبيخٌ لهم: لأَنهم كانوا رجالاً أَجمل شيءٍ وأَفصحه، فكان منظرهم يروق وقَوْلُهم يخلب، لكن الله تعالى جعلهم كالخُشُب المُسَنَّدة إِذْ لا أَفهام لهم نافعة، ولا نظر يصيب، فذلك المنظر لا مَخْبَر له كالخُشُب المُسَنَّدة، إِنما هي أَجرام لا عقول لها، معتمدة على غيرها، لا تَثْبُت بنفسها، ومنه قولهم: تساند القوم: إِذا اصطفُّوا وتقابلوا للقتال.

وقد يحتمل أَن يُشَبِّه اصطفافهم في الأَندية باصطفاف الخُشُب المُسَنَّدة، وخلوهم من الأَفهام النافعة بخُلوِّ الخشب من ذلك.

وقال رجل لابن سيرين: رأَيتني في النوم محتضناً خشبة، فقال ابن سيرين: أَظنك من أَهل هذه الآية، وتلا ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾[٥].

وقرأَ عِكْرمة، وعطية: (يُسْمَعْ) بالياءِ مضمومة[٦].

---

(١) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٧٤) للأعمش.

(٢) من رواية السوسي على قاعدته في الإدغام الكبير بين المتماثلين.

(٣) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٧٤) لابن مسعود.

(٤) في المطبوع: «على ما».

(٥) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٢٠).

(٦) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٥٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٧٤).

وقرأ نافع، وابن عامر، وحمزة، وعاصم: ﴿خُشُبٌ﴾ بضم الخاءِ والشين.

[وقرأ قنبل وابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي: ﴿خُشْبٌ﴾ بضم الخاءِ وسكون الشين][١]، وهي قراءَة البَرَاءِ بن عازب رضي الله عنه، واختيار أَبي عُبَيد.

وقرأ سعيد بن جبير، وسعيد بن المسيَّب: (خَشَبٌ) بفتح الخاءِ والشين[٢]، وذلك كله جمع «خَشَبَة» بفتح الخاءِ والشين، فالقراءَتان أَولاً كما تقول: بَدَنَةٌ وبُدُنٌ وبُدْنٌ، قاله سيبويه[٣]، والأَخيرة على الباب في: ثَمَرَة وثَمَر.

وكان عبد الله بن أُبَيٍّ من أَبْهى المنافقين وأَطولهم، ويدل على ذلك أَنه لم يوجد قميص يكسو العباس رضي الله عنه غير قميصه[٤].

وقد تقدم في صدر[٥] سورة البقرة تحرير أَمر المنافقين وكيف سترهم الإِسلام.

وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ فَضْحٌ أَيضاً لما كانوا يُسِرُّونه من الخوف، وذلك أَنهم كانوا يتوقعون أَن يأْمر النبي ﷺ عن الله بقتلهم.

قال مقاتل: فكانوا متى سمعوا نُشدان ضالة، أَو صياحاً بأَيِّ وجه كان، أَو أُخبروا بنزول وحي، طارت قلوبهم وطاشت عقولهم حتى يسكن ذلك ويكون في غير شأْنهم[٦].

وجرى هذا اللَّفظ مثلاً في الخائف، ونحوه قول الشاعر:

---

(١) سقط من الحمزوية، وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١١)، وفي الأسدية٣ والمطبوع ونجيبويه زيادة: «وابن كثير»، ولا داعي لها.

(٢) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٧٤) لابن جبير وابن عباس.

(٣) الكتاب لسيبويه (٣/ ٥٩٤).

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٠٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر أتي بأسارى وأتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي ﷺ له قميصاً، فوجدوا قميص عبد الله بن أبيٍّ يقدر عليه فكساه النبي ﷺ إياه، فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذي ألبسه.

(٥) «صدر» ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٦) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٢٠).

يُرَوِّعُهُ السِّرَارُ بِكُلِّ أَرْضٍ ... مَخَافَةَ أَنْ يكُونَ بِهِ السِّرَارُ(١) [الوافر]

وقول جرير:

مَازِلْتَ تَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ ... خَيْلاً تَكُرُّ عَلَيْهِمُ وَرِجَالاً(٢) [الكامل]

ثم أَخبر تعالى بأَنهم هم العدو، وحذَّر منهم، و«العَدُوُّ» يقع للواحد وللجمع.

وقوله تعالى: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ دعاءٌ يتضمن الإِقصاءَ والمنابذة وتمني الشَّر لهم.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ معناه: كيف يُصرفون، فيحتمل أَن تكون ﴿أَنَّىٰ﴾ استفهاماً، كأَنه تعالى قال: كيف يُصرفون؟ أَوْ: لأَيِّ سبب لا يرون رُشْد أَنفسهم؟ ويحتمل أَن تكون ﴿أَنَّىٰ﴾ ظرفاً لـ﴿قَٰتَلَهُمُ﴾ كأَنه تعالى قال: قاتَلَهُم اللهُ كيف انصرفوا وصُرفوا، فلا يكون في القول استفهام على هذا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾.

كان من أَمر عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سلول: أَنه خرج مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق، فبلغ الناسُ إِلى ماءٍ سبق إِليه المهاجرون، وكأَنهم غلبوا الأَنصار عليه بعض

---

(١) استشهد بهذا البيت الجاحظ في الحيوان (٦/ ٤٣٢)، وغيره بلا نسبة.

(٢) البيت لجرير كما في الحيوان (٦/ ٤٢٩)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢٦٩)، والأغاني (١٢/ ٢٣٥)، والعقد الفريد (٣/ ٩٠)، ونسبه الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٤٣) للأخطل، وأورده في التذكرة الحمدونية (١/ ٢٦٩) ضمن أبيات لمالك بن أبي كعب.

الغَلَبَة، فقال عبد الله بن أُبَيٍّ لأَصحابه: قد كنتُ قلت لكم في هؤلاءِ الجلابيب ما قلتُ، فلم تسمعوا مني[١].

وكان المنافقون ومَنْ لا يتحرى، يُسَمُّون المهاجرين رضي الله عنهم الجلابيب، ومنه قول حسَّان بن ثابت:

[البسيط] أَرَى الْجَلَابِيبَ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا ... وابْنُ الفُرَيْعَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ[٢]

فقال النبي ﷺ: «أَتحضُّ علينا يا حسَّان؟»[٣].

ثم إِن الجَهْجَاهَ الغفاريَّ ـ وكان أجيراً لِعمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ وَرَد إِلى الماءِ بفرس لِعُمر، فازدحم هو وسِنانُ بن وبرة الجهني وكان حليفاً للأَوس، فكسع الجَهْجَاهُ سِناناً، فغضب سِنَان وتَثَاوروا، ودعا الجهجاه بالمهاجرين، ودعا سِنان بالأَنصار، فخرج رسول الله ﷺ فقال: «ما بال دَعوى الجاهلية»، فلما أُخبر بالقصة قال: «دعوها فإنها مُنْتِنَة»[٤].

واجتمع في الأَمر عند عبد الله بن أُبَيٍّ قوم من المنافقين، كان فيهم زَيْدُ بن أَرقم فتًى صغيراً لم يُتَحَفَّظ منه، فقال عبد الله بن أُبَيٍّ: أَوَ قَدْ تداعوا علينا؟ والله ما مَثَلنا ومَثَلهم إِلَّا كما قال الأَوَّلُ: سمِّن كلبك يَأْكُلْكَ، وقال لهم: لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٤٠٥).

(٢) انظر نسبته له في السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٢٧٠)، وكتاب التنبيه على أوهام أبي علي (ص: ٧٦)، والأغاني (٤/ ١٦٢).

(٣) روى هذه القصة ابن شبة في تاريخ المدينة بإسناد معضل (١/ ٢٧٢) من طريق العطاف بن خالد قال: كان حسان بن ثابت رضي الله عنه يجلس في أطمه فارع، ويجلس معه أصحاب له، ويضع لهم بساطا يجلسون عليه فقال يوماً، وهو يرى كثرة من يأتي رسول الله ﷺ من العرب يسلمون: أرى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا ... وابن الفريعة أمسى بيضة البلد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «من لي من أصحاب البساط؟» فقال صفوان بن المعطل: أنا لك يا رسول الله منهم فخرج إليهم واخترط سيفه، فلما رأوه مقبلاً عرفوا في وجهه الشر، ففروا وتبددوا، وأدرك حساناً داخلاً بيته، فضربه، فغلق بيته، فضربه ففلق أليتيه، فبلغني أن النبي ﷺ عوضه وأعطاه حائطاً فباعه من معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما بعد ذلك بمال كثير، فبناه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قصراً، وهو الذي يقال له بالمدينة: قصر الداريين. اهـ. والخبر بهذا الإسناد لا يصح، العطاف بن خالد توفي حوالي سنة ١٧٩هـ، ولم أجده باللفظ الذي أورده المصنف.

(٤) متفق عليه، البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، وقال لهم: إِنما يقيم هؤلاءِ المهاجرون مع محمد بسبب معونتكم لهم وإِنفاقكم عليهم، ولو قطعتم ذلك عنهم لَفَـرُّوا[١].

فذهب زيد بن أَرقم إِلى عمِّه، وكان في حِجره، وأَخبره، فأَتى به رسول الله ﷺ فأَخبره، وقال له رسول الله ﷺ: «يا زيد، غضبتَ على الرجل، أَو لعلَّك وهمتَ»؟ فأَقسم زيدٌ ما كان شيءٌ من ذلك، ولقد سمع من عبد الله بن أُبيٍّ ما حكى، فعاتب رسول الله ﷺ عبد الله بن أُبيٍّ عند رجال من الأَنصار، فبلغه ذلك / فجاءَ وحلف ما قال، وكذَّب زيداً، [٥/ ٢٠٧]
وحلف معه قوم من المنافقين، فكذَّب رسولُ الله ﷺ زيداً وصدَّق أَيْمان[٢] عبد الله بن أُبي، فبقي زيد في منزله لا يتصرف حياءً من الناس، فنزلت هذه السورة عند ذلك.

فبعث رسول الله ﷺ في زيد وقال: «لقد صدَّقك الله يا زيد، ووفت أُذُنك»[٣].

فخزي عند ذلك عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول، ومقته الناس، ولامه المؤمنون من قومه.

وقال بعض منهم: امض إِلى رسول الله ﷺ واعترف بذنبك فيستغفر لك، فلوى رأْسه إِنكاراً لهذا الرأْي وقال لهم: لقد أَشرتم عليَّ بالإِيمان فآمنت، وأَشرتم عليَّ أَن أُعطي زكاة مالي ففعلت، ولم يبق لكم إِلَّا أن تأْمروني بالسُّجود لمحمد[٤].

قال القاضي أَبو محمد: فهذا هو قصص هذه السُّورة موجزاً.

و(تعال) نداءٌ يقتضي لفظه أَنه دعاءُ الأَعلى للأَسفل، ثم استعمل في كل داعٍ لما فيه من حسن الأَدب.

وقرأَ نافع، والمفضَّل عن عاصم: ﴿لَوَوْا﴾ بتخفيف الواو، وهي قراءَة الحسن بخلاف، ومجاهد، وأَهل المدينة.

---

(١) في الأسدية٣: «كفروا».

(٢) «أيمان» ليست في الأصل.

(٣) ذكره الواقدي في سيرته (٢/ ٤١٥) بغير سند.

(٤) بعضه متفق عليه، أصل الحديث أخرجه البخاري (٤٩٠٠)، ومسلم (٢٧٧٢) مختصراً، وانظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٩٠)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٣٩٩).

وقرأَ الباقون، وأَبو جعفر، والأَعمش: ﴿لَوَّوۡاْ﴾ بشد الواو على تضعيف المبالغة، وهي قراءَة طلحة، وعيسى، وأَبي رجاءٍ، وزِرٍّ، والأَعرج[١].

وقرأ بعض القراءِ هنا: (يَصِدُّونَ) بكسر الصاد، والجمهور بضمها[٢].

قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ الآية، رُوي أنه لمَّا نزلت: ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٨٠] قال رسول الله ﷺ: «لأَزيدنَّ على السبعين»[٣]، وفي حديث آخر: «لو علمتُ أَني إِنْ زدتُ على السبعين غُفر لهم؛ لزِدْتُ»[٤]، فكأَنه ﷺ رجا أَن هذا الحدَّ ليس على جهة الحتم جملة، بل على أَن ما يجاوزه يخرج عن حكمه.

فلما فعل ابن أُبَيٍّ وأَصحابه ما فعلوا شدَّد الله تعالى عليهم في هذه السُّورة، وأَعلم أَنه لن[٥] يغفر لهم دون حدٍّ في الاستغفار.

وفي قول النبي ﷺ: «لو علمتُ أَني لو زدتُ غُفر لهم» نصٌّ على رفض دليل الخطاب[٦].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿أَسۡتَغۡفَرۡتَ﴾ بالقطع وأَلف الاستفهام.

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع: (آسْتَغْفَرْتَ) بمدَّة على الهمزة، وهي أَلف التسوية.

وقرأَ أَيضاً بوصل الأَلف دون همز على الخبر[٧].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١١)، وموافقة المفضل في جامع البيان (٤/ ١٦٤١)، ومخالفة أبي جعفر في النشر (٢/ ٣٨٨).

(٢) وهي شاذة، تابعه عليها بلا نسبة في البحر المحيط (١٠/ ١٨٢)، وتقدم نظيرها في (سورة الزخرف).

(٣) مرسل، أخرجه الطبري (١٤/ ٣٩٥)، وابن أبي حاتم (١٠٥٠٠) من طريق عبدة بن سليمان، عن هشام بن عروة، عن أبيه مرسلاً.

(٤) مرسل، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٨٤)، والطبري (١٤/ ٣٩٧) عن معمر، وابن جرير عن سعيد كلاهما عن قتادة مرسلاً. ولفظة «على السبعين» من الأصل والأسدية٤.

(٥) في المطبوع: «لا».

(٦) دليل الخطاب يسمى مفهوم المخالفة وهو إثبات نقيض حكم المنطوق للمسكوت البحر المحيط في أصول الفقه (٥/ ١٣٢).

(٧) وهما شاذتان، نقلهما عنه في المحتسب (٢/ ٣٢١)، وفي النشر (٢/ ٣٨٨): أن المد رواية النهرواني عن ابن شبيب عن الفضل عن عيسى بن وردان عنه، قال: فانفرد بذلك، ولم يتابعه عليه أحد إلا أن الناس أخذوه عنه، وليست من طرق الدرة.

وفي هذا كله ضعف؛ لأنه في الأُولى أَثبت همزةَ الوصل وقد أَغنت عنها همزة الاستفهام، وفي الثانية حَذَفَ همزةَ الاستفهام وهو يريدها، وهذا مما لا يُستعمل إِلَّا في الشِّعر.

وقوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ﴾ إِشارة إِلى عبد الله بن أُبي ومَنْ قال بقوله، قاله عليُّ ابن سليمان(١).

ثمَّ سفَّه تعالى أَحْلَامَهم في أَن ظنُّوا أَن إنفاقهم هو سبب رزق المهاجرين، ونسوا أَن جريان(٢) الرِّزق بيد الله تعالى، إِذا انسد بابٌ انفتح غيره.

وقرأَ الفضل بن عيسى الرَّقاشي: (حَتَّى يُنْفِضُوا) بضم الياءِ وتخفيف الضاد(٣).

يقال: أَنْفَضَ الرجلُ: إِذا فني طعامُه، فنفض وعاءَه.

و«الخزائن»: موضع الإِعداد، ونجد القرآن قد نطق في غير موضع بالخزائن، ونجد في الحديث: «خزنة الريح»(٤)، وفي القرآن: ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النور: ٤٣].

فجائز أَن يكون هذه عبارة عن القدرة، وأَن هذه الأَشياءَ إِيجادُها عند ظهورها.

وجائز ـ وهو الأَظهر ـ أَن منها أَشياءَ مخلوقة موجودة يصرِّفها الله تعالى حيث يشاءُ، وظواهر أَلفاظ الشريعة تعطي هذا، ومعناه(٥) في التفسير قال: عتت على الخُزَّان، وفي الحديث: «ما انفتح باب من خزائن الريح على قوم عادٍ إِلَّا قدر حلقة الخاتم، ولو انفتح من خزائن الريح على قدر منخر الثور لهلكت الدنيا»(٦).

---

(١) انظر قول الأخفش في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٨٦).
(٢) في المطبوع: «حرمان».
(٣) وهي شاذة، عزاها له في البحر المحيط (١٠/ ١٨٣)، وهي في مختصر الشواذ (ص:١٥٦)، بلا نسبة.
(٤) إشارة إلى حديث طغيان الريح على الخزان الذي تقدمت الإشارة له في قصة هلاك عاد.
(٥) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: ومعنا في التفسير... إلخ، وعلى كل فالتعبير قلِقٌ مما يدل على أن فيه تحريفاً من النساخ.
(٦) تقدم تخريجه عند (سورة فصلت) آية (١٦).

وقال رجل لحاتم الأَصمِّ: من أَين تأْكل؟ فقرأ: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

وقال الجُنَـيْد: خزائن السماءِ الغيوب، وخزائن الأَرض القلوب[١].

وقرأَ الجمهور: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ﴾ بضم الياءِ وكسر الراءِ، بمعنى أَن العزيز يُخرج الذليل ويُبعده.

وقرأَ أَبو حاتم: (لَنَخْرُجَنَّ) بنون الجماعة مفتوحة وضم الراءِ (الأَعَزَّ) نصباً (منها الأذلَّ) أَيضاً نصباً على الحال، وذكرها أَبو عمرو الداني عن الحسن[٢].

ورُويت هذه القراءَة: (لَنُخْرِجَنَّ) بضم النون وكسر الراءِ[٣].

وقرأَ قوم فيما حكى الفراءُ والكسائي، وذكرها المهدوي: (لَيَخْرُجَنَّ) بفتح الياءِ وضم الراءِ ونصب (الأَذَلَّ) على الحال[٤]، بمعنى: أَنَّنا نحن الذين كنَّا أَعِزَّةً سنخرج أَذِلَّاءَ.

وجاءَت هذه الحال معرفة وفيها شذوذ، وقد حكى سيبويه: ادخلوا الأَوَّلَ فالأَوَّلَ[٥].

ثم أَعلم الله تعالى أَن العزَّة لله سبحانه، وللرسول ﷺ، وللمؤمنين، وفي ذلك وعيد.

وروي: أَن عبد الله بن عبد الله بن أُبَيٍّ ـ وكان رجلاً صالحاً ـ لمَّا سمع الآية جاءَ إِلى أَبيه وقال له: أَنت والله يا أَبت الذليل ورسول الله ﷺ العزيز، فلما وصل إِلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله على باب السِّكَّة التي يسلكها أَبوه، وجرد السيف ومنعه الدخول[٦]،

---

(١) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٩/ ٣٢٢).
(٢) وهي شاذة، نقلها عنه في البحر المحيط (١٠/ ١٨٣)، وذكرها في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٦٠) بلا نسبة.
(٣) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٧٤) للفضل بن عيسى وابن أبي عبلة.
(٤) وهي شاذة، أشار لجوازها الفراء في معاني القرآن (٣/ ١٦٠)، وانظر النقل عن الكسائي في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٨٧)، وانظر: التحصيل للمهدوي (٦/ ٢١٤).
(٥) الكتاب لسيبويه (١/ ٣٩٨).
(٦) في المطبوع: «الوصول».

وقال: والله لا دخلت إِلى منزلك إِلَّا أَن يأْذن لك في ذلك رسول الله ﷺ، وعبد الله بن أُبَيٍّ في أَذل حال[١]، وبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فبعث إِليه أَن خلِّه يمضي إِلى منزله، فقال: أَما الآن فنعم[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١١﴾.

«الإِلْهَاءُ»: الاشتغال بشهوة ولذَّة، و﴿ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ هنا عامٌّ في التوحيد والصلاة والدعاءِ وغير ذلك من فرض ومندوب، هذا قول الحسن وجماعة من المفسِّرين.

وقال الضحاك، وعطاءٌ وأَصحابُه: المراد بالذِّكر: الصلاةُ المكتوبة[٣]. والأَول أَظهر.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ قال جمهور من المتأَولين: المراد الزكاة، وقال آخرون: ذلك عامٌّ في مفروض ومندوب.

وقوله تعالى: ﴿يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾؛ أَي: علاماتُه وأَوائل أَمره.

وقوله: ﴿لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ﴾ طلباً للكرَّة والإِمهال.

وفي مصحف أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه: (أَخَّرْتَنِ) بغير ياءٍ[٤] / . [٥/ ٢٠٨]

---

(١) في الأصل والأسدية٤: «الرجال».

(٢) أخرجه الحميدي في مسنده (١٢٤٠) عن سفيان، عن أبي هارون المدني مسعود بن الحكم، قال: قال: عبد الله بن عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول لأبيه: والله لا تدخل المدينة أبداً حتى تقول: رسول الله ﷺ الأعز وأنا الأذل قال: وجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد أن تقتل أبي فوالذي بعثك بالحق ما تأملت وجهه قط هيبة له وإن شئت أن آتيك برأسه لأتيتك فإني أكره أن أرى قاتل أبي. وانظر تفسير الطبري (٢٣/ ٤٠٣) فإن فيه بعض الألفاظ التي ذكرها المؤلف.

(٣) الهداية لمكي (١٢/ ٧٤٩١).

(٤) وهي شاذة، عزاها الكرماني له في الشواذ (ص: ٤٧٥).

وسماه تعالى قريباً؛ لأَنه آت، وأَيضاً فإِنما يتمنى ذلك ليقضي فيه العمل الصالح فقط، وليس يتسع الأَمل حينئذ لطلب العيش وتصرفه.

وفي مصحف أُبي: (فَأَتَصَدَّقَ)[١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ظاهره العموم، وقال ابن عباس: هو الحجُّ، ورُوي عنه أنه قال في مجلسه يوماً: ما من رجل لا يؤدي الزكاة والحج إِلَّا طلب الكَـرَّة عند موته، فقال له رجل: أَما تتَّقي الله؟ أَمُؤْمن يطلب الكَرَّة؟ فقال له ابن عباس: نعم، وقرأَ الآية[٢].

وقرأَ جمهورُ السبعة والناسُ: ﴿وَأَكُن﴾ بالجزم عطفاً على الموضع؛ لأَن التقدير: إِن تُؤَخِّرني أَصَّدَّق وأَكُنْ من الصَّالحين، هذا مذهب أَبي علي الفارسي[٣].

فأَمَّا ما حكاه سيبويه عن الخليل؛ فهو غير هذا، وهو أَنه جزم على تَوَهُّم الشَّرط الذي يدل عليه التمني[٤]، ولا موضع هنا لِأن الشرط ليس بظاهر، وإنما يعطف على الموضع حيث يظهر الشرط، كقوله تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، فمن قرأَ بالجزم عطف على موضع ﴿فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾؛ لأَنه لو وقع هناك فعل كان مجزوماً، وكذلك من قرأَ: ﴿ونُكَفِّرْ﴾ بالجزم عطفاً على موضع ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١][٥].

---

(١) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٥٧) لابن جبير.

(٢) ضعيف، أخرجه الترمذي (٣٣١٦)، والطبري (٢٣/ ٤١١) من طريق أبي جناب الكلبي، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنه به بنحوه، ويحيى بن أبي حية: أبو جناب الكلبي ضعيف، وأخرجه الطبراني في معجمه (١٢٦٣٥) من طريق أبي جناب مرفوعاً، وأخرجه الترمذي (٣٣١٦)، والطبري (٢٣/ ٤١١)، والطبراني (١٢٦٣٦) من طريق الثوري، عن أبي سنان، عن رجل، عن الضحاك به.

(٣) الحجة للفارسي (٦/ ٢٩٣).

(٤) الكتاب لسيبويه (٣/ ١٠٠).

(٥) هذا كله من بقية كلام أبي علي في الحجة (٦/ ٢٩٣). وتقدم أن «يذرهم» بالياء والجزم سبعية =

وقرأَ أَبو عمرو، والحسن، وأَبو رجاءٍ، وابن أَبي إِسحاق، ومالك بن دينار، وابن محيصن، والأَعمش، وابن جبير، وعُبَيْد الله بن الحسن العنبري، قال أَبو حاتم: وكان من العلماءِ الفصحاءِ: ﴿وَأَكُونَ﴾ بالنصب عطفاً على ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾[1].

وقال أبو حاتم في كتبها في المصحف بغير واو: إِنهم حذفوا الواو كما حذفوها من «اتَّخَذَ» وغيره، ورجَّحها أَبو علي[2].

وفي مصحف أُبي بن كعب، وابن مسعود: (فَأَتَصَدَّقَ وَأَكُونَ)[3].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ حضٌّ على المبادرة ومسابقة الأَجل بالعمل الصَّالح.

وقرأَ السبعة والجمهورُ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتَّاءِ على المخاطبة لجميع الناس.

وقرأَ عاصم في رواية أَبي بكر: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بالياءِ على تخصيص الكفَّار بالوعيد[4].

كمل تفسير (سورة المنافقون)، والحمد لله ربِّ العالمين

= للكسائي، و«أن نكفر» بالنون والجزم سبعية لنافع وحمزة والكسائي، وكتبت بالياء في المطبوع ونجيبويه ونور العثمانية وأحمد ٣، وهي شاذة.

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١١)، وانظر: إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٨٨)، وفي المطبوع: «فأتصدق».

(٢) الحجة للفارسي (٦/ ٢٩٣)، ولم أقف على قول أبي حاتم.

(٣) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (١٠/ ١٨٥)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٥٧) لابن جبير، كما مر.

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١١).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة التغابن

قال بعض المفسِّرين: هي مدنية، وقال آخرون منهم: هي مكية إِلَّا من قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ﴾ [التغابن: ١٤] إِلى آخر السُّورة؛ فإِنه مدني.

وذكر الثعلبي عن ابن عمرو: أَن النبي ﷺ قال: «ما من مولود يولد إِلَّا وفي تشابيك رأْسه مكتوب خمس آيات من فاتحة سورة التغابن»[(١)].

(١) ضعيف جداً، أخرجه ابن حبان في المجروحين (٣/ ٨١-٨٢)، والطبراني في الأوسط (١٧٦٣)، وفي مسند الشاميين (٩٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٣/ ١٥٠) من طريق الوليد بن الوليد، عن عبد الرحمن بن ثوبان، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عمرو به، والوليد بن الوليد بن زيد العنسي الدمشقي ضعيف جداً. وانظر ترجمته الميزان (٤/ ٣٥٠)، وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٥٢)، والسيوطي في اللآلي المصنوعة (١/ ٩٠)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (١/ ٤٥١)، وقد تصحف في المطبوع من الأوسط: «إلا وهو مكتوب في تشبيك رأسه خمس آيات من فاتحة الكتاب»، وقد أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٤٤٥) قال: قال لي علي ابن عياش، عن معاوية، عن الأسود، عن بكر بن عمرو المعافري، عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافري، عن عبد الله بن عمرو موقوفاً عليه، والأسود بن خير أبو الخير البصري ذكره البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٤٤٥)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ٢٩٤) بغير جرح أو تعديل وذكره ابن حبان في الثقات (٨/ ١٢٩)، وانظر: تفسير الثعلبي (٩/ ٣٢٥). وفي المطبوع: «بن عمر».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ عُمومٌ معناه التنبيه، و«الشيءُ»: هو الموجود.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ تعديد نعمة، والمعنى: فمنكم كافر لنعمته في الإِيجاد حين لم يوجد كافر[1] لجهله بالله، وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ بالله، والإِيمان بالله تعالى شكر لنعمته.

فالإِشارة ـ على هذا التأْويل في الإِيمان والكفر ـ هي إِلى اكتساب العبد، هذا قول جماعة من المتأَولين، وحجتهم قول النبي ﷺ: «كلُّ مولود يولد على الفطرة»[2]، وقول الله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم ٣٠]، وكأَن العبارة في قوله تعالى: ﴿فَمِنكُمْ﴾ تعطي هذا كله[3]، وكذلك يقوِّيه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

وقيل: المعنى: خلقكم منكم مؤمن ومنكم كافر في أَصل الخِلْقَة، فهي جملة في موضع الحال، فالإِشارة ـ على هذا ـ في الإِيمان والكفر هي إِلى اختراع الله تعالى وخلقه، وهذا تأْويل ابن مسعود، وأَبي ذَرٍّ[4].

---

(١) «كافر» ليست في المطبوع.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) «كله» سقط من الأصل ونجيبويه والحمزوية، والمثبت من الأسدية (٣)، والمطبوع.

(٤) أثر ابن مسعود أخرجه ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (١٤/ ٥١٣) وستأتي رواية ابن مسعود المرفوعة بنحوه.

وأما أثر أبي ذر فقد أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٦)، والفريابي في «القدر» (١٢٣) من طريق ابن لهيعة، عن بكر بن سوادة، عن أبي تميم الجيشاني، عن أبي ذر قال: إذا مكث المني في الرحم أربعين ليلة أتاه ملك النفوس فعرج به إلى الرب فيقول: يا رب أذكر أم أنثى فيقضي الله ما هو =

ويجري مع هذا المعنى قول النبي ﷺ: «إِنَّ أَحدكم يكون في بطن أُمه نطفة أَربعين يوماً، ثم علقة أَربعين يوماً، ثم مضغة أَربعين يوماً، ثم يجيءُ المَلَك فيقول: يا ربِّ، أَذكر أَم أُنثى؟ أَشقيٌّ أَم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأَجل؟ فيكتب ذلك في بطن أُمه»(١).

فقوله في الحديث: «أَشقيٌّ أَم سعيد»؟ هو في هذه الآية ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾.

ويجري مع هذا المعنى: قوله في الغلام الذي قتله الخضر: «إِنه طبع يوم طبع كافراً»(٢).

وما رَوى ابن مسعود رضي الله عنه: أَنه ﷺ قال: «خلق الله فرعون في البطن كافراً، وخلق يحيى بن زكرياءَ مؤمناً»(٣).

وقال عطاءُ بن أَبي رباح: معنى الآية: فمنكم كافرٌ بالله مؤمن بالكوكب، ومؤمن بالله كافر بالكوكب»(٤)، وقدم الكافر لأَنه أَعرف من جهة الكثرة.

وقوله تعالى: ﴿بِالْحَقِّ﴾ أَي: حين خلقها محقوقاً في نفسه ليس عبثاً ولا لغير معنى.

= قاض فيقول أشقي أم سعيد فيكتب ما هو لاق، وقرأ أبو ذر من فاتحة التغابن خمس آيات إلى قوله: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٢٠٨) ومسلم (٢٦٤٣) واللفظ له عن عبد الله بن مسعود به مرفوعاً.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٤٠١) ومسلم (٢٦٦١) واللفظ له عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً».

(٣) ضعيف، أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١٠٢١) وابن بطة في الإبانة (١٤١٥)، والبيهقي في القضاء والقدر (٧٠) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٤/ ١٨١) من طريق نصر بن طريف، عن قتادة، عن أبي حسان الأعرج، عن ناجية بن كعب، عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً به. ونصر بن طريف أبو جزء القصاب مجمع على ترك حديثه، كما في الميزان (٤/ ٢٥١)، ولنصر متابعات لا يحتج به.

(٤) تفسير البغوي (٥/ ١٠٣).

وقرأ جمهور الناس: ﴿صُوَرَكُمْ﴾ بضم الصاد، وقرأ أَبو رَزِيْن: (صِوَرَكُمْ) بكسرها(١).

وهذا تعديد النعمة في حسن الخلقة لأَن أَعضاءَ ابن آدم متصرفة في جميع ما تتصرف به أَعضاءُ الحيوان وبزيادات كثيرة فُضِّل بها، ثم هو مفضَّل بحسن الوجه وجمال الجوارح، وحُجَّة هذا قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

وقال بعض العلماءِ: النعمة المُعَدَّدَة هنا إِنما هي صورة الإِنسان من حيث هو إِنسان مدرك عاقل، فهذا هو الذي حَسُن له حتى لحق ذلك كمالات كثيرة.

قال القاضي أَبو محمد: والقول الأول أَجرى على لغة العرب لأَنها لا تعرف الصور إِلَّا الشكل(٢)، وذكر تعالى علمه بما في السماوات والأَرض، فعم عظام(٣) المخلوقات.

ثم تدرَّج القول إِلى أَخفى من ذلك وهو جميع ما يقوله الناس في سرٍّ وعَلَن.

ثم تدرَّج إِلى خفيٍّ وهو ما يهجس بالخواطر.

و«ذاتُ الصَّدْر»: ما فيه من خطرات واعتقادات، كما يقال: الذئب مغبوطٌ بذي بطنه، [وكما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إنما هو ذو بطن بنت خارجة](٤).

والصدر هنا عبارة عن القلب، [إذ القلب في الصدر](٥) / . [٥/ ٢٠٩]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦) زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧)﴾.

---

(١) وهي شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٩١).

(٢) في الحمزوية: «النسل».

(٣) في المطبوع: «فعلم أعظم»، وفي نجيبويه: «فعم عظم».

(٤) سقط من المطبوع، هذا جزء من حديث أخرجه مالك في الموطأ (١٤٣٨) وسبق تخريجه.

(٥) من نجيبويه، وفي الحمزوية: «في الصدر» فقط.

﴿يَأۡتِكُمۡ﴾ جزمٌ، أَصله: يأْتيكم، قال سيبويه: واعلم أَن الآخر إِذا كان يُسكَّن في الرفع حذف في الجزم(١).

والخطاب في هذه الآية لقريش، ذُكِّروا ما حلَّ بعادٍ وثمود [وقوم إِبراهيم عليه الصلاة والسلام](٢) وغيرهم ممن سمعت قريش أَخبارهم.

و«وَبَالُ الأَمْرِ»: مكروهُهُ وما يسوءُ منه.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ﴾ إِشارة إِلى ذوق الوبال وكون عذاب الآخرة لهم.

ثم ذكر تعالى من مقالات أُولئك الماضين ما هو مشبه لقول كفار قريش من استبعاد بعثة الله تعالى للبشر، ونُبوَّة أَحد(٣) من بني آدم، وحسَد الشخص المبعوث.

وقوله: ﴿أَبَشَرٌ﴾ رفع بالابتداءِ، وجمع الضمير في ﴿يَهۡدُونَنَا﴾ من حيث كان «البَشَر» اسم هذا النوع الآدمي، كأنهم قالوا: أَناسٌ هداتُنَا؟

وقوله تعالى: (استَغْنَى الله) عبارة عمَّا ظهر من هلاكهم وأَنهم لن يضرُّوا الله شيئاً، فبان أَنه كان غنيّاً أَولاً، وبسبب ظهور هلاكهم بعد أَن لم يكن ظاهراً ساغ استعمال هذا البناء(٤) مُستنداً إِلى اسم الله تعالى؛ لأَن بناءَ «اسْتَفْعَلَ» إِنما هو لطلب الشيءِ وتحصيله بالطلب.

وقوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يخصُّ قريشاً ثم هي بعْدُ تعُمُّ كل كافر بالبعث، وقال عبد الله بن عمر: الزَّعْم كنية الكذب(٥)، وقال ﷺ: «بئس مطيَّةُ الرجل زعموا»(٦).

(١) الكتاب لسيبويه (١/ ١٩)، بمعناه.

(٢) في الحمزوية بدلا منه: «قوم فرعون».

(٣) في الأسدية٣: «أحمد».

(٤) في المطبوع: «الغناء».

(٥) منقطع، أخرجه الطبري (٢٣/ ٤١٨) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن بعض أصحابه، عن ابن عمر فذكره.

(٦) مرسل، أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٧٧) عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي قلابة، =

ولا توجد «زَعَم» مستعملة في فصيح من الكلام إِلَّا عبارة عن الكذب أَو قول انفرد به قائله فيريد ناقله[١] أَن يلقي عهدته على الزاعم، ففي ذلك ما ينحو إِلى تضعيف الزعم، وقول سيبويه: «زَعَم الخليل»، إِنما يجيءُ فيما ينفرد به الخليل[٢].

ثم أَمره الله تعالى أَن يجيب نفيهم بما يقتضي الردَّ عليهم وإِيجاب البعث وأَن يُؤكد ذلك بالقَسَم، ثم توعَّدهم تعالى في آخر الآية بأَنهم يُخْبَرون بأَعمالهم على جهة التوقيف والتوبيخ المؤدي إِلى العقاب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

هذا دعاءٌ إِلى الله تعالى وتبليغٌ وتحذيرٌ.

و(النُّورِ): القرآن.

والعامل في ﴿يَوْمَ﴾ يحتمل أَن يكون ﴿تُنَبَّؤُنَّ﴾، ويحتمل أَن يكون ﴿خَبِيرٌ﴾، وهو تعالى خبير في كل يوم لكن يخصُّ ذلك اليوم لأَنه يومٌ تضرهم فيه خِبْرة الله تعالى بأُمورهم.

= عن أبي مسعود الأنصاري قال: قيل له: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول في زعموا؟ قال: «بئس مطية الرجل».

وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٣٠٧)، وأحمد (٥/ ٤٠١) والبخاري في الأدب المفرد (٧٦٢)، وأبو داود (٤٩٧٢) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ١٧٣-١٧٤) وغيرهم من طريق الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي قلابة قال: قال أبو عبد الله لأبي مسعود، أو أبو مسعود لأبي عبد الله ـ يعني حذيفة ـ، فذكره.

(١) في المطبوع والحمزوية ونجيبويه: «قائله».

(٢) الكتاب لسيبويه (١/ ٧٢)، وقد وردت فيه أكثر من (١٤٠) مرة.

وقرأ جمهور السبعة: ﴿يَجْمَعُكُمْ﴾ بضم العين.

وقرأ أبو عمرو بسكونها، ورُوي عنه أنه أَشمَّها الضمَّ[١].

وقرأ سلام ويعقوب: ﴿نَجْمَعُكُمْ﴾ بالنون وضم العين[٢].

وهذا على جواز تسكين الحركة وإِن كانت للإِعراب، كما قال جرير:

.... لا تَعْرِفْكُمُ الْعَرَبُ[٣] [البسيط]

و(يوم الجمع): هو يوم القيامة، وهو يوم التغابن؛ وذلك أَن كل واحد يُبعث من قبره وهو يرجو حظّاً أَو منزلةً، فإِذا وقع الجزاءُ غبن[٤] المؤمنون الكافرين لأَنهم يُجزون الجنة ويحصل الكفار في النار، نحا هذا المنحا[٥] مجاهد وغيره، وليس هذا الفعل في التَّغابن من اثنين، بل هو: كَتَواضَعَ وتَحَامَل.

وقرأ نافع، وابن عامر، والمفضل عن عاصم: ﴿نُكَفِّرْ عنه﴾ بنون، وكذلك ﴿نُدْخِلْهُ﴾، وهي قراءَة الأَعرج، وأَبي جعفر، وشيبة، والحسن بخلاف، وطلحة.

وقرأ الباقون، والأَعمش، وعيسى، والحسن في الموضعيْن بالياءِ[٦]، على معنى: يُكَفِّر الله، والأَول هو نون العظمة.

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾ يحتمل أَن يريد المصائب التي هي رزايا، وخصها بالذِّكر لأَنها الأَهمُّ على الناس والأَبْيَنُ أَثراً في نفوسهم، ويحتمل أَن

---

(١) وهما شاذتان، نسبهما له في السبعة (ص: ٦٣٨).

(٢) وهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٨٨)، ولم ترد هذه القراءة في الأصل، والإشارة في هذا التي بعدها للقراءة التي قبلها.

(٣) تمامه: سِيرُوا بَني العَمِّ فالأَهْوَازُ مَنْزِلُكُمْ... ونهْرُ تِيرى فَلَمْ تَعْرِفْكُمُ الْعَرَبُ، وقد تقدم في تفسير الآية (٥٥) من (سورة البقرة).

(٤) في المطبوع: «عيَّر».

(٥) في المطبوع: «المعنى».

(٦) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١١)، وللمفضل: السبعة (ص: ٦٣٨).

يريد جميع الحوادث من خيرٍ وشرٍّ، وذلك أَن الحكم واحد في أَنها بإِذن الله تعالى.

و«الإِذْنُ» في هذا الموضع: عبارة عن العلم والإِرادة وتمكين الوقوع.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ قال فيه المفسِّرون: المعنى: ومن آمن بالله تعالى وعرف أَن كل شيءٍ بقضاءِ الله وقدره وعلمه، هانت عليه مُصيبَتُه، وسلَّم الأَمر لله تعالى.

وقرأَ سعيد بن جبير، وطلحة بن مُصَرِّف: (نَهْدِ) بالنون.

وقرأَ الضحاك: (يُهْدَ) بضم الياءِ وفتح الدال (قَلْبُهُ) برفع الباء.

وقرأَ عكرمة، وعمرو بن دينار: (يَهْدَأْ قَلْبُهُ) برفع القلب.

ورُوي عن عكرمة أَنه سكَّن بدل الهمزة أَلفاً[1]، على معنى أَن صاحب المصيبة يُسَلِّم فتسكُن نفسه، ويُرشد الله تعالى المؤمن به إِلى الصَّواب في الأُمور.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ عموم مطلق على ظاهره.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ عطف على قوله: ﴿فَـَٔامِنُواْ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ إِلى آخر الآية؛ وعيدٌ وتبرئة لمحمد ﷺ إِذا بلَّغ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ تحريضٌ للمؤمنين على مكافحة الكفار والصبر على دين الله تعالى.

---

(١) هذه أربع قراءات شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٤٧٥)، وانظر: تفسير الثعلبي (٩/ ٣٢٩)، والمحتسب (٢/ ٣٢٣).

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ﴾ إلى آخر السُّورة؛ قُرْآنٌ مَدَنيٌّ، اختلف الناس في سببه:

فقال عطاءُ بن أَبي رباح: إِنه نزل في عوف بن مالك الأَشجعي، وذلك أَنه أَراد غزواً مع النبي ﷺ، فاجتمع أَهله وأَولاده فثبَّطوه / وشكوا إِليه فراقه، فرقّ ولم يَغزُ، ثم إِنه ندم وهَمَّ بمعاقبتهم، فنزلت الآية بسببه محذِّرة من الأَزواج والأَولاد وفتنتهم[١]. [٥/ ٢١٠]

ثم صرف تعالى عن معاقبتهم بقوله: ﴿وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ﴾.

وقال بعض المفسِّرين: سبب الآية: أَن قوماً آمنوا بالله تعالى وثَبَّطهم أَزواجهم وأَولادهم عن الهجرة فلم يهاجروا إِلَّا بعد مُدَّة، فوجدوا غيرهم قد تفقَّه في الدِّين، فندموا وأَسفوا وهمُّوا بمعاقبة أَزواجهم وأَولادهم[٢].

ثم أَخبر تعالى أَن الأَموال والأَولاد فتنة تشغل المرءَ عن مراشده، وتحمله من الرَّغبة في الدُّنيا على ما لا يحمده في آخرته، ومنه قوله ﷺ: «الولد مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَة»[٣].

وخرَّج أَبو داود حديثاً في مُصنَّفه: أَن رسول الله ﷺ كان يخطب يوم الجمعة حتى جاءَ الحَسَن والحُسَين، وعليهما قميصان أَحمران يَجُرَّانهما، يَعْثران ويقومان، فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر حتى أَخذهما وصعد بهما، ثم قرأ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾، وقال: «إِني رأَيت هذين فلم أَصبر»، ثم أَخذ في خطبته[٤].

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٤٢٤) من طريق محمد بن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار فذكره.

(٢) إسناده لين، جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما أخرجه الترمذي (٣٣١٧) والطبري (٢٣/ ٤٢٣) وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ١٣٩)، والطبراني في الكبير (١١٧٢٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩٠) من طريق إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، به.

(٣) ضعيف، تقدم تخريجه، انظر (سورة الفتح) آية (٢٤).

(٤) حسن غريب، أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٤)، وأبو داود (١١٠٩)، والترمذي (٣٧٧٤)، وابن ماجه (٣٦٠٠)، والنسائي في الكبرى (١٧٤٣-١٨٠٣٤-١٨٠٤)، وابن خزيمة في صحيحه (١٤٥٦-١٨٠١-١٨٠٢)،=

قال القاضي أَبو محمد: وهذه ونحوها هي فتنة الفضلاءِ، فأَما فتنة الجهال الفسقة فمؤديةٌ إِلى كل فعل مُهْلِك[١].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لا يقولنَّ أَحدكم: اللهم اعصمني عن الفتنة، فإِنه ليس يرجع أَحد إِلى أَهلٍ ومالٍ إِلَّا وهو مشتمل على الفتنة، ولكن لِيَقُل: اللهم إِني أَعوذ بك من مُضِلَّات الفِتَن[٢].

وقال عمر لحذيفة: كيف أَصبحتَ؟ قال: أَصبحتُ أُحبُّ الفتنة وأَكره الحقَّ، فقال عمر: ما هذا؟ قال: أُحبُّ ولدي وأَكره الموت[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾.

قال قتادة وفريق من الناس: إِنَّ قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ ناسخٌ لقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢][٤].

= والطبري (٢٣/ ٤٢٥) من طرق عن الحسين بن واقد المروزي، عن عبد الله بن بريدة بن الحصيب، عن أبيه به، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من حديث الحسين بن واقد. اهـ.

(١) «فعل» ليست في المطبوع، وفي الأسدية٣، والمطبوع: «مهلكة».

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٣/ ٤٨٦) عن الحارث بن أبي أسامة، عن عبد العزيز بن أبان، عن المسعودي، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه به، وعبد العزيز بن أبان الأموي متروك، وأخرجه الطبري (١٣/ ٤٧٥)، وابن أبي حاتم (٨٩٨٤) من طريق وكيع عن المسعودي، عن القاسم، عن ابن مسعود به، وهو منقطع لعدم سماع القاسم من ابن مسعود.

(٣) لم أقف عليه، ولم أجده إلا عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير (٢٨/ ٢٨٦) ناقلًا عن ابن عطية في هذا الموضع.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٤٢٧)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٢٧٤).

ورُوي: أَن الأَمر نزل بحقِّ التُّـقَاة فشق ذلك على الناس حتى نزل ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾.

وذهبت فرقة منهم أَبو جعفر النحاس إِلى أَنه لا نَسْخ في الآيتين، وأَن قوله تعالى: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ مقصده: فيما استطعتم، ولا يُعقل[١] أَن يطيع أَحدٌ فوق طاقته واستطاعته، فهذه على هذا التأْويل مُبَيِّنة لتلك المسألة[٢].

وتحتمل هذه الآية أَن تكون: فاتَّقوا الله مُدَّة استطاعتكم التقوى، وتكون ﴿مَا﴾ ظرفاً للزمان كله، كأَنه يقول: حياتَكُمْ وما دام العمل ممكناً.

قوله تعالى: ﴿خَيْرًا﴾، ذهب بعض النحاة إِلى أَنه نصب على الحال، وفي ذلك ضعف.

وذهب آخرون منهم إِلى أَنه نصب بقوله سبحانه: (أَنْفِقُوا)، قالوا: والخير هنا المالُ.

وذهب فريق آخرون منهم إِلى أَنه نعت لمصدر محذوف تقديره: إِنفاقاً خيراً.

ومذهب سيبويه أَنه نصب بإِضمار فعل يدل عليه قوله تعالى: (أَنْفِقُوا)[٣].

وقرأَ أَبو حيوة: (يُوَقَّ) بفتح الواو وشدِّ القاف، وقرأ ابن عمر: (شِحَّ) بكسر الشين[٤].

وتقدم تفسيره في سورة الحشر.

وقال الحسن: نظرك إِلى امرأَة لا تملكها من الشُّحِّ[٥].

---

(١) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «ولا يُقْصد».

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٢٧٣).

(٣) انظر كلامه على مثله في الكتاب لسيبويه (١/ ٢٨٢).

(٤) وهما شاذتان، تقدم الكلام عليهما في سورة الحشر.

(٥) «الشح» ليست في نجيبويه، وانظر كلام الحسن في الهداية لمكي (١٢/ ٧٥١٥).

وقيل: يا رسول الله، ما يُدخلُ العَبْدَ النَّارَ؟ قال: «شُحٌّ مطاعٌ، وهوًى مُتَّبَعٌ، وجُبْنٌ هالعٌ، وإِعجاب المرءِ بنفسه»، ذكره النقاش[١].

والحديث في المصنفات: أن النبي ﷺ قال: «إِذا رأَيتَ شُحّاً مُطاعاً، وهوًى مُتَّبعاً، وإِعجابَ كلِّ ذي رأْي برأْيه، فعليك بِخُوَيْصة نفسك»[٢].

وقرأَ جمهور السبعة: ﴿يُضَٰعِفۡهُ﴾.

وقرأَ ابن كثير وابن عامر: ﴿يُضَعِّفْهُ﴾[٣].

وذهب بعض العلماءِ إِلى أَن هذا الحضَّ هو على أَداءِ الزكاة المفروضة، وذهب آخرون منهم إِلى أَن الآية في المندوب إِليه، وهو الأَصح إِن شاءَ الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ إِخبارٌ بمجرد شكره[٤] تعالى على الشيءِ اليسير[٥]، وأَنه قد يحط به عمن شاءَ الحوب[٦] العظيم، لا ربَّ غيره.

كمل تفسير (سورة التغابن)، والحمد لله ربِّ العالمين

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٢) إسناده لين، أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (١٥٥)، وأبو داود (٤٣٤١) والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٥١٤) وغيرهم من طريق عتبة بن أبي حكيم، عن عمرو بن جارية، عن أبي أمية الشعباني، قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني، قال: قلت: كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ قال: سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ، فقال: «بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحّاً مطاعاً...»، الحديث، وعمرو بن جارية اللخمي، وأبو أمية الشعباني الدمشقي لم يوثقا توثيقاً معتبراً.

(٣) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٣٨).

(٤) في المطبوع والحمزوية ونجيبويه: «بمجازاته».

(٥) «اليسير» ليست في المطبوع والحمزوية ونجيبويه.

(٦) «الحوب» ليست في المطبوع.

سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الطلاق

وهي مدنية بإجماع من أهل التفسير.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)﴾.

الطلاق على الجملة مكروه(١) لأنه تبديد شمْل في الإسلام.

وروى أَبو موسى الأَشعري رضي الله عنه: أَن النبي ﷺ قال: «لا تطلِّقوا النساءَ إلَّا من ريبة، فإِن الله لا يحب الذَّوَّاقين ولا الذَّوَّاقات»(٢).

---

(١) إذا لم يكن هنالك سبب داع له، انظر هذا المعنى في مواهب الجليل (٥/ ٢٦٨)، وشرح النووي على مسلم (١٠/ ٦١-٦٢).

(٢) أسانيده لا تقوم بها الحجة، والمرسل أشبه، أخرجه البزار في مسنده (٣٠٦٤) من طريق شعيب بن =

وروى أَنس عنه ﷺ قال: «ما حلف بالطلاق ولا استحلف به إِلَّا منافق»(١).

واختُلف في البداية بالنبي ﷺ ثم قوله تعالى بعد ذلك ﴿طَلَّقۡتُمُ﴾:

فقال بعض النحويين، حكاه الزهراوي: ذلك خروج من مخاطبة أفرادٍ إِلى مخاطبة جماعة، وهذا موجود.

وقال آخرون منهم: إِن في نداءِ النبي ﷺ أُريدت أُمته معه، فلذلك قال تعالى: ﴿طَلَّقۡتُمُ﴾.

وقال آخرون منهم: إِن المعنى: يا أَيُّها النبي قل لهم: إِذا طلقتم.

[٥/ ٢١١] وقال آخرون: إِنه من حيث يقول الرجل العظيم: فَعَلْنا، / وَضَعْنَا، خوطب النبي ﷺ في هذه بـ﴿طَلَّقۡتُمُ﴾ إِظهاراً لتعظيمه.

= بيان، عن الضحاك بن يسار، عن أبي تميمة الهجيمي، عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل لا يحب الذواقين ولا الذواقات»، وأخرجه البزار (٣٠٦٥) من طريق شعيب بن بيان، عن عمران القطان، عن قتادة عن أبي تميمة به، وشعيب له مناكير وقد اضطرب في إسناده. وأخرجه البزار أيضاً (٣٠٦٦) من طريق محمد بن شيبة بن نعامة، عن عبد الله بن عيسى، عمن حدثه، عن أبي موسى به مرفوعاً، وفيه جهالة، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٢٢٣٠) من طريق عمارة بن راشد، عن عبادة بن نسي عن أبي موسى، عن النبي ﷺ، وسئل أبو حاتم كما في العلل (١/ ٤٦٧) عن هذا الإسناد، فقال: عبادة عن أبي موسى لا يجيء، وسئل الدارقطني (١١/ ٢٩) عن حديث شهر، عن أبي هريرة، قال رجل لرسول الله ﷺ: طلقت امرأتي، فقال: «تزوج ولا تطلق، فإن الله عز وجل لا يحب الذواقين والذواقات»، فقال: يرويه قتادة، واختلف عنه، فقال بكر بن بكار، عن سعيد، عن قتادة، عن شهر، عن أبي هريرة، وخالفه أبان بن يزيد العطار، فرواه عن قتادة، عن شهر، مرسلاً، وأرسله هشام الدستوائي، عن قتادة لم يجاوز به، والمرسل أشبه.اهـ.

(١) باطل، أخرجه ابن عساكر كما في كنز العمال (١٦/ ٦٨٩)، وأخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٣٤) من طريق عبد الصمد بن سعيد، عن عبد السلام بن العباس بن الوليد الحضرمي، عن علي بن خالد بن خلي، عن سويد بن حميد، عن أنس مرفوعاً به. وفيه أكثر من راو لم أقف له على ترجمة، قال الزركشي: لم أجده، وقال العسقلاني: لا أستحضره. لكن ضعفه الألباني في الجامع الصغير (١١٨٣٩)، وانظر: الأسرار المرفوعة (١/ ٢٤١).

وهذا على نحو قوله تعالى في عبد الله بن أُبَيٍّ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ [المنافقون: ٧] إذا كان قوله مما يقوله جماعة، فكذلك النبي ﷺ في هذه الآية ما يُخاطب به فهو خطاب لجماعة.

قال القاضي أَبو محمد: والذي يظهر لي في هذا: أَنهما خطابان مفترقان، خوطب النبي ﷺ على معنى تنبيه لسماع القول وتَلَقِّي الأَمر، ثم قيل له: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾؛ أَي: أَنت وأُمَّتُك.

فقوله تعالى: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ ابتداءُ كلام كما لو ابتدأَ السُّورة به، وطلاق النساءِ حَلُّ عِصْمتهن، وصورة ذلك وتنويعه مما لا يختص بالتفسير.

وقوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾؛ أَي: لاستقبال عدتهن وقوامها وتقريبها عليهن.

وقرأَ عثمان، وابن عباس، وأُبَيٌّ بن كعب، وجابر بن عبد الله، ومجاهد، وعليُّ بن الحسين، وزيد بن علي وجعفر بن محمد رضي الله عن الصحابة والتابعين: (فَطَلِّقُوهُنَّ في قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ).

وروي عن بعضهم وعن ابن عمر: [(لِقُبُلِ عِدَّتِهِنَّ)[١]؛ أَي: لاستقبالها.

وروى ابن عمر القراءَتين عن النبي ﷺ[٢].

وقرأَ ابن مسعود رضي الله عنه: (لِقُبُلِ طُهْرِهِنَّ)][٣].

ومعنى هذه الآية: أَلَّا يطلِّق أَحد امرأَته إِلَّا في طُهْر لم يمسَّها فيه، هذا على مذهب مالك رحمه الله وغيره مِمَّن قال: إِنَّ الأَقْرَاءَ: الأَطهارُ، فيطلق عندهم المطلِّق في طُهْر

(١) وهما شاذتان، انظر الأولى في المحتسب (٢/ ٣٢٣)، والثانية في اللباب في علوم الكتاب (٨/ ٣٨٠).

(٢) صحيح، أثر عبد الله بن عمر رضي الله عنه أخرجه مالك في الموطأ (١٢٢١) وغيره عن عبد الله بن دينار أنه قال سمعت عبد الله بن عمر قرأ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ﴾: لقبل عدتهن، وأما الرواية المرفوعة فقد أخرجها مسلم (١٤٧١) وغيره.

(٣) سقط من الأصل، وهي شاذة، قال في البحر المحيط (١٠/ ١٩٦): وهي على التفسير، لا على أنه قرآن، لخلافه سواد المصحف.

لم يمسَّ فيه، وتعتد به المرأَة ثم تحيض حيضتين تعتد بالطهر الذي بينهما، ثم تقيم في الطهر الثالث مُعْتَدَّة به، فإذا رأَت أَول الحيضة الثالثة حلَّت[١].

ومن قال بأَنَّ الأَقراءَ: الحيضُ ـ وهم العراقيون ـ قال: ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ معناه: أن تطلق طاهراً فتستقبل ثلاث حِيض كوامل، فإذا رأَت الطهر بعد الثالثة حلَّت، ويخفُّ عند هؤلاءِ؛ مسَّ في طهر الطلاق أَو لم يمسّ[٢].

وكذلك مالكٌ يقول: إِن طلَّق في طُهْر قد مسَّ فيه؛ مضى الطلاق[٣].

ولا يجوز طلاق الحائض لأَنها تطول العِدَّة عليها، وقيل: بَلْ ذلك تعبُّدٌ[٤]، ولو علل بالتطويل لا ينبغي أَن يجوز ولو رضيته[٥].

والأَصل في ذلك حديث عبد الله بن عمر، قال: طلقتُ امرأَتي وهي حائض، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لِعُمَر: «مُرْهُ فليراجعها ثم لِيُمْسكها حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم يطلقها إِن شاءَ، فتلك العِدَّة التي أَمر الله تعالى أَن يُطَلَّق لها النساء»[٦].

وروى حذيفة أَنه ﷺ قال: «طلِّقوا المرأَة في قُبُلِ طُهْرِهَا»[٧].

---

(١) انظر هذا القول في الموطأ (٢/ ٤٥١)، والمدونة (٢/ ٢٣٤)، والأم (٥/ ٢٦٩)، والأوسط (٩/ ١٣٧).

(٢) انظر: أحكام القرءان للجصاص (٢/ ٥٥)، والمبسوط للسرخسي (٦/ ٢٠).

(٣) انظر نقل الإجماع على ذلك في الاستذكار (٦/ ١٤٥).

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «بل تعتد».

(٥) انظر الإجماع على النهي عن الطلاق في الحيض، في الاستذكار (٦/ ١٤١).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٩٠٨)، ومسلم (١٤٧١) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٧) روي من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً بإسناد لين، هذا الحديث لم أقف عليه من حديث حذيفة وإنما أخرجه الطبري (٥/ ١٤)، والطحاوي في أحكام القرآن (١٧٩٠)، والطبراني في الأوسط (٣٩٥٣)، والروياني في مسنده (٥٦٢)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٢٣) من طريق عبد السلام بن حرب، عن يزيد أبي خالد الدلاني، عن أبي العلاء الأودي، عن حميد بن عبد الرحمن الحميري، عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال لهم: «يقول أحدكم لامرأته: قد طلقتك، قد راجعتك، ليس هذا بطلاق المسلمين، طلقوا المرأة في قبل طهرها».

ثم أَمر تعالى بإِحصاء العِدَّة لما يلحق ذلك من أَحكام الرَّجعة والسُّكنى والميراث وغير ذلك.

ثم أَخبر تعالى بأَنهن أَحق بسُكنى بيوتهن التي طُلِّقن فيها، فنهى عن إِخراجهن وعن خروجهن، وسُنَّة ذلك أَلَّا تبيت المرأَة المطلَّقة بعيدة[1] عن بيتها ولا تغيب عنه نهاراً إِلَّا في ضرورة ومما لا خطب له من جائز التصرف، وذلك لحفظ النسب والتَّحرز بالنساءِ[2].

فإِن كان البيت ملكاً للزوج أو بِكِراءٍ منه؛ فهذا حُكْمه، فإِن كان لها؛ فعليه الكراءُ.

فإِن كان قد أمتعته مدة[3] الزوجية؛ ففي لزوم خروج العدة له قولان في المذهب: اللزوم رعاية لانفصال مُكارمة النكاح، والسقوط من أَجل أَن العِدَّة من سبب النكاح[4].

واختلف الناس في معنى قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾، فقال قتادة، والحسن، ومجاهد: ذلك الزِّنا، فيخرجن للحَدِّ، وهو قول الشعبي، وزيد بن أَسلم، وحمَّاد، والليث[5]، وقال ابن عباس: ذلك الْبَذَاءُ على الأَحْمَاءِ[6]، فتخرج ويسقط حقها في السكنى، وتلزم الإِقامة في مسكن تتخذه حِفْظاً للنسب.

---

(١) «بعيدة» من المطبوع.

(٢) انظر أحكام خروج المرأة في العدة في أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٢٧٧).

(٣) في الأصل: «طول».

(٤) انظر القولين في الذخيرة للقرافي (٥/ ٤٦٣).

(٥) الهداية لمكي (١٢/ ٧٥٢٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٦).

(٦) لا بأس به، أخرجه الشافعي في الأم (٥/ ١٠٩)، وعبد الرزاق في المصنف (١١٠٢١-١١٠٢٢)، والطبري في تفسيره (٢٣/ ٤٣٩) من طريق محمد بن عمرو بن علقمة، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وفي لفظ: أن تفحش على أهل الرجل وتؤذيهم. ومحمد ابن إبراهيم التيمي، عن ابن عباس يقال مرسل، ولكن أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ٧١) من طريق سليمان بن بلال، عن عمرو بن أبي عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به بنحوه، وإسناده لا بأس به.

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه: (إِلَّا أَن يَفْحُشْنَ عَلَيْكُمْ)(١).

وقال ابن عباس أَيضاً: الفاحشةُ جميعُ المعاصي، فمتى(٢) سرقت أَو زنت أَو أَربت في تجارة أَو غير ذلك فقد سقط حقها في السُّكنى(٣).

وقال ابن عمر، والسُّدي: الفاحشةُ: الخروج عن البيت خروج انتقال، فمتى فعلت ذلك سقط حقها في السكنى(٤).

وقال قتادة أَيضاً: المعنى: أَن يأْتين بفاحشةٍ في نشوز عن الزوج فيطلِّق بسبب ذلك، فلا يكون عليه سكنى(٥).

وقال بعض الناس: الفاحشةُ متى وردت معرَّفة فهي الزِّنا، ومتى جاءَت منكرة فهي في المعاصي، فمرة يراد بها سوءُ عِشْرة الزوج، ومرة غير ذلك.

وقرأَ عاصم: ﴿مُبَيَّنَةٍ﴾ بفتح الياءِ المشددة(٦)، تقول: بانَ الأَمْرُ وبَيَّنته أنا؛ على التضعيف على التعدية.

وقرأَ الجمهور بكسرها، تقول: بانَ الأَمرُ وبَيَّن بمعنى واحد، إِلَّا أَن التضعيف للمبالغة، ومن ذلك قولهم: قد بَيَّنَ الصُّبْحُ لذي عينين.

---

(١) وهي شاذة، نسبها له في تفسير الزمخشري (٤/ ٥٥٥)، ومثلها في تفسير الطبري (٨/ ١١٦)، في آية (سورة النساء).

(٢) في الأصل: «فمن».

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٤٣٩) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: هي المعصية.

(٤) إسناده فيه لين، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٤٤٠)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ٧٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩١) من طريق حيوة بن شريح، عن محمد بن عجلان عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنه.

(٥) انظره مع قول السدي في تفسير الطبري (٢٣/ ٤٤٠)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٥٢٨)، والثعلبي (٩/ ٣٣٤)، والماوردي (٦/ ٢٩).

(٦) وهي سبعية لابن كثير وشعبة، والباقون بالكسر، انظر: التيسير (ص: ٩٥).

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى جميع أوامره في هذه الآية.

وقوله: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾، قال قتادة وغيره: يريد به الرَّجعة[١]، أي: أَحْصُوا العِدَّة، وامْتثلوا هذه الأَوامر المثَقَّفَة لنسائكم، الحافظة لأَنسابكم، وطَلِّقوا على السُّنَّة، تجدوا المَخْلَص إِن ندمتم، فإِنكم لا تدرون لعلَّ الرَّجعة تكون بعد.

والإِحداثُ في هذه الآية بَيِّن التوجه، عبارةٌ عَمَّا يوجد من التراجع، وجوَّز قوم أَن يكون المعنى: أَمْراً من النَّسْخ، وفي ذلك بُعْدٌ.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ يريد به آخِرَ الْقُرْءِ.

والإِمْسَاكُ بالْمَعْرُوفِ: هو حُسْنُ العِشْرة في الإِنفاق وغير ذلك.

والْمُفَارَقَةُ بِالْمَعْرُوفِ: هي أَداءُ المهر والمتعةُ ودفْعُ جميع الحقوق والوفاءُ بالشروط وغير ذلك حسب نازلة نازلة.

وقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ يريد: على الرجعة، وذلك شرط في صحة الرجعة، وللمرأَة منع الزوج من نفسها حتى يُشْهِد.

وقال ابن عباس: المراد: على الرَّجعة وعلى الطلاق[٢]؛ لأَن الإِشْهاد يرفع من النوازل إِشكالات كثيرة، وتَقْييد تأريخ الإِشهاد من الإِشهاد.

وقال النَّخَعي: العَدْلُ: مَنْ لم تظهر منه ريبة[٣]، وهذا قول الفقهاءِ، والعَدْل حقيقةً: الذي لا يخاف إِلَّا الله تعالى.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٤٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٤٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن أراد مراجعتها قبل أن تنقضي عدتها، أشهد رجلين كما قال الله ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ عند الطلاق وعند المراجعة، فإن راجعها فهي عنده على تطليقتين، وإن لم يراجعها فإذا انقضت عدتها فقد بانت منه بواحدة، وهي أملك بنفسها، ثم تتزوّج من شاءت، هو أو غيره.

(٣) الأوسط (٧/ ٣٣٩).

وقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ﴾ أَمْرٌ للشهود.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ إِشَارةٌ إِلى إِقامة الشهادة، وذلك أَن جميع فصول الأَحكام والأُمور فإِنما تدور على إِقامة الشهادة.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، قال علي ابن أَبي طالب رضي الله عنه، وكثير من المتأَولين: / هو في معنى الطلاق[1]، أَي: ومن لا يتعدى في طلاق السُّنَّة إِلى طلاق الثلاث وغير ذلك يجعل اللهُ له مخرجاً إِن ندم بالرَّجعة المباحة، ويرزقه ما يطعم أَهله، ويوسع عليه، ومن لا يَتَّق الله فربَّما طلَّق وبَتَّ وندم فلم يكن له مخرجٌ، وزال عنه رزق زوجته. [٥/ ٢١٢]

وقد فسَّر ابن عباس رضي الله عنه نحو هذا، فقال لِمُطَلِّقٍ ثلاثاً: إِنك لم تتق الله تعالى، فبانت منك امرأَتُك، ولا أَرى لك مخرجاً[2].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) صحيح إلى ابن عباس، وذكر أبو داود أنه رجع عنه، أخرجه أبو داود (٢١٩٩)، والطبري (٢٣/ ٤٣٣) من طرق عن مجاهد قال: جلست عند ابن عباس فجاءه رجل فقال إنه طلق امرأته ثلاثاً فسكت حتى ظننت أنه رادها إليه ثم قال: ينطلق أحدكم فيركب الأحموقة ثم يقول: يا ابن عباس. وإن الله قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ وإنك لم تتق الله فلم أجد لك مخرجاً عصيت ربك فبانت منك امرأتك، قال أبو داود عقب هذا الأثر: روى هذا الحديث حميد الأعرج وغيره عن مجاهد عن ابن عباس، ورواه شعبة عن عمرو بن مرة، عن ابن جبير، عن ابن عباس، وأيوب وابن جريج جميعاً، عن عكرمة بن خالد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وابن جريج، عن عبد الحميد بن رافع عن عطاء، عن ابن عباس، ورواه الأعمش، عن مالك بن الحارث، عن ابن عباس، وابن جريج عن عمرو بن دينار عن ابن عباس: كلهم قالوا في الطلاق الثلاث إنه أجازها قال: وبانت منك. نحو حديث إسماعيل، عن أيوب عن عبد الله بن كثير، قال أبو داود: وروى حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس: إذا قال أنت طالق ثلاثاً بفم واحد فهي واحدة، ورواه إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن عكرمة هذا قوله لم يذكر ابن عباس، ثم قال أبو داود: وقول ابن عباس هو أن الطلاق الثلاث تبين من زوجها مدخولاً بها وغير مدخول بها لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره هذا مثل خبر الصرف قال فيه ثم إنه رجع عنه.اهـ.

وقال ابن عباس أَيضاً: معنى ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾: يخلِّصه من كرب الدنيا والآخرة[١].

واختلفت أَلفاظ رُواة هذه القصة عن ابن عباس، لكن هذا هو المعنى.

وقال بعض رواة الآثار: نزلت هذه الآية في عوف بن مالك الأَشجعي، وذلك أَنه أُسر ولدُه، وقُدر عليه رزقه[٢]، فشكا ذلك إِلى رسول الله ﷺ، فأَمره بالتقوى، فقيل: فلم يلبث أَن تَفَلَّت ولدُه، وأَخذ قطيع غنم للقوم الذين أَسروه، وجاءَ أَباه، فسأَل عوف رسول الله ﷺ: أَتطيب له تلك الغنم؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، ونزلت الآية في ذلك[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ الآية، كلُّها عظةٌ لجميع الناس.

و«الحَسْبُ»: الكافي المرضي، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: هذه أَكثر الآيات حضّاً على التفويض[٤].

وروي: أَن رجلاً قال لِعُمر رضي الله عنه: وَلِّني مِمَّا ولَّاكَ اللهُ تعالى، فقال له عمر: أَتقرأُ القرآن؟ قال: لا، قال عمر: فإِني لا أُولي من لا يقرأُ القرآن، فتعلم الرجلُ

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٤٦) من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٢) «رزقه» من الحمزوية وأحمد٣ ونور العثمانية.

(٣) أسانيده لا ترتقي للاحتجاج، أخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ٥٤٢) ومن طريقه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ١٠٦) من طريق سفيان بن عيينة، عن مسعر، عن علي بن بذيمة، عن أبي عبيدة ابن عبد الله بن مسعود، عن أبيه به، وأخرجه الطبراني في الدعاء (١٦٧٢)، وابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (١٤/ ٥٤٠) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس فذكره، وأخرجه الخطيب في تاريخه (٩/ ٨٤) من طريق جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وله روايات أخرى مرسلة، ومنقطعة.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٤٧) عن ابن حميد، عن جرير، عن منصور، عن الشعبي، قال: تجالس شُتير بن شكل ومسروق، فقال شُتير: إما أن تحدّث ما سمعت من ابن مسعود فأصدّقك، وإما أن أحدث فتصدّقني، قال مسروق: لا بل حدّث فأصدّقك، فقال: سمعت ابن مسعود يقول: إن أكبر آية في القرآن تفوّضاً ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾... إلخ. ومحمد بن حميد ليس بعمدة.

رجاءَ الولاية، فلما حفظ كثيراً من القرآن تخلَّف عن عمر، ثم لَقِيَه يوماً فقال له عمر رضي الله عنه: ما أَبطأَ بك؟ قال: تعلمتُ القرآن فأَغناني اللهُ عن عمر وعن بابه، ثم قرأَ هذه الآية من هذه السُّورة[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾ بيانٌ وحضٌّ على التوكل، أَي: لا بد من نفوذ أَمر الله تعالى توكَّلْتَ أَيُّها المرءُ أَم لم تتوكَّل، قاله مسروق، فإِن توكَّلت كفاك وتعجلتَ الراحة والبركة، وإِن لم تتوكل وكَلَكَ إِلى عجزك وتَسَخُّطك، وأَمره عزَّ وجلَّ في الوجهين نافذ.

وقرأَ داود بن أَبي هند، ورويت عن أَبي عمرو: (بَالِغٌ أَمْرُهُ) برَفْع الأَمر[٢]، وحذف مفعول تقديره: بالغٌ أَمْرُهُ ما شاءَ.

وقرأَ جمهور السبعة، والناسُ: ﴿بَالِغٌ أَمْرَهُ﴾ بنصب الأَمر.

وقرأَ حفصٌ والمفضل عن عاصم: ﴿أَمۡرِهِۦ﴾ على الإِضافة وترك التنوين في ﴿بَٰلِغُ﴾، ورويت عن أَبي عمرو، والأَعمش، وهي قراءَة طلحة بن مصرف[٣].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿قَدۡرٗا﴾ بسكون الدال.

وقرأَ بعض القراءِ: (قَدَراً) فتح الدال[٤]، وهذا كله حضٌّ على التوكل.

قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾ أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٣٧).

(٢) وهي شاذة، انظرها في نسبها المحتسب (٢/ ٣٢٣)، وهي رواية عصمة عن أبي عمرو، كما في الكامل للهذلي (ص: ٦٤٩).

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١١)، ورواية المفضل (١/ ٦٣٩)، والرواية عن أبي عمرو في الكامل للهذلي (ص: ٦٤٩).

(٤) وهي شاذة، عزاها في البحر المحيط (١٠/ ١٩٩) لجناح بن حبيش.

يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴿٧﴾﴾.

(الَّلائي) هو جمع ذات فيما حكى أَبو عبيدة[١]، وهو ضعيف، والذي عليه الناس أَنه جمع: التي، وقد يجيءُ جمعاً لـ: الذي.

واليائساتُ من المحيض على مراتب:

فيائسة هو أَول يأْسها، فهذه ترفع إِلى السُّنَّة ويبقيها الاحتياط على حكم من ليست بيائسة لأَنها لا تدري لعل الدم يعود.

ويائسة قد انقطع عنها الدم لأَنها طعنت في السن ثم طُلِّقت وقد مرت عادتها بانقطاع الدم إِلَّا أَنها ممن يخاف أَن تحمل نادراً، فهذه التي في الآية على أَحد التأْويلين في قوله: ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾، وهو قول من جعل الارتياب بأَمر الحمل[٢]، وهو الأَظهر.

ويائسة قد هرمت حتى تيقن أَنها لا تحمل، فهذه ليست في الآية لأَنها لا ترتاب بحملها، لكنها في حكم الأَشهر الثلاثة إِجماعاً فيما علمت[٣].

وهي في الآية على تأْويل من يرى أَن قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ معناه في حكم اليائسات.

وذلك أَنه روى إِسماعيل بن أَبي خالد[٤]: أَن قوماً منهم أُبَيُّ بن كعب رضي الله

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٢٦٠).

(٢) في المطبوع: «الحول»، وتحتملهما في أحمد٣.

(٣) انظر الإجماع على ذلك في: الإقناع (٣/ ١٢٩٨).

(٤) هو أبو عبد الله إسماعيل بن أبي خالد البجلي مولاهم الكوفي، أحد أئمة الحديث، سمع أبا جحيفة وابن أبي أوفى وقيس بن أبي حازم وهو راويته، وعنه الحكم بن عتيبة وشعبة والسفيانان، وكان ثقة حجة وكان طحاناً، توفي سنة ١٤٦هـ. تاريخ الإسلام (٩/ ٦٩).

عنه، وخلَّاد بن النعمان[١] لمَّا سمعوا قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ﴾ [البقرة: ٢٢٨] قالوا: يا رسول الله، فما عِدَّة من لا قُرْءَ لها من صِغَر أَو كِبَر؟ فنزلت هذه الآية، فقال قائل منهم: فما عِدَّةُ الحامل؟ فنزلت ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[٢].

وقد تقدَّم ذكر الخلاف في تأْويل ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾.

و(أُولات) جمع ذات.

وأَكثر أَهل العلم على أَن هذه الآية تعم الحوامل المطلقات والمعتدَّات من الوفاة[٣].

والحُجَّةُ حديث سُبَيْعة الأَسْلمية، قالت: كنت تحت سعد بن خولة، فتوفي في حَجَّة الوداع، ووضعت حملها قبل أَربعة أشهر، فقال لها النبي ﷺ: «قد حَلَلْتِ»، وأَمرها أَن تتزوج[٤].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: نزلت سورة النساءِ القُصرى بعد الطُّولى[٥]، يعني أَن قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ نزل بعد قوله تعالى:

---

(١) خلاّد بن النّعمان الأنصاريّ، ذكر مقاتل: أنه سأل النبيّ ﷺ عن عدة التي لا تحيض، استدركه ابن فتحون، الإصابة (٢/ ٢٨٧).

(٢) مرسل، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٩٨) عن الثوري، عن إسماعيل بن أبي خالد قال لما نزلت هذه الآية ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾، وأخرج إسحاق بن راهويه كما في إتحاف المهرة (٥٨٦٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٧٣٨٧)، والطبري (٢٣/ ٥١)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ١٤٩)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٩٠)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٤١٤-٤٢٠) من طرق عن مطرف بن طريف، عن عمرو بن سالم، عن أبي بن كعب قال: قُلتُ: يا رسُول الله. وعمرو بن سالم أبو عثمان الأنصاري روايته عن أبي بن كعب مرسلة كما قاله أبو حاتم، وانظر: العلل ١/ ٤٧٨).

(٣) انظر: الأوسط (٩/ ٥٢٧).

(٤) أخرجه مسلم (١٤٨٤).

(٥) أخرجه البخاري (٤٥٣٢) بلفظ مطول.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤].

وقال علي بن أَبي طالب، وابن عباس: إِنما هذه في المطلقات، وأَمَّا في الوفاة فعدَّة الحامل آخر الأَجلين، فإِنْ وضعت قبل أَربعة أَشهر وعَشْر تمادت إِلى آخرها[(١)].

والقول الأَول أَشهر، وعليه الفقهاءُ.

وقرأَ الضحاك: (أَحْمَالَهُنَّ) على الجمع[(٢)].

وأَمر الله تعالى بإِسكان المطلَّقات، ولا خلاف في التي لم تُبَت[(٣)].

وأَمَّا الْمَبْتُوتة؛ فمالِك رحمه الله تعالى يرى لها السكنى لمكان حفظ النسب، ولا يرى لها نفقة[(٤)]، لأَن النفقة بإِزاءِ الاستمتاع، وهو قول الأَوزاعي، والشافعي، وابن أَبي ليلى، وأَبي عُبَيْد، / وابن المسيَّب، وعطاءٍ، والشَّعبي، وسليمان بن يسار[(٥)]. [٥/ ٢١٣]

وقال أَصحاب الرأْي والثُّورى: لها السَّكن والنَّفقة[(٦)].

وقال جماعة من العلماءِ: ليس لها سُكْنى ولا نفقة[(٧)].

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور (١٥١٧)، والطبري (٢٣/ ٤٥٤) من طريق جرير عن مغيرة قال: قلت للشعبي: ما أصدّق أن عليًّا رضي الله عنه كان يقول: آخر الأجلين أن لا تتزوّج المتوفى عنها زوجها حتى يمضي آخر الأجلين؛ قال الشعبيّ: بلى وصدق أشدّ ما صدّقت بشيء قط؛ وقال عليّ رضي الله عنه إنما قوله: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ المطلقات، ثم قال: إن عليًّا رضي الله عنه وعبد الله كانا يقولان في الطلاق بحلول أجلها إذا وضعت حملها، وقول ابن عباس أخرجه البخاري (٤٩٠٩).

(٢) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٤٧٦).

(٣) انظر الإجماع على سكنى الرجعية في الإجماع (٤٤٢).

(٤) انظر قول مالك في المدونة (٢/ ٤٨).

(٥) انظر قول الشافعي في الأم (٥/ ٣٣٤)، وقول الشعبي في الأوسط (٩/ ٥١٤)، والآخرين في الاستذكار (٦/ ١٦٥).

(٦) انظر قول أصحاب الرأي في المبسوط (٥/ ١٨٨)، وانظر قول الثوري في الأوسط (٩/ ٥١٤).

(٧) انظر هذا القول في مسائل أحمد وإسحاق ـ رواية الكوسج (١٣٣٦)، والأوسط (٩/ ٥١٣).

و«الوُجْدُ»: السَّعة في المال، وضمُّ الواو وفَتْحها وكسرها هي كلها بمعنى واحد.

وقرأ الجمهور: ﴿وُجۡدِكُمۡ﴾ بضم الواو بمعنى السَّعة في الحال.

وقرأ الأَعرج فيما ذكر عِصْمة: (وَجْدِكُمْ) بفتح الواو، وذكرها أَبو عمرو عن الحسن، وأَبي حَيْوة[١].

وقرأ الفيَّاض بن غزوان، ويعقوب بكسر الواو، وذكرها المهدوي عن الأَعرج، وعمرو بن ميمون[٢].

وأَمَّا الحامل؛ فلا خلاف في وجوب سكناها ونفقتها، بُتَّتْ أَو لم تُبت؛ لأَنها مُبَيَّنة في الآية[٣].

واختلفوا في نفقة الحامل المتوفَّى عنها زوجها على قولين لعلماءِ الأُمة:

فمنعها قوم[٤]، وأَوجبها في التركة قوم[٥]، وكذلك النفقة على المرضع واجبة[٦]، وهي الأجر مع الكسوة وسائر المؤن التي بَسْطُها في كتب الفقه.

وقوله تعالى: ﴿وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖ﴾، أَي: ليأْمُر كل واحد صاحبه بخير، ولا شك أَن من أَمر بخير فهو أَسرع إِلى فعل ذلك الخير، وليقبل كل أَحد ما أُمِر به من المعروف، فالقبول والامتثال هو الائتمار، وقال الكسائي: ائْتَمِرُوا معناه: تشاوروا[٧]، ومنه قوله

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لبعضهم في الشواذ للكرماني (ص: ٤٧٦).

(٢) وهي عشرية، لروح كما في النشر (٢/ ٣٨٨)، وانظر عزوها لبعض الباقين في الشواذ للكرماني (ص: ٤٧٦)، وانظر التحصيل للمهدوي (٦/ ٤٢٨).

(٣) انظر الإجماع في: المغني لابن قدامة (٩/ ٢٨٨).

(٤) منهم مالك كما في المدونة (٢/ ٥٣)، وأحمد كما في رواية الكوسج (٩٨٥)، وآخرون في الأوسط (٩/ ٥١٨).

(٥) ومنهم ابن مسعود وابن عمر وشريح وابن سيرين وأبو العالية وغيرهم، كما في الأوسط (٩/ ٥١٨).

(٦) بإجماع العلماء كما في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٥٣٥).

(٧) الدر المصون (١٠/ ٣٥٧).

تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ﴾ [القصص: ٢٠]، ومنه قول امرئ القيس:

.... وَيَعْـدو عَلَى الْمَـرْءِ مَـا يَأْتَمِرْ[١] [المتقارب]

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ﴾ أَي: تشطَّطت المرأَة في الحدِّ الذي يكون أُجرةً على الرِّضاع، فلِلزَّوج أن يسترضع أُخرى بما فيه رِفْقُهُ، إِلَّا إِنْ لم يقبل المولود غير أُمِّه فتجبر حينئذ على رضاعه بأُجرة مِثْلها ومِثْل الزوج في حالهما أَو غناهما[٢].

ثم خصَّ الله تعالى أَهل الجِدَة على الإِنفاق وأَهل الإِقتار على التوسط، كلٌّ بقدر حاله، وهذا هو العدل بينهم لئلا تضيع هي ولا يتكلَّف هو ما لا يُطيق.

واختلف العلماءُ في الذي يعجز عن نفقة امرأَته:

فقال مالك، والشافعي، وأَحمد، وإِسحاق، وأَبو هريرة، وابن المسيَّب، والحسن يُفَرَّق بينهما[٣].

وقال أَصحاب الرأْي، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وجماعة: لا يُفَرَّق بينهما[٤].

ثم رجَّى تعالى باليُسْر تسهيلاً على النفوس وتطييباً لها.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَيُعۡظِمۡ﴾ بالياءِ، وقرأَ الأَعمش: (وَنُعْظِمْ) بالنون، واختُلف عنه[٥].

---

(١) صدره: أَحَارِ بْنَ عَمْرٍو كَأَنِّـي خَمِرْ، وهذه نسبته الصحيحة وتقدم للمؤلف في تفسير الآية (١٩) من (سورة القصص) نسبته لربيعة بن جشم تبعاً لأبي عبيدة، وتقدم التعليق عليه هناك.

(٢) انظر ذلك في: أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٢٨٩)، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٥٣٥)، والمغني (٩/ ٣١٢).

(٣) انظر قول ابن المسيب ومالك في الاستذكار (٦/ ٢٠٩)، وانظر قول الشافعي في أحكام القرآن للكيا الهراسي (١/ ١٨٢)، وانظر قول الآخرين في: المغني (٨/ ١٦٢).

(٤) انظر قول عمر بن عبد العزيز في الاستذكار (٦/ ٢٠٩)، وانظر قول أصحاب الرأي في المحيط البرهاني لابن مازة (٤/ ٢٠٧).

(٥) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (١٠/ ٢٠١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾.

﴿كَأَيِّنْ﴾ هي كاف الجرِّ دخلت على (أَيّ)، وهذه قراءَة الجمهور.

وقرأَ ابن كثير، وعُبَيْد عن أَبي عمرو: ﴿وَكَائِنٍ﴾ ممدود مهموز(١)، كما قال الشاعر:

[الوافر] وَكَائِن بالأَبَاطِحِ مِنْ صَدِيقٍ(٢) ....

وقرأَ بعض القراءِ: ﴿وَكَايِنٍ﴾ بتسهيل الهمزة(٣).

وفي هذين الوجهين قَلْب؛ لأَن الياءَ قبل الأَلفات.

[و«الْعُتُوُّ»: تَرْكُ الائتمار والقبول](٤).

وقوله تعالى: ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ قال بعض المتأَولين: الآية في الآخرة؛ أَي: ثَمَّ هو الحساب والتعذيب والذوق وخسارة العاقبة.

وقال آخرون: ذلك في الدنيا، ومعنى ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾؛ أي: لَمْ نغتفر لهم زَلَّة بل أُخذوا بالدقائق من الذنوب.

---

(١) وهما سبعيتان، كما تقدم في حرف آل عمران، وانظر: التيسير (ص: ٩٠).

(٢) تمامه: يَـرَاني لَوْ أُصِبْتُ هُوَ الْمُصَابَا، وهو لجرير كما في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧٥)، والحماسة البصرية (١/ ١٩١)، وتفسير السمعاني (١/ ٣٦٣). والأباطح: جمع أَبْطح، وهو مَسيلٌ واسع للماء فيه دقاق الحصى.

(٣) هي عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٢٤٢).

(٤) سقط من الأصل.

وقرأَ نافع، وأَبو بكر، وابن ذكوان: ﴿نُكُراً﴾ بضم الكاف، وأَسكنها الباقون، وهي قراءَة عيسى[١].

وقوله تعالى: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ يظهر منه أنه بيان لوجه خُسران عاقبتهم، فيتأَيد بذلك أَن تكون المحاسبة والتعذيب والذوق في الدنيا.

ثم ندب تعالى أُولي الأَلباب إِلى التَّقوى تحذيراً.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ صفة لـ(أُولي الأَلْبَابِ).

وقرأَ نافع، وابن عامر: ﴿نُدْخِلْهُ﴾ بالنون، وكذلك روى المفضل عن عاصم.

وقرأَ الباقون بالياءِ[٢].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَّسُولًا﴾، اختلف الناسُ في تقدير[٣] ذلك:

فقال قوم من المتأَولين: المراد بالاسمين القرآن، و﴿رَّسُولًا﴾ بمعنى رسالة، وذلك موجود في كلام العرب.

وقال آخرون: ﴿رَّسُولًا﴾ نعت أَو كالنعت لقوله سبحانه: ﴿ذِكْرًا﴾، فالمعنى: ذِكْراً ذا رسولٍ.

وقيل: «الرسول» ترجمة عن «الذِّكْر»، كأنه بدلٌ منه.

وقال آخرون: المراد بهما جميعاً محمد ﷺ، والمعنى: ذا ذِكْرٍ رسولاً، وقال بعض حُذَّاق المتأَولين: الذِّكْرُ اسمٌ من أَسماءِ الرسول ﷺ، واحتج بهذا القاضي أَبو بكر الباقلاني في تأْويل قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢][٤].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٤٤).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٠١)، ورواية المفضل في جامع البيان (٤/ ١٦٤٤).

(٣) في المطبوع: «تقرير»، وليس في أحمد٣ من «رسولًا»، إلى «رسولًا».

(٤) لم أقف على قول الباقلاني.

وقال بعض النحاة: معنى الآية: ذِكْراً بعث رسولاً، فهو منصوب بإِضمار فعل.

وقال أَبو علي الفارسي: يجوز أَن يكون ﴿رَسُولًا﴾ معمولاً للمصدر الذي هو الذِّكْر(١).

قال القاضي أَبو محمد: وأَبْيَن الأَقوال عندي معنًى: أَن يكون «الذِّكر» القرآن، و«الرَّسولُ» مُحَمَّداً ﷺ، والمعنى: بعث رسولاً، لكن الإِيجاز اقتضى اختصار الفعل الناصب للرسول، ونحا هذا المنحى السُّدِّي.

وقرأَ نافع، وابن كثير، وأَبو عمرو، وأَبو بكر: ﴿مُبَيَّـنَاتٍ﴾ بفتح الياءِ.

وقرأَها بكسر الياءِ ابن عامر، وحفص، وحمزة، والكسائي، والحسن، والأَعمش، وعيسى(٢).

وسائر الآية بَيِّنٌ، والرزقُ المشار إِليه رزق الجنة لدوامه ودُرُوره.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾.

لا خلاف بين العلماءِ أَن السماوات سبعٌ لأَن الله تعالى قال: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣]، وفسَّر رسول الله ﷺ أَمرهن في حديث الإِسراءِ(٣)، وقال ﷺ لسعدٍ رضي الله عنه: «حكمت فيهم بحكم الملِك من فوق سبع أَرْقِعَة»(٤)، ونطقت بذلك الشريعة في غير ما موضع.

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٤٢٩).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٢).

(٣) انظر حديث الإسراء الذي رواه البخاري (٣٢٠٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٠٤٣) ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: «لقد حكمت بحكم الملك»، واللفظ الذي ساقه المؤلف قد أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٢٤٦-٢٤٧) عن محمد بن حميد الرازي، عن سلمة، عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن علقمة بن وقاص الليثي مرسلاً.

وأَمَّا الأَرض فالجمهور على أَنها سبع أَرضين، وهو ظاهر هذه الآية، وأَن المماثلة إِنما هي في العدد، ويستدل بقول رسول الله ﷺ: «من غصب شبراً من أَرضٍ طُوِّقه[1] من سبع أَرضين»[2]، إِلى غير هذا ممَّا وردت به روايات، وروي عن قوم من العلماءِ أَنهم قالوا: الأَرض / واحدة، وهي مماثِلةٌ لكل سماءٍ بانفرادها في ارتفاع جرمها، وفي أَن فيها عَالماً يَعْبُد، كما في كل سماءٍ عالم يَعْبُد. [٥/ ٢١٤]

وقرأ الجمهور: ﴿مِّثْلَهُنَّ﴾ بالنصب، وقرأ عاصم: (مِثْلُهُنَّ) برفع اللام[3].

و﴿ٱلْأَمْرُ﴾ هنا: الوحي وجميع ما يأمر به تعالى مَنْ يعقل ومن لا يعقل، فإِن الرِّياح والسَّحاب وغير ذلك مأْمورٌ كله.

وباقي السُّورة وعظ[4] وحضٌّ على توحيد الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ عموم معناه الخصوص في المقدورات[5].

وقوله تعالى: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ عموم على إطلاقه.

كمل تفسير (سورة الطلاق)، والحمد لله ربِّ العالمين

(١) في الأسدية٣ ونور العثمانية: «طوقه الله».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٩٥)، ومسلم (١٦١٢) من حديث عائشة بلفظ: «مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ».

(٣) وهي شاذة، نقلها في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٣٠٠) عن أبي حاتم عنه، وهي رواية عصمة عن شعبة كما في جامع البيان (٤/ ١٦٤٥)، والمفضل طريق الملنجي، واللؤلؤي عن أبي عمرو كما في الكامل للهذلي (ص: ٦٤٩).

(٤) «وعظ» ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٥) «المقدورات» ليست في المطبوع.

سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة التحريم

وهي مدنية بإِجماع من أَهل العلم بلا خلاف.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣)﴾.

رُوي في الحديث عن زيد بن أَسلم والشعبي وغيرهما ما معناه: أَن رسول الله ﷺ لما أَهدى إِليه المقوقس مارية القبطية اتخذها سُرِّية، فلما كان في بعض الأَيام وهو يوم حفصة بنت عمر، وقيل: بل كان في يوم عائشة رضي الله عنها، جاءَ رسول الله ﷺ إلى بيت حفصة فوجدها قد مرَّت لزيارة أبيها، فبعث رسول الله ﷺ في جاريته، فَقَالَ معها، فجاءَت حفصة فوجدتهما، فأَقامت خارج البيت حتى أَخرج رسول الله ﷺ مارية وذهبت، فدخلت حفصة غَيْرَى متغيرة اللون[1]، فقالت: يا رسول الله، أَما كان في نسائك أهون عليك منِّي؟ أَفي بيتي وعلى فِراشي؟ فقال لها رسول الله ﷺ مترضِّياً لها:

---

(١) «اللون» في الأصل.

«أُيرضيك أَن أُحرِّمها؟» قالت: نعم، فقال: «إِنِّي قد حرَّمتُها»[(١)]، قال ابن عباس: وقال مع ذلك: «والله لا أطؤها أَبداً»، ثم قال: «لا تخبري بهذا أَحداً»، فمن قال: إِن ذلك كان في يوم عائشة قال: اسْتكتمها خوفاً من غضب عائشة، وحُسْن عِشْرة لها، ومن قال: بل كان في يوم حفصة قال: اسْتكْتمها لنفس الأَمر.

ثم إِن حفصة رضي الله عنها قرعت الجدار الذي كان بينها وبين عائشة رضي الله عنهما لتبشِّرها بالأَمر، ولم تر في إِفشائه إِليها حرجاً، واسْتكْتَمَتْهَا، فأَوحى الله بذلك إِلى نبيِّه ﷺ، ونزلت الآية[(٢)].

ورُوي عن عِكْرِمة: أَن هذا نزل بسبب أُم شريك التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، وذكر النقاش نحوه عن ابن عباس[(٣)].

وروى عُبَيْد بن عُمر عن عائشة رضي الله عنها: أَن هذا التحريم المذكور في الآية إِنما هو بسبب شراب العسل الذي شربه عند زينب بنت جحش، فتمالأَت عائشة وحفصة وسودة على أَن تقول له من دنا منها: أَكلت مَغَافير ـ والمغافير صمْغُ العُرْفط ـ وهو حلوٌ ثقيل الريح، ففعلن ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «لا، ولكني شربت عسلاً»، فقلن له: جَرَسَتْ نحلُه العُرْفط، فقال رسول الله ﷺ: «لا أَشربُه أَبداً»، وكان يكره أن توجد منه رائحة ثقيلة، فدخل ـ بعد ذلك ـ على زينب رضي الله عنها فقالت له: أَلا نسقيك من ذلك العسل؟ فقال: «لا حاجة لي به»، قالت عائشة رضي الله عنها: تقول

---

(١) أخرج هذه الروايات مرسلة، عن زيد بن أسلم، والشعبي: الطبري في تفسيره (٢٣/ ٨٣-٨٤-٨٥) وغيره.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٤٧٧-٤٧٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بنحوه.

(٣) ضعيف، قال السيوطي في الدر المنثور (١٤/ ٥٧٦) أخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه بسند ضعيف، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ في المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ.

سَوْدة حين بلغها امتناعه: والله لقد حرمناه، قلت لها: اسكتي[١].

قال القاضي أبو محمد: والقول الأَول ـ أن الآية نزلت بسبب مارية ـ أَصحُّ وأَوضح، وعليه تفقَّه الناسُ في الآية.

ومتى حرَّم الرجل مالاً أَوْ جاريةً دون أَن يعتق أَو يشترط عتقاً أَو نحو ذلك فليس تحريمه بشيءٍ[٢].

واختلف العلماءُ إِذا حرَّم زوجته بأَن يقول لها: أنتِ عليَّ حرامٌ، أَو: الحلاُل عليَّ حرام، ولا يستثني زوجته: فقال مالك: هي ثلاث في المدخول بها، وينوى في غير المدخول بها، فهو ما أَراد من واحدة أَو اثنتين أَو ثلاث[٣].

وقال عبد الملك بن الماجشون: هي ثلاث في الوجهين، ولا ينوي في شيءٍ[٤].

وقال أَبو المصعب[٥] وغيره ـ ورواه ابن خُوَيْز مِنْداد عن مالك ـ: إِنَّها واحدة بائنة في المدخول بها.

ورُوي عن عبد العزيز بن الماجشون: أَنه كان يحملها على واحدة رجعية[٦].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٩١٢)، ومسلم (١٤٧٤) من رواية عبيد بن عمير، عن عائشة بلفظ مختصر، وأخرجه البخاري (٥٢٦٨)، ومسلم (١٤٧٤) من حديث عروة، عن عائشة بلفظ مطول.

(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٢٩٤)، وشرح النووي على مسلم (١٠/ ٧٤)، ومغني المحتاج (٣/ ٢٨٣).

(٣) انظر قول مالك في: المدونة (٢/ ٢٨٥-٢٨٦).

(٤) انظر قول ابن الماجشون في: بداية المجتهد (٢/ ٧٧).

(٥) هو أبو مصعب أحمد بن أبي بكر حفيد عبد الرحمن بن عوف الزهري روى عن مالك الموطأ وغيره وتفقه بأصحابه وله مختصر في قول مالك المشهور، ولي قضاء المدينة والكوفة، وكان من أعلم أهل المدينة، توفي سنة **٢٤٢**هـ، الديباج المذهب (ص: ٣٠).

(٦) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٢٩٥-٢٩٦)، وفي الأسدية (٣-٤)، والمطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية: «قال» بدل «كان».

وقال غير واحد من أَهل العلم: التحريم لا شيءَ[١]، وإِنما عاتب اللهُ رسوله ﷺ فيه ودَلَّه على تَحِلَّة اليمين المبينة في المائدة لقوله: «قد حرَّمتها، ووالله لا أَطؤها أَبداً»[٢].

وقال مسروق: ما أُبالي أَحرَّمتها أَو قصعة من ثريد، وكذلك قال الشعبي: ليس التحريم بشيء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ [النحل: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧]، ومُحَرِّم زوجته قد سمَّى حراماً ما جعله الله حلالاً، وحرَّم ما أَحلَّ الله له[٣].

وقال أَبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وابن مسعود، وابن عباس وعائشة، وابن المسيَّب، وعطاءٌ، وطاوس، وسليمان بن يسار، وابن جُبَيْر، وقتادة. وأَبو ثور، والأَوزاعي، والحسن، وجماعة: التحريم يلزم فيه تكفير يمين بالله تعالى، والتَّحِلَّة إِنما هي من أجل التحريم، ولم يقل رسول الله ﷺ: «والله لا أَطؤها»[٤].

وقال أَبو قلابة: التحريم ظهار.

وقال أَبو حنيفة، وسفيان، والكوفيون: هو ما أَراد من الطلاق، فإِن لم يُرد بذلك طلاقاً فهو لا شيء[٥].

وقال آخرون: هو ما أراد من الطلاق، فإن لم يُرد طلاقاً فهي يمين.

---

(١) قاله الأوزاعي كما في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ١٥١)، وأبو حنيفة كما في أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٣٦٣).

(٢) تقدم في أثر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر قول مسروق في أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٣٦٣)، والشعبي في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ١٥١).

(٤) انظر نسبة هذا القول لمن ذكرهم المؤلف في الأوسط (٩/ ١٩٠-١٩١، ١٢/ ١٢٣)، وفي الأصل: «من جهة».

(٥) انظر قول أبي قلابة وسفيان في الأوسط (٩/ ١٩٤)، وقول أبي حنيفة وأصحابه في المبسوط (٦/ ٧٠-٧١).

ودعا الله تعالى نبيَّه ﷺ باسم النُّبوة الذي هو دال على شرف منزلته وعلى فضيلته التي خَصَّه بها دون البشر وقرّره[١]، كالمعاتب على سبب تحريمه على نفسه ما أَحلَّ الله تعالى له.

وقوله تعالى: ﴿تَبۡتَغِي﴾ جملة في موضع الحال / من الضمير الذي في ﴿تُحَرِّمُ﴾. [٥/ ٢١٥]

و«المَرْضَاةُ» مصدر كالرِّضَا، ثم غفر له تعالى ما عاتبه فيه ورَحِمَه.

وقوله تعالى: ﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ﴾ أَي: بَيَّن وأَثْبت، وقال قوم من أَهل العلم: هذه إِشارة إِلى تكفير التحريم، وقال آخرون: هي إِشارة إِلى تكفير اليمين المقترنة بالتحريم.

و«التَّحِلَّـةُ» مصدر، وَزْنها: تَفْعِلَة، وأدغم لاجتماع المثلين، وأَحال في هذه الآية على الآية التي فسَّر فيها الإِطعام في كفَّارة اليمين بالله تعالى.

و«المَوْلَى»: المُوَالي النَّاصرُ العاضِدُ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ﴾ الآية معناه: اذكر يا محمد ذلك على وجه التأْنيب والعتب لهن، وقال الجمهور: «الحديث»: هو قوله ﷺ في أَمْر مارية.

وقال آخرون: إِنما هو قوله ﷺ: إِنما شربتُ عسلاً، و﴿بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ﴾ هي حَفْصة رضي الله عنها.

و﴿نَبَّأَتۡ﴾ معناه: أَخبرت، وهذه قراءَة الجمهور، وقرأَ طلحة: (أَنْبَأَتْ)[٢].

وكان إِخبارها لعائشة رضي الله عنها، وهذا ونحوه هو التظاهر الذي عوتبتا فيه.

وقال ميمون بن مهران: الحديث الذي أَسرَّ إلى حفصة أَنه قال لها: وأَبشري بأَن أَبا بكر وعمر يملكان أَمر أُمتي من بعدي خلافةً[٣].

---

(١) في المطبوع: «قدَّره».

(٢) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٢٧٧).

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/ ٢٢٢-٢٢٣) وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وتعدَّت (نَبَّأَ) في هذه الآية مرة إِلى مفعولين ومرة إِلى واحد؛ لأَن ذلك يجوز في «أَنبأَ» و«نبَّأَ» إِذا كان دخولهما على غير الابتداءِ والخبر، فمتى دخلت على الجملة تعدَّت إِلى ثلاثة مفعولين، ولا يجوز الاقتصار.

وقوله تعالى: ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾؛ أَي: أَطلعه.

وقرأَ الكسائي وحده، وأَبو عبد الرحمن، وطلحة، وأبو عمرو بخلاف والحسن، وقتادة: ﴿عَرَفَ﴾ بتخفيف الراءِ.

وقرأَ الباقون وجمهور الناس: ﴿عَرَّفَ﴾ بشدها[1].

والمعنى في اللفظة مع التخفيف: جار بالعَتْب واللوم، كما تقول لإنسان يؤذيك: قد عرفتُ لك هذا، ولأَعرفنَّ لك هذا، بمعنى: لأُجازينَّك عليه، ونحوه في المعنى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٣]، فعِلْم الله تعالى زعيم بمجازاتهم، وكذلك معرفة النبي ﷺ، والمعنى مع الشَّدِّ في الرَّاءِ: أَعلم به وأَنَّب[2] عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾؛ أَي: تكرُّماً وحياءً وحُسْن عِشْرة.

قال الحسن: ما استقصى كريم قط[3].

[وروي: أَن رسول الله ﷺ طلَّق حينئذ حفصة رضي الله عنها، ثم إِن الله تعالى أَمره بمراجعتها][4]، ورُوي أَن رسول الله ﷺ عاتبها ولم يطلِّقها، فلما أَخبر رسول الله ﷺ

(١) وهما سبعيتان، التخفيف للكسائي، كما في التيسير (ص: ٢١٢)، وهو اختيار أبي بكر، والأزرق، وهارون، ووهيب كلهم عن أبي عمرو كما في الكامل للهذلي (ص: ٦٤٩)، وهو ليس في المطبوع وأحمد٣ ونجيبويه والحمزوية.

(٢) في الأسدية (٣-٤) والمطبوع: «وأبتَّ».

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٤٦).

(٤) ليس في الحمزوية، والحديث صحيح، أخرجه أبو داود (٢٢٨٣) والنسائي (٢/ ١١٧) والدارمي =

بالخبر وأَنها أَفشته إِلى عائشة ظنت أَن عائشة فضحتها، فقالت: من أَنْبَأَكَ هذا؟ على جهة التثبُّت، فلما أَخبرها أَن الله تعالى أخبره سكتت وسلمت(١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾.

المخاطبة بقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ﴾ هي لحفصة وعائشة رضي الله عنهما، وفي حديث البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قلتُ لعمر بن الخطاب: من اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ؟ قال: حفصة وعائشة(٢).

وقوله تعالى: ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ معناه: مالت عن المَعْدَلة والصواب، و«الصَّغَا»: الميْلُ، ومنه: صاغية الرجل، وهم حواشيه الذين يميلون إِليه، ومنه: أَصْغَى إِليه بسمعه، وأَصْغَى الإِناء.

وفي قراءَة عبد الله بن مسعود: (فقد زاغت قُلُوبُكُمَا)، والزَّيْغُ: المَيْل، وعُرْفه في خلاف الحق، قال مجاهد: كنا نرى ﴿صَغَتْ﴾ شيئاً هيناً حتى سمعنا قراءَة ابن مسعود: (زاغت)(٣).

وجَمَع القلوب من حيث: الاثنان(٤) جَمْعٌ، ومن حيث لا لَبْس في اللفظ.

= (٢/ ١ ٦)، وابن ماجه (٢٠١٦)، وابن حبان (١٣٢٤)، والحاكم (٢/ ١ ٩٧) من طريق: يحيى بن زكريا ابن أبي زائدة عن صالح بن صالح عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن عمر، والحديث له طرق أخرى، انظر: إرواء الغليل (٧/ ١٥٧).

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٩٢/ ٩٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٤٦٨)، ومسلم (١٤٧٩) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) وهي شاذة، انظرها مع قول مجاهد في تفسير الطبري (٢٣/ ٤٨٣-٤٨٤)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٥٦٩).

(٤) في الأصل ونور العثمانية: «الإنسان».

وهذا نظير قول الشاعر:

[الرجز] ظَهْرَاهُمَا مِثْلُ ظُهُورِ التُّـرْسَيْنِ[١] ....

ومعنى الآية: إِنْ تُبْتما فقد كان منكما ما ينبغي أَن يُتاب منه، وهذا الجواب الذي هو للشرط هو متقدم في المعنى، وإِنما ترتَّب جواباً في اللفظ.

و﴿إن تظاهرا﴾ معناه: تتعاونا.

[وقرأ جمهور الناس والسبعة: ﴿تَظَّاهرا﴾ أصله: تتظاهرا][٢] فأُدغمت التاءُ في الظاءِ بعد البدل.

وقرأ عكرمة مولى ابن عباس: (إن تتظاهرا) بتاءَين على الأَصل[٣].

وقرأ الكوفيون، وطلحة، وأَبو رجاءٍ، والحسن بتخفيف الظاءِ على حذف التاءِ الواحدة[٤].

ورُوي عن أَبي عمرو: أَنه قرأ بتشديد الظاءِ والهاءِ دون أَلف[٥].

و«الْمَوْلَى»: الناصر والمعين.

وقوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يحتمل أَن يكون عطفاً على اسم الله تعالى في قوله: ﴿هُوَ﴾، فيكون (جبريل وصالح المؤمنين) في الولاية.

---

(١) البيت للخطام المجاشعي، كما في الكتاب لسيبويه (٢/ ٤٨)، ولسان العرب (٢/ ٨٩)، والمحكم (٣/ ٣٠٠)، ثم نسبه سيبويه بعد ذلك (٣/ ٦٢٢) لهميان بن قحافة، ونسبه لهميان أيضاً ابن بري في شرح الشواهد (ص: ١١١)، وجاء في روح المعاني (١٦/ ٢٨٢) منسوباً للعجاج، قال في خزانة الأدب (٧/ ٥١٤): والصحيح أنه من رجزٍ لخطامٍ المجاشعي وهو شاعرٌ إسلاميٌّ لا لهميان بن قحافة.

(٢) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٣) نسبها له أبوحيان في تفسيره (٨/ ٢٨٦)

(٤) وهما سبعيتان، التخفيف للكوفيين كما في التيسير (ص: ٧٤)، ورواه هارون عن أبي عمرو، كما في الكامل للهذلي (ص: ٦٤٩)، وفي الأصل: وقرأ نافع بخلاف عنه وعاصم وطلحة إلخ... ولم أجد هذا الخلاف لنافع.

(٥) وهي شاذة، رواها عنه عبد الوارث كما في مختصر الشواذ (ص: ١٥٩).

ويحتمل أَن يكون (جِبرِيْلُ) رفعاً بالابتداءِ وما بعده عطف عليه و﴿ظَهِيرٌ﴾ الخبر، فيكونون حينئذ من الظهراء[١] لا في الولاية، ويختص بأَنه مولى الله تعالى.

واختلف الناس في (صَالح المؤمنين):

فقال الطبري وغيره من العلماءِ: ذلك على العموم يدخل في ذلك كل صالح.

وقال الضحاك، وابن جبير، وعكرمة: المراد أَبو بكر وعمر رضي الله عنهما، رواه ابن مسعود عن النبي ﷺ[٢]، وقال مجاهد نحوه، وقال أَيضاً: وعليٌّ رضي الله عنه.

وروى عليٌّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أَنه قال: (صَالح المؤمنين): علي بن أَبي طالب» ذكره الثعلبي[٣].

وقال قتادة، والعلاءُ بن زياد[٤]، وغيرهما: هم الأَنبياءُ عليهم السلام[٥]، وإِنما يترتب ذلك بأَن تكون مظاهرتهم بأَنهم قدوة وأُسوة، فهم عونٌ بهذا المعنى.

---

(١) في المطبوع: «من الظهر».

(٢) ضعيف، أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٤٧٧)، وأبو نعيم في «فضائل الخلفاء» (١٠٣) من طريق الحسين ابن حريث، عن عبد الرحمن بن زيد العمي، عن أبيه، عن شقيق، عن ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله عز وجل: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: أبو بكر، وعمر، وعبد الرحيم ابن زيد بن الحواريُّ العميُّ متروك.

(٣) منكر، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما عند ابن كثير (٨/ ١٦٤)، والثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٤٨) من طريق محمد بن يحيى بن أبي عمر، عن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، قال حدثني رجل ثقة، يرفعه إلى علي بن أبي طالب فذكره مرفوعاً، وهذا خبر ضعيف ومنكر كما قال ابن كثير؛ أولاً فيه راو لم يسم، ومحمد بن بن جعفر بن محمد هذا ذكره ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٢٧) حدثنا الجنيدي، عن البخاري حدثني إبراهيم بن المنذر حدثني إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي الهاشمي وكان أوثق من أخيه محمد وأقدم سناً.

(٤) هو العلاء بن زياد بن مطر بن شريح، أبو نصر العدوي البصري، أرسل عن النبي ﷺ وحدث عن عمران بن حصين وأبي هريرة وعنه الحسن، وقتادة، ومطر الوراق، وقد كان زاهداً خاشعاً قانتاً لله بكاء، توفي بالشام سنة ٩٤هـ، تاريخ الإسلام (٦/ ٤٤٤).

(٥) انظر قولهما في تفسير الثعلبي (٩/ ٣٤٨).

وقوله تعالى: ﴿وَصَـٰلِحُ﴾ يحتمل أَن يكون اسم جنس مفرد، ويحتمل أَن يريد: «وصالحوا» فحذفت الواو في خط المصحف كما حذفوها في قوله تعالى: ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨] وغير ذلك.

ويروى عن أَنس بن مالك رضي الله عنه: أَن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، لا تكترث بأَمر نسائك، والله معك وجبريل معك وأَبو بكر معك وأَنا معك، فنزلت الآية موافقة نحواً من قول عمر(١).

قال المهدوي: رُوي أَن هذه الآية نزلت على لسان عمر رضي الله عنه، وكذلك روي أَن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لزوجات النبي ﷺ: عَسَى رَبُّهَ إِنْ طَلَّقكُن أَن يُبَدِّله أَزواجاً خيراً منكن، فنزلت الآية على نحو قوله(٢)/ . [٥/ ٢١٦]

وقال عمر رضي الله عنه: قالت لي أُم سلمة: يا ابْن الخطاب أَدخلتَ نفسك في كل شيءٍ حتى دخلتَ بين الرسول ﷺ وبين نسائه، فأَخذتني أَخْذاً كسرتني به(٣).

وقالت لي زينب بنت جحش: يا عمر! أَما يقدر رسول الله ﷺ أَن يعظ نساءَه حتى تعظهن أَنت؟(٤).

وقرأَ الجمهور: ﴿طَلَّقَكُنَّ﴾ بفتح القاف وإِظهارها.

---

(١) بهذا اللفظ لم أقف عليه، وإنما أخرجه مسلم في حديث ابن عباس الطويل (١٤٧٩) قال ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩١٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وانظر التحصيل للمهدوي (٦/ ٤٣٥).

(٣) متفق عليه، هذا جزء من حديث ابن عباس الطويل الذي أخرجه البخاري (٤٩١٣) ومسلم (١٤٧٩).

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٨٣) وليس فيه التصريح بالقائل، وإنما جاء التصريح بأنها زينب بنت جحش رضي الله عنها عند الخطيب في الأسماء المبهمة (٢/ ٦٩) من طريق حميد، عن أنس.

وقرأَ أَبو عمرو في رواية عباس عنه: ﴿طلَّكُنَّ﴾ بإِدغام القاف في الكاف وشدها[١].

قال أَبو علي: وإِدغام القاف في الكاف حَسَن[٢].

وقرأَ ابن كثير، وابن عامر، والكوفيون، والحسن، وأَبو رجاءٍ، وابن محيصن: ﴿أَن يُبْدِلَهُۥ﴾ بسكون الباءِ وتخفيف الدال.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، والأَعرج، وأَبو جعفر: ﴿أَنْ يُبَدِّلَهُ﴾ بفتح الباءِ وشدِّ الدال[٣]، وهذه لغة القرآن في هذا الفعل.

وكرر تعالى الصفات مبالغة وإِن كان بعضها يتضمن بعضاً، فالإِسلام إِشارة إِلى التصديق والعمل، والإِيمانُ تخصيص للإِخلاص[٤] وتنبيه على شرف موقعه.

و﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ معناه: مطيعات.

و«السَّائحات» قيل: معناه صائمات، قاله أَبو هريرة، وابن عباس[٥]، وقتادة[٦]، والضحاك[٧]، وذكر الزجاج أَن النبي ﷺ قاله[٨].

---

(١) وهي سبعية، للسوسي بخلفه كما في التيسير (ص: ٢٢)، ورواية عباس في النشر (١/ ٢٨٦). وفي الحمزوية: «ابن عياش».

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ٣٠٣).

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٤٥)، والنشر (٢/ ٣١٤).

(٤) «للإخلاص» ليست في المطبوع.

(٥) أثر أبي هريرة سيأتي فقد اختلف في رفعه ووقفه، وأما أثر ابن عباس رضي الله عنه فقد أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠١) من طريق عطية العوفي.

(٦) الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ٣٠٣).

(٧) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٩٠)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٥٧٤).

(٨) معاني القرآن للزجاج (٥/ ١٩٤)، والصحيح مرسل أو موقوف، أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٣٦) ومن طريق البيهقي في الشعب (٣٥٧٨) من طريق جنيد بن حكيم الدقاق، عن حامد ابن يحيى البلخي، عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عبيد بن عمير، عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ عن السائحين فقال: «هم الصائمون»، وقد اختلف على ابن عيينة فروي عنه موصولاً كما تقدم في هذه الرواية، قال البيهقي: هكذا روي بهذا الإسناد موصولاً، والمحفوظ عن =

وقيل: معناه: مهاجرات، قاله زيد بن أَسلم[١].

وقال ابن زيد: ليس في الإِسلام سياحة إِلَّا الهجرة[٢].

وقيل: معناه: ذاهبات في طاعة الله تعالى، وشبه الصائم بالسائح من حيث ينهمل[٣] السائح ولا ينظر في زاد ولا مطعم، وكذلك الصائم يمسك عن ذلك فيستوي هو والسائح في الامتناع وشظف العيش بفقد الطعام.

وقوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ تقسيم لكل واحدة من الصفات المتقدمة، وليست هذه الواو مما يمكن أَن يقال فيها: واو الثمانية؛ لأَنها هاهنا ضرورية ولو سقطت لاختلَّ المعنى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾.

= ابن عيينة عن عمرو عن عبيد بن عمير عن النبي ﷺ مرسلاً، وهذه الرواية أخرجها مسدد في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٢١٨٢)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٣٠٥)، وفي معرفة السنن (٦/ ٣٦٧) من طريق علي بن المديني، والطبري (١٢/ ١٠) من طريق عبيد بن وكيع كلاهما عن ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عبيد بن عمير مرسلاً وهو الصواب، وقد أخرجه ابن المقرئ في معجمه (٥٧٤) والدارقطني في العلل (٨/ ٢٠٧) من طريق أبي عوانة، والعقيلي في الضعفاء (٤٩٩) وابن عدي في الكامل (٢/ ٢٢٠) من طريق حكيم بن خذام أبو سمير، كلاهما ـ أبو عوانة، وحكيم ـ عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً، قال الدارقطني: والصحيح عن الأعمش موقوفاً، عن أبي هريرة. اهـ.

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٩٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٣٤٩)، وتفسير الماوردي (٦/ ٤٢).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٩٠)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٥٧٤)، بتصرف يسير.

(٣) في المطبوع: «ينهمك».

[قوله تعالى: ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ معناه: اجعلوا وقاية بينكم وبين النار، وقد تقدم غير مرة تعليل اللفظة][٤].

وقوله تعالى: ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ معناه: بالوصية لهم والتقويم[٥] والحمل على طاعة الله تعالى.

وفي حديث: «لا تزن فيزن أَهلك»، وفي حديث آخر: «رحم الله رجلاً قال: يا أَهلاه، صلاتَكُم، صيامكُم، مِسْكِينَـكُم، يَـتِيمَكُمْ»[٦].

وقرأَ الجمهور: ﴿وَقُودُهَا﴾ بفتح الواو.

وقرأَ مجاهد، والحسن، وطلحة، وعيسى، والفياض بن غزوان، وأَبو حيوة بضمها[٧].

وقيل: هما بمعنى، وقيل: الضم مصدر والفتح اسم.

ويروى: أن الحجارة هي حجارة الكبريت، وقد تقدم القول في ذلك في سورة البقرة، ويروى أَنها جميع أَنواع الحجارة.

وفي بعض الحديث: أَن عيسى بن مريم عليه السلام سمع أَنيناً بفلاة من الأَرض، فتتبَّعه حتى بلغ إِلى حجر يَـئِنُّ ويحزن، فقال له: ما بالك[٨] أَيُّها الحجر؟ قال: يا روح الله إِني سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ فخفت أَن أَكون من تلك الحجارة، فعجب منه عيسى عليه السلام وانصرف[٩]، ويشبه أَن يكون هذا المعنى في

(٤) سقط من الحمزوية وأحمد٣.
(٥) في المطبوع ونجيبويه: «التقديم»، وفي أحمد٣: «التقوي».
(٦) لم أقف عليهما.
(٧) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٢٣).
(٨) في المطبوع ونور العثمانية: «ما لك».
(٩) أخرجه ابن المنذر في تفسيره كما في الدر المنثور (١٤/ ٥٩١).

التوراة أَو في الإِنجيل، فذلك الذي سمع الحجر إِذا عُبِّر عنه بالعربية كان هذا اللفظ.

ووصْف الملائكة بالغلظة معناه في القلوب والبطش الشديد والفظاظة، كما قال تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

و«الشِّدَّةُ»: القوَّة، وقيل: المراد شدَّتهم على الكفَّار، فهي بمعنى الغلظة.

ثم وصفهم تعالى بالطواعية لربهم، وكرَّر المعنى تأْكيداً بقوله سبحانه: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ما يقتضي أَنهم يُدخلون الكفار النَّار بجد واختيار ويغلظون عليهم، فكأَنه قال بعد تقرير هذا المعنى: فيقال للكفار: ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ﴾، أَي أَن المعذرة لا تنفعكم، وإِنما تجزون بأَعمالكم، فلا تلوموا إِلَّا أَنفسكم.

ثم أَمر عباده بالتوبة، والتوبةُ فرض على كل مسلم(١).

و«تاب» معناه: رجع، فتوبة العبد رجوعه من المعصية إِلى الطاعة، وتوبة الله تعالى على العبد إِظهار صلاحه ونعمته عليه في الهداية للطاعة، وقبول توبة الكافر يُقطع على الله تعالى بها إِجماعاً من الأُمة(٢).

واختلف الناس في توبة العاصي:

فجمهور أَهل السُّنَّة على أَنه لا يُقطع بقبولها ولا ذلك على الله تعالى بواجب، والدليل على ذلك دعاءُ كل أَحد من التائبين في قبول التوبة، ولو كان مقطوعاً بها لما كان للدعاءِ معنًى في قبولها، وظواهر القرآن في ذلك هي كلها بمعنى المشيئة(٣).

---

(١) انظر الإجماع على فرضية التوبة على كل مسلم في: الإقناع (٤/ ٢٠٧٣).

(٢) انظر الإجماع على صحة توبة الكافر في شرح المقاصد (٢/ ٢٤٤).

(٣) انظر مذهب جمهور أهل السنة بأن التائب غير الكافر واقع قبول توبته تحت المشيئة في: شرح المقاصد (٢/ ٢٤٢).

وروي عن أبي الحسن الأَشعري أَنه قال: التوبة إِذا توافت[١] شروطها قطع على الله تعالى بقبوله لأَنه أَخبر بذلك[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا تمسُّك بظواهر القرآن، وعلى هذا القول أَطبقت المعتزلة[٣].

والتوبة: الندم على فارط معصية، والعزم على ترك مثلها في المستقبل، هذا من المتمكن، وأَما غير المتمكن كالمجبوب في الزنا؛ فالندم وحده يكفيه، والتوبة عبادة كالصلاة وغيرها، فإِذا تاب العبد وحصلت توبته بشروطها وقبلت ثم عاود الذنب فتوبته الأُولى لا تفسدها عودة، بل هي كسائر ما يحصل من العبادات[٤].

و«النَّصُوحُ» بناءُ مبالغة من النُّصح، أَي: توبة نصحت صاحبها وأَرشدته.

وقرأَ الجمهور: ﴿نَّصُوحًا﴾ بفتح النون.

وقرأَ أَبو بكر عن عاصم، وخارجة عن نافع، والحسن، والأَعرج، وعيسى: ﴿نُصُوحاً﴾ بضم النون[٥]، وهو مصدر، يقال: نصح يَنْصَح نصَاحةً ونُصُوحاً، قاله الزجاج[٦].

فوصف التوبة بالمصدر كالعدل والزور ونحوه/ . [٥/ ٢١٧]

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: التوبة النَّصوحُ: هي أَن يتوب ثم لا يعود ولا يريد أَن يعود[٧].

---

(١) في المطبوع: «توافرت»، وفيه: «عن الحسن الأشعري».

(٢) انظر ما نسبه المؤلف لأبي الحسن الأشعري في شرح الزرقاني على الموطأ (٢/ ١١٨).

(٣) انظر قول المعتزلة بالقطع بقبول توبة العاصي في شرح المقاصد (٢/ ٢٤٢).

(٤) انظر معنى التوبة في الشرع وشروطها وصحتها مع تكرر أسبابها في: شرح المقاصد (٢/ ٢٤١-٢٤٢).

(٥) وهما سبعيتان، انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ٢١٢)، وخارجة عن نافع في السبعة (ص: ٦٤١).

(٦) معاني القرآن للزجاج (٥/ ١٩٤).

(٧) صحيح، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٠٣)، وابن أبي شيبة (٣٥٦٣٢)، وهناد في الزهد =

وقال أَبو بكر الوراق: هي أَن تضيق عليك الأَرض بما رحبت كتوبة الذين خُلِّفوا[١].

وقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ الآية ترجية، وقد رُوي أَن «عَسَى» من الله تعالى واجبة.

والعامل في ﴿يَوْمَ﴾ هو (يُدْخِلكُمْ).

ورُوي في معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾: أَن محمداً ﷺ تضرَّع في أمر أُمَّته فأَوحى الله تعالى إِليه: إِن شئت جعلتُ حسابهم إِليك، فقال: يا ربِّ أَنت أَرحم بهم، فقال الله تعالى: إِذاً لا أُخزيك فيهم[٢]، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾.

والخِزْيُ المكروهُ الذي يترك الإِنسان حيران خجلاً مهموماً بأَن يرى نقصه أَو سوءَ منزلته.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ يحتمل أَن يكون معطوفاً على ﴿ٱلنَّبِىَّ﴾ فيخرج المؤمنون من الخزي.

ويحتمل أَن يكون ابتداءً، و﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ﴾ جملة هي خبره، ويبقى النبي ﷺ مخصوصاً مُفضلاً بأَنه لا يَخزى.

وقد تقدم القول في نظير قوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢].

وقرأَ سهل بن سعد: (بِإِيْمَانِهِمْ) بكسر الهمزة[٣].

= (٩٠١) وغيرهم من طريق الثوري عن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير، عن عمر رضي الله عنه، بنحوه.

(١) لم أقف عليه.

(٢) منكر، أخرجه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (٦٣) قال: حدثني الحسين بن عبد الرحمن عن شيخ من قريش قال: أوحى الله إلى نبيه محمد ﷺ: «أتحب أن أجعل أمر أمتك إليك، قال: لا يا رب أنت خير لهم، فأوحى الله عز وجل إليه إذن لا أخزيك فيهم».

(٣) وهي شاذة، وانظر: المحتسب (٢/ ٣١٠)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٧٨) وفيهما سهل بن شعيب، وتقدم مثلها في (سورة الحديد).

وقولُه تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا﴾ قال الحسن بن أَبي الحسن: هو عندما يرون من انطفاءِ نور المنافقين حسب ما تقدم تفسيره، وقيل: يقوله من أُعطي من النور بقدر ما يرى من موضع قدميه فقط[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَـٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٩ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّـٰخِلِينَ ۝١٠﴾.

هذه الآية تأكيد لأَمر الجهاد وفرضه المتقدم، والمعنى: دُمْ على جهاد الكافرين بالسيف، وجاهد المنافقين بنجههم[٢] بإِقامة الحدود عليهم، وضربهم في كل جرائمهم وعند قوة الظن بهم، ولم يعين الله تعالى لرسوله ﷺ منافقاً يقع القطع بنفاقه؛ لأَن التشهد الذي كانوا يُظهرون كان مُلْبساً لأَمرهم، مُشبهاً لهم بالعصاة من الأُمة، و«الغِلْظَةُ عليهم»: هي فظاظة القلب والانتهار وقلة الرفق بهم.

وقرأَ الضحاك: (وَأَغْلِظْ) بكسر اللام وقطع الأَلف[٣].

وهذان المثلان اللَّذان للكفار والمؤمنين معناهما: أَن من كفر لا يُغني عنه من الله شيءٌ، ولا ينفعه وَزَرٌ ولو كان متعلقاً بأَقوى الأَسباب، وأَن من آمن لا يدفعه دافع عن رضوان الله تعالى ولو كان في أَسوأ منشأ وأَخَسِّ حال، وقال بعض الناس: إِن في المثلين عبرة لزوجات النبي ﷺ حين تقدم عتابُهُنَّ. وفي هذا بُعْد؛ لأَن النَّص أَنه للكفار يُبعد هذا.

واختلف الناس في خيانة هاتين المرأَتين ـ فقال ابن عباس وغيره: خانتا في

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٩٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٢٢١) بتصرف. و«موضع» ليست في الأصل.
(٢) «بنجههم» ليست في المطبوع، وهي غير واضحة في أحمد٣.
(٣) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٤٧٨) لكن ضبطها بكسر الهمز واللام.

الكفر، وفي أَن امرأَة نوح كانت تقول للناس: إِنه مجنون، وأَن امرأَة لوط كانت تنم إِلى قومه متى ورد ضيف، فتخبر به[١].

قال ابن عباس: وما بغت زوجة نبي قط ولا ابتُلي الأَنبياءُ في نسائهم بهذا[٢].

وقال الحسن ـ في كتاب النقاش ـ: خانتاهما بالكفر والزنا وغيره[٣].

وقرأَ الجمهور: ﴿يُغْنِيَا﴾ بالياءِ، وقرأَ مبشر بن عبيد: (تُغْنِيَا) بالتاءِ من فوق[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾.

امرأَة فرعون اسمها: آسية.

وقولها: ﴿وَعَمَلِهِۦ﴾ معناه: وكُفْره وما هو عليه من الضلالة، هذا قول كافة المفسِّرين.

وقال جمهور من المفسِّرين: معناه: من ظلمه وعقابه وتعذيبه لي.

ورُوي في هذا: أَن فرعون اتَّصل به إِيمانها بموسى عليه السلام، وأَنها تحب أَن يغلب، فبعث إِليها قوماً فقال: إِن رأَيتم منها ذلك فابطحوها في الأَرض، وَوَتِّدُوا يديها

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/٤٩٨) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس بنحوه. وفي أحمد٣: «كانت تقول لقومه متى ورده ضيف وتنم عليه وتخبر به»، وكذا في المطبوع، إلا أنه سقط منه: «وتنم عليه».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٤٣) من طريق: الضحاك عن ابن عباس قال: قال، ما بغت امرأة نبي قط.

(٣) البحر المحيط (١٠/ ٢١٥).

(٤) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٤٧٨). وفي المطبوع: «بشر».

ورجليها، وألقوا عليها أعظم حجر، وإن لم تروا ذلك فهي امرأتي، قال: فذهب القوم، فلما أحسَّت بالشَّرّ منهم دعت بهذه الدعوات؛ فقبض الله تعالى روحها، ووضع أولئك أمر الحجر[١] بشخص لا روح فيه، ورُوي في قصصها[٢] غير هذا مما يطول فاختصرته لعدم صحته.

وقال آخرون ـ في كتاب النقاش ـ: ﴿وَعَمَلِهِۦ﴾ كناية عن الوطءِ والمضاجعة[٣]. وهذا ضعيف.

واختلف الناس في الفرج التي أحصنت مريم عليها السلام:

فقال الجمهور: هو فرج الدِّرْع الذي كان عليها، وأنها كانت صبية[٤]، وأن جبريل عليه السلام نفخ فيها الروح من جيب[٥] الدِّرع.

وقال قوم من المتأولين[٦]: هو الفرج الجارحة، ولفظة ﴿أَحْصَنَتْ﴾ إذا كان فرج الجارحة متمكنة حقيقة، والإحصانُ: صَوْنُه، وهي فيه مستعملة.

وإذا قدرناه فرج الدِّرْع فلفظة ﴿أَحْصَنَتْ﴾ مستعارة من حيث أحصنته وصانته ومن حيث صار[٧] مسلكاً لولدها.

وقوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا﴾ عبارة عن فعل جبريل عليه السلام، ونَفْخ جبريل عليه السلام حقيقة، وإن ذهب ذاهب إلى أن النَّفْخ فعل الله تعالى، فهو عبارة عن خلقه واختراعه الولد في بطنها، وشبه ذلك بالنفخ الذي من شأنه أن يُسير الشيءَ برفق ولطف.

---

(١) «أمر» ليست في الأسدية٣، والمطبوع، وفي الأصل: «حجر الأمر».
(٢) «في قصصها» ليس في المطبوع.
(٣) لم أقف عليه.
(٤) في الأصل والأسدية٤: «صينة».
(٥) في الحمزوية: «جنب».
(٦) «من المتأولين» ليست في الأسدية٣، والمطبوع وأحمد٣.
(٧) في المطبوع: «سار».

وقوله تعالى: ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ إِضافة مخلوق إِلى خالق، ومملوك إِلى مالك، كما تقول: بَيْتُ الله، وناقة الله، كذلك الروح والجنس كله هو روح الله.

وقرأ الجمهور: ﴿وَصَدَّقَتْ﴾ بشدِّ الدال، وقرأ أبو مجلز بتخفيفها[١].

وقرأ جمهور الناس: ﴿بِكَلِمَـٰتِ﴾ على الجمع، وقرأ الجحدري: (بِكَلِمَةِ) على الإِفراد[٢].

فأَما الإِفراد فَيُـقَـوِّي أَنْ يريد أَمر عيسى عليه السلام.

ويحتمل أَن يريد اسم جنس وهو التوراة.

ومن قرأ بالجمع فَيُـقَـوِّي أَنه يريد التوراة، ويحتمل أَن يريد أَمر عيسى عليه السلام.

وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأَبو بكر عن عاصم، ونافع: ﴿وَكِتَابِهِ﴾ على التوحيد.

وقرأ أَبو عمرو، وحفص عن عاصم، وخارجة عن نافع: ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ بضم التاءِ على الجمع[٣].

وقرأ أَبو رجاءٍ بسكون التاءِ: (وَكُتْبِهِ)[٤]، وذلك كله مُراد به التوراة والإِنجيل.

و«الْقَانِتُونَ»: العابدون، والمعنى: كانت من القوم القانتين في عبادتها وحال دينها.

كمل تفسير (سورة التحريم)، والحمد لله ربِّ العالمين

(١) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٧٨) لقتادة.

(٢) وهي شاذة، نسبها له الثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٥٢) وزاد الحسن وعيسى.

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٢)، وخارجة عن نافع في السبعة (ص: ٦٤١).

(٤) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٢٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الْمُلْك، على بركة الله تعالى وعونه

وهي مكية بإِجماع.

وكان رسول الله ﷺ يقرؤها كل ليلة عند أَخْذ مضجعه، رواه جماعةٌ مرفوعاً إِلى جابر بن عبد الله(١).

(١) في صحته نظر، هذا الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٤٢٤)، وأحمد (٣/ ٣٤٠)، وعبد بن حميد (١٠٤٠)، والدارمي (٣٤١١)، والبخاري في الأدب المفرد (١٢٠٩)، والترمذي (٢٨٩٢)، وابن الضريس في فضائل القرآن (٢٣٨)، والنسائي في الكبرى (١٠٤٧٥-١٠٤٧٦)، والطبراني في الدعاء (٢٦٦-٢٦٧-٢٦٩-٢٧٠-٢٧١-٢٧٢)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٧٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٤٥٥) وغيرهم من طرق عن ليث بن أبي سليم، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ آلم تنزيل وتبارك. وليث بن أبي سليم ضعيف، وذكر الحاكم وربما يفهم من كلام أحمد كما سيأتي أن مدار الحديث عليه، ولكنه قد توبع من المغيرة بن مسلم القسملي وهو صدوق، كما عند البخاري في الأدب المفرد (١٢٠٧)، والنسائي في الكبرى (١٠٤٧٧)، وتوبع أيضاً من داود بن أبي هند كما عند الطبراني في الصغير (٩٥٣)، وتابعه عبد الحميد بن جعفر، كما عند الطبراني في الأوسط (١٤٨٣)، جميعهم ـ ليث، والمغيرة، وداود، وعبد الحميد ـ عن أبي الزبير به، وأبو الزبير مدلس وقد عنعنه، لكن أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٢٥١-٢٥٢)، والنسائي في الكبرى (١٠٤٧٧)، والترمذي (٢٨٩٢) والحاكم في المستدرك (٢/ ٤١٢)، والبيهقي في الشعب (٢٤٥٦) من طريق أبي خيثمة =

....

= زهير بن معاوية قال: قلت: لأبي الزبير أسمعت أن جابراً يذكر: أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك؟ فقال أبو الزبير: حدثنيه صفوان أو أبو صفوان، وجاء عند الترمذي وغيره: صفوان أو ابن صفوان، وفي فضائل القرآن أن الشاك هو زهير بن معاوية، وقال الترمذي عقبه: وكأن زهيراً أنكر أن يكون هذا الحديث عن أبي الزبير عن جابر، وروى ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ٢٦٠) من طريق: أبي عبد الله محمد بن مخلد العطار عن أبي جعفر حمدان ابن علي الراق قال: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن حديث زهير، عن أبي الزبير، عن جابر أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ السجدة وتبارك، قال: حسبك بزُهير إذا جاء بالشيء، هو وقفه، وإنما ذاك ليث رواه، ووقع في بحر الدم لابن عبد الهادي رقم (٣٢٠) رواية محمد بن يحيى وقد سألت عن حديث زهير عن أبي الزبير عن جابر: أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ السجدة وتبارك، قال: حسبك بزهير إذا جاءك بالشئ، زهير ثقة، وإنما ذلك ليث رواه، وقال الدارقطني في العلل (١٣/ ٣٤٠): وقول زهير أشبه بالصواب من قول ليث، ومن تابع، وأجاب أبو حاتم برواية زهير على حديث ليث كما في العلل (١٦٦٨)، وقال الحاكم عقب رواية زهير هذه: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه لأن مداره على حديث ليث بن أبي سليم عن أبي الزبير، أقول: الذي يقتضيه قول أبي الزبير عند الأكثر: حدثنيه فلان، وزاد عند أبي عبيد في فضائل القرآن وابن الجعد في مسنده (٢٦١١) من لفظ أبي الزبير: ليس جابر حدثنيه، ولكن حدثنيه صفوان أو ابن صفوان، دون أن يبين أنه حدثه به عن جابر، تفسير الترمذي لعبارة أبي الزبير في جوابه على زهير بن معاوية بقوله: وكأن زهيراً أنكر أن يكون هذا الحديث عن أبي الزبير عن جابر.اهـ. يعني كأن زهيراً خرص أن يكون عن أبي الزبير عن غير جابر، ولم يقل الترمذي: كأن زهيراً أنكر أن يكون هذا الحديث سمعه أبو الزبير من جابر، إشارة إلى تدليسه المعروف به، وعبارة الحافظ في الإصابة (٣/ ٣٦٠) بعد بحث في معرفة صفوان هذا: الأقرب أن يكون هو صفوان بن عبد الله الراوي عن أم الدرداء وهو تابعي.اهـ، ولم يشر الحافظ أنه واسطة بينه وبين جابر، تشير هذه القرائن إلى أن أبا الزبير إنما سمع هذا الخبر من ذلك الرجل ـ الذي وقع الشك في اسمه ـ أن رسول الله ﷺ كان لا ينام... إلى آخره، ولا ذِكر لجابر فيه، ويكون كُلُّ من رواه عن أبي الزبير عن جابر إنما سلك الجادة فيه من حديث أبي الزبير، وإذا كان ذلك الرجل ربما كان هو صفوان بن عبد الله الراوي عن أم الدرداء وهو تابعي، على قول ابن حجر أنه الأقرب، فيكون الصواب في الحديث أنه مرسل، وليس بمتصل، وإذا كان غيره فهو مجهول لا يعرف، وقد أخطأ كل من حمل رواية زهير هذه على أن صفوان هذا هو الواسطة بين أبي الزبير وجابر، ثم حملوه على أنه الذي احتمله ابن حجر، وقد وثق، فصححوا الحديث بناء على أنه قد زال تدليس أبي الزبير عن جابر بتوقيف زهير له، وبيان أبي الزبير للواسطة فيه، وأنه ثقة. تنظر السلسلة الصحيحة رقم (٥٨٥)، وهذا =

ويُروى عنه أَنه قال: «إِنها لتُنجي من عذاب القبر، وتجادل عن حافظها حتى لا يُعَذَّب»[١].

ويروى أَن في التوراة: سورة الملك، من قرأَها في ليلة فقد أَجاد وطيب.

وروي عن ابن عباس أَن النبي ﷺ قال: «وَدِدْتُ أَن سورة تَبارَكَ الَّذي بِيَدِهِ الْمُلْكُ في قلب كل مؤمن»[٢].

= الحمل لا دليل عليه، وكذا تعيينه بصفوان المذكور إنما هو ظن، وقد شك فيه زهير، والصواب ما تقدم من دلالة عبارة الترمذي وغيرها كما سبق، والله تعالى أعلم، ثم وقفت على رواية زهير منصوص فيها على ما ذهبت إليه؛ قال أبو الفتح الأزدي في كتابه المخزون (٣٩): صفوان أو ابن صفوان تفرد عنه بالرواية أبو الزبير، ثنا أحمد بن الهمداني، ثنا أحمد بن محمد بن يحيى الجعفي، ثنا أبي، ثنا الرحيل ابن معاوية، وأخوه حديج، وأخوه زهير، عن ليث بن أبي سليم، عن أبي الزبير، عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة، وتبارك الذي بيده الملك، قال زهير: فقلت لأبي الزبير: سمعت من جابر؟ فقال: حدثني صفوان أو ابن صفوان أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة، وتبارك الذي بيده الملك، أحمد بن الهمداني هو أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة، وهو حافظ لكنه ليس بالعمدة، وشيخه ترجمه الذهبي في الميزان (١/ ١٥٢) وقال: قد وثق. وقال الدارقطني: ليس ممن يحتج به. هذه رواية حمزة السهمي عنه. وروى الحاكم عن الدارقطني: لا بأس به. أكثر عنه ابن عقدة، وروى عنه ابن صاعد، وأبوه لم أقف على ترجمته، وقد جمع فيه إخوة زهير عن ليث، وهو غريب، وعلى كل حال فمع تأكيد هذا السياق لما يظهر لي وبينته سابقاً فإنه إسناد لا تقوم به الحجة لشذوذه وغرابته.

(١) ضعيف، أخرج الترمذي (٢٨٩٠) عن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، والطبراني في الكبير (١٢٨٠١)، وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٠٥)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٨١)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (١٥٠) من طريق محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، عن يحيى بن عمرو بن مالك النكري، عن أبيه، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الملك حتى ختمها فقال رسول الله ﷺ: «هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر»، ويحيى ابن عمرو بن مالك النكري ضعيف، ويقال إن حماد بن زيد كذبه كما في التقريب (٧٦١٤).

(٢) ضعيف، أخرجه ابن أبي الدنيا في المتمنين (١٣٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٦٤)، والثعلبي في =

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾.

﴿تَبَٰرَكَ﴾ تَفَاعَلَ، من البركة، وهي التَّزَيُّد في الخيرات، ولم يستعمل «يتبارك» ولا «متبارك».

وقوله تعالى: ﴿بِيَدِهِ﴾ عبارة عن تحقيق الْمُلْك؛ وذلك أَن اليَدَ في عُرف الآدميِّين هي آلة التملُّك، فهي مستعارة لذلك[1].

و﴿ٱلْمُلْكُ﴾ على الإِطلاق هو الذي لا يَبِيدُ ولا يختل منه شيءٌ، وذلك هو مُلكُ الله تعالى.

وقيل[2]: المرادُ في هذه الآية: ملك الملوك، فهي بمنزلة قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦] ذكره الثعلبي عن ابن عباس[3].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ عموم، والشيءُ معناه في اللغة: الموجود.

و﴿ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ معنيان يتعاقبان جسم الحيوان، يرتفع أَحدهما بحلول الآخر.

وما في الحديث من قوله ﷺ: «يُؤْتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أَمْلح فيذبح على الصراط»[4]، فقال أَهل العلم: ذلك تمثال كبش يُوقع اللهُ تعالى العِلْم الضروري لأهل

= تفسيره (٩/ ٣٥٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٦/ ٢٧٠) من طريق حفص بن عمر العدني، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه، مرفوعاً بنحوه، وحفص بن عمر بن ميمون العدني الملقب بالفرخ ضعيف، وقد توبع من إبراهيم بن الحكم بن أبان كما في مسند عبد بن حميد (٦٠٣)، والطبراني في الكبير (١١٦١٦) عن الحكم بن أبان، عن عكرمة به، وإبراهيم بن الحكم ابن أبان العدني ضعيف.

(١) تقدم التنبيه على صفة اليد لله تعالى.

(٢) «وقيل» ليست في المطبوع وأحمد٣.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الدارين أَنه الموت الذي ذاقوه[١] في الدنيا، ويكون ذلك التمثال حاملًا للموت لا عَلَىٰ أَنه يحلُّ الموت فيه، فتذهب عنه حياتُه، ثم يقرن الله تعالى بذبح ذلك التمثال إِعدام الموت.

وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾؛ أَي: [جعل لكم هاتين الحالتين ليبلوكم؛ أي][٢]: ليختبركم في حال الحياة ويُجازيكم بعد الموت.

وقال أَبو قتادة ـ ونَحْوه عن ابن عمر: قلتُ: يا رسول الله، ما معنى قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ﴾؟ فقال: «يقول تعالى: أَيكم أَحسن عَقْلاً، وأَشدكم لله تعالى خوفاً، وأَحسنكم في أَمْره ونَهْيه نظراً، وإِن كانوا أَقَلَّكُم تطوعاً»[٣].

وقال ابن عباس، وسفيان الثوري، والحسن بن أَبي الحسن: أَيّـكُم أحسن عملاً: أَزهدكم في الدنيا[٤].

وقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ دالٌّ على فعل، تقديره: فينظر أَو فيعلم أَيكم، وقال جماعة من المتأولين: الموتُ والحياة عبارة عن الدنيا والآخرة، سمَّى هذه موتاً من حيث فيها الموت، وسمَّى تلك حياة من حيث لا موت فيها، فوصفهما بالمصدرين على تقدير حذف مضاف كعَدْل وزَوْر، وقدَّم الموت في اللفظ لأَنه متقدم في النفس هيبة وغلظة.

و﴿طِبَاقًا﴾ قال الزجاج: هو مصدر[٥].

---

(١) في المطبوع: «خافوه».

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (١٥/ ٢٥٠) عن داود بن المحبر، وابن أبي حاتم (١٠٧٠٥)، والثعلبي (٩/ ٣٥٥) من طريق داود، عن عبد الواحد بن زياد، عن كليب بن وائل، عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه تلا هذه الآية: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ﴾، قال: «أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله»، وداود بن المحبر الطائي متروك.

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٥٦)، وتفسير الماوردي (٦/ ٥٠)، وتفسير بن أبي حاتم (٨/ ١٢٩)، والهداية لمكي (٦/ ٤٣٢٤، ٤٣٢٥).

(٥) معاني القرآن للزجاج (٥/ ١٩٨).

وقيل: هو جمع طَبْـقَة أَو جمع طبق؛ مثل رحْبة ورحاب أَو جمل وجمال، والمعنى: بعضها فوق بعض.

وقال أَبان بن تغلب: سمعت أَعرابياً يذم رجلاً فقال: شرُّه طباق، وخيرُه غير باق(١).

وما ذكر بعض المفسرين في السماوات أَن بعضها من ذهب وفضة وياقوت ونحو هذا؛ ضعيف كلُّه لم يثبت بذلك حديث، ولا يعلم أَحد من البشر حقيقة لهذا.

وقوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ معناه: من قِلَّةِ تناسب ومن خروج عن الاتفاق، والأمر المتفاوت: هو الذي يجاوز الحدود التي توجب له زيادةً أَو نقصاً.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿مِن تَفَٰوُتٍ﴾.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وابن مسعود، وعلقمة، والأسود، وابن جبير، وطلحة، والأعمش: ﴿من تَفَوُّتٍ﴾(٢)، وهما بمعنى واحد.

وقال بعض العلماءِ: ﴿فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ يعني بهِ السماوات فقط، وهي التي تضمن اللفظ، وإِيَّاها أَراد بقوله تعالى: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾، وإِيَّاها أَراد بقوله: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ﴾ الآية، قالوا: وَإِلَّا ففي الأرض فطور.

وقال آخرون: ﴿فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ يعني به جميع ما خلق الله تعالى من الأَشياءِ فإِنَّها لا تفاوت فيها ولا فطور جارية على غير إِتقان، ومتى كانت فطورٌ لا تفسد الشيءَ المخلوق من حيث هو ذلك الشيءُ بل هي إِتقان فيه؛ فليست تلك المرادة في الآية.

وقال منذر بن سعيد: أَمر الله تعالى بالنظر إِلى السماءِ وخلقها ثم أَمر تعالى

---

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٥٦).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٢).

بالتكرير في النظر، وكذلك جميع المخلوقات متى نظرها ناظر ليرى فيها خَلَلاً أَو نقصاً فإِن بصره ينقلب خاسئاً حسيراً[١].

و«رَجْعُ البصر»: تَـرْديدُهُ في الشيءِ المُبْصَر.

وقوله تعالى: ﴿كَرَّتَيۡنِ﴾ معناه: مَرَّتين، ونصبه على المصدر.

و«الخاسِئُ»: الْمُبْعَد بِذُلِّ عن شيءٍ أَراده وحرص[٢] عليه، ومنه الكلب الخاسئُ.

ومنه قول النبي ﷺ لابن صيَّاد: «اخْسَأْ، فلن تَعدوَ قَدْرَك»[٣].

ومنه قوله تعالى في الكفار الحريصين على الخروج من جهنم: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

وكذلك هذا البصر يحرصُ على رؤية فُطُورٍ أَو تَفَاوُتٍ فلا يجد ذلك فينقلب خاسئاً.

و«الحَسِيرُ»: المُعْيي الكالُّ، ومنه قول الشاعر:

لَهُنَّ الْوَجَى لو كُنَّ عَوْناً عَلَى النَّوَى ... وَلَا زالَ مِنْهَا ظَالِعٌ وَحسيرُ[٤] [الطويل]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا / وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ٩﴾. [٥/ ٢٢٠]

أَخبر الله تعالى أنه زيَّن السماءَ الدنيا ـ أَي التي تلينا ـ بمصابيح وهي النجوم، فإِن كانت جميع النجوم في السماءِ الدنيا فهذا اللفظ عامٌّ للكواكب، وإِن كان في سائر

(١) تفسير الثعالبي (٤/ ٣٢٠).

(٢) في المطبوع: «عرض».

(٣) متفق عليه، هذا جزء من الحديث الذي أخرجه البخاري (١٣٥٤)، ومسلم (٢٩٣٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٤) تقدم في تفسير الآية (١٩) من (سورة الأنبياء).

السماوات كواكب فإِمَّا أَن يريد كواكب سماءِ الدنيا فقط، وإِما أَن يريد الجميع على أَن ما في غيرها لمَّا كانت هي تشفُّ عنه ويظهر منها فقد تزينت به بوجه ما، ومَنْ تكلف القول بمواضع الكواكب وفي أَي سماءٍ هي فقوله ليس من الشريعة.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ معناه: وجعلنا منها، وهذا كما تقول: أَكرمتُ بني فلان وصنعت بهم، وأَنت إِنما فعلت ذلك ببعضهم دون بعض، ويوجب هذا التأويل في الآية أَن الكواكب الثابتة والبروج وكل ما يُهتدى به في البر والبحر فليست براجم، وهذا نص في حديث السير.

وقال قتادة: خلق الله تعالى النجوم للسماءِ زينة ورجوماً للشياطين[١].

وليُهتدى بها في البر والبحر. ومن قال غير هذه الخصال الثلاث فقد تكلَّف وأَذهب حظَّه من الآخرة.

و(أعتدنا): معناه أَعددنا، والضمير في ﴿لَهُمْ﴾ عائد على الشياطين.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ﴾ بالرفع على الابتداءِ، والخبر في المجرور المتقدم.

وقرأَ الحسن في رواية هارون عنه: (عَذَابَ جَهَنَّمَ) بالنصب[٢] على معنى: وأَعتدنا للذين كفروا عَذَابَ جهنَّم، فالواو عاطفة فعل على فعل.

وتضمنت هذه الآية أَن عذابَ جهنم للكفار المخلَّدين.

وقد جاءَ في الأَثر: أَنه يمرُّ على جهنَّم [زمن تخفق أبوابها][٣]، قد أَخلتها الشفاعة، فالذي يقال في هذا أَنَّ «جَهَنَّمَ» اسم[٤] تختص به الطبقة العُلْيا من النار، ثم قد

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٠٨).

(٢) وهي شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٣٠٨).

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «زُمَرٌ تخفق أَثْوابُها».

(٤) «اسم» ليست في المطبوع.

تسمَّى الطبقات كلها جَهَنَّمَ باسم بعضها، وهذا كما يقال «النجم» للثريَّا، ثم يقال ذلك للكواكب اسم جنس، فالذي في هذه الآية: هي جَهَنَّمُ بأسرها، أَي جميع الطبقات، والتي في الأثر: هي الطبقة العليا لأَنها مقرُّ العصاة.

و«الشَّهِيقُ» أَقبح ما يكون من صوت الحمار، فاحتدام النار وغليانها يصوِّت مثل ذلك.

قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾؛ أَي: يُزَايِل بعضُها بعضاً لشدة الاضطراب، كما قال الشاعر في صفة الكلب يحتدم في جريه:

.... يـكادُ أن يَخْـرجَ عـنْ إِهابِـهْ[1] [الرجز]

وقرأَ الضحاك: (تَمَايَزُ) بالأَلف.

وقرأَ طلحة: (تَتَمَيَّزُ) بتاءين[2].

وقرأَ الجمهور: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ [بضم الدال وفتح][3] التاء مخففة.

وقرأَ البزيُّ: ﴿تكَادُ تَّمَيَّـزُ﴾ بضم الدال وشدّ التاءِ على أَنها: تَتَميَّـزُ، وأَدغم إِحدى التاءَيْن في الأُخرى[4].

[وقرأَ أبو عمرو بن العلاء: ﴿تَكاد تَّمَيَّـزُ﴾ بإدغام الدال في التاء][5].

وهذا فيه إِدغام الأَقوى في الأَضعف.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ معناه: على الكفرة بالله تعالى.

---

(١) البيت لأبي نواس كما في نهاية الأرب في فنون الأدب (٩/ ٢٦٢)، وأساس البلاغة (١/ ٣٨)، بلفظ:

تــراه في الحضـر إذا هـابـه كـأنمـا يـخـرج مـن إهـابـه

وفي المطبوع: «يكاد يخرج».

(٢) وهما شاذتان، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٤٧٩).

(٣) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٤) وهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ٨٤)، وسقط «البزي» من الحمزوية، وفي نجيبويه بياض، وزاد في المطبوع والأسدية٣: «وقومٌ».

(٥) على قاعدة السوسي وهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ٢٤)، وفي المطبوع ونور العثمانية وأحمد٣: «وقرأَ قوم بإِدغام الدال في التاءِ».

وقوله: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٌ﴾ الفوج: هو الفريق من الناس.

ومنه قوله تعالى: ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ [النصر: ٢]، والآية تقتضي أنه لا يُلقى فيها أَحدٌ إِلَّا سُئل ـ على جهة التوبيخ ـ عن النُّذُر، فأَقَرُّوا بأَنهم جاءوا وكذبوهم.

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ﴾ حَصْرٌ، فإِذاً الآية تقتضي في الأَطفال من أَولاد المشركين وغيرهم وَمَنْ نُقَدِّره صاحب فترة أَنهم لا يدخلون النار لأَنهم لم يأتهم نذير.

[واختلف الناس في أَمر الأَطفال:

فأجمعت الأَمة على أَولاد الأَنبياءِ عليهم السلام أَنهم في الجنة][١].

واختلفوا في أَولاد المؤمنين:

فقال الجمهور: هم في الجنة[٢]، وقال قوم: هم في المشيئة[٣].

واختلفوا في أَولاد المشركين:

فقالت فرقة: هم في النار، واحتجوا بحديث روي: «هم من آبائهم»[٤]، [وتأول مخالف هذا الحديث أنهم في أحكام الدنيا، وقال][٥]: هم في المشيئة.

وقال فريق هم في الجنة، واحتج هذا الفريق بهذه الآية في مساءلة الخزنة، وبحديث وقع في «صحيح البخاري» في (كتاب التعبير) يتضمن أنهم في الجنة[٦]،

---

(١) في حاشية المطبوع: «سقطت هذه العبارة في جميع النسخ، ولم تثبت إلا في النسخة التونسية». وهي مثبتة في النسخ التي عندنا.

(٢) انظر الإجماع على حكم أطفال الأنبياء في شرح النووي على مسلم (٦/ ١٨٣).

(٣) انظر قول الجمهور وقول مخالفيهم في: شرح النووي على مسلم (٦/ ١٨٣).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٠١٣)، ومسلم (١٧٤٥) من حديث الصعب بن جثامة أن النبي ﷺ قيل له: لو أن خيلاً أغارت من الليل فأصابت من أبناء المشركين قال: «هم من آبائهم».

(٥) في الأسدية٤: «وقال آخرون».

(٦) الظاهر أنه يشير إلى حديث سمرة بن جندب الذي أخرجه البخاري (٧٠٤٧) في رؤيا النبي ﷺ وفيه: «وأمَّا الولدانُ الذين حولهُ فكلُّ مولودٍ ماتَ على الفطرةِ» قال: فقال بعض المسلمين: =

وبقوله ﷺ: «كلُّ مولود يولد على الفطرة، فأَبواه يهوِّدانه أَو ينصِّرانه أو يمجِّسانه»[١].

والأَطفال لم يبلغوا أَن يُصنع بهم شيءٌ من هذا[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ﴾ يحتمل أَن يكون من قول الملائكة للكفار حين أَخبروا عن أَنفسهم أَنهم كذبوا النُّذُر، ويحتمل أَن يكون من كلام الكفار للنُّذُر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾.

المعنى: وقال الكفار للخزنة في محاورتهم: لو كنا نسمع أَو نعقل سَمْعاً أَو عقلاً يُنتفع به ويغني شيئاً لآمَنَّا ولم نستوجب الخلود في السعير.

ثم أَخبر تعالى محمداً ﷺ أَنهم اعترفوا بذنبهم في وقت لا ينفع فيه الاعتراف.

وقوله تعالى: ﴿فَسُحۡقٗا﴾ نصب على جهة الدعاءِ عليهم، وجاز ذلك فيه وهو من قِبَل الله تعالى من حيث هذا القول مستقر فيهم أَزلاً وجوده لم يقع ولا يقع إِلَّا في الآخرة، فكأَنه لذلك في حيِّز المتوقَّع الذي يدعى فيه، كما تقول: سحقاً لزيد وبُعداً، والنصب في هذا كله بإِضمار فعل، وأَمَّا ما وقع وثبت فالوجه فيه الرفع، كما قال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]، و﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾[٣]، وغير هذا من الأَمثلة.

وقرأَ الجمهور: ﴿فَسُحۡقٗا﴾ بسكون الحاءِ.

وقرأَ الكسائي: ﴿فَسُحُقاً﴾ بضم الحاءِ، وهما لغتان[٤].

= يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: «وأولاد المشركين».

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٣٥٩)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر هذه الأقوال وغيرها في مصير أولاد الكفار؛ في شرح الزرقاني على الموطأ (٢/ ١٢٢-١٢٣).

(٣) الأعراف: ٤٦، الرعد: ٤، النحل: ٣٢، القصص: ٥٥، الزُّمَر: ٧٣.

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٢).

ثم وصف تعالى أَهل الإِيمان وهم الذين يخشون ربهم.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ يحتمل معنيين:

أَحدهما: بالغيب الذي أُخبروا به من الحشر والصراط والميزان والجنة والنار، فآمنوا بذلك وخشوا ربهم فيه، ونحا إِلى هذا قتادة(١).

والمعنى الثاني: أنهم يخشون ربهم إِذا غابوا عن أَعين الناس، أَي في خلواتهم، ومنه تقول العرب: فلان سالم الغيب، أَي لا يضر، فالمعنى: يعملون بحسب الخشية في صلاتهم وعبادتهم وانفرادهم.

فالاحتمال الأَول مَدْح بالإِخلاص والإِيمان، والثاني مَدْح بالأَعمال الصالحة في الخلوات، وذلك أَحرى أَن يعملوها علانية.

[٥/ ٢٢١] وقوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ مخاطبة لجميع الخلق،/ قال ابن عباس: سببها أَن المشركين قال بعضهم لبعض: أَسِرُّوا قولكم لا يسمعكم إله محمد(٢).

فالمعنى: إِن الأَمر سواءٌ عند الله تعالى لأَنه يعلم ما هجس في الصدر دون أَن يُنطق به، فكيف إِذا نُطق به سرّاً أَو جهراً.

و(ذَاتُ الصُّدور): ما فيها، وهذا كما يقال: الذِّئْبُ مَغْبُوطٌ بِذي بَطْنِهِ، وقد تقدم تفسيره غير ما مرة.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾، اختلف الناس في إِعراب ﴿مَنْ﴾:

فقال بعض النحاة: إِعرابها رفع، كأَنه تعالى قال: أَلا يعلم الخالق خلقه؟ فالمفعول على هذا محذوف، وقال قوم: إِعرابها نصب، كأَنه تعالى قال: أَلا يعلم الله من خَلَق؟

وقال مكيٌّ: وتعلَّق أَهل الزَّيغ بهذا التأَويل؛ لأَنه يعطي أَن الذين خلقهم الله تعالى

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٤٥٦).

(٢) انظر: تفسير الثعلبي (٩/ ٣٥٩)، وفي الأصل والمطبوع: «لا يسمعكم محمد».

هم العباد من حيث قال: ﴿مَن﴾، فتخرج الأَعمال عن ذلك(١)، لأَن المعتزلة تقول: العباد يخلقون أَعمالهم. وتعلُّقهم بهذا التأويل ضعيف، والكلام مع المعتزلة في مسأَلة خلق الأَعمال مأَخذه غير هذا؛ لأَن هذه الآية لا حجة فيها لهم ولا عليهم(٢).

و«الذَّلُولُ»: فَعولٌ بمعنى مفعول، أَي مذلولة، فهي كرَكُوبٍ وحَلوبٍ، يقال: [ذلولٌ بيِّن الذِّلِّ، بكسر الذال](٣)، وذليلٌ بيِّن الذُّلِّ، بضم الذال.

واختلف المفسرون في معنى «المناكب»:

فقال ابن عباس: مناكبها: أَطرافها، وهي الجبال(٤).

وقال الفراء ومنذر بن سعيد: جوانبها، وهي النواحي(٥)، وقال مجاهد: هي الطُّرُق والفِجاج(٦)، وهذا قول جارٍ مع اللغة؛ لأَنها تنكبُّ يَمنةً ويَسرةً وينكبُّ الماشي فيها، فهي مناكب.

وهذه الآية تعديد نِعَمٍ في تقريب التصرف للناس، وفي التمتع في رزق الله تعالى.

و﴿ٱلنُّشُورُ﴾: الحياة بعد الموت.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ١٨ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۢ بَصِيرٌ ١٩ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ٢٠﴾.

---

(١) الهداية لمكي (١٢/ ٧٥٩٨-٧٥٩٩).

(٢) انظر قول المعتزلة بخلق العباد أفعالهم في: الفرق بين الفرق (١/ ٩٤).

(٣) سقط من الأصل، وكذا «بضم الذال»، وفي الأسدية٣: «من الذل».

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥١٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٥) «الفراء» ليس في المطبوع، وانظر قوله في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٧١)، وقول منذر في البحر المحيط (١٠/ ٢٢٦).

(٦) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٥٩)، وتفسير الماوردي (٦/ ٥٤)، إلا أنه أورد «أطرافها» بدل «طرقها»، تفسير الطبري (٢٣/ ٥١٢).

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وابن عامر: ﴿ءَأَمِنتُم﴾ بهمزتين محققتين من غير مدٍّ.

وقرأ أبو عمرو، ونافع: ﴿النُّشُورُ آمِنـتُمْ﴾ بهمزة ومدٍّ.

وقرأ ابن كثير: ﴿النُّشُورُ وامِنْتمُ﴾، يُبدل الهمزة واواً لكونها بعد ضمَّة، ويمدُّ بعد الواو[1].

وقوله تعالى: ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ جارٍ على عُرف تلَقِّي البشر أوامر الله تعالى[2]، ونزول القدر بحوادثه ونِعَمه ونِقَمه وآياته من تلك الجهة، وعلى ذلك صار رفع الأَيدي والوجوه في الدعاءِ إلى تلك الناحية.

و«خَسفُ الأَرْض»: أَن تذهب سفلاً.

و﴿تَمُورُ﴾ معناه: تتموَّج وتذهب كما يذهب التراب الموَّار في الريح، وكما يذهب الدَّم الموَّارُ.

ومنه قول الأَعرابي: وغادرت التراب موراً[3].

و«الْحاصِب»: البَـرَدُ وما جَرى مجراه؛ لأَنه في اللغة: الرِّيحُ ترمي بالحصباءِ، ومنه قول الفرزدق:

[البسيط] مُسْتَقْبِلينَ شمالَ الشَّامِ تَرْجُمُهُمْ ... بِحاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُور[4]

وقرأ جمهور السبعة: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ بالتاءِ، وقرأ الكسائي وحده: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ بالياءِ[5].

---

(١) حاصل قراءات السبعة: تحقيق الهمزتين للكوفيين وابن ذكوان، وتسهيل الثانية مع الإدخال لقالون وهشام وأبي عمرو، وبدونه للبزي وورش، وله إبدالها مداً، وقرأ قنبل بإبدال الأولى واوا في الوصل، وله في الثانية ما لورش، انظر: التيسير (ص: ٢١٢).

(٢) تقدم الكلام عن صفة العلو لله تعالى.

(٣) أمالي القالي (١/ ١١٤).

(٤) البيت للفرزدق كما تقدم في تفسير الآية (٦٩) من (سورة الإسراء).

(٥) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٢).

وقرأ السبعة وغيرهم: ﴿نَكِيرِ﴾ بغير ياءٍ، على طريقتهم في الفواصل المشبهة بالقوافي.

وقرأ نافع في رواية وَرْش وحده ﴿نذيري﴾ بياءٍ على الأَصل، وكذلك في ﴿نكيري﴾[١].

و«النَّكير»: مصدرٌ بمعنى الإنكار، و«النَّذِيرُ» كذلك، ومنه قول حسَّانِ بن ثابت:

فَأَنْذَرَ مِثْلَهَا نُصْحاً قُرَيْشاً مِنَ الرَّحْمنِ إِنْ قَبِلتْ نَذيرِي[٢] [الوافر]

ثم أَحال على العبرة في أَمر الطير وما أَحْكَمَ مِنْ خِلْقتها، وذلك يُبَيِّن عجز الأَصنام والأَوثان.

و﴿صَٰٓفَّٰتٖ﴾: جمع صافَّة، وهي التي تبسط جناحيها وتصُفُّهما حتى كأَنها ساكنة.

و«قَبْضُ الجناح»: ضَمُّه إِلى الجنب، ومنه قول أَبي خراش:

.... يَحُثُّ الْجَنَاحَ بِالتَّبَسُّطِ والْقَبضِ[٣] [الطويل]

وهاتان حالان للطائر يستريح من إِحداهما إِلى الأُخرى.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقۡبِضۡنَ﴾ عطف المضارع على اسم الفاعل، وذلك كما عطف اسم الفاعل على المضارع في قول الشاعر:

بَاتَ يُعَشِّيها بِعضْبٍ باتِرِ يَقْصِدُ في أَسْوُقِهَا وَجائِرِ[٤] [الرجز]

وقرأ طلحة بن مصرف: (أَمَنْ) بتَخفيف الميم في هذه[٥]، وقرأ التي بعدها مُثقَّلة كالجماعة.

و«الْجُنْدُ»: أَعوان الرجل على مذاهبه.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٢).

(٢) انظر عزوه له في سيرة ابن هشام (٢/ ٢٧١).

(٣) صدره: يُبادِرُ جُنْحَ الليْلِ فَهْوَ مُهَابِذٌ، انظر عزوه له في الكامل للمبرد (٢/ ١٣٦)، وأمالي القالي (١/ ٢٧١)، وحماسة الخالديين (ص: ٥١)، وتهذيب اللغة (٦/ ١٤٤)، والمخصص (٤/ ٢١٤).

(٤) تقدم في تفسير الآية (٤٦) من (سورة آل عمران).

(٥) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٤٧٩).

وقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ خطاب لمحمد ﷺ بعد تقرير[(١)]: قل لهم يا محمد: أَمَّن هذا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

هذا أَيضاً توقيف على أَمر لا مدخل للأصنام فيه، والإِشارة بالرِّزْق إِلى المطر لأَنه أَعظم الأَرزاق، ثم أَخبر تعالى عنهم أَنهم لَجُّوا وتمادوا في التمنع عن طاعة الله تعالى، وهو العُتُوُّ.

و«النُّفُورُ»: البُعْدُ عن الحقِّ بسرعة ومبادرة، يقال: نَفَر عن الأَمر نُفُوراً، ونَفَر إِلى الأَمر نَفيراً، ونَفَرت الدابَّةُ نِفاراً.

واختلف أَهل التأْويل في سبب قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا﴾ الآية:

فقال جماعة من رُوَاة الأَسباب: نزلت مثلاً لحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ولأَبي جهل بن هشام[(٢)].

وقال ابن عباس، وابن الكلبي وغيرهما: نزلت مثلاً لمحمد ﷺ ولأبي جهل بن هشام[(٣)].

وقال ابن عباس أَيضاً، ومجاهد، والضحاك: نزلت مثلاً للمؤمنين والكافرين على العموم[(٤)].

---

(١) في الأسدية ٤ والأسدية ٣: «تقدير».
(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٢١٩).
(٣) تفسير الزمخشري (٤/ ٥٨٢).
(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٥١٦)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٠٣).

وقال قتادة: نزلت مخبرةً عن حال القيامة[١]، وأَن الكفار يمشون فيها على وجوههم، والمؤمنون يمشون على استقامة.

وقيل للنبي ﷺ: كيف يمشي الكافر على وجهه؟ فقال: «إن الذي أَمشاه في الدنيا على قدميه قادر أَن يمشيه في الآخرة على وجهه»[٢].

قال القاضي أَبو محمد: فَوَقَفَ الكفَّارُ على هاتين[٣] الحالتين حينئذ، ففي الأَقوال الثلاثة الأُول المَشْيُ مجازٌ بتخيُّل، وفي القول الرابع هو حقيقة تقع يوم القيامة / . [٥/ ٢٢٢]

ويقال: أَكبَّ الرجلُ: إِذا ردَّ وجهه إلى الأَرض، وكبَّه غيره، قال ﷺ: «وهل يكُبُّ الناسَ في النار على مناخرهم إِلَّا حصائدُ أَلسنتهم»[٤]، فهذا الفعل خلاف للباب، أَفْعَل لا يتعدَّى، وفَعَل يتعدَّى، ونظيره: قشعت الريحُ السحاب فأقشع.

و﴿أَهْدَىٰٓ﴾ في هذه الآية: أَفْعَل؛ من الهدى.

وقرأَ طلحة: (أَمَنْ يَمْشِي) بتخفيف الميم[٥].

وأَفرد تعالى السمع لأَنه اسم جنس يقع للقليل والكثير، و﴿قَلِيلًا﴾ نصب بفعل مضمر، و﴿مَّا﴾ مصدرية، وهي في موضع رفع، وقوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٥١٦)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٠٣)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٣٦٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ولفظة «إن» من نجيبويه والحمزوية.

(٣) في المطبوع والأسدية٤ ونور العثمانية: «ما بين»، وليس في أحمد٣ من قوله: «على وجهه» إلى «الأقوال الثلاثة».

(٤) حسن، هذا الحديث جزء من حديث معاذ بن جبل الطويل الذي أخرجه أحمد (٥/ ٢٣١)، وعبد ابن حميد (١١٢)، والترمذي (٢٦١٦) وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (١١٣٣٠)، وابن ماجه (٣٩٧٣) وغيرهم من طرق عن معمر، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي وائل شقيق ابن سلمة، عن معاذ بن جبل مرفوعاً بلفظ أطول من هذا، وللحديث طرق أخرى.

(٥) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ١٦٠).

يقتضي ظاهره أَنهم يشكرون قليلاً، فهذا إِمَّا أَن يُريد به ما عَسى أَن يكون للكافر من شكر، وهو قليل غير نافع، وإِما أَن يريد نفي الشكر عنهم جملةً فعبَّر بالقلَّة(١)، كما تقول العرب: هذه أَرض قَلَّما تُنبت كذا، وهي لا تُنبته بَتَّـةً(٢).

ومن شُكْر رسول الله ﷺ على هذه النعمة أنه كان يقول في سجوده: «سَجَدَ وَجْهي للَّذي خلقه وصوَّره وشقَّ سمعه وبصره»(٣).

و﴿ذَرَأَكُمْ﴾ معناه: بثَّكُم.

و«الحَشْرُ» المشارُ إِليه هو بعث القيامة، وإِليه أَشار بقوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾.

فأَخبر تعالى أَنهم يستعجلون أَمر القيامة ويُوقَفُون على الصدق في الإِخبار بذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾.

أَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ أَن يخبرهم أَن عِلْم يوم القيامة والوَعْدَ الصِّدق هو مما ينفرد الله تعالى به، وأَن محمداً ﷺ إِنما هو نذير، يَعْلَمُ ما عُلِّم، ويُخبر بما أُمر أَن يخبر به.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾، الضمير للعذاب الذي تَضمَّنه الوعد، وهذه حكاية حالٍ تأْتي، والمعنى: فإِذا رأَوْهُ.

---

(١) في المطبوع ونجيبويه والحمزوية: «العلة».

(٢) في المطبوع وأحمد٣والأسدية ٣: «البتة».

(٣) أخرجه مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال علي: وإذا سجد قال: «اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين».

و﴿زُلۡفَةً﴾ معناه: قريباً، وقال الحسن: عياناً، وقال ابن زيد: حاضراً[(١)].

و﴿سِيٓـَٔتۡ﴾ معناه: ظهر فيها السوءُ.

وقرأ جمهور الناس: ﴿سِيٓـَٔتۡ﴾ بكسر السين.

وقرأ أَبو جعفر، والحسن، ونافع أَيضاً، وابن كثير، وأَبو رجاءٍ، وشيبة، وابن وثَّاب، وطلحة بالإِشمام بين الضم والكسر[(٢)].

وقرأ جمهور الناس ونافع بخلاف عنه: ﴿تَدَّعُونَ﴾ بفتح الدال وشدِّها، على وزن تفْتَعلون؛ أَي: تتداعون أَمره بينكم، وقال الحسن: تدَّعون أَنه لا جنَّة ولا نار[(٣)].

وقرأ أَبو رجاءِ، والحسن، والضحاك، وقتادة، وابن يسارٍ، وسلام: ﴿تَدْعون﴾ بسكون الدال[(٤)]، على معنى: تستعجلون، كقولهم: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦]، ﴿فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةً﴾ [الأنفال: ٣٢]، وغير ذلك.

ورُوي في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا﴾ الآية؛ أَنهم كانوا يَدْعون على محمد ﷺ وأَصحابه بالهلاك.

وقيل: بل كانوا يتآمرون بينهم بأَن يُهلكوهم بالقتال ونحوه، فقال الله تعالى له: قل لهم: أَرأَيتم إِن كان هذا الذي تريدون بنا وتَمَّ ذلك فينا، أَو أرأَيتم إِن رحمنا الله فنصرنا ولم يُهلكنا، مَنْ يُجيركم من العذاب الذي يوجبه كفركم على كل حال؟!

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر، وحفصٌ عن عاصم: ﴿إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ﴾ بنصب الياءَيْن.

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٣/ ٥١٨)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٠٥).

(٢) وهما سبعيتان، الإشمام لنافع وبن عامر والكسائي، كما في التيسير (ص: ١٢٥)، وأبي جعفر ورويس كما في النشر (٢/ ٢٠٨).

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٦١)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٠٦)، ونافع ليس في المطبوع ونجيبويه.

(٤) وهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٨٩).

وأَسكن الكسائي، وعاصم في رواية أَبي بكر الياءَ في ﴿مَعِي﴾.

وقرأَ حمزة بإِسكان الياءَين.

وروى المسيـبي عن نافع أنه أَسكن ياءَ ﴿أَهْلَكَنِي﴾[١].

قال أَبو علي: التحريك في الياءَيْن حسنٌ وهو الأَصل، والإِسكان كراهية الحركة في حرف اللين للنجاة من ذلك[٢].

وقرأَ الكسائي وحده: ﴿فسيعلمون﴾ بالياءِ، وقرأَ الباقون بالتاءِ على المخاطبة[٣].

ثم وقفهم تعالى على مياههم التي يعيشون منها إِن غارت ـ أَي ذهبت في الأَرض ـ من يجيئُهم بماءٍ كثير كاف.

و«الغَوْرُ» مصدر يوصف به على معنى المبالغة، ومنه قول الأَعرابي: وغادرت الترابَ مَوْراً والماءَ غَوْراً.

و«الْمَعِينُ» فَعيلٌ من: مَعَنَ الماءُ: إِذا كثُر، أَو مفعولٌ من: العَيْن، أَي: جارٍ كالعين، أَصله مَعْيُون.

وقيل: هو من «العَيْن» لكن من حيث يُرى بعين الإِنسان، لا من حيث يشبه بالعَيْن الجارية.

وقال ابن عباس: ﴿مَّعِينٍ﴾: عذب[٤]، وعنه ـ في كتاب الثعلبي ـ: ﴿مَّعِينٍ﴾:

---

(١) وكلها سبعية، كما في التيسير (ص: ٢١٢)، إلا تلفيق المسيبي ففي السبعة (ص: ٦٤٥)، وفي المطبوع بدله: «الحسن».

(٢) في الأصل والأسدية ٤: «يتجانس ذلك»، وفي نجيبويه: «للتجانس»، انظر: الحجة للفارسي (٦/ ٣٠٨).

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٢).

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٢٠) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

جارٍ[١].

وفي كتاب النقاش: ﴿مَّعِينٍ﴾: ظاهر[٢].

وقال بعض المفسرين وابْنُ الكلبي: أُشير في هذا الماءِ إِلى بئر زمزم وبئر ميمون[٣].

ويُشبه أَن تكون هاتان عُظْم ماءِ مكة، وإِلَّا فكانت فيها آبارٌ كثيرة كخُم والجفر وغيرهما، والله المستعان.

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٦٢). ولم أقف عليه مسنداً.

(٢) في المطبوع والأسدية ٤ والأسدية ٣: «طاهر»، ولم أقف على كلام النقاش.

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٦٢).

سورة القلم

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سُورة ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ﴾

وهي مكِّيَّة، ولا خلاف فيها بين أَحد من أَهل التأْويل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١﴾.

﴿نٓ﴾ حرف مقطَّع في قول جمهور المفسرين، فيدخله من الاختلاف ما يدخل أَوائل السور.

ويختص هذا الموضع من الأَقوال بأَن قال ابن عباس ومجاهد: ﴿نٓ﴾ اسم الحوت الأَعظم الذي عليه الأَرضون السبع فيما يروى(١).

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ مسنداً، وقد ذكره هكذا الثعالبي في تفسيره (٤/ ٣٢٤)، لكن أخرج عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٠٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٠٢٣)، والطبري (٢٣/ ٥٢١)، وابن أبي حاتم كما في تفسير بن كثير (٨/ ١٨٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩٨)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٣) من طرق عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس قال: قال إن أول ما خلق الله من شيء خلق القلم. فقال: اكتب فقال: أي ورب وما أكتب؟ قال: اكتب القدر فجرى بما هو كائن في ذلك اليوم إلى أن تقوم الساعة ثم طوى الكتاب ورفع القلم فارتفع بخار الماء ففتق السماوات، ثم خلق=

وقال ابن عباس[١] والحسن وقتادة والضحاك: ﴿نٓ﴾ اسم للدواة[٢]، فهذا إِما أَن يكون لغة لبعض العرب، أَو تكون لفظة أَعجمية عربت، قال الشاعر:

[الوافر] إِذَا ما الشَّوْقُ بَـرَّحَ بي إِلَيْهِمْ أَلْقَتِ النُّونُ بالدَّمْعِ السَّجُوم[٣]

فمن قال بأَنه اسم الحوت جعل (الْقَلَمَ) الْقَلَمَ الذي خلقه الله تعالى وأَمره فكتب الكائنات،/ وجعل الضمير في ﴿يَسْطُرُونَ﴾ للملائكة. [٥/ ٢٢٣]

ومن قال بأَن ﴿نٓ﴾ اسم للدواة جعل (الْقَلَمَ) هو المتعارف بأَيدي الناس، نصَّ ذلك ابن عباس، وجعل الضمير في ﴿يَسْطُرُونَ﴾ للناس، فجاءَ القسم ـ على هذا ـ بمجموع أَمر[٤] الكتاب الذي هو قوامٌ لِلعلوم والمعارف وأُمور الدنيا والآخرة، فإِن القلم أَخو اللسان ومطية الفطنة ونعمة من الله تعالى عامة.

وروى معاوية بن قُرَّة: أَن النبي ﷺ قال: «ن لوحٌ من نور»[٥].

= النون ثم بسط الأرض عليها فاضطربت النون فمادت الأرض، فخلق الجبال فوتدها فإنها لتفخر على الأرض ثم قرأ ابن عباس ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧١٥٥) من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال: أول ما خلق الله من شيء القلم، ثم خلق النون، فكبس الأرض على ظهر النون، وقول مجاهد في الثعلبي (١٠/ ٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦١١).

(١) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (٢٢/ ٨٤)، وفي (٢٣/ ٥٢٤) من طريق ثابت الثمالي، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن الله خلق النون وهي الدواة، وخلق القلم، فقال: اكتب، قال: ما أكتب، قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. وثابت بن أبي صفية أبو حمزة الثمالى متروك الحديث، وانظر الميزان.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٢٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦١٤)، وقول الضحاك في البحر المحيط (١٠/ ٢٣٤).

(٣) بلا نسبة في تفسير الثعلبي (١٠/ ٦)، والدَّمع السَّجوم: السائل المنصب من العين.

(٤) في الأصل: «أم».

(٥) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٢٥) عن الحسن بن شبيب المكتب، عن محمد بن زياد الجزري، عن فرات بن أبي فرات، عن معاوية بن قرة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ لوح من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة». وهذا إسناد ضعيف؛ من أجل=

وقال ابن عباس أَيضاً وغيره: ﴿نٓ﴾ حرف من حروف الرحمن، وقالوا: إِنه تَقَطَّع في القرآن إِلى ﴿الٓر﴾، و﴿حمٓ﴾، و﴿نٓ﴾[1].

وقرأَ عيسى بن عمر بخلاف: (نُونَ) بالنصب[2]، والمعنى: اذكر نونَ، وهذا يَقْوى مع أَن يكون اسماً للسورة، فهو مؤَنث سُمِّي به مؤنث، ففيه تأَنيث وتعريف ولذلك لم ينصرف، وانصرف «نُوح» لأَن الخِفَّة بكونه على ثلاثة أَحرف غلبت على علَّة العُجْمة.

وقرأَ ابن عباس، وابن أَبِي إِسحاق، والحسن: (نُونِ) بكسر النون[3].

وهذا كما تقول في القسم: آللهِ، وكما قالوا: جَيْرِ، وقيل: كُسرت لاجتماع الساكنين.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وحفص عن عاصم: ﴿نُونْ﴾ بسكون النون، وهذا على أَنه حرف منفصل فحقُّه الوقوف عليه.

وقرأَ قوم منهم الكسائي: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ بالإِدغام دون غُنَّة، وقرأَ آخرون بإِدغامٍ وبِغُنَّة.

وقرأَ الكسائي ويعقوب، وأَبو بكر عن عاصم بالإِخفاءِ بين الإِدغام والإِظهار[4].

= الحسن بن شبيب المكتب البغدادي قال فيه ابن عدي: حدث عن الثقات بالبواطيل وأوصل أحاديث هي مرسلة انظر ترجمته الكامل (٢/ ٣٣٠)، والميزان (١/ ٤٩٥)، ومحمد بن زياد الجزري قال فيه ابن حبان: كان ممن يضع الحديث على الثقات ويأتي عن الأثبات بالأشياء المعضلات، لا يحل ذكره في الكتب إلا على جهة القدح، ولا الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار عند أهل الصناعة خصوصاً دون غيرهم. اهـ من المجروحين (٢/ ٢٥٠).

(١) صحيح، أخرجه الطبري (١٥/ ١٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢١) من طريق يزيد ـ هو النحوي ـ عن عكرمة عن ابن عباس.

(٢) وهي شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٥/ ٣)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٥).

(٣) وهي شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٥/ ٣).

(٤) فيها سبعيتان الإدغام بغنة لورش وشعبة وابن عامر والكسائي، والإظهار للباقين، كما في التيسير (ص: ١٨٢)، وانظر الخلاف عن الكسائي في السبعة (ص: ٦٤٦)، وأما الإدغام بغير غنة فشاذ، وقد ذكره النحاس في إعراب القرآن (٥/ ٣).

و﴿يَسۡطُرُونَ﴾ معناه: يكتبون سطوراً، فإِن أَراد الله تعالى الملائكة فهو كتب الأَعمال وما يؤمرون به، وإِن أَراد تعالى بني آدم فهي الكتب المنزلة والعلوم وما جرى مجراها.

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٍ﴾ هو جواب القسم، و﴿مَآ﴾ هنا عاملة لها اسم وخبر، وكذلك هي حيث دخلت الباءُ في الخبر.

وقوله تعالى: ﴿بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ﴾ اعتراض، كما تقول لإِنسان: أَنت ـ بحمد الله ـ فاضل.

وسبب هذه الآية: أَن قريشاً رمت رسول الله ﷺ بالجنون، وهو سَتْر العقل، بمعنى أَن كلامه خطأٌ ككلام المجنون، فنفى الله تعالى ذلك عنه، وأَخبره بأَن له الأَجر، وبأَنه على الخلق العظيم تشريفاً له ومدحاً.

واختلف الناس في معنى ﴿مَمۡنُونٍ﴾:

فقال أَكثر المفسرين: هو الواهن المنقطع، يقال: حبل ممنون؛ أَي: ضعيف.

وقال آخرون: معناه: غير مَمْنُون عليك، أَي: لا يكدِّره منٌّ به.

وقال مجاهد: معناه: غير مُسَرَّد ولا محسوب محصَّل[١]، أَي: بغير حساب.

وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: خُلُقُهُ القرآن[٢]، أَي آدابُه وأَوامره، وقال عليٌّ رضي الله عنه: الخُلُق العظيم: أَدب القرآن[٣].

وعبَّر ابن عباس عن الخُلُق بالدِّين والشرع[٤].

وذلك لا محالة رأَس الخلق ووكيده، أَمَا إِنَّ الظاهر من الآية أَن الخُلُق هو الذي

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٢٨)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦١٩)، وتفسير الماوردي (٦/ ٦١).

(٢) أخرجه مسلم (٧٤٦) مطولًا.

(٣) لم أقف عليه من قول علي رضي الله عنه، وإنما جاء من قول عطية العوفي وانظر: الدر المنثور (١٤/ ٦٢٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٢٩) من طريق علي بن أبي طلحة، وعطية العوفي كلاهما، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دين عظيم، وفي لفظ العوفي: إنك على دين عظيم، وهو الإسلام.

يضادُّ مقصد الكفار في قولهم: مجنون؛ أَي غير محصِّل لما يقول.

وإِنما مدحه تعالى بكرم السجية وبراعة القريحة والْمَلَكَة الجميلة وجودة الضرائب.

ومنه قوله ﷺ: «بُعثت لأُتَمِّم مكارم الأَخلاق»(١).

وقال جُنَيْد: سُمِّيَ خُلُقه عظيماً إِذ لم يكن له هِمَّة سوى الله تعالى، عاشر الخَلْق بخُلُقه وزايلهم بقلبه، فكان ظاهره مع الخَلْق وباطنه مع الحق(٢).

وفي وصيَّة بعض الحكماءِ: عليك بالخُلِق مع الخَلْق، وبالصدق مع الحق، وحُسْن الخُلُق خير كلُّه.

وقال ﷺ: «إِن المؤمن لَيُدْرك بحُسْن خُلُقه درجة قائم الليل صائم النهار»(٣).

---

(١) سبق تخريجه في (سورة الأعراف) الآية رقم (١٥٧).

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٩).

(٣) له طرق عدة، أكثرها بأسانيد غريبة ولا تخلو من ضعف، وأشهرها وأحسنها إسناده لين وفي اتصاله نظر، هذا الحديث روي من عدة طرق، أشهرها ما أخرجه أحمد (٦/ ٦٤-٩٠-١٣٣-١٨٧)، وأبو داود (٤٧٩٨)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٤٢٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٠)، والبيهقي في الشعب (٧٩٩٨) وغيرهم من طرق عن عمرو بن أبي عمرو، عن المطلب، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً بنحوه، وعمرو بن أبي عمرو فيه لين، والمطلب بن عبد الله بن حنطب قال أبو حاتم في روايته عن عائشة: مرسل، ولم يدركها، وقال أبو زرعة: أرجو أن يكون سمع من عائشة. اهـ. وقول أبي حاتم أولى، وللحديث شواهد: حديث أبي هريرة أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٨٤) من طريق فضيل بن سليمان النميري، عن صالح بن خوات، عن محمد بن يحيى بن حبان، عن أبي صالح، عن أبي هريرة به مرفوعاً بنحو حديث عائشة رضي الله عنها، وفضيل بن سليمان النميري ضعيف، وأخرج الحاكم (١/ ١٢٨) من حديث حبان بن هلال ثنا حماد بن سلمة عن بديل عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليبلغ العبد بحسن خلقه درجة الصوم والصلاة»، وإسناده غريب، وأخرج الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٦٩) من طريق: أبي اليمان ثنا عفير ابن معدان عن سليم بن عامر عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل الظامئ بالهواجر»، وعفير بن معدان ضعيف، ورواه مالك في الموطأ (١٦٠٧) عن يحيى بن سعيد ـ يعني الأنصاري ـ أنه قال: بلغني: إن المرء ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل الظامي بالهواجر، قال ابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٨٣): هذا لا يجوز أن يكون =

وقال: «ما شيءٌ أَثقل في الميزان من خُلُق حسن»[(١)].

وقال: «أَحَبُّكُم إلى الله أَحاسنكم أخلاقاً»[(٢)]، والعدل والإحسان والعفو والصِّلة من الخُلُق.

= رأياً ولا يكون مثله إلا توقيفاً وقد روي مرفوعاً عن النبي ﷺ مسنداً من وجوه حسان من حديث يحيى ابن سعيد هذا وغيره، حدثناه خلف بن القاسم قال حدثنا الحسن بن رشيق قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن يونس حدثنا عمرو بن عثمان الحمصي حدثنا اليمان بن عدي عن زهير عن يحيى بن سعيد عن القاسم عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «إن الرجل ليدرك بحسن الخلق درجة الساهر بالليل الظامئ بالهواجر»، قلت: وإسناده منكر، قال البخاري في يمان بن عدي الحمصي الشامي: ما روى عنه أهل الشام فإنه مناكير، وما روى عنه أهل البصرة فإنه صحيح، وقال ابن طاهر في ذخيرة الحفاظ (٨٨٥): لا أعلم رواه عن زهير غير اليمان بن عدي، وتراجع ترجمة اليمان وزهير بن محمد، ثم ذكرابن عبد البر حديث أبي أمامة السابق، ثم روى من طريق: سحنون بن سعيد حدثنا عبد الله بن وهب قال أخبرني ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن ابن حجيرة قال سمع عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصوام القوام بآيات الله بحسن خلقه وكرم ضريبته»، وابن لهيعة ليس بحجة، وأخرج ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال (٣٦٢) من طريق: إسحاق بن بهلول، ثنا إسماعيل بن أبان، ثنا أبو بكر النهشلي، عن عبد الملك بن عمير، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»، غريب من حديث ابن عمر، وعبد الملك بن عمير ليس بالحجة، وهو مدلس ويرسل، ولا يعلم سماعه من ابن عمر، وأخرج الخطيب في المتفق والمفترق (٣/ ٧٠) من طريق: العباس بن محمد الدوري حدثنا داود بن مهران الدباغ حدثنا عبدالحميد ابن سليمان عن عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم الذي يصوم النهار ويقوم الليل»، وعبد الحميد هو أخو فليح بن سليمان، وهو ضعيف.

(١) لا بأس به، أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٢-٤٤٢-٤٤٦-٤٤٨)، وعبد بن حميد (٢٠٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٠)، وأبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٣) وغيرهم من طرق عن عطاء بن نافع الكيخاراني، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، مرفوعاً به بنحوه، وفي لفظ: «إن أفضل شيء في الميزان يوم القيامة الخلق الحسن»، وفي لفظ «ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صالح الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة».

(٢) ثبت بلفظ: «أحبكم إلي أحسنكم أخلاقاً»، أخرجه البخاري (٣٧٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنه، أما بلفظ: «أَحَبُّكُم إِلى الله أَحاسنكم أخلاقاً»، فورد في حديث ضعيف، =

وقوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ﴾؛ أَي: أنتَ وأُمَّتك، و(يُبْصِرُون)؛ أَي: هُم.

واختلف الناس في معنى قوله تعالى: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾:

فقال أَبو عثمان المازني: الكلام تامٌّ في قوله تعالى: (يُبْصِرُون)، ثم استأنف قوله تعالى: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾.

وقال الأَخفش: بل الإِبْصار عامل في الجملة المستفهم عنها، في معناها[١].

وأَما الباءُ فقال أَبو عُبَيْدة مَعْمَر، وقتادة: هي زائدة، والمعنى: أَيُّكُمُ الْمَفْتُونُ[٢].

وقال الحسن، والضحاك: الْمَفْتُونُ بمعنى الفتنة[٣]، كما قالوا: ماله معقول؛ أَي: عَقْل، وكما قالوا: اقْبَلْ مَيْسُوره ودَعْ مَعْسُوره، فالمعنى: بِأَيِّكم هي الفتنة والفساد الذي سَّموه جنوناً؟

وقال آخرون: المعنى: بِأَيِّكُم فُتن الْمَفْتون؟ وقال الأَخفش: المعنى: بأَيِّكُم فِتْنَةُ المفتون؟ ثم حذف المضاف وأُقيم ما أضيف إِليه مقامه[٤].

= المري، عن سعيد الجريري، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحبكم إلى الله: أحاسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم إلى الله عز وجل: المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الإخوان الملتمسون للبرآء العثرات»، وصالح بن بشير بن وداع المعروف بالمري ضعيف، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٣٨٢) من طريق أبي هدبة عن أنس ابن مالك مرفوعاً، بنحوه، وإبراهيم بن هدبة أبو هدبة شيخ، يروي عن أنس بن مالك، قال فيه ابن حبان: دجال من الدجاجلة، وكان رقاصاً بالبصرة، يدعى إلى الأعراس فلما كبر جعل يروى عن أنس، ويضع عليه. اهـ من المجروحين (١/ ١١٤).

(١) انظر: معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٤٧)، وقول المازني في إعراب القرآن للنحاس (٥/ ٥).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٦٨)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١١)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٢٢).

(٣) انظر: تفسير الماوردي (٦/ ٦٢).

(٤) الهداية لمكي (١٢/ ٧٦٢٢).

وقال مجاهد، والفراءُ: الباءُ بمعنى «في»؛ أَي: في أَيِّ فريق منكم النوعُ المفتون؟[١]

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول حَسَنٌ قليل التكلُّف، ولا نقول إِنَّ حرفاً بمعنى حرف، بل نقول: إِن هذا المعنى يُتَوَصَّل إِليه بـ«في» وبالباءِ أَيضاً.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (فِي أَيِّـكُمُ الْمَفْتُونُ)[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ﴾ الآية وعيدٌ، والعامل في قوله: ﴿بِمَن ضَلَّ﴾ هو ﴿أَعْلَمُ﴾، وقد قَوَّاه حرف الجر فلا يحتاج إِلى إِضمار فعل.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ يريد قريشاً، وذلك أَنهم قالوا في بعض الأَوقات لرسول الله ﷺ: لو عبدتَ آلهتنا وعظَّمتها لعبدنا إِلهك وعظَّمناه، ووِدُّوا أَن يداهنهم رسول الله ﷺ ويميل إِلى ما قالوا فيميلوا هم أَيضاً إِلى قوله ودينه.

و«الإِدْهان»: الملاينة فيما لا يحلُّ، والمُدَاراة: الملاينة فيما يحِلُّ.

وقوله تعالى: ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ معطوف وليس بجواب؛ لأَنه لو كان لنصب.

و«الْحَلَّاف»: المُرَدِّد لِحَلِفِهِ الذي قد كثر منه.

و«الْمَهِينُ»: الضعيف العقل والرأَي، قاله مجاهد[٣].

وهو من مَهُن: إِذا ضعف، والميمُ فاءُ الفِعْل.

وقال ابن عباس: «الْمَهين»: الكذَّاب[٤].

و«الْـهَمَّازُ»: الذي يقع في الناس، وأَصل الهَمْز في اللغة: الضَّرْبُ طعناً باليد أَو بالعصا أَو نحوه، ثم استُعير للذي ينال بلسانه، قال منذرٌ: وبعينه وإِشارته[٥].

---

(١) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٧٣)، وقول مجاهد في تفسير الثعلبي (١٠/ ١١).
(٢) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٨٠).
(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٣٤)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٢٤)، وتفسير الماوردي (٦/ ٦٣).
(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٣٤) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
(٥) لم أقف عليه.

وسُمِّيت الهُمَزة؛ لأَن في النطق بها حِدَّة وعجلة، فشُبِّهت بالهمز باليد.

وقيل لبعض الأَعراب: أَتهمز الفأرة؟ فقال: الهِرَّةُ تَهْمزها، وقيل لآخر: أَتَهْمز إِسرائيل؟ فقال: إِنِّي إِذاً لَرَجُل سوءٍ[١].

و«النَّميمُ» مصدرٌ كالنَّميمة،/ وهو نقل ما يُسمع ممَّا يسوءُ ويحرِّش النفوس، [٥/ ٢٢٤] وروى حذيفة أَن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنَّة قَتَّاتٌ»[٢]، وهو النمَّام.

وذهب كثير من المفسرين إلى أَن هذه الأَوصاف هي أَجناسٌ لم يرد بها رجلٌ بعينه.

وقالت طائفة: بل نزلت في مُعَيَّن، واختلف فيه:

فقال بعضهم: هو الوليد بن المغيرة، ويؤيد ذلك غناهُ وأَنه أَشهرهم بالمال والبنين.

وقال الشعبيُّ وغيره: هو الأَخنس بن شُرَيق[٣]، ويؤيد ذلك أَنه كانت له هَنَة في حلقه كزَنَمة الشاة، وأَيضاً فكان من ثقيف مُلصقاً في قريش.

وقال ابن عباس ـ في كتاب الثعلبي ـ: هو أَبو جهل[٤].

وذكر النقاش: عُتبة بن ربيعة[٥].

وقال مجاهد: هو الأَسْود بن عبد يغوث[٦].

وظاهر اللفظ عموم من هذه صفته، والمخاطبة بهذا المعنى مستمرة باقي الزمان لا سيما لولاة الأُمور.

---

(١) انظر: العقد الفريد (٤/ ٦٥)، وتقدم مكرراً.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٣) الهداية لمكي (١٢/ ٧٦٢٨).

(٤) لم أقف عليه في تفسير الثعلبي، ولا في غيره.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) تفسير الماوردي (٦/ ٦٣)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٢٩).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾.

قال كثير من المفسرين: (الخَيْر) هنا المال، فوصفه بالشُّحِّ.

وقال آخرون: بل هو على عمومه في المال والأَفعال الصالحة، ومن يُمنع إيمانَه وطاعتَه لله فقد مُنع الخير.

و«المعتدي»: المتجاوز لحدود الأَشياءِ.

و«الأَثيم» فَعيل من الإِثم بمعنى آثِم، وذلك من حيثُ أَعمالُه قبيحة تُكسب الإِثم.

و«العُتُلُّ»: القويُّ البِنْية، الغليظُ الأَعضاءِ، المُصَحَّح، القاسي القلب، البعيدُ الفهم، الأَكولُ الشَّروبُ الذي هو بالليل جيفة وبالنهار حمار، وَكل ما عبَّر به المفسرون عنه من خلال النقص، فعن هذه التي ذكرتُ تَصْدُر.

وقد ذكر النقاشُ: أَن النبي ﷺ فسَّر «العُتُلَّ» بنحو هذا[1].

وهذه الصفات كثيرة التلازم، والعَتْلُ: الدَّفْع بشدة، ومنه العَتَلَة.

وقوله تعالى: ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ معناه: بعد ما وصفناه به، فهذا الترتيب إنما هو في قول الواصف لا في حصول تلك الصفات في الموصوف، وإِلَّا فكونه عُتُلاًّ هو قبل كونه صاحب خير يمنعه.

و«الزَّنيمُ» في كلام العرب: الملصق في القوم وليس منهم، وقد فسَّر به ابن عباس هذه الآية[2].

---

(١) لم أجده مسنداً.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٣٨) من طريق العوفي عن ابن عباس قال: الدَّعي.

وقال مُرَّة الهَمْدَاني: إِنما ادَّعاه أَبوه بعد ثماني عشرة سنة[١]، يعني الذي نزلت فيه هذه الآية، ومن ذلك قول حسان بن ثابت:

وَأَنْتَ زَنيمٌ نِيطَ في آلِ هاشِمٍ كَمَا نِيطَ خَلْفَ الراكِبِ الْقَدَحُ الْفَرْدُ[٢] [الطويل]

وقول حسان أَيضاً:

زَنيمٌ تَداعاهُ الرِّجالُ زِيَادَةً كَمَا زِيدَ في عَرْضِ الأَدِيمِ الأَكارِعُ[٣] [الطويل]

فقال كثير من المفسرين: هذا هو المراد بالآية، وذلك أَن الأَخْنس بن شُرَيْق كان من ثقيف حليفاً لقريش.

وقال ابن عباس: أَراد بالزنيم أَنَّ له زَنَمَةً في عنقه كزَنَمَة الشَّاة[٤]، وهي الهَنَةُ التي تتعلق في عنقها[٥]، وما كنا نعرف المشار إِليه حتى نزلت فعرفناه بِزَنَمتِهِ.

وقال أَبو عبيدة: يُقال لِلتَّيْس: زَنيمٌ؛ إِذْ له زَنَمَتان[٦]، ومنه قول الأَعرابي في صفة شاته: كأَن زَنَمَتَيْها تَتْوَا قُلَيْسِيَّةٍ[٧].

ورُوي: أَن الأَخنس بن شريق كان بهذه الصفة، كان له زَنَمَةٌ، وروي عن ابن عباس

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٣).

(٢) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٢٦٥)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٥٣٧)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٠٦).

(٣) انظر عزوه له في الكامل للمبرد (٣/ ١٦٤)، وتفسير السمعاني (٦/ ٢٢)، ومختارات ابن الشجري (١/ ٢٩)، ونسبه ابن هشام في السيرة (١/ ٣٦١) للخطيم التميمي، قال السهيلي في الروض الأنف (٣/ ١٩٧): والأعرف أنه لحسان كما قال ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٣٨) من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٥) في المطبوع والأسدية ٣ ونجيبويه ونور العثمانية وأحمد٣: «حلقها».

(٦) مجاز القرآن (٢/ ٢٦٥)، وفي المطبوع ونجيبويه: «أبو عبيد».

(٧) أمالي القالي (١/ ٣٤)، وديوان المعاني (٢/ ١٣٤)، ومعنى «تَتْواهَا»: ذؤابتاها.

أَنه قال: لمَّا نزلت هذه الصفات لم يعرف صاحبها حتى نزل ﴿زَنِيمٍ﴾ فعُرف بِزَنَمَته[1].

وقال بعض المفسرين: الزَّنيم: المريب القبيح الأَفعال.

واختلفت القراءة في قوله تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ﴾:

فقرأَ ابنُ كثير، ونافع، وأَبو عمرو، والكسائي، وحفص عن عاصم، وأَهل المدينة: ﴿أَن كَانَ﴾ على الخبر.

وقرأَ حَمزة: ﴿أَأَنْ كانَ﴾ بهمزتين مُحقَّقتين[2] على الاستفهام.

وقرأَ ابن عامر، والحسن، وابن أَبي إِسحاق، وعاصم، وأَبو جعفر: ﴿ءانْ كانَ﴾ على الاستفهام بتسهيل الهمزة الثانية[3].

والعامل في ﴿أَن﴾ فعل مضمر تقديره: كَفَر أَو جَحَد أَو عَنَد، ويُفسِّر هذا الفعلَ قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ الآية، وجاز أَن يعمل المعنى وهو متأَخر من حيث كان قوله تعالى: ﴿أَن كَانَ﴾ في منزلة الظَّرف؛ إِذ يُقدَّر باللام، أَي: لأن كان.

وقد قال فيه بعض النحاة: إِنه في موضع خفض باللام كما لو ظهرت، فكما عمل المعنى في الظرف المتقدم كذلك يعمل في هذا، ومنه قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٧]، فالعامل في ﴿إِذَا﴾ معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ أَي: تُبعثون، أَو نحوه من التقدير، ولا يجوز أَن يعمل (يُنَبِّئُ)[4] في ﴿إِذَا﴾ لأنهَ مضاف إِليه وقد أُضيف ﴿إِذَا﴾ إِلى الجملة، ولا يجوز أَن يعمل في (إِنَّ)، قال: لأنها جواب لِـ﴿إِذَا﴾ ولا تعمل فيما قبلها.

---

(١) هو نفس أثر داود بن أبي هند السابق.

(٢) في المطبوع: «مخففتين»، وهو خطأ.

(٣) وكلها سبعية، الخبر للجمهور، والاستفهام مع التحقيق لشعبة وحمزة، ومع التسهيل لابن عامر، انظر: التيسير (ص: ٢١٣).

(٤) في الأصل ونور العثمانية ونجيبويه: «تتلى»، وأشار لها في حاشية المطبوع.

وأَجاز أَبو عليٍّ أَن يعمل فيه ﴿عُتُلٍّ﴾ وإِن كان قد وُصف[(١)].

ويصح على هذا النظر أَن يعمل فيه ﴿زَنِيمٍ﴾ لا سيَّما على قول من يفسره بالقبيح الأَفعال.

ويصح أَن يعمل في ﴿أَن كَانَ﴾ «تُطِيعُهُ» التي يقتضيها قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ﴾، وهذا على قراءة الاستفهام يَبْعُد، وإِنما يتَّجه: لَا تُطِعْه لأَجْل كونه كذا، و﴿أَن كَانَ﴾ على كُلِّ وَجْه مفعولٌ من أَجله، وتأَمل.

وقد تقدم القول في «الأَساطير» في غير ما موضع.

وقوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ معناه: على الأَنف، قاله المبرد[(٢)].

وذلك أَن الخرطوم يستعار في أَنف الإِنسان، وحقيقته في مخاطم السباع، ولم يقع التوعُّد في هذه الآية بأَن يُوسَمَ هذا الإِنسان على أَنفه بِسِمَةٍ حقيقةً، بل هذه عبارةٌ عن فعل يشبه الوسْم على الأَنف، واختلف الناس في ذلك الفِعْل:

فقال ابن عباس: هو الضرب بالسيف، أَن يُضرب به في وجهه وعلى أَنفه فيجيءُ ذلك كالوسْم على الأَنف، وحلَّ به ذلك يوم بَدر[(٣)].

وقال محمد بن يزيد المبرد: ذلك في عذاب الآخرة في جهنم، وهو تعذيب بنارٍ على أُنوفهم[(٤)].

وقال آخرون: ذلك في يوم القيامة، أَن يُوسَم على أَنفه بِسِمَةٍ يُعرف بها كُفْره وانحطاط قدره.

وقال قتادة وغيره: معناه: سَنفعل به في الدنيا من الذَّم والمقت والإِشهار / بالشَّر [٥/ ٢٢٥]

---

(١) الحجة للفارسي (٦/ ٣١١).

(٢) انظر عزوه له في الهداية لمكي (١٢/ ٧٦٣٣)، وتفسير الماوردي (٦/ ٦٦)، وتفسير السمعاني (٦/ ٢٢).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٤١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) الهداية لمكي (١٢/ ٧٦٣٣).

ما يبقى فيه ولا يخفى به، فيكون ذلك كالوسْم على الأَنف ثابتاً بَيِّناً[(١)]، وهذا المعنى كما تقول: سأُطَوِّقُكَ طوق الحمامة؛ أَي: أُثبت الأَمر بيِّناً فيك، ونَحْوَ هذا أَراد جرير بقوله:

[الكامل] لمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَق ميسَمِي[(٢)] ....

وفي الوَسْم على الأَنف تشويه، فجاءت استعارته في المذمَّات بليغة جداً، وإِذا تأَملت حال أَبي جهل ونظرائه وما ثبت لهم في الدنيا من سُوءِ الأُحدوثة رأَيتَ أَنهم قد وُسِمُوا على الخراطم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾؛ يريد تعالى قريشاً، أي: امتحنَّاهم.

و﴿أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ ـ فيما ذُكر ـ قومٌ إِخوة، كان لأَبيهم جنَّـةٌ وحرثٌ مُغِلٌّ، فكان يُمْسك منه قُوتَه ويتصدق على المساكين بباقيه، وقيل: بل كان يحمل المساكين معه في وقت حصاده وجَدِّه فيجزيهم منه، فمات الشيخ، فقال ولده: نحن جماعة، وفِعْل أَبينا كان خطأً، فلنذهب إِلى جنَّتنا، ولا يدخلها علينا مسكين ولا نعطي منها شيئاً.

قال: فبيَّتوا أَمرهم وعَزْمهم على هذا، فبعث الله عليها بالليل طائفاً من نار أَو غير ذلك فاحترقت، فقيل: أَصبحت سوداءَ، وقيل: بيضاءَ كالزرع اليابس المحصود، فلما أَصبحوا إِلى جَنَّتهم لم يروها فحسبوا أَنهم قد أَخطؤوا الطريق، ثم تَـبَـيَّنوها فعلموا أَن الله تعالى أَصابهم فيها، فتابوا حينئذ وأَنابوا وكانوا مؤمنين من أَهل الكتاب.

فشبَّه الله تعالى قريشاً بهم في أَنه امتحنهم بمحمد ﷺ وهداه كما امتحن أُولئك بفعل أَبيهم وبأَوامر شرعهم، فكما حلَّ بأُولئك العقاب في جنتهم كذلك يحلُّ بهؤلاءِ في جميع دنياهم وفي حياتهم، ثم التوبة معرضة لمن بقي منهم كما تاب أُولئك.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٤١)، وتفسير الثعلبي (١٢/ ١٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٣٣).

(٢) تمامه: وَضَعَا الْبَعيثُ جَدعْتُ أَنْفَ الأَخْطَلِ، انظر عزوه له في الأغاني (١٤/ ٣٣٨)، وديوان المعاني (١/ ١٨١)، والعمدة في محاسن الشعر (٢/ ٣٩)، والبديع في البديع لابن المعتز (ص: ٣٦)، والبديع في نقد الشعر (ص: ٨١)، وشرح ديوان الحماسة (ص: ٥١).

وقال كثير من المفسرين: السنون السبع التي أَصابت قريشاً هي بمثابة ما أَصاب أُولئك في جَنَّتهم.

وقوله تعالى: ﴿لَيَصۡرِمُنَّهَا﴾؛ أَي: لَيَجُدُّنها، وصرام النخل: جَدُّ ثمره، وكذلك في كل شجرة.

و﴿مُصۡبِحِينَ﴾ معناه: إِذا دخلوا في الصباح.

وقوله: ﴿وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ﴾ معناه: وَلا يتوقفون في ذلك ولا يَنْثَنونَ عن رأَي منع المساكين.

وقال مجاهد: معناه: ولا يقولون: إِن شاءَ الله، بل عزموا على ذلك عَزْم من يملك أَمره[١].

و«الطَّائف»: الأَمر الذي يأَتي بالليل، ذكر هذا التَّخصيص الفراءُ[٢].

ويردُّه قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

و(الصَّريمُ): قال الفراءُ ومنذر وجماعة: أَراد به الليلَ[٣]، من حيث اسْوَدَّت جنَّتهم[٤].

وقال آخرون: أَراد به الصبح، من حيث ابْيَضَّت كالحصيد، قاله سفيان الثوري[٥].

و(الصَّريمُ) يقال لِلَّيْل ولِلنَّهار من حيث كلُّ واحد منهما ينصرم من صاحبه، وقال ابن عباس: (الصريمُ): الرماد الأَسود بلُغة جذيمة[٦].

وقال ابن عباس أَيضاً وغيرُه: (الصريم): رملةٌ باليمن معروفة لا تُنْبت، فشبَّه جنَّتهم بها[٧].

---

(١) تفسير القرطبي (١٨/ ٢٤١).
(٢) لفظه في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٧٥): لا يكون الطائف إِلاَّ ليلًا، ولا يكون نهاراً.
(٣) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٧٥).
(٤) في الأصل والمطبوع: «جنثهم».
(٥) انظر: البحر المحيط (٨/ ٣٠٦).
(٦) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٦).
(٧) في الأصل والمطبوع: «جنثهم».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

(تَنَادَوا) معناه: دَعَا بعضُهم بعضاً إلى المضيِّ لميعادهم.

وقرأ بعض السبعة: ﴿أَن أغْدُوا﴾ بضم النون، وبعضهم بكسرها(١)، وقد تقدم هذا مراراً.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ يحتمل أن يكون من: صِرام النخل.

ويحتمل أن يريد: إن كنتم أهل عزم وإقدام على رأيكم، من قولك: سيف صارم.

و﴿يَتَخَافَتُونَ﴾ معناه: يتكلمون كلاماً خفيّاً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠].

وكان هذا التخافت خوفاً من أن يشعر بهم المساكين، وكان لفظهم الذي يتخافتون به ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾.

وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبلة: (لَا يَدْخُلَنَّهَا) بسقوط (أَنْ)(٢).

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ يحتمل أن يريد به: على مَنْع، من قولهم: حارَدَتِ الإِبِلُ إذا قلَّتْ أَلبانُها فَمَنَعَتْها، وحاردت السَّنَةُ: إذا كانت شهباءَ لا غلَّة لها، ومنه قول الشاعر:

[الطويل]
وَحَارَدَتِ النُّكْدُ الْجِلادُ وَلَمْ يَكُنْ ... لِعُقْبَةِ قِدْرِ الْمُسْتَعيرينَ مُعْقِبُ(٣)

(١) وهما سبعيتان، كسرها عاصم وحمزة وأبو عمرو كما في التيسير (ص: ٧٨).
(٢) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ١٧٥).
(٣) تقدم في تفسير أول (سورة الممتحنة).

ويحتمل أَن يريد بالحَرْد: القصدَ، وبذلك فسَّر بعض اللغويين، وأَنشد عليه:

أَقْبَلَ سَيْلٌ جاءَ مِنْ أمر الله يَحْرِدُ حَرْدَ الْجَنَّةِ الْمُغِلَّهْ[1] [الرجز]

أَي: يقصد قصدها، ويحتمل أَن يريد بالحَرَدْ: الغضبَ، يقال: حرِدَ الرجلُ يحْرِدُ حَرَداً: إِذا غضب، ومنه قول الأَشهب بنِ رُمَيْلَة:

أُسودُ شَرىً لَاقَتْ أُسودَ خَفِيَّة تَساقَوا عَلَى حَرْدٍ دِماءَ الأَساوِدِ[2] [الطويل]

وقوله تعالى: ﴿قَدِرِينَ﴾ يحتمل أَن يكون من القُدْرة، أَي: هم قادرون في زعمهم، ويحتمل أَن يكون من التقدير، كأَنهم قد قَدَرُوا على المساكين، أَي: ضيَّقوا عليهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾؛ أَي: محترقةً، حسبوا أَنهم قد ضلُّوا الطريق، وأَنها ليست تلك، فلما تَحقَّقوها علموا أَنها قد أُصيبت، فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾؛ أَي: قد حُرمنا غَلَّتها وبركتها، فقال لهم أَعْدلهم قولاً وعقلاً وخُلقاً، وهو الأَوسط، ومنه قوله تعالى: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أَي: عُدُولاً خياراً.

و﴿تُسَبِّحُونَ﴾ قيل: هي عبارة عن طاعة الله تعالى وتعظيمه والعمل بطاعته.

وقال مجاهد وأَبو صالح هي كانت لفظة الاستثناءِ عندهم[3].

قال القاضي أَبو محمد رحمه الله: وهذا يردُّ عليه قولهم: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾، فبادَرَ القومُ وتابوا عند ذلك، وسبَّحوا واعترفوا بظلمهم في اعتقادهم منع الفقراءِ.

---

(١) تقدم في بداية التفسير في الكلام على البسملة.

(٢) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٢٦٦)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٤٨٠)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٤٤٥)، والبيان والتبيين (٣/ ٢٨٠)، وأمالي القالي (١/ ٨)، والكامل للمبرد (١/ ٤٨)، قال: ورميلة اسم أمه.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٥١)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٣٩)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٧).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿يَتَلَٰوَمُونَ﴾ معناه: يجعل كل واحد اللوم / في حيِّز صاحبه ويُبَـرِّئ نفسه، ثم أَجمعوا على أَنهم طغوا؛ أَي: تعدوا ما يلزم من مواساة المساكين ثم انصرفوا إِلى رجاءِ الله تعالى وانتظار الفرج من لَدُنه في أَن يبدلهم بسبب تَوْبتهم وإِنابتهم خيراً من تلك الجنة. [٥/٢٢٦]

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿يُبْدِلَنَا﴾ بسكون الباءِ وتخفيف الدال، وكذلك قرأَ الحسن، وابن محيصن، والأَعمش.

وقرأَ نافعٌ، وأَبو عمرو بالتثقيل وفتح الباءِ[١].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ ابتداءُ مخاطبة للنبي ﷺ في أَمر قريش، والإِشارة بـ(ذَلِكَ) إِلى العذاب الذي نزل بالجنة؛ أَي: كذلك العذابُ هو العذابُ الذي ينزل بقريش بغتة، ثم عذابُ الآخرة أَشد عليهم من عذاب الدنيا، قال كثير من المفسرين: العذاب النازل بقريش المماثل لأَمر الجنة هو الجدب الذي أَصابهم سبع سنين حتى رأَوا الدخان وأَكلوا الجلود.

ثم أَخبر تعالى أَنَّ الْمُتَّقِينَ لهم عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّات النَّعِيمِ، فروي أَنه لما نزلت هذه قالت قريش: إِن كان ثَمَّ جنات نعيم فلنا فيها أَكبر الحظ، فنزلت: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾[٢].

وهذا على جهة التوقيف والتوبيخ.

وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ﴾ توبيخ آخر، ابتداءٌ وخبر، جملة منحازة.

---

(١) وهما سبعيتان، كما تقدم في (سورة التحريم)، وانظر: السبعة (ص: ٣٩٧)، والتيسير (ص: ١٤٥).
(٢) انظر: الوسيط للواحدي (٤/ ٣٣٨).

وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ جملة منحازة كذلك، و﴿كَيْفَ﴾ في موضع نصب بـ﴿تَحْكُمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ﴾ هي المقدرة بـ بل وألف الاستفهام.

و﴿كِتَابٌ﴾ معناه: مُنَـزَّل من عند الله.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾، قال بعض المتأولين: هذا استئناف قول على معنى: إن كان لكم كتاب فلكم فيه مُتَخَيَّر.

وقال آخرون: ﴿إِنَّ﴾ معمولة لـ﴿تَدْرُسُونَ﴾؛ أي: تدرسون في الكتاب: إِنَّ لكم ما تختارون من النعيم.

وكُسرت الأَلف من ﴿إِنَّ﴾ لدخول اللام في الخبر، وهي في معنى «أَنَّ» بفتح الأَلف.

وقرأَ طلحة، والضَّحاك: (أَنَّ لكم) بفتح الأَلف.

وقرأَ الأَعرج: (أَئِنَّ لكُم) على الاستفهام[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ (٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٤١) يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣) فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥)﴾.

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ مخاطبة للكفار، كأَنه يقول: هل أَقسمنا لكم قَسَماً فهو عهد لكم بأَنا نُنَعِّمكم يوم القيامة وما بعده؟

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿بَالِغَةٌ﴾ بالرفع على الصفة لـ﴿أَيْمَانٌ﴾.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (بالِغَةً) بالنصب على الحال[٢]، وهي حال من نكرة مخصصة بقوله تعالى: ﴿عَلَيْنَا﴾.

---

(١) وهما شاذتان، عزا الكرماني في الشواذ (ص: ٤٨١) الأولى للضحاك، والثانية لطلحة.

(٢) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٧٦).

وقرأ الأَعرج: (أَئِنّ لكم لما تحكمون)، وكذلك في التي تقدمت في قوله تعالى: (أَئِنَّ لكم فيه لما تخيرون)[١].

ثم أمر الله تعالى محمداً ﷺ ـ على وجه إِقامة الحجة ـ أَن يسأَلهم عن الزعيم لهم بذلك، من هو؟ والزَّعيمُ: الضَّامن للأَمر والقائم به.

ثم وقفهم تعالى على أَمر الشركاءِ عسى أَن يظنوا أَنهم ينفعونهم في شيءٍ من هذا.

وقرأَ ابن مسعود، وابن أَبي عبلة: (أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فَلْيَأْتُوا بِشِرْكِهِمْ) بكسر الشين دون أَلف[٢].

والمراد بذلك على القراءتين: الأَصنام.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ قيل: هو استدعاءٌ وتوقيف في الدنيا؛ أَي: ليُحضروهم حتى يرى هل هم بحال من يضرُّ وينفع أَمْ لا، وقيل: هو استدعاءٌ وتوقيف على أَن يأَتوا بهم يوم القيامة، يوم يكشف عن ساق.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، قال مجاهد: هي أَول ساعة من القيامة[٣]، وهي أَفظعها.

وتظاهر حديث عن النبي ﷺ: «أَنه ينادي مناد يوم القيامة: ليتبع كلُّ أَحد ما كان يعبد، قال: فيتبع من كان يعبد الشمسَ الشمسَ، ويتبع من كان يعبد القمرَ القمرَ، وكذلك كلُّ عابد لكل معبود، ثم تبقى هذه الأُمة وَغُبَّرات أَهل الكتاب معهم منافقوهم وكثير من الكفرة، فيقال لهم: ما شأَنكم؟ لم تقفون وقد ذهب الناس؟ فيقولون: ننتظر ربَّنا، قال: فَيجيئُهم الله في غير الصورة التي عرفوه بها، فيقول: أَنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، قال: فيقول: أَتعرفونه بعلامة ترونها؟ فيقولون: نعم، فيكشف لهم عن ساق، فيقولون

(١) وهي شاذة، كالتي قبلها، انظر عزوهما له في البحر المحيط (١٠/ ٢٤٦).
(٢) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ١٧٧).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٥٥٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٤٥).

نعم أَنتَ ربُّنا، ويخرون للسجود، فيسجد كل مؤمن وتصير أَصلاب المنافقين والكفار كصياصي البقر عظماً واحداً فلا يستطيعون سجوداً»[١].

هكذا هو الحديث وإِن اختلفت منه أَلفاظ بزيادة أَو نقصان.

وعلى كل وَجْه فما ذكر فيه من كشف الساق وما في الآية أَيضاً من ذلك: فإِنما هو عبارة عن شدة الهول وعظم القدرة التي يُري اللهُ تعالى ذلك اليوم، حتى يقع العلم أَن تلك القدرة إِنما هي لله تعالى وحده، ومن هذا المعنى قول الشاعر في صفة الحرب:

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ ساقِهَا ... وبَدَا مِنَ الشَّرِّ الْبَراحُ[٢] [مجزوء الكامل]

ومنه قول الراجز:

قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ ساقِهَا فشُدُّوا[٣] ... . [الرجز]

وقول الآخر:

في سَنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عَنْ ساقِها ... حَمْرَاءَ تَبْري اللَّحْمَ عَنْ عُرَاقِهَا[٤] [الرجز]

وأَصل ذلك: أَنَّ من أَراد الجِدَّ في أَمر يُحاوله فإِنه يكشف عن ساقه تشميراً وجدّاً، وقد مدح الشعراءُ بهذا المعنى، فمنه قول دُرَيْد:

---

(١) أصله متفق عليه، أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري، وفي بعض الروايات زيادة ونقص.

(٢) البيت لسعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة جد طرفة بن العبد كما في الحماسة انظرها مع شرحها للتبريزي (١/ ١٩٢)، وتهذيب اللغة (٩/ ١٨٤)، وحماسة الخالديين (ص: ٤٩). وفي الأصل والأسدية ٤: «البواح». وفي نجيبويه: «الصراخ».

(٣) وبعده يقول الراجز: وجَدَّت الْحَرْبُ بِكُم فَجِدُّوا، وهو بلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢١٠)، وهو من جملة الأراجيز التي أنشدها الحجاج بالعراق يوم قدومه كما في العقد الفريد (٤/ ٢٠٩)، والكامل للمبرد (١/ ٢٩٨)، وغيرهما.

(٤) عزاه في ابن قتيبة في غريب الحديث (١/ ٢٦٣)، والأنباري في الزاهر (٢/ ٣٧٠) لأعرابي.

[الطويل] كَمِيشُ الإِزارِ خارجٌ نِصْفُ ساقِهِ صَبورٌ عَلَى الأَعْداءِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ[١]

وعلى هذا من إرادة الجِدّ والتشمير في طاعة الله تعالى، قال ﷺ: «إِزْرَةُ المؤمن إِلى أنصاف ساقيه»[٢].

---

(١) البيت لدريد يرثي أخاه عبد الله انظر عزوه له في الأصمعيات (ص: ١٠٨)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ٩٠)، والشعر والشعراء (٢/ ٧٣٩)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٤٧١)، والتعازي (ص: ٥٨)، والكامل في اللغة والأدب (١/ ٣٠١)، والعقد الفريد (٦/ ٣٤).

(٢) في نجيبويه: «نصف ساقه»، وفي نور العثمانية: «نصف ساقيه»، والحديث بهذا اللفظ له طرق لا تسلم من إشكال أو مقال، وقد ثبت معناه عند مسلم بسياق آخر من حديث ابن عمر. وهذا الحديث اشتهر بعبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة والد العلاء، واختلف عليه فيه، فرواه عنه ابنه العلاء واختلف عليه فيه؛ فأخرجه مالك في الموطأ (٣٣٩٠)، والحميدي (٧٣٧)، وأحمد (**٥-٦-٣٠-٤٤-٥٢-٣/٩٧**)، وأبو داود (**٤٠٩٣**)، وابن ماجه (**٣٥٧٣**)، والنسائي في الكبرى (**٩٦٣١-٩٦٣٢-٩٦٣٣-٩٦٣٤**) وغيرهم من طرق عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة، عن أبيه قال: قلت لأبي سعيد: هل سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً في الإزار؟ قال نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه، لاجناح عليه ما بينه وبين الكعبين، وما أسفل من الكعبين في النار يقول ثلاثاً لا ينظر الله إلى من جر إزاره بطراً»، ورواه فليح بن سليمان عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً، أخرجه النسائي في الكبرى (**٩٦٣٠**) وقال: هذا الحديث خطأ يعني حديث فليح وفليح بن سليمان ليس بالقوي، قال المزي في تحفة الأشراف (**١٤٠٨٤**): يعني أن الصواب حديث العلاء، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري، ورواه زيد بن أبي أنيسة عن العلاء بن عبد الرحمن عن نعيم المجمر عن ابن عمر به مرفوعاً، أخرجه النسائي في الكبرى (**٩٦٣٥**) والطبراني في المعجم الأوسط (**١/ ١٣١**) وقال: لم يرو هذا الحديث عن نعيم المجمر إلا العلاء بن عبد الرحمن تفرد به زيد بن أبي أنيسة، ونقل المزي في تحفة الأشراف **٨٥٥١** عن النسائي قوله: المحفوظ حديث العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي سعيد وأبي هريرة، قال ابن عدي في الكامل (**٥/ ٢١٨**): الروايتان خطأ، ـ يعني الرواية عن ابن عمر وأبي هريرة ـ، والصحيح شعبة والدراوردي وغيرهما، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي سعيد، والعلاء لا بأس به، لكن له عن أبيه مناكير، ورواه محمد بن عمرو ـ هو ابن علقمة ـ عن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة قال قال أبو هريرة قال أبو القاسم ﷺ به، أخرجه أحمد في المسند (**١٦/ ٣٢٥**) وذكره البخاري في التاريخ الكبير (**٥/ ٣٦٦**) في ترجمة عبد الرحمن بن يعقوب، وقال المزي في تحفة الأشراف (**١٤١٠٠**): قال محمد بن يحيى الذهلي: كلا الحديثين محفوظان، لكن مال الدارقطني بعد ذكر الخلاف في العلل (**٢١٣٠**) إلى قول من قال: عن أبي سعيد لا عن أبي =

قرأَ جمهور الناس: ﴿يُكْشَفُ﴾ بضم الياءِ على بناءِ الفعل للمفعول.

وقرأَ ابن مسعود: (يكْشِفُ) بفتح الياءِ وكسر الشِّين[١] على معنى: يكشفُ اللهُ.

وقرأَ ابن عباس: (تكْشِفُ) بفتح التاءِ[٢] على أَن القيامة هي الكاشفة.

وقرأَ ابن عباس أَيضاً: (تُـكْشَفُ) بضم التاءِ[٣] على معنى: تكشف القيامة والشِّدة والحال الحاضرة.

وحكى الأَخفش عنه أَنه قرأَ: (نكْشِفُ) النون مفتوحة وكسر الشين، ورويت عن ابن مسعود[٤] / . [٥/ ٢٢٧]

= هريرة، ورواه الأوزاعي حدثنا يحيى يعني ابن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم التيمي عن يعقوب أو ابن يعقوب عن أبي هريرة مرفوعاً، أخرجه أبو يعلى (١٣/ ٢٤٧)، والحديث روي أيضاً عن أنس بن مالك مرفوعاً، رواه جماعة عن حميد الطويل عنه، كما في المختارة للضياء المقدسي (٦/ ٣٨-٣٩)، وأخرجه الترمذي (١٧٨٣) وغيره من طريق: أبي الأحوص عن أبي إسحاق عن مسلم بن نذير عن حذيفة قال: أخذ رسول الله ﷺ بعضلة ساقي أو ساقه فقال هذا موضع الإزار فإن أبيت فأسفل فإن أبيت فلا حق للإزار في الكعبين، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح رواه الثوري وشعبة عن أبي إسحاق، ومسلم بن نذير لم يوثق توثيقاً معتبراً، وروي كذلك عن عبد الله بن مغفل، رواه محمد ابن بكار ثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن القاسم بن ربيعة عن عبد الله بن مغفل أن رسول الله ﷺ به، أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٤/ ٥١)، وسعيد بن بشير ضعيف، وثبت الخبر في صحيح مسلم (٢٠٨٦) حكاية عن فعل النبي ﷺ، فأخرجه من حديث عبد الله بن عمر قال: مررت على رسول الله ﷺ وفي إزاري استرخاء فقال: «يا عبد الله ارفع إزارك» فرفعته ثم قال: «زد» فزدت، فما زلت أتحراها بعد. فقال بعض القوم: إلى أين؟ فقال: أنصاف الساقين. اهـ.

(١) وهي شاذة، عزاه الكرماني في الشواذ (ص: ٤٨١) لطلحة، وفي زاد المسير (٤/ ٣٢٥) لابن أبي عبلة، والجحدريّ، وأبي الجوزاء.

(٢) وهي شاذة، انظرها في زاد المسير (٤/ ٣٢٥).

(٣) وهي شاذة، عزاها له في زاد المسير (٤/ ٣٢٥) بالياء، وعزاها بالتاء الكرماني في الشواذ (ص: ٤٨١) لابن أبي عبلة.

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لابن مسعود في زاد المسير (٤/ ٣٢٥)، ولابن عباس في الشواذ للكرماني (ص: ٤٨١).

قوله تعالى: ﴿وَيُدْعَوْنَ﴾ ظاهِرُهُ: أَنَّ ثَمَّ دعاءً إِلى السجود، وهذا يردُّه ما قد تقرر في الشرع من أَن الآخرة ليست بدار عمل، وأَنه لا تكليف فيها، وإِذا كان هذا فإِنما الداعي ما يرونه من سجود المؤمنين فيريدون أَن يسجدوا عند ذلك فلا يستطيعون.

وقد ذهب بعض العلماءِ إِلى أَنهم يُدعون إِلى السجود على جهة التوبيخ.

وخرَّج بعض الناس من قوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أَنهم كانوا يستطيعون قبل ذلك، وذلك غير لازم، وعقيدة الأَشعري أَن الاستطاعة إِنما تكون مع التَّلَبُّس بالفعل لا قَبْله، وهذا القَدْر كاف من هذه المسأَلة ها هنا.

و﴿خَٰشِعَةً﴾ نصب على الحال، وجوارحهم كلُّها خاشعة، أَي ذليلة، ولكنه تعالى خصَّ الأَبصار بالذكر لأَن الخشوع فيها أَبْيَن منه في كل جارحة.

وقوله تعالى: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ معناه: تزعج نفوسهم وتظهر عليهم ظهوراً يخزيهم.

وقوله: ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ يريد في دار الدنيا وهم سالمون ممَّا نال عظام ظهورهم من الاتصال والعُتُوِّ.

وقال بعض المتأَولين: السُّجود هنا عبارة عن جميع الطاعات، وخص السُّجود بالذكر من حيث هو عُظْم الطاعات، ومن حيث به وقع امتحانهم في الآخرة.

وقال إِبراهيم التيمي، والشعبي: أَراد بالسجود الصلوات المكتوبة.

وقال ابن جُبَيْر: المعنى: كانوا يسمعون النداءَ للصلاة و«حيَّ على الفلاح»، فلا يجيئون(١).

وفُلِجَ الربيع بن خُثَيْم فكان يُهادَى بين رجلين إِلَى المسجد، فقيل له: إِنك لمعذور، فقال: من سمع «حيَّ على الفلاح» فليجب ولو حَبْواً.

---

(١) انظر هذه الأقوال في الطبري (٢٣/ ٥٦٠)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٥٠)، والثعلبي (١٠/ ٢٢). وفي المطبوع ونور العثمانية: «التميمي».

وقيل لابن المسيَّب: إِن طارقاً يريد قتلك فاجلس في بيتك، فقال: أَسْمَع «حيَّ على الفلاح» فلا أُجيب؟ والله لا فعلتُ[١]، وهذا كله قريب بعضُه من بعض.

وقوله تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ وعيد، ولم يكن ثَمَّ مانع ولكنه كما تقول: دعني مع فلان، أَي: سأُعاقبه.

و(مَن) في موضع نصب عطفاً على الضمير في (ذَرْني)، أَو نصب على المفعول معه.

و﴿ٱلْحَدِيثِ﴾ المشار إِليه هو القرآن المخبر بهذه الغيوب.

و«الاسْتِدْراج»: هو الحمل من رتبة إِلى رتبة حتى يصير المحمول إِلى شرٍّ، وإِنما يُستعمل الاستدراج في الشَّر، وهو مأَخوذ من الدرج.

قال سفيان الثوري: تُسبغ عليهم النعم ويمنعون الشكر[٢].

وقال غيره: كلما زادوا ذنباً زيدوا نعمة.

وفي معنى الاستدراج قول النبي ﷺ: «إِن الله تعالى يُمْلي للظالم حتى إِذا أَخذه لم يُفلته»[٣].

وقال الحسن: كم من مُسْتَدْرج بالإِحسان إِليه، ومغرورٍ بالسَّتْر عليه[٤].

و(أُمْلي لَـهُمْ) معناه: أُؤخرهم مُلاوة من الزمان، وهي البرهة والقطعة، يقال: مُلاوة بضم الميم وفتحها وكسرها.

و«الكَيْدُ» هنا عبارة عن العقوبة التي تحلُّ بالكفار من حيث هي على كيد منهم، فسَمَّى العقوبة باسم الذنب.

---

(١) انظر القولين في تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٢).

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٢).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٣)، وتفسير الماوردي (٦/ ٧٢).

و«الْمَتين»: القوِيُّ الذي له متانة، ومنه الْمَتْنُ: الظَّهْر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

هذه ﴿أَمْ﴾ التي تتضمن الإِضراب عن الكلام الأَول لا على جهة الرفض له، لكن على جهة التَّرْك والإِقبال على ما سواه، وهذا التوقيف هو لمحمد ﷺ، والمراد به توبيخ الكفار؛ لأَنه لو سأَلهم أَجراً فأَثقلهم غرم ذلك لكان لهم بعض العُذْر في إِعراضهم وفرارهم.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ معناه: هل لهم علم بما يكون فيدَّعون مع ذلك أَن الأَمر على اختيارهم جار؟

ثم أَمر تعالى نبيَّه ﷺ بالصبر لِحُكْمه، وأَن يمضي لما أُمِر به من التبليغ واحتمال الأَذى والمشقة، ونَهَى عن الضَّجر والعجلة التي وقع فيها يونس عليه السلام، ثم ذكر تعالى القصة باقتضاب، وذكر ما وقع في آخرها من ندائه من بطن الحوت وهو مكظوم، أَي غيظه في صدره، وحقيقة «الكظم»: هو الغيظ والحزن والندم، فحمل المكظوم عليه تجوزاً وهو في الحقيقة كاظم، ونحو هذا قول ذي الرُّمَّة:

[البسيط] وَأَنْتَ مِنْ حُبِّ مَيٍّ مُضْمِرٌ حَزَناً ... عَاني الْفُؤَادِ قَرِيحُ الْقَلْبِ مَكْظُوم(١)

وقال النَّقاش: المكظوم الذي أُخِذ بكظمه وهو مجاري القلبِ، ومنه سُمِّيت الكاظِمَة، وهي القناة في جوف الأَرض(٢).

(١) انظر عزوه له في البحر المحيط (١٠/ ٢٤٩).
(٢) لم أقف عليه.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ﴾، أَسند الفعلَ دون علامة تأنيث؛ لأَن تأَنيث النعمة غير حقيقي.

وقرأَ ابن مسعود، وأُبَيُّ بن كعب، وابن عباس: (لَوْلَا أَنْ تَدارَكَتْهُ) على إِظهار العلامة[1].

وقرأَ ابن هرمز والحسن: (لَولَا أَن تَدَّارَكَهُ) بشدِّ الدال[2] على معنى: تَتَداركه، وهي حكاية حال تأَتي، فلذلك جاءَ بالفعل مستقبلاً، بمعنى: لولا أَن يقال فيه: تتداركه نعمة من ربِّه، ونحوه قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ﴾ [القصص: ١٥]، فهذا وجه هذه القراءَة، ثم أُدغمت التاءُ في الدال.

و«النِّعمة» هي الصفح والتَّوب والاجتباءُ الذي سبق له عنده، و(العَرَاءُ): الأَرض الواسعة التي ليس فيها شيءٌ يُوَارِي من بناءٍ ولا نبات ولا غيره من جبل ونحوه، ومنه قول الشاعر:

فَرَفَعْتُ رِجْلاً لا أَخافُ عِثارَهَا ... ونبذتُ بالأَرْضِ الْعَراءِ ثيابي[3] [الكامل]

وقد نُبذ يونس عليه السلام بالعَرَاءِ ولكن غير مذموم.

و(اجْتَـبَاهُ) معناه: اختاره واصطفاه.

ثم أَخبر تعالى نبيَّه ﷺ بحال نظر الكفار إِليه، وأَنهم يكادون من الغيظ والعداوة يُزْلقونه فَيُذْهبون قدمه من مكانها ويسقطونه.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿لَيُزۡلِقُونَكَ﴾ بضم الياءِ، من: أَزْلَـقَ.

---

(١) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ١٧٨)، وزاد المسير (٤/ ٣٢٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٨٢).
(٢) وهي شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٢). «الحسن» سقط من المطبوع وأشار له في الهامش.
(٣) البيت لأَحد الفَرَّارين وهو رجلٌ من خُزاعة، وتقدم الكلام عليه في تفسير الآية (١٤٥) من (سورة الصافات).

وقرأ نافع وحده: ﴿لَيَزْلِقُونَك﴾ بفتح الياءِ[1] من زَلِقَت الرِّجْل، يقال: زَلِقت الرجل بكسر اللام، وَزَلَقْتُهُ بفتحها، مثل: حَزِنَ وحَزَنْتُهُ، / وشَتِرَتِ العَيْنُ [بكسر التاء][2]، وشَتَـرْتُها. [٥/ ٢٢٨]

وفي مصحف ابن مسعود: (لَيُزْهِقُونَكَ) بالهاءِ.

وروى النَّخَعِيُّ أَن في قراءة ابن مسعود: (لينفدونك)[3].

وفي هذا المعنى الذي في نظرهم من الغيظ والعداوة قول الشاعر:

[الكامل] يَتَقَارَضونَ إِذَا الْتَقَوْا في مَجْلِسٍ نَظَراً يُزِيلُ مَواطِئ الأَقْـدامِ[4]

وذهب قوم من المفسرين ـ وذكره الفراءُ ـ إِلى أَن المعنى: يأَخذونك بالعين، وذكر أَن اللَّقْع بالعين كان في بني أسد، قال ابن الكلبي: كان رجل يتجوع ثلاثة أَيام ثم لا يتكلم على أَي شيءٍ إِلَّا أَصابه بالعين، فسأَله الكفار أَن يصيب النبي ﷺ فأَجابهم إِلى ذلك، لكن عصم الله تعالى نبيَّه ﷺ[5].

قال الزجاج: كانت العرب إِذا أَراد أَحدهم أَن يعتانَ أَحداً تجوَّع ثلاثة أَيامٍ[6].

وقال الحسن: دواءُ من أَصابته العين أَن يقرأَ هذه الآية[7].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٣).

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) وهما شاذتان، انظر الأولى في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٧٩)، والطبري (٢٣/ ٥٦٥)، عن النخعي عنه، ولم نعثر على من ذكر الثانية قراءة بل هي تفسير انظر الهداية (١٢/ ٧٦٥٦)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٥٦٥)، وفي المطبوع وأحمد٣: «ينفذونك»، وهي شاذة كذلك.

(٤) في نظر الأعداء بعضهم إلى بعض، وهو بلا نسبة في البيان والتبيين (١/ ٣٤)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١٠٩)، ومعاني القراءات للأزهري (٣/ ٨٥)، والحجة للقراء السبعة لأبي علي (٦/ ٣١٣)، والموازنة (ص: ٤١)، والمعاني الكبير في أبيات المعاني (٢/ ٨٤٥).

(٥) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٧٩)، وقول الكلبي في تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٣).

(٦) معاني القرآن للزجاج (٥/ ٢١٢).

(٧) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٤).

و﴿ٱلذِّكۡرَ﴾ في الآية: القرآنُ.

ثم قرر تعالى أَن هذا القرآن العزيز ذِكْرٌ للعالمين من الجِنَّة والإِنس، وَوَعْظٌ لهم، وحُجَّةٌ عليهم، فالحمد لله الذي أَنعم علينا به، وجعلنا من أَهله وحملته، لا ربَّ غيره.

سُورة الحاقة

بسم الله الرحمن الرحيم

تَفسير سُورة الحاقة

وهي مكية بإجماع، وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أَنه قال: خرجت يوماً بمكة متعرضاً لرسول الله ﷺ فوجدته قد سبقني إِلى المسجد الحرام، فجئت فوقفت وراءه، فافتتح سورة الحاقة، فلما سمعت سرْد القرآن قلت في نفسي: إِنه لشاعر كما تقول قريش، حتى بلغ إِلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤٣]، ثم مرَّ حتى انتهى إِلى آخر السورة، فأَدخل الله تعالى في قلبي الإِسلام[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾.

﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ اسم فاعل من: حقَّ الشيءُ يَحِقُّ: إِذا كان صحيح الوجود، ومنه: ﴿حَقَّتْ

---

(١) منقطع، أخرجه أحمد (١/ ٢٦٢) من طريق شريح بن عبيد الحضرمي، عن عمر فذكره. وشريح بن عبيد لم يدرك عمر.

كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ [الزمر: ٧١]، والمراد به البعثُ والقيامة، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة[١].

وسُمِّيت القيامة حاقة؛ لأَنها حقَّقت لكل عامل عمله.

وقال بعض المفسرين: ﴿ٱلْحَاقَّةُ﴾ مصدر كالعاقبة والعافية، فكأَنه قال: ذات الحق.

وقال ابن عباس وغيره: سُمِّيت القيامة حاقة لأَنها تبدي حقائق الأَشياءِ[٢].

واللفظة رفع بالابتداءِ، و﴿مَا﴾ رفع بالابتداءِ أَيضاً، و﴿ٱلْحَاقَّةُ﴾ الثانية خبر ﴿مَا﴾، والجملة خبر الأُولى، وهذا كما تقول: زيدٌ ما زيدٌ، على معنى التعظيم له والإِبْهام في التعظيم أَيضاً ليتخيَّل السامع أَقصى جهده.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾ مبالغةٌ في هذا المعنى؛ أَي: أَن فيها ما لم تَدْره من أَهوالها وتفصيل صفاتها، و﴿مَا﴾ تقرير وتوقيف[٣].

وقوله تعالى: ﴿مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾ ابتداءٌ وخبر في موضع نصب بـ﴿أَدْرَىٰكَ﴾، و﴿مَا﴾ الأُولى ابتداءٌ، وخبرها ﴿أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾، وفي ﴿أَدْرَىٰكَ﴾ ضمير عائد على ﴿مَا﴾، هو ضمير الفاعل.

ثم ذكر تعالى تكذيب ثمود وعاد بهذا الأَمر الذي هو حق، مشيراً إِلى أَن مَن كذَّب بذلك ينزل به مثل ما نزل بأُولئك.

و(القارعة): من أسماءِ[٤] القيامة أَيضاً لأَنها تقرع القلوب بصفاتها.

و﴿ثَمُودُ﴾ اسم عربيٌّ معرفة، فإِذا أُريد به القبيلة لم ينصرف، وإِذا أُريد به الحيُّ انصرف.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٦٦)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٢٥٥) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: من أسماء يوم القيامة، عظمه الله وحذره عباده، وانظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٥٧٠). وفي نجيبويه والحمزوية والمطبوع: «ابن عباس وغيره». و«مجاهد» من الأسدية **٣**.

(٢) لم أقف على هذا المعنى.

(٣) في الأصل: «توبيخ».

(٤) في المطبوع: «السماء».

وأَما ﴿عَادٌ﴾ فكونه على ثلاثة أَحرف ساكن الأَوسط دفع في صدر كل علة فهو مصروف.

و(الطَّاغِيَـةُ)، قال قتادة: معناه: الصيحة التي خرجت عن حَدِّ كل صيحة.

وقال قوم: المرادُ: بسبب الفئة الطاغية.

وقال آخرون منهم مجاهد، وابن زيد: المعنى: بسبب الفعْلة الطاغية التي فعلوها[١].

وقال ابن زيد ما معناه: (الطَّاغية) مصدر كالعاقبة، فكأَنه تعالى قال: بطغيانهم، وقاله أَبو عبيدة[٢]، ويُقوِّي هذا قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ [الشمس: ١٠].

وأَولى الأَقوال وأَصوبها الأَول؛ لأَنه مناسب لما ذكر في عاد، إِذ ذكر فيه الوجه الذي وقع به الهلاك، وعلى سائر الأَقوال لا يتناسب الأَمران؛ لأَن طغيان ثمود سبب، والريح لا تناسب ذلك لأَنها ليست بسبب الإِهلاك بل هي آلة[٣] كما هي الصيحة.

و«الصَّرْصَرُ»: يحتمل أَن يكون من الصرِّ أَي: البرد، وهذا قول قتادة[٤].

ويحتمل أَن يكون من صَرَّ الشيءُ: إِذا صوَّت.

قال قوم: وصوت الريح صرير، كأَنه يحكي هذين الحرفين.

و«العاتِيَةُ» معناه: الشديدة المخالفة، وكانت الريح عَتَتْ على الخُزَّان بخلافها، وعَتَتْ على قوم عاد بشدتها.

وروي عن علي بن أَبي طالب، وابن عباس أَنهما قالا: إِنه لم تنزل من السماءِ قطرة ماءٍ قط إِلا بمكيال على يد مَلَك، ولا هبت ريح قط إِلَّا كذلك، إِلَّا ما كان من طوفان

---

(١) انظر الأقوال في تفسير الطبري (٢٣/ ٥٧١)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٦)، وتفسير الماوردي (٦/ ٧٦)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٦١).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٧١)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٦١).

(٣) في المطبوع والأسدية ٤: «آلته»، و«هي» من نجيبويه.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٧٢).

نوح عليه السلام وريح عاد، فإِن الله تعالى أَذن لهما في الخروج دون إِذن الخُزَّان[١].

و«التَّسْخيرُ»: استعمال الشيءِ باقتدار عليه.

وروي: أَن الريح بدأَت بهم صبح يوم الأَربعاءِ لثَمَان بقين لشوال، وتمادت بهم إِلى آخر يوم الأَربعاءِ تكملة الشهر.

و﴿حُسُومًا﴾ قال ابن عباس[٢]، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وأَبو عبيدة: معناه: كاملة تباعاً لم يتخللها غير ذلك[٣]، وهذا كما تقول العرب: ما لقيته حَوْلًا مُجَرَّماً، قال الشاعر:

[الطويل] عَوازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مُقَامَـةٍ وَلَمْ تَـرَ نَـاراً تِـمَّ حَوْلٍ مُجَـرَّمِ[٤]

وقال الخليل: أَيْ: شُؤماً ونحساً[٥].

---

(١) إسناده لين، وروي مرفوعاً ولا يصح، أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٧٢) من طريق مهران بن أبي عمر الرازي، عن سفيان الثوري، عن موسى بن المسيب، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس رضي الله عنه به موقوفاً، وقد اختلف على سفيان، فرواه عنه جماعة، عن موسى بن المسيب، عن شهر ابن حوشب، عن ابن عباس موقوفاً، وخالفهم موسى بن أعين فرواه عن سفيان به مرفوعاً، وقد أخرج هذه الرواية أبو الشيخ في العظمة (٧٣٢-٨٠٦)، والدارقطني في الغرائب والأفراد كما في الأطراف (٣/ ١٩٢) وقال: غريب من حديث الثوري، عن موسى بن المسيب، تفرد به موسى بن أعين عنه، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٦٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٢/ ٢٦١)، قال أبو نعيم: رواه الفريابي والناس موقوفاً على سفيان وتفرد برفعه موسى بن أعين عن سفيان، أما أثر علي بن أبي طالب فهو منقطع فقد أخرجه الطبري (٢٣/ ٢١٠) من طريق أبي سنان سعيد بن سنان، عن غير واحد، عن علي بن أبي طالب فذكره.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٧٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: تباعاً.

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٧١)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٥٧٣)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٦٥)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٧).

(٤) البيت لطُفَيْل الغَنَوي، وقيل لابن مقبل، كما تقدم في تفسير (سورة يونس) الآية (١٢٨)، وتِمُّ الحول: تمامه وكماله، والمُجَرَّم: المكمل.

(٥) العين (٣/ ١٥٣).

وقال ابن زيد: ﴿حُسُومًا﴾: جمع حاسم/ كجالسٍ وقاعد، ومعناه: أَن تلك الأَيام [٥/ ٢٢٩]
قطَّعتهم بالإِهلاك[١]، ومنه: حسم العِلَل، ومنه: الحسام.

والضمير في قوله: ﴿فِيهَا صَرْعَىٰ﴾ يحتمل أَن يعود على الليالي والأَيام[٢].

ويحتمل أَن يعود على دارهم وحِلَّتِهم؛ لأَن معنى الكلام يقتضيها وإِن لم يُلفظ بها.

قال الثعلبي: وقيل: يعود على الريح[٣].

وقد تقدم القول في التشبيه بأَعجاز النخل في سورة (اقْتَربت السَّاعة).

و«الْخاويةُ»: السَّاقطة التي قد خلت أَعجازها بلًى وفساداً.

ثم وقف تعالى على أَمرهم توقيف اعتبار ووعظ[٤] بقوله: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾.

واختلف المتأَولون في ﴿بَاقِيَةٍ﴾:

فقال قوم منهم ابن الأَنباري: هي هنا مبالغة؛ كَعلَّامة ونسَّابةٍ، والمعنى: من باقٍ.

وقال ابن الأَنباري أَيضاً: معناه: من فئة باقية[٥].

وقال آخرون: ﴿بَاقِيَةٍ﴾ مصدر، فالمعنى: من بقاءٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٧٤)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٦٥)، وتفسير الماوردي (٦/ ٧٨).

(٢) الاحتمال الأول سقط من الأصل.

(٣) لم أقف عليه ولفظه في تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٧): ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا﴾؛ أي: في تلك الليالي والأيام.

(٤) «ووعظ» ليست في المطبوع.

(٥) انظر القولين في البحر المحيط (١٠/ ٢٥٥).

قرأَ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، وأَبو جعفر، وشيبة، وأَبو عبد الرحمن، والناس: ﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ بفتح القاف وسكون الباءِ؛ أَي: الأُمم الكافرة التي كانت قبله، ويؤيد ذلك ذكره بعد قصة نوح في طغيان الماءِ؛ لأَن قوله: ﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ قد تَضَمَّنهم، فَحَسُن اقتضاب أَمرهم بعد ذلك دون تصريح.

وقرأَ أَبو عمرو والكسائي، وعاصم في رواية أَبان، والحسن بخلاف عنه، وأَبو رجاءٍ، والجحدريُّ، وطلحة: ﴿وَمَنْ قِبَلَهُ﴾ بكسر القاف وفتح الباءِ[١]؛ أَي: أَجْناده وأَهل طاعته.

ويؤيد ذلك أَن في مصحف أُبيٍّ بن كعب: (وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ مَعَهُ).

وفي حرف أَبي موسى الأَشعري: (وَمَنْ تِلْقَاءَهُ)[٢].

وقرأَ طلحة بن مصرف: (وَمَنْ حَوْلَهُ)[٣].

وقِبَلُ الإِنسان: ما يليه في المكان، وكثر استعمالها حتى صارت بمنزلة: عندي، وفي ذِمَّتي، وما يَليني؛ بأَيِّ وجه وَلِيَني.

و(المؤْتفكات): قرى قوم لوط عليه السلام، وكانت أَربعاً فيما رُوي، وائْتُفِكتْ: قُلِبت وصرف عاليها سافلها فائْتَفكَتْ هي، فهي مُؤْتَفِكَة.

وقرأَ الحسن هنا: (والمُؤْتَفِكَةُ) على الإِفراد[٤].

و(الْخَاطِئَة) إِمَّا أَن يكون صفةً لمحذوف، كأَنه قال: بالفِعْلَة الخاطئة، وإِما أَن يريد المصدر؛ أَي: بالخطأِ في كفرهم وعصيانهم.

وقوله تعالى: ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ يحتمل أَن يكون «الرسول» اسم جنس، كأَنه قال: فعصى هؤلاءِ الأَقوام والفِرق أَنبياءَ الله تعالى الذين أَرسلهم إِليهم.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٣)، ورواية أبان في السبعة (ص: ٦٤٨)،

(٢) وهما شاذتان، انظرهما في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٨٠).

(٣) وهي شاذة، لم نجد له فيها سلفاً ولا خلفاً.

(٤) وهي شاذة، انظرها في تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٧).

ويحتمل أَن يكون «الرسول» بمعنى الرسالة.

وقال الكلبي: يعني موسى عليه السلام[(١)].

وقال غيره ـ في كتاب الثعلبي ـ: يعني لوطاً عليه السلام.

و«الرابية»: النامية التي قد عظمت جداً، ومنه: الربا، وَرَبَا المال، ومنه ﴿ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: ٥][(٢)].

ثم عدد تعالى على الناس نعمته في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ والمراد: طغى الماءُ في وقت الطوفان الذي كان على قوم نوح عليه السلام.

و«الطغيان»: الزيادة على الحدود المتعارفة في الأَشياءِ، ومعناه: طغى على خُزَّانه في خروجه، وعلى البشر في أَن أَغرقهم.

قال قتادة: عَلَا على كل شيءٍ خمسة عشر ذراعاً[(٣)].

و﴿ٱلْجَارِيَةِ﴾: السفينة.

والضمير في قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ عائد على الفعلة؛ أَي: مَن تذكَّرها ازدجر.

ويحتمل أَن يعود على ﴿ٱلْجَارِيَةِ﴾، أَي: مَنْ سمعها اعتبر.

و﴿ٱلْجَارِيَةِ﴾ يراد بها سفينة نوح عليه السلام، قاله مُنذر[(٤)].

وقال المهدوي: المعنى: في السُّفن الجارية[(٥)].

وقال قتادة: أَبقى الله تعالى تلك السفينة حتى رأَى بعضَ عيدانها أَوائل هذه الأُمَّة،

---

(١) انظر قول الكلبي في تفسير القرطبي (١٨/ ٢٦٢)، وأما نقل الثعلبي فلم نجده في تفسيره.

(٢) تكررت في (فصلت: ٢٩).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٧٧)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٧٠)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٧-٢٨)، وتفسير الماوردي (٦/ ٧٩).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) التحصيل للمهدوي (٦/ ٤٦٥).

وغيرُها من السفائن التي صنعت بعدها قد صارت رموداً[١].

وقوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ عبارة عن الرجل الفَهِم المنور القلب الذي يسمع القول فيتلقاه بفَهْم وتدبُّر.

قال أَبو عمران الجوني: ﴿وَٰعِيَةٌ﴾: عَقَلت عن الله عزَّ وجلَّ[٢].

ويروى: أَن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أَبي طالب رضي الله عنه: «إِني دعوت الله أَن يجعلها أُذنك يا علي»، قال عليٌّ رضي الله عنه: فما سمعتُ بعد ذلك شيئاً فنسيته[٣].

وقرأَ الجمهور: ﴿تَعِيَهَا﴾ بكسر العين على وزن: تَلِيَهَا.

وقرأَ ابن كثير في رواية الحلواني وقنبل، وابن مصرف: (وَتَعْيَهَا) بسكون العين[٤]، جعل التاءَ[٥] التي هي علامة في المضارع بمنزلة الكاف من: كَتِف؛ إِذْ حرف المضارعة لا يفارق الفعل فَـيُسكَّن تخفيفاً، كما يقال: كَتْف، ونحو هذا قول الشاعر:

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٧٨)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٧٠).

(٢) الهداية لمكي (١٢/ ٧٦٧٢).

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٧٩)، وابن أبي حاتم (١٨٩٦١)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ٨٨) من طريق الوليد بن مسلم، عن علي بن حوشب قال سمعت مكحولاً يقول: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ به، وهذا إسناد مرسل، وقد وقع عند ابن أبي حاتم: زيد بن يحيى بين الوليد ابن مسلم، وعلي بن حوشب، وأخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٢٨) من طريق أبي حمزة الثمالي، عن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي فذكره مرسلاً، وفيه ثابت بن أبي صفية دينار أبو حمزة الثمالي وهو ضعيف، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٤٩) من طريق عثمان بن الخطاب بن عبد الله أبي عمرو البلوي الأشج المعروف بابن أبي الدنيا، عن علي مرفوعاً بنحوه، وعثمان بن الخطاب هذا قال فيه الخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ٢٩٧): والعلماء من أهل النقل لا يثبتون قوله ولا يحتجون بحديثه، وقد أورده الشوكاني في الفوائد المجموعة (١/ ٣١٦) فيما يذكره الرافضة في تفاسيرهم من الأكاذيب.

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لابن كثير في السبعة (ص: ٦٤٨)، وجامع البيان (٤/ ١٦٥٢)، ولطلحة في الشواذ للكرماني (ص: ٤٨٣).

(٥) وفي المطبوع: «الياء».

قَالَتْ سُلَيْمَى اشْتَـرْ لَـنَا سَوِيقاً[١] .... [الرجز]

على أَن هذا البيت منفصل، فهو أَبعد، لكن ضرورة الشعر تسامح به.

ثم ذكَّر تعالى بأَمر القيامة.

و﴿ٱلصُّورِ﴾: القرنُ الذي يُنفخ فيه.

قال سليمان بن أَرقم: بلغني أَن رسول الله ﷺ سُئل عن الصور فقال: «هو قرن من نور، فمه أَوسع من السماوات»[٢].

والنفخة المشار إِليها في هذه الآية: نفخة القيامة التي للفزع، ومعها يكون الصعق ثم نفخة البعث، وقيل: هي نفخات ثلاث: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ثم نفخة البعث، والإِشارة بآيتنا هذه إِلى نفخة الفزع؛ لأَن حمل الجبال هو بعدها.

وقرأَ الجمهور: ﴿نَفۡخَةٞ﴾ بالرفع، لمَّا نعت صح رفعه.

وقرأَ أَبو السَّمال: (نفخةً واحدةً) بالنصب[٣].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿وَحُمِلَتِ﴾ بتخفيف الميم، بمعنى: حملتها الرياح والقدرة.

وقرأَ ابن عامر فيما روي عنه: (وَحُمِّلَت) بشدِّ الميم[٤]، وذلك يحتمل معنيين:

أَحدهما: أَنها حاملةٌ حَمَلَتْ قدرةً لله تعالى وعُنفاً وشدة تُفَتِّتها، فهي مُحَمَّلة حاملة.

والآخر: أَن تكون محمولة حَمَلَتْها ملائكةٌ أَو قدرةٌ.

وقوله تعالى: ﴿فَدُكَّتَا﴾؛ وقد ذكر جمعاً؛ ساغ ذلك لأَن المذكور فرقتان، وهذا كما قال الشاعر:

---

(١) تقدم في تفسير الآية (٤٥) من (سورة البقرة).
(٢) لم أهتد إليه.
(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في تفسير القرطبي (١٨/ ٢٦٤)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٨٣).
(٤) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٢٨).

[الوافر] أَلَـمْ يَحْزُنْـكِ أَن حِبـالَ قَوْمـي وَقَوْمِـكِ قَـدْ تَبايَنَتَـا انْقِطاعـاً[١]

ومنه قوله تعالى: ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ [الأنبياء: ٣٠].

[٥/ ٢٣٠] و(دُكَّتَا) معناه: سُوِّي جميعها، / كما يقال: ناقة دكاءُ: إِذا ضعفت فاستوت حدبتها مع ظهرها.

و﴿ٱلْوَاقِعَةُ﴾: القيامة والطَّامَّة الكبرى.

وقال بعض الناس: هي إِشارة إِلى صخرة بيت المقدس، وهذا ضعيف.

و«انشقاق السماءِ»: هو تفطُّرها وَتَمَيُّزُ بعضها من بعض، وذلك هو الوهاء[٢] الذي ينالها، كما يقال في الجُدَرات البالية المتشقِّقة: واهية.

و(الْمَلَكُ) اسم جنس يريد به الملائكة.

وقال جمهور المفسرين: الضمير في ﴿أَرْجَآئِهَا﴾ عائد على السماءِ، أَي الملائكةُ على نواحيها [وما لَم يَهِ منها][٣].

والرَّجا: الجانب من الحائط والبئر ونحوه، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] كَأَنْ لَـمْ تَـرَي قَبْلي أَسـيراً مُقَيَّداً وَلَا رَجُلاً يُرْمَى بِهِ الرَّجَوَانِ[٤]

أَي: يُلْقى في بئر فلا أَجد ما أَتمسَّك به.

وقال الضحاك أَيضاً[٥] وابن جبير: الضمير في ﴿أَرْجَآئِهَا﴾ عائد على الأَرض وإِن

---

(١) البيت للقطَاميِّ عُمَيْر بن شُيَيْم التغلبي، وقد تقدم في تفسير الآية (١٥) من (سورة فصلت).

(٢) في المطبوع: «الوهن».

(٣) سقط من الحمزوية، وفي المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية: «وما لمَّ به منها».

(٤) البيت لعطارد بن قران أحد بني صدي بن مالك كما في معجم الشعراء (ص: ٣٠٠)، والحماسة البصرية (١/ ١٠٦)، وفي الأغاني (١٢/ ٢٠١) أنه رجل من لصوص بني تميم يعرف بأبي النشناش، وذكر خبره، ونسبه في الصحاح (٦/ ٢٣٥٣) للمراديّ، غير مسمى، ونسبه الزمخشري في المستقصى في أمثال العرب (٢/ ٢٧٠) لطهْمَان الْأَعْوَر. وفي الأصل: «يرعى به».

(٥) في حاشية المطبوع: زيادة في الأصول لا حاجة إليها.

كان لم يتقدم لها ذكر قريب؛ لأَن القصة واللفظة تقتضيان إِفهام ذلك[١]، وفسَّرا هذه الآية بما روي أَن الله تعالى يأَمر ملائكة السماءِ الدنيا فيقفون صفّاً على حافات الأَرض، ثم يأْمر ملائكة السماءِ الثانية فيصفون خلفهم، ثم كذلك ملائكة كل سماءٍ، فكلما فر[٢] أَحد من الجن والإِنْس وجد الأَرض قد أُحيط بها، قالوا: فهذا تفسير هذه الآية، وهو أَيضاً معنى قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وهو أَيضاً تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۞ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ [غافر: ٣٢-٣٣][٣] على قراءة من شدَّ الدال، وهو تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ﴾ [الرحمن: ٣٣].

واختلف الناس في الثمانية الحاملين للعرش:

فقال ابن عباس: هي ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم أَحد عِدَّتهم[٤].

وقال ابن زيد: هم ثمانية أَملاك على هيئة الوُعُول[٥].

وقال جماعة من المفسرين: هم على هيئة الناس، أَرجُلهم تحت الأَرض السابعة ورؤُوسهم وكواهلهم فوق السماءِ السابعة[٦].

وروي عن النبي ﷺ أَنه قال: «هُمُ اليوم أَربعة، فإِذا كان يوم القيامة قواهم الله تعالى بأَربعة سواهم»[٧].

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٨١-٥٨٢)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٧٣-٧٦٧٤).

(٢) في الحمزوية وأحمد٣: «ند»، وفي نجيبويه والمطبوع: «بدا».

(٣) وقد تقدم التنبيه على قراءة (التنادّ) بالتشديد وأنها شاذة.

(٤) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٨٢-٥٨٣)، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في العرش (٣٣) من طريق الحكم بن ظهير، عن السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس رضي الله عنه به. والحكم بن ظهير الفزاري متروك الحديث.

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٨٣)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٧٥).

(٦) «السابعة» ليس في المطبوع والأصل.

(٧) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٨٤) عن محمد بن حميد الرازي، عن سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، مرسلاً.

والضمير في قوله تعالى: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ قيل: هو للملائكة الحَمَلة، وقيل: للعالم كله، وكل قدرة كيفما تصورت فإنما هي بحول الله تعالى وقوته.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾.

الخطاب بقوله تعالى: ﴿تُعْرَضُونَ﴾ لجميع العالم، وروي عن أَبي موسى الأَشعري، وابن مسعود: أَن في القيامة عَرْضتين، فيهما معاذير، وتوقيف، وخصومات، وجدال، ثم تكون عرضةٌ ثالثة تتطاير فيها الصحف بالأَيْمان والشمائل(١).

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿لا يَخْفَى﴾ بالياءِ، وهي قراءَة علي بن أَبي طالب رضي الله عنه، وابن وثَّاب، وطلحة، والأَعمش، وعيسى.

وقرأ الباقون بالتَّاءِ على مراعاة تأنيث ﴿خَافِيَةٌ﴾، وهي قراءة الجمهور(٢).

---

(١) أثر أبي موسى الأشعري اختلف فيه رفعاً ووقفاً، والوقف أصح، وهو مع ذلك منقطع، أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢/ ١١٧) والطبري (٢٣/ ٥٨٤) واللالكائي في شرح السنة (٦/ ١١٨٢-١١٨٣) من طريق علي بن علي بن رفاعة، عن الحسن البصري، عن أبي موسى الأشعري موقوفاً، وهذا إسناد منقطع؛ من أجل عدم سماع الحسن من أبي موسى، وأخرجه وكيع في «الزهد» (٣٥٩) عن علي بن رفاعة، ومن طريقه أحمد (٤/ ٤١٤)، والبزار (٣٠٧٣)، وابن ماجه (٤٢٧٧) مرفوعاً والرواية الموقوفه أشبه بالصواب كما قاله الدارقطني في العلل (٧/ ٢٥١)، وأخرجه الترمذي (٢٤٢٥) من طريق وكيع، عن علي بن علي، عن الحسن، عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه، وقال: لا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة، وقد رواه بعضهم عن علي الرفاعي عن الحسن عن أبي موسى عن النبي ﷺ. قال أبو عيسى: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى، أما أثر عبد الله بن مسعود فإسناده مستقيم، فقد أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٣٠) من طريق سليم بن حيان، عن مروان الأصفر، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود به من قوله.

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٤٨)، والتيسير (ص: ٢١٣).

وقوله تعالى: ﴿خَافِيَةٌ﴾ معناه: ضمير ولا مُعتقد.

والَّذين يُعطون كُتُبهم بأَيْمانهم: هم المُخلَّدُونَ في الجنة أَهل الإِيمان.

واختلف العلماء في الفرقة التي ينفذ عليها الوعيد من أَهل المعاصي، متى تأَخذ كُتُبها؟

فقال بعضهم: الأَظهر أَنها تأْخذها مع الناس، وذلك يؤنسها مدة العذاب، قال الحسن: فإِذا أُعطي كتابه بيمينه لم يقرأْه حتى يأْذن الله له، فإِذا أَذن له قال: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾.

وقال آخرون: الأَظهر أَنه إِذا أُخرجوا من النار، والإِيمانُ يؤنسهم وقت العذاب[١].

وهذا ظاهر هذه الآية؛ لأَن من يسير إِلى النار كيف يقول هاؤم اقرؤوا كِتابيه؟

وأَما ﴿هَآؤُمُ﴾ فقال قوم: أَصله: ها أُمُّوا، ثمَّ نقله التخفيف والاستعمال.

وقال آخرون: هذه الميم ضمير الجماعة، وفي هذا كله نظر، والمعنى على كل وجه[٢]: تعالوا، فهو استدعاءٌ للفعل المأْمور به.

وقوله: ﴿ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ هو استبشارٌ وسرور.

وقوله: ﴿ظَنَنتُ﴾ الآية؛ عبارة عن إِيمانه بالبعث وغيره، قال قتادة: ظنَّ هذا ظنّاً يقيناً فنفعه، وقومٌ ظَنُّوا ظنَّ شك فشقوا به[٣]، و﴿ظَنَنتُ﴾ هنا واقعة موقع: تيَقَّنْتُ، وهي في مُتيَقَّن لم يقع بعد ولا خرج إِلى الحسِّ، وهذا هو باب الظَّن الذي يقع موقع اليقين.

وقرأَ بعض القراءِ: ﴿كِتَٰبِيَهۡ﴾ و﴿حِسَابِيَهۡ﴾ و﴿مَالِيَهۡ﴾ و﴿سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ بالهاءِ في الوصل والوقف اقتداءً بخط المصحف، وهي في الوصل بِنيَّة الوقف لأَنها هاءُ السَّكْت فلا معنى لها في الوصل.

---

(١) ما ذكره المؤلف عن الحسن لم أقف عليه، وانظر القولين الآخرين في لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٣).

(٢) «وجه» ليست في الأصل.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٨٥).

وَطَرَحَ الهاءَات في الوصل لا في الوقف: الأَعمشُ وابن أَبِي إِسحاق، قال أَبو حاتم: قراءتنا إِثبات الهاءات في الوقف وطرحها في الوصل، وبذلك قرأَ ابن أَبي محيصن، وسلام.

قال الزهراوي: في إِثبات الهاءِ في الوصل لَحْنٌ لا يجوز عند أَحد عَلِمْتهُ(١).

و﴿رَّاضِيَةٍ﴾ معناه: ذات رضى، فهو بمعنى مرضية، وليست بناءَ اسم فاعل.

و﴿عَالِيَةٍ﴾ معناه: في المكان والقدر وجميع وجوه العُلُوِّ.

و«القُطوف» جمع قطف، وهو ما يُجتنى من الثمار ويقطف، ودُنُـوُّها: هو أَنها تأتي طوع المتمني فيأكلها القائم والقاعد والمضطجع بفيه من شجرتها.

و﴿أَسْلَفْتُمْ﴾ معناه: قدَّمتم.

و﴿ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾: هي أَيام الدنيا لأَنها في الآخرة قد خلت وذهبت.

وقال وكيع، وابن جبير، وعبد العزيز بن رفيع(٢): المراد: بما أَسلفتم من الصوم(٣).

وعُمُومُها في كل الأَعمال أَولى وأَحسن.

والذين يُؤْتون كُتُبهم بِشَمَائِلهم: هم المُخَلَّدُونَ في النار أَهل الكفر، فيتمنَّوْن أَن لو كانوا معدومين لا يجري عليهم شيءٌ.

[٥/ ٢٣١] وقوله تعالى / : ﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾ إِشارة إِلى مَوْتة الدنيا؛ أَي: ليتها لم يكن بعدها رجوع ولا حياة.

---

(١) هي سبعية لحمزة في ﴿ماليه﴾ و﴿سلطانيه﴾ كما في التيسير (ص: ٢١٤)، وعشرية ليعقوب في النشر (٢/ ١٤٢) في ﴿كتابيه﴾ و﴿حسابيه﴾، وانظر ما قاله أبو حاتم في البحر المحيط (١٠/ ٢٦٠)، ورد على الزهراوي بقوله: بل ذلك منقول نقل التواتر فوجب قبوله.

(٢) هو عبد العزيز بن رفيع أبو عبد الله الأسدي الطائفي، نزيل الكوفة، روى عن ابن عباس وابن عمر وأنس، وعنه شعبة والثوري وأبو الأحوص وشريك، وكان أحد الثقات المسندين، توفي سنة ١٣٠هـ، تاريخ الإسلام (٨/ ١٦٥).

(٣) انظر: البحر المحيط (١٠/ ٢٦١)، ونقله في تفسير الطبري (٢٣/ ٥٨٧) عن ابن زيد وقتادة.

وقوله: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ﴾ يحتمل أَن يريد الاستفهام على معنى التقرير لنفسه والتوبيخ، ويحتمل أَن يريد النفي المحض.

و«السُّلْطَانُ» في الآية: الحُجَّةُ، على قول عكرمة ومجاهد.

وقال بعضهم ونحا إِليه ابن زيد: تنطق بذلك ملوك الدنيا الكفرة[1].

قال القاضي أَبو محمد: والظاهر عندي: أَن سلطان كل أَحد هو حاله في الدنيا من عَدَد وعُدَدٍ، ومنه قول النبي ﷺ: «لا يُؤَمَّنَّ الرجل في سلطانه، ولا يُجلس على تَـكرمته إِلا بإِذنه»[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾﴾.

المعنى: يقول الله تعالى، أَو الملك ـ بِأَمْرِهِ ـ للزبانية: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾؛ أَي: اجعلوا في عنقه غلاًّ.

قال ابن جريج: نزلت في أَبي جهل[3].

و﴿ذَرۡعُهَا﴾ معناه: مبلغ كَيْلها، وقد جعل الله تعالى السبع مئة، والسبعين، والسبعة، مواقف ونهايات لأَشياءَ عظام، فلذلك مشى البشر العرب وغيرهم على أَن يجعلوها نهايات، وهذه السلسلة من الأَشياءِ التي جعل الله تعالى فيها السبعين نهاية.

وقرأَ السدي: (ذَرْعُهَا سَبْعينَ) بالياءِ[4]، وهذا على حذف خبر الابتداءِ.

(١) انظر القول الأول في تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٠)، والثاني في تفسير الطبري (٢٣/ ٥٨٨).
(٢) أخرجه مسلم (٦٧٣) وغيره من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.
(٣) تفسير الثعالبي (٥/ ٤٧٨).
(٤) وهي شاذة، لم أجد له فيها سلفاً ولا خلفاً.

واختلف الناس في قدر هذا الذراع:

فقال ابن عباس، ومحمد بن المنكدر، وابن جريج: هو بذراع الملك[(١)].

وقال نوف البكالي وغيره: في الذراع سبعون باعاً، في كل باع كما بين الكوفة ومكة[(٢)].

وهذا يحتاج إلى سند.

وقال حذاقٌ من المفسرين: هي بالذراع المعروفة منا، وإنما خوطبنا بما نعرفه ونحصِّله.

وقال الحسن: الله أَعلم بأَيِّ ذراع هي[(٣)].

وقال سويد بن نجيح[(٤)] ـ في كتاب الثعلبي ـ: بلغني أَن جميع أَهل النار في تلك السلسلة[(٥)].

وقال ابن عباس: لو وُضع منها حلقة على جبل لذاب كالرصاص[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾ معناه: فأَدْخِلوه.

ومنه قول أَبي وَجْزة السعديِّ يصف حمر وحش:

[البسيط] حتَّى سَلَكْنَ الشَّوَى منْهُنَّ في مَسَك مِنْ نَسْلِ جَوَّابَةِ الآفاقِ مِهداج[(٧)]

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٨٩)، والبيهقي في البعث (٥٩٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٨٩)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٣١)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٨٤).

(٣) تفسير القرطبي (١٨/ ٢٧٢).

(٤) هو سويد بن نجيح أبو قطبة، روى عن الشعبي وعكرمة، وعنه ابن المبارك ووكيع، وثقه ابن معين، تاريخ الإسلام (٩/ ١٦٩).

(٥) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣١)، و«بلغني» ليست في الأصل.

(٦) لم أقف عليه مسنداً.

(٧) تقدم في تفسير الآية (١٤) من (سورة الحجر).

ورُوي: أَن هذه السلسلة تدخل في فم الكافر وتخرج من دبره، فهي في الحقيقة التي تُسلك فيه، لكن الكلام جرى مجرى قولهم: أَدخلتُ القَلَنْسُوَةَ في رأَسي، وفمي في الحجر.

ورُوي: أَن هذه السلسلة تُلوى حول الكافر حتى تغمَّه وتضغطه[١].

فالكلام ـ على هذا ـ على وجهه، وهو المسلوك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ المراد به: على إِطعام طعام المسكين، وإِضافة الطعام إِلى المسكين من حيث له إِليه نسبةٌ مَّا، وخُصَّت هذه الخَلَّة من خلال الكافر بالذكر؛ لأَنها من أَضَرِّ الخلال في البشر، إِذا كثرت في قوم هلك مساكينهم.

واختلف المتأَولون في قوله تعالى: ﴿حَمِيمٌ﴾:

فقال جمهور المفسرين: هو الصديق اللطيف المودة، فنفى الله تعالى أَن يكون للكافر هنالك من يواليه، ونفى أَن يكون له طعام إِلَّا من غِسْلين.

وقال محمد بن المستنير: الحميمُ: الماءُ الحارُّ[٢]، فكأَنه تعالى أَخبر أَن الكافر ليس له ماءٌ ولا شيءٌ مائع ولا طعامٌ إِلَّا من غسلين، وهو فيما قال اللغويون ما يجري من الجراح إِذا غُسلت.

قال ابن عباس: هو صديد أَهل النار[٣].

وقال قتادة وابن زيد: الغِسْلين والزَّقوم أَخبث شيءٍ وأَبْشَعُه[٤].

---

(١) أخرج بعض هذه الروايات الطبري (٢٣/ ٥٨٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قوله: ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ قال: بذراع الملك فاسلكوه، قال: تسلك في دُبره حتى تخرج من منخريه، حتى لا يقوم على رجليه، وانظر: الدر المنثور (١٤/ ٦٨٠).

(٢) الهداية لمكي (١٢/ ٧٦٨٧).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٤٠)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٥٩١) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٩١)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٨٨).

وقال الضحاك، والربيع هو شجر يأكله أهل النار[١].

وقال بعض المفسرين: هو شيءٌ يجري من ضريع [أهل النار][٢] لأَن الله تعالى قد أَخبر أَنهم ليس لهم طعام إِلَّا من ضريع، وفي أُخرى إِلَّا مِن غِسْلين، فهما شيءٌ واحدٌ أَو اثنان متداخلان.

ويحتمل أَن يكون الإِخبار هنا عن طائفة وهناك عن طائفة، ويكون الغِسْلين والضريع متباينين على ما يفهم منهما في لسان العرب.

وخبر (لَيْسَ) في ﴿لَهُ﴾، وقال المهدوي: ولا يصح أَن يكون ﴿هَٰهُنَا﴾[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وقد يصح ذلك إِن شاء الله تعالى.

و(الخاطئُ): الذي يفعل ضد الصواب متعمداً لذلك، و(المخطئُ): الذي يفعله غير متعمد.

وقرأَ الحسن، والزهري: (الْخَاطِيُونَ) بالياءِ دون همز[٤].

وقرأَ طلحة، وأَبو جعفر، وشيبة، ونافع بخلاف عنه: ﴿الْخَاطُونَ﴾ بضم الطاءِ دون همز[٥].

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾، قال بعض النحاة: (لَا) زائدة، والمعنى: فأُقْسِم.

وقال آخرون مِنْهم: (لَا) ردٌّ لما تقدم من أَقوال الكفار، والبداية ﴿أُقۡسِمُ﴾.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (فَلأُقْسِمُ) لام القسم معها أَلف أُقْسِمُ[٦].

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٢).

(٢) من الحمزوية ونجيبويه، وفي نور العثمانية: «من ضريع النار».

(٣) التحصيل للمهدوي (٦/ ٤٧١).

(٤) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٢٨).

(٥) وهي عشرية لأبي جعفر كما في النشر (١/ ٣٩٧)، وانظر الرواية عن نافع في الدر المصون (١٠/ ٤٣٩).

(٦) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٤٠٩).

قوله تعالى: ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾؛ قال قتادة بن دِعامة: أَراد الله تعالى أَن يعُمَّ في هذا القسم جميع مخلوقاته[١]، وقال غيره: أَراد الأَجساد والأَرواح.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول حسن عام.

وقال ابن عطاءٍ: ما تُبصرون من آثار القدرة وما لا تُبصرون من أسرار القدرة[٢].

وقال قومٌ: أَراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ الملائكةَ.

و«الرَّسُولُ الكريم»: هو جبريل عليه السلام في تأَويل جماعة من العلماءِ، ومحمد ﷺ في قول آخرين، وأُضيف القول إِليه لأنه هو الذي تلاه وبلَّغه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)﴾.

نَفى تعالى أَن يكون القرآن قول شاعر كما زعمت قريش.

ونصب ﴿قَلِيلًا﴾ بفعل مضمر يدل عليه ﴿تُؤْمِنُونَ﴾.

و﴿مَا﴾ يحتمل أَن تكون نافية فينتفي إِيمانهم البتَّةَ.

ويحتمل أَن تكون/ مصدرية ويتصف بالقِلَّة إِمَّا الإِيمان وإِما العَدَد الذي يؤمنون، [٥/ ٢٣٢] فعلى اتصاف إِيمانهم بالقلة فهو الإِيمان اللغوي؛ لأَنهم قد صدَّقوا بأَشياءَ يسيرة لا تغني عنهم شيئاً؛ إِذْ كانوا يصدقون أَن الخير والصلة والعفاف الذي كان يأَمر به رسول الله ﷺ هو حق صواب، ثم نَفَى تعالى أَن يكون القرآن[٣] قول كاهن كما زعم بعضهم.

---

(١) تفسير البغوي (٥/ ١٤٩).

(٢) روح البيان (١٠/ ١٤٨)، ونقله في البحر المحيط (١٠/ ٢٦٤) عن عطاء.

(٣) «القرآن» من المطبوع.

وقرأ ابن كثير، وابن عامر، والحسن، والجحدري: ﴿قَلِيلاً مَا يُؤْمِنونَ﴾ و﴿قَلِيلاً ما يَذَّكَّرُونَ﴾ بالياءِ فيهما جميعاً، وروي ذلك عن أبي عمرو.

وقرأ الباقون بالتاءِ من فوق[1].

ورجَّح أَبو عمرو قراءة التاءِ من فوق بقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[2].

وفي مصحف أُبَيٍّ بن كعب: (مَا تَتَذَكَّرُونَ) بتاءين[3].

و﴿تَنزِيلٌ﴾ رُفع بالابتداءِ، أَي: هو تنزيلٌ.

ثم أَخبر تعالى أَن محمداً لو تقوَّلَ علينا شيئاً لعاقبه بما ذَكَر، والتقوُّل: أَن يقول الإِنسان عن آخر: إِنه قال شيئاً لم يقله.

وقرأ ذكوان وابنه محمد: (وَلَو يَقُولُ عَلَيْنَا) بالياءِ وضم القاف[4]، وهذه القراءَة مُعرِّضة بما صرحت به قراءةِ الجمهور، ويُبيِّن التعريض قوله تعالى: ﴿عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ اختلف في معناه:

فقال ابن عباس: ﴿بِالْيَمِينِ﴾: بالقُوَّة[5]، ومعناه: لَنِلْنا منه عقابه بقوة منا، أَو يكون المعنى: لنزعنا قوته.

وقال آخرون: هي عبارة عن الهوان، كما يقال لمن يُسْجَن[6] أَو يُقام لعقوبة: قد أُخذ بيده وبيمينه.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٤)، وذكر أبي عمرو زيادة من الأسدية٤، وهي رواية هارون كما في السبعة (ص: ٦٤٨).

(٢) انظر حجة القراءات (ص: ٧٢٠).

(٣) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (١٠/ ٢٦٥).

(٤) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٢٨).

(٥) ذكره الثعلبي (١٠/ ٣٢)، وأخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر كما في الدر المنثور (١٤/ ٦٨٤) عن ابن عباس قال: بقدرة.

(٦) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «لمن يُسَخَّر».

و﴿ٱلۡوَتِينَ﴾: نياط القلب، قاله ابن عباس(١).

وهو عِرْقٌ غليظ تصادفه شفرة الناحر، ومنه قول الشَّماخ:

إِذَا بَلَّغْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرابَةَ فاشْرَقي بِدَمِ الْوَتينِ(٢) [الوافر]

فمعنى الآية: لأذهبنا حياته معجَّلاً.

و«الحاجِزُ»: المانع، وجَمع ﴿حَٰجِزِينَ﴾ على معنى أَحد؛ لأَنه يقع على الجمع.

ونحوه قوله ﷺ: «لم تحلَّ الغنائم لأَحد سود الرؤوس قبلكم»(٣).

والضمير في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ﴾ عائد على القرآن، وقيل: على محمد ﷺ، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ وعيدٌ، وكونُه حسرة على الكافرين هو من حيث كفروا به ويَرَوْن من آمن به يُنَعَّم وهم يُعَذَّبون.

قوله تعالى: ﴿لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾، ذهب الكوفيون إلى أنها إضافة الشيءِ إلى نفسه؛ كـ: دار الآخرة، ومسجد الجامع، وذهب البصريون والحُذَّاق إلى أَن «الحق» مضاف إلى الأَبلغ من وجوهه، وقال المبرد: إنما هو كقولك: عين اليقين ومحض اليقين(٤).

---

(١) إسناده مستقيم، أخرجه وكيع في الزهد (٥٩)، والطبري (٢٣/ ٥٩٣)، وابن أبي حاتم (١٨٩٨١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠١) من طريق الثوري، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) عزاه له في مجاز القرآن (٢/ ٢٦٨)، وإيضاح الشواهد (١/ ٩١)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٥٩٤)، والمعاني الكبير (١/ ٢٧٦)، والكامل للمبرد (١/ ١٠٨)، والعقد الفريد (٦/ ١٨٨)، والأغاني (٩/ ١٩٦)، وحماسة الخالديين (ص: ٥٩)، والموشح (ص: ٧٩).

(٣) صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٢)، والترمذي (٣٠٨٥)، والنسائي في الكبرى (١١١٤٥)، وابن حبان في صحيحه (٤٨٠٦) من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤوس قبلكم كانت تنزل من السماء نار فتأكلها فلما كان يوم بدر وقع الناس في الغنائم فأنزل الله: ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾»، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٤) إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٣١).

ثم أَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بالتسبيح باسمه العظيم، وفي ضمن ذلك الاستمرار على رسالته، والمُضِيُّ لأَدائها وإِبلاغها.

وروي: أَن رسول الله ﷺ قال لما نزلت هذه الآية: «اجعلوها في ركوعكم»(١).

واستحبَّ التزامَ ذلك جماعةٌ من العلماءِ(٢).

وكره مالك لزوم ذلك لئلا يُعَدّ فرضاً واجباً(٣).

(١) إسناده ليس بذاك القوي، هذا الحديث أخرجه أحمد (٤/ ١٥٥)، والدارمي (١٣٠٥)، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، وابن خزيمة (٦٠٠-٦٠١-٦٧٠) من طريق موسى بن يعقوب الغافقي، عن عمه إياس بن عامر، عن عقبة بن عامر قال: لَمَّا نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾، قال لنا رسول الله ﷺ: «اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ»، فلمَّا نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، قال لنا رسول الله ﷺ: «اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ».

(٢) منهم أبو حنيفة كما في المبسوط للشيباني (١/ ٥)، والمبسوط للسرخسي (١/ ١٠٧)، والأوزاعي كما في الأوسط (٣/ ٣١٧)، والشافعي والجمهور كما في شرح النووي على مسلم (٤/ ١٩٧).

(٣) انظر كراهية مالك لالتزام التسبيح في الركوع؛ في المدونة (١/ ١٦٨).

سورة المعارج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾

وهي مكية، لا خلاف بين الرواة في ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ① لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ② مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ③ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ④ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ⑤ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ⑥ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ⑦ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ⑧ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ⑨ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ⑩ يُبَصَّرُونَهُمۡ ...﴾.

قرأ جمهور السبعة: ﴿سَأَلَ﴾ بهمزة محققة، قالوا: والمعنى: دَعَا داعٍ، والإشارة إلى من قال من قريش: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وروي أن قائل ذلك هو النضر بن الحارث، وإلى من قال: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦] ونحو هذا.

وقال بعضهم: المعنى: بحث باحث واستفهم مُسْتَفْهِم، قالوا: والإشارة إلى قول قريش: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ [يونس: ٤٨]، وما جرى مجراه، قاله الحسن وقتادة[١].

فأَمَّا من قال: المعنى: دَعَا داعٍ؛ فالباءُ في قوله تعالى: ﴿بِعَذَابٖ﴾ على عُرفها.

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٩٦).

وأَمَّا من قال: المعنى: استفهم مُسْتَفْهِم؛ فالباءُ تُوَصِّل توصيل «عَنْ»، كأَنه تعالى قال: عن عذاب، وهذا كقول علقمة بن عبدة:

[الطويل] فَـإِنْ تَسْـأَلُوني بالنِّسـاءِ فَإِنَّنِي بَصِيـرٌ بـأَدْواءِ النِّسـاءِ طَبِيـبُ[1]

وقرأ نافع، وابن عامر: ﴿سالَ﴾ ساكنة الأَلف[2].

واختلف القراءُ فيها، فقال بعضهم: هي «سأَل» المهموزة إِلا أَنها سهلت، كما قال:

[الكامل] .... لا هَناكِ الْمَرْتَعُ[3]

ونحو ذلك.

وقال بعضهم: هي لغة من يقول: سِلْتُ أَسَالُ وَيَتَسَاوَلَان[4]، وهي لغة مشهورة حكاها سيبويه فتجيءُ الأَلف منقلبة عن الواو التي هي عين؛ كـ: قال وخاف[5]، وأَما قول الشاعر:

[البسيط] سَـالَتْ هُذَيْـلٌ رَسُـولَ الله فاحِشَـةً ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِمَاسَالَتْ وَلَمْ تُصِبِ[6]

---

(١) انظر عزوه له في الشعر والشعراء (١/ ٢١٣)، والمفضليات (ص: ٣٩٢)، والبيان والتبيين (٣/ ٢١٦)، والاختيارين (ص: ٦٤٩)، والعقد الفريد (٧/ ١١١)، والأغاني (٢٠/ ٣٢٥)، وهو من معلقته.

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٤).

(٣) البيت للفرزدق، وتمامه:

رَاحَت بِمَسْلَمَةَ البغالُ عَشِيَّةً ارْعَيْ فَـزَارَةُ لَا هَنَـاكِ الْمَرْتَعُ

انظر عزوه في العين (٢/ ٦٨)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٥٥٤)، والمقتضب (١/ ١٦٦)، وأساس البلاغة (١/ ٣٣٦)، والأصول في النحو (٣/ ٤٦٩)، والأغاني (١٠/ ٣١٣).

(٤) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «سَالَ يَسَالُ».

(٥) في الحمزوية ونجيبويه: «حاق»، وانظر الكتاب لسيبويه (٣/ ٥٥٥).

(٦) البيت لحسان بن ثابت الأنصاري، كما في سيرة ابن هشام (٢/ ١٨٠)، وأنساب الأشراف للبلاذري (١١/ ٢٥٧)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٤٦٨)، والمقتضب (١/ ١٦٧)، والأصول في النحو (٣/ ٤٧٠)، والكامل للمبرد (٢/ ٧٥)، والعقد الفريد (٦/ ١٤٧).

فإِن سيبويه قال: هو على لغة تسهيل الهمزة، وقال غيره: هو على لغة من قال: سِلتُ[١].

وقال بعضهم في الآية: هي من: سَالَ يَسيلُ: إِذا جرى، وليست من معنى السؤال.

قال زيد بن ثابت وغيره: في جهنم وادٍ يسمَّى سائلاً[٢]، والإِخبارُ هنا عنه.

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل ـ إِن لم يصح أَمر الوادي ـ أَن يكون الإِخبار عن نفوذ القَدَر بذلك العذاب، قد استعير له لفظ السَّيْل لمَا عُهد من نفوذ السيْل وتصميمه.

وقرأَ ابن عباس: (سَالَ سَيْلٌ) بسكون الياءِ[٣].

وقرأَ أُبَيُّ بن كعب، وابن مسعود: (سَالَ سالٌ) مثل «قالٍ»[٤]، أُلْقيت الياءُ من الخَطِّ تخفيفاً، والمراد: سايل؛ إِذ سؤال الكفار عن العذاب ـ حسب قراءَة الجماعة ـ إِنما كان على أَنه كذب، فوصفه الله تعالى بأَنه واقع وعيداً لهم.

قوله تعالى: ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾، قال بعض النحويين: اللام تُوَصِّل المعنى توصيل «عَلَى».

وروي: أَن في مصحف أُبَيِّ بن كعب: قوله تعالى (عَلَى الْكَافِرِينَ)[٥]/ . [٥/ ٢٣٣]

وقال قتادة والحسن: المعنى: كأَن قائلاً قال: لِمَنْ هذا العذاب الواقع؟ فقيل: لِلْكَافِرِينَ[٦].

و﴿ٱلْمَعَارِجِ﴾ في اللغة: الدَّرَجُ في الأَجرام، وهي هنا مستعارة في الرُّتب والفواضل[٧]

(١) إعراب القرآن للنحاس (٥/ ٢٠).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٠٠)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٣٥).
(٣) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٢٩).
(٤) وهي شاذة، عزاها لهما في البحر المحيط (١٠/ ٢٧١)، وفيه: مثل «مال».
(٥) وهي شاذة، عزاها له الشوكاني في فتح القدير (٥/ ٤٠٣).
(٦) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٥).
(٧) «للكافرين» ليس في المطبوع وفي الأسدية ٣: «الفواصل».

والصفات الحميدة، قاله ابن عباس[١]، وقتادة[٢].

وقال ابن عباس: ﴿ٱلْمَعَارِجِ﴾: السماوات تعرج فيها الملائكة من سماءٍ إِلى سماءٍ[٣].

وقال الحسن: هي المراقي إلى السماءِ[٤].

وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ معناه: تصعد، على أَصل اللغة في اللفظة.

و(الرُّوحُ) عند جمهور العلماءِ هو جبريل عليه السلام، خصَّصه بالذكر تشريفاً.

وقال مجاهد: (الرُّوح): ملائكة حفظة للملائكة الحافظين لبني آدم، لا تراهم الملائكة كما لا نرى نحن الملائكة[٥].

وقال بعض المفسرين: هو اسم الجنس في أَرواح الحيوان.

واختلف المتأَولون في قوله تعالى: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾:

فقال منذر بن سعيد وجماعة من الحُذَّاق: المعنى: تعرج الملائكة والروح إِليه في يوم من أَيامكم هذه، ومقدار المسافة أن لو عرجها آدميٌّ خمسون أَلف سنة، وقاله ابن إِسحاق[٦].

فمَنْ جعل (الروح) جبريلَ ونوعاً من الملائكة قال: المسافة هي من قعر الأَرض السابعة إِلى العرش، قاله مجاهد[٧].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٠٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: العلو والفواضل، وأخرجه ابن جرير أيضاً (٢٣/ ٦٠١) من طريق الأعمش، عن رجل، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ذي الدرجات.

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٥)، وتفسير الماوردي (٦/ ٩٠)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٩٨).

(٣) انظر الأثر الماضي.

(٤) تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٧٢).

(٥) الهداية لمكي (١٢/ ٧٧٠١).

(٦) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٦).

(٧) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٠١)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٣٦).

ومَن جعل (الروح) جنس أَرواح الحيوان قال: المسافة من وجه هذه الأرض إِلى منتهى العرش علُوّاً، قاله وهب بن مُنَبِّه[١].

وقال قوم: المعنى: تعرج الملائكة والروح إِليه في يوم كان مقداره في نفسه خمسين أَلف سنة من أَيامكم. ثم اختلفوا في تعيين ذلك اليوم:

فقال عكرمة، والحكم: أَراد الله تعالى مدة الدنيا فإِنها خمسون أَلف سنة، لا يدري أَحد ما مضى منها ولا ما بقي[٢]، فالمعنى: تعرج الملائكة والروح إِليه في مدة الدنيا وبقاءِ هذه البنية، ويتمكن ـ على هذا ـ في (الرُّوح) أَن يكون جنس أَرواح الحيوان.

وقال ابن عباس وغيره: بل اليوم المشار إِليه هو يوم القيامة[٣]؛ ثم اختلفوا:

فقال بعضهم: قدره في الطول قدر خمسين أَلف سنة، وهذا هو ظاهر قول النبي ﷺ: «ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إِلَّا جعل الله له صفائح من نار يوم القيامة تكوى بها جبهته وظهره وجنباه في يوم كان مقداره خمسين أَلف سنة»[٤].

وقال ابن عباس، وأَبو سعيد الخدري: بل قَدْرُه في هَوْله وشدته ورزاياه للكفار قدر خمسين أَلف سنة[٥]، وهذا كما تقول في اليوم العصيب: إِنه كَسَنة، ونحو هذا.

قال أَبو سعيد: قيل: يا رسول الله! ما أَطولَ يوماً مقداره خمسون أَلف سنة؟ فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده إِنه ليخفُّ على المؤمن حتى يكون أَخفَّ عليه من صلاة مكتوبة»[٦].

---

(١) معاني القرآن للنحاس (٥/ ٢٩٩).
(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٦)، وتفسير الماوردي (٦/ ٩٠)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٦٠٢).
(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٠٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
(٤) أخرجه مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥) أثر ابن عباس أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٠٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة. وسيأتي أثر أبي سعيد رضي الله عنه.
(٦) ضعيف، أخرجه أحمد (١٨/ ٢٤٦)، وأبو يعلى (١٣٩٠)، والطبري (٢٣/ ٦٠٢)، وابن حبان في =

وقال عكرمة: المعنى كان مقدار ما ينقضي فيه من القضايا والحساب قدر ما ينقضي بالعدل في خمسين أَلف سنة من أَيام الدنيا[١].

وقد ورد في يوم القيامة أَنه كأَلف سنة، وهذا يشبه أَن يكون في طوائف دون طوائف.

والعامل في قوله تعالى: ﴿يَوۡمِ﴾ ـ على قول من يقول إِنه يوم القيامة ـ: قولُه تعالى: ﴿دَافِعٌ﴾، وعلى سائر الأَقوال: ﴿تَعۡرُجُ﴾.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿تَعۡرُجُ﴾ بالتاءِ من فوق.

وقرأَ الكسائي وحده: ﴿يَعْرُجُ﴾ بالياءِ لأَن التأْنيث غير حقيقي، وبالياءِ من تحت قرأَ ابنُ مسعود لأَنه كان يُذَكِّر الملائكة، وهي قراءة الأَعمش[٢].

ثم أَمر تعالى نبيَّه ﷺ بالصبر الجميل، وهو الذي لا يلحقه عيبٌ[٣] من فَشَلٍ ولا تشكٍّ ولا قِلَّةِ رضا ولا غير ذلك، والأَمر بالصبر الجميل محكم في كل حالة، وقيل: نزلت هذه الآية قبل الأَمر بالقتال.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا﴾؛ يعني: يوم القيامة؛ لأَنهم يكذِّبون به فهو في غاية البعد عندهم، والله تعالى يراه قريباً من حيث هو واقع وآت وكلُّ آت قريب، وقال بعض المفسرين: الضمير في ﴿يَرَوۡنَهُۥ﴾ عائد على العذاب.

= صحيحه (٧٣٣٤) من طريق دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ فقيل: ما أطول هذا اليوم؟ فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا»، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف دراج ـ وهو ابن سمعان أبو السمح ـ في روايته عن أبي الهيثم ـ وهو سليمان بن عمرو العتواري.

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٠١).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ٢١٤)، وقراءة ابن مسعود في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٨٤).

(٣) في نجيبويه: «عتب».

وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَكُونُ﴾ نصب بإِضمار فعل أو على البدل من الضمير المنصوب.

و(الْمُهْلُ): عَكَرُ الزيت، قاله ابن عباس وغيره[١]، فهي لسوادها وانكدار أنوارها تشبه ذلك.

والمُهْل أَيضاً: ما أُذيب من فضة ونحوها، قاله ابن مسعود[٢] وغيره، فيجيءُ له أَلوان وتميُّع مختلط، والسماءُ أَيضاً للأَهوال التي تدركها تصير مثل ذلك.

و(الْعِهْنُ): الصوف دون تقييد، وقال بعض اللغويين: هو الصوف المصبوغ أَلواناً، وقيل: المصبوغ أَي لون كان، وقال الحسن: هو الأَحْمر[٣].

واستدل من قال إِنه المصبوغ أَلواناً بقول زهير:

كَأَنَّ فُتاتَ الْعِهْنِ في كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَا لَمْ يُحَطَّمِ[٤] [الطويل]

وحَبُّ الْفَنَا: هو عِنَب الثَّعلب، وكذلك هو عند طيبه وقبل تحطيمه أَلوان، بعضه أَحمر، وبعضه أَصفر، وبعضه أَخضر؛ لاختلافه في النضج.

وتُشبَّه الجبال به على هذا القول؛ لأَنها جُدد بِيضٌ وحُمْرٌ وسودٌ، فيجيءُ التشبيه من وجهين: في الأَلوان، والانتفاش.

ومن قال إِن (الْعِهْنَ) هو الصوف دون تقييد؛ جعل التشبيه في الانتفاش وتخلخل الأَجزاءِ فقط، قال الحسن: والجبال يوم القيامة تسير بالريح [ثم يشتد الأمر فتنهد] ثم يشتد الأَمر بها [فتصير كالعِهْن، ثم لا يزال النسف][٥] بها فتصير هباءً مُنْبَثّاً.

---

(١) أخرج نحوه الطبري (١٨/ ١٣) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) صحيح، تقدم تخريجه في (سورة الكهف) آية (٢٩)، و(سورة الدخان) آية (٤٥)، وفي حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «ابن عباس».

(٣) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٧).

(٤) انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ١٥٩)، والجيم (٣/ ٤٩)، وشرح المعلقات التسع (ص: ١٨٩)، والكامل للمبرد (٣/ ٦٩).

(٥) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٧)، وما بين المعكوفتين الأول سقط من المطبوع وأحمد٣، والثاني سقط =

وقرأ السَّبعة والحسن والمدنيون وطلحة والناس: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ﴾ على بناءِ الفعل للفاعل.

و«الْحَمِيمُ» في هذا الموضع: القريبُ والوليُّ، فالمعنى: ولا يسأله نصرة ولا منفعة لعلمه أنه لا يجدها عنده، قال قتادة: المعنى: ولا يسأله عن حاله لأَنها ظاهرة، قد بصر كل أَحد حالة الجميع وشُغل بنفسه[1].

وقرأ ابن كثير من طريق البزي، وأَبو جعفر وشيبة بخلاف عنهما، وأَبو حيوة: ﴿ولا يُسْأَلُ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول[2]، فالمعنى: ولا يُسأَل إِبصاره؛ لأَن كل مجرم له سِيْما يُعرف بها، وكذلك كل مؤمن له سِيْما خير.

وقيل: المعنى: لا يُسأَل عن أَعماله وذنوبه ليؤخذ بها وَلِيزرَ وِزْرَهُ.

و﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ ـ على هذه القراءات ـ قيل: معناه: في النار.

وقال ابن عباس: في المحشر يبصر الحميم حميمه ثم يفر عنه لشغله بنفسه[3].

[٥/ ٢٣٤] تقول: بَصُر فلان بالشيءِ وبَصَّرتُه به: أَرَيْتُه إِيَّاه، ومنه قول الشاعر: /

[الوافر] إِذَا بَصَّرْتُكِ الْبَيْدَاءَ فَاسْرِي ... وَأَمَّا الآنَ فاقْتَصِدي وَقِيلِي[4]

وقرأ قتادة: (يُبْصِرُونَهُمْ) بسكون الباءِ وكسر الصاد خفيفة[5].

وقال مجاهد: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ معناه: يُبصر المؤمنون الكفار في النار.

= من الأصل، وفي المطبوع ونجيبويه: «الأمر» بدل «النسف».

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٦٠٤).

(٢) وهي عشرية، انظرها لأبي جعفر في النشر (٢/ ٣٩٠)، وخلفُ البزي فيه وفي السبعة (ص: ٦٥٠)، وفي المطبوع وأحمد٣: «السُّدِّي».

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٠٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، بنحوه.

(٤) لم أجده لغير المصنف.

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في مختصر الشواذ (ص: ١٦٢).

وقَال ابن زيد: يُبصر الكفارُ من أَضلَّهم في النار عبرةً وانتقاماً عليهم وخزياً لهم[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿ٱلْمُجْرِمُ﴾ في هذه الآية: الكافر، بدليل شدة الوعيد وذِكْرِ ﴿لَظَىٰ﴾، وقد يدخل مجرم المعاصي فيما ذكر من الافتداءِ[٢].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ بكسر الميم، وقرأَ الأَعرج بفتحها[٣].

ومن حيث أُضيف إِلى غير متمكن جاز فيه الوجهان.

وقرأَ أَبو حيوة: (من عَذَابٍ) منوَّناً (يومَئذ) بفتح الميم[٤]، والصاحبة هنا: الزوجة.

و«الْفَصيلَةُ» في هذه الآية: قرابة الرجل الأَدنون، مثال ذلك: بنو هاشم مع النبي ﷺ.

والفصيلة في كلام العرب أَيضاً: الزوجة، ولكن ذِكْر «الصاحبة» في هذه الآية لم يُبق في معنى الفصيلة إِلَّا الوجه الذي ذكرناه.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ الفاعل هو الفداءُ الذي تضمنه قوله: ﴿لَوْ يَفْتَدِى﴾، فهو كالمتقدم الذكر.

وقرأَ الزهري: (تُؤْويهُ) و(تُنْجِيهُ) برفع الهاءين[٥].

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٣/ ٦٠٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٠٥)، والماوردي (٦/ ٩٢)، وفي المطبوع: «إشفاقاً» بدل «انتقاماً».

(٢) في المطبوع: «الابتداء»، وفي الأصل: «الاقتداء».

(٣) هي سبعية لنافع والكسائي كما في التيسير (ص: ٢١٤).

(٤) وهي شاذة، عزاها له الشوكاني في فتح القدير (٥/ ٤٠٦).

(٥) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٢٧٤)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٨٥) لسلام.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ رَدٌّ لقولهم وما ودُّوه[١]، أَي: ليس الأَمر كذلك، ثم ابتدأَ الإِخبار عن ﴿لَظَىٰ﴾ وهي طبقة من طبقات جهنم، وفي هذا اللفظ تعظيم لأَمرها وهولها.

وقرأَ السبعة، وأَبو جعفر والحسن، والناس: ﴿نَزَّاعَةٌ﴾ بالرفع.

وقرأَ حفص عن عاصم: ﴿نَزَّاعَةً﴾ بالنصب[٢].

فالرفع على أَن تكون ﴿لَظَىٰ﴾ بدلاً من الضمير المنصوب و﴿نَزَّاعَةٌ﴾ خبر (إِنَّ)، أَو على إِضمار مبتدأ، أَي: هي نزاعةٌ، أَو على أَن يكون الضمير في ﴿إِنَّهَا﴾ للقصة و﴿لَظَىٰ﴾ ابتداءً، و﴿نَزَّاعَةٌ﴾ خبرٌ، أَو على أَن يكون ﴿لَظَىٰ﴾ خبر (إِنَّ) و﴿نَزَّاعَةٌ﴾ بدلاً من ﴿لَظَىٰ﴾ أَو على أَن يكون ﴿لَظَىٰ﴾ خبراً و﴿نَزَّاعَةٌ﴾ خبرٌ بعد خبر.

وقال الزجاج: ﴿نَزَّاعَةٌ﴾ رفع بمعنى المدح[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا هو القول بأَنها خبر ابتداءٍ تقديره: هي نَزَّاعَةٌ؛ لأَنه إِذا تضمن الكلام معنى المدح أَو الذم جاز لك القطع رفعاً بإِضمار مبتدأ، أَو نصباً بإِضمار فعل.

ومن قرأَ بالنصب فذلك إِمَّا على مدح ﴿لَظَىٰ﴾ كما قلنا، وإِمَّا على الحال من ﴿لَظَىٰ﴾ لما فيها من معنى التَّلَظِّي، كأَنه تعالى قال: كلَّا، إِنَّها النار التي تَتَلَظَّى نزاعةً.

قال الزجاج: فهي حال مؤكدة.

و(الشَّوَى): جِلْد الإنسان، وقيل: جلد الرأَس والهامة، قاله الحسن[٤]، ومنه قول الأَعشى:

---

(١) كتبت في الأصل: «ردوه».

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٤).

(٣) انظره مع قوله الآتي في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٢١).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٠٩)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٠٩)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٧٣).

قَـالَـتْ قُـتَـيْـلَـةُ مـا لَـهُ قَـدْ جُـلِّـلَـتْ شَـيْـباً شَـواتُـهْ[١] [مجزوء الكامل]

ورواه أَبو عمرو بن العلاءِ: سَرَاتُه، فلا شاهد في البيت على هذه الرواية.

قال أَبو عبيدة: سمعتُ عربياً يقول: اقشعرَّت شَوَاتي[٢].

والشَّوى أَيضاً: قوائم الحيوان، ومنه: عَبْلُ الشَّوَى. والشَّوى أَيضاً: كلُّ عضو ليس بمقتل، ومنه: رَمَى فأَشْوَى: إِذا لم يُصب المقتل.

وقال ابن جبير: الشَّوى: العَصَب والعقِب[٣]، فنارُ لَظَى تُذهب هذا من ابن آدم وتنزعه.

وقوله تعالى: ﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ يريد الكفار، واختلف الناس في دعائها:

فقال ابن عباس وغيره: هي حقيقة، تدعوهم بأَسمائهم وأَسماءِ آبائهم[٤].

وقال الخليل بن أَحمد: هي عبارة عن حرصها عليهم واسْتدنائِهَا لهم وما توقعه من عذابها.

وقال ثعلب: ﴿تَدْعُواْ﴾ معناه: تُهلك، تقول العرب: دعاك الله؛ أَي: أَهلكك، وحكاه الخليل عن العرب[٥].

و(أَوْعَى) معناه: جعلها في الأَوعية، تقول: وعيتُ العلم وأَوْعيت المال والمتاع.

ومنه قول الشاعر:

---

(١) انظر عزوه له في تفسير الطبري (٢٣/ ٦٠٧)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٣٩٦)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٣٧٧).

(٢) انظر قوله مع قول أبي عمرو في مجاز القرآن (٢/ ٢٦٩).

(٣) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٨)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧١٠)، وتفسير الماوردي (٦/ ٩٣).

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٣٨).

(٥) العين (٢/ ٢٢١)، وقول ثعلب في تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٨).

[البسيط] الْخَيْرُ يَبْقَى وَإِنْ طَالَ الزَّمانُ بِهِ والشَّرُّ أَخْبَثُ ما أَوْعَيْتَ مِنْ زَادِ[(١)]

وهذه إِشارة إِلى كفار أَغْنياء جعلوا جمع المال أوكد أَمرهم ومعنى حياتهم، فجمعوه من غير حِلٍّ، ومنعوه من حقوق الله تعالى.

وكان عبد الله بن حكيم[(٢)] لا يربط كيسه ويقول: سمعتُ الله تعالى يقول: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ عموم لاسم الجنس، لكن الإِشارة هنا إِلى الكفار لأَن الأَمر فيهم وكيد كثير، و«الـهَلَعُ»: جزعٌ واضطراب يعتري الإِنسان عند المخاوف وعند المطامع، ونحوُهُ قوله ﷺ: «شَرُّ ما في الإنسان شُحٌّ هالِعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ»[(٤)].

[وقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ﴾ الآية، مفسر للهلع][(٥)].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ معناه: إِلَّا المؤمنين الذين أَمْرُ الآخرة أَوكد عليهم من أَمر الدنيا، والمعنى: إِن هذا المعنى فيهم يقِلُّ لأَنهم يجاهدونه بالتقوى.

---

(١) لعَبيد بن الأبرص، كما في ديوان المعاني (١/ ١١٨)، والعمدة (١/ ٢٨٣)، وفي الأغاني (٢٢/ ٩٠) أن هاتفاً أنشده إياه.

(٢) هو عبد الله بن حكيم بن حزام القرشي الأسدي أسلم بالفتح، هو وأبوه وإخوته هشام وخالد، وصحب النبي ﷺ، وكان معه لواء طلحة يوم الجمل وقتل يومئذ، ورثته أمه زينب بنت العوام، الإصابة (٤/ ٥٥)

(٣) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٩).

(٤) إسناده صحيح غريب، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٧١٤١)، وأحمد (٢/ ٣٠٢-٣٢٠)، وعبد ابن حميد (١٤٢٨)، وأبو داود (٢٥١١)، والبزار (٨٨١٦)، وابن حبان (٣٢٥٠) وغيرهم من طرق عن موسى بن عُلي بن رباح، عن أبيه، عن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه، قال ابن طاهر: إسناده متصل وهو من شرط أبي داود وقد احتج مسلم بموسى بن علي عن أبيه عن جماعة من الصحابة، انتهى من تخريج الزيلعي لأحاديث الكشاف (٤/ ٨٩). ولفظة: «جبن خالع» من المطبوع وأحمد٣ والأسدية ٣.

(٥) سقط من المطبوع.

وقرأَ الجمهور: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ بالإِفراد، وقرأَ الحسن: (صلواتهم) بالجمع[١].

وقوله تعالى: ﴿دَآئِمُونَ﴾، قال الجمهور: المعنى: مواظبون قائمون لا يُخِلُّون[٢] في وقت من الأَوقات فيتركونها، وهذا في المكتوبة، وأَما النافلة فالدوام عليها الإِكثارُ مِنْهَا بحسب الطاقة.

وقد قال ﷺ: «أَحبُّ العمل إِلى الله ما داوم عليه صاحبه»[٣].

وقال ابن مسعود: الدوامُ: صلاتُها لوقتها، وتَرْكُها كُفْر[٤].

وقال عقبة بن عامر: ﴿دَآئِمُونَ﴾: يَقِرُّون في صلاتهم ولا يلتفتون يميناً ولا شمالاً[٥]، ومنه: الماءُ الدائم.

---

(١) وهي شاذة، عزاها له في البحر المحيط (١٠/ ٢٧٥).

(٢) في الأصل ونور العثمانية: «لا يملون».

(٣) أخرجه مسلم (٧٨٢) عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً بنحوه.

(٤) منقطع، أخرج الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٩٠) عن علي بن عبد العزيز ثنا أبو نعيم ثنا المسعودي عن القاسم قال: قيل لعبد الله: إن الله عز وجل يكثر ذكر الصلاة في القرآن ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ و﴿الذين هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فقال عبد الله: ذلك على مواقيتها فقالوا: يا أبا عبد الرحمن إنما كنا نرى ذاك الترك فقال عبد الله: تركها كفر، وهذا مرسل، القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن جده مرسل، وأخرجه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٩٣٨) والطبري في التفسير (١٨/ ٢١٦) من طريق: وكيع عن المسعودي عن القاسم والحسن بن سعد قالا قيل لابن مسعود، والحسن هذا أيضاً لم يسمع ابن مسعود، وقال علي بن الجعد في مسنده (١٩٢٤): أنا المسعودي عن القاسم قال: قيل لعبد الله، وقال ابن ابي شيبة في المصنف (١/ ٣١٦): حدثنا أبو خالد، عن حجاج، عن الحسن بن سعد، عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن ابن مسعود؛ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ قال: على مواقيتها، وهذا أيضاً منقطع، عبد الرحمن لم يدرك أباه، وقال ابن المنذر في الأوسط (٢/ ٣٨٦): حدثنا عبد الله بن أحمد قال ثنا المقبري قال ثنا المسعودي قال ثنا الحسن بن سعد عن عبد الرحمن بن عبد الله قال قلت لعبد الله مثله. وهذا وهم؛ فعبد الرحمن لم يدرك أباه كبيراً.

(٥) صحيح، أخرجه الطبري (٢٣/ ٦١٢) من طريق يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير مرثد بن عبد الله اليزنى، عن عقبة بن عامر بنحوه. وفي الأصل ونور العثمانية والأسدية٤: «يقرؤون».

[٥/ ٢٣٥] قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ / ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ٢٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٣٠ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٣١﴾.

قال قتادة، والضحاك، وقوم: «الحقُّ المعلومُ»: هي الزكاة المفروضة[(١)].

وقال ابن عباس، والحسن، ومجاهد: هذه الآية في الحقوق التي في المال سوى الزكاة[(٢)]، وهي ما ندبت الشريعةُ إِليه من المواساة.

وقد قال ابن عمر[(٣)]، والشعبي، ومجاهد، وكثير من أَهل العلم[(٤)]: إِن في المال حقاً سوى الزكاة[(٥)].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا هو الأَصحُّ في هذه الآية؛ لأَن السورة مكية، وفرضُ الزكاة وبيانها إِنما كان بالمدينة.

---

(١) قول قتادة ورد في الهداية لمكي (١٢/ ٧٧١٤)، ولم أقف على قول الضحاك. ولفظة «قوم» سقطت من الأصل.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦١٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: هو سوى الصدقة يصل بها رحماً، أو يقري بها ضيفاً، أو يحمل بها كلًّا، أو يعين بها محروماً، وانظر قول مجاهد في تفسير الطبري (٢٣/ ٦١٣)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧١٥).

(٣) إسناده صالح، أخرج ابن أبي شيبة في المصنف (١٠٦٢٨)، والطبري (٢٣/ ٦١٣) من طريق أبي يونس حاتم بن أبي صغيرة، عن رياح بن عبيدة الباهلي، عن قزعة بن يحيى قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ: إِنَّ لِي مَالاً، فَمَا تَأْمُرُنِي إِلَى مَنْ أَدْفَعُ زَكَاتَهُ؟ قَالَ: ادْفَعْهَا إِلَى وَلِيِّ الْقَوْمِ، يَعْنِي الأُمَرَاءَ، وَلَكِنْ فِي مَالِكَ حَقٌّ سِوَى ذَلِكَ يَا قَزَعَةُ. وقد تصحف (رياح بن عبيدة) في المطبوع من الطبري إلى (رباح).

(٤) انظر قول هؤلاء وجماعة ممن قالوا بمثل قولهم في تفسير الطبري (٢٣/ ٦١٣)، وفي المطبوع: «والثعلبي» بدل «الشعبي».

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٦١٣)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧١٥).

و(السائل): المتكفِّف، و(المحروم): المحارف[١]: الذي قد ثبت فقره ولم تنجح سعايتُهُ لدنياه.

قالت عائشة رضي الله عنها: هو الذي لا يكاد يتيسَّر له مكسبه[٢].

وقال بعض أَهل العلم: المحروم: من احترق زرعه، وقال بعضهم: المحروم: من ماتت ماشيته.

قال القاضي أَبو محمد: وهذه أَنواع الحرمان، لا أَن الاسم يلزمُ هذا خاصَّةً.

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: المحرومُ: الكَلْبُ[٣]، أَراد ـ والله أَعلم ـ أَن يعطي مثالاً من الحيوان ذي الكبد الرطبة لما فيه من الأَجر حسب الحديث المأْثور[٤].

وقال الشعبي: أَعياني أَن أَعلم ما المحروم[٥]، وحكى عنه النقاشُ أَنه قال وهو ابن سبعين سنة: سأَلتُ عنه وأَنا غلامٌ فما وجدتُ شفاءً[٦].

قال القاضي أَبو محمد: رحم الله تعالى الشعبي فإِنه في هذه المسأَلة محروم، ولو أَخذه اسم جنس فيمن عَسُرت مطالبه بان له، وإِنما كان يطلبه نوعاً مخصوصاً كالسائل.

و(يَوْمُ الدِّين): هو يوم القيامة، سُمِّي بذلك لأَنه يوم المجازاة.

---

(١) «المحارف» ليست في المطبوع ونجيبويه والحمزوية، وفي أحمد٣: «المحارق»، وفي نور العثمانية: «المجازف».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٢) من طريق عروة قال: سألت عائشة. ولم يوجد في المطبوع أول الإسناد.

(٣) الهداية لمكي (١١/ ٧٠٨٦).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤) عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال: الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له». قالوا يا رسول الله: وإن لنا في هذه البهائم لأجراً؟ فقال: «في كل كبد رطبة أجر».

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٦١٦)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١١٢).

(٦) لم أقف عليه.

و﴿ٱلدِّينِ﴾: الجزاءُ، تقول العرب: كما تُدِينُ تُدان، ومنه قول الفِنْد الزمَّانيِّ:

[الوافر] وَلَـمْ يَـبْـقَ سِـوَى الْـعُـدْوا نِ دِنَّـاهُـمْ كَـمَـا دَانُـوا[1]

و«الإِشفاق»: الخوف من أَمر يتوقع؛ لأَن نيل عذاب الله تعالى للمؤمنين متوقَّع، والأَكثر ناج بحمد الله تعالى، لكن عذاب الله عزَّ وجل لا يأَمنه إِلَّا من لا بصيرة له.

و«الفُروج» في هذه الآية: هي الفروج المعروفة، والمعنى: تحفظ[2] من الزنا.

وقال الحسن بن أَبي الحسن: أَراد فروج الثياب[3]، وإِلى معنى الوطءِ يعود.

ثم استثنى تعالى الوطءَ الذي أَباحه الشرعُ في الزوجات والمملوكات.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾، حسَّن دخول ﴿عَلَىٰٓ﴾ في هذا الموضع قوله تعالى: ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾، فكأَنه تعالى قال: إِلَّا أَنهم غير ملومين على أَزواجهم وما ملكت أَيمانهم.

وقوله تعالى: ﴿ٱبْتَغَىٰ﴾ معناه: طلب.

وقوله: ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ معناه: سوى ما ذُكر، كأَنه أَمْر قد حُدَّ فيه حَدٌّ، فمن طلب بُغيته وراءَ الحدِّ فهو كمستقبل حدٍّ في الأَجرام، وهو يتعدى وراءَه إِلى خَلْفه.

و﴿ٱلْعَادُونَ﴾: الذين يتجاوزون حدود الأَشياءِ التي لها حدود كان ذلك في الأَجرام أَو في المعاني.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

---

(١) تقدم في تفسير البسملة، وكذلك المثل الذي قبله.

(٢) «تحفظ» من أحمد٣، وفي المطبوع: «يحفظونها»، قال في الحاشية: زيادة لتوضيح المعنى.

(٣) لم أقف عليه.

«الأَمانات» جمع أَمانة، وجَمَعها لأَنها تكون متنوعة من حيث هي في الأَموال وفي الأَسرار، وفيما بين العبد وربِّه سبحانه فيما أَمَرَهُ به ونهاه عنه، قال الحسن: الدين كلُّه أَمانة(١).

وقرأَ ابن كثير وحده من السبعة: ﴿لأَمَانَتِهِمْ﴾ بالإِفراد(٢).

و«العَهْدُ»: كلُّ ما تقلده الإِنسان من قول أَو فعل أَو مودة، إِذا كانت هذه الأَشياءُ على طريق البِرِّ فهو عهد ينبغي رَعْيُه وحفظه، وقد قال النبي ﷺ: «حُسْن العهد من الإِيمان»(٣).

و﴿رَٰعُونَ﴾ جمع راع؛ أَي: حافظ.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) وهي سبعية، انظر السبعة (ص: ٦٥١).

(٣) له طرق لا تخلو من مقال، وبوب البخاري بلفظه وأورد قصته بدونه، أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٩٧١)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٥-١٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩١٢٢)، وفي الآداب (١٨٢) من طريق صالح بن رستم، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي ﷺ وهو عندي فقال لها رسول الله ﷺ: «من أنت؟» فقالت: أنا جثامة المزنية، فقال: «بل أنت حسانة المزنية، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟» قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما خرجت قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال، فقال: «إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان»، قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين، فقد اتفقا على الاحتجاج برواته في أحاديث كثيرة وليس له علة، وصالح بن رستم هو أبو عامر الخزاز البصري لم يخرج له البخاري في صحيحه إلا تعليقاً، وهو مختلف فيه، وليس هو بالقوي عند الأكثر، وقال البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٣١٩): قال يعقوب بن محمد حدثنا إسحاق بن جعفر سمع إبراهيم [هو ابن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان] عن محمد بن زيد التيمي عن عائشة: قال النبي ﷺ: «حسن العهد من الإيمان»، وأخرجه البيهقي في الشعب (٦/ ٥١٧) من طريق سلم بن جنادة، عن حفص بن غياث، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، بنحوه دون ذكر اسم المرأة، وقال البيهقي: غريب، وأخرجه القضاعي في مسنده (٩٧٢) من طريق عبد المؤمن ابن يحيى بن أبي كثير، عن أبيه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة بلفظ: «أما علمت أن كرم الود من الإيمان»، وقد ضعف إسناد هذه الرواية الحافظُ في الفتح (١٠/ ٤٣٦)، وأخرجه =

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ معناه ـ في قول جماعة من المفسرين ـ أَنهم يحفظون ما يشهدون فيه ويتيقَّنونه ويقومون بمعانيه حتى لا يكون لهم فيه تقصير، وهذا هو وصف من تمثيل قول النبي ﷺ: «عَلَى مِثْل الشمس فاشْهد»(١).

وقال آخرون: معناه: الذين إِذا كانت عندهم شهادة ورأَوْا حقًّا يدرس، أَو حُرمة لله تعالى تُنْتَهَك؛ قاموا بشهادتهم، قال ابن عباس رضي الله عنه: شهادتهم في هذه الآية: لا إله إلا الله وحده لا شريك له(٢).

وروي عن النبي ﷺ أَنه قال: «خير الشهداءِ الذي يأَتي بشهادته قبل أَن يُسْأَلها»(٣).

واختلف الناس في معنى هذا الحديث بحسب المعنيين اللذيْن ذكرتُ في الآية:

أَحدهما: أَن يكون يحفظها متقنة فيأَتي بها ولا يحتاج أَن يستفهم عن شيءٍ منها ولا أَن يعارض.

والثاني: إِذا رأَى حقّاً يعمل بخلافه وعنده في إِحياءِ الحقِّ شهادةٌ.

= القاسم السرقسطي في غريب الحديث (٢/ ٢٠/ ١) عن الحميدي قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا عبد الواحد بن أيمن وغيره عن ابن أبي نجيح عن عائشة به، وهذا منقطع بين ابن أبي نجيح ـ واسمه عبد الله ـ وعائشة، وذكره الذهبي في السير (٢/ ١٦٥) من طريق: معمر، عن الزهري عن عروة عن عائشة به، وقد بوب البخاري بلفظ هذا الحديث لكن خرجه بدونه في قصة فيها ذكر خديجة رضي الله عنها.

(١) ضعيف جدّاً، أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٩٨)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٠٧)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٥٦) من طريق محمد بن سليمان بن مشمول، عن عبيد الله بن سلمة بن وهرام، عن أبيه، عن طاوس، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ذكر عند رسول الله ﷺ الرجل يشهد بشهادة فقال لي: «يا ابن عباس لا تشهد إلا على ما يضيء لك كضياء هذا الشمس» وأومأ رسول الله ﷺ بيده. ومحمد بن سليمان بن مشمول المشمولي المخزومي متفق على ضعفه. وسقط من مطبوعة المستدرك: «سلمة بن وهرام».

(٢) لم أهتد إليه.

(٣) أخرجه مسلم (١٧١٩) من حديث زيد بن خالد الجهني: أن النبي ﷺ قال في خير الشهداء: «الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها».

وروي أَيضاً عن النبي ﷺ أَنه قال: «سيأَتي قوم يَخُونون ولا يُؤْتمنون، ويَشهدون ولا يُسْتشهدون، ويظهر فيهم السِّمَن»(١)، واختلف الناس في معنى هذا الحديث:

فقال بعضهم: هم قوم مؤمنون يتعرضون ويحرصون على وضع أَسمائهم في وثائق الناس، وينصبون لذلك الحبائل من زيٍّ وهيئة، وهم غير عدول في أَنفسهم، فيغرُّون بذلك ويضرُّون.

قال القاضي أَبو محمد: فهذا في ابتداءِ الشهادة لا في أَدائها، ويجيءُ قوله ﷺ: «وَلَا يُستشهدون»؛ أَي: وهم غير أَهل لذلك.

وقال آخرون من العلماءِ: [هم شهود الزُّور؛ لأنهم يؤدونها والحالُ لم تُشْهدهم ولا المشهود عليهم](٢).

وقرأَ حفص عن عاصم: ﴿بِشَهَٰدَٰتِهِمْ﴾ على الجمع، وهي قراءَة أَبي عبد الرحمن.

والباقون ﴿بشَهادَتِهِمْ﴾ على الإِفراد الذي هو اسم الجنس(٣).

و«المحافظة على الصلاة»: إِقامتها في أَوقاتها بشروط صحتها وكمالها.

وقال ابن جريج: يدخل في هذه الآية التطوع(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ الآية؛ نزلت بأن(٥) رسول الله ﷺ كان يصلي عند الكعبة أَحياناً ويقرأُ القرآن، فكان كثير من الكفار يقومُون من مجالسهم

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥) عن عمران بن حصين مرفوعاً بنحوه.

(٢) في المطبوع: «هم شهود الزُّور، يؤدونها، والمشهود عليهم لم يُشهدهم ولا الآخر» مع الإشارة للنسخة الأخرى.

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٤).

(٤) تفسير الماوردي (٦/ ٩٥).

(٥) في المطبوع: «لأن».

مسرعين إِليه يتسمَّعون قراءَته، ويقول بعضهم لبعض: شاعر وكاهن ومفتر(١) وغير ذلك.

و﴿قِبَلَكَ﴾: معناه: فيما يَليك.

و«المهطع»: الذي يمشي مسرعاً إِلى شيءٍ قد أَقبل عليه ببصره، قال ابن زيد: لا يطرف(٢).

[٥/ ٢٣٦] و﴿عِزِينَ﴾ جمع عِزَة، قال / بعض النحاة: أَصلها: عِزْوَة.

وقال آخرون منهم: أَصلها: عِزْهة، وجمعت بالواو والنون عِوَضاً مما انحذف منها، نحو: سنة وسنون.

ومعنى العِزَة: الجمع اليسير، فكأَنهم قالوا: ثلاثةً ثلاثةً، أَو أَربعةً أَربعةً، ومنه قول الراعي:

[الكامل] أَخَليفَـةَ الرَّحْمـنِ إِنَّ عَشِـيرَتي أَمْسَى سَوامهُمُ عِزِين فلولاً(٣)

وقال أَبو هريرة رضي الله عنه: خرج النبي ﷺ على أَصحابه وهم حِلَقٌ متفرقون فقال: «ما لي أَراكم عِزِينَ»(٤).

---

(١) في نجيبويه: «مفتن»، وأخرج الطبري (٢٣/ ٦١٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ﴾ قال: قبلك ينظرون، ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ قال: العزين: العصب من الناس عن يمين وشمال، معرضين عنه، يستهزئون به.

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٣٠).

(٣) البيت للراعي كما في مجاز القرآن (٢/ ٢٧٠)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٦٢٠)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٤٢٥).

(٤) أخرجه مسلم من حديث جابر بن سمرة، أما حديث أبي هريرة فله إسنادان فيهما ضعف، أخرج حديث أبي هريرة: الطبري (٢٣/ ٢٨٠)، والبزار في مسنده (٨٦٥٣)، وابن حبان في صحيحه (١٦٥٤) من طريق مؤمل بن إسماعيل، عن سفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة به بنحوه، وهذا إسناد حسن من أجل مؤمل بن إسماعيل العدوي فإنه صدوق سيء الحفظ، وقد توبع كما أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٦٢٠) عن إسماعيل بن موسى الفزاري، عن أبي=

وقوله تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ نزلت لأَن بعض الكفار قال: إِن كانت ثَمَّ آخرةٌ وجَنَّة فنحن أَهلها وفيها؛ لأَن الله تعالى لم ينعم علينا في الدنيا بالمال والبنين وغير ذلك إِلَّا لرضاه عنا.

وقرأَ السبعة، والحسن وطلحة، والجمهور: ﴿يُدْخَلَ﴾ بضم الياءِ وفتح الخاءِ على بناءِ الفعل للمفعول.

وقرأَ المفضل عن عاصم، وابنُ يَعْمر، وأَبو رجاءٍ، وطلحة: (يَدْخُلَ) بفتح الياءِ وضم الخاءِ على بناءِ الفعل للفاعل[1].

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ رَدٌّ لقولهم وطمعهم، أَي: الأَمر ليس كذلك.

ثم أَخبر تعالى عن خلقهم من نطفة قذرة، وأَحال في العبارة عنها على علم الناس، أَي: مَنْ خُلق من ذلك فليس بنفس خَلْقه يُعطى الجنة، بل بالأَعمال الصالحة إِن كانت.

وقال قتادة في تفسيرها: إِنما خُلقتَ من قَذَرٍ يا ابْن آدم، فاتَّق الله تعالى[2].

وقال أَنَسٌ: كان أَبو بكر رضي الله عنه إِذا خطبنا ذكر مَنَاتِنَ ابنِ آدم، ومُرُورَهُ في مجرى البول مرتين، وكونَهُ نطفة في الرَّحِمِ ثم عَلَقة ثم مُضْغة إِلى أَن يخرج فيتلوَّث في نجاستِه طفلاً، فلا يُقلع أَبو بكر رضي الله عنه حتى يتقذَّر أَحدنا نفسه[3].

= الأحوص، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة يرفعه قال: «ما لي أراكم عزين»؟ والعزون: الحلق المتفرقة، وقد أخرجه مسلم (٤٣٠) من حديث جابر بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «ما لي أراكم رافعي أيديكم كأنها أذناب خيل شمس اسكنوا في الصلاة» قال: ثم خرج علينا فرآنا حلقاً فقال: «مالي أراكم عزين» قال: ثم خرج علينا فقال: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟» فقلنا يا رسول الله! وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف».

(١) شاذة، رواية المفضل في السبعة (ص: ٦٥١)، ومع الحسن وطلحة في تفسير الثعلبي (١٠/ ٤١)، و«طلحة» الأول من الأصل، وليس فيه «الجمهور»، فلعلها بدل منها.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٢١)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٤١).

(٣) إسناده صحيح غريب، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٥٧٧) وابن أبي الدنيا في التواضع =

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ٤١ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٤٢ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ٤٣ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ٤٤﴾.

قرأ الجمهور: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ [وذلك على أن تكون (لا) زائدة، أو على أن تكون ردّاً لفعل الكفار وقولهم، ثم يقع الابتداءُ بالقَسَم.

وقرأ ابن كثير: (فَلأُ قْسِمُ) دون ألف مفردة[1].

و﴿ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾: هي مطالع الشمس والقمر وسائر الكواكب وحيثُ تَغْرُب لأنها مختلفة عند التفصيل، فلذلك جمع.

وقرأ عبد الله بن مسلم، وابن محيصن: (بِرَبِّ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ) على الإفراد[2].

ومتى ورد المشرق والمغرب على الإفراد[3] فهي عبارة عن موضع الشروق وموضِع الغروب بجملته وإن كان يتفصل، ومتى ورد المشرقان والمغربان فهي عبارة عن طرفي موضع الشروق وطرفي موضع الغروب.

وأقسم الله تعالى في هذه الآية بمخلوقاته على إيجاب قدرته على أن يبَدِّلَ خيراً من ذلك العالم، وأنه لا يسبقه شيءٌ إلى إرادته.

وقوله تعالى: ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ﴾ الآية وعيدٌ، وما فيه من معنى المهادنة فمنسوخ بآية السيف.

= والخمول (٢٠٠) من طريق: يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بنحوه مختصراً بلفظ: كان أبو بكر يخطبنا فيذكر بدء خلق الإنسان فيقول: خلق من مجرى البول من نتن، فيذكر حتى يتقذر أحدنا نفسه.

(١) وهي شاذة، ذكرها في البحر المحيط (١٠/ ٢٧٧) بلا نسبة. و«ابن كثير» ليس في نجيبويه، وفي الحمزوية: «بعضهم».

(٢) شاذة، عزاها للأول الكرماني في الشواذ (ص: ٤٨٥)، ولهما في البحر المحيط (١٠/ ٢٧٧)، وما بين معكوفتين مطموس من الأصل.

(٣) «الإفراد» من المطبوع والأسدية ٣ ونجيبويه.

ورُوي عن ابن كثير أَنه قرأَ: ﴿يَلْقَوْا﴾ بغير أَلف، وهي قراءَة أَبي جعفر، وابن محيصن[١].

و﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ﴾ بدل من قوله تعالى: ﴿يَوْمَهُمُ﴾.

وقرأَ الجمهور: ﴿يَخْرُجُونَ﴾ بفتح الياءِ وضمِّ الراءِ.

وروى أَبو بكر عن عاصم ضمَّ الياءِ وفتح الراءِ[٢].

و﴿ٱلْأَجْدَاثِ﴾: القبور.

و«النُّصُب»: ما نُصب للإِنسان فهو يقصد مسرعاً إِليه من عَلَم أَو بناءٍ أَو صَنَم لأَهل الأَصنام، وقد كثر استعمال هذا الاسم في الأَصنام حتى قيل لها: الأَنصاب، ويقال لشبكة الصائد: نُصُب.

وقال أَبو العالية: ﴿إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ معناه: إِلى غايات يستبقون[٣].

وقرأَ جمهور السبعة وأَبو بكر عن عاصم: ﴿نَصْب﴾ بفتح النون، وهي قراءَة أَبي جعفر، ومجاهد، وشيبة، وابن وثاب، والأَعرج.

وقرأَ الحسن وقتادة بخلاف عنهما: (نُصْب) بضم النون.

وقرأَ ابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿نُصُبٍ﴾ بضم النون والصاد، [وهي قراءة الحسن وأَبي العالية، وزيد بن ثابت، وأَبي رجاءٍ.

وقرأَ مجاهد، وأَبو عمران الجوني: (نَصَب) بفتح النون والصاد][٤].

---

(١) وهي عشرية، انظر: النشر (٢/ ٣٧٠).

(٢) وهي شاذة، من رواية الشموني وابن غالب عن الأعشى عنه، كما في جامع البيان (٤/ ١٦٥٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٦٢٤).

(٤) سقط من الأصل، والقراءة الأولى والثالثة سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٤)، وانظر الشاذتين في الشواذ للكرماني (ص: ٤٨٥).

و﴿يُوفِضُونَ﴾ معناه: يسرعون، ومنه قول الراجز:

[الرجز] لأَنْـعَـتَـنْ نَـعـامَـةً مِـيفـاضـا   خَرْجـاءَ ظَلَّت تَطْلُـبُ الإِضاضَا[1]

و﴿خَٰشِعَةً﴾ نصب على الحال، ومعناه: ذليلةً منكسرة.

و﴿تَرۡهَقُهُمۡ﴾ معناه: تظهر عليهم وتُلِحُّ وتُضَيِّق نفوسهم، ومن هذه اللفظة: الْمُرَهَّق من السادة بحوائج الناس، والمُرْهَقُ بالدَّيْن، وخُلُقٌ فيها رَهَق؛ أَيْ: إِسراعٌ إِلى الناس، وسَيْفُ فلان فيه رَهَق، ومنه: مراهقة الاحتلام، وإِرهَاقُ الصلاة؛ أَي: مزاحمة وقتها.

(١) بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٨٦)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٢٤)، والصحاح للجوهري (٣/ ١٠٦٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سُورة نوح عليه السلام

وهي مكية بإِجماع من المتأَولين، قال أُبيٌّ بن كعب: قال رسول الله ﷺ: «من قرأَ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح»[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤﴾.

نوحٌ عليه السلام هو نوح بن لامك، وقد مرَّ ذكره وذكر عمره ﷺ.

وصُرف «نوحٌ» مع عُجمته وتعريفه لِخِفَّته وسكون الوسط من حروفه.

وقوله تعالى: ﴿أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ﴾، يحتمل أَن تكون ﴿أَنۡ﴾ مفسِّرة لا موضع لها من الإِعراب.

---

(١) موضوع، أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٤٣) عن محمد بن القيم، عن محمد بن محمد بن شاذة، عن أحمد بن الحسن، عن محمد بن يحيى، عن سلم بن قتيبة، عن شعبة، عن عاصم بن بهدلة، عن زر ابن حبيش، عن أبي بن كعب به، وأحمد بن الحسن ومن دونه لم أقف لهم على ترجمة، وقد أورده المناوي في الفتح السماوي بتخريج أحاديث البيضاوي (٣/ ١٠٥٨) وقال: موضوع.

ويحتمل أَن يكون التقدير: بأَن أَنذر قومك، وهي ـ على هذا ـ في موضع نصب عند قوم من النحاة، وفي موضع خفض عند آخرين.

[٥/ ٢٣٧] وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (إِلَى قَوْمِهِ أَنْذِرْ قَوْمَكَ) دون (أَن)[1] / .

و«العذاب الذي تُوُعِّدوا به»: يحتمل أَن يكون عذاب الدنيا، وهو الأَظهر والأَليق بما يأَتي بعد، ويحتمل أَن يكون عذاب الآخرة.

وقرأَ جمهور السبعة: ﴿أَنُ اعْبُدوا﴾ بضم النون من ﴿أَنْ﴾ إِتباعاً لضمة الباءِ وتَرْكاً لمراعاة الحائل لخفَّة السكون، فهو كأَن ليس ثَمَّ حائل.

وقرأَ عاصم، وحمزة، وأَبو عمرو في رواية عبد الوارث: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ﴾ بكسر النون[2]، وهذا هو الأَصل في التقاءِ الساكنين من كلمتين.

و﴿يَغۡفِرۡ﴾ جواب الأَمر، وقوله: ﴿مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ قال قوم: ﴿مِّن﴾ زائدة، وهذا نحوٌ كوفي، وأَما الخليل وسيبويه فلا يجوز عندهما زيادتها في الواجب.

وقال قوم: هي لبيان الجنس، وهذا ضعيف لأَنه ليس هنا جنس يُبَيَّن.

وقال آخرون: هي بمعنى «عن»، وهذا غير معروف في أَحكام «مِنْ».

وقال آخرون: هي لابتداءِ الغاية، وهذا قول يَتَّجه، كأَنه يقول: يبتدئ الغُفران من هذه الذنوب العظام التي لهم.

وقال آخرون: هي للتبعيض، وهذا عندي أَبْين الأَقوال، وذلك أَنه لو قال: «يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ»؛ لعَمَّ هذا اللفظ ما تقدم من الذنوب وما تأَخر عن إِيمانهم، والإِسلام يجبُّ ما قبله، فهي بعضٌ من ذنوبهم، فالمعنى: يغفر لكم بعض[3] ذنوبكم.

---

(١) وهي شاذة، انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٦٢٧).

(٢) وهما سبعيتان، وأبو عمرو بالكسر، انظر: التيسير (ص: ٧٨)، والضم رواية علي بن نصر عنه كما في السبعة (ص: ٦٥٢).

(٣) في المطبوع والأسدية ٤ والأسدية ٣: «من».

وقال بعض المفسرين: أَراد: يغفر لكم من ذنوبكم المهمَّ الموبق الكبير؛ لأَنه أَهم عليهم، وبه ربما كان اليأْسُ عن الله تعالى قد وقع لهم، وهذا قولُ مُضَمَّنه أَن ﴿مِّن﴾ للتبعيض، والله تعالى الموفق.

وقرأَ أَبو عمرو: ﴿يَغْفِر لَّكُمْ﴾ بالإِدغام[١]، ولا يجيز ذلك الخليل وسيبويه؛ لأَن الراءَ حرف مكرر فإِذا أُدغم في اللام ذهب التكرير واختلَّ المسموع[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مما تَعَلَّلت المعتزلة به في قولهم: إِن للإِنسان أَجلين، وذلك أَنهم قالوا: لو كان واحداً مُحَدَّداً لما صحَّ التأْخير إِن كان الحدُّ قد بلغ، ولا المعاجلة إِن كان الحدُّ لم يبلغ[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وليس لهم في الآية تعلُّق؛ لأَن المعنى أَن نوحاً عليه السلام لم يعلم هل هم مِمَّن يؤخر أَو ممن يعاجل، ولا قال لهم: إِنكم تؤخرون عن أَجل قد حان لكم، لكن قد سبق في الأَزل أَنهم إِمَّا مِمَّن قُضي له بالإِيمان والتأْخير، وإِمَّا مِمَّن قُضي عليه بالكفر والمعاجلة، [فكأن نوحاً عليه السلام قال لهم: آمنوا يَبِنْ لكم أنكم ممن قضي لهم بالإيمان والتأخير، وإن بقيتم على كفركم فسيبين أنكم ممن قضي عليه بالكفر والمعاجلة][٤]، ثم تشدَّد هذا المعنى ولاح بقوله: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾.

وقد حكى مكيٌّ القول بالأَجلين ولم يُقَدِّرْ قدره[٥]، وجواب ﴿لَوْ﴾ مُقدَّر يقتضيه اللفظ، كأَنه قال: فما كان أَحزمكم وأَسرعكم إِلى التوبة لو كنتم تعلمون.

---

(١) وهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ٤٤)، والسبعة (ص: ١٢١)، وللدوري وجه بالإظهار.
(٢) الكتاب لسيبويه (٤/ ٤٤٨).
(٣) انظر تعلقهم في تفسير الزمخشري (٢/ ٥٤٣)، ورده في تفسير ابن جزي (٤/ ١٤٩).
(٤) سقط من المطبوع ونجيبويه، ولفظة «على كفركم» ليست في الأصل.
(٥) الهداية لمكي (١٢/ ٧٧٣٠).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِيَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾.

هذه المقالة قالها نوح عليه السلام بعد أَن طال عمره وتحقق اليأْس من قومه.

وقوله: ﴿لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ عبارة عن استمرار دعائه وأَنه لم يَنِ فيه قط.

ويروى عن قتادة: أَن نوحاً عليه السلام كان يجيئه الرجل من قومه بابنه فيقول: احذر هذا الرجل فإِن أَبي قد حذرني إِياه ويقول له: إِنه مجنون[1].

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿دُعَائِيَ﴾ بالهمز وفتح الياءِ.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي بسكون الياءِ دون همز.

وروى شبل عن ابن كثير: (دُعَايَ) بنصب الياءِ دون همز مثل (هدايَ).

وقرأَ عاصم أَيضاً، ويعقوب، وسلام بهمزة وياءٍ ساكنة[2].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ معناه: ليؤمنوا فيكون ذلك سبب الغفران، وقوله: ﴿جَعَلُوٓا أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ يحتمل أَن يكون حقيقة، ويحتمل أَن يكون عبارة عن إِعراضهم وشدة رفضهم لأَقواله ودعائه، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾، ومعناه: جعلوها أَغشية على رؤوسهم.

و«الإِصرارُ»: الثبوت على معتقد مَّا، وأَكثر استعماله في الذنوب.

ثم كرر عليه السلام صفة دعائه لهم بياناً وتوكيداً.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٣١)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٣١)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٠٠).

(٢) أربع قراءات، والأولى للمذكورين والرابعة للكوفيين سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٥)، والثالثة في السبعة (ص: ٦٥٢) وهي شاذة، وكذلك الثانية، إن كان قرئ بها، ولم أجدها لغيره، ولعل المقصود بها الرابعة، فتكررت سهواً، فيكون قوله: «دون همز» وهماً.

و﴿جِهَارًا﴾ يريد علانيةً في المحافل.

و«الإِسرارُ»: ما كان من دعائه الأَفراد[١] بينه وبينهم على انفرادٍ، وهذا غاية الجد.

وقوله: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ... يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾ يقتضي أَن الاستغفار سبب لنزول المطر في كل أُمة.

ورُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أَنه استسقى بالناس فلم يزد على أَن استغفر ساعةً ثم انصرف، فقال له قوم: ما رأَيناك اسْتَسْقيت يا أَمير المؤمنين! فقال: والله لقد استنزلت المطر بمجادح السماءِ، ثم قرأَ هذه الآية رضي الله عنه[٢].

وشكا رجل إِلى الحسن الجدب فقال له: استغفر الله تعالى، وشكا إِليه آخر الفقر فقال له: استغفر الله سبحانه، وقال له آخر: ادع الله تعالى أَن يرزقني ولداً، فقال له: استغفر الله تعالى، فقيل له في ذلك، فنزع بهذه الآية[٣].

والاستغفار الذي أَحال عليه الحسن ليس هو عندي لفظ الاستغفار فقط، بل الإِخلاص والصدق في الأَقوال والأَعمال، وكذلك كان استغفار عمر رضي الله عنه.

ورُوي: أَن قوم نوح عليه السلام كان قد أَصابتهم قحوط وأَزمة، فلذلك بدأَهم في وعده بأَمر المطر ثم ثنَّى بالأَموال والبنين، قال قتادة: لأَنهم كانوا أَهل حب للدنيا

---

(١) في نجيبويه: «الأفذاذ».

(٢) مرسل صحيح، هذا الأثر أخرجه عبد الرزاق (٤٩٠٢)، وابن أبي شيبة (٨٤٢٩)، والطبري (٢٣/ ٦٣٣)، وابن أبي حاتم (١٠٩٦٠) وغيرهم من طريق سفيان بن عيينة، عن مطرف بن طريف، عن الشعبي فذكر القصة عن عمر، والشعبي لم يسمع من عمر رضي الله عنه كما في جامع التحصيل (٣٢٢)، ولكن له شاهد بإسناد صحيح أخرجه ابن أبي شيبة (٨٤٢٨) عن وكيع عن عيسى بن حفص عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي، عن أبيه قال: خرجنا مع عمر بن الخطاب نستسقي فما زاد على الاستغفار، وأبو مروان الأسلمي مختلف في صحبته، وقد وثقه العجلي وابن حبان، وقال الذهبي في الكاشف (٦٨٢٦): مدني ثقة. والمِجْدَح: نَجْم، كما في النهاية (١/ ٢٤٣).

(٣) تفسير الثعلبي (١٠/ ٤٤).

وتعظيم لأَمرها، فاستدعاهم الله تعالى إِلى الآخرة من الطريق التي يحبونها.

و(مِدْرار) مفعال من: الدَّرِّ؛ [كمِذكار ومئناث][1]، وهذا البناءُ لا تلحقه هاءُ التأْنيث.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ / . [٥/ ٢٣٨]

وعدهم بالأَموال والبنين والجنات والأَنهار لمكان حبهم للدنيا.

واختلف الناس في معنى قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾: فقال أَبو عبيدة وغيره: معناه: تخافون[2]، ومنه قول الهذلي:

[الطويل] إِذا لَسَعَتْهُ النّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَخَالَفَها في بَيْتِ نُوبٍ عَوَامِلِ[3]

قالوا: والوَقَارُ بمعنى: العظمة والسلطان، فكأَن الكلام ـ على هذا ـ وعيدٌ وتخويفٌ.

وقال بعض العلماءِ: ﴿تَرْجُونَ﴾ على بابها في الرجاءِ، وكأَنه قال: ما لكم لا تجعلون رجاءَكم لله تعالى وتلقاءه، و﴿وَقَارًا﴾ يكون ـ على هذا التأْويل ـ منهم، كأَنه يقول: تُؤَدَةً منكم وتمكُّناً في النظر؛ لأَن الكفر مُضَمَّنه الخفة والطيش وركوب الرأس.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾، قال ابن عباس، ومجاهد: هي إِشارة إِلى التدريج الذي للإِنسان في بطن أُمِّه من النطفة والعلقة والمضغة[4].

---

(١) سقط من نجيبويه، وفي المطبوع: «وميقات»، وفي نور العثمانية: «وميناس».
(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٧٥).
(٣) البيت لأبي ذُؤَيْب الْهُذلي، كما تقدم في تفسير الآية (٢١٨) من (سورة البقرة).
(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٣٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ يقول: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة. وقول مجاهد في تفسير الطبري (٢٣/ ٦٣٦)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٣٦).

وقال جماعة منْ أَهل التأْويل: هي إِشارة إِلى العبرة في اختلاف أَلوان الناس وخَلْقهم وخُلُقهم ومِلَلِهِم.

و«الأَطوارُ»: الأَحوال المختلفة، ومنه قول النابغة:

فَإِنْ أَفاقَ فَقَدْ طَارَتْ عَمَايَتُهُ وَالْمَرءُ يُخْلَقُ طَوْراً بَعْدَ أَطْوَارِ[1] [البسيط]

وقرأَ الجمهور: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ﴾ بالتَّاءِ، وقرأَت فرقة بالياءِ على فعل الغائب[2].

و﴿طِبَاقٗا﴾ قيل: هو مصدر، أَي مطابقة، جعل كل واحدة طبقاً للأُخرى.

ونحوه قول امرئ القيس:

.... طَبَّقَ الأَرْضَ تَحَرَّى وَتَدِرْ[3] [الرمل]

وقيل: هو جمع طبق، وهو نعت لـ﴿سَبۡعَ﴾.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (طباقٍ) بالخفض على النعت لـ﴿سَمَٰوَٰتٖ﴾[4].

وقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ﴾ ساغ ذلك لأن القمر من حيث هو في إِحداها فهو في الجميع، ويُروى أَن القمر في السماءِ الدنيا، وقال عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص: «إِن الشمس والقمر أَقفاؤهما إِلى الأَرض وإِقبال نورهما وارتفاعه في السماءِ»[5].

وهذا الذي تقتضيه لفظة السراج.

---

(١) البيت للنابغة الذبياني، كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ١٨٦)، وجاء عجزه في العين (٧/ ٤٤٦) غير منسوب.

(٢) وهي شاذة، لم أجد له فيها سلفاً ولا خلفاً.

(٣) صدره: دِيَمةٌ هَطْلاءُ فيها وَطَفٌ، عزاه له في مجاز القرآن (٢/ ٢٧٢)، والشعر والشعراء (١/ ١١٢)، والعقد الفريد (٤/ ٥٣).

(٤) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٤٨٦).

(٥) أثر عبد الله بن عباس أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦٢١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٢) وصححه من طريق يوسف بن مهران، عن ابن عباس رضي الله عنه ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا﴾. قال: قفاه مما يلي الأرض ووجهه مما يلي السماء. ويوسف بن مهران البصري قد وثقه أبو زرعة، أما أثر =

وقيل: إِن الشمس في السماءِ الخامسة، وقيل: في الرابعة.

وقال عبد الله بن عمر: هي في الشتاءِ في الرابعة، وفي الصيف في السابعة(١).

وقوله تعالى: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ استعارة، من حيث أَخذ آدم عليه السلام من الأَرض ثم صار الجميع نَابتاً منه.

وقوله: ﴿نَبَاتًا﴾ مصدر جار على غير المصدر، والتقدير: فنَبَـتُّم نباتاً.

و«الإِعادة فيها»: هي بالدفن فيها الذي هو عُرف البشر.

و«الإِخراجُ»: هو بالبعث يوم القيامة لموقف العرض والجزاءِ.

وقوله تعالى: ﴿بِسَاطًا﴾ يقتضي ظاهره أَن الأَرض بسيطة وغير كُرويَّةٍ، واعتقاد أَحد الأَمرين غير قادح في الشرع بنفسه، اللهم إِلَّا أَن يتركب على القول بالكريَّة(٢) نظر فاسدٌ.

وأَما اعتقاد كونها بسيطة فهو ظاهر كتاب الله تعالى، وهو الذي لا يلحق به فساد البَتَّـةَ.

واستدل ابن مجاهد على صحة ذلك بماءِ البحر المحيط بالمعمور فقال: لو كانت الأَرض كوريَّة لما استقر الماءُ عليها(٣).

= عبد الله بن عمرو فأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣١٩)، والطبري (٢٣/ ٦٣٧) كلاهما من طريق معمر، والطبري أيضاً (٢٣/ ٦٣٧)، من طريق هشام الدستوائي كلاهما ـ معمر، وهشام ـ عن قتادة، عن عبد الله بن عمرو فذكره، وهو مرسل، لعدم سماع قتادة من عبد الله بن عمرو، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦١٧) من طريق قتادة، عن شهر بن حوشب، عن عبد الله بن عمرو، بنحوه، وقتادة مدلس، وقد عنعن، وشهر بن حوشب فيه ضعف.

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٤٥) قال: وقيل لعبد الله بن عمر: ما بال الشمس تُصلينا أحياناً وتبرد علينا أحياناً، فقال: إنّها في الصيف في السماء الرابعة وفي الشتاء في السماء السابعة عند عرش الرحمن... إلخ. وفي المطبوع والأسدية٤ ونجيبويه: «بن عمرو».

(٢) وفي المطبوع: «الكروية»، وفي الأسدية: «الكورية»، وفي نور العثمانية: «الكرة»، في الموضعين.

(٣) لم أقف عليه، وقد زال في عصرنا ما كان من اختلاف قديماً.

و«السُّبُلُ»: الطُّرق، و«الفجاجُ»: الواسعة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾.

المعنى: فلما لم يطيعوا ويئس نوح عليه السلام من إيمانهم قال نوح: ربِّ إنهم عصوني واتَّبعوا أَشرافهم وغُواتهم، فعبَّر عنهم بأَن أَموالهم وأَولادهم زادتهم خساراً؛ أَيْ: خُسراناً.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وحمزة، والكسائي، ونافع في رواية خارجة عنه: ﴿وَوُلْدُهُ﴾ بضم الواو وسكون اللام، وهي قراءة ابن الزبير، والحسن، والأَعرج، والنخعي، ومجاهد.

وقرأَ نافع، وعاصم، وابن عامر: ﴿وَوَلَدُهُ﴾ بفتح الواو واللام وهما بمعنى واحد؛ كبُخْل وبَخَل، وهي قراءة أَبي عبد الرحمن، والحسن، وأَبي رجاءٍ، وابن وثاب، وأَبي جعفر، وشيبة[١].

وقرأَ: (وَوِلْـدُهُ) بكسر الواو: الجحدريُّ، وزرٌّ، والحسن، وقتادة، وابن أَبي إِسحاق، وطلحة[٢].

قال أَبو عمرو: «وُلْدٌ» بضم الواو وسكون اللام: العشيرة والقوم[٣].

وقال أَبو حاتم: يمكن أَن يكون «الوُلْد» بضم الواو جمع الوَلَد، وذلك كخُشْب وخَشَب[٤].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٥)، ورواية خارجة في السبعة (ص: ٦٥٢).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها لبعضهم في الشواذ للكرماني (ص: ٤٨٦). و«قتادة» ليس في المطبوع ونجيبويه والحمزوية.

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٥/ ٢٨).

(٤) انظر: البحر المحيط (١٠/ ٢٨٥).

وقال حسَّان بن ثابت:

[الكامل] يـا بِكْـرَ آمِنَـةَ الْمُبَـارَك بكرهـا مِنْ وُلْدِ مُحْصَنَةٍ بِسَعْدِ الأَسْعُدِ(١)

وقرأ جمهور الناس: ﴿كُبَّارًا﴾ بشد الباءِ، وهو بناءُ مبالغة نحو: حسّان.

قال عيسى: هي لغة يمانية، وعليها قول الشاعر:

[الكامل] والمـرءُ يُلْحِقُـهُ بِفتْيـانِ النَّـدَى خُلُقُ الْكَرِيمِ وَلَيْـسَ بالْوُضَّاءِ(٢)

بضم الواو.

وقرأ ابن مُحَيْصِنٍ، وعيسى بن عمر: (كُبَاراً) بتخفيف الباءِ، وهو بناءُ مبالغة إِلَّا أَنه دون الأَول.

وقرأ ابن مُحَيْصِنٍ فيما روى عنه أَبو الإِخريط وهب بن واضح: (كِباراً) بكسر الكاف(٣).

قال ابن الأَنباري: هو جمع كبير، فكأَنه جعل المَكْر مكان ذُنوبٍ أوأَفاعيل ونحوه(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ إِخبارٌ عن تواصيهم بأَصنامهم على العموم، ما كان منها مشهوراً لمكانه، وما كان منها يختص بواحد واحد من الناس، ثم أَخذوا يَنُصُّون على المشهور من الأَصنام، وهذه الأَصنام رُوي أَنها أَسماءُ رجال صالحين كانوا في صدر الدنيا، فلما ماتوا صوَّرهم أَهل ذلك العصر من حجر وقالوا: ننظر إِليها فنذكر أَفعالهم، فهلك ذلك الجيل وكثُر تعظيم الآخر لتلك الحجارة ثم كذلك حتى عُبدت ثم

---

(١) انظر عزوه له في سيرة ابن هشام (٢/ ٦٧٠)، والطبقات الكبرى (٢/ ٣٢٢)، والحجة للفارسي (٦/ ٣٢٦)، وفي المطبوع: «ذِكْرُهُ».
(٢) البيت لأبي صَدَقَةَ الدُّبَيْري كما في الصحاح للجوهري (١/ ٨١)، والمخصص (٥/ ٢٦)، وقول عيسى في البحر المحيط (١٠/ ٢٨٥).
(٣) وهما شاذتان، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٤٨٦).
(٤) البحر المحيط (١٠/ ٢٨٥).

انتقلت تلك الأَصنام بأَعيانها ـ وقيل: بل/ الأَسماء فقط ـ إِلى قبائل من العرب، فكانت [٥/ ٢٣٩]
(وَدٌّ) في كلب بدُومَة الجندل، وكانت (سُوَاعٌ) في هُذَيْل، وكانت (يَغُوثُ) في مُراد، وكانت (يَعُوقُ) في هَمَدان، وكانت (نَسْرٌ) في ذي الكَلَاعِ مِنْ حِمْيَر[١].

وقرأَ نافع وحده ورُويت عن عاصم: ﴿وُدّاً﴾ بضم الواو.

وقرأَ الباقون، والأَعمش، والحسن، وطلحة، وشيبة، وأَبو جعفر بخلاف عن الثلاثة: ﴿وَدًّا﴾ بفتح الواو[٢].

قال الشاعر:

حَـيَّـاكَ وَدٌّ فَـإِنَّـا لا يَـحِـلُّ لَنَـا لَهْـوُ النِّسَـاءِ وَإِنَّ الدِّينَ قَـدْ عَزَمَا[٣] [البسيط]

فيقال: إِنه أَراد ذلك الصنم، وقال الآخر:

فـحـيَّـاك وُدٌّ مـا هــداكِ لِـفتـيـةٍ وخُـوصٍ بأعلى ذي طُوالةَ هُجَّدِ[٤] [الطويل]

ويروى البيتان بضم الواو وفتحها[٥].

وقرأَ الأَعمش: (ولا يغوثاً ويعوقاً) بالصرف[٦]، وذلك وهْمٌ؛ لأَن التعريف لازم ووزن الفعل.

وقوله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾ هو إِخبار نوح عليه السلام عنهم، وهو منقطع مما حكاه عنهم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٤٠)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٤٧).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٥٣)، وأبو جعفر بالضم كما في النشر (٢/ ٣٩١).

(٣) البيت للنابغة كما في الاستذكار (٥/ ٥١٠-٥١١)، والاستيعاب (٢/ ٧٢٢).

(٤) البيت للحطيئة كما في الزاهر للأنباري (٢/ ٦٦)، وتهذيب اللغة (٦/ ٢٥)، والمحكم (٤/ ١٥٢)، وسقط من المطبوع، وفي الأسدية٤: «وحياك»، وفي نور العثمانية: «من هداك، وحوض، وفصالة»، وفي الأسدية٤: «وحوص»، وفي: نجيبويه: «من هداك، وخوض وفضالة».

(٥) «وفتحها» ليست في الأصل، ولفظة «البيتان» ليست في المطبوع.

(٦) وهي شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (١٠/ ٤٦)، وعزاها في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٨٩) لابن مسعود.

والمعنى: وقد أَضل هؤلاءِ القائلون كثيراً من الناس الأَتباع والعوام، ثم دعا عليهم إِلى[١] الله تعالى بأَلاَّ يزيدهم إِلاَّ ضلالًا، وذكر الظَّالمين لتعُمَّ الدعوةُ كل من جرى مجراهم.

وقال الحسن ـ في كتاب النقاش ـ: أَراد بقوله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾: الأَصنام المذكورة[٢]، وعبَّر عنها بضمير من يعقل من حيث يعاملها جمهور أَهلها معاملة من يعقل ويسند إِليها أَفعال العاقل.

وقوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ ابتداءُ إِخبار من الله تعالى لمحمد ﷺ؛ أَي: إِن دعوة نوح عليه السلام أجيبت فآلَ أَمْرُهم إِلى هذا.

و(ما) في قوله تعالى: ﴿مِمَّا﴾ زائدة، فكأَنه تعالى قال: من خطيئاتهم أُغرقوا، وهي لابتداءِ الغاية.

وقرأَ: (مما خَطِيَئتهمْ) على الإِفراد الجحدريُّ والحسن[٣].

وقرأَ أَبو عمرو وحده، والحسن، وعيسى، والأَعرج، وقتادة بخلاف عنهم: ﴿مما خَطَاياهُمْ﴾ على تكسير الجمع[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ يعني: جهنم، وعبَّر عن ذلك بفعل المضي من حيث الأَمر متحقق، وقيل: أَراد عرضهم على النار غُدُوّاً وعشِيّاً عبَّر عنه بالإِدخال.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا﴾؛ أَي: لم يجد المغرقون أَحداً سوى الله تعالى ينصرهم ويصرف عنهم بأَس الله.

---

(١) «إلى» ليست في الأسدية ٣.

(٢) نقله في البحر المحيط (١٠/ ٢٨٧) عن الحسن.

(٣) وهي شاذة، انظرها في تفسير الثعلبي (١٠/ ٤٧)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٨٦)، ونص على ضم التاء. وضبطها في المطبوع بالكسر.

(٤) وهي سبعية، انظر: السبعة (ص: ٦٥٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾.

رُوي عن محمد بن كعب، ومقاتل، والربيع، وابن زيد: أَنَّ نوحاً عليه السلام لم يدع بهذه الدعوة إِلَّا بعد أَن أَخرج الله تعالى كل مؤمن من أَصلابهم، وأَعقم أَرحام النساءِ قبل العذاب بسبعين سنة، قال قتادة: وبعد أَن أَوحى إِليه: أَنه لن يُؤمن من قومك إِلا من قد آمن[١].

وقد كان قبل ذلك طامعاً فيهم حَدَباً عليهم، وفي حديث النبي ﷺ: أَنه ربَّما ضربه ناسٌ منهم أَحياناً حتى يُغشى عليه فإِذا أَفاق قال: اللهم اغفر لقومي فإِنهم لا يعلمون[٢].

و(دَيَّار) أَصله دَيْوارٌ، وهو فَيْعال من الدوران، أَي: من يجيء ويذهب، يقال منه: دَوَّارٌ ووزنه فَعَّال، ودَيَّارٌ ووزنه فَيْعالٌ وأَصله دَيْوَارٌ، وهذا كالْقَوَّامِ والقَيَّام.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَلِوَٰلِدَىَّ﴾.

وقرأَ أُبَيٌّ بن كعب: (ولأَبَوَيَّ).

وقرأَ سعيد بن جبير: (وَلِوالِدِيْ) بكسر الدال، يخص أَباه بالدعوة.

قال ابن عباس: لم يكْفُر لنوح أَبٌ ما بينه وبين آدم عليهما السلام[٣].

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٤٧)، وليس «مقاتل» في الأصل، وقول قتادة في تفسير الماوردي (٦/ ١٠٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٤٨).

(٢) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٥/ ٣١٢) عن محمد بن حميد الرازي، عن سلمة، عن محمد ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن عبيد بن عمير الليثي فذكره بلفظ مطول.

(٣) لم أقف عليه مسنداً، وقد ذكره القرطبي في تفسيره (١٨/ ٣١٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقرأ يحيى بن يَعْمَر، والجحدريُّ: (وَلِوَلَدَيَّ) بفتح اللام والدال وشدِّ الياءِ مفتوحة، وهي قراءة النَّخَعي[1]، يخصُّ بالدعاءِ ابنيه.

و«بَيْتُه»: هو المسجد فيما قال ابن عباس وجمهور المفسرين.

وقال ابن عباس أَيضاً: «بَيْتُه»: شريعته ودينه[2]، استعار لهما بَيْتاً، كما يقال: قُبَّة الإسلام، وفُسْطاطُ الدين.

وقيل: أَراد سفينته، وقيل: داره.

وقوله: (لِلْمُؤْمِنِينَ وَالـمُؤْمِناتِ) تعميم بالدعاءِ لمؤمني كل أمة.

وقال بعض العلماءِ: إِن الذي استجاب لنوح عليه السلام فأَغرق بدعوته أَهل الأَرض الكفار لَجَدير أَن يستجيب له فيرحم بدعوته المؤمنين.

و«التَّـبَارُ»: الهلاك وَذَهاب الرسم.

وقرأَ حفصٌ عن عاصم، وهشامٌ وأَبُو قرة عن نافع: ﴿بَيْتِيَ﴾ بتحريك الياءِ. وقرأَ الباقون بسكونها[3].

(١) ثلاث قراءات شاذة، انظر البحر المحيط (١٠/ ٢٨٨)، وعزا الكرماني في الشواذ (ص: ٤٨٦) الأولى للجحدري، والثالثة للحسن والزهري.

(٢) هذان القولان لم أقف عليهما مسندين، وانظر تفسير القرطبي (١٨/ ٣١٤).

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٥)، ورواية أبي قرة في السبعة (ص: ٦٥٤).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سُورة الجنّ

وهي مكِّيَّةٌ بإِجماع من المفسرين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا ٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ٥﴾.

قرأَ جمهور الناس: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ من: أَوْحَى يُوحِي.

وقرأَ أَبو أناس جُوَيَّة[1] بن عائذ: (قُلْ وُحِيَ)[2] من: وَحَى يَحِي.

ووَحَى وأَوْحَى بمعنى واحد، وقال العجَّاج:

---

(١) كذا في الأصل، وفي المطبوع وسائر النسخ الخطية: «أبو إياس»، وقد اختلف في اسمه فقيل: «جوية بن عائذ» وقيل: «ابن عاتك» وقيل غير ذلك، وذهب بعضهم إلى أن «أبا أناس» كنية ابنه عبد الملك، وقد روى القراءة عن عاصم وذكر الداني أنَّ له اختياراً في القراءة، انظر: تاريخ دمشق (١١/ ٣٣٩)، والغاية لابن الجزري (١/ ١٩٩).

(٢) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٦٣)، لابن أبي عبلة، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٤٨٧) للعتكي عن أبي عمرو، وضبطت في المطبوع بفتح الواو.

[الرجز] وَحَى لَهَا الْقَـرارَ فَـاسْتقَـرَّتِ[١] ....

وقرأ أَيضاً جُوَيَّة فيما روى عنه الكسائيُّ: (قُلْ أُحِيَ)، أَبدلت الواو همزة كما أَبدلوها في وسادة وإِسادة، وغير ذلك، وكذلك قرأ ابن أَبي عبلة[٢].

وحكى الطبري عن عاصم: أَنه كان يكسر كل أَلف في السورة من (أَنَّ) و(أَنَّه) إلا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾، وحكى عن أَبي عمرو: أَنه كان يكسر من أَوَّلها إِلى قوله

[٥/ ٢٤٠] تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ فإِنه كان / يفتح هذه وما بعدها إِلى آخر السورة، فعلى ما حكى: يلزم أَن تكون الأَلف مكسورة في قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾، وليس ما ذَكَر بثابت[٣].

وذكر أَبو عَليٍّ الفارسي: أَن ابن كثير، وأَبا عمرو فَتَحَا أَربعة أَحرف من السورة وكَسَرا غير ذلك: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾، ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ﴾.

وأَن نافعاً وعاصماً في رواية أَبي بكر والمفضل وافقا في الثلاثة الأَولى وكَسَرَا ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ﴾ مع سائر ما في السورة.

وذكر أَن ابن عامر وحمزة والكسائي كانوا يقرؤون كل ما في السورة بالفتح إِلَّا ما جاءَ بعد قولٍ أَو فاءِ جزاءٍ، وكذلك حفص عن عاصم[٤]، فترتب إِجماع القراءِ على فتح الأَلف من ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾، ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾.

وذكر الزهراوي عن علقمة: أَنه كان يفتح الأَلف في السورة كلها.

واختلف الناسُ في الفتح من هذه الأَلفات وفي الكسر اختلافاً كبيراً يطول حصره وتقصِّي معانيه[٥].

---

(١) البيت للعجاج كما تقدم في تفسير الآية (١١١) من (سورة المائدة).

(٢) وهي شاذة، عزاها في المحتسب (٢/ ٣٣١) لجوية، وفي مختصر الشواذ (ص: ١٦٣) لهما، دون ذكر الكسائي.

(٣) إذ لا خلاف فيها، وانظر تفسير الطبري (٢٣/ ٦٥٢).

(٤) انظر: الحجة للفارسي (٦/ ٣٣٠).

(٥) حاصله أنهما سبعيتان، قرأ ابن عامر وحفص والأخوان بالفتح، كما في التيسير (ص: ٢١٥)، وقول الزهراوي لم أقف عليه.

قال أَبو حاتم: أَما الفتح فعلى ﴿أُوحِىَ﴾ فهو كله في موضع رفع على ما لم يُسَمَّ فاعله، وأَما الكسر فحكاية وابتداءٌ وبعد القول[١].

وهؤلاءِ النفر من الجن هم الذين صادفوا رسول الله ﷺ يقرأُ ببطن نخلة في صلاة الصبح وهو يريد عكاظ، وقد تقدم قصصهم في (سورة الأَحقاف) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، وكان سبب ذلك حراسة السماءِ من استراق السمع.

وقول الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ الآيات: هو خطاب منهم لقومهم الذين تولَّوْا إِليهم منذرين.

و﴿قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ معناه: ذو عجب؛ لأَن العجب يقع من سامع القرآن لبراعته وفصاحته ومُضَمَّناته، وليس نفس القرآن هو العجب.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ بضم الراءِ وسكون الشِّين.

وقرأَ عيسى الثقفي: (إلى الرَّشَدِ) بفتح الراءِ والشين[٢].

ومن كسر الهمزة من قوله تعالى: ﴿وإنَّه تعالى﴾ فعلى القطع، وتعطف الجملة على قولهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾.

ومن فتح الأَلف من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ﴾ فقد اختلفوا في تأَويل ذلك:

فقال بعضهم: هي عطف على ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾، فيجيءُ على هذا قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ﴾ ممَّا أُمِر أَن يقول إِنَّه أُوحي إِليه، وليس يكون من كلام الجن، وفي هذا قلق.

وقال بعضهم: بل هي عطف على الضمير في ﴿بِهِۦ﴾، كأَنهم يقولون: فآمنا به

---

(١) البحر المحيط (١٠/ ٢٩٤).

(٢) وهي شاذة، عزاها له القرطبي (١٩/ ٧)، وعزاها في الكرماني في الشواذ (ص: ٤٨٧) لابن يعمر، وللثقفي بضمتين.

وبأَنه تعالى جَدُّ ربنا، وهذا القول أَبْيَن في المعنى، لكن فيه من جهة النحو العطف على الضمير المخفوض دون إِعادة الخافض، وذلك لا يحسن.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ بفتح الجيم وإِضافته إِلى «الرَّبِّ» تعالى.

وقال جمهور المفسرين: معناه: عظمته.

وروي عن أَنس أَنه قال: كان الرجل إِذا قرأَ البقرة وآل عمران جَدَّ في أَعيننا، أَي عَظُم(١).

وقال أَنس بن مالك، والحسن: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾: غناه(٢).

فهذا هو من الجَدِّ الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «وَلَا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ»(٣).

وقال مجاهد: ذِكْرُهُ(٤)، [وقال بعضهم: جلالُه.

وقال ابن عباس: قَدْرُه وَأَمْرُهُ(٥).

وهذا](٦) كله مُتَّجه؛ لأن الجَدَّ هو حظ المجدود من الخيرات والأوصاف الجميلة، وَجَدُّ الله تعالى: هو الحظُّ الأَكمل من السلطان القاهر والصفات(٧) العليَّة والعظمة.

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٣/ ١٢٠-١٢١)، ومسلم (٢٧٨١) من حديث أنس رضي الله عنه واللفظ لأحمد.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٤٩)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٥٩)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٥٠)، وقول أنس في تفسير القرطبي (١٩/ ٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣) من حديث المغيرة بن شعبة: أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة وسلم قال: «... اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد».

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٥٠)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٥٠)، وتفسير الماوردي (٦/ ١١٠)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٦٠).

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٤٨)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٥٠) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

(٦) ما بين معكوفتين سقط من الأصل.

(٧) في المطبوع: «الطبقات».

ومن هذا قول اليهودي حين قدم رسول الله ﷺ المدينة: «يا بني قَيلة هذا جَدُّكُم الذي تنتظرون»[١]؛ أَي: حظكم من الخيرات وبختكم.

وقال علي بن الحسين، وأَبو جعفر الباقر، وابنه جعفر، والربيع بن أَنس: ليس لله جَدٌّ، وهذه مقالة قوم جهلة من الجن جعلوا الله تعالى جَدّاً؛ أَي: أَبا أَبٍ[٢].

قال كثير من المفسرين: هذا قول ضعيف، وقولهم: ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ يدفعه، وكونهم فيما روي على شريعة متقدمة وفهمهم للقرآن.

وقرأَ محمد بن السَّميفع اليماني: (جَدَى ربِّنَا)، وهو من الجدوى[٣] والنَّفْع.

وقرأَ عكرمة: (جَدٌّ رَبُّـنَا) بفتح الجيم وضم الدال وتنوينها ورفع الرب، كأَنه يقول: تعالى عظيم هو ربُّنا، و(رَبُّـنَا) بدلٌ، والجَدُّ: العظيم في اللغة.

وقرأَ حميد بن قيس: (جُدُّ رَبِّنَا) بضم الجيم، ومعناه: العظيم، حكاه سيبويه وَبإِضَافَته إِلى «الرَّبِّ»، فكأَنه قال: عَظِيم ربِّنَا، وهذه إِضافة تجديد[٤]، يوقع النحاةُ هذا الاسم إِذا أُضيفت الصفة إِلى الموصوف، كما تقول: جاءني كريمُ زَيْدٍ، تريد: زيدٌ الكريم، ويجري مجرى هذا عند بعضهم قول المتنبي:

.... عَظيـمُ الْمُلـكِ فـي الْمُقَل[٥] [البسيط]

---

(١) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/ ٣٠٩٥) من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر ابن الزبير، عن عروة، عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ فذكره بلفظ مطول، وعبد الرحمن بن سالم بن عتبة، ويقال ابن عبد الله، ويقال ابن عبد الرحمن بن عويم ابن ساعدة الأنصاري المدني مجهول، كما في التقريب (٣٨٦٨).

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٥٠).

(٣) في الأصل: «الجدى»، وفي الأسدية ٤: «الجد».

(٤) في المطبوع والأسدية ٤ والأسدية ٣: «تجريد»، وفي المطبوع والأسدية ٣: «يرفع» بدل «يوقع».

(٥) صدره: مُطَاعَةُ اللَّحظِ في الألحاظِ مالِكَةٌ ... لمقلتيها، انظر عزوها له في الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (٤/ ٧١٦)، وشرح المشكل من شعر المتنبي (١/ ٦٢)، وشرح ديوان المتنبي للواحدي (١/ ٢٤٥).

أَراد: المُلْك العظيم، قال بعض النحاة: وهذا المثال معترض؛ لأَنه أَضاف إِلى جنس فيه العظيم والحقير.

وقرأَ عِكْرمة أَيضاً: (جَدّاً رَبُّنَا) بفتح الجيم والدال وتنوينها ورفع «الرَّب»، نصب (جَدّاً) على التمييز كما تقول: تَفَقَّأْتُ شحْماً، وتَصَبَّبْتُ عرقاً.

وقرأَ قتادة: (جِدّاً ربُّنا) بكسر الجيم وشدِّ الدال ورفع «الرَّب»[1]، فنصب (جدّاً) على الحال، ومعناه: حقيقة ومتمكناً، وهذا معنى غير الأَول.

وقرأَ أَبو الدرداءِ: (تَعَالَى ذِكْرُ ربِّنَا)، وروي عنه: (جلالُ رَبِّنا)[2].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ﴾، لا خلاف أَن هذا قول الجن، وكَسْرُ الأَلف فيه أَبْيَن، وفَتْحها لا وَجْه له إِلا اتباع العطف على الضمير، كأَنهم قالوا: وآمَنَّا الآن بأَن سفيهنا كان قوله على الله شططاً، والسَّفيه المذكور قال جمهور من المفسرين: هو إِبليس لعنه الله.

وقال آخرون: هو اسم جنس لكل سفيه منهم. ولا محالة أَن إِبليس صَدْرٌ في السفهاءِ، وهذا القول أَحسن.

و«الشَّطَطُ»: التَّعدي وتجاوز الحدِّ بقول أَو بفعل، ومنه قول الأَعشى:

[البسيط] أَتَنْتَهُونَ وَلَا يَنْهَى ذَوي شَطَطٍ ... كالطَّعْنِ يَذْهَبُ فيه الزَّيْتُ والْفُتُلُ[3]

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ هو كلام أُولئك النفر من الجن، لا يحتمل غير ذلك، وكسر الأَلف فيه أَبين، والمعنى: إِنا كنا نظن قبل إِيماننا أَن الأَقوال التي نسمع من إِبليس

---

(١) هذه خمس قراءات شاذة، انظر الأولى في تفسير القرطبي (١٩/ ٩)، والثانية والرابعة في المحتسب (٢/ ٣٣٢)، والأولى والثالثة في البحر المحيط (١٠/ ٢٩٥)، وعزاهما الكرماني في الشواذ (ص: ٤٨٧) لعكرمة.

(٢) وهما شاذتان، تابعه عليهما في تفسير الثعالبي (٥/ ٤٩٤)، والثانية في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٣٤) تفسير.

(٣) البيت من معلقته، وقد تقدم في تفسير البسملة.

وغواة الجن والإِنس في جهة الآلهة وما يتعلق بذلك حق وليست بكذب؛ لأَنا كنا نظن بهم أَنهم لا يكذبون على الله تعالى ولا يرضون ذلك.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿نَقُولَ﴾ [بالتاءِ وضم القاف مخففة][1].

وقرأَ الحسن، والجحدري، وابن أَبي بكرة، ويعقوب: (تَقَوَّلَ) بفتح التاءِ والقاف والواو مشددة[2]، والتَّـقَوُّل خاص بالكذب، والقول عامٌّ له وللصدق، ولكن قولهم: ﴿كَذِبًا﴾ يردُّ القول هنا إِلى معنى التَّقَوُّل / . [٥/ ٢٤١]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾.

هذه الأَلف من ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ﴾ مما اختلف في فتحها وكسرها، والكسرُ أَوجَهُ.

والمعنى في الآية: ما كانت العرب تفعله في أَسفارها وتغرُّبها في الرعي وغيره، فإِن جمهور المفسرين رَوَوْا أَن الرجل كان إِذا أَراد المبيت والحلول في وادٍ صاح بأَعلى صوته: يا عزيز هذا الوادي إِني أَعوذ بك من السفهاءِ الذين في طاعتك، فيعتقد بذلك أَن الجنيَّ الذي بالوادي يمنعه ويحميه، فروي أَن الجن كانت تقول عند ذلك: ما نملك لكم ولا لأَنفسنا من الله شيئاً[3].

قال مقاتل: أَول من تعوَّذ بالجن قوم من أَهل اليمن، ثم بنو حنيفة، ثم فَشَا ذلك في العرب[4].

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من الأصل والأسدية ٤ ونجيبويه.
(٢) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٣٢).
(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٥٤)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٥٠)، وتفسير الماوردي (٦/ ١١١).
(٤) تفسير الثعلبي (١٠/ ٥٠).

وروي عن قتادة: أَن الجن كانت لذلك تحتقر بني آدم وتزدريهم لما ترى من جهلهم، فكانوا يزيدونهم مخافة، ويتعرضون للتخيُّل لهم بمنتهى طاقتهم، ويغوونهم في إِرادتهم لما رأَوا رقَّة أَحلامهم، فهذا هو الرَّهَق الذي زادته الجنُّ بني آدم(١).

وقال مجاهد، والنَّخعي، وعبيد بن عمير: بنو آدم زادوا الجن رهقاً وهو الجرأَة والانتحاءُ عليهم والطغيان وغشيان المحارم والإِعجاب لأَنهم قالوا: سُدْنا الجنَّ والإِنس(٢).

وقد فسَّر قوم الرهق بالإِثم، وأَنشد الطبري في ذلك بيت الأَعشى:

[البسيط] لَا شَـيْءَ يَنْفَعُنـي مِـنْ دونِ رُؤْيَـتِهَا هَلْ يَشْتَفِي وَامِقٌ ما لَمْ يُصِب رَهَقَا(٣)

وقال: معناه: ما لم يغش محرماً، فالمعنى: زادت الجنُّ الإِنسَ إِثماً؛ لأَنهم عظموهم فزادوهم استحلالاً لمحارم الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ﴾ يريد بني آدم الكفار، ﴿كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ مخاطبة لقومهم من الجن، وقولهم: ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ يحتمل معنيين: أَحدهما: بعث الحشر من القبور، والآخر: بعث آدميٍّ رسولاً، و﴿أَن﴾ في قوله تعالى: ﴿أَن لَّن﴾ مخففة من الثقيلة، وهي تسدُّ مَسَدَّ المفعولين، وذكر المهدوي تَأويلاً أَن المعنى: وأَن الجنَّ ظنُّوا كما ظننتم أَيها الإِنس، فهي مخاطبة من الله تعالى(٤).

وقولهم: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ معناه: الْتَمَسْنا، ويظهر بمقتضى كلام العرب أَنها استعارة لتجربتهم أَمرها وتعرضهم لها، فسمَّى ذلك لَمْساً إِذ كان اللَّمْس غاية غرضهم، ونحو هذا قول المتنبي:

[الطويل] تَعَدَّ الْقُرَى وَالْمس بنا الْجَيْشَ لَمْسَةً تبادر إِلَى مَا تَشْـتَهي يَدَكَ الْيُمْنَى(٥)

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٦٥٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٦٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٦٥٦)، ولم أقف على قول عبيد بن عمير.

(٣) انظر عزوه له في تفسير الطبري (٢٣/ ٦٥٦)، وتفسير الماوردي (٦/ ١١١)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٥١).

(٤) التحصيل للمهدوي (٦/ ٤٩٦).

(٥) انظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي (ص: ٢٣٠).

فعبَّر عن صدم الجيش بالجيش وحربه باللَّمس، وهذا كما تقول: الْمس فلاناً في أَمر كذا؛ أَي: جرب مذهبه فيه.

و﴿مُلِئَتۡ﴾ إِما أَن تكون في موضع المفعول الثاني لـ(وجدنا).

وإِما أَن يقصر الفعل على مفعول واحد وتكون ﴿مُلِئَتۡ﴾ في موضع الحال.

وكان الأَعرج يقرأُ: (مُلِيَتْ) بغير همز(١).

و«الشُّهُبُ»: كواكب الرجم.

و«الْـحَرَسُ»: يحتمل أَن يريد الرمي بالشهب وكرَّر المعنى بلفظ مختلف، ويحتمل أَن يريد الملائكة.

و﴿مَقَٰعِدَ﴾ جمع مقعد، وقد فسَّر رسول الله ﷺ صورة قعود الجن أَنهم كانوا واحداً فوق واحد، فمتى أُحْرِق الأَعلى طلع الذي تحته مكانه، فكانوا يسترقون الكلمة فيبلغونها إِلى الكهان ويزيدون معها، ويزيد الكهان للكلمة مئة كذبة.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ﴾ الآية، قطع على أَنه كل من استمع الآن أَحرقه شهاب، فليس هنا بَعْدُ سَمْعٌ، إِنما الإِحراق عند الاستماع، وهذا يقتضي أَن الرجم كان في الجاهلية ولكنه لم يكن بمستأصل، وكان الحرس ولكنه لم يكن شديداً، فلما جاءَ الإِسلام اشتد الأَمر حتى لم يكن فيه يُسْر ولا سماحة.

ويدل على هذا قولُ النبي ﷺ لأَصحابه وقد رأَوْا كوكباً راجماً: «ماذا كنتم تقولون لهذا في الجاهلية؟»، قالوا: كنا نقول: وُلد ملك، مات ملك، فقال ﷺ: «ليس الأَمر كذلك»، ثم وصف صورة صعود الجن(٢).

(١) عشرية لأبي جعفر كما في النشر (١/ ٣٩٦)، ورواها الأصبهاني عن ورش والأعشى عن شعبة في جامع البيان (٤/ ١٦٦٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٢٩) وغيره من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بلفظ مطول.

وقد قال عَوْف بن الخَرِع، وهو جاهلي:

[أحذ الكامل] فَانْقَضَّ كالدُّرِّيِّ يَتْبَعُهُ نَقْعٌ يَثورُ تَخالُهُ طُنُباً[١]

وهذا في أَشعارهم كثير.

و﴿رَّصَدًا﴾ نعت للشِّهابِ، ووصفه بالمصدر.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية، معناه: لا ندري، أَيُؤْمن الناس بهذا النبي فيرشُدوا، أَم يكفرون به فينزل بهم الشَّرُّ؟

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾.

[هذا كله من قول الجن إِلى آخر قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾][٢].

وقولهم: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أَي غير الصالحين، كأَنهم قالوا: ومنا قوم أَو فرقة دون صالحين، وهي لفظة تقع أَحياناً موقع «غير».

و«الطَّرائِقُ»: السِّيَر المختلفة، و«الْقِدَدُ» كذلك: هي الأَشياءُ المختلفة، كأَنه قَدْ قُدَّ بعضها من بعض وفصل.

---

(١) البيت لأوس بن حَجَر، في أول قصيدة في ديوانه، وأما بيت عوف فهو:

يردّ علينا العير من دون إلفه أو الثّور كالدّرّيّ يتبعه الدّم

انظر: المعاني الكبير (٢/ ٧٣٩)، وتفسير الماوردي (٦/ ١١٢)، والحيوان (٦/ ٤٥٩)، وتفسير الزمخشري (٤/ ٦٢٦)، وفي حماسة الخالديين (ص: ٩٨)، أن الشاهد لشريح بن أوس ولعله مأخوذ من تشكيك الجاحظ بقوله في الحيوان (٦/ ٤٦١) وهذا الشّعر ليس يرويه لأوس إلّا من لا يفصل بين شعر أوس ابن حجر، وشريح بن أوس. والنَّقع: الغبار الثائر اللامع، والطُّنُبُ: الفسطاطُ المضروب.

(٢) سقط من الأصل.

قال ابن عباس(١)، وعكرمة، وقتادة: ﴿طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾: أَهْوَاءً مختلفة(٢).

وقال غيرهم: فرق مختلفون، قال الكميت:

جَمَعْتَ بالرَّأْيِ مِنْهُمْ كُلَّ رافِضَةٍ ... إِذْ هُمْ طَرَائِقُ في أَهْوَائِهِمْ قِدَدُ(٣) [البسيط]

قولهم: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ﴾، الظَّن هنا بمعنى العلم، وهذا إِخبارٌ منهم عن حالهم بعد إِيمانهم كما سمعوا من محمد ﷺ.

و﴿ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ يريدون به القرآن، سمَّوه هدى من حيث هو سبب الهدى.

و«الْبَخْسُ»: النقص، و«الرَّهَقُ»: تحميل ما لا يطاق وما يثقل من الأَنكاد ويَفدح.

وقال ابن عباس: «البَخْسُ»: نقص الحسنات، و«الرَّهق»: الزيادة في السيئات(٤).

وقرأَ الأَعمش ويحيى بن وثاب: (فلا يَخَفْ) بالجزم دون أَلف(٥).

وقسَّم الله تعالى بعد ذلك حالَ الناس في الآخرة على نحو ما قسَّم / قائلُ الجن بقوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ﴾. [٥/ ٢٤٢]

و(القاسِطُ): الظالم، قاله مجاهد، وقتادة، والناس(٦)، ومنه قول الشاعر:

قَـوْمٌ هُـمُ قَـتَلَـوا ابْـنَ هِنْـد عَنْوَةً ... عَمْراً وَهمْ قَسَطُوا عَلَى النُّعْمانِ(٧) [الكامل]

والْمُقْسِط: العادل، وإِنما هذا التقسيم ليذكر حال الفريقين من النجاة والهلكة،

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٥٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٧٥٩)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٦٩).

(٣) البحر المحيط (١٠/ ٢٩١).

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٦٠)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٥٠) من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا يخاف نقصاً من حسناته، ولا زيادة في سيئاته.

(٥) وهي شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٥/ ٣٣).

(٦) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٦١).

(٧) البيت للفرزدق كما في الشعر والشعراء (١/ ٢٢٩)، والأغاني (١١/ ٥٧)، وتفسير السمعاني =

ويُـرَغِّب في الإِسلام من لم يدخل فيه، فالوجه أَن يكون ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ﴾ مخاطبةً من الله تعالى لمحمد ﷺ، ويؤيده ما بعده من الآيات.

و﴿تَحَرَّوْاْ﴾ معناه: طلبوا باجتهادهم.

ومنه قول النبي ﷺ: «لا تَتَحَرَّوْا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها»[١].

وقوله تعالى: ﴿لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ نظير قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]، [التحريم: ٦].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾.

الضمير في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَقَٰمُواْ﴾، قال أَبو مِجْلز، والفراءُ، والربيع بن أَنس، وزيد ابن أَسلم، والضحاك ـ بخلاف عنه ـ: هو عائد على قوله: ﴿مَنْ أَسْلَمَ﴾[٢].

و﴿ٱلطَّرِيقَةِ﴾: طريقة الكفر، أَي: لو كفر من أَسلم من الناس لأَسقيناهم إِملاءً لهم واستدراجاً.

وقال ابن عباس[٣]، وقتادة، وابن جبير، ومجاهد: الضمير عائد على «القاسطين»[٤].

= (٦/ ٦٨)، يمدح بني تغلب ويهجو جريراً، وابْنُ هِنْد هو عَمْرو بن المنذر اللخمي، ملك الحيرة في الجاهلية، وكان شديد البأس، قتله عمرو بن كلثوم.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٨٥)، ومسلم (٨٢٨) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه واللفظ لمسلم.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ١٩٣)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٥٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٦٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ يعني بالاستقامة: الطاعة. فأما الغدق: فالماء الطاهر الكثير ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ يقول: لنبتليهم به.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٦٢)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٧١)، وتفسير الماوردي (٦/ ١١٦).

والمعنى: على طريقة الإِسلام والحق لأَنعمنا عليهم[١].

وهذا المعنى نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾، وقوله: ﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٥-٦٦].

وهذا القول أَبْيَن، لأَن استعارة الاستقامة للكفر قلقة.

وقرأَ الأَعمش، وابن وثاب: (وأن لَوُ استقاموا) بضم الواو، وقال أَبو الفتح: هذا تشبيه بواو الجماعة ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ [البقرة: ١٦][٢].

و«الماءُ الغَدَقُ»: هو الماءُ الكثير.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿غَدَقًا﴾ بفتح الدال، وقرأَ عاصم في رواية الأَعمش عنه بكسرها[٣].

وقوله تعالى: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ﴾ إِن كان المسلمون فمعناه: لنختبرهم.

وإِن كان القاسطون فمعناه: لنمتحنهم ونستدرجهم.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حيث يكون الماءُ فَثَمَّ المال، وحيث المالُ فَثَمَّ الفتنة[٤] ونزع بهذه الآية.

وقال الحسن، وابن المسيَّب، وجماعة من التابعين: كانت الصحابة مطيعين سامعين، فلما فتحت كنوز كسرى وقيصر وثب بعثمان رضي الله عنه فَقُتل وثارت الفِتَنُ[٥].

---

(١) «لأنعمنا عليهم» ليست في المطبوع.

(٢) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٣٣٢).

(٣) وهي شاذة، عزاها له في مختصر الشواذ (ص: ١٦٣)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٨٨) لرواية أبان عنه.

(٤) منقطع، أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٦٣) من طريق المطلب بن زياد، عن السدي قال: قال عمر بنحوه، والسدي لم يدرك عمر.

(٥) تفسير الثعلبي (١٠/ ٥٣).

و﴿نسْلُكْهُ﴾ معناه: ندْخله.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿يَسْلُكْهُ﴾ بفتح الياءِ، أَي: يسلكه الله.

وقرأ بعض التابعين: (يُسْلِكْهُ) بضم الياءِ، من أَسْلَكَ، وهما بمعنى[1].

وقرأ باقي السبعة: ﴿نَسْلُكْهُ﴾ بنون العظمة[2].

وقرأ ابن جندب: (نُسْلِكْهُ) بنون مضمومة ولام مكسورة[3].

و﴿صَعَدًا﴾ معناه: شاقّاً، تقول: فلان في صَعَدٍ من أَمره؛ أَي: في مشقة، وهذا أَمر يتصَعَّدني.

قال عمر رضي الله عنه: ما تصعَّدني شيءٌ كما تتصَعَّدني خطبة النكاح[4].

وقال ابن عباس، وأَبو سعيد الخدري: صَعَد: جبل في النار[5].

وقرأ قوم: (صُعُداً) بضم الصاد والعين.

---

(١) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (١٠/ ٣٠٠).

(٢) هذه والأولى سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢١٥).

(٣) كذا في أحمد٣، وهو مسلم عزاها له في الثعلبي (١٠/ ٥٤)، ومختصر الشواذ (ص: ١٦٣)، وهي شاذة، وفي نور العثمانية: «جندب»، وفي المطبوع وسائر النسخ الخطية: «ابن جبير»، ولم أجدها له.

(٤) منقطع، هذا الأثر أورده الزيلعي في «تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري» (٤/ ١٠٠) وقال: رواه أبو عبيد القاسم بن سلام، وإبراهيم الحربي في «غريبيهما» من حديث حماد ابن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عمر أنه قال ما تصعدني شيء إلى آخره، وعروة بن الزبير لم يدرك عمر، فائدة: قال الدينوري في المجالسة (١٤٩٩): حدثنا أحمد نا الحسين بن الفهم نا محمد بن سلام قال سئل بعض أهل اللغة عن قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما تصعدني كلام كما تصعدتني خطبة النكاح؟ فقال كانت الخطباء تخطب قياماً متكئين على شيء إلا في خطبة النكاح فكانوا يستحبون أن يكونوا في المحفل وقرب الوجوه من الوجوه ونظر الأحداق في أجواف الأحداق، لأنه إذا كان جالسا لابد له من ذلك، وإذا علا المنبر صاروا سوقة ورعية وهو فوقهم. اهـ.

(٥) أسانيدهما لينة، أخرجه هناد في الزهد (٢٨٠)، والطبري (٢٣/ ٦٦٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٤) من طريق إسرائيل بن يونس، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه به، =

وقرأَ الجمهور بفتح الصَّاد والعين.

وقرأَ ابن عباس، والحسن بضم الصاد وفتح العين[١].

قال الحسن: معناه: لا راحة فيه[٢].

ومَنْ فَتَح الأَلف من ﴿أَنَّ الْـمَساجِدَ لله﴾ جعلها عطفاً على قوله تعالى: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ﴾، ذَكَرَهُ سيبويه[٣].

و﴿ٱلۡمَسَٰجِدَ﴾ قيل: أَراد بها البيوت التي للعبادة والصلاة في كل مِلَّة.

وقال الحسن: أَراد كل موضع سُجد فيه، كان مخصوصاً لذلك أَو لم يكن[٤]؛ إِذ الأَرض كلها مسجد لهذه الأُمة.

ورُوي: أَن هذه الآية نزلت بسبب تغلُّب قريش على الكعبة حينئذ، فقيل لمحمد ﷺ: المواضع كلها لله تعالى فاعبده حيث كان[٥].

= أما حديث أبي سعيد الخدري فقد أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢/ ٩٦) زوائد نعيم بن حماد، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٣١)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (٣٠)، والطبري (٢٣/ ٢٢)، وابن أبي حاتم (١٩٠٣٤)، والبيهقي في البعث (٥٣٨) من طريق عمار الدهني، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ قال: «هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده، فإذا وضع يده ذابت وإذا رفعها عادت وإذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت»، وأخرجه أحمد (١٨/ ٢٤٠)، والترمذي (٣٣٢٦)، والطبري في تفسيره (٢٣/ ٣٣) وغيرهم من طريق دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً بلفظ: «الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً، ثم يهوي به كذلك منه أبداً».

(١) وهي شاذة، عزاها لهما الكرماني في الشواذ (ص: ٤٨٨)، والأولى شاذة أيضاً، انظر: البحر المحيط (١٠/ ٣٠٠).

(٢) انظر: تفسير الثعلبي (١٢/ ٥٤).

(٣) الكتاب لسيبويه (٣/ ١٢٧).

(٤) تفسير الثعلبي (١٠/ ٥٤).

(٥) لم أقف عليه.

وقال ابن عطاءٍ: المساجد: الآراب التي يُسجد عليها[١]، واحدها: مَسْجَد بفتح الجيم.

وقال سعيد بن جبير: نزلت الآية لأَن الجن قالت: يا رسول الله كيف نشهد الصلاة معك على نأْينا عنك؟ فنزلت الآية ليخاطبهم بها على معنى: إِنَّ عبادتكم حيث كنتم مقبولة[٢].

وقال الخليل بن أَحمد: معنى الآية: ولأَن المساجد لله فلا تدعوا؛ أَي: لهذا السبب، وكذلك عنده ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ... فَلۡيَعۡبُدُواْ﴾ [قريش: ١-٣]، وكذلك عنده ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [الأنبياء: ٩٢][٣].

والمساجد المخصوصة بَيِّنة التمكن في كونها لله تعالى، فيصح أن تفرد للصلاة والدعاءِ وقراءة العلم وكل ما هو خالص لله تعالى، وأَلَّا يتحدث فيها في أُمور الدنيا، [ولا يتَّجر][٤]، ولا تُتَّخذ طرقاً، ولا يْجعل فيها لغير الله تعالى نصيب.

ولقد قعدتُ للقضاءِ بين المسلمين في المسجد الجامع بالمرية مدة، ثم رأَيت فيه من سوءِ خُلق المتخاصمين وصياحهم وَأيْمانهم وفجور الخصام وغائلته ودخول النسوان ما رأَيتُ تنزيهَ البيت عنه، فقطعت القعود للأَحكام فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أَن يكون خطاباً من الله تعالى.

ويحتمل أَن يكون إِخباراً عن الجن.

وقرأَ بعض القراءِ على ما تقدم: ﴿وَأَنَّهُۥ﴾ بفتح الأَلف، وهذا عطف على قوله: ﴿أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ﴾.

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٥٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٦٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٧٤)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٥٤).

(٣) انظر كلامه على هذه الآية في الجمل في النحو (ص: ٢٢٢).

(٤) سقط من الأصل.

و«الْعَبْدُ» على هذه القراءَة، قال قوم: هو نوح عليه السلام، والضمير في ﴿كَادُواْ﴾ لِكُفَّار قومه.

وقال آخرون: هو محمد ﷺ، والضمير في ﴿كَادُواْ﴾ للجن، والمعنى: أَنهم كادوا يَتَقَصَّفُون[1] عليه لاستماع القرآن.

وقرأَ آخرون: ﴿وَإِنَّهُ﴾ بكسر الهمزة[2]، و«العَبْدُ» محمد ﷺ، والضمير في ﴿كَادُواْ﴾ «كادُوا» يحتمل أَن يكون للجن على المعنى الذي ذكرناه، ويحتمل أَن يكون لكفار قومه وللعرب في اجتماعهم على ردِّ أَمره.

ولا يتَّجه أَن يكون «العبد» نوحاً عليه السلام إِلَّا على تحامل في تأْويل نَسَق الآية.

وقال ابن جبير: معنى الآية: أَنها قول الجن لقومهم يحكون[3]، و«العَبْدُ» محمد ﷺ، والضمير في ﴿كَادُواْ﴾ لأَصحابه الذين يطوعون له ويقتدون به في الصلاة، فهم عليه لِبَدٌ.

و«اللبد»: الجماعات / ، شُبِّهت بالشيءِ المتلَبِّد بعضه فوق بعض، ومنه قول عبد مناف ابن ربع: [٥/ ٢٤٣]

[البسيط]
صابـوا بِسِـتَّـةِ أَبْيـاتٍ وَأَرْبَـعَـةٍ حَـتَّى كَـأَنَّ عَلَـيْهِمْ جَانِياً لِبَدَا[4]

يريد الجراد، سماه جانِياً؛ لأَنه يَجْني الأَشياءَ بأَكله، [ويروى: جابياً بالباءِ؛ لأَنه يجبي الأَشياءَ بأَكله][5].

---

(١) يَتَقَصَّفُون: يجتمعون عليه مع تدافع شديد حتى يقصف بعضهم بعضاً من شدة الزحام.

(٢) انظر: السبعة (ص: ٦٥٦) فقد نسب الكسر لنافع وعاصم فى رواية أبي بكر والمفضل.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٦٧)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٧٦)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٥٥)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٢٠).

(٤) الهذلي، انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٢٧٢)، والحجة للفارسي (٦/ ٣٣٤)، والمحكم والمحيط الأعظم (٧/ ٥١٢)، وعزاه ابن قتيبة في غريب الحديث (٢/ ٢٠١)، للهذلي، وسماه في المعاني الكبير (٢/ ٦١٥) ساعدة بن جؤية، وفي المطبوع: «صافوا»، وفيه: «جانيا».

(٥) سقط من الحمزوية ونجيبويه، وفي حاشية المطبوع: سقط من أكثر النسخ.

وقرأ ابن عباس وجمهور السبعة: ﴿لِبَدًا﴾ بكسر اللام، جمع لِبْدَة.

وقال ابن عباس: أَعواناً[١].

وقرأ ابن عامر بخلاف عنه، ومجاهد، وابن محيصن: ﴿لُبَداً﴾ بضم اللام وتخفيف الباءِ المفتوحة[٢]، وهو جمع أَيضاً.

ورُوي عن الجحدري (لُبُداً) بضم اللام والباءِ.

وقرأَ أَبو رجاءٍ: (لِبَّداً) بكسر اللام [وشدِّ الباءِ المفتوحة.

وقرأَ الجحدري والحسن بخلاف عنهما: (لُبَّداً) بضم اللام وشدِّ الباءِ][٣] وهو جمع لَابد.

فإِن قدرنا الضمير للجن فتَقَصُّفهم عليه لاستماع الذكر، [وهذا تأَويل ابن عباس[٤] والضحاك[٥].

وإِن قدرناه للكفار، فبتمالئهم عليه وإِقبالهم على أَمره بالتكذيب والردِّ][٦]، وهذا تَأويل الحسن وقتادة[٧].

و[﴿أَدْعُواْ﴾ معناه: أعبده][٨].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٦٨)، وابن أبي حاتم (١٩٠٠٨) من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عنه.

(٢) وهما سبعيتان، والثانية رواية هشام كما في التيسير (ص: ٢١٥)، والسبعة (ص: ٦٥٦).

(٣) سقط من الأصل، وهذه ثلاث قراءات شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٤٨٨).

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٦٦) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ يقول: لما سمعوا النبيّ ﷺ يتلو القرآن، ودنوا منه فلم يعلم حتى أتاه الرسول، فجعل يقرئه: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾.

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٦٦)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٥٥).

(٦) سقط من الأصل.

(٧) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٦٧)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٥٥).

(٨) في الحمزوية ونجيبويه: ﴿يدْعُوا﴾ معناه: يعبده.

وقرأَ جمهور السبعة، وعلي بن أَبي طالب رضي الله عنه: ﴿قالَ إنَّما﴾.

وهذه قراءة تؤيد أَن «العَبْدَ» هو نوح عليه السلام.

وقرأَ عاصم، وحمزة، وأَيوب، وأَبو عمرو بخلاف عنه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ﴾[١]، وهذه تؤيد أَنه محمد ﷺ، وإِن كان الاحتمال باقياً من كليهما.

واختلف القراءُ في فتح الياءِ من ﴿رَبِّى﴾ وفي سكونها[٢].

ثم أَمر تعالى محمداً ﷺ بالتبري من القدرة، وأَنه لا يملك لأَحد ضرّاً ولا رشداً، بل الأَمر كله لله تعالى.

وقرأَ الأَعرج: (رُشُداً) بضم الراءِ والشين[٣].

وقرأَ أُبي بن كعب: (لا أَمْلِكُ لكُمْ غيّاً ولا رشداً)[٤].

وقوله تعالى: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾؛ أَي: من عند سواه.

و«الـمُلْتَحَدُ»: الملجأُ الذي يُمالُ إِليه ويُرْكن، ومنه: الإِلحادُ والميل، ومنه: اللَّحْدُ الذي يُمال به إِلى أَحد شِقَّي القبر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٥٧)، وسقط «أبو عمرو» من الأصل، و«أيوب» زيادة من المطبوع ونجيبويه.

(٢) فتحها الحرميان وأبو عمرو وأسكنها الباقون كما في التيسير (ص: ٢١٥).

(٣) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٤٨٩)، وقد تقدم مثلها في أول السورة.

(٤) وهي شاذة، عزاها له الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٣١).

اختلف الناس في تأويل قوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا﴾:

فقال الحسن ما معناه: إِنه استثناءٌ منقطع[١]، والمعنى: لن يُجيرني من الله أَحدٌ إِلَّا بلاغاً، فإِنِّي إِن بلَّغتُ رحمني بذلك، والإِجارة للبلاغ مستعارة إِذْ هو سبب إِجارة الله تعالى ورحمته.

وقال بعض النحاة: على هذا المعنى هو استثناءٌ مُتَّصل، والمعنى: لن أَجد مُلْتحداً إِلَّا بلاغاً، أَي: شيئاً أَميل إِليه وأَعتصم به إِلَّا أَن أُبلِّغ وأَطيع فيجيرني الله.

وقال قتادة: التقدير: لا أَملك إِلَّا بلاغاً إِليكم، فأَما الإِيمان والكفر فلا أَملكه[٢].

وقال بعض المتأَولين: ﴿إِلَّا﴾ بتقدير الانفصال، و«إِنْ» شرط، و«لا» نافية، كأَنه يقول: ولن أَجد مُلتحداً إِن لم أُبلغ من الله ورسالاته، و﴿مِّنَ﴾ في قوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لابتداءِ الغاية.

[وقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ﴾ يريد الكفر بدليل الخلود المذكور.

وقرأَ طلحة بن مصرف: (فَأَنَّ لَهُ)[٣] على معنى: فجزاؤه أَنَّ له].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ﴾، ساق الفعل في صيغة الماضي تحقيقاً لوقوعه.

وقوله: ﴿مَنْ أَضْعَفُ﴾ يحتمل أَن تكون ﴿مَنْ﴾ في موضع رفع على الاستفهام والابتداءِ، و﴿أَضْعَفُ﴾ خبرها.

ويحتمل أَن تكون ﴿مَنْ﴾ في موضع نصب بقوله ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾، و﴿أَضْعَفُ﴾ خبر ابتداءٍ مضمر.

ثم أَمره الله تعالى بالتَّبـرِّي من معرفة الغيب في وقت عذابهم الذي وُعدوا به.

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٥٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٧٠)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٥٦).

(٣) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ١٦٣)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٨٩)، وما بين معكوفتين سقط من الأصل.

و«الأَمَدُ»: المُدَّة والغاية.

و﴿عَـٰلِمُ﴾ يحتمل أَن يكون بدلاً من ﴿رَبِّىٓ﴾، ويحتمل أَن يكون خبر ابتداءٍ مضمر على القطع.

وقرأَ السُّدي: (عَلِمَ) على الفعل، ونصبِ الباءِ[١].

وقرأَ الحسن: (فَلَا يَظْهَرُ) بفتح الياءِ والهاءِ (أَحَدٌ) بالرفع[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ معناه: فإِنه يُظْهِرُ على ما شاءَ مما هو قليل من كثير، ثم يبثُّ الله تعالى حول ذلك الملك الرسول حَفَظَةً رصداً لإِبليس وحزبه من الجن والإِنس.

وقوله تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ﴾، قال قتادة: معناه: ليعلم محمد أَن الرسل قد أَبلغوا رسالات ربهم وحُفظوا ومُنع منهم[٣].

وقال سعيد بن جُبير: معناه: ليعلم محمد أَن الملائكة الحفظة الرصد النازلين بين يدي جبريل ـ عليه السلام ـ وخَلْفه قد أَبلغوا رسالات ربهم[٤].

وقال مجاهد: معناه: ليعلم من كذَّب أَو أَنكر أَن الرسل قد بلَّغت[٥].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا العلم لا يقع لهم إِلَّا في الآخرة.

وقيل: معناه: لِـيُعْلَمَ الله رسالَته[٦] مبلغة خارجة إِلى الوجود، لأَنَّ علمه سبحانه بكل شيءٍ قد تقدم.

---

(١) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٦٤) لبعض أهل مكة.

(٢) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٤٨٩)

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٧٣)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٢٣)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٨١).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٨)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٢٣)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٨١).

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٧٣)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٨١)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٢٣).

(٦) في نجيبويه والحمزوية: «رسله».

وقرأ الجمهور: ﴿لِّيَعۡلَمَ﴾ بفتح الياء[١]، أَي: الله تعالى.

وقرأ ابن عباس: (لِيُعْلِمَ) بضم الياءِ[٢].

وقرأ أَبو حيوة: (رِسَالَةَ رَبِّهِمْ) على التوحيد[٣].

وقرأ ابن أَبي عبلة: (وَأُحِيطَ) على ما لم يُسَمَّ فاعله[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ﴾ معناه: كل شيءٍ معدود.

وقوله تعالى: ﴿لِّيَعۡلَمَ﴾ الآية مُضَمَّنة أَنه تعالى قد علم ذلك، فعلى هذا الفعل المضمن انعطف وأَحاط وأَحصى، [والله تعالى المُرْشد للصواب بمَنِّه][٥].

(١) في المطبوع ونجيبويه بدله «بفتح اللام».

(٢) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٤٨٩).

(٣) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ١٦٤).

(٤) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٤٨٩).

(٥) سقط من أحمد٣، وسقطت «أحاط» من نجيبويه، وتكررت بدلها «أحصى» في نور العثمانية.

سورة المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سُورة المُزمل

وهي مكية كلها في قول المهدويِّ وجماعة[1]، وقال الجمهور: هي مكية إلاَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ إلى آخر السورة، فإن ذلك نزل بالمدينة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠﴾.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ نداءٌ للنبي ﷺ، واختلف الناس، لِمَ نودي بها؟

فقالت عائشة، والنَّخَعي، وجماعة: لأنه كان في وقت نزول الآية مُتزمِّلًا / [٥/ ٢٤٤] بكساءٍ، و«التَّزَمُّل»: الالتفاف في الثياب بِضَمٍّ وتشمير، ومنه قول امرئ القيس:

[الطويل]
كـأَنَّ أَبـانـا فـي أَفـانيـنِ وَدْقِـهِ ... كَبيرُ أُنـاسٍ في بِجـاد مُـزَمَّلِ[2]

وخَفْضُ «مُزَمَّلِ» في هذا البيت هو على الجوار، وإنما هو نعت لـ«كَبِيرُ».

---

(١) انظر: التحصيل للمهدوي (٦/ ٤٩٦).

(٢) عزاه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ١٤٦)، وشرح المعلقات التسع (ص: ١٧٥)، والمعاني الكبير (١/ ٥٤٤)، والكامل (٣/ ٦٨).

فهو ﷺ ـ على قول هؤلاءِ ـ إنما دُعي بهيئة في لباسه.

وقال قتادة: كان تَزَمَّل في ثيابه للصلاة واستعد فنودي على معنى: يَا أَيُّها المستعد للعبادة المتزمِّلُ لها، وهذا القول أَمدح له ﷺ.

وقال عكرمة: معناه: يا أَيها المزمِّلُ للنبوَّة وأَعبائها؛ أَي: المتُشَمِّر المجِدُّ(١).

وقال جمهور المفسرين والزهري بما في البخاري من أَنه ﷺ لمَّا جاءَه المَلَك في غار حراءَ وحاوره بما حاوره رجع رسول الله ﷺ إلى خديجة رضي الله عنها فقال: زَمِّلوني زمِّلوني، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾، وعلى هذا نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾(٢).

وفي مصحف ابن مسعود، وأُبَيِّ بن كعب: (يَا أَيُّهَا المُتَزَمِّلُ)(٣).

وقرأَ بعض السلف: (يا أيها المُزَمَّلُ) بفتح الزاي وتخفيفها وفتح الميم وشدها(٤).

والمعنى: الذي زمَّله أَهلُه أَو زُمِّل للنبوة.

وقرأَ عكرمة: (يا أيها المُزَمِّلُ) بكسر الميم وشدها وتخفيف الزاي(٥)؛ أَي: المُزَمِّل نفسه.

واختلف الناس في هذا الأَمر بقيام الليل كيف كان؟

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٣/ ٦٧٦)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٨٤)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٢٥).

(٢) يشير المصنف إلى حديث عائشة الذي في الصحيحين، ولكن هذا الحديث ليس فيه سبب نزول الآية، وإنما جاء سبب نزول هذه الآية في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري (٣٢٣٨)، ومسلم (١٦١) قال: قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي، قال في حديثه: فبينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالسا على كرسي بين السماء والأرض... فرجعت فقلت: زملوني زملوني إلخ، وانظر قول الزهري في الهداية لمكي (١٢/ ٧٧٨٤).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ٤٩٠).

(٤) وهي شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (١٠/ ٥٩).

(٥) وهي شاذة، عزاها له في زاد المسير (٤/ ٣٥٢).

فقال جمهور أَهل العلم: هو أَمر على جهة الندب قد كان لم يُفرض قط، ويؤيد هذا الحديثُ الصحيح: أَن رسول الله ﷺ قام ليلة في رمضان خلف حصير احتجره فصلَّى وصلَّى بصلاته ناس، ثم كثروا من الليلة القابلة، ثم غص المسجد بهم في الثالثة أَو الرابعة فلم يخرج رسول الله ﷺ، فحصبوا بابه فخرج مغضباً وقال: «إِنِّي إِنما تركت الخروج لأَني خفت أَن تفرض عليكم»[١]، وقيل: إِنه ﷺ لم يكلمهم إِلاَّ بعد أَن أَصبح.

وقال آخرون: كان فرضاً في وقت نزول هذه الآية، واختلف هؤلاءِ:

فقال بعضهم: كان فرضاً على النبي ﷺ خاصة وبقي كذلك حتى توفي ﷺ.

وقيل: بل نُسخ عنه ولم يمت إِلَّا والقيام تطوع.

وقال بعضهم: كان فرضاً على الجميع، ودام الأَمر على ما قال سعيد بن جبير عشر سنين[٢].

وقالت عائشة، وابن عباس رضي الله عنه: دام عاماً[٣]، ورُوي عنها أَيضاً: أَنه دام ثمانية أَشهر ثم رحمهم الله تعالى، فنزلت: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ فخفف عنهم[٤].

وقال قتادة: بقي عاماً أَو عامين[٥].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٩٢٤)، ومسلم (٧٦١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٥٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٩)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٢٥).

(٣) قول عائشة رضي الله عنها أخرجه مسلم (٧٤٦) وغيره، وأما قول ابن عباس رضي الله عنهما فقد أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٧٨) من طريق سماك، عن عكرمة، قال: سمعت ابن عباس يقول: لما نزلت أول «المزمل» كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان، وكان بين أولها وآخرها نحو من سنة، وأخرجه الطبري أيضاً (٢٣/ ٦٧٨) وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٢٥٤) من طريق أبي أسامة، عن مسعر، عن سماك قال سمع ابن عباس فذكره بنحوه.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٧٨-٦٧٩)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٢٥٤) من طريق موسى بن عبيدة الربذي، عن محمد بن طحلاء مولى أم سلمة، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة فذكره بلفظ مطول، وموسى بن عبيدة الربذي ضعيف.

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٧٩)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٨٧)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٨١).

وقرأَ أَبو السمال: (قُمُ الليل) بضَم الميم[١] لاجتماع الساكنين.

والكسر في كلام العرب أَكثر كما قرأَ الناس.

وقوله تعالى: ﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ يحتمل أَن يكون بدلاً من ﴿ٱلَّيۡلَ﴾.

ويحتمل أَن يكون بدلاً من قوله: ﴿قَلِيلًا﴾.

وكيف تقلَّب المعنى فإِنه أَمر بقيام نصف الليل أَو أَكثر شيئاً أَو أَقل شيئاً، فالأَكثر عند العلماءِ لا يزيد على الثلثين، والأَقل لا ينقص عن الثُّلث.

ويقوي هذا حديث ابن عباس في بيت ميمونة رضي الله عنها، قال: فلما انتصف الليل أَو قبله بقليل قام رسول الله ﷺ[٢].

ويلزم على هذا البدل الذي ذكرناه أَن يكون نصف[٣] الليل قد وقع عليه الوصف بـ(قليل).

وقد يحتمل عندي قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أَن يكون استثناءً من القيام، فيجعل الليل اسم جنس، ثم قال تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أَي: الليالي التي تُخل بقيامها عند العُذر البين ونحوه.

وهذا النظر يحسن مع القول بالندب جدّاً.

وقد تكلم الجرجاني في نظمه في هذه الآية بتطويل وتدقيق غير مفيد، أَكثره غير صحيح[٤].

وقرأَ الجمهور: ﴿أو انقص﴾ بضم الواو.

---

(١) وهي شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (١٠/ ٥٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٨٣)، ومسلم (٧٦٣) واللفظ للبخاري.

(٣) «نصف» ليست في المطبوع.

(٤) لم أقف عليه.

وقرأ الحسن، وعاصم، وحمزة بكسر الواو، وقرأ عيسى بالوجهين[١].

والضميران في ﴿مِنْهُ﴾، و﴿عَلَيْهِ﴾ عائدان على «النصف».

وقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ﴾ معناه في اللغة: تمهَّل وفرِّق بين الحروف لِتَبين، والمقصد أَن يجد الفكر فسحة للنظر وفهم المعاني، وبذلك يرقُّ القلب ويفيض عليه النور والرحمة.

قال ابن كيسان: المراد تفَهُّمُه تالياً له[٢]، ومنه: الثَّغْرُ الرَّتِل؛ أَي: الذي بينه فُسَح وفُتوح، ورُوي: أَن قراءَة رسول الله ﷺ كانت بَينةً مُتَـرَسِّلةً، لو شاءَ أَحدٌ أَن يعد الحروف لعدها[٣].

و«القول الثقيل»: هو القرآن، واختلف الناس، لم سمَّاه ثقيلاً؟

فقال جماعة من المفسرين: لما كان يحلُّ في رسول الله ﷺ من ثقل الجسم حتَّى أَنه كان إِذا أُوحي إِليه وهو على ناقته بركت به، وحتى كادت فخذه أَن تَرُضَّ فخذ زيد ابن ثابت رضي الله عنه.

وقال أَبو العالية والقرظي: بل سَمَّاه ثقيلاً لثقله؛ على الكفار والمنافقين بإِعجازه ووعيده ونحو ذلك.

وقال حُذَّاق العلماءِ: معناه: ثقيل المعاني من الأَمر بالطاعات والتكاليف الشرعية من الجهاد ونحوه ومزاولة الأَعمال الصالحة دائماً.

قال الحسن: إِن الهَذَّ خفيف، ولكن العمل ثقيل[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا﴾، قال ابن جبير، وابن زيد: هي لفظة

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٧٨).

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٦٠).

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٤) لم أقف عليه.

حبشية، نَشأَ الرجلُ: إِذا قام من الليل[١]، فـ﴿نَاشِئَةَ﴾ ـ على هذا ـ جمع ناشئٍ»؛ أَي: قائم، و﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾ معناه: ثبوتاً واستقلالاً بالقيام، ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾؛ أَي: بخُلُوِّ أَفكارهم وإِقبالهم على ما يقرؤُونَه.

قال ابن عمر، وأَنس بن مالك، وعلي بن الحسين: ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾: هي ما بين المغرب والعشاءِ[٢].

وقالت عائشة[٣]، ومجاهد: «الناشئة»: القيامُ بعد النوم[٤]، ومن قام أَول الليل قبل النوم فلم يقم ناشئة الليل.

وقال ابن جبير، وابن زيد، وجماعة: ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾: ساعاته كلها، لأَنها تنشأُ شيئاً بعد شيءٍ[٥].

وقال ابن عباس، وابن الزبير، وأَبو مجلز، والحسن: ما كان بعد العشاءِ فهو ناشئة الليل، وما كان قبلها فليس بناشئة[٦].

قال ابن عباس: كانت صلاتهم أَول الليل فهي أَشدُّ وَطْـأً[٧]؛ أَي: أَجْدَرُ أَن

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٦١).

(٢) أثر أنس بن مالك أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥٩٧٧)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٣٩٠) من طريق عمارة بن زاذان، عن ثابت، عن أنس في قوله ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ قال: ما بين المغرب والعشاء، وعمارة ابن زاذان الصيدلاني ليس بذاك. وفي المطبوع وأحمد٣ والأسدية ٣: «ابن عباس» بدل «ابن عمر»، ولم أقف على قول أي منهما، وقول علي في الثعلبي (١٢/ ٦١)، الهداية لمكي (١٢/ ٧٧٩٠).

(٣) لم أهتد إليه.

(٤) انظر: تفسير الماوردي (٦/ ١٢٧).

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٨٢)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٦١)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٩٠).

(٦) انظر قول أبي مجلز في تفسير الطبري (٢٣/ ٦٨٣)، وقول الحسن في تفسير الماوردي (٦/ ١٢٧)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٩٠).

(٧) انظر: تفسير الثعلبي (١٠/ ٦١).

تحصوا[١] ما فرض الله عليكم من القيام؛ لأن الإنسان متى نام لم يدر متى يستيقظ.

وقال الكسائي: ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾: أوله[٢].

وقال ابن عباس، وابن الزبير أيضاً: الليل كله ناشئة[٣].

و﴿أَشَدُّ وَطۡـًٔا﴾ ـ على هذا ـ يحتمل أن يكون: أشد ثبوتاً، فيكون نسب الثبوت إليها من حيث هو للقائم فيها / . [٥/ ٢٤٥]

ويحتمل أن يريد أنها صعبة القيام لمنعها النوم، كما قال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر»[٤]، فذكرها تعالى بالصعوبة ليُعْلَمَ عِظَمَ الأجر فيها، كما قد وعد على الوضوءِ على المكاره والمشي في الظلام إلى المساجد ونحوه.

وقرأ الجمهور: ﴿وَطۡـًٔا﴾ بفتح الواو وسكون الطاءِ.

وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، ومجاهد، وابن الزبير، وابن عباس: ﴿وِطَاءً﴾ على وزن فِعَالٍ[٥].

والمعنى: مُوَافَقَةً؛ لأنه بخُلوِّ البال من أشغال النهار وأشغابه[٦] فيُوافِقُ قلبُ المرءِ لسانَه وفِكْرُهُ عبارَتَهُ، فهذه مواطأَةٌ صحيحة، وبهذا المعنى فسَّر اللفظَ مجاهدٌ وغيرهُ.

وقرأ قتادة في رواية حسين: (وِطْأَى) بكسر الواو وسكون الطاءِ والهمز مقصورة[٧].

---

(١) في المطبوع والأسدية ٤: «تخصوا».

(٢) انظر عزو ذلك له في غريب الحديث للحربي (٢/ ٨٨١)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٩٠).

(٣) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٨٢) والبيهقي في الكبرى (٣/ ١٩) من طريق حاتم بن أبي صغيرة، قال: قلت لعبد الله بن أبي مليكة.. به عن ابن عباس، وابن الزبير رضي الله عنهم به.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٥) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٦). و«ابن عامر» ليس في الأصل.

(٦) «وأشغابه» ليس في المطبوع وأحمد٣، وفي نور العثمانية: «وأسغابه».

(٧) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (١٠/ ٣١٤).

وقرأ أَنس بن مالك: (وَأَصْوَبُ قِيلاً)، فقيل له: إِنما هو ﴿أَقْوَمُ﴾ فقال: أَقْوَمُ وأَصْوَبُ وأَهْيأُ واحدٌ[١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾؛ أَي: تصرفاً وتردُّداً في أُمورك كما يتردَّد السابح في الماءِ، ومنه سمِّي الفَرَسُ سابحاً؛ لِتَـثَـنِّيه واضطرابه.

وقال قومٌ من أَهل العلم: إِنما معنى الآية: التَّنبيه على أَنه إِن فات حزب الليل بنومٍ أَو عذر فليخلف بالنهار؛ فإِن فيه سبحاً طويلاً.

وقرأَ يحيى بن يَعْمَر: (سَبْخاً طويلاً) بالخاءِ المعجمة[٢]، ومعناه: خِفَّة لك من التكاليف.

والتَّسبيخ: التخفيف، ومنه قول النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها في السارق الذي سرقها فكانت تدعو عليه: «لا تُسَبِّخِي عنه»[٣]، فمعناه: لا تُخَفِّفي عنه.

---

(١) منقطع، أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٠٢٢)، والطبري (٢٣/ ٦٨٥) من طريق أبي أسامة، عن الأعمش، قال قرأ أنس بن مالك فذكره، وأخرجه الطبري في نفس المصدر من طريق عبد الحميد الحماني، عن الأعمش به، والأعمش لم يسمع من أنس بن مالك كما قاله علي بن المديني، وابن معين وانظر: جامع التحصيل (٢٥٨).

(٢) وهي شاذة، انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٦٨٧)، وتفسير البغوي (٨/ ٢٥٤)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٦٢).

(٣) ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠١٩٣)، وأحمد (٦/ ٤٥-١٣٦)، وأبو داود (١٤٩٩-٤٩١١)، والنسائي في الكبرى (٧٣١٨) وغيرهم من طريق حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء بن أبي رباح، عن عائشة قالت: سرق لها شيء فجعلت تدعو عليه فقال لها رسول الله ﷺ: «لا تُسَبِّخِي عَنْهُ»، وهذا إسناد ضعيف؛ لأن عامة أحاديث حبيب بن أبي ثابت عن عطاء غير محفوظة كما قاله يحيى بن سعيد القطان، وقال العقيلي: وله عن عطاء غير حديث لا يتابع عليه وانظر: ضعفاء العقيلي (١/ ٢٦٣)، وأخرجه أحمد (٦/ ٢١٥) من طريق إبراهيم بن مهاجر، عن إبراهيم النخعي، عن عائشة قالت: سُرقت مخنقتي، فدعوت على صاحبها فقال النبي ﷺ «لا تسبخي عليه، ودعيه بذنبه»، وهذا إسناد ضعيف؛ لعدم سماع إبراهيم النخعي من عائشة، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٣٩٢٥) من طريق هشام بن عبيد الله الرازي، عن أبي عوانة، عن إسماعيل بن سالم، عن مجاهد، عن عائشة بنحوه، وهذا إسناد ضعيف جدّاً؛ من أجل هشام بن عبيد الله الرازي فإنه متهم بالكذب، وانظر: الميزان (٢/ ٥٢٧).

قال أَبو حاتم: فسَّر يحيى السَّبْح بالنَّوْم[١].

وقال سهلٌ: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ يُراد به: بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداءِ صلاتك[٢].

و(تَبَـتَّـلْ) معناه: انْقطع من كل شيءٍ إِلَّا منه، وافرغ إِليه.

وقال زيد بن أَسلم: «التَّـبَـتُّل»: رفض الدنيا، ومنه: تَـبَـتَّل الحبلُ، وقولهم في الهبات[٣] ونحوها: بَتْلَة، ومنه: البتول، و﴿تَبْتِيلًا﴾ مصدر على غير المصدر.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وابن عامر، وعاصم في رواية أَبي بكر: ﴿رَبِّ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ﴾ بالخفض على البدل من ﴿رَبِّكَ﴾.

وقرأَ الباقون، وحفص عن عاصم: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ بالرفع[٤] على القطع، أَي: هو ربٌّ، أَو على الابتداءِ والخبر ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

وقرأَ ابن عباس، وأَصحاب عبد الله: (رَبُّ المَشَارِقِ وَالمَغَارِب) بالجمع[٥].

و«الوكيلُ»: القائم بالأمر الذي توكل إِليه الأَشياءُ.

قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ الآية، قيل: هي مُوادعة منسوخة بآية السيف، والمراد بالآية قريش، وقال بعض العلماءِ: قوله تعالى: ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ منسوخ، وأَما الصبر على ما يقولون فقد يتوجه أَحياناً ويبقى حكمه فيما يتوجه من الهجر الجميل بين المسلمين.

قال أَبو الدَّرْداءِ: إِنا لنكشِّر في وجوه قوم وإِن قلوبنا لتقليهم[٦].

---

(١) في المطبوع والأسدية ٣ ونجيبويه: «السبخ»، انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٦٨٧).

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٦٢).

(٣) في المطبوع وأحمد٣ والأسدية ٣: «المطلقة»، وفي الحمزوية بياض، وفيها «مكة» بدل «بتلة».

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٦).

(٥) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٤٩٠).

(٦) له أسانيد لا تخلو من مقال، أخرجه ابن أبي الدنيا في الحلم (١٠٩)، وفي مداراة الناس (١٩) =

والقول الأَول أَظهر؛ لأَن الآية إِنما هي في كفارِ قريشٍ وردِّهم رسالته وإِعلامِهم بذلك، ولا يمكن أَن يكون الحكم في هذا المقام باقياً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ وعيد لهم، ولم يتعرض أَحدٌ لمنعه منهم لكنه إِبلاغٌ بمعنى: لا تشغل بهم فكراً، وَكِلْهُم إِليَّ.

و﴿النَّعْمَةِ﴾: غضارة العيش وكثرة المال، والْمُشار إِليهم كفار قريش أَصحاب القليب ببدر، ويُروى: أَنه لم يكن بين نزول هذه الآية وبين بدر إِلَّا مدة يسيرة نحو عام، وليس الأَمر كذلك، والتقدير الذي يُعَضِّده الدليل من أَخبار رسول الله ﷺ يقتضي أَن بين الأَمرين نحو عشر سنين، ولكن ذلك قليل أُمْهلوه.

و﴿لَدَيْنَا﴾ بمنزلة: عندنا.

= من طريق الأحوص بن حكيم، عن أبي الزاهرية، عن جبير بن نفير، عن أبي الدرداء بلفظ إنا لنكشر في وجوه أقوام ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتلعنهم، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ١٩٢) من طريق الأحوص بن حكيم، عن أبي الزاهرية، عن أبي الدرداء به بدون واسطة، والأحوص بن حكيم ضعيف الحفظ، ومن طريق ابن أبي الدنيا أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ١٩٢)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٨١٠٣) من طريق أبي الأحوص، عن أبي الزاهرية، وعبيدة اليزني، عن أبي الدرداء به، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٢٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ١٩١-١٩٢) من طريق عبد الجبار بن العلاء، عن سفيان بن عيينة، عن خلف بن حوشب، عن أبي الدرداء، وهو منقطع بين خلف بن حوشب وأبي الدرداء، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ١٩٢-١٩٣)، والحافظ في تغليق التعليق (٥/ ١٠٤) من طريق كامل أبي العلاء، عن أبي صالح، عن أبي الدرداء به. وكامل ضعيف.

و«الأَنْـكَالُ» جمع نِكْلٍ وهو القيد من الحديد، ويروى: أَنها قيود سودٌ من نار.

و«الطعام ذو الغُصَّة»: شجرة الزَّقُّوم، قاله مجاهد وغيرهُ[١].

وقيل: شوك من نار يعترض في حلوقهم لا يخرج ولا ينزل، قاله ابن عباس[٢].

وكل مطعوم هنالك فهو ذو غصة، وروي: أَن النبي ﷺ قرأَ هذه الآية فَصُعق[٣].

والعامل في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ﴾ الفعلُ الذي تضمنه قوله: ﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ﴾، وهو استقرار أَو ثبوت.

و«الرَّجفان»: الاهتزاز والاضطراب من فزع وهول.

و«الْمَهِيلُ»: اللَّين الرخو الذي يذهب بالريح وَيجيءُ، فهي تُهيله، والأَصل مَهْيُول، استثقلت الضمة على الياءِ فسُكِّنت، واجتمع ساكنان فحذفت الواو، وكسرت الهاءُ بسبب الياءِ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ﴾ الآية؛ خطاب للعالم لكن المُواجَهُون قريش.

وقوله تعالى: ﴿شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ﴾ نحو قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾ [النساء: ٤١].

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٩١)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٩٨)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٣٠).

(٢) إسناده لين، أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٩١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٤، ٥٠٥)، والبيهقي في البعث والنشور (٦٠٥) من طريق أبي عاصم النبيل، عن شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله ﴿وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ﴾. قال: شوك يأخذ بالحلق، فلا يدخل ولا يخرج. وشبيب لم يرو عنه إلا أبو عاصم النبيل، وفيه لين.

(٣) ضعيف، أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٦٤)، وأحمد في الزهد (ص: ٢٧)، وهناد في الزهد (٢٦٧)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (٨٦)، والطبري (٢٣/ ٦٩١) من طريق وكيع، عن حمزة الزيات، عن حمران بن أعين فذكره معضلاً. وحمران بن أعين الكوفي مولى بني شيبان ضعيف رافضي، وأخرجه ابن عدي في الكامل (٢/ ٤٣٦) من طريق حمران بن أعين، عن أبي حرب بن أبي الأسود أن النبي ﷺ سمع رجلاً... الحديث، وهو مرسل.

وتمثيله لهم أَمرهم بفرعون وعيدٌ، كأَنه تعالى يقول: فحالهم من العذاب والعقاب إِن كفروا سائرةٌ إِلى مثل حال فرعون.

وقوله تعالى: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ يريد تعالى: موسى عليه السلام، والأَلف واللام للعهد.

و«الْوَبِيلُ»: الشديد الرديءُ العُقبى، يقال: كلأٌ وَبيلٌ ومستوبلٌ: إِذا كان ضارّاً لما يرعاه.

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾ معناه: كيف تجعلون واقياً لأَنْفسكم.

و﴿يَوْمًا﴾ مفعول بـ﴿تَتَّقُونَ﴾، وقيل: هو مفعول بـ﴿كَفَرْتُمْ﴾ على أَن تجعله بمنزلة جحدتم، فـ﴿تَتَّقُونَ﴾ ـ على هذا ـ من التقوى؛ أَي: تَتَّقون عقاب الله، ويجوز أَن يكون ﴿يَوْمًا﴾ ظرفاً، والمعنى: تَتَّقون عقاب الله يوماً.

و﴿يَجْعَلُ﴾ يصح أَن يكون مُسْنَداً إِلى اسم الله تعالى، ويصحُّ أَن يكون مسنداً إِلى اليوم.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ يريد به صغار الأَطفال، وقال قوم: هذه حقيقة، فتشيب رؤُوسهم من شدة الهول، كما يُرى الشيب في الدنيا من الهمِّ المفرط كهول البحر ونحوه.

[٥/ ٢٤٦] وقال آخرون من المتأَولين: هو تجوز وإِبلاغ في وصف هول ذلك اليوم / .

وواحدُ الوِلدان: وليد، وواحد الشِّيب: أَشْيَب.

قوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾، قيل: هذا على النسب؛ أَي: ذات انفطار، كامرأَة حائض وطالق، وقيل: السماءُ تُذَكَّر وتُؤَنَّث، وينشد في التذكير:

[الوافر] فَلَوْ رَفَعَ السَّماءُ إِلَيْهِ قَوْماً لَحِقْنَا بالسَّماءِ مَعَ السَّحَاب[1]

---

(١) بلا نسبة في المخصص (٥/ ١٤٦)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٦٩٦)، وتفسير الثعلبي (١/ ١٦٣).

[وقيل: من حيث لم يكن تأَنيثها حقيقياً جاز أَن تسقط علامة التَّأنيث لها.

وقيل:](١) لم يُرِدْ باللفظ قصد السماءِ بعينها، وإِنما أَراد ما علا من مخلوقات الله تعالى، كأَنه قَصَد قَصْدَ السَّقْف فذكَّر على هذا المعنى، قاله منذر بن سعيد، وأَبو عبيدة مَعْمر، والكسائي(٢).

و«الانْفِطارُ»: التَّصَدُّع والانشقاق على غير نظامٍ يُقصد.

والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ قال مُنْذِرٌ وغيره: هو عائد على اليوم.

وقال مجاهد: هو عائد على الله تعالى(٣)، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥]؛ أَي: بالغَمام الذي هو ظُلَلٌ يأْتي الله تعالى فيها، والمعنى: يأْتي أَمره وقدرته، وكذلك هنا ﴿مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾؛ أَي: بأَمره وسُلطانه.

والضمير في قوله تعالى: ﴿وَعۡدُهُۥ﴾ ظاهر أَنه لله تعالى، ويحتمل أَن يكون لليوم لأَنه يضاف إِليه من حيثُ هو فيه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠﴾.

الإِشارة بـ﴿هَٰذِهِۦ﴾ يحتمل أَن تكون لما ذكر من الأَنْـكال والجحيم والأَخذ الوبيل ونحوه، ويحتمل أَن تكون إِلى السورة بأَجمعها.

---

(١) ليس في أحمد٣، وفيه بدله: «بحيث».

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٧٤)، وانظر قول منذر والكسائي في البحر المحيط (١٠/ ٣١٩).

(٣) انظره مع قول منذر في البحر المحيط (١٠/ ٣١٩).

ويحتمل أَن تكون إِلى القرآن؛ أي: أَن هذه الأَقوال المنصوصة[١] فيه تذكرة.

و«التَّذْكِرة» مصدر كالذِّكر.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ﴾ الآية، ليس معناه إِباحة الأَمر وضده، بل يتضمن معنى الوعيد والوعد.

و«السَّبيل» هنا: سبيل الخير والطاعة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ الآية، نزلت تخفيفاً لما كان استمر استعماله من أَمر قيام الليل إِمَّا على الوجوب أَو على الندب حسب الخلاف الذي ذكرناه.

ومعنى الآية: إِنَّ الله يعلم أَنك تقوم أَنت وغيرك من أُمتك قياماً مختلِفاً فيه، مَرَّةً يكثر ومرَّةً يقلُّ، ومرَّةً أَدنى من الثلثين ومرَّةً أَدنى من الثلث، وذلك لعدم تحصيل البشر لمقادير الزمان مع عذر النوم، وتقدير الزمان حقيقة إِنما هو لله تعالى، وأَما البشر فلا يُحصي ذلك، فتاب الله عليهم؛ أَي: رجع بهم من الثقل إِلى الخفة، وأَمرهم بقراءة ما تيسَّر منه، ونحو هذا تعطي عبارة الفراءِ ومنذر، فإِنهما قالا: ﴿تُحْصُوهُ﴾: تحفظوهُ.

وهذا التأْويل هو على قراءة من قرأَ: ﴿وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ﴾ بالخفض عطفاً على «الثُّلُثَيْن»، وهي قراءة أَبي عمرو، ونافع، وابن عامر.

وأَمَّا من قرأَ ﴿وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ بالنصب عطفاً على ﴿أَدْنَىٰ﴾ ـ وهي قراءة باقي السبعة[٢] ـ فالمعنى عنده آخر، وذلك أَن الله تعالى قد قدَّر أَنهم يُقَدِّرون الزمان على نحو ما أَمر به في قوله: ﴿نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾، فلم يبق إِلَّا أَن يكون قوله تعالى: ﴿لَّن تُحْصُوهُ﴾[٣]: لن تُطيقوا قيامه لكثرته وشدته، فخفف الله تعالى عنهم فضلًا منه لا لِعِلَّة جهلهم بالتقدير وإِحصاءِ الأَوقات.

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «المنصوبة».

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٦).

(٣) زاد في المطبوع هنا: «بمعنى»، قال في الحاشية: زيادة لتوضيح المراد.

ونحو هذا تعطي عبارة الحسن وابن جبير، فإنهما قالا: ﴿تُحْصُوهُ﴾: تُطيقوهُ[١].

وقرأ جمهور القراءِ والناس: ﴿وَثُلُثَهُۥ﴾ بضم اللام.

وقرأ ابن كثير في رواية شبل عنه: (وثُلْثَهُ) بسكون اللام[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ إباحةٌ، هذا قول الجمهور.

وقال ابن جبير وجماعةٌ: هو فرض لا بُدَّ منه ولو خمسين آية[٣].

وقال الحسن وابن سيرين: قيام الليل فرض، ولو قَدْر حَلْب شاة، إِلَّا أَن الحسن قال: من قرأ مئة آية لم يحاجَّه القرآن[٤]، واستحسن هذا جماعة من العلماءِ[٥]، قال بعضهم: والركعتان بعد العتمة مع الوتر مدخلتان في حكم هذا الأَمر وامتثاله[٦]، ومَنْ زاد زادَهُ الله تعالى ثواباً.

و﴿أَن﴾ في قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن﴾ مخففة من الثقيلة، والتقدير: أَنَّه يكون، فجاءت السِّين عوضاً من المحذوف، وكذلك جاءَت في قول أَبي مِحْجَن:

وَلَا تَـدْفِنَـنِّي بـالْفَـلاةِ فَـإِنني ... أَخافُ إِذا ما مِتُّ أَنْ لَا أَذوقُهَا[٧] [الطويل]

و«الضَّرْبُ في الأَرض»: هو السفر للتجارة، وضَرْبُ الأَرض: هو المشي للتَّـبَـرُّز والغائط، فذكر الله تعالى أَعذار بني آدم التي هي حائلة بينهم وبين قيام الليل، وهي المرض والسفر في تجارة أَو غزو، فخفف عنهم القيام لها، وفي هذه الآية

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٩٧)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٣٢).
(٢) وهي شاذة، انظر: السبعة (ص: ٦٥٨).
(٣) انظر قول سعيد بن جبير في البحر المحيط لأبي حيان (١٠/ ٣٢١).
(٤) انظر قول الحسن وقول ابن سيرين في تفسير الثعالبي (٤/ ٣٥٦).
(٥) تفسير الماوردي (٦/ ١٣٣).
(٦) لم أقف عليه.
(٧) كما تقدم في تفسير الآية (٣٣) من (سورة النساء).

فضيلة للضرب في الأَرض بالتجارة وسَوْقٌ لها مع سفر الجهاد، وقال عبد الله بن عمر: أَحبُّ موت إِليَّ بَعْد القتل في سبيل الله أَن أَموت بين شعبتي رَحْلي أَضرب في الأَرض أَبتغي من فضل الله[١].

ثم كرر الله تعالى الأَمر بقراءة ما تَيسَّر منه تأْكيداً، والصلاة والزكاة هنا: المفروضتان، فمن قال إِن القيام بالليل غير واجب قال: معنى الآية: خذوا من هذا النَّفْل ما تَـيَسّر وحافظوا على فرائضكم، ومن قال: إِنَّ شيئاً من القيام واجب قال: قد قَرَنَه الله تعالى بالفرائض لأَنه فرض.

و«إِقراضُ الله تعالى»: هو إسلاف العمل الصالح عنده، وقرأ جمهور الناس: ﴿هُوَخَيۡرًا﴾ على أَن يكون ﴿هُوَ﴾ فَصْلاً.

وقرأَ محمد بن السَّميفع، وأَبو السَّمال: (هُوَ خَيْرٌ) بالرفع[٢] على أَن يكون (هُوَ) ابتداءً و(خَيرٌ) خبره، والجملة تَسُدُّ مَسَدّ المفعول الثاني لـ﴿تَجِدُوهُ﴾.

ثم أَمَرَ الله تعالى بالاستغفار، وأَوجب لنفسه صفة الغفران، لا إِله غيره، قال بعض [٥/ ٢٤٧] / العلماءِ: فالاستغفار بعد الصلاة مستنبط من هذه الآية ومن قوله تعالى: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۞ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧-١٨].

قال القاضي أَبو محمد: وعهدتُ أَبِي رحمه الله تعالى يستغفر إِثر كل مكتوبة ثلاثاً

---

(١) إسناده ضعيف، أخرجه الثعلبي (١٠/ ٦٥-٦٦) من طريق عبد الحميد بن صالح، عن أبي عقيل، عن القاسم بن عبيد الله، عن أبيه، عن ابن عمر بنحوه، وأبو عقيل هو يحيى بن المتوكل العمري المدني ضعيف، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٥/ ٦٠) لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في شعب الإيمان ولكن عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وانظر: تخريج الكشاف (٤/ ١١٢).

(٢) «بالرفع» ليست في المطبوع، والقراءة شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٤٩١).

بعقب السلام وَيأْثِرُ في ذلك حديثاً[١]، فكأَن هذا الاستغفار من التقصير وتفلُّت الفكر أَثناءَ الصلاة، وكان السلف الصالح يصلون إِلى طلوع الفجر ثم يجلسون للاستغفار إِلى صلاة الصبح.

(١) أخرج مسلم (٥٩١) من حديث ثوبان، قال: كان رسول الله ﷺ، إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام».

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تفسير ابن عطيّة

المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمّد عبد الحقّ بن عطيّة الأندلسيّ

تحقيق
مجموعة من الباحثين

بإشراف
إدارة الشّؤون الإسلاميّة

الجُزْءُ العَاشِرُ
من أوّل تفسير سورة المدّثّر حتّى نهاية سورة النّاس
وتليها الفهارس العامّة للكتاب

إصدارات
وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة
إدارة الشّؤون الإسلاميّة
بتمويل الإدارة العامّة للأوقاف
دولة قطر

تفسير ابن عطيّة

المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمّد عبد الحقّ بن عطيّة الأندلسيّ

□ **تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**
تأليف : الإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي
تحقيق : مجموعة من الباحثين - بإشراف إدارة الشؤون الإسلامية
الطبعة المحققة الأولى : ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

قياس القطع : ١٧ × ٢٤

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر
ص.ب ٤٢٢ الدوحة
البريد الإلكتروني : turathuna@islam.gov.qa

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ المُدَّثِّر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سُورة المُدّثر

وهي مكيَّة بِإجماع من أَهل التأْويل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ٨ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ١٠﴾.

اختلفت القراءَةُ في ﴿ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ على نحو ما ذكرناه في ﴿ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾.

وفي حرف أُبيٍّ بن كعب: (الْمُتَدَثِّر)[1]، ومعناه: المُتَدَثِّر بثيابه.

و«الدِّثارُ»: ما يتغطَّى الإِنسان به من الثياب.

واختلف الناس، لم ناداه بـ﴿ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾؟ فقال جمهور المفسرين بما ورد في البخاري من أَنه ﷺ لمَّا فرغ من رؤية جبريل عليه السلام على كرسيٍّ بين السماءِ والأَرض فرُعب منه ورجع إِلى خديجة، قال: زَمِّلُوني زَمِّلُوني، فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾[2].

---

(١) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٤٩١)، وتقدم مثلها في (المزمل).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٢٣٨)، ومسلم (١٦١) من حديث: جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه.

وقالت عائشةُ، والنَّخَعيُّ، وقتادة: نُودِي وهو في حال تدثُّر فدُعي بحالٍ من أَحواله[١].

ورُوي: أَنه كان تدثَّر في قطيفة.

وقال آخرون: معناه: يا أَيُّها النائم، وقال عكرمة: معناه: يا أيها المدّثر للنبوة، وأَثقالها[٢].

واختلف الناس في أَول ما نزل من كتاب الله تعالى، فقال جابر بن عبد الله، وأَبو سَلَمة، والنَّخَعي ومجاهد وجماعة: هو ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ الآيات[٣].

وقال الزهري والجمهور: هو ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، وهذا هو الأَصح، وحديث صدر البخاري نصٌّ في ذلك[٤].

وقوله تعالى: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ بِعْثة عامة إِلى جميع الخلق.

قال قتادة: المعنى: أَنذر عذاب الله ووقائعه بالأمم[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ معناه: عَظِّمْه بالعبادة وبثِّ شرعه.

ورُوي عن أَبي هريرة: أَن بعض المؤمنين قال: بِمَ نفتتح صلاتَنا؟ فنزلت: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾[٦].

واختلف المتأَولون في معنى قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾:

---

(١) لم أهتد إليه.

(٢) انظر قول النخعي في الهداية لمكي (١٢/ ٧٨١٣)، وقتادة وعكرمة فيه (ص: ٧٨١٥)، وفي الطبري (٢٣/ ٩).

(٣) قول أبي سلمة في الطبري (٢٣/ ٨)، وكذلك قول الزهري الآتي، وجماعة، ليس في الأصل، و«مجاهد» زيادة منه.

(٤) انظر: البخاري (ح رقم ٣).

(٥) لم أجده.

(٦) أخرجه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (١٥/ ٦٤).

قال ابن سيرين، وابن زيد بن أَسلم، والشافعي، وجماعة: هو أَمْرٌ بتطهير الثياب حقيقة[١].

وذهب الشافعي وغيره من هذه الآية إِلى وجوب غسل النجاسات من الثياب.

وقال الجمهور: هذه الأَلفاظ استعارة في تنقية الأَفعال والنفس والعرض، وهذا كما تقول: فلان طاهر الثوب، ويقال للفاجر: دَنِسُ الثوب، ومنه قول الشاعر:

وإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لا ثَوْبَ فَاجِرٍ ... لَبِسْتُ ولَا مِنْ خزيَةٍ أَتَقَنَّعُ[٢] [الطويل]

وقال الآخر:

لَا هُـمَّ إِنَّ عـامِـرَ بْـنَ جَهْمِ ... أَوْذَمَ حَجّاً في ثِيَابٍ دُسْـمِ[٣] [الرجز]

أَي: دَنِسَة.

وقال ابن عباس، والضحاك، وغيرهما: المعنى: ولا تلبسها على غدر ولا فجور[٤].

وقال ابن عباس أَيضاً: المعنى: لا تلبسها من مكسب خبيث[٥].

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٢)، تفسير الماوردي (٦/ ١٣٧)، وانظر قول الشافعي في الأم (١/ ٨٩)، وفي نجيبويه: «وابن أسلم».

(٢) البيت لبَرْذَع بن عدي كما في الأغاني (١٦/ ٢٥٠)، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (١/ ٣٤٢)، وعزاه في المحبر (ص: ٣٤٨)، ومعجم الشعراء (ص: ٤٦٨) لأوفى، قال: واسمه مقرن بن مطر بن ناشرة من بني مازن، وفي تفسير الطبري (٢٣/ ٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٢)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٦٨)، والتمهيد (٢٢/ ٢٣٦) أنه لغيلان بن سلمة الثقفي.

(٣) بلا نسبة في المعاني الكبير (٢/ ٨٣٩)، ومعجم ديوان الأدب (٣/ ٢٧٠)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٣٨٣)، وغريب الحديث للقاسم بن سلام (٢/ ٢٥٤)، وفي المطبوع: «دهم» بالهاء، وليست في شيء من المصادر المتوفرة.

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠-١١) من طريق: عطية العوفي، عنه، ومن طريق الأجلح بن عبد الله الكندي، واختلف عليه، فقيل عن عكرمة عن ابن عباس، وقيل عن عكرمة من قوله، والأجلح ضعيف، وقول الضحاك في تفسير الطبري (٢٣/ ١١)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٦٨).

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ١١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

وقال النَّخَعيُّ: المعنى: طهِّرها من الذنوب[١]، وهذا كله معنى قريب بعضه من بعض.

وقال طاووس: المعنى: قصِّرها وشمِّرها فذلك طُهْرة للثياب[٢].

وقرأ جمهور الناس: ﴿والرِّجْزَ﴾ بكسر الراءِ.

وقرأ حفص عن عاصم، والحسنُ، ومجاهدٌ، وأَبو جعفر، وشيبة، وأَبو عبد الرحمن والنَّخَعي، وابن وثَّاب، وقتادة، وابن أَبي إِسحاق، والأَعرج: ﴿وَٱلرُّجْزَ﴾ بضم الراءِ[٣].

فقيل: هما بمعنى يراد بهما الأَصنام والأَوثان.

وقيل: [هما لمعنيين: الكسر للنتن والنقائص وفجور الكفار ونحوه، والضم لصنمين: إساف ونائلة، قاله قتادة.

وقيل]: للأَصنام عموماً، قاله عكرمة، ومجاهد، والزهري[٤].

وقال ابن عباس: (الرُّجْزُ): السُّخط[٥]، فالمعنى: اهجر ما يُؤَدي إِليه ويوجبه.

وقال الحسن: كل معصية رجزٌ[٦].

وروى جابر أَن النبي ﷺ فسَّر هذه الآية بالأَوثان[٧].

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٠)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٦٨).

(٢) تفسير الماوردي (٦/ ١٣٧).

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٣٧).

(٤) انظر أقوالهم في الطبري (٢٣/ ١٣)، والثعلبي (١٠/ ٧٠)، وما بين المعقوفتين ساقط من المطبوع، في الأسدية ٤: «فجور الكلام».

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٦) انظر تفسير الماوردي (٦/ ١٣٧).

(٧) لا يصح مرفوعاً، أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٢٥٢) من طريق محمد بن كثير المصيصي، عن معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: والرجز، برفع الراء، وقال: هي الأوثان. ورفعه للنبي ﷺ خطأ من محمد المصيصي؛ فإنه كثير الخطأ، والصواب: أنها من قول أبي سلمة بن عبد الرحمن، كما في البخاري (٣٢٣٨)، ومسلم (١٦١).

واختلف المتأولون في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾:

فقال ابن عباس وجماعة معه: لا تُعْطِ عطاءً لِتُعْطَى أَكثر منه[(١)].

فكأَنه من قولهم: مَنَّ: إِذا أَعْطى.

وقال الضحاك: وهذا خاص بالنبي ﷺ ومباح لأُمته لكن لا أَجْر لهم فيه[(٢)]، قال مكِّيٌّ: وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩][(٣)].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا معنى أَجنبي من معنى هذه السورة.

وحكى النقاش عن ابن عباس أنه قال: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾: لا تقل: دعوتُ فلم أُجَبْ[(٤)].

ورُوي عن قتادة أَن المعنى: لا تُدِلَّ بعملك، ففي هذا التأْويل تحريض على الجِدِّ وتخويف.

وقال ابن زيد: معناه: ولا تمنن على الناس بِنُبُوَّتك تستكثرُ بأَجْر أَو بكسبٍ تطلبه منهم.

وقال الحسن بن أَبي الحسن: معناه: ﴿وَلَا تَمْنُن﴾ على الله تعالى بِجِدِّك ﴿تَسْتَكْثِرُ﴾ أَعمالك ويقع لك بها إِعجاب، فهذه كلها من (المنِّ) الذي هو: تعديد اليد وذكْرها.

وقال مجاهد: معناه: ولا تَضْعُف تستكثر ما حَمَّلْناكَ من أَعباءِ الرسالة، أَو تستكثر من الخير، فهذا من قولهم: حَبْلٌ منين، أَي: ضعيف[(٥)].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٣-١٤) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه بنحوه، وفي نجيبويه: «معناه» بدل «معه».

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩١)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٧٠).

(٣) انظر: الهداية لمكي (١٢/ ٧٨٢٠).

(٤) لم أهتد إليه، وانفراد النقاش به دليل على سقوطه.

(٥) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢٣/ ١٦)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٧٠)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٨٢١).

وفي قراءة ابن مسعود: (وَلَا تَمْنُنْ أَنْ تَسْتَكْثِر)[١].

وقرأ الحسن بن أبي الحسن (تَسْتَكْثِرْ) بجزم الراء؛ وذلك كأنه قال: لا تستكثر.

[٥/ ٢٤٨] وقرأ الأعمش: (تَسْتَكْثَرَ) بنصب الراءِ؛ وذلك على تقدير «أَنْ» مضمرة، / وضعَّف أبو حاتم الجزم[٢].

وقرأ ابن أبي عبلة: (وَلَا تَمْنُنْ فَتَسْتَكْثِرْ) بالفاءِ العاطفة والجزم[٣].

وقرأ أبو السَّمال: (ولا تَمُنَّ) بنون واحدة مشددة[٤].

﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾، أي: لوجه ربك وطلب رضاه، كما تقول: فعلتُ كذا لله تعالى.

والمعنى: على الأذى من الكفار، وعلى العبادة، وعن الشهوات، وعلى تكاليف النبوة.

قال ابن زيد: وعلى حرب الأحمر والأسود، لقد حمل ﷺ أمراً عظيماً[٥].

و﴿ٱلنَّاقُورِ﴾: الذي ينفخ فيه، وهو الصور، قاله ابن عباس وعكرمة[٦].

وقال خُفافُ ابنُ نَدْبة:

[الوافر] إِذَا نـاقـورُهـم يَـومـاً تَبَدَّى ... أَجاب النَّاسُ مِنْ غرب وشَرْقِ[٧]

وهو فاعول من النَّقر.

---

(١) وهي شاذة، انظر تفسير الطبري (٢٣/ ١٦)، ومعاني القرآن للفراء (٥/ ١٥٣).

(٢) وهما شاذتان، انظر إتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٦٢)، والأولى ساقطة من المطبوع ونجيبويه والحمزوية.

(٣) وهي شاذة، لم أجد له سلفاً ولا خلفاً.

(٤) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٤٩٢)، ومختصر الشواذ (ص: ١٦٤).

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ١٦)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٨٢٢)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٣٨).

(٦) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٧)، وابن أبي حاتم كما في تغليق التعليق (٤/ ٣٥١)، والإتقان (٢/ ٥٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه، وقول عكرمة في تفسير الطبري (٢٣/ ١٧).

(٧) لم أجده لغير المؤلف، وفي المطبوع وأحمد٣ ونجيبويه: «شرق وغرب».

وقال أَبو حبَّاب[١]: أَمَّنا زُرارة بنُ أَوْفى[٢]، فلما بلغ ﴿فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ خَرَّ ميتاً[٣].

وروي أَن النبي ﷺ قال يوماً لأَصحابه: «كيف أَنعَمُ وصاحب القرن قد التقمه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ»؟ ففزع أصحاب النبي ﷺ فقالوا: كيف نقول يا رسول الله؟ قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا»[٤].

و﴿يَوۡمٌ عَسِيرٌ﴾ معناه: فيه عُسْرٌ في الأُمور الجارية على الكفار، فوصف الله تعالى اليوم بالعُسْر لكونه ظرف زمان له، وكذلك تجيءُ صفته باليسر.

وقرأَ الحسن: (عَسِرٌ) بغير ياءٍ[٥].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ۝١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ۝١٤ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ۝١٦ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ۝٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ۝٢٥﴾.

قوله تعالى: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ وعيدٌ محضٌ، والمعنى: أَنا أَكفي عقابه وشأَنه كله، ولا خلاف بين المفسرين أَن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي، فيروى أَنه كان يلقَّب بالوحيد؛ لأَنه لا نظير له في ماله وشرفه في بيته، فذكر «الوحيد» في الآية في جملة النِّعمة التي أُعطي، وإِن لم يثبت هذا، فقوله تعالى: ﴿خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾

---

(١) في المطبوع: «حبان»، وفي نجيبويه: «أبو خفاف»، ولم أعرفه.

(٢) زرارة بن أوفى أبو حاجب العامري، قاضي البصرة، كان من كبار علماء البصرة وصلحائها، سمع عمران بن حصين، وأبا هريرة، وابن عباس، روى عنه: أيوب، وقتادة، وثقه النسائي، وغيره، توفي في صلاة الصبح، سنة (٩٣هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٣٥٨).

(٣) تفسير الثعلبي (١٠/ ٧١).

(٤) صحيح، وقد تقدم تخريجه عند آية (٩٩) من (سورة الكهف).

(٥) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٩٢) وذكر له وجهاً آخر بثلاث فتحات.

معناه: مُنْفرداً قليلاً ذليلاً، فجعلت له المال والبنين، فجاءَ ذكْر الوحْدة مقدمةً حَسُن معها وقوع المال والبنين.

وقيل: المعنى: خلقته وحدي لم يشركني فيه أَحد، فـ﴿وَحِيدًا﴾ حال من التاءِ في ﴿خَلَقْتُ﴾.

و«الْمَالُ الممدودُ»، قال مجاهد، وابن جُبير: هو أَلف دينار.

وقال سفيان: بلغني أَنه أَربعة آلاف، وقاله قتادة، وقيل: عشرة آلاف.

قال القاضي أَبو محمد: فهذا مدٌّ في العدد.

وقال النعمان بن سالم: هي الأَرض؛ لأَنها مُدَّت[1].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «المال الممدود»: الرَّيع الْمُسْتَغَلُّ مشاهرةً[2]، فهو مَدٌّ في الزمان لا ينقطع.

و﴿شُهُودًا﴾ معناه: حضوراً متلاحقين، قال مجاهد وقتادة: كان له عشرة من الولد[3].

وقال ابن جبير: كان له ثلاثة عشر[4].

و«التَّمْهِيدُ»: التَّوْطئة والتَّهيئة، قال سفيان: المعنى: بسطتُ له العيشَ بَسْطاً[5].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ وصفٌ لجشع الوليد ورغبتهِ في الازدياد من الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ زَجْرٌ وردٌّ على أُمنية هذا المذكور.

---

(١) انظر هذه الأقوال في الطبري (٢٣/ ٢٠)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٨٢٥)، والثعلبي (١٠/ ٧١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٢).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر الطبري (٢٣/ ٢١٠)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٨٢٦)، والثعلبي (١٠/ ٧٢).

(٤) تفسير الثعلبي (١٠/ ٧٢)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٤٠).

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٢١)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٨٢٦).

ثم ذكر تعالى عنه أَنه كان معانداً مخالفاً لآيات الله وعِبَره[١]، يقال: بعير عنودٌ للّذي يمشي مخالفاً للإِبل، ويحتمل أَن يريد بالآياتِ آياتِ القرآن، وهو الأَصح في التأْويل؛ بسبب كلام الوليد في القرآن بأَنه سحر.

و(أُرْهِقُهُ) معناه: أُكلفه بمشقة وعُسر.

و(صَعَود) عقبة في نار جهنم، وروى ذلك أَبو سعيد الخدريُّ عن النبي ﷺ[٢]، كلما وُضع عليها شيءٌ من الإِنسان ذاب، و«الصعود» في اللغة: العَقَبة الشاقة.

وقوله تعالى مخبراً عن الوليد: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ الآية؛ روى جمهور من المفسرين أَن الوليد سمع من القرآن ما أَعجبه وَمَدَحه، ثم سمع كذلك مراراً حتى كاد أَن يُقارب الإِسلام، ودخل إِلى أَبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ مراراً، فجاءَه أَبو جهل فقال: يا وليد! أَشعرتَ أَنَّ قريشاً قد ذَمَّتْك بدخولك إِلى ابن أَبي قحافة، وزعَمَتْ أَنك إِنما تقصد أَن تأْكل طعامه؟ وقد أَبغضتك لمقاربتك أَمر محمد، وما يخلصك عندهم إِلَّا أَن تقول في هذا الكلام قولاً يُرضيهم، ففتنه أَبو جهل فافتتن، وقال: أَفْعَل ذلك، ثم فكَّر فيما عسى أَن يقول في القرآن، فقال: أَقول هو شعر؟ ما هو بشعر! أَقول: هو كاهن؟ ما هو بكاهن! أَقول: هو سحْر يُؤْثر، هو قول البشر، أَي: ليس مُنَزَّلاً من عند الله تعالى[٣].

---

(١) في حاشية المطبوع: «في بعض النسخ: وَغِيَره».

(٢) ضعيف، أخرج ابن المبارك في الزهد (٢/ ٩٦) كما في زوائد نعيم بن حماد، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٣١)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (٣٠)، والطبري (٢٣/ ٢٢)، وابن أبي حاتم (١٩٠٣٤)، والبيهقي في البعث (٥٣٨) من طريق عمار الدهني، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ قال: «هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده، فإذا وضع يده ذابت، وإذا رفعها عادت، وإذا وضع رجله ذابت، وإذا رفعها عادت» وإسناده ضعيف؛ من أجل عطية العوفي.

(٣) هذا القول ذكره الطبري (٢٣/ ٢٤-٢٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ مطول.

قال أَكثر المفسرين: فقوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ هو دعاءٌ عليه وتَقْبيح لحاله، أَي: أَنَّه ممن يستحق ذلك.

ورُوي عن الزهري وجماعة غيره: أَن الوليد حاجَّ أَبا جهل وجماعة من قريش في أَمر القرآن، وقال: إِن له والله لحلاوة، وإِن أَصله لَغَدِقٌ، وإِنَّ فرعه لَجَنَاةٌ، وإِنه ليحكم ما تحته، وإِنه ليَعْلُو ولا يُعْلى، ونحو هذا من الكلام، فخالفوه فقالوا له: هو شِعر، فقال: والله ما هو بِشِعر، ولقد عرفنا الشِّعر هَزَجَهُ وَبسيطه، قالوا: فهو كاهن، فقال: والله ما هو بكاهن، ولقد رأَينا الكهان وزَمْزَمتهم، قالوا: فهو مجنون، قال: والله ما هو بمجنون، ولقد رأَينا الجنون وخنقه، قالوا: هو سِحْر، قال: أَمَّا هذا فيشبه أَنه سِحْر، ويقول أَقوال نَفْسه[1].

قال القاضي أَبو محمد: فيحتمل قوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ أَن يكون دعاءً عليه على معنى تقبيح حاله، ويحتمل أَن يكون دعاءً مقتضاه استحسان منزعه الأَول في مدحه القرآن، وفي نَفْيه الشِّعر والكهانة والجنون عنه، فيجري هذا مجرى قول النبي ﷺ لأَبي جندل بن سهيل: «وَيْلُ أمِّهِ مِسْعَرُ حَرْبٍ»[2]، ومجرى قول عبد الملك بن مروان: قاتل الله كُثَيِّراً،/ كأَنه رآنا حين قال كذا[3]، وهذا معنى مشهور في كلام العرب. [٥/ ٢٤٩]

ثم وصف تعالى إِدْباره واستكباره وأَنَّه ضلَّ عند ذلك وكفر، وإِذا قلنا: إِن ذلك دُعاءٌ على مُسْتَحسن فعله فيجيءُ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ [معناه نظر][4] فيما احتَجَّ به للقرآن فرأَى ما فيه من عُلُوِّ مرتبة محمد ﷺ فَعَبَس لذلك وبَسَرَ، أَيْ: قطَّب وقَبَض ما بَيْن عينيه وارْبَدَّ وجهه حسداً له، فأدبر واستكبر، أَي ارْتَكَسَ في ضلاله، وزال إِقباله أَوَّلاً ليهتدي، وَلَحِقَتْه الكبرياءُ، وقال: هذا سِحْرٌ يُؤْثَر، ومعناه: يُرْوى ويُحْمَل[5]، أي: يحمله محمد عن

(١) انظر تفسير الطبري (٢٤/ ٢٥)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٧٢-٧٣).

(٢) صحيح، هذا جزء من حديث صلح الحديبية الذي أخرجه البخاري (٢٧٣٢).

(٣) أمالي القالي (١/ ١٣)، وذلك حيث يَقُولُ: إذا ما أراد الغزو لم تثن همه... حصان عليها نظم در يزينها.

(٤) سقط من المطبوع، وفي الأسدية ٤: «معناه» فقط.

(٥) في حاشية المطبوع: «في بعض النسخ: ويحتمل».

غيره، وعلى التأْويل الأَول أَن الدعاءَ عليه دعاءٌ على مُسْتَقْبَح فِعْله يجيءُ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ معناه معاد بعينه؛ لأَن ﴿فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ يقتضيه[١]، لكنه إِخْبارٌ بترديده النَّظَر في الأَمر.

وقد رُوي أَن النبي ﷺ دعا الوليد، فقال له: أَنْظُرُ وأُفَكِّرُ، فلما فكَّر قال ما تقدم[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ...﴾.

﴿سَقَرَ﴾: هو الدرك السادسُ من جهنَّم، على ما رُوي.

و(أُصْلِيهِ) معناه: أَجعله فيها مباشراً لنارها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ هو على معنى التَّعجب من عظم أَمرها وعذابها، ثم بيَّن تعالى ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَذَرُ﴾، المعنى: لا تُبقي على من أُلْقي فيها، ولا تَذَرُ غايةً من العذاب إِلَّا أَوصلته إِليها.

قوله تعالى: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾، قال ابن عباس[٣]، ومجاهد، وقتادة، وأَبُو رَزين، وجمهور الناس: معناه: مُغَيِّرَةٌ للبشرات، مُحرقة للجلود، مُسوِّدة لها، فـ(الْبَشَرُ) جمع بشرة[٤].

وتقول العرب: لاحت النارُ الشيءَ: إِذا أَحرقته وسوَّدته، وقال الشاعر:

لَاحَـهُ الصَّيْـفُ والغَيـارُ وَإِشْـفا ... قٌ عَلَى سَقْبَة كَقَوْسِ الضَّالِ[٥] [الخفيف]

---

(١) في حاشية المطبوع: هكذا في الأصول، ولعله يريد: لأن ﴿فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ كلام يقتضيه.

(٢) انظر تفسير الطبري (٢٣/ ٤٣١).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٧-٢٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾. يقول: تحرق بشرة الإنسان.

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٧)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٨٣).

(٥) البيت للأعشى، كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ٢١٣)، والمحكم والمحيط الأعظم (٦/ ١٣)، وفي الأسدية ٣: «الصال».

وأَنشد أَبو عبيدة:

[الرجز] .... يا ابْنَةَ عَمِّي لَاحَني الْهَوَاجِرُ[١]

وقال الحسن، وابن كيسان: ﴿لَوَّاحَةٌ﴾ بناءُ مبالغة من: لاحَ يَلوحُ، إِذا ظهر[٢]، فالمعنى أَنها تظهر للناس وهم البشر من مسيرة خمس مئة عام، وذلك لعِظمها وهولها وزفيرها.

وقرأَ عطية العوفي: (لَوَّاحَةً) بالنصب[٣].

وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ابتداءٌ، وخبره مقدم في المجرور، ولا خلاف بين العلماءِ أَنهم خزنة جهنم المحيطون بأَمرها، الذين إِليهم جِماع أَمر زبانيتها.

وقد قال بعض الناس: إِنهم على عدد حروف ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾؛ لأَن بها تقووا.

ورُوي أَن قريشاً لما سمعت هذا كثر إِلغاطهم فيه وقالوا: لو كان هذا حقّاً فإِن العدد قليل، فقال أَبو جهل: هؤلاءِ تسعة عشر وأَنتم الدَّهْم، أَفيعجز عشرة منا عن رجل منهم؟ وقال أَبو الأَشدّ ابن الجُمحي: أَنا أجهضهم عن النار[٤]. إِلى غير هذا من أَقوالهم السخيفة، فنزلت في أَبي جهل: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة: ٣٤] الآية.

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع، وطلحة بن سليمان: ﴿تسعة عْشَرَ﴾ بسكون العين من «عَشَرَ» وذلك لتوالي الحركات[٥].

وقرأَ أَنس بن مالك، وأَبو حيوة: (تسعةُ عشَرَ) برفع التاءِ.

---

(١) قبله: تقولُ ما لاَحَكَ يا مُسَافِرُ، وهو بلا نسبة في مجاز القرآن (٢/ ٢٧٥)، وتفسير الزمخشري (٤/ ٦٥٠).

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٧٤).

(٣) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (١٠/ ٧٤).

(٤) قول أبي جهل أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٣٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه، وقول أبي الأشد بن الجُمحي أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٣٨) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

(٥) وهي عشرية، انظر النشر (٢/ ٣١٤)، والمحتسب (٢/ ٣٣٧).

ورُوي عن أَنس بن مالك أَنه قرأَ: (تسعة أعشر)، وضعفها أَبو حاتم[١].

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ تَبْيين لفساد أَقوال قريش، أَي: إِنا جعلناهم خلقاً لا قِبَل لأَحد من الناس بهم، وجعلنا عدَّتهم هذا القدر فتنةً للكفار، لِيَقع منهم من التعاطي والطمع في المغالبة ما وقع، ولِيَستيقن أَهل الكتاب ـ التوراة والإِنجيل ـ أَن هذا القرآن من عند الله تعالى؛ إِذ يجدون هذه العِدَّة في كتبهم المنزَّلة التي لم يقرأْها محمد ﷺ ولا هو من أَهلها، ولكن كتابه يصدق ما بين يَدَيْه من كتب الأَنبياءِ صلى الله عليه وعليهم وسلم؛ إِذ جميع ذلك حق يتعاضد، مُنَـزَّل من عند الله تعالى، قال هذا المعنى ابن عباس[٢]، ومجاهد، وغيرهم[٣]، وبورود الحقائق من عند الله عزَّ وجلَّ يزداد كلُّ ذي إيمان إِيماناً، ويزول الرَّيب عن المصدِّقين من أَهل الكتاب ومن المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ الآية، نوعٌ من الفتنة لهذا الصنف المنافق أَو الكافر، أَي: جاروا وضلُّوا ولم يهتدوا لقصد الحق، فجعلوا يستفهم بعضهُم بعضاً عن مراد الله تعالى بهذا المثل استبعاداً أَن يكون هذا من عند الله تعالى.

قال الحسين بن الفضل: السورة مكِّيَّة ولم يكن بمكة نفاقٌ[٤]، وإِنما المرض في هذه الآية: الاضطراب وضعف الإِيمان.

---

(١) وهما شاذتان، انظر المحتسب (٢/ ٣٣٨)، وتضعيف أبي حاتم في تفسير القرطبي (١٩/ ٨١).

(٢) أخرج الطبري (٢٣/ ٢٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ...﴾ إلى قوله: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ فلما سمع أبو جهل بذلك قال لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزَنة النار تسعة عشر وأنتم الدَّهم، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم؟ فأوحي إلى رسول الله ﷺ أن يأتي أبا جهل، فيأخذ بيده في بطحاء مكة فيقول له: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ * ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ فلما فعل ذلك به رسول الله ﷺ قال أبو جهل: والله لا تفعل أنت وربك شيئاً، فأخزاه الله يوم بدر، وأخرجه من نفس الطريق (٢٣/ ٣٠) عن ابن عباس، قوله: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ قال: وإنها في التوراة والإنجيل تسعة عشر، فأراد الله أن يستيقن أهل الكتاب، ويزداد الذين آمنوا إيماناً.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) تفسير الثعلبي (١٠/ ٧٤).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿...كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾، أَي: بهذه الصفة وهذا الرَّيْن على القلوب يُضل، ثُمَّ أَخبر تعالى أَنه يهدي من يشاءُ من المؤمنين لما ورد بذلك لعلمهم بالقدرة، ووقوف عقولهم على كُنْه سلطان الله تعالى، فهم موقنون مُتَصَوِّرون صحة ما أَخبرت به الأَنبياءُ عليهم السلام وكُتبُ الله تعالى.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ إعلاماً بأَن الأَمر [كُلَّه لله سبحانه، وأَنه](١) فوق ما يُتَوَهَّم، وَأَنَّ الخبر إِنما هو عن بعض القدرة لا عن كلها، [والسماءُ كلها عامرة](٢) بأَنواع من الملائكة، كلُّهم في عبادة متصلة، وخشوع دائم وطاعة، لا فترة في شيءٍ من ذلك ولا دقيقة واحدة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ﴾، قال مجاهد: الضمير في قوله تعالى: ﴿هِيَ﴾ للنار المذكورة(٣)، أَيْ: يُذَكَّرُ بها البشر فيخافونها فيطيعون الله تعالى.

وقال بعض الحُذَّاق / : قوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ﴾ يراد بها الحالُ والمخاطَبة والنِّذَارة. [٥/ ٢٥٠]

قال الثعلبي: وقيل: ﴿وَمَا هِيَ﴾ يراد نارُ الدنيا، أَي: إِن هذه تذكرة للبشر بنار الآخرة(٤).

---

(١) من المطبوع ونجيبويه والحمزوية ونور العثمانية.

(٢) في أحمد٣: «والمملكة عامرة»، وأشار لها في حاشية المطبوع، وسقطت منه: «كلها»، وأشار لها أيضاً في الحاشية.

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٢).

(٤) انظر تفسير الثعلبي (١٠/ ٧٥).

وقوله عز وجلَّ: ﴿كَلَّا﴾ ردٌّ على الكافرين وأَنواع الطاعنين على الحق، ثم أَقسم تعالى بالقمر، تخصيص تشريف وتنبيه على النظر في عجائبه، وقدرة الله تعالى في حركاته المختلفة التي هي مع كثرتها واختلافها على نظام واحد لا يختل، وكذلك هو القسم بالليل وبالصبح، فيعود التعظيم في آخر الفكرة وتحصيل المعرفة إِلى الله تعالى، مالك الكلِّ، وَقِوامِ الوجود، ونُورِ السماوات والأَرض، لا إِله إِلَّا هو العزيز الغفار.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأَبو بكر عن عاصم: ﴿إذا دَبَر﴾ بفتح الدال والباءِ، وهي قراءة ابن عباس، وابن الزبير، وابن المسيب، ومجاهد، وعطاءٍ، ويحيى بن يَعْمَر، وأَبي جعفر، وشيبة، وأَبي الزِّناد، وقتادة، وعمر بن عبد العزيز، والحسن، وطلحة.

وقرأَ نافع، وحمزة، وحفص عن عاصم: ﴿إِذْ أَدْبَرَ﴾ بتسكين الدال، وبفعل رباعي، وهي قراءة سعيد بن جبير، وأَبي عبد الرحمن، والحسن بخلاف عنهم، والأَعرج، وأَبي شيخ، وابن محيصن، وابن سيرين[١].

قال يونس بن حبيب: ﴿دَبَرَ﴾، معناه: انقضى، و﴿أَدْبَرَ﴾، معناه: تولَّى[٢].

وفي مصحف ابن مسعود، وأُبَيِّ بن كعب: (إِذَا أَدْبَرَ) بفتح الذال وأَلف، وبفعل رباعي، وهي قراءة الحسن، وأَبي رُزَيْن، وأَبي رجاءٍ، ويحيى بن يَعْمَر[٣].

وسأَل مجاهدُ ابنَ عباسٍ عن دَبَرَ اللَّيْلُ، فتركه حتى إِذا سمع المنادي الأَول للصبح قال له: يا مجاهد هذا حين دَبَر الليل[٤].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢١٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٥/ ٤٨).

(٢) انظر قوله في الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ٣٣٩).

(٣) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٠٤).

(٤) صحيح، أخرجه مسدد في مسنده كما في المطالب العالية (٣٧٧١) عن يحيى القطان، عن سيف ابن أبي سليمان، عن مجاهد به، بنحوه، وإسناده صحيح.

وقال قتادة: دَبَرَ الليل: وَلَّى[١]، وقال الشاعر:

[الكامل] وَأَبِي الَّذي تَركَ الْمُلُوكَ وَجَمْعَهُمْ بِهُضامَ هامِدَةً كَأَمْسِ الدَّابِرِ[٢]

والعربُ تقول في كلامها: كأَمْسِ الْمُدْبِرِ، قال أَبو علي: فالقراءتان جميعاً حسنتان[٣].

و﴿أَسْفَرَ﴾ الصُّبح: أَضاءَ وانتشر ضوْءُهُ قبل طلوع الشمس بكثير، والإِسْفارُ رُتَب: أَوَّل ووسط وآخر، ومن هذه اللفظة السَّفر والسَّفْر بفتح السين، والسَّفِيرُ، وسفرت المرأَة عن وجهها، وكلها ترجع إِلى معنى الظُّهور والانجلاءِ.

وقرأَ عيسى بن الفضل، وابن السَّميفَع: (إذا سَفَر)[٤]، فكأَن المعنى: طرح الظُّلمة عن وجهه، وضعَّفها أَبو حاتم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾، قال قتادة، وأَبو رزين، وغيرهما: الضمير لجهنم[٥].

ويحتمل أَن يكون الضمير للنذارة وأَمْر الآخرة، فهو للحال والقصة، وتكون هذه الآية مثل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ * أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: ٦٧-٦٨].

و﴿ٱلْكُبَرِ﴾: جمع كبيرة، وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿لَإِحْدَى﴾ بهمزة في أَلف (إِحْدَى).

ورُوي عن ابن كثير أَنه قرأَ: ﴿لَاحْدَى﴾ دون همزة، وهي قراءة نصر بن عاصم[٦].

قال أَبو علي: التخفيف في (إِحْدَى الكُبَرِ) أَن تجعل الهمزة فيها بَيْن بَيْن، فأَمَّا

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) بلا نسبة في جمهرة اللغة (١/ ٢٩٦)، وأمالي القالي (٢/ ٢١٤)، والحجة للفارسي (٦/ ١٧٥)، وفي نور العثمانية ونجيبويه: «بهضاب».

(٣) انظر الحجة للفارسي (٦/ ٣٣٩).

(٤) وهي شاذة، انظرها مع تضعيف أبي حاتم في تفسير الثعلبي (١٠/ ٧٦).

(٥) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٣).

(٦) انظر في عزوها لابن كثير السبعة في القراءات (ص: ٦٥٩)، وقد عزاها لهما أبو حيان في تفسيره (٨/ ٣٧٠) وزاد ابن مُحَيْصِن.

حذف الهمزة فليس بقياس، وقد جاءَ حذفها[(١)]، قال أَبو الأَسود الدؤَليُّ لزياد:

يَـا بَـا الْمُغِيـرَةِ رُبَّ أَمْـرٍ مُعْضِـلٍ فَـرَّجْتُـهُ بالنُّـكْرِ مِنِّـي والدَّهَا[(٢)] [الكامل]

وأَنشد ثعلب:

إِنْ لَـمْ أُقاتِـلْ فَالْبِسُـونِي بُرْقُعَـاً وَفَتَخَـاتٍ فـي الْيَدَيْـنِ أَرْبَعَـا[(٣)] [الرجز]

قوله تعالى: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾، قال الحسن بن أَبي الحسن: لَا نذير أَدْهى من النار[(٤)]، فهذا القول يقتضي أَن ﴿نَذِيرًا﴾ حال من الضمير في ﴿إِنَّهَا﴾، أَوْ من قوله تعالى: ﴿لَإِحْدَى﴾.

وكذلك أَيضاً على الاحتمال في أَن تكون ﴿إِنَّهَا﴾ يراد بها قصة الآخرة وحال المعاد.

وقال أَبو رَزين: الله جلَّ ذِكْره هو النذير[(٥)]، فهذا القول يقتضي أَن ﴿نَذِيرًا﴾ معمول لفعل تقديره: أبين[(٦)] نذيراً للبشر، أَو أدعو نذيراً للبشر.

وقال ابن زيد: «النذيرُ» محمد ﷺ[(٧)]، فهذا القول يقتضي أَن ﴿نَذِيرًا﴾ معمول لفعل [تقديره، نادِ نذيراً، أَو بلغ نذيراً [أو أعلن][(٨)]، ونحو هذا.

ويحتمل أَن يكون ﴿نَذِيرًا﴾ مصدراً مثل قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾][(٩)]

---

(١) انظر الخصائص لابن جني (٣/ ١٥٢).

(٢) انظر عزوه له في الحجة للفارسي (٦/ ٣٤٠)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٢٧٤). وكتبت في المطبوع: «يا أبا».

(٣) بلا نسبة في الحجة للقراء السبعة لأبي علي (٦/ ٣٤٠)، ورسالة الغفران (ص: ٢٦)، وقد سقط الشطر الثاني من الحمزوية.

(٤) تفسير الماوردي (٦/ ١٤٧)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٣٤)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٧٦).

(٥) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٤)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٨٤٤)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٧٦).

(٦) في المطبوع وأحمد٣ والأسدية ٣: «أعبد».

(٧) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٤)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٨٤٤)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٧٦).

(٨) ساقطة من المطبوع وأحمد٣ والأسدية ٣.

(٩) وتكررت في (الحج) و(سبأ) و(فاطر) و(الملك)، وما بين معقوفتين ساقط من الأصل، وهو مثبت من النسخ الأخرى.

وهذا هو اختيار الخليل في هذه الآية، ذكره الثعلبيُّ، قال: ولذلك يوصف به المؤنث[١].

وقرأ ابن أَبي عبلة: (نَذِيرٌ) بالرفع على إِضمار «هو»[٢].

قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾، قال الحسن: هو وعيد نحو قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ﴾ [الحجر: ٢٤][٣].

قال القاضي أَبو محمد: هو بيانٌ في النِّذارة، وإِعلام بأَن كل أَحد يسلُك طريق الهدى والحق إِذا حقَّق النظر، أَي هو بعينه يتأَخَّر عن هذه الرتبة لغفلته وسوءِ نظره.

ثم قوَّى تعالى هذا المعنى بقوله: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾؛ إِذْ لزم بهذا القول أَن المقصِّر مرتهن بسوءِ عمله.

وقال الضحَّاك: المعنى: كلُّ نفس حقت عليها كلمة العذاب، ولا يرتهن تعالى أَحداً من أَهل الجنة إِن شاءَ الله تعالى.

والهاءُ في ﴿رَهِينَةٌ﴾ للمبالغة، أَو على تأَنيث اللفظ، لا على معنى الإِنسان.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ﴾ استثناءٌ ظاهر الانفصال، وتقديره: لكن أَصحاب اليمين؛ وذلك لأَنهم لم يكتسبوا ما هم به مرتهنون.

قال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ﴾ في هذه الآية: أَطفال المسلمين[٤].

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٧٦).

(٢) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (١٠/ ٧٦)، ورويت عن أبي بن كعب كما في معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٠٥).

(٣) انظر تفسير الثعلبي (١٠/ ٧٦).

(٤) ضعيف، أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٧٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٦٥٢)، والطبري (٢٣/ ٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٠٧)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٥٧٢) من طريق عثمان بن عمير أبي اليقظان، عن زاذان أبي عمر، عن علي بن أبي طالب به، وعثمان بن عمير أبو اليقظان ضعيف، واختلط، وكان يدلس ويغلو فى التشيع، وأخرجه الفراء في «معاني القرآن» =

وقال ابن عباس: هم الملائكة عليهم السلام[١].

وقال الضحَّاك: هم الذين سبقت لهم من الله الحسنى[٢].

وقال الحسن، وابن كيسان: هم المسلمون المخلصون، ليسوا بِمُرْتَهنين[٣].

ثم ذكر تعالى حال أَصحاب اليمين، وأَنهم في جنات يسأَل بعضهم بعضاً عمَّن غاب من معارفهم، فإِذا علموا أَنهم مجرمون في النار قالوا لهم ـ أَو قالت الملائكة ـ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾، و(سَلَكَ) معناه: أَدْخل، ومنه قول أَبي وَجزة السعديِّ:

حَتَّى سَلَكْنَ الشَّوَى مِنْهُنَّ في مَسَكٍ ... مِـنْ نَسْـلِ جَوَّابَةِ الآفـاقِ مِهْداجِ[٤] [البسيط]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً (٥٢) كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ / الْآخِرَةَ (٥٣) كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَنْ [٥/ ٢٥١] شَاءَ ذَكَرَهُ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (٥٦)﴾.

هذا هو اعتراف الكفار على أَنفسهم، وفي نَفْي[٥] الصلاة يدخل الإِيمان بالله تعالى، والمعرفةُ به، والخشوع له والعبادة. والصلاةُ تنتظم على[٦] عظم الدين وأَوامر الله تعالى وواجبات العقائد.

= (٣/ ٢٠٥) من طريق المعتمر بن سليمان، عن المنهال بن عمرو رفعه إلى علي به، وهو منقطع.

(١) إسناده لين، أخرجه الطبري (٢٣/ ٣٦-٣٧) من طريق شريك بن عبد الله البجلي، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) الهداية لمكي (١٢/ ٧٨٤٦).

(٣) تفسير الثعلبي (١٠/ ٧٧).

(٤) تقدم في تفسير أواخر (سورة إبراهيم)، وفي نجيبويه: «ابن أبي وجزة».

(٥) في نجيبويه: «معنى»، وأشار لها في حاشية المطبوع.

(٦) ليست في نجيبويه والحمزوية.

و«إِطعام المساكين»: ينتظم الصدقة فرضاً وطواعيةً وكل إجمال ندبت إِليه الشريعة بقول أَو فعل، و«الخَوْضُ مع الخائضين» عُرْفُه في الباطل، قال قتادة: المعنى: كُلَّما غوى غاوٍ غَوَوْا معه(١).

و«التكذيبُ بيوم الدين» كُفْرٌ صراحٌ وجهل بالله تعالى.

و﴿ٱلْيَقِينُ﴾ معناه عندي: صحةُ ما كانوا يكذبون به من الرجوع إِلى الله تعالى والدار الآخرة.

وقال المفسرون: ﴿ٱلْيَقِينُ﴾: الموت، وذلك عندي هنا مُتَعَقَّبٌ؛ لأَن نفس الموت يقين عند الكافر وهو حيٌّ، فإِنما اليقين الذي عَنَوا في هذه الآية فهو الشيءُ الذي كانوا يكذبون به وهم أَحياءٌ في الدنيا فتيقنوه بعد الموت، وإِنما يتفَسَّر اليقين بالموت في قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

ثم أَخبر تعالى أَن ﴿شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ لا تنفعهم، فتقرَّر من ذلك أَنَّ ثَمَّ شافعين، وفي صحة هذا المعنى أَحاديث، قال ﷺ: «يشفع الملائكة ثم النبيُّون ثم العلماءُ ثم الشهداءُ ثم الصالحون، فَيُشَفَّعون، ثم يقول الله تعالى: شفع عبادي وبقيت شفاعة أَرحم الراحمين، فلا يبقى في النار من كان له إِيمان»(٢).

وروى الحسن أَنَّ الله يُدخل بشفاعة رجل من هذه الأُمة إِلى الجنة مثل ربيعة ومضر.

وفي رواية أَبي قِلابة: أَكثر من بني تميم.

وقال الحسن: كنا نتحدث أَن الشهيد يشفع في سبعين من أَهل بيته(٣).

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٧)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٨٤٨)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري وفيه: «فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط».

(٣) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (٢٤/ ٣٨)، وانظر الهداية لمكي (١٢/ ٧٨٤٩)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٧٧).

ثم قال عز وجلَّ: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾، أَي: والحال المنتظرة هي هذه الموصوفة؟

وقوله تعالى في صفة الكفار المعرضين بتوَلٍّ واجتهادٍ في نفور: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ إِثبات لجهالتهم؛ لأَن الحُمُر من جاهل الحيوان جدّاً.

وقرأَ الأَعمش: (حُمْرٌ) بإِسكان الميم[1].

وفي حرف ابن مسعود: (حُمُرٌ نافِرَةٌ)[2].

وقرأَ نافع، وابن عامر، والمفضل عن عاصم: ﴿مُسْتَنْفَرَةٌ﴾ بفتح الفاءِ.

وقرأَ الباقون بكسر الفاءِ، واختلف عن نافع، وعن الحسن، والأَعرج، ومجاهد[3].

فأَمَّا فتح الفاءِ فمعناها: استنفرها فزعها من القَسْورة، وأَما كسْر الفاءِ فعلى أَن «نَفَرَ» و«اسْتَنْفَرَ» بمعنى واحد، مثل: عَجِبَ واسْتَعجبَ وسَخِرَ واسْتَسْخرَ، فكأَنها نفرت هي، ويُقَوِّي ذلك قوله تعالى: ﴿فَرَّتْ﴾، وبذلك رجح أَبو علي قراءة الكسر[4].

واختلف المفسرون في معنى «الْقَسْوَرَة»:

فقال ابن عباس، وأَبو موسى الأَشعريُّ[5]، وقتادة، وعِكْرمة: «القَسْوَرة»: الرُّماةُ[6].

---

(١) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٩٣).

(٢) وهي شاذة، انظر الكامل للهذلي (ص: ٦٥٣).

(٣) الحسن يكسر كما في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٦٢)، وظاهر كلام النحاس أنه يفتح، وانظر إعراب القرآن (٥/ ٧٤)، وأما الباقون فلم نر من نقل الخلاف عنهم فيها.

(٤) انظر الحجة للفارسي (٦/ ٣٤١).

(٥) أثر عبد الله بن عباس أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٠) من طريق حفص بن غياث، عن حجاج، عن عطاء ابن أبي رباح، عن ابن عباس به، وإسناده لين، وأثر أبي موسى الأشعري أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٨) من طريق الأعمش، عن أبي ظبيان، عن أبي موسى الأشعري به، وإسناده جيد.

(٦) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٠).

وقال ابن عباس أَيضاً، وأَبو هريرة، وجمهور من اللغويين: «القَسْورة»: الأَسدُ[١]، وقال الشاعر:

[الرجز] مُـضَـمَّـرٌ تَـحْـذَرُهُ الأَبْـطَـالُ   كَـأَنَّـهُ الْـقَـسْـوَرَةُ الـرِّئْـبَـالُ[٢]

وقال ابن جبير: «القَسْوَرة»: رجالُ القنص[٣]، وقاله ابن عباس أيضاً[٤].

وقيل: «القَسْورةُ»: رِكْزُ الناس، وقيل: «القَسْورة»: الرجال الشداد، قال لبيد:

[الطويل] إِذَا مَـا هَتَفْنَـا هَتْفَـةً فـي نَدِيِّنَـا   أَتَانَـا الرِّجالُ الْعَانِدونَ الْقَسَـاوِرُ[٥]

وقال ثعلب: «القَسْوَرة»: سوادُ أَوّل الليل خاصة لا آخره[٦].

واللفظة مأَخوذة من القَسْر الذي هو: الغَلَبة والقهر.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ معناه: من هؤلاءِ المعرِضين، أَي: يريد كل إِنسان منهم أَن ينزل عليه كتاب من الله تعالى، وكان هذا من قول عبد الله بن أَبي أُمية وغيره[٧].

---

(١) أثر ابن عباس رضي الله عنه أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٢) من طريق علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس رضي الله عنه به، ثم أخرجه من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وأما أثر أبي هريرة فقد أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٢) من طريق هشام بن سعد المدني، عن زيد بن أسلم، عن جابر بن سيلان، عن أبي هريرة به، وجابر بن سيلان اختلف في تعيينه، وفيه جهالة، وأخرجه الطبري أيضاً من نفس الطريق، عن زيد بن أسلم، عن أبي هريرة به، وزيد بن أسلم لم يسمع من أبي هريرة.

(٢) لم أقف عليه لمن قبل المؤلف.

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٤١)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٧٨).

(٤) حسن، أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤/ ٤٠) من طريق عطاء بن أبي رباح، وفي (٢٤/ ٤١) من طريق عطية العوفي كلاهما عن ابن عباس قال: هم رجال القنص، وفي لفظ: الرماة.

(٥) انظر عزوه له في تفسير الثعلبي (١٠/ ٧٩).

(٦) انظر قوله في ياقوتة الصراط (ص: ٥٤٢).

(٧) انظر تفسير الطبري (٢٣/ ٤٦١).

ورُوي أَنَّ بعضهم قال: إِن كان يُكتب في صحفٍ ما يعمل كل إنسان[١] فلتعرض تلك الصحف علينا، فنزلت هذه الآية.

و﴿مُّنَشَّرَةً﴾ معناه: غير مطويةٍ، منشورة.

وقرأ سعيد بن جبير: (صُحْفاً) بسكون الحاءِ، وهي لغة تميمية.

وقرأ: (مُنْشَرَةً) بسكون النون وتخفيف الشين[٢].

وهذا على أَن يشبه نَشرت الثَّوبَ بأَنْشَر اللهُ الميتَ؛ إِذ الطيُّ كالموت، وقد عكس التيميُّ التشبيه في قوله:

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتَهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ[٣] [الكامل]

ولا يقال في الميت يَحْيَا: مَنْشُورٌ، إِلَّا على التشبيه بالثوب، وأَما محفوظ اللغة فهو: نَشَرْتُ الصحيفةَ وأَنْشَرَ اللهُ الميِّتَ، وقد جاءَ عنهم: نَشَرَ اللهُ الميِّتَ.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ ردٌّ على إِرادتهم، أَي: ليس الأَمر كذلك.

ثم قال تعالى: ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْأَخِرَةَ﴾، المعنى: هذه العلَّةُ والسبب في إِعراضهم، فكأَن جهلهم بالآخرة سبب امتناعهم من الهدى حتى هلكوا.

وقرأ أَبو حيوة: ﴿تَخافونَ﴾ بالتاءِ من فوق، ورويت عن ابن عامر[٤].

---

(١) «كل إنسان»: سقطت من المطبوع.

(٢) وهما شاذتان، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٩٣).

(٣) انظر نسبته للتيمي غير مسمى في المحتسب (٢/ ٣٤٠)، وشرح الحماسة للمرزوقي(ص: ٦٧٠)، قال التبريزي في شرحها (١/ ٣٩٤): هو عبد الله بن أيوب ويكنى أبا محمد، كان من أهل اليمامة، شاعر مولد فصيح عربي، عالم متكلم، وجاء في الموازنة (ص: ١٢٣): أنه للعتابي، وفي الكامل للمبرد (٤/ ٢٤): وقال رجل من خزاعة، وينحله كثير، يرثي عمر بن عبد العزيز، قال أبو الحسن: الشعر لقُطْرب، وهو الذي صح عنه، وظاهر العقد الفريد (٣/ ٢٤٣) أنه لمسلم بن الوليد الأنصاري، وفي المنصف (ص: ٧٦٢): أنه للمتنبي.

(٤) انظر روايتها عن ابن عامر في السبعة (ص: ٦٦٠)، وليست من طرق التيسير.

ثم أَعادَ تعالى الردَّ والزجر بقوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾، وأَخبر أَن هذا القول والبيان وهذه المحاورة بجملتها تذكرة، فمن [شاء وفَّقه الله لذلك ذكر][١]: معاده فعمل له، ثم أَخبر أَن ذكْر الإِنسان معاده، وجَرْيَه إِلى فلاحه إِنما هو كله بمشيئة الله تعالى، وليس يكون شيءٌ إِلَّا بها.

وقرأَ نافع، وأَهل المدينة، وسلام، ويعقوب: ﴿تَذْكُرُونَ﴾ بالتاءِ من فوق.

وقرأَ أَبو جعفر، وعاصم، وأَبو عمرو، والأَعمش، وطلحة، وابن كثير، وعيسى، والأَعرج: ﴿يَذْكُرُونَ﴾ بالياءِ من تحت[٢].

ورُوي عن أَبي جعفر بالتاءِ من فوق وشدِّ الذَّال[٣]، كأَنه (تَتَذَكَّرُون) فأَدْغم.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ خبر جزم، معناه أَن الله تعالى أَهْلٌ بصفاته العُلَى، ونِعَمه التي لا تُحصى، ونِقَمه التي لا تُدفع، لأَن يُتَّقى ويُطاع، ويُحْذَرَ عصيانُه وخلافُ أَمره، وأَنه تعالى بفضله وكرمه أَهْل لأَن يغفر لعباده إِذا اتَّقوه.

وروى أَنس بن مالك أَن النبي ﷺ فسَّر هذه الآية فقال ﷺ: «يقول ربكم جلَّت عظمته: أَنا أَهلٌ أَن أُتَّقَى فلا يُجعل معي إِله غيري، ومن اتَّقى أَن يَجْعل معي إِلهاً غيري فأَنا أَغفر له»[٤].

وقال قتادة: معنى الآية هو أَهلٌ لأَن تُتَّقَى محارمُه، وأهل لأَن يغفر الذنوب[٥].

نجز تفسير سورة المدَّثِّر والحمد لله كثيراً / . [٥/ ٢٥٢]

---

(١) في المطبوع: «شاء وفق لذكره»، وسقطت منه: «فعمل له».

(٢) وهما سبعيتان، الثانية لنافع خاصة كما في السبعة (ص: ٦٦٠)، والنشر (٢/ ٣٩٣).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في مختصر الشواذ (ص: ١٦٥)، وعزاها الكرماني (ص: ٤٩٣)، لأبي البَرَهْسَم.

(٤) ضعيف، أخرجه أحمد (٣/ ١٤٢-٢٤٣)، والدارمي (٢٧٢٤)، والترمذي (٣٣٢٨)، وابن ماجه (٤٢٩٩)، والنسائي في الكبرى (١١٥٦٦) وغيرهم من طرق عن سهيل بن أبي حزم القطعي، عن ثابت البناني، عن أنس رضي الله عنه به، قال الترمذي: هذا حديث غريب، وسهيل ليس بالقوي في الحديث، قد تفرد بهذا الحديث عن ثابت.اهـ.

(٥) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٤)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٨٥٤)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٤٩).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَفسير سُورة القيامة

وهي مكية بإِجماع من أَهل التأويل، وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أَنه قال: من سأَل عن القيامة أَو أَراد أَن يعرف حقيقة وقوعها فليقرأ هذه السورة[١].

وقال المغيرة بن شعبة: يقول الناس: القيامة القيامة، وإِنما قيامةُ المرءِ موتُه[٢].

ورُوي أَيضاً عن ابن جبير أَنه حضر جنازة رجل فقال: أَمَّا هذا فقد قامت قيامتُه[٣]، ورُوي مثله عن علقمة[٤]، ذكره الثعلبي[٥].

قال القاضي أَبو محمد: وقيامة الرجل في خاصته ليست بالقيامة الجامعة لجميع الخلق بعد البعث، لكن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه كأَنه قال هذا لمن يستبعد قيام الآخرة، ويظن طول الأَمد بينه وبينها، فتوعَّده بقيامة نفسه.

---

(١) منقطع، أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر كما في الدر المنثور (١٥/ ٩٥) من طريق قتادة قال: حُدثنا أن عمر بن الخطاب قال: من سأل عن يوم القيامة فليقرأ هذه السورة.

(٢) صحيح، أخرجه الطبري (٢٤/ ٩٤) من طريق الثوري ومِسْعَر بن كِدَام، عن زياد بن عِلاقة، عن المغيرة به.

(٣) لم أقف على هذا القول منسوباً لابن جبير.

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٩).

(٥) تفسير الثعلبي (١٠/ ٨٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ٩ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ١٢ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۢ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ١٣ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ١٥﴾.

قرأ جمهور السبعة: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ * وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾.

وقرأ ابن كثير، والحسن بخلاف عنه، والأعرجُ: ﴿لأُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ وَلأُقْسِمُ بالنفس﴾[1].

فأَما القراءة الأُولى فاختلف في تأْويلها:

فقال ابن جبير: ﴿لَآ﴾ استفتاح كلام بمنزلة (أَلَا)[2]، وأَنشدوا على ذلك:

[المتقارب] فَـلَا وأَبِـيـكِ ابْـنَـةَ الْـعَـامِـرِيِّ لا يَدَّعـي[3] الْقَوْمُ أَنِّـي أَفِـرّ[4]

وقال أَبو علي: ﴿لَآ﴾ صلةٌ زائدة كما زيدت في قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩][5].

ويُعترضُ هذا بأَنَّ هذه في ابتداءِ كلام، ولا تُزادُ «لا» و«ما» ونحوهما من الحروف إِلَّا في تضاعيف كلام، فينفصل عن هذا بأَن القرآن كلَّه كالسورة الواحدة، وهو في معنى الاتصال فجاز فيه هذا.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢١٦).

(٢) انظر تفسير الطبري (٢٤/ ٤٧)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٨٥٧).

(٣) في الأصل والأسدية ٤ والأسدية ٣ ونجيبويه والحمزوية: «يعلم»، و«يدعي»: من المطبوع، وأكثر المصادر.

(٤) البيت لامرئ القيس كما في الشعر والشعراء (١/ ٩٨)، ومجمل اللغة (ص: ٣٢٧)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٢٥٥).

(٥) انظر الحجة للفارسي (٦/ ٣٤٣).

وقال الفراءُ: ﴿لَآ﴾ نفيٌ لكلام الكفار وزَجْرٌ لهم وردٌّ عليهم[١].

ثم استأنف تعالى ـ على هذه الأَقوال الثلاثة ـ قوله تعالى: ﴿أُقْسِمُ﴾، وأَقْسم الله تعالى بيوم القيامة تنبيهاً منه لعظمته وهوله.

وقوله تعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾، القول في ﴿لَآ﴾ على نحو ما تقدم.

وأما القراءة الثانية فتحتمل أَمرين: إِمَّا أَن تكون اللام دخلت على فعل الحال، والتقدير: لأَنَا أُقسم، فلا تلحق النون؛ لأَن النون إِنما تدخل في الأَكثر لتفرق بين فعل الحال والفعل المستقبل، فهي تلزم المستقبل في الأَكثر. وإِما أَن يكون الفعل خالصاً للاستقبال، فكان الوجه والأَكثر أَن تلحق النون، إِمَّا الخفيفة وإِمَّا الثَّقيلة، لكن قد ذكر سيبويه أَن النون قد تسقط مع إِرادة الاستقبال وتُغني اللام عنها، كما قد تسقط اللام وتُغني النون عنها، وذلك في قول الشاعر:

وَقتيلُ مُرَّةَ أَثْأَرَنَّ فَإِنَّهُ ... فرْغٌ، وَإِنَّ قَتِيلَهُمْ لَمْ يُثْأَرِ[٢] [الكامل]

المراد: لأَثْأَرَنَّ.

وأَمَّا قوله تعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ فقيل: ﴿لَآ﴾ نافية، وإِن الله تعالى أَقسم بيوم القيامة ونَفَى أَن يُقسم بالنفس اللَّوامة، نصَّ عليه الحسن، وقد ذهب هذا المذهب قومٌ ممن قرأَ: ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ و﴿لأقسم﴾ وذلك قَلِقٌ، وهو في القراءة الثانية أَمكن، وجمهور المتأَولين على أَن الله تعالى أَقسم بالأَمرين.

واخْتُلف في (النَّفْسِ اللَّوَّامة)، ما معناه؟ فقال الحسن: هي اللَّوَّامة لصاحبها في

---

(١) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٠٧).

(٢) البيت لعامر بن الطُّفيل كما في المفضليات (ص: ٣٦٣)، والأصمعيات (ص: ٢١٦)، وزاد في إيضاح الشواهد (١/ ٢١٥) قولاً أنه لطُفيل الغنوي، والقافية عندهم: لمْ يقصدِ، قال في خزانة الأدب (١٠/ ٦٣): وروى بدله في مغني اللبيب وغيره: لم يثأر، وهو خطأ معنىً وقافية، وفي المطبوع، وأحمد٣، ونور العثمانية، والأسدية ٣: «فرع».

ترك الطاعة ونحوه[١]، فهي ـ على هذا ـ ممدوحة، ولذلك أَقسم الله تعالى بها.

وقال ابن عباس[٢]، وقتادة: هي الفاجرة الجشعة اللَّوَّامة لصاحبها على ما فاته من سعي الدنيا وأَعْراضها، فهي ـ على هذا ـ ذميمة، وعلى هذا التأْويل يحسن نَفْي القسم بها، و(النفس) في الآية: اسم جنس لنفوس البشر.

وقال ابن جبير ما معناه: إِنَّ القَسَم بها من اسم الجنس؛ لأَنها تلوم على الخير والشر[٣].

وقيل: المرادُ نفس آدم عليه السلام؛ لأَنها لم تزل لائمة له على فعله الذي أَخرجه من الجنة.

قال القاضي أَبو محمد: وكل نفس متوسطة ليست بالمطمئنة ولا بالأَمارة بالسوءِ فإِنَّها لوامة في الطرفين، مرةً تلوم على ترك الطاعة، ومرةً تلوم على فوت ما تشتهي، فإِذا اطمأَنت خلصت وصفت.

وقوله تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ تقريرٌ وتوبيخٌ.

و«الإنسان» اسم جنس، وهذه أَقوال كانت لكفَّار قريش، فعليها الرَّدُّ.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ بالنون ونصب الميم من العظام.

وقرأَ قتادة: (أن لن يُجمَع عظامُه) بالياءِ ورفع الميم من العظام[٤]، ومعنى ذلك: في القيامة وبعد البعث من القبور.

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٨٢)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٨٦٠).

(٢) جاء عند الطبري (٢٤/ ٥٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه في: قوله ﴿بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾. يقول: المذمومة.

(٣) انظر قول قتادة وابن جبير في تفسير الطبري (٢٤/ ٤٩)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٨٢)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٨٦٠).

(٤) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٩٣).

وقرأ أبو عمرو بإدغام العين في العين[١].

ثم قال تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾، وهي إيجابُ ما نُفي، وبابُها أن تأْتي بعد النفي، والمعنى: بل نجمعها قادرين، بنصب ﴿قَٰدِرِينَ﴾ على الحال.

وقرأ ابن أبي عبلة: (قَادِرُونَ) بالرفع[٢].

وقال القتبي: ﴿نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ معناه: نُتْقِنُهَا سَوِيَّةً[٣]، و«البنان»: الأَصابع، وكأَن الكفار لما استبعدوا جمع العظام بعد الفناءِ والإِرمام، قيل لهم: إِنها تجمع ويُسَوَّى أَكثرها تفرقاً وأَدَقُّها أَجزاءً وهي عظام الأَنامل ومفاصلها، وهذا كله عند البعث.

وقال ابن عباس وجمهور المفسرين: ﴿نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾: نجعلها في حياته هذه بضعة أَو عظماً واحداً كخُفِّ البعير لا تفاريق فيه[٤]، فكأَن المعنى: قادرين الآن في الدنيا على أَن نجعلها دون تفرُّق فتقل منفعته بيده، فكأَن التقدير: بَلَى نحن أَهل أَن نجمعها، قادرين الآن على إِزالة منفعته بيده، ففي هذا توعُّدٌ ما، والقول الأَول أُجري مع رصف الكلام، ولكن على هذا القول الآخر جمهور العلماءِ.

قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾؛ قال بعض المتأَولين: الضمير في ﴿أَمَامَهُۥ﴾ عائد / على الإِنسان، ومعنى الآية أَن الإِنسان إِنما يريد شهواته ومعاصيه [٥/ ٢٥٣]
ليمْضي فيها أَبداً قُدُماً راكباً رأْسه ومطيعاً أَمله ومُسَوِّفاً بتوبته، قاله مجاهد، والحسن، وعكرمة، وابن جبير، والضحاك والسُّدِّي[٥].

وقال السُّدِّي: المعنى: ليظلم على قدر طاقته[٦].

(١) وهي سبعية من رواية السوسي على قاعدته في الإدغام الكبير بين المتماثلين.
(٢) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٩٣).
(٣) تفسير الثعالبي (٤/ ٣٦٥).
(٤) صحيح، أخرجه ابن جرير الطبري (٢٤/ ٥١) من طريق سعيد بن جبير، به بنحوه.
(٥) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٣)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٨٣)، ولفظة: «بتوبته» ساقطة من الأصل.
(٦) تفسير الثعلبي (١٠/ ٨٣).

وقال الضحاك: المعنى: يركب رأسه في طلب الدنيا دائماً[١].

وقوله تعالى: ﴿لِيَفۡجُرَ﴾ تقديره: لكي يفجر.

وقال ابن عباس ما يقتضي أَن الضمير في ﴿أَمَامَهُۥ﴾ عائد على ﴿يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[٢]، والمعنى: أَنَّ الإِنسان هو في زمان وجوده أَمام يوم القيامة وبين يديه، ويوم القيامة خلفه، فهو يريد شهواته ليفجر في تكذيبه بالبعث وغير ذلك بين يدي يوم القيامة، وهو لا يعرف قدر الغرر الذي هو فيه، ونظير قوله تعالى: ﴿لِيَفۡجُرَ﴾ قول قَيْس بنِ سَعْدٍ:

[الطويل] أَرَدْتُ لِكَيْمَا يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهَا سَراويلُ قيْسٍ والْوُفُودُ شُهُود[٣]

و﴿بَلۡ﴾ في أَول الآية هي إِضرابٌ على معنى الترك، لا على معنى إِبْطال الكلام الأَول، وقد تجيءُ «بَلْ» لإِبطال الكلام الذي قبلها.

وسؤال الكافر: ﴿أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ هو على معنى التكذيب والْهُزْءِ، كما تقول لِمُحَدِّثٍ بأَمر تُكَذِّبه: متى يكون هذا؟ و﴿أَيَّانَ﴾ لفظة بمعنى «متى»، وهي مبنيَّة لتضمنها معنى الاستفهام، فأَشبهت الحروف المُضَمَّنَة المعاني، وكان حقُّها أَن تُبْنَى على السكون، ولكن فتحت النون لالتقاءِ الساكنين: الألف وهي.

وقرأَ أَبو عمرو، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والجحدري، وعاصم، والأَعمش، وأَبو جعفر، وشيبة: ﴿بَرِقَ﴾ بكسر الراءِ بمعنى: شَخَص وشق وحار.

وقرأَ نافع، وعاصم ـ بخلاف ـ وعبد الله بن أَبي إِسحاق، وزيد بن ثابت ونصر بن عاصم: ﴿بَرَقَ﴾ بفتح الراءِ[٤]، بمعنى: لَمَعَ وصار له بَرِيقٌ، وحار عند الموت.

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٤)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٨٣)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٥٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس قوله: ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ يعني: الأمل، يقول الإنسان: أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة، ويقال: هو الكفر بالحقّ بين يدي القيامة.

(٣) البيت لقَيْس بن سَعْد بن عُبادة الخزرجي الأنصاري، كما تقدم في تفسير الآية (٦) من (سورة المائدة).

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢١٦).

والمعنى متقارب في القراءَتين.

وقال أَبو عبيدة: ﴿بَرَقَ﴾ بالفتح: شَقَّ[١].

وقال مجاهد: هذا عند الموت[٢].

وقال الحسن: هذا في يوم القيامة[٣].

وقرأَ جمهور الناس: (خسف القمر) على أنه فاعل.

وقرأَ أَبو حَيْوَة: (وخُسِفَ) بضم الخاءِ وكسر السين، و(القَمَرُ) مفعول لم يُسَمَّ فاعله، يقال: خَسَفَ القمرُ وخَسَفَه اللهُ، وكذلك الشمس.

وقال أَبو عبيدة وجماعة من اللغويين: الخسوف والكسوف بمعنىً واحد[٤].

وقال ابن أَبي أُوَيْس: الكسوفُ: ذهاب بعض النور، والخسوف: ذهاب جميعه[٥].

وروى عروة وسفيان أَن رسول الله ﷺ قال: «لا تقولوا: كسفت الشمس، ولكن قولوا: خسفت»[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾، غلب التذكير على التأْنيث، وقيل ذلك؛ لأَن تأْنيث الشمس غير حقيقي، وقيل: المراد: وجُمع بين الشمس والقمر، وكذلك قرأَ ابن أَبي عبلة، [ولذلك أَسقط علامة التأْنيث.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (وَجُمع بين الشَّمْسِ والقَمَرِ)][٧].

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٢٧٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٦).

(٣) تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٨٧).

(٤) لم أجده.

(٥) البحر المحيط (١٠/ ٣٤٦).

(٦) أثر عروة بن الزبير أخرجه مسلم (٩٠٥) من طريق سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عروة موقوفاً عليه.

(٧) ساقط من الأصل، والقراءة شاذة، انظرها في تفسير الطبري (٢٤/ ٥٧).

واختلف المتأَولون في معنى الجمع بينهما؛ وقال عطاءُ بن يسار: يُجمعان فيقذفان في النار، وقيل: في البحر، فتصير نار الله العظمى[١]، وقيل: يُجمع الضَّوْءَان فيُذهب بهما.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ بفتح الميم والفاءِ عَلَى المصدر، أَي: أَين الفرارُ؟.

وقرأَ ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وأَيوب السِّخْتِياني، وكلثوم بن عياض، ومجاهد، ويحيى بن يَعْمَر، وحمَّاد بن سلمة، وأَبو رجاءٍ، وعيسى، وابن أَبي إِسحاق: (أَيْنَ المَفِر) بفتح الميم وكسر الفاءِ، على معنى: أَين موضع الفرار؟.

وقرأَ الزهري: (أَيْنَ المِفَرُّ) بكسر الميم وفتح الفاءِ[٢]، بمعنى: أَين الجيِّد الفِرار.

و﴿كَلَّا﴾ زَجْرٌ يقال للإِنسان يومئذ، ثم يعلم أَنه لا وَزرَ له، أَي: لا ملجأَ ولا معين.

وعبَّر المفسرون عن «الوزر» بالجبل.

قال مطرِّف بن الشِّخِّير وغيره: وهو كان وزر فُرَّار العرب في بلادهم فلذلك استعمل[٣].

والحقيقة: أَنه الملجأُ، جبلاً كان أَوْ حصناً أَو سلاحاً أَوْ رجُلاً أَو غيره.

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ معناه: إِلى حُكم ربك، ونحوه من التقدير.

و﴿ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ رفع بالابتداءِ، وخبره في المقدر الذي يتعلق به المجرور المتقدم، وتقدير الكلام: الْمُسْتَقَرُّ ثابتٌ أَو كائن إِلى ربك يومئذ، و«المستقر»: موضع الاستقرار.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ قسمة تستوفي كل عمل، أَي: يُعْلَم بكل ما فعل، ويجده محصلاً.

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٧)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٨٦٦)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٨٤).
(٢) وهما شاذتان، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٩٤).
(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٩)، الهداية لمكي (١٢/ ٧٨٦٩).

وقال ابن عباس، وابن مسعود: المعنى: بما قدم في حياته وأَخَّر من سُنَّة[(١)] يعمل بها بعده[(٢)].

وقال ابن عباس أَيضاً: بما قدم من المعاصي وأَخَّر من الطاعات[(٣)].

وقال زيد بن أَسلم: بما قدم من ماله لنفسه وبما أَخَّر منه للوارث[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿بَلِ﴾ إِضرابٌ بمعنى التَّرك، لا على معنى إِبطال القول الأَول.

و﴿بَصِيرَةٌ﴾: يحتمل أَن يكون خبراً عن ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ ولحقته هاءُ التأْنيث كما لحقت علَّامة، ونَسَّابة، والمعنى: إِنه فيه وفي عقله[(٥)] وفطرته حُجَّة وطليعة وشاهد مبصر [على نفسه، ولو اعتذر عن قبيح أَفعاله فهو يعلم قُبْحها، وكذلك لو استتر بسُتُوره واختفى بأَفعاله؛ على التأْويلين في المعاذير.

ويحتمل ﴿بَصِيرَةٌ﴾ أَن يكون ابتداءً وخبره في قوله تعالى][(٦)]: ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾، والهاءُ للتأْنيث، ويراد بالبصيرة جوارحُه، والملائكة الحفظة، وهذا هو تأْويل ابن عباس[(٧)].

و«الْمَعَاذِيرُ» هنا، قال الجمهور: هي الأَعذار، جمع مَعْذِرَة.

---

(١) في حاشية المطبوع: «في بعض النسخ: من شُبهة».

(٢) أثر عبد الله بن عباس أخرجه الطبري (٢٤/ ٦١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ما عمل قبل موته، وما سن فعمل به بعد موته، وأما أثر عبد الله بن مسعود فقد أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٣٤) عن معمر، والطبري (٢٤/ ٦١) من طريق معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن زياد بن أبي مريم، عن ابن مسعود رضي الله عنه به، وإسناده منقطع، زياد يروي عن عبد الله بن معقل المزني عن ابن مسعود.

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه، بنحوه.

(٤) تفسير الثعلبي (١٠/ ٨٥).

(٥) في نجيبويه: «عمله»، و«طليعة» ساقطة من المطبوع.

(٦) ما بين معقوفتين سقط من الأصل، وفي الأسدية ٤: «سورة» بدل «بستوره».

(٧) أخرج الطبري (٢٣/ ٤٩١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه، ولم أقف على تفسير قوله: ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ بالملائكة.

وقال السُّدي، والضحاك: هي السُّتُور بلُغَة اليمن(١)، يقولون لِلسِّتْرِ: المعذار.

وقال الحسن: المعنى: بل الإِنسان على نفسه بَلِيَّةٌ ومحنة(٢)، كأَنه ذهب إِلى البصيرة التي هي طريقة الدَّم وداعية طلب الثأْر، وفي هذا نظر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾.

الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد على كتاب الله تعالى، ولم يَجْر له ذِكْر ولكن القرائن تُبَيِّنه، فهذا كقوله تعالى: ﴿تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾ [القيامة: ٢٦]، يعني النفس.

واختلف المتأَولون في السبب الموجب أَن يُؤْمر رسول الله ﷺ هذا الأَمر:

فقال الشعبي/: كان رسول الله ﷺ لحرصه على أَداءِ الرسالة والاجْتهاد في ذات الله تعالى، ربما أَراد النطق ببعض ما أُوحي إِليه قبل كمال إيراد الوحي، فأُمر أَلَّا يعجل بالقرآن من قبل أَن يُقضى إِليه وحيه، وجاءت هذه الآية في هذا المعنى. [٥/ ٢٥٤]

وقال الضحاك: كان سببها أَن رسول الله ﷺ كان يخاف أَن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب عليه ذلك وشق، فنزلت الآية في ذلك(٣).

وقال كثير من المفسرين ـ وهو في صحيح البخاري ـ عن ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يُعالج من التَّنزيل شِدَّة، وكان مما يحرك شفتيه مخافة أَن يذهب عنه ما

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٤)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٨٧٣)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٥٥).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٤/ ٦٦)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٨٧٤)، والأول في تفسير الماوردي (٦/ ١٥٥).

يُوحَى إِليه لحينه، فنزلت الآية بسبب ذلك[١]، وأَعْلمه الله تعالى أَنه يجمعه في صدره.

وقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ يحتمل أن يريد به: وقِرَاءَتَه، أَي: تقرؤُه أَنتَ يا محمد.

و«القرآنُ»: مصدر كالقراءَة، ومنه قول الشاعر في عثمان رضي الله عنه:

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عنوانُ السُّجودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبيحاً وَقُرْآنا[٢] [البسيط]

ويحتمل أَن يريد: إن علينا جَمْعه وتأْليفه في صدرك، فهو مصدرٌ من قولك: قَرَأْتُ أَيْ: جَمَعْتُ، ومنه قولهم في المرأَة التي لم تلد: ما قرأَت سَلىً[٣] قط، ومنه قول الشاعر:

ذِراعَـــيْ بَـكـرَةٍ أَدْمـــاءَ بِكْر هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنينَا[٤] [الوافر]

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾، أَي: قراءة الملَك الرسول عنا.

وقوله: ﴿فَٱتَّبِعْ﴾ يحتمل أَن يريد: بذهنك وفكرك، أَي: فاستمع قراءَته، وقاله ابن عباس[٥].

ويحتمل أَن يريد: فاتَّبع في الأَوامر والنواهي، قاله ابن عباس أَيضاً[٦]، وقتادة، والضحاك[٧].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥)، ومسلم (٤٤٨) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه، ولفظة «لحينه» ساقطة من الأصل.

(٢) البيت لحسان بن ثابت، كما تقدم في مقدمات الكتاب.

(٣) في المطبوع: «نَسْلًا». وأشار في حاشيته إلى النسخة الأخرى.

(٤) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم المعروفة، كما تقدم في مقدمات الكتاب.

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٩) عن محمد بن حميد، عن مهران، عن سفيان، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾: فإذا أنزلناه إليك، ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ قال: فاستمع قرآنه، ومحمد بن حميد الرازي ضعيف لا يحتج به، وقد تابعه سفيان بن وكيع عن جرير، عن موسى ابن أبي عائشة به، وسفيان بن وكيع ضعيف بمرة، لا يتقوى به.

(٦) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إذا يتلى عليك فاتبع ما فيه.

(٧) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٩)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٨٧٥)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٥٦).

وقرأ أبو العالية: (قَرَتَهُ فَإِذَا قَرَتَهُ فَاتَّبِعْ قَرَتَهُ) بفتح القاف والراءِ والتاءِ من غير همز ولا أَلف في الثلاثة[١].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾، قال قتادة وجماعة معه: معناه: أَن نُبَيِّنه لك ونُحَفِّظكَهُ[٢].

وقال كثير من المتأَولين: معناه: أَن تُبَيِّنه أنت، وقال قتادة أَيضاً وغيره: معناه: أَن نُبَيِّنَ حلالَه وحرامَه ومُجمله ومُفَسَّره[٣].

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ رجوع إِلى مخاطبة قريش، فردَّ عليهم وعلى أَقوالهم في ردِّ الشريعة بقوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾، أَي: ليس ذلك كما تقولون، وإِنما أَنتم قوم قد غلبتكم الدنيا بشهواتها، فأَنتم تحبونها حُبّاً تتركون معه الآخرة والنَّظَرَ في أَمرها.

وقرأ الجمهور: ﴿تُحِبُّونَ﴾ بالتاءِ على المخاطبة.

وقرأ ابن كثير، وأَبو عمرو، وابن عامر، والحسن، ومجاهد، والجَحْدَري، وقتادة: ﴿يُحبُّونَ﴾ بالياءِ على ذكْر الغائب، وكذلك ﴿يَذَرُونَ﴾[٤].

ولما ذكر تعالى الآخرة أَخبر بشيءٍ من حال أَهلها، فقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ﴾ رفع بالابتداءِ.

وابتدأ بالنكرة؛ لأَنها تخصصت بقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ و﴿نَّاضِرَةٌ﴾ خبر ﴿وُجُوهٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ جملة هي في موضع خبر بعد خبر.

وقال بعض النحويِّين: ﴿نَّاضِرَةٌ﴾: نعت لـ﴿وُجُوهٌ﴾، و﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: خبر عن ﴿وُجُوهٌ﴾.

---

(١) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (١٠/ ٣٤٩).

(٢) انظر البحر المحيط (١٠/ ٣٤٩).

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٧٠)، ولفظة «وغيره» ليست في المطبوع.

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢١٧).

فعلى هذا كثر تخصيص الْوُجُوه، فَحَسُن الابتداءُ بها.

و﴿نَاظِرَةٌ﴾ معناه: ناعمة، و«النُّضرة»: النعمة وجمال البشرة.

قال الحسن: وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق جل وتعالى[١].

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، حمل هذه الآية جميعُ أَهل السُّنة على أَنها متضمنة رؤية المؤمنين لله تعالى، وهي رؤية دون محاذاة ولا تكييف ولا تحديد، كما هو معلوم موجود لا يُشبه الموجودات، كذلك هو مَرْئِيٌّ[٢] لا يشبه المرئيات في شيءٍ، فإِنه ليس كمثله شيء لا إله إلا هو[٣].

وروى عُبادة بن الصامت أَن النبي ﷺ قال: «حَدَّثتكم عن الدَّجال أَنه أَعور، وإِن ربكم ليس بأَعور، وإِنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»[٤].

وقال ﷺ: «إِنكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامُون في رؤيته»[٥].

وقال الحسن: تنظرون إِلى الله تعالى بلا إِحاطة[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٧٢)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٨٧٨)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٨٨).

(٢) من المطبوع ونجيبويه.

(٣) انظر حمل أهل السنة للآية على الرؤية بالأبصار في: الإبانة لأبي الحسن الأشعري (١/ ٣٥-٤٠)، والاعتقاد للبيهقي (١/ ١٢٠-١٢٢).

(٤) صحيح، أخرجه أحمد (٥/ ٣٢٤)، وأبو داود (٤٣٢٠)، والنسائي في الكبرى (٧٧١٦) من طرق عن بقية بن الوليد قال: حدثني بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن عمرو بن الأسود، عن جنادة ابن أبي أمية، عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «إني حدثتكم عن المسيح الدجال حتى خفت أن لا تعقلوه، هو قصير فجج جعد أعور مطموس عين اليسرى ليس بناتئة ولا حَجْراء، فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم تبارك وتعالى ليس بأعور، وإنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا».

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

(٦) لم أقف عليه.

وأَما المعتزلة الذين ينفون رؤية الله تعالى؛ فذهبوا في هذه الآية إِلى أَن المعنى: إِلى رحمة ربِّها ناظرة، أَو إِلى ثوابه أَو مُلكه، فقدَّروا مضافاً محذوفاً، وهذا وجه سائغ في العربية، كما تقول: فلان ناظر إِليك في كذا، أَي: إِلى صُنعك في كذا[١]، والرؤية إِنما نُثبتها بأَدلة قطعية غَيْرِ هذه الآية، فإِذا ثبتتْ حسُن تَأويل أَهل السنة في هذه الآية وقَوِيَ.

وذهب بعض المعتزلة في هذه الآية إِلى أَن قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ﴾ ليست بحرف الجرِّ، وإِنما هي إِلى، واحدة الآلاءِ، فكأَنه تعالى قال: نِعْمَةَ ربِّها منتظرة أَو ناظرة، من النظر بالعين[٢].

ويقال: نظرتُك بمعنى: انتظرتك، ومنه قول الحطيئة:

[البسيط] وَقَدْ نَظَرْتُكُمُ إِينَاءَ صادِرَةٍ لِلْخِمْسِ طَالَ بِهَا حَبسي وَتَبْسَاسي[٣]

والتَّبْساسُ: أَن يُقال للناقة: بُسْ بُسْ لتدرَّ على الحالب، وفسَّر أَبو عبيدٍ في غريبه هذا البيت على روايةٍ أُخرى وهي:

[البسيط] .... طارَ بِها حَوْزي وَتَنْسَاسي[٤]

بالنون، وهو: السَّيْر الشديد، فتأَمله.

و«الباسِرَةُ»: العابسة المغمومة النفوس، والبُسُور أَشدُّ العبوس، وإِنما ذكر تعالى الوجوه؛ لأَنه فيها يظهر ما في النفوس من سرور أَو غمٍّ، والمراد: أَصحاب الوجوه.

وقوله تعالى: ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ﴾ إِنْ جعلناه بمعنى تُوقِن فهو لم يقع بعد على ما قد بَيَّناه.

---

(١) انظر نسبة هذا القول للمعتزلة في تفسير الرازي (٣٠/ ٢٠١).

(٢) انظر نسبة هذا القول للمعتزلة في تفسير الرازي (٣٠/ ٢٠٠).

(٣) البيت للحطيئة كما تقدم في تفسير الآية (١٤) من (سورة الحديد).

(٤) انظر غريب الحديث للقاسم بن سلام (٣/ ٣٠٩)، وفي المطبوع وأكثر النسخ الخطية: «أبو عبيدة»، والتصحيح من أحمد٣.

وإِن جعلنا الظن هنا على غَلَبَته فذلك محتمل.

و«الفاقِرَةُ»: المصيبة التي تكسر فقار الإِنسان، قال ابن المسيب: هي قاصمة الظَّهر[١].

وقال أَبو عبيدة: هي من: فَقَرْتُ البعير؛ إِذا وسمتُ أَنفه بالنار[٢].

وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ﴾ زَجْرٌ آخر لقريش، وتذكير لهم بموطن من مواطن الهول وأَمر الله تعالى الذي لا محيد لبشر عنه، وهي حالة الموت والمنازعة التي كتبها الله على كل حيوان.

و﴿بَلَغَتِ﴾: يريد النفس/ . [٥/ ٢٥٥]

و﴿ٱلتَّرَاقِيَ﴾ جَمْعُ تَرْقُوَة، وهي عظام أَعلى الصدر، ولكل أَحدٍ تَرْقوتان لكن من حيث هذا الأَمر[٣] في كثيرين جُمِع؛ إِذ النفس المرادة اسم جنس، و«التراقي» موازية للحلاقيم، فالأَمر كلُّه كناية عن حال الحشرجة ونزاع الموت، يَسَّره الله تعالى علينا بمنه.

واختلف الناس في معنى قوله تعالى: ﴿مَنۡۜ رَاقٖ﴾:

فقال ابن عباس[٤]، والضحاك، وقتادة، وأَبو قِلابة: معناه: مَنْ يَرْقي ويطبُّ ويشفي ونحو هذا مما يتمناه أَهل المريض[٥].

وقال ابن عباس أَيضاً[٦]، وسليمان التيمي، ومقاتل بن سليمان: هذا القول

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٨٨).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٧٨).

(٣) في المطبوع: هذه الأفراد.

(٤) أخرجه عبد بن حميد في تفسيره كما في «الدر المنثور» (١٥/ ١٣٥) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ﴿مَنۡۜ رَاقٖ﴾: يرقي.

(٥) تفسير الطبري (٢٤/ ٧٥)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٨٩)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٥٧)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٨٨).

(٦) إسناده لين، أخرجه الطبري (٢٤/ ٧٦)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٢٨٢) من طريق عمرو بن مالك النكري، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس بنحوه، ورواه المعتمر، عن أبيه، =

للملائكة، والمعنى: مَنْ يَرْقَى بروحه ـ أَيْ يصعد ـ إِلى السماءِ؟ أَملائكة الرحمة أَم ملائكة العذاب؟[١].

وقرأ حفص عن عاصم بالوقف على ﴿مَنۡ﴾، ويبتدئ: ﴿رَاقٖ﴾، وأَدغم الجمهور[٢].

قال أَبو علي: لا أَعرف وجه قراءة عاصم[٣]، وكذلك قرأَ: ﴿بَلۡۜ رَانَ﴾ [المطففين: ١٤].

قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ﴾، يريد: وتيقَّن المريض أَنه فراق الأَحبة والأَهل والمال والحياة، وهذا يقين فيما لم يقع بعد، ولذلك استُعملت فيه لفظة الظَّن.

وقرأ ابن عباس: (أَيقن أَنه الفراق)[٤]، وقال في تَفْسيره: ذهب الظن[٥].

واختُلف في معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾:

فقال ابن عباس[٦]، والحسن، والربيع بن أنس، وإِسماعيل بن أَبي خالد: هذه استعارة لشدة كرب الدنيا في آخر يوم منها وشدة كرب الآخرة في أَول يوم منها؛ لأَنه بين الحالتين قد اختلطا له[٧]، وهذا كما يقولون: شَمَّرَتِ الحرب عن ساقٍ، وعلى

= في قوله: ﴿وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ﴾ قال: بلغني عن أبي قلابة قال: هل من طبيب؟ قال: وبلغني عن أبي الجوزاء أنه قال: قالت الملائكة بعضهم لبعض: من يرقى: ملائكة الرحمة، أو ملائكة العذاب؟

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٨٩).

(٢) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦٦١).

(٣) انظر الحجة للفارسي (٦/ ٣٤٦).

(٤) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٤١)، وفي المطبوع: «وقال»، مع الإشارة للنسخة الأخرى.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) مجموع طرقه يقويه، أخرجه الطبري (٢٤/ ٧٦) من طريق عمرو بن مالك النكري، عن أبي الجوزاء، وابن جرير أيضاً (٢٤/ ٦٧) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، وابن جرير أيضاً (٢٤/ ٧٧) من طريق عطية العوفي جميعهم (أبو الجوزاء، وعلي بن أبي طلحة، وعطية العوفي) عن ابن عباس بنحوه.

(٧) تفسير الطبري (٢٤/ ٧٧-٧٨)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٩٠).

بعض التأْويلات في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢].

وقال ابن المسيب، والحسن: هي حقيقة، والمراد ساقا الميت عند تكفينه[1]، أَي: لَفُّهما الكفن.

وقال الشعبي: وأَبو مالك، وقتادة: هو التفافهما بشدة المرض؛ لأَنه يقبض ويبسط ويركب هذا على هذا[2].

وقال الضحاك: المراد سوق حاضريه من الإِنس والملائكة؛ لأَن هؤلاءِ يجهزون روحه إِلى السماءِ، وهؤلاءِ يجهزون بدنه إِلى القبر[3].

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ معناه: إِلى حكم ربك وعدله، فإِمَّا إِلى جنة وإِمَّا إِلى نار.

و﴿ٱلْمَسَاقُ﴾: مصدر من السَّوْقِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

هذه الآيات كلها إِنما نزلت في أَبي جهل بن هشام، ثم كادت هذه الآية أَن تصرح به في قوله تعالى: ﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾ فإِنها كانت مشية بني مخزوم، وكان أَبو جهل يكثر منها، وقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ تقديره: لم يُصَدِّق ولَمْ يُصَلِّ، وهذا نحو قول الشاعر:

فَـأَيُّ خميسٍ لَا أَبـانَـا نَهابُهُ ... وَأَسْيافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ كَبْشِهِ دَمَا[4] [الطويل]

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٩٠).

(٢) انظر تفسير الطبري (٢٤/ ٧٨-٧٩).

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٧٧)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٨٩١)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٩٠).

(٤) البيت لطرفة كما في مجاز القرآن (٢/ ٢٧٨)، والكامل للمبرد (٣/ ١٠٣)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ٢٩٢)، وفي الأصل: «أفانا بهابه»، وفي الأسدية ٣: «أخانا نهابه»، وفي أحمد٣: «أفأنا نهاية»، وفي نور العثمانية: «لا فإيهابه».

وقول الآخر:

[الرجز] إِنْ تَغْفِـرِ اللَّهُـمَّ تَغْـفِـرْ جَمَّـا وَأَيُّ عَـبْـدٍ لَـكَ لَا أَلَـمَّـا[١]

فـ(لا) في الآية نافيةٌ لَا عاطفة.

و﴿ صَدَّقَ ﴾ معناه: برسالة الله تعالى ودينه، وذهب قوم إِلى أَنه من الصدقة، والأَول أَصوب. و﴿ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾ معناه: يمشي المُطَيْطَا، وهي مشية بتبختر، قال زيد بن أَسلم: كانت مشية بني مخزوم[٢]، وهي مأَخوذة من المَطَا وهو: الظهر؛ لأَنه ينثني فيها.

وقال النبي ﷺ: «إِذا مشت أُمتي الْمُطَيْطَا، وخدمتهم الروم وفارس، سلِّط بعضهم على بعض»[٣]، وقال مجاهد: نزلت هذه الآيات في أَبي جهل بن هشام[٤].

وقوله تعالى: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ ﴾ وعيدٌ [و ـ ﴿ فَأَوْلَىٰ ﴾ ـ وعيد][٥] ثان، ثم كرر ذلك تَأكيداً، والمعنى: أَولى لك الازدجار والانتهاءُ، وهو مأْخوذ من: وَلِيَ، والعرب تستعمل هذه

(١) تقدم في تفسير الآية ٣٢ من سورة النجم.

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٨١)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٩٠).

(٣) ضعيف، أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٨٧) والترمذي (٢٢٦١) والخرائطي في مساوئ الأخلاق (٥٧٨) من طريق موسى بن عبيدة الربذي، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف موسى بن عبيدة الربذي ولا سيما في عبد الله بن دينار، وأخرجه الترمذي أيضاً من طريق أبي معاوية، عن يحيى بن سعيد، عن عبد الله بن دينار به، قال الترمذي: ولا يعرف لحديث أبي معاوية عن يحيى بن سعيد، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر أصل، إنما المعروف حديث موسى بن عبيدة، وأخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (٢٤٩) من طريق يحيى بن سعيد، عن يُحَنَّس مولى الزبير مرسلاً، قال الدارقطني بعدما ذكر طرقه وما وقع فيه من اختلاف: والمحفوظ: عن يحيى بن سعيد، عن يحنس مولى الزبير، وكنيته: أبو موسى، مرسلاً، انظر العلل (١٢/ ٣٨٩)، وفي الباب عن أبي هريرة أخرجه الطبراني في الأوسط (١٣٢) من طريق ابن لهيعة، عن عمارة بن غزية، عن يحيى بن سعيد، عن مجلز مولى الزبير، عن أبي هريرة فذكره بنحوه، وهو ضعيف أيضاً، وانظر علل الدارقطني (١١/ ١٧٤).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٨١).

(٥) من الحمزوية ونجيبويه.

الكلمة زجراً، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ * طَاعَةٌ﴾ [محمد: ٢٠- ٢١]، ويروى أَن رسول الله ﷺ لبَّبَ أَبا جهل يوماً في البطحاءِ وقال له: «إِن الله يقول لك: أولى لك فأولى»، فنزل القرآن على نحوها(١).

وفي شعر الخنساءِ:

هَمَمْتُ بِنَفْسِـي كُـلَّ الْهُمُـومِ ... فَـأَوْلَـى لِنَفْسِـي أَوْلَـى لَهَـا(٢) [المتقارب]

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ﴾ توبيخ وتوقيف، و﴿سُدًى﴾ معناه: مهملاً لا يُؤْمر ولا يُنْهى، ثم قَرَّر تعالى على أَحوال ابن آدم في بدايته(٣) التي إِذا تُؤملت لم يُنكر معها جوازَ البعث عاقلٌ. وقرأَ الجمهور: ﴿أَلَمْ يَكُ﴾ بالياءِ من تحت، وقرأَ الحسن: (أَلم تَكُ) بالتاءِ من فوق(٤).

و«النُّطْفَةُ»: القطعة من الماءِ، يقال ذلك للقليل والكثير، و«الْمَنِيُّ»: معروف.

وقرأَ ابن عامر، وحفص عن عاصم، وأَبو عمرو بخلاف، وابن محيصن، والجحدري، وسلام، ويعقوب: ﴿يُمْنَىٰ﴾ بالياءِ(٥)، يريد بذلك المني.

ويحتمل أَن يكون ﴿يُمْنَىٰ﴾ من قولك: أَمْنَى الرجلُ.

ويحتمل أَن يكون من قولك: مَنَى اللهُ الخلقَ، فكأَنه تعالى قال: من منِيٍّ تخلق.

وقرأَ جمهور السبعة، والناسُ: ﴿تُمْنى﴾ بالتاءِ، يراد بذلك النطفة.

---

(١) مرسل، أخرجه الطبري (٢٤/ ٨٢) من طريق سعيد بن بشير، ومعمر ـ مفرقين ـ عن قتادة مرسلًا بنحوه.

(٢) انظر عزوه لها في تفسير الثعلبي (١٠/ ٩١)، وغريب الحديث للخطابي (٣/ ٣١)، والكامل للمبرد (٤/ ٤٣)، والعقد الفريد (٣/ ٢٢٤)، وفي الأغاني (٩/ ١١٤) قول آخر: أنه لعامر بن جوين يعرض بهند بنت امرئ القيس.

(٣) في المطبوع: في يد الله!

(٤) وهي شاذة، عزاها له ولآخرين الكرماني في الشواذ (ص: ٤٩٤).

(٥) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦٦٢)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٩٢).

و﴿تُمْنَى﴾ تحتمل الوجهين اللذين ذكرنا.

و«العَلَقَةُ»: القطعة من الدَّم؛ لأَن الدَّم هو العَلَق.

وقوله تعالى: ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ معناه: فخلق الله تعالى منه بشراً مركباً من أَشياءَ مختلفة، فسَوَّاه شخصاً مستقلاً، وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه: (يخلق) بالياءِ فعلاً مستقبلاً[١].

و﴿ٱلزَّوْجَيْنِ﴾: النوعين[٢].

ويحتمل أَن يريد المزدوجين من البشر.

ثم وقف تعالى توقيف التوبيخ وإِقامة الحجة بقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

وقرأَ الجمهور بفتح الياءِ الأَخيرة من ﴿يُحْـِۧىَ﴾.

وقرأَ طلحة بن سليمان، والفياض بن غزوان بسكونها[٣]، وهي تنحذف من اللفظ لسكون اللام من ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

ويُروى أَن رسول الله ﷺ كان إِذا قرأَ هذه الآية قال: «سبحانك اللهم وبحمدك، وبلى».

ويروى أَنه كان يقول: «بَلَى» فقط[٤].

[٥/ ٢٥٦] نجز تفسير سورة الْقِيامَةِ والحمد لله رب العالمين / .

---

(١) وهي شاذة، لم نجد له فيها سلفاً ولا خلفاً.

(٢) في حاشية المطبوع: «هكذا في الأصول، وقد راعى المؤلف لفظ الآية».

(٣) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٩٤)، وفي الأصل: «طلحة بن مصرف وسليمان»، وفي أحمد٣: «طلحة وسليمان والفياض»، وفي نور العثمانية: «طلحة وابن سليمان، والفياض وابن غزوان».

(٤) له طرق لينة وروي مرسلًا وموقوفاً ومقطوعاً، أخرجه أبو داود (٨٨٤) من طريق شعبة، عن موسى ابن أبي عائشة قال: كَانَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَوْقَ بَيْتِهِ، فَكَانَ إِذَا قَرَأَ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ قَالَ: سُبْحَانَكَ فَبَلَى. فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ومن طريق أبي داود =

= أخرجه البيهقي في الكبرى (٢/ ٣١٠) به، قال ابن كثير: تفرد به أبو داود، ولم يسم هذا الصحابي، ولا يضر ذلك، لكن لم يبين موسى الاتصال في خبره.
وفي الباب عن أبي هريرة أخرجه الحميدي (٩٩٥)، وأحمد (٢/ ٢٤٩)، وأبو داود (٨٨٧)، والترمذي (٣٣٤٧)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٣١٠) وغيرهم من طرق عن سفيان، عن إسماعيل ابن أمية، عن أعرابي من أهل البادية قال: سمعت أبي هريرة يَقُولُ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: إِذَا قَرَأَ أَحَدُكُمْ ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ فَأَتَى عَلَى آخِرِهَا ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، فَلْيَقُلْ: بَلَى، وَإِذَا قَرَأَ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَـٰتِ عُرْفًا﴾ فَأَتَى عَلَى آخِرِهَا ﴿ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾، فَلْيَقُلْ: آمَنَّا بالله، وَإِذَا قَرَأَ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ فأَتَى عَلَى آخِرِهَا ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴾ فَلْيَقُلْ: بَلَى، وَرُبَّمَا قَالَ سُفيَانُ: بَلَى وأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ. وهذا إسناد ضعيف؛ فيه رجل لم يسمَّ، وأخرج الطبري (٢٤/ ٣٦٧) عن ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن أبي إسحاق الهمداني، أن ابن عباس، كان إذا قرأ: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ يقول: سبحان ربي الأعلى، وإذا قرأ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ فأتى على آخرها ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؟ يقول: سبحانك اللهم وبلى. وأخرج الطبري (٢٤/ ٨٤) من طريق: سعيد عن قتادة في قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال: سبحانك وبلى. وهذا مرسل، وأخرجه (٢٤/ ٥١٦) من قول قتادة، ويراجع الدر المنثور (١٥/ ١٣٩-١٤٠-١٤١).

سورة الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الإنسان

قال بعض المفسرين: هي مكية كلُّها، وحكى النقاش، والثعلبي عن مجاهد وقتادة أَنها مدنية.

وقال الحسن وعِكْرِمة: منها آية مكية، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]، والباقي مدني(١)، وأَنها نزلت في صنيع علي بن أَبي طالب رضي الله عنه في إِطعامه عشاءَه وعشاء أَهْله وولده لمسكين ليلة، ثم ليتيم ليلة، ثم لأَسير ليلة ثالثة، متواليات(٢).

وقيل: نزلت في صنيع أَبي الدحداح رضي الله عنه(٣)، والله تعالى أَعلم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۟ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾.

(١) انظر القولين في تفسير الثعلبي (١٠/ ١٠٢)، ولم أقف على نقل النقاش.
(٢) أخرجه ابن مردويه في تفسيره كما في «الدر المنثور» (١٥/ ١٥٤) عن ابن عباس رضي الله عنه.
(٣) لم أقف على من قال ذلك.

«هَلْ» في كلام العرب قد تجيءُ بمعنى «قَدْ»، حكاه سيبويه، لكنها لا تخلو من تقرير، وبابها المشهور الاستفهام المحض، والتقرير أَحياناً، فقال ابن عباس: هي هنا بمعنى «قد»[١].

و﴿ٱلْإِنسَٰنِ﴾: يراد به آدم عليه السلام، و«الحِينُ» هو المدَّة التي بقي فيها طيناً قبل أَن تنفخ فيه الروح، أَي أَنه شيءٌ لم يكن مذكوراً مُنَوَّهاً به في العالم، وفي حالة العدم المحض قبل أَن لم يكن شيئاً ولا مذكوراً.

وقال أَكثر المتأَولين: ﴿هَلْ﴾ تقرير، و﴿ٱلْإِنسَٰنِ﴾ اسم الجنس، أَي: إِذا تأَمل كل إِنسان نفسه علم بأَنه قد مرَّ حين من الدهر عظيم لم يكن هو فيه شيئاً مذكوراً، أَي: لم يكن موجوداً، وقد يُسمى الموجود شيئاً فهو مذكور بهذا الوجه.

و«الحين» هنا: المدَّة من الزمن غير محدودة تقع على القليل والكثير، وإِنما يحتاج إِلى تحديد الحِين في الأَيْمان، فيمن حلف أَلَّا يكلم أَخاه حيناً، فذهب بعض الفقهاءِ إِلى أَن الحين سنة[٢]، وقال بعضهم: ستة أَشهر[٣].

والقويُّ في هذا أَن ﴿ٱلْإِنسَٰنِ﴾ اسم الجنس، وأَن الآية جعلت عبرة لكل أَحد من الناس ليعلم أَن الصانع له قادر على إِعادته.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾، هو هنا اسم الجنس بلا خلاف؛ لأَن آدم عليه السلام لم يخلق من نطفة.

و﴿أَمْشَاجٍ﴾ معناه: أَخلاط، واحدها مَشَج، بفتح الميم والشين، قاله ابن

---

(١) الكتاب لسيبويه (٣/ ١٨٩)، ولم أقف على قول ابن عباس.

(٢) وهو قول مالك كما في التاج والإكليل (٣/ ٣١٠)، ومجاهد والحكم وحماد كما في المغني (١٠/ ٤٠).

(٣) وهو قول ابن عباس في تفسير الطبري (١٣/ ٢٠٨)، وأبي حنيفة كما في أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٤٠٠)، وقول أحمد في مسائل أحمد وإسحاق رواية الكَوْسَج (**٣٣١٩**).

السكيت وغيره[١]، وقيل: مَشْج مثل عَدْل وأَعدال، وقيل: مَشيج مثل شريف وأَشراف.

واختلف في المقصود من: الخَلْط، فقيل: هو أَمشاج ماءِ الرجل بماءِ المرأَة، وأَسند الطبري حديثاً، وهو أَيضاً في بعض المصنفات: أَن عظام ابن آدم وَعَصَبه من ماءِ الرجل، ولحمه وشحمه من ماءِ المرأَة[٢].

وقيل: هو اختلاط أَمر الجنين بالنقلة من النطفة إِلى العلقة إِلى المضغة إِلى غير ذلك، فهو أَمر مختلط، وقيل: هو اختلاط الدم والبلغم والسوداءِ والصفراءِ فيه.

و﴿ نَّبْتَلِيهِ ﴾ معناه: نختبره بالإِيجاد والكون في الدنيا، وهو حالٌ من الضمير في ﴿خَلَقْنَا ﴾، كأَنه قال: مختبرين له بذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَهُ ﴾ عطف جملة نِعَم على جملة نِعَم، وقال بعض النحويين: إِنما المعنى: فَلِنَبْتَليه جعلناه سميعاً بصيراً، ثم ترتب اللفظ مؤخراً متداخلاً كأَنه قال: نحن نَبْتَليه فلذلك جعلناه، والابتلاءُ ـ على هذا التأْويل ـ هو بالأَسماع والأَبصار لا بالإِيجاد، وليس ﴿ نَّبْتَلِيهِ ﴾ حالاً.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَهُ ٱلسَّبِيلَ ﴾ يحتمل أَن يريد السبيل العامة للمؤمن والكافر، وذلك بخلق الحواسِّ وموهبة الفطرة ونصب الصنعة الدالَّة على الصانع، فـ﴿ هَدَيْنَهُ ﴾ ـ على هذا ـ بمعنى أَرشدناه، كما يرشد الإِنسان إِلى طريق ويُوقف عليه.

ويحتمل أَن يريد بالسبيل اسم الجنس، أَي: هدى المؤمن لإِيمانه والكافر لكفره، فـ﴿ هَدَيْنَهُ ﴾ ـ على هذا ـ كأَنه بمعنى أَريناه فقط، وليس الهدى في هذه الآية بمعنى خلق الهدى والإِيمان.

---

(١) لم أجده له، وانظر تفسير الطبري (٢٤/ ٨٨)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٥٧)، وانظر تفسير الثعلبي (١٠/ ٩٤).

(٢) لا يصح، أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور (١٥/ ١٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: الأمشاج ستة: العظام والعصب، والعروق من الرجل، واللحم والدم والشعر من المرأة، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (١٠٨٦) عن عكرمة بنحوه، ولم أجده في الطبري.

وقوله تعالى: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ حالان وقسمتها ﴿إِمَّا﴾.

قال أَبو عمرو الداني: وقرأَ أَبو العاج: (أما شاكراً وأما كفوراً)[١]، وأَبو العاج هو: كثير بن عبد الله السلمي، شامي، وَلِيَ البصرة لهشام بن عبد الملك[٢].

و﴿أَعْتَدْنَا﴾ معناه: أَعددنا.

وقرأَ نافع، والكسائي، وأَبو بكر عن عاصم: ﴿سَلَاسِلاً﴾ بالصرف، وهذا على ما حكاه الأَخفش من لغة من يصرف كل ما لا ينصرف إِلا أَفْعَل، وهي لغة الشعراءِ، ثم كثُر حتَّى جرى في كلامهم، وقد عُلِّل بِعِلَّة، وهي أَنه لما كان هذا الضرب من الجموع يُجمع أَشبه الآحاد فصرف، وذلك من شِبْهِ الآحاد موجود في قولهم: صواحب وصواحبات، وفي قول الشاعر:

....نَوَاكِسي الأَبْـصار[٣] [الكامل]

بالياءِ جَمْع نَوَاكس.

وهذا الإِجراءُ في ﴿سَلَاسِلاً﴾ و﴿قَوَارِيراً﴾ ثبت في مصحف ابن مسعود ومصحف أُبَيٍّ بن كعب ومصحف المدينة ومكة والكوفة والبصرة[٤].

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وحمزة: ﴿سَلَاسِل﴾ على ترك الصرف في الوصل والوقف، وهي قراءة طلحة وعمرو بن عبيد.

وقرأَ أَبو عمرو، وحمزة فيما روي عنهما: ﴿سَلَاسِلَ﴾ في الوصل، و﴿سَلَاسِلا﴾

---

(١) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٩٥) لأبي وابن مسعود وأبي السمال ورؤبة بن العجاج.
(٢) ورد ذكره في تاريخ الإسلام (٨/ ٣٢٢)، والأغاني (٧/ ٨٩).
(٣) من بيت الفرزدق:
وإِذَا الرجالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ خُضُعَ الرِّقابِ نَوَاكِسَ الأَبْصَارِ
انظر عزوه له في الحجة لأبي علي (٦/ ٣٤٩).
(٤) انظر المقنع في رسم مصاحف الأمصار (ص: ١٢)، والنشر (٢/ ٤٣٦)، والإجراء هو الصرف، أي: التنوين.

بأَلِفٍ دون تنوين في الوقف، ورواه هشام عن ابن عامر؛ لأَن من العرب من يقول: رَأَيْتُ عُمَرَا، يقف بأَلِفٍ، وأَيضاً فالوقف بالأَلف ﴿ سَلَاسِلَاْ ﴾ اتباعٌ لخطِّ المصحف[1].

و﴿ٱلْأَبْرَارَ﴾: جمع بَارٍّ، كشاهِدٍ وأَشْهاد.

قال الحسن: هم الذين لا يؤذون الذَّرَّ، ولا يرضون الشَّر[2].

و«الْكَأْسُ»: ما فيه نبيذ أَو نحوه مما يُشرب به، قال ابن كيسان: لا يقال: كأْس إِلَّا لما فيه نبيذ ونحوه، ولا يقال: ظعينة إِلَّا إِذا كان عليها امرأَةٌ، ولا يقال: مائدة إِلَّا وعليها طعام، وإِلَّا فهي خوان[3].

و«المِزاجُ»: ما تمزج به الخمور ونحوها، وهي أَيضاً مِزاجٌ له؛ لأَنهما تمازَجَا مِزاجاً، قال بعض الناس: «المِزَاجُ»: نَفْس الكافور، وقال قتادة: نِعْم قوم تُمزج لهم بالكافور، وتُختم بالمسك[4].

وقال الفراءُ: يقال / : إِنه في الجنة عين تُسَمَّى كافوراً[5]. [٥/ ٢٥٧]

وقال بعض المتأَولين: إِنما أَراد كافوراً في النكهة والعرف كما تقول إِذا مدحت طعاماً: هذا الطعام مسك.

وقوله تعالى: ﴿عَيْنًا﴾ قيل: هو بدل من قوله تعالى: ﴿كَافُورًا﴾.

وقيل: هو مفعول بقوله: ﴿يَشْرَبُونَ﴾ أيْ: يشربون ماءَ هذه العين من كأْسٍ عطِرةٍ كالكافور.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦٦٣)، وإعراب القرآن للنحاس (٥/ ٦٣)، والحجة لابن خالويه (ص: ٣٥٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٩٠)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٩١١)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٩٥).

(٣) انظر إعراب القرآن للنحاس (٥/ ٦٣).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٩٣)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٩١٢)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٩٥)، تفسير الماوردي (٦/ ١٦٥)، و«نعم» من الأصل.

(٥) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٤١).

وقيل: نصب ﴿عَيْنًا﴾ على المدح أو بإضمار «أَعْنِي».

وقوله تعالى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ بمنزلة يَشْرَبُهَا، فالباءُ زائدة، قال الهذلي:

[الطويل] شَرِبْنَ بِماءِ الْبَحْرِ.........[1] ....

أَيْ: شَرِبْن ماءَ البحر.

وقرأ ابن أَبي عبلة: (يَشْرَبُهَا عبادُ الله)[2].

و﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ هُنَا خصوص في المؤمنين الناعمين؛ لأَن جميع الخلق عباده.

و﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ معناه: يشقُّونها[3] بعود قصب ونحوه حيث شاؤوا، فهي تجري عند كل أَحد منهم، هكذا ورد الأَثر.

قال الثعلبي: وقيل: عين في دار النبي ﷺ تُفَجَّر إِلى دور الأَنبياءِ عليهم السلام ودور المؤمنين[4]، وهذا قول حسن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣﴾.

وصف الله تعالى حال الأَبرار أَنهم كانوا يوفون بالنَّذْر، أَي: بكل ما نذروه وأَعطوا به عهداً، يقال: وَفَى الرجل وأَوفى، واليومُ المشار إِليه: يومُ القيامة.

---

(١) البيت بتمامه:

شَرِبْنَ بِماءِ الْبَحْرِ ثم تَنَصَّبَتْ   مَتَىٰ لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ

وهو لأبي ذؤيب كما في تأويل مشكل القرآن (ص: ٣٠١)، والمحتسب (٢/ ١١٤)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٥٥٦)، وحروف المعاني والصفات (ص: ٤٧).

(٢) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٩٥).

(٣) في حاشية المطبوع: «في بعض النسخ: يُنْبعونها».

(٤) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٠١).

و﴿ مُسْتَطِيرًا ﴾ معناه: متصلاً شائعاً كاستطارة الفجر والصَّدْع في الزجاجة، وبه شُبِّه في القلب، ومن ذلك قول الأَعشى:

فَبَانَـتْ وَقَـدْ أسـأرتْ فـي الْفُؤا   دِ صَدْعاً عَلَى نَأْيِهَا مُسْتطيراً[١] [المتقارب]

وقول ذي الرُّمَّة:

أَرادَ الطَّـاعِـنـونَ لِـيَحْـزُنُـونِـي   فَهَاجُوا صَدْعَ قَلْبي فَاسْتَطَارَا[٢] [الوافر]

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ يحتمل أَن يعود الضمير على ﴿ٱلطَّعَامَ﴾، أَي: وهو محبوب للفاقة والحاجة، وهو قول ابن عباس[٣] ومجاهد[٤].

ويحتمل أَن يعود على الله تعالى، أَي: لوجهه وابتغاءَ مرضاته، قاله أَبو سليمان الداراني[٥].

والأَول أَمدح لهم؛ لأَن فيه الإِيثار على النفس، وعلى الاحتمال الثاني قد يفعله الأَغنياءُ أَكثر.

وقال الحسن بن الفضل: الضمير عائد على الإِطعام[٦]، أَيْ: مُحقِّين في فعلهم ذلك، لا رياءَ فيه ولا تكلُّف.

و«المِسْكين»: الطَّواف المنكشف في السؤال.

و«اليتيمُ»: الصبيُّ الذي لا أَب له من الناس، والذي لا أُمَّ له من البهائم، وهي صفة قبل البلوغ، وقد قال النبي ﷺ: «لا يُتْم بعد حُلُم»[٧].

---

(١) تقدم في مقدمات الكتاب.

(٢) البيت لجرير في غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ١٧٤)، والأغاني (٨/ ١٦)، وذكر فيه قصة للفرزدق.

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٩٦) عن ابن عباس قال: على قلته وحبهم إياه وشهوتهم له.

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٩٦).

(٥) تفسير الثعلبي (١٠/ ٩٦)، إلا أنه وردت فيه: «الداري»، بدل: «أبو سليمان الداراني».

(٦) تفسير الثعلبي (١٠/ ٩٦).

(٧) تقدم تخريجه في أول سورة النساء.

و«الأَسيرُ» معروف، فقال قتادة: أَراد أَسرى الكفار وإِن كانوا على غير الإِسلام[١].

قال الحسن: ما كان أَسراهم إِلَّا مشركين[٢]؛ لأَن في كل كبد رطبة أَجْراً.

وقال بعض العلماءِ: هذا مما نُسخ بآية السيف، وَإِما أَنه محكم ليحفظ حياة الأَسير إِلى أَن يرى الإِمام فيه ما يرى.

وقال مجاهد، وابن جبير، وعطاءٌ: أَراد المسجونين من الناس[٣]؛ ولهذا يُحض على صدقة السجن، فهذا تشبيه، ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يُؤْسر أَحدٌ في الإِسلام بغير العدول[٤]، وروى الخدريُّ أَن النبي ﷺ فسَّر «الأَسير» هنا: بالمملوك المسجون[٥].

وقال: أَراد أَسرى المسلمين الذين تركوا في بلاد الحرب رهائن وخرجوا في طلب الفداءِ.

وقال أَبو حمزة الثُّمَاليُّ: «الأَسير» هنا: المرأَة[٦].

ودليله قول النبي ﷺ: «اسْتَوْصوا بالنِّساءِ خيراً فإِنَّهن عَوَانٍ عندكم»[٧].

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٩٧)، والهداية لمكي (٢١/ ٧٩١٤)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٩٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٩٧)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٦٦).

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٩٧)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٩٦)، إلا أن فيهما: «من أهل القبلة» بدل: «من الناس».

(٤) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٤٠٢) عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه قال: قدم على عمر بن الخطاب رجل من أهل العراق فقال: لقد جئتك لأمر ما له رأس ولا ذنب. فقال عمر: ما هو؟ قال: شهادات الزور ظهرت بأرضنا! فقال عمر: والله لا يؤسر رجل في الإسلام بغير العدول. قال أبو عبيد: قوله: لا يؤسر يعني: لا يحبس، وأصل الأسر الحبس وكل محبوس فهو أسير. انظر النهاية (٣/ ٣٠٨).

(٥) ضعيف، أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٠٥) من طريق عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً في قوله: ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾؛ قال: مسكيناً: فقيراً، ويتيماً: لا أب له، وأسيراً: المملوك والمسجون، وعزاه في الدر المنثور (١٥/ ١٥٤) لابن مردويه.

(٦) تفسير الثعلبي (١٠/ ٩٦).

(٧) سبق التعليق عليه في (سورة النساء) عند الآية رقم (٢١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾، المعنى: يقولون لهم عند الإطعام، وهذا إما أن يكون الْمُطْعِم يقول ذلك نصّاً، فحكى ذلك، وإما أن يكون ذلك مما يقال في الأَنْفُس وبالنِّية، فمدح بذلك، وهذا تأْويل مجاهد وابن جبير[١].

وقرأ أبو عمرو في رواية عباس بجزم الميم من ﴿نُطْعِمْكُمْ﴾[٢].

قال أبو علي: سكن تخفيفاً[٣].

و«الشُّكُورُ»: مصدر كالشُّكْر، ووصْف اليوم بـ«العَبُوس» هو على التجوز، كما تقول: ليلٌ نائم أي: فيه نوم.

و«الْقَمْطَرِيرُ» و«الْقُمَاطِرُ»: هو في معنى العُبُوس والازْبداد، يقال: اقمطرَّ الرجلُ: إذا جمع ما بين عينيه غضباً، ومنه قول الشاعر:

بَني عَمِّنا هَلْ تَذْكُرونَ بَلاءَنَا ... عَلَيْكُمْ إِذَا ما كانَ يَوْمٌ قُمَاطِرُ[٤] [الطويل]

وقال الآخر:

فَفِرُّوا إِذا ما الْحَرْبُ ثارَ غُبارُها ... وَلَجَّ بِها الْيَوْمُ الْعَبُوسُ الْقُمَاطِرُ[٥] [الطويل]

وقال ابن عباس: يعبس الكافر يومئذٍ حتى يسيل من عينيه مثل القَطِران[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٩٨)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٩٦).

(٢) انظر السبعة (ص: ٦٦٣)، وفي الحمزوية ونجيبويه: «عياش»، وفي المطبوع: «ابن عياش»، مع الإشارة في الحاشية إلى النسختين.

(٣) انظر الحجة للفارسي (٦/ ٣٦١).

(٤) بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (٣/ ٢١٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٥/ ٦٤).

(٥) بلا نسبة في تفسير الثعلبي (١٠/ ٩٧).

(٦) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (٢٤/ ٩٩) من طريق مصعب بن سلام التميمي، عن سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه بنحوه، ومصعب ضعيف جداً، وسعد هو ابن طريف الإسكاف الحذَّاء، متروك.

وعبَّر ابن عباس عن القمطرير بالطويل[١].

وعبَّر عنه ابن الكلبي بالشديد[٢]، وذلك كله قريب في المعنى.

وقرأَ الجمهور: ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ﴾ بتخفيف القاف.

وقرأَ أَبو جعفر ابن القعقاع: (فَوَقَّاهُم) بتشديد القاف[٣].

و«النَّضْرةُ»: جمال البشرة، وذلك لا يكون إِلَّا مع فرح النفس وقرة العين.

وقرأَ علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: (وَجَازَاهُمْ) بأَلِف[٤].

وقوله تعالى: ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ عام، عن الشهوات وعلى الطاعات والشدائد، ففي هذا يدخل كل ما خصص الناس من صوم وفقر ونحوه.

و﴿ مُّتَّكِـِٔينَ ﴾ حالٌ من الضمير المنصوب في (جزاهم) وهو الهاءُ والميم.

وقرأَ أَبو جعفر وشيبة: ﴿مُتَّكِينَ﴾ بغير همز[٥].

و﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾: السُّرُر المستورة بالحجال، وهذا شرط لبعض اللغويِّين، [وقال بعض اللغويين][٦]: كل ما يُتَوَسَّد ويفترش مما له حشو فهو أَريكة وإِن لم يكن في حَجَلة.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا﴾ الآية: عبارة عن اعتدال مسِّ هوائها، وذهاب ضرري الحرِّ والقرِّ عنها، وكون هوائها سجْسَجاً كما في الحديث المأْثور[٧].

ومسُّ الشمس: هو أَشدُّ الحرِّ، و«الزمهرير»: أَشدُّ البرد.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٠٠)، وابن أبي حاتم كما في «الإتقان» (٢/ ٥١) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه بنحوه.

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٩٧).

(٣) وهي شاذة، تقدم مثلها في (سورة الطور).

(٤) وهي شاذة، تابعه عليها في الدر المصون (١٠/ ٦٠٤).

(٥) انظر النشر (١/ ٤٥٠).

(٦) سقط من الحمزوية، في نجيبويه: «أكثر اللغويين».

(٧) الراجح أنه من قول علقمة، وإسناده منقطع أيضاً، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ١٠٠) في=

وقال ثعلب: (الزَّمهرير) بلغة طيِّءٍ: القَمر[1] / [2]. [٥/ ٢٦٠]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾.

اختلف النحويون في إعراب قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً﴾:

فقال الزجاج وغيره: هو حالٌ عطفاً على ﴿مُتَّكِئِينَ﴾.

وقال أَيضاً: يجوز أَن يكون صفةً للجنة، فالمعنى: وجزاهم جنةً دانيةً[3].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿دَانِيَةً﴾.

= باب صفة الجنة من قول ابن مسعود، فقال ثنا أبو أسامة، ثنا زكريا عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن ابن عوسجة، عن علقمة، عن عبد الله قال: الجنة سَجْسَج لا حر بها ولا قَر.

قال الدارقطني في علله (٥/ ١٥١): هذا حديث رواه زكريا عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن عوسجة عن علقمة عن عبد الله بن مسعود، وخالفه الثوري فرواه عن أبي إسحاق عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: وقول زكريا أصح، وقال ابن أبي حاتم في علله (٢١٣٥): سألت أبي عن حديث رواه إسرائيل عن أبي إسحاق عن علقمة عن عبد الله فذكره، هل سمع أبو إسحاق من علقمة؟ فقال: قد رآه ولم يسمع منه.

وقد رواه زكريا بن أبي زائدة فقال: عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن عوسجة عن علقمة عن عبد الله انتهى، وقال في موضع آخر من علله: ورواه مالك بن إسماعيل وعمرو بن خالد عن زهير ابن معاوية عن أبي إسحاق عن علقمة عن عبد الله، ورواه الثوري، عن أبي إسحاق، عن علقمة، ثم قال: وقد رواه جرير عن منصور عن أبي إسحاق عن علقمة من قوله لم يجاوزوا به، وكذلك رواه علي ابن الجعد عن زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن علقمة من قوله، فقيل لأبي زرعة: أيه الصحيح؟ فقال: الحديث: حديث الثوري، ومنصور، وزهير من رواية علي بن الجعد، يعني أن الصواب فيه: أبو إسحاق عن علقمة من قوله، وأبو إسحاق عن علقمة منقطع، قلت: هو في مسند ابن الجعد كذلك (٢٥١٥)، وفي المطبوع: «ضرورتي الحر والقر».

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٩٨).

(٢) الصفحتان اللتان تحملان رقمي ٢٥٨، ٢٥٩، من الأصل، مكررتان مع رقمي ٢٥٦، ٢٥٧.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٥٩).

وقرأ الأَعمش: (وَدَانِياً عَلَيْهِمْ)[١].

وقرأ أَبو حيوة: (ودانِيَـةٌ) بالرفع[٢].

وقرأ أُبَيٌّ بن كعب: (وَدَانٍ)[٣]، فهو مفردٌ مرفوع في الإِعراب.

ودُنُوُّ الظلال بتوسطٍ أَنْعَم لها؛ لأَن الشيءَ الْمُظل إِذا بَعُد فَتَر ظلُّه لا سيَّما من الشجر.

و«التَّذْليلُ»: أَن تَطِيبَ الثَّمرةُ فتتدلَّى وتنعكس نحو الأَرض، والتَّذليل في الجنة هو بحسب إِرادة ساكنيها، قال قتادة، وسفيان، ومجاهد: إِن كان الإِنسان قائماً تناول الثَّمر دون كلفة، وإِن كان قاعداً فكذلك، وإِن كان مضطجعاً فكذلك، فهذا تذليلها، لا يردُّ اليدَ عنها بُعد ولا شوك[٤]، ومن اللفظة قول امرئ القيس:

[الطويل] .... كَأُنْبوبِ السَّقِيِّ الْمُذَلَّلِ[٥]

ومنه قول الأَنصاري: والنخل قد ذُلِّلت فهي مطوقة بثمرها[٦].

و«القُطوفُ» جمع قطف، وهو: العنقود من النخل والعنب ونحوهما.

و«الآنِيَةُ»: جمع إِناءٍ، و«الكُوبُ»: ما لا عروة له ولا أُذن من الأَواني، وهي معروفة الشكل في تلك البلاد، وهو الذي تقول له العامة: القب، لكنها تسمي بذلك ما له عروة، وذلك خطأٌ أَيضاً، وقال قتادة: الكوب القَدَح، و«القواريرُ»: الزجاجُ[٧].

---

(١) وهي شاذة، انظر تفسير الطبري (٢٤/ ١٠٣).

(٢) شاذة، عزاها لأبي حيوة أبو حيان في البحر المحيط (٨/ ٣٨٨) الأصل: «بدله أبو جعفر ولم نر من عزاها».

(٣) هذه ثلاث قراءات شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٣٦٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٥/ ٦٥)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٩٦).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ١٠٣)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٩٢٣).

(٥) أوله: وكَشْحٍ لَطيفٍ كَالْجَديلِ مُخَصَّرٍ وساقٍ إلخ، انظر جمهرة أشعار العرب (ص: ١٢٨)، وشرح المعلقات التسع (ص: ١٤٩).

(٦) لم أقف عليه.

(٧) انظر الهداية لمكي (١٢/ ٧٩٢٥).

واختلف القراءُ، فقرأَ نافع، والكسائي وأَبو بكر عن عاصم: ﴿قَوَارِيراً * قَوَارِيراً﴾ بالإِجراءِ فيهما على ما تقدم في ﴿سَلَٰسِلَا۟﴾.

وقرأَ ابن عامر، وحمزة والكسائي: ﴿قَوارِيرَ * قَوَارِيرَ﴾ بترك الإِجراءِ فيهما.

وقرأَ ابن كثير بالإِجراءِ في الأَول وتركه في الثاني.

وقرأَ أَبو عمرو إِذا وقف في الأَول بأَلف دون تنوين، وبِتَرْك الإِجراءِ في الثاني[1].

وقوله تعالى: ﴿مِّن فِضَّةٍ﴾: يقتضي أَنها من زجاج ومن فضَّة، وذلك متمكن لكونه من زجاج في شفوفه ومن فضة في جوهره، وكذلك فضة الجنة شفافة.

وقال أَبو علي: جعلها من فضة؛ لصفائها وملازمتها لتلك الصفة، وليست من فضة في حقيق أَمرها[2]، وإِنَّما هذا كقول الشاعر:

أَلَا أَصْبَحَتْ أَسْـماءُ جاذِمَةَ الْوَصْلِ وَضنَّتْ عَلَيْنا والضَّنينُ مِنَ البُخْل[3] [الطويل]

وقوله تعالى: ﴿قَدَّرُوهَا﴾ يحتمل أَن يكون الضمير للملائكة، ويحتمل أَن يكون للطائفين.

ويحتمل أَن يكون للمنعَّمين، والتقدير إِما أَن يكون على قدر الأَكُفِّ، قاله الربيع[4]، أَو على قدر الريِّ، قاله مجاهد[5].

وهذا كله على قراءة من قرأَ: ﴿قدَروها﴾ بالتخفيف وفتح القاف.

---

(١) وكلها سبعية، انظر السبعة (ص: ٦٦٣)، و«الكسائي» مثبتة من الأصل فقط.
(٢) انظر الحجة للفارسي (٦/ ٣٥٣).
(٣) البيت لِخِداش بن بشر المجاشعي المعروف بالبعيث، انظر عزوه له في الحجة لأبي علي (٦/ ٣٥٢)، وتهذيب اللغة (١١/ ١٤).
(٤) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٠٣).
(٥) تفسير الطبري (٢٤/ ١٠٦)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٧٠)، و«الري» سقطت من الأصل، وفي الأسدية٤: «رتبهم».

وقرأ ابن أَبزى، وعليٌّ، والجحدريُّ، وابن عباس، والشَّعبيُّ، وقتادة: (قُدِّرُوهَا) بضم القاف وكسر الدال[١].

قال أَبو علي: كأَن اللفظ قُدِّروا عليها، وفي المعنى قلب؛ لأَن حقيقة المعنى أَن يقال: قُدِّرت عليهم، فهي مثل قوله تعالى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾ [القصص: ٧٦]، ومثل قول العرب: إِذا طلعت الجوزاءُ أُلقي العود على الحرباءِ، حكاه أَبو علي[٢].

وكون الزنجبيل مزاجاً: هو على ما ذكرناه في العرف ولذع اللسان، وذلك من لذات المشروب، والزنجبيل طيب حارٌّ، وقال الشاعر:

[المتقارب] كَـأَنَّ جَـنِيّاً مِـنَ الـزَّنْـجَبِيـــ ـــلِ باتَ بِفِيهَـا وَأَرْياً حَشُـورَا[٣]

وقال الْمسيَّبُ بن عَلَس:

[الكامل] وَكَـأَنَّ طَـعْـمَ الـزَّنْـجَبيــلِ بِــهِ إِذْ ذُقْـتَــهُ وَسُـلَافَـةَ الْخَـمْـرِ[٤]

وقال قتادة: «الزَّنجبيل»: اسمٌ لعين في الجنة يشرب منها المقربون صرفاً، وتُمزج لسائر أَهل الجنة[٥].

و﴿عَيۡنًا﴾ بدل من ﴿كَأۡسًا﴾، أَو من ﴿زَنجَبِيلًا﴾ على القول الثاني.

---

(١) وهما شاذتان، انظر الأولى في مختصر الشواذ (ص: ١٦٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٩٦)، والثانية في إعراب القرآن للنحاس (٥/ ٦٦)، وفي الحمزوية ونجيبويه: «ابن أبي أبزى»، و«بالتخفيف» مثبتة من الأصل فقط.

(٢) انظر الحجة للفارسي (٦/ ٣٥٣).

(٣) البيت للأعشى، كما في العين (٦/ ٢٨٠)، وغريب الحديث للقاسم بن سلام (٣/ ٣٢٢)، والمخصص (٤/ ٣٤٨)، وفي نور العثمانية والأصل وأحمد٣: «مشوراً»، وفي نجيبويه: «منشوراً».

(٤) انظر عزوه له وخبره في الشعر والشعراء (١/ ١٧٣)، وتفسير الزمخشري (٤/ ٦٧٢).

(٥) تفسير الطبري (٢٤/ ١٠٧)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٩٢٩)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٠٣).

و﴿سَلۡسَبِيلٗا﴾ قيل: هو اسمٌ بمعنى السَّلْس المُنْقاد الْجَرْيَة، وقال مجاهد: حديدة[١] الجرية[٢].

وقيل: هي عبارة عن حسن إيساغها[٣].

وقال ابن الأَعرابي: لم أَسمع هذه اللفظة إِلَّا في القرآن[٤].

وقال آخرون: ﴿سَلۡسَبِيلٗا﴾ صفة لقوله تعالى: ﴿عَيۡنٗا﴾.

و﴿تُسَمَّىٰ﴾ بمعنى: تُوصف وتشهر، وكونه مصروفاً مما يؤكد كونه صفةً للعين لا اسْماً[٥].

وقال بعض المفسرين: ﴿سَلۡسَبِيلٗا﴾ أَمر للنبي ﷺ ولأُمته بسؤال السبيل إِليها.

وهذا قول ضعيف؛ لأَن براعة القرآن وفصاحته لا تجيءُ هكذا، واللفظة معروفة في اللسان، وأَن السَّلْس والسَّلْسبيل بمعنىً واحد، ومتقارب.

و﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ قال جمهور الناس: معناه: باقون، من الخلود، وجعلهم وِلْداناً؛ لأَنهم في هيئة الولدان في السن، لا يتغيرون عن تلك الحال.

وقال أَبو عبيدة وغيره: ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ معناه: مُقَرَّطون[٦]، والخَلدات حُلًى تُعَلَّق في الآذان.

ومنه قول الشاعر:

---

(١) في حاشية المطبوع: «في بعض النسخ: جيِّد».

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ١٠٨)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٩٣٠)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٠٤)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٧١).

(٣) في المطبوع والحمزوية: «اتساعها» وفي الأسدية ٤ ونجيبويه: «انسياغها».

(٤) لم أقف عليه.

(٥) للعين من نجيبويه، وفي حاشية المطبوع: «في بعض النسخ: لا أَمْراً».

(٦) لم أقف عليه في مجاز القرآن، لكن مثله في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٢٣).

[الكامل] وَمُخَلَّدَات باللُّجَيْنِ كَأَنَّمَا أَعْجازُهُنَّ أَقَاوِزُ الكُثْبانِ[١]

وشهرة هذه اللغة في حِمْير.

وشبههم تعالى باللؤلؤ المنثور في بياضهم وانْتشارهم في المساكن يجيئون ويذهبون، وفي جماهم، ومنه سميت المرأة: دُرَّة وجوهرة، ثم كرَّر تعالى ذكْر الرؤية مبالغة.

و﴿ ثَمَّ ﴾ ظرف، والعامل فيه ﴿ رَأَيْتَ ﴾ أو معناه.

وقال الفراءُ: التقدير: إِذا رأَيْتَ ما ثمَّ رَأَيتَ، وحذفت «ما»[٢].

وقرأ حميد الأَعرج: (ثُمَّ) بضم الثاءِ[٣]، و«النَّعيمُ» ما هم فيه من حسن عيش.

و«الْمُلْكُ الكبيرُ»، قال سفيان: هو استئذان الملائكة وتسليمُهُمْ عليهم وتعظيمُهُمْ لهم في ذلك كالملوك[٤].

وقال أَكثر المفسرين: «الْمُلْك الكبير»: اتساع مواضعهم.

روي عن عبدالله بن عمر أنه قال: ما من أَهل الجنة من أَحد إِلَّا يسعى عليه أَلف غلام[٥]، كلهم مختلف شغله من شغل أَصحابه، وأَدنى أَهل الجنة منزلة من ينظر من مُلكه مسيرة أَلف عام، يرى أَقصاه كما يرى أَدناه / . [٥/ ٢٦١]

---

(١) أَنشده الكَلْبيُّ لرجل من أهل اليمن، كما في معجم ديوان الأدب (٢/ ٣٤٩)، وبلا نسبة في غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٤٤٧)، والاشتقاق (ص: ١٦٣)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٨٠)، و«أقاوز» في الأصل غير مقروءة، وفي الأسدية ٤: «أقاول» وفي نور العثمانية: «أقاور».

(٢) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢١٨).

(٣) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٩٦).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ١١٢).

(٥) رجاله ثقات، أخرجه هناد في الزهد (١٧٤)، وابن المبارك في الزهد (زوائد المروزي)، والطبري (٢٤/ ١١١)، والبيهقي في البعث (٣٦٢) من طرق عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي أيوب المراغي الأزدي، عن عبد الله بن عمرو قال: ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف غلام كل غلام على عمل ليس عليه صاحبه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ٢٢ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ٢٣ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦﴾.

قرأَ نافع، وحمزة، وأَبان عن عاصم: ﴿عَالِيهِمْ﴾ بالرفع للابتداءِ، وهي قراءة الأَعرج، وأَبي جعفر، وشيبة، وابن محيصن، وابن عباس بخلاف عنه.

وقرأَ الباقون وعاصم: ﴿عَٰلِيَهُمۡ﴾ بالنصب على الحال، والعامل فيه (لقاهم) أَو (جزاهم)، وهي قراءة عمر بن الخطاب، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، والجحدري، وأَهل مكة[1].

وقرأَ الأَعمش، وطلحة: (عَالِيَتُهُمْ)، وكذلك هي في مصحف عبد الله.

وقرأَ أَيضاً الأَعمش: (عَالِيَتَهُمْ) بالنصب على الحال[2].

وقد يجوز في النصب في القراءتين أَن يكون على الظرف؛ لأَنه بمعنى: فوقهم.

وقرأَت عائشة رضي الله عنها: (عَلَتْهُمْ) بتاءِ فعل ماض.

وقرأَ مجاهد، وقتادة، وابن سيرين، وأَبو حيوة: (عَلَيْهِمْ) بالياءِ[3].

و«السُّنْدُس»: رقيق الديباج والمرتفع منه، وقيل: السندُس هو الحرير الأَخضر.

و«الإِسْتَبْرَقُ» والدِّمَقْسُ هما: الأَبيض، والأرجوان هو: الأَحمر.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢١٨)، ورواية أبان والمفضل في السبعة (ص: ٦٦٤)، وفي الحمزوية: «ابن عياش».

(٢) وهما شاذتان، انظر تفسير الثعلبي (١٠/ ١٠٤)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٩٦).

(٣) وهما شاذتان، انظر البحر المحيط (١٠/ ٣٦٦)، والثانية في الشواذ للكرماني (ص: ٤٩٦) بكسر الهاء وبضمها.

وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿خُضْرٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ بالخفض فيهما، وهي قراءة الأَعمش، وطلحة، ورويت عن الحسن، وأَبي عمرو بخلاف عنهما، على أَن ﴿خُضْرٍ﴾ نعت للسندس، وجائز جمع صفة اسم الجنس إِذا كان اسماً مفرداً، كما قالوا: أَهلك الناسَ الدينارُ الصُّفْر والدِّرهمُ البيضُ، وفي هذا قُبح، والعرب تفرد صفة اسم الجنس وهو جمع أَحياناً فيقولون: هو حصىً أَبيض، وفي القرآن: ﴿ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ﴾ [يس: ٨٠]، و﴿نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] فكيف بأَن لا يفرد هذا الذي هو صفة لواحد في معنى جمع.

و﴿إِسْتَبْرَقٍ﴾ في هذه القراءَة عطف على ﴿سُنْدُسٍ﴾.

وقرأَ نافع، وحفص عن عاصم، والحسن، وعيسى: ﴿خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ بالرفع فيهما، ﴿خُضْرٌ﴾ نعت لـ﴿ثِيَابُ﴾، و﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ عطف على ﴿ثِيَابُ﴾.

وقرأَ أَبو عمرو، وابن عامر، ونافع أَيضاً: ﴿خُضْرٌ﴾ رفعاً و﴿إِسْتَبْرَقٍ﴾ خفضاً، و﴿خُضْرٌ﴾ صفة لـ﴿ثِيَابٌ﴾ و﴿إِسْتَبْرَقٍ﴾ عطف على ﴿سُنْدُسٍ﴾.

وقرأَ ابن كثير، وعاصم في رواية أَبي بكر: ﴿خُضْرٍ﴾ خَفْضاً و﴿إِسْتَبْرَقٌ﴾ رَفْعاً[1]، فخفض ﴿خُضْرٍ﴾ على ما تقدم أَوَّلًا، و﴿إِسْتَبْرَقٌ﴾ عطف على ﴿ثِيَابٌ﴾، و«الإِسْتَبْرَقُ»: غليظ الديباج.

وقرأَ ابن محيصن: (وَاسْتَبْرَقَ) موصولة الأَلف مفتوحة القاف[2]، كأَنه مثال الماضي من بَرِقَ واسْتَبْرَقَ [كَعَجِب واسْتَعْجَبَ][3].

قال أَبو حاتم: لا يجوز، والصواب أَنه اسم جنس لا يَنبغي أَن يحمل ضميراً، ويؤيد ذلك دخول لام المعرفة عليه، والصواب فيه قطع الأَلف وإِجراؤُه على قراءة الجماعة.

---

(١) حاصل ما في هاتين الكلمتين أربع قراءات سبعية: كما في التيسير (ص: ٢١٨)؛ فنافع وحفص برفعهما، وابن كثير وشعبة بخفض الأول ورفع الثاني، وابن عامر وأبو عمرو برفع الأول وخفض الثاني، وحمزة والكسائي بخفضهما، وسقط «نافع» الثاني من الأصل.

(٢) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٤٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٠٠).

(٣) ساقط من الأصل.

وقرأ أَبو حيوة: (عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ) بالرفع (سُنْدُسٌ خُضْرٌ وإِسْتَبْرَقٌ) رفعاً في الثلاثة[١].

وقوله تعالى: ﴿وَحُلُّوٓاْ﴾ أَي: جعل لهم حلي، و﴿أَسَاوِرَ﴾: جمع أَسْوِرَة، وأَسْوِرَة: جمع سوار، وهو من حلي الذراع.

قوله تعالى: ﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾، قال أَبو قُلابة، والنَّخَعي: معناه لا يصير بولاً بل يكون رشحاً من الأَبدان أَطيب من المسك، وهنا محذوف يقتضيه القول تقديره: يقول الله تعالى لهم والملائكة عنه: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا﴾ الآية؛ تثبيتٌ لمحمد ﷺ، وتقوية لنفسه على أَفعال قريش وأَقوالهم، و(حُكْمُ رَبِّه) تعالى: أَن يبلِّغ ويكافح ويتحمل المشقة ويصبر على الأَذى ليعذر[٢] الله تعالى إِليهم.

وقوله تعالى: ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ هو تخيير في أَن يعرف الذي ينبغي أَلَّا يطيعه بأَي وصف كان من هذين؛ لأَن كل واحد منهم فهو آثم وهو كفور، ولم تكن الأُمة حينئذٍ من الكثرة بحيث يقع الإِثم على العاصي، واللفظ أَيضاً يقتضي نهي الإِمام عن طاعة آثِم من العصاة أَو كفور من المشركين، وقال أَبو عبيدة: ﴿أَوْ﴾ بمعنى «الواو» وليس في هذا تخيير[٣].

ثم أَمره تعالى بذكر ربِّه عزَّ وجلَّ دأَباً بُكْرةً وأَصيلاً، ومن الليل بالسجود والتسبيح الذي هو الصلاة، ويحتمل أَن يريد قَوْلَ: سبحان الله.

وذهب قوم من أَهل العلم إِلى أَن هذه الآية إِشارة إِلى الصلوات الخمس، منهم ابن حبيب وغيره[٤]، فـ«البُكْرَةُ»: صلاةُ الصبح، و«الأَصيل»: الظهر والعَصْر، ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ﴾: المغربُ والعِشاءُ[٥].

---

(١) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٩٧).
(٢) في المطبوع: «ليعرف».
(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٨٠).
(٤) الهداية لمكي (١٢/ ٧٩٤٣).
(٥) انظر قول ابن حبيب في الهداية لمكي (١٢/ ٧٩٤٣)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٥٠).

وقال ابن زيد وغيره: كان هذا فرضاً ونُسخ، فلا فرض إلا الخمسة[١]، وقال قوم: هو محكم على جهة الندب[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ۝٢٧ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ۝٢٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ۝٣١﴾.

الإشارة بـ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إلى كفار قريش، و﴿ٱلۡعَاجِلَةَ﴾: الدنيا، وحُبُّهم لها؛ لأنهم لا يعتقدون غيرها، و﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ﴾ معناه: فيما يأتي من الزمان بعد موتهم، وقال لبيد:

[الطويل] أَلَيْسَ وَرَائي إِنْ تَراخَتْ مَنِيَّتي ... أدبُّ مع الولدان أزحفُ كالنسرِ[٣]

ووصف اليوم بالثِّقل على جهة النَّسب، أَي: ذا ثِقَل؛ من حيث الثقل فيه على الكفار، وهو كلَيْل نائم.

ثم عدد تعالى النعمة على عباده في خلقهم وإيجادهم، وإتقان بنيتهم وشد خِلْقَتِهم، و«الأَسْرُ»: الخلْقة واتِّساق الأَعضاءِ والمفاصل.

وقد قال أَبو هريرة[٤]، والحسن، والربيع: «الْأَسْرُ»: المفاصل والأَوصال[٥].

---

(١) انظر قول ابن زيد في تفسير الطبري (٢٤/ ١١٧)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٩٤٣).

(٢) انظر حكاية القول في الهداية لمكي (١٢/ ٧٩٤٣)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٥٠).

(٣) تفسير الزمخشري (٤/ ٢٨٧)، بلا نسبة.

(٤) إسناده لين، أخرجه الطبري (٢٤/ ١١٨) فقال: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، سمعته ـ يعني: خلاداً ـ يقول: سمعت أبا سعيد، وكان قرأ القرآن على أبي هريرة قال: ما قرأت القرآن إلا على أبي هريرة، هو أقرأني، وقال في هذه الآية: ﴿وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡ﴾ قال: هي المفاصل. خلاد: هو ابن سليمان ثقة، وأبو سعيد وقيل: أبو سعد هو الغفاري، مترجم في تعجيل المنفعة (ص: ٤٨٨) وهو مجهول الحال.

(٥) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٠٧).

وقال بعضهم: «الْأَسْرُ»: القوة، ومنه قول الشاعر / : [٥/ ٢٦٢]

فَأَنْجاهُ غَداةَ الْمَوْتِ مِنِّي شَدِيدُ الأَسْرِ عَضَّ عَلَى اللِّجامِ[١] [الوافر]

وقول الآخر:

مِنْ كُلِّ مُجْتَنَبٍ شَدِيدٍ أَسْرُهُ سَلِسِ الْقِيَادِ تَخالُهُ مُخْتالا[٢] [الكامل]

قال الطبري: ومنه قول العامة: خذه بأَسره، يريدون: خذه كله[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وأَصل هذا فيما له شدٌّ ورباط كالعظم ونحوه، وليس هذا مما يختص بالعامة، بل هو من فصيح كلام العرب، اللهم إِلَّا أَن يريد بالعامة: جمهور العرب، ومن اللفظة الإِسارُ، وهو القِدُّ الذي يُشدُّ به الأَسير.

ثم توعَّد تعالى بالتبديل، واجتمع من القولين ـ تعديد النعمة والوعيد بالتبدل ـ احتجاج على مُنكري البعث، أَي: مَنْ هذا الإِيجادُ والتبديلُ ـ إِذا شاءَ ـ في قُدرته فكيف تتعذر عليه الإِعادة؟.

---

(١) لم أجده، وقد جاءت هذه العبارة في أشعار مشهورة منها قول المعرور أحد بني تيم الرباب لكلدة ابن الحارث كما في معجم الشعراء (ص: ٤٦٩): فأنت حبوتني بعنان طرف... شديد الأسر ذي بذل وصون. وقول أوس بن غلفاء الهجيمي في المفضليات (ص: ٣٨٧): بكل منفق الجرذان مجر... شديد الأسر للأعداء حام، وقول يزيد بن مخرم بن حزن الحارثي كما في معجم الشعراء (ص: ٤٩٤): متى ما تلقني تعلم بأني... شديد الأسر طلاع النجاد. وقول عمر بن مصعب كما في نسب قريش (ص: ٢٤٩): إن يبقه الله فإني به... عنك شديد الأسر والمنكب، وقول لبيد في تفسير الثعلبي (١٠/ ١٠٧) ساهم الوجه شديد أسره... مغبط الحارك محبوك الكفل. وقول الأقيشر في الأغاني (١١/ ٢٧٢): شديد الأسر ينبض حالباه... يحم كأنه رجل سقيم. وقول آخر كما في الزاهر (١/ ٤٨٩): شديد الأسر يحمل أريحياً أخا ثقة إذا الحدثان نابا. وقول غيره: شديد الأسر فرج منكباه... عن الكتف العريضة والجران. إلى غير ذلك.

(٢) البيت للأخطل كما في تفسير الطبري (٢٤/ ١١٨)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٠٧)، وفي الأصل: «محتدب»، وفي الأسدية ٣: «محتلث».

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ١١٨).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾: يَحْتمل أَن يشير إِلى هذه الآية، أَو إِلى السورة بأَسرها، أَو إِلى الشريعة بجملتها.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ﴾: ليس على جهة التخيير، بل فيه قرينة التحذير والحض على اتخاذ السبيل، و«السَّبيلُ» هنا: سبيل النجاة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ نَفْي لقدرتهم على الاختراع وإِيجاد المعاني في نفوسهم، ولا يردُّ هذا ما لهم من الاكتساب والميل إِلى الكفر.

وقرأَ عبد الله: (وَمَا تَشاؤونَ إِلَّا ما شاءَ اللهُ)[١].

وقرأَ يحيى بن وثاب: (تِشَاؤونَ) بكسر التاءِ[٢].

وقوله تعالى: ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ معناه: يعلم ما ينبغي أَن يُيَسِّر عبده إِليه، وفي ذلك حكمة لا يعلمها إِلَّا هو.

و(الظالمين) نصب بإِضمار فعل تقديره: ويُعَذِّب الظالمين أَعَدَّ لهم.

وفي قراءة ابن مسعود: (ولِلظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ) بتكرير اللام[٣].

وقرأَ جمهور السبعة: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ بالتاءِ على المخاطبة.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿يَشَاؤونَ﴾ بالياءِ[٤].

وقرأَ الزبير، وأَبان بن عثمان، وابن أَبي عبلة: (وَالظَالِمونَ) بالرفع[٥].

قال أَبو الفتح: ذلك على ارتجال جملة مستأنفة.

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٤/ ١١٩).

(٢) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٢١).

(٣) انظر تفسير الطبري (٢٤/ ١٢٠).

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢١٨).

(٥) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٣٤٤)، وفي الحمزوية وأحمد٣ ونور العثمانية ونجيبويه: «ابن الزبير».

سورة المرسلات

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المرسلات

وهي مكية في قول جمهور المفسرين، وحكى النقاش أَنه قيل: إِن فيها من المدني قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ﴾(١)، على قول من قال: إِنها حكاية عن حال المنافقين، وإِنها بمعنى قوله تعالى: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]، وقال ابن مسعود: نزلت هذه السورة ونحن مع رسول الله ﷺ [بحراء خيبر](٢)، الحديث بطوله(٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾.

---

(١) وهي الآية (٤٨) من السورة.

(٢) سقط من نور العثمانية، وفي المطبوع وأحمد٣: «بخيبر».

(٣) متفق عليه ولكن بلفظ آخر، أخرجه البخاري (٣٣١٧)، ومسلم (٢٢٣٤) عن عبد الله قال: كنا مع النبي ﷺ في غار وقد أنزلت عليه ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ فنحن نأخذها من فيه رطبة، إذ خرجت علينا حية، فقال: اقتلوها، فابتدرناها لنقتلها فسبقتنا، فقال رسول الله ﷺ: «وقاها الله شركم كما وقاكم شرها».

قال كثير من المفسرين: (الْمُرْسَلَاتُ): الرُّسُل إِلى الناس من الأَنبياءِ عليهم السلام، كأَنه تعالى قال: والجماعات المرسلات، وقال أَبو صالح، ومقاتل[١]، وابن مسعود: (المرسلات): الملائكة المرسلة بالوحي وبالتعاقب على العباد طرفي النهار[٢]، وقال ابن مسعود أَيضاً، وابن عباس[٣]، ومجاهد، وقتادة: (المرسلات): الرياح[٤]، وقال الحسن بن أَبي الحسن: (المرسلاتُ): السحاب[٥].

و﴿عُرۡفٗا﴾ معناه على القول الأَول: عُرْفاً من الله وإِفضالاً على عباده ببعثه الرسل عليهم السلام، ومنه قول الشاعر:

[البسيط] مَـنْ يَفْعَـلِ الْخَيْـرَ لا يَعْـدَمْ جَوازيَهُ ... لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ والنَّاسِ[٦]

ويحتمل أَن يريد بقوله: ﴿عُرۡفٗا﴾ متتابعة، على التشبيه بتتابع عُرف الفرس وأَعراف الجبال ونحو ذلك، والعرب تقول: الناسُ إِلى فلان عُرْفٌ واحد، إِذا توجهوا إِليه.

ويحتمل أَن يريد بـ«العرف»، أَي: بالحق والأَمر بالمعروف.

وهذه الأَقوال في ﴿عُرۡفٗا﴾ تَتَّجه في قول من قال: (المرسلات) هي الملائكة.

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٠٨)، وتفسير الطبري (٢٤/ ١٢٤)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٧٥).

(٢) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (٢٤/ ١٢٤) من طريق شعبة، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود في قوله ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا﴾. قال: الملائكة.

(٣) أثر ابن عباس أخرجه الطبري (٢٤/ ١٢٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه بنحوه، أما أثر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فأخرجه الطبري (٢٤/ ١٢٢) من طريق النضر بن شميل، عن المسعودي، عن سلمة بن كهيل، عن أبي العبيدين معاوية بن سبرة، عن ابن مسعود به. والنضر سماعه من المسعودي قديم، فالإسناد جيد.

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ١٢٢-١٢٤)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٠٨).

(٥) البحر المحيط (١٠/ ٣٧٣).

(٦) البيت للحطيئة كما في الحيوان (٦/ ٤٩٥)، وعيون الأخبار (٣/ ٢٠٠)، والكامل للمبرد (٢/ ١٤٠)، والأغاني (٢/ ١٦٦).

ومن قال: إن (المُرْسَلَاتِ) هي الرياح، اتجه في «العرف» القول الأول[1] على تخصيص الرياح التي هي نِعَمٌ، وبها الأَرزاق والنجاة في البحر وغير ذلك مما لا نقمة فيه، ويكون الصنف الآخر من الريح في قوله تعالى: ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾.

ويحتمل أَن يكون ﴿عُرْفًا﴾ بمعنى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾: الرياحُ التي يعرفها الناس ويعهدونها، ثم عقَّب بذكر الصنف المستنكر الضارِّ وهي (العاصفات).

ويحتمل أَن يريد بـ «العرف» مع الرياح: التَّتابع كعُرف الفرس ونحوه، وتقول العربُ: هبَّ عُرف من ريح، والقول في «العُرف» مع أَن (المرسلات) هي الرياح يطَّرد على أَن (المرسلات) هي السحاب.

وقرأ عيسى: (عُرُفاً) بضم الراءِ[2].

و«العاصفُ من الريح»: الشديدة العاصفة للشجر وغيره.

واختلف الناس في قوله: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ﴾:

فقال مقاتل، والسُّدي: هي الملائكة تنشر صحف العباد بالأَعمال[3]، وقال ابن مسعود[4]، والحسن، ومجاهد، وقتادة: هي الرياح تنشر رحمة الله تعالى ومطره[5].

[وقال بعض المتأَولين: (الناشراتُ): الرِّمم الناشرات[6] في بعث يوم القيامة، يقال: نشر الميت، ومنه قول الأَعشى:

.... يَـا عَـجَباً لِلْمَيِّـتِ النَّـاشِـرِ[7] [السريع]

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «أن يقال التأول».

(٢) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٩٧).

(٣) انظر قول السدي في تفسير الطبري (٢٤/ ١٢٧)، وقول مقاتل في تفسير الثعلبي (١٠/ ١٠٩).

(٤) صحيح، انظر أثر عبد الله بن مسعود المتقدم.

(٥) انظر قول مجاهد وقتادة في تفسير الطبري (٢٤/ ١٢٦-١٢٧)، وقول الحسن في تفسير الثعلبي (١٠/ ١٠٩).

(٦) في الأسدية ٤: «الناشرة»، وكل هذا سقط من المطبوع والأسدية ٣.

(٧) صدره: حَتَّى يقولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا. وتقدم في تفسير الآية (٢٤٩) من (سورة البقرة).

وقيل: (الناشراتُ): البقاعُ التي تحيا بالأَمطار، شبهت بالميِّت يُنشر.

وقال أَبو صالح: (الناشرات): الأَمطار تحيي الأَرض][١].

وقال بعض المتأولين: (النَّاشِراتِ): طوائف الملائكة التي تباشر إخراج الموتى من قبورهم للبعث، فكأنهم يحيونهم.

[٥/ ٢٦٣] و(الفارقات): قال ابن عباس، وابن مسعود[٢]، وأَبو صالح، ومجاهد، / والضحاك: هي الملائكة تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام.

وقال قتادة، والحسن، وابن كيسان: (الفارقاتُ): آياتُ القرآن[٣].

وأَمَّا (المُلقيات ذكراً) فهي في قول الجمهور: الملائكة؛ قال مقاتل: جبريل عليه السلام ونحوه[٤]، وقال آخرون: هي الرسل عليهم السلام.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ﴾ بسكون اللام، أَي: تُلقيه من عند الله تعالى وبأَمره إِلى الرسل عليهم السلام.

وقرأَ ابن عباس فيما ذكر المهدوي: (فَالمُلَقَّياتِ)[٥] بفتح اللام وفتح القاف وشدها، أَيْ: تَلَقَّاه من قبَل الله تعالى[٦].

وقرأَ ابن عباس أَيضاً: (فالمُلَقِّياتِ) بفتح اللام وشدِّ القاف وكسرها[٧]، أَي:

---

(١) سقط من المطبوع، وانظر تفسير الطبري (٢٤/ ١٢٧)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٩٥٣)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٠٩)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٧٦).

(٢) أثر عبد الله بن عباس أخرجه الطبري (٢٤/ ١٢٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه بلفظ: الملائكة، وأما أثر ابن مسعود فلم أهتد إليه، وأخرجه ابن المنذر في تفسيره كما في الدر المنثور (١٥/ ١٧٥) عن ابن عباس قال: الملائكة فرقت بين الحق والباطل.

(٣) انظر القولين في تفسير الثعلبي (١٠/ ١٠٩).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) في المطبوع: «فالملقات».

(٦) وهي شاذة، انظر التحصيل للمهدوي (٦/ ٥٦٥).

(٧) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٤٥)، ومختصر الشواذ (ص: ١٦٧)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٩٧).

تُلقيه هي للرسل عليهم السلام، و«الذِّكْرُ»: الكتبُ والشرائع ومُضَمَّناتها.

واختلف القراءُ في قوله تعالى: ﴿عُذْرًا أَوْنُذْرًا﴾:

فقرأَ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وعاصم في رواية أَبي بكر، وأَبو جعفر، وشيبة بسكون الذَّال في ﴿عُذْرًا﴾ وضمها في ﴿نُذُراً﴾.

وقرأَ أَبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وإِبراهيم التَّيمي بسكون الذال فيهما[١].

وقرأَ طلحة، وعيسى، والحسن بخلاف، وزيد بن ثابت، وأَبو جعفر وأَبو حيوة، والأَعمش عن أبي بكر عن عاصم بضمها فيهما[٢].

وإِسكانُ الذال على أَنهما مصدران، يقال: عُذْرٌ وعذيرٌ، ونُذْر ونذير، كنكير ونُكْر، وضم الذال يصحُّ معه المصدر، ويصح أَن يكون جمعاً لنذير وعاذر، واللذين هما اسما فاعل، والمعنى: أَن الذِّكْر يُلْقى بإِعذارٍ وإِنذارٍ، أَوْ يُلقيه مُعْذِرون ومُنذِرون.

وأَما النصب في قوله تعالى: ﴿عُذْرًا أَوْنُذْرًا﴾ فيصح إذا كانا مصدرين أن يكون ذلك على البدل من «الذِّكْر»، ويصح أن يكون على المفعول للذِّكْر، كأنه تعالى قال: فالمُلْقيات أنْ يذكُر عُذْراً، ويصح أن يكون ﴿عُذْرًا﴾ مفعولاً من أجله، أي: يلقى الذكر من أجل الإعذار[٣] والإنذار[٤] وأما إذا كان ﴿عُذْرًا أَوْنُذْرًا﴾ جمعاً فالنصب على الحال.

وقرأَ إِبراهيم التَّيمي: (عُذْراً وَنُذْراً) بواوٍ بدل ﴿أَوْ﴾[٥].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢١٨).

(٢) وهي عشرية لروح عن يعقوب كما في النشر (٢/ ٢١٧)، وانظر عزوها للحسن وعاصم في الشواذ للكرماني (ص: ٤٩٨)، وفي المطبوع ونجيبويه: «عن ابن كثير عن عاصم»، وهو خطأ.

(٣) سقطت من نجيبويه.

(٤) و«الإنذار» مثبتة من المطبوع ونجيبويه.

(٥) انظر تفسير القرطبي (١٩/ ١٥٦).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾، هذا الذي وقع عليه القسم، والإشارة إلى البعث.

و«طَمْسُ النجوم»: إزالةُ أضوائها، واستواؤُها مع سائر جرم السماءِ.

و«فَرْجُ السماءِ»: هو بانفطارها حتى تحدث فيها فروج.

و«نَسْفُ الجِبَالِ»: هو بعد التَّسيير، وقيل: كونها هباءً وهو تفريقها بالريح.

وقرأ جمهور القراء: ﴿أُقِّتَتْ﴾ بالهمزة وشدِّ القاف.

وقرأ بتخفيف القاف مع الهمز عيسى، وخالد[١].

وقرأ أبو عمرو وحده: (وُقِّتَتْ) بالواو، وقرأ بها أبو الأشهب، وعيسى، وعمرو ابن عبيد[٢].

قال عيسى: هي لغة سُفْلى مضر[٣].

وقرأ أبو جعفر بواو واحدة خفيفة القاف، وهي قراءة ابن مسعود، والحسن[٤].

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: ﴿وُوقِتَتْ﴾ بِواوَيْن، على وزن فُوعلت[٥].

والمعنى: جُعل لها وقت مُنتَظَر فجاءَ وحانَ، والواو في هذا كله هي الأَصل، والهمزة بدل.

وقوله تعالى: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ تعجيب وتوقيف على عِظَم ذلك اليوم وهوله، ثم فسَّر تعالى ذلك الذي عجَّب منه بقوله: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ يعني تعالى: بَيْن الخلق في

---

(١) هو خالد بن إلياس، تقدم، وفي نجيبويه: «وخلف»، وأشار لها في هامش المطبوع، وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (١٠/ ١٠٩).

(٢) وهي والأولى سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦٦٦)، وانظر تفسير الثعلبي (١٠/ ١٠٩).

(٣) انظر قوله في البحر المحيط (١٠/ ٣٧٥).

(٤) وهي عشرية، انظر النشر (٢/ ٣٩٧)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٠٩)، وتفسير الطبري (٢٤/ ١٣٠).

(٥) وهي شاذة، انظر تفسير القرطبي (١٩/ ١٥٨)، والبحر المحيط (١٠/ ٣٧٥).

منازعتهم وحسابهم ومنازلهم من جنة أَو نار، ومن هذه الآية انتزع القضاةُ الآجال في الحكومات ليقع فصل القضاءِ عند تمامها، ثم عظَّم سبحانه يوم الفصل بقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾، على نحو قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ٣] وغير ذلك، ثم أَثبت تعالى الويل للمكذبين في ذلك اليوم، والمعنى: للمكذِّبين به في الدنيا وبسائر فصول الشرع، و«الْوَيْلُ»: هو الحرب والحزن على نوائب تحدث بالمرءِ.

ويُروى عن النعمان بن بشير، وابن مسعود، وعمار بن ياسر أَن وادياً في جهنم اسمه الْوَيْلُ(١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٧ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٩ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٢٠ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ۝٢٢ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ۝٢٣ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٢٤ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ۝٢٦ وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ۝٢٧ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٢٨﴾.

قرأَ جمهور القراءِ: ﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ﴾ بضم العين على استئناف الخبر.

وقرأَ أَبو عمرو فيما رُوي عنه: (ثُمَّ نُتْبِعْهُمْ) بجزم العين عطفاً على ﴿نُهۡلِكِ﴾، وهي قراءة الأَعرج(٢)، وعلى حسب هاتين القراءتين يجيءُ التأْويل في ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ﴾:

فَمَنْ قرأَ الأُولى جعل ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: الأُممَ التي تقدمت قريشاً بأَجمعها، ثم أَخبر تعالى أَنه يُتْبِعُ ﴿ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ مِنْ قريش سِيَرَ أُولئك إِذا كفروا وسلكوا سبيلهم.

---

(١) أثر ابن مسعود أخرجه الطبراني في الكبير (٩١١٤) من طريق يحيى الحماني، عن شريك، عن الأعمش، عن ذر، عن وائل بن مهانة، عن عبد الله بن مسعود قال: ﴿وَيۡلٞ﴾ وادي في جهنم من قيح، ويحيي بن عبد الحميد الحماني ضعيف، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور (٤٥٠) من طريق العلاء بن مسيب، عن أبيه، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال: ﴿وَيۡلٞ﴾ واد في جهنم يسيل فيه صديد أهل النار جعل للمكذبين. ولم أهتد لقول النعمان بن بشير، وعمار بن ياسر، وسقطت عبارة «ابن مسعود» من الأصل.

(٢) وهي شاذة، انظر السبعة (ص: ٦٦٦)، والمحتسب (٢/ ٣٤٥).

ومَـنْ قرأَ الثانية جعل ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: قومَ نوح وإبراهيم ومن كان معهم، و﴿ٱلْآخِرِينَ﴾: قوم فرعون وكلَّ من تأَخَّر وقرب من مُدَّة محمد ﷺ.

وفي حرف عبد الله: (وَسَنُتْبِعُهُم)[١].

ثم قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾، أَي: في المستقبل، فتدخل هنا قريش وغيرها من الكفار.

وأَما تكرار قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ في هذه السورة فقيل: إن ذلك بمعنى التأْكيد فقط، وقيل: بل في كل آية منها ما يقتضي التصديق، فجاءَ الوعيد على التكذيب بذلك الذي في الآية.

ثم وقف تعالى على أَصل الخلقة التي يقتضي النظر فيها تجويز البعث.

و«الْمَاءُ الْمَهِينُ» معناه: الضعيف، وهو المنيُّ من الرجل والمرأَة.

و«الْقَرَارُ الْمَكِينُ»: الرَّحِمُ، وبطن المرأَة.

و«الْقَدَرُ الْمَعْلُومُ»: وقتُ الولادة، ومعلوم عند الله تعالى في شخص شخص، وأَما عند الآدميين فيختلف، فليس بمعلوم قَدَر شخص بعينه.

وقرأَ علي بن أَبي طالب رضي الله عنه، ونافع، والكسائي: ﴿فَقَدَّرْنَا﴾ بتشديد الدال.

وقرأَ الباقون بتخفيفها[٢]، وهما بمعنى، من القُدْرة والقدر، ومن التقدير والتوقيف[٣].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْقَـٰدِرُونَ﴾ يُرَجِّح قراءة الجماعة، أَما إِن ابن مسعود روى عن النبي ﷺ أَنه فسَّر «القادرين» بالْمُقَدِّرين[٤].

---

(١) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٢٣).

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢١٨).

(٣) في الأسدية ٤ والأسدية ٣ ونور العثمانية ونجيبويه: «التوقيت».

(٤) لم أهتد إليه.

وقرأ ابن أَبي عبلة: (فَقَدَّرنا) بشد الدال: (فَنِعْمَ المُقْتَدِرونَ)(١).

و«الْكِفاتُ»: الستر والوعاءُ الجامع للشيءِ / بإجماعٍ، تقول: كَفَت الرجل شعره: [٥/ ٢٦٤] إِذا جمعه بخرقة، فالأَرضُ تكْفِتُ الأَحياءَ على ظهرها، وتكْفِتُ الأَمواتَ في بطنها.

و﴿أَحْيَآءً﴾ ـ على هذا التأْويل ـ معمول لقوله: ﴿كِفَاتًا﴾؛ لأَنه مصدر.

وقال بعض المتأَولين: ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾: إِنما هو بمعنى أَن الأَرض فيها أَقطارٌ أَحياءٌ وأَقطارٌ أَموات، يراد: ما يُنبت وما لا يُنبت، فنصب﴿أَحْيَآءً﴾ ـ على هذا ـ إِنما هو على الحال من ﴿ٱلْأَرْضَ﴾، والتأْويل الأَول أَقوى.

وقال بُنَان: خرجنا مع الشعبي إِلى جنازة فنظر إِلى الجبانة فقال: هذه كِفاتُ الموتى، ثم نظر إِلى البيوت فقال: هذه كِفاتُ الأَحياءِ(٢).

وكانت العرب تُسمي بَقيع الْغَرْقد: كَفْتَةً؛ لأَنه مقبرةٌ تضم الموتى.

وفي الحديث: «خَمِّروا آنِيَتَكُم، وأَوْكُوا أَسْقِيَتَكُم، واكْفِتُوا صِبْيَانكُم، وأَجيفُوا أَبْوابكم، وأَطْفِئُوا مَصابِيحَكُمْ»(٣).

ودفن ابن مسعود قَملة في المسجد ثم قرأَ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾(٤).

---

(١) وهي شاذة، لم أجده له فيها سلفاً ولا خلفاً.

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ١١٠)، وبنان هو الصفار، لم أجد له ترجمة.

(٣) ضعيف بهذا اللفظ، أخرجه الطبراني في الصغير (١١٤٨) من طريق أبي مسلم عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله الأنصاري به، وعبيد الله بن سعيد قائد الأعمش ضعيف، والحديث أصله في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم، فإن الشيطان ينتشر حينئذٍ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم، وأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله؛ فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً، وأوكوا قربكم، واذكروا اسم الله، وخمروا آنيتكم، واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئاً، وأطفئوا مصابيحكم». وانظر البخاري (٣٣٠٤)، ومسلم (٢٠١٢).

(٤) ضعيف، أخرجه عبد الرزاق (١٧٤٧)، وابن أبي شيبة (٧٥٦٨)، والطبري (٢٤/ ١٣٤)، والبيهقي =

ولما كان القبر كِفاتاً كالبيت، قُطع من سرق منه(١).

و«الرَّوَاسِي»: الجبالُ؛ لأَنها رَسَتْ، أَي: ثبتت.

و«الشَّامِخُ»: المرتفعُ، ومنه: شمخ بأَنفه، أَي: ارتفع واستعلى، شبه(٢) المعنى بالشخص.

و«أَسْقَى»: جعله سقياً للغلات والمنافع، و«سَقَى»: معناه: للشفة خاصةً، هذا قول لجماعة من أَهل اللغة، وقال آخرون: هما بمعنى واحد.

و«الفُراتُ»: الصَّافي العذب، ولا يقال لِلْمِلْح فُراتٌ، وهي لفظة تجمع ماءَ المطر ومياه الأَنهار، وخص النهر المشهور هذا تشريفاً له، وهو نهر الكوفة، وسيحان هو نهر بلخ، وجيحان هو نهر دجلة، والنيل نهر مصر.

وحُكي عن عكرمة أَن كل ماءٍ في الأَرض فهو من هذه(٣)، وفي هذا بُعد، والله تعالى أَعلم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

الضمير في قوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ هو للمكذبين الذين لهم الويل، يقال لهم: انطلقوا إِلى ما كنتم به تكذبون من عذاب الآخرة.

= في الكبرى (٢/ ٢٩٤) من طريق مسلم بن كيسان المُلائي، عن زاذان، عن الربيع بن خثيم، عن عبد الله بنحوه، ومسلم بن كيسان الضبي المُلائي البراد الأعور ضعيف.

(١) السارق من القبر: هو النباش، وقد قال بقطعه سعيد بن المسيب وعمر بن عبد العزيز وعطاء وربيعة والشعبي ومالك كما في المدونة (٤/ ٥٣٧)، والشافعي كما في الأم (٦/ ١٦١)، وأحمد والحسن وقتادة وحماد والنخعي وإسحاق وأبو ثور كما في المغني (٩/ ١٣١).

(٢) «شبه» ساقطة من الأصل.

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ١٣٥-١٣٦).

ولا خلاف في كسر اللام من قوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ في هذا الأَمر الأَول.

وقرأَ يعقوب في رواية رويس: ﴿انطَلَقُوا إلى ظل﴾ بفتح اللام[1]، على معنى الخبر.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ بكسر اللام، على معنى تكرير الأَمر الأَول، وبيان الْمُنْطَلَق إِليه.

وقال عطاءٌ: (الظِّلُّ الذي له ثلاث شُعب): هو دخان جهنم[2].

رُوي أَنه يعلو من ثلاثة مواضع فيراه الكفار فيظنون أَنه مُغْن فيهرعون إِليه فيجدونه على أَسوأ وصف. وقال ابن عباس: هذه المخاطبة إِنما تقال يومئذ لِعَبَدَةِ الصَّليب إِذا اتَّبع كل أَحد ما كان يعبد، فيكون المؤمنون في ظل الله تعالى[3]، ولا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، ويقال لِعَبَدَة الصَّليب: انطلقوا إِلى ظِلِّ معبودكم وهو الصليب له ثلاث شُعب، والتشعب: تفرق الجسم الواحد فرقاً، ثم نفى تعالى عنه محاسن الظِّلِّ.

والضمير في ﴿إِنَّهَا﴾ لجهنم.

وقرأَ عيسى بن عمر: (بِشَرَارٍ) بأَلِف[4]، جمع شرارة، وهي لغة تميم.

و«الْقصْر» في قول ابن عباسٍ وجماعة من المفسرين: اسم نوع القُصُور[5]، وهي الأَدْؤُر الكبار مُشَيَّدَة، وقد شبهت العرب بها النُّوق، ومن المعنى قول الأَخطل:

كَـأَنَّـهـا بُـرْجُ رُومِـيٍّ يُشَـيِّـدُهُ ... لُـزَّ بِجصٍّ وَآجُـرٍّ وَجـيـارِ[6] [البسيط]

---

(١) وهي عشرية، انظر النشر (٢/ ٣٩٧).

(٢) انظر البحر المحيط (١٠/ ٣٧٧).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٩٨)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١١٠).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٣٧)، والبيهقي في البعث (٥٧١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: كالقصر العظيم.

(٦) البيت للأخطل كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ٧٢١)، وتفسير الطبري (١٩/ ٢٨٩)، والصحاح للجوهري (٢/ ٦١٩).

وقال ابن عباس: «القَصْر»: أَيضاً خشب كان في الجاهلية يُقْطع من جَزْل الحطب من النخل وغيره، على قدر الذراع وفوقه ودونه، يُسْتَعَدُّ به للشتاءِ، يُسَمَّى: القَصْر[١]، واحده قَصْرة، وهو المراد في الآية، وإِنما سُمِّي بالقَصار؛ لأَنه يخيط[٢] بالقصرة.

وقال مجاهد: «القَصْر»: حُزَمَ الحطب[٣].

وهذه قراءة الجمهور.

وقرأَ ابن عباس أَيضاً وابن جبير: (كَالْقَصَر) بفتح الصاد، جمع قَصَرَة[٤]، وهي أَعناق النخل[٥] والإِبل، وكذلك هي أَيضاً في الناس.

وقال ابن عباس: جذور النخل[٦].

وقرأَ ابن جُبَيْر أَيضاً والحسن: (كالْقِصَرِ) بكسر القاف وفتح الصاد[٧]، وهي جمع قَصْرَة كَحَلْقَةٍ وحِلَق من الحديد.

واختلف الناس في «الجِمالات»، فقال جمهور المفسرين: هي جمع جِمال، على تصحيح البناءِ كرجال ورجالات، وقال آخرون: أَراد بـ«الصُّفْرِ»: السُّودَ، وأَنشدوا على ذلك بيت الأَعشى:

[الخفيف] تِلْكَ خَيْلي مِنْك وَتِلْكَ رِكَابي ... هُنَّ صُفْرٌ أَوْلادُها كالزَّبِيبِ[٨]

---

(١) أخرج البخاري (٤٩٣٢) وغيره من طريق عبد الرحمن بن عابس قال: سمعت ابن عباس ﴿إِنَّهَا تَرۡمِى بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ﴾ قال: كنا نرفع الخشب بقصر ثلاثة أذرع أو أقل، فنرفعه للشتاء، فنسميه القصر.

(٢) في المطبوع: يحيط، وفي نور العثمانية: «يحفظ».

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ١٣٨)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١١٠)، والمحتسب (٢/ ٣٤٥).

(٤) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (١٠/ ١١٠).

(٥) في المطبوع وأحمد٣ والأسدية٣: «الخيل».

(٦) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٧) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٩٨)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١١٠).

(٨) البيت للأعشى كما تقدم في تفسير الآية (٧١) من (سورة البقرة).

وقال جمهور الناس: بل «الصُّفْرُ»: الفاقعة؛ لأَنها أَشبه بلون الشَّرَر، وشبَّه الشَّرر بـ(الجمالات).

وقرأَ الحسن: (صُفُرٌ) بضم الصَّادِ والفاءِ[1].

وقال ابن عباس، وابن جبير: «الجمالات» قلُوسُ من السفن[2]، وهي حبالها[3] العظام إِذا جمعت مستديرة بعضها إِلى بعض جاءَ منها أَجرام عظام.

وقال ابن عباس: «الجمالاتُ» قِطعُ النحاس الكبار[4]، وكأن اشتقاق هذه اللفظة من اسم الجملة.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿جِمَٰلَتٌ﴾ بكسر الجيم، لحقت التاءُ جمالاً لتأْنيث الجمع فهي كَحَجَر وحِجارة.

وقرأَ ابن عباس، وأَبو عبد الرحمن، والأَعمش: (جُمالَةٌ) بضم الجيم[5].

وقرأَ باقي السبعة والجمهور وعمر بن الخطاب رضي الله عنه: ﴿جِمالاتٌ﴾ على ما تفسَّر بكسر الجيم[6].

وقرأَ ابن عباس أَيضاً، وقتادة، وابن جبير، والحسن، وأَبو رجاءٍ بخلاف عنهم: ﴿جُمالاتٌ﴾ بضم الجيم، واختُلف عن نافع، وأَبي جعفر، وشيبة[7].

---

(١) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٩٨).

(٢) أخرج البخاري (٤٩٣٣) من طريق عبد الرحمن بن عابس، عن ابن عباس قال: حبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال، وأخرجه الطبري (٢٤/ ١٤٠) من نفس الطريق قال: قلوس سفن البحر فذكره بنحوه، وقول ابن جبير في تفسير الثعلبي (١٠/ ١١١).

(٣) في المطبوع ونجيبويه: «جمالاتها».

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٤١)، والبيهقي في «البعث» (٥٧١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه، بنحوه.

(٥) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٤٦).

(٦) وهي والأولى سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢١٨).

(٧) وهي عشرية لرويس، انظر النشر (٢/ ٣٩٧).

وكأن ضم الجيم فيهما من الجملة لا من الجمل، وكسرها من الجمل لا من الجملة.

ولما ذكر تعالى المكذبين قال مخاطباً لمحمد ﷺ: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ﴾، أي في يوم القيامة أَسكتتهم الهيبة وذُلُّ الكفر، وهذا في موطن خاص[1] بأنهم لا / ينطقون [٥/ ٢٦٥] فيه؛ إِذ قد نطق القرآن بنطقهم: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا﴾ [النساء: ٧٥]، ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا﴾ [غافر: ١١]، فهي مواطن.

و﴿يَوۡمُ﴾ مضاف إلى قوله تعالى: ﴿لَا يَنطِقُونَ﴾.

وقرأ الأَعرج، والأَعمش، وأَبو حيوة: (هَذَا يَوْمَ)[2]، بالنصب لما أضيف إِلى غير متمكن بناه، فهي فتحة بناءٍ، وهو في موضع رفع.

ويحتمل أَن يكون ظرفاً وتكون الإِشارة بـ﴿هَٰذَا﴾ إِلى رَمْيِها بشَرَر كالقصر.

وقوله تعالى: ﴿فَيَعۡتَذِرُونَ﴾ معطوف على ﴿يُؤۡذَنُ﴾، ولم ينصب في جواب النفي لتشابه رؤوس الآي، والوجهان جائزان.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ﴾ مخاطبة للكفار يومئذ.

و«الأَولُونَ» المشار إِليهم: قوم نوح وغيرهم ممن جاءَ في صدر الدنيا وعلى وجه الدهر.

ثم وقف تعالى عبيده الكفار المستوجبين عقابه بقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ﴾، أَي: إِن كان لكم حيلةٌ أَو مكيدة تُنْجيكم فافعلوها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

---

(١) كتبت في الأصل: «قاض».

(٢) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (١٠/ ٣٧٨).

ذَكَر تعالى حالة المتقين بعَقِبَ ذِكْر حالة أَهل النار ليبين الفرق، و«الظِّلالُ» في الجنة: عبارة عن تكاثف الأَشجار وجودة المباني، وإِلَّا فلا شمس تؤذي هنالك حتى يكون ظِلٌّ يجير من حرِّها.

وقرأَ الجمهور: ﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾، وقرأَ الأَعرج، والأَعمش: (في ظُلَلٍ) بضم الظاءِ[1].

و«العيونُ»: الماءُ النابع.

وقوله تعالى: ﴿مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾: إِعلامٌ بأَن المأْكل والمشرب هنالك إِنما يكون برسم شهواتهم، بخلاف ما هي الدنيا عليه، فإِن ذلك فيها شاذٌّ نادر، والعُرْف أَن المرءَ يردُّ شهوتَه إِلى ما يقتضيه وُجْده، وهنا محذوف يدل عليه اللفظ، تقديره: يقال لهم: كلوا.

و﴿هَنِيٓـًٔا﴾ نصب على الحال، ويجوز أَن يكون نصبه على جهة الدعاءِ.

والكاف في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كاف تشبيه، والإِشارة بـ: (ذلك) إِلى ما ذكره من تنعيم أَهل الجنة.

وقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟﴾ مخاطبة لقريش، على معنى: قل لهم يا محمد، وهذه صيغة أَمْر معناها التهديد والوعيد، وقد بَيَّنَ ذلك قوله: ﴿قَلِيلًا﴾.

ثم قرر تعالى لهم الإِجرام الموجب لتعذيبهم، وقال مَن جعل السورة كلَّها مكية: إِن هذه الآية في كفار قريش، وقال مَن جعل هذه الآية منها مدنية: إِن هذه الآية نزلت في المنافقين، وقال مقاتل: نزلت في ثقيف لأَنهم قالوا للنبي ﷺ: حُطَّ عنا الصلاة فإِنَّا لا نَنحَني لأَنها مَسَبَّة، فأَبى رسول الله ﷺ وقال: «لا خير في دين لا صلاة فيه»[2].

---

(١) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٩٩).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٩/ ١٦٨) عن مقاتل بلفظ: «لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود»، وأورده الثعلبي في تفسيره (٦/ ١١٦-١١٧) عن ابن عباس رضي الله عنه بنحوه، وقد أخرجه أحمد (٤/ ٢١٨)، وأبو داود (٣٠٢٦)، وابن خزيمة في صحيحه (١٣٢٨)، والطبراني في الكبير (٨٣٧٢)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٤٤٤) من طرق عن حماد بن سلمة، عن حميد الطويل، عن الحسن، عن =

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾، قيل: هي عن حكاية حال المنافقين في الآخرة إِذا سجد الناس فأَرادوا هم السجود فانصرفت أَصلابهم إِلى الأَرض وصارت[1] فقاراتهم كصياصي البقر، قاله ابن عباس وغيرُه[2].

وقال قتادة في آخرين: هذه حال كفار قريش في الدنيا، كان رسول الله ﷺ يدعوهم وهم لا يجيبون[3]، وذِكْرُ الركوع عبارة عن جميع الصلاة، هذا قول الجمهور.

وقال بعض المتأَولين: عنى بالركوع التواضُعَ، كما قال الشاعر:

[الطويل] .... تَرَى الأُكْمَ فِيهَا سُجَّداً لِلحَوافِرِ[4]

أَيْ: مُتَذَلِّلة، وتأَول قتادة الآية: قاصدة الركوع نفسه، وقال: عليكم بحسن الركوع، والذي أَقول: إِن ذكْر الركوع هنا وتخصيصه من بين سائر أَحوال العبادة إِنما كان؛ لأَن كثيراً من العرب كان يَأنف من الركوع والسجود، ويراها هيئة مُنكرة، لما كان في أَخلاقهم من العجرفة، أَلا تَرَى أَن بعضهم قد سئل فقيل له: كيف تقول: استخذأْتُ أَو اسْتَخْذَيْتُ؟ فقال: كلٌّ لا أَقول، قيل له: لِمَ؟ قال: لأَن العرب لا تستخذي[5]. فظن أَنه سئل عن المعنى، ولم يفهم أَنه سُئِل عن اللفظ، وفي كتاب السِّير عن بعض العرب:

= عثمان بن أبي العاص أن وفد ثقيف لما قدموا على رسول الله ـ ﷺ ـ أنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم فاشترطوا عليه أن لا يحشروا ولا يعشروا ولا يجبوا فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «لكم أن لا تحشروا ولا تعشروا ولا خير في دين ليس فيه ركوع»، والحسن البصري مدلس وقد عنعن، وقال المزي: وقيل لم يسمع من عثمان بن أبي العاص.

(١) «وصارت» ساقطة من الأصل.

(٢) لم أقف عليه من قول ابن عباس، وفي الباب عن عبد الله بن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهم، وقد سبق عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (سورة القلم) آية رقم (٤٢).

(٣) انظر تفسير الطبري (٢٤/ ١٤٤).

(٤) تقدم في تفسير الآية (٣٤) من (سورة البقرة).

(٥) عيون الأخبار (١/ ٤١١).

أَنه استعفى متكلماً عن قومه ونفسه رسول الله ﷺ من الصلاة، فلم يُجبه رسول الله ﷺ، بل قال له: «لا بُدَّ من الصلاة»، فقال عند ذلك: سَنُؤْتيكها وإِن كانت دناءة[1].

وقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾: يُؤَيِّد أَن الآية كلها في قريش، والحديث الذي يقتضيه الضمير في ﴿بَعْدَهُۥ﴾ هو القرآن، وهذا توقيف وتوبيخ، وروي عن يعقوب أَنه قرأَ: (تُؤْمِنونَ) بالتاءِ من فوق، على المواجهة، ورُويت عن ابن عامر[2].

(١) ذكره ابن إسحاق في السير (٤/ ١٨٣-١٨٥) معضلًا.

(٢) وهي شاذة، عزاها لهما أبو حيان في البحر المحيط (١٠/ ٣٨٠)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٩٩) للأعمش.

سُورَةُ النَّبَإ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سُورة النبأ

وهي مكية بإجماع، وليس فيها نسخٌ ولا حكم إلَّا ما قاله بعض الناس في قوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣] من أَنه منسوخ، وهو قولٌ خَلْفٌ، لأَن الأَخبار لا تُنسخ، وإِنما ذكرنا هذا القول تنبيهاً على فساده.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾.

أَصل ﴿عَمَّ﴾: «عن ما»، ثم أُدغمت النون بعد قلبها فبقي «عَمَّا» في الخبر وفي الاستفهام، ثم حذفوا الأَلف في الاستفهام فرقاً بينه وبين الخبر، ثم من العرب من يخفف الميم تخفيفاً فيقول: «عَمَّ»، وهذا الاستفهام بـ: ﴿عَمَّ﴾ هو استفهام / توقيف وتعجيب منهم. [٥/ ٢٦٦]

وقرأَ أُبَيُّ بن كعب، وابن مسعود، وعِكْرِمة، وعيسى: (عَمَّا) بالأَلف.

وقرأَ الضحاك: (عَمَّه) بهاءٍ[1]، وهذا إِنما يكون عند الوقف.

---

(١) وهما شاذتان، انظر البحر المحيط (١٠/ ٣٨٣)، وانظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٠).

و﴿ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال ابن عباس وقتادة[(١)]: هو الشرع الذي جاءَ به محمد ﷺ[(٢)].

وقال مجاهد وقتادة: هو القرآن خاصة.

وقال قتادة أَيضاً: هو البعث من القبور[(٣)].

ويحتمل الضمير في ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ أَن يريد به جميع العالَم، فيكون «الاختلاف» حينئذ يراد به: تصديق المؤمنين، وتكذيب الكافرين، ونزغات الملحدين.

ويحتمل أَن يراد بالضمير الكفار من قريش، فيكون «الاختلاف»: شك بعض وتكذيب بعض، وقولهم شِعْر وسِحْر وكهانة وجنون وغير ذلك.

وقال أكثر النحاة: وقوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ متعلق بـ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ الظاهر، كأَنه تعالى قال: لم يتساءَلون عن هذا النبأ؟

وقال الزجاج: الكلام تامٌّ في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾، ثم كان مقتضى القول أَن يُجيب مجيبٌ فيقول: «يتساءلون عن النبأ العظيم»، فاقتضى إِيجاز القرآن ببلاغته أَن يبادر المحتَجُّ بالجواب الذي تقتضيه الحالُ والمجاورةُ، اقتضاباً للْحُجَّة وإِسراعاً إِلى موضع قطعهم[(٤)]، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ﴾ [الأنعام: ١٩]، وله أَمثلة كثيرة، وقد وقع التنبيه عليها في مواضعها.

وقرأَ السبعة، والحسن، وأَبو جعفر، وشيبة، والأَعمش: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ بالياءِ في الموضعين، على ذكْر الغائب، فظاهر الكلام أَنه ردٌّ على الكفار في تكذيبهم، ووعيدٌ لهم في المستقبل، وكرر الزَّجر تأكيداً.

---

(١) في المطبوع: «قوم»، وسقطت «قتادة» من الحمزوية، ولم أقف على هذا القول معزواً لقتادة.

(٢) أخرجه ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (١٥/ ١٨٩-١٩٠) عن ابن عباس قال: القرآن.

(٣) انظر القولين في تفسير الثعلبي (١٠/ ١١٣)، والثاني في تفسير الطبري (٢٤/ ١٥٠)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٨٢).

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج (٥/ ٢٧١).

وقال الضحاك: المعنى: ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾ يعني الكفار على جهة الوعيد، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾ يعني المؤمنين على جهة الوعد[١].

وقرأ ابن عامر فيما رُوي عنه، ومالك بن دينار، والحسن بخلاف: (كَلَّا سَتَعْلَمونَ) بالتاءِ في الموضعين[٢]، على مخاطبة الحاضر، كأنه تعالى يقول: قُلْ لهم يا محمد، وكرَّر عليهم الزجر والوعد تأكيداً، وكلُّ تأويل في هذه القراءة غير هذا فمتعسِّف.

وقرأ قوم: ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾ بالياءِ على جهة الردِّ والوعيد للكفار، (ثم كَلَّا سَتَعْلَمونَ) بالتاءِ من فوق على جهة الردِّ على الكفار والوعد للمؤمنين[٣]، فالعلم في هذه الآية بمعنى «ستعرفون»، فلذلك لم يَتَعَدَّ.

ثم وقفهم تعالى على آياته وغرائب مخلوقاته وقدرته التي يوجب النظرُ فيها الإِقرارَ بالبعث والإِيمانَ بالله تعالى.

و(المِهَادُ): الفِراش الممهَّد الوطيءُ، وكذلك الأَرض لبنيتها[٤].

وقرأ مجاهد، وعيسى، وبعض الكوفيين: (مَهْداً)[٥]، والمعنى نحو الأَول.

وشبَّه سبحانه الجبال بالأَوتاد؛ لأَنها تمسك وتثقل وتمنع الأَرض أَن تميد.

و﴿أَزۡوَٰجٗا﴾ معناه: أَنواعاً في أَلوانكم وصوركم وأَلسنتكم.

وقال الزجاج وغيره: معناه مزدوجين ذكراً وأُنثى[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ١٥١)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١١٣)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٩٨٥)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٨٣).

(٢) وهي شاذة، من رواية التغلبي عن ابن ذكوان، كما في جامع البيان (٤/ ١٦٨٤)، وانظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٠).

(٣) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٠).

(٤) في حاشية المطبوع: «هكذا في جميع الأصُول».

(٥) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٦٨)، والشواذ للكرماني (ص: ٥٠٠).

(٦) معاني القرآن للزجاج (٥/ ٢٧٢)، وفي المطبوع: «وقال قوم»، وفي الحمزوية بياض.

و«السُّبات»: السُّكُونُ، وسَبَتَ الرجلُ معناه: استراح واتَّدَعَ وترك الشغل، ومنه: السُّبَاتُ، وهي علَّةٌ معروفة، سُمِّيت بذلك؛ لأَن السكون أَو السكوت أَفرط على الإِنسان حتى صار ضارّاً قاتلاً، والنوم شبيه به إِلَّا في الضرر.

وقال أَبو عبيدة: ﴿سُبَاتًا﴾: قَطْعاً للأَعمال والتصرف[١]، والسَّبْتُ: القَطْع، ومنه: سَبَتَ الرجلُ شَعرَه[٢]: إِذا قطع شَعرَه، ومنه: النِّعال السبتيَّةُ، وهي التي قطع عنها الشعر.

و﴿لِبَاسًا﴾ مصدر، وكان الليل كذلك من حيث يغشى الأَشخاص فهي تلبسه وتتدرَّعُه.

وقال بعض المتأولين: جعله لباساً؛ لأَنه يطمس نور الأَبصار ويُلبس عليها الأَشياءَ.

والتصريفُ يضعف هذا القول؛ لأَنه كان يجب أَن يكون مُلْبِساً، ولا يقال: لباس إِلَّا مِن لُبس الثياب.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾: على حذف مضاف، أَو على النسب، وهذا كما تقول: لَيْلٌ نائمٌ.

و«السَّبْعُ الشِّدادُ»: السماوات، والأَفصح في لفظة السماءِ التأنيث، ووصفها بالشدة؛ لأَنه لا يُسرع إِليها فسادٌ لِوَثَاقَتِها.

و«السِّراجُ»: الشمس.

و«الوَهَّاجُ»: الحارُّ المضطرم الاتِّقاد، المتعالي اللهب.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: إِن الشمس في السماءِ الرابعة إِلينا ظهرها، ولَهَبُها مضطرمٌ علوّاً[٣].

---

(١) انظر مجاز القرآن (٢/ ٢٨٢).

(٢) في الحمزوية ونور العثمانية وأحمد٣ ونجيبويه: «رأسه»، وفي الحمزوية: «قطع شعرة منه».

(٣) ضعيف، تقدم تخريجه آية (١٦) من (سورة نوح).

واختلف الناس في ﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾:

فقال الحسن بن أَبي الحسن، وأُبَيُّ بن كعب، وابن جُبَيْر، وزيد بن أَسلم، ومقاتل، وقتادة: هي السماوات[١].

وقال ابن عباس[٢]، وأَبو العالية، والربيع، والضحاك: ﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾: هي السحاب القاطرة[٣]، وهو مأخوذ من العصر؛ لِأَن السحاب ينعصر فيخرج منه الماءُ، وهذا قول الجمهور، وبه فسَّر عبيد الله بن الحسن بن محمد[٤] العنبري القاضي بيت حسان:

كِلْتَاهُمَا حَلَبُ الْعَصِير........[٥] .... [الكامل]

وقال بعض مَنْ سَمَّيْتُ: هي السحاب التي فيها الماءُ ولمَّا تُمطر، كالمرأَة المُعْصر، وهي: التي دنا حيضها ولم تحض بعد.

وقال ابن كيسان: قيل للسحاب مُعْصرات من حيث تُغيث، فهي من العُصْرة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩][٦].

وقال ابن عباس، وقتادة، ومجاهد: ﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾: الرياح؛ لأَنها تعصر السحاب[٧].

---

(١) انظر قولهم في تفسير الثعلبي (١٠/ ١١٤)، وقول الحسن في الطبري (٢٤/ ١٥٤)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٩٨٩)، وقول أبي لم أجده.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٥٤)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٥٢) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: السحاب.

(٣) تفسير الثعلبي (١٠/ ١١٤).

(٤) في الحمزوية ونور العثمانية وأحمد٣: «محمد بن الحسن»، و«عبيد الله بن» مثبتة من الأصل فقط.

(٥) البيت بتمامه:

كِلْتاهُمَا حَلَبُ الْعَصِيرِ فَعاطِنِي بِزُجَاجةٍ أَرْخاهُما لِلْمِفْصَلِ.

وقد تقدم مع قصة العنبري في الآية (٤٣) من (سورة النور).

(٦) انظر تفسير الثعلبي (١٠/ ١١٤).

(٧) له طرق لينة، أخرجه ابن أبي حاتم كما عند ابن كثير (٨/ ٣٠٣) من طريق المنهال بن عمرو، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه بنحوه، وأخرجه الطبري (٢٤/ ١٥٣) من طريق عطية العوفي، =

وقرأ ابن الزبير، وابن عباس والفضل بن عباس، وقتادة، وعكرمة: (وَأَنْزَلْنَا بِالْمُعْصِراتِ)(١)، فهذا يقوي أنه أراد الرياح.

و«الثَّجَّاجُ»: السريعُ الاندفَاع، كما يندفع الدَّمُ من عروق الذبيحة.

ومنه قول النبي ﷺ وقد قيل له: ما أَفضل الحج؟ فقال: «العجُّ والثَّجُّ»(٢)، أَراد: التضرُّع إلى الله تعالى بالدعاءِ الجهير وذبح الهدي.

و«الحَبُّ»: جنس الحبوب الذي ينتفع به الحيوان.

و«النباتُ»: العُشب الذي يستعمل رطباً لإِنسان أَو بهيمة، فذكر الله تعالى موضع المنفعتين.

و﴿أَلْفَافًا﴾ جمع لُفٍّ، بضم اللام، ولُفٌّ جمع لَفَّاءَ، والمعنى: مُلْتَفَّاتُ الأَغصان والأَوراق، وذلك أَبداً موجود مع النضرة والريِّ.

وقال جمهور اللغويين: ﴿أَلْفَافًا﴾: جمع لِفٍّ بكسر اللام، واللِّفُ: الجنةُ المُلْتَفَّة الأَغصان.

وقال الكسائي: (أَلفافٌ) جمع لفيف(٣)، وقد قال الشاعر:

[الطويل] أَحَابِيشُ أَلْفافٍ تبايَنَ فَرْعُهُم ... وَجِذْمُهُمُ عن نِسْبَةِ الْمُتَقَرِّب(٤) /

[٥/ ٢٦٧]

= عن ابن عباس به، وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٢٦٦٣) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وقول قتادة ومجاهد في تفسير الطبري (٢٤/ ١٥٣)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١١٤).

(١) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٤٧).

(٢) سبق التعليق عليه عند الآية رقم (١٩٦) من (سورة البقرة).

(٣) انظر الهداية لمكي (١٢/ ٧٩٩١)، وفيه عنه: «أنه جمع الجمع».

(٤) بلا نسبة في اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٩٩)، والدر المصون (١٠/ ٦٥٣)، وفيهما: «المتعرّفِ».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾.

﴿يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ هو يوم القيامة؛ لأَن الله تعالى يفصل بين المؤمنين والكافرين، وبين الحق والباطل، و«الْميقاتُ»: مِفْعالٌ من الوقت، كميعادٍ من الوعد.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ﴾: بدل من ﴿يَوْمَ﴾ الأَول.

و﴿ٱلصُّورِ﴾: القَرْنُ الذي يُنفخ فيه لبعث الناس، هذا قول الجمهور.

ويحتمل هذا الموضع أَن يكون ﴿ٱلصُّورِ﴾ فيه جمع صورة، أَي: يومَ يردُّ الله تعالى فيه الأَرواح إِلى الأَبدان، هذا قول بعضهم في ﴿ٱلصُّورِ﴾، وجوَّزه أَبو حاتم(١).

والأَول أَشهر، وبه تظاهرت الآثارُ، وهو ظاهر كتاب الله تعالى في قوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر: ٨].

وقرأَ أبو عياض: ﴿في الصُّوَرِ﴾ بفتح الواو(٢).

و«الأَفواجُ»: الجماعاتُ يتلو بعضها بعضاً، واحدها فوجٌ.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر، وأَبو جعفر، وشيبة، والحسن: ﴿وَفُتِّحَتِ﴾ بشد التَّاءِ على المبالغة.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿وَفُتِحَتِ﴾ دون شدٍّ(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ قيل معناه: تتفطر وتتشقَّق حتى يكون فيها فتوح كالأَبواب في الجدران.

---

(١) لم أجده.

(٢) شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٥٨)، وفي المطبوع ونجيبويه: «ابن عباس»، وفي نور العثمانية: «ابن عياض»، وفي أحمد٣: «أبو عياش».

(٣) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦٦٨).

وقال آخرون فيما حكى مكي بن أَبي طالب: «الأَبواب» هنا: فِلَق الخشب التي تجعل أَبواباً لفتوح الجدرات، أَي: تتقطع السماءُ قِطعاً صغاراً حتى تكون كألواح الأَبواب[١].

والقول الأَول أَحسن.

وقال بعض أَهل العلم: تتفتح في السماءِ أَبواب للملائكة من حيث ينزلون ويصعدون.

وقوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾: عبارة عن تلاشيها وفنائها بعد كونها هباءً منبثّاً، ولم يُرد تعالى أَن الجبال تعود تشبه الماءَ على بُعْد من الناظر إِليها.

و﴿مِرْصَادًا﴾: موضع الرصد، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

وقد روي عن الحسن بن أَبي الحسن أَنه قال: لا يدخل أَحد الجنة[٢] حتى يجوز على جهنم، فمن كانت له أَسباب نجاةٍ نجا وإِلَّا هلك.

وقال قتادة: تعلموا: أنه لا سبيل إِلى الجنة حَتَّى تقطع النار[٣].

وفي الحديث الصحيح: «إِن الصراط جسرٌ يُنْصب على مَتْن جهنم، ثم يجوز عليه الناس، فناج ومكردس»[٤].

وقال بعض المتأولين: (مرصادٌ): مفعال بمعنى راصد.

---

(١) الهداية لمكي (١٢/ ٧٩٩٣).

(٢) من الحمزوية ونجيبويه وأحمد٣ ونور العثمانية.

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٤/ ١٥٩)، والأول في تفسير الماوردي (٦/ ١٨٥).

(٤) أخرجه مسلم (١٩٥) من حديث أبي هريرة، وحذيفة بن اليمان بلفظ «وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوشٌ ناجٍ ومكدوس في النار»، قال ابن حجر: واختلف في ضبط مكدوس فوقع في رواية مسلم بالمهملة، ورواه بعضهم بالمعجمة، ومعناه: السوق الشديد، ومعنى الذي بالمهملة: الراكب بعضه على بعض، وقيل: مكردس، والمكردس: فقار الظهر، وكردس الرجل خيله جعلها كراديس أي: فرقها، والمراد أنه ينكفئ في قعرها.اهـ. من فتح الباري (١١/ ٤٥٤-٤٥٥).

وقرأ أَبو مَعْمَر المِنْقَري[١]: (أَنَّ جهنم) بفتح الأَلف، والجمهور على كسرها[٢].

و«الطَّاغونَ»: الكافرون.

و«الْمَآبُ»: المرجع.

و«الأَحْقابُ»: جمع حُقَب بضم الحاءِ وفتح القاف، وحِقب بكسر الحاءِ، وحُقُب بضمها وضم القاف، وهو جمع حِقْبة، ومنه قول مُتَمِّمٍ:

وَكُنَّـا كَنَدْمَانَـيْ جَذيمَـةَ حِقْبَـةً   مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا[٣]   [الطويل]

وهي المدة الطويلة من الدَّهْر[٤] غير محدودة، ويقال للسنة أَيضاً: حِقْبة.

وقال بشر بن كعب: حدُّها على ما ورد في الكتب المنزلة ثلاث مئة سنة.

وقال هلال الهجَري: ثمانون سنة، قالا: في كل سنة ثلاث مئة وستون يوماً [كل يوم من ألف سنة][٥].

وقال ابن عباس، وابن عمر رضي الله عنهم: «الحقب»: ثمانون أَلف سنة[٦].

---

(١) هو عبد الله بن عمرو بن أبي الحجاج ميسرة، أبو معمر التميمي المنقري، مولاهم البصري المقعد، كان ثقةً ثبتاً، صحيح الكتاب، صدوقاً متقناً غير أنه لم يكن يحفظ، وكان له قدر عند أهل العلم، توفي سنة (٢٢٤هـ)، تاريخ الإسلام (١٦/ ٢٣٨).

(٢) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ١٦٨).

(٣) انظر عزوه له في معجم الشعراء (ص: ٤٦٦)، والمفضليات (ص: ٢٦٧)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٥٩٩)، وعيون الأخبار (١/ ٣٨٧)، والكامل في اللغة والأدب (٤/ ٢٦)، وأمالي الزجاجي (ص: ٩١)، والأغاني (١٥/ ٢٨٨).

(٤) في نجيبويه: «السَّنة»، وأشار لها في حاشية المطبوع.

(٥) ساقط من المطبوع ونجيبويه، انظر تفسير الطبري (٢٤/ ١٦١)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٨٦)، وفيهما «بشير»، وهو الصواب وقد تقدم، وانظر تفسير الثعلبي (١٠/ ١١٦)، وهلال لم أعرفه، وله ذكر في الإكمال في رواة مسند أحمد (ص: ٤٥١).

(٦) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٦٢) عن محمد بن حميد الرازي، عن مهران، عن أبي سنان، عن ابن عباس، وفي الأصل: «ستون سنة».

وقال الحسن: «الحقب»: سبعون أَلف سنة[1]، وقيل: خمسون أَلف سنة.

وقال أَبو أُمامة عن النبي ﷺ: إِنه ثلاثون أَلف سنة[2].

وأَكثَرَ الناسُ في هذا، واللازم أَن الله تعالى أَخبر عن الكفار أَنهم يلبثون أَحقاباً، كلما مرَّ حُقُب جاءَ غيره، إِلى غير نهاية.

قال الحسن: ليس لها عدة إِلَّا الخلود في النار[3].

ومن الناس من ظن لذكْر الأَحقاب أَن مدة العذاب تنحصر وتتم، فطلبوا التأْويل لذلك:

فقال مقاتل بن حيان: «الحُقُب» سبعة عشر أَلف سنة، وهي منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾[النبأ: ٣٠][4]، وقد ذكرنا فساد هذا القول.

وقال آخرون: الموصوف باللبث أحقاباً هم عصاة المؤمنين.

وهذا أَيضاً ضعيف، ما بَعْدَه في السورة يرد[5] عليه.

وقال آخرون: إِنما المعنى: لابثين فيها أحقاباً غيْرَ ذائقين بَرْداً ولا شراباً، فبهذه الحال يلبثون أَحقاباً، ثم يبقى العذابُ سرمداً وهم يشربون أَشربة جهنم.

وقرأَ الجمهور: ﴿لَّبِثِينَ﴾.

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ١٦٢)، تفسير الثعلبي (١٠/ ١١٦)، تفسير الماوردي (٦/ ١٨٦).

(٢) ضعيف جداً، أخرجه ابن أبي عمر العدني في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٥٨٨٩)، والمطالب العالية (٤١٧٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما عند ابن كثير (٦/ ٣٠٥-٣٠٦) من طريق مروان ابن معاوية الفزاري، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا﴾ قال: فالحُقُب ألف شهر، الشهر ثلاثون يوماً، والسنة اثنا عشر شهراً، والسنة ثلاث مئة وستون يوماً، كل يوم منها ألف سنة مما تعدون، فالحُقُب ثلاثون ألف ألف سنة، قال ابن كثير: وهذا حديثٌ منكر جداً، والقاسم هو والراوي عنه وهو جعفر بن الزبير كلاهما متروك.

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ١٦٢)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١١٦).

(٤) انظر تفسير الطبري (٢٤/ ١٦٣)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١١٦).

(٥) كتبت في الأصل: «يدل».

وقرأ حمزة وحده، وابن مسعود، وعلقمة، وابن وثاب، وعمرو بن ميمون، وعمرو ابن شرحبيل وابن جبير: ﴿لَبِثِينَ﴾ جمع لَبِثٍ[1]، وهي قراءة معترَضة؛ لأَن فَعِلًا إِنما يكون لما صار خُلُقاً كحَذِرٍ وفَرِق، وقد جاءَ شاذّاً فيما ليس بخلق.

وأَنشد الطبري وغيره في ذلك بيت لبيد:

أَوْ مِسْحَلٍ عَمِلٍ عِضادَةَ سَمْحَجٍ   بِسَرَاتِهَا نَدَبٌ لَهُ وكُلومُ[2]   [الكامل]

قال المعترض في القراءة: لا حُجةَ في هذا البيت؛ لأَن عَملاً قد صار كالخلق الذي يواظب على العمل به، حتى إِنه ليُسَمَّى به في وقت لا يعمل فيه، كما تقول: كاتب لمن كانت له صناعة وإِن لم يكتب أَكثر أَحيانه.

قال المحتجُّ لها: شبه «لَبِث»؛ لدوامه بالخُلُق لما صار اللُّبث من شأنه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾.

قال أَبو عبيدة، والكسائي، والفضل بن خالد، ومعاذ النحوي: «البَرْدُ» في هذه الآية: النومُ[3]، والعرب تُسميه بذلك؛ لأَنه يُبْرِد سورة العطش، ومن كلامهم: منع البَرْدُ البَرْدَ.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦٦٨)، و«ابن جبير» ساقط من المطبوع ونجيبويه، ولا عبرة بالاعتراض عليها.

(٢) انظر عزوه له في معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٢٨)، وتفسير الطبري (٢٤/ ١٦٠)، وديوان لبيد بن ربيعة العامري (ص: ١٠١)، وفيه بدل «عمل»: «سنق»، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ١٧٦)، وفيه «شنج»، وتهذيب اللغة (٢/ ٢٥٦).

(٣) قول أَبي عبيدة في مجاز القرآن له (٢/ ٢٨٢)، ومع قول الكسائي والفضل في تفسير الثعلبي =

وقال جمهور الناس: «البَرْدُ» في الآية: مَسُّ الهواءِ البارد، وهو القرُّ، أَي: لا يمسهم منه ما يُستلذُّ ويكسر عذاب الحرِّ، فالذَّوق ـ على هذين القولين ـ مستعار.

وقال ابن عباس: «البَرْدُ»: الشرابُ البارد المُسْتَلَذُّ[1]، ومنه قول حسان بن ثابت:

[الكامل] يَسْقونَ مَنْ وَرَدَ الْبَريصَ عَلَيْهِمُ بَرَدَى يُصَفَّقُ بِالرَّحيقِ السَّلْسَلِ[2]

[٥/ ٢٦٨] / ومنه قول الآخر:

[الطويل] أَمانِيُّ مِنْ سُعْدَى حِسانٌ كَأَنَّمَا سَقَتْكَ بِها سُعْدَى عَلَى ظَمَأٍ بَرْدَا[3]

ثم قوله تعالى: ﴿وَلَا شَرَابًا ۝ إِلَّا حَمِيمًا﴾، فالاستثناءُ متصل.

و«الحميمُ»: الحارُّ الذائب، وأَكثر استعماله في الماءِ السخن والعرق، ومنه: الحمَّامُ.

وقال ابن زيد: «الحميمُ» دموعُ أَعينهم[4].

وقال النقاش: ويقال: «الحميمُ»: الصُّفْرُ المذابُ المتناهي الحر[5].

واختلف الناسُ في «الغَسَّاقِ»:

= (١٠/ ١١٧)، وفيه: الفضل بن خالد أبو معاذ النحوي، وقد تقدم التعريف به في آل عمران، أما معاذ فلم أجد من عزا القول له ولا من ترجم له.

(١) لم أقف عليه، و«البارد» ساقطة من الأصل.

(٢) انظر عزوه له في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٠٠)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ٢١٨)، والعين (٣/ ٤٥)، وجمهرة اللغة (١/ ٣١٢)، والأغاني (٩/ ٣٢٩)، وفي الأصل وأحمد٣ والأسدية٣: «برد البريض». والبريصُ: موضعٌ بالشام كان موطن آل جفنة.

(٣) عزاه في الحيوان (٥/ ١٠٦)، وعيون الأخبار (١/ ٣٧١) لبعض الأعراب، وفي شرح الحماسة (ص: ٩٨٩) لِرَجُلٍ من بني الحارث، وفي حماسة الخالديين (ص: ٩٨) والحماسة البصرية (٢/ ٢٠٩) للرّماح ابن ميَّادة، وفي معاهد التنصيص (٢/ ١٤١): ابْن سارة.

(٤) كذا في الحمزوية وأحمد٣، وهو الموافق لما في الطبري (٢٤/ ١٦٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ١٢٩)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٢٧٥)، وفي المطبوع وسائر النسخ الخطية: «ابن دريد».

(٥) لم أقف عليه.

فقال قتادة، والنَّخَعي، وجماعة: هو ما يسيل من أَجسام أَهل النار من صديد ونحوه[١].

يقال: غسق الجرحُ: إِذا سَال منه قيح ودم، وغسقت العين: إِذا دمعت وخرج قذاها.

وقال ابن عباس ومجاهد: «الغَسّاقُ»: مشروب لهم مفرط الزمهرير؛ كأنه في الطرف الثاني من الحميم، يشوي الوجوه بِبرْده[٢].

وقال عبد الله بن بريدة: «الغَسّاقُ»: المُنْتن.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، ونافع، وابن عامر، وعاصم، وجماعة من الجمهور: ﴿غَسَاقاً﴾ مخففة السِّين، وهو اسمٌ على ما قدمناه.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وابن أَبي إِسحاق، والشعبيُّ، والحكم ابن عُتيبة، وقتادة، وابن وثاب: (غسَّاقاً) مشددة السين[٣]، وهي صفةٌ أُقيمت مقام الموصوف، كأنه تعالى قال: ومشروباً غساقاً، أَي: كأنه سائل من أَبدانهم.

وقوله تعالى: ﴿وِفَاقًا﴾ معناه: لأَعمالهم وكفرهم، أَي: هو جزاؤهم الجدير بهم، الموافق مع التحذير لأَعمالهم، فهي كُفْرٌ والجزاءُ نارٌ.

و﴿يَرْجُونَ﴾: قال أَبو عبيدة وغيره: معناه: يخافون[٤].

وقال غيره: «الرجاءُ» هنا على بابه، ولا رجاءَ إِلَّا وهو مُقترنٌ بخوف، ولا خوف إِلَّا وهو مُقْترنٌ برجاءٍ، فذكر أَحد القسمين؛ لأَن المقصد العبارة عن تكذيبهم، كأَنه

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ١٦٤-١٦٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٦٥)، والبيهقي في البعث (٥٦٧) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: الزمهرير، وقول مجاهد وابن بريدة الآتي في تفسير الطبري (٢٤/ ١٦٥).

(٣) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦٦٨).

(٤) تكرر منه مثله في مجاز القرآن، انظر مثلًا: (١/ ٢٧٥)، (٢/ ٧٣)، (٢/ ٢١٠).

تعالى قال: إنهم كانوا لا يصدقون بالحساب، فهم لذلك لا يرجونه ولا يخافونه.

وقرأ جمهور الناس: ﴿كِذَّابًا﴾ بشدِّ الذال وكسر الكاف، وهو مصدر بلغة بعض العرب، وهي يمانِيَّة، ومنه قول أحدهم وهو يستفتي: الْحَلْقُ أَحَبُّ إِليكَ أَم القِصَّارُ[١].

ومنه قول الشاعر:

[الطويل] لَقَـدْ طَالَمَـا ثَبَّطَتْنِـي عَـنْ صَحَابَتي   وَعَنْ حاجةٍ قِضَّاؤُها مِنْ شِـفائِيَا[٢]

وهذا عندهم مصدر من فَعَّل.

وقال الطبري: لم يختلف القراءُ في هذا الموضع في (كِذَّاب)، وأراه أراد السبعة[٣].

وأَمَّا في الشَّاذ فقرأَ علي بن أَبي طالب، وعوف الأَعرابي، وعيسى ـ بخلاف ـ والأَعمش، وأَبو رجاءٍ: (كِذَاباً) بكسر الكاف وتخفيف الذال[٤].

وقرأَ عبد الله بن عمر بن عبد العزيز[٥]: (كُذَّاباً) بضم الكاف وشد الذال على أَنه جمع كاذب، ونصبه على الحال، قاله أَبو حاتم[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ﴾ يريد: كلّ شيءٍ شأنه أَن يُحصى، وفي هذا الخبر رَبْطٌ لأَجزاءِ القصة بأَوَّلها، أَي: هم مُكَذِّبون كافرون، ونحن قد أَحصينا فالقول لهم في الآخرة: (ذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً).

---

(١) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٢٩).

(٢) نقله الفراء في معاني القرآن (٣/ ٢٢٩) عن بعض بني كلاب، وعنه تفسير الطبري (٢٤/ ١٦٨)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١١٧).

(٣) انظر تفسير الطبري (٢٤/ ١٦٨).

(٤) وهي شاذة، عزاها ابن جني في المحتسب (٢/ ٣٤٧) لعلي، وانظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٠١).

(٥) هو عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان، عن أبيه وعبد الله بن عياض، وعنه شعبة والمسعودي، وقد ولي إمرة العراقين ليزيد الناقص، ولما قدم يزيد بن عمر بن هبيرة على العراق بعث به إلى مروان بن محمد فسجنه واختفى خبره، تاريخ الإسلام (٨/ ١٥١).

(٦) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٤٧).

[وكان عبد الله بن عمر يقول: ما نزلت في أَهل النار آية أَشد من قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾][(١)]، ورواه أَبو برزة عن النبي ﷺ[(٢)].

ولما ذكر تعالى أَمر أَهل النار عقَّب بذكر أَهل الجنة؛ ليبين الفرق.

و«المفاز»: موضع الفوز؛ لأَنهم زحزحوا عن النار، وأُدخلوا الجنة.

و«الحدائق»: البساتين التي عليها حلق وجُدُرات أَو حظائر.

و﴿أَتۡرَابًا﴾: معناه: على سنٍّ واحدة، والتِّرْبان هما اللذان مسَّا التراب في وقت واحد.

و«الدِّهاقُ»: الْمُتْرَعة، فيما قال الجمهور.

وقال ابن جبير ومجاهد: معناه: المتتابعة[(٣)]، وهي من الدَّهق.

وقال عكرمة: هي الصافية[(٤)].

---

(١) ساقط من الأصل، والصواب «ابن عمرو»، أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي أيوب يحيى بن مالك الأزدي، عن عبد الله بن عمرو به، وأخرجه أيضاً من طريق سعيد، عن قتادة، قال: ذُكر لنا أن عبد الله بن عمرو، فذكره.

(٢) ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٧-٣٠٨) من طريق جسر بن فرقد، عن الحسن قال: سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ قرأ: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ فقال: «هلك القوم بمعاصيهم الله عَزّ وجل»، وأخرجه ابن قانع في معجم الصحابة (٣/ ٣٠-١٥٩)، والبيهقي في البعث (٥٦٥) من طريق جسر بن فرقد، عن الحسن به موقوفاً، وجسر بن فرقد أبو جعفر القصاب ضعيف، وانظر الميزان (١/ ٣٨٩). وأخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٧/ ٢٨١) عن مهدي بن ميمون قال: سمعت الحسن بن دينار سأل الحسن: أي آية أشد على أهل النار؟ فقال: سألت أبا برزة فقال: أشد آية نزلت ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾، قال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه شعيب بن بيان، وهو ضعيف.اهـ. في الأصل والمطبوع: «أبو هريرة»، وفي نور العثمانية: «أبو بردة».

(٣) تفسير الثعلبي (١٠/ ١١٨)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٠٠٨)، وتفسير الطبري (٢٤/ ١٧٢). وقوله: «ومجاهد» ليس في الأصل.

(٤) الهداية لمكي (١٢/ ٨٠٠٨)، وتفسير الطبري (٢٤/ ١٧٢).

وفي البخاري، قال ابن عباس: سمعتُ أَبي في الجاهلية يقولُ للساقي: اسقنا كأساً دهاقاً[١].

و«اللَّغْوُ»: سقط الكلام، وهو ضروب.

وقد تقدم القول في ﴿كِذَّابًا﴾ إِلَّا أَن الكسائي من السبعة قرأَ في هذا الموضع: ﴿كِذَاباً﴾ بالتخفيف[٢]، وهو مصدر، ومنه قول الأَعشى:

[مجزوء الكامل] فَصَدَقْتُها وَكَذَبْتُها وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُه[٣]

واختلف المتأولون في قوله تعالى: ﴿حِسَابًا﴾:

فقال جمهور المفسرين واللغويين: معناه: مُحْسِباً، أَي: كافياً، من قولهم: أَحسبني هذا الأَمر، أَي: كفاني، ومنه: حسبي الله.

وقال مجاهد ما معناه: إِن ﴿حِسَابًا﴾ معناه: بتقسيط على الأَعمال[٤]؛ لَأن نفس دخول الجنة هو برحمة الله تعالى وبتفضُّله لا بعمل، والدرجات فيها والنعيم على قدر الأَعمال، فإِذا ضاعف الله تعالى لقوم حسناتهم بسبع مئة مثلاً، ومنهم المكثر من الأَعمال والمُقِلُّ، أَخذ كل واحد سبع مئة بحسب عمله، وكذلك في كل تضعيف، فالحساب هنا هو بموازنة أَعمال القوم.

وقرأَ الجمهور: ﴿حِسَابًا﴾ بكسر الحاءِ وتخفيف السين مفتوحة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٣٩) من طريق عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه بنحوه.

(٢) وهي سبعية، انظر السبعة (ص: ٦٦٩).

(٣) ميمون بن قيس، انظر عزوه له في: مجاز القرآن (٢/ ٢٨٣)، ومعاني القراءات للأزهري (٣/ ١١٧)، والحجة لأبي علي (٤/ ٤٤٢)، وإيضاح شواهد الإيضاح (٢/ ٨٧٨)، والكامل للمبرد (٢/ ١٥٦) عن المازني، قال: وليس مما روت الرواة متصلاً بقصيدة.

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ١٧٤)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٩٧).

وقرأ ابن قُطَيب: (حَسَّاباً) بفتح الحاءِ وشدِّ السين[١]، قال أَبو الفتح: جاءَ بالاسم من أَفْعل على فَعَّال كما قالوا: أَدْرك فهو دَرَّاك.

وقرأ ابن عباس، وسراج: (عَطاءً حَسَناً) بالنون من الحسن[٢].

وحكى عنه المهدوي أنه قرأ: (حَسْباً) بفتح الحاءِ وسكون السين وبالباءِ[٣].

وقرأ شريح بن يزيد الحمصي: (حِسَّاباً) بكسر الحاءِ وشد السين المفتوحة[٤].

وقرأ نافع، وأَبو عمرو، والأَعرج، وأَبو جعفر، وشيبة، وأَهل الحرمين: ﴿رَبُّ﴾ بالرفع، وكذلك ﴿الرَّحْمَنُ﴾.

وقرأ ابن عامر، وعاصم، وابن مسعود، وابن أَبي إِسحاق وابن محيصن، والأَعمش: ﴿رَّبِّ﴾ بالخفض، وكذلك ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿رَّبِّ﴾ بالخفض، و﴿الرَّحْمَنُ﴾ بالرفع، وهي قراءة الحسن، وابن وثاب، والأَعمش وابن محيصن، بخلاف عنهما[٥]، ووجوه هذه القراءات بينةٌ.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ الضمير للكفار، أَي: لا يملكون من أَفضاله وإِجماله أَن يخاطبوه بمعذرة ولا غيرها، وهذا في موطن خاص.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾.

---

(١) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٣٤٨).

(٢) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (١٠/ ١١٩).

(٣) وهي شاذة، انظر التحصيل للمهدوي (٧/ ١٣).

(٤) وهي شاذة، انظر البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٣٨٩)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٥٠١) لأبي حيوة وأبي البرهسم.

(٥) وكلها سبعية، انظر التيسير (ص: ٢١٩)، و«الأَعمش» سقط من الأصل.

[٥/ ٢٦٩] / اختلف الناس في ﴿ٱلرُّوحُ﴾ المذكور في هذا الموضع:

فقال الشعبي والضحاك: هو جبريل عليه السلام، ذكره خاصة من بين الملائكة تشريفاً.

وقال ابن مسعود: هو ملك عظيم، أكبر الملائكة خِلْقة يسمى بالروح.

وقال ابن زيد: كان أَبي يقول: هو القرآن، وقد قال الله تعالى: ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢].

قال القاضي أَبو محمد: فالقيام فيه مستعار يراد به بيانُه وظهوره ومثول[١] آثاره، والأَشياءُ الكائنة عن تصديقه أو تكذيبه، ومع هذا ففي القول قَلَقٌ.

وقال مجاهد: ﴿ٱلرُّوحُ﴾: خَلْقٌ على صورة بني آدم يأكلون ويشربون[٢].

وقال ابن عباس عن النبي ﷺ: ﴿ٱلرُّوحُ﴾: خلق غير الملائكة، وحفظة للملائكة كما الملائكة حفظة للأَنبياءِ ولنا»[٣].

وقال ابن عباس، والحسن، وقتادة: ﴿ٱلرُّوحُ﴾: هنا اسم جنس يُراد به أَرواح بني آدم[٤].

---

(١) في المطبوع: و«شدة».

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ١٧٦).

(٣) ضعيف جداً، أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٤١٠) من طريق: أحمد بن الحسن [كذا وصوابه: الحسين] بن الجنيد، عن أحمد بن حفص [هو ابن راشد السلمي]، عن أبي، عن إبراهيم [هو ابن طهمان] عن مسلم [هو ابن كيسان الضبي الملائي البراد الأعور، أبو عبد الله الكوفي]، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أتى نفر من يهود النبي ﷺ فقالوا: أخبرنا عن الروح ما هو؟ قال: «جند من جنود الله عز وجل ليسوا بملائكة الله، لهم رؤوس وأيد وأرجل، يأكلون الطعام، ثم قرأ: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ﴾ قال: هؤلاء جند وهؤلاء جند»، ومسلم الأعور واهٍ، ولفظة: «الأنبياء» من المطبوع والأسدية ٣.

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٧٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه بنحوه، وقول الباقين في تفسير الطبري (٢٤/ ١٧٧).

والمعنى: يوم تقوم الأَرواح في أَجسادها إِثْر البعث والنشأَة الآخرة، ويكون الجميع من الإِنس والملائكة صفاً[١]، ولا يتكلم أَحد هيبة وفزعاً، إلا مَن أَذن له الرحمن من مَلَك أَو نبي، وكان أَهلاً أَن يقول صواباً في ذلك الموطن.

قال ابن عباس: الضمير في ﴿يَتَكَلَّمُونَ﴾ عائد إِلى الناس خاصة[٢].

والصواب المشار إِليه هو: لا إِله إِلَّا الله، قال عكرمة: أَي قالها في الدنيا[٣].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ أَي الحقُّ كونُه ووجوده.

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ وعدٌ ووعيد وتحريض.

و«الْمَآبُ»: المرجعُ وموضعُ الأَوبة.

والضمير الذي هو الكاف والميم في ﴿أَنذَرْنَٰكُمْ﴾: هو لجميع العالم، وإِن كانت المخاطبة لمن حضر النبيَّ ﷺ من الكفار.

و«العذابُ القريبُ»: عذابُ الآخرة، ووصفه بالقرب؛ لِتَحَقُّق وقوعه، وأَنه آت، وكلُّ آتٍ قريب، والجميع داخل في النذارة منه.

ونظر المرءِ إِلى ما قدمت يداه من عمل: قيام الحُجَّة[٤] عليه.

وقال ابن عباس: ﴿ٱلْمَرْءُ﴾ هنا: المؤمن[٥].

وقرأَ ابن أَبي إِسحاق: (المُرْء) بضم الميم[٦]، وضَعَّفَها أَبو حاتم.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾، قيل: إِن هذا تَمَنٍّ أَن يكون شيئاً

---

(١) في حاشية المطبوع: في إحدى النسخ: «ويكون الجمع بين الإنس والملائكة حقاً».
(٢) لم أقف عليه.
(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ١٧٨).
(٤) في المطبوع والأسدية ٤ والأسدية ٣: «للحجة».
(٥) لم أقف عليه.
(٦) وهي شاذة، انظر المحتسب (١/ ١٠١)، وتضعيف أبي حاتم في روح المعاني (٣٠/ ٢٢).

حقيراً لا يُحاسب ولا يُلتفت إِليه، وهذا قد تجده في الخائفين من المؤمنين، فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ليتني كنت بعرة[١].

وقال أَبو هريرة[٢] وعبد الله بن عمر[٣] رضي الله عنه: إِن الله تعالى يحضر البهائم يوم القيامة فيقتص من بعضها لبعض، ثم يقول لها بعد ذلك: كوني تراباً، فيعود جميعها تراباً، فإِذا رأَى الكافر ذلك تمنَّى مثله.

قال أَبو القاسم بن حبيب[٤]: رأَيت في بعض التفاسير: أَن الكافر هنا إِبليس، إِذا رأَى ما حصل للمؤمنين من بني آدم من الثواب قال: يا ليتني كنت تراباً[٥]، أَي كآدم الذي خُلق من تراب واحتقره هو أَولاً.

---

(١) لم أجده عن عمر بهذا اللفظ، ولكن بلفظ: يا ليتني كنت كبش أهلي..، وهو ضعيف، أخرجه هناد ابن السري في الزهد (٤٤٩) عن أبي معاوية عن جويبر عن الضحاك قال: قال عمر.. به مطولاً، وأخرج ابن المبارك (٢٣٤) زوائد الحسين المروزي، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٦٢١)، وابن أبي الدنيا في المتمنين (١٢) من طريق شعبة، عن عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ تبنة من الأرض فقال: يا ليتني هذه التبنة ليتني لم أك شيئاً، ليت أمِّي لم تلدني، ليتني كنت نسياً منسياً، وعاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب ضعيف.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٤٤) عن معمر، والطبري (٢٤/ ١٨٠) من طريق معمر، عن جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة بنحوه، وهذا إسناد حسن؛ من أجل جعفر بن برقان الجزري، فإنه صدوق.

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٨٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٧٤) من طريق عوف الأعرابي، عن أبي المغيرة القواس، عن عبد الله بن عمرو، فذكره بنحوه بلفظ أطول من هذا، وأبو المغيرة القواس فيه لين، وانظر ترجمته في الجرح والتعديل (٩/ ٤٣٩).

(٤) هو الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب، أبو القاسم النيسابوري، الواعظ المفسر، صنف في القراءات، والتفسير، والآداب، وعقلاء المجانين، سمع محمد بن يعقوب الأصم، وأبا الحسن الكارزي، توفي في ذي الحجة سنة (٤٠٦هـ)، انظر: تاريخ الإسلام (٢٨/ ١٤١).

(٥) تفسير القرطبي (١٩/ ١٨٩).

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سُورة النَّازعات

هي مكية بإِجماع من المتأولين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝٥ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝١٠ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ۝١١﴾.

قال ابن مسعود وابن عباس: (النازعات): الملائكةُ تنزع نفوس بني آدم[(١)].

و﴿غَرْقًا﴾ ـ على هذا القول ـ إِمَّا أَن يكون مصدراً بمعنى الإِغراق والمبالغة في الفِعْل، وإِما أَن يكون كما قال علي وابن عباس: تغرق نفوس الكفرة في نار جهنم[(٢)].

---

(١) أثر ابن عباس أخرجه الطبري (٢٤/ ١٨٥) من طريق السدي، عن أبي صالح باذام، ومن طريق عطية العوفي، كلاهما عن ابن عباس رضي الله عنه بنحوه، وأثر ابن مسعود أخرجه الطبري (٢٤/ ١٨٥) من طريق شعبة، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾. قال: الملائكة.

(٢) أثر ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٣١٢)، والدر المنثور (١٥/ ٢١٨) من طريق سعيد بن جبير، عنه، وأثر علي أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره كما في الدر المنثور (١٥/ ٢١٨).

وقال السُّدي وجماعة: (النَّازعاتُ): النفوسُ تَنْزِعُ بالموت إِلى ربها، و﴿غَرۡقٗا﴾ هنا بمعنى الإِغراق أَي: تغرق في الصدور.

وقال عطاءٌ فيما روي عنه: (النازعاتُ): الجماعاتُ النازعات بالْقِسِيِّ[١]، و﴿غَرۡقٗا﴾: بمعنى الإِغراق.

وقال الحسن، وقتادة، وأَبو عبيدة، وابن كيسان، والأَخفش: (النازعات): النجومُ؛ لأَنها تَنْزِعُ من أُفق إِلى أُفق[٢].

وقال قتادة: (النازعاتُ): النفوسُ التي تحنُّ إِلى أَوطانها وتَنْزِعُ إِلى مذاهبها[٣]، ولها نزاع عند الموت.

وقال مجاهد: (النازعاتُ): المنايا؛ لأَنها تنزع نفوس الحيوان[٤].

وقال عطاءٌ وعكرمة: (النازعاتُ): القِسِيُّ أَنفسها؛ لأَنها تنزع بالسهام[٥].

واختلف المتأولون في (النَّاشِطاتِ):

فقال ابن عباس[٦] ومجاهد: هي الملائكة؛ لأنها تُنَشِّطُ النفوس عند الموت[٧]، أَي: تحلُّها كحلِّ العِقال، وتَنْشَط بأَمر الله تعالى إِلى حيث كان.

وقال مجاهد: (النَّاشطات): المَنايا[٨].

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٤/ ١٨٦)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٩٢)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٢٢).
(٢) قول أبي عبيد في مجاز القرآن له (٢/ ٢٨٤)، وقول البقية في تفسير الثعلبي (١٠/ ١٢٢).
(٣) لم أقف عليه.
(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ١٨٦)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٠١٩)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٢٢)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٩٢).
(٥) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٢٢).
(٦) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٨٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه بنحوه.
(٧) لم أقف عليه.
(٨) تفسير الطبري (٢٤/ ١٨٧)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٠٢١)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٢٣).

وقال ابن عباس أَيضاً[(١)]، وقتادة، والأَخفش، والحسن: (الناشطاتُ): النجومُ لأَنها تَنْشِطُ من أُفُقٍ إِلى أُفُق[(٢)]، أَي: تذهب وتسير بسرعة، ومن ذلك قيل لِبَقَر الوحش: النَّواشِطُ؛ لأَنَّهن يذهبن بسرعة من موضع إِلى آخر.

وقال عطاءٌ: (الناشطاتُ) في الآية: البقرُ الوحشيةُ وما جرى مجراها من الحيوان الذي يَنْشِط من قُطْر إِلى قُطْر[(٣)]، ومن هذا المعنى قول الشاعر:

أَرى هُمُومي تَنْشِطُ الْمَنَاشِطَا الشَّامَ بِي طَوْراً وَطَوْراً واسِطاً[(٤)] [الرجز]

وكأَن هذه اللفظة في هذا التأْويل مأْخوذة من النشاط.

وقال عطاءٌ أَيضاً وعكرمة: (الناشطاتُ): الأَوْهَاق[(٥)].

تقول: نَشَطْتُ البعير والإِنسان: إِذا رَبَطْتَه، وأَنْشَطْتُه: إِذا حَلَلْتَه، حكاه الفراءُ[(٦)] وخولف فيه، ومنه الحديث: «كأَنَّمَا أُنْشِطَ منِ عِقالٍ»[(٧)].

وقال ابن عباس أَيضاً:/ (الناشطاتُ): النفوسُ المؤمنة تَنْشِطُ عند الموت للخروج[(٨)]. [٥/ ٢٧٠]

---

(١) لم أقف عليه.
(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٢٣)، تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٩٨).
(٣) البحر المحيط (١٠/ ٣٩٥).
(٤) البيت لهِمْيان بن قُحافة كما في مجاز القرآن (٢/ ٢٨٤)، والصحاح للجوهري (٣/ ١١٦٤)، وتفسير الطبري (٢٤/ ١٨٨)، وفي أحمد٣: «إن همومي»، وفي المطبوع: «أمست».
(٥) قول عطاء في تفسير الطبري (٢٤/ ١٨٨)، ولم أقف على قول عكرمة.
(٦) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٣٠).
(٧) هذا المعنى جاء في أكثر من حديث منها ما أخرجه البخاري (٢٢٧٦) عن أبي سعيد الخدري عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: انطلق نفر من أصحاب النبي ﷺ في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب.... وفيه رقية أحدهم لسيد هذا الحي، قال: فانطلق يتفل عليه ويقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قَلَبه.
(٨) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٨٧) من طريق السدي، عن أبي صالح باذام، عن ابن عباس في ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾ قال: حين تنشط نفسه.

و«السَّبْحُ»: العومُ في الماءِ، وقد يستعمل مجازاً في خرق الهواءِ والتقلُّب فيه.

واختلف في (السَّابِحاتِ) في الآية:

فقال قتادة والحسن: هي النجوم؛ لأَنها تسبح في فَلَك[١].

وقال عليٌّ[٢] ومجاهد: هي الملائكة؛ لأَنها تتصرَّف في الآفاق بأمر الله تعالى[٣]، تجيءُ وتذهب.

وقال أَبو رَوْق: (السَّابحاتُ): الشمس والقمرُ والليلُ والنهارُ[٤].

وقال بعض المتأَولين: (السَّابحات): السحاب[٥]؛ لأَنها كالعائمة في الهواءِ.

وقال عطاءٌ وجماعة: (السَّابحات): الخيلُ[٦]، ويقال للفرس: سابحٌ.

وقال آخرون: (السَّابحاتُ): الحيتانُ دوابُّ البحر فما دونها، وذلك من عظيم المخلوقات، فيروى أَن الله تعالى بثَّ في الدنيا أَلف نوع من الحيوان، منها أَربع مئة في البَرِّ وست مئة في البحر، وقال عطاءٌ أَيضاً: (السَّابحاتُ): السُّفن.

وقال مجاهد أَيضاً: (السَّابحات): المنايا تسبح في نفوس الحيوان[٧].

واختلف الناس في (السَّابِقاتِ):

---

(١) قول قتادة في تفسير الطبري (٢٤/ ١٨٩)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٢٣)، وقول الحسن في تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٩٨).

(٢) أثر علي رضي الله عنه أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره كما في الدر المنثور (١٥/ ٢١٨) قال: هي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين بين السماء والأرض.

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ١٨٩)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٢٣).

(٤) البحر المحيط (١٠/ ٣٩٥).

(٥) في الأصل: «السماوات».

(٦) انظر البحر المحيط (١٠/ ٣٩٥).

(٧) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٤/ ١٨٩)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٩٣)، والثاني في الهداية لمكي (١٢/ ٨٠٢٢).

فقال مجاهد: هي الملائكة، وقيل: هي الرياح، وقال عطاءٌ: هي الخَيْل[1].

وقيل: النجوم، وقيل: المنايا تسبق الآمال، وقال الشاعر:

لَا أَرَى الْمَوتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شيءٌ[2] .... [الخفيف]

وأَمَّا (الْمُدَبِّرَاتُ): فلا أَحفظ خلافاً أَنها الملائكة، ومعناها: أَنها تدبِّر الأُمور التي سخرها الله لها وصرَّفها فيها كالرياح والسحاب وسائر المخلوقات.

قال ابن زيد: ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾: الأَرض تهتزُّ بأهلها بنفخة الصُّور الأُولى[3].

وقيل: ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾: النفخة نفسها، و﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾: النفخة الأُخرى، ويروى أَن بينهما أَربعين سنة[4].

وقال عطاءٌ: ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾: القيامة نفسها، و﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾: البعث[5].

وقال ابن زيد: ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾: الموتُ، و﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾: الساعةُ[6].

وقال أُبَيُّ بن كعب: كان النبي ﷺ إِذا ذهب ربع الليل قام، وقال: «يا أَيُّها الناس اذكروا الله، جاءَت الراجفة، تتبعها الرادفة، جاءَ الموتُ بما فيه»[7].

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٤/ ١٩٠)، والأول في الهداية لمكي (١٢/ ٨٠٢٣).

(٢) البيت لسواد بن عدي كما في الكتاب لسيبويه (١/ ٦٢)، وتقدم في تفسير الآية (١٠٨) من (سورة آل عمران).

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ١٩٢)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٠٢٨).

(٤) مرسل، أخرجه الطبري (٢٤/ ١٩١) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة مرسلًا بلفظ مطول.

(٥) تفسير القرطبي (١٣/ ٢٤١).

(٦) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٢٤).

(٧) حسنه الترمذي، وإسناده لين، أخرجه أحمد (٥/ ١٣٦)، وعبد بن حميد (١٧٠)، والترمذي (٢٤٥٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٢-٥١٣، ٤/ ٣٠٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٥٧٧-١٠٥٧٩) من طرق عن سفيان الثوري، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل ابن أبي بن كعب، عن أبيه، به، بنحوه، وفي إحدى روايات الحاكم والبيهقي قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج فقد بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه». وعبد الله بن محمد بن عقيل لين الحديث.

ثم أَخبر تعالى عن قلوب تَجِفُ ذلك اليوم، أَي: ترتعد خوفاً وفَرَقاً من العذاب، ووجيف القلب يكون من الفزع، ويكون من الإِشفاق، ومنه قول الشاعر قيس بن الخطيم:

[المنسرح] إِنَّ بَنِي جَحْجَبَى وَأُسْرَتَهُمْ أَكْبادُنَا مِنْ وَرَائِهِمْ تَجِفُ[1]

ورُفع ﴿ قُلُوبٌ ﴾ بالابتداءِ، وجاز ذلك وهو نكرة؛ لأَنها قد تخصصت بقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾.

واختلف الناس في جواب القسم، أَين هو؟

فقال الفراءُ والزجاج: هو محذوف دلَّ الظاهر عليه، تقديره: لَتُبْعَثُن أَو لَتُعَاقَبُنَّ يوم القيامة[2].

وقال بعض النحاة: هو في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾، وهذا ضعيف لِبُعْد القول، ولأَن المعنى هنالك يستحق «أَنَّ».

وقال آخرون: هو في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ﴾ على تقدير حذف اللام، كأنه تعالى قال: لَيَوْمَ.

وقال آخرون: هو موجود في جملة قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ... قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾، كأنه تعالى قال: لَتجِفَنَّ قلوبُ قوم يوم كذا، ولما دلَّت القلوب على أَصحابها؛ ذكر بعد ذلك أَبصارها، و«خشوعها»: ذُلَّها وما يظهر منها من الهمِّ بالحال.

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ ﴾ هي حكاية حالهم في الدنيا، معناه: هم الذين يقولون.

---

(١) في حاشية المطبوع: «هكذا ورد البيت في الأصول، ولكنه في الديوان جاء هكذا:
أَبْلِغْ بَنِي جَحْجَبَى وَقَوْمَهُمُ خَطْمَةَ أَنَّا وَراءَهُمْ أُنُفُ...
إِنَّا وَلَوْ قَدَّموا الَّتي عَلِموا أَكْبادُنَا مِنْ وَرَائِهِمْ تَجِفُ
إلخ»، انظر عزوه له في سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٤)، والأصمعيات (ص: ١٩٨)، والاختيارين (ص: ٤٩٦)، والأغاني (٣/ ٢٥)، وجَحْجَبى وخَطْمَة: حيان من الأَوس قبيلة قيس بن الخطيم.
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٧٨)، ولم أقف على قول الفراء في كتابه.

وقولهم: ﴿أَءِنَّا﴾ هو على جهة الاستخفاف والعجب والتكذيب.

وقرأ ابن أَبي إِسحاق، وابن يَعْمَر: (آئِنَّا) بهمزتين ومَدَّة، على الاستفهام.

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿أَينَّا﴾ باستفهام وهمزة واحدة[١].

و﴿ٱلْحَافِرَةِ﴾ لفظة توقعها العربُ على أَوَّل أَمر رُجع إِليه من آخره، يقال: عاد فلانٌ في الحافرةِ إِذا ارتكس في حالٍ من الأَحوال، ومنه قول الشاعر:

أَحـافِـرَةً عَلَى صَلَعٍ وَشَيْبٍ مَعَاذَ اللهِ مِـنْ سَفَهٍ وَعـارِ[٢] [الوافر]

والمعنى: أَئِنَّا لمردودون إِلى الحياة بعد مفارقتها بالموت؟

وقال مجاهد والخَليل: ﴿ٱلْحَافِرَةِ﴾: الأَرضُ، فاعِلَةٌ بمعنى محفورة[٣].

وقيل: بل هو على النَّسب، أَي: ذات حفر، والمراد القبور؛ لأَنها حُفرت للموتى، فالمعنى: أَئِنَّا لمردودون أَحياءً في قبورنا؟

وقال ابن زيد بن أَسلم: ﴿ٱلْحَافِرَةِ﴾: النارُ[٤].

وقرأ أَبو حيوة: (في الْحَفِرَةِ) بغير أَلف[٥]، فقيل: هو بمعنى ﴿ٱلْحَافِرَةِ﴾، وقيل: هي الأَرض المُنْتنة المتغيرة بأجساد موتاها، من قولهم: حُفرت أَسنانُه إِذا تآكلت وتغيَّر ريحها.

---

(١) غير دقيق، فقد اتفق السبعة على استفهام هذا الحرف؛ لأن ابن عامر خالف أصله، وهم في التسهيل والإدخال على أصولهم، وقرأه بالخبر أبو جعفر، ولعله يقصد بالهمزتين مع المد التحقيق مع الإدخال، وهو لهشام، وبالجمهور التسهيل دونه وهو لورش وابن كثير.

(٢) بلا نسبة في أمالي القالي (١/ ٢٧)، وأدب الكاتب لابن قتيبة (ص: ٤١٥)، وإصلاح المنطق (ص: ٢١٢) عن ابن الأعرابي.

(٣) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٢٥)، وفي المطبوع ونجيبويه: «بمعنى مفعولة».

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ١٩٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٠٣١)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٢٥)، والمطبوع والأسدية ٣ وأحمد٣ ونجيبويه: «وقال زيد».

(٥) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٤٩).

و«النَّاخِرَةُ»: الْمُصَوِّتَةُ بالريح الْمُجَوَّفَةُ، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] وَأَخْلَيْتُها مِنْ مُخِّها فَكَأَنَّها قَواريرُ في أَجْوافِهَا الرِّيحُ تَنْخُرُ[١]

وروي: تَصْفِرُ.

و﴿نَاخِرَةً﴾ هي قراءة حمزة، وعاصم في رواية أَبي بكر، وعمر بن الخطاب، وابن مسعود، وأُبَيِّ بن كعبٍ، وابن عباس، وابن الزبير، ومسروق، ومجاهد، وجماعة سواهم.

وقرأَ الباقون، وحفص عن عاصم، وعمر بن الخطاب أيضاً، وعلي بن أَبي طالب، وابن مسعود، والحسن، والأَعرج، وأَبو رجاءٍ، وأَبو جعفر، وشيبة، وأَبو عبد الرحمن، وابن جبير، وأَهل مكة، وشبل، وقتادة، وأَيوب، والنَّخَعي، وابن وثاب: ﴿نَّخِرَةً﴾ دون أَلف بعد النون[٢].

ومعناه: باليةٌ متعفنة قد صارت رميماً، يقال: نخر العودُ والعظْمُ: إِذا بَلِيَ وصار يتفتَّتُ.

وحُكي عن أَبي عبيدة، وأَبِي حاتم، والفراءِ، وغيرهم أَن: «النَّاخرة» و«النَّخِرَة» بمعنى واحد[٣]، كطامِع وطَمِع، وحاذِرٍ وحَذِر، والأَكثر من الناس على ما قدمناه.

قال أَبو عمرو بن العلاءِ: «النَّاخِرَةُ»: التي لم تنخر بَعْد، و«النَّخِرَةُ»: التي قد بَلِيَت[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧

---

(١) البحر المحيط (١٠/ ٣٩٣).

(٢) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦٧٠)، وانظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٣١)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٢٥).

(٣) انظر قول أبي عبيدة وأبي حاتم في تفسير الثعلبي (١٠/ ١٢٥-١٢٦)، وقول الفراء في معاني القرآن له (٣/ ٢٣١).

(٤) انظر حجة القراءات لابن زنجلة (ص: ٧٤٨)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٢٦).

فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾.

ذكر الله تعالى عنهم قولهم: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ /، وذلك أَنهم لتكذيبهم بالبعث وإِنكارهم قالوا: لو كان هذا حقّاً لكانت كرَّتنا ورَجْعَتُنا خاسرة؛ إِذْ هي إِلى النار. [٥/ ٢٧١]

وقال الحسن: ﴿خَاسِرَةٌ﴾ معناه: كاذبة[1]، أَي ليست بكائنة.

ورُوي أَن بعض صناديد قريش قال ذلك.

ثم أَخبر الله تعالى عن حال القيامة فقال: (إِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ)، أَي: نفخة في الصُّور، فإِذا الناس قد نشروا وصاروا أَحياءً على وجه الأَرض.

وفي قراءة عبد الله: (فإِنما هي زقية واحدة)[2].

و«الساهرة»: وجه الأَرض، ومنه قول أُمَيَّة بن أَبي الصلت:

وَفيها لَحْمُ ساهِرَةٍ وَبَحْرٍ وَمَا فاهُوا بِهِ فلَهُمْ مُقيمُ[3] [الوافر]

وقال وهب بن مُنَبِّه: «السَّاهرة»: جبلٌ بالشام يمدُّه الله تعالى لحشر الناس يوم القيامة كيف شاءَ[4].

وقال أَبو العالية وسفيان: «السَّاهرةُ»: أَرضٌ قريبة من بيت المقدس[5].

وقال قتادة: «السَّاهرة»: جهنم لأَنه لا نوم لمن فيها[6].

---

(١) تفسير القرطبي (١٩/ ١٩٨).

(٢) في المطبوع: «وقعة»، وكلاهما شاذة، لم نجد له فيهما هنا سلفاً ولا خلفاً، وسقط من أحمد٣ «من وجه الأرض إلى وجه الأرض».

(٣) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٢٨٥)، وتفسير الطبري (٢٤/ ١٩٦)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢٤)، والفاضل (ص: ١٠).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ١٩٩)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٠٣٣).

(٥) انظر قول وهب وسفيان في تفسير الطبري (٢٤/ ١٩٩)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٠٣٣)، وقول أبي العالية في البحر المحيط (١٠/ ٣٩٨).

(٦) تفسير الطبري (٢٤/ ١٩٩)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٢٦).

وقال ابن عباس: «السَّاهرةُ»: أَرض مكة[١]، وقال الزهري: «السَّاهرة»: الأَرض كلها.

ثم وقف تعالى نبيَّه محمداً ﷺ على جهة جمع النفس لتلقي الحديث، فقال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ الآية.

و(الوادي المقدس): وادٍ بالشام، قال منذر بن سعيد: هو بين المدينة ومصر[٢].

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن، والأَعمش، وابن أَبي إِسحاق، وقعنب: (طِوًى) بكسر الطاء مُنَوَّنة، ورويت عن عاصم[٣].

وقرأَ الجمهور: ﴿طُوًى﴾ بضم الطاءِ، وأَجرى بعض القراءِ: ﴿طُوًى﴾، وترك إِجراءَه ابن كثير، وأَبو عمرو، ونافع، والحسن[٤]، وجماعة وقد تقدم شرح هذه اللفظة في سورة طه.

وقوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾: تفسير النداءِ الذي ناداه ربُّه، ويحتمل أَن يكون المعنى: قال اذهب، وفي هذه الأَلفاظ استدعاءٌ حَسَن، وذلك أَنه أُمر أَن يقول له: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾، [وهذا قولٌ جوابُ كلِّ عاقل عنده: نَعَم أُريد أَن أَتَزَكَّى][٥].

و«التَّزَكِّي» هو: التَّطهر من النقائص والتَّلبس بالفضائل.

وفسَّر بعضهم ﴿تَزَكَّىٰ﴾ بـ: تُسْلِم.

وفسَّرها بعضهم بقول: لا إِله إِلَّا الله، وهذا تخصيص، وما ذكرناه يَعُمُّ جميع هذا.

---

(١) قول الزهري لم أقف عليه، ونقل ابن عادل في اللباب (٢٠/ ١٣٤١) عن الضحاك عن ابن عباس قوله: (الساهرة): أرض من فضة.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) وهي شاذة، انظر إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٨٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٥٠٢)، و«قعنب» ساقطة من الأصل.

(٤) من المطبوع والأسدية ٣، وهما سبعيتان، الإجراء ـ وهو التنوين ـ لابن عامر والكوفيين، وعدمه للباقين، انظر السبعة (ص: ٦٧١).

(٥) ساقط من نجيبويه.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو بخلاف عنه: ﴿تَزَّكَّى﴾ بشدِّ الزاي.

وقرأ الباقون: ﴿تَزَكَّىٰ﴾ بتخفيف الزاي[١].

ثم أمر موسى عليه السلام بأن يفسِّر له التَّزكي الذي دعاه إليه بقوله: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾، والعلم تابع للهدى، والخشية تابعة للعلم، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

و﴿ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: العَصَا واليَدُ، قاله مجاهد وغيره[٢]، وهما نصب[٣] موسى عليه السلام للتحدي، فوقعت المعارضة في الواحدة، وانقلب فيها فريق الباطل.

وقال بعض المفسرين: ﴿أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ حقيقة، قام من موضعه مولِّياً فارّاً بنفسه من مجالسة موسى عليه السلام.

وقال مجاهد: ﴿أَدْبَرَ﴾: كناية عن إِعراضه عن الإِيمان، و﴿يَسْعَىٰ﴾ معناه: [يتخدم حل] أَمر موسى عليه السلام[٤] والرَّدِّ في وجه شرعه[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَحَشَرَ﴾ معناه: جمع أَهل مملكته، ثم ناداهم بقوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، ورُوي عن ابن عباس أَنه قال: المعنى: فنادى فحشر[٦].

وقوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ نهاية في المَخْرقة[٧]، ونحوها باق في ملوك مصر وأَتباعهم.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦٧١)، وأبو عمرو بالتخفيف كما في التيسير (ص: **٢١٩**).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٠٢).

(٣) في المطبوع: «قَصَب».

(٤) في أحمد**٣**: «يروم جُلَّ»، وفي نجيبويه: «كل»، وفي الحمزوية: «حال»، وفي نور العثمانية: «بنحرم»، وفي المطبوع: «يجتهد على»، قال في الحاشية: اختلفت النسخ الأصلية في هذه الجملة، ففي بعضها: «يجتهد على أمر موسى»، وفي بعضها: «يَتَحَزَّم أمر موسى»،...

(٥) لم أقف عليه، وفي المطبوع وأحمد**٣** ونور العثمانية ونجيبويه: «الجمهور»، بدل «مجاهد».

(٦) لم أهتد إليه.

(٧) في المطبوع: «المخرفة»، وهي محتملة في بعض النسخ الخطية.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿نَكَالَ﴾ منصوبٌ على المصدر.

وقال قوم: ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾: قولُه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٢٨]، و(الأُولى): قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

وروي أنه مكث بعد قوله ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أربعين سنة، وقيل: كانت هذه المدة بين الكلمتين، وقال ابن عباس: ﴿ٱلْأُولَىٰٓ﴾: قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾، و﴿ٱلْآخِرَةِ﴾: قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾(١).

وقال أبو رُزَين: (الأُولى): كُفْره وعصيانُه، و﴿ٱلْآخِرَةِ﴾: قولُه: «أَنا رَبُّكُمُ الأَعْلَى».

وقال ابن زيد: (الأُولى): الدنيا، و﴿ٱلْآخِرَةِ﴾: الدارُ الآخرة، أَي: أَخذه الله تعالى بعذاب جهنم وبالغرق في الدنيا.

وقال مجاهد: هذه عبارةٌ عن أَول معاصيه وكُفْره وآخرِها، أَيْ: نكَّل بالجميع(٢).

و﴿نَكَالَ﴾ نصب على المصدر، والعامل فيه على رأي سيبويه (أخذ)؛ لأَنه في معناه،

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٠٣) عن أبي كريب، عن أبي بكر بن عياش وسُئل عن هذا فقال: كان بينهما أربعون سنة، بين قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾، وقوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ قال: هما كلمتاه، ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ قيل له: مَن ذكره؟ قال: أبو حصين، فقيل له: عن أبي الضُّحى، عن ابن عباس؟ قال: نعم. ولم يذكر أبو بكر بن عياش سماعاً، وأخرجه الطبري في نفس المصدر من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه، بنحوه.

(٢) انظر قول مجاهد وأبي رزين في تفسير الطبري (٢٤/ ٢٠٥)، وقول ابن زيد في البحر المحيط (١٠/ ٣٩٩).

وعلى رأي أبي العباس المبرد فِعْلٌ مضمر من لفظ ﴿نَكَالَ﴾، [كأنه قال: نَكَّله نَكَالَ][١].

ثم وقف تعالى على موضع العبرة بحال فرعون، وتعذيبه، وفي الكلام وعيد للكفار المخاطبين برسالة محمد ﷺ، ثم وقفهم مخاطبة منه تعالى لجميع العالم، والمقصد الكفار، ويحتمل أن يكون المعنى: قل لهم يا محمد: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا﴾ الآية.

وفي هذه الآية دليل على أن بعث الأجساد من القبور لا يتعذَّر على قدرة الله تعالى.

و«السَّمْكُ»: الارتفاع الذي بين سطح السماءِ الأسفل الذي يلينا وبين سطحها الأعلى الذي يلي ما فوقها.

وقوله تعالى: ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ يحتمل أن يريد: جعلها ملساءَ مستويةً ليس فيها مرتفع ومنخفض، ويحتمل أن يكون عبارة عن إتقان خلقها، ولا يقصد معنى امِّلاس سطحها.

والله تعالى أعلم كيف هي.

و(أغطش): معناه: أَظْلَم، والأَغْطَشُ: الأَعمى، ومنه قول الشاعر:

نَحَرْتُ لَهُمْ مَوْهِناً نَاقَتِي وَلَيْلُهُمُ مُدْلَهِمٌّ غَطِشْ[٢] [المتقارب]

ونسب الليل والضحى إليها من حيث هما ظاهران منها وفيها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ متوجِّهٌ على أن الله تعالى خلق الأرض ولم يَدْحُها، ثم استوى إلى السماءِ وهي دخان فخلقها وبناها، ثم دحا الأرض بعد ذلك.

وقرأ مجاهد: (والأَرْضَ مَعَ ذَلكَ)[٣].

---

(١) ساقط من الأصل، وانظر قوله في البحر المحيط (١٠/ ٣٩٩).

(٢) البيت للأعشى ميمون بن قيس، كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ١٨)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٩٨)، والمَوْهِنُ: نحو نصف الليل أو بعد ذلك بساعة، والغامرُ: هو الليل؛ لأنه يغمر الناس ويغطيهم، ومُدْلَهِمٌّ: كثيف الظلام، وغَطِش: شديد الظلام.

(٣) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٥١).

وقال قوم: إن ﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ معناه: مع ذلك، والذي قلناه مترتب عليه آيات القرآن كلها، ونسب الماءَ والمرعى إِلى الأَرض من حيث هما منها يظهران، ودَحْو الأَرض: بَسْطُها، ومنه قول أُمَيَّة بن أَبي الصلت:

[الكامل] دَارٌ دحاها ثُمَّ أَسْكَنَنَا بِها وَأَقامَ بالأُخْرى الَّتي هي أَمْجَدُ[1]

وقرأ الجمهور: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾ نصباً، وقرأ الحسن، وعيسى: (والأرضُ) بالرفع.

وقرأ الجمهور: ﴿وَٱلۡجِبَالَ﴾ نصباً، وقرأ الحسن، وعمرو بن عبيد: (والجبالُ) رفعاً[2].

[٥/ ٢٧٢] و﴿أَرۡسَىٰهَا﴾ معناه: أَثبتها، وجميع هذه النعم إِذا تُدُبِّرت فهي متاعٌ / للناس والأَنعام، يتمتعون فيها وبها.

وقرأ الجمهور: ﴿مَتَٰعٗا﴾ بالنصب، وقرأ ابن أَبي عبلة: (متاع) بالرفع[3].

و﴿ٱلطَّآمَّةُ﴾: هي القيامة، قاله ابن عباس، والضحاك[4].

وقال الحسن، وابن عباس أَيضاً: النفخة الثانية[5].

وقوله تعالى: ﴿مَا سَعَىٰ﴾ معناه: ما عمِل من سائر عمله، ويتذكر ذلك بما يرى من جزائه.

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَبُرِّزَتِ﴾ بضم الباءِ وشد الراءِ المكسورة.

وقرأ عكرمة، ومالك بن دينار، وعائشة رضي الله عنها: (وَبَرَزَت) بفتح الباءِ والراءِ[6].

---

(١) انظر عزوه له في تفسير الطبري (٢٤/ ٢٠٩)، بلفظ: «ثم أعمرنا».

(٢) وهما شاذتان، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٦٨)، والثانية في المحتسب (٢/ ٣٥٠).

(٣) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٢).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ٢١١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه، وقول الضحاك في تفسير القرطبي (١٩/ ٢٠٦).

(٥) لم أهتد إليه، وقول الحسن في تفسير الماوردي (٦/ ٢٠٠).

(٦) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٢)، ومختصر الشواذ (ص: ١٦٨).

وقرأ جمهور الناس: ﴿لِمَن يَرَىٰ﴾ بالياءِ، أَي: لمن يُبصر ويُحصِّل.

وقرأ عكرمة، ومالك بن دينار، وعائشة رضي الله عنها: (لِمَنْ تَرَى) بالتاءِ[١].

أَي: تراه أَنت يا محمد، فالإِشارة إِلى كُفَّار مكة، أَو إِشارة إِلى الناس والقصد كُفار مكة، ويحتمل أَن يكون المعنى: لمن تراه الجحيم، كما قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [الفرقان: ١٢].

وقرأ ابن مسعود: (لِمَنْ رأَى) على فعل ماض[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾.

﴿طَغَىٰ﴾ معناه: تجاوز الحدود التي ينبغي للإِنسان أَن يقف عندها، وآثر الحياة الدنيا عَلَى الآخِرَةِ؛ لتكذيبه بالآخرة.

و﴿ٱلْمَأْوَىٰ﴾: المنزلُ والمسكن حيث يأوي المرءُ ويلازم.

و﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: هو يوم القيامة، وإِنما المراد: مَقَامُ بَيْن يدي ربه، فأضاف المقام إِلى الله تعالى من حيث هو بين يديه، وفي ذلك تفخيمٌ للمقام وتعظيم لهوله وموقعه من النفوس.

قال ابن عباس: المعنى: خافه عند المعصية فانتهى عنها[٣].

---

(١) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٢)، والمحتسب (٢/ ٣٥٠).

(٢) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ١٦٨).

(٣) خرج الطبري (٢٣/ ٥٦)، والبيهقي في البعث (٣٠٧) من طريق محمد بن سعد، عن أبيه، عن عمه، عن أبيه، عن عطية العوفي، عن ابن عباس قال في قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾: خاف ثم اتقى. وإسناده ضعيف.

و﴿ٱلْهَوَىٰ﴾: هو شهوات النفس وما جرى مجراها، وأَكثر استعماله إِنما هو في غير المحدود.

قال سهل التُّسْتَـري: لا يسلم من الـهوى إِلا الأَنبياءُ عليهم السلام وبعض الصديقين.

وقال بعض الحكماءِ: إِذا أَردتَ الصواب فانظر هواك فخالفه.

وقال الفُضيلُ بن عياض: أَفضل الأَعمال خلاف الهوى(١).

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾، نزلت بسبب أَن قريشاً كانت تُلح في البحث عن وقت الساعة التي كان رسول الله ﷺ يخبرهم بها ويتوعدهم بأَمرها ويكثر من ذلك.

و﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ معناه: مَتَى ثُبوتها ووقت رسوها، أَي ثُبوتها، كأَنه شيءٌ يسير إِلى غاية مَّا ثم يقف كما تفعل السفينة التي ترسو.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن السلمي: (إِيَّانَ) بكسر الأَلف(٢).

ثم قال تعالى لنبيِّه ﷺ ـ على جهة التوقيف ـ: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾، أَي: من ذكر تحديدها ووقتها، أَي: لسْتَ من ذلك في شيءٍ، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ﴾.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يَسْأَل عن الساعة كثيراً، فلما نزلت هذه الآية انتهى(٣).

---

(١) لم أقف على هذه الأقوال، وفي المطبوع: «الفضل».

(٢) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٥٠).

(٣) اختلف في وصله وإرساله والأصح المرسل، أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (٧٧٧)، والبزار (٢٢٧٩ كشف)، والطبري (٢٤/ ٢١٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٣-٥١٤)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٣١٤)، والخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ٣٢١) من طرق عن سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن عائشة قالت: ما زال رسول الله ﷺ يسأل عن الساعة حتى نزلت: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ * إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾، ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٤٧) والشافعي =

وقرأَ أَبو جعفر، وعمر بن عبد العزيز، وأَبو عمرو بخلاف، وابن محيصن، والأَعرج، وطلحة، وعيسى: ﴿مُنْذِرٌ﴾ بالرفع بتنوين (مُنْذر)(١).

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿مُنذِرُ مَن﴾ بإِضافة ﴿مُنذِرُ﴾ إِلى ﴿مَن﴾.

ثم قرَّب تعالى أَمْر السَّاعة بإِخباره أَن الإِنسان عند رؤيته إِيَّاها يظن أَنه لم يلبث إِلَّا عشيَّة يومٍ أَوْ بُكْرته، فأَضاف «الضُّحَى» إِلى «العَشِيَّة» من حيث هما طرفان للنهار، وقد بدأَ بذكرٍ أَحدهما فأَضاف الآخَر إِليه تَجوزاً وإِيجازاً.

كمل تفسير سورة النازعات، والحمد لله رب العالمين.

= في المسند (٦٧٤) عن ابن عيينة، عن الزهري، عن عروة مرسلاً، وحكى الدارقطني في العلل (١٢٦/١٤) الخلاف على ابن عيينة، ثم قال: ولعل ابن عيينة وصله مرة، وأرسله أخرى، وسئل أبو زرعة عنه فقال: الصحيح مرسلاً بلا عائشة.اهـ.

(١) وهي عشرية لأبي جعفر كما في النشر في القراءات العشر (٣٩٨/٢)، وانظر الرواية عن أبي عمرو في السبعة (ص: ٦٧١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَفسير سورة عبس

وهي مكية كلها بإِجماع من المفسرين.

وقصص هذه السورة التي لا تفهم الآية إِلَّا به أَن رسول الله ﷺ كان شديد الحرص على إِسلام قريش وأَشرافهم، وكان يتحَفَّى بدعائهم إِلى الله تعالى، فبينا هو يوماً مع رجل من عظمائهم ـ قيل: هو الوليد بن المغيرة المخزومي، وقيل: عتبة بن ربيعة، وقيل: شيبة، وقيل: العباس، وقيل: أُمَيَّةُ بن خلف، [وقيل: أُبَيُّ بن خلف][(١)].

وقال ابن عباس: كان في جمع منهم، فيهم عُتْبة والعباسُ وأَبو جهل، إِذْ أَقبل عبد الله بن أُمِّ مكتوم القرشي الفهري من بني عامر بن لُؤَي، وهو رجل أَعمى، يقوده رجل آخر، فأَومأَ رسول الله ﷺ إِلى قائده أَن يُؤَخره عنه، فَفَعَل، فدفعه عبد الله وأَقبل[(٢)] نحو رسول الله ﷺ وقال: اسْتَدْنني[(٣)] يا محمد، علِّمني مما علَّمك الله، فكان في ذلك كلِّه قطع لحديث رسول الله ﷺ مع الرجل المذكور من قريش، وكان رسول الله ﷺ قد قرأَ عليه القرآن وقال له: «أَترى بما أَقول بأَساً؟» فكان ذلك الرجل يقول: لا والدُّمَى،

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) ساقطة من الأصل.

(٣) في نجيبويه: «استذني».

يعني الأَصنام، ويروى: لا والدِّما، يعني الذبائح التي للأَصنام، فلما شغب عليه أَمر عبد الله بن أُمِّ مكتوم عبس وأَعرض عنه، وذهب ذلك الرجل، فيروى أَن النبي ﷺ انصرف إِلى بيته فَلُوِيَ رَأْسُه وشخص بصره وأُنزلت عليه هذه السورة(١).

قال سفيان الثوري: فكان بعد ذلك إِذَا رَأَى ابنَ أُمِّ مكتوم قال: «مرحباً بمن عاتبني فيه ربي عزَّ وجلَّ، وبَسَط له رِدَاءَه(٢)».

قال أَنس بن مالك: رأَيْتُهُ يوم القادسية وعليه دِرْعٌ ومعه رايةٌ سوداء(٣)، واستخلفه النبي ﷺ على المدينة مرتين(٤).

---

(١) فيه غرابة، أخرجه الطبري (٢٤/ ١٠٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه فذكره بنحوه، قال ابن كثير: فيه غرابة ونكارة، وقد تُكُلِّم في إسناده.

(٢) لا أصل له بهذا اللفظ، أورده الديلمي في الفردوس (رقم٦٥١٠) بدون سند عن أنس رضي الله عنه، وجاء بمعناه ما أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٤٨)، ومن طريقه أبو يعلى في مسنده (٣١٢٣) عن معمر، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه، في قوله ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ جاء ابن أم مكتوم إلى النبي ﷺ وهو يكلم أبي بن خلف فأعرض عنه، فأنزل الله قال: فكان النبي ﷺ بعد ذلك يكرمه، قال قتادة: وأخبرني أنس بن مالك، قال: رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء ـ يعني ابن أم مكتوم، وعند عبد الرزاق بدون ذكر أنس بن مالك.

(٣) رجاله ثقات، أخرجه الطبري (٢٤/ ١٠٤)، والبغوي في معجم الصحابة (١٥٥١) من طريق سعيد ابن أبي عروبة، وأخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده كما في المطالب العالية (٤٠٣٤) من طريق شيبان بن عبد الرحمن النحوي كلاهما (سعيد، وشيبان) عن قتادة، عن أنس فذكره.

(٤) روي من طرق لا تخلو من مقال وصححه بعضهم، هذا الحديث روي من حديث أنس وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم، أما حديث أنس فأخرجه أحمد (٣/ ١٣٢) وأبو داود (٥٩٥) وأبو يعلى في مسنده (٣١١٠) وابن الجارود في المنتقى (٣١٠) والضياء في المختارة (٢٥٠٤) من طريق ابن مهدي، وأحمد (٣/ ١٩٢) عن بهز بن أسد كلاهما (عبد الرحمن، وبهز) عن أبي العوام عمران القطان، عن قتادة، عن أنس فذكره، وفي رواية بهز زيادة: يصلي بهم وهو أعمى، وأبو العوام فيه ضعف، وقد خالفه همام وسعيد الجريري فقالا: عن قتادة مرسلاً. أخرج رواية همام: ابنُ سعد في الطبقات الكبرى (٤/ ٢٠٥) وأخرج رواية سعيد: الطبري في تفسيره (٢٤/ ٢١٨) باللفظ الأول، وهذا أَوْلى وأما حديث ابن عباس فأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١/ ٦) من طريق: عفير بن معدان =

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ۝١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ۝١٦ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ۝١٧﴾.

= عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس: أن رسولَ الله استخلف ابن أم مكتوم على المدينة مرتين وكان أعمى يصلي بالناس، قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن قتادة إلا عُفير تفرد به أبو المغيرة، وقد أورده ابن عدي في ترجمة عفير من الكامل (٥/ ٣٨١) ثم قال: «ولعفير بن مَعْدان غير ما ذكرت من الحديث وعامة رواياته غير محفوظة»، وأما حديث عائشة فقال أبو يعلى الموصلي في مسنده (١٠٩٦) وابن حبان في صحيحه (٢١٣٤) من طريق: أمية بن بسطام، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا حبيب المعلم، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أن النبي ﷺ استخلف ابن أم مكتوم على المدينة يصلي بالناس، قال الطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ١٣٧): لم يرو هذا الحديث عن هشام إلا حبيب تفرد به يزيد، وقد أورده ابن عدي أيضاً في ترجمة حبيب من الكامل (٢/ ٤١٠)، لكن قال الدارقطني في العلل (١٤/ ١٩٦): يرويه هشام بن عروة، واختلف عنه؛ فرواه حبيب المعلم، والدراوردي، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، وخالفهما جرير بن عبد الحميد، رواه عن هشام، عن أبيه، عن عبد الله ابن عمير إمام بني خطمة، وحديث حبيب المعلم، أخرجه مسلم في الصحيح، وقوله: وحديث حبيب المعلم، أخرجه مسلم في الصحيح خطأ، لم يخرجه مسلم، إنما أخرج مسلم لحبيب عن هشام بن عروة حديثاً واحداً متابعة رقم (١٣١١)، وأخرج ابن سعد في الطبقات (٤/ ٢٠٥) من طرق عن يونس ابن أبي إسحاق عن الشعبي قال: استخلف رسول الله ﷺ عمرو بن أم مكتوم يؤم الناس وكان ضرير البصر، وهو مرسل، ورواه من طريق محمد بن سالم عن الشعبي بلفظ: غزا رسول الله ﷺ ثلاث عشرة غزوة ما منها غزوة إلا يستخلف ابن أم مكتوم على المدينة وكان يصلي بهم وهو أعمى، ومحمد ابن سالم هذا الهمداني أبو سهل الكوفي ضعيف، وقال المنذري: قال بعضهم: إنما ولاه للصلاة بالمدينة دون القضاء فإن الضرير لا يجوز له أن يقضي؛ لأنه لا يدرك الأشخاص ولا يثبت الأعيان ولا يدري لمن يحكم، وهو مقلد في كل ما يليه من هذه الأمور، والحكم بالتقليد غير جائز، وقد قيل: إنه ﷺ إنما ولاه الإمامة بالمدينة إكراماً له وأخذاً بالأدب فيما عاتبه الله عليه في أمره في قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ وقد روي أن الآية نزلت فيه، وفيه دليل على أن إمامة الضرير غير مكروهة انتهى، وقال البغوي في شرح السنة (١٠/ ٧٧): وما روي أن النبي ﷺ استخلف ابن أم مكتوم على المدينة مرتين، فإنما استخلفه في إمامة الصلاة دون القضاء والأحكام. اهـ.

«العُبُوس»: تقطيب الوجه وارْبدادُه عند كراهية أَمر، وفي مخاطبته ﷺ بلفظ ذكر الغائب مبالغة في العتب، لأَن في ذلك بعض الإِعراض. / [٥/ ٢٧٣]

وقال كثير من العلماءِ، وابن زيد، وعائشة وغيرها من الصحابة: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لَكَتَم هذه الآيات وآيات قصة زيد وزينب بنت جحش(١).

و«التَّوَلِّي» هنا: الإعراض، و﴿أَن﴾ مفعول من أجله.

وقرأ الحسن: (آن جاءَهُ) بمَدَّةٍ تقرير وتوقيف، والوقف على هذه القراءَة على ﴿تَوَلَّىٰ﴾، وهي قراءة عيسى(٢).

وذكر الله تعالى ابن أُمِّ مكتوم بصفة العمى [ليظهر المعنى](٣) الذي شأن البشر احتقاره، وبَيَّن أَمره بِذِكْر ضده من عُتُوِّ(٤) ذلك الكافر.

وفي هذا دليلٌ على أَن ذكر هذه العاهاتِ ـ متى كانت لمنفعة، أَو لأَن شُهرتها تعرِّف السامع صاحبها دون لبس ـ جائزٌ، ومنه قول المحدِّثين: سليمان الأَعمش، وعبد الرحمن الأَعرج، وسالم الأَفطس، ونحو هذا.

ومتى ذكرت هذه الأَشياءُ على جهة التَّنْقِيصِ فتلك الغِيبَة.

وقد سمع رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها تذكر امرأَة، فقالت: إِنها لقصيرة، فقال ﷺ: «لقد قلت كلمة لو مزجت بالبحر لمزجته»(٥).

---

(١) أخرج البخاري (٧٤٢٠) عن أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبي ﷺ يقول: «اتق الله، وأمسك عليك زوجك»، قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه، قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات، وقول ابن زيد في تفسير الطبري (٢٤/ ٢١٩).

(٢) وهي شاذة، عزاها لهما الكرماني في الشواذ (ص: ٥٠٣)، وانظر المحتسب (٢/ ٣٥٢).

(٣) زيادة من نجيبويه ونور العثمانية وأحمد٣ والأصل.

(٤) في نجيبويه والأصل: «غنى»، وفي نور العثمانية: «ذكر».

(٥) إسناده صحيح، أخرجه أبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٢-٢٥٠٣) ـ وقال: حسن صحيح ـ، من طريق سفيان الثوري، عن علي بن الأقمر، عن أبي حذيفة، عن عائشة، به.

ثم خاطب تعالى نبيَّه ﷺ بالعتْب فقال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾، أَي: وما يطلعك على أَمره وعُقبى حاله؟.

ثم ابتدأَ القول: ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾، أَي: تنمو بركتُه، ويتطهَّر لله تعالى، وينفعُه إِيمانه.

وأَصل ﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾: يَتَزَكَّى، فأدغم التاءَ في الزاي، وكذلك ﴿يَذَّكَّرُ﴾.

وقرأَ الأعرج: (يَذْكُر) بسكون الذال وضم الكاف، ورويت عن عاصم[١].

وقرأَ جمهور السبعة: ﴿فَتَنْفَعُهُ﴾ بضم العين على العطف.

وقرأَ عاصم وحده، والأَعرج: ﴿فَتَنفَعَهُ﴾ بالنصب[٢] في جواب التَّمني؛ لأَن قوله تعالى: ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ في حكم قوله: ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾.

ثم أَكَّد تعالى عتب نبيِّه ﷺ بقوله: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾، أَي: بمالِه.

و﴿تَصَدَّىٰ﴾: معناه: تتعرض بنفسك.

وقرأَ ابن كثير، ونافع: ﴿تصَّدَّى﴾ بشد الصاد، على إِدغام التاءِ.

وقرأَ الباقون، والأَعرج، والحسن، وأَبو رجاءٍ، وقتادة، وعيسى، والأَعمش: ﴿تَصَدَّىٰ﴾ بتخفيف الصاد، على حذف التاءِ[٣].

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع: (تُصَدَّى) بضم التاءِ وتخفيف الصاد، على بناءِ الفعل للمفعول[٤]، أَي: يُصَدِّيك حرصُك على هؤلاءِ الكفار أَن يسلموا، تقول: تَصَدى الرجلُ وصَدَّيتُه، كما تقول: تَكَسَّب وَكَسَّبْتُه.

ثم قال تعالى تحقيراً لشأْن الكفار: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾، أَي: وما يضرك أَلَّا يفلح؟ فهذا حضٌّ على الإِعراض عن أَمرهم، وترك الاكتراث بهم.

---

(١) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٣).

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٢٠).

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٢٠).

(٤) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٥٢)، والمعروف عنه كقراءة نافع.

ثم قال تعالى مبالغاً في العَتْب: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ﴾، أَي يمشي، وقيل: المعنى: يسعى في شؤونه وأَمْر دينه وَتَقَرُّبه منك، وهو يخشى الله تعالى، ﴿فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾، أَي: تشتغل، تقول: لَهِيتُ عن الشيءِ أَلْهَى إِذا اشتغلت، وليس من اللهو الذي هو من ذوات الواو، وإمَّا أنَّ المعنى يتداخل.

وقرأَ الجمهور من القراءِ: ﴿تَلَهَّىٰ﴾ بفتح التاءِ، على حذف التاءِ الواحدة.

وقرأَ ابن كثير فيما رُوي عنه: ﴿تّلهى﴾ بالإِدغام[١].

وقرأَ طلحة بن مصرف: (تَتَلَهَّى) بتاءَيْن، وروي عنه (تَلْهَى) بفتح التاءِ وسكون اللام وتخفيف الهاءِ المفتوحة[٢].

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع: (تُلْهَى) بضم التَّاءِ وسكون اللام[٣]، أَي: يُلهيك حرصك على أُولئك الكفار.

وفي حديث النبي ﷺ: «ومَا اسْتَأْثَرَ الله بعلمه فَالْهَ عنه»[٤].

---

(١) وهي سبعية للبزي في الوصل على أصله، انظر السبعة (ص: ٦٧٢).

(٢) وهما شاذتان، انظر الأولى في الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٣)، وعزا الثانية لعاصم.

(٣) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٥٢)، والمعروف عنه كقراءة نافع.

(٤) لا أصل له مرفوعاً، وإنما جاء عند ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣١/ ١٥٤) من طريق: أبي بكر ابن أبي الدنيا حدثني بشر بن معاذ، نا عبد الله بن جعفر، أخبرني الضحاك بن عثمان عن نافع قال: سمع ابن عمر شيئاً فضحك وهو عند قبر أبيه يوم مات، وكان أحب الناس إليه فقال: إنما نفرح بهم ونحزن عليهم ما داموا معنا، فإذا انقرضوا أو صاروا إلى الله انقطعوا منا، قال أبو سهل: وقال عبد الله: إذا استأثر الله بشيء فالْهَ عنه، وأبو سهل: هو بشر بن معاذ، وعبد الله: هو ابن أبي نجيح والد علي بن المديني.

وروي من قول عمر بن عبد العزيز، أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٣٢٦) فقال: حدثنا أبو حامد بن جبلة، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا محمد بن سعيد، ثنا سعيد بن عامر، عن عون بن المعتمر، أن عمر رأى رجلاً يشير بشماله فقال: يا هذا إذا تكلمت فلا تشر بشمالك، أشر بيمينك فقال الرجل: ما رأيت كاليوم أن رجلاً دفن أعز الناس إليه ثم إنه يهمه يميني من شمالي، فقال عمر: إذا استأثر الله بشيء فالْهَ عنه، ونسب هذا القول في بعض الكتب لأمثال العرب، كما في تاريخ دمشق (٥٦/ ٣١٤) والجليس الصالح (١/ ٤) وشرح مختصر الروضة للطوفي (٢/ ٥٥) وغيرها.

وقوله تعالى في هاتين: ﴿أَمَّا مَن﴾، ﴿وَأَمَّا مَن﴾: فالسبب ما ذكر من كفار قريش وعبدالله بن أُمِّ مكتوم، ثم هي بَعْدُ تتناول من شَرِكَهم في هذه الأَوصاف، فحملة الشرع والعلم والحكام مخاطبون في تقريب الضعيف من أَهل الخير، وتقديمه على الشريف العاري من الخير، بِمِثْل ما خوطب النبي ﷺ في هذه السورة.

ثم قال: ﴿كَلَّآ﴾ يا محمد، أَي: ليس الأَمر في حقِّه كما فعلتَ، إِن هذه السورة والقراءة التي كنت فيها مع ذلك الكافر تذكرةٌ لجميع العالم، لا يُؤْثر فيها أَحد دون أَحد، وقيل: المعنى: إِن هذه المَعْتَبَة تَذْكِرَةٌ لك يا محمد، ففي هذا التأويل إِجلالٌ لمحمد ﷺ وتأنيسٌ له.

[وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾: يتضمن وعداً ووعيداً على نحو قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٩]، و﴿مَـَٔابًا﴾ [النبأ: ٣٩]][(١)].

وقوله تعالى: ﴿فِى صُحُفٍ﴾ متعلق بقوله: ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾، وهذا يؤيد أَن «التذكِرة» يراد بها جميع القرآن.

وقال بعض المتأَولين: «الصحف»: هنا اللوح المحفوظ، وقيل: صحف الأَنبياء عليهم السلام الْمُنَزَّلَةُ، وقيل: مصاحف المسلمين.

واختلف الناس في «السَّفَرة»:

فقال ابن عباس: هم الملائكة؛ لأَنهم كَتَـبَةٌ، يقال: سفرتُ، أَي: كَتبتُ، ومنه: السِّفْرُ.

وقال ابن عباس أيضاً: الملائكة سَفَرة؛ لأَنهم يسفرون بين الله تعالى وبين أَنبيائه[(٢)].

وقال قتادة: هم القُراءُ[(٣)]، وواحد «السَّفَرة»: سافِر.

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من المطبوع.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٠٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه فذكرهما، «وأيضاً» زيادة من نجيبويه.

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٢١)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٣١)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢٠٤).

وقال وهب بن مُنَبِّه: هم الصحابة؛ لأَن بعضهم يسفر إِلى بعض في الخير والتعليم والتعلم[١]، والقول الأَول أَرجح، ومن اللفظة قول الشاعر:

[الوافر] فَمَـا أَدَعُ السِّـفارة بَيْـنَ قَوْمـي وما أسـعى بغِـشٍّ إِنْ مَشَـيْتُ[٢]

و«الصُّحفُ»: على هذا صحفٌ عند الملائكة أَو اللوح، وعلى القول الآخر: هي المصاحف.

وقوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾: دعاءٌ على اسم الجنس، وهو عموم يراد به الخصوصُ، والمعنى: قتل الإِنسان الكافر، ومعنى ﴿قُتِلَ﴾: هو أَهل أَن يُدْعى عليه بهذا.

وقال مجاهد: ﴿قُتِلَ﴾ معناه: لُعن، وهذا تحكُّم.

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ يحتمل معنى التعجب.

ويحتمل معنى الاستفهام توقيفاً، أَي: أَيُّ شيءٍ أَكْفَرَهُ؟ أَيْ: جعله كافراً.

وقيل: إِن هذه الآية نزلت في عتبة بن أَبي لهب، وذلك أَنه غاضب أَباه فأَتى النبيَّ ﷺ فأسلم[٣]، ثم إِنَّ أَباه استصلحه وأَعطاه مالًا وجهَّزه إِلى الشام، فبعث عتبة إِلى النبي ﷺ وقال: إِني كافر بربِّ النجم إِذا هَوَى، فيروى أَن رسول الله ﷺ قال: «اللهمَّ ابعث عليه كلبك حتى يأْكله»، ويروى أَنه قال: «أَما يخاف أَن يُرسل الله عليه كلبه فيأكله»، ثم إِن عتبة خرج في سَفَر فجاءَ الأَسد فأكله من بين الرفقة»[٤]./ [٥/ ٢٧٤]

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٣٢).

(٢) البيت لموسى بن جابر بن أرقم، كما في معجم الشعراء (ص: ٣٧٧)، والبصائر والذخائر (٢/ ١٩٢)، وربيع الأبرار (٣/ ٩٠)، وفي المطبوع وأكثر المصادر: «ولا أمشي».

(٣) ساقطة من المطبوع ونجيبويه.

(٤) روي هذا الخبر من طريق مرسل وآخرين موصولين فيهما كلام، وحسَّن ابنُ حجر أحدَها، فأخرجه عبد الرزاق (٢/ ٢٥٠)، والطبري (٢٢/ ٦٢-٧) من طريق معمر، والطبري في تفسيره (٢٢/ ٦-٧)، والطبراني في الكبير (١٠٦٠)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٣٩) من طريق سعيد بن أبي عروبة، كلاهما (معمر، وسعيد) عن قتادة فذكره بنحوه مرسلاً، وأخرجه ابن قانع في معجم الصحابة (٣/ ٢٠٧)=

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾: استفهام على معنى التقرير على تفاهة الشيءِ الذي خَلَق الإِنسانَ منه، وهي عبارة تصلح للتحقير وللتعظيم، والقرينةُ تبيِّن الغرض، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ * لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ [المرسلات: ١٢-١٣].

و«النُّطفة» المشار إليها هي: ماءُ الرجل وماءُ المرأَة.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾ بشدِّ الدال، وقرأَ بعض القُراءِ: (فَقَدَرَهُ) بتخفيفها[1].

= قال: في كتابي بخطي عن محمد بن الفرج عن سعيد بن عبد الله السواق عن داود بن إبراهيم العقيلي عن حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن هبار بن الأسود مرفوعاً بنحوه، وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة (٦/ ٨٨): ذكره ابن منده من طريق عبد الرحمن بن المغيرة عن أبي الزناد وابن قانع من طريق داود بن إبراهيم عن حماد بن سلمة كلاهما، عن هشام بن عروة عن أبيه عن هبار بن الأسود في قصة عتبة بن أبي لهب مع الأسد، وفي تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٠٢) من رواية محمد بن إسحاق عن عثمان ابن عروة بن الزبير عن أبيه عن هبار بن الأسود به، وروى الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٨٨) في تفسيره سورة تبت عن عباس بن الفضل الأزرق، ثنا الأسود بن شيبان، ثنا أبو نوفل بن أبي عقرب عن أبيه قال: كان لهب بن أبي لهب يسب النبي ﷺ ويدعو عليه، فقال النبي ﷺ «اللهم سلط عليه كلبك» فجهز أبو لهب البَزّ إلى الشام وبعث معه ولده وقال لغلمانه: إني أخاف على ابني دعوة محمد فتعاهدوه، فكانوا إذا نزلوا منزلاً ألزقوه بالحائط وجعلوا عليه الثياب والمتاع، قال فبينما هم كذلك، إذ جاء سبع فنشله، فقتله، انتهى. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ورواه البيهقي في دلائل النبوة كذلك (٢/ ٢١٢) وقال: هكذا قال عباس بن الفضل: لهب بن أبي لهب، وعباس ليس بالقوي وأهل المغازي يقولونه: عتبة بن أبي لهب، ومنهم من يقول: عتيبة، انتهى. قال الحافظ في فتح الباري (٤/ ٣٩): حديث حسن أخرجه الحاكم من طريق أبي نوفل بن أبي عقرب عن أبيه، قال المناوي في الفتح السماوي (٢/ ٥٤٨): قال الطيبي: الحديث موضوع، ورُدَّ بأن الحاكم أخرجه في المستدرك من حديث أبي نوفل بن أبي عقرب، عن أبيه.. قال الحاكم: صحيح الإسناد.اهـ.

(١) وهي شاذة، لم أجدها لغيره.

والمعنى: جعله بقدرٍ، وحَدٍّ مَعْلوم من الأَعضاءِ والخُلُق والأَجل، وغير ذلك من إِنجابه حسب إِرادته تعالى في إِنسانٍ إنسان.

واختلف المتأولون في معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾؛ فقال ابن عباس، وقتادة، وأَبو صالح، والسدي: هي سبيل الخروج من بطن المرأَة ورحمها(١).

وقال الحسن ما معناه: إِنَّ ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾: هي سبيل النظر القويم المؤدي إِلى الإِيمان، وتَيْسيرُهُ له: هو هِبَةُ العقل.

وقال مجاهد: أَراد السبيل عامة، اسم الجنس في هدى وضلال(٢)، أَي: يَسَّر قوماً لهذا وقوماً لهذا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، [وقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]](٣).

وقوله تعالى: ﴿فَأَقْبَرَهُۥ﴾ معناه: أَمر أَن يُجعل له قبر، وفي ذلك تكريم لئلا يطرح كسائر الحيوان، والقابِرُ: هو الذي يتناول جعل الميت في القبر، والمُقْبر: هو الذي يأمر بقبر الميت ويقرِّره.

و﴿أَنشَرَهُۥ﴾ معناه: أَحياه، يقال: نَشَر الميِّتُ وأَنْشَرَهُ اللهُ.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا شَآءَ﴾ يريد: إِذا بلغ الوقت الذي قد شاءَه، وهو يوم القيامة.

وقرأَ بعض القراءِ: ﴿شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ بتحقيق الهمزتين.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿إذا شا انْشَرَه﴾ بِمَدَّةٍ وبتسهيل الهمزة الأُولى(٤).

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ١١١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقول الباقين في الطبري (٢٤/ ٢٢٣).

(٢) لم أجدهما.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من المطبوع.

(٤) قراءة الجمهور هي الأولى، وأما الباقون فقرأ منهم أبو عمرو وقالون والبزي بإسقاط الهمزة الأولى، وقنبل وورش بتسهيلها، ولهما وجه بإبدالها مداً، هذا حاصل ما في التيسير (ص: ٣٣)، فانظر أي هذا يقصد رحمه الله.

وقرأَ شعيب بن أَبي حمزة: (إِذَا شَاءَ نَشَرَهُ)[١].

وقرأَ الأَعمش: (إذا شَا أَنْشَرَهُ) بهمزة واحدة[٢].

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ ردٌّ لما عَسى أَن يكون للكفار من الاعتراضات في هذه الأَقوال المسرودة، ونفي مؤكد لطاعة الإِنسان لربه، وإِثباتٌ أَنه ترك حق الله تعالى ولم يقض أَمره، قال مجاهد: لا يقضي أَحد أَبداً ما افتُرِض عليه[٣].

ثم أَمر تعالى الإِنسان بالعبرة والنظر إِلى طعامه والدليل فيه، وذهب أُبَيُّ بن كعب[٤]، وابن عباس[٥]، والحسن، ومجاهد، وغيرهم إِلى أَن المراد: إِلى طعامه إِذا صار

---

(١) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٣).

(٢) لعلها هي قراءة أبي عمرو التي أشرنا لها فوق.

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٢٥)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢٠٦).

(٤) روي مرفوعاً وموقوفاً والوقف أكثر، وإسناده لين، فأخرجه أحمد في المسند (٥/ ١٣٦)، والحسين المروزي في زوائده على الزهد لابن المبارك (٤٩٤)، وابن أبي عاصم في الزهد (٢٠٥)، والشاشي (١٥٠١)، وابن حبان (٧٠٢)، والطبراني في الكبير (٥٣١)، وأبو الشيخ في الأمثال (٢٦٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢٥٤)، وفي معرفة الصحابة (٧٥٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٦٥٢) و(١٠٤٧٣) من طريق أبي حذيفة موسى بن مسعود، حدثنا سفيان، عن يونس ابن عبيد، عن الحسن، عن عتي، عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مطعم ابن آدم جعل مثلاً للدنيا، وإن قَزَّحَه، ومَلَّحَه فانظروا إلى ما يصير»، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٣٨١) من طريق أبي أحمد الزبيري، عن سفيان به موقوفاً، وأخرجه يحيى بن صاعد في زوائده على زهد ابن المبارك (٤٩٥)، والشاشي في مسنده (١٥٠٢)، والبيهقي في الشعب (٥٦٥١) من طريق عبد السلام بن حرب، وابن صاعد في زوائده (٤٩٣) من طريق هشيم بن بشير، وابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (٢١١) من طريق إسماعيل ابن علية، ثلاثتهم عن يونس بن عبيد، به. ورواية عبد السلام بن حرب مرفوعة، وأما روايتا هشيم وابن علية فموقوفة، والحسن يدلس ولم يصرح بالسماع، وعُتَي: هو ابن ضمرة ينفرد الحسن عنه عن أُبي بأحاديث، وليس هو بالمعروف كما قال ابن المديني، وإن وثقه ابن سعد والعجلي.

(٥) إسناده ساقط، أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (٢١٣)، وفي الجوع (١٦٨) من طريق حماد بن سلمة، عن محمد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ قال: إِلَى خُرئِهِ.

رجيعاً ليتأمل حيث تصير عاقبة الدنيا، وعلى أَي شيءٍ يتفانى أَهلها، وتستدير رحاها[١].

وهذا نظير ما روي عن ابن عمر: أَن الإِنسان إِذا أَحدث فإِن مَلَكاً يأخذ بناصيته عند فراغه فيردُّ بصره إِلى نحوه مُوقِفاً له ومُعَجِّباً، فينفع ذلك مَنْ له عقل[٢].

وذهب الجمهور إِلى أَن معنى الآية: فلينظر الإِنسان إِلى مطعوماته وكيف يسَّرها الله تعالى له بهذه الوسائط المذكورة من صبِّ الماءِ وشق الأَرض، ويُروى أَنَّ رجلاً أَضافه عابد، فقدم إِليه رغيفاً قَفَاراً فكأَن الرجل استخشنه، فقال له: كُلْه فإِن الله تعالى لم يُنْعم به ويُكَمِّله حتى سخَّر فيه ثلاث مئة وستين عاملاً، الماءُ والريح والشمس ثلاثة من ذلك.

وقرأَ عاصمٌ، وحمزة، والكسائي: ﴿أَنَّا صَبَبۡنَا﴾ بفتح الأَلف على البدل، وهي قراءة الأَعرج، وابن وثاب، والأَعمش، وردَّ على هذا الإِعراب قومٌ بأن الثاني ليس من الأَول، وليس كما ردُّوا؛ لأَن المعنى: فلينظر الإِنسان إِلى إِنعامنا في طعامه، فترتَّب البدل وصحَّ، و﴿ أَنَّا ﴾ في موضع خفض.

وقرأَ الجمهور: ﴿إِنَّا ﴾ بكسر الأَلف على استئناف تفسير الطعام[٣].

وقرأَ بعض الناس:(أَنَّى) بمعنى كيف، ذكرها أَبو حاتم[٤]، و«صبُّ الماءِ»: هو المطر، و«شق الأَرض»: هو بالنَّبات.

و«الحَبُّ»: جمع حَبَّةٍ بفتح الحاء، وهو كل ما يتخذه الناسُ ويربُّونه[٥]؛ كالقمح والشعير ونحوه.

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٣٢)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢٠٧).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٢٠).

(٤) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٥٠٤) للكسائي، وحكاها ابن الأنباري كما في مختصر الشواذ (ص: ١٦٨).

(٥) في المطبوع ونجيبويه ونور العثمانية: «ويؤثرونه».

والحِبَّةُ ـ بكسر الحاءِ ـ: كل ما ينبت من البذور[1] ولا يُحفل به، ولا هو بِمُتَّخَذٍ.

و«القَضْب»: قال بعض اللغويين هو الفَصَافِص، وهذا عندي ضعيف؛ لأَن الفَصَافص هي للبهائم، فهي داخلة في «الأَبِّ».

وقال أَبو عبيدة: «القَضْب»: الرَّطْبة[2].

[وقال الحسن: هو العَلَف، وأَهل مكَّة يسمون القَتَّ: القَضْبَ][3].

قال ثعلب: لأَنه يُقضب كل يوم[4]، والذي أَقول: إِنَّ «القَضْبَ» هنا: هو كل ما يُقْضب ليأكله ابن آدم غضّاً من النبات؛ كالبقول والهليون ونحوه، فإِنه من المطعوم جزءٌ عظيم، ولا ذِكْر له في الآية إِلَّا في هذه اللفظة.

و«الغُلْب»: الغِلاظُ الناعمة القوية.

و«الحديقةُ»: الشَّجر الذي قد أُحدق بجدار ونحوه.

و«الأَبُّ»: الْمَرْعَى، قاله ابن عباس، وابن زيد، ومجاهد، وقتادة[5].

وقال الضحاك: «الأَبُّ»: التِّين[6]، وفي اللفظة غرابة.

---

(١) في: الأصل: «البزور»، وفي الأسدية ٤: «البرور»، وفي الحمزاوية: «البدور».

(٢) لم أقف على هذا القول.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، وانظر تفسير الطبري (٢٤/ ٢٢٧)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٣٣).

(٤) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٣٣).

(٥) روي عن ابن عباس من طرق، أخرجه الطبري (٢٤/ ١٢١)، وابن أبي حاتم كما في تغليق التعليق (٣/ ٤٩٠)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٣١٣)، وفي الشعب (٣٦٨٦) من طرق عن محمد بن فضيل، عن عاصم بن كليب، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنه قال في قوله: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾، والأب: نبت الأرض مما يأكله الدواب، ولا يأكله الناس، وأخرجه الطبري (٢٤/ ١٢١) من طريق عبد الملك بن أبي سليمان ـ هو العرزمي ـ، عن سعيد بن جبير قال: عدَّ ابن عباس وقال: الأب ما أنبتت الأرض للأنعام، وأخرجه الطبري أيضاً من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: الأب: الكلأ والمرعى كله، وقول الباقين في تفسير الطبري (٢٤/ ٢٣٠-٢٣١).

(٦) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٣٣)، وفيه: «التبن» بدل: «التين»، ولعلها هي الصواب.

وقد توقف في تفسيرها أَبو بكر[١] وعمر[٢].

و﴿مَّتَٰعٗا﴾ نصب على المصدر، والمعنى: تتمتعون به أَنتم وأَنعامكم، فابن آدم في السبعة المذكورة، والأَنعام في الأَبِّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾: اسم من أَسماءِ القيامة، واللفظة في حقيقتها إِنَّما هي لنفخة الصُّور التي تصخُّ الآذان أَيْ تُصِمُّها، ويستعمل هذا اللفظ في الداهية التي يُصِمُّ نبؤُها الآذان لصعوبتها، وهذه استعارة، وكذلك في الصيحة المفرطة التي يصعب وَقْعُها على الآذان.

ثم ذكر تعالى فِرار المرءِ من القوم الذين معهودهم أَلَّا يفر عنهم في الشدائد، ثم رتَّبهم تعالى [الأَقل فالأَقل][٣] محبَّةً وحُنُوّاً.

---

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٣٧٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٠١٠٧)، والمستغفري في فضائل القرآن (٣٣٣) من طريق العوام بن حوشب، عن إبراهيم التيمي، أن أبا بكر، سئل عن قوله: ﴿وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا﴾ فقال: أي سماء تظلني، أو أي أرض تقلني إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟ وهو منقطع بين إبراهيم التيمي وأبي بكر، وأخرجه عبد بن حميد كما في فتح الباري (١٣/ ٢٧١) من وجه آخر عن إبراهيم النخعي، عن أبي بكر بنحوه، وهذا منقطع بين النخعي والصديق. قال الحافظ: لكن أحدهما يقوي الآخر.اهـ.

(٢) صحيح، أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٣٧٥)، وسعيد بن منصور في سننه (٤٣ تفسير)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٠١٠٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩٠-٥١٤) وغيرهم من طريق حميد الطويل، عن أنس بن مالك، أن عمر قال على المنبر: ﴿وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا﴾، ثم قال: هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه، فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر. وزاد البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٢٤) طريق إبراهيم بن سعد ثنا أبي عن صالح عن ابن شهاب أن أنساً أخبره أنه سمع عمر، به، وهذا إسناد صحيح.

(٣) في الأصل وأحمد٣ ونور العثمانية: «الأول فالأول».

وقرأ أبو إياس جُوَيَّة: (مِنْ أَخِيهُ وَأُمِّهُ وَأَبِيهُ) بضمِّ الهاءِ في كلها[١].

قال مُنْذر بن سعيد وغيره: هذا الفرار هو خوف من أن يتبع بعضهم بعضاً بتبعات، إذ الْمُلَابَسَةُ تَعَلُّق المطالبة[٢].

وقال جمهور الناس: إنما ذلك لِشِدَّة الهول، على نحو ما رُوي أن الرُّسل تقول يومئذ: نفسي نفسي، لا أَسألك غيري[٣].

و«الشَّأْنُ الَّذي يُغْنيه»: هو فكره في سيئاته، وخوفُه على نفسه من التخليد في النار، والمعنى: يُغنيه عن اللقاءِ مع غيره، والفكرة في أَمره.

قال قتادة: أَفضى كلُّ إِنسان إِلى ما يشغله عن غيره[٤].

وقال النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «لا يضُرُّك في القيامة كان عليك ثياب أَم لا»، وقرأَ هذه الآية[٥]، وقال ﷺ نحوه لِسَوْدَةَ / رضي الله عنها وقد قالتا: واسَوْأَتاهُ! [٥/ ٢٧٥]

---

(١) وهي شاذة، لم أجدها لغيره، ولفظة «جوية» سقطت من نجيبويه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنما جاء عند البخاري (٣٣٣٩) من حديث أبي سعيد الخدري، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة بلفظ: نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري.

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٣٢).

(٥) صحيح، وليس فيه هذا اللفظ، أخرجه أحمد (٤١/ ١٣٦)، والنسائي (٢٠٨٣)، وفي الكبرى (٢٢١٠-١١٦٤٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٤) من طرق، عن بقية بن الوليد، عن محمد ابن الوليد الزبيدي، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أن النبي ﷺ، قال: «يبعث الله عز وجل الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً»، قال: فقالت عائشة: يا رسول الله، فكيف بالعورات؟ قال: ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾، وأخرجه ابن ماجه (٤٢٧٦) من طريق ابن أبي مليكة، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر، عن عائشة به، بنحوه، وأخرجه الطبري (٩/ ٤١٥)، وابن أبي حاتم (٧٦٣٩)، عن يونس بن عبد الأعلى، عن عبد الله بن وهب، والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠٩) من طريق عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن عثمان بن عبد الله القرظي، يقول: قرأت عائشة رضي الله عنها قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾، فقالت: يا رسول الله، واسوأتاه! إن الرجال والنساء يحشرون جميعاً ينظر بعضهم إلى سوأة بعض؟=

ينظر بعض الناس إلى بعض يوم القيامة[١].

وقرأ جمهور الناس: ﴿يُغْنِيهِ﴾ بالغين منقوطة، وضمِّ الياءِ على ما فسَّرناه.

وقرأ ابن محيصن والزهري، وابن السَّمَيْفَع: (يَعْنيهِ) بفتح الياءِ وعين غير منقوطة[٢]، من قولك: عناني الأَمرُ، أَي: قصدني وأَرادني.

ثم ذكر تعالى اختلاف الوجوه من المؤمنين الواثقين برحمة الله تعالى حين بدت لهم تباشيرها، ومن الكفار، و﴿مُّسْفِرَةٌ﴾ معناه: نَيِّـرَةٌ بادٍ ضوؤها وسرورها.

و﴿تَرْهَقُهَا﴾ معناه: تُلِحُّ عليها، و«القَتَرَةُ»: الغبار، و«الغَبَـرَةُ» الأُولى: إِنما هي من العبوس والهمِّ، كما يُرى على وجه المهموم والميت والمريض شبه الغبار، وأَما «القَتَـرَةُ»: فغبارُ الأَرض، ويقال: إِن ذلك يغشاهم من التراب الذي تَعودُه البهائم، ثم فسَّر تعالى أَصحاب هذه الوجوه المغبرَّة بأنهم الكفرة، قريش يومئذ ومن جرى مجراها قديماً وحديثاً[٣].

= فقال رسول الله ﷺ: «﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾، لا ينظر الرجال إلى النساء، ولا النساء إلى الرجال، شغل بعضهم عن بعض». وهو منقطع كما قال الذهبي في التلخيص، بين القرظي وعائشة.

(١) أخرج الطبراني في الكبير (٩١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥٩)، والبغوي في تفسيره (٥/ ٢١٣) من طريق إسماعيل بن أبي أويس، عن أبيه، عن محمد بن أبي عياش، عن عطاء بن يسار، عن سودة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يبعث الناس حفاة عراة غرلاً يلجمهم العرق، ويبلغ شحمة الأذن» قالت: قلت: يا رسول الله، واسوأتاه! ينظر بعضنا إلى بعض، قال: «شغل الناس عن ذلك» وتلا رسول الله ﷺ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ❁ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ❁ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ❁ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه بهذا اللفظ، ومحمد بن أبي عياش ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢٣٦)، وابن أبي حاتم (٨/ ٨٤) ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في الثقات (٧/ ٤٢٦). ويشهد له حديث عائشة السابق.

(٢) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٥٣)، والشواذ للكرماني (ص: ٥٠٤).

(٣) سقطت من نجيبويه.

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَفسير سُورة التكوير

وهي مكِّيَّة بإِجماع من المتأولين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾.

هذه كلها أَوصاف يوم القيامة، و«تكوير الشمس» هو: أَن تُدار ويُذهب بها إِلى حيث شاءَ الله تعالى، كما يُدار كَوْرُ العمامة، وعبَّر المفسرون عن ذلك بعبارات:

فمنهم من قال: ذهب نورها. [قاله قتادة][١].

ومنهم من قال: رمي بها. قاله الربيع بن خثيم[٢]، وغير ذلك مما هو أَشياء توابع لتكويرها.

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من المطبوع، وفي أحمد٣: «قال قتادة»، وانظر قوله في تفسير الطبري (٢٤/ ٢٣٨)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٣٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٣٨)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢١١).

و«انكدار النجوم»: هو انقضاضها وهبوطها من مواضعها، ومنه قول الراجز:

[الرجز] أَبْصَر خِـرْبـانَ فَـلاة فانْكَدَرْ تَقَضِّيَ الْبَازِي إِذَا البازي كَسَرْ[١]

قال ابن عباس: ﴿ٱنكَدَرَتۡ﴾: تغيَّرت[٢]، من قولهم: ماءٌ كَدِرٌ، أي: متغيِّر اللون.

و«تَسْيِيرُ الجبال» قيل: هو نسفها، وإنما ذلك في صدر هول يوم القيامة.

و﴿ٱلۡعِشَارُ﴾ جمع عُشَراءَ، وهي: الناقة التي قد مرَّ لحملها عشرة أَشهر، وهي أَنْفس ما عند العرب، وَتَهَمُّمُهُم بها عظيم للرغبة في نسلها، فإنما تُعطَّل عند شدة الأَهوال.

وقرأ مُضَر عن اليزيدي: «عُطِلَتْ» بتخفيف الطاءِ[٣].

و«حَشْرُ الْوُحوش» هو: جمعها، واختلف الناس في هذا الجمع، ما هو؟

فقال ابن عباس: هو حَشْرُها بالموت[٤]؛ لأَنها لا تبعث يوم القيامة، ولا يحضر القيامة غير الثقلين.

وقال قتادة وجماعة: حشرت للجمع يوم القيامة[٥]، ويقتص للَجَّماءِ من الْقَرْنَاءِ[٦]، فجعلوا أَلفاظ الحديث حقيقة لا مجازاً، مثالًا في العدل.

---

(١) الرجز للعجَّاج، كما في مجاز القرآن (٢/ ٢٨٧)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٢٣٩)، والزاهر (١/ ٣٦٦)، وفي المطبوع: «فضاء».

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٣٣) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٦٩) لابن كثير، وانظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٤).

(٤) صحيح، أخرجه الطبري (٢٤/ ١٣٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٥) من طريق عباد بن العوام، عن حصين بن عبد الرحمن، عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿حُشِرَتۡ﴾ قال: حشر البهائم موتها، وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس.

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٤٢)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٣٧).

(٦) أخرج مسلم (٢٥٨٢) من طريق: العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجَلحاء من الشاة القرناء».اهـ.

وقال أُبَيُّ بن كعب: ﴿حُشِرَتۡ﴾: في الدنيا في أَول هول يوم القيامة، فإِنها تَفِر في الأَرض، وتجتمع إِلى بني آدم تأَنُّساً بهم[١].

وقرأ الحسن: (حُشِّرتْ) بشد الشّين على المبالغة[٢].

و«تَسْجيرُ البحار»: قال قتادة، والضحاك: معناه: فرغت من مائها، وذهبت حيث شاءَ الله تعالى[٣].

وقال الحسن: يبست[٤].

وقال الربيع بن خثيم: معناه: مُلئت وفاضت وفُجِّرت من أَعاليها[٥].

وقال أُبي بن كعب[٦]، وسُفيان، ووهْب، وابن زيد: معناه: أُضرمتْ ناراً كما يسجر التَّنُّورُ[٧].

وقال ابن عباس: جهنم في البحر الأَخضر[٨].

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٢) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٤).

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٤٣)، وتفسير الهداية لمكي (١٢/ ٨٠٧٨)، ولم أقف على قول الضحاك.

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٤٣)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢١٣)، وتفسير الهداية لمكي (١٢/ ٨٠٧٨).

(٥) تفسير الماوردي (٦/ ٢١٣)، وتفسير الهداية لمكي (١٢/ ٨٠٧٨).

(٦) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٣٧) من طريق الربيع بن أنس، عن أبي العالية، قال: ثني أبي بن كعب في قوله. ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾ قال: قالت الجن للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، فانطلقوا إلى البحار، فإذا هي تأجج ناراً.

(٧) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٤٢)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٣٧)، وتفسير الهداية لمكي (١٢/ ١٣٧).

(٨) الذي وقفت عليه ما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٩٤) من طريق مجالد بن سعيد الهمداني، عن الشعبي، قال: سمعت ابن عباس يقول: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩] وجهنم: هو هذا البحر الأخضر، تنتشر الكواكب فيه ويكون الشمس فيه والقمر، ثم يستوقد فيكون هو جهنم. ومجالد بن سعيد الهمداني، ليس بالقوي.

ويحتمل أَن يكون المعنى: مُلِكت وقُيِّد اضطرابُها حتى لا تخرج على الأَرض بسبب الهول، فتكون اللفظة مأْخوذة من: ساجور الكلب.

وقيل: هذه بحار نار في جهنم تسجر يوم القيامة.

وقد تقدم نظير هذه الأَقوال منصوصة لأَهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦][١].

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿سُجِرَتْ﴾ بتخفيف الجيم، وقرأَ الباقون بشدها[٢].

وهي مُتَرَجِّحةٌ بكون البحار جمعاً[٣]، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣]، وكما قال: ﴿صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ [المدثر: ٥٢]، ومثله: (قصر مشيد) [الحج: ٤٥]، و﴿بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]؛ لأَنها جماعة.

وذهب قوم من الملحدين إِلى أَن هذه الأَشياءَ المذكورة [استعارات في كل ابن آدم وأَحواله عند موته][٤]، فالشمسُ نفسُه، والنجومُ عيناه وحواسُّه، والعِشارُ ساقاهُ، وهذا قول سُوءٍ وخيم غَثٌّ ذاهبٌ إِلى إِثبات الرموز في كتاب الله تعالى.

و«تَزْويجُ النُّفُوسِ»: هو تنويعُها؛ لأَن الأَزواج هي الأَنواعُ، والمعنى: جُعل الكافر مع الكافر، والمؤمن مع المؤمن، وكل شكل مع شكله، رواه النعمان بن بشيرٍ عن النبي ﷺ[٥].

---

(١) لفظة «تفسير» ساقطة من المطبوع ونجيبويه.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٢٠).

(٣) في الأصل والأسدية: «جميعاً».

(٤) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «استعاراتٌ كلها في ابن آدم وأحواله».

(٥) لا يصح مرفوعاً، وانظر التعليق الآتي.

وقاله عمر بن الخطاب[١] وابن عباس رضي الله عنهم، وقال: هذا نظير قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ٧][٢].

وفي الآية على هذا حضٌّ على خليل[٣] الخير:

فقد قال ﷺ: «المرءُ مع من أَحب»[٤].

(١) صحيح، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٥٠) والطبري (٢٤/ ١٤١-١٤٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٦٠) من طريق الثوري، وعبد الرزاق من طريق إسرائيل (٢/ ٣٥١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٤٩٢) وابن جرير أيضاً من طريق أبي الأحوص، جميعهم (الثوري، وإسرائيل، وأبو الأحوص) عن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير، عن عمر رضى الله عنه ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: هما الرجلان يعملان العمل الواحد يدخلان به الجنة، ويدخلان به النار، وفي لفظ: «هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة والرجل يزوج نظيره من أهل النار ثم قرأ: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾، وفي لفظ: هما الرجلان يعملان العمل يدخلان به الجنة والنار الفاجر مع الفاجر والصالح مع الصالح، وأخرجه الطبري (٢٤/ ١٤٢)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٣٣٢) من طريق محمد بن الصباح الدولابي، عن الوليد بن عبد الله بن أبي ثور الهمداني عن سماك، عن النعمان بن بشير، عن النبي ﷺ، والنعمان عن عمر، قال: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: الضرباء كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله، وذلك أن الله يقول: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً * فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ * وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ قال: هم الضُّرَباء، والوليد بن عبد الله بن أبي ثور الهمداني ضعيف، وقد رواه أصحاب سماك موقوفاً كما مرَّ، قال الحافظ: وقد رواه الوليد بن أبي ثور، عن سماك بن حرب فرفعه إلى النبي ﷺ وقصر به فلم يذكر فيه عمر، جعله من مسند النعمان أخرجه ابن مردويه، وأخرجه أيضاً من وجه آخر عن الثوري كذلك، والأول هو المحفوظ اهـ. من فتح الباري (٨/ ٦٩٤).

(٢) الأثر أخرجه الطبري (٢٤/ ١٤٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس قوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، قال: ذلك حين يكون الناس أزواجاً ثلاثة.

(٣) في المطبوع وأحمد٣ والحمزاوية ونجيبويه: «دليل».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦١٦٩)، ومسلم (٢٦٤٠) من حديث عبد الله بن مسعود قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل أحب قوماً ولما يلحق بهم؟ قال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب». وفي الباب عن أبي موسى الأشعري، وأنس بن مالك رضي الله عنهم.

وقال ﷺ: «فلينظر أَحدكم من يخالِلْ»(١).

وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

وقال مقاتل بن سليمان: زُوِّجت نفوس المؤمنين بزوجاتهم من الحور العين وغيرهن(٢).

---

(١) إسناده غريب لين، أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٣-٣٣٤)، وعبد بن حميد (١٤٣١)، وأبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨) من طريق جماعة من الشاميين وغيرهم عن زهير بن محمد، عن موسى بن وردان، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»، وقال الترمذي: حسن غريب، وله طريق آخر، ففي العلل للدارقطني (١٥٩٥) أنه سئل عن حديث روي عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «إن المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»، فقال: يرويه صفوان بن سليم، وقد اختلف عنه، فرواه محمد بن سعيد ابن بنت الأعمش، عن صفوان بن سليم، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة، وتابعه إبراهيم بن أبي يحيى، عن صفوان، وخالفهما إبراهيم بن طهمان من رواية الحكم بن عبد الله أبي مطيع، عنه. فرواه عن صفوان بن سليم، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، وهو معروف من رواية موسى بن وردان، عن أبي هريرة، فكأن الدارقطني لا يراه محفوظاً إلا من طريق موسى هذا.
وقد أخرج ابن عدي هذا الحديث في ترجمة زهير بن محمد من الكامل (٣/ ٢١٨) من طريق أبي زرعة الدمشقي ثنا أبو مسهر ثنا يحيى بن حمزة عن زهير بن محمد المكي أنه حدثه عن موسى بن وردان عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر من يخالل»، قال أبو زرعة: فذكرته لمحمد ابن المبارك في سنة ٢١٣ فقال: ثنا يحيى ابن حمزة عن زهير بن محمد عن موسى بن وردان. فقلت له: إن أبا مسهر ثنا يعني موصولاً. فقال: ما إخال صاحبك صنع شيئاً، ثنا الحسين بن عبد الله القطان ثنا هشام بن عمار ثنا يحيى بن حمزة حدثني زهير بن محمد عن موسى بن وردان عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر المرء من يخالل»، ثنا عبد الصمد بن عبد الله الدمشقي ثنا هشام بن عمار ثنا الوليد بن مسلم حدثني زهير بن محمد حدثني موسى بن وردان أنه سمع أبا هريرة يقول قال النبي ﷺ نحوه، سمعت عبدان يقول: ما كان في الدنيا مثل هشام بن عمار، وقد رواه عن زهير بن محمد موصولاً: أبو داود الطيالسي وعبد الرحمن بن مهدي ومؤمل بن إسماعيل، وروايتهم مقدمة على رواية من رواه عنه من الشاميين فقصَّر به؛ لأن في رواية الشاميين عنه كلاماً كثيراً، وعلى كل حال فهذا الحديث لا يعرف محفوظاً إلا من طريق زهير بن محمد عن موسى بن وردان عن أبي هريرة مرفوعاً، وزهير فيه لين، وموسى بن وردان كان قاصاً وليس هو بالقوي، فالإسناد غريب لين.

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٣٨).

وقال عكرمة، والضحاك، والشعبي: ﴿زُوِّجَتۡ﴾: الأَرواح بالأَجساد[١].

وقرأ عاصم: (زُووجَتْ) غير مدغم[٢].

و﴿ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ﴾ اسم، معناه: المثقل عليها، ومنه: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ومنه: اتَّئِدْ، أَي: تَوَقَّر واثقل، وعُرف هذا الاسم في البنات اللواتي كان قوم من العرب يدفنونهن أَحياءً، يحفر الرجل شبه البئر أَو القبر ثم يسوق ابنته فيلقيها فيها، وإِذا كانت صغيرة جِدّاً خدَّ لها في الأَرْض ودفنها، وبعضهم كان يفعل ذلك خشية الإِملاق وعدم المال، وبعضهم غيرةً وكراهيةً للبنات وجاهلية.

وقرأ الجمهور: ﴿ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ﴾ بهمزة، من: وَأَدَ.

وفي حرف ابن/ مسعود: (وَإِذا الْمَاوُودَةُ). [٥/ ٢٧٦]

وقرأ البَزِّي: ﴿المَؤُودَةُ﴾ [بهمزة مضمومة على الواو، مثل: المُعوذة.

وقرأ بعض القراءِ][٣]: (المَوُودَةُ) بضم الواو الأولى وتسهيل الهمزة.

وقرأ الأَعمش: (الْمَوْدَةُ) بسكون الواو، على وزن الفَعْلَة.

وقرأ بعض السلف: (الْمَوَدَّةُ) بفتح الواو والدال المشدَّة[٤]، جعل البنت مَوَدَّةً.

وقرأ جمهور الناس: ﴿سُئِلَتۡ﴾، وهذا على وجه التوبيخ للعرب الفاعلين ذلك؛ لأَنها تُسأَل ليصير الأَمر إِلى سؤال الفاعلين، ويحتمل أَن تكون: مَسْؤُولاً عنْها مطلوباً الجواب منهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٤]، وكما سئل التراث والحقوق.

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٤٦)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٣٩)، وتفسير الهداية لمكي (١٢/ ٨٠٨٢)، ولم أقف على قول الضحاك.

(٢) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٤).

(٣) مثبت من المطبوع والأسدية ٣ والأسدية ٤ والحمزاوية ونجيبويه.

(٤) خمس قراءات شاذة، بعضها في الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٤)، والبحر المحيط (١٠/ ٤١٦)، وما بين معقوفتين ساقط من الأصل.

وقرأ ابن عباس، وأُبَيٌّ بن كعب، وجابر بن زيد، وأَبو الضحى، ومجاهد، وجماعة كبيرة منهم ابن مسعود، والربيع بن خثيم (سَأَلَتْ)[١].

ثم اختلف هؤلاءِ، فقرأ أَكثرهم: ﴿قُتِلَتْ﴾ بفتح اللام وسكون التاءِ[٢].

وقرأ أَبو جعفر: ﴿قُتِّلَتْ﴾ بشد التاءِ على المبالغة[٣].

وقرأ ابن عباس، وجابر وأَبو الضحى ومجاهد: (قُتِلْتُ) بسكون اللام وضم التاءِ الثانية[٤].

وقرأ الأَعرج: (سِيلَتْ) بكسر السين وفتح اللام دون همز[٥].

واستدل ابن عباس بهذه الآية في أَن أَولاد المشركين في الجنة؛ لأَن الله تعالى قد انتصر لهم ممن ظلمهم[٦].

و«الصُّحف المنشورة»: قيل: هي صحف الأَعمال تنشر ليقرأَ كل امرئ كتابه، وقيل: هي الصحف التي تتطاير بالأَيْمان والشمائل للجزاءِ.

وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وأَبو جعفر، والأَعرج، وشيبة، والحسن، وأَبو رجاءٍ، وقتادة: ﴿نُشِرَتْ﴾ بتخفيف الشين المكسورة.

وقرأ ابن كثير، وأَبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿نُشِّرَتْ﴾ بشدِّ الشين على المبالغة[٧].

---

(١) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٦٩)، وإعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٠٠).

(٢) زاد في المطبوع: «الثانية»، قال في الحاشية: «زيادة للتوضيح»، وسيتكرر ذلك مرة ثانية بعد قليل.

(٣) وهي عشرية، انظر النشر (٢/ ٣٩٨).

(٤) سقطت من نجيبويه، وهي شاذة، انظر البحر المحيط (١٠/ ٤١٦).

(٥) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٥).

(٦) لم أجده.

(٧) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٢٠).

و«الكَشْطُ»: التقشير، وذلك كما يكشط جلد الشاة حين تسلخ، و«كَشْط السماءِ»: هو طيُّها كَطَيِّ السِّجل.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (قُشِطت) بالقاف[١]، وهما بمعنى واحد.

و﴿سُعِّرَتۡ﴾ معناه: أُضْرمت نارها.

وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿سُعِّرَتۡ﴾ بشدِّ العين.

وقرأ ابن كثير، وأَبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأَبو بكر عن عاصم بتخفيفها، وهي قراءَة علي بن أَبي طالب رضي الله عنه[٢].

وقال قتادة: سعَّرها: غضب الله عزَّ وجلَّ وذنوب بني آدم[٣].

و﴿أُزۡلِفَتۡ﴾ معناه: قُرِّبت ليدخلها المؤمنون.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجماعة من المفسرين: إِلى هذين ما انتهى الحديث[٤].

وذلك أَن الغرض المقصود بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا... وَإِذَا﴾ في جميع ما ذكرنا إِنما تمَّ بقوله تعالى: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾، أَي: ما أَحضرت من شرٍّ فدخلت به جهنم، أَو من خير فدخلت به الجنة.

و﴿نَفۡسٞ﴾: هنا اسم جنس، أَي: علمت النفوسُ، ووقع الإِفراد لينبِّه الذِّهن على حقارة المرءِ الواحد وقِلَّة دفاعه عن نفسه.

---

(١) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٤١).

(٢) وهما سبعيتان، وهشام بالتخفيف انظر التيسير (ص: ٢٢٠).

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٥٠)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٤٠)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢١٥).

(٤) منقطع، أخرجه الطبري (٢٤/ ١٥١) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قال: قال عمر، وفي نور العثمانية: «منتهى الحديث».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ﴾، إما أن تكون (لَا) زائدة، وإما أن يكون ردّاً لقول قريش في تكذيبهم بنبوَّة محمد ﷺ وقولهم: إنه ساحر وكاهن ونحو ذلك.

ثم أَقسم الله تعالى ﴿بِٱلۡخُنَّسِ * ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾، فقال جمهور المفسرين: إن ذلك الدَّراري السبعة، الشَّمسُ والقَمَرُ وزُحَلُ وعُطارِدُ وَالمرِّيخُ والزُّهَرَةُ والمُشْتري.

وقال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: المراد الخمسة دون الشمس والقمر[1]؛ وذلك أَن هذه الكواكب تَخْنِسُ في جريها، أَي: تتقهقر فيما ترى العين، وهي جوارٍ في السماءِ.

وأَثبت يعقوب الياءَ في ﴿الجواري﴾ في الوقف، وحذفها الباقون[2].

وهيَ تَكْنِسُ في أَبراجها، أَي: تَسْتَتِرُ.

وقال علي بن أَبي طالب أيضاً رضي الله عنه، والحسن، وقتادة: المرادُ النجومُ كلها؛ لأَنها تَخْنِسُ وتَكْنِس بالنهار حين تختفي[3].

---

(١) ضعيف جدّاً، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (١٥/ ٢٦٩) من طريق الأصبغ بن نباتة، عن علي في قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾. قال: خمسة أنجم؛ زحل، وعطارد، والمشتري، وبهرام، والزهرة، ليس في الكواكب شيء يقطع المجرة غيرها. وأصبغ بن نباتة التميمي متروك الحديث.

(٢) وهي عشرية، انظر النشر (٢/ ٣٩٩).

(٣) غريب، أخرجه الطبري (٢٤/ ١٥١-١٥٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٦)، والبيهقي في الشعب (٣٩٩١) من طريق سماك بن حرب، عن خالد بن عرعرة التميمي، عن علي به، وقول الباقين في تفسير الطبري (٢٤/ ٢٥٤).

وقال عبد الله بن مسعود، والنَّخَعِيُّ، وجابر بن زيد، وجماعة من المفسرين: المراد بـ(الخنّس، الجوار الكنّس): بقر الوحش؛ لأَنها تفعل هذه الأَفعال في كناسها، وهي المواضع التي تأوي إِليها من الشجر والغِيران ونحوه[1].

وقال ابن عباس، وابن جبير والضحاك: هي الظباءُ[2].

وذهب هؤلاءِ في (الخنس) إِلى أَنه من صفة الأُنوف؛ لأَنها يلزمها الخَنس، وكذلك هي بقر الوحش أَيضاً، ومن ذلك قول الشاعر:

[الطويل]

سِوَى بازِ بِيضٍ أَوْ غَزالِ صَرِيمَةٍ ... أَغَنَّ من الخُنْسِ الْمَناخِرِ تَوْأَمِ[3]

و«عَسْعَسَ اللَّيْلُ» في اللغة: إِذا كان غير مستحكم الإِظلام، فقال الحسن بن أَبي الحسن: ذلك في وقت إِقباله، وبه وقع القَسَم، وقال عليٌّ، وابن عباس، وزيد بن أَسلم، ومجاهد، وقتادة: ذلك عند إِدباره وبه وقع القَسَم، ويرجح هذا قولُه تعالى بَعْدُ: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾، فكأنهما حالان متَّصلان، ويشهد لذلك قول علقمة بن قُرْطٍ:

[الرجز]

حَتَّى إِذا الصُّبْحُ لَها تَنَفَّسَا ... وَانْجابَ عَنْهَا لَيْلُها وَعَسْعَسَا[4]

---

(١) صحيح، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٥١)، والطبري (٢٤/ ١٥٤)، والحاكم (٢/ ٥١٦) من طريق زكريا بن أبي زائدة، وأخرجه الطبري (٢٤/ ١٥٥)، والطبراني في الكبير (٩٠٦٣)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٤٢) من طريق سفيان كلاهما زكريا، وسفيان، عن أبي إسحاق السبيعي، عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل، عن ابن مسعود به. وصححه الحافظ في الفتح (٨/ ٦٩٤)، وانظر قول الباقين في تفسير الطبري (٢٤/ ٢٥٢)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٤١).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٥٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس به، وقول الضحاك في تفسير الطبري (٢٤/ ٢٥٤).

(٣) البيت لطفيل الغنوي كما في الأمالي للقالي (٢/ ٨٥).

(٤) انظر نسبته له في مجاز القرآن (٢/ ٢٨٧)، والطبري (٢٤/ ٢٥٧)، والثعلبي (١٠/ ١٤١)، والأزمنة لقطرب (١/ ٥٢)، وسماه: علقة، ولعله أصوب، ونسبه في الكشاف (٤/ ٧١١) للعجاج، وتابعه في اللباب (٢٠/ ١٨٧)، والدر المصون (١/ ٥٦٨٧).

وقال أَبو العباس المبرد: أَقسم تعالى بإِقباله وإِدباره معاً، قال الْخلِيلُ: يقال: عَسْعَسَ الليل وسَعْسَع: إِذَا أَقبل وأَدبر.

و«تَنَفَّس الصُّبْحُ»: استطار واتَّسع ضوءُه، وقال علوان بن قيس:

[الطويل] وَلَيْـلٍ دَجـيٍّ قـد تَنَفَّـسَ فجْـرُهُ   لَهُمْ بَعْدَ أَن خالوهُ لَنْ يَتَنَفَّسَا(١)

والضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ للقرآن.

و«الرسولُ الكريمُ» في قول جمهور الناس: جبريل عليه السلام، وقال آخرون: هو محمد ﷺ في الآية كلها، والقولُ الأَول أَصحُّ.

و﴿كَرِيمٍ﴾ في هذه الآية: صفة يقتضي رَفْع المذامِّ، ثم وصفه تعالى بقوة منحه الله تعالى إِيَّاها.

واختلف الناس في تعلُّق قوله: ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾، فذهب بعض المتأَولين إِلى تعلُّقه بقوله: ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾، وذهب آخرون إِلى أَن الكلام تمَّ في قوله: ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾، وتعلَّق الظرف بقوله: ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾، ومعناه: له مكانة ورفعة.

[٥/ ٢٧٧] وقوله تعالى: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ أي:/ مقبول القول، مصدَّق فيما يقوله، مُؤْتَمن على ما يُرسَل به ويؤديه مِن وحي وامتثال أَمْر.

وقرأَ أَبو جعفر: (ثُمَّ) بضم الثاءِ(٢)، وذكر الله تعالى نفسه بالإِضافة إِلى عرشه تنبيهاً على عِظم ملكوته.

وأَجمع المفسرون على أَن قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ يُراد به محمد ﷺ.

والضمير في ﴿رَءَاهُ﴾ لجبريل عليه السلام، وهذه الرؤية التي كانت بعد أَمْر غار حراء حين رآه على كرسي بين السماءِ والأَرض.

---

(١) لم أجده لغير المؤلف.

(٢) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٥٠٥) لأبي البَـرَهْسَم، وعزاها لهما أبو حيان في البحر المحيط (١٠/ ٤١٨).

وقيل: هي الرؤية التي رآه عند سدرة المنتهى في الإِسراءِ، وسمَّى ذلك الموضع أُفُقاً مجازاً.

وقد كانت لرسول الله ﷺ رؤية ثانية بالمدينة، وليست هذه.

ووصف تعالى الأُفُق بالمُبين؛ لأَنه كان في الشرق من حيث تطلع الشمس، قاله قتادة[١].

وأَيضاً فكلُّ أُفق فهو في غاية البيان.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ بالضاد، بمعنى: بخيل، أَي: يشِحُّ به ولا يُبلِّغ ما قيل له ويبخل كما يفعل الكاهن حتى يُعطى حُلوانه.

وبالضاد هي في خطوط المصاحف كلها فيما قال الطبري[٢].

وهي قراءة نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، وعثمان بن عفان، وابن عباس، والحسن، وأَبي رجاءٍ، والأَعرج، وأَبي جعفر، وشيبة، وجماعة وافرة.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، والكسائي، وابن مسعود، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وابن عُمر، وابن الزبير، وعائشة، وعمر بن عبد العزيز، وابن جُبَيْر، وعروة بن الزبير، ومسلم بن جندب، ومجاهد، وغيرهم: ﴿بِظَنِين﴾ بالظاءِ[٣]، أَي: بِمُتَّهَم.

وهذا في المعنى نظير وصفه بـ ﴿أَمِينٍ﴾، وقيل: معناه: بضعيف القوة، من قولهم: بِئْرٌ ظَنون إِذا كانت قليلة الماءِ، ورجَّح أَبو عبيد قراءَة الظاءِ مُشالةً؛ لأَن قريشاً لم تُبخِّل محمداً ﷺ فيما يأتي به وإِنَّما كذبته فقيل: ما هو بِمُتَّهم.

ثم نفى تعالى عن القرآن أَن يكون كلام شيطان، على ما قالت قريش: إِن محمداً كاهن.

---

(١) لم أجده.

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٦٢).

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٢٠).

و﴿رَجِيمٍ﴾ معناه: مُبْعدٌ مَرْجومٌ بالكواكب واللعنة وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ توقيف وتقرير، على معنى: أَين المذهب لأَحد عن هذه الحقائق.

و«الذِّكْرُ» هنا: مصدرٌ بمعنى التَّذْكِرَة.

ثم خصَّص تعالى من شاءَ الاستقامة بالذكر؛ تشريفاً وتنبيهاً منهم[١]، وذكراً لتكسُّبهم أَفعال الاستقامة.

ثم بَيَّن تعالى أَن تكسُّب المرءِ على العموم في استقامة وغيرها إِنما يكون مع خلق الله تعالى واختراعه الإِيمان في صدر المرءِ.

ورُوي أَنه نزل قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ فقال أَبو جهل: هذا أَمْر قد وُكِلَ إِلَيْنَا، فإِن شئنا استقمنا وإِن لم نشأْ لم نستقم، فنزلت: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[٢].

وفي الحديث: «يقول الله: يا ابن آدم، تريد وأُريد، فتتعب فيما تريد، ولا يكون إِلَّا ما أُريد»[٣].

---

(١) «منهم». زيادة من أحمد٣ ونور العثمانية ونجيبويه.

(٢) لم أهتد إليه.

(٣) لم أقف عليه.

سُورَةُ الانفِطَارِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَفسير سُورة الانفطار

وهي مكيَّة كلها بإِجماع من المفسرين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾.

هذه أَوصاف يوم القيامة.

و«انفطارُ السماءِ»: تشققُها على غير نظام مقصود، إِنما هو انشقاق لتزول زينتها.

و«انتثارُ الكواكب»: سقوطُها من مواضعها التي هي فيها كالنظام.

و«تفجير البحار»: يحتمل أَن يكون من امتلائها، فتفجر من أَعاليها وتفيض على ما يليها، ويحتمل أَن يكون تفجير تفريغ من قيعانها[1] فيذهب الله تعالى ماءَها حيث شاءَ.

وقيل: فجر بعضها إِلى بعض فيختلط العذبُ بالمِلْح وتصير واحداً، وهذا نحو

---

(١) «من قيعانها» ساقطة من الأصل.

الاختلاف في ﴿سُجِّرَتۡ﴾ في السورة التي قَبْل [التكوير: ٦].

وقرأَ مجاهد والربيع بن خثيم: (فُجِرَتْ) بتخفيف الجيم[١].

و«بَعْثرة القبور»: نَبشُها عن الموتى الذين فيها.

وقوله تعالى: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ﴾ هو جوابُ ﴿إِذَا﴾، و﴿نَفۡسٞ﴾: هنا اسم الجنس، وإِفرادُها ليبين لذهن السامع حقارتها وقلَّتها وضعفها عن منفعة ذاتها إِلَّا من رحم الله تعالى.

وقال كثير من المفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾: إِنها عبارةٌ عن جميع الأَعمال؛ لأَن هذا التقسيم يعم الطاعات المعلومة[٢] والمتروكة، وكذلك المعاصي.

وقال ابن عباس، ومحمد بن كعب القُرظي: معناه: ما قدمت في حياتها وما أَخرت مِمَّا سَنَّتْهُ فعمل به بعد موتها[٣].

ثم خاطب تعالى جنس ابن آدم[٤] على جهة التوبيخ والتنبيه على أَي شيءٍ أَوجب أَن يغترَّ بربِّه الكريم فيعصيه ويجعل له نِدّاً، وغير ذلك من أَنواع الكفر، وهو الخالق المُوجِد بعد العدم.

ورُوي أَن النبي ﷺ قرأَ: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ﴾ فقال: جهله[٥]، وقاله عمر رضي الله عنه وقرأَ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ [الأحزاب: ٧٢][٦].

---

(١) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٥).

(٢) وفي المطبوع: «المعمولة».

(٣) أثر عبد الله بن عباس رضي الله عنه ليس بالمعنى الذي ذكره المؤلف، وإنما أخرجه الطبري (٢٤/ ١٧٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس قال: تعلم ما قدمت من طاعة الله، وما أخرت مما أُمِرت به، وقول القرظي في الطبري (٢٤/ ٢٦٨)، والهداية لمكي (١٢/ ٨١٠١).

(٤) في نجيبويه زيادة: «فوقفه»، وفيها «على أن أي شيء».

(٥) ضعيف معضل، أخرجه أبو عبيد في فضائله (ص: ١٥١) عن كثير بن هشام، عن جعفر بن برقان، عن صالح بن مسمار، معضلاً، وصالح هذا كأنه مجهول.

(٦) هو منقطع: أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما عند ابن كثير (٨/ ٣٤٢) من طريق محمد بن =

وقال قتادة: غرَّه عدوُّه المسلَّط عليه[١].

وقال بعض العلماءِ: غرَّه ستر الله تعالى عليه، وقال غيرُه: غرَّه كرم الله تعالى، ولفظة ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾ تُلَقِّن هذا الجواب، فهذا من لطف الله عزَّ وجلَّ بعباده العصاة المؤمنين[٢].

وقرأَ ابن جبير، والأَعمش: (مَا أَغَرَّكَ) على وزن أَفْعَلَك[٣].

والمعنى: ما دعاك إِلى الاغترار؟ ويكون المعنى تعجُّباً مَحضاً.

وقرأَ الجمهور: ﴿فعدَّلك﴾ بشدِّ الدال.

[وكان ﷺ إذا نظر إلى الهلال قال: «آمنت بالذي خلقك فسواك فعدَّلك»، لم تختلف الرواة في شد الدال][٤].

وقرأَ الكوفيون، والحسن،/ وأَبو جعفر، وطلحة، والأَعمش، وأَبو رجاءِ، [٥/ ٢٧٨] وعيسى، وعمرو بن عبيد: ﴿فَعَدَلَكَ﴾ بتخفيف الدال[٥]، والمعنى: عدل أَعضاءَك بعضها ببعض، أَي: وازَنَ بينها.

قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾، ذهب الجمهور إِلى أَن ﴿فِيٓ﴾ متعلقة بـ﴿رَكَّبَكَ﴾، أَي: في صورة قبيحة أَو حَسَنة أَو مشوَّهة أَو سليمة أَو نحو ذلك.

= أبي عمر العدني، عن سفيان بن عيينة، أن عمر سمع رجلاً يقرأ: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ فقال عمر: الجهل، وهو منقطع بين سفيان وعمر رضي الله عنه.

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٦٩).

(٢) في نجيبويه: «المذنبين».

(٣) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٥).

(٤) زيادة من نجيبويه ونور العثمانية، والحديث أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٩٧٢٨)، وأبو داود في المراسيل (٥٢٦) من طريق عبد الرحمن بن حرملة، عن سعيد بن المسيب مرسلاً، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٧٦) من طريق عن عبد الرحمن بن حرملة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿فسواك فعدَّلك﴾، مثقل. وقال الذهبي: صحيح.

(٥) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٢٠).

وذهب بعض المتأولين إِلى أَن المعنى: فعدلك في أَيِّ صورة، بمعنى: إِلى أَيِّ صورة، حتى قال بعضهم: المعنى: لم يجعلك في صورة خنزير ولا حمار.

وذهب بعض المتأولين إِلى أَن المعنى الوعيد والتهديد، أَي: الذي إِن شاءَ ركبك في صورة حمار أَو خنزير أَو غيره.

و﴿ مَّا ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَّا شَآءَ﴾ زائدة، فيها معنى التأكيد.

والتركيبُ: التأليف[1]، وجمع شيءٍ إِلى شيءٍ.

وروى خارجةُ عن نافع: ﴿رَكَّبَك كَّلا﴾ بإِدغام الكاف في الكاف[2].

ثم ردَّ تعالى على سائر أَقوالهم وردَعَ عنها بقوله: ﴿كَلَّا﴾، ثم أَثبت تعالى لهم تكذيبهم بالدِّين، وهذا الخطاب عام ومعناه الخصوص في الكفار.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ بالتاءِ من فوق.

وقرأَ الحسن وأَبو جعفر: ﴿يُكَذِّبونَ﴾ بالياءِ[3].

و«الدِّينُ» هنا: يحتمل أَن يريد به الشرع، ويحتمل أَن يريد الجزاءَ والحساب.

و«الْحَافِظُونَ»: هم الملائكة الذين يكتبون أَعمال ابن آدم، وقد وصفهم تعالى بالكرم الذي هو نفي الْمَذَامِّ، و﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[4]؛ لمشاهدتهم حال بني آدم.

وقد روي حديث ذكره سفيان يقتضي أَن العبد إِذا عمل سيِّئةً مما لا يُرى ولا يُسمع مثل الخواطر المستَصْحبة ونحوها أَن الملَك يجد ريح تلك الخطيئة[5] بإِدراك قد خلقه الله تعالى لهم.

(١) في المطبوع والحمزوية والأسدية: «والتركيب والتأليف»، كأنه عطف على التأكيد.
(٢) وهي سبعية من رواية السوسي عن أبي عمرو على أصله، وعزاها لرواية خارجة في السبعة (ص: ٦٧٤).
(٣) وهي عشرية، انظر النشر (٢/ ٣٩٩).
(٤) في نجيبويه والحمزوية ونور العثمانية: «يفعل ابن آدم».
(٥) في نجيبويه زيادة: «الخفية»، وهذا الحديث لا أعرفه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾.

﴿ٱلْأَبْرَارَ﴾: جمع بَرٍّ، وهو الذي قد اطَّردَ بِرُّه عموماً، فَبَرَّ ربَّه في طاعته إِياه، وبَرَّ أَبويه، وبَرَّ الناسَ في رفْع ضره عنهم، وجلب ما استطاع من الخير لهم، وبَرَّ الحيوان وغير ذلك في أَن لم يفسد منها شيئاً عبثاً وبغير منفعة مباحة.

و﴿ٱلْفُجَّارَ﴾: الكُفَّارُ.

و﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ معناه: يباشرون حرَّها بأبدانهم، و﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾: هو يوم الجزاءِ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾، قال بعض المتأولين: هذا تأْكيد في الإِخبار عن أَنهم يَصْلَونها، وأَنهم لا يمكنهم المغيب عنها يومئذ.

وقال آخرون: المعنى: وما هم عنها بغائبين في البرزخ، كأنه تعالى لمَّا أَخبر عن صَلْيهم إِيَّاها يوم الدِّين أَخبر[١] بعد ذلك عن المدة التي قَبْل يوم الدِّين، وذلك أَنهم يرون مقاعدهم من النار غُدوة وعَشِيَّة، فهم مشاهدون لها.

ثم عظَّم تعالى قَدْر هوْل يوم الدِّين بقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ * ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ﴾.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وابن أَبي إِسحاق، وعيسى، وابن جندب: ﴿يَوْمُ لا تملك﴾ برفع الميم على معنى: هو يومُ.

وقرأَ الباقون، والحسن، وأَبو جعفر وشيبة، والأَعرج: ﴿يَوْمَ﴾ بالنصب على الظرف[٢].

والمعنى: الجزاءُ يومَ، فهو ظرف في معنى خبر الابتداءِ.

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٢٠).

ثم أَخبر تعالى بضَعْف الناس يومئذٍ، وأَنه لا يغني بعضهم عن بعض، وأَن الأَمر له تعالى، قال قتادة: كذلك هو اليوم، والله تعالى هنالك لا يُنازعه أَحد[1]، ولا يُمَكِّن أَحداً من شيءٍ كما مكَّنه في الدنيا.

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٧٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

تَفسير سُورة المطففين

وهي مكيَّة في قول جماعة من المفسرين، واحتجوا بذكر الأَساطير، وهذا على أَن تطفيف الكيل والوزن كان بمكة حسب ما هو في كل أُمَّة، لا سِيَّما مع كفرهم.

وقال ابن عباس، والسدي، والنقاش، وغيرهم: السورة مدنية[١].

قال السدي: كان بالمدينة رجل يُكنى أَبا جهينة، له مكيالان، يأْخذ بالأَوفى ويُعطي بالأَنقص، فنزلت السورة فيه[٢]، ويقال: إِنها أَول سورة أُنزلت بالمدينة.

وقال ابن عباس أَيضاً فيما روي عنه: نزل بعضها بمكة، ونزل أَمر التطفيف بالمدينة[٣]؛ لَأنهم كانوا أَشدَّ الناس فساداً في هذا المعنى، فأصلحهم الله بهذه السورة.

---

(١) أخرج النسائي في الكبرى (١١٦٥٤)، وابن ماجه (٢٢٢٣)، والطبراني (١٢٠٤١)، وابن حبان (٤٩١٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣)، والبيهقي (٦/ ٣٢)، وفي الشعب (٥٢٨٦) من طرق عن الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك. وإسناده صحيح، وقول السدي في البحر المحيط (١٠/ ٤٢٥)، ولم أقف على قول النقاش.

(٢) البحر المحيط (١٠/ ٤٢٥).

(٣) الذي وقفت عليه ما أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (١٧) من طريق محمد بن عبد الله بن أبي جعفر الرازي، عن عمر بن هارون البلخي، عن عمر بن عطاء، عن أبيه، عن ابن عباس بلفظ مطول وفيه أن سورة المطففين نزلت بمكة، وعمر البلخي متروك.

[وقال آخرون نزلت السورة بين مكة والمدينة وذلك ليصلح الله تعالى أمرهم قبل ورود رسوله إليهم][١].

قال القاضي أَبو محمد: وأَمر الكيل والوزن وكيدٌ جداً، وتصرُّفه في المدن ضروري في الأَموال التي هي حرامٌ بغير حق، والإِفْسادُ فيه كبيرةٌ لا يَنفع فيما وقع منه التوبة[٢]، ولا يُخَلِّص إِلاَّ ردُّ الْمَظْلَمة إِلى صاحبها.

قال مالك بن دينار: احتضر جارٌ لي، فجعل يقول: جبلان من نار، فقلتُ له: ما هذا؟ فقال: يا أَبا يحيى، كان لي مكيالان، آخُذُ بالوافي وأُعطي بالناقص[٣].

وقال عِكرمة: أَشهد على كلِّ كيَّالٍ أَوْ وزَّان أَنه في النار[٤].

وقال بعض العرب: لا تلتمسوا المُرُوءَةَ ممن مُرُوءَتُه في رؤوس المكاييل وأَلْسنة الموازين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ﴾ معناه: الثُّبور والحزن والشقاءُ الأَدْوم، وقد روي عن ابن مسعود وغيره: أَنَّ وادياً في جهنم يسمَّى وَيْلاً.

[٥/ ٢٧٩] ورفع ﴿وَيْلٌ﴾ على الابتداءِ، ورفعه على معنى: ثبت لهم / واستقر، وما كان في حيِّز الدعاءِ والتَّرقب فهو منصوب نحو قولهم: رعْياً وسَقْياً.

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من المطبوع.

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «فيها دافِعٌ إِلاَّ التوبة»، وفي نجيبويه: «لا تنفع».

(٣) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٥٠).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٧٨)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٥١).

و«الْمُطَفِّفُ»: الذي ينقص الناسَ حقوقهم، والتطفيف: النَّقص، أَصله من الشيءِ الطفيف وهو النَّزر، والمُطَفِّف إِنما يأخذ بالميزان شيئاً طفيفاً.

وقال سلمان: الصلاة مكيالٌ، فمن أَوفى أُوفي له، ومن طفَّف فقد علمتم ما قال الله في المطففين[١].

وقال بعض العلماءِ: يدخل التَّطفيف في كل عمل وقول، ومنه قول عمر رضي الله عنه: طفَّفت[٢] معناه: نقصت الْأَجر أَو العمل، ولذلك قال مالك رحمه الله: يقال لكل شيءٍ وفاءٌ وتطفيف[٣]، فجاءَ بالنَّقيضين.

وقد ذهب بعض الناس إِلى أَن التَّطفيف هو تجاوز الحدِّ في وفاءٍ أَو نُقصانٍ،

---

(١) كأنه منقطع، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣٧٥٠) والحسين المروزي في زوائده على زهد ابن المبارك (١١٩٢)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٤١٣)، وفي الشعب (٢٨٨١) من طريق الثوري، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٩٧٩) عن محمد بن فضيل كلاهما: الثوري، وابن فضيل، عن أبي نصر عبد الله بن عبد الرحمن الضبي، عن سالم بن أبي الجعد، عن سلمان به، وفي زوائد الزهد: سفيان عن رجل، عن سالم، وسالم بن أبي الجعد أرسل كثيراً، ولا يدرى سمع من سلمان أم لا؟

(٢) جيد، أخرجه مالك في الموطأ (٢٩) عن يحيى بن سعيد، أن عمر بن الخطاب انصرف من صلاة العصر فلقي رجلاً لم يشهد العصر، فقال: ما حبسك عن صلاة العصر؟ فذكر له الرجل عذراً. فقال له عمر: طففت. وقد وصله ابن عبد البر في الاستذكار (١/ ٦٦)، وابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة (١/ ٢٣٣) من طريق عبد الله بن مسلمة القعنبي قال: حدثنا ابن أبي ذئب عن أبي حازم التمار الغفاري، عن ابن حديدة الأنصاري صاحب النبي ﷺ قال: لقيني عمر بن الخطاب بالزوراء وأنا ذاهب إلى صلاة العصر فسألني: أين تذهب؟ فقلت: إلى الصلاة. فقال: طففت فأسرع، قال: فذهبت إلى المسجد فصليت ورجعت فوجدت جاريتي قد احتبست علينا من الاستقاء، فذهبت إليها برومة فجئت بها والشمس صالحة، وعلقه البخاري في التاريخ الكبير (٨/ ٤٣٩) قال عبد الرحمن ابن يونس، نا ابن أبي فديك، نا ابن أبي ذئب عن أبي حازم التمار عن ابن حديدة الجهني صاحب النبي ﷺ قال: لقيني عمر وأنا ذاهب إلى العصر... الحديث، أبو حازم التمار هذا هو دينار مولى أبي رهم الغفاري، وهو غير أبي حازم سلمة بن دينار، وقد وثقه أبو داود وابن عبد البر وابن حبان.و ابن حديدة الجهني قيل: له صحبة.

(٣) موطأ مالك (٢/ ١٧)، والاستذكار (١/ ٦٦).

والمعنى والقرائن بحسب كلِّ قولٍ تبيِّنُ المراد، وهذا عندي جيِّدٌ صحيح، وقد بيَّن الله تعالى أَن «التَّطفيف» ها هنا إِنما أَراد به أَمر الوزن والكيل.

و﴿ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ معناه: قبضوا منهم.

و﴿كَالُوهُمۡ﴾ معناه: أَقبضوهم، يقال: كِلْتُ منك واكْتَلْتُ عليك، ويقال: كِلْتُك وكِلْتُ لك، فلما حذفت اللام تعدَّى الفعل، قاله الفراءُ والأَخفش[1]، وأَنشد أَبو زيد:

[الكامل] وَلَقَدْ جَنَيْتُكَ أَكْمُؤاً وَعَسَاقِلاً وَلَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنْ بَناتِ الأَوْبَرِ[2]

وعلى هذا المعنى هي قراءَة الجمهور.

وكان عيسى بن عُمر يَجْعلها حرفين، ويقف على (كالُوا) (أَوْ وَزَنُوا) ويبتدئ (هم يخسرون)، أَي: إِذا كالوا أَوْ وزنوا، ورويت عن حمزة[3]، فقوله تعالى: (هم) تأكيد للضمير.

وظاهر هذه الآية يقتضي أَن الكيل والوزن على البائع، وليس ذلك بالجليِّ.

وصدر الآية هو في المشترين، فذمَّهم[4] بأَنهم يستوفون ويشاحُّون في ذلك، إِذ لا تمكنهم الزيادة على الاستيفاءِ؛ لأَن البائع يحفظ نفسه، فهذا مبلغ قدرتهم في ترك الفضيلة والسماحة المندوب إِليها، ثم ذكر تعالى أَنهم إِذا باعوا أَمكنهم من الظلم والتطفيف أَن يُخْسِروا لأَنهم يتولون الكيل للمشتري منهم، وكذلك هم بحالة من يُخْسِر البائع إِن قدر.

و﴿يُخۡسِرُونَ﴾ تَعَدَّى بالهمزة، يقال: خَسِر الرجلُ وأَخْسَرَ غيره، والمفعول بـ(كَالُوا)، محذوف.

---

(١) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٤٥)، معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٧٢).

(٢) تقدم في تفسير الآية (٤٥) من سورة (ص).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٦)، وفي أحمد٣: «قيس بن عمر»، بدل «عيسى».

(٤) في المطبوع: «قدَّمهم».

ثم وقفهم تعالى على أَمر القيامة وذَكَّرهم بها[١]، وهذا يؤيد أَنها نزلت بالمدينة في قوم مؤمنين، وأُريد بها مع ذلك من غير هذه الأُمة.

و﴿يَظُنُّ﴾ هنا بمعنى: يتحقق ويعلم، و«اليومُ العظيمُ»: يومُ القيامة.

و﴿يَوۡمَ﴾ ظرف عمل فيه فعلٌ مقدَّر، تُبعثون ونحوه، وقال الفراءُ: هو بدل من (يومٍ عظِيم) لكنه مبني، ويأبى ذلك البصريون لأَنه مضاف إِلى مُعْرب[٢].

و«قيامُ الناسِ فيه لربِّ العالمين» يختلف الناسُ فيه بحسب منازلهم، فروي عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أَنه يقام فيه خمسين أَلف سنة[٣]، وهذا بتقدير شدته، وقيل: ثلاث مئة سنة، قاله النبي ﷺ[٤]، وقال ابن عُمر: مئة سنة[٥]، وقيل: ثمانون سنة[٦]،

(١) «بها» زيادة من نجيبويه.

(٢) انظر إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٠٩).

(٣) إسناده لين، أخرجه الطبراني في الكبير (١٤٦٦٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٦١٦)، وعبد الغني المقدسي في ذكر النار (٩٦) من طريق عبد الله بن وهب، عن عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي، عن أبي هانئ الخولاني، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: تلا رسول الله ﷺ الآية: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «كيف بكم إذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة، ثم لا ينظر الله إليكم»، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.اهـ. وابن ميسرة ليس بالمشهور.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٤/ ١٩٠-١٩١)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٨) من طريق عبد السلام بن عجلان، عن أبي يزيد المدني، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ لبشير الغفاري: «كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلاث مئة سنة لرب العالمين، من أيام الدنيا، لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيه بأمر؟». قال بشير: المستعان الله. قال: «فإذا أويت إلى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة، وسوء الحساب». وعبد السلام بن عجلان أبو الخيل العدوي لم يتابع على هذا الحديث، وقد قال فيه أبو حاتم: يكتب حديثه، وقال ابن حبان: يخطيء ويخالف.

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٤/ ١٨٩-١٩٠) عن ابن حميد، عن حكام، عن عنبسة بن سعيد، عن محارب بن دِثار، عن ابن عمر فذكره. ومحمد بن حميد الرازي ضعيف.

(٦) لم أقف عليه.

وقال ابن مسعود: أَربعون سنة رافعي رؤوسهم إِلى السماءِ لا يُؤْمرون ولا يكلَّمون[١]، وقيل غير هذا، وفي هذا كله آثارٌ مروية[٢]، ومعناها أَن لكُلِّ قوم مُدَّةً ما تقتضي حالهم وشدَّة أَمرهم ذلك.

ورُوي أَن القيام فيه على المؤمن هو على قدر[٣] ما بين الظهر إِلى العصر[٤].

ورُوي أَنه على بعض الناس على قدر صلاة المكتوبة[٥].

وفي هذا القيام هو إِلجام العرق للناس، وهو أَيضاً مُخْتَلِفٌ:

فيروى عن النبي ﷺ من طريق عقبة بن عامر أَنه يُلجم الكافر إِلجاماً، ويروى أَن بعض الناس يكون فيه إِلى أَنصاف ساقيه، وبعضهم إِلى فوق، وبعضهم إِلى أَسفل[٦].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا

---

(١) منقطع، أخرجه ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٢٧٩-٢٨١)، والطبري في تفسيره (٢٣/ ١٩٠-١٩٢) من طريق الأعمش، عن قيس بن السكن، عن عبد الله فذكره بلفظ مطول، والأعمش أدرك قيس بن السكن وهو ابن العاشرة أو دونها.

(٢) انظر الدر المنثور (١٥/ ٢٩٠-٢٩٢).

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) من نجيبويه، وجاء ذلك عن كعب الأحبار، وقتادة كما أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر كما في الدر المنثور (١٥/ ٢٩١).

(٦) أخرج البخاري (٤٩٣٨)، ومسلم (٢٨٦٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: يقوم الناس لرب العالمين حتى إن أحدهم ليغيب في رشحه إلى نصف أذنيه، وأخرج مسلم (٢٨٦٤) من حديث سليم بن عامر حدثني المقداد بن الأسود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل»، قال سليم بن عامر: فوالله! ما أدري ما يعني بالميل أمسافة الأرض، أم الميل الذي تكتحل به العين؟ قال: فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً»، قال: وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه.اهـ.

قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾.

هذه الآية وما بعدها يظهر أَنها من نمط المكيِّ، وهو أَحد الأَقوال التي ذكرناها قَبْل.

و﴿كَلَّآ﴾ يجوز أَن تكون ردّاً لأَقوال قريش، ويحتمل أَن تكون استفتاحاً بمنزلة «أَلَّا»، وهذا قول أَبي حاتم واختياره.

و﴿ٱلۡفُجَّارِ﴾: الكفار.

و«كِتَابُهُم» يراد به الذي فيه[1] تحصيل أَمرهم وأَفعالهم، ويحتمل عندي أَن يكون المعنى: وعدادُهم وكتاب كونهم هو في سِجِّين، أَي: هنالك كُتبوا في الأَزل.

وقرأَ أَبو عمرو والأَعرج وعيسى: ﴿ٱلۡفُجَّارِ﴾ بالإِمالة، و﴿ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ بالفتح، قاله أَبو حاتم[2].

واختلف الناس في ﴿سِجِّينٖ﴾ ما هو؟:

فقال الجمهور: هو فِعِّيل من السَّجن، كسكِّير وشرِّيب، أَيْ: في موقع ساجِنٍ وساكر وشارب، فجاءَ ﴿سِجِّين﴾ بناءَ مبالغة.

قال مجاهد: وذلك في صخرة تحت الأَرض السابعة[3].

وقال كعبٌ حاكياً عن التوراة، وأُبَيُّ بن كعب: هو في شجرة سوداءَ هنالك، وقيل عن النبي ﷺ في بئر هنالك[4]، وقيل: تحت خَدِّ إِبليس[5].

(١) الذي فيه: ساقط من نجيبويه.
(٢) أما ﴿ٱلۡفُجَّارِ﴾ فأمالها أبو عمرو ودوري الكسائي، وقللها ورش، وأما ﴿ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ فأمالها الكسائي وأبو عمرو وقللها حمزة وورش، والباقون بالفتح فيهما، هذا حاصل ما في التيسير.
(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٨٤)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٥٢)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢٢٨).
(٤) لم أقف عليهما، وقول كعب في الهداية لمكي (١٢/ ٨١٢٥).
(٥) في حاشية المطبوع: في بعض الأصول: «حَدّ إبليس»، وكأنها في أحمد٣: «جند».

وقال عطاءٌ الخراساني: هي الأَرض السفلى، وقاله البَرَاءُ عن النبي ﷺ[١].

وقال عكرمة: ﴿سِجِّينٌ﴾ عبارة عن الخسار والهوان، كما تقول: بلغ فلان الحضيض، إِذا صار في غاية الخمول[٢].

وقال قوم من اللغويين: ﴿سِجِّينٌ﴾ نُونُه بدلٌ من لامٍ، وهو من السِّجيل.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ تعظيم لأَمر هذا السجين وتعجيب منه.

ويحتمل أَن يكون تقريرَ استفهام، أَي: هذا مما لم تكن تعلمه قبل الوحي.

قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾، مَنْ قال بالقول الأَول في ﴿سِجِّينٌ﴾ فـ﴿كِتَٰبٌ﴾ مرتفع عنده على خبر ﴿إِنَّ﴾، والظَّرف الذي هو ﴿لَفِى سِجِّينٍ﴾ ملغى.

ومَنْ قال في ﴿سِجِّينٍ﴾ بالقول الثاني فـ ﴿كِتَٰبٌ﴾ مرتفع عنده على خبر ابتداءٍ مضمر، والتقدير، هو كتاب مرقوم، ويكون هذا الكلام مُفَسِّراً لـ ﴿سِجِّينٌ﴾، ما هو.

و﴿مَّرْقُومٌ﴾ معناه: مكتوبٌ رُقم لهم بِشَرٍّ.

ثم أَثبت تعالى للمكذبين بيوم الحساب والدينِ بالويل.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ إِشارة إِلى ما يتضمنه المعنى في قوله: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾،

---

(١) فيه كلام كثير واختلف في تصحيحه، أخرجه الطيالسي (٧٨٩)، وأحمد (٣٠/ ٤٤٩-٥٠٦)، وأبو داود (٣٢١٢- ٤٧٥٣-٤٧٥٤)، والطبري (١٠/ ١٨٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٧)، والبيهقي في عذاب القبر (٢١) وغيرهم من طرق عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن زاذان أبي عمر، عن البراء مرفوعاً وفيه: «وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا... ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ إلى آخر الآية، قال: فيقول الله تبارك وتعالى: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السابعة السفلى...» الحديث، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٥٨٠) عن معمر عن يونس بن خباب عن المنهال به، وهذا الحديث قد اختلف فيه، فأعله بعضهم وصححه بعضهم، أعله ابن حبان وضعفه ابن حزم، ونافح عنه ابن القيم وغيره، ينظر حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (١٣/ ٦٣)، وقول عطاء في تفسير الثعلبي (١٠/ ١٥٢).

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٥٢)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢٤٧).

وذلك أَنه يتضمَّن أَنه يُرتفع ليوم / عَرْض وجزاءٍ، وبهذا يتم الوعيد ويتَّجه معناه. [٥/ ٢٨٠]

و«الْمُعتَدي»: الذي يتجاوز حدود الأَشياءِ.

و﴿أَثِيمٍ﴾ مبالغة في آثِمٍ.

وقرأَ الجمهور: ﴿تُتْلَى﴾ بالتاءِ، وقرأَ أَبو حيوة: (يُتْلَى) بالياءِ من تحت[١].

و«الأَساطِيرُ» جمع أُسطورة وهي الحكايات التي سطِّرت قديماً، وقيل: هو جمع أَسطارٍ، وأَسطارٌ جمع سَطْر.

ويروى: أَن هذه الآية نزلت بمكَّة في النضر بن الحارث بن كِلْدة، وهو الذي كان يقول: أَساطير الأَولين، وكان هو قد كتب بالحِيرَة أَحاديث رُستم واسفنديار، وكان يُحدِّث بها بمكة ويقول: أَنا أَحسن حديثاً من محمد، فإِنما يحدثكم بأساطير الأَولين[٢].

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ زجْرٌ وردٌّ لقولهم ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

ثم أَوجب تعالى أَن ما كَسَبُوا من الكفر والطغيان والعتو قَدْ ران على قلوبهم، أَي غطَّى عليها وغَلَب، فهم مع ذلك لا يبصرون رشداً، ولا يخلُص إِلى قلوبهم خير، يقال: رانت الخمر على عقل شاربها، وران الغَشْيُ على قلب المريض، وكذلك الموتُ.

ومنه قول الشاعر:

ثُمَّ لمَّا رآهُ رانتْ بِهِ الخَمْـ ـرُ وأَلَّا ترينَهُ باتِّقاءِ[٣] [الخفيف]

والبيت لأَبي زُبَيْد[٤].

(١) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٦).
(٢) هذا الأثر ذكره الطبري (١١/ ١٤٢) من طريق أسباط، عن السدي، فذكره عن النضر بن الحارث بنحوه.
(٣) البيت لَأبي زُبيْد كما في تفسير الطبري (٢٤/ ٢٨٦)، وتهذيب اللغة (١٥/ ١٦٣)، وفي نجيبويه: «يزينه»، وفي أحمد٣: «تركته».
(٤) في المطبوع: «أبي زبيد»، وهي محتملة في بعض النسخ الخطية.

قال الحسن، وقتادة: الرَّيْن: الذَّنب على الذَّنب حتى يموت القلب[١]، ويُروى عن أَبي هريرة أَن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الرجل إِذا أَذنب صارت نُكْتة سوداءُ في قلبه، ثم كذلك حتى يتغطى، فذلك الرين الذي قال الله تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾»[٢].

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿بَل رَّان﴾ بِإِدغام اللام في الراءِ.

[وقرأَ نافع: ﴿بَلْ رَان﴾ غير مدغمة.

وقرأ عاصم ﴿بَلۡۜ﴾ ويقف ثم يبتدئ ﴿رَانَ﴾.

وقرأ حمزة والكسائي بالإدغام والإمالة في ﴿رَانَ﴾][٣]، وقرأ نافع أيضا بالإِدغام والإِمالة.

وقال أَبو حاتم: القراءَةُ بالفتح والإِدغام.

وعلَّق تعالى اللوم بهم فيما كسبوه ـ وإِن كان ذلك بخلْقٍ منه سبحانه واختراع ـ؛ لأَن الثواب والعقاب متعلِّق بكسب العبد.

و﴿كَلَّآ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ﴾ يصلح فيها الوجهان اللذان تقدم ذكرهما.

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٨٧)، وتفسير الهداية لمكي (١٢/ ٨١٢٧)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٥٣).

(٢) غريب حسن، أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٧)، والترمذي (٣٣٣٤)، وابن ماجه (٤٢٤٤) والنسائي في الكبرى (١٠١٧٩-١١٥٩٤)، وابن حبان في صحيحه (٩٣٠-٢٧٨٧) وغيرهم من طرق عن محمد ابن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ، قال: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر، صقل قلبه، فإن زاد، زادت، فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من المطبوع، وشعبة مع حمزة، وكلها سبعية، إلا ما ذكر عن نافع فالصحيح عنه مثل ابن كثير، انظر التيسير (ص: ٢٢٠)، وانظر الخلاف عن نافع في السبعة (ص: ٦٧٥)، ولم أقف على قول أبي حاتم.

والضمير في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ﴾ هو للكفَّار، فَمَنْ قال بالرؤية ـ وهم أَهل السُّنة ـ قال: إِنَّ هؤلاءِ لا يرون ربهم، فهم محجوبون عنه.

واحتجَّ بهذه الآية مالكُ بن أَنس على مسألة الرؤية من جهة دليل الخطاب(١)، وإِلَّا فلو حَجَب الكلَّ لما أَغنى هذا التخصيص.

وقال الشافعي: فَلمَّا حجبَ قوماً بالسخط دلّ علَى أَن قوماً يرونه بالرضى(٢).

ومَنْ قال بأَلَّا رؤية ـ وهو قول المعتزلة ـ قال في هذه الآية: إِنهم محجوبون عن رحمة ربهم وغُفرانه.

و«صَلْيُ الْجَحِيمِ» هو: مباشرة حرِّ النار دون حائل.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى﴾ على معنى التوبيخ لهم والتقريع.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ مفعول لم يُسَمَّ فاعله؛ لأَنه قول بُني له الفعل الذي هو ﴿يُقَالُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا﴾ إِشارةٌ إِلى تعذيبهم وكونهم في الجحيم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

لما ذكر تعالى أَمر كتاب الفجار عقَّب ذلك بذكْر كتاب ضدهم ليبين الفرق.

و﴿ٱلْأَبْرَارِ﴾: جمع برٍّ.

---

(١) التمهيد لأبي عمر (٧/ ١٥٤).

(٢) تفسير الإمام الشافعي (٣/ ١٤٢٩).

وقرأَ ابن عامر بكسر الراءِ، وقرأَ ابن كثير، ونافع بفتحها، وقرأَ أَبو عمرو، وحمزة، والكسائي بإِمالتها[١].

و«علّيون»: هو جمع عِلّيي، عَلَى وزن فِعِّيل بناءُ مبالغة، يريد بذلك الملائكة فلذلك أُعرب بالواو والنون، وقيل: يريد المواضع العَلِيَّةَ لأَنَّهُ عُلُوٌّ فوق عُلُوٍّ، فَلَمَّا كان هذا الاسم على هذا الوزن لا واحد له أَشبه عشرين، فأُعرب إِعراب الجموع إِذْ أَشبهها، وهو أَيضاً مثل: قِنَّسْرين، فإِنك تقول: طابت قِنَّسْرونَ ودخلت قِنَّسْرينَ.

واختلف الناس في الموضع المعروف بـ: ﴿عِلِّيِّينَ﴾، ما هو؟

فقال قتادة: قائمة العرش اليُمْنى[٢].

وقال ابن عباس: السماءُ السابعة تحت العرش[٣]، وروي ذلك عن النبي ﷺ[٤].

وقال الضحاك: هو عند سِدْرة المنتهى[٥].

وقال ابن عباس: ﴿عِلِّيُّونَ﴾: الجنة[٦]، وقال مكي: وقيل: هو في السماءِ الرابعة[٧].

وقال الفراءُ عن بعض العلماءِ: هو في السماءِ الدنيا[٨].

---

(١) لم يصنع شيئاً، فالإمالة لأبي عمرو والكسائي، والتقليل لورش وحمزة والباقون بالفتح.

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٩١)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٥٤)، والهداية لمكي (١٢/ ٨١٣٣).

(٣) أخرج الطبري (٢٤/ ٢٠٧) من طريق شمر بن عطية، عن هلال بن يساف قال: سأل ابن عباس كعباً وأنا حاضر، عن العليين، فقال كعب: هي السماء السابعة، وفيها أرواح المؤمنين، وسنده حسن، لكنه من جواب كعب على ابن عباس.

(٤) لم أقف عليه صريحاً، لكن في حديث المنهال بن عمرو عن زاذان أبي عمر عن البراء مرفوعاً الذي سبق قريباً: «حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول: اكتبوا كتابه في عليين».

(٥) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٩٢)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٥٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٨١٣٣)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢٢٩).

(٦) أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٠٩) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس فذكره.

(٧) الهداية لمكي (١٢/ ٨١٣٣)، وسقطت «وقيل» من الأصل.

(٨) لم أقف عليه.

والمعنى أَن كتابهم الذي فيه أَعمالهم هنالك تَهَمُّماً بها وترفيعاً لها، وأَعمال الفجار في سِجِّين في أَسفل سافلين؛ لأَنه روي عن أُبَيٍّ بن كعب، وابن عباس أَن أَعمالهم يُصعد بها إِلى السماءِ فتأْباهَا، ثم تُردُّ إِلى الأَرض فتأْباها أَرْضٌ بعد أَرض حتى تنتهي في سِجِّين تحت الأَرض السابعة(١).

و﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ في هذه الآية خبر ﴿إِنَّ﴾ والظَّرْف مُلْغَى.

و﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: في هذه الآية: الملائكة المُقَرَّبون عند الله تعالى، أَهلُ كل سماءٍ، قاله ابن عباس وغيره(٢).

و﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾: جمع أَريكة، وهي السُّرُر في الحجال.

و﴿يَنظُرُونَ﴾ معناه: إِلى ما عندهم من النعيم، ويحتمل أَن يريد: بعضُهم إِلى بعض. وقيل عن النبي ﷺ: «ينظرون إِلى أَعدائهم في النار كيف يُعذبون»(٣).

وقرأَ جمهور الناس: ﴿تَعْرِفُ﴾ على مخاطبة محمد ﷺ، بفتح التاءِ وكسر الراءِ ﴿نَضْرَةَ﴾ نصباً، وقرأَ أَبو جعفر، وابن أَبي إِسحاق، وطلحة، ويعقوب: ﴿تُعْرَفُ﴾ بضم التاءِ وفتح الراءِ ﴿نَضْرَةُ﴾ رفعاً، وقرأَ قوم: ﴿يُعرَفُ﴾ بالياءِ لأَن تأْنيث «النَّضْرة» ليس بحقيقي، و«النَّضْرَةُ»: النعمة والرونق، و«الرَّحيقُ»: الخمرُ الصافية، ومنه قول حسان:

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمُ ... بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحيق السَّلْسَلِ(٤) [الكامل]

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٩٥)، والحسين المروزي في زوائده على زهد ابن المبارك (١٢٢٣) من طريق يعقوب القمي، عن حفص بن حميد، عن شمر قال: جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار، فقال له ابن عباس: حدثني عن قول الله: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾، قال كعب: إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء، فتأبى السماء أن تقبلها، ويهبط بها إلى الأرض، فتأبى الأرض أن تقبلها، فتهبط فتدخل تحت سبع أرضين، حتى ينتهي بها إلى سجين، وهو حد إبليس، فيخرج لها من سجين من تحت حد إبليس رق، فيرقم ويختم، يوضع تحت حد إبليس بمعرفتها الهلاك إلى يوم القيامة.

(٢) هذا الأثر أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٩٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس بنحوه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) تقدم في تفسير الآية (٣٤) من سورة سبأ، وفي الأصل: «البريض».

و﴿مَّخۡتُومٍ﴾: يحتمل أَن يُختم على كؤوسه التي يشرب بها تَهمُّماً وتَنَظُّفاً، والأَظهر أَنه مختوم شُرْبُه بالرائحة المسكيَّة حسب ما فسَّره قوله تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ﴾.

واختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ﴾:

فقال ابن مسعود وعلقمة: معناه: خِلْطُه وَمِزَاجه(١).

وقال ابن عباس(٢)، والحسن، وسعيد بن جبير: معناه: خاتمته(٣)، أَي تجد الرائحة عند/ خاتمة الشرب رائحة المسك. [٥/ ٢٨١]

وقال أَبو علي: المراد لذاذة المقطع وذكاءُ الرائحة مع طيبِ الطعم، وكذلك هو قوله تعالى: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥]، وقوله: ﴿زَنجَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧]، أَي تحذي اللسان(٤).

وقد قال ابن مقبل:

[البسيط] مِمَّا يُعَتَّقُ في الحانوت باطِنُها ... بِالْفُلْفُل الْجَوْنِ والرُّمانِ مَخْتومُ(٥)

---

(١) صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٩٧) من طريق علقمة، عن عبد الله بن مسعود قال: ليس بخاتم، ولكنه خلط.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٢١٧)، والبيهقي في البعث (٣٢٢) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: الخمر خُتم بالمسك، وأخرجه الطبري أيضاً من طريق العوفي، عن ابن عباس قال: طيب الله لهم الخمر، فكان آخر شيء جعل فيها حتى تختم المسك.

(٣) قول سعيد بن جبير وقول أبي علي الآتي في كتاب الحجة لأبي علي (٦/ ٢٨٧)، ولم أقف على قول الحسن.

(٤) في المطبوع: تجد في اللسان، وفي الحمزاوية وأحمد٣: «تحد في»، وقد تم التأكد من العبارة بالرجوع إلى المنصف لابن جني (ص: ٤١٥)، والمحكم والمحيط الأعظم (٧/ ٦٠٠)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٧٠)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٤٢).

(٥) عزاه له ابن سيده في المخصص (١/ ٢٣١)، والحانوت: بيت الخَمَّار، وتَعْتِيقُ الخمر: حفْظُها لمدة طويلة حتى تصبح قديمة، وفي الأصل والأسدية ٤ والحمزاوية ونجيبويه: «يفتق في الحانوت ناظفها»، وفي الأصل والحمزاوية: «الجوز»، وفي نور العثمانية: «يعبق».

وقال مجاهد: معناه: طِينُه الذي يُختم به مسكٌ بدل الطين الذي في الدنيا[١]، وهذا إِنما يكون في الكؤوس؛ لأَن خمر الآخرة ليست في دنانٍ، إِنما هي في أَنهار.

وقرأَ الجمهور: ﴿خِتَـٰمُهُۥ﴾.

وقرأَ عليُّ بن أَبي طالب رضي الله عنه، والكسائي، والضحاك، والنَّخَعي: ﴿خاتَمُهُ﴾[٢]، وهذه بيِّنةٌ المعنى: أَنه يراد بها الطبع على الرحيق، وروي عنهم أَيضاً كسر التاءِ[٣].

ثم حرَّض تعالى على الجنة بقوله: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾، و«التَّنافُس» في الشيءِ: المُغَالاةُ فيه، وأَن يتبعه كل واحد نفسه، فكأَن نفسيهما تتباريان فيه، وقيل: هو من قولك: شيءٌ نفيسٌ، فكأن هذا يعظِّمه، ويعظِّمه الآخر، ويستبقان إِليه.

و«المِزاجُ»: الخلْطُ، والضمير عائد على «الرحيق»، واختلف الناس في ﴿تَسْنِيمٍ﴾:

فقال ابن عباس، وابن مسعود: «التَّسْنيمُ» أَشرف شراب في الجنة[٤].

[وهو اسم مذكَّر لماءِ عيْن في الجنة][٥]، وهي: عين يشرب بها المقربون صرفاً، ويمزج رحيق الأَبرار بها، قاله ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وأَبو صالح، وغيرهم[٦].

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٩٨)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٥٦)، وفي نجيبويه: «طيبه».
(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٢١).
(٣) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٧).
(٤) أثر ابن مسعود، أخرج هناد السري في الزهد (٦٥-٦٦) وابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ١٤٢)، والطبري (٢٤/ ٢٢١-٢٢٢) والحسين المروزي في زوائده على زهد ابن المبارك (١٥٢٢)، والبيهقي في البعث والنشور (٣٢٦) من طريق الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله قال: عين في الجنة يشربها المقربون، وتمزج لأصحاب اليمين، وأثر ابن عباس، أخرج عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٥٧) عن ابن عيينة، والطبري (٢٤/ ٢٢٢) من طريق أبي حمزة السكري كلاهما (ابن عيينة، وأبو حمزة) عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: عين يشرب بها المقربون صرفاً، ويمزج فيها لمن دونهم، وفي المطبوع ونجيبويه: «تراب الجنة».
(٥) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل.
(٦) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٠١)، وانظر أثر ابن مسعود، وأثر ابن عباس اللذين تقدما.

وقال مجاهد ما معناه: إن «تَسْنِيماً» مصدر من سنَّمت إذا عليت[١]، ومنه السنام، فكأنها عيْن قد عَلَت على أهل الجنة فهي تنحدر، [وقاله مقاتل بن سليمان][٢].

وذهب قوم إلى أن الأبرار والمقربين في هذه الآية بمعنىً واحد يقع لكلٍّ من نعم في الجنة، وذهب الجمهور من المتأولين إلى أن منزلة الأبرار دون منزلة المقربين، وأن الأبرار هم أصحاب اليمين، وأن المقرَّبين هم السابقون.

و﴿عَيْنًا﴾ منصوب إمَّا على المدح، وإما أن يعمل فيه ﴿تَسْنِيمٍ﴾ على رَأي من رآه مصدراً، وينتصب على الحال من ﴿تَسْنِيمٍ﴾، أو ﴿يُسْقَوْنَ﴾، قاله الأخفش[٣]، وفيه بُعْدٌ.

وقوله تعالى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ معناه: يشربها، كقول الشاعر:

[الطويل] شَـرِبْنَ بمـاءِ الْبَحْـرِ ثُـمَّ تَرَفَّعَتْ   مَتَـى لُجَـج خُضْـرٍ لَهُـنَّ نَئِيج[٤]

ثم ذكر تعالى أن الذين أجرموا بالكفر ـ أي اكتسبوه ـ كانوا في دنياهم يضحكون من المؤمنين، ويَسْتَخِفُّون بهم، ويتخذونهم هزوءاً.

ويروى أن هذه القصة نزلت في صناديد قريش وضعفة المؤمنين[٥].

وروي أنها نزلت بسبب أن عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه وجمعاً معه من المؤمنين مرُّوا بجمع من الكفار في مكة، فضحكوا منهم، واستَخَفُّوا بهم عبثاً ونُقصان عقل، فنزلت الآية في ذلك[٦].

---

(١) في الأصل: «علمت» وفي المطبوع ونجيبويه: «علوت»، وقول مجاهد في تفسير الطبري (٢٤/ ٢٩٩).
(٢) ساقط من الأصل، وانظر تفسير الثعلبي (١٠/ ١٥٦).
(٣) إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١١٣).
(٤) لأبي ذؤيب الهذليِّ، كما في تأويل مشكل القرآن (ص: ٣٠١)، وحروف المعاني والصفات (ص: ٤٧)، والخصائص (٢/ ٨٧).
(٥) ذكره الطبري (٢٤/ ٢٢٥-٢٢٦) عن قتادة.
(٦) ضعيف، هذا الأثر ذكره الثعلبي في تفسيره (١٠/ ١٥٧) من طريق الكلبي، عن علي رضي الله عنه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ٣٣ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤﴾.

الضمير في ﴿مَرُّواْ﴾ للمؤمنين، ويحتمل أَن يكون للكفار.

وأَما الضمير في ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ فهو للكفار لا يحتمل غير ذلك، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾.

و﴿فاكهين﴾ معناه: أَصحاب فاكهة ومرح ونشاط وسرور باستخفافهم بالمؤمنين، يقال: رجل فاكِهٌ كَلَابِنٍ وتامِرٍ، وهكذا بأَلِفٍ هي قراءة الجمهور.

ويقال: رجل فَكِهٌ، من هذا المعنى، وقرأَ حفصٌ عن عاصم: ﴿فَكِهِينَ﴾ بغير أَلف، وهي قراءة أَبي جعفر، وأَبي رجاءٍ، والحسن، وعكرمة[١].

وأَما الضمير في (رَأَوا) وفي ﴿قَالُوٓاْ﴾ فقال الطبري وغيره: هو للكفار[٢]، والمعنى أَنهم يرمون المؤمنين بالضلال، والكفار لم يُرسلوا على المؤمنين حَفَظَة لهم.

وقال [بعض علماء التأويل][٣]: بل المعنى بالعكس، وإِنما معنى الآية: وإِذا رأَى المؤمنون الكفار قالوا: إِنهم ضالون، وهو الحق فيهم، ولكن ذلك يثير الكلام بينهم، فكأن في الآية حضاً على الموادعة، أَي إِنَّ المؤمنين لم يُرسلوا حافظين على الكفار، وهذا كله منسوخ ـ على هذا التأويل ـ بآية السيف.

ولما كانت الآية المتقدمة قد نطقت بيوم القيامة وأَن الويل يومئذ للمكذبين، ساغ أَن يقول: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ﴾ على حكاية ما يقال يومئذ وما يكون.

و﴿ٱلَّذِينَ﴾ رُفع بالابتداءِ.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٢١)، والنشر (٢/ ٣٩٩).
(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٠٣).
(٣) ساقط من نجيبويه، وفي نور العثمانية: «وقال قوم».

وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ معناه: إلى أَعدائهم[١] في النار، قال كعب: لأهَل الجنة كُوىً ينظرون منها، وقال غيره: بينهم جسم عظيم شفاف يرون منه حالهم[٢].

و﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ﴾ تقرير وتوقيف لمحمد ﷺ وأُمَّته.

ويحتمل أَن يريد: ﴿يَنظُرُونَ ۞ هَلْ ثُوِّبَ﴾، فالنظر واقع على ﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾، والمعنى: هل جُوزي، ويحتمل أَن يكون المعنى: يقول بعضهم لبعض.

وقرأَ ابن محيصن، وأَبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿هَثُّوِّبَ﴾ بإِدغام اللام في الثاءِ.

[قال سيبويه: وذلك حسن وإن كان دون إدغام اللام في الراء][٣] لتقاربهما في المخرج.

وقرأَ الباقون: ﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾ لا يُدغمون[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا۟﴾ حذف تقديره: جزاءَ ما كانوا، أَو عقاب ما كانوا يفعلون.

(١) في الأصل والأسدية: «عذابهم».

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٠٤).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من المطبوع ونجيبويه، وانظر الكتاب لسيبويه (٤/ ٤٥٩)، و«اللام» ساقطة من الأصل، وسقط من أحمد٣: «وإن كان دون».

(٤) وهما سبعيتان، الإدغام لحمزة والكسائي وهشام، انظر التيسير (ص: ٤٣).

سُورَةُ الانْشِقَاق

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾

وهي مكية بلا خلاف بين المتأولين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ۝١٥﴾.

هذه أَوصاف يوم القيامة، و«انشقاق السماءِ» هو: تفطرها لهول يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٦]، وقال الفراءُ، والزجاج، وغيرهما: هو تشققها بالغمام، وقال قومٌ: تَشَقُّقها: هو تفتيحها أَبواباً لنزول الملائكة وصعودهم في هول يوم القيامة.

وقرأَ أَبو عمرو: (انشقَّت)، يقف على التاءِ كأنه يُشِمُّها شيئاً من الجرِّ، وكذلك في أَخواتها[1].

---

(١) وهي شاذة، من رواية عبيد بن عقيل عنه كما في الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٧)، ومختصر الشواذ (ص: ١٧٠).

قال أَبو حاتم: وسمعتُ أَعرابياً فصيحاً في بلاد قيس يكسر هذه التَّاءاتِ، وهي لغة(١).

(وأذِنَت) معناه: استمعت وسمعت أَمره ونهيه.

ومنه قول النبي ﷺ: «ما أَذن الله لشيءٍ إِذْنَه لنبيٍّ يتغنى بالقرآن»(٢)، ومنه قول الشاعر:

[البسيط] صُمٌّ إِذا سَمِعوا خَيْراً ذكِرْتُ بِهِ وإن ذكرت بشرٍّ عندهم أذنوا(٣)

(وحقَّت)، قال ابن عباس(٤)، وابن جبير: معناه: وحُقَّ لها أَن تسمع وتطيع(٥).

ويحتمل أَن يريد: وحُقَّ لها أَن تَشَّقق لشدة الهول وخوف الله تعالى.

و«مَدُّ الأَرض»: هو إِزالة جبالها حتى لا يبقى فيها عِوَج ولا أَمْت، فذلك مَدُّها، وفي الحديث: «إِن الله تعالى يَمُدُّ الأَرض يوم القيامة مدَّ الأَديم العُكاظي»(٦).

و﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾، يريد: من الموتى، قاله الجمهور، وقال الزجاج: من الكنوز، وهذا ضعيف؛ لأَن ذلك يكون وقت خروج الدجال، وإِنما تُلقي يوم القيامة الموتى.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٠٢٤)، ومسلم (٧٩٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) لقَعْنَب بن أُمِّ صاحب، كما في أمالي القالي (١/ ١٢٢)، وعيون الأخبار (٣/ ٩٦)، وأنساب الأشراف (١٣/ ٤١٢)، والصحاح للجوهري (٥/ ٢٠٦٨)، وعزاه في مجاز القرآن (٢/ ٢٩١) لرؤبة، وفي المطبوع: وإذا ذكرت بسوء، وهو خطأ.

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٣٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس قال: حُقِّقَتْ لطاعة ربها.

(٥) تفسير الطبري (٢٤/ ٣١٠)، وتفسير الهداية لمكي (١٢/ ٨١٥١).

(٦) ضعيف، هذا جزء من الحديث الطويل الذي أخرجه ابن أبي الدنيا في الأهوال (٥٥)، والطبري (٣/ ٦١١-٦١٢-١٣/ ٧٣٥-٧٣٦)، وابن أبي حاتم (١٦٦٢١-١٦٦٢٧-١٦٦٢٩)، والطبراني في الأحاديث الطوال (٣٦)، والبيهقي في البعث والنشور (٦٠٩) وغيرهم من طرق عن إسماعيل ابن رافع المدني، عن يزيد بن أبي زياد، عن رجل من الأنصار، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة مرفوعاً، وإسماعيل بن رافع المدني ضعيف جداً.

و(تَخَلَّتْ) معناه: خَلَت عما كان فيها، أَي لم تتمسك منهم بشيءٍ.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ مخاطبة للجنس.

و«الكادِحُ»: العاملُ بشدة وسرعة واجتهاد مؤثر، ومنه قول النبي ﷺ: «من سأَل وله ما يُغنيه جاءَت مسأَلته خدوشاً أَو كدوحاً في وجهه يوم القيامة»[١].

والمعنى: إِنك عامل خيراً أَو شرّاً، وأَنت لا محالة في ذلك سائر إِلى ربك لأَن الزمن يطير بعمر الإِنسان، وإِنما هو في مدة عمره في سير حثيث إِلى ربه. وهذه آية وعظ وتذكير، أَي: فكن على حذر من هذه الحال، واعمل عملاً صالحاً تجده.

وقرأَ طلحة بإِدغام كاف ﴿إِنَّك﴾ في كاف ﴿كَّادِحٌ﴾[٢].

ومن هذه اللفظة قول الشاعر:

[الوافر]

ومـا الإنـسـانُ إلَّا ذو اغـتــرارٍ طِوالَ الدَّهرِ يكدحُ في سَفالِ[٣]

وقال قتادة: من استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله تعالى فليفعل[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ معناه: فملاقي عذابه أو تنعيمه.

---

(١) ضعيف، أخرجه أحمد (١/ ٣٨٨-١/ ٤٤١)، والدارمي (١٦٤٠)، وأبو داود (١٦٢٦)، وابن ماجه (١٨٤٠)، والترمذي (٦٥٠)، والنسائي (٥/ ٩٧)، وفي الكبرى (٢٣٨٤) من طريق حكيم ابن جبير، عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد النخعي، عن أبيه، عن ابن مسعود فذكره بنحوه، وفي بعض الروايات زيادة، وحكيم بن جبير الكوفي ضعيف، وقد توبع كما عند أبي داود في رواية يحيى بن آدم، قال: فقال عبد الله بن عثمان لسفيان: حفظي أن شعبة لا يروي عن حكيم بن جبير، فقال سفيان: فقد حدثناه زبيد، عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد، قلت: وقد أعل النسائي هذه المتابعة حيث قال: لانعلم أحداً قال في هذا الحديث: عن زبيد غير يحيى بن آدم، ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث حكيم بن جبير، وحكيم ضعيف، وسئل شعبة عن حكيم بن جبير، فقال: أخاف النار. وكان روى عنه قديماً، وفي المطبوع: «حدوثاً» بدل: «خدوشاً».اهـ.

(٢) وهي سبعية للسوسي عن أبي عمرو على قاعدته في الإدغام الكبير.

(٣) بلا نسبة في مجاز القرآن (٢/ ٢٩١)، وفيه: «سفال».

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٣١٢).

واختلف النحاة في العامل في ﴿إِذَا﴾ فقال بعض النحاة: العامل ﴿ٱنشَقَّتۡ﴾، وأبى ذلك كثير من أئمتهم؛ لأن ﴿إِذَا﴾ مضافة إلى ﴿ٱنشَقَّتۡ﴾، ومَنْ يُجيز ذلك تضعف عنده الإضافة ويقوى معنى الجزاء.

وقال آخرون منهم: العامل ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾، وقال بعض حُذَّاقهم: العامل فعلٌ مضمر.

وكذلك اختلفوا في جواب ﴿إِذَا﴾:

فقال كثير من النحاة: هو محذوف لعلم السامع به.

وقال أَبو العباس المبرد، والأَخفش: هو في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾، أَي: إِذا انشقت السماءُ [فأَنت ملاقي الله تعالى.

وقيل: التقدير: فيا أَيُّها الإِنسان، وجواب ﴿إِذَا﴾ في الفاءِ المقدرة.

وقال الفراءُ عن بعض النحاة: هو ﴿وَأَذِنَتۡ﴾ على تقدير زيادة الواو[1].

فأما الضمير في ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ فقال جمهور المتأولين: هو عائد على الربِّ تعالى، فالفاءُ ـ على هذا ـ عاطفة (مُلاق) على ﴿كَادِحٌ﴾.

وقال بعض الناس: هو عائد على «الكدح»، فالفاءُ ـ على هذا ـ عاطفةٌ جملة الكلام على التي قبلها، والتقدير: فأنت ملاقيه، والمعنى: ملاقي جزاءَه خيراً كان أَو شرّاً.

ثم قسَّم تعالى الناس إِلى المؤمن والكافر، فالمؤمنون يُعطون كُتُبهم بأَيمانهم، ومن ينفذ عليه الوعيد من عصاتهم فإِنه يُعطى كتابه عند خروجه من النار.

وقد جوَّز قوم أَن يُعطاه أَولاً قبل دخوله النار، وهذه الآية تردُّ على هذا القول.

و«الحِسابُ الْيَسيرُ»: هو العرض، وأَمَّا من نُوقش الحساب فإِنه يهلك ويعذب، كذلك قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها، وذلك أَن رسول الله ﷺ قال: «من حوسب عُذِّب»، فقالت عائشة رضي الله عنها: أَلم يقل الله تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾

---

(١) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٤٩)، وقول المبرد والأخفش في الهداية لمكي (١٢/ ٨١٥٣).

الآية؟ فقال ﷺ: «إِنما ذلك العرض، وأَمَّا من نوقش الحساب فإِنه يهلك»[(١)].

وفي الحديث من طريق ابن عمر رضي الله عنه، قال: «يُدني الله تعالى العبد حتى يضع عليه كنفه، فيقول: أَلم أَفعل بك كذا وكذا؟ ـ يُعَدِّدُ عليه نعمه ـ، ثم يقول له: فلم فعلت كذا وكذا؟ ـ لمعاصيه ـ فيقف العبد حيران[(٢)]، فيقول الله تعالى: سترتها عليك في الدنيا وأَنا أَغفرها لك اليوم»[(٣)].

وقالت عائشة رضي الله عنها: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «اللهم حاسبني حساباً يسيراً»، فقلت: يا رسول الله وما هو؟ فقال: «أَنْ يتجاوز عن السيئات»[(٤)].

وروى ابن عمر أَن النبي ﷺ قال: «من حاسب نفسه في الدنيا هوَّن الله حسابه يوم القيامة»[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ أَي الذين أَعدَّ الله تعالى له في الجنة، إِمَّا من نساءِ الدنيا وإِما من الحور العين وإِما من الجميع.

والكافر يُؤتى كتابه من ورائه لأَن يديه مغلولتان، وروي أَن يده تدخل من صدره حتى تخرج من وراءِ ظهره فيأخذ كتابه بها.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٠٣) (٤٩٣٩) (٦٥٣٦) ومسلم (٢٨٧٦).

(٢) في الأصل: «حزيناً»، وفي المطبوع: «خزياناً»، وفي نور العثمانية: «حرياناً».

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه بنحوه.

(٤) لا بأس به، أخرجه أحمد (٦/ ٤٨) وابن خزيمة (٨٤٩)، وابن حبان (٧٣٧٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٧٨) من طريق: ابن إسحاق، وعبد الواحد بن زياد، عن عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير، عن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن عائشة. قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته: «اللهم حاسبني حساباً يسيراً»، فلما انصرف، قلت: يارسول الله، ما الحساب اليسير؟ قال: «ينظر في كتابه ويتجاوز له عنه؛ إنه من نوقش الحساب يومئذ ياعائشة هلك، وكل ما يصيب المؤمن يكفر الله به عنه، حتى الشوكة تشوكه».

(٥) ذكره النقاش في تفسيره كما في تفسير السمعاني (٦/ ١٩٠).

ويقال: إِن هاتين الآيتين نزلتا في أَبي سلمة بن عبد الأَسد، وفي أَخيه الأَسود، وكان أَبو سلمة من أَفضل المسلمين وأَخوه من عُتاة الكافرين(١).

و﴿يَدۡعُواْ ثُبُورٗا﴾ معناه: يصيح منتحباً: واثُبُوراه واحزناه(٢) ونحو هذا مما معناه: هذا وقتُك وأَوانُك(٣)، أَي: احضرني، الثُّبور: اسمٌ جامعٌ للمكاره كالويل.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي والحسن، وعمر بن عبد العزيز، والجحدري، وأَبو الشعثاءِ، والأَعرج: ﴿وَيُصَلَّى﴾ بشد اللام وضم الياءِ على المبالغة.

وقرأَ نافع أَيضاً، وعاصم في رواية أَبان بضم الياءِ وتخفيف اللام، وهي قراءة أَبي الأَشهب، وعيسى، وهارون عن أبي عمرو.

وقرأَ عاصم، وأَبو عمرو، وحمزة، وأَبو جعفر، وقتادة وعيسى، وطلحة، والأَعمش بفتح الياءِ على بناءِ الفعل للفاعل(٤).

[٥/ ٢٨٣] وفي مصحف / ابن مسعود: (وَسَيَصْلَى)(٥).

وقوله تعالى: ﴿فِيٓ أَهۡلِهِۦ﴾ يريد في الدنيا، أَي تملّكه ذلك لا يدري إِلَّا السرور بأَهله دون معرفة الله تعالى، والمؤمن إِن سُرَّ بأَهله لا حرج عليه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ معناه: أَن لن يرجع إِلى الله تعالى مبعوثاً محشوراً، قال ابن عباس: لم أَعلم ما معنى ﴿يَحُورَ﴾ حتى سمعتُ أَعرابية تقول لِبُنَـيَّة لها: حوري، أَي: ارجعي(٦).

---

(١) انظر تفسير القرطبي (١٩/ ١٨٨-١٨٩).

(٢) في الأصل: «واخزياه».

(٣) في نجيبويه: «وزمانك».

(٤) هذه والأولى سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٢١)، والوجه الثاني لنافع رواية خارجة، انظرها مع رواية أبان عن عاصم في السبعة (ص: ٦٧٧)، وهارون عن أبي عمرو في الكامل للهذلي (ص: ٦٥٩)، «والحسن» ساقط من المطبوع ونجيبويه.

(٥) وهي شاذة، لم أجدها لغير المصنف.

(٦) ذكره الثعلبي (١٠/ ١٦٠) وغير واحد عن ابن عباس بلا إسناد، وقد أخرج الطبري (٢٤/ ٢٤٢) =

و«الظَّن » هنا على بابه، و﴿أَن﴾ وما بعدها تسدُّ مسدَّ مفعولي ﴿ظَنَّ﴾، وهي «أَنْ» المخففة من الثقيلة.

و«الحَوْرُ»: الرجوع على الأَدراج، ومنه: «اللهم إِني أعوذُ بك من الحَوْر بعد الكَوْرِ»(١).

ثم ردَّ الله تعالى على ظن هذا الكافر بقوله: ﴿بَلَىٰٓ﴾، أَي: يحور ويرجع، ثم أَعلمهم أَنَّ الله تعالى لم يزل بصيراً بهم، لا تخفى عليه أَفعال أَحد منهم، وفي هذا وعيد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾.

(لا) زائدة، والتقدير: فأُقسم، وقيل: (لا) ردٌّ على أَقوال الكفار، وابتدأَ القول: ﴿أُقْسِمُ﴾.

وقَسَم الله تعالى بمخلوقاته هو على جهة التشريف لها وتعريضها للعبرة، إِذ القسم بها منبه منها.

و(الشَّفَق): الحمرة التي تعقب غيبوبة الشمس مع البياض التابع لها في الأَغلب، وقيل: الشفق هنا النهار كله، قاله مجاهد، وهو قول ضعيف.

= من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: يبعث، وعند ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١٥/ ٣١٩) من طريق الضحاك، عن ابن عباس قال: أن لن يرجع.

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٥/ ٨٣)، وعبد بن حميد (٥١١)، والترمذي (٣٤٣٩)، والنسائي في الكبرى (٨٨٠١)، وابن خزيمة (٢٥٣٣) من طرق عن حماد بن زيد، عن عاصم الأحول، عن عبد الله بن سرجس أنه كان رأى النبي ﷺ، قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر قال: «اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا في سفرنا، واخلفنا في أهلنا، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، ومن الحور بعد الكور، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر في الأهل والمال».

وقال أَبو هريرة(١) وعمر بن عبد العزيز: «الشفقُ البياضُ الذي يتلو الحُمرة»(٢).

و﴿وَسَقَ﴾ معناه: جَمَعَ وضَمَّ، ومنه: الوسْق، أَي: الأَصوع المجموعة، والليل يَسِقُ الحيوان جملة، أَيْ: يجمعها في نفسه ويضمها، وكذلك جميع المخلوقات التي في الأَرض والهواءِ من البحار والجبال والرياح وغير ذلك.

و«اتِّساق القمر»: كمالُه وتمامه بدراً، فالمعنى: امتلأَ من النور.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وعمر، وابن عباس بخلاف عنهما وأَبو جعفر، والحسن، والأَعمش، وقتادة، وابن جبير: ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ بضم الباءِ، على مخاطبة الناس.

والمعنى: لتركبن الشدائد، الموتَ والبعث والحساب حالاً بعد حال، أَو تكون الأَحوال(٣) من النطفة إِلى الهرم، كما تقول: طبقة بعد طبقة.

و﴿عَن﴾ تجيءُ بمعنى «بَعْد»، كما تقول: ورث المجد كابراً عن كابر.

وقيل: المعنى: لتركَبُنَّ هذه الأَحوال أُمَّة بعد أُمَّة.

ومنه قول العباس بن عبد المطلب في النبي ﷺ:

[المنسرح]

وَأَنْتَ لَمَّا بُعِثْتَ أَشْرَقَتِ الـ ... أرضُ وَضاءَتْ بنُورِكَ الطُّرُقُ
تُنْقَلُ مِنْ صَالبٍ إِلى رحِم ... إِذَا مَضَى عالَمٌ بَدَا طَبَقُ(٤)

أَي: قَرْن من الناس؛ لأَنه طبق الأَرض، قال الأَقرعُ بن حابس:

[البسيط]

إِنِّي امْرُؤٌ قَدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ ... وَساقَني طَبَقٌ مِنْهُ إِلَى طَبَقِ(٥)

---

(١) ضعيف، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٥٩) عن معمر عن ابن خثيم عن ابن لهيعة عن أبي هريرة به، وهو منقطع ضعيف.

(٢) انظر تفسير الثعلبي (١٠/ ١٦٠).

(٣) ساقطة من الأصل.

(٤) انظر نسبته له في أمالي الزجاجي (ص: ٦٦)، وتهذيب اللغة (٩/ ٣١)، والموازنة (ص: ٢٨٨).

(٥) انظر نسبته له في تفسير الثعلبي (١٠/ ١٦٢).

أَيْ حالٌ إِلى حال، وقيل: المعنى: لتركبُنَّ: الآخرة [بعد الأُولى.

وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضاً: (لَيَرْكَبُنَّ)][١] على أَنهم غُيَّب، [والمعنى على نحو ما تقدم][٢].

وقال أَبو عبيدة، ومكحول: المعْنى: «لتركَبُنَّ سَنَنَ من قبلكم»[٣].

قال القاضي أَبو محمد: كما في الحديث: «شِبْراً بِشِبْر، وذراعاً بذراع»[٤]، فهذا هو (طبق عن طبق)، ويلتئم هذا المعنى مع هذه القراءة التي ذكرنا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويَحْسُن مع القراءة الأُولى.

وقرأَ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وعمر، وابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، والأَسود، وطلحة، وابن جُبَير، ومسروق، والشَّعبي، وأَبو العالية، وابن وثاب، وعيسى: ﴿لَتَرْكَبَنَّ﴾ بفتح الباءِ[٥]، على معنى: أَنتَ يا محمد، فقيل: المعنى: حالًا بعد حال من معالجة الكفار.

وقال ابن عباس: سماءً بعد سماءٍ في الإِسراءِ[٦].

وقيل: هي عِدَةٌ بالنصر، أَي لتركَبَنَّ أَمْر العرب قبيلاً بعد قبيل، وفتحاً بعد فتح كما كان ووُجد بعد ذلك.

---

(١) ساقط من نجيبويه وأحمد٣، وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٨).
(٢) ساقط من المطبوع.
(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٩٢)، ومكحول ساقط من المطبوع.
(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩) عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم، شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم» قلنا: يا رسول الله آليهود والنصارى؟ قال: «فمن».
(٥) وهي والأولى سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٢١)، وسقط ابن عباس من الأصل، وفي المطبوع: معروف بدل مسروق، وفيه: عمرو بن مسعود، مع التنبيه في الهامش على نسخة: عمر وابن مسعود.
(٦) هذا الأثر أخرجه البخاري (٤٩٤٠) عن مجاهد، قال: قال ابن عباس: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حالًا بعد حال، قاله نبيكم ﷺ.

وقال ابن مسعود: المعنى: لتركَبَنَّ السماءَ في أَهوال يوم القيامة حالاً بعد حال، تكون كالمهل وكالدهان وتنفطر وتتشقَّق، فالسماءُ هي الفاعلة[١].

وقرأَ ابن عباس أَيضاً، وعمر: (لَيَرْكَبَنَّ) بالياء[٢] على ذكر الغائب، فإِمَّا أَن يراد محمد ﷺ على المعاني المتقدمة، وقاله ابن عباس[٣]، يعني نبيكم ﷺ.

وإما ما قال بعض الناس في كتاب النقاش من أَن المراد القمر؛ لأَنه يتغير أَحوالاً من سرار واستهلال وإبدال[٤].

ثم وقف تعالى نبيَّه ﷺ ـ والمراد أُولئك الكفار ـ بقوله: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، أَي: ما حُجَّتهم مع هذه البراهين الساطعة؟.

وقرأَ الجمهور: ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ بضم الياءِ وشد الذال.

وقرأَ الضحاك بفتح الياءِ وتخفيف الذال وإِسكان الكاف[٥].

و﴿يُوعُونَ﴾: معناه: يجمعون من الأَعمال والتكذيب والكفر، كأنهم يحملونها في أَوعية، تقول: وعيتُ العلمَ وأَوعيتُ المتاع، وجعل تعالى البشارة في العذاب لمَّا صرح به، وإِذا جاءت مُطْلقة فإِنما هي في الخير.

ثم استثنى تعالى من كفار قريش القوم الذين كانوا سبق لهم الإِيمان في قضائه.

و﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ معناه: مقطوع، من قولهم: حبلٌ مَنينٌ، أَي مقطوع، ومنه قول الحارث ابن حِلِّزَةَ الْيَشْكُرِيِّ:

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٥٤ـ ٢٥٥) من طريق مرة الهمداني، وإبراهيم النخعي، عن ابن مسعود رضي الله عنه بألفاظ مختلفة.

(٢) «بالياء» من نجيبويه، وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٥٠٨) لأبي الدرداء، وآخرين.

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٤٠) وغيره، من طريق مجاهد، عن ابن عباس به.

(٤) و«إبدال» ساقطة من المطبوع، كتبت فيه: «إماماً»، متصلة، ولم أقف على كلام النقاش.

(٥) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٥٠٨).

فتَـرَى خَلْفَهـن مِـن شـدة الرَّجْـ ـعِ منينـــاً كـأنـــه أَهْـبـــاءُ[١] [الخفيف]

يريد: غباراً متقطعاً، وقال ابن عباس: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: مُعَدَّدٍ عليهم محسوبٍ مُنَغَّص بالمنِّ[٢].

(١) من معلقته، كما تقدم في تفسير الآية (٢٢) من سورة الفرقان، وفي المطبوع: «خلفها من الرجع والوقع».

(٢) بهذا اللفظ لم أقف عليه، والذي وقفت عليه ما أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٥٩) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾. يقول: غير منقوص.

سورة البروج

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سُورة البروج

وهي مكيَّة بإِجماع من المتأولين، لا خلاف في ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾.

اختلف الناس في ﴿ٱلْبُرُوجِ﴾، فقال الضحاك وقتادة: هي القصور[1]، ومنه قول الأَخطل:

كَـأَنَّـهَـا بُـرْجُ رُومِـيٍّ يُـشَـيِّـدُهُ ... بَـانٍ بِجِـصٍّ وَآجُـرٍّ وأَحْجَـارِ[2] [البسيط]

وقال ابن عباس: ﴿ٱلْبُرُوجِ﴾: النجومُ لأَنها تتبرَّج بنورها[3]، والتَّبرج: التَّظاهر والتَّبدي.

---

(١) المعروف عن قتادة ومجاهد أن ﴿ٱلْبُرُوجِ﴾: النجوم، انظر تفسير الطبري (٢٤/ ٣٣٢)، والهداية لمكي (١٢/ ٨١٧١).

(٢) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٩/ ٢٨٩)، وغيره، وقد تقدم في تفسير الآية (٦١) من سورة الفرقان.

(٣) لم أقف عليه.

وقال الجمهور وابن عباس أيضاً: ﴿ٱلْبُرُوجِ﴾: هي المنازل التي عرفتها العرب[١]، وهي اثنا عشر عَلَى ما قسَّمته العرب، وهي التي تقطعها الشمس في سنة والقمر في ثمانية وعشرين يوماً.

وقال قتادة: معناه: ذاتُ الرمل والماءِ، يريد أَنها مبنية في السماءِ[٢]، وهذا قول ضعيف.

و(اليوم الموعود): هو يوم القيامة باتفاق، قاله النبي ﷺ[٣]، ومعناه: الموعود به.

وقوله: (مَشْهُودٍ) معناه: عليه، أَو بِهِ، أَو فيه، وهذا يترتب بحسب الخلاف[٤] في تعيين المراد بشاهِد ومشهود، فقد اختلف الناس في المشار إِليه بهما:

فقال ابن عباس: «الشاهدُ»: الله تعالى، والمشهود: يومُ القيامة[٥].

وقال ابن عباس أَيضاً[٦]، والحسن بن علي، وعكرمة: «الشاهدُ»: محمد ﷺ،

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف على هذا القول معزواً لقتادة، وفي الأصل:« السماء» بدل «الماء».

(٣) ضعيف، أخرجه الترمذي (٣٣٣٩)، وابن أبي حاتم كما في ابن كثير (٨/ ٣٨٥)، والطبراني في الأوسط (١٠٨٧)، والبيهقي (٣/ ١٧٠)، وفي الشعب (٣٧٦٠)، والبغوي في تفسيره (٨/ ٣٨١) من طرق عن موسى بن عبيدة بن نشيط الربذي، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «اليوم الموعود يوم القيامة»، وموسى بن عبيدة الربذي ضعيف.

(٤) ساقطة من الأصل.

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٦٩) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٦) حسن لغيره: أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٧٧٥) عن وكيع، والطبري (٢٤/ ٢٦٦)، وابن أبي حاتم (١١٢١٦) في تفسيرهما من طريق وكيع، عن شعبة، عن علي بن زيد، عن يوسف المكي، عن ابن عباس فذكره، وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف، ولكن أخرجه النسائي في الكبرى (١١٥٩٩) من طريق علي بن الحسين بن واقد، عن أبيه، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس به.وهذا إسناد حسن من أجل علي بن الحسين بن واقد فإنه صدوق.

و«المشهود»: يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وقال تعالى في يوم القيامة: ﴿وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ [هود: ١٠٣][(١)].

وقال مجاهد وعكرمة أَيضاً: «الشاهد»: آدم عليه السلام وجميع ذريته، و«المشهود»: يوم القيامة[(٢)]، و(شاهد) اسم جنس على هذا.

وقال بعض من بسط قول مجاهد وعكرمة (شاهد): أراد به رجل فرد أَو نَسَمة من النَّسم، ففي هذا تذكير لحقارة المسكين ابن آدم، و«المشهود» يوم القيامة.

وقال الحسن بن أَبي الحسن وابن عباس أَيضاً: «الشاهد»: يوم عرفة ويوم الجمعة، و«المشهود»: يوم القيامة[(٣)].

وقال ابن عباس وعلي، وأَبو هريرة[(٤)]، والحسن، وابن المسيب وقتادة: (شاهد): يوم الجمعة، و(مشهود): يوم عرفة[(٥)].

---

(١) انظر الهداية لمكي (١٢/ ٨١٧٣).

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٦٦) ولم أقف على هذا القول معزواً لعكرمة.

(٣) أثر ابن عباس رضي الله عنه أخرجه ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (١٥/ ٣٢٩) عن ابن عباس في قول الله: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ * وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ قال: (اليوم الموعود): يوم القيامة، و«الشاهد»: يوم الجمعة، و«المشهود»: يوم عرفة، وهو الحج الأكبر، فيوم الجمعة جعل الله عيداً لمحمد وأمته وفضلهم بها على الخلق أجمعين، وهو سيد الأيام عند الله، وأحب الأعمال فيه إلى الله، وفيه ساعة لا يوافقها عبد قائم يصلي يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه. وأما قول الحسن فذكره الطبري (٢٤/ ٢٦٤) أن الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة.

(٤) أثر ابن عباس رضي الله عنه أخرجه الطبري من طريق عطية العوفي عنه، وأما أثر علي بن أبي طالب فقد أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٦١) من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن الحارث الأعور، عن علي فذكره، والحارث الأعور ضعيف، ولكنه توبع فقد أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٦٤) من طريق شعبة، عن أبي إسحاق السبيعي، عن حارثة بن مضرب، عن علي فذكره وإسناده لا بأس به، وأما أثر أبي هريرة فقد أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٦٤) من طريق ابن علية، عن يونس بن عبيد، عن عمار بن أبي عمار، به، وإسناده لا بأس به.

(٥) الهداية لمكي (١٢/ ٨١٧٢-٨١٧٣).

وقال ابن عمر: (شاهد): يوم الجمعة، و(مشهود): يوم النحر[(١)].

وقال جابر: (شاهد): يوم القيامة، و(مشهود): الناس[(٢)].

وقال محمد بن كعب: الشاهد: أَنت يا بن آدم، والمشهود: الله تعالى[(٣)].

وقال ابن جبير بالعكس، وتلا: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦][(٤)].

وقال أَبو مالك: الشاهد: عيسى عليه السلام، و«المشهود»: أُمَّتُه، قال الله تعالى: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [المائدة: ١١٧][(٥)].

وقال ابن المسيب: (شاهد): يوم التروية، و(مشهود): يوم عرفة.

وقال بعض الناس في كتاب النقاش: «الشاهد»: يوم الاثنين، و«المشهود»: يوم الجمعة، وذكره الثعلبي.

وقال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: (الشاهد): يوم عرفة، و(المشهود): يوم النحر.

وعنه أَيضاً: (شاهد): يوم القيامة، و(مشهود): يوم عرفة[(٦)].

وقال أَبو هريرة عن النبي ﷺ: (شاهد): يوم الجمعة، و(مشهود): يوم عرفة[(٧)]،

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٦٩) عن محمد بن حميد الرازي، عن جرير، عن مغيرة، عن شباك، قال سأل رجل الحسن بن علي عن: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾. قال: سألت أحداً قبلي؟ قال: نعم، سألت ابن عمر وابن الزبير، فقالا: يوم الذبح، ويوم الجمعة. ومحمد بن حميد الرازي ضعيف، وقد رُوي من طريق زيد بن أسلم، عن الحسن بن علي، ولكن بمعنى آخر.

(٢) لم أقف عليه، وفي الأصل: «يوم الجمعة».

(٣) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٦٦).

(٤) انظر البحر المحيط (١٠/ ٤٤٣).

(٥) انظره مع القولين بعده في تفسير الثعلبي (١٠/ ١٦٦)، ولم أقف على نقل النقاش.

(٦) لم أقف عليه، والقول الذي قبله أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر كما في الدر المنثور (١٥/ ٣٣٠) عن علي قال: «اليوم الموعود»: القيامة، و«الشاهد»: يوم الجمعة، و(المشهود): يوم النحر.

(٧) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٣٣٩)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٣٨٥)، والطبراني =

قاله عليٌّ وأَبو هريرة، والحسن[١].

وقال إِبراهيم النَّخَعي: «الشاهد»: يوم الأَضحى، و«المشهود»: يوم عرفة[٢].

قال القاضي أَبو محمد: ووصف هذه الأَيام بـ (شاهدٍ) لأَنها تشهد لحاضريها بالأَعمال، و«المشهود» فيما مضى من الأَقوال بمعنى المشاهَد بفتح الهاءِ.

وقال الترمذي: «الشاهد»: الملائكة الحفظة، و«المشهود عليهم»: الناس[٣].

وقال عبد العزيز بن يحيى[٤]، عند الثعلبي: «الشاهدُ» محمدٌ ﷺ، و«المشهود عليهم» أُمَّته[٥].

ونحو قوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، أَي شاهداً.

وقيل: «الشاهد»: الأَنبياءُ عليهم السلام، و«المشهود عليهم»: أُمَمُهُم.

= في الأوسط (١٠٨٧)، والبيهقي (٣/ ١٧٠)، وفي الشعب (٣٧٦٠)، والبغوي في تفسيره (٨/ ٣٨١) من طرق عن موسى بن عبيدة بن نشيط الربذي، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه «اليوم الموعود يوم القيامة، واليوم المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة، وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه، فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير إلا استجاب الله له، ولا يستعيذ من شيء إلا أعاذه الله منه».

(١) جيد: أثر علي رضي الله عنه أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٦٤) من طريق شعبة، عن أبي إسحاق السبيعي، عن حارثة بن مضرب، عن علي به، وهو لا بأس به، وأثر أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه أحمد (١٣/ ٣٥١-٣٥٢)، والطبري (٢٤/ ٢٦٢) من طريق يونس، عن عمار بن أبي عمار مولى بني هاشم، عن أبي هريرة به، ولا بأس به، وقول الحسن في تفسير الطبري (٢٤/ ٣٣٣)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٦٦).

(٢) تفسير الماوردي (٦/ ٢٤١)، والهداية لمكي (١٢/ ٨١٧٤).

(٣) وهو الحكيم، انظر البحر المحيط (١٠/ ٤٤٣).

(٤) هو عبد العزيز بن يحيى بن مسلم بن ميمون الكناني، المكي الفقيه. صاحب كتاب الحيدة، روى عن سفيان بن عيينة، والشافعي، وتفقه به، وهو قليل الحديث، وكان من أهل العلم والفضل، وله مصنفات عدة. تاريخ الإسلام (١٧/ ٢٥٦).

(٥) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٦٦).

وقال الحسين بن الفضل: «الشاهدُ»: أُمَّة محمد ﷺ، و«المشهود عليهم»: قوم نوح عليه السلام وسائر الأُمم[(١)]، حسب الحديث المنصوص في ذلك[(٢)].

وقال ابن جبير أَيضاً: «الشاهدُ»: الجوارحُ التي تنطق يوم القيامة فتَشهد على أَصحابها، و«المشهود عليهم»: أَصحابها[(٣)].

وقال بعض العلماءِ: «الشاهد»: الملائكة المتعاقبون في الأُمة، و«المشهود»: قُرْآن الفجر، وتفسيره قول الله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

وقال بعض العلماءِ: «الشاهد»: النجم، و«المشهود عليه»: الليل والنهار، أَي: شهد النجم بإِقبال هذا وإِدبار[(٤)] هذا، ومنه قول النبي ﷺ: «حَتَّى يطلع الشاهد»[(٥)]، الشاهد: النجم.

وقال بعض العلماءِ: «الشاهد»: هو الله تعالى والملائكة وأُولو العلم، والمشهود به: الوحدانيةُ وأَنَّ الدين عند الله الإِسلام.

وقيل: «الشاهد»: مخلوقاتُ الله تعالى، و«المشهود به»: وحدانيته، وأَنشد الثعلبي في هذا المعنى قول الشاعر:

[المتقارب] وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الواحِدُ[(٦)]

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٦٦)، وفي المطبوع وأحمد٣: «الحسن».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٣٩) عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى، هل بلغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون لا ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾.

(٣) البحر المحيط (١٠/ ٤٤٣).

(٤) في نجيبويه: «وتمام».

(٥) أخرجه مسلم (٨٣٠) عن أبي بصرة الغفاري، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ العصر بالمخمص، فقال: «إن هذه الصلاة عرضت على من كان قبلكم فضيعوها، فمن حافظ عليها كان له أجره مرتين، ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد»، والشاهد: النجم.

(٦) تقدم في تفسير الآية (١٩١) من (سورة آل عمران).

و﴿قُتِلَ﴾: معناه: فعل الله تعالى بهم ذلك لأَنهم أَهل له، فهو على جهة الدعاءِ بحسب البشر، لا أَن الله تعالى يدعو على أَحد.

وقيل عن ابن عباس: معناه: لُعن[١]، وهذا تفسير بالمعنى.

وقيل: هو إِخبارٌ بأن النار قتلتهم، قاله الربيع بن أَنس[٢]، وسيأتي بيانه.

واختلف الناس في أصحاب الأخدود:

فقيل: هم قومٌ كانوا على دين، وقيل: كان لهم ملك، فزنى بأُخته، ثم حَمَلَه بعض نسائه[٣] على أَن يسن في الناس نكاح الأَخوات والبنات، فَحَمَل الناسَ على ذلك، فأَطاعه كثير وعصته فِرقٌ، فَخَدَّ لهم أَخاديد ـ وهي حفائر طويلة كالخنادق ـ وأَضرم لهم ناراً وطرحهم فيها، ثم استمرت المجوسية في مطيعيه[٤].

وقال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: صاحب الأُخدود ملِك من حمْيَر، كان بمزارع من اليمن، اقتتل هو والكفار مع المؤمنين، ثم غلب في آخر الأَمر، فحرَّقهم على دينهم إِذْ أَبَوْا دينه[٥].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسير سورة التوبة (١١/ ٤١٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾. يقول: لعنهم الله، وكل شيء في القرآن قتل فهو لعن، وأخرج الطبري (٢١/ ٤٩٢)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٤٤) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾. قال: لعن المرتابون، وقد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٥٢) من طريق بشر بن عمـارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يقول: لعنهم.

(٢) انظر تفسير الطبري (٢٤/ ٣٤٠).

(٣) في حاشية في بعض النسخ: «ثم حمله بعض نسائه»، وفي بعضها: «فزنى بابنته» وفي نجيبويه: «حمله بعض الناس».

(٤) انظر تفسير الطبري (٢٤/ ٣٣٧-٣٣٨)، والهداية لمكي (١٢/ ٨١٧٥-٨١٧٦)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٧١).

(٥) منقطع: أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٧١-٢٧٢) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قال: حدثنا =

ومنهم كانت المرأَة ذات الطفل التي تلَكَّأَت فقال لها الطفل: امضي في النار فإِنك على الحق[١].

وحكى النقاش عن علي رضي الله عنه أَن نبيَّ أَصحاب الأُخدود كان حبشيّاً، وأَن الحبشة بقية أَصحاب الأُخدود[٢].

وقيل: صاحب الأُخدود ذُو نُوَاس في قصة عبد الله بن الثَّامر التي وقعت في السِّير[٣].

وقيل: كان صاحب الأُخدود في بني إِسرائيل.

[٥/ ٢٨٥] قال القاضي أَبو محمد: ورأَيت في بعض الكتب أَن صاحب الأُخدود / هو محرِّق، وأَنه الذي حرَّق من بني تميم المئة، ويُعترض هذا القول بقوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾، فينفصل عن هذا الاعتراض بأَن هذا الكلام منقطع من قصة أَصحاب الأُخدود، وأَن المراد بقوله تعالى: ﴿وَهُمْ﴾ قريش الذين كانوا يفتنون الناس المؤمنين والمؤمنات.

واختلف الناسُ في جواب القَسم:

فقال بعض النحاة: هو محذوف لِعِلْم السامع به.

وقال آخرون: هو قوله تعالى: ﴿قُتِلَ﴾، والتقدير: لَقُتِلَ.

وقال قتادة: هو في قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[٤].

= أن علي بن أبي طالب فذكره بلفظ أطول من هذا، ولفظة «صاحب» ساقطة من الأصل، في حاشية المطبوع: في بعض النُّسخ: «بمدارج» بدل «مزارع».

(١) أخرجه مسلم في باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام (٣٠٠٥).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١٥/ ٣٣٣) من طريق عبد الله بن نجي، عن علي بن أبي طالب قال: كان نبي أصحاب الأخدود حبشياً، وأخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور من طريق الحسن، عن علي بن أبي طالب قال: هم الحبشة.

(٣) انظر سيرة ابن هشام (١/ ٣٤-٣٦).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٤٠)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٧٥).

وقال آخرون: هو في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلنَّارِ﴾ بدل من ﴿ٱلْأُخْدُودِ﴾، وهو بدل اشتمال.

وهذه قراءة الجمهور: ﴿ٱلنَّارِ﴾ بخفض الراءِ.

وقرأَ قوم: (النَّارُ ذاتُ) بالرفع[١]، على معنى: قتلتهم النارُ.

و(الوُقودُ) بالضَّم: مصدر من: وقدت النار إِذا اضطرمت.

و(الوَقُودُ) بفتح الواو: ما توقد به.

وقرأَ الجمهور بفتح الواو، وقرأَ الحسن، وأَبو رجاءٍ، وأَبو حَيْوَة بضمها[٢].

وكان من قصة هؤلاءِ أَن الكفار قَعَدُوا، وضُم المؤمنون فعرض عليهم الكفر، فمن أَبَى رُمي في أُخدود النار فاحترق، فروي أَنه احترق عشرون أَلفاً.

قال الربيع بن أَنس وأصحابه، وابن إِسحاق، وأَبو العالية: بعث الله تعالى على المؤمنين ريحاً فقبضت أَرواحهم، أَو نحو هذا، فخرجت النار وأَحرقت الكافرين الذين كانوا على حافتي الأُخدود[٣]، وعلى هذا يجيءُ ﴿قُتِلَ﴾ خبراً لا دعاءً.

وقال قتادة: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ يعني المؤمنين[٤].

و﴿نَقَمُواْ﴾ معناه: اعتدوا[٥].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿نَقَمُواْ﴾ بفتح القاف.

وقرأَ أَبو حَيْوةَ، وابن أبي عبلة: (نَقِمُوا) بكسر القاف[٦].

---

(١) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٨).

(٢) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٨).

(٣) انظر الهداية لمكي (١٢/ ٨١٨٣)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٣٤٠)، ولفظة «وأصحابه» زيادة من الأصل.

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٤٢)، والهداية لمكي (١٢/ ٨١٨٢).

(٥) في نجيبويه زيادة: «وتعدوا».

(٦) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٨)، وفي المطبوع: «الفاء»، وهو سهو.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾.

﴿فَتَنُواْ﴾: معناه: أَحْرقوا، وفتنتُ الذهب والفضة في النار: أَحرقتهما، والْفَتينُ: حجارةُ الحرَّة السودُ؛ لأَن الشمس كأَنها أَحرقتها. ومَنْ قال: إِن هذه الآيات الأَواخر في قريش، جعل الفتنة: الامتحانَ والتعذيبَ، ويُقَوِّي هذا التأْويلَ بعْضَ التقوية قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ﴾؛ لأَن هذا اللفظ في قريش أَحْكم منه في أُولئك الذين قد عُلم أَنهم ماتوا على كفرهم، وأَمَّا قريش فكان فيهم وقت نزول الآية من تابَ بعد ذلك وآمن بمحمد ﷺ.

و﴿جَهَنَّمَ﴾ و﴿ٱلْحَرِيقِ﴾ طبقتان من النار، ومن قال إِن النار خرجت فأَحرقت الكفارَ القعودَ جعل الحريق في الدنيا.

و«البطشُ»: الأَخْذُ بقوة وسرعة.

و﴿يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾: قال الضحاك، وابن زيد: معناه: يُبْدِئُ الخَلْقَ بالإِنشاءِ، ويُعيدُ بالحشر(١).

وقال ابن عباس ما معناه: إِن ذلك عام في جميع الأَشياءِ(٢)، فهي عبارة عن أَنه يفعل كل شيءٍ، أَي: يُبْدئ كل ما يُبدأُ ويُعيدُ كل ما يُعادُ، وهذان قسمان يستوفيان جميع الأَشياءِ.

وقال الطبري: معناه: يبدئ العذاب ويعيده على الكفار(٣).

و﴿ٱلْغَفُورُ﴾ و﴿ٱلْوَدُودُ﴾ صفتا فِعل، الأُولى: سَتْرٌ على عباده، والثانية: لُطْف بهم

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٤٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٨١٨٦).
(٢) لم أقف عليه، لكن أخرج الطبري (٢٤/ ٢٨٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يُبدئُ العذاب ويعيده.
(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٤٥).

وإِحسانٌ إِليهم، وخصص ﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾ بإِضافة نفسه إِليه تشريفاً للعرش، وتنبيهاً على أَنه أَعظم المخلوقات.

وقرأَ حمزة، والكسائي، والمفضل عن عاصم، والحسن، وابن وثاب، والأَعمش، وعمرو بن عبيد: ﴿المجيدِ﴾ بخفض الدال صفةً للعرش.

وهذا على أَن المجد والتمجُّد قد يوصف به كثير من الجمادات[١]، وقد قالوا: مَجَدَت الدابةُ إِذا سمنت، وأَمْجدتُها: إِذا أَحسنتَ علفها[٢].

وقالوا: في كل شجر نار، واستمجد الْمَرْخُ والعَفَار[٣]، أَي: كثرت نارهما.

[وقرأَ الباقون والجمهور: ﴿ٱلۡمَجِيدُ﴾ بالرفع صفة لله تعالى][٤].

وقرأَ الجمهور: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾.

وروي عن ابن عامر: «ذي الْعَرشِ» نعتاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[٥].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾.

هذا توقيف للنبي ﷺ وتقرير، بمعنى: فاجعل هؤلاءِ الكفرة الذين يخالفونك وراءَ ظهرك ولا تهتم، فقد انتقم الله تعالى من أُولئك الأَقوياءِ الأَشداءِ فكيف بهؤلاءِ؟

---

(١) في المطبوع: «الموجودات».

(٢) في المطبوع ونجيبويه: عليها.

(٣) الْمَرْخُ: شجر من العضاة، من الفصيلة العشارية، ينفرش ويطول في السماء، ليس له ورق ولا شوك، سريع الْوَرْي يقتدحُ به، والعَفَارُ: شجيرة من الفصيلة الأريكيَّة لها ثَمَرٌ لُبِّيٌّ أَحمر، ويُتّخذ منه الزنَادُ، فيسرع الوري. وهذا مثل من أمثال العرب، والمعنى أنهما استكثرا من النار، كأنهما أَخذا من النار ما هو حسبهما فصلحا للاقتداح بهما.

(٤) ساقط من الأصل، وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٢١).

(٥) وهي شاذة، رواها ابن بكار عن ابن عامر كما في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠٩)، وفي الأصل: «ابن عباس» بدل «ابن عامر».

و﴿ٱلْجُنُودِ﴾: الجموع المُعَدَّةُ للقتال والجري نحو غرض واحد، وناب فرعون بالذكر مناب قومه وآله إِذْ كان رأْسَهم، و﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ في موضع خفض على البدل من ﴿ٱلْجُنُودِ﴾.

ثم ترك القول بحاله، وأَضرب عنه إِلى الإِخبار بأَن هؤلاءِ الكفار بمحمد ﷺ وشرعه لا حجة لهم عليه ولا برهان، بل هو تكذيبٌ مجرد سببه الحسد.

ثم توعدهم بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾، أَي وعذاب الله تعالى ونقمته.

وقوله تعالى: ﴿مِن وَرَآئِهِم﴾ معناه: يأتي من بعد كفرهم وعصيانهم.

ثم أَعرض[1] تعالى عن تكذيبهم مُبطلًا له ورادّاً عليه، وأَخبر أَنه قرآن مجيد، أَي: لا مَذَمَّة فيه، وهذا ممَّا تقدم من وصف غير الله تعالى بالمجد والتمجُّد.

وقرأَ ابن السَّميفع اليمانيُّ: (قُرآنُ مَجِيدٍ) على الإِضافة[2]، وأَن يكون الله تعالى هو المجيد.

و«اللَّوْحُ»: هو اللَّوْحُ المحفوظ الذي فيه جميع الأَشياءِ.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿مَّحْفُوظٍۭ﴾ بِالخَفْض، صفة لِلَّوْح المشهور بهذه الصفة.

وقرأَ نافع وحده بخلاف عنه، وابن محيصن، والأَعرج: ﴿مَحْفُوظٌ﴾ بالرفع صفة للقرآن[3].

على نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، أَي: هو محفوظ في القلوب لا يُدركه الخطأُ والتبديل.

وقال أَنس: إِن اللوح المحفوظ هو في جهة[4] إِسرافيل عليه السلام[5].

---

(١) في نجيبويه: «أضرب».

(٢) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ١٧١).

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٢١).

(٤) في نجيبويه: «جبهة».

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٨٧) من طريق قرة بن سليمان، عن حرب بن سُريج، عن =

وقيل: هو من دُرَّة بيضاءَ، قاله ابن عباس[١]، وهذا كله مما قصرت به الأَسانيد.

وقرأ ابن السَّميفع: (في لُوحٍ) بضم اللام[٢].

نجز تفسير سورة البروج، والحمد لله رب العالمين. / [٥/ ٢٨٦]

= عبد العزيز بن صهيب، عن أنس به. وقرة بن سليمان الجهضمي الأزدي ضعفه أبو حاتم كما في الجرح والتعديل (٧/ ١٣١).

(١) روي بأسانيد لا تسلم من ضعف: أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٢٨-١٠٠٤)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٤٩٢-٤٩٦) وغيرهم من طريق أبي حمزة الثمالي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: إن مما خلق الله للوحاً محفوظاً من درة بيضاء، دفتاه من ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، ينظر فيه كل يوم ثلاث مئة وستين نظرة، أو مرة، ففي كل مرة منها يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء فذلك قوله: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢/ ٤٩٦) من طريق سفيان بن عيينة، عن أبي حمزة الثمالي، عن الضحاك، عن ابن عباس مرفوعاً به، وأبو حمزة هو ثابت بن أبي صفية الثمالي ضعيف، وأخرجه الطبري (١٣/ ٥٧٠-٥٧١) من طريق عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس به. وابن جريج فاحش التدليس، وقد عنعن، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠٦٠٥) من طريق عبد الله ابن الوليد العجلي، عن بكير بن شهاب الكوفي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لوددت أن عندي رجلاً من أهل القدر فوجأت رأسه، قالوا: ولم ذاك؟ قال: لأن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء، دفتاه ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، وعرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كل يوم ستين وثلاث مئة نظرة، يخلق بكل نظرة، ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء، وبكير بن شهاب الكوفي فيه جهالة، ومن طريق الطبراني أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٢٥) به، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٢١) من طريق عبد المنعم بن إدريس بن سنان، عن أبيه، عن وهب بن منبه، عن ابن عباس رضي الله عنه بنحوه بلفظ مطول، وعبد المنعم بن إدريس بن سنان اليماني متروك الحديث، وأبوه ضعيف. وانظر الميزان (٢/ ٦٦٨)، وقد روي مرفوعاً كما عند الطبراني في الكبير (١٢٥١١) من طريق زياد بن عبد الله، عن ليث بن أبي سليم، عن عبد الملك بن سعيد بن جبير، عن أبيه، عن ابن عباس، مرفوعاً، بنحوه، وزياد هو البكائي، صدوق ثبت في روايته المغازي عن ابن إسحاق، وضعيف في غيره، وليث بن أبي سليم ضعيف.

(٢) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ١٧١).

سُورَةُ الطَّارِق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَفسير سُورة الطارق

وهي مكيَّة، لا خلاف بين المفسرين في ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝٩ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾.

أَقسم الله تعالى بالسماءِ المعروفة في قول جمهور المفسرين، وقال قوم: (السَّماء) هنا: المطر، والعرب تُسَمِّي سماءً لِمَا كان من السماءِ، وتُسَمِّي السحاب سماءً، قال الشاعر:

إِذا نَـزَلَ السَّماءُ بِـأَرْضِ قَوْمٍ ... رَعَيْنـاهُ وَإِنْ كانـوا غِضابَـا[١] [الوافر]

وقال النابغة:

كالأُقْحُوَانِ غَدَاةَ غِبِّ سَمَائِهِ[٢] ... . [الكامل]

---

(١) البيت لمعاوية بن مالك مُعَوِّد الحكمَاء كما تقدم في تفسير الآية (١٩) من (سورة البقرة).

(٢) تمامه: جَفَّتْ أَعالِيهِ وَأَسْفَلُهُ ندِي، انظر عزوه له في أمالي المرتضي (١/ ١٥٣)، والفاخر للمفضل ابن سلمة (ص: ٦)، والصناعتين (١/ ٢٤٧)، وعيار الشعر (١/ ٢٧)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٣٧).

و(الطَّارق): الذي يأتي ليلاً، وهو اسم الجنس لكل ما يظهر ويأتي ليلاً، ومنه نهى النبي ﷺ الناسَ في أَسفارهم «أَن يأتي الرجل أَهله طروقاً»(١)، ومنه طروق الخيال، وقال الشاعر:

[البسيط]
يـا نائِـمَ اللَّيْـلِ مُغْتَـرّاً بأَوَّلِـهِ إِنَّ الْحَوَادِثَ قَدْ يَطْرُقْنَ أَسْحارَا(٢)

ثم بيَّن تعالى الطارق الذي قَصَدَ من هذا الجنس المذكور وهو ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾.

وقيل: بل معنى الآية: والسماءِ وجميع ما يَطْرُق فيها من الأُمور والمخلوقات.

ثم ذكر تعالى بعد ذلك ـ على جهة التَّنبيه ـ أَجلَّ الطارقات قدراً وهو ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾.

فكأنه تعالى قال: وما أدراك ما الطارق حقَّ الطارق.

واختلف المتأولون في ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾:

فقال الحسن بن أَبي الحسن ما معناه: أَنه اسم الجنس، لأَنها كلها ثاقبة(٣) أَي ظاهرة الضوءِ؛ يقال: ثَقَب النجمُ: إِذا أَضاءَ، وثَقَبت النارُ: كذلك، وثَقَبت الرائحةُ: إِذا سطعت، ويقال للْمُوقِدِ: أَثْقب نارك، أَي: أَضِئْها.

وقال ابن زيد: أَراد نجماً مخصوصاً وهو زُحل، ووصفه بالثقوب لأَنه مُبَرِّز على الكواكب في ذلك(٤).

[وقال ابن عباس: أَراد الجدي](٥).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٢٤٣)، ومسلم (٧١٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) أورده الثعلبي في تفسيره (١٠/ ١٧٨) قائلًا: وأنشدنا أبو القاسم المفسّر قال: أنشدني أبو الحسن محمد بن محمد بن الحسن قال: أنشدني أبو عبدالله محمد بن الرومي قال... فذكره.

(٣) في المطبوع والحمزاوية: «باقية»، وانظر البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٥٠).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٥٢).

(٥) ساقط من نجيبويه، وأورده القرطبي في تفسيره (٢٠/ ١) وعزاه لابن عباس، وأورده الثعلبي في تفسيره (١٠/ ١٧٨) قال روى أبو الجوزاء عن ابن عباس قال: (الطارق): نجم في السماء السابعة =

وقال بعض هؤلاءِ: ثَقَب النجمُ: إِذا ارتفع، فإِنما وصف زُحَلاً بالثقوب لأَنه أَرفع الكواكب مكاناً.

وقال ابن زيد أَيضاً وغيرُه: ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾: الثُّرَيَّا، وهو الذي تطلق عليه العرب اسم النجم[١] معرفاً.

وجواب القسم في قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٍ﴾ الآية.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿لَمَا﴾ مخففة الميم، قال الحُذَّاق من النحويين وهم البصريون: ﴿إِن﴾ مخففة من الثقيلة، واللام لام التأكيد الداخلة على الخبر.

وقال الكوفيون: ﴿إِن﴾ بمعنى «ما» النافية، واللام بمعنى «إِلَّا»، فالتقدير: ما كلُّ نفس إِلَّا عليها حافظ.

وقرأَ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، والأَعرج، وأَبو عمرو ونافع بخلاف عنهما، وقتادة: ﴿لَّمَّا﴾ بتشديد الميم[٢].

وقال أَبو الحسن الأَخفش: ﴿لَّمَّا﴾ بمعنى (إِلَّا)، لغة مشهورة في هُذَيل وغيرهم، يقال: أَقسمتُ عليك لمَّا فعلت كذا، أَي: إِلَّا فعلت كذا[٣].

ومعنى هذه الآية فيما قال قتادة وابن سيرين وغيرهما: إِن كل نفس مكلَّفة فعليها حافظ يحصي أَعمالها ويُعِدُّها للجزاءِ عليها[٤]، وبهذا الوجه تدخل الآية في الوعيد الزاجر.

= لا يسكنها غيره من النجوم، فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم رجع إلى مكانه من السماء السابعة، وهو زحل فهو طارق حين ينزل وطارق حين يصعد.

(١) في المطبوع والحمزاوية ونجيبويه: «الجنس»، وانظر تفسير الطبري (٢٤/ ٣٥٢)، والثعلبي (١٠/ ١٧٨)، والهداية (١٢/ ٨١٩٢).

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٢١)، والخلاف عن نافع وأبي عمرو خارج الطارق.

(٣) لم أجده.

(٤) انظر تفسير الطبري (٢٤/ ٣٥٣)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢٤٦)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٧٨)، والهداية لمكي (١٢/ ٨١٩٢).

وقال الفراءُ: المعنى: عليها حافظ يحفظها حتى يسلمها إِلى القدر[١]، وهذا قول فاسد المعنى؛ لأَن مدة الحفظ إِنما هي بقَدَر.

وقال أَبو أُمامة: قال النبي ﷺ في تفسير هذه الآية: «إن لكل نفس حَفَظَةً من الله تعالى يَذُبُّون عنها كما يُذَبُّ الذباب[٢] عن العسل، ولو وُكل المرءُ إِلى نفسه طرفة عين لاختطفته الغِيَرُ والشَّياطين»[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ توقيف لمنكري البعث على أَصل الْخِلقة الدالَّة على أَن البعث جائز ممكن، ثم بادر اللفظ[٤] إِلى الجواب اقتضاباً وإِسراعاً إِلى إِقامة الحجة؛ إِذ لا جواب لأَحد إِلَّا هذا.

﴿دَافِقٍ﴾: قال كثير من المفسرين: هو بمعنى: «مدفوق».

وقال الخليل وسيبويه: هو على النسب، أَي: ذا دَفْق، والدَّفْق: دَفْع الماءِ بعضه ببعض كدفع[٥] الوادي والسيل إِذا جاءَ يركب بعضه بعضاً[٦]، ويصح أَن يكون الماءُ دافقاً لأَن بعضه يدفع بعضاً، فمنه دافقٌ ومدفوق.

قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾:

---

(١) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٥٥).

(٢) «الذباب»، مثبتة من الأسدية ٤.

(٣) ضعيف: أخرجه الطبراني في الكبير (٧٧٠٤) من طريق عفير بن معدان، عن سليم بن عامر، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «وُكِّل بالمؤمن تسعون ومئة ملك يذبون عنه ما لم يقدر عليه، من ذلك النفر تسعة أملاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل من الذباب في اليوم الصائف، وما لو بدا لكم لرأيتموه على جبل وسهل، كلهم باسط يديه فاغرٌ فاه، وما لو وكل العبد فيه إلى نفسه طرفة عين خطفته الشياطين» وعفير بن معدان الحضرمي ضعيف.

(٤) في حاشية المطبوع: «هكذا كل الأصول»، وكلمة «اللفظة» هنا تكاد تكون زائدة.

(٥) في نجيبويه: «تدفق».

(٦) إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٢٤).

قال قتادة والحسن وغيرهما: معناه: من بين صُلْب كل واحد من الرجل والمرأَة وترائبه[١].

وقال سفيان وقتادة أَيضاً وجماعة: من بين صُلْب الرجل وترائب المرأَة[٢]، والضمير في ﴿يَخْرُجُ﴾ يحتمل أَن يكون للإِنسان، ويحتمل أَن يكون للماءِ.

وقرأَ الجمهور: ﴿الصُّلْبِ﴾ بسكون اللام.

وقرأَ أَهل مكة وعيسى: (الصُّلُبِ) بضم اللام على الجمع[٣].

والتَّرِيبَةُ من الإِنسان: ما بين التَّرْقُوَةِ إِلى الثدي، قال أَبو عبيدة: مُعَلَّقُ الحلي على الصدر، وجمع ذلك تَرِيبٌ[٤]، قال المثقِّب العبديُّ:

وِمنْ ذَهَـبٍ يُسَنُّ عَلَى تَرِيبٍ كَلَوْنِ الْعاجِ لَيْسَ بذِي غُضُونِ[٥] [الوافر]

وقال امرؤ القيس:

.... تَرَائِبُهَا مَصْقولَةٌ كالسَّجَنْجَلِ[٦] [الطويل]

فجمع التَّرِيبَة وما حولها فجعل ذلك ترائب.

وقال مكي[٧] عن ابن عباس: إِن التَّرائب أَطرافُ المرءِ، رجلاه ويداه وعيناه[٨].

---

(١) تفسير الماوردي (٦/ ٢٤٦).

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٧٩)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٣٥٥).

(٣) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٩).

(٤) في نجيبويه وأحمد٣: «ترائب»، وانظر مجاز القرآن (٢/ ٢٩٤).

(٥) انظر نسبته له في مجاز القرآن (٢/ ٢٩٤)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٣٥٦)، والمفضليات (ص: ٢٨٩)، وفي المطبوع: «غصون».

(٦) صدره: مُهَفْهَفَةٌ بَيْضاءُ غَيْرُ مُفاضةٍ، وهو من معلقته، وصرح بنسبته له ابن سلام في طبقات فحول الشعراء (١/ ٨٨)، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣١٢)، والقرشي في جمهرة أشعار العرب (ص: ٨٢)، والبغدادي في خزانة الأدب (١١/ ٤٩).

(٧) الهداية لمكي (١٢/ ٨١٩٥).

(٨) أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٩٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس فذكره.

وقال معمر: (الترائب): جمع تَريبَة، وهي: عُصارة القلب، ومنها يكون الولد[١].

وفي هذه الأَقوال تحكُّم على اللغة.

وقال ابن عباس: (الترائب) موضع القلادة[٢].

وقال أَيضاً: هي ما بين ثَدْيَي المرأَة[٣].

وقال ابن جُبير: هي أَضلاع الرجل التي أَسفل الصلب[٤].

وقال مجاهد: هي الصدر، وقال: هي التراقي، وقال: هي ما بين المنكبين والصدر[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ الضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ لله تعالى.

واختلف المفسرون في الضمير في ﴿رَجۡعِهِۦ﴾:

فقال ابن عباس[٦]، وقتادة: هو عائد على الإنسان[٧]، أَي: على ردِّه حيّاً بعد موته.

وقال الضحاك: هو عائد على الإِنسان، لكن المعنى: يُرجعه ماءً كما كان أَوَّلاً[٨].

[٥/ ٢٨٧] وقال الضحاك أَيضاً: يُرجعه من الكِبَر إِلى الشباب[٩] / .

وقال عكرمة، ومجاهد: هو عائد على «الماءِ»[١٠]، أَيْ: يردُّه في الإِحليل، وقيل: في الصُّلْب.

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٥٦)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٧٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٩٣) من طريق العوفي، عن ابن عباس فذكره.

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٩٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

(٤) الهداية لمكي (١٢/ ٨١٩٥).

(٥) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٥٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٨١٩٥)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٧٩).

(٦) لم أقف عليه، وقد أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر كما في الدر المنثور (١٥/ ٣٥٢) عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾. قال: على أن يجعل الشيخ شاباً، والشاب شيخاً.

(٧) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٥٨)، والهداية لمكي (١٢/ ٨١٩٦)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٨٠).

(٨) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٥٧)، والهداية لمكي (١٢/ ٨١٩٧)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٨٠).

(٩) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٥٨)، والهداية لمكي (١٢/ ٨١٩٧)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٨٠)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢٤٧).

(١٠) الهداية لمكي (١٢/ ٨١٩٧)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٨٠)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢٤٧).

والعامل في ﴿يَوۡمَ﴾ على هذين القولين الأَخيرين فعلٌ مضمر تقديره: اذكر ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾.

وعلى القول الأَول ـ وهو أَظهر الأَقوال وأَبْينها ـ اختلفوا في العامل في ﴿يَوۡمَ﴾:

فقال بعضهم: العامل ﴿نَاصِرٍ﴾ من قوله: ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾.

وقيل[١]: العامل «الرَّجْعُ» من قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ﴾، قالوا: وفي المصدر من القوة بحيث يعمل وإِنْ حال خَبرُ (إنَّ)[٢] بينه وبين معموله.

وقال الحذاق من النحاة: العامل فعلٌ مضمر تقديره: «إنَّه على رجعه لقادرٌ يُرجعه يوم تُبْلَى السرائر»، وكلُّ هذه الفِرق فرَّت من أَن يكون العامل (قادِرٌ)؛ لأَن ذلكَ يظهر منه تخصيص القدرة في ذلك اليوم وحده.

وإِذا تُؤُمِّلَ المعنى وما يقتضيه فصيح كلام العرب جاز أَن يكون العامل (قادِرٌ)، وذلك أَنه قال: ﴿إِنَّهُۥ[٣] عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾، أَي: على الإِطلاق أَوَّلًا وَآخِراً وفي كل وقت، ثم ذكر تعالى وخَصَّص من الأَوقات الوقت الأَهم على الكفار؛ لأَنه وقت الجزاءِ والوصول إِلى العذاب، لتجتمع النفوسُ إِلى حذره والخوف منه[٤].

و﴿تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ معناه: تُخْتبر وتُكتشف بواطنها.

وروى أَبو الدرداءِ عن النبي ﷺ: «أَن السرائر التي يبتليها الله تعالى من العباد: التوحيد والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة، وصوم رمضان»[٥]

---

(١) في نجيبويه: «وقال آخرون».

(٢) كتبت في المطبوع: «خبران».

(٣) «قال إنه» ليست في المطبوع والحمزاوية.

(٤) في أحمد٣: «لتجتمع إلى حذره الخوف منه».

(٥) ضعيف: أخرجه البيهقي في الشعب (٢٤٩٦) من طريق محمد بن يونس الكديمي، عن أبي علي الحنفي، عن عمران القطان، عن قتادة، عن خليد العصري، عن أبي الدرداء، مرفوعاً بنحوه. ومحمد ابن يونس الكديمي ضعيف، وله طريق ثانٍ ضعيف أخرجه الديلمي انظر السلسلة الضعيفة (٣٨١٧)، «وصوم رمضان»: سقط من الأصل ونجيبويه والحمزوية والأسدية ٤.

قال القاضي أَبو محمد: وهذه عُظْم الأَمر.

وقال أَبو قتادة: الوجه في الآية العموم في جميع السرائر(١).

وليس يمتنع في الدنيا من المكاره إِلَّا بأحد وجهين: إِمَّا بقوة في ذات الإِنسان، وإِما بناصر خارج عن ذاته، فأَخبر الله تعالى عن الإِنسان أَنه يعدمهما يوم القيامة فلا يعصمه من أَمر الله تعالى شيءٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾﴾.

(السَّماء) في هذا القَسَم يحتمل أَن تكون المعروفة، ويحتمل أَن تكون السحاب.

و﴿ٱلرَّجۡعِ﴾: المطر وماؤُه، ومنه قول الهُذَليِّ:

[السريع] أَبْيَضُ كَالرَّجْعِ رَسُوبٌ إِذَا ... مَا ثَاخَ فِي مُحْتَفَلٍ يَخْتَلِي(٢)

وقال ابن عباس: ﴿ٱلرَّجۡعِ﴾: السحاب فيه المطر(٣).

قال الحسن: لأَنه يرجع بالرزق كلَّ عام(٤).

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٤/ ٣٥٩).

(٢) البيت للْمُتَنَخِّل الْهُذَلي، كما في مجاز القرآن (٢/ ٢٩٤)، والحيوان (٥/ ٢٩٦)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٣٥٩)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٨١)، والمحكم (٨/ ٤٨٨)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٢٣)، وفي الصحاح (١/ ٤١٩): ثاخَتْ قدمُه بالوحل: غابت فيه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٦٥) عن الثوري، والطبري (٢٤/ ٣٠٢)، وأبو الشيخ في العظمة (٧٥٠)، والحاكم (٢/ ٥٢٠) من طريق الثوري، عن خصيف بن عبد الرحمن، عن عكرمة، عن ابن عباس به. بزيادة ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ قال: ذات النبات، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأخرجه إبراهيم الحربي في غريبه كما في تغليق التعليق (٤/ ٣٦٥) من طريق سماك، عن عكرمة به، وفي الإسنادين عن عكرمة ضعف، وفي المطبوع: «السحاب والمطر».

(٤) الهداية لمكي (١٢/ ٨١٩٩).

وقال غيره: لأَنه يرجع إِلى الأَرض، وقال ابن زيد: الرجعُ مصدر رجوع الشمس والقمر والكواكب من حال إِلى حالٍ، ومن منزلة إِلى منزلة، تذهب وترجع[١].

و﴿ٱلصَّدۡعِ﴾: النباتُ؛ لأَن الأَرض تتصدَّع عنه، وهذا قول يناسب قول من قال: إِن ﴿ٱلرَّجۡعِ﴾ هو المطر.

وقال مجاهد: ﴿ٱلصَّدۡعِ﴾: ما في الأَرض من شعاب ولِصَاب[٢]، وخندق وتَشقُّق بِحرْثٍ وغيره، وهي[٣] أُمور فيها معتبر، وهذا قول يناسب القول الثاني في ﴿ٱلرَّجۡعِ﴾.

والضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ للقرآن، ولم يتقدم له ذكر، من حيث القول في جزءٍ منه، والحالُ تقتضيه.

و﴿فَصۡلٞ﴾ معناه: جَزْم فَصل الحقائق من الأَباطيل، و«الْهَزْلُ»: اللَّعِبُ الباطِلُ.

ثم أَخبر تعالى عن قريش أَنهم يكيدون في أَفعالهم وأَقوالهم وتمرسهم بالنبي ﷺ وتدبيرهم ردَّ أَمره، ثم قوى الله تعالى ذلك بالمصدر وأَكَّده، وأَخبر سبحانه عن أَنه يفعل بهم عقاباً سمَّاه كيْداً، على العُرف في تسمية العقوبة باسم الذنب.

ثم ظهر من قوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أَن عقابه الذي سمَّاه كيْداً متأَخر حتى ظهر بِبَدْرٍ وغيره.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿أَمۡهِلۡهُمۡ﴾.

وقرأَ ابن عباس: (مَهِّلْهُمْ)[٤]، وفي هذه الآية مُوَادعة نسختها آية السيف.

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٦١)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٨١)، والهداية لمكي (١٢/ ٨١٩٩)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢٤٨).

(٢) البحر المحيط (١٠/ ٤٥٣).

(٣) في المطبوع ونجيبويه: «وفيها».

(٤) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٥٠٩).

وقوله تعالى: ﴿رُوَيۡدَۢا﴾ معناه: قليلاً، قاله قتادة، وهو حالٌ، وهذه اللفظة إِذا تقدمها شيءٌ تَصِفُه، كقولك: سَيْراً رُوَيداً، أَو تقدمها فِعْلٌ يعمل فيها كهذه الآية، وأَما إِذا ابتدأْت بها فقلت: رُوَيْداً يا فلان، فهي بمعنى الأَمر بالتَمَهُّل، تجري مجرى قولهم: صبراً يا زيد، وقليلاً يا عمرو.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾

وهي مكيَّة في قول الجمهور، وحكى النقاش عن الضحاك أَنها مدنية(١)، وذلك ضعيف، وإِنما دعاه إِليه قول من قال: إِنه ذكر صلاة العيد فيها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾.

﴿سَبِّحِ﴾ في هذه الآية بمعنى: نَزِّه وقدِّس، وقل: سبحانه عن النقائص والغِيَر جميعاً وما يقول المشركون.

و«الاسم» الذي هو «أَلف، سين، ميم» يأتي في مواضع من الكلام الفصيح يُراد به المسمَّى، ويأتي في مواضع يُراد به التَّسمية، نحو قوله ﷺ: «إِن لله تسعة وتسعين اسماً»(٢)، وغير ذلك، ومتى أُريد به المسمَّى فإِنما هو صِلَة كالزائد، كأنه تعالى قال في

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) متفق عليه: رواهُ البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

هذه الآية: سبِّح ربَّك، أَي نَزِّه، وإِذا كان الاسم واحداً من الأَسماءِ كزيْد وعمرو فيجيءُ في الكلام على ما قُلْتَ، تقول: «زيد قائم» تريد المسمَّى، وتقول: «زيد ثلاثة أَحرف» تريد التَّسمية، وهذه الآية تحتمل الوجه الأَول، وتحتمل أَن يراد بالاسم التسميةُ نفسها على معنى: نزِّه اسم ربِّك عن أَن يُسَمَّى به صنم أَوْ وثن فيقال له: إِلَهٌ وربٌّ ونحو ذلك.

و﴿ٱلۡأَعۡلَى﴾: يصح أَن يكون صفة للاسم، ويصح أَن يكون صفة للرب تعالى. / [٥/ ٢٨٨]

وذكر الطبري أَن ابن عمر وعلياً قرآ هذه السورة: (سُبحانَ رَبِّي الأَعْلى، الَّذي خَلَقَ فَسَوَّى) قال: وهي في مصحف أُبَيٍّ بن كعب كذلك، وهي قراءة أَبي موسى الأَشعري وابن الزبير، ومالك بن دينار(١).

وروى ابن عباس رضي الله عنه أَن النبي ﷺ كان إِذا قرأَ هذه الآية قال: «سبحان ربي الأعلى»(٢).

وكان ابن مسعود، وابن عمر، وابن الزبير يفعلون ذلك(٣).

ولما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «اجعلوها في سجودكم»(٤).

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لبعضهم في الطبري (٢٤/ ٣٦٧)، والشواذ للكرماني (ص: ٥١٠)، ومختصر الشواذ (ص: ١٧٢).

(٢) صحيح موقوفاً: أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٥) عن وكيع، وأبو داود (٨٨٣) من طريق وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مسلم البطين، عن ابن جبير، عن ابن عباس فذكره مرفوعاً، قال أبو داود: خولف وكيع في هذا الحديث، ورواه أبو وكيع، وشعبة، عن أبي إسحاق، عن ابن جبير، عن ابن عباس موقوفاً، وقد أخرجه الطبري (٢٤/ ٣١٠) من طريق أبي إسحاق، عن ابن عباس موقوفاً.

(٣) أثر ابن عمر أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٠٩) والحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٢) من طريق يعقوب بن إبراهيم، عن هشيم بن بشير، عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية، عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر أنه كان يقرأ: (سبح اسم ربك الأعلى سبحان ربي الأعلى الذي خلق فسوى). وهو صحيح إن سلم من تدليس هشيم، وأما أثر ابن الزبير فقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨٦٤٢) من طريق هشام بن عروة، قال سمعت ابن الزبير، يقرأ بسبح اسم ربك الأعلى، فقال سبحان ربي الأعلى. ولم أقف على أثر ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) إسناده لين، أخرجه أحمد (٤/ ١٥٥)، والدارمي (١٣٠٥)، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، =

وقال قوم: معنى ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾: نَزِّه اسم الله تعالى عن أَن تذكره إِلَّا وأَنت خاشع.

وقال ابن عباس: معنى الآية: صلِّ باسم ربك الأَعلى، كما تقول: ابدأْ باسم الله تعالى[١]، وحُذف حرف الجر.

و(سوَّى): معناه: عدَّل وأَتْقن حتى صارت الأُمورُ مستويةً دالَّةً على قدرته ووحدانيته.

وقرأَ جمهور القُرَّاءِ: ﴿قَدَّرَ﴾ بشدِّ الدال، فيحتمل أَن تكون من القَدَر والقضاءِ.

ويحتمل أَن تكون من التقدير والموازنة [بين الأَشياءِ.

وقرأَ الكسائي وحده: ﴿قَدَرَ﴾ بتخفيف الدال[٢].

فيحتمل أَن تكون من القُدرة، ويحتمل أَن تكون من التقدير والموازنة][٣].

وقوله تعالى: ﴿فَهَدَىٰ﴾ عامٌّ لوجوه[٤] الهدايات [في الإنسان والحيوان، وقد خصَّص بعض من المفسرين أَشياءَ من الهدايات][٥]:

فقال الفراءُ: معناه: هدَى وأَضلَّ[٦]، واكتفى بالواحدة لدلالتها على الأُخرى.

= وابن خزيمة (٦٠٠-٦٧٠)، وابن حبان (١٨٩٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٤٧-٢/ ٥١٩) وغيرهم من طريق موسى بن أيوب الغافقي، عن عمه إياس بن عامر، عن عقبة بن عامر قال: لما أنزلت ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في الركوع» فلما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ قال النبي ﷺ: «اجعلوها في سجودكم»، قال الذهبي في تلخيص المستدرك: إياس ليس بالمعروف.

(١) لم أقف عليه.

(٢) وهي سبعية، انظر التيسير (ص: ٢٢١).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

(٤) في نجيبويه مكانها: «لجميع».

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

(٦) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٥٦)، وسقط ذكر «الفراء» من نجيبويه.

وقال مقاتلٌ والكلبي: هدى الحيوان إِلى وَطْءِ الذكورِ الإِناثَ[١].

وقيل: هدى المولود عند وضعه إِلى مصِّ الثدي.

وقال مجاهد: هدى الناس إِلى الخير والشر، والبهائم للمراتع[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهذه الأَقوال مثالات، والعمومُ في الآية أَصوب في كل تقدير، وفي كل هداية.

و﴿ٱلْمَرْعَىٰ﴾: النباتُ، وهو أَصل في قوام العيش، إِذْ هو غذاءُ الأَنعام، ومنه ما ينتفع به الناس في ذواتهم.

و«الغُثَاءُ»: ما يبس وجفَّ وتحطَّم من النبات، وهو الذي يحمله السيل، وبه شُبِّه الناس الذين لا قدر لهم.

و«الأَحْوى» قيل: هو الأَخضر الذي عليه سوادٌ من شدة الخضرة والغضارة.

وقيل: هو الأَسود سواداً يضرب إِلى الخضرة، ومنه قول ذي الرُّمَّة:

[البسيط] لَمْيَاءُ فـي شَفَـتَـيْهَا حُـوَّةٌ لَعَسٌ وَفي اللِّثاتِ وفي أَنْيابِهَا شَنَبُ[٣]

قال قتادة: وتقدير هذه الآية: أَخرج المرعى أَحْوَى، أَيْ أَسودَ من خُضرته ونضارته، فجعله غُثاءً عند يُبْسه[٤]، فـ﴿أَحْوَىٰ﴾ حالٌ.

وقال ابن عباس: المعنى: ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾، أَي: أَسود[٥]؛ لأَن الغُثاءَ إِذا قَدُم

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٨٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٦٩)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٨٣)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٢٠٦).

(٣) انظر نسبته له في الجراثيم لابن قتيبة (ص: ٩)، وكتاب الإبل للأصمعي (١/ ٧٤)، وكتاب العين (١/ ٣٣٤)، والأغاني (١/ ٣٣٣)، والكامل للمبرد (٢/ ١١٩)، والهداية لمكي (٤/ ٢٤٦٦)، والخصائص (٣/ ٢٩١)، وتهذيب اللغة (١/ ١٨٢).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٧٠)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢٥٣)، وسقط ذكر «قتادة» من المطبوع ونجيبويه.

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣١٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: هشيماً متغيراً.

وأَصابته الأَمطار اسوَدَّ وتعفَّن فصار أَحوى، بهذه الصفة[١].

قوله تعالى: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾، قال الحسن، وقتادة، ومالك بن أَنس: هذه الآية في معنى قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦][٢] الآية وعده الله تعالى أَن يُقْرئه، وأَخبره أَنه لا ينسى نسياناً لا يكون بعده ذكر فتذْهب الآية.

وذلك أَن النبي ﷺ كان يحرك شفتيه مبادرة خوفاً منه أَن ينسى[٣].

وفي هذا التأويل آية للنبي ﷺ في أَنه أُمِّيٌّ وحفظ الله تعالى عليه الوحي وأَمَّنه من نسيانه.

وقال آخرون: ليست هذه الآية في معنى تلك، وإِنما هذه وعْدٌ بإِقرار الشرع والسُّوَر، وأَمْره بأَلَّا ينسى، على معنى التثبيت والتأكيد، وقد علم تعالى أَن ترك النسيان ليس في قدرته، فهو نهيٌ عن إِغفال التعاهد، وأَثبت الياءَ في ﴿تَنسَىٰٓ﴾ لتعديل رؤوس الآي.

وقال الجنيد: معنى (لا تَنْسَى): لا تترك العمل بما تضمن من أَمر ونهي[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾: قال الحسن وقتادة وغيرهما: معناه: مما قضى الله سبحانه بِنَسْخِه وأَن تُرْفع تلاوتُه وحكمه[٥].

وقال الفراءُ وجماعة من أَهل المعاني: هو استثناءٌ صِلَةٌ في الكلام، على سنة الله تعالى في الاستثناءِ، وليس ثَمَّ شيءٌ أُبيح نسيانُه[٦].

---

(١) في نجيبويه: «فهذا صفة»، وفي أحمد٣: «فهذا صفة»، وفي المطبوع: «وتقبَّض» بدل «تعفن».

(٢) انظر تفسير الطبري (٢٤/ ٣٧١)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢٥٣)، وقول مالك في تفسير القرطبي (٢٠/ ١٨).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٩٢٨)، ومسلم (٤٤٨) عن ابن عباس: «كان يحرك شفتيه إذا أنزل عليه، فقيل له: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦] يخشى أن ينفلت منه»، واللفظ للبخاري.

(٤) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٨٤).

(٥) تفسير الماوردي (٦/ ٢٥٣)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٨٤).

(٦) انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٥٦).

وقال ابن عباس: إِلَّا ما شاءَ الله أَن ينسيكه لِتَسُنَّ به[١]، على نحو قوله ﷺ: «إِنِّي لأَنْسَى، أو أُنَسَّى لأَسُنَّ»[٢]، وقال بعض المتأولين: إِلاَّ ما شاءَ الله أَن يغلبك النسيانُ عليه ثم يذكِّرك به بعد، ومن هذا قول النبي ﷺ حين سمع قراءة عبّاد بن بشر: «رحمه الله تعالى، لقد أَذْكرني كذا آيةً في سورة كذا وكذا»[٣].

قال القاضي أَبو محمد: ونسيانُ النبي ﷺ ممتنع فيما أُمِر بتبليغه؛ إِذْ هو معصوم، فإِذا بلَّغه وَوُعيَ عنه فالنسيان جائز على أَن يتذكر بعد ذلك، أَو على أَن يسن، أَو على النسخ.

ثم أَخبره تعالى أَنه يعلم الجهر من الأَشياءِ وما يخفى منها، وذلك لإحاطته بكل شيءٍ علماً، وبهذا يصح الخبر أَنه لا ينسى شيئاً إِلَّا ذكَّره الله تعالى به.

وقوله تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ معناه: نذهب بك نحو الأُمور الْمُسْتَحسنة في دنياك وأُخراك، من النَّصر والظَّفَر وعُلُوِّ الرسالة والمنزلة يوم القيامة والرفعة في الجنة.

ثم أَمره تعالى بالتذكير، واختلف الناس في معنى قوله تعالى: ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾:

فقال الفراءُ، والنحاسُ والزهراويُّ: معناه: وإِن لم تنفع؛ فاقتصر على القسم الواحد لدلالته على الثاني[٤].

---

(١) أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١٥/ ٣٦٦-٣٦٧) عن ابن عباس قال: إلا ما شئتُ أنا فأنسيك.

(٢) لا أصل له، هذا الحديث في الموطأ عن مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنِّي لَأَنْسَى أَوْ أُنَسَّى لِأَسُنَّ»، قال الحافظ في فتح الباري (٣/ ١٠١): لا أصل له فإنه من بلاغات مالك التي لم توجد موصولة بعد البحث الشديد.اهـ.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٦٥٥)، ومسلم (٧٨٨) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمع النبي ﷺ رجلا يقرأ في المسجد، فقال: «رحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية، أسقطتهن من سورة كذا وكذا» قال البخاري: وزاد عباد بن عبد الله، عن عائشة، تهجد النبي ﷺ في بيتي، فسمع صوت عباد يصلي في المسجد، فقال: «يا عائشة أصوت عباد هذا؟»، قلت: نعم، قال: «اللهم ارحم عباداً».

(٤) إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٢٧)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٢٥٦)، والبحر المحيط (١٠/ ٤٥٧). و«النحاس» سقط من الأصل.

وقال بعض الحُذَّاق: إنما قوله تعالى: ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ اعتراضٌ بين الكلامين على جهة التوبيخ لقريش، أَي: إِنْ نفعت الذكرى في هؤلاءِ الطُّغاة العُتاة، وهذا كنحو قول الشاعر:

[الوافر] لَقَدْ أَسْمَعْتَ لو ناديت حيّاً وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنادِي(١)

وهذا كله كما تقول لرجل: قُلْ لفلان وأَعِدْ لَهُ إِنْ سَمِعَكَ، إِنما هو توبيخ للمشار إِليه.

ثم أَخبر الله تعالى أَنه سيذكَّرُ من يخشى الله تعالى والدارَ الآخرة، وهم العلماءُ والمؤمنون، كلٌّ بقدر ما وُفِّق، ويتجنب الذكرى ونفعها من سبقت له الشقاوة فكفر، ووجب له صَلْيُ النار.

وقال الحسن: ﴿ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ نار الآخرة، والصغرى نارُ الدنيا(٢).

وقال بعض المفسرين: إِن جميع نار الآخرة وإِن كانت شديدة فهي تتفاضل، ففيها شَيءٌ أَكبر من شيءٍ، وقال الفراءُ: ﴿ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾: هي السُّفلى من أَطباق النار.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾ معناه: لا يموت فيها موتاً مريحاً ولا يحيا حياةً هنيَّة، فهو لا محالة حيٌّ، وقد ورد في خبرٍ أَن العصاة في النار موتى(٣).

---

(١) لعبد الرحمن بن الحكم الثقفي كما في الأغاني (١٥/ ١١٤)، واتفاق المباني وافتراق المعاني (ص: ١١٤)، ونسبه في الحماسة البصرية (٢/ ٣٠٠) لفضالة بن شريك، وينسب لشعراء آخرين منهم كثير وعمرو بن معدي كرب وبشار، وضمَّنه كثير من المتأخرين.

(٢) البحر المحيط (١٠/ ٤٥٨).

(٣) لعله يشير إلى الخبر الذي أخرجه مسلم (١٨٥) عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم ـ أو قال بخطاياهم ـ فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً، أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة، أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل»، فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية.

قال القاضي أَبو محمد: وأَراده على التشبيه لأَنه كالسُّبات والركود والهمود، فجعله موتاً.

قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ / ٱلۡحَيَوٰةَ [٥/ ٢٨٩]
ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾.

﴿أَفۡلَحَ﴾ في هذه الآية معناه: فاز بِبُغْيته، و﴿تَزَكَّىٰ﴾: معناه: طهَّر نفسه ونمَّاها بالخير.

قال ابن عباس: من قال: لا إِله إِلَّا الله تطهَّر من الشرك[١].

وقال الحسن: من كان عمله زاكياً، وقال أَبو الأَحوص: من رَضَخ من ماله وزكَّاه[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ﴾ معناه: وحَّده وصلَّى له الصلوات التي فرض عليه، وتَنَفَّل أَيضاً بما أَمكنه من صلاة وبرٍّ.

وقال أَبو سعيد الخدري، وابن عمر[٣]، وابن المسيب: هذه الآية في صبيحة يوم الفطر فـ﴿تَزَكَّىٰ﴾ هو أَدَّى زكاة الفطر، و(ذكر اسم ربه) هو ذكْرُ الله تعالى في طريق المصلى

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣١٩) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: تزكى من الشرك.

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٤/ ٣٧٣)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٨٥)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢٥٥).

(٣) أثر أبي سعيد أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر كما في الدر المنثور (١٥/ ٣٧٠) عن أبي سعيد الخدري: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾. قال: أعطى صدقة الفطر قبل أن يخرج إلى العيد، ﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾. قال: خرج إلى العيد فصلى. أما أثر ابن عمر فقد أخرجه البيهقي في الكبرى (٤/ ٢٦٨) من طريق أبي حماد الحنفي، عن عبيد الله بن عمر العمري، عن نافع، عن ابن عمر أنه كان يقول: نزلت هذا الآية: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ في زكاة رمضان، وأبو حماد هو مفضل بن صدقة بن سعيد الحنفي ضعيف وانظر ميزان الاعتدال (٤/ ١٦٨)، وأخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١٥/ ٣٧٠) من طريق قتادة، أن عبد الله بن عمر كان يقدم صدقة الفطر حين يغدو وهو يتلو: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾. وهذا منقطع.

إِلى أَن يخرج الإِمام، و«الصلاة» هي صلاة العيد[١]، وقد روي هذا التفسير عن النبي ﷺ[٢].

وقال قتادة وكثير من المتأولين: ﴿تَزَكَّىٰ﴾ معناه: أَدَّى زكاة ماله، و(صلى) معناه: صلَّى الخمس[٣].

ثم أَخبر الله تعالى الناس أَنهم يؤثرون الحياة الدنيا، فالكافر يُؤْثرها إِيثار كُفْر يَرَى أَلَّا آخرة، والمؤمن يُؤْثرها إِيثار معصية وغَلَبة نفس إِلَّا من عصم الله تعالى.

وقرأَ أَبو عمرو وحدَه: ﴿يُؤْثرونَ﴾ بالياءِ، وقال: يعني الأَشْقَيْن[٤]، وهي قراءة ابن مسعود، والحسن، وأَبي رجاءٍ، والجحدري.

وقرأَ الباقون والناس: ﴿تُؤْثِرُونَ﴾ بالتاءِ على المخاطبة[٥].

وفي حرف أُبَيٍّ بن كعب: (بَلْ أَنْتُمْ تُؤْثرون)[٦].

وسبب الإِيثار حبُّ العاجل، والجهل ببقاءِ الآخرة.

وقال عمر رضي الله عنه: ما الدنيا في الآخرة إِلَّا كنفجة أَرنب[٧].

---

(١) الهداية لمكي (١٢/ ٨٢١٤).

(٢) ضعيف جداً: أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢٤٢٠)، والبزار في مسنده (٣٣٨٣)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٢٦٨)، وفي فضائل الأوقات (١٤٥) من طرق عن عبد الله بن نافع، عن كثير بن عبد الله ابن عمرو بن عوف المزني، عن أبيه، عن جده عن النبي ﷺ «أنه كان يأمر بزكاة الفطر يوم الفطر، قبل أن يصلي صلاة العيد، ويتلو هذه الآية ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾، وكثير بن عبد الله المزني ضعيف جداً.

(٣) لم أقف على هذا التفسير.

(٤) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٨٦).

(٥) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٢١).

(٦) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٥٧)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٣٧٦).

(٧) في أحمد ٣ والحمزوية: «كنفحة»، وفي المطبوع وباقي النسخ: «كنفخة»، والتصويب من النهاية لابن الأثير ففيه مادة نفج بالجيم (٥/ ٨٨): «كنفجة أرنب» أي: كوثبته من مجثمه، يريد تقليل مدتها، والأثر رواه حسين المروزي في زوائد الزهد (١١٨٢) وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٩٧) وابن الأعرابي في الزهد (١١٩) وقاسم بن ثابت في الدلائل (٢/ ٤٣١)، واختلف فيه على عبدالملك =

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ قال الضحاك: أَراد القرآن[١].

وروي أَن القرآن انتسخ من الصحف الأُولى.

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: الإِشارة إِلى معاني السورة[٢].

وقال ابن زيد: الإِشارة إِلى هذين الخبرين: إِفلاح من تزكَّى، وإِيثارُ الناس للدنيا مع فضل الآخرة عليها[٣]، وهذا هو الأَرجح لقرب المشار إِليه بـ﴿هَٰذَا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾، أَي لم ينسخ هذا قط في شرع من الشرائع، فهو في الأُولى وفي الأَخيرات، ونظير هذا قول النبي ﷺ: «إِنَّ ممَّا أَدركَ الناس من كلام النبوَّة الأُولى إِذا لم تَسْتَحِ فاصنع ما شئت»[٤]، أَي: إِنه مما جاءت به الأُولى واستمر في الغير.

وقرأَ الجمهور: ﴿ٱلصُّحُفِ﴾ مضمومة الحاءِ.

وروى هارون عن أَبي عمرو سكون الحاءِ، وهي قراءة الأَعمش[٥].

وقرأَ أَبو رجاءٍ: (إِبْرَهِم) بغير ياءٍ ولا أَلف.

= ابن عمير على أوجه، ورواه هناد في الزهد (٥٧٢) وابن أبي الدنيا في الزهد (١٣) من طريق مسروق عن عمر، وفيه مجالد بن سعيد وهو ضعيف.

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٨٦).

(٢) الذي وقفت عليه ما أخرجه البزار كما في كشف الأستار (٣/ ٨٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٨-٤٦١- ٥١١) من طريق نصر بن علي، عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن عطاء ابن السائب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: لما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال: «كلها في صحف إبراهيم»، فلما نزلت والنجم إذا هوى فبلغ ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۞ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٧٦-٣٧٧)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٨٦).

(٤) أخرجه البخاري (٦١٢٠) من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه.

(٥) وهي شاذة، انظرها في الكامل للهذلي (ص: ٦٦٠).

وقرأ ابن الزبير: (إِبْرَاهامَ)، وكذلك أَبو موسى الأَشعري في كل القرآن.

وقرأ عبد الرحمن بن أَبي بكرة: (إِبْرَاهِمَ) بكسر الهاءِ وبغير ياءٍ في جميع القرآن[١].

ورُوي أَن صُحُف إِبراهيم عليه السلام نزلت في أَول ليلة من رمضان، والتوراة في السادسة من رمضان، والزبور في اثنتي عشرة منه، والإِنجيل في ثماني عشرة منه، والقرآن في أَربع عشرة منه[٢].

(١) وكلها شاذة، انظر البحر المحيط (١٠/ ٤٥٩)، وانظر عزو الثانية لابن الزبير والثالثة لمالك بن دينار في مختصر الشواذ (ص: ١٧٢)، وفي المطبوع ونجيبويه: «عبد الرحمن أبي بكر».

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٢٥) من طريق قتادة، عن أبي الجلد جيلان بن أبي فروة من قوله.

سُورَةُ الغَاشِيَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَفسير سُورة الغاشية

وهي مكيَّة بلا خلاف في ذلك بين أَهل التأويل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١﴾.

قال بعض المفسرين: ﴿هَلْ﴾ بمعنى «قد».

وقال الحذاق: هي على بابها توقيفٌ، فائدته تحريك نفس السامع إِلى تلقِّي الخبر.

وقيل: المعنى: هل كان هذا من علمك لولا أَن علمناك؟ ففي هذا التأويل تقرير النعمة.

و﴿ٱلْغَٰشِيَةِ﴾: القيامة؛ لأَنها تغشى العالم كله بهولها وتغييرها لِبِنْيَتِه، قاله سفيان وجمهورٌ من المتأولين.

وقال ابن جبير ومحمد بن كعب: ﴿ٱلْغَٰشِيَةِ﴾: النارُ، وقد قال تعالى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، وقال: ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١][1]، فهي تغشى سكانها.

---

(١) انظر أقوالهم في تفسير الثعلبي (١٠/ ١٨٧).

والقول الأَول يؤيده قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ﴾، و«الوجوه الخاشعة»: هي وجوه الكفار، وخشوعُها ذُلُّها وتغيُّرُها بالعذاب.

واختلف الناسُ في قوله تعالى: ﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ﴾، فقال ابن عباس، والحسن، وابن جبير، وقتادة: معناه: عاملةٌ في النار ناصبةٌ فيها[١].

و«النَّصَب»: التَّعب، لأَنها تكبرت عن العمل لله تعالى في الدنيا فأَعملها في الآخرة في ناره.

وقال عِكرمة والسُّدِّيُّ: المعنى: عاملةٌ في الدنيا، ناصبةٌ يوم القيامة[٢].

فالعمل ـ على هذا ـ هو مساعي الدنيا.

وقال ابن عباس، وزيد بن أَسلم، وابن جبير: المعنى: هي عاملة في الدنيا ناصبة فيها؛ لأَنها على غير هدى، فلا ثمرة لعاملها[٣] إِلا النَّصَب، وخاتمتُه النار.

وقالوا: الآية في القِسِّيسينَ وعُبَّاد الأَوثان وكلِّ مجتهد في كفر.

وقد ذهب إِلى هذا المذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تأويل الآية، وبكى رحمةً لراهب نصراني رآه مجتهداً[٤].

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٢٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه، وانظر قول الباقين في تفسير الثعلبي (١٠/ ١٨٧).

(٢) قول عكرمة في تفسير الماوردي (٦/ ٢٥٨)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٢١٨)، ولم أقف على قول السدي.

(٣) في نجيبويه: «لعملها»، والأثر أورده الثعلبي (١٠/ ١٨٨) من رواية أبي الضحى، عن ابن عباس قال: هم الرهبان وأصحاب الصوامع.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٤٢٠) عن جعفر بن سليمان، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٦٧)، وابن كثير في مسند الفاروق (٢/ ٦٢٠) من طريق جعفر بن سليمان، عن أبي عمران الجوني قال: مر عمر بن الخطاب بدير راهب فناداه: يا راهب يا راهب. قال: فأشرف عليه فجعل عمر ينظر إليه ويبكي، قال: فقيل له: يا أمير المؤمنين ما يبكيك من هذا؟ قال: ذكرت قول الله عز وجل في كتابه: ﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ۝ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ﴾ فذلك الذي أبكاني. قال الحاكم: =

وفي الحديث أن النبي ﷺ ذكر القدرية فبكى وقال: «إن فيهم المجتهد»[١].

وقرأَ ابن كثير في رواية شبل وابن محيصن: (عاملةً ناصبةً) بالنصب[٢] على الذَّم، والناصبُ فعل مضمر تقديره: أَذُمُّ، أَو أَعني، أَو نحو هذا.

وقرأَ الستة وحفص عن عاصم، والأَعرج، وطلحة، وأَبو جعفر والحسن: ﴿تَصْلَىٰ﴾ بفتح التَّاءِ وسكون الصاد، على بناءِ الفعل للفاعل، أَي الوجوه.

وقرأَ أَبو بكر عن عاصم، وأَبو عمرو بخلاف عنه، وأَبو رجاءٍ، وأَبو عبد الرحمن، وابن محيصن، واختُلف عن نافع وعن الأَعرج: ﴿تُصْلَى﴾ بضم التاءِ وسكون الصاد[٣].

وذلك يحتمل أَن يكون من صَلَيْتُه النار بمعنى أَصليته فيكون كَتُضرب، ويحتمل أَن يكون من أَصليتُه فتكون / كَتُكرم. [٥/ ٢٩٠]

قرأَ بعض الناس:(تُصَلَّى) بضم التاءِ وفتْح الصاد وشدِّ اللام، على التعدية بالتضعيف، حكاها أَبو عمرو بن العلاءِ[٤].

و«الحامية»: المسعَّرة التوقد المتوهجة.

= هذه حكاية في وقتها، فإن أبا عمران الجوني لم يدرك زمان عمر. وقال الذهبي: الجوني لم يدرك عمر لكنها حكاية في موضعها.اهـ.

(١) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده كما في البغية (٧٥٠)، والفريابي في القدر (٢٢٥)، والطبراني في الكبير (٤٢٧٠)، والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٣٥٧) وغيرهم من طرق عن عطية بن عطية، عن عطاء بن أبي رباح، عن عمرو بن شعيب، عن سعيد بن جبير، عن رافع بن خديج، مرفوعاً بلفظ مطول، وعطية بن أبي عطية عن عطاء بن أبي رباح، مجهول بالنقل، وفي حديثه اضطراب، ولا يتابع عليه كما قاله: العقيلي، والحديث له طرق أخرى لا تسلم من ضعف.

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٥١٠)، والمحتسب (٢/ ٣٥٦).

(٣) وهما سبعيتان، وأبو عمرو بالثانية، انظر التيسير (ص: ٢٢١)، والأولى رواية علي بن نصر عنه كما في السبعة (ص: ٦٨١).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها في الشواذ للكرماني (ص: ٥١٠) لخارجة وابن مقسم.

و«الآنِيةُ»: التي قد انتهى حرُّها، كما قال تعالى: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤]، قاله ابن عباس[١]، والحسن، ومجاهد.

وقال ابن زيد: معنى ﴿ءَانِيَةٍ﴾: حاضرة لهم، من قولهم: آنَى الشيءُ إِذا حضر[٢].

واختلف الناس في «الضَّريع»:

فقال الحسن وجماعة من المفسرين: هو الزَّقُّوم؛ لأَن الله تعالى قد أَخبر في هذه الآية أَن الكفار لا طعام لهم إِلَّا من ضريع، وقد أَخبر أَن ﴿ٱلزَّقُّومِ * طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٤][٣]، فذلك يقتضي أَن الضريع هو: الزقوم.

وقال سعيد بن جبير: الضريع: حجارة في النار[٤].

وقال ابن عباس[٥]، ومجاهد، وقتادة، وعكرمة: الضَّريع: شِبْرِقُ النار.

وقال أَبو حنيفة: الضريع: الشِّبرق[٦].

وهو مرعى سوءٍ لا تعقد السائمة عليه شحماً ولا لحماً، ومنه قول ابن عَيْزَارَةَ الهُذَلِيِّ[٧]:

[الكامل] وَحُبِسْنَ في هَزْمِ الضَّريعِ فَكُلُّها ... حَدْباءُ دامِيَةُ الْيَدَيْنِ حَرودُ[٨]

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٢٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: هي التي قد طال أَنْيُها.

(٢) انظر قوله في الهداية لمكي (١٢/ ٨٢٢٠)، ومع قول السابقين في تفسير الطبري (٢٤/ ٣٨٣).

(٣) انظر: الهداية لمكي (١٢/ ٨٢٢١).

(٤) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٨٨)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢٥٩).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٣١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه، وقول الباقين فيه وفي الهداية لمكي (١٢/ ٨٢٢١).

(٦) انظر قوله في المحكم والمحيط الأعظم (١/ ٤٠٥).

(٧) هو قيس بن خويلد بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، والعيزارة أمه، انظر خبره في معجم الشعراء (ص: ٣٢٦).

(٨) انظر عزوه له في المحكم (١/ ٤٠٥)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ٤٩)، والأزمنة والأمكنة =

وقال أَبو ذُؤَيْب:

رَعَى الشِّـبرِقَ الرَّيَّانَ حتَّى إِذا ذَوَى وَصار ضَريعاً نازَعتْـهُ النَّحائِصُ[١] [الطويل]

وقيل: الضريع: العِشْرِقُ[٢].

وقال النبي ﷺ: «الضريع: شوك في النار»[٣].

وقال بعض اللغويين: الضَّريع: يَبِسُ العَرْفَج إِذا تحطم.

وقال آخرون: هو رَطْبُ العَرْفج.

وقال الزجاج: هو نَبْت كالعَوْسج[٤].

وقال بعض المفسرين: الضريعُ: نبتٌ في البحر أَخضرُ مُنْتِنٌ مُجَوَّف مستطيل، له بورقية كثيرة[٥].

وقال ابن عباس أَيضاً: الضريع شجر من نار[٦].

= (ص: ٢٨٤)، وأساس البلاغة (١/ ١٧٩)، وفي الأصل ونجيبويه ونور العثمانية: «جرباء، وهَزْمُ الضريع: ما تكسَّر منه، والحرودُ: التي لا تكادُ تُدِرُّ لبناً»، وفي أحمد٣: «حدود».

(١) عزاها له في تفسير الرازي (٣١/ ١٤٠)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٣٠)، وهو في تفسير الماوردي (٦/ ٢٥٩)، بلا نسبة، وفي المطبوع: «وَعَاد ضَريعاً بانَ مِنْهُ النَّحائِصُ، والنَّحائصُ: جمع نَحُوصٍ، وهي الأتان الوحشية»، وفي نور العثمانية: «الشخائص».

(٢) العشْرقُ: من الحشيش، ورقه شبيه بورق الغار، إِلَّا أَنه أَعظم منه وأكبر، إذا حرَّكته الريحُ تَسمَع له زجلاً.

(٣) أخرجه ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (١٥/ ٣٨٥) بسند واهٍ عن ابن عباس ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «شيء يكون في النار شبه الشوك، أمر من الصبر، وأنتن من الجيفة، وأشد حراً من النار، سماه الله الضريع، إذا طعمه صاحبه لا يدخل البطن ولا يرتفع إلى الفم، فيبقى بين ذلك ولا يغني من جوع».

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣١٧).

(٥) في المطبوع والأسدية ٣: «له نور فيه كبير».

(٦) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٣٣)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٥٥) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به، وفي لفظ ابن أبي حاتم «شجر من شوك».

وكُلُّ من ذكر شيئاً مما قدمناه فإِنما يعني أَن ذلك من نار ولا بُدّ، وكلُّ ما في النار فهو نارٌ.

وقال قوم: ﴿ضَرِيعٍ﴾: وادٍ في جهنم.

وقال جماعة من المتأولين: (الضريعُ): طعامُ أَهل النار، ولم يُرد أَن يخصص شيئاً مما ذكرنا.

قال بعض اللغويِّين: وهذا مما لا تعرفه العرب.

وقيل: (الضريعُ): الجلدةُ التي على العظم تحت اللحم، ولا أَعرف من تأول الآية بهذا. وأَهل هذه الأَقاويل يقولون: الزَّقُّوم لطائفة، والضَّريعُ لطائفةٍ، والغِسْلينُ لطائفة.

واختلف في المعنى الذي سُمِّي به ضريعاً:

فقيل: هو ﴿ضَرِيعٍ﴾ بمعنى مُضْرِع، أَي: مضعف للبدن مُهْزِلٌ، ومنه قول النبي ﷺ في وَلَدَيْ جعفر بن أَبي طالب رضي الله عنه: «ما لي أَراهما ضارعَيْن»[1] يريد هزيلَيْن.

ومن فَعِيل بمعنى مُفْعل قول عمرو بن معديكرب:

---

(١) مرسل: أخرجه مالك في الموطأ عن حميد بن قيس المكي قال: دُخل على رسول الله ﷺ بابني جعفر ابن أبي طالب. فقال لحاضنتهما: «ما لي أراهما ضارعين»، قال ابن عبد البر في التمهيد (٢/ ٢٦٦): حديث رابع لحميد بن قيس منقطع مالك عن حميد بن قيس المكي أنه قال: دخل علي رسول الله ﷺ بابني جعفر بن أبي طالب فقال لحاضنتهما: ما لي أراهما ضارعين؟ فقالت حاضنتهما: يا رسول الله إنه تسرع إليهما العين ولم يمنعنا أن نسترقي لهما إلا أنا لا ندري ما يوافقك من ذلك. فقال رسول الله ﷺ: استرقوا لهما فإنه لو سبق شيء القدر لسبقته العين. هكذا جاء هذا الحديث في الموطأ عند جميع الرواة فيما علمت، وذكره ابن وهب في جامعه فقال: حدثني مالك بن أنس عن حميد بن قيس عن عكرمة بن خالد قال: دخل عليَّ رسول الله ﷺ؛ فذكر مثله سواء، وهو مع هذا كله منقطع ولكنه محفوظ لأسماء بنت عميس الخثعمية عن النبي ﷺ من وجوه ثابتة متصلة صحاح، وهي أمهما، وقد يجوز والله أعلم أن تكون مع ذلك حاضنتهما المذكورة في حديث مالك هذا.اهـ.

أَمِـنْ رَيْحانَـةَ الدَّاعِـي السَّـمِيعُ ... يُؤَرِّقُنِـي وَأَصْحابِـي هُجـوعُ[١] [الوافر]

يريد: المُسمِع.

وقيل: ﴿ضَرِيعٍ﴾: فَعِيل من المضارعة، أَي: الاشتباه؛ لأَنه يشبه المرعى الجيِّد ويضارعه في الظاهر، وليس به.

ولما ذكر تعالى وجوه أَهل النار عقَّب ذلك بذكر وجوه أَهل الجنة ليبين الفرق.

وقوله تعالى: ﴿لِّسَعْيِهَا﴾ يريد به: لعملها في الدنيا وطاعتها، والمعنى: لثواب سعيها والتنعيم عليه.

ووصف تعالى الجنة بالعُلوِّ، وذلك يصح من جهة المسافة والمكان، ومن جهة المكانة والمنزلة أَيضاً.

وقرأَ نافع وحده، وابن كثير وأَبو عمرو بخلاف عنهما، والأَعرج، وأَهل مكة والمدينة: ﴿لا تُسْمَعُ فيها لاغيةٌ﴾ بضم التاءِ من فوق، ورفع ﴿لاغيةٌ﴾.

ففسَّره بعضهم: لا تُسمع فيها كلمةٌ لاغية، أَي ذات لغْو، فهي على النسب، وفسَّره بعضهم على معنى: لا تُسمع فيها فئة أَو جماعةٌ لاغية ناطقة بسوءٍ.

وقال أَبو عبيدة: ﴿لَغِيَةً﴾ مصدر كالعاقبة والخائنة[٢].

وقرأَ الجحدري: (لا تُسْمَعُ) بضم التاءِ ﴿لَغِيَةً﴾ بالنصب.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿لَا يُسْمَعُ﴾ بالياءِ من تحت مضمومة ﴿لاغِيَةٌ﴾ بالرفع، وهي قراءة ابن محيصن، وعيسى، والجحدري أَيضاً، إِلَّا أَنه قرأَ: ﴿لَغِيَةً﴾ بالنصب، على معنى: لا يُسمع أَحدٌ كلمةً لاغية، من قولك: أَسمعتُ زيداً.

وقرأَ الباقون، ونافع في رواية خارجة والحسن، وأَبو رجاءٍ، وأَبو جعفر، وقتادة

---

(١) تقدم في أول سورة البقرة، وتكرر كثيراً.

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٣٠٠).

وابن سيرين، وأَبو عمرو بخلاف عنه: ﴿لَّا تَسۡمَعُ﴾ بفتح التاءِ ونصب ﴿لَٰغِيَةً﴾[١].

والمعنى إِمَّا على الكلمة وإِمَّا على الفئة، والفاعل بـ﴿تَسۡمَعُ﴾ إِمَّا الوجوه، وإِمَّا محمد ﷺ، قاله الحسن[٢]، وإِمَّا أَنتَ أَيها المخاطب عموماً.

و«اللَّغْوُ»: سَقَط القول، فذلك يجمع الفُحْش وسائر الكلام السَّفاسف الناقص، وليس في الجنة نقصان ولا عيب فعل ولا قول، والحمد لله وَلِيِّ النعمة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ﴿١٣﴾ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾.

﴿عَيۡنٞ﴾ في هذه الآية اسم جنس، ويحتمل أَن تكون عيناً مخصوصة ذُكرت على جهة التشريف لها.

ورَفْعُ السُّرُر أَشرف لها.

و«الأكْوابُ»: أَوَانٍ كالأَباريق لا عُرَى لها ولا آذان ولا خراطيم، وشكلها عند العرب معروف.

و﴿مَّوۡضُوعَةٞ﴾: معناه: بأَشْرِبَتها مُعَدَّة.

و«النُّمْرُقَةُ»: الوسادة، ويقال: نِمْرِقَةٌ بكسر النون والراءِ، قال زهير:

[الطويل]

كُهُولاً وَشُبَّاناً حِساناً وُجُوهُهُمْ عَلَى سُرُر مَصْفُوفَةٍ ونمارِقِ[٣]

---

(١) خمس قراءات، منها ثلاث سبعية، هي الأولى لنافع والثالثة لابن كثير وأبي عمرو، والخامسة للباقين، انظر التيسير (ص: ٢٢٢)، والخلاف عنهم في السبعة (ص: ٦٨١)، وقراءتا الجحدري شاذتان، انظر: البحر المحيط (١٠/ ٤٦٣)، والثانية في إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٣٢) بلا نسبة، وعزا الأولى الكرماني في الشواذ (ص: ٥١٠) لابن يعمر، وفي مختصر الشواذ (ص: ١٧٢) لابن أبي إسحاق.

(٢) لم أجده.

(٣) البحر المحيط (١٠/ ٤٦١)، وهو بلا نسبة في تفسير الثعلبي (١٠/ ١٨٩)، وفي نجيبويه: «موضونة».

و«الزَّرَابي»: واحدتها «زِرْبِيَّة»، ويقالُ بفتح الزاي، وهي كالطنافس لها خَمْلٌ، قاله الفَراءُ[1]، وهي ملونات، و﴿مَبۡثُوثَةٌ﴾ معناه: كثيرة متفرقة.

ثم أَقام تعالى الحجة على منكري قدرته على بعث الأَجساد بأَن وقَفَهم على مواضع العبرة في مخلوقاته.

و﴿ٱلۡإِبِلِ﴾ في هذه الآية: هي الجِمال المعروفة، هذا قول الجمهور من المتأولين، وفي الجمل آيات وعبر لمن تأمل، ليس في الحيوان مَا يَقوم من البروك بحمله سواه، وهو على قوته / غاية في الانقياد. [٥/ ٢٩١]

قال الثعلبي: في بعض التفاسير: إِن فأرة جرت بزمام ناقة فتبعتها حتى دخلت الجحر فبركت الناقة وأَدنت رأَسها من فم الجحر[2].

وكان شريح القاضي يقول لأَصحابه: اخرجوا بنا إِلى الكُناسَة[3] حتى ننظر إِلى الإِبل كيف خُلقت[4].

وقال أَبو العباس المبرد: ﴿ٱلۡإِبِلِ﴾ هنا: السحابُ؛ لأَن العرب قد تسميها بذلك إِذ تأتي أَرسالاً كالإِبل، وتُزْجَى كما تُزْجَى[5] الإِبل، وهي في هَيئَتها أَحياناً تشبه الإِبل والنعام، ومنه قول الشاعر:

كَأَنَّ السَّحابَ دُوَيْنَ السَّما ... ءِ نَعَامٌ تَعَلَّق بالأَرْجُلِ[6] [المتقارب]

---

(١) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٥٨).

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٨٩).

(٣) الكُناسة: سوق الكوفة، وكانت الإبل تأتي إليها بالبضائع أو تصدر عنها.

(٤) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٨٩).

(٥) الهداية لمكي (١٢/ ٨٢٢٨).

(٦) البيت للمازني في الكامل في اللغة والأدب (٤/ ٦٣)، والأزمنة والأمكنة (ص: ٤٤٧)، والحماسة البصرية (٢/ ٣٤٨)، وعزاه في زهر الآداب (١/ ٢٤٠) لحسان بن ثابت، وفي تاريخ دمشق (٤٩/ ٨٠)، ومعجم الأدباء (٥/ ٢٢٠٠) لعبد الرحمن بن حسان.

وقرأ أَبو عمرو بخلاف، وعيسى: (الإِبِلِّ) بشد اللام[(١)].

وهي السحاب كما ذكر قوم من اللغويين والنقاش[(٢)].

وقرأ الجمهور: ﴿خُلِقَتْ﴾ بفتح القاف وضم الخاءِ.

وقرأ علي بن أَبي طالب: (خَلَقْت) بفتح الخاءِ وسكون القاف، على فعل المتكلم، وكذلك (رَفَعْتُ)، و(نَصَبْتُ)، و(سَطَحْتُ).

وقرأ أَبو حيوة: (رُفِّعَتْ)، وَ(نُصِّبتْ)، وَ(سُطِّحَتْ) بالتشديد فيها[(٣)].

و﴿نُصِبَتْ﴾ معناه: أُثْبتت قائمة في الهواءِ لا تنبطح.

وقرأ الجمهور: ﴿سُطِحَتْ﴾ بتخفيف الطاءِ.

وقرأ هارون الرشيد: (سُطِّحَتْ) بشد الطاءِ على المبالغة، وهي قراءة الحسن[(٤)].

وظاهر هذه الآية أَن الأَرض سَطْحٌ لا كُرَة، وهو الذي عليه أَهل العلم، والقول بكرويتها ـ وإِن كان لا ينقض ركناً من أَركان الشرع ـ فهو قول لا يُثبته علماءُ الشرع[(٥)].

ثم أَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بالتذكير بهذه الآيات ونحوها. ثم نفى تعالى أَن يكون مسيطراً على الناس، أَي قاهراً جابراً[(٦)] لهم مع تكبُّر متسلطاً عليهم، يقال: تسيطر علينا فلان.

---

(١) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥١١)، ومختصر الشواذ (ص: ١٧٢).

(٢) لم أجد قول النقاش، وانظر إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٣٣).

(٣) وهما شاذتان، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥١١).

(٤) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٧٣).

(٥) علق عليه في حاشية المطبوع: «كان هذا في عصره، أما الآن فلا يُقبل هذا الفهم، ومعنى الآية لا يتعارض مع الحقائق والواقع، فالأرض مسطوحة أمام العين فقط، ولم تتعرض الآية لكرويتها أو انبساطها من أولها إلى آخرها».

(٦) في نجيبويه: «مجبراً»، وفي المطبوع والأسدية: «مخبراً»، وفي الأصل: «جاهداً».

وقرأ بعض الناس: ﴿بِمُسَيْطِرٍ﴾ بالسين، وبعضهم ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾ بالصاد[١]، وقد تقدم.

وقرأ هارون: (بِمُسَيْطَر) بفتح الطاءِ[٢]، وهي لغة تميم، وليس في كلام العرب على هذا البناء غير: مُسَيْطر، ومُبَيْطر، ومُبَيْقر، ومُهَيمن، وفي الأَسماءِ: مُدَيْبر، ومُجَيْمر، وهو اسم واد، ويحتمل أَن يكون هذان مُصغَّرين.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾، قال بعض المتأولين: الاستثناءُ مُتَّصل، والمعنى: إِلَّا من تولَّى وكفر فأَنت مسيطر عليه، فالآية ـ على هذا ـ لا نسخ فيها.

وقال آخرون منهم: الاستثناءُ منفصل، والمعنى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ وتمَّ الكلام، وهي آية مُوَادعة منسوخة بالسيف، ثم قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ﴾، وهذا هو القول الصحيح؛ لأَن السورة مكيَّةٌ، والقتال إِنما نزل بالمدينة، و﴿مَن﴾ بمعنى «الذي».

وقرأَ ابن عباس، وزيد بن أَسلم، وقتادة، وزيد بن علي: (أَلَا مَنْ تَوَلَّى) بفتح الهمزة[٣]، على معنى استفتاح الكلام، و﴿مَن﴾ ـ على هذه القراءة ـ شرطية.

و﴿ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾: عذابُ الآخرة؛ لأَنهم قد عُذِّبوا في الدنيا بالجوع والقتل وغيره.

وقرأَ ابن مسعود: (فإِنَّهُ يُعَذِّبُهُ اللهُ)[٤].

وقرأَ الجمهور: ﴿إِيَابَهُمْ﴾، مصدرٌ من آب يَؤوبُ: إِذا رجع، وهو الحشر، والمراد إِلى الله تعالى.

---

(١) وهما سبعيتان، الأولى لهشام، انظر التيسير (ص: ٢٢٢)، وانظر ما تقدم في ﴿ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٧].

(٢) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٥١١) لليماني وزيد بن قطيب.

(٣) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥١١)، ومختصر الشواذ (ص: ١٧٣).

(٤) وهي شاذة، انظر المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨٦)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٩٠)، والشواذ للكرماني (ص: ٥١١).

وقرأ أَبو جعفر بن القعقاع: ﴿إِيَّابَهُمْ﴾ بشد الياءِ، على وزن فِعَّال بكسر الفاءِ[1].

أَصله فيعال، من أَيَّبَ، أَصله فَيْعَلَ، ويصحُّ أَن يكون من أَوَّبَ فيجيءُ إِيواباً وسهلت الهمزة، وكان اللازم في الإِدغام يردها إِوَّاباً، لكن استحسنت فيه الياءُ على غير قياس.

(١) وهي عشرية، انظر النشر (٢/ ٤٠٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سُورة الفجر

وهي مكيَّة عند جمهور المفسرين، وحكى أَبو عمرو الداني في كتابه المؤلف في تنزيل القرآن عن بعض العلماءِ أ نه قال: هي مدنية، والأَول أَشهر وأَصحُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾.

قال جمهورٌ من المتأولين: (الفجر) هنا هو المشهور الطالع في كل يوم.

وقال ابن عباس: (الفجر): النَّهار كلُّه[1].

---

(١) ضعيف: أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٤٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٢٢)، والبيهقي في الشعب (٣٧٤٥) من طريق سفيان، عن الأغر المنقري، عن خليفة بن حصين، عن أبي نصر، عن ابن عباس فذكره، وأبو نصر الأسدي البصري لم يرو عنه غير خليفة بن حصين المنقري، وقال البخاري: لم يعرف له سماع من ابن عباس، لذلك قال الحافظ: مجهول.

وقال ابن عباس أَيضاً[١]، وزيد بن أَسلم: (الفجر) الذي أَقسم الله تعالى به: صلاة الصبح، [وقراءتها هو قرآن الفجر][٢].

وقال مجاهد: إِنما أَراد فجر يوم النحر[٣].

وقال الضحاك: المراد: فجر ذي الحِجَّة، وقال مقاتل: المراد: فجر ليلة جَمْع[٤].

وقال ابن عباس أَيضاً: المراد: فجر أَول يوم المحرَّم؛ لأَنه فجر السنة[٥].

وقيل: المراد فجر العيون من الصخور وغيرها.

وقال عكرمة: المراد فجر يوم الجمعة[٦].

واختلف الناس في «اللَّيالي العَشْر»:

فقال بعض الرواة: هي العشرُ الأُول من رمضان.

وقال ابن عباس[٧] والضحاك: هي العشر الأَواخر من رمضان[٨].

وقال يمانُ[٩] وجماعة من المتأَولين: هي العشر الأُول من المحرم، وفيها يوم عاشوراءَ.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٤٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس به.

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٩١)، وفي أحمد٣ والمطبوع: «وقرأ: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾».

(٣) تفسير الماوردي (٦/ ٢٦٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٣٩٦).

(٤) قول الضحاك في تفسير القرطبي (٢٠/ ٣٩)، وقول مقاتل في تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٦٨٧).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٤٥-٣٤٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس قال: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾: بعشر الأضحى.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم في تفسيرهما كما في الدر المنثور (١٥/ ٤٠٢).

(٨) تفسير القرطبي (٢٠/ ٣٩).

(٩) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٩١)، وفي الأصل: «بنان»، ولم أتمكن من تحديد ترجمته.

وقال ابن الزبير[١]، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، وعطية العوفي: هي عشر ذي الحِجَّة[٢].

وقال مجاهد: هي عَشْر موسى عليه السلام التي أتمَّها اللهُ تعالى له[٣].

وقرأ الجمهور: ﴿وَلَيَالٍ﴾، وقرأ بعض القُرَّاءِ: (وَلَيَالِي عَشْرٍ) بالإضافة[٤].

وكأن هذا على أَنَّ «العَشْر» مشارٌ إليه معيَّنٌ بالعلم به، ثم وقع القسم بِلَيَالِيهِ، فكأَن «العَشْر» اسمٌ لَزِمه، وهذا نحو قولهم: فعلتُ كذا في العشر الأَوسط، فإنما هذا على أَن «العَشْرَ» اسمٌ لَزِم حتى عومل معاملة الفرد ثم وُصف به، ومن راعى فيه الليالي قال العَشْر الوُسُط.

واختلف الناس في (الشَّفْع) و(الوَتْر):

فقال جابر عن النبي ﷺ: «الشَّفع: يومُ النحر، والوَتْر: يومُ عَرَفة»[٥] / . [٥/ ٢٩٢]

---

(١) ضعيف: أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٤٦) من طريق عمر بن قيس المكي، عن محمد بن المرتفع، عن ابن الزبير به. وعمر بن قيس المكي المعروف بسندل ضعيف، وقد أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٩/ ٣٥) في ترجمة أبي سعيد بن عوف البزاز قال البخاري: أخبرنا أبو نعيم قال نا أبو سعيد بن عوف البزاز قال نا محمد بن المرتفع قال: سمعت ابن الزبير يقول: يا معشر الحاج، سلونا فعلينا كان التنزيل، ونحن حضرنا التأويل، فقال له رجل من أهل العراق: دخلت فارة في جرابي وأنا محرم، قال: اقتل الفويسقة، وقال آخر: في (الشفع والوتر وليال عشر)، قال: العشر الثمان وعرفة والنحر، و(الشفع) ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣] وهو الوتر، ولم أجد لأبي سعيد ذكراً إلا هذا الموضع.

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٩٦)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٩٠)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٢٣٥)، وقول السدي في تفسير القرطبي (٢٠/ ٣٩).

(٣) تفسير الماوردي (٦/ ٢٦٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٢٣٥).

(٤) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٧٣) لابن عامر.

(٥) أخرجه أحمد (٢٢/ ٣٨٩)، والنسائي في الكبرى (٤١٠١-١١٦٧١)، والطبري (٢٤/ ٣٥٥)، والحاكم (٤/ ٢٢٠) وغيرهم من طرق عن زيد بن الحباب، عن عياش بن عقبة، عن خير بن نعيم، عن أبي الزبير، عن جابر به، وإسناده لا بأس به لو سمعه أبو الزبير من جابر.

وروى أَبو أَيوب عنه ﷺ أَنه قال: الشَّفْع: يومُ عَرَفة ويومُ الأَضحى، والوتر: ليلة النَّحْر»[١].

وروى عِمْرانُ بن حُصَين عنه ﷺ أَنه قال: «هي الصلواتُ منها الشَّفع ومنها الوتر»[٢].

وقال ابن الزبير وغيره: الشفع: اليومان من أَيام التشريق، والوَتر: اليوم الثالث[٣].

وقال آخرون: الشَّفعُ: العالم، والوتر: الله سبحانه؛ إِذْ هو تعالى الواحد محضاً، وسواه ليس كذلك.

وقال بعض المتأَولين: الشفع: آدمُ وحواءُ عليهما السلام، والوَتْر: الله سبحانه وتعالى.

وقال ابن سيرين، ومسروق، وأَبو صالح: الشفع والوَتْر شائعان في الخلق كله: الإِيمان والكفر، والإِنس والجن، وما اطَّرَدَ نحو هذا، فهي أَضدادٌ أَو كالأَضداد، ووترها

---

(١) ضعيف: أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ١٩٢) من طريق واصل بن السائب الرقاشي، عن أبي سورة الأنصاري ابن أخي أبي أيوب، عن أبي أيوب به. وواصل بن السائب، وأبو سورة كلاهما ضعيفان.

(٢) ضعيف: أخرجه أحمد (٣٣/ ١٤٨-١٦٠-١٦١-١٨٤)، والترمذي (٣٣٤٢)، والطبري (٢٤/ ٣٥٤)، والطبراني في الكبير (٥٧٩) وغيرهم من طرق عن همام بن يحيى، عن قتادة، عن عمران بن عصام، عن شيخ من أهل البصرة، عن عمران بن حصين به، بنحوه. وهذا إسناد ضعيف من أجل إبهام الراوي عن عمران، وأخرجه دون ذكر الرجل المبهم الطبراني في الكبير (٥٧٨)، والطبري (٢٤/ ٣٥٤)، والحاكم (٢/ ٥٢٢) من طريقين عن همام، عن قتادة، عن عمران بن عصام ـ زاد الحاكم في روايته شيخ من أهل البصرة ـ عن عمران بن حصين. فجعل الحاكم في روايته الشيخ البصري هو عمران بن عصام واغتر بذلك، فصححه كما قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٧٠٢)، وأخرجه الطبري (٢٤/ ٣٥٤)، والطبراني في الكبير (٥٧٨)، والروياني في مسنده (١٢٤) من طريق خالد بن قيس، عن قتادة به.

(٣) ضعيف: أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٥٠) من طريق عمر بن قيس، عن محمد بن المرتفع، عن ابن الزبير به. وعمر بن قيس المكي المعروف بسندل ضعيف، وقد تقدم.

الله تعالى فردٌ واحدٌ[١]، وقيل: الشفع: الصفا والمروة، والوَتْر: البيتُ.

وقال الحسين بن الفضل: الشفع: أَبواب الجنة؛ لأَنها ثمانية، والوَتْر: أَبواب النار؛ لأَنها سبعة[٢].

وقال مقاتل: الشفع: الأَيام والليالي، والوَتْر: يوم القيامة؛ لأَنه لا ليل بعده.

وقال أَبو بكر الوَرَّاق: الشفع، تضادُّ أَوصاف المخلوقين كالعِزِّ والذُّلِّ ونحوه، والوتر: اتحاد صفات الله تعالى، عزٌّ محض وكَرَمٌ محض، ونحوه[٣].

وقيل: الشفعُ: قِرانُ الحج والعمرة، والوَتْر: الإِفرادُ بالحج.

وقال الحسن: أَقسم الله تعالى بالعدد؛ لأَنه إِمَّا شفع وإِمَّا وَتْر[٤].

وقال بعض المفسرين: الشفع: حواءُ، والوَتْر: آدم عليهما السلام.

وقال ابن عباس[٥] ومجاهد: الوَتْر: صلاة المغرب، والشفع: صلاة الصبح[٦].

وقال أَبو العالية: الشفع: الركعتان من المغرب، والوَتْر: الركعة الأَخيرة[٧].

وقال بعض العلماءِ: الشفع: تنفُّلُ الليلِ مثنى مثنى، والوتر: الركعة الأَخيرة المعروفة.

وقرأَ جمهور القراءِ والناسُ: ﴿وَٱلْوَتْرِ﴾ بفتح الواو، وهي لغة قريش وأَهل الحجاز.

وقرأَ حمزة، والكسائي: والحسن بخلاف، وأَبو رجاءٍ، وابن وثاب، وطلحة،

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٩٣)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٣٩٩)، وقول ابن سيرين ورد في تفسير القرطبي (٢٠/ ٤٠).

(٢) انظر تفسير الثعلبي (١٠/ ١٩٣)، وفي نجيبويه: «الحسن».

(٣) انظر القولين في تفسير الثعلبي (١٠/ ١٩٣)، و«الوراق» ليست في الأصل.

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٠٠)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٩٣)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢٦٦).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٥١) من طريق عطية العوفي به.

(٦) الهداية لمكي (١٢/ ٨٢٣٦).

(٧) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٩٣)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢٦٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٣٩٦).

والأَعمش، وقتادة: ﴿وَالْوِتْرِ﴾ بكسر الواو، وهي لغة تميم وبكر، وذكر الزهراوي أَن الأَغَرَّ رواها عن ابن عباس(١).

وهما لغتان في الفَرد، وأَمّا في الذَّحل فإِنَّما هو «وِتْرٌ» بالكسر لا غير، وقد ذكر الزهراوي أَن الأَصمعي حكى فيه اللغتين، الفتح والكسر(٢).

و«سُرى الليل» ذهابُه وانقراضه، هذا قول الجمهور.

وقال ابن قتيبة، والأَخفش، وغيرهما: المعنى: إِذا يُسْرَى فيه، فيخرج هذا الكلام مخرج: ليل نائم ونهار بطال(٣).

وقال مجاهد، وعكرمة، والكلبي: أَراد بهذا ليلة جمْعٍ؛ لأَنها يُسْرَى فيها(٤).

وقرأَ الجمهور: ﴿يَسْرِ﴾ دون ياءٍ في وصل ووقف.

وقرأَ ابن كثير: ﴿يَسْري﴾ بالياءِ في وصل ووقف.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو بخلاف عنه: ﴿يَسْري﴾ بياءٍ في الوصل، ودونها في الوقف(٥).

وحذفها تخفيف لاعتدال رؤوس الآي إِذ هي فواصل كالقوافي.

قال اليزيديُّ: الوصل في هذا وما أَشبهه بالياءِ، والوقف بغير ياءٍ على خط المصحف(٦).

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير في القراءات السبع (ص: ٢٢٢)، ونقل الزهراوي لم أجده.

(٢) انظر قوله في إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٣٦)، والذَّحْلُ: الحِقدُ والعداوة.

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٥٢٦)، وقول الأخفش في البحر المحيط (١٠/ ٤٧١)، وفي المطبوع وأحمد٣: «نهار صائم».

(٤) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٩٤).

(٥) وكلها سبعية، انظر التيسير (ص: ٢٢٢).

(٦) السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٨٤).

ووقف تعالى على هذه الأَقسام العظام هل فيها مقنع وحسب لِذِي عقل.

و«الحِجْرُ»: العقلُ والنُّهْيَةُ، والمعنى: فيزدجر ذو الحِجْر وينظر في آيات الله تعالى.

ثم وقف تعالى على مصارع الأُمم الخالية الكافرة، وما فعل بها من التعذيب والإِهلاك، والمراد بذلك توعُّد قريش ونَصْب المثل لها.

و(عَاد): قبيلة، لا خلاف في ذلك.

واختلف الناس في ﴿إِرَمَ﴾؛ فقال مجاهد وقتادة: هي القبيلة بعينها(١).

وعلى هذا قال ابن قيس الرقيات:

مَـجْـداً تَـلـيـداً بَـنـاهُ أَوَّلُـــهُ ... أَدْرَكَ عـاداً وَقَـبْـلَـهـا إِرَمَـا(٢) [المنسرح]

وقال زهير:

وَآخَرينَ تَرى الماذِيَّ عُدَّتَهُمْ ... مِنْ نَسْجِ دَاودَ أَوْ ما أَوْرَثَتْ إِرَمُ(٣) [البسيط]

وقال ابن إِسحاق: ﴿إِرَمَ﴾: هو أَبُو عاد كلِّها، وهو عَادُ بن عوْص بن إِرَم بن سام ابن نوح عليه السلام، وقال غير ابن إِسحاق: هو أَحد أَجدادها(٤).

وقال جمهور المفسرين: إِرمٌ مدينة لهم عظيمة كانت على وجه الدهر باليمن.

وقال محمد بن كعب: هي الإِسكندرية(٥).

---

(١) انظر تفسير الثعلبي (١٠/ ١٩٦)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٢٤٢)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢٦٧).

(٢) انظر تفسير الزمخشري (٤/ ٧٤٧).

(٣) انظر البحر المحيط (١٠/ ٤٦٨)، والماذيُّ: الدُّروع السهلة اللَّيِّنة الضافية.

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٠٤)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٢٤٢)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٩٦)، و«غير ابن إسحاق» ساقطة من الأصل والحمزاوية.

(٥) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٠٤)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٢٤١)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢٦٧)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٩٦).

وقال سعيد بن المسيب والمقبُري[١]: هي دمشق[٢]، وهذان القولان ضعيفان.

وقال مجاهد: ﴿إِرَمَ﴾ معناه: قديمة[٣].

وقرأ الجمهور: ﴿بِعَادٍ ۞ إِرَمَ﴾، فصرفوا عاداً على إرادة الحيِّ، ونعت بـ ﴿إِرَمَ﴾ بكسر الهمزة على أنها القبيلة بعينها.

ويؤيد هذا قولُ اليهود للعرب: سيخرج فينا نبيٌّ نتَّبعه، نقتلكم معه قتلَ عادِ إِرَم[٤].

فهذا يقتضي أَنها قبيلة، وعلى هذه القراءة يتجه أَن يكون إِرَمُ أَباً لعاد، أَوْ جدّاً غلب اسمه على القبيل.

وقرأ الحسن بن أَبي الحسن: (بِعَادَ إِرَمَ) على ترك الصرف في (عَادَ) وإِضافتها إِلى ﴿إِرَمَ﴾، وهذا يتجه على أَن يكون إِرَمُ أَباً أَو جَدّاً، وعلى أَن تكون مدينة.

وقرأ الضحاك: (بِعَادَ أَرَمَ) بفتح الدال والهمزة من (أَرَمَ) وفتح الراءِ والميم، على ترك الصرف في (عَادَ) والإِضافة.

وقرأ ابن عباس والضحاك: (بِعَادٍ أَرَمَّ) بشدِّ الميم على الفعل الماضي بمعنى: بَلِيَ وصار رَمِيماً، يقال: أَرمَّ العظمُ ورَمَّ وَأَرَمَّهُ اللهُ، على تَعَدية رَمَّ بالهمزة.

وقرأ ابن عباس أَيضاً: (أَرَمَّ ذاتَ) بالنصب في التاءِ، على إِيقاع الإِرْمام عليها، أَي: أَبْلاها ربُّك وجعلها رميماً.

وقرأ ابن الزبير: (أَرِمَ ذَاتِ العِمَادِ) بفتح الهمزة وكسر الراءِ، وهي لغة في المدينة.

---

(١) هو كَيْسان بن سعيد المَقْبُرِي المدني، أَبو سعيد، مولى أُم شريك، له إدراك، وكان على عهد عمر رجلاً فجعله على حفر القبور بالمدينة، مات في خلافة الوليد بن عبد الملك، وقيل سنة مئة، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٤٨٧).

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٩٥)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٤٠٤)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٢٤١).

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٠٤)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٩٦)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٢٤٢).

(٤) في نجيبويه ونور العثمانية وأحمد٣: «وإرم»، بزيادة واو العطف، وهو الموافق لما في تفسير الطبري (٢/ ٣٣٣).

وقرأ الضحاك بن مزاحم: (أَرْمَ) بسكون الراءِ وفتح الهمزة[١]، وهي تخفيف في «أَرِم» كَفَخْذٍ وَفَخِذٍ.

واختلف الناسُ في قوله تعالى: ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ فمَنْ قال: إِرَمُ: مدينة، قال: العِمَاد: هي أَعمدة الحجارة التي بُنيت بها، وقيل: القصورُ العالية والأَبراجُ، يقال لها: (عماد). ومَنْ قال: إِرَمُ: قبيلة، قال: ﴿ٱلْعِمَادِ﴾: إِمَّا أَعمدة بنيانهِمْ، وإِمَّا أَعمدة بيوتهم التي يرحلون بها؛ لأَنهم كانوا أَهل عمود ينتجعون البلاد، قاله مقاتل وجماعة. وقال ابن عباس: هي كناية عن طول أَبدانهم[٢].

وقرأ الجمهور: ﴿يُخْلَقْ﴾ بضم الياءِ وفتح اللام ﴿مِثْلُهَا﴾ رفعاً.

وقرأ ابن الزبير: (لَمْ يَخْلُقْ) بفتح الياءِ وضم اللام (مِثْلَهَا) نصباً / . [٥/ ٢٩٣]

وذكر أَبو عمرو الداني عنه أَنه قرأَ: (لَمْ نَخَلُق) بالنون وضم اللام (مِثْلَها) نصباً، وذكر التي قبل هذه عن عكرمة[٣].

والضمير في ﴿مِثْلُهَا﴾ يعود إِمَّا على المدينة، وإِمَّا على القبيلة.

وقرأ يحيى بن وثاب: (وَثَمُوداً) بتنوين الدال[٤].

و﴿جَابُواْ ٱلصَّخْرَ﴾ معناه: خرقوه ونحتوه، وكانوا في أَوديتهم قد نحتوا بيوتهم في حجارة، و«الوادي»: ما بين الجبلين وإِن لم يكن فيه ماءٌ، هذا قول كثير من المفسرين في معنى ﴿جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾.

---

(١) وكلها شاذة، عزا الكرماني في الشواذ (ص: ٥١٢) الأولى والثانية للحسن، والثالثة لابن عباس، والرابعة والخامسة لابن الزبير.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٦٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس قال: ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ يعني: طولهم مثل العماد.

(٣) وهما شاذتان، عزا في الشواذ للكرماني (ص: ٥١٢)، الأولى لهما، والثانية لابن أبي عبلة وزيد، ولم أجد نقل أبي عمرو.

(٤) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٥١٢).

وقال الثعلبي: يريد: بِوادي القرى[١].

وقال قوم: المعنى: جابوا واديهم، وجلبوا ماءَهم في صخر شقُّوه، وهذا فعل ذي القوة والآمال.

وقرأ ابن كثير: ﴿بِالوادِي﴾ بالياءِ.

وقرأ أَكثر السبعة: (الْوَادِ) بدون ياءٍ، واختلف في ذلك عن نافع، وقد تقدم هذا[٢].

و(فرعون ذي الأوتاد): هو فرعون موسى عليه السلام. واختلف الناس في أَوتاده، فقيل: أَبنيته العالية العظيمة، قاله محمد بن كعب[٣]. وقيل: جنوده الذين بهم ثبت ملكه. وقيل: المراد أَوتاد أَخبية عساكره، وذُكرت؛ لكثرتها ودلالتها على غزواته وطوافه في البلاد، قاله ابن عباس[٤]، ومنه قول الأَسود بن يَعْفُر:

[الكامل] .... في ظِلِّ مُلْكٍ ثابِتِ الأَوْتَـادِ[٥]

وقال قتادة: كانت له أَوتاد يلعب عليها الرجال بين يديه وهو مشرف عليهم[٦].

وقال مجاهد: كان يوتِد الناس بأوتاد الحديد، يقتلهم بذلك، يضربها في أَبدانهم

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٩٧).

(٢) وهما سبعيتان، أثبتها وصلًا ورش، وفي الحالين البزي، واختلف عن قنبل، انظر التيسير (ص: ٢٢٢).

(٣) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٩٨).

(٤) أخرجه بمعناه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٧١) والطبري (٢٤/ ٣٧١-٣٧٢) من قول قتادة، وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٥/ ٤١٤) لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير لقتادة قال: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾، قال: البناء. قال وحُدثنا عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنه قال كانت له مظال يُلعب له تحتها، وأوتاد كانت تضرب له.

(٥) صدره: وَلَقَدْ غَنُوا فيها بأَنْعَمِ عِيشَةٍ.

(٦) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٠٩)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٢٤٦)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٩٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ١٢٩).

حتى تنفذ إِلى الأَرض(١). وقيل: إِنما فعل ذلك بزوجته آسية. وقيل: فعل ذلك بماشطة بنته؛ لأنهَا كانت آمنت بموسى عليه السلام.

و«الطغيانُ»: تجاوز الحدود.

و«الصَّبُّ»: يستعمل في السَّوط؛ لأَنه يقتضي سرعةً في النزول.

ومنه قول الشاعر في المحدودين في الإِفك:

فَصُبَّتْ عَلَيْهِمْ مُحْصداتٌ كَأَنَّهَا شَآبيبُ لَيْسَتْ مِنْ سَحابٍ وَلا قطْرِ(٢) [الطويل]

ومن ذلك قول المتأَخر في صفة الخيل:

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سِيَاطَنَا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٌ وَأَرْجُلُ(٣) [الطويل]

وإِنما خُصَّ «السَّوط» بأن يُستعار للعذاب؛ لأَنه يقتضي من التكرار والترداد ما لا يقتضيه السيف ولا غيره.

وقال بعض اللغويين: السَّوْط هنا: مصدر، من: ساطَ يَسُوطُ إذا خلط(٤)، فكأَنَّهُ تعالى قال: خِلْط عذاب.

و«المِرْصادُ» والمَرْصَدُ: موضع الرصد، قاله اللغويون، أَي أَنه عند لسانِ كُلِّ قائل، ومرصدٌ لكلِّ فاعل، وعلى هذا التأويل في المرصاد جاءَ جواب عامر بن قيس لعثمان رضي الله عنه حين قال له: أَين ربك يا أَعرابي؟ قال: (بالمرصاد)(٥).

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٠٩)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٢٤٥)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٩٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٤٠٠).

(٢) بلا نسبة في سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٧)، وتفسير الماوردي (٤/ ٨٢).

(٣) عزاه في ديوان المعاني (٢/ ١٠٧) لابن المعتز.

(٤) «إذا خلط» ساقطة من المطبوع.

(٥) تاريخ الطبري (٢/ ٦٤٢)، والبيان والتبيين للجاحظ (ص: ٤٥٧)، والكامل للمبرد (١/ ٨٤)، وغريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٧٦).

ويحتمل أَن يكون «المرصاد» في الآية اسم فاعل، كأنه تعالى قال: لَبِالرَّاصد، فعبَّر ببناءِ مبالغة، وروي في بعض الحديث: «إِنَّ على جسر جهنم ثلاث قناطر، على إِحداها الأَمانة، وعلى الأُخرى الدم، وعلى الأَخيرة الربُّ تعالى، فذلك قوله: ﴿لَبِالْمِرْصَادِ﴾»[(١)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢)﴾.

ذكر الله تعالى في هذه الآية ما كانت قريش تقوله وتستدل به على إِكرام الله تعالى وإِهانته لعبده، وذلك أَنهم كانوا يرون أَنَّ مَنْ عنده الغِنى والثروة والأَولاد فهو المُكْرم، وبضدِّه المُهان، ومن حيث كان هذا المقطع غالباً على كثير من الكفار جاءَ التوبيخ في هذه الآية لاسم الجنس؛ إِذْ قد يقع بعض المؤمنين في شيءٍ من هذا المنزع.

ومن ذلك حديث الأَعراب الذين كانوا يقصدون المدينة على النبي ﷺ، فمن نال خيراً قال: هذا دِينٌ حسن، ومن ناله شرٌّ قال: هذا دِينُ سوءٍ[(٢)].

و﴿ابْتَلَاهُ﴾: معناه: اختبره، و(نعمَّه) معناه: جعله ذا نعمة.

وقرأَ ابن كثير: ﴿أَكْرَمَني﴾ بالياءِ في وَصْل ووقف، وحذفها عاصم، وابن عامر

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٢٣)، ومن طريقه البيهقي في الأسماء والصفات (٩١٤) من طريق الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن عبد الله رضي الله عنه قال: قسم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ مرور الصراط ثلاثة جسور: جسر عليه الأمانة، وجسر عليه الرحم، وجسر عليه الرب عز وجل. قال البيهقي: هذا موقوف على عبد الله، قيل: هو ابن مسعود رضي الله عنه، ومرسل بينه وبين سالم ابن أبي الجعد، وأخرجه الطبري (٢٤/ ٣٧٥) عن الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو بن قيس الملائي بنحوه، وأخرج مسلم (١٩٥) من حديث حذيفة وفيه: وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً.. الحديث.

(٢) لم أهتد له، وفي نجيبويه ونور العثمانية: «يقدمون» بدل «يقصدون».

وحمزة، والكسائي في الوجهين، وقرأَ نافع بالياءِ في الوصل وحذفها في الوقف، وكذلك ﴿أهانني﴾، وخيَّر في الوجهين أَبو عمرو[١].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿فَقَدَرَ﴾ بتخفيف الدال، بمعنى: ضَيَّق.

وقرأَ الحسن بخلاف، وأَبو جعفر، وعيسى، وخالد: ﴿فَقدَّرَ﴾[٢]، بمعنى: جعله على قَدْر.

وقيل: هما بمعنى واحد في معنى التَّضييق؛ لأَنه ضعَّف ﴿قدَّر﴾ مبالغةً لا تعديةً، ويقتضي ذلك قول الإِنسان: ﴿أَهَٰنَنِ﴾؛ لأَن ﴿قَدَّرَ﴾ مُعَدًّى إِنما معناه: أَعطاه ما يكفيه، ولا إِهانة مع ذلك.

ثم قال تعالى: ﴿كَلَّا﴾ ردّاً على قولهم ومعتقدهم، أَي: ليس إِكرامُ الله تعالى وإِهانتُه كذلك، وإِنما ذلك ابتلاءٌ، فحقُّ من ابْتُليَ بالغنى أَن يشكر ويطيع، ومن ابْتُلِيَ بالفقر أَن يشكر ويصبر، وأَما إِكرامُ الله تعالى فهو بالتقوى، وإِهانتُه فبالمعصية.

ثم أَخبرهم تعالى بأَعمالهم من أَنهم لا يكرمون اليتيم، وهو ـ من بني آدم ـ الذي فقد أَباه وكان غير بالغ، ومن البهائم ما فقد أُمَّه.

وقال النبي ﷺ: «أَحبُّ البيوت إِلى الله تعالى بيتٌ فيه يتيمٌ مُكرم»[٣].

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: ﴿تحُضُّونَ﴾ بمعنى: يَحُضُّ بعضكم بعضاً، أَو تحُضُّون أَنفسكم.

---

(١) وكلها سبعية، انظر التيسير (ص: ٢٢٣).

(٢) وهي سبعية لابن عامر ولأبي جعفر، انظر النشر (٢/ ٤٠٠)، «وخالد» ساقط من الأصل، وفي الأسدية٤: «خلاد».

(٣) ضعيف جداً: أخرجه ابن أبي الدنيا في النفقة على العيال (٦٠٨)، والطبراني في الكبير (١٣٤٣٤)، والعقيلي في الضعفاء (١/ ٩٧)، وابن عدي في الكامل (١/ ٥٥٤) من طرق، عن إسحاق بن إبراهيم الحنيني، عن مالك بن أنس، عن يحيى بن محمد بن طلحة، عن أبيه، عن عمر به مرفوعاً، وإسحاق ابن إبراهيم الحنيني متفق على ضعفه.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿تَحَٰٓضُّونَ﴾ بفتح التاءِ، بمعنى: تتحاضُّون، أَي يحضُّ قومٌ قوماً.

وقرأ أَبو عمرو: ﴿يَحُضُّون﴾ بياءٍ من تحت مفتوحة وبغير أَلف[١].

وقرأ عبد الله بن المبارك: (تُحَاضُّون) بضم التاءِ، على وزن تقاتلون، أَيْ: أَنفسكم، أَي: بعضكم بعضاً، ورواها الشَّيْرَزِيُّ عن الكسائي[٢].

وقد يجيءُ فاعَلْت بمعنى فعَلْتُ، وهذا منه، وإِلى هذا ذهب أَبو علي، وأَنشد:

[الطويل] .... تحَاسَنَتْ بِهِ الوشي قرات الرياح وخوزها[٣]

أَي: حَسُنت، وأَنشد أَيضاً:

[الرجز] إِذا تخـازَرْتُ وَمَـا بِـي مِنْ خَـزَرْ[٤] ....

ويحتمل أَن يكون مفاعلة، ويتجه ذلك على زحف[٥]، فتأمله.

وقرأ الأَعمش: (تتحَاضُّون) بتاءين[٦].

و﴿طَعَامِ﴾ في هذه الآية بمعنى: إِطعام، وقال قوم: أَراد نفس طعامه الذي

---

(١) وكلها سبعية، انظر التيسير (ص: ٢٢٢).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ٥١٣).

(٣) انظر الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ٤١٠)، قال في حاشية المطبوع: «لم نستطع قراءة شيءٍ منه إِلَّا ما أثبتناه، وهو: تحاسَنت به». والبيت لذي الرمة كما في المعاني الكبير (٣/ ١١٩٢)، وتقدم في الآية (١٢٨) من سورة النساء، وأوله: ومن جردة غفل بساط... إلخ.

(٤) ينسب لعمرو بن العاص رضي الله عنه، كما في الدلائل في غريب الحديث (١/ ٨٢)، وقيل: لأَرْطاةَ ابن سُهيَّة كما في فصل المقال في شرح كتاب الأمثال (ص: ١٣١)، وقيل: لطفيل وتمثل بها عمرو بن العاص، كما في جمهرة الأمثال (١/ ٣٣).

(٥) في الحمزاوية: «رحيف»، وفي نور العثمانية: «على وصف»، وفي المطبوع: «رجف»، قال في الحاشية: «هكذا في الأُصول، ولعلَّه يريد: على اضطراب واهتزاز في المعنى».

(٦) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (١٠/ ٤٧٤).

يأكل، ففي الكلام حذف تقديره / : على بذْل طعام المسكين. [٥/ ٢٩٤]

وقد تقدم القول في سورة براءة في المسكين والفقير بما يغني عن إِعادته.

وعدَّد تعالى عليهم جِدَّهم في أَكل التراث؛ لأَنهم كانوا لا يُوَرِّثون النساءَ ولا صغار الأَولاد، إِنما كان يأخذ المال من يقاتِل ويحمي الحوزة.

و«اللَّمُّ»: الجمع واللَّف، قال الحسن: هو أَن يأْخذ في الميراث حظَّه وحظَّ غيره[١].

وقال أَبو عبيدة: لمَمْتُ ما على الخِوان: إِذا أَكلتُ جميع ما عليه بأسره[٢].

ومنه: لَمُّ الشَّعث، ومنه قول النابغة:

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخاً لا تَلُمُّهُ عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجالِ الْمُهَذَّبُ[٣] [الطويل]

و«الجَمُّ»: الكثير الشديد، ومنه قول الشاعر:

إِنْ تغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمَّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَك لَا أَلَمَّا[٤] [الرجز]

ومنه: الجَمُّ من الناس.

ثم قال تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ ردّاً على أفعالهم هذه، وتوطئة للوعيد، أي: سيرون أن أفعالهم ليست على قوام إِذا دُكَّت الأَرض.

و«دَكُّ الأرض»: هو تسويتها بذهاب جبالها، والناقة الدَّكاءُ: هي التي لا سنام لها.

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾ معناه: وجاءَ قَدرُه وسلطانُه وقضاؤُه، وقال منذر بن سعيد: معناه ظهورُهُ للخلق هنالك، ليس مجيءَ نُقْلة، وكذلك مجيءُ الصاخَّة ومجيءُ الطَّامة[٥].

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٤١٤-٤١٥)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٠١)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢٧٠).
(٢) لم أجده.
(٣) البيت للنابغة كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ٧٢)، والأمثال لابن سلام (ص: ٥١)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ٥٦).
(٤) تقدم في تفسير الآية (٣٣) من سورة النجم.
(٥) يشير بذلك إلى الآية (٣٣) من سورة عبس، والآية (٣٤) من سورة النازعات.

و(المَلَكُ): اسم جنس، يريد جميع الملائكة، ورُوي أَن ملائكة كل سماءٍ تكون صفاً حول الأَرض في يوم القيامة، وذكر الطبري في ذلك حديثاً طويلاً اختصرته[١].

وبهذا المعنى يتفسَّر قوله تعالى: (يوم التنادّ) [غافر: ٢٣][٢] على قراءَة من شدَّ الدال، وقوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟﴾ الآية [الرحمن: ٣٣].

وقرأَ ابن كثير، وعاصم، ونافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي في هذه الآية: ﴿تُكْرِمُونَ﴾ بالتاءِ، وكذلك سائر الأَفعال بعدها على الخطاب.

وقرأَ أَبو عمرو، والحسن، ومجاهد، وأَبو رجاءٍ، وقتادة، والجحدريُّ: ﴿يُكْرِمونَ﴾ بالياءِ في جميعها، على ذكر الغائب[٣]؛ إِذ قد تقدم اسم جنس الإِنسان.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾.

رُوي في قوله تعالى: ﴿وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ أَنها تُساق إِلى الحشر بسبعين أَلف زمام، يُمسك كلَّ زمام منها سبعون أَلف مَلَك، فيخرج منها عُنُق فتنتقي الجبابرة من الكفار، في حديث طويل مختلف الأَلفاظ[٤].

و(جهنم) هنا: هي النار بجُمْلتها.

ورُوي أَنه لما نزلت ﴿وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ تغيَّر لون النبي ﷺ[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤١٨) من طريق: الأجلح، قال: سمعت الضحاك بن مزاحم قوله....

(٢) هي قراءة شاذة كما تقدم هناك.

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٢٢)، «وعاصم» ساقط من المطبوع ونجيبويه.

(٤) أخرج مسلم (٢٨٤٢) عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها».

(٥) مرسل، أخرجه ابن وهب في الأهوال كما في الدر المنثور (١٥/ ٤٢٣) من طريق زيد بن أسلم =

وقوله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ معناه: يتذكر عصيانه وطغيانه، وينظر ما فاته من العمل الصالح، ثم قال تعالى: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾، أَي: وأَنَّى له نفع الذكرى؟

ثم ذكر تعالى عنه أَنه: ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾، واختلف في معنى قوله: ﴿لِحَيَاتِي﴾، فقال جمهور من المتأولين: معناه: ﴿لِحَيَاتِي﴾ الباقية، يريد: الآخرة.

وقال قوم من المتأولين: المعنى: (لِحَيَاتِي) في قبري عند بعثي الذي كنت أُكذِّب به وأَعتقد أَني لن أَعود حياً.

وقال آخرون[١]: ﴿لِحَيَاتِي﴾ هنا مجازاً، أَيْ: ليتني قدمت عملًا صالحاً؛ لأَنعم به اليوم وأَحيا حياةً طيبة، فهذا كما يقول الإِنسان: أَحْيني في هذا الأمر.

وقال بعض المتأولين: المعنى: لوقت أَو لمدة حياتي الماضية في الدنيا، وهذا كما تقول: جئت لطلوع الشمس، ولتاريخ كذا، ونحوه.

وقرأَ جمهور القراءِ، وعليٌّ بن أَبي طالب، وابن عباس، وأَبو عبد الرحمن: ﴿يُعَذِّبُ﴾ و﴿يُوثِقُ﴾ بكسر الذال والثاءِ.

وعلى هذه القراءة فالضمير عائد في ﴿عَذَابَهُۥ﴾ و﴿وَثَاقَهُۥ﴾ لله تعالى، والمصدر مضاف إِلى الفاعل، ولذلك معنيان:

أَحدهما: أَن الله تعالى لا يكلُ عذاب الكفار يومئذ إِلى أَحد.

والآخر: أَن عذابه من الشدة في حيِّز لم يعذِّب قطُّ أَحدٌ بمثله في الدنيا[٢].

ويحتمل أَن يكون الضمير للكافر، والمصدر مضاف إِلى المفعول.

= مرسلاً، وفيه: أنه جاء جبريل إلى النبي ﷺ فناجاه، ثم قام النبي ﷺ منكس الطرف، فسأله علي فقال: أتاني جبريل فقال لي: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ وذكر الحديث...

(١) «آخرون»: ساقطة من المطبوع والأسدية٣ والحمزاوية.

(٢) في حاشية المطبوع: «في بعض النسخ: لم يُعَذِّب قطُّ أَحداً بمثله في الدنيا».

وقرأَ الكسائي، وابن سيرين، وابن أَبي إِسحاق، وسوَّار القاضي[(١)]: ﴿يُعَذَّبُ﴾ و﴿يُوثَقُ﴾ بفتح الذال والثاءِ[(٢)]، ورويت كثيراً عن النبي ﷺ[(٣)].

(١) هو سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة، أبو عبد الله، التميمي العنبري البصري، قاضي الرصافة ببغداد، وهو من بيت العلم والقضاء، كان ظريفاً مطبوعاً شاعراً محسناً، فقيهاً فصيحاً مفوهاً، وافر اللحية، مات سنة (٢٤٥هـ)، انظر: تاريخ الإسلام (١٨/ ٢٩٠).

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٢٢).

(٣) لا يثبت، أخرجه أحمد (٥/ ٧١) من طريق شعبة، وأبو داود (٣٩٩٦) من طريق: حماد وهو ابن زيد، والطبري (٢٤/ ٣٩١) عن ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن خارجة وهو ابن مصعب. والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٥) من طريق عبد الله بن المبارك جميعاً: شعبة وحماد وخارجة وابن المبارك، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، ورواية شعبة: أبو قلابة عمن سمع النبي ﷺ يقرأ، ورواية حماد ابن زيد: أبو قلابة قال أنبأني من أقرأه النبي ﷺ أو من أقرأه من أقرأه النبي ﷺ، ورواية خارجة: أبو قلابة: ثني من أقرأه النبي ﷺ، ورواية ابن المبارك: أبو قلابة: عن من أقرأه النبي ﷺ.

وقال أبو داود: قرأ عاصم والأعمش وطلحة بن مصرف وأبو جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة ابن نصاح ونافع بن عبد الرحمن وعبد الله بن كثير الداري وأبو عمرو بن العلاء وحمزة الزيات وعبد الرحمن الأعرج وقتادة والحسن البصري ومجاهد وحميد الأعرج وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبي بكر ﴿لَّا يُعَذِّبُ﴾ و(لا يوثق) إلا الحديث المرفوع فإنه ﴿يُعَذَّبُ﴾ بالفتح، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين والصحابي الذي لم يسمه في إسناده قد سماه غيره مالك بن الحويرث.

وأخرجه الطبراني في الكبير (٦٤٣) من طريق سليمان بن محمد القافلائي، عن عاصم الجحدري، عن أبي قلابة، عن مالك بن الحويرث بنحوه، وسليمان بن أبي سليمان أبو الربيع، أو أبو محمد القافلائي بصري يروي الموضوعات.ا.هـ من لسان الميزان (٣/ ٩٤).

وسئل الدارقطني كما في العلل (١٤/ ٦٦) عن حديث مالك بن الحويرث أن النبي ﷺ أقرأه: ﴿فيومئذٍ لا يُعذَّبُ عذابَه أحد * ولا يُوثَق وثاقه أحد﴾، فقال: يرويه خالد الحذاء، عن أبي قلابة، واختلف عنه؛ فرواه سليمان الخوزي وهو القافلائي، والعباس بن الفضل الأنصاري، ـ قاضي الموصل، ومسدد بن عطاء، عن خالد، عن أبي قلابة، عن مالك بن الحويرث، وخالفهم شعبة، ووهيب، وحماد بن زيد، وعبد الله بن المبارك، وعباد بن عباد، ومحبوب بن الحسن، والخفاف؛ رووه عن خالد، عن أبي قلابة، عمن أقرأه النبي ﷺ ولم يسموه، وهو المحفوظ عن خالد، وفي أسد الغابة لابن الأثير (١/ ٢٩٤): حويرث والد مالك بن الحويرث. روى خالد الحذاء عن =

فالضميران ـ على هذا ـ للكافر الذي هو بمنزلة جنسه كله، والمصدر مضاف إِلى المفعول، ووضع (عذاب) موضع «تعذيب»، كما قال:

[الوافر] .... وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمائَةَ الرتاعَا[1]

ويحتمل أَن يكون الضميران في هذه القراءة لله تعالى، كأنه سبحانه قال: لا يُعذَّبُ أَحدٌ قطُّ في الدنيا عذاب الله تعالى للكفار، فالمصدر مضاف إِلى الفاعل، وفي هذا التأويل تحامل.

وقرأَ الخليل بن أَحمد: (وِثَاقَهُ) بكسر الواو[2].

ولما فرغ ذكر هؤلاءِ المعذَّبين عقَّب تعالى بذكر نفوس المؤمنين وحالهم، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ الآية.

و﴿ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ معناه: الموقنة غاية اليقين، أَلا ترى أَن إِبراهيم عليه السلام قال: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فهي درجة زائدة على الإِيمان، وهي أَلَّا يبقى على النفس في يقينها مطلب يُحرِّكها إِلى تحصيله.

واختلف الناس في هذا النداءِ، متى يقع؟ فقال ابن زيد وغيره: هو عند خروج نفس المؤمن من جسده في الدنيا، ورُوي أَن أَبا بكر الصديق رضي الله عنه سأل عن

= أبي قلابة، عن مالك بن الحويرث: أن النبي ﷺ أقرأ أباه: ﴿فيومئذ لا يعذَّب عذابه أحد﴾، رواه غير واحد عن خالد عن أبي قلابة عن مالك: أن النبي ﷺ قرأ: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ﴾ ولم يذكر أباه، ورواه جماعة عن خالد، عن أبي قلابة، عمن سمع النبي ﷺ. ولم يذكروا مالكاً ولا أباه. أقول: رواية شعبة وعبد الله بن المبارك ليس فيها تصريح بسماع أبي قلابة ممن أقرأه، وخارجة بن مصعب قد جود الإسناد، لكنه ضعيف جداً والإسناد إليه واهٍ، ورواية حماد بن زيد بالشك فيمن أنبأ أبا قلابة، هل هو الصحابي أم من أخذ عنه، وهذه الرواية توهن الحديث، مع الأخذ في الاعتبار عدم ثبوت الاتصال في روايتي شعبة وابن المبارك، وأبو قلابة كثير الإرسال.

(١) صدره: أَكُفْراً بَعْدَ رَدِّ الْمَوت عَنِّي، وقد تقدم في تفسير الآية (٢٨) من سورة البقرة.

(٢) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٥١٣) لابن عمير.

ذلك رسولَ الله ﷺ فقال له: «إِنَّ الْمَلَكَ سيقولها لك يا أَبا بكر عند موتك»[١].

ومعنى ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ ـ على هذا التأْويل ـ: ارْجعي بالموت.

وقوله تعالى: ﴿فِى عِبَٰدِى﴾ معناه: في عداد عبادي الصالحين، وهذه قراءة الجمهور، بجمع ﴿عِبَٰدِى﴾.

وقال قوم: النداءُ عند قيام الأَجساد من القبور، فقوله تعالى: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ معناه: بالبعث من موتك ارجعي إِلى الله تعالى.

وقيل: «الرَّبُّ» هنا: الإِنسان ذو النفس، أَي: ادخلي في الأَجساد، و﴿ٱلنَّفْسُ﴾: اسم جنس.

وقال بعض العلماءِ: هذا النداءُ هو الآن للمؤمنين، كَما ذكر الله تعالى حال الكافرين قال: يا مؤمنون[٢] دُومُوا وجِدُّوا حتى ترجعوا راضين مَرْضِيِّينَ، فالنَّفس ـ على هذا ـ اسم الجنس / . [٥/ ٢٩٥]

وقرأَ ابن عباس، وعكرمة، وأَبو شيخ، والضحاك، واليماني، ومجاهد، وأَبو جعفر: (فَادْخُلِي في عَبْدِي)[٣].

فالنفس ـ على هذا ـ ليست باسم الجنس، وإِنما خاطب مفردة، قال أَبو شيخ: الروح تدخل في البدن[٤].

---

(١) مرسل، أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٩٦)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٤٠١)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٨٣) من طرق عن يحيى بن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جبير مرسلاً، وأخرجه ابن أبي حاتم كما عند ابن كثير (٨/ ٤٠٠) عن أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكي، عن أبيه، عن أبيه، عن أشعث به.

(٢) في حاشية المطبوع: في جميع الأصول: «يا مؤمنين».

(٣) وهي شاذة، عزاها لابن عباس في معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٦٣)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٤٢٦).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٢٦).

وفي مصحف أُبَيٍّ بن كعب: (يَا أَيَّتُهَا النفس الآمِنةُ الْمُطْمَئِنَّةُ، إيتي ربَّك راضيَةً مَرْضيَّة، فارْجعي في عَبْدي)[1].

وقرأ سالم بن عبد الله: (فادْخُلي في عبادي، وَلِجِي جَنَّتي)[2].

وتحتمل قراءَة (عبدي) أَن يكون العبد اسم جنس، جعل عباده كالشيءِ الواحد؛ دلالةً على الالتحام، كما قال ﷺ: «وهُمْ يدٌ على مَنْ سواهم»[3].

وقال آخرون: هذا النداءُ إِنما هو في الموقف عندما يُنطلق بأهل النار إِلى النار، فنداءُ النفوس ـ على هذا ـ إِنما هو نداءُ أَرباب النفوس مع النُّفوس.

ومعنى ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ ـ على هذا ـ: إِلى رحمة ربك، و«العبادُ» هنا: الصالحون المتَّقون[4].

---

(١) وهي شاذة، «النفس» مثبتة من الأصل، وهي في تفسير الطبري (٢٤/ ٤٢٤)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٠٣)، وتفسير الزمخشري (٤/ ٧٥٢)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٥٧) بلفظ: (يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة)، وما زاد عليها لم أجده لغير المؤلف.

(٢) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٥١٣).

(٣) له طرق يصحح بها: أخرجه أحمد (٢/ ١٨٠-١٨٤-٢٠٥-٢١٥-٢١٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٧٠)، وأبو داود (١٥٩١-٢٧٥)، وابن ماجه (٢٦٥٩-٢٦٨٥)، والترمذي (١٤١٣)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٢٨٠)، وغيرهم من طرق عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده مرفوعاً، والروايات مختصرة ومطولة، وفي الباب عن ابن عباس، ومعقل بن يسار وغيرهم.

(٤) في نجيبويه ونور العثمانية والحمزوية: «المنعمون».

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سُورة البلد

وهي مكيَّة في قول جمهور المفسرين، وقال قوم: هي مدنية.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠﴾.

قرأ الحسن بن أَبِي الحسن: (لأُقْسِمُ)[١] دون ألف.

وقرأ الجمهور: ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾، واختلفوا:

فقال الزجاج وغيره: ﴿لَآ﴾ صلة زائدة مؤكدة[٢]، واستأنف قوله: ﴿أُقۡسِمُ﴾.

وقال مجاهد: ﴿لَآ﴾ ردٌّ لكلام متقدم للكفار، ثم استأنف قوله تعالى: ﴿أُقۡسِمُ﴾[٣].

وقال بعض المتأولين: ﴿لَآ﴾ نفيٌ لِلْقسم بالبلد، أَخبر الله تعالى أَنه لا يُقْسِم به.

ولا خلاف بين المفسرين أَن البلد المذكور هو مكَّة.

---

(١) وهي شاذة، عزاها له في الشواذ للكرماني (ص: ٥١٤).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٥/ ٣٢٧).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٨٢٧٢).

واختُلف في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾:

فقال ابن عباس وجماعة: معناه: وأَنت حلال بهذا البلد يحلُّ لك فيه قتل من شئت، وكان هذا يوم فتح مكة[١]، وعلى هذا يترتب قول من قال: السورة مدنية نزلت عام الفتح.

ويتركب على هذا التأويل قول من قال: ﴿لَآ﴾ نافيةٌ، أَي: إِن هذا البلد لا يُقْسِم اللهُ تعالى به، وقد جاءَ أَهلُه بأَعمال توجب إِحلال حرمته، ويتَّجه أَيضاً أَن تكون ﴿لَآ﴾ غير نافية.

وقال بعض المتأولين: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ معناه: حالٌّ[٢] ساكِنٌ بهذا البلد، وعلى هذا يجيءُ قولُ من قال: هي مكِّية، والمعنى على إِيجاب القسَم بَيِّن، وعلى نفيه أَيضاً يتَّجه على معنى: لأُقسم ببلد أَنت ساكنه على أَذى هؤلاءِ القوم وكفرهم.

وذكر الثعلبي عن شرحبيل بن سعد: أَن معنى ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ﴾ أَي: قد جعلوك حلالاً مُسْتَحل الأَذى والإِخراج والقتل لك لو قدروا[٣].

وإِعراب ﴿ٱلْبَلَدِ﴾ عطف بيان.

وقوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ قسم مستأنف على قول من قال: ﴿لَآ﴾ نافية، ومعطوف على قول من قال: ﴿لَآ﴾ غير نافية.

واختلف الناس في معنى قوله: (والد) و(ما ولد):

فقال مجاهد: هو آدم عليه السلام وجميع ولده.

وقال بعض رواة التفسير: هو نوحٌ عليه السلام وجميع ولده.

وقال أَبو عمران الْجَوْني: هو إِبراهيم عليه السلام وجميع ولده[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٠٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس فذكره بلفظ مطول.

(٢) سقطت من نجيبويه.

(٣) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٠٧).

(٤) انظره مع قول مجاهد في الهداية لمكي (١٢/ ٨٢٧٤)، والطبري (٢٤/ ٤٣٢)، والماوردي (٦/ ٢٧٥)، وابن أبي حاتم (١٢/ ٤٠٨).

وقال ابن عباس ما معناه: إِن «الوالد» و«الولد» هنا على العموم، فهي أَسماءُ جنس يدخل فيها جميع الحيوان[١].

وقال ابن عباس، وابن جبير، وعكرمة: (والد) معناه: كلُّ من وَلَدَ وأَنْسل[٢].

وقوله: ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ لم يَبْق تحته إِلَّا العاقر الذي ليس بوالد البَتَّة[٣].

والقسم واقع على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾، واختلف الناسُ في (الكَبَدِ):

فقال جمهور الناس: ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ اسم الجنس كُلِّه، و«الكَبدُ»: الْمشقَّةُ والمكابدة، أَي: يكابد أَمر الدنيا وأَمر الآخرة، ومن ذلك قول لبيد:

يا عيْنُ هلَّا بكيْتِ أَرْبَـدَ إِذْ قُمْنَا وقام الْخُصومُ في كَبَدِ[٤] [المنسرح]

وقول ذي الإِصبع:

لِيَ ابْنُ عَمٍّ لوَ انَّ النَّاسَ في كَبَدٍ لَظَلَّ مُحْتَجِزاً بِالنَّبْل يَرْميني[٥] [البسيط]

وبالمشقَّة في أَنواع أَحوال الناس فسَّره الجمهور.

وقال الحسن: لم يخلق الله تعالى خلقاً يكابد ما يكابد ابنُ آدم.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٠٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾. قال: الوالدُ وولدُه.

(٢) ليس بالقوي، أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٠٦)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٥) من طريق شريك، والطبري من طريق الثوري كلاهما: شريك، والثوري، عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾. قال: «الوالد»: الذي يلد، و(ما ولد): العاقر الذي لا يولد له. وخصيف: هو ابن عبد الرحمن يضعَّف.

(٣) انظره مع قول عكرمة وابن جبير في تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٠٧).

(٤) عزاها له في مسائل نافع بن الأزرق (ص: ٣٣)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢١)، والعين (٥/ ٣٣٣)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٩٩).

(٥) عزاه له في المفضليات (ص: ١٦٣)، وإعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٤٢)، وأمالي القالي (١/ ٢٥٦).

وقال ابن عباس[١]، وعبد الله ابن شداد، وأَبو صالح، والضحاك، ومجاهد: ﴿فِي كَبَدٍ﴾ معناه: منتصبَ القامة واقفاً.

وقال ابن زيد: ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: آدمُ عليه السلام، و﴿فِى كَبَدٍ﴾ معناه: في السماءِ[٢]، سَمَّاها كَبَداً.

وهذان القولان قد ضُعِّفا، والقول الأَول هو الصحيح.

ورُوي أَن سبب هذه الآية وما بعدها هو أَبو الأَشَدَّين، رجل من قريش شديد القوة، واسمه أُسَيْد بن كلدة الجُمَحِي، كان يحسب أَن أَحداً لا يقدر عليه[٣].

ويقال: بل نزلت في عمرو بن عبدِ ودٍّ، ذكره النقاش[٤]، وهو الذي اقتحم الخندق بالمدينة، وقتله علي بن أَبي طالب رضي الله عنه خلف الخندق[٥].

وقال مقاتل: نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل، أَذنب فاستفتى النبيَّ ﷺ فأمره بالكفَّارة، فقال: لقد أَهلكت مالاً في الكفَّارات والنفقات منذ تبعت محمداً[٦].

وكان كل واحد منهم قد ادَّعى أَنه أَنفق مالاً كثيراً على إِفساد أَمر النبيِّ ﷺ، أَو في الكفَّارات على ما تقدم، فوقف القرآن على جهة التوبيخ للمذكور، وعلى جهة التوبيخ لاسم الجنس كله.

و﴿يَقْدِرَ﴾ نُصب بـ ﴿لَّن﴾، و﴿أَن﴾ مخففة من الثقيلة، وكان قول هذا الكافر:

---

(١) هذا الأثر أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٣٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه.
(٢) انظر هذه الأقوال كلها في تفسير الطبري (٢٤/ ٤٣٣-٤٣٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٢٧٥)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٠٧).
(٣) ذكره الطبري (٢٤/ ٤١٢).
(٤) لم أقف عليه.
(٥) انظر القصة في سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٤).
(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٢٠٨) وغيره، عن مقاتل بنحوه.

﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ كذباً منه؛ فلذلك قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾، أَيْ: أنه رُئيَ وأُحْصِيَ فعلُه، فماله يكذب.

ومن قال: إِن المراد اسم الجنس غير معيَّن مفرد؛ جعل قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ﴾ بمعنى: أَيظنُّ الإِنسان أَن ليس عليه حفظة يرون أَعماله ويُحصونها إِلى يوم الجزاءِ؟

وقال النبي ﷺ: «لا تزولُ / قدَما عبْدٍ يوم القيامة حتى يُسأل: عن عُمُره فِيمَ أَفناه؟ وجسمه فِيمَ أَبلاه؟ وعن ماله، من أين اكتسبه وأَين أنفقه؟»[١]. [٥/ ٢٩٦]

واختلف القراءُ في قوله: ﴿لُّبَدًا﴾ فقرأ جمهور الناس: ﴿لُّبَدًا﴾ بضم اللام وفتح الباءِ.

وقرأَ مجاهد: (لُبُداً) بضمهما[٢]، وذلك جمع لِبْدَة، أَو جمع لَبُود بفتح اللام.

وقرأَ أَبو جعفر بن يزيد: ﴿لُبَّداً﴾ بضم اللام وفتح الباءِ وشدِّها[٣]، فيكون مفرداً نحو زُمَّل، ويكون جمع لابد.

(١) صحَّ من قول معاذ بن جبل، وله طرق مرفوعة واهية، وطريق فرد إسناده لين وفيه جهالة، قال فيه الترمذي: حسن صحيح، هذا الحديث روي عن جماعة من الصحابة، فأخرجه الدارمي (٥٥٤)، والترمذي (٢٤١٧)، وأبو يعلى في مسنده (٧٤٣٤) من طريق أبي بكر بن عياش، عن الأعمش، عن سعيد بن عبد الله بن جريج، عن أبي برزة الأسلمي مرفوعاً بنحوه، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وسعيد بن عبد الله بن جريج هو بصري، وهو مولى أبي برزة، وأبو برزة اسمه نضلة بن عبيد، وقال الدارقطني في العلل (٦/ ٣١٠): تفرد به أبو بكر بن عياش عن الأعمش، وسعيد هذا: قال أبو حاتم: مجهول، وقال الدوري عن ابن معين (٣/ ٦٢): سعيد بن عبد الله بن جريج، ما سمعنا أحداً روى عنه إلا الأعمش من رواية أبي بكر بن عياش، وروي من حديث معاذ بن جبل. واختلف في رفعه ووقفه، والوقف هو الصحيح. يراجع علل الدارقطني (٦/ ٤٧). وروي من حديث ابن مسعود مرفوعاً، وإسناده تالف، يراجع مسند البزار (٤٢٦٦)، وذخيرة الحفاظ (٥/ ٢٦١٥). وروي من حديث عبد الله بن عباس، أخرجه الطبراني في الأوسط (٩/ ١٥٥) من طريق: حسين بن الحسن الأشقر، نا هشيم، عن أبي هاشم الرماني، عن مجاهد، عن ابن عباس مرفوعاً، وحسين ضعيف جدّاً.

(٢) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥١٤).

(٣) وهي عشرية، انظر النشر (٢/ ٤٠١)، وفي المطبوع ونور العثمانية: «نحو رمل».

وقد روي عن أَبي جعفر: (لُبْداً) بسكون الباءِ[1].

والمعنى في هذه القراءات كلها: مالاً كثيراً ملْتَبِداً بعضُه فوق بعض؛ من التكاثف والكثرة.

وقرأَ الأعمش: (لَم يَرْهُ) بسكون الراءِ لتوالي الحركات[2].

ثم عدَّد تعالى على الإِنسان نعمه التي بها تقوم الحجة، وهي جوارحه.

وقرن تعالى الشَّفتين باللسان؛ لأَن نعمة العبارة والكلام لا تصحُّ إِلَّا بالجميع.

وفي الحديث: «يقول الله تعالى: ابن آدم، إِنْ نازعك لسانك إِلى ما لا يحلُّ لك؛ فقد أَعنتك عليه بشفتين فأَطبقهما عليه»[3].

واختلف الناس في ﴿ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾:

فقال ابن مسعود، وابن عباس، والناس: طريق الخير وطريق الشر[4]، أَي: عرضنا عليه طريقهما، وليست «الهداية» هنا بمعنى الإِرشاد.

وقال ابن عباس أَيضاً، والضحاك: «النَّجدان»: ثَدْيَا الأُم[5]، وهذا مثال.

---

(١) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٧٤)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٥١٤) لمجاهد.

(٢) وهي شاذة، وفي المطبوع: «الحسن»، ولم أجدها لأي منهما، ولا لغيرهما، والمعروف الخلاف في الهاء، وسيأتي في ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ﴾.

(٣) ضعيف: أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٢٠٩) من طريق عبد الحميد بن سليمان الخزاعي المدني، عن أبي حازم سلمة بن دينار الأعرج مرسلاً، وعبد الحميد المدني ضعيف.

(٤) أثر ابن مسعود أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٧٤)، والطبري (٢٤/ ٤١٥)، والطبراني في الكبير (٩٠٩٧) من طرقٍ عن الثوري، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش، عن عبد الله به، وأخرجه الطبري (٢٤/ ٤١٦) من طريق شعبة، عن عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود به، وعند عبد الرزاق عن الثوري، عن زر، ولم يذكر عاصماً، وأما أثر ابن عباس فأخرجه الطبري (٢٤/ ٤١٦) من طريق عطية العوفي عنه به، وأخرجه أيضاً من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: الهدى والضلالة.

(٥) ضعيف: أخرجه الطبري (٢٤/ ٤١٩)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٧) من =

والنَّجْد: الطريق المرتفع، وأَنشد الأَصمعي:

كَميشُ الإزارِ خارجٌ نِصْفُ ساقِهِ   صبورٌ عَلَى الأَرْزاءِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ(١)   [الطويل]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ۝٢٠﴾.

﴿ٱلْعَقَبَةَ﴾ في هذه الآية ـ على عُرف كلام العرب ـ: استعارة لهذا العمل الشاق على النفس من حيث هو بذل مال؛ تشبيه بعقبة الجبل، وهي: ما صعب منه، وكان صعوداً.

و﴿ٱقْتَحَمَ﴾ معناه: دخلها وجاوزها بسرعة وضغط وشدة.

وأَما المفسرون فرأَوا أَن ﴿ٱلْعَقَبَةَ﴾ يراد بها: جبل في جهنم لا ينجِّي منه إِلَّا هذه الأَعمال ونحوها، قاله ابن عباس، وقتادة، وكعب(٢).

قال الحسن: ﴿ٱلْعَقَبَةُ﴾: جهنَّم، قال هو وقتادة: فاقتحِموها بطاعة الله تعالى(٣).

= طريق عيسى بن عقال، عن أبيه، عن ابن عباس به، وعيسى وأبوه مجهولان، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٧٤) أن عمر بن أبي بكر القرشي أخبره، عن محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس فذكره. وعمر بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام القرشي المخزومي، قال فيه الحافظ: مقبول، وقول الضحاك في تفسير الطبري (٢٤/ ٤٣٩)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٢٧٩).

(١) البيت لدريد بن الصمة يرثي أخاه عبد الله، تقدم في تفسير الآية (٢٩) من (سورة القلم).

(٢) الذي وقفت عليه ما أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور (١٥/ ٤٤٥) عن ابن عباس: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾، قال: عقبة بين الجنة والنار، وانظر للباقين تفسير الثعلبي (١٠/ ٢١٠)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٢٨٠)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٤٤٠).

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٤/ ٤٤٠)، وانظر تفسير الثعلبي (١٠/ ٢١٠)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٢٨٠).

وفي الحديث «إِن اقتحامها للمؤمن كما بين صلاة العصر إِلى العشاءِ»[١].

واختلف الناسُ في قوله تعالى: ﴿فَلَا﴾:

فقال جمهور المتأولين: هو تَحْضيض بمعنى (فَأَلَا).

وقال آخرون: هو دعاءٌ بمعنى: أَنه ممن يستحق أَن يُدْعى عليه بأَلَّا يفعل خيراً.

وقيل: هو نفي، أَي: فما اقتحم، وقاله أَبو عبيدة، والزجاج[٢].

وهذا نحو قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١]، فهو نفي محض، كأَنه تعالى قال: وهبنا له الجوارح ودَلَلْناه على السبيل فما فعل خيراً.

ثم عظَّم تعالى أَمر العقبة في النفوس بقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾.

ثم فسَّر تعالى اقتحام العقبة بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾، وذلك أَن التقدير: وما أَدراك ما اقتحام العقبة؟ هذا على قراءَة من قرأَ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ بالرفع على المصدر.

وأَما من قرأَ: ﴿فَكَّ﴾ على الفِعْل، ونَصب «الرَّقَبَةَ»، فليس يحتاج أَنْ يُقَدَّر: وما أَدراك ما اقتحام، بل يكون التعظيم للعقبة نفسها، ويجيءُ ﴿فَكَّ﴾ بدلاً من ﴿ٱقْتَحَمَ﴾ وَمُبَيِّناً له.

وقرأَ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَٰمٌ﴾.

وقرأَ أَبو عمرو: ﴿فَكَّ رَقَبَةً﴾ بالنصب ﴿أَوْ أَطْعَمَ﴾[٣]، وقرأَ بعضُ التابعين: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ بالخفض[٤].

---

(١) لم أقف عليه مرفوعاً، وإنما أورده الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٢١٠)، والقرطبي (٢٠/ ٦٧) عن مجاهد، والضحاك، والكلبي من قولهم.

(٢) معاني القرآن للزجاج (٥/ ٣٢٩)، ومجاز القرآن (٢/ ٣٠٣)، وفي الأصل: وقال بدله: قاله.

(٣) وهما سبعيتان، وابن كثير والكسائي مع أبي عمرو، انظر السبعة (ص: ٦٨٦)، التيسير (ص: ٢٢٣).

(٤) وهي شاذة، والشذوذ في مجموع القراءة (فكُّ رقبةٍ أو أطعَمَ) وليس في صدرها فحسب كما قد يُتَوهَّم. انظر: البحر المحيط (١٠/ ٤٨٣).

وقرأَ ابن كثير، والكسائي، وأَبو عمرو أَيضاً: (فَكَّ رَقَبَةً) بالنصب (أَوْ إِطْعام)[١].

وترتيب هذه القراءات، ووجوهها بينةٌ.

و«فَكُّ الرقبة» معناه: بالعِتْق من ربقة الأَسْر أو الرق.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «من أَعتق نسمة مؤمنة؛ أَعتق الله بكل عضو منها عُضواً منه[٢] من النار»[٣].

وقال أَعرابي للنبي ﷺ: دُلَّني على عمل أَنجو به، فقال: «لئن قصرت القول لقد عرضتَ المسألة، فُكَّ الرقبة وأَعْتِقِ النَّسَمَة»، فقال الأَعرابي: أَليس هذا واحداً؟ فقال النبي ﷺ: «لا، عِتْق النَّسَمة أَن تنفرد بعِتْقها، وفَكُّ الرقبة أَن تُعين في ثمنها»[٤].

---

(١) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (١٠/٤٨٣)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٥١٤) لعبد الصمد بن عبد العزيز عن أُبيّ، ولعل ذكر ابن كثير والكسائي هنا وهم، وانظر الخلاف عن أبي عمرو في السبعة (ص: ٦٨٦).

(٢) «منه» ليست في المطبوع.

(٣) حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢٦٣٤)، والنسائي (٤٨٥٧)، والطبراني في الكبير (١٨٦)، وفي الأوسط (٣٧٣٨) وغيرهم من طريق الفضل بن دكين، عن الحكم بن عبد الرحمن ابن أبي نعم البجلي، عن فاطمة بنت علي بن أبي طالب، عن أبيها مرفوعاً، وهذا إسناد حسن من أجل الحكم البجلي صدوق سيء الحفظ، ولكن له شواهد كثيره منها ما أخرجه البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩) من حديث أبي هرير مرفوعاً: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضوٍ منها عضواً من النار، حتى الفرج بالفرج».

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٤/٢٩٩)، والطيالسي (٧٣٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٩)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٧٤٣)، وابن حبان (٣٧٤)، والدارقطني (٣/ ٥٤)، والحاكم (٢/٢١٧) والبيهقي في السنن (١٠/ ٢٧٢-٢٧٣) وفي الشعب (٤٣٣٥)، والبغوي في شرح السنة (٢٤١٩) من طرق عن عيسى بن عبد الرحمن البجلي، عن طلحة بن مصرف، عن عبد الرحمن بن عوسجة، عن البراء ابن عازب قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، علمني عملاً يدخلني الجنة، فقال: «لئن كنت أقصرت الخطبة، لقد أعرضت المسألة، أعتق النسمة، وفك الرقبة». فقال: يا رسول الله! أوليستا بواحدة؟ قال: «لا، إن عتق النسمة: أن تفرد بعتقها، وفك الرقبة: أن تعين في عتقها، والمنحة الوكوف، والفيء على ذي الرحم الظالم، فإن لم تطق ذلك، فأطعم الجائع، واسق الظمآن، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك، فكف لسانك إلا من الخير»، وهذا لفظ أحمد.

قال القاضي أَبو محمد: وكذلك فكُّ الأسير إِن شاءَ الله تعالى وفداؤه أَن ينفرد الفادي.

ثم قال النبي ﷺ للأعرابي: «وَأَبْقِ على ذي الرَّحِمِ الظالم، فإِن لم تُطق هذا كلَّه فكُفَّ لسانك إِلَّا من خير»(١).

و«المسغبة»: المجاعة، والسَّاغِبُ: الجائع.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ على نعت ﴿يَوْمٍ﴾.

وقرأَ عليُّ بن أَبي طالب رضي الله عنه، والحسن، وأَبو رجاءٍ: (ذا مَسْغَبةٍ)(٢)، على أَن يعمل فيه ﴿أَطْعمَ﴾ أَو ﴿إِطْعَٰمٌ﴾ على القراءتين المذكورتين، وفي هذا حذف الموصوف وإِقامة الصفة مقامهُ؛ لأَن التقدير: إِنساناً ذا مسْغبة، [و﴿يَتِيمًا﴾ بدلٌ على هذه القراءة، ويصحُّ أَن يكون صفة لقوله تعالى: (ذا مسبغة)](٣) ووصفت الصفة لما قامت مقام موصوفها المحذوف فأَشبهت الأَسماءَ، و(المسغبة): الجوعُ العامُّ، وقد يقال في الخاصِّ: سَغِب الرَّجلُ إِذا جاع.

وقوله تعالى: ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ معناه: ذا قرابة، لتجتمع الصدقة والصلة، وهذا نحو ما قال رسول الله ﷺ لزينب امرأَة عبد الله بن مسعود: «تصدَّقي على زوجك فهي لك صدقة وصلة»(٤).

و﴿أَوْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ فيها معنى الإِباحة ومعنى التَّخيير؛ لأَن الكلام يتضمن معنى الحضِّ والأَمر، وفيها أَيضاً معنى التفصيل المجرد؛ لأَن الكلام يجري مجرى الخبر الذي لا تكون ﴿أَوْ﴾ فيه إِلَّا مفصِّلة، وأَما معنى الشك أو الإِبهام فلا مدخل لهما في هذه الآية، والإِبهام نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ [سبأ: ٢٤]، وقول أَبي الأَسود:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٥١٤) للحسن وأبي رجاء.

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٤٦٦)، ومسلم (١٠٠٠) من حديث زينب امرأة عبد الله بن مسعود.

أُحِـبُّ مُحَمَّـداً حُبّـاً شَــديداً وَعَبَّـاسـاً وحمــزةَ أَو علِيَّــا[١] [الوافر]

و﴿ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾ معناه: مدقعاً قد لصق بالتراب، وهذا مما ينحو إِلى أَن المسكين أَشد فاقةً من الفقير، قال سفيان: هم المطروحون على ظهر الطريق قعوداً على التراب لا بيوت لهم[٢].

وقال ابن عباس: / هو الذي يخرج من بيته ثم يقلب وجهه إِلى بيته مستيقناً أَنه ليس فيه إِلا التراب[٣]. [٥/ ٢٩٧]

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ معطوف على قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ﴾، ويتوجه فيه معاني ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ﴾ المذكورة من النفي والتحضيض والدعاءِ.

ورجَّح أَبو عمرو بن العلاءِ قراءَته: ﴿فَكَّ رقَبَةً﴾ بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ﴾[٤].

ومعنى ﴿ثُمَّ كَانَ﴾: أَيْ: كان وقت اقتحامه للعقبة من الذين آمنوا، وليس المعنى أَنه يقتحم ثم يكون بعد ذلك؛ لأَن الاقتحام كان يقع من غير مؤمن، وذلك غير نافع.

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ معناه: على طاعة الله تعالى وبلائه وقضائه، وعن الشهوات والمعاصي.

و(المَرْحَمَة): قال ابن عباس: كل ما يؤدي إِلى رحمة الله تعالى[٥].

وقال آخرون: هو التراحم، وعطفُ بعض الناس على بعض، وفي ذلك قوام الناس، ولو لم يتراحموا جملة هلكوا.

---

(١) تقدم في تفسير الآية (٧٤) من (سورة البقرة).

(٢) الهداية لمكي (١٢/ ٨٢٨٣).

(٣) صحيح: أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٢٦) من طرق، عن مجاهد، عن ابن عباس بألفاظ مختلفة، «وإِلا» ساقطة من الأصل والأسدية٤.

(٤) انظر إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٤٣).

(٥) ضعيف: أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٣١) عن محمد بن سنان القزاز، عن أبي عاصم النبيل، عن شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾، قال: مرحمة الناس. ومحمد بن سنان القزاز قال فيه الحافظ: ضعيف.

و﴿ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾: مفعلة، وهي فيما روي عن يمين العرش، وهو موضع الجنة ومكان المرحومين من الناس.

و﴿ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾: الجانب الأَشأم، وهو الأَيسر، وفيه جهنم، وهو طريق المعذبين، يؤخذ بهم ذات الشمال، وهذا مأخوذ من اليَمَن والشام، للواقف بباب الكعبة متوجهاً إِلى مطلع الشمس، واليد الشؤمى هي اليسرى.

وذهب الزجاج وقوم إِلى أَن ذلك مأخوذ من اليُمْن والشُّؤْم[1].

وقرأَ ابن كثير، وابن عامر، ونافع، والكسائي، وأَبو بكر عن عاصم: ﴿مُوصدةٌ﴾، على وزن مُوعَدة، وكذلك في سورة الْهُمزة[2].

وقرأَ أَبو عمرو، وحمزة، وحَفْصٌ عن عاصم: ﴿مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ بالهمز في السورتين، ومعناهما جميعاً: مُطْبَقةٌ مغلقة، يقال: أَوْصدْتُ وآصَدْتُ، بمعنى: أَطبقتُ وأَغلقتُ.

فـ﴿مُوصَدَةٌ﴾ ـ دون همز ـ: من أَوْصَدْتُ، وقد يحتمل أَن يهمز من يراها من أَوْصَدْتُ من حيث قيل: الواو حرف مضمومٌ على لغة من قرأَ: ﴿بالسُّؤْق﴾ [ص: ٣٣][3]، ومنه قول الشاعر:

[الوافر] لحَبَّ الْمُؤْقِدَان إِليَّ مُؤْسَى[4] ....

بالهمز فيهما.

و﴿مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ من آصَدْتُ، ويحتمل أَن يسهل الهمزة فيجيءُ ﴿مُوصدة﴾ من آصدْتُ.

ومن اللفظة: الوصيد، وقال الشاعر:

[الكامل] قَوْماً يُعالِجُ قُمَّلاً أَبْناؤُهُمْ وَسَلَاسِلاً حلقاً وباباً مُؤْصَدا[5]

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٥/ ٣٣٠).

(٢) في الآية (٨) منها، وهي والتي بعدها سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦٨٦)، والتيسير (ص: ٢٢٣).

(٣) وهي سبعية، قرأَ بها قنبل عن ابن كثير، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٥٥٣)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٧٨).

(٤) قاله جرير وعجزه: وَجَعْدَةُ لَو أَضاءهُمَا الوُقودُ، وقد تقدم في تفسير الآية (٤٥) من سورة النمل.

(٥) بلا نسبة في الدر المصون (١١/ ١١)، والبيت للأعشى.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سُورة الشمس

وهي مكيَّة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥)﴾.

أَقسم الله تعالى بالشمس، إِما على التنبيه منها، وإِما على تقدير: وربِّ الشمس.

و«الضُّحى» ـ بضم الضاد والقصر ـ: ارتفاعُ الضوءِ وكماله، وبهذا فسَّر مجاهد.

وقال قتادة: هو النهار كله، وقال مقاتل: (ضحاها): حَرُّها، كقوله تعالى في ﴿طه﴾: ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٩][(١)].

والضَّحاءُ ـ بفتح الضاد والمدِّ ـ: ما فوق ذلك إِلى الزوال.

والقمر يتلو الشمسَ من أَول الشهر إِلى نصفه في الغروب، تغرب هي ثم يغرب

---

(١) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢٤/ ٤٥١).

هو، ويتلوها في النصف الآخر بنحو آخر، وهو أَن تغرب هي فيطلع هو.

وقال الحسن بن أَبي الحسن: ﴿تَلَاهَا﴾: تبعها دأَباً في كل وقت[١]؛ لأَنه يستضيءُ منها؛ فهو يتلوها لذلك.

قال القاضي أَبو محمد: فهذا اتباعٌ لا يختص بنصف أَول من الشهر ولا بآخر، وقاله الفراءُ أَيضاً[٢].

وقال الزجاج وغيره: ﴿تَلَاهَا﴾ معناه: امتلأَ واستدار فكان لها تابعاً في المنزلة من الضياءِ والقدر[٣]؛ لأَنه ليس في الكواكب شيءٌ يتلو الشمس في هذا المعنى غير القمر.

قال قتادة: إِنما ذلك ليلة البدر، تغيب هي فيطلع هو[٤].

و(النهار) في ظاهر هذه السورة والتي بعدها أَنه من طلوع الشمس، وكذلك قال الزجاج في كتاب الأَنواءِ وغَيْرُه، واليوم من طلوع الفجر، ولا يختلف أَن نهايتهما مغيب الشمس[٥].

والضمير في ﴿جَلَّاهَا﴾ يحتمل أَن يعود على الشمس، ويحتمل أَن يعود على الأَرض، أو على الظلمة، وإِن كان لم يَجْرِ لذلك ذكرٌ فالمعنى يقتضيه، قاله الزجاج[٦].

و(جَلَّى) معناه: كشف وضوَّأَ، والفاعل لـ(جَلَّى) ـ على هذه التأويلات ـ: النهارُ.

ويحتمل أَن يكون الفاعلُ الله تعالى، كأنه قال: والنهار إِذا جلَّى الله الشمس، فأَقسم بالنهار في أَكمل حالاته.

---

(١) البحر المحيط (١٠/ ٤٨٥).

(٢) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٦٦).

(٣) معاني القرآن للزجاج (٥/ ٣٣١).

(٤) لم أجده.

(٥) معاني القرآن للزجاج (٥/ ٣٣٢).

(٦) المصدر السابق (٥/ ٣٣٢).

و(يغشى) معناه: يُغَطِّي، والضمير للشمس على تجوُّز في المعنى، أَو للأَرض.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا بَنَىٰهَا﴾ وكل ما بعده من نظائره في السورة يحتمل أَن تكون (ما) فيه بمعنى «الذي»، قاله أَبو عبيدة[١]، أَي: ومن بناها، وهو قول الحسن ومجاهد[٢]؛ لأنَ «ما» تقع عامَّة لمن يعقل ولما لا يعقل، فيجيءُ القَسَم بنفسه تعالى.

ويحتمل أَن تكون (ما) في جميع ذلك مصدرية، قاله قتادة، والمبرد، والزجاج[٣]، كأَنه تعالى قال: والسماءِ وَبُنْيَانِها.

و(طَحَا) بمعنى: «دَحَا»، و(طَحَا) أَيضاً في اللغة بمعنى: ذهب كلَّ مذهب.

ومنه قول عَلْقَمَة بن عَبْدَة:

طَحَا بِكَ قَلْبٌ في الحِسانِ طَرُوب بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصْرَ حان مشيبُ[٤] [الطويل]

و«النفس» التي أَقسم الله بها: اسمُ الجنس، و«تَسْويتُها»: إِكمال عقلها ونظرها، ولذلك ربط الكلام بقوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ الآية، فالفاءُ تعطي أَن التسوية هي هذا الإلهامُ. / [٥/ ٢٩٨]

ومعنى قوله تعالى: ﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ أَيْ: عرَّفها طُرُق ذلك، وجعل لها قوة يصحُّ معها اكتساب الفجور واكتساب التقوى.

وجواب القَسَم في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾، والتقدير: لقد أَفلح، والفاعل بـ(زكَّى) يحتمل أَن يكون هو الله تعالى، وقاله ابن عباس وغيره[٥]، كأَنه تعالى قال: قد

(١) مجاز القرآن (٢/ ٣٠٤).

(٢) تفسير الماوردي (٦/ ٢٨٢).

(٣) قول قتادة في الطبري (٢٤/ ٤٥٣)، وقول المبرد في الهداية لمكي (١٢/ ٨٢٩٢)، وقول الزجاج في معاني القرآن له (٥/ ٣٣٢).

(٤) عزاه له في المفضليات (ص: ٣٩١)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ١٣٩)، والشعر والشعراء (١/ ٢١٥)، والاختيارين (ص: ٦٤٧).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٤٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: قد أفلح من زكى الله نفسه.

أَفلحت الفرقة، أَو الطائفة التي زكاها الله تعالى.

و«مَنْ» تقع على جمع أَو أَفراد، ويحتمل أَن يكون الفاعل بـ(زكَّى): الإِنسانُ، وعليه تقع ﴿مَن﴾، وقاله الحسن وغيره(١)، كأَنه تعالى قال: قد أَفلح من زكَّى نفسه، أَي: اكتسب الزكاء الذي قد خلقه الله تعالى له.

و﴿زَكَّىٰهَا﴾ معناه: طهَّرها ونمَّاها بالخيرات، و﴿دَسَّىٰهَا﴾ معناه: أَخفاها وحقَّرها، أَي: وصغر قدرها بالمعاصي والبخل بما يحب، يقال: دسَا يدْسُو، ودسَّى بشد السِّين يُدَسِّي، وأَصله: دسَّسَ، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] وَدَسَّسْتُ عَمْراً في التُّرابِ فَأَصْبَحَتْ حَلائِلُـهُ يَبْكيـن للْفَقْـدِ ضُعَّفَـا(٢)

ويرُوى أَن النبي ﷺ كان إِذا قرأَ هذه الآية قال: «اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أَنت خير من زكَّاها، أَنت ولِيُّها ومولاها»(٣)، وهذا الحديث يُقوِّي أَن المزكِّي هو الله تعالى.

وقال ثعلب: معنى الآية: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ في أَهل الخير بالرياءِ وليس منهم في حقيقته(٤).

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢١٤).

(٢) بلا نسبة في البحر المحيط (١٠/ ٤٨٤)، وفي أحمد٣: «ودسيت».

(٣) حسن لغيره: أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٤٠) عن يعقوب بن حميد، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٤١٣) من طريق يعقوب بن حميد، عن عبد الله بن عبد الله، عن معن الغفاري، عن حنظلة بن علي الأسلمي، عن أبي هريرة مرفوعاً، وعبد الله بن عبد الله الأموي لين الحديث، ولكن له شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الطبراني في الكبير (١١١٩١) من طريق ابن لهيعة، عن عمرو بن دينار وعطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس مرفوعاً بنحوه، وعبد الله ابن لهيعة ضعيف، ولكن روايته تعضد الطريق الأول، ويشهد له ما أخرجه مسلم (٢٧٢٢) عن زيد بن أرقم، قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والهرم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها».

(٤) لم أقف عليه.

ولما ذكر الله تعالى صفة من دسَّى، ذكَر فرقة فعلت ذلك؛ لِيُعْتبرَ بهم ويُنْتهى عن مثل فعلهم.

و«الطَّغْوى»: مصدر.

وقرأ الحسن، وحمَّاد بن سلمة: (بِطُغْوَاها) بضم الطاءِ، مصدر كالعُقْبى والرُّجْعى[١].

وقال ابن عباس: الطَّغوى هنا: العذاب[٢]، كَذبوا به حتى نزل بهم، ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥].

وقال جمهور المتأولين: الباءُ سببيَّةٌ، والمعنى: كذبت ثمودُ نَبِيَّها؛ بسبب طغيانها وكفرها.

و﴿ٱنۢبَعَثَ﴾: عبارة عن خروجه إِلى عقر الناقة بنشاط وحرص.

و﴿أَشْقَىٰهَا﴾: هو قُدار بن سالف، وهو أَحد التسعة الرهط المفسدين.

ويحتمل أَن يقع ﴿أَشْقَىٰهَا﴾ على جماعة حاولت العقر، ويروى: أَنه لم يفعل فعله بالناقة حتى مالأَه على ذلك جميع الحيِّ، فلذلك قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾؛ لكونهم متفقين على ذلك[٣].

و﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾: صالحٌ عليه السلام، وقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ نُصب بفعل مضمر تقديره: احفظوا، أَو ذَرُوا، أَو احْذروا، على معنى: احذروا الإِخلال بحق ذلك.

وقد تقدم أَمر الناقة والسُّقْيَا في غير هذه السورة بما أَغنى عن إِعادته، وقد تَقَدَّم

---

(١) في الأصل: «حماد بن سليمان»، وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٥١٥) للحسن.

(٢) موضوع، أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٤٧) من طريق الوليد بن سلمة الفلسطيني، عن يزيد بن سمرة، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس بنحوه، والوليد بن سلمة الطبراني الفلسطيني الأزدي أجمعوا على أنه كذاب، انظر الميزان (٤/ ٣٣٩).

(٣) الهداية لمكي (١٢/ ٨٣٠٢).

التكذيبُ على العقْر؛ لأَنه كان سبب العقْر، ويُروى أَنهم كانوا قد أَسلموا قبل ذلك وتابعوا صالحاً عليه السلام مدة ثم كذَّبوا وعقروا، والجمهور من المفسِّرين على أَنهم كانوا على كفرهم.

و(دَمْدَمَ) معناه: أَنزل العذاب مُقْلقاً لهم مُكرِّراً ذلك، وهي الدَّمْدَمة.

وفي بعض المصاحف (فَدَهْدَمَ)، وهي قراءة ابن الزبير بالهاءِ بين الدالين(١).

وفي بعضها: (فَدمَّر).

وفي مصحف ابن مسعود: (فَدَمْدمهَا عَلَيْهِمْ)(٢).

وقوله تعالى: ﴿بِذَنۢبِهِمۡ﴾ أَي: بسبب ذنبهم، وقوله تعالى: ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ معناه: فَسوَّى القبيلة في الهلاك، لم يُنْجِ منهم أَحداً.

وقرأَ نافع، وابن عامر، والأَعرج، وأَهل الحجاز، وأُبيُّ بن كعب: ﴿فَلَا يَخافُ﴾ بالفاءِ، وكذلك في مصاحف أَهل المدينة والشام.

وقرأَ الباقون: ﴿وَلَا يَخَافُ﴾ بالواو، وكذلك في مصاحفهم(٣).

وروي عن النبي ﷺ أَنه قرأَ: (ولمْ يَخَفْ عُقْباها)(٤).

والفاعل بـ ﴿يَخَافُ﴾ على من قرأَ: ﴿فلَا يخافُ﴾ بالفاءِ يحتمل أَن يكون الله تعالى، والمعنى: فلا دَرْكَ على الله تعالى في فعله بهم، ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وهذا قول ابن عباس والحسن، وفي هذا المعنى احتقار للقوم وتعْفِية لأَثرهم،

---

(١) وهي شاذة، عزاها له في تفسير الثعلبي (١٠/ ٢١٥)، وانظر مختصر الشواذ (ص: ١٧٤).

(٢) وهما شاذتان، لم أجد له فيهما سلفاً ولا خلفاً.

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٢٣)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٤٥).

(٤) ضعيف: أخرجه أبو حفص الدوري في جزء قراءات النبي ﷺ (١٣٠) من طريق سلم بن قتيبة، عن جويرية بن أسماء، عن بعض أشياخ أهل المدينة مرسلاً، وجويرية بن أسماء بن عبيد الضبعي من كبار التابعين لم يدرك أحداً من الصحابة، و«قرأ»: ساقطة من الأصل.

ويحتمل أَن يكون صالحاً عليه السلام، أَي: لا يخاف عقبى هذه الفعلة بهم؛ إِذ قد كان أَنذرهم وحذَّرهم.

ومن قرأَ: ﴿وَلَا يَخَافُ﴾ بالواو فيحتمل الوجهين اللَّذيْن ذكرنا، ويحتمل زائداً أَن يكون الفاعل بـ ﴿يَخَافُ﴾: أَشْقاها الْمُنْبعث، قاله الزجاج وأَبو عليٍّ[١]، وهو قول السُّدي والضحاك ومقاتل[٢].

وتكون الواو واوَ الحال، كأَنه تعالى قال: انبعث لعقرها وهو لا يخاف عُقْبى فعله؛ لِكُفْره وطغيانه، و«العُقْبى»: جزاءُ الشيءِ وخاتمته، وما يجيءُ من الأُمور بعَقِبه.

واختلف القراءُ في أَلِفَاتِ هذه السورة واللَّتين بعدها، ففتحها ابنُ كثير، وعاصم، وابن عامر.

وقرأَ الكسائي ذلك كلَّه بالإِضجاع، وقرأَ نافع ذلك كلَّه بين الفتح والإِمالة.

وقرأَ حمزة: ﴿وَضُحَىٰهَا﴾ مكسورة، و﴿تَلَىٰهَا﴾ و﴿طَحَىٰهَا﴾ مفتوحتين، وكسر سائر ذلك.

واختلف عن أَبي عمرو، فمرَّةً كسر الجميع، ومرَّةً كقراءة نافع[٣].

قال الزَّجاج: سمَّى الناسُ الإِمالة كسْراً [وليس بكسر صحيح، والخليل وأَبو عمرو يقولان: إِمالة][٤].

(١) انظر معاني القرآن للزجاج (٥/ ٣٣٣)، والحجة لأبي علي (٦/ ٤٢٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٦١)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٣٠٤)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢١٥).

(٣) حاصل ما في التيسير (ص: ٢٢٣): أن أبا عمرو قرأهن بين بين، والكسائي أمالهن كبرى، وكذا حمزة إلا ﴿تَلَىٰهَا﴾ و﴿طَحَىٰهَا﴾.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من نجيبويه، وانظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٣١).

سورة الليل

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾

وهي مكية في قول الجمهور، وقال المهدوي: وقيل: هي مدنية، وقيل: فيها مدني، وعددها عشرون آية بإجماع[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ۝١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ۝٢١﴾ / . [٥/ ٢٩٩]

أَقسم الله تعالى بالليل إِذا غشي الأَرض وجميع ما فيها، وبـ(النهار إِذا تجلَّى) أَي: ظهر وضوَّأَ الآفاق، ومنه قول الشاعر:

تجلَّى السُّرى مِنْ وجْهِهِ عَنْ صَفيحَةٍ ... عَلى السَّيْرِ مِشْرَاقٍ كريمٍ شُجُونُها[٢] [الطويل]

(١) انظر التحصيل للمهدوي (٦/ ١٢١)، وفي حاشية المطبوع: «هكذا في الأصول، وقال القرطبي: «وهي إحدى وعشرون آية بإجماع»، وهذا يوافق ما في المصحف الشريف».

(٢) لم أجده لغير المؤلف.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾: يحتمل أَن تكون (ما) بمعنى «الذي» كما قالت العرب: سبحان ما سبَّح الرعد بحمده، وقال أَبو عمرو: وأَهل مكة يقولون للرعد: سبحان ما سَبَّحْتَ له[١]، ويحتمل أَن تكون (ما) مصدرية، وهو مذهب الزجاج[٢].

وقرأَ جمهور الصحابة: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ﴾.

وقرأَ علي بن أَبي طالب، وابن عباس، وعبد الله ابن مسعود، وأَبو الدَّرْداءِ، وسمعها من النبي ﷺ[٣]، وعلقمة، وأَصحاب عبد الله: (والذَّكرَ والأُنْثَى)، وسقط عندهم: ﴿وَمَا خَلَقَ﴾[٤].

وذكر ثعلب أَن من السلف من قرأَ: (ومَا خَلَقَ الذَّكَرِ والأُنْثَى) بخفض (الذَّكرِ)[٥]، على البدل من (ما)، على أَن التقدير: وما خلق اللهُ.

وقراءة عليٍّ رضي الله عنه: (وَمِنْ ذَكَرٍ)[٦] تشهد لهذه.

وقال الحسن: المراد هنا بـ ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾: آدم وحواءُ عليهما السلام[٧].

وقال غيره: هو عام.

و«السَّعْيُ»: العمل، فأَخبر تعالى مقسماً أَن أَعمال العباد شتَّى، أَيْ: مفترقة جداً، بعضها في رضى الله تعالى، وبعضها في سَخطه.

ثم قسَّم تعالى الساعين، فذكر أَن ﴿مَنْ أَعْطَىٰ﴾: ـ وظاهر ذلك إِعطاءُ المال، وهي

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٨٥)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٤٦٧).
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٣٥).
(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٩٤٣)، ومسلم (٨٢٤) من حديث أبي الدرداء.
(٤) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٧٥).
(٥) وهي شاذة، نقلها الكرماني في الشواذ (ص: ٥١٥) عن الكسائي.
(٦) وهي شاذة، لم أجدها لغير المؤلف.
(٧) البحر المحيط (١٠/ ٤٩٢).

أَيضاً تتناول إِعطاءَ الحق في كل شيءٍ، قول أَو فعل، وكذلك البخل المذكور بعد ـ يكون بالإِيمان وغيره من الأَقوال التي حقُّ الشريعة أَلَّا يُبخل بها.

ويروى أَن هذه الآية نزلت في أَبي بكر الصديق رضي الله عنه[١]، وذلك أَنه كان يعتق ضعفة العبيد الذين أَسلموا، وكان ينفق في رضى رسول الله ﷺ مالَه، وكان الكفار بِضِدِّ ذلك، وهذا قول من قال إِن السورة كلُّها مكية.

قال عبد الله بن أَبي أَوفى: هذه السورة في أَبي بكر الصديق رضي الله عنه وأَبي سفيان ابن حرب[٢].

وقال مقاتل: مرَّ أَبو بكر رضي الله عنه على أَبي سفيان وهو يعذِّب بلالاً، فاشتراه منه[٣].

وقال السُّدي: نزلت هذه الآية بسبب أَبي الدَّحْداح الأَنصاري رضي الله عنه[٤]؛ وذلك أَن نخلة لبعض المنافقين كانت مُطلَّة على دار امرأَة من المسلمين لها أَيتام، فكان الثمر يسقط عليهم فيأْكلونه، فمنعهم المنافق من ذلك، واشتد عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «بِعْنِيها بنخلة في الجنة»، فقال: لا أَفعل، فبلغ ذلك أَبا الدحداح، فذهب إِليه واشترى

---

(١) أخرج الطبري (٢٤/ ٤٦٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٢٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/ ٦٩) من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: كان أبو بكر الصديق يعتق على الإسلام بمكة، فكان يعتق عجائزَ ونساءً إذا أسلمن، فقال له أبوه: أي بني، أراك تعتق أناساً ضعفاءَ، فلو أنك أعتقت رجالاً جُلداً يقومون معك ويمنعونك، ويدفعون عنك، فقال: أي أبت، إنما أريد، أظنه قال: ما عند الله، قال: فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية أنزلت فيه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾، وعند الحاكم عن عامر، عن أبيه.

(٢) لم أقف عليه من رواية ابن أبي أوفى، وإنما أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/ ٦٩-٧٠) من طريق الكلبي، عن ابن عباس فذكره، والكلبي متهم بالكذب.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) البحر المحيط (١٠/ ٤٩٢).

منه النخلة بحائط له، وجاءَ إِلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أَنا أَشتري النخلة التي في الجنة بهذه، ففعل ذلك رسول الله ﷺ، فكان رسول الله ﷺ يمرُّ على الحائط الذي أَعطى أَبو الدَّحداح، وقد تعلَّقت أَقْنَاؤُه ويقول: «وكم قِنْو تعلَّق لأَبي الدحداح في الجنة»[١].

وفي البخاري: أَن هذا اللفظ كان رسول الله ﷺ يقوله في الأَقْناءِ التي كان أَبو الدحداح يُعَلِّقها في المسجد صدقة[٢]، وهذا كله قول من يقول: بعض السورة مدني.

واختلف الناس في (الحسنى) ما هي في هذه السورة:

فقال أَبو عبد الرحمن السلمي وغيره: هي لا إِله إِلَّا الله[٣].

وقال ابن عباس[٤]، وعكرمة، وجماعة هي الخَلَفُ الذي وعد الله به[٥]، وذلك نصٌّ في حديث الملكيْن، إِذْ يقول أَحدهما: «اللهم أَعط منفقاً خَلَفاً، ويقول الآخر: اللهم أَعط ممسكاً تَلَفاً»[٦]، وقال مجاهد، والحسن، وجماعة: الحُسْنى: الجنة[٧].

وقال كثير من المتأولين: الحسنى: الأَجر والثواب مجملاً.

وقوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ معناه: سيظهر تيْسيرُنا إياه بما يتدرج فيه من أَعمال الخير.

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٢٢٠) من قول عطاء بن أبي رباح.

(٢) أصله في مسلم مختصراً (٩٦٥) من طريق شعبة، عن سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة، قال: صلى رسول الله ﷺ على ابن الدحداح: ثم أتي بفرس عُري فعقله رجل فركبه، فجعل يتوقَّص به، ونحن نتبعه، نسعى خلفه، قال: فقال رجل من القوم: إن النبي ﷺ قال: «كم من عِذْق معلق ـ أو مدلَّى ـ في الجنة لابن الدحداح». أو قال شعبة: «لأبي الدحداح».

(٣) الهداية لمكي (١٢/ ٨٣٠٩)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢١٧).

(٤) صحيح: أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٦٢)، وابن أبي حاتم كما في تغليق التعليق (٤/ ٣٧٠) من طريق صحيح عن عكرمة عنه.

(٥) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢١٧).

(٦) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) الهداية لمكي (١٢/ ٨٣٠٩)، وقول الحسن في تفسير البحر المحيط (٨/ ٣٦٣).

وحَتْم تَيْسيره قد كان في علم الله تعالى أَزلاً[١].

و(اليُسْرى): الحالُ الحسنة المرضية في الدنيا والآخرة.

و(العُسْرى): الحال السيئة في الدنيا والآخرة، ولا بُدَّ.

ومن جعل ﴿ بَخِلَ ﴾ في المال خاصةً جعل (استغنى) في المال أَيضاً لتعظم المذمَّةُ.

ومن جعل البخل عامّاً في جميع ما ينبغي أَن يبذل من قول وفعل قال: استغنى عن الله تعالى ورحمته بزعمه.

ثم وَقَف تعالى على موضع غَنَاءِ مالِهِ عنه وقت تَرَدِّيه، وهذا يدل على أَن الإِعطاءَ والبخل المذكورَيْن إِنما هما في المال.

واختلف الناس في معنى ﴿ تَرَدَّىٰٓ ﴾:

فقال قتادة وأَبو صالح: معناه: ﴿ تَرَدَّىٰٓ ﴾ في جهنم، أَي سقط من حافاتها.

وقال مجاهد: ﴿ تَرَدَّىٰٓ ﴾ معناه: هلك من الرَّدى[٢].

وقال قوم: معناه: ﴿ تَرَدَّىٰٓ ﴾ بأَكْفانه من الرداءِ، ومنه قول مالك بن الريب:

وخُطَّا بِأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ مضْجَعِي وَرُدَّا عَلَى عَيْنِيَّ فَضْلَ رِدائِيَا[٣] [الطويل]

ومنه قول الآخر:

نَصِيبُكَ مِمَّا تَجْمعُ الدَّهْـرَ كُلَّـهُ رِداءَانِ تُلْوى فِيهِما وَحَنُوطُ[٤] [الطويل]

---

(١) في الأصل: «أولًا».

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٤/ ٤٧٦)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢١٨)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢٨٩).

(٣) انظر جمهرة أشعار العرب (ص: ٦١٠)، والشعر والشعراء (١/ ٣٤٢)، والاختيارين (ص: ٦٢٤)، وأمالي القالي (١/ ١١٠).

(٤) تقدم في تفسير الآية (٧٦) من سورة القصص.

ثم أَخبر تعالى أَن عليه هدى الناس جميعاً، أَي: تعريفهم بالسبل كلها، ومنحهم الإِدراك، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩]، ثم كلُّ أَحد بعْدُ يتكسَّب ما قُدِّر له، وليست هذه الهداية بالإِرشاد إِلى الإِيمان، ولو كان ذلك لم يوجد كافر.

ثم أَخبر تعالى أَن له الآخرة والأُولى أَي الدارين.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾: إِمَّا مخاطبة منه، وإِمَّا على معنى: قُل لهم يا محمد.

وقرأَ جمهور السبعة: ﴿تَلَظَّىٰ﴾ بتخفيف التاءِ.

وقرأَ البزي عن ابن كثير بشدِّ التَّاءِ وإِدغام الراءِ فيها(١)، وقرأَها كذلك عُبَيْد بن عُمَيْر.

ورُوي عنه أَيضاً: (تَتَلَظَّى) بتاءَيْن، وكذلك قرأَ ابن الزبير وطلحة(٢).

قوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾، أَي: لا يَصْلَاها صُلِيَّ خلود، ومن هنا ضلَّت المرجئة؛ لأَنها أَخذت نفي الصُّليِّ مطلقاً في قليله وكثيره.

و﴿ٱلْأَشْقَى﴾ هنا: الكافر؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾.

والعرب تجعل أَفْعل في موضع فاعِل مبالغة، كما قال طرفة:

[الطويل] تَمَنَّى رِجالٌ أَنْ أَموتَ وإِنْ أَمُتْ فتِلْكَ سَبيلٌ لَسْت فِيهَا بأَوْحَدِ(٣)

ولم يختلف أَهل التأْويل أن المراد بـ﴿ٱلْأَتْقَى﴾ إِلى آخر السورة: أَبو بكر الصديق

[٥/ ٣٠٠] رضي الله عنه، ثم هي تتناول كل مَن دخل في هذه الصفات. /

وقوله تعالى: ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ معناه: يتطهَّر وَيَتَنَمَّى، وظاهر هذا الإِتيان أَنه في المندوبات.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٨٤).

(٢) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٧٢)، وإعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٥١).

(٣) تقدم في تفسير الآية (٢٦) من سورة الروم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ﴾ الآية، معناه: وليس إِعطاؤه لِيَجْزيَ نِعَماً قد أُنزلت إِليه، بل هو مبتدئ ابتغاءَ وجه الله تعالى.

ورُوي في سبب هذا: أَن قريشاً قالوا لمَّا أَعْتق أَبو بكر رضي الله عنه بلالاً: كانت لبلال يدٌ عنده(١).

وذهب الطبري إِلى أَن المعنى: وليس يُعطي لِيُثاب نِعماً يُجْزى بها يوماً وينتظر ثَوَابَها، وحوَّم في هذا المعنى وحلَّق بتطويل غير مُغْن(٢).

ويتَّجه المعنى الذي أَراد بأَيْسر من قوله، وذلك أَن يكون التقدير: وما لأَحد عنده إِعطاءٌ ليقع عليه من ذلك الأَحد جزاءٌ بَعْدُ، بل هو لمجرَّد ثواب الله تعالى وجزائه.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ﴾ نصب بالاستثناءِ المنقطع، وفيه نظر، و«الابتغاءُ»: الطلب.

ثم وعده تعالى بالرِّضا في الآخرة، وهذه عِدَةٌ لأَبي بكر رضي الله عنه.

وقرئ: (يُرْضَى) بضم الياءِ على بناءِ الفعل للمفعول(٣).

وهذه الآية تشبه الرِّضا في قوله تعالى: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٨].

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٧٩-٤٨٠) من طريق معمر، عن سعيد بن جبير.
(٢) انظر تفسير الطبري (٢٤/ ٤٧٨-٤٧٩).
(٣) وهي شاذة، حكاها في البحر المحيط (١٠/ ٤٩٤)، بلا نسبة.

سُورَةُ الضُّحَىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سُورة ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾

وهي مكية، لا خلاف في ذلك بين الرواة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾.

تقدم تفسير «الضُّحَى» بأنه سطوع الضوءِ وعِظمُه.

وقال قتادة: (الضحى) هنا: النهارُ كلُّه[1].

و﴿سَجَىٰ﴾ معناه: سكن واستقر ليلاً تامّاً، وقال بعض المفسرين: ﴿سَجَىٰ﴾ معناه: أَقبل.

وقال آخرون: معناه: أَدبر، والأَول أَصحُّ، ومنه قول الشاعر:

يا حبَّذا الْقَمْـراءُ واللَّيْلُ السَّـاجْ ... وَطُـرُقٌ مِثْـلُ مُـلاءِ النَّسَّـاجْ[2] [الرجز]

---

(١) لفظه في تفسير الطبري (٢٤/ ٤٨٢) عن قتادة: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾: ساعة من ساعات النهار، وانظر ما تقدم في الشمس.

(٢) بلا نسبة في العين (٦/ ١٦١)، والأزمنة وتلبية الجاهلية (ص: ١٨)، والكامل للمبرد (١/ ٢٢٦)،=

ويقال: بحر ساج أَي: ساكن، ومنه قول الأَعشى:

[الطويل] وما ذَنْبُنا أَنْ جـاش بَحْرُ ابْنِ عَمِّكُمْ وَبحْرُكَ ساجٍ لَا يُواري الدَّعامِصَا[١]

وطرْفٌ ساج: إِذا كان ساكناً غير مضطرب النظر.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَدَّعَكَ﴾ بشد الدَّال، من التوديع.

وقرأَ عروة بن الزبير وابنه هشام: (وَدَعَك) بتخفيف الدال[٢]، بمعنى: تركك.

و﴿قَلَىٰ﴾ معناه: أَبغض.

واختلف في سبب هذه الآية:

فقال ابن عباس وغيرُه: أَبطأَ الوحيُ مَرةً عن رسول الله ﷺ وهو بمكة مدة ـ اختلفت في حدها الروايات ـ حتى شقَّ ذلك عليه، فجاءت امرأَة من الكفار ـ وهي أُمُّ جميل امرأَة أَبي لهب ـ فقالت: يا محمد، ما أَرى شيطانك إِلَّا قد تركك، فنزلت الآية بسبب ذلك[٣].

وقال ابن وهب عن رجاله، عن عروة بن الزبير أَن خديجة رضي الله عنها قالت: ما أَرى الله إِلَّا قد خلاك؛ لإِفراط جزعك لِبُطءِ الوحي عنك، فنزلت الآية بسبب ذلك[٤].

= ونسبه في مجاز القرآن (٢/ ٣٠٢) للحادي، غير مسمى، وفي الطبعة العلمية ولسان العرب (١٤/ ٣٧١): أنه للحارثي، ولعلها تصحيف منها.

(١) البيت للأعشى كما في تفسير الطبري (٢٤/ ٤٨٤)، وجمهرة اللغة (٢/ ١١٤٨)، وديوان المعاني (١/ ١٧٢).

(٢) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٦٤).

(٣) صحيح: أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٨٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس بنحوه، والخبر أصله في الصحيحين: البخاري (١١٢٤)، ومسلم (١٧٩٧) من حديث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

(٤) صحيح مرسل: أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣١٧٦٤) عن وكيع، والطبري (٢٤/ ٤٨٧) من طريق وكيع، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٦٧) من طريق يونس بن بكير كلاهما (وكيع ويونس) =

وقال زيد بن أَسلم: إِنما احتبس عنه جبريل؛ لِجرْو كلب كان في بيته[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ يحتمل أَن يريد الدارين: الدنيا والآخرة، وهذا تأْويل ابن إِسحاق وغيره[٢].

ويحتمل أَن يريد حاليْه في الدنيا قبل نزول السورة وبعدها، فوعده الله تعالى ـ على هذا التأْويل ـ بالنصر والظهور.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾، قال جمهور الناس: ذلك في الآخرة.

وقال بعض أَهل البيت: هذه أَرْجى آية في القرآن[٣]؛ لأَن رسول الله ﷺ لا يرضى وأحد من أُمته في النار.

[وروي عنه ﷺ لمَّا نزلت قال: «إِذَنْ لا أرضى واحداً من أمتي في النار»][٤].

وقال ابن عباس: رضاهُ أَلَّا يدخل أَحد من أَهل بيته النار[٥].

وقال ابن عباس أَيضاً: رضاه أَن الله تعالى وعده بأَلف قصر في الجنة بما تحتاج إِليه من النعم والخدم[٦].

= عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن خديجة به بنحوه، وأخرجه الطبري (٢٤/ ٤٨٦) من طريق عبد الواحد بن زياد، عن سليمان الشيباني، عن عبد الله بن شداد: أن خديجة.... فذكره بنحوه.

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٢٢).

(٢) سيرة ابن إسحاق (٢/ ١١٥-١١٦).

(٣) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٢٤).

(٤) ساقط من المطبوع، وأورده الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٢٢٥) معلقاً بصيغة التمريض.

(٥) ضعيف جداً: أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٨٨) من طريق الحكم بن ظهير، عن السدي، عن ابن عباس رضي الله عنه به. والحكم بن ظهير الفزاري متروك، وأخرجه البيهقي في الشعب (١٣٧٤) من طريق شريك بن عبد الله النخعي، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: رضاه أن تدخل أمته كلهم الجنة.

(٦) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٨٧)، والطبراني في الكبير (١٠٦٥٠)، وفي الأوسط (٣٢٠٩)، من طريق =

وقال بعض العلماءِ: رضاه في الدنيا بفتح مكة وغيره.

وفي مصحف ابن مسعود: (ولَسَيُعْطِيكَ ربك فترضى)[١].

ثم وقفه تعالى على المراتب التي درجه فيها بإنعامه عليه فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾، والمعنى: أَلم يجدك تحفِّي الله وإِنْعامُهُ، ويُتْمُهُ: كان فقد أَبيه وكونه في كنف عمِّه أَبي طالب، وقيل لجعفر بن محمد الصادق: لِمَ يُتِّم النبي ﷺ من أَبويه؟ قال: لِئلَّا يكون عليه حقٌّ لمخلوق[٢].

وقرأَ الأَشهب العقيلي: (فأَوَى) بالقصر[٣] بمعنى: رحم، يقال: أَويْتُ لفلان، أَي رحمتُه.

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ أَي: وجده إِنْعامُه بالنُّبوة والرِّسالة على غير الطريق التي هو عليها في نبوته، فهدَى، وهذا قول الحسن والضحاك وفرقة[٤].

= عمرو بن هاشم البيروتي، عن الأوزاعي، عن إسماعيل بن عبيد المخزومي، عن علي بن عبد الله بن العباس، عن أبيه قال: عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده، كَفْراً كَفْراً، فُسرَّ بذلك، فأنزل الله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ فأعطاه في الجنة ألف قصر، في كل قصر ما ينبغي من الأزواج والخدم، قال أبو حاتم في العلل (٥/ ١٩): هذا غلط؛ إنما هو: عن علي بن عبد الله؛ قال: عرض على رسول الله ﷺ. بلا «أبيه»؛ وهذا مما أنكر على عمرو بن هاشم، وأخرجه ابن أبي حاتم كما في العلل (٥/ ١٩-٢٠) عن أبي زرعة، قال: حدثنا عمرو بن هاشم البيروتي بمكة، عن الأوزاعي، عن إسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر المخزومي، عن علي بن عبد الله بن عباس؛ قال: عرض على رسول الله ﷺ. ليس فيه: «عن أبيه»، قال ابن أبي حاتم: فأحسب أنه سمع أبو زرعة من عمرو ابن هاشم بمكة على الصحة، ثم لعله لقن بعد ذلك: «عن أبيه»، فتلقن، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٩٨٠) عن رواد بن الجراح، والطبري (٢٤/ ٤٨٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٧٣) من طريق رواد بن الجراح، عن الأوزاعي، عن إسماعيل بن أبي المهاجر، عن علي بن عبد الله بن عباس موقوفاً، وفي رواية الحاكم على الرفع، ورواد بن الجراح ضعيف، والرواية المرسلة هي التي صححها أبو حاتم، وانظر العلل.

(١) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٧٤).

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٢٥).

(٣) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (١٠/ ٤٩٧).

(٤) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٢٦).

و«الضَّلال» مختلِف: فمنه البعيد ومنه القريب، فالبعيد: ضلال الكفار الذين يعبدون الأَصنام، ويحتجُّون لذلك ويغتبطون به، وكان هذا الضلال الذي ذكره الله تعالى لنبيِّه ﷺ أَقرب ضلال، وهو الكون واقفاً لا يُميِّزُ الْمَهْيعَ، لا أَنه تمسَّك بطريق آخر، بل كان يرتاد وينظر.

وقال السُّدِّي: أَقام على أَمر قومه أَربعين سنة[١].

وقيل: معنى ﴿ضَآلًّا﴾: تُنْسب إِلى الضلال.

وقال الكلبي: وجدك في قوم ضُلَّال، فكأَنك واحد منهم[٢].

قال القاضي أَبو محمد: ورسول الله ﷺ لم يعبد صنماً قط، ولكنه أَكل ذبائحهم حسب حديث زيد بن عمرو في أَسفل بَلْدَح[٣]، وجرى على يسير من أَمرهم، وهو مع ذلك ينظر خطأَ ما هم فيه، ودفع من عرفات، وخالفهم في أَشياءَ كثيرة[٤].

وقال ابن عباس: هو ضلاله وهو صغير في شعاب مكة، ثم ردَّه الله تعالى إِلى جدِّه عبد المطلب[٥] / . [٥/ ٣٠١]

وقيل: هو ضلاله من حليمة مرضعته.

وقال الترمذي، وعبد العزيز بن يحيى: ﴿ضَآلًّا﴾ معناه: خامِل الذِّكر لا يعرفك الناس، فهداهم إِليك ربُّك[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٨٨)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٢٦).

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٢٦).

(٣) هو وادٍ قِبَل مكَّة من جهة الغرب، وفيه المثل: لكن على بَلْدَحَ قومٌ عَجْفَى، وانظر معالم مكة لعاتق البلادي (ص: ١٤).

(٤) «كثيرة» زيادة من نجيبويه والأصل ونور العثمانية.

(٥) أورده الثعلبي (١٠/ ٢٢٦) من رواية أبي الضحى، عن ابن عباس قال: إن رسول الله ﷺ ضل وهو صبي صغير في شعاب مكّة، فرآه أبو جهل منصرفاً من أغنامه، فردّه إلى جدّه عبد المطلب، فمنّ الله سبحانه عليه بذلك، حين ردّه إلى جدّه على يدي عدوّه.

(٦) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٢٨)، والترمذي: هو الحكيم صاحب نوادر الأصول، وعبد العزيز تقدم في البروج.

والصوابُ: أَنَّه ضلالُ مَنْ توقَّف لا يدري؛ كما قال عز وجل: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال ثعلب: [قال أهل السنة]: هو تزويجه ﷺ بنته في الجاهلية[١]، ونحوه.

و«العائِلُ»: الفقير، وقرأ اليمانيُّ: (عَيِّلاً) بشدِّ الياءِ المكسورة[٢]، ومنه قول الشاعر:

[الوافر] ومـا يـدْري الْـفَقيرُ مَتَـى غِنـاهُ وما يـدْري الغَنِـيُّ مَتـى يَعيلُ[٣]

وأَعال: كثُر عياله، وعَال: افتقر، ومنه قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ [التوبة: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿فَأَغْنَىٰ﴾، قال مقاتل: معناه: رَضَّاك بما أَعطاك من الرزق[٤].

وقيل: فقيراً إِليه فأَغناك به.

والجمهور على أَنه فقر المال وغناه، والمعنى في النبي ﷺ أَنه أُغنِيَ بالقناعة والصبر، وقد حُبِّبا إِليه.

وقيل: أُغني بالكفاف؛ لتصرفه في مال خديجة رضي الله عنها، ولم يكن النبي ﷺ قطُّ كثير المال، رفعه الله عن ذلك، وقال: «ليس الغِنَى عن كثرة العرَض، ولكن الغِنى غِنى النفس»[٥].

وكما عدَّد الله تعالى عليه هذه النِّعم الثلاث، وصَّاه بثلاث وصايا، في كل نعمة وصيَّةٌ مناسبة لها: فبإِزاءِ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾. وبإِزاءِ قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾،

---

(١) لم أقف عليه، و«قال أهل السنة» ساقط من المطبوع وأحمد٣.
(٢) وهي شاذة، عزاها له في مختصر الشواذ (ص: ١٧٥).
(٣) تقدم في تفسير الآية (٢٩) من سورة التوبة.
(٤) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٢٩).
(٥) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

هذا على قول من قال: إِن السائِلَ هنا: هو السائل عن العلم والدين، وليس بسائل المال، وهو قول الحسن وأَبي الدَّرْدَاءِ وغيرهما[١].

وبإِزاءِ قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

وأَما من قال: إِن السائل سائلُ المال المحتاج، وهو قول الفراءِ عن جماعة[٢]، جعلها[٣] بإِزاءِ قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾، وجعلَ قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ بإِزاءِ قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾.

وقال إِبراهيم بن أَدهم: نعم القوم السُّؤَّال، يحملون زادنا إِلى الآخرة[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾ معناه: رُدَّ ردّاً جميلاً، إِمَّا بعطاءٍ، أَو بقول حسن.

وفي مصحف ابن مسعود: (ووَجَدَكَ عَديماً فَأَغْنى)[٥].

وقرأَ ابن مسعود، والشعبي، وإِبراهيم التيمي: (فأَمَّا الْيَتِيم فَلَا تَكْهَرْ) بالكاف[٦].

قال الأَخفش: وهي بمعنى القَهر، ومنه قول الأَعرابي: وقاكم الله سَطْوة القادر[٧] وملكة الكاهر[٨].

وقال أَبو حاتم: لا أَظنُّها بمعنى القهر[٩]؛ لأَنه قد قال الأَعرابي الذي بال في المسجد: فما كهرني النبي ﷺ[١٠]، فإِنما هي بمعنى الانتهار.

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٣٠)، وقول أبي الدرداء لم أقف عليه.
(٢) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٧٥).
(٣) في المطبوع: «فقد جعلها»، وفي الأصل هنا زيادة: «ومعنى ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾»، وهو خطأ.
(٤) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٣٠).
(٥) وهي شاذة، انظرها في تفسير الطبري (٢٤/ ٤٨٨)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٣٢٧).
(٦) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٧٥).
(٧) في نجيبويه: «القاهر».
(٨) لم أجده.
(٩) لم أقف عليه.
(١٠) هذا حديث معاوية بن الحكم السلمي الذي أخرجه مسلم (٥٣٧) عنه أنه قال: بينا أنا أصلي مع=

وأَمره الله تعالى بالتحدث بنعمته:

فقال مجاهد، والكلبي: معناه: بُثَّ القرآنَ وبلِّغْ ما أُرسلتَ به[١].

وقال آخرون: بل هو عموم في جميع النِّعم، وكان بعض الصَّالحين يقول: لقد أَعطاني الله كذا وكذا، ولقد صليت البارحة كذا وكذا، وذكرت الله تعالى كذا، فقيل له: إِن مثلك لا يقول هذا، فقال: إِن الله تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ وأَنتم تقولون لا تُحدِّث[٢].

وقال النبي ﷺ: «التَّحَدُّثُ بالنِّعم شكرٌ»[٣].

ومنه قول النبي ﷺ: «من أُسْدِيَتْ إِليه نعمة فذكرها فقد شكرها، ومن سترها فقد كفرها»[٤].

ونصب ﴿ٱلۡيَتِيمَ﴾ بـ ﴿تَقۡهَرۡ﴾، والتقدير: مهما يكن من شيءٍ؛ فلا تقهر اليتيمَ.

= رسول الله ﷺ، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمِّياه، ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمِّتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ ـ فبأبي هو وأمي ـ ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، إلخ. وليس حديث الأعرابي الذي بال في المسجد.

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٣١).

(٢) حلية الأولياء (٢/ ٢٥٧).

(٣) ضعيف جداً: أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر (٦٤)، ومن طريقه القضاعي في مسنده (٤٤)، والبيهقي في الشعب (٤١٠٥) عن عمر بن إسماعيل الهمداني، ثنا إسحاق بن عيسى، عن أبي عبدالرحمن الشامي، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: «التحدث بالنعم شكر، وتركها كفر، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، والجماعة بركة، والفرقة عذاب». وعمر بن إسماعيل بن مجالد الهمداني متروك.

(٤) حسن: أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢١٥)، وعبد بن حميد في مسنده (١١٤٧)، وأبو داود (٤٨١٣)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٣٠٢) من طريق شرحبيل مولى الأنصار، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعطي عطاء فوجد فليجز به، فإن لم يجد فليثن به، فمن أثنى به فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره»، وأخرجه الترمذي (٢٠٣٤) في البر والصلة: باب المتشبع بما لم يعط، من طريق عمارة بن غزية، عن أبي الزبير، عن جابر.

سورة الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾

وهي مكية بإِجماع من المفسرين، لا خلاف بينهم في ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب (٨)﴾.

عدَّد الله تعالى على نبيِّه ﷺ نعمه عليه: في أَن شرح صدره للنُّبُوَّة وهيَّأَه لها، وذهب الجمهور إِلى أَن «شَرْح الصدر» المذكور هو: تنويره بالحكمة وتوسيعه لتلقِّي ما يُوحَى إِليه.

وقال ابن عباس، وجماعة: هذه إِشارة إِلى شرحه بشق جبريل عليه السلام عنه في وقت صغره، وفي وقت الإِسراءِ[1]؛ إِذ التشريح شقُّ اللحم.

وقرأَ أَبو جعفر المنصور: (أَلم نَشْرَحَ) بنصب الحاءِ[2]، على نحو قول الشاعر:

اصْـرِفَ عنْـك الْهُـمـوم طارِقها ضرْبَك بالسَّـوْط قَوْنَـسَ الْفَرَسِ[3] [المنسرح]

---

(١) لم أَقف عليه.

(٢) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥١٧).

(٣) البيت لطرفة كما في الصحاح للجوهري (٣/ ٩٦٧)، وتفسير الزمخشري (٤/ ٢٣٧)، وفي نجيبويه: «اصرف»، وفي المطبوع: «السيف».

ومثله مما في نوادر أَبي زيد:

[الرجز] مِنْ أَيِّ يوْمَيَّ منَ الْموْتِ أَفِرْ   أَيـوْمَ لمْ يُقْدَرَ أَم يوْم قُـدِرْ[1]

كأَنه تعالى قال: أَلَم نشرحَنْ، ثم أَبدل من النون أَلفاً، ثم حذفها تخفيفاً، وهي قراءة مردودة.

و«الْوِزْرُ» الذي وضعه الله تعالى عنه: هو عند بعض المتأَولين: الثقل الذي كان على رسول الله ﷺ، وحيرته قبل المبعث؛ إِذ كان يرى سوءَ ما قريش فيه من عبادة الأَصنام، وكان لم يتَّجه له من الله أَمر واضح، فوضع الله تعالى عنه ذلك الثِّقل بنبوته وإِرساله.

وقال أَبو عبيدة وغيره: المعنى: خفَّفنا عليك أَثقال النُّبوة، وأَعنَّاك على الناس[2].

وقال قتادة، وابن زيد، والحسن، وجمهور من المفسرين: الوزْرُ هنا: الذنوب[3]، وأَصله الثقل، فشبهت الذنوب به، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

وكان رسول الله ﷺ في الجاهلية قبل النُّبوة وِزْرُهُ صُحبة قومه، وأَكلُه من ذبائحهم، ونحو هذا، وقاله الضحاك[4].

وفي كتاب النقاش: حضوره مع قومه المشاهد التي لا يحبها الله تعالى[5].

قال القاضي أَبو محمد: وهذه كلُّها جرَّها[6] المنشأُ، كشهوده حرب الفِجَار، يُنَبِّلُ

---

(١) نوادر أبي زيد (ص: ١٣)، وهو للحارث بن نمر التنوخي، كما في أنساب الأشراف (١/ ١٢)، وفي الأصل: «لا يقدر».

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٣٢).

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٩٤)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٣٢)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٣٢١).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٩٤)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٣٢).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) في الأصل: «ضمها».

على أَعمامه وقلبه في ذلك كله منيب إِلى الصواب، وأَما عبادة الأَصنام فلم يتلبَّس بها قط.

وقرأَ أَنس بن مالك: (وحَطَطْنا عنك وِزْرَك).

وفي حرف ابن مسعود / : (وَحَلَلْنَا عَنْكَ وِقْرَكَ). [٥/ ٣٠٢]

وفي حرف أُبيٍّ: (وَحططْنا عَنْكَ وِقْرك)[١].

وذكر أَبو عمرو أَن النبي ﷺ صوَّبَ جميعها[٢].

وقال المحاسبي: إِنما وصفت ذنوب الأَنبياءِ عليهم السلام بالثقل ـ وهي صغائر مغفورة ـ؛ لهَمِّهِمْ بها وتحسُّرهم عليها[٣].

و﴿أَنقَضَ﴾ معناه: جعله نقْضاً، أَي: هزيلاً معيباً[٤] من الثقل، وقيل: معناه: أَسمع له نقيضاً: وهو الصوت، وهو مثل نقيض السُّفن، وكلُّ ما حمَّلْته ثقلاً فإِنه يُنْتقضُ تحته.

وقال عباس بن مرداس:

وَأَنْقَضَ ظهْري ما تطوَّقْتُ منْهُمُ ... وَكُنْتُ عليْهِمْ مُشْفِقاً مُتَحَنِّنَا[٥] [الطويل]

وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ معناه: نَوَّهنا باسمك، وذهبنا به كل مذهب في الأرض، وهذا ورسول الله بمكة.

وقال أَبو سعيد الخدري، والحسن، ومجاهد، وقتادة: معنى قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، أَي: قرنَّا اسمك باسمنا في الأَذان والخُطب[٦].

---

(١) وهما شاذتان، والأولى في تفسير الزمخشري (٤/ ٧٧٠): (وحللنا عنك وقرك)، والثانية في المحتسب (٢/ ٣٦٧)، من رواية أبان عن أنس: (وحططنا عنك وزرك)، وانظر مختصر الشواذ (ص: ١٧٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٥١٧).

(٢) لم أجده.

(٣) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٠٦).

(٤) وفي المطبوع: «معيباً».

(٥) انظر عزوه له في البحر المحيط (١٠/ ٥٠٠)، والدر المصون (١١/ ٤٥).

(٦) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٩٤) وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٣٣)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٣٣٣-٨٣٣٤).

وروي في هذا حديث: «إِن الله تعالى قال: إِذا ذُكِرتُ ذُكِرْتَ معي»[١].

وهذا مُتَّجه، إِلَّا أَن الآية نزلت بمكة قديماً والأَذان شرع بالمدينة، ورَفْعُ الذكر نعمة على الرسول ﷺ، وكذلك هو جميل حَسَن للقائمين بأُمور الناس، وخمولُ الذكر والاسم حسَن للمنفردين للعبادة، وقد جعل الله تعالى النِّعم أَقساماً بحسب ما يصلح لشخص شخص.

وفي الحديث: «إِن الله تعالى يوقف عبداً يوم القيامة فيقول: أَلم أَفعل بك كذا وكذا ـ يُعَدِّدُ عليه نِعمه، ويقول في جملتها: أَلَمْ أُخمل ذكرك في الناس»[٢]، والمعنى في هذا التعديد الذي على النبي ﷺ: أَي: يا محمد، فقد فعلنا[٣] جميع هذا فلا تكترث بأَذى قريش، فإِن الذي فعل بك هذه النعم سيُظْفِرك بهم ويَنْصرك عليهم.

ثم قوَّى تعالى رجاءَه بقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾، أَي: مع ما تراه من الأَذى فرج يأتيك.

وكرر الله تعالى ذلك مبالغة وتبييناً[٤] للخير:

فقال بعض الناس: المعنى: (إِن مع العُسْر يسراً): في الدنيا، و﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾: في الآخرة.

وذهب كثير من العلماءِ إِلى أَن مع كل عُسْر يُسْرَيْن بهذه الآية، من حيث ﴿ٱلْعُسْرِ﴾ مُعرَّف للعهد، و«اليُسْر» منكَّر، فالأَول غير الثاني.

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو يعلى (١٣٨٠)، والطبري (٢٤/ ٤٩٤)، وابن حبان (٣٣٨٢) وغيرهم من طريق دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري به، وهذا ضعيف؛ لضعف دراج ـ وهو ابن سمعان أبو السمح ـ في روايته عن أبي الهيثم وهو: سليمان بن عمرو العتواري.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في المطبوع: «جعلنا».

(٤) في نجيبويه ونور العثمانية: «وتثبيتاً».

وقد رُوي في هذا التأويل حديث عن النبيّ ﷺ أنه قال: «لن يغلب عُسْرٌ يُسرين»[١].

وأَمَّا قول عمر به، فنص في الموطأ في رسالته إِلى أَبي عبيدة بن الجراح[٢].

وقرأَ عيسى، ويحيى بن وثاب، وأَبو جعفر: ﴿العُسُر﴾، و﴿اليُسُر﴾ بضمتين[٣].

وقرأَ ابن مسعود: (إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً) واحدةً غير مكررة[٤].

ثم أَمر نبيَّه ﷺ إِذا فرغ من شغل من أَشغال النُّبوة والعبادة أَن يَنْصب في آخر.

و«النصب»: التَّعب، فالمعنى أَن يدأَب على ما أُمِرَ به ولا يفتر.

وقال ابن عباس: المعنى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾: من فرضك، ﴿فَٱنصَبْ﴾ في التَّنَفُّل عبادةً لربك[٥].

---

(١) مرسل: أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٩٥) من طريق يونس، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٨٠) عن معمر، وابن جرير أيضاً (٤٩٦) من طريق معمر، كلاهما يونس ومعمر عن الحسن البصري مرسلاً، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٢٨)، ومن طريقه البيهقي في الشعب (١٠٠١٣) من طريق معمر، عن أيوب، عن الحسن مرسلاً، ورواية معمر عن أيوب مضطربة، وأخرجه ابن جرير أيضاً (٢٤/ ٤٩٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة مرسلاً.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١٦٢١) عن زيد بن أسلم قال: كتب أبو عبيدة بن الجراح، إلى عمر ابن الخطاب، يذكر له جموعاً من الروم، وما يتخوف منهم. فكتب إليه عمر: أما بعد، فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزل شدة، يجعل الله له بعده فرجاً، وإنه لن يغلب عسر يسرين، وأن الله يقول في كتابه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. وأخرجه ابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة (٣١)، ومن طريقه البيهقي في الشعب (٩٥٣٨) من طريق عبد الله بن زيد ابن أسلم، عن أبيه، عن أسلم فذكره. وأخرجه الحاكم (٢/ ٣٢٩) هشام ابن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه بلغه أن أبا عبيدة حصر بالشام، وقد تألب عليه القوم، فكتب إليه عمر، فذكره.

(٣) وهي عشرية، انظر النشر (٢/ ٢١٥).

(٤) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٧٥).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٩٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: فإذا فرغت مما فرض الله عليك من الصلاة فسل الله، وارغب إليه، وانصب له.

وقال ابن مسعود: فانصب في قيام الليل[١].

وعن مجاهد: فإِذا فرغتَ من شغل دنياك، فانصب في عبادة ربك[٢].

وقيل: المعنى: فإذا فرغْت من الركعات، فاجلس في التشهد، وانْصب في الدعاءِ.

وقال ابن عباس[٣]، وقتادة: معنى الكلام: فإذا فرغت من العبادة، فانصب [في الدعاءِ.

وقال الحسن بن أَبي الحسن: فإِذا فرغتَ من الجهاد، فانصب][٤] في العبادة.

ويعترض هذا التأويلَ أَن الجهاد فُرض بالمدينة.

وقرأَ أَبو السَّمَّال: (فرِغْت) بكسر الراءِ[٥]، وهي لغة.

وقرأَ قومٌ: (فانْصَبَّ) بشدِّ الباءِ وفتحها[٦]، ومعناها: إِذا فرغت من الجهاد فانصبَّ إِلى المدينة، ذكرها النقَّاش منبِّهاً على أَنها خطأٌ.

وقرأَ آخرون من الإِمامية: (فَانْصِبْ) بكسر الصاد[٧]، بمعنى إِذا فرغت من أَمر النُّبوة فانْصِب خليفة، وهي قراءة شاذة ضعيفة المعنى لم تثبت عن عالم.

---

(١) أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١٥/ ٥٠٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٩٧)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٣٣٧)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٣٦)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢٩٩).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٩٧)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٥٦) من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٤) ساقط من الأصل، وانظر قول قتادة والحسن في تفسير الطبري (٢٤/ ٤٩٦)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٣٦)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٣٣٦)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٧٧٣)، وانظر تفسير الماوردي (٦/ ٢٩٩).

(٥) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥١٧).

(٦) وهي شاذة، عزاها ابن العربي في أحكام القرآن (٤/ ٤١٣) لبعض الجهال، ويحتمل في مختصر الشواذ (ص: ١٧٥) عزوها لجعفر بن محمد.

(٧) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٥١٧) لزيد بن علي.

ومرَّ شريحٌ على رجلين يصطرعان فقال: ليس بهذا أَمر الفراغ، وتلا هذه الآية[١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾: أَمْرٌ بالتوكل على الله عزَّ وجلَّ، وصَرْف وجه الرغبات إِليه لا إِلى سواه.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (فَرَغِّب) بفتح الراءِ وشدِّ الغين مكسورة[٢].

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٣٦)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٢٧٦).

(٢) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥١٧)، وفي المطبوع: «وشد العين».

سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة التين

وهي مكيَّة، لا أَعرف في ذلك خلافاً بين المفسرين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾.

اختلف الناس في معنى (التِّينِ والزَّيتُونِ) اللذين أَقسم الله تعالى بهما:

فقال ابن عباس(١)، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وإِبراهيم، وعطاءٌ، وجابر بن زيد، ومقاتل: هو التِّين الذي يؤكل والزيتون الذي يعتصر(٢).

وأَكل النبي ﷺ مع أَصحابه رضي الله عنهم تيناً أُهدي إِليه فقال: «لو قلتُ: إِن

---

(١) حسن: أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٧٦) من طريق آدم بن أبي إياس، ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنه، في قوله عز وجل: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ قال: الفاكهة التي يأكلها الناس، وأخرجه ابن أبي حاتم كما في فتح الباري (٨/ ٧١٣) من طريق عكرمة، عن ابن عباس به.

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٠١)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٣٨)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٣٣٩).

فاكهة نزلت من الجنة؛ قلتُ: هذه؛ لأَن فاكهة الجنة بلا عَجَم، فكلوا فإِنه يقطع البواسير، وينفع من النقرس»[١].

وقال ﷺ: «نعم السِّوَاك سواك الزيتون ومن الشَّجرة المباركة، هي سواكي وسواك الأَنبياءِ قبلي»[٢].

وقال كعب وعكرمة: القسم بمنابتهما[٣]، وذلك أَن التِّين ينبت كثيراً بدمشق، والزيتون ينبت بإِيلياءَ، فأَقسم الله تعالى بالأَرضَيْن.

وقال قتادة: هما جبلان بالشام، على أَحدهما دمشق، وعلى الآخر بيت المقدس[٤].

وقال ابن زيد: [(التين): مسجد دمشق، و(الزيتون): مسجد إيلياء.

وقال ابن عباس وغيره][٥]: التِّين: مسجد نوح عليه السلام على الجودي، والزيتون: مسجد بيت المقدس[٦].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الطب النبوي (٤٦٧-٩٠٤)، والثعلبي في تفسيره (١٠/ ٢٣٨) من طريق الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي ذر مرفوعاً، وفي رواية الثعلبي، عن يحيى بن أبي كثير، حدثني الثقة، عن أبي ذر، وأخرجه أبو نعيم أيضاً (٤٦٨) من طريق يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وقال الحافظ: في إسناده من لا يعرف، وقد أورده ابن القيم في زاد المعاد (٤/ ٢٦٩) وقال: وَفِي ثُبُوتِ هَذَا نَظَرٌ، وانظر الضعيفة (١٦٥).

(٢) موضوع: أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٧٨)، وأبو نعيم في الطب النبوي (٦٨٦) من طريق معلل ابن نفيل، عن محمد بن محصن، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن عبد الله الديلمي، عن عبد الرحمن ابن غنم، عن معاذ بن جبل مرفوعاً بنحوه، ومحمد بن محصن العكاشي هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم ابن محمد بن عكاشة بن محصن العكاشي الأسدي كذاب.

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٠٣)، وانظر تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٢٩).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٠٢)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٣٤٠)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٣٢١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٤٢٨).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من المطبوع.

(٦) أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٠٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه، وقول ابن زيد لم أقف عليه.

وقيل: التِّين: مسجد نوح، والزيتون: مسجد إِبراهيم عليهما السلام.

وقيل: التِّين والزيتون وطور سينين: ثلاثة مساجد بالشام. / [٥/ ٣٠٣]

وقال محمد بن كعب القرظي: التِّين: مسجد أَصحاب الكهف، والزيتون: مسجد إِيلياءَ[1].

وأَما (طور سينين): فلم يُختلف أَنه جبل بالشام، كلَّم الله تعالى عليه موسى عليه السلام، [ومنه نودي، وفيه مسجد موسى فهو الطور][2].

واختلف في معنى ﴿سِينِينَ﴾:

فقال عكرمة، ومجاهد: معناه: حَسَنٌ مبارك، وقيل: معناه: ذو الشجر.

وقرأَ الجمهور بكسر السين: ﴿سِينِينَ﴾.

وقرأَ ابن إِسحاق، وأَبو رجاءٍ: (سَيْنِينَ) بفتح السِّين[3]، وهي لغة بكر وتميم.

وقرأَ عمر بن الخطاب، وطلحة، والحسن وابن مسعود: (سِيناء) بسين مكسورة وأَلِفٍ.

وقرأَ أَيضاً عُمر رضي الله عنه: (سَيناء) بفتحها[4].

و﴿ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾: مكَّةُ بلا خلاف.

وقيل: معنى ﴿سِينِينَ﴾: المبارك، وقيل: معناه: شجر، واحدتها سِينينةٌ، قاله الأَخفش سعيد بن مسْعدة[5].

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٣٩)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٣٤٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٤٢٨).

(٢) ساقط من المطبوع وأحمد٣.

(٣) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥١٨)، و«بكسر السين» ساقط من المطبوع.

(٤) وهما شاذتان، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥١٨)، و«بألف» سقطت من نجيبويه، و«سيناء» الثانية ساقطة من المطبوع.

(٥) معانى القرآن للأخفش (٢/ ٥٨١)، وفي المطبوع: «الأخفش وسعيد» بواو العطف، ولعله خطأ.

و(أَمِين): فعِيلٌ من الأَمْن، بمعنى: آمِنٌ، أَي: آمِنٌ منْ فيه ومَنْ دخله، وما فيه من طير وحيوان.

والقسم واقع على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ينبغي له، ولا يدفع هذا أَن يكون غيرُه من المخلوقات ـ كالشمس وغيرها ـ أَحسنَ تقويماً منه بالمناسبة.

وقال بعض العلماءِ بالعموم، أَي: أَن الإِنسان أَحسنُ المخلوقات تقويماً، ولم ير قوم الحنث على من حلف بالطلاق أَن زوجته أَحسن من الشمس، واحتجوا بهذه الآية(١).

واختلف الناس في «تقويم الإِنسان» ما هو؟

فقال النَّخعي، ومجاهد، وقتادة: حُسْن صورته وحواسِّه(٢).

وقال بعضهم: هو انتصاب قامته.

وقال أَبو بكر بن طاهر(٣) في كتاب الثعلبي: هو عقله وإِدراكه اللَّذان زيَّناه بالتَّمييز(٤).

وقال عكرمة: هو الشباب والقوة.

والصواب أَن جميع هذا هو حُسْن التقويم، إِلَّا قول عكرمة؛ إِذ قد يفضل فيه بعضُ الحيوان.

و﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ هنا اسم الجنس، وتقدير الكلام: في تقويم أحسن تقويم؛ لأَن ﴿أَحْسَنِ﴾ صفة لا بد أَن تجري على موصوف.

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٤١٥)، وفيه: «من القمر»، بدل «الشمس».

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٠٧).

(٣) هو أبو بكر بن طاهر الأبهري، محمد، وقيل: عبد الله بن طاهر الطائي، أوحد مشايخ أبهر، كان في أيام الشبلي، ويتكلم على علم الظاهر وعلم الحقيقة، وكان مقبولاً على جميع الألسنة، كَتَب الحديث الكثير ورواه، انظر: تاريخ الإسلام (٢٤/ ٣٢٣).

(٤) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٤٠).

واختلف الناس في معنى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾:

فقال عكرمةُ، وقتادة، والضحاك، والنَّخَعي: معناه: بالهرم وذهول العقل وتفلت الفكر حتى يصير لا يعلم شيئاً[١]، أما إِن المؤمن مرفوع عنه القلم، والاستثناءُ على هذا منقطع، وهذا قول حَسَن، وليس المعنى أَن كل إِنسان يعتريه هذا، بل في الجنس من يعتريه ذلك، وهذه عِبْرة منصوبة.

وقرأَ ابن مسعود: (السَّافِلِين) بالأَلف واللام[٢].

ثم أَخبر تعالى أَن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ـ وإِن نال بعضهم هذا في الدنيا ـ فلهم في الآخرة أَجر عظيم غير ممنون.

وقال الحسن، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد، وأَبو العالية: المعنى: رددناه أسفل سافلين في النار على كفره، ثم استثنى تعالى الذين آمنوا استثناءً متصلاً، فهم على هذا ليس فيهم من يُردَّ أسفل سافلين[٣].

وفي حديث أَنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذا بلغَ المؤمن خمسين سنة خفف الله حسابه، وإِذا بلغ السِّتين رزقه الله الإِنابة إِليه، فإِذا بلغ السبعين أَحبه أَهل السماءِ، فإِذا بلغ ثمانين كُتبت حسناته وتجاوز الله عن سيئاته، فإِذا بلغ تسعين غُفرت ذنوبه، وشفع في أَهل بيته، وكان أَسيرَ الله في أَرضه، فإِذا بلغ مئة ـ ولم يعمل شيئاً ـ كتب الله له مثل ما كان يعمل في صحته، ولم تُكْتَب عليه سيئة»[٤].

---

(١) انظر هذه الأقوال كلها في الهداية لمكي (١٢/ ٨٣٤٢)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٥٠٩)، وتفسير الماوردي (٦/ ٣٠٢).

(٢) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٧٧).

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٠٩)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٣٤٤)، وتكررت هنا عبارة: «في النار على كفره» في الأصل.

(٤) ضعيف جداً: أخرجه أحمد (٢١/ ١٢)، والبزار (٣٥٨٧)، وأبو يعلى (٤٢٤٦-٤٢٤٧)، والبيهقي في الزهد (٦٤٢) من طريق يوسف بن أبي ذرة الأنصاري، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري، =

وفي حديث: «إِن المؤمن إِذا رُدَّ إِلى أَرذل العمر، كُتب له خير ما كان يعمل في قوته[١]، وذلك أجر غير ممنون»[٢].

و﴿مَمۡنُونِۭ﴾ معناه: محسوب مُصرَّد، يُمنُّ عليهم به، قاله مجاهد وغيره[٣].

وقال كثير من المفسرين: معناه: مقطوع، من قولهم: حبْلٌ مَنِينٌ، أَي: ضعيف منقطع.

واختلف في المخاطب بقوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ﴾:

فقال قتادة، والفراءُ، والأَخفش: هو محمد ﷺ[٤]، قال الله تعالى له: فما الذي يُكذِّبك فيما تُخبر به من الجزاءِ والبعث ـ وهو الدِّين ـ بعد هذه العبرة التي يوجب النظر فيها صحَّة ما قلت؟ ويحتمل أَن يكون الدِّين ـ على هذا التأْويل ـ: جميع دِينه وشَرْعِهِ.

= عن أنس بن مالك مرفوعاً بنحوه، ويوسف بن أبي ذرة متفق على ضعفه، وانظر الميزان (٤/ ٤٦٤- ٤٦٥)، وقد أخرجه أحمد (٩/ ٤٤٥) من طريق الفرج بن فضالة، حدثنا محمد بن عامر، عن محمد ابن عبد الله، عن جعفر بن عمرو، عن أنس موقوفاً عليه، وفرج بن فضالة ضعيف، ومحمد بن عامر لم أعرفه، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان الملقب بالديباج ضعيف، وفي الباب عن عثمان ابن عفان، وهو ضعيف، وانظر الموضوعات لابن الجوزي (١/ ١٧٩-١٨٠).

(١) في المطبوع: قومه.

(٢) الذي وقفت عليه ما أخرجه ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (١٥/ ٥١٥) عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان العبد على طريقة من الخير فمرض أو سافر، كتب الله له مثل ما كان يعمل» ثم قرأ: ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾، وقد أخرج الطبري (٢٤/ ٥١٨) من طريق عكرمة، عن ابن عباس قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾ قال: فأيما رجل كان يعمل عملاً صالحاً وهو قوي شاب، فعجز عنه، جرى له أجر ذلك العمل حتى يموت.

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٥١٣)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٣٤٧)، وتفسير الماوردي (٧/ ٣٠٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٤٢٩).

(٤) انظر معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٨١)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٢٧٧)، وقول قتادة في تفسير الطبري (٢٤/ ٥١٥).

وقال جمهور من المتأَولين: المخاطبُ الإِنسانُ الكافر، أَي: ما الذي يجعلك كذَّاباً بالدِّين، تجعل لله تعالى أَنداداً، وتزعم أَلَّا بعْث بعد هذه الدلائل؟

قال منصور: قلتُ لمجاهد: قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ يراد به النبي ﷺ؟ فقال: معاذ الله، يعني به: الشَّاكَّ[١].

ثم وقف تعالى جميع خلقه على أَنه سبحانه أَحكم الحاكمين، على جهة التقرير.

ورُوي عن قتادة أَن رسول الله ﷺ كان إِذا قرأَ هذه السورة قال: «بَلى، وأَنا على ذلكم من الشاهدين»[٢].

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٥١٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٣٤٨).

(٢) مرسل: أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٢٥-٥٢٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة مرسلًا.

سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة القلم(١)

وهي مكيَّة بإِجماع، وهي أَول ما نزل من كتاب الله تعالى، نزل صدرها في غار حراءَ حسب ما ثبت في صحيح البخاري، وغيره(٢).

ورُوي من طريق جابر بن عبد الله أَن أَول ما نزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١](٣).

وقال أَبُو مَيْسرة عَمْرو بن شُرَحْبيل: إِن أَول ما نزل فاتحة الكتاب، والقول الأَول أَصحُّ، والترتيب في إِخبار النبي ﷺ يقتضي ذلك(٤).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ

---

(١) في المطبوع: «العلق»، وزاد بعدها بين قوسين «القلم»، وقال في الحاشية: «هكذا في جميع الأصول، وهو أحد أسمائها».

(٢) البخاري (٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) الخبر أخرجه البخاري (٤٩٢٤)، ومسلم (٢٥٧) من طريق يحيى بن أبي كثير قال: سَألتُ أبا سَلَمة: أَيُّ القرآنِ أُنزِلَ أوَّلُ؟ فقالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ فَقلتُ: أُنبئتُ أنّه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، فقالَ أبو سَلَمة: سَألتُ جابرَ بنَ عَبدِ الله: أيُّ القرآنِ أُنزِلَ أوَّلُ؟ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ فقُلتُ: أُنبئتُ أنه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، فقال: لا أُخبِرُكَ إلّا بما قال رَسولُ الله ﷺ..

(٤) أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٤١٨)، وانظر تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٤٤).

﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾.

في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «أَول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إِلَّا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إِليه التَّحنُّث في غار حراءَ، فكان يخلو فيه فيتحنث فيه الليالي / ذوات العدد [٥/ ٣٠٤] ثم ينصرف، حتى جاءَه الملك وهو في غار حراءَ فقال له: اقرأْ، فقال: ما أَنا بقارئٍ، قال: فأَخذني فغطَّني، ثم كذلك ثلاث مرات، فقال له في الثالثة: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، قالت: فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره» الحديث بطوله[(١)].

ومعنى هذه الآية: اقرأْ هذا القرآن باسم ربك، أَي: ابدأْ فعلك بذكر اسم الله، كما قال تعالى: ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٤١]، هذا وجه.

ووجهٌ آخر في كتاب الثعلبي أَن المعنى: اقرأْ في أَول كلِّ سورة وقراءة: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[(٢)].

ووجْهٌ آخر أَن يكون المقروءُ الذي أُمر بقراءته هو: ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، كأَنه قال له: اقرأْ هذا اللفظ.

ولما ذكر تعالى «الرَّبَّ»، وكانت العرب في الجاهلية تسمي الأَصنام أَرباباً، جاءَ بالصفة التي لا شركة للأَصنام فيها، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، ثم مثَّل لهم من المخلوقات ما لا مدافعة فيه، وما يجده كل مفطور في نفسه، فقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾، وخِلْقَةُ الإِنسان من أَعظم العبر حتى أَنه ليس في المخلوقات التي لدينا أَكثر عبراً منه، في عقله وإِدراكه ورباطات بدنه وعظامه.

و«العَلَقُ»: جمعُ عَلَقة، وهي: القطعة اليسيرة من الدم.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٤٤).

و﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ هنا اسم الجنس، ويمشي الذهن معه إِلى جميع الحيوان، وليست الإِشارة إِلى آدم عليه السلام لأَنه مخلوق من طين، ولم يكن ذلك مقرراً عند الكفار[١] المخاطبين بهذه الآية، فلذلك تُرِكَ أَصلُ الخِلْقة، وسيق لهم الفرعُ الذي هم به مُقرُّون تقريباً لأَفهامهم.

ثم قال تعالى له: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ على جهة التأْنيس، كأَنه تعالى يقول: امض لما أُمرت به، وربُّك ليس كهذه الأَرباب، بل هو الأكرم الذي لا يلحقه نقص، فهو ينصركَ ويُظهرك.

ثم عدَّدَ تعالى نعمة الكتاب بالقلم على الناس، وهي موضع عِبرة وأَعظم منفعة في المخاطبات وتخليد المعارف.

وقوله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾، قيل: المراد محمد ﷺ، وقيل: اسم الجنس، وهو الأَظهر، وعدَّد تعالى نعمة اكتساب المعارف للإِنسان بعد جهله بها.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾ الآية؛ نزل بعد مُدَّة في شأْن أَبي جهل بن هشام، وذلك أَنه طغى لغناه، ولكثرة من يغشى ناديه من الناس، فناصب رسول الله ﷺ العداوة، ونهاه عن الصلاة في المسجد.

ويُروى أَنه قال: لئن رأَيتُ محمداً يسجد عند الكعبة لأَطأَنَّ على عنقه، فيروى أَن رسول الله ﷺ ردَّ عليه القول وانتهره، فقال أَبو جهل: أَيتوعدني محمد ووالله ما بالوادي أَعظم نَدِيّاً مني[٢].

وروي أَيضاً: أَنه جاءَ والنبي ﷺ يصلِّي، وهمَّ بأَن يصل إِليه ويمنعه من الصلاة،

---

(١) من نجيبويه.

(٢) حسن: أخرجه أحمد (٤/ ١٦٤)، والترمذي (٣٣٤٩)، والنسائي في الكبرى (١١٦٨٤)، والطبري (٢٤/ ٥٣٧) من طريق أبي خالد الأحمر سليمان بن حيان، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، فذكره بنحوه.

ثم كعَّ عنه وانصرف، فقيل له: ما هذا؟ فقال: لقد اعترض بيني وبينه خندق من نار وهول وأَجْنِحة.

ويروى أَن رسول الله ﷺ قال: «لوْ دَنَا منِّي لأَخذته الملائكة عياناً»، فهذه السورة من قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ ﴾ إِلى آخرها نزلت في أَبي جهل[١].

و﴿ كَلَّآ ﴾ هي ردٌّ على أَقوال أَبي جهل وأَفعاله، ويتَّجه أَن تكون بمعنى حَقّاً، فهي تثبيت لما بعدها من القول.

و(الطُّغيان): تجاوز الحدود الجميلة، والغِنى مُطْغ إِلَّا من عصم الله تعالى.

والضمير في ﴿أَن رَّءَاهُ﴾ للإِنسان المذكور، كأَنه قال: أَن رأَى نفسه غنياً، وهي رؤية قَلْب تقرب من العلم، وكذلك جاز أَن يعمل فيها فعل الفاعل في نفسه، كما تقول: وجدتُني وظننتني، ولا يجوز أَن تقول: ضربتُني.

وقرأَ الجمهور: ﴿رَّءَاهُ﴾ بالمدِّ على وزن رعاه، واختلفوا في الإِمالة وتركها[٢].

وقرأَ ابن كثير من طريق قنبل: ﴿أَن رَأَهُ﴾ دون مدٍّ، على وزن رَعَه[٣]، على حذف لام الفعل، وذلك تخفيف.

ثم حقَّر تعالى غِنَى هذا الإِنسان وحاله بقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾، أَي: الحشر والبعث يوم القيامة.

و﴿ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾: مصدر كالرجوع، وهو على وزن العُقْبى ونحوه.

وفي هذا الخبر وعيد للطاغين من الناس.

---

(١) صحيح البخاري تفسير سورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ باب: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) فأمال حمزة والكسائي وشعبة وابن ذكوان بخلفه الراء والهمزة، وقللهما ورش، وأمال أبو عمرو الهمزة خاصة.

(٣) وهي سبعية، انظر التيسير (ص: ٢٢٣).

[ثم صرح بذكر الناهي لمحمد ﷺ، ولم يختلف أحد من المفسرين في أن][(١)] الناهي أَبو جهل، وأَن العبد المصلي محمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ﴾ توقيف، وهو فعل لا[(٢)] يتعدى إِلى مفعولين على حدِّ الرؤية من العلم، بل يقتصر به.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ إكمالٌ للتوبيخ والوعيد بحسب التوقيفات الثلاثة، يصلح مع كل واحد منها، فجاءَ بها في نَسق، ثم جاءَ بالوعيد الكافي لجميعها اختصاراً واقتضاباً، ومع كل تقرير من الثلاثة تكملة مقدرة تتسع العبارات فيها.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم﴾ دالٌّ عليها مُغْنٍ.

وقوله تعالى: ﴿إِن كَانَ﴾ يعني: العبد المصلي.

وقوله تعالى: ﴿إِن كَذَّبَ﴾ يعني: الإِنسان الذي ينهى.

ونسب تعالى الرؤية إِلى الله تعالى بمعنى: يدرك أَعمال الجميع بإِدراك سمَّاه رُؤْية، والله تعالى مُنَزَّهٌ عن الجارحة وغير ذلك من مماثلة المحدثات.

ثم توعده تعالى ـ إِنْ لمْ يَنْتَه ـ بأَن يُؤْخذ بناصيته فَيُجر إِلى جهنم ذليلاً، تقول العرب: سَفَعْتُ بيدي ناصية الفرس والرجل: إِذا جذَبْتها مُذَلِّلاً له، قال عمرو بن معديكرب:

قَوْمٌ إِذا سمِعوا الصِّياحَ رأَيْتَهُمْ ... ما بَيْنَ مُلْجِمِ مُهْره أَوْ سافِعِ[(٣)] [الكامل]

فالآية على نحو قوله تعالى: ﴿فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].

وقال بعض علماءِ التفسير: (لَنَسْفَعَن) معناه: لَنُحْرِقَنَّ، من قولهم: سَفَعَتْهُ النارُ:

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من المطبوع.

(٢) ساقطة من نجيبويه.

(٣) عزاه له في تفسير الزمخشري (٤/ ٧٧٨)، وعزاه في البحر المحيط (١٠/ ٥٠٥)، والدر المصون (١١/ ٦٠) لعمرو بن معد يكرب.

إذا أَحرقته، واكتفى بذكر الناصية لدلالتها على الوجه والرأْس[١].

وجاءَ ﴿لَنَسۡفَعًۢا﴾ في خط المصحف بأَلف بدل النون[٢].

وقرأَ أَبو عمرو في رواية هارون: (لَنَسْفَعَنَّ) مُثقَّلة النون[٣].

وفي مصحف ابن مسعود (لأَسْفَعن بالناصية، ناصية كاذبة فاجرة)[٤].

وقرأَ أَبو حيوة: (نَاصِيَةً كَاذِبَةً خاطِئَةً) بالنصب في الثلاثة.

وروي عن الكسائي أَنه قرأَ بالرفع فيها كلها[٥].

و(النَّاصِيَةُ): مقدم شعر الرَأس، ثم أَبدل تعالى النكرة من المعرفة في قوله تعالى: ﴿نَاصِيَةٍ﴾.

ووصفها بالكذب والخطأ؛ من حيث هي صفات لصاحبها، كما تقول: يَدٌ سارقة.

[٥/ ٣٠٥] وقوله تعالى: ﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ﴾ إشارة / إلى قول أَبي جهل: وما بالوادي أَعظم ندِيّاً مني[٦]، و«النادي» والندي: المجلس، ومنه: دار الندوة، ومنه قول زهير:

[الطويل] وَفيهِمْ مقاماتٌ حِسانٌ وُجوهُهُمْ وأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُها الْقَوْلُ والْفِعْلُ[٧]

---

(١) «والرأس» ساقطة من الأصل.

(٢) انظر المحكم في نقط المصاحف (ص: ٦٧).

(٣) وهي شاذة، من رواية محبوب عنه كما في الشواذ للكرماني (ص: ٥١٨).

(٤) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٧٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٥١٨).

(٥) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٧٦).

(٦) صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٢٥) من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام، فمر به أبو جهل بن هشام، فقال: يا محمد، ألم أنهك عن هذا؟ وتوعده، فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره، فقال: يا محمد، بأي شيء تهددني؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي نادياً، فأنزل الله: ﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ * سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ قال ابن عباس: لو دعا ناديه، أخذته زبانية العذاب من ساعته.

(٧) انظر عزوه له في الجيم (٣/ ١١٥)، والشعر والشعراء (١/ ١٥٠)، وعيار الشعر (ص: ٨٣)، والعقد الفريد (١/ ٢٤٦).

ومنه قول الأَعرابية: سيِّد ناديه، وَثِمالُ عافيه[١].

و﴿ٱلزَّبَانِيَةَ﴾: ملائكة العذاب، واحدهم زِبْنية، وقال الكسائي: زِبْنِي[٢].

وقال عيسى بن عمرو الأَخفش: زَابِنٌ[٣]، وهم الذين يدفعون الناس في النار، و«الزَّبْنُ»: الدَّفْع، ومنه حربٌ زبُونٌ، أَي: تدفع الناس في نفسها، ومنه قول الشاعر:

وَمُسْتَعْجِبٍ مِمَّا يَرَى مِنْ أَناتِنَا وَلَوْ زَبَنَتْهُ الْحَرْبُ لَمْ يَترَمْرم[٤] [الطويل]

ومنه قول عتبة بن أَبي سفيان: وقد زبنتنا الحربُ وَزَبَنَّاهَا، فنحن بَنُوها وهي أُمُّنا[٥].

ومنه قول الشاعر:

عَدَتْني عَنْ زِيارَتِكَ الْعَوادي وَحَالَتْ بَيْنَنَا حَرْبٌ زَبونُ[٦] [الوافر]

وحذفت الواو من ﴿سَنَدْعُ﴾ في خط المصحف اختصاراً وتخفيفاً.

والمعنى: سندعو الزبانية لعذاب هذا الذي يدعو ناديه.

وقرأَ ابن مسعود: (فَلْيَدْعُ إِلَى ناديهِ)[٧].

ثم قال تعالى لمحمد ﷺ: ﴿كَلَّا﴾ ردّاً على قول هذا الكافر وأَفعاله، ﴿لَا تُطِعْهُ﴾، أَي: لا تلتفت إِلى نَهْيه وكلامه، ﴿وَٱسْجُدْ﴾ لِرَبِّك، ﴿وَٱقْتَرِب﴾ إِليه بسجودك وبالطاعة وبالأَعمال الصالحة.

---

(١) أمالي القالي (١/ ١٦).
(٢) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٨٠).
(٣) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٨٢).
(٤) البيت لأوس بن حَجَر، كما تقدم في تفسير الآية (١٣) من سورة البقرة، وفي نجيبويه: «يتزمزم».
(٥) تقدم في الآية (٢٠) من سورة التوبة أنه من قول عبد الملك بن مروان، وهو الصواب، انظر أمالي القالي (١/ ١١).
(٦) تقدم في تفسير الآية (٤٢) من سورة الأنفال.
(٧) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٨٠).

وفي الحديث أَن النبي ﷺ قال: «أَقرب ما يكون العبد من ربه إِذا سجد، فأَكثروا من الدعاءِ في السجود، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لكم»(١).

وقاله مجاهد، ثم قال: أَلم تسمعوا ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾(٢).

وروى ابن وهب عن جماعة من أَهل العلم أَن قوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ ﴾ خطاب لمحمد ﷺ، وأَن ﴿وَٱقْتَرِب ﴾ خطاب لأَبي جهل، أَيْ: إِن كنت تجترئ حتى ترى كيف تهلك(٣).

وهذه السورة فيها سجدة عند جماعة من أَهل العلم، منهم في مذهب مالكٍ: ابنُ وهب(٤).

(١) صحيح: شطره الأول أخرجه مسلم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»، والشطر الثاني أخرجه مسلم (٤٧٩) من حديث ابن عباس مرفوعاً: «ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً؛ فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم».

(٢) الهداية لمكي (١٢/ ٨٣٦٢)، وسقطت: «ثم» من المطبوع.

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٨٢)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٣٦٣).

(٤) انظر قول ابن وهب في شرح مختصر خليل للخرشي (١/ ٣٥٠).

سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة القدر[١]

اختلف الناس في موضع نزول هذه السورة:

فقال ابن عباس وغيره: هي مدنية[٢]، وقال قتادة: هي مكيَّة[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾.

الضمير في ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ للقرآن وإِن لم يتقدم ذكره لدلالة المعنى عليه؛ فقال ابن عباس وغيره: أَنزله الله تعالى ليلة القدر إِلى السماءِ الدنيا جُملة، ثمَّ نَجَّمه على محمد ﷺ في عشرين سنة[٤].

---

(١) في الأصل: «سورة ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾»، وفي نور العثمانية: «﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾»، وفي نجيبويه والحمزوية: «سورة ليلة القدر».

(٢) لم أجده.

(٣) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٤٧).

(٤) تقدم تخريجه عند آية (٣) من (سورة الدخان).

وقال الشَّعبي وغيره: المعنى: إنا ابتدأْنا إنزال هذا القرآن إليك في ليلة القدر(١).

وقد روي: أَن نزول الملَك في حراءَ كان في العشر الأَواخر من رمضان، فيستقيم هذا التأْويل.

وقد روي: أَن نزول الملَك كان في الرابع عشر من رمضان(٢)، فلا يستقيم هذا التأْويل إِلَّا على قول من يقول: إِن ليلة القدر تستدير الشهر كله ولا تختص بالعشر الأواخر من رمضان، [وهو قول ضعيف، وحديث النبي ﷺ يرده في قوله: «فالتمسوها في العشر الأواخرمن رمضان»](٣).

وقال جماعة من المتأولين: معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾: إِنَّا أَنزلنا هذه السورة في شأن ليلة القدر وفي فضلها، ولما كانت السورة من القرآن جاءَ الضمير للقرآن تفخيماً وتحسيناً.

وقوله تعالى: ﴿فِي لَيۡلَةِ﴾: هو على نحو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لقد خشيت أَن ينزل فِيَّ قرآنٌ ليلة نزول سورة الفتح(٤).

ونحو قول عائشة في حديث الإفك: لأَنا أَحقر في نفسي من أَن ينزل فيَّ قرآن(٥).

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٤/ ٥٣٢).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ساقط من المطبوع، وهو في البخاري (٨١٣).

(٤) البخاري (٤١٧٧) عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره، وعمر ابن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، وقال عمر بن الخطاب: ثكلتك أمك يا عمر، نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين، وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي، قال: فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل فيَّ قرآن، وجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقال: «لقد أنزلت علي الليلة سورة، لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس» ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ [الفتح: ١].

(٥) متفق عليه: البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).

و﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾: هي لَيْلَةٌ خصَّها الله تعالى بفضل عظيم، وجعلها أَفضل من ألف شهر، لا ليلة قدر فيها، قاله مجاهد وغيره[١].

وخُصَّت هذه الأُمَّة بهذه الفضيلة لَمَّا رأى محمد ﷺ أَعمار أُمَّته فتقاصرها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ*لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ عبارة تفخيم لها، ثم أَدراه تعالى بعْدُ بقوله: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٌ﴾، قال ابن عُيَيْنَةَ في صحيح البخاري: ما كان في القرآن ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾: فقد أَعلمه الله تعالى، وما كان فيه ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾: فإنه لم يُعْلَم[٢].

وذكر ابن عباس[٣] وقتادة وغيرهما: أَنها سُمِّيت ليلة القدر؛ لأَن الله تعالى يقدِّرُ فيها الآجال والأَرزاق وحوادث العام[٤] كلها، ويدفع ذلك إلى الملائكة لتمتثله.

وقد روي هذا في ليلة النصف من شعبان[٥]، ولهذا ظواهر من كتاب الله عزَّ وجلَّ، نحو قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]، وأَما الصحة المقطوع بها فغير موجودة.

وقال الزهري: معناها: ليلة القدر العظيم والشرف وعِظم الشأْنِ، من قولك: رجل له قَدْرٌ.

وقال أَبو بكر الورَّاق: سُمِّيت ليلة القدر؛ لأَنها تُكْسب من أَحياها قدراً عظيماً لم يكن له قبل، وتردُّه عظيماً عند الله تعالى[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٣٣).
(٢) البخاري كتاب صلاة التراويح، باب: فضل ليلة القدر.
(٣) انظر الطبري (٢٤/ ٥٣١).
(٤) في الأصل والمطبوع: «العامل»، وقول قتادة في تفسير الطبري (٢٤/ ٥٣٤).
(٥) قال الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٢٤٨) وروى أبو الضحى عن ابن عباس: أن الله عزّ وجلّ يقضي الأقضية في ليلة النصف من شعبان، ويسلمها إلى أربابها فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ.
(٦) القولان في تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٤٨).

وقيل: سُمِّيت بذلك؛ لأَن كل العمل فيها له قدر خطير.

وليلة القدر مستديرة في أَوتار العَشْر الأَواخر من رمضان، هذا هو الصحيح المعوَّل عليه.

وهي في الأَوتار بحسب الكمال والنقصان في الشهر، فينبغي لمرتقبها أَن يرتقبها من ليلة عشرين في كلِّ ليلة إِلى آخر الشهر؛ لأَن الأَوتار مع كمال الشهر ليست الأَوتار مع نقصانه.

وقد قال رسول الله ﷺ: «لثالثة تبقى، لخامسة تبقى، لسابعة تبقى».

وقال ﷺ: «التمسوها في الثالثة والخامسة والسابعة والتاسعة»(١).

وقال مالك: يريد بالتاسعة ليلة إِحدى وعشرين(٢).

وقال ابن حبيب: يريد مالك: إِذا كان الشهر ناقصاً(٣)، فظاهر هذا أَنه ﷺ احتاط في كمال الشهر وفي نقصانه، وهذا لا تتحصل معه الليلة إِلَّا بعمارة العشر كله / . [٥/ ٣٠٦]

ورُوي عن أَبي حنيفة وقوم أَن ليلة القدر رُفعت(٤)، وهذا قول مردود، وإِنما رُفع تَعْيينها.

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٣٦-٣٩-٤٠)، وأبو داود الطيالسي (٨٨١)، والترمذي (٧٩٤)، والبزار (٣٦٨١)، والنسائي في الكبرى (٣٤٠٣-٣٤٠٤)، وابن خزيمة (٢١٧٥)، وابن حبان (٣٦٨٦)، والحاكم (١/ ٤٣٨) وغيرهم من طرق عن عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن، عن أبيه، قال: ذكرت ليلة القدر عند أبي بكرة، فقال: ما أنا بملتمسها لشيء سمعته من رسول الله ﷺ، إلا في العشر الأواخر، فإني سمعته يقول: «التمسوها في تسع يبقين، أو في سبع يبقين، أو في خمس يبقين، أو في ثلاث أو آخر ليلة». وعند الترمذي: وكان أبو بكرة يصلي في العشرين من رمضان، كصلاته في سائر السنة، فإذا دخل العشر اجتهد، وفي رواية: «التمسوها في العشر الأواخر، لتسع يبقين، أو لسبع يبقين، أو لخمس»، وفي الباب عن ابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وأنس ابن مالك، وجابر.

(٢) المدونة (١/ ٣٠١)، و«يريد»: سقطت من المطبوع.

(٣) انظر قوله في شرح زروق على الرسالة (١/ ٤٩٠).

(٤) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٤٩).

وقال ابن مسعود: من يقم السنة كلَّها يصبها[(١)].

وقال أَبو رزين: هي أَول ليلة من شهر رمضان[(٢)].

وقال الحسن: هي ليلة سبع عشرة، وهي التي كانت في صبيحتها وقعة بدر[(٣)].

وقال كثير من العلماءِ: هي ليلة ثلاث وعشرين[(٤)]، [وهي ليلة عبد الله بن أُنيس الجُهَني[(٥)]، وقاله ابن عباس[(٦)].

وقال أَيضاً هو وجماعة من الصحابة: هي ليلة سبع وعشرين][(٧)].

---

(١) مسلم (٧٦٢).

(٢) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٣٥).

(٣) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٤٩).

(٤) المصدر السابق (٢/ ١٩٨).

(٥) مسلم (١١٦٨) عن عبد الله بن أنيس، أن رسول الله ﷺ، قال: «أريت ليلة القدر، ثم أنسيتها، وأراني صبحها أسجد في ماء وطين» قال: فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين، فصلى بنا رسول الله ﷺ، فانصرف وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه قال: وكان عبد الله بن أنيس يقول: ثلاث وعشرين.

(٦) حسن: أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٠٤)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٥١٥) من طريق عاصم ابن كليب، عن أبيه، عن ابن عباس كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدعوني مع أصحاب محمد ﷺ ويقول لي: لا تتكلم حتى يتكلموا، قال: فدعاهم وسألهم عن ليلة القدر، قال: أرأيتم قول رسول الله ﷺ: «التمسوها في العشر الأواخر، أي ليلة ترونها؟» قال: فقال بعضهم ليلة إحدى، وقال بعضهم: ليلة ثلاث، وقال آخر: خمس، وأنا ساكت فقال: ما لك لا تتكلم؟ فقلت: إن أذنت لي يا أمير المؤمنين تكلمت، قال: فقال: ما أرسلت إليك إلا لتتكلم، قال: فقلت: أحدثكم برأيي؟ قال: عن ذلك نسألك، قال: فقلت: السبع، رأيت الله ذكر سبع سماوات، ومن الأرضين سبعاً، وخلق الإنسان من سبع، وبرز نبت الأرض من سبع، قال: فقال: هذا أخبرتني ما أعلم، أرأيت ما لا أعلم، ما قولك نبت الأرض من سبع؟ قال: فقلت: إن الله يقول: ﴿شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾ [عبس: ٢٦] إلى قوله ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] والأب: نبت الأرض مما يأكله الدواب ولا يأكله الناس، قال: فقال عمر: أعجزتم أن تقولوا كما قال هذا الغلام الذي لم يجتمع شئون رأسه بعد: إني والله ما أرى القول إلا كما قلت، قال: وقال: قد كنت أمرتك أن لا تتكلم حتى يتكلموا، وإني آمرك أن تتكلم معهم.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من نجيبويه، وهو قول أبي بن كعب الذي أخرجه مسلم (٧٦٢).

واستدل ابن عباس على قوله بأَن الإِنسان خُلق من سبع، وجُعل رزقه في سبع، واسْتَحْسَنَ ذلك عمر رضي الله عنهم أَجمعين(١).

وقال زيد بن ثابت، وبلال: هي ليلة أَربع وعشرين(٢).

وقال بعض العلماءِ: أَخفاها الله تعالى عن عباده؛ ليجدُّوا في العمل ولا يتكلوا على فضلها ويُقصِّروا في غيرها، ثم عظَّم الله تعالى أَمر ليلة القدر، على نحو قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ٢]، وغير ذلك.

ثم أَخبر تعالى أَنها أَفضل لمن عمل فيها عملاً من أَلف شهر، وهي ثمانون سنة وثلاثة أَعوام وثلث عام.

---

(١) انظر أثر ابن عباس المتقدم، وفي نجيبويه: «واستقرأ».

(٢) ضعيف: أخرجه أحمد (٦/ ١٢) عن موسى بن داود، والبزار في مسنده (١٣٧٦) من طريق موسى ابن داود، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن الصنابحي، عن بلال: أن النبي ﷺ قال: ليلة القدر ليلة أربع وعشرين، قال البزار: لا نعلم روى الصنابحي عن بلال إلا هذا الحديث، ولا نعلم له طريقاً إلا هذا الطريق، وأخرجه الطحاوي (٣/ ٩٢) من طريق عبد الله بن يوسف، والطبراني (١١٠٢) من طريق يحيى بن كثير الناجي، كلاهما عن ابن لهيعة، به، وعبد الله ابن لهيعة متفق على ضعفه، وخالف ابن لهيعة في إسناده ومتنه محمدَ بن إسحاق؛ فقد أخرجه ابن أبي شيبة (٨٦٦٩-٩٥٢٦) من طريق محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير مرثد بن عبد الله، عن الصنابحي قال: سألت بلالاً عن ليلة القدر فقال: ليلة ثلاث وعشرين. فرواه موقوفاً وعين الليلة بثلاث وعشرين. ومحمد بن إسحاق صدوق حسن الحديث إلا أنه لم يصرح بسماعه من يزيد، وخالفهما في متنه عمرو بن الحارث عند البخاري (٤٤٧٠) فرواه عن يزيد، عن أبي الخير، عن الصنابحي، قال في قصة وسئل عن ليلة القدر: أخبرني بلال مؤذن النبي ﷺ أنه في السبع في العشر الأواخر. ولم يعين أية ليلة هي في هذه السبع، أما أثر زيد بن ثابت فالذي وقفت عليه ما أخرجه الطبراني في الكبير (٤٨٦٥) من طريق أبي بلال الأشعري، ثنا ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن خارجة ابن زيد بن ثابت، عن أبيه أنه كان يحيي ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان وليلة سبع وعشرين، ولا كإحيائه ليلة سبع عشرة، فقيل له: كيف تخص ليلة سبع عشرة؟ فقال: إن فيها نزل القرآن، وفي صبيحتها فرق بين الحق، والباطل وكان فيها يصبح مبهج الوجه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٤١٣): رواه الطبراني في الكبير، وفيه أبو بلال الأشعري، وهو ضعيف.

ورُوي عن الحسن بن علي بن أَبي طالب: أَنه قال حين عوتب في تسليمه الأَمر لمعاوية رضي الله عنه: إِن الله تعالى أَرَى نبيه ﷺ في المنام بَني أُمَيَّة ينزون على منبره نَزْوَ القردة، فاهتم لذلك، فأَعطاه الله تعالى ليلة القدر، وهي خير من مُدَّة مُلْك بني أُمَيَّة، وأَعلمه أَنهم يملكون الناس هذا القدر من الزمان[١].

قال القاضي أَبو محمد: ثم كشف الغيب أَن كان من سَنَة الجماعة إِلى قتل مروان الجعدي[٢] هذا القدر من الزمان بعينه.

ثم إِن القول يعارضه أَنه قد مَلَك بنو أُمية في غرب الأَرض مُدَّة غير هذه.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «من قام ليلة القدر إِيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[٣].

---

(١) منكر جداً: أخرجه الترمذي (٣٣٥٠)، والطبري (٢٤/ ٥٤٧)، والطبراني (٢٧٥٤)، والحاكم (٣/ ١٧٠-١٧١)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٥٠٩-٥١٠) من طريق القاسم بن الفضل، عن يوسف بن مازن الراسبي، قال: قال: قام رجل إلى الحسن بن علي، بعد ما بايع معاوية، فقال: سودت وجوه المؤمنين، أو يا مسود وجوه المؤمنين!، فذكره، وعند الترمذي: يوسف بن سعد، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل، وقد قيل عن القاسم بن الفضل، عن يوسف بن مازن، والقاسم بن الفضل الحداني هو ثقة؛ وثقه يحيى ابن سعيد وعبد الرحمن ابن مهدي، ويوسف بن سعد رجل مجهول، ولا نعرف هذا الحديث على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه، وقد تعقب ابن كثير كما في تفسيره (٨/ ٤٤٢) الترمذي فقال: وقول الترمذي: إن يوسف هذا مجهول فيه نظر؛ فإنه قد روى عنه جماعة، منهم: حماد بن سلمة، وخالد الحذاء، ويونس بن عبيد، وقال فيه يحيى بن معين: هو مشهور، وفي رواية عن ابن معين قال هو ثقة. ورواه ابن جرير من طريق القاسم ابن الفضل، عن عيسى بن مازن، كذا قال، وهذا يقتضي اضطراباً في هذا الحديث، والله أعلم. ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جداً، قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج المزي: هو حديث منكر.اهـ.

(٢) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، آخر ملوك بني أمية بالشام، سمي الجعدي، نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم، قيل ولقب الحمارَ؛ لصبره، وقتل سنة (١٣٢هـ)، انظر: تاريخ الإسلام (٨/ ٥٣٣)، ويعني بسنة الجماعة: اجتماع الناس على معاوية وتنازل الحسن له رضي الله عنه.

(٣) البخاري (١٩٠١) من حديث أبي هريرة.

و(الروح) هو جبريل عليه السلام، وقيل: هو صنف حفظة الملائكة عليهم السلام.

وقوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ اختلف الناس في معناه:

فمن قال: إِنَّ في هذه الليلة تُقَدَّر الأُمور للملائكة، قال: إِنَّ هذا التَّنَزُّل لذلك، و﴿مِّن﴾ لابتداءِ الغاية، أَي: نزولهم من أَجل هذه الأمور المقدَّرة وبسببها، ويجيء ﴿سَلَٰمٌ﴾ خبر ابتداءٍ مُسْتأْنَفاً، أَي: سلامٌ هي هذه الليلة إِلى أَول يومها.

وهذا قول نافع المقرئ والفراءِ وأَبي العالية(١).

وقال بعضهم: ﴿مِّن﴾ بمعنى «الباءِ»، أَي: بِكلِّ أَمر.

ومَنْ لم يقل: تُقَدَّر الأُمور في تلك الليلة، قال: معنى الآية: تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم بالرحمة والغفران والفواضل، ثم جعل قوله تعالى: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ متعلقاً بقوله سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ﴾، أَي: من كل أَمر [مخوف ينبغي أَن يسلم منه فهي سلامٌ.

وقال مجاهد: لا يُصيب أَحداً فيها داءٌ(٢).

وقال الشعبي ومنصور: ﴿سَلَٰمٌ﴾: بمعنى التحية، أَيْ: تُسَلِّم الملائكة على المؤمنين](٣).

وقرأَ ابن عباس، وعكرمة، والكلبي: (مِنْ كُلِّ امْرِئٍ)، أَي: يسلم فيها من كل أمر سَوْءٍ.

فهذا على أَن ﴿سَلَٰمٌ﴾ بمعنى: سلامة، وروي عنه أَن: سلاماً بمعنى: «تحية»، و(كل امرئٍ) يراد بهم الملائكة، أَي: من كلِّ مَلَك تحية على المؤمنين، وهذا للعاملين بالعبادة فيها.

وذهب من يقول بانتهاءِ الكلام في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ﴾ إِلى أَن قوله تعالى:

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٥٧).

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٥٨)، وتفسير الماوردي (٦/ ٣١٤)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٥٣٥).

(٣) ساقط من الأصل، وانظر تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٥٨)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٣٧٤).

﴿هِيَ﴾ إنما هو إِشارة إِلى أَنها لَيْلَةُ سبع وعشرين من الشهر؛ إِذ هذه الكلمة هي السابعة والعشرون من كلمات السورة، وذكر هذا الغرض ابن بكير، وأَبو بكر الوراق، والنَّقَّاشُ عن ابن عباس(١).

وقرأَ جمهور السبعة: ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ﴾ بفتح اللام.

وقرأَ الكسائي، وأبو عمرو بخلاف عنه، وابن وثاب والأَعمش، وأَبو رجاءٍ، وابن محيصن، وطلحة: ﴿حَتَّى مَطْلِعِ﴾ بكسر اللام(٢).

فقيل: هما مصدران بمعنى واحد في لغة بني تميم، وقيل: الفتح مصدر، والكسر: موضع الطُّلوع عند أَهل الحجاز، والقراءة بالفتح أَوجه على هذا القول، والأُخرى تتخرج على تجوُّز؛ كأن الوقت ينحصر في ذلك الموضع ويتمُّ فيه، ويتجه الكسر على وجه آخر، وهو أَنه قد شذَّ من هذه المصادر ما كُسِر، كالمعجِزة وقولهم: علاهُ المَكْبِرُ ـ بفتح الميم وكسر الباءِ ـ ومنه الْمَحِيضُ، فيجري الْمَطْلِعُ مصدراً مجرى ما شذَّ.

وفي حرف أُبَيِّ بن كعب: (سَلامٌ هِيَ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ)(٣).

(١) انظر أقوال ابن بكير والكلبي وعكرمة والوراق في تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٥٣)، وقول النقاش لم أقف عليه.

(٢) وهما سبعيتان، الثانية للكسائي، انظر التيسير (ص: ٢٢٤)، ورواها عبيد عن أبي عمرو كما في السبعة (ص: ٦٩٣)، «وذكره» زيادة من الأسدية٤ والأسدية٣، وكذا «ابن وثاب»، وفي أحمد٣: «الأنباري» بدل «الكسائي».

(٣) وهي شاذة، انظر إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٦٧).

سورة البينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة: ﴿لَمْ يَكُنِ﴾

وهي مكية في قول جمهور المفسرين.

وقال ابن الزبير، وعطاءٌ بن يسار: هي مدنية[1]، والأول أشهر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾.

في حرف أُبَيٍّ: (مَا كَانَ الَّذِينَ).

وفي حرف ابن مسعود: (لم يكُنِ المُشْركونَ وأَهْلُ الكتابِ مُنْفَكِّينَ)[2].

وقوله تعالى: ﴿مُنفَكِّينَ﴾ معناه: منفصلين متفرقين، تقول: انْفكَّ الشيءُ عن الشيءِ: إذا انفصل عنه، و«ما انْفَكَّ» التي هي من أَخوات «كان» لا مدخل لها في هذه الآية.

[ونفى في هذه الآية][3] أَن تكون هذه الصَّنيفة منفكة، واختلف الناس، عن ماذا؟:

---

(١) انظر قولهما في جمال القراء وكمال الإقراء (ص: ٦٥).

(٢) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٨١)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٦١).

(٣) ساقط من نجيبويه وأحمد٣.

فقال مجاهد وغيره: لم يكونوا منفكِّيـن عن الكفر والضـلال حتى جاءتـهم البينة(١)، وأَوقع المستقبل موقع الماضي في ﴿تَأۡتِيَهُمُ﴾؛ لأن باقي الشريعة وعُظْمَهَا لم يرد بَعْدُ.

وقال الفراءُ وغيره: لم يكونوا منفكِّين عن معرفة صحة نُبُوَّة محمد ﷺ والتَّوكُّف لأَمره، حتى جاءتهم البَيِّنة فتفرقوا عند ذلك(٢).

وذهب بعض النحويِّين إِلى أَن هذا النفي المتقدم مع ﴿مُنفَكِّينَ﴾ يجعلها تلك التي هي مع «كان»، ويرى التقدير في خبرها: عارفين لأَمر محمد ﷺ، أَو نحو هذا.

ويتجه في معنى الآية قول ثالث بارع المعنى، وذلك أَن يكون المراد: لم يكن هؤلاءِ القوم منفكِّين من أَمر الله تعالى وقدرته ونظره لهم حتَّى يبعث إِليهم رسولاً منذراً، تقوم عليهم به الحجة، وتتمُّ على من آمن النعمةُ، فكأَنه تعالى قال: ما / كانوا [٥/ ٣٠٧] لِيُتْرَكوا سدًى، ولهذا المعنى نظائر في كتاب الله تعالى.

وقرأَ بعض الناس: (والمشركون) بالرفع(٣).

وقرأَ الجمهور: ﴿وَٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ بالخفض، ومعناهما بَيِّن.

و﴿ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ معناه: القصةُ البيِّنةُ والجليَّة، والمراد: محمد ﷺ.

وقرأَ الجمهور: ﴿رَسُولٞ﴾ بالرفع، وقرأَ أُبَيُّ بن كعب: (رسولاً) بالنصب على الحال(٤).

و(الصُّحُفُ المطهَّرةُ): القرآن في صحفه، قاله الضحاك وقتادة(٥).

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٣٩)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٣٧٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٤٣٧).
(٢) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٨١).
(٣) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٥١٩) لابن مسعود، والبحر المحيط (١٠/ ٥١٨) لبعض القراء.
(٤) وهي شـاذة، عزاها له في مختصر الشواذ (ص: ١٧٦)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٥١٩) لليماني.
(٥) قول قتادة ورد في تفسير الطبري (٢٤/ ٥٤٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٤٣٧)، ولم أقف على قول الضحاك.

وقال الحسن: الصحفُ المطهَّرة في السماءِ[١].

وقوله تعالى: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾، فيه حذف مضاف، تقديره: فيها أَحكام كُتُب قيِّمة.

و﴿قَيِّمَةٌ﴾ معناه: قائمة معتدلة آخذة للناس بالعدل، وهو بناءُ مبالغة.

فإِلى ﴿قَيِّمَةٌ﴾ هو ذكر مَن آمن من الطائفتين[٢]، ثم ذكر تعالى مذمَّة من لم يؤمن من أَهل الكتاب من بني إِسرائيل، من أَنهم لم يتفرقوا في أَمر محمد ﷺ إِلَّا من بعد ما رأَوا الآيات الواضحة، وكانوا من قبل مُصْفِقين على نُبُوَّته وصفته، فلما جاءَ من العرب حسدوه.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿مُخْلِصِينَ﴾ بكسر اللام.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (مُخْلَصينَ) بفتح اللام[٣]، وكأَن ﴿ٱلدِّينَ﴾ على هذه القراءة منصوب بـ(يعبدوا)، أَو بمعنى يدل عليه، على أَنه كالظرف أَو الحال، وفي هذا نظر.

وقيل لعيسى عليه السلام: مَن المخلص لله تعالى؟ قال: الذي يعمل العمل لله تعالى ولا يُحب أَن يحمده الناس عليه[٤].

و﴿حُنَفَآءَ﴾: جمع حنيف، وهو: المستقيم المائل إِلى طرق الخير.

قال ابن جبير: لا تسمي العرب حنيفاً إِلَّا من حجَّ واختتن[٥].

وقال ابن عباس: ﴿حُنَفَآءَ﴾: حجَّاجاً مسلمين[٦].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) يعني الآية إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾.

(٣) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٥١٩).

(٤) لم أجده.

(٥) تفسير الماوردي (٦/ ٣١٧).

(٦) أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٥٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

و﴿ حُنَفَآءَ ﴾ نصب على الحال.

وكون الصلاة مع الزكاة في هذه الآية مع ذكر بني إِسرائيل فيها يقوِّي قول من قال: السورة مدنية؛ لأَن الزكاة إِنما فرضت بالمدينة، ولأَن النبي ﷺ إِنما دفع لمناقضة أَهل الكتاب بالمدينة.

وقرأ الجمهور: ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ على معنى: الجماعة القيمة، أَو الفرقة القيمة.

وقال محمد بن الأَشعث الطالقاني: ﴿ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ هنا: الكتب التي جرى ذكرها[١].

وقرأ بعض الناس: (وَذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمَةُ)[٢].

والهاءُ في ﴿ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ على هذه القراءة بناءُ مبالغة كعلَّامة ونسَّابة، ويتجه ذلك أَيضاً على أَن تجعل (الدِّينُ) بمنزلة الملَّة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾.

حكم الله تعالى في هذه الآية بتخليد الكافرين من أَهل الكتاب والمشركين ـ وهم عَبَدة الأَوثان ـ في النار، وبأَنهم شرُّ البريَّة.

و﴿ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾: جميع الخلق؛ لأَن الله تعالى برأَهم، أَي: أَوجدهم بعد العدم.

وقرأ نافع، وابن عامر، والأَعرج: ﴿ الْبَرِيئَة ﴾ بالهمزة، من برأَ.

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٦١).

(٢) وهي شاذة، عُزيت لابن مسعود في معاني القرآن للفراء (١/ ٣٣١)، وإعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٦٩).

وقرأَ الباقون والجمهور: ﴿ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ بشد الياءِ بغير همز، على التسهيل[١]، والقياسُ الهمز، إِلَّا أَن هذا مما تُرِك همْزُه كالنبيِّ والذُّرِّية.

وقال بعض النحويِّين: ﴿ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ مأْخوذ من الْبَراء، وهو: التراب، وهذا الاشتقاق يجعل الهمز خطأً وغلطاً، وهو اشتقاق غير مرضيٍّ.

و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: شروط تَعُمُّ جميع أُمة محمد ﷺ، ومَنْ آمن بِنبِيِّه من الأُمم الماضية.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾، وقرأَ بعض قراءِ مكة: (خيارُ) بأَلِف[٢].

وروي حديث عن النبي ﷺ أَنه قرأَ هذه الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾، ثم قال لعليِّ ابن أَبي طالب رضي الله عنه: «أَنت يا عليُّ وشيعتك من خير البرية»[٣]، ذكره الطبري.

وفي الحديث أَن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا خير البرية، فقال له: «ذلك إِبراهيم عليه السلام»[٤].

وقوله تعالى: ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ فيه حذف مضاف تقديره: سُكْنى جنات عدن، أَو دخولُ جنات عدن.

---

(١) وهما سبعيتان، وهشام بالثانية، انظر التيسير (ص: ٢٢٤)، والسبعة (ص: ٦٩٣).

(٢) وهي شاذة، عزاها لهم الكرماني في الشواذ (ص: ٥١٩)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٧٦)، لعامر بن عبد الواحد.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل والأسدية ٣، والخبر موضوع: أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٥٦) من طريق عيسى بن فرقد، عن أبي الجارود، عن محمد بن علي أبي جعفر الباقر مرسلاً، وأبو الجارود هو زياد بن المنذر الهمداني رافضي كذبه يحيى بن معين، وأخرجه ابن عدي في الكامل (١/ ١٧٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٢/ ٣٧١) من طريق أحمد بن سالم أبي سمرة، عن شريك، عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً، وهو باطل؛ آفته أحمد بن سالم هذا، وفي ترجمته أورده ابن عدي وقال: له مناكير، وقال ابن حبان: يروي عن الثقات الأوابدَ والطامات.

(٤) مسلم (٢٣٦٩) من حديث أنس بن مالك.

و«العَدْنُ»: الإِقامةُ والدوامُ، عَدَنَ بالموضع: أَقام، ومنه المعدن؛ لأَنه راسٍ ثابتٌ.

قال ابن مسعود: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾: بُطنان الجنة، أَي: وسَطُها[١].

وقوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ قيل: ذلك في الدنيا، فرضاه عنهم: هو ما أَظهره عليهم من أَمارات رحمته وغُفرانه، ورضاهم عنه: هو رضاهم بجميع ما قَسَم لهم من جميع الأَرزاق والأَقدار.

وقال بعض الصالحين: رِضَا العباد عن الله تعالى: رضاهم بما يَرِدُ من أَحكامه، ورضاهُ عنهم: توفيقُهم للرضا عنه.

وقال أَبو بكر بن طاهر: الرضا عن الله تعالى: خروج الكراهية من القلب حتى لا يكون إِلَّا فرح وسرور[٢].

وقال سريٌّ السَّقطي: إِذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تطلب منه أَن يرضى عنك؟[٣].

وقيل: ذلك في الآخرة، فرضاهم عنه: هو رضاهم بما منَّ عليهم به من النعم، ورضاه عنهم: هو ما رُوي من أَن الله تعالى يقول لأَهل الجنة: «هل رضيتم بما أَعطيتكم؟» فيقولون نعم يا ربنا، وكيف لا نرضى وقد أَعطيتنا ما لم تُعط أَحداً من العالمين؟ فيقول: «أَفلا أُعطيكم أَفضل من كل ما أَعطيتكم؟ رضواني فلا أَسخط عليكم أَبداً»[٤].

---

(١) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة (٣٤٠٣٣) من طريق أبي الضحى، والطبري (١١/ ٥٦١) من طريق عبد الله بن مرة كلاهما (أبو الضحى، وعبد الله)، عن مسروق، عن ابن مسعود به.

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٦٢).

(٣) وقفت على هذا الكلام في تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٦٢) منسوباً للسهمي، ولعله خطأ، والله أعلم، ولم أقف عليه منسوباً للسقطي.

(٤) متفق عليه: البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩) عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة؟ فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من =

وخصَّ تعالى بالذكر أَهل الخشية؛ لأَنها رَأسُ كل بركة، الناهية عن المعاصي، الآمرة بالمعروف.

= ذلك، قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سُورة الزلزلة

وهي مكية، قاله ابن عباس وغيره(١).

وقال قتادة ومقاتل: هي مدنية؛ لأَن آخرها نزل بسبب رجلين كانا بالمدينة(٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾.

العامل في ﴿إِذَا﴾ على قول جمهور النحاة ـ وهو الذي يقتضيه القياس ـ: فعلٌ مضمر يقتضيه المعنى، وتقديره: تحشرون إِذا، أَو تجازَوْن/، ونحو هذا، ويمتنع أَن [٥/ ٣٠٨] يعمل فيه ﴿زُلْزِلَتِ﴾؛ [لأن ﴿إِذَا﴾ مضافة إلى ﴿زُلْزِلَتِ﴾، ومعنى الشرط فيها ضعيف.

وقال بعض النحويين: يجوز أن يعمل فيها ﴿زُلْزِلَتِ﴾](٣)؛ [لأَن معنى الشرط لا

(١) لم أقف عليه مسنداً، بل أخرج ابن مردويه كما في الدر المنثور (١٥/ ٥٧٩) عن ابن عباس قال: نزلت سورة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ بالمدينة.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٧٩٢).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من المطبوع.

يفارقها][1]، وقد تقدمت نظائرها في غير سورة.

و﴿ زُلْزِلَتِ ﴾ معناه: حُرِّكت بعنف، ومنه الزلزال.

وقوله تعالى: ﴿زِلْزَالَهَا﴾ أَبلغ من قوله: زلزالاً دون إِضافة إِليها، وذلك أَن المصدر غير مضاف يقع على كل قدر من الزلزال وإِن قلَّ، وإِذا أُضيف إِليها وجب أَن يكون على قدر ما يَسْتَحِقُّه ويَسْتَوجبه جِرْمها وعِظَمُها، وهذا كما تقول: أَكرمتُ زيداً كرامَةً، فذلك يقع على كلِّ كرامة وإن قلَّت بحسب زيد، فإِذا قلتَ: كَرَامَتَهُ أَوجبت أَنك قد وفَّيْتَه حقَّه.

وقرأَ الجمهور: ﴿زِلْزَالَهَا﴾ بكسر الزَّاي الأُولى.

وقرأَ بفتحها عاصم الجحدري[2]، وهو أَيضاً مصدر كالوَسْواس ونحوه.

و«الأَثْقَالُ»: الموتى الذين في بطنها، قاله ابن عباس[3]، وهذه إِشارة إِلى البعث، وقال قوم من المفسرين ـ منهم منذر بن سعيد والزَّجاج والنَّقاش: أَخرجت موتاها وكنوزها[4].

قال القاضي أَبو محمد: وليست القيامة بموطن لإِخراج الكنوز، وإِنما تخرج كنوزها وقت الدجال.

وقول الإِنسان: ﴿مَا لَهَا﴾: هو قول على معنى التَّعجب من هول ما يرى.

---

(١) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «لأن ﴿إِذَا﴾ مضاف إلى ﴿زُلْزِلَتِ﴾، ومعنى الشرط فيها ضعيف».
(٢) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٥٢٠).
(٣) ضعيف: أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٥٩) عن محمد بن سنان القزاز، عن أبي عاصم، عن شبيب، عن عكرمة، به، بنحوه. ومحمد بن سنان ضعيف، وأخرجه الطبري أيضاً من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس به.
(٤) معاني القرآن للزجاج (٥/ ٣٥١)، وقول منذر بن سعيد والنقاش ورد في تفسير البحر المحيط (٨/ ٤٩٦).

قال جمهور المفسرين: ﴿ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ هنا يراد به الكافر، وهذا متمكِّن؛ لأَنه يرى ما لم يظن به قط ولا صدَّقه.

وقال بعض المتأولين: هو عامٌّ في المؤمن والكافر، فالكافر على ما قدمناه، والمؤمن ـ وإِن كان قد آمن بالبعث ـ فإِنه استهول المرأَى، وقد قال ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة»(١).

و«إِخْبارُ الأَرْض»: قال ابن مسعود والثوري وغيرهما: هو شهادتها بما عمل عليها من عمل صالح وفاسد، فالتحديث على هذا حقيقة، وكلام بإِدراك وحياة يخلقها الله تعالى، وأَضاف تعالى الأَخبار إِليها؛ من حيث وَعَتْها وحَصَّلتْها.

وانتزع بعض العلماءِ من قوله تعالى: ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أَن قول المحدث: «حدَّثنا» و«أَخبرنا» سواءٌ(٢).

وقال الطبري وقوم: التحديث في الآية مجاز(٣)، والمعنى: أَن ما تفعله بأَمر الله تعالى من إِخراج أَثقالها، وتَفَتُّت أَجزائها، وسائر أَحوالها، هو بمنزلة التحديث بأَنبائها وأَخبارها.

ويؤيد القول الأَول قول النبي ﷺ: «فإِنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جِنٌّ ولا إِنْس ولا شيءٌ إِلَّا شهد له يوم القيامة»(٤).

---

(١) صحيح، وقد سبق تخريجه عند الآية رقم (٢٦٠) من سورة البقرة، ونضيف هنا: ولأبي بشر جعفر ابن أبي وحشية متابع لا بأس به، فقد أخرج الطبراني في الأوسط (٧/ ١٠٤) من طريق: إسحاق ابن عبد الله الخشك، ثنا حفص بن عبد الرحمن، ثنا محمد بن إسحاق، عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الخبر كالمعاين»، قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن حكيم بن حكيم إلا محمد بن إسحاق، ولا عن محمد إلا حفص بن عبد الرحمن، تفرد به إسحاق بن الخشك. اهـ.

(٢) انظر الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع (ص: ١٢٤).

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٤٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وقرأ عبد الله بن مسعود: (تُنْبِئ أَخبارَهَا)، وقرأ سعيد بن جبير: (تُبَيِّنُ)[١].

قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ﴾، الباءُ باءُ السبب.

وقال ابن عباس[٢]، وابن زيد، والقرظي[٣]: المعنى: أَوْحى إِليها، وهذا الوحي ـ على هذا التأويل ـ يحتمل أَن يكون وحي إِلهام.

ويحتمل أَن يكون وحياً برسول من الملائكة، وقد قال الشاعر:

[الرجز] أَوْحَى لَها الْقَرارَ فاسْتَقَرَّتِ وشَدَّهَا بالرَّاسِيَاتِ الثُّبَّتِ[٤]

والوحي في كلام العرب: إِلقاءُ المعنى إِلقاءً خفيّاً.

وقال بعض المتأَولين: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ معناه: أَوحى إِلى ملائكته المتصرفين أَن تفعل في الأَرض تلك الأَفعال.

وقوله تعالى: ﴿لَهَا﴾ بمعنى: من أَجْلها، ومن حيث الأَفعال فيها فهي لها.

وقوله تعالى: ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ بمعنى: ينصرفون من موضع وِردهم مختلفي الأَحوال.

وواحد «الأَشتات»: شَتٌّ، فقال جمهور الناس: الوِرْدُ: هو الكون في الأَرض بالموت والدفن، والصَّدر: هو القيام للبعث، و﴿أَشْتَاتًا﴾ معناه: قومٌ مؤمنون وقوم كافرون وقوم عُصاة مؤمنون، والكلُّ سائر إِلى العَرْض ليرى عمله ويقف عليه.

---

(١) شاذتان، الثانية في الهداية (١٢/ ٨٣٩١)، والأولى عزاها في الشواذ للكرماني (ص: ٥٢٠)، ومختصر الشواذ (ص: ١٧٧) لابن جبير.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٦٢) عن محمد بن سنان، عن أبي عاصم، عن شبيب، عن عكرمة، به. ومحمد ابن سنان القزاز ضعيف.

(٣) في المطبوع: «القرطبي»، وهو خطأ، انظر تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٦٥).

(٤) الرجز للعجاج كما تقدم في تفسير الآية (١١١) من سورة المائدة.

وقال النقاش: الورْدُ: هو المحشر، والصَّدر أَشتاتاً: هو صدر قوم إِلى الجنة وقوم إِلى النار[١].

وقوله تعالى: ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾: إِما أَن يكون معناه: جزاءَ أَعمالهم يراه أَهل الجنة بالنعيم وأَهل النار بالعذاب.

وإِما أَن يكون قوله تعالى: ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ متعلقاً بقوله سبحانه: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾، ويكون قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ اعتراضاً بين أَثناءِ الكلام.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿لِّيُرَوْاْ﴾ بضم الياءِ، على بناءِ الفعل للمفعول.

وقرأَ الحسن، والأَعرج، وقتادة، وحمَّاد بن سَلَمة، والزهري، وأَبو حَيْوة: (لِيَرَوْا) بفتح الياءِ، على بنائه للفاعل[٢].

ثم أَخبر تعالى أَنه من عَمِلَ عملاً رآه، قليلاً كان أَو كثيراً، فخرجت العبارة عن ذلك بمثال التقليل، وهذا هو الذي يُسَمِّيه أَهلُ الكلام مفهوم الخطاب، وهو: أَن يكون المذكور والمسكوت عنه في حكم واحد، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وهذا كثير.

وقال ابن عباس وبعض المفسرين: رؤية هذه الأَعمال هي في الآخرة[٣]، وذلك لازم من لفظ السورة وسردها، فيرى الخيرَ كلَّه من كان مؤمناً، والكافر لا يرى في الآخرة خيراً؛ لأَن خيره قد عُجِّل له في دنياه، وكذلك المؤمن أَيضاً تُعَجَّل له سيآته الصغار في دنياه في المصائب والأَمراض ونحوها، فيجيءُ من مجموع هذا أَن من عمل من المؤمنين مثقال ذرَّة من خيْر أَو شرٍّ رآه، فيخرج من ذلك أَلَّا يرى الكافر خيراً في الآخرة.

---

(١) لم أجده.

(٢) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٢٠).

(٣) لم أجده.

ومنه حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت: يا رسول الله، أَرأَيت ما كان يفعل عبد الله بن جُدعان من البرِّ وصلة الرحم وإِطعام الطعام، أَلهُ في ذلك أَجْرٌ؟ فقال: «لا؛ إِنه لم يقل قطُّ: ربِّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين»(١).

وكان رسول الله ﷺ يسمِّي هذه الآية: الجامعة الفَاذَّة، وقد نصَّ على ذلك حين سُئل عن الحُمُر... الحديث(٢).

وأَعطى سعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه سائلاً تمرتين، فقبض السائل يده، فقال له سعد: ما هذا؟ إِن الله تعالى قَبِل منا مثاقيل الذَّرِّ(٣).

وفَعَلَتْ نحوَ هذا عائشةُ رضي الله عنها في حبَّة عنب(٤)، وسمع هذه الآية صعصعة ابن عقال التميمي عند النبي ﷺ فقال: حَسْبي، لا أُبالي أَلا أَسمع غيرها(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) متفق عليه: البخاري (٢٣٧١)، ومسلم (٩٨٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور (١٥/ ٥٩٤) من طريق عطاء بن فروخ، عن سعد فذكره.

(٤) هذا الأثر أورده مالك في الموطأ (٣٦٥٦) بلاغاً، ومن طريقه البيهقي في الشعب (٣١٩١).

(٥) لا تثبت صحبة راويه فلعل ذكر النبي ﷺ في الحديث خطأ، أخرجه ابن سعد في الطبقات (٧/ ٣٩)، وأحمد (٥/ ٥٩)، والنسائي في الكبرى (١١٦٣٠)، والطبراني في الكبير (٧٤١١)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٧١١)، وغيرهم، من طرق عن جرير بن حازم، عن الحسن، عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبي ﷺ الحديث، وقد اختلف على جرير بن حازم فيه، فقيل: عنه، عن الحسن، عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق، وهي رواية الأكثر عنه، لكن خطأها ابن الأثير في أسد الغابة، والمزي، وابن حجر في التهذيب، والإصابة، ورواه هدبة بن خالد عن جرير عند الطبراني والحاكم والمزي، فقال: عن صعصعة بن معاوية عم الأحنف، وهو الذي صوبوه، وذكروا أنه ليس للفرزدق عم اسمه صعصعة، لكن جده اسمه صعصعة بن ناجية، وذكروا له صحبة، وأما صعصعة بن معاوية فقد اختلفوا في صحبته، قال البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٣٢٠): سمع أبا ذر، سمع منه الحسن، يعد في البصريين، وقال الحافظ في تهذيب التهذيب (٤/ ٤٢٣): توثيق النسائي له دليل على أنه عنده تابعي، وكذا ابن حبان إنما ذكره في التابعين، وكذا صنع خليفة بن خياط. وقال الحافظ في تقريب التهذيب: قيل: إنه مخضرم. اهـ.

وسمعها رجلٌ عند الحسن فقال: انتهت الموعظة، فقال الحسن: فَقُهَ الرَّجُلُ(١).

[وقرأ هشام عن ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: ﴿يَرَهْ﴾ بسكون الهاءِ في الأُولى والآخرة.

وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وحفص عن عاصم، وحمزة، والكسائي، / ونافع فيما رَوَى عنه ورش، والحلواني عن قالون عنه في الأُولى: ﴿يَـرَهُۥ﴾، وأَما الآخرة فإنه سكون وقف]. [٥/ ٣٠٩]

وأَما من أَسكن الأُولى فهي على لُغة من يخفف أمثال هذا، ومنه قول الشاعر:

.... وَنِضْوَايَ مُشْتَاقَانِ لَهْ أَرِقَانِ(٢) [الطويل]

وهذه لغة لم يحكها سيبويه، لكن حكاها الأَخفش(٣).

وقرأ أَبو عمرو وحده بضم الهاءِ فيهما مُشْبعتان(٤).

وقرأ أَبان عن عاصم، وابنُ عباس، وأَبو حيوة، وحميد بن الربيع عن الكسائي: ﴿يُرَهْ﴾ بضم الياءِ(٥)، وهي رؤية بصر، بمعنى: يجعله يدركه ببصره، والمعنى: يُرَى

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٩٧).

(٢) وصدره: فَظَلْتُ لَدَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ أُرِيغُهُ، وقد تقدم في تفسير الآية (٤١) من سورة هود، في المطبوع: «مطواي».

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في أحمد٣: «وقرأ هشام عن ابن عامر ﴿يره﴾ بالإسكان وصلًا ووقفاً، وقرأ ابن كثير بضمها وصلًا ووقفاً، وقرأ حمزة والكسائي بالسكون وقفاً والضم وصلاً»، وفيه على النسختين تخليط كثير، والحاصل أن فيها سبعيتين، الإسكان لهشام وحده، والباقون بالصلة وصلاً، انظر التيسير (ص: ٢٢٤)، وسقط «ابن عامر وحفص عن عاصم» من المطبوع، وفي نور العثمانية: «ابن عامر عن ابن ذكوان، وله وجه، لكنه انقلب».

(٥) انظر الخلاف عن أبان وشعبة، وعن الحلواني، وما ذكر عن أبي عمرو في السبعة (ص: ٦٩٤).

ثوابَه وجزاءَه؛ لأَن الأَعمال الماضية لا تُرى بعين أَبداً، وهذا الفعل كله من رَأَيْتُ بمعنى: أَدْرَكْتُ ببصري، فتعدِّيه إِنما هو إِلى مفعول واحد.

وقرأَ عكرمة: (خَيْراً يراهُ) و(شَرّاً يَرَاهُ)[١].

وقال النقاشُ: ليست برؤية بصر؛ وإِنما المعنى: يُصيبه وينالُه[٢].

ويُروى أَن هذه السورة نزلت وأَبو بكر رضي الله عنه يأْكل مع رسول الله ﷺ، فترك أَبو بكر رضي الله عنه الأَكل وبكى، فقال له رسول الله ﷺ: «يا أَبا بكر، ما يُبكيك؟» قال: يا رسول الله، أَوَ أُسْأَلُ عن مثاقيل الذَّرِّ؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا أَبا بكر، ما رأَيتَ في الدنيا مِمَّا تكره، فمثاقيل ذَرِّ الشَّر، ويدَّخر الله لك مثاقيل ذرِّ الخير»[٣].

و«الذَّرَّةُ»: نملةٌ صغيرة حمراءُ رقيقة لا يرجح بها ميزان، ويقال: إِنَّها تجري إِذا مضى لها حول، وقد تُؤُوِّل ذلك في قول امرئ القيس:

مِنَ الْقاصِراتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ ... مِنَ الـذَّرِّ فَوْقَ الإِتْبِ مِنْهـا لأَثَّرَا[٤] [الطويل]

وحكى النقاش أَنهم قالوا: كان بالمدينة رجلان، أَحدهما لا يبالي عن الصغائر يرتكبها، وكان الآخر يريد أَن يتصدَّق فلا يجد إِلَّا اليسير فيستحِي من الصدقة، فنزلت

---

(١) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٢٠).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) الأشبه مرسل، أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٦٤-٥٦٥)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٤٨٤)، والطبراني في الأوسط (٨٤٠٧)، والبيهقي في الشعب (٩٨٠٨) من طريق الهيثم بن الربيع، عن سماك ابن عطية، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس، فذكره.
والهيثم بن الربيع العقيلي ضعيف، ولكن له متابعة مرسلة عند الطبري من طريق عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي إدريس الخولاني: أن أبا بكر كان يأكل مع النبي ﷺ. فذكره مرسلاً.

(٤) تقدم في تفسير الآية (٤٠) من سورة النساء.

الآية فيهما[١]، كأَنه يقال لأَحدهما: تصدَّق باليسير؛ فإِن مثقال ذرَّة الخير تُرى، وقيل للآخَر: كُفَّ عن الصغائر؛ فإِن مقادير ذرِّ الشَّرِّ تُرَى.

(١) لم أهتد إليه.

سُورَةُ العَادِيَاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سُورة العاديات

وهي مكيَّة في قول جماعة من أَهل العلم، وقال المهدوي عن أَنس بن مالك: هي مدنية[(١)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ٥ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ٨ ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ١١﴾.

اختلف الناس في المراد بـ(العاديات):

فقال ابن عباس[(٢)]، وقتادة، ومجاهد، وعكرمة: أَراد الخيل؛ لأنها تعدو بالفرسان، وتضبح بأَصواتها[(٣)].

---

(١) لم أقف عليه، وانظر التحصيل للمهدوي (٧/ ١٥٤).

(٢) صحيح، أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٩٠)، والطبري (٢٤/ ٥٧٣) من طريق ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس قال: هي الخيل، وفي لفظ: ما ضبحت دابة قط إلا كلب أو فرس.

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٥٨)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٤٠٠).

قال بعضهم: وسببها أَن رسول الله ﷺ بعث خيلاً إِلى بني كنانة سريَّة، فأَبطأَ أَمْرها عليه حتى أَرجف بعض المنافقين، فنزلت الآية معلمة أَن خيله ﷺ قد فعلت جميع ما في الآيات(١).

وقال آخرون: القَسَم هو بالخيل جملة؛ لأَنها تعدو ضابحة قديماً وحديثاً، وهي حاصرة البلاد، وهادمة الممالك، وفي نواصيها الخير إِلى يوم القيامة.

وقال عليٌّ بن أَبي طالب رضي الله عنه، وابن مسعود(٢)، وإِبراهيم، وعبيد بن عمير: (العاديات) في هذه الآية: الإِبلُ؛ لأَنها تَضْبَح في عَدْوها(٣).

---

(١) ضعيف: أخرجه البزار (٢٢٩١ ـ كشف) من طريق حفص بن جميع، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً، فأشهرت شهراً لا يأتيه منها خبر، فنزلت: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾: ضبحت بأرجلها، ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾: قدحت بحوافرها الحجارة فأورت ناراً، ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾: صبحت القوم بغارة، ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾: أثارت بحوافرها التراب، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾: قال: صبحت القوم جمعاً، وحفص بن جميع العجلي ضعيف.

(٢) أثر علي بن أبي طالب أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٧٣-٥٧٤)، وابن أبي حاتم كما عند ابن كثير (٨/ ٤٨٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٠٥) من طريق ابن وهب، عن أبي صخر حميد بن زياد، عن أبي معاوية عمار الدهني البجلي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: بينما أنا في الحجر جالس، أتاني رجل يسأل عن (العاديات ضبحاً)، فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل، فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم. فانفتل عني، فذهب إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه وهو تحت سقاية زمزم، فسأله عن (العاديات ضبحاً) فقال: سألت عنها أحداً قبلي؟ قال: نعم، سألت عنها ابن عباس، فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله، قال: اذهب فادعه لي؛ فلما وقفت على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك به، والله لكانت أول غزوة في الإسلام لبدر، وما كان معنا إلا فرسان: فرس للزبير، وفرس للمقداد، فكيف تكون (العاديات ضبحاً)؟ إنما (العاديات ضبحاً) من عرفة إلى مزدلفة إلى منى؛ قال ابن عباس: فنزعت عن قولي، ورجعت إلى الذي قال علي رضي الله عنه، وعمار الدهني لم يسمع من سعيد بن جبير، وكان فيه تشيع، وأما أثر ابن مسعود فقد أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٧٣) من طرق، عن الأعمش، عن إبراهيم النخعي، عن ابن مسعود به، وهذا إسناد صحيح، لو سلم من تدليس الأعمش.

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٥٩)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٤٠٠)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٦٩).

وقال عليٌّ: والقسم بالإِبل العاديات من عرفة ومن المزدلفة إِذا دفع الحاجُّ، وبإِبل غزوة بدر؛ فإِنه لم يكن في الغزوة غير فرسين، فرس المقداد وفرس الزبير[١].

و«الضَّبْحُ»: تصويت جهير عند العدو الشديد، ليس بصهيل ولا رُغاءٍ ولا نُباح، بل هو غير المعتاد من صوت الحيوان الذي يضبح.

وحكي عن ابن عباس رضي الله عنه: أَنه ليس يضبح من الحيوان غير الخيل والكلاب[٢].

وهذا عندي لا يصح عن ابن عباس؛ وذلك أَن الإِبل تضبح، والأَسْودُ من الحيات، والبومُ، والصَّدَى، والأَرنب، والثعلبُ، والقوسُ، هذه كلها قد اسْتَعْمَلَت العرب لها الضبح.

أَنشد أَبو حنيفة في صفة قَوْسٍ:

حَنَّانَةٌ مِنْ نَشَمٍ أَوْ تَأْلَبِ تَضْبَحُ في الْكَفِّ ضُبَاحَ الثَّعْلَبِ[٣] [الرجز]

والظاهر في الآية أَن القسم بالخيل أَو بالإِبل أَو بهما.

قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾: قال عليُّ بن أَبي طالب وابن مسعود رضي الله عنهما: هي الإِبل؛ وذلك أَنها في عَدْوها ترجمُ الحصى بالحصى فتتطاير منه النار، فذلك القَدْح[٤].

وقال ابن عباس رضي الله عنه: هي الخيل؛ وذلك بحوافرها في الحجارة[٥]، وذلك معروف.

---

(١) انظر الأثر السابق.

(٢) لم أجده.

(٣) نقله عنه في المحكم والمحيط الأعظم (٣/ ١٣٧)، بلا نسبة.

(٤) أثر علي لم أقف عليه بهذا اللفظ، وأما أثر ابن مسعود فقد أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٧٨) عن محمد ابن حميد الرازي، عن جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن عبد الله ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾: قال: إذا نسفت الحصى بمناسمها، فضرب الحصى بعضه بعضاً، فتخرج منه النار، ومحمد بن حميد الرازي ضعيف.

(٥) أخرجه البزار (٢٢٩١ ـ كشف)، وقد تقدم قريباً جداً.

وقال عكرمة: (الموريات قدحاً): هي الأَلْسُن، فهذا على الاستعارة، أَي: ببيانها تقدح الحُجَجَ وتظهرها.

وقال مجاهد: (الموريات قدحاً) يراد به: مكْرُ الرجال.

وقال قتادة: (المورياتُ): الخيل تشعل الحرب، فهي أَيضاً على الاستعارة البَيِّنة(١).

وقال ابن عباس أَيضاً وجماعة من العلماءِ: الكلام عامٌّ يُدْخل في القسم كلَّ من يظهر بقدحه ناراً، وذلك شائع في الأُمم طول الدهر(٢)، وهو نفع عظيم من الله تعالى في عباده، وقد وقف عليه في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ [الواقعة: ٧١]، ومعناه: تُظْهرون بالقدح.

قال عَدِيٌّ بن زيد:

[الخفيف] فَقَدَحْنا زِنادَنا وَوَرَيْنا فَوْقَ جُرْثومَةٍ مِنَ الأَرْضِ نارا(٣)

قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾: قال علي بن أَبي طالب وابن مسعود رضي الله عنهما: هي الإِبل من مزدلفة إِلى منى، أَو في بدر، والعرب تقول: أَغار: إِذا جرى جرياً، ونحوه.

وقال ابن عباس وجماعة كثيرة: هي الخيل، واللفظة من الغارة في سبيل الله وغير ذلك من سير الأُمم، وعُرْف الغارات أَنها مع الصباح؛ لأَنها تسري ليلة الغارة(٤).

[٥/ ٣١٠] و«النَّقْعُ»: الغُبار الساطع المثار / .

---

(١) انظر أقوال عكرمة وقتادة ومجاهد في تفسير الطبري (٢٤/ ٥٦٠)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٧٠)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٤٠٢).

(٢) لم أهتد إليه.

(٣) لم أجد من استشهد به، والجُرْثُومة: المكان المرتفع من الأرض.

(٤) انظر الأثرين المتقدمين عن ابن عباس وعلي.

وقرأ أبو حيوة: (فَأَثَّرْنَ) بشد الثاءِ[١].

والضمير في ﴿بِهِۦ﴾: ظاهره أنه للصبح المذكور.

ويحتمل أن يكون للمكان والموضع الذي يقتضيه المعنى وإن كان لم يجر له ذكر، ولهذا أمثلة كثيرة، ومشهور إثارةِ النقع هو للخيل، ومنه قول الشاعر:

يُخْرِجْنَ مِنْ مستطار النَّقْعِ دَامِيَةً ... كَأَنَّ آذَانَهَا أَطْـرَافُ أَقْـلَامِ[٢] [البسيط]

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: هو هنا للإبل تثير النَّقْع بأخفافها[٣].

قوله تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾، قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه وابن مسعود رضي الله عنه: هي الإِبلُ، و(جَمْعٌ): هي المزدلفة[٤].

وقال ابن عباس وجماعةٌ: هي الخيل، والمراد: جَمْعٌ من الناس، هم المغزوُّون.

وقرأ عليٌّ وقتادة وابن أبي ليلى: (فَوَسَّطْنَ) بشدِّ السين[٥].

وقال بشر بن أبي خَازِم:

فَوَسَطْنَ جَمْعَهُمُ وأَفْلَتَ حَاجِبٌ ... تَحْتَ الْعَجاجَةِ في الغُبارِ الأَقْتَمِ[٦] [الكامل]

---

(١) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٢١).

(٢) البيت لعَديّ بن الرقاع كما في العقد الفريد (١/ ١٤١)، وسمط اللآلي (١/ ٨٧٦)، ونهاية الأرب (١٠/ ١)، وخزانة الأدب (١٠/ ٢٤٠)، وعزاه في العمدة في محاسن الشعر (١/ ٢٦٣) لجرير، وعزاه في ربيع الأبرار (٥/ ٣٥١) لأسامة بن سفيان البجلي، وفي نجيبويه: «أذنابها»، وفي الأصل ونجيبويه: «مستطير النقع»، وفي المطبوع: «فرجات النقع».

(٣) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور (١٥/ ٦٠٠) من طريق الشعبي، عن علي فذكره في قصة.

(٤) أثر علي وابن عباس تقدم، وأما أثر ابن مسعود فقد أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٨٤) عن محمد بن حميد الرازي، عن جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن عبد الله قال: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾، يعني: مزدلفة، ومحمد بن حميد الرازي ضعيف.

(٥) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٢١).

(٦) عزاه له في البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٥٢٩)، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١١/ ٨٨).

وذكر الطبري عن زيد بن أَسلم أَنه كان يكره تفسير هذه الأَلفاظ ويقول: هو قَسَم أَقسم الله تعالى به[١]، وجمهور العلماءِ والأُمة مفسرون لها كما ذكرنا.

والقَسَم واقع على قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾، وروي عن رسول الله ﷺ أَنه قال: «أَتدرون ما الكنود؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هو الكفور الذي يَأكل وحده، ويمنع رِفْده، ويضرب عبده»[٢].

وقد يكون في المؤمنين: الكفور بالنعمة، فتقدير الآية: إِن الإِنسان لنعمة ربِّه لكنود، وأَرْضٌ كنود: لا تنبت شيئاً.

وقال الحسن بن أَبي الحسن: «الكنود»: اللائم لِرَبِّه سبحانه، يعدُّ السيئات وينسى الحسنات[٣].

والكنود: العاصي بلغة كندة، ويقال للبخيل: كَنُودٌ، قال أَبو زُبَيْدٍ:

[الخفيف] إِنْ تَفُتْني فَلَمْ أَطِبْ عَنْكَ نَفْساً غَيْـرَ أَنِّـي أُمْنَـى بِدَهْـرٍ كَنُـودِ[٤]

وقال الفضيل: الكنود: هو الذي تنسيه سيئة واحدة حسناتٍ كثيرة، ويعامل الله على عقد عوض[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾: يحتمل الضمير أَن يعود على الله تعالى،

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٦٢-٥٦٣).

(٢) ضعيف جدّاً: أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٨٦)، وابن أبي حاتم كما في تفسير بن كثير (٨/ ٤٨٨)، والطبراني (٧٩٥٨-٧٧٧٨) من طريق جعفر بن الزبير الحنفي، عن القاسم أبي عبد الرحمن الشامي، عن أبي أمامة مرفوعاً بنحوه، وجعفر بن الزبير الحنفي متروك الحديث.

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٦٧)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٤٠٦)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٧١)، وتفسير الماوردي (٦/ ٣٢٥).

(٤) انظر عزوه له في أمالي اليزيدي (ص: ١٣)، والاختيارين (ص: ٥٣٥)، وفي تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٧١): أبو ذبيان، ولعله تصحيف.

(٥) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٧١).

وقاله قتادة، أَي: وربُّه شاهد عليه، ونفس[1] هذا الخبر يقتضي الشهادة بذلك.

ويحتمل أَن يعود على الإِنسان، أَي: أَفعالُه وأَقوالُه وحالُه المعلومة من هذه الأَخلاق تشهد عليه، فهو شاهد على نفسه بذلك، وهذا قول الحسن ومجاهد[2].

والضمير في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ عائد على الإِنسان لا غير، والمعنى: من أَجل حب الخير لشديد، أَي: بخيل بالمال ضابط له، ومنه قول الشاعر:

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرامَ وَيَصْطَفِي عَقيلَـةَ مـالِ الْفَاحِـشِ الْمُتَشَـدِّدِ[3] [الطويل]

و﴿ٱلْخَيْرِ﴾: المالُ على عُرف ذلك في كتاب الله تعالى، قال عكرمة: «الخير» حيث وقع في القرآن فهو المال[4].

ويحتمل أَن يريد هنا الخير الدنيوي: من مالٍ وصحةٍ وجاهٍ عند الملوك ونحوه؛ لأَن الكفار والجهال لا يعرفون غير ذلك، فأَما المحبُّ في خير الآخرة فممدوح مرجُوٌّ له الفوز.

وقوله: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ توقيف على المآل والمصير، أَي: أَفَلَا يعلم مآله ومصيره فيستعد له؟

و«بَعْثَرَةُ ما في القبور»: نقضُه مما يستره والبحثُ عنه، وهي عبارة عن البعث.

وفي مصحف ابن مسعود: (بُحِثَ مَا في القُبُور)[5].

وفي حرف أُبَيٍّ: (وَبُحْثِرَتِ الْقُبُورُ)[6].

---

(١) في الأصل: «وتفسير»، وقول قتادة في تفسير الطبري (٢٤/ ٥٦٧).

(٢) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٦٢).

(٣) البيت من معلقة طرفة، كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ٣٢٩)، وشرح المعلقات التسع (ص: ٦٧)، ومجاز القرآن (٢/ ٣٠٨).

(٤) انظر تفسير الطبري (٣/ ٣٩٤).

(٥) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٨٦).

(٦) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٥٢١): «بحثر»، وكذا في معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٨٦): عن بعض أعراب بني أسد.

و«تَحْصيلُ ما في الصُّدور»: تَمْييزُهُ وكشْفُه ليقع الجزاءُ عليه من إِيمان وكفر وَنيَّة، ويفسِّرُه قوله ﷺ: «يبعث الناس على نيَّاتهم»[١].

وقرأَ يحيى بن يَعْمر، ونصر بن عاصم بفتح الحاءِ والصاد[٢].

ثم استُؤْنف الخبر الصادق الجزْمُ بأَن الله تعالى خبير بهم يومئذ، وهو تعالى خبير دائماً، لكن خصَّص يومئذٍ؛ لأَنه يَومُ المُجازاة فإِليه طمحت النفوس، وفي هذا وعيدٌ مُصَرَّح.

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨٤) من حديث عائشة.

(٢) وهي شاذة، ذكرها الكرماني في الشواذ (ص: ٥٢١).

سُورَةُ القَارِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سُورة: القارعة

وهي مكِّيَّة بلا خلاف.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾.

قرأَ: (الْقَارِعَةَ، مَا الْقَارِعَةَ) بالنصب عيسى[(١)].

قال جمهور المفسرين: ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾: القيامة نفسها؛ لأَنها تقرع القلوب بهولها.

وقال قَوم من المتأَوِّلين: ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾: صيحةُ النفخة في الصور؛ لأَنها تقرع الأَسماع وفي ضمن ذلك القلوب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾: تعظيم لأَمرها، وقد تقدم مثلُه.

و﴿يَوْمَ﴾ ظرف، والعامل فيه ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾.

وأَمال أَبو عمرو ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾[(٢)].

---

(١) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (١٠/ ٥٣٣).

(٢) وهي شاذة، رواها أبو عبد الرحمن وأبو حمدون عن اليزيدي كما في الكامل (ص: ٣٣٨).

و(الفَرَاش): طير دقيق يتساقط في النار ويقصدها، ولا يزال يتقحَّم على المصباح ونحوه حتى يحترق، ومنه قول النبي ﷺ: «وأنا آخذ بِحُجَزِكم عن النار، وأنتم تتقحَّمون فيها تقاحُم الفَراش والجنادب»(١).

وقال الفراءُ: (الفَراش) في الآية: غوغاءُ الجراد(٢)، وهو صغيره الذي ينتشر في الأَرض والهواءِ.

و﴿ٱلْمَبْثُوثِ﴾ معناه: المتفرِّق جمعه وجُملته موجودة متصلة.

وقال بعض العلماءِ: الناسُ أَول قيامهم من القبور كالفراش المبثوث؛ لأَنهم يجيئون ويذهبون على غير نظام، ثم يدعوهم الداعي فيتوجهون إِلى ناحية المحشر، فهم حينئذ كالجراد المنتشر؛ لأَن الجراد إِنما تَوَجُّهه أَبداً إِلى ناحية مقصودة.

واختلف اللغويون في (العِهْنِ): فقال أكثرهم(٣): هو الصوف عامّاً، وقيل: هو الصوف الأَحمر.

[٥/ ٣١١] وقال / آخرون: هو الصوف المُلَوَّن أَلواناً، واحتج هؤلاءِ بقول زهير:

[الطويل] كأَن فُتَاتَ الْعِهْن في كُلِّ مَنْزِلٍ نزَلْن به حبُّ الْفَنَا لَمْ يُحَطَّمِ(٤)

والفَنَا: عنب الثعلب، وحبُّه قبل التحطيم منه الأَخضر والأَحمر والأَصفر، وكذلك الجبال جُدد بيضٌ وحمرٌ وصفرٌ وسودٌ، فجاءَ التشبيه ملائماً، وكَوْنُ الجبال كالعهْن إِنما هو وقت التَّفْتيت وقبل النسف ومصيرها هباء، وهي درجات.

و«النَّفْشُ»: خلخلة الأَجزاءِ وتفريقها عن تراصِّها.

وفي قراءة ابن مسعود، وابن جبير: (كالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ)(٥).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٨٦).

(٣) في المطبوع ونجيبويه: «فقيل» بدل: «فقال أكثرهم».

(٤) البيت من معلقته، وقد تقدم في تفسير الآية (١١) من سورة المعارج.

(٥) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٧٩)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٢٨٦).

و«الموازين»: هي التي في القيامة، قال جمهور العلماءِ والفقهاءِ والمحدثين: ميزان القيامة بعمود وكفتين[١]؛ ليبيِّن الله تعالى أَمر العباد بما عهدوه وتيقَّنوه.

وقال مجاهد: ليس ثَمَّ ميزانٌ، إِنما هو العدلُ مثَّلَ ذكْره بالميزان؛ إِذْ هو أَعدل ما يدري الناس[٢].

وجُمعت الموازين للإنسان؛ لمَّا كانت له موزونات كثيرة متغايرة، وثِقل هذا الميزان هو بالإِيمان والأَعمال، وخِفَّته بعدمها وقلَّتها، ولن يخفَّ خفة موبقة ميزان مؤمن.

و﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ معناه: ذاتُ رضىً، على النَّسب، هذا قول الخليل وسيبويه[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾، قال كثير من المفسرين: المراد بالأُمِّ نفس الهاوية، وهي دَرْك من أَدْراك النار، وهذا كما يقال للأَرض: أُمُّ الناس؛ لأَنها تُؤْويهم، وكما قال عتبة بن أَبي سفيان في الحرب: فنحن بنوها وهي أُمُّنا[٤]، فجعل الله تعالى الهاوية أُمَّ الكافر لمَّا كانت مأَواه.

وقال آخرون: هذا تفاؤلٌ بشَرٍّ فيه تجوُّز[٥] في أم الولادة، كما قالوا: أُمُّهُ ثاكلٌ وخوى نجمه، وهَوَى نَجْمُه[٦].

وقال أَبو صالح وغيره: المرادُ: أُمُّ رأْسه؛ لأَنهم يهوون على رُؤوسهم[٧].

وقرأَ طلحة: (فَإِمُّهُ) بكسر الهمزة وضم الميم مشددة[٨].

---

(١) في الأصل: «بعود» بدل: «بعمود وكفتين».

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٧٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٤١٢)، وتفسير الماوردي (٦/ ٣٢٨).

(٣) الكتاب لسيبويه (٣/ ٣٨٢).

(٤) تقدم في تفسير الآية (٣٠) من سورة التوبة أنه من كلام عبد الملك بن مروان، وهو الصواب كما في أمالي القالي (١/ ١١).

(٥) «فيه تجوز» سقطت من نجيبويه، وأحمد٣، وسقطت: «في أم الولادة» من المطبوع.

(٦) في نجيبويه ونور العثمانية: «وخوى لحمه»، وسقط منها: «وهوى نجمه».

(٧) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٧٥)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٧٤).

(٨) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٢٢).

ثم قرَّر تعالى نبيَّه ﷺ على دراية أَمرها وتعظيمه، ثم أَخبره أَنها ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾.

وقرأَ ﴿مَا هِي﴾ بطرح الهاءِ في الوصل ابنُ أَبي إِسحاق والأَعمش[1].

وروى المبرد أَن النبي ﷺ قال لرجل: «لَا أُمَّ لك»، فقال: يا رسول الله، تدعوني إِلى الهدى وتقول: لا أُمَّ لك؟ فقال: إِنما أُريد: لا نارَ لك، قال الله تعالى: ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾[2].

(١) بل هي سبعية لحمزة كما تقدم في سورة الحاقة، وانظر التيسير (ص: ٢١٤).

(٢) لم أقف عليه.

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سُورة التكاثر

وهي مكيَّة لا أَعلم فيها خلافاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ① حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ⑧﴾.

(أَلهى) معناه: شغل بلذَاذته، ومنه لَهْوُ الحديث، والأَصوات، واللهو بالنساءِ.

وهذا خبرٌ فيه تقريع وتوبيخ وتحسر.

وقرأَ ابن عباس وأَبو عمران الجوني، وأَبو صالح: (آلْهاكم) على الاستفهام[(١)].

و﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾: هو المفاخرة بالأَموال والأَولاد والعدد جملة، وهذا هِجِّيرَى أَهل الدنيا وأَبنائها[(٢)] العربِ وغيرهم، لا يتخلَّص منه إلا العلماءُ المتقون، وقد قال الأعشى:

وَلَستَ بالأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصىً ... وَإِنَّمَا العِزَّةُ لِلْكَاثِرِ[(٣)] [السريع]

---

(١) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٢٢).

(٢) في نجيبويه ونور العثمانية: «هجيرى أبناء الدنيا».

(٣) انظر عزوه له في العين (٣/ ٢٦٧)، والاشتقاق (ص: ٦٤)، وتهذيب اللغة (٥/ ١٠٦)، والخصائص (١/ ١٨٥).

وقال النبيُّ ﷺ: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إِلَّا ما أَكلتَ فأَفْنَيْتَ، أَو لبستَ فأَبليتَ، أَو تصدَّقتَ فأَمضيت»[١].

واختلف المتأَولون في معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾:

فقال بعضهم: حتى ذكرتم الموت في تفاخركم بالآباءِ والسلف، وتكثَّرتم بالعظام الرُّمَام.

وقال آخرون: المعنى: حتى مُتُّم وزرتم بأَجسادكم مقابركم، أَي: قطعتم بالتكاثر أَعماركم.

وعلى هذا التأْويل رُوي أَن أَعرابيّاً سمع هذه الآية فقال: بعث القوم للقيامة وربِّ الكعبة؛ فإِن الزائر منصرف لا مقيم[٢].

وحكى النقاش هذه النزعة عن عمر بن عبد العزيز[٣].

وقال آخرون: هذا تأْنيب على الإِكثار من زيارة القبور، أَي: حتى جعلتم أَشغالكم القاطعة لكم عن العلم والتعلم زيارة القبور؛ تكثُّراً بمن سلف وإِشادة بذكره، وقال: ثم قال النبي ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، ولا تقولوا هُجْراً»[٤]، فكان نهيه ﷺ في معنى الآية، ثم أَباح بَعْدُ لمعنى الاتعاظ لا لمعنى المباهاة والافتخار؛ كما يفعل الناس في ملازمتها وتَسْنيمها بالرخام والحجارة، وتَلْوينها سرفاً، وبنيان النواويس عليها.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: زجر ووعيد، ثم كرر تعالى: ﴿ثُمَّ كَلَّا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٥٨) من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه.

(٢) لم أجده لغيره.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) أخرجه مسلم (٩٧٧) بدون قوله «ولا تقولوا هُجْراً»، أي: كلاماً فاحشاً وهو بضم الهاء وسكون الجيم، وهي عند النسائي وغيره (٢٠٣٣) من حديث بريدة بن الحصيب، وفي الباب عن علي، وابن مسعود، وأنس، وأبي هريرة رضي الله عنهم.

﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ تأكيداً، ويأْخذ الناس من هذا الزجر والوعيد المكرَّرَيْن كلُّ أَحد على قدر حظِّه من التوغُّل فيما يكره، هذا تأْويل جمهور الناس.

وقال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: (كَلَّا ستعلمون): في القبور، (ثم كَلَّا ستعلمون): في البعث[١].

وقال الضحاك: الزَّجر الأَول ووعيده للكفار، والثاني للمؤمنين[٢].

وقرَأ مالك بن دينار: (كلَّا سَتعْلَمُونَ) فيهما[٣].

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ﴾: جواب ﴿لَوۡ﴾ محذوف مقدر في القول، أَي: لازدجرتم وبادرتم إِنقاذ أَنفسكم من الهلكة.

و﴿ٱلۡيَقِينِ﴾: أَعلى مراتب العلم.

ثم أَخبر تعالى الناس أَنهم يرون الجحيم.

وقرأَ ابن عامر، والكسائي: ﴿لَتُرَوُنَّ﴾ بضم التاءِ، وقرأَ الباقون بفتحها[٤]، وهو الأَرجح، وكذلك في الثانية.

وقرأَ علي بن أَبي طالب رضي الله عنه بفتح التاءِ في الأُولى وضمها في الثانية.

وروي ضمها عن ابن كثير وعاصم[٥].

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وقد أخرج الطبري (٢٤/ ٦٠٠) من طريق حجاج، عن المنهال، عن زر، عن علي قال: كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه الآية ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ إلى ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ في عذاب القبر. وإسناده لين، حجاج هو ابن أرطاة، فيه ضعف ويدلس، ولفظ: كنا نشك فيها نكارة.

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٨١)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٤١٨)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٧٧).

(٣) وهي شاذة، لم أجدها لغير المؤلف، ولكن عزا له الكرماني (ص: ٥٢٢): (سوف يعلمون) بالياء فيهما، وفي وجه في الأول.

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٢٥)، وفي المطبوع وأحمد٣ ونجيبويه: «ابن عباس» مكان: «ابن عامر».

(٥) وهو شاذ في الثانية، ولم أجدها لعلي، وهي رواية أبان عن عاصم في الشواذ للكرماني (ص: ٥٢٢)، وسيعيدها لابن كثير.

و(تَرَوُنَّ) أَصله: تَرْأَيُون، نقلت حركة الهمزة إِلى الراءِ، وقلبت الياءُ أَلِفاً؛ لحركتها بعد مفتوح، ثم حذفت الألف؛ لسكونها / وسكون الواو بعدها، ثم جلبت النون المشدَّدة فحركت الواو بالضم؛ لسكونها وسكون النون الأُولى من المشدَّدة؛ إِذ قد حذفت نون الإِعراب للبناءِ. [٥/ ٣١٢]

وقال ابن عباس: هذا خطاب للمشركين[١]، فالمعنى على هذا أَنها رؤية دخول وصَلْي، وهو عين اليقين.

وقال آخرون: الخطاب للناس كلهم، فهي كقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]، فالمعنى: أَن الجميع يراها، ويجوز الناجي ويتكردس فيها الكافر.

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ تأكيد في الخبر.

و﴿ عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾: حقيقته وغايته.

وروي عن الحسن وأَبي عمرو أَنهما هَمَزَا (لَتَرَؤنَّ) و(لَتَرَؤنَّها) بخلاف عنهما[٢].

وروي عن ابن كثير: (ثُمَّ لَتُرَوُنَّها) بضم التاءِ[٣].

ثم أَخبر تعالى أَن الناس مَسْؤُولون يومئذٍ عن نعيمهم في الدنيا، كيف نالوه؟ ولِمَ آثروه؟ وتتوجه في هذا أَسْئِلَةٌ كثيرةٌ بحسب شخص شخص، هي منقادة لمن أُعطي فهما في كتاب الله تعالى.

وقال ابن مسعود، والشعبي، وسفيان، ومجاهد: ﴿ٱلنَّعِيمِ﴾: هو الأَمْن والصحة[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٠٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس قال: أهل الشرك.

(٢) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٧٩)، وضعفها.

(٣) وهي شاذة، كما تقدم، انظر الخلاف فيه عن شبل عن ابن كثير في جامع البيان (٤/ ١٧١٩).

(٤) لا يثبت عنه، أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٠٣)، وابن أبي حاتم كما عند ابن كثير (٨/ ٤٩٧) من طريق محمد ابن سليمان، عن ابن أبي ليلى، عن الشعبي، عن ابن مسعود به، ورواية ابن أبي حاتم عن ابن مسعود مرفوعاً، والشعبي لم يسمع من ابن مسعود، وأخرجه الطبري، والبيهقي في الشعب (٤٦١٥) من =

وقال ابن عباس: هو البَدَن والحواس، يُسأَل المرءُ فيما استعملهما؟[١].

وقال ابن جبير: هو كلُّ ما يُتَلَذَّذ به من طعام وشراب[٢].

وأَكل رسول الله ﷺ هو وبعض أَصحابه رطباً، وشربوا عليه ماءً فقال لهم: هذا من النعيم الذي تُسأَلون عنه[٣].

ومضى ﷺ يوماً هو وأَبو بكر وعمر رضي الله عنهما ـ وقد جاعوا ـ إِلى منزل أَبي الهيثم بن التيهان، فذبح لهما شاةً، وأطعمهم خبزاً ورطباً، واستعذب لهم ماءً، وكانوا في ظِلٍّ، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لتسأَلُن عن نعيم هذا اليوم»[٤].

وروي عنه ﷺ أَنه قال: «النعيم المسؤول عنه: كسرةٌ تقوته، وماءٌ يرويه، وثوب يواريه»[٥].

= طريق حفص بن غياث، عن ابن أبي ليلى، به موقوفاً، وأخرجه هناد في الزهد (٦٩٤) عن حفص ابن غياث، عن ابن أبي ليلى يرفعه إلى ابن مسعود، وقول الباقين في تفسير الطبري (٢٤/ ٥٨٢)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٤١٩).

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٠٤)، والبيهقي في الشعب (٤٦١٣) من طريق أبي صالح، عن معاوية ابن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: ﴿ٱلنَّعِيمِ﴾: صحة الأبدان والأسماع والأبصار، قال: يسأل الله العباد فيم استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

(٢) الهداية لمكي (١٢/ ٨٤٢٠).

(٣) إسناده مستقيم: أخرجه الطيالسي (١٩٠٨)، وأحمد (٢٣/ ٨، ٣٧٨)، والطبري (٢٤/ ٦٠٥)، والنسائي (٣٦٤١)، وأبو يعلى (١٧٩٠-٢١٦١)، وابن حبان (٣٤١١)، وغيرهم من طريق حماد ابن سلمة، عن عمار بن أبي عمار، عن جابر، قال: أتاني النبي ﷺ، وأبو بكر، وعمر، فأطعمتهم رطباً، وأسقيتهم ماءً، فقال النبي ﷺ: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه».

(٤) أخرجه مسلم (٢٠٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) ضعيف: أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٠٩) عن محمد بن حميد، عن مهران، عن إسماعيل بن عياش، عن عبد الرحمن بن الحارث التميمي، عن ثابت البناني مرسلاً.

وروى أَبو هريرة عن النبي ﷺ: أَن النعيم المسؤول عنه: الماءُ البارد في الصيف(١).

وقال ﷺ: «من أَكل خبز البُرِّ، وشرب الماءَ البارد في ظِلٍّ، فذلك النعيم الذي يسأَل عنه»(٢).

وقال ﷺ: «بيتٌ يُكِنُّكَ، وخِرْقَةٌ تواريك، وكِسْرَةٌ تشُدُّ صلبك، وما سوى ذلك فهو نعيم»(٣).

وقال النبي ﷺ: «كل نعيم فهو مسؤول عنه، إِلَّا نعيماً في سبيل الله عزَّ وجلَّ»(٤).

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (١٥/ ٦٢٣) عن أبي الدرداء مرفوعاً.

(٣) منكر بنحوه: أخرجه البيهقي في الشعب (٩٨٦٩) من طريق الهيثم بن عدي، عن شعبة، والركين ابن الربيع، عن عدي بن ثابت الأنصاري، عن سالم بن أبي الجعد، عن ثوبان قلت: يا رسول الله، ما يكفيني من الدنيا؟ قال: «ما سد جوعتك، ووارى عورتك، فإن كان لك بيت يظلك فذلك، وإن كانت لك دابة تركبها فبخ»، والهيثم بن عدي الطائي ضعيف جدّاً.

(٤) لا يصح، قال ابن كثير في جامع المسانيد (١٠/ ٢٥٤) روى أبو موسى بإسناده إلى أبي العباس المستغفري، أنبأ علي بن عبد العزيز بن عبد الرحمن، ثنا سعيد بن العلاء، حدثني الحسن بن إدريس ابن نصر بن عمارة التستري، ثنا طالوت بن عباد، ثنا العباس بن طلحة القرشي، ثنا أبو معن صاحب الإسكندرية قال: قال رسول الله ﷺ: «كل نعيم مسؤول عنه إلا نعيماً في سبيل الله»، أبو معن هو: عبد الواحد بن أبي موسى الشامي، كما في الجرح والتعديل (٦/ ٢١٥)، وذكره ابن حجر في الإصابة (٧/ ٣٣٤) وقال: تابعي أرسل حديثاً، ذكره المستغفري في الصحابة، وتبعه أبو موسى من طريق سعيد بن العلاء: حدثني الحسين بن إدريس شيخ طالوت بن عباد، حدثنا العباس ابن طلحة القرشي، حدثنا أبو معن صاحب الإسكندرية، قال: قال رسول الله ﷺ: «أعمال البر كلها مع الجهاد في سبيل الله كبصقة في بحر جرار»، وبهذا الإسناد: «كل نعيم مسؤول عنه إلا النعيم في سبيل الله»، قال المستغفري: مع براءتي إلى الله من عهدة إسناده، وهذا الرجل اسمه عبد الواحد بن أبي موسى، ذكره ابن يونس في تاريخ مصر، وقال: إنه أدرك عمر بن عبد العزيز، روى عنه الليث ابن سعد وغيره، وذكر أبو أحمد الحاكم في الكنى: أنه روى عن عبد الله بن عمر.اهـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سُورة العصر

وهي مكيَّة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾.

قال ابن عباس: (العصر): الدهرُ(١).

يقال فيه: عَصْرٌ وعُصُر بضم العين والصاد، قال امرؤ القيس:

. . . . وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كانَ في العُصُرِ الخالي(٢) [الطويل]

وقال قتادة: (العصر): العشِيُّ(٣).

وقال أُبيُّ بن كعب: سألت النبي ﷺ عن العصر فقال: «أَقْسَم ربُّك بآخر النهار»(٤).

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦١٢) من طريق علي بن أبي طلحة به، قال: (العصر): ساعة من ساعات النهار.

(٢) صدره: ألا عم صباحاً أيّها الطّلل البالي، انظر عزوه له في الحيوان (١/ ٢١٦)، وغريب الحديث لابن قتيبة (١/ ١٨١).

(٣) الهداية لمكي (١٢/ ٨٤٢٣).

(٤) هذا الحديث ذكره الكرماني في غرائب التفسير وعجائب التأويل (٢/ ١٣٨٥) بغير سند عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب قال: قرأت هذه السورة على رسول الله ﷺ فقال: «أقسم ربك بآخر النهار ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ أبو جهلٍ».

وقال بعض العلماءِ، وذكره أَبو علي: العصر: اليوم، العصر: الليلة[١]، ومنه قول حُمَيْد:

[الطويل] وَلَنْ يَلْبَث العَصرَانِ: يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ إِذا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكا ما تَيَمَّمَا[٢]

وقال بعض العلماءِ: العصر: بُكرة، والعصر: عشيَّة، وهما الأَبردان، وقال مقاتل: العصر هي الصلاة الوسطى، أَقسم الله تعالى بها[٣].

و﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ اسم جنس.

و«الخُسْر»: النقصان وسوءُ الحال، وذلك بيِّن غاية البيان في الكافر؛ إِنه خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

وأَما المؤمن ـ وإِن كان في خُسْر في دنياه في هَرَمه وما يقاسيه من شقاءِ هذه الدار ـ فذلك معفوٌّ عنه في جانب فلاحه في الآخرة، وربحه الذي لا يفنى، ومن كان في مدة عمره في التوصِّي بالحق والصبر والعمل بحسب الوصاة فلا خُسْر معه، وقد جُمع له الخَيْرُ كلُّه.

وقرأَ علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: (والعصر، ونوائب الدهر، إِن الإِنسان).

وفي مصحف عبد الله: (والعصر، لَقَدْ خَلَقْنا الإِنسانَ في خُسْر).

ورُوي عن علي بن أَبي طالب رضي الله عنه أَنه قرأَ: (إِنَّ الإِنْسانَ لَفي خُسْر، وإِنَّهُ فيهِ إِلى آخر الدَّهْرِ، إِلَّا الذين)[٤].

وقرأَ عاصم، والأَعرج: (لَفِي خُسُر) بضم السين.

---

(١) انظر الحجة للفارسي (٦/ ٤٤٠).

(٢) البيت لحُمَيْد بن ثور الهلالي كما في العين (١/ ٢٩٣)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٧٧)، والكامل للمبرد (١/ ١٧٦).

(٣) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٨٣)، وتفسير الماوردي (٦/ ٣٣٣).

(٤) وكلها شاذة، انظر قراءة علي الأولى في تفسير الطبري (٢٤/ ٥٨٩)، ومع الأخيرة في الهداية لمكي (١٢/ ٨٤٢٥)، على أنها تكملتها، وأما قراءة ابن مسعود فلم أجدها لغير المؤلف.

وقرأَ سلام أَبو المنذر: (والعَصِرِ) بكسر الصاد، و(الصَّبِرِ) بكسر الباءِ، وهذا لا يجوز إِلَّا في الوقف، على نقل الحركة.

وروي عن أَبي عمرو: (بِالصَّبِرِ) بكسر الباءِ إِشماماً[1]، وهذا أَيضاً لا يكون إِلاَّ في الوقف.

(١) وكلها شاذة، عزا في مختصر الشواذ (ص: ١٧٩) (خسر) لهارون عن شعبة عن عاصم، و(العصر) لسلام، و(الصبر) لأبي عمرو.

سُورَةُ الهُمَزَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَفسير سُورة الهمزة

وهي مكيَّة بلا خلاف.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ① ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ② يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ③ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ④ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ⑤ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ⑥ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ⑦ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ⑧ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ⑨﴾.

﴿وَيْلٌ﴾: لفظ يجمع الشَّر والخزي، وقيل: ﴿وَيْلٌ﴾: واد في جهنم.

و«الهُمَزَةُ»: الذي يهمز الناسَ بلسانه، أَي: يعيبهم ويغتابهم.

وقال ابن عباس: هو المشَّاءُ بالنَّميم[1].

قال القاضي أَبو محمد: وليس به، لكنهما صفتان تتلازمان، قال تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١] / . [٥/ ٣١٣]

---

(١) ضعيف: أخرجه هناد في الزهد (١٢١٤) عن وكيع، والطبري (٢٤/ ٦١٧) من طريق وكيع، عن أبيه، عن رجل، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس قال: قلت لابن عباس: من هؤلاء الذين بدأهم الله بالويل؟ قال: هم المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون أكبر العيب. وإسناده ضعيف؛ لإبهام شيخ أبي وكيع بن الجراح.

وقال مجاهد: الهُمزة: الذي يَأكل لحوم الناس[١].

وقيل لأَعرابي: أَتهمز إِسرائيل؟ قال: إِنِّي إِذاً لرجل سوءٍ[٢]، حسب أَنه يقال له: أَتقع في سبِّه.

و«اللُّمَزةُ»: قريب من المعنى في الهُمَزَةِ، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١].

وقرأَ ابن مسعود، والأَعمش والحسن: (وَيْلٌ لِلْهُمَزَةِ اللُّمَزَةِ)[٣].

وهذا البناءُ الذي هو فُعَلَة يقتضي المبالغة في معناه.

وقال أَبو العالية، والحسن: الهَمْزُ: بالحضور، واللَّمْزُ: بالمغيب[٤].

وقال مقاتل ضدَّ هذا، [وقال مرة: هما سواء][٥].

وقال ابن أَبي نُجيح: الْهَمْزُ: باليد والعين، واللَّمْزُ: باللسان[٦]، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة: ٥٨].

وقيل: نزلت هذه الآية في الأَخنس بن شريق، وقيل: في جميل بن عامر الجمحي[٧].

ثم هي تتناول كلَّ من اتصف بهذه الصفات.

وقرأَ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، والحسن وأبو جعفر: ﴿جَمَّعَ﴾ بشد الميم. والباقون بالتخفيف[٨].

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٩٦)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٨٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٤٢٧).

(٢) البيان والتبيين للجاحظ (١/ ٣٢٣).

(٣) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٨٩)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ١٨٢)، «والحسن»: ساقط من الأسدية ٤ والأسدية ٣ والحمزاوية والمطبوع ونجيبويه.

(٤) الهداية لمكي (١٢/ ٨٤٢٨)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٨٥).

(٥) ساقط من المطبوع، وانظر تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٨٥).

(٦) الهداية لمكي (١٢/ ٨٤٢٨).

(٧) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٤/ ٦١٩).

(٨) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٢٥)، «وأبو جعفر»: سقط من المطبوع وأحمد٣.

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ معناه: أَحصاه وحافظ على عَدَده وأَلَّا يُنْتقص، فمنعه من الخيرات ونفقة البر، وقال مقاتل: المعنى: استعدَّه وادَّخره[١].

وقرأ الحسن: (وَعَدَدَهُ) بتخفيف الدالين[٢]، فقيل: المعنى: جمع مالًا وعدداً من عشيرة، وقيل: أَراد (عدَّدَ) مشدَّداً، فحلَّ التضعيفَ، وهذا قَلِقٌ.

وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ معناه: يحسب أَن مالَه هو معنى حياته وقوامها، وأَنه حفظه مدة عمره ويحفظه.

ثم ردَّ تعالى على هذه المحسبة، وأَخبر إِخباراً مؤكداً أَنه يُنبذ في الحطمة، أَي: التي تحطم ما فيها وتلتهمه.

وقرأَ: ﴿يَحْسَبُ﴾ بفتح السين الأَعرج، وأَبو جعفر، وشيبة[٣].

وقرأَ ابن محيصن، والحسن بخلاف عنه: (لَيُنْبَذَانِّ) بنون مكسورة مُشَدَّدَةٍ قبلها أَلفٌ، يعني: هو ومالُه.

ورُوي عنه ضم الذال[٤] على نبذ جماعة، هو ومالُه وعدده، أَو يريد جماعة الهُمزات.

ثم عظَّم الله تعالى شأْنها، وأَخبر أَنها ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾، التي يبلغ إِحراقُها القلوب، ولا تخمد.

و«الفؤاد»: القلب، ويحتمل أَن يكون المعنى: إِنها لا يتجاوزها أَحد حتى تأْخذه بواجب عقيدة قلبه ونيته، فكأَنها متطلعة على القلوب بإِطلاع الله تعالى إِيَّاها.

ثم أَخبر تعالى بأَنها عليهم ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾، ومعناه: مطبقة أَو مغلقة.

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٨٦).

(٢) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ١٨٠).

(٣) لم يصنع شيئاً، فهي سبعية لعاصم وحمزة وابن عامر، انظر التيسير (ص: ٨٤)، وأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٢٣٦).

(٤) وهما شاذتان، انظرهما في إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٨١)، والأولى في تفسير الطبري (٢٤/ ٥٩٨).

قال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: أَبواب النار بعضها فوق بعض(١).

وقوله تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ﴾: جمع عمود، مثل أَديم وأَدَم، وهي عند سيبويه: أَسماءُ جمع لا جموع جارية على الفعل(٢).

وقرأ ابن مسعود: (مُوصدةٌ بعُمُد مُمَدَّدةٍ)(٣).

وقال ابن زيد: المعنى: في عمد حديد مغلولين بها، والكلُّ من نار(٤).

وقال أَبو صالح: هذه النار هي في قبورهم(٥).

وقرأ عاصم في رواية أَبي بكر وحمزة، والكسائي: ﴿عُمُدٍ﴾ بضم العين والميم.

وقرأ الباقون وحفصٌ عن عاصم بفتحهما(٦).

وقرأ الجمهور: ﴿مُّمَدَّدَةِۭ﴾ بالخفض، على نعت العَمَد.

وقرأ عاصم: (مُمَدَّدَةٌ) بالرفع على إتباع ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾(٧).

---

(١) يُحَسَّن، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤١٢٧)، والطبري (١٤/ ٧٣) من طريق ابن علية، عن أبي هارون الغنوي واسمه إبراهيم بن العلاء، عن حطان بن عبد الله الرقاشي، عن علي بن أبي طالب فذكره. وهذا إسناد جيد، وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٤١٢٦) من طريق أبي إسحاق عن هبيرة، عن علي قال: أبواب النار بعضها فوق بعض، يبدأ بالأسفل فيملأ فهو أسفل سافلين، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه حتى يملأ النار. هبيرة هو ابن يريم، اختلفوا فيه، وهو إلى الضعف أو الجهالة أقرب.

(٢) الكتاب لسيبويه (٣/ ٤٠٥).

(٣) وهي شاذة، انظرها في تفسير الطبري (٢٤/ ٦٠٠)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٨٧).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٠٠).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٢٥).

(٧) وهي شاذة، عزاها في تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٨٧) للجحدري، وظنه في حاشية المطبوع ابن أبي النجود، فعزاها لشعبة من غير علم.

سُورَةُ الفِيلِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سُورة الفيل

وهي مكيَّة إِجماعاً من الرواة(١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ۝٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ۝٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ۝٥﴾.

[﴿كَيۡفَ﴾ نصب بـ﴿فَعَلَ﴾، والجمهور على أنه فيل واحد، وقال الضحاك: ثمانية(٢)، فهو اسم الجنس، وقوله مردود، وحكى النقاش ثلاثة عشر](٣).

وهذه السورة تنبيه على اعتبار في أَخْذ الله عزَّ وجلَّ لأَبرهة مِلك الحبشة ولجيشه حين أَمَّ به الكعبة ليهدمها، وكان صاحب فيل يركبه.

وقصته مشهورة في السيرة طويلة، واختصارها: أنه بنى في اليمن بيتاً، وأَراد أَن يَرُدَّ إِليه حجَّ العرب، فذهب عربي فأَحدث في البيت الذي بناه أَبرهة، فغضب لذلك واحتفل

---

(١) «من الرواة» ليست في نجيبويه.

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٩٦)، وتفسير الماوردي (٦/ ٣٤٠).

(٣) لم أقف عليه، وما بين المعقوفتين ساقط من نجيبويه.

في جموعه، وركب الفيل وقصد مكة، وغلب من تعرضه في طريقه من قبائل العرب.

فلما وصل ظاهر مكة، وفرَّ عبد المطلب وقريش إلى الجبال والشعاب، وأَسلموا له البلد، وغلب طغيانه، ولم يكن للبيت من البشر من يعصمه ويقوم دونه، جاءَت قدرة الواحد القَهَّار، وأَخْذ العزيز المقتدر الجبار، فأَصبح أَبرهة ليدخل مكة ويهدم الكعبة، فبرك فيله بذي الغُميس(١) ولم يتوجه قِبَل مكة، فَبَضَعوه بالحديد، فلم يمش إِلى ناحية مكة، وكان إِذا وجهوه إِلى غيرها هرول.

فبينما هم كذلك في أَمر الفيل بعث الله تعالى عليهم طيراً جماعات سوداً من البحر، وقيل خضْراً، عند كل طير ثلاثة أَحجار في منقاره ورجليه، كلُّ حجر فوق العدسة ودون الحُمُّصة، فرمتهم بتلك الحجارة، وكان الحجر منها يقتل المرميَّ، وتتهرأُ لحومهم جدريّاً وأَسقاماً.

وانصرف أَبرهة بمن معه يريد اليمن، فماتوا في طريقهم متفرقين في كل مرحلة، وتقطع أَبرهة أُنملة أُنملة حتى مات، وحمى الله تعالى بيته المرفَّع.

فنزلت هذه السورة مُنَبِّهة على الاعتبار بهذه القصة؛ ليعلم الكلُّ أَن الأَمر كله لله تعالى، ويستسلموا للإِله الذي ظهرت في ذلك قدرته حين لم تغن الأَصنام شيئاً، فـأصحاب الفيل: هم أَبْرَهةُ الملِكُ ورجاله.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن: (أَلَمْ ترْ) بسكون الراءِ(٢).

و«التَّضليلُ»: الخَسَار والتلف.

و«الأَبابيلُ»: الجماعاتُ تجيءُ شيئاً بعد شيءٍ، وقال أَبو عبيدة: لا واحد له من

---

(١) موضع قريب من مكة في طريق الطائف.

(٢) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: **٥٢٣**)، وابن جني في المحتسب (**٢/ ٣٧٣**)، وقد تقدمت.

لفظه[١]، وهذا هو الصحيح، لا ما تكلَّفه بعض النحاة، وقال كعب:

كادَتْ تُهَـدُّ مِنَ الأَصْـواتِ راحِلَتي إِذْ سَالَتِ الأَرْضُ بِالْجُرْدِ الأَبابيلِ[٢] [البسيط]

وقد تقدم / تفسير حجارة السِّجِّيل غير مرة، وهو من: سَنْجٍ وَكِلٍّ، أي: ماءٍ [٥/ ٣١٤] وطين، كأنها الآجرُّ ونحوه مما طُبِخ، وهي المسوَّمة عند الله تعالى للكفَّار والظالمين.

و«العَصْفُ»: ورق الحِنْطة وتبْنُه، ومنه قول علقمة بن عَبْدة:

تسْقي مَذانِبَ قَدْ مالتْ عَصيفَتُهَا أَتِيُّهَا مِنْ حَدور الْماءِ مَطمومُ[٣] [البسيط]

والمعنى: صاروا طحيناً ذاهباً؛ كورق الحِنْطة: أَكلته الدوابُّ وراثته، فَجَمَع المهانة والخِسَّة والتَّلف.

وقرأَ أَبو المليحِ الهذلي[٤]: (فتركَهُمْ كعَصْفٍ)[٥].

وقال أَبو حاتم: وقرَأ بعضهم: (فَجعلتْهُمْ) ـ يعنون الطير ـ بفتح اللام وتاءٍ ساكنة[٦].

وقال عكرمة: العصْفُ: حبُّ البُرِّ إِذا أُكل فصار أَجوف[٧].

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٣١٢).

(٢) البيت لمعبد الخزاعي كما في سيرة ابن هشام (٢/ ١٠٣)، وتفسير الطبري (٧/ ٤٠٧)، والأغاني (١٥/ ١٩٨)، وفي أحمد٣ والمطبوع: «قال كعب»، ولعله خطأ، إذ لم أجد من عزاه له، وليس هو من قصيدته، وإن كان على بحرها ورويها.

(٣) انظر عزوها له في المفضليات (ص: ٣٩٨)، وقد تقدم في تفسير أول سورة الرحمن، وفي المطبوع: «حدورها من أتي الماء».

(٤) هو أبو المليح بن أسامة الهذلي، اسمه عامر وقيل زيد، بصري ثقة، روى عن أبيه، وعائشة، وبريدة ابن الحصيب، وعنه: أيوب السختياني، وأبو بشر، وخالد الحذاء، وحجاج بن أرطأة، وقتادة، وكان عاملاً على الأبلة، توفي سنة (١١٢هـ)، انظر: تاريخ الإسلام (٧/ ٥١٧).

(٥) وهي شاذة، عزاها له في المحتسب (٢/ ٣٧٣).

(٦) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٥٢٣) لأبي المليح، وعزا له أيضاً: (فجعلناهم).

(٧) انظر تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٩٨).

وقال الفراءُ: هو أَطراف الزرع قبل أَن يُسَنْبل[١].

وهذه السورة متصلة في مصحف أُبَيٍّ بن كعب بسورة ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾، لا فصل بينهما[٢].

وقال سفيان بن عيينة: كان لنا إِمام يقرأَ بهما متصلةً سورة واحدة[٣].

(١) معاني القرآن للفراء (٥/ ٢٣٧).

(٢) انظر الحجة لابن خالويه (ص: ٣٧٧)، وتفسير البيضاوي (٥/ ٣٤٠).

(٣) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٠٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة قريش

وهي مكيَّة بلا خلاف.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ * إِۦلَٰفِهِمْ﴾، على إِفْعالٍ، والهمزة الثانية ياءٌ.

وقرأ ابن عامر: ﴿لِإِلافِ﴾، على فِعال ﴿إِۦلَٰفِهِمْ﴾[1]، على إِفعالٍ بياءٍ في الثانيةِ.

وقرأ أبو بكر عن عاصم بهمزتين فيهما، الثانيةُ ساكنة[2].

قال أبو علي: وتحقيق عاصم هاتين الهمزتين لا وجه له[3].

وقرأ أبو جعفر: (إِلْفِهِمْ) بلام ساكنة[4].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٢٥).

(٢) وهي شاذة، انظر السبعة (ص: ٦٩٨).

(٣) انظر الحجة للفارسي (٦/ ٤٤٤).

(٤) وهي رواية العمري عن أبي جعفر كما في النشر (٢/ ٤٠٤)، وليست من طرق الدرة، بل الصحيح فيها عنه: ﴿إلافهم﴾، بلا ياء كما ذكر ابن الجزري.

و﴿قُرَيْشٍ﴾: ولد النَّضر بن كنانة، والتَّقرُّش: التَّكَسُّبُ.

تقول العربُ: أَلِفَ الرَّجُلُ الأَمْر، وآلَفَهُ غيرُهُ إِيَّاه، فالله تعالى آلَفَ قريشاً، أَي: جعلهم يأَلفون رحلتين في العام: واحدة في الشتاءِ، وأُخرى في الصيف.

ويقال أَيضاً: أَلِفَ بمعنى: آلَفَ، وأَنشد أَبو زيد:

[الطويل] مِنَ الْمُؤْلِفَاتِ الرَّمْلِ أَدْمَاءُ حُرَّةٌ شُعاعُ الضُّحى في جيدها يَتوضَّحُ[١]

فإِلْفٌ وإِلَافٌ: مصدر أَلِف، وإِيلافٌ: مصدر آلفَ.

قال بعض الناس: كانت الرحلتان إِلى الشام في التجارة ونيل الأَرباح، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] سَفَرَيْنِ سَنَّهُمَا لَهُ ولِغَيْرِهِ سَفَرُ الشِّتاءِ ورحْلَةُ الأَصْيافِ[٢]

وقال ابن عباس: كانت رحلةُ الشتاءِ إِلى اليمن، ورحلة الصيف إِلى بُصرى من أَرض الشام[٣].

وقال أَبو صالح: كانت جميعاً إِلى الشام[٤].

وقال ابن عباس أَيضاً: كانوا يرحلون في الصيف إِلى الطائف حيث الماءُ والظل، ويرحلون في الشتاءِ إِلى مكَّة للتجارة وسائر أَغراضهم، فهاتان رحلتا الشتاءِ والصيف[٥].

---

(١) البيت لذي الرُّمَّة والرواية في لونها، انظر سيرة ابن هشام (١/ ٥٦)، والكامل للمبرد (٢/ ٢٢٤)، وفي الأغاني (٥/ ٣٠٣): «متنها».

(٢) من أبيات لمطرود بن كعب الخزاعي، كما في المنمق (ص: ٢٧)، وعزا له في سيرة ابن هشام (١/ ٥٦) بيتاً آخر منها، أو لابن الزبعري كما في نهاية الأرب (٢/ ٣٥٨)، وأورده في الحماسة البصرية (١/ ١٥٥) على الخلاف بينهما.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٠٢).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٥٢)، والنسائي في الكبرى (١١٦٣٥) عن عمرو بن علي الصيرفي، عن عامر ابن إبراهيم الأصبهاني، عن خطاب بن جعفر بن أبي المغيرة، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، به، بنحوه. وإسناده لا بأس به.

وقال الخليل بن أَحمد: فمعنى الآية: لأَن الله تعالى فعل بقريش هذا، ومكنهم من إِلْفِهِم هذه النعمة؛ فليعبدوا ربَّ هذا البيت[١].

قال القاضي أَبو محمد: وذِكْرُ ﴿ٱلْبَيْتِ﴾ هنا متمكن؛ لتقدم حمايته في السورة التي قبلها.

وقال الأَخفش وغيره: قوله تعالى: ﴿لِإِيلَـٰفِ﴾ متعلق بقوله سبحانه: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾، أَي: لِيَفْعَل بقريش هذه الأَفاعيل الجميلة.

وقال بعض المفسرين: معنى الآية: اعجبوا لإِيلاف قريش هذه الأَسفار وإِعراضهم عن عبادة الله تعالى، ثم أَمرهم تعالى بالعبادة بَعْدُ، وأَعلمهم أَن الله هو الذي أَطعمهم وآمنهم لا سفرهم، والمعنى: فليعبدوا الذي أَطعمهم بدعوة إِبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وآمَنهم بدعوته حيث قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]، ولا تشتغلوا بالأَسفار التي إِنما هي طلب كسْبٍ وعرضُ دُنْيا.

وقال النقاش: كانت لهم أَربع رحَلٍ[٢]، وهذا قول مردود.

وقال عكرمة: معنى الآية: كما أَلِفوا هاتيْن الرحلتيْن لدنياهم، فليعبدوا ربَّ هذا البيت لآخرتهم[٣].

وقال قتادة: إِنَّما عُدِّدت عليهم الرحلتان؛ لأَنهم كانوا يأَمنون من الناس في سفرتهم، والناسُ يُغير بعضهم على بعض، ولا تُمكِّن قبيلاً من العرب أَن يرحل آمناً كما تفعل قريش[٤].

---

(١) تفسير الماوردي (٦/ ٣٤٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٤٥٢)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٨٤٥).

(٢) البحر المحيط (١٠/ ٥٤٩).

(٣) انظر تفسير الطبري (٢٤/ ٦٢٣)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٣٠٢).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٤٥٧)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٤٥٧).

فالمعنى: فليعبدوا الذي خصَّهم بهذه الحال فأَطعمهم وآمنهم.

وقوله تعالى: ﴿مِّن جُوعٍ﴾ معناه: أَن أَهل مكة قاطنون بوَادٍ غير ذي زرع، عُرْضةً للجوع والجدب[1] لولا لُطْف الله تعالى، وأَنْ جعلها بدعوة إِبراهيم عليه السلام تُجبى إِليه ثمراتُ كل شيءٍ.

وقوله تعالى: ﴿مِّنْ خَوْفٍ﴾، أَيْ: جعلهم ـ لِحُرْمة البيت ـ مفضَّلين عند العرب، يأَمنون والناس خائفون، ولولا فضل الله تعالى في ذلك لكانوا بمدرج المخاوف.

وقال ابن عباس[2]، والضحاك: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ معناه: من الجُذام، فلا ترى بمكة مجذوماً[3].

(١) في نجيبويه بدله: «والخوف».
(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٥٦)، عن عمرو بن علي الصيرفي، عن عامر بن إبراهيم الأصبهاني، عن خطاب بن جعفر بن أبي المغيرة، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، به قال: الخوف والجذام. وقد سبق مثله قريباً.
(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٢٤)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٤٥٧)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٣٠٣)، وتفسير الماوردي (٦/ ٣٤٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سُورة: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى﴾

وهي مكيَّة بلا خلاف علمته، وقال الثعلبي: هي مدنية[(١)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾.

هذا توقيف وتنبيه لتتذكر نفسُ السامع كلَّ من يعرفه بهذه الصفة.

وهمَز أَبو عمرو: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ بخلاف عنه، ولم يهمزها نافع وغيره[(٢)].

و(الدِّينُ): الجزاءُ ثواباً وعقاباً، والحساب هنا قريب من الجزاءِ.

ثم قال تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾، أَي: ارقب فيه هذه الخلال السيئة تجدها.

و«دَعُّ اليتيم»: دَفْعُه بعنف، وذلك إِمَّا أَن يكون المعنى: عن إِطعامه والإِحسان إِليه، وإِمَّا أَن يكون: عن حقِّه وماله، فهذا أَشد.

---

(١) لم أجد في تفسير الثعلبي أنها مدنية، بل قال إنها مكية (١٠/ ٣٠٤).

(٢) فيها ثلاث قراءات سبعية، حذف الهمزة للكسائي، وتسهيلها لنافع، ولورش إبدالها، والباقون بالتحقيق، انظر السبعة (ص: ٢٥٧).

[٥/ ٣١٥] وقرأ أَبو رجاءٍ: (يَدَعُ) بفتح الدال خفيفة[١]، بمعنى/ : لا يُحسن إِليه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ أَيْ: لا يأمر بِصَدَقَة، ولا يرى ذلك صواباً.

ويُروى أَن هذه السورة نزلت في بعض المضطرِّين في الإِسلام بمكة، الذين لم يُحقِّقوا فيه، وفُتِنوا فَافْتتنوا، وكانوا على هذا الخُلُق من الغشم وغِلَظ العشرة والفظاظة على المساكين، وربما كان بعضهم يصلي أَحياناً مع المسلمين مدافَعَةً وجيرة، فقال الله تعالى فيهم (وَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ)[٢].

وقال ابن جريج: كان أَبو سفيان ينحر كل أُسبوع جزوراً، فجاءَه يتيم فقرعه بعصاً، فنزلت السورة فيه[٣].

قال سعد بن أَبي وقاصٍ رضي الله عنه: سأَلتُ النبي ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون، فقال: «هم الذين يُؤخرونها عن وقتها»[٤]، يريد ﷺ ـ والله تعالى أَعلم ـ: تأْخير تَرْكٍ وإهمالٍ، وإِلى هذا نَحَا مجاهد.

---

(١) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٧٤)، وإعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٨٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٥٢٤).

(٢) قال الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٣٠٤): قال مقاتل والكلبي: نزلت في العاص بن وائل السهمي، السدي ومقاتل بن حيان وابن كيسان: يعني الوليد بن المغيرة، الضحاك: في عمرو بن عائد بن عمران بن مخزوم، وقيل: هبيرة بن أبي وهب المخزومي، ابن جريج: كان أبو سفيان بن حرب ينحر كل أسبوع جزورين، فأتاه يتيم فسأله شيئاً فقرعه بعصاه، فأنزل الله سبحانه فيه: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ * فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾، أي: يقهره ويزجره ويدفعه عن حقّه، الدع: الدفع في جفوة.

(٣) تفسير الماوردي (٦/ ٣٥٠).

(٤) الصحيح موقوف: أخرجه أبو يعلى (٨٢٢)، والبزار (١١٤٥)، والطبري (٢٤/ ٦٦٣)، وابن أبي حاتم في العلل (١/ ١٨٧-١٨٨)، والطبراني في الأوسط (٢٢٧٦)، والبيهقي (٢/ ٢١٤/ ٢١٥) وغيرهم من طريق عكرمة بن إبراهيم، عن عبد الملك بن عمير، عن مصعب بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً، وقال الحاكم والبيهقي: الموقوف أصح، والرواية الموقوفة أخرجها الطبري (٢٤/ ٦٦٠)، وأبو يعلى (٧٠٤) وغيرهما من طريق عاصم بن بهدلة، عن مصعب بن سعد، عن أبيه موقوفاً.

وقال قتادة: ﴿ سَاهُونَ ﴾: هم التاركون لها، أَو: هم الغافلون الذين لا يبالي أَحدهم صلَّى أَو لم يُصَلِّ.

وقال عطاءُ بن يسار: الحمد لله الذي قال: ﴿عَن صَلَاتِهِمۡ ﴾، ولم يقل: في صلاتهم[١].

وفي قراءة ابن مسعود: (لاهون) بدل ﴿ سَاهُونَ ﴾[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ﴾: بيانُ أَنَّ صلاة هؤلاءِ ليست لله تعالى بِنِيَّة إِيمان، وإِنما هي رياءٌ للبشر، فلا قبول لها.

وقرأَ ابن أَبي إِسحاق، وأَبو الأَشهب: (يُرَؤُّنَ) مهموزة مقصورة مشددة الهمزة.

وروى ابن أَبي إِسحاق: (يُرَؤُنَ) بغير شدٍّ في الهمزة[٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴾: وصفٌ لهم بقلَّة النفع لعباد الله، وتلك شرُّ خَلَّة.

وقال علي بن أَبي طالب وابن عمر رضي الله عنهم: ﴿ ٱلۡمَاعُونَ ﴾: الزكاة[٤]، قال الراعي:

---

(١) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢٤/ ٦٣٢)، وانظر الهداية لمكي (١٢/ ٨٤٦٣)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٣٠٥)، وتفسير الماوردي (٦/ ٣٥٢).

(٢) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٩٥).

(٣) وهما شاذتان، انظر البحر المحيط (١٠/ ٥٥٤)، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٥٢٤) عنهما بواو مشددة بلا همز.

(٤) أثر علي أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٤٦٣)، وابن أبي شيبة (١٠٦١٩)، والطبري (٢٤/ ٦٦٦)، والحاكم (٢/ ٥٨٥)، وغيرهم من طريق عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن علي فذكره. وهو منقطع؛ مجاهد لم يسمع من علي، وأخرجه الطبري (٢٤/ ٦٦٧) من طريق السدي، عن أبي صالح باذان، عن علي به، وأبو صالح باذان ضعيف يرسل، وأما أثر ابن عمر فأخرج عبد الرزاق (٢/ ٣٩٩)، والطبري (٢٤/ ٦٦٨)، والطبراني في الكبير (٩٠١٢) من طريق الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن أبي المغيرة علي بن ربيعة، قال: سأل رجل ابن عمر عن الماعون، قال: هو المال الذي لا يؤدى حقه، وإسناده جيد لو سمعه علي بن المغيرة.

[الكامل] قَـوْمٌ عَلَـى الإِسْـلامِ لمَّـا يَمْنَعوا ماعُونَهُـمْ وَيُضَيِّعُـوا التَّهْليـلا[(١)]

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: هو ما يتعاطاه الناسُ بينهم؛ كالفأْس والدلْو والآنية والمقصِّ ونحوه[(٢)]، وقاله الحسن، وقتادة، وابن الحنفية، وابن زيد، والضحاك[(٣)]، وابن عباس[(٤)].

وقال ابن المسيِّب: ﴿ٱلۡمَاعُونَ﴾ ـ بلغة قريش ـ: المال[(٥)].

وسُئِل النبيُّ ﷺ: ما الشيءُ الذي لا يحِلُّ منعه؟ فقال: «الماءُ والنار والملح»[(٦)]، روته عائشة رضي الله عنها، وفي بعض الطرق زيادة: «والإِبرة والخمير»[(٧)].

وحكى الفراءُ عن بعض العرب: أَن الماعونَ الماءُ[(٨)].

---

(١) عزاها له تفسير الطبري (٢٤/ ٦٣٥)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٥)، وتهذيب اللغة (٥/ ٢٤٠).

(٢) صحيح، أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٧١)، والطبراني في الكبير (٩٠٠٦-٩٠٠٧)، والحاكم (٢/ ٣٦١) من طريق الحكم بن عتيبة، عن يحيى بن الجزار، عن أبي العبيدين معاوية بن سبرة، عن ابن مسعود به، والروايات مطولة ومختصرة. وسيأتي.

(٣) الهداية لمكي (١٢/ ٨٤٦٤).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٥٢) والهداية لمكي (١٢/ ٨٤٦٤)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٣٠٥).

(٦) ضعيف: أخرجه ابن ماجه (٢٤٧٤) من طريق علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب، عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله، ما الشيء الذي لا يحل منعه؟ قال: «الماء، والملح، والنار»، قالت: قلت: يا رسول الله! هذا الماء قد عرفناه، فما بال الملح والنار؟ قال: «يا حميراء من أعطى ناراً، فكأنما تصدق بجميع ما أنضجت تلك النار، ومن أعطى ملحاً، فكأنما تصدق بجميع ما طيب ذلك الملح، ومن سقى مسلماً شربة من ماء، حيث يوجد الماء، فكأنما أعتق رقبة، ومن سقى مسلماً شربة من ماء، حيث لا يوجد الماء، فكأنما أحياها»، وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٩٥).

وقال ابن مسعود: كنَّا نعدُّ الماعون على عهد رسول الله ﷺ: عارية القِدْر والدلو ونحوها[١].

(١) صحيح، أخرجه أبو داود (١٦٥٧)، والنسائي في الكبرى (١١٦٣٧) عن قتيبة بن سعيد، حدثنا أبو عوانة، عن عاصم بن أبي النجود، عن شقيق، عن عبد الله، قال: كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدلو والقدر. قال البزار في مسنده (٥/ ١٣٢): لا نعلم أحداً رواه بهذا اللفظ عن عاصم إلا أبو عوانة، وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٢٠٢) عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن الحارث بن سويد، عن عبد الله: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾، قال: هو ما تعاور الناس بينهم: الفأس، والقدر، والدلو، وأشباهه، وقد سبق قريباً.

سُورَةُ الكَوْثَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَفسير سُورة الكوثر

وهي مكيَّة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾.

قرأ الحسن: (إنا أَنْطَيْنَاكَ)[1]، وهي لغة في «أَعطى».

قال النبي ﷺ: «واليَدُ الْمُنْطِيةُ خير من السُّفلى»[2]، وقال الأعشى:

جيـادُك خَيْـرُ جيـادِ الْمُـلُـوكِ   تُصانُ الجِلالَ وتُنْطَى الشَّعِيرا[3]   [المتقارب]

---

(١) وهي شاذة، عزاها له الهذلي في الكامل (ص: ٦٦٣)، وانظر تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٠٨).

(٢) ليس فيه مَنْ ضُعِّف، أخرجه عبد الرزاق (١٦٤٠٦-٢٠٠٥٥) عن معمر، ومن طريقه أحمد (٤/ ٢٢٦)، وعبد بن حميد (٤٨٥)، والبزار (٩١٦ كشف)، والطبراني في الكبير (٤٤١) وفي الأوسط (٣٠١٦) وغيرهم عن سماك بن الفضل، عن عروة بن محمد ابن عطية، عن أبيه، عن جده مرفوعاً بنحوه، محمد بن عطية بن عروة لم يرو عنه غير ابنه عروة، ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان، لكنه تابعي كبير، وباقي رجاله ثقات غير عروة بن محمد، فقد روى عنه جماعة، ووثقه ابن حبان، وكان والياً لعمر بن عبد العزيز، معروف بصلاحه، ولا يُعرف بهذا الإسناد إلا حديثان أو ثلاثة.

(٣) للأعشى كما في البحر المحيط (١٠/ ٥٥٦).

قال أَنس، وابن عباس، وابن عمر رضي الله عنهم وجماعة من الصحابة والتابعين: ﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾: نهرٌ في الجنة، حافتاه قبابٌ من دُرٍّ مجوَّف، وطينه مسك، وحصباؤه ياقوت[١]، ونحو هذا من صفاته، وإِن اختلفت أَلفاظ الرواة.

وقال ابن عباس أَيضاً: ﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾: الخيرُ الكثير[٢].

قال القاضي أَبو محمد: «كوْثَر»: بناءُ مبالغة من الكثرة، ولا محالة أَن الذي أَعطى الله تعالى محمداً ﷺ من النبوة والحكمة والعلم بربه تعالى والفوز برضوانه والشرف على عباده هو أَكثر الأَشياءِ وأَعظمها، فكأَنه يقول في هذه الآية: إِنَّا أَعطيناك الحظَّ الأَعظم.

قال سعيد بن جبير: النهر الذي في الجنة هو من الخير الذي أَعطاه الله تعالى إِيَّاهُ[٣]، فنعم ما ذهب إِليه ابن عباس، ونعم ما تمَّم ابن جبير رضي الله عنه، وأَمر النهر ثابت في الآثار في حديث الإسراءِ وغيره، صلى الله على محمد وسلم، ونفعنا بما منحنا من الهداية به.

وقال الحسن: ﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾: القرآن.

وقال أَبو بكر بن عياش: هو كثرة الأَصحاب والأَشياع.

وقال جعفر الصادق: نورٌ في قلبه دلَّه على الله تعالى وقطعه عما سواه، وقال أَيضاً: هو الشفاعة.

---

(١) أخرج الطبري أثر أنس (٢٤/ ٦٨٠) من طريق أبي جعفر الرازي، عن ابن أبي نجيح، عن أنس به، وأثر ابن عباس (٢٤/ ٦٧٩-٦٨٠) من طريق: عمر بن عبيد، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير به، بنحوه، وأثر ابن عمر (٢٤/ ٦٧٩) من طريق هشيم، حدثنا عطاء بن السائب، عن محارب بن دثار، عن ابن عمر به، وعن محمد بن حميد قال: ثنا جرير، عن عطاء بهذا الإسناد، وجميعاً أسانيدُها ليِّنة.

(٢) صحيح، أخرجه البخاري (٦٥٧٨) من طريق هشيم، أخبرنا أبو بشر وعطاء بن السائب، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾: الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر: قلت لسعيد: إن أناساً يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه، وأخرجه الطبري (٢٤/ ٦٤٧) من طريق الثوري، عن عطاء، به مختصراً.

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٤٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٤٦٨).

وقال هلال بن يِسَاف: هو التوحيد[١].

وقوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾: أَمر بالصلاة على العموم، ففيه المكتوبات بشروطها، والنوافل على أَثرها[٢].

و«النَّحر»: نحر الهدي والنسك في الضحايا في قول جمهور الناس، فكأَنه تعالى قال: ليكن شغلك هذين، ولم يكن في ذلك الوقت جهاد.

وقال أَنس بن مالك: كان رسول الله ﷺ ينحر يوم الأَضحى قبل الصلاة، فأُمِر أَن يصلي ثم ينحر[٣]، وقاله قتادة[٤].

وقال القرظي وغيره: في الآية طعن على كفار مكة، أَي: أَنهم يصلُّون لغير الله تعالى مُكاءً وَتَصْدية، وينحرون للأَصنام، ونحوه، فافعل أنت هذين لربك تكن على صراط مستقيم[٥].

وقال ابن جبير: نزلت هذه الآية يوم الحُدَيْبِيَة وقت صلح قريش، قيل لمحمد ﷺ: صلِّ وانحر الهَدْي[٦]، وعلى هذا تكون الآية من المدني.

وروي عن علي بن أَبي طالب رضي الله عنه أَنه قال: معنى الآية: صلِّ لِرَبِّك،

---

(١) انظر أقوالهم كلها في تفسير الثعلبي (١٠/ ٣١٠)، وانظر تفسير الماوردي (٦/ ٣٥٤).

(٢) في نجيبويه ونور العثمانية: «على ندبها».

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٩٣) عن محمد بن حميد الرازي، عن هارون بن المغيرة، عن عنبسة، عن جابر، عن أنس مرفوعاً به. ومحمد بن حميد الرازي، وجابر بن يزيد الجعفي كلاهما ضعيف.

(٤) الهداية لمكي (١٢/ ٨٤٦٩)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٦٥٤).

(٥) في المطبوع، والطبعات الأخرى: «القرطبي»، ولعله خطأ، وانظر تفسير الطبري (٢٤/ ٦٥٤). و«هذين» ليست في المطبوع، وفي المطبوع: «هذا أنت» بدل: «أنت هذين».

(٦) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٥٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٤٧٠)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٣١٠).

وضع يمينك على شمالك عند نَحرك في الصلاة[١]، فالنَّحْر على هذا ليس بمصدر نَحَرَ، بل هو الصدر.

وقال آخرون: المعنى: ارفع يديك في استفتاح صلاتك عند نحرك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾: ردٌّ على مقالة كان كثير من سفهاءِ قريش يقولها لمَّا لم يكن لرسول الله ﷺ وَلَد ذكر[٢]، فكانوا يقولون: هو أَبتر، يموت فنستريح منه، ويموتُ أَمره بموته، فقال الله تعالى ـ وقوله الحق ـ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، أَي: المقطوع المبتور من رحمة الله تعالى، ولو كان له بنون فهم غير نافعيه.

و«الشَّانئُ»: المُبْغِضُ/ . [٥/ ٣١٦]

وقال قتادة: ﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾ يراد به هنا: الحقير الذليل[٣].

وقال عكرمة: مات ابن النبي ﷺ، فخرج أَبو جهل يقول: بُتِرَ محمد، فنزلت السورة[٤].

وقال ابن عباس: نـزلت في العاص بن وائل؛ سمَّى النبيَّ ﷺ حين مات ابنه عبد الله: أَبْتر[٥].

---

(١) ضعيف: أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٤٦٧)، وابن أبي شيبة (٣٩٤١)، والطبري (٢٤/ ٦٥٢)، والطحاوي في أحكام القرآن (١/ ١٨٤)، وغيرهم من طريق عاصم الجحدري، عن عقبة بن ظهير، عن علي به مختصراً ومطولاً، وعقبة بن ظبيان ويقال: عقبة بن ظهير لم يرو عنه غير عاصم الجحدري، فهو مجهول العين ولا يعرف بجرح ولا تعديل، قال أبو محمد ابن أبي حاتم: اختلف حماد بن سلمة ويزيد بن زياد عن أبي الجعد في هذا الحديث، فقال حماد: عن عاصم الجحدري، عن أبيه، عن عقبة ابن ظبيان، عن علي في قوله عزوجل: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ فقال: وضع اليمين على الشمال في الصلاة، وروى يزيد بن زياد بن أبي الجعد، عن عاصم الجحدري، عن عقبة بن ظهير، عن علي. الجرح والتعديل (٦/ ٣١٣).

(٢) زيادة من الأسدية ٣ وأحمد٣ ونور العثمانية.

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٥٧)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٤٧١)، وتفسير الماوردي (٦/ ٣٥٦).

(٤) تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٢٢).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٩٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه بنحوه مختصراً.

سُورَةُ الكَافِرُون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَفسير سُورة الكافرين

وهي مكيَّة إِجماعاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾.

[قرأ أُبَيٌّ بن كعب وابن مسعود: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَروا)][1].

ورُوي في سبب هذه السورة عن ابن عباس وغيره: أَن جماعة من عُتاة قريش ورجالاتها قالوا للنبي ﷺ: دع ما أَنتَ فيه ونحن نُمَوِّلُك ونُزَوِّجُك من شئت من كرائمنا، ونُمَلِّكُكَ علينا، وإِن لم تفعل فلتعبد آلهتنا ونعبدُ إِلهَكَ حتى نشترك، فحيث كان الخير نلناه جميعاً، هذا معنى قولهم ولفظهم، لكن لِلرُّواة زيادة ونقص[2].

---

(١) ساقط من نجيبويه، وهي شاذة، لم أجدها لغير المؤلف.

(٢) ضعيف: أخرجه الطبري (٢٤/٧٠٣)، والطبراني في الصغير (١/٢٦٥) من طريق أبي خلف عبد الله ابن عيسى، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس بنحوه، وعبد الله بن عيسى بن خالد الخزاز أبو خلف البصري ضعيف.

ورُوي أَن هذه الجماعة المذكورة هم: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأَسود ابن المطلب، وأُمية بن خلف، وأُبَيُّ بن خلف، وأَبو جهل، وابنا الحجاج، ونظراؤهم ممن لم يُسلم بعد، ولرسول الله ﷺ معهم في هذه المعاني مقامات[١] نزلت السورة في إِحداها؛ بسبب قولهم: هلُمَّ نشترك في عبادة إِلهك وآلِهَتِنَا[٢].

ورُوي أَنهم قالوا: اعبد آلهتنا عاماً ونعبد إِلهك عاماً، فأَخبرهم عن أَمْره عزَّ وجلَّ أَنه لا يعبد ما يعبدون، وأَنهم غير عابدين ما يعبد.

فلما كان قوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا﴾ محتملاً أَن يُراد به الآن، ويبقى المستأَنف منتظراً ما يكون فيه من عبادته، جاءَ البيان بقوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ أَيْ: أَبداً وما حيِيتُ.

ثم جاءَ قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ الثاني[٣] حتماً عليهم أَنهم لا يؤمنون به أَبداً؛ كالذي كشف الغيبُ.

فهذا كما قيل لنوح عليه السلام: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، أَما إِنَّ هذا في مُعَيَّنين، وقوم نوح عموا بذلك، فهذا معنى الترديد الذي في السورة، وهو بارع الفصاحة وليس بتكرارٍ فقط، بل فيه ما ذكرتُه مع التأكيد والإِبلاغ.

وزاد الأَمْرَ بياناً وتبرِّياً منهم قوله: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾، وفي هذا المعنى الذي عرضت قريش نزل أَيضاً: ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

وقرأَ أَبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿وَلِيْ دِيْنِ﴾ ساكنة الياءِ من ﴿لِيْ﴾، ونصبها الباقون بخلاف عن كل واحد منهم، والقراءتان حسنتان[٤].

---

(١) في نجيبويه: «مقالات».

(٢) ضعيف: أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٦٢) من طريق أبي خلف، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، به بلفظ مطول، وأبو خلف هو عبد الله بن عيسى بن خالد الخزاز ضعيف، وقد مرَّ.

(٣) الثاني ساقط من المطبوع ونجيبويه.

(٤) سبعيتان، الفتح لهشام ونافع وحفص، انظر التيسير (ص: ٢٢٥)، «وحمزة» من الأسدية٣ ونور العثمانية «وهو والكسائي» من الأسدية٤.

وأَمال هشام: ﴿عَابِدٌ﴾ و﴿عَـٰبِدُونَ﴾، وقرأ الباقون بفتح العين، وهاتان حسنتان أَيضاً[١].

ولم يختلف السبعةُ في حذف الياءِ من ﴿دِينِ﴾، وأَثبتها سلام، ويعقوب في الوصل والوقف[٢].

وقال بعض العلماءِ: في هذه الأَلفاظ مُهادَنةٌ مَّا، وهي منسوخة بآية القتال.

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٢٥)، «وهشام» من نجيبويه، وسقط من نور العثمانية، وفي أحمد٣ والمطبوع بدله: «قوم»، وفي الأسدية: «أبو عمرو»، وكذا في الأصل: وفيه: «قرأ»، بدل «أمال».

(٢) وهي عشرية، انظر النشر (٢/ ٤٠٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سُورة النصر

وهي مدنيَّةٌ(١) إجماعاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾.

قرأَ ابن عباس: (إِذَا جاءَ النَّصْرُ والْفَتْحُ)(٢).

وسأَل عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمعاً من الصحابة والأَشياخ ـ وبالحضرة ابن عباس ـ عن معنى هذه السورة وسببها، فقالوا كلهم: مقتضى ظاهر أَلفاظها أَن رسول الله ﷺ أُمر عند الفتوح التي فُتحت عليه ـ مكة وغيرها ـ بأَن يسبِّح ربه ويحمده ويستغفره، فقال لابن عباس: فما تقول أَنت يا ابن عباس؟ فقال: هو أَجَل رسول الله ﷺ، أَعلمه الله تعالى بِقُرْبه إِذا رأَى هذه الأَشياءَ، فقال عمر رضي الله عنه: ما أَعلم منها إِلَّا ما ذكرتَ(٣).

---

(١) في نجيبويه: «مكية»، وفي نور العثمانية: «سورة النصر والفتح».

(٢) وهي شاذة، لم أجدها لغير المؤلف، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٥٢٥) ومختصر الشواذ (ص: ١٨٢) عنه: (إذا جاء فتح الله والنصر).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٢٧).

وهذا المنزع الذي ذكره ابن عباس ذكره ابن مسعود وأَصحابه، ومجاهد، وقتادة، والضحاك[١].

وروت معناه عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ، وأَنه ﷺ لمَّا فُتحت مكة وأَسْلم العرب جعل يكثر أَن يقول: «سبحان الله وبحمده، اللهم إِنِّي أَستغفرك»، يتأَول القرآن في هذه السورة[٢]، وقال لها مرة: «ما أَراه إِلا حضور أَجلي»[٣].

وتأَوله عمر والعباس رضي الله عنهما بحضرة النبي ﷺ فصدقهما[٤].

و«النَّصْرُ» الذي رآه رسول الله ﷺ: هو غلبتُه لقريش وهوازن وغير ذلك.

و(الفتح): هو فتح مكة والطائف ومدن الحجاز وكثير من اليَمن.

ودخولُ الناس في دين الله أفواجاً: كان بين فتح مكة إِلى موت رسول الله ﷺ.

قال أَبو عُمر بن عبد البرِّ رحمه الله في كتابه «الاستيعاب في الصحابة»، في باب أَبِي خراش الهذلي: لم يمت رسول الله ﷺ وفي العرب رجل كافر، بل دخل الكلُّ في الإِسلام بعد حُنَين والطائف، منهم من قَدِمَ، ومنهم من قدم وافده، ثم كان بعده ﷺ من الرِّدَّة ما كان، ورجعوا كلهم إِلى الدين[٥].

قال القاضي أَبو محمد: والمراد ـ والله أعلم ـ العربُ عبدة الأَوثان، وأَما نصارى بني تغلب[٦] فما أَراهم أَسلموا قط في حياة رسول الله ﷺ، لكن أَعطوا الجزية.

و«الأفواج»: الجماعة إِثر الجماعة، وكما قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ﴾ [الملك: ٨].

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٧١)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٤٧٩)، ولم أقف عليه لابن مسعود.

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري (٤٩٦٧)، ومسلم (٢١٨).

(٣) لم أقف عليه مسنداً.

(٤) لم أقف عليه مسنداً.

(٥) الاستيعاب (٢/ ٢٢).

(٦) في نجيبويه بدله: «ثعلب».

وقال مقاتل: المراد بـ ﴿ٱلنَّاسَ﴾: أَهلُ اليمن، وفد منهم سبع مئة رجل[١]، وقاله عكرمة[٢].

وقال الجمهور / : المراد جميع وفود العرب؛ لأَنهم قالوا: إِذ فتح الحرم لمحمد، وقد حماه الله تعالى من الحبشة وغيرهم، فليس لكم به يدان. [٥/ ٣١٧]

وذكر جابر بن عبد الله فُرْقة الصحابة فبكى، وقال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «دخل الناسُ في الدين أَفواجاً، وسيخرجون منه أَفواجاً»[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ بِعَقِب ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾: ترجيةٌ عظيمة للمستغفرين، جعلنا الله تعالى منهم.

وحكى النقاش عن ابن عباس: أَن النَّصْرَ: هو صلح الحُدَيْبية، وأَن الفتح: هو فتح مكة[٤].

وقال ابن عمر: نزلت هذه السورة على النبي ﷺ بمنى في وسط أَيام التشريق، في حجة الوداع، وعاش بعدها ثمانين يوماً أَو نحوها، ﷺ وشرف وكرم[٥].

(١) تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٣٠).
(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٦٨).
(٣) لم أهتد له.
(٤) لم أقف عليه.
(٥) ضعيف: أخرجه عبد بن حميد (٨٥٨)، والفاكهي في أخبار مكة (٢٥٥٦)، والبيهقي في الكبرى (٥/ ٢٤٧) وغيرهم من طرق، عن زيد بن الحباب، عن موسى بن عبيدة الربذي، عن صدقة بن يسار، عن ابن عمر فذكره بلفظ مطول، وموسى بن عبيدة الربذي ضعيف.

سورة المسد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾[١]

وهي مكيَّة بإجماع.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾.

رُوي في الحديث أَن رسول الله ﷺ لما نزلت عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] قال: يا صفية بنت عبد المطلب، يا فاطمة بنت محمد، لا أَملك لكما من الله شيئاً، سلاني من مالي ما شئتما، ثم صعد الصَّفا ونادى بطون قريش: يا بني فلان، يا بني فلان[٢].

وروي أَنه صاح بأَعلى صوته: يا صباحاه! فاجتمعوا إِليه من كلِّ وجه، فقال لهم: أَرَأَيتم لو قلت لكم: إِنِّي أُنذركم خيلاً بسفح هذا الجبل، أَكنتم مُصَدِّقي؟ قالوا: نعم، فقال: إِنِّي لكم نذير بين يديْ عذاب شديد، فقال أَبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم، أَلهذا

---

(١) في المطبوع: «المسد»، قال في الحاشية: في الأصول: «تفسير (سورة تبت)»، وأثبتنا الاسم الموجود في المصحف الشريف.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

جمعتنا؟ فافترقوا عنه، ونزلت هذه السورة[١].

و﴿ تَبَّتْ ﴾ معناه: خسِرتْ، و«التَّبابُ»: الخُسران والدمار.

وأَسند ذلك إِلى اليدين؛ من حيث اليد موضع الكسب والربح وضمِّ ما يملك.

ثم أَوجب تعالى عليه أَنه قد تبَّ، أَيْ: حُتِم ذلك عليه.

وفي قراءة عبد الله بن مسعود: (تَبَّتْ يدا أَبي لَهبٍ وقَدْ تبَّ)[٢].

و(أَبو لهب): هو عبد العُزَّى بن عبد المطلب، وهو عم النبي ﷺ، ولكن سبقت له الشقاوة.

وقرأَ ابن كثير، وابن محيصن: ﴿أَبِي لهْبٍ﴾ بسكون الهاءِ، وقرأَ الباقون بتحريك الهاءِ[٣].

ولم يختلفوا في فتحها في ﴿ ذَاتَ لَهَبٍ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾: يحتمل أَن تكون ﴿ مَا ﴾ نافية، ويكون الكلام خبراً عن أَن جميع أَحواله الدنيوية لم تُغْن عنه شيئاً حين حُتم عذابُه بعد موته.

ويحتمل أَن تكون ﴿ مَا ﴾ استفهاماً على وجه التقرير، أَيْ: أَيْن الغناءُ الذي لِمَالِهِ ولِكسْبِه؟.

و(ما كسب): يُراد به عرض الدنيا من عقار ونحوه، أَو ليكون الكلام دالاًّ على أَنه أَتعب فيه نفسه، لم يجئه عفواً بميراث وهبة ونحوه.

وقال كثير من المفسرين: المراد بـ(ما كسب): بنوه، فكأَنه تعالى قال: ما أغنى

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٩٨)، وإعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٩٢).

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٢٥).

عنه ماله وولده، وقد قال رسول الله ﷺ: «خير ما كسب الرجلُ: من عمل يده، وإِن ولد الرجل من كسبه»(١).

ورُوي أَن أَولاد أَبي لهب اختصموا عند ابن عباس فتنازعوا وتدافعوا، فقام ابن عباس يحجز بينهم، فدفعه أَحدهم فوقع على فراشه، وكان قد كُفَّ بصره، فغضب وصاح: أَخرجوا عني الكسب الخبيث(٢).

وقرأَ أُبيٌّ بن كعب، والأُعمش: (وما اكْتَسَبَ)(٣).

وقوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾: حَتْم عليه بالنار، وإِعلامٌ بأَنه يوافي على كفره.

وانتزع أَهل العلم بالأُصول من هذه الآية جواز تكليف ما لا يطاق، وأَنه موجود في قصة أَبي لهب، وذلك أَنه مخاطب مكلَّف أَن يؤمن بمحمد ﷺ، ومكلَّف أَن يؤمن

(١) هذا الحديث روي عن عائشة رضي الله عنها، وقد اختلف فيه اختلافاً كثيراً، فروي عن الأسود عنها، وعن شريح عنها، وعن عمارة بن عمير عن عمته عنها، وعن عمارة عن أمه عنها، واختلف فيه رفعاً ووقفاً وإرسالاً، قال الأثرمُ: وسمعت أبا عبدالله، ذكر حديث عائشة هذا، فقال: حديث مضطربٌ... المنتخب من علل الخلال (ص: ٢٠٨)، وقال ابن أبي حاتم في العلل (١٣٩٦): سألت أبي، وأبا زرعة، عن حديث رواه وكيع، والفضل بن موسى السيناني، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة، عن النبي ﷺ: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه»، ويروى عن إبراهيم، عن عمارة، عن عمته، عن عائشة، عن النبي ﷺ، قال أبي: عن عمارة أشبه، وأرجو أن يكونا جميعاً صحيحين، قال أبو زرعة: وروى أيضاً عن إبراهيم، عن عائشة، عن النبي ﷺ، قال أبو زرعة: وهذا الصحيح، وحديث إبراهيم، عن عمارة، عن عمته، عن عائشة، عن النبي ﷺ، وعرض الدارقطني الخلاف مطولاً في علله (١٤/ ٢٥٢) ثم قال: الصحيح حديث منصور، عن إبراهيم، عن عمارة، عن عمته، عن عائشة، وعمة عمارة لم أعرفها ولم أجد من ترجمها، وكذا أمه.

(٢) جيد، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٤٧٣) والطبري (٢٤/ ٧١٧) من طريق: معمر عن عبد الله ابن عثمان بن خثيم، عن أبي الطفيل، عن ابن عباس بنحوه. قال الذهبي في تلخيص المستدرك: على شرط البخاري.اهـ.

(٣) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٢٥).

بهذه السورة وصحتها، فكأَنه قد كلَّف أَن يُؤمن، وأَنْ يُؤْمِن بأَنه لا يُؤْمِن.

قال الأُصوليون: ومتى ورد تكليف ما لا يطاق؛ فهي أَمارة من الله تعالى أَنه قد حتَم عذاب ذلك المكلف، كقصة أَبي لهب[١].

وقرأَ الجمهور: ﴿سَيَصْلَىٰ﴾ بفتح الياءِ، وقرأَ ابن كثير، والحسن، وابن مسعود بضمها[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾: هي أُمُّ جميل، أُخت أَبي سفيان بن حرب، عمة معاوية بن أَبي سفيان.

وعطف قوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ على المضمر المرفوع دون أَن يؤكد الضمير بسبب الحائل الذي ناب مناب التأْكيد.

وكانت أُمُّ جميل هذه مؤذيةً لرسول الله ﷺ وللمؤمنين بلسانها وغاية قدرتها.

وقال ابن عباس: كانت تجيءُ بالشوك فتطرحه في طريق النبي ﷺ وطريق أَصحابه ليعقرهم، فبذلك سُمِّيت: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾[٣].

وعلى هذا التأْويل فـ﴿حَمَّالَةَ﴾: معْرفة يرادُ به الماضي.

وقيل: إِن قوله تعالى: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾: استعارة لذنوبها التي تَحْطِبُها على نفسها لآخرتها.

فـ﴿حَمَّالَةَ﴾ ـ على هذا ـ: نكرةٌ يرادُ به الاستقبال.

وقيل: هي استعارة لسعيها على الدين والمؤمنين، كما تقول: فلان يحطب على فلان، وفي حبل فلان، فكانت هي تحطب على المؤمنين، وفي حبل المشركين، وقال الشاعر:

---

(١) في المطبوع: «لقصة».

(٢) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٢٦).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٧١٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس بنحوه.

إِنَّ بَنـي الأَدْرَمِ حَمَّالـوا الْحَطَـبْ   هُمُ الْوُشَاةُ في الرِّضا وفي الْغَضبْ[١] [الرجز]

وقرأ ابن مسعود: (وَمُرَيْئَتُهُ)[٢].

وقرأ الجمهور: ﴿حَمَّالَةُ﴾ بالرفع، وقرأ عاصم: ﴿حَمَّالَةَ﴾ بالنصب على الذم، وهي قراءة الحسن والأعرج وابن محيصن[٣].

وقرأ ابن مسعود: (حَمَّالَةٌ لِلْحطبِ) بالرفع ولام الجر[٤].

وقرأ أَبو قُلَابة: (حَامِلَةَ) بكسر الميم بعد الأَلِفِ[٥].

قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾: قال ابن عباس[٦]، والضحاك، والسُّدي، وابن زيد/ : الإِشارة إِلى الحبل حقيقة، وهو الذي ربطت به الشوكَ وحَطبه[٧]. [٥/ ٣١٨]

قال السُّدي: و«المَسدُ»: اللِّيف[٨]، وقيل: ليف الْمَقْلِ، ذكره أَبو الفتح وغيره[٩].

وقال ابن زيد: هو شجر باليمن يُسمَّى: «المَسد»، تصنع منه الحبال[١٠]، وقال النابغة:

مقذوفـةٍ بِدخيـسِ النَّحْـضِ بازِلُهـا   لهُ صَريفٌ صَريفَ الْقَعْوِ بالْمَسَدِ[١١] [البسيط]

---

(١) بلا نسبة في تفسير الماوردي (٦/ ٣٦٧)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٣٢٨).

(٢) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٨٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٥٢٦).

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٢٥).

(٤) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٨٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٥٢٦).

(٥) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٨٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٥٢٦).

(٦) أخرجه الطبري (٢٤/ ٧٢٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس بنحوه.

(٧) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٨٠)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٤٨٩)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٣٢٨)، ولم أقف على هذا القول منسوباً للسدي.

(٨) الهداية لمكي (١٢/ ٨٤٨٩).

(٩) المحتسب (٢/ ٣٧٤).

(١٠) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٨١)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٤٨٩)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٣٢٨).

(١١) والدَّخيس: الممتلئ بالسَّمْن، والنَّحْضُ: اللَّحْمُ، والبازل: الذي كبر وظهرت أَنيابه، والصَّريف: الصوتُ القويُّ.

القعْو: البكرة، والمَسَد: الحبلُ.

وقال عروة بن الزبير وسفيان، ومجاهد، وغيرهما: هذا الكلام استعارة، والمراد: سلسلةٌ من حديد في جهنم، ذرْعها سبعون ذراعاً، ونحو هذا من العبارات.

وقال قتادة: ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾: قلادَةٌ من وَدَع[١].

قال ابن المسيب: كانت لها قلادة فاخرة فقالت: لأُنْفقنَّها على عداوة محمد[٢].

قال القاضي أَبو محمد: فإِنما عبَّر عن قلادتها بحبل من مسدٍ على جهة التفاؤل لها، وذكر تبرُّجها في هذا السعي الخبيث.

ورُوي في الحديث أَن هذه السورة لمَّا نزلت وقرئت بلغت أُمَّ جميل، فجاءت أَبا بكر رضي الله عنه ـ وهو مع النبي ﷺ في المسجد ـ فقالت: يا أَبا بكر، بلغني أَن صاحبك هجاني، ولأَفعلن ولأَفعلن، وإِني لشاعرة، وقد قلت فيه:

[المجتث] مُـذَمَّـمـاً قَـلَـيْـنـا وَديـنَـهُ أَبَـيْـنَـا

فسكت أَبو بكر، ومضت هي، فقال رسول الله ﷺ: «لقد حجبتني عنها ملائكة فما رأَتني، وكفى الله شرَّها»[٣].

(١) تفسير الطبري(٢٤/ ٦٨٢٠)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٤٩٠)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٣٢٨)، «وسفيان»: ساقط من المطبوع ونجيبويه.

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٢٨).

(٣) أخرجه الحميدي في مسنده (٣٢٥) عن سفيان، وأبو يعلى (٥٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٩٣)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ١٥٢) من طريق سفيان، عن الوليد بن كثير، عن محمد بن تدرس، عن أسماء بنت أبي بكر، عن أبيها به، بنحوه، وله شاهد أخرجه أبو يعلى (٢٥) من طريق عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فذكره بنحوه.

سُورَةُ الإخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سُورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾

هذه السورة مكية، قاله مجاهد بخلاف عنه، وعطاءٌ وقتادة.

وقال ابن عباس، والقرظي، وأَبو العالية: هي مدنية[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

قرأَ عمر بن الخطاب، وابن مسعود، والربيع بن خثيم: (قلْ هوَ اللهُ الواحدُ الصَّمدُ)[٢].

وروى أُبيٌّ بن كعب: أَن المشركين سأَلوا رسول الله ﷺ عن نسب ربه ـ تعالى عما يقول الجاهلون ـ فنزلت هذه السورة[٣].

---

(١) انظر القولين في زاد المسير (٤/ ٥٠٥)، وفي المطبوع: «القرطبي»، بدل: «القرظي».

(٢) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٢٦)، ومختصر الشواذ (ص: ١٨٣).

(٣) ضعيف: أخرجه أحمد (٣٥/ ١٤٤) عن أبي سعد الصاغاني، والترمذي (٣٣٦٤)، والطبري (٢٤/ ٦٨٧)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٩٥)، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ١٤١)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٢٣١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص: ٢٧٩)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٣٠٩) من طريق أبي سعد الصاغاني، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية به، بنحوه. وهذا إسناد ضعيف لضعف؛ أبي سعد محمد بن ميسر وأبي جعفر الرازي.

وروى ابن عباس: أَن اليهود دخلوا على النبي ﷺ فقالوا له: يا محمد، صفْ لنا ربك وانْسُبه، فإِنه وصف نفسه في التوراة ونسبها، فارتعد رسول الله ﷺ حتَّى خرَّ مغشيّاً عليه، ونزل عليه جبريل عليهما السلام بهذه السورة[١].

وقال أَبو العالية وقال قتادة: قالت الأَحزاب لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فأَتاه الوحي بهذه السورة[٢].

و﴿ أَحَدٌ ﴾ معناه: واحدٌ، فردٌ من جميع جهات الوحدانية، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

[و﴿ هُوَ ﴾: ابتداء، و﴿ ٱللَّهُ ﴾: مبتدأ ثان، و﴿ أَحَدٌ ﴾: خبره][٣]، والجملة: خبر الأَول.

وقيل: ﴿ هُوَ ﴾: ابتداءُ، و﴿ ٱللَّهُ ﴾: خبره، و﴿ أَحَدٌ ﴾: بدل منه.

وحذف أَبو عمرو التنوين من ﴿أَحَدٌ ﴾ لالتقاءِ الساكنين فقرأَ: (اللهُ أَحَدُ اللهُ)[٤].

وأَثبته الباقون مكسوراً للالتقاءِ، وأَمَّا وقفهم كلهم: فبسكون الدال.

وقد رُوي عن أَبي عمرو: الوصل بسكون الدال، ورُوي عنه أَيضاً: تنوينها[٥].

---

(١) أخرج ابن عدي في الكامل (٥/ ٤١٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٠٦) من طريق داود ابن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن اليهود جاءت النبي ﷺ، منهم كعب بن الأشرف وحيي ابن أخطب، فقالوا: يا محمد، صف لنا ربك الذي بعثك، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ❁ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ❁ لَمْ يَلِدْ ﴾ فيخرج منه ﴿وَلَمْ يُولَدْ ﴾ فيخرج من شيء، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ولا شبه، فقال: «هذه صفة ربي عز وجل وتقدس علواً كبيراً».
وقد حسنه الحافظ في الفتح (٥/ ٤١٥).

(٢) لم أجده.

(٣) في الأسدية بدله: «و﴿أَحَدُ﴾ ابتداءٌ، و﴿ ٱللَّهُ ﴾ ابتداءٌ ثان، و﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ خبره».

(٤) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٥٢٦)، ومختصر الشواذ (ص: ١٨٣).

(٥) وهي شاذة، بل غير ممكنة، ونقل عنه في السبعة (ص: ٧٠١): أنه كان يقف على ﴿أَحَدُ﴾، فإن وصل نون، وعن هارون عنه: أنه لا ينون وإن وصل، وهذا يحمل على الضم الذي تقدم في القراءة الأولى.

و﴿ ٱلصَّـمَدُ ﴾ في كلام العرب: السيِّد الذي يُصْمَدُ إِليه في الأُمور، ويستقِلُّ بها، وأَنشدوا:

أَلَا بَكَّـرَ النَّاعـي بِخيْـرَيْ بَنـي أَسَـدْ بعَمْرِو بنِ مَسْعودٍ وبِالسيِّد الصَّمَدْ[١] [الطويل]

وبهذا تتفسَّر هذه الآية؛ لأَن الله تعالى جلَّت قدرتهُ هو مُوجِد الموجودات، وإِليه تصمد، وبه قوامها، ولا غَنِيَّ بنفسه إِلَّا هو سبحانه وتعالى.

وقال كثير من المفسرين: ﴿ ٱلصَّـمَدُ ﴾: الذي لا جوف له، كأَنه بمعنى: المُصْمَت.

وقال الشعبي: هو الذي لا يأْكل ولا يشرب[٢].

وفي هذا التفسير كلِّه نظر؛ لأَن الجسم في غاية البعد عن صفات الله تعالى، فما الذي تعطينا هذه العبارات؟

و﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّـمَدُ ﴾ ابتداءٌ وخبر، وقيل: ﴿ ٱلصَّـمَدُ ﴾: نعتٌ والخبرُ فيما بعد.

وقوله تعالى: ﴿ لَمْ يَـلِدْ ﴾: ردٌّ على إِشارة الكفار في النَّسب الذي سألوه.

وقال ابن عباس: تفكَّروا في كل شيءٍ، ولا تتفكروا في ذات الله عزَّ وجلَّ[٣].

قال القاضي أَبو محمد: لأَن الأَفهام تقف دون ذلك حسيرة، والمؤمنون يعرفون

---

(١) عزاه في سيرة ابن هشام (١/ ٥٧٢) لهند بنت معبد بن نضلة الأسدية، وكذا في البيان والتبيين (١/ ١٦١)، والأغاني (٢٢/ ٩٦) دون ذكر اسمها، وفي الصحاح (٢/ ٦٥٢) لسبرة بن عمرو الأسدي، ولم يسمها وكذا في مجاز القرآن (٢/ ٣١٦) دون ذكره اسمه.

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٩٠)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٣٣٤)، وتفسير الماوردي (٦/ ٣٧١).

(٣) ضعيف: أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦١٨-٨٨٧) من طريق عاصم بن علي الواسطي، عن أبيه، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير به، وفي بعض الطرق زيادة: فإن بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف سنة نور، وهو فوق ذلك تبارك وتعالى وعلي، وعلي بن عاصم الواسطي ضعيف، وأخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في العرش (١٦) من طريق خالد الواسطي، عن عطاء بن السائب به، وخالد بن عبد الله الواسطي سمع من عطاء بعد الاختلاط.

الله تعالى بواجب وجوده، وافتقار كل شيءٍ إِليه، واستغنائه عن كل شيءٍ، وينفي العقل عنه كلَّ ما لا يليق به عزَّ وجلَّ، وأَنْ ليس كمثله شيءٌ.

وكل ما ذكرته فهو في ضمن هذه السورة الوجيزة البليغة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ معناه: ليس له ضِدٌّ ولا نِدٌّ ولا شبيه، والكُفْؤ والكُفُؤ والكِفاءُ: النظير.

وقرأ: ﴿كُفُوًا﴾ ـ بضم الكاف وهمز مُسَهَّل ـ نافع، والأَعرج، وأَبو جعفر، وشيبة.

وقرأ بالهمز عاصم، وأَبو عمرو بخلاف عنه.

وقرأ حمزة، وأَبو عمرو: ﴿كُفْؤاً﴾ بالهمز وإِسكان الفاءِ[(١)].

وروي عن نافع: (كُفاً) بفتح الفاءِ وبغير همز.

وقرأ سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس[(٢)]: (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كِفَاءً) بكسر الكاف وفتح الفاء والمدِّ[(٣)].

و﴿كُفُوًا﴾: خبر «كان»، واسمها: ﴿أَحَدٌۢ﴾، والظرف مُلغى، وسيبويه رحمه الله تعالى يستحسن أَن يكون الظرف ـ إِذا تقدم ـ خبراً، ولكن قد يجيءُ مُلْغى في أَماكن يَقْتَضيها المعنى؛ كهذه الآية، وكما قال الشاعر، أَنشده سيبويه:

[الرجز] ما دام فيهِنَّ فصيلٌ حَيَّا[(٤)] ....

(١) «وأبو عمرو» سقطت من الأصل، وفي أحمد٣ والحمزوية: «وعمرو»، بلا كنية.

(٢) هو سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب العباسي، أحد أعمام المنصور، روى عن أبيه وعكرمة، وعنه ابنه جعفر بن سليمان، وكان شريفاً كبيراً جواداً ممدحاً، ولي البصرة للمنصور، توفي سنة (١٤٢هـ)، انظر: تاريخ الإسلام (٩/ ١٥٩).

(٣) وهما شاذتان، انظرهما في الشواذ للكرماني (ص: ٥٢٧)، وانظر الهداية لمكي (١٢/ ٨٥٠٢).

(٤) من أبيات عزاها الجوهري في الصحاح (٢/ ٥٦٢) لابْن ميَّادة.

ويحتمل أَن يكون ﴿كُفُوًا﴾: حالاً لما تقدم من كونه وصفاً لنكرة، كما قال:

لِـعَـزَّةَ مُـوحِـشـاً طَـلَـلُ[١] .... [مجزوء الوافر]

قال سيبويه: وهذا يقلُّ في الكلام، وبابه الشعر.

وقال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدلُ ثلث القرآن»[٢].

قال القاضي أَبو محمد: لما فيها من التوحيد / . [٥/ ٣١٩]

(١) تمامه: يَلُوحُ كَأَنَّهُ خِلَلُ، والبيت بهذه الرواية «لِعَزَّةَ» لكثيِّر عزَّة، كما في الكتاب لسيبويه (٢/ ١٢٣)، قال في خزانة الأدب (٣/ ٢١١): ومن رواه لمية موحشاً قال: إنه لذي الرمة، فإن عزة اسم محبوبة كثير، ومية اسم محبوبة ذي الرمة.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٠١٣) من حديث أبي سعيد، ومسلم (٨١١) عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الفلق

هذه السورة، قال ابن عباس: هي مدنية(١)، وقال قتادة: هي مكية(٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

الخطاب للنبي ﷺ، والمراد: هو وآحاد أُمته.

وقال ابن عباس، وابن جبير، والحسن، والقرظي، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾: الصبح، كقوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦](٣). وقال ابن عباس أَيضاً وجماعة من الصحابة والتابعين وغيرهم: الفلَقُ: جُبٌّ في جهنم(٤)، ورواه أَبو هريرة عن النبي ﷺ(٥).

---

(١) لم أقف عليه مسنداً.

(٢) تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٣٣١)، وتفسير الماوردي (٦/ ٣٧٣).

(٣) في المطبوع: «القرظي»، وانظر تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٣٣١)، وتفسير الماوردي (٦/ ٣٧٣)، وأثر ابن عباس أخرجه الطبري (٢٤/ ٧٠٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس.

(٤) لم أجده.

(٥) ضعيف: أخرجه الطبري (٢٤/ ٧٠٠) من طريق مسعود بن موسى بن مشكان الواسطي، قال: =

وقوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾: يعمُّ كلَّ موجود له شرٌّ.

وقرأ عمرو بن عبيد وبعض المعتزلة القائلين بأَن الله تعالى لم يخلق الشَّرَّ: (مِنْ شرٍّ) بالتنوين (ما خَلَقَ) على النفي[1].

وهي قراءة مردودة، مبنية على مذهب باطل، فالله تعالى خالق كل شيءٍ.

واختلف الناسُ في الغاسِقِ إِذا وقب:

فقال ابن عباس، ومجاهد والحسن: «الغاسق»: الليل، و﴿ وَقَبَ ﴾ معناه: أَظلم ودخل على الناس[2].

وقال الشاعر:

[المديد] إِنَّ هَـذا الـلَّـيْـلَ قَـدْ غَسـقَـا وشَـكَـوْتُ الْهَمَّ والأَرَقَـا[3]

وقال محمد بن كعب: الغاسِق إذا وقب: النهارُ دخل في الليل[4].

وقال ابن زيد عن العرب: الغاسق: سقوط الثُّرَيَّا[5]، وكانت الأسقام والطاعون تهيج عنده.

= ثنا نصر بن خزيمة الخراساني، عن شعيب بن صفوان، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «الفلق: جب في جهنم مغطى»، ومسعود قال العقيلي: لا يعرف، وشعيب بن صفوان الثقفي مجهول، وأخرجه الطبري بإسناد منقطع عن ابن عباس، وانظر للباقين تفسير الطبري ٢٤/ ٦٩٩)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٥٠٦).

(١) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٨٣) لعمرو بن فائد.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٧٠٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، وانظر الباقين فيه وفي الهداية لمكي (١٢/ ٨٥٠٨).

(٣) البيت لابن قيس الرُّقَيَّات، كما في مجاز القرآن (١/ ٣٨٨)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٢٢)، وأساس البلاغة (١/ ٧٠٢).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٧٠٢)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٥٠٨).

(٥) تفسير الطبري (٢٤/ ٧٠٣)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٥٠٨)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٣٤٠)، وتفسير الماوردي (٦/ ٣٧٥).

وقال ﷺ: «النجمُ هو الغاسق»(١)، فيحتمل أَن يريد: الثُّريَّا.

وقال ﷺ لعائشة رضي الله عنها، وقد نظر إِلى القمر: «تعوذي بالله مِنْ شرِّ غاسق إِذا وقب، فهذا هو»(٢).

وقال القتبي وغيره: هو البدر إذا دخل في ساهوره فخسف(٣).

وقال الزهري: الغاسق إِذا وقب: الشمس إِذا غربت، و﴿وَقَبَ﴾ في كلام العرب: دخل(٤).

[وقد قال ابن عباس في كتاب النقاش: الغاسق إذا وقب: ذكر الرجل(٥).

فهذا التعوذ في هذا التأويل نحو قوله ﷺ وهو يعلم السائل التعوذ: «قل أعوذ بالله من شر سمعي، وشر قلبي، وشر بصري، وشر لساني، وشر منيي»(٦)، ذكر الحديث جماعة](٧).

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٧٠٣) وأبو الشيخ في العظمة (٦٩٨) من طريق نصر بن علي، عن بكار بن عبد الله ابن أخي همام، عن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة به بنحوه، وأخرجه أبو الشيخ (٦٩٧) من طريق محمد بن عبد العزيز، ولم يذكر أبا سلمة في إسناده.

(٢) إسناده فردٌ، اختلف في حاله، أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٠٥٦) من طريق سفيان، عن ابن أبي ذئب، عن الحارث، عن أبي سلمة، عن عائشة به بنحوه، الحارث هو ابن عبد الرحمن القرشي العامري، أبو عبد الرحمن المدني خال ابن أبي ذئب، لم يرو عنه غيره، مشاه أحمد وابن معين، وقال ابن المديني: مجهول.

(٣) انظر الهداية لمكي (١٢/ ٨٥٠٩)، في نجيبويه: «شاهوره».

(٤) الهداية لمكي (١٢/ ٨٥٠٩).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) إسناده فردٌ وسط، أخرجه أحمد (٢٤/ ٣٠٤) عن وكيع، والبخاري في الأدب المفرد (٦٦٣)، وأبو داود (١٥٥١)، والترمذي (٣٤٩٢)، والنسائي (٥٤٥٦-٥٤٨٤)، وفي الكبرى (٧٨٢٦) من طريق وكيع، عن سعد بن أوس، عن بلال بن يحيى، عن شتير بن شكل، عن أبيه، مرفوعاً بنحوه، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث سعد بن أوس عن بلال ابن يحيى، قال البغوي: لا أعلم له غير هذا الحديث، يعني شكل بن حميد.اهـ. ولم يرو عنه إلا ابنه شتير.

(٧) سقط من المطبوع، وفيه بدله نقاط، وعلق عليه في الحاشية بقوله: تركنا هنا سطرين؛ لأن ما فيهما =

و﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ﴾: السواحر.

ويقال: إِن الإِشارة أَولاً إِلى بنات لبيد بن الأَعصم اليهودي، كُنَّ ساحرات، وهنَّ اللواتي سحرن [مع أبيهن][(١)] النبي ﷺ، وعقدن له إِحدى عشرة عقدة، فأَنزل الله تعالى إِحدى عشرة آية بعدد العقد هي المعوّذتان، فشفي النبي ﷺ[(٢)].

و«النَّفْث»: شبه النفخ دون تفل ريق، وهذا النَّفْث هو: على عُقَد تُعقد في خيوط ونحوها على اسم المسحور فيُؤْذى بذلك، وهذا الشأْن في زماننا موجود شائع في صحراءِ المغرب[(٣)].

وحدثني ثقة أَنه رأَى عند بعضهم خيطاً أَحمر قد عُقدت فيه عقد على فُصْلان، فمنعت بذلك رضاعَ أُمهاتها، فكان إِذا حلَّ عقدة جرى ذلك الفصيل إِلى أُمه في الحين فرضع، أَعاذنا الله تعالى من شرِّ السحر والسحرة بقدرته[(٤)].

وقرأَ عبد الله بن القاسم، والحسن، وابن عمر: ﴿النافثات﴾[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: قال قتادة: من شرِّ عينه ونفسه[(٦)]،

= لا يتفق مع جلال هذا الكتاب.

(١) سقط من المطبوع ونجيبويه، وفي نور العثمانية: «أيتهن».

(٢) في الدر المنثور (٨/ ٦٨٧): أخرج ابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه: أن لبيد بن الأعصم اليهودي سحر النبي ﷺ وجعل فيه تمثالاً فيه إحدى عشرة عقدة، فأصابه من ذلك وجع شديد، فأتاه جبريل وميكائيل يعودانه، فقال ميكائيل: يا جبريل، إن صاحبك شاك، قال: أجل، قال: أصابه لبيد ابن الأعصم اليهودي، وهو في بئر ميمون في كدية تحت صخرة الماء، قال: فما وراء ذلك قال: تنزح البئر ثم تقلب الصخرة فتأخذ الكدية فيها تمثال فيه إحدى عشرة عقدة فتحرق، فإنه يبرأ بإذن الله، فأرسل إلى رهط فيهم عمار بن ياسر فنزح الماء، فوجدوه قد صار كأنه ماء، ولفظة مع «أبيهن» ساقطة من نجيبويه.

(٣) في نجيبويه: «صحراء العرب».

(٤) لم أقف عليه.

(٥) وهي عشرية، رواها النخاس عن التمار عن رويس بخلفه، كما في النشر (٢/ ٤٠٤).

(٦) تفسير الطبري (٢٤/ ٧٠٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٥١١).

يريد السعي الخبيث والإِذاية كيف قدر؛ لأَنه عدوٌّ مجدٌّ ممتحن، وقال الشاعر:

كلُّ العَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِماتتُها ... إِلَّا عَداوَة مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدِ[١] [البسيط]

وعين الحاسد في الغالب لاقفةٌ[٢]، نعوذ بالله عزَّ وجلَّ من شرِّها، [ولا أعدمنا الله تعالى حسدة بمنه وكرمه][٣] قال الشاعر:

وَإِذا أَرادَ اللهُ نَشْرَ فَضيلَةٍ ... طُوِيَتْ أَتاحَ لها لِسَان حَسُودِ[٤] [الكامل]

والحَسَد في الاثنتين اللَّتين قال رسول الله ﷺ[٥]؛ حسدٌ مُسْتحسن غير ضار، وإِنما هو باعث على خير.

وهذه السورة خمس آيات، فقال بعض الحذَّاق: هي مرادُ الناس بقولهم للحاسد إِذا نظر إِليهم: الخمس على عينيك، وقد غلطت العامة في هذا فيشيرون بالأَصابع لكونها خمسة.

وأَمال أَبو عمرو: ﴿حَاسِدٍ﴾، والباقون يفتحون الحاءَ[٦].

وقال الحسين بن الفضل: ذكر الله تعالى الشرور في هذه السورة، ثم ختمها بالحسد؛ ليظهر أَنه أَخسُّ طبع[٧].

---

(١) بلا نسبة في عيون الأخبار (٢/ ١٣)، والعقد الفريد (٢/ ١٧٠)، وفي نجيبويه: «مودتها»، وفي الأصل ونور العثمانية: «إفاقتها».

(٢) في الأصل ونور العثمانية ونجيبويه والحمزوية: «لاقعة»، وفي الأسدية ٤: لافحة، وفي أحمد٣: «نافعة».

(٣) ساقط من الأصل والمطبوع، وسقطت معه: «نعوذ بالله من شروها» من أحمد٣. وسقطت عبارة: «قال الشاعر» من النسخ الأخرى.

(٤) البيت لأبي تمام، كما في عيون الأخبار (٢/ ١١)، والعقد الفريد (٢/ ١٧٥)، والموازنة (ص: ١٣٨).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥) من حديث عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ، قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل، وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل، وآناء النهار».

(٦) وهي شاذة، انظر السبعة (ص: ٧٠٣).

(٧) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٤٠).

سورة الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة المُعَوِّذة الثانية[١]

قال ابن عباس وغيره: هي مدنية، وقال قتادة: هي مكية[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾.

﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾: اسم من أَسماء الشيطان، وهو أَيضاً ما تُوَسْوِس به شهوات النفس وتُسَوِّله، وذلك هو الهوى الذي نُهي المرءُ عن اتِّباعه، وأُمر بمعصيته، والغضب الذي وصى رسولُ الله ﷺ بطرْحه وتَرْكه حين قال له رجلٌ: أَوصني، فقال: «لا تغضب»، قال: زدني، قال: «لا تغضب»[٣].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ معناه: الراجع على عقبه، المستتر أَحياناً، وذلك في/ [٥/ ٣٢٠]

---

(١) في المطبوع: «سورة الناس»، قال في الحاشية: «واخترنا الاسم المشهور والمثبت في المصحف».

(٢) انظر القولين في زاد المسير (٤/ ٥١٠)، عن ابن عباس.

(٣) أخرجه البخاري (٦١١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلًا قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: «لا تغضب» فردد مراراً، قال: «لا تغضب».

الشيطان متمكن، إذا ذَكَر العبدُ الله تعالى وتعوَّذ، وتَذَكَّر فأَبصر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١][١].

وإذا فرضنا ذلك في الشهوات والغضب ونحوه؛ فَهو يَخْنِس بتذكير النفس اللَّوَّامَة، وبلَمَّةِ الملَك، وبأَن الحياءَ يردعُ، والإيمان يردع بقوة، فتَخْنِسُ[٢] تلك العوارضُ المتحركة، وتنقمع عند من أُعين بتوفيق، وقد اندرج هذان المعنيان من الوسْواس في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾، أَي من الشياطين ونفس الإِنسان.

ويظهر أَيضاً أَن يكون قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾: يُراد به من يوسوس بخدعة من البشر، ويدعو إِلى الباطل، فهو في ذلك كالشيطان.

وكلهم قرأَ: ﴿ٱلنَّاسِ﴾ غير مُمالة.

وروى الدوري عن الكسائي أَنه أَمال النون من ﴿ٱلنَّاسِ﴾ في حال الخفض، ولا يُميل في الرفع والنصب[٣].

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا أَوى إِلى فِراشِهِ جمع كفَّيه ونفث فيهما، وقرأَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والْمُعَوِّذتَيْن، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأُ برأسه ووجهه وما أَقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاثاً[٤].

وقال قتادة رحمه الله تعالى: إِنَّ من الناس شياطين، ومن الجن شياطين، فتعوذوا بالله عزَّ وجلَّ من شياطين الإِنس والجن[٥].

---

(١) في أحمد٣: «ينكص» بدل: «متمكن»، وأشار لها في حاشية المطبوع.

(٢) في نجيبويه: «فتنحسر»، وفي نور العثمانية: «فيحسن».

(٣) كذا في السبعة (ص: ٧٠٣)، وهي سبعية لكنها من رواية دوري أبي عمرو لا الكسائي كما في التيسير (ص: ٥٢).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠١٧).

(٥) تفسير الماوردي (٦/ ٣٧٩).

كمل تفسير سورة الناس، والحمد لله رب العالمين[١].

(١) زيادة من المطبوع، وفي الحمزوية: «نجز تفسير المعوذة الثانية، وبتمامها كمل التفسير المبارك، والحمد لله كما هو أهله ومستحقه، وصلواته على محمد وآله وصحبه وسلم»، وفي نور العثمانية: «تم الكتاب، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب»، وفي أحمد٣: «وقع الفراغ من نسخه بحمد الله وكرمه يوم الجمعة ثالث صفر، سنة أربع وأربعين وسبع مئة، على يد العبد الفقير إلى ربه المستغفر من ذنبه: محمد ابن أحمد بن محمد غفر الله ولوالديه ولمالكه ولجميع المسلمين برحمته، آمين».

وفي الأصل: «كمل الجزء الخامس من المحرر الوجيز، وبتمامه تم آخر الديوان من تفسير كتاب الله العزيز، تأليف الشيخ الجليل الفقيه الجامع القدوة النبيل، مصباح الأنام، وعمدة الدين والإسلام، واسطة عقد المفسرين، والمقدم على غيره عند جميع المحققين، القاضي أبو محمد عبد الحق بن الفقيه العالم الحبر أبي بكر غالب بن عبد الرحمن ابن عطية الغرناطي الأندلسي رضي الله عنه وجزاه بفضله وطوله عن هذه الأمة المحمدية رضاً، ورضواناً، ووهب لنا وله بكرمه وجميل فضله عفواً وغفراناً، ولوالدينا ولجميع المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد لبنة التمام، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته الكرام، وسلم تسليماً، بعد زوال يوم السبت الثاني والعشرين من ربيع النبوي عام (١١٠٥هـ)».

وفي نجيبويه بعد هذا: «ووافق الفراغ منه وقت العصر من يوم الثلاثاء العاشر من شهر الله شوال سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف عرفنا الله خيره ووقانا شره، على يد أفقر العبيد إلى الله وأحوجهم إلى فضله: عبد الله بن حوا، كان الله له ولجميع المؤمنين آمين، كتبته لسيدي وسنادي ومن على الله وعليه في سلوك الطريق إلى الله معولي واعتمادي، المربي الشهير المحقق الكبير واسطة عقد المحققين وإنسان عين أهل الاكتفاء برب العالمين، سيدي ومولاي: العربي بن سيدي أحمد الشريف الدرقاوي، وذلك بزاويته المنورة المطهرة بحائط ليلى، بقبيلة بني زروال، بجبال الزبيب، صانها الله من كل سوء ومكروه، ونطلب من الله الكريم أن يبقي هذا التفسير المبارك ذخيرة في عقبه وعقبهم، ونسأله سبحانه أن يمنحهم كل خير، وكل بركة، وكل كرامة إلى يوم القيامة بمنه وكرمه؛ لأنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين».

الفهارس العامة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
ائتمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر.	أبو ثعلبة الخشني	٣/ ٦٥٤
إباحة النبي ﷺ لثابت بن قيس أخذ الفدية من زوجته.	ابن عباس	٢/ ٦٥
أبشروا فلقد نظرت إلى مصارع القوم.	عمر	٤/ ٥٨٣
أَبشُروا فإِنه ليس أحدٌ من أهل الكتاب يصلِّي هذه الصلاةَ.	ابن مسعود	٢/ ٥٦٤
أبعَدَه الله وأسحَقَه.	أبو مالك	٦/ ١٨٦
أَبعَدَهما اللهُ! هما أَولُ مَن كفر.	السدي	٢/ ١٦٧
أَبْغَضُ الرجال إلى الله الألَدُّ الْـخَصم.	عائشة	١/ ٧٤٣، ٦/ ٥٦٢
ابنَ آدم اذكُرْني في الرخاء.	ابن عباس	١/ ٦٠٢
ابنا الخالة.		٢/ ٣٨٧
أبوك حُذافة.	أنس بن مالك	٣/ ٦٤٣
أبوك سالم مولى أبي شيبة.		٣/ ٦٤٤
أَبي وأَبوك في النار.	أنس بن مالك	٦/ ٦٥٤
أَبي وأَبوك وأَبو إِبراهيم خليل الرّحمن في النّار.		٩/ ٣٨

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
أَتَانِي جِبْرِيلُ فعَلَّمَنِي الصَّلَاةَ.	أبو هريرة	١/ ٢١٠
أتاني جبريلُ لدلوك الشمس حين زالت.	ابن مسعود	٦/ ٢٦٢
أَتحب أَن تراها عريانة.	عطاء بن يسار	٧/ ١٩٩
أَتدرون ما الكنود؟	أبو أمامة	١٠/ ٣٥٨
أتدري أين تغرب يا أبا ذَرٍّ؟	أبو ذر	٦/ ٤٤٠
اتركوا لي أَصحابي.	أبو سعيد الخدري	٩/ ٣٩٨
اترُكي الصلاةَ أَيامَ أَقْرَائِكَ.		٢/ ٥٦
أَترى بما أَقول بأساً.	ابن عباس	١٠/ ١٢٩
أَتريدون أَن تقولوا كما قالت بنو إِسرائيل: سمعنا وعصينا.	ابن عباس ـ أبو هريرة	٢/ ٢٨٩
أتسمعون ما أسمع؟	قتادة	٦/ ٦٦٧
أَتعتق رقبة.	سلمة بن صخر البياضي	٩/ ٤٣٣
أَتعجبون من غيرة سعد؟	سعد بن عبادة	٧/ ١٧٣
أتعلمون فيم انتطحتا؟	أبو ذر	٣/ ٧٥٢
اتقوا السبع الموبقات.	أبو هريرة	٣/ ١٢٣، ٤/ ٥٢٥
اتَّقوا دعوة المظلوم.	ابن عباس	٨/ ٧٣٥
اتقوا فراسة المؤمن.	أبو سعيد الخدري	٥/ ٨٨
اتْـلُوا هَذَا الْقُـرْآنَ.	ابن مسعود	١/ ١٤٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
أُتي رسول الله ﷺ بشاة مَصْلِيَّة.		٣/ ١٩٦
أُتي رسول الله ﷺ بضب فأبى.		٤/ ٤٣٠
إتيانُ النساءِ في أدبارِهنَّ حرامٌ.	خزيمة بن ثابت	٢/ ٤٠
أَتَيْتُه سعياً.	أبو هريرة	٦/ ١٤٦
اجعله حبساً لا يباع أصله.	عمر بن الخطاب	٣/ ٦٥٣
اجعلوها بيْن آية الرِّبا وآية الدَّيْن.		٢/ ٢٦٠
اجعلوها في ركوعكم.	عقبة بن عامر	٩/ ٣٨٨، ٩/ ٦٧٢
اجعلوها في سجودكم.	عقبة بن عامر	١٠/ ٢٢٠
أَحبُّ البيوت إِلى الله تعالى بيتٌ فيه يتيمٌ مُكرم.	عمر	١٠/ ٢٥٥
أَحبُّ العمل إِلى الله ما داوم عليه صاحبه.	عائشة	٩/ ٦٨٥
أَحْبِبْ حبيبك هوناً ما.	علي بن أبي طالب	٧/ ٣١٤
أَحَبُّكُم إِلى الله أَحاسنكم أخلاقاً.	عبد الله بن عمرو	٩/ ٦٢٦
أَحبكم إِلى الله أَلْيَنُكُمْ مناكب في الصلاة.	عائشة	٩/ ٤٤٧
احترسوا من النّاس بسوءِ الظَّنِّ.	أنس بن مالك	٩/ ١١٢
أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى.	ابن عمر	٤/ ٣٣٥
اختصم إليه غني وفقير.	السدي	٣/ ٣٣٨
أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط.	عبد الله بن عمر	٤/ ٤٤٠
آخر آية نزلت على النبي ﷺ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾.	البراء بن عازب	٣/ ٦، ٣/ ٣٨١

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
آخر أَربعاء من الشهر يوم نحس مستمر.	عبد الله بن عباس	٩/ ٢٨٩
إِخراج القمامة من المسجد من مهور الحور العين.	أبو قرصافة	٨/ ٦٨٩
اخرج يا أبا بكر.	جابر بن عبد الله	٦/ ٢٦٢
اخرجوا فصلُّوا على أخٍ لكم.	أبو هريرة	٢/ ٧٤٠
أخرهم يعقوب حتى تأتي له الجمعة.	ابن عباس	٥/ ٥٣٨
اخْسَأْ فلن تعدو قَدْرَك.	ابن عمر	٤/ ٤٢٩، ٧/ ١٤٥، ٩/ ٦٠٥
أدِّ الأمانة إلى من ائْتَمَنَك.	أبو هريرة ـ أنس	١/ ٧٠٠، ٦/ ١٤١، ٨/ ٥٨٥
أدرِكِ القوم فقد احترقوا.	ابن إسحاق	٥/ ٢٧
أدُّوا الخائطَ والمخيطَ.		٢/ ٦٨٢
إذا أُتْبِع أحدكم على مَلِيٍّ فلْيَتَّبع.	أبو هريرة	٦/ ٢٤٩
إِذا اجتهد العالِـم فأَخطأَ فله أَجرٌ.	عمرو بن العاص	٦/ ٧٠٠، ٦/ ٧٠١
إِذَا أَخْبَرْتُكُم بِرَأْيٍ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا.	رافع بن خديج	١/ ٤٣٩
إذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلغة قريش.		١/ ١٧٧
إذا أردت في الناس فتنة.	ابن عباس	٥/ ٥٤٥
إِذا أُقيمت الصلاة فلا تقوموا حتَّى تروني.	أبو قتادة	٩/ ٢٧٣
إذا التقى المسلمان بسَيْفَيْهما.	أبو بكرة	٣/ ٤٧٩
إذا أَلقى الله في قلب أحدكم خِطبة امرأَة.	محمد بن مسلمة	٨/ ٤٣

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
إِذا أَمسك عليك فكُلْ.	عدي بن حاتم	٣/ ٤٢١
إِذا بلغَ المؤمن خمسين سنة.	أنس	١٠/ ٣١٣
إذا دخل النور القلب.	ابن مسعود	٨/ ٣٩٠
إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله عز وجل.	جابر بن عبد الله	٤/ ٦٧٦
إِذا ذُكر الرَّبُّ فانتهوا.	أنس بن مالك	٩/ ٢٦٤
إِذا ذكرتَ ما في أَخيك فقد اغتبته.	أبو هريرة	٩/ ١١٥
إِذا رأَيتَ شُحّاً مُطاعاً.	أبو ثعلبة الخشني	٩/ ٥٥٨
إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد.	أبو سعيد الخدري	٤/ ٦٧١
إذا رأيتم الله يعطي العباد ما يشاؤون على معاصيهم.	عقبة بن عامر	٣/ ٧٥٧
إذا زنت أمة أحدكم.	أبو هريرة	٥/ ٥٣١
إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس.	أبو هريرة	٦/ ٤٦١
إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم.	عبد الله بن عمر	٣/ ٢٤١
إِذا سلَّمتم عليَّ سلِّموا على المرسلين.	قتادة	٨/ ٢٩٩
إِذا سمعتم نهيق الحمير فتعوَّذوا.		٧/ ٦٧٠
إِذا عاين المؤمن.	عائشة	٧/ ١٤٠
إِذَا قَالَ الإِمَامُ: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.	أبو هريرة	١/ ٢٦٠
إذا قلت في أَخيك ما فيه مما يكره سماعه.		٣/ ٣٠٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
إِذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: من كان له على الله أَجر.	ابن عباس	٨/ ٥٨٨
إِذا كان يوم القيامة نودي: أَين ابن السِّتِّين؟	ابن عباس	٨/ ١٦٣
إذا لعب الشيطان بأحدكم.	جابر بن عبد الله	٥/ ٤٧١
إِذا لم تَصطبحوا ولم تَغْتبقوا.	أبو واقد الليثي	٣/ ٤١٨
إِذا لم تمش إِلى قريبك برجلك.	ابن جريج	٥/ ٦٠٦
إذا مت فأحرِقوني.	أبو هريرة	٥/ ٥٢٥
إِذا مشت أُمتي الْمُطَيْطَا.	ابن عمر	١٠/ ٤٦
إذا نزل النور في القلب انشرح له الصدر.	أبو جعفر عبد الله بن المسور	٤/ ١٢٥
إذا نعس أحدكم في صلاته.	عائشة	٤/ ٥١٤
إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطانُ.	أبو هريرة	٦/ ٢١٧
إِذَنْ لا أرضى واحداً من أمتي في النار.		١٠/ ٢٩٥
أَذِنَ لي ربِّي أَن أُحدِّث عن مَلَك.	جابر بن عبد الله	٨/ ٤٣٩
اذهب فانظر إلى القوم.		٢/ ٦٥٦
اذهبا فَبَشِّرا ولا تُنَفِّرا.	ابن عباس	٨/ ٢٨
أرأَفُ أمتي بأمتي أبو بكر.	أنس بن مالك	٢/ ٥٥٥
أرأيت إبلك، ألست تنتجها.		٣/ ٦٥١
أَرأيتك لو كان لك أَضعاف الدنيا.	أنس بن مالك	٩/ ٤٠٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
أرأيتكم ليلتكم هذه.	ابن عمر	٣/ ٧٠٢، ٥/ ٣٩٨، ٦/ ٤٣٤
ارجعنَ مأزُوراتٍ غيرَ مأجوراتٍ.	علي بن أبي طالب	٣/ ٢٣، ٣/ ٧٣٨
أَردت شيئاً، وما أَراد الله خيرٌ.	الحسن البصري	٣/ ١٣٢
أَرْزاق أُمتي في سَنابك خَيلِها.	مكحول	٦/ ٨٦
أرسل الدرع من يدك.	عاصم بن عمر	٣/ ٥٤٠
ارموا واركبوا.	عقبة بن عامر	٤/ ٦١١
ارمُوا وأنا مع بني فلان.	سلمة بن الأكوع	١/ ٦٠٣
أرواح الشهداء على نهر بباب الجنة.	ابن عباس	٢/ ٦٩٣
أرواح الشهداء في أجواف طيرٍ خضرٍ.	ابن مسعود	٢/ ٦٩٣
أرواح الشهداء في حواصل طيرٍ.	ابن مسعود	١/ ٦٠٤
أرى أَلَّا نَخرجَ إلى هؤلاء الكفار.		٢/ ٥٨١
إِزْرَةُ المؤمن إِلى أنصاف ساقيه.	أبو سعيد الخدري	٩/ ٦٤٢
أَسْتَأْنِسُ يا رسول الله؟	عمر بن الخطاب	٧/ ٢٠١
اسْتَقِيمُوا ولن تُحْصُوا.	ثوبان	٨/ ٥٥٩
استنفر رسول الله ﷺ قبيلة من القبائل فقعدت.	ابن عباس	٤/ ٧١٩
استوصوا بالنساء خيراً.	عمرو بن الأحوص ـ أبو هريرة	٣/ ٨٣، ٣/ ٣٣٢، ١٠/ ٥٨
أُسْري بالنبي ﷺ من شِعْب أبي طالب.	سفيان الثوري	٦/ ١٥٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
اسق يا زبير.	الزبير بن العوام	٣/ ٢١٠
أَسكران أَنت.	بريدة بن الحصيب	٣/ ١٦١
الإسلام يجبُّ ما قبله.	عمرو بن العاص	٤/ ٦٦٣
أسلمتَ على ما سلف لك من خير.	حكيم بن حزام	٤/ ٧٤٤، ٩/ ١٤
أَشْرَفُ أُمَّتِي حَمَلَةُ الْقُرْآنِ.	ابن عباس	١/ ١٤٤
اشهدوا عن انشقاق القمر .	ابن مسعود	٩/ ٢٧٧
الأشهر الحرم.		٣/ ٣٩٣
أشيروا عليَّ أيها الناس.	المقداد	٢/ ٦٧٥، ٣/ ٤٧١
اصبر فلعل الله أن يسهل في الصحبة.	أبو بكر	٤/ ٧٢١
اصرف بصرك.	جرير بن عبد الله	٧/ ٢٠٥
اضربوا النساءَ إِذا عصينكم في معروف.		٣/ ١٣٧
أطَّت السماء وحُقَّ لها أن تئط.	أبو ذر	٤/ ٤٨٧
اطلبني عند الحوض.	أنس بن مالك	٤/ ١٩٩
اطلبوا إجابة الدعاء عند القتال.	أبو أمامة	٤/ ٥٨٦
أَعددتُ لعباديَ الصالحين.		٧/ ٧٠٠
اعدل يا محمد.	أبو سعيد	١/ ٤٤٢
أَعْـرِبُوا الْقُـرْآنَ.	أبو هريرة	١/ ١٥٥
أُعطيت خمْساً لم يُعطهن أَحدٌ قبلي.	جابر بن عبد الله	٥/ ٢١٩، ٨/ ١٠٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
أُعْطِيتُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ مِنَ الذِّكْرِ الْأَوَّلِ.	معقل بن يسار	١/ ٢٦٦
اعلم أَبا مسعود أَن الله أَقدر عليك منك على هذا العبد.	أبو مسعود	٣/ ١٣٨
أَعْلِمْ قومك أنها نزلت.		٦/ ٣٦٨
أَعْلمكُمْ بالله أَشدكم له خشية.		٨/ ١٥١
أعليّ أن أنفر؟ فقال له: نعم.		٤/ ٧٢٥
الأعمال ست: مُوْجِبة ومُوْجِبة.	قتادة	٤/ ١٨٤
اعملوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلق له.	علي بن أبي طالب ـ أبو هريرة	٩/ ١٩٩، ٩/ ٣٠٢
أَعن الفاجر تَرعوون.	معاوية بن حيدة	٩/ ١١٧
أعوذ بكلمات الله التامة.	ابن عباس	٥/ ٤٩٨
أعوذ بوجهك.	جابر وخالد الخزاعي	٤/ ٢٧
اغْتَبْتِها، نظرت إِلى أَسوأ ما فيها فذكرته.	عائشة	٩/ ١١٥
اغتنم خمساً قبل خمسٍ.	ابن عباس	٢/ ٥٦٦
اغتنموا الدعاءَ عند الرقَّة فإِنها رحمة.	أبي بن كعب	٨/ ٣٩٢
اغزوا تبوك تغنموا بنات الأصفر.		٤/ ٧٣٦
افتريت على الله، وقلت ما لم يقل لي.		٧/ ٧٢
افدِ نفسك وابن أخيك.		٣/ ٢٧٣

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى.	مجاهد	٨/ ٤٠٧
أَفضل الحج.		١٠/ ٩٦
أفضل الصدقة الصدقة بالماء.	ابن عباس	٤/ ٢٧٧
أَفْضَلُ عِبَادَةِ أُمَّتِي الْقُرْآنُ.	النعمان بن بشير	١/ ١٤٢
أَفضل ما بين الهجرتين فتح الحديبية.	أبو سعيد	٩/ ٣٩٨
أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا والنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلي.	طلحة بن عبيد الله بن كريز	١/ ٢٢٦
أَفْضَلُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ.	عثمان بن عفان	١/ ١٤٦
أَفَعَمْيَاوَانِ أَنتما.	أم سلمة	٧/ ٢٠٦
أَفَلا أَكون عبداً شكوراً.	المغيرة بن شعبة	٩/ ٤٨
أفي القوم أُبيٌّ بن كعب؟	عبد الرحمن بن أبزى	١/ ٥٢٤
أقام رسول الله ﷺ بالناس وليسوا على ماء.		٣/ ٤٣١
أَقتَلْتَه في غُرة الإِسلام.		٢/ ٤٦١
اقتلوا الفاعل والمفعول به.	ابن عباس	٧/ ٤٤٥
أقدم حَيْزُوم.	عمر بن الخطاب	٣/ ٧٠٦
اقْرَؤوا الْقُرْآنَ قَبْلَ أنْ يَجِيءَ قَوْمٌ.	جابر بن عبد الله	١/ ١٥٠
أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ.		١/ ١٧٦
أَقرب ما يكون العبد من ربه إِذا سجد.	أبو هريرة	١٠/ ٣٢٤

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
أَقْسَم ربُّك بآخر النهار.	أبي بن كعب	١٠/ ٣٧١
أقيموا عليها فإنها لكم خير.	الحسن البصري	٤/ ٦٧٣
اكتبها فهكذا أنزلت.	السدي	٤/ ٧٥
أَكثر أَهل الجنة البُلْهُ.	أنس بن مالك	٨/ ٢١٢
أَكثروا ذكر الله.	أبو سعيد الخدري	٨/ ٢٦
أَكثِرُوا من الباقيات الصالحات.	أبو سعيد الخدري	٦/ ٣٨٣
أَكثروا من الصلاة عليَّ يوم الجمعة.	أبو الدرداء	٨/ ٥٣
أكل من الحمار الذي صاده أبو قتادة.		٣/ ٦٣٨
اكْلأْ لَنَا الْفَجْرَ.	أبو هريرة	٦/ ٦٨٢
ألا أبشِّرُك يا جابر.	جابر بن عبد الله	٢/ ٦٩٤
ألا أخبركم بخير أعمالكم.	أبو الدرداء	٧/ ٥٨٧
ألا أدلك على أبواب الخير.	معاذ بن جبل	٧/ ٦٩٩
ألا أَدُلُّك على كلمة من كنز الجنة؟	أبو هريرة	٦/ ٣٧٦
ألا أدلكم على ما يحطُّ الله به الخطايا.	أبو هريرة	٢/ ٧٤٣
أَلا أُعلمك يا أُبيُّ سورة لم ينزل في التوراة.	أبي بن كعب	٥/ ٧٤٧
أَلَا إِنَّ أَصْفَرَ الْبُيُوتِ.	الحسن البصري	١/ ١٤٤
ألا إن القوة الرمي.	عقبة بن عامر	٤/ ٦٠٩
إِلا بَيْعَ الخيار.		٣/ ١٢٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
ألا عسى رجلٌ منكم يجيء يومَ القيامةِ على رقبته شاةٌ.	أبو هريرة	٢/ ٦٨١
ألا فليبلغ الشاهد الغائب.		٣/ ٧٤٠
أَلا كُلُّ ربا في الجاهلية موضوع.		٢/ ٢٥٠
أَلا كلُّ شيءٍ من أمر الجاهلية فهو تحت قدمي.	سعيد بن جبير	٢/ ٤٧١
ألا هل بلغت.	أبو بكرة	٣/ ٧٤٠
أَلَا هل بلَّغت؟ أَلَا هل بلَّغت.	أبو حميد	٩/ ٢٩١
أَلَا وقولُ الزُّور، أَلا وقولُ الزُّور.	أبو بكرة	٩/ ٢٩١
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فَضْلُ ثَلَاثِين.	أنس بن مالك	١/ ٢٢٥
أَلَسْتَ تمرض؟	أبو بكر الصديق	٣/ ٢٢٨
أَلِظُّوا بِيَاذَا الجلالِ والإِكرام.	ربيعة بن عامر	٩/ ٣٤٣
ألم تسمع الآية التي أنزلت في الصيف.	أبو سلمة	٣/ ٣٨١
ألم يعلموا أنهم كانوا يُسمُّون بأسماء الأنبياء.	المغيرة بن شعبة	٦/ ٤٩٧
﴿المغضوب عليهم﴾: اليهود، و﴿الضالون﴾: النصارى.	عدي بن حاتم	١/ ٢٥٦
إِلى أَرض المحشر.	ابن عباس	٩/ ٤٦١
إِلى أَقربهما منك باباً.	عائشة	٣/ ١٤٢
إِليَّ عبادَ الله.		٢/ ٦٥٣
أليس الذي أمشاه في الدنيا على رجلين.	أنس بن مالك	٦/ ٢٨٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
أَلَيْسَ يَشْهَدُ أن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.	عبيد الله بن عدي بن الخيار	١/ ٢٩٧
أما أحدهم فأوى إلى الله.	أبو واقد الليثي	٥/ ٥٣٨
أمَا إن الله قد قِبَل صدقتَك.		٢/ ٥٠٤
أَمَّا أنا فأَصبر كما أُمرتُ.		٦/ ١٤٢
أما أنا فأقوم وأنام.	السدي	٣/ ٥٩٨
أَما ترضى أَن تعيش حميداً.	ثابت بن قيس	٩/ ٩٥
أما سمعت فيما يوحى إلي.	أبي بن كعب	٤/ ٥٣٦
أما علمت أن البضع.	ابن عباس	٥/ ٤٦٨
أَمَّا معاوية فصعلوك لا مال له.	معاوية بن أبي سفيان	٩/ ١١٦
أَما هو فقد رأَى اليقين.	أم العلاء امرأة من الأنصار	٥/ ٧٥٦
اُمْحُ، واكتب.		٩/ ٧٨
أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب.	عكرمة	٣/ ٤١٩
أَمر رسول الله ﷺ سعداً.		٩/ ٢٦٣
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا.	ابن عمر ـ أبو هريرة	٤/ ٥٦٦، ٧/ ٣٦٧
آمرُهُم بمعروف، وأَنهاهم عن منكر.	درة بنت أبي جهل	٩/ ١١٩
امْش في الأَرض بَسْطاً.	شمر بن عطية	٩/ ٩٥
امضوا على بركة الله.	أنس	٤/ ٥٠٨

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
امضوا، هذا أَول الحشر وأَنا على الأَثر.	الحسن البصري	٩/ ٤٦٠
أمضى ﷺ شهادة خزيمة وحده.		٥/ ١٤١
آمنت بالذي خلقك فسواك فعدَّلك.	سعيد بن المسيب	١٠/ ١٦١
أن الله جعل بالمغرب باباً مسيرة عرضه سبعون عاماً.	زر بن حبيش	٤/ ١٧٩
إِن إِبراهيم حَرَّم مكَّة.	عبد الله بن زيد بن عاصم	٧/ ٤٦٩
إن أحداً جبل يحبنا ونحبه.	أبو يعقوب الهاشمي	٤/ ٢٦٨
إن أحداً على ركن من أركان الجنة.	صفوان بن سليم	٤/ ٢٦٩
إِنَّ أَحدكم يكون في بطن أُمه نطفة.	عبد الله بن مسعود	٩/ ٥٤٩
إِنَّ آخر وَطْأَة الرَّبِّ يوم وَجٍّ بالطَّائف.	يعلى بن مرة	٩/ ٧٥
أن آدم عليه السلام كان يمشي في الجنة.	أبي بن كعب	٤/ ٢٢٤
إن إسرافيل قد التقم الصور.	أبو سعيد الخدري	٤/ ٤٤
إن أعظم المسلمين على المسلمين جُرماً.	سعد بن أبي وقاص	٣/ ٦٤٥
إِن اقتحامها للمؤمن.		١٠/ ٢٧٢
أَنَّ الأَرض تأْكل ابن آدم إِلاَّ عَجْبَ الذَّنَبِ.	أبو هريرة	٩/ ١٣١
إِنَّ الأرضَ هنا يعني بها مكة.	عبد الرحمن بن سابط	١/ ٣٤٣
أَن الأَرواح تكون في شفير القبور في أَوقات.		٧/ ٤٥٧

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
أَن الأُمة من الأُمم تستظل بظلِّ الفَنَن منها.	أسماء بنت أبي بكر	٩/ ٢٤٣
أَنَّ الإِنسان إِذا ركب ولم يقل ما في هذه الآية.		٨/ ٦٠٧
إِن البحر طَبَقُ جهنم.	يعلى	٩/ ٢٠٦
أَن البهائم كلها يَتَوفَّى الله أَرْواحها دون مَلَك.		٧/ ٦٩٤
إِن الجنة لا يدخلها العجز.	عائشة	٩/ ٣٦٢
أَن الخلق ابتدأَ يوم السبت.	أبو هريرة	٧/ ٦٨٧
إِن الدابة وطلوع الشمس من المغرب.	أبو هريرة	٧/ ٤٥٩
إِن الدين يسر.		٣/ ١٦٨
إِن الذي أَقدرهم على المشي.	أنس بن مالك	٧/ ٢٩١، ٩/ ٦١٥
إِنَّ الَّذِي يَتَعَاهَد هذا القرآن.	عائشة	١/ ١٤٥
إِنَّ الرجل إِذا أَذنب صارت نُكْتة سوداءُ في قلبه.	أبو هريرة	١٠/ ١٧٤
إِن الرجل ليتخذ الفلو من بعد يأْجوج ومأْجوج.	ابن عباس	٦/ ٧٢٤
إِن الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأى أخاه على ذنب.	ابن مسعود	٣/ ٥٨٩
أَنَّ الرَّجل يتزوج ويُعَرِّس.	عثمان بن المغيرة	٨/ ٦٦٣
إِنَّ الزَّمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السَّماوات والأرض.	أبو بكرة	١/ ٧٢٦، ٣/ ٥٤٢، ٤/ ٧٠٨، ٤/ ٧١٦، ٩/ ٥٣
أَن السرائر التي يبتليها الله تعالى من العباد.	أبو الدرداء	١٠/ ٢١٥

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
إنَّ السماءَ ما فيها موضع قدم إِلَّا.	عائشة	٨/ ٢٩٦
أَن السماوات السبع في الكرسي كالدرهم في الفلاة.	مجاهد	٩/ ٤١٩
أن الشمس تجري كل يوم حتى تسجد تحت العرش.	أبو ذر	٤/ ١٨٠
إِن الشمس والقمر أَقفاؤهما إِلى الأَرض.	عبد الله بن عباس	٩/ ٧٠٣
إن الشملة التي غَلَّ من المغانم.	أبو هريرة	٢/ ٦٨٢
إن الشهداء قالوا: يا ربنا.	محمد بن قيس بن مخرمة	٢/ ٦٩٤
إِن الشياطين تقرب من السماءِ أَفواجاً.	عائشة	٥/ ٧٠٣
إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه.	سبرة بن أبي فاكه	٤/ ٢١٠
إِنَّ الشيطان يجرُّ يده.		٨/ ٧٣٨
إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ.	صفية	١/ ٣٦٩
إن الشيطان يقول لمن يركب ولا يذكر الله.	ابن مسعود	٣/ ٣١٥
إن الصدقة تكون قدر اللقمة.	أبو هريرة	٥/ ٨٦
إِن الصدقة لا تحل لأَهل بيتي.	ابن عباس	٥/ ٣٥٠
إِن الصراط جسرٌ.	أبو هريرة ـ حذيفة بن اليمان	١٠/ ٩٨
إن العبد إذا تصدق بصدقة.	ابن مسعود	٥/ ٨٦
أَن العبد إِذا عمل سيِّئةً مما لا يُرى ولا يُسمع.	سفيان الثوري	١٠/ ١٦٢

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
إن العبد المؤمن إذا قام من قبره للحشر.	البراء بن عازب	٥/ ١٥٥
إن العين لتُدخِل الرجل القبر.	جابر بن عبد الله	٥/ ٤٩٨
إن الغضب جند من جند الجن.	أبو سعيد الخدري	٤/ ٤٨١
أَن الغِلَّ ليبقى على أَبواب الجنة كمعاطن الإِبل.		٥/ ٧٢٣
أَن القرآن نزل على النبي ﷺ نجوماً.	ابن عباس	٩/ ٢٣٢
أن الكافر إذا ذكر الله ذكره الله باللعنة.		١/ ٦٠٢
إن الكافر إذا ضرب في قبره.	البراء بن عازب	١/ ٦١٤
إن الكافر لَيَرَى جهنَّمَ.	أبو سعيد الخدري	٦/ ٣٩٦
أَن الكافر يؤتى بالشربة من شراب أَهل النار.	أبو أمامة	٥/ ٦٤٨
أَن اللبن لم يشرق به أَحد قط.	أبو لبيبة	٦/ ٧٣
أن الله ابتدأ الخلق يوم الأحد.	ابن عباس	٤/ ٢٨١
أن الله ابتدأ بالخلق يوم السبت.	أبو هريرة	٥/ ١٤٨
أن الله اتخذه خليلاً.		٣/ ٣٢٤
إِن الله تعالى أَرَى نبيه ﷺ في المنام بَني أُمَيَّة.	الحسن بن علي بن أبي طالب	١٠/ ٣٣١
إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل.	واثلة	٥/ ١٣٩
إِنَّ الله أَكرم من أَن يُثَنِّي على عبده العقوبة.	علي بن أبي طالب	٨/ ٥٧٨
إن الله أمسك عنده تسعة وتسعين من الرحمة.	أبو هريرة	٧/ ١٥٠
إن الله أنزل على نبيه بمكة أنكم تعرفونه.	عمر بن الخطاب	٣/ ٧٢١

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
إن الله بارك فيما بين العريش والفرات.	زهير بن محمد	٦/ ١٥٢
إِنَّ الله تجاوز لأُمتي عن نسيانها وخطئها.	قتادة	٢/ ٣٠٠
إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به نفوسها.	أبو هريرة	٥/ ٤٤٠
أَن الله تعالى إِذا أَدخل عصاة المسلمين.	أبو موسى الأشعري	٥/ ٦٩٤
أَنَّ الله تعالى أَمر خزنة الريح.	الحارث بن يزيد	٨/ ٥٠٧
إِن الله تعالى جعل لكل إِنسان مسكناً في الجنة.	أبو هريرة	٧/ ٩٢
إِن الله تعالى خلق آدم من جميع أَنواع التراب.	أبو موسى الأشعري	٥/ ٧١٤
أن الله تعالى خلق التربة يوم السبت.	أبو هريرة	٤/ ٢٨٢
أن الله تعالى خلق مئة رحمة.	أبو هريرة	٣/ ٧٠٩
أن الله ـ عز وجل ـ كتب عنده كتاباً فهو عنده فوق العرش.	أبو هريرة	٣/ ٧٠٩، ٤/ ١٣
إن الله تعالى لم يرض في الصدقات بقَسْم نبي.		٥/ ١٦
أَن الله تعالى له في كل يوم في اللوح المحفوظ.	ابن عباس	٩/ ٣٢٢
إن الله تعالى لَيُهْزِل الحوتَ في الماءِ.		٦/ ٦٧
أن الله تعالى يبعث إليهم يوم القيامة وإلى المجانين.	أبو هريرة	٦/ ١٧٣
إن الله تعالى يحفظ الرجل الصالح في ذريته.	ابن عباس	٦/ ٤٣٣
أن الله تعالى يخرج من الأموال ما كان صدقة.		٤/ ٥٦٣
إن الله تعالى يدخل بالسهم الواحد.	عقبة بن عامر	٤/ ٦١٠
إن الله تعالى يطلع إلى الشهداء فيقول.	ابن مسعود	٢/ ٦٩٣

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
أَن الله تعالى يُعِدُّ من الجبابرة طائفة.	أبو هريرة	٩/ ١٥٤
إِن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر.	بشير بن كعب ـ الحسن البصري	٣/ ٦٧
إن الله تعالى يقول: هي ناري.	أبو هريرة	٦/ ٥٣٩
إن الله تعالى يلين قلوب رجال.	ابن مسعود	٤/ ٦٢٥
إِن الله تعالى يَمُدُّ الأَرض يوم القيامة.	أبو هريرة	١٠/ ١٨٤
إِن الله تعالى يُمْلي للظالم.	أبو موسى الأشعري	٩/ ٦٤٥
أن الله تعالى ينزل في آخر الليل.	أبو الدرداء	٦/ ٢٦٥
إِن الله تعالى يوقف عبداً يوم القيامة.		١٠/ ٣٠٤
إن الله ضرب لكم ابني آدم مثلاً.	الحسن البصري	٣/ ٤٨٤
إِن الله عزَّ وجلَّ إِذا كان يوم القيامة جعل السماوات على إِصْبَع.	ابن مسعود	٨/ ٤٢١
أن الله عز وجل لما خلق آدم.	عمر بن الخطاب ـ عبد الله بن عباس	٤/ ٤٣٩
إِن الله عزَّ وجلَّ يَجْمع الأَولين والآخرين في صعيد.	ابن مسعود	٣/ ١٥٤
إن الله قال لي: أَنْفِق أُنْفِق عليك.	أبو هريرة	٨/ ١١٦
إن الله قَبَضَ أَرواحنا حين شاءَ.	أبو قتادة	٨/ ٤٠٥
إن الله قد أعطى كلَّ ذي حق حقَّه فلا وصية لوارث.		١/ ٦٥٧
إن الله قد جعل دعائي في مثل هذا رحمةً.	الحسن البصري	٦/ ١٦٦

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
إن الله قد عفا لكم عن صدقة الخيل.	علي بن أبي طالب	٣/ ٦٤٧
إِن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا لا محالة.	ابن مسعود	٩/ ٢٥٥
إِنَّ الله لا يظلم المؤمن حسنة.	أنس بن مالك	٦/ ٣٨
إن الله لا يَمَلُّ حتى تملوا.	عائشة	٤/ ٣٣٨
إِن الله لَيهوّنُ يومَ القيامة على المؤمن.	أبو سعيد الخدري	٧/ ٢٨٦
إِن الله هو الباسط القابض.	أنس بن مالك	٢/ ١٣١
أَن الله يبدل هذه الأَرض بأَرض عفراءَ.	سهل بن سعد	٥/ ٦٨٤
أَن الله يبدلها خبزة يأْكل المؤمن منها.	أبو سعيد الخدري	٥/ ٦٨٤
إِنَّ الله يُبْغض الشيخ الغِرْبيب.	أبو هريرة	٨/ ١٤٩
إن الله يخلق عظام الجنين وغضاريفه.		٢/ ٣١٦
إن الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي.	أسماء بنت يزيد	٨/ ٤١٣
إِن الله يقول لك: أولى لك فأولى.	قتادة	١٠/ ٤٧
إِن الله يُمْلي للظالم.	أبو موسى الأشعري	٥/ ٣٨٠
إِن المؤمن إِذا رُدَّ إِلى أَرذل العمر.	أبو موسى الأشعري	١٠/ ٣١٤
إِن المؤمن لَيُدْرك بحُسْن خُلُقه.	عائشة	٩/ ٦٢٥
إن المرأة خُلقت من ضِلَع أعوج.	أبو هريرة	٣/ ٧، ٨/ ٣٧٣
إِنَّ الملائكة على أَبواب المسجد يوم الجمعة.	أبو هريرة	٩/ ٥٢٨
إِنَّ الْمَلَكَ سيقولها لك يا أَبا بكر عند موتك.	سعيد بن جبير	١٠/ ٢٦٢

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
إِنَّ المَلك يُنَادي كل يوم، اللهم أَعط مُنفقاً خَلَفاً.	أبو هريرة	٨/ ١١٦
إنَّ المنافقين في مجلس رسول الله ﷺ كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم.	ابن مسعود	١/ ٣١٤
أن الموت يجاءُ به في صورة كبش أملح.	ابن عمر	٦/ ٥٠٥
أن النار ترفع لليهود والنصارى كأنها السَّراب.	ابن مسعود	٦/ ٤٥٦
أن النبي ﷺ أقرع بين ستة أعبُدٍ.		٢/ ٤١٥
إن النبي ﷺ أُمر بالوضوءِ عند كل صلاة.	عبد الله بن حنظلة ابن أبي عامر الغسيل	٣/ ٤٣٢
أَن النبي ﷺ بايعه النساءُ بمكَّةَ على الصَّفَا.		٩/ ٥٠٥
أن النبي ﷺ دعا الناس، فاجتمعوا.	جابر بن عبد الله	٣/ ٤٥٠
أن النبي ﷺ صلى الظهر بالمدينة أربعاً.	أنس بن مالك	٣/ ٢٨٦
أن النبي ﷺ صلى بإحدى الطائفتين ركعة.	عبد الله بن عمر	٣/ ٢٩٥
أن النبي ﷺ صلى بكل طائفة ركعتين ركعتين.	جابر بن عبد الله	٣/ ٢٩٦
أن النبي ﷺ صلَّى صلاة الخوف بعُسْفَان.	ابن أبي عياش الزرقي	٣/ ٢٩٤
أن النبي ﷺ صلى كذلك بأصحابه يوم حارب خصفة وبني.	جابر بن عبد الله	٣/ ٢٩١
أن النبي ﷺ صلى كذلك بين ضجنان وعُسْفان.	أبو هريرة	٣/ ٢٩١
أن النبي ﷺ صلى كذلك في غزوة ذي قَرَد ركعة.	ابن عباس	٣/ ٢٩٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية فَصُعق.	حمران بن أعين	٩/ ٧٤٣
أَن النبي ﷺ كان يسمع أَحياناً مثل صلصلة الجرس.	أنس بن مالك	٧/ ٣٨٢
أن النبي ﷺ لعن الخمر ولعن معها عشرة.		٢/ ٢٢
أن النبي ﷺ لم يكن يغزو فيها في الأشهر الحرم.	جابر بن عبد الله	٢/ ١٠
أنَّ النَّبيَّ ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما قرؤوا.		١/ ٢٣٥
أَن النبي ﷺ مدَّ يده المكرمة من خارج بيت.		٩/ ٥٠٥
إن النطفة إذا وَقعَتْ في الرَّحِمِ.	ابن مسعود	٢/ ٣١٦
أَن النعيم المسؤول عنه: الماءُ البارد في الصيف.	أبو هريرة	١٠/ ٣٧٠
إِن الهجرة قد ذهبت بما فيها.		٩/ ٣٩٩
أنَّ أُمَّةً مِنَ الأمَمِ فُقِدَتْ.	أبو هريرة	١/ ٤٣٩، ٤/ ٤٣٠
أن أمته تشهد لكل نبي.	جابر بن عبد الله	١/ ٥٨٦
إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً.	أبو هريرة	٩/ ٨٦
إِن أُمِّي قد قدمت عليَّ وهي راغبة.	أسماء بنت أبي بكر	٧/ ٦٦٣
إِنَّ أهلَ الجنَّةِ إذا استقروا فيها.	أبو سعيد الخدري	٢/ ٣٥٠
إنَّ أَهل الجنة العُلْيا ليراهم مَنْ دونهم.	أبو سعيد الخدري	٩/ ٤١٥
إِن أَهل الجنة ليتَرَاءَوْنَ الغُرفَ.	أبو سعيد الخدري	٨/ ٣٨٨
أن أهل النار يشرئبُّون.	أبو سعيد الخدري	٦/ ٥٠٦

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
إنَّ أَوَّل آيات السّاعة الدُّخان.	حذيفة	٨/ ٦٦٦
إِن أَول ما يتكلم من الكافر.	عقبة بن عامر	٨/ ٢١٧
أنَّ أَوَّل ما ينطق من الإِنسان فخذه اليسرى.	معاوية بن الحكم	٨/ ٥١٢
إن أولياء الله هم قوم يتحابون في الله.	أبو مالك الأشعري	٥/ ٢٠٧
إن بالمدينة رجالاً ما قطعنا وادياً.		٣/ ٢٧٠
أن بعدها نفخة الصَّعق.	أبو هريرة	٨/ ٢٠٥
إنَّ بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة.	أنس بن مالك	٢/ ٥٣٨
إن بين المصراعين من أبواب الجنة مسيرةَ أربعين سنة.	عتبة بن غزوان	٢/ ٦٠٣
أَنَّ تُبَّعاً هذا أَسلم وآمن بالله.	سهيل بن سعد	٨/ ٦٨٠
أَن تجعل لله نداً وهو خلقك.	عبد الله بن مسعود	٧/ ٣٢١
أن تصدق وأنت صحيح شحيح.		٣/ ٣٣٢
إن تطعنوا في إمارته.		٤/ ٦٦٢
أن تعبد الله كأنك تراه.	أبو هريرة ـ عمر بن الخطاب	٢/ ٦٠٩، ٥/ ١١١، ٦/ ١٠١، ٧/ ٦٥٢
أَن تعبد الله وحده لا تُشرك به شيئاً.	أبو هريرة	٩/ ١٢٣
إِنَّ تلك الريح كانت تهبُّ على الناس.		٩/ ١٩٢
أن توبة العبد تقبل ما لم يغرغر.	ابن عمر	٤/ ١٧٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
إن ثواب الكافر على أفعاله البَرَّة.	أنس	٤/ ٧٤٣
أن جبريل نزل على النبي ﷺ بتخيير الناس.	علي بن أبي طالب	٤/ ٦٢٨
أَن جلدة الكافر يصير غِلَظُهَا أَربعين ذراعاً.	أبو سعيد الخدري	٩/ ١٥٤
أن جميع الخلق الآن من ذرية نوح عليه السلام.	سمرة	٤/ ٣٠٢
إن جنّاً بالمدينة قد أسلموا.	أبو سعيد الخدري	٤/ ٢٢٨
إن جواب الجن خيرٌ من سكوتكم.	ابن عمر	٩/ ٣١٣
إِن حجارة العذاب معلقة بين السماءِ والأَرض.		٥/ ٧٤٢
إن خالاتي بهذه البلدة لغرائب.	الزهري	٢/ ٣٦٨
إِنَّ دِماءَكم وأَموالكم عليكم حرام.	أبو بكر الثقفي	٧/ ٢٥٧
أن ذا القرنين شابٌّ من الروم.		٦/ ٤٣٥
إِنّ ربَّك يقول: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية.	ابن عباس	٨/ ٧٠٠
إِنَّ رجلين من المنافقين هرَبَا مِنَ النَّبي ﷺ إلى المشركين.	ابن مسعود	١/ ٣١٣
إِن رسول الله إِذا قال وفَّى.	ابن عباس	٧/ ٥٠٠
أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يجعل ثماماً في باب الغار.		٤/ ٧٢١
أَن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إِلى كسر العُزَّى.		٨/ ٤٠٣
أن رسول الله ﷺ بعث لهدمه وتحريقه.		٥/ ٩١

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
أن رسول الله ﷺ رأى في سرير عبد الله بن رواحة.	ابن إسحاق	٦/ ٣٣١
أَن رسول الله ﷺ رجم ولم يجلد.		٣/ ٦٠
أن رسول الله ﷺ قتل يوم بدر صبراً ثلاثة نفر.	سعيد بن جبير	٤/ ٥٤٩
أَن رسول الله ﷺ قضى للابنتين بالثلثين.	جابر بن عبد الله	٣/ ٤٢
أَن رسول الله ﷺ كان إِذا قرأَ هذه الآية فاضت عيناه.	ابن مسعود	٣/ ١٥٦
أَن رسول الله ﷺ كان في المسجد، فأَتاه جبريل.		٥/ ٧٥٤
أَنَّ رسولَ الله ﷺ كان يكتب: باسمك اللهم.	الشعبي والأعمش	١/ ٢١٢
أن رسول الله ﷺ لم ينزل من البراق.	حذيفة	٦/ ١٤٧
أَن رسول الله ﷺ لمَّا قال جبريل عليه السلام في سرد الوحي.		٦/ ٥
أن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية فعل ما أُمر به من الدعاء والاستغفار لهم.	الضحاك بن مزاحم	٥/ ٨٤
أَن رسول الله ﷺ مسح إِلى أَنصاف ذراعيه.	الأعمش	٣/ ١٧٤
إِن سبأَ أَبو عشرة قبائل.	فروة ـ ابن عباس	٨/ ١٠١
أَن سقف الجنة العرش.		٩/ ٤١٩
إِن شئت جعلتُ حسابهم إِليك.		٩/ ٥٩٤
إن شئتم أخذتم فداء الأسرى.	عبيدة السلماني	٤/ ٦٢٧
إِن صدقة أَحدكم لتقع في يد الله.	أبو هريرة	٢/ ٢٤٨
إِنَّ صلاته ستنهاهُ.	أنس بن مالك	٧/ ٥٨٦

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
أَن عظام ابن آدم وَعَصَبه من ماءِ الرجل.		١٠/ ٥٣
إِنَّ على أَنقاب المدينة ملائكة.	أبو هريرة	٩/ ١٥٩
إِنَّ على جسر جهنم ثلاث قناطر.		١٠/ ٢٥٤
إن فوق كل برٍّ برّاً.	الحسن البصري	٥/ ١٠٧
إِن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد.	أبو هريرة ـ أبو سعيد الخدري	٢/ ٦٠٤، ٣/ ١٩٨، ٩/ ٣٦٠
إِنَّ في القرآن سُورة يُشفَّع قارئها.	عائشة	٨/ ١٧٤
أن في جهنم وادياً يسمى ويلاً.		٩/ ٢٠١، ٩/ ٢١٠
إن فيها الرجمَ، فانشروها.	ابن عمر	٣/ ٥٠٧
إن فيهم المجتهد.	رافع بن خديج	١٠/ ٢٣٣
أَنَّ قَبْل هذه الصعقة صعقةُ الْفَزَعِ.	أبو هريرة	٨/ ٤٢٣
أَن قراءَة رسول الله ﷺ كانت بَينةً مُتَرَسِّلةً.		٩/ ٧٣٧
إن قميصي لا يغني عنه من الله شيئاً.		٥/ ٥٨
إِن كل رجل في الجنة فقد كان له مقعد معروف في النار.	أنس	٥/ ٦٠٦
أنَّ كلَّ عبدٍ له منزل في الجنة.	أنس بن مالك	٣/ ٧٢٢
إن كل متلاعنين إن استحقا اللعنة.	ابن مسعود	١/ ٦١٥
أن لا يحج مشرك.	أبو هريرة	١/ ٥٣٧
إِنَّ لصاحب الحق مقالاً.	أبو هريرة	٣/ ٤٧

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
إن لكل شيءٍ قلباً.	أنس بن مالك	٨/ ١٧٣
إن لكل نفس حَفَظَةً من الله تعالى.	أبو أمامة	١٠/ ٢١٢
إن للمَلَك لَمةً وإن للشيطان لَمةً.	ابن مسعود	٢/ ٢٢٤، ٤/ ٤٧٨
إِنَّ للْموت لسكرات.	عائشة	٩/ ١٤٤
إِنَّ لله تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْماً.	أبو هريرة	١/ ٢١٧، ٦/ ٣٠٣، ٦/ ٥٧٠، ٤/ ٤٥٥، ٩/ ٤٨٤، ١٠/ ٢١٩
إن لله ملائكةً سيَّاحين.	ابن مسعود	٥/ ١١٢
أن للوضوء شيطاناً يسمى الولهان.	أبي بن كعب	٦/ ٣٩٠
أن للوضوء والوسوسة شيطاناً يُسَمَّى خِنْزَب.	عثمان بن أبي العاص	٦/ ٣٩٠
إِنَّ مقعد الملَكين على الثنِيَّتَيْن.	علي بن أبي طالب	٩/ ١٤٣
إِنَّ ممَّا أَدرك الناس من كلام النبوَّة الأُولى.	أبو مسعود البدري	١٠/ ٢٢٨
إن مما يُنبت الربيع ما يقتل حَبَطاً أو يُلِمُّ.	أبو سعيد الخدري	٤/ ٣٩١، ٤/ ٦٧١، ٥/ ٣٢، ٥/ ٢٧٥
إِنَّ من أَعْتَى الناس على الله.	عبد الله بن عمرو	٦/ ١٩٧
إِنَّ من السَّرف أَن تأْكل ما اشتهيتَه.	أنس بن مالك	٧/ ٣٢٠
إِنَّ من الشِّعر لحُكْماً.	أبي بن كعب	٢/ ٤٧٨
إِن من أُمتي رجالاً الإِيمانُ أَثبت.	أبو إسحاق السبيعي	٣/ ٢١٢

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
إن من عباد الله عباداً ما هم بأنبياء.	عمر بن الخطاب	٥/ ٢٠٨
إن من عباد الله قوماً ألسنتهم أحلى من العسل.	أبو هريرة	١/ ٧٤١
إِن من ورائكم الكذَّاب المُضِلَّ.	أبو قلابة	٩/ ١٧٢
أن موسى عليه السلام وجد الخضر مُسَجًّى.	أبي بن كعب	٦/ ٤١٠
إِن نوحاً ركب في السفينة أَول يوم من رجب.		٥/ ٣١٥
إِن هذا الجمل شكا إِليَّ أَنك تجيعه وتدئبه.	عبد الله بن جعفر	٤/ ٥٩٧، ٥/ ٦٦٨
إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ.	عمر بن الخطاب	١/ ١٦٥
إِن هذا القرآن أُنزل يُخَوِّف.	سعد بن أبي وقاص	٩/ ٢٧٢
إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ سَبَعَةِ أَبْوَابٍ.	ابن مسعود	١/ ١٦٧
إن هذا لا يغني شيئاً.		٥/ ٥٠٠
أن هذه المقالة أَوَّلَ ما قيلت في العالم شاكَ الشَّجَرُ.	أبو سعيد الخدري	٦/ ٥٥٧
إِنَّ هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله.	ابن مسعود	١/ ٤٤٢
إن وسادك لعريض.		١/ ٦٨٦
أن يعقوب عليه السلام حَزِن حُزْن سبعين ثكلى.	الحسن	٥/ ٥٢٠
إِن يَكُنْه فلن تقدر عليه.	عبد الله بن عمر	٧/ ٤٧٣
أن يوسف عليه السلام أعطي ثلث الحسن.	الحسن البصري	٥/ ٤٥٥
أن يوشع رأى الحوت قد حش.	أبي بن كعب	٦/ ٤٠٦
إِن يونس حين نادى في الظلمات ارتفع نداؤُه.	أنس	٨/ ٢٨٨

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
إِنَّ الحمدُ للَّهِ.		٦/ ٦٠٠
أنا ابن الذبيحين.	معاوية	١/ ٥٧٤، ٥/ ٣٤٦، ٦/ ٥١٦، ٨/ ٢٧٢
أَنا التي سِيقَتْ صفتي لرسول الله ﷺ من الجنة.	عائشة	٨/ ٢١
إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَحْسُبُ وَلَا نَكْتُبُ.	عبد الله بن عمر	١/ ٤٦٢، ٩/ ٥٢٢
أنا إنما أقول في دعائي.	أبو هريرة	١/ ٧٣٥
أَنا أولى بالمؤمنين من أَنفسهم.	أبو هريرة	٧/ ٧٢١
أنا بريء من مسلم أقام بين المشركين.	جرير	٤/ ٦٣٧
أنا خاتَم الأنبياء.	عائشة	٨/ ٢٤
أَنا خاتم أَلْف نبي.	جابر بن عبد الله	٨/ ٢٤
أنا دعوة أبي إبراهيم.	العرباض بن سارية	١/ ٥٦٨
أَنا سابق العرب.	أنس	٨/ ١٥٦
أنا سيد ولد آدم ولا فخر.	أبو هريرة ـ أبو سعيد الخدري	٢/ ٣٩٩، ٢/ ١٥٢، ٦/ ٢٦٨، ٦/ ٧١١، ٦/ ٧١٢
أنا على ملّةِ إبراهيم.	ابن عباس	٢/ ٣٦١
أنا فئة المسلمين.	عبد الله بن عمر	٤/ ٥٢٥
أنا فَتَلْتُ قلائدَ هَدْي رسول الله ﷺ بيدي.	عائشة	٦/ ٢٠١
أَنا فَرَطُكم على الحوض.	عبد الله بن مسعود	٦/ ٦٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
أَنا لا أَشك ولا أَسأَل.	قتادة	٥/ ٢٤٥
إِنَّا معاشرَ الأَنبياءِ.		٥/ ٣٥٠
إنا معشر الأنبياء لا تحل لنا الصدقة.		٥/ ٥٢٨
إنَّا معشر الأنبياء لا نورث.	أبو بكر ـ عائشة	٦/ ٤٧٠، ٦/ ٤٧١، ٧/ ٤١٠
أَنا من أَشراط السَّاعة.		٩/ ٢٣
أَنْت الهادي يا علي.	ابن عباس	٥/ ٥٧٧
أنت أول الرسل.	أبو هريرة	١/ ٧٦١
أنت تزعم أنك نبي؟ قال: «نَعِم».	قتادة	٤/ ٢٦٦
أنت خصك الله بكلامه واصطفاك برسالته.	أنس	٤/ ٢٢٤
أَنتَ زيدُ الخير.	ابن مسعود	٨/ ٣٣٢
أنت سيدة نساء أهل الجنة.	عائشة	٢/ ٤١١
أنت طرَّدتني كلَّ مطرد.	ابن عباس	٢/ ٧٣٦
أنت مني كهارون من موسى.	سعد بن أبي وقاص	٤/ ٣٧٨
أنت وأصحابك.		٦/ ٤٥٨
أَنت يا عليُّ وشيعتك من خير البرية.	محمد بن علي	١٠/ ٣٣٩
انتظارُ الفرَجِ بالصبر عبادةٌ.	ابن مسعود	٢/ ٧٤٢
أنتم الغُرُّ المحجَّلون من آثار الوضوء.	أبو هريرة	٢/ ٥٤٨
أنتم شهداء الله في الأرض.	أنس بن مالك	١/ ٥٨٦

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
أَنتم كعَّدِة أَصحابِ طالوتَ.	قتادة	٢/ ١٤٧
أُنْزِلَ الْقُرْآنُ.		١/ ١٧٠
أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ.		١/ ١٧٤
أُنزلت على النبي ﷺ وهو واقف.	عمر بن الخطاب	٣/ ٤١٦
أَنشُدك الله ألست تقرأ فيما أنزل على موسى.	سعيد بن جبير	٤/ ٧٠
أنشدكم بالله هل تعلمون أن يعقوب مرض مرضاً شديداً.	ابن عباس	٢/ ٥٠٨
انصُـرْ أخاك ظالماً، أو مظلوماً.	أنس بن مالك	٦/ ١٩٨
انطلقا إلى هذا المسجد الظالمِ أهلُه.	الزهري	٥/ ٩١
انطلقا ماشِيَيْن على سِيف البحر.	أبي بن كعب	٦/ ٤١٣
انظر إِليها فإِن في أَعين الأَنصار شيئاً.		٨/ ٤٢
انظر إِليها فإِنه أَجدر أَن يُؤْدَم بينكما.	المغيرة بن شعبة	٨/ ٤٢
إِنَّك لا تَفْضُل أَحداً إِلاَّ في الدِّين والتَّقوى.	ابن عباس	٩/ ١٢٠
إِنَّكَ لزهيد.	علي	٩/ ٤٥١
إنك لعريض القفا.	عدي بن حاتم	١/ ٦٨٦
إنكم تحشرون إلى الله حُفاةً عراةً.	ابن عباس	٦/ ٣٨٦
إِنكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر.	جرير بن عبد الله البجلي	٤/ ٩٤، ١٠/ ٤١
إنما أُسري بنَفْس رسول الله ﷺ.	عائشة ـ معاوية	٦/ ١٤٧

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
إنما الربا في النَّسيئة.	أسامة بن زيد	٤/ ٥٠١، ٦/ ٤٥
إنما جئتكم من عند الله بأمر فيه صلاح.	ابن عباس	٦/ ٢٨٥
إنما ذلك كما قال لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.	ابن مسعود	٤/ ٥٩
إِنما فاطمة بَضعة مني.	المسور بن مخرمة	٩/ ٢٢٠
إِنما قولي لمئة امرأَة كقولي لامرأَةٍ واحدة.	عائشة	٩/ ٥٠٤
إنما نسمة المؤمن من طير تعلق في ثمار الجنة.	كعب	٢/ ٦٩٣
إنما هو بياض النهار.	عدي بن حاتم	١/ ٦١٨
إنما هي المصيبات في الدنيا.	أبو بكر الصديق	٣/ ٣٢١
أَنه ﷺ غَمَس يده في إِناءٍ فيه ماءٌ.	عروة بن مسعود	٩/ ٥٠٥
أَنه ﷺ لفَّ ثوباً كثيفاً قطريّاً على يده.	الشعبي	٩/ ٥٠٥
أنه أعطي ثلث الحسن.	أنس بن مالك	٥/ ٤٥٥
إِنه ثلاثون أَلف سنة.	أبو أمامة	١٠/ ١٠٠
إِنَّهُ ستكون فتنٌ كقِطَعِ اللَّيلِ المُظلِم.	علي بن أبي طالب	١/ ١٣٩
أنه صلى بكل طائفة ركعة.	حذيفة بن اليمان	٣/ ٢٩٦
أنه صلَّى مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف يوم ذات الرقاع.	سهل بن أبي حثمة	٣/ ٢٩٣
إنه في الفردوس.	أنس بن مالك	١/ ٦٠٤
أَنه قرأَ هذه الآية عندما كلَّمَتْه بالإِسلام.		٧/ ٦١٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
إنه كان حريصاً على قتل صاحبه.	أبو بكرة	٥/ ٤٤٠
أنه كان في غزوة ذي قَرَد صلاة خوف.	ابن عباس	٣/ ٢٩٥
إِنَّه كان يردُّ عنك مَلَك.	أبو هريرة	٨/ ٥٢٨
إنه كان يقول في كتاب الله ما قد علمتم.	سعيد بن جبير	٤/ ٥٤٨
إِنَّه لا يخزى أَحدٌ يوم القيامة.	قتادة	٥/ ٢٨١
إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بأَرْضِ قَوْمِي.	خالد بن الوليد	١/ ٤٩٤
إِنه لم يمنعني أن أَرد عليك إِلا أَنا أُمرنا أَن نقوم قانتين.	عبد الله بن مسعود	٢/ ١١٤
أَنه ليراجع.		٥/ ٦٦٣
أَنه مخراق بيد مَلَك يزجر به السحاب.		٥/ ٥٨٩
أنه نبتت على باب الغار راءة.		٤/ ٧٢١
أنه يحط من ذنوبه بقدر ما عفا عنه.	الشعبي	٣/ ٥٢٧
أَنه يرى الضوءَ كأن الشمس دنت للغروب.	أبو هريرة	٥/ ٦٦٣
أَنه يَسْلِتُهُ ويَبْلُغُ به قدميه ويديه.	أبو هريرة	٧/ ٢٩
أَنه يسمع خفق النعال.	أنس	٥/ ٦٦٣
أَنه يقام فيه خمسين أَلف سنة.	عبد الله بن عمر	١٠/ ١٦٩
أَنه يُلجم الكافر إِلجاماً.	عقبة بن عامر	١٠/ ١٧٠
أَنه ينادي مناد يوم القيامة: ليتبع كلُّ أَحد.	أبو سعيد الخدري	٩/ ٦٤٠
أنه يندلق عُنُقٌ من النار.	أبو سعيد الخدري	٦/ ٥٣٤

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
إنه ينفخ فيه للصعق.	عبد الله بن عمرو	٤/ ٤٤
أَنها أَرض كالفضة في بياضها.		٥/ ٦٨٥
إِنها السبع المثاني.	أبو هريرة	٥/ ٧٤٧
إِنها أَيام أَكل وشرب وذكر الله.	نبيشة الهذلي	٧/ ٤٢
أَنها تبدل أَرضاً من فضة.		٥/ ٦٨٥
أَنها تبدل أَرضاً من نار.		٥/ ٦٨٥
أَنها تسجد في عين حمئة.	أبو داود	٨/ ١٩٨
إِنها جبارة.	أنس	٧/ ٣٧١
إنها جنان كثيرة.	أنس بن مالك	٧/ ٩٢
إنها ركس.	ابن مسعود	٣/ ٢٤٥
إنها غَزوةٌ.	عكرمة	٢/ ٦٩٧
إِنها لتُنجي من عذاب القبر.	ابن عباس	٩/ ٦٠١
إِنَّهَا لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ.	أبي بن كعب	١/ ٢٢٥
إنها مطاياكم إلى الجنة.		٦/ ٥٥٤
أنهاكم عن قيلٍ وقالٍ.	المغيرة بن شعبة	٤/ ٤٢٥
أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبياً.	أبو عبيدة بن الجراح	٢/ ٣٥٩
إِنَّهم ليُكرهون في النَّار كما يُكره الوتد في الحائط.	يحيى بن أبي أسيد	٧/ ٢٧١
إِنهم يُدَالون كما تُنصَرون.		٢/ ٦٢٢

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
إِنهم يسمعون خفق النِّعال.	أنس بن مالك	٧/ ٤٥٨
أَنهم يُماتون إِماتةً.	أبو سعيد الخدري	٦/ ٦٠٩
إِنهما أَشدُّ الصلوات على المنافقين.	أبو هريرة	٢/ ١٠٩
إِنِّي أَبِيت عند ربِّي يطعمني ويسقيني.	أبو هريرة	٧/ ٣٦١
إِنِّي إِنما تركت الخروج.	عائشة	٩/ ٧٣٥
إِني تاركٌ فيكم الثقلين.	أبو الطفيل	٩/ ٣٢٤
إِني دعوت الله أَن يجعلها أُذنك يا علي.	علي بن أبي طالب	٩/ ٦٥٨
إِنِّي ذاكرٌ لكِ أَمراً.	عائشة	٧/ ٧٥٤
إِني رأَيت هذين فلم أَصبر.	بريدة بن الحصيب	٩/ ٥٥٥
إني سأعطيكم أفضل من هذا كله.	أبو سعيد الخدري	٥/ ٣٦
إِنِّي لا أُصافح النساءَ.	أسماء بنت يزيد بن السكن	٩/ ٥٠٤
إني لا أَعْرِضُ لأموالكم إلا بأمر من الله.	ابن عباس	٥/ ٨٢
إني لأتوب إلى الله في اليوم وأستغفره سبعين مرة.	أبو هريرة	١/ ٥٦٨
إِنِّي لأَرجو الله أَن يُؤَخِّر أُمتي نصف يوم.	سعد بن أبي وقاص	٧/ ٦٨، ٩/ ٢٧٦
إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي.	جابر بن سمرة	١/ ٤٥٦
إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة.	أبو ذر	٧/ ٣٢٦
إني من نكاح ولست من سفاح.	ابن عباس	٥/ ١٣٩
اهج قريشاً وروح القدس معك.	البراء بن عازب	١/ ٤٨٢، ١/ ٦٠٣

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
أهل الجنة يوم القيامة مئة وعشرون صفّاً.	بريدة	٦/ ٣٨٥
أَهللت بإِهلال كإهـلال النـبي ﷺ.	علي بن أبي طالب	٥/ ٢٤٠
أهلك ولا نعلم إلا خيراً.		٥/ ٤٨٣
أَوْ أَجْهَل، أَو يُجْهَل عَلَيَّ.	أم سلمة	٤/ ١٤، ٦/ ١٣٣
أَوْ حَدٌّ في ظهرك.	ابن عباس	٧/ ١٥٨
أَوَ فَتْحٌ هو يا رسول الله؟ قال: «نعم».	عمر بن الخطاب	٩/ ٨٣
أَوْ مُسلِماً، إِنِّي لأُعطي الرَّجلَ.	سعد بن أبي وقاص	٩/ ١٢٣
أو هرماً مفنِّداً.	أبو هريرة	٥/ ٥٣٤
أُوتيت خمْساً لَمْ يُؤْتَهُنَّ أَحدٌ قبلي.	جابر بن عبد الله	٥/ ٢٩٩
أُوتيت هؤلاءِ الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش.	حذيفة رضي الله عنه	٢/ ٣٠٤
أوفوا بعقد الجاهلية.	قتادة	٣/ ٣٨٦
أَول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة.	عائشة	١٠/ ٣١٨
أَوَّلُ مَا نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلى مُحَمَّدٍ ﷺ.	ابن عباس	١/ ٢٠٦
أَول ما يرفع من الناس الخشوعُ.	شداد بن أوس	٩/ ٤١١
أَول من تُسَعَّر به النار يوم القيامة.	أبو هريرة	٥/ ٢٧٣
أول من ميَّز رسولَ الله ﷺ أنا.	كعب بن مالك	٢/ ٦٥٥
أَوّل يوم خلق الله فيه التربة.	أبو هريرة	٨/ ٤٩٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
أولئك الملأ.	عدي بن ثابت	٤/ ٣٣٩، ٥/ ٢٢٠
أولئك الملأ من قريش.	عاصم بن عمر	٤/ ٢٩٩
أولهن رجب مضر.	ابن عمر	٤/ ٧٠٩
أولياء الله قوم تحابوا في الله.	عمر	٥/ ٢٠٧
أَوَّهْ لأفراخ محمد.	معاذ بن جبل	٥/ ١١٩
أوه، ذلك الربا بعينه.	أبو سعيد الخدري	٥/ ١١٩
أَيُّ مَاءٍ عَلا كَانَ الشَّبَهُ لَهُ.	ابن عباس	١/ ٤٩٦
أي الصدقة.	أبو هريرة	١/ ٦٤٥
أَيُّ الْقُرْآنِ أَفْضَلُ؟	الحسن البصري	١/ ٢٦٥
أَيْ رَبِّ، أَيُّ عبادك أعلم؟	ابن عباس	٦/ ٤١١
أَيْ عمِّ، قل لا إِله إِلَّا الله كلمة أحاج.	المسيب بن حزن	٨/ ٢٤٦
أي عم، قل: لا إله إلا الله.		٥/ ١١٥
أَيُّ مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام».	أبو ذر	٢/ ٥١٢
إِيَّاكم والحمرة.	عمران	٨/ ٦٢٣
إِيَّاكُمْ والظَّنَّ.	أبو هريرة	٩/ ١١١
آيِبُونَ تائبون.	عبد الله بن عمر	٨/ ٣٢١
أَيَّتها الأَجسام الهامدة.		٩/ ١٦٥
أُيرضيك أَن أُحرِّمها؟	زيد بن أسلم ـ الشعبي	٩/ ٥٨٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
أَيُّكُم المُتَأَلِّي على الله لا يفعل المعروف.	عائشة	٧/ ١٩٣
أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: «نعم».	صفوان بن سليم	٣/ ٣٣١
أَيُّمَا داع دعا إِلى ضلالة فاتُّبع.	أبو هريرة	٦/ ٣١
أَيما داعٍ دعا إِلى هُدًى.	أبو هريرة	٧/ ٥٦٠
أَيما رجل دعا رجلاً إلى شيءٍ.	أنس بن مالك	٨/ ٢٤٢
أيمانُ الرُّماة لغوٌ.	الحسن البصري	٢/ ٤٥
الإِيمانُ قَيْدُ الْفَتْكِ.	الزبير ـ أبو هريرة ـ عائشة	٣/ ٩٦
أين أصحاب الشجرة؟	العباس	٤/ ٦٨١
أَين خُصماءُ الله.	ابن عباس	٩/ ٤٥٥
أَيُّـنَا لَمْ يظلم.		٧/ ٦٦٠
أيها الناس أربعوا على أنفسكم.	أبو موسى الأشعري	٤/ ٢٨٧
أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ.		١/ ١٤٠
أيها الناس كتب عليكم الحج.		٣/ ٦٤٤
أيها الناس، إن الله تطاول عليكم في مقامكم هذا.		١/ ٧٣٢
بئس ابن العشيرة.	عائشة	٩/ ١١٧
بئس الخطيب أنت.	عدي بن حاتم	٥/ ٢٣، ٨/ ٥١، ٨/ ٥٢
بئس الميت أَبو أُمامة ليهود والمشركين.		٥/ ٢٣٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
بئس الميت سعد ليهود.	أبو أمامة	٩/ ٤٩٢
بئس ما علَّق هذا.	البراء ـ عطاء	٢/ ٢١٧
بئس مَطية الرجل: زعموا.	حذيفة ـ أبو مسعود الانصاري	٣/ ٢٠٣، ٩/ ٥٥١
بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أنفقت.	أبو هريرة	٥/ ٤٧
الباغي مصروعٌ.		٦/ ١٠٢
بايعنا رسول الله ﷺ على أَلَّا نَفِرَّ.	عبد الله بن عمر ـ جابر بن عبد الله	٩/ ٥٦
بايعنا رسولَ الله ﷺ على الموت.	سلمة بن الأكوع	٩/ ٥٦
بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً.	عبادة بن الصامت	٧/ ١٩٠
البحر لا أركبه أبداً.		٥/ ١٦٨، ٦/ ٢٤٧
البحرُ هو جهنَّمُ.	يعلى بن أمية	٦/ ٣٦٣
بدءُ أَسماءٍ وفواتح سوَر.		٨/ ٤٣٣
بعث الله أَربعة آلاف نبيّ.	سلمان	٨/ ٤٨٧
بُعِثت أنا والساعةُ كهاتين.	أنس بن مالك ـ جابر بن عبد الله ـ سهل بن سعد	٦/ ٨٩، ٦/ ٢٢٣، ٩/ ٢٣، ٩/ ٢٧٥
بعثت بالحنيفية السمحة.	أبو أمامة	٢/ ٥١١، ٣/ ٤٤٧
بعثت لأتمم محاسن الأخلاق.	معاذ بن جبل	٤/ ٤١١

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
بُعثت لأُتَمِّم مكارم الأَخلاق.		٩/ ٦٢٥
بُعِثْت للأَسود والأَحمر.	جابر بن عبد الله	٥/ ٥٧٦
بعلي بن أَبي طالب.	جابر بن عبد الله	٨/ ٦٣٠
البِكْرُ بالبِكْر جَلْدُ مئة وتغريب عام.	زيد بن خالد الجهني	٧/ ١٥٧
بل أدعوهم، وأعالجهم.		٢/ ٧١٦
بل تَسْتَأْني بهم يا رب.	ابن عباس	٦/ ٢٣١
بل حتى يتوب تائبهم.	محمد بن كعب القرظي	٤/ ١٠١
بل لأبد أبد.	سراقة بن مالك	١/ ٧١٥
بل لكلِّ من تقدَّم أو تأَخَّر من الكفّار.	ابن عباس	٨/ ٦٤١
بَلى، وأَنا على ذلكم من الشاهدين.	قتادة	١٠/ ٣١٥
بلى، ولكنكم أحدثتم.	ابن عباس	٣/ ٥٧٨
بني الإِسْلامُ على خَمْس.	عمر بن الخطاب ـ ابن عمر	٢/ ٣٥٥، ٩/ ١٢٣
الْبَيْتُ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ.	أبو هريرة	١/ ٢٦٦
بيتٌ يُكِنُّكَ.	ثوبان	١٠/ ٣٧٠
البيعان بالخيار ما لم يتفرقا.		٣/ ١١٨، ٣/ ١١٩، ٣/ ٣٣٥
بينا أنا نائم في الحِجْر.	الحسن البصري	٦/ ١٥٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان.	مالك بن صعصعة	٦/ ١٥٠
بينما رجل من بني إِسرائيل يجُرُّ ثوبه خُيَلاء.		٧/ ٦٦٩
تبّاً للذهب تبّاً للفضة.	ثوبان	٤/ ٧٠٣
تتزَوَّجُ المرأةُ لأَرْبَع.	أبو هريرة	٢/ ٣٤٨
تتعاقب فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكة بالنهار.	أبو هريرة	٤/ ٢٢
تَجِيءُ الْبَقَرَةُ وَآلُ عِمْرَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.	النواس بن سمعان	١/ ٢٦٦
التَّحَدُّثُ بالنِّعم شكرٌ.	النعمان بن بشير	١٠/ ٣٠٠
تسحرتُ مع رسول الله ﷺ وهو النهار.	حذيفة بن اليمان	١/ ٦٨٧
تصدَّقي على زوجك فهي لك.	زينب امرأة عبد الله بن مسعود	١٠/ ٢٧٤
تعدل ثلث القرآن ـ آية الكرسي ـ.	أنس بن مالك	٢/ ١٥٦
تَعْدِلُ ثُلُثَي الْقُرْآنِ.	أبي بن كعب	١/ ٢٢٥
تعوُّذ رسول الله ﷺ من المغرم والمأثم.	عائشة	٥/ ٧٢
تعوَّذْ يا أبا ذر من شياطين الجن والإنس.	أبو ذر	٤/ ١٠٧
تعوذي بالله مِنْ شرِّ غاسق إِذا وقب.	عائشة	١٠/ ٤١٩
تعيش قرناً.	عبد الله بن بسر	٣/ ٧٠٣
تعين ضائعاً، أو تصنع لأخرق.	أبو ذر	٢/ ٢٦٥
تغدو خماصاً.	عمر	٤/ ٧٤٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
تفكَّرُوا في الخلق، ولا تفكَّرُوا في الخالق.	أبو هريرة ـ عمرو ابن مرة	٢/ ٧٣٠، ٩/ ٢٦٤
تُقَرَّبُ الشَّرْبَةُ من الكافر.	أبو أمامة	٦/ ٣٦٥
تكفيك آية الصيف التي أنزلت في آخر سورة النساء.	عمر بن الخطاب	٣/ ٣٨١
تكلم في المهد أربعة.	ابن عباس	٥/ ٤٤٤
تكليم المَلَك للأَقرع والأَبرص.	أبو هريرة	٧/ ٤٧٥
تلك السكينة تنزلت للقرآن.	أبو سعيد الخدري	٤/ ٤٣٨
تلك الغرانقة.		٧/ ٧٢، ٧/ ٧٣
تلك الغرانيق.		٧/ ٧٣
تلك صلاة الأَوَّابين.	ابن عمر	٦/ ١٨٧
التمسوها في الثالثة.	أبو بكرة	١٠/ ٣٢٨
تَنَامُ عَيْنِي ولا يَنَامُ قَلْبِي.	ابن عباس	١/ ٤٩٦
تنـزُّلِ الملائكة في الظُّلَّة.	أسيد بن حضير	١/ ١٤٨
تنْزِيهاً لله من كُلِّ سُوءٍ.	طلحة بن عبيد الله الفياض	٥/ ١٥٦، ٦/ ١٤٩
تنظر في النصل فلا ترى.	أبو سعيد الخدري	٥/ ٥٤٩
التوبة لمن قتَل.	أبو هريرة	٧/ ٣٢٣
التوراة قليل من كثير.	ابن عباس	٧/ ٦٧٥
توضع الموازين يوم القيامة فتوزن.	جابر بن عبد الله	٤/ ٢٧١

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
توفُون سبعين.	الحسن البصري	٤/ ١٨٩
توفي رسول الله ﷺ بين سَحْري ونَحْري.	عائشة	٦/ ٢١٨
ثلاث جِدُّهن جِد، وهزلهن جِد.	أبو هريرة	٢/ ٧١
ثلاثٌ من أُوتيهنَّ فقد أُوتي في العمل شكراً.	جماعة من الصحابة	٨/ ٨٣
ثلاث من فعلهن فقد أَجرم.	معاذ بن جبل	٧/ ٧٠٥
ثلاث من كن فيه كان منافقاً خالصاً.	أبو هريرة	٥/ ٤٤
ثلاثة يؤتيهم الله أَجرهم مرتين.	أبو موسى الأشعري	٧/ ٥١٦، ٩/ ٤٢٧
الثُّلَّتَانِ مِنْ أُمَّتي.	ابن عباس	٩/ ٣٦٤
ثم اركع حتى تطمئن راكعاً.	أبو هريرة	٢/ ١٩٤
ثم جمع بين صلاتين بوضوءٍ واحد.	سويد بن النعمان	٣/ ٤٣٢
ثم ذكرت قول أَخي سليمان.	أبو هريرة	٨/ ٣٣٧
جاءَني جبريل فقال: اجعلها على رأْس مائتين وثمانين.		٢/ ٢٦٠
الجامعة الفَاذَّة.	أبو هريرة	١٠/ ٣٤٨
جبل من جبال النار.	عثمان بن عفان	١/ ٤٦٥
جرح العجماءِ جُبَارٌ.	أبو هريرة	٦/ ٧٠٤، ٧/ ٣٨٤
جعل الله تعالى نور بصري في فؤادي.	ابن عباس	٩/ ٢٣٩
جعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً.	جابر بن عبد الله	٤/ ٦٠٩
جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً.	جابر بن عبد الله	٤/ ٦٠٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
جلد أَربعين.	أنس بن مالك	١٨/٢
الجمعة إلى الجمعة، والصلوات الخمس.	أبو هريرة	٣٩٦/٥
جنتان للمقربين من ذهب.	أبو موسى الأشعري	٣٣٦/٩
حبُّك الشيءَ يُعمي ويُصم.	أبو الدرداء	٥٨٠/٣
حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.	أبو هريرة	١٨/٣
حتى يضع الجبار فيها قدمه.	أبو هريرة	١٤٦/٥
حتى يضل الرجل أن يدريَ كم صلى.		٧١٥/٤
حَدَّثتكم عن الدَّجال أَنه أَعور.	عبادة بن الصامت	٤١/١٠
حديث الجارية التي كانت تغنِّي به، فنهاها النبي ﷺ.	الربيع بنت معوذ	٦٦٦/٢
حديث الغامدية.		٦٠/٣
حديث المرأة التي بُعث إِليها أُنَيْس.		٦٠/٣
حَرُمَتِ الْخَمْر.	ابن عمر ـ سعيد بن جبير	١٨/٢ ـ ٢٣/٢
حُرمت الخمر لعينها.	علي بن أبي طالب	٧٤/٦
حُرِّمت عليهم الشحومُ.		٥٠٧/٢
الحزمُ سوءُ الظَّنِّ.	عبد الرحمن بن عائشة	١١٢/٩
حُسْن العهد من الإِيمان.	عائشة	٦٨٩/٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
حفَّتِ النارُ بالشهواتِ.	أبو هريرة	٢/ ٣٤٠
حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين.	أبو هريرة	١/ ٦١٣
حكم الله تعالى في الفئة الباغية: أَلَّا يُجهز على جريح.	ابن عمر	٩/ ١٠٦
حكمت فيهم بحكم الملِك.	سعد	٩/ ٥٧٦
الحلالُ بيّنٌ والحرام بين.	النعمان بن بشير	٢/ ٣١٧
الحمد لله الذي جعل من أُمتي مَن أُمِرتُ.	عبد الرحمن بن سهل بن حنيف	٦/ ٣٥٨
الحمد لله الّذي هدانا للإِسلام.	الحسن بن علي	٨/ ٦٠٦
الحمد لله على نعمة الإِسلام.	علي بن أبي طالب	٨/ ٦٠٦
حمي الوطيس.	العباس	٥/ ٣٠٥
الحُمَّى حظ كل مُؤمِنٍ من النار.	أنس بن مالك	٦/ ٥٣٨
الحُمَّى من فَيْح جهنم.	ابن عمر	٦/ ٥٣٨
الحنيفية السمحة.	ابن عباس	٤/ ١٨٦
حنين الجذع لفقد النبي ﷺ.	جابر بن عبد الله	١/ ٤٥٦
خاطب رسول الله ﷺ أهلَ قليبِ بدر.	ابن عمر	٤/ ٣١٩
خبر ماعز.		٣/ ٦٠
خُذْهُنَّ قبل أن يحال بينك وبينهن.	أبو الدرداء	٦/ ٥٤٦

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
خُذُوا جُنَّتَكم.	أبو هريرة	٦/ ٥٤٦
خروج الخطايا مع قطر الماء.		٥/ ٣٩٧
خرجت يوماً بمكة متعرضاً لرسول الله ﷺ.	عمر بن الخطاب	٩/ ٦٥١
خزنة الريح.		٩/ ٥٤١
خشية الله رأس كل حكمة والورع سيد العمل.	أنس بن مالك	٣/ ٤١٥، ٨/ ١٥٠
خشيتُم أن نغلَّ.		٢/ ٦٧٩
الخط الحسن يزيد الحقَّ وضوحاً.	المهاجر	٨/ ١٣٠
خطبني رسول الله ﷺ، فاعتذرت إليه فعذرني.	أم هانئ بنت أبي طالب	٨/ ٣٣
خلافُ أمتي رحمةٌ.		٢/ ٥٤٠
الخلافة بعدي ثلاثون سنة.	سفينة مولى رسول الله	٦/ ٢٣٨، ٧/ ٢٤٧
خَلَقَ اللهُ آدَمَ طُولُهُ فِي السَّمَاءِ ستُّونَ ذِرَاعاً.	أبو هريرة	١/ ٣١٩، ٥/ ٦٥٧
خَلَقَ اللهُ آدَمَ عليه السلام مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ كُلِّهَا.	أبو موسى الأشعري	١/ ٣٤٩
خلق الله التربة يوم السبت.	أبو هريرة	٥/ ٢٦٦
خلق الله فرعون في البطن كافراً.	ابن مسعود	٩/ ٥٤٩
الخمر من هاتين الشجرتين.	أبو هريرة	٢/ ١٦
خَمِّروا الإناءَ.	جابر بن عبد الله	٢/ ١٥
خَمِّروا آنِيَتكُم.	جابر بن عبد الله	١٠/ ٨١

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
خمس صلوات كتبهن الله على العباد.	عبادة بن الصامت	٦/ ٥٥٥
خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم.	عائشة	١/ ٥٥٧، ٣/ ٦٢٠، ٦/ ٣٨٨
خمس من الفطرة.	أبو هريرة	٧/ ٤٥
خير الأُمور أوساطها.	علي بن أبي طالب	١/ ٥٨٥، ٨/ ١٥٧
خير الجيوش أَربعة آلاف.		٨/ ٧٩
خير الذكر الخفي.	سعيد ـ سعد بن مالك	٤/ ٢٨٦، ٦/ ٤٦٩
خيّر رسول الله ﷺ في النواحي.	الربيع بن خثيم	١/ ٥٨٣
خير الشهداءِ الذي يأتي بشهادته قبل أَن يُسْأَلها.	زيد بن خالد	٩/ ٦٩٠
خير الصدقة ما أبقت غنى.	أبو هريرة	٢/ ٢٤
خيرُ الصَّدَقة أن تَصَدَّق وأنتَ صحيحٌ شحيح.	أبو هريرة	٢/ ٥٠٤
خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى.	حكيم بن حزام	٢/ ٢٤
خيرُ الناسِ قَرْني.	ابن مسعود	٦/ ١٧٧، ٣/ ٧٠٢
خير النساءِ امرأَةٌ إِذا نظرت إِليها سرَّتك.	أبو هريرة	٣/ ١٣٣
خير بيوتكم ما استقبل به القبلة.		٥/ ٢٣٢
خير ما كسب الرجلُ.	عائشة	١٠/ ٤٠٧
خير نساء الجنة مريم بنت عمران.		٢/ ٤١٠
خيرُ نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران.	أنس بن مالك	٢/ ٤١٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
خيرُ نساءٍ ركِبْنَ الإبلَ.	أبو هريرة	٢/ ٤١٠
خيرات الأخلاق، حسان الوجوه.	أم سلمة	٩/ ٣٣٨
خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه.	عثمان بن عفان	٩/ ٣٠٦
دابَّةٌ من البحر مثل الظَّرب.		٧/ ٢٤٢
دخل الناسُ في الدين أَفواجاً.	جابر بن عبد الله	١٠/ ٤٠٣
دعا أن لا يُجعل بأس أمته بينهم.	سعد بن أبي وقاص	١/ ٦٧٩
الدعاءُ هو العبادة.	النعمان بن بشير	٨/ ٤٧٨
دعه فإنه أوَّاه.	أبو ذر	٥/ ١١٩
دَعْهُ؛ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ.	عمر بن الخطاب	١/ ٢٩٥
دعوا لي أصحابي.		٤/ ٦٧٥
دعوها فإنها منتنة.	جابر بن عبد الله	٤/ ١٥٧، ٤/ ٣١٠، ٩/ ٥٣٨
الدَّقَل والفارسي والحلو والحامض.	ابن عباس	٥/ ٥٧٢
الدنيا خضرة حلوة.	أبو سعيد الخدري	٤/ ٨٧، ٦/ ٣١٦
الدنيا سجن المؤمن.	أبو هريرة	٢/ ٧٤٠
دِيَارَكُم تُكتَبْ آثَارُكم.	أنس	٨/ ١٧٣
ديباج القرآن.	انس	٨/ ٤٣١
دين الله يسر.	أبو هريرة ـ عروة الفقيمي	١/ ٦٧٦، ٢/ ٥١١، ٣/ ٤٤٧

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
ذاك خطيب الأنبياء.	يعقوب بن أبي سلمة	٥/ ٣٧١
ذروني ما تركتكم.	أبو هريرة	٥/ ٢٩٥
ذلك إِبراهيم عليه السلام.	أنس بن مالك	١٠/ ٣٣٩
ذلك الفضلُ المُبْتَغَى هو عيادة مريض.	أنس	٩/ ٥٢٩
ذلك خطيب الأنبياء.	يعقوب الماجشون	٤/ ٣٣١
ذلك رجلٌ بال الشيطان في أُذنه.	عبد الله بن مسعود	٦/ ٣٢٤
ذلك سواء.	السدي	٤/ ٧٥
ذلك ضرب الملائكة.	الحسن البصري	٤/ ٥٩٦
ذلك محض الإِيمان.	ابن مسعود	٢/ ١٩٢
ذهبت النبوة وبقيت المبشرات.	أم كرز الكعبية	٥/ ٢٠٩
ذو القعدة، وذو الحجة من الأشهر الحرم.		٣/ ٣٩٣
الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ رَأَيْتَهُ يَخْشَى اللهَ تَعَالَى.	أبو هريرة	١/ ١٥٠
الذي يأْتي امرأَته وهي حائض.		٢/ ٣٦
الذين إذا رأيتهم ذكرت الله.	ابن عباس	٥/ ٢٠٦
الرؤيا من الله والحلم من الشيطان.	أبو قتادة	٥/ ٤٧١، ٨/ ٢٧٧
الرؤيا من الله وهي المبشرة.	أبو هريرة	٥/ ٤٧٢
رؤية الله تعالى في الآخرة.		٣/ ٣٥٦
رؤية النبي ﷺ للسوارين.	أبو هريرة	٤/ ٧٤

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
رأْسُ الحكمة مخافة الله.	ابن مسعود	٨/ ١٥١
رأْسُ كل شيءٍ خشيةُ الله تعالى.	أنس	٢/ ٢٢٦
رأى إبليس جبريل يقود فرسه بين يدي النبي ﷺ.	الحسن البصري	٤/ ٥٩٣
رأَيتُهُ ـ ابن أم مكتوم ـ يوم القادسية وعليه دِرْعٌ.	أنس بن مالك	١٠/ ١٣٠
رأيته يجر قصبه في النار.		٣/ ٦٤٥
رأَيتها ثم حال دونها فراش من الذهب.	ابن عباس	٩/ ٢٤٤
ربِّ زِدْ أمتي.	ابن عمر	٢/ ٢٠٢
ربَّ متخوِّضٍ في مال الله.	ابن عمر	٥/ ٣٢
ربَّنا إِخواننا كانوا يصلُّون معنا.	أبو سعيد الخدري	٢/ ١٦٠
رجعتم من الجهاد الأَصغر.	جابر بن عبد الله	٧/ ٦٠٣
رجل راشه الله مالاً.	أبو سعيد الخدري	٤/ ٢٣٣
رُحباً بالذين عاتبني فيهم ربي.		٦/ ٣٥٨
رحم الله رجلاً قال: يا أَهلاه.		٩/ ٥٩١
الرَّحْمَـٰنُ رَحْمَـٰنُ الدُّنْيَا والْآخِرَةِ.	أبو سعيد الخدري ـ ابن مسعود	١/ ٢٢٠
رحمه الله تعالى، لقد أَذْكرني كذا آيةً.	عائشة	١٠/ ٢٢٤
الرَّحِيمْ الْحَمْدُ.	أم سلمة	١/ ٢٢١
رسول الرجل إِذنُه.	أبو هريرة	٧/ ٢٠٢

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
رُفعت لي سدْرَة المنتهى.	أنس بن مالك	٩/ ٢٤٣
رواح يوم الجمعة.	أبو هريرة	٥/ ١٢١
الرياء: الشرك الأصغر.	محمود بن لبيد	٥/ ٥٤٩
الرِّيح الجنوب من الجنة.	أبو هريرة	٥/ ٧٠٧
الريح من نَفَس الرحمن.		٥/ ٧٠٩
الزاد والراحلة.	ابن عمر	٢/ ٥٢٣، ٢/ ٥٢٢
الزُّرْقة يُمْنٌ.	أبو هريرة	٨/ ٣١٥
زَمِّلوني زمِّلوني.	جابر بن عبد الله	٩/ ٧٣٤، ١٠/ ٥
سابقنا سابق.	عمر بن الخطاب	٨/ ١٥٦
سام أَبو العرب.	سمرة بن جندب	٥/ ٣٠٧
سام وحام ويافث.	سمرة بن جندب	٨/ ٢٦٢
سِباب المسْلم فُسوقٌ.	ابن مسعود	١/ ٧٢٤
سبحان الله مُقَلِّب القُلُوب.	ابن زيد	٨/ ١٩
سبحان الله وبحمده، اللهم إِنِّي أَستغفرك.	عائشة	١٠/ ٤٠٢
سبحان الله، فأين الليلُ إذا جاء النهارا.	يعلى بن مرة	٢/ ٦٠٥
سبحان ربي الأعلى.	ابن عباس	١٠/ ٢٢٠
سبحان من سبَّح الرعد بحمده.	أبو هريرة	٥/ ٥٩١
سبحانك اللهم وبحمدك، وبلى.	موسى بن عائشة	١٠/ ٤٨

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
السبع المثاني.	أبي بن كعب	١/ ٢٢٣
سبقك بها عكاشة.	ابن عباس	٤/ ٧٤١
سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رحمتي سبقت غضبي.	أبو هريرة	٨/ ٢٦
سَجَدَ وَجْهي للَّذي خلقه وصوَّره.	علي	٩/ ٦١٦
سجدة الشكر.		٣/ ٣٥٧
السلام عليكم دار قوم مؤمنين.	عائشة	٧/ ٤٥٧
سماه النبي ﷺ ـ شهر رجب ـ شهر الله.		٣/ ٦٤١
سمع النَّبيُّ ﷺ رجلاً يقرأُ: (قَالتِ الاعْرابُ).	عبد الله بن الزبير	٩/ ١٢٢
سمع النبي ﷺ يقرأ في الصلاة.	قطبة بن مالك	١/ ١٧٥
سمى ما يخرج من الزكاة أوساخ الناس.	علي بن أبي طالب	١/ ٣٨٥
سُنُّوا بهم سنة أهل الكتاب.	عبد الرحمن بن عوف	٤/ ٦٨٦
سورة المائدة تدعى في ملكوت الله المنقذة.		٣/ ٣٨٥
سَوِّمُوا فقد سَوَّمت الملائكة.	عمير بن إسحاق	٢/ ٥٩٦، ٥/ ٣٦٤
سيأَتي قوم يَخُونون ولا يُؤْتمنون.	عمران بن حصين	٩/ ٦٩١
سيدة آي القرآن ـ آية الكرسي ـ.	أبو هريرة	٢/ ١٥٦
سيعيشُ هذا الغلامُ قَرْناً.	عبد الله بن بسر	٦/ ١٧٧
سيكون أقوام يعتدون في الدعاء.	سعد بن مالك	٤/ ٢٨٨
سيَكُونُ في أُمتي خَسْف ومَسْخ.	أبو هريرة	٥/ ٣٦٤

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
شاهت الوجوه.	حكيم بن حزام	٤/ ٥٢٦، ٤/ ٦٨١
شِبْراً بِشِبْر، وذراعاً بذراع.	أبو سعيد الخدري	١٠/ ١٩١
شُحٌّ مطاعٌ، وهوًى مُتَّبَعٌ.		٩/ ٥٥٨
شَرُّ ما في الإنسان شُحٌّ هالِعٌ.	أبو هريرة	٩/ ٦٨٤
شراءُ المُغَنِّيات وبيعهن حرام.	أبو أمامة الباهلي	٧/ ٦٥٢
شِراكٌ أو شِراكان من نار.	أبو هريرة	٢/ ٦٨٢
شغلونا عن الصلاة الوسطى.		٢/ ١١٣
شَغَلُونا عنِ الصَّلاةِ الوُسْطَى صَلاةِ العصر.	سمرة بن جندب ـ علي بن أبي طالب	٢/ ١١١، ٢/ ١١٢
الشَّفع: يومُ النحر.	جابر بن عبد الله	١٠/ ٢٤٥
الشَّفْع: يومُ عَرَفة ويومُ الأَضحى.	أبو أيوب الأنصاري	١٠/ ٢٤٦
شيبتني هود وأخواتها.	أبو بكر الصديق	٥/ ٣٩٢، ٨/ ٥٥٩
صدق أبو العالية ونصح.	الحسن البصري	١/ ٢٥٠
صدق حاطب إنه من أهل بدر.	علي بن أبي طالب	٩/ ٤٨٦
صدقةٌ تصدق الله بها عليكم.	يعلى بن أمية	٣/ ٢٨٨
الصديقون المتصدقون.	المقداد	٣/ ٢١٤
صفاؤُهن كصفاءِ الدُّرِّ.	أم سلمة	٩/ ٣٥٨
صلاةُ الرجلِ في بيتِه أَفضلُ من صلاته في المسجدِ.	زيد بن ثابت	٢/ ٢٢٨
الصَّلاة الوسطى صلاة العصر.	أبو مالك الأشعري	٢/ ١١٢

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
الصلاة أمامَك.	أسامة بن زيد	٦/ ٤٢٨
الصلاة باللَّيل هي الغنيمة الباردة.	عامر بن مسعود	٨/ ٣٥٨
صلوا في النعال.	أنس	٤/ ٢٤٢
صهيل الخيل ينفِّر الجن.		٤/ ٦١٣
الصُّور قرن عظيم.	أبو هريرة	٦/ ٤٥٥
الصيام في الشتاء هو الغنيمة الباردة.	أبو هريرة	٤/ ٥٦٧
الضرار في الوصية من الكبائر.	ابن عباس	٣/ ٥٤
الضريع: شوك في النار.	ابن عباس	١٠/ ٢٣٥
طلحة ممن قضى نَحْبه.	معاوية بن أبي سفيان	٧/ ٧٤٦
طلِّقوا المرأَة في قُبُلِ طُهْرِهَا.	حذيفة	٩/ ٥٦٢
طوبى شجرة في الجنة.	ابن عباس	٥/ ٦١٠
طول القنوت.	جابر بن عبد الله	٨/ ٣٨١
الظلمُ ظُلماتٌ يومَ القيامةِ.	ابن عمر	٢/ ٦٧
عادني رسول الله ﷺ وأنا مريض.	جابر بن عبد الله	٣/ ٣٨٢
العاقِلُ من عَقَل عن الله تعالى.	جابر بن عبد الله	٧/ ٥٨٣
عبد الله بن قيس: ألا أَدُلُّك على كنز.	أبو موسى الأشعري	٦/ ٣٧٦
العج والثج.	أبو بكر الصديق	١/ ٧٠٤، ١٠/ ٩٦
عجائز كُنَّ في الدنيا عُمْشاً رُمْصاً.	أنس بن مالك	٩/ ٣٦٢

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
عجب الله من فعلكما البارحةَ.	أبو هريرة	٩/ ٤٧٠
العِدَةُ دَيْنٌ.	ابن مسعود	٦/ ٥١٧
عدلت شهادة الزُّور بالشِّرك.	ابن مسعود	٧/ ٤٨
عَرَبِيَّـتُهُ، فالْتَمِسُوهَا فِي الشِّعْرِ.	ابن عباس	١/ ١٥٥
عرفة كلُّها موقف.	ابن عباس	١/ ٧٣٠
عَضَلَ والقَارَةَ.		٩/ ٣٥
العلماءُ ورثة الأنبياء.		٦/ ٥٤٩
على ابنك جَلْدُ مئة.	أبو هريرة ـ زيد بن خالد	٧/ ١٥٧
عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ.		١/ ١٧١
عَلَى مِثْل الشمس فاشْهد.	ابن عباس	٩/ ٦٩٠
عليٌّ وفاطمة وابناهما.	ابن عباس	٨/ ٥٦٧
عليك بالشَّام.	عبد الله بن حوالة	٦/ ٦٩٦
عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ.	عقبة بن عامر	١/ ١٤٨
عليكم بتزويج الأبكار.	عتبة بن عويم	٤/ ٤٣٧
العَمُّ صِنْوُ الأب.		٥/ ٥٧٠
العنكبوت شيطان مسخه الله تعالى فاقتلوه.	عبد الله بن عمر	٧/ ٥٨١
غداً أخبركم به.	ابن عباس	٦/ ٢٧٦، ٦/ ٣١٠، ٦/ ٥٢٦

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
الغل على باب الجنة.		٤/ ٢٦٣
غَيٌّ وأثام نيران في جهنم.	أبو أمامة	٦/ ٥٢٣
الغِيبَةُ أَشدُّ من الزِّنا.	جابر بن عبد الله	٩/ ١١٦
الغِيبَةُ أَن تَذكرَ المؤمن بما يكره.	المطلب بن عبد الله المخزومي	٩/ ١١٥
فأَحْدثْ طلاقاً.		٧/ ١٧٩
فاستمتع بها وفيها عوج.	أبو هريرة	٣/ ٧٧
فاستيقظتُ وأنا في المسجد الحرام.	أنس	٦/ ١٤٨
فأصابتهم سنة حصَّت كل شيء.	ابن مسعود	٥/ ٤٧٦
فاظفر بذات الدين.	أبو هريرة	٢/ ٣٤٩
فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ الله عنه.	أبو واقد الليثي	٦/ ٢٧٤
فافْزَعُوا إلى الصَّلَاةِ.		٦/ ٢٣٣
فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ.		١/ ١٧٦
فأَقضي له على نحو ما أَسمع.		٣/ ٣٣٨
فَأَقُولُ سُحْقاً سُحْقاً.	سهل بن سعد ـ أبو هريرة	٧/ ٥٠
فالتمسوها في العشر الأواخر من رمضان.		١٠/ ٣٢٦
فإِن أبيتم فأسلموا.	الشعبي	٢/ ٤٤٥
فإِن استطعتم أَلا تُغلبوا على صلاة.	جرير	٩/ ٣٧١

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
فإنْ غُمّ عليكم.	ابن عمر	٥/ ٢١٧
فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن.	أبو سعيد الخدري	١٠/ ٣٤٥
فتطلع هي والقمر كالبعيرين.	ابن مسعود	٤/ ١٨٠
فتعاد روحه إلى جسده.	البراء بن عازب	٥/ ٦٦٣
فجعل الحر بالحر والعبد بالعبد.	ابن عباس	٣/ ٥٢٦
فحاصوا حَيصةَ حمرِ الوحش.	أبو سفيان	٣/ ٣١٨
فُرِجَ سقفُ بيتي.	أبو ذر	٦/ ١٥١
الفرقتان في أُمتي، فسابقُ أَولِ الأُمة ثُلَّة.	ابن عباس	٩/ ٣٥٣
فساخ الجبل.	أنس	٤/ ٣٨٢
فشكر اللَّهُ له، فغفر له.	أبو هريرة	٦/ ١٧٩
فضلت خديجة على نساء أمتي.		٢/ ٤١١
فعذاب الدنيا أَيسر من عذاب الآخرة.	عبد الله بن عمر	٧/ ١٧٧
فغشيها أَلوان لا أَدري ما هي.	أنس بن مالك	٩/ ٢٤٥
فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة.	عبد الله بن عباس	٤/ ٢٩٣
فلعلَّ بعضكم أَن يكون أَلْحَنَ بحُجَّتِه من بعض.	أم سلمة	٩/ ٣٥
فلَعَلَّهُ قَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ.		١/ ١٤٨
فلم أرَ عبقرياً من الناس يَفْري فَرِيَّهُ.	ابن عمر	٩/ ٣٤٢
فلما أذلقته الحجارة جمز.		٤/ ٧٤٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
فلما انتصف الليل أو قبله بقليل قام رسول الله ﷺ.	ابن عباس	٩/ ٧٣٦
فَلن يَهْلِك على الله إِلَّا هالك.	ابن عباس	٨/ ٧٦٥
فليذادن رجالٌ عن حوضي.	أبو هريرة	٧/ ٤٩٣
فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخاً.	قرة	١/ ٤٠٦
فلينظر أَحدكم من يخالِلْ.	أبو هريرة	١٠/ ١٥٠
فَمَا أَوّلته يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: الدِّينُ.	أبو سعيد الخدري	١/ ٢٣٨
فما كهرني النبي ﷺ.	معاوية بن الحكم السلمي	١٠/ ٢٩٩
فَمَن أَصَابَ من ذلك شيئاً فعوقب به.	عبادة بن الصامت	٣/ ٤٩٥
فمَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ.	جبير بن الأضبط	١/ ٢٦٣
فهذا يومُهم الذي اختلَفوا فيه.	أبو هريرة	٦/ ١٣٨
فهلُمُّوا إلى التوراة.	عكرمة	٢/ ٣٦٢
فهو مؤمن بي كافر بالكوكب.	زيد بن خالد	٩/ ٤٩١
فوالله ما أَدري وأَنا رسول الله ما يفعل بي.		٨/ ٧٢٨
فوقف رسول الله ﷺ مُتَوَكِّئاً على عَسِيب.	ابن مسعود	٦/ ٢٧٦
في أحيان ترفع عنهم ستور.	زيد بن أبي أوفى	٨/ ٢٤٨
في الجسد مضغة إذا صلحت .	النعمان بن بشير	٢/ ٢٨٨
في الحَرُورِيَّة.	أبو أمامة	٢/ ٥٥١

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
في المال حق سوى الزكاة.	فاطمة بنت قيس	٧/ ٦٣٤
في أُمتي رجل يُدخل الله بشفاعته الجنة.	واثلة	٦/ ٥٥٦
في سائمة الغنم الزكاة.		٢/ ٣٤٦، ٥/ ٥٠، ٦/ ١٨
في ضحضاح من نار.	العباس	٤/ ٧٤٤
في نار اللَّهِ الحامية.	عبد الله بن عمرو	٦/ ٤٣٩
فَيُبْطَحُ لها بقاعٍ قَرْقَرٍ.	أبو هريرة	٧/ ٢٣٤
فيضَع الجبَّارُ فيها قَدَمَه.		٢/ ١٦٣، ٩/ ١٥٦، ٩/ ١٥٥
فيما اسْتَطَعْتُنَّ وأَطَقْتُنَّ.	أميمة بنت رقيقة	٩/ ٥٠٤
فيمن حلف على سلعته وأمر باللعان فيه.		٣/ ٦٦٣
قاتل الله قوماً أَقسم لهم ربهم بنفسه.	الحسن البصري	٩/ ١٨٤
قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة.	أبو هريرة	٣/ ٢٢٨
قال الله تعالى: يسبُّ ابن آدم الدَّهر.	أبو هريرة	٨/ ٧١١
قال الله: شتمني عبدي.		٨/ ٥٣
قال: «أُمُّك».		٣/ ١٤١، ٧/ ٦٦١
قام رسول الله ﷺ إلى صلاة العصر.	أبو هريرة	٣/ ٢٩٧
قد أعطاكم الله خيراً مما أعطى بني إسرائيل.	أبو العالية	١/ ٥٢٧
قد جعل الله لهنَّ سبيلاً.	عمران بن حصين	٣/ ٥٨

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
قد حرَّمتها، ووالله لا أَطؤها أَبداً.	ابن عباس	٩/ ٥٨٢
قد حَلَلْتِ.	سبيعة الاسلمية	٩/ ٥٧٠
قد رأيتَه ـ سد يأجوج ومأجوج ـ.	أبو بكرة	٦/ ٤٥١
قد فعل الله لهم ذلك يا محمد.	السدي	٢/ ٣٠٠
قد قالها النّاس، ثمَّ كفر أَكثرهم.	أنس بن مالك	٨/ ٥٢٢
القدرية الذين يقولون الخيرُ والشرُّ.	أنس بن مالك	٩/ ٣٠٢
القدرية مجوس هذه الأمة.	ابن عمر	٣/ ٦٩٧
قرأ بها عند النبي ﷺ فلم يسجد ـ سجدة النجم ـ.	زيد بن ثابت	٩/ ٢٧٣
قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله تعالى.	أبي بن كعب	٩/ ٤٣١
القرآن حبل الله المتين.	ابن مسعود	٣/ ٣٧٨
الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشفَّعٌ.	أنس بن مالك	١/ ١٤٥
القرن أربعون.	ابن سيرين	٦/ ١٧٦
قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وبَيْنَ عَبْدِي نصفين.	أبو هريرة	١/ ٢١٠
قصر في الجنة من اللؤلؤ.	عمران بن الحصين ـ أبو هريرة	٥/ ٣٥
قضى رسول الله ﷺ بالولد للفراش.	عائشة	٥/ ٣١٨
قط قط.	عبد الله بن عباس	٥/ ٥٤٨
قل أعوذ بالله من شر سمعي.	شكل	١٠/ ٤١٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
قل ربِّي الله ثمَّ استقم.	سفيان بن عبد الله الثقفي	٨/ ٥٢١
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدلُ ثلث القرآن.	أبو الدرداء	١٠/ ٤١٥
قل: «رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا».		٢/ ٣٠٣
قم فاقضِه.	كعب بن مالك	٢/ ٢٥٢
قم فحرر.	مجاهد ـ عكرمة ـ السدي	٣/ ٢٥٣
قنت رسول الله ﷺ شهراً يدعو على رِعْل وذكوان.	أنس بن مالك	٢/ ١١٥
القنطار ألف ومائتا أوقية.	أبي بن كعب	٢/ ٣٤٠
القنوت الطاعة.	أبو سعيد الخدري	٨/ ٣٨١
قول النبي ﷺ لأهل قليب بدر.	عبد الله بن عمر	٤/ ٣٣٣
قول النبي ﷺ: إِذا اشتد الحرُّ فأَبرِدُوا عن الصلاة.	أبو هريرة	٢/ ٢١٤
قولوا: اللهُ مَولانا ولا مَوْلى لكم.	البراء بن عازب	٩/ ١٦
قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد.	ابن عباس	٨/ ٥٣
قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.	ابن إسحاق	٢/ ٦٩٩
قولوا: سمعنا وأَطعنا.	ابن عباس ـ أبو هريرة	٢/ ٢٩١
قولي لهذا: يقول: السلام عليكم، أَدْخُل.	ابن سيرين	٧/ ٢٠٢
قومٌ أَخذوا نَبِيَّهم فرسوه في بئر.	عكرمة ـ محمد بن كعب القرظي	٧/ ٢٩٤

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
قوموا إلى سيِّدكم.	أبو سعيد الخدري	٦/ ٣٨٧، ٩/ ٤٤٨
قُوموا فَلأُصَلِّ لكم.	أنس	٦/ ٥٨٦
قيِّدها وتوكل.	أنس	٢/ ٦٧٦، ٤/ ٧٤٠، ٥/ ٢٢٩، ٦/ ٤٩
قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ.	أنس بن مالك	١/ ١٣٥
كادت أُمُّ موسى أَن تقول: وا ابناه.	ابن عباس	٧/ ٤٨٠
كالبُنْيان يشُدُّ بعضُه بعضاً.	أبو موسى الأشعري	٩/ ١٠٩
كالجسد الواحد إِذا اشتكى منه عُضْوٌ.	النعمان بن بشير	٩/ ١٠٩
كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته.	عائشة	٤/ ٢٠٠
كان الخَلْفُ بعدَ ستين سنة.	أبو سعيد الخدري	٦/ ٥٢١
كان الله قبل أَن يخلق الأَشياءَ في عماءٍ.	أبو رزين العقيلي	٥/ ٢٩٠، ٧/ ٥٢٤
كان الله ولم يكن شيءٌ قبله.	عمران بن حصين	٥/ ٥٦٥
كان النبي ﷺ يَسْأَل عن الساعة كثيراً.	عائشة	١٠/ ١٢٦
كان النبي ﷺ يقبض من خمس.	أبو العالية الرياحي	٤/ ٥٧١
كان أَهل الجاهلية يقولون: إِنَّما يُهلكنا اللَّيل والنَّهار.	أبو هريرة	٨/ ٧١١
كان بنو إِسرائيل يغتسلون عراة.	ابن عباس	٨/ ٦١
كان رسول الله ﷺ إِذا أَوى إِلى فِراشِهِ جمع كفَّيه.	عائشة	١٠/ ٤٢٤
كان رسول الله ﷺ إِذا حَزَبه أَمْرٌ فزع إِلى الصلاة.		٥/ ٧٥٦

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
كان رسول الله ﷺ إذا دعا لأحدٍ بدأ بنفسه.	ابن عباس	٦/ ٤٢٠
كان رسول الله ﷺ إِذا سلَّم على قوم سلَّم عليهم ثلاثاً.	أنس	٩/ ٢٩١
كان رسول الله ﷺ إذا كربه أمر فزع إلى الصلاة.	حذيفة	١/ ٣٨٧
كان رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين لا يُكره أَحداً في الدين.	زيد بن أسلم	٢/ ١٦٦
كان رسول الله ﷺ ليلة الإسراء.	أم هانئ	٦/ ١٥١
كان رسول الله ﷺ يأمرنا بوضع بسم الله الرحمن الرحيم.	أبي بن كعب	٤/ ٦٤٣
كان رسول الله ﷺ يتزوَّج في أَي الناس شاءَ.	ابن عباس	٨/ ٣٢
كان رسول الله ﷺ يتكفَّأُ في مشيه كأَنما يمشي في صبب.	علي بن أبي طالب	٧/ ٣١٣
كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه.	عائشة	٢/ ٧٢٩
كان رسول الله ﷺ يستفتح بصعاليك المهاجرين.	أمية بن خالد	١/ ٤٨٥
كان رسول الله ﷺ يَسِيرُ العَنَق.	أسامة بن زيد	٦/ ٣٣٣
كان رسول الله ﷺ يُعالج من التَّنزيل شِدَّة.	ابن عباس	١٠/ ٣٨
كان رسول الله ﷺ يقلب وجهه في الدعاء إلى الله تعالى.	قتادة ـ السدي	١/ ٥٩١
كان رسول الله ﷺ ينحر يوم الأَضحى.	أنس بن مالك	١٠/ ٣٩٥

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
كان رسول الله ﷺ، يحرم القتال في الأشهر الحرم.	سعيد بن المسيب	٤/ ٧١١
كان على عهد النبيّ ﷺ نفاق وقد ذهب.	حذيفة بن اليمان	٧/ ٢٤٨
كان للنبي ﷺ مؤذن واحد على باب المسجد.	السائب بن يزيد	٩/ ٥٢٦
كان نبيٌّ من الأَنبياءِ يَخُطُّ.	معاوية بن الحكم	٨/ ٧٢٤
كان يحرك شفتيه مبادرة خوفاً منه أَن ينسى.	ابن عباس	١٠/ ٢٢٣
كان يوسف يلقي حصاة.		٥/ ٤٩٢
كانت أَموال بني النَّضير ممَّا أَفاءَ الله تعالى على رسوله ﷺ.	عمر بن الخطاب	٩/ ٤٦٦
كانت الأولى من موسى نسياناً.		٦/ ٤١٤، ٦/ ٤١٥
كأنكم تقطعون الذهب والفضة.	ابن أبي حدرد	٣/ ٨٠
كَأَنَّمَا أُنْشِطَ مِنِ عِقالٍ.	أبو سعيد الخدري	١٠/ ١١٣
كانوا مئة وعشرين أَلفاً.	أبي بن كعب	٨/ ٢٩٢
الكُبْرَ الكبر.	سهل بن أبي خثيمة	٧/ ١٨٦
الكبر سفه الحق.	أبو هريرة	٨/ ٤١٧
كتابُ الله هو حبل الله الممدود.	أبو سعيد الخدري	٢/ ٥٣٩
كذب النَّسَّابون من فوق عدنان.	ابن مسعود	٥/ ٦٣٨، ٧/ ٢٩٤
كَذَبَ، إِنِّي لأَمين في الأَرض.	زيد بن أسلم	٢/ ٢٨٠
كذبتَ بلْ هو رزق الله.	إسماعيل بن أمية	٩/ ٣٨٣

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
كذبني هؤلاء.	أبو صالح	٣/ ٧٤٥
كرم الكتاب ختمه.	ابن عباس	٧/ ٤٢٦
كَفَى بالإِسْلام والشَّيْبِ للمرءِ نَاهِياً.	الحسن البصري	٨/ ٢٢١
كفى بالمرءِ إِثماً أَن يضيِّع من يُقِيت.	عبد الله بن عمر	٣/ ٢٣٩
كفى بها ضلالة.	يحيى بن جعدة	٧/ ٥٩٣
كلُّ ابن آدم يأتي يوم القيامة وله ذَنْبٌ.	عبد الله بن عمرو بن العاص	٢/ ٤٠١، ٦/ ٤٧٩
كل ذي ناب من السباع حرام.	أبو هريرة	٣/ ٣٩٠، ٤/ ١٥٥
كلُّ شيءٍ بينه وبين الله حجابٌ.	أنس	٨/ ٧٣٥
كلُّ قنوت في القرآن فهو بمعنى طاعة الله.	أبو سعيد الخدري	٢/ ٤١٢
كل كلام لم يبدأ باسم الله تعالى فهو أَجذم.	أبو هريرة	٧/ ٤٢٦
كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به.	ابن عمر	٣/ ٥١٦
كل ما أديتَ زكاته فليس بكنز.	ابن عمر	٤/ ٧٠٢
كل مسكر خمر.	ابن عمر	٢/ ١٧
كلُّ مولودٍ من بني آدم له طعنة من الشيطان.	أبو هريرة	٢/ ٣٨٦
كلُّ مولود يولد على الفطرة.	أبو هريرة	٧/ ٦٢٨، ٩/ ١٩٩، ٩/ ٥٤٨، ٩/ ٦٠٩
كل نعيم فهو مسؤول عنه.	أبو معن	١٠/ ٣٧٠
كلُّهم في الجنة.	أسامة بن زيد	٨/ ١٥٦

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
كُلي وولدك بالمعروف.	عائشة	٩/ ٥٠٣
كَمْ مِنْ عِذق مُذَلَّلٍ لأَبي الدّحداح في الجنة.	عبد الله بن مسعود	٢/ ١٢٩
الكمأة مما من الله به على بني إسرائيل.	سعيد بن زيد	١/ ٤١١
كنا إذا احمرَّ البأسُ اتقينا برسول الله ﷺ.	سلمة بن الأكوع	٢/ ٦٥٣
كنا نأكلُ الخيلَ في عهد النبي ﷺ.	جابر بن عبد الله	٦/ ١٥
كنَّا نعدُّ الماعون على عهد رسول الله ﷺ.	ابن مسعود	١٠/ ٣٩١
كنت أرعى عليهم الغنم.		٣/ ٦٧١
كنت أَوَّل الأَنبياءِ في الخَلْق.	قتادة	٧/ ٧٢٥
كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور.	أنس بن مالك ـ بريدة	٧/ ١٢٧، ١٠/ ٣٦٦
كنتم عالةً فأغناكم الله بي.		٥/ ٤١
كَنُّوا أَولادكم.	عطاء	٩/ ١١٠
كوني عند أُمِّ شريك.	فاطمة بنت قيس	٢/ ٨٧
الكَيِّس من دان نفسه.	شداد بن أوس	٨/ ٥٤١
كيف أنعَمُ وصاحبُ القَرْنِ.	أبو هريرة	٦/ ٤٥٤، ١٠/ ١١
كيف بقومٍ فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله.	سالم مولى أبي حذيفة	٢/ ٥٩٨
كيف بك إِذا كنت في حُثالة من الناس.	عبد الله بن عمرو ـ ابن عمر	٧/ ٥٩٩، ٩/ ٣١٤

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
كيف تجدُ قلبَك؟	عمار بن ياسر	٦/ ١١٧
كَيْفَ تَفْتَتِحُ الصَّلاةَ يَا جَابِرُ؟	جابر بن عبد الله	١/ ٢١٠
كيفَ تفلح أمة أدْمَت وجْهَ نبيها.		٢/ ٤٩٧
كيف نختصم ونحن إِخوان؟	عبد الله بن عمر	٨/ ٣٩٩
لَئِن أَظْفَرَنِي الله بهم لأُمَثِّلَنَّ بثلاثين.	ابن عباس	٦/ ١٣٩
لئن قصرت القول لقد عرضتَ المسألة.	البراء بن عازب	١٠/ ٢٧٣
لا أُؤَمِّنهُ في حِلٍّ ولا في حرم.	عكرمة	٣/ ٢٦٢
لَا أُخبركم بسورة عِظَمُهَا ما بين السماوات والأرض.	عائشة	٦/ ٣٠٩
لا أدري لعله من القرون التي مسخت.	جابر بن عبد الله	٤/ ٤٣٠
لا أزال أشفع حتى أقول.	أنس	٦/ ٥٥٦
لا أعرفنَّ أحدكم يأتي يومَ القيامة يحملُ شاة.	ابن عباس	٢/ ٦٨١
لا أُغْني عنكم من الله شيئاً.	أبو هريرة	٧/ ٣٨٩
لا إِله إِلَّا الله، والله أَكبر، وسبحان الله، والحمد لله.	عثمان	٨/ ٤١٩
لَا أُمَّ لك.		١٠/ ٣٦٤
لا بُدَّ من الصلاة.		١٠/ ٨٩
لا تبرحوا من هنا ولو رأيتُمونا تتخطَّفُنا الطير.		٢/ ٥٨٣
لا تُتْبع النظرة النظرة فإِن الأُولى لك.	علي بن أبي طالب	٧/ ٢٠٥
لا تَتَحَرَّوْا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها.	ابن عمر	٩/ ٧٢٢

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
لا تتصدقوا إِلا على أَهل دينكم.	سعيد بن جبير	٢/ ٢٣٤
لا تتمنَّوا لقاءَ العدو.	عبد الله بن أبي أوفى	٢/ ١٣٤، ٤/ ٥٨٥
لا تُحْدِثْ شيئاً حتى تنصرف إليَّ.	ابن عباس	٢/ ٧١١
لا تَحِلُّ الصَّدقة لِغَنِيٍّ.	أبو هريرة ـ أبو سعيد الخدري	٥/ ١٢، ٩/ ٢٣٥
لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم.	عبد الله بن عمر	٤/ ٣١٤، ٧/ ٤٤٤
لا تَرَاءَى ناراهُمَا.	جرير	٦/ ٤٢٣
لا ترجعوا بعدي كفاراً.		٢/ ٥٣١
لا تزن فيزن أَهلك.		٩/ ٥٩١
لا تزول قدما عَبْد من بين يدي.	ابن مسعود ـ معاذ ابن جبل	٨/ ٢٤٢، ١٠/ ٢٦٩
لا تسافر المرأة مسيرة يوم إلا مع ذي محرم.	أبو هريرة	٧/ ١٦٢
لَا تَسأَلوا أَهل الكتاب عن شيءٍ.	عبد الله بن مسعود	٧/ ٥٨٩
لا تُسَبِّخِي عنه.	عائشة	٩/ ٧٤٠
لا تسبقيني بنفسك.	أبو سلمة	٢/ ٨٧
لا تَسُبُّوا الدَّهر.	أبو هريرة	٨/ ٧١١
لا تستضيئوا بنار المشركين.	أنس بن مالك	٢/ ٥٧٢
لا تُصدِّقوا أَهل الكتاب ولا تكذِّبوهم.	أبو هريرة	٧/ ٥٨٩
لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض.	أبو أمامة	٨/ ٦٦٣

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
لا تطلِّقوا النساءَ إلَّا من ريبة.	أبو موسى الأشعري	٩/ ٥٥٩
لا تعرُّب في الإسلام.	جابر بن عبد الله	٥/ ٥٥١
لا تغبرون إِلا قليلاً.	أبو العالية	٧/ ٢٤٨
لا تغضب.	أبو هريرة	٨/ ٥٨٣، ١٠/ ٤٢٣
لا تفضِّلوا بين الأَنبياء.	أبو سعيد الخدري	٦/ ٧١٢
لا تُفَضِّلُوني على موسى.	أبو هريرة	٢/ ١٥٣، ٦/ ٧١١
لا تَقُلْ ذَلِكَ، فإِنَّهُ يَتَعَاظَمُ عِنْدَهُ.		١/ ٢٠٩
لا تقولنَّ زرعت.	أبو هريرة	٩/ ٣٧٢
لا تقولوا: كسفت الشمس.	سفيان بن عيينة	١٠/ ٣٥
لَا تلعنوا تُبَّعاً.	سهل بن سعد	٩/ ١٣٨
لا تمنعوا إماء الله مساجد الله.	ابن عمر	٢/ ٣٢
لا تنبروا اسمي.		٤/ ٤٠٩
لا توبةَ مع إِصرارٍ.		٢/ ٦١٢
لا حسد إلا في اثنتين.	عبد الله بن عمر	١٠/ ٤٢١
لَا حِلْفَ في الإِسلام.	جبير بن مطعم	٦/ ١٠٤
لا خير في دين لا صلاة فيه.	ابن عباس	١٠/ ٨٧
لا ذنبَ أَسرعُ عقوبةً من بغي.	أبو بكرة	٦/ ١٠٢
لا زكاةَ إلا في عين.		٢/ ٥٧٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
لا صمت يوماً إلى الليل.	علي وجابر	٢/ ٤٠٧
لا عبادةَ كتفكُّرٍ.	علي بن أبي طالب	٢/ ٧٣٠
لا عدوى ولا طيرة.	جابر بن عبد الله	٦/ ١٦٩
لا عَدْوَى ولا هامَةَ ولا صَفَرَ.	أبو هريرة	٤/ ٧١٧
لا فِكْرة في الرَّبِّ.	أبي بن كعب	٩/ ٢٦٤
لا مَحْل عليكم العام.	أبو هريرة	٩/ ١٣٥
لا ملجأَ ولا منجى منك إلاَّ إِلَيْك.	البراء بن عازب	٩/ ١٩٦
لا هجرة بعد الفتح.	ابن عباس	٤/ ٦٣٩، ٩/ ٣٩٩
لا وصية لوارث.		١/ ٥١٧
لا ولكنهم قوم هذا.	عمر بن الخطاب	٣/ ٥٤٨
لا يُؤَمَّنَّ الرجل في سلطانه.	أبو مسعود الأنصاري	٩/ ٦٦٥
لا يا بنت أَبي بكر.	عائشة	٧/ ١٢١
لا يَبعْ حاضرٌ لبادٍ.	أبو هريرة	٣/ ١١٧
لَا يَبْقيَنَّ دينان في جزيرة العرب.	عمر بن عبد العزيز	٩/ ٤٦١
لَا يتمَ بَعْدَ بُلُوغٍ.	علي بن أبي طالب	١/ ٤٧٠، ٣/ ١١، ٦/ ١٩٩، ٦/ ٤٣١، ١٠/ ٥٧
لا يتمنينّ أحدكم الموت لضرّ نزل به.	أنس	٥/ ٥٤٥

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
لا يتناجى اثنان دون الثالث.	عبد الله بن عمر	٩/ ٤٤٦
لا يحج بعد هذا العام مشرك.	أبو هريرة ـ مجاهد	٤/ ٢٣٧، ٤/ ٦٥٠
لا يُحِلُّ دمَ المسلم إلَّا إحدى ثلاث خصال.	ابن مسعود	٦/ ١٩٥
لا يَحْلُبَنَّ أَحَدٌ مَاشية أَحد إِلَّا بإِذنه.	عبد الله بن عمر	٧/ ٢٥٧
لا يخرج الرجلان يضربان الغائط.	أبو سعيد الخدري	٣/ ٢٦٤
لا يخطب رجل على خطبة أَخيه.	أبو هريرة	٣/ ١١٩
لا يدخلُ أَحَدٌ الجنةَ بعمله.	أبو هريرة	٥/ ٣٣٠، ٦/ ٣٩
لا يدخل الجنَّة ابن زنا.	عبد الله بن عمرو	٣/ ١٤٥، ٤/ ٦٩٤
لا يدخل الجنة ابن زنًى.	أبو هريرة	٤/ ٥٧٥
لا يدخل الجنة أَحد بعمله.	أبو هريرة	٩/ ٣٥٨
لا يدخل الجنَّة قَتَّاتٌ.	حذيفة	٩/ ٦٢٩
لا يدخلُ الجنَّةَ مَن في قلبه.	ابن مسعود	٦/ ٣٠
لا يدخل النار أحد من أهل بدر.	حفصة	٦/ ٥٣٧
لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْنَا قَصَبَةَ الْمَدِينَةِ إِلَّا مُؤْمِنٌ.	عبد الرحمن بن زيد	١/ ٤٥٩
لا يركبنَّ البحرَ إلا حاجٌّ أو معتمر أو مجاهد.	عبد الله بن عمرو	٩/ ٢٠٧
لا يزال هذا الأَمر في قريش ما أَقاموا الدّين.	معاوية	٨/ ٦٣١
لا يزال هذا الأَمر في قريش ما بقي منهم اثنان.	ابن عمر	٨/ ٦٣١
لا يزال هذا الأَمر في قريش ما داموا.	أبو موسى الاشعري	٨/ ٦٣١

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
لا يَسُم الرجل على سوم أَخيه.	أبو هريرة	٣/ ١١٩
لا يسمع مَدَى صوت المؤذن.	أبو سعيد الخدري	٩/ ١٤٦
لا يشر أحدكم على أخيه بالسلاح.	أبو هريرة	٤/ ٤٧٨، ٥/ ٥٤٢، ٦/ ٢٢٦، ٨/ ٥٢٩
لا يُصَلِّيَنَّ أَحدٌ العصر إِلَّا في بني قريظة.		٧/ ٧٤٩
لا يصيب ابن آدم خدش عود أ.	الحسن البصري	٨/ ٥٧٧
لا يضُرُّك في القيامة كان عليك ثياب.	عائشة	١٠/ ١٤٣
لَا يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الْفِقْهِ.	أبو الدرداء	١/ ١٥٨
لا يفلحُ قومٌ فعلوا هذا بنبيِّهم.	أنس بن مالك	٢/ ٥٩٨
لا يقبل الله قولاً إِلَّا بعمل.	أنس بن مالك	٨/ ١٣٧
لا يقتل مسلم بكافر.		٣/ ٥٢٥
لا يقل أحدكم: عبدي وأمتي.	أبو هريرة	٥/ ٤٤٧، ٦/ ٤٠٣
لا يقم أَحدٌ من مجلسه.	أبو هريرة	٩/ ٤٤٧
لا يكلمان رسول الله ﷺ إِلَّا كأَخي السِّرَار.	أبو بكر ـ عمر	٩/ ٩٨
لا يمينَ في غضبٍ.	ابن عباس	٢/ ٤٦
لا ينبغي لِأحد أَن يقول: أَنا خير من يونس بن متَّى.	ابن عباس	٢/ ١٥٣، ٦/ ٧١١
لا ينبغي لمؤمنٍ أن يُذلَّ نفسَه.	حذيفة	٢/ ٦١٨
لا يَنْتَطحُ فيها عنزان.	ابن عباس	٨/ ٦٧٦

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
لا ينكح الزاني المجلودُ إِلَّا مثله.	أبو هريرة	٧/ ١٦٦
لا، إنك مؤمن وإنه كافر.	أبو هريرة	٣/ ٦٥٢
لا، إنه لم يقل يوماً: ربِّ اغفرْ لي.	عائشة	٤/ ٧٤٣، ١٠/ ٣٤٨
لا، بل يكون عريشاً كعريش أخي موسى.		٥/ ٩٧
لا، وأن تعتمروا خيرٌ لكم.	جابر بن عبد الله	١/ ٧٠٦
لا، وبنبيك الذي أرسلت.	البراء بن عازب	٤/ ٤٠٩
لا، ولكني شربت عسلاً.	عائشة	٩/ ٥٨٠
لَأَحدكم بمنزله في الجنَّة أَعرف منه بمنزله.	أبو سعيد الخدري	٩/ ١٢
لأَزيدنَّ على السبعين.	عروة بن الزبير	٩/ ٥٤٠
لأَفْرُغَنَّ لك يا خبيث.	كعب بن مالك	٩/ ٣٢٣
لأقضينَّ بينكما بكتاب الله.	أبو هريرة	٣/ ٦١
لتتَّبعُنَّ سَنَن مَن قبلَكم.	أبو سعيد الخدري	٥/ ٣١
لثالثة تبقى.		١٠/ ٣٢٨
لُحُومُ الإبلِ وأَلْبَانُهَا.	ابن عباس	١/ ٤٩٦
لَذِكْر الله بالغداة والعشي أفضل.	عبد الله بن عمر	٦/ ٣٥٩
لسان ذاكر، وقلب شاكر.	ثوبان	٤/ ٧٠٣
لَسْتُ بِنَبِيءِ الله.	ابن عباس	١/ ٤٢٨
لَسْتُ من دَدٍ، وَلَا دَدٌ مِنِّي.	أنس	٦/ ٦٧٨

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
لسُرادق النَّارِ أربعةُ.	أبو سعيد الخدري	٦/ ٣٦٣
لَعَلَّ اللهَ سَيُخْرِجُ مِنْ أصْلابِهِمْ مَنْ يُؤْمِنُ بالله.		١/ ٢٩٨
لعلك أَردت الرجوع إِلى رفاعة؟ لا.	عائشة	٢/ ٦٩
لعلك تسأل عن حلف لُجيم.	قتادة	٣/ ٣٨٧
لعلي أُضلُّ اللهَ.	معاوية بن الحكم	٦/ ٥٩٣
لعن الله العاضهة والـمُسْتَعْضِهَة.	ابن عباس	٥/ ٧٥٢
لعن الله المصورين.		٨/ ٥٤
لعن الله الواصلة والمستوصلة.		٣/ ٣١٧
لعن رسول الله ﷺ الواشمات والمستوشمات.		٣/ ٣١٧
لَقَابُ قوس أَحدكم في الجنة.	أبو هريرة	٩/ ٢٣٨
لَقَابُ قَوْسِ أَحدكم في سبيل الله.		٩/ ٢٣٨
لقد أُنزلت عليَّ اللَّيلة سورة.		٩/ ٤٨
لقد أَصبح ابن أُم عبد كريماً.	عبد الله بن مسعود	٧/ ٣٢٧
لقد أعانك عليه ملَكٌ كريمٌ.	عبد الله بن عباس	٢/ ٥٩٠
لقد أُنزلت عليَّ الليلة سورة.	عمر بن الخطاب	٩/ ٤٥
لقد بقي منها شيءٌ أَدركه أَوائل هذه الأُمة.	قتادة	٥/ ٣١٦
لقد حجبتني عنها ملائكة فما رأَتني.	أبو بكر الصديق	١٠/ ٤١٠
لقد حكمت فيهم بحكم الملك.		٧/ ٧٤٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
لقد ذهبتم فيها عريضة.	ابن إسحاق	٢/ ٦٠٦، ٢/ ٦٦٣
لَقَدْ رَأَيْتُ بِضْعَةً وثَلَاثِينَ مَلَكاً.	رفاعة الزرقي	١/ ٢١٤
لقد صدَّقك الله يا زيد، ووفت أُذُنك.		٩/ ٥٣٩
لقد قتلتما قتيلين لأَدِيَنَّهُمَا.		٣/ ٤٤٩
لقد قلت كلمة لو مزجت بالبحر لمزجته.	عائشة	١٠/ ١٣٢
لقد همَمْتُ أَن أَنهى عن الغِيلَةِ.	جدامة بنت وهب	٨/ ٢٥٠
لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامٌ.	أبو هريرة	١/ ٢٦٦
لكل عمل شرة.	أبو هريرة	٣/ ٤٦٣
لكل نبيء ولاة من النبيين.	ابن مسعود	٢/ ٤٥٥
لكم ما للمسلِمِينَ وعليكم ما عليهم.		٢/ ٢٥٠
لكن البائس سعد بن خولة.	سعد بن أبي وقاص	٧/ ٤٤
لم تحلَّ الغنائم لأَحد سود الرؤوس قبلكم.	أبو هريرة	٩/ ٦٧١
لم دخلت وأنت قد أحرمت؟	الربيع بن خثيم	١/ ٦٩٤
لم يبعث الله تعالى بعد لوط نبيّاً.	أبو هريرة	٥/ ٣٥٨
لم يبق من المبشرات إِلا الرؤْيا الصالحة.	ابن عباس	٥/ ٢٠٩
لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة.	أبو هريرة	٥/ ٤٤٤
لم يصل النبي ﷺ صلاة الخوف إلا مرتين.	مجاهد	٣/ ٢٩٥
لم يكذب إِبراهيم إِلَّا ثلاث كذبات.	أبو هريرة	٦/ ٦٩٠، ٧/ ٣٦٢

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة إلّا بعقد نكاح.	ابن عباس	٨/ ٣٣
لم يكن لقمان نبيّاً.	ابن عمر	٧/ ٦٥٨
لما نزلت ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ تغيَّر لون النبي ﷺ.	زيد بن أسلم	١٠/ ٢٥٨
لَموضعُ سَوطِ أحدكم في الجنة.	سهل بن سعد الساعدي	٢/ ٧١٨
لن نُغْلَبَ اليوم من قِلَّة.	أنس بن مالك	٤/ ٦٧٩، ٩/ ٥٠
لن يغلب عُسْرٌ يُسرين.	الحسن البصري	١٠/ ٣٠٥
له غُنْمُه وعليه غُرمه.		٤/ ٥٦٧
لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي.	عائشة	٨/ ١٩
الله أكبر، قلتم والله كما قالت بنو إسرائيل.	أبو واقد	٤/ ٣٧٤
الله يُحْييك ويُحييه ويُدخلك جهنم.	قتادة	٨/ ٢٢٦
اللهمَّ ابعث عليه كلبك حتى يأْكله.	قتادة	١٠/ ١٣٦
اللهم آتِ نفسي تقواها.	أبو هريرة	١٠/ ٢٨٠
اللهم اجعل في قلبي نوراً.		٥/ ١٥١
اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً.	ابن عباس	١/ ٦١٩، ٤/ ٢٩٢، ٧/ ٢٩٩
اللهم ارحم الأنصار.	زيد بن أرقم	٥/ ٧٦
اللهم استر عوراتنا.	أبو سعيد الخدري	٧/ ٧٣٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
اللهم اشدد وطأتك على مضر.	أبو هريرة	٩/ ٧٥، ٩/ ٧٣٩
اللهُمَّ اشهد.	ابن عمر	٢/ ٤٣٥
اللهم أَعشها بغير رضاع.	أبو أمامة	٩/ ٢٨١
اللهم أَعط منفقاً خَلَفاً.	أبو هريرة	١٠/ ٢٨٨
اللهم أَعطني القصر الأَبيض.		٨/ ٤٧٧
اللهم أعني عليهم بسبع.	عبد الله بن مسعود	٥/ ٤٧٥
اللهم اغفر لقومي فإِنهم لا يعلمون.	محمد بن إسحاق	٩/ ٧٠٩
اللهم اغفر للذين لا يدَّعون.	الزبير بن العوام	٨/ ٣٦٥
اللهم آمن روعاتنا واستُر عوراتنا.		٧/ ٧٤٤
اللهم إن إبراهيم حرم مكة.	ابن عباس	١/ ٥٦١
اللهم إِن تهلِك هذه العصابة لم تُعبَدْ.	عمر بن الخطاب	٢/ ٥٨٨، ٩/ ٤٩
اللهم إن قريشا أقبلت بفخرها.		٤/ ٥٩٠
اللهم أنت السلام ومنك السلام.	ثوبان	٩/ ٧٤٩
اللَّهم أَنج سلمة بن هشام.	أبو هريرة	٣/ ٢٢٠
اللهم إِني أَعوذ بك من الشيطان همزه ونفخه.	جبير بن مطعم	٧/ ١٣٩
اللهم إني أول من أحيى أمرك إذ أماتوه.	البراء بن عازب	٣/ ٥٢١
اللهُمَّ اهزمهم وزلزلهم.	عبد الله بن أبي أوفى	٧/ ٧
اللهم حاسبني حساباً يسيراً.	عائشة	١٠/ ١٨٧

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
اللهم زِدْ أُمَّتي.	ابن عمر	٨/ ٣٨٣
اللهُم سبعاً كسني يوسف.	أبو هريرة	٧/ ١٣١
الَّلهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ.	ابن عباس	١/ ١٦١
اللَّهُمَّ لا تَكِلْنِي إلى نفسي طَرْفَةَ عَينٍ.	قتادة	٦/ ٢٥٦
اللهم لا تُهلكنا بغضبك.	ابن عمر	٥/ ٥٩١
اللهم لا يعلُونَنا.	ابن عباس	٢/ ٦١٩
اللَّهُمَّ هذا فعلي فيما أَملك.	عائشة	٣/ ٣٣٢
لَهُمَا أَشْبه به من الغراب بالغراب.	عائشة	٧/ ١٨٢
لهي أسود من القار.		٥/ ١٦٦
لو أَن أَحدكم إِذا أَتى امرأَته قال: باسم الله.	ابن عباس	٢/ ٤١
لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً.	عائشة	٥/ ٥٤
لوْ دَنَا منِّي لأَخذته الملائكة عياناً.	ابن عباس	١٠/ ٣٢٠
لو فَرَّ أَحدكم من رزقه لتبعه.	أبو سعيد الخدري	٩/ ١٨٤
لو فعلوا لاضطرم عليهم الوادي ناراً.	السدي	٢/ ٤٤٦
لو قال نعم لآمن بموسَى.	ابن عباس	٧/ ٤٧٨
لو قلتُ: إِن فاكهة نزلت من الجنة.	أبو ذر	١٠/ ٣٠٩
لو قلت: نعم لوجبت.		٣/ ٦٤٤

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
لو كان الدِّين بالثُّرَيَّا لناله رجال من أَهل فارس.	أبو هريرة ـ سلمان الفارسي	٩/ ٤٣، ٩/ ٥٢٣
لو كان المطعم حيّاً وكلمني في هؤلاء.	جبير بن مطعم	٤/ ٥٤٩
لو كانت الدُّنيا تعدل عند الله.	سهل بن سعد	٨/ ٦٢١
لو لاعنوا لاستُؤصلوا من جديد الأرض.	السدي	٢/ ٤٤٦
لو نزل في هذا الأمر عذاب لنجا منه.	ابن إسحاق	٤/ ٦٣١
لو يعلم العبد قَدْر عفو الله.	قتادة	٥/ ٧٢٥
لو يعلمون ما في الصفِّ الأول لاستَهَموا عليه.	أبو هريرة	٢/ ٤١٤
لو يعلمون مافي العَتَمَة والصُّبح.	أبو هريرة	٢/ ١٠٩
لولا عفو الله ومغفرته لما تمنى أَحدٌ عيشاً.	ابن المسيب	٥/ ٥٧٦
لَوْلَا مَا اسْتَثْنَوا مَا اهْتَدَوا إِلَيْهَا أَبداً.	أبو هريرة	١/ ٤٤٦
لولا هؤلاءِ لقد كانت الحجارة سُوِّمت على المُنْفَضِّين.	مقاتل بن حيان	٩/ ٥٣١
لِيُبلغ الشاهد الغائب.	ابن عمر	٣/ ٦٥٦
ليت بيني وبين أهل نجران حجاباً.	عبد الله بن الحارث	٢/ ٤٤٤
ليت شعري أيُّ أبويَّ أحدث موتاً؟		١/ ٥٤٨
ليت شعري ما فعل أبواي.		١/ ٥٤٨
لَيَحُجَّن عيسى بن مريم.		٦/ ٣٥٦
لَيرِدنَّ عليَّ الحوضَ رجالٌ من أصحابي.	أبو هريرة	٢/ ٥٥٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
ليس الخبر كالمعاينة.	ابن عباس	٢/ ١٩١، ١٠/ ٣٤٥
ليس الشديد بالصُّرَعة.	أبو هريرة	٧/ ٦٨، ٢/ ٦٠٨، ٢/ ٧٤٣
ليس الغِنَى عن كثرة العرَض.	أبو هريرة	١٠/ ٢٩٨
ليس المسكين بهذا الطوَّاف.	أبو هريرة	٥/ ٨، ٢/ ٧٤٣، ٦/ ٤٢٧، ٧/ ٦٨
ليس بعد الموت مُسْتعْتَب.	أبو حميد الساعدي	٨/ ٥١٦
ليس بفاحش.	عائشة	٤/ ٢٤٦
ليس على الأَرض اليومَ مؤمنٌ غيري وغيرك.	أبو هريرة	٦/ ١٣٥
لَيْس لك من صدقة المسلمين شيءٌ.	ابن عباس	٢/ ٢٣٤
ليس لهم أن يعلونا.		٢/ ٦٥٥
ليس منا من شق الجيوب.	ابن مسعود	٢/ ١٤٥
ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن.	أبو هريرة	٥/ ٧٤٩
المؤمنَ الذي يقرأُ القرآن كالأُتْرُجَّة.	أبو موسى الأشعري	٥/ ٦٥٨
المؤمن مألفةٌ.	سهيل بن سعد	٤/ ٦١٧
المؤمنُ هيِّنٌ ليِّنٌ.	أبو هريرة	٢/ ٦١٦، ٣/ ٥٥٠
مُؤْمِنُو أُمَّتي شهداء.	البراء بن عازب	٩/ ٤١٤
المؤمنون هينون لينون.	ابن عمر	٢/ ٦١٦
المؤمنون وقت التبديل في ظل العرش.		٥/ ٦٨٥

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
ما أَجد في نفسي أوثق منك.		٨/ ٢٠
ما أُحِبُّ أَن لي الدنيا بما فيها بهذه الآية.	ثوبان	٨/ ٤١٢
مَا أَحَلَّ اللهُ في كِتَابِهِ فَهُوَ حَلالٌ.	أبو الدرداء	٦/ ٥٢٨
ما أَخشى عليكم الخطأَ.	أبو هريرة	٧/ ٧٢٠
ما أَدري أَكان تُبَّع نبيّاً أَو غير نبيٍّ.	أبو هريرة	٨/ ٦٨١
ما أدري، أكان رسول الله ﷺ يقرأُ في الظهر والعصر؟	ابن عباس	٦/ ٤٧٥
ما أَذن الله لشيءٍ إِذْنَه لنبيٍّ يتغنى بالقرآن.	أبو هريرة	٥/ ٢١، ١٠/ ١٨٤
ما أَراك إِلَّا حرمت عليه.	عائشة	٩/ ٤٣٤
ما ازداد قوم من أهليهم في سبيل الله.		٥/ ١٣٠
ما أصرَّ مَن استغفرَ.	أبو بكر	٢/ ٦١٢
ما الإحسان: أن تعبد الله.		٧/ ٦٧٤
ما السماواتُ السبعُ في الكرسيِّ.	زيد بن أسلم	٢/ ١٦٤
ما السماوات السبع والأرضون السبع في الكرسيّ.	أبو ذر	٢/ ٦٠٤
ما الكرسي في العرش إِلا كحلقة من حديد.	أبو ذر	٢/ ١٦٤
ما أَنا بشاعر ولا ينبغي لي.	عائشة	٨/ ٢٢٢
ما أَنتم بأَسمع منهم.	أنس بن مالك	٧/ ٤٥٧، ٨/ ١٤٧
ما انفتح باب من خزائن الريح على قوم عادٍ.		٩/ ٥٤١

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذُكِرَ اسْمُ الله عَلَيْهِ فَكُلُوهُ.	رافع بن خديج	١/ ٣٢٦
ما بقي من الدنيا فيما مضى.	أنس بن مالك	٩/ ٢٧٦
ما تقتل نسمة ظلماً.	ابن مسعود	٤/ ٢٥٧
ما حلف بالطلاق ولا استحلف به إلاَّ منافق.	أنس	٩/ ٥٦٠
ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار.	أنس بن مالك	٢/ ٦٧٣
ما رئي الشيطان في يوم أقلَّ.	طلحة بن عبد الله بن كريز	٤/ ٥٩٣
ما راجعْتُ رسول الله ﷺ في شيء مراجعتي إياه في الكلالة.	عمر بن الخطاب	٣/ ٣٧٩
ما زنت امرأة نبي قط.		٥/ ٣٢٠
ما سالمناهن منذ حاربناهن.	قتادة	٤/ ٢٢٧
ما شيءٌ أثقل في الميزان من خُلُق حسن.	أبو الدرداء	٩/ ٦٢٦
ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه.	أبو أمامة	٨/ ٦٤٣
ما ظنك باثنين الله ثالثهما.	أبو بكر	٤/ ٧٢١
ما علمي وعلمك وعلم الخلائق.		٦/ ٤١٦
ما على الأرض من يعبد الله غيري وغيرك.	أبو هريرة	٩/ ٤٩٠
ما على عثمان ما عمل بعد هذا.	عبد الرحمن بن سمرة	٥/ ١٢٢
ما فُتح الليلة من الخزائن.	أم سلمة	٨/ ٤١٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
ما قتلت نفس ظلماً إلا كان.		٣/ ٤٨١
ما كان رسول الله ﷺ يُفسِّرُ من كِتابِ الله إلَّا آياً.	عائشة	١/ ١٥٩
ما كان رسول الله ﷺ ينام حتى يقرأ.	جابر بن عبد الله	٧/ ٦٨٥
ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله ﷺ.	أبو بكر الصديق	٢/ ٤٧٨، ٢/ ٦٣١، ٣/ ٦٨٨، ٧/ ٢٤٥
ما كنت أَظن أَن عمر يجترئ على قتل رجل مؤمن.	عمر بن الخطاب	٣/ ٢١١
ما لم يُجمع مكثاً.	عبد الله بن عباس	٥/ ٤٢١
ما لي أَراكم عِزِينَ.	أبو هريرة	٩/ ٦٩٢
ما لي أَراهما ضارعَيْن.	حميد بن قيس	١٠/ ٢٣٦
ما ماتَ مؤمن في غربة.	شريح بن عبيد	٨/ ٦٧٧
ما مات النبيُّ ﷺ حتَّى كتَب.	الشعبي	٧/ ٥٩١
ما من أَحد يسمع بي من هذه الأمة.	أبو موسى الأشعري	٥/ ٢٧٩
ما من امرئٍ مسلم تحضره صلاة مكتوبة.	عثمان بن عفان	٣/ ١٢٥
ما من جرعة يتجرعها العبد.	ابن عباس	٢/ ٦٠٨
ما من خليفة ولا ذي إمرة إلا وله بطانتان.	أبو سعيد الخدري	٢/ ٥٧٢
ما من دابة إلا وهي مُصيخة يوم الجمعة.	أبو هريرة	٤/ ٤٢٢
ما من داع دعا إلى ضلالة إلا كان عليه.		٤/ ٢٥٧
ما مِنْ دَاع يَدْعُو إلا كان بين إحدى ثلاثٍ.	زيد بن أسلم	١/ ٦٧٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
ما من ذنب أسرع عقوبة من بغي.	أبو بكرة	٥/ ١٧٢
ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه.	حجير بن بيان	٢/ ٧٠٩
ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله.	أبو هريرة	٩/ ٦٧٧
مَا مِنْ شَفِيعٍ أَفْضَلُ عِنْدَ الله مِنَ الْقُرْآنِ.	سعيد بن سليم	١/ ١٤٢
ما من عبد إلَّا وله في السماء صيت.	أبو هريرة	٦/ ٥٦٠
ما من عبد يذنب ذنباً، ثم يقوم فيتطهَّر.	أبو بكر الصديق	٢/ ٦١٠
ما من مسلم يصاب بشيء.	أبو الدرداء	٣/ ٥٢٧
ما من مولود يولد إلاَّ وفي تشابيك رأْسه.	ابن عمرو	٩/ ٥٤٧
مَا من نبي إلا وقد أُوتي من الآيات ما مثلُه.	أبو هريرة	٥/ ٣٢٧
ما نجا من ذلك أَحد ولا النبي ﷺ.	ابن عباس	٥/ ٢٤٥
ما نزل على رسول الله ﷺ شيء أَشَدّ عليه.	الحسن البصري	٨/ ١٩
ما نقص علمي وعلمُك من علم الله.	أبي بن كعب	٢/ ١٦١، ٦/ ٢٧٨
ما نقص قومٌ المكيال والميزان إلَّا.		٥/ ٣٦٦
ما هذا العرف الذي أمر به.	عن رجل	٤/ ٤٧٧
ما هلك قوم حتى يُعْذِروا من أنفسهم.	ابن مسعود	٤/ ١٩٧
ما يبكيك يا ابن الخطاب؟	ابن عباس	٣/ ٢٣٤
ما يبكيك؟	عمر بن الخطاب	٣/ ٤١٦
ما يصيب الرجل خدشة عود.	قتادة	٣/ ٢٢٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
ما ينبغي لنبيٍّ إذا لبس سلاحه أن يضعها حتى يقاتل.		٢/ ٥٨٢
ما ينبغي لنبي أَن تكون له خائنة الأَعين.	سعد بن أبي وقاص	٨/ ٤٥٠
الماءُ والنار والملح.	عائشة	١٠/ ٣٩٠
ماؤه أبيضُ من اللَّبنِ.	عبد الله بن عمرو	٦/ ٣٢٦
مات رجل من أهل الصفة فوجد في برده دينار.	أبو أمامة الباهلي	٤/ ٧٠٥
ماذا كنتم تقولون لهذا في الجاهلية؟	عبد الله بن عباس	٩/ ٧١٩
مثل البخيل والمتصدق.	أبو هريرة	٣/ ٥٦٨
مَثَل البخيل والمتصدق.	أبو هريرة	٦/ ١٩٠
مثل الحواميم في القرآن.		٨/ ٤٣٢
مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين.	ابن عمر	٣/ ٣٤٧، ٩/ ٤٥٣
المرءُ مع من أَحب.	ابن مسعود	١٠/ ١٤٩
مَرِجَتْ عهودُ الناس.	عبد الله بن عمرو	٩/ ١٣٣
مرحباً بمن عاتبني فيه ربي عزَّ وجلَّ.	سفيان الثوري	١٠/ ١٣٠
مُرْهُ فليراجعها ثم لِيُمْسكها حتى تطهر.	عبد الله بن عمر	٩/ ٥٦٢
المستشار مؤتمن.		٢/ ٦٧٣
مُسْتَقَرُّ الشَّمْسِ ـ بيْن يدي العرش.	أبو ذر	٨/ ١٩٨
المسوخ لا تنسُل ولا تأكل.		١/ ٤٣٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
معاذ الله، ما بذلك أُمرت، ولا إليه دعوت.	ابن عباس	٢/ ٤٨٠
المقامُ المحمودُ هو المقام.	أبو هريرة	٦/ ٢٦٨
ملعونٌ مَن أتى امرأةً في دُبرِها.	أبو هريرة	٢/ ٤٠
مَلَك مَسَحَ الأرض من تحتها بالأسباب.	خالد بن معدان الكلاعي	٦/ ٤٣٧
من ابتلي من هذه البنات.	عائشة	٨/ ٥٩٣
من أَبَرُّ؟ قال: أُمَّك.	أبو هريرة	٨/ ٧٣٦
مَن أَتى امرأَةً في دُبرِها فقد كفرَ.	أبو هريرة	٢/ ٤٠
من أَحبَّ أن يتمثل له الرجال قياماً.	عبد الله بن الزبير	٩/ ٤٤٨
من أحبني فقد أحب الله.		٣/ ٢٣٠
مَنْ أَخَافَ السَّبيلَ، وأَخَذَ المالَ.	أنس بن مالك	٣/ ٤٩٢
من أدرك ركعة من الصلاة.	أبو هريرة	٥/ ٥٠
من ادَّعى إلى غير أبيه متعمداً.	قتادة	٧/ ٧١٩
من أَدى الزكاة المفروضة.	أنس بن مالك	٩/ ٤٧٢
من أَراد أَن يرتع في رياض مونقة.	ابن مسعود	٨/ ٤٣٢
مَنْ أَرَادَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ والْآخِرِينَ فلْيُثَوِّرِ الْقُرْآنَ.	أنس بن مالك	١/ ١٤٠
من ارتبط فرساً في سبيل الله.		٤/ ٦١١
من استطاعَ منكم الباءَةَ فليتزوَّج.	ابن مسعود	٣/ ١٧
من أُسْدِيَتْ إِليه نعمة فذكرها فقد شكرها.	جابر بن عبد الله	١٠/ ٣٠٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
من أَسرَّ سريرة أَلْبسه الله رداءَها.	عثمان بن عفان	٦/ ٥٦٠، ٧/ ٥٥٢
مَن أطاعني فقد أطاع الله.	أبو هريرة	٢/ ٦٠١
من أَعتق نسمة مؤمنة.	علي بن أبي طالب	١٠/ ٢٧٣
من اقشعر جلده من خشية الله.	العباس بن عبد المطلب	٨/ ٣٩٢
من أَكل خبز البُرِّ.	أبو الدرداء	١٠/ ٣٧٠
من أكل من هذه الشجرة.		٥/ ٦٦١
مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً.	عبادة بن الصامت	٩/ ٤٠٥
مَنْ أهْلُ النَّارِ ؟	ابن زيد	١/ ٤٦٦
من أُوتي القرآن فرأَى أَن أَحداً.		٥/ ٧٤٧
مَن أولُ مَنْ يدخلُ النار.	أبو هريرة	٢/ ٣٦٣
مَن بث لم يصبر صبراً جميلاً.	ابن عمر	٥/ ٤٢٦
من بدا جفا.	أبو هريرة	٥/ ٥٥١
من بلغه هذا القرآن فأنا نذيره.		٣/ ٧١٩
من بنى لله مسجداً ولو كمَفحَص قطاة.	جابر بن عبد الله	٣/ ٧٩
من بنى مسجداً من ماله بنى الله له بيتاً في الجنة.	عثمان بن عفان	٧/ ٢٣٠
من ترك الصلاة فقد كفر.	بريدة	٢/ ٥٣٠
من ترك بعده كنزاً.	أبو هريرة ـ جابر بن عبد الله	٤/ ٧٠٥

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
من ترك صفراء أو بيضاء.	أبو ذر	٤/ ٧٠٥
من ترك صلاة العصر فكأَنَّما وُتِرَ أَهلَه ومالَه.	عبد الله بن عمر	٩/ ٣٩
من تركه لا يخاف عقوبته.	أبو داود نفيع	٢/ ٥٢٩
من توضأ على طهر.	ابن عمر	٣/ ٤٣٣
مَنْ جرَّ ثوبه خُيَلاء.		٧/ ٦٦٩
من جمع مالاً من نَهَاوِش.	أبو سلمة الحمصي	٣/ ٥١٤
من جهز جيش العسرة فله الجنة.		٥/ ١٢١
من حاسب نفسه في الدنيا.	ابن عمر	١٠/ ١٨٧
مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفثْ.	أبو هريرة	١/ ٦٨١، ١/ ٧٣٩
مَن حلفَ على يمين.	عدي بن حاتم ـ أبو هريرة	٦/ ١٠٤، ٦/ ٣٥٠
من حمى مؤمناً من منافق يغتابه.		٨/ ٤٧٣
من خاف أدلج.	أبو هريرة	٣/ ٦٣٣
من داوم على قراءَة سورة الواقعة لم يفتقر أبداً.		٩/ ٣٤٥
من دخل دار أَبي سفيان.	أبو هريرة	٧/ ٢٠٥
مَنْ ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي.		٧/ ٥٨٧
مَنْ ذلك الرجل؟ قال: أَبو رُغال.	عبد الله بن عمر	٥/ ٣٣٨
من رابط فُوَاق ناقة حرَّم الله جسده على النار.	عائشة	٨/ ٣١٣
مَنْ رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده.	أبو سعيد الخدري	٢/ ٥٤٥

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
من ردَّ عن أَخيه المسلم في عرضه.	أبو الدرداء	٨/ ٤٧٣
من ركب البحر في ارتجاجه.	زهير	٥/ ١٦٨
من رمانا بالنبل.	أبو هريرة	٢/ ١٤٥
مَن رمى بسهم في سبيل الله.	عمرو بن عبسة	٤/ ٦١٠
من زعم أن الله تعالى جعل لأحد من العباد شيئاً من الأمر.	عبد العزيز الشامي عن أبيه	٤/ ٢٨٤
من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه.	عائشة	٤/ ٣٢٨
من زعم أن محمداً كتم شيئاً من الوحي.	عائشة	٣/ ٥٧٥
مَنْ سُئِلَ عن علم فكَتَمَهُ.	أبو هريرة	١/ ٦١٣، ٢/ ٧٢١
مَن سأل اللهَ لي الوسيلةَ.	عبد الله بن عمرو	٦/ ٢٣٠
من سأَل وله ما يُغنيه.	ابن مسعود	١٠/ ١٨٥
من سبَّح عند غُروب الشَّمس سبعين.	معاوية بن الحكم	٦/ ٦٤٩
مَن سجد للَّهِ سجدةً.		٦/ ٣٠
مَن سرَّه النَّسَأ في الأجل والسعة في الرزق.	أنس	٤/ ٧١٢
مَن سرَّه أَن يكون أَكرم النّاس فَلْيَتَّق الله.	ابن عباس	٩/ ١٢١
من سره أن ينظر إلى الشيطان.	ابن إسحاق	٥/ ٢٠
من سمَّع بأَخيه فيما يكره.	الحسن البصري	٩/ ٢٦٣
من سنَّ سُنَّة حسنة فله أَجرها.	جرير البجلي	٨/ ١٤٥

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
من شاء فليخذلني.	ابن جريج	٣/ ٥٧٦
من ضارَّ في وصية.	أبو هريرة	٣/ ٥٥
من طال عُمُره، وحسُن عمله.	أبو بكرة	٩/ ١١٩
من علَّق مصحفاً ولم يتعاهده.	أنس	٧/ ٢٨٩
من عمَّره الله ستين سنة.	أبو هريرة	٨/ ١٦٤
من عَمِلَ بما عَلمَ؛ عَلَّمه الله ما لم يَعْلَم.	أنس بن مالك	٧/ ٦٠٣
من عوقب في الدنيا؛ فهو كفارة له.	عبادة بن الصامت	٣/ ٢٦٠
مَنْ غشَّنـا فليس منا.	أبو هريرة	٢/ ١٤٥، ٢/ ٣٧٢
من غصب شبراً من أَرضٍ طُوِّقه.	عائشة	٩/ ٥٧٧
من فارق الجماعة قِيْدَ شبر.	الحسن	٩/ ٤٧٤
من فارق الدنيا مخلصاً لله تعالى.	أنس بن مالك	٤/ ٦٥٥
من قال في كل يوم سبحان الله.	أبو هريرة	٧/ ٣٠٧
مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كُتِبَتْ لَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً.	أبو سعيد الخدري ـ أبو هريرة	١/ ٢٢٦
مَنْ قال: أَنا خير من يونس بن مَتَّى فقد كذب.	أبو هريرة	٦/ ٧١١
من قام ليلة القدر إِيماناً واحتساباً.	أبو هريرة	١٠/ ٣٣١
مَنْ قَرَأَ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه.	أبو مسعود عقبة بن عمرو	٢/ ٣٠٣
مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَرَأَى أَنَّ أَحَداً أُوتِيَ.	عبد الله بن عمرو	١/ ١٤٢

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
مَنْ قَرَأَ بالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.	أبو مسعود	١/ ٢٦٦
من قرأَ سورة ق.	أبي بن كعب	٩/ ١٢٧
من قرأَ سورة نوح.	أبي بن كعب	٩/ ٦٩٧
مَنْ قَرَأَ مِئَةَ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ.	أنس بن مالك	١/ ١٤٣
من قرأَها لم يفتقر أَبداً.	ابن مسعود	٩/ ٣٤٥
من كان آخر كلامه لا إِله إِلَّا الله دخل الجنَّة.	معاذ بن جبل	٨/ ٥٢٢
من كان آمراً بمعروف.	عبد الله بن عمرو	٢/ ٥٤٥
من كان حالفاً فليحلفْ بالله.	ابن عمر	٣/ ١٠
مَنْ كانَ له فضلٌ فَلْيُنفِقْهُ على نفسه.	جابر	٢/ ٢٤
من كَثُرت صلاته باللَّيل حَسُن وجْهُه بالنَّهار.		٩/ ٨٨
من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.	أبو هريرة ـ المغيرة ـ رجل من أصحاب رسول الله	٢/ ٥٨٥، ٧/ ٢٧٠
مَن كظم غيظاً وهو يقدرُ على إِنفاذه.	أبو هريرة	٢/ ٦٠٩
من لا يَرْحَم لا يُرْحَم.	أبو هريرة	٧/ ١٩٤
مَنْ لبس الحرير في الدنيا.	أنس بن مالك	٧/ ٣٢
من لقي العباس فلا يقتله.		٣/ ٢٧٤
من لم تنهه صلاته عن الفحشاءِ والمنكر.	جماعة من الصحابة	٧/ ٥٨٥
من لم يكن عنده ما يتصدَّق به.	أبو هريرة	٩/ ٢٤

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
من مات على حبِّ آل محمد مات شهيداً.	جرير البجلي	٨/ ٥٦٧
من ماتَ له ثلاثة من الولد.	أبو هريرة	٦/ ٥٣٥، ٩/ ٣٦٦
من مشى سبع خطوات في شعر.	جابر بن عبد الله	٧/ ٣٩٤
مَن مشى منكم في طمع فليمش رويداً.	ابن مسعود	٧/ ٣١٤
من ملك زاداً وراحلة.	علي بن أبي طالب	٢/ ٥٢٣
من نُوقِش الحساب عُذِّب.	عائشة	٨/ ٩٧
مِنْ هاهنا أَخبرنا النبي ﷺ أَنه رأَى جهنم.	عبادة بن الصامت	٩/ ٤٠٦
من هم بسيئة ولم يعملها.		٥/ ٤٣٩
مَنْ يرد الله به خيراً يفقهه في الدين.	معاوية بن أبي سفيان	٥/ ٢٥٤
من يطع الله ورسوله فقد رَشَدَ.	عدي بن زيد	٥/ ٢٣
منعت العراق دِرْهَمها وقَفِيزها.	أبو هريرة	٢/ ٢٩٥
منهم عويم بن ساعدة.	عروة بن الزبير	٥/ ١٠٠
مهلاً يا عائشة، إِن الله يكره الفُحْش والتَّفَحُّش.	عائشة	٩/ ٤٤٣
مولى القوم منهم.	أبو رافع	٤/ ٦٣٩
ن لوحٌ من نور.	معاوية بن قرة	٩/ ٦٢٢
ناء بصدره نحو الأرض المقدسة.		٣/ ٤٩٤
الناسُ حينئذ أَضياف الله.	أبو أيوب	٥/ ٦٨٦
ناسٌ من أمتي عُرِضوا عليَّ ملوكاً على الأسرَّة.		٢/ ٥٢٧

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا.		٩/ ١٤٨
الناس وقت التبديل على الصراط.	عائشة	٥/ ٦٨٥
نبيٌّ مكلَّم.	أبو ذر	٤/ ٢٢٥
النجمُ هو الغاسق.	أبو هريرة	١٠/ ٤١٩
نحْن أَحقُّ بالشَّكِّ مِنْ إِبراهيمَ.	أبو هريرة	٢/ ١٩٠، ٢/ ١٩٢
نحن الآخرون السابقون.	أبو هريرة	٢/ ٥٥٤
نحن اليوم نحكم على اليهود.	قتادة	٣/ ٥١٩
نحن بنو النضر لا نَقْفُو أُمّنَا.	الأشعث بن قيس	٦/ ٢٠٤
نحن من ماء.	محمد بن يحيى بن حبان	٧/ ٢٤٢
نحن نكمل يوم القيامة سبعين أمة.	معاوية بن حيدة	٢/ ٥٥٤
ندفنه عند سلفنا الصالح.	الأسود بن سريع	٨/ ٦٣٩
نزلت سورة المائدة في مسير رسول الله ﷺ إلى حجة الوداع.	الربيع بن أنس	٣/ ٤١٧
نَزَلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ أولَ ليلة.	واثلة بن الأسقع	١/ ٦٧٤
نزلت هذه الآية في خمسة.	أبو سعيد الخدري	٨/ ١٣
نزلت هذه السورة ونحن مع رسول الله ﷺ بحراء خيبر.	ابن مسعود	١٠/ ٧٣
نصح قومه حيّاً وميتاً.	المغيرة بن شعبة	٨/ ١٩١

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
نُصِرْت بالرعب مسيرة شهر.	أبو هريرة ـ جابر بن عبد الله	٢/ ٦٤٦
نُصرتُ بالصَّبا.	ابن عباس	٤/ ٥٨٩، ٩/ ١٩٢
نعم السِّوَاك سواك الزيتون.	معاذ بن جبل	١٠/ ٣١٠
نعم كل ما آذى المؤمن فهو مصيبة.	عكرمة	١/ ٦٠٦
نعم، إِذَا كَثُرَ الخبَثُ.	زينب بنت جحش	٦/ ٦٨
نعم، حتى يُؤَدَّى إِلى كل ذي حقٍّ حقَّه.	الزبير بن العوام	٨/ ٣٩٨
نعم، نبي مُكَلَّم.	أبو ذر	٢/ ١٥٣
النعيم المسؤول عنه: كسرةٌ تقوتهُ.	ثابت البناني	١٠/ ٣٦٩
نفسي نفسي.	أبو هريرة	٧/ ٣٦٢
نُقْسِم أن لا يعفى عن رجل.	الليث	١/ ٦٥٣
نهى النبي ﷺ الناسَ في أَسفارهم أَن يأتي الرجل أَهله طروقاً.	جابر بن عبد الله	١٠/ ٢١٠
نهي النبي ﷺ أن يُصْبر الروح.	أنس بن مالك	١/ ٦٤١
نهى النبي ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السبع.	أبو ثعلبة	٤/ ١٥٤
نهى أن يتشحَّى الرجل في عِرض أخيه.		٢/ ٥٧٤
نهي رسول الله ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع.	علي بن أبي طالب	٤/ ١٥٥
نهى عن الجمع بين المرأة وعمتها.	أبو هريرة	٣/ ٨٧، ٣/ ٩٤

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
نوح أَول الرسل إِلى أَهل الأَرض.	أنس بن مالك	٥/ ٢٩٩
هؤلاءِ أَهل بيتي.	أم سلمة	٨/ ١٣
هذا البيت المعمور.	أنس بن مالك	٩/ ٢٠٥
هذا المحروم.	أبو قلابة	٩/ ١٨٠
هذا النكاح، لا السِّفاح.	علي بن أبي طالب	٣/ ١٠٢
هذا اليوم الذي اختلفوا فيه.	أبو هريرة	١/ ٧٦٣
هذا بيان من الله ورسوله.	ابن شهاب	٣/ ٣٨٨
هذا خالي، فَلْيُرِني امرؤٌ خالَه.	سعد بن أبي وقاص	٦/ ٢٤٥
هذا رجل يعظم الحرمة.		٣/ ٦٤٠
هذا قبر أبي رغال الذي هو أبو ثقيف.	جابر بن عبد الله	٤/ ٣١٥
هذا ممن قضى نَحْبه.	طلحة بن مصرف	٧/ ٧٤٥
هذا من النعيم الذي تُسأَلون عنه.	جابر بن عبد الله	١٠/ ٣٦٩
هذه الآية لكم.	قتادة	٤/ ٤٥٧
هذه الكلمات هي الباقياتُ الصالحاتُ.	أبو هريرة	٦/ ٣٨٣
هذه سبل على كل سبيل منها شيطان.	ابن مسعود	٤/ ١٧٣
هذه عائشة.	أبو هريرة	٨/ ٤١
هذه مؤمنة.		٢/ ٣٠
هذه يد عثمان.	المسور بن مخرمة ـ مروان بن الحكم	٩/ ٦٧

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
هكذا أُنزلت.		٧/ ٩٦
هكذا شرعكم يا معشر يهود؟	أبو هريرة	٣/ ٥١٧
هل أعطاك أحدٌ شيئاً؟		٣/ ٥٥١
هل أنت مؤمن إن أخبرتك بذلك؟	جابر بن عبد الله	٥/ ٤٠٩
هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ؟	يحيى بن عمارة	٣/ ٦٨٠، ٦/ ٤١٢
هل جزاءُ التوحيد إلَّا الجنة.		٩/ ٣٣٥
هل رضيتم بما أَعطيتكم؟	أبو سعيد الخدري	١٠/ ٣٤٠
هل لأُمِّي إِن تطوعت عنها أَجر؟ قال: نعم.	سعد بن عبادة	٩/ ٢٦٢
هَلْ لَكَ ألّا تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ.	أبي بن كعب	١/ ٢١٠
هل لك العامَ في جِلَاد بني الأصفر؟	جابر بن عبد الله	٤/ ٧٣٦
هل نقصتكم من أَجركم شيئاً.	ابن عمر	٩/ ٤٢٧
هلا قعدت في بيت أبيك وأمك.	أبو حميد	٥/ ٩
هَلُمُّوا إلى التوراة ففيها صفتي.		٢/ ٣٦٢
هم الذين إِذا أُعطوا الحق قبلوه.	عائشة	٩/ ٣٥٢
هم الذين يُؤخرونها عن وقتها.	سعد بن أبي وقاص	١٠/ ٣٨٨
هُمُ اليوم أَربعة.	محمد بن إسحاق	٩/ ٦٦١
هم قوم هذا.	أبو هريرة ـ أبو موسى الأشعري	٣/ ٣٣٦، ٣/ ٥٤٨

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
هم كالقمر ليلة البدر.	قتادة	٩/ ٢١٧
هم ما بين التسع مئة إلى الألف.	عروة بن الزبير	٤/ ٥٨٤
هم من آبائهم.	الصعب بن جثامة	٩/ ٦٠٨
هما ريحانتاي من الدنيا.	ابن عمر	٩/ ٣٨٧
هن ألَّا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا.	صفوان بن عسال	٦/ ٢٩٤
هُنَّ عَوانٍ عندكم.	عمرو بن الأحوص	٦/ ٦٣٧
هو أَجَل رسول الله ﷺ.	ابن عباس	١٠/ ٤٠١
هو اسم رجل مِنْهُ تناسلت قبائل اليمن.	فروة بن مسيك	٨/ ٩٠
هو الطهور ماؤه، الحِلُّ ميتته.		٣/ ٦٣٤
هو جبريل فيها كلها.	عائشة	٩/ ٢٤٠
هو دُرْدي الزيت.	أبو سعيد الخدري	٦/ ٣٦٤
هو سواد الليل وبياض النهار.	عدي بن حاتم	١/ ٦٨٥
هو قرن من نور.	سليمان بن أرقم	٩/ ٦٥٩
هو مسجدي هذا.		٥/ ٩٦
هو مَن بَّرت يمينه، وصدق لسانه.		٢/ ٣٢٧
هو نبي مكلَّم.	أبو ذر	٤/ ٣٨٥
هو نورٌ أَنَّى أَرَاه.	أبو ذر	٩/ ٢٤٠
هي أسودُ من القارِ.	أبو هريرة	٦/ ٣٢٦

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
هي الصلواتُ منها الشَّفع.	عمران بن حصين	١٠/ ٢٤٦
هِيَ أَيَّامُ أكل وشُرب وذِكر لله.	نبيشة الهذلي	١/ ٧٣٧
هي قبولُ الشَّفاعات في المذنبين والرِّضوانُ.		٨/ ٥٧٣
هي قوله: ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾.	أبو رزين الأسدي	٢/ ٦٢
هي لي ولأُمَّتي كهاتين.		٩/ ٥٢
هي من نور يتلألأ.		٩/ ٣٣٣
وَأَبْقِ على ذي الرَّحِمِ الظالم.		١٠/ ٢٧٤
وأُحِلَّت لي الغنائمُ، ولم تحلَّ لأحدٍ قبلي.	جابر بن عبد الله	٢/ ٧١٥
واد في جهنم بين جبلين.		١/ ٤٦٥
وإذا أكل فلا تأكل.	عدي بن حاتم	٣/ ٤٢٣
وإذا ذكرني عبدي في ملأ ذكرته.	أبو هريرة	١/ ٦٠٢
واشفَعْ تُشفَّعْ.		٢/ ١٦٠
وأُعطِيتُ الشفاعةَ.	جابر بن عبد الله	٢/ ١٦١
وأُعْطِيتُ جوامع الْكَلِم.	أبو هريرة	٨/ ٣١٧
واقْدُرْ لي الخير حيث كان.	جابر بن عبد الله	٥/ ٧٣٢
والثلاثة ركب.	عبد الله بن عمرو	٤/ ٥٧٨
والثلث كثير.	سعد بن أبي وقاص	٤/ ٢٤٣
والثَّيِّب بالثَّيب جلْدُ مئة والرجم.	عبادة بن الصامت	٧/ ١٥٦

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
وألجأت ظهري إليك.	البراء بن عازب	٥/ ٣٧٤
والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم.	قتادة	٩/ ٥٣١
والذي نفسي بيده إنه ليخفُّ على المؤمن.	أبو سعيد الخدري	٩/ ٦٧٧
والذي نفسي بيده لتسألُن عن نعيم هذا اليوم.	أبو هريرة	١٠/ ٣٩٦
والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم.	أبو هريرة	٣/ ٣٦٢
والشَّرُّ ليس إليك.	علي بن أبي طالب	٦/ ١٦
والشَّمس في حُجْرتها قَبْلَ أَنْ تَظْهَر.	عائشة	٦/ ٤٥٢
والعاجز من أتبع نفسه هواها.	شداد بن أوس	٤/ ٤٣٤، ٨/ ٧٠٨
والفرار من الزحف.	أبو هريرة	٢/ ٦٦٥
والله إنِّي لأَمين في السماء.	أبو رافع	٦/ ٦٥١
والله لأُقاتِلَنَّهُم حتى تنفرد سالفتي.	المسور بن مخرمة ـ مروان بن الحكم	٣/ ٢٣٧
والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله.	فضالة بن عبيد	٥/ ٣٧
والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه.	عبد الله بن عمر	٣/ ٢٤٥
واليَدُ الْمُنْطِيةُ خير من السُّفلى.	عطية	١٠/ ٣٩٣
وإليك نسعى ونَحفِدُ.	خالد بن أبي عمران	٦/ ٨١
وأمَّا الولدانُ الذين حولهُ.	سمرة بن جندب	٩/ ٦٠٨
وإنْ وجدناه لَبحراً.	أنس بن مالك	٩/ ٢٠٨

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
وأنا آخذ بِحُجَزِكم عن النار.	أبو هريرة	٧/ ٧٢١، ١٠/ ٣٦٢
وأنا والله لا أحلهم ولا أعذرهم.	ابن عباس	٥/ ٨٢
وأَنْقوا البشرة.	أبو هريرة	٥/ ٧١٥
وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زَبْرَ له.	عياض بن حمار	٦/ ٢٢٨
وتكسب المعدوم.		٣/ ٣٩٩
وَجُعِلَ رزقي في ظِلِّ رُمْحِي.	ابن عمر	٦/ ٨٥
وحواريَّ الزُّبير.	جابر بن عبد الله	٢/ ٤٣٣، ٥/ ٣١٣، ٩/ ٥١٩
ودِدْتُ أَن أُقتل في سبيل الله.	أبو هريرة	٣/ ١٢٧
وَدِدْتُ أَن سورة تَبَارَك.	ابن عباس	٩/ ٦٠١
وذلك أَن تُرِيد أَن يكون شِرَاك نعلك.	علي بن أبي طالب	٧/ ٥٤٢
ورأَى عمرو بن لحي في النار.	أبو هريرة	٦/ ٦٥٤
الورود في هذه الآية هو الدخول.	جابر بن عبد الله	٦/ ٥٣٦
وسطاً معناه: عدْلاً.	أبو سعيد الخدري	١/ ٥٨٤
وُضِع عن أُمَّتي الخطأُ والنسيان.	ابن عباس	٧/ ٧٢٠
وضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة أوزارها.	عبد الله بن أبي أوفى	٢/ ٥٩١
وعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ.	عمران بن حصين	٥/ ٢٢٩
وعند ذلك طلوع الشمس من مغربها.	حذيفة بن اليمان	٦/ ٧٢٣
وفَّى أَربع صلوات في كل يوم.	أبو أمامة	٩/ ٢٦٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
وقع في نفس موسى هل ينام الله جل ثناؤُه.	أبو هريرة	٢/ ١٥٩
وقول النبي ﷺ في السوط: دون هذا .	زيد بن أسلم	٧/ ١٦٠
وكان النبي ﷺ إذا سافر أقرع بين نسائه.	عائشة	٢/ ٤١٤
وكان خلق آدم في يوم الجمعة.		٥/ ٢٦٦
وكان رسول الله ﷺ مِمَّا يُحرك شفتيه.	ابن عباس	٣/ ٢٠٠، ٥/ ٦٩٣
وكان رسول الله ﷺ يقرؤها ـ سورة تبارك ـ كل ليلة.	جابر بن عبد الله	٩/ ٥٩٩
وكم قِنْو تعلَّق لأَبي الدحداح في الجنة.	عطاء	١٠/ ٢٨٨
وكونوا عبادَ الله إخواناً.	أبو هريرة	٦/ ٢٢٥
ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا.		٣/ ٦١٤
ولا تحسَّسوا ولا تجسَّسوا.	أبو هريرة	٥/ ٥٢٤، ٩/ ١١٤
ولا يبتسط أحدكم ذراعيه.	أنس	٦/ ٣٣٦
ولا يمسُّ المصحف إِلاَّ طاهر.	عمرو بن حزم	٩/ ٣٧٩
وَلَا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ.	المغيرة بن شعبة	٩/ ٧١٤
وُلد له عشرة من الولد، تيامن منهم ستة.		٧/ ٤١٩
ولد لي الليلةَ مولودٌ.	أنس بن مالك	٢/ ٣٨٦
الولد مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَة.		٩/ ٥٥٥
وَلَوْ كَمَفْحَص قَطاةٍ.		٥/ ٧٣٧
وَمَا اسْتَأْثَرَ الله بعلمه فَالْهَ عنه.		١٠/ ١٣٤

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
ومَا مِنْ دَابَّةٍ إلَّا وهِيَ مُصِيخَةٌ.	أبو هريرة	١/ ٤٣٧
ومن أُزِلَّت إليه نعمةٌ فليذكرها.	عبد الله بن عمر	٢/ ٥٦٧
ومن يمنعك مني؟		٣/ ٤٥٠
وَنَصْرِ المظلومِ.	البراء بن عازب	٦/ ١٩٨
ونهى الناس عن الوصال.	ابن عمر	١/ ٦٨٨
ونَهْي رسول الله ﷺ عن كشفه على النساءِ.	أم سلمة	٧/ ٢١١
وهل ترك لنا عقيل منزلاً.	أسامة بن زيد	٧/ ٣٥، ٧/ ٢٠٥، ٩/ ١٥٣
وهل يكُبُّ الناسَ في النار على مناخرهم.	معاذ بن جبل	٩/ ٦١٥
وهُمْ يدٌ على مَنْ سواهم.	عبد الله بن عمرو	١٠/ ٢٦٣
ويجافي بضبعيه.	عبد الله بن مالك بن بحينة	٧/ ٦٩٧
ويحقُّ له أَن يؤمنَ.	قتادة	٢/ ٢٩٣
وَيْل أمِّه مِسْعَرُ حَرْب.	المسور بن مخرمة ـ مروان بن الحكم	٩/ ٦٠، ١٠/ ١٤
ويلٌ للأَعقاب من النار.	أبو هريرة	٣/ ٤٤٠
يُؤْتى بالأكول الشروب.	أبو هريرة	٦/ ٤٥٨
يؤتى بالظالم والمظلوم يوم القيامة.	أبو هريرة	٣/ ٤٧٩
يُؤْتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أَمْلح.	أبو سعيد الخدري	٩/ ٦٠٢

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام.	عبد الله بن مسعود	١٠/ ٢٥٨
يا أبا بكر أما تحزن، أما تمرض.	أبو بكر الصديق	٣/ ٣٢١
يا أَبا بكر، ما يُبكيك؟	أنس	١٠/ ٣٥٠
يَا أُبيُّ إِنِّي أُقْرِئْتُ الْقُرْآنَ.	أبي بن كعب	١/ ١٦٨
يَا إِخْوَةَ الخَنَازِيرِ والْقِرَدَةِ.	مجاهد	١/ ٤٦٠
يا إخوة القردة.	عائشة	٥/ ٣٧٠
يا أكثم، رأيت عمرو بن لُحي بن قمعة بن خَنْدَف.		٣/ ٦٥١
يا أمَّ سلمة: تيب على كعب بن مالك وصاحبيه.	كعب بن مالك	٥/ ١٢٧
يا أَمير المؤمنين، لولا آية في كتاب الله لأَنبأْتك بما هو كائن.	كعب الأحبار	٥/ ٦٢١
يا أَيُّها الناس اذكروا الله.	أبي بن كعب	١٠/ ١١٥
يا أيها الناس، الحقوا بملاحقكم.	عبد الله بن شقيق	٣/ ٥٧٦
يا أيها الناس، بلغوا عني ولو آية.	قتادة	٣/ ٧١٩
يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين.	عبد الله بن عمرو	٤/ ٤١٠
يا أَيُّوب أَلم أَكن أَغْنَيتك عن هذا؟	أبو هريرة	٦/ ٧٠٩
يا بني عبد مناف، واصباحاه.	ابن عباس	٧/ ٣٨٩
يا بني قَيلة هذا جَدُّكُم الذي تنتظرون.	عن رجل	٩/ ٧١٥

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
يا جبريل قد اشتقت إليك.	ابن عباس	٦/ ٥٢٦
يا حنَّان يا منَّان.	أنس بن مالك	٤/ ٤٥٥
يا خالد، لا تسب عماراً.	السدي	٣/ ٢٠٢
يا رسول الله، إِذا متَّ ومتنا.	عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري	٣/ ٢١٣
يا رسول الله، الأَمة إذا زنت ولم تحصن؟	أبو هريرة ـ زيد بن خالد	٣/ ١١٢
يا رسول الله، إِنما يرثني كلالةٌ.	جابر بن عبد الله	٣/ ٥٢
يا رسول الله، قد ذكر الله تعالى الرجالَ في الهجرة.	أم سلمة	٢/ ٧٣٥
يا رسول الله، لا تكترث بأَمر نسائك.	عمر بن الخطاب	٩/ ٥٨٨
يا زيد، أَما علمتَ أن الآثار تُكْتب.	أنس بن مالك	٨/ ١٨٣
يا صفية بنت عبد المطلب.	أبو هريرة	١٠/ ٤٠٥
يا عدي، اطرح هذا الصليب من عنقك.	عدي بن حاتم	٤/ ٦٩٧
يا عليُّ، أشَعَرت أنه نزلت علي سورة المائدة.	أبو سلمة	٣/ ٣٨٥
يا عمر، أما شعرت أن العم صنو الأب.		٥/ ٥٧٠
يا عمر، إن الله قد خيَّرني فاخترت.	عمر بن الخطاب	٥/ ٤٩
يا فلان، إِن كل صاحب يصحب آخر.	عن رجل ثقة	٣/ ١٤٥

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
يا محمد، إِن الله قد أَجَّل الثناءَ عليك وعلى أُمتك.	حكيم بن جابر	٢/ ٢٩٧
يا محمد، لا تُقنط عبادي.	عمر بن الخطاب	٥/ ٥٤
يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟	معاذ بن جبل	٣/ ٦٤
يا معشر الأنصار.		٤/ ٦٨٢
يا معشر الأنصار، إني رأيت الله أثنى عليكم بالطهور.	عبد الله بن سلام	٥/ ٩٨
يا معشر قريش: قولوا: لا إله إلا الله.		٦/ ٢١٧
يا معشر قريش، اشهدوا أنه ابْني.		٧/ ٧١٨
يا معشر يهود، أَسلموا.		٢/ ٣٣٣
يا موسى، ما نقص علمي وعلمُك.	أبي بن كعب	٦/ ٤١٥
يأْتي على الناس زمان يمُرُّ الرجل بقبر.	أبو هريرة	٥/ ٥٤٦، ٦/ ٤٨٧
يبعث الناس على نيَّاتهم.	عائشة	١٠/ ٣٦٠
يتصدق بدينار أو بنصف دينار.	ابن عباس	٢/ ٣٦
يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار.	أبو هريرة	٥/ ٥٨٥، ٦/ ٢٦٥، ٩/ ١٤١
يجيء نوح وأمته.	أبو سعيد الخدري	١٠/ ٢٠٠
يجيئون يوم القيامة وعلى أَفواههم.	معاوية بن الحكم	٨/ ٥١٣
يحتج على الله تعالى يوم القيامة ثلاثة.	أبو سعيد الخدري	٦/ ٦٥٤

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب.	عائشة ـ ابن عباس	٣/ ٩٢، ٣/ ٩٤
يحسر الفرات عن جبل من ذهب.	أبو هريرة	١/ ٦٢٧
يُحشَرُ الناس يوم القيامة حفاةً.		٦/ ٧٢٩
يُحْشَرُ يَوْمَ القِيَامَةِ أُمةً وحْدَه.	ابن عباس	١/ ٧٦١
يدبِّر ابن آدم والقضاء يضحك.		٥/ ٤٣٠
يدخل الجنة سبعون ألفا من أمتي بلا حساب.	ابن عباس	٤/ ٧٤١
يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة.		٣/ ٣٩٦
يدخل فقراءُ المسلمين الجنة قبل الأَغنياء.	أبو هريرة	٧/ ٦٩
يُدني الله تعالى العبد حتى يضع عليه كنفه.	ابن عمر	١٠/ ١٨٧
يذهبُ الصالحون أَسلافاً.	مرداس الأسلمي	٨/ ٦٣٩
يذهب الصالحون الأول فالأول.		٣/ ٣٧٣
يرحم الله أخي زكريا.	قتادة ـ الحسن البصري	٦/ ٤٧٠
يرحم الله أخي يوسف، لقد كان صابراً.	أبو هريرة	٥/ ٤٨٠
يرحم الله لوطاً، لقد كان يـأْوي.	أبو هريرة	٥/ ٣٥٨
يرحم الله موسى، أُوذي بأَكثر من هذا فصبر.		٨/ ٧٦٣
يرحم الله موسى، لَوَدِدْنا.		٦/ ٤٢٠
يرحم الله هاجر.	ابن عباس	٧/ ١١٣
يرحمك الله يا عمر، العم صنو الأَب.		٥/ ٥٧٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
يرزقنا الله وإياكم من فضله.		٦/ ١٨٩
يريدون أن أقتل أو أسجن أو أخرج.	المطلب بن أبي وداعة	٤/ ٥٤٥
يسِّروا، ولا تعسِّروا.	أبو موسى	٢/ ٥١٠
يشفع الملائكة ثم النبيُّون ثم العلماءُ.		١٠/ ٢٤
يعجب الله تعالى إلى قوم يساقون إِلى الجنة في السلاسل.	أبو هريرة	٨/ ٢٣٧
يعجب الله من الشابِّ ليست له صَبْوة.	عقبة بن عامر	٨/ ٢٣٧
يغفرُ ذنباً، ويفرجُ كرباً.	أبو الدرداء	٩/ ٣٢٢
يقتص للمظلوم.	أبو هريرة	٧/ ٥٦٠
يقول ابن آدم: مالي مالي.	عبد الله بن الشخير	٦/ ٨٦، ١٠/ ٣٦٦
يقول الله تعالى يوم القيامة لآدم أَخرج بعث النار.	أبو سعيد الخدري - أنس بن مالك	٤/ ٤٥٢، ٤/ ٢١٢، ٦/ ٧٢٢، ٧/ ٦، ٧/ ٧
يقول الله تعالى يوم القيامة: من كان له عندي عهد فليقم.	ابن مسعود	٦/ ٥٥٥
يقول الله تعالى: ابن آدم، إِنْ نازعك لسانك.	أبو حازم	١٠/ ٢٧٠
يقول الله تعالى: أَعددت لعبادي الصَّالحين.	أبو هريرة	٩/ ١٥٨
يقول الله تعالى: الكبرياءُ ردائي.	أبو هريرة	٨/ ٧١٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
يقول الله لجهنَّم: هل امتلأَتِ.	أنس بن مالك	٩/ ١٥٤
يقول الله: يا ابن آدم، تريد وأُريد.		١٠/ ١٥٨
يقول تعالى: أَيكم أَحسن عَقْلاً.	ابن عمر	٩/ ٦٠٣
يقول ربكم جلَّت عظمته: أَنا أَهلٌ أَن أُتَّقَى.	أنس بن مالك	١٠/ ٢٨
يقوم يوم القيامة خطيبان.	عقبة بن عامر	٥/ ٦٥٣
ينزلُ ربُّنا عز وجل كلَّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا حين يبقى ثُلُثُ الليل الآخر.	أبو هريرة	٢/ ٣٥١
ينزل ربنا كل ليلة إذا كان الثلث الآخر.	أبو هريرة	٥/ ٥٣٧
ينظرون إِلى أَعدائهم في النار كيف يُعذبون.		١٠/ ١٧٧
يهديكم الله ويصلح بالكم.	أبو هريرة	٦/ ٥٩٢
يوشك أن يكون خير مال المسلم.	أبو سعيد الخدري	٥/ ٤٤٨، ٥/ ٥٥١
يوم نحس مستمر يوم الأَربعاءِ.	جابر بن عبد الله	٩/ ٢٨٩
يوم وفاء وبر.	ابن عباس	٤/ ٦٧٣

فهرس الآثار

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
إباحة قتل الزنبور.	عمر بن الخطاب	٣/ ٦٢٢
ابغوني رجلاً من كنانة وليكن راعياً.	عمر بن الخطاب	٤/ ١٢٦
ابْنُ عَبَّاسٍ كأَنَّـمَا يَنْظُرُ إِلَى الْغَيْـبِ.	علي بن أبي طالب	١/ ١٦١
أتت علينا سورة البعوث.	المقداد بن الأسود	٤/ ٧٢٦
اتَّخذتَ القِراءةَ عليَّ عَمَلاً.		١/ ١٥٣
أَتريد أَن تطعمني أَوساخ الناس؟	ابن عمر ـ سلمان الفارسي	٧/ ٢١٦
أَتريدون أَن أَزيدكم؟	عثمان بن عفان	٧/ ٧٠٢
أَتظنُّون أَنَّا لا نعرف طيب الطَّعام؟	عمر	٨/ ٧٤٦
أتعلمك كان أحد أشعر من ذي الرمة.	بعض بني كلاب	٣/ ٧٥٥
أَتغلق باباً في وجه حاج بيت الله؟	عمر بن الخطاب	٧/ ٣٤
أتفر يا سراقة؟	الحارث بن هشام	٤/ ٥٩١
اتقوا الله ولا تتركوا نبيكم.	عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري	٢/ ٦٨٨
أَتِمُّوا صلاتكم.	عائشة	٣/ ٢٨٨

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
أَتهمز إِسرائيل.	أعرابي	١٠/ ٣٧٦
أتهمز الفأرة؟	بعض الأعراب	٤/ ٧٥٠، ٩/ ٦٢٩
أتيت بلاد ثَمُودَ فذرعت صدر الناقة.	أبو موسى الاشعري	٤/ ٣١٤
الإثخان أحب إليَّ من استبقاء الرجال.	سعد بن معاذ	٤/ ٦٢٨
اجتنبوا المعصيةَ والعدوانَ.	قتادة	٢/ ٥٦٠
اجعل عقوبته أن لا يؤدي الزكاة مع المسلمين.	عمر بن عبد العزيز	٥/ ٤٤
أجلدها بكتاب الله.	علي بن أبي طالب	٣/ ٦١
أَجَنَّ الله من قرأَها.	عائشة	٩/ ٢٤٤
الأجنة التي تخرج عند ذبح الأمهات.	عبد الله بن عمر	٣/ ٣٨٩
أحبُّ الخلقِ إلى الله أعلمُهُم بما أَنْزَلَ.	مجاهد	١/ ١٥٨
أَحبُّ موت إِليَّ بَعْد القتل في سبيل الله.	عبد الله بن عمر	٩/ ٧٤٨
احْتَجَّ عليه بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾.	عمر بن الخطاب	٧/ ٣٩٣
احترق مصحف، فلم يبق منه.	سهيل بن أبي الجعد	٨/ ٥٩٧
احتضر جارٌ لي.	مالك بن دينار	١٠/ ١٦٦
احرث لدنياك كأَنَّك تعيش أَبداً.	ابن عمر	٨/ ٥٦٢

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
أحلتهما آية، وحرمتهما آية.	عثمان بن عفان	٣/ ٩٢
أَخاف إِن شبعت أَن أَنسى الجياع.	سليمان عليه السلام	٨/ ٨٤
أُخبرتُ أَنه كان يُشاع ويُتحدَّث به عنده.	عروة بن الزبير	٧/ ١٨٥
أخرجني إلى أخي.	الأمين بن هارون الرشيد	١/ ٦٠٧
أَخرجوا عني الكسب الخبيث.	ابن عباس	١٠/ ٤٠٧
أَخفتك لِقَتْلك النفس.	الحسن البصري	٧/ ٤٠٥
اخفض عن الدماغ.	دريد بن الصمة	٣/ ٤٢
إِخواننا بغوا علينا.	علي بن أبي طالب	٩/ ١٠٦
أدرك هذه الأمة قبل أن تهلك.	عثمان بن عفان	١/ ١٧٧
ادْنُ فكُلْ، فَإِنَّ أخي قد نُعي إِليَّ.	صلة بن أشيم	٨/ ٣٩٨
إذاً أتخذُ بطانةً من دون المؤمنين.	عمر بن الخطاب	٢/ ٥٧٣
إذا اختلفتم في شيءٍ فاجعلوه بلغة قريش.	عثمان بن عفان	١/ ١٨٣
إِذَا أَدخلتُموني في قبري فسُنُّوا.	عمرو بن العاص	٥/ ٧١٤
إِذا أَردتَ الصواب فانظر هواك فخالفه.	بعض الحكماء	١٠/ ١٢٦
إِذا أَصاب الناس من قِبَل السلطان بلاءٌ.	الحسن البصري	٧/ ١٣٢
إِذا أَكملت الأَذان فقل.	عاصم بن هبيرة	٨/ ٥٢٦
إذا تراءى المتحابان.	مجاهد	٤/ ٦١٧
إِذا جاءَ القدر عمي البصر.	ابن عباس	٧/ ٤١٥

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
إذا حدَّثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أَخِرَّ من السماء.	علي بن أبي طالب	٧/ ٤٩
إذا رأَيت الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين.	سفيان بن عيينة	٧/ ٦٠٣
إذا رأيتم الذين يجادلون في القرآن.	عائشة	٢/ ٣٢٢
إذا رأيتموني أَلتفت في الصف فجبوا فؤادي.	أبو بحرية	٩/ ٥١١
إذا سمعت اللهَ تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾.	ابن مسعود	١/ ١٤٩
إذا فقدنا صبرنا، وإِذا وجدنا آثَرْنا.	أبو يزيد البسطامي	٩/ ٤٧١
إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تطلب منه.	السري السقطي	١٠/ ٣٤٠
إذا مرَّ بك رجل أَقطع فقلت.	أبو إسحاق السبيعي ـ معاوية بن قرة	٩/ ١١٦
إذا مرضتُ بالذنوب، شفاني بالتوبة.	جعفر الصادق	٧/ ٣٦١
اذكروا الله في الرَّخاءِ يذكركم في الشِّدَّة.	الضحاك	٨/ ٢٨٨
اذهب أنت وربك فقاتلا، إنّا معكما مقاتلون.	المقداد بن الأسود	٣/ ٤٧١
أَراكم أَيها الناس تميلون مع القتيل وتفضلونه.	فضالة بن عبيد	٧/ ٧٦
أرأيت النهار إذا جاء.	عمر بن الخطاب	٢/ ٦٠٥
أرغبةً عن سنة رسول الله ﷺ.	ميمونة رضي الله عنها	٢/ ٣٤
أَرفع المتعة خادم.	ابن عباس	٢/ ١٠٠

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
أَرَى الناسَ عليٌّ بن أَبي طالب رضي الله عنه الإِقماح.		٨/ ١٨٠
أَزل الشعرة عن لقمتك.	سليمان بن عبد الملك	٥/ ٣٤٢
أستغفرُ اللهَ من تِلاوتي.	يوسف بن أسباط	١/ ١٥٢
استقاموا والله لله تعالى بطاعته.	عمر بن الخطاب	٨/ ٥٢١
الاستواءُ معلوم، والكيفية مجهولة.	مالك بن أنس	٦/ ٥٦٨
أَسَرَّكُم أَن غُلِبت الرُّوم؟	أبو بكر الصديق	٧/ ٦٠٧
اسقنا كأساً دهاقاً.	ابن عباس	١٠/ ١٠٦
أَسْمَع حيَّ على الفلاح فلا أُجيب؟	ابن المسيب	٩/ ٦٤٥
اسمعوا قول الخليل.	قتادة	٥/ ٦٧٢
أَسْوَأُ الكذب إخلاف الميعاد.	سفيان بن عيينة	٦/ ٥١٧
أشبهت معانيها معاني الأنفال.	عثمان بن عفان	٤/ ٦٤٢
أشد الناس عذاباً يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة.	عبد الله بن عمر	٣/ ٦٨٦
أَشرف لباس ابن آدم.	علي بن أبي طالب	٦/ ٧٧
أَشهد على كلِّ كيَّالٍ.	عكرمة	١٠/ ١٦٦
أَصبحتُ أُحبُّ الفتنة وأَكره الحقَّ.	حذيفة	٩/ ٥٥٦
أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء.	ابن عباس	٤/ ٣٥٦

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
أصح الناس فراسة ثلاثة.	عبد الله بن مسعود	٥/ ٤٣٣
أصل المكر الفتل.	ابن فورك	٤/ ٥٤٥
أصوب وأقوم وأهيأ واحد.	أنس بن مالك	١/ ١٧٦
اضْرِب ولا تُبْدِيَنَّ إِبطك.	عمر بن الخطاب	٧/ ١٦٠
اطرح هذا عنك.	ابن مسعود	٩/ ٤٦٨
اطلب لها من هو خير منك.	عمر بن الخطاب	٣/ ٣٢٦
أظن هذه من آخر ما أنزل الله على رسوله.	عمران بن حدير	٤/ ٦٤٣
أَظنك من أَهل هذه الآية.	ابن سيرين	٩/ ٥٣٥
اعتبروا في أَن الإِنسان إِذا رفع.	أبو الفضل بن الجوهري	٥/ ٣٦٦
أَعَجَزَكُمْ أَن تأْتُوا بمثل ما أَتى به هذا الغلام.	عمر بن الخطاب	٧/ ٩٧
اعرف نفسك تعرف ربك.	علي بن أبي طالب	٩/ ٤٨١
أعطني فإني فاديت نفسي.	ابن عباس	١/ ٤٧٨
أُعطيت هذه الأُمة ما لم يُعْطَه إِلَّا نَبيٌّ.	قتادة	٧/ ٨٨
اعمل ولا تيأَس.	عمر بن الخطاب	٨/ ٤٣٥
أَعوذ بك من غُلمة ليس لها عدة.	أبو الدرداء	٢/ ٣٠٢
أَعياني أَن أَعلم ما (المحروم).	الشعبي	٩/ ١٧٩، ٩/ ٦٨٧
اغسلوا وجوهكم وأيديكم.	الحجاج بن يوسف	٣/ ٤٤١

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
أفإن لحن عاصم تلحن أنت؟	الأعمش	٤/ ٥٥٥
افتتحت التوراةُ بفاتحة سورة الأنعام.	عبد الله بن كعب	٦/ ٣٠٧
أفحشت على الرجل.	سلمة بن سلامة بن وقش	٤/ ٢٤٦
أَفسدتم عليَّ رأْيي بالعصيان.	علي بن أبي طالب	٢/ ١٤٤
أَفضل الأَعمال خلاف الهوى.	الفضيل بن عياض	١٠/ ١٢٦
أقتلت الصيد وأنت محرم.	عمر بن الخطاب	٣/ ٦٢٥
اقدُمْ حَيزُومُ.	عمر بن الخطاب	٢/ ٥٨٩
أقْرئهُمُ السَّلامَ.	أبو الدرداء	١/ ١٤٩
اقْرأ، قال: ما أنا بقارئ.	خديجة	١/ ٢١٣
أقرب القرآن عهداً بالله تعالى.	أبي بن كعب	٥/ ١٤١
اقعد بنا نؤمنْ ساعة.	معاذ بن جبل	٥/ ١١٢
أَقول هو شعر؟ ما هو بشعر!.	الوليد بن المغيرة	١٠/ ١٣
أَكْرَمَ الله نبيَّه عن أَن يرى في أُمَّته.	الحسن البصري ـ قتادة	٨/ ٦٢٩
آكل الموت وألبس الكفن.	بعض الصالحين	٣/ ٦٥٧
أَكنت أَنت يا أُمَّ أَيوب تفعلين ذلك.	أبو أيوب الأنصاري	٧/ ١٨٧
ألا إن آية أول سورة النساء أنزلها الله في الولد والوالد.	أبو بكر الصديق	٣/ ٣٨٢
إِلَّا أَن تدرك ذكاته.	أبو جعفر القعقاع	٣/ ٤٢١

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
أَلا تتحول إِلى المدينة؟	عمر بن الخطاب	٦/ ٦٩٦
ألا تعجبون لهذا يسألني عن الكلالة؟	عقبة بن عامر	٣/ ٣٨١
أَلا لا تغالوا بمهورِ نسائكم.	عمر بن الخطاب	٣/ ٧٨
أَلستم عرباً؟	ابن عباس	٨/ ٧١٦
أُمُّ الكتَابِ الحلَالُ وَالْحَرَامُ.	الحسن البصري	١/ ٢٢٤
أَمَّا العربية فأنتما أعلم بها منِّي.	كعب الأحبار	٦/ ٤٣٩
أَمَّا أنا وأنت فلا بُدَّ أن نردها.	ابن عباس	٦/ ٥٣٦
أما أنت فتأكل وأما نحن فتنهانا.	عثمان بن عفان	٣/ ٦٣٦
أما بعد فإنه من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.	أبو بكر الصديق	٢/ ٦٣٠
أما بعد، فإنه مهما نزل بعبد مؤمن شدةٌ.	عمر بن الخطاب	٢/ ٧٤٢
أَما تقرأُ القرآن.	سلمان الفارسي	٧/ ٥٨٧
أما نحن فقد قاتلنا حتى لم تكن فتنةٌ.	عبد الله بن عمر	٤/ ٥٦٥
أَمَّا هذا فقد قامت قيامتُه.	ابن جبير	١٠/ ٢٩
الأَمانة خير من الخاتم.	ابن مسعود	٩/ ١١٣
امدح ممدوحك.	عمر بن الخطاب	٦/ ٧١٢
أمرنا أن نستغفر بالسحر سبعين استغفارة.	أنس بن مالك	٢/ ٣٥١
أَمِنَ المهاجرين الأَولين أَنتم؟	علي بن الحسين	٩/ ٤٧٤

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
آمين خاتمة رب العالمين.	علي بن أبي طالب	١/ ٢٦٠
أن أبا بكر لما دخل الغار خرق رداءه.		٤/ ٧٢١
إنَّ إبليس لما دخل إلى آدم كلمه في حاله.	بعضهم	١/ ٣٦٩
أَن ابن عباس رأَى صبياناً يلعبون.		٦/ ٧٢٤
إنَّ أبي يتخوفني حقي.	عمر بن الخطاب	١/ ١٧٥
إِنَّ أَحبَّه إِليَّ أَحبُّه إِلى الله.	عمران بن حصين	٨/ ٥٧٧
أَن إِدريس أَول نبي من بني آدم إِلا أَنه.		٥/ ٢٨٦
أن آدم قال: أي رب.	قتادة ـ ابن عباس ـ عبيد ابن عمير	١/ ٣٧٣
أنَّ آدم قال: سبحانك اللهمَّ.	مجاهد	١/ ٣٧٣
أن آدم نزل على جبل من جبال سَرَنْديب.		١/ ٣٧٢
أَن الإِنسان إِذا أَحدث فإِن مَلَكاً يأخذ بناصيته.	ابن عمر	١٠/ ١٤٠
إن الجنَّ لا يموتون.	الحسن البصري	٨/ ٧٤٥
أن الرجلَ منهم كان يتزوج العشر.	عكرمة	٣/ ١٦
أن الريح استأذنت في أن توصل عَرف يوسف.	أبو أيوب الهوزني	٥/ ٥٣٣
أَنَّ الريح كانت ترفع العِيرَ.		٨/ ٥٠٧

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
إِنَّ السماءَ احمرَّت يوم قتل الحسين بن علي.		٨/ ٦٧٦
أن السماءَ في قطب كقطب الرَّحى.	كعب الأحبار	٨/ ١٦٧
إِن الشمس في السماءِ الرابعة.	عبد الله بن عمرو بن العاص	١٠/ ٩٤
أَن العبد إِذا بلغ أَربعين سنة ولم يتب.		٨/ ١٦٢
أَن العبد إِذا ذكر الله تعالى، وقال كلاماً طيباً.	ابن عباس	٨/ ١٣٦
إن العرب كانت تتحرج في أموال اليتامى.	ابن عباس	٣/ ١٦
إِن العمل يرفع صاحبه إِذا عثر.	قتادة	٨/ ٢٨٨
إن القرآن لم ينزل على المسيب ولا على آل المسيب.	سعد بن أبي وقاص	١/ ٥٢٠
إن الكلمات هي أن الله عز وجل قال لإبراهيم.	مجاهد	١/ ٥٥٤
إِنَّ الكهنة والمنجمين.	محمد بن إسحاق ـ ابن عباس	١/ ٣٩٤
إِن الله أَبدلني بالشعر القرآنَ خيراً منه.	لبيد	٧/ ٣٩٤
إن الله أحل وحرم.	عبيد بن عمير	٣/ ٦٤٧
إِن الله إِذا جمع الأَولين والآخرين ظَنَّ بعض الكفار.	ابن عباس ـ أبو بكر الصديق	٣/ ١٥٨، ٣/ ١٧٤
إن الله أنزل القرآن عربيّاً بلغة قريش.	عمر بن الخطاب	٥/ ٤٦٠
إن الله تعالى إنما جعلنا خلفاء.	قتادة	٥/ ١٦١

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
إن الله تعالى جعل آدم وذريته في كفة.	أبو سيار السلمي	٤/ ٢٥٠
إن الله تعالى خلق آدم وحشاً في الجنة.	ابن عباس	٣/ ٧
أن الله تعالى خلق أَلف نوع من الحيوان.	جابر بن عبد الله	٦/ ١٤
إنَّ الله تعالى سينجيكم من آل فرعون.	موسى عليه السلام	١/ ٤٠٠
أن الله تعالى عتب على موسى.	ابن الجوهري	٦/ ٥٧٧
أن الله تعالى قال له: يا آدم، إِنِّي عرضت الأَمانة على السماوات.		٨/ ٦٣
إِن الله تعالى قَبِل منا مثاقيل الذَّرّ.	سعد بن أبي وقاص	١٠/ ٣٤٨
إِن الله تعالى لما خلق آدم فرآه إبليس أجوف.	أبو قلابة	٣/ ٦٧
أن الله تعالى لما خلق الأَرض جعلت تمور.	قيس بن عباد	٦/ ٢٣
أن الله تعالى لمَّا خلق الجنة وأَتْقن حسنها.	مجاهد	٧/ ٨٩
أَن الله تعالى لمَّا خلق جنة عدن قال لها: تكلَّمي.	كعب الأحبار	٧/ ٨٩
أَنَّ الله تعالى يأْمر ملكاً بعرض أَعمال العباد.	ابن عباس	٨/ ٧١٥
إِن الله تعالى يحضر البهائم يوم القيامة.	أبو هريرة ـ عبد الله بن عمر	١٠/ ١١٠
إن الله جعل من عذاب الدنيا أَمَنتين.	أبو موسى الأشعري ـ ابن عباس	٤/ ٥٥٢
أَن الله عرض الأَمانة على هذه المخلوقات فأَبت.		٨/ ٦٤

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
أن الله عز وجل أوحى إليه أن تطهرْ فتمضمض.	أبو هريرة	١/ ٥٥٣
إن الله قد ترك لي باب التوبة.	الجلاس	٥/ ٤١
إن الله قد كان وعد نبيه أن ينزل عليه كتاباً لا يمحوه الماء.		١/ ٢٧٠
إن الله ليهلك الحُبَارَى في وُكُورها.	أبو هريرة	٦/ ٦٧
أَنَّ الله يُدخل بشفاعة رجل من هذه الأُمة.	الحسن البصري	١٠/ ٢٤
إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فأعتقها.	عمر بن الخطاب	٢/ ٥٠٤
أن المؤمن يلقاه عمله في أحسن صورة.	أبو مرزوق	٣/ ٧٣٩
إن المصحف اليوم لا يُهاج ولا يُغير.	علي بن أبي طالب	٩/ ٣٦٠
أنَّ الملائكة قالت حين خلق الله آدم.	الحسن البصري ـ قتادة	١/ ٣٥٣
أن الملائكة مقتت حكام بني إسرائيل.	علي بن أبي طالب	١/ ٥٠٧
أن الناس إذا ماتوا في النفخة الأولى.	أبو هريرة	٤/ ٢٩٦
أن أهل الأعراف يرغبون في الشفاعة.	حذيفة	٤/ ٢٧٦
أنَّ أَوَّل مَا نزل به جبريلُ.	ابن عباس	١/ ٢١٣
إن أَول ما نزل فاتحة الكتاب.	أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل	١٠/ ٣١٧
أن أَول ما نزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾.	جابر بن عبد الله	١٠/ ٣١٧

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
أن أول معصية كانت الحسد والكبر والشح.	مالك بن أنس	١/ ٣٦٢
إن بني إسرائيل قد مضوا.	عمر بن الخطاب	١/ ٤٨٠
أَنَّ تُبَّعاً كان نبيّاً.	ابن عباس	٩/ ١٣٨
الآن تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود.	علي بن أبي طالب	١/ ٦٨٧
إِن ترك الذنوب هو الدعاءُ.	الثوري	٨/ ٤٧٨
أنَّ جبريلَ أول ما جاء النبيَّ عليه السلام.	عمرو بن شرحبيل = أبو ميسرة	١/ ٢١٣
إِن جهنم لتَزْفِر زَفْرة لا يبقَى ملَك.	عبيد بن عمير	٧/ ٢٧١
إِن حقَّ الله أَثقل من أَن يقوم به العباد.	طلق بن حبيب	٥/ ٦٧٠
إن ذلك لا ينقص من عدد الخزر شيئاً.		٢/ ٥٥٨
أَنَّ رجلاً قال لجمله: حَلْ.		٩/ ١٤٢
إِن شُرَيْحاً كان مُعْجَباً بعلمه.	إبراهيم النخعي	٨/ ٢٣٨
أَن صُحُف إِبراهيم عليه السلام نزلت في أَول ليلة من رمضان.	أبو الجلد	١٠/ ٢٢٩
أَن عائشة رضي الله عنها كانت إِذا قرأَت هذه الآية تبكي.	أبو الضحى	٨/ ١١
إنَّ عليَّ أميراً لا أقطع أمراً دونه.	معاوية	٦/ ١٧٥

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
أَن علي بن أَبي طالب رضي الله عنه كان في صلاة الفجر، فناداه رجل من الخوارج بأَعلى صوته.	علي بن ربيعة	٧/ ٦٤٩
أَنَّ عليَّ بن أَبي طالب رضي الله عنه كان يستفيد علم الفتن والحروب.		٨/ ٥٤٨
أَن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشترى من صفوان بن أُمية داراً.	عمر بن الخطاب	٧/ ٣٥
إِنَّ فرعون وقومه تذاكروا وعد الله لإبراهيم.	ابن عباس	١/ ٣٩٥
إن فم الذُّبَّان قتل لطيم الشيطان.	عبد الله بن الزبير	٤/ ١٣٣
إِن في التوراة: من حفر حفرة لأَخيه وقع فيها.	كعب الأحبار	٨/ ١٦٩
أَنَّ في جهنَّم وادياً اسمه ويْلٌ.		٨/ ٦٩٦
إِنَّ في هيئة اليد بالميزان عظةً.	الواعظ أبو الفضل بن الجوهري	٦/ ٢٠٤
إن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأحلم الناس.	عمرو بن العاصي	٣/ ٥٩٢
إِن كان محمد قد قتل فإِنه قد بَلَّغَ، فقاتِلُوا عن دينكم.	الأنصاري	٢/ ٦٢٩
إِنَّ كُلَّ مؤدبٍ يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى أَدَبُهُ.	ابن مسعود	١/ ١٤٦
إن كل نبي أراد الله هلاك قومه.	الحسن البصري	٤/ ٣٢٩
إن لـ: سبحان الله، والحمد لله.	كعب الأحبار	٨/ ١٣٦

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
أَن لجهنم سواحل فيها هذه الحيَّات.	عبد الله بن عمرو بن العاص	٦/ ٩٩
إن لم يكونوا الحرورية وأنواع الخوارج.	قتادة	٢/ ٣٢٢
إِن له والله لحلاوة.	الوليد بن المغيرة	١٠/ ١٤
إن متعة النساء ومتعة الحج خاصتان.	أبو ذر	١/ ٧١٥
أَنَّ مُصَلَّى آل داود لم يَخْل قَط من قائم يصلي.	ثابت البناني	٨/ ٨٣
إِن معاذ بن جبل كان أُمَّة قانتاً.	ابن مسعود	٦/ ١٣٤
إِنَّ من أحب أهل الخير نال من بركتهم.	أبو الفضل بن الجوهري	٦/ ٣٣٥
إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعةِ أَنْ يُبْسَطَ الْقَوْلُ.	عبد الله بن عمرو	١/ ١٤٩
إِنَّ من الناس شياطين.	قتادة	١٠/ ٤٢٤
إن من أوتي من العلم ما لم يُبْكِه.	التيمي	٦/ ٣٠٢
أَنَّ موسى عليه السلام أوحي إليه أن يسري من مصر.		١/ ٣٩٦
إِنَّ موسى عليه السلام كان مع السبعين في المناجاة.		٦/ ٦٣٢
أَن نوحاً عليه السلام أَول رسول إِلى الناس.	أنس	٥/ ٢٨٦
أَنَّ نوحاً هو أَوَّل من أَتى بتحريم البنات والأُمهات.		٨/ ٥٥٦

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
إِنَّ هذا والذي جاءَ به موسى لَيَخْرُج.	النجاشي	٥/ ٢٧٩
إن هذه الذنوب جراحات.	ابن مسعود ـ سلمان	٤/ ٢١
الآن يا ربِّ حين زينتها لنا.	عمر بن الخطاب	٢/ ٣٣٩
إِنَّ، ورَاكِبَهَا.	عبد الله بن الزبير	٦/ ٦٠٠
أنا استنبطته ببحثي وسؤالي.	عمر بن الخطاب	٣/ ٢٣٥
أنا أصبتك، وأنا عروة بن الزبير.	عروة بن الزبير	٣/ ٥٢٨
أنا التي زَوَّجني الله من فوق سبع سماوات.	زينب	٨/ ٢١
أَنا أَول من يجثو يوم القيامة للخصومة.	علي بن أبي طالب	٧/ ٢٧، ٨/ ٣٩٨
أنا فتئتكم أيها المسلمون.	عمر	٤/ ٥٢٤
أنا فطرتُها.	أعرابي	١/ ١٧٤
إِنَّا قد نُهينا عن التَّجسُّس.	ابن مسعود	٩/ ١١٥
إِنَّا قرأْناهُ في كتاب الله.	عمر بن الخطاب	٧/ ١٥٦
إنا لنجد ابن آدم القاتل يقاسم أهل النار.	عبد الله بن عمرو	٣/ ٤٨١
إِنَّا لنخشى الله وما نَسْقُط.	ابن عمر	٨/ ٣٩٣
إِنا لنكشِّر في وجوه قوم وإِن قلوبنا لتقليهم.	أبو الدرداء	٩/ ٧٤١
أَنا مرصاد الهمم.		٨/ ٤٥٠
إِنَّا معشر العرب أَقْرى الناس لضيف.	سيبويه	٧/ ٤١٠

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
أَنا ممَّن لا يُعرف أَبوه.	أبو بكرة	٧/ ٧١٩
أنا ممن يعلم تأويله.	ابن عباس	٢/ ٣٢٣
إنَّا مَن تعلمون وأبناء سبيل.	الأحوص	٤/ ٧٢٧
أنا من ذلك القليل.	ابن عباس	٦/ ٣٤٦
أنت أفظُّ وأغلظُ من رسول الله.	سعد بن أبي وقاص	٢/ ٦٧١، ٥/ ٣٨
أنت الهيثم الذي تزين القرآن بصوتك.	الهيثم الفارسي	٨/ ١٣٠
أَنت لي صديق فما هذا الاستئذان؟	قتادة	٧/ ٢٥٦
أَنت والله يا أَبت الذليل.	عبد الله بن عبد الله بن أبي	٩/ ٥٤٢
انتهى السلام إلى البركة.	ابن عمر ـ ابن عباس	٣/ ٢٤١
انتهينا، انتهينا.	عمر بن الخطاب	٢/ ٢٣
أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة.	ابن عباس	١/ ٦٧٤
أنزل عليهم القرآن ليعملوا به.	ابن مسعود	١/ ١٥٢
أُنْزِلَ في هذا القرآن كلُّ علم.	ابن مسعود	٦/ ١٠٠
أَنشدك الله أنا منهم؟	عمر بن الخطاب	٥/ ٥٥
الأنعام من نجائب القرآن.	عمر بن الخطاب	٣/ ٦٩٤
إِنك لا تطيق ذلك أَنت ولا ابن الزبير.	عبد الله بن عمر	٥/ ٢١٠
إِنك لم تتق الله تعالى.	ابن عباس	٩/ ٥٦٦

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
إنَّكم اتَّخذتم قراءةَ القرآنِ مراحلَ.	الحسن البصري	١/ ١٥٢
إنما الرفث ما كان عند النساء.	ابن عباس	١/ ٧٢٣
إِنما العالم من يخشى الله.	مجاهد ـ الشعبي	٨/ ١٥١
إِنما القلب مضغة في جوف ابن آدم.	ابن زيد	٩/ ١٨١
إنما تأخذ كرجل من المسلمين.	عمر	٥/ ١٠
إِنما قصَّر بنا عن علم ما جهلنا.	عمر بن عبد العزيز	٧/ ٦٠٣
إنما نزلت الرخصة ونحن جياع.	أنس بن مالك	١/ ٦٦٦
إنما هو ذو بطنِ بنتِ خارجةَ.	أبو بكر بن الصديق	٢/ ٥٧٧، ٥/ ٢٦٤، ٨/ ١٦٥، ٩/ ٣٩٥
إنما هو للمُهْلةِ.	أبو بكر الصديق	٦/ ٣٦٥
إِنما يُضرب بالكثيف الذي يستر.		٧/ ٢٠٩
أنه اختـتن وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم.	أبو هريرة	١/ ٥٥٤
أنه أخذ قوماً يشربون الخمر.	عمر بن عبد العزيز	٣/ ٣٤٣
إنه الشرك يا أمير المؤمنين.	أبي بن كعب	٤/ ٥٩
أنه أمر المحرمين بقتل الحيات.	عمر بن الخطاب	٣/ ٦٢١
إِنه بلغني أَن نساءَ أَهل الذمة يدخلن الحمامات.	عمر بن الخطاب	٧/ ٢١٠

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
إنه صيد عام أول.	علي بن أبي طالب	٣/ ٦٣٦
أَنَّه كان يردِّدها ليلة جمعاءَ.	الربيع بن خثيم	٨/ ٧٠٦
إنَّه كان يعرف تفسيرَ قوله تعالى.	علي بن أبي طالب	١/ ١٥٦
أنه كان يقطع اليد من الأصابع.	علي بن أبي طالب	٣/ ٤٩٣
أنه مرت به امرأة لها شارة.	عبد الله بن عمر	٣/ ٢٤
إِنَّه منك لقريب، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ﴾.	أبو عمرو بن العلاء	٨/ ٥٣٣
إنه يشغلني عن قراءة القرآن.	ابن مسعود	١/ ١٤٧
إِنها المبادرة يا ابن أخي.	بعض الصالحين	٢/ ٥٦٦
إنها مما أُهل به لغير الله.	علي بن أبي طالب	١/ ٦٣٦
أنهم قرؤوا: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ بألف.	ابن المسيب	١/ ٢٣٥
إنهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية.	علي بن أبي طالب	٣/ ٤٢٨
إِنَّهن من العِتاق الأولِ.	ابن مسعود	٦/ ١٤٥
إِنِّي أَجد في كتاب الله تعالى قوماً يُسحبون في النَّار.	ابن عباس	٩/ ٣٠٢
إني قد رأيت ألا أتزوج يومي.	عثمان بن عفان	٥/ ٣٨٣
إِنِّي قرأْتُ هذه الآية البارحة ففزعت منها.	عمر بن الخطاب	٨/ ٥٤
إِنِّي لا أُحلِّل ما حرَّم الله.	ابن سيرين	٩/ ١١٦
إِنِّي لا أُقيد مِن وزعة الله تعالى.	أبو بكر الصديق	٨/ ٥١٢

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
إِنِّي لأُحِبُّ أَن يغفر الله لي.	أبو بكر الصديق	٧/ ١٩٤
إني لأحدثكم حديثاً، ولولا آية في كتاب الله ما حدَّثتُكموه.	أبو هريرة	٢/ ٧٢١
إِني لأَدِلُّ عليك بثلاثٍ.	زينب بنت جحش	٨/ ٢٢
إِني لأَرجو أَن أَكون أَنا وطلحة والزبير.	علي بن أبي طالب	٥/ ٧٢٣
إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير.	علي بن أبي طالب	٤/ ٢٦٣
إني لأرى رؤوساً قد أينعت.	الحجاج بن يوسف الثقفي	٤/ ٩٠
إِنِّي لأَعُدُّ عُراق قِدْرِي مخافةَ الظَّنِّ.	سلمان الفارسي	٩/ ١١٣
إِني لما طرحت إِصبعي في أذن القدح.	أبو سليمان الداراني	٢/ ٧٣١
إني نُزِّلتُ من مال الله منزلةَ والي اليتيم.	عمر بن الخطاب	٣/ ٣٠
أَهل النار يقولون: إِنما نال أَهلُ الجنة.	محمد بن كعب	٥/ ٦٥٢
أهلك ولا نعلم إلا خيراً.	أسامة بن زيد	٥/ ٤٨١
أهلكتْهُم العُجمةُ.	الحسن البصري	١/ ١٥٨
أهونها موجوداً وأعزها مفقوداً.	الشعبي	٤/ ٢٧٧
أَوَ تقولُ أَنت ذلك يا أَعور.	ابن مسعود	٩/ ١١٠
أَوَ كُلَّما اشتهى أَحدكم شيئاً اشتراه فأَكله؟	عمر	٨/ ٧٤٧
أَوْ لأُوْجِعَنَّ مَتْنَك.	عمر بن الخطاب	٧/ ١٥٨

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
أو ما حفظته؟	الشعبي	٣/ ٤١٦
أوص لي بمصحفك.	عزرة بن ثابت	١/ ٦٥٨
أَول أَرذل العمر خمسٌ وسبعون سنة.	علي بن أبي طالب	٦/ ٧٨
أول أمر الصلاة أنها فرضت بمكة ركعتين.	إبراهيم بن إسحاق	١/ ٥٨٤
أول ما نسخ من القرآن القبلة.	ابن عباس	١/ ٥٨٣
أَول من استراح في الخطبة عثمان رضي الله عنه.	عطاء	٩/ ٥٣٢
أَول من خطب جالساً معاوية رضي الله عنه.	الشعبي	٩/ ٥٣٢
أَوْلَى لَكَ.	أبو بكر	٩/ ٢٦
أيُّ الطير أشدّ خلقةً.	عيسى عليه السلام	٢/ ٤٢٥
أَيُّ الناس شرٌّ؟	لقمان الحكيم	٧/ ٦٥٨
أَي جمع يهزم.	عمر بن الخطاب	٩/ ٢٩٩
أيْ سراقةُ، تزعم أنك لنا جار؟	ابن عباس	٤/ ٥٩٣
أَيُّ عذاب أَشد من العمى وضرب الحدِّ؟	عائشة	٧/ ١٨٤
إياك أعني.	أعرابي	١/ ٢٤٢
إياكم وهذه المجازرَ.	عمر بن الخطاب	٢/ ٥٠٩
أَيتوعدني محمد.	أبو جهل	١٠/ ٣١٩
أَيُسَبِّح هذا الخوان يا أبا سعيد؟	يزيد الرقاشي	٦/ ٢١٤

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
أيكم يحفظ سورة التوبة.	أبو بكر الصديق	٤/ ٧٢٢
أين جهنم.	علي بن أبي طالب	٩/ ٢٠٦
أَين ربك يا أَعرابي.	عثمان	١٠/ ٢٥٣
أين عقولكم؟	أبو بكر الصديق	٦/ ٢٣٧
أين ناقتي؟		٣/ ٦٤٩
أَيها الناس رُدُّوا الجهالات إِلى السنة.	عمر بن الخطاب	٢/ ٩٥
أيها الناس، لا تغتروا بقول الله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾.	أبو بكر الصديق	٣/ ٦٥٥
بئس ما قلت، إنما العليم الله.	ابن عباس	٥/ ٥٠٩
بحسبك من الثقلاءِ أَن الشرع لم يحتملهم.	ابن عائشة	٨/ ٤٥
بدءوا فنقطوا.	قتادة	١/ ١٨٦
بدأَ الله خلق السماوات والأَرض يوم الأَحد.	كعب الأحبار	٥/ ٢٦٧
البسملة تيجان السور.	جعفر بن محمد الصادق	١/ ٢٠٩
بشر أصحاب الكنوز بكيٍّ في جباهم.	الأحنف بن قيس	٤/ ٧٠٦
بعث القوم للقيامة وربِّ الكعبة.	أعرابي	١٠/ ٣٦٦
بعث الله رسولاً من الحبشة أَسود.	ابن عباس ـ علي بن أبي طالب	٨/ ٤٨٧

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
بل هو من عند خليلي الله تعالى.	ابن عباس	٣/ ٣٢٤
بلغنا أَنَّه من قرأ سورة ﴿يس﴾ ليلاً.	يحيى بن أبي كثير	٨/ ١٧٤
بلغنا أنها ـ سورة التوبة ـ كانت نحو سورة البقرة.	مالك	٤/ ٦٤٣
بلغني أَن أَحدث القرآن بالعرش آية الدَّيْن.	سعيد بن المسيب	٢/ ٢٦٠
بَلَغَنِي أنَّ تِلْكَ السَّبْعَةَ الأحْرُفَ.	الزهري	١/ ١٦٥
بلغني أنه كان يعبد البقر.	سليمان التيمي	٤/ ٣٥٩
بلى، ولكني أكثِّرُ المسلمين بنفسي.	عبد الله بن أم مكتوم	٢/ ٦٨٩
بِمَ نفتتح صلاتَنا؟	أبو هريرة	١٠/ ٦
بيننا وبين هؤلاءِ القوم الذين يصرعون عند قراءَة القرآن.	ابن سيرين	٨/ ٣٩٣
التّائب من كسر شبابه على رأْسه.	يحيى بن معاذ	٨/ ٥٧١
تُبْ واتَّبع سبيل الله.	بعض الصالحين	٨/ ٤٣٩
تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً.	عبادة بن الصامت	٨/ ٨
تزقَّموا فإِنَّ الزقوم.	السدي	٨/ ٦٨٣
تعال أفاتحك.	بنت ذي يزن	٤/ ٣٣٠
تَعِسَ مِسْطَح.	أم مسطح	٩/ ١٤

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
تعلَّمها (سورة البقرة) بفقهها وجميع ما تحتوي عليه من العلوم في ثمانية أعوام.	عبد الله بن عمر	١/ ٢٦٥
تفكَّروا في كل شيءٍ.	ابن عباس	١٠/ ٤١٣
تقدم يوسف يعقوب في المشي.	أبو عمرو الشيباني	٥/ ٥٤١
التمسوا الغنى في النكاح.	ابن مسعود	٧/ ٢١٤
التوبة إذا توافت شروطها.	أبو الحسن الأشعري	٩/ ٥٩٣
التوبة النَّصوحُ: هي أَن يتوب.	عمر بن الخطاب	٩/ ٥٩٣
التَّوبةُ: العزمُ على ترك الذنوب.	سري السقطي	٨/ ٥٧١
ثلاث لو بينها رسول الله كان أحب إليّ من الدنيا.	عمر بن الخطاب	٣/ ٣٨٠
ثم عزم الله لي.	أم سلمة	٢/ ٦٧٦
جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين.	ابن عباس	٤/ ٥٩١
جَرسَتْ نَحلُهُ الْعُرْفُط.	زينب	٦/ ٧٧
جزع محمد بن المنكدر عند الموت.	عكرمة بن عمار	٨/ ٤٠٩
جعل الله طعامك وشرابك.	بعضهم	٦/ ٧٨
جعلتموها هِرَقْلِيَّة.	عبد الرحمن بن أبي بكر	٨/ ٧٤١
جملي هذا أَعجم.	عبد الله بن مطيع	٧/ ٣٨٤
جنود الله في السَّماءِ الملائكة.	ابن المبارك	٩/ ٥٤

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
الحجر الذي ارتفع عليه إبراهيم.	ابن عباس ـ قتادة	١/ ٥٥٨
حرق أبو بكر الصديق رضي الله عنه رجلاً يسمى الفجاءة.		٤/ ٣٢٠
حرم الله الربا ليتقارض الناس.	جعفر بن محمد الصادق	٢/ ٢٤٦
حُرِّم من النَّسب سبع.	ابن عباس	٣/ ٨٧، ٧/ ٣٠٥
حَسْبي، لا أُبالي أَلا أَسمع غيرها.	صعصعة ابن عقال التميمي	١٠/ ٣٤٨
الحسنة بين سيئتين.	عمر بن عبد العزيز	٧/ ٣١٩
حصِّبوا المسجد.	عمر بن الخطاب	٩/ ٢٩٦
حق وافق هوى.	عمر بن عبد العزيز	٣/ ٥٣٦
الحمد لله الذي ضاعف لنا إلى سبع مئة.	عمر	٩/ ٤٢٧
الحمد لله الذي قال: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.	عطاء بن دينار	٢/ ١٥٦
حَمَلْتُ على فرس عتيق.	عمر بن الخطاب	٧/ ٤٧
حيث يكون أكثر فهو منه.	عطاء بن أبي رباح	٣/ ٦٣٩
حين أنبأ الملائكةَ بالأسماء.	ابن عباس	١/ ٣٦٤
خذ سيفي وارفع به عن العظم.	دريد بن الصمة	٤/ ٥٢٠
خُذ ما وعدك الله في الدنيا.	عمر بن الخطاب	٦/ ٤٩
خذه بأَمانة الله.	شيبة بن عثمان	٣/ ١٩٩

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
خذوها والتزموها.	موسى عليه السلام	١/ ٤٣٥
خزائن السماءِ الغيوب.	الجنيد	٩/ ٥٤٢
خلق الله ملائكة أَمرهم بالسجود لآدم فأَبوا.	ابن عباس	٥/ ٧١٦
خُلُقُهُ القرآن.	عائشة	٩/ ٦٢٤
خمس آيات من سورة النساء هي أَحبُّ إِليَّ من الدنيا جميعاً.	ابن مسعود	٣/ ١٢٦
دخل الجنة في فم الحية.	بعضهم	١/ ٣٦٩
دعوتني إلى خير فأجبت إليه.	مالك	٢/ ٥٦٦
دفن ابن مسعود قَملة في المسجد.		١٠/ ٨١
الدنيا بين يَدَيْ ملَك الموت.	مجاهد	٧/ ٦٩٥
دواءُ من أَصابته العين أَن يقرأَ هذه الآية.	الحسن البصري	٩/ ٦٤٨
الدين كلُّه أَمانة.	الحسن البصري	٩/ ٦٨٩
ذاك العاصي بنُ وائل، لا جزاه الله خيرا.	عمر	٤/ ٧٤٣
ذاكَ الوازع.	أبو بكر الصديق	٧/ ٤١٢
ذُقْ عَقَق.	أبو سفيان بن حرب	٣/ ٦٣٢، ٧/ ٥٩٥
ذلك الوازع.	أبو بكر الصديق	٨/ ٥١٢
ذِمَّتي رهينة، وأَنا به زعيم.	علي بن أبي طالب	٨/ ٣٨٩

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
الذي يعمل العمل لله تعالى.	عيسى عليه السلام	١٠/ ٣٣٧
الَّذي يقرأُ ولا يفسّرُ كالأعرابيِّ.	ابن عباس	١/ ١٥٧
راعي ضأن، والله.	دريد بن الصمة	١/ ٦٣١
الرأي أن تلقيا رسول الله ﷺ في الحفل.	علي رضي الله عنه	٥/ ٥٣١
رأيت البلايا تحمل المنايا.	عمير بن وهب	٢/ ٦٢٥
رأيتُ الدخان يخرج منه.	جابر بن عبد الله	٥/ ١٠٤
رأَيت النبي ﷺ يقرأُ هذه الآية خاتمة النُّور.	عقبة بن عامر	٧/ ٢٦٢
رأيت قائل هذه المقالة وديعة متعلقاً.	عبد الله بن عمر	٥/ ٢٧
رأَيْت قَرْنَيْ كبش إِبراهيم.	الشعبي	٨/ ٢٧٩
رأيت مسجد المنافقين.	خلف بن ياسين	٥/ ١٠٤
رأَيتني في النوم وأنا أَكتب سورة (ص).	أبو سعيد الخدري	٨/ ٣٢٧
ربِّ أمرتني فأطعتك.	ابن مسعود	٢/ ٣٥١
الرباني: الذي يربِّي الناس بصغار العلم.		٢/ ٤٨٢
رَحَلَ مَسْرُوقٌ إِلَى البَصْرَةِ في تفسيرِ آيةٍ.	الشعبي	١/ ١٥٧
رحم الله عبداً تدبر هذه الآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ ..﴾.	بعض العلماء	٣/ ٧٥٧
رحم الله المهاجرات الأُول.	عائشة	٧/ ٢٠٩
رحم الله تعالى امرأً رقد إِذا نعس.	بعض التابعين	٩/ ١٧٧

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
رحم الله رجلاً استغفر لأبي هريرة.	أبو هريرة	٥/ ١١٧
رحم الله صُهيباً، لو لم يخَفِ اللهَ لم يعصِه.	عمر بن الخطاب	٢/ ٦١١
ردوا عليَّ أبي.	العباس بن عبد المطلب	١/ ٥٧٤
الرزق ما وقع الاغتذاءُ به.	أبو منصور الماتريدي	٦/ ٨٥
رِضَا العباد عن الله تعالى: رضاهم بما يَرِدُ من أَحكامه.	بعض الصالحين	١٠/ ٣٤٠
الرضا عن الله تعالى: خروج الكراهية من القلب.	أبو بكر بن طاهر	١٠/ ٣٤٠
زبور داود مواعظ وحِكَم.	قتادة	٦/ ٢٢٨
زعم ابن رومان أنهم كانوا يأخذ الرجل خيطاً.	مالك	٤/ ٤٢٢
الزَّعْم كنية الكذب.	عبد الله بن عمر	٩/ ٥٥١
زوِّجوا فلاناً فإني قد وعدته.	عمرو بن العاص	٥/ ٤٤
زوجي العَشَنَّق، إنْ أَنْطِقْ أُطلَّق.		٣/ ٣٣٣
زوجي كليلِ تِهامةَ.	عائشة	٢/ ٢٠٩
سَابِقكم سابقٌ.	عمر بن الخطاب	١/ ١٤٤
سُبَّاق الأُمم ثلاثة لم يكفروا بالله قطُّ طرفة عين.	ابن أبي ليلى	٨/ ١٨٩
سبحان الله، والله ما كشفت كَنف أنثى قط.	صفوان بن المعطل	٧/ ١٨٢

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
سِتْر ما لو رآك الناس عليه لقتلوك.		٧/ ٦٧٢
سرعة المشي تذهب بهاءَ الوجه.	الزهري	٧/ ٣١٤
سلْ سؤال تعلُّم، ولا تسأَل سؤال تعنيت.	علي بن أبي طالب	٩/ ١٧١
سَلُوا عما شئتم.	علي بن أبي طالب	٦/ ١٦٨
سلُوني، فإني ليِّن القلب.	قتادة	٦/ ٥٠١
سمعت أبي في الجاهلية يقول: اسقنا كأساً دِهاقاً.	ابن عباس	٢/ ٦٥٨
سمعتُ أَنَّ النّاس حين يُبعثون.	المعتمر بن سليمان عن أبيه	٨/ ٦٤٩
سُمِّي هوًى لِهُوِيِّه بصاحبه.	الشعبي	٨/ ٧٠٨
سُمِّيت أم الكتاب.	البخاري	١/ ٢٢٤
سياحة هذه الأمة الصيام.	عائشة	٥/ ١١١
سيروا، هذا التَّكلُّف.	عمر	٩/ ٦٧
شد يدك عليه فإن له أما موسرة.	مصعب بن عمير	٤/ ٦٢٨
شراءُ لَهْو الحديث استحبابُه.	مطرف	٧/ ٦٥٤
الشرك والقتل مُبهمان.	ابن عباس	٣/ ٢٦٢
شككتَ في خَيْر أَمرَيْن.	وهب بن منبه	٨/ ٧٠٨
شهد والله لي أبو الحسن.	زياد بن أبيه	٥/ ٤٨٦

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
الشيطان ذئب الإنسان.	معاذ بن جبل	٥/ ٥٥٢
صحبت ابن عباس ثلاث عشرة سنة.	أبو الجوزاء	٧/ ٣٢٥
صدق الله، وكذب الحجاج.	أنس بن مالك	٣/ ٤٤١
الصديق أَوكد من القرابة.	ابن عباس	٧/ ٢٥٦
صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر.	عمر بن الخطاب	٣/ ٢٨٦
الصلاةُ عمادُ الإِسلام.	أبو ذر الغفاري	٢/ ٥٠٥
صياح الحمير دعاءٌ على الظَّلَمة.	عطاء بن أبي رباح	٧/ ٦٧٠
صياح كل شيءٍ تسبيح.	سفيان الثوري	٧/ ٦٧٠
طعام الفاجر.	أبو الدرداء	٨/ ٦٨٣
طلبت يوم اليرموك ابن عمٍّ لي في الجرحى.	حذيفة العدوي	٩/ ٤٧١
طهِّروا بيوتكم من نسج العنكبوت.	علي بن أبي طالب	٧/ ٥٨١
طُوبَى لِمَنْ قَرَأَ كِتَابَ الله.	عيسى بن مريم	١/ ١٤٧
عبدي، أَنفق من رزقي أَبسط عليك فضلي.		٢/ ٢٢٥
عثر يوسف عليه السلام ثلاث عثرات.	ابن عباس	٥/ ٤٦٠
عجباً له، أعتقته امرأة من رياح.		١/ ٦٥٨
عجبي ممن لا يطلب الغنى بالنكاح.	عمر بن الخطاب	٧/ ٢١٤
عدِّلوا صفوفكم وأَقيموها.	عمر بن الخطاب	٨/ ٢٩٧
عَرَضَهَا عليَّ فكرهت رده.	سعد بن أبي وقاص	٢/ ١٠٥

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
عرَّقَ اللهُ وَجْهَكَ في النَّار.	سعد بن معاذ	١/ ١٩٨
عز فحكم فقطع.	أعرابي	١/ ١٩٣
عَسى من الله واجبة.	الحسن البصري	٤/ ٣٦١
عصيت ربك وبانتْ منك امرأتك ثلاثاً.	الحسن البصري	٦/ ١٨٢
علم الله أنها مني صِرِّي.	أبو السمال	٢/ ٦١٢
العلوم أَودية.	علي بن أبي طالب	٥/ ٦٢٤
على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع.	ابن مسعود	٧/ ٧٠١
عليٌّ في أَخبث جند وأَعصاه.	معاوية	٢/ ١٤٤
عليكم بالطاعة والجماعة.	ابن مسعود	٢/ ٥٣٩
عليها أَقفالها حتّى يفتحها الله ويفرجها.		٩/ ٣٠
غسل الجنابة أَمانة.	أبو الدرداء	٨/ ٦٢
غلظت علينا كدية.	جابر بن عبد الله	٥/ ١٣٣
فاحكم بيننا بكتاب الله.	أبو هريرة ـ زيد بن خالد الجهني	٨/ ٣٢٢
فأَردت أَن أُقدم بين يدي أَبي بكر مقالةً.	عمر بن الخطاب	٧/ ٢٦٦
فأَصبح ما جمعوا بُوراً.	أبو الدرداء	٩/ ٥٩
فإن الأمانة اليوم في الناس قليل.	أبو بكر الصديق	٥/ ٣٨٣

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
فأنَّ أَنّةً عِيدَ منها عشرين يوماً.	عمر بن الخطاب	١/ ١٥١
فإِني لا أُولي من لا يقرأُ القرآن.	عمر	٩/ ٥٦٧
فبات الناس يَدُوكُون أَيُّهم يُعطاها؟	عمر بن الخطاب	٦/ ٢٣٠
فتح الله أول الخلق بالحمد.	قتادة	٨/ ٤٣٠
فتركها قوم للإثم الذي فيها.	سعيد بن جبير	٤/ ٢٤٨
فجثا عمر على ركبتيه.	أنس	٨/ ٧١٤
فَحاصوا حَيْصَةَ حُمُر الوحش إِلى الأَبواب.	أبو سفيان ـ ابن عباس	٥/ ٦٥٢، ٨/ ٥٨٢، ٩/ ١٦٠
فدخل ابن عباس على عمر فجزَّعَهُ.	المسور بن مخرمة	٨/ ١٠٥
فذكَّيتها بمروة.	ابن عمر	١/ ٦٠٧
فرضَ اللهُ الصلاةَ على لسان نبيِّكم في الحضَرِ أَربعاً.	مجاهد ـ ابن عباس	٢/ ١١٨، ٣/ ٢٩٠
فرضت الصلاة ركعتين في الحضر والسفر.	عائشة	٣/ ٢٨٦
فرعون أول من صلب وقطع من خلاف.	ابن عباس	٤/ ٣٥٦
فَضَفَّرْنَا رأَسَها ثلاثةَ قُرونٍ.	أم عطية	٦/ ٤٣٦
فطار لنا من القادمين.	أم العلاء الأنصارية	٦/ ١٦٩
الفطر في السفر عَزْمَة.	ابن عباس	١/ ٦٦٦

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
فعزم الله لي.	أم سلمة	١/ ١٩٦
فقدت آيتين من آخر سورة التوبة.	زيد	٥/ ١٤٠
فَقُهَ الرَّجُلُ.	الحسن البصري	١٠/ ٣٤٩
فقيل لي: لن تُرَعْ.	عبد الله بن عمر	١/ ٣٢٣
فكان عبد الله بن عمر يشتهي أكل السكر باللوز.		٢/ ٥٠٥
فكرة ساعة خير من عبادة سنة.	سري السقطي	٢/ ٧٣١
فكرةُ ساعة خيرٌ من قيام ليلة.	ابن عباس ـ الدرداء	٢/ ٧٣٠
الفكرة مرآة المؤمن.	الحسن البصري	٢/ ٧٣٠
فكيف بسوادي في سبيل الله.	عبد الله بن أم مكتوم	٢/ ٦٨٩
فَمَا حلفت بها ذاكراً ولا آثراً.	عمر	٨/ ٧٢٣
فنحن بنوها وهي أُمُّنا.	عبد الملك بن مروان	١٠/ ٣٦٣
فهو لما سواها أَضْيَعُ.	عمر بن الخطاب	٦/ ٣٢٦
فَهوِي رسول الله ما قال أبو بكر، ولم يَهْوَ ما قلت أنا.	عمر بن الخطاب	١/ ٤٨٣، ١/ ٥٩٦، ٣/ ٥٣٦، ٣/ ٥٨٠، ٤/ ٦٢٦

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
فو الله ما زالت قدماي حتى علمت أني خُنْت الله ورسوله.	أبو لبابة بن عبد المنذر	٣/ ٥٠٩
فوالله ما جالس أَحد القرآن.	الحسن	٥/ ٥٧٢
في القرآن أربعة أوراد.	ابن عباس	٥/ ٣٧٨
في القيامة ساعة قدر عشر سنين.	سلمان الفارسي	٨/ ٧١٤
فيم يختصمون؟	جماعة من الصحابة	٨/ ٣٥٦
فينا والله أهل بدر نزلت.	علي بن أبي طالب	٤/ ٢٦٣
قاتل الله القدرية.	محمد بن كعب القرظي	٤/ ٢٠٩
قاتل الله كُثَيِّراً، كأَنه.	عبد الملك بن مروان	١٠/ ١٤
قال الحسن بن علي في خطبته في شأن بيعته لمعاوية.		٦/ ٢٣٦
قالوا لوالدهم كلمة غليظة.	قتادة	٥/ ٥٣٥
قد أَخبرتك كيف قرأْناها، وكيف نسخت.	البراء بن عازب	٢/ ١١٢
قد استُخلفت يا ابن الخطاب.	عمر بن الخطاب	٥/ ١٦٢
قد استخلفت يا ابن أم عمر.	عمر بن الخطاب	٥/ ١٦٢
قد أَقام الدهرُ صَعْري.	أعرابي	٧/ ٦٦٧
قد أُلنا وإيل علينا.	عمر بن الخطاب	٤/ ٦٦٠
قد أمَّرته عليكم حتى ترجعوا.	عمر بن الخطاب	٣/ ٦٣٨

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
قد حَجَجْتُ واعتمرتُ.	سودة	٨/ ١١
قد علمنا ذلك اليوم.	عمر بن الخطاب	٣/ ٤١٦
قد قال تعالى لأَصحاب محمد ﷺ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾.	قتادة	٩/ ١٠٤
قرأْتُ على عاصم بن أَبي النجود، فلما ختمتُ.	صالح بن مينا	٨/ ٣٠٠
الْقُرْآنَ حُجَّةٌ عَلَى أَهْلِ الدَّهْرِ الثَّانِي.	جعفر الصادق	١/ ١٤١
قصة صلب عيسى عليه السلام.		٣/ ٣٦٠
قل الحمد لله يا آدم.	أبو هريرة	٤/ ٢١٨
قل للعاصين لا يذكروني.	أبو سليمان الداراني	١/ ٦٠٢
قم يا علي فأدِّ رسالة رسول الله ﷺ.	أبو بكر	٤/ ٦٥١
قمت حتى انقطع سوائي.	عيسى بن عمر الثقفي	٣/ ٥٦٥
قولُ العبد المذنب للسيد الفَظّ.	سعيد بن المسيب	٦/ ١٨٥
قولوا: نعلم، أَو لا نعلم.	عمر بن الخطاب	٢/ ٢١٣
قولي: ادْخُلْ.	عبد الله بن عمر	٧/ ٢٠٢
كاتبهُ أَو لأَضربنَّك بالدِّرَّة.	عمر بن الخطاب	٧/ ٢١٦
كاد أعداءُ الله أن يقيموا علينا الساعة.	محمد بن كعب القرظي	٦/ ٥٥٩
كاد الْجُعَل أَن يهلك بذنوب بني آدم.	بعض العلماء	٦/ ٦٧

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
كان إبليس لعنه الله قد أعجب ودخله الكبر.	ابن عباس	١/ ٣٤٧
كان إبليس من أشرف صنف.	ابن عباس	٦/ ٣٨٩
كان ابن عباس لا يعلمها.	سعيد بن جبير	٣/ ١٠٠
كان أَبو بكر رضي الله عنه إِذا خطبنا ذكر مَنَاتِنَ ابنِ آدم.	أنس	٩/ ٦٩٣
كان آخر ما أُنزل من القرآن آية الربا.	عمر بن الخطاب	٢/ ٢٦٠
كان إخوتي من المهاجرين يشغلهم.	أبو هريرة	٤/ ٦٦٢
كان إِذا فرغ من قراءَة هذه السورة قال: آمين ـ البقرة ـ.	معاذ بن جبل	٢/ ٣٠٣
كان أصحاب الرسول ﷺ تدمع أعينهم.	أسماء بنت أبي بكر	٨/ ٣٩٢
كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون الصوت عند ثلاث.	قيس بن عباد	٤/ ٥٨٦
كان الأحبار يأمرون أتباعهم.	ابن عباس	١/ ٣٨٦
كان الأحبار يحضون الناس على طاعة الله.	ابن جريج	١/ ٣٨٧
كان الحواريون أعرف بالله.	عائشة	٣/ ٦٨٠
كان الرجل إِذا قرأَ البقرة وآل عمران جَدَّ في أَعيننا.	أنس	٩/ ٧١٤
كان الرجل إِذا هم بصدقة تَثَبَّت.	الحسن البصري	٢/ ٢٠٩

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
كان الرحمن فلما اختزل وسمي به.	عطاء بن أبي مسلم الخراساني	١/ ٢٢١
كان العرش على الماءِ.	ابن عباس	٥/ ٢٦٧
كان بنو إسرائيل إِذا أَصاب أَحدُهم ذنباً أَصبح.	ابن مسعود	٣/ ٣٠٧
كان بين خروج يوسف عن يعقوب.	الحسن البصري	٥/ ٥٢٣
كان بين زمن موسى وبين زمن نوح.	ابن عباس	٥/ ٦٣٨
كان تُبَّع نبيّاً.	ابن عباس	٨/ ٦٨١
كان رَازُ سفينة نوح عليه السلام جبريل عليه السلام.		٥/ ٣٠١
كان رجل من النصارى بالمدينة، فكان إذا سمع المؤذن.	السدي	٣/ ٥٥٥
كان عامة العرب لا يعدون الصفا والمروة من الشعائر.	ابن الكلبي	٣/ ٣٩٢
كان عبد الله بن حكيم لا يربط كيسه.		٩/ ٦٨٤
كان علي بن أبي طالب يثني على تفسير ابنِ عباس.		١/ ١٦٠
كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يوقظ أَهل داره لصلاة اللَّيل.		٦/ ٦٥٢
كان عمر خيراً مني.	ابن عمر	٣/ ٦٣٧

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
كان عمر رضي الله عنه إِذا رأَى أَمَةً قد تقنَّعت.		٨/ ٥٦
كان فرعون يُعْبَدُ ولا يَعْبُد.	ابن عباس	٤/ ٣٥٩
كان في الأرض ملائكة يعبدون الله قبل بني آدم.		٣/ ٣٣٦
كان لفرعون حنانة معلقة في نحره.	الحسن البصري	٤/ ٣٥٩
كان يقال: التوبة مبسوطة.	إبراهيم النخعي	٣/ ٦٧
كان يقال: انتظروا القضاءَ في شهر رمضان.	هلال بن يساف	٨/ ٦٦٣
كانت الأَنبياءُ تذنب فَتُعَاقَب.	الحسن البصري	٧/ ٤٠٥
كانت الجن قبل بني آدم في الأرض.	ابن عباس	١/ ٣٤٣
كانت الصحابة إذا رأوا حذيفة تأخر عن الصلاة.	هبيرة	٥/ ٥٥
كانت تدعى: المبعثِرة.	الحارث بن يزيد	٤/ ٦٤١
كانت لي شارفٌ من نصيبي.	علي بن أبي طالب	٤/ ٥٦٩
كانوا إِذا سمعوا الرَّعد قالوا.	علي بن أبي طالب	٥/ ٥٩١
الكبائر سبع.	عبيد بن عمير	٣/ ١٢٣
الكبائر من أَوَّل سورة النّساءِ إِلى رأْس ثلاثين آية.	ابن مسعود	٨/ ٥٨٢

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
الكبائر: كل ما ورد عليه وعيد.	ابن عباس	٣/ ١٢٤
كتبت حتى انقطع سوائي.	عيسى بن عمر	١/ ٥٢٨
كذب كعب الأحبار.	عبد الله بن سلام	٢/ ٥٨٨
الكذب لا يصلح منه جدٌّ ولا هزل.	ابن مسعود	٥/ ١٢٨
كذبوا والله، ما نزل فينا من القرآن شيء إلا براءتي.	عائشة	٤/ ٤٠، ٨/ ٧٤٢
كره إِبراهيم النَّخَعي أَن يقول الرجل: لعمري.		٥/ ٧٣٩
كفى بالمرءِ سرفاً.	عمر بن الخطاب	٧/ ٣١٩
كفى بالمرءِ علماً أَن يخشى الله.	مسروق	٨/ ١٥١
كفى بخشية الله علماً.	ابن مسعود	٨/ ١٥١
كلُّ القرآن أعلمه إلَّا: الحَنَان.	ابن عباس	٦/ ٣٢٠
كلُّ الناس أفقه منك يا عمر.	عمر بن الخطاب	٣/ ٧٩، ٨/ ٨٤
كل خير في كتاب الله فهو المال.	عكرمة	٢/ ٢٣٦
كلُّ سورة يذكر فيها القتال فهي مُحْكمة.	قتادة	٩/ ٢٥
كلُّ شيءٍ أُوتي نَبِيُّكُم إِلَّا مفاتيح الخمس.	ابن مسعود	٧/ ٦٨٤
كل صاحب بدعة أو فرية ذليل.	سفيان بن عيينة ـ أبو قلابة	٤/ ٤٠١
كل فسق في القرآن فمعناه: الكذب.	ابن زيد	٣/ ٧٦٠
كل ما نهى الله عنه فهو كبير.	ابن عباس	٣/ ١٢٤

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
كلْ من الهنيء المريء.		٣/ ٢٣
كل من سلم عليك من خلق الله.	ابن عباس	٣/ ٢٤٢
الكلمات عشر خصال.	ابن عباس ـ قتادة	١/ ٥٥٣
كم من مُسْتَدْرج بالإِحسان إِليه.	الحسن البصري	٩/ ٦٤٥
كما يرزقهم في حال واحدة.	علي بن أبي طالب	١/ ٧٣٥، ٤/ ٢٤، ٥/ ٦٨٨
كُنَّا جلوساً عند رسول الله ﷺ حين نزلت سورة الجمعة.	أبو هريرة	٩/ ٥٢١
كنا لا نتوضأ من موطئ.	ابن مسعود	٥/ ١٢٩
كنا لا نرى الرجم بالنجوم.	أبو رجاء العطاردي	٥/ ٧٠٣
كنا نتحدث أَن الشهيد يشفع في سبعين.	الحسن البصري ـ قتادة	٦/ ٥٥٦، ١٠/ ٢٤
كنا نتحدث أَن عدة أَهل بدر.	البراء بن عازب	٢/ ١٤٦
كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت.	زيد بن أرقم	٢/ ١١٤
كنَّا نحدث أَنَّ الَّذي إِذا قام من مجلسه.	عبيد بن عمير	٩/ ١٥٧
كنا ندعوها: المقشقشة.	ابن عمر	٤/ ٦٤١
كنا نرى ونحن مع نبينا.	ابن مسعود	٢/ ٤٧٥
كنا نقرأ: لا تَرْغَبُوا عَنْ آبائِكُمْ.	أبو بكر الصديق	١/ ٥١٦

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
كنت أتكلم في الكسِائي وأقع فيه.	أبو عمرو الداني	١/ ١٤٨
كنت أَرى عليّاً في النوم.	إبراهيم بن المهدي	٧/ ٣١٦
كنت أكتب حتى نزلت: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾.	زيد بن ثابت	٤/ ٢٠٠
كنت بائتاً في مسجد الإِقدام بمصر.	بعض علماء المشرق	٢/ ٧٣١
كنت في بعض خلواتي.	علي بن الحسين	٧/ ٤٦٧
الكهف ومريم وطه والأنبياء من العتاق الأُول.	عبد الله بن مسعود	٦/ ٦٥٧
كيف تقرأُ هذه الآية؟	عمر	٨/ ٥٥
لَئِن شهدتُ مع رسول الله ﷺ مشهداً.	أنس بن النضر	٧/ ٧٤٥
لئن ظننتَ أَن سلامك يثقل على من أَنفقت عليه.	زيد بن أسلم	٢/ ٢٠٤
لا أحب أن أصلي فيه.	شقيق	٥/ ٩٤
لا إخاله.	ابن عمر	٢/ ٤٦٩
لا أَزعم أَنها حرام، ولكني أَخاف أَن.	عمر بن الخطاب	٢/ ٣٠
لا آكل سمناً حتى يحيا الناس.	عمر بن الخطاب	٢/ ٦٨١
لا أَمسُّ المصحف، ولكن أَقرأُ القرآن.	سلمان	٩/ ٣٨٠
لا بُدَّ للحاكم.	الحسن البصري	٧/ ٤١١
لا بُدَّ للقاضي من وَزَعة.	الحسن البصري	٨/ ٥١٢

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
لا بشيءَ من آلائك ربَّنا نكذِّب.	ابن عمر ـ جابر بن عبد الله	٨/ ٧٥٨
لا تأكلوا ثمن الشجر، فإنه سُحْتٌ.	عكرمة	٦/ ١٨
لا تجالسوا أهل الخصومات.	أبو جعفر	٤/ ٣٣
لا تجده سَيئ الملكة إلا وجدته مختالاً فخوراً.	أبو رجاء الهروي	٣/ ١٤٧
لا تذكر النساء.	ابن عمر	١/ ٧٢٣
لا تسمي العرب حنيفاً إلاَّ من حجَّ واختتن.	ابن جبير	١٠/ ٣٣٨
لا تقولوا انصرفنا من الصلاة.	ابن عباس	٥/ ١٣٨
لا تقولوا: فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به.	ابن عباس	١/ ٥٧٨
لا تقولي هكذا.	أبو بكر الصديق	٩/ ١٤٤
لا تلتمسوا المُرُوءَةَ ممن مُرُوءَتُه.	بعض العرب	١٠/ ١٦٦
لا توبة للقاتل، وجزاؤُه جهنم.	ابن عباس	٣/ ٢٦٣
لا جزاه الله خيراً.	عمر	٥/ ١١٥
لَا عُبِدَ اللهُ سرّاً بعد اليوم.	عمر بن الخطاب	٩/ ٩١
لا قصاص بين الرجل وامرأته إلا في النفس.	ابن شهاب	٣/ ١٣٧
لا يدخل أحد الجنة حتى يجوز على جهنم.	الحسن البصري	١٠/ ٩٨
لا يدْخُل الجَنَّةَ ابنُ زِنًى.		١/ ٦٤٥

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
لا يسلم من الـهوى إِلا الأَنبياءُ عليهم السلام.	سهل التستري	١٠/ ١٢٦
لا يُعرف النكاح في كتاب الله تعالى إِلا بمعنى التزويج.	الزجاج	٧/ ١٦٣
لا يغرنَّكِ أنْ كانت جارتُك أوضَأَ منك.	عمر بن الخطاب	٢/ ٧٣٨
لا يقولنَّ أَحدكم: اللهم اعصمني عن الفتنة.	ابن مسعود	٩/ ٥٥٦
لا، أولئك فنوا وعدموا.	ابن عباس	٦/ ٣٥٥
لا، ولكن الحرورية هم.	سعد بن أبي وقاص	٥/ ٦٠٦
لأحدثنكم حديثاً لولا آية في كتاب الله ما.	عثمان بن عفان	١/ ٦١٣
لأقضين في الكلالة قضاء تَحَدَّثُ به النساء في خدورها.	عمر بن الخطاب	٣/ ٣٨٠
لأن أكون أعلم الكلالة.	عمر بن الخطاب	٣/ ٣٨٠
لأَن تفضل حسناتي سَيِّئَاتي بمثقال ذرة.	قتادة	٣/ ١٥٢
لأن يربني رجلٌ من بني عمي.	ابن عباس	١/ ٢٣٠
لأَنا أَحقر في نفسي من أَن ينزل فيَّ قرآن.	عائشة	١٠/ ٣٢٦
لأَنَّهم يعلمون أَنَّ الله تعالى هو الّذي ابتلاهم بذنوبهم.	أبو سليمان الداراني	٨/ ٥٧٨
لتُلحِقنَّها أو لأضعن سيفي.	أبي بن كعب	٤/ ٧٠١

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
لستُ لك بأُمٍّ.	عائشة	٧/ ٧٢٢
لستُ من أَهل هذه الآية.	الأحنف بن قيس	٩/ ١٧٧
لطف بأَوليائه حتى عرفوه.	الجنيد	٨/ ٥٦٢
لعل رمضان اسم من أسماء الله عز وجل.	مجاهد	١/ ٦٧٣
لعنةَ الواشمة والمستوشمة.	ابن مسعود	٩/ ٤٦٨
لقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض.	الحسن البصري	٤/ ٢٨٦
لقد استنزلت المطر بمجاديح السماء.	عمر بن الخطاب	٥/ ٣٢٦
لقد أَصبح مُلْكُ ابن أَخيك اليوم.	أبو سفيان بن حرب	٧/ ٤٧٨
لقد اعترض بيني وبينه خندق من نار.	أبو جهل	١٠/ ٣٢٠
لَقَدْ أَمِر أَمْرُ ابن أَبي كَبْشَة.	أبو سفيان بن حرب	٤/ ٧٣٧، ٥/ ٣٣٣، ٦/ ١٧٥
لقد خشيت أَن ينزل فِيَّ قرآنٌ.	عمر بن الخطاب	١٠/ ٣٢٦
لقد رفعت رأسي يومَ أحد من النوم.	الزبير بن العوام	٢/ ٦٥٦
لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أَدركتها، أَن.	رجل من المهجرين	٧/ ٢٠٣
لقد قَفَّ شعري لسماع هذا.	عائشة	٩/ ٢٤٠
لقد نمت في ذلك اليوم.	أبو طلحة	٢/ ٦٥٦

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
لقيت أعرابياً يحمل عنباً في وعاء.	المعتمر	٥/ ٤٦١
لقينا رجالاً بيضاً على خيلٍ بُلْقٍ.	أبو سفيان بن الحارث	٢/ ٥٩٠
للكافر أُمنيتان.	الحسن بن محمد بن علي	٨/ ٥٤١
لله تلادك يا ابن عباس.	عمر بن الخطاب	١/ ٧٤٩
لم أدرِ ولم أفطُنْ لما يقول أهل البدع.	سفيان بن عيينة	٤/ ٤٠٧
لم يبعث الله نبيّاً إلا فرض عليه الصلاة.	الحسن البصري	٥/ ٢٦٨
لِمَ يُتِّم النبي ﷺ من أَبويه؟		١٠/ ٢٩٦
لم يخلق الله تعالى خلقاً يكابد.	الحسن البصري	١٠/ ٢٦٧
لم يعذر أَحدٌ في ترك ذكر الله.	ابن عباس	٨/ ٢٥
لما أسكن آدم الجنة مشى فيها مستوحشاً.	ابن مسعود ـ ابن عباس	١/ ٣٦٤
لما أَسلمت العجم سُمُّوا موالي.	ابن زيد	٣/ ١٣٠
لما آمنت السحرة اتبع موسى ست مئة ألف.	ابن عباس	٤/ ٣٥٧
لما أهبط إبليس قال: رب أين مسكني؟	صالح مولى التوأمة	٤/ ٢٢٩
لما كان يوم أُحُد هُزمنا.	عمر	٢/ ٦٦٢
لما نزلت ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾.	علي بن أبي طالب	٩/ ١٩٧
لن يغلب عسْرٌ يُسْرَيْن.	عمر	٨/ ٤٣٦
الله أَكبر، ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾.	ابن عباس	٨/ ٢٨٣

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
الله أكبر، ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾.	عمر بن الخطاب	٦/ ٥٣
لهذه وأشباهِها أُحبُّ قربك.	الحسن البصري	٦/ ٤٩٠
اللهم أَخر رجال السوء لزمان السوء.	هرم بن حيان	٧/ ٢٥٩
اللهم أدخلني النَّار سالماً.	بعض السلف	٦/ ٥٣٦
اللَّهم أَعْمِني حتى لا أرى شيئاً بعده.	عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري	٣/ ٢١٤
اللهم أَقْطَعُنَا للرحم.	أبو جهل	٥/ ٦٤٦
اللهم العن أرضاً شربت دم هابيل.		٣/ ٤٨٠
اللهم إن علمت فيه خيراً فأمضه.	عمر بن الخطاب	٣/ ٣٨٠
اللهمَّ إن هذا من منِّك وفضلك.	طاوس	٨/ ٦٠٧
اللهم إنّا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زيَّنت لنا.	أبو بكر الصديق	١/ ٧٥٧
اللهمَّ إِنِّي من عبادك الَّذين لا يصلحهم إِلَّا الغنى فلا تفقرني.	أنس	٨/ ٥٧٣
اللهم بيِّن لنا فيها بياناً شافياً.	عمر بن الخطاب	٣/ ٦١٢
اللهم دعوتني فأجبت.	محارب بن دثار	٥/ ٥٣٧
اللهم غَفْراً، سوءُ الاكتساب يمنعُ من الانتساب.	الأعرابي	٢/ ٢٠٤
اللهم قد رقّ عظمي.	عمر بن الخطاب	٥/ ٥٤٥

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
اللهم قلبي فلا أملكه.	عمر بن الخطاب	٣/ ٣٣٣
اللهم قِني شُحَّ نفسي.	عبد الرحمن بن عوف	٩/ ٤٧٢
اللهم لا تجعل لمشرك قِبَلي يداً.	بعض الصحابة	٩/ ٤٥٦
اللهم مَجْمَعُ الدعاء.	الحسن البصري	٢/ ٣٦٦
اللهم من بينت له في الكلالة.	عمر بن الخطاب	٣/ ٣٨٣
اللهمَّ، لَا تَبْتَلِنا.	الفضيل بن عياض	٩/ ٣٦
لو أَعلم من يفسر لي هذه الآية.	مجاهد	٣/ ١٠٠
لو أفتيت بغير هذا لأوجعت رأسك.	عمر بن الخطاب	٣/ ٦٣٧
لو أَن أَحلام بني آدم جمعت.	أبو أمامة	٦/ ٦٤١
لو بَغى جبل على جبل.		٦/ ١٠٢
لو جاز طلاقكما لجاز نكاحكما.	عمر بن الخطاب	٢/ ٢٩
لو دعا الله لزاد في أَجله.	كعب الأحبار	٨/ ١٣٩
لو شئت أَن أَضع قدمي على موضع خروجها.	عبد الله بن عمرو	٧/ ٤٥٩
لو علم أَهل الجنة عمَّن شغلوا.	طاوس	٨/ ٢١٢
لو قال إِبراهيم: أَفئدة الناس.	مجاهد	٥/ ٦٧٤
لو كنت أعلم أجلي لاستكثرت.	ابن جريج ـ مجاهد	٤/ ٤٦٥
لو لا آية في كتاب الله ما حدثتكم حديثاً.	أبو هريرة	١/ ٦١٣

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
لو لقيتني على دينٍ غيرِ هذه لأخبرتُكَ.	النضر بن شميل	١/ ٢٤٢
لولا أَن عمر نهى عن المتعة.	علي بن أبي طالب	٣/ ١٠٣
ليت أني من أهل الأعراف.	سالم مولى أبي حذيفة	٤/ ٢٧٦
ليت شعري من أَي الفريقين أَنت؟	الفضيل بن عياض	٨/ ٧٠٦
ليتني كنت بعرة.	عمر بن الخطاب	١٠/ ١١٠
ليس أَحد إلا يفرح ويحزن.		٩/ ٤٢٠
ليس بفظٍّ، ولا غليظٍ.	عبد الله بن عمرو بن العاص	٢/ ٦٧١
ليس بهذا أَمر الفراغ.	شريح القاضي	١٠/ ٣٠٧
ليس شيءٌ خيراً للنُّفَسَاءِ من التمر والرطب.	عمرو بن ميمون	٦/ ٤٩٣
ليس شيءٌ خيراً من لَا إِلهَ إِلَّا الله.	عكرمة	٧/ ٤٦٨
ليس في الجنة شيءٌ مما في الدنيا سوى الأسماء.	ابن عباس	١/ ٣٢٧
ليس في القرآن أَرْجى من هذه الآية.	ابن عباس	٥/ ٥٧٦
ليس في كتاب الله آية أَكثر ضمائر من هذه.	مكي	٧/ ٢١٢
ليس في مال المؤمن خبيثٌ.	عبد الله بن مغفل	٢/ ٢١٨
ليس له بالعدل إِلاَّ ما سَعَى.	الحسين بن الفضل	٩/ ٢٦٢
ليس هذا بزمان هذه الآية.	ابن مسعود	٣/ ٦٥٥

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
ليس يكون الإِنسان في شيءٍ أَضعف منه في أمر النساء.	طاوس	٣/ ١١٦
المؤمن يجمع إِحساناً وشفقة.	الحسن البصري	٧/ ١٢٢
ما أَبغضت أَحداً قط بغضي لفرعون.	ابن عباس	٥/ ٢٤٠
ما أحدٌ أشدَّ لها ذمًّا من خالقها.	الحسن البصري	٢/ ٣٣٩
مَا أَخَذْتُ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ.	ابن عباس	١/ ١٦٠
ما أَرى ربك إِلا يسارع في هواك.	عائشة	٨/ ٣٧
ما ازْلَحَفَّ ناكح الأمة عن الزنا إِلا قريباً.	ابن عباس	٣/ ١١٣
ما استقصى كريم قط.	الحسن البصري	٩/ ٥٨٤
ما آسى على شيءٍ فاتني إِلَّا أَن أَكون حَجَجْتُ مَاشياً.	ابن عباس	٧/ ٤١
ما أَشبه هذا بقراءَة الحسن.	يونس بن حبيب	٧/ ٣٨٨
ما أَظن أَحداً عقل وأَدرك الإِسلام ينام حتى يقرأَهما ـ يعني: البقرة ـ.	علي بن أبي طالب	٢/ ٣٠٤
ما أفرُّ إلا من غضب الله.	زيد بن عمرو بن نفيل	٢/ ٤٥٥
ما الدنيا في الآخرة إِلَّا كنفجة أَرنب.	عمر	١٠/ ٢٢٧
ما الضرب غير المبرح؟	ابن عباس	٣/ ١٣٧
ما المال إلا ما حازته العِيَابُ.	مروان بن الحكم	٢/ ٣٤٥

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
ما أَهلَك الله تعالى أُمة بعذاب.	أبو سعيد الخدري	٧/ ٥١٠
ما أود أن هذه الآية لم تنزل ولي الدنيا بأجمعها.	العباس	٤/ ٦٣٣
ما بالك أيُّها الحجر؟	عيسى بن مريم	٩/ ٥٩١
ما بعث الله نبياً ـ آدم فمن بعده ـ إلا أخذ عليه العهد في محمد.	علي بن أبي طالب	٢/ ٤٨٦
ما بلغ بك يا لقمان ما أَرى؟		٧/ ٦٥٨
ما تشاور قوم قطُّ.	الحسن البصري	٨/ ٥٨٣
ما تصعَّدني شيء كما تصعَّدني خطبة النكاح.	عمر بن الخطاب	٤/ ١٢٨، ٩/ ٧٢٤
ما تمنيت ولا تغنيت منذ أسلمت.	عثمان بن عفان	١/ ٤٦٣
ما ذكر ابن عباس هذا الحديث إلا بكى.	أبو صالح	٥/ ٤٥٨
ما ذكر الله تعالى هوىً إلَّا ذَمَّه.	ابن عباس	٨/ ٧٠٨
ما رأيت أحداً أسودَ من معاوية بن أبي سفيان.	عبد الله بن عمر	٢/ ٤٠٠
ما رأيت في الدنيا شيئاً أدنى شبهاً.	عبد الله بن مسعود	٦/ ٣٦٥
ما زال ابنُ آدم يتحمَّد.	الحسن البصري	٢/ ٦٩٢
ما زلت أكتب حتى انقطع سوائي.	عيسى بن عمر النحوي	٣/ ٤٥٥
ما زلتُ هنا في انتظارك منذ أمس.	سهل بن عقيل	٦/ ٥١٦

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
ما صحب الأنبياءَ مثلُ أبي بكر الصديق.	الليث	٤/ ٧٢٢
ما صيد أو ذبح وأنت حلال.	ابن عباس	٣/ ٦٣٧
ما ضُرب عبْدٌ بعقوبةٍ أَعظم من قسوة قلب.	مالك بن دينار	٨/ ٣٩١
ما عقلت أبوي إلا وهما يدينان الدِّين.	عائشة	٤/ ٦٨٦
ما فعل مقدمتنا إذ حملنا.	الزبير بن باطا	٢/ ٦٥٣
ما في القرآن آية أخوف عندي منها.	الضحاك بن مزاحم	٣/ ٥٦٦
ما في القرآن آيةٌ أرجى عندي لهذه الأمة.	أبو عثمان	٥/ ٨٠
ما في القرآن آية أَرجى عندي منها.	ابن عباس	٢/ ١٩٠
ما في القرآن آية هي أشد توبيخاً للعلماء.	ابن جرير الطبري	٣/ ٥٦٦
ما في بطن ناقتي هذه؟		٣/ ٦٤٩
ما قتلتُ عثمان ولا مالأت في دمه.	علي بن أبي طالب	٤/ ٣٠٠
ما كان الذين نشروا بالمناشير.	زهير	٣/ ٥٩٦
ما كان في القرآن ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾.	ابن عيينة	١٠/ ٣٢٧
ما كمل دينُ امرئ لم يكمل عقله.	الحسن البصري	٢/ ٦٧٤
ما كنا نرى إلا أنّا قد رُفِعنا رفعة.	عمر بن الخطاب	٥/ ٧٦
ما كنتُ أدري معنى قوله: (ربنا افتح بيننا وبين قومنا).	ابن عباس	١/ ١٧٤

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
ما كنت أرى أن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ يريدُ الدنيا.	ابن مسعود	٢/ ٦٤٩
ما كنت أظنك إلا أفقهَ.	أبي بن كعب	٣/ ٣٢١
ما كنت أعرف معنى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.	ابن عباس	٣/ ٧١٣، ٨/ ١٢٨
ما كنت لأَطوف به حتّى يطوف به رسول الله ﷺ.	عثمان	٩/ ٦٦
ما لم يُجمع مكثاً.	ابن عمر	٥/ ٢١٥
ما من أَهل الجنة من أَحد إِلَّا يسعى عليه أَلف غلام.	عبد الله بن عمر	١٠/ ٦٦
ما من رجل لا يؤدي الزكاة والحج إِلَّا طلب الكَرَّة.	ابن عباس	٩/ ٥٤٤
مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَعِلْمُهُ فِي الْقُرْآنِ.	علي بن أبي طالب	١/ ١٥٨
ما من كلام يدرأ عني سوطين.	ابن مسعود	٢/ ٣٧٤، ٦/ ١١٨
ما من مؤمن ولا كافر إلا والموت خير له.	ابن مسعود	٢/ ٧٠٦، ٢/ ٧٣٩
ما من نسمة قضى الله بخروجها.	عبد الله الديلمي	٣/ ٣٧
ما نزلت سورة النساء إلا وأنا.	عائشة	٣/ ٦
ما نزَى ذكر على ذكر قبل قوم لوط.	عمرو بن دينار	٤/ ٣٢٠

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
ما نظرتُ إِلى شيءٍ إِلاَّ رأَيْتُ الله تعالى أَقرب إِليه مني.	عامر بن عبد قيس	٩/ ٣٨٥
مَا هَذَا التَّرْدِيدُ لِلْقَصَصِ فِي الْقُرْآنِ.	حميد بن سعيد	١/ ١٤٢
ما هو أَعظم من هذا.	عبد الله بن عمر	٣/ ١٥٤
ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر.	أسيد بن حضير	٣/ ٤٤٧
ماذا نزل اليوم من القرآن؟		٦/ ٦٥٧
مازال ينزل ومنهم، ومنهم.	ابن عباس	٤/ ٦٤١
المأْفوك منَّا اليوم عن كتاب الله تعالى كثير.	قتادة	٩/ ١٧٤
مالي أَراكم سامدين.	علي بن أبي طالب	٩/ ٢٧٢
مَثَلُ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ.	إياس بن معاوية	١/ ١٥٧
.مَحَبَّةُ الْعُلَماءِ دِينٌ يُدانُ بِهِ	علي بن أبي طالب	١/ ٢٣٨
مسألة العلم حلقت لحى المعتزلة.	أبو عبد الله النحوي	٤/ ٩٤
مشى موسى إلى المناجاة.	أبو الفضل بن الجوهري	٦/ ٤٠٨
مشيت إلى منزل إبراهيم النخعي وهو مريض.	ابن عون	٤/ ٨٥
مصر خزانة الأرض.	مالك بن أنس	٥/ ٤٨٧
مُطرنا بنَوءِ الفتح.	أبو هريرة	٨/ ١٣١
مُطِرُوا إذاً.	عمر بن الخطاب	٨/ ٥٧٥

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
مقدار الحساب يوم القيامة ألف سنة.	ابن عباس	٧/ ٦٩
مكث موسى بمصر بعد إيمان السحرة عاماً.	مقاتل	٤/ ٣٥٧
مَلَّ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ مَلَّةً.	ابن مسعود	١/ ١٤٦
من أَحبَّ أَن يهوِّن الله عليه الوقوف يوم القيامة.	ابن عباس	٨/ ٣٨٠
من أحدث حدثاً ثم استجار بالبيت فهو آمن.	ابن عباس	٢/ ٥١٩
من أحوج الكريمَ إلى أنْ يحلف.	بعض العرب	٩/ ١٨٤
من أراد أن يعرف قضاء الله في خلقه فليقرأ آخر سورة الزمر.	وهب بن منبه	٨/ ٤٣٠
من الأَمانة أَن ائتمنت المرأة على فرجها.	أبي بن كعب	٨/ ٦٢
من الجهالة أن لا يعلم حلالاً من حرام.	مجاهد	٤/ ١٤
من أَين تأْكل؟	حاتم الأصم	٩/ ٥٤٢
من بلغ أَربعين سنة فليأْخذ حذره من الله.	مسروق	٨/ ١٦٣
من ترك حية خشيةً من ثأرها.	عائشة	٤/ ٢٢٧
من تركهن ـ الحيات ـ فليس منا.	عبد الله بن عمر	٤/ ٢٢٧
مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِه.	جندب بن عبد الله	١/ ١٥٩
من حدَّث بما قال هؤلاءِ القُصَّاص.	علي بن أبي طالب	٨/ ٣٢١

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
من رغب عن سنتك فليس من أمتك.		٣/ ٥٩٨
من سأَل عن القيامة.	عمر بن الخطاب	١٠/ ٢٩
من سمع حيَّ على الفلاح فليجب ولو حَبْواً.	الربيع بن خثيم	٩/ ٦٤٤
مَن صافح مشركاً فليتوضأ.	الحسن البصري	٤/ ٦٨٣
من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى.	سفيان بن عيينة	٧/ ٦٦٢
مَنْ طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَرَّدِ.	أبو سفيان بن الحارث	٤/ ٧٢٠
من فرَّ إِلى غير الله تعالى.	الحسين بن الفضل	٩/ ١٩٦
من قال إِذا سمع الرَّعد: سبحان الله وبحمده.	ابن أبي زكريا	٥/ ٥٩١
من قال: لَا إِله إِلَّا الله، فليقل على أَثرها.	ابن عباس	٨/ ٤٨١
من قتل رجلين فهو جبار.	الشعبي	٧/ ٤٨٩
مَن قتل هؤلاء؟	أمية بن أبي الصلت	٤/ ٤٤٧
مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَقَدْ أُدْرِجَتِ النُّبُوَّةُ.	عبد الله بن عمرو	١/ ١٤٣
مَن قرأ القرآن قبل أن يحتلم.	ابن عباس	٦/ ٤٧٩
من قرأ سورة الأنعام فقد انتهى في رضا ربه.	علي بن أبي طالب	٣/ ٦٩٤
من قرأَ مئة آية لم يحاجَّه القرآن.	الحسن البصري	٩/ ٧٤٧
من لم يخش الله فليس بعالم.	الربيع بن أنس	٨/ ١٥١

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
من لم ير نعمة الله عليه إِلا في مطعمه.	أبو الدرداء	٥/ ٦٧٠
من لم يعرف نفسه لم يعرف ربَّه.	علي بن أبي طالب	٩/ ٤٨١
من مات صغيراً فهو على العهد الأول.	الضحاك بن مزاحم	٤/ ٤٤٣
من نازع أحداً من الملحدة.	أبو عبد الله النحوي المجاور بمكة	٤/ ٤٠
من يأْمن على نفسه.	إبراهيم التيمي	٥/ ٦٧٢
مَن يصبر فيُلقَى عليه شبهي فيقتل، وله الجنة.	عيسى	٢/ ٤٣٦
مِنْ يُمْن المرأَة تبكيرها بالأُنثى.	واثلة بن الأسقع	٨/ ٥٩٣
موعدُك الجنةَ إِن شاء الله.	أبو حازم الزاهد	٢/ ٥٠٩
ناهيك من صفقةٍ البائعُ فيها رب العلى،.	أبو الفضل بن الجوهري	٥/ ١٠٧
نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس.	الحسن	٥/ ٤٦٩
نحن سادات العرب.	عيينة	٦/ ٣٧٣
نحن لم نكفر ونحن أصحابك.		١/ ٤٠٧
نزل جبريل في ألف ملك.	علي بن أبي طالب	٤/ ٥١١
نزلت الآية في الصلاة، وندبنا إلى الاستعاذة.	الحسن البصري	١/ ٢٠٦
نزلت سورة الأنعام وحولها سبعون ألف ملك.	ابن عباس	٣/ ٦٩٤

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
نزلت سورة المائدة بالمدينة يوم الاثنين.	عمر بن الخطاب	٣/ ٤١٧
نزلت في أولياء اليتامى.	عائشة	٣/ ١٥
نظرك إِلى امرأَة لا تملكها من الشُّحِّ.	الحسن البصري	٩/ ٥٥٧
النعاس عند حضور القتال علامةُ أمن.	عبد الله بن مسعود	٤/ ٥١٥
نعسنا يوم أُحُد.	ابن مسعود	٢/ ٦٥٦
نعم إذا كان مُلفَجاً.	الحسن البصري	٦/ ٢٦٣
نِعْم العِدْلان ونعم العِلَاوة.	عمر بن الخطاب	١/ ٦٠٦
نِعْمَ تُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ.	ابن مسعود	١/ ١٦١
نعم، إِن الله يقول: في القرآن: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ﴾.	القاضي شريح	٨/ ٣٥٥
نعم، إِني أَنا وعثمان وطلحة والزبير.	علي بن أبي طالب	٥/ ٧٢٤
النفاق في عهد رسول الله ﷺ هو الزندقة فينا اليوم.	مالك بن أنس	١/ ٢٩٥
هذا أَشبه ما رأَينا في الدُّنيا بالمهْل.	ابن مسعود	٨/ ٦٨٥
هذا السجود، فأين البُكِيُّ؟	عمر بن الخطاب	٦/ ٥٢٠
هذا أمر لم يكن بعد الذي كان.	الأشعري	٣/ ٦٦٠
هذا بقية آبائي.	مجاهد	١/ ٥٧٤
هذا بما كسبت يدي.	القاضي شريح	٨/ ٥٧٨

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
هذا كلام لم يخرج من إلّ.	أبو بكر الصديق	١/ ٤٩٨
هذا كما قال أهل الكتاب: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾.	ابن عباس	٢/ ٤٧٣
هذا لنا، فما لفقراءِ المسلمين.	عمر	٨/ ٧٤٧
هذه آخر آية نزلت من القرآن.	معاوية بن أبي سفيان	٦/ ٤٦٤
هذه الأُمة يوم القيامة أَثلاث.	ابن مسعود	٨/ ١٥٥
هذه كِفاتُ الموتى.	الشعبي	١٠/ ٨١
هذه من أَرجى آية عندي في كتاب الله تعالى .	والد المؤلف	٧/ ١٩٤، ٨/ ٢٨
هكذا كنَّا، ثم قستِ القلوبُ.	أبو بكر الصديق	١/ ١٥١، ٣/ ٥٩٦
هل آصَلْنا بعدُ؟	أبو وائل	٤/ ٤٨٧
هل تسمعني ألحن؟	الحجاج	٤/ ٦٧٨
هل جرى للجاسوس ذكر في كتاب الله عز وجل؟	سفيان بن عيينة	٣/ ٥١٢
هل رأَيْت قط من تَوْبَةَ شيئاً تنكرينه؟	الحجاج بن يوسف	٨/ ٩
هل لكم في صيام ثلاثين يوماً لله.	عيسى عليه السلام	٣/ ٦٨٢
هو الذي يهديني السبيل.	أبو بكر الصديق	٧/ ٤٩٢
هواك داؤُك.	سهل التستري	٨/ ٧٠٨

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
هي ـ أي التوبة النصوح ـ أَن تضيق عليك الأَرض.	أبو بكر الوراق	٩/ ٥٩٤
هي أَربع أَيضاً: الإِشراك بالله.	ابن مسعود	٣/ ١٢٤
هي الخلال الستُّ.	الحسن البصري	١/ ٥٥٣
هي إِلى السبعين أَقربُ منها إِلى السبع.	ابن عباس	٣/ ١٢٤، ٩/ ٢٥٣
هي تسع: الإشراك بالله.	عبد الله بن عمر	٣/ ١٢٣
هي ثلاث: القنوط.	ابن مسعود	٣/ ١٢٤
هي سبع: الإشراك بالله.	علي بن أبي طالب	٣/ ١٢٣
هي عشر خصال.	ابن عباس	١/ ٥٥٣
هي كلُّ ما ختمه الله تعالى بنارٍ.	علي بن أبي طالب ـ ابن عباس	٨/ ٥٨٢
وأُخبرت أَنه كان يُقرُّه ويستوشيه.	عروة بن الزبير	٧/ ١٨٧
وأَشار ابن عمر بالضرب إِلى رِجلَيْ أَمة.	ابن عمر	٧/ ١٥٨
واعلم أن قرابتك من رسول الله ﷺ لن تزيد حق الله عليك إلا عظماً.	الأوزاعي	٥/ ١٢٦
وافقت ربي في ثلاث.	عمر بن الخطاب	١/ ٥٥٧، ٨/ ٤٦
والذي نفسي بيده إِنها للقرية.	حفصة أم المؤمنين	٦/ ١٢٥
والله إن إلقاءَنا بأيدينا.	عبد المطلب بن عبد مناف	١/ ٧٠١

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
والله إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة.	عمار بن ياسر	١/ ٣٢٩
والله لئن قتلتم هذا العبد.	زيد بن عمرو بن نفيل	٦/ ٤٧٩
والله لا أسألك عليهما بينة أبداً.	عمر	٥/ ١٤١
والله لا يمس دينار ديناراً.	ابن مسعود	٤/ ٧٠٦
والله لقد استنزلت المطر بمجادح السماءِ.	عمر بن الخطاب	٩/ ٧٠١
والله لقد خفت أَلا أَبلغ بيتي.	كعب الأحبار	٣/ ١٨٢
والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة.	الزبير بن العوام	٢/ ٦٤٩
والله لقد سمعتُ شيئاً ما هو بالشِّعر.	عتبة بن ربيعة	٨/ ٤٩٣
والله لقد كنَّا نقرأُ هذه الآية فيما مضى.	رافع بن خديج	٩/ ٦٣
والله لكأني أسمع قولَ معتب بن قشير.	الزبير بن العوام	٢/ ٦٥٩
والله ليدخلن الجنة قوم كانوا منافقين.	حذيفة بن اليمان	٣/ ٣٥٠
والله مَا أنزل اللهُ آيةً إلَّا أحب.	الحسن البصري	١/ ١٥٨
والله ما تشاور قوم بينهم إلا هداهم الله.	الحسن البصري	٢/ ٦٧٤
والله ما صِدنا ولا أمرنا ولا أشرنا.	عثمان بن عفان	٣/ ٦٣٦
والله ما علمت بشيء من أمركم حتى بلغتني هزيمتكم.	سراقة بن مالك	٤/ ٥٩١
والله ما قاتلتُ إلا على أحساب قومي.	قزمان بن الحارث	٢/ ٦٨٩

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
والله ما قص الله نبأهم ليعيِّرهم بذلك.	أبو عمران الجوني	٥/ ٥٤٦
والله ما هو بالشعر.	الوليد بن المغيرة	١/ ١٩٣
وأَنزل الله العشر الآيات.	عائشة	٧/ ١٨١
وبكى ـ عمر رضي الله عنه ـ رحمةً لراهب نصراني رآه مجتهداً.		١٠/ ٢٣٢
وجدنا أَنصح العباد للعباد الملائكة.	مطرف بن الشخير	٨/ ٤٣٩
وراءَك أَوسع لك.	أبو الأسود الدؤلي	٩/ ٤٠٥
وشكا رجل إِلى الحسن الجدب فقال له: استغفر الله تعالى.		٩/ ٧٠١
وقد أَلقى البحرُ دابَّةً مثل الظَّرِب .	أبو موسى الأشعري ـ جابر بن عبد الله	٥/ ٢٦٥، ٨/ ٦٩٢
وقد زبنتنا الحرب وزبنَّاها.	عتبة بن أبي سفيان ـ عبد الملك بن مروان	٤/ ٦٩٤، ١٠/ ٣٢٣
وقعت في يد الله.		٥/ ٨٦
وكان بين يديه وهو على المنبر أَذان.	السائب بن يزيد	٩/ ٥٢٧
وكان وقافاً عند كتاب الله.	الحر بن قيس	١/ ٥٣٥
وكانت تحازب في أمر الإفك.	عائشة	٣/ ٥٥٢
وكيف نطمع أن تقبل منَّا ما لم تقبله من الرجال.	هند بنت عتبة	٩/ ٥٠٣

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
ولا أعلم إشراكاً أعظم من أن تقول المرأة: ربها عيسى.	ابن عمر	٢/ ٢٩
ولا يولج الكفَّ ليَعلم البَثَّ.	عائشة	٥/ ٥٢٣
ولأَعْصِبَنَّكُم عصْب السَّلَمة.	الحجاج بن يوسف الثقفي	٥/ ٣٥٤
ولَقَدْ أَجمع أَهل هذه البُحَيْرَة.	سعد بن عبادة	٧/ ٦٣٧
ولو خالفتني يميني لجاهدتها بشمالي.	أبو بكر الصديق	٣/ ٢٣٧
وما بالوادي أَعظم ندِيّاً مني.	أبو جهل	١٠/ ٣٢٢
وما كان على نهيت أن يأكل.	عمر بن الخطاب	٢/ ٣٧٥
وما يدريك ما حرَّم إسرائيل.	ابن عباس	٢/ ٥٠٨
ومَنْ زَعم أَن محمداً يعلم الغيب.	عائشة	٧/ ٤٥٢
ومن يشهد معك؟	عمر بن الخطاب	٣/ ٦١٧
وهل أعمَدُ من رجل قتَلْتموه.	أبو جهل	٢/ ٥٥٧
وهل أنتم إلا عبيد لأبي.	حمزة بن عبد المطلب ـ علي بن أبي طالب	٢/ ٤٧٩، ٣/ ٦١٣، ٣/ ٧١٧
وهل تزني الحرة؟	هند بنت عتبة	٣/ ٩٥
ويحك، اقرأ ما فوقها.	ابن عباس	٣/ ٤٩٩
ويذكر أن عمرو بن العاص أجنب في ليلة باردة فتيمم.		٣/ ١٢٠

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
ويلٌ لأَهل الرياء من هذه الآية.	سفيان الثوري	٨/ ٤٠٨
ويلٌ لمن غلبت آحادُه عشراتِه.	ابن مسعود	٥/ ٢٦١
ويلك، أين الشرط.	الضحاك بن مزاحم	٥/ ١١٠
يا أبا عبد الرحمن إنما يئس الرسل.	ابن جبير	٥/ ٥٥٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ حيث وقع في القرآن مكي.	مجاهد	١/ ٣١٨
يا ابن أخي، إنَّا قد أمرنا بالنفر خفافاً وثقالاً.		٤/ ٧٢٦
يا ابْن الخطاب أَدخلتَ نفسك في كل شيءٍ.	أم سلمة	٩/ ٥٨٨
يا آل غالب اتَّبعوه تفلحوا.	علي بن أبي طالب	٦/ ١٠٠
يا أُمَّ المؤمنين، إن كان رسول الله ﷺ قاله فهو أصدق وخير.	كعب الأحبار	٦/ ٤٩٧
يا أُمَّة محمد، استجبت لكم قبل أَن تدعوني.	أبو هريرة	٧/ ٥١١
يا أَمير المؤمنين، إن الله يأمر بالعدلِ والإحسانِ.		٦/ ١٠٣
يا أهل مكة، لا مُتْعَةَ لكم.	ابن عباس	١/ ٧١٥
يا بن آدم، بُسطت لك صحيفة.	الحسن البصري	٦/ ١٧١
يا بَني ما تذهبون عني مرة إلا نقصتم.	يعقوب عليه السلام	٥/ ٥١٦
يا حَرَسَيَّ اضْرِبَا عنقه.	الحجاج بن يوسف	٩/ ١٥٠

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
يا خاتم النُّبآء.	العباس بن مرداس	١/ ٤٢٨
يا رب إنك قلت: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾.	بعض العباد	٢/ ٥٢٠
يا رب خطيئة فاغفرها لي.	يعقوب	٥/ ٥٢٣
يا رب كيف أُطيق شكرك على نِعَمِكَ.	داود عليه السلام	٨/ ٨٣
يا عباس، يا عم النبي ﷺ: كم بقي من نَوْءِ الثُّريا.	عمر	٩/ ٣٨٤
يا عُرَيَّة كلا.	عائشة	١/ ٦١١
يا عمر! أَما يقدر رسول الله ﷺ أَن يعظ نساءَه.	زينب بنت جحش	٩/ ٥٨٨
يا غلام اضربا عنقه.	الحجاج	٩/ ٣٣٢
يا كهيعص اغفر لي.	علي بن أبي طالب	٦/ ٤٦٦
يا مجاهد هذا حين دَبَر الليل.	ابن عباس	١٠/ ١٩
يا محمد أحسن في مواليّ.	عبد الله بن أبي ابن سلول	٥/ ٥٤١
يا محمد إن تقتلني تقتلْ ذا دمٍ.	ثمامة بن أثال	٢/ ٥٥٧
يا مُعاذ، ما قوام هذه الأُمَّة؟	عمر بن الخطاب	٧/ ٦٢٩
يا معشر الموالي.	ابن عباس	٦/ ٢٠٣
يا نافع آأَسحرنا.	ابن عمر	٢/ ٣٥١

طرف الأثر أو القول	الراوي/ القائل	الجزء والصفحة
يختم على بقيَّة طعامه مخافة سوءِ الظَّنِّ بخادمه.	أبو العالية	٩/ ١١٣
يخرج يأْجوج ومأْجوج فلا يتركون.	أبو سعيد الخدري	٦/ ٧٢٣
يرحم الله المؤمنين.	ابو الدرداء	٢/ ٧٣٣
يقول الناس: القيامة القيامة.	المغيرة بن شعبة	١٠/ ٢٩
يكره التلثم عند القتال.	ابن عباس	٤/ ٥٨٧
اليمين الفاجرة من الكبائر.	ابن المسيب	٢/ ٤٧٥
يوم القيامة لا ينتصف حتى يقيل المؤمنون في الجنة.		٨/ ٤٤٨
يوم القيامة يوم الحكم.	علي بن أبي طالب	٣/ ٣٤٥
يومٌ بيوم بدر، والحربُ سِجَالٌ.	أبو سفيان بن حرب	٢/ ٦٥٤

فهرس أسباب النزول

طـرف الآيـة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
سـورة البقرة			
﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	٤٧، ٤٨، ٤٩	١/ ٣٩٠	١/ ٣٩٢
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾	٦٢	١/ ٤٢٩	١/ ٤٣٠
﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾	٦٧	١/ ٤٣٦	١/ ٤٤١
﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾	٧٦	١/ ٤٥٩	١/ ٤٥٩
﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗ﴾	٨٠	١/ ٤٦٤	١/ ٤٦٦
﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ﴾	٩٦	١/ ٤٩٤	١/ ٤٩٦
﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ﴾	٩٨	١/ ٤٩٤	١/ ٥٠٠
﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾	٩٩	١/ ٤٩٤	١/ ٥٠٠
﴿أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُ﴾	١٠٨	١/ ٥٢٦	١/ ٥٢٧

طرف الآية	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ﴾	١٠٩	١/ ٥٢٦	١/ ٥٣٠
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾	١١٣	١/ ٥٣١	١/ ٥٣٤
﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾	١١٥	١/ ٥٣٥	١/ ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١
﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾	١١٩	١/ ٥٤٧	١/ ٥٤٨
﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾	١٢٠	١/ ٥٤٧	١/ ٥٤٩
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾	١٤٣	١/ ٥٨١	١/ ٥٨٩
﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	١٥٤	١/ ٦٠٢	١/ ٦٠٣
﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾	١٥٨	١/ ٦٠٦	١/ ٦١٠
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ ﴾	١٥٩	١/ ٦٠٦	١/ ٦١٢
﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾	١٦٤	١/ ٦١٥	١/ ٦١٦، ٦١٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾	١٧٨	١/ ٦٤٧	١/ ٦٤٧، ٦٤٨
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾	١٨٦	١/ ٦٧٣	١/ ٦٧٨، ٦٧٩

طـرف الآيـة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ﴾	١٨٧	١/ ٦٨٠	١/ ٦٨١، ٦٨٢
﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾	١٨٧	١/ ٦٨٠	١/ ٦٨٥، ٦٨٦
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾	١٨٩	١/ ٦٩١	١/ ٦٩٢
﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾	١٨٩	١/ ٦٩١	١/ ٦٩٣، ٦٩٤
﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾	١٩٤	١/ ٦٩٦	١/ ٦٩٩
﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟﴾	١٩٥	١/ ٧٠١	١/ ٧٠٢
﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾	١٩٦	١/ ٧٠١	١/ ٧١١
﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	١٩٧	١/ ٧١٦	١/ ٧٢٦
﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾	١٩٨	١/ ٧١٦	١/ ٧٢٧
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾	٢٠٤	١/ ٧٤٠	١/ ٧٤٠، ٧٤١
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾	٢٠٧	١/ ٧٤٠	١/ ٧٤٧، ٧٤٨

طرف الآية	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ﴾	٢١٤	١/ ٧٥٩	١/ ٧٦٤، ٧٦٥
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾	٢١٧	٢/ ٥	٢/ ٧، ٨
﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾	٢٢٠	٢/ ٢٥	٢/ ٢٦
﴿وَلَا تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾	٢٢١	٢/ ٢٥	٢/ ٢٧
﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾	٢٢٢	٢/ ٣٢	٢/ ٣٢، ٣٣
﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾	٢٢٣	٢/ ٣٢	٢/ ٣٨، ٤٠
﴿وَلَا تَجْعَلُواْ اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّواْ﴾	٢٢٤	٢/ ٣٢	٢/ ٤٣
﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾	٢٢٩	٢/ ٦١	٢/ ٦١
﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾	٢٤١	٢/ ١٢٢	٢/ ١٢٤
﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾	٢٥٦	٢/ ١٦٥	٢/ ١٦٦، ١٦٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾	٢٦٧	٢/ ٢١٦	٢/ ٢١٧
﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾	٢٧٢	٢/ ٢٣٣	٢/ ٢٣٤
﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾	٢٧٥	٢/ ٢٤٢	٢/ ٢٤٢، ٢٤٣

طـرف الآيــة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾	٢٧٨	٢/ ٢٤٩	٢/ ٢٥٠، ٢٥١
﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾	٢٨٤	٢/ ٢٨٨	٢/ ٢٨٩
﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾	٢٨٥	٢/ ٢٩٣	٢/ ٢٩٣
سـورة آل عمران			
﴿الٓمٓ ۞ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾	١، ٢، ٣	٢/ ٣٠٥	٢/ ٣٠٦، ٣٠٧
﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾	١٢	٢/ ٣٣١	٢/ ٣٣٣، ٣٣٤
﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾	١٤	٢/ ٣٣٩	٢/ ٣٣٩
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾	٢٣	٢/ ٣٦١	٢/ ٣٦١، ٣٦٢
﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾	٢٦	٢/ ٣٦٤	٢/ ٣٦٤
﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٢٨	٢/ ٣٧٠	٢/ ٣٧١
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾	٣١	٢/ ٣٧٨	٢/ ٣٧٨
﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾	٥٩	٢/ ٤٤١	٢/ ٤٤٢
﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾	٦١	٢/ ٤٤١	٢/ ٤٤٤

طـرف الآيــة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾	٦٥	٢/ ٤٥٠	٢/ ٤٥١
﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾	٧٠	٢/ ٤٥٥	٢/ ٤٥٨
﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ﴾	٧٥	٢/ ٤٦٨	٢/ ٤٧١
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ﴾	٧٧	٢/ ٤٧٢	٢/ ٤٧٤، ٤٧٥
﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾	٧٩	٢/ ٤٧٦	٢/ ٤٨٠
﴿ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ﴾	٨٦	٢/ ٤٩٦	٢/ ٤٩٦، ٤٩٧
﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ ﴾	٩٧	٢/ ٥١٢	٢/ ٥١٢
﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾	٩٨	٢/ ٥٣١	٢/ ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣
﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ ﴾	١١٣	٢/ ٥٦٠	٢/ ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا ﴾	١١٨	٢/ ٥٧١	٢/ ٥٧٢
﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾	١٢٨	٢/ ٥٩٦	٢/ ٥٩٨
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾	١٣٥	٢/ ٦٠٩	٢/ ٦٠٩، ٦١٠

طـرف الآيــة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾	١٣٩	٢/ ٦١٣	٢/ ٦١٨، ٦١٩
﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾	١٥١	٢/ ٦٤٣	٢/ ٦٤٤
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾	١٥٥	٢/ ٦٦١	٢/ ٦٦٢، ٦٦٣
﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾	١٦١	٢/ ٦٧٧	٢/ ٦٧٨، ٦٧٩
﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢا﴾	١٦٩	٢/ ٦٩٠	٢/ ٦٩٤
﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾	١٧٢	٢/ ٦٩٥	٢/ ٦٩٧
﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ﴾	١٧٩	٢/ ٧٠٣	٢/ ٧٠٧، ٧٠٨
﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾	١٨١	٢/ ٧٠٨	٢/ ٧١١
﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾	١٨٦	٢/ ٧١٨	٢/ ٧١٩
﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ﴾	١٨٨	٢/ ٧٢٣	٢/ ٧٢٣، ٧٢٤
﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم﴾	١٩٥	٢/ ٧٣٥	٢/ ٧٣٥
﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ﴾	١٩٩	٢/ ٧٤٠	٢/ ٧٤٠، ٧٤١

طـرف الآيـة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
سـورة النساء			
﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾	٤	٣/ ١٩	٣/ ٢٢
﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾	٧	٣/ ٣١	٣/ ٣٢
﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾	١١	٣/ ٣٧	٣/ ٤٠، ٤١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ﴾	١٩	٣/ ٧٠	٣/ ٧٠، ٧١
﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾	٢٢	٣/ ٨٤	٣/ ٨٤، ٨٥
﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾	٢٣	٣/ ٩٠	٣/ ٩٢
﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾	٢٤	٣/ ٩٥	٣/ ٩٨
﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾	٣٢	٣/ ١٢٦	٣/ ١٢٦
﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾	٣٤	٣/ ١٢٩	٣/ ١٣٢، ١٣٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾	٤٣	٣/ ١٥٩	٣/ ١٥٩
﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ﴾	٤٣	٣/ ١٥٩	٣/ ١٦٣، ١٦٤
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾	٤٨	٣/ ١٨١	٣/ ١٨٦
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾	٥١	٣/ ١٨٦	٣/ ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠

طـرف الآيـة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾	٥٤	٣/ ١٩١	٣/ ١٩٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾	٥٩	٣/ ١٩٨	٣/ ٢٠١
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾	٦٠	٣/ ٢٠٣	٣/ ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٥
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾	٦٥	٣/ ٢٠٩	٣/ ٢١٠، ٢١١، ٢١٢
﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾	٦٩	٣/ ٢١٣	٣/ ٢١٣
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾	٧٧	٣/ ٢٢٠	٣/ ٢٢١، ٢٢٢
﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ﴾	٨٠	٣/ ٢٢٧	٣/ ٢٣٠
﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾	٨٣	٣/ ٢٣٢	٣/ ٢٣٤، ٢٣٥
﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ﴾	٨٨	٣/ ٢٤٢	٣/ ٢٤٣، ٢٤٤
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾	٩٢	٣/ ٢٥٢	٣/ ٢٥٣، ٢٥٤
﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾	٩٢	٣/ ٢٥٢	٣/ ٢٥٧

طرف الآية	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾	٩٤	٣/ ٢٦٣	٣/ ٢٦٤
﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾	٩٥	٣/ ٢٦٧	٣/ ٢٦٩
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡ﴾	٩٧	٣/ ٢٧١، ٧/ ٥٥٧	٣/ ٢٧٢، ٢٧٣، ٧/ ٥٥٧
﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ﴾	١٠٠	٣/ ٢٧٢	٣/ ٢٧٩
﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾	١٠١	٣/ ٢٨٢	٣/ ٢٨٧
﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾	١٠٥	٣/ ٣٠١	٣/ ٣٠٢
﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾	١٢٣	٣/ ٣١٨	٣/ ٣١٩
﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا﴾	١٢٨	٣/ ٣٢٧	٣/ ٣٢٨، ٣٢٩
﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ﴾	١٢٩	٣/ ٣٢٧	٣/ ٣٣٣
﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾	١٦٣	٣/ ٣٦٧	٣/ ٣٦٧، ٣٦٨
سورة المائدة			
﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗا﴾	٢	٣/ ٣٨٦	٣/ ٣٩٦، ٣٩٧

طـرف الآيــة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾	٢	٣/ ٣٩٨	٣/ ٤٠٢، ٤٠٣
﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَـٰمِ﴾	٣	٣/ ٤١٠	٣/ ٤١١
﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾	٤	٣/ ٤١٠	٣/ ٤١٩، ٤٢٠
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾	١١	٣/ ٤٤٨	٣/ ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١
﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾	١٩	٣/ ٤٦١	٣/ ٤٦٤
﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾	٣٣	٣/ ٤٨٨	٣/ ٤٨٨، ٤٨٩
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾	٤١	٣/ ٥٠٥	٣/ ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ﴾	٤٤	٣/ ٥١٨	٣/ ٥٢٠
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾	٥١	٣/ ٥٣٩	٣/ ٥٣٩، ٥٤٠

طرف الآية	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	٥٥	٣/ ٥٥٠	٣/ ٥٥٢
﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾	٦٧	٣/ ٥٧٢	٣/ ٥٧٦
﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾	٦٨	٣/ ٥٧٢	٣/ ٥٧٧، ٥٧٨
﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾	٨٢	٣/ ٥٩١	٣/ ٥٩٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾	٨٧	٣/ ٥٩٧	٣/ ٥٩٨، ٥٩٩
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾	٩١	٣/ ٦١٠	٣/ ٦١٢، ٦١٣
﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾	٩٣	٣/ ٦١٥	٣/ ٦١٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ﴾	١٠١	٣/ ٦٤٢	٣/ ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾	١٠٥	٣/ ٦٥٤	٣/ ٦٥٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾	١٠٦	٣/ ٦٥٧	٣/ ٦٥٧، ٦٥٨

طـرف الآيــة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
سـورة الأنعام			
﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾	٧	٣/ ٧٠٥	٣/ ٧٠٥
﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾	١٩	٣/ ٧١٧	٣/ ٧٢٠
﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾	٥٢	٤/ ٧	٤/ ٧، ٨
﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾	٥٤	٤/ ١٢	٤/ ١٢
﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾	٦٩	٤/ ٣١	٤/ ٣٢
﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	١٠٨	٤/ ٩٨	٤/ ٩٩
﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾	١٠٩	٤/ ١٠٠	٤/ ١٠٠
﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	١١٦	٤/ ١١١	٤/ ١١٣
﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾	١٣٦	٤/ ١٣٧	٤/ ١٣٧
﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾	١٤١	٤/ ١٤٦	٤/ ١٥٠
﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾	١٦٤	٤/ ١٨٨	٤/ ١٨٨

طـرف الآيــة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
سـورة الأعراف			
﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾	٢٩	٤/ ٢٣٩	٤/ ٢٣٩
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ ﴾	١٨٠	٤/ ٤٥٢	٤/ ٤٥٣
﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾	١٨٤	٤/ ٤٥٧	٤/ ٤٥٩
﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ﴾	٢٠٣	٤/ ٤٧٩	٤/ ٤٨٣
﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا ﴾	٢٠٤	٤/ ٤٨٤	٤/ ٤٨٤
سـورة الأنفال			
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ﴾	١	٤/ ٤٨٩	٤/ ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢
﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ ﴾	١٧	٤/ ٥٢٥	٤/ ٥٢٦
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾	٢٧	٤/ ٥٤١	٤/ ٥٤١، ٥٤٢
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٣٦	٤/ ٥٥٩	٤/ ٥٥٩، ٥٦١
﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾	٤٣	٤/ ٥٨٢	٤/ ٥٨٢
﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾	٦٧	٤/ ٦٢٤	٤/ ٦٢٥

طـرف الآيـة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
سـورة التوبة			
﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾	٩	٤/ ٦٥٧	٤/ ٦٥٧
﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾	١٩	٤/ ٦٧١	٤/ ٦٧٣، ٦٧٤
﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾	٤٣	٤/ ٧٢٨	٤/ ٧٢٨، ٧٢٩
﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓ﴾	٤٩	٤/ ٧٣٥	٤/ ٧٣٦
﴿قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾	٥٣	٤/ ٧٤٢	٤/ ٧٤٣
﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾	٥٨	٤/ ٧٤٧	٤/ ٧٥٠
﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ﴾	٦٢	٥/ ١٩	٥/ ٢٢، ٢٣
﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُ﴾	٦٥	٥/ ٢٥	٥/ ٢٦، ٢٧
﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ﴾	٧٤	٥/ ٣٧	٥/ ٣٩
﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ﴾	٧٥	٥/ ٤٢	٥/ ٤٢
﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓ﴾	٨٤	٥/ ٥٧	٥/ ٥٧، ٥٨
﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ﴾	٩٥	٥/ ٦٩	٥/ ٦٩، ٧٠
﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗا﴾	١٠٨	٥/ ٩٥	٥/ ٩٥

طرف الآية	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾	١٠٨	٥/ ٩٥	٥/ ٩٩
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾	١١١	٥/ ١٠٥	٥/ ١٠٧
﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾	١١٣	٥/ ١٠٩	٥/ ١١٥، ١١٦
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾	١١٥	٥/ ١١٧	٥/ ١٢٠
﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾	١٢٢	٥/ ١٣٠	٥/ ١٣٠
سورة يونس			
﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾	٢	٥/ ١٤٣	٥/ ١٤٥
سورة هود			
﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ﴾	٥	٥/ ٢٦٢	٥/ ٢٦٢، ٢٦٣
﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾	١٢	٥/ ٢٧٠	٥/ ٢٧٠
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾	١١٤	٥/ ٣٩٢	٥/ ٣٩٦
سورة يوسف			
سورة يوسف عليه السلام		٥/ ٤٠٥	٥/ ٤٠٥
﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾	٣	٥/ ٤٠٥	٥/ ٤٠٦
سورة الرعد			

طـرف الآيـة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾	١٣	٥/ ٥٨٤	٥/ ٥٩٢، ٥٩٣
سورة الحجر			
﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾	٢٤	٥/ ٧٠٦	٥/ ٧١١
﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾	٤٩	٥/ ٧٢٢	٥/ ٧٢٥
سورة النحل			
﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾	١	٦/ ٥	٦/ ٧
﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾	٢٨	٦/ ٣٥	٦/ ٣٦
﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾	٣٨	٦/ ٤٢	٦/ ٤٤
﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾	٤١	٦/ ٤٧	٦/ ٤٧
﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾	٩٧	٦/ ١٠٧	٦/ ١١٠
﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾	١٠٣	٦/ ١١٠	٦/ ١١٢، ١١٣، ١١٤
﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟﴾	١١٠	٦/ ١٢١	٦/ ١٢٢، ١٢٣
﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾	١٢٦	٦/ ١٣٨	٦/ ١٣٩، ١٤٠

طـرف الآيـة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
سـورة الإسراء			
﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾	١١	٦/ ١٦٣	٦/ ١٦٦، ١٦٧
﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾	١٥	٦/ ١٧١	٦/ ١٧١، ١٧٢
﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾	٢٨	٦/ ١٨٧	٦/ ١٨٩، ١٩٠
﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾	٤٦	٦/ ٢١٦	٦/ ٢١٧
﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾	٥٣	٦/ ٢٢٣	٦/ ٢٢٦
﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾	٥٦	٦/ ٢٢٨	٦/ ٢٢٩
﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ﴾	٥٩	٦/ ٢٢٨	٦/ ٢٣١
﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾	٦٠	٦/ ٢٣٤	٦/ ٢٣٤، ٢٣٥
﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾	٧٣	٦/ ٢٤٩	٦/ ٢٥٥، ٢٥٦
﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾	٧٦	٦/ ٢٥٨	٦/ ٢٥٨
﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾	٨٨	٦/ ٢٧٥	٦/ ٢٨٠
﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾	١١٠	٦/ ٣٠٢	٦/ ٣٠٣، ٣٠٤

طـرف الآيــة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
سـورة الكهف			
﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾	٢٨	٦/ ٣٥٧	٦/ ٣٥٧، ٣٥٨
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾	٥٤	٦/ ٣٩١	٦/ ٣٩٦، ٣٩٧
﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾	١٠٩	٦/ ٤٥٩	٦/ ٤٦٢
سـورة مريم			
﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ﴾	٦٤	٦/ ٥٢٥	٦/ ٥٢٦
﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾	٦٦	٦/ ٥٣٠	٦/ ٥٣٠
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾	٧٣	٦/ ٥٤٠	٦/ ٥٤٠
﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾	٧٧	٦/ ٥٤٤	٦/ ٥٤٧
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾	٩٦	٦/ ٥٥٧	٦/ ٥٦١
سـورة طـه			
﴿طه * مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾	١، ٢	٦/ ٥٦٥	٦/ ٥٦٧
﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾	١١٤	٦/ ٦٣٨	٦/ ٦٣٨
﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾	١٣١	٦/ ٦٥١	٦/ ٦٥١

طرف الآيــة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
ســورة الأنبياء			
﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾	٣٤	٦/ ٦٧٥	٦/ ٦٧٥
﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾	٣٦	٦/ ٦٧٧	٦/ ٦٧٧
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾	١٠١	٦/ ٧٢٦	٦/ ٧٢٥، ٧٢٦
ســورة الحج			
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾	١١	٧/ ١٧	٧/ ١٨
﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾	١٩	٧/ ٢٥	٧/ ٢٧، ٢٨
﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾	٣٧	٧/ ٥٤	٧/ ٥٨
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾	٣٨	٧/ ٥٨	٧/ ٥٨
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾	٥٢	٧/ ٦٩	٧/ ٧٢
﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟﴾	٥٨	٧/ ٧٤	٧/ ٧٥، ٧٧
﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾	٦٧	٧/ ٧٩	٧/ ٨٠
﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾	٧٦	٧/ ٨٥	٧/ ٨٥
ســورة المؤمنون			
﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾	١، ٢	٧/ ٨٩	٧/ ٩٠

طـرف الآيـة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾	٧٦	٧/ ١٣٢	٧/ ١٣٢
سـورة النور			
﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ﴾	٣	٧/ ١٦٢	٧/ ١٦٣، ١٦٤
﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾	٤	٧/ ١٦٧	٧/ ١٦٨
﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾	٦	٧/ ١٧٢	٧/ ١٧٣، ١٧٤
﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾	٢٢	٧/ ١٩٢	٧/ ١٩٢
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾	٢٧	٧/ ١٩٨	٧/ ١٩٨
﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ﴾	٢٩	٧/ ٢٠٣	٧/ ٢٠٣
﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾	٣١	٧/ ٢٠٥	٧/ ٢٠٥
﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾	٣١	٧/ ٢١٢	٧/ ٢١٢
﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾	٣٣	٧/ ٢١٩	٧/ ٢١٩
﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٣٥	٧/ ٢٢٠	٧/ ٢٢١
﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ﴾	٤٧	٧/ ٢٤١	٧/ ٢٤٣
﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾	٥٥	٧/ ٢٤٦	٧/ ٢٤٧

طـرف الآيــة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ ﴾	٦١	٧/ ٢٥٣	٧/ ٢٥٤، ٢٥٥
سـورة الفرقان			
﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ ﴾	٧	٧/ ٢٦٧	٧/ ٢٦٧
﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾	٢٧	٧/ ٢٨٦	٧/ ٢٨٧
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾	٦٠	٧/ ٣٠٧	٧/ ٣٠٩
﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾	٧٠	٧/ ٣١٨	٧/ ٣١٨
سـورة الشعراء			
﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٢١٥	٧/ ٣٨٧	٧/ ٣٨٨
﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾	٢٢٧	٧/ ٣٩٤	٧/ ٣٩٤
سـورة القصص			
﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾	٥١	٧/ ٥١٤	٧/ ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦
﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾	٥٦	٧/ ٥١٧	٧/ ٥١٧، ٥١٨
﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾	٦٨	٧/ ٥٢٣	٧/ ٥٢٥
﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ﴾	٨٧	٧/ ٥٤٤	٧/ ٥٤٥

طـرف الآيــة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
ســورة العنكبوت			
﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴾	٢	٧/ ٥٤٩	٧/ ٥٤٩، ٥٥٠
﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗا ﴾	٨	٧/ ٥٥٥	٧/ ٥٥٥
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾	١٠	٧/ ٥٥٥	٧/ ٥٥٧
﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ ﴾	٤٨	٧/ ٥٩٠	٧/ ٥٩١
﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ﴾	٥١	٧/ ٥٩٢	٧/ ٥٩٣
ســورة لقمان			
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾	٦	٧/ ٦٥١	٧/ ٦٥٢، ٦٥٣
﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ ﴾	١٣	٧/ ٦٥٧	٧/ ٦٦٠
﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ ﴾	١٥	٧/ ٦٦٠	٧/ ٦٦٢
﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ ﴾	٢٧	٧/ ٦٧٥	٧/ ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾	٣٤	٧/ ٦٨١	٧/ ٦٨٣
ســورة السجدة			
﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا ﴾	١٥	٧/ ٦٩٥	٧/ ٦٩٧

طـرف الآيـة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾	١٧	٧/ ٦٩٧	٧/ ٧٠١
سـورة الأحزاب			
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴾	١	٧/ ٧١٣	٧/ ٧١٤
﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾	٤	٧/ ٧١٥	٧/ ٧١٥
﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ﴾	٤	٧/ ٧١٥	٧/ ٧١٨
﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾	١٢	٧/ ٧٢٩	٧/ ٧٢٩
﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ ﴾	١٦	٧/ ٧٣٥	٧/ ٧٣٦، ٧٣٧
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾	٢٨	٧/ ٧٥١	٧/ ٧٥١، ٧٥٢
﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾	٣٥	٨/ ١٤	٨/ ١٥، ١٦
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا ﴾	٣٦	٨/ ١٧	٨/ ١٧، ١٨
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾	٥٠	٨/ ٣١	٨/ ٣٢، ٣٣
﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾	٥٢	٨/ ٣٦	٨/ ٤٢
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ ﴾	٥٣	٨/ ٤٤	٨/ ٤٤، ٤٥

طـرف الآيـة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾	٥٣	٨/ ٤٤	٨/ ٤٧، ٤٨
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ﴾	٥٩	٨/ ٥٥	٨/ ٥٥
﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾	٦٣	٨/ ٥٨	٨/ ٥٩
سـورة فاطر			
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾	١٨	٨/ ١٤٤	٨/ ١٤٤
سـورة يس			
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾	٤٧	٨/ ٢٠٣	٨/ ٢٠٣، ٢٠٤
﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾	٧٧	٨/ ٢٢٥	٨/ ٢٢٥
سـورة الصافات			
﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾	١٤	٨/ ٢٣٦	٨/ ٢٣٨
سـورة الزمر			
﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	١٠	٢/ ٢٠٢، ٨/ ٣٧٨	٢/ ٢٠٢، ٨/ ٣٨٣
﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾	١٧	٨/ ٣٨٥	٨/ ٣٨٦
﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا﴾	٢٣	١/ ١٤٦، ٨/ ٣٨٩	١/ ١٤٦، ٨/ ٣٩١

طـرف الآيــة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾	٣٦	٨/ ٤٠٠	٨/ ٤٠٢
﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾	٤٥	٨/ ٤٠٦	٨/ ٤٠٧
﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾	٥٣	٨/ ٤١١	٨/ ٤١١، ٤١٢
﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾	٦٧	٨/ ٤٢١	٨/ ٤٢١، ٤٢٢
سـورة فصلت			
﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾	٢٢	٨/ ٥١١	٨/ ٥١٤
﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾	٤٤	٨/ ٥٣٥	٨/ ٥٣٦
سـورة الشورى			
﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ﴾	١٦	٨/ ٥٥٩	٨/ ٥٦٠
﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾	٢٣	٨/ ٥٦٣	٨/ ٥٦٧، ٥٦٨
﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٢٧	٨/ ٥٦٩	٨/ ٥٧٣، ٥٧٤
﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾	٥١	٨/ ٥٩٢	٨/ ٥٩٤
سـورة الزخرف			

طــرف الآيــة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢا﴾	٥٨	٨/ ٦٤٠	٨/ ٦٤١
ســورة الدخان			
﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾	٤٩	٨/ ٦٨٤	٨/ ٦٨٦
ســورة الجاثية			
﴿وَيۡلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾	٧	٨/ ٦٩٥	٨/ ٦٩٦
﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ﴾	٢٥	٨/ ٧١١	٨/ ٧١٢
ســورة الأحقاف			
﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡ﴾	٩	٨/ ٧٢٦	٨/ ٧٢٩
﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًا﴾	١٥	٨/ ٧٣٢	٨/ ٧٣٩، ٧٤٠
﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ﴾	١٧	٨/ ٧٤٠	٨/ ٧٤١
ســورة محمد			
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾	٣٣	٩/ ٣٧	٩/ ٣٧
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ﴾	٣٤	٩/ ٣٧	٩/ ٣٨
ســورة الفتح			
﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾	٥	٩/ ٥١	٩/ ٥١

طـرف الآيــة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾	٢٤	٩/ ٦٩	٩/ ٧١
﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾	٢٧	٩/ ٨١	٩/ ٨٢
سـورة الحجرات			
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾	١	٩/ ٩٣	٩/ ٩٤
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾	٤	٩/ ٩٩	٩/ ٩٩، ١٠٠
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾	٦	٩/ ٩٩	٩/ ١٠١، ١٠٢
﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾	٩	٩/ ١٠٤	٩/ ١٠٥
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾	١١	٩/ ١٠٧	٩/ ١٠٧، ١٠٨
﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ﴾	١١	٩/ ١٠٧	٩/ ١١٠
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾	١٣	٩/ ١١٨	٩/ ١١٨
سـورة ق			
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾	٣٨	٩/ ١٥٩	٩/ ١٦١
﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾	٤٥	٩/ ١٦٤	٩/ ١٦٧

طـرف الآيـة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
ســورة الطور			
﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾	٣٠	٩/ ٢١٩	٩/ ٢١٩
ســورة النجم			
سورة النجم		٩/ ٢٣١	٩/ ٢٣١
﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾	٢٥٣	٩/ ٢٥٣	٩/ ٢٥٤
﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾	٣٢	٩/ ٢٥٣	٩/ ٢٥٦، ٢٥٧
﴿ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ﴾	٣٣	٩/ ٢٥٣	٩/ ٢٥٨
ســورة القمر			
﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾	٤٩	٩/ ٢٩٩	٩/ ٣٠٢
ســورة الواقعة			
﴿ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾	١٣	٩/ ٣٥٢	٩/ ٣٥٣
﴿فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ﴾	٢٨	٩/ ٣٥٩	٩/ ٣٥٩
ســورة الحديد			
﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَ﴾	١٠	٩/ ٣٩٧	٩/ ٣٩٧، ٣٩٨
﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾	١١	٢/ ٢٠٢	٢/ ٢٠٢

طرف الآية	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾	١٦	٩/ ٤٠٨	٩/ ٤٠٩، ٤١٠
﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ﴾	٢٩	٩/ ٤٢٨	٩/ ٤٢٨
سورة المجادلة			
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾	٥	٩/ ٤٤٠	٩/ ٤٤٠
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ﴾	٨	٩/ ٤٤٢	٩/ ٤٤٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ ﴾	١١	٩/ ٤٤٦	٩/ ٤٤٦، ٤٤٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ ﴾	١٢	٩/ ٤٤٦	٩/ ٤٥٠
﴿ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾	١٧	٩/ ٤٥٤	٩/ ٤٥٥
سورة الحشر			
﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ ﴾	٥	٩/ ٤٦٣	٩/ ٤٦٤
﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾	٩	٩/ ٤٦٩	٩/ ٤٧٠، ٤٧١
سورة الممتحنة			
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾	١	٩/ ٤٨٥	٩/ ٤٨٥

طـرف الآيــة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾	٧	٩/ ٤٩٢	٩/ ٤٩٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾	١٠	٩/ ٤٩٤	٩/ ٤٩٥
﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾	١١	٩/ ٤٩٧	٩/ ٤٩٨
سـورة الصف			
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾	٢	٩/ ٥٠٩	٩/ ٥١٠
سـورة الجمعة			
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ﴾	٦	٩/ ٥٢٤	٩/ ٥٢٥
﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا﴾	١١	٩/ ٥٢٦	٩/ ٥٣٠
سـورة المنافقون			
سورة المنافقون		٩/ ٥٣٣	٩/ ٥٣٣
سـورة التغابن			
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾	١٤	٩/ ٥٥٤	٩/ ٥٥٥
سـورة الطلاق			
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾	٢	٩/ ٥٥٩	٩/ ٥٦٧
سـورة التحريم			

طـرف الآيـة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾	١	٩/ ٥٧٩	٩/ ٥٧٩، ٥٨٠
سـورة الملك			
﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾	١٣	٩/ ٦٠٩	٩/ ٦١٠
﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾	٢٢	٩/ ٦١٤	٩/ ٦١٤، ٦١٥
سـورة القلم			
﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾	٢	٩/ ٦٢١	٩/ ٦٢٤
﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾	٣٥	٩/ ٦٣٨	٩/ ٦٣٨
سـورة المعارج			
﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾	٣٦	٩/ ٦٨٨	٩/ ٦٩١
سـورة الجن			
﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾	١٨	٩/ ٧٢٢	٩/ ٧٢٥، ٩/ ٧٢٦
سـورة المدثر			
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾	١	١٠/ ٥	١٠/ ٦
﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾	٣	١٠/ ٥	١٠/ ٧

طـرف الآيــة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾	١١	١٠/ ١١	١٠/ ١١
﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ﴾	٥٢	١٠/ ٢٣	١٠/ ٢٧
سـورة القيامة			
﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾	١٦	١٠/ ٣٨	١٠/ ٣٨
سـورة النازعات			
﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾	٤٢	١٠/ ١٢٥	١٠/ ١٢٦
سـورة عبس			
سورة عبس		١٠/ ١٢٩	١٠/ ١٢٩، ١٣٠
﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾	١٧	١٠/ ١٣١	١٠/ ١٣٦
سـورة التكوير			
﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	٢٩	١٠/ ١٥٤	١٠/ ١٥٨
سـورة المطففين			
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾	٢٩	١٠/ ١٧٥	١٠/ ١٨٠
سـورة البلد			
﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۞ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ﴾	٤، ٥	١٠/ ٢٦٥	١٠/ ٢٦٨
سـورة الليل			

طرف الآيـة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾	٥	١٠/ ٢٨٥	١٠/ ٢٨٧، ٢٨٨
﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾	١٩	١٠/ ٢٨٥	١٠/ ٢٩١
سـورة الضحى			
﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾	٣	١٠/ ٢٩٣	١٠/ ٢٩٤
سـورة الزلزلة			
﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾	٧	١٠/ ٣٤٣	١٠/ ٣٥٠، ٣٥١
سـورة العاديات			
﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾	١	١٠/ ٣٥٣	١٠/ ٣٥٤
سـورة الماعون			
سورة ـ ﴿أَرَءَيْتَ الَّذِى﴾	١	١/ ٣٨٧	١٠/ ٣٨٨
سـورة الكوثر			
﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾	٢	١٠/ ٣٩٣	١٠/ ٣٩٥
﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾	٣	١٠/ ٣٩٣	١٠/ ٣٩٦
سـورة الكافرون			
سورة (الكافرون)		١٠/ ٣٩٧	١٠/ ٣٩٧، ٣٩٨

طـرف الآيــة	رقم الآية	موضع ورود الآية	موضع ورود سبب النزول
ســورة المسد			
﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾	١	١٠/ ٤٠٥	١٠/ ٤٠٥، ٤٠٦
ســورة الإخلاص			
﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾	١	١٠/ ٤١١	١٠/ ٤١١، ٤١٢

❊ ❊ ❊

فهرس الأعلام

أبان بن تغلب: ١/ (٤٢٤)، ٢/ (٥١١)، ٤/ ٢٨٤، ٤٦٩، ٥٥٥، ٥/ ١٣٣، ٣٨٩، ٤٥٠، ٧٠١، ٧/ ٣٥١، ٤٠٩، ٥١٩، ٨/ ٣٦٤، ٩/ ٦٠٤.

أبـان بن سـعيد بن العـاص: ١/ (١٨٣)، ٧/ ٦٩٣، ٩/ ٦٦.

أبان بن عثمان: ٣/ (٣٦٥)، ٤/ ١٣٥، ١٥٣، ١٥٤، ٨/ ٩، ١٠/ ٦٧، ٧٢، ١٨٨.

أبان عـن عاصـم: ٢/ ٧٧، ١٨٥، ٣٣٢، ٤/ ١٧٢، ٣٤٩، ٤١٧، ٥٨٨، ٧٣٢، ٦/ ٣٦٧، ٣٨٥، ٩/ ١٢٥، ٦٥٦، ١٠/ ٣٤٩.

إبراهيم ابن النبي ﷺ: ٨/ ٦٣٩.

إبراهيم التيمـي: ٥/ ٦٤٨، ٦٧٢، ٦/ ٣٠٢، ٨/ ٥٠٨، ٩/ ١٤١، ٤٢٨، ٦٤٤، ١٠/ ٧٧، ٢٩٩.

إبراهيـم النخعـي: ١/ ٢٠٥، (٢٤٤)، ٣٦٤، ٤١٨، ٤٢٥، ٥٢٠، ٥٣٩، ٦٥٠، ٦٥٧، ٦٦٩، ٦٩٣، ٧٠٥، ٧٠٨، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٧، ٧٢٠، ٧٢٤، ٧٣٠، ٧٣٨، ٢/ ١٢، ٤٢، ٤٧، ٥٠، ٥١، ٥٣، ٥٤، ٥٨، ٦٤، ٦٦، ٧٠، ٨٠، ٨٩، ٩٣، ٩٩، ١٠٤، ١١١، ١٥٨، ١٨٧، ١٩٤، ٢٢٧، ٢٥٩، ٢٧٣، ٣٠٩، ٤١٧، ٤٣٤، ٥٢٧، ٦١١، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٥٧، ٦٨٤، ٧٠٩، ٧٢٥، ٣/ ٩، ١٥، ١٧، ٢١، ٢٥، ٣٠، ٦٧، ١٠٥، ١٢١، ١٢٤، ١٣٦، ١٤٤، ١٦٠، ١٦٤، ١٧٦، ١٧٨، ١٩٧، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٧٤، ٢٨٠، ٣١٦، ٣٤٣، ٣٥٦، ٣٦٨، ٣٧١، ٣٨٠، ٣٩١، ٤٠٨، ٤١٩، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٣٨، ٤٥٧، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٢٢، ٥٢٧، ٥٣٤، ٥٤١، ٥٥٥، ٥٥٧، ٥٦٤، ٥٨٢، ٥٩٨، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٧، ٦٠٩، ٦١٩، ٦٢١، ٦٢٩، ٦٣٢، ٦٣٥، ٦٤٨، ٦٥٧، ٦٦٠، ٧٣٥، ٤/ ٩، ١٨، ٨٣، ٨٥، ٩٢، ١٠٤، ١١٠، ١٤١، ١٤٩، ١٦٤، ١٨٢، ٢٧٦، ٢٩١، ٤٥٧، ٤٨٧، ٤٩٥، ٥٧١، ٥٧٢، ٥/ ٧، ١١، ١٦، ١٧، ١٠٨، ٢٣٢، ٢٧٦، ٣٠٩، ٥٣٠، ٥٥٥، ٥٨٤، ٦٠٢، ٦٠٥، ٦٢١، ٦٧٦، ٧٢٠، ٧٣٩، ٦/ ٢٤، ٤٣، ٤٤، ٧٤، ٨٠، ١٤٠، ١٨١، ٣٥٩، ٣٨١، ٤٤٥، ٥٧٨، ٧/ ٥٦، ١٥٨، ١٧١، ٢١٨، ٢٥٧، ٢٨٤، ٢٨٩، ٣١١، ٣١٢، ٣١٩، ٣٢٩، ٤٣٣، ٤٦٧، ٥٢٩، ٥٧١، ٦٢٨، ٦٣٥، ٧٠٣، ٧٣٣، ٨/ ٩١، ١٨٠، ٢٣٧، ٥٠٥، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥٩٤، ٦٤٠، ٦٦٥، ٩/ ١٤١، ٤٢٨، ٦٤٤، ١٠/

٦، ٨، ٦٩، ١٠٣، ١١٨، ١٥٥، ١٧٩، ١٩٩، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٣، ٣٥٤.
إبراهيم بن أبي بكر: ٥/ (٦٥٠)، ٧/ ٩٥.
إبراهيم بن أدهم: ٧/ (٦٠٢)، ١٠/ ٢٩٩.
إبراهيم بن إسحاق: ١/ (٥٨٤).
إبراهيم بن القاسم الكاتب: ٦/ (٣٦٩).
إبراهيم بن المهدي: ٧/ (٣١٦).
إبراهيم بن حاطب: ٢/ (٣٥١).
إبراهيم بن يزيد الخوزي: ٢/ (٥٢٢)، ٥٢٣.
أبرهة الحبشي: ١٠/ ٣٧٩، ٣٨٠.
ابن أبزى: ١/ ٥٠٦، ٣/ ٦٩٧، ٤/ ٥٥١، ٥٥٩، ٥/ ٢٦٢، ٢٦٣، ٨/ ١٢٣، ١٠/ ٦٤.
ابن أبي إسحاق: ١/ (٢٧٢)، ٢٨١، ٣٣٨، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨١، ٤٩٢، ٥٠٩، ٥٤٦، ٦٩٣، ٧٠٧، ٧٤٥، ٢/ ٢٧٨، ٧٣٩، ٣/ ٢٩٨، ٣٥١، ٤/ ٢٠، ١٧٢، ١٧٤، ١٨٧، ٢٨٠، ٥٣٥، ٦٢٣، ٦٣٢، ٦٥٢، ٦٦٨، ٧٤٨، ٥/ ١٦٦، ١٦٧، ١٧١، ٢٠١، ٢١٥، ٢١٦، ٢٦٢، ٢٦٣، ٣٧٢، ٣٩٥، ٤٢٨، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤٥، ٤٥٧، ٦٥٠، ٦/ ١٧٣، ٢٥٧، ٣٢٩، ٣٣٠، ٤٤٢، ٥٠٢، ٥٠٧، ٥٧٨، ٧/ ٤٠، ٥٣، ٥٤، ١١٢، ١١٧، ١٣٠، ١٣٦، ١٤٦، ٢٤٤، ٢٦١، ٣٦١، ٤١٢، ٤١٤، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٩٥، ٦٤٨، ٦٧٦، ٦٨٣، ٧٠٦، ٨/ ٧٥، ١٢١، ١٧٥، ١٧٦، ٢٠٨، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٨، ٢٣٩، ٢٥٢، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٥٠، ٣٩٨، ٤١١، ٤٦٦، ٥٠٢، ٥١٠، ٥١٨، ٥٦٦، ٦٤٩، ٦٦٤، ٦٧١، ٧٥٢، ٩/ ٥٧، ١٣٠، ١٨٢، ٢٨٢، ٣٢٧، ٣٥٦، ٣٩٥، ٤٠٩، ٤٤٢، ٥١٣، ٥١٦، ٥٢٦، ٥٤٥، ٦٢٣، ٦٣٢، ٦٦٤، ٧٠٥، ١٠/ ٨، ٣٤، ٣٦، ١٠٣، ١٠٧، ١٠٩، ١١٧، ١٢٠، ١٦٣، ١٧٧، ٢٦٠، ٣٦٤، ٣٨٩.
ابن أبي الحقيق: ٢/ ٣٧٠، ٤٧٤، ٤/ ٥٢٨، ٥٢٩.
ابن أبي الزناد: ٥/ (٤٠٣).
ابن أبي أويس: ٢/ ١٧٤، ٤/ ٦٦٤، ١٠/ ٣٥.
ابن ابي بريدة: ٩/ ٣٦٥.
ابن أبي بزة: ٤/ (١٨٣)، ٧/ ٢٣٥، ٦٥٩، ٨/ ٣٠.
ابن أبي حاتم: ٣/ ٤٥٠.
ابن أبي حدرد: ٢/ ٢٥٢، ٣/ (٨٠)، ٩/ ١١٠.
ابن أبي خثيمة: ٤/ (٢٢٥).
ابن أبي رجاء: ٥/ ٢١٥.
ابن أبي زكريا: ٥/ (٥٩١).
ابن أبي زمنين: ١/ (٧٣٩).
ابن أبي زيد: ١/ (٧٠٩)، ٢/ ٥١٨.
ابن أبي عبلة: ١/ (٢٢٨)، ٢٨٢، ٣٠٤، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢٥، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٤٥، ٤١٥، ٤٦٢، ٥٠٢، ٥٧٦، ٥٧٩، ٥٩٤، ٦٥٣، ٦٨٠، ٧٥٧، ٢/ ٧٦، ١٠٧، ١٣٣، ٢٨٨، ٢٩٩، ٣٣٨، ٣٧٧، ٤٠٦، ٥٠٢، ٥٩٣، ٦٩٢، ٣/ ٧، ١٦، ٢١، ٣٩، ٤١، ١٤١، ١٤٣، ٣١١، ٣٤٥، ٣٨٢، ٣٩٠، ٤٩٩، ٥٥٥، ٥٦٠، ٧١٣، ٧٥٢، ٤/ ٩، ٣٠، ٩٠، ١٤٣، ١٤٤،

١٧٧، ١٩٥، ٢٨٨، ٢٩٢، ٢٩٧، ٣٥٧، ٣٧٢، ٣٩١، ٣٩٤، ٤١٧، ٤٨٣، ٧٣٤، ٥/ ٢٥، ٤٠، ٩٢، ١٣٣، ١٥٠، ١٧٠، ١٧٩، ٣١٧، ٥١١، ٦٠٩، ٦٩٥، ٧٤٠، ٦/ ٨، ١٣، ١٣٢، ٣٦٠، ٣٧٩، ٤٥٣، ٥١٧، ٥٩٦، ٧/ ٨، ١٣، ٢٦، ٢٨، ٤١، ٩٨، ١٠٩، ١٨٦، ٢٥١، ٣٠٠، ٣٢٦، ٣٣٧، ٣٧٠، ٣٧٦، ٣٩٧، ٤٢٦، ٤٣٧، ٤٤٩، ٥٩٥، ٦٢٦، ٦٤٥، ٦٧١، ٦٨٣، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٣، ٨/ ١١، ١٩، ٢٣، ٤٧، ٥٩، ٧٩، ٩٢، ١٦٧، ٢٩٢، ٣١٦، ٣٥٤، ٣٦٧، ٣٩٨، ٥٢٦، ٧٢٨، ٩/ ١٧٦، ٥١٨، ٦٢٨، ٦٣٦، ٦٤٠، ٧٠٣، ٧١٢، ٧٣٢، ١٠/ ١٠، ٢٢، ٣٣، ٣٥، ٥٦، ٧٢، ٨١، ١٢٤، ٢٠٣، ٣٠٧.

ابن أبي عقرب: ١/ (٣٧٤)، ٨/ ٣٩٨.

ابن أبي عمار: ٧/ (٣٥٤).

ابن أبي عياش الزرقي: ٣/ ٢٩٤.

ابن أبي قحافة = عبد الجبار بن علي: ٥/ (٧٠٩).

ابن أبي ليلى: ١/ (٤١٩)، ٥١٢، ٢/ ١٣، ١٦، ٥٠، ٤٧٠، ٣/ ١٤٤، ٤٣٦، ٥٠٢، ٤/ (٨٨)، ٥/ ١٧٧، ٦/ ٩٠، ١٠٤، ٧/ ٤٠٧، ٥٦٣، ٨/ ١٨٩، ٢٠٨، ٩/ ٦٣، ٤٩٨، ٥٧١، ١٠/ ٣٥٧.

ابن أبي مارية مولى عمرو بن العاص: ٣/ (٦٥٨).

ابن أبي مريم: ٦/ ١٥٦.

ابن أبي مليكة: ٢/ (٣٩)، ٢١٣، ٥/ ٣٢٠، ٥٥٥، ٦١٣، ٧٤٧، ٧٤٨.

ابن أبي نجيح: ١/ (٤٣٢)، ٤/ ٤٤٨، ٧/ ٤١، ٤٩١، ٨/ ٥٨٧، ٩/ ١٧٨، ١٠/ ٣٧٦.

ابن أحمر: ١/ (٥٩٣)، ٢/ ٢٣٩، ٣/ ٤٠٥، ٧/ ٣٥٣.

ابن أرقم: ٦/ ١٣.

ابن الأعرابي: ١/ ٢٨٧، ٥٠٨، ٢/ ١١٦، (٢٨٤)، ٧٢٧، ٣/ ٢٠، ٦٠٤، ٥/ ٣١١، ٦/ ١٩٩، ١٠/ ٦٥.

ابن الأنباري: ١/ (٦٩٤)، ٦/ ٢٥٧، ٣٦٧، ٨/ ١٢٥، ٤٢٨، ٩/ ٦٥٥، ٧٠٦.

ابن الجلاب: ٢/ (٧٤)، ٩٢، ٩٣، ٤/ ٦٨٧.

ابن الجهم المالكي: ٣/ ١٧٢.

ابن الجوهري: ٦/ ٥٨١.

ابن الدثنة: ١/ (٧٤١).

ابن الدغنة: ٤/ (٦٨٢)، ٧٢١.

ابن الرافلة: ١/ (١٧٣).

ابن الرقاع: ٥/ ٢٢٣.

ابن السكيت: ٤/ ٦٩٧، ١٠/ ٥٣.

ابن السكيت = يعقوب بن إسحاق: ٢/ (٧٠٨)، ٤/ ٥٦٦، ٦/ ١٩٩، ٩/ ١٤.

ابن السَّمَيْفَع: ١/ (٢٣١)، ٢٩٤، ٣٤٨، ٢/ ٦٢٠، ٣/ ١٠١، ٦٠٤، ٤/ ٢٩٢، ٦٥٣، ٥/ ٢٤٢، ٥٥٨، ٦٢٧، ٦/ ٧٢٥، ٧/ ١٨٨، ٣٦٨، ٣٨٨، ٤١٤، ٤٥٦، ٦٤٣، ٧٠٨، ٧١١، ٨/ ١٠٠، ٤٤٥، ٤٧١، ٥٩٦، ٦٥٧، ٦٧٣، ٧٣٤، ٩/ ٥٥، ٢٣٨، ٢٦٠، ٧١٥، ٧٤٨، ١٠/ ٢٠، ١٤٤، ٢٠٦، ٢٠٧.

ابن الصائغ: ١/ (٣٣٩).

ابن القاسم: ١/ (٢٠٦)، ٣٦٢، ٦٣٥، ٧٠٩،

٧١٣، ٢/ ٥٣، ٥٧، ٨٠، ٩١، ٩٢، ٩٩، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٢٣، ٢٢٦، ٢٧٢، ٥١٤، ٥٢٦، ٧٢٩، ٣/ ٢٨، ٥٥، ١٠٦، ١٦٨، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٩، ٥١٧، ٦٠٦، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٦، ٤/ ٤٧٩، ٤٩٤، ٦٨٧، ٦٩٠، ٥/ ١٣، ٦/ ١١٨، ١٢٠، ١٧٧، ٢٠٢، ٧/ ١٧٢، ١٧٨، ١٧٩، ١٨١، ٢٨٠، ١٠/ ٤٢٠.

ابن القاسم العتقي: ٢/ ٥١٧.

ابن القصار: ٢/ (٢٩)، ٧/ ١٨٠.

ابن الكلبي: ١/ (٢٩٩)، ٢/ ٣٤٢، ٣/ ٣٩٢، ٥٥٢، ٤/ ٣٠٢، ٣٨٣، ٤٢٤، ٤٢٩، ٥٩٣، ٥/ ٦١٢، ٦/ ٢٤، ١٥٥، ٨/ ١٢، ٢٢، ٩/ ٦١٤، ٦١٩، ٦٤٨، ١٠/ ٦٠.

ابن اللتبية: ٥/ (٩).

ابن الماجشون: ١/ ٢٩٥، (٧٠٥)، ٧٠٩، ٧١٠، ٢/ ٩١، ٣/ ١٠٦، ١٠٨، ٢٩٢، ٦٠٦، ٤/ ٥٢٣، ٦٩٠، ٥/ ١٣، ٦/ ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ٤٥٠، ٧/ ١٧٢، ١٧٨.

ابن المستنير: ٣/ ٣٥٢، ٥/ ٤٧٨، ٦/ ٤٦٧، ٩/ ٦٦٧.

ابن المنذر: ١/ (٧٠٦)، ٢/ ١٢، ١٧، ٥٠، ٥١، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٨، ٢٣٥، ٣/ ٩٢، ٩٣، ٢٨٦، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٩٥، ٤/ ١٥٩، ٤٩٦، ٤٩٨، ٥٦٨، ٦٨٦، ٥/ ١٥، ١٧.

ابن المواز: ١/ (٧١٠)، ٧٤٠، ٢/ ٩١، ٩٩، ٧٤٣، ٣/ ٢٩٩، ٦٠٣، ٦٠٦، ٦٠٨، ٦٢٦.

ابن أم عبد: ٤/ ٧.

ابن أم كلثوم: ٧/ ٢٠٦.

ابن بريدة: ١/ ٥١١، ٣/ ٥٥٧، ٥٦٢، ٤/ ٢٢٣، ٨/ ٣٥٠، ١٠/ ١٠٣.

ابن بكار = عبد الحميد الكلاعي: ٣/ (٣٢٢).

ابن جريج: ١/ (٢٤٠)، ٣٣٣، ٣٦٦، ٣٨١، ٣٨٧، ٣٩١، ٤٥٧، ٤٦٦، ٤٧٢، ٥٦٧، ٥٨٧، ٥٩٧، ٧٤٤، ٧٥٤، ٢/ ٦، ٤٣، ١٢٦، ١٥٥، ١٦٩، ١٧٢، ١٨١، ١٩٥، ١٩٩، ٢٤٢، ٢٥١، ٢٦٠، ٢٦٣، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٦٢، ٣٧٨، ٤١٠، ٤١٢، ٤٢١، ٤٢٩، ٤٣٢، ٤٣٧، ٤٤٠، ٤٤٧، ٤٥٠، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٦٧، ٤٧٣، ٤٨٠، ٤٨٤، ٥٦٢، ٥٧٣، ٦١٥، ٦١٨، ٦٤٣، ٦٥٠، ٦٥٨، ٦٦٤، ٦٨٨، ٦٩٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٢٠، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٤٠، ٣/ ٢٠، ٩٠، ١٩٨، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٧٠، ٣٤٦، ٣٥٥، ٣٨٨، ٣٩٧، ٤١١، ٥٣٥، ٥٤٨، ٥٧٦، ٥٨٨، ٥٩٦، ٦٢٢، ٦٧٤، ٦٨٣، ٧٢١، ٧٤٦، ٤/ ١٩، ٣١، ٦٠، ١٠٦، ١٢٧، ١٣٣، ١٤٨، ١٧٧، ٢٣٤، ٢٤٤، ٣٥١، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٩، ٤٠٠، ٤١٧، ٤٦٣، ٤٦٥، ٥٤٨، ٥٥٩، ٥/ ١٠٣، ١٠٤، ١٢٧، ١٤٥، ١٥٧، ٢٣٦، ٣٠١، ٣٧٠، ٣٧٩، ٤٢٢، ٤٦٣، ٤٨٢، ٥٢٨، ٥٣٣، ٥٣٩، ٥٨٧، ٥٩٢، ٦٠٦، ٦١١، ٦٩٩، ٧٠٥، ٦/ ٧، ٩، ٥٧، ١٩١، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٧٢، ٣٠٠، ٤٣٠، ٤٤٣، ٤٦٩، ٤٨٥، ٥١٠، ٥٢٦، ٥٣٥، ٥٣٥، ٧/ ١٠، ٤٨، ٦٠، ٩٦، ١٢٥، ١٢٩،

١٣٢، ٢٠١، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٤،
٢٩٥، ٣٢٧، ٣٣٨، ٣٥٧، ٣٦٥، ٣٨٨،
٤٠٥، ٤١٦، ٤٣٠، ٤٦٨، ٤٨٣، ٤٩٠،
٤٩١، ٤٩٤، ٥٢٩، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٨٥،
٦٦٧، ٦٩٧، ٨/ ٢٨٧، ٩/ ٨، ١٩٠، ٣٦٩،
٦٦٥، ٦٦٦، ٦٩١، ١٠/ ٣٨٨.
ابن جرير الطبري: ١/ (١٦٣)، ١٨٢، ١٨٣،
١٨٧، ٢١٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٥٢،
٢٥٧، ٢٥٨، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٩، ٣٣٠،
٣٣٥، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٣،
٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٩،
٣٨٤، ٣٩٣، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤١٤، ٤١٧،
٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٥، ٤٤٩، ٤٥٢، ٤٥٧،
٤٦٢، ٤٦٣، ٤٩٥، ٤٩٧، ٥٠٠، ٥٠٣،
٥٢٤، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٤٣، ٥٤٥، ٥٦٦،
٥٦٧، ٥٧٣، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٨، ٥٩٨،
٥٩٩، ٦١٢، ٦٣٠، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٤٠،
٦٧١، ٦٨٧، ٦٩٦، ٧٠٦، ٧١٤، ٧١٨،
٧٢٥، ٧٣٢، ٧٤٤، ٧٥١، ٧٥٥، ٧٦٢،
٧٦٣، ٢/ ٨، ١٩، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٤٢،
٥٠، ٧٩، ١٠٦، ١١٧، ١١٩، ١٢٠، ١٢١،
١٢٢، ١٢٨، ١٣٧، ١٤٦، ١٥٥، ١٥٧،
١٦٠، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨،
١٧٥، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٨، ١٨٩،
١٩٠، ١٩٤، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٩، ٢١٣،
٢١٩، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٥٤،
٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٧٥،
٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٥، ٢٩٠، ٣٠٠،
٣٠١، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٣٦، ٣٣٧،
٣٤٣، ٣٤٤، ٣٥٣، ٣٥٨، ٣٦٢، ٣٦٣،
٣٧٦، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٤، ٣٨٨، ٣٩٢،
٣٩٣، ٣٩٤، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٠٩، ٤١٠،
٤١١، ٤١٦، ٤٢١، ٤٣١، ٤٣٥، ٤٣٧،
٤٥١، ٤٥٣، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٦، ٤٧٣،
٤٧٥، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٥،
٤٩٧، ٥٠٢، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥١٤، ٥٢١،
٥٢٢، ٥٢٣، ٥٣١، ٥٣٣، ٥٤٣، ٥٤٤،
٥٥٢، ٥٦٠، ٥٦٥، ٥٧٦، ٥٨٠، ٥٨٣،
٥٨٤، ٥٩٠، ٥٩٥، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦١٥،
٦٢٠، ٦٢٩، ٦٣٢، ٦٣٦، ٦٣٨، ٦٥٨،
٦٥٩، ٦٦٢، ٧١٧، ٧٣٤، ٣/ ١٧، ٢٣، ٢٤،
٣١، ٣٤، ٥١، ٥٦، ٥٩، ٩٩، ١٠٠، ١٠٧،
١١٠، ١١٣، ١١٥، ١٢١، ١٣٧، ١٣٩،
١٤٠، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٦، ١٤٩،
١٥٠، ١٥٣، ١٥٦، ١٧١، ١٧٣، ١٧٨،
١٧٩، ١٨٢، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٩، ٢١٤،
٢١٨، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٨، ٢٥٩،
٢٧١، ٢٧٩، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٢،
٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٤، ٣٢٣، ٣٣٤،
٣٣٦، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٦٥،
٣٧٥، ٣٨٩، ٣٩٤، ٣٩٥، ٤٠٩، ٤١٥،
٤٣٥، ٤٣٩، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٥١،
٤٥٣، ٤٥٦، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧٤، ٤٨٢،
٤٨٩، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٤، ٤٩٦، ٤٩٧،
٤٩٩، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥١١، ٥١٥، ٥٢٦،
٥٣١، ٥٣٢، ٥٤٤، ٥٥٧، ٥٥٩، ٥٦٣،
٥٦٦، ٥٦٨، ٥٧٠، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٧،
٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٥،

٦٠٧، ٦٠٩، ٦٢٠، ٦٢٦، ٦٣٠، ٦٣١،
٦٣٣، ٦٣٨، ٦٤٤، ٦٤٨، ٦٦٠، ٦٦١،
٦٦٢، ٦٧٣، ٦٩٥، ٦٩٦، ٧١٢، ٧٢٠،
٧٢٣، ٧٢٩، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٨، ٧٣٩،
٧٤٥، ٧٤٧، ٧٥١، ٧٦٠، ٤/ ٥، ٦، ٨، ٩،
١٠، ١٢، ١٩، ٢٦، ٢٨، ٣٠، ٣٣، ٣٥، ٣٧،
٤٤، ٤٥، ٤٦، ٥٢، ٦٢، ٧٩، ٨٧، ٨٨، ٨٩،
٩٠، ٩٥، ١١٢، ١١٨، ١١٩، ١٢٦، ١٢٨،
١٣٠، ١٣١، ١٣٦، ١٤٥، ١٥١، ١٦٧،
١٧١، ١٧٢، ١٨٤، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٦،
٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٣،
٢٢٦، ٢٤١، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٩،
٢٦٠، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٨١،
٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩١، ٢٩٦، ٢٩٨، ٢٩٩،
٣٠٥، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٩، ٣٣٠، ٣٣١،
٣٣٢، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٧١، ٣٧٦، ٣٨٢،
٣٩٤، ٣٩٧، ٤١١، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٤،
٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٤٣، ٤٤٨،
٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٧، ٤٦٤، ٤٦٨، ٤٦٩،
٤٧٠، ٤٧٦، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٧، ٤٩٠،
٤٩١، ٤٩٢، ٥٠٠، ٥٠٣، ٥٠٩، ٥١١،
٥١٢، ٥١٣، ٥١٥، ٥١٩، ٥٢٧، ٥٢٨،
٥٣١، ٥٣٣، ٥٣٥، ٥٣٩، ٥٤١، ٥٤٢،
٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٨، ٥٤٩،
٥٥٠، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٧١، ٥٧٤،
٥٧٩، ٥٨٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٦٠٢،
٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٥، ٦٢٥،
٦٢٧، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٣، ٦٣٥، ٦٣٧،
٦٣٩، ٦٤٦، ٦٥٠، ٦٥٧، ٦٦٦، ٦٧٠،
٦٧٤، ٦٧٦، ٦٨٥، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٥،
٦٩٧، ٧٠٥، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧١١، ٧١٣،
٧١٤، ٧٢٦، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٥،
٧٣٦، ٧٤٩، ٥/ ١٦، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣١،
٣٤، ٣٥، ٣٨، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٩، ٥٢، ٥٣،
٥٦، ٦١، ٦٤، ٧٠، ٧١، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٧٩،
٨٠، ٨١، ٨٧، ٩٠، ٩٦، ٩٩، ١٠٤، ١٠٧،
١٠٩، ١١١، ١١٣، ١٢٠، ١٣٠، ١٣٢،
١٣٧، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٤، ١٤٧، ١٥٤،
١٥٦، ١٦٦، ١٧٠، ١٧٧، ١٨٩، ١٩٣،
١٩٦، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٠٧، ٢٢٥، ٢٣٣،
٢٤٩، ٢٥٨، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٩٦،
٢٩٧، ٣٠٩، ٣١٥، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٢٥،
٣٤١، ٣٤٥، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٧٣، ٣٧٤،
٣٨٠، ٣٨٢، ٣٨٩، ٣٩٤، ٣٩٧، ٣٩٩،
٤٠٠، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤٢٠، ٤٢٥، ٤٣٣،
٤٣٤، ٤٣٦، ٤٣٩، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦،
٤٥٠، ٤٥٢، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٧٩، ٥٠٢،
٥١٥، ٥٢٣، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٥، ٥٣٧،
٥٤٠، ٥٤٣، ٥٤٦، ٥٥٦، ٥٦٥، ٥٧٢،
٥٧٥، ٥٨٥، ٥٨٧، ٥٩٦، ٥٩٧، ٦٠٥،
٦١٠، ٦٢١، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٧، ٦٤٧،
٦٥١، ٦٥٣، ٦٥٩، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤،
٦٦٨، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٨٣، ٦٩٥، ٦٩٧،
٧٠٨، ٧١٦، ٧١٩، ٧٤٢، ٧٤٩، ٧٥٤، ٦/
٧، ٨، ١٤، ١٥، ٢٣، ٢٦، ٣١، ٥٤، ٥٨،
٦٧، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٧٩، ٨٧، ٩٣، ٩٥، ٩٦،
٩٨، ١١٠، ١١٤، ١٢٥، ١٢٧، ١٤٠، ١٥٠،
١٥٥، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٨، ١٧١،

١٧٤، ١٨٠، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٥٠، ٢٥٥، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٩٥، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣١١، ٣١٣، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٤٣، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٦٣، ٣٦٦، ٣٧٤، ٣٨٤، ٣٩٠، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٠٨، ٤١٤، ٤١٥، ٤٢٠، ٤٢٩، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٥٥، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٨، ٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٧، ٥٠٥، ٥١١، ٥٢٠، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٥٢، ٥٦٦، ٦٠٨، ٦٤٠، ٦٦٠، ٦٧٦، ٧٢٣، ٧/ ٨، ٢٠، ٢٢، ٢٤، ٤٥، ٤٦، ٥٦، ٦٢، ٧٣، ٧٦، ٨٢، ٨٨، ٩٠، ٩٩، ١٠٦، ١١٠، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٨، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٢، ١٧٧، ١٨٩، ١٩١، ١٩٣، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٧، ٢١٢، ٢٢٧، ٢٤٩، ٢٥٦، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠٧، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٤٤، ٣٨١، ٣٨٤، ٣٨٥، ٤٠٤، ٤٣١، ٤٣٦، ٤٨٧، ٤٩٠، ٤٩١، ٥٠٠، ٥١٢، ٥١٤، ٥١٦، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٣٨، ٥٤٤، ٥٤٦، ٥٨١، ٥٩٣، ٥٩٤، ٦١٠، ٦٦٠، ٦٦٨، ٦٨٩، ٦٩١، ٦٩٩، ٧٠٤، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٣٩، ٧٥١، ٨/ ٧، ١٩، ٢٦، ٣٤، ٣٩، ٤١، ٥٧، ٦٤، ٧١، ٨٢، ٨٩، ٩٥، ١٥٨، ١٦٤، ١٦٦، ١٧٩، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٧، ٢٣٧، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧٣، ٢٧٩، ٢٨١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣١٠، ٣٣٣، ٣٥٥، ٣٨٨، ٤٣٥، ٤٦٣، ٤٧١، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٨٨، ٤٩٧، ٥٠٦، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٦٥، ٥٧٦، ٥٩٠، ٦١٤، ٦٣٤، ٦٣٩، ٦٤٩، ٦٥٤، ٦٦٦، ٦٨٩، ٦٩٦، ٧٢٥، ٧٢٩، ٧٣١، ٧٣٩، ٩/ ١٥، ٢٠، ٢٤، ٣٣، ٤٨، ٤٩، ٦٠، ٦٧، ٧٦، ٨٤، ٨٩، ١٢٤، ١٣٨، ١٤٥، ١٥٨، ١٦٣، ١٦٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٣٦، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٦٦، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٩٥، ٣٠٩، ٣١٣، ٣١٤، ٣٢٥، ٣٣٤، ٣٦٥، ٣٧٠، ٣٧٩، ٣٨٣، ٣٨٧، ٤٥٣، ٤٩٠، ٥٨٧، ٧١٢، ٧١٨، ١٠/ ٧١، ١٠٤، ١٨١، ٢٠٤، ٢٢٠، ٢٥٨، ٢٩١، ٣٣٩، ٣٤٥، ٣٥٨.

ابن جماز: ٣/ (٣٦٨)، ٤/ ٥٣٩، ٦٢٧، ٨/ ٤١٥.

ابن جني = أبو الفتح: ١/ (٢٥٤)، ٢٥٩، ٢٩٠، ٣٠٠، ٣٠٨، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٤، ٣٣٣، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٨، ٤٠٥، ٥٢٠، ٥٥٥، ٢/ ١٧٥، ١٧٦، ١٩٨، ٢٢٣، ٢٥٣، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٨، ٢٧٨، ٢٩٢، ٣١٢، ٣١٣، ٣٣٦، ٣٥٤، ٣٦٩، ٣٨٢، ٣٨٣، ٤٣٤، ٤٩٠، ٥١١، ٥٩٣،

٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٨، ٦٣٧، ٦٣٨، ٧٠١، ٣/ ٥١، ١٣٤، ١٣٥، ١٦٠، ١٦٦، ٢٠٦، ٢٢٤، ٢٥١، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨١، ٣٢٦، ٣٣٠، ٣٤٧، ٣٧٧، ٥٣٧، ٥٥٧، ٥٦٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٢٤، ٦٦٦، ٤/ ٢٣، ٤٨، ٧٩، ٨٨، ٩٢، ٩٧، ١١٠، ١١٤، ١٤١، ١٤٤، ١٥٢، ١٧٥، ٢٢٠، ٢٣٢، ٢٤٩، ٢٥٦، ٢٩١، ٢٩٤، ٣٨٨، ٣٩٩، ٤١٠، ٤٢١، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٨، ٤٦٢، ٥٠٨، ٥١٧، ٥٣٥، ٥٣٩، ٥٥٥، ٦١٥، ٦٦٠، ٦٦٧، ٦٧٣، ٧٢٢، ٧٢٨، ٧٣٢، ٧٣٤، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٨، ٥/ ١٠١، ١٥٠، ١٥٨، ١٦٣، ١٨٩، ٣٥٦، ٤١٥، ٤٢٢، ٤٢٨، ٤٤٥، ٤٩٥، ٥٢٩، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٩٧، ٦٢٧، ٧١٢، ٧/ ٩، ١٠، ٣١، ٣٩، ٥٧، ٦٣، ١٠١، ١٢٨، ١٣٠، ١٦٩، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٤٤، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٦، ٢٨٥، ٢٩٢، ٢٩٦، ٣٠٤، ٣٣١، ٣٥٧، ٣٦٨، ٤٠٣، ٤٢٧، ٤٤٤، ٤٦١، ٤٧٦، ٥٣٣، ٦١٣، ٦٤٣، ٦٩١، ٧٣٤، ٨/ ٨٩، ١٦٩، ١٧٦، ٢٠٩، ٢٥٥، ٢٨٢، ٣٢٤، ٤١٥، ٤٥٩، ٦٨٨، ٦٩٩، ٧٢٥، ٧٢٨، ٧٦٤، ٩/ ٣٠، ٥٧، ٨٩، ١٣١، ١٣٣، ١٣٦، ١٤٤، ١٦١، ١٧٢، ٢٠٠، ٢١٣، ٣٠١، ٣١٠، ٣٥٦، ٣٧٦، ٤٢٤، ٧٢٣، ١٠/ ٧٢، ١٠٧، ٤٠٩.

ابن حارث: ١/ (٢٦٢)، ٢/ ٩١.

ابن حبان: ٩/ ٥٢٣.

ابن حبيب: ١/ (٢٦٢)، ٦١١، ٦٣٧، ٧٢٠، ٢/ ٢٨، ١١٣، ٣٧٥، ٣٨٦، ٧٢٩، ٣/ ١٠٧، ١٧٣، ٢٨٥، ٢٩٩، ٣٠٠، ٦٠٣، ٦٠٦، ٦٦٦، ٤/ ١٦٠، ٤٩٩، ٦٨٧، ٥/ ١٢، ١٣، ١٨، ١٩، ٩٩، ٧٣٩، ٦/ ١٢٠، ٧/ ٤١٨، ٦٤٧، ٦٨٦، ١٠/ ٦٩، ٣٢٨.

ابن حجيرة: ٢/ (١٠٠).

ابن خالويه: ٥/ ١١٤، ٦/ ٣٤٥.

ابن خطل: ٧/ ٦٥٢، ٧١٥.

ابن خويز منداد: ٦/ ٢٨٠، ٩/ ٥٨١.

ابن دارة: ٢/ ٣١٠، ٦/ ٢٠.

ابن دريد: ١/ (٤٢٢).

ابن ذكوان: ١/ (٦٦٨)، ٣/ ٧٤١، ٥/ ٢٣٧، ٤/ ٦٩، ٦/ ١٨٣، ٨/ ٢٢٠، ٩/ ٨٩، ٩٠، ٥٧٥، ٦٧٠.

ابن ذي الخويصرة التميمي: ٤/ ٧٤٩.

ابن زيد = عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ١/ (٢٥٦)، (٢٦٧)، ٣٣٧، ٣٤٥، ٣٥٠، ٣٦٠، ٣٧١، ٣٨٤، ٣٩١، ٤٠٣، ٤١٧، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٤٤، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٦٠، ٤٦٦، ٤٨٢، ٥٠٢، ٥٣٦، ٥٣٩، ٥٥٠، ٥٧٥، ٥٨١، ٥٨٩، ٥٩٥، ٦٠١، ٦٢٦، ٦٣٢، ٦٣٨، ٦٥٨، ٦٩٥، ٧٠٣، ٧٢٤، ٧٢٦، ٧٣٤، ٧٣٧، ٧٦٠، ٧٦٣، ٢/ ٤٦، ٥٧، ٦٠، ٦١، ٨١، ٩٠، ١٢١، ١٢٤، ١٢٧، ١٣٧، ١٤١، ١٥٩، ١٧٨، ١٩١، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٣، ٢٠٨، ٢١٣، ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٥٩، ٢٦٣، ٢٧٣، ٢٧٦، ٣٠١، ٣٠٢، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٤٧، ٣٦٧، ٣٩٨، ٤١٩، ٤٣٩،

٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٧، ٤٨٢، ٥٣٠، ٥٣٦، ٥٣٩، ٥٩١، ٦١٤، ٦٤٠، ٦٦٣، ٧٢٣، ٧٣٣، ٧٤١، ٣/ ١٢، ٢٠، ٣٢، ٣٤، ٣٨، ٤٨، ٥٠، ٥٢، ٦٦، ٦٩، ٧٤، ٨٣، ٨٦، ٩٧، ١٠٣، ١٠٥، ١١٠، ١١٥، ١١٦، ١٣٠، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٥، ١٨٢، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٧، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٣١، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٥٣، ٣٨٧، ٣٩٧، ٤٠٨، ٤١١، ٤٦٧، ٤٨٧، ٥٣٠، ٥٧٣، ٥٩٧، ٥٩٨، ٦١١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٣٣، ٦٥٣، ٦٥٦، ٦٩٩، ٧٠٦، ٧٣٦، ٧٦٠، ٤/ ١٢، ٣٤، ٦٠، ٩١، ١٠١، ١٠٦، ١١٧، ١٣٢، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٠، ١٦١، ١٧٠، ١٧٤، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٥٣، ٣٣٨، ٣٧٥، ٣٨٣، ٤١٥، ٤٢١، ٤٥٥، ٤٦٣، ٤٧٧، ٤٨٣، ٤٩٠، ٤٩٣، ٥٤٤، ٥٨٩، ٦١٣، ٦١٥، ٦١٨، ٦٣٠، ٦٣٥، ٦٥٤، ٦٥٧، ٦٦٢، ٧٢٥، ٧٣٥، ٧٤٦، ٥/ ٧، ٥٣، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨٥، ١٠٦، ١٣٣، ١٤٦، ١٥٤، ١٩١، ٢٣٥، ٢٤٣، ٣٢٢، ٣٦٢، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٧٥، ٣٩٣، ٤١٠، ٤١٨، ٤٤٩، ٥٠٢، ٥١٧، ٥٣٥، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥١، ٥٧٧، ٥٨٥، ٦١٧، ٦٣٩، ٦٤٦، ٦٥٢، ٦٥٨، ٦٧٩، ٦٩٩، ٧٠٤، ٧٣٩، ٧٤١، ٧٥٠، ٧٥٦، ٦/ ٥٠، ٧٦، ١٠٤، ١٢٤، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٣، ١٨٩، ٢٤٢، ٢٥٣، ٢٧٥، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٠،

٣٠٥، ٣١٨، ٣٦١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٤٠٧، ٤٧٦، ٤٩٠، ٤٩٣، ٤٩٥، ٥٠١، ٥٠٦، ٥٢٢، ٥٣٢، ٥٥٢، ٧/ ٨، ٢١، ٤٧، ٥١، ٨٧، ٩٥، ١١٥، ١١٨، ١٢٧، ١٣٩، ١٦١، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٧، ٢٠٤، ٢٢٧، ٢٥٤، ٢٦٤، ٢٧٤، ٢٨٩، ٣٠١، ٣٠٦، ٣١٨، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٥، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٨، ٣٧٥، ٣٩٤، ٤٢٠، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٣٠، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٧٩، ٤٨٥، ٤٩٤، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٤، ٥١٧، ٥١٩، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٥٧، ٥٦٦، ٥٧٢، ٥٨٦، ٥٨٨، ٦٢٤، ٦٢٨، ٦٣٠، ٦٨٩، ٧٠٣، ٧٢٣، ٧٣٦، ٧٣٩، ٧٥١، ٧٥٢، ٨/ ٩، ١٨، ١٩، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٩، ٤١، ٥٠، ٧٧، ٨٠، ٨٢، ١١٩، ١٢٣، ١٣٩، ١٨٢، ١٨٤، ٢١٠، ٢٣٦، ٢٤٤، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٩٨، ٣١٤، ٣١٥، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٦٥، ٣٧٤، ٣٨٦، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤١٨، ٤٢٩، ٤٤١، ٤٤٨، ٤٦٩، ٤٨٣، ٤٩٠، ٥٠٢، ٥١١، ٥٢٥، ٥٤٣، ٥٨٤، ٦١٠، ٦١٧، ٦٢٤، ٦٣٠، ٦٣٢، ٦٤٢، ٦٤٥، ٦٥٥، ٦٦٢، ٦٦٨، ٦٨٣، ٧٤٥، ٧٦٢، ٩/ ٧٠، ٧٦، ٩٤، ١١٠، ١٢٨، ١٣٣، ١٣٤، ١٤٨، ١٤٩، ١٦٢، ١٦٣، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٩، ١٨١، ١٩١، ١٩٥، ٢٠٦، ٢١٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٦٦، ٢٧٧، ٢٨٢، ٢٩٥، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١٠، ٣١٢،

٣٣٥، ٣٣٦، ٣٤١، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٧٢، ٣٧٤، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٦، ٤٧٣، ٤٨٠، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥١٠، ٥٢٣، ٥٩٠، ٦١٧، ٦٥٣، ٦٥٥، ٦٦١، ٦٦٥، ٦٦٧، ٦٨١، ٦٩٢، ٧٠٩، ٧٣٧، ٧٣٨، ١٠/ ٧، ٩، ١٠، ٢١، ٧٠، ١٠٢، ١٠٨، ١١٥، ١١٧، ١٢٢، ١٣٢، ١٤١، ١٤٧، ٢٠٤، ٢١٠، ٢١١، ٢١٧، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٦١، ٢٦٨، ٣٠٢، ٣١٠، ٣١٣، ٣٤٦، ٣٧٨، ٣٩٠، ٤٠٩، ٤١٧، ٤١٨.

ابن سنجر: ٢/ (٣١٦).

ابن سيده: ١/ (٢٤٦)، ٦٣٦، ٢/ ١٦، ١٧٥، ٢١٥، ٢٣٧، ٢٨٢، ٣١٢، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣/ ١٢٩، ٤٠٩، ٦٥٠، ٤/ ٢٨٧، ٥/ ١٥٤، ٦٠٩، ٦/ ١١، ١٩٩، ٧٠٣، ٧/ ١١٠، ١٨٩، ٩/ ٧٤.

ابن سيرين: ١/ (١٨٥)، ٢٠٥، ٢٢٥، ٦٦٥، ٢/ ٢١، ٤٩، ٦٤، ١٦٩، ٢١٦، ٥٢٨، ٣/ ٣٤، ٤٨، ٨٣، ١٨٩، ٤٢٦، ٤٣٢، ٤٣٩، ٥٤١، ٦٠٦، ٦٦٠، ٦٦٨، ٤/ ١١٧، ١٨٠، ٢٠٨، ٢٤٩، ٢٦١، ٣٣٨، ٥/ ٧٥، ١٦٣، ١٩٥، ٣١٧، ٦٨٧، ٧٢٠، ٦/ ٤٢، ١٤٠، ١٧٦، ٣٠٤، ٤٢١، ٧/ ٤٣، ٩٠، ٢١٦، ٣٠٥، ٨/ ١٤٠، ١٨٠، ٣٩٣، ٤٨٣، ٥٢٥، ٧٣٠، ٩/ ٣١، ٤١، ١٠٧، ١١٣، ١١٦، ١٨٢، ٣٥١، ٥٣٥، ٧٤٧، ١٠/ ٧، ١٩، ٦٧، ٢١١، ٢٣٨، ٢٤٦، ٢٦٠.

ابن شبرمة: ٢/ (١٦)، ٣/ ٥٠٢.

ابن شعبان: ٢/ (٩٩).

ابن شهاب الزهري: ١/ ١٦٥، (٢٢٤)، ٢٣٠، ٢٧١، ٢٨١، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٩٦، ٤٠٥، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥٢٩، ٥٨٩، ٦٥٧، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٥، ٦٩٣، ٧١١، ٧١٢، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٣٧، ٢/ ١٠، ١٢، ٢٨، ٥١، ٥٣، ٦٤، ٦٦، ٨٠، ٨٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٤، ١٢٣، ١٦٤، ١٦٦، ٢٠٧، ٢١٢، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٧، ٣٣٨، ٣٦٧، ٣٧٩، ٤٢٤، ٤٢٨، ٥١٣، ٥٤٣، ٥٤٩، ٦٢٥، ٦٦١، ٦٦٧، ٧١٩، ٣/ ١٢، ٢٢، ٣٥، ٥٠، ٩٧، ١٠٠، ١١٢، ١٣٧، ١٦٦، ١٧٣، ٢٥٣، ٢٦٣، ٢٨٣، ٢٩١، ٣٨٨، ٤٢٨، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٦٠، ٤٩٥، ٥٠٤، ٥٣٩، ٥٧٩، ٦٠٧، ٦٢٠، ٦٢٣، ٦٦١، ٦٧٦، ٤/ ١٤٤، ٢١٤، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٣٨، ٣٠٢، ٤٢١، ٥٣٥، ٥٤١، ٥٥٩، ٧١٣، ٥/ ٧، ١٠، ١١، ١٦، ٩٠، ٢١٥، ٣٨٩، ٤١٧، ٤٥١، ٤٥٧، ٥٨١، ٦٧٦، ٧٠١، ٧٢٢، ٧٥٤، ٦/ ١١، ٦٣، ١٩٥، ٣٢٥، ٧١٤، ٧/ ٢٧، ٥٨، ٥٩، ١٠١، ١٦٠، ١٦١، ١٨٦، ٢٥٩، ٣١٤، ٣٧٤، ٤٠٤، ٤٢١، ٥١٥، ٥٥٢، ٥٦٤، ٥٦٦، ٦٩١، ٧١٥، ٨/ ١٠٢، ١٢٨، ١٣٠، ١٤٩، ١٨١، ١٨٤، ٢١٦، ٣٣٣، ٣٩٧، ٦١٢، ٦٢٧، ٦٣٢، ٦٤٩، ٩/ ٤٥، ٦٣، ٧٨، ٨٠، ٢٣٢، ٤٣٧، ٤٦٠، ٤٦٢، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٢٨، ٦٦٨، ٦٨١، ٧٣٤، ١٠/ ٦، ٨، ١٤، ٣٦، ١٢٠، ١٤٤، ٣٢٧، ٣٤٧، ٤١٩.

ابن صوريا: ١/ ٥٠٠.

ابن صياد: ٤/ ٤٢٩، ٩/ ٦٠٥.
ابن عامر المقرئ: ١/ ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٧٣، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٣٥٥، ٤١٥، ٤٧٧، ٤٩٩، ٥٠٥، ٥١٨، ٥١٩، ٥٤١، ٥٤٣، ٥٥٢، ٥٥٨، ٥٦٢، ٥٧١، ٥٨٠، ٥٩٥، ٥٩٨، ٦٢١، ٦٢٣، ٦٢٥، ٦٢٨، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٩٥، ٧٢١، ٧٥٥، ٢/ ٣٤، ٩٦، ١٠١، ١٢٠، ١٣٠، ١٣١، ١٨١، ١٨٢، ١٨٥، ١٨٨، ٢١٠، ٢١١، ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٣٨، ٢٥٣، ٢٧٤، ٢٨١، ٢٩١، ٢٩٤، ٣١١، ٣٣٢، ٣٧٠، ٣٨٥، ٣٨٩، ٣٩٤، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٢٠، ٤٤٣، ٤٨٣، ٤٨٤، ٥٦٧، ٥٧٩، ٥٩٣، ٦٠٢، ٦٢٠، ٦٤٤، ٦٥٧، ٦٦٩، ٦٩١، ٧٠٣، ٧٠٧، ٧١٦، ٧٢٦، ٧٣٧، ٣/ ٨، ٢٥، ٣٩، ٤٧، ٥٦، ٥٨، ٧٢، ٧٧، ١٠٠، ١٠٢، ١١١، ١١٦، ١٣٠، ١٥٣، ١٥٧، ١٦٦، ٢١١، ٢٢٤، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٨٢، ٣١١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٩، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٩، ٤٠٠، ٤٤٠، ٤٥٥، ٥١٣، ٥٢٣، ٥٣٩، ٥٤٤، ٥٤٩، ٥٥٣، ٥٧٥، ٥٨١، ٦٠١، ٦٢٣، ٦٢٩، ٦٤١، ٦٦٧، ٦٧٨، ٦٨٤، ٧١٤، ٧٢٤، ٧٢٦، ٧٣٣، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٦، ٧٥٤، ٧٥٧، ٤/ ٩، ١٣، ١٥، ١٨، ٢٤، ٣٢، ٥٥، ٥٧، ٦٠، ٦٣، ٦٩، ٧٩، ٨٣، ٨٥، ٨٩، ٩٧، ١٠٢، ١٠٦، ١١١، ١١٥، ١١٦، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٥، ١٣٩، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٦، ١٧٢، ١٨٥، ١٩٤، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٥٩، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩١، ٣٠٠، ٣١٦، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤١٣، ٤٢٠، ٤٢٤، ٤٢٨، ٤٤٢، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٦٠، ٤٧٤، ٤٧٩، ٥١٤، ٥٢٩، ٥٣١، ٥٦١، ٥٧٧، ٥٨٠، ٥٩٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٦٤، ٦٧٠، ٦٩٢، ٧١٥، ٧٤٥، ٥/ ٨٤، ٩٠، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٦، ١٠٨، ١٤٧، ١٥٨، ١٦٤، ١٦٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٨٦، ٣٠٩، ٣٢١، ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٤٥، ٣٨١، ٣٨٧، ٤٠٣، ٤٠٨، ٤١٣، ٤٢٨، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٥٥٥، ٥٥٨، ٥٦٨، ٥٧١، ٥٧٣، ٥٩٨، ٦٠١، ٦١٩، ٦٢٥، ٦٣٠، ٦٥١، ٦٦٧، ٦٧٣، ٦٧٥، ٦٩٦، ٧٢٠، ٧٢٧، ٧٢٩، ٦/ ٨، ٢٠، ٤٢، ٤٧، ٥٤، ٧٢، ٧٦، ٩١، ١١٣، ١٢٣، ١٦٢، ١٧٠، ١٨٣، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٣، ٢٠٩، ٢١٥، ٢٢١، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٥٤، ٢٦٠، ٢٧٤، ٢٨٤، ٢٨٧، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٨، ٣٥١، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٩٨، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٧، ٤١٨، ٤٣٠، ٤٣٨، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٣، ٤٦٣، ٤٨٩، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٨، ٥١٤، ٥٣١، ٥٤٠، ٥٤٢، ٥٤٧، ٥٥٨، ٥٦٦، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٨١، ٥٩٤، ٥٩٦، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠٥، ٦٠٧، ٦١٤، ٦٢١، ٦٢٣، ٦٦٠، ٦٨٣، ٧٠٥،

٧٢١، ٧٣٢، ٧/ ٢٣، ٣٤، ٥٩، ٦٠، ٩٤، ١٠٢، ١١٢، ١١٦، ١٣٧، ١٤٧، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٥، ٢٨٥، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٥٤، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٩، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٩٠، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٧٠، ٤٩٥، ٥٠٥، ٥٢٣، ٥٦٨، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٩٣، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٨، ٦٠١، ٦١٤، ٦٤١، ٦٤٣، ٦٥٩، ٦٦٧، ٦٩٠، ٦٩٢، ٧١٧، ٧١٨، ٧٣٤، ٨/ ٦، ٧، ١٨، ٣٦، ٦٠، ٦٩، ٨٢، ١٠١، ١٠٦، ١٢٤، ١٦٦، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٧، ٢٠٠، ٢٠٦، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٥١، ٢٨١، ٢٨٢، ٣٥٣، ٣٧٦، ٣٧٩، ٤٢٠، ٤٣٨، ٤٥٢، ٤٥٥، ٤٦٧، ٤٧٠، ٤٧٨، ٥٢٠، ٥٣٦، ٥٣٩، ٥٤٢، ٥٤٩، ٥٧٦، ٥٨١، ٥٩٥، ٦٠٥، ٦١١، ٦١٤، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٣٥، ٦٤٠، ٦٤٢، ٦٤٨، ٦٥٠، ٦٦٠، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٩٥، ٧٠١، ٧١٢، ٧٣٣، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٦، ٧٥٢، ٧٦٠، ٩/ ٥٨، ٦٥، ٨٩، ٩٠، ١٠٦، ١٦٦، ١٨٢، ١٩٤، ٢١٣، ٢٢٦، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٧، ٢٦٧، ٢٨٣، ٢٩٢، ٣١١، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٤٣، ٣٦٣، ٣٦٧، ٣٦٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٩، ٤٢٢، ٤٣٥، ٤٤٩، ٤٥٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٨٩، ٤٩٨، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥٣٦، ٥٥٣، ٥٥٨، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٨٩، ٥٩٨، ٦١٢، ٦١٧، ٦٢٣، ٦٣٢، ٦٥٦، ٦٥٩، ٦٧٠، ٦٧٤، ٦٩٥، ٧٠٠، ٧٠٥، ٧١٢، ٧٢٨، ٧٣٩، ٧٤١، ٧٤٦، ١٠/ ١٩، ٢٥، ٢٧، ٤٠، ٤٧، ٥٥، ٦٣، ٦٨، ٧٧، ٨٩، ٩٣، ٩٧، ١٠٣، ١٠٧، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٧٤، ١٧٦، ١٨٨، ١٩٠، ٢٠٥، ٢١١، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٨٢، ٢٨٣، ٣٣٨، ٣٤٩، ٣٦٧، ٣٧٦، ٣٨٣.

ابن عائذ: ٤/ ٤٩٢.

ابن عائشة: ٨/ (٤٥).

ابن عباس: ١/ ١٤٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٧٤، ١٨٨، ٢٠٦، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٦، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٩٩، ٣٠١، ٣١١، ٣١٢، ٣١٦، ٣٢٢، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٧، ٣٤٣، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٦٩، ٣٧٣، ٣٨٠، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٩٤، ٣٩٥، ٤١٢، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٧، ٤٢١، ٤٢٨، ٤٣٠، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٤٠، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٩، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٩٣، ٤٩٨، ٥٠٣، ٥٠٦، ٥٢٠، ٥٢٧، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣٦، ٥٤٥، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٥، ٥٥٨، ٥٦٠، ٥٦٢، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٣، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٩٠، ٥٩٢، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠١، ٦٠٩، ٦٢٢، ٦٢٥، ٦٢٨، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٦، ٦٣٩، ٦٤٤،

٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥١، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٦١، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٧، ٦٨١، ٦٨٤، ٦٨٦، ٦٩٢، ٦٩٥، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٣، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣١، ٧٣٣، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٤، ٧٤٩، ٧٥١، ٧٦٠، ٢/ ٨، ٢١، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٨، ٧٠، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٨٤، ٨٦، ٨٩، ٩٨، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٩، ١١١، ١١٥، ١١٨، ١٢١، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٦، ١٧٧، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٠، ١٩١، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠١، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٦، ٢٧٢، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٣٠١، ٣١٧، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٧، ٣٤١، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٦١، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٢، ٤١٦، ٤١٧، ٤٢٦، ٤٣٥، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٢، ٤٤٧، ٤٥١، ٤٥٧، ٤٦٠، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٨٠، ٤٨٢، ٤٨٦، ٤٩٣، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٩، ٥٢٢، ٥٢٥، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣٧، ٥٤٧، ٥٥٣، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٩، ٥٧٢، ٥٨٩، ٥٩٤، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٧، ٦١٨، ٦٢٢، ٦٣٦، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٢، ٦٤٩، ٦٥٨، ٦٧٥، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨١، ٦٨٦، ٧٠١، ٧٠٩، ٧١١، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٣٠، ٣/ ٧، ٩، ١٤، ١٦، ١٩، ٢٠، ٢٤، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٦، ٥٩، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨٢، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٥، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٦، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٩، ١٣١، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٧، ١٤١، ١٤٤، ١٤٨، ١٥٢، ١٥٨، ١٦٣، ١٧٦، ١٧٩، ١٨١، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢١٦، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩٥، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٨، ٣٣٩، ٣٤٨، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٨٢، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٥،

٤٠٠، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١١،
٤١٣، ٤١٥، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٣٠،
٤٣٤، ٤٤١، ٤٤٨، ٤٥١، ٤٥٣، ٤٥٦،
٤٦٢، ٤٦٤، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧٢، ٤٧٤،
٤٧٦، ٤٨٦، ٤٨٨، ٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٩،
٥٠٣، ٥٠٦، ٥١٦، ٥١٨، ٥٢٥، ٥٢٦،
٥٢٧، ٥٣٠، ٥٣٤، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٦٠،
٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧،
٥٧٠، ٥٧٣، ٥٧٧، ٥٨٨، ٥٩٤، ٥٩٦،
٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٥، ٦١١، ٦١٢،
٦١٥، ٦٢٣، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢،
٦٣٥، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦،
٦٥٠، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦٤، ٦٧٢، ٦٧٣،
٦٧٤، ٦٧٧، ٦٨٠، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥،
٦٨٧، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٨، ٧٠٥، ٧٠٦،
٧١٣، ٧٢٠، ٧٢٦، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٤٢،
٧٤٦، ٤/ ٨، ٩، ١٨، ١٩، ٢٣، ٢٩، ٣٤،
٣٩، ٤٥، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٦٦، ٧٠،
٧٦، ٨١، ٨٤، ٨٦، ٨٨، ٩٠، ٩٢، ٩٥، ٩٧،
٩٩، ١٠٦، ١١٣، ١١٩، ١٢٠، ١٢٨، ١٣٠،
١٣١، ١٣٢، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥،
١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥١، ١٦١، ١٦٧،
١٦٨، ١٦٩، ١٨١، ١٩٨، ٢٠٤، ٢٠٧،
٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤،
٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٨،
٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٥٣، ٢٥٩،
٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٥،
٢٧٨، ٢٧٩، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٦، ٣٠٢،
٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٣٨، ٣٤٥، ٣٥٠،
٣٥٣، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٣،
٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٧١، ٣٧٦، ٣٧٧،
٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٨٧،
٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٨، ٤١٢،
٤١٣، ٤١٧، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٣١، ٤٣٩،
٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٨،
٤٥٠، ٤٥٦، ٤٦١، ٤٦٣، ٤٦٥، ٤٦٦،
٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧٧، ٤٨٣، ٤٩٠، ٤٩٣،
٤٩٤، ٥٠٣، ٥١٠، ٥١١، ٥١٥، ٥٣٧،
٥٤٦، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٥، ٥٦٢، ٥٦٥،
٥٧١، ٥٧٣، ٥٧٦، ٥٧٨، ٥٨٧، ٥٩١،
٥٩٥، ٦٠١، ٦١٢، ٦١٦، ٦١٨، ٦٢١،
٦٢٤، ٦٢٥، ٦٣٠، ٦٣٢، ٦٣٥، ٦٤١،
٦٤٢، ٦٤٥، ٦٥٣، ٦٥٦، ٦٦١، ٦٧٤،
٦٨٣، ٦٩١، ٦٩٥، ٦٩٧، ٧١٠، ٧١٩،
٧٢٥، ٧٣٧، ٧٤٨، ٥/ ٧، ١١، ١٣، ٣٤،
٣٨، ٥٢، ٥٣، ٥٦، ٥٩، ٦٢، ٦٤، ٦٥، ٧٨،
٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٤، ٨٩، ٩٥، ١٠٥، ١٠٦،
١٠٧، ١١٦، ١١٨، ١٢٧، ١٣١، ١٣٨،
١٣٩، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٦، ١٦٣، ١٧٤،
٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٢٦، ٢٢٧،
٢٣٢، ٢٣٦، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٦٢، ٢٦٣،
٢٦٤، ٢٦٧، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٨٥، ٢٩١،
٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٨، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٦،
٣١٠، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٣٦، ٣٤٥،
٣٥٠، ٣٦٣، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٨،
٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٤، ٣٩٤، ٤٠٠، ٤٠٢،
٤٢٤، ٤٢٩، ٤٣٢، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٣٩،
٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٥٠، ٤٥٨، ٤٦٠،

٤٦٨، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٧، ٤٨٣، ٤٩٨، ٥٠٢، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١١، ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٠، ٥٢٧، ٥٣٣، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٨، ٥٤٤، ٥٤٨، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٧٢، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٨٢، ٥٨٤، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٥، ٥٩٧، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٩، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٤، ٦٢٧، ٦٣٤، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦١، ٦٦٤، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٨، ٦٨٢، ٦٨٧، ٦٩٤، ٦٩٨، ٧٠١، ٧٠٣، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٦، ٧٣٧، ٧٤٠، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٣، ٧٥٤، ٦/ ٦، ٩، ١١، ١٢، ١٤، ٢٤، ٢٥، ٣٢، ٤٤، ٥٠، ٥٧، ٦١، ٦٢، ٦٩، ٧٠، ٧٣، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ١٠١، ١٠٩، ١١٢، ١١٨، ١٢٢، ١٢٤، ١٤٣، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٩، ١٧١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨٨، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٥، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٣١، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٦٣، ٣٧١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٨٩، ٣٩٥، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤١٧، ٤٢٧، ٤٣٠، ٤٣٢، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٥٩، ٤٦٢، ٤٦٦، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٧٩، ٤٨٢، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩٥، ٥١٠، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٩، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٣، ٥٤٥، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٧١، ٥٩٩، ٦٢٣، ٦٧٦، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٨، ٧١٩، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧/ ٥، ١٦، ١٨، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٨، ٥١، ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٦٠، ٦٩، ٨٨، ٩٣، ٩٥، ٩٧، ٩٩، ١١٢، ١١٣، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٢، ١٤٢، ١٤٣، ١٦١، ١٦٣، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٧، ١٨٥، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠١، ٢١٠، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٤٠، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٨، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٨، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٤٣، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٧، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٤، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٣، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٤٠٢،

٤٠٣، ٤٠٧، ٤١٥، ٤١٦، ٤٢١، ٤٢٣،
٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٤،
٤٣٥، ٤٤٦، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٦، ٤٦٠،
٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧٩،
٤٨٠، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٨، ٤٩٣، ٤٩٤،
٤٩٥، ٤٩٧، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠٩، ٥١٣،
٥١٨، ٥٢٩، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٤٣، ٥٤٤،
٥٥٧، ٥٦٣، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٩، ٥٨٠،
٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٨، ٦٠٧، ٦١٠، ٦١٤،
٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥،
٦٢٦، ٦٢٩، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٨، ٦٤٢،
٦٥١، ٦٥٣، ٦٥٦، ٦٥٨، ٦٦٩، ٦٧١،
٦٧٢، ٦٧٥، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٩٠، ٦٩٣،
٦٩٦، ٦٩٧، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٧، ٧٠٩،
٧١٥، ٧٢٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٤٠، ٧٤٤،
٧٤٧، ٨/ ١٢، ١٣، ١٦، ١٧، ٢٥، ٢٨، ٣٢،
٣٣، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٢، ٤٤، ٤٧، ٤٨، ٥٢،
٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٦١، ٦٣، ٦٤، ٧٤، ٧٧،
٧٩، ٨٤، ٨٦، ٨٩، ٩٤، ٩٥، ٩٨، ١٠٠،
١٠٢، ١٠٥، ١٠٦، ١١٩، ١٢٢، ١٢٥،
١٢٨، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٤،
١٥١، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٩،
١٧٥، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٩،
١٩٠، ١٩٤، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٨،
٢٠٩، ٢١١، ٢١٤، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٦،
٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٥٠،
٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٦٠، ٢٦٢،
٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٢،
٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٧،
٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٥،
٣٠٢، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٣،
٣١٤، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٣٣، ٣٣٥،
٣٣٩، ٣٤٤، ٣٥٩، ٣٦٤، ٣٦٩، ٣٧٥،
٣٨٠، ٣٩١، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤٠١، ٤٠٢،
٤١٨، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٣٣، ٤٣٦،
٤٤١، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٧٨، ٤٨١، ٤٨٤،
٤٨٥، ٤٨٧، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠١،
٥٠٣، ٥١٠، ٥١١، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٣٢،
٥٣٤، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٩، ٥٤٧، ٥٤٨،
٥٤٩، ٥٥٥، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٦، ٥٦٧،
٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٢، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٩٠،
٦٠١، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٩،
٦٢١، ٦٢٣، ٦٢٦، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢،
٦٣٧، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٨،
٦٥٢، ٦٦٥، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠،
٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٥، ٦٧٨، ٦٨١، ٦٨٤،
٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٥، ٧١٦،
٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٨،
٧٣٩، ٧٤١، ٧٤٨، ٧٥٠، ٧٥٤، ٧٥٦،
٧٥٩، ٧٦١، ٩/ ٦، ٧، ٨، ١٨، ٢٠، ٢٥،
٣٠، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤١، ٤٥، ٤٨، ٥٠، ٥٥،
٥٦، ٦٣، ٦٩، ٧٠، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩٠، ٩٤،
٩٧، ١٠١، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٨، ١٣٢،
١٣٣، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٦، ١٤٧،
١٥٦، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤،
١٦٧، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٦،
١٨٠، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٤، ١٩٨،
١٩٩، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٣، ٢١٤،

٢١٦، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٦، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٩١، ٤٠٢، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤١٠، ٤١٥، ٤٢٠، ٤٢٣، ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٣٢، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٥٠، ٤٥٣، ٤٥٥، ٤٦٥، ٤٧٧، ٤٨٣، ٤٩٢، ٤٩٤، ٤٩٦، ٤٩٩، ٥٠٢، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٩، ٥١٠، ٥٢٩، ٥٣١، ٥٤٤، ٥٦١، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٧١، ٥٨٠، ٥٨٢، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٩، ٥٨٩، ٥٩٥، ٥٩٦، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦١٠، ٦١١، ٦١٤، ٦١٨، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٣، ٦٣٥، ٦٤٣، ٦٤٧، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٦١، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨٣، ٦٨٦، ٦٩٠، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١٤، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٨، ٧٣٢، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٨، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤١، ٧٤٣، ١٠/ ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٥، ١٧، ١٩، ٢٣، ٢٦، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٣، ٤٤، ٥٢، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦٤، ٦٧، ٧٤، ٧٦، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٨، ٩٢، ٩٥، ٩٦، ٩٩، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٩، ١٣٥، ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٤، ١٨٨، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٧، ٣٠١، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٢٥، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٧، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٥، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٥، ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٩٠، ٣٩٤، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٣.

ابن عبد البر: ٢/ (٤٧)، ٩٤، ١١٢، ٦٦٠،

٣/ ٢٧٤، ٢٨٠، ٢٩٥، ٢٩٦، ٥/ ٢٨، ٢٩، ٨/ ٧٤٢، ١٠/ ٤٠٢.
ابـن عبد الحكم: ١/ ٦٣٥، ٦٧٢، ٣/ ٢٨٣، ٤٤٤، ٤/ ٦٨٣، ٦/ ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ٧٠٢.
ابن عبد شمس: ٩/ ١٦٠.
ابن عبدوس: ١/ (٢٦٣).
ابن عطاء: ٩/ ٦٦٩، ٧٢٦.
ابن عمران: ٣/ ٥٥٧.
ابن عوف النصري: ٤/ ٦٨٠.
ابن عيزارة الهذلي: ١٠/ ٢٣٤.
ابن فارس: ١/ ٧٠٨.
ابن فليح: ٧/ (٣٥٠).
ابن فـورك: ١/ (٣٢١)، ٣٣٩، ٣٦٢، ٤٠٨، ٥٨٣، ٥٨٨، ٢/ ٢٤٩، ٢٥١، ٣١٤، ٣٢٧، ٥٩٦، ٥٩٧، ٦٠٦، ٦٠٨، ٦٢٧، ٦٣٠، ٦٣٢، ٦٤٣، ٦٥٩، ٦٦٢، ٦٩٥، ٣/ ١٣، ٥٨، ٦٦، ١٦٢، ٢٣٣، ٢٧٥، ٤٥١، ٤/ ٢٢١، ٥٤٥، ٥٤٧، ٥٥٠، ٥/ ٧١٧، ٦/ ١٣٧، ٢٣٠، ٦٥٠، ٦٩٩، ٨/ ٣٥٦، ٩/ ٣٠٦.
ابـن قتيبـة: ١/ (٣٠٢)، ٣٣٠، ٣٥٠، ٤٤٣، ٢/ ٥٣٤، ٧٠٠، ٣/ ٧٢، ١٩٢، ٥٣٢، ٤/ ١٨٦، ١٩٧، ٥٢٠، ٥/ ٢١١، ٣٠٤، ٧/ ٤٩٠، ٨/ ١٩٨، ٧١٥، ٩/ ٣١٥، ١٠/ ٢٤٨.
ابن قسطنطين المكي: ٨/ (٢٠٥).
ابـن كثيـر = عبد الله بن كثيـر المكي المقرئ: ١/ ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٧٣، ٢٨٠، ٢٨٦، ٢٩١، ٢٩٢، ٣٣٠، ٣٥٥، ٣٧٢، ٣٩٢، ٣٩٩، ٤٥٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧٧، ٤٨٠، ٤٨٢، ٤٨٧، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠٥، ٥٢٠، ٥٥٧، ٥٦٦، ٥٨٠، ٦١٢، ٦٢١، ٦٢٣، ٦٢٨، ٦٣٤، ٦٧٥، ٦٩٥، ٧٢١، ٧٤٥، ٧٥٠، ٢/ ٢٤، ٣٤، ٧٧، ٨١، ٩٦، ١٠١، ١١٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٦، ١٤٥، ١٥٢، ١٥٦، ١٨١، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٨، ٢١٠، ٢١١، ٢١٩، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٥٣، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٨١، ٢٩١، ٢٩٤، ٣١١، ٣٣٢، ٣٧٠، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤٠٦، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٨١، ٤٨٣، ٤٨٤، ٥٠٨، ٥٦٤، ٥٦٧، ٥٧٨، ٥٩٤، ٦٢٠، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٤٢، ٦٥٢، ٦٥٧، ٦٦٩، ٦٧٧، ٧٠٣، ٧٠٧، ٧١١، ٧٢١، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٣٧، ٣/ ٨، ٤٧، ٥٨، ٧٢، ٧٦، ١٠٠، ١٠٢، ١١١، ١١٦، ١٢٨، ١٣٠، ١٥٣، ١٥٧، ١٦٦، ٢١١، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٣٩، ٢٦٦، ٢٦٨، ٣١١، ٣٢٩، ٣٤٠، ٣٤٩، ٣٥٤، ٤٠٠، ٤٠٣، ٤٤٠، ٤٥٥، ٤٦٤، ٥١٠، ٥١٣، ٥٢٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٩، ٥٥٣، ٥٧٥، ٥٨١، ٦٠١، ٦٢٣، ٦٢٩، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٧٠، ٦٧٨، ٧١٤، ٧٢٤، ٧٢٦، ٧٣٢، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٥٤، ٤/ ١٤، ١٥، ١٨، ٢١، ٢٤، ٥٥، ٥٧، ٦٠، ٦٩، ٧١، ٧٩، ٨٣، ٨٥، ٨٩، ٩٧، ١٠٢، ١٠٦، ١١٢، ١١٥، ١١٩، ١٢٦، ١٢٧، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٦، ١٧١، ١٧٢، ١٨٥،

١٩٤، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٦٧،
٢٨٣، ٢٩١، ٣٢١، ٣٣٧، ٣٤٨، ٣٤٩،
٣٥٠، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٧١، ٣٧٣،
٣٧٩، ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٦،
٣٩٨، ٤١٣، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٢٦،
٤٢٨، ٤٣٥، ٤٤٢، ٤٥٦، ٤٦٠، ٤٦٦،
٤٧٠، ٤٧٤، ٤٧٩، ٥١٤، ٥٢٩، ٥٣١،
٥٤٦، ٥٦١، ٥٧٧، ٥٨٠، ٥٨٥، ٦٠٤،
٦٠٥، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٦٤، ٦٧٠، ٦٩٢،
٧١٣، ٧١٥، ٧٤٥، ٧٤٨، ٧٥١، ٥/ ٤٦،
٧٢، ٧٦، ٨٤، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٨،
١٤٠، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٣، ١٦٣، ١٦٤،
١٦٧، ١٦٩، ١٧١، ١٧٩، ٢٣٤، ٢٣٩،
٢٥٨، ٢٨٦، ٣٠٩، ٣١٣، ٣٢١، ٣٣٧،
٣٤٠، ٣٤٥، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٨٢، ٣٨٧،
٣٨٨، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٣، ٤١٨، ٤١٨،
٤١٩، ٤٢٨، ٤٣٦، ٤٤٢، ٤٧٧، ٤٨٩،
٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٨، ٥١٤، ٥٢٩، ٥٣٠،
٥٤٧، ٥٥٥، ٥٥٨، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧١،
٥٧٣، ٥٧٣، ٥٧٩، ٥٩٨، ٦٠١، ٦١٣،
٦١٨، ٦١٩، ٦٢٥، ٦٥١، ٦٦٥، ٦٦٧،
٦٧٥، ٦٩٦، ٧٠١، ٧٢٠، ٧٢٧، ٧٢٩، ٦/
٨، ٣٤، ٤٢، ٥٤، ٩١، ١٠٥، ١٠٨، ١١٢،
١١٣، ١٤٢، ١٧٣، ١٨٣، ١٩٦، ٢٠٣،
٢٠٩، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٤١،
٢٤٨، ٢٥٤، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٧، ٣١٤،
٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٥، ٣٥١،
٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٤،
٣٩٣، ٣٩٨، ٤٠٨، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٨،
٤٢٤، ٤٣٨، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٤٧،
٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٣، ٤٥٦، ٤٦٧،
٤٧١، ٤٨٦، ٤٨٩، ٤٩١، ٥٠٠، ٥٠٢،
٥٠٣، ٥١٤، ٥٣١، ٥٣٩، ٥٤١، ٥٤٢،
٥٤٧، ٥٥٨، ٥٦٦، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤،
٥٨٢، ٥٩٤، ٥٩٦، ٦٠٠، ٦٠٣، ٦٠٥،
٦٠٧، ٦١٤، ٦٢١، ٦٢٣، ٦٢٦، ٦٣٠،
٦٣٨، ٦٦٠، ٦٧٣، ٦٨٦، ٦٩٢، ٧/ ٣٠،
٣٤، ٥٩، ٦١، ٩١، ١٠٠، ١١٠، ١١٦،
١٣١، ١٣٧، ١٤٧، ١٥٤، ١٥٩، ١٨٨،
٢٢٦، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٦٧،
٢٦٩، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٨٥، ٢٨٦،
٢٨٩، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٥٠،
٣٥٣، ٣٦٧، ٣٧٤، ٣٧٩، ٣٨٢، ٤١٦،
٤١٨، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٣٨، ٤٥٢، ٤٥٤،
٤٥٥، ٤٥٨، ٤٦٧، ٤٦٨، ٥٠٥، ٥٠٧،
٥٢٧، ٥٦٥، ٥٦٨، ٥٧٥، ٥٩٢، ٥٩٥،
٥٩٦، ٦٠١، ٦١٤، ٦٣٥، ٦٣٩، ٦٤٣،
٦٤٤، ٦٥٥، ٦٥٩، ٦٦٧، ٦٩٠، ٧١٦،
٧١٧، ٧١٨، ٧٣١، ٧٣٤، ٧٤١، ٨/ ٦،
٧، ١٨، ٣٠، ٣٦، ٦٩، ٧٠، ٧٥، ٨٢، ٩٥،
٩٩، ١٠٤، ١٢٤، ١٥٨، ١٦٦، ١٧٦، ١٨٠،
١٨٧، ١٩٩، ٢٠٥، ٢١١، ٢١٥، ٢١٦،
٢٥١، ٣٣٤، ٣٤٤، ٣٤٨، ٣٥٣، ٣٧٦،
٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٢، ٣٩٦، ٤٢٠، ٤٣٣،
٤٥٥، ٤٦١، ٤٦٧، ٤٧٠، ٤٧٤، ٤٧٨،
٥٠٨، ٥٢٠، ٥٣٨، ٥٤٩، ٥٦٦، ٥٨٠،
٦١١، ٦٢٣، ٦٢٧، ٦٣٩، ٦٤٢، ٦٤٨،
٦٦٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٩٥، ٦٩٧، ٧٣٣،

٧٣٦، ٧٤٢، ٧٤٦، ٩/ ١٠، ١٩، ٢٠، ٣١، ٥٢، ٥٥، ٥٨، ٨٩، ٩١، ١٢٥، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٨٢، ١٩٤، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٧، ٢٤١، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٦٧، ٢٨٠، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٧، ٣٦٣، ٣٦٩، ٣٧٠، ٤٠١، ٤١٣، ٤٣٥، ٤٤٩، ٤٧٦، ٤٧٦، ٤٨٩، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٨، ٥٣٦، ٥٥٨، ٥٧٤، ٥٧٦، ٥٨٩، ٥٩٨، ٦١٢، ٦١٧، ٦٢٣، ٦٣٢، ٦٥٦، ٦٥٨، ٦٧٠، ٦٨٠، ٦٨٩، ٦٩٤، ٦٩٥، ٧٠٠، ٧٠٥، ٧١٢، ٧٤٧، ١٠/ ١٩، ٢٠، ٢٨، ٣٠، ٤٠، ٥٤، ٦٣، ٦٨، ٧٢، ٧٧، ٩٧، ١٠٣، ١٢٠، ١٢١، ١٣٣، ١٣٤، ١٤٨، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٦٣، ١٧٤، ١٧٦، ١٨٨، ١٩١، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٩٠، ٣٢٠، ٣٤٩، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٨٣، ٤٠٦، ٤٠٨.

ابن كيسان: ١/ (٢٤٣)، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٣، ٢/ ٣٤٢، ٣/ ١٧١، ٦/ ٦٠٢، ٧/ ٥٥٣، ٨/ ٣٢٤، ٩/ ٤٨، ١٢٨، ٣٠٧، ٣٦٥، ٧٣٧، ١٠/ ١٦، ٢٣، ٥٥، ٧٦، ٩٥، ١١٢.

ابن لهيعة: ٧/ (٣٥٥)، ٤٣٤.

ابن مجاهد = أبو بكر أحمد بن موسى: ١/ ٢٤٨، (٢٥٣)، ٢٥٤، ٣١٥، ٥٤٣، ٢/ ٢٥٦، ٢٧٨، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٩٦، (٤٣٤)، ٧٠٤، ٧٠٥، ٣/ ٢٥، ٥٣٧، ٤/ ٦٩، ٦/ ٦، ١٦٨، ٤١٩، ٧/ ٦١٣، ٦٨٢، ٩/ ٩١، ٣٧٣، ٤٢٨، ٧٠٤.

ابن محيصن المكي المقرئ: ١/ (٢٧١)، ٢٨١، ٣٣٠، ٣٣٨، ٣٦٥، ٣٧٧، ٣٩٤، ٤١٨، ٤٦١، ٤٨١، ٤٨٣، ٤٩٩، ٥١٢، ٥٣٤، ٥٦٢، ٥٧٩، ٦٣٨، ٧٤٢، ٧٤٥، ٢/ ٧٦، ٢٨٧، ٦٣٥، ٦٥٢، ٦٥٧، ٣/ ١٣، ٣٥، ٨١، ٤١٨، ٤٦٤، ٤٩٢، ٥٣٢، ٦٦٦، ٦٧٥، ٦٨٣، ٧٠٧، ٧٦٠، ٤/ ٩٠، ٢١٦، ٢٥١، ٢٧٩، ٣٥٦، ٣٦٩، ٤٠٠، ٤٤٤، ٥٠٨، ٥١٤، ٥١٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٣٢، ٧٤٢، ٧٤٨، ٥/ ٧٢، ١٤٠، ١٤٧، ١٥٧، ١٦٧، ٢٦٠، ٣٢٤، ٣٨٨، ٣٩٤، ٣٩٥، ٤١٩، ٤٣٦، ٤٤٩، ٥٠٧، ٥٢٩، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٧١، ٦٠١، ٦١٣، ٦٣٦، ٦٤٦، ٧٢٧، ٦/ ٤٧، ١٧٠، ٢٤٩، ٣١٤، ٣٣٩، ٣٤٥، ٣٦٧، ٣٨٤، ٤٢١، ٤٢٩، ٥٢٨، ٥٤٠، ٥٨٩، ٦٧٠، ٧/ ٣٩، ١٠٣، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٥، ١٤٩، ١٥١، ٢٢٦، ٢٤٧، ٢٧٠، ٣٧١، ٤٥٣، ٤٥٦، ٤٧٣، ٤٥٧، ٥٢٧، ٥٧٧، ٦٦٧، ٨/ ٦، ٣٨، ٧١، ١٨١، ١٩٩، ٢٠٧، ٢٢٨، ٢٨١، ٣٣٥، ٣٥٤، ٣٩٨، ٥٠٥، ٦٢٠، ٦٢٧، ٦٤٩، ٦٥٧، ٦٦٤، ٦٨٥، ٦٨٨، ٦٩٧، ٧١٩، ٧٤٢، ٧٦٤، ٩/ ٤١، ١٨٢، ٢٠٠، ٢٩٧، ٣١٢، ٣٣٣، ٤٣١، ٤٤٤، ٥١٥، ٥٢٠، ٥٤٥، ٥٨٩، ٦٣٨، ٦٦٤، ٦٩٤، ٦٩٥، ٧٠٦، ٧٢٨، ١٠/ ١٩، ٤٧، ٦٧، ٦٨، ١٠٧، ١٢٧، ١٤٤، ١٨٢، ٢٠٦، ٢٣٣، ٢٣٧، ٣٣٣، ٣٧٧، ٤٠٦، ٤٠٩.

ابن مزين: ٣/ (١٠٧).

ابن مسعود: ١/ ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٢،

١٦١، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٨، ١٨١، ١٨٢، ٢١١، ٢٢٠، ٢٣٠، ٢٤٠، ٢٥٦، ٢٧٦، ٢٨٤، ٣٠٩، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢٤، ٣٣٤، ٣٣٧، ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٦٩، ٤١٥، ٤٢١، ٤٤٦، ٤٦٩، ٥٠١، ٥٠٦، ٥١٢، ٥٢١، ٥٤٩، ٥٦٥، ٥٦٧، ٥٧٢، ٥٩٤، ٦٠٩، ٦١١، ٦١٢، ٦١٤، ٦٢٧، ٦٤٣، ٦٤٦، ٦٨١، ٦٨٦، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٢٠، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٨، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٤٣، ٧٥٤، ٧٥٧، ٧٦١، ٧٦٤، ٧٦٥، ٢/ ٩، ٢٢، ٣٥، ٤٩، ٥٢، ٥٣، ٥٩، ٦١، ٦٤، ٨٥، ٩٣، ١١٤، ١٢٠، ١٥٨، ١٨٢، ١٨٨، ٢١٤، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٩، ٢٧٧، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠٨، ٣١٥، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٢٧، ٣٣٦، ٣٥١، ٣٥٥، ٣٦٠، ٣٦٨، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٩٤، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٢، ٤٠٩، ٤١٥، ٤٢٣، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٤٩، ٤٥٥، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧٥، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٩١، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٦، ٥٥٣، ٥٥٧، ٥٦٢، ٥٦٤، ٥٧٤، ٥٨٦، ٦٢٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٩، ٦٥٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٩٦، ٧٠٦، ٧١٣، ٧٢١، ٧٣٩، ٣/ ٩، ٢٣، ٢٧، ٤٣، ٥٧، ٥٩، ٧٣، ٧٥، ٧٦، ٨٨، ٩٨، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٦، ١٣٤، ١٣٥، ١٤٤، ١٥٥، ١٦٣، ١٦٧، ١٧٩، ١٨٧، ١٩٢، ٢١٢، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٥١، ٢٥٦، ٢٦٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩٦، ٣٠٧،

٣٠٨، ٣١٧، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٦٦، ٣٩٧، ٤٠٠، ٤٠٣، ٤٠٨، ٤٤٥، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧٧، ٤٨٤، ٥٠٠، ٥١٥، ٥١٦، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٤، ٥٥٨، ٥٦٠، ٥٦٤، ٥٨٩، ٥٩٧، ٥٩٨، ٦٠٩، ٦٢٤، ٦٥٥، ٦٨٣، ٧١٤، ٧٢٥، ٧٣٣، ٤/ ٧، ١٨، ٢١، ٢٨، ٣٨، ٣٩، ٦٢، ٧٧، ٨٠، ٩١، ٩٧، ٩٨، ١٠٤، ١٢٧، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٦، ١٥١، ١٥٦، ١٧٣، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٣، ١٩٧، ١٩٨، ٢٣٢، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٩١، ٣٣٤، ٣٤٤، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٨٣، ٣٩٣، ٤٠٢، ٤٤٥، ٤٦٦، ٤٧٥، ٤٩٠، ٥٠١، ٥٠٦، ٥١٢، ٥١٥، ٥٣١، ٥٣٩، ٥٦٤، ٥٧٨، ٥٨٤، ٦٠٢، ٦٠٨، ٦١٧، ٦٨٥، ٧٠٦، ٧١٥، ٥/ ٢٢، ٣٦، ٣٧، ٨٦، ١٠٦، ١١٠، ١١٨، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٦، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٩، ١٦٩، ١٧٣، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٤٧، ٢٦١، ٢٧٥، ٣٠٩، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٢٩، ٣٤٣، ٣٤٨، ٣٥٦، ٣٦١، ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٨٩، ٤٠٦، ٤٣١، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٩٣، ٤٩٥، ٥٠٢، ٥٠٨، ٥٢٥، ٥٣٧، ٥٣٩، ٥٤٤، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٦١٣، ٦١٧، ٦٢٠، ٦٢٥، ٦٣٩، ٦٥٨، ٦٨٢، ٦٨٨، ٧٠٦، ٧٠٨، ٧٣٦، ٧٤٦، ٧٤٧، ٦/ ١٧، ٢٠، ٢٧، ٣٨، ٤٢، ٤٨، ٥٠، ٧٠، ٧٢، ٨٠، ٨٨، ٩٨، ١٠٠، ١١٣، ١١٨، ١٢٦، ١٣٤، ١٣٧، ١٤٥،

١٤٩، ١٦٥، ١٨١، ١٩١، ٢١٠، ٢١٥،
٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٣،
٢٦٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٧،
٢٩٩، ٣٠٦، ٣١٢، ٣٢٩، ٣٥٢، ٣٥٤،
٣٥٧، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٧٠، ٣٧٤، ٣٩٦،
٤٠٩، ٤٢٤، ٤٢٤، ٤٢٤، ٤٢٩، ٤٥٦،
٤٦٢، ٤٧٣، ٤٧٥، ٤٨٤، ٤٩٥، ٥٠٢،
٥٠٦، ٥٠٨، ٥١٧، ٥١٨، ٥٢٠، ٥٢١،
٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٣٥، ٥٣٧،
٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥٩، ٥٧٧، ٥٨٩، ٥٩٨،
٦٢٨، ٦٣١، ٦٤٠، ٦٤٨، ٦٥٧، ٧٢٣، ٧/
٩، ١٩، ٢٢، ٣٦، ٤١، ٤٨، ٥٥، ٥٧، ٦٠،
٨٢، ٩٥، ١٠١، ١٠٧، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥،
١٤٦، ١٥٠، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٢،
١٦٧، ١٨٨، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩،
٢٠٧، ٢١٤، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٣١،
٢٣٨، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٧٩،
٢٨٥، ٢٩٠، ٢٩٣، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٩،
٣١٠، ٣٢١، ٣٢٧، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٤٣،
٣٤٦، ٣٦٨، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٧،
٣٧٨، ٣٨٥، ٣٨٦، ٤١٧، ٤٢٢، ٤٢٦،
٤٢٧، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣٨، ٤٤١، ٤٥٨،
٤٦١، ٤٦٥، ٤٦٩، ٤٧٤، ٤٧٨، ٤٨٦،
٤٨٧، ٤٩٥، ٥٠١، ٥٠٥، ٥١٣، ٥٧٠،
٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٩، ٥٩٢، ٥٩٥، ٥٩٧،
٦٠١، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٨، ٦٢٥، ٦٣١،
٦٤٣، ٦٤٥، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٧٧، ٦٨٤،
٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٣، ٧٠٧، ٧٠٧، ٧١٠،
٧٤٢، ٧٥٠، ٨/ ٢٣، ٢٥، ٣٢، ٣٤، ٥٣،
٥٥، ٦١، ٦٢، ٦٤، ٨٤، ٨٦، ٨٩، ١٠٦،
١٠٧، ١٥١، ١٥٤، ١٥٥، ١٦٦، ١٦٧،
١٦٩، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٥، ١٩١، ١٩٢،
١٩٣، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٣،
٢١٤، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٣٧،
٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٩، ٢٥٧، ٢٥٩،
٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٤،
٢٧٥، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٩٦، ٢٩٧،
٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٢، ٣٢٣،
٣٢٤، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٤٥، ٣٥٣، ٣٦٩،
٣٩٠، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤١٢، ٤١٤، ٤٢٨،
٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤٧، ٤٥٥،
٤٦٤، ٤٦٨، ٤٨٤، ٥٠٠، ٥١٤، ٥١٩،
٥٢٤، ٥٢٦، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤٨، ٥٦٦،
٥٧١، ٥٨٢، ٦٠٢، ٦٠٤، ٦١٠، ٦١١،
٦١٦، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٣٣، ٦٣٧، ٦٣٨،
٦٣٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٤، ٦٥٦،
٦٥٧، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٨، ٦٧٨، ٦٨٤،
٦٨٥، ٦٨٨، ٦٩٣، ٧٠٧، ٧٠٩، ٧١١،
٧١٧، ٧٢٢، ٧٢٦، ٧٣٢، ٧٣٩، ٧٤٥،
٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٦١، ٩/
١٥، ٢٠، ٢٢، ٢٦، ٤٥، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٨٠،
٨٣، ٩٦، ٩٨، ١٠٠، ١٠٧، ١٠٨، ١١٠،
١١٣، ١١٥، ١٢١، ١٢٤، ١٢٥، ١٤٤،
١٥٣، ١٩١، ١٩٩، ٢١٣، ٢١٥، ٢٢٧،
٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٠،
٢٥١، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٧، ٢٨١، ٢٨٤،
٣٠١، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٨، ٣٢١،
٣٢٤، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٣٩، ٣٤٣، ٣٤٥،

٣٥٤، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦٨، ٣٧٣، ٣٧٦، ٣٨١، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤١٠، ٤١٤، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٢، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٥٠، ٤٦٥، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٧٣، ٤٧٧، ٤٧٩، ٤٨١، ٥٠٠، ٥١٤، ٥١٧، ٥١٨، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٤٥، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٦، ٥٦١، ٥٦٧، ٥٧٠، ٥٨٢، ٥٨٥، ٥٨٧، ٦٠٤، ٦٣٦، ٦٤٠، ٦٤٣، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٦٢، ٦٧٥، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٥، ٦٩٨، ٧٣٤، ٧٤١، ١٠/ ١٠، ١٩، ٢٥، ٣٥، ٣٧، ٤٨، ٥٤، ٦٧، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٩١، ١٠١، ١٠٧، ١٠٨، ١١١، ١١٨، ١١٩، ١٢٥، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٧، ١٦٦، ١٧٠، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٨، ١٩١، ١٩٢، ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٤١، ٢٧٠، ٢٨٢، ٢٨٦، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١١، ٣١٣، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٩، ٣٣٥، ٣٤٠، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٦٨، ٣٧٢، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٧، ٤٠٢، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١١.

ابـن مُقْبل: ١/ (٢٤٧)، ٣/ ٦٥١، ٤/ ٦٥٨، ٥/ ٤٧١، ٤٧٨، ٥٣٤، ٦٩٦، ٨/ ٧٥، ٩/ ٢٢٣، ١٠/ ١٧٨.

ابن ملول: ٢/ (١٧٥).

ابن نافـع: ١/ ٦٣٥، ٣/ ١٠٦، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٣.

ابن هرمة: ٧/ ٦١٣.

ابـن هشـام (صاحـب السـيرة): ٣/ ٤٥١، ٥٧٤، ٥/ ٢٨، ٦/ ٢٧٢.

ابـن وثاب = يحيـى: ١/ ٢٤٤، ٣١٤، ٣٦٤، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٥، ٥٦٢، ٦٧٦، ٢/ ٤٦٩، ٤٧٠، ٥٤٩، ٦٢٤، ٣/ ١٥، ١٧، ٢١، ١٩٧، ٣٠١، ٣٤٩، ٣٦٨، ٣٧١، ٣٩١، ٤١٩، ٤٩٩، ٥٣٤، ٥٣٧، ٥٤١، ٥٥٧، ٥٥٩، ٥٦٣، ٥٨٢، ٦١٩، ٧٣٥، ٧٦٠، ٤/ ١٦، ١٨، ٦٤، ٨٣، ٨٩، ١٦٤، ١٧٧، ٢٢٠، ٢٦٦، ٢٧٦، ٢٩١، ٢٩٨، ٣١١، ٣٣٣، ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٦، ٤١٧، ٤٥٦، ٤٥٧، ٥٤٧، ٦٢٧، ٦٣٦، ٧٤٣، ٥/ ١٠٨، ١٤٧، ٢٠٥، ٢٢٣، ٢٤٩، ٢٩١، ٣٠٩، ٣٣٢، ٣٦٨، ٣٧٢، ٣٨٧، ٣٩٣، ٤١٧، ٤٩٥، ٥٦٥، ٥٧٥، ٦٠٦، ٦١٦، ٦٥٥، ٦٨٢، ٦٩٧، ٧٠٨، ٧٢٩، ٦/ ٧، ٢٥، ٤٠، ٧٥، ٨٨، ١٦٥، ١٩٢، ١٩٧، ٣٣٧، ٣٧٩، ٤٥٧، ٤٦٨، ٤٩٢، ٥٣٢، ٧/ ١٤، ٣١، ١٣٠، ١٦٨، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٦٨، ٣١١، ٣١٢، ٣٥٦، ٤٠٩، ٤٤١، ٤٥٨، ٤٧٧، ٥٧٨، ٥٩٧، ٦١٩، ٦٣٧، ٦٧٩، ٦٩٢، ٧١٧، ٨/ ٧، ٣٠، ٦٩، ٧٣، ١٢٢، ١٦٦، ١٨٠، ١٩٦، ٢١٥، ٢١٦، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٦٨، ٢٧٤، ٣١٣، ٣٥٠، ٣٧٤، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤١٣، ٤٢٦، ٤٥٥، ٤٦٦، ٤٧٠، ٤٩٦، ٥١٠، ٥٣٢، ٥٧٤، ٦٠٥، ٦٤٠، ٦٥٦، ٦٥٨، ٦٦٠، ٧٠١، ٧١٩، ٧٤٠، ٧٤٣، ٧٤٦، ٩/ ٣٢، ٦٢، ١٠٢،

١٢٥، ١٨٥، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٩٢، ٤٠٥، ٤٤٣، ٤٨٩، ٥١٤، ٦١٧، ٦٦٢، ٦٩٥، ٧٠٥، ٧٢١، ٧٢٣، ١٠/ ٨، ٧٢، ١٠١، ١٠٣، ١٠٧، ١١٨، ١٤٠، ١٩١، ٢٠٥، ٢٤٧، ٢٥١، ٣٠٥، ٣٣٣.

ابن وكيع: ٤/ (٧٠٨).

ابن وهب: ١/ (٥٦٩)، ٦٣٥، ٢/ ٣٠، ٩١، ٩٩، ٢٧٢، ٥٢٦، ٣/ ١٠٦، ١١٨، ١٤٣، ٢٨٦، ٤٢٤، ٤٤٤، ٦٠٣، ٦٢٦، ٦٢٧، ٤/ ٩٣، ٣٦٥، ٦٨٧، ٦/ ٢٩٣، ٨/ ٢٢٦، ٩/ ٤٣٩، ١٠/ ٢٩٤، ٣٢٤.

ابن يشجب بن يعرب: ٨/ ٩٠.

ابن يونس: ٣/ (٢٩٥).

الأبهري: ١/ (٢٩٥)، ٣/ ٢٨٦، ٤٤٤.

أبو أحيحة: ٧/ ٧١.

أبو أرطأة: ٢/ (٤٣٣).

أبو إسحاق الزجاج: ١/ (١٦٣)، ٢٣٠، ٣٣١، ٣٤١، ٣٥٨، ٣٦١، ٤٠٢، ٤١٣، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٧٢، ٤٨٥، ٥٠٩، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٣٥، ٥٧٠، ٦١٨، ٦٨١، ٧٤٤، ٧٦٤، ٧٦٥، ٢/ ٤٣، ٩٢، ١٨٣، ٢١٥، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٥٧، ٢٦٤، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩٧، ٣٠١، ٣١١، ٣١٣، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٨، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٥٢، ٣٥٨، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٧٢، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٩٠، ٣٩٢، ٣٩٧، ٤٠٩، ٤١٥، ٤٤٣، ٤٥٨، ٤٦٥، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩٢، ٥٠٢، ٥٠٩، ٥١٢، ٥١٣، ٥٢١، ٥٣٣، ٥٤٤، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٥٢، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٧٠، ٥٧٩، ٥٩٥، ٦٠٨، ٦١٤، ٦٢٢، ٦٣٩، ٦٥٧، ٦٦٤، ٦٧١، ٦٧٩، ٦٨٦، ٦٩٢، ٦٩٥، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٨، ٧١٠، ٧١٤، ٧١٦، ٧٢٤، ٣/ ٩، ١٧، ٢٠، ٤٣، ٤٨، ٥٦، ٩١، ١٢١، ١٣٣، ١٤٠، ١٤٨، ١٧٩، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٨، ٢٢٥ ٢٢٦، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٦٩، ٢٧٥، ٣٥٠، ٤٠٤، ٤٥١، ٤٧٤، ٤٧٥، ٥٠٠، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٨، ٥٩٠، ٥٩١، ٦٨١، ٧٠٠، ٧١٠، ٧١١، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٥٥، ٤/ ٢٥، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٧، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٩، ١٢١، ١٢٣، ١٣١، ١٤٨، ١٦٦، ١٧٠، ١٧٥، ١٧٨، ١٩٢، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٣٨، ٢٦٢، ٢٧٠، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩٧، ٣٠٥، ٣١١، ٣١٢، ٣٢٥، ٣٥٢، ٣٦٤، ٣٧٨، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٤٠٢، ٤١١، ٤١٨، ٤٣٠، ٤٣٣، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٧، ٤٥٠، ٤٦٩، ٤٨١، ٤٨٦، ٥٠٠، ٥٠٥، ٥١٢، ٥١٥، ٥٢٩، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٥٠، ٥٥٢، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٧٠، ٥٧٥، ٥٩٣، ٦٠٧، ٦٢٠، ٦٢٧، ٦٥٥، ٦٩٨، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٩، ٧٤٧، ٧٤٨، ٥/ ٢٤، ٢٦، ٣١، ٣٧، ٤١، ٨٠، ٨٥، ١٣٨، ١٤٥، ١٥٢، ١٩٠، ٢٥٣، ٢٨٤، ٣١٠، ٣١٦، ٣٣٠، ٣٤٣، ٤٠٦، ٤١٢، ٤١٣، ٤٢٣، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٤٢، ٤٩٥، ٤٩٦، ٥٠٣، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٩٧،

٦١٧، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٥٥، ٦٦١، ٦٨٣، ٦٩٢، ٧٠٠، ٧٠٣، ٧١٤، ٧٤٨، ٦/ ٩، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٢، ٤١، ٥٠، ٥٩، ٨٠، ٨٧، ٩٠، ١٠٤، ١١٥، ١١٦، ١٩٣، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٨٦، ٢٩٧، ٣١٥، ٣١٧، ٣٢٥، ٣٢٥، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٥١، ٣٦٣، ٣٦٦، ٤٢٨، ٤٦١، ٤٦٧، ٤٧٠، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٨٣، ٤٩٨، ٥٢٢، ٥٣٣، ٥٣٧، ٦٠١، ٦١٢، ٦٢٢، ٧٢١، ٧/ ٢٤، ٦١، ٨٠، ١٥٥، ١٦٣، ١٦٦، ٢١٢، ٢٣٨، ٢٦١، ٢٨٤، ٢٩٥، ٣٠٢، ٣٧٤، ٣٨٧، ٤٠٠، ٤٠١، ٤١٩، ٤٤٤، ٤٥٤، ٤٦٥، ٤٨٩، ٤٩٤، ٥١٢، ٥١٧، ٥٢٣، ٥٤٦، ٥٥٣، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠١، ٧٠٥، ٧٠٩، ٧٢٤، ٨/ ١٠، ٦٤، ٧٢، ٩٧، ١١٤، ١٤١، ١٦٢، ١٦٨، ١٧٦، ٢٠٢، ٢٠٩، ٢٤٩، ٢٥٦، ٢٦٠، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٣٢، ٣٣٨، ٤٢٨، ٤٣١، ٤٣٥، ٤٤٥، ٤٥٨، ٤٧٤، ٥٥٠، ٥٧٢، ٥٧٦، ٥٨٧، ٧٣١، ٧٥١، ٧٥٤، ٩/ ١٢٩، ١٧٥، ٢١٧، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٧١، ٢٧٨، ٢٩٠، ٣٢٨، ٣٤٢، ٣٥٩، ٣٩٢، ٤١٤، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٧٦، ٤٧٨، ٥٨٩، ٦٠٣، ٦٤٨، ٦٨٢، ١٠/ ٦١، ٩٢، ٩٣، ١١٦، ١٨٣، ١٨٤، ٢٣٥، ٢٦٥، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٣، ٢٨٦، ٣٤٤.

أبو إسحاق السبيعي: ٣/ (٥٠)، ٢١٢، ٥٢٧، ٦٥١، ٦٨٤، ٨/ ١٥٤، ٩/ ١١٦، ١٩٩، ٢٩٥.

أبو إسحاق الفزاري: ٦/ (١٧٨).

أبو إسماعيل (رجل من أهل الشام): ٤/ ٤٨.

أبو أسيد مالك بن ربيعة: ٢/ (٥٨٩)، ٤/ ٤٩٢.

أبو الأحوص عوف بن مالك: ٤/ ١٨١، ٤٩٧، ٦/ ٥٣٢، ٩/ ٢٢٧، ٥٥٥.

أبو الإخريط وهب بن واضح: ٤/ (٣٥٥)، ٩/ ٧٠٦.

أبو الأسود الدؤلي: ١/ (١٨٥)، ٤٥٤، ٥٠٦، ٢/ ١٩٧، ٣/ ٢٣٣، ٤/ ٦٥٢، ٥/ ٢٦٢، ٤٣٦، ٧/ ٦٧٧، ٨/ ٤٠١، ٥٣٦، ٩/ ٤٠٥، ١٠/ ٢١، ٢٧٤.

أبو الأشد بن الجمحي: ١٠/ ١٦.

أبو الأشهب: ٢/ (٧٧)، ٩/ ٣٧١، ١٠/ ٧٨، ١٨٨، ٣٨٩.

أبو البختري بن هشام: ٣/ (٥٧٤).

أبو البرهسم: ٣/ (٥٥٥)، ٤/ ٢٥٩، ٣٥٧، ٣٦٩، ٣٩٠، ٥/ ٢٩٨، ٥٨٦، ٦/ ٥٠٧، ٥١١، ٧/ ١٦٧، ٣١٧، ٨/ ٢٥٥، ٩/ ٣١١.

أبو التياح: ٥/ (٢٠٢).

أبو الجلد = جيلان بن فروة: ٥/ (٥٩٠).

أبو الجوزاء أوس بن عبد الله الربعي: ١/ (٦٥٤)، ٢/ ٥٧٦، ٥/ ٧١١، ٧/ ٣٢٥، ٩/ ١٤٢.

أبو الحارث الحنفي: ٦/ ٥٦١.

أبو الحجاج الإشبيلي الأعلم: ٦/ (٦٨٩).

أبو الحسن الأشعري: ٢/ (٢٩٨)، ٤/ ٤٥٤.

أبو الحسن الكرخي: ٩/ ٤٩٨.

أبو الحسن اللخمي: ٢/ (٥٢٦)، ٣/ ١٠٧، ١٧٠، ١٧٣، ٢٩٥، ٣٠٠، ٧/ ١٧٢، ١٧٨، ١٧٩.
أبـو الحسـن بـن أحمـد = ابـن بـاذش: ١/ (٤٧٦)، ٧١٨، ٢/ (٧٠٥)، ٤/ ٦٥١.
أبو الحويرث الحنفي: ٥/ (٤٥٥).
أبو الخطاب السدوسي: ٥/ ٢٨٠.
أبـو الدحـداح الأنصـاري: ٢/ ١٢٨، ١٢٩، ١٠/ ٥١، ٢٨٧، ٢٨٨.
أبو الدرداء: ١/ ١٤٩، ٢/ ٥٢، ٢٤٣، ٣٠٢، ٧٣٠، ٧٣٣، ٣/ ٢٥٤، ٢٦٥، ٥٢٧، ٥/ ١٧٠، ١٧٤، ٢٠٩، ٦٧٠، ٦/ ٢٦٥، ٥٢٨، ٥٤٦، ٧/ ٢٧٦، ٥٨٦، ٥٨٧، ٧٠١، ٨/ ٦٢، ١٥٩، ٦٥٢، ٦٨٣، ٩/ ٥٩، ٢٤٤، ٧١٦، ٧٤١، ١٠/ ٢١٥، ٢٨٦، ٢٩٩.
أبو الدينار: ٩/ ٥٢٢.
أبو الزبير المكي: ٧/ ٤٦٠، ٧٥٢.
أبـو الزناد: ٣/ (٤٩٤)، ٤/ ١٣٥، ٨/ ١٩٤، ١٠/ ١٩.
أبـو السَّمَّال = قعنب العـدوي: ١/ (١٧٩)، (٣٠٣)، ٣٠٨، ٣٩١، ٤٣١، ٥١١، ٦٠٩، ٦٢٩، ٦٣٧، ٧٥٢، ٢/ ١٣، ١٤٣، ٢٥٣، ٣٦١، ٤٢٨، ٤٤٨، ٥٠٢، ٦١١، ٦٤٠، ٣/ ٢٧، ٨٢، ١٥٩، ٢٠٩، ٢١٥، ٢٣٥، ٥٦١، ٥٦٨، ٤/ ٥١، ١٥٢، ١٥٩، ٢٦٠، ٣٩١، ٥/ ٦٣٣، ٦/ ١٦١، ١٨٤، ٣٦٢، ٣٧١، ٤٥٩، ٦٨٨، ٧٢٩، ٧/ ٢٩٥، ٣٣٢، ٤٤٦، ٨/ ١٧٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٤٣٤، ٩/ ١٧٣، ٢٠٥، ٢١٢، ٢٢٧، ٢٦١، ٢٨٥، ٢٩١، ٣٠١، ٣٠٤، ٣٠٩، ٣٥٤، ٣٧٠، ٦٥٩، ٧٣٦، ٧٤٨، ١٠/ ١٠، ٣٠٦.
أبو السنابل بن بعكك: ٣/ (٣٢٩).
أبو السَّوَّار الغَنَوي: ١/ (٢٤٣)، ٤٥١.
أبو الشعثاء: ٣/ (٦٣٧)، ١٠/ ١٨٨.
أبو الصلت: ٤/ ٣٣٩.
أبو الضحى = مسـلم بن صبيح: ٥/ (٥٧٦)، ٦٧٨، ٦/ ٨٠، ٨/ ٣٢٤، ١٠/ ١٥٢.
أبو الطفيل: ٥/ ٤٣٩، ٩/ ١٧٠.
أبـو العـاج = كثير بن عبد الله السـلمي: ١٠/ ٥٤.
أبو العاصي بن المنبه: ٣/ ٢٧٣.
أبـو العالية = رفيـع بن مهـران: ١/ (١٥٦)، ٢٢٣، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٦٨، ٣٦٢، ٣٧١، ٣٨٤، ٣٩٢، ٤٢٥، ٤٣٥، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٥١، ٤٥٣، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٧٣، ٥٢٧، ٥٢٨، ٦١٥، ٦٥٨، ٧٣٩، ٢/ ٨٥، ١٠٩، ١٦٩، ٢٨١، ٣٥٥، ٤٤٨، ٤٩٣، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٣٩، ٦٠٩، ٣/ ٢٩، ٣٠، ٦٥، ٩٩، ٣٤١، ٤/ ٢٦، ١٥٠، ١٨٠، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٤٠، ٣٤١، ٣٨٤، ٣٨٦، ٤٣٦، ٥١٥، ٥٣٩، ٥٧١، ٦٩٧، ٥/ ١٦، ٣٤، ١٦٩، ١٧٣، ٣٨٤، ٣٨٤، ٣٩٣، ٧٤٩، ٧٥٢، ٦/ ٧، ٨، ٦٤، ١٥٧، ١٧٤، ٣٤٩، ٥٠٥، ٥٢٦، ٧/ ١٢، ٩٥، ٢٠٦، ٦٣١، ٧٠٥، ٨/ ١٢، ١٩٤، ٢٨٧، ٣١٤، ٣١٧، ٣٦٢، ٣٩٨، ٤٠١، ٥١٧، ٦٦٥، ٩/ ٨٦، ١١٣، ١٦٠، ١٨٥، ٢٧٨، ٣٨٦، ٤٣٢، ٦٩٥، ٧٣٧، ١٠/ ٤٠، ٩٥، ١١٩، ١٩١،

٢٠٣، ٢٤٧، ٣١٣، ٣٣٢، ٣٧٦، ٤١١، ٤١٢.
أبو العباس المبرد: ١/ (١٧٣)، ١٨٥، ٢٢٧، ٢٤٣، ٢٩١، ٣٣٢، ٣٥٢، ٣٥٢، ٤٠٤، ٤٧٣، ٤٨٥، ٥٧٠، ٥٧٧، ٦٢٤، ٦٤١، ٦٤٢، ٧٥١، ٢/ ٨٣، ١٦٨، ٢٠٦، ٢١٢، ٢٧٥، ٣٦٦، ٣٨٣، ٤٦٦، ٣/ ٨٦، ٢٤٩، ٤٣٦، ٥٠٠، ٥٣٢، ٧١٠، ٤/ ٨٣، ١٠٠، ١٠٦، ١٣٣، ٣٤٥، ٣٤٨، ٤٦٢، ٤٧٢، ٥٠١، ٥١٩، ٥٣٨، ٦٠٨، ٦٥٢، ٦٦٨، ٥/ ٢٢، ٢٣، ٨٩، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦١، ٤٢٣، ٤٥٣، ٤٧٥، ٤٨٤، ٦٧٩، ٧١٧، ٧٣١، ٦/ ٢٢٥، ٥٣٤، ٥٤٢، ٧/ ١٠٧، ١٣٧، ١٣٨، ١٥٥، ٢٣٢، ٣٠٠، ٨/ ٣٦، ١٦٩، ٢٩٢، ٤٢٨، ٤٥٧، ٦١٨، ٩/ ٧، ١٢٩، ١٤٩، ٢٦٦، ٢٦٧، ٥١٧، ٦٣٣، ٦٧١، ١٠/ ١٢٣، ١٥٦، ١٨٦، ٢٣٩، ٢٧٩، ٣٦٤.
أبو الفرج الأصفهاني: ١/ ١٨٥، ٥٩٢.
أبو الفرج المالكي: ٣/ (٤٣٨).
أبو الفضل الجوهري: ١/ (٣٩٩)، ٥/ ١٠٨، ٣٦٦، ٥٣٦، ٦/ ٢٠٤، ٣٣٥، ٤٠٨، ٥٧٣، ٥٧٧، ٨/ ٤٥٦.
أبو الفضل بن النحوي: ٤/ (٢٨٣)، ٥/ ٥٦٦.
أبو القاسم الحكيم: ٨/ ٧٦٢.
أبو القاسم بن حبيب النيسابوري: ١٠/ (١١٠).
أبو المتوكل الناجي: ٨/ (١٠٦)، ٩/ ٤٧٠.
أبو المصعب: ٩/ (٥٨١).
أبو المعالي الجويني: ١/ ١٩٥، ٢٤٥، ٢٤٦، ٥١٧، ٦١٦، ٦٣٢، ٢/ ٦٩٨، ٣/ ٦٥، ٦٩، ١٢٥، ٥٧٠، ٦٠٠، ٦٩٧، ٤/ ٢٠١، ٢٨٢، ٤٤٦، ٦٩٣، ٥/ ٨٧، ٣٢٥، ٥١٧، ٥١٨، ٥٦٥، ٥٩٩، ٦٢٢، ٦٢٩، ٦٤٢، ٧٢١، ٦/ ٥٦٨، ٧/ ٧٢، ٥٤٦.
أبو المكارم اللغوي: ٢/ (٧٢٧).
أبو المليح الهذلي: ١٠/ (٣٨١).
أبو المهلب: ٢/ (٣٥٤).
أبو النجم العجلي: ٣/ (٥٣٧)، ٥٣٨، ٤/ ٣٦٤.
أبو الهجهاج: ٨/ ١٠٢.
أبو الهداج التجيبي: ٦/ (١٨٥).
أبو الهيثم بن التيهان: ١٠/ ٣٦٩.
أبو اليسر بن عمرو الأنصاري: ٢/ (٥٩٠)، ٥/ ٣٩٦.
أبو أمامة الباهلي صدي بن عجلان: ٢/ ٢٤٣، ٥٥٠، ٥٥١، ٣/ ٦٤٤، ٤/ ٤٩١، ٧٠٥، ٦/ ٤٦٠، ٦٤١، ٧/ ٦٥٢، ٨/ ٦٤٣، ٩/ ٢٦٠، ٤٢٦، ٥١٢، ١٠/ ١٠٠، ٢١٢.
أبو أمامة بن سهل بن حنيف الأوسي: ٣/ (٧٠).
أبو أمية الشعباني: ٣/ (٦٥٤).
أبو إياس جوية: ٩/ ٧١٢، ١٠/ ١٤٣.
أبو أيوب الانصاري: ١/ (٧٠٢)، ٧٤٩، ٣/ ٥٥٨، ٤/ ٧٢٦، ٧/ ١٨٧، ١٠/ ٢٤٦.
أبو بحرية: ٩/ (٥١١).
أبو بردة الكاهن: ٣/ ٢٠٥، ٦/ ٢٦١.
أبو برزة الأسلمي: ٣/ (١١٨)، ٩/ ١٦٤، ١٠/ ١٠٥.

أبو بشر الدولابي: ٩/ (٢٨٩).

أبو بكر الباقلاني: ٣/ ١٢٥، ٤/ ٦٧، ٢١٨، ٣٨١، ٤٥٤، ٩/ ٥٧٥.

أبو بكر الزبيدي النحوي: ١/ (١٨٥)، ٥/ ٧١٢.

أبو بكر الصديق: ١/ ١٥١، ١٨١، ١٨٢، ٢١١، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٥٠، ٢٥٢، ٤٨٣، ٤٩٨، ٥١٦، ٥٩٦، ٧٢٦، ٧٥٧، ٢/ ١٧، ١٨، ٤٣، ٥٦، ٤٠٠، ٤٧٨، ٥٥٧، ٥٧٧، ٦١٠، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٦٢، ٧١١، ٣/ ٥٠، ٥١، ١٥٩، ١٧٣، ٢٠١، ٢٠٥، ٢١٢، ٢٢٨، ٢٣٧، ٢٥٨، ٣٢١، ٣٨٢، ٥٣٦، ٥٤٨، ٥٨٠، ٥٨٥، ٥٩٦، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٥٥، ٦٨٨، ٤/ ٣٢٠، ٥٠٠، ٥١١، ٥٧٢، ٥٧٤، ٦٢٩، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٨، ٦٦٢، ٦٨٤، ٧٠٨، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٥/ ٤٣، ١٢٧، ١٤١، ١٧٦، ٢٦٤، ٣٨٣، ٣٩٦، ٤٣٣، ٤٦٨، ٤٧٣، ٤٨٦، ٥٧٧، ٦٨٩، ٦/ ١٤٨، ١٩٦، ٢٣٧، ٢٦٢، ٣٠٤، ٣٦٥، ٧/ ٢١، ٥٤، ٦٠، ٨٢، ١٦١، ١٦٧، ١٩٢، ١٩٤، ٢٤٤، ٢٤٧، ٣١٩، ٤١١، ٤٣١، ٤٩٢، ٦٠٧، ٦٦٤، ٦٧٤، ٨/ ٤٨، ٤٩، ١٦٥، ١٨٨، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٩٤، ٣٢٩، ٣٨٦، ٤٠١، ٤٩٧، ٥١٢، ٥٢٢، ٥٢٨، ٧٣٤، ٧٣٩، ٧٤٠، ٩/ ٨، ٢٦، ٤٦، ٦٣، ٨٤، ٩٤، ٩٥، ٩٨، ١٤٤، ٢٥٨، ٣٩٥، ٣٩٨، ٤١٥، ٤٧٤، ٥٥٠، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٧، ٦٩٣، ١٠/ ١٣، ١٤٢، ٢٦١، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩١، ٣٥٠، ٣٦٩، ٤١٠.

أبو بكر القاضي: ٣/ ٤٤٤.

أبو بكر المقرئ = شعبة بن عياش: ١/ ٤١٥، ٤٨٠، ٥٨٠، ٦٦٠، ٦٧٦، ٧٥٣، ٢/ ٣٤، ١٠١، ١١٩، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٥٣، ٢٨٦، ٢٩٤، ٣٠٧، ٣٧٠، ٣٨٥، ٣٨٩، ٤٤٠، ٤٩٤، ٥٦٧، ٦٢٠، ٦٤٢، ٦٥٢، ٦٦٩، ٧٢١، ٣/ ٤٧، ٧٦، ١٢٢، ٤٠٨، ٤٤٠، ٥٧٥، ٦٠١، ٦٦٦، ٦٦٨، ٧٢٤، ٧٣٢، ٧٤١، ٤/ ١٥، ٢٥، ٥٥، ٧٣، ٧٤، ٨٨، ١١٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٦، ١٤٥، ١٧٢، ١٩٤، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٨٣، ٢٨٧، ٣٢١، ٣٥٥، ٣٩٨، ٤١٤، ٤٢٧، ٤٣٦، ٤٦٠، ٤٦٩، ٥٢٩، ٥٣١، ٥٧٥، ٥٨٠، ٦١٥، ٦٢٥، ٦٢٦، ٥/ ١٢٣، ٢٥٠، ٣٠٩، ٣١٢، ٣٣٩، ٣٨٧، ٣٨٨، ٤٧٩، ٤٩٤، ٥٥١، ٥٦٨، ٥٩٨، ٦٠١، ٦٩٧، ٧٣٢، ٦/ ٨، ١٩، ٢٧، ٧٢، ٧٩، ١٦٢، ١٨٣، ١٩٠، ٢٠٣، ٢١٥، ٢٨٦، ٣١٢، ٣٣٩، ٣٤٥، ٣٦٨، ٤٠٢، ٤١٧، ٤١٩، ٤٣٨، ٤٤٢، ٤٥٠، ٤٩١، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٥٨، ٦٠٧، ٦٢٦، ٦٤٢، ٦٥٠، ٦٥٣، ٦٩٢، ٧٠٦، ٧١٥، ٧/ ٣١، ٣٢، ٤٥، ٥٩، ٩٤، ١٠٥، ١٣٧، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٦٩، ٢٧٧، ٢٧٨، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٣٤، ٣٨٢، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٥٢، ٥٦٨، ٥٧٥، ٥٩٢، ٦٠٢، ٦١٥، ٦٥٩، ٧٠٩، ٧١٧، ٨/ ٧٨، ١١٧، ١٥٩، ١٦٦، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٧، ٢١٩، ٢٣٣، ٣٣٠، ٣٧٦، ٤٠٤، ٤١٨، ٤٣٥، ٤٥١، ٤٥٥، ٤٦٧، ٤٧٠، ٥٢٠، ٥٤٩،

٦٢٧، ٦٤٨، ٦٥٠، ٦٨٥، ٧١٢، ٧٤٢، ٩/ ٣٦، ٣٨، ١٢٥، ١٥٣، ١٨٢، ٢٤١، ٣٢١، ٣٦٧، ٤١١، ٤١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥٤٥، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٨٨، ٥٩٣، ٥٩٨، ٦١٨، ٦٢٣، ٦٩٥، ٧١٢، ٧٤١، ١٠/ ١٩، ٥٤، ٦٣، ٦٨، ٧٧، ١١٨، ١٥٣، ٢٣٣، ٢٧٦، ٣٤٩، ٣٧٨، ٣٨٣، ٣٩٤.

أبو بكر النقاش: ١/ (١٦٤)، ٢١٨، ٢٤٧، ٣١٢، ٣١٧، ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٥٩، ٣٦٩، ٣٧٥، ٣٩٨، ٤٠٧، ٤٤٥، ٥٩٩، ٦٢٨، ٦٦٣، ٦٨٧، ٧٥٣، ٧٥٤، ٢/ ١٢٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨١، ١٨٤، ١٨٧، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٦، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٩٢، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣١٥، ٣٢٠، ٣٣٣، ٣٣٧، ٣٤٢، ٣٥٤، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٧، ٤٢٦، ٤٨٠، ٤٩٧، ٥٢٠، ٥٨٤، ٥٩٧، ٦٠٦، ٦١٣، ٦٢٢، ٦٤٠، ٦٤٣، ٦٧٩، ٦٨٥، ٦٩٠، ٧٢٠، ٣/ ٥، ٧١، ١٦٤، ١٧٠، ٢١٢، ٢٢٥، ٢٧٣، ٣٨٥، ٣٩٢، ٤٥٣، ٤٧١، ٥٣٢، ٥٦٨، ٥٧٣، ٧٠٣، ٧٤٤، ٧٥٣، ٧٥٩، ٤/ ١٨، ٢٠، ٣٣، ٤٩، ٧٠، ٩٤، ١٥٨، ١٦٥، ١٦٨، ١٧٠، ١٨٨، ٢٣١، ٢٥١، ٢٧٥، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩٩، ٣١١، ٣١٣، ٣١٤، ٣٢٠، ٣٢٦، ٣٤٠، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٧، ٣٦١، ٣٨٣، ٣٨٩، ٤٠٢، ٤٦٦، ٤٨٧، ٤٩٤، ٥٣٤، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٧، ٥٤٧، ٥٦١، ٥٨٣، ٦١٨، ٦٢٠، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٥١، ٦٨٨، ٦٩١، ٧١٧، ٧٢٠، ٧٢٥، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٧، ٥/ ٦، ٢٣، ٢٨، ٥٣، ٦٧، ٩١، ١٤١، ٣٠٣، ٣٠٧، ٣٣٣، ٣٥٩، ٣٦٥، ٤٧٤، ٤٧٩، ٥٢٥، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٣٢، ٥٤٣، ٥٦١، ٦٢٦، ٦٢٩، ٦/ ٦، ١٢، ٣٠، ١٠٠، ١١٠، ١٤٦، ١٥٥، ٢١٢، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٦٩، ٢٧٠، ٣١٩، ٣٢١، ٣٥٣، ٣٦٨، ٣٧٩، ٣٩٠، ٤٠٤، ٤٣٠، ٤٣٤، ٤٣٨، ٤٤٣، ٤٨٣، ٥٠٠، ٥١١، ٥١٦، ٥٢٦، ٥٣٧، ٥٦١، ٥٧١، ٥٧٧، ٥٩٢، ٦٧٩، ٧/ ٥، ٨، ١٢، ١٦، ٢٢، ١٩٨، ٢٠٨، ٢١٥، ٢١٦، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٥٦، ٢٧١، ٣٣٠، ٣٥٨، ٣٧٠، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٩٢، ٣٩٤، ٤٣٤، ٤٦٠، ٤٧٣، ٤٨٣، ٤٩٦، ٥٠١، ٥٥١، ٥٨١، ٥٩١، ٦٦٤، ٦٧٣، ٦٧٧، ٦٨٣، ٨/ ١٨٥، ٢١١، ٢٣٥، ٢٩٠، ٤٧٦، ٤٨٦، ٥١٥، ٥٢٦، ٥٣٣، ٥٦٩، ٥٩٤، ٦٣٢، ٩/ ٤٦، ٥٢، ٥٦، ٥٧، ٧٠، ٧٢، ٧٣، ٧٨، ٩٠، ١٠٣، ١١٠، ١١٢، ١٣٤، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٩٠، ٣١٤، ٣١٥، ٣٢٣، ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٦٥، ٣٨٥، ٣٩١، ٤٣١، ٤٣٣، ٤٥٧، ٥٠٥، ٥٢١، ٥٨٠، ٥٩٧، ٦١٩، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٤٦، ٦٨٧، ٧٠٨، ١٠/ ٩، ٥١، ٧٣، ١٠٢، ١٦٥، ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٢، ٢١٩، ٢٤٠، ٢٦٨، ٣٠٢، ٣٣٣، ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٦٦، ٣٧٩، ٣٨٥، ٤٠٣.

أبو بكر الهذلي: ٤/ (٣٨٠)، ٣٨٣، ٥/ ٧٥٤.

أبو بكر الوراق: ٧/ ٣٦١، ٨/ ٢٧٨، ٩/ ٣٩٣، ٥٩٤.

أبو بكر بن أبي أويس: ٧/ ٣٤.
أبـو بكـر بـن السـراج: ١/ ٢٣٥، (٢٣٦)، ٢٣٧، ٢٥٥، ٤٦٥، ٦/ ١٩٨.
أبو بكر بن الطيب: ١/ ١٦٦، (١٦٧)، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ١٨٤، ٣٤٤، ٢/ ٧٢٧، ٧٤٠، ٣/ ٥٧٠، ٤/ ٦٢٢، ٥/ ٥٦٥، ٥٩٩، ٦٢٩، ٨/ ٢٥، ٣٦٠.
أبو بكر بن حفص: ٦/ (٧).
أبو بكر بن طاهر: ١٠/ ٣١٢، ٣٤٠.
أبو بكر بن عبد الرحمن: ٢/ (٤٥)، ٥٣.
أبو بكرة نفيع بن الحارث: ٧/ ١٧٠، ١٧١، ٧١٩، ٩/ ١١٩.
أبو ثعلبة الخشني: ٣/ (٦٤٦)، ٦٥٤.
أبو ثمامـة جنادة بن عـوف: ٤/ (٣٥١)، ٤/ ٧٠٧.
أبـو ثور: ٢/ (١٣)، ٥٠، ٥١، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٩٨، ١٠٣، ١٢٣، ٣/ ٢٥٨، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٢٦، ٥٠١، ٤/ ٤٩٦، ٤٩٨، ٥٧٣، ٦٨٨، ٥/ ١٣، ١٦، ١٧، ٩/ ٥٨٢.
أبو جعفر الباقر: ٩/ ٧١٥.
أبـو جعفـر الرؤاسـي المقـرئ: ٢/ (١٠٨)، ٦، ٣٠٨/ ١٣، ٩/ ٢٢، ٩/ ١٠٠، ٤٠٩، ٤٤٢.
أبـو جعفـر المنصـور: ٥/ ١٠٤، ١٢٦، ٦/ ٧٨، ١٠٣، ٧/ ٣٨٧، ١٠/ ٣٠١.
أبو جعفـر النحـاس: ١/ (١٦٤)، ٦٨٢، ٢/ ٥٥٠، ٥٩٣، ٣/٦، ٤٣، ٤/ ١٣، ٨٣، ٢٩٦، ٣٧٠، ٤٥٧، ٥٥٨، ٦١٥، ٥/ ٦٠، ٨٣، ٢٩١، ٤٣٨، ٤٩١، ٥٩٧، ٧٢٦، ٧٣١، ٧٣٣، ٦/ ١١، ١٣٩، ١٤٠، ١٧٥، ١٩٤، ٣١٨، ٥٣٣، ٥٤٩، ٧/ ٧٠١، ٨/ ٤٥٩، ٩/ ٦٨، ٧٨، ١٢٨، ١٨٧، ٤٨٢، ٤٩٥، ٥٥٧، ١٠/ ٢٢٤.
أبو جعفر بـن القعقاع = يزيد بن القعقاع: ١/ ٣٥٨، ٤٤١، ٤٦٢، ٥٩١، ٦٢٣، ٦٣٣، ٦٣٧، ٦٧٦، ٧٢١، ٧٥٤، ٢/ ٧٨، ١٦٤، ١٩٩، ٢١١، ٢٧٨، ٣٦٢، ٤٢٤، ٤٧٧، ٥٠٢، ٧٣٩، ٣/ ٨٢، ١٣٤، ٢٦٦، ٣١٩، ٤٠٤، ٤١٥، ٤٢١، ٤٤٢، ٤٨٥، ٥٥٢، ٥٦٤، ٦٠٥، ٦٧٦، ٤/ ٩، ٣٣، ١٤٦، ١٥٦، ٢٠٦، ٢١٤، ٢٢٠، ٢٩١، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٧٧، ٣٨٣، ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٦، ٤١٣، ٤١٤، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٦٠، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧٣، ٥٠٨، ٥٦١، ٦٠٦، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٣٢، ٦٧٠، ٦٧٢، ٧١٠، ٥/ ٨٩، ٩٠، ١٤٩، ١٥٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٢، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٢٤، ٢٣٤، ٢٤٥، ٢٦٨، ٣١١، ٣٢١، ٣٥٧، ٣٩٥، ٣٩٨، ٤٠٣، ٤٠٨، ٤١٧، ٤٣٦، ٤٥١، ٤٨٩، ٥٥٥، ٥٧١، ٦٠١، ٦٥٠، ٧٢٢، ٦/ ٧، ١١، ٢٦، ٣٨، ٤٢، ٥٠، ٧٠، ١١٣، ١٢٨، ١٧٠، ١٨٣، ١٩٢، ٢٠٩، ٢٤٨، ٢٤٩، ٣٢٩، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٧١، ٣٧٩، ٣٩٢، ٣٩٣، ٤١٧، ٤٤٢، ٤٦٨، ٤٨٦، ٤٩٤، ٥٠٨، ٥٢٠، ٥٨٧، ٧٣٢، ٧/ ١٥، ٣١، ٥٠، ٥٤، ٥٩، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٨، ١٩٣، ٢٣٤، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٧٤، ٢٧٦، ٣٢٢، ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٦٧، ٣٧٢، ٣٩٠،

٤٠٦، ٤٢١، ٤٥٢، ٤٨٩، ٤٩٥، ٥٠٦، ٥١٩، ٥٦٧، ٥٧٨، ٦١٣، ٦٤١، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٧١، ٦٨٤، ٧١٧، ٧٣٠، ٧٣٣، ٨/ ١٨، ٧٥، ٩١، ١٣٤، ١٧٦، ١٨٨، ١٩٣، ١٩٦، ١٩٩، ٢١٢، ٢١٦، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٩٣، ٣٤١، ٣٤٦، ٣٥٣، ٣٥٨، ٣٧٩، ٣٩٧، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤١٥، ٤٣٨، ٤٥١، ٤٦٧، ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٧، ٤٧٨، ٥٠١، ٥٠٩، ٥١٢، ٥٣١، ٥٣٩، ٥٤٢، ٥٤٩، ٥٤٩، ٥٧١، ٥٧٦، ٥٧٩، ٥٨١، ٦٠٥، ٦١١، ٦١٢، ٦١٥، ٦٢٣، ٦٢٧، ٦٤٠، ٦٥٠، ٦٥٧، ٦٦٠، ٦٦٤، ٦٨٥، ٦٨٧، ٦٩٥، ٦٩٧، ٧٠١، ٧٣٣، ٧٣٦، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٥، ٧٤٦، ٩/ ٢٨، ٥٥، ٦٥، ٨٩، ١١٨، ١٢٥، ١٣١، ١٣٨، ١٥٣، ١٦٤، ١٨٢، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٥، ٢٤٠، ٢٧٠، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٣، ٣٢٠، ٣٥٧، ٤١٢، ٤٣٥، ٤٤٩، ٤٦٢، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٩١، ٥٤٠، ٥٥٣، ٥٨٩، ٦١٧، ٦٣٢، ٦٥٦، ٦٦٨، ٦٨٠، ٦٨٢، ٦٩٥، ٧٠٥، ٧٠٧، ١٠/ ٨، ١٦، ١٩، ٢٨، ٣٤، ٦٠، ٦٧، ٧٧، ٧٨، ٨٥، ٩٢، ٩٧، ١٠٧، ١١٨، ١٢٧، ١٣٣، ١٣٤، ١٥٢، ١٥٦، ١٥٧، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٧٧، ١٨١، ١٨٨، ١٩٠، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٤٢، ٢٥٥، ٢٦٢، ٢٧٠، ٣٠٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٨٣، ٤١٤.

أبو جعفر بن يزيد: ١٠/ ٢٦٩.

أبو جعفر محمد بن علي: ٢/ (٨٧)، ٤/ ١٥٦، ٤٩٠، ٥٣٩، ٦٧٢، ٦٩٨، ٥/ ١٢٥، ٢٣٦، ٢٦٢، ٦٧٤، ٧/ ٤٢، ٥٥، ٥٧، ٣٢٧، ٨/ ١٩٨، ٦٣٧.

أبو جلدة اليشكري: ٢/ (٤٣٣).

أبو جمرة = نصر بن عمران: ٢/ (١٩٩).

أبو جندل بن سهيل: ٦/ ٤٧، ١٠/ ١٤.

أبو جهل: ١/ ١٩٣، ٢/ ٥٥٧، ٣/ ٤٤٦، ٥٧٤، ٧٤٣، ٧٤٥، ٤/ ١١٢، ١٢١، ٥٠٧، ٥٣٠، ٥٤٦، ٥٨٩، ٥٩٦، ٦٥٨، ٦٦٣، ٥/ ١١٥، ٦٠٣، ٦٤٦، ٧٢١، ٦/ ٢٣٦، ٢٣٩، ٦٧٧، ٧/ ١٠، ٥١٨، ٥٢١، ٥٥٥، ٨/ ١٧٨، ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٣٥٣، ٥١٧، ٥٣٣، ٦٨٣، ٦٨٦، ٦٩٦، ٩/ ٢٢٠، ٦١٤، ٦٢٩، ٦٣٤، ٦٦٥، ١٠/ ١٣، ١٤، ١٦، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ١٢٩، ١٢٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٩٦، ٣٩٨.

أبو جهينة: ١٠/ ١٦٥.

أبو حاتم السجستاني: ١/ (٦٢٠)، ٦٣٣، ٦٨٩، ٢/ ٢٣٢، ٣٩٠، ٣/ ٦٤٥، ٤/ ١٣، ١٣٥، ٢٣٢، ٢٦٦، ٢٨٧، ٢٩١، ٢٩٩، ٣١٧، ٣٣٩، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٩، ٣٧٢، ٣٨٨، ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٩، ٤٠٦، ٤١٠، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٧، ٤٢٠، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٥١، ٤٦١، ٤٦٣، ٤٧٥، ٤٧٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١١، ٥٣٥، ٥٤٧، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٧٩، ٥٨٢، ٥٨٥، ٥٨٧، ٥٩٢، ٦٠٥، ٦٠٧، ٦١٢، ٦١٥، ٦٢٣، ٦٣٠، ٦٦٥، ٦٧٦، ٧٠٠، ٧٠٥، ٧١٣، ٧١٨، ٧٢٢، ٧٢٨، ٧٣٢، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٨، ٥/ ٦٣، ٩٠، ١٠١، ١٣٣،

١٣٦، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٨٩، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤٦، ٢٥٣، ٢٦٣، ٢٧٥، ٢٩١، ٢٩٥، ٣١٢، ٣١٩، ٣٨٩، ٤١٢، ٤١٩، ٤٣٦، ٤٤٥، ٤٤٩، ٤٦٤، ٤٨٩، ٥٠٠، ٥٠٤، ٥٥٥، ٥٦٠، ٥٧١، ٥٨٧، ٦٠١، ٦٥٥، ٦٨٢، ٧٠٢، ٧٢٧، ٦/ ٧، ٣٤، ٤٣، ٨٨، ٩٠، ١٠٨، ١٥٧، ١٨٢، ١٩٤، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢٢٦، ٢٧٠، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٥٤، ٣٦٢، ٤١١، ٤٣٤، ٤٤٠، ٤٤٦، ٤٧٥، ٥٢٠، ٧/ ٣٨، ١١٠، ١٢٧، ١٧٤، ٢٠٠، ٢٢٨، ٢٣٨، ٢٧٨، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠٤، ٣١١، ٣٣٤، ٣٣٩، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٨٨، ٤٠٣، ٤٤٩، ٥٢٠، ٥٣٩، ٥٥٦، ٥٩٧، ٦٠٦، ٦١٤، ٦٢٢، ٦٣٦، ٦٨٤، ٧٢٩، ٨/ ٥٤، ٦٩، ٨٦، ٨٩، ١٠٦، ١١٧، ١٢٠، ١٧٦، ١٩٣، ٢٠٩، ٢١٧، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٤٠، ٢٥٥، ٢٦١، ٣٠٠، ٣٢٤، ٣٥١، ٣٧٦، ٣٧٩، ٤١٣، ٤١٧، ٤٥٩، ٥٧٤، ٥٧٩، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٨٨، ٦٩٩، ٧٤٩، ٧٦١، ٩/ ١٩، ٤١، ٥٦، ٨٦، ٨٨، ١٠٩، ١٢٢، ١٣٠، ٢١١، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٦، ٢٤٢، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٦، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٢٤، ٣٢٨، ٣٥٦، ٣٧٣، ٣٧٤، ٤٩١، ٥٤٢، ٥٤٥، ٦٦٤، ٧٠٥، ٧١٣، ٧٤١، ١٠/ ١٠، ١٧، ٢٠، ٦٨، ٩٧، ١٠٩، ١١٨، ١٤٠، ١٧١، ١٧٤، ١٨٤، ٢٩٩، ٣٨١.

أبو حاتم المدني: ٤/ ٦٣٨.

أبو حاجر يزيد بن عامر: ٤/ (٦٨٢).

أبو حارثة بن علقمة: ٢/ ٣٠٦.

أبو حازم الزاهد = سلمة بن دينار: ٢/ (٥٠٩)، ٦/ ١٩٥.

أبو حباب: ١٠/ ١١.

أبو حبيبة بن الأزعر: ٥/ (٩١).

أبو حذيفة بن عتبة: ٢/ (٦٦٣).

أبو حفص: ٤/ ٥١٤.

أبو حمزة الثمالي: ٩/ (٢٣٢)، ١٠/ ٥٨.

أبو حمزة الواسطي: ٣/ ٢٦٦.

أبو حميد الساعدي: ٢/ (٦٨٢).

أبو حنظلة غسيل الملائكة: ٥/ ٩٣.

أبو حنيفة: ١/ ٢٠٥، ٢١١، ٢٩٧، ٦١١، ٦٥٠، ٦٧١، ٦٧٦، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧١١، ٧١٨، ٧٣٧، ٢/ ١٣، ١٦، ٢٨، ٣٠، ٦٤، ٦٦، ٧٣، ٧٩، ٨٤، ٩٣، ٢٦٧، ٤١٤، ٥٢٧، ٣/ ٢٧، ١٠٧، ١١٨، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ٢٥٨، ٢٨٣، ٢٨٤، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٩٠، ٤٩٤، ٥٠٢، ٦١٣، ٦٥٣، ٤/ ١٧٠، ٦٦٣، ٦٨٤، ٦٨٧، ٦٨٨، ٥/ ١٧، ٦/ ٢٠٢، ٧٠٤، ٧/ ١٣، ١٧١، ١٨٠، ٨/ ٣٥، ٩/ ٣٨٠، ٤٣٧، ٤٤٠، ٥٢٧، ٥٨٢، ١٠/ ٢٣٤، ٣٢٨، ٣٥٥.

أبو حنيفة الدينوري: ٨/ (٩٥).

أبو حية النميري: ٣/ ٩٧، ٧/ ٤٣٨، ٨/ ٣٣٥.

أبو حَيوةَ: ١/ (٢٣١)، ٢٧٧، ٢٨٤، ٣٢٤، ٣٤٥، ٣٧٠، ٤١٦، ٤٥١، ٤٥٥، ٤٦٢، ٤٧٧، ٤٨٢، ٥١٢، ٥٢١، ٥٤٦، ٦٧٥،

٦٨٠، ٧٠٧، ٧١١، ٧٤٢، ٧٤٥، ٧٥٤، ٧٥٧، ٢/ ٧٦، ١٠١، ١٠٧، ١٧٥، ١٨٥، ٢٩١، ٣٠٨، ٣٣٢، ٣٧٣، ٤٨٤، ٥٤٣، ٦٢٤، ٦٦١، ٧١٨، ٣/ ٣٥، ٣٩، ٨٨، ١٠١، ١٤٣، ٢٦٨، ٢٩٨، ٣١٤، ٣٤٣، ٤٠٨، ٥٥٥، ٥٦٦، ٦٦٢، ٦٧٤، ٧١٣، ٤/ ٧٦، ٧٨، ٨٣، ٩١، ١٠٧، ١٤٤، ١٨٦، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٨٠، ٢٩٧، ٣٥٧، ٣٦٩، ٤١٧، ٥٠٨، ٥١٠، ٥٨٨، ٦٠٢، ٦١١، ٦٣٣، ٦٨٣، ٥/ ٤٠، ٥٣، ٦٤، ١٠٠، ١٠٦، ١٣٣، ١٥٧، ٣٧٧، ٤٧٩، ٤٩٦، ٥٠٤، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٧١، ٦٤٦، ٦٧٧، ٧٠٠، ٧٢٦، ٧٤٤، ٦/ ٤٣، ١٣٧، ٢٧١، ٣٨٠، ٤٠٩، ٤٩٢، ٤٩٦، ٥٢٣، ٥٣١، ٥٤٠، ٦٢٩، ٦٧٣، ٧/ ١٠٨، ١٠٩، ١٤٣، ١٩٢، ٢٧٨، ٣٠٠، ٣٥٧، ٣٦٨، ٣٧٤، ٤٣٥، ٤٥٨، ٤٦٣، ٤٧٣، ٤٩٩، ٥٦٨، ٥٧٦، ٥٩٧، ٦١٣، ٦٤٣، ٦٤٥، ٦٨٢، ٦٩٤، ٧٠٢، ٧٠٩، ٧٥١، ٨/ ٥٩، ١١٨، ١٣٢، ٢١٩، ٣٢٤، ٣٣٠، ٤٢٢، ٥٢٥، ٥٤٩، ٦١٢، ٧٢٨، ٩/ ٦٢، ٧٧، ١١٨، ١٧٣، ٢١٢، ٢١٨، ٢٨٤، ٢٩٣، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٢٤، ٣٣٣، ٣٤٧، ٣٦١، ٣٧٣، ٤٠٤، ٤٠٨، ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٥٧، ٤٧٣، ٤٧٦، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٩٠، ٥٠١، ٥٥٧، ٥٧٢، ٥٩١، ٦٨٠، ٦٨١، ٧٣٢، ١٠/ ١٦، ٢٧، ٣٥، ٦٢، ٦٧، ٦٩، ٧١، ٧٧، ٨٦، ١١٧، ٢٠٣، ٢٤٠، ٣٢٢، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٧.

أبو خالد الوالبي: ٩/ (٢٧٢).

أبو خبيب: ٨/ ٢٨٢.

أبو خراش الهذلي: ١/ ٦٥٢، ٣/ ٩٦، ٩/ ٦١٣، ١٠/ ٤٠٢.

أبو خزيمة الأنصاري: ١/ ١٨٢.

أبو خليد: ٤/ (١٨٧)، ٧/ ٢٨٨.

أبو خيثمة الأنصاري: ٥/ (٤٧).

أبو داود السجستاني : ٢/ ١٨، ٣٦، ٣/ ٢٩٧، ٧/ ١٣٩، ٨/ ٣٤٤.

أبو دجانة = سماك بن خرشة: ٢/ (٦٤٧)، ٩/ ٤٦٦.

أبو دؤاد: ١/ (٦٨٥)، ٣/ ١١، ٤/ ٤٦١، ٦/ ٢٩٢.

أبو ذر: ١/ ٧١٥، ٢/ ١٦٤، ٢٤٣، ٥٠٥، ٥١٢، ٣/ ٧٥٢، ٤/ ١٠٧، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٥، ٥/ ١١٩، ٦/ ٤٤٠، ٧/ ٢٧، ٨٢، ١٦١، ٣٢٦، ٨/ ١٩٨، ٣٨٦، ٩/ ٢٤٠، ٤٨٢، ٥٤٨.

أبو ذؤيب الهذلي: ١/ (٣٧٦)، ٦٠٧، ٢/ ١٤، ٢٠٧، ٥٦١، ٥٧٨، ٦١٤، ٣/ ٢١٦، ٤/ ٣٦، ١٨٧، ٥/ ١٥٤، ١٥٩، ٢١٥، ٣٤٢، ٤٢٨، ٧٣٢، ٧٤٣، ٦/ ٤٢٣، ٥٧٨، ٧/ ٣٤١، ٦١١، ٦١٦، ٨/ ١٤١، ٢٦٨، ٥٠٤، ١٠/ ٥٦، ٢٣٥.

أبو رافع القرظي: ٢/ ٤٧٤، ٢/ ٤٨٠، ٦/ ٦٣، ٦٤، ٨/ ٥.

أبو رافع مولى النبي ﷺ: ٣/ (٤٢٠).

أبو رجاء العطاردي: ١/ ٣١٤، (٣٦٨)، ٥٠١، ٥٢٠، ٥٥٦، ٥٧٤، ٢/ ٧٦، ٧٧، ١٨٨، ٢٥٦، ٣٧٣، ٣٧٩، ٦٣٨، ٣/ ٥١،

١٧٨، ٣١٢، ٤٥٧، ٥٣٧، ٧٤٢، ٤/ ٢٢، ٦٦، ٨٢، ٩٩، ١٠٤، ١٠٧، ٢٣٢، ٢٦٠، ٢٩١، ٣٧١، ٣٧٧، ، ٣٨٥، ٤١٩، ٤٢٨، ٥١٤، ٦٧٧، ٧١٥، ٧٥١، ٥/ ٤٤، ٤٦، ١٠٨، ١٦٣، ١٦٧، ١٧٨، ٢٣٤، ٢٤٧، ٢٨٠، ٣٠٩، ٣٠٩، ٣٨٠، ٤١٥، ٤١٩، ٤٣٧، ٤٤٢، ٤٤٨، ٤٤٩، ٥٠٤، ٥٥٥، ٧٠٣، ٧٢٠، ٦/ ٧، ٤٢، ٧٠، ٧٢، ١٥٤، ١٦٨، ١٩٥، ٢٤٩، ٢٩٩، ٣٢٤، ٣٣٠، ٣٣٩، ٣٥٥، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٩٨، ٤١٣، ٤٢١، ٤٥٠، ٧/ ٥٠، ٥٦، ٥٧، ٩٥، ١٢٦، ١٧٦، ١٨٦، ٢٢٥، ٢٧٦، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٨٧، ٤١٤، ٤٣١، ٦٣٦، ٦٤٥، ٦٦١، ٦٩٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٨/ ٦٠، ١٠٠، ٢١٢، ٢١٦، ٢٤٧، ٢٨٢، ٣٢٢، ٣٢٦، ٣٣٨، ٣٥٤، ٣٩٧، ٤٣٨، ٤٥٥، ٤٦٧، ٤٧٤، ٥٠٩، ٥١٢، ٥٥٠، ٦١١، ٦٢٠، ٦٢٤، ٦٣٧، ٦٤٠، ٦٦٨، ٦٧٤، ٦٨٧، ٧٣٣، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٤٣، ٧٥٢، ٩/ ١١، ٣٩، ١١٣، ١٥٣، ٢١٠، ٢١٤، ٢٤٠، ٢٩٥، ٤٧٦، ٥٤٠، ٥٤٥، ٥٨٦، ٥٨٩، ٥٩٨، ٦١٧، ٦٥٦، ٦٩٣، ٦٩٥، ٧٠٥، ٧٢٨، ١٠/ ١٩، ٣٦، ٨٥، ١٠٤، ١١٨، ١٣٣، ١٥٢، ١٥٧، ١٦١، ١٨١، ٢٠٣، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٤٧، ٢٥٨، ٢٧٤، ٣١١، ٣٣٣، ٣٨٨.

أبو رجاء الهروي: ٣/ (١٤٧).

أبو رزين الأسدي: ٢/ (٣٧)، (٤٨٢)، ٥/ ٥٣، ١٤٧، ٢٦٢، ٥١٦، ٦/ ٧٤، ٤٢١، ٥١٤، ٨/ ٣٧، ٤٠، ٤٧٩، ٦٨٥، ٩/ ٢٣٨، ٥٥٠، ١٠/ ١٥، ١٩، ٢١، ١٢٢، ٣٢٩.

أبو رعيلة (عبد الرحمن بن زيد): ٥/ ٦٦.

أبو رغال: ٤/ ٣١٥.

أبو رفاعة القرظي: ٧/ ٥١٤، ٥١٦.

أبو رقيش النحوي: ٤/ (٢٧٣).

أبو روق الهمداني: ١/ (٣٤٣)، ١٠/ ١١٤.

أبو زبيد: ٣/ (٤٥٦)، ٥/ ٤٧٧، ٧/ ٤٠٠، ١٠/ ٣٥٨.

أبو زرعة بن جرير: ٢/ (٢٩٦)، ٧/ ١٦٩.

أبو زرعة بن عمرو بن جرير: ٤/ ٦٢٣، ٦/ ٧٢٩، ٧/ ١٠، ٤٦١، ٨/ ٢٣٣.

أبو زميل: ٤/ (١١٩).

أبو زيد الأنصاري النحوي: ١/ (١٩٩)، ٢٨٨، ٣٠٦، ٢/ ١٠١، ٥٩٤، ٣/ ٣٩٠، ٧٤٢، ٦/ ٩٢، ١٧٦، ٧/ ١٤٦، ٥٠٣، ٧٣٤، ٨/ ٦٣٧، ١٠/ ١٦٨، ٣٠٢، ٣٨٤.

أبو زيد المالكي: ١/ (٦٨٨)، ٢/ ٥٧٩، ٣/ ٢٨١، ٣٠٦، ٤٠١، ٤٢٥، ٤٤٢، ٤/ ١٠، ١٥٨، ٥٥١، ٥٦١، ٦/ ٣٦، ٢٥٢، ٣٢٩، ٥٧٣، ٧/ ٥٦٨، ٩/ ٤٦٤.

أبو زييد: ٨/ ٣٢٤، ١٠/ ١٧٣.

أبو سراج الهذلي: ٤/ ٤١٣، ٨/ ٧٦٤.

أبو سعد بن أبي طلحة: ٢/ ٦٤٧.

أبو سعيد الخدري: ١/ (٢٢٠)، ٤٦٤، ٢/ ١١٠، ١١١، ١١٤، ٢٦٣، ٢٧٦، ٤١٢، ٥٣٩، ٧٢٣، ٣/ ٣٨، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ٥٠٢، ٤/ ١٨٢، ٦٧١، ٧٤٩، ٧٥٠، ٥/ ٩٥، ٩٦، ٢٠٠، ٣٨٦، ٦/ ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٩٦، ٤٢٩،

٤٦٠، ٥٢١، ٥٣٤، ٥٩٨، ٦٥٤، ٧٢٣، ٧/ ٩، ٢٠٢، ٥١٠، ٥٤٣، ٦٠٦، ٦٠٧، ٧٣٠، ٧٤٨، ٨/ ١٣، ٢٦، ١٥٤، ١٨٢، ٢١٧، ٣٢٧، ٣٥٠، ٣٨١، ٦٦٥، ٩/ ١٢، ١١٨، ١٨٤، ٣٦١، ٣٩٨، ٦٧٧، ٧٢٤، ١٠/ ١٣، ٥٨، ٢٢٦، ٣٠٣.

أبو سعيد بن المعلى: ٤/ ٥٣٦، ٥/ ٧٤٧.

أبو سفيان بن الحارث: ٢/ (٥٩٠)، ٧٣٦، ٣/ ٦٣٦، ٤/ ٦٦٥، ٦٨٠، ٧٢٠، ٥/ ٩، ٥٣١، ٦٦٤، ٧/ ٣٩٢.

أبو سفيان بن حرب: ٢/ ٥٨٣، ٥٩٨، ٦٤١، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٨، ٦٩٧، ٦٩٩، ٣/ ١٩١، ٤٠٣، ٦٣٢، ٤/ ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٤٢، ٥٥٩، ٥٦١، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٩، ٦٦١، ٧٣٧، ٥/ ٩، ١٠، ٣٣٣، ٦/ ٦٧٧، ٧/ ١٣٢، ٤٧٨، ٥٩٥، ٦٠٧، ٧١٥، ٧٢٧، ٨/ ٦٨، ٦٩، ٩/ ١٦، ٨٨، ٥٠٣، ١٠/ ٢٨٧، ٣٨٨.

أبو سلمة: ١/ ١٩٦، ٣/ ٣٨١، ٣٨٥، ٧/ ٦٩٨، ٨/ ٤٨، ٩/ ١٠٠، ١٠/ ٦.

أبو سلمة بن عبد الأسد: ٦/ ١٧٢، ٧/ ٧٥، ١٠/ ١٨٨.

أبو سلمة بن عبد الرحمن: ٢/ (٧٤٣)، ٣/ ٦٣٨، ٤/ ٥٥٦، ٦/ ١٤٧، ٨/ ٧٢٣.

أبو سليمان الداراني: ٢/ (٧٣١)، ٧/ ٥٣٥، ٦٠٣، ٨/ ٥٧٨، ١٠/ ٥٧.

أبو سنان: ٥/ ٣٨٥.

أبو سنان بن وهب: ٩/ (٦٩).

أبو سيار السلمي: ٤/ (٢٥٠).

أبو شجاع: ٦/ ٤٠٩.

أبو شيبة المهري: ٧/ (٢٧٢).

أبو شيخ المقرئ: ٥/ (١٦٩)، ٨/ ٦١٥، ٦٥٧، ١٠/ ١٩، ٢٦٢.

أبو صادق: ٦/ (٨).

أبو صالح: ١/ ٢٣١، ٧٣٩، ٢/ ٤٤، ١٠٤، ١٤١، ٢٠٨، ٣/ ١٢، ٢٠، ٢٢٧، ٢٦٠، ٣١٣، ٣١٦، ٣١٩، ٥٩٥، ٤/ ١٦٠، ١٨٢، ٢٢٦، ٢٥٢، ٥٧٦، ٥/ ٦٢، ٢٧٦، ٤٥٨، ٥١٥، ٥٢٧، ٦/ ١١٠، ٢٧١، ٤٧٠، ٤٧١، ٧/ ١٢٩، ٣١٠، ٥٣١، ٨/ ٢٣٥، ٤٠١، ٤٦١، ٦٠١، ٦٧٠، ٩/ ٢٣٩، ٢٤٧، ٣٢٩، ٣٥٥، ٤٩٤، ٥١٠، ٦٣٧، ١٠/ ٧٤، ٧٦، ١٣٨، ١٧٩، ٢٤٦، ٢٦٨، ٢٨٩، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٧٨، ٣٨٤.

أبو صالح المقرئ: ١/ ٣٣٧، ٣٤٧.

أبو صالح مولى أم هانئ: ١/ (١٦٢)، ٢/ (٥٩٤).

أبو طالب: ٢/ ٥١٦، ٥٧٥، ٣/ ١٩، ٢٠، ٧٣٠، ٤/ ٧، ١٢، ٩٩، ١٩٨، ٥٤٥، ٥٤٦، ٧٤٤، ٥/ ١١٥، ٦/ ١٥٠، ٢١٦، ٧/ ٢٢٦، ٤٠٢، ٥١٧، ٥١٨، ٨/ ٢٤٦، ٣٠٦، ٣٠٧، ١٠/ ٢٩٦.

أبو طالوت = عبد السلام بن شداد: ١/ (٢٨٦)، ٢٨٨.

أبو طعمة المدني: ٩/ (٣٤١).

أبو طلحة الأنصاري: ٢/ (٥٠٤)، ٦٥٦، ٦٦٢، ٤/ ٧٢٦، ٨/ ٣٣٢.

أبو عاصم: ٦/ (٣١٦).

أبو عامر عبد عمرو = الراهب: ٢/ ٤٩٦، ٥/ ٩٣، ٤١٧.
أبـو عبـد الرحمـن السـلمي: ١/ (٤٤٧)، ٦٣٤، ٦٧٥، ٢/ ١٦٨، ٢١١، ٢٧٤، ٣٣٠، ٣٣٢، ٤٧٠، ٥٤٣، ٦٥١، ٧٢٥، ٣/ ٢٧، ٣٥، ٤٤، ٢٥٥، ٣٥٦، ٣٧٢، ٤١٩، ٤٥٧، ٥٣٧، ٦٠٤، ٦٢٤، ٦٦٦، ٦٨٤، ٤/ ٩، ١٦، ٣٨، ١٣٩، ٢٣٢، ٢٩١، ٢٩٢، ٣٣٦، ٣٩٠، ٤٢٧، ٤٣٥، ٤٦٠، ٤٧٠، ٥٦١، ٦٠٦، ٦١٢، ٦٣٦، ٦٧٧، ٦٨١، ٥/ ٢٩، ٤٥، ١٢٥، ١٣٣، ١٦٤، ١٦٩، ٢١٢، ٢١٦، ٢٣٦، ٢٥١، ٢٨٠، ٣٦٩، ٣٧٥، ٣٧٧، ٤٩٦، ٥٠٤، ٥٥١، ٥٧١، ٦٥٠، ٦٧٧، ٦٨١، ٦/ ٧، ٢٨، ٣٨، ٥٠، ٥٤، ٧٦، ٧٩، ٨٢، ١١٣، ١٨٣، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٨٤، ٤٥٠، ٥٠٧، ٥٥٨، ٧/ ٩٥، ١١٢، ١١٨، ١٥٩، ١٧٥، ٢٢١، ٢٢٦، ٢٤٩، ٣٢٠، ٣٩٢، ٤٢١، ٤٥٢، ٥٦٣، ٦٠٢، ٦١٥، ٦٣٩، ٦٤٦، ٦٧٤، ٧٠٨، ٧٣٣، ٨/ ٧، ١٨، ٦٠، ٦٨، ١٣٥، ١٦١، ٢١٣، ٢٣٥، ٣٠٠، ٣٠٦، ٣١٣، ٤١٨، ٤٧٧، ٤٨٦، ٥٠٥، ٥٤٤، ٦٥٦، ٧٠١، ٧٢٥، ٧٣٥، ٧٤٥، ٩/ ٣٨، ١٦٢، ١٧٥، ٢٢٦، ٣٠٢، ٣٣٠، ٣٥٦، ٣٥٧، ٤٦٨، ٥٠٢، ٥٨٤، ٦٥٦، ٦٩١، ٧٠٥، ١٠/ ٨، ١٩، ٨٥، ١١٨، ١٢٦، ٢٣٣، ٢٥٩، ٢٨٨، ٣٨٠.
أبو عبد الرحمن الفهري: ٤/ (٦٨٠).
أبـو عبد الرحمـن المقـري: ٤/ (٤٢٦)، ٦/ ٥٠٢.
أبو عبد الله (غير منسوب): ٣/ ٥٧٠.
أبو عبد الله البجلي: ٤/ (٣٣١).
أبو عبد الله الصنابحي: ٣/ (٤٠٦).
أبو عبد الله الكفيف المالقي: ٥/ ١١٤.
أبو عبد الله المدني: ٣/ ٣٢٦، ٤/ ٢٩.
أبو عبد الله المزني: ٢/ ٣٩٠.
أبـو عبـد الله النحـوي = النحـوي المجـاور بمكة: ٣/ (٣٥٦)، ٤/ ٤٠، ٩٤.
أبو عبد الله بن أبي أمية: ٣/ ٧٢٩.
أبو عبد الملك الشامي: ١/ (٢٣١).
أبو عبد الملك قاضي الجند: ٤/ (١٣٩).
أبـو عبيـد = القاسـم بن سـلام: ١/ (١٧٢)، ١٧٣، ٣٩٨، ٦٤٩، ٧١٤، ٢/ ٥٢، ٩٧، ٢٧٠، ٣/ ١١٧، ٢٦٥، ٢٦٦، ٧٣٨، ٤/ ٤٨٢، ٤٩٦، ٥٦٩، ٥/ ١٧، ٣٦٠، ٣٦١، ٥٠٤، ٧٢٩، ٦/ ١٩٨، ٧/ ١٥٧، ١٦٧، ٣٧٩، ٨/ ١٠، ٧٣، ٢٨٣، ٣٠٥، ٣٥١، ٤٥٥، ٩/ ٢٤١، ٥٣٦، ٥٧١، ١٠/ ٤٢.
أبو عبيد البكري: ١/ (٥١٩).
أبو عبيـدة بن الجـراح: ٢/ ٣٥٩، ٤٤٥، ٦/ ٣٨٧، ٧/ ١٥٨، ٢١٠، ١٠/ ٣٠٥.
أبـو عبيدة معمر بن المثنـى: ١/ ١٨٧، ٢٠١، ٢٦٨، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٣٣، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٦١، ٥٢٨، ٥٣١، ٥٩٨، ٦٤١، ٦٩٤، ٧٠١، ٧٢٣، ٢/ ٩، ٧٠، ٣٤٥، ٣٥٣، ٣٨٣، ٤٣٠، ٥٦١، ٦٥١، ٧١٢، ٧٤٢، ٣/ ١٥، ٨٦، ١٥٣، ٢٤٧، ٢٩٥، ٣٧٤، ٣٩٤، ٤٤٢، ٥٣١، ٤/ ٣٦، ٣٧، ٤٤، ١٦٥، ٢٩٠، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٩٤، ٤٣٣، ٤٨٠، ٥٠٥، ٥٢٧،

٥٥٠، ٥٦٩، ٦٠٢، ٦٣٦، ٦٥٩، ٦٩٦، ٧٢٧، ٥/ ١٨، ٤٨، ٥٢، ٧٧، ١٤٠، ١٥٤، ٢٥٩، ٢٦٥، ٣٥٥، ٣٦٢، ٤٣٧، ٤٦٨، ٤٧٧، ٥٢٣، ٥٦٥، ٦٤٦، ٦٧٩، ٧٠٨، ٧١٠، ٧١٩، ٧٥١، ٦/ ٢٩، ٦٣، ١٤٢، ٢٠٢، ٢١٨، ٢٦٤، ٣٦٧، ٣٩٨، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٧١، ٤٧٨، ٤٩٨، ٥٨٢، ٦٥٩، ٧/ ٢١، ٣٦، ٩٩، ١٤٦، ٢١٠، ٢٥٦، ٢٨٠، ٢٨٢، ٣٣٢، ٣٤٣، ٣٥٢، ٣٧٧، ٤٧٩، ٤٨١، ٤٩٧، ٥٥٣، ٥٧٧، ٦٠٧، ٦٢٥، ٦٤٨، ٦٦٨، ٨/ ٧، ١٠٨، ١١٠، ١٤٩، ١٩٦، ٢٠٧، ٢١٤، ٣١٤، ٣٣٢، ٣٧١، ٤٥٧، ٦٤٦، ٦٥٦، ٧٥٠، ٩/ ١٣٧، ١٩١، ٢٠٩، ٢١١، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٩٧، ٣٠٧، ٣١٣، ٣١٩، ٣٣٤، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٧٧، ٤٤١، ٤٦٥، ٥٦٩، ٦٢٧، ٦٣١، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٨٣، ٧٠٢، ٧٤٥، ١٠/ ١٦، ٣٥، ٤٣، ٦٥، ٦٩، ٩٤، ١٠١، ١٠٣، ١١٢، ١١٨، ١٤١، ١٩١، ٢١٣، ٢١٤، ٢٣٧، ٢٥٧، ٢٧٢، ٢٧٩، ٣٠٢، ٣٨٠.

أبو عثمان المازني: ١/ (٧٢١)، ٢/ ٣١٠، ٦/ ٢٢٥، ٩/ ٢٦٧، ٣٤٩ ٦٢٧.

أبو عثمان النهدي: ٤/ ٢٦٦، ٥/ ٨٠، ١٧٣، ٦/ ١٧٤.

أبو عثمان عن أبي الحسن: ٥/ ٢٤١.

أبو عزة: ٤/ (٦٢٩)، ٧/ ٣٩٢.

أبو علي البغدادي: ٤/ ٧١٦.

أبو علي الحسين بن محمد الغساني: ٢/ (٩٤).

أبو علي الفارسي: ١/ (١٦٣)، ١٩٦، ٢٠٢، ٢٢١، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٨٤، ٣٠٠، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣١٨، ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٨، ٣٧٨، ٣٩٩، ٤٠٥، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٢، ٤٤١، ٤٦٧، ٤٧٨، ٤٩٥، ٥٠٥، ٥١٨، ٥٢٣، ٥٤١، ٥٤٣، ٦١٢، ٦٢١، ٦٢٤، ٦٤١، ٦٤٣، ٦٦٩، ٧٢٢، ٧٥٠، ٢/ ٣٥، ٨٢، ٩٧، ١٢١، ١٣٠، ١٣٣، ١٤٦، ١٦٨، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٢، ١٨٦، ١٨٩، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٨، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٩، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٥٣، ٣٦٦، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٨٢، ٣٩٠، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤١٧، ٤٢٠، ٤٢٤، ٤٤٣، ٤٥٨، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٨٥، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩٨، ٥٢١، ٦٠٢، ٦١٣، ٦٢٠، ٦٣٤، ٦٤٨، ٦٧٠، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٨٠، ٦٩٢، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٨، ٧٢٥، ٣/ ٨، ١٠، ١٧، ٢٣، ٢٥، ٥٨، ٧٢، ١٢٢، ١٤٤، ١٥٣، ١٥٧، ١٧٧، ٢١٦، ٢٦٨، ٣٣٠، ٣٤٩، ٣٦٩، ٣٧٥، ٣٩٩، ٤٠٢، ٤٤٢، ٤٥٦، ٥٢٤، ٥٤٥، ٥٥٣، ٥٥٨، ٥٥٩، ٦٠١، ٦٢٩، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧٨، ٦٨٠، ٦٩٠، ٧١٤، ٧١٥، ٧٢٤، ٧٣٩، ٧٤٢، ٤/ ١٠، ١٣، ٣٧، ٥٧، ٦٣، ٦٩، ٧٩، ٨٣، ٨٩،

١٠٣، ١٠٤، ١٠٦، ١١٤، ١٢٠، ١٢١، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣١، ١٦٥، ١٨٧، ١٩٤، ٢٢٢، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٥، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٨٧، ٢٩٩، ٣٠٤، ٣٤٣، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٨٢، ٣٩٢، ٣٩٣، ٤١١، ٤٢٤، ٤٣١، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٦١، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٨٠، ٥٤٢، ٥٥٣، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٦٣، ٥٨١، ٥٨٢، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٣٦، ٦٥٢، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٧٠، ٦٩٢، ٦٩٥، ٧١٣، ٧٥١، ٥/ ٢٥، ٤٦، ٧٢، ١٠١، ١١٤، ١٥٣، ١٦٦، ١٦٨، ١٩٦، ٢٠٢، ٢١٦، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٥١، ٢٨٧، ٢٩١، ٣٠٥، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٤٦، ٣٥١، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٤١٨، ٤٢٨، ٤٣٨، ٤٥٤، ٤٨٤، ٤٨٩، ٤٩٥، ٥١٥، ٥٣٠، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٧٠، ٥٧١، ٦٠١، ٦١٨، ٦٤٢، ٦٥٥، ٦٦٦، ٦٧٦، ٦٩٣، ٧١٨، ٧٣٤، ٧٤٣، ٦/ ٣٣، ٤٣، ٥٥، ٥٨، ٨٣، ١٠٨، ١٤٢، ١٥٣، ١٧٤، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٢، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٦٠، ٣٥٤، ٣٧٥، ٤٠٢، ٤١٩، ٤٥٢، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٩، ٥٢٩، ٥٣١، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٤٨، ٥٧٢، ٥٧٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٦٠٣، ٦٠٥، ٦٢١، ٦٢٢، ٧١٦، ٧٢٠، ٧/ ٩، ١٠، ١١، ١٩، ٢٠، ٢٧، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٥٢، ٥٩، ٧٠، ١٠٠، ١٣٧، ١٤٦، ١٧٥، ١٧٦، ٢١٣، ٢٢٥، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٨٨، ٣٢٣، ٣٧٩، ٤٠١، ٤٣٨، ٤٥٥، ٥٠٥، ٥٢٠، ٥٢٧، ٥٨٣، ٦٧٦،، ٨/ ٧، ١٠، ٧٣، ٩١، ٩٦، ١١٥، ١٦٩، ١٨٠، ١٨١، ٢٠٦، ٢١٣، ٢٢٨، ٢٥٦، ٢٦٨، ٢٧٤، ٢٨٢، ٣٣٥، ٣٤٧، ٣٥٣، ٣٧٩، ٤٥٧، ٤٦٤، ٥٠٩، ٥٢٠، ٥٤٢، ٥٧٦، ٥٨١، ٦٤٨، ٦٩٤، ٧١٧، ٧١٨، ٧٣٦، ٩/ ١٩، ٣٠، ٥٢، ٥٩، ٧٤، ٩٠، ١١٨، ١٥٣، ٢٢٦، ٢٦٨، ٢٨٠، ٣١٣، ٣٥٧، ٤٠١، ٤١٣، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٥٧، ٤٩٨، ٥١٤، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٧٦، ٥٨٩، ٦١٨، ٦٢٤، ٦٣٣، ٧١٢، ١٠/ ٢٠، ٢٥، ٣٠، ٤٤، ٥٩، ٦٣، ٦٤، ١٧٨، ٢٥٦، ٢٨٣، ٣٧٢، ٣٨٣.

أبو علي القالي: ٤/ ٢٨٥.

أبو عمارة: ١/ (٦٧٣)، ٨/ ٣٤١.

أبو عمر الجَرْمي: ١/ (٣٦٧)، ٤٢٠، ٩/ ١٨٤.

أبو عمر الدوري: ٩/ ٣٣٣.

أبو عمر المطرز: ٦/ (٣٣٦).

أبو عمران الجوني: ٤/ (٣٧٣)، ٥/ ٥٤٦، ٦/ ٣٦٨، ٨/ ١٥٨، ٩/ ٦٥٨، ٦٩٥، ١٠/ ٢٦٦، ٣٦٥.

أبو عمرو الداني: ١/ (١٤٨)، ١٨٦، ٣١٥، ٣٣٤، ٣٥٥، ٤٤٦، ٥٢٠، ٥٤٦، ٥٧٨، ٥٩٩، ٦٦٨، ٦٨٩، ٢/ ٢٠٢، ٢٥٦، ٢٧١، ٢٧٨، ٤٦٨، ٦٣٥، ٦٨٣، ٦٩١، ٧٠١، ٧١٣، ٣/ ٧٦، ٨٦، ٢٢٨، ٢٨٠، ٣١٣، ٣١٤، ٥٧٠، ٦٣٠، ٦٦٦، ٤/ ١٤، ١٨، ٨٣، ٩٢، ١١٠، ٢٨٣، ٤٠٦، ٤٢٦، ٤٥٠، ٤٧٥، ٥٤٧، ٦٠٨، ٦١٢، ٥/ ٢٥، ٤٩٥، ٥٣٠، ٥٥٩، ٥٦٧، ٦/ ٢٥٢، ٣٦١، ٣٩٦،

٤٢٠، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٨٧، ٥٥١، ٧/ ١٣، ٢٩٢، ٣٤٠، ٣٦٨، ٣٧٤، ٤٠٣، ٤٠٩، ٤٥٣، ٥٣٣، ٨/ ٩، ٩٧، ١١٤، ٢٢٣، ٢٥٧، ٣٦٤، ٩/ ١٦١، ١٩٩، ٢٩١، ٣٠٠، ٥٤٢، ١٠/ ٥٤، ٢٤٣، ٢٥١.

أبو عمرو الشيباني: ٥/ (٥٤١)، ٦/ ٢٦٤.

أبو عمرو بن العلاء البصري المقرئ: ١/ ٢٣١، ٢٤٨، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٧٣، ٢٨٠، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٣١٣، ٣٥٦، ٣٩٢، ٤٠٤، ٤١٦، ٤١٩، ٤٤٠، ٤٧٤، ٤٧٧، ٤٨١، ٤٨٣، ٤٨٧، ٤٩٢، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠٥، ٥٢٠، ٥٥٧، ٥٦٦، ٥٨٠، ٦١٢، ٦٢١، ٦٢٣، ٦٧٤، ٦٧٦، ٧١٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٤٥، ٧٥١، ٧٥٥، ٢/ ٢٤، ٣٤، ٧٧، ٩٦، ١٠١، ١٠٣، ١٢٠، ١٣٠، ١٣٦، ١٤٥، ١٥٢، ١٥٦، ١٨١، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٨، ٢١٠، ٢١١، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٧، ٢٥٣، ٢٦١، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣١١، ٣٣٢، ٣٧٠، ٣٨٠، ٣٨٩، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٦٩، ٤٨١، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٩٢، ٥٦٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٩٤، ٦٢٠، ٦٢٤، ٦٣٤، ٦٣٦، ٦٥٧، ٦٥٩، ٦٦٩، ٦٧٧، ٧٠٣، ٧٠٧، ٧١١، ٧٢١، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٣٧، ٣/ ٨، ١٨، ٢٥، ٤٧، ٥٨، ٧٢، ٧٧، ١٠٠، ١٠٢، ١١١، ١١٦، ١٣٠، ١٥٧، ١٦٦، ٢١١، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٥٥، ٢٦٨، ٣١١، ٣١٥، ٣٢٣، ٣٢٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٩، ٣٥٤، ٣٦٦، ٤٠٠، ٤٠٣، ٤١٥، ٤٤٠، ٤٥٥، ٥٠٠، ٥١٣، ٥٢٣، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٩، ٥٥٣، ٥٦٢، ٥٧٥، ٥٨١، ٦٠١، ٦٢٣، ٦٢٩، ٦٦٧، ٦٧٨، ٧١٣، ٧١٤، ٧٢٤، ٧٢٦، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٥٤، ٧٦٠، ٤/ ١٤، ١٥، ١٨، ٢٤، ٤٦، ٥٥، ٥٧، ٦٠، ٦٩، ٧١، ٧٨، ٧٩، ٨٣، ٨٥، ٨٩، ٩٧، ١٠٢، ١٠٦، ١١٢، ١١٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٦، ١٧١، ١٧٢، ١٨٥، ١٩٤، ٢٠٦، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٨٣، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٥، ٣٠٠، ٣١٠، ٣١٧، ٣٢١، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٤، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٧١، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤١٣، ٤٢٠، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٥٦، ٤٦١، ٤٧٠، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٩، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٤، ٥٢٩، ٥٣١، ٥٤٣، ٥٥٦، ٥٦١، ٥٧٥، ٥٧٧، ٥٨٠، ٥٨٥، ٦٠٤، ٦١٢، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٦، ٦٣٠، ٦٣٢، ٦٦٤، ٦٦٨، ٦٧٠، ٦٩٢، ٧١٥، ٧٢٢، ٥/ ٢٦، ٤٤، ٦٣، ٧٢، ٨٤، ٨٩، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١٢٣، ١٢٥، ١٣٣، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٧، ١٥٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٩٧، ١٩٩، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٨٦، ٢٨٨، ٣٠٩،

٣٢١، ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٧،
٣٥٦، ٣٦٠، ٣٨٢، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٣،
٣٩٩، ٤١٣، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٨،
٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٥٣، ٤٦٤،
٤٧٥، ٤٧٧، ٤٩٣، ٤٩٤، ٥٠٧، ٥٣٠،
٥٥٥، ٥٥٨، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧١، ٥٧٣،
٥٧٥، ٥٧٩، ٥٩٥، ٥٩٨، ٦٠١، ٦١٩،
٦٢٥، ٦٥١، ٦٥٥، ٦٦٥، ٦٦٧، ٦٧٥،
٦٨١، ٦٩١، ٦٩٦، ٧٢٠، ٧٢٧، ٧٢٩،
٧٤٠، ٦/ ٧، ٨، ١٣، ٣٦، ٤٢، ٥٤، ٩٠،
٩١، ٩٨، ١١١، ١١٣، ١٢٦، ١٥٤، ١٧٤،
١٨٣، ١٩٦، ٢٠٣، ٢٠٩، ٢١٤، ٢١٥،
٢٢٠، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٤،
٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٩،
٣٥١، ٣٥٤، ٣٧١، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٧،
٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٤، ٣٩٣، ٣٩٨، ٤١١،
٤١٢، ٤١٣، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٤، ٤٣٠،
٤٣٨، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥٠،
٤٥٣، ٤٥٩، ٤٦٨، ٤٧٢، ٤٨٣، ٤٨٣،
٤٨٦، ٤٨٩، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٤، ٥٠٠،
٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٧، ٥١٤، ٥٢٨، ٥٢٩،
٥٣٠، ٥٣١، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٧، ٨٤٩،
٥٥٨، ٥٦٧، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٧، ٥٨٢،
٥٩٤، ٥٩٦، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠٢، ٦٠٣،
٦٠٧، ٦١٣، ٦١٤، ٦٢١، ٦٢٣، ٦٢٦،
٦٣٠، ٦٣٣، ٦٥٣، ٦٦٠، ٦٩٢، ٧١٥، ٧/
١١، ١٥، ١٧، ٢٣، ٣٤، ٥٣، ٥٩، ١٠٠،
١٠٨، ١١٠، ١١٦، ١١٧، ١٣٠، ١٣١،
١٣٥، ١٣٧، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٤،
١٨٨، ٢٠٨، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٤٦، ٢٤٩،
٢٦١، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٨٥، ٢٨٦،
٢٨٨، ٢٨٩، ٣٠٠، ٣١١، ٣٢٠، ٣٢١،
٣٢٣، ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤٢، ٣٤٨،
٣٥٣، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٨٢، ٤٠٧،
٤١٢، ٤١٤، ٤١٨، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٤٧،
٤٥٠، ٤٥٢، ٤٥٤، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٩٥،
٥٠٥، ٥١٩، ٥٤١، ٥٤٦، ٥٥٩، ٥٦٤،
٥٦٨،٥٦٥، ٥٧٥، ٥٧٨، ٥٨٢، ٥٩٣،
٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٦٠١، ٦١٤، ٦١٥،
٦٢٦، ٦٣٣، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٥٥، ٦٥٩،
٦٦١، ٦٦٧، ٦٧١، ٦٧٦، ٦٧٨، ٦٧٩،
٦٨٤، ٦٩٠، ٧١٤، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨،
٧٢٨، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٤، ٧٤١، ٨/ ٦،
٧، ١٨، ٢٤، ٣٦، ٤١، ٦٩، ٧٠، ٧٦، ٨٢،
٨٦، ٩١، ٩٦، ٩٩، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤،
١١٧، ١٢٤، ١٥٨، ١٦١، ١٦٦، ١٧٦،
١٨٧، ١٩٠، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٥، ٢٠٦،
٢٠٨، ٢١١، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٣٢،
٢٣٣، ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٦،
٢٨٢، ٣٢٦، ٣٤٨، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٧٦،
٣٧٦، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٢، ٣٩٦، ٤٠٤،
٤١٣، ٤٣٣، ٤٤٥، ٤٥٥، ٤٦٤، ٤٦٧،
٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٨، ٥٠٨،
٥٠٩، ٥٣١، ٥٣٣، ٥٣٨، ٥٤٩، ٥٥٠،
٥٧٤، ٥٧٩، ٥٨٠، ٦١٢، ٦٢٣، ٦٢٦،
٦٢٧، ٦٣٧، ٦٤٢، ٦٤٨، ٦٥٨، ٦٦٤،
٦٧٠، ٦٧١، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٩٥، ٧١٧،
٧٣٦، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٩، ٧٦٤، ٩/ ١١،

١٢، ٢٢، ٢٨، ٢٩، ٣١، ٤١، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٨، ٧٢، ١٠٩، ١١٤، ١٢٣، ١٤٣، ١٦٠، ١٦٥، ١٧٤، ١٨٢، ١٩٤، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٧، ٢٢٥، ٢٤١، ٢٥٠، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٨١، ٢٨٢، ٣٠٣، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٨، ٣٦٣، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٤، ٣٩٦، ٤٠١، ٤١٢، ٤٢١، ٤٣٥، ٤٤٥، ٤٤٩، ٤٦٣، ٤٧٦، ٤٨٩، ٤٩٨، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٧، ٥١٨، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٤٥، ٥٥٣، ٥٦٨، ٥٧٢، ٥٧٤، ٥٧٦، ٥٨٤، ٥٨٦، ٥٨٩، ٥٩٨، ٦٠٧، ٦١٢، ٦١٧، ٦٢٣، ٦٣٢، ٦٣٨، ٦٥٦، ٦٧٠، ٦٨٣، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠٥، ٧٠٨، ٧١٢، ٧٢٩، ٧٣٩، ٧٤٦، ١٠/ ١٩، ٢٨، ٣٣، ٣٤، ٤٠، ٤٧، ٥٤، ٥٩، ٦٣، ٦٨، ٧٢١، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٩٧، ١٠٣، ١٠٧، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٧، ١٤٨، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٦٣، ١٧١، ١٧٤، ١٧٦، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٨، ١٩٠، ٢١١، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٦، ٣٠٣، ٣٢٢، ٣٣٣، ٣٤٩، ٣٦١، ٣٦٨، ٣٧٣، ٣٨٣، ٣٨٧، ٣٩٨، ٤١٢، ٤١٤، ٤٢١.

أبو عمرو بن أمية: **٣**/ ٧١، ٨٤.

أبو عون الأنصاري: **٢**/ (٦٨٨).

أبو عياض: ١/ ٤٦٥، ٦/ ١٤، ٣٣٤، ٨/ ٧٥٤، ١٠/ ٩٧.

أبو غالب التياني: ٤/ ٦٢٤.

أبو فاختة: **٢**/ (٣٢٠).

أبو فاطمة: ٨/ ٥١٥.

أبو فراس الحمداني: **٣**/ ٧.

أبو قتادة: **٣**/ ٢٦٥، ٤/ ٤٩٨، **٩**/ ٦٠٣، ١٠/ ٢١٦.

أبو قحافة = والد أبي بكر الصديق: **٢**/ ٢٣٤.

أبو قرة الكندي: ٦/ (١٣٤).

أبو قرة اليماني: **٢**/ (١٣١)، **٣**/ ٧٥٩، ٤/ ٤٢٦، ٧/ ٥٨٦، **٩**/ ٧١٠.

أبو قرصافة: ٨/ (٦٨٩).

أبو قلابة: **٢**/ (٩٧)، **٣**/ ٦٧، ٧٥، ٩٧، ٤٨٩، ٥٩٨، ٤/ ٤٠١، ٧/ ٣٣٩، ٣٧٢، ٨/ ٦٦٠، **٩**/ ١٨٠، ٢٨٠، ٢٩٣، ٤٣٤، ٥٨٢، ١٠/ ٢٤، ٤٣، ٦٩، ٤٠٩.

أبو قيس: **٥**/ ٨١.

أبو قيس بن الأسلت: **٣**/ (٧٠)، ٧١، ٨٤، **٩**/ ٣٨١.

أبو كبشة السلولي: ٧/ (٥٩١)، **٩**/ ٢٦٦.

أبو كبير الهذلي: ١/ (٢٣٢)، ٤/ ٣٢١، ٦/ ٣٩٦.

أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري: **٢**/ (٣٧١)، **٣**/ (٥٠٩)، ٥٤٠، ٤/ ٥٤١، **٥**/ ٨٠، ٨١، ٨٢.

أبو لهب (عبد العزى بن عبد المطلب): **٢**/ ٢٩٨، ٧/ ٥٩٠، ٨/ ١٢٣، **٩**/ ٣٩٠، ٢٣١، ١٠/ ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧.

أبو مالك: **٢**/ ٣٦٩، ٤٥٩، **٣**/ ٣٦٣، ٤٦٥، ٥٩٨، ٤/ ٢٨، ٨١، ٣١٦، ٥٥١، ٧٠٨، ٧١٦، **٥**/ ١٢٥، ٧/ ٦٣٦، ٨/ ١٣٩،

٢٨٧، ٤٤١، ٩/ ١٠٥، ٢٦٠، ٣٠٧، ٣٦٥، ١٠/ ٤٥.
أبو مالك الأشجعي: ١/ (٦٢٨)، ٣/ ١٦، ١٩، ٣٣، ١٨٧، ١٨٨، ٣١٢، ٩/ ٥٦٧، ١٠/ ١٩٨.
أبو مالك الغفاري: ٤/ ٦٤١، ٨/ ٦٤٥، ٩/ ١٧٣، ٢٧٠.
أبو مجلز = لاحق بن حميد: ٢/ ٨٩، ١١٧، ٢٧٣، ٥٠٨، ٣/ ٦٦، ٧١، ٢٦٠، ٤٩١، ٦٣٩، ٦٦٠، ٤/ ١٥٧، ٢٥٨، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٥، ٤٨٦، ٦٥٨، ٥/ ٥٩٧، ٦/ ٥٠٠، ٧/ ٤٠، ١٥٩، ١٦٠، ٢٣١، ٥٩٨، ٨/ ١٠٦، ١٨٩، ٦٠٦، ٧٥٨، ٧٦٤، ٩/ ٤٩٢، ٥٩٨، ٧٢٢، ٧٣٨.
أبو محجن: ٣/ (١٣٥)، ٧/ ٣٣٦، ٩/ ١١٤، ٧٤٧.
أبو مرثد الغنوي: ٩/ ٤٨٥.
أبو مرثد كناز بن حصين: ٢/ (٢٧).
أبو مروان بن سراج: ٤/ (٣٩٥).
أبو مسعود البدري: ٣/ ١٣٨.
أبو مسلم: ٩/ ١٤٦.
أبو مسلمة: ٣/ ١٩٥.
أبو معاذ النحوي: ٢/ (٧١٣).
أبو معمر المنقري: ٦/ ١٣١، ١٠/ (٩٩).
أبو مليل الأنصاري: ٣/ (٣٠٤)، ٣٠٩.
أبو منصور: ١/ ٥٣٩، ٥/ ٥٦٦.
أبو منصور المهراني: ٥/ (٤٩٩)، ٦/ ٤٦، ٢١٢.
أبو موسى الأشعري: ١/ (١٨٨)، ٢/ ١١، ١١٢، ١٦٣، ٥٠٤، ٥٧٣، ٣/ ٢٤، ٣٣، ٤٣٤، ٥٤٨، ٥٤٩، ٦٠٦، ٦٦٠، ٦٦٤، ٤/ ٣١٤، ٥٥٢، ٥/ ٦٥، ٧٥، ١٧٦، ٢٧٩، ٣٨٠، ٦٩٤، ٦/ ٣٧٦، ٧/ ٥٥، ٢٠٢، ٢٢٤، ٨/ ٦٣١، ٦٦٤، ٦٩٢، ٩/ ٣٣٦، ٤٢٧، ٥٥٩، ٥٩٣، ٦٤٤، ٦٥٦، ٦٦٢، ١٠/ ٢٥، ٢٢٠، ٢٢٩.
أبو موسى الحجازي: ٤/ (٦٣٨).
أبو ميسرة = عمرو بن شرحبيل: ١/ ٢١٣، ٣/ ٤٠٧، ٤٢٩، ٦١٢، ٥/ ٤٨٥، ٦/ ٣٨٢، ٨/ ٩٣، ١٠/ ١٠١، ٣١٧.
أبو نضرة: ٢/ (٣٤٢)، ٣/ ١٠٣، ٥/ ٣٨٦، ٧/ ٧٤٧، ٨/ ٦٤٥.
أبو نَهِيك: ١/ (٤٧٤)، ٢/ ١٠٧، ٣٢٤، ٥٥٢، ٦٧٦، ٣/ ٥٥٦، ٤/ ٤٢١، ٦/ ٥٠٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٨٧، ٦٨٨، ٧/ ١٠، ١٢٧.
أبو نوفل: ٤/ ٢٩١، ٢٩٢، ٨/ ٤٢٢، ٩/ ٢١٨.
أبو هريرة: ١/ ١٥٠، ١٦٨، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢٢٥، ٢٣٢، ٢٦٠، ٢٦٦، ٦١٣، ٧٤٩، ٢/ ٤٥، ١١١، ١٥٩، ١٥٣، ١٩٠، ٢٨٩، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٨٦، ٤١٠، ٥٥٤، ٦٠٨، ٦٨١، ٧٢١، ٧٤٣، ٣/ ٥٥، ١٣٣، ٢٠٠، ٢٩١، ٢٩٧، ٣٣٦، ٣٤٩، ٤٢٢، ٤٢٣، ٥٠٢، ٥٠٦، ٥٠٨، ٥١٥، ٦١٧، ٦٣٧، ٦٤٤، ٧٢٣، ٤/ ١٨١، ٢٩٦، ٣٢٤، ٤٥٥، ٥٢٥، ٦٣٠، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٦٢، ٦٩٨، ٧٠٥، ٥/ ٣٥، ٨٦، ١١٧، ٢٠٩، ٢٦٦، ٢٧٣، ٤٤٤، ٥٠٤، ٥٩١، ٦١٠،

٦٨٧، ٧٠٦، ٧٤٧، ٦/ ٦٧، ٢٦٥، ٢٦٨، ٣٧٦، ٣٨٣، ٤٢١، ٤٥٥، ٤٥٨، ٤٦٠، ٥١٩، ٥٣٩، ٥٥٤، ٥٦٠، ٧/ ٩، ١٠، ٢٩، ٩٢، ١١٤، ١٦٦، ٢٠٢، ٣٢٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٥١١، ٥١٧، ٥٨٩، ٦٣٠، ٧٠١، ٨/ ٦١، ١١٦، ١٣١، ٢٠٥، ٢٩٠، ٣١٥، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٦١، ٦٤٥، ٦٨١، ٧١١، ٩/ ٢٤، ٤٣، ٦٤، ٧٩، ١٣٥، ١٤٦، ١٦٣، ٢٢٨، ٢٤٥، ٢٥٥، ٢٦٤، ٣٠٢، ٣٧٢، ٤٤٧، ٤٧٠، ٥١٦، ٥٢١، ٥٢٣، ٥٧٣، ٥٨٩، ٦٩٢، ١٠/ ٦، ٢٦، ٧٠، ١١٠، ١٧٤، ١٩٠، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٣٧٠، ٤١٧.

أبو واقد الأعرابي المقرئ: ٣/ ٥٦١، ٥٦٧.

أبو واقد الليثـي: ٢/ ٣٢٨، ٣/ ٣٩٩، ٤٨٠، ٥٤٧، ٤/ (٣٧٤)، ٥/ ٧٢٢.

أبو وائل = شـقيق بن سلمة: ١/ (٧٣٤)، ٤/ ١٤٣، ٤٨٧، ٧١٣، ٥/ ٣٠٩، ٤٣٧، ٦/ ٤٨٣، ٧/ ٥٥، ٨/ ٢٣٧، ٩/ ٥٢٢.

أبو وجزة السـعدي: ٤/ (٤٠٦)، ٦٧٢، ٥/ ٧٠٠، ٧٠٧، ٨/ ٣٠٥، ٩/ ٦٦٦، ١٠/ ٢٣.

أبو ياسـر بن أخطب: ١/ (٢٧٩)، ٥٢٩، ٢/ ٣١٥، ٣/ ٣٧٨.

أبو يحيى: ٤/ ٢٩١، ٢٩٢.

أبو يحيى البطيح: ٩/ ٢١٥.

أبو يزيد البسطامي: ٩/ (٤٧١).

أبـو يوسـف القاضـي: ١/ (٦٥٠)، ٢/ ٧٩، ٣/ ٢٩٢، ٢٩٨، ٦/ ٢٠٠، ٨/ ٣٥.

أبي بن خلف: ٤/ ٥٢٨، ٦/ ١٠، ٥٣٠، ٧/ ١٠، ٢٨٧، ٦٠٧، ٦٧٧، ٨/ ٢٢٦، ١٠/ ١٢٩، ٣٩٨.

أبيُّ بن كعب: ١/ ١٦١، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٦، ١٨١، ١٨٢، ٢١٠، ٢١٢، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٣٠، ٢٥٨، ٣١٥، ٣١٦، ٣٥١، ٤٢٤، ٤٥٥، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٨٥، ٥٢١، ٥٢٤، ٥٣٣، ٥٤٩، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٥، ٦٠٩، ٦٤٣، ٦٧٢، ٦٩٢، ٧٤٣، ٧٤٥، ٧٦٠، ٧٦١، ٢/ ٣٥، ٤٨، ٥٤، ١٢٠، ١٣٤، ١٤٨، ١٨٧، ٢٥٦، ٢٦١، ٢٨١، ٣٢٧، ٣٤٠، ٣٨٩، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٨٥، ٥١٤، ٥٤٩، ٥٥٣، ٥٧٩، ٥٩٢، ٥٩٩، ٦٥١، ٧٠١، ٣/ ٧٦، ٩٨، ١٠٣، ٢٢٨، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٨٨، ٣١٥، ٣٢١، ٣٣٤، ٣٣٧، ٣٤٥، ٣٤٨، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٩، ٣٧٥، ٥٠٠، ٥٢٥، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٤٠، ٥٥٤، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٧٩، ٦٠٩، ٧١٤، ٧٢٥، ٧٣٣، ٤/ ١٨، ٢٦، ٤٧، ٤٨، ٥٩، ٩٧، ٩٨، ١٠٣، ١٠٧، ١١٣، ١٤٢، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٤١، ٢٥٠، ٢٦١، ٣٤١، ٣٥٨، ٣٧٧، ٣٧٨، ٤٠٢، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٧٠، ٤٨٠، ٥٠١، ٥٣٦، ٦٤٣، ٧٠١، ٧٢٤، ٧٤٨، ٦/ ٢٥، ٤٣، ١٢٦، ١٦٣، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٦، ١٨١، ١٩٨، ٢٠٤، ٢٩٩، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٨٤، ٣٩٢، ٤٠٤، ٤٠٨، ٤١٤، ٤١٥، ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٨٥، ٤٨٥، ٤٨٩، ٥٠٣، ٥٣١، ٥٣٩، ٥٦٠، ٥٧٣، ٦٢٨، ٦٣١، ٧٢٥، ٧/ ٦٠، ١٣٩، ١٤٥، ١٥٠، ١٦٢، ١٨٨، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٢١، ٢٢٣،

٢٣٨، ٢٤٢، ٢٧٨، ٢٨٥، ٢٨٦، ٣١٢، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٥٧، ٣٦٣، ٣٧١، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨٥، ٣٨٦، ٤٠٣، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٧، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٤٣، ٤٥٢، ٤٦١، ٥٥٦، ٥٧٠، ٥٩٣، ٦٠١، ٦٥٥، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧١٧، ٧٢٢، ٧٢٥، ٨/ ٣٤، ٣٥، ٤٠، ٥٤، ٥٥، ٦٢، ١٥٨، ١٧٩، ١٩٤، ١٩٥، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٤، ٢٢٤، ٢٨١، ٢٩٢، ٣٠١، ٣٦٩، ٣٩٢، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٥٦، ٤٦٤، ٤٨٤، ٥٩٦، ٦٢٤، ٦٣٣، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٤٢، ٦٤٥، ٦٥٧، ٦٦٨، ٦٩٣، ٧٠٧، ٧٤٥، ٧٦٣، ٩/ ٦٤، ١٠٨، ١٢٧، ١٩٥، ٢١٥، ٢٦٣، ٢٧١، ٢٨١، ٣٢١، ٣٤٣، ٣٥٧، ٤١٣، ٤٣١، ٤٣٥، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٦١، ٥٦٤، ٥٦٩، ٦٤٧، ٦٥٦، ٦٧٠، ٦٧٥، ٦٩٧، ٧٠٩، ٧٢٩، ٧٣٤، ١٠/ ٥، ١٩، ٥٤، ٦٢، ٩١، ٩٥، ١١٥، ١١٨، ١٣٩، ١٤٧، ١٥٢، ١٧١، ١٧٧، ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٦٣، ٢٨٢، ٣٠٣، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٥٩، ٣٧١، ٣٨٢، ٣٩٧، ٤٠٧، ٤١١.

الأبيرد الرياحي: ٨/ (٢٥١)، ٩/ ٣٥٦.

أحمد بن أبي شريح: ٤/ (١١٣).

أحمد بن حنبل: ١/ ٢٩٧، ٦٦٥، ٦٧٢، ٧٠٦، ٢/ ١٢، ٢٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٦٦، ٦٨، ٩٨، ٢٦٧، ٥٢٧، ٣/ ٩٣، ٢٨٢، ٤٢٢، ٤٣٦، ٥٠٢، ٥٠٤، ٦٢١، ٤/ ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٥/ ١٣، ١٥، ٦/ ٣٤٩، ٩/ ٥٢٨، ٥٧٣.

أحمد بن يزيد بن أسيد: ٥/ (٦٨٩).

الأحنف بن قيس: ٤/ ١٨٦، ٧٠٦، ٩/ ١٧٧.

الأحوص، الشاعر: ١/ (٢٥٧)، ٣/ ٤٠١، ٤/ ٧٢٧، ١٠/ ٢٢٦.

أحيحة بن الجلاح: ١/ ٤٢١.

الإخريط: ٧/ ٤٣٨.

الأخطل: ١/ (٢٤١)، ٦٣١، ٢/ ٤٠١، ٤، ٤/ ٣١٨، ٦/ ٢٤٨، ٧/ ٣١٠، ٤٢٢، ٥٨٠، ٦٩٣، ٩/ ٢١٦، ٣٨٥، ١٠/ ٨٣، ١٩٥.

الأخفش = أبو الحسن سعيد بن مسعدة: ١/ (٢١٥)، ٢٣٥، ٢٦٨، ٣٠٠، ٣٠٥، ٣٤٧، ٤١٢، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٤٣، ٤٧٢، ٤٨٦، ٤٩٣، ٥٠١، ٥١١، ٥١٤، ٥٥٦، ٦٢٤، ٦٥٢، ٦٥٦،، ٢/ ٨٣، ١٠١، ١٢٢، ١٧٦، ٢٢٧، ٣٨٣، ٤٢٠، ٤٢٤، ٤٨٧، ٤٩١، ٦٢٠، ٣/ ٦، ٢٦٦، ٢٦٨، ٣٩١، ٣٩٤، ٥٦٣، ٦٤٦، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٨، ٧٤٧، ٤/ ٨٠، ١٤٠، ١٤٤، ٢٠٥، ٢٤٥، ٢٦٦، ٣٦٥، ٥٠٤، ٥١٩، ٥٣٩، ، ٦٠٧، ٦٣٠، ٦٣٦، ٦٧٨، ٥/ ٦٨، ٢٣٥، ٣٠٦، ٤٦٨، ٦٤٤، ٦٦٧، ٦٦٨، ٧٣١، ٧٣٥، ٦/ ١٣٥، ٢١٦، ٢٢٤، ٥٤٨، ٥٥٨، ٧/ ٥٩، ١٣٧، ١٧٦، ٢٤٠، ٣٣٥، ٣٤٤، ٤٠١، ٤٨٦، ٥١٩، ٨/ ٣٠٣، ٣٧٩، ٥١٨، ٥٧٦، ٩/ ١٩، ١٢٨، ١٢٩، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٦٥، ٣١٩، ٤٢٢، ٤٣٧، ٥١٧، ٥١٨، ٦٢٧، ٦٤٣، ١٠/ ١١٢، ١١٣، ١٦٨، ١٨٠، ١٨٦، ٢١١، ٢٤٨، ٢٩٩، ٣١١، ٣١٤، ٣٢٣، ٣٤٩، ٣٨٥.

الأخفش = علي بن سليمان: ٤/ ١٥٢، ٨/ ٥٥٠.
الأخفش الدمشقي: ٥/ ٢٣٧.
الأخفش الكبير = أبو الخطاب: ١/ (٥٧٠)، ٢/ (٢٣٠)، ٦/ ١٨٤.
الأخنس بن شريق: ١/ ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٧، ٢/ ٣٣٧، ٧/ ١٦، ٩/ ٦٢٩، ٦٣١، ١٠/ ٣٧٦.
إدريس بن يزيد الأودي: ٥/ (٥١٠).
أراكة الثقفي: ١/ ٣٩٣، ٢/ ٣٨١، ٨/ ٤٥٧.
أربد بن ربيعة: ٤/ ٣٠٩، ٥/ ٥٦١، ٥٨٥، ٥٩٢.
الأرقم المخزومي: ٤/ (٤٩٢).
الأزرق بن طرفة: ٨/ ١٩٦.
أسامة بن زيد: ٢/ (٥٠٤)، ٣/ ٢٦٥، ٤/ ٦٦٢، ٥/ ٤٨١، ٨/ ١٥٦.
إسحاق بن بشر: ٨/ (٥٩٤).
إسحاق بن راهويه: ١/ ٦٨٨، ٧٠٦، ٢/ ١٢، (١٣)، ٢٨، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٩٨، ١١٨، ٢٦٧، ٥٢٧، ٣/ ٦١، ٩٢، ٩٣، ١٦٥، ٢٨٢، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٣٦، ٥٠٢، ٦٢١، ٤/ ٤٩٥، ٤٩٧، ٥/ ١٣، ١٥، ٦/ ٣٤٩، ٧/ ١٥٦، ٩/ ٥٧٣.
إسحاق بن عبد الله: ٣/ ٦٨٥.
الأسد المقرئ: ١٠/ ١٩١.
أسد بن موسى: ٧/ (٣٩٤).
الأسعر الجعفي: ٥/ ٥٥٠.
أسماء بنت أبي بكر: ٢/ ٢٣٤، ٦/ ١٥، ٧/ ٦٦٣، ٦٦٤، ٨/ ٣٩٢.
أسماء بنت عميس: ٨/ ٤٢، ٤٩.
أسماء بنت يزيد بن السكن: ٩/ ٥٠٤.
إسماعيل الراوي عن نافع المقرئ: ٥/ ٦٣، ٢٢٢، ٦/ ٣٨، ٨/ ٢٩٣، ٩/ ٢٢٦.
إسماعيل القاضي: ١/ (٢٩٥)، ٢٩٦، ٣/ ٤٣، ٢٨٦.
إسماعيل بن أبي أويس: ٧/ ٣٤.
إسماعيل بن أبي حكيم: ٨/ (٤٥).
إسماعيل بن أبي خالد: ٩/ (٥٦٩)، ١٠/ ٤٤.
إسماعيل بن جعفر: ١/ (٢٨٠)، ٥/ ٣٦٧.
إسماعيل بن علية: ٣/ (١٧٠)، ٢٩٢، ٢٩٨.
إسماعيل عن عاصم: ٧/ ٢٢٦.
الأسود العنسي: ٤/ (٧٤).
الأسود بن عبد الأسد: ١٠/ ١٨٨.
الأسود بن عبد المطلب = أبو زمعة: ٥/ ٧٥٤، ٧٥٥، ١٠/ ٣٩٨.
الأسود بن يزيد: ٣/ (٢٨٥)، ٧/ ٣٠٩، ٨/ ٢٧٤، ٦٥٨، ٩/ ٦٠٤.
الأسود بن يعفر: ١/ (٥٦٦)، ٣/ ٦٤٠، ٥/ ٣١٥، ٧/ ٢٨٤، ١٠/ ٢٥٢.
الأسود بن يغوث: ٥/ ٧٥٤، ٧٥٥، ٩/ ٦٢٩.
أسيد بن حضير: ١/ (١٤٨)، ٣/ ٢٤٤، ٤٤٧، ٤/ ٤٣٨، ٩/ ٤٠٣.
أسيد بن سعية: ٢/ (٥٦١).
أسيد بن عبيد: ٢/ (٥٦١).
أسيد بن كلدة: ١٠/ ٢٦٨.
أسير بن عروة: ٣/ (٣٠٣).

الأشتر النخعي: ١/ (٦٢٤).
أشجع بن عمرو = السلمي: ٧/ (٥٠٢).
أشعث بن سوار: ٢/ (٩٤).
الأشعث بن قيس: ٢/ (٤٧٤)، ٤٧٥، ٥٥٧.
أشهب: ١/ (٤٢٥)، ٦٣٥، ٧٠٩، ٢/ ٣٠، ٥٧، ٩١، ٢٧٢، ٣٢٤، ٥٢٥، ٣/ ٩٤، ١٠٩، ١٦٨، ٢٩٥، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤٤، ٦٠٣، ٦٠٦، ٦٠٨، ٦٢١، ٤/ ٤٢٢، ٤٩٩، ٦٨٧، ٥/ ٤٠٠، ٦/ ٥٤٢، ٧٠٣، ٦/ ٥٤٢، ٧٠٣، ٧/ ١٧٢، ١٧٨، ١٧٩، ١٨١، ٢٨٠، ٨/ ٤٦٣.
الأشهب العقيلي: ١/ ٥٠٩، ٢/ ٢١١، ٤٦٩، ٦٣٥، ٤/ ٣٥٨، ٦١٥، ٥/ ٣٩٣، ٤٦٤، ٤٧٢، ٥٩٩، ٧٤٠، ٧/ ١١٢، ٤٢٧، ٥٠٣، ٨/ ٢١٦، ٤١٣، ١٠/ ٢٩٦.
الأشهب المقرئ: ٥/ ٤٢٥، ٧٢٩، ٧/ ١٠١، ٨/ ١٣٤، ١٧٧.
الأشهب بن رميلة: ١/ (٥٤٥)، ٩/ ٦٣٧.
أصبغ بن الفرج المصري: ٣/ (١٠٦)، ١٦٨، ٤/ ٦٩٠، ٥/ ١٣، ٦/ ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ٧/ ١٧٩.
أصحمة النجاشي: ٢/ ٧٤٠، ٧٤١.
الأصمعي: ١/ ٢٤٨، ٢٩٠، ٤٦٤، ٦٩٣، ٢/ ١٥، ٢٠، ١٠٣، ٣١٣، ٧٢٧، ٤/ ٥٩٢، ٦٣٦، ٦٦٠، ٧٠٩، ٧٢١، ٥/ ٥، ٢١٥، ٤٥١، ٤٦١، ٦٣٠، ٧٤٣، ٦/ ٧، ١٩، ٢٦٤، ٢٨٢، ٣٨٠، ٧/ ٣١، ١٠١، ١٣١، ٣٧٢، ٦١٧، ٨/ ٢٦٨، ٥٠٩، ٩/ ١٨٤، ٢٢٠، ٣٤٢، ١٠/ ٢٧١.
الأضبط بن قريع: ١/ ٢٧٨، (٣٨٦).
الأعرابي = عوف الأعرابي: ١/ (٥٦٥)، ٥/ ١٥٨، ٦/ ٢٨٢، ٩/ ١٩، ١٠/ ١٠٤.
الأعرج = عبد الرحمن بن هرمز: ١/ (٢٥٤)، ٣٤٦، ٣٥٥، ٤٨٠، ٤٨٣، ٦٧٦، ٢/ ٢٣٢، ٥٦٩، ٣/ ١٨، ٨٨، ٣٤٦، ٣٧٣، ٧٥٢، ٤/ ١٣٣، ٢٧٥، ٥/ ٤٥٧، ٦/ ٩٠، ٨/ ١٨٧، ٩/ ٦٤٧، ١٠/ ١٣٢.
الأعرج المقرئ: ١/ ٤٨١، ٤٩٥، ٥٧٦، ٥٧٩، ٧١١، ٢/ ١٦٤، ٢٩١، ٣/ ٤٣، ٣١٩، ٥٣٧، ٥٥٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٦٢، ١٤، ٢٣، ٨٨، ١٤٢، ١٤٤، ١٥١، ١٥٩، ٢٠٣، ٢٢٤، ٢٥٠، ٢٩١، ٣٩٦، ٤٢٠، ٤٢٧، ٤٦٠، ٤٧٣، ٥١٤، ٥١٩، ٥٦١، ٥٨٥، ٥٩٥، ٦٠٥، ٦٢٣، ٦٣٦، ٦٥١، ٦٦٨، ٦٧٠، ٧٢٨، ٧٤٥، ٥/ ٢٤، ٢٦، ٤٤، ٤٨، ٨٩، ١٥٣، ١٦٤، ١٦٧، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠١، ٢١٥، ٢١٨، ٢٣٤، ٢٦١، ٢٦٨، ٣٠٩، ٣٢٩، ٣٩١، ٤٠٣، ٤٠٨، ٤١٥، ٤١٩، ٤٣٦، ٤٤٨، ٤٧٨، ٥٢٤، ٥٥٥، ٥٩٤، ٦٠١، ٦٧٧، ٧٠٤، ٧١٠، ٧٢٠، ٧٢٧، ٦/ ٧، ٨، ١٣، ٢٦، ٣٣، ٤٢، ٥٤، ٦٩، ٧٩، ١٣١، ١٧٣، ١٨٣، ١٩٣، ٢٠٩، ٢٨٦، ٣٢٩، ٣٨٤، ٣٩٨، ٤١٣، ٤١٧، ٤١٨، ٤٦٢، ٤٨٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٢٥، ٥٣٠، ٥٤٠، ٧/ ١٠، ١٨، ٣١، ٥٥، ٥٨، ٩٥، ١٠١، ١٠٨، ١٤٦، ١٧٦، ١٨٦، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤٧، ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٩٦، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٥، ٣٤٨،

٣٥٥، ٣٥٦، ٤٢١، ٤٨٢، ٤٩٥، ٥٢١، ٥٦٥، ٦٣٩، ٦٤١، ٦٦٦، ٦٧١، ٦٨٠، ٧٢٩، ٧٣٣، ٨/ ٩، ١٨، ٢٤، ٦٠، ٧٥، ٧٨، ٩١، ١٤٠، ١٧٦، ١٩٤، ١٩٩، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٦، ٢٢٨، ٢٣٩، ٢٨١، ٣٢٤، ٣٤٦، ٣٥٣، ٣٧٠، ٣٧٩، ٣٩٧، ٤٠٤، ٤١٨، ٤٢٧، ٤٣٨، ٤٤٤، ٤٥٥، ٤٦٤، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٧٧، ٥٠٨، ٥١٠، ٥١١، ٥٣٩، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٧١، ٥٨١، ٦٠٢، ٦٠٥، ٦١١، ٦١٢، ٦٢٧، ٦٣٧، ٦٦٠، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٧٠، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٩٥، ٧٠٨، ٧٣٣، ٧٣٦، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٦١، **٩/** ١١، ٣١، ٦٥، ٧٣، ٨٨، ١٠٩، ١٢٣، ١٣١، ١٥٣، ١٦٤، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٨، ٢٦٥، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٣٢٣، ٣٤٣، ٣٦٩، ٣٩٥، ٤٠٩، ٤١٢، ٤٢١، ٤٤٩، ٤٨٩، ٤٩٨، ٥٠١، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٨، ٥٢٠، ٥٤٠، ٥٥٣، ٥٧٢، ٥٨٩، ٥٩٣، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٨١، ٦٩٥، ٧٠٥، ٧٠٨، ٧١٩، ٧٢٩، **١٠/** ٨، ١٩، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٦٧، ٧٩، ٨٦، ٨٧، ١٠٧، ١١٨، ١٢٧، ١٣٣، ١٤٠، ١٥٢، ١٥٧، ١٦٣، ١٧١، ١٨٨، ٢٠٦، ٢١١، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٨٢، ٣٣٨، ٣٤٧، ٣٧٢، ٣٧٧، ٤٠٩، ٤١٤.

الأعشى = ميمون بن قيس: **١/** ١٩٢، ٢٠١، ٢٠٧، ٢١٤، ٣٠٥، ٣٥٢، ٣٦١، ٤٤٤، ٥٣٤، ٥٩٨، ٦١٩، ٦٦٠، ٦٩٨، **٢/** ٢٠، ٥٦، ١٦٥، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٨، ٢١٨، ٢٤٥، ٢٨٣، ٢٨٤، ٣١٢، ٣٥٨، ٤٥٣، ٥٣٥، ٥٣٧، ٥٨٥، **٣/** ١٣٦، ١٤٢، ١٤٤، ٢٠٣، ٢٤٧، ٢٨٠، ٢٨١، ٤١٨، ٥٧٠، **٤/** ١٦٩، ٢٦٤، ٢٩٤، ٣١٥، ٣٢٢، ٤٧٤، ٤٨٠، **٥/** ٣٥، ١٢٩، ١٥٨، ١٨٨، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٧٥، ٣٤٢، ٤١٨، ٤٤٨، ٤٥٦، ٥٢٦، ٥٩٣، ٧٣٩، **٦/** ١٨، ٦٢، ١١٤، ١٢٥، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٥، ١٩٠، ٢٤١، ٢٨١، ٢٨٢، ٣١٥، ٤٠١، ٤٢٢، ٧٢٥، **٧/** ١٥، ٣٦، ٤٠، ١٢٤، ١٤٦، ٣١٧، ٣٣٦، ٣٧٠، ٣٧٨، ٤٨١، ٥٦٦، ٥٦٨، ٦١٦، **٨/** ٨١، ٩٤، ١٣٥، ٢٥٧، ٣١٤، ٣٢٣، ٥٤٩، ٧٢٣، ٧٥٠، **٩/** ١٣، ٢٠٩، ٢١٩، ٣٣٩، ٣٥٤، ٣٧٣، ٦٨٢، ٧١٦، ٧١٨، **١٠/** ٥٧، ٧٥، ٨٤، ١٠٦، ٢٩٤، ٣٦٥، ٣٩٣.

أعشى بني ثعلبة: **٣/** ١٦٩.

الأعمش = سليمان بن مهران: **١/** ٢١٢، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٤٤، ٢٨٤، ٣١٥، ٤١٦، ٤١٩، ٤٢٥، ٤٥٨، ٤٦٨، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥١٠، ٥١٣، ٥٢١، ٥٥٦، ٦٢٩، ٦٤٣، ٦٤٦، ٦٨٦، ٦٨٩، ٦٩٧، ٧٦٥، **٢/** ٩، ١٥٨، ١٨٥، ١٨٨، ٢٣٢، ٢٥٦، ٢٦٩، ٣٦٠، ٤٠٦، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٩، ٤٧٠، ٦٢٠، ٦٣٢، ٦٤٠، ٦٥٢، ٦٨٣، ٧١٨، ٧٣٤، **٣/** ٥١، ١٢١، ١٦٠، ١٧٤، ٢٠٢، ٢١٩، ٢٥٣، ٢٦٨، ٣٣٠، ٣٤٩، ٣٥٨، ٣٦٦، ٣٨٠، ٣٩٨، ٤٤٠، ٤٤٢، ٤٥٧، ٥٣٨، ٥٥٩، ٥٦٤، ٦٨٣، ٦٨٤، ٧١٣، ٧٢٥، ٧٣٥، ٧٤٢، ٧٦٠، **٤/** ١٨، ٢٣،

٢٤، ٢٥، ٣٠، ٣٨، ٤٥، ٤٨، ٦٤، ٨٠، ٨٨،
٩٨، ١٠٥، ١٠٧، ١٢٧، ١٤٢، ١٤٤، ١٨٢،
١٨٤، ٢٠٤، ٢١٤، ٢٥٦، ٢٦٦، ٢٦٧،
٢٨٧، ٢٩١، ٢٩٥، ٢٩٨، ٣١٦، ٣١٧،
٣٣٣، ٣٤٤، ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٨٥، ٣٩٣،
٣٩٦، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٦،
٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٥٠، ٤٥١،
٤٥٦، ٤٦١، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٦٢، ٥٨٠،
٥٨٥، ٥٩٢، ٦٠٢، ٦٠٦، ٦٣٢، ٦٣٦،
٦٧٥، ٦٧٦، ٧١٨، ٧٢٤، ٧٢٨، ٧٤٣،
٧٤٥، ٧٤٨، ٧٥١، ٥/ ٢٢، ٢٦، ٤٣، ٧٢،
٧٤، ٩٣، ٩٩، ١٠٨، ١٢٣، ١٢٥، ١٣٣،
١٣٦، ١٤٠، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٩،
١٦٤، ١٦٧، ١٧٣، ١٧٨، ١٩٣، ١٩٧،
٢٠١، ٢٠٥، ٢١٥، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٣٤،
٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٩١، ٣٠٩، ٣١٧،
٣٣٢، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٧٢، ٣٨١، ٣٨٢،
٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٣، ٣٩٣، ٤١٧، ٤٤٢،
٥٠٠، ٥٥٥، ٦٥٥، ٦٩٦، ٧٠٠، ٧٠٦،
٧٠٨، ٧٢٩، ٧٣٦، ٧٤٠، ٧٤٥، ٦/ ٧،
٨، ١٠، ٢٠، ٢٧، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٥٠، ٦٦،
٩٠، ١١٣، ١٣٧، ١٨٣، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٧،
٢١١، ٢١٥، ٢٢٧، ٢٣٩، ٢٧٧، ٣٢٧،
٣٢٩، ٣٣٧، ٣٥٣، ٣٧١، ٣٧٤، ٣٧٩،
٣٨١، ٣٩٣، ٣٩٦، ٤٠٥، ٤٢٢، ٤٢٤،
٤٤٨، ٤٥٢، ٤٦٢، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٨٦،
٤٨٧، ٤٩١، ٥٠٧، ٥٢٠، ٥٢٣، ٥٢٥،
٥٢٨، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٩، ٥٤٩، ٥٩٧،
٦٤١، ٧/ ٣١، ٣٣، ٥٠، ٥٣، ٩٥، ١١٧،
١٢١، ١٢٢، ١٤٨، ١٥٤، ١٧٥، ١٨٦،
١٩١، ١٩٢، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٦٨، ٢٨٥،
٣١٠، ٣١١، ٣٢٠، ٣٤٨، ٣٥٦، ٣٦٤،
٣٦٨، ٣٨٣، ٣٨٥، ٤٠٩، ٤١٤، ٤٢٢،
٤٤١، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٧٤، ٤٧٧، ٤٩٥،
٥٠٢، ٥٢٤، ٥٣١، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٧٦،
٥٧٧، ٥٧٨، ٥٨٥، ٦١٤، ٦١٩، ٦٣٧،
٦٤٨، ٦٧٩، ٦٨٩، ٧٠٠، ٧٠٧، ٧١٧،
٧٣٠، ٧٤١، ٨/ ٧، ١٨، ٣١، ٤٧، ٥٨،
٧٠، ٧٣، ٩١، ١٠٢، ١١٥، ١١٦، ١٢١،
١٦٤، ١٦٦، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٨، ١٨٩،
١٩٦، ٢٠٠، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٢٩،
٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨،
٢٦٨، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٨٣، ٣١٣، ٣٤٢،
٣٤٥، ٣٤٦، ٣٦٤، ٣٧٩، ٣٨٢، ٤٠٢،
٤٠٤، ٤٠٦، ٤١٣، ٤١٧، ٤١٨، ٤٢٦،
٤٢٧، ٤٣٩، ٤٥٥، ٤٦٧، ٤٧٠، ٤٩٤،
٤٩٦، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١٢، ٥٣٢، ٥٣٦،
٥٣٨، ٥٤٩، ٥٦٦، ٥٧٤، ٦٠٤، ٦١٤،
٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦٢٠، ٦٢٤، ٦٢٦،
٦٢٧، ٦٥٢، ٦٥٦، ٦٥٨، ٦٦٠، ٦٦٣،
٦٦٤، ٦٨٧، ٦٩٣، ٦٩٥، ٦٩٧، ٧٠١،
٧٠٥، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١٥، ٧١٧، ٧١٩،
٧٢٥، ٧٣٣، ٧٤٠، ٧٤٣، ٧٤٥، ٧٥٢،،
٩/ ٦، ١١، ٢٢، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٩، ٧٧،
٨٨، ١٠٢، ١١٠، ١٢١، ١٥٣، ١٦٤، ١٦٥،
١٧٥، ١٨٢، ٢٠٠، ٢١٦، ٢٤٩، ٢٥٠،
٢٥٣، ٢٩٢، ٣٠٣، ٣٢٤، ٣٥٦، ٣٥٧،
٣٦٣، ٣٧٣، ٣٩٧، ٤٠٥، ٤٤٢، ٤٤٣،

٤٤٤، ٤٤٩، ٤٦٥، ٤٧٥، ٤٧٩، ٤٨٩، ٥١٤، ٥١٥، ٥٢٧، ٥٣٥، ٥٤٠، ٥٤٥، ٥٥٣، ٥٦٨، ٥٧٣، ٥٧٦، ٦٠٤، ٦٣٨، ٦٦٢، ٦٦٤، ٦٧٨، ٧٠٧، ٧٢١، ٧٢٣، ١٠/ ١٠، ٢٥، ٢٨، ٣٤، ٦٢، ٦٧، ٦٨، ٧٧، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩٢، ١٠٤، ١٠٧، ١٢٠، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٩، ١٤٠، ١٥١، ١٦١، ١٨٨، ١٩٠، ٢٠٥، ٢٢٨، ٢٤٨، ٢٥٦، ٢٧٠، ٣٣٣، ٣٦٤، ٣٧٦، ٤٠٧.

الأعور: ٤/ ٥٠٨.

أعين قاضي الري: ٤/ (٧٣٨).

الأغلب: ٦/ (١٠٥).

الأفوه: ٦/ ٤٩٤.

الأقرع بن حابس: ١/ ٣٥٧، ٤/ ٨، ٥/ ٩، ٦/ ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٧٣، ٩/ ٩٤، ٩٩، ١٠٠، ١٠/ ١٩٠.

أكثم بن الجون الخزاعي: ٣/ (٦٥١)، ٦٥٢.

إلياس بن نسي: ٨/ ٢٨١.

أم أبي سلمة = تماضر بنت الأصبغ: ٢/ (١٠٠).

أم أسماء: ٩/ ٤٩٥.

أم الحكم بنت أبي سفيان: ٩/ (٤٩٩).

أم الحليس: ٦/ ٦٠١.

أم الدرداء: ٥/ ١٧٠، ٧/ ١٥٣.

أم الفضل: ٣/ ٢٧٤، ٤/ ٥٥٤.

أم جميل امرأة أبي لهب: ١٠/ ٢٩٤.

أم جميل بنت حرب: ١٠/ ٤٠٨، ٤١٠.

أم جندب: ٦/ ٤٠.

أم حارثة = الربيع بنت النضر: ١/ ٦٠٣، ٦٠٤، ٧/ ٩٢.

أم حبيبة بنت أبي سفيان: ٧/ ٧٥٤، ٨/ ٣٧، ٩/ ٤٩٣.

أم حرام: ٦/ ٢٤٧.

أم حميد = أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط: ٢/ (١٠٠).

أم رومان: ٧/ ٦١٩، ٦٦٤، ٨/ ١٨.

أم زرع: ٣/ ٣٣٣، ٥/ ٥٢٣.

أم سلمة: ١/ ١٩٦، ٢٢١، ٢/ ٣٨، ٨٧، ٦٧٦، ٧٣٥، ٣/ ١٣٣، ٤/ ١٨١، ٥/ ١٢٧، ٣١٩، ٥٣١، ٧/ ٢٠٦، ٢١٠، ٨/ ١٣، ١٥، ٣٧، ٤٤، ٤٥، ٤٨، ٥٠، ٤١٧، ٩/ ١٠١، ١٠٢، ٣٣٨، ٣٥٨، ٤٩٩، ٥٨٨.

أم سلمة بنت أبي أمية: ٧/ ٧٥٤.

أم شريك: ٨/ ٣٤، ٩/ ٥٨٠.

أم عطية: ٦/ ٤٣٦.

أم كحلة: ٣/ ٣٢.

أم كرز الكعبية: ٥/ (٢٠٩).

أم كلثوم بنت جرول: ٩/ ٤٩٩.

أم مسطح: ٩/ ١٤.

أم هانئ بنت أبي طالب: ٦/ ١٤٨، ١٥١، ٧/ ٥٧٣، ٨/ ٣٣.

امرؤ القيس: ١/ ٢٣٩، ٣٦٥، ٤٠٤، ٤٩٤، ٦٢٩، ٦٦٢، ٧٢٠، ٧٤٦، ٢/ ٢٠٦، ٢١٨، ٢٤٠، ٢٤١، ٣٥٢، ٤٧٩، ٥٧١، ٦٥١، ٧١٦، ٣/ ١٥١، ١٦٩، ١٨٥، ٢٣١، ٤٧٥، ٧١٦، ٧١٧، ٤/ ١٥٧، ٢٤٦، ٢٨٠، ٤٢٧، ٤٥٨، ٥٩٦، ٦٢١، ٥/ ٢٣١، ٤٢١، ٤٤٨،

٤٧٥، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٨٣، ٦٤٥، ٦٦٧، ٦/ ٤٠، ٥٥، ٢١٨، ٤٨٠، ٥٧٥، ٥٨٢، ٦٤٣، ٧/ ٣٧٥، ٦٠٦، ٦٩٣، ٨/ ٨٧، ١٤٩، ١٦٩، ٢٥٣، ٢٦٠، ٢٧٥، ٣٨٩، ٤٢٨، ٩/ ٦٤، ٩٠، ٢٣٥، ٢٨٣، ٣٤٠، ٣٤٢، ٥٧٣، ٧٠٣، ٧٣٣، ١٠/ ٦٢، ٢١٣، ٣٥٠، ٣٧١.
الأموي المقرئ: ٦/ ١١.
أمية بن أبي الصلت: ١/ ٢٠٨، ٣٣٢، ٣/ ٢٤٥، ٤/ ٤٤٧، ٥٦٤، ٥/ ٣٣٦، ٤٤٦، ٧٤٣، ٦/ ٤٦١، ٧/ ٣٩٢، ٨/ ٢٩٠، ٩/ ١٩١، ٣٢٦، ٣٥٩، ١٠/ ١١٩، ١٢٤.
أمية بن الأسكر: ٣/ ١٤، ٥/ ٥٣١.
أمية بن خلف: ٥/ ٦١١، ٧/ ٧١، ٨/ ٢٢٦، ٣٥٣، ١٠/ ١٢٩، ٣٩٨.
أمية بن قلع: ٤/ ٧٠٧.
أميمة بنت بشر: ٩/ ٤٩٦.
الأمين بن هارون الرشيد: ١/ ٦٠٧.
أنس بن النضر: ٢/ (٦٢٤)، ٦٢٩، ٦٥٠، ٧/ ٧٤٥.
أنس بن مالك: ١/ (١٣٩)، ١٤٣، ١٤٥، ١٧٦، ٢٢٥، ٥٥٧، ٥٨٤، ٦٠٩، ٦٦٦، ٢/ ٣٥، ٣٤٣، ٣٥١، ٤١٠، ٥٣٨، ٥٧٢، ٥٩٨، ٦٠٢، ٦٨٩، ٧٣٢، ٣/ ٢٨٤، ٣١٦، ٤٣٥، ٤٤١، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٢، ٤٩٣، ٥٠٢، ٥٢٤، ٦١٥، ٦٤٣، ٤/ ١٤٨، ٢٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٨٣، ٤٩٥، ٦١٨، ٦٥٥، ٧٢٤، ٧٤٩، ٥/ ٥٧، ٧٨، ٢٧٤، ٣١٩، ٤٢٥، ٤٨٣، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٦٠، ٦٩٤، ٧٥٢، ٦/ ٣٨، ١٥٠، ١٦٣، ١٨٩، ٣٠٩، ٣١٨، ٣١٩، ٣٩٤، ٤٩٥، ٥١٩، ٧/ ٦، ٢١٦، ٢٨٩، ٢٩١، ٥٨٦، ٦٩٨، ٧٤٥، ٨/ ٤٤، ٤٥، ١٧٣، ١٨٣، ٢٤٢، ٢٨٨، ٣٤٠، ٣٧٠، ٤٢٤، ٤٣١، ٤٨٦، ٥٢٢، ٥٧٣، ٧٢٨، ٩/ ٤٥، ١٠٥، ١١٢، ١٥٤، ١٥٨، ١٦٤، ١٧٧، ٢٣٧، ٢٤٤، ٢٦٤، ٢٧٦، ٢٧٧، ٣٠٢، ٤١٩، ٥٠٢، ٥٢٩، ٥٦٠، ٥٨٨، ٦٩٣، ٧١٤، ٧٣٨، ٧٤٠، ١٠/ ١٦، ١٧، ٢٨، ١٣٠، ٢٠٦، ٣٠٣، ٣١٣، ٣٥٣، ٣٩٤، ٣٩٥.
الأنطاكي: ٨/ (١٥٥).
الأهوازي: ١/ (٤١٦)، ٤٩٢، ٦/ ٣٦٨.
الأوزاعي: ٢/ (٢٨)، ٣٦، ٥١، ٥٣، ٨٥، ٩٣، ٩٥، ٢٤٣، ٤١٢، ٥٢٨، ٣/ ٩٣، ١٤٢، ٢٨٤، ٤٩٦، ٥٠١، ٤/ ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٨، ٤٩٩، ٧٢٥، ٥/ ١٢٦، ٧/ ١٣، ٣٥، ٢٠٧، ٨/ ٤٧٠، ٩/ ١٦٣، ٥٧١، ٥٨٢.
أوس بن الصامت الأنصاري: ٩/ ٤٣٣، ٤٣٤.
أوس بن حجر: ١/ ١٩٧، (٢٣٣)، ٥/ ٢٤٢، ٥١٤، ٥٢١، ٦/ ٩٤، ٧/ ٥٥، ٨/ ٥٥٤، ٩/ ٢٣، ١٦٤.
أوس بن سويد: ٣/ (٣٢).
أوس بن قيظي: ٢/ (٥٣٢).
إياد بن لقيط: ٤/ (٢٧٣).
إياس بْنُ معاويةَ: ١/ (١٥٧)، ٥/ ٥٦٤.
أيمن بن أم أيمن: ٤/ (٦٨١).
أيمن بن خزيم الأسدي: ٧/ (٤٨)، ٨/ ٧٣٩.

أيوب السَّخْتياني = أيوب بن أبي تميمة: ١/ (٢٥٩)، ٢/ ٤٢٨، ٦٤٤، ٣/ (٦١٨)، ٤/ ٣٩٦، ٤١٣، ٤٦٦، ٦/ ٣٩٢، ٨/ ١٠٦، ٩/ ٤١، ٧٢٩، ١٠/ ٣٦، ١١٨.

أيوب الهوزني: ٥/ ٥٣٣.

أيوب بن المتوكل: ٥/ (١٦٧).

أيوب بن سليمان بن عبد الملك: ١/ (٣٧١).

الباجي: ٧/ (١٩٣)، ٥٩١.

بادية بنت غيلان بن متعب: ٧/ ٢١١.

باهلة بن يعصر: ٣/ ٣٢٦.

بثين: ٤/ ٣٢٧.

بثينة بنت الضحاك: ٨/ (٤٢).

بجاد بن عثمان: ٥/ (٩٢).

بجير بن الحارث بن عباد: ١/ (٤٢٦)، ٣/ ٣٩.

بحري بن عمرو: ٣/ ٧٢٠.

البخاري: ١/ ١٤٨، ١٦٣، ١٧٧، ١٨٢، ٢٢٤، ٢٣٠، ٣٢٩، ٥٥٨، ٢/ ١٩٣، ٣/ ١١٢، ١٦٨، ٣٦٢، ٤٥٠، ٥٢٠، ٤/ ١٧٨، ٢٥٥، ٥/ ٤٤، ١٩٠، ٢١٠، ٤٨١، ٧/ ٧١، ٧٢، ١٨١، ١٨٥، ١٨٧، ٨/ ٢٩، ٦١، ١١٦، ١٤٢، ٩/ ٢٤، ١٦٠، ١٠/ ٥، ٦، ١٠٦، ٢٨٨.

بختنصر: ٦/ ٦٦٤، ١٥٨، ١٦٠، ٩/ ٤٦٤.

بديل بن ميسرة: ٢/ ١١٧، ٧/ ٥٣٣.

بديل بن ورقاء: ٩/ ٧٣.

البراء بن عازب: ١/ (٥٩٠) (٦١٤)، ٦٩٣، ٧٠٣، ٢/ ١١٢، ١٤٦، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢١، ٣/ ٦، ٣٨١، ٥٢١، ٦١٥، ٤/ ٨٨، ٤٠٩، ٤٩٧، ٦٨١، ٥/ ٥٧٠، ٦٦٢، ٦/ ٤٨٩، ٤٩١، ٧٠٣، ٧/ ١٦٧، ٩/ ٤٧، ٢٢٧، ٤١٤، ٥٣٦، ١٠/ ١٧٢.

بريدة الأسلمي: ٣/ (٥٦٣)، ٧/ ٢١٨.

البَزِّي: ١/ ٤٨٩، ٦٣٤، ٢/ ٢١٩، ٤/ ٢٦٧، ٥٨٠، ٦/ ٣٤، ٦٠٥، ٧/ ١٤٧، ١٤٨، ٣٥٠، ٩/ ٦٠٧، ٦٨٠، ١٠/ ١٥١، ٢٩٠.

بشار بن برد: ٢/ (٥٤٨)، ٦/ ٢٨٢.

بشر بن خازم: ٦/ ٣٣١، ٧/ ٣١٧، ١٠/ ٣٥٧.

بشير بن سعد: ٢/ (٤٤).

بشير بن كعب: ٣/ (٦٧)، ١٠/ ٩٩.

بشير بن نصر = بشير بن النضر: ٢/ (٧٩).

بكار بن الشقير: ٤/ ٢٨١.

بكر بن حبيب: ٦/ (٤٨٧)، ٨/ ٥١٠، ٨/ ٥١٨، ٩/ ٣٣٨.

بكر بن عبد الله المزني: ٢/ (٦٧)، ٣/ ٨٣، ٨/ ٣٩٥.

بكر بن مضر: ٢/ (١٧٧).

بكير بن عبد الله بن الأشج: ٩/ ٤٣٧.

بلال بن أبي بردة: ٥/ (١٥٧)، ٨/ ١٠٢، ٥٣٣، ٦٥٧، ٩/ ٣١٠.

بلال بن رباح: ١/ ٧٥٧، ٤/ ٧، ٥٦٥، ٦/ ١١٦، ٣٥٧، ٣٦٩، ٤٧٩، ٧/ ١٤٥، ٧٤٨، ٨/ ٧٣١، ١٠/ ٢٩١، ٣٣٠.

بلقيس بنت شراحيل: ٧/ ٤٢٠، ٤٢٨، ٤٣٣، ٤٣٧.

بنان الصفار: ١٠/ ٨١.

بنت سموأل: ٢/ ٦٨.
بهز بن حكيم: ٢/ (٥٥٤).
تأبط شراً: ٢/ (٣٢)، ٤/ ٥٩٢.
التبريزي: ٦/ (٣٤٧).
تبع الحميري: ٦/ ١٦٢، ٤٣٩.
الترمذي = أبو عيسى: ١/ ١٨٣، ٧٤١، ٣/ ٤٢، ٤/ ١٦٨، ٣٠٢، ٦/ ٣٠٣، ٣٩٠، ٥١٦، ٥٧٠، ٧/ ١٨٤، ٣٢٦.
تمام بن العباس بن عبد المطلب: ٩/ (٥٧).
تميم الداري: ٣/ (٦٥٧)، ٦٥٨، ٦٥٩، ٥/ ٦٢٦.
التميمي، الشاعر: ١٠/ ٢٧.
التنوخي القاضي: ٥/ ١٢٦.
ثابت البناني: ١/ (٢٤٩)، ٥/ ٤٤٨، ٤٤٩، ٦/ ٣٧٤، ٨/ ٨٣، ١٨٣، ٩/ ١٠٧.
ثابت السرقسطي: ٤/ ٢٨٢.
ثابت بن الدحداح: ٢/ (٣٢)، ١٢٩.
ثابتُ بْنُ قاسم: ١/ (١٦٨)، ١٧٢، ٣/ ٧٠٩.
ثَابت بْن قَيْسٍ: ١/ ١٤٧، ١٤٨، ٢/ ٦٥، ٣/ ٢١١، ٢١٢، ٤/ (١٥٠)، ٩/ ٩٥، ١٠٠، ١٢٠، ٤٧٠.
ثابت بن موسى الزاهد: ٩/ (٨٨).
ثابت عن أنس: ٤/ ٣٨٢.
الثعالبي = عبد الملك بن محمد بن إسماعيل: ٤/ (٦٢٤).
ثعلب = أحمد بن يحيى: ١/ (٢٦١)، ٢٨٧، ٣٣١، ٣٤٥، ٥٧٠، ٣/ ٥٣٢، ٥٦٣، ٤/ ٢٩٩، ٣٠٠، ٣١١، ٦٠٧، ٥/ ٤٩٥، ٦٠٨، ٦/ ٥٨٧، ٩/ ٣٦٩، ٤٨٢، ٦٨٣، ١٠/ ٢١، ٢٦، ٦١، ١٤١، ٢٨٠، ٢٨٦، ٢٩٨.
ثعلبة بن حاطب الأنصاري: ٥/ (٤٢)، ٤٣، ٥٤، ٩١.
ثعلبة بن سعية: ٢/ (٥٥٦)، ٥٦١.
ثعلبة بن سلام: ٢/ ٥٥٦.
الثعلبي: ٦/ ٣٤٥، ٧/ ٢٦٩، ٢٩٦، ٣١٠، ٣١٢، ٣٨٣، ٣٨٦، ٣٨٨، ٤٠٣، ٤٢٧، ٤٦٠، ٤٨٦، ٤٩٦، ٥١٨، ٥٣٤، ٥٥٦، ٧١٥، ٧٢٥، ٧٤١، ٨/ ١١، ١٤، ٢٢، ٧١، ١٣٧، ١٨٣، ٢١٢، ٢٢١، ٢٤٣، ٢٧٢، ٣٠٢، ٣١٢، ٣١٥، ٣١٩، ٣٢٥، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٨، ٣٦٢، ٤٢٩، ٤٣٦، ٤٧٦، ٥١٥، ٥٦١، ٥٩٣، ٦٧٥، ٧٠٦، ٧٢٥، ٧٣٢، ٧٥٤، ٧٦٢، ٧٦٥، ٩/ ١٠، ٢٨، ٤٣، ٤٦، ٤٩، ٦٣، ٧٠، ٧٦، ٧٨، ٨٠، ٨٤، ٨٥، ٩٣، ١٠٩، ١١٤، ١٢٠، ١٣٢، ١٣٨، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٦، ١٥١، ١٦٣، ١٦٤، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٢١، ٢٣٨، ٢٤٤، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣١٧، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٤٩، ٣٦٥، ٣٩٨، ٤١٠، ٤٥٥، ٤٩٥، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٣١، ٥٤٧، ٥٨٧، ٦٠٢، ٦١٨، ٦٢٩، ٦٥٥، ٦٥٧، ٦٦٦، ١٠/ ١٨، ٢٢، ٢٩، ٥١، ٥٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢٣٩، ٢٥٢، ٢٦٦، ٣١٢، ٣٨٧.
ثمامة بن أثال: ٢/ (٥٥٧)، ٥٥٨، ٤/ ٦٨٤، ٩/ ٨.
ثوبان: ٨/ ٤١٢.

جابر بن زيد: ١/ (٦٥٩)، ٢/ ٥٢، ٨٩، ٩٨، ١١٣، ٦٧٦، ٣/ ٢٥٧، ٥٢٧، ٤/ ١٤٨، ٥٩٧، ٥/ ٧، ٥٧، ٦/ ١٥٧، ٣٧١، ٧/ ١٦٧، ٥٣٧، ٨/ ٦٥٧، ٩/ ٤٧، ٥٦، ٦٩، ٨٨، ١١٦، ١٥٨، ٥٣٠، ٥٦١، ٥٩٩، ١٠/ ١٥٢، ١٥٥، ٣٠٩.
جابر بن عبد الله: ١/ ١٥٦، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢٤٩، ٢/ ١٠، ٢٨، ٣٨، ٧٣، ١٠٩، ١٦٩، ٥٨٦، ٦١١، ٦٨٨، ٦٩٤، ٦٩٧، ٧٣٢، ٧٤٠، ٧٤٣، ٣/ ٤١، ٥٢، ٩٨، ٢٠١، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٦، ٣٨٢، ٤٢٤، ٥١١، ٤/ ٢٧، ٢٤٠، ٢٧١، ٥٤٢، ٦٧٦، ٦٨٤، ٦٩٨، ٥/ ١٠٤، ٣٨٦، ٤٠٩، ٦/ ١٥، ١٦٩، ٢٦٢، ٥٣٦، ٧/ ١٦٧، ٢١٩، ٢٥٧، ٣٩٤، ٥٨٣، ٦٥٣، ٦٨٥، ٨/ ١٨٢، ٣٨١، ٤٣٩، ٥٠٨، ٦٣٠، ٧٤٧، ٧٥٨، ١٠/ ٦، ٨، ١٩٨، ٢٤٥، ٣١٧، ٤٠٣.
جابر بن عبد الله بن رئاب: ٢/ (٣١٩).
الجاحظ: ١/ (١٨٦)، ٢/ ١٥.
الجارود = سيد عبد القيس: ٣/ (٦١٧).
الجارود بن أبي سبرة: ١/ ٢٨٦، ٢/ ٧٦، ٥/ ٤٤٥.
جارية بن عامر: ٥/ ٩٢.
جبار بن صخر: ٢/ (٥٣٢).
جبل بن أبي قشير: ٤/ ٤٦١.
جبل بن جوال الثعلبي: ٧/ ٧٥٠.
جبير بن مطعم: ٢/ (١٠٥)، ٤/ ٥٧٣، ٩/ ٢٧٧.
جبير بن نفير: ٢/ (٤٠٥).
جد أبي عبيدة بن قرمل = معاوية بن قرمل: ٤/ (٧٤٩).
الجد بن قيس: ٤/ ٧٢٨، ٧٣٦، ٧٤٣، ٥/ ٥٩، ٦٨، ٨٢، ٩/ ٣٤.
جذل الطعان: ٤/ (٧١٤).
الجراح الحكمي: ٣/ ٣٧٢.
الجراح بن عبد الله المقرئ: ٢/ ٣٢٨، ٣/ ٢٧٧، ٢٨١، ٣٩٩، ٤٨٠، ٥٤٧، ٥٦٧، ٤/ ١١٠، ٥/ ٧٢٢، ٢٢٨، ٦/ ٢٠٦، ٢٠٩.
الجرجاني: ١/ ٢٩٣، ٢/ ٢٢٠، ٣٠٥، ٣٠٦، ٤/ ٣٩٥، ٤٤١، ٥/ ٦٧، ٩/ ٧٣٦.
جرير بن عبد الله البجلي: ٣/ ٤٨٨، ٤٨٩، ٦٢٧، ٧/ ٢٠٥.
جرير بن عبد المسيح: ٧/ ٢٨١.
جرير، الشاعر: ١/ (١٩٢)، ٢٤٧، ٣٥٤، ٤٠٥، ٤٥٧، ٦٢٦، ٢/ ٢١، ٢٥٢، ٤٠١، ٤٠٨، ٥٤٣، ٣/ ٢٥٣، ٤/ ٣١٨، ٧٢٢، ٥/ ١٥٩، ٢٤٧، ٣٨٠، ٧٤٣، ٦/ ٢٨١، ٢٨٢، ٥٥٨، ٧/ ١٠٧، ٢٤٤، ٧٤٤، ٨/ ١٦٩، ٦٧٧، ٦٨٦، ٦٨٧، ٧٥١، ٩/ ٩٨، ١٩١، ٢٤٨، ٣٤٠، ٤٠٠، ٤٠٧، ٥٣٧، ٥٥٣، ٦٣٤.
جسر بن فرقد: ٥/ (٥٤٢).
جعفر الصادق = جعفر بن محمد الصادق: ١/ (١٤١)، ٢٠٩، ٢٢٣، ٢٤٩، ٢٦١، ٢/ ٢٤٦، ٦٧٦، ٣/ ٦٠٣، ٤/ ٢٠، ٤٩٠، ٧١٣، ٥/ ١٢٥، ٢٦٢، ٣١١، ٣٩٩، ٤١٨، ٤٧٨، ٥٨٨، ٦١٣، ٦/ ٣٣، ٧/ ٤٠، ٥٧، ٦٣، ٣٦١، ٦٧٧، ٨/ ٢١، ١٩٨، ٢٩١، ٩/

٥٥، ٢٩٠، ٣٢٥، ٣٦٠، ٥٣٠، ٥٦١، ٧١٥، ١٠/ ٣٩٤.
جعفر بن أبي طالب: ١/ ٥٥٠، ٦/ ٣٣١، ٥٨٠، ٨/ ٤٢، ٣٨٢، ٩/ ٤٧، ١٠/ ٢٣٦.
الجعفي المقرئ: ٢/ ٢٩١، ٤/ ٥٧٥.
الجلاس بن سويد: ١/ (٢٩٦)، ٥/ ٣٩، ٤١.
الجلندي: ٦/ ٤٢٨.
جلهمة بن الخبيري: ٤/ ٣٠٧.
جميل بثينة: ٢/ ٢٥٨.
جميل بن عامر الجمحي: ١٠/ ٣٧٦.
جميل بن معمر: ٦/ ٨١.
جميلة بنت أبي بن سلول: ٢/ ٦٥، ٩/ ٤٣٢.
جندب البجلي: ٨/ (١٦٧).
جندب بن ضمرة: ٣/ ٢٧٩.
جندب بن عبد الله: ٢/ (١٤).
الجنيد البغدادي: ٧/ ٣٦٤، ٩/ ٦٢٥، ٨/ ٥٦٢، ٩/ ٥٤٢، ١٠/ ٢٢٣.
الجهجاه الغفاري: ٤/ (٣١٠)، ٥/ ٣٩، ٤٠، ٩/ ٥٣٨.
الجهضمي: ٥/ ٧٤٠.
جويبر: ٨/ (١٤٣).
جؤية بن عائذ: ٢/ ٤٠٦، ٨/ ٣٩، ٩/ (٧١١).
جويرية بنت الحارث: ٧/ ٧٥٤، ٨/ ٣٧.
جيسور: ٦/ ٤٢٨.
حاتم الأصم: ٩/ ٥٤٢.
حاتم طي: ٤/ ٤٧٦، ٥/ ٥١١، ٥٢٦، ٦/ ٥٤١.
حاجب بن زرارة: ٣/ (٨٤).
الحادرة: ٢/ (٦٨٣).
الحارث بن أبي ربيعة: ٣/ (٢٨٥).
الحارث بن الطلاطلة: ٥/ ٧٥٤، ٧٥٥.
الحارث بن حلزة اليشكري: ٧/ ١٩٩، ٦/ ٥٧١، ٩/ ١٥٩، ١٠/ ١٩٢.
الحارث بن زمعة: ٣/ ٢٧٣، ٤/ ٥٩٤.
الحارث بن زيد: ٢/ ٣٦.
الحارث بن سويد: ٢/ (٤٩٥)، ٤٩٦.
الحارث بن عامر بن نوفل: ١٠/ ٢٦٨.
الحارث بن عبد مناة: ٩/ ٤٩٤.
الحارث بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف: ٣/ ٧٤٤.
الحارث بن عوف: ٢/ ٤٥٨.
الحارث بن كعب: ٩/ ٤٩٤.
الحارث بن نوفل: ٧/ ٥١٨.
الحارث بن هشام: ٢/ (٥٩٨)، ٦٢٥، ٤/ ٥٩١، ٥/ ٩، ٦/ ٥٥٩، ٩/ ١٢٠.
الحارث بن يزيد بن نبيشة: ٣/ (٢٥٣)، ٤/ ٦٤١.
حارثة بن بدر الغداني: ٣/ (٤٩٦).
حاطب الجمحي: ٢/ ٣٥١.
حاطب بن أبي بلتعة: ٢/ (٣٧١)، ٣/ ٢١٠، ٢١٦، ٧/ ٩، ٤٥٧، ٤٨٥، ٤٨٦.
حباب بن المنذر الأنصاري: ٤/ (٥١٦).
حبيب النجار: ٨/ ١٩٢.
حبيب بن أبي ثابت: ٣/ (٧٣٠)، ٤/ ٣٦٦، ٧٢٣، ٧/ ٣٧.
حبيب بن عبد الله بن الزبير = خبيب بن عبد الله

ابن الزبير: ٨/ (٧٥٨).

حبيب بن عبد بن عمير: ٨/ ٦١٩.

حبيبة بنت زيد بن أبي زهير: ٣/ ١٣٢.

حبيبة بنت سهل: ٢/ ٦٥.

حجاج بن أبي زينب: ٥/ (٨٠).

الحجاج بن علاط: ٣/ (٣٠٥).

الحجاج بن عمرو: ٦/ (٢٦٧).

الحجاج بن يوسف الثقفي: ١/ (١٨٤)، ١٨٦، ٢/ ٧٢٠، ٣/ ٤٤١، ٤/ ٩٠، ٦٧٨، ٥/ ١٦٩، ٢١٠، ٣٥٤، ٦/ ٣٧١، ٤١٧، ٧/ ٦٣، ٨/ ٩، ٣٣٧، ٩/ ١٩، ١٥٠، ٢٦٨، ٣٣٢.

حجاج عن ابن جريج: ٣/ ٩٠، ٦/ ٣٤٢.

حذيفة العدوي: ٩/ (٤٧١).

حذيفة بن اليمان: ١/ (١٧٧)، ١٨٢، ٥٣٠، ٦٨٦، ٦٨٧، ٧٠٢، ٢/ ٢٩، ٣٠، ٣/ ٢٨٩، ٢٩٦، ٣٥٠، ٤/ ١٩٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٦، ٥٣٦، ٦٤١، ٦٦٣، ٦٩٧، ، ٥/ ١٦، ٥٥، ٧٩، ١٣٧، ١٧٦، ٦/ ١٤٧، ١٤٩، ١٩٧، ٧٢٣، ٧/ ٩، ٢٤٨، ٤٦٠، ٨/ ٦٠، ٥٤٨، ٦٦٦، ٩/ ٣٤، ٢٧٧، ٥٥٦، ٥٦٢، ٦٢٩.

حذيفة بن عبد فقيم: ٤/ (٧٠٧).

الحر النحوي: ٢/ (٧٠٢)، ٣/ ٥٠٦، ٧/ ١١٩، ١٢٢.

الحر بن قيس: ١/ (٥٣٥)، ٧٤٩، ٤/ ٤٧٨.

حرب المكي: ٩/ ٤٨٢.

حرمي بن عمرو: ٥/ (٦٦).

حريث بن مخفض: ٤/ ٦٩٤.

الحزين: ٤/ (٢٤٦).

حسان بن الدحاحة: ٩/ ٤٩٦.

حسان بن ثابت: ١/ (٢٠٠)، ٣٣٢، ٤٠٦، ٤٨٢، ٥٢٨، ٦٠٣، ٢/ ٢١، ٧٢٢، ٣/ ٤١، ١٥١، ٣٠٤، ٤/ ٤٣٣، ٥٥٥، ٦٠٤، ٦٥٩، ٧٠٣، ٧٣٤، ٧٥١، ٥/ ١٤٥، ١٤٦، ٦٠٠، ٦٨٠، ٦/ ٦١، ٤٦١، ٧/ ١٦٨، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٢، ١٩٩، ٢٣٩، ٢٤٠، ٣٩٤، ٣٩٩، ٧/ ٥٠١، ٥٦٦، ٨/ ١١٥، ٥٣٠، ٩/ ٦٠، ١٠٠، ١٦٦، ٢٠١، ٣٢٦، ٥٣٨، ٦١٣، ٦٣١، ٧٠٦، ١٠/ ٩٥، ١٠٢، ١٧٧.

حسان بن عبد الرحمن: ٧/ (٣٢١).

الحسن البصري: ١/ (١٥٢)، ١٥٨، ١٦١، ١٨٥، ٢٠٦، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٨٤، ٢٨٥، ٣٠١، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٩، ٤٠٣، ٤١٤، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٤٩، ٤٦٨، ٤٧٧، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٩٢، ٥٠١، ٥٠٣، ٥٠٦، ٥٠٩، ٥١٢، ٥٢٧، ٥٣٨، ٥٥١، ٥٥٣، ٥٧٤، ٥٨١، ٦١٦، ٦٢٣، ٦٢٨، ٦٣٧، ٦٤١، ٦٤٦، ٦٤٩، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٧، ٦٥٩، ٦٦٣، ٦٦٥، ٦٦٩، ٦٧١، ٦٧٥، ٦٧٨، ٦٨٤، ٦٨٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠٢، ٧١٠، ٧١٢، ٧١٦، ٧١٧، ٧٢٣، ٧٣٤، ٧٣٨، ٧٤٥، ٧٥٤، ٢/ ١١، ١٣، ٢١، ٢٨، ٣٢، ٤٥، ٤٩، ٥١، ٥٢،

٥٣، ٥٤، ٥٥، ٦٥، ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٦،
٧٩، ٨٠، ٨٤، ٨٩، ٩٧، ٩٨، ١٠٠، ١٠٤،
١٠٦، ١١١، ١١٤، ١١٨، ١٢٥، ١٦٣،
١٦٤، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٠، ١٧١، ١٨٥،
٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦،
٢٢١، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٤٧، ٢٥٢، ٢٥٦،
٢٦١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٩٠، ٣١٣،
٣٣٠، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٥، ٣٦٢،
٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦،
٣٧٨، ٣٩٢، ٣٩٨، ٤٠٦، ٤١٢، ٤٢٦،
٤٣٧، ٤٤٥، ٤٥٩، ٤٦٨، ٤٨٤، ٤٩٠،
٤٩٤، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠٨، ٥١٥،
٥١٩، ٥٢٢، ٥٢٤، ٥٢٧، ٥٢٩، ٥٣٣،
٥٣٥، ٥٣٧، ٥٤٣، ٥٤٧، ٥٥٠، ٥٥٣،
٥٥٤، ٥٥٦، ٥٥٨، ٥٧٢، ٥٨٠، ٥٨٨،
٥٩٢، ٥٩٧، ٦١٢، ٦١٥، ٦١٩، ٦٢٤،
٦٣٥، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤٤،
٦٥٠، ٦٥١، ٦٦١، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٧٤،
٦٨٦، ٦٩١، ٦٩٢، ٧١٢، ٧٣٠، ٧٣٢،
٧٣٩، ٣/ ٩، ١٣، ١٤، ١٦، ١٨، ٢٢، ٢٣،
٢٤، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣٣، ٣٥، ٤٣، ٤٧، ٤٨،
٥١، ٥٤، ٥٧، ٦٠، ٦١، ٦٧، ٧١، ٧٣، ٧٥،
٨٣، ٩٣، ٩٨، ١٠٣، ١١٢، ١١٥، ١٢٠،
١٣١، ١٣٩، ١٤٨، ١٥٣، ١٦٨، ١٧٩،
١٨٢، ١٨٦، ١٩٧، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٨،
٢٢٢، ٢٢٧، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٤٨،
٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٨،
٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٩٦، ٢٩٨،
٣١٢، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٠،
٣٤١، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٢، ٣٥٥،
٣٥٨، ٣٦٣، ٣٧٢، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٨٩،
٣٩١، ٤٠٨، ٤١٢، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٥،
٤٢٨، ٤٣٠، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤٣، ٤٥١،
٤٥٤، ٤٦٠، ٤٦٥، ٤٧٢، ٤٧٧، ٤٨٠،
٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩١،
٤٩٢، ٤٩٨، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥١١، ٥١٦،
٥٢٧، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٤٧، ٥٥٦، ٥٦٠،
٥٦٧، ٥٦٨، ٥٧٩، ٥٩٩، ٦٠٢، ٦٠٥،
٦٠٦، ٦٠٩، ٦٢٢، ٦٢٦، ٦٥٧، ٦٦١،
٦٦٢، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٨، ٦٧٣، ٦٨٤،
٦٨٦، ٦٩٨، ٧٣١، ٧٣٥، ٧٣٨، ٧٥٠،
٧٦٠، ٤/ ٨، ٩، ١٠، ٢٠، ٢٤، ٢٧، ٣٨،
٤٣، ٤٥، ٤٧، ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٧٠، ، ٧٤،
٧٧، ٨٢، ٨٦، ٩٧، ٩٩، ١٠٧، ١١٠، ١١٣،
١١٨، ١٣١، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٨، ١٤٩،
١٥١، ١٥٢، ١٥٩، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٩،
٢٠١، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٢٠، ٢٢٠، ٢٢٣،
٢٢٤، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٩،
٢٥٢، ٢٥٩، ٢٦٣، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٨٠،
٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩١، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٦،
٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٤، ٣٢٩، ٣٣٧، ٣٣٨،
٣٤١، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١،
٣٦٣، ٣٦٦، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٧،
٣٨٣، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٢، ٣٩٣،
٣٩٦، ٤٠٦، ٤١٣، ٤١٦، ٤١٩، ٤٢٠،
٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٣٤، ٤٣٧،
٤٤٨، ٤٦٠، ٤٦٣، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨،
٤٧٠، ٤٧٣، ٤٩٣، ٥١٠، ٥١٤، ٥٢١،

٥٢٣، ٥٣٥، ٥٣٧، ٥٣٩، ٥٥٤، ٥٥٩، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٥، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٧، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٥، ٥٩٣، ٥٩٥، ٥٩٦، ٦١١، ٦١٢، ٦١٥، ٦٢٣، ٦٣٠، ٦٣٢، ٦٣٥، ٦٤٩، ٦٥١، ٦٥٦، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٩، ٦٧٣، ٦٧٧، ٦٨٣، ٧٠٥، ٧١١، ٧١٥، ٧٢٢، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٣٥، ٧٣٥، ٧٤٦، ٧٤٨، ٧٥١، ٥/ ٧، ١٠، ١١، ١٥، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٤، ٢٦، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٦٣، ٧٥، ٨٠، ٨٣، ٨٥، ٨٨، ٨٩، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١١، ١٢٣، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٦، ١٥٣، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٣، ١٧٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٦٨، ٢٧٥، ٢٧٧، ٣٠٤، ٣٠٩، ٣١٧، ٣١٨، ٣٥٦، ٣٦٣، ٣٦٨، ٣٧٥، ٣٨٩، ٣٩٣، ٣٩٤، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٥، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٤٨، ٤٥١، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٧، ٤٦٩، ٤٧٣، ٤٨٩، ٤٩٧، ٥٠٢، ٥٠٤، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٧، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٧، ٥٣٣، ٥٣٥، ٥٤٠، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٥١، ٥٥٥، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٧، ٥٦٩، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٨٤، ٥٩٠، ٦٠١، ٦١٤، ٦١٥، ٦٢٠، ٦٢٢، ٦٢٧، ٦٣٧، ٦٤٠، ٦٤٤، ٦٥٦، ٦٥٩، ٦٦٧، ٦٦٩، ٦٧٧، ٦٧٩، ٦٨٧، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠٣، ٧١١، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٧، ٧٢٠، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٤٤، ٧٤٧، ٧٥٦، ٦/ ٧، ٨، ١٠، ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٣٤، ٣٥، ٤٢، ٤٣، ٥٠، ٥٤، ٦٤، ٦٨، ٦٩، ٧٢، ٧٤، ٨٠، ٩٠، ١٠٩، ١١٣، ١٢٣، ١٣١، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٨، ١٦١، ١٦٤، ١٦٨، ١٧٠، ١٧١، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٤، ١٩٥، ٢٠٣، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٦٣، ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٨٣، ٢٩٣، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣١٤، ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٧١، ٣٧٤، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٤، ٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٨، ٤٠٥، ٤١٠، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٤٣، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٦، ٤٥٩، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٧٠، ٤٧٨، ٤٨١، ٤٨٦، ٤٨٩، ٤٩٠، ٥٠٧، ٥١٠، ٥١٧، ٥٢١، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٨، ٥٣١، ٥٤٥، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٧٤، ٥٧٧، ٥٩٦، ٥٩٧، ٦٠٤، ٦٣٠، ٦٣٩، ٦٧٠، ٦٧٣، ٧١٣، ٧١٤، ٧٢٩، ٧/ ٨، ٩، ١٠، ١٢، ١٧، ٢٣، ٢٨، ٣١، ٣٩، ٤٦، ٥٠، ٥١، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٩، ١٠١، ١١٢، ١١٧، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٣٢، ١٣٨، ١٤١، ١٤٦، ١٥٠، ١٥٦، ١٥٨، ١٦١، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٥، ١٧١،

١٧٦، ١٨٥، ١٩٢، ٢٠١، ٢١٤، ٢١٧،
٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨،
٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٣،
٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥١،
٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٢،
٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣،
٣١٦، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٢٨، ٣٢٩،
٣٣٥، ٣٤٢، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٦٢، ٣٧٢،
٣٧٤، ٣٨٠، ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٩٢،
٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤١١،
٤١٤، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٤٢، ٤٤٣،
٤٤٤، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٣، ٤٦٦،
٤٦٧، ٤٦٨، ٤٧٩، ٤٨٢، ٤٨٩، ٤٩٢،
٤٩٥، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥١٣،
٥١٤، ٥١٥، ٥٢١، ٥٣٤، ٥٤١، ٥٦٧،
٥٦٨، ٥٧٦، ٥٧٨، ٥٨٥، ٦٠٢، ٦٠٣،
٦١٠، ٦١٤، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢٥، ٦٣٣،
٦٣٦، ٦٣٨، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٥٣، ٦٥٥،
٦٥٦، ٦٦١، ٦٦٣، ٦٦٧، ٦٧١، ٦٧٧،
٦٨١، ٦٨٩، ٦٩٣، ٦٩٤، ٧٠٥، ٧٠٦،
٧٠٨، ٧١٧، ٧٢٣، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٣،
٧٣٤، ٧٤١، ٧٤٤، ٧٤٨، ٧٥١، ٨/ ٦،
١٨، ١٩، ٢٤، ٣٤، ٣٧، ٥٣، ٦٠، ٦٥، ٧٥،
٧٨، ٧٩، ٩٠، ٩١، ٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢،
١٠٦، ١١٥، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٦، ١٢٩،
١٣٠، ١٣١، ١٤٠، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٧،
١٥٥، ١٥٧، ١٦١، ١٦٢، ١٧٦، ١٨٣،
١٨٧، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٥، ١٩٩، ٢٠٢،
٢٠٦، ٢١١، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٨، ٢١٩،
٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٥، ٢٤١،
٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٧٢، ٢٧٨، ٢٨١،
٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٥، ٣٠١،
٣١٦، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٣٢، ٣٣٨،
٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٥، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٤،
٣٦٢، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٧٠، ٣٧٩، ٣٩٧،
٤٠٢، ٤٠٤، ٤١٨، ٤٢٢، ٤٢٦، ٤٤٤،
٤٤٧، ٤٥٥، ٤٦٧، ٤٧١، ٤٧٥، ٤٧٧،
٤٧٨، ٤٨٤، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥٠١، ٥٠٢،
٥٠٨، ٥١٢، ٥١٦، ٥٢١، ٥٢٥، ٥٣٦،
٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٤، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥٥،
٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨٢، ٥٨٧،
٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦٢١، ٦٢٣، ٦٢٤،
٦٢٧، ٦٢٩، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٧، ٦٤٠،
٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٩، ٦٦٠، ٦٦٢، ٦٦٣،
٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٧١، ٦٧٤،
٦٧٥، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٩٧، ٧٠٩،
٧١٢، ٧١٥، ٧١٩، ٧٢٣، ٧٢٧، ٧٢٨،
٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٤٠، ٧٤١،
٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٦، ٧٥١، ٧٥٢،
٧٥٦، ٧٦٠، ٧٦٢، ٧٦٤، ٩/ ٩، ١١، ٢٨،
٣٨، ٣٩، ٥٣، ٦٣، ٦٥، ٧٠، ٧٣، ٨٦، ٨٧،
٩١، ٩٣، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧،
١٠٩، ١١٣، ١٢٣، ١٣٠، ١٣٩، ١٤٠،
١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٨، ١٥٠، ١٥١،
١٥٣، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٨،
١٨٢، ١٨٥، ١٩٢، ١٩٥، ٢٠٥، ٢١٣،
٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٥،
٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٣،

٢٥٤، ٢٥٩، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩٥، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٦، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٨١، ٣٨٦، ٣٩٥، ٣٩٧، ٤٠١، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٥، ٤٣٨، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٩، ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٦٠، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٧٠، ٤٧٤، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨٩، ٤٩٤، ٤٩٨، ٥٠٢، ٥٠٦، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٨، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٤، ٥٣٩، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٥، ٥٥٣، ٥٥٧، ٥٦٣، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٦، ٥٨٢، ٥٨٤، ٥٨٦، ٥٨٩، ٥٩١، ٥٩٣، ٥٩٥، ٥٩٦، ٦٠٣، ٦٠٦، ٦١٧، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٧، ٦٣٢، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٥، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٥٦، ٦٦٣، ٦٦٦، ٦٦٨، ٦٧٠، ٦٧٣، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨٢، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٣، ٦٩٥، ٧٠١، ٧٠٥، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧١٤، ٧١٧، ٧٢٣، ٧٢٥، ٧٢٨، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٤٧، ١٠/ ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٦، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٥١، ٥٥، ٥٨، ٦٧، ٦٨، ٧٠، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٤، ٨٥، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ١٠٠، ١٠٧، ١٠٨، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢٤، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٧٤، ١٧٨، ١٧٩، ١٨١، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٦، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٣، ٣٢٩، ٣٣٧، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٨، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٤، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٧، ٤١٨، ٤٢٠.

الحسن بن العباس الشامي: **٣**/ (٦٩١).

الحسن بن الفضل: **٧**/ (٤٣٦)، **٨**/ ٢٧٨، **١٠**/ ٥٧.

الحسن بن صالح بن حي: **٥**/ (٦٧)، **٣**/ ٣٠.

الحسن بن علي: **٢**/ ١٠٠، ٤٤٦، **٤**/ ٥٧٦، **٦**/ ٣٠، ٢٣٦، **٧**/ ٧٠٣، **٨**/ ١٣، ٢٣، ٢٦، ٣٨٧، ٥٥٥، **٩**/ ٦٨٧، ٦٠٦، ٥٦٧، **١٠**/ ١٩٦، ٣٣١.

الحسن بن عمران: **٣**/ (٢٧٧)، ٣٩٩، ٤٨٠.

الحسن بن محمد بن الحنفية: **٤**/ (٥٧١).

الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب: **٨**/ ٥٤١.

الحسن بن مسلم بن يناق: **٨**/ (٣٨٨).

الحسن بن هانئ: **٢**/ (١٤٣).

حسين الجعفي: ١/ ٢١١، ٣/ ٥٥٣، ٩/ ٣٢٠.
حسين الراوي عن أبي بكر شعبة بن عياش: ٨/ ٧١٢.
حسين الراوي عن أبي عمرو المقرئ: ٤/ ٥٧٥، ٨/ ٢٥٥، ٢٥٦.
الحسين بن الفضل: ٨/ (٣٢٧)، ٣٦٢، ٣٦٥، ٧٦٣، ٩/ ٤٩، ١٩٦، ٢٥٦، ٢٦٢، ٣١٥، ٣٢٢، ١٠/ ١٧، ٢٠٠، ٢٤٧، ٤٢١.
الحسين بن علي: ٢/ ٤٤٦، ٥/ ٢٧٦، ٨/ ١٣، ٢٣، ٥٦٧، ٦٧٦، ٩/ ٣٨٧، ٥٥٥.
الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد ابن معاذ: ٤/ (٥٦٠)، ٧٠٨.
حضرمي بن لاحق: ٣/ (٢١)، ٢٢، ٣٦، ١٤٨، ٦/ ٢٥٨، ٧/ ٢١٢، ٣٢٨، ٩/ ٢٦٥.
حطان بن عبد الله الرقاشي: ٢/ (٦٢٧)، ٣/ ٥٨، ٦٠، ٥٨٥، ٩/ ٤٢٨.
حطائط بن يعفر: ١/ (٥٦٦).
الحطم بن هند البكري: ٣/ ٣٩٦، ٣٩٧.
الحطيئة: ١/ (٤٨٩)، ٢/ ٩٠، ٣/ ١٨٠، ٣٨٨، ٦٠١، ٦/ ٢٦٦، ٧١٢، ٩/ ٤٠٤.
حفص المقرئ: ١/ ٣٩٩، ٥٨٠، ٦٤٣، ٦٧٤، ٢/ ٣٤، ١٠١، ١٢٠، ٢٢٩، ٢٩٤، ٣٠٧، ٣٨٩، ٤٤٠، ٥٢١، ٥٦٧، ٦٢٠، ٦٧٠، ٧٢١، ٤/ ١٥، ٥٥، ١٠٢، ١١١، ١١٥، ١٢٩، ١٤٦، ١٧٢، ١٩٤، ٢٥٨، ٣٢٠، ٣٥٠، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٦٠، ٣٧١، ٣٩٨، ٤٢٦، ٤٣٥، ٤٦٠، ٤٧٠، ٥٢٩، ٥٣١، ٥٨٠، ٥٨٧، ٦٠٦، ٥/ ٨٤، ١٢٣، ١٥٢، ١٧١، ٢٣٢، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٩١، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٢، ٣٣٩، ٣٨٧، ٣٨٨، ٤٠٣، ٤٩٥، ٥٥١، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٩٨، ٦٠١، ٦٩٧، ٧٣٢، ٦/ ٢٠، ٢٧، ٤٩، ٧٢، ٧٩، ٢٠٣، ٢١٣، ٢١٥، ٢٤٤، ٢٥٤، ٢٦٠، ٢٧٣، ٣١٠، ٣٣٨، ٤٠٢، ٤١٨، ٤٣٨، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٦٨، ٤٨٩، ٤٩٢، ٥٤١، ٥٥٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠٥، ٦٠٧، ٦٢٣، ٦٢٦، ٦٤٢، ٦٥٣، ٦٦١، ٦٩٢، ٧٠٥، ٧١٩، ٧٢٩، ٧/ ٣٣، ٥٩، ١٠٥، ١٣٧، ١٧٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٤٦، ٢٦٩، ٢٧٤، ٢٧٧، ٣٢٠، ٣٥٠، ٣٨٢، ٤٢٤، ٤٦٥، ٤٧٠، ٥٩٣، ٦٢٠، ٦٥٥، ٦٥٩، ٦٧١، ٧١٨، ٧٣٣، ٨/ ٣٦، ٧١، ٩١، ١١٧، ١٨٠، ٢٣٣، ٢٣٤، ٣٢٣، ٣٣٠، ٣٤١، ٣٥٠، ٤٥٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٧٠، ٥٣٦، ٥٧١، ٦١٠، ٦١٤، ٦٣٧، ٦٤٨، ٦٥٠، ٦٨٥، ٦٩٧، ٧٠٥، ٧٤٠، ٧٤٢، ٩/ ١١، ٣٢، ٥٧، ١٥٣، ٤١١، ٤٤٩، ٥١٤، ٥١٥، ٥٦٨، ٥٧٦، ٥٩٨، ٦١٧، ٦٢٣، ٦٣٢، ٦٨٢، ٦٩١، ٦٩٥، ٧١٠، ٧١٢، ٧٤١، ١٠/ ٨، ١٩، ٤٤، ٤٧، ٦٨، ٧٧، ٨٥، ١٠٣، ١١٨، ١٥٣، ١٨١، ٢٣٣، ٢٧٦، ٣٤٩، ٣٧٨، ٣٨٣.
حفص بن حميد: ٧/ (٢٧٦).
حفصة بنت عبد الرحمن: ٧/ ٢٠٩.
حفصة بنت عمر: ١/ ١٨٢، ٣٠٩، ٣/ ٢٣٤، ٦١٧، ٢/ ١١٠، ١١١، ٧٣٨، ٤/ ٤٠٢، ٧٢٣، ٦/ ١٢٥، ٥٣٧، ٧/ ٣٧٧،

٣٧٨، ٧٥٤، ٨/ ٣٢، ٣٧، ٤٨، ٩/ ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥.
الحكم المقرئ: ٣/ ٣١٩، ٤/ ٥٨٩.
الحكم بن أبي العاص: ٨/ (٦٥٧).
حكم بن المنذر بن الجارود: ٦/ (٣٦٢).
الحكم بن عتيبة: ١/ (٦٨٤)، ٧١٦، ٢/ ١٣، ٦٦، (٢٨٦)، ٣/ ٥٠، ١٠٣، ١٦٣، ٤٢٨، ٦٠٥، ٤/ ٧٢٥، ٥/ ٦٢٧، ٦٥٩، ٦/ (١٥)، ٨/ ١٢، ٩/ ٤٣٩، ١٠/ ١٠٣.
الحكم بن كيسان: ٢/ (٧)، ٨.
الحكيم الترمذي: ١٠/ ١٩٩، ٢٩٧.
حكيم بن حزام: ٤/ ٧٤٤، ٥/ ٩، ٩/ ١٤.
حكيم بن معاوية: ٢/ ٥٥٤.
الحلواني: ٢/ ١٠٨، ١٣١، ٥/ ٤١٧، ٤٣٨، ٩/ ٦٥٨.
الحليس بن علقمة: ٣/ (٦٤٠).
حماد بن أبي سليمان: ٢/ (٥٠)، ٦٦، ٣/ ٢٨٦، ٤٢٣، ٤٢٨، ٤٣٦، ٥٠٤، ٦٢٩، ٦/ ٣٥٠، ٧/ ٥٨٥.
حماد بن زيد: ٤/ (٣٨٢).
حماد بن سلمة: ١/ (٧٤٥)، ٢/ ٦٤٢، ٤/ ٤٦٦، ٦٧٠، ٧٥١، ٥/ ٦٥٩، ٧/ ٣٣٩، ٩/ ١٠٧، ٥٦٣، ١٠/ ٣٦، ٢٨١، ٣٤٧.
حمزة الزيَّات، المقرئ: ١/ ٢٠٨، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٧٣، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩٢، ٣٦٨، ٤٤١، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٧، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠٥، ٥١٩، ٥٥٧، ٥٦٦، ٥٨٠، ٥٩٥، ٦٢١، ٦٢٣، ٦٤٣، ٦٦٠، ٦٩٧، ٧٢١، ٧٥٠، ٢/ ٢٢، ٣٤، ٦٣، ٧٨، ٩٧، ١٠١، ١٢٠، ١٣٠، ١٨١، ١٨٥، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٥، ٢١٠، ٢١١، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٩١، ٢٩٤، ٣١١، ٣٣٢، ٣٦٠، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٨٩، ٣٩٤، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٦٩، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٦، ٤٩٠، ٥٢١، ٥٦٧، ٥٧٩، ٦٢٠، ٦٥٧، ٦٦٩، ٧٠٣، ٧٠٧، ٧١٢، ٧٢٦، ٧٣٧، ٣/ ٩، ٣٥، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٥٨، ٧٢، ٧٧، ١٠٠، ١٠٢، ١١١، ١١٧، ١٣٠، ١٤٨، ١٥٧، ١٦٧، ٢١١، ٢٢٤، ٢٣١، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٨، ٣١١، ٣٢٣، ٣٢٩، ٣٣٩، ٣٤٩، ٣٦٩، ٤٠٠، ٤٤٠، ٤٥٥، ٥١٣، ٥٢٣، ٥٣٠، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٩، ٥٥٣، ٥٥٩، ٥٧٥، ٥٨١، ٦٠١، ٦١٣، ٦٢٣، ٦٢٩، ٦٦٨، ٦٧١، ٦٧٨، ٧١٤، ٧١٧، ٧٢٤، ٧٢٦، ٧٣٣، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٥٤، ٤/ ١٤، ١٥، ١٨، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٣٨، ٥٥، ٥٧، ٦٠، ٦٣، ٦٩، ٨٣، ٨٥، ٨٩، ٩٧، ١٠٢، ١٠٦، ١١٢، ١١٢، ١١٥، ١١٦، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٦، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٦، ١٧٢، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٥، ١٩٤، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٨٣، ٢٩١، ٢٩٨، ٣٢١، ٣٣٧، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤١٣، ٤١٤، ٤٢٠، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٣٥، ٤٤٢، ٤٥٦، ٤٦١، ٤٧٠، ٤٧٤، ٤٧٩، ٥١٤، ٥٢٩، ٥٣١، ٥٦٢، ٥٧٧، ٥٨٠، ٦٠٦، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٣٦، ٦٦٤، ٦٧٠، ٧١٥، ٧٤٥، ٥/

٢٢، ٨٤، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٦، ١٠٨، ١٢٣، ١٣٦، ١٦٤، ٢٠٥، ٢٣٤، ٢٤٠، ٢٨٦، ٢٩١، ٣٠٩، ٣٢١، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٥، ٣٨١، ٣٨٧، ٤١٣، ٤١٨، ٤٢٨، ٤٤٢، ٤٧٧، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٥٥٨، ٥٦٨، ٥٧١، ٥٧٣، ٥٩٨، ٦٠١، ٦١٥، ٦١٩، ٦٢٥، ٦٥١، ٦٥٥، ٦٦٧، ٦٧٥، ٦٩٧، ٧٠٨، ٧٢٧، ٧٢٩، ٧٣١، ٦/ ٧، ٨، ٣٦، ٤٠، ٤٢، ٥٤، ٩٠، ٩٢، ١١٣، ١٣٩، ١٤٢، ١٨٣، ١٩٧، ٢٠٣، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٥٤، ٢٦٠، ٢٨٤، ٢٨٥، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٩، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٧١، ٣٧٤، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٩٣، ٣٩٨، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٨، ٤٣٨، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٦٣، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٨٧، ٤٨٩، ٤٩١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥١٤، ٥٣١، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٥٨، ٥٦٧، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٩٤، ٥٩٦، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦١٣، ٦١٤، ٦٢١، ٦٢٣، ٦٢٦، ٦٢٨، ٦٦٠، ٦٧٠، ٦٩٢، ٧١٩، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧/ ٩، ٢٣، ٣٤، ٥٢، ٥٩، ٩٢، ١١٠، ١١٦، ١٣١، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٧٤، ١٨٨، ١٩٦، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٤٢، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٦٨، ٢٦٩، ٣٠١، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٢، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٨٢، ٤٠١، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٥٤، ٤٥٨، ٤٦١، ٤٦٥، ٤٦٨، ٤٧٤، ٤٧٧، ٥٠٢، ٥٠٥، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥١٣، ٥٦٤، ٥٦٨، ٥٧٥، ٥٩٢، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٦٠١، ٦١٤، ٦٢٣، ٦٤٣، ٦٤٥، ٦٥٢، ٦٥٥، ٦٥٩، ٦٦٧، ٧٠٠، ٧٠٧، ٧١٧، ٧١٨، ٧٣٥، ٨/ ٦، ٧، ١٨، ٣٠، ٣٦، ٤٦، ٦٩، ٧٣، ٨٢، ٨٧، ٩١، ٩٧، ٩٩، ١٠١، ١٠٤، ١١٤، ١٢٤، ١٣١، ١٦٦، ١٧٤، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٦، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٥١، ٢٦٨، ٢٧٣، ٢٨٤، ٣١٣، ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٦٤، ٣٧٩، ٣٩٠، ٣٩٨، ٤٠٢، ٤٠٦، ٤١٨، ٤٢٧، ٤٥٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٧٠، ٤٧٧، ٤٧٨، ٥٢٠، ٥٣٦، ٥٣٨، ٥٤٩، ٥٧١، ٥٨٣، ٦٠٢، ٦٠٥، ٦١٠، ٦٢٤، ٦٢٧، ٦٣٩، ٦٤٢، ٦٤٨، ٦٦٠، ٦٦٤، ٦٨٥، ٦٩٢، ٦٩٥، ٧٠١، ٧٠٥، ٧٠٩، ٧١٧، ٧١٩، ٧٣٥، ٧٤٠، ٧٤٢، ٧٥١، ٩/ ٣٢، ٣٨، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ١٠٢، ١٦٤، ١٨٢، ١٨٥، ١٩٤، ٢١٣، ٢٤١، ٢٥٣، ٢٦٧، ٢٨١، ٢٩٢، ٣١٢، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٤، ٣٥٧، ٣٦٣، ٣٧٦، ٤٠١، ٤٠٥، ٤١٢، ٤٣٥، ٤٤٣، ٤٤٩، ٤٨٩، ٥١٤، ٥١٥، ٥٣٦، ٥٧٦، ٥٩٨، ٦٠٤، ٦١٢، ٦١٨، ٦٢٣، ٦٣٢، ٦٥٦، ٦٦٢، ٦٩٨، ٧٠٠، ٧٠٥، ٧١٢، ٧٢٤، ٧٢٩، ٧٣٧، ٧٤١، ١٠/ ١٩، ٥٤، ٦٣، ٦٧، ٦٨، ٧٧، ٨٥، ٩٧، ١٠١، ١٠٣، ١٠٧، ١١٨، ١٤٠، ١٥٢،

١٥٣، ١٥٧، ١٦٨، ١٧٤، ١٧٦، ١٨٢، ١٨٨، ١٩١، ٢٠٥، ٢١١، ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٨٣، ٣٤٩، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٨٣، ٣٩٨، ٤١٤.
حمزة بن عبد المطلب: ٢/ ٤٧٩، ٦٤٧، ٤/ ١٢١، ٥/ ٦٠٣، ٧/ ٢٧، ٣٢٤، ٥٢١، ٨/ ٣٦٧، ٤١١، ٩/ ٦١٤.
حمنة بنت أبي سفيان بن أمية: ٧/ ٦٦٢.
حمنة بنت جحش: ٣/ (٥٥٢)، ٧/ ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤.
حميد الأعرج المقرئ: ٢/ ٦١، ١٤٣، ٧٦، ٣٣٨، ٤٧٧، ٥/ ٦٢، ١٦٤، ٧٢٠، ٦/ ٢٤٩، ٢٧١، ٢٩٩، ٨/ ٦٣٩، ٦٤٠، ١٠/ ٦٦.
حميد الشامي: ١/ (٣٤٩).
حميد المقرئ: ١/ ٤٨١، ٦٦٨، ٣/ ١٩٦، ٣٤٣، ٤٦٠، ٧٢٣، ٤/ ٢٥٦، ٢٨٣، ٣٨٢، ٧/ ١٨، ١٨٦، ٣٤٥، ٤٢١، ٤٤٢، ٨/ ٥٦٥، ٩/ ٣٠٤، ٥٠١، ٥٢٠، ٧١٥.
حميد المكي: ٤/ ٣٥٦.
حميد بن الربيع: ١٠/ ٣٤٩.
حميد بن ثور الهلالي: ٢/ (٤٠٨)، ٤٧٢، ٦/ ٥٥، ٩/ ١٨٣، ١٠/ ٣٧٢.
حميد بن سعيد: ١/ ١٤٢.
حميد بن عبد الرحمن: ٢/ (٦٤)، ٢٧١، ٦/ (٤٩٠).
حميد بن قيس: ١/ (٤٠٩)، ٧٥٧، ٢/ ٣٧٣، ٦٥٢، ٦٩١، ٤/ ٢٤، ٣٩٩.
حميد بن هلال: ٤/ ٦٧٥.
الحميدي: ٨/ ٤٢.
حنظلة بن النعمان: ٨/ ٧٥٤.
حنظلة بن سفيان: ٩/ ١٣٧.
حنيف الحناتم: ٢/ (٦٢٢).
حوح بن الأسلت: ٢/ (٤٩٦).
الحولاء بنت تويت: ٣/ (٥٩٨).
حويصة: ٧/ ١٨٦.
حويطب بن عبد العزى: ٧/ (٢١٦).
حيوة بن شريح: ٢/ (٢٢٤).
حيي بن أخطب: ١/ (٢٦٨)، ٢٧٩، ٥٢٩، ٢/ ٣١٥، ٤٧٤، ٧١١، ٧١٢، ٣/ ١٨٩، ١٩١، ٣٧٨، ٧٤٥، ٤/ ٦٠٠، ٦/ ٢٥٨، ٧/ ٤٠٨، ٧٤٩.
خارجة: ٢/ ٢٩٥، ٤/ ٤٢٥، ٤٦١، ٥٠٠، ٦٢٢، ٥/ ٢٢٢، ٧٠٤، ٧/ ١٤٧، ٨/ ٦، ٥٩، ٤٠٤، ٦٧٣، ٩/ ٢١٣، ٥٩٣، ٥٩٨، ٧٠٥، ١٠/ ١٦٢، ٢٣٧.
خارجة بن مصعب: ٣/ ٥١٣.
خالد الحنفي: ٩/ ٨٦.
خالد الخزاعي: ٤/ (٢٧).
خالد المقرئ: ٨/ ١٨٨، ٦١٥، ٩/ ٢١١، ٢٤٠، ١٠/ ٢٥٥.
خالد بن الربيع: ٧/ ٦٥٨.
خالد بن الوليد: ٢/ ٥٨٣، ٦٤٩، ٦٥٥، ٣/ ٢٠١، ٢٩٣، ٥/ ٤٥٤، ٨/ ٤٠٣، ٧٤٧، ٩/ ٧١، ٣٩٨.
خالد بن إلياس: ٤/ (٦٠٥)، ٦/ ١٩٤، ٧/ ١٥، ١٠٩، ٢٤٥، ٥٠٨، ٨/ ٢١١، ١٠/ ٧٨.
خالد بن زهير الهذلي: ١/ ٤١٢، ٢/ ٦١٤.

خالد بن معدان: ٦/ (٥٣٥).
خالدة بنت الأسود بن عبد يغوث: ٢/ (٣٦٨).
خباب بن الأرت: ١/ (٧٥٨)، ٤/ ٧، ٨، ٦/ ٤٧، ١١٦، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٧٣، ٥٤٧، ٨/ ٥٧٤.
خبيب بن عدي: ١/ (٧٤١).
خثيمة بن سليمان: ٤/ (٢٧١).
خثيمة بن عبد الرحمن: ٧/ (٥٣١).
خديجة بنت خويلد: ١/ ٢١٣، ٢/ ٤١٠، ٧/ ٧١٨، ٩/ ٧٣٤، ١٠/ ٥، ٢٩٤، ٢٩٨.
خذام بن خالد: ٥/ (٩١).
خراش بن أمية: ٩/ ٦٦.
خراش بن زهير العامري: ٤/ ٥٩٧.
خردوس: ٦/ ١٥٨.
خرنق بنت هفان: ٣/ (٣٦٦)، ٥/ ٣٧٧.
خزيمة بن ثابت: ١/ (١٨٢)، ٥/ ١٤٠، ١٤١.
خزيمة بن عامر بن عبد مناف: ٣/ ٢٤٧.
خصيف بن عبد الرحمن الجزري: ٧/ (٦٤).
الخضر: ٦/ ٢٧٨، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٦/ ٤٢٠، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٣٣، ٤٣٤، ٩/ ٥٤٩.
الخطابي: ٤/ (٢٨٠)، ٩/ ٣٦٦.
خطية: ٦/ ١٠٥.
الخفاف: ٢/ ١٢٠، ٣/ ٥٠٠، ٥/ ٥٦٧، ٩/ ٣١.
خفاف بن إيماء: ٥/ ٦٤.
خفاف بن ندبة: ١٠/ ١٠.
خلاد بن النعمان: ٩/ ٥٧٠.
خلاد بن خالد الشيباني المقرئ: ٢/ (٢٩١).
خلاد بن عبد الرحمن: ٣/ (٢٩٥).
خلف الأحمر: ٦/ (٥٤٢).
خلف المقرئ: ٨/ ٢٤٣.
خلف بن ياسين: ٥/ (١٠٤).
خليد العصري: ٨/ (٢٥٦).
خليد بن نشيط: ٨/ ١٢٨.
الخليفة المأمون: ٧/ ٣١٦.
خليفة بن خياط: ٥/ (٢٨).
الخليل بن أحمد: ١/ (٢١٩)، ٢٤٣، ٢٥٥، ٢٧٨، ٢٨٩، ٢٩٩، ٣١٢، ٣٤٧، ٣٦٧، ٣٧٨، ٣٨٠، ٤١٢، ٤١٦، ٤٣٢، ٤٦٤، ٤٧٧، ٥١٤، ٥٧٧، ٦٨٧، ٢/ ١٠٧، ٢١٠، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣٦٤، ٣٩٦، ٤٨٩، ٤٩٠، ٦٤٨، ٧٢٥، ٣/ ٢٨، ١٥٣، ١٦٩، ١٧٨، ٢٠٤، ٢٠٦، ٤٤٦، ٥٧٩، ٦٤٥، ٧٢٣، ٧٤٢، ٤/ ١٠، ٨٠، ١٠٣، ١٦٥، ١٩٦، ٣٦٣، ٣٨٣، ٥١١، ٥٧٨، ٥/ ٢٨٤، ٤٢١، ٤٨٢، ٥٦٦، ٦/ ٤٤٥، ٥٣٣، ٧/ ٢٢، ٥٦، ١١٣، ١١٦، ٤٨٠، ٥٣٢، ٥٣٩، ٦٠٠، ٦٢٢، ٨/ ٢٧٥، ٣٦٤، ٤٢٨، ٤٦٨، ٥٩٥، ٧٤٨، ٩/ ٢٧، ١٧٥، ٢٢١، ٢٨٠، ٣٤٢، ٣٨٦، ٤٤٢، ٤٦١، ٥٤٤، ٥٥٢، ٦٥٤، ٦٨٣، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٢٦، ١٠/ ٢٢، ١١٧، ١٥٦، ٢١٢، ٢٦١، ٢٨٣، ٣٦٣، ٣٨٥.
خنافر: ٦/ ٦١٦.
الخنساء: ٢/ ١٩٦، ٦١٩، ٥/ ٢٦٣، ٣١٨، ٥٨١، ٨/ ٥٧٩، ٦٢٨، ١٠/ ٤٧.
خنيس بن حذافة: ٨/ (٤٨).

خوات بن جبير: ٣/ (٤٨٤).
خولة بنت الصامت: ٩/ ٤٣٢.
خولة بنت ثعلبة: ٩/ ٤٣٣.
خولة بنت حكيم: ٨/ ٣٤، ٩/ ٤٣٢.
خولة بنت خويلد: ٩/ ٤٣٢، ٤٣٤.
خولة بنت محمد بن مسلمة: ٣/ (٣٢٨).
خويلة بنت ثعلبة: ٩/ ٤٣٢.
خويلة بنت دليج = خولة بنت دليج: ٩/ ٤٣٢.
داود (غير منسوب): ٨/ ١٤٠.
داود الإيادي: ٤/ (١٠٢).
داود الظاهري: ٣/ ١٦٤.
داود بن أبي عاصم: ٤/ (٧٥٠).
داود بن أبي هند: ١/ (٥٩٤)، ٣/ ٤١٦، ٦/ ٧٠، ٣٦١، ٥٠٢، ٧/ ٥٥٩، ٩/ ٤٤٦، ٥٦٨.
داود بن الجراح: ٨/ ١٢٣.
الداوودي: ٣/ (١٧٤).
دحية بن خليفة الكلبي: ٩/ ٥٣٠.
دريد بن الصمة: ١/ ٣٨٩، ٦٣١، ٢/ ٦٥١، ٣/ ٤٢، ٤/ ٥١٩، ٦٨٢، ٥/ ٤٥٨، ٦/ ٣٩٥، ٥٧٧، ٧/ ٧٥٠، ٨/ ٧٧، ٣٢٦، ٩/ ٦٤١.
دعثور بن الحارث = غورث: ٣/ (٤٥٠)، ٥٧٦.
دغفل النسابة: ٢/ (٦٩١).
دغفل بن حنظلة: ١/ (٦٦٣).
الدلال المخنث: ٧/ ٢١١.
دلدل: ٧/ ١٦٤.
الدوري: ٧/ ٢٢٤، ١٠/ ٤٢٤.
ذكوان: ٩/ ٦٧٠.
ذو الأصبع: ١/ (٢٤١)، ٤/ ٧٧، ٤٢٧، ١٠/ ٢٦٧.
ذو الرُّمَّة: ١/ (١٩٢)، ٢٩٤، (٥٨٢)، ٢/ ١٧٠، ١٩٥، ٢٦٥، ٢٨٥، ٤٧٠، ٦٨٠، ٣/ ١٦٩، ١٧٧، ٣٣٠، ٣٧٥، ٦٦٤، ٧٢٥، ٧٥٥، ٤/ ٥٥، ٣٤٨، ٣٦٩، ٥٦٣، ٦١٤، ٥/ ١٤٦، ٢١٣، ٢٢٢، ٥٦٠، ٧١٠، ٦/ ٥٩، ٢٢٢، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٨١، ٣٣٢، ٦٢٢، ٦٣٩، ٧/ ٣٣٤، ٣٦٩، ٤٣٢، ٨/ ١٤٣، ٧٥٢، ٩/ ١٥٤، ٢١٨، ٣٤٣، ٦٤٦، ١٠/ ٥٧، ٢٢٢.
ذو الشمالين: ٤/ (٧).
ذو النون المصري: ٨/ (١٥٥).
الراعي النميري: ٢/ (٣٣)، ٦٠٨، ٥/ ٦، ٦/ ٢٣١، ٨/ ١٨١، ٧٢٥، ٩/ ٢٣٣، ٦٩٢، ١٠/ ٣٨٩.
رافع بن المعلى: ٢/ (٦٦٣).
رافع بن جارية: ٣/ ٥٧٧.
رافع بن حريملة: ١/ (٥٢٧)، ٥٤٥، ٣/ ٥٧٧.
رافع بن خديج: ٣/ (٣٢٨)، ٩/ ٦٣.
رباح مولى رسول الله: ٣/ (٢٣٤).
الربيع بن أنس: ١/ (٢٧٩)، ٤١٢، ٥٥٧، ٥٥٨، ٢/ ١٤٠، ٣٤٢، ٣٥٦، ٥٣٦، ٣/ ١٩، ٦٩، ٣٩٥، ٤١٧، ٤/ ١٤٩، ٢٠٤، ٢٥٣، ٣٨٧، ٥٣٩، ٥/ ١٤٦، ٣٦٤، ٦٥٩، ٦/ ٩، ١٢، ٤٦٦، ٧/ ٥٦٥، ٥٨٥، ٨/

١٥١، **٩**/ ٨٧، ٢٦٢، ٧١٥، ٧٢٢، **١٠**/ ٤٤، ٢٠١، ٢٠٣.

الربيع بن خثيم: **١**/ (٣٤٩)، ٤٣٥، ٤٥٨، ٤٦٨، ٤٨٢، ٥٤٤، ٥٥٥، ٥٨١، ٥٨٣، ٥٩٠، ٥٩٢، ٥٩٧، ٦٠٢، ٦١٤، ٦١٥، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٤، ٦٥٨، ٦٦١، ٦٦٣، ٦٨٤، ٦٩٢، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧١٧، ٧٢٠، ٧٢٩، **٢**/ ٩، ٢١، ٣٨، ٤٢، ٤٨، ٥٦، ٥٧، ٦٦، ١٠٩، ١١٣، ١١٥، ١٢١، ١٣٨، ١٤١، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٧، ١٧٨، ١٨١، ١٩٩، ٢١٣، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٩، ٢٤٥، (٢٦٢)، ٢٦٤، ٢٧٢، ٣٠١، ٣٠٦، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٦٣، ٣٦٩، ٣٧٥، ٣٨٦، ٣٩١، ٤٠٤، ٤١٢، ٤٢٩، ٤٣٧، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٦٦، ٤٨٠، ٤٨٥، ٥٣٧، ٥٦٢، ٥٦٤، ٥٧٢، ٥٩٥، ٦١٥، ٦١٩، ٦٥٧، ٦٦٦، ٦٨٦، ٦٩٥، **٣**/ ٨٣، ٢٢٧، ٢٥٠، ٢٧٦، ٢٧٨، ٣٨٩، ٤٥٣، ٥٧١، **٤**/ ١٧٤، ٢٣٩، ٣٨٠، ٣٨٣، **٥**/ ٥٣، ٢٣٢، **٦**/ ٤٨، **٧**/ ٥٩٧، ٦٢٤، **٨**/ ٤٩٨، ٥٢٤، ٧٠٦، **٩**/ ١٧٨، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٥٩، ٣٥٠، ٦٤٤، ٦٦٨، ٧٠٩.

الربيع بن زياد العبسي: **٢**/ (٤٦١)، **٣**/ (٣٢١)، **٨**/ ٧٤٦.

الربيع بن ضبيع الفزاري = الربيع بن ضبع : **٢**/ (٥٤٢)، **٣**/ ٤٨٢، ٧٢٧، **٥**/ ٤٢٠، **٦**/ ٣٨١.

ربيعة بن أبي عبد الرحمن = ربيعة الرأي: **١**/ (٦٧١)، **٢**/ ١٣، **٣**/ ١٥، ٣١، ١٠٥، ١٣٩، ٤٢٤، **٤**/ ١١٨، ١٧٠، **٥**/ ٤٣٤، **٧**/ ٢٥٢.

ربيعة بن أمية بن خلف: **٩**/ ١١٤.

ربيعة بن جشم: **٧**/ ٤٩٠.

ربيعة بن رفيع بن أهبان السلمي: **٤**/ ٦٨٢.

ربيعة بن مكدم: **٦**/ ٥٧٢، **٧**/ (٤٦٤)، **٩**/ ٢٤٨.

رجاء بن حيوة: **٤**/ (٣٦٢)، ٤٩٥.

رفاعة بن المنذر بن زبير: **٢**/ (٣٧١).

رفاعة بن زيد = ابن التابوت: **١**/ ٥١٢، **٣**/ ١٧٦، (٣٠٢)، **٤**/ ٧٢٨، **٩**/ ٤٧٥.

ركانة: **٨**/ ٢٣٨، ٢٣٩.

الرماني: **٣**/ (٧٤٧)، **٥**/ ٤٢٣، **٧**/ ٢٢٨، ٢٣١، ٢٩٠، ٢٩٩، ٣٨٦، ٤٣٣، ٤٣٦، ٤٦٥، ٥٢٨، ٦١١، ٦٢١، ٦٩٨، ٧٢٣، ٧٤٨، **٨**/ ٢٥، ١٤٠، ٢٠٣، ٢١٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٤١، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦٢، **٩**/ ٥٩، ١٠٤، ١١١، ١١٨، ١٣١، ١٣٩، ١٥٣، ١٨١، ١٨٩، ١٩٢، ٢٠٤، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٣٣، ٢٥٦، ٢٧٠، ٢٧٩، ٢٨٥، ٢٩٠، ٣٠٦، ٣٢٠، ٣٢٨، ٣٣٦، ٣٤٢.

الرواسي: **٨**/ ٥٣١.

رؤبة بن العجَّاج: **١**/ (٢١٨)، ٢٢٧، ٣٣٣، **٢**/ ٣٣، ٢٠٧، ٦٤٨، ٦٦٦، **٣**/ ٦٨١، **٤**/ ٢١٩، ٧٥٠، **٥**/ ٢٤، ٢٢٢، **٦**/ ٥٦، ٢٠٨، ٣٦٢، ٣٨٨، ٤٣٠، ٤٤٧، ٤٩٨، **٧**/ ١٠٩، **٨**/ ١٤٦.

رويس: ٤/ ٦٦٩، ٥/ ٧٢٢، ٧٢٣، ٨/ ٩٣، ٩/ ٣٦، ٦٨، ١٠/ ٨٣.
ريطة بنت سعد: ٦/ ١٠٥.
زبان بن سيار: ٣/ ٨٤.
الزبرقان بن بدر: ٩/ ٩٩.
الزبير بن العوام: ١/ ٢٣٠، ٢/ ١٦٧، ٥٩٥، ٦٤٧، ٦٤٩، ٦٥٦، ٦٥٩، ٣/ ٢١٠، ٢١١، ٦٣٨، ٤/ ٢٦٦، ٥٣٧، ٥٣٩، ٧٣٤، ٥/ ٧٢٤، ٧/ ٦٦٤، ٦/ ١٢٦، ٤٢١، ٥٥٨، ٨/ ٣٦٥، ٣٨٦، ٣٩٨، ٩/ ٤٨٥، ٥١٩، ١٠/ ٧٢، ٣٥٥.
الزبير بن باطا: ٢/ (٦٥٣).
الزبير بن عبد المطلب: ٣/ (٢٣٩).
الزجاجي: ٢/ (٣١٢)، ٣١٣، ٥/ ٥٢١.
زر بن حبيش: ٤/ (٢٣٢)، ٢٩١، ٧٣٢، ٥/ ١٢٥، ٦/ ٤٨٩، ٤٩٠، ٧/ ١٠١، ٨/ ١٥٨، ١٨٧، ٣٢٢، ٧٥٦، ٩/ ٢٤٤، ٢٨٩، ٥٤٠، ٧٠٥.
زرارة بن أوفى: ١٠/ (١١).
زمعة بن الأسود: ٧/ (١٦٥).
الزهراوي: ١/ ٢٠٦، ٣٥٤، ٣٥٧، ٤٣١، ٤٦٥، ٦٢٧، ٣/ ٦٦٥، ٦٩٨، ٧٠٣، ٧٢٤، ٧٣١، ٧٣٤، ٤/ ١٤، ١٨، ١٩، ٧٥، ٧٩، ١١٨، ١٤١، ٢٣٨، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧٧، ٢٩٢، ٣٧١، ٣٨٤، ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٧٣، ٤٨٤، ٥٣٩، ٥٤١، ٥٥٢، ٥٦٠، ٥٦٣، ٥٩٦، ٦٠٢، ٦٢٤، ٦٩٥، ٥/ ٩٠، ٢٤٥، ٢٩٦، ٣٠٣، ٣٧٣، ٤٥٠، ٥٠٦، ٥٣٩، ٥٦١، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٣٩، ٧٥٣، ٦/ ٨٠، ١٥٩، ٢٩٩، ٣١٧، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٦٨، ٥٠٠، ٧/ ٥٩، ١٥٤، ١٥٥، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٠، ٢٠٩، ٢١٧، ٢٤٣، ٢٤٩، ٢٥٤، ٣٠٥، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٧٨، ٣٨٦، ٥٦٦، ٨/ ٥٠، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٣٣، ٢٩٧، ٩/ ٤٦، ١٠٢، ١٠٩، ١١٦، ١٢٠، ١٢٨، ١٤٨، ١٤٩، ١٧٤، ١٨٩، ٢٢٣، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٥٦، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧١، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١٣، ٣٣٢، ٤٨٣، ٤٨٩، ٥٦٠، ٦٦٤، ٧١٢، ١٠/ ٢٢٤، ٢٤٨.
زهير الفرقبي الكسائي: ١/ (٤٢٢)، ٧/ ٤٧، ٣١١، ٩/ ٣٠٣، ٣٤١.
زهير بن أبي سلمى: ١/ ٢٣٩، ٦١٧، ٢/ ٨١، ٥٧٢، ٣١٢، ٦١٦، ٤/ ٧٨، ٣٣٥، ٣٧٣، ٤٣١، ٤٤٩، ٤٦٢، ٥٩٢، ٥/ ٦٨٠، ٦/ ٢٤٣، ٣٤٥، ٤٨٥، ١٩، ٦١، ٧/ ١٠١، ٢٦٥، ٥٥١، ٨/ ٣٧٧، ٤٥٤، ٩/ ٢٦٦، ٣٤٢، ٦٧٩، ١٠٨، ١٧١، ٢١٩، ٢٣٤، ١٠/ ٢٣٨، ٢٤٩، ٣٢٢، ١٠/ ٣٦٢.
زهير بن جناب: ٥/ ١٥٧.
زهير بن محمد: ٨/ (٦٥٥).
زهير بن محمد التميمي: ٧/ (٤٦).
زياد أبو المغيرة: ١٠/ ٢١.
زياد بن أبي سفيان: ١/ ١٨٥، ٤٣٣.
زياد بن أبي مريم: ٥/ ٧٤٨.
زياد بن أبيه: ٥/ ٤٨٦.
زياد بن الحارث بن كلدة: ٧/ ١٧٠.
زياد بن سوادة: ٩/ ٤٠٦.
زيد الخيل: ١/ ٤٥٧، ٨/ ٣٣٢.

زيد بن أرقم: ١/ (٢٩٦)، ٢/ ١١٤، ٥/ ٤٢٤، ٨/ ١٤، ٩/ ٥٣٨، ٥٣٩.
زيد بن أسلم: ١/ (٢٦٧)، ٧٠٣، ٢/ ٤٦، ٤٨، ٦٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٢٣، ١٦٦، ١٧٢، ١٧٣، ٢٠٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٣٥١، ٥٣٢، ٧٤٢، ٣/ ٢٠، ١٨٩، ١٩٨، ٣٥١، ٤٣٤، ٥٢٧، ٤/ ٦٣، ١٤٨، ٣٠٨، ٣٦٧، ٥/ ٨١، ١٢٨، ٢٠٠، ٥٢٧، ٦/ ٢٠١، ٢٦٣، ٤٧٤، ٧/ ٥٥، ١٩٣، ٢١٨، ٣١٤، ٤٠٦، ٧٣٩، ٨/ ٢٦٥، ٤٢٦، ٧٣٨، ٩/ ٧٠، ١٤٧، ١٨٠، ١٩٨، ٢٥٤، ٣٩٩، ٤٤٧، ٥٠٢، ٥٦٣، ٥٧٩، ٥٩٠، ٧٢٢، ٧٤١، ١٠/ ٣٧، ٤٦، ٩٥، ١٠٨، ١٥٥، ٢٣٢، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٩٥، ٣٥٨.
زيد بن السمين: ٣/ ٣٠٤، ٣٠٩.
زيد بن اللصيت القينقاعي: ٢/ (٥٧٦).
زيد بن المعلى: ٣/ (٦٣٣).
زيد بن ثابت: ١/ (١٦١)، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ٢/ ٥٢، ٥٧، ١٠٣، ١٠٩، ١٣٩، ٣٨٣، ٣/ ٤٤، ٨٩، ٢٤٤، ٢٦٠، ٢٦١، ٦٨٣، ٤/ ١٣٥، ٢٠٠، ٥٣٩، ٥/ ٢٩، ٧٥، ٩٥، ١٦٩، ٤٤٣، ٦/ ٣٨، ١٥٤، ٤٧١، ٧/ ٢٧٦، ٣٢٤، ٨/ ١٨٣، ٧٦٥، ٩/ ١١، ١٠٧، ٢٥٤، ٢٧٣، ٦٧٥، ٦٩٥، ٧٣٧، ١٠/ ٣٤، ٧٧، ١٣٢، ١٥٧، ٣٣٠.
زيد بن جارية: ٥/ (٩٢).
زيد بن حارثة: ٢/ ٥٠٤، ٣/ ٩٢، ٦/ ٣٣١، ٧/ ٧١٥، ٧١٨، ٧١٩، ٨/ ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٣.
زيد بن صوحان: ٤/ (٥٩)، ٥/ ٧١.
زيد بن علي: ١/ (٢٢٧)، ٣٤٤، ٦٠١، ٧١٧، ٤/ ١٩١، ٢٣٢، ٢٣٥، ٤٩٠، ٥٨٨، ٧٢٥، ٥/ ٢٦٢، ٦١٣، ٧/ ٢٧٦، ٣٠٨، ٨/ ٥٢٦، ٦٦٥، ٩/ ٥٦١، ١٠/ ٢٤١.
زيد بن عمرو بن نفيل: ١/ (٤٢٩)، ٥٣٣، ٢/ ٤٥٥، ٣/ ٢٣٧، ٦/ ٣٠١، ٤٧٩، ٧/ ٥٤٠، ٦٧٥، ٨/ ٣٨٦، ٣٩٧، ١٠/ ٢٩٧.
زيد بن وهب: ٩/ ١١٥.
زينب امرأة عبد الله بن مسعود: ٧/ ١٩٩، ١٠/ ٢٧٤.
زينب بنت جحش: ٦/ ٧٧، ٧/ ٧٥٤، ٨/ ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٣٧، ٤٤، ٤٥، ٤٩، ٩/ ٥٨٠، ٥٨٨، ١٠/ ١٣٢.
سارة (مولاة لقوم قريش): ٩/ ٤٨٦، ٤٩٠.
ساعدة بن جؤية: ٨/ ٢٥٩، ٢٧٦.
سالف أبو قدار: ٤/ ٣١٣.
سالم الأفطس: ٤/ (٢٦٠)، ٧/ ٥٦٧، ١٠/ ١٣٢.
سالم بن أبي الجعد: ٩/ ٢٢٨.
سالم بن عبد الله بن عمر: ١/ ٧٤٠، ٢/ (٤٠)، ٥٠، ٧٠، ٥/ ١٤٣، ٩/ ١٤٨، ١٠/ ٢٦٣.
سالم بن عمير: ٥/ (٦٥).
سالم مولى أبي حذيفة: ١/ (٥٢١)، ٢/ ٥٥٣، ٥٩٨، ٣/ ٥٩٨، ٤/ ٢٧٦، ٢٨٩، ٧/ ٧١٩.
السائب بن أبي السائب المخزومي: ٧/ ١٦٤.

السائب بن يزيد: ٩/ ٥٢٦.
سبيعة الأسلمية: ٩/ ٥٧٠.
سبيعة بنت الحارث: ٩/ ٤٩٧.
سحنون: ١/ (٦٣٥)، ٦٩٠، ٢/ ٨٨، ١٠٤، ٣٧٤، ٣٧٥، ٧٢٩، ٣/ ١٠٧، ١١٠، ٣٠٠، ٦٠٨، ٤/ ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٩، ٦٨٧، ٦/ ٧٠٢، ٧٠٣، ٧/ ١٧٢.
سحيم الحسحاس: ٣/ (٩٦).
سحيم بن وثيل الرياحي: ٥/ ٦١٣.
السُّدي: ١/ (١٦٢)، ٢٥٦، ٣٦١، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٩١، ٣٩٤، ٤٠٨، ٤٢٩، ٤٣٢، ٤٤٠، ٤٤٥، ٤٤٩، ٤٥١، ٤٥٨، ٤٦٠، ٤٦٥، ٤٦٨، ٤٨٢، ٥٠٢، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٤٤، ٥٥٥، ٥٨٢، ٥٨٧، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٤، ٥٩٥، ٦٠٢، ٦٢٢، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٩، ٦٣١، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٣، ٦٥٣، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٧٠، ٦٧٢، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٩٣، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧١٥، ٧٢٠، ٧٢٢، ٧٢٩، ٧٣٤، ٧٤٠، ٧٦٥، ٢/ ٥، ٦، ٨، ٢٦، ٣٠، ٣٢، ٤١، ٥٨، ٦٢، ٦٨، ٧٥، ٧٩، ٨٩، ١١٤، ١٢١، ١٢٥، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٧، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٧، ١٥١، ١٥٨، ١٦١، ١٦٣، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٩، ١٩١، ١٩٩، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٤١، ٣٤٤، ٣٥٤، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٩٨، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣٢، ٤٤٢، ٤٤٦، ٤٥٧، ٤٥٩، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٧١، ٤٧٣، ٤٨٦، ٤٩٦، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٣، ٥٠٦، ٥٢٠، ٥٣٠، ٥٣٣، ٥٣٦، ٥٣٩، ٥٥٠، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٩، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٨٣، ٥٩٧، ٦١٠، ٦١٢، ٦٥٤، ٦٦٢، ٦٦٥، ٦٨٤، ٦٨٨، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٢٠، ٧٢٣، ٣/ ٧، ١٢، ١٦، ١٩، ٢٣، ٢٩، ٣٥، ٤١، ٤٨، ٥٦، ٥٩، ٦٦، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٨٢، ٨٣، ١٠١، ١٠٣، ١٠٥، ١١٣، ١١٥، ١٢٩، ١٨٢، ١٨٦، ١٨٨، ١٩١، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢١٤، ٢٢٥، ٢٣٥، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٩، ٣٠٤، ٣١٢، ٣١٩، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٦، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٦٢، ٣٨٩، ٣٩٢، ٤٠٧، ٤١٤، ٤١٥، ٤٢٢، ٤٢٩، ٤٣٤، ٤٤٨، ٤٥٣، ٤٦٥، ٤٦٧، ٤٧٢، ٤٨٩، ٤٩٣، ٥٠٩، ٥٢٠، ٥٤٠، ٥٤٣، ٥٤٩، ٥٥١، ٥٥٥، ٥٦٥، ٥٦٨، ٥٧١، ٥٧٣، ٥٩٥، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٢٤، ٦٣٠، ٦٤٨، ٦٥٢، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٨٣، ٦٨٧، ٦٩٦، ٧٠٥، ٧١١، ٧١٦، ٧٢١، ٤/ ١٩، ٢٢، ٢٨، ٣٠، ٤٦، ٥٥، ٦٦، ٧٠، ٧٥، ٨٠، ٨١، ٨٤، ٩١، ١٠٨، ١١٦، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٨، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٤، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٩، ١٨٢، ١٩١، ٢٠٨، ٢٢٦، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢،

٢٤٤، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦٩، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٣٤، ٣٤٥، ٣٥١، ٣٦٠، ٣٧٥، ٣٨٠، ٣٨٦، ٣٨٧، ٤٠٣، ٤١٦، ٤١٧، ٤٢١، ٤٤٠، ٤٤٤، ٤٤٩، ٤٦٢، ٤٦٩، ٤٧٦، ٤٧٧، ٥٤٣، ٥٤٦، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٩، ٥٦٢، ٥٦٥، ٦٠٩، ٦١٣، ٦٤٥، ٦٥٤، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٦٥، ٦٦٧، ٦٧٠، ٧٠٢، ٥/ ٢٢٧، ٣٠٧، ٣١١، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٦٣، ٤١١، ٤١٤، ٤٢٠، ٤٢٩، ٤٣٨، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٥٩، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٨٣، ٤٩٠، ٤٩٢، ٤٩٧، ٥٠٣، ٥٠٧، ٥١٥، ٥٢٨، ٥٣٣، ٥٣٦، ٥٣٩، ٥٤٣، ٥٤٨، ٧٣٦، ٦/ ٩٥، ١٠٥، ٢٣٤، ٣١٨، ٤٧١، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٨٢، ٤٨٨، ٤٩١، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥١٠، ٥١٢، ٧/ ٢٩٣، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٥٧، ٣٩٢، ٤٧٣، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٩١، ٥٠٨، ٥٥٠، ٦٠٢، ٦٣٦، ٦٧٦، ٨/ ٢٠١، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٩، ٣٤٩، ٣٦٦، ٣٧٤، ٣٨٢، ٣٨٦، ٣٩٥، ٤١١، ٤١٤، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٢٩، ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٧٠، ٤٧٢، ٤٨٤، ٤٩٤، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٤، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١١، ٥١٢، ٥١٤، ٥٢٥، ٥٣٤، ٥٤٠، ٥٤٣، ٥٥١، ٥٥٦، ٥٦٩، ٥٨٣، ٥٨٧، ٥٩٠، ٦٠٠، ٦٠٩، ٦١٧، ٦٢١، ٦٢٣، ٦٣٠، ٦٣٢، ٦٤٢، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٥٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٩٩، ٩/ ٨، ١٠٥، ١٣٢، ١٦١، ١٨٨، ٢٥٨، ٣٠٨، ٥٦٤، ٥٧٦، ٦٦٥، ٧٣١، ١٠/ ٣٣، ٣٨، ٧٥، ١١٢، ١٣٨، ١٦٥، ٢٣٢، ٢٤٥، ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٩٧، ٤٠٩.

سراج المقرئ: ١٠/ ١٠٧.

سراقة بن جعشم: ٣/ ٦١١.

سراقة بن مالك: ١/ (٧١٥)، ٣/ ٢٤٧، ٤/ ٥٩١.

سري السقطي: ٢/ (٧٣١)، ٨/ ٥٧١، ١٠/ ٣٤٠.

السري بن بنعم: ٥/ (٢١٧).

سعد بن أبي وقاص: ١/ ٥١٩، ٥٢٠، ٢/ ١٠٥، ٥٠٤، ٦٦٢، ٣/ ٥٣، ٢٢١، ٢٨٨، ٤٢٣، ٤٣٤، ٤٨٢، ٦١٢، ٦٢٧، ٦٤٥، ٤/ ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٥/ ٦٠٦، ٦٠٧، ٦/ ٤٥٨، ٤٥٩، ٧/ ٥٥٥، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٨/ ٣٨٦، ٧٣٠، ٩/ ١٢٣، ٢٦٣، ٢٧٢، ٥١٢، ٥٧٦، ١٠/ ٣٤٨، ٣٨٨.

سعد بن الربيع: ٢/ (٦٢٩).

سعد بن خولة: ٩/ ٥٧٠.

سعد بن خيثمة: ٢/ (٣٧١)، ٣/ ٤١٩.

سعد بن عبادة: ٢/ (٦٧٥)، ٣/ ٢٤٤، ٤/ ٥٠٧، ٧/ ١٧٣، ٦٣٧، ٩/ ١٠٥، ٢٦٢.

سعد بن عثمان: ٢/ (٦٦٣).

سعد بن قرط: ٤/ ٦٥٩.

سعد بن معاذ: ١/ ١٩٨، ٣/ ٤٧٢، ٥٤٠، ٤/ ٥٠٧، ٦٠٠، ٦٢٥، ٦٢٨، ٦٣١، ٧/ ٧٤٩، ٩/ ٣٥، ٤٤٨.

سعيد الجريري: ٨/ (٦٢٧).

سعيد بن أبي الحسن: ٨/ ١٠٠.

سعيد بن أسعد الأنصاري: ٧/ (٣٦٨).

سعيد بن الجهم: ١/ (٧٠٦)، ٧١٢.

سعيد بن الربيع: ٣/ ٤٠، ١٣٢.

سعيد بن العاص: ١/ (١٨٢)، ٣/ ٢٨٩، ٤/ (٤٩١)، ٦/ ٤٧١، ٧/ ٧١.

سعيد بن المسيب: ١/ ١٦٠، ٣٧٠، ٥٢٠، ٦١٦، ٦٥٠، ٢/ ٢١، ٢٦، ٢٨، ٤٥، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٦٧، ٦٩، ٧٢، ٨٥، ١٠٢، ٢٠٧، ٢٦٠، ٣٤١، ٣٩٨، ٤٠١، ٤٧٥، ٣/ ١٢، ٣٢، ٣٤، ٩٨، ١٠٤، ١٣١، ٣١٣، ٣٢٨، ٤٢٨، ٤٤٧، ٤٩١، ٥٦٩، ٦٠٤، ٦٥٢، ٦٦٠، ٤/ ٩، ١٤٨، ١٥٠، ٤٣٢، ٤٩٥، ٥١٧، ٦٤٧، ٧١١، ٥/ ٧٥، ١١٥، ٣٧٠، ٥٧٦، ٦٥٩، ٦/ ٤٢، ١١٤، ١٤٧، ١٨٥، ١٨٧، ٢٠٠، ٥١٥، ٧٠٠، ٧/ ٥٧، ١١٤، ١٥٩، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ٢٢٥، ٣٢٦، ٥١٧، ٥٣٥، ٦٥٨، ٨/ ٣٠، ١٢٣، ٢١١، ٤٢٢، ٤٥٥، ٩/ ١٩٢، ٢٤٢، ٢٥٦، ٢٩٦، ٣٦٩، ٣٨٤، ٥٢٨، ٥٣٦، ٥٧١، ٥٧٣، ٥٨٢، ٦٤٥، ٧٢٣، ١٠/ ١٩، ٤٣، ٤٥، ١٩٧، ١٩٨، ٢٢٦، ٢٥٠، ٣٩٠، ٤١٠.

سعيد بن جبير: ١/ ١٦٠، (١٦١)، ١٦٢، ٢٦٩، ٤٤٤، ٥٤١، ٥٥٩، ٦٠٢، ٦٠٦، ٦٣٨، ٦٤١، ٧١٢، ٧٢٢، ٧٢٩، ٧٣٢، ٧٣٧، ٢/ ٢٣، ٢٨، ٣٤، ٤٥، ٥٣، ٥٧، ٨٩، ٩٠، ٩٧، ١٠٥، ١١٣، ١٢٣، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٠، ١٩١، ١٩٤، ٢٣٤، ٢٤٥، ٢٧٣، ٢٩٦، ٣٤٥، ٣٨٤، ٣٩١، ٣٩٨، ٤١٢، ٤١٧، ٤٢٧، ٤٣٣، ٥١٣، ٥٢٢، ٦٣٧، ٦٧٨، ٧٢٠، ٧٢٤، ٧٢٥، ٣/ ١٦، ٢٤، ٢٩، ٣١، ٣٣، ٣٥، ٩٩، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٥، ١١٢، ١١٣، ١٢٢، ١٢٨، ١٣١، ١٣٦، ١٤٤، ١٥٥، ١٦٣، ١٨٩، ٢١٤، ٢٦٧، ٢٧٩، ٢٨٩، ٣٢٠، ٣٣١، ٣٥١، ٣٦٦، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٤٠، ٤٦٥، ٤٦٩، ٤٧٧، ٤٨٨، ٤٩٣، ٥٧٩، ٥٩٤، ٥٩٥، ٦٠٤، ٦٠٩، ٦٢٣، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٥، ٦٣٧، ٦٣٩، ٦٤٢، ٦٤٥، ٦٥٦، ٦٦٠، ٦٨٠، ٦٨٢، ٧١٣، ٤/ ١٨، ٢٨، ٥٠، ٧٠، ٨٦، ١١٦، ١٢٧، ١٤٤، ١٨٤، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٥٣، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٧١، ٣٤٥، ٣٥٤، ٣٦٦، ٣٦٩، ٣٧٩، ٣٨٦، ٣٩٧، ٤٠٨، ٤١٣، ٤٣١، ٤٤٤، ٤٥١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٩، ٤٨٥، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٧، ٥٥٩، ٦٣٠، ٦٤٢، ٦٧٢، ٥/ ١١، ١٦، ٦٣، ٧٥، ١١٨، ١٤٤، ١٤٧، ٢٢١، ٢٣٢، ٢٤٩، ٢٦٢، ٢٧٤، ٢٧٩، ٣٥٦، ٣٦٣، ٣٧٣، ٤٣٣، ٤٤٤، ٤٨٣، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٧، ٥١٠، ٥٢٧، ٥٣٥، ٥٣٨، ٥٤٣، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٦١، ٥٧٧، ٦١٤، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٨، ٦٨٧، ٧٤٦، ٧٥٠، ٧٥٤، ٧٥٤، ٦/ ٧، ١٤، ٧٠، ٧٤، ٨٠، ١٥٧، ١٥٨، ١٧٤،

١٨١، ١٨٥، ١٨٧، ٢١٢، ٢٢١، ٢٥٥، ٣١٥، ٣١٨، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤١، ٣٤٩، ٣٨٢، ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٦٣، ٤٦٦، ٤٧١، ٤٨٩، ٥٤٣، ٧/ ٩، ٣٩، ٤٧، ٦٠، ٧٥، ١٢٠، ١٥٩، ١٦٣، ١٩٥، ٢٠٧، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٧٦، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٩١، ٤٠٢، ٤٣٢، ٤٣٧، ٤٦١، ٤٩١، ٥٠٠، ٥٩٦، ٦١١، ٦٢٨، ٦٣٥، ٦٨٢، ٧١٦، ٨/ ٤٠، ٦٣، ١١٢، ١٣٩، ١٧٤، ١٩٥، ٢٢٥، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٧٢، ٢٧٨، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٢، ٣٠٢، ٣١٤، ٣٥١، ٣٦٩، ٣٨١، ٣٩٧، ٤٢٤، ٤٤٠، ٤٨١، ٥٠٣، ٥٣٦، ٥٦٧، ٦١١، ٦٣٢، ٦٤٠، ٦٧٣، ٦٧٥، ٦٨٢، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٤٠، ٩/ ٦٣، ١٢٠، ١٤٤، ١٧٢، ١٨١، ١٨٥، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٧، ٢٤٧، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٨١، ٢٨٧، ٢٩٦، ٣١٢، ٣١٦، ٣٢٧، ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٥٦، ٣٧٦، ٤٢٨، ٤٣٩، ٤٧٣، ٤٩٨، ٥٠٧، ٥٢٣، ٥٣٦، ٥٤٥، ٥٥٤، ٥٨٢، ٥٨٧، ٦٠٤، ٦٤٤، ٦٦٠، ٦٦٤، ٦٨٣، ٧٠٩، ٧٢٢، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٣١، ٧٣٥، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٤٧، ١٠/ ١٢، ١٩، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٥٨، ٥٩، ٨٤، ٨٥، ٩٥، ١٠١، ١٠٥، ١١٨، ١٥٥، ١٥٧، ١٦١، ١٧٨، ١٨٤، ١٩٠، ١٩١، ١٩٨، ٢٠٠، ٢١٤، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٦٧، ٣٣٧، ٣٦٢، ٣٦٩، ٣٩٤، ٣٩٥، ٤١٧.

سعيد بن زيد: ٧/ ٦٦٤، ٨/ ٣٨٦.

سعيد بن عبد الرحمن بن عوف: ٤/ ٧٤٧.

سعيد بن عبد العزيز: ٤/ (٤٦)، ٦/ ٤٤٧، ٧/ ٤٣٨.

سعيد بن عياض: ٧/ (٢٢٣)، ٨/ ٦٣٩.

سعيد بن مرجانة: ٢/ (٢٨٩).

سعيد بن مسحوح: ٥/ ٦٠٩.

سعيد بن مسعود: ٦/ (١٥٦).

سعيد بن مسلم: ٤/ (٧٤٩).

سعيد بن منصور: ٦/ ٣٨٧.

سفيان: ١/ ٤٦٤، ٣/ ٤٢٩، ٦٨٣، ٤/ ١٤٩، ٣٨٣، ٦٤٨، ٥/ ٧، ٥٠٠، ٥٦٦، ٦٣٧، ٦/ ١١٢، ١٤٠، ٧/ ٣٦٤، ٩/ ١٨٧، ١٨٨، ١٩٨، ٢٣٣، ٢٤٩، ٣٠٨، ٣٦١، ٤٨١، ٥٨٢، ١٠/ ١٢، ٣٥، ٦٢، ٦٦، ١١٩، ١٤٧، ١٦٢، ٢١٣، ٢٣١، ٢٧٥، ٣٦٨، ٤١٠.

سفيان الثوري: ١/ (٢٦٧)، ٢٨٤، ٤٢٩، ٤٧٢، ٦١٠، ٦٥٠، ٦٦٧، ٦٧١، ٦٧٨، ٧٠٣، ٢/ ١٢، ١٦، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٦٤، ٧٩، ٨١، ٩٥، ١٤١، ١٤٢، ٢٢٨، ٢٩٢، ٥٢٨، ٥٦٥، ٧٤١، ٣/ ٢٨٣، ٢٩٤، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٣٩، ٥٢٦، ٥٦٩، ٦٢١، ٤/ ٢٨٢، ٤٢١، ٥٦٨، ٦٨٩، ٥/ ١٧، ١٨، ٦/ ١٥٠، ٣١٦، ٤٩٩، ٥٦٨، ٧/ ٣٤، ١٦٧، ١٧١، ٥٤٦، ٦٧٠، ٨/ ٢٧٥، ٤٠٨، ٤٧٨، ٥٢٤، ٩/ ٤٩، ١٤١، ٣٦٩، ٣٧٣، ٣٩٤، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٦٥، ٦٠٣، ٦٣٥، ٦٤٥، ١٠/ ١٣٠، ٣٤٥.

سفيان بن أبي الزعل: ٥/ ١٦٩.

سفيان بن حسين: ٢/ (١٧٧)، ٤/ (١٤٤)، ٧/ ١٩٤، ٨،٢٣٥/ ١٠٠.
سفيان بن عبد الله الثقفي: ٨/ (٥٢١).
سفيان بن عيينة: ١/ (٢٢٧)، ٢/ ٢٧١، ٥٢٣، ٧٤١، ٣/ ٥١٢، ٤/ ٣٨٩، ٤٠١، ٤٠٦، ٤٠٧، ٦٤٩، ٧٢٢، ٧٣٥، ٥/ ١٠٧، ١٠٨، ١٥٧، ١٧١، ٢٦٣، ٥٢٨، ٧٤٩، ٦/ ٥٠، ٧/ ٦٠٣، ٦٦٢، ٩/ ٤٠، ١٠/ ٣٢٧، ٣٨٢.
سكن النحوي: ٤/ ٢٣٢.
سكين الحبر: ٣/ (٣٦٧).
سلافة بنت سعد: ٣/ (٣٠٤).
سلام أبو المنذر: ٨/ ٢٢٨، ١٠/ ٣٧٣.
سلام المقرئ = سلام بن مسكين: ١/ ٦٢٩، ٣/ ١٩٦، ٤٦٠، (٧٢٦)، ٤/ ٩٩، ٦٦٩، ٥/ ٧٥، ٢١٦، ٤٢٢، ٦٦٩، ٦/ ٣٧١، ٧/ ٣١، ٢٢٦، ٥٨٢، ٦٤٣، ٨/ ٥٣٦، ٥٦٣، ٩/ ٢٩، ٥٥٣، ٦١٧، ٦٦٤، ٧٠٠، ١٠/ ٢٨، ٤٧، ٣٩٩.
سلام بن سابور: ٢/ ٣٠٢.
سلام بن سليمان الطويل: ١/ (٣٣٨)، ٤/ ٥٦٦.
سلام بن مشكم: ٣/ ٥٧٧، ٤/ ٦٩١.
سلامان بن عامر: ٧/ (٧٦).
سلامة بن جندل: ٥/ (٥٨٦)، ٦٨٦، ٦/ ٣٦٢.
سلمان الفارسي: ١/ ٢٩٢، ٤٣٠، ٢/ ٣٦٧، ٣/ ٣٣٦، ٤٢٣، ٥٩٥، ٦٠٥، ٤/ ٢١، ٥٠، ٥٩، ٧٠٠، ٥/ ٥٤٢، ٦٢٦، ٦/ ١١٣، ١٥٦، ١٦٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٧٣، ٧/ ٢١٦، ٥١٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٧٢٧، ٨/ ٣٥٣، ٣٨٦، ٤٨٧، ٧١٤، ٩/ ١١٣، ٣٨٠، ٣٨١، ٥٢٣، ١٠/ ١٦٧.
سلمة بن الأكوع: ١/ ٦٧٠، ٢/ ٦٥٣، ٣/ ٤٣٨، ٤/ ٤٩٨، ٥/ ٥٥١، ٩/ ٥٦.
سلمة بن سلامة بن وقش: ٤/ (٢٤٦)، ٢٩٩.
سلمة بن صخر البياضي: ٩/ ٤٣٣.
سلمة بن عبد الله: ٥/ ٦٧٤.
سلمة بن هشام: ٣/ (٢٢٠).
سليم: ٩/ ٤١٢.
سليم بن عبيد: ٣/ (٥٠).
سليم عن حمزة: ٢/ ٢٨٦.
سليمان التيمي: ٤/ ٣٥٩، ٤١٥، ٧/ ٥٥، ٨/ ١٩٩، ٢٢٩، ١٠/ ٤٣.
سليمان بن أرقم: ٥/ (٣٨٩)، ٩/ ٦٥٩.
سليمان بن بريدة: ٢/ (١٧٧).
سليمان بن سالم: ١/ (٢٠٦)، ٩/ ٥٣٨.
سليمان بن صخر: ٥/ ٦٦.
سليمان بن طرخان: ٣/ ٢١، ٧/ ٢١٢، ٤١٣.
سليمان بن عبد الملك: ١/ (٣٧١)، ٥/ ٣٤٢، ٧/ ١٠١.
سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس: ٢/ (٦١٤)، ١٠/ (٤١٤).
سليمان بن قتة: ٨/ ٥٣٧.
سليمان بن موسى: ٣/ (٢٨٥)، ٤/ ٦٥١.
سليمان بن يسار: ٢/ ٥٧، ٣/ ٣٢٨، ٥٠٢، ٧/ ١٦٠، ٤٥٢، ٩/ ٥٧١، ٥٨٢.

سليمان عن الحسن البصري: ٤/ ٥٢١.
سليمى: ٤/ ١٦٧.
سماك العبدي: ٨/ ١٣٢.
سماك بن حرب: ٧/ (٦٨٢)، ٩/ ٤٠٨.
سمرة بن جندب: ١/ (٦٨٦)، ٢/ ١١١، ٤/ ٤٦٨، ٨/ ٢٦٢.
السموأل: ٨/ ٥٣٠.
سمويل بن زيد: ٤/ ٤٦١.
سمية: ٦/ ١١٦.
سمير: ٤/ ٣٣١.
السميط بن عمرو السدوسي: ٨/ (٦٠٢).
سنان بن سلمة: ٥/ (٦٨٧).
سنان بن وبرة الأنصاري: ٤/ (٣١٠)، ٥/ ٣٩، ٤٠.
سهل التستري: ٨/ ٧٠٨، ١٠/ ١٢٦.
سهل بن أبي حثمة: ٣/ ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٨، ٨/ ٤٢.
سهل بن حنيف: ٥/ (٩٢)، ٩/ ٤٦٦.
سهل بن سعد: ١/ (٦٨٥)، ٤/ ٦١٧، ٥/ ٩٦، ٦/ ٢٣٥، ٢٣٨، ٤١٨، ٨/ ٦٨٠، ٩/ ١٣٨، ٤٠٤، ٥٩٤، ٧٤١.
سهل بن شعيب: ١/ (٤٠٩)، ٤/ ٢٤١، ٥/ ١٤٩.
سهل بن عبد الله: ٨/ ١٥٥.
سهيل بن أبي الجعد: ٨/ (٥٩٧).
سهيل بن عمرو: ٥/ (٩)، ٧/ ١٦٥، ٩/ ٧٣، ٧٨، ٣٠٥.
سوادة بن زياد: ١/ (٢٢٤).
سوار القاضي: ١٠/ (٢٦٠).
سودة: ٨/ ١١، ٣٧، ٣٩، ٤٥، ٩/ ٥٨٠، ٥٨١، ١٠/ ١٤٣.
سودة بنت زمعة: ٣/ ٣٢٨، ٦/ ١٦٦، ٧/ ٧٥٤.
سورة بن المبارك: ٢/ (٦٣٤).
سويد بن أبي كاهل: ٤/ (٣٩٦)، ٦٠٥، ٩/ ١١٧.
سويد بن النعمان: ٣/ (٤٣٣).
سويد بن مقرن: ٥/ (٧٤).
سويد بن نجيح: ٩/ ٦٦٦.
سيبويه: ١/ ٢٠٢، ٢٠٧، ٢١٤، ٢٤٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣١٨، ٣٣٣، ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٧٦، ٣٨٢، ٤٠٤، ٤١٦، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٤٤، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٦، ٤٧٨، ٤٨٦، ٤٨٨، ٤٩٣، ٥٠١، ٥٠٩، ٥١٤، ٥٢٦، ٥٣٧، ٥٤٣، ٥٥٩، ٥٧٠، ٥٧٢، ٥٧٥، ٥٧٧، ٥٩٥، ٦٣١، ٦٥٥، ٦٦٧، ٦٩٢، ٦٩٣، ٧٢٧، ٧٢٩، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٦٥، ٢/ ٩، ٣١، ٣٩، ٦٣، ٨٣، ١٢٤، ١٦٨، ٢٣٠، ٢٤٤، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٧٠، ٢٧٥، ٢٨٥، ٣١٠، ٣٢١، ٣٦٤، ٣٦٦، ٤٥٩، ٤٦٩، ٤٨٤، ٤٨٧، ٤٨٩، ٤٩٠، ٥٢١، ٥٣٧، ٥٤٢، ٥٧٩، ٦٢٣، ٦٣٤، ٦٤٨، ٦٥٧، ٦٦٧، ٦٧١، ٦٨٧، ٦٩٢، ٧٠٢، ٧١٥، ٧٢١، ٣/ ١٠، ٢٢، ٢٣، ٢٧، ٣٤، ٤٤، ٤٨، ٥٨، ١١٤، ١٢٨، ١٣٥، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٧، ١٧٧، ١٨٠، ١٩١، ١٩٢، ٢٠٤، ٢٣٧، ٢٦٨،

٣٦٦، ٣٧٤، ٤٠١، ٤٤٦، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٢٤، ٥٦٢، ٥٧٩، ٥٨٦، ٦٤٥، ٦٦٧، ٧١٥، ٧٢٣، ٧٣٢، ٧٣٧، ٧٥٨، ٤/ ١٣، ١٤، ٤١، ٤٥، ٦٢، ٧٩، ٨٢، ١٠٠، ١٠٣، ١٢٧، ١٣٩، ١٤٠، ١٦٣، ١٦٥، ١٧٣، ١٧٦، ٢٠٣، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٦٢، ٢٦٦، ٢٩٨، ٣١٢، ٣٣٤، ٣٤١، ٣٦٣، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٩، ٤٢٤، ٤٧٢، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥١١، ٥٢١، ٥٢٩، ٥٤٧، ٥٥٤، ٥٧٥، ٥٧٩، ٥٨٢، ٥٩٨، ٦٢١، ٦٢٤، ٦٢٧، ٦٣١، ٦٤٩، ٦٥٢، ٦٥٥، ٦٦٨، ٦٧١، ٧٠٣، ٧٣٠، ٥/ ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٦٩، ١٠١، ١٥٦، ١٥٧، ٢٤٨، ٢٥٩، ٢٧١، ٢٨٤، ٣١٣، ٣٢٤، ٣٤٩، ٣٥٦، ٣٨٦، ٣٨٩، ٣٩٨، ٤٠٨، ٤١٥، ٤٢١، ٤٢٦، ٤٣٤، ٤٥٣، ٤٥٩، ٤٧٥، ٤٨٤، ٥١٨، ٥٤٧، ٥٨٠، ٦٠٨، ٦١٥، ٦٤٢، ٦٤٤، ٦٤٩، ٦٦٦، ٦٦٨، ٦٩٣، ٧١٧، ٧٢٨، ٧٣١، ٦/ ٢٩، ٣٦، ١٢٥، ١٤٣، ١٤٩، ١٨٣، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٤١، ٢٥٤، ٣٠٢، ٣٦٦، ٣٧٠، ٣٨١، ٣٩٤، ٤٤٥، ٤٧٢، ٥٠٨، ٥١٠، ٥١١، ٥٢٩، ٥٣٣، ٦٥٩، ٦٦٨، ٧٢٤، ٧/ ٨، ٩، ١١، ٢٣، ٦١، ٦٦، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١٦، ١٣٧، ١٥٠، ١٥٥، ١٦٩، ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩، ٣٠٠، ٣١٥، ٣٢٣، ٣٥٣، ٤١٠، ٤١٤، ٤٢٣، ٤٢٧، ٤٨٤، ٥٣٢، ٥٣٩، ٥٤٠، ٦٠٠، ٦٢٢، ٦٧٧، ٧١٤، ٨/ ٧٦، ٨٨، ٩١، ١١١، ١٢٠، ١٤٨، ١٦٥، ١٧٦، ١٩٣، ٢١٩، ٢٥٧، ٢٧٥، ٣٠٤، ٣١٠، ٣٦٤، ٣٧٠، ٣٨٠، ٤٠٨، ٤١٥، ٤٥٧، ٤٦١، ٤٦٨، ٥٥٥، ٥٧٦، ٥٩٥، ٦٢٤، ٦٣٦، ٦٩٣، ٧١٨، ٧٥٣، ٩/ ١٧، ٢٧، ١٣٩، ١٤١، ١٧٥، ٢٢١، ٢٤٩، ٢٨٠، ٢٨٢، ٣٥٠، ٣٧٠، ٤٠٠، ٤٤٥، ٤٧٩، ٥١٧، ٥٢٤، ٥٣٦، ٥٤٢، ٥٤٤، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٧، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧١٥، ٧٢٥، ١٠/ ٥٢، ١٢٢، ١٨٢، ٢١٢، ٣٤٩، ٣٦٣، ٣٧٨، ٤١٤، ٤١٥.

السيد الحميري: ٨/ (١٧٤).

سيف بن ذي يزن: ٥/ ٢٢٧.

شاس بن قيس اليهودي: ٢/ ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٦، ٥٤٠، ٤/ ٦٩١.

الشَّافعي: ١/ ٢٠٥، ٢١١، ٢٩٦، ٢٩٧، ٥٠٤، ٥١٧، ٦١٠، ٦٢٨، ٦٥٠، ٦٦٥، ٦٧١، ٦٧٢، ٧٠٠، ٧٠٦، ٧١٢، ٧٣٠، ٧٣٧، ٢/ ١١، ١٢، ١٣، ١٨، ٢٨، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٦٦، ٩٣، ٩٥، ٩٨، ٢٦٧، ٥٢٥، ٥٢٨، ٣/ ٢٠، ٦٢، ٩٣، ٩٨، ١١٨، ١١٩، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٠، ٢٥٨، ٢٥٩ ٢٨٢، ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٣٤، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤٤، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٧، ٥٠١، ٥٠٣، ٥٠٥، ٦٠٨، ٦٢١، ٦٣٨، ٦٦١، ٤/ ٢٤٣، ٢٤٤، ٤١٢، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٦٨، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٦٨٣، ٦٨٨، ٦٨٩، ٥/ ٥، ٧، ٨، ١١، ١٦، ١٧، ٥٨٠، ٦/ ٣٥٠، ٦١٥، ٧/ ١٣، ٣٥، ١٥٧، ١٦٢، ١٦٧، ١٨٠،

٢١٨، ٦٢٤، ٨/ ٤٨٠، ٧٠٢، ٩/ ٤٣٧، ٤٣٩، ٥٢٩، ٥٧١، ٥٧٣، ١٠/ ٧، ١٧٥.
شبل بن عباد المقرئ: ٢/ (٤٨١)، ٦٥٢، ٣/ ٧٢٤، ٤/ ٣٩٠، ٥٦١، ٦٠٥، ٥/ ١٦٧، ٤١١، ٦/ ٤٢، ١٩٤، ٣٤٥، ٣٨٤، ٧/ ٣٠، ٥٠٥، ٨/ ٦، ٢٠٥، ٣٧٨، ٧٤٢، ٩/ ١٠، ٣١، ١٦٤، ٢١٥، ٢٢٦، ٢٨٠، ٣٢٧، ٧٠٠، ٧٤٧، ١٠/ ١١٨، ٢٣٣.
شبل بن معبد البجلي: ٧/ (١٧٠)، ١٧١.
الشبلي: ٩/ ١٦٠.
شبيل بن عزرة: ٥/ (٤٧٢)، ٦/ (٤٨٥).
شداد بن أوس: ٩/ (٤١١).
شراحة: ٣/ ٦١.
شرحبيل بن سعد: ٤/ ٢٧٠، ١٠/ ٢٦٦.
شريح القاضي: ٢/ (٣٤)، ٩٧، ٩٨، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٥، ٢٥٩، ٢٦٧، ٣/ ٤٤، ٦٣٢، ٦٦٠، ٧/ ١٧١، ٨/ ٢٣٨، ٣١٧، ٣٥٥، ٥٧٨، ١٠/ ٢٣٩، ٣٠٧.
شريح بن أوفى العبسي: ٨/ (٤٣٤).
شريح بن عبيد: ٣/ (٥٤٨)، ٩/ ٤٢.
شريح بن يزيد الحمصي: ١٠/ ١٠٧.
شريك القاضي: ٥/ (٢٧٣).
شريك بن أبي نمر: ٦/ (١٥١).
شريك بن السحماء البلوي: ٧/ (١٧٣).
شريك بن عبد الله: ٩/ ٨٨.
الشعبي = عامر بن شراحيل: ١/ (١٥٧)، ١٦٠، ١٦٢، ٢١٢، ٢٦٧، ٣٥٩، ٦٠٨، ٦١٠، ٦٤٧، ٦٥٠، ٦٥٩، ٦٦٣، ٦٧٠، ٧٠٣، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٢٠، ٧٣٠، ٢/ ١٣، ٣٤، ٤٤، ٥٠، ٥١، ٦٠، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٧٠، ٨٠، ٨٩، ٩٤، ١٠٤، ١٠٧، ١١٣، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ٢٠٨، ٢٦٣، ٢٧٦، ٢٨٩، ٢٨٩، ٣٨٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٧٥، ٤٩٣، ٥٢٠، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٦١٥، ٣/ ٢٩، ٣٠، ٣٣، ١١١، ١٧٣، ١٨٩، ٢٠٤، ٢٥٤، ٢٥٨، ٤١٦، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٨، ٤٤٢، ٥٠٨، ٥١٠، ٥٢٧، ٥٦٩، ٦٦٠، ٦٦٢، ٦٦٥، ٦٦٦، ٤/ ١١٧، ١٤٥، ١٧٠، ٢٦٠، ٢٧١، ٢٧٧، ٢٨٥، ٣٩٦، ٤٩٤، ٥١٧، ٥٩٤، ٥٩٧، ٦١٨، ٦٥٠، ٧٠٢، ٥/ ١٠، ٤٨، ٧٥، ١٤٤، ١٧٣، ٢٣٤، ٣٠٤، ٤٢٤، ٤٣٠، ٤٤٩، ٦٢٤، ٧٥٤، ٦/ ٧٤، ٢٩٣، ٢٩٩، ٣١٩، ٥٦٨، ٧/ ١٢، ٩٥، ١٥٨، ١٧١، ٢٠٤، ٣٣٨، ٣٤٢، ٤١٠، ٤٨٩، ٥٥٠، ٥٩١، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٥٧، ٦٨٠، ٧٣٥، ٨/ ٧، ١٢، ٢٢، ٢٤، ٣٤، ٣٤، ٥٠، ١٥٢، ٢٧٢، ٢٧٩، ٣١٧، ٣٨٨، ٧٠٨، ٧٣٠، ٧٣٨، ٩/ ٤٧، ٦٩، ١٢٠، ١٢٨، ١٥٧، ١٦٣، ١٧٩، ٢١٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٣١٠، ٣٦٦، ٣٨٠، ٣٩٨، ٥٠٥، ٥٦٣، ٥٧١، ٥٧٩، ٥٨٢، ٦٢٩، ٦٤٤، ٦٨٦، ٦٨٧، ١٠/ ٣٨، ٤٥، ٦٤، ٨١، ١٠٣، ١٠٨، ١٥١، ١٩١، ٢٩٩، ٣٢٦، ٣٣٢، ٣٦٨، ٤١٣.
شعيب بن أبي حمزة: ١/ (٤٧٤)، ٢/ ٤٦٥، ٤٦٦، ٤/ ٩١، ١٠/ ١٣٩.
شعيب بن الحبحاب: ٩/ ٣٦٩.
شفي بن ماتع الأصبحي: ٥/ (٢٧٣).

الشماخ: ٤/ ٢٦٩، ٥/ ٤٨٩، ٧/ ٥٦، ٨/ ٧٧، ٢٤٤، ٩/ ٦٧١.
شمر بن عطية: ٨/ (١٦٠)، ٩/ (٨٧)، ٢٠٦.
شميط بن عجلان: ٧/ (٣٥٤).
الشنفرى: ٤/ (٣٥)، ٦/ ٤٨٧.
شهر بن حوشب: ١/ (٣١١)، ٣٦٠، ٦٠٩، ٢/ ٦٧٣، ٣/ ٢٣٢، ١٩٨، ٤/ ٥٤٩، ٤٢١، ٥/ ١٦٣، ٣١٩، ٦٠٢، ٧/ ٤١٣، ٥٣٠، ٨/ ١٣٦، ٥٩٦.
شيبان النحوي: ٤/ ١٠٣، ٨/ (٢٦٠).
الشيباني = غير منسوب: ٣/ ٣٧، ٦/ ٤٩٤.
شيبة بن ربيعة: ٦/ ٢٨٥، ٧/ ٢٧، ٨/ ٣٩٨، ١٠/ ١٢٩.
شيبة بن عثمان بن أبي طلحة: ٣/ (١٩٨)، ١٩٩، ٤/ ٦٧٣.
شيبة بن نصاح مولى أم سلمة، المقرئ: ١/ (٤٤١)، ٤٦٢، ٦٢٣، ٢/ ٤٧٧، ٣/ ٣١٩، ٤/ ٢٢٠، ٢٩١، ٣٧٧، ٣٨٣، ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٦، ٤١٣، ٤٢٥، ٤٦٠، ، ٤٦٩، ٤٧٣، ٥٠٨، ٥١٤، ٥٦١، ٦٢٣، ٦٣٣، ٦٧٠، ، ٥/ ٨٩، ٩٠، ١٥٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٢، ٢٣٤، ٢٦٨، ٣٠٩، ٣٢١، ٣٥٧، ٣٩٨، ٤٠٣، ٤٣٦، ٤٥١، ٤٨٩، ٥٥٥، ٦٠١، ٦/ ٧، ٢٦، ٣٨، ٤٢، ٧٠، ١٨٣، ٣٢٩، ٣٣٧، ٣٧٩، ٣٨٤، ٤٨٦، ٤٩٤، ٥٢٠، ٧/ ٥٤، ٢٣٤، ٣٢٢، ٣٢٩، ٣٣٥، ٣٤٨، ٣٦٧، ٣٩٠، ٥١٩، ٥٧٨، ٦٧١، ٦٨٤، ٧٣٠، ٧٣٣، ٨/ ١٨، ٩١، ١٣١، ١٧٦، ١٩٦، ٢١٦، ٢٣٩، ٢٩٣، ٣٤٢، ٣٤٦، ٣٥٣، ٣٧٩، ٣٩٧، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٣٨، ٤٦٧، ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٧٧، ٤٧٨، ٥٠٩، ٥٣٩، ٥٤٩، ٥٧٦، ٥٧٩، ٥٨١، ٦١١، ٦٢٧، ٦٥٠، ٦٦٤، ٦٨٥، ٦٨٧، ٦٩٥، ٦٩٧، ٧٣٣، ٧٣٦، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٥، ٩/ ٢٨، ٣١، ٦٥، ٨٩، ١١٨، ١٢٥، ١٣١، ١٣٨، ١٥٣، ١٦٤، ٢١٣، ٢٧٨، ٢٨١، ٣٢٠، ٤٤٩، ٤٦٢، ٥٥٣، ٦١٧، ٦٥٦، ٦٦٨، ٦٨٠، ٦٩٥، ٧٠٥، ٧٠٧، ١٠/ ٨، ١٩، ٣٤، ٦٠، ٦٧، ٧٧، ٨٥، ٩٢، ٩٧، ١٠٧، ١١٨، ١٥٢، ١٥٧، ١٦٣، ٣٧٧، ٤١٤.
الشيرازي: ١٠/ ٢٥٦.
الصاحب بن عباد: ٢/ (٩).
صالح بن خوات: ٣/ (٢٩٣).
صالح بن كيسان: ٩/ ١٤٧.
صالح بن مينا: ٨/ ٣٠٠.
صالح مولى التوأمة: ٤/ ٢٢٩.
صبيح القبطي: ٧/ ٢١٦.
صبيح مولى أبي العاص بن أمية: ٤/ (٧).
صخر الغي: ٧/ (٣٣٢).
صعصعة بن عقال التميمي: ١٠/ ٣٤٨.
صفوان بن المعطل: ٧/ ١٨٢، ١٨٥، ١٨٦، ١٩٨.
صفوان بن أمية: ١/ ٢٢٩، ٢/ (٥٩٨)، ٦٤٦، ٣/ ٨٤، ٤١٤، ٥/ ٩، ٧/ ٣٥، ١٦٤، ٨/ ٥١٥.
صفوان بن سليم: ٤/ ٢٦٩.
صفوان بن عسال: ٦/ (٢٩٤).

صفية بنت حيي: ٧/ ٧٥٤، ٨/ ٥٤.
صفية بنت عبد المطلب: ٧/ ٣٨٩، ٨/ ٣٧، ١٠/ ٤٠٥.
صلة بن أشيم: ٨/ (٣٩٨).
صهيب الرومي: ١/ ٧٤٧، ٧٤٩، ٧٥٧، ٤/ ٧، ٥/ ١٧٦، ٦/ ٤٧، ١١٦، ٣٦٩، ٧/ ١٤٥، ٣٦٧، ٨/ ٣٥٣، ٧٣١.
الضبي: ٣/ ٢٩١.
الضحاك بن قيس: ٥/ (٣٦٩).
الضَّحاكُ بْنُ مزاحم: ١/ (١٦٢)، ٢٤٩، ٢٧٦، ٣١٣، ٣١٦، ٣٣٣، ٣٤٧، ٤٢١، ٤٥٥، ٤٦١، ٤٨٢، ٥٠٣، ٥٠٦، ٥٢٠، ٥٣٩، ٥٥٥، ٥٧٢، ٥٩٠، ٦٠٥، ٦٧١، ٦٧٦، ٦٨٤، ٦٩٩، ٧٢٤، ٧٣٢، ٧٥٣، ٢/ ٢٦، ٤٦، ٥٦، ٥٧، ٦٠، ٦٢، ٦٨، ٧١، ٧٥، ٧٩، ٨٠، ٨٩، ٩٧، ١١٤، ١١٨، ١٢١، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٣، ١٤١، ١٥٨، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٤، ١٩٧، ٢٠٢، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٤٥، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٠، ٣٠٢، ٣١٨، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٧٣، ٣٧٥، ٣٨٣، ٣٩١، ٣٩٨، ٤٠٦، ٤٣٣، ٤٨٢، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥١٣، ٥٢٤، ٥٢٩، ٥٣٩، ٥٤٤، ٥٩١، ٦٤٢، ٦٧٩، ٦٨٤، ٧٢٣، ٧٢٧، ٣/ ١٢، ١٨، ٢٣، ٣٣، ٣٥، ٦٦، ٧٣، ٧٦، ٨٣، ١١١، ١١٣، ١٤٤، ١٥٩، ١٨٢، ١٨٦، ١٩٣، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٧٦، ٢٧٨، ٣١٢، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٥١، ٣٦٣، ٣٨٩، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٢٢، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٦٣، ٤٧٢، ٤٨٨، ٥١١، ٥٢٩، ٥٤٧، ٥٦٦، ٦٢٤، ٦٩٨، ٧٢٧، ٧٣٠، ٧٤٦، ٤/ ٩، ٤٧، ٥١، ٦٦، ٨١، ٨٨، ٩٠، ١٢١، ١٣٣، ١٤٨، ١٦٩، ١٨١، ١٩١، ١٩٩، ٢٠٥، ٢٢١، ٢٢٦، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٤٤، ٢٥٣، ٢٦٢، ٢٧١، ٢٨٩، ٣٤٥، ٣٦٤، ٤١٣، ٤٤٣، ٤٦٣، ٤٧٧، ٤٨٣، ٤٩٠، ٥٥١، ٥٥٩، ٥٦١، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٤٥، ٦٥٤، ٦٥٦، ٦٧٢، ٦٧٤، ٦٨٥، ٦٩٣، ٦٩٥، ٥/ ٧، ٨، ٣٦، ٦٢، ٨٩، ١٠٩، ١٤٦، ٢٠٠، ٢١٠، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٣، ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٧٦، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١٨، ٣٨٥، ٣٩٤، ٤٣١، ٤٤٤، ٤٥٠، ٤٦٢، ٤٨٣، ٤٩٨، ٥٠٢، ٥٠٧، ٥١٦، ٥٢٢، ٥٥٥، ٥٧٩، ٥٨١، ٥٩٤، ٦٠٩، ٦١٩، ٦٢٤، ٦٢٧، ٦٤٨، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٩٤، ٧٢٠، ٧٤٠، ٦/ ٦، ١٢، ٣٣، ٤٤، ٥٨، ٦١، ٨٦، ١٠٩، ١١٣، ١٨١، ١٨٢، ١٨٩، ١٩٦، ١٩٨، ٢٢١، ٢٣١، ٢٥٧، ٢٩٣، ٢٩٧، ٣١١، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٨٥، ٣٩٣، ٤٠٤، ٤٦٦، ٤٨٩، ٥٠٠، ٥٢٦، ٥٥٢، ٥٦٧، ٦٨٦، ٧/ ٥، ٤١، ٥٣، ٦٣، ٩٥، ١٤٠، ١٨٥، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٧، ٢١٦، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٤٠، ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٦٣، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٨١، ٣٠٤، ٣٢٦، ٣٤٤، ٣٦٨، ٣٧٤، ٤٣٥، ٤٣٧، ٥١٣، ٥٣٠، ٥٧٩، ٦٠٤، ٦٢٢، ٦٢٨، ٦٤٢، ٦٤٦، ٦٥٤، ٦٨٢، ٦٨٨، ٦٩٨، ٨/ ٣١، ٣٢، ٣٧، ٤٠، ٦٣، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٩،

٩٤، ١١٤، ١٢٢، ١٣٥، ١٣٩، ١٤٣، ١٧٨، ١٩٤، ٢٤٩، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٨٣، ٢٨٨، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣١١، ٣٢٦، ٣٤٣، ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٨١، ٤٣٢، ٤٤١، ٤٤٤، ٤٦١، ٤٩٨، ٥٠١، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥٣٦، ٥٣٨، ٥٤٣، ٥٨٢، ٦٠١، ٦٣٠، ٦٣٧، ٦٤٥، ٦٧٢، ٧١٤، ٧٤٣، ٧٤٨، ٩/ ٨، ٣٤، ٧٠، ٨٩، ٩٤، ١٠١، ١٢٨، ١٣٧، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٧، ١٧٨، ١٨١، ١٨٢، ١٨٧، ٢٠٩، ٢١٣، ٢١٤، ٢٢٨، ٢٥٠، ٢٧٨، ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٠٧، ٣١١، ٣١٨، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٨٦، ٣٩٥، ٤٠٢، ٤١٥، ٤٢٦، ٤٤٤، ٤٤٩، ٤٦٢، ٥١٠، ٥٢٣، ٥٤٣، ٥٥٤، ٥٧١، ٥٨٧، ٥٨٩، ٥٩٥، ٦٠٧، ٦١٤، ٦١٧، ٦٢٢، ٦٢٧، ٦٣٩، ٦٦٠، ٦٦٨، ٦٨٦، ٧٢٢، ٧٢٨، ١٠/ ٧، ٩، ٢٢، ٢٣، ٣٣، ٣٤، ٣٨، ٣٩، ٤٣، ٤٥، ٧٦، ٩١، ٩٣، ٩٥، ١٠٨، ١٢٤، ١٤١، ١٤٧، ١٥١، ١٥٥، ١٧٦، ١٧٩، ١٩٢، ١٩٥، ٢٠٤، ٢١٤، ٢١٩، ٢٢٨، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٦٢، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٨٣، ٢٩٦، ٣١٣، ٣٣٦، ٣٦٧، ٣٧٩، ٣٨٦، ٣٩٠، ٤٠٢، ٤٠٩.

ضرار بن الخطاب: ٦/ (٦٣٥).

ضمرة بن العيص: ٣/ ٢٧٩، ٢٨٠.

ضمرة بن بغيض: ٣/ ٢٧٩.

ضمرة بن جندب: ٣/ ٢٧٩.

ضمرة بن حبيب: ٩/ ٣٣٤.

ضمرة بن خزاعة: ٣/ ٢٨٠.

ضمرة بن نعيم: ٣/ ٢٨٠.

ضمضم بن عمرو الغفاري: ٤/ ٥٠٧.

طارق بن شهاب: ٢/ (٦٠٥)، ٣/ ٣٨٠.

طارق مولى عثمان بن عفان: ٥/ (٤٥٧).

طالب بن أبي طالب: ٢/ ٣٣٧.

طاوس: ١/ (٦٥٩)، ٦٦٨، ٦٧٢، ٧١٢، ٧١٦، ٧٢٢، ٢/ ١١، ٢٦، ٢٨، ٣٧، ٤٦، ٥٢، ٦٦، ٦٨، ١٠٤، ١١٤، ٢٧٦، ٢٧٧، ٤٨٦، ٥٣٧، ٣/ ٩١، ٩٩، ١١٦، ٤٠٨، ٦٠٥، ٦٢٣، ٦٣٧، ٧/ ١٦٧، ٦٣٥، ٤/ ١٤٨، ٢٤١، ٤٠٦، ٥٤٢، ٥/ ٦٦٢، ٦/ ٣٤٩، ٣٥٠، ٨/ ٩٧، ٢١٢، ٦٠٧، ٩/ ٤٣٧، ٥٨٢، ١٠/ ٨.

الطرطوشي: ٤/ (٤٤٢).

طرفة بن العبد: ١/ ٢٤٤، ٣/ ٥٤، ٧٧، ٤/ ١٥٦، ٦٤٥، ٥/ ٤٣٧، ٧٣٤، ٦/ ٥٣، ٧/ ٦٢١، ٨/ ٨٧، ٢٢٠، ١٠/ ٢٩٠.

الطرماح بن حكيم: ٢/ (٢٢٢)، (٣٧٨)، ٣/ ٢٥٠، ٤/ ١٤٠، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥/ ٣٣٢، ٧٠٧، ٦/ ١٦٤.

طعمة بن أبيرق: ٢/ (٤٩٧)، ٣/ ٣٠٤، ٣١١، ٣٣٦، ٣٣٨.

طفيل الغنوي: ٤/ ٦١٢.

الطفيل بن عمرو الدوسي: ٣/ (٦١٠)، ٥/ ٢٨٣، ٤٢٨.

طلحة السمان: ٨/ ١٩٠.

طلحة بن سليمان: ٣/ (٢٢٤)، ٢٨٠، ٤٠٨،

٤٨٤،٤/ ٤١٧،٥/ ٤٠٨،٦/ ٣٧١، ٤٩٢، ٧/ ٢٦٩، ٣٢٢، ١٠/ ١٦، ٤٨.

طلحة بن عبيد الله: ١/ ٢٣٠، ٢/ ٢٨، ٢٩، ٦٦٢، ٥/ ١٥٦، ٧٢٤، ٦/ ١٤٩، ٤٤٠، ٧/ ٦٦٤، ٧٤٥، ٨/ (٤٨).

طلحة بن مصرف: ١/ (٣٢٤)، ٤٢١، ٤٥٦، ٤٧٤، ٦١٤، ٢/ ٣٨، ١٨٢، ١٨٤، ٢٠٦، ٣٣٢، ٦٢٦، ٧١٣، ٧٣٨، ٣/ ٢١٩، ٤١٢، ٤٨٣، ٦٣٠، ٦٨٤، ٧٢٥، ٧٢٨، ٤/ ١٦، ١٨، ٢٢، ٣٨، ٦٤، ١٠١، ١٠٧، ١٢٠، ١٢٧، ١٥٢، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٧٦، ٢٩١، ٢٩٧، ٣٣٣، ٣٦٣، ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٦، ٤١٣، ٤١٧، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٤٨، ٤٥٦، ٤٦١، ٤٩٠، ٥٣٧، ٥٦٢، ٦٢٣، ٦٧٥، ٦٩٥، ٧٠١، ٧٣٨، ٧٣٩، ٥/ ٧٥، ٨٩، ٩٩، ١٠٨، ١١٧، ١٤٧، ١٥٠، ١٦٤، ١٦٧، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٥، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٤٩، ٢٧٥، ٣٠٠، ٣٨١، ٣٨٧، ٣٩٣، ٣٩٤، ٤٠٧، ٤١٧، ٥٥١، ٥٥٥، ٥٧٥، ٦٠١، ٦٤١، ٦٧٧، ٦٩٢، ٦٩٧، ٧٠٨، ٧٢٩، ٦/ ٧، ٢٠، ٢٧، ٤٠، ٥٠، ٩٠، ١١٣، ١٣١، ١٦٥، ١٨٣، ١٩٤، ٢١١، ٢١٥، ٢٢٦، ٢٥٧، ٣٠٣، ٣١٢، ٣٢٩، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٨١، ٣٨٤، ٣٩٣، ٤٤٨، ٤٦٢، ٤٦٨، ٤٧٨، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٩٢، ٤٩٤، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٥٩، ٦٧٠، ٧/ ٣١، ٨٩، ١٤١، ١٧٥، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٤١، ٢٥٥، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٥، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣١٢، ٣٢٠، ٣٢٩، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٦٨، ٤٠٩، ٤١٤، ٤٤١، ٤٥٨، ٤٧٧، ٤٩٥، ٥١٣، ٥٢١، ٥٤١، ٥٧٦، ٥٩٧، ٦١٥، ٦١٩، ٦٩٢، ٧٠٢، ٧٠٧، ٧١٧، ٧٣٠، ٧٣٣، ٧٤٠، ٨/ ٣٠، ٧٣، ١٠٢، ١٠٦، ١٢٤، ١٣٤، ١٤٠، ١٤٥، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٨، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٠، ٢١١، ٢١٣، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٧٤، ٢٩٣، ٣٤٦، ٣٥٠، ٣٧٤، ٣٩٧، ٤٠٢، ٤٠٦، ٤٢٧، ٤٧٠، ٤٧٤، ٤٧٧، ٤٨٦، ٤٩٦، ٥١٢، ٥٣٢، ٥٣٨، ٥٤٩، ٥٦٦، ٥٨٩، ٦٠٤، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٥٦، ٦٦٨، ٦٨٥، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٧، ٧٠٥، ٧٠٩، ٧٤٠، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٥، ٧٥١، ٩/ ٣١، ٣٢، ٣٩، ٦٢، ١٠٢، ١٣٨، ١٤٤، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٨٥، ٢١٣، ٢١٥، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٧١، ٢٩٢، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٧١، ٤٠٥، ٤٤٣، ٤٤٩، ٤٧٠، ٤٨٢، ٤٨٩، ٤٩٧، ٥١٤، ٥١٥، ٥٤٠، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٦٨، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٦، ٥٩١، ٦٠٤، ٦٠٧، ٦١٣، ٦١٥، ٦١٧، ٦٣٩، ٦٥٦، ٦٥٨، ٦٦٢، ٦٦٨، ٦٨٠، ٦٩٣، ٧٠٥، ٧٠٧، ٧٣٠، ١٠/ ١٩، ٢٨، ٥٤، ٦٧، ٦٨، ٧٧، ١٢٧، ١٣٤، ١٦١، ١٧٧، ١٨٥، ١٨٨، ١٩١، ٢٣٣، ٢٤٧، ٢٩٠، ٣١١، ٣٣٣، ٣٦٣.

طلق بن حبيب: ٥/ (٦٧٠)، ٦/ ٦٣٧.

طلق بن علي: ١/ (٦٨٦).

طليحة الأسدي: ٤/ (٧٥)، ٧/ ٤٨٠.

العاص بن وائل السهمي: ١/ (٧٥٨)، ٥/

٨، ٧٥٤/ ٩، ٢٢٥/ ١٠، ٢٥٨/ ٣٩٦، ٣٩٨.
عاصم الجحدري: ١/ (٣١٤)، ٣٧٦، ٤١٦، ٤٤١، ٥٧٤، ٦٤٦، ٧٦٢، ٢/ ٢٧١، ٣٦٢، ٣٧٣، ٣/ ٢٥٠، ٢٦٦، ٣٢٩، ٣٦٦، ٤٥٤، ٥٧٩، ٦٣٠، ٦٤١، ٦٨٣، ٤/ ١٨٧، ١٩٣، ٢١٤، ٣٩٦، ٤١٥، ٤٣٥، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٧٥، ٤٨٣، ٥١٠، ٦٣٢، ٦٧٠، ٥/ ٢٩، ١٢٣، ١٦٧، ٢١٥، ٢٥٨، ٢٦٢، ٣٠٩، ٣٧٢، ٣٨٠، ٤٠٣، ٤٢٨، ٤٣٩، ٤٥٠، ٤٦٧، ٦١٣، ٦٧١، ٦٧٦، ٧٤٥، ٦/ ٧، ٨، ٦٥، ٦٦، ١٧٠، ١٨٣، ٣٣٠، ٣٥٥، ٣٩٣، ٤١٧، ٤٨٩، ٧/ ٣١، ٦٣، ٢٤٥، ٣٨٣، ٣٨٤، ٤٦١، ٥٠٥، ٥٥٦، ٦٤٣، ٦٤٦، ٦٦١، ٦٦٧، ٧٣١، ٧٤١، ٨/ ٥، ٦، ٧٠، ١٥٨، ٣٢٢، ٣٤١، ٣٥١، ٣٦٠، ٣٧٠، ٣٩٧، ٤١٧، ٤٥٥، ٥٠٩، ٥٣٦، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٦٦، ٥٧١، ٥٩٦، ٦١٣، ٦٢٧، ٦٩٣، ٦٩٩، ٧١٠، ٧٣٧، ٧٥٢، ٧٦١، ٩/ ١١، ٣١، ٥٥، ٨٩، ١٠٧، ١٣٢، ١٤٧، ٢١٣، ٢٢٢، ٢٤٠، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٤، ٣٥٦، ٣٧٣، ٤١٢، ٤٢٨، ٥١٨، ٥٩٨، ٦٥٦، ٦٧٠، ٧٠٥، ٧٠٨، ٧١٠، ٧١٧، ٧٢٨، ١٠/ ٣٤، ٤٠، ٤٧، ٦٤، ٦٧، ١٨٨، ٢٢٧، ٢٣٧، ٢٥٨، ٣٤٤.
عاصم المقرئ = عاصم بن أبي النجود: ١/ ٢٣٠، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٧٣، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٩٢، ٣٩٩، ٤١٥، ٤٤١، ٤٧٧، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠٥، ٥١٩، ٥٥٧، ٥٨٠، ٦١٢، ٦٢١، ٦٢٣، ٦٢٨، ٦٤٣، ٦٦٠، ٦٧٤، ٦٧٦، ٧١١، ٧٢١، ٧٢١، ٧٥٣، ٢/ ٣٤، ٧٠، ٧٧، ٧٨، ٨٥، ٩٦، ١٠١، ١١٩، ١٢٠، ١٣٠، ١٣١، ١٨١، ١٨٢، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ٢٠٦، ٢١٠، ٢١١، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٨، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٧٤، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٩١، ٢٩٤، ٣٠٢، ٣٠٧، ٣١١، ٣٣٢، ٣٤٠، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٨٥، ٣٨٩، ٣٩٤، ٣٩٧، ٤٢١، ٤٤٠، ٤٦٩، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٩٢، ٤٩٤، ٥٢١، ٥٦٧، ٥٦٧، ٥٧٩، ٥٧٩، ٥٩٤، ٦١٨، ٦٢٠، ٦٤٢، ٦٥٢، ٦٥٧، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧٧، ٦٨٣، ٦٩١، ٧٠٣، ٧٠٧، ٧٢١، ٧٣٧، ٣/ ٤٧، ٥٨، ٧٢، ٧٦، ٧٧، ١٠٠، ١١١، ١١٧، ١٢٢، ١٢٢، ١٣٠، ١٤٣، ١٦٦، ٢١١، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٤٨، ٢٦٨، ٣١١، ٣١٢، ٣٢٣، ٣٢٩، ٣٤١، ٣٤٩، ٤٠٠، ٤٠٨، ٤٤٠، ٤٥٥، ٥١٣، ٥٢٣، ٥٤٤، ٥٤٩، ٥٥٣، ٥٧٥، ٥٨١، ٦٠١، ٦٢٣، ٦٢٩، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٧٨، ٦٨٤، ٧١٤، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٦، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٥٤، ٤/ ١٣، ١٥، ١٨، ٢٤، ٢٥، ٤٥، ٥٥، ٥٧، ٦٠، ٦٩، ٧٣، ٧٤، ٧٩، ٨٣، ٨٥، ٨٨، ٨٩، ٩٧، ١٠٢، ١٠٦، ١١١، ١١٢، ١١٥، ١١٦، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٦، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٦، ١٧٢، ١٨٥، ١٨٨، ١٩٤، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٩٢، ٢٩٥، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٣٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠،

٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٧١، ٣٧٣،
٣٨٣، ٣٨٥، ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٦، ٣٩٨،
٤١٣، ٤١٤، ٤١٧، ٤٢٠، ٤٢٣، ٤٢٤،
٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٤٢،
٤٥٦، ٤٦٠، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧٤، ٤٧٩،
٥١٤، ٥٢٩، ٥٣١، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٦١،
٥٧٥، ٥٧٧، ٥٨٠، ٥٨٧، ٥٨٨، ٦٠٤،
٦٠٥، ٦٠٦، ٦١٥، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٦،
٦٦٤، ٦٧٠، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٩٢، ٦٩٥،
٧١٥، ٧٣٢، ٧٤٥، ٥/ ٢١، ٢٦، ٢٩، ٤٤،
٥٦، ٧٢، ٧٤، ٨٤، ٨٩، ٩٠، ١٠٠، ١٠٢،
١٠٦، ١٠٨، ١٢٣، ١٣٣، ١٥٢، ١٥٣،
١٦٤، ١٦٧، ١٧١، ١٩٧، ١٩٩، ٢٢٢،
٢٣٤، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥٠، ٢٥٢،
٢٨٦، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٢، ٣٢١، ٣٢٩،
٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٧، ٣٧٥،
٣٨١، ٣٨٧، ٣٨٨، ٤٠٣، ٤١٣، ٤١٨،
٤١٩، ٤٢٨، ٤٤٢، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٧٩،
٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٥٠٧، ٥٥١، ٥٥٥،
٥٥٨، ٥٥٨، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١،
٥٧٣، ٥٩٨، ٦٠١، ٦١٥، ٦١٩، ٦٢٥،
٦٥١، ٦٥٨، ٦٦٧، ٦٩١، ٦٩٧، ٧٢٧،
٧٢٩، ٧٣٢، ٦/ ٨، ١٩، ٢٠، ٢٧، ٢٧،
٢٧، ٤٢، ٤٩، ٥٤، ٧٢، ٧٦، ٧٩، ٨٢، ٩٠،
٩١، ١٠٨، ١١٣، ١٦٢، ١٨٣، ١٨٥، ١٩٦،
٢٠٣، ٢٠٩، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠،
٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٦٠،
٢٨٤، ٢٨٦، ٣١٠، ٣١٢، ٣٢٩، ٣٣٠،
٣٣٨، ٣٣٩، ٣٥١، ٣٦٧، ٣٧١، ٣٧٤،
٣٧٤، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٤، ٣٨٥،
٣٩٨، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤١٠، ٤١٢، ٤١٣،
٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٩، ٤٣٨، ٤٤٢،
٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٣،
٤٦٧، ٤٦٨، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٩،
٤٩١، ٤٩٢، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٧، ٥١٤،
٥٣١، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٧، ٥٥٨،٥٤٩،
٥٦٧، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٩٤، ٥٩٦،
٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠٥، ٦٠٧، ٦٢١، ٦٢٣،
٦٢٦، ٦٤٢، ٦٥٠، ٦٥٣، ٦٦٠، ٦٦١،
٦٧٠، ٦٩٢، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧١٥، ٧١٦،
٧١٩، ٧٢٢، ٧٢٩، ٧٣٢، ٧/ ٢٣، ٢٨، ٣١،
٣٢، ٣٣، ٣٤، ٤٥، ٥٩، ٩٤، ١٠٢، ١٠٥،
١١٢، ١١٦، ١١٧، ١٣١، ١٣٧، ١٤٧،
١٥٩، ١٧٤، ١٩١، ٢١١، ٢٢٠، ٢٢٥،
٢٢٦، ٢٣٠، ٢٤٠، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥١،
٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٨،
٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٣٥،
٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٦٧، ٣٧٢،
٣٧٤، ٣٨٢، ٤٠١، ٤١٧، ٤٢٤، ٤٢٥،
٤٢٩، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٤٨،
٤٥٢، ٤٥٤، ٤٦١، ٤٦٥، ٤٦٨، ٥٠٢،
٥٠٥، ٥٠٧، ٥١٣، ٥٢٣، ٥٤١، ٥٦٤،
٥٦٨، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٨، ٥٨٢، ٥٩٢،
٥٩٣، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٦٠١، ٦١٤،
٦١٥، ٦٢٠، ٦٤٣، ٦٤٥، ٦٤٨، ٦٥٥،
٦٥٩، ٦٦٧، ٦٧١، ٦٨٤، ٧١٧، ٧١٨،
٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٤١، ٧٤٢، ٨/
٦، ٧، ١٠، ١١، ١٨، ٢٤، ٣٦، ٦٠، ٧١،

٧٥، ٧٨، ٨٢، ٩١، ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١١٥، ١١٧، ١٢٤، ١٥٩، ١٦٦، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٦، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٥٢، ٢٨٤، ٣٠٠، ٣٢٣، ٣٣٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٦٤، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨٢، ٤٠٤، ٤١٨، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣٣، ٤٥٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧٤، ٤٧٧، ٤٧٨، ٥١٠، ٥٢٠، ٥٣٦، ٥٣٩، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٧١، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨٣، ٦١٠، ٦١٤، ٦٢٤، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٣٧، ٦٤٢، ٦٤٨، ٦٥٠، ٦٥٨، ٦٦٠، ٦٦٤، ٦٨٥، ٦٨٨، ٦٩٥، ٦٩٧، ٧٠٥، ٧١٠، ٧١٢، ٧٣٥، ٧٤٠، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٥١، **٩**/ ١١، ١٣، ٢٨، ٣٢، ٣٦، ٣٨، ٥٧، ٥٨، ١٢٥، ١٥٣، ١٦١، ١٨٢، ١٩٤، ٢١٣، ٢٢٦، ٢٤١، ٢٥٠، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩٢، ٣٠٣، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٤١، ٣٥٧، ٣٦٧، ٣٨٣، ٤٠١، ٤١١، ٤١٣، ٤١٨، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٩، ٤٥٧، ٤٨٧، ٤٨٩، ٤٩٠، ٥١٤، ٥١٥، ٥٣٦، ٥٣٩، ٥٤٥، ٥٥٣، ٥٦٤، ٥٦٨، ٥٧٥، ٥٧٧، ٥٩٣، ٥٩٨، ٦١٢، ٦١٧، ٦١٨، ٦٢٣، ٦٣٢، ٦٥٦، ٦٨٢، ٦٩١، ٦٩٣، ٦٩٥، ٦٩٨، ٧٠٠، ٧٠٥، ٧٠٧، ٧١٠، ٧١٢، ٧٢٤، ٧٢٩، ٧٣٧، ٧٤١، **١٠**/ ٨، ١٩، ٢٥، ٢٨، ٣٤، ٤٤، ٤٧، ٥٤، ٦٣، ٦٧، ٦٨، ٧٧، ٨٥، ٩٧، ١٠٣، ١٠٧، ١١٨، ١٢٠، ١٣٣، ١٤٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٧٤، ١٨١، ١٨٨، ١٩٠، ٢٠٥، ٢١١، ٢٣٣، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٨٣، ٣٤٩، ٣٦٧، ٣٧٢، ٣٧٨، ٣٨٣، ٤٠٩، ٤١٤.

عاصم بن أبي الأقلح: **٢**/ ٦٤٧.

عاصم بن ثابت: **١**/ (٧٤١).

عاصم بن عدي: **٢**/ (٦١٧)، **٣**/ ٤١٩، **٥**/ ٤٧، ٩١، **٧**/ ١٧٤.

عاصم بن عمر بن قتادة: **٤**/ (٥٥٩).

عاصم بن هبيرة: **٨**/ (٥٢٦).

العاصي بن منبه: **٤**/ ٥٩٤.

العاصي بن وائل: **٤**/ ٧٤٣، **٥**/ ١١٥، **٦**/ ٣٧٣، ٥٣٠، ٥٤٦، ٥٤٧، **٧**/ ٨٢، ١٦٥.

عامر الرام الخضري المحاربي: **١**/ (٦٦٠)، ٦٨١.

عامر بن الأضبط: **٣**/ (٢٦٤).

عامر بن الأكوع: **١**/ ١٩٦.

عامر بن الطفيل: **٢**/ ١٠٧، ٤٠٤، **٣**/ ٤٤٩، **٥**/ ٥٦١، ٥٨٥، ٥٩٢، **٦**/ ٤٧٢، **٧**/ ٧٢٧.

عامر بن جوين الطائي: **٣**/ (٣٠٦).

عامر بن ربيعة: **١**/ (٥٤٠).

عامر بن سعد بن أبي وقاص: **٥**/ (١٧٧).

عامر بن عبد قيس: **٥**/ ٢٢٩، **٧**/ ١٠١، **٩**/ ٣٥٢، ٣٨٥، **١٠**/ ٢٥٣.

عامر بن فهيرة: **٢**/ (٦٢٦)، **٤**/ ٧٢١.

عامر بن مالك = ملاعب الأسنة: **٦**/ ٤٢٢.

العامري: **١**/ ٣٩٧.

عائذ بن عمرو: **٥**/ (٦٥)، ٦٦.

عائشة: **١**/ ١٥٩، ٣٢٩، ٦١٠، ٦١١، ٦٤٤،

٦٤٥، ٦٦٨، ٦٨٨، ٦٩٠، ٧٣١، ٢/ ٣٤، ٤٢، ٤٤، ٥٧، ٧١، ١١٠، ١١١، ٢٩٠، ٣٢٢، ٣٢٤، ٦٣٠، ٧٢٩، ٣/ ٦، ١٥، ٣٥، ١٠٤، ١٤٢، ١٧٣، ٢٣٤، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٧، ٣١٣، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٢٨، ٣٣٣، ٣٦٥، ٤٣١، ٥٠١، ٥٥٢، ٥٧٥، ٥٧٩، ٦٨٠، ٤/ ٤٠، ١٥٦، ١٥٧، ٢٢٧، ٣٦٥، ٦٨٦، ٧٤٣، ٥/ ١١١، ٣١٩، ٣٥١، ٤٩٦، ٥٥٥، ٥٥٧، ٥٨١، ٦/ ١٤٧، ١٤٨، ١٥١، ١٧٢، ٢٠١، ٢١٨، ٢٣٥، ٣٠٤، ٣٠٥، ٤٩٧، ٦٠٢، ٧٢٥، ٧/ ١٢١، ١٤٠، ١٦٧، ١٦٨، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٤٥٢، ٤٥٧، ٦٣٠، ٦٦٤، ٧٢٢، ٧٤٦، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٤، ٨/ ١١، ١٩، ٢١، ٢٤، ٣٢، ٣٧، ٣٩، ٤١، ٤٧، ١٤٧، ١٥٤، ١٥٥، ١٧٤، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٩٦، ٥٢٥، ٧٤١، ٩/ ٩٣، ١١٥، ١٤٤، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٥٦، ٣٥٣، ٣٨٧، ٤٣٢، ٤٣٤، ٤٤٣، ٤٩٦، ٥٠٤، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٥، ٦٢٤، ٦٨٧، ٧٣٣، ٧٣٥، ٧٣٨، ٧٤٠، ١٠/ ٦، ٦٧، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٢، ١٤٣، ١٥٧، ١٨٦، ١٨٧، ٣١٨، ٣٢٦، ٣٤٨، ٣٩٠، ٤٠٢، ٤١٩، ٤٢٤.

عباد المقرئ: ٣/ ٥٦٠.

عباد بن بشر: ٩/ ٤٠٣.

عباد بن حذيفة: ٤/ ٧٠٧.

عباد بن حنيف: ٥/ (٩١).

عباد بن نهيك: ١/ ٥٩٢.

عبادة بن الصامت: ٣/ (٥٧)، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٢٦٠، ٤٩٥، ٥٣٩، ٥٥٢، ٤/ ٤٩١، ٧/ ١٩٠، ١٩١، ٨/ ٨، ٩/ ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٣٣، ١٠/ ٤١.

عبادة بن بشر: ١٠/ ٢٢٤.

عبادة بن حمزة بن عبد الله بن الزبير: ٢/ (٥٩٥).

عبادة بن صفوان الغنوي: ٤/ ٦٦٩.

عباس المقرئ: ٧/ ٦٢٦، ٦٤٤، ٦٧٨، ٨/ ١٠٣، ٩/ ١٢، ٤١٢، ١٠/ ٥٩.

عباس بن الفضل: ١/ (٧٥٥)، ٧/ ٢٠٨.

العباس بن الفضل: ٣/ (٥٦١)، ٤/ ٢٤١، ٥/ ٢٢٠، ٨/ ٨٦.

العباس بن ربيعة: ١٠/ ١٢٩.

العباس بن عبد المطلب: ١/ ٣٠٧، ٤٧٨، ٥٧٤، ٢/ ٢٥٠، ٥٩٠، ٣/ ١٩٨، ٢٧٣، ٢٧٤، ٤/ ٥٥٤، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٨٠، ٥/ ١٩١، ٥٠٢، ٥٧٠، ٧/ ٣٨٩، ٤٧٨، ٨/ ١٤، ٢٧٠، ٣٩٢، ٩/ ٣٨٤، ٤٩٥، ٥٣٦، ١٠/ ١٩٠، ٤٠٢.

عباس بن مرداس: ٤/ ٥٢٧، ٥/ ٩، ٧/ ٣٥٤، ١٠/ ٣٠٣.

عبد الأعلى بن عبد الله بن مسلم بن يسار: ٣/ ٣٥١.

عبد الجليل: ٤/ ٢٥٥.

عبد الحق الصقلي: ٦/ (٣٩٢).

عبد الحميد: ٤/ ٤٥٨، ٨/ ٧١٢، ٩/ ٤٩٨.

عبد الرحمن الأعرج: ٣/ ٣٠٠.

عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق: ٢/ (٤٣)، ٤/ ٤٠، ٧/ ٦٦٤، ٨/ ٧٤١، ٧٤٢، ٩/ ٣٢٨.
عبد الرحمن بن أبي بكرة: ٧/ (١١٩)، ٨/ ٤٦٦، ٩/ ٧١٧، ١٠/ ٢٢٩.
عبد الرحمن بن أبي عمرة: ٤/ (٩).
عبد الرحمن بن الأسود: ٤/ (٨٦)، ٦/ ٢٦٧، ٨/ ١٩٣.
عبد الرحمن بن البيلماني: ٣/ (٧٣).
عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: ١/ (١٨٣).
عبد الرحمن بن الزبير: ٢/ ٦٨.
عبد الرحمن بن القاسم: ٥/ ٤٨٠.
عبد الرحمن بن ثابت: ٣/ ٤١.
عبد الرحمن بن جبير: ٩/ ٤٢.
عبد الرحمن بن سابط: ١/ (٣٤٣)، ٢/ ٧١٧، ٧/ ٣٤.
عبد الرحمن بن صحار العبدي: ٥/ (٥٩٣).
عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود: ٧/ ٢٧٩.
عبد الرحمن بن عوف: ٢/ ١٠٠، ٢٠٣، ٦٦٢، ٣/ ١٥٩، ١٦٤، ٢٢١، ٢٩٩، ٦٢٥، ٦٢٧، ٥/ ٤٦، ٤٧، ٦١١، ٦/ ٥٦١، ٧/ ٦٦٤، ٨/ ٩٢، ٣٨٦، ٩/ ١١٤، ٤٧٢.
عبد الرحمن بن كعب: ٥/ (٦٦).
عبد الرحمن بن محمد بن طلحة: ٨/ (٢١٨).
عبد الرحمن بن مغفل بن مقرن: ٥/ (٧٤).
عبد الرزاق الصنعاني: ١/ (١٦٣)، ٢/ ٥٢٣، ٣/ ٢٩٤، ٢٩٥.
عبد الشارق بن عبد العزى: ٧/ ٤٦٢.
عبد الصمد بن علي الهاشمي: ٥/ (٤٥٢).
عبد العزيز بن أبي سلمة: ٢/ ٩٣، ٣/ ٤٤٤، ٧/ ١٨٠، ٩/ ٥٨١.
عبد العزيز بن رفيع: ٩/ ٦٦٤.
عبد العزيز بن مروان: ٦/ ٢٩٣.
عبد العزيز بن يحيى الكناني: ١٠/ (١٩٩)، ٢٩٧.
عبد الغفار المقرئ: ٣/ (٥٦٠).
عبد الكريم الجزري: ٧/ ٦٦٥.
عبد الله ابن النبي ﷺ: ١٠/ ٣٩٦.
عبد الله بن أبي ابن سلول: ١/ ٢٩٥، ٢٩٦، ٢/ ٥٨١، ٥٨٢، ٦٥٨، ٦٦٠، ٦٦٥، ٦٨٧، ٦٨٨، ٣/ ٢٢٢، ٤٣١، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٦، ٤/ ٤٥٩، ٧٢٨، ٥/ ٢٨، ٣٩، ٤٠، ٤٩، ٥٧، ٥٩، ٦٨، ٩٣، ٤٢٤، ٥٤١، ٧/ ١٦٥، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٥، ١٩٧ ٢١٩، ٦٣٧، ٧٣٢، ٨/ ٢٢٦، ٩/ ٣٤، ١٠٥، ٥٣٣، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٦١.
عبد الله بن أبي أمية المخزومي القرشي: ١/ (٥٤٥)، ٣/ ٣٥٥، ٧٠٥، ٣/ ٣٥٥، ٥/ ١١٥، ٥٣١، ٦٩٦، ٦/ ٢٨٥، ٢٨٧، ٧/ ٥١٨، ١٠/ ٢٦.
عبد الله بن أبي أوفى: ٢/ (٥٩١)، ٦/ ١٧٦، ٩/ ٦٩، ١٠/ ٢٨٧.

عبد الله بـن أبي سـرح: ٣/ ٦٥٦، ٤/ ٦٣٤، ٧/ ٩٦، ٦/ ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٢٣، ٨/ ٤٥٠.
عبـد الله بن أبي قتـادة المحاربـي: ٤/ ٥٤١، ٥/ (٨٦).
عبد الله بن إدريس الأودي: ٥/ (٥١٠).
عبد الله بن الثامر: ١٠/ ٢٠٢.
عبـد الله بن الحارث = بن جزء السـوائي: ٢/ (٤٤٤).
عبـد الله بن الحـارث بن نوفـل: ٣/ (٦٣٥)، ٤/ ٦٤٩، ٥/ ٥٢٧، ٥٥٥، ٦/ ٤٦٠، ٧/ ٣٥٧.
عبد الله بن الحسن العنبري: ٢/ (٢١٥)، ٧/ ٢٤٠، ٩/ ٥٤٥.
عبـد الله بن الزبعرى: ٥/ (٦٦٤)، ٦/ ٢٩٨، ٣٩٧، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧/ ٢٧٣، ٢٧٦، ٣٩٢، ٨/ ٦٤١، ٩/ ٥٩.
عبد الله بـن الزبير: ١/ (١٨٣)، ٢٢٩، ٢٥١، ٤٤٥، ٧١٣، ٧٢٨، ٧٣٠، ٢/ ٤٥، ٢٤٨، ٥٢٤، ٥٤٦، ٥٩٥، ٣/ ١٤٨، ٣٨٢، ٥٠٢، ٥٤٤، ٤/ ١٣٣، ١٤٢، ٢٦٣، ٤٧٦، ٤٨٠، ٦٧٢، ٥/ ٢١٠، ٧٢٨، ٦/ ١٥٨، ٣٧٣، ٦٠٠، ٦٢٨، ٧٢٥، ٧/ ٤٦، ٢٦٤، ٣٣٠، ٣٣١، ٨/ ٧٠، ٢٩٥، ٣٩٨، ٧٥٤، ٩/ ١٢٢، ٢٤٤، ٣٣٧، ٤٩٥، ٥٢٧، ٥٢٩، ٧٠٥، ٧٣٨، ٧٣٩، ١٠/ ١٩، ٩٦، ١١٨، ١٥٧، ٢٢٠، ٢٢٩، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٨٢، ٢٩٠، ٣٣٥.
عبد الله بن الصيف: ٢/ ٤٥٨.
عبد الله بن القاسم: ٨/ ٥٦٨.
عبـد الله بن المبـارك: ١/ ٢١٢، ٢/ ٩٤، ٤/ ٦٧٨، ٧/ ٦٠٣، ٩/ ٥٤، ١٥٥، ٤١٠، ١٠/ ٢٥٦.
عبـد الله بـن أم مكتـوم: ٢/ ٦٨٩، ٣/ ٢٦٩، ٤/ ٧٢٥، ٩/ ٦٥، ١٠/ ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٥.
عبـد الله بن أنيـس الجهنـي: ٢/ ٦٨٢، ١٠/ ٣٢٩.
عبد الله بن بسر: ٣/ (٧٠٣)، ٦/ ١٧٧.
عبد الله بن بشر الغافقي: ٢/ (٢٤٣).
عبد الله بن جبير: ٢/ (٣٧١)، (٥٨٢)، ٥٨٣، ٦٥٠.
عبد الله بن جبير المصيح: ٨/ ٦٠٥.
عبد الله بن جبير بن فصيح: ٥/ (١٦٩).
عبـد الله بن جحـش: ١/ (٦٩٦)، ٢/ ٧، ٩، ١٤.
عبد الله بن جدعان: ٤/ (٧٤٣).
عبد الله بن جعفر: ٢/ (٥٨٧)، ٧/ ١٥.
عبد الله بن حذافة السـهمي: ٢/ (١٤٥)، ٣/ ٦٤٣.
عبـد الله بـن حـرام: ٢/ (١٤٧)، (٦٨٨)، ٦٨٩، ٦٩٤.
عبد الله بن حكيم: ٩/ (٦٨٤).
عبـد الله بن حنظلة بن أبي عامر الغسـيل: ٣/ (٤٣٢).
عبـد الله بـن رواحـة: ٢/ ٢٦، ٣٠، ٤٤، ٣/ ٥٩٨، ٥٩٩، ٤/ ٦٢٥، ٥/ ١٠٧، ٦/ ٣٣١،

/٧ ٣٩٤، ٦٩١، ٦٩٧، ٨/ ٢٢١، ٩/ ٣٥، ١٠٥.
عبد الله بن زياد: ٥/ (٥٨٦).
عبد الله بن زيد: ٥/ ٩٨، ٧/ ٥٦٣، ٨/ ٢٦٨.
عبد الله بن زيد بن أسلم: ٩/ ٦١، ٨٤، ٤٤٥.
عبد الله بن زيد بن عاصم: ٣/ (٦٧٩).
عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري: ٣/ (٢١٣)، ٢١٤.
عبد الله بن سعد بن أبي سرح: ٤/ (٧٥)، ٩/ ٢٥٨.
عبد الله بن سلام: ١/ (٢٧٦)، ٢٩٤، ٤٧٤، ٤٧٩، ٥٩٥، ٥٩٧، ٧٥١، ٢/ (٥٥٦)، ٥٦١، ٧٤١، ٣/ ١٨٠، ٣٦٥، ٥٠٧، ٥٢٠، ٧٢١، ٤/ ٦٩، ٥/ ٩٩، ٢٤٥، ٢٥٧، ٦١٧، ٦٢٦، ٦/ ٦٦٢، ٧/ ٣٨٣، ٤١٥، ٥١٥، ٨/ ٦٧، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢.
عبد الله بن شداد بن الهاد: ٢/ (١٠٩)، ٥/ ٥٤٢، ٧/ ٣٧٥، ١٠/ ٢٦٨.
عبد الله بن شقيق: ٣/ (٥٧٦).
عبد الله بن صفوان: ٣/ (٦٢٧).
عبد الله بن طارق: ٢/ (٦١٧).
عبد الله بن طاهر بن الحسين: ٩/ (٢٦٢).
عبد الله بن عامر بن ربيعة: ١/ (٥٤٠).
عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى: ٢/ (٣٤٥).
عبد الله بن عبد العزى بن عبد الدار: ٤/ ٦٧٣.
عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول: ٥/ (٥٨)، ٩/ ٤٥٤، ٤٧٥.
عبد الله بن عبد الله بن عمر: ٤/ (٣٣٤).
عبد الله بن عبد المطلب أبو النبي ﷺ: ٣/ ٦١١، ٦/ ٥١٦.
عبد الله بن عبيد بن عمير: ١/ (٢٢٤)، ٢/ ١٧٧، ٦/ ٤٠٨، ٧/ ٥٥٠، ٨/ ٦٩٩.
عبد الله بن عبيدة: ٣/ (٣٨٧).
عبد الله بن عمر: ١/ ٢٦٥، ٣٢٣، ٥٠٧، ٥٣٩، ٥٩٢، ٦٥٨، ٦٦١، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٩، ٦٧١، ٧٠٦، ٧١٠، ٧١٤، ٧١٦، ٧١٧، ٧٢٠، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٣٠، ٢/ ٢٩، ٣٩، ٤٠، ٥٢، ٥٧، ٦٦، ٩٧، ٩٨، ١٠٠، ١١٠، ١١١، ١١٣، ١٥١، ٢٠٢، ٢٧٦، ٢٨٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٥١، ٣٥٦، ٤٠٠، ٤٠٩، ٤١٥، ٤٥٥، ٤٦٩، ٥٠٥، ٥٢٣، ٥٣٠، ٥٩٨، ٦٦٤، ٣/ ٢٤، ٦٢، ٩٣، ١١٨، ١٢٣، ١٥٤، ١٨٦، ١٩٧، ٢٤١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٨٣، ٢٨٩، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣١٣، ٣٨٩، ٤٠٦، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٦، ٤٣٩، ٤٨٨، ٦٠٥، ٦١٧، ٦٢١، ٦٢٧، ٦٣٤، ٦٣٧، ٦٥٥، ٦٨٦، ٧٠٢، ٤/ ٩٢، ١٠٧، ١١٧، ١٨٢، ٢٢٧، ٢٢٩، ٣٣٣، ٤٤٠، ٤٤٤، ٤٥١، ، ٥٢٥، ٥٦٥، ٦١٨، ٦٤١، ٦٤٧، ٦٨٤، ٧٠٢، ٧٠٨، ٥/ ١٣، ٢٧، ٩٥، ١٠١، ١٣٢، ٢٠٩، ٢١٠، ٣٩٨، ٤٥٠، ٧٤٦، ٧٥٢، ٧٥٦، ٦/ ٧٧، ٢٢١، ٢٦١، ٣٥٩، ٣٩٤، ٤٤٠، ٥٢٢، ٧/ ٥١،

٥٥، ١٢٠، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٣، ١٦٧، ٢٠٢، ٢١٦، ٢١٨، ٢٤٩، ٢٥٧، ٣٥٤، ٤٥٩، ٤٦٠، ٥٨٥، ٥٩٩، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٤٥، ٦٥٨، ٨/ ١٤٧، ٢٠٥، ٢٧٢، ٣٨٠، ٣٩٣، ٣٩٩، ٤١٢، ٤٢٢، ٥٦٢، ٦٣١، ٦٨٤، ٦٨٧، ٦٩٩، ٧٥٨، ٩/ ٨، ٥٦، ٨٠، ١٧٨، ٢٠٨، ٢٧٧، ٣٤٢، ٤٧٣، ٥٢٣، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٤٧، ٥٥١، ٥٥٧، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٤، ٦٠٣، ٦٨٦، ٧٠٤، ٧٣٨، ٧٤٨، ١٠/ ٦٦، ٩٩، ١٠٥، ١١٠، ١٤٠، ١٥٧، ١٦٩، ١٨٧، ١٩٨، ٢٢٠، ٢٢٦، ٣٨٩، ٣٩٤، ٤٠٣، ٤٢٠.

عبد الله بن عمر بن عبد العزيز: ١٠/ (١٠٤).

عبد الله بن عمرو المزني: ٥/ (٦٦).

عبد الله بن عمرو بن العاص: ١/ ١٤٣، ١٤٩، ١٦١، ٢/ ٤٠١، ٣/ ٤٦٥، ٤٧٨، ٤٨١، ٥٢٧، ٦٥٨، ٤/ ١٨٠، ٤١٠، ٤٤٧، ٤٦٦، ٥/ ٦٠٥، ٦٧٢، ٦/ ٩٩، ٢٢١، ٤٠٥، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٧٩،، ٧/ ٣٦، ٣٢٢، ٤٥٩، ٨/ ٦٥٢، ٩/ ١٧١، ٢٥٦، ٣١٤، ٤٠٦، ٤٠٧، ٧٠٣، ١٠/ ٩٤، ١٦٩.

عبد الله بن عمير: ٢/ ٧١٨.

عبد الله بن عون: ٤/ (٨٥)، ٥/ ٥٠٤، ٩/ ٣٨١.

عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة: ٤/ (١١٧)، ٧/ ٢٢١.

عبد الله بن فيروز الديلمي: ٣/ (٣٧).

عبد الله بن قسيط المكي: ٥/ ١٣٩.

عبد الله بن قيس: ٦/ ٣٧٦.

عبد الله بن قيس الرقيات: ٣/ (١٨٠)، ٤/ ٣٥٧، ٤٢٦، ٨/ ٣٢٩، ١٠/ ٢٤٩.

عبد الله بن كعب: ٦/ ٣٠٧.

عبد الله بن محمد بن علي: ٤/ ٥٧٤.

عبد الله بن محيريز: ٣/ (٢٧١).

عبد الله بن مسلم: ٦/ (١١٣)، ٦/ ٣٣٢، ٤٠٦، ٧/ ٣٣٩، ٦٧٤، ٧٣٣، ٨/ ٢٣٤، ٩/ ٦٩٤.

عبد الله بن مسلم بن يسار: ٧/ ١٦٩.

عبد الله بن مطيع: ٧/ (٣٨٤).

عبد الله بن مظعون: ٣/ (٦١٦).

عبد الله بن مغفل المزني: ٢/ ٢١٨، ٥/ (٦٥)، ٩/ ٢٨.

عبد الله بن نافع المدني: ١/ (٢٦٢).

عبد الله بن يزيد: ٣/ (٩)، ٤/ ٩٩، ١٠٦، ٦/ (٦٧٢)، ٩/ ١٩٩.

عبد الله بن يزيد الخطمي: ٤/ ١١٧.

عبد المطلب بن عبد مناف: ١/ ٧٠١، ٣/ ٦٧٥، ٥/ ٥٩٤، ٧/ ٣٨٩، ٨/ ٢٤٦، ٥٦٧، ١٠/ ٣٨٠.

عبد الملك بن الماجشون: ٩/ ٥٨١.

عبد الملك بن حبيب: ٤/ ١٥٨، ٦/ ٧٠٢.

عبد الملك بن مروان: ١/ (١٨٤)، ٢٢٩، ٢/ ٦١٧، ٤/ ١٣٣، ٥٦٥، ٦٩٣، ٥/ ٥٨١، ٦/ ٥٩٩،، ٧/ ١٨٣، ٣١٩، ١٠/ ١٤.

عبد الملك بن ميسرة: ٤/ (١٩٧).

عبد الملك بن يعلى: ١/ (٦٥٩).

عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان المقرئ = الرواي عن أبي عمرو بن العلاء: ١/ (٢٣١)،

٣١٥، ٧٤٥، ٣/ ٢٥٥، ٤/ ٤٦، ٣٧٣، ٩/ ٤١، ١٩٤، ٦٩٨.
عبد الوارث بن سفيان: ٢/ (٩٤).
عبد الوهاب المالكي القاضي: ٢/ (٧٤)، ٥٢٨، ٣/ ٤٤٣، ٤/ ١١٨، ٥/ ١٠.
عبد الوهاب عن أبي عمرو: ٥/ ٥٦٧، ٧/ ٢٨٥.
عبد بن حميد: ٤/ ٦٢٨، ٦/ ١٥٠، ٨/ ٤٣٠.
عبد مناف ابن ربع: ٩/ ٧٢٧.
عبد ياليل الثقفي: ٤/ (٦٨٠)، ٨/ ٥١٥.
عبدة بن أبي لبابة: ٢/ (١٧١)، ٤/ (٦١٧).
عبدة بن الطيب: ٦/ ٥٨.
عبدة بنت عبد العزيز: ٩/ ٤٩٩.
عبيد الله بن أبي جعفر: ٨/ (٥١٣).
عبيد الله بن الحسن العنبري: ٥/ ١٥، ١٠/ ٩٥.
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: ٢/ (٨٠)، ٧/ ٢٥٥.
عبيد الله بن عَدِيٍّ بن الخِيَار: ١/ (٢٩٧)، ٢/ ٦٦٤.
عبيد الله بن موسى: ٧/ (٢٦٩).
عبيد بن الأبرص: ٢/ ٣٤٨، ٣/ ٧٢٢، ٤/ ٢٠١، ٥٨٨، ٥/ ٦١، ٥٢٥، ٦/ ١٣٢، ٧/ ١١٣.
عبيد بن عمير: ١/ (٢٧١)، ٣٧٣، ٥٢٠، ٥٦٤، ٢/ ١١، ٥٢٠، ٣/ ١٢٣، ٤٠٨، ٤٦٠، ٤٧٣، ٦٤٧، ٥/ ٢٩٨، ٣١٧، ٧٤٧، ٦/ ٩٩، ٣٢٢، ٣٤٤، ٤٥٩، ٥٠٦، ٧/ ٢٧١، ٢٧٢، ٣٥٦، ٤١٤، ٨/ ٢٧١، ٢٧٩، ٣٢٤، ٤٢٥، ٩/ ١٥٧، ٥٧٤، ٥٨٠، ٧١٨، ١٠/ ٢٩٠، ٣٥٤.
عبيد بن نضلة: ٦/ (٧٦).
عبيد عن أبي عمر: ٩/ ١٦٠.
عبيدة السلماني: ١/ (٤٤٨)، ٤٥١، ٤٥٢، ٦٧٥، ٧٠٣، ٢/ ٣٤، ٢١٦، ٣/ ٢٩، ٣٤، ٩٩، ١٠١، ٣٢٨، ٣٢٩، ٦٦٠، ٤/ ٦٣٣، ٧/ ٢١٧، ٨/ ٥٥.
عبيدة بن الحارث: ٤/ (٥٢٨)، ٧/ ٢٧، ٨/ ٣٩٨.
عتاب بن أسيد: ٢/ (٢٥٠)، ٢٥١، ٤/ ٦٤٩، ٦٥٠، ٩/ ١٢٠.
عتبة بن أبي سفيان: ١٠/ ٣٢٣، ٣٦٣.
عتبة بن أبي لهب: ١٠/ ١٣٦.
عتبة بن ربيعة: ٤/ ٦٦٣، ٦/ ٢٨٥، ٧/ ٢٧، ٢٦٧، ٨/ ٣٩٨، ٤٩٣، ٥٤٠، ٦١٩، ٩/ ٦٢٩، ١٠/ ١٢٩.
عتبة بن عبد = أبو الوليد السلمي: ٥/ (٦١٠).
عثمان البتي: ٣/ (٣٢٩)، ٥٠٢، ٩/ ٣٠٤.
عثمان بن أبي سودة: ٩/ (٣٥١).
عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري: ٣/ (٥)، (١٩٨)، ١٩٩، ٤/ ٦٧٣، ٦٧٤.
عثمان بن عاصم = أبو حصين: ٧/ (٣٨٠).
عثمان بن عبد الله بن المغيرة: ٢/ (٧)، ٨.
عثمان بن عبد الله بن سراقة: ٩/ (٣٤٧).
عثمان بن عفان: ١/ ١٤٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ٢٠٠، ٢٣٠، ٤٢٣،

٤٦٣، ٤٦٥، ٥٢٨، ٦١٣، ٦٨٦، ٢/ ٢٨، ٥٢، ٥٣، ٥٦، ٦٦، ٧٠، ١٢٨، ٢٠٣، ٤٨٥، ٥٤٦، ٦٦٣، ٦٦٤، ٣/ ٩٢، ١٢٥، ١٦١، ٢٨٨، ٣٦٦، ٥٠١، ٥٧٩، ٦٣٦، ٦٣٨، ٤/ ٧٥، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٦٣، ٣٠٠، ٥٤٢، ٥٧٢، ٥٧٣، ٦٤٢، ٦٤٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٥/ ٤٣، ١٢١، ١٢٢، ١٦١، ١٦٩، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٩٥، ٤١٢، ٤٥٧، ٤٧٧، ٥٧٧، ٥٨٤، ٧٢٤، ٦/ ٨٧، ١٢٥، ١٨١، ٢٣٦، ٣٤١، ٣٦٨، ٤٢٧، ٤٧١، ٥٦٠، ٧٢٧، ٧/ ٥٤، ١٥٨، ١٦١، ٢٠٠، ٢٤٧، ٢٤٨، ٦١٤، ٦٦٤، ٧٠٢، ٨/ ١٥٦، ٣٠٥، ٣٩٥، ٤١٩، ٤٥٠، ٥٣٣، ٦٥٥، ٩/ ٥٦، ٦٦، ٦٧، ٧٣، ١٤٥، ١٩٣، ٢٥٨، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٩٥، ٤٧٤، ٥٢٧، ٥٣٢، ٥٦١، ٧٢٣، ١٠/ ٣٩، ١٥٧، ٢٥٣.

عثمان بن مظعون: ٣/ ٥٩٨، (٦١٦)، ٥/ ٧٥٦، ٦/ ١٠٠، ١٦٩، ٧/ ٧٥، ٨/ ١٨٧، ٦٣٩، ٧٢٨، ٩/ ٢٥٧.

عثيل بن ضدس بن عاد الأكبر: ٤/ ٣٠٦.

العجَّاج: ١/ (١٩٧)، ٣٦١، ٤٣٤، ٢/ ١٥، ٣/ ٨، ٣٤٤، ٥/ ١٠٢، ٣٩٥، ٦/ ٢٦٤، ٧/ ٦١٥، ٧٢٤، ٩/ ١٥٥، ٧١١.

عدي بن الرقاع: ٢/ (١٥٨).

عدي بن العبادي: ٧/ ٣١٢.

عدي بن بداء: ٣/ ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩.

عدي بن ثابت: ٣/ (٤٧٨)، ٧/ ١٩٨.

عديُّ بن حاتم: ١/ (٢٥٦)، ٦١٨، ٦٨٥، ٦٨٦، ٢/ ٣٣٤، ٣/ ٤٢١، ٤٢٣، ٤/ ٦٩٧، ٩/ ٣٨.

عدي بن زيد: ١/ (٣٤٢)، ٢/ ٢٥٨، (٢٩٥)، ٤٥٨، ٣/ ٣٦٧، ٥/ ٢٠، ٣٥٤، ٤٢٢، ٤٧٨، ٦/ ٢٩٠، ٧/ ٦٧، ٨/ ٨١، ٢٦٧، ٦١٤، ٧٢٨، ٩/ ٣٥٥، ١٠/ ٣٥٦.

عدي بن عدي: ٤/ ٤٩٥.

العرباض بن سارية: ٥/ (٦٥).

العرزمي: ١/ (٢٢٠).

عروة بن الزبير: ١/ ٦١١، (٧٠٧)، ٧١٠، ٧١٢، ٢/ ١٤، ٤٥، ٦١، ٦٤، ٣٢٤، ٥٩٥، ٣/ ٣٣، ٩٩، ٤٨٨، ٤٩٦، ٥٢٨، ٤/ ٢٣٥، ٤٧٦، ٥١٤، ٥٦٥، ٥٧٦، ٥/ ٢٦٣، ٣١١، ٧٥٤، ٦/ ١٥١، ١٨٥، ٦٥٢، ٧/ ١٨٣، ١٨٥، ١٨٧، ٨/ ٣٤، ٢٦٥، ١٠/ ٣٥، ١٥٧، ٢٩٤، ٤١٠.

عروة بن الورد: ٢/ (١٤٤)، ٥/ ٤١٣.

عروة بن مسعود: ٥/ ٣٩، ٨/ ٦١٩، ٩/ ٧٣، ٥٠٥.

العريان بن أبي سفيان: ١/ (٢٤٨).

عزرة بن ثابت: ١/ (٦٥٨).

عصمة بن عروة: ٣/ (٣٦٦)، ٤/ ٢٦٧، ٤٢٨، ٥٨٠، ٥٨٨، ٦٧٧، ٧/ ٣١١، ٩/ ٢٦٨، ٥٧٢.

عطاء بن أبي رباح: ١/ ٤٢١، ٤٧٢، ٥٠٣، ٥٢٠، ٥٣٥، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٨٧، ٦٠٥، ٦١١، ٦١٦، ٦٢٥، ٦٦٣، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٨، ٦٨٦، ٧٠٢، ٧٠٩، ٧١١، ٧١٢، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢٢، ٧٢٣،

٧٢٤، ٧٢٧، ٧٣١، ٧٣٣، ٧٣٨، ٢/ ٦، ١٠، ١٢، ٢٨، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٣، ٦٢، ٦٤، ٦٦، ٧٩، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٩، ١١٣، ١٢١، ١٢٣، ١٤٠، ١٩٠، ١٩١، ١٩٧، ٢١٦، ٢٥٧، ٢٦٣، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٧٧، ٣٠١، ٣٠٢، ٤٢٧، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢٢، ٥٢٩، ٣/ ٢٩، ٣٠، ٥٢، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٩، ١٠٢، ١٣٧، ١٦٤، ١٨٧، ٢٤٢، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٨، ٣١٣، ٣٢١، ٣٩٢، ٣٩٥، ٤١٤، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٣٦، ٤٤٠، ٥٠٤، ٦٠٥، ٦٢٣، ٦٣٠، ٦٣٢، ٦٣٨، ٦٣٩، ٤/ ١١٤، ١٤٩، ٤٩٠، ٤٩٤، ٥٤٢، ٥٤٦، ٥٤٩، ٥٩٧، ٦٤٩، ٦٥٤، ٦٦٤، ٦٨٤، ٥/ ٣٦، ٤٥، ٩٩، ١١٧، ٤٠٠، ٥٣٥، ٦/ ١١٠، ٢٥٩، ٣٤٨، ٤٧٩، ٥٢١، ٧/ ٢٨، ٥١، ٥٤، ١٥٩، ١٦١، ١٦٧، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢١٦، ٢٥٧، ٤٤٠، ٤٨٨، ٥٩٦، ٦٧٠، ٦٩٨، ٧٢٣، ٨/ ١٩٨، ٢٧١، ٢٨٧، ٣٣٧، ٥٢٧، ٦٣٢، ٦٧٦، ٩/ ٨، ٧٩، ٨٧، ١١٠، ١٥٦، ٢٢٨، ٣٠٥، ٣٦٠، ٤٤٠، ٥٠٩، ٥٤٣، ٥٤٩، ٥٥٥، ٥٧١، ٥٨٢، ١٠/ ١٩، ٥٨، ٨٣، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ٣٠٩، ٤١١.

عطاء بن أبي مسلم الخراساني: ١/ (٢٢١)، ٦٧٩، ٦٨٠، ٣/ ٧٥، ٤/ ١٢٧، ٦/ ٤٢، ٩٣، ٨/ ٣٢٨، ٧٦٢، ٩/ ٤٩، ٧٩، ٣٠٥، ٤٩١، ١٠/ ١٧٢.

عطاء بن السائب: ٢/ (٦٣٨)، ٣/ ٣٥١، ٤/ ٥٦٨.

عطاء بن دينار: ٢/ (١٥٦)، ٣/ ٧٣٠.

عطاء بن يسار: ١/ (٢٢٤)، ٤٦٤، ٤/ ٦٥٣، ٥/ ٦٦٥، ٧/ ٣٩٤، ٤٥٢، ٧٠١، ٨/ ٤١١، ٩/ ٦١٧، ١٠/ ٣٦، ٣٣٥، ٣٨٩.

عطية العوفي: ١/ (٣٦٦)، ٣/ ١١٣، ١٨١، ٥٣٩، ٦٨٤، ٤/ ٩٥، ١١٥، ٥١٩، ٨/ ١٥٩، ٩/ ٨٦، ٤٤٥، ٤٩٥، ٥٣٥، ١٠/ ١٦، ٢٤٥.

عطية بن الحارث = أبو روق: ٧/ (٥١٨).

عطية بن سعد: ٢/ (١٤١)، ٨/ ٦٠٠.

عفراء: ٤/ ٢٩٠،، ٤/ ٥٢٨.

عقبة بن أبي معيط: ٤/ ٥٤٩، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦/ ٢٧٦، ٣١٢، ٣١٣، ٧/ ٢٨٧، ٨/ ٣٠٧.

عقبة بن عامر: ١/ (١٤٨)، ٣/ ٣٨١، ٧٥٧، ٤/ ٦٠٩،، ٥/ ٦٥٣، ٦/ ٤٣٥، ٧/ ٢٦٢، ٨/ ٢١٧، ٩/ ٣٨٨، ٦٨٥، ١٠/ ١٧٠.

عقبة بن عثمان: ٢/ (٦٦٣).

عقبة بن عمرو: ٢/ (٣٠٣)، ٥/ ١٠٧.

عقيل بن أبي طالب: ١/ ٤٧٨، ٦٥٢، ٦٥٧، ٣/ ٢٧٣، ٦/ ٣٤١.

عكاشة بن محصن: ٣/ (٦٤٤)، ٤/ ٧٤١.

عكرمة بن أبي جهل: ٨/ ٤٨، ٩/ ٧١، ١٠٨.

عكرمة بن سليمان: ٨/ ٤٠١.

عكرمة بن عمار: ٨/ (٤٠٩).

عكرمة بن هارون: ٥/ ١٢٥.

عكرمـةُ مولى ابن عباس: ١/ (١٦٢)، ٣٢٨، ٤١٤، ٤٣٤، ٤٤٥، ٤٤٨، ٤٦١، ٤٩٧،

٦١٤، ٦٣١، ٦٣٨، ٦٥٣، ٦٦٨، ٦٧١،
٦٨٤، ٦٨٩، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧١٢، ٧١٦،
٧٢٦، ٧٣٨، ٧٤٧، ٧٥١، ٧٥٤، ٢/ ١٠،
٣٤، ٣٧، ٥٤، ٥٨، ٦٦، ٦٨، ٧٨، ٨٩،
١٠٤، ١٠٩، ١١٧، ١٤١، ١٧٧، ١٧٨،
١٨٥، ١٩٧، ١٩٨، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٧٨،
٢٨٩، ٣١٨، ٣٤٦، ٣٦٨، ٣٨٦، ٣٩٩،
٤٠٣، ٤٢٦، ٤٣٠، ٤٤٢، ٤٥٠، ٤٧٤،
٤٩٥، ٤٩٦، ٥٠١، ٥٠٢، ٥١٢، ٥٢٤،
٥٥٣، ٥٩١، ٥٩٤، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠،
٦٦٢، ٦٧٦، ٦٧٨، ٧١٩، ٣/ ١٦، ٢٢، ٢٩،
٣٢، ٦٦، ٧١، ٧٣، ٧٦، ٨٣، ١٤١، ١٨٠،
١٨٧، ١٨٨، ١٩٣، ٢٠١، ٢٣٨، ٢٤٧،
٢٥٣، ٢٥٦، ٢٧٣، ٢٧٩، ٣٠٤، ٣١٦،
٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٤، ٣٧٣، ٣٩٤، ٤١٧،
٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٨، ٤٣١، ٤٤١، ٤٨٨،
٥١٦، ٥٤٠، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٩٨،
٥٩٩، ٦٦١، ٧٢٦، ٧٥٨، ٤/ ١٢، ١٨،
٥١، ٥٩، ٦٠، ٧٥، ٧٧، ١٠٨، ١١٨، ١٢١،
١٢٢، ١٤٢، ١٤٦، ٢٠٤، ٢٦٠، ٢٧٥،
٣٥١، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٦٩، ٤٩٠، ٤٩٠،
٤٩٢، ٥٠٥، ٥١٤، ٥١٩، ٥٤٤، ٥٥٤،
٥٦١، ٦٠٨، ٦١٢، ٦١٥، ٦٥٣، ٦٥٨،
٦٨٥، ٦٩١، ٧٠٢، ٧٢٤، ٥/ ٧، ١٦، ٢٠،
٤٠، ٥٦، ٨٩، ٢٥٨، ٢٧٦، ٣٠٤، ٣١٨،
٣٦٣، ٣٦٤، ٤٣١، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٥٩،
٤٦٧، ٤٨٣، ٥٣١، ٥٤٨، ٥٧٦، ٥٨٥،
٥٨٨، ٦٠٩، ٦١٣، ٦٢٤، ٦٢٧، ٦٥٨،
٦٥٩، ٦٨٧، ٧٥٠، ٧٥٢، ٧٥٤، ٦/ ١٢،
١٨، ٣٦، ٦١، ١١٢، ١٢٣، ١٨٨، ١٨٩،
٢١٤، ٢٤٤، ٢٩٣، ٣١٥، ٣١٩، ٣٤١،
٣٤٨، ٣٩٣، ٤٣٢، ٤٤٥، ٤٤٦، ٥٣٥،
٥٧٨، ٦٨٦، ٧١٩، ٧/ ٢٨، ٣٨، ٤٠، ٦٣،
٧٨، ١٢٦، ١٥٩، ١٦١، ١٦٣، ١٦٧، ٢٠١،
٢٢٧، ٢٢٩، ٢٧٥، ٢٩٤، ٣٠١، ٣٢٢،
٣٨٧، ٣٩١، ٣٩٣، ٤٠٣، ٤١٦، ٤٢٣،
٤٦١، ٤٦٨، ٥٠٠، ٥٩٤، ٦٠٥، ٦١٨،
٦٢٠، ٦٢٥، ٦٢٩، ٦٥٧، ٦٨٢، ٦٨٨،
٦٩٠، ٧٥١، ٨/ ١٠، ١٣، ٤٠، ٥٠، ٥٤،
٥٧، ٦١، ١٥٧، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٤،
١٩٨، ٢١٤، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٨١، ٢٨٣،
٣٧٤، ٣٩٧، ٥٠١، ٥٢٥، ٦٠٠، ٦٤٠،
٦٤٥، ٦٥٧، ٦٦٢، ٦٦٧، ٦٧٢، ٦٨٨،
٧٠٩، ٧٢٥، ٧٢٨، ٧٢٨، ٧٥٤، ٩/ ٦٣،
١٢٨، ١٤٢، ١٥١، ١٧٣، ١٧٥، ٢٠٥،
٢١٣، ٢٤٠، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٩٩، ٣١٩،
٣٢٩، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٤، ٣٦٨، ٣٧٢،
٣٧٧، ٣٧٨، ٤١٨، ٤٢٨، ٤٦٠، ٤٩٦،
٥٠١، ٥٢٣، ٥٣٥، ٥٥٤، ٥٨٠، ٥٨٦،
٥٨٧، ٦٥٤، ٦٦٥، ٦٧٧، ٦٧٨، ٧١٥،
٧١٦، ٧٢١، ٧٣٤، ١٠/ ٨، ١٠، ٢٥، ٣٣،
٣٦، ٥١، ٨٢، ٩١، ٩٦، ١٠٥، ١٠٩، ١١٢،
١١٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٥١، ١٦٦، ١٧٢،
١٨١، ١٩٦، ١٩٧، ٢١٤، ٢٣٢، ٢٣٤،
٢٤٤، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٦٢، ٢٦٧، ٢٨٨،
٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣٣٢،
٣٥٠، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٨١، ٣٨٥،
٣٩٦، ٤٠٣.

العلاء بن جارية الثقفي: ٥/ ٩.
العلاء بن زياد: ٩/ (٥٨٧).
العلاء بن سيابة: ٥/ (٤١٨).
علباء بن أحمر اليشكري: ٢/ (٤٤٦)، ٤/ ٧٠٠.
علقمة المقرئ: ٢/ ١٠٤، ١٥٨، ٣/ ٢٣، ٤٤٢، ٥٦٠، ٥٦٤، ٧٥٢، ٤/ ٦٨٥، ٥/ ٣٩٣، ٤٩٥، ٥٥٥، ٦/ ٨٨، ٢٦٧، ٣٩٦، ٤٩٠، ٧/ ٢٧، ٢٧٦، ٣١٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٨/ ٩١، ٥٧١، ٦١١، ٩/ ١١٠، ٦٠٤، ٧١٢.
علقمة بن الفغواء: ٣/ ٤٣٣.
علقمة بن عبدة: ١/ (٣١٠)، ٦١٩، ٣/ ١٤٤، ٤/ ٢٦٤، ٥/ ٢٦٥، ٦/ ٥٥، ٧/ ٤٨١، ٩/ ٢٠٠، ٣١١، ٦٧٤، ١٠/ ٢٧٩، ٣٨١.
علقمة بن قرط: ١٠/ ١٥٥.
علقمة بن قيس: ١/ (١٦١)، ٦٦٩، ٧٠٥، ٧٠٧، ٧١٢، ٧١٣، ٢/ (٣٠٨)، ٣٠٩، ٤٠٦، ٣/ ١٠١، ٣٥٠، ٣٨٦، ٥/ ٦٨٧، ٦/ ٤٨٩، ٨/ ٩١، ١٠/ ٢٩، ١٠١، ١٧٨، ٢٨٦.
علوان بن قيس: ١٠/ ١٥٦.
علي الأثرم: ١/ (١٤٨)، ٩/ ١٤٠.
علي بن أبي رفاعة: ٧/ ٥١٦.
علي بن أبي طالب: ١/ ١٥٦، ١٥٨، ١٦٠، ١٦١، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٨، ٢٤٩، ٢٦٠، ٢٦٧، ٣١١، ٣١٢، ٣٥٩، ٤٠٩، ٤٦١، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٧، ٥٩٧، ٦٢٩، ٦٣٦، ٦٤٩، ٦٧٥، ٦٨٧، ٧٠٦، ٧١٢، ٧١٧، ٧٣٥، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٤٩، ٢/ ٦، ١٢، ١٣، ٤٩، ٥٢، ٥٣، ٥٦، ٨٤، ٨٥، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٩، ١١١، ١١٢، ١٣٩، ١٤٣، ١٤٤، ١٧٢، ٢٠٣، ٢١٦، ٢٢١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٣٠٣، ٣٣٨، ٤٤٦، ٤٨٦، ٤٩٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥٢٣، ٥٤٠، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣٨، ٦٤٤، ٦٤٧، ٦٦٢، ٦٦٧، ٦٨٦، ٧٤٣، ٣/ ٤٤، ٥٠، ٦١، ٨٩، ٩٠، ٩٣، ١٠٣، ١٢٣، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٤، ١٥٩، ١٦٣، ١٩٨، ٢٥٥، ٢٨٧، ٣٤٥، ٤٠٨، ٤٢٨، ٤٣١، ٤٩٣، ٤٩٦، ٥٠١، ٥٠٤، ٥١٥، ٥٣٣، ٥٥١، ٥٩٨، ٦١٣، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٤٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٨٠، ٦٩٤، ٧٤٣، ٤/ ٢٤، ٦٠، ١١١، ١٥١، ١٦٨، ١٨٢، ٢٦٣، ٣٠٠، ٣٠٦، ٣٥٩، ٣٧٨، ٣٨٩، ٤٠٣، ٤٠٥، ٥١١، ٥٣٧، ٥٣٩، ٥٤٦، ٥٦٩، ٥٧٢، ٦٤٢، ٦٤٧، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٧٣، ٦٧٤، ٧٠٢، ٥/ ٩٩، ١٥٦، ١٧٧، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٨، ٣٠٤، ٣١١، ٣١٩، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤٨، ٤٨٦، ٥٢٧، ٥٣١، ٥٥٥، ٥٧٧، ٥٨٨، ٥٩١، ٥٩٥، ٦١٣، ٦١٧، ٦٢٢، ٦٢٤، ٦٢٧، ٦٦٤، ٦٧٤، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٧، ٦٨٨، ٧٢٣، ٧٤٦، ٦/ ١٧، ٤٤، ٤٨، ٧٨، ١٠٠، ١٠٩، ١٥٨، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٨، ١٧٣، ١٧٤، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٦٨، ٣٩٧، ٤٢٣، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٦،

٤٦٧، ٤٧٢، ٥٣٩، ٥٥٣، ٥٦١، ٦٣١، ٦٦٢، ٧٢٥، ٧٢٧، ٧/ ١٤، ٢٧، ٤٩، ٥٤، ٦١، ١٢٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٦١، ١٦٦، ٢٠٥، ٢١٧، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٧٩، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٢٧، ٣٨٩، ٣٩٥، ٥٢١، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٨١، ٥٩٧، ٦٠٦، ٦١٥، ٦٤٢، ٦٤٩، ٦٩٣، ٦٩٤، ٧٠١، ٧٤٨، ٨/ ١٣، ٢٨، ٦١، ١٦١، ١٨٠، ١٨٩، ٢٠٩، ٢٣٧، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣١٧، ٣٢١، ٣٣١، ٣٣٤، ٣٤٧، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٨، ٤٠١، ٤١٢، ٤٧٠، ٤٨٧، ٥٢٠، ٥٤٨، ٥٦٧، ٥٧٨، ٥٨٢، ٦٠٦، ٦١٢، ٦٣٠، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٨، ٦٥٢، ٦٥٥، ٦٦٥، ٦٧٥، ٧٢٥، ٧٣٥، ٧٣٧، ٩/ ١٨، ٢٩، ٧٨، ٨٠، ٩٠، ١٠٦، ١٤٣، ١٦٣، ١٦٩، ١٧٠، ١٩٢، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٢٠، ٢٢٨، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٨٤، ٢٩٢، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٦٠، ٣٨٢، ٣٨٣، ٤١٩، ٤٥١، ٤٨١، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٥٢٩، ٥٦٦، ٥٧١، ٥٨٧، ٦٥٣، ٦٥٨، ٦٦٢، ٧٢٩، ١٠/ ٢٢، ٥١، ٦٠، ٨٠، ١٠٤، ١١١، ١١٤، ١١٨، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٧٩، ١٨٠، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٢٠، ٢٤٠، ٢٥٩، ٢٦٨، ٢٧٤، ٢٨٦، ٣٣٩، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦٧، ٣٧٢، ٣٧٨، ٣٨٩، ٣٩٥.

علي بن أبي طلحة: ١/ (١٦٣).

علي بن الأقمر: ٧/ (٥٩٨).

علي بن الحسين: ١/ (٢٠٩)، ٢٢٣، ٣١٤، ٤/ ٢٣٢، ٤٩٠، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥/ ١٢٥، ١٣٣، ٢٦٢، ٦١٣، ٦/ ١٨٨، ٤٧١، ٧/ ٤٠٨، ٤٦٧، ٨/ ٢٠، ٣٤، ٨٩، ١٩٤، ٥٦٧، ٩/ ٤٧٤، ٥٦١، ٧١٥، ٧٣٨.

علي بن أمية بن خلف: ٣/ ٢٧٣، ٤/ ٥٩٤.

علي بن زياد: ٣/ (١٠٦).

علي بن سليمان: ١/ ٤٢٢، ٥/ ٢٣٧، ٧/ ٨، ٨/ ٢٣٨، ٩/ ١٠٩، ٥٤١.

علي بن صالح بن حي: ٤/ (٤٩٣)، ٦/ ٥٢٣.

علي بن كبشة = الراوي عن حمزة المقرئ: ٣/ ١٣٠.

علي بن مهدي الطبري: ٨/ ٧٦٢.

علي بن نصر: ٤/ ٢٤، ٦/ ٥٢٨، ٧/ ٥٩٢، ٨/ ٣٢٦.

عمار بن ياسر: ١/ (٣٢٩)، ٥٣٠، ٢/ ٣٧١، ٣/ ١٧٣، ١٧٥، ٢٠١، ٢٠٢، ٢١٢، ٦٨٥، ٤/ ٧، ١٢١، ٥٣٧، ٥/ ٢٧، ٩١، ٦٠٣، ٦/ ٤٧، ١١٦، ١١٧، ١٢٣، ١٩٠، ٣٥٧، ٣٦٩، ٧/ ١٤٥، ٣٦٧، ٥٥٠، ٨/ ١١، ٣٥٣، ٥٣٣، ٧٣١، ٩/ ٥٣٠، ١٠/ ٧٩.

عمارة المقرئ: ٨/ ١٩٩.

عمارة بن الوليد: ١/ (١٨٩).

عمارة بن ضبا: ٥/ ١٠٠.

عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير: ١/ (٦٢٠).

عمر بن أبي ربيعة: ٢/ (٤٠٨)، ٣/ ٣٧٤، ٤/ ٦٥٩، ٦/ ٣٣٠.

عمـر بـن الخطـاب: ١/ ١٤٤، ١٥١، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨، ١٨١، ١٨٢، ١٨٩، ٢١١، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٨، ٢٩٥، ٤٠٩، ٤٨٠، ٤٨٣، ٤٩٦، ٥٠٠، ٥٢٠، ٥٣٥، ٥٤٣، ٥٥٧، ٥٨٨، ٥٩٦، ٦٠٦، ٦٦٦، ٦٨٢، ٧١٥، ٧٣٧، ٧٤٩، ٢/ ١٢، ١٧، ١٨، ٢٣، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٥٢، ٥٦، ٥٨، ٦٦، ٧٨، ٧٩، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ١٢٥، ١٦٩، ٢١٣، ٢٦٠، ٢٧٧، ٢٧٨، ٣٠٨، ٣٣٩، ٣٧٥، ٤٠٠، ٤٥٥، ٥٠٤، ٥٠٩، ٥١٤، ٥٢٢، ٥٧٣، ٦٠٥، ٦١١، ٦١٩، ٦٣٠، ٦٥٥، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٤، ٦٨١، ٦٨٢، ٧٣٨، ٧٤٢، ٣/ ٢٩، ٣١، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٦١، ٧٨، ٧٩، ٩٩، ١٥٩، ١٦٧، ١٨٩، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٥، ٢١١، ٢١٢، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٢٦، ٣٣٣، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٩٣، ٤١٤، ٤١٦، ٤١٧، ٤٢٩، ٤٣٢، ٤٤٥، ٤٥٢، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٣٦، ٥٤٨، ٥٧٢، ٥٨٠، ٦١٢، ٦١٧، ٦١٨، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٤، ٦٢٧، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٤٤، ٦٥٣، ٦٩٤، ٧٢١، ٤/ ٧، ٥٩، ١٢١، ١٢٦، ١٢٨، ٢٦٦، ٤٣٦، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٩٧، ٥٢٤، ٥٤١، ٥٦٩، ٥٧٢، ٥٧٤، ٦١٨، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣١، ٦٣٤، ٦٤٧، ٦٤٩، ٦٦٠، ٦٧٤، ٦٨٩، ٧٠٣، ٧٠٩، ٧٤٣، ٥/ ١٠، ٣٨، ٤٣، ٤٧، ٤٩، ٥٥، ٥٨، ٧٥، ٧٦، ٧٩، ٩٢، ١١٤، ١٢٢، ١٢٧، ١٤١، ١٦١، ١٦٢، ١٨٩، ٢٠٨، ٢٣٥، ٣٢٦، ٣٩٦، ٤٣٣، ٤٦٠، ٥٤٥، ٥٧٠، ٥٧٧، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٦٤، ٦٨٢، ٦٨٧، ٧٤٦، ٧/ ٣٤، ٣٥، ٤٧، ٥٤، ٨٢، ٩٦، ٩٧، ١٠٠، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ٢٠١، ٢٠٢، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٨، ٢٤٧، ٢٦٦، ٣٠٠، ٣١١، ٣١٩، ٣٩٣، ٤٧٣، ٤٩٧، ٦٢٩، ٧٢١، ٧٢٢، ٨/ ٥، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٨٤، ١٠٥، ١٣٩، ١٤٧، ١٥٦، ٢٢١، ٢٩٧، ٣٢٦، ٣٢٩، ٤١١، ٤٣٥، ٤٣٦، ٥٢١، ٥٢٤، ٥٧٥، ٦١١، ٦٥٧، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧١٤، ٧٢٣، ٧٤٦، ٧٤٧، ٩/ ٣٠، ٣٤، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٥٦، ٦٣، ٦٦، ٦٧، ٨٣، ٩٠، ٩١، ٩٤، ٩٥، ٩٨، ٩٩، ١١٤، ١٦٣، ١٩٣، ٢٢٨، ٢٧٣، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٣٩، ٣٧٦، ٣٨٤، ٤١٥، ٤٢٧، ٤٣٢، ٤٥٥، ٤٦١، ٤٦٦، ٤٧٤، ٤٨٦، ٤٩٩، ٥٠٥، ٥٢٩، ٥٣٨، ٥٥٦، ٥٦٢، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٥، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٩٣، ٦٥١، ٧٠١، ٧٢٣، ٧٢٤، ١٠/ ١٢، ٢٩، ٥٨، ٦٧، ٨٥، ١١٠، ١١٨، ١٤٢، ١٤٩، ١٥٣، ١٦٠، ١٦٧، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ٢٢٧، ٢٣٢، ٣٠٥، ٣١١، ٣٢٦، ٣٣٠، ٣٦٩، ٤٠١، ٤٠٢، ٤١١.

عمر بن ذر الهمداني: ٥/ (٥٤٤).

عمر بن شبة: ١/ (٤١٣).

عمر بن عبد العزيز: ١/ ٢٣١، ٦٥٣، ٦٦٥،

٦٩٥، ٢/ ١٣، ٧٩، ٣٢٤، ٥٥٧، ٧٣٨، ٣/ ٢٨٦، ٣١٦، ٣٤٣، ٤٩٣، ٥٠١، ٥٣٦، ٤/ ٤٢٣، ٥٧٤، ٦٨٣، ٧٠٢، ٥/ ٤٤، ٥٢٤، ٦/ ٢٣٦، ٢٩٣، ٤٥٠، ٥٢٢، ٧/ ١٥٣، ١٥٤، ١٥٨، ٣١٩، ٤٧٦، ٦٠٣، ٨/ ١٨٠، ٢٧٣، ٦١٣، ٩/ ٨، ٩، ١٨٠، ٥٧٣، ٦٨٧، ١٠/ ١٩، ١٢٧، ١٥٧، ١٨٨، ١٩٠، ٣٦٦.

عمر بن كثير بن أفلح: ٣/ (٥٥٨).

عمر بن هبيرة: ٨/ (٢١١)، ٩/ (١٣٥).

عمر مولى غفرة: ٦/ (٤٣٢)، ٨/ ٦٦٢.

عمران القطان: ٢/ (٥٢٩).

عمران بن حدير: ٤/ (٦٤٣).

عمران بن حصين: ١/ (٧٠٣)، ٣/ ٥٨، ٥/ ٣٥، ٢٠٩، ٦/ (٤٣٢)، ٧/ ٩، ٨/ ٥٧٧، ١٠/ ٢٤٦.

عمران بن حطان: ٥/ (٣٣)، ٦٧٨.

عمران بن شداد: ٤/ ٣٣١.

عمران بن عيينة: ٤/ (٧٠٨).

عمرو (عمير) بن شييم القطامي: ١/ (٣٣٥)، ٣/ ٣٨٣، ٥/ ١٠٢، ٦/ ٦٩، ٢٩٠، ٦٧٣، ٧/ ٣٠٨، ٨/ ٤٥٧، ٦٧٢.

عمرو الثقفي: ٢/ ٣٨١.

عمرو بن أبي سلمة: ٧/ (٤٦).

عمرو بن الأهتم: ٩/ ٩٩.

عمرو بن الحضرمي: ١/ (٦٩٦)، ٦٩٧، ٢/ ٧، ٨، ١٤، ٤/ ٦٢٩.

عمرو بن العاص: ١/ ١٨٩، ٢/ ٤٠١، ٣/ ١٢٠، ٥٩٢، ٥/ ٤٤، ٧١٤، ٦/ ١٧٥، ٢٠٤، ٤٤٠، ٨/ ٥٣٧.

عمرو بن أمية الضمري: ٢/ (٨)، ٩، ٣/ ٤٤٩.

عمرو بن أوس: ٧/ (٥٣).

عمرو بن جحاش: ٣/ ٤٤٩.

عمرو بن جلهاء: ٤/ ٣٣٠.

عمرو بن جني التغلبي: ٧/ ٦٦٧.

عمرو بن حريث: ٨/ (٥٧٣).

عمرو بن حزم: ٣/ (٣٨٨)، ٩/ ٣٧٩.

عمرو بن دينار: ١/ (٦٦٨)، ٢/ ١٢٥، ٤/ ١٤٢، ٣٢٠، ٦١١، ٥/ ١١٥، ٧/ ٢١٦، ٧٤٧، ٨/ ٥٣٧، ٩/ ٥٥٤.

عمرو بن سالم: ٣/ (٨٧).

عمرو بن سالم الخزاعي: ٤/ ٦٦٧.

عمرو بن سعيد الأشدق: ٢/ (٦١٧)، ٤/ ١٣٣.

عمرو بن شعيب: ٢/ ٦٦، ٨/ ٥٦٧، ٩/ ٥٠٥.

عمرو بن شقيق: ٤/ (٧٣٩).

عمرو بن عبد الواحد: ٧/ (٤٧٥).

عمرو بن عبد ود: ٧/ ٧٤٨، ١٠/ ٢٦٨.

عمرو بن عبسة: ٤/ (٦١٠).

عمرو بن عبيد: ١/ ٢١١، ٢٥٩، ٢/ ٢٧٨، ٦٢٤، ٦٣٨، ٣/ ٣٦٦، ٧١٣، ٤/ ٤٥، ١٥١، ٦١٢، ٦٦٨، ٦٧٦، ٥٧٧، ٥/ ١٢٥، ٦٨٧، ٦/ ٣٦١، ٤٦٢، ٧/ ٥٧، ٤٠٤، ٨/ ١٨٧، ٢٧٧، ٤٠٤، ٥٠٢، ٥١٦، ٥٣٤، ٧١٢، ٧٤٢، ٧٦١، ٩/ ٨٦، ١٢٣، ٣٣٤، ٣٥٧، ٤٧٩، ١٠/ ٥٤، ٧٨، ١٢٤، ١٦١، ٢٠٥، ٤١٨.

عمرو بن عثمان المخزومي: ٧/ (١٦٥).
عمرو بن عفراء: ٤/ ٥٢٨.
عمرو بن عمير بن عوف: ٢/ ٢٥٠، ٤/ ٥٩٤.
عمرو بن غنمة: ٥/ (٦٦).
عمرو بن فائد: ١/ (٢٤٣)، ٢٥٤، ٥٧١، ٣/ ٣٤٨، ٤/ ٤٠٦، ٦٨٤، ٥/ ١٨٩، ٥٤٨، ٦/ ٢٩٩، ٣٦١، ٥٦٧، ٨/ ٥، ١٠٠.
عمرو بن قميئة: ١/ (٣٦٨).
عمرو بن قيس الملائي: ٦/ ٥٥٤.
عمرو بن كلثوم: ٧/ ٥٥، ٨/ ٤٠٧، ٩/ ٤٠٥.
عمرو بن لحي: ٣/ ٦٤٥، ٦٥٠، ٦/ ٦٥٤.
عمرو بن مسعود الأسدي: ٤/ ٣٠٤.
عمرو بن معدي كرب: ١/ ٢٩١، ٣٥٤، ٤/ ٥٤٢، ٦٠٧، ٦٠٨، ٧١٩، ٥/ ١٥٧، ٧/ ٦٨١، ٩/ ١٠، ١٠/ ٢٣٦، ٣٢١.
عمرو بن ميمون: ٢/ (٥٠٣)، ٤/ ٧١٥، ٦/ ١٣، ٤٨٩، ٤٩٣، ٧/ ٢٩٣، ٤٩٧، ٨/ ٢٩٠، ٥٣٦، ٦٨٥، ٧٢٥، ٧٥١، ٧٥٢، ٩/ ٤٦٤، ٥٧٢، ١٠/ ١٠١.
عمرو بن ميمون الأودي: ٤/ ٧٢٩.
عمير بن أبي وقاص: ٤/ (٤٩١).
عمير بن سعد: ١/ (٢٩٦)، ٥/ ٣٩.
عمير بن وهب: ٢/ (٦٢٥)، ٣/ ٤٥١، ٤/ ٥٩١.
عنترة: ٣/ ٤٩٧، ٤/ ٤٨٩، ٥٥٦، ٥/ ٣٠٩، ٦/ ٢٣٠، ٢٣٣، ٣٣١، ٤٢٢، ٤٤٩، ٦٤٥، ٧/ ١٩، ٥٢٦، ٥٤٠.
عوف بن أبي جميلة: ٥/ ١٦٩، ١٧٣، ٤٤٨.
عوف بن الأحوص: ٣/ (٣٩٣)، (٦٤١)، ٦٥١.
عوف بن الخرع: ٩/ ٧٢٠.
عوف بن أمية: ٤/ ٧٠٧.
عوف بن ثقيف: ٢/ ٢٥٠.
عون العقيلي: ٣/ (٥٦١)، ٦/ ١٨٧، ٣٩٢، ٧/ ٥٦٣.
عون بن أبي شداد: ٧/ ٥٦١، ٩/ (٤٩٩).
عون بن عبد الله: ٤/ (٢١٠)، ٥/ ٧١١.
عون بن عبد الله بن عتبة: ٧/ ٣١٨.
عويم بن ساعدة: ٣/ ٤١٩، ٥/ ١٠٠.
عويمر العجلاني: ٧/ (١٧٣)، ١٧٤، ١٧٩.
عياش بن أبي ربيعة: ٣/ (٥٤٨)، ٦/ ١٢٣، ٧/ ٥٥٥.
عياض (غير منسوب): ٤/ ٤٥.
عياض الأشعري: ٣/ (٥٤٨).
عياض بن شداد: ٩/ (٤٩٩).
عيسى البصري: ٤/ ٥٦٢، ٩/ ٣١.
عيسى الكوفي: ٥/ ٧٥.
عيسى بن الفضل: ١٠/ ٢٠.
عيسى بن جارية الأنصاري: ٣/ (٤١٦).
عيسى بن عمر الثقفي المقرئ: ١/ ٣٧٧، ٦٧٥، ٢/ ٢٧١، ٤٨١، ٥٤٣، ٧١٥، ٣/ ٢٧، ٤/ ٧٠، ٣٣٦، ٦٦٨، ٥/ ٢٦٧، ٢٨٨، ٣٢٩، ٥٦٠، ٦/ ٢٩، ٥٦، ٩٠، ١٥٧، ٣٤٤، ٣٦٢، ٣٧٤، ٥٩٧، ٦٠٤، ٦٧٣، ٧، ٥٤، ٦٦، ٦٩، ١٥٤، ١٨٣، ١٩٤، ٣٣٨، ٣٧١، ٣٧٧، ٣٨٤، ٣٩٣، ٣٩٨، ٤١٨،

٤١٩، ٥٠٢، ٥٠٧، ٥٢٣، ٥٢٨، ٥٤٩، ٧/ ١٥٥، ٤٣١، ٦٦١، ٨/ ١٤٠، ٢١٤، ٣٤٥، ٩/ ١٣٠، ٢١٨، ٢٥٣، ٣٢٤، ٣٤٧، ٣٦٧، ٣٧٦، ٤٩٠، ٧١٣، ١٠/ ٢٨، ٣٦، ٦٨، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ٨٣، ٩١، ٩٣، ١٠٤، ١٢٤، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٣، ١٦١، ١٦٣، ١٦٨، ١٧١، ١٨٨، ١٩١، ٢١٣، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٥٥، ٣٠٥، ٣٢٣، ٣٦١.

عيسى بن عمر المقرئ: ١/ ٥٢٨، ٦٧٦، ٣/ ٣٥، ٥١، ١٤٨، ٣٦٦، ٤١٢، ٤٩٩، ٥١١، ٦٢٩، ٦٧٧، ٤/ ٦٤، ٨٢، ١٥٢، ١٨٤، ١٨٧، ١٨٨، ٢٤١، ٢٩١، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣١٧ ، ٣٦٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٥٦، ٤٧٧، ٤٨٣، ٥١٠، ٥١٦، ٥١٨، ٥٨٥، ٥٨٧، ٥٩٢، ٦٠٦، ٦٢٣، ٦٤٤، ٦٥٢، ٦٧٦، ٧٢٨، ٧٣٧، ٧٤٨، ٥/ ٢١، ٢٦، ١٠١، ١٤٧، ١٥٨، ١٦٥، ١٦٧، ١٧٣، ١٧٨، ١٩٩، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٣٤، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٦١، ٣٥٦، ٣٩٥، ٤٠٣، ٤١٩، ٤٢٥، ٤٣٦، ٤٧٨، ٥٠٧، ٥٢٣، ٥٥٥، ٥٧٥، ٧/ ٢٣، ٣١، ١٠٨، ١٣٠، ١٥٣، ١٧٦، ٢٢٦، ٢٣٨، ٢٩٣، ٢٩٧، ٣٢٩، ٣٣٩، ٣٤٣، ٣٤٨، ٣٧٤، ٣٨٠، ٤٩٥، ٥٠٧، ٥١١، ٥٢١، ٥٤٦، ٥٥٦، ٥٥٩، ٥٦٤، ٥٧٦، ٦٤٣، ٦٤٦، ٦٧٦، ٦٨٤، ٧٠٨، ٨/ ٦، ٩، ١٨، ٢٤، ٥٩، ٧٣، ٨٢، ١٠٧، ١٢١، ١٣١، ١٣٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٩٧، ٢٠٠، ٢١٦، ٢١٧، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٤١، ٣٤١، ٣٥١، ٣٥٤، ٣٧٤، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٩٨، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٣٣، ٤٤٠، ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٥٣، ٤٥٥، ٤٦٧، ٤٧٤، ٤٧٧، ٥٠٢، ٥٠٨، ٥١٢، ٥١٨، ٥٣٤، ٥٤٩، ٦٠٠، ٦٠٥، ٦٢٤، ٦٢٧، ٦٤٩، ٦٧١، ٦٨٧، ٦٩٤، ٦٩٧، ٧٠٥، ٧١٧، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٥١، ٧٦١، ٧٦٤، ٩/ ١١، ٣٢، ٣٩، ٤١، ٨٩، ١٠٢، ١٣٠، ١٦٤، ١٦٥، ٢١٣، ٢٤٩، ٢٨٢، ٢٨٦، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٣٣، ٣٥٦، ٣٧٤، ٣٨٠، ٣٨٤، ٣٩٧، ٤٤٦، ٤٦٣، ٤٦٨، ٤٨٩، ٤٩١، ٥١٨، ٥٤٠، ٥٥٣، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٩١، ٥٩٣، ٦٢٣، ٦٦٢، ٧٠٦، ٧٠٨، ٧٣٧.

عيسى بن عمر الهمداني: ١/ (٤٧٢)، ٤/ ٤١٩، ٧/ ١٠٨، ٣٦٨، ٨/ ١٩٠، ٧٥٢، ٩/ ٣١.

عيسى بن هلال: ٥/ (٦٢).

عيينة بن حصن: ١/ ٣٥٧، ٣/ ٥٦، ٤/ ٤٧٨، ٥/ ٩، ٦/ ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٧٣، ٧/ ٥٩١، ٧٢٧، ٧٢٩، ٨/ ٤١.

غالب أبو الفرزدق: ١/ ٦٣٦.

غالب الليثي: ٣/ (٢٦٥).

الغزالي: ٨/ ٢٥.

الغضبان بن القبعثرى: ٥/ (٤١٧).

الغنوي: ٨/ (١٧٥)، ٢١٤.

فاختة بنت الأسود: ٣/ ٨٤.

فاطمة بنت أبي أمية: ٩/ (٤٩٩).

فاطمة بنت النبي ﷺ: ٢/ ٤١١، ٤٤٥، ٤٤٦، ٥/ ١٣٩، ٣٥٠، ٧/ ٣٨٩، ٨/ ١٣، ٤٩، ٥٦٧، ٩/ ٢٢٠، ١٠/ ٤٠٥.

فاطمة بنت عبد الملك بن مروان: ٧/ ٣١٩.
فاطمة بنت قيس: ٢/ ٨٧، ٨٨.
الفجاءة: ٤/ ٣٢٠.
الفراء = يحيى بن زياد: ١/ (٢٠٢)، (٢١٥)، ٢٢٢، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٢، ٣٣١، ٤٠٣، ٤١٦، ٤٨٦، ٥٣٣، ٥٦٤، ٥٧٠، ٥٨٩، ٦٦٤، ٧٠٨، ٧٣١، ٧٦٣، ٢/ ٩، ١٠، ٣١، ٢٨٥، ٣٠٧، ٣٣٠، ٣٤٢، ٣٦٥، ٤٣٨، ٤٣٩، ٥٦١، ٦٩٣، ٣/ ٧٢، ١١٤، ١٧٧، ٣٦٦، ٣٧٤، ٥٧٩، ٤/ ٨٨، ١٠١، ١٠٦، ١٣١، ١٩٢، ١٩٥، ٢٠٣، ٢٨٠، ٢٩٠، ٣٤١، ٣٧١، ٥٠٣، ٥٣٨، ٥٧٥، ٦٠٤، ٦٩٧، ٦٩٨، ٧٣٢، ٥/ ١٤٩، ١٥٤، ١٦٣، ٢٢٨، ٢٣٦، ٢٨٣، ٣٨٦، ٣٨٧، ٤٥١، ٤٦٩، ٥٥٤، ٥٦٦، ٥٦٩، ٦١٢، ٦١٦، ٦١٩، ٦٤٩، ٦٦٠، ٦٩٣، ٧١٢، ٧٤٣، ٧٥٢، ٦/ ١٣، ٢٥، ٦٥، ٢٦٠، ٣٢٩، ٣٧٠، ٤٠٥، ٤٩٨، ٥٠٨، ٥٤١، ٦٠١، ٦٩١، ٧/ ٣٧، ٦٦، ٨٧، ١٠٦، ١١٧، ١٥٤، ١٥٥، ٣٢١، ٤٠٦، ٤٤٧، ٥٢٦، ٦٠٩، ٦٩٣، ٨/ ١١٤، ١٣٥، ١٤٦، ٢١٠، ٢٥٥، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٨، ٣١٤، ٥٠٩، ٦١٦، ٧٢٢، ٧٥٥، ٩/ ٥٢، ١٤٠، ١٥٢، ١٩٢، ٢٠٤، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٧٨، ٣١٢، ٣٣٤، ٣٥٥، ٤٥٥، ٤٧٣، ٤٧٦، ٤٧٩، ٥١٢، ٥١٧، ٥١٨، ٥٤٢، ٦١١، ٦٢٨، ٦٣٥، ٦٤٨، ٧٢٢، ٧٤٦، ١٠/ ٣١، ٥٥، ٦٦، ١١٣، ١١٦، ١١٨، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٦، ١٨٣، ١٨٦، ٢١٢، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣٩، ٢٧٨، ٢٩٩، ٣١٤، ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٦٢، ٣٨٢، ٣٩٠.
فرات بن ثعلبة البهراني: ٨/ (٢٥٤).
فرات بن حيان العجلي: ٣/ (٣٨٧).
فردم بن كعب: ٣/ ٧٢٠.
الفرزدق: ١/ (١٩٢)، ٢٨٨، ٢٩٩، ٣٢٩، ٤٣٣، ٤٩٨، ٥٠٢، ٥١٠، ٥٨٥، ٢/ ٦٣٣، ٦٤٤، ٧٢٢، ٣/ ٤٠٦، ٥١٣، ٦٠٦، ٤/ ٥٢٢، ٥/ ٣٧٤، ٦/ ١٧٦، ١٩٥، ٢٤٦، ٢٨١، ٢٨٢، ٣٢٤، ٤٠٣، ٥٩٩، ٧/ ٢٣٩، ٥٨٠، ٨/ ٢٦٨، ٤٠٠، ٦٢٧، ٦٧٨، ٩/ ١٤٢، ٢٩٦، ٦١٢.
فرقد السبخي: ٤/ (٣٤٦)، ٥/ ٦٠٢.
فرقد بن ثمامة: ٨/ ٥١٥.
فروة بن مسيك: ٧/ (٤١٨)، ٨/ ٩٠.
فروة بن نوفل: ٦/ (١٣٥).
فضالة بن عبيد = فضالة بن عبد الله: ٧/ ٧٦، (٤٧٩).
الفضل الرَّقَاشي = أبو عيسى: ١/ (٢٤٣)، ٩/ ٥٤١.
الفضل بن خالد: ١٠/ ١٠١.
الفضل بن عباس: ١٠/ ٩٦.
الفضل بن موسى: ٩/ (٤١٠).
الفضيل بن رفيدة: ٨/ ٥٢٦.
فضيل بن عطية: ٥/ (١١٦).
الفضيل بن عياض: ٤/ ١٢، ٥/ ٥٤٢، ٦/ ٦٤٨، ٧/ ٦٣٤، ٨/ ١٤١، ٥٢٤، ٧٠٦، ٩/ ٣٦، ١٠/ ١٢٦، ٣٥٨.
الفلتان بن عاصم: ٣/ (٢٦٩).

فليت: ٣/ (٢٦٥).
فنحـاص اليهـودي: ٢/ ٧١١، ٧١٢، ٧١٩، ٤/ ٧٠، ٨/ ٦٩٩.
الفِنْد الزِّمَّاني: ١/ (٢٣٩)، ٩/ ٦٨٨.
الفياض بن غزوان: ١/ (٣٣٨)، ٢/ (٤٧٠)، ٣/ ٢١، ٣٦٤، ٤٠٨، ٤٨٣، ٤٨٤، ٦/ ٣٧١، ٩/ ٣٠٤، ٥٧٢، ٥٩١، ١٠/ ٤٨.
القابسي: ١/ (٦٣٦).
القاسم بن أبي بردة: ٣/ ٧٣٠.
القاسم بن أبي بكر: ٥/ ٥٥٥.
قاسم بن أصبغ: ٢/ (٩٤).
القاسم بن عبد الرحمن: ٢/ ٧٠.
القاسم بن محمد: ١/ (٧٠٤)، ٢/ ٥٠، ٦٤، ٣/ ٢٩٣، ٢٩٤، ٤/ ٤٩٥، ٧/ ٥٧٣.
القاسم بن مخيمرة: ٦/ ٥٢٢.
القاسـم بـن معـن: ٥/ (٦١٢)، ٦٥٥، ٧/ ٥٢٦.
قالـون: ١/ (٢٨٠)، ٢/ ١٣١، ١٧٤، ٦/ ١٩٠، ٣٧٤، ٥٦٦، ٥/ ٤١٧، ٨/ ٦٤٢، ١٠/ ٣٤٩.
قبيصة بن جابر: ٣/ (٦٢٤)، ٦٢٥.
قبيصة بن ذؤيب: ٢/ ٦٦، ٧٩، (١١٢).
قتـادة: ١/ (١٥٦)، ١٨٦، ١٩٩، ٢٢٣، ٢٣٠، ٢٤٠، ٢٥٢، ٢٦٨، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٥، ٣١٤، ٣٢٩، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٣، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٣، ٣٥٨، ٣٦٦، ٣٧٣، ٣٩١، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤١٢، ٤١٦، ٤٢١، ٤٢٥، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٤٣، ٤٤٧، ٤٥١، ٤٥٥، ٤٦٠، ٤٦٦، ٤٧٣، ٤٧٧، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٨، ٤٩٥، ٥٠٦، ٥٠٩، ٥١١، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٥٣، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٨، ٥٦٧، ٥٦٩، ٥٨١، ٥٨٧، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٧، ٥٩٨، ٦١٤، ٦١٥، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٥، ٦٢٩، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤١، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٥٠، ٦٥٣، ٦٥٧، ٦٦١، ٦٧٨، ٦٨٩، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٤، ٧٠٨، ٧١٣، ٧١٧، ٧٢٢، ٧٢٤، ٧٢٦، ٧٣٤، ٧٤١، ٧٥٣، ٧٦٠، ٧٦٥، ٢/ ١٣، ٢٣، ٢٨، ٣٢، ٤٨، ٥٠، ٥٦، ٥٨، ٦١، ٦٤، ٦٨، ٧٧، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٩٧، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٣٢، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٦، ١٤٧، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٩، ١٧١، ١٧٢، ١٧٧، ١٧٨، ١٨١، ١٨٧، ١٩١، ١٩٤، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٣، ٢١٦، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٣٧، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٥٢، ٢٥٩، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٨٦، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣١٤، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٤١، ٣٤٦، ٣٥١، ٣٥٥، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٧٣، ٣٧٧، ٣٨٢، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٢، ٤٠٦، ٤١٢، ٤١٥، ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٣، ٤٣٩، ٤٤٢، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥١، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٧١، ٤٨٢، ٤٩٤، ٥٠٠، ٥٠٨، ٥١٣، ٥١٩، ٥٣٣، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٩، ٥٥٠، ٥٥٧، ٥٦٠، ٥٦٢، ٥٦٢، ٥٦٤، ٥٧٢، ٥٩٠، ٦١٢، ٦١٥، ٦١٩، ٦٣٦، ٦٣٨،

٦٣٩، ٦٤٣، ٦٥١، ٦٥٤، ٦٥٧، ٦٥٨،
٦٦٢، ٦٨٦، ٦٩٥، ٧٠٧، ٧١١، ٧١٢،
٧٢٤، ٧٤٠، ٣/ ٧، ١٦، ١٩، ٢٠، ٢١،
٢٤، ٢٨، ٣٢، ٣٥، ٤٥، ٥٠، ٦٥، ٧٣، ٨٣،
٩٣، ١١٢، ١٢٧، ١٢٩، ١٣١، ١٤٤، ١٤٨،
١٥٢، ١٦٦، ١٨٢، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٤،
٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٤، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٢٦،
٢٢٧، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٤،
٢٥٦، ٢٧٨، ٢٨١، ٣٠٤، ٣١٢، ٣١٦،
٣١٩، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٥٥، ٣٧٢، ٣٨٦،
٣٨٩، ٣٩٥، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨،
٤١١، ٤٢٢، ٤٢٨، ٤٣٦، ٤٤٢، ٤٥١،
٤٥٢، ٤٦٣، ٤٦٥، ٤٦٧، ٤٧١، ٤٩١،
٤٩٥، ٥٠٨، ٥١٩، ٥٢٧، ٥٣٣، ٥٤٣،
٥٤٧، ٥٦٥، ٥٧٣، ٥٨٨، ٥٩٥، ٥٩٨،
٦٨٣، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٨،
٧٠٥، ٧٠٦، ٧٢١، ٧٢٧، ٧٣٠، ٧٥٠،
٤/ ٢٢، ٢٥، ٣٣، ٥٤، ٦٣، ٦٦، ٧٤، ٨١،
٨٤، ٩٠، ٩٥، ٩٧، ٩٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٤٢،
١٤٤، ١٤٥، ١٤٨، ١٦١، ١٧٤، ١٧٧،
١٧٩، ١٨١، ٢٠٥، ٢١٢، ٢٢٣، ٢٢٧،
٢٣٢، ٢٣٦، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٥٣،
٢٦٣، ٢٦٦، ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٩١،
٢٩٦، ٣١٥،٣٠٥، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٤٥،
٣٥٠، ٣٦٥، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٨٣، ٣٨٩،
٣٩٧، ٤٠٧، ٤١٣، ٤١٥، ٤٢١، ٤٢٢،
٤٦٠، ٤٦٣، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٦،
٤٩٠، ٥٣٤، ٥٤٠، ٥٤٣، ٥٥٢، ٥٥٣،
٥٥٦، ٥٥٧، ٥٦٢، ٥٦٥، ٥٦٨، ٥٧١،
٥٧٤، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٨٦، ٥٩٣، ٦١٥،
٦٢٣، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٧،
٦٥٣، ٦٥٤، ٦٦٣، ٦٧٠، ٦٨٠، ٦٨٣،
٦٨٤، ٦٩٥، ٧١٠، ٧١١، ٧١٥، ٧٢٥،
٧٣٠، ٧٤٦، ٧٤٨، ٥/ ٧، ٣٠، ٣٩، ٤٠،
٥٣، ٥٦، ٦٢، ٧٣، ٧٥، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨٢،
٨٤، ٨٩، ٩٨، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٨، ١١٦،
١٢٢، ١٣٦، ١٤٠، ١٤٤، ١٤٦، ١٥٤،
١٦٧، ١٧٣، ١٧٤، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢،
٢١٠، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٧٦،
٢٧٧، ٢٨٥، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٣٦، ٣٤٣،
٣٦٤، ٣٧٩، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٩٣، ٣٩٤،
٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٩،
٤٣٠، ٤٣٦، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٦٢، ٤٦٧،
٤٦٨، ٤٧٤، ٤٩٦، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠٧،
٥٠٨، ٥١٠، ٥٢٠، ٥٢٢، ٥٢٤، ٥٢٩،
٥٣٥، ٥٤٠، ٥٤٣، ٥٤٨، ٥٥٥، ٥٦١،
٥٦٤، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٩، ٥٨٨، ٥٩٠،
٥٩٦، ٦٠٣، ٦١١، ٦١٣، ٦١٧، ٦٢٢،
٦٢٤، ٦٢٦، ٦٤٠، ٦٤٧، ٦٥٨، ٦٦٢،
٦٦٩، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٨، ٦٨٧، ٦٩١،
٦٩٨، ٦٩٩، ٧٢٠، ٧٣٧، ٧٤٠، ٧٤١،
٧٤٢، ٧٤٥، ٧٥٥، ٧٥٦، ٦/ ٨، ٩، ٥٧،
٦٣، ٦٧، ٦٩، ٧٦، ٨٠، ٨٦، ٨٨، ١٠٤،
١٠٥، ١٢٤، ١٥١، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦،
١٥٩، ١٦١، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٩، ١٧١،
١٧٩، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٤، ٢١١،
٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٣٣، ٢٤٣،
٢٤٤، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٧،، ٢٧١، ٢٧٢،

٢٧٥، ٢٧٦، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣١١، ٣١٥،
٣١٧، ٣١٩، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٣،
٣٤١، ٣٤٤، ٣٤٨، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٥،
٣٥٩، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٨٤، ٤٠٤، ٤٠٥،
٤٠٧، ٤٢٤، ٤٢٨، ٤٣٢، ٤٤٣، ٤٥٠،
٤٦٦، ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٧،
٤٨٠، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩٧، ٥٠١، ٥٠٤،
٥١٤، ٥١٥، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٣٢، ٥٥٢،
٥٥٦، ٦٣٣، ٦٦٧، ٧٢٠، ٧/ ٥، ١١، ١٢،
١٦، ١٨، ٢١، ٢٤، ٥١، ٦٢، ٨٨، ٩٣، ٩٥،
٩٩، ١١٣، ١١٨، ١٢١، ١٣٠، ١٤٢، ١٤٨،
١٥٠، ١٥٩، ١٧٦، ١٩٧، ٢٠٣، ٢٠٤،
٢٠٧، ٢١٨، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٥٦،
٢٨١، ٢٩٣، ٣٢١، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤٤،
٣٥٥، ٣٥٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٧، ٣٧٩،
٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٥، ٤٠٥، ٤٠٨،
٤١٠، ٤١١، ٤١٨، ٤٣٠، ٤٣٢، ٤٤٥،
٤٤٨، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٦٧،
٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٨، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٤،
٤٨٧، ٤٩٣، ٤٩٥، ٤٩٨، ٥٠١، ٥٠٥،
٥٢١، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٦، ٥٣٩، ٥٥٥،
٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٥، ٥٦٧، ٥٧١، ٥٨٠،
٥٨١، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٢، ٦٠٧، ٦٠٨،
٦١٦، ٦١٧، ٦١٩، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٩،
٦٣٦، ٦٣٧، ٦٤٦، ٦٥١، ٦٥٣، ٦٥٤،
٦٦٦، ٦٨٨، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٨، ٧١٧،
٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٣٣،
٧٣٤، ٧٣٩، ٧٤١، ٧٥١، ٨/ ٦، ٧، ٨، ١٦،
١٧، ١٩، ٢٦، ٢٧، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤٤، ٥٠،
٥٧، ٦٠، ٦٩، ٧١، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨٢،
٨٨، ٩٤، ١٠٢، ١١٢، ١١٤، ١١٩، ١٢٣،
١٢٥، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٥،
١٣٦، ١٤٣، ١٤٤، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٢،
١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤،
١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٩١، ١٩٢، ١٩٥،
٢٠٢، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٩، ٢٢٦، ٢٣١،
٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٣،
٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٧،
٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤،
٢٧٣، ٢٧٦، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٨٨،
٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٣، ٣١٠،
٣١١، ٣١٢، ٣٢٢، ٣٣١، ٣٣٧، ٣٤٠،
٣٤٢، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٣،
٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٩، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٨،
٣٧٩، ٣٨٣، ٣٨٦، ٣٩٧، ٤٠١، ٤١٠،
٤١١، ٤٢٤، ٤٣٠، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤١،
٤٤٤، ٤٤٨، ٤٥٣، ٤٥٥، ٤٦٠، ٤٦٥،
٤٦٦، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٤، ٤٧٧، ٤٩٧،
٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٨، ٥٠٩،
٥١١، ٥١٢، ٥١٤، ٥١٥، ٥٢٠، ٥٢١،
٥٢٨، ٥٣٢، ٥٤٣، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٦١،
٥٦٦، ٥٧٠، ٥٨٠، ٥٩٠، ٦٠٠، ٦٠٢،
٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٧، ٦١٩،
٦٢١، ٦٢٣، ٦٢٥، ٦٢٧، ٦٢٩، ٦٣٠،
٦٣٢، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧،
٦٥١، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٩، ٦٦٢، ٦٦٧،
٦٦٧، ٦٦٨، ٦٧٠، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤،
٦٧٥، ٦٧٨، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٩٥،

٦٩٦، ٧٠٣، ٧٠٧، ٧٢٣، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٣١، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٤١، ٧٤٣، ٧٤٦، ٧٤٨، ٧٥٢، ٧٥٦، ٧٥٨، ٩/ ٦، ٨، ١٠، ١١، ١٢، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣٩، ٥٥، ٦٣، ٦٥، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٤، ٧٧، ٨٨، ٩٣، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٤، ١٤٨، ١٥١، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٦، ١٨١، ١٨٦، ١٨٧، ١٩١، ١٩٤، ١٩٧، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٣، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٧٠، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٨٦، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤٢٠، ٤٢٥، ٤٣٢، ٤٣٥، ٤٣٧، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٦٣، ٤٦٧، ٤٧٧، ٤٨٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٥، ٤٩٦، ٥٠٠، ٥٠٦، ٥١٠، ٥١٩، ٥٢٨، ٥٣١، ٥٥٦، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٨٢، ٥٨٤، ٥٨٧، ٥٨٩، ٦٠٦، ٦١٠، ٦١٥، ٦١٧، ٦٢٢، ٦٢٧، ٦٣٣، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٧، ٦٦٣، ٦٦٧، ٦٧٣، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٨٠، ٦٨٦، ٦٩٣، ٦٩٥، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٥، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٦، ٧١٨، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٨، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٩، ١٠/ ٦، ٨، ٩، ١٢، ١٥، ١٩، ٢٠، ٢٤، ٢٥، ٢٨، ٣٢، ٣٤، ٣٩، ٤٠، ٤٣، ٤٥، ٥١، ٥٥، ٥٨، ٦٢، ٦٤، ٦٧، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٨٥، ٨٨، ٩٢، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١٠٣، ١٠٨، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٨، ١١٩، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٨، ١٤١، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٦١، ١٦٤، ١٧٤، ١٧٦، ١٨٥، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١١، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٥٨، ٢٧١، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٩، ٢٩٣، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣١٢،٣١٠، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣٢٥، ٣٣٦، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٧١، ٣٨٥، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤٠٢، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٧، ٤٢٣، ٤٢٤.

قتادة بن النعمان: ٣/ (٣٠٢)، ٣٠٣، ٣٠٤.

قتادة بن دعامة: ٤/ ٤٦١، ٩/ ٦٦٩.

القتبي: ٤/ ٥٣٧، ٥٧٨، ٥/ ١٥٤، ٤٥٠، ٧/ ٤٣، ٨/ ٥٥٤، ٩/ ٤٣٦، ١٠/ ٣٣، ٤١٩.

قتيلة بنت عبد العزى: ٧/ ٦٦٤.

قدار بن سالف: ٤/ ٣١٣، ٣١٥، ٩/ ٢٩٤، ١٠/ ٢٨١.

قدامة بن مظعون الجحمي: ٣/ (٦١٦)، ٦١٧، ٦١٨.
قرة بن خالد: ٣/ (٦٦٧)، ٦٧٠، ٩/ ٨٦.
قزمان بن الحارث: ٢/ (٦٨٩).
قس بن ساعدة: ١/ (٤٢٩)، ٧٦١، ٧/ ٦٧٥، ٨/ ٣٩٧، ٧١٣.
قسامة بن زهير: ٤/ (٣٨٨).
القشيري: ٩/ ٤٣٧.
قُطْبَةَ بن مالك: ١/ (١٧٥)، ٩/ ١٣٦.
قطرب: ١/ (٢٦٨)، ٤٠٣، ٤٧٠، ٣/ ١٩٠، ٤/ ١٣٩، ٥/ ١٦٣، ٥٨٣، ٦/ ١٢٥، ٨/ ٢٨٣، ٧٥٤، ٩/ ٨٤.
القعقاع بن معبد: ٩/ (٩٤).
قفيرة: ٦/ ٧١٦.
قلع بن عباد: ٤/ ٧٠٧.
قنبل: ٤/ ٢٦٧، ٣٥٥، ٥٨٠، ٧/ ٢٣٥، ٤١٨، ٤٣٨، ٥٢٧، ٦٣٩، ٦٥٩، ٩/ ٥٣٦، ٦٥٨، ١٠/ ٣٢٠.
القواس: ١/ (٣٥٥)، ٤/ ٣٥٥، ٥/ ٥٧٠، ٩/ ٢١٥.
قيس بن أبي حازم: ٨/ (٥٢٥)، ٥٢٦.
قيس بن الخطيم: ١/ ٣١١، ٣٢٦، ٤/ ٢٩٥، ٥/ ٥٩٠، ٧/ ١٧٠، ١٨٦، ٩/ ٣٠٣، ١٠/ ١١٦.
قيس بن الفاكه بن المغيرة: ٣/ ٢٧٣، ٤/ ٥٩٤.
قيس بن الوليد بن المغيرة: ٣/ ٢٧٣، ٤/ ٥٩٤.
قيس بن زيد: ٢/ ٣٧٠.
قيس بن سعد: ٢/ (٢٤)، ٣/ (٤٤٦)، ١٠/ ٣٤.
قيس بن صرمة = صرمة بن قيس: ١/ ٦٦٣، ٦٨٢، ٦٨٤.
قيس بن عباد: ٤/ (٥٨٦)، ٥/ ٦٢٠، ٧٢٠، ٦/ ٢٣.
قيس بن عبادة: ٧/ ٢٧.
قيس بن مسلم: ٢/ (٦٠٥).
قيس طرفة: ٨/ ٢٢٢.
قيل بن عنز: ٤/ ٣٠٦، ٣٠٧.
قيلة بنت الأشعث بن قيس: ٥/ ٧٠٠، ٨/ ٤٨.
الكاهن بن هارون: ٩/ ٤٦٠.
كبيشة بنت معن الأنصارية: ٣/ (٧١).
كُثيِّر عَزَّة: ١/ (٢٥٩)، ٦٧٧، ٤/ ٢٤٦، ٧/ ٦١٧، ٨/ ٦٠١، ٩/ ٣٣٩، ١٠/ ١٤.
كدرة بنت أبي لهب: ٩/ ٣٣٥.
كراع = علي بن الحسن الهنائي: ٥/ (٦٠٩).
كردم: ٤/ ٣٤٧، ٥/ ٨١.
كرز بن جابر بن حسل المحاربي: ٢/ (٥٨٨)، ٥٨٩.
كريب: ٧/ (١١٤)، ٩/ ٣٠٥.
الكِسائي: ١/ ١٤٨، (٢٠٢)، ٢١٥، ٢٢٢، ٢٣٠، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٢، ٣٠٢، ٣٣٣، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٧٦، ٤١٢، ٤١٦، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٧، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠١، ٥٠٥، ٥١٩، ٥٥٧، ٥٦٦، ٥٨٠، ٥٩٥، ٦٢١، ٦٢٣، ٦٢٨، ٦٦٠، ٦٩٥، ٦٩٧،

٧٢١، ٧٥٠، ٧٥٥، ٢/ ٢٢، ٣٤، ٦٣، ٩٧،
١٠١، ١١٩، ١٣٠، ١٨١، ١٨٥، ١٨٨،
١٨٩، ٢١٠، ٢١١، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٧،
٢٥٣، ٢٨١، ٢٩١، ٢٩٤، ٣١١، ٣٣٢،
٣٥٣، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٧٩، ٣٨٩، ٣٩٤،
٣٩٧، ٤٨٣، ٤٨٤، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٦٧،
٥٧٨، ٥٧٩، ٦٠٢، ٦٢٠، ٦٣٤، ٦٤٤،
٦٥٧، ٦٦٧، ٦٦٩، ٦٩٦، ٧٠٣، ٧٠٧،
٧١٣، ٧٣٧، ٣/ ٤٤، ٤٧، ٥٨، ٧٢، ٧٧،
١٠٠، ١٠٢، ١١١، ١١٧، ١٢٨، ١٣٠،
١٤٨، ١٥٧، ١٦٧، ٢١١، ٢٢٤، ٢٢٧،
٢٤٠، ٢٤٥، ٢٦٥، ٢٦٨، ٣١١، ٣٢٣،
٣٢٩، ٣٤٩، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٤٠، ٤٥٥،
٥١٣، ٥٢٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٩، ٥٥٣،
٥٧٥، ٥٧٩، ٥٨١، ٦٠١، ٦٢٣، ٦٢٩،
٦٣١، ٦٤٦، ٦٦٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠،
٧١٤، ٧٢٤، ٧٢٦، ٧٣٢، ٧٤١، ٧٤٣، ٤/
١٤، ١٥، ١٨، ٢٤، ٢٥، ٣٨، ٥٥، ٥٧، ٦٠،
٦٣، ٦٩، ٧٩، ٨٣، ٨٥، ٨٩، ٩٧، ١٠٢،
١٠٣، ١٠٦، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١١٦،
١٢٦، ١٢٧، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٦، ١٤٩،
١٥٢، ١٥٦، ١٦١، ١٧٢، ١٧٨، ١٨٢،
١٨٥، ١٩٤، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٤٤، ٢٥٩،
٢٦١، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٨٣، ٢٩١،
٢٩٨، ٣٢٠، ٣٣٧، ٣٤٤، ٣٤٨، ٣٤٩،
٣٥٠، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٨٣،
٣٨٥، ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨،
٤١٣، ٤٢٠، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٣٥، ٤٤٢،
٤٥٦، ٤٥٧، ٤٦١، ٤٧٠، ٤٧٢، ٤٧٤،
٤٧٩، ٤٨٠، ٥٠٤، ٥١٤، ٥٢٩، ٥٣١،
٥٦٢، ٥٦٤، ٥٧٧، ٥٨٠، ٦٠٤، ٦٢٢،
٦٢٣، ٦٣٦، ٦٣٨، ٦٦٤، ٦٧٠، ٦٩٢،
٧١١، ٧١٥، ٧٤٥، ٥/ ٨٤، ٩٠، ١٠٠،
١٠٢، ١٠٥، ١٠٨، ١٦٤، ١٧٩، ٢٠٥،
٢٣٤، ٢٣٦، ٢٤٠، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٨٤،
٢٨٦، ٢٩١، ٣٠٩، ٣١٨، ٣٢١، ٣٢٤،
٣٣٢، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٥، ٣٨٢،
٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩١، ٤١٠، ٤١٣، ٤١٨،
٤١٩، ٤٢٨، ٤٣٤، ٤٤٢، ٤٥١، ٤٧٧،
٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٥١٦، ٥٥٨، ٥٥٨،
٥٦٨، ٥٧١، ٥٧٣، ٥٩٨، ٦٠١، ٦١٥،
٦١٩، ٦٢٥، ٦٤٩، ٦٥١، ٦٦٠، ٦٦٧،
٦٧٥، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٩٣، ٦٩٧، ٧٢٧،
٧٢٩، ٧٣١، ٧٥١، ٦/ ٧، ٨، ٢٧، ٤٠،
٤٢، ٤٧، ٥٤، ٩٠، ٩٢، ١١٣، ١٦٢، ١٨٣،
١٩٧، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٤،
٢١٥، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٥٤، ٢٦٠، ٢٨٤،
٢٨٥، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٨،
٣٥١، ٣٥٣، ٣٧١، ٣٧٤، ٣٧٤، ٣٧٩،
٣٨٠، ٣٩٨، ٤٠٨، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤،
٤١٨، ٤٣٨، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧،
٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٣، ٤٦٣، ٤٧٢، ٤٧٥،
٤٧٦، ٤٨٩، ٤٩١، ٤٩٩، ٥٠٢، ٥٠٣،
٥١٤، ٥٣١، ٥٣٤، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٧،
٥٤٨، ٥٥٨، ٥٦٧، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٩٤،
٥٩٦، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦١٤،
٦١٥، ٦٢١، ٦٢٣، ٦٢٦، ٦٢٨، ٦٥٠،
٦٦٠، ٦٧٠، ٦٩٢، ٧١٩، ٧٢٩، ٧/ ٩،

٢٣، ٣٤، ٥٢، ٥٩، ٩٢، ١١٠، ١١٦، ١٣١، ١٤٤، ١٤٧،١٤٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٧٤، ١٨٨، ١٩٦، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٤٢، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٦٨، ٢٦٩، ٣٠١، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٥٤، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٨٢، ٣٨٧، ٤٠١، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٦١، ٤٦٨، ٤٧٤، ٤٧٧، ٥٠٥، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥١٣، ٥٤١، ٥٦٤، ٥٦٨، ٥٧٥، ٥٩٢، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٦٠١، ٦١٤، ٦٢٣، ٦٤٣، ٦٥٢، ٦٥٥، ٦٥٩، ٦٦٧، ٧٠٧، ٧١٧، ٧١٨، ٧٣١، ٧٣٥، ٨/ ٦، ٧، ١٨، ٣٠، ٣٦، ٤٦، ٦٩، ٧٣، ٧٦، ٨٢، ٩١، ٩٧، ٩٩، ١٠١، ١٠٤، ١٢٤، ١٣١، ١٣٣، ١٦٦، ١٧٤، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٧، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٨، ٢٣٧، ٢٥١، ٢٦٨، ٢٧٣، ٢٨٤، ٣٠٥، ٣١٣، ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٩٦، ٤٠٢، ٤٠٦، ٤١٨، ٤٢٧، ٤٣٢، ٤٥٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٧٠، ٤٧٧، ٤٧٨، ٥٢٠، ٥٣٦، ٥٣٨، ٥٤٩، ٥٧١، ٥٨٣، ٦٠٢، ٦٠٥، ٦١٠، ٦٢٧، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٨، ٦٦٤، ٦٨٥، ٦٨٧، ٦٩٢، ٦٩٥، ٧٠١، ٧٠٥، ٧٠٩، ٧١٩، ٧٣٥، ٧٤٠، ٧٤٢، ٩/ ٣٢، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٦٤، ١٠٢، ١٨٢، ١٨٥، ١٩٣، ١٩٤، ٢١٣، ٢١٨، ٢٤١، ٢٥٣، ٢٦٧، ٢٧٨، ٢٨١، ٣١٢، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٣٣، ٣٥٧، ٣٦٣، ٣٦٩، ٣٧٦، ٤٠١، ٤٣٥، ٤٤٩، ٤٦٨، ٤٨٩، ٥١٤، ٥١٥، ٥٣٦، ٥٤٢، ٥٧٢، ٥٧٦، ٥٨٤، ٥٩٨، ٦٠٤، ٦٠٩، ٦١٢، ٦١٨، ٦٢٣، ٦٣٢، ٦٥٦، ٦٦٢، ٦٧٨، ٧٠٠، ٧٠٥، ٧١٢، ٧٢٤، ٧٣٩، ٧٤١، ٧٤٥، ١٠/ ١٩، ٥٤، ٦٣، ٦٣، ٦٤، ٦٨، ٧٧، ٨٠، ٨٥، ٩٦، ٩٧، ١٠١، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٧، ١٤٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٨، ١٩١، ٢٠٥، ٢١١، ٢٢١، ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٨٣، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٣٣، ٣٤٩، ٣٦٧، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٨٣، ٣٩٨، ٤٢٤.

الكشي: ٤/ ٦٣٧.

كعب الأحبار: ١/ ٧٥٣، ٣/ ١٨١، ١٨١، ١٨٢، ١٩١، ٣٧١، ٦٣٨، ٦٩٤، ٤/ ٣٥١، ٤١٠، ٥/ ٣٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٦٢١، ٦٢٢، ٦/ ٣١٨، ٤٣٩، ٤٦١، ٤٩٧، ٥١٨، ٦٦٧، ٦٩٦، ٧/ ٨٩، ١١٤، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٩٣، ٨/ ١٣٦، ١٣٩، ١٥٤، ١٦٩، ١٨٩، ١٩٠، ٢٧١، ٣٥٠، ٦٨٠، ٩/ ٢٨، ٦٣، ١٣٧، ١٦٥، ٢٤٠، ٢٤٢، ٤٠٦، ٤٠٧، ٩/ ٣٥١، ١٠/ ١٧١، ١٨٢، ٢٧١، ٣١٠.

كعب بن أسد: ٢/ ٣١٥، ٤/ ٦٠٠.

كعب بن الأشرف: ١/ (٢٧٩)، ٤٥٩، ٥٢٩، ٢/ ٣١٥، ٣٧٠، ٤٧٤، ٧١٩، ٣/ ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ٢٠٥، ٩/ ٤٢.

كعب بن جُعيلٍ: ١/ (٢٤٠).

كعب بن زهير: ١/ (٥٠٨)، ٢/ ٤٢، ٤١٣،

٤١٦، ٢٣٤، ٥/ ٤٣٦، ٤/ ١٨١، ٣/ ٧٣٦، ٦/ ٩٤، ٩/ ٢٧٠.
كعب بن عجرة: ١/ (٧١١)، ٦/ ٤٥٩.
كعب بن مالك الأنصاري: ١/ (٦٨٢)، ٢/ ٢٥٢، ٣٩٥، ٥٢٩، ٦٥٥، ٣/ ٢٨٩، ٤/ ٥٦١، ٧١٧، ٥/ ٤٧، ٥٢، ٧٠، ٨٩، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧، ٧/ ٣٩٤، ٩/ ١١٠، ١٧٥.
الكلبي: ٣/ ٦٩٣، ٤/ ٣٤، ٣٨٩، ٥/ ١٤٣، ٢٧٨، ٣٠٩، ٤٥٠، ٦٨٧، ٧/ ٢٨، ٥٦، ٦٣، ٢٩٣، ٥٨٥، ٧٤٥، ٨/ ١٧٦، ٣١٤، ٤٠١، ٤٦١، ٤٧٥، ٥٦٩، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٦٢، ٩/ ٤٦، ٦٣، ٢٥٧، ٥٠٥، ٦٥٧، ١٠/ ٢٢٢، ٢٤٨، ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٣٢.
كلثوم بن عياض: ١٠/ ٣٦.
كلهدة بنت الخبيري: ٤/ ٣٠٧.
الكميت: ٤/ (٢١٣)، ٥/ ٧١٢، ٦/ ٢٠٥، ٧/ ٧١٦، ٨/ ٤٣٤، ٩/ ٧٢١.
الكواء: ٦/ ١٦٨، ٤٥٨، ٩/ ١٧٠.
اللاحقي: ٧/ (٣٥٣).
لبيد بن ربيعة: ١/ (٢١٧)، ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٧٧، ٣١١، ٣٨٦، ٢/ ٢١، ٣٤٦، ٤٣٠، ٦١٤، ٣/ ٢٦٨، ٣٤٤، ٤/ ٣١٠، ٤٣٣، ٤٨٩، ٥٨١، ٥٨٧، ٦١٥، ٥/ ٦٢، ٢٩٨، ٣٠٦، ٣٠٩، ٤٧٨، ٥١٤، ٥٩٢، ٥٩٣، ٧٠٩، ٦/ ٦٧، ٧٢، ١٦٤، ١٧٥، ٢١٩، ٤٩١، ٥٦٣، ٧/ ٣٠٠، ٣٧٥، ٣٩٤، ٥٧٨، ٨/ ٢٨٧، ٣١٨، ٦٤٦، ٩/ ٣٢٥، ٣٦٣، ١٠/ ٢٦، ٧٠، ١٠١، ٢٦٧.
لبيد بن سهل: ٣/ (٣٠٣)، ٣٠٩.
اللحياني: ١/ (٢٤٢)، ٢٤٦، ٣٠٢، ٣/ ٦٧٦.
لقيط: ١/ (٥٩٣).
لقيم بن هزال: ٤/ ٣٠٦.
اللؤلؤي: ٨/ (٧٤٥).
ليث بن أبي سليم: ٣/ (١٢٨).
الليث بن سعد: ٢/ (١٣)، ٩٣، ٩٥، ٣/ ٤٢٥، ٤٩٣، ٥٠١، ٤/ ٢٥٧، ٤٩٦، ٧٢٢، ٥/ ١١، ٩/ ٥٦٣.
ليلى الأخيلية: ٤/ ٣٦١، ٦/ ٤١٦، ٨/ ٩.
الماجشون المقرئ: ٨/ ١٨٧.
مارية القبطية: ٩/ ٥٧٩، ٥٨١، ٥٨٣.
المازني: ٣/ ٩، ٧/ ٢٠٥، ٨/ ١٠، ٩/ ١٨٣.
ماعز بن مالك: ٣/ ٦٠.
مالك بن أبي كعب: ٦/ (٧٢٤).
مالك بن الخشم: ٥/ (٩١).
مالك بن الريب: ٣/ (٦٨)، ٥/ ٣٧٧، ١٠/ ٢٨٩.
مالك بن الشخير: ٤/ ٢٦٠.
مالك بن الصيف: ٣/ ٥٧٧، ٤/ ٧٠، ٦٩١.
مالك بن أنس: ١/ ٢٠٥، ٢١١، ٢١٧، ٢٦٢، ٢٧٧، ٢٩٥، ٣٠٤، ٣٦٢، ٤٢٥، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٨١، ٥٠٤، ٥١٧، ٥٤٧، ٥٦٩، ٦٠٠، ٦١٠، ٦١١، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٣، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٨، ٦٨٧، ٦٨٩، ٦٩٠، ٧٠٠، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٩، ٧١١، ٧١٢،

٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧٢٠، ٧٢٢، ٧٢٤، ٧٢٨، ٧٣٠، ٧٣٧، ٧٣٨، ٢/ ١٢، ١٣، ١٨، ٢٨، ٣٠، ٣٤، ٣٦، ٣٩، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٧، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٩، ٧٦، ٨٠، ٨٤، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٩، ١١٦، ١١٨، ١٦٦، ٢٢٦، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٨٥، ٣٠١، ٣٢٤، ٣٧٣، ٣٨٦، ٤٣٨، ٥١٤، ٥٢٠، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٥٠، ٥٦٦، ٥٨٣، ٧٠٣، ٧٢٩، ٣/ ٢٧، ٢٨، ٥٥، ٦٢، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٩١، ٩٣، ٩٨، ١٠٠، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١٠، ١١٨، ١١٩، ١٣٩، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٨٢، ١٩٠، ٢٢٥، ٢٤٠، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٦، ٢٩٤، ٢٩٩، ٣٣٥، ٣٥٧، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤١٠، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣٤، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٥٠٢، ٥٠٤، ٥١٧، ٥٢٥، ٥٧١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣٥، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٦١، ٤/ ٩، ٩٣، ٩٤، ١١٨، ١٤٨، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٧٠، ١٧١، ٢٥٧، ٣٢٠، ٣٦٥، ٤١٢، ٤٢٢، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٥٠٢، ٥٣٦، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧٢، ٦٤٠، ٦٤٣، ٦٦٠، ٦٦٣، ٦٨٣، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٧٠٢، ٥/ ٥، ٨، ١٠، ١١، ١٥، ١٨، ١٩، ٥٠، ٣٤٧، ٤٠٠، ٤٢٤، ٤٣٤، ٤٦٨، ٤٨٠، ٤٨٢، ٤٨٧، ٤٩١، ٥٢٧، ٥٨٠، ٧٤٧، ٦/ ١٤، ١٥، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٣٠، ١٤٠، ١٤١، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٩٣، ٣٤٨، ٣٥٠، ٥٠١، ٥٦٨، ٦١٥، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧/ ١٣، ٣٤، ٣٥، ٤١، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٥١، ٥٢، ٨٦، ١٥٨، ١٦١، ١٦٢، ١٦٧، ١٧١، ١٧٢، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٤٤٥، ٤٧٩، ٤٩٠، ٤٩٨، ٥٣٤، ٧٢٣، ٧٢٧، ٧٥٣، ٨/ ٢٩، ٣٠، ٢٢٦، ٣٤٤، ٤٥٥، ٤٦٣، ٤٨٠، ٥٨٥، ٧٠٢، ٧٣٧، ٩/ ٨٦، ٢٧٣، ٣٧٩، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤٧، ٤٧٤، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٧١، ٥٧٣، ٥٨١، ٦٧٢، ١٠/ ١٦٧، ١٧٥، ٢٢٣، ٣٢٤، ٣٢٨.

مالك بن دينار: ١/ (٤٥٥)، ٣/ ٩١، ٣٦٦، ٤/ ٢١، ٣٩٠، ٤٢٦، ٤٢٨، ٥٦١، ٥/ ٥٦، ٦/ ٣٥٩، ٧/ ٥٨، ٣٦٤، ٥٣٩، ٨/ ٣٩١، ٦٤٥، ٧٥٢، ٩/ ٣٦٩، ٥٤٥، ١٠/ ٩٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٦٦، ٢٢٠، ٣٦٧.

مالك بن ذعر: ٥/ ٤٢٧.

مالك بن زهير بن جذيمة العبسي: ٢/ (٤٦١).

مالك بن صعصعة: ٦/ ١٥٠.

مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار: ٧/ ١٦٥.

مالك بن عوف: ١/ (٦٣١)، ٤/ ٦٨٢، ٥/ ٩، ٩/ ٢٨٠.

مالك بن كنانة: ٤/ ٧٠٧.
مالك بن نضلة: ٣/ ٦٥١.
المأمون: ١/ (١٨٦)، ٩/ ٥٢٥.
ماهان: ٤/ (١٢).
الماوردي: ١/ (٤٧١)، ٥٦٥، ٢/ ٦٠١.
مبشر بن عبيد: ٢/ (٥٨)، ٥٩، ٥/ ٥٤٧، ٥٤٩، ٩/ ٥٩٦.
مت بن عبد الرحمن: ٢/ (٢٦٨).
المتلمس: ٢/ (٢٠١)، ٤/ ٥٨١.
متمم بن نويرة: ٣/ (٤٧٦)، ٤/ ٦٠٧، ٦/ ٩٤، ١٠/ ٩٩.
المتنبي: ٩/ ٧١٥، ٧١٨.
المتنخل الهذلي: ٢/ (٥٦٣)، ٨/ ٣٨١، ١٠/ ٢١٦.
المثقب العبدي: ٥/ (١١٩)، ١٠/ ٢١٣.
مجاهد: ١/ ١٥٨، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ٢٤١، ٢٥٦، ٢٦١، ٢٦٨، ٣١١، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٧، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٧٣، ٣٨٤، ٣٨٨، ٤١١، ٤١٢، ٤١٤، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٣٢، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٩، ٤٤٣، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥١، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٦، ٤٧٧، ٤٨٢، ٥٢٠، ٥٣٩، ٥٤٥، ٥٥٥، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٢، ٥٨١، ٥٨٦، ٥٩٢، ٥٩٧، ٦٠٤، ٦٠٨، ٦١٤، ٦٢٢، ٦٢٥، ٦٢٨، ٦٣٨، ٦٦١، ٦٦٥، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٦، ٦٧٨، ٦٨٠، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٩٥، ٦٩٧، ٦٩٩، ٧٠١، ٧١١، ٧١٢، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢٢، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٣، ٧٣٨، ٧٤١، ٧٤٤، ٧٥٧، ٧٦٠، ٢/ ١٠، ١١، ١٩، ٢٢، ٣٣، ٣٤، ٣٧، ٣٨، ٤٢، ٤٤، ٥٢، ٥٦، ٥٧، ٦١، ٦٢، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٧٦، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٥، ١١٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٣، ١٥٣، ١٦١، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٨، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٣، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٩٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٦، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٧٣، ٣٨٤، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٨، ٤٠٢، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٢، ٤١٩، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٥١، ٤٦٠، ٤٦٢، ٤٧١، ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٩٣، ٤٩٦، ٥٠٠، ٥٠٨، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٩، ٥٢٩، ٥٣٠ ٥٥٤، ٥٦٢، ٥٩٤، ٥٩٥، ٦١٢، ٦٢٥، ٦٥١، ٦٥٤، ٦٦٥، ٦٦٨، ٦٨٤، ٦٩٩، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٩، ٧١٠، ٧٢٤، ٧٤١، ٣/ ٧، ٩، ١٢، ١٣، ١٦، ٢٤، ٢٩، ٣٣، ٣٥، ٤٨، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦٦، ٧١، ٨٢، ٨٣، ٨٩، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٥، ١١٣، ١١٥، ١١٦، ١٣٦، ١٤٠، ١٤١، ١٤٤، ١٤٨، ١٤٩، ١٦٣، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٧، ٢٢٢،

٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٤، ٢٥٣، ٢٧٦، ٢٧٧،
٢٨٥، ٢٩٠، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣١٦، ٣١٩،
٣٢٩، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٥٢، ٣٦٣، ٣٨٧،
٣٩٥، ٤١١، ٤٢٤، ٤٢٩، ٤٣٦، ٤٤٨،
٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧٥، ٤٧٨، ٤٨١،
٤٨٧، ٤٩٢، ٥٠٥، ٥١٠، ٥١٦، ٥١٨،
٥٢٧، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٤٩، ٥٥١، ٥٦٣،
٥٧١، ٥٧٣، ٥٨٨، ٥٩١، ٥٩٤، ٦٠٥،
٦٠٩، ٦١٩، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٣٢، ٦٣٥،
٦٤٦، ٦٦٠، ٦٧٣، ٦٧٥، ٦٨٤، ٦٩٨،
٧٠٥، ٧٠٦، ٧١٣، ٧١٨، ٧٣٠، ٧٥٠،
٧٦٠، ٤/ ١٤، ١٨، ٢٨، ٣٤، ٣٩، ٤٧،
٥٠، ٥١، ٥٩، ٦٥، ٧٠، ٨٠،، ٨١، ٨٤،
٨٩، ١٠١، ١٠٦، ١٠٨، ١٢٠، ١٢٨، ١٣٠،
١٣٨، ١٤٥، ١٤٩، ١٦١، ١٦٩، ١٧٤،
١٧٧، ١٧٩، ١٨٣، ١٩٣، ١٩٩، ٢٠١،
٢٠٤، ٢١٠، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٣١،
٢٣٢، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١،
٢٤٧، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٧٠،
٢٧٩، ٢٨١، ٢٩٦، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٣٨،
٣٤٠، ٣٥٦، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥،
٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٧، ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٦،
٣٨٩، ٣٩٦، ٣٩٩، ٤١٣، ٤١٦، ٤١٩،
٤٢٧، ٤٣١، ٤٣٤، ٤٤٥، ٤٥٠، ٤٥٣،
٤٥٦، ٤٦٣، ٤٦٥، ٤٦٩، ٤٧٦، ٤٧٧،
٤٨٣، ٤٩٠، ٤٩٢، ٤٩٣، ٥٠٤، ٥١٠،
٥١٤، ٥٣٤، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٦، ٥٤٩،
٥٥٢، ٥٥٦، ٥٥٩، ٥٧٣، ٥٧٦، ٥٧٩،
٥٨٢، ٥٨٨، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٧، ٦٠٢،
٦٠٥، ٦٠٩، ٦١٣، ٦١٧، ٦٣٠، ٦٣٥،
٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥٤، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨،
٦٦٦، ٦٦٧، ٦٧٠، ٦٧٤، ٦٧٧، ٦٨٥،
٧٠٧، ٧١٥، ٧١٦، ٧٢٣، ٧٢٥، ٧٢٩،
٧٣٤، ٧٣٥، ٥/ ٧، ٢٠، ٢١، ٢٩، ٣٩، ٤١،
٦٦، ٧٤، ٧٨، ٨١، ٨٩، ١٠٦، ١٢٢، ١٣٦،
١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٨، ١٦٧، ١٧٢،
١٩٤، ٢٠١، ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٣٥،
٢٦٢، ٢٦٣، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٨٥، ٣٠٤،
٣٠٩، ٣٤٣، ٣٦٣، ٣٦٧، ٣٧٢، ٣٧٨،
٣٩٤، ٣٩٥، ٤٠٠، ٤٠١، ٤١١، ٤١٤،
٤١٥، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٩، ٤٣١، ٤٣٢،
٤٣٣، ٤٣٨، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٨،
٤٥٠، ٤٥٢، ٤٥٩، ٤٦١، ٤٦٩، ٤٧٢،
٤٧٧، ٤٨٨، ٤٩٧، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠٢،
٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥١٤، ٥٢٠، ٥٣٠،
٥٣٥، ٥٤٨، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٨، ٥٦٤،
٥٦٦، ٥٦٧، ٥٧٥، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٨٢،
٥٨٤، ٥٩٠، ٥٩٣، ٥٩٧، ٦٠١، ٦٠٥،
٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٨، ٦٢٤،
٦٢٦، ٦٢٧، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٦، ٦٤٨،
٦٥٨، ٦٥٩، ٦٧١، ٦٧٤، ٦٨٢، ٦٩١،
٦٩٤، ٦٩٧، ٦٩٨، ٧٠١، ٧١٢، ٧٢٠،
٧٢٤، ٧٢٨، ٧٤١، ٧٤٦، ٧٥٠، ٧٥٣،
٧٥٦، ٦/ ٩، ١٣، ٢٤، ٢٦، ٣٣، ٤٢، ٥٠،
٥١، ٥٨، ٦١، ٦٩، ٧٠، ٧٤، ٧٧، ٨٠، ٨٦،
٨٧، ٩٥، ٩٨، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١١٣،
١٢٤، ١٣٥، ١٤٠، ١٥٤، ١٥٥، ١٦٠،
١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٠، ١٨٥،

١٨٩، ١٩١، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠٦، ٣١٥، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٢٦، ٣٣٦، ٣٤٩، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٦٦، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٩، ٣٩٠، ٣٩٤، ٣٩٨، ٣٩٨، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤١٤، ٤٤٥، ٤٥٠، ٤٥٦، ٤٥٩، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٧٠، ٤٧٢، ٤٧٤، ٤٧٧، ٤٨٩، ٤٩٦، ٤٩٩، ٥١٠، ٥١٨، ٥٢١، ٥٢٤، ٥٢٦، ٥٣٨، ٥٦٢، ٥٧٤، ٦٣٣، ٦٣٩، ٦٨٥، ٧٣١، ٧/ ٥، ١٢، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٣، ٢٦، ٢٨، ٣٤، ٣٦، ٤٠، ٤٢، ٤٦، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٨٨، ٨٩، ٩٢، ٩٥، ٩٨، ٩٩، ١٢٠، ١٢٤، ١٣٣، ١٣٨، ١٤٨، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٩، ١٦١، ١٦٧، ١٩٠، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣٨، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣١١، ٣١٣، ٣١٥، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٧، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤٥، ٣٥٤، ٣٧٠، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٨٠، ٣٨٣، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٣، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤١٦، ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٥٢، ٤٦١، ٤٨٤، ٤٩٢، ٥٠٠، ٥٠٤، ٥١٢، ٥١٥، ٥٢١، ٥٢٤، ٥٢٨، ٥٣٣، ٥٣٧، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٥٩، ٥٦٣، ٥٧١، ٥٧٣، ٥٧٩، ٥٨٨، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٦، ٥٩٨، ٦٠٠، ٦٠٥، ٦٢٠، ٦٢٥، ٦٢٨، ٦٣٥، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٤٠، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٦٧، ٦٦٩، ٦٧٢، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٨،٦٨٣، ٦٩٥، ٧٠٤، ٧١٠، ٧٢٣، ٧٢٦، ٨/ ١٧، ٢٩، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٥٠، ٦٩، ٨١، ٨٢، ٩٩، ١١٦، ١٢١، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٢، ١٤٤، ١٥٢، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٢، ١٩٤، ٢٠١، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٤، ٢٢٦، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٨، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩٤، ٣٠٨، ٣١١، ٣١٥، ٣١٧، ٣٢٨، ٣٣٦، ٣٤٧، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٦٤، ٣٦٩، ٣٧٤، ٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٧، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٤١، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٥٥، ٤٦٦، ٤٦٨، ٤٨٤، ٤٨٩، ٤٩٨، ٥٠١، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٤، ٥٢٤، ٥٢٧، ٥٣٢، ٥٣٧، ٥٤٩، ٥٥٤، ٥٥٦، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٥، ٥٦٧، ٥٧٠، ٥٧٦، ٥٩٠، ٦٠١، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٧، ٦١٩، ٦٢٣، ٦٣٠، ٦٣٢، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٥٤، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦٢، ٦٦٨، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٥، ٦٨٥، ٧٠٠، ٧٠٥، ٧١١، ٧١٣، ٧١٤، ٧٢٣، ٧٣٠، ٧٣٦، ٧٤٦، ٧٥١، ٩/ ٦، ٧، ١٠، ١٢، ٣١، ٤١، ٤٥، ٥٣، ٥٨، ٨١، ٨٣،

٨٧، ٨٩، ١٠٢، ١١٨، ١٢٢، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٤١، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٩، ١٥١، ١٥٧، ١٦٣، ١٧١، ١٧٥، ١٧٨، ١٨١، ١٨٢، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢١، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٤١، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦٥، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨٦، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٨، ٤١٤، ٤١٦، ٤٢٦، ٤٤٢، ٤٤٦، ٤٦٤، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٨٠، ٤٩١، ٤٩٤، ٤٩٦، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥١٦، ٥٢٠، ٥٢٣، ٥٣٠، ٥٣٩، ٥٥٣، ٥٦١، ٥٦٣، ٥٨٥، ٥٨٧، ٥٩١، ٦١١، ٦١٤، ٦٢١، ٦٢٤، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٥، ٦٣٧، ٦٤٠، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٦٥، ٦٧٦، ٦٨٠، ٦٨٦، ٦٩٥، ٧٠٢، ٧٠٥، ٧١٤، ٧١٨، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٨، ٧٣١، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٣، ٧٤٥، ١٠/ ٦، ٨، ٩، ١٢، ١٥، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٥، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٤٠، ٤٦، ٥١، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٨٤، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٧، ١٦٠، ١٧١، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٩، ١٩١، ١٩٧، ٢١٤، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٣٤، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٠٠، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦٣، ٣٦٨، ٣٧٦، ٣٨٨، ٤٠٢، ٤١٠، ٤١١، ٤١٧، ٤١٨.

مجمع بن جارية: ٥/ (٩٢)، ١٠٥.

محارب بن دثار: ٢/ (٣٥٤)، ٧٣٨، ٣/ ٢١٩، ٥/ ٥٣٧.

المحاسبي: ٧/ ٦٧٢، ٩/ ١٥٧، ١٠/ ٣٠٣.

محبوب: ٢/ (٤٨١)، ٤/ ٢٢٣.

محشي بن حمير: ٥/ ٢٩، ٧٠.

محصن الأسدي: ٣/ ٦٤٤.

محمد الكوفي المفسر: ٦/ ٣٥١.

محمد اليماني: ٦/ ٢٧، ٧/ ٣٢٩.

محمد بن أبي صفرة: ٧/ ١٧٩، ١٨٠.

محمد بن أبي موسى: ٣/ ٣٢٥، ٦٥٤، ٦/ ٢٥٣.

محمد بن إسحاق (صاحب السيرة): ١/ (٣٩٣)، ٣٩٤، ٣٩٨، ٤٣٠، ٤٥٨، ٤٦٥، ٥٢٨، ٥٦١، ٦٩٦، ٢/ ٨، ٦٠، ١٣٢، ١٧٢، ١٧٧، ١٩١، ١٩٥، ١٩٧، ٢٥١، ٣٠٦، ٣٨٤، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٢، ٤١١، ٤١٤، ٤٢٧، ٤٢٨، ٥١٧، ٥٣٢، ٥٩٥، ٥٩٧، ٦٠١، ٦١٢، ٦١٥، ٦١٨،

٦٢٩، ٦٤٣، ٦٥٠، ٦٥٧، ٦٦٠، ٦٦٣، ٦٦٦، ٦٧٩، ٦٨٤، ٧٠٦، ٣/ ٤٤٩، ٤٧٢، ٤٨٢، ٥٣٩، ٥٤٠، ٦١١، ٤/ ٤٦، ٦٠، ٦١، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٥١، ٣٩٧، ٤٥٨، ٥١٦، ٥٤٦، ٥٦٥، ٥٨٠، ٦٤٤، ٦٥٧، ٧٣٦، ٥/ ٢٧، ٢٨، ٣٩، ٥٩، ٦٤، ٧٨، ٨١، ٨٩، ٩٠، ٢٤٩، ٣١٥، ٣٤٩، ٤١٤، ٤٣٢، ٤٣٨، ٤٦٢، ٤٦٨، ٤٨٨، ٥٠٠، ٥٠١، ٥١٣، ٥١٧، ٥٢٢، ٥٢٩، ٥٣٢، ٥٣٥، ٥٣٩، ٥٤٢، ٦/ ١١٣، ١٢٣، ١٤٧، ١٥٨، ٢٥٥، ٣١٢، ٣١٧، ٤٣٥، ٤٤٦، ٧/ ١٨١، ١٨٢، ١٨٤، ٢٦٧، ٤٢٠، ٤٧٧، ٤٨٥، ٤٩١، ٤٩٦، ٥٢٩، ٧٢٧، ٨/ ١٧٨، ٢٢٦، ٢٧٢، ٢٨٣، ٣٨٦، ٥٦٦، ٦٨٢، ٧٣٨، ٧٤٨، ٩/ ٧٦، ٨٣، ٤٣٢، ٦٧٦، ١٠/ ٢٠٣، ٢٤٩، ٢٩٥، ٣١١.

محمد بن إسماعيل الصائغ: ٢/ (٩٤).

محمد بن الأشعث الطالقاني: ١٠/ ٣٣٨.

محمد بن الجهم: ١/ (٢٩٥).

محمد بن الحسن الشيباني: ١/ (٦٥٠)، ٢/ ٧٩، ٣/ ٢٨٣، ٨/ ٣٥.

محمد بن الحنفية: ١/ (٢٥٠)، ٣/ ٤٢٥، ٧٣٠، ٤/ ١٤٨، ١٤٩، ١٥٦، ٦/ ٥٦١، ٧/ ٢٠٤، ٦٨٠، ٧٢٣، ٨/ ١٠٠، ٥٩٣، ١٠/ ٣٩٠.

محمد بن المنكدر: ٢/ (٣٩)، ٤/ ٣٥١، ٦/ ١٨٧، ٨/ ٤٠٩، ٩/ ٣٣٥، ٥٢٨، ٦٦٦.

محمد بن النضر الحارثي: ٣/ (٧٥٧).

محمد بن جحادة: ٨/ (٤٠١).

محمد بن جعفر بن الزبير: ٢/ (٣١٠)، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٧٨، ٤٣٧، ٤٤٥، ٤٤٨.

محمد بن زياد الأعرابي: ٥/ (٣٤٤).

محمد بن سحنون: ٣/ (٢٨٦).

محمد بن سهل بن عسكر: ٦/ (٢٦٥).

محمد بن صالح: ٢/ (٥٨٧).

محمد بن طلحة: ١/ (٥٩٤)، ٨/ ٢١٨.

محمد بن طلحة عن أبيه: ٩/ ٢٢.

محمد بن عباد بن جعفر: ٢/ (٥٢٣).

محمد بن عبد الملك بن مروان: ٤/ (٧٣٢).

محمد بن عجلان: ٥/ (٥٨١).

محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب: ٤/ ٦٣٠.

محمد بن عيسى الأصبهاني: ٧/ (٤٠٧).

محمد بن قيس: ٣/ ٦٦، ٤/ ٥٥٠، ٥/ ٣٤٤.

محمد بن قيس بن مخرمة: ٢/ (٦٩٤).

محمد بن كعب القرظي: ١/ (١٤٧)، ٤٥٠، ٤٥١، ٧٢٥، ٧٣٤، ٢/ (٣٦)، ٤٠٥، ٤٠٧، ٧٣٣، ٧٤٢، ٣/ ٣٥٥، ٣٦٨، ٣٧١، ٣٨٧، ٤١٦، ٤٢٠، ٤٥٨، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٧٦، ٤/ ٦٥، ٢٠٩، ٢٤٠، ٢٥٣، ٤٤٠، ٥٩٠، ٦٧٤، ٥/ ٥٣، ٦٦، ٢٣٥، ٢٣٧، ٣٢٣، ٣٩٤، ٥٥٥، ٦٥٢، ٧١١، ٦/ ٢٩٢، ٤٠٤، ٤٨٧، ٤٩٣، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٥٩، ٧/ ١٦، ٥٦، ٢٧٤، ٢٩٤، ٤٣٧، ٧٠٠، ٨/ ٢١٤، ٢٧٢، ٣٠٢، ٤٣٣، ٤٤٢، ٤٧٠، ٦٥٣، ٦٩٩، ٧٢٣، ٩/ ٢٨، ١٢٩، ٢٤٤، ٢٧٠، ٤٣٣،

٧٠٩، ٧٣٧، ١٠/ ١٦٠، ١٩٨، ٢٣١، ٢٤٩، ٢٥٢، ٣١١، ٣٤٦، ٣٩٥، ٤١١، ٤١٧، ٤١٨.
محمد بن مروان: ٥/ (٣٥٦).
محمد بن مروان الطاطري: ٣/ (٤٤٥).
محمد بن مسلمة: ٣/ ١٧٢، ٤٣٤، ٤٣٨، ٥/ ٧، ٨/ (٤٢)، ٩/ ٤٢.
محمد بن نعيم: ٤/ ١٦٨.
محمد بن يحيى بن حبان: ١/ (٢٢٣)، ٤/ ٥٥٩، ٥/ ٧٠٤.
محيصة: ٧/ ١٨٦.
المخبل السعدي: ٦/ ٣٣٧.
المختار بن أبي عبيد: ٤/ (٧٦)، ١١٩.
مخشن بن حمير: ٥/ ٢٨.
المخشي بن خويلد: ٤/ ٦٤٦.
مخيريق: ٣/ (٣٦٥).
مدعم: ٢/ (٦٨٢).
مرارة بن الربيع: ٤/ (٧١٧)، ٥/ ٨٩، ١٢٤.
مرة البهزي: ٧/ (١١٤).
مرة الهمداني: ٤/ ١٠٥، ٨/ (٥٧٨)، ٩/ ٣١٨، ٤٩٥، ٦٣١.
مرثد الغنوي: ٤/ ٧.
مرثد بن سعد بن عفير: ٤/ ٣٠٦، ٣٠٧.
مرجانة أم سعيد: ٩/ ٣٣٥.
مرداس: ٥/ ٨١.
مرداس بن نهيك الغطفاني: ٣/ (٢٦٥).
المرزبان: ٤/ ٤٩٧.
المرقش: ٥/ ١٥٠.
مروانُ بنُ الحكم: ١/ (٢٣٤)، ٢٣٥، ٢/ ١٧٤، ١٧٢، ٥/ ٢٩٧، ٣/ ٧٢٥، ٣٤٥، ٧١١، ٨/ ٧٤١، ٧٤٢، ٩/ ٧٣، ٨٠.
المروذي: ٦/ (٢٧٣).
مزاحم العقيلي: ٦/ (٥٢٩).
مزرد بن ضرار: ٤/ (٥٤٤).
مزيدة: ٦/ ١٠٤.
مسافر بن أبي عمرو: ١/ (١٨٩)، ٢/ ٥٧٦، ٧/ ٢٢٦.
مسافع الجمحي: ٧/ (٣٩٢).
مسروق بن الأجدع: ١/ (١٥٧)، ٧٠٧، ٢/ ٥٢، ٩٤، ٣٧٤، ٣/ ٢٥٩، ٣١٩، ٦٥٠، ٤/ ٢٩١، ٣٧٧، ٥/ ١٤٧، ٣٠٩، ٥٥٥، ٦/ ٢٠٩، ٤٤٢، ٤٩١، ٤٩٢، ٧/ ١٨٤، ٥٢١، ٧٢٢، ٨/ ١٥١، ١٦٣، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٧٣١، ٩/ ٩٣، ٢٤٤، ٤١٥، ٥٦٨، ٥٨٢، ١٠/ ١١٨، ١٩١، ٢٤٦.
مسطح بن أثاثة: ٢/ (٤٣)، ٧/ ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٩٢.
مسكين الدارمي: ٤/ (٤٥٢).
مسلم البطين: ٢/ (٧٢٠).
مسلم بن الحجاج: ١/ ١٧٥، ٢/ ١٨، ٣/ ١١٢، ٤/ ١٧٨، ٧/ ٧٢.
مسلم بن جندب: ١/ (٢٧١)، ٤٩٢، ٢/ ٢١٩، ٣/ ٣١٣، ٤٦٠، ٥/ ٣١٠، ٨/ ٩٧، ١٩٤، ٥٦٤، ٩/ ٣٢٨، ٧٢٤، ١٠/ ١٥٧، ١٦٣.
مسلم بن محمد الطائفي = محمد بن مسلم الطائفي: ٥/ ٦٧٤.
مسلم بن يسار: ٣/ (٣٥١)، ٥/ ٥٥٦.

مسلمة بن عبد الله النحوي: ٣/ (٣٤٦)، ٩/ ٣٧٧، ٥٢٢.
مسلمة بن عبد الملك: ٣/ (٣٧).
مسلمة بن محارب: ٤/ ٥٠٨، ٧٣٦، ٧٤٨، ٦/ ١٣٢، ٧/ ٢٣٤، ٢٩٢، ٨/ ٦٩٩.
المسور بن مخرمة: ٧/ (٢٠٧)، ٩/ ٧٣، ٨٠.
المسيب بن علس: ٧/ (٣٦٩)، ١٠/ ٦٤.
المسَيَّبي: ١/ ٢٠٨، ٧٥٥، ٢/ ٣١١، ٣/ ٧٥٩، ٤/ ٦٦٤، ٦/ ٣٧٤، ٧/ ٣٤، ٨/ ٦١٢، ٩/ ٦١٨.
مسيلمة الكذاب: ٤/ ٧٤، ٧٥، ٧/ ٣٠٩.
مصرع بن مهرج: ٤/ ٣١٣.
مصعب بن الزبير: ٤/ ٢٧٧، ٥/ ٧٢٨.
مصعب بن سعد بن أبي وقاص: ٣/ (٦١٢)، ٥/ ٦٠٦.
مصعب بن عمير: ٤/ ٦٢٨.
مضر: ١٠/ ١٤٦.
مطر الوراق: ٢/ (٤٣٧)، ٤٩٤، ٦/ ٢٩٣، ٣٥٢، ٨/ ١٠٦، ٦٩٦، ٩/ ٢٨٧.
مطرف بن الشخير: ٣/ (٣٩٥)، ٧/ ٥٩٦، ٦٥٤، ٨/ ١٥٢، ٤٣٩، ٩/ ٤٥٠، ١٠/ ٣٦.
مطرف بن عبد الله = أبو مصعب: ٣/ (١٠٦)، ٥/ ١٣، ٦/ ٧٠٢، ٧/ ١٧٢، ٨/ ٢٥٦، ٩/ ١٧٨.
المطعم بن عدي: ٤/ ٥٤٩، ٥/ ٩١.
المطلب بن أبي وداعة: ٣/ (٦٥٨).
معاذ النحوي: ١٠/ ١٠١.
معاذ بن الحارث: ٨/ (١٩٣).
معاذ بن جبل: ١/ ٢٣٠، ٦٦٩، ٧٣٥، ٧٥٤، ٢/ ١١، ٣٠٣، ٣٤٠، ٥٥٣، ٣/ ٦٤، ٦٨٠، ٥/ ١١٢، ٣٩٦، ٤٠٥، ٥٥٢، ٦/ ٦٩، ١٣٢، ١٣٤، ٧/ ٩٦، ٢٧٢، ٦٢٩، ٦٩٩، ٧٠٥، ٨/ ٢٨، ٤٥٩، ٥٧٢.
معاذ بن عفراء: ٤/ ٥٢٨.
معاذ بن مسلم: ٦/ ٥٣٢.
معاوية بن أبي سفيان: ٢/ ١٤٤، ٤٠٠، ٤/ ٥٥٠، ٦٥٢، ٧٠١، ٦/ ١٤٧، ١٧٥، ٢٣٦، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٦٤، ٧/ ١٧٠، ١٨٣، ٧٤٦، ٨/ ٢٧٢، ٥٣٧، ٦٣١، ٧٤٢، ٩/ ١١٦، ٥٣٢، ١٠/ ٣٢١، ٤٠٨.
معاوية بن بكر: ٤/ ٣٠٦، ٣٠٧.
معاوية بن حيدة: ٢/ ٥٥٤.
معاوية بن قرة: ١/ (٦٨٤)، ٤/ ٤٠٢، ٧/ ٦٠٦، ٩/ ١١٦، ٦٢٢.
معاوية بن محمد: ٤/ ٧٣٢.
معبد الجهني: ٤/ (٢٣٤).
معبد الخزاعي: ٢/ (٦٤٥)، ٦٩٧، ١٠/ ٣٨١.
معتب بن قشير: ٢/ ٦٥٩، ٤/ ٥٩٤، ٥/ ٤٢، ٥٩، ٦٨، ٩١، ٧/ ٧٣٢.
المعتمر بن سليمان: ٣/ (٢١)، ٧/ ٢١٢، ٤١٣، ٨/ ٦٤٩.
معدان بن أبي طلحة: ٣/ (٣٨٠).
معقل بن هارون: ٥/ ٦٧.
معقل بن يسار: ٢/ ٧٣.
المعلى بن منصور: ٧/ (٣٢)، ٩/ ٤٨٧.
معمر بن راشد: ٤/ ٢٠٥، ٤٦٢، ٦٨٣.

معن بن عدي: ٥/ (٩١).
المعيطي: ١/ (٤٤٦).
مغيث بن سمي: ٥/ (٦١٠).
المغيرة المالكي: ٧/ ١٧٨.
المغيرة بن حكيم: ٨/ (٩٣).
المغيرة بن شعبة: ٤/ ٥٤٢، ٦/ ٤٩٦، ٤٩٧، ٧/ ١٧٠، ١٧١، ٨/ ٤٢، ١٠/ ٢٩.
مغيرة بن مقسم: ٤/ (١٠٥).
المفضل الضبِّي: ١/ (١٦٣)، ٢٨٣، ٣٢٠.
المفضل المقرئ: ٢/ ٣٤، ٨٥، ٢٢٩، ٢٥٤، ٥٧٩، ٣/ ٧٧، ١٢٢، ١٤٣، ٤/ ٦٢٣، ٦٢٦، ٥/ ١٣٣، ٣١٢، ٦/ ٨، ٧/ ١٣، ٥٦٨، ٦٥٩، ٧٠٠، ٨/ ١٨٥، ٤٣٩، ٥١٠، ٦١١، ٩/ ١٢، ١٣، ١٦٧، ٢٨٤، ٣٥٧، ٥٣٩، ٥٥٣، ٥٦٨، ٥٧٥، ٦٩٣، ٧١٢، ١٠/ ٢٥، ٢٠٥.
مقاتل بن حيان: ٣/ (٢٣٩)، ٥/ ٦٦٨، ٨/ ٢٨٧، ٩/ ٢٠٤، ٢٥٨، ١٠/ ١٠٠.
مقاتل بن سليمان: ١/ (٣٥٩)، ٤١٧، ٢/ ٢٥١، ٤/ ١٩١، ٣٢٦، ٣٥٧، ٣٨٩، ٤٧٢، ٤٨٩، ٥٥١، ٥/ ٢٨، ٢٥٧، ٤١٤، ٦/ ١٤٥، ١٥١، ٣٤١، ٧/ ٢٩٣، ٣٣٣، ٣٨٣، ٤٠٥، ٤٦٥، ٤٧١، ٤٩١، ٥٦٥، ٦٠٥، ٦٨٧، ٧٠٣، ٧٣٢، ٧٤٥، ٧٥١، ٨/ ١٣، ٢٢، ٤٤، ١٨٦، ٢٠٢، ٢٧١، ٢٩٠، ٣٨٢، ٤٥٦، ٤٩٨، ٥٢٥، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٤٧، ٥٦٩، ٥٨٣، ٥٨٤، ٧٦٣، ٩/ ٢٥٧، ٤٤٧، ٤٥١، ٤٥٢، ٥٢٣، ٥٣٦، ٧٠٩، ٧١٧، ١٠/ ٤٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٨٧، ٩٥، ١٥٠، ١٨٠، ٢٢٢، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٦٨، ٢٧٧، ٢٨٣، ٢٨٧، ٣٠٩، ٣٤٣، ٣٧٢، ٣٧٦، ٣٧٧، ٤٠٣.
المقبري = أبو سعيد المقبري: ١٠/ (٢٥٠).
المقداد بن الأسود: ٢/ (٦٧٥)، ٣/ ٢٢١، ٤٧١، ٤٧٢، ٥٩٨، ٤/ ٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٦٢٨، ٧٢٦، ٧/ ٣٢٨، ٩/ ٤٨٥، ١٠/ ٣٥٥.
مقسم: ١/ ٦٩٩، ٢/ ٢٧٨، ٣/ ٣٦، ٤/ ٥٧٦، ٥/ ٧٥٥.
مقيس بن صبابة: ٣/ ٢٦١، ٦/ ١١٦.
مكحول: ١/ (٧١٩)، ٢/ ٤٦، ٥٣، ٣٠٢، ٣٧٤، ٦٠٢، ٣/ ٣٠، ٩٧، ١٧٣، ٤/ ٤٩٥، ٤٩٧، ٦/ ٣٠٣، ٧/ ٢٥٩، ٢٧٦، ٩/ ٥٣٠، ١٠/ ١٩١.
مكيُّ بْنُ أبي طالب: ١/ (١٦٤)، ١٨٤، ٢٠٢، ٢٣٠، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٨١، ٢٩٩، ٣١٩، ٣٥١، ٣٥٧، ٣٨٠، ٤١٠، ٤٤٤، ٤٤٩، ٤٦٩، ٥١١، ٥١٩، ٥٢٦، ٥٧٠، ٥٨٤، ٦١٢، ٦٢٧، ٦٨٢، ٦٩٤، ٧٠٣، ٧٣٦، ٧٦٢، ٢/ ٢٥، ٣١، ٦٦، ٩٠، ٩١، ٩٦، ١٠٦، ١١٣، ١٥١، ١٧٨، ٢٠٣، ٢٠٨، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٧٦، ٢٨١، ٢٨٨، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٦٢، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٨٧، ٣٩٠، ٣٩١، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٢٠، ٤٣٤، ٤٥٧، ٤٩٠، ٥١٨، ٥٨٣، ٦٢٦، ٦٤٠، ٧٠٤، ٣/ ٣٢، ٤٨، ١٤٣، ١٥٦، ١٧٨، ١٧٩، ١٩٥، ١٩٩، ٢١٠، ٢١٢،

٢١٤، ٢٢٥، ٢٥٨، ٥١٤، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٢، ٥٣٥، ٥٨٥، ٥٨٦، ٦٣١، ٦٥٧، ٦٧٧، ٦٩٨، ٧١٥، ٧٤٩، ٧٥٢، ٤/ ٤٠، ١٥٦، ١٦٦، ١٩٤، ٢٤٢، ٢٥٦، ٢٨٢، ٣١٢، ٣٢٣، ٣٣٣، ٤١٤، ٤٦٥، ٤٦٧، ٤٧٧، ٥٣٧، ٥٥٣، ٥٩٦، ٦٢١، ٥/ ٨٣، ٢٢٦، ٢٣٣، ٣١٢، ٤٠٧، ٤٥١، ٥٢٧، ٥٦٢، ٥٩٠، ٥٩٨، ٦٠٠، ٦٢٩، ٦٧٩، ٦/ ١٣٧، ٣٢٩، ٣٦٨، ٤٨٣، ٥١٢، ٦٣٢، ٧/ ٢١٢، ٢١٦، ٢٢٢، ٢٦٨، ٢٩٠، ٣٤٥، ٣٦٢، ٤٨٤، ٤٩٦، ٤٩٨، ٥٧٠، ٦٢٢، ٦٢٧، ٦٤٢، ٨/ ٤٨، ٩٢، ١٧٨، ٢٠٠، ٢٣٥، ٢٣٨، ٣٤٤، ٣٨٠، ٦٥٩، ٧٠٠، ٩/ ٤٦، ٨٤، ١٧٩، ٢٠٩، ٢٥٧، ٢٨٦، ٣٠٧، ٣١٤، ٣٥٣، ٣٦٦، ٤٦٠، ٤٧٠، ٥٠٩، ٦١٠، ٦٩٩، ١٠/ ٩، ٩٨، ١٧٦، ٢١٣.

مكي عن معمر: ٨/ ٤٨.

ملحم بن جثامة: ٣/ (٢٦٤)، ٢٦٥.

مليكة بنت خارجة: ٣/ ٨٤.

منبه بن الحجاج: ٧/ ٦٧٧، ١٠/ ٣٩٨.

المنخل: ٤/ ٧٠١، ٥/ ٤١٥.

منذر بن سعيد: ١/ (٣٢٥)، ٢/ (٨٥)، (١٦٣)، ٣٨١، ٦٠٧، ٦١٨، ٤/ ١٦٨، ٣٢٦، ٥٧١، ٦٤٨، ٦٥٠، ٥/ ٤٣٤، ٥٢٠، ٥٣٤، ٥٦٢، ٦٩٥، ٧٣٤، ٦/ ٢٠٦، ٣١٥، ٥٤٣، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧١٤، ٧/ ١٢٦، ١٩١، ٨/ ٢١٣، ٩/ ٤٨، ٦٣، ٦٤، ٦٧، ٧٦، ١٠٣، ١٢٩، ١٣٧، ١٤٦، ١٧٢، ١٧٩، ٢٠٨، ٢١٥، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٧١، ٣١٣، ٣١٧، ٣٢٩، ٤٣٣، ٤٣٧، ٥٠٦، ٥١٢، ٦٠٤، ٦١١، ٦٢٨، ٦٣٥، ٦٥٧، ٦٧٦، ٧٤٥، ٧٤٦، ١٠/ ١٢٠، ١٤٣، ٢٥٧، ٣٤٤.

منصور بن معتمر: ١/ ٥٩٩، ٢/ (٥٦٥)، ٣/ (٣٠١)، ٦٠٥، ٧/ ٥٧٣، ٩/ ٨٧، ١٠/ ٣١٥، ٣٣٢.

منظور بن زبان: ٣/ (٨٤).

المنهال بن عمرو: ٨/ (٥٤٣).

مهجع مولى عمر بن الخطاب: ٤/ (٥٢٨)، ٧/ ٥٥١.

المهْدَوِيّ: ١/ (١٣٦)، ١٦٤، ٢٠٨، ٢٣١، ٣١٤، ٣٣١، ٣٤٦، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦٢، ٣٧٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٤٢٦، ٤٤٦، ٤٧٣، ٤٩٣، ٥٠٨، ٥١٢، ٥٤١، ٥٤٨، ٥٥٧، ٦٩٤، ٧٣٦، ٧٤٥، ٧٦٤، ٢/ ٦، ٧، ٨، ٩، ٤٢، ٨٣، ٨٤، ٨٦، ١١٧، ١٧٤، ١٩٨، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٥، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٤، ٢٧٦، ٢٨١، ٣٠٠، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٤٢، ٤٩٠، ٥٧١، ٥٩٥، ٥٩٦، ٦٤٢، ٦٤٨، ٦٥٩، ٦٦٤، ٣/ ٣٣، ١٠٤، ١٥٠، ٢٢٢، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٤٨، ٢٦١، ٢٨٠، ٤٠٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥٨٥، ٦٢٣، ٦٥٦، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧١٠، ٧١٧، ٧٣٥، ٧٤٩، ٤/ ١٠، ١٣، ٢٦، ٧٥، ٧٩، ٨٨، ٩٧، ١٢١، ١٤٢، ٢٧٠، ٢٨١، ٣٤١، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٨٥، ٣٨٨، ٤٠٠، ٤٤٦، ٤٩٣، ٥٢٧، ٥٣٨، ٥٧٩، ٥٨٢، ٥٩٠، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٤٨، ٧١٠، ٧١١، ٧١٨، ٧٣٧، ٥/ ٩٠، ١٥٤،

٢٤٨، ٤٥١، ٤٩٦، ٥٤٥، ٥٦١، ٥٦٧، ٥٦٩، ٦٣٨، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٤، ٦٥٦، ٦٨١، ٦/ (٣٩٢)، ٢٨٤، ٢٨٨، ٣١١، ٣١٣، ٣٣٧، ٤٣٠، ٤٣٥، ٤٤٢، ٤٤٥، ٧/ ٩، ١٩، ٢٥٠، ٢٩٢، ٤٤٧، ٤٧٦، ٤٨٢، ٥٠٥، ٦٨٢، ٧١٣، ٨/ ٦٢٢، ٩/ ٢٥٦، ٢٧٩، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٢٠، ٤٣٢، ٤٦١، ٤٧٠، ٥٠٩، ٥٤٢، ٥٧٢، ٥٨٨، ٦٥٧، ٦٦٨، ٧١٨، ٧٣٣، ١٠/ ٧٦، ١٠٧، ٢٨٥، ٣٥٣.

مهلهـل: ١/ (٤٢٦)، ٤/ ٣٣٣، ٧٤٩، ٥/ ٣٥٥.

مـؤرج بـن عمـرو السدوسـي: ٤/ (١٦٨)، ٤٦٥، ٥٩٢، ٦/ (١٦٠)، ٨/ ٧٥، ٣١٤، ٩/ ١٢، ٤٨٣.

مُورِّقٌ العِجْلي: ١/ (٢٨٦).

موسى الأسواري: ٦/ ٣٦١، ٨/ ٥١٦.

موسى بن الزبير: ٣/ ٢١، ٧/ ٦٧٩.

موسى بن جعفر: ١/ (٢٢٣).

موسى بن عقبة: ٧/ (١٨١)، ٩/ ١٠٠.

موسـى بـن منشـي = موسـى بن منسـي: ٦/ ٤٠٢.

ميسرة: ٣/ ٤٤٠، ٦٨٥، ٦/ ٥١٥.

ميسون بنت بحدل: ٥/ ٣٥٧.

ميمـون بـن مهـران: ٣/ (١٤٣)، ٦/ ١٨١، ١٨٢، ٩/ ٥٨٣.

ميمونة: ٢/ ٣٤، ٨/ ٣٧، ٩/ ٧٣٦.

ميمونة بنت الحارث: ٧/ ٧٥٤.

النابغـة الجعـدي: ١/ (٦٨٣)، ٢/ (١٨٨)، ٣/ ٢٧٦، ٢٧٧، ٦/ ٥٥، ٦٢٩، ٧/ ٦٨٠، ٩/ ١٣٧.

النابغـة الذبيانـي: ١/ (٢٠١)، ٢٢٩، ٢٨٢، ٣٢٣، ٦٦١، ٢/ ٣٤٧، ٣٧٧، ٤٥٦، ٦١٦، ٣/ ٣٤٧، ٥٥٥، ٤/ ٤٣٧، ٦١٥، ٦٥٥، ٥/ ٤١، ٥٩، ١٢٩، ٢٦٤، ٣١٤، ٣٦٠، ٤٤٣، ٥٢٦، ٥٣٤، ٥٦٥، ٦٨٦، ٧٠٧، ٧٣٣، ٦/ ٥٣، ٣٧٢، ٤٨٠، ٧/ ٦٩٣، ٨/ ٢٥٩، ٣٤١، ٩/ ٢١٩، ٣٧٥، ٧٠٣، ١٠/ ٢٠٩، ٢٥٧، ٤٠٩.

ناجية بن كعب: ٢/ (١٧٧).

نافـع المقرئ: ١/ ٢٣١، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٧٣، ٢٨٠، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٣٧٩، ٤٠٥، ٤١٥، ٤٢٧، ٤٣٢، ٤٦٢، ٤٧٧، ٤٨٠، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠٥، ٥١٩، ٥٤٨، ٥٥٨، ٥٦٦، ٥٧١، ٥٨٠، ٦٠٠، ٦١٢، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٣، ٦٦٨، ٦٩٥، ٧٢١، ٧٥٠، ٧٦٥، ٢/ ٣٤، ٥٥، ٧٨، ٩٦، ١٠١، ١١٣، ١١٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٣، ١٣٦، ١٤٥، ١٥٢، ١٧٤، ١٨١، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٨، ٢١٠، ٢١١، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٧، ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٨١، ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣١١، ٣٣٢، ٣٥١، ٣٧٠، ٣٨٩، ٣٩٤، ٣٩٧، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٩١، ٥٠٢، ٥٦٧، ٥٧٨، ٦٠٢، ٦٢٠، ٦٣٦، ٦٥٧، ٦٦٩، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٧، ٧٢٦، ٧٣٧، ٣/ ٨، ٢٥، ٤٣، ٤٧، ٥٦، ٥٨، ٧٢، ٧٧، ١٠٠، ١٠٢، ١١١، ١٢٢، ١٣٠، ١٥٣،

١٥٧، ١٦٦، ٢١١، ٢٢٤، ٢٦٦، ٢٦٨، ٣١١، ٣٢٣، ٣٢٩، ٣٤٩، ٣٥٤، ٣٥٨، ٣٦٨، ٤٠٠، ٤٢٦، ٤٤٠، ٤٥٥، ٥١٣، ٥٢٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٩، ٥٥٣، ٥٨١، ٦٠١، ٦٢٣، ٦٢٩، ٦٦٧، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٨٤، ٦٩٠، ٧١٤، ٧٢٤، ٧٢٦، ٧٣٢، ٧٤١، ٧٤٣، ٧٥٩، ٤/ ١٤، ١٤، ١٨، ٢٤، ٥٧، ٦٠، ٦٩، ٧٩، ٨٣، ٨٥، ٨٩، ٩٢، ٩٧، ١٠٢، ١٠٦، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٢١، ١٢٦، ١٢٧، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٦، ١٧٢، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٤، ٢٠٣، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٤٤، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٨٣، ٢٩١، ٣٢٠، ٣٣٧، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤١٣، ٤١٤، ٤٢٠، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٣٥، ٤٤٢، ٤٥٦، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٩، ٤٨٢، ٥١٤، ٥٢٩، ٥٣١، ٥٦١، ٥٧٧، ٥٨٠، ٥٨٥، ٦٠٤، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٦٤، ٦٧٠، ٦٩٢، ٧١٥، ٧٤٥، ٥/ ٢١، ٤٤، ٦٣، ٧٤، ٨٤، ٨٩، ٩٠، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٨، ١٤٤، ١٤٧، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٩٩، ٢١٥، ٢١٨، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٨٦، ٣٠٩، ٣٢١، ٣٤٠، ٣٤٥، ٣٥٩، ٣٨٢، ٣٨٧، ٣٨٨، ٤٠٣، ٤١٣، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٨، ٤٣٦، ٤٤٢، ٤٧٧، ٤٨٩، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٨، ٥٠٧، ٥٥٥، ٥٥٨، ٥٦٨، ٥٧١، ٥٧٣، ٥٩٨، ٦٠١، ٦١٩، ٦٢٥، ٦٣٠، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٦٧، ٦٦٩، ٦٧٥، ٦٩١، ٦٩٦، ٧٠٤، ٧٢٧، ٧٢٩، ٦/ ٧، ٨، ١٣، ٣٤، ٣٨، ٤٢، ٥٤، ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٩١، ١٠٨، ١١٣، ١٤٢، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٨، ١٨٣، ١٨٤، ١٩٦، ٢٠٣، ٢٠٩، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٥٤، ٢٨٤، ٢٨٦، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٧، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٥١، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٤،، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٤، ٣٩٨، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٧، ٤١٩، ٤٣٨، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٣، ٤٥٩، ٤٦٧، ٤٨٤، ٤٨٦، ٤٨٩، ٤٩١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٧، ٥١٤، ٥٢٠، ٥٣١، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤٢، ٥٤٧، ٥٥٨، ٥٦٦، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٨٢، ٥٩٤، ٥٩٦، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠٧، ٦١٤، ٦٢١، ٦٢٣، ٦٢٦، ٦٣١، ٦٤٢، ٦٥٣، ٦٦٠، ٦٨٥، ٦٩٢، ٧٠٥، ٧/ ١٤، ٢٣، ٣١، ٣٤، ٤٩، ٥٩، ٦١، ١٠٠، ١٠٢، ١١٦، ١١٧، ١٢٧، ١٣١، ١٤٦، ١٤٧، ١٧٦، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٤٦، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٥، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤٨، ٣٦١، ٣٦٧، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٩، ٣٨٢، ٣٩٠، ٣٩٢، ٤٢٠، ٤٢٤، ٤٢٩، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٦٨، ٤٧٠، ٤٧٠، ٥٠٥، ٥٠٨، ٥١٩، ٥٦٨، ٥٧٥، ٥٩٣، ٥٩٥، ٥٩٦، ٦٠١، ٦١٤، ٦١٥، ٦٢٢، ٦٣٣، ٦٣٦، ٦٤٣، ٦٥٥، ٦٥٩، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٧١، ٦٨٤، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧٢٩،

٧٣٠، ٧٣٤، ٧٤١، ٨/ ٦، ٧، ١٠، ١٨، ٢٤، ٦٩، ٧٠، ٧٥، ٨٢، ٩١، ٩٥، ٩٩، ١٠١، ١٠٤، ١٢٤، ١٥٩، ١٦١، ١٦٦، ١٧٤، ١٧٦، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٦، ٢١١، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٣٩، ٢٥١، ٢٨٢، ٢٩٣، ٣٤٢، ٣٤٦، ٣٥٣، ٣٧٦، ٣٧٩، ٤١٣، ٤٢٠، ٤٣٣، ٤٣٨، ٤٤٥، ٤٥١، ٤٥٥، ٤٦١، ٤٦٧، ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٧٨، ٥٠٨، ٥١١، ٥١٢، ٥٢٠، ٥٣٩، ٥٤٩، ٥٧١، ٥٧٦، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٩٥، ٦٠٢، ٦١١، ٦١٢، ٦١٧، ٦٢٧، ٦٤٠، ٦٤٢، ٦٤٨، ٦٥٠، ٦٥٨، ٦٦٠، ٦٦٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٩٥، ٧٣٣، ٧٣٦، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٥، ٩/ ٢٨، ٥٨، ٦٥، ٨٩، ١١٨، ١٢٥، ١٣٨، ١٥٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٨٢، ١٩٤، ٢١٣، ٢٤١، ٢٥٠، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٩٨، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٦٣، ٤٠١، ٤١١، ٤١٢، ٤٢٢، ٤٣٥، ٤٤٥، ٤٤٩، ٤٥٦، ٤٨٩، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٨، ٥٣٦، ٥٣٩، ٥٥٣، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٨٩، ٥٩٣، ٥٩٨، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٧، ٦١٨، ٦٢٣، ٦٣٢، ٦٣٨، ٦٤٨، ٦٥٦، ٦٦٨، ٦٧٤، ٧٠٠، ٧٠٥، ٧٠٧، ٧١٠، ٧١٢، ٧٤٦، ١٠/ ١٩، ٢٥، ٢٨، ٣٤، ٥٤، ٦٣، ٦٧، ٦٨، ٧٧، ٨٠، ٨٥، ٩٧، ١٠٣، ١٠٧، ١٢٠، ١٢١، ١٣٣، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٦٢، ١٧٤، ١٧٤، ١٧٦، ١٨٨، ١٩٠، ٢٠٦، ٢١١، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٨٢، ٢٨٣، ٣٣٢، ٣٣٨، ٣٤٩، ٣٨٣، ٣٨٧، ٤١٤.

نافع بن أبي نعيم: **٩/** ٣٠٥.

نافع بن الأزرق الخارجي: **٣/** (٤٩٩)، ٦/ ٥٣٦، ٧/ ٤١٥.

نافع بن الحارث بن كلدة: **٧/** (١٧٠)، ١٧١.

نافع بن عمر: **٣/** ٦٣٤.

النبال: **٧/** ٤١٨.

نبتل بن الحارث: **٥/** (١٩)، ٩٢.

نبهان التمار: **٩/** ٢٥٦.

نبيح العنزي: **٣/** (٢٥٥).

نبيح المقرئ: **٣/** ٢٧٧، ٢٨١، ٣٩٩، ٥٥٧، ٥/ ٢٢٨، ٧٢٢.

نبيه بن الحجاج: **٧/** ٦٧٧، ١٠/ ٣٩٨.

النجاشي: **٥/** ٢٧٩.

النحام بن زيد: **٣/** ٧٢٠.

النسائي: **٤/** ٥٣٦.

نصر بن عاصم: **١/** (١٨٦)، ٤/ ٩، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٦٣٢، ٥/ ١٠٠، ١٠١، ١٧٣، ٢٦٢، ٢٦٣، ٤٢٠، ٥٥٨، ٦/ ١٥٧، ٣٥٩، ٧/ ٢٢٤، ٢٢٥، ١٠/ ٢٠، ٣٤، ٣٦٠.

نصر بن علقمة: **٧/** (٢٧٦).

نصر بن علي: **٥/** (١٠٠)، ١٠١.

نصر بن يسار: **٩/** ١٦٠.

نصر عن عاصم: **٤/** ٤٢٨، ٧/ ١١٢.

النضر بن الحارث بن كلدة: **٣/** ٧٢٩، ٤/ ٧٥، ٧٩، ٥٤٨، ٥٤٩، ٦٢٩، ٦/ ٣٠، ٢٧٦، ٢٨٥، ٣١٢، ٣١٣، ٣٩٦، ٧/ ١٧،

٢٦٦، ٦٥٣، ٦٧٣، ٨/ ٦٩٦، ٩/ ٦٧٣، ١٠/ ١٧٣.
النضر بن شميل: ١/ (٢٤٢)، ٦١٨، ٢/ ٣٦٦، ٣/ ٨٥، ٢٤٥، ٥/ ٦٠، ٤١٧، ٩/ ١٧، ١٥٥.
النعمان بن المنذر: ١/ (٢٠١)، ٦/ ٣٣٧، ٣٦٢، ٤٨٠.
نعمان بن أولى: ٤/ (٦٩١).
النعمان بن بشير: ٤/ ٦٧٤، ٨/ ٤٧٨، ١٠/ ٧٩، ١٤٨.
النعمان بن سالم: ٧/ ٤٨٢، ١٠/ ١٢.
النعمان بن عدي: ٧/ (٣٩٣).
نعيم بن ثعلبة: ٣/ (٣٩٣)، ٤/ ٧١٦، ٧١٧.
نعيم بن حماد: ٢/ (٩٤).
نعيم بن عمرو: ٢/ ٣٦١.
نعيم بن مسعود الأشجعي: ٢/ (٦٩٩)، ٣/ ٢٥١.
نعيم بن ميسرة: ٣/ (٦٦٥)، ٤/ ٣٥٨، ٦/ ٤٨.
نفطويه: ٢/ (٣١)، ٩/ ٢٥٦.
النمر بن تولب: ٢/ (٦٧٧)، ٣/ ٢٣١، ٧/ ٤٩٠، ٩/ ٢٠٧، ٣١٢، ٣٨٧.
نهيث بن الحارث: ٢/ ٣٧٥.
نوبة بن الحمير: ٢/ (٥٧٨).
نوح القارئ: ٥/ (٦٣)، ٤٤٥، ٧/ ٥٥٩.
نوف البكالي الشامي: ٣/ (١٤٢)، ٤/ ٤٠٧، ٥/ ٤٤٣)، ٦/ ٤٠٢، ٤٨٧، ٧/ ٤١٣، ٨/ ٦٥٢، ٩/ ٢٠٤، ٦٦٦.
نوفل بن الحارث: ٣/ ٢٧٣، ٧/ ٧٢٨.
نوفل بن عبد الله بن المغيرة: ٢/ (٧)، ٨.
هارون الأعور: ١/ (٣٢٨)، ٣٦٦، ٦٧٤، ٤/ ٨٥.
هارون الرشيد: ١٠/ ٢٤٠.
هارون المقرئ: ٢/ ١٢٠، ٢٩٧، ٣/ ٣٦٦، ٥٦٤، ٤/ ٤٤٨، ٥/ ١٧١، ٢٠١، ٦/ ٢٣٢، ٣٢٩، ٣٧٥، ٥٠٨، ٥٣٢، ٧/ ٢٨٦، ٦٣١، ٨/ ٧١٢، ٧٦٤، ٩/ ٦٨، ٤٧٦، ٦٠٦، ١٠/ ١٨٨، ٢٢٨، ٢٤١، ٣٢٢.
هارون بن أبي عمرو: ٧/ ٣٣٥.
هارون بن حاتم: ١/ ٧٥٣.
هبار بن الأسود: ٥/ ٧٥٤.
هبة الله الضرير: ٨/ ٣٨.
هبة الله بن سلامة المقرئ: ٣/ (٢٦٣)، ٧/ ٨٦.
هبيرة بن أبي وهب: ٧/ ٣٩٢.
هبيرة عن حفص: ٤/ (٥٨٧)، ٥/ ٢٣٢، ٣٢٩، ٥٥٨، ٥٦٧، ٦/ ٢٧، ٨/ ٣٤١.
الهذلي الشاعر: ٤/ ٢٢١، ٤١٤، ٥٢٢، ٧٣١، ٥/ ١٦٨، ٦/ ٢١، ٦٥٠، ٧/ ٢٨٠، ٨/ ٩٦، ٩/ ٧٠٢.
هرز: ٥/ ٢٢٧.
هرم بن حيان: ٧/ (٢٥٩).
الهزيل بن شرحبيل: ٨/ (٢١٥)، ٢١٦، ٤٧٠.
هشام الحمصي: ٩/ ١٤٢.
هشام المقرئ: ١/ (٦٦٩)، ٤/ ٦٦٤، ٥/ ٤٣٧، ٤٣٨، ٨/ ٦٢٤، ٦٦٠، ٧٤٣، ٩/

٥٥، ١٠/ ٧١٠، ٤٦٨، ٤٦٧، ٤٠٩، ٢٤٠، ٣٤٩، ٣٩٩.
هشام بن العاصي: ٨/ ٤١١، ٩/ ٤٧١، ٤٩٩.
هشام بن حكيم: ١/ (١٦٩)، ١٧٠، ١٧٦.
هشام بن ربيعة: ٧/ ١٦٥.
هشام بن صبابة: ٣/ (٢٦١).
هشام بن عامر: ١/ ٧٤٩.
هشام بن عبد الملك: ١٠/ ٥٤.
هشام بن عروة: ٣/ (٢٩٤)، ١٠/ ٢٩٤.
هشام بن عمار: ٣/ ٧٣٣، ٨/ ٥٢٠.
هلال الهجري: ١٠/ ٩٩.
هلال بن أمية: ٤/ (٧١٧)، ٥/ ٨٩، ١٢٤، ٧/ ١٧٣، ١٧٤.
هلال بن أنس: ٧/ (١٦٥).
هلال بن عويمر الأسلمي: ٣/ ٢٤٧.
هلال بن يساف: ١/ (٢٦١)، ٥/ ١٩٩، ٤٤٤، ٧/ ٢٧، ٨/ ٦٦٣، ٧٣٨، ١٠/ ٣٩٥.
همام بن الحارث: ٣/ (١٩٥)، ٨/ ٦٨٣.
همام بن مرة: ٢/ (٢٨٤).
هند بنت النعمان بن بشير: ٣/ ٣٧٠، ٧/ ٩٤.
هند بنت الوليد: ٢/ ٦٤٩، ٣/ ٦١٧.
هند بنت عتبة: ٣/ ٩٥، ٩/ ٥٠٣.
الهيثم الفارسي: ٨/ ١٣٠.
الهيثم بن عدي: ٩/ ٣٨٢.
الوابصي: ٥/ ٦٩٥.
واثلة بن الأسقع: ١/ (٦٧٤)، ٨/ ٥٩٣.
واصل الأحدب: ٩/ ١١٠، ١٨١.
واصل مولى ابن عيينة: ٦/ ٢٣.
واقد التميمي: ١/ (٦٩٦)، ٢/ ١٤.
واقد بن عبد الله: ٢/ ٨.
الواقدي: ٢/ ٥٨٧، ٣/ ٤٥٠، ٥٢٣، ٦٥٨.
والد المؤلف: ١/ ٣٩٩، ٢/ ٧٣١، ٣/ ٦٥، ٣٥٦، ٤/ ٤٠، ٥٧٨، ٥/ ٨٦، ٩٩، ١٠٨، ١١٤، ٣٦٦، ٥٣٦، ٦٨٥، ٧/ ٧٢، ١٩٤، ٥٨٥، ٨/ ٢٨، ٢٧٢، ٤٥٦.
وحشي: ٥/ ٩١، ٧/ ٣٢٤، ٨/ ٣٦٧، ٤١١.
وديعة بن ثابت: ٥/ ٢٧، ٩٢.
ورش المقرئ: ١/ (٢٥٣)، ٢٧٣، ٢٨١، ٢/ ١٧٤، ٢٢٩، ٣١١، ٣/ ٣٥٨، ٤/ ٢٠٣، ٣٣٧، ٣٤٨، ٥/ ٢٤١، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٨، ٦٧٥، ٦/ ٣٧٤، ٦٠٧، ٧/ ٣٤، ٢٣٩، ٢٤٦، ٥٤٩، ٧١٦، ٨/ ٦٤٢، ٩/ ٢٨٨، ٢٩٨، ٦١٣، ١٠/ ٣٤٩.
ورقة بن نوفل: ١/ ٢١٣، ٤٢٩، ٥٥٦، ٢/ ١٣٢، ١٣٥، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٤، ٤٢٩، ٤٣٨، ٤٣٩، ٣/ ٢٣٧، ٦/ ٣٠١، ٧/ ٦٧٥، ٨/ ٣٩٧.
وضاح اليمن: ١/ ٤٠٥.
وكيع بن الجراح: ٥/ ٣١٢، ٩/ ٦٦٤.
الوليد بن المغيرة: ١/ (١٩٣)، ٥/ ٧٥٤، ٧٥٥، ٦/ ١٧١، ١٧٢، ٢١٩، ٢٢٠، ٥٤٧، ٧/ ٧١، ٨٥، ٥٥٨، ٨/ ١٤٤، ٥٤٠، ٦١٩، ٩/ ١٥١، ٢٥٨، ٦٢٩، ١٠/ ١١، ١٣، ١٤، ١٥، ١٢٩، ٣٩٨.
الوليد بن الوليد: ٦/ ١٢٣، ٨/ ٤١١.

الوليد بن اليزيد: ٤/ ٦٤.
الوليد بن حسان: ٨/ (٤٨٦).
الوليد بن عتبة: ٧/ ٢٧.
الوليد بن عقبة: ١/ (٥٩٠)، ٧/ ٧٠١، ٧٠٢، ٨/ ٣٩٨، ٩/ ١٠١، ١٠٢، ١١٥.
الوليد بن مسلم: ٣/ (٤٩٦)، ٤/ ٦٠٣.
الوليد بن هشام: ٣/ ٢٧٥.
وهب بن منبِّه: ١/ (٤٤٥)، ٣/ ٦٨٤، ٤/ ٢٢٣، ٣٠٣، ٣١٢، ٣٧٩، ٥٤٠، ٥/ ٣٤٤، ٥٠١، ٧١٤، ٦/ ٢٣١، ٣٢٢، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٧٧، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٥٠٢، ٥١٨، ٧/ ٢٩٣، ٤١٦، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٧٣، ٤٩٦، ٥٠١، ٨/ ٧٥، ١٨٩، ١٩٠، ٤٣٠، ٤٦٣، ٧٠٨، ٩/ ٦٧٧، ١٠/ ١١٩، ١٣٦، ١٤٧.
وهب بن يهوذا: ١/ ٤٥٩.
يحيى بن أبي كثير: ١/ (٤٤٥)، ٤/ ٢٢١، ٥/ ٩، ٧/ ٦١٦، ٨/ ١٧٤.
يحيى بن آدم: ٣/ ٦٦٦.
يحيى بن الحارث: ٥/ (١٦١)، ٧/ ٣٠١، ٤٥٨، ٥٦٧، ٦٤٥، ٩/ ٤٨٠.
يحيى بن النعمان الغفاري: ٢/ (٥٨٧).
يحيى بن بكير: ١/ (٢٦٢)، ٢/ (٣٦)، ٢٦٩، ٤/ ٥٠٦، ١٠/ ٣٣٣.
يحيى بن جعدة: ٢/ (٥٢٠).
يحيى بن حبان المازني: ٥/ ٧٠٤.
يحيى بن سعيد: ١/ ٧٣٧، ٦/ ٦٧٠.
يحيى بن سلام: ٤/ ٢٧٨، ٣٦٩، ٣٩٢، ٥٦٠، ٥٦٢، ٥٦٦، ٦٠٣، ٥/ ٢١٩، ٦/ ١٠، ٣٠، ٣٥، ٩١، ٢٢٢، ٣٠٦، ٧/ ٤٧١، ٨/ ٢١٩، ٦٢٥، ٩/ ٤٣٣.
يحيى بن عامر: ٦/ ٧٣١.
يحيى بن عمارة: ٥/ (٦٨٩)، ٧/ ٦٧١.
يحيى بن عمر المالكي: ٣/ (٢٨٣)، ٦٢٨.
يحيى بن معاذ: ٨/ (٥٧١).
يحيى بن معين: ٢/ (٥٢٣).
يحيى بن نوفل اليماني: ٩/ (١٣٥).
يحيى بن يعمر: ١/ (١٨٥)، ٢٢٥، ٢٣٢، ٣٠٣، ٣٣٨، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٨١، ٤٩٧، ٥٧٤، ٧٥٤، ٢/ ٨٠، ٢٩٦، ٣٢٠، ٦٢٤، ٣/ ١٥٩، ٦٦٠، ٤/ ٩٢، ١٧٤، ٢٩٢، ٤٦٦، ٦٢٧، ٦٧٨، ٥/ ٢٦٢، ٢٦٣، ٣٩٣، ٤٣٧، ٤٤٥، ٤٤٨، ٥٠٤، ٥٧١، ٦٠١، ٦٠٩، ٦٧٦، ٦/ ١٧٥، ١٨٣، ٢١١، ٢٢٧، ٣١٤، ٣٥٣، ٣٩٣، ٤٥٦، ٤٦٨، ٤٧١، ٤٨٦، ٤٨٧، ٥١٤، ٥٢٠، ٥٣٩، ٧/ ٥٨، ١٨٨، ٢٦١، ٤٥٨، ٦٨٠، ٧٣٤، ٨/ ١٠٠، ١١٢، ١٨٠، ٣٧٠، ٤١٧، ٥٦٦، ٦٥٢، ٦٥٧، ٦٨٧، ٧٤٣، ٩/ ١٦٠، ٥٢٥، ٥٢٦، ٦٩٣، ٧١٠، ٧٤٠، ١٠/ ١٩، ٣٦، ١١٧، ٣٦٠.
يزيد البربري: ١/ ٣٤٨، ٥/ ٢٤٢، ٦/ ٥٤٣، ٨/ ١٨١.
يزيد الرقاشي: ٦/ ٢١٤.
يزيد النحوي: ٣/ ٢١٨.
يزيد بن أبي حبيب: ١/ (٥٦٣)، ٢/ (٢٢٨)، ٧/ ٣١٩.
يزيد بن رفيع: ٧/ ٧٠٤، ٧٠٥.
يزيد بن رومان: ٢/ (٤٠)، ٣/ ٢٩٣، ٢٩٤،

٤/ ٤٢٢، ٥٥٠، ٧/ ٤١٦، ٧٣٢، ٧٣٥، ٧٣٨، ٧٥١، ٩/ ٢٨٦، ٤٦٧.
يزيد بن قطيب: ١/ (٢٧٧)، ٣٢١، ٣/ ١٠١، ٤٩٨، ٤/ ٩١، ٢٩٢، ١٠/ ١٠٧.
يزيد بن معاوية: ٨/ ٧٤١.
يزيد بن مفرِّغ الحِميَري: ١/ (٤٧٦)، ٧٤٨، ٢/ ٤٤١، ٥/ ٤٣٠، ٦٧٨، ٨/ ٦٧٧.
يزيد بن نهشل: ٤/ ١٣٩.
يزيد بن هارون: ٣/ ١٥٢.
اليزيدي = يحيى بن المبارك: ٢/ (٦٥١)، ٥/ ٥٩٥، ٧/ ٤١٨، ٤٢٥، ٨/ ٤٦٩، ٩/ ٣٦٩، ١٠/ ١٤٦ ٢٤٨.
يسار: ٦/ ١١٣.
يسيع الحضرمي: ٣/ (٣٤٥).
يعقوب الثقفي: ٨/ ٣٤.
يعقوب الحضرمي، المقرئ: ١/ ٣٣٨، ٣٧٧، ٢/ ٣٧٣، ٢٢٧، ٢٩٦، ٧٣٩، ٣/ ٧٢٣، ٤/ ٣٩٣، ٢٤، ٩٩، ١٨٤، ٢٢٣، ٤٢٦، ٥٦١، ٦١٢، ٦٦٩، ٧٢٤، ٥/ ٤٦، ٧٥، ١٠٠، ١٠٦، ١٥٧، ١٥٨، ٢١٦، ٢٤٢، ٤٥٧، ٥٠٧، ٧٢٢، ٧٢٣، ٦/ ٥٤، ٩٨، ٢٠٨، ٣٧١، ٤١٨، ٥٦٦، ٧/ ٣١، ١٨٦، ٣٣٤، ٤٨٤، ٥٤٥، ٥٩٧، ٦٢٢، ٦٤٣، ٦٤٨، ٦٦١، ٦٨٣، ٨/ ٥، ٨٨، ٩٣، ١٢١، ١٤٢، ٢٢٨، ٣٤١، ٤٤٦، ٤٨٦، ٦٤٩، ٧١٥، ٩/ ٢٩، ٣٦، ٤٢، ٦٨، ٩٤، ٢٢٨، ٢٧٠، ٥٥٣، ٥٧٢، ٦٢٣، ٧٠٠، ٧١٧، ١٠/ ٢٨، ٤٧، ٨٣، ٨٩، ١٥٤، ١٧٧، ٣٩٩.
يعقوب بن عتبة: ١/ (٣٦٧).
يعلى بن أبي مرة = يعلى بن مرة: ٢/ (٦٠٥).
يعلى بن أمية: ٣/ (٢٨٧)، ٦/ ٣٦٣.
يعلى بن حكيم: ٤/ (٤١٣).
يعلى بن عطاء: ٤/ (٦٨١).
يمان (غير منسوب): ١٠/ ٢٤٤.
يمان العماني: ٣/ ٧١٣.
اليمان بن حسل (والد حذيفة بن اليمان): ٣/ ٢٥٤.
اليماني: ٣/ ٢٦٦، ٤/ ٩٠، ٥/ ٢٦١، ٧٣٣، ٧/ ٧٣٣، ٨/ ١٠٦، ٢٢٣، ٣٩٨، ١٠/ ٢٦٢، ٢٩٨.
يوسف بن أسباط: ١/ (١٥٢)، ٧/ ٦٠٤.
يوسف بن عمر والي العراق: ٨/ (٦٠٠).
يوسف بن ماهك: ٢/ (٥٠٧).
يونس بن حبيب: ١/ (٣٠١)، ٢/ ٦٣٥، ٦٣٩، ٣/ ٢٨٠، ٣٦٦، ٤٤٤، ٤/ ٤١، ٢٠٦، ٤٠٢، ٥٨٢ ٦٩٦، ٦/ ٤٣٨، ٥٣٣، ٧/ ١٤٦، ٣٨٨، ٩/ ٣٣٧، ١٠/ ١٩.
يونس بن عبد الأعلى: ٢/ (٣٢٤).

* * *

فهرس الأشعار

البحر البسيط وجوازاته

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
إِذَا دَعَانَا فَأَهْطَعْنَا لِدَعْوَتِهِ	داعٍ سميعٌ فَلَفُّونا وسَاقُونا	عمران بن حطان	٥/ ٦٧٨
لَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ	ذَاتَ الْعِشَاءِ وَلَا تَسْرِي أَفَاعِيهَا	متنازع النسبة	٤/ ٥٠٠
كَلَّفْتُ مجْهُولَهَا نُوقاً يَمَانِيَةً	إِذَا الْحُدَاةُ عَلَى أَكْسَائِهَا حَفَدُوا	الراعي	٦/ ٨١
لَقَدْ جَمَحْتُ جِماحاً فِي دِمَائِهِمُ	حَتَّى رَأَيْتُ ذَوِي أَحْسَابِهِمْ خَمَدُوا	مهلهل	٤/ ٧٤٩
فَلَمْ يَزَلْ بِكَ واشِيهِمْ ومكْرهم	حتى أَشاطُوا بِغَيب لحْمَ من يَسَروا	الأخطل	٢/ ١٩
فَأُهْلكُوا بِعَذَابٍ حَصَّ دَابِرَهُمْ	فَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ دَفْعاً وَلا انْتَصَرُوا	أمية بن أبي الصلت	٣/ ٧٥٨
قَدْ عوَّدَتْهم ظُباهم أَنْ تَكُونَ لَهُمْ	رِيحُ الْقِتَالِ وَأَسْلَابُ الَّذِينَ لَقُوا	ضرار الفهري	٤/ ٥٨٨
في عصبةٍ من قريْش قال قائلُهم	ببَطن مكةَ لما أَسْلموا زُولُوا	كعب بن زهير	٢/ ٧٣٦
هم يضرِبُون حَبِيكَ البَيْضِ إِذْ لَحِقُوا	لَا يَنْكُصُون إِذا مَا استُلحِمُوا وحَمُوا	زهير	٤/ ٥٩٢
صُمٌّ إِذَا سَمِعُوا خَيْراً ذُكِرْتُ بِهِ	وَإِنْ ذُكِرْتُ بسوء عِنْدَهُمْ أَذِنُوا	قعنب بن أم صاحب	٥/ ٢١
صُمٌّ إذا سَمِعوا خَيْراً ذكِرْتُ بِهِ	وإن ذكرت بشرٍّ عندهم أذنوا	متنازع النسبة	١٠/ ١٨٤
أَمَا أُقَاتِلُ عَنْ دِينِي عَلَى فَرَسِي	ولا كَذَا رَجِلاً إِلَّا بِأَصْحَابِ	يحيى بن وائل	٦/ ٢٤٤
جَاءَتْ منَ الْبِيضِ زُعْراً لا لبَاسَ لَهَا	إِلاَّ الدِّهَاسُ وأُمٌّ بَرَّةٌ وأَبُ	ذو الرمة	٩/ ٢١٨

الصـــدر	الـعـجــز	الشاعــر	الجزء والصفحة
فَاليَـوْمَ قـد بِـتَّ تَهْجُونَـا وَتشْـتِمُنَا	فَاذْهَبْ فَمَا بِـكَ والأَيَّامِ مِنْ عَجَبِ	بلا نسبة	٣/ ١٠
لا يُشْـتكَى سَقْطَةٌ مِنْهَا وَقَدْ رَقَصتْ	بِهـا الْمَفَـاوِز حَتَّـى ظَهْرُهَـا حَدِبُ	ذو الرمة	٦/ ٦٢٢
وفـي الشـرائعِ مـنْ جِـلَّانَ مُقْتَنِصٌ	بالي الثياب خَفيُّ الصوتِ مُنْزَرِبُ	ذو الرمة	٣/ ٥٣٤
وفي الشَّـرائع مِـنْ جَيْـلَانَ مُقْتَنِصٌ	رَثُّ الثِّيَابِ خَفيُّ الشَّخْصِ مُنْسَرِبُ	ذو الرمة	٨/ ٧٠٢
سِـيرُوا بَنِي الْعَمِّ فالأَهْـوَازُ مَنْزِلُكُمْ	ونَهْـرُ تِيـرَى فَلَـنْ تَعْرِفْكُـمُ الْعَرَبُ	جرير	٨/ ١٦٩
قَـوْمٌ إِذَا عَقَـدُوا عَقْـداً لِجَارِهِـمُ	شَـدُّوا العِنَاجَ وَشَـدُّوا فَوْقَـهُ الكَرَبَا	الحطيئة	٣/ ٣٨٨، ٣/ ٦٠١
سَـالَتْ هُذَيْـلٌ رَسُـولَ الله فاحِشَـةً	ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِمَا سَـالَتْ وَلَمْ تُصِبِ	حسان بن ثابت	٩/ ٦٧٤
ظَلَلْـتَ مُفْتَـرِشَ الْهَلْبَـاءِ تَشْـتُمُني	عِنْدَ الرَّسُولِ فَلَمْ تَصْدُقْ وَلَمْ تُصِبِ	عمرو بن الأهتم	٩/ ٣٦١
كَأَنَّهَـا جَمَـلٌ وَهْـمٌ وَمَـا بَقِيَـتْ	إِلَّا النَّحِيـزَةُ وَالأَلْـوَاحُ وَالْعَصَـبُ	ذو الرمة	٨/ ٧٥٢
كَأَنَّـهُ كَوْكَـبٌ فـي إِثْـرِ عِفْرِيَـةٍ	مُصَـوَّبٌ في سـوادِ اللَّيْـلِ مُنْقَضِبُ	ذو الرمة	٧/ ٤٣٢
تَعْـدُو بِنَـا شَـطْرَ نجْـدٍ وَهْـي عَاقِدَةٌ	قَدْ كارَبَ العَقْدُ مِـنْ إِيفَادِهَا الحقبَا	ابن أحمر	١/ ٥٩٣
لَمْيَـاءُ فـي شَـفَتَيْهَا حُـوَّةٌ لَعَـسٌ	وَفـي اللِّثَـاتِ وفـي أَنْيابِهَـا شَـنَبُ	ذو الرمة	١٠/ ٢٢٢
فـي لَيْلَـةٍ مِـنْ جُمَـادى ذات أَنْدِيَـةٍ	لا يُبْصِرُ الكَلْبُ مِـنْ ظَلْمَائهَا الطُّنُبَا	مرة السعدي	١/ ٥٩٦
وَيْـلُ امِّ حَـيٍّ دَفَعْتُـمْ فِـي نُحُورِهِمُ	بَنِـي كِلابٍ غَـدَاة الرُّعْـبِ والرَّهَبِ	طفيل الغنوي	٤/ ٦١٢
وكُـــلُّ ذِي غَـيْـبَـةٍ يَـئُـوبُ	وغـائِـبُ الـمَـوْتِ لا يَـؤُوبُ	عبد الله بن الأبرص	٥/ ٥٢٥
كَانُـوا كسَـالِئَةٍ حَمْقَـاءَ إِذْ حَقَنَـتْ	سِـلَاءَهَا فِـي أَدِيـمٍ غَيْـرِ مَرْبُـوبِ	الفرزدق	١/ ٢٢٩
وَاهِــيَــةٌ أَوْ مَـعِـيـن معْن	أَوْ هَـضْـبَـةٌ دُونَـهَـا لُـهُـوبُ	عبيد بن الأبرص	٧/ ١١٣

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
تدعو قُعَيناً وقد عضَّ الحديدُ بها	عضَّ الثِّقافِ على صُمِّ الأَنابيبِ	النابغة الذبياني	٢/ ٥٥٩، ٤/ ٦٠١
كُنَّا إِذَا مَا أَتانَا صَارِخٌ فَزِعٌ	كانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنابِيب	سلامة بن جندل	٥/ ٦٥٥، ٧/ ٤٨٨
أَفْلِحْ بِمَا شِئْتَ فَقَدْ يُبْلَغُ بالضْ	ضَعفِ وقد يُخدَعُ الأَرِيبُ	لبيد	٣/ ٧٢٢، ٤/ ٢٠١، ٤/ ٥٨٧، ٥/ ٦١، ٦/ ١٣٢
وكَرُّنَا الخَيْلَ في آثَارِهِمْ رُجُعاً	كُسَّ السَّنابِكِ مِنْ بَدْءٍ وتعْقيب	سلامة بن جندل	٥/ ٥٨٦
إِمَّا تَقودُ به شاةً فَتأْكُلها	أَوْ أَنْ تَبِيعَهَ في بعْضِ الأَرَاكِيبِ	بلا نسبة	٥/ ٣١١
يَوْمَانِ يَوْمُ مُقَامَاتٍ وأَنْدِيَةٍ	ويَوْمُ سيْرٍ إِلى الأَعداءِ تأْويبُ	سلامة بن جندل	٨/ ٧٤
إِنْ تُذْنِبُوا ثُمَّ تَأتيني بَقِيَّتُكُمْ	فَمَا عَلَيَّ بِذَنْبٍ عِنْدَكُمْ فَوتُ	رويشد الطائي	٣/ ٢٨٠
حتَّى سَلَكْنَ الشَّوى مِنْهُنَّ في مسكٍ	مِنْ نَسْلِ جَوَّابَةِ الآفَاقِ مِهْداج	أبو وجزة السعدي	٥/ ٧٠٠، ٧/ ١٠٤، ٧/ ٥٠٤، ٨/ ٣٨٨، ٩/ ٦٦٦، ١٠/ ٢٣
أَمَّا النَّهارُ فَفِي قَيْد وَسِلْسِلَةٍ	وَاللَّيْلُ في بَطْنِ مَنْحُوتٍ مِنَ السَّاجِ	الجرنفس	٥/ ٢١٣
لا يَدْلِفُون إِلى ماءٍ بآنِيةٍ	إِلا اغْتِرافاً من الغُدْرانِ بالرَّاحِ	الحسن بن هانئ	٢/ ١٤٤
فَمَنْ بِعَقْوَتِهِ كمن بِنَجْوَتِهِ	والمُسْتَكِنُّ كمَنْ يَمْشي بِقِرْوَاح	أوس بن حجر	٥/ ٢٤٢

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
عَقَوْا بِسَهمٍ فَلَمْ يَشْعُر بِهِ أحَدٌ	ثُمَّ اسْتَفَاءُوا وَقَالُوا حَبَّذَا الوَضَحُ	المتنخل الهذلي	١/ ٢٨٩
وزَفَّتِ الشَّولُ مِنْ بَرْدِ الْعَشِيِّ كَمَا	زَفَّ النَّعام إِلى حفَّانِهِ الرُّوحُ	أبو ذؤيب	٨/ ٢٦٨
يَا قَوْم إنَّ شُعَيْباً مُرْسَلٌ فَذَرُوا	عنكم سُمَيْراً وَعِمْرَانَ بْنَ شَدَّادِ	عمرو بن جلهاء	٤/ ٣٣١
فَاسْتَعْجَلُونَا وَكَانُوا مِنْ صَحَابَتِنا	كَمَا تَعَجَّلَ فُرَّاطٌ لِوُرَّادِ	القطامي	٦/ ٧٠، ٦/ ٥٨٩
الْخَيْرُ يَبْقَى وَإِنْ طَالَ الزَّمانُ بِهِ	والشَّرُّ أَخبَثُ ما أَوْعَيْتَ مِنْ زَادِ	عبيد بن الأبرص	٩/ ٦٨٤
ما البَحْرُ حينَ تَهُبُّ الرِّيحُ شَاميَةً	فيغْطَئِل ويرْمي العِبْرَ بالزَّبَدِ	حسان بن ثابت	٥/ ٦٠٠
أَمَّا الْفَقيرُ الذي كانَتْ حَلُوبَتُهُ	وَفْقَ الْعِيَالِ فَلَمْ يُتْرَكْ لَهَ سَبَدُ	الراعي	٥/ ٦، ٦/ ٤٢٦
وَذَاكَ أَنَّ تَمِيماً غَادَرَتْ سَلَماً	لِلأسْدِ كُلَّ حَصَانٍ وَعْثَةِ الكبِدِ	الطرماح بن حكيم	٣/ ٢٥٠
صابوا بِسِتَّةِ أَبْياتٍ وَأَرْبَعَةٍ	حَتَّى كَأَنَّ عَلَيْهِمْ جَانِياً لِبَدَا	عبد مناف ابن ربع	٩/ ٧٢٧
سَعْدُ بنُ زَيْد إِذا أَبْصَرْتَ فَضْلَهُمُ	ما إِنْ كَمثْلِهِمُ في النَّاسِ مِنْ أَحَد	بلا نسبة	٨/ ٥٥٥
بأفعُل وبأفْعالٍ وأفْعِلَة	وفِعْلة يُعْرف الأدْنى من العَدَد	بلا نسبة	٥/ ٤٤٧
كَمَا حَمَيْنَاكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ شَطَبٍ	وَالفَضْلُ لِلقَوْمِ مِنْ رِيحٍ وَمِنْ عَدَدِ	عبيد بن الأبرص	٤/ ٥٨٨
جَمَعْتَ بالرَّأْي مِنْهُمْ كُلَّ رافِضَةٍ	إِذْ هُمْ طَرَائِقُ في أَهْوَائِهِمْ قِدَدُ	الكميت	٩/ ٧٢١
أَسْرَتْ عَلَيْهِ من الْجَوْزَاءِ سَارِيَةٌ	تُزْجِي الشَّمَالُ عَلَيْهِ جَامِدَ الْبَرَدِ	النابغة الذبياني	٥/ ٣٦٠
حَتَّى إذا سَلَكُوهُمْ في قُتَائِدَةٍ	شَلاًّ كما تَطْرُد الْجَمَّالَةُ الشُّرُدَا	عبد مناف بن ربيع الهذلي	٥/ ٦٩٩
كلُّ العَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِماتَتُها	إلاَّ عَداوَة مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدِ	بلا نسبة	١٠/ ٤٢١
كلُّ العَداوَة قدْ تُرْجَى إزَالَتُها	إلا عَداوةَ مَن عاداكَ مِنْ حَسَدِ	بلا نسبة	٢/ ٥٧٨

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
مقذوفةٍ بِدخيسِ النَّحْضِ بازِلُها	لهُ صَريفٌ صَريفَ الْقَعْوِ بالْمَسَدِ	النابغة	٤٠٩/١٠
أَرَى الْجَلَابِيبَ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا	وابْنُ الفُرَيْعَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ	حسان بن ثابت	٥٣٨/٩
يا أُمَّ فَرْوة كفي اللَّوم واعْتَرفي	فَكُلُّ وَالِدَةٍ لِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ	بلا نسبة	٤٥١/٤
ومَن عصاك فعاقبه معاقبةً	تنهى الظَّلُوم وَلاَ تَقعُدْ عَلَى ضَمَدِ	النابغة الذبياني	٦١٦/٢
وخَيِّسِ الجِنَّ إني قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ	يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصُّفَّاح والْعُمُدِ	النابغة الذبياني	٥٦٥/٥
فَإِنْ يَزُلْ زائِلٌ يُوجَدْ خليفَتُهُ	وَمَا خَليفُ أَبِي وَهْبٍ بمَوْجود	أوس بن حجر	٣٠٤/٤
يَا صَاحِبَيَّ دَعَا لَوْمِي وَتَفْنِيدِي	فَلَيْسَ مَا فَاتَ مِنْ أَمْرِي بمَرْدُودِ	هانئ بن شكيم	٥٣٤/٥
إِمَّا تَرَيْنِي حَنَاني الشَّيْبُ مِنْ كِبَرٍ	كالنَّسْرِ أَرْجُفُ والإِنْسَانُ مهدُود	الأخطل	٣١٨/٤
وللبخيل على أمواله عِلَلٌ	زرْقُ العيونِ عليها أوجهٌ سودُ	بشار بن برد	٥٤٩/٢
حَتَّى كأَنَّ رِياضَ القُفِّ أَلْبَسَهَا	مِنْ وَشْي عَبْقَرَ تَجْليلٌ وَتَنْجِيدُ	ذو الرمة	٣٤٣/٩
تَرْتَعُ ما رَتَعَتْ حتَّى إذا ادَّكَرَتْ	فَإِنَّما هيَ إِقْبَالٌ وإِدْبَارُ	الخنساء	٣١٨/٥
نَأْتِي النِّسَاءَ عَلَى أَطْهَارِهِنَّ وَلا	نَأْتِي النِّسَاءَ إِذَا أَكْبَرْنَ إِكْبَارَا	بلا نسبة	٤٥٢/٥
يا لَعْنَةَ الله وَالأَقْوَامِ كُلِّهِمُ	وَالصَّالِحِينَ عَلَى سمْعَانَ مِنْ جَارِ	بلا نسبة	٤٥٢/٢
كَأَنَّهَا بُرْجُ رُومِيٍّ يُشَيِّدُهُ	بانٍ بِجِصٍّ وآجُرٍّ وأَحْجَارِ	الأخطل	٣١٠/٧، ١٩٥/١٠
يا نائِمَ اللَّيْلِ مُغْتَرّاً بأَوَّلِهِ	إِنَّ الْحَوَادِثَ قَدْ يَطْرُقْنَ أَسْحارَا	بلا نسبة	٢١٠/١٠
فَلَوْ يُلاقي الَّذي لاقَيْتَهُ حَضَنٌ	لظَلَّت الشُّم مِنْهُ وهي تَنْصَار	الخنساء	١٩٦/٢
أَنَا ابْنُ دَارَةَ مَعْرُوفاً بِهَا حَسَبِي	وهَلْ لِدَارَةَ ياللنَّاسِ مِنْ عَارِ	سالم بن مسافع	٤٨٨/١، ٣١٠/٢
يَا لَيْتَمَا أُمُّنَا شَالَتْ نَعَامَتُهَا	أَيْمَا إِلَى جَنَّةٍ أَيْمَا إِلَى نَارِ	سعد بن قرط	٦٥٩/٤

الصـــدر	الـعـجــز	الشاعـــر	الجزء والصفحة
وإِنَّ صَخْراً لَتَـأْتَـمُّ الْهُـدَاةُ بِـهِ	كَـأَنَّـهُ عَـلَـمٌ فـي رَأْسِــهِ نَـارُ	الخنساء	٨/ ٥٧٩
فَـإِنْ أَفـاقَ فَقَدْ طَـارَتْ عَمَايَتُهُ	وَالْمَرءُ يُخْلَقُ طَـوْراً بَعْدَ أَطْـوَارِ	النابغة	٩/ ٧٠٣
كَـأَنَّـهـا بُــرْجُ رُومِــيٍّ يُـشَـيِّـدُهُ	لُــزَّ بِـجـصٍّ وَآجُــرٍّ وَجـيـارِ	الأخطل	١٠/ ٨٣
الـخِـطْءُ فَـاحِشَـةٌ والبِرُّ نَـافِلَـةٌ	كَعَجْوَةٍ غُرِسَتْ في الأَرْض تُؤْتَبَرُ	بلا نسبة	٦/ ١٩٣
بِـقُـنْـدُهَـارَ ومَـنْ تُـقْـدَرْ مَنِيَّتُهُ	بِقُنْدُهَارَ يُـرَجَّـمْ دُونَـهُ الْخَبَرُ	يزيد بن مفرغ	٥/ ٧٣٢
مُـتَـوَّجٌ بِـرِداءِ المُـلْـكِ يَـتْـبَـعُـهُ	مَـوْجٌ تَـرَى فَوْقَـهُ الرَّايـاتِ وَالْقَتَـرَا	الفرزدق	٥/ ١٧٨
إِنِّـي أَتَتْنِي لِـسَـانٌ لا أُسَـرُّ بِهَا	مِـنْ عَلْـوَ لا كَـذِبٌ فيها وَلَا سَـخَرُ	أعشى باهلة	٦/ ٥١٣
إِنِّـي أَتَـانِـي حَديثٌ لا أُسَـرُّ بِهِ	مِـنْ عَلْـوَ لَا كَـذِبٌ فِيـهِ وَلَا سَـخَرُ	الأعشى	٧/ ١٤٦
إِنِّـي أَتَـاني لِسَـانٌ لَا أُسَـرُّ بِهَا	مِـنْ عَلْـوَ لَا كَـذِبٌ فيها وَلَا سَـخَرُ	أعشى باهلة	٨/ ٣٥٤
نَـالَ الْخِلافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَـدَراً	كَمَـا أَتَـى رَبَّـه مُوسَـى عَلَـى قَـدَر	جرير	١/ ٤٥٣، ٦/ ٥٨٨
وفي الحُـدُوجِ عَروبٌ غَيْرُ فَاحِشَـةٍ	رَيَّا الـرَّوادِفِ يَعْشَـى دُونها الْبَصَرُ	لبيد	٩/ ٣٦٣
وصاحِبـي وَهْـوَهٌ مُسـتَوْهِلٌ زَعِـلٌ	يَحولُ بَين حمـارِ الوَحْشِ والعَصَرِ	ابن مقبل	٥/ ٤٧٨
باتَـتْ حواطِبُ لَيْلَـى يَلْتَمِسْـنَ لَهَا	جَـزْلَ الجِـذَا غَيْـرَ خَـوَّارٍ وَلَا دَعِـرِ	تميم بن مقبل	٧/ ٥٠٢
أخـو رغائـبَ يُعطِيهـا ويُسـأَلُها	يأبـى الظُّلامـةَ منـه النوفـلُ الزُّفَـرُ	متنازع النسبة	٢/ ٥٤٤
مَـا كَانَ يَرْضَـى رَسُـولُ الله فِعْلَهُـم	وَالطَّيِّبَـانِ أَبُـو بَكْـرٍ وَلا عُمَـرُ	جرير	١/ ٢٥٨، ١/ ٦١١
فالشَّـمسُ طَالِعَـةٌ لَيْسَـتْ بِكَاسِـفَةٍ	تَبْكِـي عَلَيْكَ نُجُـومَ اللَّيْـلِ والْقَمَرَا	الفرزدق	٨/ ٦٧٨
لا يَنْفَعُ الطَّولُ مِنْ نُوْكِ الْقُلُوبِ وَقَدْ	يَهْـدِي الإلـهُ سَـبِيلَ المعْشَـرِ الْبُورِ	حسان بن ثابت	٩/ ٦٠

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الشَّام تَضْرِبُنَا	بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ	الفرزدق	٦/ ٢٤٨
مُسْتَقْبلِينَ شمالَ الشَّامِ تَضرِبُهُم	بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْشُورِ	الفرزدق	٧/ ٥٨٠
مُسْتَقْبِلين شمالَ الشَّامِ تَرْجُمُهُمْ	بِحاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُور	الفرزدق	٩/ ٦١٢
فِي كُلِّ وَادٍ هَبَطْنَا فِيهِ دسَكْرَة	فِي كُلِّ نَشْزٍ صَعَدْنَا فِيهِ مَاخور	أبو بكر الصنوبري	٧/ ١٦٦
فَأُرْكِسُوا فِي حَمِيمِ النَّارِ إِنَّهُمُ	كَانُوا عُصَاةً وَقَالُوا الإفْكَ وَالزُّورَا	أمية بن أبي الصلت	٣/ ٢٤٥
مُسْتَقْبِلِينَ شَمالَ الشَّامِ تَحصِبُهُمْ	بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْشُورِ	الفرزدق	٩/ ٢٩٦
عَلى عَمائِمنا تُلْقَى وأَرْحلنا	عَلى زواحفَ تُزْجَى، مُخُّها رِيرُ	الفرزدق	٤/ ٥٢٢
دَعُوا التَّخَاجُؤَ وامْشُوا مشْيَةً سُجُحاً	إنَّ الرِّجالَ ذوُو عَصْبٍ وتَذْكِير	حسان بن ثابت	٩/ ٢٨٠
يَطْوِي ابنُ سَلْمَى بِهَا مْ رَاكِبٍ بُعداً	عِيديَّةً أُرْهِنَتْ فِيهَا الدَّنَانِيرُ	متنازع النسبة	٢/ ٢٨٢
لا دَرَّ دَرِّي إنْ أَطْعَمْتُ نَازِلَهُمْ	قِرفَ الْحَتِيِّ وعِنْدِي الْبُرُّ مَكْنُوزُ	المنخل الهذلي	٤/ ٧٠١
تالله يَبْقَى على الأَيَّام ذو حَيَدٍ	بمشمخرٍّ به الظَّيان والآسُ	أمية بن أبي عائذ	٥/ ٥٢١
مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لا يَعْدَمْ جَوازِيَهُ	لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ والنَّاسِ	الحطيئة	١٠/ ٧٤
أَبْلِغْ جُذَاماً وَلَخْماً أَنَّ إِخوَتَهُمْ	طيّاً وبَهْرَاءَ قومٌ نَصْرُهُمْ نَحِسُ	بلا نسبة	٨/ ٥٠٩
وَادْخُلْ إِذَا مَا دَخَلْتَ أَعْمَى	وَاخْرُجْ إِذَا مَا خَرَجْتَ أَخْرَسْ	أبو الفتح البستي	٤/ ٤٥٣
آلَيْتُ حَبَّ العِرَاقِ الدَّهْرَ أَطْعَمُهُ	وَالحَبُّ يَأْكُلُهُ فِي الْقَرْيَةِ السُّوسُ	المتلمس	٢/ ٢٠١
حَنَّتْ إِلى النَّخْلَةِ الْقُصْوَى فَقُلْتُ لَهَا	حِجْرٌ حَرامٌ أَلا تِلْكَ الدَّهَارِيسُ	جرير بن عبد المسيح	٧/ ٢٨١
وابْنُ اللَّبونِ إِذَا مَا لُزَّ في قَرَنٍ	لم يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيسِ	جرير	٥/ ٦٨٦
وبَلْدةٍ لَيْسَ بها أَنيس	إِلَّا الْيَعَافيرُ وإِلاَّ الْعِيسُ	جران العود	٥/ ٣١٤

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
الـوَارِدُونَ وتَيْـمٌ فـي ذُرَى سَـبَأٍ	قَـدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُم جِلْـدُ الْجَوَاميسِ	جرير	٦/ ٥٦، ٤١٨/٧
سـائلْ مُجاورَ جَرْمٍ هَـلْ جنيتَ لها	حَرباً تُفَـرِّق بَيْـنَ الجِيـرَةِ الخُلُـطِ	متنازع النسبة	١٤٣/٣
عليكِ مثلُ الذي صَلّيتِ فاغْتمضي	يَوْمـاً فإنّ لِجَنْـبِ المـرْءِ مُضْطَجَعَا	الأعشى	٢٧٥/١
حَتَّى اسْـتَمَرَّت عَلَـى شَـزْرٍ مَرِيرَتُهُ	صَـدْقَ العَزيمـةِ لَا رَتّـاً وَلَا ضَرِعـا	لقيط بن يعمر	٢٧٨/٩
وَقَـدْ أَظَلَّكُـمُ مِـنْ شَـطْرِ ثَغْرِكُـمُ	هَـوْلٌ لَـهُ ظُلَـمٌ تَغْشَـاكُمُ قِطَعـا	لقيط	٥٩٣/١
وَأَنْكَرتْنـي ومـا كَانَ الَّـذي نَكِـرتْ	مِـنَ الْحَوادِثِ إلاَّ الشَّـيْبَ والصَّلَعَا	الأعشى	٣٤٢/٥
تَعْصِـي الوُشَـاةَ، وكانَ الحُـبُّ آوِنَةً	مِمَّـا يُزَيِّـن للمَشْـعوفِ مَـا صَنَعَـا	الأعشى	٤٤٨/٥
إِذَا ذَكَـرْنَ حَدِيثاً قُلْـنَ أَحْسَـنَهُ	وَهُـنَّ عَـن كُلِّ سُـوءٍ يُتَّقَـى صُـدُفُ	عدي بن الرقاع	٧٥٩/٣
أَمْسَـى سُـقَامُ خـلاءً لا أَنِيسَ بِـه	إلا السِّـباعُ ومـرُّ الريـحِ بالغَـرَفِ	أبو خراش الهذلي	٢٥٢/٣
بَانَ الشَّـبَابُ وأَمْسَى الشَّيْبُ قَدْ أَزِفَا	وَلَا أَرَى لِشَـبَابٍ ذاهـبٍ خَلَفَـا	كعب بن زهير	٢٧٠/٩
هُـوَ الخَلِيفَةُ فَارْضَوْا مَـا رَضِيْ لَكُمُ	مَاضِـي العَزِيمَةِ مَا فِي حُكْمِهِ جَنَفُ	جرير	٢٥٣/٢، ٧٢٢/٤
أَمِـنْ سُـمَيَّةَ دَمْـعُ الْعَيْـنِ تَذْرِيـفُ	لَـوْ كَانَ ذَا مِنْكِ قَبْلَ الْيَـوْمِ مَعْرُوفُ	عنترة	٥٢٦/٧
كَأَنَّهُـنَّ بِأَيْـدِي الْقَـوْم فـي كَبَـدٍ	طَيْـرٌ تكشَّـفُ عـنْ جُـونٍ مَزاحيف	أبو زبيد	٥٢٢/٤
لَهَـا صواهِلُ فـي صُمِّ السِّـلام كَمَا	صَاحَ القَسِيَّاتُ في أَيْدي الصَّياريفِ	أبو زبيد	٤٥٦/٣
قَـدِ اسْـتَوَى بِشْـرٌ عَلَـى الْعِـرَاقِ	مِـنْ غَـيْـرِ سَـيْـفٍ وَدَمٍ مِـهْـرَاقِ	بلا نسبة	١٤٩/٥
إِنِّـي امْرُؤٌ قَـدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ	وَسـاقَني طَبَـقٌ مِنْـهُ إِلَـى طَبَـقِ	الأقرع بن حابس	١٩٠/١٠
كَـأَنَّ عَيْنَـيَّ فـي غَرْبَـيْ مُـقَـتَّـلَـةٍ	مِـنَ النَّواضِـحِ تَسْـقِي جَنَّـةً سُـحُقَا	زهير	٥٦٩/٥
لَيْـثٌ بِعَثَّـرَ يَصْطَـادُ الرِّجَـالَ إذا	مـا كَـذَّبَ اللَّيْثُ عَـنْ أَقْرَانِـهِ صَدَقَا	زهير بن أبي سلمى	٥٥١/٧

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
هَـذَا وَلَيْسَ كَمَـنْ يعطى بِخُطَّتِـهِ	وَسْـطَ النَّـدِيِّ إِذا مَـا نَاطِـقٌ نَطَقَـا	زهير	٧/ ٤٧
لَا شَـيْءَ يَنْفَعُنـي مِـنْ دونِ رُؤْيَتِهَـا	هَلْ يَشْـتَفِي وَامِقٌ ما لَمْ يُصِب رَهَقَا	الأعشى	٩/ ٧١٨
مُكَلَّـلٌ بعَميـمِ النَّبْـت تَنْسِـجُهُ	ريـحٌ خَريـقٌ لِضَاحـي مَائِـه حُبُـكُ	زهير بن أبي سلمى	٩/ ١٧١
لَئِـنْ حَلَلْـتَ بِجَـوٍّ فـي بَنـي أَسَـدٍ	في ديـنِ عَمْـرو وحَالَـت بَيْنَنَـا فَدَكُ	زهير	١/ ٢٣٩، ٨/ ٤٥٤
كَمَـا اسْـتَغَاثَ بِسَـيْءٍ فَـزُّ غَيْطَلَـةٍ	خَـافَ الْعُيُونَ فَلَمْ يُنْظَر بِهِ الْحَشَـكُ	زهير	٦/ ٢٤٣
بِمَـنْـطِـقٍ مُسْـتَبِينٍ غَـيْـرِ مُلْتَبِسٍ	بِـهِ اللِّسَـانُ وَإِنِّـي غَيْـرُ مُؤْتَفِـكِ	عمران بن حطان	٥/ ٣٣
وقَـدْ أُخَالِـسُ رَبَّ الْبَيْـتِ غَفْلَتَـهُ	وَقَـدْ يُحَـاذِرُ مِنِّـي ثُـمَّ مـا يَئِـلُ	الأعشى	٦/ ٤٠١
الْحَمْـدُ للَّـهِ إِذْ لَـمْ يَأْتنـي أَجَلـي	حتى اكْتَسَـيْتُ من الإِسـلام سِرْبَالا	النابغة الجعدي	٢/ ١٨٨
وما خلِيـجٌ من المـروت ذو حَدَبٍ	يرْمِي الصَّعيدَ بخُشْبِ الأَيْك والضَّالِ	أوس بن حجر	٥/ ٧٤٣
كَـمْ مِـنْ غَنِيٍّ أَصـابَ الدَّهْـرُ ثَرْوَتَهُ	وَمِـنْ فَقِيـر يقنَّـى بَعْـدَ إِقْـلَالِ	بلا نسبة	٩/ ٢٦٥
تِلْـكَ المَـكَارِمُ لا قَعْبَـانِ مِـنْ لَبَـنٍ	شِـيبا بِمَـاءٍ فَعَـادَا بَعْـدُ أَبْـوَالاً	أمية بن أبي الصلت	٤/ ٣٢٧، ٤/ ٥٦٤
يُبْكَـى عَلَيْنَـا وَلاَ نَبْكِـي عَلَـى أَحَدٍ	لنَحْـنُ أَغْلَـظُ أَكْبَـاداً مِـنَ الإِبِـلِ	متنازع النسبة	٢/ ٦٧٢
تُولِي الضجيع إِذَا ما استافها خَصِرا	عَـذْبَ المـذاقِ إِذَا مـا اتَّابـع الْقُبَـلُ	بلا نسبة	٤/ ٧١٨
أَتَنْتَهُـونَ ولَـنْ يَنْهَـى ذَوِي شَـطَطٍ	كالطَّعْـنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيْـتُ والْفُتُلُ	الأعشى	١/ ٢١٤، ٦/ ٣٠٥، ٩/ ٤٢٢، ٧١٦
كَأَنَّ مِشْـيَتَهَا مِـنْ بَيـتِ جَارَتِهَـا	مَـرُّ السَّـحَابَةِ لا رَيْـثٌ وَلَا عَجَـلُ	الأعشى	٩/ ٣٣٩
لمَّـا ثَنَـى اللهُ عنـي شـرَّ عَدْوتـه	وانمزت لا منشـئاً ذُعْـراً ولا وجلا	مالك بن الريب	٤/ ٥٦٢

الصـــدر	الـعـجــز	الشاعــر	الجزء والصفحة
لمَّـا وَرَدْنَـا نبِيّاً واسْـتَتَبَّ لَنَـا	مُسْحَنْفَرٌ بخُطُوطِ السَّيْحِ مُنْسَحِلُ	القطامي	١/ ٤٢٧
إِذَا دَبَبْـتَ عَلَـى المِنْسَـاةِ مِـنْ كِبَـرٍ	فَقَـدْ تبَاعَـدَ مِنْـكَ اللَّهْـوُ والْغَـزَلُ	بلا نسبة	٨/ ٨٦
إِنْ تَرْكَبُـوا فَرُكُـوبُ الخَيْـلِ عادَتُنَـا	أَوْ تَنْزِلُـون فَإِنَّـا مَعْشَـرٌ نُـزُلُ	الأعشى	٣/ ٢٨٠
لَيْسَ النُّكُوصُ عَلَـى الْأَدْبَارِ مَكْرُمَةً	إِنَّ الْمَـكَارِمَ إِقْـدَامٌ عَلَـى الْأَسَـلِ	تأبط شراً	٤/ ٥٩٢
كانَـتْ مَنَازِلُهُـمْ إِذْ ذَاكَ ظَاهِـرَةً	فيهـا الْفَرَادِيسُ والْفُومَـانُ والْبَصَلُ	أمية بن أبي الصلت	٦/ ٤٦١
مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزْنِ مُعْشِبَةٌ	خَضْـرَاءُ جَـادَ عَلَيْهَـا مُسْـبِلٌ هَطِلُ	الأعشى	٧/ ٦١٧
بِـذَاتِ لَـوْثٍ عَفَرْنَـاةٍ إِذَا عَثَـرَتْ	فَالتَّعْـسُ أَدْنَى لَهَا مِـنْ أَنْ أَقُولَ: لَعَا	الأعشى	٩/ ١٣
حُلْـوٌ وَمُـرٌّ كعِطْـفِ القِـدْحِ مِرَّتُـه	فِـي كُلِّ إِنْـيٍ حـداه اللَّيْـلُ يَنْتَعِـلُ	المتنخل الهذلي	٦/ ٦٥٠
حلـوٌ ومـرٌّ كعطـفِ القِـدْحِ مِرَّتُـهُ	فـي كل إِنْـيٍ قضـاه الليـل ينتعـلُ	المتنخل الهذلي	٢/ ٥٦٣، ٨/ ٣٨١
فِـي فِتْيَـةٍ كَسُـيُوفِ الهِنْد قَـدْ عَلِمُوا	أنْ هَالِـكٌ كُلُّ مَـنْ يَحْفَـى وَيَنْتَعِـلُ	الأعشى	٤/ ٢٦٥، ٥/ ١٥٨
يَـا مَـنْ رَأَى عَارِضاً قَـدْ بِـتُّ أَرْمُقُهُ	كَأَنَّمَـا الْبَـرْقُ فـي حَافَاتِـهِ الشُّـعَلُ	الأعشى	٨/ ٧٥٠
لَئِـنْ مُنِيـتَ بِنَـا عَـنْ غِـبِّ مَعْرَكَـةٍ	لَا تُلْفِنَـا عـنْ دِمـاءِ الْقَـوْمِ نَنْتَفِـلُ	الأعشى	٦/ ٢٨١
يَمْشِـينَ رَهْواً فَـلا الأَعْجَـازُ خَاذِلَةٌ	وَلَا الصُّـدُورُ عَلَـى الأَعْجَـازِ تَتَّكِلُ	عمير بن شييم	٨/ ٦٧٢
قـد يُـدركُ المتأنِّـي بعـضَ حاجَتِـهِ	وقد يكـونُ مـع المسْـتَعْجِل الزَّلَلُ	القطامي	٨/ ٤٥٧، ٤٥٨
مِـنْ كُلِّ نَضَّاخةِ الذِّفْـرَى إِذَا عَرِقَتْ	عُرْضَتُهَـا طَامِسُ الأَعْـلامِ مَجْهُولُ	كعب بن زهير	٣/ ١٨١، ٢/ ٤٢، ٥/ ٢٣٤

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
كَادَتْ تُهَدّ مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي	إذْ سَالَتِ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلِ	معبد الخزاعي	٢/ ٦٤٦، ١٠/ ٣٨١
شُمُّ الْعَرَانِينِ أَبْطَالٌ لَبُوسُهُمُ	مِنْ نَسْجِ داودَ في الْهَيْجَا سَرابِيلُ	كعب بن زهير	٦/ ٩٤
إِذَا نَزلْنَا نَصَبْنَا ظِلَّ أَخْبِيَةٍ	وَفَارَ لِلْقَوْمِ باللَّحْمِ الْمَرَاجِيلُ	عبدة بن الطيب	٦/ ٥٨
يُخْرِجْنَ مِنْ مستطار النَّقْعِ دَامِيَةً	كَأَنَّ آذَانَهَا أَطْرَافُ أَقْلَامِ	عدي بن الرقاع	١٠/ ٣٥٧
فيها الْعَنَاجِيج تَرْدِي في أَعِنَّتِهَا	شُعْثاً تُصلْصِلُ في أَشْدَاقِهَا اللُّجُمُ	الكميت	٥/ ٧١٢
خَيْلٌ صِيَامٌ وخَيْلٌ غير صائِمَةٍ	تَحْتَ العَجَاجِ، وخَيْلٌ تعلُكُ اللُّجُمَا	النابغة الذبياني	١/ ٦٦٢
وَآخرِينَ ترى الماذِيَّ عُدَّتَهُمْ	مِنْ نَسْجِ دَاودَ أَوْ ما أَوْرَثَتْ إِرَمُ	زهير بن أبي سلمى	١٠/ ٢٤٩
هَلا سَأَلْتِ بَنِي ذُبيَان مَا حَسَبِي	إِذَا الدُّخانُ تَغَشَّى الأشمَط البَرَمَا	النابغة الذبياني	١/ ٢٨٢
مُوَكَّلٌ بِشُدُوفِ الصَّوْم يَرْقُبُهَا	مِنَ المَعَازِبِ مَخْطوف الْحَشَا زَرِمُ	ساعدة بن جؤية	٨/ ٢٥٩
وَهَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ ذِي أُرُلٍ	تُزْجِي مَعَ اللَّيْلِ مِنْ صُرَّادِهَا صِرَمَا	النابغة الذبياني	٥/ ٥٢٦
حَيَّاكَ وَدٌّ فَإِنَّا لا يَحِلُّ لَنَا	لَهْوُ النِّسَاءِ وَإِنَّ الدِّينَ قَدْ عَزَمَا	النابغة	٩/ ٧٠٧
قَدْ يُنْعِمُ الله بالبَلْوَى وإِنْ عَظُمَتْ	ويَبْتَلي الله بعضَ الْقَوْمِ بالنِّعَم	أبو تمام	٤/ ٣٣٥
إِنِّي امْرُؤٌ لَجّ بي حُبٌّ فأَحْرَضَني	حَتَّى بَلِيتُ وحَتّى شَفَّني السَّقَمُ	العرجي	٥/ ٥٢٢
إنّ الكَرِيمَ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ	عَفْوًا وَيُظْلَمُ أَحْيَانًا فَيَظَّلِمُ	زهير بن أبي سلمى	٢/ ٤٢٨
أَخْشَى فَظَاظَةَ عَمٍّ أَوْ جَفَاءَ أخ	وَكُنْتُ أَخْشَى عَلَيْهَا مِنْ أذَى الْكَلِمِ	متنازع النسبة	٢/ ٦٧٢
مِمَّا يُعَتَّقُ في الحانوت باطِنُها	بِالْفُلْفُلِ الْجَوْنِ والرُّمانِ مَخْتومُ	ابن مقبل	١٠/ ١٧٨
كأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظَبْيٌ عَلَى شَرَفٍ	مُفَدَّمٌ بِسَبَا الْكَتَّانِ ملْثُوم	علقمة	٧/ ٢٧
سُلاءَةٌ كعَصَا النَّهْدِيّ غُلَّ لَهَا	ذُو فَيْئَةٍ مِنْ نَوَى قُرَّانَ مَعْجُومُ	علقمة بن عبدة	٤/ ٢٦٤

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
ومُطْعَمُ الغُنْمِ يومَ الغُنْمِ مُطْعَمُهُ	أَنَّى تَوَجَّهَ والمحْرومُ مَحْرُومُ	علقمة الفحل	٤/ ٥٦٧
داوِيَّةٌ ودُجا ليلٍ كأنَّهما	يَمٌّ تَراطَنُ في حَافَاتِهِ الرُّومُ	ذو الرمة	٤/ ٣٧٠
كَأَنَّهُ دُمْلُجٌ مِنْ فِضَّةٍ نَبَهٌ	في مَلْعَبٍ من عَذارى الْحَيِّ مَفْصُومُ	ذو الرمة	٢/ ١٧٠
كَأَنَّهُ بِالضُّحَى تَرْمِي الصَّعِيدَ بِهِ	دَبَّابَةٌ في عِظَامِ الرَّأسِ خُرْطُومُ	ذو الرمة	٣/ ١٦٩
وَأَنْتَ مِنْ حُبِّ مَيٍّ مُضْمِرٌ حَزَناً	عَاني الْفُؤَادِ قَرِيحُ الْقَلْبِ مَكْظُوم	ذو الرمة	٩/ ٦٤٦
تسْقي مَذانِبَ قَدْ مالتْ عَصيفَتُهَا	أَتِيُّهَا مِنْ حَدور الْماءِ مَطموم	علقمة بن عبدة	١٠/ ٣٨١
تَسْقِي مَذَانِبَ قَدْ مَالَتْ عَصيفَتُهَا	حَدُورُهَا مِنْ أَتِيِّ الماءِ مَطْمُومُ	علقمة بن عبدة	٩/ ٣١١
إنَّ الْخَلِيفَةَ، إنَّ اللَّهَ أَلْبَسَهُ	سِرْبَالَ مُلْكٍ، بِهِ تُرْجَى الْخَوَاتِيمُ	جرير	٦/ ٣٦٦، ٧/ ٢٤
لَا تُحْرِزُ الْمَرْءَ أَحْجَاءُ الْبِلَادِ وَلَا	تُبْنَى لَهُ في السماوات السَّلَالِيمُ	ابن مقبل	٩/ ٢٢٣
لا يُحْزِنُ الْمَرْءَ أَحْجَاءُ البِلادِ وَلا	يُبْنَى لَهُ فِي السَّماوَاتِ السَّلالِيمُ	تميم بن أبي بن مقبل	٣/ ٧٤٨
في كلِّ مُمْسىً لَها مِقْطَرَةٌ	فيها كِباءٌ مُعَدٌّ وحَمِيمْ	المرقش	٥/ ١٥٠
ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عنوانُ السُّجودِ بِهِ	يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبيحاً وَقُرْآنا	حسان بن ثابت	١/ ٢٠٠، ١٠/ ٣٩
أَصْبَحْتُ هُزْءاً لِرَاعِي الضَّانِ يَهْزأُ بي	مَاذَا يَرِيبُكَ مِني رَاعِيَ الضَّانِ	أمية بن الأسكر	١/ ٦٣١
رَضِيتَ خِطَّةَ خَسْفٍ غَيْرَ طَائِلَةٍ	فَسَاءَ هَذَا رضا يَا قَيْسَ عيْلانَا	بلا نسبة	٣/ ٧٤٠
إنْ أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ يَوْماً فَلَا عَجَبٌ	قَدْ تُجْزِئُ الحُرَّةُ المِذْكَارُ أَحْيَانا	بلا نسبة	٨/ ٦٠٨
كَمُدْخِلٍ رأسَه لم يُدْنُهُ أَحَدٌ	بيْنَ القَرِينَيْنِ حتى لَزَّهُ الْقَرَنُ	قعنب بن أم صاحب	٣/ ١٥٠

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
التَّـارِكُ الْقِـرْنَ مُصْفَـرّاً أَنامِلُـهُ	يَميلُ في الرُّمْح مَيْلَ المائِح الأَسِـن	زهير بن أبي سلمى	٩/ ١٩
تَخـوَّفَ السَّـيْرُ مِنْهَـا تَامِـكاً قَـرِداً	كما تَخَـوَّفَ عُـودَ النَّبْعَـةِ السَّـفَنُ	متنازع النسبة	٦/ ٥٢
أَلَمْ يَكُنْ في وُسُـومٍ قَدْ وَسَـمْتُ بهَا	مَـنْ حَـانَ موعظـة يـا زَهْـرَة اليَمَنِ	جرير	٨/ ٦٨٦
أَبْلِـغْ كُلَيْبـاً وَأَبْلِـغْ عَنْـكَ شَـاعِرَهَا	أَنّـي الأَعَـزُّ وَأَنّـي زَهْـرَةُ الْيَمَـنِ	بلا نسبة	٨/ ٦٨٧
إِلَيْـكَ عَنِّـي فَمَـا أُمِّـي بِراعِيَـةٍ	تَرْعَى الْمَخَاضَ وَلَاأُغْضِي عَلَى الْهُونِ	ذو الأصبع	٤/ ٧٧
حَسَـرْتُ كَفِّي عَلى السِّـرْبَالِ آخُذُهُ	فَـرْداً يُجَـرُّ عَلَـى أَيْـدِي الْمُفَدِّينَـا	تميم بن مقبل	٦/ ٦٧٩
يا نَفْسُ لا تَمْحَضي بالنُّصْح مجتهداً	عَـلَـى الـمَـوَدَّةِ إِلَّا آلَ يَـاسِـينَـا	السيد الحميري	٨/ ١٧٤
إِنَّ السَّـفَاهَةَ طـهَ مِـنْ خَلَائِقِكُـمْ	لَا بَـارَكَ اللهُ فِـي الْقَـوْم الْمَلَاعِيـنِ	يزيد بن المهلهل	٦/ ٥٦٦
بَاتَتْ تَشَـكَّى إِلَـيَّ النَّفْسُ مُجْهِشَـةً	وقَـدْ حَمَلْتُـكِ سَـبْعاً بَعْـدَ سَـبْعِينَا	لبيد	١/ ٢٣٢
حتّى استبَنْتُ الهُدى والبِيدُ هاجمةٌ	يخشَـعْن فـي الآل غُلْفـاً أو يُصلِّينا	ابن مقبل	١/ ٢٤٧، ٤/ ٣٣٨
آمِـينَ آمِـينَ لا أَرْضَـى بوَاحِـدةٍ	حَـتَّـى أُبـلِّـغَـهَـا أَلْـفَـيْـنِ آمِينَا	بلا نسبة	١/ ٢٦٣
إِذَا لَقَيْتُـكَ تُبْـدِي لِـي مُكَاشَـرَةً	وَإِنْ أُغَيَّـبْ فَأَنْـتَ الْهَامِـزُ اللُّمَـزَه	زياد الأعجم	٤/ ٧٥٠
نَازَعْتُـهُ طَيِّبَ الـرَّاحِ الشَّـمولِ وَقَدْ	صَاحَ الدَّجاجُ وَحانَتْ وَقْعَةُ السَّاري	الأخطل	٩/ ٢١٦
أَرْعَـى النُّجـومَ ومـا كُلِّفـتُ رِعْيَتَهَا	وتـارَةً أَتغَشّـى فضْـلَ أَطْمَـارِي	الخنساء	٥/ ٢٦٤
يـا قاتَـلَ الله صِبيانـاً تجـيءُ بهـم	أُمُّ الْهُنَيِّـدِ مـن زَنـدٍ لهـا وَارِي	متنازع النسبة	٢/ ٤٥٢
لَوْلاَ الحياءُ ولَوْمَـا الدِّيـنُ عِبْتُكُمَا	ببَعْـضِ مـا فيكُمَـا إِذْ عِبْتُمَـا عَوَري	ابن مقبل	٥/ ٦٩٦
وَقَـدْ نَظَرْتُكُمْ إِيـنَـاءَ صَـادِرةٍ	لِلْخِمْسِ طَالَ بِهَا حَبسي وَتَبْسَاسي	الحطيئة	١٠/ ٤٢
وَقَــدْ نَـظَـرْتُـكُـمُ إِيـنـاء عاشية	لِلْخمْس طَالَ بِهَا حَبْسي وتبْسَاسِي	الحطيئة	٩/ ٤٠٤

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
وَقَدْ نَظَرْتُكُمْ إيناءَ صادِرَةٍ	لِلْخِمْسِ طَالَ بِهَا حَوْزِي وَتَنْسَاسِي	الحطيئة	٣/ ١٨٠
لاهِ ابنُ عَمِّكَ لا أفْضَلْتَ في حَسَبٍ	يوماً ولا أنتَ دَيّاني فتَخْزُوني	ذو الأصبع	١/ ٢٤١
لِيَ ابْنُ عَمٍّ لوَ انَّ النَّاسَ في كَبَدٍ	لَظَلَّ مُحْتَجِزاً بِالنَّبْلِ يَرْميني	ذو الأصبع	١٠/ ٢٦٧

البحر الخفيف وجوازاته

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
أجْمَعُوا أمْرَهُمْ بِلَيْلٍ فلمَّا	أصْبَحُوا أصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ	الحارث بن حلزة	٥/ ٢١٥
بَاهِرَاتُ الْجَمَالِ وَالْحُسْنِ يَنْظُرْ	نَ كما يَنْظُرُ الأَرَاكَ الظِّبَاء	ابن قيس الرقيات	٦/ ٤٠
ظَاهِرَاتُ الجَمالِ وَالحُسْنِ يَنْظُرْ	نَ كَمَا يَنْظُرُ الأَرَاكَ الظِّبَاء	عبيد الله بن قيس ابن الرقيات	٣/ ١٨٠
فَتَرَى خَلفَهن مِن شدة الرَّجْـ	ـعِ منيناً كأنه أَهْباءُ	الحارث بن حلزة	١٠/ ١٩٣
فَتَرَى خَلْفَهَا مِنَ الرَّجْعِ والْوَقْـ	ـعِ مَنِيناً كأَنَّهُ أَهْبَاءُ	الحارث بن حلزة	٧/ ٢٨٣
آنسَتْ نَبْأَةً وَأفْزَعَهَا القَنْـ	ـنَاصُ عَصْراً وَقَدْ دَنَا الإمْسَاءُ	الحارث بن حلزة	٣/ ٢٦، ٦/ ٥٧١، ٧/ ١٩٩
طَلَبُوا صُلْحَنَا ولاتَ أَوانٍ	فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاءِ	أبو زبيد	٨/ ٣٠٤
ثُمَّ لمَّا رآهُ رانتْ بِهِ الخَمْـ	ـرُ وأَلَّا ترينَهُ باتِّقاءِ	أبو زبيد	١٠/ ١٧٣
لَتَكُونَنَّ بِالْبِطَاحِ قُرَيْشٌ	بُقْعَةَ الْقَاعِ فِي أَكُفِّ الإِمَاءِ	ضرار بن الخطاب	٦/ ٦٣٦
لَيْسَ مَنْ مَاتَ فاسْتَرَاحَ بمَيْتٍ	إنَّمَا الْمَيْتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ	عدي الغساني	١/ ٦٣٣

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
سُؤْدَداً غَيْرَ فَاحِش لا يُدَانيـ	ـهِ تِـجـبَّـارَةٌ وَلا كِـبْـرِيـاءُ	ابن الرقاع	٥/ ٢٢٣
يَدَع الحَيَّ بالعَشِيِّ غِرَاثاً	وَهُـمُ عَـنْ رغيفهم أَغنياءُ	ابن الرقاع	٢/ ٢٩٦
تَرْتَعِي السَّفْحَ فالكَثيبَ فَذَا قا	رٍ فَرَوْضَ القطا فَذَاتَ الرِّئالِ	الأعشى	٥/ ٤١٨
تِلْكَ خَيْلي مِنْك وَتِلْكَ رِكَابي	هُنَّ صُفْرٌ أَوْلادُها كالزَّبِيبِ	الأعشى	١٠/ ٨٤
تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ وتِلْكَ رِكَابِي	هُنَّ صُفْرٌ أَوْلادُهَا كَالزَّبِيبِ	الأعشى	١/ ٤٤٤
لَيْتَ شِعْرِي، وَأَشْعُرَنَّ إِذَا مَا	قَـرَّبُوهَا مَطويَّةً وَدُعِيتُ	السموأل	٣/ ٢٤٠
لَيْسَ قَومِي بِالأَبْعَدِينَ إذَا مَا	قَالَ دَاعٍ مِنَ الْعَشِيرَةِ هَيْتُ	طرفة	٥/ ٤٣٧
صَادياً يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُغاثٍ	وَلَقَدْ كَانَ عُصْرَة المَنْجُود	أبو زبيد	٥/ ٤٧٨
إِنْ تَفُتْني فَلَمْ أَطِبْ عَنْكَ نَفساً	غَيْرَ أَنِّي أُمْنَى بِدَهْرٍ كَنُودِ	أبو زبيد	١٠/ ٣٥٨
نشربُ الإِثمَ بالصُّواع جِهاراً	وترى المُتكَ بيننا مُستعارا	بلا نسبة	٥/ ٤٥٠
فَقَدَحْنا زِنادَنا وَوَرَيْنَا	فَوْقَ جُرْثومَةٍ مِنَ الأَرْضِ نارا	عدي بن زيد	١٠/ ٣٥٦
وَيْ كَأَنْ مَنْ يكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْـ	ـبَبْ ومَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ	زيد بن عمرو بن نفيل	٧/ ٥٤٠
يَا رَسُولَ المَلِيكِ إِنَّ لِسَانِي	رَاتِقٌ ما فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورُ	ابن الزبعري	٧/ ٢٧٧، ٩/ ٥٩
يَا رَسُولَ الْمَلِيكِ إِنَّ لِسَاني	فاتِقٌ ما رَتَقْتُ إِذْ أَنا بُورُ	أبو سفيان بن الحارث	٥/ ٦٦٤
إِذْ أُجاري الشَّيطانَ في سَنَنِ الغَيْـ	ـيِ، وَمَنْ مالَ مَيْلَهُ مَثْبورُ	ابن الزبعري	٦/ ٢٩٨، ٧/ ٢٧٣
ثمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ والْمُلْكِ وَالإِ	مَّةِ وَارَتْهُمُ هناك الْقُبُور	عدي بن زيد	٨/ ٦١٤

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
سَلَعٌ مَا وَمِثْلُهُ عُشَرٌ مَا	عَائِلٌ مَا، وَعَالَتِ الْبَيْقُورَا	أمية بن الصلت	١/ ٣٣٢
شَادَهُ مَرْمَراً وَجَلَّلَهُ كِلْـ	ـساً فللطَّيْر فِي ذُرَاهُ وُكُورُ	عدي بن زيد العبادي	٣/ ٢٢٥، ٧/ ٦٧
وَبَنُو الأَصْفَرِ الْكِرَامُ مُلُوكُ الرْ	رُومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمُ مَذْكُورُ	عدي بن زيد	٤/ ٧٣٧
وَسْطَةٌ كَالْيَرَاعِ أَوْ سُرُجِ المِجْـ	دَلِ طوراً تَخْبُو وحيناً تُنِيرُ	عدي بن زيد	٦/ ٢٩٠
حَيْثُ لا يَنْفَعُ الرِّيَاغُ وَلَا يَنْـ	ـفَعُ إِلَّا الْمُصَادِقُ النِّحْرِيرُ	عدي بن زيد	٨/ ٢٦٧
لا أَرَى المَوْتَ يَسْبِقُ المَوْتَ شَيءٌ	نَغَّصَ المَوْتُ ذَا الغِنَى وَالفَقِيرَا	متنازع النسبة	٢/ ٥٥٢
كدُمَى العاجِ في المحَاريبِ أو كالْـ	ـبيْضِ في الرَّوضِ زهرُه مُستنيرُ	عدي بن زيد	٢/ ٣٩١، ٨/ ٨١
لَمْ يَفُتْنَا بِالوتْرِ قَوْمٌ وللضَّيْـ	ـمِ أُنَاسٌ يَرْضَوْنَ بِالإِغْمَاضِ	الطرماح بن حكيم	٢/ ٢٢٢
وَمَشَى القَوْمُ بالْعِمَادِ إِلَى الرَّوْ	حَى وأَعْيَا الـمُسِيمُ أَيْنَ الـمَساقُ	الأعشى	٦/ ١٨
إِنَّ تَحْتَ التُّرَابِ عَزْماً وحَزْماً	وَخَصِيماً أَلَدَّ ذا مِغْلَاقِ	المهلهل	٦/ ٥٦٢
إِنَّ تحْتَ الأحجارِ حَزْماً وعقلاً	وخَصِيماً أَلَدَّ ذَا مِغْلَاقِ	المهلهل	١/ ٧٤٣
هذه دارُه وأنتَ مُحِبٌّ	ما بقاءُ الدموعِ في الآماقِ	أبو بكر الشبلي	٢/ ٣٧٩
وَتَدَاعَوْا إِلَى الصَّبُوحِ فقامتْ	قَيْنَةٌ في يَمِينِهَا إِبْرِيقُ	عدي بن زيد	٩/ ٣٥٥
أَيُّمَا شَاطِنٍ عَصَاهُ عَكَاهُ	ثُمَّ يُلْقَى فِي السِّجْنِ وَالأَكْبَالِ	أمية بن أبي الصلت	١/ ٢٠٨
نَقَّبُوا في الْبِلادِ مِنْ حَذَرِ الْمَوْ	تِ وجَالُوا في الأَرْضِ كُلَّ مَجَالِ	الحارث بن حلزة اليشكري	٩/ ١٥٩
فَرْعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ في غُصُنِ الْمَجْـ	ـدِ عَظِيمُ النَّدَى شَدِيدُ المحَالِ	الأعشى	٥/ ٥٩٤

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
يَعْرِفُ الْجاهِلُ الْمُضَلَّلُ أَنَّ الدَّهْـ	ـرَ فِيهِ النَّكْـرَاءُ وَالزَّلْـزَالُ	أبو زبيد الطائي	٧/ ٧
لَاحَهُ الصَّيْفُ والغَيارُ وَإِشْفا	قٌ عَلَى سَقْبَة كَقَوْسِ الضَّالِ	الأعشى	١٠/ ١٥
هَـؤُلا ثم هَـؤلا كُـلاً أعْطيـ	ـت نـعَـالاً مـحـذُوةً بِنعَال	الأعشى	١/ ٣٥٢، ٢/ ٤٥٣
رُبَّما تَكْرَهُ النُّفوسُ مِنَ الأَمْـ	ـرِ لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ	أمية بن أبي الصلت	٥/ ٦٩٢
وكأَنَّ الْخمْرَ العَتِيقَ مِنَ الإِسْـ	فَنْطِ مَمْزُوجَةٌ بِمَاءٍ زُلال	الأعشى	٢/ ١٦٥
فَسَلامُ الإِلـهِ يَغْدُو عَلَيْهِم	وَفُيُوءُ الْفِرْدَوْسِ ذَاتُ الظِّلالِ	النابغة الجعدي	٦/ ٥٥
هـو دانَ الرِّبَابَ إِذْ كرِهـوا الديـ	ـن دِرَاكـا بـغَـزوَةٍ وَصِيالِ	الأعشى	١/ ٦٩٨
غَنِيَتْ دَارُنَا تِهَامَةَ في الدَّهْـ	ـرِ وفيها بَنُو مَعَدٍّ حُلولاً	مهلهل	٤/ ٣٣٣
لا أَعُدُّ الإِقْتَارَ عُدْماً وَلَكِنْ	فَقْدُ مَنْ قَدْ رُزِئْتُه الإِعْدَامُ	أبو دؤاد	٦/ ٢٩٢
وهُمُ الأَقْرَبُونَ مِنْ كُلِّ خَيْر	وهُمُ الأَبْعَدُونَ مِنْ كُلِّ ذام	الكميت	٤/ ٢١٣
لَوْ يَدِبُّ الحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّرْ	رِعَلَيْهَا لأَندَبَتْها الكُلُومُ	حسان بن ثابت	٣/ ١٥٢
بادَرَ الأُفْقَ أن يغيبَ فلمّا	أظلم اللّيلُ لم يجد فرقانا	مزرد بن ضرار	٤/ ٥٤٤
بُورِكَ الميِّتُ الْغَرِيبُ كما بُو	رِكَ يَنْعُ الرُّمَّانِ والزَّيْتُونِ	أبو طالب	٧/ ٤٠٢
لَيْتَ شِعْرِي مُسَافِرَ بنَ أَبي عَمْـ	ـرٍو، وليْتٌ يَقُولُها الْمَحْزُون	أبو طالب	٧/ ٢٢٦
إِنَّ شَرْخَ الشَّبَابِ والشَّعَرَ الأَسْـ	ـوَدَ مَا لَمْ يُعَاصَ كانَ جُنُونَا	حسان بن ثابت	٤/ ٧٠٣
ثُمَّ دافَعْتُهَا إِلَى القُبَّةِ الْخَضْـ	ـراءِ تَمْشِي في مَرْمَرٍ مَسْنُونِ	عبد الرحمن بن حسان بن ثابت	٥/ ٧١٣
قُلْ لِمنْ ساد ثُمَّ ساد أَبُوهُ	ثُمَّ قدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِك جَدُّه	أبو نواس	٨/ ٣٧٢

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
إنْ يُعَاقِبْ يَكُـنْ غَرَامـاً وإنْ يُعْـ	ـطِ جَزِيلاً فإنَّـهُ لا يُبَالِـي	الأعشى	٧/ ٣١٧، ٩/ ٣٧٣
لَـمْ أَكُـنْ مِـنْ جُنَاتِهَـا عَلِـمَ اللهُ	وَإِنِّـي بِحَرِّهَـا الْيَـوْمَ صَالِـي	الحارث بن عباد	٣/ ٣٩
مِـدْرَأُ يـدْرَأُ الخُصُـومَ بقَـوْلٍ	مثْـل حدِّ الصَّمْصَامَـةِ الهُنْدُواني	بلا نسبة	١/ ٤٥٠

بحر الرمل وجوازاته

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
وتولِّـي الأرضَ خُـفّاً ذابـلاً	فَـإذا مـا صـادَفَ الْمَرْوَ رَضَـحْ	الكميت	١/ ٦٠٧
انـسُـبِ الـعـبـدَ إلـى آبـائِـهِ	أسـودَ الجلـدةِ مـن قـومٍ عُبُـدْ	بلا نسبة	٣/ ٥٦٣
مَـرِجَ الـدِّيـنُ فَـأَعْـدَدْتُ لَـهُ	مُشْـرِفَ الْحَـارِكِ مَحْبُـوكَ الْكَتَـدْ	أبو دؤاد الإيادي	٩/ ١٣٤
وَشَـبَـابٌ حَـسَـن أَوْجُـهُـهُـمْ	مـنْ إِيَـادِ بْـنِ نِـزَار بْـنِ مَعَـدْ	متنازع النسبة	٩/ ٢٨١
بَيْنَمَا الْمَـرْءُ تَـرَاهُ نَاعِمَاً	يَأْمَنُ الأحْـدَاثَ فِـي عَيْـشٍ رَغَدْ	امرؤ القيس	١/ ٣٦٥
قِـيـلَ قُـمْ فَـانْـظُـرْ إِلَـيْـهِـمْ	ثُـمَّ دَعْ عَـنْـكَ الـسُّـمـودَا	هزيلة بنت بكر	٩/ ٢٧٢
فِـي سَـمَاعٍ يَـأْذَنُ الشَّـيْخُ لَـهُ	وَحَدِيـثٍ مِثْـلِ مَـاذِيٍّ مُشَـارِ	عدي بن زيد	٥/ ٢١
مَـا أَقَـلَّـتْ قَـدَمَـايَ إِنَّـهُـمْ	نَعِـمَ السَّـاعُونَ فـي الأَمْـرِ المبِـرْ	طرفة	٢/ ٢٣١
فلئن شَـطَّـتْ نَـوَاهـا مـرةً	لعلـى عَـهْـدِ حبيـبٍ مُعْـتَـشِـرْ	طرفة بن العبد	٣/ ٧٧
غَـيَّـر الـجِـدَّةَ مِـنْ عرفانه	خُـرُقُ الرِّيـحِ وَطُوفَـانُ المَطَـرْ	حسيل بن عرفطة	٤/ ٣٦٤
رَاحَ تَمْرِيـهِ الصَّبَـا ثُـمَّ انْتَحَـى	فيـه شُـؤْبُوبُ جَنُـوبٍ مُنْهَـمِرْ	امرؤ القيس	٩/ ٢٨٣
.... وَمِنَّـا	مـنْسِـئُ الـشَّـهْـرِ الْـقَـلَـمَّـسْ	بلا نسبة	٤/ ٧١٤

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
فَـإِذَا لاقَيْتُـهُ عَظَّمَني	وإِذَا يَخْلُو لهُ لَحْمي رَتَع	سويد بن أبي كاهل	٩/ ١١٧
كيْفَ يَرجونَ سِقاطي بَعْدَمَا	لَفَّعَ الرَّأْسَ مَشِيبٌ وصَلَع	سويد بن أبي كاهل	٤/ ٣٩٦
سَأَلَتنِي جارتي عَن أمتِي	وَإِذا مَا عيَّ ذُو اللب سأَلْ	لبيد	٤/ ٥٨١
وَلَقَدْ يَغْنَى بِهَا جِيرَانُكِ الْـ	ـمُمْسِكُو مِنْكِ بِعَهْدٍ وَوِصَالِ	عبيد بن الأبرص	٤/ ٣٣٢
عَسَلانَ الذِّئْبِ أَمْسَى قَارِباً	بَـرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَنَسَلْ	لبيد	٦/ ٧٢٣
عَسَلَانَ الذِّئْبِ أمْسَى قَارِباً	بَرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَنَسَلْ	النابغة الجعدي	٨/ ٢٠٨
يَلْمَسُ الأَحْلاسَ في مَنْزِلِهِ	بِيَدَيْهِ كالْيَهُودِي الْمُصَلْ	لبيد بن ربيعة	٤/ ٤٧٤
دُرَّةٌ غَاصَ عَلَيْهَا تَاجِرٌ	جُلِيَتْ عِنْدَ عَزِيزٍ يَوْمَ طَلّ	أبو دؤاد	٥/ ٤٤٧
اعْقِلِي إنْ كُنْتِ لَمَّا تَعْقِلِي	وَلَقَدْ أفْلَحَ مَنْ كَانَ عَقَلْ	لبيد	١/ ٢٧٧
وإِذا جُوزيتَ قَرْضاً فاجْزِهِ	إِنَّما يَجْزِي الفتى غيرُ الجَمَلْ	لبيد	٣/ ٢٦٨
أَفْسَدَ النَّاسَ خُلُوفٌ خَلَفُوا	قَطَعُوا الإلَّ وَأَعْرَاقَ الرَّحِمْ	ابن مقبل	٤/ ٦٥٨
وَكَلامٍ سَيِّءٍ قَدْ وُقِرَتْ	أُذُني مِنْهُ وَمَا بِي مِنْ صَمَمْ	المثقب العبدي	٣/ ٧٢٨
إِنَّمَا شِعْرِي شَهْدٌ	قَدْ خُلِطْ بِجُلْجُلانِ	وضاح اليمن	١/ ٤٠٥
أَيُّهَا الْقَلْبُ تَعَلَّلْ بِدَدَنْ	إنَّ هَمِّي فِي سَمَاعٍ وَأَذَنْ	عدي بن زيد	٥/ ٢٠
كَلَمُن قَدْ هَدَّ رُكْنِي	هُلْكُهُ وَسْطَ الْمَحَلَّهْ	أخت كلمن	٤/ ٣٣١
لَوْ بِغَيْرِ الْمَاءِ حَلْقِي شَرِقٌ	كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي	عدي بن زيد	٥/ ٤٧٨
أَبْلغ النُّعمَان عنِّي مَأْلُكاً	أنَّه قدْ طالَ حبْسِي وانْتظاري	عدي بن زيد	١/ ٢، ٢٤، ٣/ ٨٥٢، ٥/ ٤٢٢

البحر السريع وجوازاته

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تبغي الْهُدَى	ما مُؤْمِنُو الْجِنِّ كَأَنْجَاسِهَا	أحد الكهان	٥/ ٦٧٤
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى	مَا مُؤْمِنُ الْجِنِّ كَأَنْجَاسِهَا	شاعر الجن	٤/ ٣٨
اللحْمُ والخُبزُ لَهُم راهِنا	وقَهْوَةٌ راووقُها سَاكِبُ	بلا نسبة	٢/ ٢٨٢
لَوْ خِفْتُ هَذَا مِنْكَ مَا نِلْتَنِي	حَتَّى تَرَى خَيْلاً أَمَامِي تَسِيحْ	طرفة بن العبد	٤/ ٦٤٥
وَجَامِلٍ خَوَّفَ مِنْ نِينِهِ	زَجْرُ المُعَلَّى أُصُلاً والسَّفِيحْ	طرفة	٦/ ٥٣
وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَهُ طَيِّباً	لا خَيْرَ فِي المَنْكُودِ والنَّاكِدِ	أعشى همدان	٤/ ٢٩٧
إِلَّا سُلَيْمان إِذْ قَالَ الإِلهُ لَهُ	قُمْ فِي البَرِيَّةِ فاحْدُدْهَا عنِ الفَنَدِ	النابغة الذبياني	٥/ ٥٣٤
وأوَّلِ الحُكْم على وَجْهِهِ	لَيْسَ قضائي بالْهَوَى الجائِر	الأعشى	١/ ٥٣٤
عَضَّ بِمَا أَبْقَى المَوَاسِي لَهُ	مِنْ أمِّه فِي الزَّمَنِ الغَابِرِ	الأعشى	٤/ ٣٢٢
والسَّتْرُ دونَ الفاحِشاتِ ومَا	يَلْقَاكَ دونَ الخَيْرِ مِنْ سِتْرِ	زهير	٨/ ٥١٤
وَلَستَ بِالأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصىً	وَإِنَّمَا العِزَّةُ لِلْكاثِرِ	الأعشى	١٠/ ٣٦٥
إِنَّ الَّذِي فِيهِ تَمَارَيْتُمَا	بُيِّنَ لِلسَّامِعِ وَالآثِرِ	الأعشى	٨/ ٧٢٣
هَلْ أُنْسَأَنْ يَوْماً إِلى غَيْرِهِ	إِنِّي حَوَالِيٌّ وإِنِّي حَذِرْ	ابن أحمر	٧/ ٣٥٣
لاَ يأْخُذ الرِّشْوَةَ فِي حُكْمِهِ	ولاَ يُبَالِي غَبَنَ الْخَاسِرِ	الأعشى	٣/ ٧١١
المطْعمو الضَّيفِ إذا ما شَتَوْا	والجاعِلُو القوتِ عَلَى اليَاسِر	الأعشى	٢/ ٢٠
عَهْدِي بِهَا فِي الْحَيِّ قَدْ دُرِّعَتْ	هَيْفَاءَ مِثْلَ الْمُهْرَةِ الضَّامِرِ	الأعشى	٧/ ٤٠
يُهِلُّ بالفَرْقَدِ رُكْبانُها	كما يُهِلُّ الرَّاكِبُ المُعْتَمِرْ	ابن أحمر	٣/ ٤٠٥
لكَانَ لي مُضْطَرَبٌ واسِعٌ	في الأَرْضِ ذاتِ الطُّولِ والعَرْضِ	حطان بن المعلى	٣/ ٢٧٨

الصـــدر	الــعـجــز	الشاعــر	الجزء والصفحة
يـا سـيِّداً مـا أَنْـتَ مِـنْ سَـيِّد	مُوطَّـأ الأَكْنَـافِ رحْـب الـذِّرَاع	اليربوعي	٥/ ٣٥٤
أسْعَـى عَـلَى حيٍّ بَنِـي مَـالِـكٍ	كـلُّ امْـــرِئٍ فـي شـأْنِـهِ سَـاع	قيس بن الأسلت	١/ ٧٤٤، ٣/ ٦٧١
الْحَزْمُ والْقُوَّةُ خَيْرٌ مـنْ الْـ	إِدْهَـــانِ والْـفَـهَّـةِ والْـهَـاعِ	أبو قيس بن الأسلت	٩/ ٣٨١
نَطْعُـنُـهُـمْ سُـلْكَى ومَخْلُـوجَـةً	كَـرَّكَ لأَمَـيْـنِ عَـلَـى نَـابِـلِ	امرؤ القيس	٨/ ٣٨٩
فَاليَـوْمَ أشْـرَبْ غَيْـرَ مُسْتَحْقِبٍ	إثـمـاً مـنَ الله وَلَا وَاغِـلِ	امرؤ القيس	١/ ٤٠٤، ٨/ ٨٧، ٨/ ١٦٩
فَوَاعِـدِيـهِ سَـرْحَتَـيْ مَـالِـكٍ	أَوِ الرُّبَـى بَيـنَـهُـمَـا أَسْـهَـلا	عمر بن أبي ربيعة	٣/ ٣٧٤
قُـلْـتُ لَـهَـا أُصْـبِـرُهَـا دَائِـبـاً	أمْثَـالُ بِسْـطَام بـن قَيْـسٍ قَلِيـلْ	الحطيئة	١/ ٦٤٢
حَـاشَـى أَبِـي ثَـوْبَـانَ إِنَّ بِـهِ	ضنّـاً عَـنِ المَلْحَـاةِ وَالشَّـتْـمِ	الجميع الأسدي	٥/ ٤٥٤
رَبَّـــةُ مِـحْـرَابٍ إذَا جِـئْـتُـهَـا	لَـمْ ألـقهـــا أو أرْتَـقِـي سُـلَّـما	وضاح اليمن	٢/ ٣٩١
لا وَأَلَـتْ نَـفْـسُـكَ خَلَّـيْـتَـهَـا	لِلْعَـامِرِيَّـيْـن وَلَـمْ تُـكْـلَــمِ	ضمرة بن ضمرة النهشلي	٦/ ٤٠١
أَبْـيَـضُ كَالـرَّجْـعِ رَسـوبٌ إِذَا	مـا ثـاخَ فـي مُحْتَفَـلٍ يَخْتلي	المتنخل الهذلي	١٠/ ٢١٦

البحر الطويل وجوازاته

الـصـدر	الـعـجـز	الشاعـر	الجزء والصفحة
فَـأَوْهِ لِذكْرَاهـا إذَا مَـا ذَكَرْتُهـا	ومِـنْ بُعْـدِ أَرْضٍ بيننـا وسَـمَاءِ	بلا نسبة	٥/ ١١٩

الـصـدر	الـعجـز	الشاعـر	الجزء والصفحة
أَلَا هَيَّمَا مِمَّا لَقِيتُ وَهَيَّمَا	وَوَيْحٌ لِمَنْ لَمْ يَدْرِ ما هُنَّ وَيْحَمَا	حميد بن ثور	٩/ ١٨٣
إلى كَمْ وكَمْ أَشياءَ مِنْكَ تَرِيبُني	أُغَمِّضُ عنْهَا لَسْتُ عَنْهَا بذي عَمَى	بلا نسبة	٢/ ٢٢٢
تَعَدَّ الْقُرَى وَالْمسْ بنا الْجَيْشَ لَمْسَةً	تبَادر إِلَى مَا تَشْتَهي يَدَكَ الْيُمْنَى	المتنبي	٩/ ٧١٨
مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا	يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا	قيس بن الحطيم	١/ ٣٢٦، ١/ ٦١٨، ٩/ ٣٠٣
فَلَمَّا جَلاَهَا بالأُيَام تَحَيَّزَتْ	ثُبَاتاً عَلَيْهَا ذُلُّهَا واكْتِئابُهَا	أبو ذؤيب	٣/ ٢١٦
إِذَا سَنةٌ كانتْ بنَجْدٍ مُحِيطَةً	فكانَ علَيْهِمْ رِجْسُهَا وعَذابُهَا	بلا نسبة	٤/ ٣١٠
عصَيتُ إليها القلبَ إِني لأَمْرها	سميعٌ فما أدري أَرُشْدٌ طِلابها	أبو ذؤيب	٢/ ٥٦١
عُقَارٌ كَمَاءِ النِّيءِ ليْسَتْ بِخَمْطَةٍ	وَلَا خلَّةٍ يَكْوِي الشُّرُوب شهابهَا	الهذلي	٨/ ٩٦
تَميم بنَ زَيْدٍ لا تكونَنَّ حاجَتِي	بظَهْرٍ فلا يَعْيا عَلَيَّ جَوابُها	الفرزدق	٥/ ٣٧٤
تَمِيمَ بن مُرٍّ لا تكونَنَّ حَاجَتي	بِظَهْرٍ فلا يَعْيَى عَلَيَّ جَوابُهَا	الفرزدق	١/ ٥٠٢
تَمِيمَ بْنَ قيس لاَ تَكُونَنَّ حَاجَتِي	بِظَهْرٍ فَلا يَعْيَا عَلَيَّ جَوَابُهَا	الفرزدق	٢/ ٧٢٢
تَمُرُّ الصَّبَا صُبحاً بِسَاكِنِ ذِي الغَضَى	وَيَصْدَعُ قَلْبِي أَنْ يَهُبَّ هُبُوبُهَا	متنازع النسبة	٥/ ٥٤٨، ٨/ ٦٠١
بِأَيْدِيهم مَقْرُومَةٌ وَمغالِق	يَعُودُ بأَرزاقِ العُفَاةِ مَنِيحُهَا	عمرو بن قميئة	٢/ ٢٠
فَبَاتَتْ تَعُدُّ النَّجْمَ في مُسْتَحيرَةٍ	سَريعٍ بِأَيْدِي الآكِلِينَ جُمُودُهَا	الراعي	٩/ ٢٣٣
فَمَا رَوْضَةٌ بالْحَزْنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى	يَمُجُّ النَّدَى جَثْجَاثُهَا وَعَرَارُهَا	كثير	٧/ ٦١٧
مُوَشَّحَةٌ بالطُّرَّتَيْنِ دَنَا لَهَا	جَنى أَيْكَةٍ يَضْفُو عَلَيْهَا قِصَارُهَا	أبو ذؤيب	٥/ ٧٤٣
وَعَيَّرَها الْوَاشُونَ أَنِّي أُحِبُّهَا	وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عارُهَا	أبو ذؤيب الهذلي	٧/ ٦١١

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
ومِنْ جَرْدَةٍ غُفْل بَسَاطٍ تَحَاسَنَتْ	بها الوشْيَ قَرَّاتُ الرِّيَاح وخُورُهَا	ذو الرمة	٣/ ٣٣٠
وَقَاسَمَهَا بِالله جَهْداً لأَنْتُمُ	أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إذَا مَا نَشُورُهَا	الهذلي	٤/ ٢٢١
وقَاسَمَهَا بالله عَهْداً لأَنْتُمُ	أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إذَا مَا نَشُورُهَا	خالد بن زهير الهذلي	١/ ٤١٢
يُؤَامِرُ نَفْسَيْهِ وفِي الْعَيْشِ فُسْحَةٌ	أَيَسْتَوْتِغُ الذُّؤبَانَ أمْ لاَ يَطُورُهَا	رجل من فزارة	١/ ٢٨٧
ولَيْلٍ يَقُولُ النَّاسُ مِنْ ظُلُمَاتِه	سَوَاءٌ صَحِيحَاتُ العُيُونِ وَعُورُهَا	مضرس بن ربعي	١/ ٢٨٠
فَلاَ تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أنْتَ سِرْتَهَا	فَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا	خالد الهذلي	٢/ ٦١٤، ٥/ ١٦٨
فقِيل تَحَمَّلْ فوق طوقك إنها	مُطَبَّقَةٌ مَنْ يأْتِهَا لا يضيرُها	أبو ذؤيب الهذلي	٢/ ٥٧٨
وقال أناسٌ لا يَضيرُكَ نأْيُها	بلى كلُّ ما شَفَّ النفوسَ يضِيرُها	توبة بن الحمير	٢/ ٥٧٨
أَلا بَكَرَتْ سَلْمَى فَجَدَّ بُكُورُهَا	وَشَقَّ العَصَا بَعْدَ اجْتِمَاعٍ أَمِيرُهَا	جرير	٢/ ٤٠٨
.... تحَاسَنَتْ	بِهِ الوشي قرات الرياح وخوزها	ذو الرمة	١٠/ ٢٥٦
وَلاَ تَدْفِنَنِّي في الفَلاَةِ فَإِنَّنِي	أَخَافُ إذَا مَا مِتُّ أَنْ لاَ أَذُوقَهَا	أبو محجن	٣/ ١٣٦، ٩/ ٧٤٧
وَإِنَّ كَلامَ الْمَرْءِ في غَيْر كُنْهه	لكالنَّبْلِ تَهْوِي لَيْسَ فيها نِصالُهَا	هبيرة المخزومي	٩/ ٢٣٤
فَلَمَّا الْتَقَيْنَا بيَّن السَّيْفُ بَيْنَنَا	لِسَائِلَةٍ عَنَّا حَفِيٍّ سُؤَالُهَا	أنيف الطائي	٤/ ٤٦٤
وَإِنَّ الَّذِي يَسْعَى لِيُفْسِدَ زَوْجَتِي	كَسَاعٍ إلَى أُسْدِ الشَّرَى يَسْتَبِيلُهَا	الفرزدق	١/ ٣٢٩، ١/ ٥١٠، ٣/ ٧
تَرَبَّصْ بهَا رَيْبَ الْمَنُونِ لَعَلَّهَا	تُطَلَّقُ يَوْماً أَوْ يَمُوتُ حَلِيلُهَا	فراص بن عتبة	٩/ ٢١٩

الصـدر	العـجـز	الشاعـر	الجزء والصفحة
تَبِعْتُـكَ إِذْ عَيْنـي عَلَيْهَـا غِشَـاوَةٌ	فَلَمَّـا انْجَلَـتْ قَطَّعْتُ نَفْسِـي أَلُومُهَا	الحارث المخزومي	١/ ٢٨٢
فـإِنَّ الصَّبـا ريـحٌ إِذا مـا تنسـمت	على نفْسِ محـزون تَجَلَّت همومها	مجنون ليلى	٥/ ٧٠٩
إِذَا مَـا انْتَضَوْهَـا فِي الْوَغَى مِـنْ أَكِنَّةٍ	حَسِـبْتَ بُرُوقَ الْغَيْـثِ هَاجَتْ غُيومُهَا	بلا نسبة	٣/ ٧٢٧
صَحِبْتُـكَ إِذْ عَيْنِـي عَلَيْهَا غِشَـاوَةٌ	فَلَمَّـا انْجَلَـتْ قَطَّعْتُ نَفْسِـي أَذِيمُهَا	الحارث المخزومي	٤/ ٢١٣
تجلَّى السُّرى مِنْ وجْهِهِ عَنْ صَفيحَةٍ	عَلى السَّـيْرِ مِشْـرَاقٍ كريمٍ شُـجُونُها	بلا نسبة	١٠/ ٢٨٥
بَنُو الْمَجْـدِ لَمْ تَقْعُدْ بِهِـمْ أُمَّهَاتُهُمْ	وَآبَاؤُهُـمْ آبَـاءُ صِـدقٍ فَأَنْجَبُـوا	حريث بن مخفض	٤/ ٦٩٤
مُعَطَّفَـةُ الأَثْنَـاءِ لَيْـسَ فَصِيلُهَـا	بِرَازِئِهَـا دَرّاً وَلا مَيِّـتٍ غَـوَى	بلا نسبة	٤/ ٢١٠
جرى بعدهم قـومٌ لكي يلحقوهمُ	فلـم يلحقوا ولم يُلِيمـوا ولم يأْلُوا	زهير بن أبي سلمى	٢/ ٥٧٢
هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَخْوَلُوا الْمَالَ يُخوِلُوا	وَإِن يُسْأَلُوا يُعْطُوا وَإِنْ يَيْسِرُوا يُغْلُوا	زهير	٤/ ٧٨
فَمَـا لَكَ مِنْهَـا غَيْر ذِكْرَى وَخَشْيَةٍ	وَتَسْـأَلَ عَـنْ رُكْبَانِهَـا أَيْـنَ يَمَّمُـوا	بلا نسبة	٨/ ٤١٦
أَلَـمْ تَـرَ أَنِّـي يـوْمَ جَـوِّ سُـوَيْقَةٍ	بَكَيْـتُ فنادتني هُنَيْـدَةُ مَا لِيَـا	الفرزدق	١/ ٤٩٨
حمـا حُبُّ هذا النَّـارِ حُبَّ خليلتي	وحُـبَّ الْغَواني فَهو دُونَ الحَبائِبِ	أشجع بن عمرو السلمي	٧/ ٥٠٢
وَلَا عَيْـبَ فِيهِـمْ غَيْرَ أَنَّ سُـيُوفَهُمْ	بِهِـنَّ فُلُـولٌ مِـنْ قِـرَاعِ الْكَتَائِـبِ	النابغة الذبياني	٣/ ٥٥٦، ٥/ ٤١
فَمَـا سَـوَّدَتْني عَامِـرٌ عَـنْ وراثَـةٍ	أَبَـى اللهُ أَنْ أَسْـمُو بـأُمٍّ ولا أَبِ	عامر بن الطفيل	٢/ ١٠٧
وَأَسْـفَلَ مِنِّـي نَهْـدَةٌ قَـدْ رَبَطْتُهَـا	وَأَلْقَيْـتُ ضِغْثـاً مِـنْ خَـلاً مُتَطَبِّبِ	عوف بن الخرع	٨/ ٣٤٣
إِذا الْخَيْلُ جاءَتْ مِنْ فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ	يَمُدُّ بِهَا فِي السَّـيْرِ أَشْعَثُ شَاحِبُ	بلا نسبة	٧/ ٤٢
بِطَخْفَـةَ جالَدْنَـا الْمُلُـوكَ وَخَيْلُنَـا	عَشِـيَّةَ بِسْـطَامٍ جَرَيْنَ عَلَـى نَحْبِ	جرير	٧/ ٧٤٤

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
فَإنَّكُمَا إنْ تَنْظُرانِي سَاعَةً	مِنَ الدَّهْرِ تَنْفَعْني لَدَى أُمِّ جُنْدبِ	امرؤ القيس	٦/ ٤٠
جزى الله عَني جَمْرَةَ ابنةَ نوفَلٍ	جزاءَ مُغِلٍّ بالأمانةِ كاذبِ	النمر بن تولب	٢/ ٦٧٧
أَلَمْ تَرَ أنَّ اللهَ أعْطَاكَ سُورَةً	تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ	النابغة الذبياني	١/ ٢٠١، ٥/ ٥٩
خَيالٌ لأُمِّ السَّلْسَبِيل وَدُونَهَا	مَسيرَةُ شَهْرٍ لِلْبريدِ الْمُذَبْذبِ	البعيث بن حريث	٣/ ٣٤٧
وَمْمزُوجَةُ الأَمْوَاهِ لَا الْعَذْبُ غَالِبٌ	عَلَى المِلْحِ طِيباً لَا وَلَا المِلْحُ يَعْذُبُ	بلا نسبة	٩/ ٣١٧
وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخاً لا تَلُمُّهُ	عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجالِ الْمُهَذَّبُ	النابغة	١٠/ ٢٥٧
أَرَى كُلَّ قوم كارَبُوا قَيْدَ فَحْلِهِمْ	وَنَحْنُ حَلَلْنَا قَيْدَهُ فَهْوَ سَارِبُ	الأخنس	٥/ ٥٨٣
وَجَدْنَا لكُمْ في آلِ حامِيمَ آيَةً	تَأَوَّلَهَا مِنَّا تَقِيٌّ وَمُعْرِبُ	الكميت	٨/ ٤٣٤
فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الغَدَاةَ كَنَاظِرٍ	مَعَ الصُّبْح في أَعْقَابِ نَجْم مُغَرِّب	قيس بن الملوح	٩/ ٢٢٩
أَحَابِيشُ أَلْفافٍ تَبايَنَ فَرْعُهُم	وَجِذْمُهُمُ عن نِسْبَةِ الْمُتَقَرِّب	بلا نسبة	١٠/ ٩٦
تَخَاطَأَهُ الْقَنَّاصُ حَتَّى وَجَدْتُهُ	وَخُرطُومُهُ في مِنْقَعِ الْمَاءِ رَاسِبُ	بلا نسبة	٦/ ١٩٤
بِأَيِّ كِتَابٍ أَوْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ	تَرَى حُبَّهُم عَاراً عليَّ وَتَحْسِبُ	الكميت	٢/ ٧٢٦
فَذَرْ ذا وَلَكِنْ هَتُّعِينُ مُتَيَّماً	عَلَى ضَوْءِ بَرْقٍ آخِرَ اللَّيْلِ نَاصِبِ	مزاحم العقيلي	٦/ ٥٢٩
أَرَى رَجلاً مِنْكُمْ أَسِيفاً كَأَنَّمَا	يَضُمُّ إلَى كَشْحَيْهِ كَفّاً مُخَضَّبا	الأعشى	٦/ ٣١٥
خُذِي الْعَفْوَ منّي تَسْتَديمي مَوَدَّتي	ولا تنْطقي في سَوْرَتي حين أَغْضَبُ	حاتم الطائي	٤/ ٤٧٦
وَمَالِيَ إلَّا آلَ أَحْمَدَ شِيعَةٌ	وَمَالِيَ إلَّا مَشْعَبَ الْحَقِّ مَشْعَبُ	الكميت	٨/ ٢٦٥
وخَصْمٍ يَعُدُّونَ الذُّحُولَ كأَنَّهُمْ	قُرُومٌ غَيَارَى كلَّ أَزْهَرَ مُصْعَبِ	لبيد	٨/ ٣١٨
فلا وَأَبِيهَا لَا تَقُولُ خَلِيلَتِي	أَلا فَرَّ عَنِّي مَالِكُ بنُ أَبِي كَعْبِ	مالك بن أبي كعب	٦/ ٧٢٤

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
وَحَارَدَتِ النُّكْدُ الْجِلادُ ولَمْ يَكُنْ	لِعُقْبَةِ قِدْرِ الْمُسْتَعِيرِينَ مُعْقِبُ	الكميت	٩/ ٥٠٠، ٩/ ٦٣٦
أَرَبٌّ يَبُولُ الثُّعْلُبَانُ بِرَأْسِهِ	لَقَدْ هَانَ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ	راشد بن عبد ربه	١/ ٢٢٨
جَوَانِح قَدْ أَيْقَنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ	إِذَا مَا التَقَى الجمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ	النابغة	٤/ ٦١٥
خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّما	خَفَاهُنَّ وَدْقٌ مِنْ سحاب مُجَلِّبِ	امرؤ القيس	٦/ ٥٧٥
خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا	خَفَاهُنَّ وَدْقٌ مِن عَشِيٍّ مُجَلِّبِ	امرؤ القيس	٥/ ٥٨٣
إِذا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ	ونكَّب عَنْ ذِكْرِ العَواقبِ جَانِبَا	سعد بن ناشب	٢/ ٧١٩
أَلا إِنَّما الدُّنيا غضارةُ أَيْكَةٍ	إِذَا اخْضَرَّ مِنها جانِبٌ جَفَّ جَانِبُ	ابن عبد ربه	٥/ ٧٤٣
فكم مِنْ مُلِيْمٍ لم يُصَبْ بمَلامَةٍ	ومُتَّبَعٍ بالذَّنْبِ ليس له ذَنْبُ	جميل	٨/ ٢٨٦
وذي إِبلٍ يَسْعَى ويحْسِبُهَا لَهُ	أَخي نَصَبٍ من شِقِّهَا ودؤُوبِ	النمر بن تولب	٦/ ١٣
فكُنْتُ امْرَأً أفْضَتْ إِلَيْكَ رِبَابَتِي	ومِنْ قَبْلُ رَبَّتْني فضِعْتُ رُبُوبُ	علقمة الفحل	١/ ٢٣٠
فلست لإنسِيٍّ ولكن لملأك	تَنَزَّلَ من جوِّ السَّماء يَصُوبُ	علقمة بن عبدة	١/ ٣٤٢، ١/ ٣١٠
قَرِيبٌ ثَرَاهُ ما يَنَالُ عَدُوُّه	لَهُ نَبَطاً آبِي الهَوَانِ قَطُوبُ	كعب الغنوي	٣/ ٢٣٥
أَذَاعُوا بِهِ فِي النَّاسِ حَتَّى كَأَنَّهُ	بِعَلْيَاءَ نَارٌ أُوقِدَتْ بِثُقُوبِ	أبو الأسود	٣/ ٢٣٣
يَقُولُونَ جَهْلاً لَيْسَ لِلشَّيْخِ عَيِّلٌ	لَعَمْرِي لَقَدْ أَعْيَلْتُ وَأَنْ رَقُوبُ	بلا نسبة	٢/ ٢٦٨
أُمَشِّي بأَعْطَانِ المياهِ وأَبْتَغِي	قَلَائِصَ مِنْهَا صَعْبَةٌ وَرَكُوبُ	علاء بن حذيفة الغنوي	٧/ ٢٧٩
تحفُّ بهم بيضُ الوجوهِ وعُصْبَةٌ	كَرَاسِيُّ بالأَحْداثِ حينَ تَنُوبُ	بلا نسبة	٢/ ١٦٢
وَفي كُلِّ حيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ	فَحُقَّ لِشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ	علقمة بن عبدة	٩/ ٢٠٠

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
إنْ تَكُنِ الأيَّامُ أحْسَنَّ مَرَّةً	إليَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ	كعب بن سعد الغنوي	٤/ ٣٢٧
تَتَبَّعُ أَفْيَاءَ الظِّلالِ عَشِيَّةً	عَلَى طُرُقٍ كَأنَّهُنَّ سُيُوبُ	علقمة بن عبدة	٦/ ٥٥
كَأنَّهمُ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ	صَوَاعِقُهَا لِطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ	علقمة بن عبدة	١/ ٣١٠
فَإنْ تَسْألُوني بالنِّسَاءِ فَإنَّنِي	بَصِيرٌ بأَدْواءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ	علقمة بن عبدة	٩/ ٦٧٤
فَقُلْتُ لَهَا فِيئِي إلَيْكِ فَإنَّنِي	حَرامٌ وَإنِّي بَعْدَ ذَاكَ لَبِيبُ	مضرب بن كعب	٣/ ٣٩١
وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجيبُ إلى النَّدى	فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذاك مُجِيبُ	كعب بن سعد الغنوي	١/ ٣٠٦، ١/ ٦٨٠، ٢/ ٧٣٥، ٤/ ٥٣٣، ٥/ ٥٩٥، ٨/ ٥٧٢
بِمَحْنِيَّة قَدْ آزَرَ الضَّالَ نَبْتُهَا	مَجَرَّ جُيوشٍ غانِمينَ وخُيَّبِ	امرؤ القيس	٦/ ٥٨٢، ٩/ ٩٠
وَمَا بَدَلٌ مِنْ أُمِّ عُثْمَانَ سَلْفَعٌ	مِنَ السُّودِ وَرْهاءُ العِنانِ عَرِيبُ	بلا نسبة	٩/ ٣٦٣
فَلاَ تَحْرمَنِّي نائلاً عَنْ جَنَابَةٍ	فَإنِّي امْرُؤٌ وَسْطَ القبابِ غَرِيبُ	علقمة بن عبدة	٣/ ١٤٤، ٧/ ٤٨١
وإنَّ امْرَأً قد سار خَمْسِينَ حِجَّةً	إلَى مَنْهَلٍ مِنْ وِرْدِهِ لَقَرِيبُ	أبو محمد التيمي	٨/ ١٦٣
طَحَا بِكَ قَلْبٌ في الحِسانِ طَرُوب	بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصْرَ حان مشيبُ	علقمة بن عبدة	١٠/ ٢٧٩
فَإنَّكَ إلاَّ تُرْضِ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ	يَكُنْ لَكَ يَوْمٌ بِالْعِرَاقِ عَصِيبُ	وصيلة بن عتبان	٥/ ٣٥٤
أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً	وَجَدْتُ بها وإنْ لَمْ تَطَيَّبْ طِيباً	امرؤ القيس	٨/ ٢٢١

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
وخَبَّرْتُماني أنما المَوْتُ بالقُرى	فكيفَ وهاتا هَضْبَةٌ وقَلِيبُ	كعب بن سعد الغنوي	٤/ ٦٥٨
وَلَكِنَّهم بَانُوا وَلَمْ أَخْشَ بَغْتَةً	وَأَفْظَعُ شَيْءٍ حِينَ يَفْجَؤُكَ البَغْتُ	يزيد بن مقسم	٣/ ٧٣٧
كأَنَّ لها في الأَرْض نِسْياً تَقُصُّهُ	إذا ما غَدَتْ وإِنْ تُحَدِّثْكَ تَبْلَتِ	الشنفرى	٦/ ٤٨٧
بأَيْدِي رِجالٍ لم يَشِيمُوا سُيوفَهُمْ	ولم تَكْثُر القَتْلَى بها حِينَ سُلَّتِ	الفرزدق	٤/ ٦٦٨
وكُنْتُ كَذِي رِجْلَيْنِ رِجْلٍ صَحِيحَة	ورِجْلٍ رَمَى فيها الزَّمَانُ فَشَلَّتِ	كثير عزة	٦/ ١٨٣
أَسِيئي لَنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةً	لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةً إِنْ تَقَلَّتِ	كثير عزة	٥/ ٤٩
صَفُوحاً فَمَا تَلْقَاكَ إِلَّا بَخيلَةً	فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَصلَ مَلَّتِ	كثير عزة	٨/ ٦٠٢
ولَلأَرْضُ أَمَّا سُودُهَا فتَجَلَّلَتْ	بَيَاضاً وأَمَّا بِيضُهَا فادْهَأَمَّتِ	كثير عزة	١/ ٢٥٩
إِنِ النَّاسُ غَطَّوني تَغَطَّيْتُ عَنْهُمُ	وإِنْ بَحَثُوني كانَ فِيهِمْ مباحِثُ	أبو دلامة	٣/ ٤٨٢
مَتَى تَأْتِنَا تُلْمِمْ بِنَا في ديارِنَا	تَجِدْ حطَباً جَزْلاً وَنَاراً تَأَجَّجَا	عبيد الله بن الحر الجعفي	٧/ ٣٢٣
بِأَرْعَنَ مِثْلِ الطَّوْدِ تَحْسَبُ أَنَّهُمْ	وُقُوفٌ لِحَاجٍ والرِّكابُ تُهَمْلِجُ	النابغة الجعدي	٧/ ٤٦٧
فَجَاءَ بِهَا ما شِئْتَ مِنْ لَطَمِيَّةٍ	عَلى وَجْهِهَا مَاءُ الْفُرَاتِ يَمُوجُ	أبو ذؤيب	٨/ ١٤١، ٩/ ٣١٩
فَجَاءَ بِهَا مِنْ دُرَّةٍ لَطَمِيَّةٍ	عَلَى وَجْهِهَا مَاءُ الْفُرَاتِ يَمُوجُ	الهذلي	٦/ ٢٢
شَرِبْنَ بماءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ	مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجٍ	أبو ذؤيب الهذلي	١٠/ ١٨٠
وَقَدْ كُنْتَ تُخْفِي حُبَّ سَمْرَاءَ حقبَةً	فَبُحْ لَانَ مِنْهَا بالَّذِي أَنْتَ بَائِحُ	بلا نسبة	٥/ ٢٤١
تَخَوَّفَهُمْ حَتَّى أَذَلَّ سَرَاتَهم	بِطَعْنٍ ضِرَارٍ بَعْدَ نفح الصَّفَائحِ	النابغة الذبياني	٦/ ٥٣
مثَابٌ لأفناء القبائل كلِّها	تخبُّ إليْها اليَعْمَلاتُ الطَّلَائح	ورقة بن نوفل	١/ ٥٥٦

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
وَلَيْسَـتْ بِسَـنْهَاء ولا رجَبِيَّـةٍ	ولكـن عرايَا في السِّـنينَ الجَوائِح	متنازع النسبة	٢/ ١٨٤
لِيُبْكَ يزيـدُ ضـارعٌ لِخُصومةٍ	ومُخْتبطٌ مِمَّـا تُطيحُ الطوَّائِـحُ	متنازع النسبة	٤/ ١٣٩
لِيُبْكَ يَزيـدُ ضَـارِعٌ لِخُصُومَـةٍ	وَآخـر ممَّـنْ طَوَّحَتْـهُ الطَّوَائِـحُ	متنازع النسبة	٤/ ٤٥
لِيُبْكَ يَزيـدُ ضـارعٌ لِخُصومَـةٍ	وأَشـعَثُ مِمَّـن طَوَّحَتْـهُ الطَّوَائِـحُ	نهشل بن حري	٥/ ٧٠٨
مَرَرْنَـا فَقُلْنَـا إِيـهِ سِـلْمٌ فَسَـلَّمَتْ	كمـا اكْتَلَّ بالْبَـرْقِ الْغَمَـامُ اللَّوَائِحُ	بلا نسبة	٥/ ٣٤١
فقـلْ للحَواريّـات يبكيـنَ غيرنَـا	ولا تَبْكِنَـا إلا الـكِلابُ النوابـحُ	أبو جلدة اليشكري	٢/ ٤٣٣
فَـلا وأَبِـي دَهْمَـاءَ زَالَـتْ عَزِيـزَةً	عَلَـى قَوْمِهَـا مَـا فَتَّـلَ الزَّنْـدَ قَادِحُ	بلا نسبة	٥/ ٥٢١
ومـا الدَّهْـرُ إِلَّا تارتـانِ فمِنْهُمـا	أَموتُ وَأُخْرى أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ	تميم بن مقبل	٣/ ٥٣٨، ٧/ ٦٢١
ومَـنْ يَـكُ مِثْلِـي ذا عِيـالٍ ومُقْتِـراً	يُغَـرِّرْ ويَطـرَحْ نَفسَـهُ كُلَّ مَطْـرحِ	عروة بن الورد	٥/ ٤١٣
مِـن الْمُؤْلِفـاتِ الرَّمْلِ أَدْمـاءُ حُرَّةٌ	شُعاعُ الضُّحى في جيدها يَتَوضَّحُ	ذو الرمة	١٠/ ٣٨٤
وفَـرْعٍ يَصِيـرُ الجيـدَ وحـفٌ كأَنَّه	على اللِّيتِ قِنْوانُ الكُروم الدَّوالِحُ	بلا نسبة	٢/ ١٩٦
فَلَمَّا لَبِسْـنَ اللَّيْلَ أَوْ حيـنَ نصَّبَتْ	لـهُ مِـنْ خَـذا آذانِهَـا وهـو جَانـحُ	ذو الرمة	٥/ ٢٢٢
إِذا مَال فَوق الرَّحْل أَحْيَيْتِ روحه	بِذِكْـراك والعِيسُ المَراسِـيلُ جُنَّحُ	ذو الرمة	٤/ ٦١٤
.... لَعَلَّهَا	سَـيَهْلِكُ عَنْهَا زَوْجُهَا أَوْ سَـتجْنَحُ	بلا نسبة	٩/ ٢٢٠
لَحِقْنَـا بِحَـيٍّ أَوَّبـوا السَّـيْرَ بَعْدَمَـا	دَفَعْنَا شُعَاعَ الشَّمْسِ والطَّرْفُ يَجْنحُ	ابن مقبل	٨/ ٧٥
وَصَلِّ عَلَى حَينِ العَشِيَّاتِ والضُّحَى	وَلا تَعْبُـدِ الشَّـيْطَانَ وَاللهَ فَاعْبُـدَا	الأعشى	٥/ ٤٥٦
تُبَـارِي عِتَـاقَ النَّاجيـاتِ وأتْبَعـت	وَظِيفـاً وظيفـاً فـوق مَـوْرٍ مُعَبَّـدِ	طرفة	١/ ٢٤٤

الجزء والصفحة	الشاعر	العجز	الصدر
٨/ ٨٧	طرفة	عَلَى لاحِبٍ كأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُد	أَمونٌ كعيدانِ الأَرانِ نَسَأْتُهَا
٩/ ١١٧	المقنع الكندي	وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بنيتُ لهمْ مجداً	إِذا أَكلُوا لَحْمي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ
٩/ ٦٤٢	دريد بن الصمة	صَبورٌ عَلَى الأَعْداءِ طَلَّاعُ أَنْجُد	كَمِيشُ الإِزار خارجٌ نِصْفُ ساقِهِ
١٠/ ٢٧١	دريد بن الصمة	صبورٌ عَلَى الأَرْزاءِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ	كَميشُ الإِزارِ خارجٌ نِصْفُ ساقِهِ
٦/ ٢٦٦، ٩/ ٧٠٧	الحطيئة	وَخُوصٍ بِأَعْلَى ذِي طوالَةَ هُجَّدِ	فَحَيَّاكِ وُدٌّ ما هَدَاكِ لِفِتْيَةٍ
١٠/ ٢٩٠	طرفة	فتِلْكَ سَبيلٌ لَسْت فِيهَا بأَوْحَدِ	تَمَنَّى رِجالٌ أَنْ أَموتَ وإِنْ أَمُتْ
٣/ ١٧	ساعدة بن جؤية	ذئابٌ تبغَّى الناسَ مثنى وَمَوْحَدُ	ولَكنَّما أهلـي بوادٍ أنيسُه
١٠/ ٣٥٩	طرفة	عَقيلَةَ مالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ	أَرَى الْمَوْتَ يَعْتامُ الْكِرامَ وَيَصْطَفِي
٦/ ٨٣	بلا نسبة	عِقابَكَ قَدْ صَارُوا لَنَا كالمَوارِدِ	فَلَوْلَا رجاءُ النَّصْرِ مِنْكَ ورَهْبَةٌ
١٠/ ١٠٢	متنازع النسبة	سَقَتْكَ بِها سُعْدَى عَلَى ظَمَأٍ بَرْدَا	أَمانِيُّ مِنْ سُعْدَى حِسانٌ كَأَنَّمَا
٢/ ٣٩٣	بلا نسبة	سُكَاتٍ إذا ما عضَّ ليس بأَدْرَدَا	فما تزْدَري من حيَّةٍ جبليةٍ
١/ ٣٨٩، ٨/ ٣٢٦	دريد بن الصمة	سَرَاتُهُمُ في الفَارِسِيِّ المُسَرَّدِ	فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بأَلْفَي مُدَجَّجٍ
٢/ ٧٣٦، ٤/ ٦٦٥	أبو سفيان بن الحارث	إلى اللَّهِ مَن طَرَّدتُ كلَّ مُطَرَّدِ	.... ورَدَّني
٩/ ٦٣١	حسان بن ثابت	كَمَا نِيطَ خَلْفَ الراكِبِ الْقَدَحُ الْفَرْدُ	وَأَنْتَ زَنيمٌ نِيطَ في آلِ هاشِمٍ
٤/ ٦٥٥	النابغة	وإِنَّ المَنَايَا للنُّفوس بِمَرْصَدِ	أَعَاذِلُ إِنَّ الجَهْلَ من لَذَّةِ الفتى
٢/ ٢٧٨	متنازع النسبة	قَضِيَّتَه أَلا يَجُور ويَقْصِدُ	عَلَى الحَكَم المأْتِيِّ يوماً إِذا قَضَى
٥/ ٤٥٨	دريد بن الصمة	فلمَّا علاهُ قالَ للباطِلِ ابْعَدِ	صَبا مَا صَبا حتَّى عَلا الشيبُ رأسَهُ

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
تباعد منِّي فُطْحُلٌ إذْ رَأيْته	أمِينَ فزادَ الله ما بينَنَا بُعْداً	جبير بن الأضبط	١/ ٢٦٣
فَمَا أنَا بِدْعٌ مِنْ حَوَادِثَ تَعْتَرِي	رِجَالاً عَرَتْ مِنْ بَعْدِ بُؤْسِي وَأَسْعُدِ	عدي بن زيد	٨/ ٧٢٨
وكُلُّ خليلٍ رَاءَنِي فَهْوَ قَائِلٌ	من أجْلِكِ هذا هامَةُ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ	كثير عزة	٦/ ٥٤٣، ٨/ ٥٤٢
وإنِّي لآتِيكُمْ تَشَكُّرَ مَا مَضَى	مِنَ الأمْرِ واستيجابَ مَا كَانَ فِي غَدِ	الطرماح	٢/ ٦٦٦
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْقَى خِلَافَ الَّذِي مَضَى	تَأَهَّبْ لِأُخْرَى مِثْلِهَا فَكَأَنْ قَدِ	متنازع النسبة	٥/ ٥٢
مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ	تَجِدْ خَيرَ نار عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ	الحطيئة	٨/ ٦٢٥
وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ	هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ	الأشهب بن رميلة	١/ ٣٠٨، ٨/ ٤٠٠
أريني جواداً مات هَزْلا لأنَّني	أرى ما تَرَيْنَ أو بخيلاً مخلَّدا	حطان بن يعفر	١/ ٥٦٦
وإنَّ ثَوَابَ اللَّهِ كُلَّ مُوَحِّدٍ	جِنَانٌ مِنَ الْفِرْدَوْسِ فِيهَا يُخَلَّدُ	شصار	٦/ ٤٦١
أَتَيْتُ حُرَيْثاً زَائِراً عَنْ جَنَابَةٍ	فَكانَ حُرَيْثٌ عَنْ عَطَائِي جَامِدَا	الأعشى	٣/ ١٤٤، ٧/ ٤٨١
سُئِلْتَ فلم تَمْنَعْ ولَمْ تُعْطِ نائلاً	فسِيَّانِ لا ذَمٌّ عَلَيْكَ ولا حَمْدُ	الحطيئة	٣/ ٥٧٥
أَلَا بَكَّرَ النَّاعِي بِخيْرَيْ بَني أَسَدْ	بعَمْرِو بنِ مَسْعودٍ وبِالسيِّدِ الصَّمَدْ	متنازع النسبة	١٠/ ٤١٣
دَعِ الدَّهْرَ يَفْعَلْ مَا أَرَادَ فإنَّهُ	إذا كُلِّفَ الإفْنَاد بالنَّاسِ أَفْنَدا	ابن مقبل	٥/ ٥٣٤
تَزَوَّدْت مِنْ نَعْمَانَ عُودَ أَرَاكَةٍ	لِهِنْدٍ ولكن مَنْ يُبَلِّغُهُ هِنْدا	عمر بن أبي ربيعة	١/ ٧٢٩
إِذَا كَانَتِ الهَيْجَاءُ وانْشَقَّتِ العَصَا	فَحَسْبُكَ والضَّحَّاكَ سَيْفٌ مُهَنَّدُ	جرير	٤/ ٦١٩
أَجِدَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصاةَ مُحَمَّدٍ	نَبِيِّ الإلهِ حِينَ أَوْصَى وأَشْهَدَا	الأعشى	٤/ ١٦٩
أُسودُ شَرىً لَاقَتْ أُسودَ خَفِيَّةٍ	تَساقَوا عَلَى حَرْدٍ دِماءَ الأَسَاوِدِ	الأشهب بن رميلة	٩/ ٦٣٧

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
أَلا طَرَقَتْنَا والرِّفَاقُ هُجُودُ	فَباتَتْ بِعَلَّاتِ النَّوَالِ تَجُودُ	ذو الرمة	٦/ ٢٦٦
ألا لَيْتَ أَيَّامَ الشَّبابِ جَديدُ	وعَصْراً تَولَّى يا بُثَيْنُ يَعُودُ	جميل بثينة	٤/ ٣٢٧
أَرَدْتُ لِكَيْمَا يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهَا	سَرَاويلُ قَيْسٍ وَالْوُفُودُ شُهُودُ	قيس بن سعد	٣/ ٤٤٦، ١٠/ ٣٤
وَخُودٌ مِنَ اللائي تَسمَّعْنَ بالضُّحى	قَريضَ الرُّدافى بالغناءِ المهوَّد	الراعي	١/ ٤٣١
أَكُولٌ لِمَالِ الكَلِّ قَبْلَ شَبَابِهِ	إِذَا كَانَ عَظْمُ الكَلِّ غيْرَ شَدِيدِ	بلا نسبة	٦/ ٨٨
عَشِيَّةَ لا عَفْرَاءُ مِنْكَ قَرِيبَةٌ	فَتَدْنُو وَلا عَفْرَاءُ مِنْكَ بَعِيدُ	عروة بن حزام العذري	٤/ ٢٩٠
تَعَلَّمْ رَسُولَ الله أَنَّكَ مُدْرِكِي	وأنَّ وَعِيداً مِنْكَ كالأَخْذِ باليَدِ	كعب بن زهير	١/ ٥٠٨
فَظَلُّوا وَمِنْهُمْ دَمْعُهُ سَابِقٌ لَهُ	وَآخَرُ يَثْنِي دَمْعَةَ العَيْنِ باليدِ	ذو الرمة	٣/ ١٧٧
لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى	لَكَالطِّوَلِ الْمُرْخَى وثِنْيَاهُ بالْيَدِ	طرفة	٥/ ٧٣٦
قضى يومَ بدرٍ أن تلاقي معشراً	بَغَوا وسبيلُ البغي بالناسِ جائرُ	كعب بن مالك	٢/ ٥٢٩
هُنَالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةً تَسُرُّنِي	سَمِيرَ اللَّيَالِي مُبْسَلا بِالْجَرَائِرِ	الشنفرى	٤/ ٣٥
وأَنتِ الَّتي حَبَّبْتِ كُلَّ قَصِيرةٍ	إِلَيَّ وَلَمْ تَشْعُرْ بِذاكَ القَصَائرُ	كثير عزة	٩/ ٣٣٩
سَتُبْدي لكَ الأَيَّامُ ما كُنْتَ جاهِلاً	ويَأْتيكَ مَنْ لم تُزَوِّدْ بالأَخْبَارِ	طرفة	٨/ ٢٢٠
فَلَيْتَ زِيَاداً كانَ في بَطْنِ أُمِّهِ	ولَيْتَ زياداً كان وُلْدَ حِمارِ	بلا نسبة	٥/ ٦٧٦
فَلَيْتَ فُلاناً كانَ في بَطْنِ أُمِّهِ	وَلَيْتَ فُلاناً كانَ وُلْدَ حِمَارِ	بلا نسبة	٦/ ٥٤٨
رَأَيْتُ الْقَوَافِي يَتَّلِجْنَ مَوَالِجاً	تَضايَقُ عَنْهَا أَن تَوَلَّجَهَا الإِبَرْ	طرفة	٨/ ٦٨
أَطَافَتْ بِهِ جِيلانُ عِنْدَ قِطَافِهِ	وَرَدَّتْ إِلَيْهِ المَاءَ حَتَّى تَجَبَّرَا	امرؤ القيس	٩/ ٤٨٣

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
ويُخْبِرنـي عـنْ غائب الْمَـرْءِ هَدْيُهُ	كَفَى الْهَدْيُ عَمَّا غَيَّبَ الْمَرْءُ مُخْبِرَا	زيادة العدوي	٦/ ١٧٧
إِذَا المرءُ وفَّـى الأَرْبَعِينَ وَلَمْ يَكُنْ	لَـهُ دُونَ مَـا يأْتِـي حَيـاءٌ ولا سِـتْرُ	أيمن بن خريم	٨/ ٧٣٩
إِذَا الْمَرْءُ وَفَّـى الأَرْبَعِينَ وَلم يَكُن	لَـهُ دُونَ مَـا يَأْتـي حَيَـاءٌ وَلَا سِـتْرُ	ابن الأعرابي	٨/ ١٦٣
مِنَ القَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ	مِـنَ الـذَّرِّ فَوْقَ الإِتْـبِ مِنْهَـا لأَثَّرَا	امرؤ القيس	٣/ ١٥١، ١٠/ ٣٥٠
وسَـخَّرَ مِـنْ جِـنِّ الْمَلائِكِ تِسْـعَةً	قِيَاماً لَدَيْـهِ يَعْمَلُـونَ بِـلا أجْـرِ	الأعشى	١/ ٣٦١
لَعَمْـرِي لَئِـنْ أَنْزَفْتُـمُ أَوْ صَحَوْتُـمُ	لَبِئْسَ النَّدَامَـى أنتـم آلَ أَبْجَـرَا	الأبيرد الرياحي	٨/ ٢٥١، ٩/ ٣٥٧
فَـدَعْ ذَا وَسَـلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْـرَةٍ	ذَمُـول إذا صَـامَ النَّهَـارُ وهَجَّـرَا	امرؤ القيس	١/ ٦٦٢
لَكُـمْ قَـدَمٌ لا يُنْكِـرُ النَّـاسُ أَنَّهَـا	مَعَ الحَسَبِ العَادِيِّ طَمَّتْ عَلَى البَحْرِ	ذو الرمة	٥/ ١٤٦
فَلَـمْ يَبْـقَ إِلَّا داخِـرٌ فـي مُخَيَّـسٍ	وَمُنْجَحِرٍ في غَيْرِ أَرْضِكَ في جُحْرِ	ذو الرمة	٦/ ٥٩
فَـإِنْ تَسْـأَلِينَا فيـمَ نَحْـنُ فَإِنَّنَـا	عَصَافِيـرُ مِنْ هَـذَا الأَنَامِ المُسَـحَّرِ	لبيد	٦/ ٢١٩، ٧/ ٣٧٥
وَأَخْلَيْـتُهـا مِـنْ مُخِّهـا فَـكَأَنَّـهـا	قَواريـرُ فـي أَجْوافِهَا الرِّيـحُ تَنْخُرُ	بلا نسبة	١٠/ ١١٨
تَمَنَّـى كِـتَـابَ اللَّـهِ أَوَّلَ لَـيْلِـهِ	وَآخِرَهَـا لَاقَـى حِمَـام الْمَقَـادِرِ	كعب بن مالك	٧/ ٧١
تمنَّـى كـتـابَ الله أولَ لـيْلِـهِ	وآخـرَهُ لاقَـى حِمَـامَ المَقَـادِرِ		١/ ٤٦٣
أَلا أَيّهـذَا الباخِـعُ الوَجْـدُ نفْسَـهُ	لِشَـيْءٍ نحَتْـهُ عَـنْ يدَيْـهِ الْمَقـادِرُ	ذو الرمة	٦/ ٣١٤، ٧/ ٣٣٤
لَعمْـرك مَا يُغْنِـي الثَّرَاءُ عَـنِ الْفَتى	إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْماً وَضَاقَ بهَا الصَّدْرُ	حاتم طي	٥/ ٥١١، ٩/ ١٤٤

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
فَقُلْتُ له اضْمُمْهَا إِلَيْكَ وَأَحْيِهَا	بِرُوحِكَ وَاقْتَتْهُ لها قِيتَةً قَدْرا	ذو الرمة	٣/ ٣٧٥
إلى الْحَوْلِ ثم اسْمُ السَّلامِ عَلَيْكُمَا	ومَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرْ	لبيد	١/ ٢١٧
فَقُلْتُ لَهُ لا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّما	نُحَاوِلُ مُلْكاً أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا	امرؤ القيس	٥/ ٦٤٥، ٩/ ٦٤
وَإِنَّ أَبَانَا كَانَ حَلَّ بِبَلْدَةٍ	سِوًى بَيْنَ قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلانَ وَالفِزْرِ	موسى بن جابر	٦/ ٥٩٧
أَلَيْسَ وَرَائي إِنْ تَراخَتْ مَنِيَّتي	أدبُّ مع الولدان أزحفُ كالنسرِ	لبيد	١٠/ ٧٠
وأَسْمَرَ خَطِّيّاً كأَنَّ كُعُوبَهُ	نَوَى القَسْبِ قَدْ أَرْدَى ذِرَاعاً عَلَى العَشْرِ	متنازع النسبة	٧/ ٥٠٦
فَإِنَّ كِلاباً هذِهِ عَشْرُ أَبْطُنٍ	وَأَنْتَ بَرِيءٌ من قَبَائِلِهَا العَشْرِ	بلا نسبة	٤/ ٤١٨
رَأَتْ رَجُلاً أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ	فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصَرُ	عمر بن أبي ربيعة	٦/ ٦٤٣
رأتْ رَجُلاً أيْمَا إذا الشَّمْسُ عارَضَتْ	فَيَضْحَى وأيْمَا بالعشِيِّ فَيَخْصَرُ	عمر بن أبي ربيعة	٤/ ٦٥٩
فباتَ وأَسْرَى القَوْمُ آخِرَ لَيْلِهِمْ	وما كانَ وقَّافاً بغَيْرِ مُعَصَّرِ	لبيد	٥/ ٤٧٨
لَبِئْسَ الفَتَى إِنْ كُنْتُ أَعْوَرَ عَاقِرًا	جَبَانًا فَمَا عُذْرِي لَدَى كُلِّ محضر	عامر بن الطفيل	٢/ ٤٠٤، ٦/ ٤٧٢
بَني عَمِّنا هَلْ تَذْكُرونَ بَلاءَنَا	عَلَيْكُمْ إِذَا ما كانَ يَوْمٌ قُمَاطِرُ	بلا نسبة	١٠/ ٥٩
فَفِرُّوا إذا ما الْحَرْبُ ثارَ غُبارُها	وَلَجَّ بِها الْيَوْمُ الْعَبُوسُ الْقُمَاطِرُ	بلا نسبة	١٠/ ٥٩
ظَعَائِنُ لَمْ يَسْكُنَّ أَكْنَافَ قَرْيَةٍ	بِسيفٍ ولَمْ تَنْغُضْ بِهِنَّ الْقَنَاطِرُ	ذو الرمة	٦/ ٢٢٢
وقَرَّبْنَ بالزُّرْقِ الجَمَائِلَ بَعْدَمَا	تَقَوَّبَ عنْ غِرْبَانِ أَوْرَاكِهَا الْخَطْرُ	ذو الرمة	٢/ ٢٨٥
فَصُبَّتْ عليْهِمْ مُحْصداتٌ كَأَنَّهَا	شَآبيبُ لَيْسَتْ مِنْ سَحابٍ وَلا قطْرِ	بلا نسبة	١٠/ ٢٥٣
أَلَا يا اسْلَمِي يا دارَ مَيَّ عَلَى البِلَى	وَلا زالَ مُنْهَلًّا بِجَرْعَائِكِ الْقَطْرُ	ذو الرمة	٧/ ٤٢٢

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فإِنَّنِي	غُلَامٌ إذا هُوجِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرِ	صفوان بن المعطل	٧/ ١٨٥
وأهْلَكْنَ يَوْماً رَبَّ كِنْدَةَ وابْنَهُ	وربَّ مَعَدٍّ بَيْنَ خَبتٍ وعَرْعَرِ	لبيد	١/ ٢٢٩
بجَمْعٍ تضلُّ البُلْقُ في حَجَرَاتِهِ	ترى الأُكْمَ فيه سُجَّداً للْحَوَافِرِ	زيد الخيل	١/ ٤٥٧
وَأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُولاً كثيرةً	يَحُجُّونَ بَيْتَ الزِّبْرِقَانِ المُزَعْفَرَا	المخبل السعدي	١/ ٦٠٨
كأَنَّ صَلِيلَ المَرْوِ حينَ تَشُدُّهُ	صليلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَدْنَ بِعَبْقَرَا	امرؤ القيس	٩/ ٣٤٢
لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتَ دَارِياً	شُعَيْثُ بْنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثُ بْنُ مِنْقَرِ	متنازع النسبة	٤/ ٥٢
فَلا تَبْكِ مَيْتاً بَعْدَ مَيْتٍ أَجَنَّهُ	عَلِيٌّ وَعَبَّاسٌ وَآلُ أَبِي بَكْرِ	أراكة الثقفي	١/ ٣٩٣، ٢/ ٣٨١، ٨/ ٤٥٧، ٩/ ٢٩٨
أَبَا حَازِمٍ مَنْ يَزْنِ يُعْرَفْ زِنَاؤُهُ	وَمَنْ يَشْرَبِ الْخُرْطُومَ يُصْبِحْ مُسَكَّرَا	الفرزدق	٦/ ١٩٥
سَوَاءٌ عَلَيْكَ الفَقْرُ أَمْ بِتَّ لَيْلَةً	بِأَهْلِ القِبَابِ مِنْ نُمَيْرِ بنِ عامِرِ	بلا نسبة	٤/ ٤٧١
فَلا تَدْفِنُونِي إِنَّ دَفْنِي مُحَرَّمٌ	عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ خَامِرِي أُمَّ عَامِرِ	متنازع النسبة	٢/ ٣٠٦
وما زالَ ذاكَ الدَّأْبُ حتَّى تَخاذَلَتْ	هَوَازِنُ وارْفَضَّتْ سُلَيْمٌ وعَامِرُ	خراش بن زهير العامري	٤/ ٥٩٧
رَأَيْتَ أَبا بكرٍ وَرَبُّك غالبٌ	على أمره يَبْغِي الْخلَافَةَ بِالتَّمْر	بلا نسبة	٥/ ٤٣٣
وَتَرْكَبُ خَيْلاً لَا هَوَادَةَ بَيْنَهَا	وتَشْقَى الرِّمَاحُ بِالضَّيَاطِرَةِ الْحُمْرِ	خداش	٧/ ٥٣٢
أَخَالَتَنَا سِرُّ النِّسَاءِ مُحَرَّمٌ	عَلَيَّ وتَشْهَادُ النَّدَامَى مع الخَمْرِ	المرضاوي	٢/ ٩٠
أخاف زياداً أن يكونَ عطاؤه	أداهمَ سُوداً أو مُحَدْرَجَةً سُمْرَا	الفرزدق	٢/ ٦٥٣
فَلَوْ شَهِدَتْني مِنْ قُرَيْشٍ عِصَابَةٌ	قُرَيْشُ الْبِطَاحِ لَا قُرَيْشُ الظَّوَاهِرِ	ذكوان مولى عمر	٨/ ٩٨

الصـدر	العجـز	الشاعـر	الجزء والصفحة
غَنِينَا زَمانـاً بالتَّصَعْلُكِ والغِنى	وكُلّاً سقاناه بكَأْسَيْهما الدهـرُ	حاتم الطائي	٤/ ٣٣٣
أَلَا يا اسْلَمِي يا هِنْدُ هِنْدَ بَني بَدْرِ	وَإِنْ كانَ حَيَّانَا عِـداً آخِـرَ الدَّهْـرِ	الأخطل	٧/ ٤٢٢
بـهِ خالـداتٌ مـا يُرِمْـنَ وهَامِـدٌ	وأَشْعَثَ أَرْسَتْهُ الْوَلِيـدَةُ بالْفِهْـرِ	الأحوص	٥/ ٥٦٨
إِذَا مَـا هَتَفْنَـا هَتْفَـةً فـي نَدِيِّنَـا	أَتَانَـا الرِّجـالُ الْعَائِدونَ الْقَسَـاوِرُ	لبيد	١٠/ ٢٦
فِـرَاقٌ كقَيْـصِ السِّـنِّ فالصَّبْـرَ إِنَّهُ	لِـكُـلِّ أُنَـــاسٍ عَـبْـرةٌ وحُـبُـورُ	أبو ذؤيب الهذلي	٦/ ٤٢٤، ٧/ ٦١٦
لَهُنَّ الْوَجَا لِمْ كُنَّ عَوْناً على السُّرَى	ولا زَال مِنْهَـا ظَالِـعٌ وَحَسِيرٌ	بلا نسبة	٦/ ١٩٠، ٦/ ٦٦٧
لَهُنَّ الْوَجَى لوكُنَّ عَوْناً عَلَى النَّوَى	وَلَا زالَ مِنْهَـا ظَالِـعٌ وَحسيرُ	بلا نسبة	٩/ ٦٠٥
وَمَـا رَاعنـا إِلَّا يسيرُ بشـرطةٍ	وعهـدي بِـهِ قَيناً يَفُشُّ بِكيـرِ	رجل من بني أسد	٤/ ٦٠٧
فظَلَّـتْ بِأَعْـرَافٍ تَغالَـى كَأَنَّهَـا	رِمَـاحٌ نحاهـا وِجْهَـةَ الرِّيـحِ رَاكِزُ	الشماخ	٤/ ٢٦٩
إِذَا مَـاتَ مِنْهُـمْ سَـيِّدٌ قَـامَ سَـيِّدٌ	فَدَانَتْ لَـهُ أَهْلُ القُـرَى والكَنَائِسِ	بلا نسبة	٥/ ٤١٥
تَمِيـمٌ كَرَهْـطِ السَّـامِرِيِّ وَقَوْلِـهِ	أَلا لا يُرِيـدُ السَّـامِرِيُّ مَسَـاسِ	بلا نسبة	٦/ ٦٢٩
إلى ظُعُـنٍ يَقْرِضْنَ أَجْوَازَ مُشْـرِفٍ	شِـمالاً وَعَـنْ أَيْمَانِهِـنَّ الفَـوَارِسُ	ذو الرمة	٦/ ٣٣٢
تَقُـولُ وَصَكَّـتْ وجْهَهَـا بيَمِينِهـا	أَبَعْلِـي هَـذَا بالرَّحَـا المُتَقَاعِـسُ	العنبري	١/ ٦٥٦
وَلَيْـلٍ دَجـيٍّ قـد تَنَفَّـسَ فجْـرُهُ	لَهُـمْ بَعْـدَ أَن خالـوهُ لَـنْ يَتَنَفَّسَـا	علوان بن قيس	١٠/ ١٥٦
يَـظَـلُّ إذَا دَارَ العِشَـا مُتَحَـفِّـنـاً	وَيُضْحِي لَدَيْهِ وَهْوَ نَصْرانُ شَامِسُ	بلا نسبة	١/ ٤٣١
فهـذا أوانُ العِـرض حَـيَّ ذُبابُـهُ	زنـابيـره والأزرقُ المتـلـمِّــسُ	المتلمس	٤/ ٥٨١
بِخَيْـلٍ عَـلَيْهَـا جِنَّـةٌ عَبْقَـرِيَّـةٌ	جَديـرونَ يَوْمـاً أَنْ ينالُـوا ويـس	زهير	٩/ ٣٤٢

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
رَعَى الشِّبرِقَ الرَّيَّانَ حتَّى إِذا ذَوَى	وَصار ضَريعاً نازَعتْهُ النَّحائِصُ	أبو ذؤيب الهذلي	١٠/ ٢٣٥
وَمَا خِلْتُ أبْقَى بينَنَا مِنْ مَوَدَّةٍ	عِراضُ الْمَذاكِي المُسْنِفَاتِ الْقَلائِصا	الأعشى	٢/ ٧٢٥
تَبِيتُون في المَشْتَى مِلاءً بُطُونُكم	وجَاراتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائصَا	الأعشى	٣/ ٤١٨، ٥/ ١٢٩
تَجَلَّلَها شيخٌ عِشاءً فَأَصْبَحَتْ	قُضاعِيَّة تأْتي الكواهِنَ ناشِصَا	الأعشى	٣/ ١٣٦
وما ذنْبُنا أَنْ جاش بَحْرُ ابْنِ عَمِّكُمْ	وَبحْرُكَ ساجٍ لَا يُواري الدَّعامِصَا	الأعشى	١٠/ ٢٩٤
كَأَن سَرَاتَهُ وَجُدَّةَ متنه	كَنَائِنُ يَجْرِي فوقهن دَلِيصُ	امرؤ القيس	٨/ ١٤٩
وردت ونَجَّى الْيَشْكُرِيَّ نجاؤه	وحَادَ كما حَاد الْبَعِيرُ عَنِ الدَّحْضِ	طرفة بن العبد	٦/ ٣٩٩
أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فاسْتَبْقِ بَعْضَنَا	حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ	النابغة	٦/ ٤٨٠
أَرَى المَرْءَ ذَا الأذْوَادِ يُصْبِحُ مُحْرَضاً	كَإِحْرَاضِ بَكْرٍ في الدِّيَارِ مَرِيضِ	امرؤ القيس	٥/ ٥٢٢
نَصيبُكَ مِمَّا تَجْمَعُ الدَّهْرَ كُلَّهُ	رِداءَانِ تُلْوَى فيهما وَحَنُوطُ	بلا نسبة	٧/ ٥٣٥، ١٠/ ٢٨٩
يَبعْنَ الدِّهَان الحُمْرَ كُلَّ عَشِيَّة	بِمَوْسمِ بَدْرٍ أَوْ بِسُوق عُكَاظِ	بلا نسبة	٩/ ٣٢٩
فَبِتُّ أُشَوِّي صِبْيَتِي وَحَلِيلَتِي	طَرِيّاً وجرْوُ الذِّئبِ يَتَمَانُ جَائِعُ	أبو العارم الكلابي	٦/ ١٩٩
لَنَا القَدَمُ الأُولَى إِلَيْكَ وَخَلْفُنَا	لأَوَّلِنَا فِي طَاعَةِ الله تَابِعُ	حسان بن ثابت	٤/ ٤٣٣، ٥/ ١٤٦، ٦/ ٥٢١
نَبِيٌّ تَجَافَى جَنْبُهُ عَنْ فِرَاشِهِ	إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ	عبد الله بن رواحة	٧/ ٦٩٧
يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ	إذا اسْتَثْقَلَت بالمشْركين المضَاجعُ	عبد الله بن رواحة	٨/ ٢٢١
لها أمْرُها حتّى إذا مَا تَبَوَّأَتْ	بأَخْفَافِها مَأْوَى تَبَوَّأَ مَضْجَعا	الراعي	٥/ ٢٣١

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
تَلَفَّتُّ نَحْوَ الحَيِّ حَتَّى وجَدْتُنِي	وجِعْتُ مِنَ الإصْغَاءِ ليتاً وأخْدعا	الصمة القشيري	١/ ٤٩٤
وَكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً	مِنَ الدَّهْر حَتَّى قيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا	متمم	١٠/ ٩٩
قَتَلْتُ بِه فِهْراً وحمَّلْتُ عقلَهُ	سَراةَ بني النجَّار أَرْبابَ فارع	مقيس بن صبابة	٣/ ٢٦١
زَنِيمٌ تَداعاهُ الرِّجالُ زِيَادَةً	كَمَا زِيدَ في عَرْضِ الأَدِيمِ الأَكارِعُ	حسان بن ثابت	٩/ ٦٣١
عَلَى حِينَ عاتَبْتُ الْمَشيبَ علَى الصبَا	وقلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ والشَّيْبُ وازِع	النابغة الذبياني	٥/ ٢٦٤، ٥/ ٣٣٧، ٧/ ٤١٢، ٧/ ٤٦٨، ٨/ ٤٤٦
عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبَا	وَقُلْتُ: أَلَمَّا تَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ	النابغة	٣/ ٦٩٠
فَأُقْسِمُ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رسولُهُ	سِواك ولكِنْ لم نَجِدْ لَك مَدْفَعَا	امرؤ القيس	٥/ ٢٨١، ٨/ ٣٧٩
فَمَا فَتِئَتْ حَتَّى كَأَنَّ غُبَارَهَا	سُرَادِقُ يَوْمٍ ذِي رِيَاحٍ تَرَفَّعُ	أوس بن حجر	٥/ ٥٢٢
وهلْ يرجع التَّسْليمَ أَو يَكْشِفُ الْعَمَى	ثلاثُ الأَثَافي والدِّيَارُ الْبَلاقِعُ	ذو الرمة	٧/ ٦٤٨
أُخَبِّرُ أَخْبَارَ القُرُونِ الَّتِي مَضَتْ	أَدِبُّ كَأَنِّي كُلَّمَا قُمْتُ رَاكِعُ	لبيد	١/ ٣٨٦
تَرَى الثَّوْرَ فيها مُدْخِلَ الظِّلِّ رأْسَهُ	وسائره بادٍ إِلى الشَّمْس أَجْمَعُ	بلا نسبة	٥/ ٢٩١، ٥/ ٦٨٣
إِذَا قُلْتُ قَدْنِي قَالَ تاللهِ حلْفَةً	لتُغْني عَنِّي ذا إِنَائِكَ أَجْمَعَا	حريث الطائي	٦/ ٣٤
عَلَى دُبُر الشَّهْر الْحَرَامِ فَأَرْضُنَا	وَمَا حولَهَا جَدْبٌ سنون تَلمّعُ	أوس بن حجر	٩/ ١٦٤
وَلِلهِ قَومِي أَيُّ قَوْمٍ لِحُرَّةٍ	إِذَا كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبَ أَشْنَعَا	متنازع النسبة	٢/ ٢٧٥
فِدًى لِبَنِي ذُهْلِ بنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي	إِذَا كَانَ يَوْماً ذَا كَوَاكِبَ أَشْنَعَا	عمرو بن شأس	٢/ ٢٧٥

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
وَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّـهِ لا ثَـوْبَ فَاجِرٍ	لَبِسْتُ وَلَا مِـنْ خزيَـةٍ أَتَقَنَّعُ	برذع بن عدي	١٠/ ٧
وَجِئْنَـا إِلَى مَوْجٍ مِنَ البَحْرِ وَسْطَه	أَحَابِيـشُ، مِنْهُـمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ	كعب بن مالك	٤/ ٥٦١
تَعـدُّون عَقْر النِّيب أفضل مجدِكم	بني ضَوْطَرى لولا الكَمِيَّ المقَنَّعَا	الأشهب بن رميلة	١/ ٥٤٥، ٣/ ٧٥١
فَـإِنْ تَزْجُرَانِـي يابْـنَ عَفَّـان أَنْزَجِرْ	وَإِنْ تَدَعَانِـي أَحْـمِ عِرْضـاً مُمَنَّعـا	سويد بن كراع	٩/ ١٥٠
بِمُسْتَهْطِعٍ رَسْـلٍ كَأَنَّ جَدِيلَـهُ	بِقَيْـدُومِ رَعْـنٍ مِـنْ صَـوامٍ مُمَنَّـعُ	بلا نسبة	٥/ ٦٧٨
غَـدَوْا وَغَـدَتْ غِزْلانُهُـمْ فَكَأَنَّهَـا	ضَوَامِـنُ غُـرْمٍ لَزَّهُـنَّ تَبِيـعُ	بلا نسبة	٦/ ٢٤٩
وَظَـلَّ بَنَـاتُ اللَّيـل حَوْلِـي عُكَّفـاً	عُكُـوفَ البَوَاكِـي بَيْنَهُـنَّ صَرِيـعُ	الطرماح بن حكيم	١/ ٦٨٩
فَمَـا زَوَّدانـي غَيْـرَ سَـحْق عِمَامَـةٍ	وَخَمْسِـمِئٍ مِنْها قَسِـيٌّ وَزَائِـفُ	مزرد بن ضرار	٣/ ٤٥٦
فَخـرُّوا لأَذْقَـانِ الْوُجُوهِ تَنُوشُـهُمْ	سِـبَاعٌ مِنَ الطَّيْـرِ الْعَـوَادِي وَتَنْتِفُ	بلا نسبة	٦/ ٣٠٢
فقالـت: حنـانٌ مـا أَتَى بِـكَ هَاهُنَا	أَذُو نَسَـبٍ أَمْ أَنْـتَ بالْحَـيِّ عَارِفُ	منذر بن درهم الكلبي	٦/ ٤٨٠
أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ النَّبْـعَ يَصْلُـبُ عُـودُهُ	ولا يَسْـتَوِي وَالْخِرْوَعُ الْمُتَقَصِّفُ	بلا نسبة	٩/ ٢٣٦
وَدَسَّستُ عَمراً في التُّرابِ فَأَصْبَحَتْ	حَلائِلُـهُ يَبْكِيـن لِلْفَقْـدِ ضُعَّفَـا	بلا نسبة	١٠/ ٢٨٠
فَجَـاءَ قَرِيـعُ الشَّـوْل قَبْـلَ إِفَالِهَـا	يَـزِفُّ وجـاءَتْ خَلْفَهُ وَهِـيَ زُفَّفُ	الفرزدق	٨/ ٢٦٨
وَعَضُّ زَمَانٍ يَـا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدع	مِـنَ الْمَـالِ إِلَّا مُسْـحَتاً أَوْ مُجَلَّفُ	الفرزدق	٦/ ٥٩٩
نعلِّـق فـي مثلِ السَّـواري سُـيوفَنا	ومـا بينَها والكعـبِ غَـوْطٌ نفانِفُ	مسكين الدارمي	٣/ ١٠
فكلْتاهمـا خرَّت وأَسْـجَدَ رأْسُـهَا	كمـا سـجدتْ نَصْرانةٌ لـمْ تَحَنَّفِ	أبو الأخزر الحماني	١/ ٤٣١، ٥/ ٧١٦، ٦/ ٥٩

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
وَلَائِجُهُمْ فِـي كُلِّ مَبْدًى وَمَحْضَرٍ	إِلَـى كُلِّ مَـنْ يُرْجَى وَمَـنْ يَتَخَوَّفُ	عبادة بن صفوان الغنوي	٤/ ٦٦٩
إِذَا يَسَـروا لم يـورثِ اليُسْـرُ بَيْنَهُمْ	فَوَاحِـشَ يُنْعَى ذِكْرُهَـا بالمَصَايِفِ	لبيد	٢/ ٢١
فَأَوْطَـأَ جُـرْدَ الْخَيْل عُقْـرَ دِيارِهم	وَحَـاقَ بِهِمْ مِـن بَأْسٍ ضَبَّـةَ حَائِقُ	بلا نسبة	٣/ ٧٠٧
أبى الذمَّ أخلاقُ الكسـائيِّ وانتمى	بـه المجدَ أخـلاقُ الأبوِّ السـوابق	القناني	٢/ ٦٦٧
قَضَيْـتَ أُمُوراً ثُـمَّ غَـادَرْتَ بَعْدَهَا	نَوَائِـحَ فِـي أَكْمَامِهَـا لَـمْ تُفَتَّـقِ	متنازع النسبة	٥/ ١٥٩
هُـوَ الْمُولِـجُ النُّعْمَـانَ بَيْتاً سَـمَاؤُهُ	صُدُورُ الْفُيُـولِ بَعْدَ بَيْت مُسَـرْدَقِ	سلامة بن جندل	٦/ ٣٦٢
وقفـتُ علـى قبـرٍ غريـبٍ بقفْـرةٍ	متـاعٌ قليـلٌ مـن حَبيـبٍ مُفَـارق	سليمان بن عبد الملك	١/ ٣٧١، ١/ ٥٦٣
كُهُـولاً وَشُـبَّاناً حِسـاناً وُجُوهُهُمْ	عَلَـى سُـرُر مَصْفُوفَـةٍ ونمـارِقِ	زهير بن أبي سلمى	١٠/ ٢٣٨
وَقَدْ تَخِذَتْ رِجْلِي إِلَى جَنْبِ غَرْزِهَا	نَسِـيفاً كَأُفْحُوصِ القطَـاةِ المُطَرِّقِ	الممزق العبدي	١/ ٤٠٠، ٦/ ٤٢٤
وإنسـانُ عينـي يحسِـرُ المـاءُ مرَّةً	فيبـدو وتـاراتٍ يَجُـمُّ فيغـرقُ	ذو الرمة	٣/ ٦٦٤
طِـرَاقُ الْخَوَافـي وَاقـعٌ فَـوْقَ لينَة	نَـدَى لَيْلِـه فـي ريشـه يَتَرَقْـرَقُ	ذو الرمة	٩/ ٤٦٥
وَمَاذَا عَسَى الوَاشُـونَ أَنْ يَتحَدَّثوا	سِـوَى أَنْ يَقُولُـوا إِنني لكِ عَاشِـقُ	متنازع النسبة	٢/ ٥
وَلَا الْمَلِـكُ النُّعْمَـانُ يَـوْمَ لَقِيتَـهُ	بِغِبْطَتِـهِ يُعْطِـي الْقُطُـوطَ ويَأْفِـقُ	الأعشى	٨/ ٣١٤
وَلا الْمَلِـكُ النُّعْمَـانُ يَـوْمَ لَقِيتُـهُ	بِإِمَّتِـهِ يُعطـي القُطُـوطَ ويَأْفـقُ	الأعشى	٨/ ٦١٤
يَـدَاكَ يَـدَا مَجْـدٍ فَكَـفٌّ مُفِيـدَةٌ	وَكَـفٌّ إِذَا مَـا ضُـنَّ بِالْمَـالِ تُنْفِـقُ	الأعشى	٣/ ٥٧٠
كبُنْيانـةِ القـاريِّ موضـعُ رحلهـا	وآثـارُ نِسْـعَيْها مـن الـدَّفِّ أبْلَـقُ	كعب بن زهير	٥/ ١٠١
فجَـاءَتْ بمَجْلُـومٍ كَأَنَّ جَبِينَـهُ	صَـلاءَةُ وَرْسٍ وَسْـطُهَا قَـدْ تَفَلَّقَـا	الفرزدق	١/ ٥٨٥

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
وَتُصْبحُ عَـنْ غِبِّ السُّـرَى وكأَنَّمَا	أَلَـمَّ بِهَـا مِـنْ طَائِـفِ الجِـنِّ أَوْلَقُ	الأعشى	٢/ ٢٤٥، ٤/ ٤٨٠
نَفَـى الـذَّمَّ عَـنْ آلِ الْمُحَلَّـقِ جَفْنَةٌ	كَجَابِيَـة الشَّـيْخ الْعِرَاقـيِّ تَفْهَـقُ	الأعشى	٨/ ٨٢
فَلا الظِّلُّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ	ولا الْفَـيْءُ مِـنْ بَرْدِ الْعَشِـيِّ تَذُوقُ	حميد بن ثور الهلالي	٦/ ٥٥، ٢/ ٤٠٨
وَلَمَّـا الْتـقَيْـنَـا بِالحُنيـةِ غَـرَّنِي	بِمَعْرُوفِـهِ حَتَّـى خَرَجْـتُ أَفُـوقُ	بشار	٤/ ٣٤
لَعَمْري لَئِنْ كنتُمْ عَلَى النَّأْيِ والْغنى	بكُـمْ مِثْـلُ مـا بـي إِنَّكُـمْ لَصَدِيـقُ	الصمة بن عبد الله القشيري	٤/ ٢٢٧
وهل أَنا إِن علَّلتُ نفسـي بسـرحةٍ	مـن السـرح موجـودٌ علـيَّ طريقُ	حميد بن ثور	٢/ ٤٧٢
عَـدَسْ مـا لِعَبَّـادٍ عَلَيْـك إمـارَةٌ	نَجَـوْتِ وَهَـذَا تَحْمليـنَ طَلِيـقُ	يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري	١/ ٤٧٦، ٦/ ٥٧٧
أفـي كلِّ عـام أَنْتَ جَاشِـمُ غَـزْوَةٍ	تشـدُّ لأَقصاهـا عزيـمَ عَزَائِـكَا	الأعشى	٢/ ٥٦
تَجَانَـفُ عن حَجْـر اليَمَامَـةِ ناقَتِي	ومَـا قَصَـدَتْ مِـنْ أَهْلِهَا لِسِـوَائكا	الأعشى	١/ ٦٦٠
فَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الأَسَى يَبْعَثُ الأَسَى	دَعُونـي فَهَـذَا كُلُّـه قَبْـرُ مالِـكِ	متمم بن نويرة	٣/ ٤٧٦
مَصَابيحُ لَيْسَـتْ باللَّوَاتـي تَقُودُهَا	نُجُـومٌ وَلا بالآفـلاتِ الدَّوَالِـكِ	ذو الرمة	٤/ ٥٥، ٦/ ٢٦٣
ينُـؤْن ولـم يكسِـبْنَ إلا قنَازعـاً	مـن الرِّيش تنْـوَاءَ النعَـاجِ الهزَائِلِ	ذو الرمة	٧/ ٥٣١
إِذَا غَفَـلَ الْوَاشُـونَ عُدْنَـا لِوَصْلِنَـا	وَعَـادَ التَّصَافِـي بَيْنَنَـا وَالْوَسَـائِلُ	بلا نسبة	٣/ ٤٩٧
بِميـزَانِ قِسْـطٍ لا يَخِـسُّ شَـعِيرَةً	لَـهُ حَاكِـمٌ مِـنْ نَفْسِـهِ غَيْـرُ عَائِـلِ	أبو طالب	٤/ ١٩٩
بِميـزَانِ قِسْـطٍ لا يُخِـسُّ شَـعِيرَةً	وَوَازِنِ صِـدْقٍ وَزْنُـهُ غَيْـرُ عَائِـلِ	أبو طالب	٣/ ١٩

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
لَـهُ لَحظَاتٌ عَـنْ حِفَافَـيْ سَـرِيرِهِ	إذا كَرَّهَـا فِيهـا عِقَـابٌ وَنَائِـلُ	إبراهيم بن هرمة	٨/ ٤٢٩
فَـآبَ مُضِلُّـوهُ بِعَيْـنٍ جَلِيَّـةٍ	وغُـودِرَ بالْجَـولَانِ حَـزْمٌ وَنَائِـلُ	النابغة	٧/ ٦٩٣
دَعَـوْتُ بِطَهَ فِي القِتَـالِ فَلَمْ يُجِبْ	فخِفْـتُ عَلَيْـهِ أَنْ يَكُـونَ مُوائِـلا	متمم بن نويرة	٦/ ٥٦٦
فَإِنْ يَكُ قَتْلَى قَدْ أُصِيبَتْ نُفُوسُـهُمْ	فَلَـنْ يَذْهَبُـوا فِرْغـاً بِقَتْـلِ حِبَـالِ	طلحة الأسدي	٧/ ٤٨٠
وَهَـلْ يَعِمَـنْ إِلَّا سَـعيدٌ مُخَلَّـدٌ	قَلِيـلُ الهُمُـومِ مـا يَبِيـتُ بِأَوْجَـالِ	امرؤ القيس	٣/ ١٨٥
كَأَنِّي لَـمْ أَرْكَـبْ جـواداً لِلَـذَّةٍ	وَلَـمْ أَتَبَطَّـنْ كَاعِبـاً ذَاتَ خَلْخَـالِ	امرؤ القيس	٣/ ٧١٦، ٦/ ٦٤٣
صَرَفْتُ الْهَوى عَنْهُنَّ مِن خَشْيَةِ الرَّدَى	ولَسْـتُ بِمَقْلِـيِّ الْخِـلاَلِ وَلاَ قَالِ	امرؤ القيس	٥/ ٦٦٧
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى	إِلَـى كُلِّ مَـا فِيـهِ عَلَيْـكَ مَقَـالُ	هشام بن عبد الملك	٨/ ٧٠٨
أَيَقْتُلُنـي وَالْمَشْـرَفِيُّ مُضَاجِعِـي	وَمَسْـنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَـابِ أَغْـوَالِ	امرؤ القيس	٨/ ٢٦٠
تذَكَّـرَ مـن أَنَّـى ومِـنْ أَيْـنَ شُـربُه	يؤَامِرُ نَفْسَـيْهِ كَـذِي الهَجْمَةِ الأَبِلْ	الكميت	١/ ٢٨٧، ٢/ ١٨٩، ٧/ ٧١٦
لإِلٍّ عَلَيْنَـا واجـب لا نُضِيعُـهُ	مَتِيـنٍ قُـوَاهُ غَيْـرِ مُنْتَكَـثِ الْحَبْـلِ	أبو جهل	٤/ ٤٥٨، ٤/ ٦٥٨
ومَـا كَانَ مِـنْ خَيْـر أَتَـوْهُ فَإِنَّمَـا	تَـوَارَثَـهُ آبَـاءُ آبَـائِـهِـمْ قَبْلُ	زهير بن أبي سلمى	٢/ ٨١
فَمـرَّ بِهَا رِجْلٌ مِنَ النَّـاسِ وَانْزَوَى	إِلَيْهـا مِـنَ الْحَـيِّ الْيَمَانِيـن أَرْجُلُ	بلا نسبة	٩/ ١٥٦
صَبَبْنَـا عَلَيْهَـا ظَالِمِيـنَ سِـيَاطَنَا	فَطَـارَتْ بِهَـا أَيْـدٍ سِـرَاعٌ وَأَرْجُـلُ	ابن المعتز	١٠/ ٢٥٣
مِـنَ البِيضِ لَمْ تَظْعَنْ بَعِيداً وَلَمْ تَطَأْ	عَلَـى الأَرْضِ إِلا رَيْطَ بُـرْدٍ مُرَجَّلِ	جرير	٣/ ٢٥٣

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
أَلَا أَصْبَحَتْ أَسْماءُ جاذِمَةَ الْوَصْلِ	وَضنَّتْ عَلَيْنا والضَّنينُ مِنَ البُخْل	البعيث	١٠/ ٦٣
أفاءتْ بنو مروانَ ظُلْماً دماءَنا	وفي الله إن لم ينصفوا حَكَمٌ عَدْلُ	أبو الخطار الكلبي	٢/ ٣٦٩
لَعَمْرك ما لَامَ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ	ولكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ الله يُخْذَلِ	جبل بن جوال الثعلبي	٧/ ٧٥٠
كُميتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ	كَمَا زَلَّتِ الصَّفْواءُ بِالمتَنَزَّلِ	امرؤ القيس	٢/ ٢٠٦
فَلَيْسَ كعهْد الدار يا أُمَّ مالكٍ	ولكنْ أحاطَتْ بالرقابِ السَّلاسِلُ	أبو خراش الهذلي	٣/ ٩٦، ٤/ ٤١٤
كدأبكَ من أمِّ الْحُوَيْرِثِ قبْلها	وجَارَتِها أمِّ الرَّبابِ بِمَأْسَلِ	امرؤ القيس	٤/ ٥٩٧
ومُسْتَخْلِفاتٍ من بِلادِ تَنُوفَةٍ	لِمُصْفَرَّةِ الأشْداقِ حُمْرِ الحَوَاصِلِ	ذو الرمة	١/ ٣٠٦
ذكرتُ ابنَ عباسٍ ببابِ ابن عَامرٍ	وما مَرَّ مِنْ عمري ذكرتُ وَما فَضِلْ	أبو الأسود الدؤلي	٢/ ٦٧٠
وجِيدٍ كَجِيدِ الرِّئْم لَيْسَ بفَاحِشٍ	إذا هِيَ نَصَّتْهُ ولا بمُعَطَّلِ	امرؤ القيس	١/ ٦٢٩، ٤/ ٢٤٦
فمَلَّك باللِّيطِ الذي تَحْتَ قِشرِهَا	كغِرْقِئ بَيْضٍ كنَّه القيض مِنْ عَلُ	أوس بن حجر	١/ ٢٣٣
وَمَوْطِئُ إبراهيمَ في الصخر رطبةٌ	على قدميه حافياً غيرَ ناعل	أبو طالب	٢/ ٥١٦
وَفيهِمْ مقاماتٌ حِسانٌ وُجوهُهُمْ	وأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُها الْقَوْلُ والْفِعْلُ	زهير بن أبي سلمى	١٠/ ٣٢٢
ويَلْحَيْنَنِي فِي اللَّهْوِ أنْ لا أُحِبَّه	وللَّهْو دَاعٍ دائِبٌ غَيْرُ غَافِلِ	الأحوص	١/ ٢٥٧
حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيْبَةٍ	وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُوم الغَوَافِلِ	حسان بن ثابت	٧/ ١٨٤
وَمُفْرِهَةٍ عَنْسٍ قَدَرْتُ لِسَاقِهَا	فَخَرَّت كَمَا تَتَّابَعُ الرِّيحُ بالقَفْل	أبو ذؤيب الهذلي	٥/ ٧٣٢
فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وانْتَحَى	بِنَا بَطْنُ حقف ذِي ركام عَقَنْقَل	امرؤ القيس	٨/ ٢٧٥
رَبَتْ فَرَبَى في حِجْرِهَا ابنُ مَدِينَة	تَرَاهُ عَلَى مِسْحَاتِهِ يَتَرَكَّلُ	الأخطل	١/ ٢٤١، ٩/ ٣٨٥

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
فَأَشْـرَطَ فيهـا نَفْسَـهُ وَهُـوَ مُعْصِمٌ	وَأَلْقَـى بِأَسْبَـابٍ لَـهُ وَتَـوَكَّلا	أوس بن حجر	٩/ ٢٣
تـرى الثَّعْلَـبَ الحَولـيَّ فيهـا كأَنَّه	إذا مـا عـلا نَشـزاً حِصـانٌ مُجَلَّـلُ	الأخطل	٢/ ١٨٦
كَبِكْـرِ الْمُقَانَـاةِ الْبَيَـاضِ بِصُفْـرَةٍ	غَذَاهَـا نَمِيرُ المـاءِ غَيْـرُ الْمُحَلَّلِ	امرؤ القيس	٨/ ٢٥٣
إِذَا لسَـعَتْهُ النحْـلُ لَمْ يرْجُ لَسْـعَها	وخَالَفَهـا فـي بَيْـتِ نـوب عَوامِلِ	أبو ذؤيب الهذلي	٢/ ١٤، ٧/ ٢٨٠، ٩/ ٧٠٢
وُقُوفـاً بِهـا صَحْبـي عَلَـيَّ مَطيَّهُمْ	يقولـون لا تَهْلِـكْ أَسـىً وَتَجَمَّـل	امرؤ القيس	٣/ ٤٧٥
لِيَبْـكِ عَلَى مِلْحَـانَ ضَيْـفٌ مُدَفَّعٌ	وَأَرْمَلَـةٌ تُزْجِـي مَـعَ اللَّيْـلِ أَرْمَـلا	حاتم طي	٥/ ٥٢٦
كأَنَّ أَبانـا فـي أَفانيـنِ وَدْقِـهِ	كَبيـرُ أُنـاسٍ فـي بِجاد مُزَمَّـلِ	امرؤ القيس	٩/ ٧٣٣
فـإِنْ أَنـا يَوْمـاً غَيَّبَتْنِـي غَيَابَتِـي	فَسِيرُوا بسَيرِي في العَشِيرةِ والأَهْلِ	المنخل	٥/ ٤١٥
نِيَافٌ كغُصْنِ البَانِ تَرْتَجُّ إِنْ مَشَـتْ	دَبيبَ قَطَـا البَطْحَاءِ فـي كلِّ مَنْهَلِ	الأعشى	٥/ ٢٦٥
وَلَمْ نَدْرِ إِنْ حِصْنَا مِنَ الموْتِ حَيْصَةً	كَـمِ الْعُمْرُ بَـاقٍ والمـدَى مُتَطَاوِلُ	جعفر بن عبلة الحارثي	٣/ ٣١٨
مَضَـى أَوَّلُونـا ناعِمِيـنَ بِعَيْشِـهِمْ	جميعـاً وَغَالَتْنـي بِمَكَّـةَ غُـولُ	رجل من جرهم	٨/ ٢٥٠
ولَا عَيْـبَ فينَـا غَيْـرَ أَنَّ سُـيُوفَنَا	بِهَـا مِـنْ قِـرَاعِ الدَّارِعِيـنَ فُلُـولُ	السموأل	٨/ ٥٣٠
وَذِي حاجَـةٍ قُلْنَـا لَـهُ لَا تَبُـحْ بِهَـا	فَلَيْـسَ إِلَيْهَـا مـا حَيِيـتَ سَـبِيلُ	متنازع النسبة	٨/ ٩
أُرِيـدُ لأَنْسَـى ذِكْرَهَـا فَكَأَنَّمَـا	تَمَثَّـلُ لـي لَيْلَـى بِـكُلِّ سَـبِيلِ	كثير عزة	٣/ ٤٤٦
ونَحْنُ كَمَـاءِ المُزْنِ ما فـي نِصَابِنَا	كَهـامٌ وَلَا فينـا يُعَـدُّ بَخيـلُ	السموأل	٩/ ٣٧٣
فَمَا بَرِحُـوا حَتَّى تَهَادَتْ نِسَـاؤُهُم	بِبَطْحَـاءِ ذي قـارٍ عِيـابَ اللَّطَائِـمِ	الفرزدق	٦/ ٤٠٣

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
فَمَـنْ يَلْقَ خَيْراً يحْمَـدِ النَّاسُ أمْرَهُ	وَمَـنْ يَغْوِ لا يَعْدَمْ على الغَيِّ لائِماً	المرقش الأصغر	٥/ ٢٩٦، ٦/ ٥٢٢، ٦/ ٦٤٤
رَأَيْـتُ أُنَاسـاً لَا تَنَـامُ خُدُودُهُـم	وَخَـدِّي وَلَا كُفْـرَانَ للَّـهِ نَائِـم	بلا نسبة	٦/ ٧١٩
وَقَـدْ لُمْتِنَا يا أُمَّ غيلانَ في السُّـرَى	وَنِمْـتِ وَمَـا لَيْـلُ الْمَطِـيِّ بِنَائِـم	ذو الرمة	٥/ ٢١٣، ٦٥٠
هُمَـا نَفَثَـا فِـي فِـيَّ مِـنْ فَمَوَيْهِمَـا	عَلَـى النَّابِـحِ الْعَـاوِي أشَـدَّ رِجَامِ	الفرزدق	٢/ ٦٤٤
أَلَـمْ تَـرَ صَدْعـاً فـي السَّـمَاءِ مُبِينا	عَلَى ابْن لُبَيْنى الحارث بن هشـام	بلا نسبة	٦/ ٥٥٩
تَيَمَّمـتِ العَيْـنَ التـي عِنـدَ ضَارِجٍ	يَفِـيءُ عليْهَـا الظِّـلُّ عَرْمَضُهَا طَامِ	امرؤ القيس	٢/ ٢١٨، ٣/ ١٦٩
وقَوَّمْتُـهُ حَتَّـى إِذَا تَـمَّ واسْـتَوَى	كَمُخَّـةِ سـاقٍ أو كَمَتْـنِ إِمَـامِ	الراعي	٦/ ٢٥٢
سِـوَى بـازِ بِيضٍ أَوْ غَـزالِ صَرِيمَةٍ	أَغَـنَّ مـن الخُنْـسِ الْمَنَاخِـرِ تَـوْأَمِ	طفيل الغنوي	١٠/ ١٥٥
ومـا كانَ مالِـي مِـنْ تُـرَاثٍ وَرِثْتُـهُ	وَلا ديـةٍ كانـتْ ولا كَسْـبِ مَأْثَـمِ	ذو الرمة	٥/ ٥٦٠
أَفِـي كُلِّ عَـامٍ مَرْضَـةٌ ثُـمَّ نَقْهَـةٌ	فَحَتَّـى مَتَى حَتَّـى مَتَى وَإِلَـى مَتَى	عمران بن حطان	٥/ ١٣٧
بِهَـا الْعِيـنُ والآرامُ يمْشِـينَ خِلْفَةً	وَأطلاؤُهَـا يَنْهَضْنَ مِـنْ كُلِّ مَجْثَم	زهير بن أبي سلمى	١/ ٦١٧، ٧/ ٣١١
وَمَا الْحَـرْبُ إِلَّا ما عَلِمْتُـمْ وَذُقْتُمْ	وَمَـا هُوَ عَنْهَـا بِالْحَدِيـثِ الْمُرَجَّم	زهير	٦/ ٣٤٥
لنَا الْجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى	وأَسْـيافُنَا يَقْطُـرْنَ مِـن نَجْـدةٍ دَمـا	حسان بن ثابت	٨/ ١١٥
فَـأَيُّ خَميـسٍ لَا أَبَانَـا نَهَابُـهُ	وَأَسْـيافُنَا يَقْطُـرْنَ مِـنْ كَبْشِـهِ دَمَـا	طرفة	١٠/ ٤٥
فَعَاديـتُ شَـيْئاً والدَّريـسُ كأنَّمـا	يُزْعِزعـه وِرْدٌ مِـنَ الْمُـوم مُـردمُ	أبو خراش	١/ ٦٥٢

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
يُذَكِّرني حامِيمَ والرُّمْحُ شاجِرٌ	فَهَلَّا تَلَا حاميمَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ	شريح بن أوفى	٨/ ٤٣٤
وَكُنْتَ كَذِئْبِ السَّوْءِ لَمَّا رَأى دَماً	بِصَاحِبِهِ يوماً أَحَالَ عَلَى الدَّمِ	الفرزدق	٥/ ٧٣
لَقَدْ لَبِسَتْ بَعْدَ الزُّبَيْرِ مُجَاشِعٌ	ثياب الَّتي حاضَتْ وَلَمْ تَغْسِلِ الدِّمَا	جرير	٦/ ١٢٦
فما كان قيْسٌ هُلكُه هُلْكَ واحدٍ	ولكنَّه بنيانُ قومٍ تهدَّما	عبدة بن الطيب	٢/ ٧٠٥
أَقُولُ لَهُمْ بالشِّعْبِ إِذْ يَيْسِرُونَنِي	أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّي ابْنُ فَارِسِ زَهْدَمِ	سحيم بن وثيل الرياحي	٢/ ١٩، ٥/ ٦١٣
إِذَا لَمْ يزَلْ حَبْلُ الْقَرِينَيْنِ يلتوي	فَلَا بُدَّ يَوْماً مِنْ قوىً أن تجذمَّا	المتلمس	٧/ ٢٧٢
عوازبُ لم تسمَعْ نُبُوحَ مُقَامَةٍ	ولَمْ تَرَ نَاراً تِمَّ حَوْلٍ مُجَرَّمِ	طفيل الغنوي	٥/ ٢٠٤، ٩/ ٦٥٤
أَأَنْ كنتَ ذَا بُرْدَيْنِ أَحْوَى مُرَجَّلاً	فَلَسْتَ بِرَاعٍ لابنِ عَمِّكَ مَحْرَمَا	عمرو بن العاص	٨/ ١٨٨
فَما بَوَّأَ الرَّحْمَنُ بيْتَكَ منْزِلاً	بشَرْقي أَجْيَادِ الصَّفا والمُحَرَّمِ	الأعشى	٢/ ٥٨٥، ٤/ ٣١٦
ومُسْتَعْجِبٍ مِمّا يَرَى منْ أناتِنَا	ولَو زَبَنَتْهُ الحربُ لَمْ يَتَرَمْرَمِ	أوس بن حجر	١/ ٣٠٠، ٥/ ٥١٤، ١٠/ ٣٢٣
لَهَا حَارِسٌ لا يَبْرَحُ الدَّهْرَ بَيْتَهَا	وإنْ ذُبِحَتْ صَلَّى عَلَيْهَا وزَمْزَمَا	الأعشى	١/ ٢٧٥
مَشَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ	أَعَالِيهَا مَرُّ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ	ذو الرمة	١/ ٢٩٤، ١/ ٥٨٢، ٢/ ٢٦٥، ٤/ ١٨٣، ٤/ ٣٠٤، ٧/ ٦٦٦

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
تَوَسَّمْتُه لَمَّا رَأَيْتُ مَهَابَةً	عَلَيْهِ وقلْتُ الْمَرْءُ مِنْ آلِ هَاشِم	أعرابي	٥/ ٧٤١
فَقُلْتُ: عَلَيْكُمْ مَالِكاً إِنَّ مَالِكاً	سَيَعْصِمُكُمْ إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ عَاصِمُ	بلا نسبة	٣/ ٥٧٦
أَتَى العُجْمَ والآفَاقَ مِنْهُ قَصَائِدٌ	بَقِينَ بَقَاءَ الوَحْيِ فِي الحَجَرِ الأَصَمّ	كعب بن زهير	٢/ ٤١٣
لَنَا هَضْبَةٌ لاَ يَنْزِلُ الذُّلُّ وَسْطَهَا	وَيَأْوِي إِلَيْهَا المسْتَجِيرُ فَيُعْصَمَا	الأعشى	٣/ ٢٨١
لَعَمْرُكَ مَا الْمُعْتَرُّ يَغْشَى بِلَادَنَا	لِنَمْنَعَهُ بِالضَّائِعِ الْمُتَهَضَّمِ	حسان بن ثابت	٧/ ٥٧
كأَن فُتَاتَ الْعِهْنِ في كُلِّ مَنْزِلٍ	نزَلْن به حبُّ الْفَنَا لَمْ يُحَطَّمِ	زهير بن أبي سلمى	٩/ ٦٧٩، ١٠/ ٣٦٢
وَقُولا إِذَا جَاوَزْتُمَا أَرْضَ عَامِرٍ	وَجَاوَزْتُمَا الْحَيَّيْنِ نَهْداً وَخَثْعَمَا	الطرماح	٨/ ٣٢١
فَلايَنْبَسِطْ مِنْ بَيْن عَيْنَيْكَ ما انْزَوَى	وَلاَ تَلْقَنِي إِلاَّ وَأَنْفُكَ رَاغِمُ	أعشى بني قيس	٥/ ٢٣٦
بِفِي الشَّامِتِينَ الصَّخْرُ إِنْ كانَ هَدَّني	رَزِيَّةُ شِبْلَيْ مُخْدَرٍ في الضَّرَاغِمِ	الفرزدق	٦/ ٥٦
إِذَا اتَّصَلَتْ قَالَتْ: أَبَكْرَ بنَ وَائِلٍ	وَبَكْرٌ سَبَتْهَا وَالأُنُوفُ رَوَاغِمُ	الأعشى	٣/ ٢٤٧
وإِنّا لِممَّا نَضربُ الكَبْشَ ضَربةً	على رأسه تُلقِي اللسانَ من الفَمِ	أبو حية النميري	٣/ ٢٠٠، ٥/ ٣٩١، ٥/ ٦٩٣، ٦/ ٦٧٨
مَتَى ما يَشَأْ ذو الوُدِّ يصْرِمْ خَلِيلَهُ	وَيَعْبَدْ عَلَيْهِ لا مَحَالَةَ ظَالِما	المرقش الأصغر	٨/ ٦٥٥
إِلَى حسبٍ عَوْدٍ بَنَى الْمَرْءَ قَبْلَهُ	أَبُوهُ لَهُ فِيهِ مَعَارِج سُلَّم	كثير عزة	٥/ ٧٠١
وَلَوْ كُنْتَ في جُبٍّ ثمانِينَ قَامَةً	وَرُقِّيتَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ	الأعشى	٧/ ٥٦٦
وَمَنْ لا يَذُد عَن حَوْضِهِ بِسِلاحِهِ	يُهَدَّم وَمَن لا يَظْلِمِ النَّاس يُظْلَم	زهير	٣/ ٢٦١
إِذَا اجْتَمَعُوا جَاءُوا بِكُلِّ غَرِيبَةٍ	فَيَزْدَادُ بعْضُ الْقَوْم من بَعْضِهِمْ عِلْماً	بلا نسبة	٨/ ١٢٠

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
وكائِنْ ترى مِن صامتٍ لك مُعجِبٍ	زيادتُـه أَو نـقـصُـهُ فـي التـكلُّـمِ	متنازع	٢/ ٦٣٢
فَأَطْـرَقَ إِطْرَاقَ الشُّـجَاعِ وَلَوْ يَرَى	مَسَـاغَاً لِنَابَـاهُ الشُّـجَاعُ لَصَمَّـمَا	متلمس	٦/ ٦٠١
وَلَـنْ يَلْبَث العَصـرَانِ: يَـوْمٌ وَلَيْلَةٌ	إذا طَـلَـبَـا أَنْ يُـدْرِكا مـا تَـيَمَّـمَا	حميد بن ثور الهلالي	١٠/ ٣٧٢
رَفَوْنِـي وَقَالُـوا يَـا خُوَيلِدُ لَـمْ تُرَعْ	فَقُلْـتُ وَأَنْكَـرْتُ الوُجُـوهَ هُمُ هُمُ	أبو خراش الهذلي	٤/ ٥٢
وقد شهِدتْ قيسٌ فما كان نصرُها	قـتـيـبـةَ إلا عـضَّـهـا بالأبـاهـمِ	الفرزدق	٢/ ٥٧٥، ٤/ ١٩٧
وكُنَّـا إِذَا الجَبَّـارُ صَعَّـرَ خَـدَّهُ	أَقَمْنَـا لَـهُ مِـنْ مَيْلِـهِ فَتَقَـوَّمِ	عمرو التغلبي	٧/ ٦٦٨
فَلَمَّـا وَرَدْنَ الْمـاءَ زُرْقـاً جِمَامُـهُ	وَضَعْـنَ عِصِيَّ الْحَاضِـرِ الْمُتَخَيِّمِ	زهير	٦/ ٦٣٤
كفَـى حَزَنـاً كَـرِّي عَلَيْـه كأَنَّـه	لَقًـى بَيْـن أَيْـدي الطَّائِفيـنَ حَريـمُ	ورقة بن نوفل	٤/ ٢٣٧
تَـزَوَّدَ مِنَّـا بَيْـنَ أُذْنَـاهُ ضربـةً	دَعَتْـهُ إِلـى هَابِـي التُّـرَابِ عَقِيـمِ	هوبر الحارثي	٦/ ٦٠١
وَلَا تَغْلُ في شَيْءٍ من الأَمْرِ واقْتَصِدْ	كِلَا طَرَفَـيْ قَصْـدِ الأُمـورِ ذَميـمُ	بلا نسبة	٧/ ٣٢٠
يُطِفْـنَ بِحُـوزِيِّ المراتِـع لـم تُرُعْ	بَواديـهِ مِـن قَـرْعِ القِسِـيَّ الكَنَائِنِ	الطرماح	٤/ ١٤٠
لهَـا كلَّمَـا رِيعَـتْ صَـدَاةٌ ورَكْـدَةٌ	بِمُصْدانَ أَعْلى ابنيْ شَـمام البَوائن	الطرماح	٤/ ٥٥٧
تعَـشّ فـإنْ عاهَدْتَني لا تخُونُني	نَكُـنْ مثْل مَـنْ ياذيـبُ يصطَحِبانِ	الفرزدق	١/ ٤٣٣
ويَخْدي على صُمٍّ صِلابٍ مَلاطِسٍ	شـديداتِ عَقْـدٍ لَيِّنـات مِتَـان	امرؤ القيس	٤/ ٤٥٨
وكيف أرجّي الخلدَ والموتُ طالبي	ومالـيَ مـن كأس المنيَّـةِ فرقـانُ	بلا نسبة	٤/ ٥٤٤
لمـن طـلَـلٌ أبصرتُـهُ فشـجاني	كخَـط زَبُـورٍ فـي عَسِـيب يمَـانِ	امرؤ القيس	٢/ ٧١٦
بِـوَادٍ يَمَـانٍ يُنْبِـتُ الشَّـثَّ صَـدْرُهُ	وَأَسْـفَـلُـهُ بِـالْمَـرْخِ وَالشَّـبَهَـانِ	الأحول اليشكري	٧/ ٣٦
بِـوَادٍ يَمَـانٍ يُنْبِـتُ السِّـدْرَ صَـدْرُهُ	وَأَسْـفَـلُـهُ بـالْمَـرْخِ والشَّـبَهَـانِ	الأحول اليشكري	٦/ ٤٩١

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
كَأَنْ لَـمْ تَـرَي قَبْلـي أَسـيراً مُقَيَّـداً	وَلَا رَجُـلاً يُرْمَـى بِـهِ الرَّجَـوَانِ	عطارد بن قران	٩/ ٦٦٠
رُوَيْـداً بَني شَـيْبَانَ بعْضَ وعيدكم	تُلاقـوا غـداً خَيْلـي عَلَـى سَـفَوان	وداك بن سنان بن نميل المازني	٢/ ٢٩٢
وقَبْلك مـا هابَ الرِّجـالُ ظُلامَتي	وَفَقَّـأْتُ عيْـنَ الأَشْـوَس الأَبْيَـانِ	أبو المجشر	٣/ ٤٠١
عَدلـن عُدولَ اليأس وافتـجَّ يبْتَلي	أَفَانِيـنَ مِـنْ أُلْهُـوبِ شَـدٍّ مُمَاتِـنِ	الطرماح	٤/ ٤٥٨
قَليـلاً تَتَلَّـى حاجَـةً ثُـمَّ عُوليَـتْ	عَلَى كُلِّ مَعْرُوشِ الْحَصِيرَيْنِ بادنِ	الطرماح	٦/ ١٦٤
سُـؤَالَ حَفِـيٍّ عَـنْ أَخِيـهِ كَأَنَّـهُ	بِـذِكْرَتِـهِ وَسْـنَـانُ أَوْ مُـتَـوَاسِـنُ	معطل الهذلي	٤/ ٤٦٤
بِلًـى وثـأًى أَفْضَـى إِلَـى كُلِّ كتْبَـةٍ	بَـدَا سَـيْرُهَا مِنْ ظَاهِـرٍ بَعْـدَ بَاطِنِ	الطرماح	٣/ ٨٢
وَأَنْقَـضَ ظهْري ما تطوَّقْـتُ منْهُمُ	وَكُنْـتُ عليْهِـمْ مُشْـفِقاً مُتَحَنِّنَـا	عباس بن مرداس	١٠/ ٣٠٣
بُثَيْـنُ الْزَمِـي لاَ إِنَّ لاَ إِنْ لَزِمْتِـهِ	عَلَـى كَثْـرَةِ الوَاشِـينَ أَيُّ مَعُـونِ	جميل	٢/ ٢٥٨
وإِنْ مَذِلَتْ رِجْلِي دَعَوْتُكِ أَشْتَفِي	بِدَعْـوَاكِ مِـنْ مَـذْلٍ بِهَـا فَيَهُـونُ	كثير عزة	٤/ ١٩٦
يقولُ الَّذِي أَمْسَى إِلَى الحَزْنِ أَهْلُهُ	بأَيِّ الحَشى أَمْسَى الخليطُ المُبَاينُ	معطل الهذلي	٥/ ٤٥٣
لَقَـدْ ذَكَّرَتْني عَـنْ جَنَـابٍ حمَامَةٌ	بِعُسْـفَانَ أَهْلِـي فالفُـؤَادُ حزيـنُ	بلا نسبة	٧/ ٤٨١
فَجَـاءتْ بِهِ عَضْبَ الأَدِيم غَضَنْفَرا	سُـلَالَة فَـرجٍ كَانَ غَيْـرَ حَصِينِ	حسان بن ثابت	٧/ ٩٤، ٦٩١
فإِنَّـك لَـو حلَلْـتَ دِيَـارَ عَبْسٍ	عَـرَفْـتَ الـذُّلَّ عِـرْفَـانَ اليَقِينِ	بلا نسبة	٥/ ٥٥٤
وَجَدْتُـمْ أَخاكُـمْ بَيْنَنَـا إِذْ نُسِـبْتُمُ	وأَيُّ بنـي الآخَـاءِ تَنْبُـو مَنَاسِـبُهْ	بلا نسبة	٩/ ١٠٧
وَقَفْـتُ عَلَـى رَبْـعٍ لِمَيَّـةَ نَاقَتِـي	تُخَـاطِبُـنـي آثَـارُهُ وَأُخَـاطِـبُـه	ذو الرمة	٨/ ١٤٣
وَقَفْـتُ عَلَـى رسْـم لِمَيَّـةَ نَاقَتـي	فمَـا زِلْـتُ أَبْكِـي عِنْـدَهُ وأُخاطِبُـهْ	ذو الرمة	٥/ ٧١٠
وأَسْـقِيـه حتـى كـادَ مِمَّـا أَبُثُّـه	تكلِّمُـنـي أحْجـارُهُ ومَـلاعِـبُـهْ	ذو الرمة	٢/ ٦٨٠

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
تَظَلَّمَنِي مالـي كـذا وَلَـوَى يَـدِي	لَـوَى يَـدَهُ اللَّـهُ الَّـذي هُـو غَالِبُـه	فرعان بن الأعرف	٦/ ٣٧١
ولا تَـكُ مِـنْ أَخْـدَانِ كُلِّ يَرَاعَـةٍ	هَواءٍ كَسَقْبِ النَّابِ جُوفاً مَكَاسِرُهْ	بلا نسبة	٥/ ٦٨٠
وَإِنَّـكَ لَا تُعْطِـي امْـرَءاً فَـوْقَ حَقِّه	وَلَا تَمْلِكُ الشِّقَّ الَّذِي الْغَيْثُ نَاصِرُه	متنازع النسبة	٧/ ٢١
تنَظَّـرتُ نَصْـراً والسِّـماكَين أَيْهُما	علـيَّ من الغَيثِ استهلَّتْ مَوَاطِرُهْ	الفرزدق	٢/ ٦٣٤
هَمَمْتُ ولَمْ أَفْعَلْ وكِـدْتُ وَلَيْتَني	تَركْـتُ على عُثمانَ تَبْكـي حَلائِلُه	ضابئ بن الحارث	٣/ ٤٤٩
إِذا أُنْتِجَتْ مِنْهَا المَهَارَى تَشَابَهَتْ	عَلَـى العَـوْدِ إِلَّا بِالأُنُوفِ سَـلَائِلُهُ	ذو الرمة	٧/ ٩٤
أَبَى جُودُهُ لا البُخْلَ وَاسْتَعْجَلَتْ بِهِ	نَعَمْ مِـنْ فَتًى لا يَمْنَعُ الجُـودَ قَاتِلَهْ	بلا نسبة	٤/ ١٠٢، ٢٠٦
وَأَهْـلِ خِبَـاءٍ صَالِـحٍ ذَاتُ بَيْنِهِـمْ	قَـدِ احْتَرَبُـوا فِـي عَاجِـلٍ أَنَـا آجِلُه	خوات بن جبير	٣/ ٤٨٥
وَإِذْ فَتَـكَ النُّعْمَانُ بالنَّـاسِ مُحْرِماً	فَمُلِّئَ مِنْ كعْبِ بن عوْفٍ سلاسِلُه	المخبل السعدي	٦/ ٣٣٧
فَهَيْهَـاتَ هَيْهَـاتَ العَقِيـقُ وَمَنْ بِهِ	وَهَيْهَـاتَ خِـلٌّ بِالْعَقِيـقِ نُوَاصِلُـه	جرير	٧/ ١٠٧
وَجَدْنَـا الْوَلِيـدَ بْـنَ الْيَزِيـدَ مُبَارَكاً	شَـدِيداً بِأَعْبَـاءِ الْخِلافَـةِ كَاهِلُـهْ	الرماح	٤/ ٦٤
تَـرَى النُّعَـرَاتِ الزُّرْقَ تَحْـتَ لَبَانِهِ	فُـرَادَى وَمَثْنَى أَصْعَقَتْهَـا صَوَاهِلُهْ	تميم بن أبي مقبل	٤/ ٧٨
وخُطَّـا بِأَطْرَافِ الأَسِـنَّةِ مضْجَعي	وَرُدَّا عَلَـى عَيْنـيَّ فَضْـلَ رِدائِيَـا	مالك بن الريب	١٠/ ٢٨٩
لَقَـدْ طَالَمَـا ثَبَّطَتْنِي عَـنْ صَحَابَتي	وَعَـنْ حاجـةٍ قِضَّاؤُها مِنْ شِـفائِيَا	بعض بني كلاب	١٠/ ١٠٤
أَفـي جَنْـبِ بَكْـرٍ قطَّعْتَني مَلَامَـةً	لَعَمْـرِي لَقَـد طَالَـتْ مَلَامَتُهـا بِيَـا	معن بن أوس	٨/ ٤١٥
وَآخِـرُ شَـيءٍ أَنْتَ فـي كُلِّ هَجْعة	وَأَوَّلُ شَـيْءٍ أَنْـتَ عِنْـدَ هُبُوبِـي	علي بن الجهم	٨/ ٤٣٠
فقالت أَلَا يَا اسْـمَعْ أَعِظْكَ بِخُطْبَةٍ	فَقُلْـتُ سَـمِعْنَا فانْطِقـي وَأَصِيبِـي	بلا نسبة	٧/ ٤٢٢
فَـأَنْبَـتَ يَقْطِينـاً عَلَيْـهِ بِـرَحْمَـةٍ	مِـنَ اللَّـهِ، لَـوْلا اللهُ أُلْفِـيَ ضَاحِيَـا	أمية بن أبي الصلت	٨/ ٢٩٠

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
عَنِ الْمَرْءِ لا تَسْأَل وَسَلْ عنْ قَرِينِه	فكُلُّ قرينٍ بِالمُقَارَنِ يَقْتَدِي	عدي بن زيد	٣/ ٣٤٤، ٨/ ٤٥٦، ٩/ ١٤٩
إِذا مَا صَنَعْتِ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ	أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ آكُلُهُ وَحْدِي	متنازع النسبة	٧/ ٢٥٦
تَنَادَوا فَقَالُوا: أَرْدَتِ الخيلُ فَارساً	فقلت: أَعَبْدُ اللَّهِ ذَلِكُمُ الرَّدِي	دريد بن الصمة	٦/ ٥٧٧
تَخُبُّ إِلَى النُّعْمَانِ حَتَّى تَنَالَهُ	فِدًى لَكَ مِنْ رَبِّ طَرِيفِي وتَالِدِي	النابغة الذبياني	١/ ٢٢٩
أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِي أَحْضُرَ الْوَغى	وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي	طرفة	٧/ ٦٢١
وَقَدْ زَعمَتْ عُلْيا بَغِيضٍ وَلفُّها	بِأَنِّي وَحِيدٌ قَدْ تَقَطَّع دَابِرِي	بلا نسبة	٣/ ٧٥٨
فِرِشْنِي بخَيْرٍ طالَمَا قَدْ بريْتَنِي	وخَيْرُ الْمَوَالي مَنْ يَرِيشُ ولا يَبْري	سويد بن الصامت	٤/ ٢٣٣
وَإِنَّ الأُلَى بِالطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ	تَأَسَّوْا فَسَنُّوا لِلْكِرَامِ التَّآسِيَا	سليمان ابن قتة	٢/ ٦١٤
عَلَى أَنَّهَا تَعْفو الْكُلُومُ وَإِنَّمَا	نُوَكَّلُ بالأَدْنَى وإِنْ جَلَّ مَا يمضِي	أبو خراش الهذلي	٨/ ٦٣٤
عَلَيَّ إِذا لاقَيْتُ لَيْلَى بِخَلْوَةٍ	أَنَ ازْدَارَ بَيْتَ الله رَجْلانَ حَافِياً	متنازع النسبة	٢/ ١١٦
ومِثْلُ الدُّمَى شُمُّ العَرَانِينِ سَاكِنٌ	بِهِنَّ الْحَيَاءُ لا يُشِعْنَ التَّقَافِيَا	النابغة الجعدي	٦/ ٢٠٥
نَظَرْتُ إِلَى عُنْوانِهِ فَنَبَذْتُهُ	كَنَبْذِكَ نَعْلاً مِنْ نِعَالِكَ بَالِيَا	أبو الأسود الدؤلي	٧/ ٥٠٨
فقلتُ يَمِينُ الله أَبْرَحُ قاعِداً	ولو قَطَّعوا رأسي لَدَيْكِ وأَوْصالي	امرؤ القيس	٥/ ٥٢١
أَيَقْتُلُنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فُؤَادَهَا	كَمَا شَعَفَ المَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي	امرؤ القيس	٥/ ٤٤٨
تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وأَهْلُهَا	بِيَثْرِبَ أَدْنَى دارِها نَظَرٌ عَالي	امرؤ القيس	٧/ ٦٠٦
أَلا يا لَقَوْمِي قَدْ أَشَطَّتْ عَواذلي	وَيَزْعُمْنَ أَنْ أَوْدَى بِحَقِّيَ بَاطِلِي	الأحوص	٦/ ٣٢٨
فإن كان ما قد قيل عني قلته	فلا رفعت سوطي إليّ أناملي	حسان بن ثابت	٧/ ١٨٤

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
يقولون: لا تبْعدْ، وهُم يدفِنونني	وأيْنَ مَكانُ البُعْدِ إلّا مَكانِيا	مالك بن الريب	٥/ ٣٧٧
رَماني بذنب كنتُ منه ووالِدِي	بَريئاً ومن أَجْلِ الطوِيِّ رَمانِي	ابن الأحمر	٥/ ١٥٢
رَمَانِي بأَمْرٍ كنْتُ منْهُ وَوَالِدِي	بَريئاً ومِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي	الأزرق بن طرفة	٨/ ١٩٦
وكنت كذات الضِّنءِ لم تدْرِ إذ بغَتْ	تؤامرُ نَفْسَيْها أتسرقُ أم تزني	بلا نسبة	١/ ٢٨٧
فَلَوْ كَانَ فِي لَيْلَى شَذا مِنْ خُصُومَةٍ	لَلَوَّيْتُ أَعْنَاقَ الخُصُومِ المَلاوِيَا	مجنون ليلى	٢/ ٤٧٦

البحر الكامل وجوازاته

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
والمرءُ يُلْحِقُهُ بِفتيانِ النَّدَى	خُلُقُ الْكَرِيمِ وَلَيْسَ بالْوُضَّاءِ	أبو صدقة الدبيري	٩/ ٧٠٦
حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ	وَبَصِيرَتِي يَعْدُو بِهَا عَتَدٌ وَأَى	الأسعر الجعفي	٥/ ٥٥٠
يَجْزِيك أو يُثْنِي عليكَ وإنَّ مَنْ	أثْنى عليك بما فَعَلْتَ كَمَنْ جَزَى	ورقة بن نوفل	٤/ ٦٩٠
يا خَاتَمَ النُّبَآءِ إنَّكَ مُرْسَلٌ	بِالحَقِّ كُلُّ هُدَى الإلَهِ هُدَاكَا	العباس بن مرداس	١/ ٤٢٧
كَادَتْ وكِدْتُ وتِلْكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ	لَوْ عَادَ مِنْ زَمَنِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى	بلا نسبة	٦/ ٥٥٨
فَكَفَى بِنَا فَضْلا عَلَى مَنْ غَيْرِنَا	حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا	حسان بن ثابت	١/ ٣٣٢
في مَأْتَمٍ كَنِعَاجِ صَا	رَةَ يَبْتَئِسْنَ بِمَا لَقِينَا	لبيد	٥/ ٢٩٨
يَا بَا الْمُغِيرَةِ رُبَّ أَمْرٍ مُعْضِل	فَرَّجْتُهُ بالنُّكْرِ مِنِّي والدَّهَا	أبو الأسود الدؤلي	١٠/ ٢١
وإذا تجُوَّزُها حبالُ قبيلةٍ	أخذَتْ من الأخرى إليكَ حِبالَها	الأعشى	٢/ ٥٣٨
فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عينِهِ عَنْ شَاتِهِ	فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالَهَا	الأعشى	٨/ ٣٢٣

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
ما كُنْتَ في الْحَرْبِ الْعَوَانِ مُغَمَّراً	إِذْ شَبَّ حَرُّ وَقُودِهَا أَجْذَالَهَا	الأعشى	٧/ ٥٣٢
الواهِبُ المائَةِ الهِجانِ وعبْدِها	عُوذاً تُزَجِّي خَلْفَها أَطْفَالَها	الأعشى	٥/ ٥٢٦
أَفكُلَّما قَالَ الرِّجَالُ قَصِيدَةً	نحلت وَقَالُوا ابْنُ الأبَيْرِقِ قَالَهَا	بشير بن الأبيرق	٣/ ٣٠٢
وَلَعَمْرُ مَنْ جَعَلَ الشُّهورَ عَلاَمَةً	فينَا فَبَيَّنَ نِصْفَها وكَمالها	الأعشى	٥/ ٧٣٩
مِنْ كُلِّ مَحْفُوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّهُ	زوْجٌ عليه كِلَّةٌ وقِرَامُهَا	لبيد	٥/ ٣٠٦
وتَوَجَّسَتْ ركْزَ الأَنيس فَرَاعَهَا	عَنْ ظَهْر غَيْبٍ والأنيسِ سَقَامُها	لبيد	٦/ ٥٦٣
حَتَّى إِذا أَلْقَتْ يَداً في كَافِرٍ	وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ البِلادِ ظَلامُهَا	لبيد	٦/ ٦٧
فَتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرِيِّ وصَدَّعَا	مَسْجُورَةً مُتَجَاوِراً قُلاَّمُهَا	لبيد	٦/ ٤٩١
مِنْ مَعْشرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ	وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمامُهَا	لبيد	٢/ ٦١٤
تَرَّاكُ أمْكِنَةٍ إذَا لَمْ أرْضَهَا	أوْ يخترمْ بَعْضَ النُّفوسِ حِمامُها	لبيد	٢/ ٤٣٠
ولَقدْ طعنْتُ أَبا أُمَيْمَةَ طَعْنَةً	جَرَمَتْ فَزَارَةُ بَعْدَها أَنْ يَغْضَبُوا	أبو أسماء	٥/ ٢٨٥
وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً	جَرَمَتْ فَزارَةُ بَعْدَها أَنْ يَغْضَبُوا	أبو أسماء	٣/ ٤٠٠، ٥/ ٣٧٢، ٨/ ٤٦٨
وَبِمُهْطِعٍ سُرُحٍ كَأَنَّ عِنَانَهُ	في رأْسِ جِذْعٍ مِنْ أَوَالَ مُشَذَّبِ	أنيف بن جبلة	٥/ ٦٧٨
ذَهَبَ الذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ	وَبَقِيتُ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ	لبيد	٤/ ٤٣٣
لا أَبْتَغِي الْحَمْدَ القَلِيلَ بقاؤُهُ	يَوْماً بِذَمِّ الدَّهْرِ أَجْمَعَ واصِبا	أبو الأسود الدؤلي	٦/ ٦١
عَيْرَانَةٌ سُرُحُ الْيَدَيْنِ شِمِلَّةٌ	عُبْرُ الْهَوَاجِرِ كالهِزَفِّ الْخَاضِب	خويلة الرئامية	٣/ ١٦٣
أَبَنِي حنيفَةَ أحكِمُوا سُفَهاءَكُم	إنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمُ أنْ أَغْضَبَا	جرير	١/ ٣٥٤
أفعنْك لا بَرْقٌ كَأنَّ وَميضَهُ	غَابٌ تَسَنَّمَهُ ضِرَامٌ مُثْقَبُ	ساعدة بن جؤية	٤/ ١٠٣، ٤/ ٢٠٧

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
لَـدْنٌ بِهَـزِّ الْكَـفِّ يَعْسِـلُ مَتْنُهُ	فِيـهِ كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ	ساعدة بن جؤية	٤/ ٢١٠
فَـانْـقَـضَّ كـالـدُّرِّيِّ يَـتْـبَـعُـهُ	نَـقْـعٌ يَـثـورُ تَـخـالُـهُ طُنُـباً	عوف بن الخرع	٩/ ٧٢٠
بِـالـشَّـامِ بَـيْـنَ صَـفَـائِـحِ	صُـمٍّ تَـرَصَّـصُ بـالْـجبوبِ	متنازع النسبة	٩/ ٥١٢
مـا تَمْنَعي يَقْظَى فَقدْ تُعْطِينهُ	في النَّوم غيـر مسرد محْسُوبِ	قيس بن الخطيم	٨/ ٣٨٣
لَا تَبْعَـدَنَّ رَبيعَـةَ بْـنَ مُكَـدَّمٍ	وَسَقَى الْغَـوَادِي قَبْرَهُ بذَنُـوب	حسان بن ثابت	٩/ ٢٠١
أَنَّـى سـرَبْتِ وكُنْـتِ غَيْرَ سَـرُوبِ	وتُقَـرِّبُ الأَحْـلاَمُ غَيْـرَ قَرِيـبِ	قيس بن الخطيم	٥/ ٥٨٣
ولَقَـدْ طَعَنْـتُ مَجَامِـعَ الرَّبَـلَاتِ	رَبَـلَاتِ هِنْـدٍ خَيْـرَةِ الملكاتِ	بلا نسبة	٥/ ٦١، ٩/ ٣٣٧
فَـزَجَـجْـتُـهـا بِـمِـزَجَّـةٍ	زجَّ الْـقَـلـوصَ أَبـي مَـزادَة	بلا نسبة	٤/ ١٤٠، ٥/ ٦٨٤
أَنَّ الْـعِـــرَاقَ وَأَهْـلَـهَـا	عُـنُـقٌ إِلَـيْـكَ فَـهَـيْـتَ هَيْتَا	بلا نسبة	٥/ ٤٣٦، ٧/ ٣٣٦
فَلَثَمْـتُ فَاهَـا آخِـذاً بِقُرُونِهَـا	شُرْبَ النَّزِيفِ لِبَرْدِ ماءِ الحَشْرَجِ	جميل	٦/ ٤٣٦، ٨/ ٢٥١
كَـشَـفَـتْ لَـهُـمْ عَـنْ ساقِهَا	وبَـــدَا مـنَ الـشَّـرِّ الْـبَـراحُ	سعد بن الكامل	٩/ ٦٤١
لــلَّـهِ دَرُّ بَـنِـي عَـلِ	يٍّ أَيِّـم مِـنْـهُـم وَنَـاكِـح	أمية بن أبي الصلت	٧/ ٢١٤
ورأَيْــت زوْجَـكِ في الْـوَغَـى	مُـتَـقَـلِّـداً سَـيْـفـاً وَرُمْـحـاً	بلا نسبة	٥/ ٢١٦
كَـبُـكَـا الْـحَـمـام عَـلَـى غُصُو	نِ الأَيْـكِ في الطَّيْرِ الْجَوَانح	أمية بن أبي الصلت	٥/ ٧٤٣
والنـاس يأتـون الأمير إذا هـم	خطئوا الصواب ولا يلام المرشد	عبيد بن الأبرص	٦/ ١٧٥

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
أَرْضٌ تَخَيَّرَهَا لِطِيبِ مَقِيلِهَا	كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وابن أُمِّ دُؤَاد	الأسود بن يعفر	٧/ ٢٨٥
أَهْلِ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وبارِقٍ	والقصْرِ ذِي الكَعَبات مِن سِنْدادِ	الأسود بن يعفر	٣/ ٦٤٠
أبَنِي لُبَيْنَى لا أُحِبُّكُمُ	وَجَدَ الإلهُ بِكُمْ كَمَا أَجِدُ	أوس بن حجر	١/ ١٩٧، ٣/ ٥٥٩، ٤/ ٧٣٣
دَارٌ دحاها ثُمَّ أَسْكَنَنَا بِها	وَأَقامَ بالأُخْرى الَّتي هي أَمْجَدُ	أمية بن أبي الصلت	١٠/ ١٢٤
كم صاحبٍ لِيَ صالحٍ	بوّأتُهُ بيديَّ لَحْدَا	عمرو بن معدي كرب	٢/ ٥٨٥، ٧/ ٣٧
يا وَيْحَ أنْصار النَّبيِّ وَرَهْطِهِ	بَعْدَ الْمُغَيَّبِ في سواءِ الملْحَدِ	حسان بن ثابت	١/ ٥٢٨، ٤/ ٦٠٤
ووجدتُ ريحَ المَوْت من تِلْقائِهم	في مَأزِقٍ والخيلُ لَمْ تَتَبَدّدِ	الحارث بن هشام	٢/ ٦٢٥
أَنَّى سَلَكْتَ فَإِنَّني لَكَ كَاشِحٌ	وعَلَى انْتِقَاصِكَ في الْحَيَاةِ وَأَزْدَدِ	بلا نسبة	٤/ ٤٦١
لا أشتهي أن أَرِدَا	إلا عَرَاداً عَرِدَا	بلا نسبة	٣/ ١٨
آلَيْتُ لا أعْطيه من أبْنَائِنَا	رُهُناً فَيُفْسِدَهُمْ كَمَنْ قَد أَفْسَدا	الأعشى	٢/ ٢٨٥
قَدْ كَانَ ذو الْقَرْنَيْنِ جَدِّي مُسْلِماً	مَلِكاً تَدينُ لهُ الْمُلُوكُ وَتُحْشَدُ	متنازع النسبة	٦/ ٤٣٩
والنَّاسُ يَلْحُوْنَ الأَميرَ إذا هُمُ	خَطِئُوا الصَّوَابَ وَلا يُلامُ المُرْشِدُ	عبيد بن الأبرص	٦/ ١٩٣
قَوْماً يُعالِجُ قُمَّلاً أَبْناؤُهُمْ	وَسَلَاسِلاً حلقاً وباباً مُؤْصَدا	الأعشى	١٠/ ٢٧٦
يا بِكْرَ آمِنَةَ الْمُبَارَك بكرها	مِنْ وُلْدِ مُحْصَنَةٍ بِسَعْدِ الأَسْعُدِ	حسان بن ثابت	٩/ ٧٠٦
حتى يُفِيدَكَ مِنْ بَنِيه رهِينَةً	نَعْشٌ وَيَرْهَنَك السِّماكُ الفَرْقَدَا	الأعشى	٢/ ٢٨٣
فَلَقَدْ رَأَيْتُ مَعَاشِراً	قَدْ ثَمَّرُوا مالاً وَوُلْدا	الحارث بن حلزة	٦/ ٥٤٨

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
قَالَتْ قُتَيْلَةُ مَا لِجِسْمِكَ شَاحِباً	وَأَرَى ثِيَـابَكَ باليـاتٍ هُمَّـدا	الأعشى	٧/ ١٥
كمقاعِد الرُّقَباءِ للضَ	ضُرَباء أيديهم نواهِدْ	أبو دؤاد	٣/ ١١
وَحُبِسْنَ في هزْمِ الضَّريعِ فَكُلُّها	حَدْباءُ دامِيَةُ الْيَدَيْنِ حَرودُ	ابن عيزارة الهذلي	١٠/ ٢٣٤
وَإِذا أَرادَ اللهُ نَشْرَ فَضيلَةٍ	طُوِيَتْ أَتاحَ لها لِسَان حَسُودِ	أبو تمام	١٠/ ٤٢١
إِنَّ الْحَدائِقَ في الجِنَانِ ظَلِيلَةٌ	فيها الْكَوَاعِبُ سِدْرُها مَخْضُود	أمية بن أبي الصلت	٩/ ٣٥٩
لِمَن الدِّيَارُ غَشِيتُهَا بِالْفَدْفَدِ	كَالْوَحْيِ فِي حَجَرِ الْمَسِيلِ الْمُخْلِدِ	زهير	٤/ ٤٤٩
وَعمرتُ حَرْساً قَبْلَ مُجْرَى داحِسٍ	لوْ كان لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ خُلُود	لبيد	٥/ ٣٠٩
نَسَبٌ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى	نُوراً وَمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عَمُوداً	أبو تمام	٧/ ٢٢٠
وشَهِدتُ أَنْجِيَةَ الأُفاقَةِ عالِياً	كَعبي وأَرْدافُ المُلوكِ شُهودُ	لبيد	٥/ ٥١٤
كُلُّهُمْ يَمْشي رُوَيْد	كُلُّهُمْ يَطْلُبُ صَيْد	منصور	٧/ ٣١٤
وَقتيلُ مُرَّةَ أَثْأَرَنَّ فَإِنَّهُ	فرْغٌ، وَإِنَّ قَتِيلَهُمْ لَمْ يُثْأَرِ	عامر بن الطفيل	١٠/ ٣١
يجِدِ النِّساءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ	قَدْ قُمْن قَبْلَ تَبَلُّجِ الأَسْحَارِ	ربيع بن زياد	٢/ ٣٥٢
حَذِرٌ أُمُوراً لا تَضِيرُ وآمِنٌ	ما لَيْسَ مُنْجِيَهُ مِنَ الأَقْدَارِ	بلا نسبة	٧/ ٣٥٣
وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ	خُضُعَ الرِّقَابِ نَوَاكِسَ الأَبْصَارِ	الفرزدق	٧/ ٣٣٦
شَغَّارَةٌ تَقِذُ الفَصِيلَ بِرِجْلِهَا	فَطَّارَةٌ لِقَوَادِمِ الأَبْكَارِ	الفرزدق	٣/ ٤٠٦
لَمْ يُحْرَمُوا حُسْنَ الْغِذاءِ وأُمُّهُمْ	دَحَقَتْ عَلَيْكَ بِنَاتِقٍ مِذْكَارِ	النابغة	٤/ ٤٣٧
مَنْ كان مسروراً بمقْتَل مالكٍ	فليأتِ نِسْوتَنا بوجهِ نهارِ	الربيع بن زياد العبسي	٢/ ٤٦١
فَنَحَا لأُولاها بِطَعْنَةِ مُحْفَظٍ	تَمْكُو جَوَانِبُهَا مِنَ الإِنْهَارِ	الطرماح	٤/ ٥٥٦

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
وَشَـارِبٍ مُرْبِـحٍ بِالـكَأْسِ نَادَمَنِي	لا بِالَحصُـورِ وَلا فِيهَـا بِسَـوَّارِ	الأخطل	٢/ ٤٠١
وَأَبِي الَّذي تَركَ الْمُلُوكَ وَجَمْعَهُمْ	بِهُضَـامَ هـامِـدَةً كَـأَمْـسِ الـدَّابِـرِ	بلا نسبة	١٠/ ٢٠
ولَقَـدْ جَنَيْتُـكَ أَكْمُـؤاً وَعَسَـاقِلاً	ولقَـدْ نَهَيْتُـك عَـنْ بَنَـاتِ الأَوْبَـرِ	بلا نسبة	٨/ ٣٤٧، ١٠/ ١٦٨
أَعْمَـى إِذَا مَـا جَارَتِـي خَرَجَـتْ	حَـتَّـى يُـوَارِيَ جَـارَتِـي السـتْرُ	مسكين الدارمي	٤/ ٤٥٢
رُهْبَـانُ مَدْيَـنَ لَـوْ رَأَوْكِ تنزلُـوا	والْعُصْمُ مِنْ شَعَفِ الْعُقُولِ الفَادِرِ	جرير	٣/ ٥٩٤
شَـهِدَ الحُطَـيْـئَـةُ يـومَ يَـلْقى ربَّـهُ	أنَّ الـولـيـدَ أحـقُّ بـالـعُـذْرِ	الحطيئة	١/ ٤٨٩
لا يَـبْعـدنْ قَـوْمـي الـذيـنَ هُــمُ	سُـمُّ الْـعُــدَاةِ وَآفَــةُ الـجُـزْرِ	خرنق بنت هفان	٣/ ٣٦٦، ٥/ ٣٧٧
ودُعيـتُ فـي أُولـى النَّـدِيِّ وَلَـمْ	يُـنْـظَـرْ إِلــيَّ بِـأَعْـيُـنٍ خُــزْرِ	حاتم الطائي	٦/ ٥٤١
أَبُـنَـيَّ إنَّ أَبَــاكَ غَـيَّـرَ لَـوْنَـهُ	كَـرُّ اللَّيَالِـي واخْتِـلاَفُ الأَعْصُـرِ	باهلة بن يعصر	٣/ ٣٢٦
وَلأَنْــتِ أَحْسَنُ إِذْ بَــرَزْتِ لَنَا	يَـوْمَ الْـخُـرُوجِ بِسَـاحَةِ الْقَصْـرِ	حسان بن ثابت	٩/ ١٦٦
فَـتَـذَكَّـرَا ثَقَلا رَثِـيـداً بَعْدَ مَا	أَلْقَـتْ ذُكاءُ يَمِينَـهَا فـي كافِـرِ	ثعلبة بن صعير	١/ ٢٧٨
يَـا وَيْـحَ نَفْسِـي كَانَ جِلْـدَةُ خَالِـدٍ	وبَيَـاضُ وَجهِـكَ لِلتُّـرَابِ الأعْفَرِ	أبو كبير الهذلي	١/ ٢٣٢
يَلْقَـى السُّـيُوفَ بِوَجْهِـهِ وبِنَحْـرِهِ	وَيُـقِيـمُ هَامَـتَـهُ مَقَـامَ الْمِغْـفَــرِ	متنازع النسبة	٨/ ٣٩٤
وَكَــأَنَّ طَـعْـمَ الـزَّنْجَبِيل بِــهِ	إِذْ ذُقْـتَـهُ وَسُـلَافَـةَ الْـخَـمْــرِ	المسيب بن علس	١٠/ ٦٤
مِـنْ دُونِهِـمْ إِنْ جِئْتَهُـمْ سَـمَراً	عَـزْفُ الْقِيَـانِ وَمَجْلِسٌ غَمْـرُ	ابن أحمر	٧/ ١٢٦
لِـمَـنِ الـدِّيـارُ بقُـنَّـةِ الحِجْــرِ	أَقْوَيْـنَ مـن حِجَـجٍ ومـن دَهْـرِ	زهير	٥/ ٩٧
إِنِّـي ضَمِنْـتُ لِمَـنْ أَتاني مـا جَنَى	وَأَبـي فـكانَ وكُنْـتُ غَيْـرَ غَـدُورِ	الفرزدق	٩/ ١٤٢
رَدَّتْ صَنَـائِـعُـهُ إِلَـيْـهِ حَيَـاتَـهُ	فَـكَـأَنَّـهُ مِــنْ نَـشْـرِهَـا مَنْشُورُ	التيمي	١٠/ ٢٧
يَتَبَـوَّءُونَ مَقَاعِـداً لِقِتَـالِـكُـمْ	كَـلُيُـوثِ غَـابٍ لَـيْـلُـهُـنَّ زَئِـيـرُ	امرؤ القيس	٥/ ٢٣١

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
أَلِفَ الصُّفُونَ فَلَا يَزَالُ كَأَنَّهُ	مِمَّا يَقُومُ عَلَى الثَّلَاثِ كَسِيراً	بلا نسبة	٨/ ٣٣٢
عَقَبَ الرَّذَاذ خِلافَهَا فَكَأَنَّمَا	بَسَطَ الشَّواطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرَا	الحارث بن خالد المخزومي	٦/ ٢٦٠
عَقَبَ الرَّبِيعُ خِلَافَهُمْ فَكَأَنَّمَا	بَسَطَ الشَّوَاطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرا	الحارث بن خالد	٥/ ٥٢
نُبِّئْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أُوقِدَت	وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كُلَيْبُ المجْلِسُ	المهلهل	١/ ٣٢٧
يَسْقونَ مَنْ وَرَدَ الْبَريصَ عَلَيْهِمُ	بَرَدَى يُصَفَّقُ بِالرَّحيقِ السَّلْسَلِ	حسان بن ثابت	١٠/ ١٠٢، ١٠/ ١٧٧
بَقَّيْتُ نَفْسِي وانْحَرَفْتُ عَن العُلا	ولَقِيتُ أَضْيَافِي بوجه عَبُوسِ	الأشتر النخعي	١/ ٦٢٤
حَنَقاً عَلَيَّ وَلَا أَرَى	لِيَ مِنْهُمَا شَرّاً بَئِيسَا	ذو الأصبع العدواني	٤/ ٤٢٧
بِحَدِيثِكِ اللَّذِّ الذِي لَوْ كُلِّمَتْ	أُسْدُ الْفَلَاةِ بِهِ أَتَيْنَ سِراعاً	بلا نسبة	٨/ ٢٥٠
وإِذَا هُمُ طَعِمُوا فَألأمُ طَاعِمٍ	وإِذَا هُمُ جَاعُوا فشَرُّ جِيَاعِ	بلا نسبة	١/ ٣٨٢
وعليهما مَسْرُودَتانِ قَضَاهُما	دَاوُدُ أَو صَنَعُ السَّوَابغ تُبَّعُ	أبو ذؤيب	٥/ ١٥٩، ٨/ ٧٧، ٨/ ٥٠٤
ذَكَر الوُرودَ بها فأجمع أمْرَه	شَوْقاً وأَقْبل حَيْنُه يَتَتَبَّعُ	أبو ذؤيب	٥/ ٢١٥
حَدَّثْتَ نَفْسَكَ بِالْوَفَاءِ ولَمْ تَكُن	لِلْغَدْرِ خَائِنَةً مُغِلَّ الإِصْبَعِ	الكلابي	٣/ ٤٥٧
سَبَقوا هَوَيَّ وأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمُ	فَتُخِرِّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ	أبو ذؤيب الهذلي	١/ ٣٧٦، ٥/ ٤٢٨
سَبَقوا هَوَيَّ وأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمُ	فَتُصرِّعُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصرَعُ	أبو ذؤيب	٤/ ١٨٧
حَتَّى كَأني لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةٌ	بصَفَا المُشَقَّر كُلَّ يَوْم تُقْرَع	أبو ذؤيب الهذلي	١/ ٦٠٨، ٢/ ٢٠٧

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
ولقد علمتُ ولا محالة أنني	لِلحادِثاتِ فهلْ تَرَيْنِي أَجْزَعُ	متمم بن نويرة	٤/ ٦٠٨
لمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ	سُورُ المَدينةِ وَالجِبَالُ الخُشَّعُ	جرير	٩/ ٤٠٧، ٦/ ٥٥٨، ٨/ ٦٧٧
فَنَكَرْنَهُ فَنَفَرْنَ وامْتَرَسَتْ بِهِ	هوْجاءُ هادِيةٌ وهادٍ جُرْشُعُ	أبو ذؤيب	٥/ ٣٤٢
قَوْمٌ إذا سمِعوا الصِّياحَ رأَيْتَهُمْ	ما بَيْنَ مُلْجِمِ مُهْره أَوْ سافِعِ	عمرو بن معدي كرب	١٠/ ٣٢١
فَصَبَرْتُ نفْساً عندَ ذَلِكَ حُرَّةً	تَرْسُو إذَا نَفْسُ الْجَبَانِ تَطَلَّع	عنترة	٥/ ٣٠٩
ظَلَمَ الْبِطَاحَ بِهَا انْهِلالُ حَرِيصَةٍ	فصَفَا النِّطَافُ لَهُ بُعَيْدَ الْمُقْلَع	عمرو بن قميئة	١/ ٣٦٨
إنَّ الأحَامِرَة الثَّلاثَةَ أَتْلَفَتْ	مَالي وكُنْتُ بِهِنّ قِدْماً مُولَعاً	الأعشى	٤/ ١٢٢
أَسُمَيُّ ويْحَكِ هل سَمِعْتِ بغَدْرَةٍ	رُفِعَ اللِّواءُ لنا بِها فى المَجْمَعِ	الحادرة	٢/ ٦٨٣
سَفرَيْنِ سَنَّهُمَا لَهُ ولِغَيْرِهِ	سَفَرُ الشِّتاءِ ورحْلَةُ الأَصْيافِ	مطرود بن كعب	١٠/ ٣٨٤
أَزُهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَصْرِفِ	أَمْ لا خُلُودَ لِباذِلٍ مُتَكَلِّفِ	أبو كبير الهذلي	٦/ ٣٩٦
أَنَّى ألَمَّ بِكَ الخَيَالُ يَطيفُ	ومَطافُه لكَ ذُكْرَةٌ وشُغوفُ	كعب بن زهير	٤/ ٤٨٠
نَادَيْتُ بِاسْمِ رَبيعَةَ بْنِ مُكَدَّمٍ	إِنَّ المنوَّهَ بِاسْمِهِ الْمَوْثُوقُ	بلا نسبة	٦/ ٥٧٢
لاَ يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ	وَمِحَالُهُمْ عَدْواً مِحالَكْ	عبد المطلب	٥/ ٥٩٤
ما تَأْتَمِرْ فِينَا فَأَمْ	رُكَ في يَمِينِكَ أَوْ شِمالِكْ	بلا نسبة	٧/ ٤٩٠
إنَّ عَمَّيَّ اللَّذَا	قَتَلَا الْمُلُوكَ	الفرزدق	٨/ ٤٠٠
قَلِقٌ لأَفْنَانِ الرِّيَا	حِ لِلاَقِحٍ منها وحائل	الطرماح	٥/ ٧٠٧
مِنْ كُلِّ مُجْتَنَبٍ شَدِيدٍ أَسْرُهُ	سَلِسِ الْقِيَادِ تَخالُهُ مُخْتالا	الأخطل	١٠/ ٧١

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
مَازِلْتَ تَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ	خَيْلاً تَكُرُّ عَلَيْهِمُ وَرِجَالاً	جرير	٩/ ٥٣٧
وَلَقَدْ عَطَفْنَ عَلَى فَزَارَة عَطْفَةً	كَرَّ المَنِيحِ، وَجُلْنَ ثَمَّ مَجَالا	الأخطل	١/ ٦٢٦، ٢/ ٢١
نصروا نبِيَّهمُ وشَدُّوا أَزْرَهُ	بِحُنَيْنَ يوم تواكُلِ الأبْطَالِ	حسان بن ثابت	٤/ ٦٧٩
ترْمِي العِضَاهَ بِحَاصِبٍ مِنْ ثَلْجِهَا	حَتَّى يَبِيتَ عَلَى العِضَاهِ جُفَالاً	الأخطل	٦/ ٢٤٨، ٧/ ٥٨٠
إنَّا إذا احْمَرَّ الوغَى نروي القَنَا	ونَعِفُّ عِنْدَ مَقَاسِمِ الْأَنْفَالِ	عنترة	٤/ ٤٨٩
انعق بضَأْنِكَ يا جَريرُ فإنمَا	مَنَّتْكَ نَفْسُك في الخَلاءِ ضَلالا	الأخطل	١/ ٦٣١
كُنْتَ القَذى في مَوْجِ أَكْدَرَ مُزْبِدٍ	قَذَفَ الأَتِيُّ بِهِ فَضَلَّ ضَلَالا	الأخطل	٢/ ٤٥٦، ٧/ ٦٩٣
أَبَنِي كُلَيْبٍ إنَّ عَمَّيَّا اللَّذا	نَالا الْمُلُوكَ وَفَكَّكَا الأَغْلالا	ثابت بن قاسم	٣/ ٧٠٩
حَفَدَ الوَلائِدُ بَيْنَهُنَّ وَأُسْلِمَتْ	بِأَكُفِّهِنَّ أَزِمَّةُ الأَجْمَالِ	جميل بن معمر	٦/ ٨١
مِثْلِ ابنِ بزْعَةَ أَوْ كآخَرَ مِثْلِهِ	أَوْلَى لَكَ ابْنَ مُسِيمَةِ الأَجْمَالِ	الأخطل	٦/ ١٩
خَودٌ كَأَنَّ فِرَاشَهَا وُضِعَتْ بِهِ	أَضْغَاثُ رَيْحَانٍ غَدَاةَ شَمَالِ	ابن مقبل	٥/ ٤٧١
يُغْشَوْنَ حَتَّى ما تَهِرُّ كِلابُهُمْ	لا يَسْأَلونَ عَنِ السَّوَادِ المُقْبِلِ	حسان بن ثابت	٥/ ٦٨٨
بِزُجَاجَةٍ رَقَصت بِمَا فِي قَعْرِهَا	رَقَصَ القَلُوصِ بِرَاكِبٍ مُسْتَعْجِلِ	حسان بن ثابت	٤/ ٧٣٤
في الآلِ يخْفِضُهَا ويَرْفَعُهَا	رِيعٌ يَلُوحُ كَأَنَّهُ سَحْلُ	المسيب بن علس	٧/ ٣٦٩
وَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ الْفِجَاجَ رَأَيْتَهُ	يَهْوِي مَخَارِمَهَا هُوِيَّ الأَجْدَلِ	أبو كبير الهذلي	٥/ ٦٧٤
ضَرَبَتْ عَلَيْكَ العَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا	وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الكِتَابُ المُنْزَلُ	الفرزدق	٦/ ٣٢٤
كِلْتَاهُمَا حَلبُ الْعَصِيرِ فَعَاطِنِي	بِزُجَاجَةٍ أَرْخَاهُمَا لِلْمَفْصِلِ	حسان بن ثابت	٧/ ٢٣٩

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
وَمَعِي لَبُوسٌ لِلْبَئِيسِ كَأَنَّهُ	رَوْقٌ بِجَبْهَةِ ذِي نعَاجٍ مُجْفَلِ	أبو كبير الهذلي	٦/ ٧٠٥
فــكــأنَّــمــا	يــمْــكُــو بــأعــصــمَ عــاقــل	بلا نسبة	٤/ ٥٥٦
صَـلِّ لِـرَبِّـكَ وَاتَّـخِـذْ قَـدَماً	يُـنْجِيكَ يَـوْمَ الْـعِثَارِ والـزَّلَـلِ	وضاح اليمن	٩/ ١٥٥
نسؤوا الشهورَ بها وكانوا أهلَها	مـن قبلكـم والعزُّ لـم يتحـوَّلِ	أمية بن الأسكر الليثي	٤/ ٧١٤
قَتَلُوا ابْن عَفَّانَ الْخَلِيفَةَ مُحْرِماً	وَدَعَـا فَلَمْ أَرَ مِثْلَه مَخْذُولا	الراعي	٦/ ١٨١
إِنَّ الَّـتـي أَبْـصَـرْتُـهَـا	سَـحَـراً تُـكَـلِّـمـني رسُـولُ	أبو نواس	٧/ ٣٤١
حَتّى إذا لَـمْ يَتْرُكـوا لِعِظامِـهِ	لَحْماً، ولا لِـفُـؤادِهِ مَـعْـقُـولا	الراعي	٥/ ٤٢٥
أَخليفَـةَ الرَّحْمـنِ إِنَّ عَشِـيرَتي	أَمْسَـى سَـوامهُـمُ عِـزِيـن فـلـولاً	الراعي	٩/ ٦٩٢
ومُـبَـرَّأ مِـنْ كُـلِّ غُـبَّـرِ حَيْضَةٍ	وَفَسَـادِ مُـرْضِعَـةٍ وَدَاءٍ مُغْـيِـلِ	أبو كبير الهذلي	٤/ ٣٢٢
فَأَفَضْـنَ بَعْـدَ كُظُومِهِـنَّ بِجِـرَّةٍ	مِنْ ذِي الأَبَاطِحِ إِذْ رَعَيْنَ حَقِيلا	الراعي	٢/ ٦٠٨
بُنِيـتْ مرافِـقُهـنَّ فـوقَ مَـزَلَّـةٍ	لا يسْـتطيعُ بهـا القـرادُ مَقِيـلا	الراعي	٢/ ٣٣
قَـوْمٌ عَلَى الإِسْـلامِ لمَّا يَمْنَعوا	مـاعُونَـهُـمْ وَيُضَيِّـعُـوا التَّـهْليـلا	الراعي	١٠/ ٣٩٠
وَسْنانُ أَقْصَدَه النُّعاسُ فَرَنَّقَتْ	في عينِه سِـنَـةٌ ولـيْـسَ بِنَائِم	عدي بن الرقاع	٢/ ١٥٨، ٤/ ٥١٤
يَتَقَارَضونَ إِذَا الْتَقَوْا في مَجْلِسٍ	نَـظَـراً يُـزِيـلُ مَـواطِـئ الأَقْـدام	بلا نسبة	٩/ ٦٤٨
إِنَّا لَنَضْربُ بالسُّيُوف رُؤُوسَهُمْ	ضَـرْبَ الْـقُـدَار نَقيعَةَ القُدَّام	المهلهل	٩/ ٢٩٤
قالتْ هلُمَّ إلى الحديثِ فقُلْتُ لا	يـأْبـى عليْكِ اللهُ والإسـلامُ	متنازع النسبة	٣/ ٩٦
ذُمَّ الْمَنَـازِلَ بَعْـدَ مَنْزِلَـةِ اللِّـوَى	والْعَيْشَ بَعْدَ أُولَـئِـكَ الأَيَّـام	جرير	٦/ ٢٠٦
وَمَقَامَـةٍ غُلْـبِ الرِّقَـابِ كَأَنَّهُـمْ	جنٌّ لَـدَى بـابِ الْحَصِير قيامُ	لبيد	٦/ ١٦٤

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
فَوَسَطْنَ جَمْعَهُمُ وأَفْلَتَ حَاجِبٌ	تَحْتَ الْعَجاجَةِ في الغُبارِ الأَقْتَمِ	بشر بن أبي خازم	١٠/ ٣٥٧
وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْـرَأَ سُقْمَهَا	قِيلُ الْفَوارِسِ: وَيْكَ عَنْتَرُ أَقْدِم	عنترة	٧/ ٥٤٠
وَوَطِـئْـتَـنَـا وَطْــأً علَى حَنَقٍ	وَطْءَ الْمُقَيَّدِ نـابِـتَ الْـهَـرْمِ	الحارث بن وعلة	٩/ ٧٥
العاطِفُونَ تَحينَ ما مِنْ عَاطِفٍ	والمُطْعِمُونَ زمانَ ما منْ مُطْعِم	أبو وجزة	٨/ ٣٠٥
وحَليـلِ غانيـةٍ ترَكـتُ مُجَـدَّلاً	تَمكُو فَريصَتُهُ كشِدْقِ الأعلَمِ	عنترة	٤/ ٥٥٦
فَغدَوْتُ في غَلَسِ الظَّلَام وطَيْرُهُ	عُصَبٌ على خَضِلِ الْعِضَاهِ جُثُومُ	لبيد	٧/ ٥٧٨
ولَقَدْ أبيتُ منَ الْفَتَاةِ بِمَنْزِلٍ	فَأَبِيـتُ لَا حَـرِجٌ ولا مَحْـرُومُ	الأخطل	٦/ ٥٣٣
قَدْ كُنْتُ أغْنَى النَّاسِ شَخْصاً وَاحِداً	وَرَدَ الْمَدِينَةَ عَنْ زِرَاعَـةِ فُومِ	أحيحة بن الجلاح	١/ ٤٢٢
أَوْ مِسْحَلٍ عَمِلٍ عِضادَةَ سَمْحَجٍ	بِـسَـرَاتِـهَـا نَــدَبٌ لَـهُ وكُـلـومُ	لبيد	١٠/ ١٠١
لا تَنْـهَ عـن خلُـق وتأتـيَ مثلَـه	عـارٌ عليـك إذا فعلـتَ عظيـمُ	متنازع النسبة	٤/ ٥٤٣
سَفَهاً عَذَلْتِ ولُمتِ غيْرَ مُليم	وهَـذَاكِ قَبْلَ الْيَوْم غَيْرُ حَكِيم	لبيد	٨/ ٢٨٧
وَغَـدَاةَ قَـاعِ القُرْنَتَيْنِ أَتَيْتهُمْ	زُجَـلاً يَلُوحُ خِلالَهَا التَّسْوِيمُ	لبيد	٢/ ٣٤٦
وَمُخَلَّـدَات بِـاللُّجَيْـنِ كَـأَنَّـمَـا	أَعْـجـازُهُـنَّ أَقَــاوِزُ الكُثْبانِ	بلا نسبة	١٠/ ٦٦
واعْلَمْ يَقِيناً أنَّ مُلْكَكَ زَائـلٌ	واعْـلَـمْ بَـأَنَّ كَمَا تَدِينُ تُـدَانُ	ابن نفيل	١/ ٢٤٠
وَإِذَا يُقَـالُ أَتَيْتُـمُ لَـمْ يَبْرَحُـوا	حَتَّى تُقِيمَ الخَيْلُ سُوقَ طِعَانِ	مرار الفعقسي	١/ ٢٧٤، ١/ ٣٨٥
قَـوْمٌ هُمُ قَتَلَوا ابْـنَ هِنْد عَنْوَةً	عَمْراً وَهمْ قَسَطُوا عَلَى النُّعْمانِ	الفرزدق	٩/ ٧٢١
والـعِـزُّ مَـطْـلُـوبٌ ومُلْتَمَسٌ	وأَحَـبُّـهُ مـا نيل فـي الْـوَطَـنِ	بلا نسبة	٨/ ١٩١
وَلَقَدْ تَسَاقَطَنِي الوُشَاةُ فَصَادَفُوا	حَصِرًا بِسِرِّكِ يَا أُمَيْم ضَنِينَا	جرير	٢/ ٤٠١
فَـصَـدَقْـتُـهـا وَكَـذَبْـتُـهـا	وَالْـمَـرْءُ يَـنْـفَـعُـهُ كِـذَابُـه	الأعشى	١٠/ ١٠٦

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
قَــالَــتْ قُــتَـيْـلَـةُ مـا لَــهُ	قَــدْ جُـلِّـلَـتْ شَـيْـباً شَـواتُـهْ	الأعشى	٩/ ٦٨٣
يَـابْـنَ الَّـذِيـنَ بِـمـجـدِهِـمْ	بَـسَـقَـتْ عَـلَـى قَـيْـسٍ فَـزَارَهْ	ابن نوفل	٩/ ١٣٦
والْـمَـوْتُ أَعْـظَـمُ حـادِثٍ	مـمـا يَـمُـرُّ عَـلَـى الـجِـبِـلَّـه	متنازع النسبة	٧/ ٣٨٠
مَــنْ كــانَ يَـخْـلُـقُ مـا يقو	لُ فَـحِـيلَـتِـي فِـيـهِ قَـلِـيلَــه	بشار	١/ ٣٣٨، ٢/ ٤٢٤، ٣/ ٦٧٦
جَـعَـلـت لَـهَـا عُـودَيْـن مِـنْ	نَـشَـمٍ وآخَـرَ مِـنْ ثُـمَـامَـهْ	عبيد بن الأبرص	٧/ ٤٦٤، ٩/ ٢٤٨
عَـيُّـوا بِـأَمْـرِهِـمُ كَـمَـا	عَـيَّـتْ بِـبَـيْـضَـتِـهَـا الْحَـمَـامَـهْ	عبيد بن الأبرص	٤/ ٥٨١، ٩/ ١٣٩
فَـالـرِّيـحُ تَـبْـكِـي شَـجْـوَهَـا	والْـبَـرْقُ يَـلْـمَـعُ فـي الْـغَـمَـامَـهْ	يزيد بن مفرغ	٨/ ٦٧٨
وشَـرَيْـتُ بُـرْداً لَـيْـتَـنـي	مِـنْ بَـعْـدِ بُـرْدٍ كُـنْـتُ هَامَه	يزيد بن مفرّع	١/ ٧٤٨، ٥/ ٤٣٠
مِـنْ كُـلِّ مَـا نَـالَ الـفَـتَـى	قَـدْ نِـلْـتُـهُ إلا الـتَّـحِـيَّـهْ	زهير بن جناب	٥/ ١٥٧
رَاحُـوا بَصَائِرَهُـمْ عَلَـى أَكْتَافِهِـمْ	وبَصِيرَتِـي يَعْـدُو بِهَـا عَتَـدٌ وَأَي	الأسعر الجعفي	٤/ ٩٦، ٨/ ٧٠٤
بَكَرَتْ تَلُومُكَ بَعْدَ وَهْنٍ فِي النَّدَى	بَسْـلٌ عَلَيْـكِ مَلَامَتِـي وَعِتَابِـي	ضمرة النهشلي	٤/ ٣٥
وَرَفَعْـتُ رِجْـلاً لا أَخَـافُ عِثَارَهَا	وَنَبـذْتُ بالْبَلَـدِ الْعَـرَاءِ ثِيَابِـي	قيس الخزاعي	٨/ ٢٨٩
فَرَفَعْـتُ رِجْـلاً لا أَخـافُ عِثارَهَـا	ونبـذتُ بـالأَرْضِ الْعَـراءِ ثيابـي	رجل من خزاعة	٩/ ٦٤٧
إِنَّ الرِّجَـالَ لَهُـمْ إِلَيْـكِ وَسِـيلَةٌ	إنْ يَأْخُذُوكِ تَكَحَّلِي وَتَخَضَّبِي	عنترة	٣/ ٤٩٧
إِنَّ المَنِيَّـةَ والْحُتُـوفَ كِلَاهُمـا	يُوفـي الْمَخَـارِمَ يَرْقُبَـانِ سَـوَادي	الأسود بن يعفر	٧/ ٣٠٨

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
يعْطى بِـهَـا ثـمَـناً فيَـمْنعـهَـا	ويـقـولُ صَـاحِـبُـهُ ألا تشْرِي	المسيب بن علس	١/ ٧٤٨
وَلأنْـتَ تَفْـرِي مـا خَلَقْـتَ وَبَـعْ	ضُ القَـوْمِ يخْلُـقُ ثـمَّ لا يَفْـرِي	زهير بن أبي سلمى	١/ ٣٣٨، ٢/ ٤٢٤، ٣/ ٦٧٦، ٧/ ٩٦، ٧/ ٢٦٥، ٨/ ٢٨٤
وكـأنها بـيـن النساءِ سَـبِيكـةٌ	تَـمْشِي بِسُـدَّةِ بَـيْـتها فَـتُعِـيّ	بلا نسبة	٤/ ٥٨٢
هَبَّـتْ لِتَعْـذُلَنِي بليْـل اسْـمَعِي	سَـفَهاً تُبَيِّتُـكِ الملامَـةُ فَاهْجَعِي	النمر بن تولب	٣/ ٢٣١
فَرَمَيْتُ فَـوْقَ مُـلاءَةٍ مَحْبُوكَةٍ	وَأَبَـنْـتُ لِلأَشْهَادِ حَـزَّةَ أَدَّعِـي	الهذلي	٩/ ٥١٥

البحر المتقارب وجوازاته

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
إذَا مَـا رَمَـوْنَـا رَمَـيْـنَـاهُـم	ودِنَّـاهُـمُ مِـثْـلَ ما يُقْرِضُونَا	كعب بن جعيل	١/ ٢٤٠
فـلـمَّـا تـبـيَّـنَّ أصـواتَـنـا	بـكَـيْـنَ وفـدَّيـنَـنـا بالأبينا	زياد بن واصل	١/ ٥٧٥
هَمَمْتُ بِنَفْسِي كُـلَّ الْهُمُومِ	فَـأَوْلَـى لِنَفْسِي أَوْلَـى لَهَا	الخنساء	١٠/ ٤٧
ويَـهْـمَـاءَ قَـفْـرٍ تَـجَـاوَزْتُـهَـا	إِذَا خَـبَّ فـي رِيـعِـهَـا آلُـهَـا	الأعشى	٧/ ٣٧٠
فَـلَا مُـزْنَـةٌ وَدَقَـــتْ وَدْقَـهَـا	وَلا أَرْضَ أَبْـقَـلَ إِبْـقَـالَـهَـا	عامر بن جوين الطائي	٦/ ٢٠٩، ٧/ ٢٤٠، ٧/ ٦٤٢

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
بـأحـسـنَ مـنـهـا ولا مُـزنـةٌ	دَلــوحٌ تـكـشَّـفُ أَدْجـانُـهـا	قيس بن الخطيم	٤/ ٢٩٥
فما رَوْضَــةٌ من رِيـاضِ القَطا	كـأنَّ المصَابيحَ حُـوذانُـهـا	قيس بن الخطيم	١/ ٣١١، ٥/ ٥٩٠
لأَصْـبَـحَ رَتْماً دُقَـاقُ الْحَصى	مَـكَـانَ الـنَّـبـيِّ مِـنَ الـكَـاثِـبِ	أوس بن حجر	٤/ ٤٠٩
أَلَمْ تُكْسَفِ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ وَال	كَـوَاكِـبُ لِلْجَبَلِ الْـوَاجِـبِ	أوس بن حجر	٧/ ٥٥
وَكَيْفَ تُوَاصِلُ مَنْ أَصْبَحَتْ	خُـلالَـتُـهُ كَـأَبـي مَـرْحَـبِ	النابغة الجعدي	٨/ ٧٢٨
إلـى بَـلَـد غَـيْـر دانـي المحَلّ	بعيدِ المراغَم والمضْطَرَبْ	بلا نسبة	٣/ ٢٧٧
كَـطَـوْدٍ يُـلاذُ بِـأَرْكَـانِـهِ	عَـزِيـزِ الـمـراغَـمِ وَالـمـهْـرَبِ	النابغة الجعدي	٣/ ٢٧٦
فـإنَّ أَبَـا الـمـرْءِ أَحْـمَـى له	ومَـوْلَـى الكَلالَة لا يَغضَبُ	بلا نسبة	٣/ ٥٠
فَـلَا تَـكُ فِـي حَرْبِنَا مِحْضَباً	لِتَجْعَلَ قَـوْمَـكَ شَتَّى شُعُوبَا	الأعشى	٦/ ٧٢٥
وَفِــي كُــلِّ شــيءٍ لَــهُ آيَـةٌ	تَــدُلُّ عـلـى أَنَّــهُ وَاحِــدُ	أبو العتاهية	٢/ ٧٣٠، ١٠/ ٢٠٠
فَـإِن تَـدْفِـنُـوا الـدَّاءَ لَا نَخْفِهِ	وَإِنْ توقدوا الْحَرْبَ لَا نَقْعُدُ	امرؤ القيس	٦/ ٥٧٥
وَبَـيَّـتَ قَـوْلِـيَ عَـنْـدَ الْمَلِي	كِ قاتلَكَ الله عَـبْـداً كَـنُـودَا	عامر بن جوين الطائي	٣/ ٣٠٦
يُــرَاوِحُ مِـنْ صَـلَـوَاتِ الْمَلِي	كِ طَوْراً سُجُوداً وَطَـوْراً جُؤَارَا	الأعشى	٦/ ٦٢، ٧/ ١٢٤
أَكُـلَّ امـرئٍ تَحْسَبِينَ امْـرَأً	ونـارٍ تَـوَقَّـدُ بـالـلَّـيْـلِ نـارَا	أبو دؤاد	٤/ ٦٢٧، ٦١٩، ٥/ ٢١٧، ٨/ ٦٩٣

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
فَلَمَّا بَصَرْنَ بِهِ غَدْوَةً	وَلاحَ مِنَ الْفَجْرِ خَيْطٌ أَنَارَا	أبو دؤاد	١/ ٦٨٥
أَلِكْني إِلَيْهَا وَخَيْرُ الرَّسُو	لِ أَعْلَمُهُمْ بنَوَاحِي الْخَبَرْ	أبو ذؤيب الهذلي	٧/ ٣٤١
سَلَامُ الإِلَهِ وَرَيْحَانُهُ	وجَنَّتُهُ وَسَمَاءٌ دِرَرْ	النمر بن تولب	٩/ ٣١٢، ٩/ ٣٨٧
وَفَرَّتْ ثَقيفٌ إِلَى لَاتِهَا	بمُنْقَلَبِ الْخَائِفِ الْخَاسِرِ	ضرار بن الخطاب	٩/ ٢٤٦
وسالفةٍ كَسَحُوقِ الليا	نِ أضرمَ فيها الغَوِيُّ السَّعَرْ	امرؤ القيس	٢/ ٥٧١، ٩/ ٤٦٥
فَلَا وَأَبِيكِ ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ	لا يَدَّعي الْقَوْمُ أَنِّي أَفِرّ	امرؤ القيس	١٠/ ٣٠
أَتَوْني فَلَمْ أَرْضَ ما بيَّتُوا	وكانوا أَتَوْني بأَمرٍ نُكُرْ	عبيدة بن همام	٣/ ٢٣٠
أَرَى النَّاسَ قَدْ أَحْدَثُوا شِيمَةً	وفي كُلِّ حادِثَةٍ يُؤْتَمَرْ	النمر بن تولب	٧/ ٤٩٠
أَحَارِ بْنَ كَعْبٍ كَأَنِّي خَمِرْ	ويَعْدُو على الْمَرْءِ ما يَأْتَمِرْ	ربيعة بن جشم	٧/ ٤٩٠
لَهُ مَتْنَتَان خَظَاتَا كَمَا	أَكَبَّ على سَاعِدَيْهِ النَّمِرْ	امرؤ القيس	٤/ ٤٥٨
وقَتْلَى كَمِثْلِ جُذوعِ النَّخيلِ	تَغَشَّاهُمُ مُسْبِلٌ مُنْهَمِرْ	أوس بن حجر	٨/ ٥٥٤
كَأَنَّ جَنِيّاً مِنَ الزَّنْجَبي	ل باتَ بِفِيهَا وَأَرْياً حَشُورَا	الأعشى	١٠/ ٦٤
وَأَعْدَدْتَ للْحَرْبِ أَوْزَارَهَا	رِمَاحاً طِوَالاً وَخَيْلاً ذُكُورا	عمرو بن معدي كرب الزبيدي	٩/ ١٠
فَبَانَتْ وَقَدْ أَسأَرَتْ في الْفُؤَا	دِ صَدْعاً عَلَى نَأْيِهَا مُسْتَطِيرَا	الأعشى	١/ ٢٠١، ١٠/ ٥٧
جيادُك خَيْرُ جيادِ الْمُلُوكِ	تُصانُ الجِلالَ وتُنْطَى الشَّعِيرا	الأعشى	١٠/ ٣٩٣
وَمِنْ نَسْجِ داودَ مَوْضُونَةٌ	تَسيرُ مَعَ الحَيِّ عِيراً فَعِيراً	الأعشى	٩/ ٣٥٤
فَأَكْرِمْ بقَحْطَانَ مِنْ وَالِدٍ	وبالْحِمْيَرِيِّينَ أكْرِمْ نَفيرَا	تبع الحميري	٦/ ١٦٢

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
إذا كان هـادي الْفَتَـى فـي الْبـلا	د صَـدْرَ الْقَنَـاةِ أَطَـاعَ الأميـرَا	الأعشى	٦/ ١٧٥
إذَا مَـا الضَّجِيـعُ ثَنَـى جِيدَهَـا	تَدَاعـت فَكَانَـتْ عَلَيْـهِ لِبَاسـا	النابغة الجعدي	١/ ٦٨٣، ٦/ ١٢٥
يُضِيءُ كَضَـوْءِ سِـرَاجِ السَّلي	طِ لَـمْ يَـجْعَـلِ اللهُ فيـهِ نُحَاسَـا	الأعشى	٩/ ٣٢٧
سبقْـتَ إِلـى فَــرَطٍ بَـاهِـلٍ	تَـنَـابِلَـةٍ يَحْفُـرُونَ الـرِّسَـاسَـا	النابغة الجعدي	٧/ ٢٩٤، ٩/ ١٣٧
فَأَصْبَـحَ مِـنْ ذَاكَ كَـالسَّـامِرِيِّ	إِذْ قَـالَ مُوسَى لَـهُ لا مِسَاسا	النابغة الجعدي	٦/ ٦٢٩
لَبِسْـتُ أُنَـاسـاً فَـأَفْنَـيْـتُـهـم	وأَفْـنَـيْـتُ بَـعْـدَ أُنَــاسٍ أُناسا	النابغة الجعدي	١/ ٦٨٣
نَـحَـرْتُ لَـهُـمْ مَـوْهِـنـاً نَاقَتِي	وَلَـيْـلُـهُـمْ مُـدْلَـهِـمٌّ غَـطِـشْ	الأعشى	١٠/ ١٢٣
أَقَمْنَا لأَهْلِ الْعِرَاقَيْنِ سُوقَ الضِّ	ضِـرَاب فَخَامُوا وَوَلَّـوْا جَمِيعَا	بلا نسبة	١/ ٢٧٤
قَــدْ أَفْــنـى أَنَــامِـلَـهُ أَزْمــة	فَأَضْحَى يَعَضُّ عَلَيَّ الْوَظِيفَا	الهذلي	٥/ ٦٣٩
ولَـمَّـا خشِـيـتُ أَظَـافِـيـرَهُـمْ	نَـجَـوْتُ وَأَرْهَـنْـتُـهُـمْ مَالِكَا	همام بن مرة	٢/ ٢٨٤
وأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ	لـه المـزْنُ تَحْمِـلُ عَذْباً زُلالا	زيد بن عمرو بن نفيل	١/ ٥٣٣
وخَـرْقٍ تَـجَـاوَزْتُ مَجْهُولَهُ	بِوجْنَاءَ خـرْقٍ تَشَكَّى الْكَلالا	جنوب	٦/ ٢٠٨
كَـأَنَّ السَّحابَ دُوَيْـنَ السَّما	ءِ نَـعَـامٌ تَـعَـلَّـق بـالأَرْجُـل	متنازع النسبة	١٠/ ٢٣٩
تَـخَـطـأَتِ الـنَّـبْـلُ أَحْـشَـاءَهُ	وَوخَّــرَ يَـوْمِـي فَـلَـمْ أَعْـجَـلِ	أوفى بن مطر	٦/ ١٩٤
فَـإِنْ كُـنْـتَ سَـيِّـدَنَـا سُـدْتَـنَـا	وإنْ كُنْتَ لِلْخَالِ فَاذْهَبْ فَخُلْ	بلا نسبة	٣/ ١٤٦
أَصَـابَ الْـكَـلَامَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ	فَأَخْطَا الْجَوَابَ لَدَى الْمفْصَل	بلا نسبة	٨/ ٣٣٨
وَمَـا زَالَـتِ الْـخَـمْـرُ تَغْتَالُنَا	وتـذهـب بـالأَوَّلِ الأَوَّلِ	بلا نسبة	٨/ ٢٥١

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
فَـأَلْـفَـيْـتُـهُ غير مُـسْـتَـعْـتِـبٍ	ولا ذَاكِــــــرِ اللهَ إِلَّا قَـلِـيـــلا	أبو الأسود الدؤلي	١/ ٦٣٠، ٤/ ٧٣، ٤/ ٨٢
ويَــوْمَ الـنِّـسَـارِ ويَــوْمَ الْجِفَا	رِ كَـــانَ عقاباً وكَـــانَ غَـرامـاً	بشر بن أبي خازم	٧/ ٣١٧
إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وابنِ الهُمَامِ	ولَيْـثِ الكَتِيبَـةِ فـي الْمُزْدَحَـمْ	بلا نسبة	٥/ ٥٦٣
وفـي ذَاكَ لِلْمُؤْتَسِي أُسْــوَةٌ	ومَـــأْرَبُ عفا عَلَيْهَا الْـعَـرِمْ	الأعشى	٨/ ٩٤
أَفي الطَّوْفِ خِفْتِ عَلَيَّ الرَّدَى	وَكَـمْ مِـنْ رَدٍ أَهْـلَـهُ لَـمْ يَـرِمْ	الأعشى	٨/ ٢٥٧
إِذَا شَــاءَ طـالَـعَ مَـسْـجُـورَةً	تَـرَى حَوْلَهَا النَّبْعَ والسَّمسما	النمر بن تولب	٩/ ٢٠٧
إلى المرءِ قيسٍ أُطيلُ السُّرى	وآخـــذُ مـن كـلِّ حـيٍّ عُصُم	الأعشى	٢/ ٥٣٥
جَهِيرُ الْكَلَام جَهِيرُ العُطَاسِ	جَهِيرُ الــرُّواءِ جَهِيرُ النَّغَمْ	العماني	٧/ ٦٧٠
تَــدُرُّ عَلى أسْــؤُقِ الْمُمْتَرِي	ن رَكْضاً إذا ما السَّرابُ ارْجَحَنْ	الأعشى	١/ ٥٩٨
وَإِنْ يَسْتَضِيفُوا إِلَـى حِلْمِـهِ	يُضَافُـوا إِلَـى رَاجِـحٍ قَـدْ عَـدَنْ	الأعشى	٥/ ٣٥
تَيَمَّمْـتَ قَيْسًـا وَكَـمْ دُونَـهُ	مِنَ الأَرْضِ مِنْ مَهْمَهٍ ذِي شَزَنْ	الأعشى	٢/ ٢١٨، ٣/ ١٦٩
وَنُـبِّـئْـتُ قَـيْـساً ولَــمْ أَبْـلُـه	كَمَا زَعَمُوا خَيْرَ أَهْـلِ الْيَمَنْ	الأعشى	٣/ ٢٠٤
فَهَلْ يَمْنَعَنّي ارْتِـيَـادِي الْبِلا	دَ من حَـذَرِ الْمَوْتِ أَنْ يَأْتِينْ	الأعشى	٢/ ٣٥٨، ٤/ ٤٧٤، ٦/ ٢٤١
مَعَاطِنُ تَهْوِي إِلَيْهَا الْحُقُو	قُ يَحْسَبُهَا مَـنْ رَآهَـا الْفَتِينَا	كعب بن مالك	٩/ ١٧٦
لَـعَـمْـرُكَ مـا إِنْ أَبـو مالكٍ	بـــواهٍ ولا بـضـعـيـفٍ قُـوَاهْ	المتنخل الهذلي	٢/ ٦١٦

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
أَتَجْعَلُ نَهْبِي ونَـهْـبَ الْعَبِي	دِ بَـيْـنَ الأَقْـــرَع وعُـيَـيْـنَـةَ	العباس بن مرداس	٨/ ٢٢١
وَمَنْ خِفْتُ مِنْ جَوْرِهِ في القَضَاءِ	فَمَا خفْتُ جَـوْرَكَ يا عَافِيه	أبو دلامة	٢/ ٢٤١

البحر المجتث وجوازاته

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
مُـــذَمَّـــمـــاً قَـلَـيْـنـا	وَديــنَـــهُ أَبَـيْـنَـا	أم جميل بن حرب	١٠/ ٤١٠

البحر المديد وجوازاته

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
غَـيَّـرَتْـهُ الـرِّيـحُ تَـسْـفِـي بِـهِ	وهَـزِيـمٌ رَعْـدُهُ وَاصِـبُ	حسان بن ثابت	٦/ ٦١
رُبَّـمَـا أَوْفَـيْـتُ فـي عَـلَـمٍ	تَـرْفَـعَـنْ ثَـوْبِـي شَـمَـالاتُ	جذيمة بن مالك	٥/ ٦٩٣
لَـيْـتَـنِـي أَلْـقَـى رُقَـيَّـةَ فِـي	خَـلْـوَةٍ مِـنْ غَـيْـرِ مَـا بَـئِـسِ	ابن الرقيات	٤/ ٤٢٦
وَلَـهَـا بـالـمَـاطِـرونَ إذا	أكَـلَ الـنَّـمْـلُ الـذي جَمَعَا	يزيد بن معاوية	١/ ٦١٧، ٧/ ٣١١
فِي قِبَابٍ حَـوْلَ دَسْكَـرَةٍ	حَـوْلَـهَا الـزَّيْـتُـونُ قَـدْ يَنَعَا	متنازع النسبة	٤/ ٩٠
إِنَّ هَـذا الـلَّـيْـلَ قَدْ غَسقَـا	وشَـكَـوْتُ الْـهَـمَّ والأَرَقَـا	ابن قيس الرقيات	١٠/ ٤١٨
لِـلْـفَـتـى عـقْـلٌ يَـعِـيـشُ بِـهِ	حَـيْـثُ تَـهـدِي سَـاقـهُ قَـدَمُـه	طرفة	٥/ ٧٣٤

البحر المنسرح وجوازاته

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
أبيض لا يرهبُ الـهُـزَالَ ولا	يَقْطَعُ رِحْـمـاً وَلا يخُونُ إلى	الأعشى	٤/ ٣٠٥
القـومُ أَمثـالُـكُم لـهُـم شعـرٌ	في الرأْس لا يُنْشَرون إِنْ قُتلوا	شداخ بن يعمر الكناني	٣/ ٣٠١
خَـلِـيـفَـةُ الـلَّـهِ فـي بَـرِيَّـتِـهِ	جَفَّتْ بِـذَاكَ الأَقْـلَامُ وَالْكُتُبُ	ابن قيس الرقيات	٨/ ٣٢٩
لَـمْ تَـدْرِ مَا لَا وَلَـسْـتَ قَائِلَهَا	عُمْرَكَ ما عِـشْتَ آخِـرَ الأبَـد	حمزة بن بيض	١/ ٢٨٧
يا عيْنُ هـلاَّ بكيْتِ أَرْبَـدَ إِذْ	قُمْنَا وقـام الْخُصومُ في كَبَدِ	لبيد	١٠/ ٢٦٧
فَجَعني الرّعْدُ والصّواعِقُ بالْـــ	ـفَارس يَـوم الكريهَة النَّجُدِ	لبيد	١/ ٣١١
انْظُرْ خليلي بِبَابِ جِلَّقَ هَلْ	تُؤْنِسُ دونَ الْبَلْقاءِ مِـنْ أَحَـدِ	حسان بن ثابت	٧/ ٣٩٩، ١٩٩، ٧/ ٥٠١
أَخشى على أَرْبَـدَ الحُتُوفَ ولا	أَرْهَــبُ نَـوْءَ السِّمَاكِ والأَسَـدِ	لبيد	٥/ ٥٩٣
إنْ يُـغْـبَطُوا يُـهْبَطُوا وإِنْ أَمِرُوا	يَـوْماً يَصيرُوا للْقُلِّ والنَّفدِ	لبيد	٦/ ١٧٥
لا تُنجِزُ الوعْدَ إِنْ وَعَـدْتَ وإن	أَعْطَيْتَ أَعْطَيْتَ تَافِهاً نَكِدَا	بلا نسبة	٤/ ٢٩٧
أصبحت لا أحملُ السلاحَ وَلا	أَمـلـكُ رأسَ البعيرِ إنْ نفَرا	الربيع بن ضبع الفزاري	٢/ ٥٤٢، ٢/ ٦٦٦، ٣/ ٧٢٧، ٦/ ٣٨١
منسحق الجسم غائب حاضر	منتبهُ القـلب صـامتٌ ذاكـر	بلا نسبة	٢/ ٧٣٢
في كَـفِّهِ صَـعْـدَةٌ مُـثَـقَّـفَـةٌ	فيها سِـنَـانٌ كَشُعْلَةِ الْقَبَسِ	أبو زبيد	٧/ ٤٠٠
اصْـرِفَ عنْك الْهُموم طارِقها	ضرْبَك بالسَّوْط قَوْنسَ الْفَرَسِ	طرفة	١٠/ ٣٠١

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
يَا سَيِّدِي إِنْ عَثَرْتُ خُذْ بِيَدِي	ولا تَقُلْ لَا ولَا تَقُلْ تَعْسَا	ابن المعتز	٩/ ١٣
إِنَّ بَنِي جَحْجَبَى وَأُسْرَتَهُمْ	أَكْبادُنَا مِنْ وَرَائِهِمْ تَجِفُ	قيس بن الخطيم	١٠/ ١١٦
تنامُ عَنْ كُبْرِ شَأْنِها فَإِذا	قَامَتْ رُوَيْداً تَكَادُ تَنْقَصِفُ	ابن الخطيم	٧/ ١٨٦
نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا، وأَنْتَ بِمَا	عِنْدَكَ رَاضٍ، والرَّأْيُ مُخْتَلِفُ	عمرو بن امرؤ القيس	٥/ ٢٣، ٥/ ١٥٢، ٤/ ٧٠٣
وَأَنْتَ لَمَّا بُعِثْتَ أَشْرَقَتِ الـ	أرضُ وَضاءَتْ بنُورِكَ الطُّرُقُ	العباس بن عبد المطلب	١٠/ ١٩٠
وأنت لما وُلِدْتَ أشْرقتِ الـ	أرضُ وضَاءَتْ بنُورِك الطرق	العباس بن عبد المطلب	١/ ٣٠٧
لَا مَالَ إِلَّا العِطَافُ تُؤْزِرُهُ	أُمُّ ثَلَاثِينَ وابْنَةُ الْجَبَلِ	بلا نسبة	٩/ ٩١
عُصْرَتُه نُطْفَةٌ تَضَمَّنَهَا	لِصْبٌ تَوَقَّى مَوَاقِعَ السَّبَلِ	بلا نسبة	٦/ ٥٢٥
أَنْجَبَ أَيَّامَ وَالِدَاهُ بِهِ	إِذْ نَجَلاهُ فَنِعْمَ مَا نَجَلاَ	الأعشى	٢/ ٣١٢
والشِّعْرَ قَلَّدْتُهُ سَلامَةَ ذا الـ	تَّفْضَالِ والشيءُ حَيْثُمَا جُعِلا	الأعشى	٦/ ١٧٠
مَجْداً تَلِيداً بَنَاهُ أَوَّلُهُ	أَدْرَكَ عاداً وَقَبْلَهَا إِرَمَا	ابن قيس الرقيات	١٠/ ٢٤٩
مِنْ سَبَأَ الْحَاضِرِينَ مَأْرِبَ إِذْ	يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهَا الْعَرِمَا	النابغة الجعدي	٨/ ٩٤
كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٌ عِدَّةَ الـ	عُمْرِ ومُودٍ إِذَا انْقَضَى أَمَدُهْ	الطرماح	٢/ ٣٧٨
وَلا تُعادِ الفَقِيرَ عَلَّكَ أنْ	تَرْكَعَ يَوْماً والدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ	الأضبط بن قريع	١/ ٣٨٦
لِكُلِّ هَمٍّ مِنَ الْهُمُومِ سَعَهْ	والمُسْيُ وَالصُّبْحُ لا فَلاحَ مَعَهْ	الأضبط بن قريع	١/ ٢٧٨، ٥/ ٦١

بحر الهزج وجوازاته

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
ولَمْ يبْق سِوَى الْعُدْوا	نِ دِنَّاهُمْ كما دَانُوا	الفند الزماني	١/ ٢٣٩، ٥/ ٧١٩، ٧/ ١٩٦، ٩/ ٦٨٨

البحر الوافر وجوازاته

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
وجارٍ سَارَ مُعْتَمِداً إِلَيْكُمْ	أَجَاءَتْهُ الْمَخَافَةُ والرَّجَاءُ	زهير	٦/ ٤٨٥
وَلَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي	أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ	زهير	٤/ ٣٧٣
وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْري	أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ	زهير بن أبي سلمة	٩/ ١٠٨
وَنشْربها فَتَتْرُكُنَا مُلوكاً	وَأُسْداً لا يُنَهْنِهُنَا اللِّقاءُ	حسان بن ثابت	٢/ ٢٢
وشَهْر بَني أُمَيَّةَ والْهَدايا	إذا حبست مُضَرِّجهَا الدِّماءُ	عوف بن الأحوص	٣/ ٣٩٤، ٣/ ٦٤١
كأنَّ سبيئَةً من بيت رأسٍ	يكونُ مِزاجَها عَسلٌ وماءُ	حسان بن ثابت	٤/ ٥٥٥
أَلَا يَا حَمْزُ لِلشُّرُفِ النِّوَاءِ	وَهُنَّ مُعقَّلاتٌ بِالْفِنَاءِ	عبد الله السائب	٣/ ٥٦٣
أَمَنْ يَهجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ	وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ	حسان بن ثابت	٧/ ٥٦٦
أَلا أَبْلِغ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي	فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ	حسان بن ثابت	٥/ ٦٨٠
كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْه فَوْقَ صَعْلٍ	مِنَ الظِّلْمَانِ جُؤْجُؤُهُ هَوَاءُ	زهير	٥/ ٦٨٠
وَإِنَّ مُهَاجِرَيْنِ تَكَنَّفَاهُ	غَدَاتَئِذٍ لقَدْ خَطِئَا وحَابَا	أمية بن الأسكر	٣/ ١٤، ٥/ ٥٣١
وَأَشْمَتَّ العُدَاةَ بِنَا فَأَضْحَوْا	لَدَيْ يَتَبَاشَرُونَ بِمَا لَقِينَا	بلا نسبة	٥/ ٣٩٠

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
إذا رضِيتْ علـيَّ بنو قُشَير	لعمرُ الله أعجبني رِضَاهَا	القحيف العقيلي	١/ ٢٨٨، ٥/ ٧٣٨
وَإنَّ اللهَ ذَاقَ عُقُولَ تَيْمٍ	فَلَمَّا رَاءَ خِفَّتَهَا قَلاهَا	يزيد بن الصقع	١/ ١٩٧
عَرَادَةُ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْم لُوطٍ	ألاَ تَبّاً لما عَمِلُوا تبابا	جرير	٥/ ٣٨٠
فَلَوْ رَفَعَ السَّماءُ إلَيْهِ قَوْماً	لَحِقْنَا بالسَّماءِ مَعَ السَّحَاب	بلا نسبة	٩/ ٧٤٤
ألانَ وقد فَرَغْتُ إلى نُمَيْرٍ	فصِرْتُ عَلى جَمَاعتِها عَذابا	جرير	٥/ ١٥٩
أَثَعْلَبَةَ الْفَوَارسَ أَوْ رِيَاحَا	عَدَلْتَ بِهِمْ طُهَيَّةَ والْخشَابَا	جرير	٩/ ١٩١
وكائِنْ بالأباطح من صَدِيقٍ	يَراني لو أُصِبْتُ هو الُمصابَا	جرير	٢/ ٦٣٢
إذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأرْضِ قَوْم	رَعَيْنَاهُ وَإنْ كَانُوا غِضَابَا	مالك بن معاوية	١/ ٣٢٠، ٣/ ٧٠٤، ٦/ ١٨، ١٠/ ٢٠٩،
وَلَوْ وَلَدَتْ قُفَيْرَةُ جَرْوَ كَلْبٍ	لَسُبَّ بِذَلِكَ الْجَرْوِ الْكِلَابَا	جرير	٦/ ٧١٦
وقدْ نَقَّبْتُ في الآفَاقِ حَتَّى	رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بالإِيَاب	امرؤ القيس	٩/ ١٥٩
وقد طَوَّفْتُ في الآفاقِ حَتى	رَضيتُ مِنَ الغَنيمَةِ بالإيابِ	امرؤ القيس	٤/ ٥٦٧
وَكُنْتُ لِزَازَ خَصْمِكَ لَمْ أُعَرِّدْ	وَقَدْ سلكُوكَ في أَمْرٍ عَصِيبِ	عدي بن زيد	٥/ ٦٩٩
وَكُنْتَ لِزَازَ خَصْمِكَ لَمْ أُعَرِّدْ	وَقَدْ سَلَكُوكَ فِي يَوْم عَصِيبِ	عدي بن زيد العبادي	٥/ ٣٥٤، ٧/ ١٠٤
جَريمةُ ناهضٍ في رَأْس نِيقٍ	ترى لِعِظَام ما جمَعتْ صَلِيبَا	أبو خراش الهذلي	٣/ ٤٠٠، ٥/ ٢٨٤
فَمَا أَدَعُ السِّفارة بَيْنَ قَوْمي	وما أسعى بِغِشٍّ إنْ مَشَيْتُ	موسى بن جابر	١٠/ ١٣٦

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
وَذِي ضِغْـنٍ كَفَفْـتُ النَّفْـسَ عَنْـهُ	وَكُنْـتُ عَـلَـى إسَـاءتِهِ مُـقِيتَـا	الزبير بن عبد المطلب	٣/ ٢٣٩
قَدْ عَلِمَتْ عُرَيْنَةُ حَيْثُ كانُوا	بـأَنَّـا نَـحْـنُ أَكْـثَـرُهُـمْ أَثَـاثـا	بلا نسبة	٦/ ٥٤٢
أَهَاجَتْـكَ الظَّعَائِـنُ يَـوْمَ بانُـوا	بِـذِي الـزِّيِّ الجَمِيـلِ مِـنَ الأَثَاثِ	محمد بن نمير الثقفي	٦/ ٩٢
أَشَـاقَتْكَ الظَّعائِـنُ يَـوْمَ بانُـوا	بِـذِي الـزي الْجَميـلِ مِـنَ الأَثَاثِ	محمد بن نمير الثقفي	٦/ ٥٤٢
بَعَثْتُـكَ مَائِـراً فَمَكَثْـتَ حَـوْلاً	مَتَـى يَأْتِـي غِيَاثُـكَ مَـنْ تُغِيـثُ	عائشة بنت سعد ابن أبي وقاص	٥/ ٤٩٦
فأنـتَ مـن الغَوائـلِ حيـنَ ترمي	ومــن ذمِّ الرجـال بـمُـنـتَـزَاحِ	إبراهيم بن هرمة	٢/ ٥٩٣، ٧/ ٦١٣
وأعْجَزَنَـا أبـو ليلَـى طُفيـلٌ	صحيـحَ الجِلـد مـن أثرِ السِّـلاحِ	سويد	٤/ ٦٠٥
تَـغَـيَّـرَتِ الْـبِـلادُ وَمَــنْ عَلَيْهَا	فَـوَجْـهُ الأَرْضِ مُغْبَرٌّ قَبِيحُ	آدم عليه السلام	٣/ ٤٨١
سَـأَتْـرُكُ مَـنْـزِلِـي لِبَنِي تَميم	وَأَلْـحَـقُ بِالْحِجَازِ فَأَسْتَرِيحَا	أبو زيد	٣/ ٢٨١
أَتُوعِدُنِي بِقَوْمِكَ يَا ابْنَ حَجْلٍ	أُشَـابَـاتٍ يُـخَـالُـونَ الْـعِـبَـادَا	متنازع النسبة	٣/ ٥٦٢
إذَا مَـا مَـاتَ مَيْتٌ مِـنْ تَمِيم	فَـسَـرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِئْ بِـزَادِ	متنازع النسبة	١/ ٦٣٤
أَلَـمْ يَـأْتِيـكَ والأَنْـبـاءُ تَنْمي	بِـمَـا لاقَــتْ لَـبُـونُ بَـنِـي زِيـادِ	بلا نسبة	٥/ ٤١٩، ٥٣٠
ونَــنْــمِــي فــي أَرُومَــتِــنَــا	ونَـفْـقَـأُ عَـيْـنَ مَـن حَـسَـدَا	مسافر بن أبي عمرو	٢/ ٥٧٦
أَزَيْـدَ مَـنَـاةَ تُـوعِـدُ يـابْـنَ تَيْمٍ	تَـأَمَّـلْ أَيْـنَ تَـاهَ بِـكَ الْوَعِيدُ	جرير	٩/ ٢٤٨

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
جَعلْتُ السَّيْف بيْن الْجِيدِ مِنْهُ	وبيْـن أَسيـلِ خـدَّيْـهِ عِـذاراً	شمعلة	٤/ ٥٢٠
يُـرَوِّعُـهُ الـسِّـرَارُ بِكُلِّ أَرْضٍ	مَخَـافَـةَ أَنْ يـكُـونَ بِـهِ السِّرَارُ	بلا نسبة	٩/ ٥٣٧
وَلَا يُنْجِي مِنَ الْغَمَرَاتِ إِلا	بَـرَاكَـاءُ الـقِـتَـالِ أَوِ الـفِـرَارُ	بشر بن أبي خازم	٤/ ٧٦
تَـؤُمُّ بها الـحُـدَاةُ مِيَاهَ نَخْلٍ	وفيـهَـا عَـنْ أَبَـانَـيْـنِ ازْوِرَارُ	بشر بن أبي خازم	٦/ ٣٣١
تَـعَـلَّـمْ أَنَّ شـرَّ الـنـاس حَـيٌّ	يُـنـادَى في شعـارِهِـمُ يَـسَـارُ	زهير	٤/ ٤٣١
أَرادَ الـطَّـاعِـنونَ لِـيَـحْـزُنُـونِي	فَهَاجُوا صَدْعَ قَلْبِي فَاسْتَطَارَا	ذو الرمة	١٠/ ٥٧
أَحـافِـرَةً عَـلَـى صَـلَـعٍ وَشَـيْـبٍ	مَـعَـاذَ الله مِـنْ سَـفَـهٍ وَعَـارِ	بلا نسبة	١٠/ ١١٧
وَذَاتِ أَثَـارَةٍ أَكَـلَـتْ عَـلَـيْـهَـا	نَـبَـاتـاً فـي أَكِـمَّـتِـهِ فَـفَـارا	الراعي	٨/ ٧٢٥
كأَنَّ غديرَهُـمْ بِجَنوب سِلَّى	نَـعَـامٌ قَـاقَ فِـي بَـلَـدٍ قِـفَـارِ	متنازع النسبة	٢/ ٦٠٣
وكَانَ لَهُـمْ كَبَكْرِ ثَمُودَ لَمَّا	رَغَـا دهـراً فَـدَمَّـرَهُـمْ دَمَـارَا	جرير	٨/ ٧٥١
وكَانَ لَهُـمْ كَبَكْرِ ثَمُودَ لمَّا	رَغَـا ظُـهْـراً فَـدَمَّـرَهـم دَمـارَا	الفرزدق	٦/ ١٧٦
فَـإِنَّـكَ لَـوْ رَأَيْـتَ أَبَـا عُمَيْرٍ	مَـلأْتَ يَدَيْكَ مِنْ غَـدْرٍ وخَتْرِ	عمرو بن معد يكرب	٧/ ٦٨١
يُـعَـلُّ بِـهِ بَـرْدُ أَنْـيَـابِـهَـا	إِذَا غَـرَّدَ الـطَّـائِـرُ الْمُسْتَحِرْ	امرؤ القيس	٢/ ٣٥٢
دَحَرْتُ بني الحصيب إلى قُدَيْد	وقَـدْ كانوا ذَوي أَشَـرٍ وفخر	بلا نسبة	٤/ ٢١٤
هُمُ المَولى وَقَدْ جَنَفُوا عَلَيْنَا	وإِنَّـا مـنْ عَـدَاوَتِـهِـمْ لَـزُورُ	عامر الرام	١/ ٦٦١، ١/ ٦٨١
وَكَـانَ تَكَلُّمُ الأَبْـطَـالِ رَمْـزًا	وَغمْغمَةً لَهُمْ مِثْلَ الهديرِ	جؤية بن عائذ	٢/ ٤٠٦
وأعْـلَـمُ أَنَّـنِي سَـأَكُـونُ رَمْساً	إِذَا سَـارَ الـنَّـوَاعِـجُ لا يَسِيرُ	الوزيري	١/ ٢٢٨
خَـلَا أَنَّ العِتَاقَ مِنَ الْمَطَايَا	أَحَـسْـنَ بِـهِ فَهُنَّ إِلَـيْـهِ شُوسُ	أبو زبيد الطائي	٦/ ٦٣٠

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
أُكَاشِرُهُ وَأعْلَمُ أَنْ كِلانَا	عَلَى مَا سَاءَ صَاحِبَهُ حَرِيصُ	متنازع النسبة	٤/ ٢٦٥
لَنِعْمَ البَيْتُ بَيْتُ أَبِي دِثَارٍ	إذَا مَا خَافَ بَعْضُ القَوْمِ بَعْضَا	بلا نسبة	١/ ٣٣٢
وكنتُ إذا خَليلٌ رامَ قَطْعي	وجدتُ وَرايَ مُنْفَسَحاً عَريضاً	بلا نسبة	٣/ ٢٧٨
كَأَنَّ مزاحِف الحيَّاتِ فيهِ	قُبَيْلَ الصُّبْحِ آثارُ السِّيَاطِ	الهذلي	٤/ ٥٢٢
هَجَوْتُكَ فاخْتَضَعْتَ حَليفَ ذُلٍّ	بِقَافِيَةٍ تَأَجَّجُ كَالشُّوَاظ	أمية بن أبي الصلت	٩/ ٣٢٦
رَأَيْنَا ما يَرَى البُصَرَاءُ مِنْهَا	فَآلَيْنَا عَلَيْهَا أَنْ تُبَاعَا	القطامي	٣/ ٣٨٣
أَكُفْراً بَعْدَ رَدِّ المَوْتِ عَنِّي	وَبَعْدَ عَطَائِكَ المئةَ الرِّتَاعَا	عمرو بن شييم	١/ ٣٣٦
تَمَتَّعْ يا مُشَعَّثُ إِنَّ شيئاً	سَبَقْتَ بِهِ الْمَمَاتَ هُوَ الْمَتَاعُ	المشعث العامري	٥/ ٦٠٧
ويَحْرُمُ سِرُّ جَارَتِهِمْ عليْهِمْ	ويَأْكُلُ جارهُمْ أَنْفَ القِصَاعِ	الحطيئة	٢/ ٩٠
أَلَمْ يَحْزُنْكَ أنَّ حِبالَ قَيْسٍ	وَتَغْلِبَ قَدْ تَبَايَنَتَا انْقِطَاعا	عمر بن شييم	٧/ ٣٠٨، ٦/ ٦٧٣
أَلَمْ يَحْزُنْكِ أَن حِبالَ قَوْمي	وَقَوْمِكِ قَدْ تَبَايَنَتَا انْقِطاعاً	القطامي	٩/ ٦٦٠، ٨/ ٥٠٣، ٩/ ٣٠٩
بِدِجْلَةَ دارُهُمْ وَلَقَدْ أَراهُمْ	بِدِجْلَةَ مُهْطِعِينَ إِلَى السَّمَاع	يزيد بن مفرغ	٥/ ٦٧٨
أَمِنْ رَيْحانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ	يُؤَرِّقُنِي وَأَصْحابِي هُجوعُ	عمرو بن معديكرب	١٠/ ٢٣٧
لَمَالُ الْمَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيُغْنِي	مَفَاقِرَه أَعَفُّ مِنَ الْقُنُوعِ	الشماخ	٧/ ٥٦
وخيلٍ قد دلَفتُ لها بخيلٍ	تحيةُ بينِهم ضربٌ وَجيعُ	بلا نسبة	٤/ ٧٠٤
يُبَاكِرْنَ الْعِضَاهَ بِمُقْنَعَاتٍ	نَوَاجِذُهُنَّ كالحِدَأ الْوَقِيع	الشماخ	٥/ ٦٧٩

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
وعَـوْرَاء الكَلام صَمَمْتُ عَنْها	وَلَـوْ أَنّـي أَشَـاءُ بها سَمِيعُ	بلا نسبة	٤/ ٤٥٢
وإِنّـي حـاذِرٌ أَنْمي سِلاحِي	إِلـى أَوْصـالِ ذَيّـالٍ صنيع	عباس بن مرداس	٧/ ٣٥٤
إذا نُـهيَ السَّفيهُ جَـرى إليه	وخالـفَ والسَّفيهُ إلى خـلافِ	أبو قيس بن الأسلت	٢/ ٧١٠
فَجَاءُوا يُهْرَعونَ وهُمْ أُسَارَى	تَـقُودُهُـمُ عَلَى رَغْـم الأُنـوفِ	مهلهل	٥/ ٣٥٥
وَزَيْدُ الْخَيْـلِ قَـدْ لاقَـى صِفَاداً	يَعَضُّ بِسَاعِدٍ وبِعَـظْـم سَـاقِ	سلامة بن جندل	٥/ ٦٨٦
إِذَا حَـاصَ الدَّلِيـلُ رأَيْتَ مِنْهَا	جُنُوحاً لِلطَّرِيـق عَـلَـى اتِّسَاق	ابن عبد شمس	٩/ ١٦٠
وإِلَّا فـاعْـلَـمُـوا أَنَّـا وأَنْـتُـم	بُـغَـاةٌ مَـا بَقِينَا فِـي شِـقَاقِ	بشر بن أبي خازم	٣/ ٥٧٩
حَسِبتَ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقًا	وَمَا هـي وَيْبَ غَيْرِكَ بالعَنَاقِ	ذو الخرق الطهوي	٢/ ٦٠٣
إِذَا نـاقـورُهُـم يَـوْمـاً تَـبَـدَّى	أَجاب النَّاسُ مِنْ غرب وشَرْقِ	خفاف بن ندبة	١٠/ ١٠
أَلا يـا زيْـدُ والـضَّـحـاك سِيرا	فَقـدْ جَاوزْتُمَا خَمَر الطَّرِيقِ	بلا نسبة	٢/ ١٥
فَدَيْتُ بِنَفْسِهِ نَفْسِي وَمَالِي	وَمَـا آلُـوكَ إِلَّا مَـا أُطِيـقُ	عروة بن الورد	٧/ ٥٣٢
مُحَمَّدُ تَفْدِ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ	إِذَا مَـا خِفْـتَ مِـنْ أمـرٍ تَبَالا	متنازع النسبة	٣/ ٣٤
وقـد نَغْنَى بها ونـرى عُصوراً	بها يَقْتَدْنَنَا الـخُـرُدَ الـخِذَالا	المرار الأسدي	٤/ ٣٣٢، ٥/ ١٧٤
جُنُـوح الْهَالِكِيّ عَلَى يَدَيْهِ	مُكِبّاً يَجْتَلِي نُقَبَ النِّصَالِ	لبيد	٤/ ٦١٥
ومـا الإِنسـانُ إِلَّا ذو اغـتـرارٍ	طِوالَ الدَّهرِ يكدحُ في سَفالِ	بلا نسبة	١٠/ ١٨٥
كـأَنَّ سُلَافَةً عُـرِضَتْ لِنَحْسٍ	يُحِيلُ شَفيفُها الماءَ الزُّلَالا	ابن أحمر	٨/ ٥٠٩
أرى مَـرَّ السِّنِينَ أَخَـذْنَ مِنِّي	كما أَخَـذ السِّـرَارُ مِـنَ الهِلالِ	جرير	٥/ ٤١٥

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
رأتْ مَرَّ السِّنِينَ أخَذْنَ منِّي	كما أخَذَ السِّرَارُ مِنَ الهِلالِ	جرير	٢/ ٥٤٣
سَقَى قَومِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى	نُمَيْراً والْقَبَائِلَ مِنْ هِلال	لبيد	٥/ ٧٠٩، ٧/ ٣٠٠
سَقَى قَوْمي بني بَدْرٍ وأَسْقَى	نُمَيْراً والقَبَائِلَ مِن هلالِ	لبيد	٦/ ٧٢
لَعَمْرُكَ إِنَّمَا خَطَئِي وَصَوْبِي	عَلَيَّ وَإِنَّ مَا أَهْلَكْتُ مَالُ	أوس بن علفاء	٥/ ٤٤٦
أبوك خليفةٌ ولدَته أخرَى	وأنت خليفةٌ ذاك الكمالُ	بلا نسبة	٢/ ٣٩٣، ٣/ ٦
إِذَا اجْتَمَعَتْ وَأَحْوَذَ جَانِبَيْهَا	وَأَوْرَدَهَا عَلَى عُوجٍ طِوَالِ	لبيد	٣/ ٣٤٥
أُلامُ عَلَى الْهِجَاءِ وكُلَّ يَوْمٍ	يُلَاقِيني مِنَ الْجِيرَانِ غُولُ	بلا نسبة	٦/ ٥٣
يُرَاهِنُنِي وَيَرْهَنُنِي بَنِيهِ	وأَرْهَنُهُ بَنِيَّ بِمَا أَقُولُ	أحيحة بن الجلاح	٢/ ٢٨٣
تَمَنَّى أَنْ تَؤُوبَ إِلَيْكَ مَيٌّ	ولَيْسَ إِلى تَنَاوُشِهَا سَبِيلُ	بلا نسبة	٨/ ١٢٥
كما خُطَّ الكِتَابُ بِكَفِّ يَوْماً	يَهُودِيٍّ يُقَارِبُ أو يُزِيلُ	أبو حية النميري	٤/ ١٤٠، ٥/ ٦٨٤
وَمَا يَدْرِي الفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ	وَمَا يَدْرِي الغَنِيُّ مَتَى يَعِيلُ	أحيحة بن الجلاح	٤/ ٦٨٥، ١٠/ ٢٩٨
يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ	وَيَرْغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عُقَيْلِ	بلا نسبة	٦/ ٤٢٢
جَزَى اللهُ ابْنَ عُرْوَةَ حَيْثُ أَمْسَى	عُقُوقاً والْعُقُوقُ لَهُ أَثَامُ	بلعاء بن قيس	٧/ ٣٢٢
فَأَنْجَاهُ غَداةَ الْمَوْتِ مِنِّي	شَدِيدُ الأَسْرِ عَضَّ عَلَى اللِّجامِ	بلا نسبة	١٠/ ٧١
لَقَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ أَنَّ قَوْمِي	كِرَامُ النَّاسِ أَنَّ لَهُمْ كِرَامَا	جذل الطعان	٤/ ٧١٤
كأَيِّنْ في المعَاشرِ منْ أناسٍ	أخُوهمْ فوقهُم وهمُ كرامُ	متنازع النسبة	٢/ ٦٣٣

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
فَإِمَّا يَنْجُوَا مِنْ حَتْفِ أَرْضٍ	فَقَدْ لَقِيَا حُتُوفَهُمَا لِزَاماً	صخر الغي	٧/ ٣٣٢
وأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقْشَعِرّاً	كَأَنَّ الأَرْضَ لَيْسَ بِهَا هِشَامُ	بحير بن عبد الله	٦/ ٥٥٩
فقلتُ إلى الطَّعام فقالَ منهم	أناسٌ نحسدُ الإِنسَ الطعاما	شمير بن الحارث	٢/ ٤٩٨
لَعَمْرُك إنّ إِلَّكَ في قُرَيشٍ	كإِلّ السَّقْب من رَأْل النَّعامِ	حسان بن ثابت	٤/ ٦٥٩
تَمَخَّضَتِ الْمَنُونُ لَهُ بِيَوْمٍ	أَنَى ولِكُلِّ حامِلَةٍ تَمَامُ	النابغة الذبياني	٨/ ٤٦، ٩/ ٤١٠
وقَفْتُ بها فَهَاجَ الشَّوْقَ مِني	حَمامُ الأَيْكِ يسعِدُها حَمامُ	جرير	٥/ ٧٤٣
ألا يَا قَيْلَ، ويْحَكَ! قُمْ فَهَيْنِمْ	لَعَلَّ اللهَ يُصْحِبُنَا غَمَامَا	معاوية بن بكر	٤/ ٣٠٧
أَنَا شَيْخُ العَشِيرَةِ فاعْرِفُونِي	حمِيداً قَدْ تَذَرَّيْتُ السَّنَامَا	حميد بن حريث	٢/ ١٧٥
مَتَى كانَ الْخِيَامُ بذي طُلُوحٍ	سُقيتِ الْغَيْثَ أَيَّتُهَا الخِيَامُ	جرير	٩/ ٣٤٠
عِبَادُكَ يُخْطِئُونَ وَأَنْتَ رَبٌّ	بِكَفَّيْكَ الْمَنَايَا وَالْحُتُوم	أمية بن أبي الصلت	٥/ ٤٤٦
عَرَفْتُ الْمُنْتَأَى وَعَرَفْتُ مِنْهَا	مَطَايَا القِدْرِ كَالحِدَإِ الجُثُومِ	جرير	٤/ ٣١٨
إِذَا ما الشَّوْقُ بَرَّحَ بي إِلَيْهِمْ	أَلْقَتِ النُّونُ بالدَّمْعِ السَّجُوم	بلا نسبة	٩/ ٦٢٢
وَسَاحِرَةِ السراب مِنَ المَرامِي	تَرَقَّصُ في نَوَاشِزِهَا الأُرُومُ	ذو الرمة	٤/ ٣٤٨
وَلكِنَّا نُعِضُّ السَّيْفَ منها	بِأَسْوُقِ عَافِيَاتِ الشَّحْمِ كُومِ	لبيد	٤/ ٣٣٥
عِبَادُكَ يُخْطِئُونَ وَأَنْتَ رَبٌّ	كَرِيمٌ لا يَلِيقُ بكَ الذُّمُومُ	أمية بن أبي الصلت	٦/ ١٩٣
وشَرُّ الطَّالِبِينَ وَلا تَكُنْهُ	بقَاتِلِ عَمِّهِ الرَّؤُفُ الرَّحِيمُ	الوليد بن عقبة	١/ ٥٩١
وَلَكِنَّ الْفَتَى حَمَلَ بنَ بَدْرٍ	بَغَى والْبَغْيُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ	قيس بن زهير	٨/ ٣٢٢

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
يَـصُـور عنوقَهَا أَحــوَى زنيمٌ	لهُ صخَبٌ كما صخِبَ الْغَرِيمُ	أوس بن حجر	٢/ ١٩٦
أمِيرُ الْمُؤْمنينَ عَلَى صِـرَاطٍ	إذَا اعْــوَجَّ الْـمَــوَارِدُ مُسْتَقِيم	جرير	١/ ٢٤٧
وَفيها لَـحْـمُ ساهِـرَةٍ وَبَـحْـرٍ	وَمَــا فـاهُـوا بِـهِ فلَهُمْ مُقيمُ	أمية بن أبي الصلت	١٠/ ١١٩
أقُــولُ لأُمِّ زِنْـبَــاعٍ أقِيمِي	صُـدُورَ الْعِيسِ شَطْرَ بَني تَمِيمِ	أبو جندب الهذلي	١/ ٥٩٣
وكــلُّ أَخٍ مُـفـارِقُـهُ أخُــوهُ	لَعمرُ أبـيـكَ، إلّا الـفَـرقـدانِ	عمرو بن معديكرب	٥/ ٣٨٦
ووَجْـــهٍ مُـشْـرِقِ الـنَّـحْـرِ	كَـــأَنْ ثَــدْيــاهُ حُـقّــانِ	بلا نسبة	٥/ ٣٩٠
وتمْنحها بَنو شَمَجَى بنِ جَرْمٍ	مَعيزَهُمُ، حَنانَكَ ذَا الْحَنَانِ	امرؤ القيس	٦/ ٤٨٠
يُمَاشِيهِنَّ أَخْـضَـرُ ذُو ظِـلَالٍ	عَـلَـى حـافـاتِـهِ فِـلَـقُ الـدِّنَـانِ	النابغة الجعدي	٧/ ٦٨٠
فقُلْتُ ادْعِـي وأَدْعُ فَـإِنَّ أَنْـدَى	لِـصَـوْتٍ أَنْ يُـنَـادِيَ دَاعِـيَـانِ	متنازع النسبة	٧/ ٥٥٩
بِسمْرٍ كَـالـقِـدَاحِ مُسوَّماتٍ	عَلَيْهَا مَـعْـشَـرٌ أَشْـبَـاهُ جِـنِّ	النابغة الذبياني	٢/ ٣٤٧
كأَنَّك مِـنْ جِمالِ بَنِي أُقَيْشٍ	يُقَعْقَعُ خَـلْـفَ رِجْـلَـيْـهِ بشَنِّ	النابغة	٣/ ١٧٧
أَخُو الْخَمْسِينَ مُجْتَمِعٌ أَشُدِّي	ونَجَّذني في مُـدَاوَرَةِ الشُّؤونِ	سحيم بن وثيل	٨/ ١٦٣
عَدَتْني عَنْ زِيارَتكَ الْعَوادي	وَحَـالَـتْ بَيْنَنَا حَـرْبٌ زَبـونُ	النابغة	١٠/ ٣٢٣
عَدَتْنِي عَنْ زِيَارَتِكِ العَوَادِي	وَحَـالَـتْ دُونَـهَـا حَـرْبٌ زَبُـونُ	النابغة	٤/ ٥٧٧
إِذَا عَضَّ الثِّقَافُ بِهَا اشْمَأَزَّتْ	وَوَلَّـتْـهُـمْ عَـشَـوْزَنَـةً زَبُـونَـا	عمرو بن كلثوم	٨/ ٤٠٧
وَمِـنْ ذَهَـبٍ يُسَنُّ عَلَى تَريبٍ	كَلَوْنِ الْعاجِ لَيْسَ بِذِي غُضُونِ	المثقب العبدي	١٠/ ٢١٣
تَـظَـلُّ جِـيَـادُهَـا نَـوْحـاً عَلَيْهِ	مُـقَـلَّـدَةً أَعِـنَّـتَـهـا صُـفُـونَـا	عمرو بن كلثوم	٦/ ٣٧٨
تَـرَكْـنَا الْخَيْلَ عَاكِـفَـةً عَـلَـيْـهِ	مُـقَـلَّـدَةً أَعِـنَّـتُـهـا صُـفُـونَــا	عمرو بن كلثوم	٧/ ٥٥

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
إِذَا هَبَّتْ رِيَاحُكَ فَاغْتَنِمْهَا	فَإِنَّ لِكُلِّ خَافِقَةٍ سُكُونُ	بلا نسبة	٤/ ٥٨٨
إِذَا الْجَوْزَاءُ أَرْدَفَتِ الثُّرَيَّا	ظَنَنْتُ بِآلِ فَاطِمَةَ الظُّنُونَا	خزيمة بن نهد	٤/ ٥١١
إِذَا بَلَّغْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي	عَرَابَةَ فَاشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ	الشماخ	٩/ ٦٧١
لِسَانُ السُّوءِ تُهْدِيهَا إِلَيْنَا	وحِنْتَ وما حَسِبْتُكَ أَنْ تَحِينَا	بلا نسبة	٦/ ١١٤
يَظَلُّ يحُفُّهُنَّ بِقَفْقَفَيْهِ	ويُلْحِفُهُنَّ هَفَّافاً ثَخِينا	ابن أحمر	٢/ ٢٣٩
تَذَكَّرَ حُبَّ لَيْلَى لاتَ حينَا	وَأَضْحَى الشَّيْبُ قَدْ قَطَعَ الْقَرِينَا	عمرو	٨/ ٣٠٤
إذا ما قمتُ أَرْحَلُها بلَيْلٍ	تَأَوَّهُ آهَةَ الرجلِ الحزينِ	المثقب العبدي	٥/ ١١٩
فَجاؤوا عارضاً بَرِداً وحِيناً	كمِثْلِ السَّيْلِ تركب وَازِعِينَا	عبد الشارق	٧/ ٤٦٢
وَلا أَرْمي الْبَرِيءَ بِغيْرِ ذنْب	وَلَا أَقْفُو الحواصِنَ إِنْ قُفِينَا	الكميت	٦/ ٢٠٥
أَبا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا	وأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ الْيَقِينَا	عمرو بن كلثوم	٩/ ٤٠٥
ألا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ عَلَيْنا	فنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا	عمرو بن كلثوم	١/ ٢٨٦، ٣٠١، ٤/ ١٥، ٦/ ١٣٣
عَصَيْنَا عَزْمَةَ الجَبَّارِ حَتَّى	صَبَحْنَا الجَوْفَ إِلْفاً مُعْلمينا	المفضل	٩/ ١٦٧
صَدَدتِ الكأسَ عَنّا، أُمَّ عَمرٍ	وكانَ الكأسُ مَجراها اليَمِينَا	عمرو بن كلثوم	٤/ ٧٠٠، ٥/ ٦٣١
إِذَا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ	تَلَقَّاهَا عَرابَةُ بِالْيَمِينِ	الشماخ	٨/ ٢٤٤
ذِراعَيْ بَكْرَةٍ أَدْمَاءَ بِكْر	هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا	عمرو بن كلثوم	١/ ١٩٩، ١٠/ ٣٩
إِذَا مَا عَادَهُ مِنَّا نِسَاءٌ	سَفَحْنَ الدَّمْعَ مِنْ بَعْدِ الرَّنِينِ	طرفة	٤/ ١٥٦

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
نَأَتْ بِسُعَادَ عَنْكَ نَوًى شَطُونُ	فَبَانَتْ، والْـفُـؤَادُ بِـهَـا رَهِـينُ	النابغة الذبياني	١/ ٢٠٧
هَـوَى ابْـنِـي مِـنْ ذُرَى شَـرَفٍ	فَـزَلَّـتْ رِجْـلُـهُ وَيَـدُهْ	بلا نسبة	٤/ ٣٧
هَـوَى ابْـنـي مِـنْ شَـفَـا جَبَلٍ	فَـزَلَّـتْ رِجْـلُـهُ وَيَـدُهْ	بلا نسبة	٩/ ٢٣٣
لِـمَـنْ نَـارٌ قُـبَـيْـلَ الـصُّـبْ	ح عِـنْـدَ الْـبَـيْـتِ ما تَخْبُو	عمر بن أبي ربيعة	٦/ ٢٩٠
ألا مَـنْ مُبْلغٌ عَـمْـراً رسُـولا	وَمَا تُغْني الرسالةُ شَطْرَ عَمْرِو	خفاف بن ندبة	١/ ٥٩٤
إِلَـى هِـنْـدٍ صَـبَـا قَـلْـبِـي	وَهِـنْـدٌ مِـثْـلُـهَـا يُـصْـبِـي	يزيد بن ضبة	٥/ ٤٥٧
وَمَـا أَدْرِي وَظَـنِّـي كُـلُّ ظَنٍّ	أَمُسْلِمُنِي إِلَـى قَوْمِي شَـراحِي	يزيد بن محرم	٨/ ٢٥٥
لَقَدْ أَسْمَعْتَ لـو ناديت حيّاً	وَلَـكِـنْ لَا حَـيَـاةَ لِمَنْ تُنادِي	عبد الرحمن بن الحكم الثقفي	١٠/ ٢٢٥
لَـهُ داعٍ بِـمَـكَّـةَ مُـشْـمَـعِلّ	وآخَـرُ عِـنْـدَ دَارَتِـهِ يُـنَـادِي	أمية بن أبي الصلت	٥/ ٣٣٦
أَزُورُ بِـهَـا أَبَـا قَـابُـوسَ حَـتَّـى	أُنِيخَ عَـلَـى تَحِيَّتِهِ بِجُنْدِي	عمرو بن معديكرب	٥/ ١٥٧
وَكَـمْ مِـنْ مَـاجِـدٍ لَـهُـمْ كَرِيمٍ	ومِـنْ لَـيْـثٍ يُـعَـزَّرُ في النَّدِيِّ	بلا نسبة	٣/ ٤٥٤
فَـأَنْـذَرَ مِـثْـلَـهَـا نُـصْـحـاً قُـرَيْـشـاً	مِـنَ الرَّحْـمـنِ إِنْ قَبِلَـتْ نَذِيـرِي	حسان بن ثابت	٩/ ٦١٣
وَلَـوْلا كَـثْـرَةُ البَـاكِـيـنَ حَوْلِي	عَلَى إخوانهم لَقَتَلْتُ نَفْسِي	الخنساء	٢/ ٦١٩، ٨/ ٦٢٨
يطـوِّف بـي عكـبٌ فِـي مَعَدّ	ويـطعُـن بـالصُمُلَّـة فِـي قَـفَـيَّـا	المنخل	٥/ ٤٢٨
أُحِـبُّ مُـحَـمَّـداً حُـبّـاً شَديداً	وَعَـبَّـاسـاً وَحَـمْـزَةَ أَوْ عَلِيَّا	أبو الأسود الدؤلي	١/ ٤٥٤، ١٠/ ٢٧٥
إِذَا بَـصَّـرْتُـكِ الْبَـيْـدَاءَ فَـاسْـرِي	وَأَمَّـا الآنَ فـاقْـتَـصِـدي وَقِـيـلِـي	بلا نسبة	٩/ ٦٨٠

الصدر	العجز	الشاعر	الجزء والصفحة
فَلَسْتُ بِـمُـدْرِكٍ ما فَـاتَ مِنِّي	بِلَهْفَ ولاَ بِلَيْتَ ولاَ لَـوَ انِّي	بلا نسبة	٥/ ٣١١
طَـرِيـدُ عَشِيرَةٍ ورَهـيـنُ ذنْـبٍ	بِمَا جَرمَتْ يَدي وجَنَى لِسَانِي	الهيروان	٥/ ٢٩٧
أعَـلِّـمُـهُ الـرِّمَـايَـةَ كُـلَّ يَـوْمٍ	فَلَمَّا اسْـتَـدَّ سَـاعِـدُهُ رَمَـانِـي	متنازع النسبة	٣/ ٣٧
ألا أَبْـلِـغْ بَني عُـصْـمٍ رَسُـولاً	بِـأَنِّـي عَـنْ فُـتَـاحَـتِـكُـمْ غَنِيُّ	متنازع النسبة	٤/ ٣٢٩
أَتُــوعِـــدُنِـي وراءَ بـنـي رِيــاحٍ	كَـذَبْـتَ لَـتَـقْـصُـرَنَّ يـداكَ دُونـي	جرير	٥/ ٦٤٧
أَبـالْـمَـوْتِ الَّـذِي لا بُـدَّ أَنِّي	مُـلاقٍ لا أَبـاكِ تُـخَـوِّفِـيـنـــي	أبو حية النميري	٥/ ٧٢٨
تَـرَاهُ كـالـثَّـغَـام يُـعَـلُّ مِسْكـاً	يَـسُـوءُ الْـفَالِـيَـاتِ إِذَا فَـلَـيْـنِـي	عمرو بن معديكرب	٤/ ٦٠٧، ٥/ ٧٢٨
وَمَـا أَدْرِي إِذَا يَـمَّـمْـتُ أَرْضـاً	أُرِيــدُ الْـخَـيْـرَ أَيُّـهُـمَـا يَلِينِي	المثقب العبدي	٦/ ٩٣
فـأبْـلُـونِـي بَـلِـيَّـتَـكُـمْ لَعَلِّي	أُصَـالِـحُـكُـمْ وَأَسْـتَـدْرِجْ نَـوِيَّـا	أبو دؤاد	٤/ ٤٦١

فهرس الأرجاز

الرجز	القائل	الجزء والصفحة
أَبْـصَــر خِــرْبــانَ فَــلاة فــانْــكَـدَرْ تَـقَـضِّـيَ الْـبَـازي إِذَا الـبـازي كَـسَـرْ	العجاج	١٠/ ١٤٦
أبَــعْــدَ أنْ لاحَ لــه قَـتِـيــرُ والــرَّأْسُ قَــدْ كَــانَ لَــهُ شَكِيرُ	رؤبة	٦/ ٤٩٨
إذَا اعْـوَجَـجْـنَ قُـلْـتُ صَاحِـبْ قَـوِّمِ	بلا نسبة	١/ ٤٠٤
إِذا تــخــازرْتُ وَمَــا بِـي مِـنْ خَـزَرْ	متنازع النسبة	١٠/ ٢٥٦
إذَا تَــشَـكَّــوا سَـنَــةً حَـسُـوسَـا تَــأكُــلُ بَـعْـدَ الأخْـضَـرِ الْـيَـبِـيـسَـا	رؤبة	٢/ ٦٤٨
اذهَــبْ بــهــا اذهَــبْ بِــهــا طُــوِّقْــتَــهــا طَــوْقَ الْـحَـمَـامَـهْ	أبو أحمد بن جحش	٤/ ٤١٤
أَرْمــي عَـلَـيْـهـا وَهْـيَ فَـرْعٌ أَجْـمَـعُ وَهْــيَ ثــلاثُ أَذْرُعٍ وإِصْـبَـعُ	بلا نسبة	٤/ ٣٤٣
أَرى هُـمُـومـي تَـنْـشِـطُ الْـمَـنَـاشِـطَا الـشَّـامَ بِـي طَـوْراً وَطَـوْراً واسِـطاً	هميان بن قحافة	١٠/ ١١٣
أَسْـنِـمَـةُ الآبَــالِ فـي رَبَـابِــهْ	بلا نسبة	٦/ ١٨، ٨/ ٣٧٣
أَصْـبَـحْـتُ لَا أَحْـمِـلُ الـسِّـلَاحَ		٣/ ٥٤٤
أصَــمُّ عَـمَّـا سَــاءَهُ سَـمِـيـعُ	بلا نسبة	١/ ٦٣٢

الرجز	القائل	الجزء والصفحة
أَضْحَى لِخالي شَبَهي بادِي بَدِي وصارَ لِلْفَحْلِ لِساني وَيَدِي	بلا نسبة	٥/ ٢٨٨
أَضُمُّهُ لِلصَّدْرِ وَالجَنَاحِ	بلا نسبة	٦/ ٥٨٠
أَفْنَاهُمُ طُوفَانُ مَوْتٍ جارفٍ	بلا نسبة	٧/ ٥٦٢
أقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهْ يَحْرِدُ حَرْدَ الْجَنَّةِ الْمُغِلَّهْ	بلا نسبة	١/ ٢١٩، ٩/ ٦٣٧
أقْبَلَ في المُسْتَنِّ مِنْ سَحَابه أسْنِمَةُ الآبَالِ فِي رَبَابه	بلا نسبة	٤/ ٢٣١
أَقْدِمْ محاجُ إِنَّهُ يَوْمٌ نُكُر مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ يَحْمِي وَيَكُر	مالك بن عوف النضري	٩/ ٢٨٠
أقول إذ خَرَّتْ على الكَلْكالِ يا ناقتا ما جُلْتِ من مجالِ	بلا نسبة	٢/ ٥٩٣
ألفيتَني ألْوى بَعِيدَ المُسْتَمَرْ	الطفيل الغنوي	٢/ ٤٧٧
إِلَيْكَ أَشْكُو شدَّة المعيش ومرَّ أَعوامٍ نتَفنَ ريشي	رؤبة	٢/ ٣٣
إِلَيْكَ تَعْدُو قَلِقاً وضِينُها مُعْترِضاً في بَطْنِها جَنينُهَا	أبو الحارث بن ربيعة	٩/ ٣٥٤
أُمُّ الْحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ تَرْضَى مِنَ اللَّحْمِ بِعَظْم الرَّقَبَه	متنازع النسبة	٦/ ٦٠١
امتلأَ الحَوْضُ وقالَ قطْني	أبو النجم	١/ ٤٩٠، ٢/ ٤٢٠، ٣/ ٣٧٠

الرجز	القائل	الجزء والصفحة
إِنَّ بَنِي الأَدْرَمِ حَمَّالوا الْحَطَبْ هُمُ الْوُشَاةُ في الرِّضا وفي الْغَضبْ	بلا نسبة	١٠/ ٤٠٩
إِنَّ بَنِي الأَدْرَمِ لَيْسُوا مِنْ أَحَدْ وَلَا تَوَفَّاهُمْ قُرَيْشٌ فِي الْعَدَدْ	منظور الزبيري	٤/ ٢١، ٧/ ٦٩٤
إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفرْ جَمّاً وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمَّا	أمية بن أبي الصلت	٩/ ٢٥٥، ١٠/ ٤٦، ٢٥٧
إنْ لَمْ أقَاتِلْ فَالْبِسُونِي بُرْقُعَا	بلا نسبة	٣/ ٨١، ٤/ ٧٤٢، ١٠/ ٢١
إِنَّا إِذَا نَازَلَنَا غَرِيبُ لَهُ ذُنُوبٌ وَلَنَا ذُنُوبُ فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَنَا القَلِيبُ	بلا نسبة	٩/ ٢٠٠
أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ		٨/ ٢٢٢
أَنْحَى عَلَيَّ الدَّهْرُ رِجْلاً وَيَدَا فَيُصْلِحُ الْيَوْمَ وَيُفْسِدُهْ غَدَا يُقْسِمُ لا يُصْلِحُ إلا أَفْسَدَا	دويد بن زيد	٤/ ٣٤٩
أَنْغَضَ نحْوِي رَأْسَهُ وَأَقْنَعَا كَأَنَّمَا أَبْصَرَ شَيْئاً أَطْمَعَا	بلا نسبة	٦/ ٢٢٢
إِنِّي كبيرٌ لاَ أُطيقُ العُنَّدَا	بلا نسبة	٥/ ٣٣١
إِنِّي وأَسْطَارٍ سُطِرْنَ سطْراً لَقَائِلٌ: يا نصْرُ نَصْراً نَصْراً	رؤبة	٤/ ٢٣٦
أَوْحَى لَهَا القَرَارَ فاسْتَقَرَّتِ	العجاج	٣/ ٦٧٩، ١٠/ ٣٤٦

الرجز	القائل	الجزء والصفحة
أَوْصَـيْـتُ مِـنْ بَـرَّةَ قَـلْـبـاً حُـرّاً بـالـكَـلْـبِ خَـيْـراً وَالْـحَـمَـاةِ شَـرّاً	أبو النجم	٨/ ٦٩٣
أَيَّـانَ يَـقْـضي حَـاجَـتـي أَيَّـانـا أَمـا تَـرى لِـفـعْـلـهـا إِبَّـانَـا	بلا نسبة	٤/ ٤٦٢
بَـاتَ يُعَشِّيها بِـعـضْـبٍ بـاتِـرِ يَـقْـصِـدُ فـي أَسْـوُقِـهَـا وَجـائِـرِ	بلا نسبة	٩/ ٦١٣
بـات يُـنـزِّي دلـوهـا تَـنْـزِيّـا	بلا نسبة	٤/ ٥٥٨
بـاسْـم الإلـهِ وبِـهِ بَـدِيـنَـا وَلَـوْ عَـبَـدْنَـا غَـيْـرَهُ شَقِينَا	ابن رواحة	٧/ ٦٩١
بالْخَيْرِ خَـيْـرَاتٍ وَإِنْ شـرّاً فـا وَلا أُرِيـدُ الـشَّـرَّ إِلَّا أَنْ تَـا	زهير	١/ ٢٦٩
بِـتُّ أُعَـشِّـيـهَـا بِـعَـضْـبٍ بَـاتِـرِ يَـقْـصِـدُ فِـي أَسْـوُقِـهَـا وَجَـائِـرِ	بلا نسبة	٢/ ٤١٨
بـحـيْـثُ يَـعْـتَـشُّ الـغُـرَابُ الـبـائِـضُ	أبو محمد الفقعسي	٣/ ٣١
بَـرح بـالـعـيـنـين خـطَّـابُ الـكُـثَـب يَـقُـول إِنـي خـاطِـبٌ وقـد كَـذبْ وإِنَّـمَـا يَـخْـطُـبُ عَـسّـاً مـنْ حـلَـبْ	بلا نسبة	٢/ ٨٨
بِـسْـمِ الَّـذِي فِـي كُـلِّ سُـورَةٍ سِـمُـهْ	رؤبة	١/ ٢١٥
بَـلْ جَـوزِ تَـيْـهَـاءَ كَـظَـهْـر الحَجَفَتْ	سؤر الذئب	١/ ٧٥٠
بَـلْ لَـوْ شَـهِـدْتِ الـنَّـاسَ إِذْ تُكُمُّوا بِـغُـمّـةٍ لَـوْ لَـمْ تُـفَـرَّجْ غُـمُّـوا	العجاج	٥/ ٢١٧

الرجز	القائل	الجزء والصفحة
تَـهْـوِيـنَ فـي نَـجْـدٍ وغَـــوْرٍ غَـائِـرَا فَـوَاسِـقـاً عَـــنْ قَـصْـدِهَـا جَـوَائِـرَا	رؤبة	٦/ ٣٨٨
ثُـمَّ انْـثَـنَـى وَقَـــالَ فِـي الـتَّـفْـكِـيـرِ إِنَّ الْـحَـيَـاةَ الْـيَـوْمَ فِـي الْـكُـرُورِ	العجاج	٤/ ٥٣
ثُـمَّـتَ أَسْـلَـمْـنـا فـلَـم نَـنْـزِع يَـدَا	عمرو الخزاعي	٤/ ٦٦٧
جـاءَ الـشِّـتَـاءُ وقَـمِـيـصـي أَخْـلاقْ شَـــرَاذِمٌ يَـضْـحَـكُ مِـنْـهَـا الـتَّـوَّاقْ	بلا نسبة	٧/ ٣٥٢
جَــاءَتْ بِــهِ عَـنْـسٌ مِـنَ الـشَّـام تَـلِـقْ	قلاح بن حزن المنقري	٧/ ١٨٩
جـاؤوا بِـصَـيْـدٍ عَـجَـبٍ مِـنَ الْـعَـجَبْ أُزَيْــرِقِ الْـعَـيْـنَـيْـن طُــوَّالِ الـذَّنَــبْ	بلا نسبة	٨/ ٣٠٦
حَـبْـلَ عَـجُـوزٍ فَـتَـلَـتْ سَـبْـع قُـوى	الأغلب	٦/ ١٠٥
حَـتَّـى إذا الـصُّـبْـحُ لَـهـا تَـنَـفَّـسَـا وَانْـجـابَ عَـنْـهَـا لَـيْـلُـها وَعَـسْـعَـسَـا	علقمة بن قرط	١٠/ ١٥٥
حَـتَّـى إِذَا مَـا اعـتـدلَـتْ مَـفَـاصِـلُـهْ وَنَـــاءَ فـي شِـــقِّ الـشَّـمَـالِ كـاهِـلُـهْ	بلا نسبة	٧/ ٥٣٢
حَـتـى إِذَا مـا الْـتَـأَمَـتْ مَـفَـاصِـلُـهُ وَنَـــاءَ فـي شِـقِّ الـشِّـمَـالِ كَـاهِـلُـه	بلا نسبة	٦/ ٢٧٤
حَـتَّـى إِذا مَـا لَـمْ أَجِــدْ غَـيْـرَ الـشَّـرِ كُـنْـتُ امْــرَءاً مِـنْ مَـالِـكِ بْـنِ جَعْفَرِ	بلا نسبة	٧/ ٢٧
حَـــتَّـــى يَـقُـولَ الأَزْدُ لَا مِـسَـاسَـــا	رؤبة	٦/ ٦٢٩

الرجز	القائل	الجزء والصفحة
حَــجَّ وَأَوْصَــــى بِسُلَـيْمَـى الأَعْـبُـدَا أَنْ لا تَــرَى وَلا تُـكَـلِّـمْ أَحَــدَا وَلا يَـــزَلْ شَــرَابُــهَــا مُــبَــرَّدَا	بلا نسبة	١٦٧/٤
الْــحَــمْـدُ لله الْأَعَــــزِّ الْأَكْــــرَمِ أَيَّــدَنَــا يَـــوْمَ زُحُـــوفِ الأَشْــرَمِ	عبد المطلب بن عبد مناف	٣/ ٦٧٥
حَنَّــانَـةٌ مِــنْ نَـشَمٍ أَوْ تَـأْلَـبِ تَـضْـبَـحُ فـي الْـكَـفِّ ضُـبَـاحَ الثَّعْلَبِ	بلا نسبة	١٠/ ٣٥٥
خِــبٌّ جَـــرُوزٌ وَإِذَا جَــاعَ بَـكَـى	الشماخ	٧/ ٧٠٩
خُـلِـقْـتُ شَـكْـساً لِـلأَعَـادِي مِشْكَساً أكـــوي الـسـريـيـن وأحـــسـم الـنـسـا	بلا نسبة	٣٩٦/٨
دَانَـــى جَـنَـاحَـيْـهِ مِــنَ الـطُّـورِ فَـمَـرّ تَـقَـضِّـيَ الـبَـازِي إذا الـبَـازِي كَـسَـرْ	العجاج	١/ ٤٣٤
دُونَــــكَ مـا جَـنَـيْـتَـه فـاحْـسُ وذُقْ	بلا نسبة	١٢٦/٦
شـــــرَّابُ أَلْـــبَـــانٍ وتَـــمْـــرٍ وأَقِـــطِ	بلا نسبة	٢١٦/٥
شـكـا إِلـــيَّ جـمـلـي طـــولَ الـسُّـرى يــا جـمـلـي لـيـس إلـــيَّ المشتكى صـبـرٌ جُـمَـيْــلُ فـكِـلانــا مُـبْـتَـلى	بلا نسبة	٥/ ٤٢٦، ٥/ ٤٢٦، ٩/ ١٥٤
صَــادَفَ دَرْءُ الـسَّـيْـلِ دَرْءًا يَـدْفَـعُـهْ والــعِـــبْءُ لا تـعْـرِفُـه أو تَـرْفَـعُـهْ	دغفل النسابة	١/ ٤٥٠، ٢/ ٦٩١
ظَـهْـرَاهُـمَـا مِـثْـلُ ظُـهُـورِ الـتُّـرْسَـيْـنِ	متنازع النسبة	٥٨٦/٩

الرجز	القائل	الجزء والصفحة
عَجِبْتُ مِن دَهْمَاءَ إِذْ تَشْكُونَا وَمِنْ أَبي دَهْمَاءَ إِذْ يُوصِينَا خَيْراً بِهَا كَأَنَّنَا جَافُونَا	بلا نسبة	٧/ ٥٥٦
عجيز تَحْلِفُ حِينَ أَحْلِفُ كَمِثْلِ شَيْطَانِ الْحَمَاطِ أَعْرَفُ	بلا نسبة	٨/ ٢٥٩
عَكْفَ النَّبيط يلعَبُون الفَنزجَا	العجاج	١/ ٥٦٠، ٦٨٩، ٤/ ٣٧٤، ٦/ ٦٢٥
عَلَفْتُهَا تِبْناً ومَاء بارِداً	بعض بني أسد	١/ ٢٨٣، ٥، ٢١٦
عَلَفْتُهَا تِبْناً وَمَاءً بَارِدَا	ذو الرمة	٩/ ٣١٩
على شَديدٍ لحمُهُ كِنَاز بَاتَ يُنَزِّيني على أوفَازِ	أبو نخيلة	٤/ ٧٠٢
عن اللَّغَا وَرَفَثِ التَّكَلُّمِ	العجاج	١/ ٦٨١، ٧٢٣
فَارْتَاحَ رَبِّي وَأَرَادَ رَحمتِي	العجاج	١/ ١٩٧
فَاضْرِبْ وُجُوهَ الْغُدَّرِ الْأَعْدَاءِ حَتَّى يُجِيبُوك إِلَى السَّوَاءِ	ظبيان بن عمارة	٤/ ٦٠٤
فَاغْفِرْ فِدَاءً لَكَ مَا اقْتَفَيْنَا	عامر بن الأكوع	١/ ١٩٦
فالآن قد نَهْنَهَني تَنَهْنُهي وأَوْلُ حُلْمٍ ليسَ بالمُسَفَّهِ وقُوَّلٌ إلّا دهِ فلا دَهِ	رؤبة	٢/ ٦٦٧

الرجز	القائل	الجزء والصفحة
فَصَبَّحَتْ جَابِيَةً صُهَارِجَا كَأَنَّهُ جِلْدُ السَّمَاءِ خَارِجَا	هميان	٨/ ٨١
فَصُدَّ عَنْ نَهْجِ الصِّراطِ القَاصدِ	بلا نسبة	١/ ٢٤٧
فَصَدَّ عنْ نَهْج الطَّرِيقِ الْقَاصِدِ		٦/ ١٦
فَنَامَ لَيْلِي وتَجَلَّى هَمِّي	رؤبة	٨/ ١١١
فَهْيَ تَنُوشُ الْحَوْضَ نَوْشاً مِن عَلَا نَوْشاً بِهِ تَقْطَعُ أَجْوَازَ الْفَلا	غيلان بن حريث	٨/ ١٢٥
في الصُّحُف الأُولى الَّتي كانَ سَطَرْ	العجاج	٧/ ٧٢٤
في حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وقَدْ شَجِينَا	متنازع النسبة	٤/ ٢٤٩
في سَنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عَنْ ساقِها حَمْرَاءَ تَبْري اللَّحْمَ عَنْ عُرَاقِهَا	بلا نسبة	٩/ ٦٤١
فِي ظِلِّ عَصْرَيْ بَاطِلي وَلَمْزِي	رؤبة	٤/ ٧٥٠
في كُلِّ ما يَوْمٍ وَكُلِّ لَيْلَاهْ حَتَّى يَقُولَ كُلُّ رَاءٍ إذْ رَاهْ يَا وَيْحَهُ مِنْ جَمَلٍ ما أَشْقَاهْ	ابن الأعرابي	٣/ ٦٠٤
في لامِع العقبَان لا يَمْشي الْخَمَر	العجاج	٢/ ١٥
فِيهَا خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقْ كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوْلِيعُ الْبَهَقْ	رؤبة	٥/ ٢٤
قَالَتْ سُلَيْمَى اشْتَرْ لَنَا سَوِيقَا	عذافر الكندي	١/ ٤٠٤، ٩/ ٦٥٩
قَامَ وُلَاهَا فَسَقَوْهَا صَرْخَدَا	بلا نسبة	٣/ ٥٦٠

الرجز	القائل	الجزء والصفحة
قَــدِ اسْــتَــوَى بِـشْــرٌ عَـلَـى الْـعِــرَاقِ مِــنْ غَــيْــرِ سَــيْــفٍ ودَمٍ مُــهْــرَاقِ	الأخطل	١/ ٣٤٠
قــدْ أَصْـبَـحَـتْ أُمُّ الـخِـيـارِ تَـدَّعـي عَــلَــيَّ ذَنْـبـاً كُـلُّـهُ لَـمْ أَصْـنَـعِ	أبو النجم	٥/ ١٩٦، ٩/ ٤٠٠
قَـدْ أَصْـبَـحَـتْ أُمُّ الْـخِـيـارِ تَـدَّعِـي عَــلَــيَّ ذَنْـبـاً كُـلُّـهُ لَـمْ أَصْـنَـعِ	أبو النجم العجلي	٣/ ٥٣٧
قَــدْ رَابَـنِـي أَنَّ الْــكَـرِيَّ أَسْكَـتَا لَــوْ كَــانَ مَـعْـنِـيّـاً بِـهَـا لَـهَـيَّـتَا	بلا نسبة	٥/ ٤٣٧
قَــدْ شَــمَّـرَتْ عَــنْ سـاقِـهَـا فـشُـدُّوا	بلا نسبة	٩/ ٦٤١
قَــد قَـتَـلَ اللهُ زيــاداً عـنِّـي	الفرزدق	١/ ٢٩٩، ٤/ ٣٤٢
قَــدْ كُـنْـتِ تَـبْـكِـيـنَ عَـلَـى الإصـعَـادِ فــالآنَ ســرحْـتِ وَصَــاحَ الْـحَـادِي	بلا نسبة	٢/ ٦٥١
قَــدْ لَـفَّـهَـا الـلَّـيْـلُ بِـسَـوَّاقٍ حُـطَـمْ لَــيْــسَ بِــرَاعِــي إِبِــلٍ وَلا غَــنَــمْ	الحطم القيسي	٣/ ٣٩٦
قَــدْ يُـصْـبِـحُ اللهُ أَمَــامَ الـسَّـارِي	بلا نسبة	١/ ١٩٧
قَـدْنِـيَ مِـنْ نَـصْـرِ الـخُـبَـيْـبَـيْـنِ قَـدِيْ لـيْـسَ أَمـيـري بـالـشَّـحـيحِ الـمُـلْـحِـدِ	حميد بن مالك	٥/ ٧٢٨، ٦/ ١١٤، ٨/ ٢٨٢
قُــلْــتُ صــاحِــبْ قَــوِّمِ	بلا نسبة	٨/ ١٦٩
قُـلْـتُ لِـشَـيْـبَـانَ ادْنُ مِــنْ لِـقَـائِـهِ أَنَّـــا نُــغَــذِّي الــقَــوْمَ مِــنْ شِـوَائِـهِ	أبو النجم العجلي	٤/ ١٠٣
قـلـتُ لـهـم خَـافـوا بـأَلْـفَـيْ فـارسٍ	دريد بن الصمة	٣/ ١٥

الرجز	القائل	الجزء والصفحة
قُـلْـنَـا لـهَـا قِـفـي فـقَـالـتْ قَـاف	بلا نسبة	١/ ٢٦٩،٩/ ١٢٩
قِـــوامُ دُنْـيَـــا وَقَـــوَامُ دِيـــنِ	حميد الأرقط	٣/ ٦٤٠
كَـــانَ جَـــزَائي بالْعصَا أَنْ أُجْـلَـدَا	العجاج	٥/ ٣٢٢
كَـــأَنَّــمَـــا جَـلَّـلَـهـا الـــحَـــوَّاكُ طِـنْـفِـسَـةً فـي وَشْـيِـهَـا حِـبَـاكُ	بلا نسبة	٩/ ١٧٢
كَـــأَنَّـــنِـــي أَرَبْـــتُـــهُ بِـــرَيْـــبِ	الهذلي	٤/ ٧٣١
كَـــفَّـاكَ كَـفٌّ مـا تُـليق دِرْهَـمـاً جُـــوداً وأخـــرى تُـعـطِ بالسيفِ الـدَّمَـا	بلا نسبة	٥/ ٣٨٢
كُـــلُّ كِـــنَـــازٍ لَـــحْـــمُـــهُ نـيـافِ كـالْـجـمَـل الْـمُـوفِـي عَـلَـى الأعْـــرَافِ	بلا نسبة	٤/ ٢٦٩
كِلاهُـمَـا كَـانَ رَئِـيساً بَـيْـئَسَا يَـضْـرِبُ فِـي يَـــوْمِ الـهَـيَـاجِ الـقَـوْنَـسَا	امرؤ القيس	٤/ ٤٢٧
كُـــلُّـــنَـــا يَـــمْـــشِـــي رُوَيْـــــدْ كُـــلُّـــنَـــا يَـــطْـــلُـــبُ صَـــيْـــدْ غَـــيْـــرَ عَـــمْـــرِو بـــن عُـبَـيْـدْ	منصور	٧/ ٦٦٩
كـيـف تــرانـــي قـــالـــباً مِـجَـنِّـي قـــد قـــتـــلَ الله زيــــاداً عـنِّـي	الفرزدق	١/ ٢٨٨
لا أشـــتـــهـــي أن أَرِدَا إلا عَـــــــراداً عَـــــــرِدَا وصِـــلِّـــيَـــانـــاً بَـــــرِدا وَعَـــنْـــكَـــثـــاً مُـلْـتَـبِـدَا	بلا نسبة	٢/ ٦٣٦

الرجز	القائل	الجزء والصفحة
لَا تَــخْـبِــزَا خَـــبْـزاً وَبُـــسَّـا بَـسَّا وجـنّــبَــاهَـا نَــهْـــشَـــلاً وعَـبْـسا ولا تُـــطِــيـلا بِـــمُـــنَـاخ حَـبْسا	بلا نسبة	٩/ ٣٤٨
لَا تُـــفــسِـــدُوا آبَـــالَـــكُـــمْ أيـــمـــا لـــنـا أيـــمـــا لَـــكُـــمْ	بلا نسبة	٤/ ٦٥٩
لَا هُـــمَّ إِنَّ عَـــامِــرَ بْـــنَ جَـهْـمِ أَوْذَمَ حَــجّــاً فــي ثِــيَــابٍ دُسْــمِ	بلا نسبة	١٠/ ٧
لاثٍ بِـــهِ الأَشَـــاءُ والْـــعُـــبْـرِيُّ	العجاج	٥/ ١٠٢، ٦/ ١٣٠
لأَنْـــعَـــتَـــنْ نَـعـــامَـــةً مِـيـفـاضـا خَــرْجــاءَ ظَـلَّـت تَـطْـلُـبُ الإِضـاضَـا	بلا نسبة	٩/ ٦٩٦
لاهُـــمَّ إنْ كُـنْـتَ الَّـــذِي بِـعَـهْـدِي وَلَـــمْ تُـغَـيِّـــرْكَ الْأُمُـــورُ بَـعْـدِي	بلا نسبة	١/ ١٩٧
لاهُـــمَّ لا أدْرِي وَأَنْـــتَ الـــدَّارِي	العجاج	١/ ١٩٦
لَــتَـجِــدَنِّــي بِـــالأَمِـــيــرِ بَـــرّاً وَبِـــالْـــقَـــنَـــاةِ مِـــدْعَـــســاً مِــكَــرَّا إِذَا غُـــطَـــيْـفُ الـسُّـلَـمِـــيُّ فَـــرَّا	بلا نسبة	٤/ ٦٩٢
لَــفْـتــاً وَتَـهْـزِيعــاً سَـــواءَ الـلَّـفْـــتِ	رؤبة	٥/ ٢٢٢
لَـقَـدْ رأيـــتُ الــمــوتَ قَـبْـلَ ذَوْقِـــه	عامر بن فهيرة	٢/ ٦٢٦
لِـلْـمَـاءِ مِـنْ عِـضَـاتِـهِـنَّ زَمْـزَمَـهْ	بلا نسبة	٥/ ٧٥١
لِـلّـــهِ دَرُّ الْـغَـــانِـيَـــاتِ الْـــمُـــدَّهِ سَـبَّـحْـنَ واسْـتَـرْجَـعْـنَ مِـنْ تَـأَلُّـهِي	رؤبة	١/ ٢١٨

الرجز	القائل	الجزء والصفحة
لَـــمْ يَــبْــقَ إِلَّا شِــكَّــةٌ وَيَــعْــبُــوبْ وَصَـــــارِمٌ يَـقـتُـلُ ضُـــــلَّالَ الـشِّـيـبْ	عبد الرحمن بن أبي بكر	٨/ ٧٤١
لــمَّــا أَتَــى «نــحــن قــسمــنــا بــيــنــهــم» زال الــمِــرا	عبدان	٨/ ٦٢٠
لَـمَّـا رأَى أنْ لا دَعَــهْ وَلا شِـبَـعْ مَــالَ إِلَـى أَرْطَـــاةِ حِـقْـفٍ فَاضْطَجَعْ	بلا نسبة	٤/ ٣٤٩
لَــوْ أنَّ سَـلْـمَى أَبْـصـرَتْ تَـخَـدُّدي وَدِقَّـــــةً فـي عَـظْـم سَـاقِـي ويَـــدِي وَبُــعْــدَ أَهْــلــي وَجَــفَــاءَ عُــوَّدِي عـضَّـتْ مِـنَ الْـوَجْـدِ بِـأَطْـرَافِ الْـيَـدِ	بلا نسبة	٥/ ٦٣٩
لَـوْ عَـايَـنَـتْ رُهْـبَـانَ دَيْـرٍ في الْقُلَلْ تـحـدَّر الـرُّهْـبَـانُ يَـمْـشِـي وَنَـــزَلْ	بلا نسبة	٣/ ٥٩٤
لـــوْ عَـــرَضَـــتْ لأيْـبُـلـيٍّ قَـسِّ أشعــــثَ فـي هيــكـلِـهِ مُـنـدسِّ حـــنَّ إلــيــهــا كـحَـنـيـن الـطَّـسِّ	العجاج	٣/ ٨
لِـيَـــوْمِ رَوْعٍ أَوْ فَـعَـــالِ مَـكْـرُمِ	أبو خزر الحماني	٢/ ٢٥٨
مَــا دام فَــيــهِــنَّ فَـصـيـلٌ حَـيَّـا	ابن ميادة	١٠/ ٤١٤
مَــا لَـك مـن طـول الأسـى فُـرقـانُ بَـعـد قَـطـيـنٍ رحـلـوا وبـانـوا	بلا نسبة	٤/ ٥٤٤
مِـثْـلُ الْـفِـرَاخِ نُـتِـفَـتْ حَـوَاصِـلُـهْ	بلا نسبة	٦/ ٧٢
مِـثْـلُ الـنَّــقَـا لَـبَّـدَهُ بَـرْدُ الـظِّـلَلِ	بلا نسبة	٥/ ٥٦

الرجز	القائل	الجزء والصفحة
مَـــرَّتْ بِـــنَـا أَوَّلَ مِـــنْ أُمُـــوس تَـمِـيـسُ فِـيـنَـا مِـشْـيَـةَ الْـعَـــرُوسِ	بلا نسبة	٨/ ٢٨٣
مُـضَـمَّـرٌ تَــحْــذَرُهُ الأَبْــطَــالُ كَــأَنَّــهُ الْــقَــسْــوَرَةُ الــرِّئْــبَــالُ	بلا نسبة	١٠/ ٢٦
مِــنْ أَيِّ يَــوْمَــيَّ مِــنَ الْــمَــوْتِ أَفِــرْ أَيَـــوْمَ لَـــمْ يُـــقْـــدَرَ أَم يَـــوْم قُـــدِرْ	الحارث بن نمر	١٠/ ٣٠٢
مَــنْ شَــاءَ مِــنْ نَــارِ الْـجَـحِـيـمِ اقْتَبَسَا	جرير	٧/ ٤٠٠
مَـــنْ يَـــكُ ذا شَـــكٍّ فـهـذا فَـلْـجُ مَـــاءٌ رُواءٌ وطَـــرِيـــقٌ نَـــهْـــجُ	بلا نسبة	٣/ ٥٣٤
مَــوَاقِــعُ الــطَّــيْــرِ عَــلَــى الــصُّــفِــيِّ	الاخيل الطائي	١/ ٦٠٧
نَـــاجٍ طَـــوَاهُ الأَيْـــنُ مِــمَّــا وجَـفَـا طَـيَّ الـلَّـيَـالـى زُلَــفــاً فــزُلَــفَــا	العجاج	٥/ ٣٩٥
الــنَّــاسُ جَــنْــبٌ والأَمِـــيـــرُ جَـنْـبُ	بلا نسبة	٨/ ٤١٥
نَـحْـنُ بَـنُـو جَـعْـدَةَ أَرْبَـــابُ الْـفَـلَـجْ نَـضْـرِبُ بِـالْـبِـيْـضِ وَنَـرْجُـو بِـالْـفَـرَجْ	النابغة الجعدي	٧/ ١٠٠
نَـشْـكُـو إِلَـيْـكَ سَـنَـةً قَـدْ أَجْـحَـفَـتْ جَـهْـداً إِلَـى جَـهْـدٍ بِـنَـا فَـأَضْـعَـفَـتْ واحْـتَـنَـكَـتْ أَمْـوَالَـنَـا وجَـلَّـفَـتْ	متنازع النسبة	٦/ ٢٤٢
نُـهْـدِي رُؤُوسَ الـمـتْـرَفِـيـنَ الأَنْـــدَادْ إِلَــى أَمِــيــرِ الــمُــؤْمِــنِــيــنَ الــمُــمْــتَــادْ	رؤبة	٣/ ٦٨١، ٥/ ٣٩٩
هَـــذَا مَـكَـــانُ قَـــدَمَـــيْ رَبَـــاحِ غُـــدْوَة حَـــتَّـــى دَلَـــكَـــت بَـــرَاحِ	بلا نسبة	٦/ ٢٦٤

الرجز	القائل	الجزء والصفحة
هـلْ أغْــدُونْ يـوْمـاً وأمْــري مُجْمَعُ	بلا نسبة	٥/ ٢١٥
هَـلْ يَنفَعَنْكَ الْـيَـومَ إنْ هَـمَّـتْ بِهَمْ كـثْـرةُ مـا تُـوصِـي وتَـعْـقَـادُ الـرَّتَـمْ	بلا نسبة	٣/ ٤٤٨
هَـيْـهَـاتَ مِــنْ مُـنْـخَـرِقٍ هَـيْـهَـاؤُهُ	رؤبة	٧/ ١٠٩
واسْــتَـنْـوَكَــت ولـلـشَّـبــاب نُــوكُ	بلا نسبة	٥/ ٥١٤
وَالـــدَّهْــرُ بِـــالإِنْــسَـانِ دَوَّارِيُّ	العجاج	٣/ ٥٤٢
والـشَّـمْـسُ قَــدْ كـانَـتْ تـكُـونُ دَنَـفَـا أَدْفَـعُــهـا بــالــرَّاحِ كَــيْ تَـزَحْـلَـفَـا	العجاج	٦/ ٢٦٤
والـــلَّـهِ لَـــوْلَا صِبْـيـة صِـغَــارُ كَـــأَنَّـمَــا وُجُـــوهُـــهُــمْ أَقْــمَــارُ	بلا نسبة	٦/ ٣٦٧
وانْـحَـلَـبَـتْ عيناه مِـن فــرْطِ الأَسَـى	العجاج	٣/ ٥٧٧
وَحَــى لَـهَـا الْـقَــرارَ فَــاسْـتـقَــرَّتِ	العجاج	٩/ ٧١٢
وَدَائِـــــرَاتِ الــدَّهْـــرِ قــد تـدور	بلا نسبة	٩/ ٥٣
وَسْـــوَسَ يَـدْعُـو جَـاهِـراً رَبَّ الفَلَقْ	رؤبة	٤/ ٢١٩
وصـالِـــيَـاتٍ كَــكَـمَـا يُــؤَثْـفَـيْـنْ	خطام المشاجعي	٨/ ٥٥٥
وعَـــادَ رَأْسِـــي كـالــثَّـغَـامَـهْ	بلا نسبة	٤/ ٣٢٧
وفــي الــوُجــوهِ صُــفْــرَة وإبْــــلاسْ	رؤبة	١/ ٣٦٢
وقَــاتِــمِ الأَعــمَــاقِ خَــاوي الـمُـخْـتَـرقْ	العجاج	٦/ ٢٠٨
وقــالــت الأقْـــرَاب لـلْـبَـطْـنِ الْـحَـقِ	أبو النجم	١/ ٥٤٤

الرجز	القائل	الجزء والصفحة
وقَــتَّــلُــونَـا رُكَّــعـاً وَسُـجَّــدَا	عمرو الخزاعي	٤/ ٦٦٧
وقَــدْ عَـلَـتْـنـي ذُرْأَةٌ بــادِي بَـدِي	أبو نخيلة	٥/ ٢٨٨
وَقَــدِمَ الْــخَــوَارِجُ الــضُّــلَّالُ إلــى عِــبَــادِ رَبِّــنَـا فَـقَـالُـوا إنَّ دِمَــاءَكُــمْ لَـنَـا حَـلَالُ	بلا نسبة	٧/ ٢٨٢
وقُــولَ لا أهــلَ لــه ولا مــالْ	بلا نسبة	٥/ ٤٩٥
وكــانَ شُـكْـرُ الْـقَـوْمِ عِـنْـدَ المننِ كـيَّ الـصَّـحـيحاتِ وفَـقْءَ الأَعْـيُـنِ	بلا نسبة	٩/ ٣٨٣
ولَـيْـسَ دِيـنُ الـلَّـهِ بِـالْـمُـعَـضَّـى	رؤبة	٥/ ٧٥١
ومَــا أَلُــومُ الْـبِـيـضَ ألا تَـسْـخَـرا	أبو النجم	١/ ٢٥٧، ٦١١
وَمَــا عَـلَـيْـكِ أَنْ تَـقُـولِـي كُـلَّـمَا سَـبَّـحْـتِ أوْ هَـلَّـلْـتِ يَـالـلَّـهُـم مَـا ارْدُدْ عَـلَـيْـنَـا شَـيْـخَـنَـا مُـسَـلَّـمَا	بلا نسبة	٢/ ٣٦٥
ومَــدَّ طُــوفَـانٌ فَـبَـثَّ مَــدَدَا شَـهْـراً شَـآبِـيـبَ وَشَـهْـراً بَـرَدَا	أبو النجم	٤/ ٣٦٤
وَمَــنْ هَـمَـزْنَـا عِــزَّهُ تَـبَـرْكَـعَـا	متنازع النسبة	٩/ ١٠٩
وَمَـنْـهَـلٍ وَرَدْتُــهُ الْـتِـقَـاطا لَـمْ أَلْــقَ إِذْ وَرَدْتُــهُ فُــرَّاطا	نقادة الأسدي	٧/ ٤٧٦
وَمَـهْـمَـهٍ هَـالِـك مَـنْ تَـعَـرَّجَـا	العجاج	٦/ ٤٠٢
وَنَــتَــقُـوا أحْـلامَـنَـا الأثَـاقِـلا	رؤبة بن العجاج	٤/ ٤٣٧

الرجز	القائل	الجزء والصفحة
وَهـــنَّ يَـمْـشِـيـنَ بِـنـا هَـمِـيـساً إن تـصْـدق الـطَّـيْـرُ نَـنِـكْ لَمِيسا	بلا نسبة	١/ ٧٢٣
وَيُنْشئ الْـمُـلْكَ لِمَلْكٍ ذي قَـدَمْ	العجاج	٩/ ١٥٥
يـا ابْـنَـةَ عَـمِّـي لَاحَـنـي الْـهَـوَاجـرُ	بلا نسبة	١٠/ ١٦
يـا أقـرعُ بـن حـابـسٍ يـا أقـرعُ إنـك إن يُـصْـرَعْ أخـوك تُـصْـرَعُ	جرير بن عبد الله البجلي	٢/ ٥٧٩
يـا حـبَّـذا الْـقَـمْـراءُ والـلَّـيْـلُ الـسَّـاجْ وَطُـرُقٌ مِـثْـلُ مُـلاءِ الـنَّـسَّـاجْ	بلا نسبة	١٠/ ٢٩٣
يَـا حَـكَـمَ بْـنَ الْـمُـنْـذِرِ بـنَ الْـجَـارُودْ سُـرَادِقُ الْـمَـجْـدِ عَـلَـيْـكَ مَـمْـدُودْ	رؤبة	٦/ ٣٦٢
يـا رُبَّ ذِي ضِـغْـنٍ عَـلَـيَّ فَـارِضِ لـه قُـروءٌ كـقُـروءِ الـحَـائِـض	العجاج	١/ ٤٤٣، ٢/ ٥٥
يَـا سَـارِقَ الـلَّـيْـلَـةِ أهْـلَ الـدَّارِ	بلا نسبة	١/ ٢٣٧
يـا صَـاح هـلْ تـعْـرف رسـماً مُـكْـرَسَـا قـال نـعـم أعْـرفـه وَأبْـلَـسَـا	العجاج	١/ ٣٦١، ٧/ ٦١٥
يَـا فَـقْـعَـسِـيُّ لِـمْ أكَـلْـتَـهُ لِـمَـهْ لَـوْ خَـافَـكَ اللهُ عَـلَـيْـهِ حَـرَّمَـه	بلا نسبة	١/ ١٩٧
يـا قَـوْمِ مَـا بـالُ أَبِـي ذُؤَيْـبِ كُـنْـتُ إذا أَتَـيْـتُـهُ مِـنْ غيْـبِ يَـشَـمُّ عِـطْـفي ويـمَـسُّ ثَـوْبِـي كَـأنـنِـي أَرَبْـتُـهُ بِـريْـبِ	خالد بن زهير الهذلي	٥/ ٣٣٤
يَـا لَـيْـتَ أُمَّ الْـعَـمْـرِ كَـانَـتْ صَاحِبي		٤/ ٦٤

الرجز	القائل	الجزء والصفحة
يَـا مُـنْـزِلَ الـرُّحْـم عَـلَـى إِدْرِيـسَـا وَمُـنْـزِلَ الـلَّـعْـن عَـلَـى إِبْـلِـيـسَـا	العجاج	٦/ ٤٣٠
يـا نَـصْـرُ نَـصْـرٌ نَـصْـرَا	رؤبة	٨/ ٣٢٣
يـحـذيـن فـي شـراذِم الـنِّـعَـالِ	بلا نسبة	٧/ ٣٥٢
يَـحُـوذُهُـنَّ وَلَـهُ حُـوذِيُّ	العجاج	٣/ ٣٤٤
يـردُّ عـنـهـا الـقَـدَرَ الـمـقـدورَا ودائـراتِ الـدهـر أن تَـدُورَا	حميد الأرقط	٣/ ٥٤٢
يـكـادُ أن يَـخْـرجَ عـنْ إهـابِـهْ	لأبو نواس	٩/ ٦٠٧
الْـيَـوْمَ يَـبْـدُو بَـعْـضُـهُ أَوْ كُـلُّـهُ وَمَـا بَـدَا مِـنْـهُ فَـلَا أُحِـلُّـهُ	بلا نسبة	٤/ ٢٣٧
يَـوْمَـيْـنِ غَـيْـمَـيْـنِ وَيَـوْمـاً شَـمْـساً	بلا نسبة	٥/ ٦٥٠

فهرس صدور الأبيات

صدر البيت	القائل	البحر	الجزء والصفحة
أَسْـرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْـجَـوْزَاءِ سَارِيَةٌ	النابغة الذبياني	البسيط	٥/ ٧٣٣
إِمَّـا يُـصِـبْـكَ عَـــدُوٌّ فِـي مُـنَـاوَأَةٍ	أعشى باهلة	البسيط	٤/ ٣١
أَنَـا ابْـنُ دَارَةَ مَعْرُوفاً بِهَا نَسَبِي	ابن دارة	البسيط	٦/ ٢٠
إِنِّـي أَتَـتْـنـي لِـسَـانٌ غَـيْـرُ كَـاذِبَـةٍ	الأعشى	البسيط	٦/ ١١٤
إِنِّـي تـوسَّـمْتُ فـيـكَ الْخَـيْـرَ نَـافِلَـةً	عبد الله بن رواحة	البسيط	٥/ ٧٤١
حَيُّـوا المُـقـامَ وحَـيُّـوا سـاكِنَ الـدَّار	جرير	البسيط	٧/ ٣١٧
خَيْــلٌ صِيَـامٌ وأخـرى غيـرُ صائمـةٍ	بلا نسبة	البسيط	٦/ ٤٩٥
صَـــدَّتْ خُلَيْدَةُ عَنَّا مَـا تُكَلِّمُنَا	بلا نسبة	البسيط	٤/ ٥٥٣
فِــي فِـتْـيَـةٍ كَـسُـيُـوفِ الْـهِـنْـدِ	الأعشى	البسيط	٧/ ١٧٦
في لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أَنْدِيَةٍ	مرة بن محكان	البسيط	٦/ ٩٤
قِفْ بالطُّلُولِ الَّتي لَمْ يُعْفِهَا القِدَمُ	زهير	البسيط	٢/ ٢٤١
لَمْ يَمْنَعِ الشُّرْبَ مِنهَا غَيْرَ أَنْ هَتَفَتْ	متنازع النسبة	البسيط	٩/ ١٨٣
مِــن أَسْـتَــن سُــودٍ أَسـافِـلُـهُ	النابغة الذبياني	البسيط	٨/ ٢٥٩
مَنْ يَفْعَلِ الصَّالِحَاتِ الله يحفَظُهَا	حسان بن ثابت	البسيط	١/ ٦٥٥
وأَنْكَرَتْني وَمَـا كَـانَ الـذِي نَكِرَتْ	الأعشى	البسيط	٦/ ٢٨٢
وَدِّعْ هُـرَيْـرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ	الأعشى	البسيط	٢/ ١٨٩

صدر البيت	القائل	البحر	الجزء والصفحة
وَلا يَدِي فِي حَمِيتِ السَّمْنِ تَنْدَخِلُ	الكميت	البسيط	٤/ ٧٤٨
يَا دِينَ قَلبِكَ مِنْ سَلْمَى وَقَدْ دِينَا	بلا نسبة	البسيط	١/ ٢٤٢
إنَّ مَـــنْ يـدخــلِ الكنيسةَ يومــاً	الأخطل	الخفيف	٤/ ٥٧٥
رُبَّ كــأْسٍ هَـرَقْـتَ يـابْـنَ لُـؤَيٍّ	متنازع النسبة	الخفيف	٥/ ٦٩٢
رب رِفْـــــدٍ هَـــرَقْــتُــه	الأعشى	الخفيف	٥/ ٦٩٢
لَا أَرى الْمَوْتَ يسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ	عدي بن زيد	الخفيف	٨/ ٣٨٧، ١٠/ ١١٥
إمَّـا تَـــرَيْ رَأْســي أَزْرَى بِـهِ	الأفوه	السريع	٦/ ٤٩٤
إنِّــي امــرؤٌ مِــنْ مـدْحـتـي هـائِـدُ	بلا نسبة	السريع	١/ ٤٣٠
قُــولاَ لِـــدُودَانَ عَـبِـيـدِ الْـعَـصَـا	امرؤ القيس	السريع	٣/ ٧١٧
أُريــــدُ لأنْــسَـــى ذِكْـــرَهَــــا	كثير عزة	الطويل	١/ ٦٧٧، ٣/ ١١٤، ٤/ ٤١
أَلا أَيُّـهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلا انْجَلي	امرؤ القيس	الطويل	٣/ ٢٣١
أَلا أَيُّهذا الزَّاجِري أحضُرُ الوَغى	طرفة بن العبد	الطويل	٤/ ٦٠٦
ألا حَيِّ من أجْل الحَبيبِ المَغانِيا	أبو حية النميري	الطويل	٤/ ٣٣٢
أَلَـمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَـدَا	الأعشى	الطويل	٢/ ١٨٩
إِلى الْحَوْلِ ثمَّ اسْمُ السَّلام عَلَيْكُمَا	لبيد	الطويل	٤/ ٣١١
أَمِـنْ آلِ نُعْمٍ أَنْـتَ غَـادٍ فَمُبْكِرُ	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	٢/ ٤٠٨
أيـــا جـــارتــــا بــيــنـي	الأعشى	الطويل	٣/ ١٤٢
تبغَّاك نَصْبٌ مِـنْ أُمَيْمَةَ مُنصِبٌ	بشر بن أبي خازم	الطويل	٨/ ٣٤١
تَـتَـبَّعُ أَفْـيَـاءَ الـظِّـلالِ عَشِيَّةً	علقمة	الطويل	٦/ ٥٨

صدر البيت	القائل	البحر	الجزء والصفحة
تَـجَـلَّـتْ عَـمَـايَـاتُ الـرِّجَـالِ	امرؤ القيس	الطويل	٧/ ٤٥٠
تَـرَكْـنَـا لَـهُـمْ شـقَّ الـشِّـمَـالِ	حسان العدوي	الطويل	٨/ ٢٤٥
تَـعَـلَّـمْ أَبَـيْـتَ الـلَّـعْـنَ		الطويل	٥/ ٦٣٧
تـمـتَّـع مـن الـدُّنـيـا فـإنَّـك فـانِ	امرؤ القيس	الطويل	١/ ٤٩٤
حَـصَـانٌ رَزَانٌ	حسان بن ثابت	الطويل	٧/ ١٦٨
رَجَعْتُ بمَا أبْغِي ووَجْهِي بمَائِهِ	أبو العتاهية	الطويل	١/ ٥٩١
رَمَتْني وسِتْرُ الله بَيْني وَبَيْنَهَا	أبو حية	الطويل	٣/ ٩٧
شَـرِبْـنَ بِـمـاءِ الْـبَـحْـرِ	أبو ذؤيب الهذلي	الطويل	١٠/ ٥٦
عَلَى حينَ عَاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبَا	النابغة الذبياني	الطويل	٩/ ١٨٣
عَـلَـى لاَحِـبٍ لاَ يُـهْتَـدَى بِمَنَارِهِ	امرؤ القيس	الطويل	٢/ ٢٤٠، ٢٤١، ٥٠١
فـآبَ مُـضِـلُّـوه بـعـيـنٍ جَـلِـيَّـةٍ	النابغة الذبياني	الطويل	٢/ ٤٥٦
فَـظَـلَّ تَـلِـيـلاً لِـلْـجَـبـيـن	ساعدة بن جؤية	الطويل	٨/ ٢٧٦
فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِـأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ	دريد	الطويل	٦/ ٣٩٥
فَـلَا وَأَبِـي أعدائها لَا أَخُونُـهَا	البعيث	الطويل	٩/ ٣٧٦
فلَمَّا أَجَزْنا ساحَةَ الحَيِّ وانتَحَى	امرؤ القيس	الطويل	٥/ ٤٢١، ٨/ ٤٢٨
قَصيرُ القميص فاحِشٌ عنْدَ بَيْتِه	كثير عزة	الطويل	٤/ ٢٤٧
كَـأنَّ الثُّـرَيـا عُلِّقَـتْ في مَصَامِهَا	امرؤ القيس	الطويل	١/ ٦٦٢
كأنْ لم يَكُنْ بينَ الحَجُون إلى الصَّفَا	عمرو الجرهمي	الطويل	٤/ ٣٣٢
كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قَبلَها البيت	امرؤ القيس	الطويل	٥/ ٤٧٥

صدر البيت	القائل	البحر	الجزء والصفحة
كدِينِكَ مِنْ أُمِّ الْحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا	امرؤ القيس	الطويل	١/ ٢٣٩
كِلِيني لِهَمٍّ يا أمَيْمَةَ نَاصِبِ	النابغة الذبياني	الطويل	٥/ ١٢٩، ٧٠٨، ٨/ ٣٤١
لَعَمْرُكَ ما أَدْرِي وَإِنِّي لأَوْجَلُ	معن بن أوس المزني	الطويل	٧/ ٦٢٤
لَعَمْري وَمَا عَمْري عَلَيَّ بِهَيِّنٍ	النابغة الذبياني	الطويل	٥/ ٧٣٨
له الشَّدَّةُ الأُولى إذا القِرْنُ أَعْوَرَا	بلا نسبة	الطويل	٧/ ٧٣٣
لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ		الطويل	٧/ ٢٣٠، ٨/ ٥٤٩
ليعْتَوِرْنَكَ القولُ حتَّى تَهِرَّه	الأعشى	الطويل	٢/ ١٩٨
مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فأنْهَرْتُ فَتْقَهَا	قيس بن الخطيم	الطويل	١/ ٢٣٣
نَهَارُكَ بَطَّالٌ وَلَيْلُكَ نَائِم	بلا نسبة	الطويل	٥/ ٤٧٦
هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَخْوَلُوا المالَ يُخْوِلُوا	زهير	الطويل	٨/ ٣٧٧
وإِنَّ شِفائي عَبْرَةٌ إِنْ سَفَحْتُها	امرؤ القيس	الطويل	٤/ ١٥٧
وَإِنِّي لَتَعْرُوني لِذِكْرَاكِ فَتْرَةٌ	متنازع النسبة	الطويل	٣/ ٤٦٣
وأَهْلَةِ وُدٍّ قد تَبَرَّيْتُ ودَّهم	متنازع النسبة	الطويل	٣/ ٦٠٤
وَعِلْمِي بأَسْدام المياه	تميم بن مقبل	الطويل	٧/ ٤٥٤
وَقَائِلَةٍ خَوْلَانُ فَانْكِحْ فَتَاتَهُم	بلا نسبة	الطويل	٨/ ٣٦٨
وَقَدْ شَاءَني أَهْلُ السِّباقِ وأَمْعَنُوا	بلا نسبة	الطويل	٨/ ٥٤٢
وَمَا كُلُّ مَغْبُونٍ وَلَوْ سَلْفَ صَفْقُهُ	الأخطل	الطويل	٣/ ٥٦١
وَنَحْنُ نُزَجِّيهِ	أبو تمام	الطويل	٧/ ٢٣٩
ويَوْماً شَهِدْنَاهُ سُلَيْماً وعَامِراً	متنازع النسبة	الطويل	١/ ٢٣٨

صدر البيت	القائل	البحر	الجزء والصفحة
أَلَا ذَلِكَ الْخَلَفُ الْأَعْوَرُ	موسى شهوات	مجزوء الكامل	٤/ ٤٣٣
إنَّ الرِّجَالَ لَهُمْ إِلَيْكِ وسِيلةٌ	عنترة	الكامل	٦/ ٢٣٠
إنِّي بِحَبْلِكِ واصلٌ حَبْلي	امرؤ القيس	أحذ الكامل	٢/ ٥٣٨
أَهْلاً بِصَائِدَةِ الْغُرَانِقِ	بلا نسبة	الكامل	٧/ ٧٣
بَقَّيْتُ وَفْري وانحرفتُ عن العُلى	الأشتر	الكامل	٤/ ٣٢٨
سَبَقُوا هَوَيَّ وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمُ	أبو ذؤيب الهذلي	الكامل	٦/ ٥٧٨
ضَمِنَتْ بِرِزْقِ عِيَالِنَا أَرْمَاحُنَا	الأعشى	الكامل	٧/ ٣٦
فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا بِلَبَانِهِ	عنترة	الكامل	٦/ ٣٣١
فَتَذَكَّرا ثَقَلاً	لبيد	الكامل	٩/ ٣٢٥
كَادَتْ وَكِدْتُ وَتِلْكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ	بلا نسبة	الكامل	٦/ ٥٧٦
كَالأُقْحُوَانِ غَدَاةَ غِبِّ سَمَائِهِ	النابغة الذبياني	الكامل	١٠/ ٢٠٩
كِلْتَاهُمَا حَلَبُ الْعَصِير	حسان بن ثابت	الكامل	١٠/ ٩٥
لمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَق ميسَمِي	جرير	الكامل	٩/ ٦٣٤
لِمَنِ الظَّعَائِنُ سَيْرُهُنَّ تَزَحُّفُ	أعشى همدان	الكامل	٤/ ٥٢٢
لَوْ كَانَ يَدْرِي ما الْمُحَاوَرَةُ اشْتَكَى	بلا نسبة	الكامل	٦/ ٤٢٢
مَنْ كَانَ مَسْرُوراً بِمَقْتَلِ مَالِكٍ	ربيع بن زياد العبسي	الكامل	٥/ ٥١
هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ	عنترة	الكامل	٦/ ٤٤٩
والْأَرْضُ تحملنا وَكَانَتْ أُمَّنَا	أمية بن أبي الصلت	الكامل	٤/ ٦٩٤
وكَتِيبَةٍ لَبَّسْتُهَا بكَتِيبَةٍ	الفرار السلمي	الكامل	١/ ٣٨٣
ولَقَدْ شَفَعْتُهُمَا بآخَرَ ثَالِثٍ	ربيعة بن مكدم	الكامل	٧/ ٢٦٤، ٩/ ٢٤٨

صدر البيت	القائل	البحر	الجزء والصفحة
وَمُــشَــجَّــجٌ أَمَّـــا سَـــوَاد	متنازع النسبة	الكامل	٧/ ١٧٥
يَا ابَا الْمُغِيرَةِ رُبَّ أَمْـرٍ مُعْضِلٍ	أبو الأسود	الكامل	٤/ ٧٤٢
يَـدْعُـونَ عَنْتَرَ وَالـرِّمَـاحُ كَأَنها	عنترة	الكامل	٧/ ١٩
يَنْبَاع من ذِفْـرَى غَضُوبٍ جَسْرَةٍ	عنترة	الكامل	٢/ ٥٩٢
أَمَــرْخٌ خِيَــامُــهُــمُ أَمْ عُـشُــرْ	امرؤ القيس	المتقارب	٩/ ٣٤٠
تَـرُوحُ مِـنَ الْـحَــيِّ أَم تَـبْـتَـكِــرْ	امرؤ القيس	المتقارب	٧/ ٣٤٤
تَــمِـيمُ بـن مُــرٍّ وَأَشْــيـاعُـهَـــا	امرؤ القيس	المتقارب	٥/ ٣٣٢
ضَـعِـيـــفُ الـنِّـكَـــايَـــةِ أَعْـدَاءَهُ	بلا نسبة	المتقارب	٦/ ٨٤
لَـبِـسْــتُ أُنَـاساً فَـأَفْـنَـيْـتُـهـم	النابغة	المتقارب	٤/ ٢٩
وَفِــي كُــلِّ شَـــيْءٍ لَــهُ آيَــةٌ	أبو العتاهية	المتقارب	٧/ ١٢٠
وَقَـــدْ رابَـنـي قَـوْلُـهَـا يَـــا هَـنَـاهُ	امرؤ القيس	المتقارب	٩/ ٢٢٠
آبَ هَـــذَا الـلَّـيْـلُ إذْ غَـــسَـــقَـــا	ابن قيس الرقيات	المديد	٦/ ٢٦٤
إنَّ تَـقْـوَى رَبِّـنـا خَـيْـرُ نَـفَـلْ	لبيد	المديد	٤/ ٤٨٩
أَصْـبَـحْـتُ لا أحْـمِـلُ الـسِّـلاحَ	الربيع بن ضبع	المنسرح	٣/ ٤٨٢
أَفْــــــرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الْــكِــــرَامَ	حضرمي بن عامر	المنسرح	٤/ ٣٥٠
مـا نَـقَـمُـوا مِـــنْ بـنـي أُمَـيَّـةَ	ابن الرقيات	المنسرح	٤/ ٣٥٧
مِـنْ سَـبَـأَ الْـحَـاضِـرِيـنَ مَـــأْرِبَ..	النابغة الجعدي	المنسرح	٧/ ٤١٨
أَحَــبُّ الـمـؤْقـدان إِلَـيْـكَ مُؤْسَى	أبو حية النميري	الوافر	٧/ ٤٣٨
أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَـنْ رَكِـبَ الْمَطَايَا	جرير	الوافر	٧/ ٢٤٤
أَلَــمْ يَـأْتِـيـكَ والأَنْـبـاءُ تَنْمي	قيس بن زهير	الوافر	٣/ ٢٨٠، ٤/ ١١٠

صدر البيت	القائل	البحر	الجزء والصفحة
أمِــنْ رَيْـحـانَـةَ الـدَّاعِـي السَّمِيعُ	عمرو بن معدي كرب	الوافر	١/ ٢٩١، ٣٥٤، ٥٤٣، ٤/ ٧١٩
تَـلَـفَّـتُ أَنَّـهَـا تَـحْـتَ ابْــنِ قَيْن	الفرزدق	الوافر	٦/ ٢٨٢
جَـريـمَـة نَـاهِـضٍ فـي رأْسِ نيق	أبو خراش الهذلي	الوافر	٥/ ٧٣٠
شَـرِبْـتُ الإثْــمَ حَتَّى طَـارَ عَقْلِي	بلا نسبة	الوافر	٤/ ٢٤٧
صَـدَدْتِ الـكأس عَــنَّـا أمَّ عَـمْـرو	عمرو بن كلثوم	الوافر	٤/ ٥٥٣، ٩/ ٥٣٤
فَـغُـضَّ الـطَّـرْفَ إِنَّــكَ مِـنْ نُمَيْرٍ	جرير	الوافر	٨/ ٥٩٠، ٩/ ٩٨
كَــــأَنَّ فُــــــؤَادَهُ كُــــرَةٌ تَـنَـزَّى	بشار بن المبرد	الوافر	٧/ ٢٣٢
لـحَـبّ الْـمُـؤْقِـدَانِ إِلَــي مُؤْسَـى	جرير	الوافر	٨/ ٣٣٥، ٩/ ٩١، ٢٦٨، ١٠/ ٢٧٦
لَعَمْرُ أَبِـيـكَ ما نُـسِـبَ الْمُعَلَّى	أبو علي البصير	الوافر	٥/ ٧٣٨
للُبْسُ عَـبَـاءَةٍ وتَــقَـرَّ عَـيْنـي	ميسون الكلبية	الوافر	٥/ ٣٥٧
مُحَمَّدُ تَـفْـدِ نَفْسَكَ كـلُّ نَفْسٍ	بلا نسبة	الوافر	٥/ ٦٦٦
نَـدِمْـتُ عَـلَـى لِـسَـانٍ فَـاتَ مِنِّي	الحطيئة	الوافر	٦/ ٥١٣
وشَــهْــرِ بَـنِـي أُمَــيَّــةَ والـهَـدَايَـا	عوف بن الأحوص	الوافر	٤/ ٧٠٩
وَكَـائِــن بـالأبَـاطِـحِ مِــنْ صَـدِيـقٍ	جرير	الوافر	٩/ ٥٧٤
يَــعُـدُّ الـنَّـاسِـبُـون إلــى تَـمِـيـمٍ	ذو الرمة	الوافر	٦/ ٢٨١
لِـــعَـــزَّةَ مُـوحِــشــاً طَـلَـلُ	كثير عزة	مجزوء الوافر	١٠/ ٤١٥

فهرس أعجاز الأبيات

عجز البيت	القائل	البحر	الجزء والصفحة
ولا تَـعْـرِفْـكُـمُ الْـعَـرَبُ	جرير	البسيط	٩/ ٥٥٣، ٦/ ٦٣٩
أَوْ نَهْرُ تِيرَى فَمَا تَعْرِفْكُمُ العَربُ	جرير	البسيط	١/ ٤٠٥
وغـائِـبُ الـمـوْتِ لا يَـؤُوبُ	عبيد بن الأبرص	مخلع البسيط	٢/ ٣٤٨
وحـاجـةٍ غيرِ مُـزْجـاةٍ مـن الحاجِ	الراعي	البسيط	٥/ ٥٢٦
أَقْـوَتْ وطـالَ عَلَيْهَا سالِفُ الأَبَـدِ	النابغة	البسيط	٩/ ٣٧٥
فَلَمْ أُعَرِّض أَبيْتَ اللَّعْنَ بالصَّفَدِ	النابغة الذبياني	البسيط	٥/ ٦٨٦
فَلَنْ أُعرِّضْ أَبيْتَ اللَّعْنَ بِالصَّفَد	النابغة الذبياني	البسيط	١/ ٣٢٣
وَمَـا أُثَـمِّـرُ مِـنْ مـالٍ ومِـنْ وَلَـدِ	النابغة الذبياني	البسيط	٦/ ٣٧٢
سَبْقَ الجَوَادِ إذا اسْتَوْلَى على الأمَدِ	النابغة	البسيط	٢/ ٣٧٧
أَوْ أُمَّـةٌ خَـرَجَـتْ رَهْـواً إِلـى عِيدِ	عطارد بن قران	البسيط	٨/ ٦٧٣
فَـإِنَّـمـا هِـيَ إِقْـبَـالٌ وإِدْبَـارُ	الخنساء	البسيط	٥/ ٥٨١، ٧/ ٦٧٩
وَاكْـتُـبْـهَـا بِـأَسْـيَـارِ	سالم بن دارة	البسيط	١/ ٢٠٠
على زَواحِـفَ تُزجى مُخُّها رِيـرُ		البسيط	٥/ ٥٢٦، ٦/ ٢٤٦، ٧/ ٢٣٩، ٧/ ٢٣٩

عجز البيت	القائل	البحر	الجزء والصفحة
قَـدْ عَـضَّ أَعْنَاقَهُـمْ جِلْـدُ الْجَوَامِيـسِ	جرير	البسيط	٨/ ٩١
يَحُج مَأْمُومَـةً فـي قَعْرِهَـا لجَـف	عذار الطائي	البسيط	١/ ٦٠٩
مَـا فِـي عَطَائِهِمُ مَـنٌّ وَلا سَـرَفُ	جرير	البسيط	٣/ ٢٩
مِـنْ نَـسْـلِ جَـوَّابَـةِ الآفَـاقِ	أبو وجزة	البسيط	٥/ ٧٠٧
فَأَصْبَحَ الْحَبْلُ مِنْهَا وَاهِناً خَلِقَا	زهير بن أبي سلمى	البسيط	٢/ ٦١٦
وأَكْـتُـمُ الـسِّرَّ فيهِ ضَـرْبَـة الْعُنُقِ	أبو محجن	البسيط	٧/ ٣٣٦
في دين عَمْرٍو وحَالَتْ بَيْنَنَا فَدَكُ	زهير	البسيط	٦/ ٦١
مَـوْرُ السَّحابَةِ لَا رَيْـثٌ وَلَا عَجَـلُ	الأعشى	البسيط	٩/ ٢٠٩
إِنَّـا لأَمْـثَـالِـكُـمْ يَـا قَـوْمَـنـا قُتُلُ	الأعشى	البسيط	٤/ ٢٩٤
وَالنَّخْـلُ يَنْبُـتُ بَيْـنَ الْـمَـاءِ وَالْعَجَـلِ	الشماخ	البسيط	٦/ ٦٧٩
أَوْ تَـنْـزِلُـونَ فَـإِنَّـا مَـعْـشَـرٌ نُـزُلُ	الأعشى	البسيط	٤/ ٢٩٤
عَـظِـيـمُ الْـمُـلْـكِ فـي الْـمُـقَـلِ	المتنبي	البسيط	٩/ ٧١٥
ربَّ الْعِبَـادِ إِلَيْـهِ الْوَجْـهُ وَالْعَمَـلُ	بلا نسبة	البسيط	٧/ ٥٤٦
ضرْباً تَوَاصَى بِهِ الأَبْـطَالُ سِجِّيلاً	ابن مقبل	البسيط	٥/ ٣٦٣
زُعْ بالزِّمـام وجَـوْزُ اللَّيـل مَرْكـومُ	ذو الرمة	البسيط	٤/ ٥٦٣
والشمسُ حَيْرَى لها في الجوِّ تَدْويمُ	ذو الرمة	البسيط	٢/ ٤٧٠
طـارَ بِـهـا حَـوْزي وَتَـنْـسَـاسـي	الحطيئة	البسيط	١٠/ ٤٢
وَاقْعُـدْ فَإِنَّـكَ أَنْـتَ الطَّاعِـمُ الْكَاسِـي	الحطيئة	البسيط	٤/ ٧٣٣
وخَـيْـرُ الْـحَـدِيـثِ مَـا كَـانَ لَحْنَا	مالك بن أسماء بن خارجة	الخفيف	٩/ ٣٥
بِـأَبِـيـلٍ كُـلَّـمَـا صَـلَّـى جَـأَرْ	بلا نسبة	الرمل	٦/ ٦٣

عجز البيت	القائل	البحر	الجزء والصفحة
طَـبَّـقَ الأَرْضَ تَـحَـرَّى وَتَـدِرْ	امرؤ القيس	الرمل	٩/ ٧٠٣
لـلَّـهِ دَرُّ الْـيَـوْمَ مَـنْ لاَمَـهَـا	عمرو بن قمئة	السريع	٥/ ٦٨٤
وَقَـدْ بَـدَا هَـنْـكِ مِـنَ الـمِـئْـزَرِ	الأقيش السعدي	السريع	١/ ٤٠٥
يـا عَـجباً لـلمَيِّـتِ النَّاشِـرِ	الأعشى	السريع	٢/ ١٨٦، ٤/ ٢٩٦، ٨/ ١٣٥، ١٠/ ٧٥
تَـصْهَـرُهُ الـشَّـمْسُ وَلَا يـنْـصَـهِـرْ	ابن أحمر	السريع	٧/ ٢٩
لَـفْـتَـكَ لَأْمَـيْـنِ عَـلَـى نَـابِـلِ	امرؤ القيس	السريع	٩/ ١٥٠
فَـأَكْـرِم بِهَا أمّـاً وَأَكْـرِمْ بِنَا ابْنَمَا	حسان بن ثابت	الطويل	٩/ ١٨٤
غُـلامٌ إِذَا هَـزَّ الْـقَـنَـاةَ سَقَاهَا	ليلى الأخيلية	الطويل	٦/ ٤١٧
وَتِـلْـكَ شَكاةٌ ظَاهِرٌ عَنْك عَارُهَا	أبو ذؤيب الهذلي	الطويل	٦/ ٣٤٧
فَقَـدْ رَابَنـي منْهَـا الْغَـدَاةَ سُفُورُهَا	توبة الحمير	الطويل	٩/ ٢٢٠
وَعَـزَّةُ مَـمْـطُـولٌ مُعَنًّى غَرِيمُهَا	كثير عزة	الطويل	٩/ ١٤١
تَـرَى كـلَّ ملْكٍ دُونَـهـا يَـتَـذَبْـذَبُ	النابغة الذبياني	الطويل	٣/ ٣٤٧
كِلِينِي لِهَـمٍّ يـا أُمَـيْـمَـةُ نـاصِـبِ	بلا نسبة	الطويل	٥/ ٧٢٥
ومِـنْ قَبْـلُ رَبَّـتْنِـي فـضِعْـتُ رُبُـوبُ	علقمة الفحل	الطويل	١/ ٢٣٧
وَمَـا كَـانَ نَفْساً بـالـفِراقِ تَطِيبُ	المخبل السعدي	الطويل	٣/ ٢٢
إِذَا مَـا العَوَالِـي بالْعَبِيطِ احْمَأَرَّتِ	كثير عزة	الطويل	١/ ٢٥٩، ٥/ ١٧٣
فَـلَـمَّـا تَـوَافَـيْـنَـا ثَـبَـتُّ وَزَلَّـتِ	كثير	الطويل	٦/ ١٠٨
إذا نَـهَـلَـتْ مِـنْـهُ تَـمِـيـمٌ وعَـلَّـتِ	الطرماح	الطويل	٥/ ٣٣٢

عجز البيت	القائل	البحر	الجزء والصفحة
تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وجمراً تَأَجَّجَا	عبد الله بن الحر	الطويل	٨/ ٦٢٥
فَتِلْكَ سَبِيلي لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدِ	الشافعي	الطويل	٧/ ٦٢٤
كَوَقْع الصَّيَاصي في النَّسيج الْمُمَدَّدِ	دريد بن الصمة	الطويل	٧/ ٧٥٠
وأَحْسُو قَرَاحَ الماءِ والماءُ بَاردُ	عروة بن الورد	الطويل	٢/ ١٤٤
بَضَّةُ المتجرّدِ	طرفة بن العبد	الطويل	٣/ ٥٤
في الْفَارِسِيِّ الْمُسَرَّدِ	دريد	الطويل	٨/ ٧٧
كما نِيط خَلْفَ الراكبِ القَدَحُ الفردُ	حسان بن ثابت	الطويل	٢/ ٧٢٢
وَإِنْ لاَمَ فيه ذُو الشَّنانِ وفَنَّدا	الأحوص	الطويل	٣/ ٤٠٢
قَضَى نَحْبَهُ في مُلْتَقَى الْقَوْم هَوْبَرُ	ذو الرمة	الطويل	٧/ ٧٤٤
وَلَفَّ الثُّرَيَّا في مُلاءَتِهِ الْفَجْرُ	ذو الرمة	الطويل	٣/ ٧٢٥
تَعَالَى النَّدَى في مَتْنِهِ وَتَحَدَّرَا	ابن أحمر	الطويل	٨/ ٣٧٣
وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرْ	لبيد	الطويل	٥/ ٦٢
أخُو الْجَهْدِ لا يَلْوِي عَلَى مَنْ تَعَذَّرَا	امرؤ القيس	الطويل	٢/ ٦٥٢
وَتَعْتَلُّ عَنْ إِتْيَانِهِنَّ فَتُعْذَرُ	أبو قيس الأنصاري	الطويل	٩/ ٣٣٩
لهُ سِيْمِيَاءُ لا تَشُقُّ على البَصَرْ	أسيد بن عنقاء الفزاري	الطويل	٢/ ٢٣٨
أَقَمْنَا لَهُ مِنْ خَدِّهِ الْمُتَصَعِّرِ	بلا نسبة	الطويل	٧/ ٦٦٨
تَرَى الأُكْمَ فِيه سُجَّداً لِلْحَوَافِرِ	زيد الخيل	الطويل	١/ ٣٥٨، ٤١٤، ٤/ ٨٩، ٥/ ٥٩٦، ٦/ ٣٨٧، ٧/ ٢٦، ٩/ ٣٠٨، ٣٩٢، ١٠/ ٨٨، ٢١٣

عجز البيت	القائل	البحر	الجزء والصفحة
فَمَا أَنَا بِالوَانِي وَلَا الضَّرَعِ الغُمْرِ	متنازع النسبة	الطويل	٦/ ٥٨٨
وأشعَثَ تُرسِيهِ الوَلِيدةُ بالفِهْرِ	الأحوص	الطويل	٦/ ٢٣
وَيَعْلَمُ أَنَّ النَّائِبَاتِ تَدُورُ	أبو نواس	الطويل	٩/ ٥٣
ويَعْلَمُ أنَّ الدائراتِ تَدُورُ	أبو نواس	الطويل	٣/ ٥٤٢
وجَنْبي خيفَةَ الْقَوْم أَزْوَرُ	ابن أبي ربيعة	الطويل	٦/ ٣٣١
وَنَرْجُو الْفَلاحَ بَعْدَ عَادٍ وَحِمْيَرِ	لبيد	الطويل	١/ ٢٧٨
حَيْثُ تُكْوَى النَّواحِزُ	الشماخ	الطويل	٥/ ٤٨٩
كَمَا تَابَعَتْ سَرْدَ الْعِنَانِ الْخَوَارِزُ	الشماخ	الطويل	٨/ ٧٧
قُضَاعيَّةً تَأْتي الْكَوَاهِنَ نَاشزاً	الأعشى	الطويل	٢/ ١٨٧
يَحُثُّ الْجَنَاحَ بِالتَّبَسُّطِ والْقَبضِ	أبو خراش	الطويل	٩/ ٦١٣
فَمَا بَقِيَتْ إِلَّا الضُّلُوعُ الْجَرَاشِعُ	ذو الرمة	الطويل	٨/ ٧٥٢
إِذَا القَشْعُ مِنْ بَرْدِ الشِّتَاءِ تَقَعْقَعَا	متمم	الطويل	٦/ ٩٤
لَنَا قَمرَاهَا والنُّجُومُ الطَّوَالِعُ	الفرزدق	الطويل	٨/ ٦٢٧
عَنِ الضَّرْبِ مِسْمَعَا	متنازع النسبة	الطويل	٦/ ٨٤
وفي غيرِ من قد وارتِ الأرضُ فاطْمعِ	أرطاة المري	الطويل	٥/ ٥٢٥
إِذَا كَانَ يَوْماً ذَا كَوَاكِبَ أَشْنَعَا		الطويل	٣/ ١١٧
لولا الكَمِيَّ المُقَنَّعَا	جرير	الطويل	٥/ ٢٤٧
وَعَجَّتْ عَجِيجاً مِنْ جُذَامَ المطَارِفُ	متنازع النسبة	الطويل	٣/ ٢١٠، ٣٧٠
إِلَّا مُسْحَتاً أَوْ مُجَلَّفُ	الفرزدق	الطويل	٣/ ٥١٤
سَقَاها فَرَوَّاها من المَاءِ مُخْلِفُ	الحطيئة	الطويل	١/ ٣٠٦

عجز البيت	القائل	البحر	الجزء والصفحة
وهـــذَا تَـحْـمِـلِـيـنَ طَـلِـيــقُ	ابن مفرغ الحميري	الطويل	٢/ ٤٤١
لـه شـاهـد مـن نفسه غـيـر عائل	أبو طالب	الطويل	٣/ ٢٠
ثَـلاثُـون شـهـراً فـي ثـلاثـةِ أحْـوال	امرؤ القيس	الطويل	١/ ٧٢٠، ٤/ ٦٢١
بكُـــلِّ مُمَـرِّ الفَتْـلِ شُـدَّتْ بِـيَـذْبُـلِ	امرؤ القيس	الطويل	٩/ ٢٣٥
وَعَـنْ أَيِّ نَفْسٍ بَعْدَ نَفْسِي أُقَاتِلُ	ضرار بن الخطاب	الطويل	٤/ ٤٦٠
وكــــلُّ فــحـــلٍ لـــه نَــجْـــلُ	زهير	الطويل	٢/ ٣١٢
وفي اللَّهِ إِنْ لَمْ تُنْصِفُوا حَكَمٌ عَدْلُ	أبو الخطَّار	الطويل	٨/ ٥١٩
تَـمَنِّيَ دَاودَ الـزَّبُـور عَـلَـى رِسْـــلِ	متنازع النسبة	الطويل	٧/ ٧١
تَضِلُّ الْـمَـدَاري في مُثَنًّى وَمُرْسَلِ	امرؤ القيس	الطويل	٧/ ٦٩٣
يَـــفِـــيءُ عَـــلَـــيْـــهَـــا الـــظِّـــلُّ	امرؤ القيس	الطويل	٦/ ٥٥
سَـلِيلَـةُ أَفْـرَاسٍ تَجَلَّـلَـهَـا بَـغْـلُ	هند بنت النعمان بن البشير	الطويل	٧/ ٩٤
وَتُصْبِـحُ غَرْثَـى مِـنْ لُحُـومِ الْغَوَافِـلِ	حسان بن ثابت	الطويل	٤/ ٧٥١
حَـتَّـى إِذا أَنْـبَـتَ الْـبَـقْـلُ	زهير	الطويل	٦/ ١٩
كَـأُنْـبـوبِ الـسَّـقِـيِّ الْـمُـذَلَّـلِ	امرؤ القيس	الطويل	١٠/ ٦٢
يعَضُّـون غـيـظاً خـلْفَنا بِـالأَنـامـل	أبو طالب	الطويل	٢/ ٥٧٥
وتَسْمَعُ مِنْ تَحتِ العَجَاجِ لها ازمِلاَ	بلا نسبة	الطويل	٣/ ٨١
دَبِيبَ قَطَا البَطْحَاءِ فـي كُلِّ مَنْهَلِ	الأعشى	الطويل	١/ ٦١٩، ٧/ ٢٤٢، ٨/ ٦٩٢
تَقَضِّي لُـبَـانَـاتٍ وَيَـسْـأَمَ سَـائِـمُ	الأعشى	الطويل	٨/ ٥٨١
وَمَـــا لَـــيْـــلُ الْـــمَـــطِـــيِّ بِـــنَـــائِـــم	بلا نسبة	الطويل	٥/ ٦٧١

عجز البيت	القائل	البحر	الجزء والصفحة
أَنَــى وَلِــكُــلِّ حَــامِـلَــةٍ تَــمَــامُ		الطويل	٩/ ٣٣١
وَأَسْيَافُنَا يَقْطُـرْنَ مِـنْ نجْـدَةٍ دما	حسان بن ثابت	الطويل	٨/ ٥٣٠
كما شَـرَقَتْ صـدْرُ الْقَنَـاةِ مـنَ الـدَّم	الأعشى	الطويل	٧/ ٣٣٧
كَأَحْمَر عَـادٍ ثُـمَّ تُـرْضِـعْ فَتَفْطِمِ	زهير	الطويل	٩/ ٢٦٧
وَنِـضْـوَايَ مُـشْـتـاقَـانِ لَـهُ أَرِقَــانِ	متنازع النسبة	الطويل	١٠/ ٣٤٩
ومِـطْـوَايَ مُـشْـتَـاقَـانِ لَـهُ أَرِقَــانِ	متنازع النسبة	الطويل	٥/ ٣١١
شَــرقَــتْ صَــــدْرُ الـقَـنَـاة	الأعشى	الطويل	٩/ ١٨٣
تُـكَـلِّمُـني أَحْـجَـارُهُ وَمَـلَاعِـبُـهْ	ذو الرمة	الطويل	٩/ ١٥٤
وأَيُّ بَني الآخاءِ تصْفُـو مَذَاهِبُهْ	بشر بن المهلب	الطويل	٥/ ٧٢٤
وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كانَ في العُصُر الخالي	امرؤ القيس	الطويل	١٠/ ٣٧١
وأيْـنَ مَكَـانُ البُعْـدِ إِلَّا مَكَـانِـيَـا	مالك بن الريب	الطويل	٣/ ٦٨
كَفَى الشَّيْبُ والإسـلامُ للمَرْءِ نَاهِيَا	سحيم الحسحاس	الطويل	٣/ ٩٦، ٦/ ١٧٧، ٨/ ٢٢١
إِلَّا رَوَاكِـــدَ جَـمْـرُهُـنَّ هَـبَـاءُ	متنازع النسبة	الكامل	٧/ ١٧٥
أَو يَعْتَـلِقْ بَعْـضَ النُّفوسِ حِمَامُهَـا	لبيد	الكامل	٨/ ٦٤٦
في لَيْلَةٍ كَـفَـرَ الـنُّـجُـومَ غَمَامُهَا	لبيد	الكامل	١/ ٢٧٨
شُـرْبَ النَّزِيفِ بِبَرْدِ مَـاءِ الْحَشْرَجِ	متنازع النسبة	الكامل	٩/ ٣٥٦
مُـتَـقَـلِّـداً سَـيْـفـاً وَرُمْــحَــا	عبد الله بن الزبعري	مجزوء الكامل	١/ ٢٨٣، ٩/ ٣١٩
فـي ظِـلِّ مُـلْـكٍ ثـابِـتِ الأَوْتَـــادِ	الأسود بن يعفر	الكامل	١٠/ ٢٥٢
بَـلْ كَانَ قَلْبُـكَ فِـي جَنَاحَـيْ طَائِـرِ	عمران بن حطان	الكامل	٧/ ٢٣٢

عجز البيت	القائل	البحر	الجزء والصفحة
فَحَمَلْتُ بَرَّةَ وَاحْتَمَلْتَ فَجَارِ	النابغة الذبياني	الكامل	٧/ ١٨٤
ذَلَّتْ لوَقْعَتِها جَمِيعُ نِزارِ	كعب بن زهير	الكامل	٥/ ٤١٦
نَوَاكِسِي الأَبْصَار	الفرزدق	الكامل	١٠/ ٥٤
وَالْعَيْبُ يَعْلَقُ بالكبير كبير	القاضي التنوخي	الكامل	٥/ ١٢٦
خَفَضُوا أَسِنَّتهم فكُلٌّ ناعِ	الأجدع بن مالك	الكامل	٥/ ١٠٢
لا هَناكِ الْمَرْتَعُ	الفرزدق	الكامل	٩/ ٦٧٤
والجبالُ الخُشَّعُ	جرير	الكامل	١/ ٤٥٧
إِلَا الْحَمِيمَ فَإِنَّهُ يَتَبَضَّعُ	أبو ذؤيب	الكامل	٤/ ٣٦
ورجالُ مكّة مُسْنِتون عجافُ	متنازع النسبة	الكامل	٥/ ٤٧٠
ولَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ والسِّرْبَالِ	أوس بن حجر	الكامل	٦/ ٩٤
قُتِلَتْ قُتِلْتَ فهَاتِها لَمْ تُقْتَلِ	حسان بن ثابت	الكامل	١/ ٤٠٦
وَإِنْ نَزَلُوا بِضَنْكٍ أَنْزِلِ	عنترة	الكامل	٦/ ٦٤٥
بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ	الفرزدق	الكامل	٧/ ٦٢٤
أَقْوَى وأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثَمِ	عنترة	الكامل	٩/ ٣٧٥
وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وتَحَمْحُمِ	عنترة	الكامل	٦/ ٤٢٢
وَلاتَ ساعَةَ مَنْدَمِ	بلا نسبة	الكامل	٨/ ٣٠٤
وظَلَلْتُ فيهَا واقِفاً أَتَوَسَّمُ	بلا نسبة	الكامل	٥/ ٧٤١
والكُفْرُ مخْبَثَةٌ لِنَفْسِ المنعِمِ	عنترة	الكامل	٢/ ٥٦٨،٦/ ٢٣٣
مَا غِيضَ مِنْ بصَرِي ومِنْ أَجْلاَدي	الأسود بن يعفر	الكامل	٥/ ٣١٥
فَإِنَّ الحَوادِثَ أَوْدَى بِهَا	الأعشى	المتقارب	٣/ ١٣٥

عجز البيت	القائل	البحر	الجزء والصفحة
وَجُـــرْحُ الـلِّـسَـانِ كَـجُـرْحِ الْـيَـدِ	متنازع النسبة	المتقارب	٧/ ١٦٩
وَيَـعْـدو عَـلَـى الْـمَـرْءِ مَـا يَـأْتَـمِـرْ	امرؤ القيس	المتقارب	٩/ ٥٧٣
فَـلَـمْ أُعْـطَ شـيـئاً ولَـمْ أُمْـنَـعِ	العباس بن مرداس	المتقارب	٤/ ٥٢٧
وَلا ذَاكَــــرِ الله إِلَّا قَــلِـيـلـَـا	أبو الأسود الدؤلي	المتقارب	٣/ ٥٦١، ٩/ ٢٦٧
أَضْـحَـى فُـــؤَادِي بِـهِ فـاتِـنـا	بلا نسبة	المتقارب	٦/ ٦١
والْمُـسْـيُ وَالصُّبْـحُ لا فَـلاحَ مَـعَـهْ	الأضبط بن قريع السعدي	المنسرح	٤/ ٢٠١
والصُّبْـحُ والـمُسْـيُ لا فـلاحَ مَـعَـهْ	الأضبط بن قريع	المنسرح	٦/ ١٣٢
هَـــوِيَّ الـدَّلْـوِ أَسْـلَـمَـهُ الـرِّشَـاءُ	زهير	الوافر	٦/ ٦١٦، ٩/ ٢٣٤
على آثـــارِ مَـنْ ذَهَـبَ الـعَـفـاءُ	زهير	الوافر	٤/ ٣٣٥
يـمـيـنٌ، أو نِـفَــارٌ، أَوْ جِـلاءُ	زهير	الوافر	٤/ ٤٦٢
يَـكـونُ مِـزاجَـهـا عَـسَـلٌ ومَـاءُ	حسان بن ثابت	الوافر	٥/ ١٤٥
كُـلُـوا فـي بَـعْـض بَطْنِكُمُ تعفُّوا	بلا نسبة	الوافر	٨/ ٩١
إذا مـا الـقـارظُ الـعَـنـزيُّ آبـا	بشير بن أبي خازم الأسدي	الوافر	٢/ ٣٤٨
ونُـسْـحَـر بـالـطَّـعَـامِ وبـالـشَّـرابِ	امرؤ القيس	الوافر	٦/ ٢١٨، ٧/ ٣٧٦
رَضِـيـتُ مِـنَ الْغَنِيمَةِ بِـالإِيَـابِ	امرؤ القيس	الوافر	٢/ ٣٤٨
صَـــوَاعِـقُـهـا لـطَـيْـرِهِـنَّ دَبِـيـبُ	علقمة بن عبدة	الوافر	١/ ٦١٩، ٨/ ٦٩٢

عجز البيت	القائل	البحر	الجزء والصفحة
وَمَــا شَـيْءٌ حَـمَـيْـتَ بِمُسْـتَـبَـاحِ	جرير	الوافر	٩/ ٤٠٠
إِذَا هَــبَّــتْ لِقَــاريـهَــا الـرِّيَــاحُ	مالك بن الحارث	الوافر	٩/ ١٣٣
وأَلْـحَـقَ بـالحِجَازِ فـأَسـتريحَـا	مغيرة بن حبناء	الوافر	٢/ ٤٥٩
أَحَــسْـنَ بِــهِ فَـهُـنَّ إِلَـيْـهِ شُـوسُ	أبو زبيد	الوافر	٨/ ٣٢٤
وبعد عَـطَـائِـكَ الـمِـائَـةَ الـرِّتَـاعَـا	بلا نسبة	الوافر	٥/ ٤١٧، ١٠/ ٢٦١
فَـيَـخْـبُـو سَـاعَـةً ويَـهُـبُّ سَـاعَـا	القطامي	الوافر	٦/ ٢٩٠
فَلَسْنَا بِـالْـجِـبَـالِ وَلَا الـحَـدِيـدَا	عقيبة الأسدي	الوافر	٨/ ٧١٨
والأَسَـــــلَ الـنِّـــــيَـاعَـا	عمير بن شييم	الوافر	٥/ ١٠٣
تَحِيَّـةُ بَيْنِـهِـمْ ضَـربٌ وَجِـيـعُ	عمرو بن معدي كرب	الوافر	١/ ٧٤٧، ٢/ ٦٥٣، ٥/ ٦٥٤، ٦/ ٣٦٤، ٩/ ٤٥٧، ٤٠٩
وَمَــنْ يَـخْـذُلْ أَخَـاهُ فَـقَـدْ أَلَامـا	أمية بن أبي الصلت	الوافر	٩/ ١٩١
عَـلَـيْـك وَرَحْـمَــةُ الله الـسَّـلَامُ	متنازع النسبة	الوافر	٤/ ٦١٩
وعِـنْـدَ جُـهَـيْـنَـةَ الْـخَـبـرُ الْيَقِينُ	الأخنس الجهني	الوافر	٨/ ١٢٣
بَــرَّاق أَصْــلادِ الجَبِينِ الأَجْـلَـهِ	رؤبة	الوافر	٢/ ٢٠٧
وإنْ تَـهْـلِـكْ فـذلِـكَ كـانَ قَـدْرِي	متنازع النسبة	الوافر	٣/ ٣٣٠
أَهَـــذَا دِيــــنُــهُ أَبَـــداً ودِيــنِـي	المثقب العبدي	الوافر	١/ ٢٣٩
يَسُـوءُ الْـفَــالِـيَـاتِ إِذَا فَـلَـيْـنِــي	عمرو بن معدي كرب	الوافر	٤/ ٥٧

فهرس الكتب

أدب الكاتب لابن قتيبة : ٥/ ٣٠٤.
الإرشاد لأبي المعالي الجويني: ١/ ١٩٥، ٢/ ٦٩٨، ٣/ ٦٠٠، ٥/ ٣٢٥.
الاستظهار: ٧/ ٤٢.
الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر: ٣/ ٢٦٤، ١٠/ ٤٠٢.
الأسدية للصاحب بن عباد: ٢/ ٩، ٣/ ٦٠٢.
الإشراف لابن المنذر: ٢/ ١٧، ٦٨، ٣/ ١٦٥، ٤٩٥، ٤/ ١٥٩، ٤٩٨، ٥/ ٧، ٨.
الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني لأبي علي الفارسي: ٢/ ٤٨٩، ٦٩٢، ٤/ ١٣١، ١٦٥، ٣٨٢، ٤١١.
الأفعال لابن القطاع : ٩/ ٣٤٩.
الاقتصاد للإمام الغزالي: ٨/ ٢٥.
الأمصار للجاحظ: ١/ ١٨٦.
الأنواء للزجاج: ١/ ٦١٨.
البلدان للجاحظ: ٢/ ١٥.
تاريخ أبي خيثمة: ٤/ ٢٢٥.
تاريخ خليفة بن خياط : ٥/ ٢٨.
التفريع لابن الجلاب: ٢/ ٧٤، ٤/ ٦٨٧.
تفسير أبي العباس المهدوي : ٤/ ٥٢٧، ٩/ ٤٦١.
تفسير الثعلبي: ٧/ ٢٩٣، ٣٦١، ٨/ ٤٤، ٤٥، ١٥٥، ١٥٨، ١٧٥، ٢٠٩، ٥٤٧، ٥٦٨، ٥٧٠، ٧٥٩، ٩/ ١٨٤، ١٩٠، ٢٥٨، ٢٨٨، ٣٣٠، ٤٥٥، ٤٩٩، ٥٣١، ٦١٨، ٦٢٩، ٩/ ٦٥٧، ٩/ ٦٦٦، ١٠/ ٣١٢، ٣١٨.
تفسير الرماني: ٨/ ٩٠، ٨/ ١٠٠.
تفسير الطبري: ٣/ ١٩٠، ٤/ ٦٣٧، ٧١١، ٥/ ١٤٠، ٤١٠، ٦/ ١٤٧، ٤٢٨، ٤٣٥، ٧/ ٢٤٨، ٨/ ٥٣، ٢٩٤، ٥٦٨، ٧٤١، ٩/ ١٧٨، ١٧٩، ٢٠٣.
تفسير النقاش: ٤/ ٣٠٢، ٣٧٣، ٣٨٩، ٤٨٧، ٥/ ٦٠، ١١٢، ٧/ ٢٤٧، ٤١٥، ٤٣٨، ٩/ ٥٤، ٤١٩، ٥٩٦، ٦١٩، ٧٠٨، ١٠/ ١٩٢، ٣٠٢، ٤١٩.
تفسير عبد بن حميد: ٣/ ٢٦٣، ٤/ ٦٣٧، ٦/ ١٥٠.
تفسير معاني القرآن للنحاس: ٣/ ١٠٤، ٦/ ١٤٠، ٨/ ٨٩.
تفسير مكي بن أبي طالب: ٢/ ٤٣٨، ٩/ ٤٧٠.
التلخيص لأبي المعالي الجويني : ٥/ ٥١٧، ٦٢٢.

التلقين للقاضي عبد الوهاب المالكي: ٣/ ٤٤٤.
التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني: ١٠/ ٢٤٣.
ثمانية أبي زيد: ١/ ٦٨٨.
الحجة لأبي علي الفارسي : ٢/ ١٢١، ٣٣٢، ٤/ ٢٣٤، ٥/ ٢٠٢، ٣٠٦، ٦/ ٥٤٨، ٧/ ٥٢٠، ٨/ ٧١٧، ٩/ ٤١٣.
الحجة لأبي علي الفارسي: ٣/ ٥٥٨، ٦٧٠، ٩/ ٣١٩.
خباة العرب لأبي زيد الأنصاري: ٣/ ٧٤٢.
الدلائل لثابت السرقسطي: ١/ ١٦٦، ٢٥٤، ٤/ ٢٨٢، ٧٢١، ٥/ ١٤٨، ٢٦٦، ٧/ ٣٠٨، ٩/ ١٦٢.
ذيل الأمالي: ٥/ ٦٩٥.
سبل الخيرات لابن القلاس: ٩/ ١٨٤.
سنن ابن ماجه: ٧/ ٣٢٠.
سنن أبي داود: ٣/ ١٧٤، ٢٥٦، ٢٦٤، ٢٩٧، ٦٩٧، ٤/ ٤٩٧، ٥/ ١٦، ٢٣، ٣٣٨، ٧/ ١٣٩، ٨/ ٥٢، ٩/ ٥٢٧.
سنن الترمذي: ١/ ٢٣٥، ٤٥٥، ٤/ ٤٧٨.
سنن النسائي: ٢/ ٤٠.
سنن سعيد بن منصور: ٦/ ٣٨٧.
سيرة ابن إسحاق: ١/ ٧٢٥، ٣/ ٢٦٤، ٤١٣، ٤/ ٥١٦، ٥/ ٢٤٩.
السيرة لابن هشام: ٢/ ٥٤١، ٣/ ٤٥١، ٤/ ١١٢، ٥٠٦، ٥٩١، ٦٠٠، ٦/ ١٣٩، ٨/ ٦٨٢، ٩/ ١٣٨.
الشامل لأبي المعالي الجويني: ٤/ ٤٤٦.
شرح ابن مزين للموطأ: ٣/ ٦٠٣.
صحيح البخاري: ١/ ١٧٦، ٢/ ١٦٠، ٦٣٠، ٣/ ٦، ١٢٣، ١٧١، ٢٤٤، ٤٥٠، ٤/ ١٣، ٤/ ٨٤، ٤/ ١٧٨، ٤١٠، ٤٧٦، ٥٢٥، ٥٣٦، ٥٦٩، ٦٠٩، ٦٦٢، ٦٧٦، ٥/ ٥٧، ١٤٠، ٣٥٠، ٤٤٤، ٥٣٢، ٥٦٦، ٤٨٠، ٦٧٢، ٦٩٨، ٧٠٨، ٧٤٧، ٦/ ١٣٥، ١٣٩، ١٤٧، ١٥١، ٢٦٨، ٤٠٧، ٤١١، ٤١٤، ٤٢٠، ٥٠٥، ٧/ ٢٨، ١٨٢، ٨/ ١٢، ٧٧، ١١٦، ١٤٢، ٩/ ٤٩٠، ٦٠٨، ٧٣٤، ١٠/ ٥، ١٣٨، ١٢٨٨، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣٢٧.
صحيح مسلم: ١/ ٤١١، ٤٣٩، ٧١٥، ٣/ ٣٢٤، ٦٠، ٦١، ١٢٥، ٥٩٢، ٤/ ١٧٨، ٢٨٢، ٥٣٦، ٦٠٩، ٧٤٣، ٥/ ١٤٨، ٢٠٩، ٥٣٢، ٢٦٦، ٤٤٤، ٥٧٠، ٧٤٧، ٦/ ١٤٧، ١٥١، ٢٦٨، ٣٩٠، ٧/ ١٨٢، ١٨٧، ٣٠٨، ٣٢٦، ٦٨٧، ٨/ ٥٢، ١٠٩، ٤٩٩، ٩/ ١٥٦، ١٦٢، ٣٩٣.
الطبقات للزبيدي: ١/ ١٨٥.
العتبية لمحمد بن أحمد العتبي الأندلسي: ١/ ٦٦٧، ٢/ ٤٠، ٥١٤، ٤٣٨، ٥٢٥، ٣/ ٢٨٣، ٥١٧، ٦٠٦، ٦٢٧، ٤/ ٦٦٣.
عجائب البلاد لإبراهيم بن القاسم الكاتب: ٦/ ٣٦٩.
عقيدة أبي منصور الماتريدي: ٦/ ٨٥.
العين للخليل بن أحمد الفراهيدي: ٤/ ٥٧٨.

غريب الحديث لابن قتيبة: ٨/ ٣٨٩.
الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام: ٥/ ٢٤٠، ٦/ ٥١٦، ٨/ ١٠.
فقه اللغة للثعالبي: ٤/ ٦٢٤.
القراءات لابن مجاهد: ١/ ١٨٥.
القراءات ليحيى بن يعمر: ١/ ١٨٥.
كتاب ابن الحارث: ٥/ ٥٨١.
كتاب ابن سحنون: ٦/ ٧٠٣.
كتاب ابن سحنون: ٦/ ٧٠٤.
كتاب ابن مزين: ٣/ ٦٠٩.
كتاب أبي حاتم: ٥/ ٢٦٠.
كتاب أبي منصور المهراني: ٥/ ٤٩٩.
كتاب الزهراوي: ٤/ ٥٥٢، ٥/ ٤١٣، ٥/ ٣٦١، ٥/ ٧٤٨، ٨/ ٢٣٨، ٨/ ٤١٩، ٩/ ١٣٧، ٩/ ١٤٩.
كتاب السير: ٣/ ٥٤٠، ٣/ ٦٤٠، ٥/ ٨١، ٧/ ٢٦٧، ١٠/ ٨٨.
الكتاب لسيبويه: ٢/ ٣٦١، ٥/ ٥٦٥، ٥/ ٦٥٧، ٨/ ٧١٨.
كتاب محمد بن القاسم: ٢/ ٣٠، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٣/ ١٠٦، ١٠٧، ١٧٢، ٤٢٤، ٦٢١، ٦٢٢، ٥/ ٥٨٠.
اللآلي لأبي عبيد البكري: ١/ ٥١٩.
اللطيف لأبي جعفر الطبري: ١/ ٢٩٨.
اللغات للفراء: ٩/ ٤٥٥.
المبسوط لإسماعيل بن إسحاق الجهضمي: ١/ ٦٦٧، ٣/ ٢٨٦.
المثالب للنضر بن شميل: ٣/ ٨٥.
المجاز لأبي عبيدة معمر بن المثنى: ٣/ ١٥٣، ٤/ ٥٢٧.
المجمل لابن فارس: ١/ ٧٠٨.
المجموعة لابن عبدوس: ٢/ ٥٢٥.
المحكم لابن سيده: ٢/ ٣٤٣، ٤/ ٢٨٧، ٧/ ١٨٩.
مختصر ابن الجلاب: ٧/ ١٨٠.
مختصر الوقار: ٣/ ١٧١.
المدونة للإمام مالك بن أنس: ٢/ ٥٣، ٢/ ٥٤، ٧٢، ٧٤، ٨٠، ٩٢، ٩٣، ٩٧، ١٠٢، ١٠٤، ١٢٣، ٥٢٧، ٧٢٩، ٣/ ٩٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ١٤٠، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٣، ٢٨٥، ٢٩٩، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٨، ٦٢١، ٦٢٦، ٦٢٨، ٦٣٩، ٤/ ١٥٩، ١٦٠، ٤٩٤، ٦٨٨، ٥/ ١٢٩، ٦/ ٧٠٢، ٧/ ١٨٠.
المسائل البغداديات لأبي علي الفارسي: ٥/ ٤٨٤.
المسائل الحلبيات لأبي علي الفارسي: ١/ ٤٩٥، ٦/ ٢٢٥.
مسند ابن أبي شيبة: ٤/ ٥٢٥، ٧/ ٩٧.
مسند ابن سنجر: ٢/ ٣١٦، ٦/ ١٤١.
مسند الشهاب القضاعي: ٩/ ٨٨.
مسند خيثمة بن سليمان: ٤/ ٢٧١.
المشكل لابن قتيبة: ٣/ ١٩٢.
المشكل لمكي بن أبي طالب: ٢/ ٢٠٨، ٧٠٤، ٥/ ٣١٢، ٦/ ٦٥٠، ٩/ ٢٥٧.
المصنف عبد الرزاق بن همام: ٣/ ٢٩٤.

معاني القرآن للزجاج: ٥/ ٥٨، ٥١٠، ٣٦٦.
المفضليات للمفضل الضبي: ٣/ ٣٩٤، ٤/ ٧٠٩.
المقتضب للمبرد: ١/ ٦٤١.
المقنع لابن الخياط: ١/ ٥٣٩.
المنتقى للباجي: ٧/ ١٩٣.
الموازية لمحمد بن إبراهيم ابن المواز: ٢/ ٥٢٦، ٧٢٩، ٣/ ٦٠٣، ٦/ ٧٠٣، ٧/ ١٧٨، ٤١، ١٧٩.
الموطأ للإمام مالك بن أنس: ١/ ٥٤٧، ٦٧٩، ٢/ ٢٩، ٥٨٨، ٣/ ١٠٠، ٥٧١، ٦٢٥، ٤/ ٢٨، ٢٥٧، ٥٩٣، ٥/ ٧٤٧، ٦/ ٤٥٢، ٧٠١، ٧/ ٥٢، ٥٨٧، ١٠/ ٣٠٥.
الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد القاسم بن سلام: ٧/ ١٦٧.
الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة البغدادي المقرئ: ١/ ٧١٤، ٣/ ٢٦٣، ٨/ ٣٨.
النبات لأبي حنيفة الدينوري: ٨/ ٩٥.
نظم القرآن للجرجاني: ٢/ ٢٢٠، ٣٠٥، ٥/ ٦٧، ٩/ ٧٣٦.
النوادر لأبي القاسم الزجاجي: ٢/ ٣١٢، ٥١٧، ٥١٨.
الهداية لمكي بن أبي طالب: ٣/ ١٥٦، ٧١٥، ٤/ ٢٨٢، ٥٠٣، ٨/ ٢٥، ٨١.
الواضحة لابن الماجشون: ٣/ ١٠٨، ١٦٨، ٤/ ٤٩٩، ٥٢٣، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٥/ ١٨، ٦/ ٧٠٢، ٨/ ٦٨٦.
اليواقيت في اللغة لأبي عمر محمد بن عبد الواحد المطرز: ٦/ ٣٣٦.

نبذة تعريفية
الإدارة العامة للأوقاف

الوقف علامة فارقة في مسيرة الحضارة الإسلامية وقد أثبت دوره ومكانته في مجالات التعليم والصحة والعمل الثقافي والاجتماعي بمختلف أشكاله وما زالت المساجد والمدارس والمعاهد والمستشفيات تقف شاهدة على عظمة وأهمية الوقف عبر تاريخنا المجيد.

وفي هذا السياق من العطاء والتواصل الإنساني تهدف الإدارة العامة للأوقاف إلى إدارة الأموال الوقفية واستثمارها على أسس اقتصادية، وفق ضوابط شرعية بما يكفل نماءها وتحقيق شروط الواقفين وتعد الأوقاف إحدى أهم مؤسسات المجتمع المدني سواء من ناحية النشأة والقدم أوالاختصاصات المناطة بها.

وانطلاقاً من النهضة الوقفية المعاصرة تمّ توسيع نطاق الوقف وتنويع مصارفه من خلال إنشاء المصارف الوقفية الستة المشتملة على مختلف نواحي الحياة الثقافية والتربوية والصحية والاجتماعية ...إلخ، وذلك تشجيعاً لأهل الخير وإرشاداً لهم لوقف أموالهم على المشاريع الخيرية التنموية وتنظيماً لقنوات الصرف والإنفاق المساهمة في بناء المجتمع الإسلامي الحضاري.

وأما المصارف الستة فهي:

١ـ المصرف الوقفي لخدمة القرآن والسنة.

٢ـ المصرف الوقفي لرعاية المساجد.

٣ـ المصرف الوقفي لرعاية الأسرة والطفولة.

٤ـ المصرف الوقفي للبر والتقوى.

٥ـ المصرف الوقفي للرعاية الصحية.

٦ـ المصرف الوقفي للتنمية العلمية والثقافية.

وانطلاقاً من الإيمان العميق بدور العلم الشرعي والثقافة الإسلامية بشكل خاص، والعلوم التطبيقية بشكل عام في تقدم الأمة وتطورها، جاء إنشاء «المصرف الوقفي للتنمية العلمية والثقافية» ليكون رافداً غنياً للعطاء الثقافي والعلمي ضمن نطاق اختصاصاته. وابرز مثال في إطار أعمال وإنجازات هذا المصرف رحلات العمرة للمتميزين إلى جانب إقامة العديد من الدورات العلمية.

ولا ننسى الإشارة إلى الدور المهم الذي نهض به الوقف تاريخياً في تنشيط الحركة العلمية والثقافية، وذلك بإقامة المدارس، والمكتبات والمعاهد وغيرها، ليصنع بذلك حضارة أفادت منها الإنسانية جمعاء.

من أهدافـه:

ـ تشجيع ودعم إقامة الأنشطة والفعاليات العلمية والثقافية.

ـ الحث على الاهتمام بالتعليم، وبيان دوره في رقي الإنسان ونمو المجتمعات.

ـ نشر العلم الشرعي والثقافة الإسلامية على أوسع نطاق والارتقاء بمستوى العاملين في هذا المجال.

من وسائلـه:

ـ دعم إقامة المؤتمرات والندوات وحلقات الحوار والمهرجانات والمعارض والمراكز الثقافية الدائمة والموسمية.

ـ دعم وإنشاء المكتبات العامة.

ـ دعم تنظيم الدورات التدريبية التأهيلية لتنمية المهارات والقدرات في مختلف المجالات العلمية والثقافية.